العدد ٩٧ - ربيع الأول ١٤٠٤هـ - يناير ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

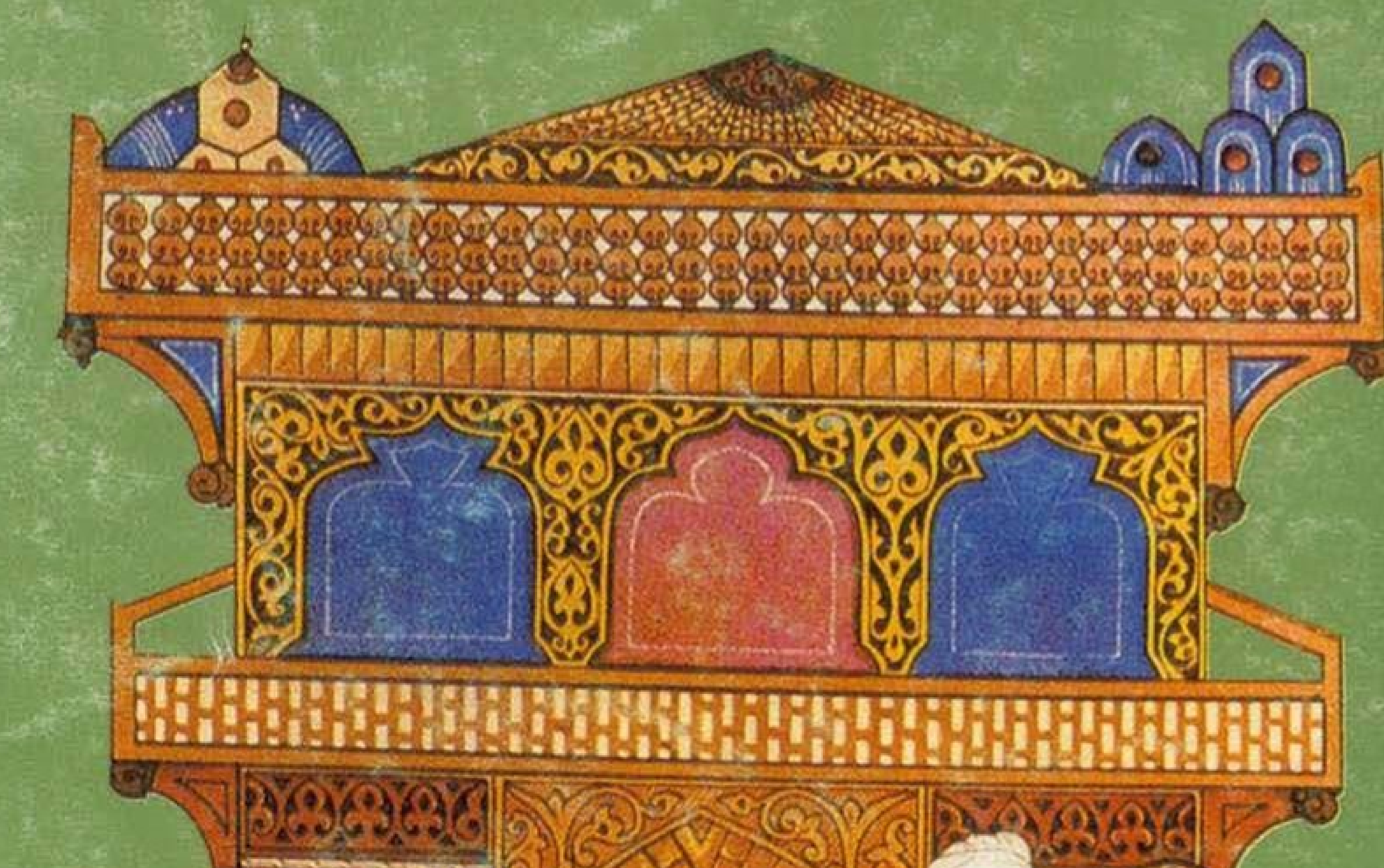
هل كان الأفغاني ومحمد عبده خارجين على الإسلام؟!

محمد الغزالي

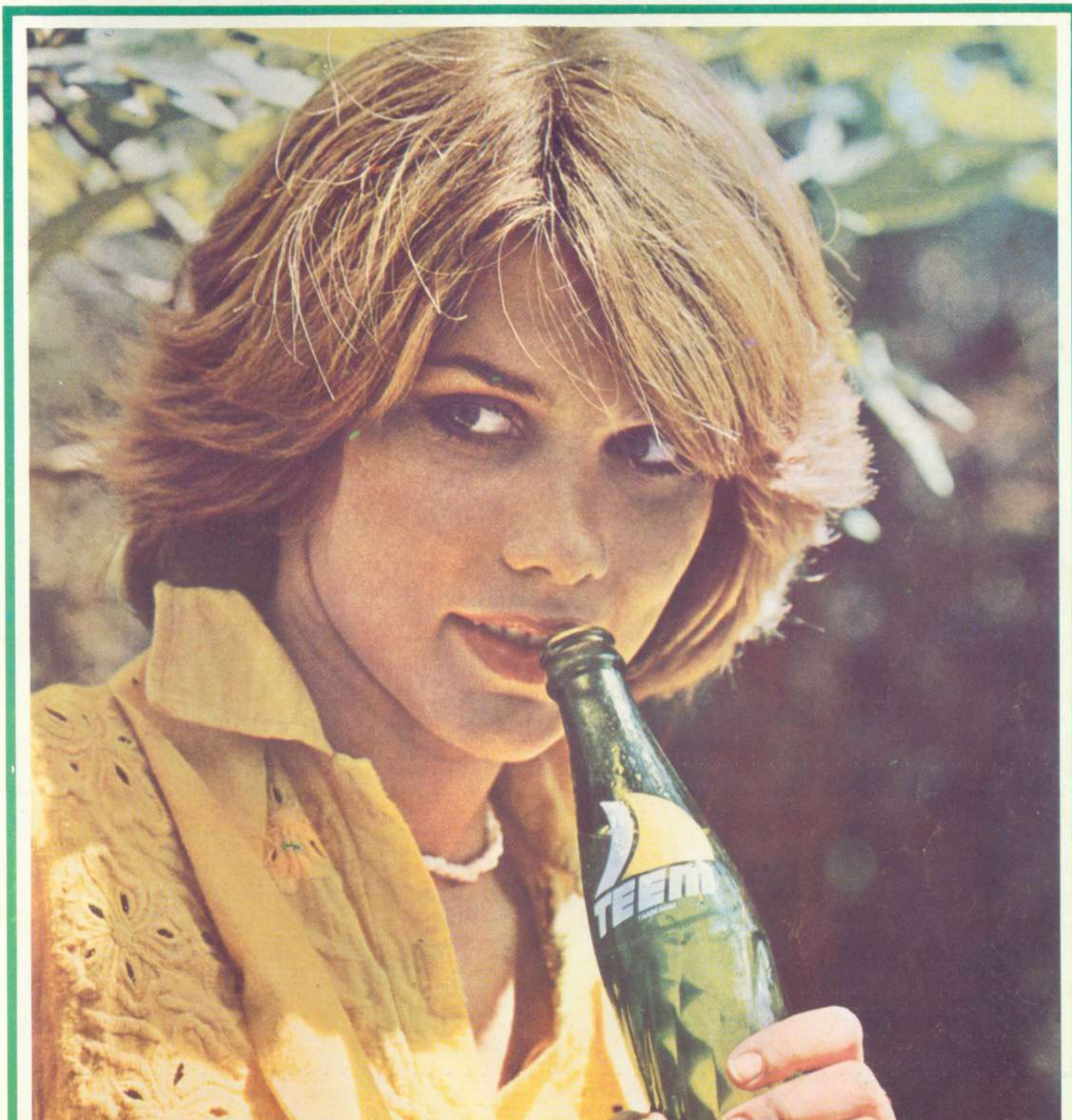
ملاحظات صريحة حول أدب الخليج

د. حسن نعمة

زكي مبارك و ٤٥٠٠ ثانية في صحبة أم كلثوم



عبقرية الحضارة العربية


TEEM
إرو عطشك مع
تيم

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٧ - ربيع الأول ١٤٠٤هـ - يناير ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة - قطر .
العنوان البرقي : المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
في باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

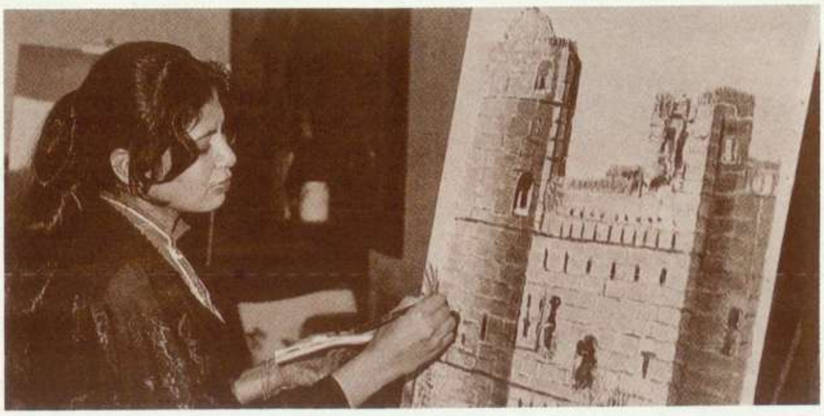
قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

مكاتب توزيع الدوحة

- **السودان :** دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ - بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازى - ص . ب ٣٢١ - بنغازى .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .
- **السعودية :** مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان - ص . ب ١٤٠٥ - الرياض .
  مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة .
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى - عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع السلام عمارة ثاني بن محمد - ص . ب ٧٩١ - ابو ظبى .
- **سلطنة عمان :** المؤسسة العربية للتوزيع والنشر - ص . ب ١٠١١ مطرح مسقط .
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هـــــــذا العـــــــــدد



في معرض الشبيبة العمانية : بدلا من التمرد واللجوء الى المذاهب الفنية الغريبة ص ٨٣



الفنـــــان ابو العينين رائد تصميم ازيـــــاء الفرق الشعبيـــــة ص ١٠٨

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● ادب وفنون ●



خطر اجتماعي جديد يهدد العالم الحديث :
اطفال مفتاح الشقة ص ١٠٢

● أبواب ●

الدوحة

مجلة شهرية
ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام
بدولة قطر

● جميع المراسلات
ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة
تعبر عن رأي أصحابها
ولا تعبر بالضرورة
عن رأي وزارة الإعلام
أو رأي المجلة

● المواد لا تعاد إلى مرسليها
نشرت أو لم تنشر

ملاحظات صريحة حول:

الأدب في الخليج



بقلم: الدكتور حسن نعمة

اخذ مصطلح « الادب الخليجى » يتردد فى هذه الايام ، خاصة والمنطقة مقبلة على مناهج توحيدية وتعاون فى التنمية الاقتصادية وفى مجالات الدفاع والسياسة والامن وما الى ذلك من مناحى العيش المتعددة .

واول ما يتبادر الى الذهن حين يطرقه هذا المصطلح هو مفهوم التجزئة وتقسيم الأدب العربى الى مناطق اقليمية لا تؤدى الى اى عمق او شمولية فى مفهوم الادب ، ومن اساسيات الأدب ، اى أدب فى العالم ، أن يكون ذا عمق وشمولية .

وموضوع هذه الملاحظات هو الأدب فى الخليج لا « الأدب الخليجى » ، فهناك أدب فى مصر ، وأدب فى الشام ، وادب فى العراق ، مثلما هناك أدب فى الخليج . وليس هناك أدب خليجى .

وما يعنينا هنا هو : هل افرز نتاج الادب فى الخليج مردوداً جيداً ؟

لقد استشرى الادب الردىء فى العالم العربى كله ، وشاركت فى ذلك الجهات القائمة على نشر الانتاج الادبى ، وبسبب ظروف عديدة ، واختلاط معايير الفكر ، واختلال الموازين فى تقييم الاثر الادبى ، ظهر كثير من الادباء المصنوعين .. وطفت على السطح الفكرى طائفة متطفلة على الأدب ، استطاعت أن تنتزع لنفسها مكانة بسبب الفراغ القائم وخلو الساحة من الأدباء الحقيقيين وتلك هى المأساة !

وفى الخليج كان لنا فى الماضى ادب يعبر عن بيئتنا وكان احسن ما فيه مكتوبا بالعامية ، والتى اشعر بالالم عند ذكرها لانى لا استطيع ان اقبل الادب عامياً . ولكن الحقيقة هى ان افضل ثمرات الفكر التى توفرت للمنطقة فى ماضيها كانت بالعامية ، فعبر الانسان عن وجدانه ومشاعره بالادوات المتوفرة .

وكان ذلك الادب العامى على درجة من الرقي والادراك ، وله مراسم وانماط لا يمكن الاستهانة بها ، ويجب الا ننظر إليه نظرة دونية لاننا صرنا مزودين باسلحة الفصحى .

وهناك فرق كبير بين ذاك الأدب العامى والادب المصنوع والمنتشر بالدارجة فى منطقة الخليج اليوم . فقد عرفت الجزيرة العربية شعراء عظاما اضطروا لقول الشعر بالعامية ، كالشاعر محمد بن عبد الله العونى ، الذى اضطر الى قول شعره الحماسى بالدارجة لانه لم يمنح الحق الانسانى فى تعلم الابجدية .

هى فصحى مهملة

ولو تفحصت شعره وقارنته بالفصحى

● كل شيء يمكن أن يكون خليجياً .. الا الأدب ! ● ● ما أشد الفرق بين الأدب العامي في الماضي وأدب اليوم المكتوب بالعامية ! ● ● ● يجب أن يحظر استغلال الظروف للتسلق عن طريق الأدب ● ● ● ● الى متى يظل الأدب مطية سهلة لتسلق الضعفاء وعديمي الموهبة ● الفترة الخليجية في حياة الأدباء العرب الوافدين .. فترة تعطيل أو ارجاء أو عدم انتاج ● ● كان الحصول على عدد من الرسالة أو الثقافة بعد أربع سنوات يمثل لنا عرساً جميلا ● ● ● ● النقد عملية حضارية .. ويستلزم وجود بيئة لا تضيق به ● جد علينا الأدب ، فأخذه البعض كوجاهة اجتماعية .

لوجدت العوني يبز كبار شعراء الحماسة في الفصحى ، ولم اقرا في الأدب العربي نماذج في الحماسة بعظمة تلك التي عند العوني . وله معجم في الحماسة لا نستطيع اليوم ادراكه . وهناك اشتراك كبير بين مفرداته ومفردات الفصحى . وقد نخال مفرداته عامية ، لكنها في واقع الأمر فصحى مهملة اهملتها البيئات العربية الأخرى لعدم الحاجة اليها بسبب التطور الحضاري .

وهناك ايضا شعراء مثل محمد الفيحاني ، الذي اضطر بسبب حرمانه من الأبجدية لقول الشعر بالدارجة وهو شاعر غزل جيد .

شعراء الفصحى

اما نماذج الأدب المكتوب بالفصحى في الخليج في الماضي ، فمنها ما هو جيد وتقليدي مثل اشعار بن عثيمين ، وهو شاعر جزل سار على نظام القصيدة العربية التقليدية ، سواء في اغراض او شكل القصيدة . والناظر المنصف لشعره يجد فيه شاعراً يعد من الشعراء الممتازين في إجادة نظم القصيدة العربية التقليدية .

وقد كتب بالفصحى لأنه قد اتيحت له فرصة تعلم اللغة الفصحى . وهو يمثل إتصالا لانتاج الشعراء الكلاسيكيين العرب .

لقد ضربت مثلا بالعوني والفيحاني ممن قالوا الشعر بالعامية واجادوا ، وبابن عثيمين الذي كتب بالفصحى واجاد – مثلما اجاد فهد العسكر وعبد الله الزائد – كل ذلك لكي اصل الى حيثية هامة لسؤال مطروح حول ادب الخليج .. وهي وجود أدب جيد كتب بالعامية او بالفصحى في الخليج ، مثلما هناك أدب جيد في الشام ومصر والمغرب العربي . وليس هناك ادب خليجي . وعلينا ان نربط مفهوم الأدب بصفة عامة في كل بيئة من بيئات الأمة العربية بمسالة الجودة ، وان نطبق هذا المفهوم على كل ادب . فالأدب لا يمكن ان يسمى ادبا الا اذا كان جيداً .

ولكن ..

ادباء مصنوعون

لقد جدت ظروف في العالم العربي نتيجة اختلال كبير في الموازين في الحياة السياسية وفي الحياة العربية بشكل عام ، ولم يعد من الممكن ادارة دفة الامور دون خلق مناخ مصطنع للفكر والأدب . وفرخ ذلك بعض الموظفين لكي يكونوا ادباء . وهذا هو الذي ادى إلى الهزيمة العربية الكبرى والى الانحطاط .

لقد فرخت الظروف العربية نوعيات متطفلة على الأدب والفكر ، واسلمتها زمام القيادة والتوجيه . فادى ذلك الى الهزيمة في فلسطين ، واحتلال الأراضي العربية ، وطغيان الصهيونية .. لأن الساحة قد خلت من رجال الفكر ورجال الادب الذين يمكن ان ينطبق عليهم مبدا الجودة .

لقد كوفح معظم الادباء الممتازين في الرزق ، واضطهدوا ، ومات كثير منهم في المعتقلات والسجون ، ومازال منهم من هو في طريقه الى الاحتضار والموت .. كل ذلك لأن المؤسسات الثقافية والفكرية في العالم العربي لا تريد ادباء ممتازين لهم استقلال فكري في هذه الاجواء ، لانهم سينيرون الدرب للانسان العربي ليجد له طريقاً اخر غير هذا الطريق الذي ادى الى الهزائم ، وهذا هو الواقع المؤسف والسائد في عالمنا العربي اليوم .

والخليج بيئة جديدة ، طرات عليها تطورات اقتصادية وثروة بترولية ، وهي وان خلقت إعماراً في البناء ، إلا انها احدثت خللا في الانسان . وباستقراء التاريخ نجد ان النماذج الادبية التي كتبت في الماضي تعبر عن الانسان في الخليج تعبيراً جيداً ، لان شخصيته لم تكن مشتتة مبعثرة . كان انسانا متكاملا ، لا تناقض في شخصيته مع البيئة المعاشة والظروف المتاحة ، وذلك مما ساعد هذا الانسان على انتاج ادب جيد بالعامية او بالفصحى .

طفرة اخلت بالموازين

فلما جاءت ثروة البترول ، خلقت طفرة كبيرة في حياة الناس ، واخلت بالموازين . فلم تعد قيم العمل والانتاج في المجتمع ، بصفة عامة ، مؤسسة على قاعدة المكافاة المعنوية او المادية ، او على حسب الانتاج المثمر للانسان في العمل . تلك موازين قد اختلت . فقد ينتج الانسان عملا مثمراً ، فلا يكافا ، وقد لا يعمل ، ومع ذلك يحصل على القوت . فاصبح الانسان مشلول الارادة في العمل من جهة ، ومبلد التفكير من جهة اخرى .

والأدب هو نتاج العلاقات الانتاجية في المجتمع . وعلاقات العمل الانتاجية هي التي تحدد مسار الأدب في اي مجتمع . وقد اضطربت هذه العلاقات الانتاجية في العمل للانسان في الخليج ، واهتزت ، واصبح الناس ضحايا هذا الاختلال والاهتزاز ، فلا غرابة اذن ان نجد ادباً رديئا منتشراً انتشاراً كبيراً .

ومايجب أن نؤكد عليه هو انه اذا كانت البيئات العربية الأخرى قد اصابتها عدوى رداءة الأدب فان ذلك قد انعكس علينا في الخليج بصفة اقوى . لقد صارت

ملاحظات صريحة حول:

الأدب في الخليج

لنا دول عصرية ذات مؤسسات ، ولابد لها من أدب ومؤسسات ثقافية، إذ لا يمكن ان تكون لبلد او كيان فى عالم اليوم سمعة دون ان تكون له مؤسسات ثقافية وجامعات وادب . وقد قامت هذه المؤسسات فى وقت اصبح فيه الانسان مضطرباً ومختلا . فليس بمستغرب اذن ان يكون هناك اضطراب واختلال فى الفكر وفى النتاج الادبى بصفة عامة .

ان كل شيء يمكن ان يكون خليجياً .. الا الأدب . ولم يعد هناك اي عذر للانسان اليوم لأن يكتب بالعامية ، إذ ان تعلم الابجدية قد اصبح ميسوراً متاحاً فى المدارس والجامعات لكل انسان . وانـا لا اهاجم الأدب العامى بصفة عامة ، فهو موجود حتى بين المتعلمين الذين يجيدون الأبجدية فى مصر والشام وغيرهما من البلاد العربية . ولكننى اعتقد انه يجب الا تكون الدعوة إلى الأدب الشعبى وما الى ذلك فرصة للضعفاء والمتروكين فى حياة الفكر ليسلكوا مسلك العامية لانها مطية سهلة .

لنوقف التسلق

وما اريد ان أؤكد عليه هو انه يجب ان يحظر على اى انسان ان يستغل الفرص الاجتماعيـة والاقتصادية والوظائف الادارية المتوفرة فى المنطقة او ان يستغل هذه البيئة لكى يتسلق عن طريق الأدب .

والتسلق موجود ، والخطا فى الادارة ومجال الاقتصاد وفى مجالات التوظيف ووضع الرجل فى غير مكانه فى الامور الادارية متوفر ، ولكن يجب الا نجعل من الأدب ايضا مطية سهلة لتسلق الضعفاء والمتروكين ليكونوا ادباء ، مثلما يتسلق الموظفون لتسلم وظائف ليسوا اهلا لها .

ليس عداء للناشئة

وليس هذا عداء للناشئة من الأدباء ، إذ بالعكس ، يجب ان نبرزهم بصورة لائقة ونشجعهم ، والا نقسو عليهم بتطبيق نفس المعايير التى تطبق على الادباء فى العالم العربى ، لانهم فى بيئة جديدة . ولكنه من الضرر للادب والاديب بمقدار ان نصور لأديب ناشيء انه اديب عظيم ، لانه بذلك لن يرقى اصلا ، اذ ان اي اديب يشعر بالعظمة والاكتمل ، سينتهى . ومن باب الغش ان نشعر شخصاً فى ميعة الصبا والشباب انه اديب . فالأدب يحتاج لعملية اختمار ووقت طويل .. ومعاناة .

ونحن نعانى من مشكلة المعاناة فى منطقة الخليج ، إذ لا وجود لمعانـــاة نفسية واقتصادية كتلك التى فى مصر او الشام .. اى شمال العالم العربى كله . والمعاناة عنصر اساسى فى الانتاج الادبى ولا نريد بالطبع للادباء ان يكونوا معذبين فى الأرض ، ولكن معاناة العيش وشظفه من أهم العوامل المساعدة على دفع وتيرة الانتاج الادبى الى مرتبة الجودة .

وقد توفرت لنابحمد الله احـــوال ميسورة ساعدت الأدباء على الوصول الى وسائل الأدب ، إذ بمقدور الانسان هنا ان يتادب ان اراد .

فالوسائل المساعدة على تطوير الثقافة الأدبية او المحصول الثقافى للاديب متوفرة فى الخليج بسبب توفر المادة .. ولا عذرهنـا للتقصير فى اكتساب المعرفة الثقافية والمعرفة العامة الضرورية لكى يكون الانسان اديبا .

كل تلك امور لها جانبها الحسن ، ولها ايضا جانب سلبى .. إذ انعدمت المعاناة .

لقد نشات فى حياتنا ظروف جديدة معقدة ، لأن تحسن الأوضاع المعيشية قد أخل بعملية الموازنة فى العلاقات الاجتماعية والتى بدورها خلقت تعقيـدات كثيرة فى الحياة ، وخلقت نفاقا اجتماعيا ، وسباقا على مظاهر العيش ، واصبح مجتمعنا مجتمعا استهلاكيا .. للثقافة والاكل والادوات المستحدثة فى العيش . ونتيجة لتوفر المادة ومشاركة اخواننا العرب من بيئات عربية اخرى، نشرنا عدوانا عليهم . وانعكس ذلك بصورة واضحة فى قلة الانتاج الادبى والفكرى للادباء والمفكرين العرب الوافدين الى الخليج .

محنة الأدباء الوافدين

كانت الوفادة بشكل عام مفيدة للادباء فى ماضى ايامنا العربية ، إذ لم يكن هناك اختلاف فى الموازين . وبالرغم من وجود التنوع والتباين فى البيئات العربية قديماً ، فقد كانت الحياة الاجتماعيـــة والاقتصادية والفكرية تتطور بشكل طبيعى ومتصل . ولكن بيئات العالم العربى كلها تغيرت بعد الحرب العالمية الثانية .. وحتى تلك التى لم يتفجر فيها البترول تاثرت بطريقة او اخرى .. بل اننا افسدنا البيئات العربية الأخرى عن غير ارادة منا ، فنحن انفسنا ضحايا الثروة .

اما بالنسبة للوافدين من المفكرين والأدباء العرب والذين يجب ان نذكرهم بالعرفان والجميل لأنهم اثروا حياتنا برافد حضارى جديد ، فان الفترة الخليجية فى حياتهم هى فترة انتاج ادبى وفكرى قليل او معطل .. ذلك ان الواحد منهم يفد الى بيئة عربية اقل توترا ، ووتيرة توتر الفكر وتعقيده فيها اقل وهو يدرك انه قادم الى بيئة اكثر من بيئته تطوراً فى المادة والاقتصاد ، ولكنها اقل منه تطوراً فى الحضارة والفكر . ولذا لا تكون لديه رهبة ، وهو غير مستفز ، وليس هناك تحد بينه وبين ثقافة البيئة التى وفد اليها . فهو يعطى ما هو متوفر لديه ، ولا يجد عليه جديد ، لان البيئة الجديدة لا تجابهه بما يستفز فكره ، اما اذا كان مهاجراً الى امريكا او اوروبا فهو مستفز ثقافياً وحضارياً يومياً وطـوال ساعات اليوم .. وهذا ما يفسر كون شعراء وأدباء ومفكرى المهجر اكثر نشاطاً وانتاجاً .

نحن لا ننكر وجود محبطات ومعوقات فى البيئة التى يفد اليها المفكر او الاديب العربى ، ولكنها موجودة ايضا فى كل العالم العربى ، وهى السبب الأساسى الذى استدعى تلك الوفادة . والسبب المعيشى ، وان كان احد الأسباب ، إلا انه ليس بتلك الحدة . وهناك الشكوى من عدم احساس الوافد بالاستقرار فى البيئـة الجديدة ، والاحساس بالحنين الى بيئته المحلية ، وان حوافز الكتابة عنده تنعدم ، وبذا يرجيء ، كشاعر مثلا ، وتيرة التقدم الشعرى فى نفسه . ولكن هذا الأرجاء والتاجيل يضر به كشاعر ، لأن عملية الشعر متصلة ، ولا ارجاء ولا تاجيل فى الفكر بصفة عامة بسبب استمرار تطور الحياة وتجدد معطيات الفكر .

والمفترض فى الأديب الا يتوقف عن العطاء وكان ينبغى ان تتيح له بيئتنا فرصة اكبر للعطاء من حيث انها وفرت له فرصاً مادية لمتابعة الثقافة العربيـــة والعالمية ، والاستزادة منها .. ولانهـا بيئة ثقافية جديدة ومتفتحة ، وذات طعم جديد فعوامل الاحباط ليست فقط بسبب وجود المفكر والأديب العربيين كوافدين فى الخليج ، بل يبدو ان المشكلة مرتبطة ايضا بالاديب نفسه وصلابته وامانته وضميره الأدبى . كما ان المناخ العربى العام والشعور بالألم الداخلى والنفسى مما يدور فى العالم العربى ككل يضفى على الاديب نوعاً من الهروب ، ويورثه الاحباط .

كسب اقليمي وخسارة قومية

لقد كسبنا نحن في الخليج كسبا اقليميا كبيراً بوفادة الأدباء والمفكرين والعلماء العرب الى بلادنا . فقد اتيحت لنا فرصة للقاء اعلام عرب كنا في الماضي محرومين منهم . كنا محرومين حتى من الجرائد . واذكر ان جدى كان يحضر لنا اعداداً تعود الى اربع او خمس سنوات ماضية من مجلة الرسالة او الثقافة .. وكان ذلك بالنسبة لنا عرسا . فما بالك وقد اصبحنا ننعم بوجود اعلام في الفكر العربي بيننا وهذا افادنا واتاح لنا فرصة كبيرة وجديدة للاغتراف من مناهل العلم والفكر ، واثرى نهضتنا بصفة عامة .

ولكننا خسرنا على المستوى القومي ، لأن هذه الوفادة افرغت المجتمعات الأخرى من اهم رجالاتها وبذا نكون قد احدثنا ضرراً بالفكر العربي .

استئثار المراة بالقصة ؟

ومن جملة ملاحظات لأحد النقاد العرب الكبار ان اهتمام المراة الكاتبة في الخليج ينصب على القصة ، في الوقت الذى يهتم الرجل الكاتب بالشعر .

وعلينا ان نتذكر ان الأدب في الخليج يعود الى فترة وجيزة لا تزيد عن عقد من الزمان . وقد جاءت محاولات كتابة القصة متاخرة كثيراً عن الشعر .

ومباشرة كتابة القصة تتطلب بجانب الموهبة حصيلة كبيرة من المعارف والثقافة . ويجب علينا نحن في الخليج ان ننتبه كثيراً لهذه النقطة .. وهى انه لا يمكن للمرء ان يكتب القصة او المسرحية بالصورة ذاتها التى يكتب بها الشعر ، فالشاعر قد يكتب شعراً عظيماً وفلسفة في بيت واحد ، ومع ذلك يظل شاعراً متوسطاً ، لأن المسحة الغنائية ووحدة البيت غير وحدة القصيدة . اما القاص فلابد له من ان يكون ملماً بصناعة القصة وصناعة الرواية الماماً تاماً ، لانها اعلى ما وصلت اليه البشرية من تقدم في الصناعة والفكر ولذا ليس من السهل ان يكون المرء قاصاً جيداً دون ان يكون مدركاً ومكتسباً للصناعة الفنية في القصة عند الأمم الاخرى ، ولا يمكن كتابة قصة رائعة ان لم يكن المرء مثقفاً ثقافة عميقة بتراث الانسانية في هذا الفن .

وربما لهذا السبب صارت المراة عندنا كاتبة للقصة ، فهى متفرغة اكثر ، والقصة تتطلب التفرغ ، وهى قارئة جيدة ، وبالاضافة الى حاجتها الى الرمز لتجسيد المشاكل التى تعانى منها ، ويعانى منها المجتمع وذلك في شكل شخصيات مستعارة الأسماء ، او باسماء مرموزة . ويتضح هذا في كثير من الحالات وخاصة في قصص « أم اكثم » التى اقراها في « الدوحة » وهى عندى عبارة عن شعر رمزى ، كتب باسلوب قصصى .. وانا لا اعتبر ذلك قصصاً .

مسئولية النقد

ترتبط مشكلة النقد في المجتمع الخليجي بمشكلة النقد في المجتمع العربي ، حيث ادت الظروف الى اختلال في الموازين ، فبرزت فئات طفيلية في مجال الأدب وغيره .

ونحن في الخليج نعانى من هذه المشكلة اكثر مما تعانيه مصر مثلا ، حيث معظم النقاد الممتازين خارج الساحة .

وبالاضافة الى هذه المشكلة ، نعانى نحن في الخليج من مشكلة اخرى اشد تعقيداً .. بحكم اننا مجتمع صغير جداً ، الكل فيه صديق للآخر او قريب له ، ومن ثم مجامل له .

والنقد بحاجة الى بيئة ، ومناخ حضارى ، متفق عليهما ، حيث لا يغضب الناس من النقد ، ويتحملونه بروح موضوعية ، وذاك غير متوفر في كل المجالات .. فكيف يتيسر في المجال الأدبى ؟

هناك اعتبارات كثيرة تدخل في حساب النقد في مجتمع صغير مثل مجتمعنا .. لان الأدب صار مظهراً ووجاهة . فاذا تصدى ناقد لنقد مَنْ ياخذ حرفة الأدب كوجاهة معينة ، فكانما هو يحاول زعزعة رجل اعمال له سمعة معينة ، بدافع الرغبة في انتزاع توكيلات او شركات منه . والمؤسف ان يتعامل الناس مع النقد بنفس هذا المنظور .. الا اذا كانوا ادباء حقاً .. لا اناساً ياخذون الأدب كتحصيل حاصل .

ان اساس مشكلة النقد عندنا هو اننا مازلنا اناساً طيبين ، تقوم علاقاتنا على اسس شخصية في مجتمع صغير . وقد جد علينا الأدب ، فاصبح البعض متادبين لأن للانسان المتادب سمعة ووجاهة ، فاخذوا الأدب كوجاهة من الوجاهات .. وهذا واقع ايضاً في مجال الصحافة وغيره .

لكننا يجب ان نتخطى تلك الاعتبارات لأنها قاتلة للأدب ، وان نبقى على الموضوعية فقط .. ثم نفرز الآخذين الأدب كوجاهة من الذين يتعاطونه باعتباره ادباً ونحكم عليهم بنفس موازين النقد المتعارف عليها في البيئات العربية الأخرى .

ولم اقرا حتى الآن لناقد خليجى إلا ووجدته يطرى عمل من يتناوله بالنقد . ان معظم النقد هنا هو اطراء وتشجيع ومن ثمة لا يمكن اعتباره نقداً . وهو نابع عن حسن نية ، لاننا حديثو عهد بهذا المجال ، ولا نريد ان نصدم الاخوة ، بل نريد ان نرفع معنويات كتابنا ، حتى نستطيع ان نقول ان لنا كتابا ، وان لم يصبحوا في مصاف الأدباء الكبار في البيئات العربية الأخرى . وهذا السلوك ، وان كانت له بعض فائدة ، له اضراره ، لانه لن يخلق ادباء .

وثمة مشكلة اخرى مرتبطة بالنقد .. هى عدم وجود القارىء المثقف القادر على تحديد الجيد من الردىء . ويبدو انها ليست مشكلتنا نحن وحدنا في هذا العالم الذى طغت فيه الوسائل الاعلامية والثقافية القاتلة للقراءة ، فهى تناقش الآن في اليونسكو وفي جميع مجتمعات العالم على اساس ان التطور التكنولوجى والعلمى قد استحدث وسائل في الاتصال والتوصيل جعلت الناس يكسلون عن القراءة .

والأثر الأدبى يتطلب القراءة ، ولا تغني رؤيته مبرمجا في التليفزيون عن قراءته . فالسامع غير القارىء ، إذ ان القارىء يكتشف لنفسه في الأثر الأدبى اشياء جديدة ، ويفترض في العمل الأدبى الناجح ان يخلق في نفس قارئه تصورات تختلف عن تلك التى يحدثها في الآخرين . وذاك هو سر ديمومة الأثر الأدبى الناجح . فالآثار الأدبية باقية على عظمتها حتى اليوم لأن نظرات الناس اليها تختلف ، ولأن قراءتها تولد عند كل قارىء تصورات مختلفة ، وبالتالى استنتاجات مختلفة .. اما السامع ، فانه ياتيها على عجل .

وهذه المشكلة عامة .. ولكننا نتاثر بها اكثر بفضل مالنا من رخاء مادى ، ووقت كبير ما اكثر ما نقضيه فيما لا طائل تحته . فالذنب اذن ليس كله على الأدباء والكتاب بل على عدم وجود جمهور ناقد قارىء للعمل المسرحى مثلا بشكل صحيح .

ولكن ذلك يحتاج الى وقت طويل للاختمار .. اذ ان كل هذه الأمور جديدة علينا ، ولا تعود الى اكثر من عقد او نصف عقد من الزمان .. وتلك في دنيا الفكر ليست بالفترة التى تكفى لاصدار احكام نهائية .

د . حسن نعمة

● الدكتور حسن نعمة اديب عربى وباحث كبير وشاعر لامع ، وهو يشغل الآن منصب سفير دولة قطر في الهند .

ماذا يريد الدكتور لويس عوض ؟ !

هل المطلوب رأس الأفغاني وحده ؟

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

قد لا يكون جمال الدين الافغانى مفكراً كبيراً .. وقد لا يوجد فى إرثه السياسي والفكرى ما يعيننا كثيراً على مواجهة ازماتنا الطاحنة من حيث المحتوى الحضارى الصلب،وقد لا يكون الأفغانى .. افغانياً .. !

وقد يوجد فى انتمائه الوقتى للماسونية ، وفى دعوته الغامضة لتوحيد الديانات الثلاث ، وفى كثرة تنقلاته ، ومداخلاته مع رجال السياسة الاسلاميين والغربيين ، ما يثير التساؤلات والاحتمالات ..

وقد يكون فى حقيقة القطيعة بينه وبين تلميذه وصاحبه الشيخ محمد عبده فى اواخر حياته ، وامتناع الشيخ عن كتابة كلمة رثاء فيه أو ذكره بعد موته باى كلمة كانت ، ما يدل على ان وراء الاكمة ما وراءها ..

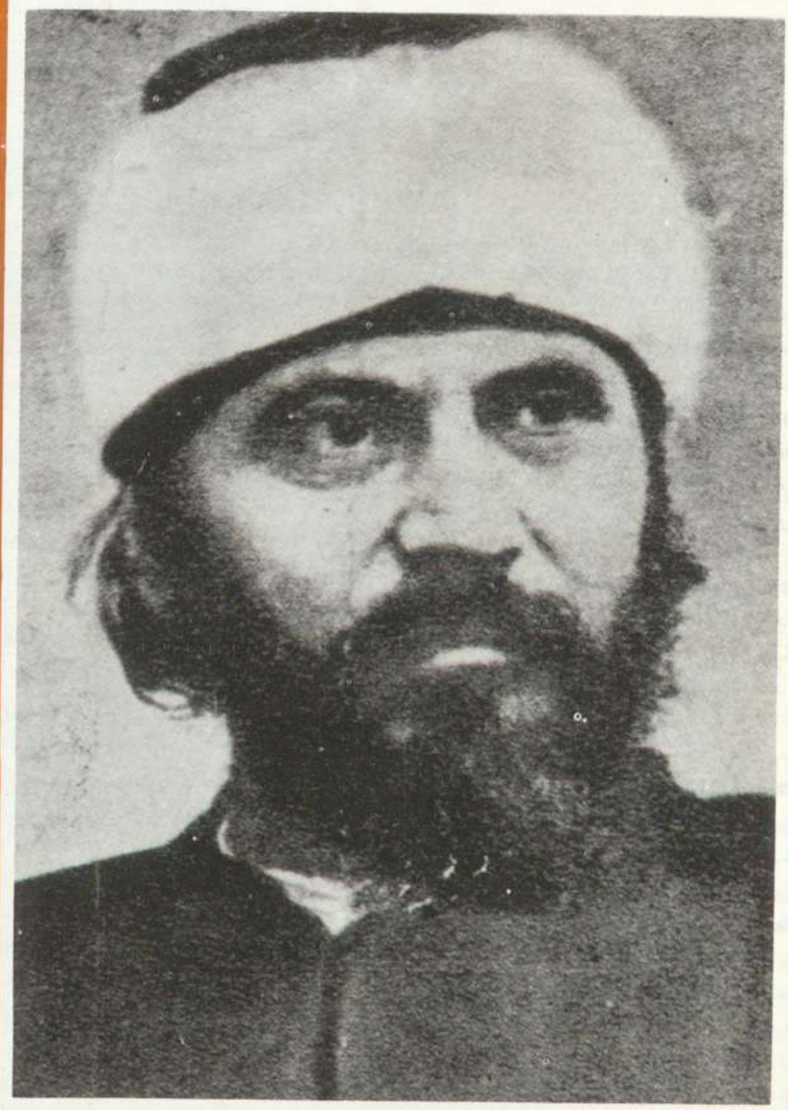
نقول قد يكون كل هذا وارداً أو غير وارد وهو فى الحالتين رهن بالبحث التاريخى الفكرى المنصف والموضوعى والهادف الذى يتصدى لحمل أمانته والاضطلاع برسالته باحثون احرار من الرجال المنتمين الى تراثنا العربى ، بلا شبهة من تبعية للاستشراق أو التغريب أو الاقليمية الضيقة أو التعصب أياً كان نوعه ..

ونحن فى هذا الزمن الصعب المحير نحتاج فعلا الى غربلة تراثنا الفكرى والسياسي القريب والبعيد بما يؤدى الى تجاوز نقاط الضعف والخطأ والسطحية وامتلاك نقاط القوة والبدايات السليمة القادرة على الاستمرار دون تراجعات باهظة ..

هذا كله وارد ومطروح ولا غبار عليه .

ولكن هذا كله شىء ..

والحملة التى شنها لويس عوض على الأفغانى شىء آخر مختلف تماماً ، بل ومناقض لما يحتاج إليه الفكر النقدى العربى من تحليل هادىء هادف ونظرات ملتزمة بالانقاذ وتصحيح المسيرة والعودة الى مسار البدايات السليمة ..



جمال الدين الافغانى

ان الوجود العربى كله ، وفى مختلف اقطاره ، يتعرض هذه الأيام لخطط التفجير والنسف ، وما لا يمكن تفجيره بالديناميت يحاولون تفجيره بالحـــرب النفسية وبالغزو الفكرى ..

وسلسلة المقالات التى كتبها لويس عوض ونشرها فى لندن تحت عنـــوان « الايراني الغامض فى مصر » تبدو فى نظرى واحدة من الشحنات المشبوهـــة الناسفة التى يتم وضعها فى مختلف جوانب الوجود العربى – المادى او المعنوى – لتدمير قواعده واسسه من الجذور حتى لا تقوم له قائمة ..

الرؤوس الكبيرة

وهذا هو السر فى اعتراض الأوساط العربية المستنيرة بارض الكنانة على نشر مقالات لويس عوض فى مصر العربية حيث الصحوة العربية الاسلامية المباركة فيها لا تقبل مثل هذه الكتابات الصفراء ..

ولويس عوض – ومن هم على شاكلته – لا يريدون بهذه المقالات راس الأفغاني .. بل يريدون الرؤس الكبيرة فى نهضتنـــا العربية كلها من الامام محمد عبده الى عبد الرحمن الكواكبى الى رشيد رضا الى مصطفى عبدالرازق الى ساطع الحصرى .. بل يريدون راس الفكرة العربيــــة الاسلامية كلها ..

ان لويس عوض يريد ان يقول باختصار شديد من وراء هذه المقالات الطويلة المسهبة :

يا اهل الاتجاه العربى الاسلامي .. هذا هو الأفغانى ، الرائد الأول لاتجاهكم هذا .. رجل غامض مشبوه الهوية والانتماء ، مزعزع العقيدة ، مشتت الفكر ومزدوج السلوك .. ومابدا بخطا ينتهى بخطـا .. فاتجاهكم هذا مبنى على الخطا من اساسه وليس لكم إلا العودة عنه ، والبحث عن بدايات وجذور اخرى .. فالشيخ محمد عبده من حيث تاثره بالأفغاني مؤسس على خطا .. وكذلك الكواكبى ورشيد رضا وكل من دعا الى عروبة واسلام فى هذا العصر !!

وما هو البديل ومن هو البديل ؟

البديل جاهز لدى لويس عوض منذ زمن .. انه « المعلم » يعقـوب الـذى تعاون مع الغزو الفرنسى لمصر ايام حملة نابليون وسهل للفرنسيين تنفيذ خططهم فى مصر والشرق !

هذا الرجل طرحه لويس فى كتاباته السابقة مؤسساً للاتجاه العصرى العلمانى الذى يدعو إليه .. وعندما يسقط الأفغانى يبقى المعلم يعقوب مناراً وهادياً ورائداً .. !!

عبوة لويس الناسفة

هكذا فان عبوة لويس عوض الناسفة ليست عبوة صغيرة لنسف بناء فرعي ، وانما هى من تلك المتفجرات الضخمة التى

هل المطلوب رأس الأفغاني وحده؟

توضع فى قلب البناء لنسفه كله ، بكل طوابقه ، وعلى من فيه ومن حوله ..

ولكن لويس عوض على «ضخامة» محاولته ليس سوى مساهم واحد فى عملية كبرى شاسعة الابعاد ، سواء كانت « مساهمته » بالصدفة او بالهوى او بالتبعية او بغير ذلك ..

فنسف الوجود العربى الاسلامى الواحد المشترك هو العنوان الرئيسي لكل ما يجرى فى المنطقة منذ هجمة حزيران (يونيو) عام ١٩٦٧ ، وهى هجمة مازالت متصاعدة ، ولم تكتمل فصولا بعد ..

وليسمح لنا لويس عوض ان نقول له بصراحة – وبدون المجاملات المعتادة حول مكانته كباحث وناقد – ان حملته على الافغانى تصب بشكل مباشر فى هذا المجرى .. ونعتقد ان هذا « الاتهام » شرف يدعيه ويعتز به لويس عوض من واقع كتاباته كلها ومنذ بدا الكتابة .

فطموح لويس عوض فى الواقع اكبر من مجرد نسف الاتجاه العربى الاسلامى الحديث الذى كان الافغانى أول رواده . لويس عوض ينظر الى ابعد من ذلك بكثير .. ايضا .

انه يامل نسف الاتجاه الحضارى العربى فى مصر منذ بداية الفتح الاسلامى ، وكما اوضح الاستاذ رجاء النقاش فى كتابه القيم (الانعزاليون فى مصر) :

فان : « الدكتور لويس عوض – وهذه فكرة اساسية عنده – يسوى تسوية كاملة بين الفتح العربى لمصر والذى تم سنة ٦٤٠ وبين ما سماه بالفتح الانجليزى لمصر والذى تم سنة ١٨٨٢ .. » !!

فهل يحتاج الامر الى مزيد من البحث فى حقيقة الاتجاه الذى يتحرك فى ظله لويس عوض ؟

عندما يصبح اعتناق مصر للاسلام وانتماؤها للعروبة مماثلا ومطابقا – فى عرف لويس عوض – للاستعمار البريطاني لمصر الذى نبذه الشعب المصرى وقاومه بكل قواه .. بينما ظل لقرون يدافع عن عروبته واسلامه ..

نقول عندما يصبح الاستعمار الانجليزى فتحا .. والفتح العربى الاسلامى استعمارا ..



فهل المطلوب – والحالة هذه – راس الافغانى ورفاقه فحسب ، ام راس عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب وكل من له صلة بتاريخ مصر العربية الاسلامية منذ بداية تاريخها .. ؟

إذن .. فهجوم لويس عوض على الافغانى ما هو إلا تحصيل حاصل ، او انه حلقة اخيرة فى سلسلة حلقات متصلة تهدف فى نهاية الامر الى طمس شخصية مصر كقلعة للعروبة والاسلام وكطليعة وقيادة للعروبة والاسلام والحاقها بالمصير الذى انتهت إليه تركيا الكمالية عندما انفصلت عن كيانها الشرقى الاسلامى وتحولت ، كما قال احد ساستها ، من أول دولة فى الشرق الى آخر دولة فى الغرب .. (ومازالت تركيا منذ خمسين سنة تعيش وتكابد هذا الخطا القاتل ، وكلما تحرك شعبها باتجاه العودة نحو الشرق والاسلام ، رد حلف الاطلسى الذى يشرف على المصير التركى بتدبير حركة تبديل فى شكل النظام بطريقة او باخرى لفرض الامر الواقع ...) .

مصر ليست تركيا

ومن المؤكد ان مصر العربية ليست تركيا وهى باذن الله عائدة باقرب مما يتصورون لممارسة دورها التاريخى والمستقبلى الكامل كقلعة صامدة للعروبة والاسلام ، وكطليعة وقيادة رائدة للعروبة والاسلام .. ولكنهم يحاولون ومازالوا يستميتون فى المحاولة بشتى الطرق .. حاولوا بالبحث عن اتاتورك مصرى يدير ظهره للعرب وللاسلام ، ويقبل بالتبعية الكاملة للغرب .. ولكن محاولتهم هذه انتهت نهاية بائسة مروعة باسرع مما تصوروا .. وثبت ان التربة المصرية المفعمة بالحب للعروبة وبالانتماء العميق للاسلام غير التربة التركية ..

حاولوا .. وما زالوا يحاولون بترويج وهم الفرعونية والفكرة الاقليمية الضيقة الانعزالية التى تتناقض مع كل ذرة فى روح مصر الحقيقية المنفتحة . حاولوا .. ومازالوا يحاولون باحياء الدعوة الى العامية .. والى الحرف اللاتيني (على الطريقة التركية) .. والى الحياد الخيالي (على الطريقة السويسرية) .. ويقف لويس عوض بدعوته وكتاباته منذ البداية فى قلب هذا الاتجاه ..

ومنذ ان كان طالبا فى كمبردج ببلاد الانجليز يحدثنا انه : « قد عاهد الثلوج الغزيرة فى خلوة مشهودة بين اشجار الدردار عند الشلال بكمبردج الا يخط كلمة واحدة إلا باللغة المصرية (تصوروا كيف تحولت اللهجة الى لغة فى مصطلح الباحث والناقد الكبير لويس عوض ؟!) ، وقد بر بعهده فى العام الأول بعد عودته ، فكتب شيئا بالمصرية اسمه : «مذكرات طالب بعثة » لكنه استسلم بعد ذلك وخان العهد ، فلتغفر له الثلوج التى لم تدنسها حتى اقدام البشر » – راجع كتاب الاستاذ رجاء النقاش : الانعزاليون فى مصر .

صحيح ان « عهد » لويس عوض قد ذاب وتبخر كما ذابت الثلوج تحت وهج الشمس ، وكما سيذوب ويتبخر الوهم الانعزالى تحت وهج الحقيقة ، وصحيح ايضا ان لويس عوض اكتسب شهرته ومكانته الادبية عن طريق اللغة ، الغريبة على سيادته ، التى سماها لهجة قريش . فنحن لم نقرا له إلا بهذه اللهجة القرشية .. وان لم نكن نعلم انه فى كل كتاباته بالعربية الفصحى القرشية كان يخون نفسه ويخون عهده وضميره ويمارس مع ذاته نوعا من الخيانة العاطفية المشينة ، حيث حبه للهجة العامية ، اما علاقته

العلنية فمع لغة قريش فى كل مـا كتب ويكتب .. من اجل الشهرة فى مصر والعالم العربى طبعاً (كما يفعل سعيد عقل تماماً) .

فاى تدليس واى كذب على النفس واى غموض باطني فى التعامل مع الحقيقة .. اين منه غموض « الايراني الغامض » ؟!

الا ترون ان لويس عوض قد اسقط غموضه الباطنى على الافغانى من منطلق المثل العربى القديم : « رمتنى بدائها وانسلت » !!

مع اعتذارنا للباحث الكبير لويس عوض عن ايراد امثلة قديمة من لهجة قريش التى ينوى سيادته الغاءها بعد ان إستخدمها فى كتاباته كما يحلو له ..

مع ناصر وضده

وهذه الخصلة على كل حال من شيم الدكتور فى امور كثيرة .. وفى اكثر من مجال فكرى ..

فقد قرانا له ، وصدقناه فى مقدمة كتابه « العنقاء او تاريخ حسن مفتاح » ان التطور الاجتماعى فى مصر الحديثة قد وصل الى صيغته المثلى وتجاوز الصراع العنيف بين الطبقات والاتجاهات ، على يد « الجراح العظيم جمال عبد الناصر » - والتعبير لسيادة الدكتور فى مقدمة كتابه المذكور والصادر عام ١٩٦٥ . (عندما كان مستشاراً لهيكل فى الأهرام !) .

ولكنا فوجئنا بالدكتور بعد سنوات قليلة من ذلك التاريخ يقول فى الناصرية ما لم يقله مالك فى الخمر .

وادركنا ، عندئذ ، ان المسالة كلها من نوع ذلك القسم الذى اخذه على نفسه امام الثلوج فى كمبردج .. والثلوج دائماً تذوب عندما تسخن الشمس قليلا .. ثم تعود الى التراكم عندما يشتد البرد .. وهكذا ..

وهكذا وعود الدكتور لويس وعهوده على نفسه ، وكل ما نرجوه الا يصاب سيادته بنزلة برد قاضية ، من جراء تعرضه المستمر لصقيع الثلوج فى هيكل ضميره ، ثم انسياحها عليه تحت حرارة الشمس بين موسم .. وآخر .. من مواسم السياسة وتقلبات العهود .

ورحم الله جمال الدين الافغانى المتهم - وحده - بالغموض والتنـــاقض ، والمطعون فى عقيدته ومواقفه وافكاره .. ومن جانب من ؟

من جانب المصلين فى هيكل الثلج الذائب !

وهذه طبيعة المرحلة التى نمر بها . فزعماء الاصلاح ورجال النضال الاحرار يوضعون فى اقفاص الاتهام .. وتصدر ضدهم اقسى الاحكام ، بينما الضالعون حقيقة فى الاتجاهات الغامضة والغريبة هم الذين يتلبسون اردية القضـــاة .. ويضعون اقنعة البحث التاريخى المهيب .

واذا كان اريل شارون فى هذا الزمن يطالب براس ياسر عرفات ، فهل من المستغرب ان يطالب لويس عوض براس جمال الدين الافغانى ؟!

هى ظاهرة واحدة .. وان تعددت وتفرعت التفاصيل .

وقبل ان يطعن لويس عوض فى جمال الدين ، كان فى مقدمة المتطوعين بالدعوة الحارة لنبذ العروبة « العنصريـــة » والتخلص من آثار الفتح الاسلامى لمصر ، واحياء كل الدعوات الاقليمية ليس فى مصر وحدها بل فى العالم العربى كله ، والانخراط الكلي والنهائى فى الركب الغربى الأوربى .

فاذا كانت هذه هى مقدماته .. فهل نستغرب من طبيعة نتائجه ؟

من هو الرجل الغامض ؟

وعندما يتم الانطلاق من شعار نبذ العروبة والتخلص من آثــار الفتـح الاســـلامى لمصر ، فهل يبقى من مجال للبحث فى موضوعية او عدم موضوعية سلسلة مقالات عنوانها « الايرانى الغامض فى مصر » ؟!

كل الطرافة فى الموضوع ان « الاكثر غموضا » قد تناول بالشرح والايضاح الرجل « الغامض » .. فهل ازددنـــا ايضاحاً ؟

هذه الضبابية من خصائص الوضع الثقافى المطلوب تثبيته مع مجمل الأوضاع العربية الراهنة . وهى ضبابية تتخذ اكثر من وجه وشكل .

فالدكتور لويس عوض لم ينطلق بكل خلفيته الغامضة ليتهم الافغـــــانى بالغموض ، فحسب ، وإنمـــا التقى موضوعيا بغـلاة المتعصبين فى العالم الاســـلامى الذين يهاجمـــون الأفغانى لدعوته الاصلاحية المعتدلة . وهكذا التقى الدكتور العلمانى المتحرر جداًباشد المحافظين الذين يهاجمهم دائماً ..

ولا تسالوا عن الجامع المشترك بين النقيضين .. فالغاية واحدة .. وواضحة جداً .. وهى هدم الفكرة العربية الاسلامية المنفتحة والجامعة بين التراث والتجديد .. ليتسع نطاق الحرب الاهلية فى المنطقة بين كافة النقائض والأطراف والعناصر .

ثم يبقى اخيراً ان نقول للويس عوض انه عندما ينجلي الغبار الكثيف عن واقع امتنا ، وتعود النقاط الى الحروف العربية وياخذ كل شىء مكانه الصحيح الذى يستحقه تحت ضوء الشمس بعد ذوبان الثلج ببرودته الصفراء ، فلسوف يبقى الافغانى رائداً من رواد التحرر والاصلاح والنهوض .. رائداًمنتمياً الى عصر النور والحرية ، رغم كل ما قيل ويقال عنه ، اما انت يا دكتور فسيبقى اسمك فى النهاية علمـــاً من اعـــلام التعصب الاقليمي والتغريب ومحاربـــة العروبـــة .

وشتان !

حتى لو كتبت نهراً من الكتب فى هدم الافغانى وكل مدرسته ، وكل اعلامها منذ فجر الفتح .

فهذا النهر سيصب فى النهاية فى مجرى الثلوج التى صليت امامها ببلاد الانجليز ، وانتهت ، بكل وعودها وعهودها ، الى الذوبان فى وحل الرمال العربية .

د . محمد جابر الأنصارى

هل كان الأفغاني ومحمد عبده خارِجَيْنِ على الإسلام ؟

بقلم : محمد الغزالي

● إن اثقالا رهيبة من التقاليد العربية فى شتى الميادين تحكمنا باسم الاسلام ، والاسلام لا يعرفها ، على حين تسود أقطار الغرب فى الميادين السياسية خاصة تقاليد أقرب الى ديننا وان كان القوم لا ينسبونها الى هذا الدين . من يدرى لعلهم يستريحون الى الاسلام والى نبيه العظيم لو عرفوا هذه القرابة المعنوية !

● ● إننى أرفض بل ازدرى صياحاً أبله ضد مبادىء هى من صميم الفطرة ومن غايات الاسلام الاجتماعية لا لشىء الا لأنها غير ما نألف فى عاداتنا وتاريخنا ، أى عادات أمتنا إبان هزائمها الثقافية والسياسية ، وما حواه تاريخها الأخير من تخلف وضياع .

اتردد على تفسير المنار بين الحين والحين لاتعلم منه ما لم اكن اعلم ، وهو فى نظرى موسوعة ثقافية موارة بالأبحاث التى تشمل الدين كله .

والشيخ رشيد ، واستاذه محمد عبده ، وزعيمه جمال الدين من اعمدة اليقظة الاسلامية فى العصر الحديث . ولكنهم ومن فوقهم ومن دونهم من المفكـــرين الاسلاميين ما رزقوا العصمة ولا زعمت لهم يوما .

ومَنْ مِنْ ائمتنا القدامى والمحدثين اصاب فلم يخطىء ، ومضى فلم يعثر ؟

وهل وظيفتنا ان نمضغ الاخطاء ، ونتتبع العثرات ، ونتعامى عن الحسنات ونشتم القمر لانه كثيرا ما يقع فى المحاق ؟

قال لى صديق يعمل مفتشا للوعظ والارشاد بالقاهرة : انه ذهب لالقاء محاضرة عن احمد بن حنبل بناد لجماعة تنتسب الى السنة ، وبعد ان اتم كلامه قام متحدث آخر ليلقى محاضرة موضوعها : « ابو حامد الغزالى الكافر (!) » .

وفزعت لشناعة التهمة الموجهة الى امام ضخم من قادة الفكر الاسلامى . لقد كان ابو حامد عالما اديبا ، وفقيها اصوليا ، ومربيا فيلسوفا . وهو اذكى من ارسطو وافلاطون وسقراط الذين تشمخ بهم اليونان وتعتز بهم اوربا .

لماذا يقوم امرؤ ما بتكفيره ؟ واذا كانت للرجل اخطاء فى صحة بعض الاحاديث النبوية فقد استدركت عليه من اصحاب هذا الفن ، ليتيسر بعد ذلك الانتفاع بعلمه الغزير .

يوم طغت الفلسفة اليونانية على العقل الاسلامى اجتاحها ابو حامد بكتابه « تهافت الفلاسفة » ليعيد الى الاصول الاسلامية مكانتها ..



محمد عبده



محمد رشيد رضا



حسن البنا

ويوم استهلك الترف امتنا ، حكومات وشعوبا ، واذهلها عن رسالتها الكبرى ، عمل على « احياء علوم الدين » . هذه العلوم كانت تحتضر ، وكان المسلمون قد فقدوا جدارتهم بالحياة . فعندما هجم الصليبيون على الشام ، واستباحوا بيت المقدس ، لم يكن فى مواجهتهم احد !

ان هؤلاء الصليبيين الزاحفين لو قاومهم جيش من الكلاب لهزمهم . فقد كانوا يجرون اقدامهم جرا من الاعياء والمجاعة ، ولكنهم لم يجدوا امامهم احدا !

اين كنـــا ؟

وجُهْدُ الغزالى فى الاحياء مشوبٌ ، وقد وقع فى اخطاء شتى ، بيد ان الكتاب من اخصب المؤلفات فى شرح افات النفوس ، وتقويم الطباع البشرية ، واقتياد البشر الى ربهم تبارك اسمه .

فهل جزاء الرجل بعد ذلك ان يتهم بالكفر ؟

ان المسارعة فى التكفير داب الرعاع والحمقى ! وهناك علماء مبرزون فى ميدان ومقصرون فى ميدان اخر ، يعطون انفسهم حق اصدار احكام علمية وتاريخية فى كلا الميدانين ، وهم يعينون الجهلة على تكوين افكار منحرفة ضد رجال ابرياء .

ولو اتجهنا الى البناء بدل الهدم ، والى الانصاف بدل الحيف لكنا اهدى سبيلا .

لكم انت مخطىء ايها الدكتور

اذكر انه جمعتنى ايام طيبة بالمغفور له الدكتور محمد محمد حسين ، وهو رجـل خبير بالتيارات الأدبية الحديثة ، وله غيرة مشكورة على الاسلام ، واكن له فى نفسى احتراما كثيراً ، سمعت منه كلاما لم اتجاوب معه !

قال : إن شعار الحرية والاخــــاء والمساواة اختراع يهودى ! وان اليهود هم صانعو الثورة الفرنسية عن طريق محافلهم الماسونية ! وان النظــــام الجمهورى نفسه يكاد يكون من صنع اليهود ! وهؤلاء اليهود المكرة من وراء الثورة الشيوعية فى روسيا سنة ١٩١٧ !

قلت فى نفسى : ولعلهم كذلك صانعو هيئة الأمم المتحدة ! ما احقهم بالحياة اذا كانوا – مع قلتهم – بهذا الحجم الضخم ، وبذلك الأثر العميق .. !

واستطرد الحديث ليتناول مبدا « الامة مصدر السلطة » وكيف انه مبدا غير اسلامى . وتحدث الرجل عن جمال الدين ومحمد عبده حديثا مليئا بالسخط والزراية ، وقال : إنهما ماسونيان !

قلت : احب لن ارجىء الحديث عن الأشخاص واكترث بالحديث عن المبادىء ليكن فلان شيطانا رجيما او ملاكا كريما فذاك يعنيه عند ربه ، وما تنفعه شهادتى له اذا كنت مخدوعا فيه !

اذا كان شعار الحرية والاخــــاء والمساواة من صنع عباد الشيطان ، فماذا صنع عباد الرحمن ؟

والى اين تتجه الطبقات التى تشعر بالعبودية والنبذ والظلم ؟

يا صديقى ان الشعار عظيم ، قل : ان اليهود يتاجرون به ! اما ان تعلن عليه حربا باسم الاسلام فلا ، ولا .. لا تظلم الاسلام !

وقضية ان « الأمة مصدر السلطات » لا تعنى اكثر من وضع حد للحق الالهى فى الحكم الذى زعمه ملوك اوروبا لانفسهم ، اى انه لا حق لابى بكر فى الخلافة لو لم تختره الأمة اختياراً عبر عن رغبتها الحرة ، وسلطانها فى التقريب والأبعاد !

قال : المبدا اوسع من ذلك . فهو يعطى الامة حق التشريع ، والتشريع لله وحده !

قلت : صيحة لاحكم الا لله معروفة فى تاريخنا ! ونحن المسلمين نوقن بان نصوص الكتاب والسنة واجبة التطبيق ، ومعترضها ينسلخ عن الدين ! ودائرة النص محدودة الابعاد ، ومن ثم قام القياس والاستصلاح والاستحسان ، وقام النظر الحر فى شئون الدنيا ، واستطاع المسلمون بالارشاد الالهى ان يشرعوا لانفسهم على امتداد الزمان والمكان ..

ولا مجال للعب بالالفاظ كما فعل الخوارج ، ولا مساغ لدعم الاستبداد السياسى وتقويض بنيان الامة بتلبيس المعانى وتحريف الكلم عن مواضعه ..

هواى مع الاسلام وحده

وما اقوله هو ما كان يدعو اليه جمال الدين ومحمد عبده وهو علة ما لاقيا من عنت .

وفهم بعض السامعين من هذا انى اوثر نمط الحياة الغربية ، وهو ما اهتم به الرجلان ! فرايت لن اشرح الموضوع بقليل من التفصيل .

ان هواي مع الاسلام وحده ، والميل الى

هل كان الأفغاني ومحمد عبده خارجين على الإسلام ؟

الشرق كالميل الى الغرب انحراف عن الصراط المستقيم، وتقاليد العرب في امر ما ليست صورة الوحي الاعلى !

وقد تجلس الى مائدة عربية ، فيها جفنة الارز يجللهاخروف غليظ اللية مديد القامة ! وقد تجلس الى مائدة غربية عليها عدة اطباق فيها قطع من اللحم وبعض الحبوب والبقول ! لك ان تعجب بهذا النظام أو ذاك ، فما ينتقض هذا ايمانا ولا يزيده ذلك ان تبتدع فى نظام المائدة ما تراه أدنى إلى طبعك ! المهم « سم الله » ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

ان المائدة السياسية ، او الاجتماعية التي نجلس اليها، لا يحكمها شكل ، وانما يحكمها مبدأ ، ومن حقي ان ارفض تقاليد كثيرة لا نسب لها ما دمت متقيداً بالاسلام وهديـه .

واصارح بما عندي ! إن اثقالا رهيبة من التقاليد العربية في شتى الميادين تحكمنا باسم الاسلام والاسلام لا يعرفها ! على حين تسود اقطار الغرب في الميدان السياسي خاصة تقاليد اقرب الى ديننا وان كان القوم لا ينسبونها الى هذا الدين ! من يدري ؟لعلهم يستريحون الى الاسلام والى نبيه العظيم لو عرفوا هذه القرابة المعنوية !

إنني ارفض ، بل ازدري ، صياحا ابله ضد مبادىء هي من صميم الفطرة ، ومن غايات الاسلام الاجتماعية ، لا لشيء الا لانها غير ما نالف في عاداتنا وتاريخنا ، أعني عادات امتنا إبان هزائمها الثقافية والسياسية ، وما حواه تاريخها الاخير من تخلف وضياع !

في شان الاسلام الاصيل

وقد كان الامامان العظيمان جمال الدين الافغاني ، ومحمد عبده يسعيان لتجلية حقائق الاسلام ، ونفض ما علاها من غبار ، ويتنكران للتقاليد الدخيلة عليه او التي تستمد حق البقاء من التصاقها به .

ولما كان لهذه التقاليد سدنة يفيدون منها ويبنون وجاهتهم على حياطتها ، فقد انطلقوا يصيحون في كل فج مهددين بالويل والثبور وعظائم الامور ، ويعلم الله أن هؤلاء الصائحين إما صديق جاهل بالاسلام ، واما عدو مضل مبين ...

وهنا سال سائل : امن خدمة الاسلام الانتساب الى الماسونية ؟

قلت : إنني اكره هذا العمل ، وهو خطا بولغ فى تضخيمه . والماسونية نحلة ما كان أحد يدري خباياها ، كانت تخادع بشعار الحرية والاخاء والمساواة . فلما دخلها جمال الدين واحس ان اعضاءها مزورون ، شن عليهم الحرب وفض محفلهم واسس محفلا اخر يقول فيه ما يريد .

ولو اني دخلت حانة للخمر وجلست على احدى موائدها لاعكر صفو الشاربين وأذمّ اليهم السموم التي يتناولونها ، وأصف لهم مساخرهم في غيبوبتهم ، ما كنت ملوماً ! !

والدول الاسلامية الآن تنتمي الى هيئة الأمم المتحدة ، وتحرص على البقاء فيها ـ وهي ماسونية كبيرة ! ان صح التعبير ـ وليس ذلك عيباً ، انما العيب انها نسيت حقوق الاسلام عليها ولم يكن حديثها في هذه الهيئة ترجمانا لأهدافه الانسانية الرفيعة ، ودفاعا باسمه عن المظلومين وما اكثرهم في ظلال هذه الحضارة !

ما أشق تبعات عالمية الاسلام

ان عالمية الاسلام تفرض علينا ان ننساح بين الناس ونغشى مجامعهم الشعبية والرسمية ، ولكن « عالمية الاسلام » كلمة يلوكها المسلمون ولا يحسنون تبعاتها .

ومن الذي يقدر على حمل هذه التبعات أعشى لا يبصر من حقـائق دينـه شيئاً طائلا ؟ كان ربعي بن عامر البدوي ابصر بغايات الاسلام من شيوخ كبار في عصرنا عندما قال للفرس : جئنا نخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده .

لقد ابصر علل القوم وصاح ملوحاً لهم بالدواء ..

الاوروبي المستنير المتحضر في اوربا متبرم بما ورث من عقائد ، ويريد ان يعب من ينبوع التوحيد الخالص الذي يتفجر في ديننا ، هو يسال عن تعاليم هذا الدين ، فماذا يسمع ؟

لا يسمع الا ما يصده ويرده !

هذا يقول له : الشورى لا تقيد الحكم الفردي ! ولمن شاء ان يستبد بالامة وعليها الصبر !

وهذا يقول له : يتكوم المال عند من صادفه الحظ دون حرج فان الله يريد ان يجعله دُولة بين الاغنياء منكم !

وهذا يقول له : العقل اعمى وانما التعويل على الشرع ! والدنيا ضرة الآخرة لا يمكن الجمع بينهما ! او الحديث الضعيف مقدم على القياس !

وهذا يقول له : المراة لا تخرج من البيت الا الى الزوج او القبر ، ولا يصح ان تلي منصباً ما !

فلو كان في انجلترا لقال للانكليز : اعزلوا ملكتكم واطردوا رئيسة وزرائكم لكي يمكن قبولكم في الاسلام !

وعنده ان سليمان عليه السلام كان مخطئا عندما اقر وضع ملكة سبا ، وطلب منها ان تعتنق الاسلام !

ثلاثة هم قادة الفكر الواعي

ان الرجال الثلاثة ، جمال الدين ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا ، هم قادة الفكر الواعي الذكي في القرن الاخير .

والنقيق العالي الذي يثور ضدهم هو من اشخاص علمهم بالاسلام سطحي ، ودفاعهم عنه دفاع الدبة التي قتلت صاحبها ..

ان صاحب المنار استوعب مذاهب المفسرين ، من تفسير بالأثر الى تفسير فقهي ، الى تفسير بلاغي ، الى تفسير كلامي ، ومن المختصرات الى المبسوطات ، ثم ضم الى ذلك علماً باراء المذاهب الفقهية الكثيرة ، الى تعقيبات الاصوليين الذين نبغوا فى شتى العصور ، الى ما جَدّ فى العالم الاسلامي بعد احتكاكه بالمجتمعات الحديثة ..

وقد روى ان استاذه الشيخ محمد عبده طالع خمسة وعشرين تفسيراً ليستريح الى معنى آية من آيات الاحكام ، اضطربت فيها الاقوال .

وكان الرجل صاحب فكر متميز ومقولة مدعومة في هذه المعامع العلمية ، فما غره بريق ، ولا هالته كثرة ! وكان بصيراً بعلل الضعف التي انتابتنا ، ومداخل الشيطان في حياتنا . وكان عميق الشوق الى احياء العقل الاسلامي والعودة به الى نقاء السلف الأول ..

والذي أراه ان مدرسة المنار هي المهاد الأوحد للصحوة الاسلامية الحاضرة ، وعلى الذين يرفعون القواعد من هذا المهاد ان يتجنبوا بعض الهنات التي فات فيها الصواب إمامنا الكبير ، فما نزعم عصمة له او لغيره ..

لا يعرف الرجال الاالرجال

قال لي الاستاذ حسن البنا عليه الرضوان: إنه تناقش مع الشيخ رشيد في احدى القضايا الفقهية، واتسعت مسافة الخلف بينهما، ولم يصلا الى وفاق..

ثم رايت الاستاذ البنا يصدر صحيفة الشهاب، ويبدأ فيها باب التفسير، فاذا هو يستفتح بسورة الرعد. قلت له: لِمَ هذا البدء؟ قال: من حيث انتهى الشيخ الكبير محمد رشيد رضا. قلت في نفسي: لا يعرف الرجال إلا الرجال.

ثم جاء في هذه الأيام غلمان في ميدان المعرفة يريدون الاستطالة في اعراض الائمة!

ويستحيل ان يُهدي الى الحق من يحرم اخلاق الايمان! اعني من همته البحث عن العيوب ورجم الناس بها.

ان رب العالمين تبارك وتعالى جعل في حسابه كفتين، واحدة للحسنات واخرى للسيئات. وهؤلاء لا يعرفون الا كفة واحدة تجسم فيها الشرور، صحيحة او منحولة.

وهل قتل الخلفاء الا بهذا المنطق الكفور؟ وهل جار الأبرياء من قديم بالشكاة الا من اناس:

إن يسمعوا ريبة طاروا بها فرحـا
عني. وما سمعوا من صالح دفنوا!
جهلا علينا وجبنا عن عدوهمو
لبئست الخلتـان الجهل والجبن!

والمتدينون المصابون بهذه الآفات لا تنجح لهم حركة، ولا تنزل عليهم رحمـة، لانه لا كرامة الا لمن أتى الله بقلب سليم.

وسمعت من هؤلاء أن الشيخ محمد عبده اتصل بالانكليز وتعاون معهم! فقلت ان كانت علاقته بالقوم عن محبة لهم وولاء فقد ارتد عن دينه وحبط عمله! فهل كان ماضي الرجل ومستقبله يرشحه لهذه التهمة؟

ان الشيخ محمد عبده سهر في الرد على وزير الخارجية الفرنسية «مسيو هانوتو» عندما هاجم الاسلام، فاتم كتابه «الاسلام والعلم» في ليلة واحدة، حرمه الحماس الرقاد. فلم يسترح الا بعدما جلا الحق!

اين كان الشيوخ الحاقدون على الشيخ يومئذ؟ كانوا بين عاجز وجبان!

وعاد الرجل الى القاهرة بعد فشل الثورة العرابية واحتلال الانجليز لمصر. وكان الخديوي قد اصدر احكاماً باعدام وتشريد قادة الثورة، بيد ان الانجليز خففوا هذه الاحكام، واستبدلوا بها النفي لمدد متفاوتة.

فلما رجع محمد عبده وجـد واقعاً مراً: القصر الخائن والمحتل الكافر. ومن ايسر الامور على رجل مهزوم ان يفر الى بيته وينسحب من الحياة العامة! لكن البطولة ليست في هذا الفرار السهل! لقد اثر الطريق الطويل.. طريق التربية ورفع المعنويات النفسية والفكرية.

ويفرض عليه ذلك السعي لاصلاح الأزهر، وترقية اللغة والأدب، والتدريس المتصل لعرض حقائق الدين وانارة الطريق امام التائهين!

لقد فشلت الثورة العسكرية، فليتخذ اسلوباً آخر. وهو امام خيارين احلاهما مر كيف يتقي الانكليز؟ وكيف يتقي القصر؟

وكان محمد عبده شديد الاحتقار للعائلة الملكية، ويرى انها اسرة وضيعة باعت دينها وعرضها فى سبيل الجاه الزائل وقد وصف كبيرها محمد علي باشا فقال من حديث طويل: اخذ يقرب الاسافل كانما يحن الى عرق فيه!

ولما اتجه الى اصلاح الأزهر وجد مقاومة هائلة من شيوخه الذين يرون ادخال العلوم الحديثة كفراً! ويرون استبقاء الحصر القديمة، لأن اقدام الشيوخ المباركين وقفت عليها!

وقد ذكرت في حديث سابق ان عدة جماعات كانت تقام للصلاة الواحدة باعداد المذاهب الفقهية! كان الفكر الاسلامي في غيبوبة لا تشبهها الا غيبوبة الأدب العربي..

لقد استمات الشيخ المصلح في عمل شيء للاسلام فتحايل على سطوة الانكليز وعلى جمـود الشيوخ، وعلى خصومـة القصر، وعندما مرض مرضه الأخير ترجم عن آلامه النفسية بقوله:

ولست ابـالي ان يقـال محمد
أبَلَّ، ام اكتظَّتْ عليـه المـآتم
ولكن دِيِنا قد اردت صلاحـه
احاذر ان تقضي عليـه العمائم

ولم يكن غريباً أن يتهم محمد عبده بالكفر وانكار كرامات الأولياء! والخروج على آراء الفقهاء، بل لقد اتهم بترك الصلاة، واحسبه كان سيتهم بامور اخرى لو كان في ريعان الشباب!

ومع ذلك فقد مضى الرجل في طريقه بقوة، ونشا عن حركته ازدهار علمى وادبي وسياسي نقل الامة الاسلامية الى طور آخر من اطوار الحياة والكفاح لم تشهده من الف عام.

أرث الافغاني ومحمد عبده

وما احسب أن مدرسة المنار، ثم مدرسة محمد فريد وجدي والعقاد والخضري وابي زهرة ومحمود شلتوت والمدني، وغيرهم من الاسلاميين، والمد الأدبي العظيم في الشعر والنثر الذى تدافع سيله في الايام الماضية وارتقت به اللغة العربية ارتقاء باهراً، ما احسب ان ذلك كان سيتم لولا حركة محمـد عبده واستاذه جمـال الدين!

أكان الاستعمار الصليبي او الشيوعي يترك هذا السيل الى مداه؟ ان شتم جمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا لا يعنينا لو كان تجريحاً شخصياً، إنه محاولة للقضاء على نهضة امة ورسالة دين!

ماذا قلت؟ لماذا لا يعنيني تجريح رجالنا والنيل من مكانتهم؟ هذا خطا كبير!

ان الجهود المجنونة التي تستبيح قادتنا وكبراءنا في ميدان العلم والأدب والسياسة لها غاية يجب فضحها، والتحذير من مغبتها، انها تريد القضاء على تاريخ امة! وعندما تكون امتنا بلا تاريخ، فلن تكون امة، ما قيمة امة ليس لها رجال؟ وما قيمة دين لم يصنع رجالا على تراخي العصور؟

انه لابد من استنقاذ تراثنا من ايدي المسعورين والهدامين؟ والواقفين على مبعدة ينبحون القوافل المارة.

محمد الغزالي

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم: زكريا تامر

ماهبّ ودبّ وغنّى

الأدباء الذين كانوا فى بيروت الغربية إبان محنتها أيام الحصار الاسرائيلي ، بدأوا يكتبون عن ذكرياتهم فى تلك الفترة .

واحد منهم كتب ممجداً دور الفن فى المعركة ضد العدو الصهيونى ، فقال إن المطرب فلان الفلاني كان يطوف على المتاريس ، ويقف بين المقـــاتلين ، هم يحاربون ببسالة ، وهو يعزف على عوده ويغني لهم مشجعاً محمساً ، فهل ما قاله صحيح صادق أم انه كذب برىء ذو غاية نبيلة ؟

للوصول الى الحقيقة ، لا مفر من ان نتخيل ما قاله فى مشهد حي كاننا نشاهد باعيننا ما حدث فعلا : ها هوذا المطرب فلان الفلانى قد وصل الى متراس لمقاتلين يصدون هجوماً اسرائيليا ، فوقف بينهم ، وعزف على عوده وغنى لهم .

هذا المشهد المتخيل يحتم طرح بعض التساؤلات الساذجة ..

هل يمكن للمرء ان يعزف على العـــود وهو واقف على قدميه أم ان العزف على العود يتطلب القعود على الأرض او على كرسي خاصة وان العود ليس بوقاً او دربكة أو طبلا ؟ لنفترض ان المطرب قدير وقادر على فعل مالا يفعل ، ولكن كيف سيصل صوته الى آذان المقاتلين وســــط دوي القذائف ؟

لنفترض ان صوت المطرب قدير وقادر على تحقيق ما هو مستحيل ، ولكن ما هو موقف المقاتلين من مطرب يغني لهم بينما هم يواجهون عدواً مصمماً على إبادتهم لا هزيمتهم فقط ؟ وهل هم بحاجة فى تلك اللحظات الى مطرب يغني لهم الاغـــانى الوطنية الحماسية ؟ من المؤكـــد انهم يحتاجون الى من يقاتل معهم ويمدهم بالذخيرة ويضمد جراحهم ويدفن الشهداء منهم ، ولذا فلابد من أن المطرب فلان الفلاني لن يخرج سالما من المتراس بل سيخرج براس ثقبته رصاصة آتية لا من الاسرائيليين بل من بندقية مقاتل نزق . وما دام المطرب فلان الفلاني مازال حياً ياكل وينام وينادم ويناقش ويدلي بتصريحات ، فهذا برهان على انه شاهد صوراً فوتوغرافية لمتاريس المقاتلين وغنى لها بشجاعة منقطعة النظير يليق بها التكريم والتنويه .

اما ما كتبه عنه ذلك الاديب فهو دليل على أن الصديق وقت الضيق .

حكاية قديمة جديدة

● كان فى قديم الزمان رجل ظفر بلقب دكتور فى الادب ، فداخ زهواً ، وكان فى بداية حياته مشهوراً بالتقوى والصلاح وحسن السيرة ، ولكنه فيما بعد اصيب بعشق الكتابة وخاصة كتابة الشـــعر الموزون المقفى ، وصار ينظم شعراً عجيباً متاثراً بشاعر آخر كان يرتجل الشعر إبان تجواله فى الشوارع حافى القدمين .

وكان يحلو لحامل لقب دكتور نظم نوع فريد من الشعر الغزلي ، ساعد على ان يكون عدد العشاق فى عصره ضئيلا للغاية وقد ورد فى كتب نقاد ذلك الزمان القديم ان شعر الدكتور يتمتع بصفة فذة هى التلزمق – ونحن نجهل معنى تلك الكلمة وان كنا نرجح انها مصطلح يجمع معاني كلمات عديدة كالتزلف والتملق والالزام .

واصبح الدكتور فيما بعد معلماً له تلاميذ وانصار ومؤيدون – راجعوا ما كتبـــه الجاحظ عن معلمي المدارس – وقد آلمه الا يهتم به اهل زمانه ، والا تظهر صوره فى الجرائد ، والا تكتب عنه المجـــلات الابحاث المطولة ، والا يسمع صـــوته فى المذياع ، والا يحتل شاشات التليفزيونات ، فصمم على اقتحام الميدان الأدبي وفرض نفسه فارساً مغواراً ، ولكنه لم يكن يملك جواداً ، فاثر التواضع ، واكتفى بامتطاء صهوة حمار محب للنهيق والرفس ، وانحدر الى ساحة الحياة الأدبية ، يده اليمنى تقرع طبلا ، ويده اليسرى مشهرة سيفا من خشب ، وصاح مزمجراً : « هل من مبارز ؟ »

وكان الدكتور ايضا من اصـــحـــاب النظريات فى الأدب ، ونظريته الأولى تطالب بان يكون الأديب غير ميت كي يكون ادبه حياً ، وان ينتسب الاديب الى ناد رياضى حتى يتدرب على رفع الأثقال والمصارعة والملاكمة والسباحة والركض كي يكون ادبه قوياً . وينبغي للاديب ايضا أن يغسل ادبه يومياً بالصابون والمـــاء الساخن كي يكون نظيفاً .

ومن الجدير بالذكر ان الدكتور المذكور نال فى ختام حياته الاجلال والتقدير ، فمنح لقب (شاعر الاولاد فى كل البلاد) .

وحين انتقل الى عالم المقابر ، حمل الموتى أكفانهم ، ولاذوا بالفرار ولم يتهموا بالجبن .

أبو العلاء المعري أعمى وأصم

يقال ان ابا العلاء المعري لم يمت بل مازال حيا ، واتيح لواحد من المثقفين الاجتماع معه والتحدث اليه ، فساله : « ما هى الأسباب الموضوعية التى ادت الى أن تفقد البصر ؟ » .

ويقال ان ابا العلاء المعري قد اجاب قائلا : « لم اصبح اعمى بسبب اصابتي بمرض معين بل انا الذى فقا عينيه باصابعه حتى يصير لا يبصر ، ولكنني الآن اتمنى ايضا ان اصبح اصم لا يسمع » .

ولابد ان ذلك المثقف قد تعجب وبهت ، وسال المعرى بخجل عن السبب ، ولكن المعري ظل ساكتا مفعما بالازدراء والاشمئزاز .

ولقد حاول فضوليون عريقون معرفة سبب ذلك الازدراء والاشمئزاز ، ففكروا وفكروا ثم قالوا بثقة ان السبب يرجع الى عدد من الأشخاص المثقفين الذين يعيشون في البلاد العربية ، ولا يعتبرون عربا الا لكونهم ولدوا فوق أرض عربية ، فهم مرضى بعشق كل ما هو اجنبي مستورد ، واحتقار كل ما هو محلي .

انهم حين يبصرون مبنى سفارة اجنبية ترتجف قلوبهم حبوراً اكثر مما كان يرتجف قلب قيس لحظة يلمح ليلاه .

وهذا المرض الذى يجعلهم فاقدي الثقة بالانسان العربى وقدراته ، يخفونه بمهارة وراء كلمات حماسية متطرفة متشنجة متعالية ، ويتصرفون تصرف من يمتلك مستشفى تولد فيه وحده الوطنية والتقدمية والانسانية والوعي والنضال فى سبيل غد افضل ، ولذا فهم يصنفون المثقفين وطنيا ، ويوزعون عليهم النعوت ، فهذا شريف ، وهذا خائن ، وهذا رجعي مضلل ، وهذا وطني ، وهذا محدود الوعي ، وهذا متنكر لطبقته ، وهذا بورجوازي صغير ، وهذا مشبوه مدان .

وهم يطالبون بتغيير واقع مسيء الى الناس ، ولكن مساهمتهم فى عملية التغيير تنحصر في الكلام في المقاهي والمطاعم والاقامة المجانية فى دول اجنبية ، واذا رغبوا فى الانتقال من الكلام الى العمل فان عملهم يبدأ باطلاق النار على الذى يبني بصمت فى بلده ، معتبرين ان ثرثرتهم فى اماكن اجنبية فى بلد تقدمي الشعارات هى الكفاح الحقيقي فى سبيل الجماهير الكادحة ، ومعتبرين ايضا ان التطور هو أن ترتدي امراة ما قل من الثياب ثم تتخلى عنها بالسرعة ذاتها التي يقرا فيها القراء بعض الجرائد والمجلات ، فهل اخطا أبو العلاء المعري حين اختار ان يصبح اعمى وتاق الى ان يصير من الصم ؟

الصغار بلا حماية

دخل مواطن عربى فضولى لا اطفال له الى محل لبيع دمى الاطفال ، فما الذى شاهده ؟

لقد شاهد دمى صغيرة لرعاة بقر امريكيين يمتطون الجياد ويشهرون المسدسات بحركات تقطر بطولة وجراة وشجاعة ، كما شاهد فى الوقت نفسه دمى اخرى لهنود حمر متوحشين ، تلوح أيديهم بالبلطات والنار المدمرة ، فماذا فعل هذا المواطن الفضولي ؟

لقد شهق متعجبا مستنكرا . إذن حتى دمى الاطفال العرب لم تنج من محاولة التضليل والترويج للنزعات العنصرية ولاسيما ان تلك المحاولة تكتسب مدلولا خطراً اذا ما ربطت بالمرحلة الراهنة التى تواجه فيها الامة العربية عدوا احتل جزءاً من أرضها طامعاً فى احتلال المزيد منها ، متذرعاً بحجج شتى .

وتلك الدمى تقدم للعدو التبرير لجرائمه فالمالك الحقيقي للأرض والذى يدافع عن أرضه يصور متوحشا سفاحا ، اما اللصوص الذين يريدون ان يسطوا على أرضه فهم الأبطال الذين يستحقون الاعجاب والحب والاجلال .

واذا كانت الأجهزة الثقافية المسؤولة فى البلاد العربية تستيقظ احيانا من نومها وتتدخل لحماية الكبار من اخطار التضليل الفكرى ، فمن واجبها ان تتدخل لحماية الصغار والحؤول دون أن تكون دماهم والعابهم أسلحة للاعداء .

الوحش أم الإنسان ؟

يصور فيلم سينمائي اجنبي رجلا يضطر الى العيش فى منطقة بدائية لا تقيم فيها الا الوحوش المفترسة .

وينجح ذلك الرجل فى العيش هناك حتى أن نموراً تصبح صديقة له ، تحميه ويحميها ، ويتعاونان معاً على تامين القوت اليومي الضرورى .

ثم تجرى محاولة من قبل صديق له لاعادته الى عالم البشر ، فيرفض رفضا صارما ، ويفضل عالم الوحوش المفترسة ، ويجده مكانا صالحا للعيش أكثر من عالم البشر ولاسيما انه يلاحظ ان الوحوش لا تقتل الا عندما تكون جائعة أو تشعر بخطر يهدد حياتها بينما الناس الذين يعرفهم مستعدون لأن يفترس بعضهم بعضا من غير مبرر .

فهل هذا الرجل شاذ الطباع ، سوداوي المزاج أم أن هناك اناسا باتوا احقا مفترسين واذا ما قورنوا باكثر الوحوش ضراوة فان المقارنة ستخلص الى أن تلك الوحوش ليست اكثر من قطط منزلية تموء ولا تعض ولا تخمش ؟

مهما يكن الجواب ، فمن المهم التذكير ان مناطق الوحوش المفترسة فى العالم قليلة نادرة ، ولا فائدة فى التفكير فى الرحيل اليها .

الانتحار

قال المتنبى لكلماته : « ماذا تفعلن »

قالت الكلمات : « ننظم قصيدة تمتدح الوزير كافور . »

قال المتنبي لكلماته : « ماذا تفعلن ؟ » .

قالت الكلمات : « ننظم قصيدة تهجو الوزير كافور . »

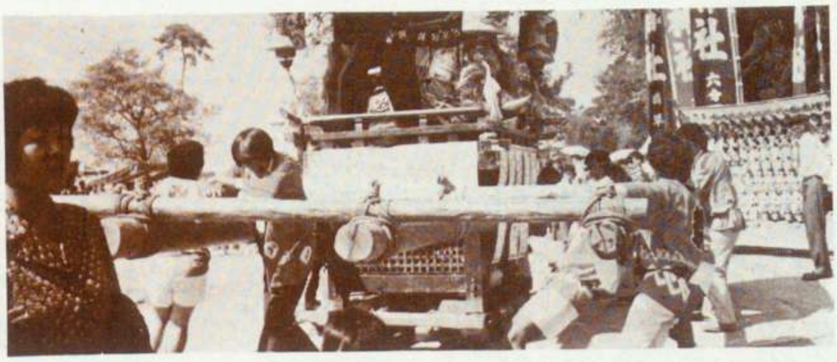
قال المتنبي ليديه : « ماذا تفعلان ؟ »

قالت اليدان : « نحفر قبراً الكلمات تهجو وتمدح طلبا لمغنم شخصي . »

فقال المتنبي : « فلتكن الحفرة اكبر كي تتسع لدفن صاحب الكلمات . »

فتحقق فيما بعد ما رغب فيه المتنبي ، ولكن كلماته لم تدفن ، وظلت ليلا واحداً وشموسا كثيرة .

مفكرة يابانية "١"



بين المعابد والمصانع

بقلم: جمال محمد أحمد

الكاتب العربي الكبير جمال محمد احمد زار اليابان اخيراً ، وهو هنا ، وفي المقالات التالية ، يروي تجربته مع « المعجزة اليابانية » ويجيب على مختلف الأسئلة حول حقيقة هذه المعجزة ، ومدى قدرة العرب على الاستفادة منها .

ما كان فى بالى وانا اهيىء نفسى الى دعوة مؤسسة اليابان اني ساكتب . لا يكتب عن اليابان غير جسور . انىّ تلفت يلقاك حديثه . اوربا اصابها الهوس منذ مائة عام وتزيد والولايات المتحدة كذاك . واهلها يكتبون منذ عرفوا الكلمة فى زمان بعيد بعيد . حتى اشباهى الذين ما قراوا عن اليابان ما يستحق الحديث ، ولا اتخذوا من اهله صديقا يرون عبره بلاده ، يسمعون عن « معجزة اليابان » الاقتصادية وفى اذهانهم صورة عن اليابانى يحارون معها كيف يحكمون . انهم فى الذى يترامى لنا من انبائهم مزيج من صفات لا تلتقى . تتصادم . لا يجمع بينها جامع ..

يعشقون الفنون عشقا ، واكثر الاحيان لا يرحمون ذواتهم ولا غيرهم من الناس ، يهيمون بالجمال واكثر الاحيان جفاة غلاظ هم اكثر الناس صقلا وتهذيبا ، ويخدعون الناس وبعضهم بعضا وهم فى الوقت عينه لا يصبرون على طعام واحد ، يتارجحون ، يعملون من فجر يومهم لآخر المساء ، يروحون بيوتهم والليل يقبل ، وايمانهم بالأسرة موضع الحديث والغبطة عند غيرهم من الشعوب مع ذاك . اطيب الخلال يمازجها بعض الاحيان نقيض تلك الخلال .

● ●

كل هذا وغيره كنت اسمعه وانا الذى ما عنيت بذاك البلد تلكم العناية . لا حب .. لا مقت ، هيبة ! عاطفة نمتها اكبر الظن قراءة قليلة جداً وافلام عنها ذات مذاق وحده شهدتها فى الخمسينات ، وذات مذاق اخر شهدتها فى الستينات . هوليود مرهفة الحس ، لا يعيش المخرجون فيها والمديرون والكاتبون بمعزل عن المناخ السياسى حولهم . يستجيبون اكثر الاحيان لحره وبرده استجابة التاجر لا الفنان . يعطون جمهرة الناس صورة من الذى فى ذهنهم عن الحوادث والاحداث . وكانت مغيظة الولايات المتحدة عقب الحرب الثانية ، فصورت المحارب اليابانى صورة معينة بعد الحرب ، وثارت بينها وبين الاتحاد السوفيتى حربهما الباردة ، فمالت الميل كله لليابان تريدها حليفا قادراً على العون ، فصورت اليابان صورة تتفق وهذه الحاجة اليها ، صورة بينها وبين الصورة الأولى كالذى بين السماء والأرض ، كالذى بين الخمسينات والستينات ، بعبارة اخرى .

● ●

كان قاسيا ضاريا المحارب ، يتهور يقدم على الذى لا يقدم عليه جندى حصيف . وكان ذكيا فى فنون التلصص والتجسس فى احلك الغابات ظلمة فى مواقع القتال جنوب شرقى آسيا ، ولا ينتهى ذكاؤه ذاك لشىء يحمده . تغتاله آخر المطاف العبقرية الامريكية ! ! يجد نفسه فى الشراك فيقتل او على مقربة من الشراك ، يقتل هو نفسه ، تلك شرعتهم منذ القدم .

هذه صورة اليابانى فى الخمسينات وعقب الحرب كما صورهـــــا الامريكان وصورتها هوليود . ما كانت لهم بها حاجة ، وكانت بيرل هاربر تجسيداً للغدر .

واقبلت الحرب الباردة . شرعت هوليود تسمع نقيض الذى كانت تسمع او ترى جانبا اخفته عنها مرارة حرب الباسفيك ، دخان معاركها فى بيرل هـــــاربر وفى هيروشيما يعشى العيون . عاد المسافرون اليها يقولون انهم راوا السحر الحلال فى جنان اليابان وخضرة تلالها وزرقة بحارها وضروب الفنون فيها ، واتى بعضهم يحمل ترجمات شعر وروايات الشباب اليابانى ، كما خف العلماء لليابان يتسابقون يكتبون عن تاريخها السياسى والثقافى او يذيعون ذكر الذى كتب الاوروبيون من هولنديين وبرتغال واسبانيين وانجليز وفرنساويين ، وبعيد ان ينسى الناس اثر هذا التعاطف مع اليابان ، ان راوا فلم « هيروشيمـــــا حبيبتى » وكثيرون راوه على ايامه ويرونه حتى اليوم ، دخل سجل الروائع ، وهو اهل ان يدخله .

• •

ذاك تاويل الذى قلت عن لا حب لا بغض هيبة ! وبعيد ان توحى عاطفة كهذه لا طعم فيها ولا مذاق ، بكتابة تستحق عناءك . خال لى هذا وانا اهيىء نفسى للسفر البعيـد كما قلت . ما كان فى بالى ان انقل لأحد شيئا اراه او احسه .. من ناحية كانت هذه العاطفة المحايدة ، ومن ناحية اخرى ذاك الذى كنت اسمع عن بحر الكتب الطامى ، ما هناك اضيفه انا له .

بعد اسبوعين اثنين من طواف عجل ، ما انستنى وقفة فى معبد عن وقفة فى مصنع ، كما يفعل بالواحد الطواف العجل رايتنى اجنح لنسيان الذى كان فى خاطرى قبل . خضعت للذى خضع له الكثيرون قبلي ممن سمعت انهم اكثر دراية ومعرفة ، اقاموا فى اليابان سنين فى زماننا هذا او الزمان الأول . وخضعت للذى خضع له اليابانيون انفسهم منذ رات بلادهم اثار اقدام الانسان على ارضها قبل خمسمائة الف سنة فيما يقول بعض علماء الآثار ، وهم الذين يقولون لك انهم ما شرعــوا يحفرون بجد هناك قبل سنة ١٩٤٩ ، ماذا سيكشفون حين تمضى بهم الايـــــام والحفريات ؟ ظلوا يكتبون بالحـــروف الصينية واللغة الصينية قرونا طويلة ، شقوا منهما لغتهم وحروفهم فى القرن التاسع ، وكان ان كتبوا بهما اقدم كتابين ، هما اقدم ما يملكون الآن ، اولهما « سجل



اشياء قديمة » سنة ٧١٢ وثانيهما « الخطط اليابانية » سنة ٧٢٠ . ترى القدر الذى كتب اليابانيون بعد هذا ، تجدهم من اكثر الشعوب شغفا بالكتابة عن ارضهم ، سلالاتها ، حروبها ، فنونها ، علومها ، قبل كل هذا اديانها وطقوس تلكم الاديان ، ومعابدها ودياراتها وهى معابد وديارات كثيرة يؤرخ بعضهم بنماذج عماراتها الحقب العدة المتحاربة فى التـــــاريخ اليابانى .

• •

قصدت حين قلت لك طوافى العجل لم يُنسِني بعض الذى رايت بعضا ، انك لا ترى معبداً شبيها باخر ، ولا حديقة قديمة او حديثة شبيهة باخرى ، ولا قبيلا من الناس شبيها بقبيل . ما هناك ما ينسيك اليوم ما رايت امس ، الا فى مقابح هذا الزمان سر نعمائه ، اعنى المصانع . سونى فى ارياف طوكيو مثلا ومازدا فى نن عين هيروشيما . واشهد انى ما رايت فى هذه المصانع شيئا مما تراه من دخان واثار دخان فى اوروبا ، ولا صكت اذنى الاصوات التى تسمع فى مصانعنا المسكينة ، انهـــا عندهم ليست من مقابح هذا الزمان ، طوفت مصانع سونى ، وكانى فى معبد قام عليه رهبانه خير قيام .

• •

وعدت للخرطوم فى حقائبى احمال من كتب اشتريتها فى مكتبات طوكيو الكثيرة ، وبطاقات الرجال والنساء الذين لقيت ، فكل الذين تلقى هناك يعطيك لحظة لقائكما بطاقة ، واحسبهم يعرفون شكاة الناس من صعوبة نطق اسمائهم اول ما يلقونهـــا ويحبون لك الا تشقى ، وفى حقائبى غير هذا بعض الذى اخترت من تلك الكتب التى تصدرها الشركات والمصانع تروج للذى تنتج ، بعض القائمين على العلاقـــات الخارجية من اهل الفطن . اذكرنى بعد زيارة مصنع مازدا انى قضيت خير شطر من مسائى يوم ذاك اقرا كتاب « ثقافة ومساحة » وارعى الصور التى تتحدث عن جهود اليابان فى احتواء النزوع اليابانى لطموح افرادها فى الحياة الأكثر رخاء ، وما يقتضيه هذا الطموح من مصانع ومزارع تنتج كل الذى يلتقى وهذا الطموح ويفيض ، يفيض كى تبيع للمصانع فى عالم تنافس شعوبه بعضها بعضا منافسة تقول « انا فى البدء والختام .. الآخرون للجحيم ! » .

• •

وكان بى حين عدت وهن واعيــــاء ، واخافنى اخى المغربى ، وهو الذى رعانى مرات من قبل وما خاف ولا اخاف . ابراهيم المغربى واحد من المؤمنين بجسد الانسان . يكره ان تفسد عقاقير الطب ايقاعه المرصود رصداً من نغمه ، يريد له ان يترك وحاله يمضى سبيله يصلح من خليط النغم بيده هو لا بيد العقاقير ، يقوى من داخل ذاته يصلح عثراته . عنفنى المغربى على رحلتى من طوكيو للخرطوم ، كم وثلاثين ساعة . السفر اليوم يا اخى كما كان امس قطعة من عذاب . كنت اسمعه يقول هذا واستعيد فى خاطرى مضيفات طيران اليابان . اتين هذه الاداة الجديدة من ادوات الحضارة ، بخلال قديمة فى المراة اليابانية ، تسرى فى دمائهن عبر القرون ، تعرف تضيف وان تسخو فى الضيافة . علَّم الضيافةَ اسلافهن اولُ اباطرتهم « جموتنى » ، منشىء الأسرة التى الآن تحكم اليابان ، اقل قليلا من ثلاثة الف سنة ، بدا سنة ٦٦٠ قبل الميلاد . كل الذين كانوا فى بلاطه عرفوا الولائم الباذخة وعنهم اخذ الآخرون ممن لم يكونوا هناك ، تبع لهم وجنود ، الناس على دين ملوكهم ، كما قال الاقدمون صادقين .

لا تغنيك مع هذا بسماتهن ، يحسب الغر انها له وحده ، لقد ظفر . يجهل انه ما عنا ، والظفر عناء . هكذا راهن صيداً سمينا وقع ، براد من كاليفورنيا وحداد من « يوتا » شركونى المقاعد الامامية فى الطائرة ، وكن فى الحق يخلبنك ان لم تحاذر . فرط الدربة على هذه البسمات والعيش معها من بعد ، تراك ترجوهن ارفق الرجاء ، لانهن يلبون ولما تسال ، يسقينك يطعمنك كما لو كنت فى دارهن هن ، لا ضيافة الخطوط اليابانية ، وهى فى الحق رحبة موثرة سخية ، قطعة من التراث القديم فى اليابان ./

لا اذكر اسم ذلك الحىّ من احياء طوكيو

الذى رحته مع واحدة من اللائى يصحبنك من مؤسسة اليابان يرعينك بانجليزيتهن الملحونة ثقفنها شهوراً فى نيويورك او لندن اشتريت حاجتى وشرعت اعد لصاحب المتجر ثمنها بعملة اليابان ، قصرت يدى . شرعت اسائله اين ابدل الدولار كى افي له حقه . تراطن مع صاحبتى وعرف انى قادم من بعيد . مد يده يحيينى تحيات اهل ذلك البلد ، وعرفت انه لا يريد لى أن أروح ابدل نقودى الأجنبية افي حقه . رحت احمل حاجتى ، اسائل نفسى اين يقع هذا فى ايامنا هذه اللاهثة على الفلس !

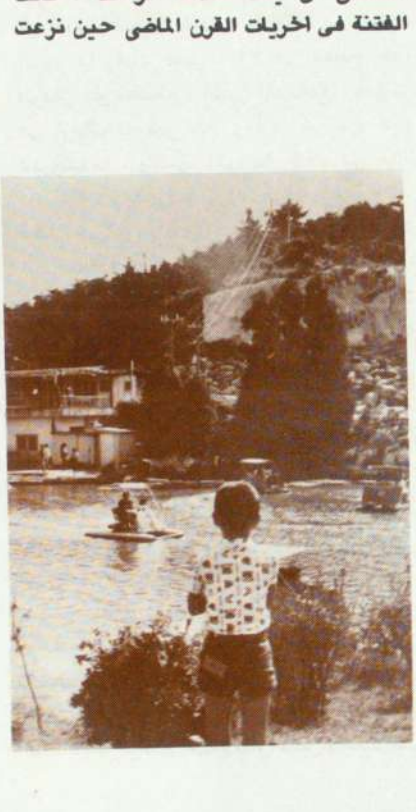
• •

ما كان فى بالى ان اكتب ، نعم ، كان فى بالى ان امضى مع حديث « الروايـــة والتاريخ » فى الدوحة ، قصة هوتنى منذ حين وما فرغت لها الا قبل شهور . كان فى بالى ان اتابع هذه القصة اكتب عن خيبات القارة الافريقية فى السبعينات ، كيف صورتها الرواية الافريقية انذاك ، احب ان اعود لها بعد مفكرة اليابان هذه التى اكتب الآن ، وقد اوحت لى ايامى هناك ، كما قلت قبل قليل ، ان الذى كتب الذين يعرفون اكثر لا يعنى انى ما احسست احساسى الخاص، وحثنى على الكتابة حثا ما قرات بعد عودتي من حديث محمد جابر الأنصاري في الدوحة يرجو مدخلا عربيا للتجـــربة اليابانية ، وانا اقرا اكثر الذى يكتب الأنصارى فى الدوحة بقلب عاطف محب . انه واحد من كتاب هذه الفترة فى حياة العرب ، الذين لا يلغون فى الفضول . لا يحوم حول الذى يريد ان يقول ، يقوله بالاقتصاد المستطاع فى العربية ، وهى لغة ان لم تلجم جماحها تلجمك ، تجدك اسير عذوبتها تنسى انها ايضا دقيقة ، شرعت بعض الأيادى عندنا تروضها ترويضا لتكون مراة هذا الزمان ، وكانت مراة كل زمان قبل . ان عزوا عزت ، وان وهنوا سعت لتبقى على قدراتهاليوم يجىء ، والانصارى فى الذى ارى مما يكتب ، واحد ممن يعينون اللغة على ايام هذا الوهن الذى نحياه لتظل حافظة على قدراتها ليوم افضل .

فى حديث الأنصارى فقرات تســتاثر باهتمامك لانك معها ، واخرى تقف عندها تحب أن تجادله ، لا تراك معها ، وفقرات تلقاك حين تقرؤها انك بين بين لا معها ولا عليها . انا مثلا مع الذى يقول عن التفاعل الأعمق مع المعجزة اليابانية « بالنفاذ الى جوهر الحضارة الجديدة لدى هذه القوة الشرقية » عوض الاكتفاء بالتعامل على السطح الاستهلاكى المظهرى المادى كما يقول . وارانى نافراً حين ينذر الصين واليابان يقول « على اليابان والصين وكوريا وغيرها ان تدرك بوضوح من الآن .. أن مستقبل علاقة العرب التاريخية الجديدة معها هو رهن بهذا التفاعل الحضارى قبل كل شىء وتجنب المصلحة الانتهازية ... » الى آخر الذى يقول فى هذا الصدد ، وكانه يملك من حقائق صلاتنا مع هذه الشعوب شيئا اتى من جانبها كرهناه او اخر اتى من جانبنا نحن قعدوا هم عن الاستجابة له . لو كنت فى الذى اكتب الآن معنياً بالسياسة العربية ومواقف الشعوب منها ، لوقفت عند زورة عرفات لطوكيو ، ولوقفت عند الذى كان من امر مطار اللد قبل سنين ، وما كان حقا محضا ذاك الذى وقع . كان ايمان شباب فى اليابان نما على مقت الحيف والعدوان ، واذاقة الغرب الهوان .

• •

الفقرة التى اقف اتملاها ، اجدنى بين بين فى الذى تقول ، هى تلك التى تصف « الدراسات الفرنسية » تمدح ما تتصف به من تفهم واعتدال وتذوق حضارى . لا املك ما يحملنى على الايمان بهذا ، ولا ابعد عن الحقيقة ابداً ان قلت ان فترة الفتنـــة الأوروبية باليابان كانت قصيرة من ناحية ، وكان حملة الفتنة كتاب فرنسيون « زولا » مثلا .. ومؤلفون موسيقيون اوروبيـــون « بوشينى » مثلا . ان مضيت فى « مفكرة اليابان » هذه اعود لفترة الفتنة تلك ، فهى تستحق ان يقف عندها الواحد . كانت الفتنة فى اخريات القرن الماضى حين نزعت اوروبا لتعرف بلد الغموض ذاك ، ونزعت اليابان لتعرف مداخل ومخارج العلوم التى جعلت من اوروبا سيدة ، ومن الآخرين فعلة لديها ، يحملون العشب والماء .



• •

ارجو الا ينفطر قلب الذين سيقراون « مفكرة اليابان » ان احسوا من الذى اقول انى اخاف علينا الا نستطيع الانتفاع بمعجزة اليابان . بين تاريخنا وتاريخ اليابان ما يحملنى على اليقين بان طرائقنا ما التقت قبل . بعيد ان تلتقى بعد . الأنصارى يكاد ان يقول قولتى هذه لكن بكلماته ، حين ياخذ العبرة مما مضى . يحدثنا عن الذين « انبهروا بالمعجـــزة اليابانية » ويقرر صادقا ، « ان النصر اليابانى المبكر لم يتحول الى نصر للشعوب الشرقية الأخرى ، وخاصة العرب الذين تواصلت تراجعاتهم وتجزئة اوطانهم من قبل القوى الغربية » . أريد لك ان كنت واحداً من الاخيار تطير قلوبهم شعاعا ان سمعوا ما لا يتفق وما يحبون أن يسمعوا ، ان تعيد البصر كرتين حين اقول لك الا سبيل لنا للتجربة اليابانية ، « لتصحيح المسار العربى على الصعيد الحضــارى الشامل » . تجاربنا فى الفكر والعمل توحى لى أن ماضينا ما عرف طريقه للمستقبل بعد وتجارب اليابان عرفت طريق المستقبل للماضى الذى كان فى ازدهاره وزهوه قريباً من الماضى الذى ما وجد عندنـــا طريقه للمستقبل .

• •

هذه دعوى عريضة ، سادلل على صحتها بالذى فعل اليابانيون حين وقفوا وجهاً لوجه لأزمة كادت ان تعصف بكل شىء عندهم ، تلك ازمة هزيمتهم فى حرب الباسفيك . سترى أسطورة بقاء عنيد . قابل بين عنادهم الفناء وبين « الاعتدال » الذى نتنادى به هذه الأيام ، والاعتدال الذى تريده له ايامنا ضرب من الصبر :

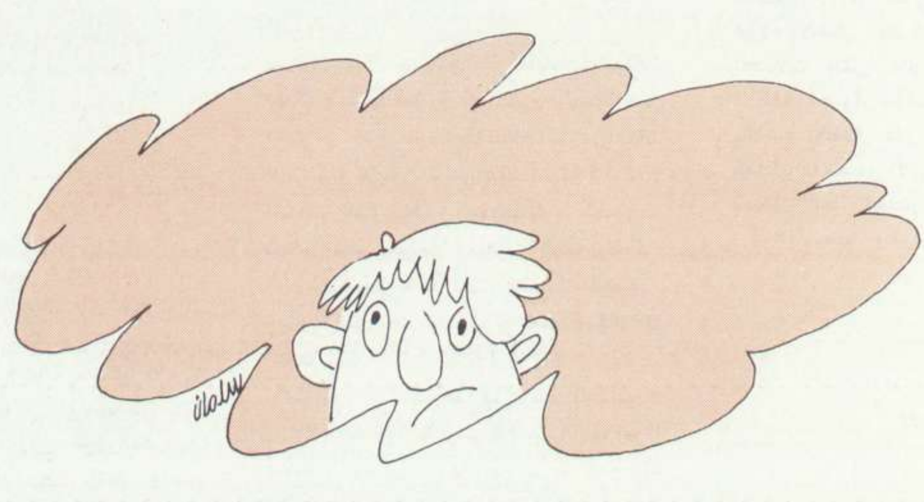
لست على الصبر مثنيا ابـــدا
ما صـــحب الصبر غير ذى شجن

والعقاد رحمه الله ، يصدر فى الذى يقول عن تجاريب عاشــــها ، وقط ما « اعتدل .. »

جمال محمد أحمد ـ الخرطوم

كيف تُؤَرْنبُ صقراً؟

بقلم: أبو عروبة



لغوياً : « تارنب الصقر : تحول من صقر الى ارنب » .. ومن اجمل ميزات لغتنا العربية طواعيتها لمثل هذه الاشتقاقات البلاغية . من ذلك قولهم : « استنوق » و « استاسد » ومعناهما معروف . اما فعل : تارنب يتارنب تارنباً فمعناه : تحول من كائن . شجاع عزيز النفس ، جبار بعيد الهمة ، طموح شهم شجاع ، الى كائن ارنبي الوجه واليد واللسان ، جبان ، انطوائي منكمش ، لا ابالي ، لا هم له الا معاناة ذعره الأبدى ..

والواقع ان صيغة فعل « تارنب » فيها شيء من الكذب والتجني . فالانسان لا يتارنب من تلقاء نفسه وانما تؤرنبه ظروف خارجية ساحقة ماحقة كتلك الظروف الرهيبة التى مرت على وطننا العربى خلال العشرين سنة الماضية فارنبت فيه الأخضر واليابس . ويبدو أن الارتئناب عسير التطبيق ، خصوصاً فى عالم الطفولة التى تصر على الايمان بانها ولدت حرة ومن نسل كريم وهذا ما دفع باحد الأدباء العرب لأن يطرح التساؤل التالى :

(هل سمعتم عن تلك الحجارة الصغيرة التى القتها طالبة عربية من نابلس فى وجه حاكم المدينة العسكرية المتغطرس فشجت جبينه ؟ .. لنقف اجلالا لتلك الحجارة التى بزت المدافع والدبابات النائمة فى اوكارها . ولنعلن بكل امانة ان كف هذه الطالبة الشجاعة اكثر قوة من كل الأكف المخادعة التى ترتفع فى الهواء بطريقة يتقنها الممثلون من الساسة) .

ومن وجهة نظرنا بصفتنا لا نهتم بغير اللغة ، فان كلمة « أوكار » هى الجوهر فى كلام هذا الكاتب العربى الشريف .

فالاوكار تعود بنا الى حديث الأرانب والارتئناب ، الذى هو ظاهرة غير عربية على الاطلاق . فالعرب مفطورون على الاستئساد ، وهو عكس الارتئناب تماماً . وربما لهذا السبب كان للاسد فى لغتنا الجميلة مائة اسم ، ويقال : بل ان له حوالى خمسمائة اسم ، بينما ليس للارنب فى لغتنا الجميلة من اسماء الاكلمة « ارنب » فقط لا غير . فياسبحان الله ما ابدع مدلول ذلك .

وكل هذا الكلام الطويل كتبناه ليكون بمثابة مقدمة لنظرية طريفة اجبرتنا مطالعة اخبار الأطفال العرب فى الصحف على استنباطها . وهذه النظرية تقول : « ان عرب اليوم ـ بالنسبة للاطفال ـ عربان :

كيف تؤرنب صقراً؟



منهم من ينظر الى الاطفال على انهم ارانب سيصبحون عندما يكبرون مجرمين وحشاشين وعجزة وجهلة بفضل الاهمال المنهجي المدروس جيداً .. ومنهم من ينظر الى الأطفال النظرة الانسانية التقدمية الجميلة ، اى انهم رجال الغد واسود المستقبل ، فينشئونهم على هذا الاساس » .

لكن لسوء الحظ ان العرب ، رغم كونهم امة واحدة بشهادة جميع الاطراف ، لا تزال لدى بعضهم لوثة المدرسة الثانية : مدرسة الأرانب او مدرسة تحويل الصقور الى ارانب .. لذلك ، وحتى لا يستفحل هذا الوباء ، ولأن ما يجرى فى اى بلد عربى صغير يؤثر على مصير الاوضاع فى الوطن الكبير كله ، راينا من الواجب أن نعرض مسلسلا لعدد من المشاهد ذات العلاقة ، لعلك قارئي العزيز تسهم معنا ، وانت العربى الشهم ، فى انقاذ الأطفال العرب من ويلات أصحاب نظرية « كيف تؤرنب صقراً» .. والله لا يضيع اجر من احسن عملا .

المشهد الأول :
يوم السيدة الفاضلة

(١) حي هادىء فى مدينة عربية جميلة على البحر . شارع نظيف . بنايات حديثة . قصور منيفة ذات حدائق ظليلة .

(٢) طفل نحيف اصفر الوجه رث الثياب يبحث عن شىء ما فى برميل نفايات عند باب بناية ضخمة . انه مثل ارنب لكن عيناه توحيان بانه كان « مشروع صقر » ذات يوم .

(٣) انا توقفت لأتامل المشهد واتذكر قول شاعر معاصر عن هذا الطفل :

« كنوز الأرض ملك يديه وهو الجائع البائس » او شيئاً من القبيل ..

(٤) مرت سيارة انيقة طويلة جداً . انها تتمهل للتوقف . لاحقت السيارة بنظرى . السيارة توقفت امام مدخل حديقة قصر . على باب القصر لافتة كبيرة مكتوب عليها :
« المؤتمر الحادى عشر للطفولة العربية السعيدة » ..

(٥) ينزل السائق ذو الثياب الأنيقة . يفتح باب السيارة الخلفي منحنيا بكل احترام . تنزل سيدة جليلة يتدلى من عنقها عقد لؤلؤ طويل . ترمي عقب سيكارة فيتلالا الذهب الذى يحلي اصابعها .. تمشى .. تدخل قصر مؤتمر الطفولة السعيدة ..

(٦) الطفل اياه يقبل مسرعاً كالصقر . ويحط على عقب سيكارة السيدة كالصقر ايضا .

ـ لكن اى صقر هذا يا عزيزى السائق ؟

(٧) السائق يخبرني هامساً : إنها امراة عظيمة . تصور : إنها رغم كل ما انعم الله به عليها من ثراء مهتمة منذ عشرين سنة بموضوع الطفولة السعيدة .. ويا سبحان الله يا اخى .. كلما تضاعف اهتمامها بتوفير السعادة للأطفال الفقراء كلما تضاعفت ثروتها .

(٨) تركت ذلك السائق المخيف ومضيت .. يوماً ما ساكتب له رايي به وبسيدته فى رسالة . وساعرف عنوانهما من نص خبر سوف تنشره الصحف عن مكان انعقاد المؤتمر « الثانى عشر » للطفولة السعيدة او المؤتمر الثالث والعشرين .. فما دام المؤتمرون من امثال هذه السيدة فان هذه المؤتمرات لن تتوقف الى ابد الآبدين .. والله اعلم .

المشهد الثانى :
يوم السعال الثقافى

(١) ارتديت شخصية المثقف النموذجى المدعو الى ذلك المؤتمر الظريف . فلبست احسن ثيابي ، ووضعت نظارات سميكة ، وتابطت عدداً من الصحف والمجلات الأجنبية ، وتدربت على طريقة سعال المثقفين .. وحين دخلت قصر المؤتمر سعلتها سعلة ثقافية عند الباب ، بان وضعت قبضة يدى امام فمى وسعلت بلطف وايقاع خفيف هامس . فنظر إلى موظفو الاستقبال باحترام عظيم وانحنوالي باحترام اعظم وهم يشيرون الى باب قاعة الخطابات .

(٢) فى القاعة ثمة رجل يخطب متهماً من دعاهم (مثقفينا) بالتهرب من واجب الكتابة للاطفال ، ومتهماً ـ فى الوقت ذاته ـ مثقفينا الذين يكتبون للاطفال بانهم (لا يحسون بالأثر الذي تخلفه كتاباتهم فى هؤلاء الأطفال . فقد اتضح مثلا ان ٤٥٪ من الحالات التى قام فيها ابطال قصص الأطفال بعدوان ما قد تركوا دون عقاب . مما يشجع الأطفال على اتباع نفس السلوك . كما أن ما يصدر الآن من كتب الأطفال بعيد تماماً عما نعيش فيه .

(٣) سعلت وآثرت الصمت .

المشهد الثالث
يوم الشرطى السعيد

(١) مدينة فى تلك البلاد الأوربية الشمالية التى يقال ـ والعهدة على الراوي ـ انها من ارقى بلاد العالم . حديقة عامة جميلة جداً . شمس خجلانة ، اناس يدخلون الحديقة ويجلسون على مقاعد مصفوفة امام مسرح مؤقت مكتوب فوقه : (الاحتفال بذكرى مرور عشر سنوات على انقاذ آخر امي فى البلاد من لوثة الأمية) .. ورغم كثرة هؤلاء الناس فانك لا تكاد تسمع صوتاً غير صوت تغريد الطيور فوق هؤلاء الرجال والنساء والأطفال .

(٢) شرطى ياتي ليشارك فى الحفل . اناقة ثيابه تجعلك تشتهى لو كنت شرطياً .

(٣) طفل يترك يد امه ويقبل نحو الشرطى ويستوقفه ويساله ، بعد التحية ، (أين صفارتك ؟) . الشرطى يبتسم ويداعب الطفل ويقدم له صفارته . ولكنه ينبهه همساً الى أن التصفير فى هذه الحديقة ممنوع (حتى لا تزعج الطيور) .

(٤) الطفل ياخذ الصفارة ويطير نحو امه على جناح الفرح .. يهمس فى اذن امه بكلام ما .. ربما كان يخبرها ان هديته هذه هى صفارة من ذهب .

المشهد الرابع
يوم الشرطي التعيس

(١) عاصمة عربية ضخمة جداً ، كل ما فيها يوحى بان كل من فيها يبحث عن اي عمل ليعيش فى الاقل .

(٢) حى شعبي فقير . شارع مزدحم بالناس والوحول وقشور الخس والروائح الرطبة .. اعلان جداري ضخم جداً عن فيلم سينمائى بعنوان (امراة سيئة السمعة) وفيه صورة فتاة جميلة شبه عارية فى وضع صريح الاثارة . ولد حاف يتأمل الصورة .

(٣) شرطى ضخم رث الثياب ممسك بطفل رث الثياب ايضاً ويسوقه امامه بقسوة .

(٤) لا احد من اهل الشارع يهتم بالمنظر .

(٥) الطفل يصرخ بالشرطى : اتركنى .. اتركنى .

(٦) الشرطى يدفعه امامه بقسوة اشد .

(٧) رجل محترم يعترض الشرطى ويستوقفه قائلا :

« حرام عليك يا حضرة الشرطى .. الا ترى انه طفل لم يبلغ الثالثة عشرة من عمره بعد ؟ »

(٨) الشرطى يرد غاضبا : « ومع ذلك فهو مجرم خطير . لقد ضبطت معه ٢٨ قطعة حشيش »

(٩) الطفل يعترض ويخبر الرجل المحترم : « بل انها ٢٩ قطعة » ثم يلتفت الى الشرطى « هل تريد ان تختلس واحدة منها لنفسك ؟ »

(١٠) الرجل المحترم ينفض يديه يائساً وهو يقول : « لا حول ولا قوة إلا بالله » .

(١١) ثبت لدينا بالوجه الشرعى انه لا الشرطى شرطى ، ولا الطفل طفل ولا الرجل المحترم رجل محترم ، ولا انا كاتب تقدمى ، بدليل اننى بعد كل هذا اكتفى بان اختتم المشهد بقولى : « تنطفىء الصورة تدريجيا »

المشهد الخامس
يوم الأفلام الممنوعة

(١) قاعة مؤتمر الطفولة العربية السعيدة . امراة تخطب بحماسة : « بعد ٤٥ سنة من الانتاج السنمائي لم ننتج قبل عام ١٩٧٤ اي فيلم للاطفال .. ثم انتجنا ثلاثة افلام فقط للاطفال مجموع طولها كلها ٥٠ دقيقة » .

(٢) شاب يهمس فى اذنى :

« ومع ذلك فان هذه الافلام لم تر النور . إما لانها غير مفيدة أو لانها تبشر بقيم ضارة بالطفل . »

(٣) ابتسمت لذلك الشاب وهززت رأسى شاكراً . فليس احسن من الصمت لمن يتذكر « مساعدات فرانكلين »

المشهد السادس
يوم البرتقالة والشعر

(١) مقهى رصيف حديثة جميلة هادئة مقابل قصر مؤتمر الطفولة السعيدة .. صحفيان شابان جالسان على طاولة منعزلة .. واحد منهما يشير الى لافتة المؤتمر الكبيرة ويقول :

يا اخى ما اعجب اصحاب هذا المؤتمر ؟ .. كيف يبحثون فى امر « السعادة » بينما عندنا فى هذا القطر سبعون بالمائة من الذكور اميون وتسعون بالمائة من الاناث اميات ؟

(٢) الصحفى الثانى : خفض صوتك يا عزيزى حتى لا يسمعنا احد من اخواننا فى الاقطار العربية الأخرى .

(٣) الصحفى الأول : وهل تظن ان هذه البلية عندهم اخف وطأة ؟

(٤) واحد منهما يخرج من جيبه برتقالة



يقشرها غاضباً ، ياكلها وكانه ينفس عن غضبه بها .

(٥) ملاحظة : من الممكن حذف اللقطة الأخيرة إذ ان البرتقالة محشورة فى المشهد حشراً ، مثل اكثر « حشوات » القصائد الحديثة التى تمتاز البرتقالة عنها بان لها طعماً فى الاقل .

المشهد السابع
يوم الكلام النظرى

(١) رجل يحب النظريات كثيراً .. انه مغرم بكل ما هو نظرى و « عميق » .. يصل الى بيته وقت الغذاء وتحت ابطه كدسة اوراق ..

(٢) يخبر زوجته بفرح عظيم وهو يقدم لها تلك الاوراق :

« كتبت اليوم دراسة نظرية عظيمة جداً بعنوان « ثقافة الطفل » » .

(٣) زوجته تاخذ الاوراق وعينها على ثيابه الملوثة بوحول سوداء من فوق الى تحت : « من اين جاءتك هذه الوحول يا عزيزى ؟ »

(٤) الرجل يصحح معلوماتها : « هذه ليست وحول .. فانت تعرفين نهر المجارى الطافح فى الساقية وسط الزقاق : مرت سيارة مسرعة فغمرتنى بتلك المياه القذرة .. تصورى يا عزيزتى مدى جهل ذلك السائق فهو لم يبطىء من سرعته رغم انه كان هناك عدد من اطفال الزقاق يلعبون قرب نهر المجارى الأسود .. »

(٥) الزوجة : بل ما اشد جهلك انت .. كيف تكتبون نظريات عن ثقافة الطفل قبل ان توفروا الوسط المعيشى الصحى للطفل ؟

المشهد الأخير
يوم القرارات الحاسمة

(١) رجل يقرأ فى جريدة ان المؤتمر الحادى عشر لسعادة الطفل العربى ، الذى استطاع ان يحشد اكثر من خمسمائة «خبير » ومتخصص ودارس فى مجال ثقافة الطفل ، لمدة ثلاثة ايام ، اصدر قراراً بتخفيض رسوم دخول الأطفال للسينما .. واحال بقية المواضيع على جدول اعمال المؤتمر الثانى عشر القادم .

(٢) الرجل يضحك .

(٣) الصورة تنطفىء تدريجياً ..

أبو عروبة

مسافر على الرصيف



الخميسي .. والمنفى .. وأنا

بقلم : محمود السعدني

وعلى خشبة المسرح وجد الخميسي نفسه . ولاول مرة فى حياته يخضع ويمتثل ! كان اول من يحضر واخر من ينصرف .وكانت مسرحية .. «عزبة بنايوتى» .. من تاليفى ومن اخراج وبطولة عبد الرحمن الخميسى .

والحق اقول ان الخميسى كان يمكن ان يتالق كمخرج مسرحى لو انه سلك هذا الطريق . فقد اضاف الى النص باخراجه ابعاداً جديدة .. واثرى فهمه للنص جو المسرحية وبروز شخصياتها العديدة . واستطاع المخرج الخميسى ان يصنع نجوما من شباب حديث السن يضع قدمه لاول مرة على خشبة المسرح . وكان دور « القلش » هو اعظم دور لعبه ابو الفتوح عمارة فى حياته بالرغم من انه ازدهر واشتهر بعد ذلك .

وكان مسرح الخميسى هو الذى لفت انظار الحكومة إلى خطورة الدور الذى يمكن ان يقوم به المسرح ، واقطع بانه كان السبب فى انشاء مسارح التليفزيون التى اسسها امين حماد ، ثم نسب الفضل بعد ذلك الى الدكتور حاتم والدكتور زهران !

وكانت فرصة كبيرة عندما طفت ريف مصر وصحاريها مع مسرح الخميسى نعرض « عزبة بنايوتى » على الجماهير ، احيانا فى مسارح ، واحيانا فى الحقول ، واحيانا اخرى فى سرادقات اقيمت خصيصا لهذا السبب . ولم ار الخميسى فى حياتى متالقا وراضيا وسعيداً كما رايته فى تلك الفترة التى امتدت حوالى العام . كان يحب الصياعة ، وقد بدا مسروراً لهذه الرحلة التى جمعته مع فرقة من الصياع ! وكان يعشق الريف وخصوصا فى لحظات الفجر ، وهو الوقت الذى يتاهب فيه الخميسى للنوم . وقد عاش تلك اللحظات كثيراً خلال عام التجوال .

واكتشفت شجاعة الخميسى خلال رحلة المسرح . لم تقف فى طريقه عقبة ، ولا صده عن هدفه حاجز . ذات مساء غاب ممثل ولم يحضر فى موعده .واقترحت على الخميسى تاجيل العرض تلك الليلة ، ولكنه اطرق قليلا ، ثم طلب منى الصعود على المسرح لاداء الدور باعتبارى المؤلف واحفظ المسرحية عن ظهر قلب . ورفضت فى البداية ، ثم وافقت . ومرت الليلة بسلام رغم ارتباكي على المسرح . وذات مساء اكتشف المنظمون للحفل صعوبة اقامة مسرح ، ولكن الخميسى وجد الحل . وقدمت الفرقة المسرحية على مصطبة فسيحة من مصاطب القرية .

كان الخميسى فى تلك الايام فى حالة حب . كان غارقا لشوشته فى حب فاتن الشوباشى ، نجمة الفرقة .. وزوجته فيما بعد . واعتقد ان فاتن الشوباشى كانت حب الخميسى الوحيد خلال حياته الطويلة . واعتقد ان هذا الحب كان سر الالتزام والنشاط والاقبال الشديد على الحياة .

ولكن حماس الخميسى للمسرح وللفرقة فتر بعد زواجه من فاتن . وتعلق الخميسى بالموسيقى فجاة . وانهمك فى دراسة النوتة الموسيقية ، وانشغل فى دراسة العزف على البيانو . وانتهى خلال وقت قصير من تاليف ثلاث قطع موسيقية سجلها على اسطوانات وباعها لشركة من شركات القطاع العام . ولكن موسيقاه لم تكن فى مستوى الفنون الاخرى التى ابدعها الخميسى . واضطر الى هجر الموسيقى بعد أن تولاه كامل الشناوى بتشنيعاته ..

وقد روى كامل الشناوى ان الخميسى دعاه لسماع اسطوانة لومومبا .. وكان شهيد افريقيا قد لقي مصرعه على يد قوات موبوتو منذ وقت قصير . وجلس الشناوى واصدقاؤه يستمعون الى موسيقى « لومومبا » بينما الخميسى يشرح لهم بعض الحركات للموسيقية فى القطعة . فهذه الجملة الموسيقية تشرح بداية مجد « لومومبا » ، وهذه تعكس كفاح « لومومبا » بين صفوف شعبه ، وهذه تحكى مدى المعاناة التى لقيها اثناء فترة كفاحه .. ثم انتصار « لومومبا » ووصوله الى السلطة ، ثم المؤامرة ضده ،وانتصار الثورة المضادة ثم مصرع « لومومبا » فى النهاية !!

ويحكى كامل الشناوى وهو يضحك ضحكته العالية : « وعندما انتهت الموسيقى انبعث من الاسطوانة صوت المذيع يعلن : والآن استمعتم الى قطعة موسيقية من تاليف الأستاذ عبد الرحمن الخميسى بعنوان شارع الهرم !» وكان



كامل الشناوي



صلاح عبد الصبور



امل دنقل

الخميسى هو مؤلف القطعتين ، واخطا عند وضع الاسطوانة ، فوضع « شارع الهرم » بدلا من « لومومبا » ، ولكنه لم يفرق بين القطعتين !

وسواء كانت تشنيعة كامل الشناوى حقيقة ام مجرد افتراء ، الا انها كانت تعكس حقيقة موسيقى الخميسى . فلم يكن الخميسى مؤلفا موسيقيا ، وان كان من اكثر الناس تذوقا لها . وهجر الخميسى الموسيقى واتجه الى السينما .. مؤلفا ومخرجا وواضعا للموسيقى التصويرية وكاتبا للسيناريو والحوار ! واخـــرج الخميسى فيلمه الاول « الجزاء » ، وهو فيلم وطنى جيد لولا فقر الانتاج . فقد ظهر فى الفيلم عساكر انجليز فى لون اهل النوبة ! وعندما ابديت ملاحظتى للخميسى ، كان جوابه .. مفيش فلوس !!

ولكن الفيلم رغم فقر الانتاج كان جيد الاخراج . والقصة كانت من النوع الذى تتحاشاه السينما المصرية .. فهى عن كفاح الشعب المصرى ضد الاحتلال . وكان هذا افضل افلام الخميسى .. لان فيلمه عائلات محترمة كان اشبه بافلام حسن الامام . اما فيلم « زهرة البنفسج » والذى قام عادل امام ببطولته ، فقد عرض فى دار للسينما لمدة ثلاثة ايام فقط لا غير !

لم تكتمل تجربته السينمائية . وتوقفت لاسباب فى الخميسى نفسه . فالوقت فى السينما قيمة كبرى . وهو يترجم الى فواتير تضاف الى حساب الانتاج . والمنتج الجيد هو الذى ينتهى من اعداد الفيلم فى فترة معقولة . ولكن لان البساط احمدى عند الخميسى ، فقد استغرقته الديون . وامتنع كبار الممثلين عن العمل معه . والسبب أن الخميسى ليس تاجرا ، ولكنه فنان . وهو يريد ان ينتج افلاما ويعيش حياته فى نفس الوقت . وهى معادلة صعبة فشل الخميسى فى تحقيقها . وخرج من مولد السينما بفيلم جيد ، وفيلم هزيل ، وفيلم سيىء للغاية !

وعاد الخميسى من جديد عند مفترق الطرق لا يدرى أين المسير .. والمصير !

وفجاة هزته فاجعة رهيبة ، هى وفاة زوجته فاتن فى حادث اليم . ولا اعتقد ان الخميسى اهتز فى حياته إلا مرتين : مرة عندما خاض تجربة السجن . ومرة عندما واجه كارثة وفاة فاتن .

ولا اقصد ان السجن هز الخميسى بان خلع قلبه من مكانه ، بالعكس .. لقد كان الخميسى ثابتا طوال فترة السجن ، وواجه المحنة بشجاعة وصمد لها حتى النهاية . ولكن السجن ترك فى نفس الخميسى اثرا لا يمحى . وكان يردد دائما بمناســـبة وبلا مناسبة : « كل شىء مكلبش فى السجن يا ابنى . الشمس مكلبشة والنهار مكلبش والهواء مكلبش والحياة كلها مكلبشة » ! وظل بعد السجن يضيق بالجلوس فى الاماكن المغلقة والاماكن الضيقة . وكان يحب الخلاء والهواء الطلق والبيوت الفسيحة .

وكانت فاجعة موت فاتن اقسى على نفسه من اي حادث وقع له فى الحياة . انطوى الخميسي على نفسه فترة من الوقت وتفجرت فى داخله ينابيع الشعر بعد ان خيل للناس انها جفت . وكانت قصيدته فى فاتن الشوباشى هى اعظم ما كتب بعد شعره الرومانسى الحالم القديم . كانت قصيدة شاعر حزين ومكلوم بالفعل . واذا كانت النظرية تقول : « ان اجمل الشعر اكذبه » .. فقد اثبت الخميسى العكس ، واكد على ان .. اجمل الشعر اصدقه !

ولكن لان الخميسى قوى ، وحبه للحياة اكبر من اى حب وابقى من اى حب ، فقد تغلب على المحنة بعد فترة ، ومارس تجربة الشعر ، فنه الاول والاصيل . ولكن شعره الجديد كان يختلف عن شعره القديم كل الاختلاف . كان شعرا منثورا اقرب الى الشعر الافرنجى منه الى الشعر العربى . كان شعرا فاقد الروح والحرارة . وكان الخميسى يؤرخ به لاحداث يومية . وكان يحتل فى خانة الشعر المعاصر مكانا فى الذيل .

ومن هنا بدات ماساة الخميسى !

فقد سبقه فى هذا اللون من الشعر فرسان احتلوا ذرى عالية وقمما شاهقة . كان هناك صلاح عبد الصبور وحجازى وامل دنقل . فانصرف الخميسى بكل مواهبه الاجتماعية لينقل شعره الى العالمية . ونجح فى ترجمة شعره الى لغة اجنبية . واهتـم به بعض المستشرقيــــن وبعض هواة الأدب العربي من الخواجـــــات ، وتخصص بعض التلاميذ فى معاهد موسكو وبرلين فى دراسة ادب الخميسى وشعر الخميسى ، وتخصص بعضهم فى الخميسى نفسه . وحصل طلبة من هؤلاء على درجة الدكتوراه فى الخميسى وادبه .

واستهوت الحركة الجديدة الخميسى ، فانحاز بشعره الى العمل السياسى من اجل التقدم والتطور والسلام . ولم يعجب السلطة الحاكمة الموقف الجديد للخميسى ، فبدا الحصار . واحس الخميسى بانفاس العسس ووقع خطوات المخبرين . وشعر بان قضبان السجن تطبق عليه .. ففر هاربا ولجا اول الامر الى بيروت .

والحق اقول ان الخميسى كان من اشد الناس ثورة على الأوضاع المتردية فى مصر فى السبعينات . ولذلك كان خط الرجعة الى مصر مقطوعا امامه .. وكان المنفى مفروضا عليه . ولكن لان الخميسى كان له راى فى لبنان ، وكانت له قصيدة شهيرة فى وصف بيروت ، حيث كل شىء معروض للبيع فقد غادر الخميسى بيروت ذات يوم واختار بغداد منفى له .

وهكذا اصبح الخميسى منفيا ، وصار قدره ان يعيش خارج مصر .. وهو الامر الذى لم اكن اتصوره ، ولا اعتقد ان الخميسى كان قادرا على تحمله . ولكن هكذا شاءت الاقدار .. الخميسى فى المنفى ، وبعيدا عن مصر ..

ولكن هذا حديث اخر .

خطف الخطف

أو.. قصة أمير فذ

بقلم : فتحي رضوان

قبل أن تنتهى ثورة سوريا بقيادة سلطان باشا الأطرش فى سنة ١٩٢٦ ، كان هناك طرف ناء فى العالم العربى لم يسمع عنه العرب كثيراً ولا يزال ما يسمعونه عنه الى الآن اقل القليل ، ذلك هو ريف مراكش ، فى الشمال الشرقى من المغرب ، قد بدأ يثور .. ويتمرد ، ويأتى ابطاله بالغرائب والعجائب ، بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم .

فمن هو هذا الأمير الفذ ؟

حدثنى عنه الزعيم التونسى الكبير عبد العزيز الثعالبى ، الذى حمل فوق كتفيه عبء النضال الوطنى فى تونس ضد الاحتلال الفرنسى لسنوات عديدة كابد فيها السجن والاعتقال والتشريد ، واخيراً النفي الى مصر ، حيث طالت اقامته ، والف اهل القاهرة ان يشهدوا ذهابه وايابه فى شوارعها ، وارتياده بعض مقاهيها . ومشاركته فى ندواتها الادبية والدينية .

قال عبد العزيز الثعالبى :

الأمير محمد بن عبد الكريم ينتسب الى الأسرة الخطابية وهى اسرة عربية عريقة فى الريف تتقلد زعامة قبيلة (بنى ورغائل) وهى قبيلة بربرية تقطن الشمال الشرقى من بلاد الريف ، وهى اكثر القبائل عدداً ، واقواها نفوذاً ، واعلاها صيتاً فى العرب ، واغلب رؤساء هذا البيت الرفيع اشتهروا بالبطولة والبلاء الحسن فى قتال الأسبان .

وقد ولد هذا البطل فى أوائل القرن الرابع عشر الهجرى (القرن التاسع عشر الميلادى) ، وقد شب وترعرع فى حجر والده ، ودرس عليه مبادىء العلوم الدينية والعربية ، ثم رحل الى جامع القرويين فى فاس ، ودرس العلوم الاسلامية على اعلامه الى ان نال الاجازة العالية من علمائه ، ثم عاد الى بلدة (فليلة) ولحق بالمدارس الثانوية الأسبانية ، فاحرز شهادة الدراسة الثانوية فى مدة قصيرة ، ثم سافر الى اسبانيا وانخرط فى سلك تلاميذ جامعة (شلامنكة) واحرز فيها شهادة الحقوق والدكتوراه فى الآداب .

وخلال هذه الدراسات كان يقرأ تاريخ العرب ، وتاريخ حضارتهم ولاسيما فى الاندلس فهياته هذه الدراسات التقليدية النظامية فى مدارس الاسبان ، ودراساته الحرة فى تاريخ وطنه وامته العربية الى التطلع الى بذر بذور حركة وطنية تعمل على تحرير الوطن وخلق جيل جديد من شباب الريف ، يرفض حكم الاجنبى ، وينزع الى قلع سلطانه وتحرير المغاربة من ربقة السلطة الدخيلة .

كان يعرف الثقافة الغربية ، ويتذوق اعظم ما انتجته من ادب وتاريخ وتراجم ودراسات فى نشاة الامم ، واسباب تقدمها وعوامل انحدارها ، واساليب اهل اوروبا فى الحكم ، والسياسة ، ومناهجهم فى التنمية الاقتصادية ، ومذاهبهم المختلفة المتطرفة والمعتدلة .. وتاريخ ثوراتهم وما يقوله كبار كتابهم ومفكريهم فى الحضارة الأوروبية الحديثة ، ومزالق اهلها. وخلط هذا كله بدراساته العربية ، فتابع العرب منذ كانت رسالة جده محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، فامتلا عزماً على استعادة المجد العربى المندثر ، وقد هاله مدى الانحدار والتدهور الذى آل اليه المسلمون فتفرقوا وضعفوا واستذلوا .

وقد ادرك لتوه ، من قراءاته هذه وما ادت اليه من تاملات طويلة ، فى الحاضر العربى الاسلامى المؤسف ، الى قرار يقف عليه وتشبث به الى اخر عمره ، وهو ان سبيل الانقاذ هو الشباب . فالشباب هو عدة التغيير ، واداة البناء والتعمير ، وجيش المقاومة والجهاد ، فاختلط بالشباب واثار حميتهم ، ودعاهم الى القراءة والمقارنة المستمرة بين حاضرهم وماضى اوطانهم ، وبين العرب والغرب ، وبين حال فقراء المسلمين واغنيائهم ، فاعجب به هؤلاء الشبان ، وادركوا ان الذى يدعوهم الى القراءة الطويلة والتفكير المتصل هو زعيم يتهيا ليؤدى دوراً اكبر ، وادركوا انه يدعوهم ليكونوا عونه وعضده .

وكان عملي التفكير ، فقد استحث الشبان من أهل الريف لأن يدخلوا المدارس الحربية الاسبانية ، وان كانت بوتقة للمستعمر ومشتلا للغاصب الا انها السبيل الوحيد لتعلم الفنون العسكرية ، ومعرفة الاسلحة الجديدة ، وليحيطوا علماً بالتخطيط العسكرى والتدريب الحربى . فلبى عدد كبير منهم دعوة الأمير محمد بن عبد الكريم فهالهم شدة جهلهم بما يجرى فى العالم ، وبعدهم السحيق عن فنون الحرب

الأمير محمد عبد الكريم الخطابي



واساليبها ، ومدى تطور السلاح الحديث ، وادوات النقل من السيارات والمصفحات ، وبداية الدبابات .

وكان هؤلاء وهم بالبزة العسكرية الأسبانية يجتمعون فيتكلمون العربية ويعلنون سخطهم على حال اهل منطقتهم ، ويستوردون سراً كتباً عسكرية تحرم الادارة العسكرية وصول الشاب الأسبانى اليها ، ووقوفه عليها . فاصبحوا فى مثل كفاية اساتذتهم الاجانب وان كتموا علمهم الحديث ، واخفوا عن الادارة الاستعمارية انهم يتابعون ما يجرى فى المدينة بعين الناقد ، ويدرسون تطورات السياسة الدولية بروح الثائر .

وجاءت بعثة عسكرية المانية فى سنة ١٩١٦ الى الريف الأسبانى ، فاختلط عبد الكريم وزملاؤه من الضباط الوطنيين باعضاء هذه البعثة ، وسمعوا منهم دروساً فى الاستراتيجية العسكرية واموراً عن شئون الدول وأساليب الحكم وما ماجت به أوروبا انذاك من افكار حديثة ، ومذاهب طارئة ، فامتلاوا ايمانا بالتغيير ، واصراراً على المقاومة ، بعد ان كانوا يسيرون مغمضي الاعين وراء الحكومة الاسبانية الدخيلة ، يحسبونها اخر صور العظمة فى الحكم والسياسة .

ولم يكن ممكنا ان يستمر عمل محمد ابن عبد الكريم هذا على شدة خطره وعظم اهدافه ، سراً على الجاسوسية الرسمية . فلما ادركت ما وصل اليه الامير الشاب ، وما دعا اليه اخوانه ، تولاهم الفزع ، وبادروا باعتقاله شهوراً ، ولكنهم ما لبثوا ان تبينوا سوء مسلكهم ـ لان هذا الاضطهاد رفع من شان عبد الكريم ، فذاع اسمه على الالسن ، واصبح مثل الشاب الريفى الأعلى لكن الأسبان ادخلوا عبد الكريم فى الجندية ليحكموه بقانونها الصارم ، وضوابطها الشديدة .

وكانت الحرب العالمية الأولى فى تلك الفترة تجتاز ادوارها الأخيرة . فلما حلت سنة ١٩١٨ ووقعت الهدنة فى نوفمبر ١٩١٨ ، كانت الشعوب المحكومة كلها تنتظر نهاية الحرب التى قيل انها قامت لتحرر الشعوب الضعيفة ، ولتفتح الفرصة لكل امة مغلوبة على امرها ان تختار لنفسها حكومتها ، فلما تبينت الشعوب كذب هذه الدعوى الضخمة ثارت .. فى مصر وفى الهند وفى سوريا وفى تركيا ، وقامت فى كل ناحية من العالم ثورة أو وقع انقلاب .

وكما فعلت حكومة الحلفاء (الانجليز والفرنسيون والطليان) فى تركيا ، اذ اوفدت الضابط مصطفى كمال الى الاناضول ليسرح الجيش الوطنى ويتعقب الثوار الوطنيين ، فعلت نفس الشىء اسبانيا ، اذ ارسلت الأمير محمد بن عبد الكريم ليهدىء ثورة الريف ، بدعوى انه تعلم فى مدارس اسبانيا المدنية والعسكرية واتقن لغتهم واختلط بضباطهم وعائلاتهم ، وقبل الدعوة لتكون مدخلا له الى بدء العمل الثورى .

واتاحت له الظروف مناسبة الابتداء ، فقد كان يسير فى الطريق فى مدينة (مليلة) اذ شاهد ضابطاً اسبانياً يجلد بالسوط فلاحاً من اهل الريف جلداً موجعاً بدعوى ان دابة هذا الفلاح احتكت بالضابط وهو يسير ، فثار عبد الكريم وانقذ الفلاح من سوط الأسبانى ، ولكن الضابط عاود عدوانه ، فذهب عبد الكريم الى قائد المنطقة ، وطلب محاكمة الضابط المعتدى ، فرفض الجنرال فى صلف وتعال . فترك عبد الكريم مقر القيادة ، ومضى الى موطن قبيلته (بنى ورغائل) ، فاجتمع بعدد من رؤساء القبيلة يعرف حميتهم ، وشدة وطنيتهم ، فاهاب بهم الوقوف فى وجه الحكومة .

وفى ٢٠ من يوليه ١٩٢٠ اطلقت الرصاصة الأولى ، فهجم عشرة من اعوان عبد الكريم وهو فى مقدمتهم على مخفر للاسبان متقدم ، واستولوا على سلاح جنوده ، فكان ذلك أول تسليح للحركة الوطنية . وعرف الأبطال المغاربة جدوى السلاح الحديث الجيد وتدربوا عليه ، ودربوا عليه اخوانهم فزادت ثقة المقاتلين الوطنيين ، وعاودوا الهجوم على مخافر مماثلة ، وزاد السلاح فى ايديهم ، ونقلوا بعضه الى الداخل ، فتذوق اهل الريف فى اعماقه متعة حمل السلاح القوى بعيد المدى .

الا ان حكومة اسبانيا اعتبرت كل هذه الهجمات نوعا من قطع الطريق ، واعتبرت

خطف الخطف
أو.. قصة أمير فذ

حركة عبد الكريم كلها تمرداً محدود النطاق قليل القيمة . فارسلت اليهم كتائب اسبانية فاذا الكتائب تهزم ، واذا بها تجرد من سلاحها وتعود بلا شرف مغلوبة وعزلاء . فزادت الكتائب عدداً ، وزاد تسليحها . وكان الريفيون قد تسلحوا وعرفوا الطريق الى سلاح يرد اليهم سراً ، فنازلوا الكتائب الأسبان التى تضخمت وتولى قيادتها ضباط كبار .

ولما بلغ عدد رجال عبد الكريم خمسمائة فقط ، خافت الحكومة العسكرية الأسبانية ! . ولما وقعت موقعة (انوال) الشهيرة ، التى خاضتها اسبانيا بقيادة قائدها المتغطرس المغرور سلفستر ، ونزلت بها الهزيمة فى سنة ١٩٢١ ، تردد صدى هذه المعركة لا فى الريف والمغرب وحده ، بل فى اسبانيا نفسها ،وترك الالوف من اهل الريف قراهم ومزارعهم وبساتينهم ، وتطوعوا فى جيش عبد الكريم الوطنى ، وادرك القائد المظفر ان سبيل النصر لم يعد البندقية وحدها ، بل لابد من حكم وطني فى المنطقة ، يؤمن اهلها ، وينظم احوالها ، واسرع فانشا المدارس والمحاكم ، وشق الطرق وضرب ايدى اللصوص ووفر الامن . وبالجملة .. أصبح عبد الكريم رئيس دولة ومشرعا ، ورجل سياسة . وتوالت انتصاراته ، وهزت حكومة الملك الفونسو الثالث عشر ، اخر ملوك اسبانيا قبل خوان كارلوس ، وحكومة رئيس وزرائه الديكتاتور بريمو دى ريفيرا . فقد ارسلت الحكومة المركزية فى مدريد قائداً برتبة جنرال وراء قائد بنفس الرتبة ، ليقف فى وجه الزحف الوطنى ، الذى كان يقوده الأمير عبد الكريم حربيا ومدنيا بكفاءة ، فلا يظفرون الا بالهزيمة والخيبة ، حتى انتهى الأمر بسقوط الحكم الملكي ، وهرب الملك ، وأسس عبد الكريم جمعية وطنية انتخبها الشعب وعقدت اول اجتماعاتها فى ١٩ من سبتمبر ، وانتخبه رئيسا لها وقائداً عاما لجيوشها ، ووضعت هذه الجمعية ميثاقا وطنيا تضمن مواداً ننقل منها ..

اولا .. لا يقر الشعب اى معاهدة تمس حقوق البلاد او تنتقص شيئا منها ولا سيما معاهدة سنة ١٩١٢ التى فرضتها فرنسا على ملك المغرب .

ثانيا .. اجلاء الأسبان عن المنطقة الريفية التى لم تكن فى حوزتهم قبل سنة ١٩١٢ .



ثالثا .. ان تدفع اسبانيا لدولة الريف تعويضا عن الخسائر التى لحقت بها من جراء الاحتلال فى السنوات الاثنى عشر الماضية وفدية للاسرى الذين وقعوا فى ايدى الوطنيين .

واصدر عبد الكريم قوانين اجتماعية فرض فيها الزواج على الشباب القادرين بعد بلوغهم سنا معينة واستحثالهم على الزواج من ارامل المجاهدين الذين استشهدوا فى القتال . وايفاد عدد كبير من هؤلاء الشبان الى جامعات أوروبية ، مع العناية الخاصة بالمستوى الصحى ، لانعدام المستشفيات فى منطقة الريف ابان حكم الاستعمار .

ولما عجزت اسبانيا عن انزال الهزيمة بالأمير عبد الكريم واتسع نطاق حركة التحرير ، وخشيت فرنسا فى الوقت نفسه من اثر انتصارات الريفيين على مركزها فى المغرب ، القت فرنسا بجيوشها واموالها وعتادها لتطويق عبد الكريم وحصاره ، فظهرت براعته الحربية بما اذهل الغرب ، واصبح على كل لسان تعبيراً عن الاعجاب به والاشادة بحسن قيادته وشجاعته وشجاعة جنوده مع قلة الزاد وضعف المعدات والعجز عن التسليح الحديث امام دبابات ومصفحات وطائرات دولتين اوروبيتين عسكريتين عرفتا الحروب الكبرى .

جاءت فرنسا باكبر قوادها لتحارب هذه الدولة الفتية وجيشها الصغير الذى لم ينقض على ميلاده الا اقل القليل من الزمن فاصاب شرف فرنسا العسكرى ما اصاب شرف اسبانيا ، فالجنرالات الكبار هزموا تباعا حتى اضطرت فرنسا الى استدعاء قائد قوادها الجنرال (ليوتي) من الاحتياط لينازل عبد الكريم .

واخيراً لطول الحرب ، ولأن العرب كانوا انذاك فى اعمق فترات بؤسهم وكان الاحتلال الأجنبي جاثما على صدورهم ومقيداً لحركتهم ، فاضطر عبد الكريم الى التسليم بعد ان انشا بلداً واقام دولة وسجل من الانتصارات ما تجاوز كل ما تصوره الاصدقاء والاعداء معا .

ونفي عبد الكريم وقلوب الوطنيين تنزف دما الى احدى جزر المحيط الهندى سنوات طويلة بلغت العشرين . وفى سنة ١٩٤٧ يبدأ الفصل الثانى من هذا المقال .

• • •

فقد كان فى مصر فى تلك الآونة صحفى فلسطيني ، عرف بنشاطه المتقد ، ولسانه الحاد ، وقلمه العنيف وعداوته للاستعمار فى بلاده وفى بلاد العالم . ذلك هو المرحوم الأستاذ محمد على الطاهر ، الذى كان يصدر فى مصر (مجلة الشباب) ويتولي تحريرها ، ويرسلها الى كل جانب من جوانب العالم العربى ، والعالم الاسلامى معا . وكان هو محررها الاول ، ومراسلها الأوحد ، ومديرها الذى لا يعاونه احد . كان قصير القامة ، نحيلا ، عصبيا ، فى عينيه حول ، وفى لسانه لثغة خفيفة ، ولكنه كان شعلة متقدة من الوطنية ، ومن النشاط ومن اليقظة .

وفى ذات يوم طرق باب مكتبى الذى كان انذاك فى شارع السلحة ، ودق باب حجرتى بمقبض عصاه المصنوع من العاج دقات عصبية متلاحقة ، وقال : ماذا تفعل يا بطل؟ قم واسمع ما اقوله لك عن فرصة من فرص المجد .

ونظرت اليه ، ماخوذاً بهذا الافتتاح المثير ، ولم اتكلم .

ـ مالك يا اخى جالس فى مكانك ؟ الم تسمع ما قلت ؟ قلت لك انها فرصة مجد . ولكن الامر جد كله ، ولا هزل فيه .

ـ فقلت بعد لأى . ماذا تطلب منى ؟

فقال : اطلب منك اما ان تتصل بابراهيم باشا عبد الهادى رئيس ديوان جلالة الملك فوراً وشخصيا ، أو بالنقراشى باشا رئيس الوزراء بلا تردد .

وسالت عن الخبر ، فقال لي ان تاجراً فلسطينياً يعمل فى دول شرق افريقيـــا (كينيا والصومال وما حولها) علم ان فرنسا قررت اطلاق سراح محمـــد بن عبد الكريم من جزيرة اتشيسون واعادته لا الى بلده بل الى فرنسا نفسها فارسل برقية الى محمد علي الطاهر لعلمه بان هذا النبا يهم الأستاذ الطاهر وذكر فى برقيته اسم الباخرة التى ستقل محمد بن عبد الكريم هو وشقيقه واولادهما ، وموعد وصولها الى السويس ووصولهـــا الى مارسيليا . واضاف الأستاذ الطاهر بانه اتصل بدوره بالمجاهدين المغاربه فى مصر ، فهالهم النبا ، وازعجهم ان يبقى الأمير فى قبضة الفرنسيين وعلى مقربة من المغرب والجزائر ، اذ لا يبعد ان تحاول فرنسا استغلال وجود عبد الكريم فى يدها لتبث الفرقة بين المجاهدين بطريقة او باخرى ، وانه لابد ان يُفْعَلَ شيءٌ لكيلا يصل الأمير الى فرنسا . ومما يعين على ذلك ان الباخرة الفرنسية التى تقله تمر فى ارض مصرية طوال اكثر من ست ساعات مما يمنح السلطة المصرية فرصة العمل على الوجه الذى تريده .

ولم احتج الا لبضع دقائق ، قررت بعدها ان اعمل . فاسرعت الى الاتصال بمكتب رئيس ديوان الملك الأســـتاذ ابراهيم عبد الهادى باشا ، وكان مدير مكتبه شاب اعرفه فافضيت اليه بالنبا وطلبت منه ان يتدخل الملك حالا بانزال الأمير محمد بن عبد الكريم من الباخرة الفرنسية عند وصولها الى الأرض المصرية فى مينـــاء السويس .

وجاء الرد مخيباً للآمال وفى الحال . لقد طلب مني رئيس الديوان ان اتصل بالحكومة .

وكان وزير الخارجية ورئيس الحكومة شخصاً واحداً هو محمود فهمى النقراشى باشا وكان رجلا وطنيا ، احاط حبل المشنقة بعنقه حينما اتهم فى اكبر قضية سياسية فى العقد الثالث من القرن الحالى ، اذ نسب اليه الانجليز انه ادار عصابة من الشبان المصريين الذين قتلوا عدداً غير قليل من الضباط الانجليز عقب ثورة ١٩١٩ وقتلوا معهم عدداً من المصريين الذين عرفوا بممالاة الاحتلال البريطانى .

فذهبت فى الحال الى وكيل وزارة الداخلية للشئون الدينية الأستاذ محمد فهمى الجديلي ، وكان من اقرب الناس الى رئيس الوزراء ووزير الخارجية النقراشى باشا . ووجدت الرجل مشغولا بدراسة مسالة فقهية ، وكان قد تخفف من حذائه فخلع نعليه ، وحمل بين يديه مجلداً ضخما من الكتب الدينية . ولكنه نحى ما كان بيده واحسن استقبالى ، وفهم مني المسالة واهتم بها اهتماما كبيراً ، واتصل بالحال برئيسه النقراشى باشا وزير الخارجية وافضى اليه بالنبا ، فاهتم الرجل فى الحال به ، وطلب ان ترسل له مذكرة مفصـــلة بالموضوع . وانتحيت فى حجرة الأستاذ الجديلي ، وكيل الوزارة بوزارة الداخلية ، وكتبت فى الحال بضعة أسطر بما علمته عن عودة الأمير عبد الكريم على ظهر سفينة فرنسية ، تنوى نقله الى فرنسا . وارسلت المذكرة الى رئيس الوزراء ووزير الخارجية مع ساع الى ديوان وزيـــر الخارجية فى قصر الأمير يوسف كمـــال ، الأمير السابق .

ثم اصبح من الواجب السفر فوراً الى السويس والبقاء الى جانب محافظ الميناء لتوجيهه الى ما يجب عمله ، وسافر عدد من اعضاء مكتب المغرب الذين كانوا لاجئين الى مصر وعاملين لقضية بلادهم فيها .

ولما اوقفت الباخرة على رصيف مينـــاء السويس ، صعد المغاربة وقابلـــوا الأمير عبد الكريم وشقيقه الأصغر محمد وباقى عائلته . ولكن الامير عبد الكريم رفض فى الحال ان ينزل الى ارض مصر ، مع ان المغاربة افهموه ان تجار واهل السويس يريدون ان يقيموا له احتفالا بمناسبة الأفراج عنه ، وعودته الى الحرية بعـــد سنوات طويلة من الأسر والنفى والاعتقال . لكن الأمير تشبث بقرار الرفض واشاح بوجهه عن وجوه الذين جاءوا لينزلوه الى ارض مصر .

وقد كان الأمير معذوراً ، فقد كان فى حالة صحية سيئة جداً ، وكان بعده الطويل عن ضجيج الدنيا ، وعن مقابلة الاغراب جعل استيعابه لما مثله له الوطنيـــــون المغاربة صعبا . فهبط هؤلاء المغاربة من المركب الى رصيف ميناء السويس كاسفى البال حزانى . ولكن المدة بين مينـــــاء السويس فى الجنوب وعلى البحر الاحمر ، وميناء بورسعيد على البحر الابيض كانت كافية لان يهدا جأش عبد الكريم وان يستوعب اخوه ومستشاره الحالة ، وان يصدر قراراً بوجوب انزال الأمير الى مصر .

فلما وصلت الباخرة الى بورسعيد ، صعد المغاربة ومعهم عدد من اهـــالى بورسعيد وفى مقدمة الجميع المحافظ فؤاد بك شرين ، واختلى المحافظ بالأمـــير عبد الكريم وباخيه ، ووافق الرجلان على النزول الى بورسعيد .

واحس قائد الباخرة ان فى الأمر شيئاً ، فاراد ان يحول بين الزعيم الريفي وبين الهبوط الى ارض مصر ، ولكن المحافظ افهمه ان من حق اهل بورسعيد ان يحتفوا ببطل وطني كالأمير عبد الكريم وهو يمـــر بوطنهم ، واذعن قائد الباخرة لهذه الحجة او بعبارة ادق للقوة التى لوحت بها مصر ، ونزل المجاهد عبد الكريم ومعه اهله .

ولما حان موعد تحرك الباخرة فى طريقها الى مرسيليا ، لم يعد عبد الكريم اليها ، واحتج الضابط الفرنسى وارغى وازبـــد ، ولكن لم يلتفت اليه احد .

فمضي عبد الكريم الى مصر ، وقد ذاع نبا حلوله بالقاهرة ، فتوافدت المئات ثم الالوف الى بيت للغرب ليقدموا للبطـــل المجاهد التهنئة بالحرية والتحية بمناسبة المجيء الى مصر ..

وعاش محمد بن عبد الكريم بطل الريف العظيم وصاحب الانتصارات البـــاهرة والخالدة بين اهله وبني قومه المصريين حتى لقي ربه فى العقد السادس من هذا القرن .

والعجيب الذى لم اجد له تفسيراً انه لم يتم بيني وبين عبد الكريم لقاء واحـــد منذ وطات اقدامه ارض مصر ، حتى لبى نداء ربه ، مع ان شقيقه كان كثير التردد علي . ولكنى مع ذلك كنت شاعراً بالأنس والسعادة ، اذ كان الأمير العظيم جاراً لنا حيث اقلم فى حى حدائق القبة ، وانه لم يذهب الى فرنسا التى حاربته وحاصرته ونفته ، وبقيت فخوراً ان كان لي نصيب صغير فى هذا الحدث الكبير الذى اسميته « خطف الخطف » ، فقد خطفنا من فرنسا الامير محمد بن عبد الكريم وهى تنوى خطفه من شعبه وبلاده والذين يقدرونه ويعجبون به بطلا ومحرراً ومؤسس دولة .

فتحي رضـــوان

الخيل في الأدب الشعبي

بقلم
عباس خضر

الخيل فى الأدب العربى على وجه عام لها شان كبير ودور بارز ، سواء فى أدب الخاصة أو أدب العامة ، وافضل تسمية « أدب الخاصة » على ما يسميه بعض الزملاء « الأدب الرسمى » فليس كله « رسميا » بمعنى انه يعبر عن الملوك والامراء واكثره من غير ذلك .

واقصد بادب العامة الادب الشعبى ذا المناحى والالوان المختلفة ، من قصص الهلالية الى سير الأبطال كسيرة الأميرة ذات الهمة وسيرة حمزة البهلوان ، الى حكايات الف ليلة وليلة ... الخ .

والاهتمام بالخيل فى الادبين له انعكاس فى واقع الحياة العربية ، فالعربى يعشق فرسه ويعده من ضرورات حياته ، كما قال امرؤ القيس ان ركوب الخيل من اكبر لذات الحياة عنده ، وقد اكثر من وصف الخيل والتعبير عن مشاعره نحوها فى شعره .

وقد اخذ لفظ « الفارس » و « الفروسية » من الفرس . ولو تاملت حياة العربى قديما وحديثا لوجدته فرسا يميل بطبعه الى الخيل ، ومازال سباقها من امتع المتع فى بلادنا العربية ، حتى الشاب الحديث الذى امتطى السيارات الحديثة ، تراه يسوق السيارة بمنتهى السرعة ، مكبا على عجلة القيادة ، كما يكب الفارس على ذؤابة الفرس ، واجدا فى ذلك ماكمن فى اعماقه موروثا عن اجداده من حب الخيل وركوبها ومعاشرتها .

وما يزال حب الخيل والعناية بهـــا مستقرا فى المجتمع العربى وخاصة فى المملكة العربية السعودية حيث يعنى القوم هناك بالفروسية وسباق الخيل ، وتمنح الجوائز الكبيرة للفائزين من أصحاب الخيول وفرسانها . وتعد الخيول العربية اعظم الخيول فى العالم يتهافت عليها عشاق الخيل فى جميع البلاد ، وتباع بأثمان باهظـــــة تبلـــغ ملايين الدولارات .

وليس كالادب الشعبى فى صدق التعبير عن مشاعر الناس الذين يصدر عنهم ذلك الأدب مصورا لما يجيش فى وجدانهم ، وهو يخاطب امة العرب والاسلام فى كل مكان ، ويجد فيه سائر العالم ما يجذب الناس إليه . لم يشتهر شىء عربى فى العالم كما اشتهرت الخيول العربية وحكايات الف ليلة وليلة .

وقد زخر الأدب الشعبى بما يحكى عن الخيل ورياضتها وعشاقها .. وللخيل فى هذا الأدب اسماء كاسماء الناس ، وترسم فيه كما ترسم الشخصيات ، وقد تدور عليها الحوادث كما تدور على الأبطال .

واذكر مثالا لذلك الواقعة التالية :

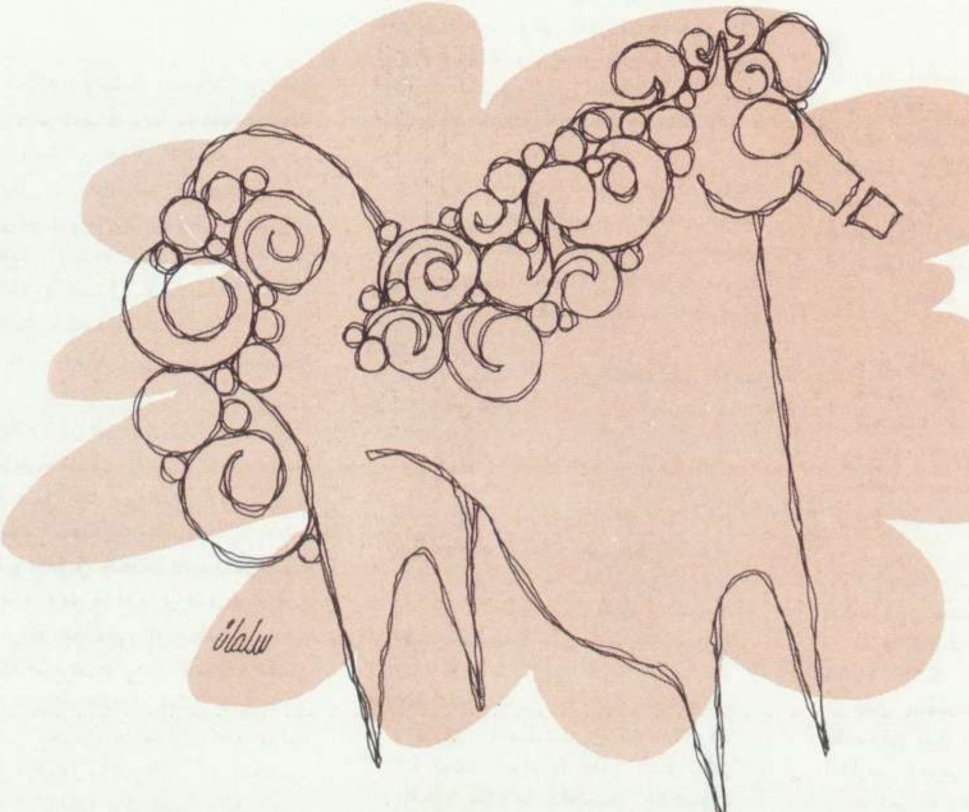
هجرة بنى هلال

كان بنو هلال فى طريقهم من نجد التى اجدبت ارضها الى تونس الخضراء ، فمروا بمصر ، ونزلوا ضيوفا على حاكم الصعيد « الماضى بن مقرب » وقد استقبلهم بالترحيب واكرمهم غاية الاكرام .

وكان على راس بنى هلال اميرهم حسن ابن سرحان وفرسانهم المشاهير ابو زيد الهلالى ودياب بن غانم والقاضى بدير بن فايد .

وضربت القبيلة خيامها فى الباديـــــة القريبة ، وصار كبارها يترددون على قصر الحاكم تلبية لدعوته الى ما يقيمه لهم من الولائم ، ويقضون معه الاوقات فى الاسمار

كان ركوب الخيل من اكبر لذات الحياة عند العربي القديم



وانشاد الاشعار والعزف على الاوتار .

وذات ليلة بعد ان انصرف فرسان بنى هلال من مجلس حاكم الصعيد تقدم إليه احد الأعوان وقال له :

الجـــازية

ـ بلغنى يا ملك الزمـــان من بعض النسوان انه توجد فى بنى هلال امراة بديعة الجمال عديمة المثال فى الحسن والكمال والقد والاعتدال وفصاحة المقال ، لا يوجد مثلها بين الخلق ، لا فى الغرب ولا فى الشرق ، اسمها « الجازية » كانها الشمس الضاحية . ان خطبتها منهم حصلت على السرور والانشراح ، لان طلعتها تنعش النفوس والأرواح .

وايد بعض الحاضرين كلام المتحدث ، وقالوا إن الجازية هى اخت الأمير حسن .

قال الماضى بن مقرب :

ـ يا قوم ، ما لهذه المسالة من وجه ، فانى اخشى ان يقولوا : الماضى يطلب حق ضيافته لنا بنتا من بناتنا ..

وقال احد الحاضرين :

ـ لقد سمعت انا بخبر هذه الصبية وما فيها من المحاسن البهية ، ولكنى اعلم انهم لا يزوجونها باحد ولو كان من الملوك واعاظم العمد ، فاذا كان لابد ايها الملك من ذلك فاطلب اولا فرس دياب المســـماة بـ « الخضرا » التى لا يوجد مثلها فى جميع الممالك ، وانا اعلم انه لا يعطيها لان نفسه معلقة فيها ، فاذا ما طلبت بعد ذلك يد الجازية خجلوا ان يردوا لك الامنيــة الثانية .

وكتب ابن المقــرب الى الأمير حسن يطلب منه الخضرا .. ولم يفته فى اخـــر الرسالة ان يبدى استحياءه من هــــذا الطلب ..

فرس دياب

وقرا الامير حسن خطاب ابن المقرب ، ثم أعطاه لـ « أبو زيد »ليطلع عليه وهو محتار ، وقال له :

ـ ما الراى عندك ؟ انا اعلم ان دياب لا ينزل عن الخضرا ولو هلك بنو هلال ..

ـ الراى عندى ايها الأمير ان اذهب انا وانت والقاضى بدير الى منزل دياب ونطلب منه ان ينعم بالخضرا وندفع له عوضها ما يريد من خيول او اموال .. والا ساءت حالنا وانشغل بالنا ..

استمع دياب إلى كلامهم فى دهشـــة وغضب .. فـانه يتوقع كل شىء ويتحمل مصائب الدنيا كلها الا ان تفارقه الخضرا .. الخضرا التى رباها منذ الصغر وصارت

الخيل في الأدب الشعبي

جزءاً من حياته ، لا يشعر بسعادة ولا قوة كما يشعر وهو فوق ظهرها .. انها حصنه المنيع اذا اشتدت اهوال الحرب ،وانيسه الذى لا يمل اذا طال السفر ، وهى كانت رسوله الى قومه يوماً وقد وقع فى خطر ، اذ احتال عليه الاعداء حتى انتزعوه من سرجها واخذوه اسيراً .. فعادت الى منزله تجرى وتطلق صهيلا كانه البكاء .. فلما راتها ابنته « وطفا » وسمعت صهيلها صاحت :

– يا ويلاه ! ان ابى فى شدة .. هــذه الخضرا تنبىء بذلك .

واسرع ابو زيد وباقى الفرسان ، وخلصوا دياب ، ونكلوا بالأعداء .

ان دياب الفارس العنيد لم يشغل قلبه بحب امراة ، وهو يشعر ان الخضرا هى حبيبته .. وقد استفظع ان تطلب منه .. انهم يرونها انها عنده مجرد فرس .. تغني عنها فرس .. وكاد عقله ان يطير حين سمع الأمير حسن يعرض عليه ان ياخذ بدلها ما يريد من الخيول والاموال .. هل الخضرا شىء يباع ؟ ! ولكنه ملك نفسه وقال له :

– يا امير حسن ، كل شىء عندى فى قبضة يدك الا الخضرا ، ما فيها تفريط ، لان روحى وروحها سيان ..

ونظر اليه خاله القاضى بدير بن فايد وقال له معاتبا :

– ما هذا الكلام يا دياب ؟ كيف نقصدك فتردنا خائبين من اجل فرس ؟!

– يا خالى ، ان الخضرا اعز على من البنين والبنات ، فخذوا غيرها ما تريدون من الخيول ، فانا لا اعطيها لاحد ولو اجتمعت على كل الخلائق .

خرج الأمير حسن وابو زيد والقاضى بدير من عند دياب يائسين ، وبينما هم يهمون بالركوب عائدين الى مضاربهم راهم غانم ابو دياب ، فعزم عليهم ان ينزلوا عنده ، وذبح لهم واكرمهم ، ثم انفرد بابنه دياب وعاتبه عتاباً شديداً ، وامره ان يجيبهم الى طلبهم ويعطيهم الخضرا .. فلا يليق بالعربى ان يمنع ماله عن اهله واصدقائه .

ولكن المشكلة كانت عند ديــاب انــه لا يعتبر الخضرا مالا .. يهديه الصديق الى صديقه او القريب الى قريبه ، انها كائن صديق حبيب .. وهو يحميها كما يحتمى بظهرها ، وقد تعود ان يحل المشاكل بالسيف ، وطالما صال وجال فى ميادين القتال وصرع الأبطال ، والويل لمن يقف فى طريقه أو يتحداه ،ولكنه اليوم يجابه موقفا لا سبيل فيه الى الضرب والطعان ، فهؤلاء أهله وعشيرته وابن المقرب مضيفهم الذى انزلهم فى ملكه ولم يدخر وسعا فى اكرامهم والانعام عليهم وتوفير اسباب الراحة لهم ، فاكتسب بذلك حق الصديق وحرمة الحليف المعاهد .

ولكن الخضرا .. هى الخضرا .. ويلك يا دياب ، وياطالما ناداه الفرسان قائلين مهددين : ويلك يا دياب ! فكان يهجم ويرد لهم الويل .. اما الآن فان كلمة « ويلك يا دياب » التى يقولها لنفسه ذات مذاق آخر .. مر !

اسرج دياب الفرس وقادها الى الأمير حسن وهو يقول :

يقول الفتى الزغبى دياب بن غانم
انا صاحب الهمات فى يوم الطراد
يابو على انا ما بخيل ولا ردى
ولا انت للخضرا لديك مراد
لكن ستعطيها الى ابن مقرب
انا بالفرس اولى من الابعاد
وما طاق قلبى يا امير فراقها
وربيتها احسن من الأولاد
انا تحت امرك يا امير ابو على
فافعل بنا ما تفعل الأجواد

وكان للأمير حسن ولد اسمه علي ، ومن هنا تشيع بيننا الآن مخاطبة كل من يسمى حسن بابى على .. اعلاء لشانه بتشبيهه بالأمير حسن .

شكر الأمير حسن دياب بن غــانم ، واستدعى رسولا وأمر أن يسير بالخضرا الى الماضى بن المقرب ، فتقدم إليها دياب وعانقها وهو يحس لأول مرة فى حياته بقلبه يكاد ينفطر من البكاء المكبوت ..

دهش الماضى عندما وصلته الخضرا ، فلم يكن يتوقع ان يفرط فيها دياب ، وقد شعر بالندم لاحراج ضيوفه ، كما شعر بخيبة الخطة المرسومة للوصول الى الجازية .. وجعل القوم يهنئونه بهذه الفرس العربية التى لا نظير لها بين الخيل وهو غارق فى افكاره ومشاعره .

وبينما هو كذلك اذ وصله رسول من مكة يحمل رسالة من اميرها « شكر الشريف بن هاشم » وفيه يقول له ان زوجته « الجازية » هجرته ورحلت مع اهلها بنى هلال الى المغرب ، وانه علم انهم نزلوا عنده ، ويرجوه أن يتوسط فى الصلح بينه وبين زوجته ، حتى تعود اليه والى ابنهمـــا « محمد » الذى يبكى لفراق امه ..

اذن فالجازية متزوجة وام .. ام محمد .. على خلاف ما زعم الزاعمون ، وحمد الله على انه لم يتورط فى طلب يدها .

الصهيل الحزين

اراد الماضى ان يقوم بالصلح بين امير مكة وزوجته « الجازية » وقبل ان يذهب الى قومها جاءه سائس الخيل واخبره بان الخضرا لا تاكل ولا تشرب وانها تصهل صهيلا حزينا كانها فقدت ولدها ! فامر باسراجها واعدادها مع هدايا كثيرة ، وارسلها الى بنى هلال فى مضاربهم ، وكتب كتاباً واعطاه للرسول ، وفيه يقول :

يابو علي ارسلت خضرا إليكمو
تحف بها الفرسان والانجاد
الخضرا فرس اصيلة متاصلة
ومالها الا دياب الخيل سيد الاجواد
واطلب صلح الجازية ام محمد
وخذ ما تشا يا سيد الاجواد

قرا حسن رسالة ابن المقرب . وكان دياب حاضراً فى مجلسه ، فقال له :

– ها فرسك قد رجعت اليك يا دياب ، فخذها واشكر الرحمن على هذا الاحسان .

فقال دياب وهو يشعر فى نفســه بالصراع بين حبه للفرس وبين طبــع الفارس العربى :

– انى ما وهبت شيئا قط ثم عــدت استرجعه .. فابقها لك واجعلها من جملة خيولك .

– هذا لا يكون ، اكثر الله خيرك ، فانت صاحب المعروف واحق بها من غيرك ، وانت لم تسترجعها ، وانما رجعت اليك حلالا عليك .

وكان دياب فى اثناء هذا الحديث يتجنب النظر الى الخضرا حتى لا يغلبه الشوق إليها ، فلما سمع من الأمير حسن ما سمع ، وطابت به نفسه ، قام اليها ، وامسك زمامها بيسراه وتحسس كتفها بيمينه ، فلما شعرت الفرس بكفه ارتعش بدنها ، ورنت اليه وهى تحمحم .. وعلم انها تقول له كلاما كثيراً فيه عتاب وشوق وحنين .. فاسرع بها ليخفي عن القوم دموعاً تريد ان تسكب من عينى الفارس العنيد .. دموعاً كتمها فى قلبه يوم فارقته الخضرا ، ففاضت الآن دموع فرح ..

عباس خضر



بقلم : الدكتور محمد البهي

"المعروف"

● تاتي كلمة : « المعروف » في آيات عديدة في القرآن الكريم ،وتاتي وصفاً : لقول أو فعل ، أو سلوك .ومعناها المشترك فيما تاتي به ، هو : غير المنكر في عقول الناس فاذا وصف بها القول على نحو ما تذكر الآية : « ويقول الذين آمنوا : لولا نزلت سورة فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال ، رايت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ،

فاولى لهم .طاعة ،وقول معروف،فاذا عزم الأمر ، فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم » (محمد : ٢٠ ، ٢١) فان المراد عندئذ بالقول المعروف : القول غير المنكر وغير المستهجن في عقول الناس ، وهو القول الصدق .ولذا كان التعقيب فيهذه الآية : « فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم » . اذ عندما سال المنافقون : سورة في القرآن يحدد فيها طلب القتال من المؤمنين ،كانوا كاذبين مع انفسهم فيما طلبوه بدليل انهم عندما طلب القتال بالفعل ـ عن طريق الوحي ـ ذهلوا ونظروا الى الرسول عليه الصلاة والسلام نظرة الخائف المرتعد من الموت : « فاذا انزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رايت الذين في قلوبهم مرض (وهم المنافقون) ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت » ولذا : كان نصح القرآن اليهم : ان يلتزموا الطاعة فيمايؤمنون به ان كانوا مؤمنين حقاً كما يحرصوا على ان يكون قولهم معروفاً ، اي غير منكر في عقول الناس . وهو القول الصدق المعبر عن الحقيقة : « فاولى لهم : طاعة ، وقول معروف » .

واذا جاءت ـ كلمة المعروف ـ وصفاً لفعل ، كما في قول الله تعالى : « وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح ، فان آنستم منهم رشداً ، فادفعوا اليهم اموالهم ولا تاكلوها اسرافاً وبداراً ان يكبروا ، ومن كان غنياً فليستعفف ، ومن كان فقيراً فلياكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم ، وكفى بالله حسيباً » (النساء : ٦) .. فالقصد بالأكل بالمعروف ، هو : الأكل غير المنكر في عقول الناس ، وهو الأكل المعتدل ، البعيد عن الاستغلال اذ تنهى الآية فيما تذكر : « ولا تاكلوها اسرافاً وبداراً ، ان يكبروا » (اى لا تاكلوا ايها الأوصياء اموال اليتامى منتهزين فرصة صغرهم في السن عند مباشرتكم لاستثمارها بسبب اسرافكم ووقوعكم تحت تاثير الاتجاه المادى فى الحياة » . اذ نهي الآية عن عدم المساس باموال اليتامى على هذا النحو .. يجعل الاصل في الوصاية على هذه الأموال : صيانتها وابعادها تماماً ، عن ان تكون نهباً للضياع في اية صورة . وهذا معناه : ان الوصي لو كان في اشرافه على مال اليتيم ، في حاجة لان ياخذ منه نظير جهده في المباشرة ـ وليس له من مال خاص ما يعوضه عن هذه الحاجة ـ فان اخذه من هذا المال عندئذ : يجب ان يكون اخذاً غير منكر في عقول الناس : « ومن كان غنياً فليستعفف ، ومن كان فقيراً فلياكل بالمعروف » . وغير المنكر في عقول الناس في الأخذ من مال اليتيم هو الاخذ بالاعتدال ، بحيث يبتعد فيه عن معنى الاستغلال .

واذا اتت ـ كلمة المعروف ـ وصفاً لسلوك وموقف ، كما في قوله جل شانه : « واذا حضر القسمة : أولوا القربى ، واليتامى ، والمساكين ، فارزقوهم منه وقولوا لهم : قولا معروفا » (النساء : ٨) ..

فموقف اصحاب التركة هنا تجاه الأقرباء ، واليتامى والمساكين ، اذا ما حضروا قسمتها ، هو : إعطاؤهم شيئاً من الارث ، مصحوباً هذا الاعطاء بلين القول لهم اي مصحوباً بتعبير لا تنكره ولا تستهجنه عقول الناس . وهو التعبير اللطيف ، والبعيد عن الايذاء المعنوي . اذ العطاء المادي لمن هو في حاجة اليه ، لايدل على طبيعة خيرة من المعطي ولا على انسانية فيه ، ان المعطي آذى بالقول النابي : صاحب الحاجة ، حين يقدم له عطاءه .

● واذا احال القرآن الحكم على كثير في تصرفات الناس .. فانما يحيله إلى العقل العام فى الناس .. اي الى ما تتفق العقول على عدم انكاره . ولا شك ان هناك قدراً مشتركاً بين الناس جميعاً يحدد معالم المنكر ، وبالتالي يحدد معالم المعروف ضده .

والمعروف والمنكر اذن امران متقابلان : احدهما مرغوب فيه والآخر مرغوب عنه : « كنتم خيرامة اخرجت للناس : تامرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله » (آل عمران : ١١٠) فجمعت الآية هنا بين المتقابلين ، مما يمكن ان يحدد مفهوم احدهما بالضد من مفهوم الآخر .

أكبر زعيم صهيونى معاصر يفضح اليهود ويقول : إن أكثر ما يثبط همتى هو حمق اليهود وجبنهم وحقارتهم !

هكذا تكلم "هرتسل" عن اليهود..

بقلم : عصام شريح



(هرتسل)

لاشك فى ان « ظاهرة الدونية » التى افرزتها مسيرة الصراع العربى ـ الصهيوني ، هى من اخطر الظواهر التى افرزتها هذه المسيرة ، وذلك لانها فى الواقع حالة مزورة ، كان منشؤها صدمات الهزائم العسكرية المتتالية . وظاهرة الدونية هذه تبالغ ـ على لسان اصحابها ـ فى إسباغ صفات غير واقعية على اليهود « كعنصر » وبالتالى على الكيان الصهيونى ، كالذكاء الحاد أو غير العادى والعظمة والدهاء والنزاهة وروح الجماعة .. الخ ، تماما كما تفرط فى تحقير الذات العربية ، والصاق صفات وهمية بها ، كالغباء والأنانية الجامحة ، وانعدام روح الجماعة .. الخ .

وفى الواقع ، فان هذه الظاهرة المرضية ليست سوى عملية نفسية تبريرية مصطنعة ، الهدف منها تفسير الهزيمة ، وهى فى كل حال تصاحب جميع الحروب .

وبالنسبة لنا ، فان الوقائع والوثائق الصهيونية نفسها ، إن لم نقل غيرها أيضاً تدحض نظرية تفوق « العنصر اليهودى » ، وتكذب ظاهرة الدونية هذه ، وتجرد أصحابها ، من جميع أسلحتهم ، بل وتظهر سطحيتهم وسذاجتهم وضعف إيمانهم باصالة الأمة العربية ، وقدراتها الكامنة والظاهرة .

ولعل اهم تلك الوقائع والوثائق ، واكثرها خطورة ، هى تلك التى وردت على لسان مؤسس الحركة الصهيونية نفسه ، تيودور هرتسل ، الذى يطعن فى الخلق اليهودى ، و « العنصر اليهودى » كما لم يطعن فيه احد . وسنضع امام القارىء العربى خلاصة مكثفة لرأى هرتسل فى اليهود ، فى الصفحات التالية .

رأى هرتسل فى اليهود

من خلال قراءة « يوميات هرتسل » يبدو هذا الرجل غير واثق ببني جلدته ، كافراً باخلاقهم السيئة ، وبشرفهم الكاذب ، ويعزو هرتسل انحطاط اليهود الاخلاقي الى كون اليهود لا يؤمنون بالبعث بعد

الموت ، ولتعلقهم بالدنيا والحياة على الارض باعتبارها جنتهم . ويقول فى هذا الشان : « نحن جنود سيئون ، لانه ليس لنا شرف ، ولاننا لا نؤمن بان لنا شيئاً بعد الموت » .

بل ان هرتسل كاد ان يصل الى حافة الياس من امكانية اصلاح « العنصر اليهودى » : « يقف فى وجهي جدار صلب ، هو فساد اخلاق اليهود ، وانا اعرف ان فى اختراق هذا الجدار ، الوصول الى الحرية والعظمة ، ولكننى لا استطيع ان احطم هذا الجدار براسى منفرداً ، ولذلك فاننى اتنازل عن هذا العمل » .

ولمعرفة هرتسل العميقة بالنفسية اليهودية المادية التى تتكالب على المال وجمعه بنهم وشراهة لا تعرف حدوداً ، فانه كان يفكر وهو يحلم بالكيان الصهيونى ، ويضع له القوانين والانظمة والبرامج ، يفكر فى نفس الوقت فى وجوب حماية نفسه وحماية الكيان من العناصر اليهودية الفاسدة والجشعة :

« ويل للمختلسين ، اذا ما حاولوا ان ينموا ثرواتهم على حساب القضية اليهودية .. فلسوف نعاقبهم باقسى العقاب .. بما فى ذلك حرمانهم من الحقوق المدنية وحق التملك » .

« كل مقاول يحاول الحصول على ربح غير مشروع سوف يعزل ، والعزل لا يكون بخسارة وظيفة جيدة فحسب ، وانما بخسارة حقوق مدنية لفترات من الزمن » .

وقبل ان يبدأ هرتسل العمل لتاسيس الحركة الصهيونية ، كتب فى ٢ ـ ٨ ـ ١٨٩٥ ، يقول :

« ان اكثر ما يثبط عزيمتي ، هو حمق اليهود وجبنهم وحقارتهم » .

ولذلك قرر هرتسل التخلي عن فكرة الاجتماعات الجماهيرية او الجماعية ، والاستعاضة عن ذلك بعقد اجتماعات مع عدد محدود من الصهاينة الاوائل .

« ساخبرهم بغايتي مقدماً ، واشرح لهم الخطا الذى وقعت فيه مع دي هيرش (بارون يهودي) ، فعندما قمت له الامر ، بدات بالحديث عن الدولة ، ولم اكد اقول الكثير ، لانني توقفت فى الوقت المناسب ، ذلك انني لاحظت انه لم يكن يستمع الي ، اما لهؤلاء الرجال ، فساقدم القضية كمعاملة رسمية ، لانه لا يجوز ان يسيء هؤلاء فهم الهدف الذى ارمي اليه ، ويأخذوه على عكس محمله ، فيظنونني مقاولا » .

المصرف الاستعمارى اليهودى

وبعد قيام هرتسل بتحديد هدف الحركة الصهيونية (اقامة دولة يهودية) ، وخلق الاطار التنظيمي لها ، بدأ العمل لانشاء الادوات التى ستساعد على تحقيق الهدف وكان اهم هـــذه الادوات المصرف الاستعمارى اليهودى ، الذى جعل مقره مع المؤسسات الصهيونية الاخرى فى بريطانيا لادراكه لمواقف اساطين الاستعمار من الانكليز ، واطماعهم فى المنطقة العربية ، ولاطلاعه على المخططات الاستعمارية ، التى تحتم مجتمعةً ، تبنّي ساسة الاستعمار الانكليزى للحركة الصهيونية واهدافها .

بيد ان المضايقات الشديدة ، ومحاولات الابتزاز المالى ، تركت رد فعل عنيفاً فى نفس هرتسل ، جعلته يستخدم كلمات بذيئة احياناً فى وصف اعوانه ومساعديه من صهاينة بريطانيا . وعندما زار لندن للبحث فى تاسيس المصرف ، فى مطلع تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ ، بهدف تمويل الحركة الصهيونية ، كان اثرياء اليهود البريطانيين اشد المعارضين لهذا المشروع ، وقد وصف هرتسل ما جرى خلال اجتماع عقده فى العاصمة البريطانية مع قادة اليهود هناك ، فقال :

« .. واخيراً قام رجل قبيح يدعى هرمان لانداو ، اخذ ينتقم لصديقه مونتاغو الذى حملت عليه ، وقد احدث لانداو ضجة فى الاجتماع ، وبعد ان انتهى دوره فى الكلام ، اخذ يصيح قائلا : « إننا نسلب الفقراء اموالهم لكى ننشيء مصرفاً لانفسنا » .

وبعد ان لمس هرتسل معارضة اثرياء اليهود فى بريطانيا لمشروعه (انشاء المصرف الاستعمارى اليهودى) ، عاد من لندن خائباً غاضباً ، وكتب فى يومياته قائلا : « ان السفلة من امثال هرمان لانداو ، ما يزالون يسيئون إلينا بامر من سفلة آخرين من امثال مونتاغو والحاخام ادلر » .

وبعد ان اقدم هرتسل على انشاء المصرف الذى علق نجـــاح الحركة الصهيونية على نجاحه اخذ يتهدد الاثرياء اليهود الذين رفضوا الاسهام فى راس مال المصرف وخاصة البريطانيين منهم ، وكتب يقول : « لو تمكنت يوماً منهم لعرفت كيف انتقم » ، ثم يشير الى برقية وصلته من احد مساعديه « هايمن » فى لندن ، يقول فيها : « إن بنتوتش الذى كانت بيده جميع التوكيلات الرسمية للمصرف ، يطالب بمائة وخمسين جنيهاً استرلينياً ، مقابل وضع اسمه على بيان المصرف » .

وإزاء تزايد مشاكل المصرف والمتاعب التى يواجهها من اليهود البريطانيين ، عاد هرتسل ثانية الى لندن فى اواخر حزيران (يونيو) ١٨٩٩ ، لمعالجة تلك المشاكل عن كثب ، وكتب بعد عودته : « لقد قـــدم هايمن الجنوب افريقى ، والذى ادى لنا خدمات قيمة كمدير خلال فترة العمـــل التمهيدى فى المصرف ، قدم استقالته من منصبه ، لان جاستر وبنتوتس يريدان بعد ان اعجزاه ، ان يستوليا على ادارة المصرف لمصلحتهما الشخصية » .

ثم كتب ايضاً : « متاعب جمة اواجهها فى المصرف ، اناس غير اكفاء ، او اشخاص يسعون وراء مصالحهم الخاصة .. كل شيء راكد .. لورى وكان يفتعلان المصاعب ، لانني لم اسمح لهما بتحويل المصرف الى مؤسسة خاصة لهما » . كما كتب عن احد اعوانه (غرينبرغ) الذى كان يخشى سطوته ، والذى تحول فيما بعد الى خصم له : « بعث إلى لفنثن يقول بان غرينبرغ سحب مبلغ المائة جنيه المخصصة لمصاريف السفر ، علماً بانه لم يقم بالرحلة .. سنرى ما اذا كان سيعيد المائة جنيه ، لكنني لن ابدي اهتماماً اذا ما ابقاها لنفسه » ، بل إن هرتسل اخذ يتهم غرينبرغ بالسرقة ، فكتب فى مطلع آيار (مايـو) ١٩٠٣ ، حينما كانت مفاوضات رجاله فى مصر حول مشروع استيطان منطقة العريش بسيناء ، قد قاربت على الفشل ، كتب قائلا : « وفوق جميع المصاعب ، هناك

هكذا تكلم "هرتسل" عن اليهود..

غرينبرغ ، الذي يريد شيئاً ما لنفسه ـ وربما كان ذلك مالا .. وقد علمت من ولفسن أن غرينبرغ استولى على اعتماد غير رسمي ، تتراوح قيمته ما بين خمسمائة الى الف جنيه .. وحين دقق ولفسن وكون فى حسابات غرينبرغ ، وجدا انه واقع تحت عبء دين كبير ، يقرب من عشرة آلاف جنيه ، وانه غير قادر على تسديدها » .

وقد اختلف هرتسل مع معظم رجال بعثته الى مصر ، لدى زيارته لها ، حيث اكتشف ان « غولدسمد » له مطامع مالية ، كما ان « فريدمان » يطمع بالحلول مكانه فى القيادة : « يطلب غولدسمد بواسطة كيسلر مبلغ مائة وخمسين جنيها ، لارسالها لزوجته ، وذلك للمرة الثانية ، كما يطلب كتابا بشان فتح حساب جار له ، فى حال بقائه هنا (فى مصر) .. إن طلبه هذا باهظ » .

الحسد والغيرة

ومن الأمور اللافتة للنظر ايضا ، شكوى هرتسل من الحسد والغيرة التى كانت تظهر لدى المثقفين من الصهاينة الأوائل ، ومحاولات هؤلاء لازاحته والحلول مكانه فى مركز الزعامة . ففى شباط (فبراير) ١٨٩٦ أصدر هرتسل كتابه « الدولة اليهودية » ، مما زاد من معارضيه فى صفوف المثقفين ، وكان اكثرهم يصدرون فى معارضتهم هذه عن حسد وغيرة ، وهذا ما سجله هرتسل فى يومياته ، حيث قال : « لاشك فى ان بيرنباوم يغار مني ، فكثيرا ما يلمح هذا الرجل المهذب والمثقف ، بكلام بذيء وباستهزاء ، انني اقوم بهذا المشروع بغرض تحقيق مكسب شخصي ، تماما كما يتحدث بذلك العامة من اليهود » ، ثم يحمل هرتسل على بيرنباوم حملة عنيفة ، ويتهمه باستقطاب عدد من شبان اليهود حوله ، ودفع هؤلاء الى تقديم اقتراح للمؤتمر الصهيوني الأول فى بازل ، بانتخابه اميناً عاماً « للجنة الاستعمار الصهيوني » انتخاباً مباشراً ، وبتخصيص راتب له من المؤتمر ، ثم يقول عنه : « يلعب بيرنباوم ، الذى يزداد وقاحة واستعطاء أوراقه كلها ، لكي يصبح اميناً عاماً .. ومع اننا لا نملك حتى الآن قرشاً واحداً ، فان بيرنباوم يطلب من « اللجنة » تسديد ديونه ، ومنحه وظيفة على مدى الحياة ، براتب قدره الف وثمانمائة جيلدر سنوياً .. ولكن فى مقابل ماذا ؟؟! .. فى مقابل كتيب ظل مجهولا وبعض المقالات » .

وبعد انتهاء اعمال مؤتمر بازل (٢ ـ ٩ ـ ١٨٩٨) ، قال فى سياق وصفه للجلسات الأخيرة (ان شنايرر وكوكش ومنتز ، ارادوا التخلى عنه ، عندما لاحظوا الاستياء الذى ساد المؤتمر بسبب الوضع المالى (السيء) ، ووصف منتز بانه « جبان وهروبي بطبعه .. لكن شنايرر وكوكش افضل منه من ناحية العنصر ، مع انهما خافا كثيراً .. انهما يعيشان ضمن افق ضيق جداً .. انهما لا يفهمان مثلا لماذا سمحت بأن يصرف نيولنسكي خمسمائة فرنك لتسديد حساب عليه للفندق فى بازل ، كما أنهما قبلا بتقديم إعانة شهرية له بشيء من الشك والندم .. هذه هى العناصر التى أعمل معها .. لقد كانت سكيناً من الورق والخشب فى ذلك المؤتمر الصاخب » .

دى هيرش وروتشيلد

خاض هرتسل جدلا واسعاً مع البارون موريس دي هيرش ، وهو مليونير يهودي المانى ، وكذلك مع البارون ادمون جيمس روتشيلد المليونير اليهودي الفرنسى ، اللذين كانا يشجعان هجرة اليهود القادمين من بلدان أوروبا الشرقية الى الارجنتين وفلسطين . إذ أن هرتسل ، كان يرفض فكرة الاحسان التى كان ينطلق منها هذان الثريان اليهوديان ، اللذان كانا يبحثان عن حل لمشكلة اليهود القادمين من أوروبا الشرقية ، لما لهذه المشكلة من تهديد لمواقع يهود أوروبا الغربية ، ومواقعهم الاقتصادية والاجتماعية بالذات .

فعندما اجتمع هرتسل مع البارون دي هيرش للمرة الأولى فى باريس فى ٢ ـ ٦ ـ ١٨٩٥ ، قال هرتسل لهيرش بصراحة : « هناك أولا فكرة الاحسان التى اعتبرها خطأ كبيراً ، لانك تنشىء بها جيلا من المتسولين ، إذ ليس هناك شعب اكثر من اليهود اتكالا على التسول ، وتأثراً بالاحسان .. » ثم كتب يقول بصراحة اكبر : « اما حلولك التافهة ، عشرون الفا فى الارجنتين ، أو اعتناق اليهود للاشتراكية ، فهذه لا اقبل بها ، فانت تتلهى بقضية اليهود وكما تنزل خيولك الى السباق ، تبعث باليهود الى الهجرة .. » .

لكن السجال كان قوياً بينه وبين آل روتشيلد ، الى درجة انه وجه اليهم اكثر من تهديد ، لامتناعهم عن تمويل مشروعه « الدولة اليهودية » الذى كان آل روتشيلد يرون فيه فى البداية ، خطراً جسيماً على مصالحهم فى أوروبا ، وعلى مستقبل اليهود ككل . وقد خاطب هرتسل آل روتشيلد مهدداً بعد أن رفضوا تقديم مليار فرنك اليه : « الأفضل لكم ان تذهبوا معنا ، واذا لم تذهبوا ، فلن نهتم بتصفية اعمالكم فى أوروبا .. إذ يجب علينا ان ننسحب من أوروبا ، فلن نستطيع البقاء هنا بعد ، اكثر مما فعلنا » . « واذا لم تذهبوا معنا ، فقد نضطر الى ان نعلن خروجكم على القانون ، ونمنعكم من دخول « بلادنا » ، ولكن اذا ذهبتم معنا ، فلسوف نغنيكم فوق غناكم .. وسنجعلكم عظماء ، لاننا سننتخب اول حاكم من بينكم » .

وعندما زار هرتسل فلسطين ، لمعاينة المستعمرات القليلة التى انشاها روتشيلد هناك بأمواله ، عبر هرتسل بملاحظاته عن تلك الزيارة ، عن اتساع الهوة بين الرجلين ووصف ما جرى معه فى تلك المستعمرات بقوله : « استقبلنا المدير بشيء من الخوف ، الخوف من السيد « البارون » يخيم على كل شيء .. ان المستعمرين المساكين (اليهود) قد استبدلوا خوفاً بخوف » وعن زيارته لما

يسمى بحائط المبكى قال « ذهبنا لزيارة حائط المبكى ، فلم أشعر باية عاطفة عميقة لأننى شعرت بان المكان جميعه ، قد سيطرت عليه مسحة الشحاذة .. » وفى فلسطين ، شهد اليهود المهاجرون حديثاً باموال روتشيلد وغيره حملة عنيفة ضد هرتسل ، واتهموه بالعمالة لبريطانيا ، وبانه آلة بيد البعثة الانكليزية للتبشير بين اليهود » .

الشعور بالوحدة

ازاء المعارضة التى لقيها هرتسل من عدد واسع من اليهود فى أوروبا ، دب الياس فى نفسه لفترة من الزمن ، فكتب اكثر من ملاحظة ، يقول فيها انه وحيد .. لا احد يساعده .. ففى ٧ ـ ٢ ـ ١٨٩٦ كتب « هذا ، مثل كل شىء آخر ، يدل ثانية على انه ليس لي اى نصير ، وانه يتوجب على ان اقوم بكل شىء لوحدى » . وفى ١٥ ـ ٢ ـ ١٨٩٦ ، كتب ايضا : « لا يقف الى جانبى فى هذا المرحلة إلا والدى .. جميع الذين تكلمت معهم فى الموضوع ما يزالون مترددين ، ينتظرون ما ستتمخض عنـــه الأحداث ، ويستمهلون .. » ثم كتب : «أعمل فى اعـداد الصحيفة الجديدة «دى ولت » الى حد الارهاق والانهيار .. وهكذا فان الصحيفة كلها تقوم على كتفى انا » ثم قال: « ما لا افعله بنفسي .. لا يفعله احد .. لا احـــد يساعدنى » « لا اثق بالامـراء ولا بالشعب ، لا أثق إلا بنفسى . » .

ثم يعلن قرفه من السياسة قائلا : « مرت ايام قاسية ومشوشة ، فيها الكثير من الألم والقرف ، لقد اجريت اتصالات مع انـاس « عمليين » من عالمي السياسة والمال ، وغالباً ما ندمت على انني تركت عالم الأدب الى هذه الضجة والضوضاء » .

وبعـــد :

فاذا كانت هذه هى آراء هرتســـل ـ مؤسس الحركة الصهيونية ـ فى اليهود وفى رفاقه من الصهاينة الأوائل ، وهى آراء تتهم اليهود بالفساد الخلقي والتكالب على المال ، وبالجشع والانتهازية والطعن فى الظهر .. الخ ، فاننا لا نجد مبرراً موضوعياً أو عقلانيـــا ، لاسـباغ صفات المثالية والعظمة والنزاهة وما الى ذلك باليهودية ، وبيهود الكيان الصهيونى على وجه الخصوص ، تماماً كما لا نجد اى مبرر للتشكيك فى قدرة الأمة العربية على الارتقاء من المنحدر الذى وصلت اليه حالياً والذى أسهمت المؤامرات الاستعمارية ـ الصهيونية فى ايصالنا إليه .. والذين يصدرون احكاماً بالدونية ضد الأمة العربية ، وبالمثالية على الصهاينة ، هم فى الواقع إما سطحيون ، او جهلة لا يقرأون التاريخ ، وإن قرأوه فلا يستلهمون روحه .

عصام شريح

مـن هـــو؟

ولد هرتسل بمدينة بودابست فى عام ١٨٦٠ ، ودرس فى مدرسة يهودية ابتدائية ثم التحق بمدرسة ثانوية ، وعندما انتقلت أسرته الى فيينا ، درس القانون فى احدى جامعاتها . اما ثقافته العبرية . فقـــد اتسمت بالضعف طوال حياته ، ويقال انه اراد ان يترك اثراً قوياً فى نفوس المجتمعين فى المؤتمر الصهيونى الخامس ، فتلا بالعبرية ، الشعار الصهيونى حول عدم نسيان أورشليم ، غير ان الكلمات كانت قد كتبت له بالحروف اللاتينية .

وكان هرتسل يستمد رؤياه من الغيبيات اليهودية المتحجرة حول ارض الميعاد ، والشعب المختار .. كما كان يرى فى نفسه المسيح (اى المخلص) بالنسبة لليهود ، وقد طعم عقيدة المسيح (او الماشيح) هذه التى ورد ذكرها فى مراسلاته الخاصـــة ويومياته ، ببعض المصطلحات والافكار العلمية ، فنجده يعتبر المهندس فرديناند دي ليسبس الذى وضع خطة شق قناة السويس ، مثله الأعلى . واشتغل هرتسل لبعض الوقت بالمحاماة ثم فى الصحافة ، وكتب عدة قصص ومسرحيات ، وانتهى به تفكيره فى المسالة اليهودية ، الى انشاء دولة صهيونية ، وكتب حول ذلك كتابه الشهير « الدولة اليهودية » وحاول استغلال ساسة المانيا والسلطان العثمانى عبد الحميد الثانى وقيصر روسيا لتهجير اليهود الى فلسطين أو اوغندا أو قبرص أو العريش فى سيناء ، لكنه لم ينجح .

واخيراً كان التيار الاســـــتعماري فى أوروبا قد أصبح فى يد بريطانيا ، التى رأى فيها ضالته المنشودة ، وبالاجمال فان هرتسل لم يكن مفكراً سياسياً اصيلا ـ كما وصفته اجهزة الاعلام الصهيونية والغربية الاستعمارية ـ ولا يمكن الزعم بانه قدم تحليلا علمياً لما يسمى بالمسالة اليهودية ، وذلك بسبب سيطرة الغيبيات والاساطير الصهيونية المتحجرة على تفكيره ، ولعل نظرة خاطفة الى واقع التناقضات التى يحفل بها الكيان الصهيونى حالياً ، تثبت إخفاق الحل الصهيونى للمشكلة اليهودية الذى وضعه هرتسل .

اما نهايته ، فكانت بعد إصابته بانهيار جسدى مفاجىء فى تموز (يوليو) ١٩٠٤ ، وخلال هذيان الموت الأخير ، كان هرتسل يضرب اللحاف بقبضته كما كان يفعل على مائدة الاجتماعات .. واحيانا كان يهذى قائلا : « يجب ان نشترى الثلاثة فدادين هذه ، هل دونت ملحوظة بنلك ؟ الثلاثة فدادين هذه » !

وكانت روح المغامرة ، بادية فى يومياته ، فقد كتب قائلا انه سيتوج ابنه اميراً على البلاد : « قد اضع تاجاً على رأس هانز يوماً ما ، وانصبه حاكماً ، ثم اخاطبه فى الهيكل امام كبار رجال البلاد ، بعبارة : يا صاحب السمو ، ابني الحبيب » . ثم قال : « لا أريد من احد ان يمدحنى ، وذلك لأن لا احـــد يستطيع ان يلومني ، لانني انا الزعيم » ..

ومن عجب ، ان نسل هرتسل قد اختفى نهائياً ، فكبرى بناته « بولين » كانت مختلة عقلياً ، وقد طلقت من زوجها ، وتحولت إلى صائدة للرجال ومدمنة على المخدرات ، اما ابنه هانز ، فقد اصيب بخلل نفسي وحالة من الاكتئاب الشديد ، ثم تحول الى المسيحية وانتحر يوم وفاة شقيقته بولين فى عام ١٩٣٠ .

اما الأبنة الصغرى فقد ترددت على العديد من المصحات حتى ماتت فى عام ١٩٣٦ ، وقد نشا ابنها وحفيد هرتسل الوحيد فى بريطانيا حيث غير اسمه نيومان (ذي المسحة اليهودية) الى نورمان (اسم سكسوني) ، وكان ضابطاً فى الجيش البريطاني ، وبعد ان ترك الخدمة فى السلك العسكري عمل مستشاراً اقتصادياً للبعثة البريطانية فى واشنطن ، وهناك انتحر بان القى بنفسه من على احد الجسور فى النهر .

• قصــة جديـدة •

بقعة الضوء

بقلم

د. عبد السلام العجيلي

- ١ -

كم بقي اسماعيل مغمضا عينيه ؟ انه لا يدرى . أول وعيه لما حل به حدث عندما دس كفه فى جيبه ليخرج غليونه فيحشوه ثم يشعله ، فاذا بها تخرج فارغة . تذكر الآن ان العسكرى الذى ساقه الى زنزانته توقف به امام بابها المعدنى وادخل يده فى جيوبه فافرغها مما فيها ، ثم منها الى عنقه فنزع عنه ربطته ، والى خصره فاستل من حوله حزامه ، ثم انحنى فسحب رباط حذائه من ثقوب الحذاء قبل ان يدفع به الى داخل الزنزانة . عندما تذكر اسماعيل هذا فتح عينيه ليلقى نظرة على حذائه وليتبين فى العتمة المحيطة به انه حذاء بدون رباط . وفى هذه اللحظة امتلأ سمعه باصوات متداخلة برزت فوق الطنين الذى كان يتردد فى اذنيه . اصوات ابواب تفتح بعنف وتغلق بعنف ، وصرخات آمرة بدأت بعيدة ثم انتهت الى امام باب الزنزانة التى هو فيها . وهجم الضوء على عينيه فجاة قبل ان يمتلىء فراغ الباب المفتوح بجسد ضخم لعسكرى برتبة مساعد ، له شاربان كثان ، ويقف وراءه عسكريان لم يتبين رتبتهما . صاح به المساعد :

ـ وقوف !

قام اسماعيل من قعدته على الدكة الاسمنتية الملتحمة بالجدار متباطئا ، بينما اردف المساعد :

ـ أنت جالس على الدكة . من سمح لك بهذا ؟

لم يجب اسماعيل . كان سؤالا غبيا لم يجد له جوابا . وصرخ العسكرى بصوت أعلى :

ـ الا تسمع ؟ تكلم .

قال اسماعيل : جلست . لم يقل لي احد ان الجلوس ممنوع .

قال المساعد : يجب ان تعرف هذا . سجننا ليس مقهى للكسالى . وجهك الى الحائط وانت واقف ، هكذا . ارفع يديك .. ارفعهما الى أعلى .

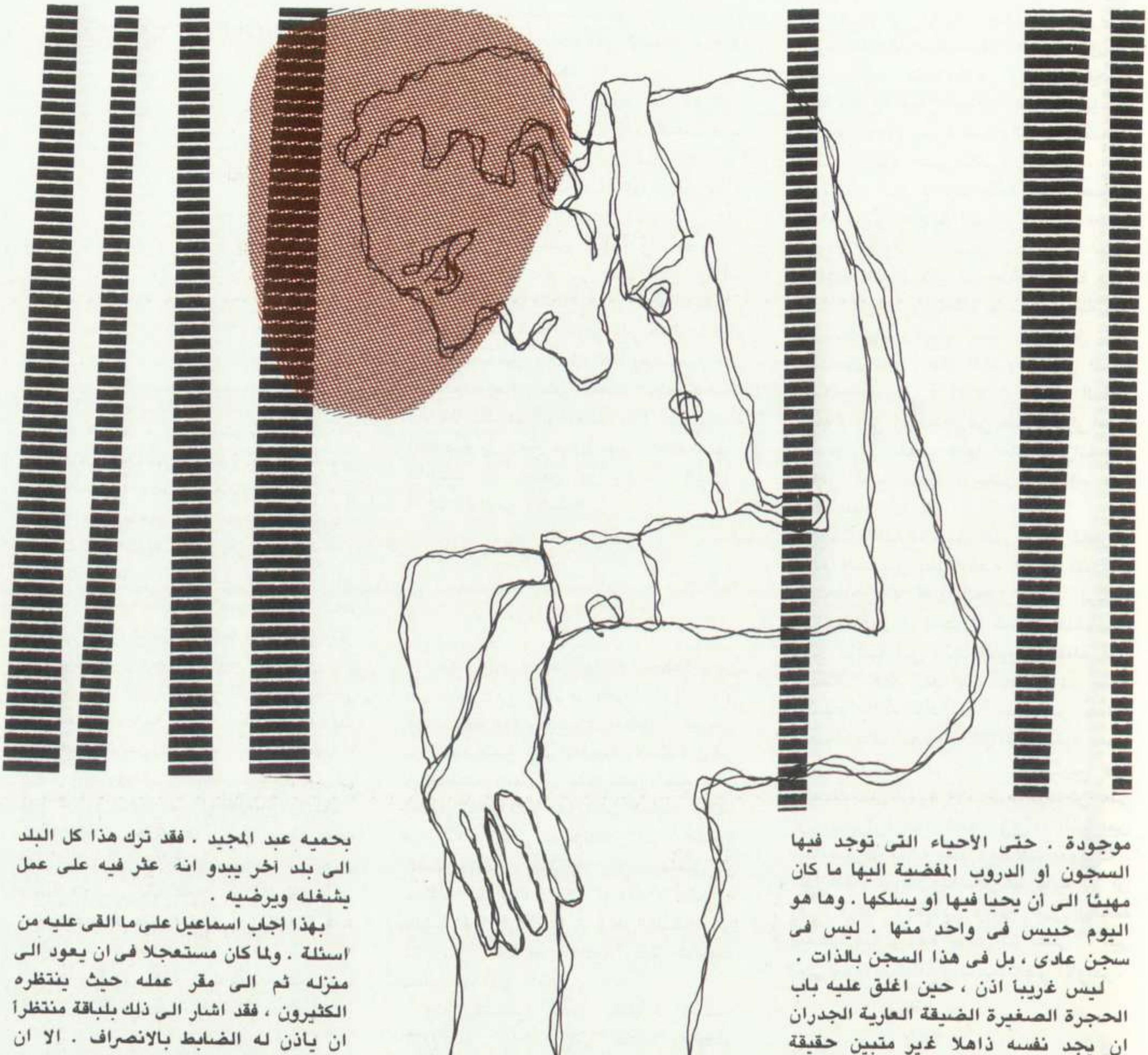
فاستدار اسماعيل واستقبل الحائط بوجهه ووقف ، ثم رفع يديه الى أعلى قامته . فعل هذا ببطء لم يصل الى حد التلكؤ كانما كان ينفذ ما يؤمر به وهو نائم . وحين حرك راسه ليلقي نظرة من فوق كتفه على آمره صرخ هذا بحدة :

ـ راسك لا تدره .. ويداك لا تنزلهما الا حين آذن لك . هل فهمت ؟ اياك ان تنزلهما اذا لم آذن لك .

واصطفق الباب الحديدى وهو يغلق ، فالتفت الزنزانة بالعتمة من جديد . وبينما كانت احذية العسكريين الثلاثة تقرع أرض الرواق فى اتجاهها الى الزنزانات الأخرى ابصر اسماعيل ، فى وقفته مستديراً الى الجدار المقابل للباب المغلق ، بقعة الضوء مطبوعة على ذلك الجدار ، فى مستوى عينيه أو أعلى قليلا من ذلك المستوى .

- ٢ -

كان هذا أول أيام اسماعيل فى السجن . قبل اليوم كان السجن عنده مؤسسة تنتمي الى عالم غير العالم الذى يعيش هو فيه ، ما كان مهيئا الى أن يعرف عنها الا انها



موجودة . حتى الأحياء التى توجد فيها السجون أو الدروب المفضية اليها ما كان مهيئاً الى أن يحيا فيها أو يسلكها . وها هو اليوم حبيس فى واحد منها . ليس فى سجن عادى ، بل فى هذا السجن بالذات .

ليس غريباً اذن ، حين اغلق عليه باب الحجرة الصغيرة الضيقة العارية الجدران ان يجد نفسه ذاهلا غير متبين حقيقة مداركه ولا حقيقة مشاعره . كان قد استدعي منذ ساعات قليلة ، فى تادب يليق باسمه المعروف وبلقبه العلمي وبالوظيفة التى يشغلها ، الى مقابلة ضابط لم يكن يلبس بزة الضباط . لقاء الرجل له كان فاتراً الا انه لم يكن مجرداً من التهذيب . واجاب هو على الأسئلة التى وجهها اليه الضابط بوضوح ودون جمجمة . نعم انه يعرف عبد المجيد ، وكيف لا ؟ انه شقيق زوجته . ونعم انه آوى عبد المجيد فى داره ، بل انه اسلمه الدار كلها حين سافر هو ، اسماعيل وزوجته فى رحلة بعيدة ، فطلب من حميه ان يقيم فيها مدة غيابه . ما كان معقولا ان يترك الدار خالية كل تلك المدة . حدث هذا منذ شهور . ومنذ شهور لم يلتق اسماعيل بحميه عبد المجيد . فقد ترك هذا كل البلد الى بلد آخر يبدو انه عثر فيه على عمل يشغله ويرضيه .

بهذا اجاب اسماعيل على ما القى عليه من اسئلة . ولما كان مستعجلا فى ان يعود الى منزله ثم الى مقر عمله حيث ينتظره الكثيرون ، فقد اشار الى ذلك بلباقة منتظراً ان ياذن له الضابط بالانصراف . الا ان الضابط تجاهل الاشارة وضغط زراً امامه ، فدخل الغرفة ضابط آخر ، مرتدياً هذا بزته العسكرية وعليها شارة رتبته ، وأمسك بساعده . امسكه بلطف ، وقاده معه . وفى تلك اللحظة ، وعلى الرغم من لطف قبضة الضابط الأخير على ساعده ، تسربت الى نفس اسماعيل قناعة بانه لن يخرج من هذا البناء الذى اجتلب اليه . واحس عندئذ بالضباب يلف مداركه ومشاعره بينما كان فى طريقه الى هذه الحجرة الضيقة العارية الجدران . حجرة صغيرة ضيقة عارية الجدران وجد نفسه فيها وحيداً فعرف ، فى غمرة الذهول الذى تملكه ، انها التى يسمونها الزنزانة .. الزنزانة المنفردة .

بقعة الضوء

ـ ٣ ـ

استمر اسماعيل فى رفع يديه الى اعلى فلم يسبلهما بعد اصطفاق الباب على الرغم من ابتعاد وقع اقدام العسكريين الثلاثة ثم تلاشيه ، وعلى الرغم من انقطاع أصوات انفتاح الأبواب وانغلاقها فى الرواق . كل ما فعله ان تقدم بجسمه ، بعد بضع دقائق ، فاستند بكفيه وهما مرفوعتان الى اعلى على الجدار امامه . لم يفعل ذاك مختاراً ، بل اضطره اليه ثقل احس به فى ساعديه وعضديه ، كان ضخامة تناولت طرفيه العلويين فضاعفت من حجمهما ، وخدر بدأ برؤوس أصابعه ثم تنازل الى ان بلغ جذور يديه عند الكتفين . وتبين ، عندما اقترب بجذعه الى الجدار ، ان بقعة الضوء المطبوعة عليه اصبحت الى يمين رأسه ، وأعلى منه قليلا . حدثته نفسه ان ينزل كفه اليمنى فيلمس باصابعها تلك البقعة .. الا أنه لم يفعل . فى أذنيــــه لا تزال تدوى كلمة المساعد المهـــددة : لا تنزلهما اذا لم آذن لك !

من أين تسربت هذه البقعة المضيئة الى عتمة الزنزانة ؟ دار هذا السؤال فى ذهنه باحثاً عن جواب . لاشك فى ان فتحة ، أو شقاً ، بين صفائح الباب الحديدية سمحت لنور المصباح المعلق فى الرواق بالمرور والارتسام على الجدار امامه . كان هذا جواباً منطقياً لا يحتاج الى تثبت بالحس ، ومع ذلك هم اسماعيل بان يدير راسه ليرى بعينه تلك الفتحة أو ذلك الشق . هم ، ومرة اخرى لم يفعل . صرفته عن ذلك ضجة عادت الى الرواق وميز فيها قرع احذية العسكريين يتقدم فى اتجاهه متصاعداً . وعندما قربت الضجة لاحظ ، وعينه دوماً مثبتة على بقعة الضوء ، ان وهجها قد تضاءل ، كان تضاؤله مؤذن بوصول القادمين وبتاهبهم لفتح الباب عليه . وفتح الباب فامتلأت الزنزانة بضوء المصباح المباشر وبصيحة حادة من المساعد ، وما كان باسماعيل حاجة الى الالتفات ليتعرف الى صاحب الصيحة :

ـ ما هذا ؟! تسند يديك على الحائط ؟ ارفع يديك بلا استناد . ابتعد . نعم ، هكذا

كانت استجابة اسماعيل فى هذه المرة سريعة . فقد ابتعد جذعه عن الجدار كانما دفع بنابض ، وارتفع ذراعاه الى أعلى بخفة كان لا ثقل فيهما ولا خدر .

وعادت الظلمة من جديد الى الزنزانة الضيقة عندما اغلق الباب ، كما ارتسمت بقعة الضوء مرة أخرى على جدارها امام بصر اسماعيل . خيل اليه وهو يعود الى التطلع فيها ان مثل الماء كان يسح فوقها . وما كان ذلك فى الواقع ماء سح على البقعة المضيئة بل دمع ترقرق بين اجفانه هو ، ما لبث أن تجمع فى قطرتين لاهبتين تدحرجتا على وجنتيه .

ـ ٤ ـ

ليست مدورة تلك البقعة المضيئة ، بل هى مثلث لامع الوسط باهت الحواف ، او انها مسقط ضوء بيضوى متطاول ، عريض فى اعلاه ضيق عند القاعدة . لاشك اذن فى ان الفتحة التى مر منها النور ليقع على الجدار ليس ثقباً مدوراً فى الباب ، وانما هو تباعد بين صحيفتين من الصاج المصنوع منه . هكذا قر رأى اسماعيل فى تساؤله عن منشا هذه البقعة ، حكم به نظرياً دون ان يتجاوز أوامر المساعد ذى الشاربين الكثيفين فيدير راسه ليتثبت حسياً من ذلك المنشا .

ومن جـــديد احس بثقل ذراعيــه المرفوعتين يزداد على كتفيه وبالخدر يضخم هاتين الذراعين فيضاعف حجمهما لم يتوقف احساسه عند الثقل والخدر بل تجاوزهما الى الالم ألم ممض فى أول الامر ، لم يلبث ان تحول الى الم جارح ثم الى الم طاحن ثم الى عذاب . اهي دماء تلك التى تجرى فى عروق طرفيه العلويين ام زئبق ورصاص مذاب ؟ اهما كفان وساعدان وعضدان ، ام قطع صخر تزداد ثقلا بمرور الثوانى والدقائق ؟ عرف الآن اى نعيم فقده حين كان قبل برهة وجيزة يســند كفيه وذراعاه مرفوعتان ، الى الجدار امامه . نعيم تلاشى حين فتح الباب عليه فاكتشف المساعد انه يتمتع به فى غفلة من حراسه القساة الجفاة . اترى يعود اليه ذلك النعيم المفقود ؟

وهذه البقعة .. ما كان أمامه غيرها مما ينشغل به عن العذاب النازل به . كان يركز عليها نظره فترة وينحرف به عنها ، دون ان يحرك رأسه ، فترة اخرى . وحين كان يحدق فيها كان يلاحظ اختلاف وهج إنارتها بين فترة وأخرى . بين الحين والحين كانت تلك الانارة تبهت حتى تكاد ان تمحي . متى لاحظ ان ذلك يحدث كلما سمع اصوات اقدام تمشى متجهة الى زنزانته من احدى نهايتي الرواق . تذكر عندئذ ان ضوء البقعة المنيرة كان قد اختفى تماماً حين وقف المساعد ومرافقاه بباب الزنزانة قبل ان ينفتح ذلك الباب عليه . واخترق رأس اسماعيل شعاع فكر اشد وهجاً من اشعة مصباح الرواق : ادرك ان ضوء البقعة المنيرة لابد ان يختفى من على الجدار امامه فى كل مرة يقف فيها امام الزنزانة من يتاهب لفتح بابها .. وقبل ان يفتح هذا الباب بلحظات !

وهنا ، ولبارقة الفكر التى عبرت خاطره ، هجم اسماعيل على بقعة الضوء فقبلها . الصحيح انه قبل الجدار حيث ترتسم البقعة ، فهى قد امحت واختفت حالما تحرك فحال براسه بين منفذ النور ومسقطه على الحائط . فعل ذلك لانه اكتشف فى بقعة الضوء ملاكه الحارس ومنقذه من عذابه المهين . يكفي بعد الآن ان يثبت نظره عليها وهو مسبل يديه الى جانبيه ومستريح فى جلسته على الدكة الاسمنتية ليطمئن على ان الباب لن يفتح عليه ، وان ذا الشاربين الكثيفين لن يناله بشر ، مادامت متوهجة . فاذا خفت نورها وتضاءل فما عليه الا ان يهب واقفاً ، فيدير وجهه الى الحائط مبتعداً عنه ويرفع يديه الى اعلى .. إلى اعلى قدر ما يستطيع وحسبما تقضي الأوامر .

ـ ٥ ـ

وهكذا وجد اسماعيل راحته واستعاد النعيم المفقود .

فتح الباب عليه مرات ، فوجد سجيناً طائعاً مستكيناً ، جذعه منتصب على بعد قدمين من الجدار ، ووجهه مستدير اليه ، ويداه منتصبتان كحرفي الف فوق كتفيه . فاذا اغلق الباب وعادت بقعة الضوء الى مسقطها جلس على الدكة وعقد يديه على ركبتيه واثبت نظره على الحائط امامه فى بقعة مثلثة ، شبه بيضوية ، لا يتجاوز بعداها الأصابع الثلاثة ارتفاعاً والأصبعين عرضاً ..



يالها من راحة ، وياله من نعيم . بل .. ياله من عذاب !

— ٦ —

نعم ، ياله من عذاب . هكذا قال هـو ، اسماعيل .

قال اسماعيل : استرحت . فارق الخدر رؤوس اصابعي والثقل كتفى ولم اعد احس لذراعي وزناً . اصبحتا فى خفة الريشة . كل ما كان علي ان افعله ، وانا متربع على الدكة الاسمنتية او مدل ساقي على حافتها ان ادير رأسي الى الجدار المجاور واتطلع فى بقعة الضوء المرتسمة عليه . مادامت البقعة منيرة فانا آمن . فاذا بهت وهجها فجاة وتظللت علمت ان بيني وبين ان يفتح الباب علي خمس عشرة ثانية يهجم علي بعدها منه ذو الشاربين الكثيفين . ربـع دقيقة فقط . فترة قصيرة ، الا انها كافية لأن اقفز من مجلسي منتصباً فادير وجهي الى الجدار بعيداً عنه ، وارفع يدى عالياً ، واسمر عنقي بين كتفي.نعم ، كل ما كان علي ان افعله كي اريح جسدى من تعب الوقوف وكتفي من ثقل ذراعى المتضخمتين ان اظل محدقاً بعين لا تطرف الى بقعة الضوء ، محدقاً بها بثبات .

ولكن تصور .. تصور انشدادى وانـا متلع العنق ، طليق كل اعضاء الجسد ما عدا كرتي عيني .. تصور انشدادى بنظرة هاتين العينين ببقعة اضيق فى السعة من نصف راحة الكف لا تبعد عن وجهي اكثر من خطوة واحدة ، لا اتحول عنها قيد شعرة ! كان انشداداً هيناً فى اللحظات الأولى وفى الدقائق الأولى ، باعثاً على الغبطة ان اراحني من تعب الجسم والاعضاء بالوقوف والخدر والثقل . غير انه ، ذلك الانشداد اعني ، حين استمر دقائق ودقائق ، ثم ساعة ، ثم ساعات ما لبث ان تكشف عن الم شديد .. عن عذاب جديد ، من نوع فريد .

حين اسـتمر تحديقي الثابت بالبقعة المنيرة دقائق بعد دقائق شـعرت بان ما يشدنى اليها لم يعد اشعة نور لا قوام لها وانما ابر نارية دقيقة .. بل لعلها اسياخ من نار بطول ما بيني وبين موقعها على الحائط . تحول الوهج فى تلك البقعة من ضوء بارد على جدار الاسمنت الى شرارات متوقدة تكوى شبكتي عيني بلذعات محرقة وما كنت قادراً على التهرب من تلك اللذعات كان يجذبني اليها ويلصقني بها رعب فى أعماقي من ان محاولة التملص من لذعها يوقعني بين مخالب المساعد ذى الجسم الضخم والشاربين الكثيفين والصيحات المنكرة . وكان ذلك عذاباً تزايد وتزايد حتى فاق احتمالي اياه ، فثرت عليه .

تسالني كيف ثرت ؟ .

فى لحظة من اللحظات بهت ضوء البقعة على الحائط فجاة فعلمت ان المساعد وزبانيته قادمون . لم اتحرك من مكاني . ظللت فى جلستي على الدكة محتجباً ، وظل بصرى موجهاً الى موقع الضوء الذى لم يعد له وجود على الجدار . وفتح الباب فلم اتحرك . لقد وطنت نفسي على تحمل كل ما يصيبني ما دمت ساتحرر من هذا العذاب الاخير . وكل ما تراه الآن على جسدى من ندوب ، وكل ما لا تستطيع ان تراه فى أعماق نفسي من آثار ، هى بقايا ما تركته ثورتي على بقعة الضوء فى تلك الساعة من ذلك اليوم ..

— ٧ —

وسكت اسماعيل لحظة ، ثم ختم حديثه بجملة واحدة قائلا : — هذه هى حكايتي مع بقعة الضوء .

د . عبد السلام العجيلي

الرقه — سوريا

قصيدة جديدة للشاعر محمد الظاهر

طقس القرى.. رماد الحرب

"تجربة شعرية حديثة على البحور المركبة"

يسعد الدوحة أن تنشر هذه القصيدة الجديدة الرائعة للشاعر الفلسطيني محمد الظاهر ، الذى قدمناه فى عدد سابق ، وقد أرسل الشاعر مع قصيدته إلى الدوحة رسالة يقول فيها :

الصديق العزيز :

ارسل لك مع هذه الرسالة قصيدة اخرى مكتوبة على البحور المركبة ، التى تعتمد على اكثر من تفعيلة ، وذلك من اجل الاستفادة من الزخم الموسيقى فى هذه البحور ، ومن اجل ايجاد علاقات اخرى بين الكلمات من خلال هذه المناخات الموسيقية الجديدة ، وذلك بعد ان شعرت برتابة موسيقى التفعيلة الواحدة ، وكذلك جمود المفردات التى اصبحت تكرر نفسها فى اغلب قصائد الشعراء المعاصرين .

ارجو قراءة القصيدة بدقة ، وابداء رايك بكل صراحة حولها ، وسأحاول ان ارسل لك قصائد اخرى مكتوبة على بحور اخرى مثل الخفيف ، والطويل او بعض تفعيلاتها .

اما هذه القصيدة ، فقد بنيت على تفعيلتي البسيط « مستفعلن فاعل .. » .

محمد الظاهر

الحرب تدخل من جرحي ، ويدخلني بوحُ الحروف ، وتاتي الأرضُ عاشقةً
ويشعل الوقت اجزائي ويتركني .

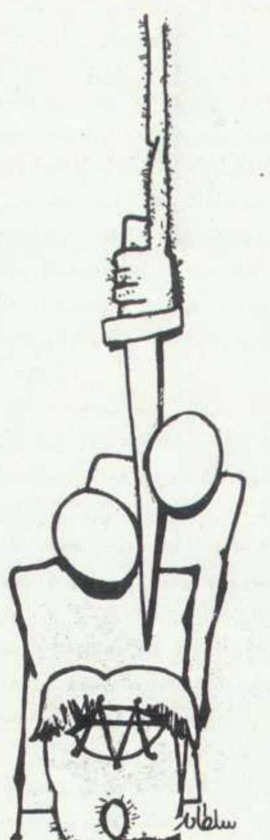
كانت عيونُ دمي تنسلُّ قنبلةً
والرعد يشرق من غيمي ويمطرني

كل الشوارع راياتى وكل فتىً
فى خندق الليل جارى ، والمدى وطني

بحثتُ عن موقع للنبض فى رئتي ، بحثت عن بؤرة للصوت فى شــــفتي بحثت عن خندق للنزف ، فانبعثتْ فِيَّ العواصف كالغزلان ، واشـــتعلت من جمرة الوعى احـــلامى ، فقلت لها : السهم فى القلب ، والازهـــارُ فى البدنِ .

لا تغســـلي جرحهم ، هـــذى قبائلنـــا ، طنافسٌ ذهبٌ ، فحولة هشّـــةٌ ، اصابع تنثني ، وهامـــة تنحني ، وملجـــا ينتهي فى خيمـــةٍ جثـــةٍ ، وكلبُ ســيدنا بالباب منفعلٌ ، الارض راحتـــه ، والبحـــر هودجـــه

والغيم ســترته ، والنجم غُرّتُهُ ، كانه توام للعـــرش ، لـــو حُسِـــرتْ اطرافه لحظة ، لاندك قائمُـــه ، واهتز حاكِمُـــه ، لولا الكـــلابُ فهذا " المجد " لم يَكُنِ .



دمُ العشـــيرة مصلوبٌ ، ضفائرها معقودةٌ فتنةً ، والمخبرون خطـــاة العصرِ فتيتها ، وسيفها حيـــة رقطاءُ فى يدهمْ ، ومســـك شَهْوتها فى جُبّـــةِ الخَوَنِ ،

الخوف اذهلني
والرعب ايقظني
والسوط اسَّنني
والموت صَوّرني

خرجتُ منـــه الى اسرار معجـــزة ، النّسْغُ عصـــــفورها ، والنخل قامتهـــا والبحر زورقهـــا والشمس مقلتها ، والريح تعبرهـــــا خجلى بمـــا حملت ، تلقي إليهـــا رؤوسا غضـــة قُطفتٍ ، يوماً على عجـــــل ، فَيُخْرجُ الشـــهداءُ النارَ جوهرةً ، وتكشف الريح عنهم طُحْلُبَ الكفنِ .

وتخلع الشرفات اليـــوم خيمتها ، تمضي إلى البحرِ نخلا راقصـــا وهـــوى ، قمصـــانه دَهْشَتي ، إيقاعه غربتي ، والكف عـــرْشُ يدى ، ترمي قناديلهـــــا للرمل مملكةً ، تتـــوج البرق اياتٍ على المدنِ .

كل الشوارع راياتى وكل فتىً
فى خندق الليل جارى ، والمدى وطني

من القصص الإسلامى :

رجل بعضه في الجنة

بقلم : أحمد العناني

حقا إن اشد الناس عزما لابد يستشعر الفتور ولو إلى حين .. كل امارة فى وجه الفاروق عمر امير المؤمنين تشير إلى انه يقضى الساعات متصبراً على جهد كبير ، منطوياً على رغبة فى الراحة من عناء الحكم ولو إلى حين، لكن هيهات وبين جنبيه نفس لا يقر لها قرار حيال مسئولية صاحبها امام الله . وكيف يخلد عمر إلى راحة وفى المسلمين جنود يتقحمون الاهوال فى المغازى بالامصار ، وشئون لا مناص من مراجعتها مع اهل القضاء وبيت المال والعمال .. لقد والله اشتهى بضعة ايام يتيح لنفسه فيها ان تستعيد راحة يوم من ايام الشباب الخالية ، قبل ان يعرف مسئولية المسلم الحاكم التى لا تفتر فى ليل او نهار ..

كان الوقت قد تخطى الضحى بقليل حين بدا لأول مرة منذ تولى امارة المؤمنين ان ما بين يديه من رسائل واعمال هى دون ان تشغل وقته كله حتى الظهيره .. وخطر بباله خاطر سريع فارتاح له ولم يتردد فى انفاذه فاوما لرجل ممن يستعين بهم فهمس فى اذنه قائلا « ارسل من يقول لهم فى البيت فليعدوا لنا غداء يكفينا ، ها إنك ترانا .. سبعة رجال وقد يحضرنا اخرون فليحتاطوا للامر » ..

ثم نظر عمر إلى جلاسه فهش لهم وابتسم ابتسامة قلما بات الناس يتوقعونها منه وقال .. ما كنت ارجو ان يجتمع لي منكم انتم بالذات هذا العدد كله .. لقد طلبت أن يسعى لنا بغدائنا هنا ، وها انتم ترون يوشك ما بين ايدينا من الاوراق والامور أن ينفد ، وذلك كله بفضل الله ، وليتاح لي ان انعم بلقائكم .. وحانت من عمر التفاتة إلى عمرو بن الطفيل بن عمرو الدوسى فراى فى عارضه تلحما واضحا من ملامح ابيه وسرحت افكاره مع زعيم دوس الذى استشهد من قريب فى اليمامه ، وادكر الفاروق شهداء تلك الملحمة الدامية من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحفظة القران وفيهم اخوه فتنهد لا اسى لما اصابهم فى سبيل الله ، ولكن اهتزازاً وشوقاً لان يجمعه الحق بهم فانه لفى شوق عظيم الى كل واحد منهم ، ولكن هيهات فما بينهم وبينه على قرب العهد والذكرى بعيد فوق بعد الارض السماء . ورفع عمر يديه الى اعلى وراح يمدهما بعنف ثم يلوي جذعه المكدود ذات اليمين وذات الشمال ، وقد بدا على اساريره من الاجهاد ما لو وزع على عصبة من الناس لناء بهم جميعاً .. ثم عاد يبتسم فى وجوه الحاضرين كانما يعتذر لهم عما يصدر عنه من حركات عفوية يدفعه اليها إحساس بالراحة لم يستشعر له مثيلا منذ سنين ..

قال قائل من المجلس .. انك على حال لا تعينك على العمل يا امير المؤمنين فلا تلق بنفسك للهلاك فداك نفسي .. دعني الملم هذه القراطيس وانحها عنك جانباً ولو ساعة من الزمن فان لبدنك عليك حقاً .. ولصحبك القدامى عليك حقاً ..

والله يا هذا لقد كنت من غير هذا الامر فى راحة ولكنها مشيئة الله فعسى الا يرزا بها بعدى احد من آل الخطاب إلى اخر الزمان ..

ثم عاود عمر النظر إلى عمرو بن الطفيل كان بصره لا يريد ان يرتوى من منظر ذلك الرجل الجلد الذى لا يكاد يصدر عن كلمة يقولها إلا حين يسال .. وتنهد عمر غير قاصد وهو يقول .. رحم الله اباك ، كاني والله به هذه الساعة يحدثني كيف حطم ذا الكفين !

وطاول رجل من الجالسين بعنقه فقال « ذا الكفين ؟ وما يكون ذلك يا امير المؤمنين ؟ » .

هز عمر راسه وهو يبتسم قائلا « الحمد الله الذى اوجد جيل المستجدين من المسلمين الذين يجهلون عن تلك الاصنام اللعينة كل شىء .. ثم التفت ناحية عمرو ابن الطفيل يقول له .. بالله عليك يا عمرو إلا حدثت هؤلاء الشباب عما سمعته من ابيك عن ذي الكفين ؟ »

كيف اكون سمعته عن احد يا امير المؤمنين وانا فى طفولتى شاهد ذلك الامر حتى لكانما يقع امامي الآن ؟

حقا .. ظننتك اصغر من ذلك سنا يا ولدى .

لا يا امير المؤمنين ، لقد وقع الامر وانا فتى يافع اعرف الضار من النافع ..

اعد علينا تلك القصة فان سماعها يطيب لي كاحسن القصص .

كان لقبيلتنا دوس صنم يدعى ذا الكفين .. كان كسائر الاصنام الا فى امر واحد .. الناس فى دوس تراكم فى اذهانهم وهم خرافة اكذوبة جعلتهم يعتقدون اعتقاداً راسخاً ان من يرد ذا الكفين باذى فانه يثير عليه صاعقة من السماء تدمره تدميراً .. كان ذلك مستقراً فى انفسهم فلا يرتاب احدهم لطرفة عين ان من يرد ذا الكفين

بشر فان صاعقة من السماء تنقض عليه فتحرقه وتدعه فاقد الحياة ضائع السمع والبصر . ولقد يذكر امير المؤمنين ان ابي حين هداه الله تعالى للاسلام كان واسع الأمل بان تطيعه دوس كلها فتدخل دين الله دون تردد لولا ذو الكفين هذا وهيمنته على عقول الناس .. وحين لم يسلم مع ابى من قومه سوى ابى هريرة رضى الله عنه وفد ابى على رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكا له إعراض دوس عن الدين ..

فنهض رسول الله بعد ذلك فتوضا ثم صلى ركعتين ثم رفع يديه الى السماء فدعا لدوس أن يهديها الله ، فيما كان ابي ، حسبما روى لي رحمه الله ، يرتعد جزعاً من أن يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم على دوس فاذا هو يدعو لها واستجاب الحق جل جلاله وشيئا فشيئا راح المؤمنون من دوس يتزايدون لكن ابى لم يكن ليرتاح الى شيء من ذلك حتى يصبح قادراً على حرق ذى الكفين .. واخيراً جاءت الفرصة وخرج أبى الى موقع ذى الكفين معلناً من امن ومن كفر فى دوس انه سيحرق الصنم وليكن ما يكون .

وتبين ذلك اليوم أن كل متردد فى دخول الدين الحنيف انما كان خائفاً من ذى الكفين .. فيا لعقول البشر حينما تركبها الضلالة فاذا هى صماء عمياء ولو كان لها الف عين واذن .

وجاء ابى بحطب جاف جزل فحشاه فى بطن الصنم وعباده يتصايحون .

ويحك يا ابا عمرو .. ستاخذك الصاعقة .. توقف ولا تشعل النار .

ولكن ابى مضى يرتجز متحمساً فاشعل النار وراح الصنم اللعين يتهاوى قطعاً والناس فى ذهول حتى اذا زال ولم يعد له وجود واكلته النار تصايح الخائفون : الويل لك يا ذا الكفين لقد كنت اكذوبة الزمان .. ولو كان بك خير لدفعت نفسك .. نريد الاسلام يا ابا عمرو .. نشهد بما شهد به المسلمون لا إله الا الله .. محمد رســـول الله ..

وتجاوبت صيحة الايمان فى دوس فما غابت شمس ذلك اليوم على رجل واحد فيها بقي على الكفر .. واستجاب الله تعالى لدعوة رسوله .. ومضى ابى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستزيد من بركة الصحبة النبوية .. الى أن لحق رسول الله بالرفيق الأعلى .. وكان عصر ابى بكر وكانت الردة فاناله الله فى اليمامة ما طالما سعى له ولم ينله من قبل : الشهادة فى الله جهاداً .

وما ان انتهى عمرو الى ذلك حتى جيء بالطعام .

زاد امير المؤمنين عمر كان بركة وخيراً ولا ريب .. وكان خبزا وادماً وشيئاً آخر ربما كان نقيعاً من التمر ..

واذ ذاك تنحى عمرو بن الطفيل جانباً ..

ونظر إليه امير المؤمنين عمر رضى الله عنه فادرك بما يعرف عن ابيه ويعرف عنه انه كان عازفاً عن ان يؤذى الطاعمين بابراز يده المقطوعة فى اليمامة فهو ما يزال يضعها فى الزاد ويستعين بها .. ولكنه اشد حياء من أن يبرزها على حالها المشوهة لامير المؤمنين وجلسائه .. ولقد استشعر إحساساً مفزعاً حين سمع امير المؤمنين يقترح ان يتغذى جلساؤه عنده ذلك اليوم .. لكن ذلك الشعور المتعب راح يتراجع هوناً ما كلما اذكر الرجل أن يده لم تقطع او تشوه إلا وهى تستقبل اعداء الله مواجهة وتهز السيف فى صفحات وجوههم عياناً واستبسالا .. ومع ذلك فانه لا يحمل ذلك الفضل على احد من الناس .. يده فى مكان القطع مشوهة ومنظرها مزعج فكيف به لو تقدم بجذمها المبتور الى طعام الآخرين .. وقليلا ما كان يتصور أن عمر رضى الله عنه كان يتابع تطور شعوره ويقرأ ذلك على تغضنات أساريره وحركات تراجعه من موضع الزاد ..

وتكلم امير المؤمنين فقال «ما بك .. لعلك تاخرت عن الطعام خجلا من يدك .

اجل يا امير المؤمنين .

والله لا أذوق هذا الطعام حتى تخلطه بيدك المقطوعة .

يا امير المؤمنين .

لقد اقسمت عليك .

سمعاً وطاعة يا امير المؤمنين لك منـــا ما تشاء .

والله ما فى القوم احد بعضه فى الجنة الا انت » .

وافتر عمرو عن ابتسامة خفيفة فيما عاود التقدم ناحية الزاد وتمتم يدعو الله أن يجمع بعضه الباقى الى بعضــه المستشهد يوم اليمامة .. لكن ذلك لم يتحقق له الا حين شاءت ارادة الله ذلك فى معركة اليرموك الظافرة الحاسمة ..



مستقبل التعاون الخليجي المشترك

بقلم: الدكتور يحيى رجب

دكتوراه في القانون الدولي

أصبح تعاون دول الخليج العربية واقعاً ملموساً ويستند إلى قناعة دول المنطقة باهمية الدور الذى يؤديه مجلس التعاون لدول الخليج العربية لتحقيق وحدة شعب المنطقة .

وتشكل منطقة الخليج العربية عمقاً استراتيجيا وسياسيا واقتصاديا . ويتطلب ذلك الحديث عن اهم الموضوعات التى تسهم فى تحقيق التعاون المشترك .

أولا : أمن المنطقة

تعتبر منطقة الخليج العربية امتداداً بحريا للمحيط الهندى ، ويبلغ طول الخليج العربى الف كيلومتر ، وعرضه يتراوح ما بين ٢٠٠ ـ ٣٠٠ كيلومترا ، ويغطى منطقة تبلغ مساحتها ٢٢٦٫٠٠٠ كيلومتراً مربعاً .

ويعتبر الساحل الغربى من الخليج ساحله العربى حيث تقع دول الخليج العربية ، وتطل ايران على السواحل الشرقية للخليج .

ويعتبر الخليج العربى من الخلجان الدولية اى يعتبر جزءاً من اعالى البحار ، وتكون للسفن حرية المرور فيه ما عدا الجزء الذى يخضع للاختصاص الاقليمى للدول الساحلية المطلة على الخليج ، فالبحر الاقليمى يخضع لسيادة الدول الساحلية ، ولا يحد من هذه السيادة سوى كفالة المرور البرىء لسفن الدول الأجنبية ، ويكون المرور بريئاً ما دام لا يضر بسلم الدول الساحلية أو يمس نظامها او امنها ، وواجب الدول الساحلية الا تعيق المرور البرىء لسفن الدول الأجنبية فى بحرها الاقليمى .

مضيق هرمز

يصل مضيق هرمز بين الخليج العربى الذى يعتبر بحراً شبه مغلق بخليج عمان الذي يعتبر بحراً مفتوحا على المحيط الهندى ، وتطل على مضيق هرمز إيران من الشرق وسلطنة عمان من الغرب .

وطبقا لاتفاقية الأمم المتحدة الجديدة لقانون البحار التى تم اعتمادها فى ٣٠ ابريل ١٩٨٢ فى الدورة الحادية عشر لمؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار ـ يعتبر مضيق هرمز مضيقاً دولياً تمر منه جميع السفن والطائرات مروراً عابراً من الخليج العربى إلى خليج عمان وبالعكس .

ويعنى المرور العابر حرية الملاحـة والتحليق لغرض وحيد هو العبور السريع فى المضيق لجميع السفن والطائرات دون تميز سواء اكانت تجارية او حربية بشرط ان تمضى دون إبطاء خلال المضيق او فوقه وان تمتنع هذه السفن عن اى تهديد بالقوة او اى استعمال لها ضد سيادة الدولة المشاطئة للمضيق ، ولا يجوز للدولة المشاطئة للمضيق ان تعيق حق المرور العابر للسفن ، ولا يمس نظام المرور العابر للسفن الوضع القانونى للميـاه التى يتشكل منها المضيق . ويكتسب مضيق هرمز اهميته حيث انه ممر مائى تعبر منه صادرات دول الخليج النفطية .

وتحرص دول مجلس التعاون على ابعاد المنطقة عن صراعات الدول الكبرى حيث انها تعتبر مصدراً للطاقة وشريانا للحياة الصناعية المتقدمة . وأكدت دورات المجلس الأعلى لمجلس التعاون على رفض اى تدخل اجنبى فى المنطقة ، ورفعت شعار الأمن الذاتى الخليجى ، وركزت فى بياناتها المختلفة على مسئولية دول الخليج فى تحقيق امن واستقرار المنطقة .

وترجع اهمية المناورات العسكريـة

المشتركة التى اجرتها دول مجلس التعاون فى شهر اكتوبر الماضى على ارض دولة الامارات العربية المتحدة إلى انها اول تنسيق عسكرى مشترك بين دول المجلس ، وتامل دول المنطقة ان تدعيم قدراتها الدفاعية المشتركة .

المتطلبات الأمنية الضرورية

تؤمن دول مجلس التعاون بان الظروف الدولية الراهنة تتطلب تحقيق الأمور التالية :

● الاستقرار فى منطقة الخليج العربية وتفادى تحويلها إلى منطقة توتر عالمية ، حيث ان دول المنطقة هى الأقدر على تسوية منازعاتها الاقليمية ، ولذلك فانها تعمل بكل طاقاتها على نجاح الوساطة التى تقوم بها لتسوية النزاع الايرانى العراقى تسوية سلمية .

● الاسهام فى تحقيق الأمن القومى العربى حيث ان امن الخليج يعتبر جزءاً من الأمن القومى العربى ، ولذلك فان دول المنطقة التزمت بالدفاع عن القضية الفلسطينية ، وتقدمت المملكة العربية السعودية بمبادرة « الملك فهد » لتحقيق تسوية سلمية للنزاع العربى الاسرائيلى ، والتى اعتمدها مؤتمر القمة العربى الثانى عشر الذى عقد فى مدينة فاس بالمملكة المغربية فى ١٠ سبتمبر ١٩٨٢ ، كاطار لمشروع السلام العربى الذى ايدته المجموعة العربية .

وتبذل دول مجلس التعاون قصارى جهدها لتسوية الخلافات العربية فكان لها دورها فى تسوية الخلافات بين اليمن الديمقراطية وسلطنة عمان وتواصل دورها لوقف القتال فى شمال لبنان بين الأطراف الفلسطينية ، وتعمل على تحقيق المصالحة الوطنية بين الأطراف اللبنانية المتنازعة .

● تحقيق المناخ الامنى المستقر لمنطقة الخليج العربية ، لدعم التنمية الاقتصادية الشاملة للدول الاعضاء ، حيث أن المشروعات الاستثمارية الاقتصادية تحتاج الى ان يسود المنطقة السلام والأمن والطمانينة .

ثانياً : استراتيجية مشتركة للنفط

تعمل الوكالة الدولية للطاقة التى انشاتها الولايات المتحدة الامريكية ودول أوروبا الغربية على تكوين احتياطى مخزون من النفط لمواجهة الحالات الطارئة كما وضعت خطة طويلة الأجل تهدف إلى الحد من الاعتماد على البترول المستورد وذلك كله بهدف تفتيت التكتل الاقتصادى للدول المنتجة للبترول ، وزيادة العرض فى السوق النفطية مما يؤدى الى انخفاض اسعار النفط . ولذلك فانه ينبغى ان تحرص دول مجلس التعاون على التصدى لاستراتيجية الدول الغربية وان تعمل على تحقيق المرونة لخطتها فى تحديد حصص الانتاج بما يتمشى مع الطلب حتى لا تكون هناك تخمة نفطية تؤثر على انخفاض اسعار النفط .

ومن جهة اخرى ينبغى على دول المنطقة الاحتفاظ بالنفط فى باطن الارض لاطالة عمر الاحتياطات النفطية ، وذلك بهدف تامين مستقبل الأجيال القادمة حيث ان التنمية الاقتصادية تتطلب جهوداً كبيرة واستثمارات مالية ضخمة .

كما يلزم تطوير الصناعة النفطية من حيث دعم صناعة تكرير النفط بدلا من تصديره فى صورته الخام ، والاهتمام بصناعة البتروكيماويات واستغلال الغاز الطبيعى والبحث عن احسن السبل لتسويق النفط .

ثالثاً : تنويع مصادر الدخل وزيادة الانتاج

تواجه دول مجلس التعاون مشكلة البحث عن موارد بديلة للنفط الذى يتعرض بطبيعته للنضوب ، كما تخضع أسعاره خضوعاً تاماً لقوى العرض والطلب فى الاقتصاد العالمى ، وقد تم فى الفترة الماضية التسرع فى معدل استنزافه اكثر من الحاجات الانمائية المطلوبة .

وتهتم الأجهزة العاملة فى مجلس التعاون بدراسة كيفية وضع سياسة مشتركة لمواجهة مرحلة ما بعد نضوب النفط ، والاعتماد على مصادر بديلة للدخل تحقق لدول المنطقة التنمية الاقتصادية الشاملة والمستقرة ، ولذلك فانه يلزم تطوير السياسة الانتاجية وترسيخ قاعدة صناعية كبيرة تستطيع ان تحل محل النفط الأيل للنضوب ، كما انه ينبغى التركيز على زيادة الانتاج الزراعى والصناعى للدول الأعضاء حيث ان انتظام دول مجلس التعاون فى اتحاد جمركى واحد لا يكفى وحده فى المرحلة الأولى من مراحل التعاون الاقتصادى المنشود .

رابعاً : المشروعات المشتركة

تعمل المشروعات المشتركة على التمتع بمزايا الانتاج الكبير ، وعلى استيعاب الفوائض المالية المتزايدة ، وتؤدى الى تنسيق التعاون الاقتصادى بين الدول الاعضاء ، ولقد نصت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على تشجيع اقامة المشروعات المشتركة ، ولذلك فانه يلزم تشجيع استثمار رؤوس الأموال الخليجية فى مشروعات عربية بدلا من تسربها الى الدول الغربية ، وذلك بهدف دعم الرابطة بين مواطنى دول مجلس التعاون وتعزيز السوق المالية الخليجية . ونامل ان تؤدى « مؤسسة الخليج للاستثمار » والتى انشاتها دول مجلس التعاون براسمال مشترك قدره الفان ومائة مليون دولار – مقرها الكويت – بدورها فى اقامة المشروعات المشتركة داخل الدول الاعضاء وخارجها.

وتستطيع دول مجلس التعاون ان تستفيد من الثروة الاقتصادية الافريقية فى اقامة المشروعات المشتركة باسهام رؤوس الاموال الخليجية ، مع الوضع فى الاعتبار ضرورة تامين الاموال المستثمرة ضد المخاطر

غير التجارية التى قد تتعرض لها الدول النامية مثل فرض الحراسة والتاميم والمصادرة . ويمكن الاستفادة من التجربة الجديدة لوحدة وادى النيل المتمثلة فى ميثاق التكامل المصرى السودانى ، واقامة مشروعات مشتركة بالتعاون مع دول الخليج العربية ، ويؤدى ذلك الى تحقيق فوائد كثيرة من اهمها دعم الأمن الافريقى العربى ، وضمان استمرار عزل اسرائيل عن المجموعـــة الافريقية والاستفادة من الامكانات الاقتصادية لجميع الأطراف بما يعود باثره فى النهاية على تحقيق الفائدة للجميع .

خامساً : الأمـن الغـذائى

تعانى دول المنطقة من مشاكل التصحر ، وتناثر المناطق الزراعية وتشتيتها الى وحدات صغيرة الحجم ، وانعكس ذلك على ضالة مساهمة القطاع الزراعى فى تحقيق الامن الغذائى لدول المنطقة .

كما تعانى دول المنطقة من عدم وفرة الموارد المائية ، وتعمل هذه الدول على انشاء المراكز العلمية لدراسة كيفية تنمية الموارد المائية والزراعية ، فيوجد بالمملكة العربية السعودية مركز البحوث الزراعية فى الرياض ، ومعهد العلوم البحرية فى جده ، واجرت كلية العلوم فى جده دراسات عن تلوث المياه وتنمية الثروة السمكية والموارد المائية ، ويوجد فى الكويت مركز تنمية الموارد المائية ، والمؤسسة الاوروبية العربية لازالة الملوحة ، وترعى منظمة الاغذية والزراعة فى الامارات والكويت مزرعة اختبارية لاجراء بحوث متصلة بالزراعة .

ومن جهة اخرى يوجد بالمملكة العربية السعودية اراض قابلة للزراعة يمكن بعد زراعتها من سد احتياجات دول مجلس التعاون .

ونعتقد انه يمكن فى اطار عمل مؤسسة الخليج للاستثمار انشاء مركز فنى متخصص لاجراء البحوث فى الميادين الزراعية والحيوانية ، وفى تطوير مصادر المياه ، واجراء الدراسات الاقتصادية للمشروعات المشتركة الزراعية والحيوانية وذلك بهدف تحقيق الامن الغذائى لدول المنطقة .

سادساً : المـوارد البشـرية

نصت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على ان تقوم الدول الاعضاء بوضع سياسات وتنفيذ برامج منسقة للتدريب والتاهيل الفنى والمهنى والحرفى على كافة المراحل ، وتطوير مناهج التعليم ، كما نصت الاتفاقية على ان تعمل الدول الأعضاء فيما بينها على وضع معايير وتصنيفات موحدة لمختلف فئات المهن والحرف فى القطاعات المختلفة تحقيقاً للاستفادة القصوى من الموارد البشرية المتاحة .

ونعتقد ان الوقت قد حان للتركيز على التعليم الصناعى وعلى اقامة معاهد التدريب الفنية وتشجيع البحوث العلمية بهدف تكوين كوادر فنية وطنية قادرة على تحمل مسئوليات التنمية ، وذلك كله من منطلق ان المواطن الخليجى هو صاحب المصلحة الحقيقية فى تنمية اقتصاديات بلاده .

سابعاً : الطاقة البديلة

ا ـ الطاقة الشمسية

ينبغى الاستفادة من الطاقة الشمسية التى تتميز بها منطقة الخليج العربية حيث انها منتشرة على نطاق واسع فى دول مجلس التعاون ، كما انها خالية من التلوث ومستوفاة لشروط السلامة ، ونقترح انشاء هيئة فنية متخصصة تتبع الأمانة العامة لمجلس التعـــاون وتهدف الى البحث والتطوير وتقديم المشورة الفنية للدول الاعضاء فى هذا المجال .

ب ـ الطاقة النووية :

تعمل اسرائيل منذ فترة على دعم وجودها النووى فى المنطقة ولديها مفاعل نووى لا يخضع لرقابة خارجية ، ولم توقع على معاهدة حظر انتشار الأسلحة النووية وكشفت الغارة الاسرائيلية على المفاعل النووى العراقى فى شهر يونية ١٩٨١ عن النوايا الحقيقية لاسرائيل تجاه السلام فى المنطقة وحرصها على احتكار الطاقة النووية فى المنطقة .

ومن جهة اخرى نرى ان دول مجلس التعاون تمتلك الثروة النفطية والقوة الاقتصادية المؤثرة فى المجتمع الدولى ، فما زال النفط العربى يؤدى دوره الاقتصادى فى المجتمعات الصناعية المتقدمة ، ولم تتوصل البحوث العلمية حتى الآن الى الطاقة البديلة .

ولذلك فان دول مجلس التعاون تستطيع أن ترسم لنفسها استراتيجية مستقبلية للاستفادة من الطاقة النفطية التى تمتلكها فى المبادلة بالطاقة النووية والتكنولوجيا المرافقة لها وذلك بهدف اللحاق بحضارة العصر ، وأن تعمل دبلوماسيتها على إزالة الحواجز السياسية التى تعرقل من حصولها على الطاقة النووية .

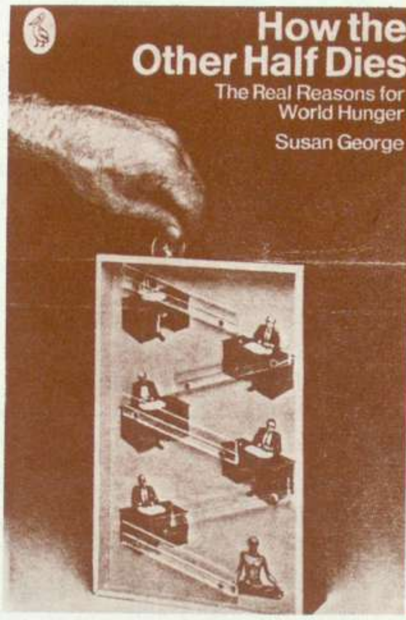
ثامناً : مجلس التعاون ومنظمـــة الأمم المتحـدة

يعمل مجلس التعاون لدول الخليج العربية على الاسهام مع منظمة الامم المتحدة فى الحفاظ على السلم والأمن الدوليين فى منطقة الخليج العربية .

وتعمل اجهزة الامم المتحدة على تشجيع التعاون الاقتصادى الاقليمى ، وتنتمى دول الخليج العربية فى نطاقها الجغرافى الى اللجنة الاقتصادية لغربى آسيا التابعة للأمم المتحدة «الاكوا»

ونعتقد أنه ينبغى الاستفادة من خبرة أجهزة اللجان الاقتصادية التابعة للأمم المتحدة فى تحقيق التنمية للدول الأعضاء

د . يحيى رجب



مأســـــاة يتـــعرض لهـــا الملايــــين:

كيف يموت النصف الآخر من العالم؟!

عرض ومراجعة: الدكتور عبد القادر حسين ياسين

الجوع هو الذى يحكم أكثر من نصف العالم ، ويقضى على سكان هذا « النصف الضائع » ويهددهم بالفناء .. فمن المسئول عن هذه المأساة التى تبتلع الملايين وتلقى بهم إلى الدمار ؟

لماذا ينقسم العالم الى غنى وفقير ؟ كيف ينظر أهل الشمال إلى أهل الجنوب ؟ كيف تتم عملية الأفقار المنظمة ؟ ما العمل للخروج من هذا المأزق ؟ تلك هى أهم الأسئلة التى تحاول الدكتورة سوزان جورج ، الاجابة عليها فى هذا الكتاب القيم .

تحرص الدول الراسمالية على تجميل صورتها فى العالم ، وتنصيب نفسها مرشداً للشعوب وحريصة على مصالحهـــا . وتستمد هذه الدول من ايديولوجيتهـــا الراسمالية المسيطرة المزيد من الدعاوى المصطنعة : باسم العلم والعقل والمنطق على اعتبار ان العلم هو « مفتاح الحلول » لمشاكل العالم الثالث . ويأتى هذا الكتاب ليدحض هذه المزاعم ويفضح ما تصدره هذه الدول من بؤس ومجاعة الى دول العالم الثالث ، وليؤكد ، بالتـــالى ، بالحقائق والأرقام ، انه لا يمكن ان نعزو الكوارث التى تصيب العالم الثالث الى « ضيق مساحة الارض » ، (كما لو ان الكرة الارضية سفينة لا تتسع الا لعدد محدود من الركاب) ولا الى « سوء الطقس » ، وانما على العكس من ذلك تماماً ، الى خضوع الغذاء لسيطرة الاغنياء مما يجعـــل الشعوب الفقيرة وحدها تعاني من هذه الأزمة .

وبعد ان تفند الدكتورة سوزان جورج النظريات الراسملية الرائجـة عن ازمـة الجوع المنتشرة فى العالم الثالث ، واشباه الحلول التى يقدمها « الخبراء » الغربيون للخروج من هذه الأزمة ، تلقى المزيد من الأضـواء على القـوى السياسيـــة والاقتصادية التى تتحكم بمصير الشعوب وكيفية رسم انماط معيشتها . ثم توضح كيف يعـاني هـؤلاء من سـوء التغذيـة والجوع حتى باتت اجسامهم أشبه ما تكون بالجثث المتحركة . وتعتقد الدكتورة جورج ان ما تعانيه شعوب العالم الثالث « ليس صدفة » ، ولذلك فان من المستحيل التسليم بهذا الوضع الذى يعانى منه الملايين من الناس فى آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية وخاصة عندما نعرف القوى التى تتسبب فى احداثه ، فى الوقت الذى تملك فيه هذه القوى كل الوسائل الممكنة لايجاد الحلول له بدلا من تركه ياخذ مساراً متفاقماً .

وتؤكد الدكتورة جورج ان الدول الراسمالية تتحمل القســـط الأكبـــر من المسؤولية تجاه هذه الكارثة ، ذلك انها سعت الى فرض نظامهـــا الاجتمـــاعى والاقتصادى على بقية دول العالم . وبعبارة أوضح ، أن هذه الدول هى التى سمحت بفرض نوع من التبعية التى تضاعف من ثروات الدول الغنية وتجعل من دول العالم الثالث « مستودعا » بشرياً لتوريد الأيدى العاملة الرخيصة وسوقاً للسلع الاستهلاكية .

وتفند الكاتبة الحملات التى تقوم بها اجهزة الاعلام الغربية التى « توهم غالبية الناس ذوى النوايا الحسنة بالاعتقاد ان مشكلة الجوع ناجمة عن كوارث الطبيعة التى ، بحكم تكاثرها ، تجعل اية امكانية للوصول الى حل ما مستحيلة ، أو ان المشكلة ناجمة عن التزايد السريع فى عدد السكان فى الدول النامية ، أو عن ظاهرة الكسل وفقدان المبادرة لدى شعوب العالم الثالث » .

وتحاول المؤلفة القاء المزيد من الاضواء على تلك الأكاذيب بتقديم تحليل علمي جاد ودقيق ، وتؤكد ان ما يجعل الفقـــراء او الفلاحين « كسالى » او « متخلفين » ليس فقط عدم امتلاكهم وسائل العمل ، ولكن العامل الاهم هو أن « نظم الملكية العقارية هى نفسها متخلفة ومعرقلة للانتاج فى العالم الثالث » .

وتشير الدكتورة جورج الى الأكاذيب التى ما فتئت اجهزة الدعاية الغربية ترددها ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١ ـ اصبحت الموارد العالمية ، ومن ضمنها الموارد الغذائية ، محدودة للغاية .

٢ ـ تزايد عدد السكان ، والدول الاكثر فقراً هى التى تشهد نسبة ولادة مرتفعة .

٣ ـ الدول الفقيرة هى التى تستهلك الموارد الغذائية .

وتتوقف الكاتبة عند قضية اساسية : لماذا يتزايد عدد السكان بين الشعوب الفقيرة بمعدلات اعلى . تقول المؤلفة : للاجابة على هذا السؤال لابد ان ناخذ بعين الاعتبار حقيقة ان العلاقة بين الغذاء وعدد السكان علاقة متبادلة . ومن نافلة القول إن الفقر سبب اساسى فى تزايد السكان . وهذا ما يضاعف من الصعوبات التى تواجه اى نظام سياسى ، اى ان الجوع وتزايد السكان ظاهرتان عرضيتان الاولى ليست سبباً للاخرى ، واية محاولة للبحث عن حلول لهذه الظاهرة بمعزل عن بقية المشاكل (عن طريـــق تحـــديد النسل مثلا) تؤدى الى مغالطة اكثر ماساوية بقدر ما هى مكلفة . وكلما بقيت الحالة على ما هى عليه ازدادت الهوة اتساعاً بين الدول الغنية والعالم الثالث ، وسيستمر الفقراء فى انجاب المزيد من الأولاد ، لانهم ليس بمقدورهم ، من الناحية الانسانية والمنطقية ان يفعلوا غير ذلك .

وتضيف الدكتورة جورج : « بدلا من ان نرشد النصف الآخر من البشر الى طريقة افضل للعيش ، والى العدد المطلوب من الأطفال ، فان علينا نحن الغربيين ان نتفحص بواعثنا الحقيقية . ليس ثمة شك فى اننا نخاف : نخاف من ان يستعيد منا سكان العالم الثالث جزءاً من التقدم الاقتصادى الذى يعود لهم ، ونخاف من ان يطالبونا بتخفيض مستوى معيشتنا . وإذا لم نعد لهم حقوقهم المسلوبة ، فان تزايد عدد السكان سيؤدى الى حل وحيد هو الثورة » .



هل يمكن ان نتصور ان يكون ملايين الاطفال على هذه الصورة المؤلمة ؟

وترى المؤلفة فى موقف الدول الراسمالية هذا « نوعـاً من ابوية الاستعمار الحديث » لأن الغربيين لا يكلفون انفسهم عناء معرفة دوافع أولئك الأمهات اللواتى لا يملكن ـ بسبب بؤسهن ـ الا خطأ واحداً للبقاء الا وهو الأولاد . إذ ان بمقدور هؤلاء ان يساهموا جدياً فى الحياة العائلية . ولذلك تعتقد الكاتبة ان من العبث ان تفرض الدول الراسمالية مساومات متبادلة ، لأن الدول الفقيرة اعطت (ولا تزال تعطى) الكثير دون ان تحصل بالمقابل إلا على الشيء الزهيد .

كما ان الدول الراسمالية ترفض استيراد السلع من دول العالم الثالث الا اذا كانت مواد اولية وزراعية صالحة للاكل ، وذلك بفعل علاقة التبعية القائمة بين المركز والمحيط .

خشية الخلاص

وتتوقف الدكتورة جورج امام ســـؤال اخر : لماذا تسعى الدول النامية ، غالبا ، لتبنى القيم والانماط الغربية على اعتبار انها تمثل « خشبة الخلاص » الوحيدة ؟ وتجيب على ذلك بقولها ان الخضوع من قبل دول العالم الثالث ما هو الا حصيلة لاستراتيجية غربية بعيدة المدى . وتحاول الكاتبة ان تميط اللثـــام عـــن هـــذه الاستراتيجية التى لا تكف عن التوسع وهى ، باختصار ، « ان سائر دول العالم تحاول تقليدنا ، ونحن بدورنا نفتش عمن يقلدنا » .

وتضيف الدكتورة جورج ان « النخبة المحلية » (فى دول العالم الثالث) هى التى « تقلد نمط الحياة الغربية ، وتتقبل بترحاب « مساعدة » الدول الراسمالية ، والمستشارين الأجانب ومساهمات الشركات الاحتكارية المتعددة الجنسيات فى اقتصادياتها » .

ولهـذه العـلاقة بين المركز والمحيط تاريخ قديم يعود الى خمسة قرون حيث كانت النخبة المحلية تساهم دائما مع القوى الاستعمارية ليكون لها حصة الأسد عند توزيع الغنائم على حساب شعوبها ولكن الكاتبة لم تتعرض لا من قريب ولا من بعيد لآلية هذه العلاقة وانما اكتفت بالتركيز على مرحلة ما بعد الاستعمار وحـــاولت ان توضح كيف (ولماذا نرى النخبة المحلية » فى العديد من دول العالم الثالث تخضع لهذا الشكل المزرى لمصالح الدول الراسمالية .

وفى معرض توضيحها لهذه الأسباب تقول الدكتورة جورج : « ان من جملة الأسباب التى تبقى على هذا الوضع المدمر

هو نظام التربية فى العالم الثالث المنقول حرفياً عن النموذج الغربى ضمن اوضاع مختلفة تماماً هو الذى ادى الى تاخير عملية التنمية الزراعية ، ودفع الاجيال الصاعدة الى ترك الزراعة . ثم الهوة بين المدينة المستغلة (بكسر الغين) والريف المستغل (بفتح الغين) التى ادت الى تفاقم الهجرة من الريف وتزايد اكواخ الصفيح فى المدن . ثم القطاع الزراعى الذى لم يزود بالطاقات البشرية المعدة اعداداً كافياً للقيام بعملية تحديثه وتطويره .

كما ان اغلبية الخبراء الزراعيين الذين تلقوا تعليمهم ، فى معظم الاحيان ، فى أوروبا الغربية ، قد تعودوا على نمط الحياة المدنية ولا يستطيعون ان يتكيفوا مع نمط الحياة في الريف » . ولا تستثني الدكتورة جورج الدور الذى تقوم به الولايات المتحدة الامريكية فى تعميق هذا الوضع . فعلى سبيل المثـال « حصرت الولايات المتحدة جهودها فى تشكيـل « النخب المحلية » فى امريكا اللاتينية والشرق الأوسط ، على الرغم من ان ثروتها الخرافية تسمح لها باعارة بقية دول العالم الثالث جزءاً من انتباهها . وعملت بريطانيا على تكوين قادة افريقيين وهنـود وسيلانيين ، واعتمدت فرنسـا على مستعمراتها القديمة . وترسل المانيا الغربية اليوم بعثات للعمل فى العديد من دول العالم الثالث . وعلى نطاق واسع نرى النظم التربوية فى الدول الافريقية الحديثة العهد بالاستقلال تعتمد على النماذج الغربية التى تمثلها « النخب » التى درست فى الخارج والتى لا تتنـاسب مع الاحتياجات الملحة لمواطنيها المعدمين » .

الثورة الخضراء

ثم تنتقل الكاتبة للحديث عن ما يسمى بـ « الثورة الخضراء » التى تطرح نفسها مثالاً صارخاً للانتاج الغذائي وحلا لمشكلة التنمية فى العلم من خلال الترويج لتقنياتها وتصديرها الى دول العالم الثالث كما لو انها تمثل حلا سحرياً لمشكلة الجوع فهذه « الثورة » لا يستفيد منها الا اغنياء الدول الراسمالية ومختلف شركاتهم الاحتكارية المتعددة الجنسيـات التي لا تقدم لشعوب العالم الثالث الا المزيد من البؤس منذ ما يزيد على ثلاثين سنة » .

وتعزو المؤلفة هذا الفشل الى المصالح الغربية التى تسير فى اتجاه يتعارض مع الحاجات الحقيقية للذين يعانون من الجوع . وعلى الرغم من الاخفاقـات الصارخة لهذه « الثورة » فى حل الأزمة العالمية للغذاء ، « يستمر معظم الخبراء فى نشاطاتهم كما لو أن هذه التقنيات هى الكفيلة بتقديم الحلول المناسبة .. ولم



نشغل بالنا قط بنتائجها الاجتماعية .. فى الواقع ، لقد اعرنا انتباهنا الى كل العوامل باستثناء تلك الكفيلة بحل ازمة الجوع والبؤس فى العالم الثالث » .

وترى المؤلفة انه « طالما تخضع دول العالم للدول الراسمالية ، وتتبع نماذج التنمية المفروضة عليها . فانها لابد ان تنتج مواد زراعية بهدف التصدير لتعود عليها بالأموال اللازمة لاستيراد المنتجات الصناعية والكمـاليات للترف وليس للاستهلاك المحلي وطالما استمرت تلك السياسة ، فان كل محاولات التنمية سيكون مصيرها الفشل الذريع . وستزداد اكثر فاكثر عملية السيطرة عليها من الخارج ، وفق استراتيجيات بعيدة المدى تهدف الى وضع دول العالم الثالث تحت الرقابة الدائمة للدول الراسمالية » .

سياسة شرسة

وتتولى الطبقات المسيطرة فى دول العالم الثالث ، عن وعي أو عن غير وعي ، تنفيذ تلك الاستراتيجية ، « وتعتمد فى ذلك سياسة قمعية شرسة ، فالجماعات المسيطرة (التى تكون ، فى الغالب قد سطت على السلطة واستعملتها لتحقيق امتيازاتها والحفاظ عليها) تبحث عن أعوان لها فى الخارج لتمكينها من تثبيت حكمها وتبديد ثروات شعوبها ، فتسارع هذه القوى الخارجية التى تقاسمها نفس الأهداف الى نصرتها . وهكذا ترتهن السلطة المحلية كلياً للدول الراسمالية القادرة وحدها على مساعدتها على الاستمرار فى الحكم » .

وسيكون من نتيجة هذا التحالف « المزيد من أعمال القمع لمواجهة تمرد الجياع فى داخل البلد ولا يهم ان تكون ايديولوجية الدولة الراسمالية المتحـالف معهـا ديمقراطية او فاشية .. المهم هو الهدف وهو ان تكون قادرة ومستقرة لنجدة حليفها والنزول بثقلها العسكرى لسحق الفقراء عند أول بادرة تمرد » .

ثم تبين الدكتورة جورج كيف اصبحت « سياسة الافقار » سياسة منظمة وكيف تحولت المساعدات الغذائية الى سلاح اقتصادى يستخدم ضد دول العالم الثالث لكى تظل دائماً تحت رحمة الـدول الراسمالية .

وتضرب الكاتبة مثلا على ذلك فتقول « ان تعاظم نقص الحبوب يمكن ان يعطى الولايات المتحدة مقدرة كبيرة على التحكم بحياة (أو موت) الملايين من الفقراء للصادرات الغذائية الامريكية » .

وبعد ان تحلل المؤلفة اساليب افقار العالم الثالث ونهب ثرواته تتساءل : ما العمل ؟ وماذا يمكن للطبقات المسيطرة فى المحيط ، أو الطبقات المسيطرة فى المركز ان تعمل ؟

والجواب البديهى للطبقات الحاكمة فى الدول الراسماليـة انه ليس من مصلحتها ، بشكل عام ، ان تنتهج سياسة جديدة تقلل من سيطرتها ونفوذهـا وارباحها .

وتقترح الدكتورة جورج على الـدول الراسمالية ان « تدع الشعوب الجائعة » (أو المجموعة) فى العالم الثالث وشانها ، وان تكف عن ارسال الخبراء الـذين لا يوصون الا باتباع حلول على النموذج الغربى ، وان تكف عن ايهام الآخرين بان النظام الراسمالي هو النظام الوحيد للتقدم وان تكف عن تكييف بيئة العالم الثالث وفقا لحاجاتها » .

وتخاطب الكاتبة زعمـاء الـدول الراسمالية بقولها : « كفوا عن تقـديم الدعم المادى والسياسي للطبقات القمعية التى لا تعمل قط من أجل تحسين معيشة شعوبها . اعطوا هذه الشعوب فرصتها » وبعد ان تدين بقوة السياسة التى تنتهجها الدول الراسمالية ، تطلب فى الوقت نفسه الى دول العالم الثالث ان « تغير سياستها تغييراً جذرياً وان ترفض بقوة الارتهـان لوصاية الدول الراسمالية وتكريس تبعيتها لهـا » .

ان المجال لا يتسع لاثارة كل الموضوعات التى تناولتها الدكتورة جورج فى كتابها القيم . لقد وفقت المؤلفة فى تشخيص الأساليب التى تنتهجها الدول الراسمالية لافقار العالم الثالث ، وجددت مسـار السياسات الامبريالية ووسائطها فى العالم الثالث ، وربما كان أهم ما قامت به انها مزقت القناع التى تختبىء خلفه تلك الدول التى تقدم نفسها على انها عدوة شرسة للامبريالية ، وهى فى الواقع غارقة فى تبعيتها له .

الدكتور عبد القادر حسين ياسين

صفحات مجهولة

أول قصيدة سعودية لشاعر مصري منذ ٥٣ عاماً

● الأمير شكيب أرسلان اكتشف القصيدة والشاعر
● مقالة تاريخية لأمير البيان في الموازنة بين الشاعر وأبي تمام

بقلم: كمال النجمي

في ظني انه لولا تلك المجلة العروبية الاسلامية ذات التاريخ الجليل، لما فكر هذا الشاعر المصري الكبير أن ينشر شعره، لانه كان عازفاً عن نشره عزوفاً يشبه أن يكون عدم مبالاة ممزوجاً بشيء من الخوف أو التردد، وقد عانيت منه ذلك بنفسي، وله موضع في حديثنا إن اتيح لنا، في مقالات قادمة ..

منذ ستين عاماً تقريباً صدرت في القاهرة مجلة أسبوعية اختار لها منشئها اسم «الفتح» .. ورفع شعارها مسطوراً على رأس صفحتها الأولى قوله تعالى: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين» ..

منشيء الفتح مجاهد سوري، نزل مصر بعد اقتحام الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال غورو، دمشق العزلاء، عقب الحرب العالمية الأولى، وانفراط الحكومة السورية العربية التي كان صاحب الفتح من رجالاتها النشطين في مقاومة الغزو الفرنسي. وقد عرف الغزاة بلاءه فطلبوا رأسه بعد وقعة ميسلون الخالدة، فاستتر في ملابس فقراء البدو، وركب جملا اخترق به سوريا وفلسطين وسيناء حتى بلغ وادي النيل واستقر في القاهرة ..



جلالة الملك عبد العزيز آل سعود



الأمير شكيب ارسلان



محمد علي الطاهر



الدكتور احمد الشرباصي

هذا المجاهد هو الكاتب الكبير ، العالم العامل ، الاستاذ محب الدين الخطيب المتوفي الى رحمة اللـه في منتصف السبعينات وقد نيف على الثمانين ، قضاها كلها يقول ويعمل لله وفي الله ، واصدر مجلتين عظيمتين ، الاولى «الزهراء» التي كانت في العشرينات من ارقى المجلات الفكرية والادبية في مصر والعالم العربي ، واكثرها التزاما بقضية امتنا .. وفيها كتب المستشرقون المستنيرون وكبار كتاب مصر والاقطار العربية ، ولكنها لم تعش طويلا .

والمجلة الأخرى هي « الفتح » .. كانت ملتقى الأقلام الاسلامية والعربية من كل الانحاء ، وعاشت اكثر من عشرين عاماً .. ومن اعظم كتابها الأمير شكيب ارسلان الذي لقبه معاصروه : «كاتب الشرق الاكبر» و « أمير البيان » .. و « حجة العرب » .. وكان ادبه وعلمه وماله وقوة فكره وبدنه وروحه ، وقفاً على العروبة والاسلام ، في مثالية تشبه الرهبانية ، فعاش منفياً عن بلاده « لبنان » الى آخر حياته ، لم يعد الى بلدته «الشويفات» في جبل الشوف إلا قبل وفاته بثلاثة اشهر ، في آخر سنة ١٩٤٦

داعية للاسلام والعروبة

عاش شكيب ارسلان يتنقل في اوربا وامريكا وآسيا ، داعياً الى حقوق العرب والمسلمين التي كانت في ذلك الزمن نهباً مقسماً بين البريطانيين والفرنسيين والايطاليين والهولنديين والاسبان وغيرهم من دول أوربا ..

ومنع المستعمرون شكيب ارسلان من دخول جميع البلاد العربية التي يحتلونها واولها سوريا ولبنان اللتان تحتلهما فرنسا بل كان مجرد اسمه ممنوعا من دخول البلاد العربية ، ما عدا مصر والعراق والسعودية واليمن ، فيكفي أن ترسم حروف اسمه في كتاب من الكتب ولو عرضاً ، فلا يهدأ للسلطات الاستعمارية بال حتى تصادره ! .

كان شكيب ارسلان داعية الى الاسلام والعروبة معاً لا يرى تناقضاً بينهما .. كتب اليه الملك فيصل الأول ملك العراق الأسبق كلمة مشهورة قال له فيها ، « اشهد انك اول عربي تكلم معي في الوحدة العربية واراد ان تكون وحدة عملية » .. اي قائمة على حقائق الأشياء لا على الوهم والخيال ! .. وفي ذلك يقول شكيب ارسلان : « إن العروبة جامعة كلية .. وان جمع الشمل السياسي لا يكون إلا بلم الشعث الاجتماعي ، وبث روح الوحدة الادبية » .

وفي الكتاب القيم الذي عنوانه « شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام » يقول مؤلفه صديقنا الشيخ احمد الشرباصي رحمه الله : « ظل شكيب يبدىء ويعيد في الحديث عن الوحدة العربية والدعوة اليها وقد بدأ بذلك في وقت مبكر عقب الحرب العالمية الأولى ، وبقي يغادي هذه الفكرة ويراوحها ، ولا يترك فرصة للحديث عنها . فهو في سنة ١٩٢٩ يتحدث عن الصهيونية وخطرها وممالأة انجلترة لها ، واستخفافها بالعرب ، فيشير الى أن علة العرب هي التفكك والتمزق ، وان سبب تغلب اعدائها عليها هو اختلافها فيما بينها وعدم التقائها على كلمة واحدة وهدف واحد .. وفي سبيل بلوغ الوحدة لايرى مانعاً أن يتنقل في مراحل ، ويتدرج مع الزمن ، فهو ـ مثلا ـ يقول سنة ١٩٢٩ عن الجزيرة العربية ـ يقصد السعودية أساساً ـ إنها القطعة الباقية على الاستقلال من الوطن العربي ، ولذلك هي مناط آمال الأمة العربية قاطبة ، فالعرب اجمع مولون وجوههم شطر الجزيرة يأملون حفظها من مصائب الاحتلال التي وقعت بها البلاد العربية الأخرى ، وذلك حتى تكون في المستقبل مبعث الدولة العربية المستقلة كما كانت في الزمن الغابر » ..

ولما نشبت الثورة السورية سنة ١٩٢٥ وقمعها الاستعمار الفرنسي بالحديد والنار ،

أول قصيدة سعودية لشاعر مصري منذ ٥٣ عاماً

كتب الأمير شكيب من مقره الدائم في سويسرا بياناً باللغة الفرنسية الى « عصبة الأمم » .. يطلب الاعتراف باستقلال سوريا ولبنان وفلسطين ، والغاء نظام « الانتداب » الاستعماري المشين ، وجلاء القوات الفرنسية والبريطانية عن هذه الاقطار العربية الثلاثة ودخولها بعد استقلالها عصبة الأمم .

وفي سنة ١٩٢٦ كتب عن قضية فلسطين يقول : « اذا كان حكم الله على اليهود بان يشتتوا ايدي سبا ولا تكون لهم مملكة ، افيكون العرب مسئولين عن ذلك ويجب ان يعاد شمل هذه « الأمة » على ظهر العرب ومن كيسهم ؟ ! .. ان اربعة عشر مليونا من هذا « الشعب اليهودي » هم في أوربة وامريكة .. اذن قد كان الأولى بالأوروبيين الذين فى ديارهم ان يجمعوا شملهم الى مملكة واحدة وان يعيدوا عليهم حقهم الضائع من كيسهم لا من كيس غيرهم ، لا ان تقطعهم انكلترة ملك العرب الذي يتصرف به العرب من الف وثلاثمائة سنة .. فالعرب لم يموتوا ولن يتخلوا عن وطن عربي بحت هم سادته من ثلاثة عشر قرناً ، لأجل عاملكم الديني والاقتصادي » !

ثم يقول هذه الكلمة السديدة الثاقبة النظر : « إننا حضرنا الجلسة الأخيرة التي انعقدت في « جنيف » لأجل المذاكرة في ادارة فلسطين ، وسمعنا افادات المندوب الانكليزي ، وفهمنا منه كيف ان اختلاف أعيان فلسطين ـ لأن الأعيان هم الذين اختلفوا ـ ومنافساتهم ومزاحماتهم على العضوية والرئاسة وما اشبه ذلك ، قد قوت آمال الانكليز واليهود كثيراً على انفاذ البرنامج الصهيوني ، واضرت جداً بالعرب ويا للأسف ، كما ان نغمة وايزمان هذه المرة تشعر ايضا بنشاط وأمل لا منشا لهما سوى اختلاف الفلسطينيين .. وخلاصة القول ان بقاء فلسطين بلاداً عربية ، أو تحولها يهودية وطرد العرب اخيراً منها ، ذلك منوط بالعرب الفلسطينيين انفسهم قبل سائر العرب .. وبهذا بلاغ لقوم يعقلون » ! ..

المحامى الجوال

كان شكيب أرسلان هو لسان العرب ومحاميهم الجوال فى أوربا ، وكلمته تصل الى انحاء العالم .. قالت مجلة « الفتح » عنه فى سنة ١٩٢٩ إنه « كاتب الشرق الأكبر الذى يقوم فى اوربة مقام مكتب استعلامات اسلامى عظيم » .. « فالأمير شكيب امة وحده ، وهو فى أوربا يسد مسد جماعات وإدارات ووفود » ! ..

كان الرجل يقوم بهذا كله على نفقته ، ومن « كيسه » الخاص ، ويزيد عليه التبرع بالمال للمجاهدين فى فلسطين والجزائر والمغرب وليبيا وغيرها ..

نحن نقف هنا من شكيب ارسلان كما نقف على البحر ، نتامل ما يمتد بصرنا إليه لا نجاوز هذا الحد ، فالرجل بحر لا ساحل له ، ولو ذهبنا نتحدث عنه لضاقت بنا السبل ، ولكن لابد من هذه النجوى العابرة لأن الجيل العربى الجديد يكاد يجهله ، على انه من أعظم رجالات العرب ومفكريهم وقد شمل جهاده كل شيء ، دون أن يصيب مغنماً أو يتطلع إلى مكان أو منصب ..

بعد الاستقلال الصورى لسوريا سنة ١٩٣٧ وبقائها محتلة بالفرنسيين ، عرضوا عليه منصباً كبيراً فقال : « لا اقبل منصباً ولو كانت سوريا مستقلة غير محتلة بالجند الفرنسى ، فكيف وهى محتلة ؟ ! » ..

ونظراً لكلماته وآرائه الطيبة فى سياسة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، رشحته الشائعات سفيراً للسعودية فى دولة أوربية ، فنفى ذلك ! .. ويقال ـ كما ذكر المرحوم الشيخ الشرباصى فى كتابه الممتع عنه ـ « ان الملك عبد العزيز كان يرحب بقبول شكيب مثل هذا المنصب » .. ولكن شكيباً كان يعتبر تاييده لسياسة الملك عبد العزيز مما يقتضيه العمل الخالص لوجه الله ..

اما مكانته فى العلم والادب ، فلم يكن فى عصره اعلم منه فى شئون العرب كافة فى جميع الاقطار ، ولا اعلم منه باحوال المسلمين فيها ، ولا أوثق بالتاريخ الاسلامى

وقد اختير « غيابيا » رئيسا للمجمع العلمى السورى ، وهو مجمع اللغة العربية هناك ، ولبث وهو فى المنفى رئيسا للمجمع

وفى سنة ١٩٣٥ انعقدت فى مدينة لكنو بالهند ندوة لعلماء المسلمين من جميع الأقطار ، فكان مما صنعته هذه الندوة أن طرحت على اعضائها هذا السؤال :

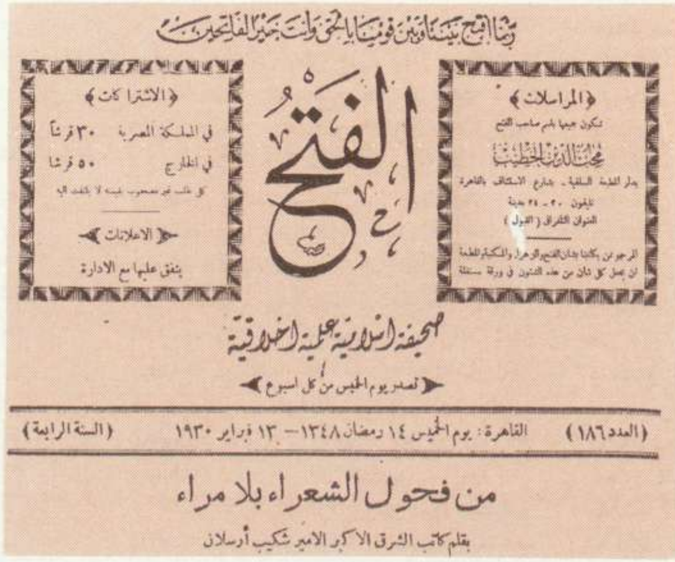
ـ أى الرجال من المسلمين يستحق ان يوصف بانه اعظم رجل فى العالم الاسلامى اليوم ؟! .. أى فى سنة ١٩٣٥ .

وترددت فى الندوة اسماء محمد اقبال ورشيد رضا وشكيب ارسلان وابو الكلام الدهلوى وسليمان الندوى وعبد الكريم الخطابى واحمد الشريف السنوسى ومولانا محمد علي وحسين احمد المهتدى وسيف الرحمن وعبيد الله السندى وغيرهم .. ففاز الأمير شكيب أرسلان باكثرية الأصوات ..

طليعة فذة

قدمنا هذه الأسطر تعريفا للجيل العربى الراهن بالأمير شكيب ارسلان ، وان كنا لم نقدم الا قطرة من غيث هتون ، أو اقل من قطرة ..

ونهتبل الفرصة فنكرر اليوم ما سبق أن دعا اليه الأديب العلامة الأستاذ على الطنطاوى فى مجلة « الرسالة » منذ اربعين عاماً من وجوب نشر كتب شكيب المخطوطة وإعادة نشر المطبوع منها ، وجمع رسائله الخاصة ، فان هذا الذى دعا إليه الاستاذ على الطنطاوى لم يتحقق منه بعد شيء يذكر ، على أن تراث الأمير يملا الوف الصفحات ، ويجلو للعرب صفحة نضالهم من أواخر القرن التاسع عشر الى منتصف القرن العشرين ، فهل يذهب هذا كله فى النسيان ؟ ! . وهل يضيع العرب والمسلمون شكيب ارسلان حيا وميتا ويتقاعسون حتى عن مجرد الاشادة بفضله او الاشارة اليه ، وهو الذى كان طوال حياته يرى من واجبه الاشادة بكل ذى فضل ولو كان لا يعرف عنه شيئا إلا ما تلمسه يداه من فضله على البعد ؟! ..



صحيفة الفتح التى كانت منذ اكثر من خمسين عاما ملتقى الاقلام الاسلامية

انني « شخصياً » مدين للأمير شكيب ارسلان ديناً لافكاك لعنقى منه ، مع ان المدين « الاصلى » هو والدنا واستاذنا وشاعر بلادنا « صعيد مصر » السيد محمد حسن النجمى الانصارى الاصل ، الذى توفى الى رحمة الله فى آخر سنة ١٩٤٠ ، وبقي اداء الدين واجباً على « ورثته » مدى الزمان ، وان كان ـ رحمه الله ـ لم يورثهم شيئاً سوى مخطوطة ديوانه التى كتبها اخوه المرحوم الطاهر النجمى بخطه قبل ثلاثين عاماً ، ومازالت تنتظر التصحيح والتحقيق ، فضلا عن الطبع والنشر ، وكيف بهما وقد مضى على رحيل الشاعر اكثر من اربعين عاماً ، واوشك اسمه ان يختلط باسماء اناس آخرين من بلاد عربية اخرى ، فينتحلهم مؤرخو الأدب اسمه وشعره ، ويغدو بعد جيل او جيلين كانه من الشعر الجاهلى المنحول او المنتحل ؟!

. كانت مجلة « الفتح » لسان حال طليعة فذة من ادباء مصر والعالم العربى والاسلامى ووحدتهم منذ صدور المجلة فى بداية العشرينات ، ومن مبادئها : « الفتح لاهل القبلة جميعا .. العالم الاسلامي وطن واحد .. الفتح رسالة الاقطار الاسلاميــة بعضها إلى بعض » ..

وقد واصلها الأمير شكيب بمقالاته من سويسرا ـ حيث اقام منفيا ـ ولم تكن مقالاته هذه الا بعض ما يكتبه يومياً الى الصحف العربية الاخرى ولصحيفته الخاصة التى كان يصدرها بالفرنسية فى سويسرا ، لساناً للعرب والمسلمين .

كان على انشغاله ليل نهار ، لا يفوته ان ينوه بشىء يراه أو يقرؤه ويجد فيه فائدة لأمته .. وكان الشعر العربى الفائق الجودة مما يحتفى به الأمير ويعظم رجاله لانه يراه متعلقاً بوجدان الانسان العربى من قديم .. الا انه منذ اخريات العشرينات لم يعد يقرا ما تنشره الصحف من الشعر لتدهور مستواه ، إلا ما كان لشوقى ، أو لحافظ ..

من فحول الشعراء

وذات يوم طلعت مجلة الفتح بمقالة للأمير فى صدرها تحت عنوان : « من فحول الشعراء بلا مراء » .. تكاد تكون هتافاً حماسياً ينبعث مدوياً من حنجرة الأمير تحية لشاعر « لم يسمع باسمه فى حياته » هو الشاعر محمد حسن النجمى ..

هذا الشاعر الذى وصفه الأمير بانه من فحول الشعراء بلا مراء ، عاش عمره فى دائرة الفتح لا يريد ان يتعداها الى دوائر النشر الواسعة ، فلما استاثرت به رحمة الله عليه طواه النسيان ، كما اوشك ان يطوى شكيب أرسلان نفسه ، على عظمته فى تاريخ امته ، وشهرته التى طبقت الآفاق طوال حياته ! ..

كانت القصيدة التى اثارت هذا الاعجاب الفائق لدى الأمير شكيب ، تعبر عن شعور العرب والمسلمين لمناسبة جلوس الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٣٠ .. وعنوانها : « ذكرى جلوس جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود ملك الحجاز وسلطان نجد » .. وكان هذا لقبه سـنة ١٩٣٠ .

يقول فى اوائلها :

حَسْبُ الحنيفة من جلوسِكَ عِيداً ... يَبْقى وإنْ خَلِقَ الزمانُ جديـــداً
تصفو بهِ الأيـامُ من اكدارهـــا ... ويعود طالعُ نحسِـها مسعوداً

أول قصيدة سعودية
لشاعر مصري منذ ٥٣ عامـًا

وبحسْب أبنـاء الحنيفةِ أن يَروْا
مُلكاً لها وفق الكتاب مشـيداً
يجرى على آثـاره ويُقيمـه
بين العبادِ عبـادة وحُدوداً
يرعان فى البـلد الأمين ممـلك
يرعـاه فى البـلد الامين مُملكٌ
كتبَ الالهُ لملكهِ التأييـدا
عبد العزيز ولم أكن من بعدمـا
بلغ اسمُه هـام السُّها لأزيـدا
« صقرَ الجزيرة » وهى غيلٌ لم يكنْ
إلا ليُخرج للخطـوب أسودا
تحمى مرافقهـا فليسَ لطامع
أن يستبيح من الصّفا جلموداً
وملاذ هذا الدِّين يَحمى دونـه
عين الحميّـة ان تُصيب هُجودا

وهى فى أكثر من ثمانين بيتا على هذا النسق ، وكانت أول قصيدة ينشرها شاعر مصرى فى امتداح سياسة الملك عبد العزيز منذ ثلاثة وخمسين عاما .. وكانت المملكة السعودية ناشئة فى بداية أمرها ، ولكن الشاعر كان ينظر إليها باكبار وأمل عظيم من وجهة نظره الاسلامية والعروبيـة يومئذ ..

ولو كان فى « الدوحة » متسع لنشرناها كلها ولكنا على أية حال نرسل صورتها ، فعسى أن ننقل الى القارىء شيئا منها ، كما نرسل صورة مقالة الأمير شكيب ، فكلتاهما من الوثائق الأدبية والتاريخية لذلك العصر المزدهر بأرباب الشعر والنثر ، وبالكفاح من أجل العروبة والاسلام ..

كانت هذه القصيدة حدثا أدبياً عظيماً فى تقدير الأمير شكيب ارسلان ، وهو الناقد البصير الذى يعرف غث الشعر من سمينه وقد عرف الشعر العربى كله ، وتفيأ ظلاله الوارفة ، فلا يعجبه فى الشعر الا العجب ، ولا يبالى ان يقرأ من شعر معاصريه الا أحمد شوقى ، وربما حافظ ابراهيم أيضا ، وكانا عند نشر هذه القصيدة سنة ١٩٣٠ قد دخلا فى السنتين الأخيرتين مما قدر لهما فى هذه الدنيا .. رحمهما الله ! ..

قال شكيب فى مقالته : « لا يتسع وقتى لقراءة الشعر الا ما كان لشوقى وحافظ ، وللنادر من غيرهما ، وذلك لأن العمر أصبح ضائقا بالضروريات التى لا غنى عنها ، فلا يجد ندحة للكماليات الا فى الندرى وعلى خلاف القياس » ..

ثم قال : « ولقد ظفرنا أخيراً بخبيئة مدفونة لم أكن أظن فى زوايا الانقباض وتحت أستار التواضع خبيئة مثلها ! .. تناولت العدد الأخير من الفتح « ١ » فرأيت فى صدره قصيدة فلم أعج بها ، لما ذكرت من ضيق الوقت على الشعر ، ثم أتيت على الجريدة كلها ، ولما فرغت منها وأردت أن أطويها حانت منى نظرة الى بيت من أوائل تلك القصيدة فاستجزلته ، فقرأت ما يليه فاذا به كالأول ، فرغبت فى قراءة تلك الصفحة ، فصار كل بيت يسحبنى الى الذى بعده ، وهكذا حتى أتيت على القصيدة كلها وأنا أقول : كم فى الزوايا خبايا ! ..

قـرأت شـعراً جمع بين الجزالة والانسجام ، وبين اللفظ والمعنى ، وساده علو نفس جدير بالبارودى ومن فى ضربه .

قـرأت شـعراً يعتنقه الطبع ، ويشربه الخاطر ، ويعرف القارىء أعجازه من صدوره ، وتتمثل قافيته من أول كلمة من بيته ، يدل على ملكة غير معتادة ، وطبع متناه فى الصفاء ، ومكانة فى اللغة رفيعة وتصرف فى القول سلس القياد ، يجول صاحبه به كما أراد ، فقلت : والله إنه لعبقرى من يفرى هذا الفرى ، وأقسمت لو وضعنا من هذه القصيدة أبياتا فى ضمن قصيدة أبى تمام الدالية التى هى من هذا البحر وهذه القافية ، يذكر فيها عهود المعالى على المعانى ، لما أمكن الناقد أن يميز شعر الطائى عليها .. ولكن أبا تمام هو شيخ المولدين لدى ذوى الانصاف ، والقصيدة التى قرأتها فى صدر الفتح هى من هذا النسج الفريد الذى أبو تمام صاحب أسلوبه البديع ومنواله الرفيع .. ولا تجد فى هذه العصماء من أولها إلى آخرها لفظة واحدة فى غير محلها ، أو بيتا يقال فيه : لو قال كذا لكان أحسن ! .. وقرأت التوقيع الذى تحت القصيدة فاذا بي لم أسمع به فى حياتى ، فقلت : يارب فى أى عكم اختبأ هذا الرمح ، وتحت أى غمام اختفى هذا النجم ؟! .. ومما زاد فى حلاوة هذا النظم مجيئه على قامة ابن سعود بطل العرب الذى يفعل فتقول الفصحاء ، ويفرى فيفتق السنة الألباء ، والله يزيد فى الخلق ويزيد أيضا فى الحلق ما يشاء » ! ..

وعلق صاحب الفتح محب الدين على مقالة شكيب قائلا : « لعل قصيدة صديقى الأستاذ محمد النجمى التى نالت الاعجاب العظيم من أديب العربية الأكبر هى ثالث قصيدة نشرها له الفتح .. وقصيدته السعودية التى كان فيها موفقا التوفيق كله جاءتنى والعدد يكاد يكون ماثلا للطبع ، ولثقتى بعلو نفس الأخ النجمى كتبت له كتابا قبل أن أقرأ القصيدة أقول له فيه اننى سأنشرها فى العدد التالى وسأنوه بها فى هذا العدد ، وبعد أن ألقى كتابى فى صندوق البريد قرأت مطلع القصيدة فوقع لى ما وقع لعطوفة الأمير الجليـل من الاسترسال مع سلامة أبياتها البليغة حتى أتيت على آخرها ، وكنت كتبت للفتح مقالته الافتتاحية فلم أجد أولى منها بالحذف لتحل محلها لمعة نجمنا المتألق فى سماء الأدب .. وانى أهنئه بهذا الثناء على أدبه من كاتب الشرق الأكبر ، واغتبط بأن آفاق الفتح كانت مطلع هذا النجم الساطع الزاهر » ! ..

ولم يكن تعليق محب الدين أقل أهمية من تعليق شكيب ، فان محب الدين فضلا عن جهاده ، إمام من أئمة الأدب ، وبيت «الخطيب» فى الشام من أكثر بيوتاتها شعراء وأدباء وعلماء ..

لقب النجمى وأصله

انقضى هذا الدهر الطويل على قصة الشاعر هذه ، ثم علمت أخيراً ما أحزننى ، فان بعض ذوى النية الحسنة من أساتذة الأدب المصريين العاملين فى السعودية ، قد وقعوا فى خلط شديد بين اسم شاعرنا المصرى الصعيدى « من نجع حمادى بمحافظة قنا » وبين آخرين فى بعض بلاد العروبة ، يتعاطون الشعر ولهم اسم يقارب اسمه ، مما ضلل بعض الأساتذة فتحدثوا فى الاذاعة السعودية ذاكرين خطأ أن محمد حسن النجمى الذى كان ينشر أشعاره فى الفتح ـ ومن أشهرها قصيدته السعودية التى تحدثنا عنها ـ هو من أبناء حلب ، وكل قرابته فى حلب ، ولقبهـم « النجمى » .. وهذا خلط عجيب بين

الشاعر الكبير الذى وصفه الأمير شكيب ارسلان بانه « من فحول الشعراء بلامراء » وبين اخرين اقل منه فى الشعر طبقة بل طبقات ، ولهم فى افكارهم طريق آخر غير طريقه ..

ان لقب شاعرنا مشتق من اسم جد قديم له اسمه « نجم الدين » كان رئيساً للقبائل العربية النازلة فى بعض نواحى « قنا » .. وتسمى مجموعة القرى العربية الى اليوم باسم « أولاد نجم » ولقب النجمى ينطق بتسكين الجيم ، نسبة الى النجم .

اما النجمى الثانى والثالث والرابع فى حلب وعكا وغيرهما من بلاد عروبتنا العزيزة ، فينطق لقبهم بتحريك الجيم لأنه غير منتسب الى نجم الدين أو الى غيره من نجوم البشر فيما نعلم . وقد زارنى اخيراً ضيوف من اهل عكا قالوا لى ان لقبهم « النجمى » بتحريك الجيم ، فسررت بلقائهم ، وعرفتهم الفرق بين نطق النجمى المصرى والنجمى الفلسطيني .

وكان المجاهد الفلسطيني المرحوم محمد على الطاهر يداعبنى احياناً بتحريك الجيم فى اسمى ، ثم يحدثنى ضاحكاً عمن يعرفهم ممن يحملون لقب « النجمى » — بتحريك الجيم — فى عكا وحدها .. وهم كثر فكيف بمن يحملون اللقب فى عدة مدن عربية ؟! ..

ولكن أسعدنى أن بعض ذوى الفضل من الأساتذة المصريين الذين سمعوا تلك الأحاديث غير الصحيحة عن شاعرنا ، سارعوا فتحدثوا بالصحيح الذى عرفوه عن شعره واسمه وبلدته ، كذلك صنع الأستاذ الكبير على الطنطاوى ، اذ تحدث عن شاعرنا فى التليفزيون السعودى غير مرة ، تعريفاً بشعره وجهاده .. ولا عجب فقد كتب المرحوم محب الدين الخطيب ، وهو خال الأستاذ على الطنطاوى ابقاه الله ، شيئاً كثيراً عن شاعرنا .

مساجلات الشاعرين

لم يتم الحـــديث عن القصـــيدة « السعودية » — كما سماها محب الدين الخطيب — لشاعرنا النجمى الذى هو حفيد نجم الدين الانصارى الأصل والذى نزل آباؤه واجداده صعيد مصر منذ عهد عمرو ابن العاص ، واحتفظوا بعروبتهم ولغتهم ، حتى ليقال ان كلامهم افصح كلام عربى الآن .. لكن الراديو والتليفزيون افسدا اللهجات العربية التى احتفظت بها بعض القبائل العربية طويلا ، ومن بينها قبيلة اولاد نجم التى منها الشاعر ، وفيها نشا فصيحاً لا يعرف كلمة واحدة غير عربية الأصل الا فيما ندر ..

ارجو وقد فتحت الحديث عن شاعرنا الذى كان اكبر شعراء عهد إحياء الشعر العربى المصرى بعد البارودى ، الا اقطعه حتى استوفيه ان شاء الله .. فان هذا الشاعر لم يشترك فى احياء الشعر العربى فحسب ، بل كان فى الرعيل الأول بعد ذلك من دعاة النهضة العربية والاسلامية ..

ثم نستاذن القارىء فى تسجيل هــذه الطرفة ..

فان الشاعر كان قد نظم سنة ١٩٣٣ قصيدة يبكى فيها « الشرق العربى » .. ومن أوائلها :

اصبحت كالصيد فى انياب مفترس
يا منبت الفارس المقدام والفــرس
ونـال من روضك المعطار ســارقه
ما تشتهى نفســـه فى غفلة الحرس
يا مهبط الوحى والتقديس كيف رمت
ايدى الليالى رباك الطهر بالنجس ؟!
يا ايها الشرق ان الغرب فيك رمى
بما يعيث حصيف العقل بالهوس
فاض الاناء .. انشكو الغال تمعن فى
فاس فساداً أم السكسون فى القدس «٢»
أم نشتكى طغمة الطليان تفعل مـا
تشكو المروءة منه فى طرابلس «٣»

هاجت هذه القصيدة اشجان الأمير شكيب ، وحركت شاعريته المتالمة لأحوال العرب والمسلمين ، فنشر مقالة حماسية عن القصيدة ختمها بشعر يمتدح به صديقه النجمى ، فكانت الأبيات البليغة التالية من شعر الأمير شكيب ، وهى مجهولة ايضـاً كشعر النجمى ، حتى ان المرحوم الشيخ الشرباصى لما كتب الرسالة التى نال بها درجة الماجستير عن الأمير شكيب «٤» ذكر ابياتاً علق بها شكيب على قصيدة اخرى للنجمى ، وفاته ان يذكر ابياته التى علق بها على قصيدته هذه فى البكاء على الشرق العربى ، مع انها من ابلغ شعر شكيب ارسلان .. قال :

مَا اَدْهَشَتْنا من النَّجْمِيِّ قافيــةٌ
كانها الغادةُ الحسناء فى العُرُسِ
لها سوابقُ قد جاءتْ مُسَلْسَـلةً
على اطِّرادٍ كعُرْبِ الذُّبَّل الدُّعُسِ
قلْ فى حبيبٍ وبشارٍ ورَهْطِهما
والبحترىِّ ولا تَضنِنْ بـــه وقسِ
شعر به تَسْــكرُ الالبابُ سائحةً
كما تُســافِرُ بنتُ الحانِ بالجُلَسِ

وقد غاب عنى بعضها لأنى استمليتها من الذاكرة ، وساعود اليها فى الفتح ان شاء الله ..

ومساجلات شكيب والنجمى تستحق وحدها مقالات طوالا ، فكيف ونحن لا نرجو اكثر من استكمال الحديث عن الشاعر وقصائده العروبية والاسلامية ومكانتـــه المجهولة بين شعراء عصره فى مصر والبلاد العربية ؟!

هذا واجب يتقاضانا حق الشاعر علينا ان ننهض به ، بعد ان اوشك تراثه على الضياع بين اهمال عارفيه ، وحياء اهله وبنيه ، من شبهة التنويه به والتعريف بفضله ! .. فهبه شاعراً عربياً لا يربطنا به سبب ، ولكنه ضائع الحق ، افلا يقتضينا هذا ان ننتدب انفسنا للدفاع عنه ؟! ..

أليس حسبه بعد الذى ناله من التعب فى حياته . ان ديوانه الحافل العظيم مازال مخطوطاً ومفرقاً فى الصحف «٥» ، برغم انقضاء ثلاثة واربعين عاماً على وفاته ، رحمه الله ؟ ! ..

كمال النجمى

هــــوامـــش

(١) صدر فى ١٣ فبراير سنة ١٩٣٠ .

(٢) الغال : الفرنسيون .

(٣) كان الطليان يحتلون ليبيا وعاصمتها طرابلس الغرب .

(٤) الكتاب الآخر للشيخ الشرباصى عن الأمير هو الذى اشرنا إليه فى هذا المقال اما رسالة الماجستير فخاصة بانتاجه فى الأدب واللغة ..

(٥) اتممنا اخيرا جمع ما تفرق منه فى الصحف فصار الديوان مهيا للطبع ..



رحلة صعبة .. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة الرابعة

منعوني من العزف والغناء والشعر... فأصبحت "فنانة في السر"

منذ صغرى أعلن عن نفسه ميلي الفطرى للشعر . كنت أجد متعة كبيرة فى ترديد محفوظاتى المدرسية منه ، واقف مملوءة بالانبهار والدهشة امام ما يقع عليه بصرى من قصائد أو مقطوعات مطبوعة فى الكتب المدرسية أو فى الصحف التى كان يحضرها أبي واخوتى الى البيت ، وذلك رغماً عن عجزى عن ادراك مضامينها .

كان هناك كتاب اسمه (الكشكول) يضم مجموعة من الطرائف والشعر والاخبار الأدبية والتاريخية . وفى هذ الكتاب كان لي أول لقاء مع قصيدة (أيها الساقي اليك المشتكى) .

وضعتني القصيدة أو بالاحرى الموشح فى دائرة سحرية غامضة ، لعل منشاها موسيقاه الخارجية المنبعثة من طبيعة الوزن ، والمتميزة بتنوع القوافي ، مع الالتزام بقافيتي الشطرين الاخيرين من كل مقطع ، مما اكسب الموشح ايقاعاً يريح السمع ويهدهد النفس .

أما الكلمات فكان معظمها بالنسبة الي محملا بمعان انفعالية نفسانية غير التى قصدها الشاعر .

كان السقاؤون فى تلك الأيام يزودون بيوت البلدة بالماء باستثناء بعض البيوت القليلة ، لا سيما بيوت الاقطاع القديمة ، والتى كان أصحابها يمتلكون حصصهم الخاصة بهم من مياه الينابيع العديدة فى البلدة .

وكانت المياه تصل تلك البيوت بواسطة القنوات الفخارية تحت سطح الأرض وتصب فى البرك القائمة وسط ساحات البيوت الفسيحة .

وحين كنت أبدأ بالقاء المطلع « ايها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع كانت كلمة الساقي تتخذ فى ذهنى معنى انفعالياً خاصاً ، مقروناً بصورة السقاء الكهل الذى كان يزود بيوت « حارة العقبة » بالماء ينقله اليها من (عين الكاس) شرقي البلدة .

كان مجيء السقاء الى منزل خالتي فى (حارة العقبة) مبعث اثارة محببة لي ، فمنذ يطا بقدمه أول درجة من درجات السلم الخارجى المفضي الى الدار ، كان صوته يرتفع بالكلمات المألوفة : يا ساتر يا الله ! . وذلك تنبيها للنسوة لكي يتوارين خلف الأبواب .

وكنت اركض الى السقاء واقف بجانبه عند الزير الكبير ، أرقبه وهو يرفع القربة عن ظهره بيديه القويتين ، ثم يسندها الى



ابراهيم عبد الفتاح طوقان



الشاعرة العراقية رباب الكاظمي

بطنه وقد جعل فوهتها المربوطة على فم الزير الواسع ، وبعد ذلك يشرع بفك الرباط فيندلق الماء العذب الفضي الى الزير الذى لم يكن ليمتلىء قبل أن يبتلع حمولة أربع قرب أو أكثر .

كان الساقى الذى يخاطبه الشاعر يمثل دائما فى خيالى متقمصاً شخصية السقاء الكهل، سقاء (حارة العقبة) . ولما كنت أجهل ما هو (الزق) فى قوله : (جذب الزق اليه واتكا) فقد استلزم الفعلان (جذب ـ واتكا) اعطاء كلمة الزق عندى معنى الوسادة .

أما النديم الذى هام الشاعر فى غرته ، (ونديم همت فى غرته) فكنت اتخيله ابن جارنا بائع حلاوة الطحينة ، ذلك الفتى الأسمر الطويل النحيل الذى كان يحمل اسم نديم . وهكذا كان يعطى خيالى للكلمات صوراً ودلالات خاصة به وحده ، وكنت اغتنم فرصة غياب أبي وابناء عمي وقت العصر فارتقي السلم الخارجى المكشوف والمؤدى الى احد طوابق الدار العليا ، واقف متجهة نحو الشجر المنتصب فى صحن الدار ، واشرع فى القاء الموشح بصوت واثق مرتفع ، مقلدة بذلك ابراهيم فى القائه للشعر ، واتخيل نفسى شاعرة تقرأ شعرها على الجمع المحتشد كما يفعل ابراهيم ، وأستغرق فى تخيل الصورة حتى يكاد يصبح الخيال فى احساسي حقيقة . فاذا انتهيت عدت الى الانشاد مرة ثانية ، ثم ثالثة ، ثم رابعة ، وانا فى حالة اشبه بالجذب الصوفي .

بعد ستة وعشرين عاماً ، فى عصر يوم من أيام حزيران ١٩٥٥ ، وقفت فى قاعة (وست) فى الجامعة الامريكية ببيروت ، لأواجه لأول مرة في حياتى الحشد الذى دعته الدائرة العربية فى الجامعة للاستماع الى مختارات من شعرى .

وخلال الدقائق التي كان يقدمني فيها الأستاذ جبرائيل جبور ، وبينما انا اجيل بصرى فى الوجوه أمامى ، مر بعينيني شريط سريع قصير ، رايتني فيه بمواجهة الشجر المنتصب فى صحن الدار ، القى على مسامعه القصيدة العزيزة (أيها الساقي اليك المشتكى قد دعوناك وان لم تسمع !) وابتسمت .

ربما بدت ابتسامتى فى ذلك الحين وكانها تحية للحاضرين وما كانت فى الحقيقة الا تحية لتلك البنت الخيالية البعيدة ، الماخوذة بقصيدتها الموشحة وبالحالة الشعرية الصوفية الغامضة التى كانت تعتريها عند إلقاء الموشح على شجر

الدار .

ثم تجاوزت مجرد انشاد الشعر الى محاولة كتابته . كان داخلى يمتلىء احيانا بمشاعر واضحة ، وبانفعالات مبهمة ، خصوصا اذا استمعت الى الموسيقى والغناء .

فهنا كنت اشعر بميل الى التعبير عن شيء ما ، شيء احس به ولا افهمه . فاهرع الى قلم وورقة سرعان ما تمتلىء بكلمات لا رابط بينها ، ثم اذهب بالورقة المحملة بالالغاز الى ابراهيم ، وارجوه بصوت خافت متردد أن يقرأ ما كتبت (من شعر) . ولم يكن ابراهيم يخيب رجائي ، بل كان يقرأ الكلمات ويبتسم لي ويربت على كتفي ، وانصرف انا دون ان اسمع منه كلمة تشجيع او تثبيط .

ظلت الموسيقى حتى اليوم تشعرني بالصفاء الروحى ، وتحرك فى داخلى تلك الحالة الغامضة المصحوبة بالرغبة فى كتابة الشعر .

• • •

أى دور تلعبه الصدفة فى حياتنا !

حادث تافه ، او خبر عادى ، او محض مصادفة تعترض طريق المرء ، فيتغير معها مجرى الحياة ، وتنعطف طريق السير انعطافه (حادة) قاطعة وتصبح الدنيا غير الدنيا والعالم غير العالم .

لو لم يعترض ذلك الغلام طريقي ، ولو لم يحبسني اخى يوسف بين جدران الدار الهرمة ، لاستمرت حياتي تسير فى اتجاهها المألوف العادى ، ولكنت واصلت دراستى فى المدرسة العائشية حتى نهاية السنة الخامسة ، وعندئذ ما كان ابراهيم ليفكر فى أن يجعل مني تلميذة له .

كان قد علم من امي بسبب قعودى فى البيت . لكنه وهو الانسان الواسع الافق الحنون ، العليم بدخائل النفس البشرية ، نظر الى ذلك الامر نظرة سبقت الزمن خمسين سنة الى الامام .

لم يتدخل ، ولم يفرض ارادته على يوسف العنيف ، لكنه راح يعاملني بالحب والحنو الغامر .

وظلت تتجمع الأمور الصغيرة لتصبح جسراً ينقلني من حال الى حال .

كل ما كان منتظراً هو فقط الصدفة العابرة ! ودق جرس الغيب ليعلن قدوم اللحظة ، الصدفة .

• • •

● أول قصيدة كتبتها كانت موجّهة إلى ملهمتي "رباب"

● أخي إبراهيم يفتح لي أبواب الجنّة المفقودة

كان ابراهيم قد وصل لتوه لتناول طعام الغداء ، وشرع يتحدث الى امى بفرح ـ بينما هو يغسل يديه ـ عن تلميذين من تلاميذه كانا قد جاءا اليه فى الصباح بقصائد من نظمهما ، خالية من عيوب الوزن والقافية ، وكم كان فخوراً ومسروراً وهو يتحدث عن الموضوع .

وبعفوية مطلقة ، وبصوتي الخافت الضعيف قلت : (نيالهم !) وتعنى الكلمة بالفصحى : هنيئا لهم .

نظر الي ابراهيم وصمت . ثم قال فجاة : ساعلمك نظم الشعر ، هيا معي .

كانت امي قد سكبت له الطعام . ولكنه ترك الغرفة ولحقت به ، وارتقينا معاً السلم المؤدى الى الطابق الثاني حيث غرفته ومكتبته .

وقف امام رفوف الكتب وراح ينقل عينيه فيها باحثاً عن كتاب معين . أما انا فكان قلبي يتواثب فى صدرى ، وقد كتمت انفاسي اللاهثة .

دقيقتان ، واقبل علي وفي يده كتاب « الحماسة » لأبي تمام . نظر فى الفهرس ثم فتح الكتاب عند صفحة بالذات .

قال : هذه القصيدة ، ساقرؤها لك وأفسرها بيتاً بيتاً ثم تنقلينها الى دفتر خاص وتحفظينها غيباً ، لأسمعها منك هذا المساء عن ظهر قلب .

وبدأ يقرأ :

امراة ترثى أخاها

طاف يبغى نجوة
من هلاك فهلك
ليت شعرى ضلة
اى شيء قتلك
امريض لم تعد
ام عدو ختلك
اى شيء حسن
لفتى لم يك لك
كل شيء قاتل
حين تلقى اجلك
والمنايا رصد
للفتى حيث سلك

• • •

وشرح لي معنى الأبيات ، وشعرت بخيط رفيع من السوداوية يحز فى قلبى قال : لقد تعمدت ان اختار لك هذا الشعر لترى كيف كانت نساء العرب تكتب الشعر الجميل .

ونزلنا الى غرفة الطعام وفي قلبي عالم جديد يضطرب بالانبهار والتوقع .

فى المساء أسمعته القصيدة غيبا دون خطا او تلكا فى تلاوتها .

• • •

حين أويت الى فراشي ذلك المساء كنت احتضن بين ذراعى دفتراً ذا لون « حشيشى » باهت ، وقلماً ازرق اللون ، وعيداً من أعياد الشعور !

ها أنا أعود الى الدفاتر والاقلام والدراسة والحفظ . ها انا اعود الى جنتي المفقودة .

وعلى غلاف دفتر المحفوظات تلالات هذه الكلمات التى كتبتها بخطى الردىء ، خط التلميذة فى الثالثة عشرة من العمر .

الاسم ـ فدوى طوقان .

التاريخ ـ ١٩٢٩/١١/١١ ـ الاثنين الظهر .

الصف ـ (شطبت الكلمة وكتبت بدلا منها (المعلم) :

ابراهيم طوقان

الموضوع ـ تعلم الشعر

المدرسة ـ البيت .

ولم تكن هذه بعيني كلمات ، بل كانت شموساً وأقماراً قبلها كانت حياتي واقفة لا تسير مع الزمن ولا اعرف ماذا افعل بها . اما الآن فها هى حياتى تتحرك ، وها هو

ايقاعها يسرع ، وها انا اشعر بتجددى وبعودة الثقة بالنفس من جديد .

• • •

ما أروع الخطوة الأولى ! ما اجملها ! ما أشد سحرها !

أصبحت خفيفة كالطائر لم أعد مثقلة القلب بالهم والتعب النفسي . فى لحظة واحدة انزاح جبل الهوان وابتلعه العدم ، وامتدت مكانه في نفسي مساحات المستقبل شاسعة ومضيئة ، خضراء كمروج القمح فى الربيع .

وبالرهبة الخطوة الأولى !

ان قوى الشر ، الظاهرة منها والخافية ، لا تهادن أبداً . انها تقبع دائماً فى زوايا الدروب متربصة بنا . مع الخطوة الأولى يبدأ العراك والصدام بين ارادة الحياة وقوى الهدم ، سواء أكانت عشوائية ام مخططة ومرسومة سلفاً .

• • •

قالت اختي (فتايا) لأبي وهى تظن انها تزف اليه بشرى مثيرة : هل تعرف ان ابراهيم شرع يعلم فدوى نظم الشعر ؟

واشاح ابي بيده ، وواصل شرب القهوة المرة . كانت حركة يده حين أشاح بها تحمل كل معاني الاستخفاف والاستهانة .

وانكمش قلبي مع حركة يده ، وتقلص .. انه لا يؤمن انني اصلح لشيء ـ قلت هذا بيني وبين نفسى ـ انه لا يحمل لى سوى شعور اللا اكتراث ، كاننى لا شيء ، كاننى عدم وفراغ ، كاننى لا لزوم لوجودى اطلاقاً .

وازدادت الفجوة النفسية بينى وبين أبي عمقاً واتساعاً .

كما بدأ هذا الحدث فى عيون عمتي وافراد أسرة عمي مثار سخرية بادىء ذى بدء ، ثم تحولوا الى اعداء حقيقيين ، يعملون على قلع الطريق دون مسيرتى الجديدة .

كان عليهم ان يتصرفوا حسب تكتيك خاص وذكي . فلم يكن من الهين اقناع ابراهيم بالعدول عما بداه معي ، اذ لم تكن علاقتهم به علاقة حميمة . فهم بطبيعتهم لا يطيقون رؤية الأشياء تسير على غير هواهم . وهو مستقل التفكير صريح ، جرىء ، وصعب الانقياد الى غير ما يؤمن به .

• • •

مضيت فى المسيرة مع ابراهيم والشعر لستة أيام متتالية . وفجاة توقف ابراهيم .

ثلاثة أيام مرت دون ان يدعونى لأسمع له آخر قصيدة طلب الى حفظها وليختار لى قصيدة اخرى للحفظ .

مع هذا الصمت المفاجىء عاد الشعور بالثقل الى قلبي ، وبدات كتفاى تتهدلان من جديد ، وعاد ظهرى يحدودب وانا امشي ، كما فى الأيام التعيسة السابقة .

كنت ذات طبيعة خجولة ، تعوزني الجراة واقحام نفسي على الآخرين حتى لو كان ابراهيم . وانتظرت حتى يقول هو شيئاً ما ، وكان انتظارى على هم وقلق .

فى صباح اليوم الرابع كنت قد قررت مبادرته بالسؤال ، مستمدة بعض الجراة من يقينى بمحبته الحقيقية لي ورفقه بى .

وكعادتى كل صباح حملت اليه ابريق الماء الساخن لحلاقته اليومية . وضعت الوعاء الصغير على المغسلة ، ووقف هو امام مرآتها البيضوية الشكل متهيئاً للقيام بعملية الحلاقة .

بدأ يمرر الفرشاة والصابون على جانبى وجهه وعلى ذقنه ، أما أنا فوقفت بجانبه انظر اليه من خلال المرآة ، وابذل مجهوداً صامتاً لابدأ السؤال ، حتى اعاننى الله في النهاية وفك عقدة لسانى . سالته بصوت مرتعش : هل غيرت رأيك ؟ هل كففت عن ..

وانكسر صوتى وذاب ، رغماً عني ، فى دمعتين . واجابني فوراً وقد اصبحت رغوة الصابون البيضاء تغطي نصف وجهه : كلا لم اغير رأيي ، ولكني توقفت لاتاكد من صدق رغبتك فى التعلم . سنواصل اليوم الدرس .

● كنت أشعر أن أبي يؤمن أنني لا أصلح لشيء

● تمكنت من حفظ الكثير من نصوص الشعر والنثر في فترة قصيرة

وهبطت الدرج بقامة منتصبة ، وفتحت لي الدنيا ذراعيها من جديد .

المستقبل ينتظرني .. انه هناك لا ريب فيه ، ولا شك !

وكان هذا كافياً لتبدل احساسى بالوجود .

• • •

وجه بيضوي ممتلىء ، عينان دعجاوان غرة ناعمة سوداء تغطى الجبهة ، وظل ابتسامة يطفو على شفتين مطبقتين مع وضع سينمائى للجسم والراس .

لا تزال الصورة واضحة فى خيالي بكل قسمات الوجه الذى لم تمحه السنون البعيدة من ذاكرتي ، وتحت الصورة ، أو فوقها ، أو بجانبها ، الاسم المطبوع بخط عريض أسود : « الشاعرة العراقية رباب الكاظمي » .

لقد تخمرت فى نفسى صورة مثالية لرباب ، فاصبحت مثلا اعلى اطمح الى بلوغه . وكان للانطباعات الوجدانية والتاثرات النفسية التى تركتها فى أعماقى تلك الصورة شان كبير فى توجه تفكيرى للشعر قبل الحكم على بالاقامة الجبرية فى البيت .

وحين بدات محاولاتي الجادة فى نظم الشعر كانت أول قصيدة كتبتها دون اخطاء عروضية أو نحوية موجهة الى رباب الكاظمي .

وحين توفى أبوها الشاعر عبد المحسن الكاظمي بعد ذلك بسنوات رثيته بقصيدة أعزى رباب من خلالها .

الصباح ربيعي دافيء ، شارع فيصل الخالي من العمران انذاك ، يغمره ضوء الشمس . الصبية والبنات يحثون الخطى الى المدارس ـ ابناء الموسرين منهم يحملون حقائب الكتب الجلدية ، واخوتهم ابناء الفقراء يحملون « اكياس » الكتب الصغيرة المصنوعة من القماش ـ وانا أبطىء فى سيرى ريثما تطل على الطريق أجمل معلماتي فى المدرسة العائشية واحبهن الى قلبي .

كنت اتعمد توقيت الذهاب الى المدرسة فى الصباح مع توقيتها الذى لم يكن يخطىء ، فامشى الى جانبها وأسعد بحديثها معي فى الطريق ، معتزة أمام طالبات المدرسة برفقتى لها وبمبادلتها الحديث ، هى ، أجمل المعلمات وأبرزهن شخصية ليس فى المدرسة فحسب بل فى البلدة كلها .

● كان الغناء ووجود آلة عزف في بيتنا من الممنوعات

● امتنعنا عن استخدام الكهرباء لسنوات طويلة لأن صاحب المشروع كان يهوديًّا

● كنت أغني وأعزف في السر.. وكان إبراهيم هو الوحيد الذي يتعاطف معي

كانت « ست فخرية الحجاوى » معلمة للغتين العربية والانكليزية واختاً بالرضاع لشقيقى ابراهيم ، وكانت تسألنى دائماً عن اخباره وعن آخر ما نظم من قصائد .

فى ذلك الصباح الربيعي حدثتها عن قصيدة جديدة له كان قد تلاها علينا فى المساء السابق ، وهنا قالت لي : لماذا لا تتعلمين منه نظم الشعر ؟ انك تملكين الموهبة ولا ريب فى ذلك ، فالقاؤك للمحفوظات الشعرية يؤكد لي هذه الحقيقة انك تحبين الشعر .

وبالرغم من أن ردة الفعل السريعة لدى كانت التعبير عن استحالة ذلك ، فان عقلي الباطن التقط الملاحظة العابرة بسرعة البرق ، واحتفظ بها فى اعماقه الخفية ، وهذا مما لاشك فيه ، فقد ظلت الفكرة تتحرك وتعمل عملها فى (لاواعيتى كدينامو) لا يتوقف . صرت انام واصحو على هذه الرؤيا . ورحت فى يقظتي ارى بعين خيالي قصائدى التي لم اكتبها بعد منشورة فى الصحف ، تماماً كما تنشر قصائد ابراهيم ورباب الكاظمي .

وكان هذا الحديث العابر مع « ست فخرية » قبل الحكم علي بالاقامة الجبرية فى البيت بفترة قصيرة فقط .

وهكذا فان ما نفكر به ونطمح اليه فى النهاية جزء منا ، والغرابة فى هذه الأمور النفسية ان محركها وباعثها من قرارة الأعماق غالباً ما يكون كلمة عابرة أو حادثة بسيطة لا قيمة لها .

نسيت شقائي كله ، وانسحاقي كله ، ورحت اعيش المستقبل فى حاضرى الذى جعله ابراهيم مرجاً اخضر وحقلا من حقول القمح الواعدة . ورحت ارى الحصاد الآتى فى احلام يقظتي ، واصبح بمستطاعي ان اسبق الزمن على جناح الحلم .

أصبح المستقبل هو كل الزمان بالنسبة لي . فهذه الامكانيات التي املكها سوف تصبح محققة فى المستقبل فقط . أما الماضى فقد ذهب بكل تعاساته . لو انني كنت اعرف قبل شهور قليلة ما ينتظرني على باب الغد القريب لما جزعت من الحالة التي وصلت اليها ، وما فكرت بالانتحار ، فما كان هذا الحاضر السعيد فى تلك الشهور التعيسة الماضية الا مستقبلا كنت ساضيعه من يدى واقضى عليه لو نفذت فكرة الانتحار .

وخططت لي برنامجاً يومياً .

كنت أستيقظ مع آذان الفجر أو قبله . فأعد قهوتي واخذ مقعدى أمام دفتر التمارين وامضي فى العمل . كان هذا العمل الدراسي كل صباح شيئاً اتطلع اليه قبل النوم ، وافيق عند الفجر وقد القى التفكير بعملي الدراسى وهجه على ساعات الصباح كلها . فكانت تلك الساعات تزهر بالحيوية والنشاط النفسى ، ولم يكن ينغصها الا استيقاظ أفراد الأسرة الواحد بعد الآخر ـ وكانت أسرة كبيرة العدد تزيد على عشرين انساناً عدا النساء المساعدات فى البيت ـ ومع يقظة كل هؤلاء تبدا الحركة والأصوات المختلطة بصراخ الأطفال وضجيج « بوابير » الكاز العديدة والتى كانت تؤدى وظيفتها فى وقت واحد .

كانت الساعات المكرسة للدراسة فى الصباح الباكر هى التى تجعل يومي كله حافلا بالنشاط والمتعة . واصبح الشعر شغلي الشاغل فى يقظتى ونومي ، فى وجدانى وضميرى ، أصبح حبى الذى ظل طيلة حياتى حباً صوفياً ، ليس بالمعنى الدينى ، بل بما فى هذا الحب من شدة ، وبما يبعثه فى أعماقى من نشوة باهرة .

كان الانكباب على الدراسة هو عالم الخلاص ، لا أذكر من الذى قال اننا لو نظرنا الى مخلوق سعيد لوجدناه أما يبنى منزلا أو يضع لحناً او يربي طفلا او يزرع أرضاً . ذلك ان تلمسنا للسعادة لا يكون الا خارج نفوسنا .

وفى استغراقى فى عالمي الجديد عرفت مذاق السعادة . كنت مستغرقة فى عملية خلق نفسي ، وبنائها من جديد ، والبحث الطموح عن امكانياتي وقدراتى مما شكل ثروة وجودى .

ان عادة عطاء أحسن ما لدينا ، ووعينا بان أيام حياتنا لا تهدر عبثاً ، يعطينا شعوراً بتلك النفس ، وبالسلام ، والهدوء .

وبالرغم من انني كنت لا ازال تحت الحكم بالاقامة الجبرية ، فان الدراسة وحفظ آلاف الأبيات من الشعر العربي القديم قد غسلت نفسى من العذاب واجترار مشاعر الشفقة على الذات والاحساس بالظلم .

أصبح الشعراء الجاهليون والامويون والعباسيون يعيشون معي ، يأكلون ويشربون ويقومون بأعمال المنزل ويستحمون ويتحدثون الى واتحدث اليهم .

ولم احبهم كلهم فى وقت واحد ، بل كنت استغرق فى حب شاعر واحد كل مرة ، حتى اذا استنفدت ما عنده شعرت بالاكتفاء والحاجة الى شاعر آخر واكتشاف عالم آخر ، وهكذا .

كان آخر حب لي مع الشعر القديم هو أبو فراس الحمداني . وقد ظللت احمل حنينه فى الأسر وآلامه لفترة طويلة ربما كانت أطول فترات الحب السابقة ، كما رحت أنسج قصائدي فى تلك الفترة على منوال شعره .

كان علي القيام بمساعدة أمي فى أعمال المنزل . « فالسمرة » و « خديجة » الفتاتان المساعدتان فى البيت كلتا قد تزوجتا . وبالرغم من وجود امرأة مساعدة دائماً فقد كان المنزل كبيراً جداً ، والعائلة كثيرة العدد ، والضيوف من القرى يفدون

يومياً علينا ، ومنهم من كانوا يقضون فى ضيافتنا اياماً . اذ كان لعمي وابي اصدقاء ومعارف من اهالي القرى يتعاملون معهم منذ نظام « الاعشار » فى العهد التركي ، يوم كان للدولة العثمانية أراض واسعة فى فلسطين وهى المعروفة باسم « الجفتلك » اى أرض السلطان . فكانت الدولة تعطيها الأهالى لزراعة الحبوب مقابل دفع عينى بضمان عشرة بالمائة . وكانت الدولة تعلن عن ذلك مسبقاً فيتقدم التجار للضمان ومن يقدم سعراً افضل يحال العشر عليه . وكان ملتزم العشر ينزل فى موسم الحصاد الى البيادر ويعين اياما للكيال ، ويحضور لجنة استلام ومخمنين كانت تفرز حصة الدولة على حدة حيث تستلمها إما عيناً او نقداً ، حسب الاتفاق . وقد أرسى الانتداب البريطاني هذا النظام .

كانت المشاغل المنزلية كثيرة يقع معظمها على كاهل امي ، فاختي الكبرى كانت قد تزوجت والتحقت باسرة عمي فى نفس الدار ، وفتايا واديبة كانتا قد التحقتا بمعهد لتعلم فن الخياطة ـ وقد رفضت الالتحاق به حين رغب ابي فى ذلك ، حتى لا اضيع فرصتى الذهبية مع الشعر ، فقد كان الشعر أهم عندى حتى من الافلات من السجن الذى كنت لا أزال ضمن جغرافيته التى كان قد حددها لي اخي يوسف .

كنت اقوم باعمال المنزل ويجيبي دائماً قصيدة للحفظ . أكوي قمصان اخوتي وبنطلوناتهم وانا احفظ الشعر ، أرتب الأسرة وأنا احفظ الشعر . أغسل زجاجات مصابيح النفط وأملأ المصابيح بسائل الاشتعال وانا احفظ الشعر . لم تكن الاضاءة بالطاقة الكهربائية متوفرة فى نابلس فى تلك الأيام ، بعكس المدن الأخرى فى فلسطين . فقد كان المجلس البلدى بنابلس قد قاطع « مشروع روتنبرغ » اليهودى حين خصت حكومة الانتداب البريطانى شركة « روتنبرغ » بمنح امتياز توليد الطاقة وكان ذلك فى العشرينات . وقد بقي سكان نابلس يستضيئون بمصابيح النفط حتى بداية الاربعينات ، وذلك قبل ان قام شخصان أو ثلاثة اشخاص من الأهالى بامتلاك اجهزة لتوليد الطاقة وايصال التيار الكهربائي لبعض اجزاء من المدينة ولبيوت الراغبين في الاشتراك . ولم تتم الاضاءة الكهربائية بصورة منظمة وشاملة الا بعد تولى المجلس البلدى تأسيس المشروع الكهربائى الكبير وانارة المدينة بكاملها فى منتصف عام ١٩٥٧ .

• • •

أرسل استاذ الأدب العربى فى الجامعة الامريكية ببيروت ، انيس المقدسي يقترح على ابراهيم التعليم فى الجامعة الامريكية وكان ابراهيم يحب بيروت وكان سعيداً بالعودة إليها .

• • •

خلال العامين الدراسيين اللذين قضاهما فى الجامعة ببيروت عشت على رسائله التى لم يقطعها عني ، والتى كان يوجهنى من خلال سطورها ، ويشجعنى على نظم الشعر ، وكتابة النثر ، والدراسة كان قد اختار لي مجموعة من الكتب للمطالعة والتثقيف الذاتي ، ولقد نظمت اوقاتى ضمن برنامج وضعته لنفسي . كرست ساعات الفجر لدراسة قواعد النحو والصرف . وقد اتممت جميع اجزاء « النحو الواضح » تاليف على الجارم ومصطفى امين . اتممتها كلها جزءاً فجزءاً . من المرحلة الابتدائية حتى اخر المرحلة الثانوية بما فى ذلك « البلاغة الواضحة » لنفس المؤلفين .

واذا كنت قد خصصت ساعات قبل الظهر لحفظ الشعر مع القيام باعمال المنزل في آن واحد ، فقد كرست ساعات بعد الظهر للمطالعة المركزة .

وكنت شديدة الاعجاب والحب لادب احمد حسن الزيات وقد تاثرت باسلوبه لفترة زمنية غير قصيرة . وكانت ترجمته « لآلام فرتر » قد اوقعتنى فى شباك أسلوبه

وحفظت عن ظهر قلب كل « نشيد أوسيان » فى تلك القصة الرومانسية المؤثرة . لقد كانت لدى قدرة على حفظ الشعر والنثر . واذكر انني حفظت عدة مقطوعات أدبية مسجوعة لأحمد شوقى من كتابه « أسواق الذهب » كما كنت احفظ خطب اسعاف النشاشيبي والكثير من « نقل الأديب » الذى اختاره من تراثنا الادبى ونشره بالتتابع فى مجلة « الرسالة » الاسبوعية ، تلك المجلة التى أصبحت مع مجلة « الثقافة » زاداً روحياً لا غنى لي عنه كل أسبوع .

فاذا شعرت بالحاجة الى الترويح عن نفسي انتهزت فرصة غياب أرباب العائلة وعكفت على العزف على العُود والغناء . وقد تعلمت العزف من احدى قريبات أمى ، وذلك حين كنت اقوم بزيارة خالتى أم عبد الله عسقلان . كان الغناء ووجود آلة عزف فى البيت من الممنوعات ، غير ان وجود الفونغراف كان مباحاً . وكثيراً ما كان أبى يمضى أوقات راحته فى الاستماع الى اغانى فتحية احمد وأم كلثوم والشيخ سلامة حجازى ، وكانوا من المطربين المفضلين لديه . وكنت أتساءل : ما دام يحب الطرب فلماذا يحرمنا من العزف والغناء ؟

وكنت احتضن العود وقد اتخذت لي مكاناً فى الغرفة امام الشباك بمواجهة باب الدار ، حتى لا افاجا بدخول ابي او احد أبناء عمي ، واشرع فى العزف والغناء بصوت خفيض ، حتى اذا ما برز احدهم بالطربوش الأحمر نهضت مسرعة وخبات العود فى خزانة ملابسنا الكبيرة .

اما ابراهيم فقد كان يطرب لغنائى وعزفى ، وكان يكافئنى احياناً ببعض النقود أو بهدية تفرحني كثيراً . لقد ظل ابراهيم معنياً باعادة بنائي النفسي ، وابتعاث ما لدى من ميل طبيعي الى ابراز امكانياتى وقدراتى الكامنة . لقد ظل طيلة حياته يتغلغل بنظره الثاقب فى تلك المساحات الواسعة الممتدة فى قلبى ، ويلمس عذابي وشقوتي بفراغ تلك المساحات ، ويحس بطموحي الذى كان يغطيها . كان هو وحده الذى يراني ويحس بكينونتى ووجودى .

• • •

بقيــة المذكــرات
العــدد القــادم

في العــدد القــادم :

● الحلقـة الثانيـة من نـدوة الفكر الخليــجي
وتقــرأ لهــؤلاء :

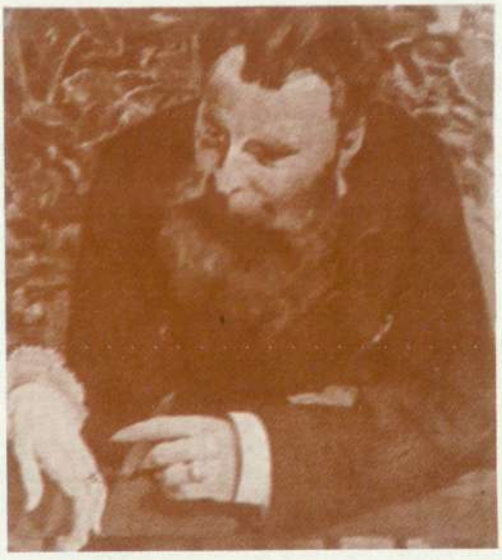
● عبد الـرزاق البصــير
● عبد القـادر عقيــل
● د. عبد الوهاب المسـيري
● عـلي حمـد إبراهــيم

رسالة باريس من : مجدي نصيف

العالم يحتفل بالذكرى المئوية للفنان الذي أحدث أكبر ضجة في عصره وكان مجموعة من العباقرة في شخص واحد :

إدوارد مانيه أبو الفن الحديث

العالم يحتفل بمرور مائة سنة على ذكراه



الفنان ادوارد مانيه

منذ مائة عام بالضبط ، مات الفنان العظيم إدوارد مانيه . الذى يطلق عليه اسم « ابو الفن الحديث » . لذلك اقيم له بباريس معرض لمعظم اعماله استمر حتى اول اغسطس « بالجراند باليه » . ثم انتقل بعدها إلى متحف المتروبوليتان بنيويورك .

وادوارد مانيه شخصية فنية تاريخية عملاقة ، انه ليس فنانا عاديا ، فلقد رسم اكثر اللوحات الفة فى العالم ، تعلق فى أماكن كثيرة بالعالم مستنسخات لها . انه هو الذى رسم لوحة « النزهة » او « الغذاء على العشب » ، و « اوليمبيا » .. وغيرها من اللوحات الهامة .. لكن المرء يدهش عندما يعرف ان هذا الفنان رغم غزارة انتاجه التى كانت تحتاج الى عمر طويل جداً ، قد مات فى عمر صغير نسبيا ، وذلك بعد ان احتفل بعيد ميلاده الواحد والخمسين .

صحيح ان بعض مشاهير الفنانين مثل فنسينت فان جوخ ، وسورا ، وتولوز لوتريك ماتوا فى سن اصغر من مانيه ، لكنهم بدوا وكانهم قد ادوا رسالتهم ، على عكس مانيه .

قال مرة عن نفسه :

ـ « كان طموحى دائما ان اتفوق على نفسى ، وليس ان اكرر ما فعلته بالامس ، بان اوعز إلى نفسى بان ابدا اعمالا جديدة .

ولقد نجح فى تحقيق هذا بالفعل ، فهناك اعمال رائعة انجزها فى كل مرحلة من مراحل حياته . ان كل مرحلة فنية من مراحل حياته مختلفة عن التى قبلها ، من حيث الأسلوب والموضوع ، حتى ان اعماله فى مجموعها يمكن ان تؤخذ على انها اعمال لمجموعة من عباقرة الفنانين وليس لفنان واحد بمفرده .

ومانيه سليل عائلة فرنسية بورجوازية ، مميزة ومثقفة ومحافظة ، فجاءت تربيته ميسورة وصارمة . فوالده اوجست مانيه كان موظفا كبيراً بوزارة العدل ، ووالدته اوجينى ديزيريه فورمييه ابنة دبلوماسى عريق له شهرته الواسعة وعندما شب عن الطريق ارسل إلى مدرسة لتخريج براعم الموظفين العموميين ، كان والده يامل ان يصبح رجل قانون مثله .

لكن مانيه اظهر بالفعل اهتماما كبيراً بالفن ، ورفض دراسة القانون ولكن تحقيقا لرغبة



« نانا » احدى بطلات رواية لاميل زولا كما تصورها الفنان



قبل الاستعداد للصعود للمسرح .. الفنانة « لولا ميليا » بملابسها الزاهية التى كانت تؤدى بها فنونها للجمهور فى القرن التاسع عشر

لأبويه تقـــدم لامتحـــانى قبول الكلية البحرية ، فرسب فى كليهما . ومنذ ذلك الحين ، شجعه ابواه تشجيعا قلبيا فى محاولته ليصبح رساما . ولقد ظهر تبجيل مانيه لأبويه دائما ، وعلى سبيل المثال انه عندما كان فى العشرين من عمره احب فتاة هولندية كانت تحت رعاية والديه ، وكانت تعمل مدرسة بيانو ، ثم تزوجا رســـميا بعد عشرسنوات عندما توفى والده . هذا الاحترام للعرف والتقاليد السائدة كان ينعكس على كل مواقفه ، ولم يكن باقل ظهوراً فى الفن .

بدا بان دخل كتلميذ مرسم رسام اكاديمى رائج هو توماس كوتور ، وظل يعمل مساعداً له ست سنوات . وصف انطونين بروست صديقة ، اهدافه فى تلك المرحلة المبكرة بقوله :

ـ « كان يبحث دائما عن مسار مباشر من الظلال إلى الأضواء فكانت الظلال اللامعة تملاه بالحماس» .

اما مانيه فكان يقول عن نفسه :

ـ « هناك شيء واحد حقيقى وصادق ، أن تنقل ما تراه ، ويرعبنى فى نفس الوقت كل ما ليس له فائدة » (١) .

بعد ذلك انتقل إلى مرحلة اخرى ، اتاح له والده ان يدرس لوحات كبار الرسامين عن قرب من خلال سفريات طويلة إلى هولندا والمانيا وايطاليا ، واثناء وجوده فى باريس كان يزور متحف اللوفر يوميا . كانت نصيحة كوتور التى اتبعها دائما :

ـ « احترس من الرغبة فى ان تبدو اكثر من حقيقتك ، واحترس فوق كل شيء ان تضع مشاعر الآخرين فوق مشاعرك ، فهنا يكمن الخراب والظلام ، حاول بجراة ان تكون نفسك .. فهنا يكمن الضياء » .

وفى عام ١٨٥٩ عندما رسم لوحتـــه « شارب الابسنت » ، ذهب الى استاذه كوتور الذى استمع إلى نصيحته حرفيا ، ليريها له . فتهكم عليه قائلا :

ـ « إن كان هنك من شرب الابسنت فهو أنت » !!

كان هناك معرض سنوى مفتوح يعقـــد بصالون ابو لون باللوفر ، تختار فيه اعمال فنانين لتعرض ، وكان هذا المعرض حدثا فنيا كبيراً كل عام فى فرنسا . قدم لوحته تلك فرفضها الصالون . وان كان قد قبل بعد ذلك عام ١٨٦١ لوحته « صورة والديه (باريس ـ روار كول) .

كان هذا الصالون هو « الراى الرسمى » فى الفن ، لذلك رفضت اعمال كثيرين من الفنانين الذين اشتهروا بعد ذلك ، كانت اللوحات ترفض بعد ان يبدى كبـــار الاكاديميين رايهم فيها . وعنــدما ثارت ضجة كبرى عام ١٨٦٣ لهذا السبب امر الامبراطور نفسه ان تعرض اللوحـــات المرفوضة كلها فى معرض منافس اطلق عليه لهذا السبب اسم « صالون المرفوضين » ـ فى صالة ملاصقة لصالة الصالون . وكانت لوحة مانيه « النزهة » او « غذاء على العشب » هى اكثر ما اثار ضجة فى ذلك المعرض . لكن مما يدعو إلى السخرية ان تلك اللوحة ـ وكل الصالة ـ اثارت عداء المؤسسة الفنية ، مما جعل ســـلطة الاكاديميين تزداد . ان بعض الذين اصبحوا من اعظم فنانى فرنسا فى تلك الفترة وهم ديجا ومونيه ورينوار ، اختاروا فى وقت لاحق ان يقاطعوا هذا « الصالون » الرسمى ، ليقيموا عروضهم الخاصة لهم . لكن مانيه رفض ان ينضم إليهم ، احتراماً للعرف والتقاليد ، وهى الصفة اللاصقة به . لقد طغت الارتباطات الفنية للصالـــون والاستمرارية التى يمثلها ، لديه ، على اى نواقص اخرى . (٢)

كان صديقاً للشاعر بودلير ، وعنـــدما اعلن بودلير ان الرؤية الفنية يجب ان تكون عصرية وانه لابد من اللجوء إلى الواقع ، وجد صدى مباشراً لدى مانيه . لذلك كتب عنه يقول :

ـ « ان مانيه رسام حقيقى ، انه يقول لنا اننا عظماء فى ربطات عنقنا وفى احذيتنا اللامعة » .

وفى عام ١٨٦٠ رسم لوحته « حفلة موسيقية فى حدائق تويليرييه (لندن ـ الجاليرى القومى) متمشية تماماً مـــع ما قاله بودلير . ثم رسم بعد ذلك اشهر لوحاته على الاطلاق « نزهة على العشب » عام ١٨٦٢ ، ثم رسم « اوليمبيا » . وقد رفض الصالون عرضهما مرة اخرى !

ولكن رغم النظرة « الرســمية » لاعمال مانيه ، كان قد بدأ يشق طريقه بل بدأ فى كسر حدة هذه النظرة الرسمية للفن التى يفرضها « الصالون » . كان يقدم فناً عصريا حديثاً بكل ما تحويه هاتان الكلمتان من



لوحة تمثل الحياة العصرية فى عام ١٨٥٤ حيث تصدح الموسيقى وعلى نغماتها يتسامرون فى الحديقة ذات الأشجار الباسقة



فى الحديقة .. احدى اللوحات الشهيرة «لمانيه» وقد ظل يعمل فيها لمدة ستة شهور



استهوى وجه هذه السيدة الفنان فرسم لها عدة لوحات ، وكانت « مارجريت » وهذا اسمها من ضمن أقارب مانيه ، ولطالما دعتها زوجة الفنان الى الحفلات الموسيقية التى كانت تقيمها

معنى . (٣)

قبول .. ورفض

ومنذ بدأ يرسم ولوحاته تقابل بقدر متساو من القبول والرفض ، وحتى عندما أعلن عن حصوله على جائزة عام ١٨٨١ ، قوبل هذا الاعلان بصيحات احتجاج من بعض الحاضرين . واتخذ نقد لوحات مانيه صوراً عديدة ، فالبعض وصفها بانها مقززة ، والبعض اشتكى من انها ناقصة ، والبعض وصمها ببساطة بانها « مقلب » ! كانت كل لوحة جديدة من لوحاته تثير عاصفة من الجدل والاعتراضات ، لكن بالنسبة لمعظم الناس كان رد الفعل هو الصدمة ، ولم يكن ذلك مدهشا . فبين المساحات الضخمة من لوحات الرسم المعروضة فى « الصالون » والتى كان يغطيها الجنس والعنف متستراً برداء الصراعات البطولية التي تعودناها ووسط الأكاذيب المتهالكة عن السعادة القيمة لحياة الأكواخ الفقيرة ، ووسط كل ذلك اللون البنى والتفصيل المضجر والأفكار المستعارة ، فان رؤية مانيه الساطعة المتفردة للحياة كما تعاش فعلا ، كادت لا ترى من جلاء سطوعها . (٤)

ان باقة من زهور البنفسج او قطعة من اللحم او رجلا يشرب من كوبه ، ان كل تلك الأشياء عنده موضوعات جديرة بان ترسم . ومع كل منها كانت استجابته كاملة اثناء ترجمة ما يراه إلى رسم . كان يقول : « هناك شىء واحد حقيقى ، أن ترسم تلقائيا ما تراه » . واذا كانت رؤيته قد تعمقت ، وتقنيته قد ترعرعت بزيادة خبرته ، فان تلقائيته لم تهتز أبداً . كان تجديد مانيه من الناحية التقنية يتمثل فى إلغاء الالوان « النصفية ولجا بدلا من ذلك إلى الاستعمال الجرىء للألوان النقية ، بدلا من مزج الالوان والتظليل وكل تلك « الصلصة » البنية التى كان الاكاديميون يريقونها على اللوحات . (٥)

وبدلا من المزايدة على التصوير الفوتوغرافى كما فعل الرسامون المهددون بلجوئهم إلى رسم تفاصيل ادق وادق ، فانه تعاون مع التصوير الفوتوغرافى . لقد تفهم أن التصوير الفوتوغرافى قد أراح الفنانين من الاهتمام الزائد عن الحاجة بالتفاصيل وتصغيراتها البيضاء والسوداء . ولعل التسجيل غير المتحيز للتصوير الفوتوغرافى قد دفعه إلى اتباع نفس الأسلوب . (٦)

من اجل هذا كله راى فيه الفنانون الشباب علامات الحياة الجديدة التى كانوا ينتظرونها ، لقد جعلوا منه رائد « الثورة التاثيرية » التى كان يشق طريقها بنجاح . (٧)

فبعد « اوليمبيا » اخذ يرسم لوحات فى نواح مختلفة :

● لولا دى فولينس ـ عام ١٨٦٢ ـ (متحف اللوفر) .

● الراقصات الاسبانيات ـ عام ١٨٦٣ ـ (متحف واشنطن) .

● مصارع الثيران الميت ـ عام ١٨٦٣ ـ (متحف المتروبوليتان) .

● مناظر بحرية : معركة السفينة كيرسلج والسفينة البانا ـ عام ١٨٦٤ ـ (فيلادلفيا ـ متحف الفن) .

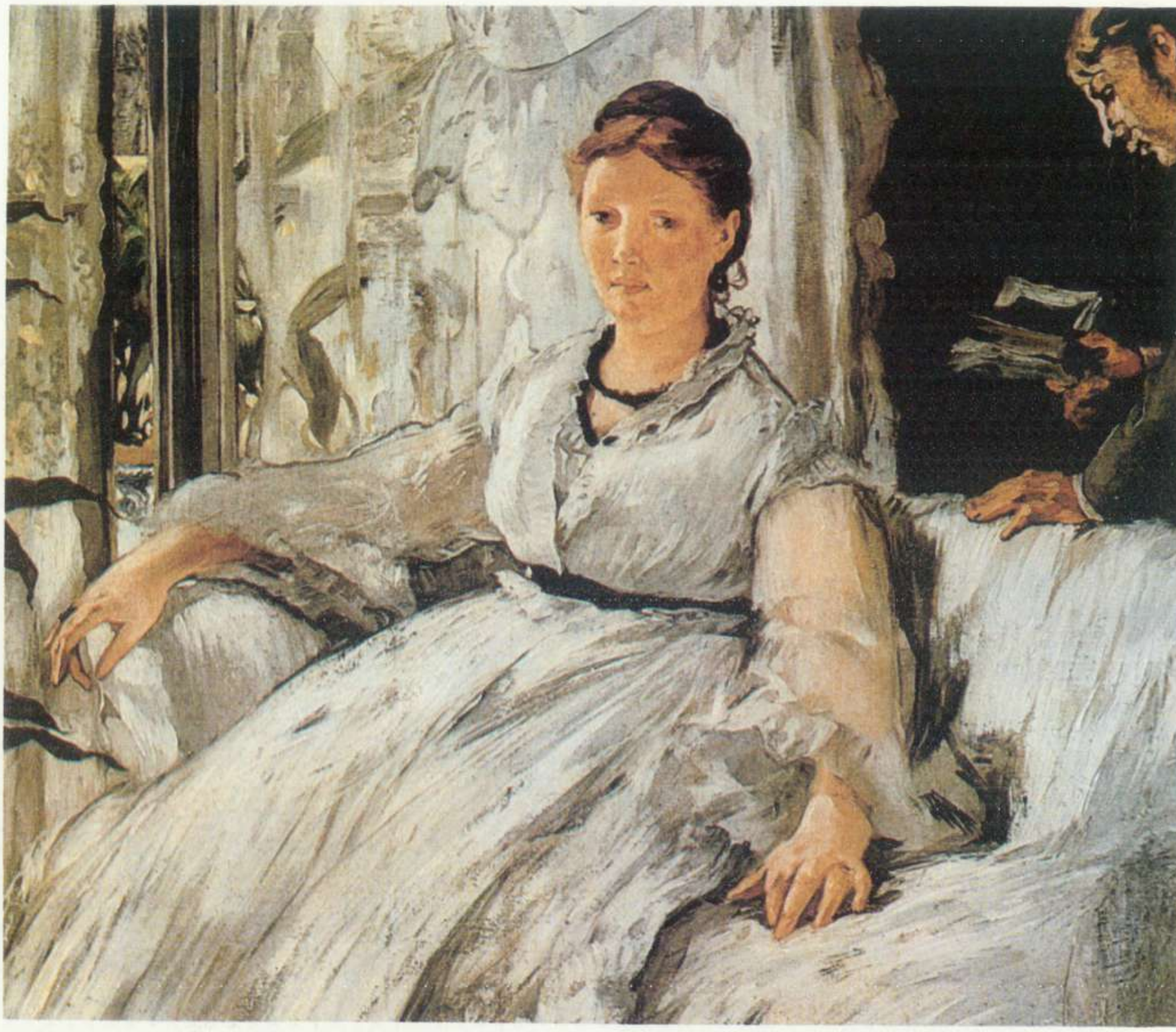
● مناظر خارجية لونجشامب ـ عام ١٨٦٤ ـ (شيكاغو ـ متحف الفن) .

● رسوم تاريخية معاصرة : اعدام الامبراطور مكسيمليان ـ عام ١٨٦٧ ـ (متحف مانهايم) .

● فى عام ١٨٦٨ اتم لوحة « البلكونة» (متحف اللوفر) التى رسم فيها زوجة اخيه . وفى نفس هذا العام رفض « الصالون » مرة اخرى لوحته « عازف المزمار » (متحف اللوفر) .

استعز هذا القرار صديقه الكاتب الروائى إميل زولا ، فهب مؤيداً مانيه مهاجما « الصالون » فى سلسلة من المقالات المدوية دفاعا عنه فى صحيفة « ليفينيمات » لكن إدارة الجريدة اضطرت لسحب المقالات فلم تنشر .

لكن فى العام التالى ، وقبيل افتتاح « المعرض الدولى » ، كتب زولا دراسة مطولة عن صديقه ادوارد مانيه ، ملفتا



زوجة مانيه « نيا سوزان لينهوف » التى كانت المانية وتعطى دروساً فى الموسيقى وقد تزوجها فى هولندا عام ١٨٦٣

الانظار إلى موهبته ، محللا بالدراســة لوحاته وخصائصها ، وما تقدمه من نظرة جديدة فى عالم الفن .

ورغم ان مانيه كان يرى دائماً فى صحبة الفنانين التاثيريين الا انه رفض ان يمنحهم تاييده المباشر . ومع هذا فقد بدا عام ١٨٧٢ يقترب من مونيه ورينوار . ولوحته « المذاق الطيب » التى قبلت فى « الصالون » عام ١٨٧٣ ، كانت اعتذاراً بالغاً عن هذا . وفى لوحته « مونيه فى قاربه » التى رسمها فى العام التالى ١٨٧٤ (ميونيخ) ، اتبع خبرة وتقاليد التاثيريين بالرسم فى الخارج ، محققاً نتائج عظيمة .

تجديد مانيه

ان تجديد مانيه هو انه جعل المنظـر العادى المعاصر موضوعاً لرسوماته . وكانت الأساليب المختلفة التى ابتكرها لتنفيذ ذلك هى تجديد بدورها . لكن تقدمه للناس برسومات مباشرة عنهم للمرة الأولى كان هو الذى سبب ردود الأفعال الفنيــة نحو اعماله .

لم يكن وحيداً فى ابتهاجه فيما عـرف بعد ذلك بانه طبيعي او « واقعي » فان لكل من كورو ودومييه وميليه وكوربيه الذين ماتوا جميعاً بعد موته خلال عقد من الزمن ، مكانته ، لكن لم يكن احد منهم يمثل الاخلاص للحياة اليومية كما هى ، مثله . ولم يسجل احد مثله تلك الحياة فى الذاكرة بتلك الصورة التى لا مراء فيها . (٨)

ان كل صورة ملصقة على حائط فى العالم، تدين بشىء لصورتى موديله فيكتورين مورين فى لوحتيه « نزهة على العشب » و « اوليمبيا » . فالاحســاس العام بحب باريس فى الربيع ، وضمنا حب كل متع الحياة فى اى مكان ، يجد إعلاناً عنه فى بهجته المعبر عنها فى لوحاته : فى الطعام والحياة والزهور وموضة الملابس والتسلى اللاهى .

نقلت لنا احدى الصحف اقباله هذا على الحياة قبل سنتين من وفاته فكتبت تقول :

« كان يرتدى قفازات صفراء ، وربطــة عنق منشاة ، وحذاء جلديا لامعا انيقا ، وبنطلونا فاتحا ، واضعا وردة فى عــروة الجاكيت ، ويمكنك ان تراه وهو يتمشى هكذا فى بوليفار ديزايتاليان ، يخطو بخطوات سريعة كرجل عنده ميعاد مع امراة جميلة كذلك يمكن للمرء أن يراه وهو مسترخ يدخن سيجاراً من النوع الفاخر ، على شرفة كافيه ريش او كافيه تورتوني » .



استرخاء .. هكذا رسم الفنان مانيه السيدة « بيرث موريسو » في عام ١٨٧٣

يقول عنه الناقد جون ماكايوان انه «كان متناقضا في سلوكه ومواقفه ، كما كان في رسوماته ولوحاته . ربما كان انسانا متانقا ولكنه كان ايضا يعمل بنشاط شديد لا يرى في كل الحالات الا ومعه «نوتة الرسم» في جيبه . وربما ينظر اليه كزير نساء ، لكن اخلاصه كزوج وسلوكه القويم يبدوان لا مراء فيهما . وربما كان يقدس الزهور والنجاح ، لكن حتى اعداءه لا يمكنهم اتهامه بانه كان يجرى وراء الزهو والنجاح .

وفي حدود احترامه للعرف الفني ، كان اكثر الرسامين اكاديمية ، على ان الأكاديمية لم تهن فنانا اكثر منه من قبل . لقد ولد غنيا ، لكن حياته كانت نضالا » .

هناك صورة قلمية اخرى لمانيه وشخصيته كتبها هذه المرة صديقه بيرث موريو في « صالون » عام ١٨٦٩ ، يقول :

« وجدت مانيه وقبعته تغطي عينيه ، يبدو مرتبكا . توسل الي ان ادله على لوحته المعلقة ، لانه لا يجرؤ على ذلك . انني لم أر في حياتي مثل ذلك الوجه المعبر لقد ضحك بقلق وهو يصرح لي بان لوحته سيئة ، لكنه يقول في نفس الوقت انها ستلاقي نجاحا كبيرا » .

تقليدى .. ومجدد معاً

كانت تقليديته ـ اعماله الأولى بالذات تدين لجويا وفيلاسكيز ـ يقابلها منذ البداية رغبته العارمة في التجديد . فمنذ البداية قابل تقليديته هذه تاثره بالفن الياباني الذي ابرزه الاهتمام باليابان ، ذلك الاهتمام الذي تبع فتح الغرب للتجارة بالقوة مع اليابان عام ١٨٥٤ ، بعد مائتي عام من « عزلتها » عن الغرب . وقد برز ذلك في لوحة السيدة على اريكتها تتباهى بمجموعة رائعة من المراوح اليابانية . وفي لوحته الرائعة « بيرت موريو » تمتزج الأشكال الواضحة لحروف الأيدو اليابانيـــة بحب جويا للون الاسود .

ان عصرية مانيه واهتمامه بزمنه المعاصر وتحلله من الارتباط العاطفي من الماضي ، ومعاصرته ، جعله منفتحا ايضا لتاثير الفنانين الاصغر سنا المعاصرين له . كان اسلوبه المباشر هو التاثر ببعض احسن اعمالهم . على ان مانيه لم يكن ابدا تاثيريا بالمعنى الحقيقي للكلمة ، فقد كان التاثيريون يرسمون لوحاتهم في تتابع ، ويجرون اختباراتهم للضوء مثل العلماء .

كان مانيه رساما يعتمد على الحدس ويكره التكرار ، ظل هذا اسلوبه حتى نهاية حياته ، حيث لجا الى رسم لوحات صغيرة للزهور عندما لم تعد لديه القدرة الصحية على رسم لوحات اكبر تعالج موضوعات اكبر . كانت الزهور تبدو كما لو كانت زهور الربيع . فقد مات مانيه بالفعل فى الربيع ، وكان الفن الذى تركه خلفه فى لوحاته يمثل الربيع النقي للحركة الفنية .

ان تقليدية مانيه هي ارث طبيعي من خلال عائلته . لكننا لا يجب ان ننسى كذلك انه كان مثقفا حساسا يمتلك معرفة حقيقية بالأدب والموسيقى ، فلا عجب اذن أن يكون صديقا حميما لاكبر شاعرين من شعراء قرنه ، وهما بودلير ومالارميه ، وصديقا كذلك لاميل زولا الكاتب الروائي وغيرهم . انه سليل العائلات التي كانت تقدم للدولة موظفيها ومثقفيها ، فوالده احد رجال القانون البارزين ووالدته موسيقية هاوية . لقد ورث عن والده « الارتباط القانوني » والشجاعة الاخلاقية والقدرة على مواجهة المحن وهذا ما جعله يتدرب على الرسم لثماني سنوات متوالية دون كلل ودون ياس ومـا جعله بعد ذلك يواجه تشدد الأكاديميين وعنجهيتهم في « الصالون » .

هذا عن تقليديته .

لكن هناك الجانب الآخر والتناقض فى شخصيته هو تمرده وثورته ، وهو جانب لا تتحدث عنه الكتب إلا نادراً . قاموس لاروس لم يكتب عنه ودائرة المعارف البريطانية رغم عدد الصفحات التى افردتها له لم تذكر هذا الجانب ايضاً . لكن كتاب جون ريتشارد سون الناقد الفنى البارز والمؤرخ المتخصص فى تاريخ الفن ذكره وبالتفصيل فى مقالته التى كتبت فى مقدمة كتاب عنه يقول :

« إن حقيقة ان الفنان عدو للامبراطورية الثانية ، وصديق لرجال من امثال جامبيتا وجول فيرى وزولا ، عادة ما يمر عليها النقاد والمؤرخون فى صمت . ولاشك ان معاملة



لوحة تمثل القارب الذى كان يتخذه الفنان « كلود مونيه » مرسماً له فى رحلاته البحرية .. وقد تزامل مانيه ومونيه فترة طويلة وعملا معا فى الحياة الفنية

مستشارى الامبراطور الفنيين له قد قوت من هذه الاتجاهات . ومن الناحية الاخرى يجب الا ننسى ، انه عندما كان فى السادسة عشرة من عمره هاجم انتخاب نابليون وتاثر إلى حد كبير كشاب باحداث ١٨٤٨و١٨٥١ ، التى تاثر بها ورسمها بعد ذلك . لانه كان لا يحب ان يسـتعرض مشاعره الخاصة ، فلم تعكس اعماله قناعاته السياسية إلا نادراً . لكن هناك بعض لوحـات لا يمكن ان ننظر إليها إلا إذا وضعنا هذا فى اعتبارنا ، وعلى راسها : « إعدام الامبراطور ماكسيميليان » (٩) .

« ان مانيه لم يخف وجهات نظـره السياسية ابدأ ، لذا فليس هناك ما يدهشنا انه انتخب فى « رابطة فنانى باريس » خلال كوميونة باريس ، مثله مثل زملائه كورو وكوربيه ودومييه . صحيح ان هذا قد حدث ومانيه غائب عن باريس ، ولما عاد فى ايام « الكوميونية » الاخيرة ابتعد بسبب عدم اتفاقه مع العناصر المتطرفة فيها ، لكن بعض رسوماته تحمل هلعه من الأعمال التى ارتكبها الجيش المتقدم لسحقها . وبعـد « الكوميونة » كان يامل فى ان يعبر عن آماله وإفكاره الليبراليـة فى « بورتريهات » لفيكتور هيجو وصديقه وبطله جامبيتا وهو يتحدث فى « مجلس النواب » . واشتكى مانيه لبروست من ان جامبيتا لا يعطيه الوقت الكافى ليرسمه وان هذا يعكس وجهة نظر متخلفة للفن حتى من قبل الجمهوريين » (١٠) .

• • •

ومات الفنان العظيم ادوارد مانيه فى ابريل ١٨٨٣ مخلفاً وراءه ثروة فنية هائلة .

وفى يناير ١٨٨٤ افتتح معرض كبير فى احدى صالات « معهد الفنون الجميلة » ضم لوحاته . وكتب اميل زولا مقدمة الكتالوج الذى وزع على الزائرين . وبعد هذا المعرض التاريخى بدا مانيه يحتـل مكانته الفنية الحقيقية ، واخذ ثمن لوحاته يرتفع (١١) .

مجدى نصيف

المراجـع

(١) قاموس لاروس للفنانين

(٢) نفس المصدر السابق .
(٣) قاموس لاروس للفنانين .
(٤) جون ماكايوان
(٥) نفس المصدر السابق .
(٦) نفس المصدر السابق .
(٧) قاموس لاروس للفنانين ـ مصدر سابق .
(٨) جون ماكايوان ـ مصدر سابق .
(٩) مانيه ـ جون ريتشارد سون .
(١٠) نفس المصدر السابق .
(١١) الموسوعة البريطانية ـ الجزء ١١ .

كتاب الشهر

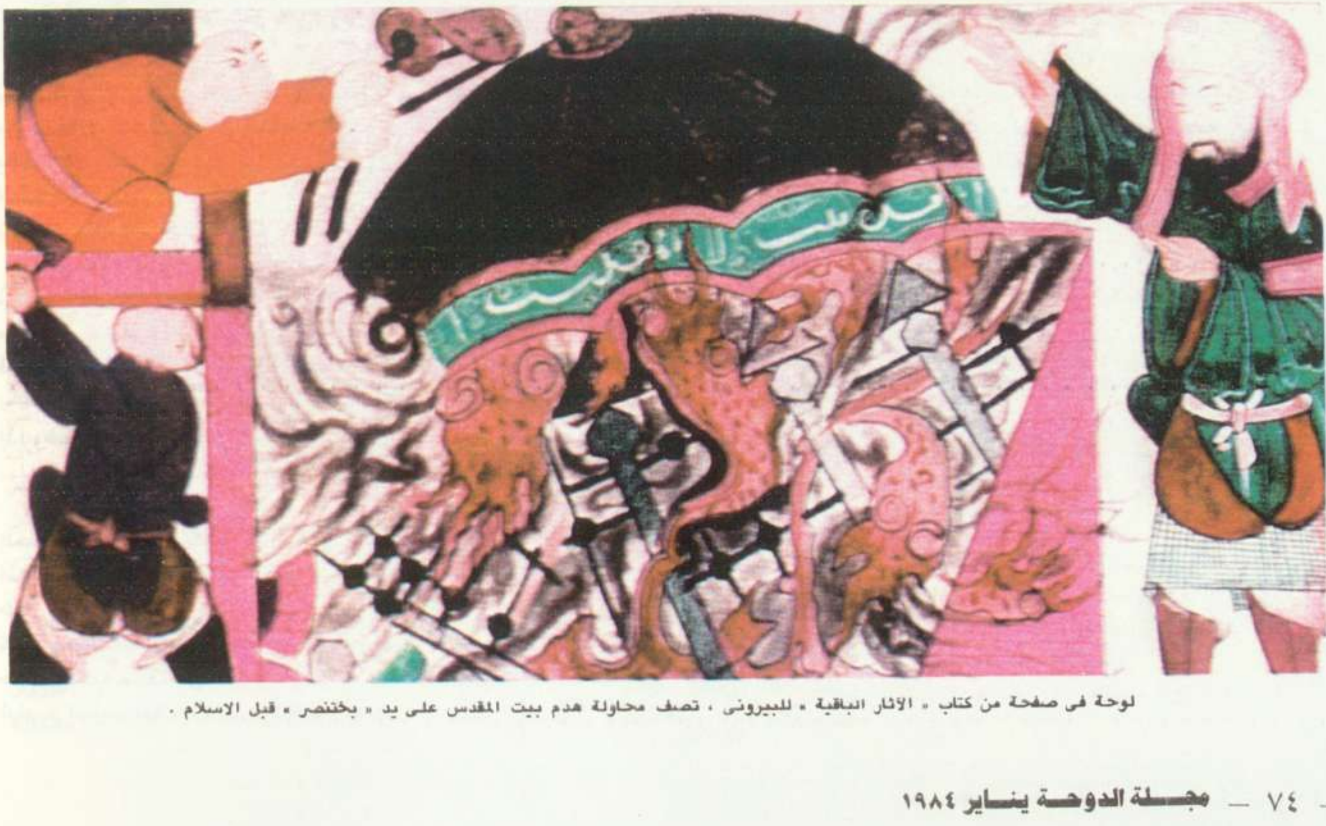
عرض وتقديم : حسني شحادة

عبقرية الحضارة العربية



غلاف الكتاب

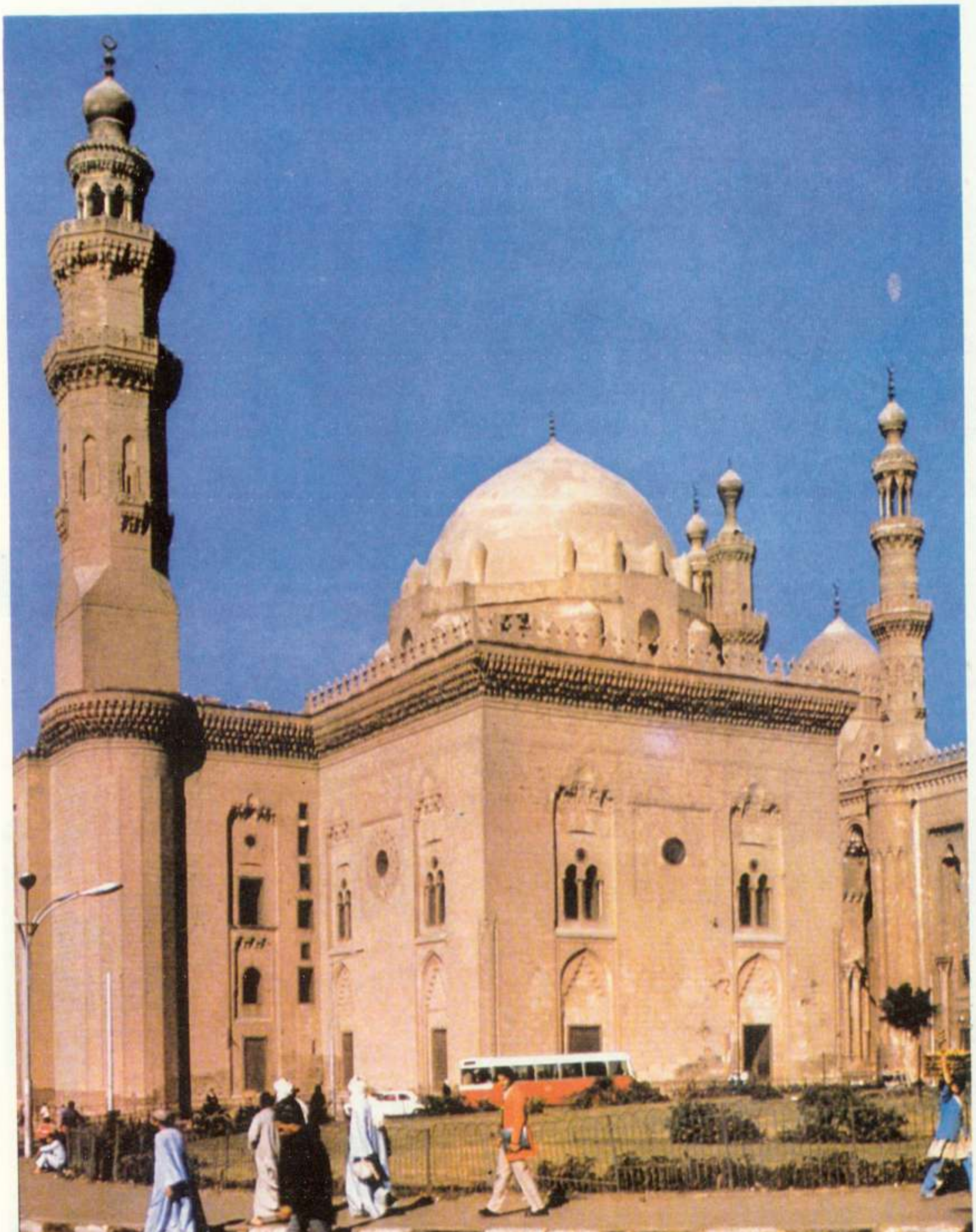
تمتاز الثقافة العربية بالحيوية ، لانها ترفض الجمود والانحسار متفتحة على الآفاق الواسعة ، لا تنكمش ولا تخشى الانغمار ، لأن الذين ورثوا هذه الثقافة ، كانوا جوالين منذ البداية ، الصحراء كانت لهم منطلقا واسعا ، ولكنها لم تقف رغم قساوتها ، وضعف وسائل اجتيازها ، فى وجوههم ، فتعرفوا على جيرانهم ، واجتازوا البحر شرقا وغربا ،وجاء الاسلام بانواره المشرقة ، فدفع بهم الى افاق ارحب فى الزمان ، والمكان ، فاختلطوا بالروم والفرس ، والآسيويين ، والافريقيين ، ودرسوا ثقافات هؤلاء واولئك ، وحضاراتهم وفلسفاتهم ، ومنطقهم ، وعلمهم ، فهضموا كل ذلك ، واضافوا اليه من إبداعهم وعبقريتهم ، وابتكروا فى كثير من الميادين العلمية والفلسفية ، وظلوا مع ذلك لهم خصوصياتهم ، التى تميزهم عن الآخرين ، ولا تفصلهم عن العالم الذى قادوه ردحا من الزمان ، لأن للفكر العربى ، خصوصيات الفكر الأصيل ، يستفيد ويدرس ، ويتفاعل وياخذ ويعطى ولكنه يبقى الفكر الخاص ، وريث الثقافة المميزة ، التى لا تمحوها مميزات فكر الآخرين .



لوحة فى صفحة من كتاب « الآثار الباقية » للبيرونى ، تصف محاولة هدم بيت المقدس على يد « بختنصر » قبل الاسلام .



صفحة من مقامات الحريرى التى تكشف الكثير عن الحياة العربية فى القرن الرابع للهجرة



جامع السلطان حسن .. من أروع آثار الفن المعمارى فى القاهرة وأكثرها شهرة ، وقد بنى بين عامى (٧٥٧ ـ ٧٦٥ هـ)

كتاب عبقرية الحضارة العربية ، ألفه نخبة من العلماء النابهين ، ذوى الاختصاص ، ليشمل جميع نواحى الفكر والآداب والعلوم والفنون ، ويعالج بتفصيل دقيق ، أثر العرب فى كل هذه المجالات الحضارية ، التى تدل بصدق على تقدم العرب ونبوغهم وفضلهم على التراث الانسانى ليكون بحق «ينبوع النهضة» .

ويعود الفضل فى إخراج هذا السفر الثمين ، مترجماً الى اللغة العربية ، الى دولة الامارات العربية المتحدة ، التى اولى المسئولون فيها هذه الترجمة كل رعاية واهتمام ، لتخرج بالصورة الفاخرة ، وليتعرف أبناء الأمة العربية ، انهم ورثة تراث فكرى وانسانى ، لايزال ينبوعاً للنهضة الانسانية .

ليست الغاية من هذا الكتاب ان يكون احكاماً براقة ، وكلمات مرصوفة ، وتمدحاً بالماضى ، ولكن الغاية منه ، ان يدل على مكانة العرب ، بما يعرضه عن مآثرهم ونظرياتهم ، حتى يتبين للجيل العربى الحاضر والآتى ، المركز الحقيقى لأجدادهم فلعل رؤية الماضى العظيم ، ومدى التأخر فى الحاضر ، يكون حافزاً للوثوب الى المستقبل بوثبة إبداعية ، فحياة الأمم رهينة بحياة تراثها الثقافى ، لأن الأمة التى لا تراث لها .. لا تاريخ لها .. فهى ليست إلا

كتلا بشرية لا وزن لها فى ميزان الامم .

ارتقاء الأدب العربى

ما يميز اللغة العربية كوسيلة للتعبير الفنى ، انتظام بنائها انتظاماً جعلها على مرونة تيسر التعبير السلس المتالف الايقاع ، فكان احكام القوافى والأوزان ، وكان انتظام الكلمات والجمل ، من جوهر الأسلوب العربى ، والتقاليد الأدبية العربية ، مما جعل الشاعر العربى ، هو الناطق الأول باسم قبيلته ، فلم يكن ينظم الشعر للشعر ، بل كان داعية قومه ، وراوية اخبارهم ، ومطرب حفلهم ، بل سما ، فكان المعلم الأخلاقى لهذه الجماعة ، يحمى حقوقها ، ويذود عن شرفها باشعار تخلد ماثرها . فهذا لبيد بن ربيعة العامرى يفاوض عن قومه فيقول :

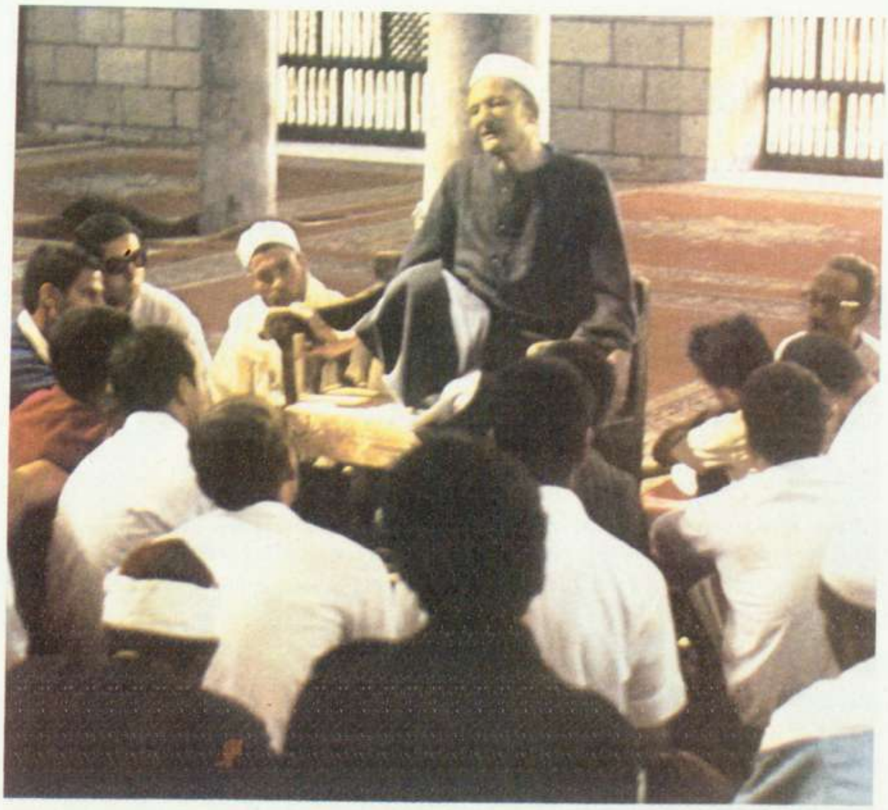
فابلغ بنى بكر إذا ما لقيتها
على خير ما يلقى به من تزغما
فان تقبلوا المعروف نصبر لحقكم
ولن يعدم المعروف خفا ومنسما
وإلا .. فما بالموت ضر لأهله
ولم يبق هذا الدهر فى العيش مندما

وهذا ما جعل الشاعر احيانا ، بطلا اسطوريا ، كعنترة العبسي ، وهو يقول :

هلا سالت الخيل يا ابنة مالك
إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
يخبرك من شهد الوقيعة انني
اغشى الوغى ، واعف عند المغنم
ومدجج كره الكماة نزاله
لا ممعن هربا .. ولا مستسلم
جادت يداي له بعاجل طعنة
بمثقف صدق الكعوب مقوم

وعندما جاء الاسلام ، ونزل القران بلسان عربى مبين ، رفع شان اللغة العربية ، ودعم تراثها الادبي ، وجعلها لغة خالدة ، تتميز بالاصالة الجمالية والابداع ، واصبح الأدب العربى أوسع مدى ، واوفر حضارة ، نتيجة التوسع الاقليمى للدولة الاسلامية فتطورت الخطابة ، التى استهدت خصائصها البلاغية من القرآن الكريم ، وبرز شعراء مرموقون امثال حسان بن ثابت وكعب بن زهير وغيرهم ممن اعتنقوا الاسلام ، وآزروا النبى العربى صلوات الله وسلامه عليه ، بمدائحهم المشهورة ، فيقول حسان بن ثابت :

الا ابلغ ابا سفيان عني



درس فى الشريعة فى الجامع الأزهر بالقاهرة

مازال قصاصو السير الشعبية فى المغرب يحافظون على هذا التراث الشعبى القديم



فانت مجوف نخب هواء
... هجوت محمداً فاجبت عنه
وعند الله من ذاك الجزاء
اتهجوه ولست له بكفء
فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفا
امين الله شيمته الوفاء
فمن يهجو رسول الله منكم
ويمدحه وينصره سواء

فان ابي ووالده وعرضي
لعرض محمد منكم وقاء

وفى صدر الاسلام ، اخذ نهج الحياة العربية يتغير ، من البداوة والصحراء ، الى حضارة المدن المصقولة المترفة فانساق الادب فى هذا الاتجاه ، فكان الغزل ، حيث ازدهرت مدرستان ، المدرسة الحجازية التى تنحو الى النسيب الواقعي الحسي المصقول

ومن بعد ماكنا نطاقا وفى المهد
فزاد كما زدنا فاصبح ناميا
وليس اذا متنا بمنتقص العهد
ولكنه باق على كل حالة
وزائرنا فى ظلمة القبر واللحد

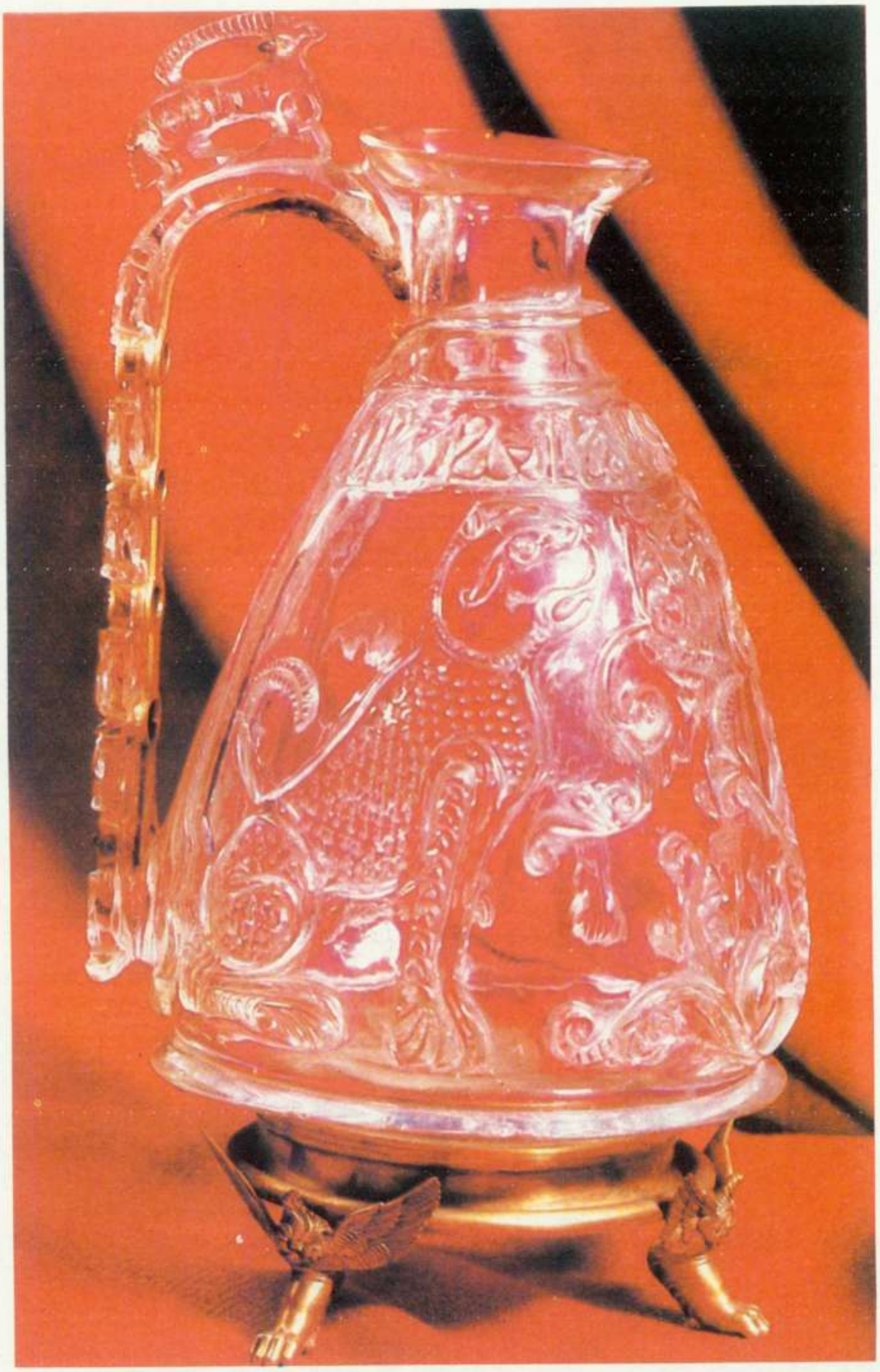
بدأ فى العصر العباسى ، عهد جديد فريد فى تاريخ الحضارة الاسلامية ، يضم العصرين الذهبي والفضي ، فقد امتد الاول حتى اواخر القرن الرابع الهجري ، اما الثانى فدام حتى جاء المغول عام ٦٥٦ هـ .

ففى خلال العصر الذهبى ، بنى ابو جعفر المنصور مدينة بغداد ، فنمت فى ظل العباسين حتى غدت اعظم مركز ثقافي وتجارى فى القرون الوسطى ، وقد بلغ العصر الذهبي ذروته فى عهد هارون الرشيد ، وابنه المامون ، حيث استكمل المجتمع العربى الاسلامى تطوره ، بعالميته الجامعة ، وموارده الاقتصادية الهائلة ، وحياته الثقافية الرفيعة ، فطرأ على الأدب العربى ما طرأ على سائر اشكال الثقافة ، وقد أدى الكتاب والشعراء دورهم ، فاسهموا فى اشراقة عصرهم ، فظهر النثر الفني ، وظهر تعريب الآداب المختلفة ، مثل عبد الله بن المقفع ، الذى ترجم كتاب كليله ودمنه ، فذاع صيته ، ودخل اوروبا فيما بعد ، فكان له صدى فى كثير من المؤلفات القصصية كحكايات « لا فونتين » الفرنسى

ثم جاء الجاحظ « ابو عثمان عمرو بن بحر » ، فارتقى بالنثر الفني الى أوج الدقة فوضع نحو مائتي مؤلف ، اشهرها كتاب الحيوان ، والبيان والتبيين ، وكتاب البخلاء .. وغيرها ، وتضم كتبه فى بحوثها التاريخ وعلوم الطبيعة والفلسفة حتى ليعتبر من أكثر الكتاب تنويعاً واثارة ، باسلوب جعل فيه النثر الفني ، أداة للدقة ، والرشاقة فى التعبير .

ويعد كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ، نموذجاً للنثر الفني الرفيع وهو فى جوهره مجموع للاغاني والأشعار الرائجة فى بغداد ايام الخليفة هارون الرشيد ، ويحتوى إلى جانب ذلك ، على معلومات قيمة ، عن حياة الشعراء الملحنين والمغنين العرب ، وعن الأساطير والآداب والعادات ، لدرجة يكاد يعد خلاصة الثقافة العربية كما عرفت فى زمانه .

وظهر أدب المقامات ، وهى حكايات قصصية قصيرة ، موشحة بالمواعظ والملح ، وقد ابتكر هذا الفن بديع الزمان الهمذانى ، واحترفه ابو محمود القاسم بن على الحريرى البصري ، وتكمن جاذبية المقامات فى البراعة اللغوية المذهلة ، التى تتجلى



ابريق من البلور ، وقد كانت اواني البلور الصخري من ابرز الأشياء التي ولع العرب المسلمون باقتنائها

وعلى راسها عمر بن ربيعه ، ومن شعرائها الاحوص العرجي ، فهذا عمر بن ابى ربيعة يعتمد الحوار فى شعره لاضفاء الحيوية والحركة على ما يصفه من مواقف الغزل :

فقالت وصدت : ما تزال متيما
صبوبا بنجد ، ذا هوى متقسم
ولما التقينا بالثنية اومضت
مخافة عين الكاشح المتنمم
اشارت بطرف العين خشية اهلها
إشارة محزون .. ولم تتكلم
فايقنت ان الطرف قد قال : مرحباً
واهلا ، وسهلا بالحبيب المتيم

اما المدرسة الثانية فهى مدرسة العذريين ، التى تقوم على الحب المثالى ، بما فيه من عفة وسمو وطهر ، ويمثلها جميل ابن معمر « جميل بثينه » ، فيقول :

تعلق روحي روحها قبل خلقنا

في هندسة الجمل ، مما جعل المقامة النموذج الرفيع ، للنثر الفني .

اما في ميدان الشعر ، فقد ظهر في زمن العباسيين اتجاهان رئيسيان ، هما مدرسة المجددين ، ومدرسة التقليديين . اما التجديد فقد انتج نسيب بشار ، وقصائد ابن الرومي التاملية والتحليلية ، وشعر ابى العتاهية فى الزهد والوعظ ، والخمريات الماجنة الساخرة التى جاء بها ابو نواس . فيقول :

دع عنك لومي فان اللوم إغراء
وداوني بالتى كانت هى الداء
... وقل لمن يدعى فى العلم معرفة
حفظت شيئا وغابت عنك اشياء



جامع القيروان الكبير وهو من اقدم الجوامع فى غرب العالم الاسلامي ، وقد اعيد بناؤه عام (٧٦ هـ)

وعلى نقيض المجددين واسلوبهم فى التفكير والتعبير ، كان الشعراء المقلدون ، الذين حافظوا على تثبيت فخامة الشعر العربى القديم ، وعلى رأس هؤلاء « ابو تمام » ، وهو شاعر مطبوع فطن ذكي دقيق المعاني . يقول فى بائيته المشهورة فى فتح عموريه ، يصور نخوة المعتصم ، عندما بلغه ان امراة هاشمية ، لطمها رومي على وجهها ، فصاحت .. « وامعتصماه » ! فيقول :

لبيت صوتا زبرطيا هرقت له
كاس الكرى .. ورضاب الخرد العرب
اجبته معلنا بالسيف منصلتا
لو اجبت بغير السيف لم تجب
تسعون الفا كاساد الشرى نضجت
جلودهم قبل نضج التين والعنب
فبين ايامك اللائي نصرت بها
وبين ايام بدر اقرب النسب
ابقيت بني الأصفر المصفر كاسمهم
صفر الوجوه وجلت اوجه العرب



ميناء الاسكندرية فى مصر على شاطىء المتوسط ، مركزا لتجارة الاستيراد والتصدير خلال القرن السادس

اما قمة هذه الطبقة ، فهو ابو الطيب « احمد بن الحسين المتنبي » ، فهو فى رأى معظم الناقدين ، اعظم شعراء العربية ، اذ مابرحت احلام المتنبى وآراؤه فى الحياة ، ورؤاه البطولية ، تتحدر عبر العصور ، فى ابيات تتداولها الالسن جيلا بعد جيل ، فيقول :

عش عزيزاً ، اومت وانت كريم
بين طعن القنا وخفق البنود

ويقول :

على قدر اهل العزم تاتي العزائم
وتاتي على قدر الكرام المكارم

ومن كبار شعراء العصر العباسي ، ابو العلاء المعرى ، الذى بالرغم من فقد بصره بالجدري فقد تابع تحصيله الثقافى ، ورحل الى بغداد عام ٣٩٨ هـ ، فلم يعجبه المقام بها ، فعاد الى بلده المعرة ، ولزم منزله حتى مات منقطعا الى التاليف والنظم ، والجود بعلمه وحكمته وادبه ، فيقول :

وزهدني فى الناس معرفتى بهم
وعلمي بان العالمين هباء

ويغالى فى إيثار عزلته فيقول :

ثيابي اكفاني ، ورمسى منزلي
وعيشي حمامي ، والمنية لي بعث

الأدب فى الأندلس

امتد الحكم الاسلامى العربي فى الاندلس من ٩٢ هـ حتى ٨٩٨ هـ ، فانتشرت الثقافة العربية بخاصية فريدة ، حيث تلاقت الآداب العربية ، والآداب الغربية



الصفحة الأولى من نسخة بالعربية من « كتاب الدريـاق » تزينه صورلتسـعة من الأطباء الاغريـق تكـريما لهـم .

فى الاندلس ، فكان للقـائهـا اثر على الأساليب والمشاعر .

ففى مجال النثر الفنى ، ظهر كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه ، الذى اسرف فى الاقتباس من المؤلفات الموسوعية التى وضعها الجاحظ وابن قتيبة .

وظهرت اشكال التراث الشعبى ، كالسيرة والقصص التى تروى شفاهاً ماثر ومغامرات الأبطال ، واشهرها « سيره بني هلال » ، التى تحكى قصة قبيلة عربية هاجرت الى شمالي افريقية ، و « سيرة الظاهر بيبرس » التى جمعت فى القرن العاشر الهجرى ، وتقوم على سيرة قائد وسلطان تاريخي حكم مصر والشـــام . و « سيرة عنترة بن شداد » فى اقرب الى ملحمة قومية عربية .

وقد ظهر فى هذه الفترة ، اوسع الكتب العربية شهرة ، واوفرها حظاً لدى قراء الغرب ، وهو كتاب « الف ليلة وليلة » ، ومن سخرية الاقدار ، والثقافة العربية على كل مالها من عظمة وتاريخ طويل ، أن يكون كتـــاب الف ليلة وليلة ، هو الممثل لهذه الثقافة فى العالم الغربى .

كما ظهرت فنون ادبية كالزجل الشعبي ، وخاصة ما نظمه ابن قزمان ، كما ظهر الموشح ، وقد لعبت الموسيقى العربية والأغاني الشعبية الأوربية دوراً مهما فى هذا التفاعل ، وكان اعظم الوشاحين الأعمى الطليطلي ، وابن سهل ، ولسان الدين ابن الخطيب .

ومجمل القول ، فان الأدب العربى فى تطوره من العصر الجاهلى الى زماننا ، قد سار فى طريقي اتباع وابداع ، والتقى متعاصراً بالآداب العالمية ، لقاء اخذ وعطاء تحد واستجابة ، تاثر وتاثير ، مما اتاح له أن يتكيف تلك المجارى والمشارب فى حضارة عربية اسلامية ، ويفجر بالكلمة المبدعة طاقاتها الخصيبة ، من نتاج ادباء العرب فى الشعر والنثر اروع الذخائر الفنية الباقية على مدى الزمان .

شهد القرن السابع الميلادي ظهور الاسلام ، فامتد السلطان العربى ، امتداداً كتب له ان يشمل فى أقل من قرن ، جانباً كبيراً من العالم الماهول أنذاك ، فالقى بين أيدى العرب ، روائع الحضارات السابقة ، وكنوزها ، فوجد العرب انفسهم فجاة أمام امهات المعارف القديمة ، من فلسفة اغريقية ، الى حكمة ادبية وسياسية فارسية ، الى طب ورياضيات هندية ، فاستطاعوا بابداعية تدعو الى الاعجاب ، استيعاب جميع هذه المعارف ، وهضمها ودمجها فى حياتهم الثقافية الخاصة ، ورفع مستوى هذه المعارف ، من طب وفلسفة وعلوم دقيقة وفلك الى ذرى لم تبلغها قط . بل إنهم ظلوا ، الأمناء فى العالم على هذه المعارف وتطويرها .

ويرجع الفضل فى الترجمات الأولى للمؤلفات الهندية واليونانية فى الطب والفلك والرياضيات الى عهد المنصور ، غير أن الفضل فى السعي الجاد الى اقتناء امهات الكتب اليونانية وترجمتها يعود الى المامون . وتجسد هذا المسعى عمليا فى تاسيس بيت الحكمة فى بغداد عام ٢١٧هـ ليكون مركزاً للابحاث والترجمة ، حيث قام المترجمون بترجمة المؤلفات الطبيـــة لجالينوس ، ونقلوا الى العربية مؤلفات افلاطون وارسطو ، كما ترجموا مؤلفات كثيرة فى الفلك والرياضيات ، فنبغ العلماء العرب فى كل علم وفن ، فكان « ابو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي » المتوفي عام ٢٥٣ هـ ، أول فيلسوف عربى اصيل ، سليل قبيلة كندة ، التى ينتسب اليها الشاعر الجاهلى «امرؤ القيس » ، وكان ابو بكر الرازى علماً شامخاً من اعلام الفلسفة والطب ، ثم ظهر فى اعقاب الرازى جماعة منظمة من العلماء الذين اعتنوا بالدين والفلسفة ، واطلق اعضاؤها على انفسهم اسم « إخوان الصفا » ، وقد تنـــاولت رسائلهم كل العلوم الفلسفية والرياضية التى كانت معروفة فى القرن الرابع الهجري .

اما « الفارابي » « وابن سينا » ، فقد استحدثا نظرة الى العالم فلسفية اخلاقية ومع هذا فقد كان علماء الدين ، ينظرون الى دراسة الفلسفة بكثير من الحذر ، فكانت أشد الحملات على الافلاطونية ، واعمقها اثراً ، حملة الامام ابى حامد الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ .

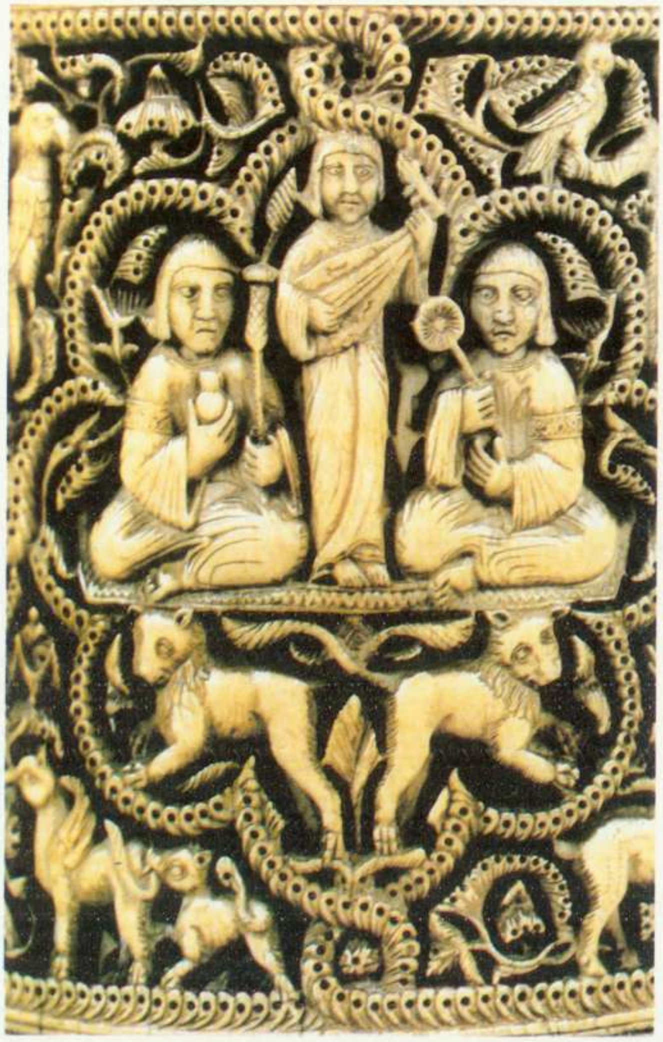
ثم اسس « عبد الرحمن بن خلدون » التونسي ، المتوفي عام ٨٠٩ هـ علم الاجتماع ، وفلسفة التاريخ ، وكان اعظم ما اسهم به ابن خلدون فى الفكر الاسلامي ، هو فلسفته الوصفية فى التاريخ والتطور الاجتماعي ، وقد مكنه تمسكه باستقراء التجارب الى وضع علم العمران ، الذى

لم يكن له مثيل في تاريخ الفكر القديم او الوسيط ، فكانت مقدمته لدراسة تاريخ العالم ، كتاباً فريداً في تاريخ الأدب العربي كله .

ونام في الاندلس علماء أمثال ابن سره المتوفى عام ٣١٩ هـ ، والمجريطي ، اما اول كبار المؤلفين الاندلسيين في الفلسفة ، فكان « ابو بكر بن الصائغ » المعروف « بابن باجه » ، فقد بهر هذا الطبيب الفيلسوف معاصريه ، وتلاميذه بشروحه عن الفلسفة ، التي كان « ابن سينا » و « الفارابي » اكبر اركانها في المشرق ، وكذلك فعل « ابو بكر بن طفيل » الذي يعتبر من اعلام الفكر العربي في الاندلس .

وظهر « ابن رشد » في القرن السادس للهجرة ، فبدأ مسيرته الفلسفية ، بعد الاربعين ، عندما قدمه ابن طفيل الى امير المؤمنين « ابي يعقوب يوسف » فاعجب الامير المثقف بابن رشد ، وعينه قاضياً لمدينة اشبيلية ، وامره بشرح كتب ارسطو .

فلله در هؤلاء العلماء الأفذاذ الذين اسهموا بعبقريتهم اسهاما رائداً في كل ميدان .



جزء من صندوق للمجوهرات مصنوع من العاج من العصر الأموي في الأندلس

الرمزية والجمال

بينما كان الاسلام يمد ظلاله ، من سهوب آسيا الوسطى حتى جبال البرانس ، كان الصناع اليدويون يستخدمون تقنيات جديدة ، والمعماريون يبتدعون انماطاً جديدة من المباني ، واصبح يعم معظم ارجاء الدولة الاسلامية تصور جديد لاشكال التعبير المرئية ، واصبحت الحاجة الوظيفية أساساً لاكثر الابتكارات العربية الاسلامية أصالة ، وهو المسجد ، بسقفه واعمدته المصفوفة ومحرابه ومئذنته واضفى التزيين بالفسيفساء الغالية ، والجص الرخيص معنى بصرياً جديداً على سطوح الجدران وعلى السقوف ، فقامت مساجد تجسدت فيها روعة الفن المعماري ، وابداعية التشكيل الجمالي ، وبقيت ماثر على مدى الزمان ، كجامع قرطبة (من القرن الثامن) ، وجامع القيروان (من القرن الثامن) ، والمسجد الاقصى في القدس (في القرن الثامن الى الحادي عشر) والجامع الأموى بدمشق (القرن الثامن) وجوامع سامراء .

كما ظهرت منشات جديدة ذات طابع اسلامي كالرباطات لاقامة الحيذ، والدعاة لحماية دار السلام كرباط سوسة في تونس

وهناك الاضرحة ومقامات الانبياء والصالحين كالحرم الابراهيمي في الخليل بفلسطين ، ومقام النبي يونس في نينوي .

ثم ظهرت سلسلة من المؤسسات التي تخدم اغراضا اجتماعية مفيدة ، كالمستشفيات ومعاهد العلم ، هذه المؤسسات التي اصبحت في القرن الثاني عشر من ابرز المؤسسات في العالم الاسلامي . وشيدت أسوار المدن وابوابها وقلاعها ، ولم تبق يد الزمان إلا القليل ، كقلعة حلب الشامخة وسور القاهرة ذو الهندسة الابداعية ، وسور القدس ..

اما المنشات المعمارية الخاصة ، فكانت آية في روعة المعمار ، ومراة ناطقة بالجمال كقصر الحمراء في غرناطة .

وقد تميزت العمارة العربية بخصوصية فريدة في البناء والتجميل ، بالاقواس والكتابة الزخرفية والأشكال التزيينية .

العبقرية العلمية

يعتبر العلم العربي فتحا آخر من فتوحات العرب ، رحب الابعاد ، متشعب المسالك ، شجعه الخلفاء العباسيون الأوائل في بغداد ، في بداية النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ، موفرين له كل ما استطاعوا من سبل النجاح ، وقد سمي هذا العلم عربياً ، لأنه يدين بنشاته الى مبادرة عربية ، ورعاية عربية من جهة ، ولأن اللغة العربية كانت هي الوعاء الذي ترعرع في اطاره هذا العلم ونضج ، كالحساب والفلك والبصريات .

فقد نبغ في علم الحساب « ابو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي » مبتكر علم الجبر ، فقد اتحف هذا العالم ، علم الرياضيات بعض قواعد وطرق اكتشفها وحسنها ، كقاعدة الخطائين ، والطريقة الهندسية لحل المربعات المجهولة ، وهو ما يسمى اليوم بالمعادلة من الدرجة الثانية .

أما علم الهندسة العربية ، فلم يقف عند استيعاب المفاهيم والطرق التي تضمنها كتاب الاصول لاقليدس ، فابناء موسى بن شاكر الثلاثة ، عالجوا قضايا هندسية هامة في كتابهم « في مساحة الاشكال المسطحة والكروية » .

وقد برع في علم الرياضيات علماء افذاذ كمحمد بن عيسى الماهاني ، وابو جعفر الخازن ، وعمر الخيام ، وابن الهيثم ، والعباس بن سعيد الجوهري ، ونصير الدين الطوسي ، ومحيي الدين المغربي ، واثير الدين الابهري .

وكانت ذروة منجزات البحوث العربية في علم الفلك ، فقد حظيت عمليات الرصد بدفعة قوية الى الامام في عهد الخليفة المامون ، الذي امر باعداد جداول فلكية جديدة ، فكان حصيلة ذلك «الزيج الماموني»

الذي اعتمد وضعه على ادوات الرصد والحساب « كالاسطرلابات » وهي اجهزة قياس الوقت وابعاد النجوم وحركتها ، «والارباع» وهي آلات قياس « الارتفاع الزاوي » ، « وذوات الحلق » وهي الآلات الكروية ذات الحلقات التي تمثل الدوائر الرئيسية في الكرة السماوية ، وقد وضعت هذه الآلات في مختلف مراكز البحث الفلكي في العلم الاسلامي ، من قبل العلماء امثال « عبد الرحمن الصوفي » و « ابن يونس » و « البيروني » والطوبي . ولقد كان من ثمرات الفلكيين العرب ادخال مزيد من الدقة في حساب المثلثات ، والجيوب ، وحساب اوتار الدوائر .

حقق العرب تقدماً كبيراً في علم البصريات ، فكتاب « المناظر » للحسن بن الهيثم ، مصنف شامل ، لا يقتصر على ايراد نظرية جديدة في الابصار ، بل يقدم دراسات مهمة في انتشار الضوء واللون والانعكاس والانكسار .

ان ما سلف من الامثلة ، يعطي فكرة عن ابعاد البحث العربي في حقل العلوم الدقيقة في العصر الوسيط . فكانت ابحاثاً لها اهمية كبرى في الحضارة اللاحقة .

علوم الحياة

لقد استطاع العرب بفضل انتشار الاسلام ، وهيمنتهم على رقعة واسعة الارجاء ، عديدة الثقافات ، ان يستقوا من ينابيع متنوعة ، ليزدادوا معرفة نظرية وتجريبية في فنون العلاج والشفاء .فبلغت اسهاماتهم فى علوم الحياة الصحية اعلى درجات نموها في القرنين الثالث والخامس للهجرة ، وشهدت عدداً من مراحل الانتعاش خلال القرنين السادس والسابع ، ونبغ عدد من العلماء العرب فى الطب الباطني والسريري ، امثال الطبيب ابو بكر محمد بن زكريا الرازي ، اول من وضع



الاسطرلاب المسطح ، الذي كان من اهم الاجهزة التي استخدمها الفلكيون في العصر الوسيط ، وهذا الاسطرلاب يحمل توقيع ابن الحسين احمد البغدادي .

رسالة في الجدري والحصبة ، ومن كتبه مؤلف من عشرة اجزاء في الطب السريري والباطني وهو « الكتاب للتصوري في الطب » اما موسوعته الطبية التي سماها « الحاوي » ورسالته في « الطب الروحاني » فقد مثلتا مصدراً غنياً لعلوم الطب .

وكان العرب المسلمون اول من انشا المستشفيات في ظل ورعاية الخلفاء ، وكانت تسمى « البيمارستان » اي « دار المرضي » ، وكانت منتشرة في شتى امصار العالم الاسلامي .

وقد بلغ العرب شاواً عظيماً في طب العيون ، فقد وضع « حنين بن اسحق » كتاباً منهجياً في طب العيون ، وفي اواخر القرن الحادي عشر بلغ طب العيون العربي ذروته ، بدراسة وضعها طبيب العيون البغدادي ، « علي بن يوسف » في كتابه « ذخيرة الكحالين » ثم جاء « الحلبى خليفة ابن ابى المحاسن » فوضع كتاباً فى جراحة العين هو : « نور العيون وجامع الفنون »

اما الجراحة والتشريح وعلم وظائف الاعضاء ، فقد كان « ابن رشد » الطبيب الفيلسوف العربي يقول : « من اشتغل بعلم التشريح ازداد ايماناً بالله» . فكانت اعظم منجزات الجراحة العربية في العصور ، تنتسب الى الطبيب الاندلسي « ابي القاسم خلف بن عياس الزهراني » وفي خلال حكم المماليك بمصر ، الف « ابن النفيس » كتاباً بالغ الاهمية في التشريح وعلم وظائف الاعضاء ، وهو شرح لكتاب ابن سينا « القانون في الطب » ، وهو يضم اول وصف واضح ومفصل للدورة الدموية ، وقد وصف « ابن القف » العمليات الجراحية ، وعلاج الاصابات الجسدية في كتابه « عمدة الصلاح في صناعة الجراح » .

اما في علم الحيوان والطب البيطري ، فقد ارتفع الاهتمام بتربية الحيوانات الداجنة ، فكانت اول مدرسة عربية جامعة « كتاب الحيوان » للجاحظ ، وكتاب « حياة الحيوان » للفيلسوف كمال الدين الدميري ، ويعتبر كتاب « محمد بن حزام » الذي وضعه عام ٢٤٦ من اعظم مؤلفات العصور الوسطى في الطب البيطري وهو كتاب « الفروسية والخيل » وكذلك كتاب « الصناعتين » من تاليف ابي بكر البيطار المتوفي عام ٧٤٠ هـ

اما الصيدلة وعلم الأدوية ، فلم تصبح مهنة معترفاً بها الا في العصر الاسلامي العربي الذين جعل منها علماً مستقلا ، فكان «سابور بن سهل » المتوفي عام ٢٥٦ هـ ، مؤلف اول موسوعة للعقاقير الطبية ومنافعها ، ثم ظهرت دساتير وكناشات اخرى عديدة ، من بينها رسالة في الصيدلة «للرازي» وقد عرف «ابو الريحان البيروني» المتوفي عام ٤٤٣ هـ في كتابه «الصيدلة في الطب اكمل تعريف للصيدلة ومهنة الصيدلي ، وكان الاهتمام بالنباتات الطبية وفن العلاج ، وفي علم الزراعة وتربية الدواجن ، لدرجة ان بعض المؤلفات الزراعية تضم نصائح تنجيمية بشان الايام والفصول والمواقع ، التي يفترض ان تكون اكثر ملائمة من سواها لبذر الحبوب ، ولجني المحاصيل .

وقدمت السيمياء وعلم الهيئة كثيراً من الخدمات لعلم الكيمياء باختراع العلماء العرب الكثير من اوعية المختبرات ، وطوروا بعض الاساليب والعمليات الكيميائية ، كالتقطير ، والترشيح ، والتصفية ، والتكليس ، والبلورة ، وتحضير العناصر والمركبات الكيميائية .

وبعد ..

إن هذا الكتاب جدير بالمطالعة ، لان في فصوله ما يثبت ان الاسلام بعث في العالم العربي وعياً ونشاطاً خلاقاً ، واسبغ عليه نعمة شاملة وحرية كاملة ، فتفجرت فيه عبقريات اقامت حضارة ، قدمت للانسانية كل وسائل التقدم والازدهار ، لتكون حافزاً لربط الحاضر بالماضي ، ليعطي في المستقبل وثبة ابداعية تجعلنا في مقدمة مواكب الحضارة

حسني شحادة

بد لاّ من التمرّد واللجوء إلى المذاهب الفنية الغريبة!

بقلم: يوسف الشاروني

إن عمر الفنون التشكيلية فى عمان لا يزيد عن ثلاث سنوات حين افتتحت المديرية العامة لشئون الشباب بوزارة التربية المرسم العمانى عام ١٩٨٠ للشباب من الجنسين فى العاصمة مسقط وزودته بالخامات والأدوات الفنية التى يتطلبها كل مرسم متطور .

وتختلف مستويات المترددين على المرسم ما بين مبتدئين ومتوسطين وممتازين . كما يختلف نظام ترددهم **فبعضهم منتظم لاسيما المبتدئين منهم ، وبعضهم منتسب لحرية اختيار وقت تردده . كما ان التدريب يتراوح ما بين الممارسة** العملية والدراسة النظرية .

وقد اشترك المرسم فى سبعة معارض خارجية كان أخرها معرض الفنانين الشكيليين فى الدوحة بمناسبة انعقاد الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية فى نوفمبر ١٩٨٣ . كما اشترك المرسم فى سبعة معارض محلية كان أخرها ، معرض عام الشبيبة العمانية للفنون التشكيلية الذى اقيم فى نوفمبر ١٩٨٣ أيضاً بمناسبة الاحتفال بالعيد الوطنى الثالث عشر لعمان واشتركت فيه دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية وأندية السلطنة **بالاضافة** الى المرسم العمانى . وقد اشتمل على ١١٠ لوحة من بينها ٩٧ لوحة للفنانين العمانيين والباقى لوحات لفنانين من كل من البحرين وقطر والكويت والمملكة العربية السعودية والامارات العربية المتحدة .

وقد تناولت اللوحات المقدمة فى المعرض الحياة الانسانية فى منطقة الخليج ما بين المناظر الطبيعية والعادات والشباب والشيخوخة والريف ومراكب الصيد والمبانى التاريخية كالقلاع .. الخ .

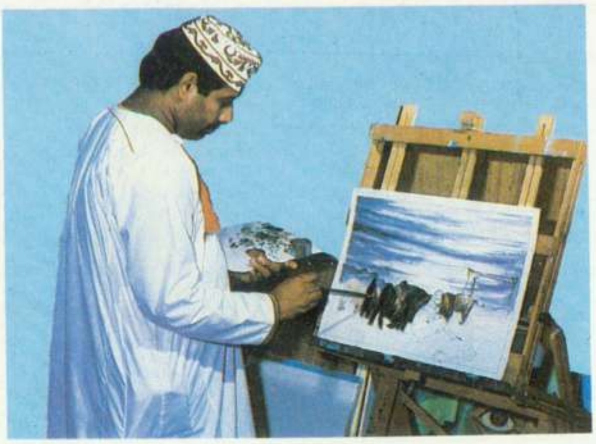
ومعظم اللوحات تنتمى الى المدرسة الواقعية ، بينما قلة منها تنتمى الى المدرستين التجريدية والسريالية .

وقد كتبت رابحة محمود ـ وهى احدى الفنانات المشتركات فى المعرض ـ كتبت فى جريدة عمان تقول انه منذ المعرض الأول فى العيد الوطنى العاشر (أى عام ١٩٨٠) والشباب العمانيون التشكيليون فى سباق مع أنفسهم ومع الزمن للوصول الى الاحسن . وقد أخذت شخصياتهم تتبلور وتتميز حتى لتستطيع أن تتعرف على كل فنان من أسلوبه وألوانه واختياره موضوعاته وطريقة تنفيذها ، ولعلها تتحدث عن لوحاتها أيضاً التى يمكن تمييزها بسهولة .

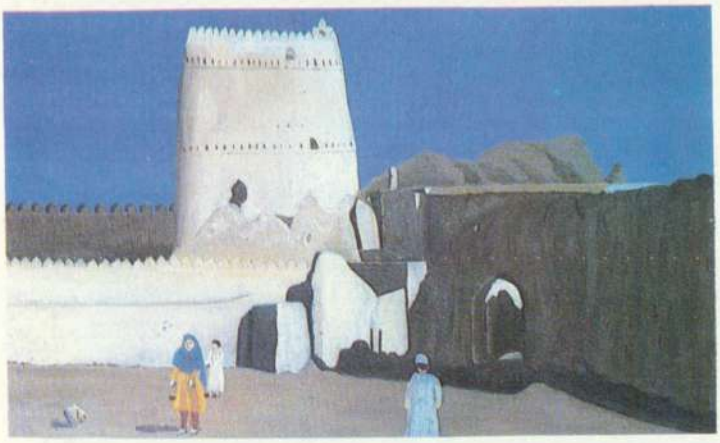
ومن الفنانين العمانيين الذين اشتركوا فى هذا المعرض الفنان محمود يوسف آل مكى المولود عام ١٩٥٨ والذى سبق أن اشترك فى معرض التصوير الفوتوغرافى مع اثنين من زملائه هما أنور خميس سونيا وموسى صديق المسافر والذى سبق أن أقيم قبل أسابيع من اقامة هذا المعرض (فى اكتوبر ١٩٨٣) . وهو ما يزال هنا ينتمى الى المدرسة الواقعية . أما ياسمين محمد سالم التى ولدت عام ١٩٥٧ فقد التحقت بالمرسم عام ١٩٨٠ وحصلت على كثير من الجوائز واشتركت فى المعرض بلوحتها « تحت الظلال » التى نجحت فيها فى خلق علاقات هادئة بين الألوان والخطوط ، ورغم ما فى الصورة من واقعيةالا أن ألوانها التى تتكون أساساً من تدرجات



ياسمين محمد سالم .. احدى المشاركات في معرض عام الشبيبة العمانية وهي تضع اللمسات الاخيرة للوحتها : تحت الظلال



محمود يوسف ال مكي .. امام لوحته : راحة بعد عناء

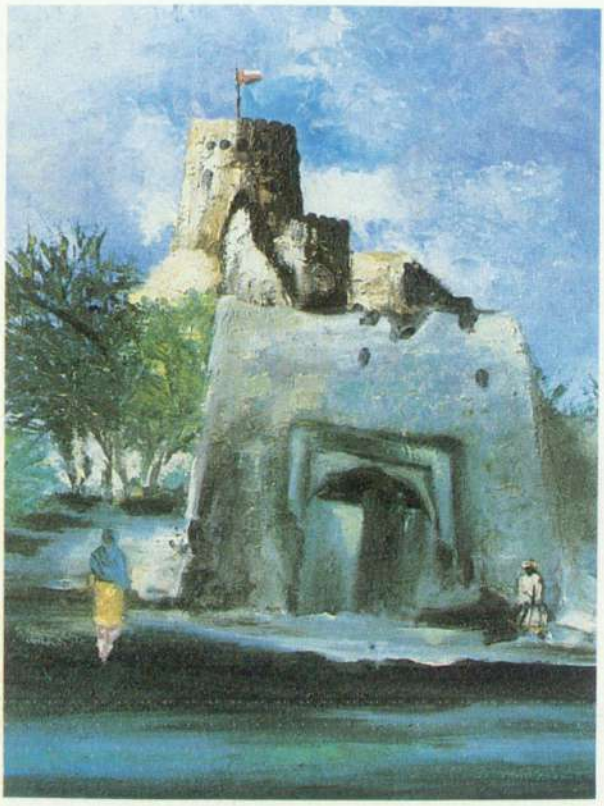


ظلال واضواء .. لوحة للفنان غصن منصور

الأزرق الفاتح تضفى عليها جواً غريباً . وغصن منصور الريامى المولود عام ١٩٦٠ والملحق بالمرسم عام ١٩٨٠ يتناول التاريخ العمانى ممثلا فى القلاع العمانية الشهيرة مثل قلعة سليمان بن حمير التى رسمها تحت عنــوان « ظلال واضــواء » . ومن النحاتين العمانيين المشتركين فى المعرض سليم سالم عبيد المولود عام ١٩٦٣ فى تنزانيا بافريقيا وأيوب ملنج اللند المولود عام ١٩٥٥ بالبحرين ومن أعماله : المعلم ـ االقلعة ـ حصان ـ تيقظ ، ومن الواضح أنها أعمال مستوحاة من البيئة العمانية .

ومن الجدير بالذكر أن معظم العمانيين الذين شاركوا فى المعرض تتراوح أعمارهم ما بين السادسة عشر والسادسة والعشرين الا فيمـا ندر وهذا أمـر طبيعى لحداثة حركة الفنون التشكيلية فى عمان . ومعظم الأكبر سناً ممن سبق لأهلهم أن هاجروا الى ساحل افريقيا الشرقى الذى كان تابعاً لعمان فيما مضى حيث ولد الفنانون هناك ، ثم عادوا بأولادهم الى عمــــــان بعـد انتفاضة عام ١٩٧٠ . ولاشك أن فترة قضاء طفولتهم فى ساحل افريقيا الشرقى قد أضفت عليهم مؤثرات ثقافية وانطباعات بيئية انعكست على اتجاههم نحو هـذه الهواية او تنمية هذه الموهبة وعلى مستواهم فيما يقدمون من أعمال . وان لم ينعكس كثيراً على موضوعاتهم .

أما شباب دول مجلس التعاون الذين شاركوا باعمالهم فى المعرض فمنهم الفنان الكويتى حميد خزعل من مواليد ١٩٥١ وهو حاصل على بكالوريوس كلية الفنون الجميلة بالقاهرة عام ١٩٨٠ قسم التصوير وأسلوبه سريالى . ومن دولة قطر شارك الفنان سلمان ابراهيم المالكى من جمعية قطر للفنانـين التشكيليين وهو من مواليد



قريتي .. للفنانة نادية سالم عبد الله الحارثي



شميم محمد سالم .. أمام لوحتها : القلعة



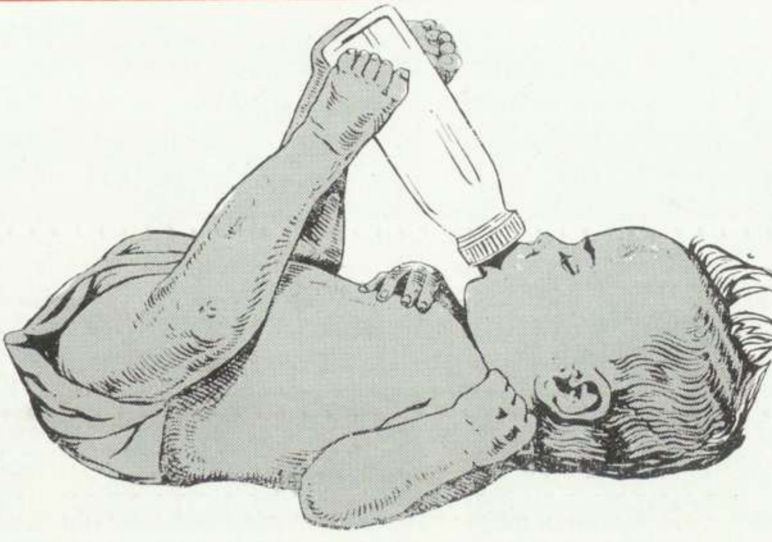
وقفة .. لوحة للفنان عبد الله ناصر الحنيني

١٩٥٨ وانهى دراسته للفن فى القاهـــرة وتخصص فى ممارسة فن الكاريكاتير فى الصحف ، وتناولت لوحاته موضوع اشتعال لهيب الحرب اللبنانية الطائفية التى أتت على كل شىء . وقد صرح لجريدة عمان ان اقامة هذا المعرض كان استجابة لأحد اقتراحاته التى تقدم بها ، وأنه كان للأخوة المسئولين فى سلطنة عمان فضل السبق فى تحقيق هذه الفكرة ، وهو يأمل أن يتكرر مثل هذا المعرض مرة أخرى ، بل أن يخرج من إطار دول الخليج الى الدول العربية ثم الدول الأوروبية ، بمعنى أن يكون معرضاً متنقلا تحت راية مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

كما شارك فى المعرض الفنان السعودى ناصر عبد الله الموسى وهو يمارس الرسم التعبيرى لجريدة الرياض السعودية ، ويتميز باستخدامه للحرف والرقم العربى . وقد عرض احدى لوحاته الحديثـــة فى المعرض .

بقيت كلمة أوجهها للأخوة العمانيين الذين يحاولون التمرد على الواقعيـــة فيلجاون الى مذاهب يشعر المتذوق أنها غريبة عن بيئة الفنان وأنها مصطنعة ، بينما هناك منهل تراثى عظيم يستطيعون أن ينهلوا منه وهو فن النقش على صخور عمـــان ، وهو فن بـــدائى عظيم يمكن أن يستلهم منه فنانو اليوم العمانيـــون أساليب تلبى حاجاتهم الى التمرد على الواقع ، وهى فى الوقت نفسه أساليب ضاربة بجذورها فى أعماق التراث العمانى .. بل فى صخوره . ولكن موضوع فن النقش على الصخور فى عمان يحتاج الى حديث آخر .

يوسف الشارونى



بين لبن الأم .. واللبن الحليب

● كلما اقتربنا من الطبيعة كلما كانت الصحة أفضل والعمر أطول
● شلل الأطفال كان مرضاً قليل الوجود في الماضي بسبب انتشار الرضاعة الطبيعية !

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

عرف اللبن الحليب من آلاف السنين ، وكان فى بداية الحياة الأولى - منذ اقدم العصور - يقدم قرباناً، وكان الكهنة يصفونه دواء لبعض المرضى .

وعرف الناس من قديم الزمن ان اللبن الحليب غذاء هام للأطفال ، وذلك نتيجة مشاهداتهم للصغار وهم ينمـــون بـه ويكبرون .

ويمتاز اللبن الحليب بسهولة هضمه ، إذا ما قورن بغيره من الأطعمة ، ولهذا كان من الأطعمة التى تقدم للشيوخ والمرضى والناقهين .

ويحتوى اللبن الحليب على المركبـات النشوية والسكرية والدهنية المولدة للنشاط والحركة والعمل ، كما يحتوى على المركبات البروتينية وهى مركبات النمو وبناء الخلايا والأنسجة داخل الجسم الضرورية ، لتعويض ما تهدم فى الجسم من خلايا ولبناء أنسجة جديدة .

وتمتاز المركبات البروتينية الموجودة فى اللبن بانها كاملة التكوين ، ومن بروتينات الدرجة الأولى .

واللبن الحليب غنى فى مركبات الجير الضرورية لتكوين العظام والأسنان ، الا انه فقير فى مركبات الحديد التى تدخل فى تكوين الدم .

واللبن الحليب فقير فى مركبات الحديد الضرورية لتكوين الدم ، ويمكن تعويض نقص هذه المركبـات بتناول بيضة او بيضتين يومياً .

وعموماً يمكن ان نقول إن اللبن الحليب يقوى عظام الأطفال ، ويطيل قامتهم ، ويمنع الكساح عنهم ، ويقوى اسنانهم ، لما يحتويه من مركبات الجير والفوسفور ، بقدر وافر وبصورة سهلة الامتصاص .

ويحتوى اللبن الحليب على كثير من الفيتامينات الواقية من بعض الأمراض الا انه فقير في فيتامين ج ، ولهذا فاضافة عصير البرتقال يعوض نقص الفيتامين .

ويحتاج الطفل منه ثلاثة اكواب يومياً .. اما الكبير فيكتفي منه بكوب او كوبين في اليوم .. هذا بالاضافة الى الأطعمـة الأخرى .

كيف يتكون اللبن الحليب ؟

يتكون اللبن الحليب داخل ضرع البقرة او الجاموسة او غيرهما . ويتكون الضرع من الداخل من عدة اجزاء نسميها فصوصاً وكل فص من هذه الفصوص يتكون من فصوص اصغر فاصغر ، بداخلها خلايا تكون اللبن الحليب وتفرزه .

في هذه الخلايا تتحـول المركبـات الغذائية الآتية اليها مع الدم الى مركبات اللبن الحليب نفسه ، وتتجمع المركبات وتتحد فيما بينها مكونة اللبن الحليب الذي نشربه .

وتتمزق اطراف هذه الخلايا فينزل ما تكون فيها من لبن حليب ، وليسير في قنوات صغيرة ، ثم الى قنوات اكبر فاكبر .. وتسمى هذه بالقنوات اللبنية .

ويتجمع اللبن الحليب الذي نزل في هذه القنوات في فراغات او تجاويف في اسفل الضرع .

وتتصل كل حلمة من حلمات الضرع الأربع ، بفراغ او تجويف من هذه التجاويف ، وبين الحلمة والفراغ او التجويف صمام يمنع نزول اللبن الا بالضغط عليه وجذبه .

وعند عملية الحلب يضغط الحلاب على الحلمة ويجذبها الى اسفل بحنان ، فينفتح الصمام ، فينزل اللبن الحليب في الاناء النظيف الموضوع لهذا الغرض .

ومن المعروف ان الدم وما يحمله من مواد غذائية يعتبر المصدر الاساسي لاعداد الحويصلات بحاجتها لصنع قطرة الحليب . غير ان هذه الحويصلات تلعب دوراً عظيماً في عملية انتقاء تلك المصادر الغذائية . ونظرة بسيطة الى المحتويات الكيميائية لمصل الدم والى المحتويات الكيميائية لقطرة الحليب يتضح لنا الفرق الشاسع والبون الكبير فيما بينهما .

وهكذا نجد ان هناك مركبات موجودة في الحليب لم تكن موجودة اصلا في الدم . على الرغم من ان هذا الدم بالذات هو الذي يمد الغدة اللبنية بالمواد الضرورية لتكوين الحليب ، ومثال تلك المركبات (اللاكتوز والكازين وغيرهما) . وكذلك فان الحليب يفوق مصل الدم في سكر الحليب (اللاكتوز) بمقدار ٩٠ ـ ٩٥ مرة و ٢٠ مرة في الدهن و ١٤ مرة في الكالسيوم و ٩ مرات في البوتاسيوم و ١٠ مرات في الفسفور الا ان الحليب يتقهقر امام الدم في كمية البروتين بمقدار مرتين وبالكلور ٣ مرات والصوديوم ٧ مرات .

واذن فقد حصل اختلاف في التركيب الكيماوي للحليب من مصدره الأساسي الا وهو الدم . وهو ليس اختلافا عشوائيا تابعا للصدفة العمياء البحتة ، وانما هو امر موجه بقدرة عظيمة ، كي تصبح قطرة الحليب مستساغة الطعم لذيذة النكهة مقبولة القوام وللظهر واللون ، وغنية بالقيمة الغذائية العالية . وعند النظر في خلايا الحويصلات في الثدي تقوم بعمل خارق للغاية عند صنعها لقطرة الحليب ، اي كما يقال تعمل على مصفاة واعية منتقية اي انها تنقي تلك المواد الضرورية انتقاء وانتخابا ، ولا تسمح بمرور بعض المواد الاخرى .

والآن يسال كيف يسيل الحليب خارج الثدي ؟

لاشك ان سيلان الحليب خارج مكان افرازه عملية معقدة مرتبطة بظروف بيئية وهرمونية وعصبية يجب توفرها بشكل ملائم ومواتٍ كي يتم بصورة سهلة وطبيعية ففي الأبقار والاغنام والماعز والحيوانات الثديية المنتجة للحليب تبدأ الافعال الانعكاسية لادرار الحليب بتوفر الشروط التالية :

١) اقتراب موعد عملية الحلب في زمن محدد ثابت .

٢) دخول الحلاب الذي اعتادت عليه الحيوانات الى الحظيرة بشكله ولبسه ورائحته المميزة وفرقعة اوانيه .

٣) تناول كمية من العليقة المركزة المحتوية على الاعلاف الجاهزة والمخلوطة بنسب معينة في عملية ادرار الحليب .

٤) تدليك الضرع وعمل مساج له مع قليل من الماء الفاتر .

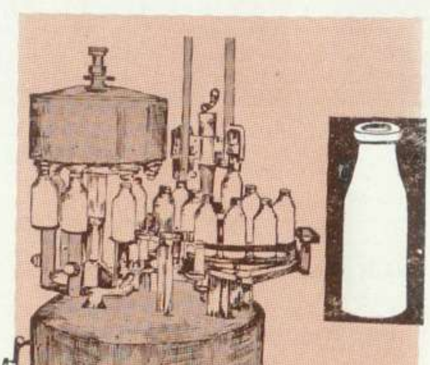
في الميزان

واذا اردنا ان نضع لبن الام واللبن الحليب في الميزان ، فستكتشف التالي :

لبن الأم :

يتناسب اللبن من حيث صفاته الطبيعية والكيماوية مع احتياجات الطفل النامى ، إذ يولد الانسان عديم الاسنان . ولذا يلزم ان يبدأ حياته بتناول الأطعمة السائلة او نصف السائلة ، كما يجب ان يكون غذاؤه سهل الهضم والتناول ، حتى لا يؤثر على الجهاز الهضمى ، كذلك يجب أن يتناول مواد غذائية خاصة لازمة للحياة والنمو

ويعتبر لبن الأم افضل انواع الألبان في تغذية الطفل حيث الخثرة تكون دقيقة مفككة ، ويظهر ان لبن الأم يعطي الطفل مناعة ضد بعض الأمراض .



الحليب يعبأ اليا « اتوماتيكيا » دون ان تلمسه يد

ولو تاملنا تركيب لبن الام او حليب الام في اشهر الرضاعة المتوالية ،لوجدناه في بداية فصل الرضاعة اكثر احتواء على مركبات بناء الانسجة وتكوينها ونموها . ولو تاملنا تركيبه في نهاية فصل الرضاعة وجدناه اكثر احتواء على المركبات السكرية والدهنية المولدة للنشاط والحركة ، لأن الطفل في نهاية فترة الرضاعة يكون اكثر نشاطا وحركة .

ومن الحقائق العلمية الجديدة ما اثبته العلم اخيراً من ان لبن الأم او حليب الأم يقاوم شلل الأطفال .

لقد ثبت بصفة قاطعة ان مرض شلل الاطفال كان قليل الوجود في القرون الماضية لا لشيء الا لأن الأمهات كن يرضعن اطفالهن رضاعة طبيعية . وهناك ادلة كثيرة تؤيد هذه الحقيقة نذكر منها :

اولا : عندما حل مرض شلل الاطفال بحالة وبائية في شمال كندا ، نجا الاطفال الذين رضعوا رضاعة طبيعية من الاصابة بهذا المرض .

ثانيا : مرض شلل الاطفال كان اكثر انتشاراً في البلاد المتمدينة التي اهملت الرضاعة الطبيعية .

اللبن الحليب :

وقد يحل لبن الابقار محل لبن الام إذا تعذر وجوده لتغذية الاطفال ، ونظراً لوجود فوارق في التركيب في كل من اللبنين فتجري بعض التعديلات .

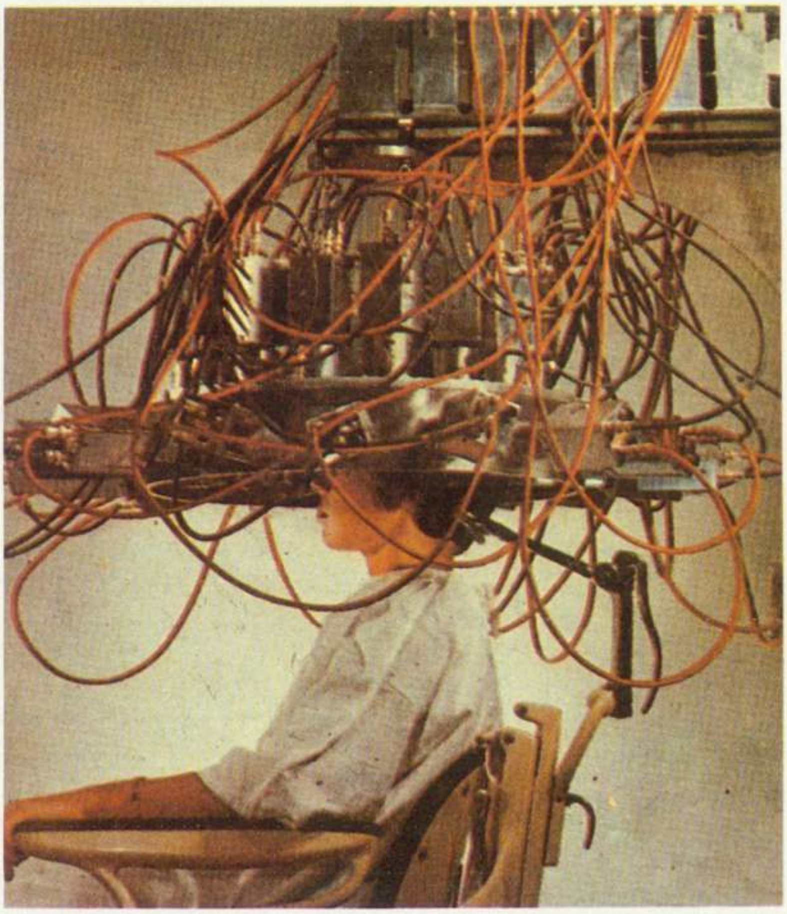
والتعديلات على لبن الابقار ليتشابه مع لبن الام من حيث التركيب والقوام .

ولاستكمال النقص الموجود في لبن الأبقار او الجاموس يعطى معه او يضاف اليه عصير البرتقال او عصير المانجو .

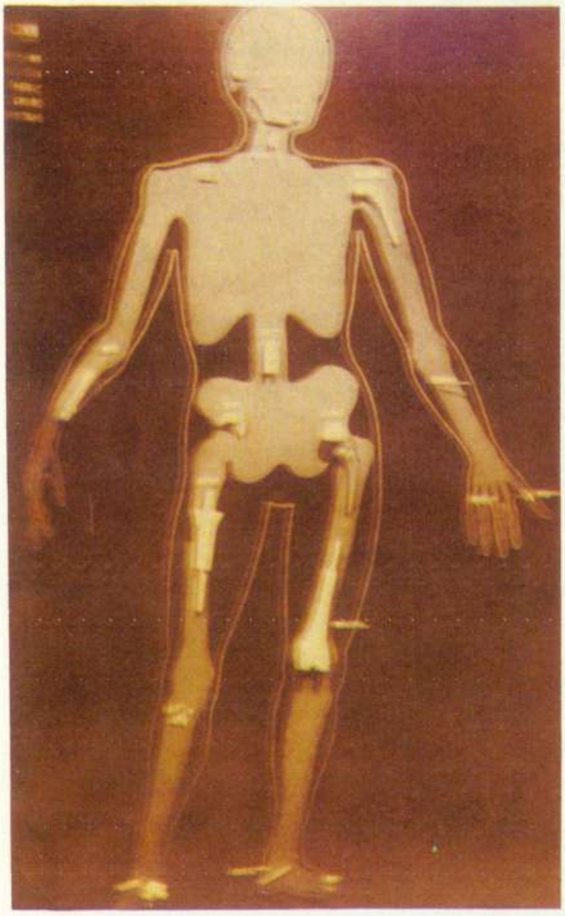
وقد اجريت تجارب على عدد من الاطفال تتراوح اعمارهم بين ثلاثة اشهر ونصف واربعين شهراً .. فاعطوا في فترة معينة غذاء صناعيا يحوي البروتينات والمعادن والمواد السكرية والفيتامينات ، اي جميع العناصر الغذائية المعروفة اللازمة للجسم ولكنهم منعوا من شرب اللبن الحليب . وقد احب الأطفال هذا الغذاء الصناعي ، واطرد نموهم طبيعيا بعض الوقت ، ولكن مالبث ان توقف . وعبثا حاول الأطباء علاج هذا التوقف الى ان سمح لهم بشرب اللبن الحليب فزاد وزنهم جميعا بنسبة كبيرة ، وبعد فترة عاد نموهم طبيعيا .

د. عبد المحسن صـــالح

أسواق متطورة لقطع الغيار البشرية



هذا الجهاز المعقد الذي يحيط براس الفتاة هو التعبير المجسد على دخول العلوم الهندسية والذرية والاليكترونية في مجال العلوم الطبية ، فيحدد مواقع الأورام السرطانية من خلال امتصاصها لذرات مشعة .



شكل توضيحي يبين مواقع قطع الغيار الخزفية

هب ان انسانا قد تعرض لحادث مفجع ، وخرج منه مجدوع الأنف ، مقطوع الأذن ، مكسور الراس ، مبتور الذراع او الساق ، مفقوء العينين ، مهشم الأسنان والفكين ، مشلولا فى احد الطرفين ، فاقداً لبعض دمائه وجلده وعظامه .. الى آخر هذه العاهات التى تترك بصماتها وتشوهاتها على الضحية ، ولنفرض ان هذا الانسان قد قدر له ان يعيش ، عندئذ سيكون اشبه بحطام كائن حي لا فائدة فيه ولا مارب !

هذه الصورة المأساوية قد تكون كذلك بالنسبة لما مضى من ازمان ، لكنها لن تكون كذلك فى وقتنا الحاضر ، او فيما يلى من اعوام ، اذ من الممكن ان تعالج عيوبه ، ويرمم ما هدم منه ، وتختفى كل اصابة قد حلت به ، فيعود الى الحياة بدون عاهات !

قد تكون هذه اضغاث احـــلام ، او شطحات خيال ، لكن ذلك ليس كذلك ،

بفضل التقدم المنهل التى تحققه العلوم التجريبية ، خاصة فيما يتعلق بقطع الغيار البشرية التى بدات تغزو اسواق العالم ،

وتنتشر فيها كتجارة رابحة تدر آلاف الملايين من الدولارات كل عام !

حتى لكانما هذا الجسم قد اصبح كونا قائما بذاته ، او كانما ينطبق عليه قول المتصوف الاسلامى محيى الدين ابن عربى :

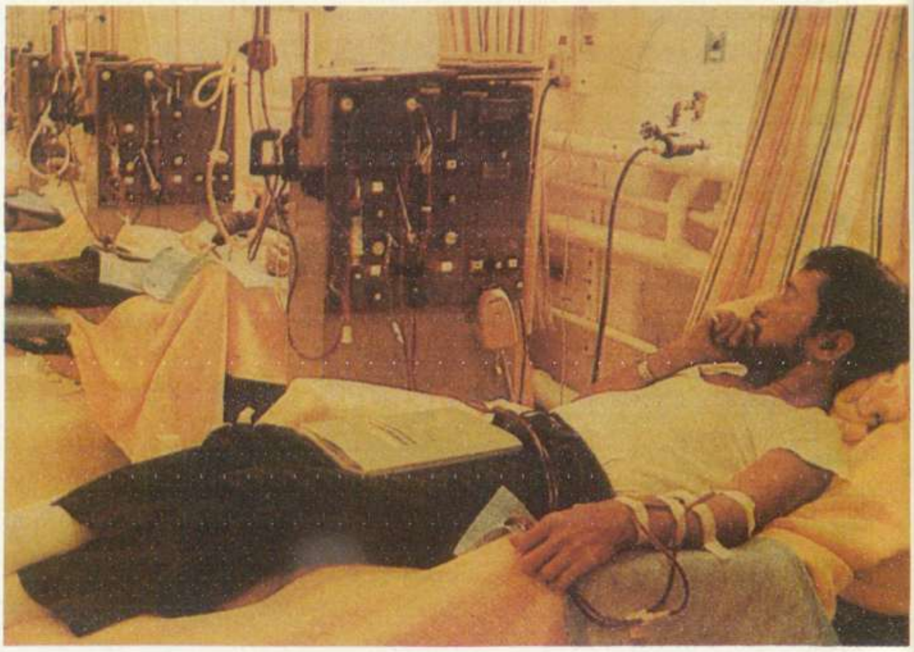
اتحسـب انك جرم صغير
وفيك انطوى العـالم الأكبر

وتلك نظرة تصوفية شاعرية صحيحة ، ولاشك انها قد سبقت زمانها ، ذلك ان البعض ينظر الى الجسم كالة حية على درجة هائلة من التعقيد والكفاءة والتنظيم وبحيث يتعلم منها العلماء كل يوم جديداً ، فيرون فيها آيات من الخلق المذهل الذى يستحق الأعجاب والتامل والدراسة ، ولا يختلف فى ذلك المتخصصون فى العلوم الطبية او البيولوجية ، عن علماء الكيمياء والفيزياء والهندسـة والكهربـاء والاليكترونيـات والمـواد واللدائن والاتصالات ، وايضا علماء الرياضيـات الذين يحلولون استنباط المعادلات ، علهم يدركون بمعادلاتهم التنسيق المتقن ، والتوازن المقدر ، وبهذا يضعون أمـام التخصصات الأخرى نتائج معادلاتهم التى قد تنبئهم بما خفي عليهم من اسرار فى داخل جسم الانسان .

لا غرو اذن ان تظهر فى عصرنا الحديث علوم هجينة ، اى علوم يجتمع فيها اكثر من تخصص ليخدم بعضه بعضاً ، وبهذا تنجز مالا يمكن ان ينجزه تخصص واحد .. فخرجت الى الوجود تخصصات جديدة نعرفها باسماء شتى ، لكن هدفها واحد ، وهدفها ان تخدم الجسم البشرى فى امراضه وعاهاته وتشوهاته ، وبهذا اصبحنا نسمع عن درجات علمية تمنحها المعاهد والجامعات لخيرة ابنائها .. فالهندسـة الطبية Medical Engineering او الحيويـة Bio-engineering ، او البيولوجيا الاليكترونية Bio-electronics او الفيزياء الحيوية Bio-physics ، او التكنولوجيـا البيولوجيـة Bio technology او الرياضة الحيوية Bio-mathematics ، او الميكانيكـا الحيوية Bio-mechanics .. الخ .. الخ ، كل هذا وغيره يكون فيما بينه فريقا متالفا من العلماء ليتعاونوا فيما بينهم ، فتاتى ثمرات هذا التعاون بتطورات طبية عظيمة لم تكن تحلم بهـا الانسانيـة من قبل ، وتمخض عن ذلك قطع غيار بشرية ، لتحل محل الأجهزة الطبيعية التى توقفت عن العمل ، فاصبحنا نسمع عن عدسات وعيون صناعية او تليفزيونيـة ، وقلوب



سبعة وعشرون قطعة غيار من الخزف (السيراميك) لاصلاح ما يتهشم من الهيكل العظمي وحده ،ولقد عرضتها احدى الشركات اليابانية التي تخصصت في انتاج قطع الغيار البشرية



طابور من مرضى الفشل الكلوي المزمن وهم يلازمون الكلى الصناعية ساعات قد تصل الى خمسة أو ستة ،ولابد من العودة اليها لنفس الفترة مرتين او ثلاثة اسبوعيا ، ليخلصوا دماءهم من النفايات ، ولولا ذلك لكان هؤلاء في عداد الأموات .

علوم هجينـة

فلم يعد الطبيب أو الجراح أو الصيدلى هو المسئول الوحيد عن مشاكل الجسم البشرى ، بل دخلت فى ميدانه تخصصات اخرى جديدة لم يكن احد يسمع عنها من قبل ، ذلك أن الجسم البشرى ينطوى على اسرار مذهلة ، واحكام متقنة ، وكانما هو قد جمع فى داخله كل أساسيات العـلم والتكنولوجيا الحديثة ، ولكى ندرك كيف يشتغل ، فلابد أن نتعلم منه الشرائع والاحكام والقوانين التى تهيىء له من أمره رشدا .. ولاشك أن ذلك يستلزم جيشا متكاملا من العلماء ومن كل التخصصات ،

أسواق متطورة لقطع الغيار البشرية

ورئات وكلى صناعية ، وتوصيلات اليكترونية ، ومفاصل واطراف صناعية ، ولدائن وسبائك معدنية ، وغير ذلك من اجهزة ومواد تدخل في الجسم كبدائل لتحل محل اعصابه ولحمه وعظامه ومرافقه الحيوية التي يؤدي عطبها الى موت اكيد ، لكن قطع الغيار البشرية او الصناعية التي جاءت هذه المرة من اسلاك ومعادن ولدائن واجهزة كهربية او اليكترونية ، قد تقوم بوظيفة الجزء المعطوب ، وتدفع الجسم لمواصلة الحياة ، وتبعث الأمل في نفوس الملايين من المرضى والمعذبين .

أسواق رائجة

ولا شك ان كل شيء يبدأ متواضعا ، ثم يتطور الى الاحسن دائما ، وذلك بفضل الأفكار الخلاقة ، وتقدم فروع العلم المختلفة ، والتعاون المثمر بين علماء من تخصصات متباينة .. ففي بداية هذا القرن ظهرت محاولات جادة لانتاج اسنان صناعية ، وعيون صناعية وارجل صناعية وما شابه ذلك ، الا ان النوعيات كانت متواضعة ، ثم تطورت الامور إلى الاحسن ولكن بخطوات جد بطيئة ، اذ تحولت اهتمامات العلماء الى انتاج قطع غيار للاعضاء الحيوية الداخلية ، وتم بالفعل انتاج اول كلية صناعية في الاربعينات من هذا القرن ، وتبعها في اوائل الخمسينات انتاج اول قلب ورئة صناعية يستخدمان اثناء اجراء العمليات الجراحية في القلب (اي لفترة محدودة) - ثم الاستعاضة عن المفاصل الطبيعية التالفة باخرى معدنية او خزفية (سيراميك) .. الخ .

من اجل هذا ، تكونت اول جمعية علمية طبية في الولايات المتحدة عام ١٩٥٥ ، وهي التي لازالت تعرف باسم الجمعية الامريكية للاعضاء الصناعية ، كان السبب في انشائها ان الامور قد بدات تتطور بسرعة ، مما يستلزم وضع المعايير والتشريعات لهذه الصناعة الجديدة ، ثم حذت اليابان ومعظم الدول الأوربية حذو الولايات المتحدة ، وكونت في السنوات القليلة الماضية مؤسسات وجمعيات للاشراف على تقنين وانتاج قطع الغيار البشرية ، ولقد بدات الشركات الطبية في التنافس لتطوير تلك الاعضاء ، وجعلها اكثر كفاءة ، واطول عمراً ، واقل تكلفة ، واتقن اداء .

ويبدو ان هذه الصناعة لاقت رواجا ، خاصة بعد ان اثبتت شيئا من الكفاءة ، فاصبح لها الآن سوق تجارية تدر الاف الملايين من الدولارات سنويا ، فعلى سبيل المثال يوجد الآن في العالم اكثر من ٣٠٠ مليون شخص مصابون بالتهاب المفاصل ، وحوالي ٨٪ من هذا العدد في حاجة ماسة الى تغيير مفصل في اصبع قدم او ركبة او كوع .. الخ ، ولقد اصبحت هذه العمليات متاحة لكل من استطاع ان يدفع تكاليفها .

ان مفصل اصبع القدم مثلا يبلغ ثمنه حوالي خمسين دولاراً ، ومفصل اصبع اليد اغلى قليلا - اي في حدود ستين دولاراً ، وثمن مفصل الكتف ٣٧٠ دولاراً ، ومفصل الفخذ ٤٥٠ دولاراً .. ولا يدخل في هذه الأسعار - بطبيعة الحال - اجر العملية ، لأن الاجر يتفاوت بين جراح وجراح ، وبين قطعة واخرى ، وهي - على اية حال - تتراوح ما بين عدة مئات من الدولارات ، الى الفي دولار او يزيد .

بين الطبيعي والصناعي

والواقع ان بحوث قطع الغيار البشرية تسير في طريقين ، لكنهما - في النهاية - يخدمان نفس الهدف - اي تغيير المعطوب باجزاء سليمة - فطريق منها يستخدم الأنسجة والأعضاء الطبيعية السليمة من انسان لزرعها في انسان آخر يحتاج اليها ، والطريق الآخر يعتمد على تصنيع قطع الغيار من خامات مختلفة ، بحيث تؤدي نفس الهدف ، ولأطول فترة ممكنة .

وطبيعي أن الطريقين اللذين يسلكهما العلماء في التعامل مع قطع الغيار الطبيعية والصناعية تعترضهما عقبات شتى وعويصة ، فاكبر مشكلة تجابه زراعة الأعضاء الطبيعية هى مقاومة الجسم الحي لأي نسيج أو عضو غريب ، ولا يزال الجسم يستخدم اسلحة المناعة في ضرب الجزء المزروع ، حتى يلفظه او يبيده من ميدانه ، ولم يتغلب العلماء على مقاومة الجسم ، او تعطيل اسلحته الدفاعية ، وقد حققوا بعض النجاح في هذا الميدان ، خاصة في زراعة الكلى وصمامات القلب وبعض الأنسجة ، لكن ان يعيش الانسان بعضو غير عضوه ، انما يعتمد على من يعطي هذا العضو او يهبه ، فالعقبة هنا هو عدم توافر هذه الأعضاء الطبيعية لكل من يطلبها .

من اجل هذا لجا العلماء الى فكرة تصنيع بدائل عن الأنسجة والأعضاء البشرية ، ورغم انهم قد حققوا في هذا المجال أهدافا رائعة ، رغم ذلك فان الشيء الصناعي لا يقارن بالشيء الطبيعي .. لا في كفاءته أو تحمله أو حجمه ووزنه وتكلفته .

خذ على سبيل المثال الكلية الصناعية .. فالمصاب بالفشل الكلوي المزمن ترتبط حياته بجهاز معقد وكبير ومكلف ، ويحتاج لرعاية طبية طالما كان اسير هذا الجهاز الذي يزوره مرتين او ثلاثا في الاسبوع ، وتظل دورته الدموية تدور في هذا الجهاز لمدة تتراوح ما بين ٤ - ٦ ساعات في كل مرة ، حتى يمكن تخليص دمه من السموم والنفايات التي تجمعت فيه !

اعرف صديقاً ميسر الحال بعض الشيء كان يدفع ما بين ثمانمائة والف جنيه شهرياً تكلفة لتلك الكلى الصناعية ، بعد أن اصيب بفشل كلوي مزمن ، ولقد افلس نتيجة لذلك ، ولو لم تتكفل الدولة بهذا الأمر لاصبح الآن في عداد الأموات .. وهناك بطبيعة الحال آلاف مثله على مستوى الدولة ، ومئات الالوف على مستوى العالم ، اذ لولا هذه الكلى الصناعية ، لودعوا الحياة من زمن .

قارن ذلك بالكلية الطبيعية التي لا يزيد وزنها عن ١٥٠ جراماً ، وهى مزودة بحوالي مليون وحدة ترشيح دقيقة ، وكفاءتها لا يعلى عليها ، لدرجة ان نصف او حتى ربع كلية طبيعية سليمة تكفي لتخليص الجسم من نفاياته الذائبة في دمائه ، وتلك نعمة كبرى لا يشعر بها حقا الا كل من افتقدها ، وما اكثر النعم التي زودت اجسامنا ، ولا نقدرها حق قدرها لكن مما لا شك فيه ان هناك محاولات جادة ومضنية لتطوير وانتاج كلية صناعية مصغرة يمكن حملها وتشغيلها بواسطة المريض ، وقد حقق

العلماء في ذلك بعض النجاح ، لكن الأمر لا زال يحتاج الى تطوير اتقن ، وكفاءة احسن وحجم اصغر ، والأيام والجهود والأفكار كفيلة بتذليل الصعاب رحمة بالذين اصابهم هذا المرض العضال .

ما يمكن تغييره

وبحوث قطع الغيار البشرية لازالت تقدم لنا كل عام جديداً ، وبحيث قد يصبح الانسان في المستقبل القريب او البعيد انساناً هجيناً يجمع في تكوينه اجهزة طبيعية من شحم ودم وعظام ، واخرى من بلاستيك ومعادن وخزف وتوصيلات كهربية واليكترونية .. الخ ، فهناك الآن عشرات من قطع الغيار البشرية الصناعية التي يمكن ان تحل محل الأجهزة التالفة .

فالقلب وحده له اكثر من قطعة غيار ، وهناك الآن مئات الالوف من البشر أو ربما الملايين قد عطبت اجزاء من قلوبهم لسبب أو لآخر ، وهم يعيشون الآن بعد تغيير الأجزاء المعطوبة باخرى طبيعية او صناعية .. فالمنظم الطبيعي لنبضات القلب (عقدة عصبية صغيرة) قد يفشل في امداد القلب بالشحنة الكهربية التي تجعله ينبض باستمرار وانتظام ، وبمعدلات اكبر عند بذل المجهودات الجسدية ، وقد امكن احلاله بمنظم صناعي صغير يزرع تحت الجلد ، ويشتغل ببطارية دقيقة ، هناك الآن عشرات الألوف يعيشون بمنظمات قلوب صناعية ، ولسنين طويلة ، خاصة بعد ان ادخل العلماء تحسينات اساسية على البطارية لتعيش لأطول فترة ممكنة ، وحدثت ايضاً تطورات في التوصيلات الكهربية الدقيقة التي تصل البطارية بعضلة القلب ، اذ كانت في الماضي تنهار بفعل التاكل والتفاعل الحادث بينها وبين الجسم ، لكن الانهيار الآن غير حادث بعد تخليق مادة جديدة من المطاط السيليكوني (الرملي) الذي يستخدم الآن كثيراً في اغراض طبية شتى .. اضف الى ذلك تحسيناً آخر حديثاً قد اضيف الى هذا المنظم ، اذ اصبح مبرمجاً عن طريق حاسب اليكترونى دقيق ، فباشارة لاسلكية يمكن تحسين ادائه عندما يتطلب الجسم مزيداً من الدم والاكسوجين كلما تعرض لأحد المجهودات البدنية المفاجئة .

وكثيراً ما تنهار صمامات القلب الطبيعية ، فتؤدي الى عجز حقيقي في قدرة الانسان ، واصبح تغيير هذه الصمامات الآن من الامور الميسرة نسبياً ، وهناك من يعيشون بثلاثة صمامات صناعية ، ولا شك ان من وراء ذلك بحوثاً كثيرة قد اجريت لتحسين اداء هذه الصمامات ، حتى لا يحدث بينها وبين الدم تفاعل قد يؤدي الى تجلطه ، ولابد كذلك ان تكون من مواد مقاومة للتاكل حتى تتحمل الضغوط الواقعة عليها ، والتيارات السارية حولها ، نتيجة لنبض القلب مئات الملايين من المرات في كل عام (حوالي ٤٠ مليون نبضة سنوياً) .. احسبها بعد ذلك بالسنوات التي قد يعيشها من حملها في قلبه .. ولا يزال العلماء يطورون هذه الصناعة ، رغم ان لديهم الآن مادة جديدة باسم الكربون البيرولي قد اثبتت كفاءة عالية في هذا المجال !

وليست عملية زراعة قلب صناعي لطبيب الاسنان الأمريكي بارني كلارك ببعيدة ، وبه استطاع أن يواصل الحياة لعدة أسابيع ، ثم حدثت مضاعفات ادت الى موته ، لكن هذا القلب الصناعي كان محصلة سنوات طويلة من البحوث الجادة والعميقة ، ولقد سبق ان جربت قلوب صناعية كاملة فى الحيوانات ، بعد ان حلت محل قلوبها الطبيعية ، واستطاعت ان تعيش بها لأسابيع او شهور .. لكن القلب الصناعي الذي عاش به كلارك لم يكن قلباً كاملا ، بل كان جهازاً مزروعاً ليساعد عضلة القلب على ضخ الدم ، ومع ذلك فليس الفشل فى أول محاولة دعوة لليأس ، بل العكس هو الصحيح ، لأن دراسة العوامل التى أدت الى الفشل ، تستلزم بحوثاً لتجنب هذا الفشل فى المستقبل ، أو هى بداية حقيقية لحث العلماء على الدراسة والبحث والتطوير ، حتى تتوج هذه الجهود فى السنوات القليلة المقبلة بقلب صناعى متكامل يعيد الحياة الى اصحاب القلوب التى تكاد تنهار

والحديث عن القلب قد يتشعب ويطول ، لكن يكفي أن نذكر أن لحام جدار القلوب ممكن الآن بواسطة مواد لاصقة مثل الداكرون، وتغيير الشرايين بشرايين صناعية من لدائن مناسبة قد صار عمليات روتينية .. حتى تغيير الدم نفسه قد اصبح من الأمور العادية التى يمارسها الأطباء والجراحون منذ بداية هذا القرن .

ولمعظم اجزاء الجسم التالفة الآن قطع غيار كثيرة تم تصنيعها من مواد مختلفة لا تهمنا هنا فى هذا المجال ، لكن يكفي أن نقدم صورة توضيحية لما يمكن تغييره ، بداية من عظام الجمجمة ، الى الفكين والأسنان والعينين والأنف والحنجرة والآذان والرئة والمفاصل والأوعية الدموية واجزاء من الجهاز البولى .. الخ .

المستقبل يحمل آمالا كبيرة

والواقع ان احلال عضو صناعى محل آخر طبيعى هو الهدف الذى يركز عليه العلماء والأطباء من كل التخصصات فى وقتنا الحاضر .. ذلك لأن الأعضاء الطبيعية التى يمكن زرعها ليست متاحة فى كل الأوقات ، لكن ان نستنبط قطع غيار صناعية لزرعها بدل التالفة هو الأمل الذى تنتظره البشرية ، خاصة وان هناك الآن عشرات الملايين من المعذبين فى الأرض نتيجة لأمراضهم المزمنة والمستعصية ، ثم ان ما نفشل فيه اليوم ، سوف ننجح فيه غداً ، خاصة وان الأفكار والبحوث والكشوفات تتطور الآن بسرعة مذهلة .

لكن مما لاشك فيه ان هناك أولويات يركز عليها العلماء فى بحوثهم ، فقطع الغيار البشرية تختلف باختلاف اهميتها للجسم ، فالأطراف او الجلود الصناعية او المفاصل والعظام ليست ذات دور هام وخطر مؤثر فى حياة المخلوق إذا ما قورنت مثلا بقلب معطوب ، او بعصب مشلول ، او كبد متوقف ، أو كلية مصابة بالفشل .. الخ ، فعطل مثل هذه للرافق قد يعطل الحياة ذاتها ، ما لم يحل محلها ما يقوم بوظيفتها ، ولهذا فان الأمل معقود بالفعل على انتاج هذه الأعضاء الأساسية ، وهناك بشائر تشير الى امكان تحقيق ذلك فى السنوات المقبلة ، وما ان ينتهى القرن العشرون ، الا ويحقق العلماء انجازات هائلة ما كنا لنحلم بها فى ايامنا الحاضرة .

وليس معنى ذلك أن البحوث لن تتناول مرافق الجسم الحيوية الأخرى ، بحيث لن يكون لمن قطعت يده أو ذراعه أو ساقه .. الخ ، امل فى استعادة ما فقد ، بل هناك الأمل ، وأكثر من ذلك انه امكن التوصل الى انتاج بنكرياس صناعى ليمد الجسم بالأنسولين ، وبداية كبد صناعى ليقوم بكثير من وظائف الكبد ، وأذن صناعية تسمع الأصم ، ونواة عين صناعية تجعل الأعمى بصيراً ، وطرف يتحرك بايحاء من المخ .. الى آخر هذه الانجازات الهامة والمثيرة التى قد نتعرض لها فى دراسة قادمة ، لندرك ما يجرى فى عالمنا المعاصر من تطورات مذهلة ، لاشك انها تعود على البشرية بفوائد مباشرة .

د . عبد المحسن صالح

المكتبات والندوات والثقافة المسرحية في حياة الجيل الجديد :

ثقافة أبنائنا من أهم أهدافنا في التعليم

أجرى الحوار : يوسف الحرمي



عبد الرحمن نعمة جابر
مدير الشئون الثقافية بوزارة التربية والتعليم

● وافقت وزارة التربية والتعليم هذا العام على خطة التربية المسرحية لأهميتها في التربية الحديثة

● أصبح في كل مدرسة مكتبة مزوّدة بكافة المراجع العلمية والكتب الثقافية الهامة

تشكل الثقافة رافداً هاماً ورئيسياً فى حياة كل انسان ، فهى تقوم بدور فعال فى النهوض بالأوطان والمجتمعات الى المستوى الرفيع والمرموق بين كافة الامم ومن هذا المنطلق حرصت وزارة التربية

والتعليم وسعت جاهدة بكل الوسائل والامكانات المتاحة لها الى ايصال الثقافة العامة الى ابنائها الطلبة ، سواء كان ذلك عن طريق انشاء المكتبات المدرسية التى

تضم العديد من الكتب الثقافية والعلمية أو القاء المحاضرات أو اقامة الندوات الفكرية والعلمية أو تنظيم المهرجانات والمسابقات الثقافية والمسرحية .

وحول مدى اهتمام وزارة التربية والتعليم بالثقافة العامة كان اللقاء مع عبد الرحمن نعمة جابر مدير الشئون الثقافية بوزارة التربية والتعليم ..

التربية والثقافة

قلت لعبد الرحمن نعمة جابر :

● لا شك ان الشئون الثقافية بوزارة التربية والتعليم تضم العديد من الأجهزة المتخصصة ... فهل لكم ان تحدثونا عن مدى اهتمام الوزارة بربط التربية التعليمية بالعملية التثقيفية وكيف يتم ذلك ؟

وقال لي :

ـ من أهداف التربية والتعليم في دولة قطر تشجيع نشر الثقافة في مختلف المجالات العلمية والادبية والفنية والتوسع في اجهزتها ومراكزها وانشطتها بصورة مستمرة وتعمل الشئون الثقافية بالوزارة على تحقيق هذا الهدف من خلال اجهزتها وادارتها واقسامها المختلفة .

وفي مقدمة الانشطة الثقافية تنظيم محاضرات في المدارس وهو ما اصطلح على تسميته / بالموسم الثقافي / .. وهناك اقبال هائل من الطلاب والطالبات على دعوة اهل العلم والمعرفة ليقدموا لهم الوانا من الثقافة ومزيداً من المعارف لتنمية مواهبهم وتوسيع مداركهم في مختلف الفروع .

ويضم الموسم الثقافي محاضرات متنوعة دينية وادبية وعلمية وفنية وطبية وغيرها .

ومن بين اهتمامات الوزارة بالنواحي الثقافية ياتي الاهتمام بالمكتبات المدرسية فهناك مكتبة في كل مدرسة في جميع المراحل الدراسية بمدارس البنين والبنات مزودة بكافة المراجع العلمية والقواميس اللغوية والكتب الثقافية التي تشتمل على أهم روافد الثقافة والعلوم .



هناك اجماع من جانب المسئولين على أن التربية المسرحية جهاز ثقافي يؤدي عملا تربويا تعليميا



تنمية المواهب الفنية لدى الطلاب واشراكهم في المعارض الفنية الداخلية والخارجية



لقطة من مسرحية قدمها الطلاب في النشاط الصيفي



احد طلاب المدارس اثناء اندماجه في رسم اللوحة باقلامه الملونة

كما تزود هذه المكتبات بصفة مستمرة بالدوريات المحلية والعربية لكي يطلع الطلاب على كل جديد في عالم المعرفة .

كذلك هناك جهاز التربية المسرحية الذي حقق الكثير من الأهداف المرجوة ، منها الكشف عن قدرات الطلاب وتقويم نطقهم ولسانهم العربي من خلال الاعمال المسرحية والتربوية والمنهجية .. وكذلك نشر الوعي الفني الخلاق والتذوق الأدبي وتنمية حصيلتهم من الثقافة والعلم والمعرفة .

ولا يقتصر النشاط الثقافي على المدارس النهارية فقط وانما تعداها الى المدارس الليلية ومراكز محو الأمية .

ويهمني في هذا المجال ان اوضح ان وزارة التربية والتعليم قد اقرت هذا العام الخطة التي اعدتها التربية المسرحية بالوزارة باعتبارها وسيلة من وسائل التربية الحديثة .

وتقوم هذه الخطة على نوعين من النشاط : الأول هو التركيز على مسرحة المناهج على أساس تقديم بعض المناهج الدراسية بشكل مسرحي يعاون الطالب في تحصيل دروسه حيث يستوعب الطالب ما يدرسه بطريقة محببة الى النفس وبوسيلة أفضل ترسخ في ذهنه المعلومات شكلا وموضوعاً.وهذا النوع من النشاط المسرحي يفضل في المرحلتين الابتدائية والاعدادية وقد حقق نجاحاً طيباً في مرحلته التجريبية في العام الماضي .

أما النوع الثاني فهو النشاط العام ويتضمن التطبيق العملي العام للأنشطة المدرسية التربوية من خلال المسرحيات الدينية والأخلاقية والتاريخية والاجتماعية التي تقدمها جماعات التربية المسرحية ولا يقتصر هذا النوع على مرحلة معينة .

المبعوثون القطريون

وعدت أسأل مدير الشئون الثقافية بوزارة التربية والتعليم :

● وماذا عن الأنشطة التي تقوم بها ادارة البعثات نحو المبعوثين القطريين وما الخدمات التي تقدم لها ؟

- تولي دولة قطر البعثات الدراسية الخارجية للبلاد العربية والأجنبية الاهمية والعناية اللازمة بهدف اعداد الشباب القطري لكي يكون على مستوى الدراسات العليا في مختلف التخصصات ولمواكبة التطورات العلمية والتقنية على المستوى العالمي .

وتبدأ جهود ادارة البعثات نحو رعاية وتوجيه المبعوثين من المرحلة الثانوية حيث يقوم وفد من المسئولين بالوزارة وبعض الوزارات الاخرى وجامعة قطر بزيارة المدارس الثانوية والالتقاء بطلابها وتوجيههم نحو الدراسات المفيدة والجامعات ذات المستوى الرفيع وترغيبهم

ثقافة أبنائنا من أهم أهدافنا في التعليم

● فزنا بـ ٢١ ميدالية في المعرض الدولي الثالث عشر لرسوم الأطفال بطوكيو

● التعاون الثقافي بين دول الخليج يهدف إلى توحيد السلم التعليمي والمناهج ونظم الامتحانات

بدراسة تخصصات تتطلبها المرحلة التنموية الحاضرة في قطر .

وبعد ظهور نتائج الشهادات الثانوية العامة تعلن ادارة البعثات عن خطتها للبعثات في الخارج والداخل .. وتقوم لجنة البعثات بتوزيع الطلاب على التخصصات المختلفة والبلدان في الخارج .

وبعد توزيع البعثات الجديدة تعقد الادارة ندوات للطلاب الموفدين للبلاد الأجنبية وخاصة الولايات المتحدة حيث يحضر الندوة الطلاب الجدد وبعض الطلاب القدامى وبعض الخريجين من أمريكا ويفتح باب النقاش لمعرفة نظام التعليم وطريقة العيش هناك .

وتبقى الادارة على صلة مع الطالب لتقويم نتائجه وتتابعه من الايفاد حتى التخرج وفى كل صيف تصرف له تذكرة سفر الى قطر وتزوده بالتوجيهات اللازمة .

وتضم ادارة البعثات اقساماً مختلفة منها قسم المنح والدورات التدريبية حيث يقوم هذا القسم بتقديم منح دراسية لأبناء موظفى الدولة للدراسة فى الجامعات فى الخارج .. كما يقدم منحاً دراسية للدول والهيئات الرسمية فى الخارج للدراسة فى مدارس قطر .

كما أن قسم الدورات التدريبية يقوم بايفاد موظفى الدولة والمؤسسات الرسمية فى دورات تدريبية فى الخارج .

ومن هنا نرى أن جهود ادارة البعثات فى رعاية وتوجيه المبعوثين تبدأ من المرحلة الثانوية وتستمر طيلة المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا حتى الدكتوراه .

المسابقات الثقافية

● وماذا عن المسابقات الثقافية التى تولونها الاهتمام ، ومتى تقام مثل هذه المسابقات ؟

ـ لم يقتصر اهتمام الوزارة على متطلبات التحصيل العلمى فقط ، وانما امتد إلى امور كثيرة منها تنمية الهوايات لدى الشباب وتوسيع مداركهم وثقافتهم سواء خلال العام الدراسى أو خلال العطلة الصيفية .

ولما كان الاهتمام بالأنشطة الثقافية هو اهتمام ببناء الانسان وتكوين بنيته الفكرية وبلورة شخصيته لذلك اهتمت الوزارة بالمسابقات الثقافية الطلابية للبنين والبنات حيث تشارك الوزارة بتقديم البرنامج الاذاعى « أوائل الطالبات » وتشارك فيه طالبات المرحلة الثانوية وكذلك البرنامج التليفزيونى « مسابقات طلابية » يشارك فيه طلاب المرحلة الاعدادية .. ويتضمن أسئلة فى بعض المناهج الدراسية واخرى ثقافية وعلمية وفنية متنوعة .

كما تقوم الوزارة بدور فعال فى تنمية المواهب الفنية لدى الطلاب واشراكهم فى المعارض الفنية الداخلية والخارجية ، وقد حقق طلابنا فوزاً كبيراً فى هذه المعارض وخاصة فى مجال الرسم واللوحات الفنية .

وأود أن أشير هنا الى أن طلاب مدارس قطر قد حققوا نتائج طيبة فى المعرض الدولى الثالث عشر لرسوم الأطفال فى طوكيو عام ١٩٨٣ فقد شاركت الوزارة بعدد ٣٠ لوحة من رسوم تلاميذ وتلميذات المرحلتين الابتدائية والاعدادية فازت احدى وعشرون لوحة ، احداها بجائزة ذهبية ممتازة و ٣ بميداليات ذهبية و ٦ بميداليات فضية و ١١ بميداليات برونزية .

التربية المسرحية

● ولكن مما لاشك فيه أن التربية المسرحية تشكل جزءاً مهما فى تطوير الحركة المسرحية القطرية .. ما مدى اهتمام الوزارة بها ، وما الانجازات التى حققتها منذ انشائها ، وهل هناك اهتمام بمسرح العرائس ، وهل لديكم النية لانشاء مسرح خاص للاطفال ؟

ـ لاشك أن التربية المسرحية جهاز ثقافى تربوى تعليمى له بصمات ايجابية كثيرة فى خدمة الناحية التعليمية .. فمنذ انشائها عام ١٩٧٥ م وحتى الآن تقوم بدورها وتطور منهاج واسلوب العمل فيها سنة بعد اخرى وبالشكل التربوى الملائم والذى يتحقق معه الغرض المنشود منها كجهاز ثقافى يعمل جنبا الى جنب مع المدرسة لخدمة الطالب والارتقاء به علمياً وتربوياً وثقافيا ، وهذا يدعو الى اهمية دورها وبالتالى الاهتمام بها حيث تقوم الوزارة بتوفير كل ما من شانه الارتقاء بدورها وتوفر لها المختصين الذين يجمعون خبراتهم التربوية الى جانب خبراتهم الفنية فى مجال المسرح بصفة عامة والمسرح المدرسى بصفة خاصة .

أما عن الانجازات التى حققتها التربية المسرحية ومنذ انشائها فمن الانصاف أن نشير الى النجاح المشرف الذى تحققه كل عام من خلال العروض التربوية والتعليمية والتثقيفية التى يقدمها ابناؤنا الطلاب . فقد كان هناك اجماع من جانب المسئولين والمهتمين بالحركة المسرحية على نجاح التربية المسرحية كجهاز ثقافى يؤدى عملا تربويا تعليمياً .

ومن ناحية اخرى فقد حققت التربية المسرحية نجاحا كبيراً عندما قدمت عروضها فى العام الماضى بدولة الكويت الشقيقة وذلك فى اطار التبادل الثقافى والتعاون بين دول المنطقة، وكذلك قدمت التربية المسرحية عروضاً فى دولة الامارات العربية المتحدة، وقبلها قدمت عروضاً فى سوريا وقد نالت هذه العروض اعجاب المسئولين فى هذه الدول مما دعاهم الى المطالبة بتطبيق التجربة القطرية باعتبارها تجربة فريدة من نوعها .

ومن بين هذه الانجازات أيضاً انها تقدم للطالب المادة العلمية فى قالب فنى محبب

على خشبة المسرح يربط الطالب بالمدرسة وبالمنهج العلمي الذى يدرس له .. كما تعطى الطالب القدوة الحسنة من خلال أعمال تربوية مسرحية يقدمها الطلاب انفسهم وبذلك تجمع بين ثلاث وظائف فى وقت واحد التربية والتعليم والتثقيف .

وتطويراً للدور التربوى المهم الذى تقوم به التربية المسرحية فقد تم منذ سنتين ادخل نشاط مسرحى من نوع آخر هو مسرح العرائس الذى يعمل جنباً الى جنب مع المسرح الطلابى لتحقيق الأهداف التربوية .

ويعتبر مسرح العرائس الخاص بالتربية المسرحية أول مسرح من نوعه فى دولة قطر .

اما مسرح الطفل فحتى الآن نعتبر انه موجود فعلا فى نطاق العروض التى يقدمها الطلاب على خشبة المسرح أو تلك التى يقدمها .. مسرح العرائس . ولكن لم يسمح الوقت وان كنا نرى أن فى عروض التربية المسرحية ومسرح العرائس ما يفي بنفس الغرض فى الوقت الراهن .

تعليم الكبار

● اذن وماذا عن خطتكم بالنسبة لتعليم الكبار ومحو الأمية وماذا حققت الوزارة فى هذا المضمار وما الأسس التى يقوم عليها التعليم فى هذه الادارة ؟

- يمكن القول ان تجربة دولة قطر فى مجال تعليم الكبار ومحو الامية تجربة مميزة وتبذل الوزارة جهوداً كبيرة فى هـذا المجال لاتاحة فرصة التعليم لمن فاتتهم هذه الفرصة فى المدارس النظامية الصباحية .

وقد قررت الوزارة هذا العام افتتاح ١٦ مدرسة لمحو الأمية للنساء بالدوحـــة والمناطق ..

كما قررت افتتاح ٢٦ مدرسة ليلية ومركزاً لمحو الأمية بالدوحة والمنـــاطق / للرجال / .

وقد بلغ عدد الدارسين والدارسات فى المرحلة الابتدائية فى العام الدارسى الماضى ١٤٠٢ / ١٤٠٣ هـ الموافق ٨٢ / ١٩٨٣ م . ٥٧٥٠ دارساً ودارسة .

وفى المرحلة الاعدادية ٢٤٦٥ دارسـاً ودارسة .

وفى المرحلة الثانوية ١٣٩١ دارساً ودارسة .

أما الأسس التى يقوم عليها التعليم فى ادارة تعليم الكبار ومحو الامية فتستند الى مرتكزات التربية الثلاثة فى منطقة الخليج وهى : المرتكز العربى والمرتكز الاسلامى ومرتكز البيئة الخليجية .

التعاون الثقافى الخليجى

● وماذا ايضاً عن التعاون التربوى والثقافى القائم بين دول مجلس التعاون الخليجى ؟

- التعاون التربوى والثقافى بين دول مجلس التعاون قائم سواء كان ذلك على المستوى الثنائى وهو ما تنظمه الاتفاقات الثقافية أو على المستوى الجماعى وهو ما ينظمه مكتب التربية العربى لدول الخليج العربية والذى حقق انجازات عظيمة فى هذا الشان .

وبالاضافة الى ذلك فهناك تنسيق بين دول المجلس فى مجال التعاون الثقـافى الدولى مع منظمة اليونسكو والمنظمـــة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة .

ويهدف التعاون الثقافى بين دول المجلس الى تهيئة المناخ الملائم لتنشيط التفاعل التربوى والثقافى بين دول المجلس عن طريق تبادل الكتب والمطبوعات والبحوث والوثائق التربوية .. وتبـادل الزيارات واللقاءات الودية بين الفرق الشبابية وتنظيم الرحلات العلمية والثقافية وتنسيق الجهود فى مجالات التاليف والنشر واحياء التراث الاسلامى والتعاون فى مجالات المكتبات الوطنية والمدرسية .. وكذلك الى توحيد السـلم التعليمى والتقريب بين اسس المناهج ونظم الامتحانات ووضع نظام موحد لمعادلة الشهادات .

وتاتى هذه الاتفاقات تاكيداً للمبادىء والأهداف التى نص عليها النظام الأساسى لمجلس التعاون لدول الخليج العربيـة . واستمراراً لسياسة توطيد التعاون بين الاجهزة التربوية فى دول المجلس فيما يعود بالخير على الجميع ..

المكاتب الثقافية

وهنا قلت لعبد الرحمن نعمة جابر مدير الشئون الثقافية بوزارة التربية والتعليم :

● ما هو الدور الذى تقوم به المكاتب الثقافية فى الخارج وما حققته حتى الآن من خطط وأهداف ؟

- يقوم السادة الملحقون الثقـــافيون بترشيح الطلاب لافضل الجامعات فى البلاد التى يعملون فيها لايجاد قبول لهم وتقوم سفارات قطر فى الخارج بهذه المهمة فى البلاد التى لا يوجد بها ملحق ثقافى .

وانتهز هذه الفرصة لاعرب عن شكرى وتقديرى للسفراء القطريين فى الخارج لما نلقاه منهم من تعاون كامل ومثمر فى هذا الصدد .

ويوجد لدولة قطر ملحقون ثقافيون فى كل من الرياض وبيروت ودمشق ودولة الامارات العربية المتحدة والأردن والقاهرة وباريس ولندن وايرلنده وواشنطن .

وتقوم مكاتب الملحقين الثقـافيين باستقبال الطلاب ومساعدتهم فى الانتظام بدراستهم وتغطية الرسوم الدراســية والتامينات المختلفة ، ودفع مخصصاتهم الشهرية ومتابعة نتائجهم السنوية وحل مشاكلهم مع الجامعات مباشرة أو عرضها على الوزارة للبت فيها وابداء الراى .

وبتوجيهات من سعادة الشيخ محمد بن حمد آل ثانى وزير التربية والتعليم تعقد الوزارة اجتماعاً سنوياً بالدوحة للملحقين الثقافيين لدولة قطر فى الخارج بهدف تدارس امور المكاتب الثقافية والطلاب المبتعثين فى الخارج على الطبيعة علماً بان الاخوة الملحقين الثقافيين يقومون بكل طاقاتهم لخدمة الطلاب القطريين المبتعثين وغير المبتعثين .

الثقافة الصحية

● وما دور ادارة الصحة المدرسية فى مجال الرعاية الصحية والثقافة الصحية ؟

- ايمانا باهمية التكامل التربوى والصحى وانطلاقاً من أن الطالب السليم صحيا اكثر قدرة على الاستيعاب والتحصيل فقد حرصت وزارة التربية والتعليم على دعم وتطوير جهازها الصحى المدرسى بمختلف السبل .

وقد ساعد كل ذلك على ايجاد برنامج صحى مدرسى متكامل ، وتطورت الخدمات الصحية المدرسية من مجرد خدمة تتـاح للمرضى من التلاميذ الى رعاية صحية شاملة تستهدف الاصحاء منهم بهدف رفع مستواهم الصحى بالاضافة الى العناية التامة بالمرضى منهم .

وتشمل برامج الصحة المدرسية برنامج تطوير البيئة المدرسية بهدف وقاية التلاميذ من التعرض للاخطار الصحية مثل الحوادث والأمراض المعدية واعداد برنامج متكامل فى التربية الصحية المدرسية يستهدف غرس وتنمية السلوك الصحى القويم بين التلاميذ والتركيز على الخدمات الوقائية من خلال احكام الرقابة الصحية على ما يقدم للتلاميذ من طعام بالمقاصف والتوسع فى برامج التحصين .

يوسف الحرمى



الجدارية الكبيرة التي قام بها الفنان في مستشفى دبي ، وتبين طريقة الطب القديم في الخليج والطب الحديث بادواته المعاصرة .. وقد احاط رسوماته بايات من القران الكريم .



الفنان العربي محمد مندى

فنــــان من الإمارات

يبدع في الكتابة بالخط العربي على جدران مسجد بالهند

بقلم : يوسـف احمـد

سيظل الفن الاسلامى وتاثيره الى ما شاء الله فى بقاء واستحداث مدارس فنية حديثة .. سيقف شامخاً بين المدارس الأوروبية الحديثة التى دخلت على ثقافتنا وتاريخنا القومى ، كما دخلت غيرها من الفنون نتيجة لغرابة هذا العصر السريع الهش !

سيصمد فننا الاسلامى متحدياً تلك المدارس التى افرزتها مجتمعات أوروبا نتيجة لظروفها البيئية والنفسية والاقتصادية ، وسيكون للتجارب والدراسات الجادة فى مختلف معاهد الفنون العربية شأن كبير فى الرجوع الى المنابع الأصلية للفن الاسلامى ، إذا ما أولت هذه المعاهد كل اهتمامها للتراث الاسلامى بعناصره التشكيلية القيمة وفى مقدمتها الخط العربى الذى يعتبر المحور الاساسى الذى قام عليه الفن الاسلامى بجميع أشكاله وأنماطه سواء فى الفنون الجميلة أو التطبيقية .

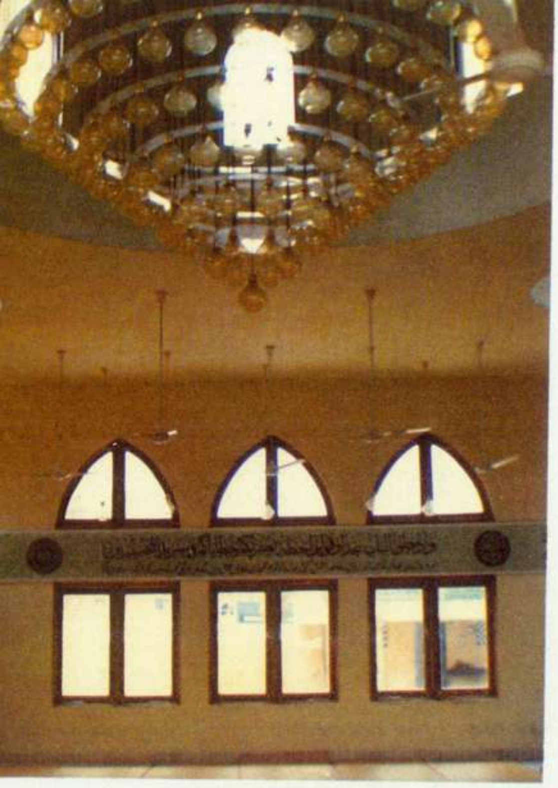
فالكتابة العربية التى تتميز بحروف طيعة ولينة فى تعاملها مع الخطاط ، هى بالطبع طيعة فى تعاملها مع الشعوب التى اتخذت من أشكال الكتابة العربية منهجاً ثقافياً لها ، والذى عزز ذلك اتخاذها الاسلام ديناً تهتدي به ، فكان ان ابتدعت هذه الشعوب خطوطاً خاصة بها مثل الخط الفارسي ، والنسخ تعليق .

وفى خضم هذا العصر بدأت الاكاديميات العربية تتناسى هذا الفن الجميل ، ولولا وجود بعض المعاهد المتناثرة على خريطة الوطن العربى لانتهى هذا الفن منذ زمن بعيد ..

ولقد مس الاهتمام الشخصي للخط العربى الخطاطين العرب المتناثرين هنا وهناك ، وكان فناننا هذا واحداً من هؤلاء المهتمين بهذا النوع من الفن الرفيع ، واستطاع هذا الفنان واسمه محمد مندى



مسجد « كيرلا » بالهند وعلى واجهته خطوط فنان دولة الامارات العربية المتحدة ..



المسجد من الداخل ، وقد زينت جدرانه ايات من القران بخط الفنان محمد مندي



جانب من داخل مسجد « كيرلا » في الهند .. ونرى على جدرانه خطوط الفنان

ـ وهو من دوله الامارات العربية المتحدة ـ ان يتعلم الخط العربى منذ صغره نتيجة لتقليده لأحد أفراد أسرته وتقليده للافتات المعلقة على واجهة المحلات فى الاسواق القديمة ، واستهوته تلك الهواية فعقد العزم على دراستها دراسة اكاديمية ، وذهب فى بعثة من قبل دولة الامارات العربية المتحدة الى القاهرة ليطلع لأول مرة على كتب الخط العربى ومنها « الخط وقواعده » لسيد ابراهيم « وقواعد الخط العربى » . للخطاط العراقى الراحل هاشم البغدادى و « بدائع الخط » للمهندس المعمارى ناجي زين الدين و « القصيدة النونية » لفضيلة الشيخ محمد عبد العزيز الرفاعي ..

وهنا تفتحت عينا الفنان على تلك الابداعات ، وتعلق بأسلوب استاذه الفذ الخطاط سيد ابراهيم ، الذى أخذ بيده ليوصله الى الطريق الصحيح مع عالم الخط العربى وأشكاله وقواعده المتنوعة ، وأخذ فناننا يتعمق مع استاذه عن طريق التقليد والتكرار ، من أجل الالمام بكل ما خفي من تفاصيل ..

هكذا عاش فناننا أربع سنوات فى هذا الجو ، حتى حصل على شهادة مدرسة تحسين الخطوط من القاهرة بدرجة امتياز وكان ترتيبه الأول على دفعته التى ضمت مجموعة كبيرة من الطلبة العرب .

وعاد الفنان الى ابو ظبي وفي ذهنه أفكار ومشاريع عديدة يمكن عملها عن طريق الخط العربى وتشكيله ، وكان أول هذه المشاريع التى قام بها هى عمل جدارية **كبيرة لمستشفى في دبي وتبين هذه** الجدارية طريقة الطب القديم الذى كان يزاول فى الخليج العربى والطب الحديث بأدواته المعاصرة ، وزين هذه الجدارية من جهاتها الأربع بآيات من القرآن الكريم تبين مدى انتفاع الانسان بالطب القديم ومواصلة البحث عن كل أسباب الأمراض والتصدى لها .

ولم يحدد فناننا نشاطاته فى دولة الامارات ، بل تعداها الى مناطق عديدة من بينها الهند حيث كلفه احد أبناء الخير بعمل كتابات حول المسجد الذى اقامه فى مدينة « كيرلا » هناك ، وقام الفنان بالكتابة على هذا المسجد بأنواع الخط العربى المعروفة الثلث والديواني والفارسي ، وجاء عمله هذا ابداعاً متميزاً فى الخط العربى .

وقد كان لفناننا بعض المحاولات فى الرسم الزيتي ، تعبر عن موضوعات شعبية مثل مناظر الجمال والنخيل ومراكب الصيد معالجاً اياها بأسلوب تاثيرى بسيط ، يجعلك تعيش مع العادات والتقاليد وتتفاعل معها من خلال تأثير اللون والشكل ومعالجة الموضوع .

بسم الله الرحمن الرحيم

مركز التراث الشعبي
لدول الخليج العربية

نتيجة مسابقة تصميم شعار "مركز التراث الشعبي"

يسر مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية ان يعلن عن نتيجة مسابقة تصميم الشعار حسب الشروط والمواصفات المعلن عنها سابقا .

● تقدم للمشاركة في هذه المسابقة الفنية اربعة وستون متسابقا من انحاء الوطن العربى .

● شكلت ادارة المركز لجنة تحكيم للنظر فى التصاميم الفنية المشاركة ، كان من بينها الفنان التشكيلي العربي جمال قطب والفنانين التشكيليين القطريين جاسم زيني ومحمد علي عبد الله .

● وقع اختيار لجنة التحكيم على تصميم فني مميز اجتمعت فيه اغلب الشروط والمواصفات المعلنة ، واحتوى على اقرب الدلالات الفنية المراد التعبير عنها في الشعار المطلوب .

● صاحب الشعار الفائز هو السيد / فؤاد الشبيني ، فنان تشكيلي من جمهورية مصر العربية تخرج عام ١٩٦٤ من كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية تخصص فنون زخرفية ، عمل بالتليفزيون العربي بمصر كمهندس ديكور ، ثم انتقل عام ١٩٧٠ للعمل بدولة قطر كمهندس ديكور ومصمم رسوم بالتليفزيون القطري ، وقد سبق له أن صمم شعار دولة قطر وشـــعارات البلـــدية والتليفزيون والاذاعة .

● يرمز الشعار الفائز الى المكونات الأساسية للتراث الشعبي في البيئات الاجتماعية الثلاث : البرية ، البحرية ، والزراعية وهو عبارة عن هيكل للبيت الشعبي فى طرازه الاسلامى الخليجى القديم ، حيث تمثل فنون العمارة والزخرفة جانبا مهما في التراث المادى لهذه المنطقة ، كما يعتبر البيت الخليجي اقوى رمز لوحدة الأسرة فى مجتمعنا منذ القدم . كما ضم الشعار شكلا هندسيا دائريا يرمز الى اللؤلؤة كما يرمز الى الشمس ، وكلا الدلالتين تحملان معان خيرة من بيئة الخليج . فالشمس رمز النور والاشعاع وقوة الطبيعة التى ساعدت الانسان بالبيئة الزراعية فى ابتكاراته واعماله اليومية . كما ان اللؤلؤة عنصر من عناصر الخير الذى دفع ابناء البيئة البحرية الى ارتياد المجهول والأخطار للحصول عليها من اجل لقمة العيش والكسب الحلال . إن ابرز ما فى الشعار هو (المرش) . وهو الاناء الخليجي الجميل الذى لا يخلو منه بيت لرش ماء الورد فى مناسبات الفرح واكرام الضيف ، وهو يحمل دلالة الفرح والخير والطيب ، وهو كشكل زخرفي يشكل عنصر ربط لجميع البيئات التى استخدمت المرش لمناسبات موحدة منذ اقدم العصور ، ويتميز الشعار الفائز الى جانب ذلك بثلاثة الوان رئيسية شائعة ومنظورة فى البيئة هى لون الماء والسماء والذهب موزعة بشكل مناسب . لذا وجدته اللجنة شعاراً مناسباً جديداً فى فكرته وغير مكر ر .

● تفضل سعادة الأستاذ / عيسى غانم الكوارى ، وزير الاعلام بدولة قطر ، ورئيس مجلس ادارة مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية باعتماد التصميم الفائز شعاراً رسمياً للمركز يعبر عنه ويدل عليه .

● يتقدم مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية بالتهنئة الى الفنان / فؤاد الشبيني لفوز تصميمه في هذه المسابقة الفنية ، ويدعوه الى الاتصال بوحدة الشئون الادارية والمالية لاستلام الجائزة المقررة ، كما يسر المركز ان يتقدم بخالص الشكر والتقدير الى كل الفنانين الذين تقبلوا دعوته وبادروا الى تلبيتها متجشمين عناء المشاركة ، ونخص منهم بالذكر الفنانين :

١ ـ السيد / زكريا يوسف احمد ـ قطـــر
٢ ـ السيد / جون لوباجو استيفن ـ السودان
٣ ـ السيد / طه محمود احمد مراد ـ مصـــر
٤ ـ السيد / احمد حسين يحيى ـ مصـــر

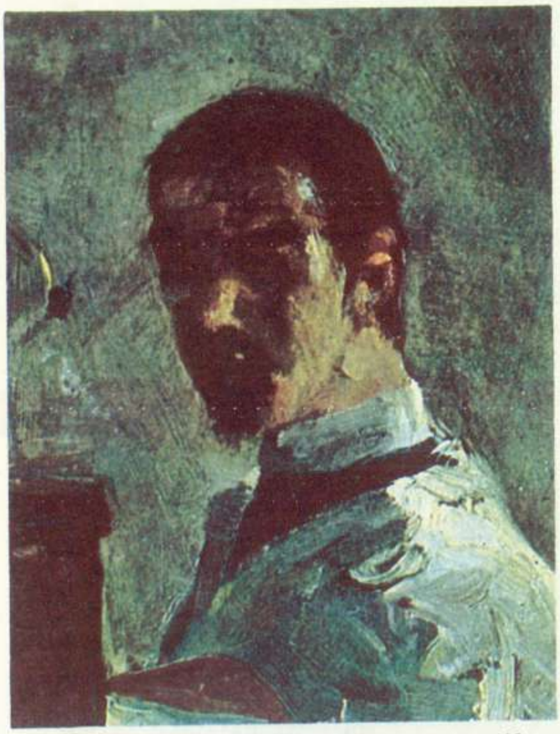
الذين كانت أعمالهم محل تقدير واعجاب لجنة التحكيم بعد التصميم الفائز .

● يحيي مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية الجهد الفني الرفيع الذى بذله اعضاء لجنة التحكيم ، ويقدر اهتمامهم البالغ وحرصهم الدقيق فى فرز التصاميم واختيار الشعار المناسب .

من روائع
الفن العالمي

بقلم : جمال قطب

ذات الشعر الأحمر



هكذا رسم الفنان « تولوز لوتريك » نفسه (١٨٦٤ ـ ١٩٠١)

كان شخصية مثيرة ، يمزق اقنعة البشر .. ويرسم الانسان على سجيته دون زيف او افتعال ، تنقض خطوطه كالصواعق .. وينثر الوانه على لوحاته في عصبية لاذعة المذاق .. في عام ١٨٩٣ اقام (تولوزلوتريك) معرضاً خاصاً لاعماله .. وانتقى من مئات اللوحات التي رسمها في سرعة جنونية ، ثلاثين لوحة تمثل ـ في معظمها ـ حياة الناس وعوالم البيوت المغلقة البائسة التي كانت تزخر بها باريس .. وقوبل المعرض بالحماس والترحيب ، وكتب أشهر النقاد الفرنسيين في مجلة الفنون الجميلة آنذاك يقولون :

« اننا منذ زمن طويل لم نلتق بفنان له من الموهبة الفذة مالدى فناننا تولوز لوتريك وربما كان سر أستاذيته انه يجمع على وفاق بين ملكتين متكاملتين ، هما نفاذ التحليل النفسي الى اعماق شخصياته ، وسيطرته التامة على وسائل التعبير » .

كان تولوز .. يعيش في بوهيمية وتشرد وفوضوية غريبة .. افنى حياته القصيرة كمن يعتصرها اعتصاراً بين الانتاج المتدفق وحياة الفوضى الغريبة في حي (مونمارتر) الاسطوري !

كان كثير التردد على هذا الحي ولا يسمع بمغن جديد فيه حتى يهرع اليه محاطاً بحاشيته ، ووجدنا انه في عام ١٨٨٩ .. عندما كانت باريس تحتفل بافتتاح برج إيفل ، كانت مونمارتر (حي الفن في العاصمة الفرنسية)

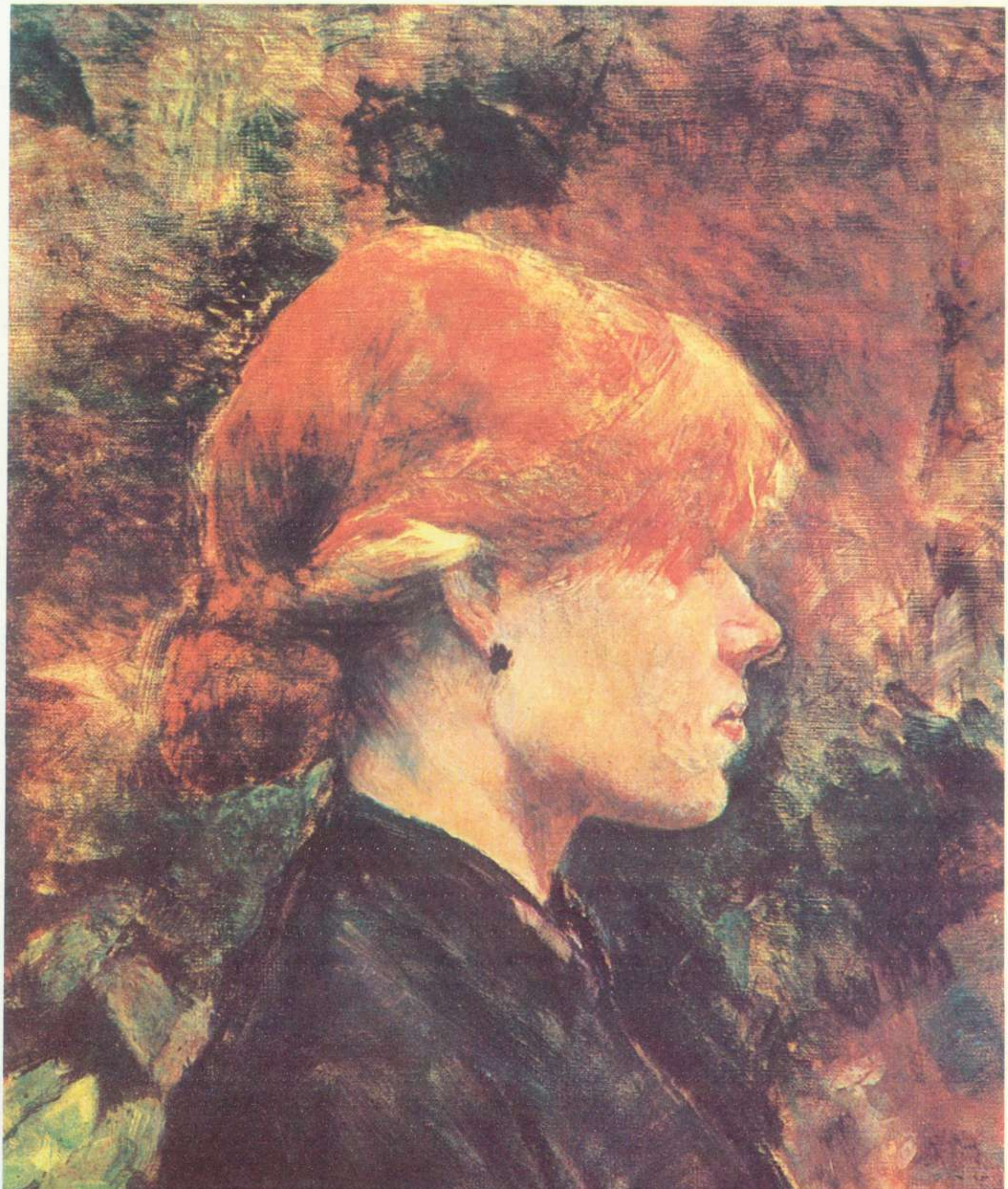
ومن يومها .. لم يبرحه الفنان ، فقد وجد فيه نماذجه التي شغف بها واوقف فنه على تسجيلها في لوحاته . ولم يدخر سكان الحي وسعاً في إغرائه وتشجيعه بشتى الوسائل ليطيب له المقام بين اروقته وفي دروبه المليئة بالنماذج الانسانية .. وبفضل لوحاته ومعارضه عن ملهماته الشهيرات من فتيات حي مونمارتر ، صارت بعض اماكن هذا الحي تملأ أسماع أوروبا كلها .. بل لقد سجل في التاريخ كعلامة بارزة في ابداعات الفنان العالمي الكبير .

وربما كانت حياة الصعلكة هذه شيئاً منطقياً مع طبقة الفنانين البائسين من الفقراء ..

ولكن الأمر يختلف بالنسبة لفناننا .. اذ أن أباه هو الكونت الفونس دي تولوز لوتريك ، وأمه الكونتيسه أديل من أعرق الاسرات الارستقراطية .. وكان هو ابنهما الوحيد المدلل ولكنه نشا قزماً ضعيف البنية الى حد الهزال .. وحدث وهو في سن الثالثة عشرة ان زلت قدمه فسقط على الأرض وتهشمت عظمة فخذه اليسرى .. وبعد نحو عام وقع ـ من فرط هزاله ـ مرة أخرى فتهشمت عظام فخذه اليمنى .. وبعد علاج طويل يئس الأطباء من شفائه ، ظل لوتريك قعيد البيت منزوياً عن اعين الناس . ولكن .. سرعان ما تبدل الى انسان جديد ثار على انطوائيته وتحول من النقيض الى النقيض .. انكب على الرسم والقراءة وتعلم اللغات .. واحب السفر والترحال .. بل وتولد فيه حب الزعامة والسيطرة والتمرد على الواقع والسخرية من كل شيء حتى من نفسه !

ومن هذا المنطلق .. ولاحساسه بأن حياته قصيرة ، نراه وقد استهلكها بسرعة جنونية .. وصارت مغامراته على كل لسان ..

ونلاحظ في هذه اللوحة (ذات الشعر الأحمر) أسلوباً يميل الى التاثيرية .. خلافاً عما عرف به تولوز لوتريك في أعماله الفورية الساخنة .. ولكن الفنان قد جمع بين الأسلوبين بثقة واستاذية هو جدير بها .. كاحد شوامخ الفن في التاريخ .



ذات الشعر الأحمر : لوحة للفنان العالمي « تولوز لوتريك » رسمها عام ١٨٨٩

نادية يوسف

خطر اجتماعي جديد يهدد العالم الحديث:

أطفال مفتاح الشقة!



تقول المجلة .. إن مفتاح الشقة في الزمن القديم .. كان من المحرمات التي يجب اخفاؤها عن أعين الأطفال .. وحتى النسخة الزائدة منه كنا نجتهد في ان نخفيها ربما تحت وسادة في حجرة نومنا او فوق رف بعيد في الحمام .. ولكن مفتاح الشقة فقد مكانته في السنوات الأخيرة .. واصبح من المناظر المألوفة .. رؤية مفتاح الشقة مربوطاً بسلسلة معدنية أو قطعة من الدوبارة المتينة وملفوفاً حول رقبة اطفال المدارس فيما بين السابعة فما فوقها .. وذلك زيادة في الحذر .. وحتى لا يتوه مفتاح الشقة في زحمة الكتب والادوات المدرسية ..

نماذج للمشكلة

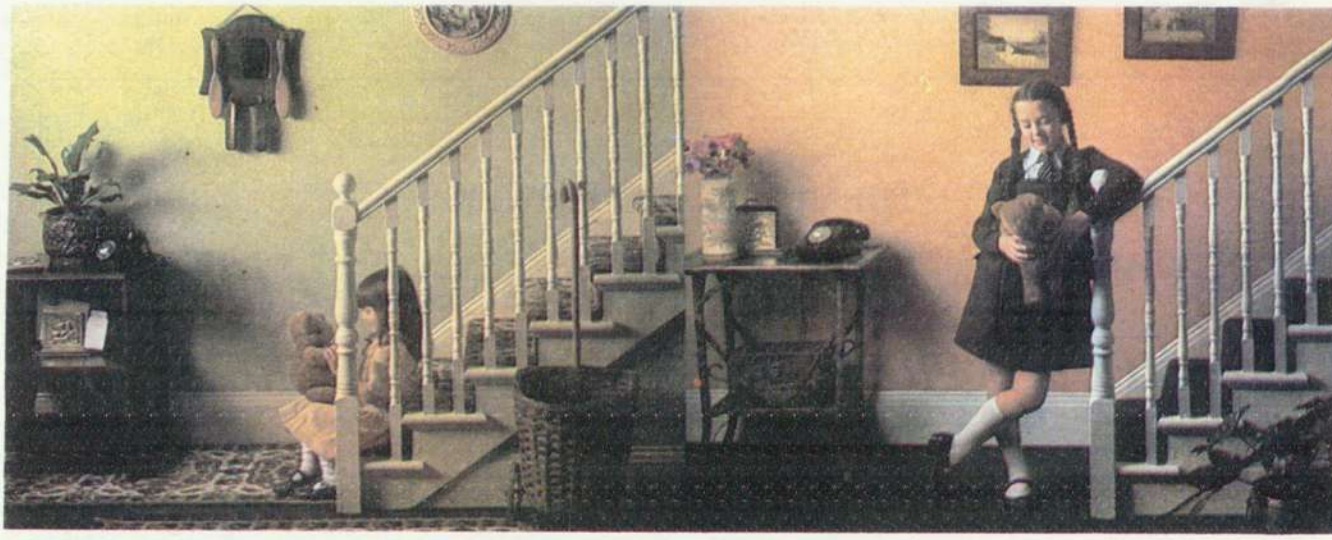
واليك عدد من نماذج « اطفال مفتاح الشقة » :

هيثر .. طفلة في العاشرة .. من هؤلاء اللاتى تعمل أمهاتهن خارج المنزل ..

تقول : إنني أعود الى المنزل مبكرة عن والدي بما يوازي اربع ساعات تقريباً .. لذلك فقد سمحت لي امي ان احمل مفتاح الشقة حول رقبتي منذ عامين فقط .. احياناً احس بنوع من الملل لان المنظر الذي اراه يومياً وانا ادير مفتاح الشقة في « كالون الباب » لا يتغير .. لا احد يستقبلني بترحيب سوى كلبي الصغير الذي يهز ذيله طرباً عندما يراني .. بفتور القي الكتب على منضدة صغيرة موجودة بالصالة .. ثم اخلع ملابس المدرسة .. لاتجه راساً الى المطبخ .. يا الهي حكاية كل يوم .. حوض مليء بالاطباق .. علي أن اغسلها كلها اولا .. ثم اقوم باعداد الطعام لوالدي المتعبين .. احياناً يكون لدي الوقت الكافي لمداعبة كلبي الصغير .... جبراً لخاطره فقط .. احرص على الا تستغرق مداعبته وقتاً طويلا .. فامرر ضفيرتي الشقراوتين على

عرفت كل الأسر في جميع انحاء العالم .. ظاهرة جديدة .. بدت ملامحها مع خروج المرأة الى العمل .. ونقصد بها السماح لأطفال المدارس « بحمل مفتاح باب الشقة » حتى يستطيعوا الدخول الى المنزل والجلوس فيه لمدد تتراوح بين ساعتين واربع ساعات لحين عودة احد الوالدين من العمل ..

وقد انتشرت هذه الظاهرة بشكل يدعو الى التفكير فيها حتى أن بعض الولايات الأمريكية استحدثت تسمية جديدة لهؤلاء الاطفال وهي « طفل مفتاح الشقة » .. وهذه التسمية إن دلت على شيء فهي تدل على انتشار هذا النوع من الاطفال .. في جميع أنحاء العالم .. مما دعا احدى المجلات النسائية في امريكا وهي مجلة « المرأة الجديدة » الى بحثها ومناقشة كل المنغصات والمتاعب التي يتعرض لها هؤلاء الأطفال ..



يظل الأطفال وحدهم في البيت بدون رعاية .. يقضون وقتهم في محاولة صنع اى شىء .. وتظل اذانهم طوال الوقت في انتظار صوت مفتاح الباب الذين يعلن دائما عودة احد الابوين

انفه .. واتركه لانجز اعمال المنزل .. وعلى شفتي اغنية احبها كثيراً .. كنت قد سمعتها من اعضـــاء فريق الكشافـــة بالمدرســة .

أقول لكم الحق ـ الكلام ما زال لهيثر .. طفلة العاشرة ـ انا لا اريد ان اضيع وقتي في اللعب .. ليس لانني لا احبه .. ولكنني أريد ان يشعر والداي بالانبساط والسرور عندما يعودان من عملهما .. فمنظر البيت المرتب والأطباق المغسولة .. والطعام المعد .. يشعرهما بالفخر .. وانا احس به من نظرتهما إلي ..

وهيثر .. « طفلة مفتاح الشقة » .. تستطيع أن تعد كل انواع الطعام من اللحم « الرستو » الى المكرونة الاسباجتي .. وتفضل ان تطهو طعام الاسرة بطريقة جديدة كل يوم .. وخصوصا «الهامبورجر» والدجاج المحمر مع الصلصة البنية ..

ولكن هيثر .. ليست النموذج الشائع بين اطفــال « مفتــاح الشقـــة » .. فهناك « بوبي » .... ٨ سنوات .. هو ايضا يعود من المدرسة الى منزل خال تماما .. ولكنه لا يشارك هيثر كل صفاتها من حيث الاعتماد على النفس والتعاون مع والديها .. بصدق شديد .يصف مشاعره :

إنني احس بالخوف الشديد عندما اعود الى البيت حتى وصول امي اليه بعد ثلاث ساعات كاملة ..

وبوبي يلقي بحقيبة المدرسة على مائدة المطبخ .. ثم يدير ازرار التليفزيون .. ويرتمي على مقعد امامه .. ثم يغير القنوات ثم يعود لاغلاق الجهاز .. ليذهب الى المطبخ .. ليضع كتبه وكراساته على المنضدة .. كما لو كان يستذكر بالفعل .. ثم لا يلبث ان يتسلل الى البدروم حيث يظل هناك واذناه مع مفتاح الباب .. حتى يحضر احد والديه .. فيجري الى المطبخ ويتظاهر باستذكار دروسه ... ! !

والمشكلة ليست مشكلة هيثر او بوبي وحدهما .. ولكنها مشكلة ملايين الاطفال فيما بين السادسة والثالثة عشرة .. انهم يظلون بدون رعاية والديهم لفترات طويلة .. لقد عرفوا جميعا مكان النسخة الزائدة من مفتاح الباب .. وبموافقة والديهم .. عرف هذا المفتاح كيف ياخذ طريقه الى رقبة هؤلاء الصغار دون استعداد نفسي لهذه المهمة الخطرة ..

إن بعض هؤلاء الأطفال مثل « هيثر » وهم عدد قليل جداً .. استطاع بتدريب منذ الصغر على تقدير المسئولية والاعتماد على النفس .. بل إن غياب والديهما اعطى فرصة للتدريب على بعض مسئوليات الأسرة واعبائها .. ولكن أطفالا اخرين امثال بوبي يشعرون طوال الوقت .. بالخوف او في احسن الأحوال بالوحدة والاهمال من جانب والديهم ..

وفي لقاء مع اكثر من طفل من « أطفال مفتاح الشقة » اكتشفت « لا نيت لونج » وهي استاذة التربية بكلية « لويولا » الامريكية ان هؤلاء الأطفال .. يخافون بشكل عام من الظلام والنار والاهمال ايضا .. والمؤسف حقا ان كل هؤلاء الاطفال يحاولون اخفاء مشاعرهم عن والديهم

متظاهرين بالشجاعة الكاذبة .. فمثلا بوبي يقول : « عندما تصل امي أستطيع ان اعرف ذلك من صوت ادارة المفتاح في «طبلة» الباب .. اتسلل على اطراف اصابعي الى المطبخ .. واتظاهر بالاستذكار .. »

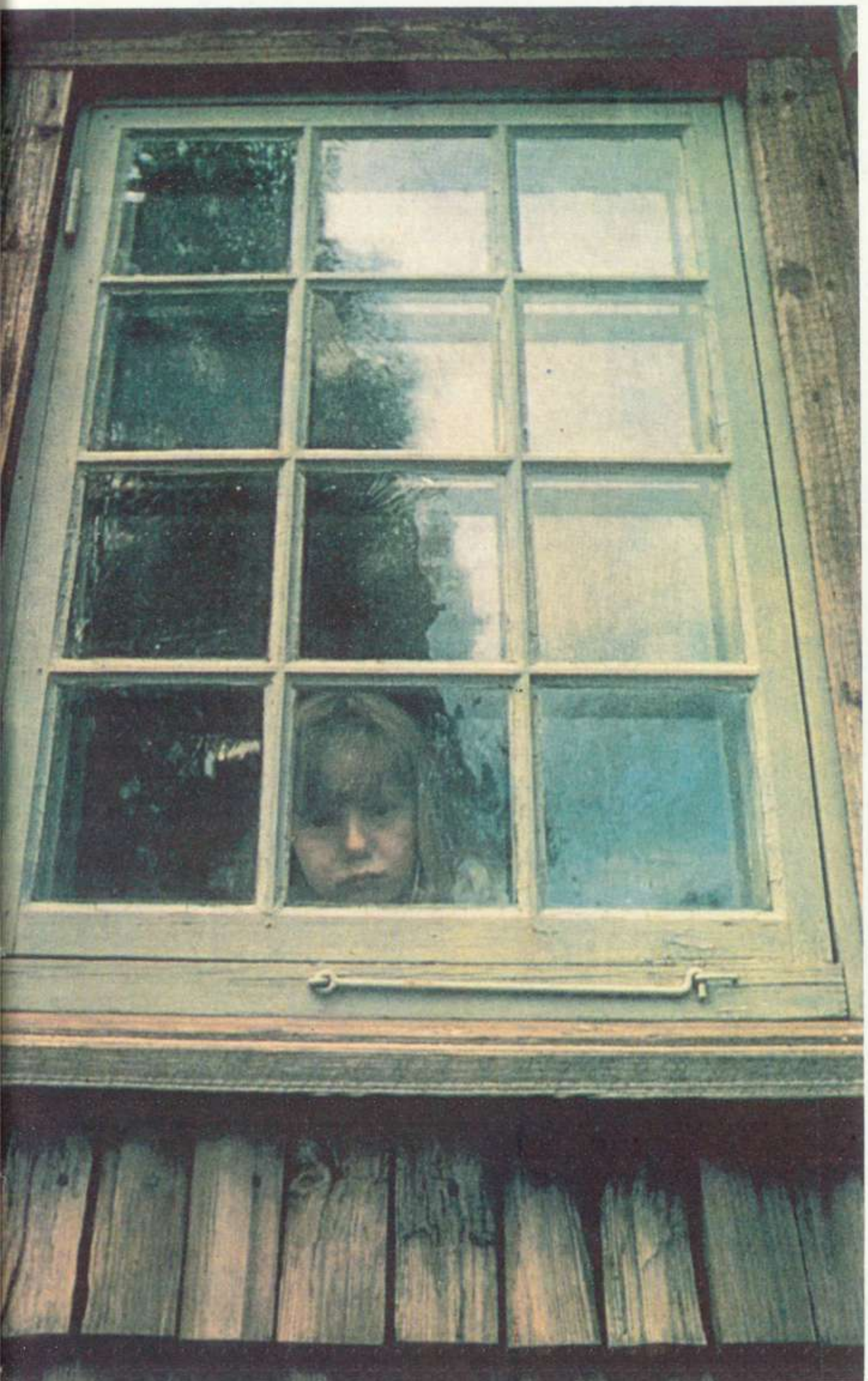
لماذا يفعل بوبي ذلك ؟ ..

يقول هو : « اسمع امي تردد عبارة واحدة كل صباح .. فتقول وهي على مائدة الافطار .. تبتلع بضع لقيمات وهي واقفة .. إن رئيسي سـيفصلني اليـوم بسـبب التـاخير » .. وعندما تعود من عملها .. تحكي لأبي ماذا فعل بها رئيسها في العمل .. حتى انني كثيراً ما اتخيل رئيسها هذا .. انسان متوحش واتعجب من شجاعة امي .. لأنها تذهب الى العمل كل يوم رغم ان هناك وحشاً يهددها كل يوم بالفصل ..

ويتساءل بوبي .. هل بعد كل الذي تتحمله امي من اجلنا .. تاتي الى المنزل لأحكي لها عن خوف من وجودي بالمنزل بمفردي ؟ .. لا استطيع وخاصة انها تشعر دائما بالذنب ناحيتي .. فتقول لي قبل ان تنزل كل صباح : انا حزينة لانني ساتركك وحدك بالمنزل ثلاث ساعات .. وحزينة اكثر لانني ساذهب الى العمل رغم انفي ..

والعكس تماماً .. يحدث مع هيثر .. إن والدتها ليست مطمئنة فقط لكونها اعطت المفتاح لابنتها .. لكنها دائما تردد .. على مسمع من افراد اسرتها وخاصة هيثر .. ماذا تم في العمل من تقدير الرؤساء لها واعجاب زملائها بها .. ولكن هيثر بفطنتها .. تعرف أن والديها تصادفهم اياماً حلوة واخرى ليست على ما يرام .. تماماً مثلما يحدث في مدرستها .. اما زوج امها .. فدائماً يقول : إن الايام لابد وان تاتي يوما بما نشتهي .

إن هيثر ـ في رايي ـ تعد نموذجا فريداً لأطفال المدارس الذين يحملون مفاتيح لمنازلهم .. انها نموذج لا يتكرر .. ذلك لأن معظم الأطفال يشعرون بحنق شديد تجاه هذا المفتاح الذي يلتف حول رقبتهم .. انهم يلجاون الى طرق ليست جيدة تماماً .. مع شلة من الأصدقاء .. او انهم في احسن الاحوال يقفون بلا هدف في الشوارع الرئيسية .. اكثر من هذا فانهم يقعون فريسة لعوامل خارجية منها تعرضهم الدائم للانحرافات الملخصة في امرين : إما تعـاطى انواع المخـدرات او المعاناة النفسـية المتنوعـة .. وتعد اتلانتا وبرمنجهام وميتشجان من اكثر الولايات التي يتعرض فيها الأطفال لحوادث مختلفة في اعمار مختلفة .. ولسوء الحظ .. ان هذه الحالات لا تتحسن بمرور الوقت ..



قالت التقارير ان ٢٠ فى المائة من اطفال مفتاح الشقة يحملون فى صدورهم مشاعر الخوف

المفتاح وعدم الأمان

إن التقارير المطولة .. تقول إن ٢٠٪ من هؤلاء الأطفال يحملون فى صدورهم مشاعر الخوف .. وفي بعض الحالات يحول عدد من هؤلاء الأطفال وخصوصا صغار السن الى العيادة النفسية .. لقد افضى احدهم الى طبيبه المعالج .. بكل ما يؤرقه من مشاعر مضطربة .. عبر عنها ابلغ تعبير حين قال : إن امي تتركني مع أخي الأكبر .. انها تفترض انه يقوم برعايتي اثناء غيابها .. ولكنه مشغول دائماً بتدريبات « كرة السلة » .. وحتى لو ذهبت اليه في النادي لاقول له إننى خائف من وجودي



اثبتت الدراسات العلمية ان مشكلة ترك الأطفال بمفردهم فى البيت تؤدى الى العزلة التى تعوق الطفل عن نمـوه الاجتماعى السـليم

بالمنزل وحدي .. ينهرني قائلا : انك صبي في السابعة من عمرك .. كيف تخاف ؟ .

لذلك .. فانه من الطبيعي .. ان الاغلبية العظمى من الاطباء والخبراء النفسيين .. يقفون ضد هذه الظاهرة .. ويؤكدون ان التفاف المفتاح بسلسلة حول رقبة الصغير .. يخلق نوعا من عدم الامان .. كما يشجع على العزلة التي تعوق الطفل عن نموه الاجتماعي السليم .. ولكن الامر ليس بهذا الحسم في كل الاحوال .. إن هذه الظاهرة يمكن ان يكون لها من الجوانب الايجابية اكثر من السلبية .. فهي تخلق من الطفل شخصا يعتمد عليه .. وعلى كل حال فان تقبل الطفل لوجوده بمفرده في المنزل يعتمد كثيرا على سن الطفل .. ونوعية الجيران المحيطين به .. ودرجة نموه النفسي والاجتماعي .. وعلى سبيل المثال .. فان طفل الثالثة عشرة .. قد يكتسب من وجوده بمفرده خبرات نافعة .. تفيده في نضجه العاطفي ونمو شخصيته .. ولكن ابن الثامنة .. أعتقد انه لن يكون مستعدا للاستفادة من هذه الخبرات .. والمهم في كل هذا .. هو نوع العمل الذي يكلف به الطفل حسب قدراته وسنوات عمره .. فاذا كان فوق هذه القدرات حتما سيفشل الطفل .. اما اذا كان مناسبا لها فان النجاح سيكون حليفه .. وسيدعم هذا النجــاح ثقتــه بنفسه .

إن هذه الظاهرة .. ترتبط أساسا بظروف كل طفل على حدة .. إن هيثر .. النموذج الفريد للاطفال النين يحملون مفتاح الشقة تساعد والديها على انجاح نظام « مفتاح الشقة » .. بحيث لا يمثل بالنسبة لها اية مشكلة .. فمثلا نرى هيثر غير مسموح لها بالرد على جرس الباب .. عندما يكون الأبوان بالخارج .. كما انه غير مسموح لها ان تستقبل زوارا حتى لو كانوا من صديقاتها بالمدرسة .. وبالمثل فانها لا تستطيع الخروج للعب في النادي حتى ياتي ابواها من الخارج .

ورغم انها قوانين صارمة بالنسبة لطفلة مثل هيثر .. الا ان الفتاة تعرف ان هذه الممنوعات وضعت خصيصا لحمايتها .. وهي تقول مؤكدة : الى جانب ما اقوم به من اعمال المنزل والواجبات المدرسية .. فانا اقضي ما تبقى من وقت فى التريكـــو والبروديه والكورشيه واحيانا انشغل في قراءة كتاب حتى يعود احد والدي ..

إن موقف هيثر الفتاة النموذجية .. لا يمنع ابواها من الشعور بالذنب .. لانها كثيرا ما تهرع الى الجيران الموثوق بهم .. عندما ينقطع التيار الكهربي من المنزل .. او تسمع صوت المطر والرعد ..

وعلى العكس من ذلك .. فان اسرة بوبي .. يعيشون وسط جيران من الغرباء .. انهم لا يعرفون اسماءهم فحسب .. ولكن وجوههم ايضا غير معروفة تماما لهم .. بالاضافة الى ان المنطقة التي يقطن فيها بوبي .. تعاني نسبة عالية من الجرائم .. انها الحقيقة التي ترعب والدة بوبي .. وتعتبرها السبب في مخاوف طفلها ..

الوحدة القاتلة

إنه أمر مرعب حقا .. تقول والدة بوبي : ولكن ماذا افعل وانا مشغولة تماما .. بمشكلة عدم انسجامي مع العمل لدرجة انني لا استطيع ان اتعهد مخاوف بوبى .. انني اتجنب حتى مجرد سؤاله اسئلة صريحة عما يفعل عندما لا اكون بالمنزل .. كما ان ميزانيتنا لا تسمح باحضار « بيبي سيتر » للجلوس معه .. لاننا نريد شراء اشياء كثيرة في المنزل .. مثل غســالة اتوماتيكية للاطباق .. إن بوبى رغم كل شيء من الأطفال المحظوظين .. لا يشبه اطفالا كثيرين على الأقــل ، فمخــاوفه ننظر اليها بعين الاعتبار ..

وتقول طفلة لمفتاح الشقة «سابقة» وعمرها الآن ٢٨ سنة .. عندما كنت اعود من المدرسة الى المنزل الخالي .. اشعر انني يائسة .. لقد كنت في الخامسة عندما قررت امي أن تعمل نصف الوقت . كجليسة للاطفال .. بينما اجلس انا مع جدتي في المنزل .. وكم كنت اشعر بالغيرة الشديدة .. لمجرد احساسي بان امي تداعب طفلة اخرى في بيت اخر .. بينما اجلس انا في انتظار حضورها كل يوم ... ولكن عندما تغير العمل بعد ذلك الى ممرضة في المستشفى ثم سكرتيرة .. خفت مشاعر الغيرة الى حد كبير لتحل محلها مشاعر الوحدة القاتلة .. لأن امي تغيب عن البيت طوال اليوم .. وعندما كانت كاندي – وهذا هو اسمها – في التاسعة .. ماتت جدتها التي كانت تقوم بدور « البيبي سيتر » وتصف كاندي مشاعرها قائلة : كنت ارتعد من مجرد وجودي بالمنزل بمفردي خوفا من ظهور شبح جدتي .. لأن موتها كان صدمة قاسية لي .. ايضا كانت وفاتها اول تجربة لي مـع فكـرة الموت .. لم اكن اعــرف كيف اتقبل فكرة اختفائها او اتلاءم معها .. وعلى سبيل المثال عندما كنت اريد الذهاب الى الحمام .. كنت امسك نفسي بالساعات لانني قد تعودت ان اذهب اليه مع جدتي العزيزة ..

الصراحة في المناقشة

وعلى كل حال .. ومهما كان الأمر .. فان هذه حال الأطفال الذين ينتمون لآباء من طبقة اجتماعية متوسطة .. يكدح فيها الأبوان لكسب العيش وزيـــادة دخلهما الشهري .

والملاحظ انه فى بعض المناطق يستطيع الأطفال ان يبقوا فى المدارس حتى عودة الأب او الأم من أعمالهم لاصطحابهم .. وفى مناطق أخرى .. تقوم الشركات باعداد مكان يذهب اليه الابناء بعد انتهاء اليوم الدراسي .. يقوم بالاشراف عليه الموظفون والموظفات بالتناوب ..

ولكن فى معظم الحـــالات نرى اطفالا يعودون لمساكنهم عقب الدراسة .

معنى ذلك ان نظام مفتاح الشقة اصبح ضرورة .. ولانه كذلك فلابد لكل ابوين .. كما تقترح « لي سولك » الخبيرة السيكولوجية ان يناقشا الامر بكل صراحة مع الصغير .. ولابد من معرفة ما اذا كان الطفل مستعدا لقبول هذا المفتاح ام لا .. ولابد من ان يفهم الطفل بطريق غير مباشر .. انه ليس عيبا ان يطلب جليسة للاطفال للجلوس معه .. واذا طلب ذلك منك فلا تشعريه بانه لا يحس بالمسئولية .. ولا يعتمد عليه ابدا .. ولكن قولى له : انه امر طبيعي فى مثل سنك .

اما اذا تاكدت ان طفلك قادر على الجلوس بمفرده لحين عودتك بدون اية مشاكل نفسية او غيرها .. فلابد من وضع قواعد ثابتة ومتفق عليها لحمايته حتى تعودين ... وحيث تكون الفرصة متاحة أمامك لتنمية شخصيته وزيادة قدراته ونضوج عواطفه ..

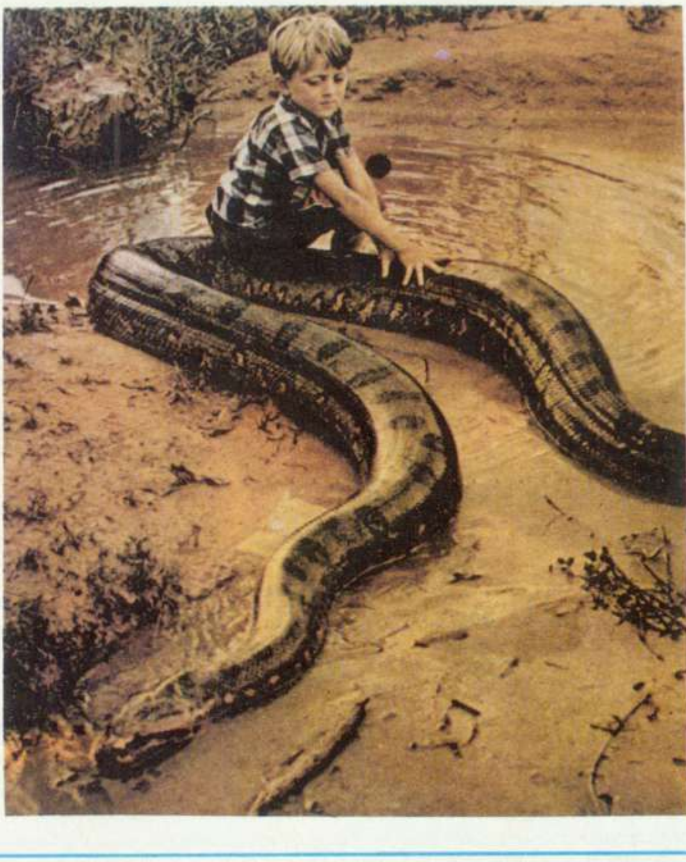
نادية يوسف

لقطات من الكون المثير



أصغر عروسين !

لقد الف الحب بين قلبيهما ، وفى النهاية جمع بينهما رباط الزواج المقدس ، اذ لم يجد هذا « السيد » المبجل عروساً تناسبه الا هذه الفتاة .. فكل شيء بينهما متقارب .. العمر والقصر والمزاج ونوع العمل ، لانهما يعملان سويا فى سيرك « بارنوم » الشهير .. ورغم ان العروسين يبدوان كطفلين ، الا انهما قد جاوزا مرحلة الشباب .. فكلاهما ينتمى الى عالم الاقزام ، واسم الشهرة للعريس « عقلة الأصبع » ، لأن طوله لا يزيد عن ٩٦ سنتيمترا .. أما عروسه فاقصر بحوالى ١٧ سنتيمترا .. تهانينا للسيد تشارلز ستراتون ، ولعروسه لافينيا وارين .. وبالرفاء ، وليس بالبنين ، لأن مثل هذه الحالة تصاب بعقم لاشفاء منه ولا دواء له .



منتهى الجرأة

ليست الصورة خدعة ، ولا الافعى لعبة ، ورغم ذلك فقد اتخذها هذا الطفل مطية ، لتصبح سبيل لهو او تسلية ، تماما مثلما يفعل اطفالنا فى حدائق الحيوان عندما يستمتعون بركوب الافيال .. ورغم أن تلك الأفعى ليست سامة ، الا انها من الانواع الخطرة التى تميت ضحيتها عن طريق التفاف جسمها على جسمه ، فتدك عظامه فى لحمه ، وذلك باستخدام عضلاتها القوية .. بقى أن نعرف أن تلك الافعى تعرف باسم « اناكوندا » .. وطولها اكثر قليلا من ستة امتار (اى بارتفاع بناية مكونة من طابقين) .. والافعى تحب الانزلاق على الارض المبتلة ، وهى ايضاً بطيئة الحركة ، ولهذا يمكن الاحتياط من هجومها والتفافها بالابتعاد عنها بسرعة ، ولقد درب بعض اهالى بيرو البدائيين مثل هذه الافاعى لتصبح مستانسة .. ومع ذلك فالخطر قائم ، وكثيرون منا او من اطفالنا قد يصيبهم رعب قاتل من مثل هذه المغامرة ولهذا فربما كان لسان حال ذلك الطفل يقول « لا يفوز باللذات الا كل مغامر » ! وبالشهرة ايضاً عن طريق نشر تلك اللقطة .



جمال في الأنابيب مدفون

سخاء الافكار التى ظهرت فى الكائنات الحية ليس له حدود ، فكلما بحثت اعمق ، رأيت اكثر ، وتعجبت اعظم .. فهذا التشكيل المثير ذو الالوان البديعة هو تاج (او تاجان) على راس دودة صنعت لنفسها انبوبة من مادة جيرية استخلصتها من ماء البحر ، لتعيش فى داخلها عند سطحه الضحل ، فتحمى نفسها من البطون الجائعة التى تحوم حولها ، وما اجمل ان ترى حشوداً من هذه الديدان وهى تنتشر فى مساحات محددة ، فاذا ازعجتها ، سحبت تيجانها وعادت بها الى خنادقها ، ثم اذ بك بعد فترة – قد تطول او تقصر – تكتشف انها قد عادت بهذا الجمال الذى يشبه الزهور الزاهية ، لتنشره على المسطحات المائية وكانما هناك يد سحرية قد زرعت هذا الجمال ثم اقتلعته ثم اعادته .. يتوقف ذلك على خوفها او اطمئنانها .. هذا ولكل دودة مروحتان ذواتا اهداب تتحركان فى الماء لتثير فيه تيارات تحمل لها الغذاء والاوكسيجين ، ليعيش عليه هذا الجمال الدفين .



فكرة

كالصياد الذى يلقى فى الماء شصه ، او ينصب فى الخلاء فخه لعل هذا او ذاك يصطاد له شيئاً يقتات به ، او يعيش منه .. كذلك جاء هذا العنكبوت بنفس الفكرة ، لكن فكرته قد سبقت افكارنا بعشرات الملايين من السنين .. ولاشك ان فكرته التى توضحها تلك اللقطة فعالة ومناسبة للغرض تماماً ، بدليل ان هذا النوع ظل يعيش بها وعليها كل هذا الزمن الطويل ، وفكرة العنكبوت ان يختبىء فى مكان امين ، ثم يغزل خيطاً ، وفى نهايته يضع قطرة من مادة لزجة ، واحياناً ما تكون معطرة ، ثم يدلى الخيط بما حمل ليتارجح مع نسمات الهواء ، او قد يحركه باحد اقدامه ، ليلفت اليه الحشرات الهائمة المحلقة ، وقد تجذبها رائحة القطرة ، وتتوجه اليها لتصطادها ، فتلتصق بها ، ويرفعها العنكبوت بسرعة الى اعلى ليلتهمها ، ومن جديد يدلى شصه .. وتتكرر هذه العملية كما تكررت قبل ذلك بملايين السنين !



الفنان عبد الغني ابو العينين

الفنان أبو العينين

رائد تصميم أزياء الفرق الشعبية

بقلم: صبحي الشاروني



لوحة تمثل تصميم ملابس الرقصة الشعبية : افراح العرب

كريستيان ديور .. وبيير كاردان .. ونينا ريتشي .. وايف سان لوران .. وامثالها من الاسماء التى استمدت شهرتها من تاثيرها على ازياء النساء فى العالم الغربى .. إن التصميمات التى يبتدعونها تنتشر فى اقل من شهور بجميع العواصم الغربية ، وبهذا يفرضون ذوقهم على معظم الانيقات ..

وفى العالم العربى عندنا فنان خاض ميدان تصميم الأزياء وتفوق فيه ، لكنه لم ينافس بيوت الأزياء العالمية ، بل تخصص فى نوعيات محددة الى جانب أوجه النشاط الأخرى التى تفوق فيها .. لقد أصبحت له بصمة واضحة فى ميدان تصميم الأزياء لفرق الرقص الشعبى وملابس الأفلام السينمائية وأزياء العاملين بالفنادق الكبرى ، وأيضاً لبيوت الأزياء المحلية ولكن فى حدود التطوير للأزياء الشعبية والتاريخية مثل تصميم الجلابية والشال وما شابه ذلك .

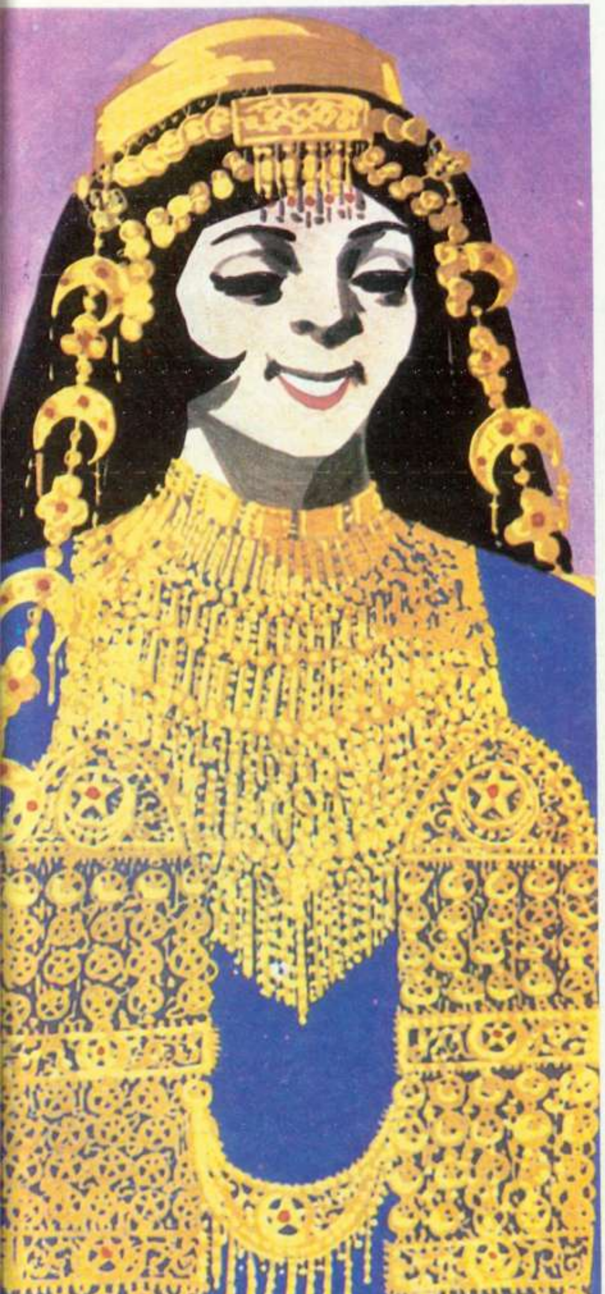
إنه الفنان الرائد عبد الغنى ابو العينين الذى يوقع اعماله باسم ابو العينين ، كما أن أصدقاءه وأقاربه ينادونه بهذا الاسم الذى اشتهر به . لكن تفوقه وريادته لم تقتصر على تصميم الأزياء بل امتدت الى الاخراج الصحفى واللوحات الزيتية وفنون الديكور وغيرها .

أول عرض للفن الشعبى

ولد الفنان في مطلع عام ١٩٢٩ ، وكان ابوه يعمل في وظيفة حكومية ، يتفرغ بعدها لاشباع هوايات التصوير الضوئي وكتابة لافتات الخط العربي والرسم والعزف على الكمان وغيرها من الهوايات .. كان يسكن في فيلا هادئة بمنطقة مصر الجديدة ، كان الابن يلذ له ان يراقب اباه وهو يمارس الهوايات ، بالاضافة الى استمتاعه بمراقبة الدواجن التي تربيها أمه في حظيرة بحديقة المنزل .. كما يذكر الفنان انه كان يتابع بشغف الحرفيين في حوانيتهم الصغيرة وهم يشكلون منتجاتهم .. وينتظر عازف « البيانولا » في المساء ليصغي الى نغمته ويتابع رقصات ابنته وهي تدق على دف تحمله طوال المقطوعة



نماذج من الأزياء العربية البديعة التي صممها الفنان



لوحة للفنان تمثل نماذج من الحلى القطرية



أزياء رقصة عمال الميناء لفرقة سلطنة عمان



أزياء رقصة فرح ريفى

الموسيقية التي تنبعث من آلة « البيانولا » التي يديرها والدها .. ثم تقترب منـــه بملابسها الفضفاضة المزركشة لتجمع القروش من المتفرجين .. وكان هذا هو أول عرض للرقص الشعبي يشاهده أبو العنين في طفولته المبكرة ...

تحت أضواء المسرح

تعرف أبو العينين على عالم المسرح في المدرسة الثانوية ، حيث شارك بالتمثيل في الفرقة المدرسية التي يتولى تدريبها الاستاذ محمد يوسف والد الاذاعي الراحل عبد الوهاب يوسف ، وكان الفتى متفوقاً وموهوباً في هذا الميدان حتى كان محمد يوسف يستعين به في أداء الأدوار الصعبة بالمدارس الاخرى التي كان يشرف على تدريب فرقها التمثيلية .

وقد استولت عليه هواية التمثيل المسرحي في وقت كانت فرقة يوسف وهبي قد ذاع صيتها وملأ الاسماع والاذهان ، فقام بتكوين فرقة تمثيلية وهو ما يزال طالباً في المدرسة الثانوية ، وكانت هذه الفرقة تقدم المسرحيات الكوميدية وعلى رأسها مسرحيات « نجيب الريحاني وبديع خيري » على مسرح « كازينو » بمصر الجديدة .

وما إن انتهى من دراسته الثانوية عـام ١٩٤٦ حتى تقدم للالتحاق بكلية الفنون الجميلة بتشجيع من استاذه « محمـــد

لبيب » وهو الفنان المزخرف الراحل الذى كان يتولى تدريس مادة الرسم بمدرسة مصر الجديدة الثانوية .. وقد تقدم ضمن ٢٨٥ طالبا الى اختبار القبول لم ينجح منهم سوى ٢٦ طالبا وكان ابو العنين من بينهم .. وخلال دراسته بالسنة الاعدادية التى تسبق التخصص كان يحرص على التجول في مختلف اقسام الكلية ليتعرف عن قرب على طبيعة الدراسة في كل قسم ، قسم التصوير (الرسم) ـ النحت ـ الحفر (الجرافير) ـ الزخرفة ـ والعمارة .. وعندما اتم السنة الاعدادية اختار قسم الزخرفة ليتخصص في هذا الميدان ، وهكذا التقى بالاساتذة من كبار الفنانين الذين تتلمذ على ايدي بعضهم : عبد السلام الشريف ، مفيد جيد ، احمد مظهر ، حسين بيكار ، احمد صبري ، البابلي ، الحسين فوزي ، والايطالي « بيبي مارتان » .

لقد اختار هذا التخصص ليكون فنه في خدمة الحياة اليومية ، فدراسة فنون الزخرفة والديكور كانت هي مدخله لتوصيل فنه الى الناس ، اما الرسم والنحت فهي تظل ـ في نظره ـ حبيسة المعارض والمتاحف حتى يسعى الناس اليها او يعجب بها كاتب فينشر صورتها .. ولهذا اتجه الى الفن المرتبط بالناس والى الوسائل والوسائط التي تجعل فنه جماهيريا .

العمل في السينما

وخلال سنوات الدراسة بكلية الفنون الجميلة بدا يتطلع الى ميدان اخر من ميادين الفن ، فكان يذهب في أوقات الفراغ الى « استديو مصر » عند سفح الاهرام حيث يلتقي بالفنان .. « محمد خورشيد » صديق والده ، في هذه الفترة راح يتابع انتاج فيلم « السبع افندي » عام ١٩٤٨ .. وقد اهتم بمتابعة الديكورات الضخمة التي تقام بالحجم الطبيعي لتصور بعض مشاهد الفيلم ثم يهدمها العمال في اليوم التالي لتقام في مكانها الديكورات الجديدة وراح يتامل التصميمات المصغرة التى رسمها مهندس الديكور بمقياس مناسب ، محاولا استيعاب الطريقة التي تتحول بها هذه التصميمات المرسومة الى انشاءات ضخمة مجسمة عالية .

وخلال التصوير افتقد المخرج دور بائع العقاقير الشعبية في الريف ، وكان قد اختار لهذا الدور شابا من خريجي معهد التمثيل ، وحاول المخرج ان يحصل من الشاب على الأداء المطلوب دون جدوى ، فاستغنى عنه وصرفه .. وتلفت حوله فوقع نظره على أبو العينين وطلب منه ان يتقدم لأداء هذا الدور ، وبلا تردد اندفع في التمثيل بنجاح شهد له كل من حضر تصوير هذه اللقطة .

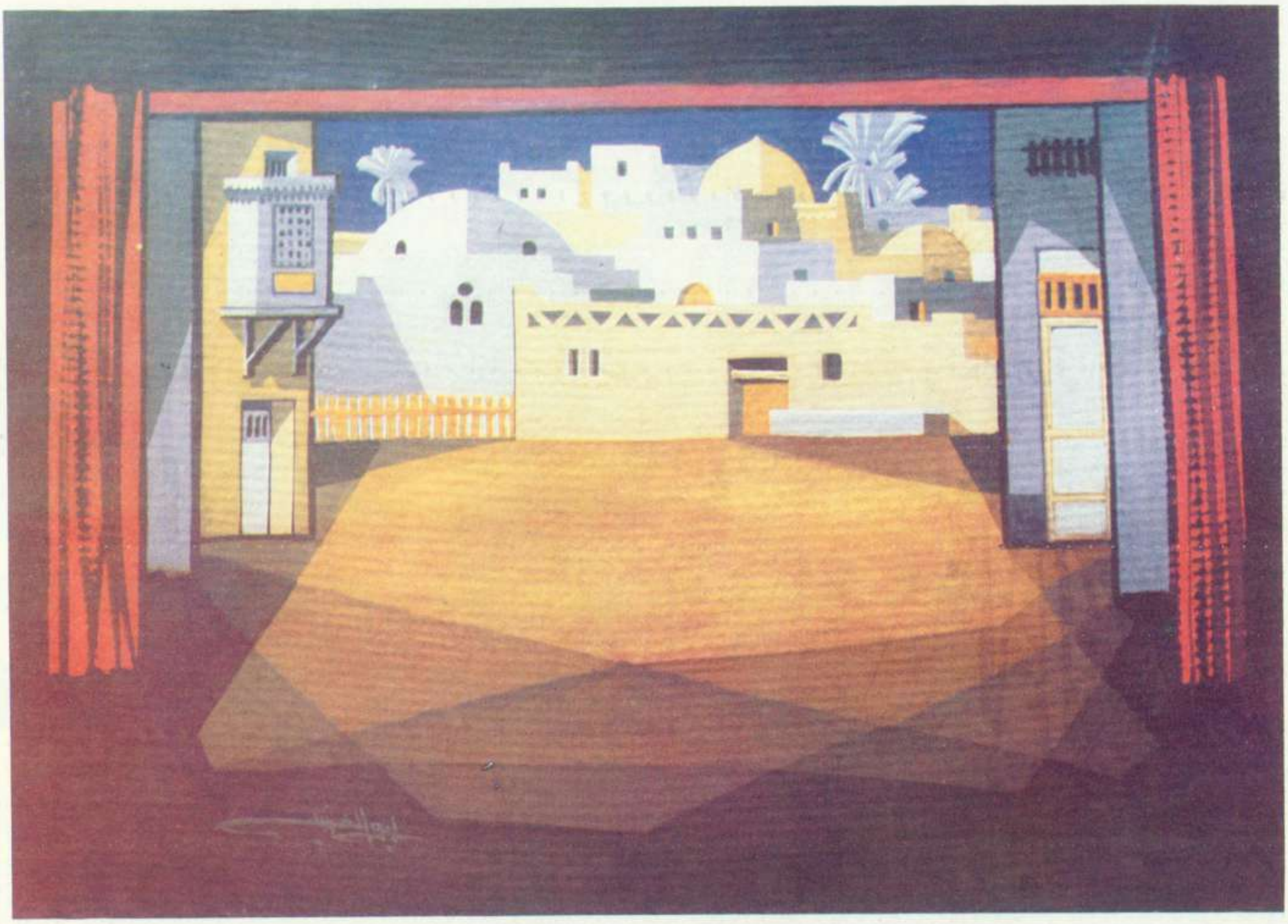
ورغم هذا فان العمل السينمائي لم يلبث ان فقد بريقه عند أبو العينين ، لكنه لم يتخل عن اهتمامه بالعمل المسرحي ، فالى جانب دراسته التي كان يجتازها بتفوق ، كان ينظم الحفلات ويشارك في التمثيليات ويقدم المنوعات في حفلات الكلية السنوية التي حظيت باهتمام الاساتذة والطلبة واقبالهم .

من الصحافة الى الفن الشعبي

حتى منتصف الخمسينات كان الديكور المسرحي في مصر مهنة لا يعمل فيها الا



ازياء رقصة منفردة فى زفة حي الحسينية



ديكور رقصة صعيدية .. من الاعمال الفنية التى صممها ابو العينين

الاجانب وخاصة الايطاليين ، فاقتحم ابو العينين هذا الميدان واثبت قدرة الفنان العربى الذى يتميز بالاحســـاس المحلي ، وهو مالايتوفــر للفنــان الاجنبي ، فقام بتصميم ديكورات مسرحية « قهوة المملوك » تاليف لطفي الخولي عام ١٩٥٧ ، ومسرحية « سيما اونطة » لنعمان عاشور عام ١٩٥٨ .. ثم المسرحية الاستعراضية « وداد الغازية » عام ١٩٦٤ للفرقة الاستعراضية الغنائية ... ثم تدفق مهندسو الديكور المصريون على المسرح .

وفي عام ١٩٦٢ عرض عليه منصب مدير مركز الفنون الشعبية التابع لوزارة الثقافة . وتردد أبو العينين طويلا في قبول هذا المنصب ، فقد كان يعمل في أسرة تحرير مجلتي روزاليوسف وصباح الخير وكان قد حقق نجاحاً ملحوظاً فى عمله كمخرج فني لمجلة روز اليوسف .. ولهذا لم يكن من السهل عليه ان يهجر حياة الصحافة وبريقها ، لكن من جانب آخر كان الفن الشعبي يجتذبه لما فيه من قيم زخرفية اصيلة ، فقبل المنصب حيث كانت مهمته هي تجميع وتصنيف ودراسة الفنون الشعبية ، مما اتاح له ان يعيش في عالم يهواه ويحبه ، وفي نفس الوقت تقرر تكوين الفرقة القومية للفنون الشعبية واسندت اليه مهمة تصميم الديكورات والازياء للرقصات الشعبية ، فتحمس لهذا العمل اكثر من حماسه لوظيفته الاصلية لانها جمعت اهتمامه بالفن الشعبي من جانب وهوايته للمسرح من جانب آخر .

وعلى مدى عشرين عاماً من ١٩٦٢ حتى ١٩٨٢ نجح أبو العينين في انتزاع اعجاب الجماهير في مصر وخارجها ، واستطاع ان يصنع من الزي الشعبي بطلا يصفق له الجمهور .. ولم يترك الفنان هذا العمل الا عندما زارت الفرقة القومية الشعبية دولة العدو فاستقال من عمله بدافع وطني رافضاً هذا الموقف .

وخلال هذه السنوات العشرين لم يستمر طويلا في عمله مشرفاً على مركز الفنون الشعبية اذ تولى عام ١٩٦٧ منصب مستشار فني « دار التحرير للطبع والنشر » وهي التي تصدر جريدة الجمهورية وجريدة المساء وعدداً من المطبوعات الدورية الاخرى وخلال توليه هذا المنصب لم يقطع صلته بالفرقة القومية الا مؤخراً .

تصميم الأزياء

لقد اصبح اسم أبو العينين في البلاد العربية علماً في ميدان تصميم ازياء وملابس الراقصين والراقصات في فرق الفن الشعبي .. فقد وضع تصميمات ملابس فرقة الرقص الشعبي في سلطنة عمان وفي دولة قطر والجزائر الى جانب فرق الاقاليم في مصر مثل فرقة طنطا وبورسعيد وذلك اضافة إلى الفرقة القومية .

لقد اتجه في البداية الى دراسة الفن الشعبي استمراراً مع فكرة توظيف الفن في خدمة الجماهير ، وبحثاً عن صيغة تشكيلية مناسبة لتوصيل فنه لأكبر عدد من الناس .. وادت هذه الدراسة المتصلة الى ان اصبح اسمه اشهر الأسماء فى ميــدان تصميم هذا النوع من الأزياء .



زى حارس بـــاب الفندق ، يحتـــاج إلى الذوق والغرابة ولفت الأنظـــار !



بعض الأزياء العملية التى صممها الفنان وراعى فيها حرية الحركة التى يستخدمها رجال الفنادق

لقد طاف بكل البلاد العربية وزارها جميعا فى رحلات للتسجيل والدراسة والملاحظة ، توصل من خلالها الى المميزات الخاصة لكل قطر ، وكان يسجل ملاحظاته بالكلمة والرسم ، ثم يعود الى المراجع التاريخية التي تناولت العادات والأزياء . كما قرا وتامل دراسات ورسم المستشرقين الذين عاشوا في المنطقة العربية وسجلوا تفاصيلها ، وفى النهاية كان يعود دائما الى ارشيفه الخاص المكون من التخطيطات والرسوم السريعة « الاسكتشات » التي رسمها عن الطبيعة .

ان تصميم الأزياء لفرق الرقص الشعبي تسبقه عدة دراسات حول طبيعة المجتمع التاريخية والمعاصرة ثم الهجرات التي أثرت في هذا المجتمع ، وكذلك الفنون التقليدية او القومية ، ثم التعرف على البيئة الجغرافية ودراسة العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية والمناسبات الاجتماعية المختلفة بطقوسها ، ذلك لأن الملابس لا تنفصل عن الحياة .. وبعد كل هذا يتم اخضاع التصميم لضرورات المسرح حتى تكون صالحة ولا تعوق حركة الراقص او الراقصة .

وعند العمل يضع الفنان امامه التصميم الدرامي او الشكل المسرحي للرقصة ، تماماً كما يفعل المخرج ، فتصميم ملابس الادوار الفردية يختلف عن تصميم ملابس المجموعات المتماثلة ، ويراعي الاستفادة الى اقصى حد من حركة الالوان وتنقلها على المسرح ، مع التنويع وتوسيع امكانية الاستفادة منها باضافة قطعة ذات لون مميز يمكن خلعها أو التلويح بها اثناء الرقص مما يفيد في الانبهار الناتج عن حركة الالوان وايقاعها .. ويراعى ايضاً انه عند القيام بتصميم الملابس لرقصتين مختلفتين ينتميان الى مكان واحد ، فهو يفضل عدم استخدام زي واحد في الرقصتين رغم انهما تؤديهما نفس الفرقة ، فيصمم الازياء مرتين مع استمرار التعبير عن نفس المكان

وهذا هو عنصر الابتكار الذي يميز الفنان الموهوب عن الصانع الماهر .

ويقول الفنان : « خذ مثلا فرقة بورسعيد للرقص الشعبي ، هذه المدينة تعتبر مدينة جديدة نسبياً بين المدن المصرية فقد قامت بعد حفر قناة السويس ، وسكانها الاوائل هم بعض الذين ساهموا في حفر القنال ، كل واحد منهم جاء اليها بملابس منطقته ، فلما تعاملوا مع البحر بدأ يفد عليهم الزي الأوربي ، وهكذا جمعوا بين المحلي والمستورد : بنطلون افرنجي ، وصديري بلدي ، وقبعة ولكنها محلية الشكل ... وهكذا توضع الفكرة الاولى للتصميم ، ولا يمكن التعرف عليها او التقاطها قبل التعرف على الجذور . »

ديكور المسرح .. والفن الشعبي

اما بالنسبة لتصميم الديكور ، فان الفنان عند تصميمه ديكورات فرق الرقص الشعبي يراعى اتساع خشبة المسرح وعدم وجود عوائق او ارتفاعات تعوق الحركة الا فى اقل الحدود التي يتطلبها العرض .

بينما في المسرح الدرامي لا يلتزم المصمم للديكور بهذا الاتساع ، بل على



عاملة الخزينة والمضيفة كما صممها فنان الأزياء الشعبية

العكس ان قطع الديكور والأثاث المنتشرة على المنصة قد تعاون في التعبير عن النص ، هذا ويراعى ان الرقص الكلاسيكي له متطلبات تختلف عن الرقص الشعبي .

فى المسرح الدرامى يوضع التصميم وفقا لزمن العرض اذا كان تاريخيا أو معاصراً ، ومصمم الملابس يقرأ نص المسرحية ويضع لكل دور الزى الذى يناسبه ، فالشرير غير المهرج غير البرىء .. الخ وهكذا ، لكل زيه والوانه المعبرة عن الدور الذى يؤديه .. ويراعى عند اختيار الالوان اختبارها فى الضوء الصناعى لأن اضاءة المسرح تغير درجات اللون وتغير بالتالى من تاثيرها على عين المشاهد ، لذلك يشترك مصمم الأزياء فى اختيار الأقمشة والتعرف على الوانها تحت ضوء المصباح الكهربائى لكى يتاكد من الدرجة اللونية التى حددها فى تصميمه .

هذا وتختلف الأزياء المسرحية الدرامية عن ازياء الراقصين رغم المظهر الواحد فى بعض الأحيان ، لأن ازياء الراقص يراعى فى تنفيذها وزنها الخفيف ، وان تسمح بالحركة العنيفة للأطراف دون ان تعوقها ، مع اظهار تشريح الجسم والجذع بشكل خاص ، فتكون مريحة وغير قابلة للتفكك او التمزق اثناء القفز والحركة .

ولعلنا جميعاً نذكر الازياء التى صممها الفنان من وحى بورسعيد فى رقصـــة البمبوطية .. وكذلك رقصة افراح العرب التى يشارك فيها الزى المصرى والسورى والليبى والسودانى والعراقى .. حتى تعرفنا على كل منهم من خلال ملابسه .

أزياء المسرح والسينما

وهناك فروق بين ازياء المسرح وازياء السينما ، فالمتفرج فى المسرح لا يقترب من الممثل بينما فى السينما تقترب العدسة من الممثل فى اللقطات المقربة حتى تظهر تفاصيل الرداء ، ويستطيع المشاهد ان يتعرف على ادق التفاصيل حتى نوع الخياطة إذا كانت يدوية أو آلية ، لهذا عند تصميم ملابس ممثلي السينما لابد من الالتزام الى أقصى حد بالدقة والأمانة فى التنفيذ .. وعلى سبيل المثال : فى المسرح يمكن استبدال الخرز بشبيهه المصنوع من البلاستيك ولكن فى السينما لابد من استخدام الخرز الحقيقى .. وهذا ينطبق بالاخص على الأزياء التاريخية .

اما الأزياء المعاصرة فتحددها عوامل كثيرة مثل المناسبة التى تستخدم فيها ، ثم الوقت إذا كان صباحا او مساء او ليلا ثم السن فلكل عمر ما يناسبه ، وايضا المركز الاجتماعى فالرجال ذوى المكانة الاجتماعية لا يتبعون بدقة صيحات الموضة التى يرتديها عامة الشعب ، ولكن يختارون من الموضة ما يلائم موقعهم الاجتماعى ، وعلى سبيل المثال لم نر زعيما أو قائداً يرتدى بنطلون « رجل فيل » ! .. اضف الى هذا كله مشكلة الزمن المتوقع لانجاز الفيلم مما قد يؤدى الى تغير الموضة إذا تاخر عرض الفيلم ، لهذا يقوم المصمم باستقراء موضة المستقبل حتى إذا عرض الفيلم لا تكون الملابس قد فات اوانها

أزياء العاملين بالفنادق

وبالنسبة لأزياء العاملين بالفندق فيحددها الاقليم الذى يقام فيه الفندق ، فهو فى مصر غيره فى السعودية غيره فى المغرب .. كما تحدد الوظيفة شكل الزى لمن يرتديه ، فالحمال فى الاستقبال غير عامل التليفون غير الجرسون ، او مدير الكازينو .. وهكذا .

واهم من كل هذا ان يكون الزى عمليا ومناسباً للمهنة ، فالذى يقدم الاطعمة بيديه لا تكون اكمامه واسعة او ضيقة الى حد يعوق حركة الكوع بل يراعى حرية حركة اليدين فى حمل الأطباق والصواني .. كما أن الذى يعمل فى مكان مفتوح مثل المشرف على ضفاف حمام السباحة غير الذى يعمل فى مكان مغلق ومكيف الهواء .. ولهذا يراعي فى اختيار الخامة الملائمة والعملية ان تكون سهلة التنظيف وقابلة للغسل والكى وغير قابلة للكرمشة بسرعة .

يراعى المصمم طابع المكان الذى يعمل فيه العاملون : ابتداء من الطراز المعمارى وطراز الأثاث ، والوان الحيطان والستائر والسجاجيد او الموكيت ، ثم نوع الاضاءة إذا كانت اضاءة صناعية او إضاءة طبيعية او ضوء فلورسنت او الضوء المتغير الألوان مثل قاعات الديسكو ، فلكل ضوء الالوان التى تلائمه .

ياتى بعد ذلك موضوع « التميز » ، فالجمهور فى الفندق يرتدى كل الأزياء المستعملة فى الوقت الحاضر وعلى المصمم أن يميز موظف الفندق بملابسه عن الجمهور ، حتى يكون من السهل التعرف عليه ولا يحدث اى خطا او لبس فى هذا الأمر .

صبحى الشارونى

الذين يقومون بالأبحاث الروحية.. غشّاشون أم علماء؟

إعداد : محمد العزب موسى

بدأ البحث المعملي فى ظواهر الباراسيكلوجى ، أو ما وراء علم النفس ، فى جامعات أوربا وأمريكا خلال ثلاثينيات هذا القرن ، وتولى هذه الأبحاث علماء يضعون فى تقديرهم بالكامل حجم المتشككين والرافضين ، وهم كعلماء دربوا على المنهج العلمى يفهمون بوضوح ان اى قدر من الأدلة التلقائية او الشواهد الشخصية لا يمكن أن يقنع العلم بقبول صحة ظاهرة تتعارض اساسا مع قواعده ، ان شعور شخص مثلا بسقوط الطائرة التى يركبها ابن عمه ، أو تنبؤه فى حلم بوقوع زلزال مدمر ، ليس بالدليل الكافى الذى يمكن أن يقنع العلماء ، وانما يجب ان تدخل مثل هذه الظواهر الى المعمل ، حيث يمكن ملاحظتها وقياسها ، واخضاعها للتجربة .

ويعتبر دكتور ج . ب . راين رائداً فى هذا المجل . ففى عام ١٩٢٧ كان هو وزوجته لويز قد حصلا على درجـــة الدكتوراه وذهبا الى جامعة « ديوك » بولاية نورث كارولينا الامريكية لاجراء ابحاث تكميلية على الظواهر النفسية . وقد اختارا هذه الجامعة بالذات لان استاذ علم النفس بها ويدعى ويليام مكدوجال ـ وهو رئيس سابق لجمعيتى الأبحـاث الروحية فى بريطانيا وامريكا ـ كان من المنادين علنا بضرورة دخول الأبحاث الروحية فى الجامعات ، وكان فى استطاعته أن يقدم لهم خبرته الشخصية ، ويتيح كل الامكانيات والتسهيلات .

وبعد مرور ست سنوات نشر الدكتور راين كتابه « الادراك خارج نطاق الحواس »

ويحوى تجارب السنوات الأولى التى اجراها على الباراسيكلوجى فى جامعـة ديوك ، واحدث هذا الكتاب فى الدوائر العلمية فرقعة لا تقل عن تلك التى احدثها

غشاشون أم علماء؟

كتاب داروين « أصل الأنواع » فى القرن الماضى . وأثار مناقشات وخصومات علمية لا يزال صداها يتردد حتى الآن .

••

كانت المشكلة الرئيسية التى تواجه التجارب المعملية على الباراسيكلوجى ، أن هذه الظواهر تلقائية بصفة اساسية ، وغالبا ما ترتبط بالمحن والازمات مثل الكوارث والموت ، وإذا كان الأمر كذلك فان من المستحيل اخضاع هذه الظواهر للتجارب المعملية ، ولـكن ذلك لم يثن الباحثين عن عزمهم ، فان من المبادىء الأساسية فى البحث العلمى أن الأحداث الصغيرة التى تصنع فى المعمل يمكن أن تضع المبادىء النظرية لأحداث اكبر تقع فى خارجه . فمثلا لم يفهم الناس ظاهرة البرق والرعد إلا بعد أن اكتشفوا فى المعمل امكان اطلاق شرارة نتيجة التقاء شحنتين كهربيتين ، موجبة وسالبة ، وكذلك فان التفاعلات النووية المحدودة التى تجرى فى المعمل تشير الى القوة التفجيرية الهائلة التى يمكن أن تنتج من القنابل النووية . ففى الحالين ، لسنا بحاجة الى ادخال البرق السماوى او التفجير النووى فى المعمل كى نفهم طبيعتهما ، بل تكفينا النماذج المعملية البسيطة ، وكذلك الحال فى ظواهر الباراسيكلوجى ، ليس المطلوب احداث ظاهرة كبرى من هذا النوع فى المعمل ، بل يكفى التاكد بواسطة امثلة صغيرة ، فمثلا إذا كان فى المستطاع تخمين اوراق الكوتشينة تخمينا صحيحا مرات عديدة على نحو يستبعد احتمال الصدفة فان ذلك يمكن ان يكون دليلا على حالات التليباثى الأكثر قوة التى تحدث خارج المعمل .

بهذا المفهوم بدا دكتور راين ابحاثه فى جامعة ديوك ، ليس من المهم ان تكون الظواهر التى تجرى فى المعمل صغيرة او تافهة الشان ، وانما المهم ان يكون فى الامكان قياسها وتكرارها ، وأن لا يكون هناك اى تفسير آخر لها سوى الادراك خارج نطاق الحواس .

أوراق زينر

استخدم دكتور راين فى تجاربه ما يسمى باوراق زينر ، وهى اوراق تشبه أوراق الكوتشينة تحمل كل منها احدى هذه العلامات الخمس : دائرة ، ونجمة ، وصليب ، ومربع ، وثلاثة خطوط متعرجة ، وهى من ابتكار دكتور زينر وسميت باسمه . وتتكون مجموعة هذه الأوراق من ٢٥ ورقة ، خمس أوراق من كل نوع ، وإذا حاول اى شخص أن يخمن هذه الأوراق فانه قد يحصل طبقاً لقانون الصدفة على خمسة تخمينات صحيحة ، اما إذا استطاع ان يسجل أكثر من خمسة تخمينات صحيحة عبر سلسلة طويلة من التجارب فانه يصح عندئذ علمياً افتراض أن هناك عاملا آخر غير عامل الصدفة يتدخل لاحداث هذه النتيجة . وبالطبع فان هذا العامل



تجربة داخل احد مراكز الابحاث الباراسيكلوجية فى امريكا . يحاول الشخص المختبىء وراء الستار ان يختار واحداً من المربعات الخمس والعشرين التى على المائدة بينما تقوم الفتاة ، الموجودة فى حجرة اخرى ، بمراقبته بواسطة دائرة تليفزيونية مغلقة وتحاول ان تؤثر فى اختياره عن طريق تركيزها الذهنى .



تجربة على البعد فى الادراك خارج نطاق الحواس فى معهد فريبورج بالمانيا الغربيــــة . تحاول الفتاة اختيار « الكارت » الذى يوحى به اليها الراسل الذى يجلس فى غرفة اخرى ثم تعلن اختيارها فى الميكروفون كى يتم تسجيله ومراجعته على الرسالة

الاستثنائي يمكن أن يكون نوعاً من الغش ، أو التواطؤ مع الممتحن ، أو قد يرجع الى خطا فى تصميم التجربة ، أو الى حصول الفاعل على ارشـادات ما ، ولو بطريقـة لاشعورية ، ولكن إذا أمكن الاحتياط ضد هذه الاحتمالات جميعاً واستبعادها ، واستمر الفاعل يحقق نجاحاً فى تخميناته فوق حد الصدفة ، فانه يمكن علمياً ارجاع هذه النتيجة الى عامل أخر هو الادراك خارج نطاق الحواس .

التجارب على بيرس

اجرى دكتور راين تجاربه فى جامعـة ديوك والتى أوردها فى كتابه الخـلافى « الادراك خارج نطاق الحواس » على ثمانية أشخاص ، سوف نسمى الواحـد منهم بالفاعل ، وهؤلاء الأشخاص أو الفعلاء هم الذين أثبتوا قدرتهم عبر اختبارات كثيرة متصلة على تسجيل اجابات صحيحة فوق حد الصدفة ، ويبرز منهم بصفة خاصة هيوبرت بيرس وهو طالب صغير فى الكلية الدينية بجامعـة ديوك .

كانت طريقة دكتور راين فى اجراء تجاربه ـ وقد انتقدت فيما بعد بشدة ـ ان يبدأ مع الفاعل بطريقة غير رسمية ، احيانا على فنجان من القهوة او الشاى ، ثم ياخذ تدريجياً فى تشديد الرقابة على الفاعل . وقد كان بيرس ياخذ بعض الوقت فى التكيف مع الظروف الجديدة المشـــددة حيث تاتى نتائجه ضعيفة ، ولكنه بعد فترة قصيرة يواصل تسجيل الاهــداف الصحيحة كما قبل او احسن فى بعض الأحيان . وبلغ متوسط اهدافه فى ٦٠٠ جولة على الكوتشينة التى تضم ٢٥ ورقة اكثر من ٩ اهداف فى الجولة الواحدة وهى نتيجة ، وصفها راين بانها فوق حد الصدفة بما لا يقاس .

وتركزت معظم التجارب مع بيرس على « قوة الاستبصار » ، فقد كان الوسيط والممتحن لا ينظران الى الأوراق ، ولذا فان الفاعل لا يستشف افكاره عن طريق التخاطر او التليبائى معهما ، وانما يتلقى ادراكه من الأوراق نفسها اى القدرة على استبصارها . وهناك تفسير اخر هو ان تكون قدرة بيرس راجعة الى « التنبؤ بالمستقبل » بمعنى انه يخمن الاجابـات الصحيحة التى سوف يطلع عليها الممتحن عندما يقلب الأوراق .

واكتشف دكتور راين ان بيرس لا يستطيع فقط تسجيل اهداف صحيحة بمتوسط حوالى ١٠ من كل ٢٥ ، ولكنه يستطيع ايضا ان يسجل اهدافا خاطئة دون حد الصدفة اذا طلب منه ذلك ، فقد اجرى بيرس ٢٢٥ جولة سجل فيها متوسطا اقل من هدفين فى الجولة وذلك عندما امره راين ان يتعمد الخطا ، وهكذا كان فى استطاعتـــه ان يحرز تسجيلا عاليا او منخفضا بارادتـه . ولكن الاكتشاف الأكثر اثارة ان بيرس كان يستطيع أن يجرى تخميناته على مجموعة الأوراق كلها دون أن يقلب ورقة واحدة منها فبعد ان يتم خلط أوراق الكوتشينة وقطعها توضع جميع الأوراق امامه فى كومة واحدة حيث يركز بيرس عليها بعض الوقت ثم ياخذ فى كتابة تخميناته بالترتيب ، وعندما تراجع هذه التخمينات على الأوراق بعد قلبها يتضح ان بيرس سجل اجابات

غشاشون أم علماء؟

صحيحة تفوق حد الصدفة .

وقد اجرى بيرس ٦٥ جولة من هذا النوع كان متوسط تسجيلاته الصحيحة فيها ٧ر٤ فى الجولة الواحدة . كما اجرى بيرس تجاربه بنجاح ملحوظ من مسافة بعيدة ، اذ وضع فى مبنى يبعد ١٠٠ ياردة ثم فى مبنى اخر يبعد ٢٥٠ ياردة عن المبنى الذى فيه الممتحن والأوراق فى جامعة ديوك وضبط بيرس والممتحن ساعتيهما تماما ، وكان على بيرس ان يعطى اجاباته بواقع ورقة فى كل دقيقة ، وبعد ان اجرى بيرس ٣٠٠ جولة من هذا النوع كان متوسط تسجيلة ١١ر٤ هدفا فى الجولة الواحدة اى بنسبة اعلى من التنبؤ عن قرب .

كان بيرس واحداً من ثمانية اشخاص فى جامعة ديوك اكتشف دكتور راين انهم يملكون مقدرة الادراك خارج نطاق الحواس وعندما نشر دكتور راين كتابه عن تجاربه هذه فى عام ١٩٣٤ كان مقتنعا بانه اثبت بطريقة علمية صحة الظاهرة ، وانه قدم قضية ينبغى على الأوساط العلمية ان تلتفت اليها ، ولكن الأوساط العلمية ظلت فى مجموعها متشككة فى صحة تجارب راين وفى قدرته على التحليل الاحصائى لهذه التجارب ، بل ذهب بعض منتقديه الى حد التشكيك فى نزاهته .

تجارب رايس

من هؤلاء المتشككين كان البروفيسور برنارد رايس الأستاذ بكلية هنتر بمدينة نيويورك . ولكن رايس لم يكتف بالشك النظرى كما فعل غيره ، وانما قرر ان يقوم بتجاربه الخاصة على الادراك خارج نطاق الحواس ، وعثر رايس على سيدة شابة اثبتت قدرات استثنائية فى التجارب الأولى التى اجراها بطريقة راين - بيرس فى جامعة ديوك . واخذ يجرى معها تجارب على البعد ، فكان يحبس فى حجرة مكتبه فى وقت محدد بينما السيدة فى منزلها على بعد ربع ميل ، وياخذ هو فى قلب اوراق كوتشينه زينر بينما تكتب هى تخميناتها بعد ضبط الوقت بينهما بواسطة ساعة التوقيت . واجرى رايس ٧٤ جولة مع الفتاة استغرقت عدة شهور ليكتشف بعد ذلك انها حققت متوسط ١٨ هدفا فى الجولة الواحدة ، وهى نتيجة وصفها رايس بانها « ليس هناك ما يفسرها فى فلسفتى العلمية » وقبل بروح عملية محايدة ان ينشر تقريراً عن تجاربه فى « مجلة الباراسيكلوجى » .

وهذا هو اكبر نجاح سجلته تجارب الادراك خارج نطاق الحواس ، ولكنه اعتبر دون مستوى الدليل العلمى لانه لم يجر تحت ظروف معملية مشددة ، ولسوء الحظ عندما اتخذت هذه الظروف توطئة لاجراء سلسلة اخرى من التجارب ، فقدت الفتاة قدرتها على الحدس بعد ان شفيت من مرض أصابها ، وجاءت تسجيلاتها تحت حد الصدفة ، ونفس هذا الشىء حدث لهيوبرت بيرس الذى فقد ايضا مقدرته بعد انباء سيئة تلقاها من وطنه . ومما يحير علماء الباراسيكلوجى الى اليوم ان مقدرة الادراك خارج نطاق الحواس تميل الى الظهور فى بعض الناس فترة قصيرة من الزمن ثم تختفى لديهم بعد ذلك ، غالبا فى اعقاب حدث مزعج ، ولكن بمجرد ان يبدا الفاعل فى فقد مقدرته يعد ذلك فى حد ذاته دليلا على أن النتائج الايجابية السابقة كانت حقيقية .

شاكلتون وتاثير الازاحة

من الذين شكوا ايضا بعد قراءتهم لتقرير راين عن ابحاثه المبكرة فى جامعة ديوك الدكتور صول ، وقد اثبت هذا الرجل من قبل أن فريدريك ماريون الذى يقوم بتجارب التليباثى فى المسرح امام جمهور من المشاهدين المبهورين ليس الا غشاشا لا يستحق شهرته . ولم يكن دكتور صول يرفض الباراسيكلوجى رفضا مبدئيا كاصحاب النظرة المادية المتشددة ، فهو قد سبق ان ابدى اهتماما بالأبحاث الروحية فى أوائل العشرينيات ، وانما ما كان يحيره هو كيف يستطيع راين أن يحصل على ثمانية فعلاء موهوبين على الأقل فى وقت واحد ومكان واحد ، لقد وجد ذلك صعبا على التصديق لأنه اجرى بنفسه تجارب مماثلة ولم يعثر حتى على فاعل واحد موهوب . ولعدة سنوات بعد صدور كتاب راين ظل دكتور صول يواصل تجاربه باصرار ولكنه فشل فى تسجيل اى نتائج ايجابية فوق حد الصدفة .

وذات يوم تقدم له فاعل جديد بدا يجرى عليه تجاربه ولم يكن لدى دكتور صول ما يجعله يامل فى نجاح هذه التجارب دون سابقاتها ، دعك من أن تؤدى الى واحد من اغرب الاكتشافات فى ابحاث الادراك خارج نطاق الحواس ..

كان الفاعل الجديد هو المصور الفوتوغرافى المعروف بازيل شاكلتون ، وقد طرق باب مكتب دكتور صول فى ليلة كئيبة باردة من ليالى شهر فبراير عام ١٩٣٦ ، ودخل فى ثقة قائلا : اننى لم احضر الى هنا لكى امتحن ، وانما لاعرض مقدرتى على التليباثى ، وزعم انه امام اصدقائه فى المنزل يستطيع ان يتنبا باوراق الكوتشينة المقلوبة واحدة بعد الاخرى وتاتى معظم نبوءاته صحيحة ، ولكنه لم يلبث ان خاب امله فى التجارب التى اجراها امام دكتور صول ، اذ سجل فى ست جولات متعاقبة على مجموعة الـ ٢٥ ورقة نتائج صحيحة عبارة عن ١٠ - ٧ - ٧ - ٦ - ٦ - ٣ على التوالى ، وبدا شاكلتون متحيراً بعض الوقت .

استمر شاكلتون يسجل متوسط ١ر٤ فى الجولة من ٢٥ ورقة ، اى تحت حد توقع الصدفة ، ومع ذلك استمر دكتور صول فى اجراء سلسلة التجارب الى نهايتها ، وفى النهاية احصى صول ١٦٥ نتيجة ايجابية فقط من ٨٠٠ محاولة وهو سجل منخفض للغاية ، فصرف شاكلتون ونسي كل شىء عنه .

بعد ذلك بثلاث سنوات حرّض دكتور صول على اعادة النظر فى سجلات شاكلتون مرة اخرى ، وكانت لذلك قصة .. فقد كان هناك باحث فى جامعة كامبردج يدعى ويتلى كارينجتون يقوم بتجاربه الخاصة على التليباثى مستخدما الصور ، فكان على مجرى عشر ليال متعاقبة يرسم صورة بيده ويعلقها فى غرفة مغلقة فى منزله ، ويطلب من فاعليه - وبعضهم على الجانب الآخر من الاطلنطى - أن يحاولوا مضاهاة هذه الصورة بملكة الادراك خارج نطاق الحواس ويرسلوا بصورهم فى البريد وقد لاحظ كارينجتون ان عدداً كبيراً من الرسوم التى وصلته تحاكى او تشابه رسومه بالفعل ، ولكن الترتيب لم يكن سليما ، اى ان الرسم المعين لم يكن فى تلك الليلة المحددة له وانما غالبا ما يكون للصورة التى تليها ، أو التى سبقتها ، وكانت الصور المتاخرة قليلة العدد ، اما الصور التالية ، اى التنبؤ بالرسم التالى ،

فكانت متكررة على نحو يلفت النظر وفى بعض الحالات كان الفاعل يرسم هذه الصورة قبل ان يرسمها كارينجتون او يفكر فيها ، اى ان فكرة الصورة تاتيه فى هذه الحالة بالتنبؤ وليس بالتليباثى .

واطلق كارينجتون على هذه الظاهرة « تاثير الازاحة » ، ولفت نظر صول اليها ، وحثه على ان يعود الى سجلات تجاربه القديمة ليرى ما اذا كان هناك دليل فيها على « تاثير الازاحة » هذا . واخذ صول باقتراحه وهو غير متفائل او متحمس ، فقد كان هذا الفحص يتطلب عملا كثيراً . ولكنه عندما بدأ فى فحص سجلات شاكلتون كوفىء صبره فى النهاية ، فقد اكتشف ان هذا الفاعل الذى لم تتجاوز تنبؤاته حد الصدفة ، كثيراً ما كان يتنبا صحيحاً بالورقة السابقة او التالية للورقة التى من المفروض ان يتنبا عنها ، وعندما حسب دكتور صول بالتحليل الرياضى احتمال الصدفة فى هذه النتائج من زاوية « تاثير الازاحة » وجد انه يبلغ ١ : ٢٥٠٠ ، وهكذا فان ثقة شاكلتون فى قواه التخمينية لم تكن خاطئة ، كل ما فى الأمر انه كان يتنبا بالورقة السابقة او التالية ، مثل الرامى الذى لديه ميل غريب الى تسجيل اصاباته المتكررة الى اليمين قليلا او الى اليسار قليلا من الهدف .

واتصل دكتور صول بشاكلتون وبدأ معه سلسلة اخرى من التجارب فى اوائل الاربعينيات مستخدماً وسطاء كثيرين مختلفين ، وكان بصفة متكررة يتنبا بالورقة الصحيحة التالية اذا كانت الفترة المتاحة له للتنبؤ ٢٫٨ ثانية ، ولكن عندما زاد دكتور صول من سرعة عملية التنبؤ الى نصف هذه الفترة تقريباً اى ١٫٤ ثانيـــة كان شاكلتون يتنبا بالورقة التى ما بعد التالية اى باثنتين مقدمــاً ، وهذه المقـــدرة لدى شاكلتون على معرفة الأوراق التالية توحى بانها من قبيل التنبؤ المستقبلى لا التليباثى كما لاحظ صول ان هذه النتائج قد تفسرها ايضاً « الرؤية عن بعد » او الاستبصار .

وقام شاكلتون بتحسين قدراته على التنبؤ المباشر بالهدف ، فقد طلب منه صول ان يستعد لجلسة فى الأسبوع القادم لتسجيل الهدف المباشر ، واســـتطاع شاكلتون فى هذه الجلسة ان يسجل ٧٦ هدفاً صحيحاً من ٢٠٠ محاولة ، وهى نتيجة لا تحدث بالصدفة إلا مرة كل عشرة ملايين مرة . وفى بعض الجولات كان صول يستخدم سراً بدون ابلاغ شاكلتون مجموعة من الأوراق تضم رمزين فقط ـ احدهما يتكرر ١٢ مرة والآخر ١٣ مرة ـ ومعنى ذلك ان يستبعد شاكلتون من اجاباته دون ان يدرى ثلاثة رموز من الرموز الخمسة ومع ذلك سجل فى ثلاث جولات متعاقبة من هذا النوع ٧ ـ ١٢ ـ ١٣ على التوالى .

النتائج المستخلصة

كتب البروفيسور ر . هـ . توليس استاذ الفلسفة بجامعة كامبردج فى ١٩٤٢ يقول :

« ان حقيقة وجود ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس يجب اعتبارها ثابتة كاى شىء اخر يمكن ان يثبته البحث العلمى .. فلنتوقف الآن عن محاولة اثباتها من جـديد مرة بعد اخرى ارضاء للمتشككين فى وجودها ، ولنحاول بدلا من ذلك أن نكرس جهودنا فى كيف يمكننا الاستفادة من هذه الظاهرة » ..

ويرى علمـــاء البـــــاراسيكلوجى ان البروفيسور توليس قد اصاب كبد الحقيقة بهذه العبارة ، وان من العبث الآن اضاعة الوقت فى مزيد من الابحاث على اثبات وجود شىء موجود بالفعل . وهم يستخلصون من الأبحاث العديدة التى اشرنا الى بعضها فيما سبق النتــائج التالية :

(١) اثبت الباحثون الذين يعملون بصفة مستقلة فى بلاد مختلفة عن طريق اختبارات أوراق الكوتشينة وغيرها من الوسائل ان بعض الأشخاص (الفعلاء) يمكنهم تسجيل نجاح فى التنبؤ الصحيح يستبعد احتمال الصدفة كتفسير له ، وبذلك يكون التفسير الوحيد هو مقدرة الادراك خارج نطاق الحواس .

(٢) هذه المقدرة تبدو نادرة وقصيرة الأجل فمن الصعب العثور على فاعل يسجل اهدافاً عالية وحتى مثل هؤلاء الفعلاء غالباً ما يفقدون قدراتهم فجاة .

(٣) ان الادراك خارج نطاق الحواس ليس عملية لا ارادية بصفة كلية ، اذ يبدو ان بعض الفعلاء الموهوبين مثل بيرس وشاكلتون يستطيعون بارادتهم تسجيل اهداف عالية او منخفضة سواء بخصوص الهدف المباشر او ما يجـاوره بتاثير الازاحة ..

(٤) ان هذه المقدرة تعمل بطريقة فعالة عندما يكون الفاعل فى حالة استرخاء واطمئنان ، بعيداً عن الازعاج والمنغصات ، ويمكن تدمير هذه المقدرة مؤقتا بواسطة تناول عقار مسكن مثل « صوديوم امتيال » ثم تستعاد او تنشط بواسطة تناول عقار منبه مثل « الكافيين » اى القهوة ، كما يتاثر التليباثى بالعلاقة بين الفاعل والوسيط .

(٥) كان من المعتقد فى الأيام الأولى للابحاث فى الباراسيكلوجى ان التليباثى اكثر معقولية وقابلية للتصديق لأن تصور وجود علاقة تفاعل بين ذهن وذهن اسهل من تصور وجود علاقة بين ذهن ومادة أو قدرة الذهن على تخطى حدود الزمن ولكن اكتشاف قدرة بيرس على تخمين الأوراق التى لا يراها الوسيط وكذلك ثبوت تاثير الازاحة فى ابحاث كارينجتون وصول يشككان فى الاعتقاد السالف ، بل يعتقد بعض العلماء ان قدرة الاستبصار وقدرة التنبؤ اكثر شـيوعاً من قدرة التخاطــر (التليباثى) .

(٦) ان مقدرة الادراك خارج نطاق الحواس يمكن أن تعمل بكفاءة على البعد ، من اية مسافة ، مما يستبعد تفسير هذه المقدرة بالقوانين الطبيعية المعروفة لأنه كان من المعتقد ان كل القوى الطبيعية تضعف اذا سافرت بعيداً ، وبالرغم من انه قد اكتشفت مؤخراً بعض استثناءات لهذه القاعدة إلا اننا مازلنا لانفهم كيف يعمل الادراك خارج نطاق الحواس ، وانما نرى نتيجة عمله فقط .

(٧) اذا كان الفعلاء الموهوبون قلة نادرة إلا ان بعض الباحثين يعتقدون الآن ان كل انسان يملك موهبة الادراك خارج نطاق الحواس بدرجة ما ، ولكننا نغفل عن تنميتها ، بل لا نكاد نعترف بها او نعرف عنها اصلا ، وذلك لفرط اعتمادنا على الحواس . والمعروف ان المواهب بل ووظائف الاعضاء نفسها تضعف بالترك والاهمال .

محمد العزب موسى

المقال التـــالى :
تجارب معملية على الاستحراك

حكاية طائر المساء

قصة بقلم: حمدي الكحلوت

بفارغ الصبر وبفرح طفولي .. كنت ارقب مجيئه .. اتسمع دقات « عكازه » على أرض الزقاق .. ادلف وراءه .. اقبع فى ركن من « الديوان » اتابع كلماته وحـــركاته متسمراً حتى يقول : (وطار الطير .. الله يمسيكم بالخير) .. ويمسك الحاج مبارك عن الحديث .. يجول بناظريه على الحضور .. يدفع بعنقه الى الوراء .. وعمامته الى الأمام .. وتروح اصابع يده اليمنى تنقر ركبته فى تتابع رتيب .. تســـتحث مستمعيه على قول رايهم فى حكايته .. فلا يبخلون عليه كالعادة .

يسلم لسانك ..والله هذه مليحة .. و .. و .. وتتكسر موجة ضحكاتهم وتعليقاتهم كحد فاصل بيني وبين العالم الســاحر الذى حلقت فيه لساعات فاعود .. اتكوم فى زاوية « الديوان » وابخرة القهوة المــرة تتصاعد فوق الموقد ويدى رســـول بين « البكرج » والجلسين .. أصب لهم فى فناجين صغيرة تتداخل فــى بعضها داخل قبضة يدى كانبوب من الخزف .. انهي « الدور » واعود لأقرفص فى زاويتي اتامل رواد الديوان الأربعة واردد فى داخلي سؤالى عن السر الذى يجمع بينهم بهذه الصورة الوثيقة كل مساء ، رغم تفردهم وتميزهم :

الحاج مبارك ..فى السبعين من عمره .. وفى حيوية ابن العشرين .. لم ينطفىء بريق عينيه البنيتين .. خاصة حين يكون مسترسلا فى احدى حكاياته الشيقة عن سيرة بني هلال أو الف ليلة وليلة والشاطر حسن والتى لا يضع لها نهاية ليكملها فى اليوم التالى ..

ورغم معرفة معظم مستمعيه بحكاياته المكررة الا انهم كانوا يلحون عليه فى كل مرة وكانها المرة الأولى التى سيحاول فيهـا أن يروى لهم فيزداد بريق عينيه ويداعب لحيته البيضاء الصغيرة ..ويشرق وجهه بابتسامة هادئة قبل ان يطلب من الجميع ان يصلوا على النبى .

أبو سالم .. شيخ ضرير .. قوى البنية .. اكثر ما كان يشدني اليه قدرته الكبيرة على تمييز الأصوات بل الحركات احيــانا ، بالاضـــافة الى اذنيه الكبيرتين اللتين تتحركان تلقائيا مع حركة عضلات وجهه وفمه .. وكنت احب فيه قدرته على التقاط طرف الحديث واكماله للحكايات حين يتغيب الحاج مبارك عن الديوان .. لكن اسوأ ما فى الأمر عدم حضور الصبي الذى ياتى به فتكون مهمة اعادته الى بيته وسط الظلام والأزقة الموحشة .. من وظائفي التى لا نقاش فيها .

ابو رجب .. مهيب الطلعة .. طويل القامة .. ذو قسمات جادة .. تخطى العقد الخامس .. لم اذكر انني شاهدته يبتسم ولو لمرة واحدة .. لكنه يثير عاصفة من الضحك كلما تحدث عن شخصه الكريم او عن « الجماعة » وهذه الجماعة تتكون من ثلاث زوجات .. ماتت .. الأولى .. وبقى عنده اثنتان لا يكف عن الحديث والتندر على مشاكلهما ابتداء من القتال اليومي حول الأولاد وانتهاء بمعارك الطعـــام والحمامات ، لكنه لا يذكر زوجته الاولى المتوفاة إلا بكل احترام ورقة ممتزجة بحزن دفين .

يربط الناس بينه وبين عادته الغريبة فى اخراج بندقيته القديمة كلما مر عرس بباب داره واصراره على المشاركة والتحية ببضع طلقات فى الهواء وكانه ينتقم من الرصاصات الطائشة التي أودت بها في ليلة زفافها .



العمدة .. فى العقد السادس من عمره .. ربعة كثير الصمت .. اذا غضب فهو الاعصار بعينه .. واذا رضي .. رق كنسمة حنونة .. يتاثر بسرعة متقلباً بين الحالتين تدمع عيناه .. فلا تعرف احياناً أهي دموع الحزن أم الفرح إلا من خلال قسمات وجهه التى مازالت تحتفظ بوسامتهـــا رغم الشيخوخة والصلع والشيب .. احس ان لا علاقة تربطني به فى بعض الأحيــان وانه مجرد .. عمدة .. كبير قومه .. الكل يحترمه ..ولا يخلو هذا الاحترام احياناً من كراهية مبطنة .. وفى احيان اخرى تفيض مشاعر الأبوة .. يخرج عن صمته .. ويسالنى عن مدرستي ودروسى .. وينفحني بعض النقود ثم ينسحب الى عالم الديوان .. يجهز القهوة .. يحضر الحطب .. يطحن الوجبة القادمة ..يفرك الدخان العربي على الغربال .. ولا ينسى بين الحين والآخر توجيه الأوامر لي بالمساعدة فى كل ذلك فاقبل متوثباً بين الموقد وفناء المنزل في فرح من ينتظر العيد عند المساء .

وكان المساء .. جاء الموعد .. ولم يات الحاج مبارك ولا ابو سالم ولا ابو رجب .. وكلما أوغل المساء .. ازداد قلقي .. واخذت اقلب الاحتمالات .. ربما مرض احدهم فعاده الآخرون .. وربما سمعوا بانباء الحرب فى ســـيناء ونزول الانجليز والفرنسيين فى بورسعيد فجلس كل منهم يتابع الأخبار من المذياع فى بيته .. ولكن ذلك لن يمنعهم من المجيء الى الديوان .. ربما يخافون من الغارات المفاجئة او الاجسام الغريبة التى يلقى بها العدو فى الشوارع كشراك تنفجر بمجرد لمسها .. لقد جمع المدرسة اليوم الاستاذ عبد القادر وحذرنا من ذلك .. بعد خطبة حماسية قال ان ساعة المعركة قد دقت وان الاعداء قد وقعوا فى مصيدة سيناء بارجلهم .. وان البلاغات تتوالى عن خسائرهم وتوقعوا النصر قريباً .. فصفقنا كثيراً .. واخذنا ندق على حقائبنا عائدين الى بيوتنا مستبشرين لأكثر من سبب .

اخفى والدى قلقه .. وتوتره بالتنقل بين سماع نشرات الأخبار وبين تكسير جذع شجرة جاف الى كتل صغيرة من الحطب .. كنت احاول بين ضربة « البلطة » والاخرى ان اقص عليه ما سمعته فى المدرسة .. وأجمع ما يتناثر من الحطب .. وهو صامت

كعادته .. حين برز من ظلام الزقاق ثلاثة اشباح .. توقف ابي عن تكسير الجذع .. مسح عرقه .. طافت على وجهه ابتسامة وهو يحدق فى الظلام .. مع اقترابهم اتضحت معالمهم اكثر .. ابو سالم فى الوسط .. وعلى جانبيه كل من ابي رجب ورجل عجوز .. يتابطان ذراعيه .. وأسرعت افتح الباب واتخذ مكاني فى الركن فربما اختلفت الحكاية .. هذا التاخير .. وتلك الاخبار وتلك الهواجس .. لابد ان تغير الحكاية .. ولن اتوقع التحليق فى عوالم الف ليلة وليلة .. ولن اطوف مع صوت الحاج مبارك فى مضارب بني عبس أو مع خيول بني هلال فقد كان الحوار مختلفا تماما وكان للحديث طعم المرارة وملامح الخيبة التى تخنق الكلمات وتقتل الحلم :

– رحمة الله عليك يا حاج مبارك .. لم يتوقع ان يزور المدينة ليكون مع دباباتهم وقنابلهم على موعد .. كان مصدقا انها نهايتهم لا نهايته هو .

– لكن المعروف ان القطاع ساقط من الناحية العسكرية .. فلا يستطيع أن يقاوم اكثر من ذلك بعد عزله عن سيناء وحصاره التام .. رحمة الله عليه وعلى كل الشهداء الذين كانوا يصدقون البلاغات والخطب ..

– لكن الحكاية لم تنته يا جماعة .. والجولات القادمة اكثر ..

– وماذا ستفعل فى البارودة يا «ابو رجب» ؟! ..

– لن تطلق رصاصها بعد الآن فى الهواء .. ساعطيها لولدي الذى سيقطع النهر الليلة مع رفاقه . الله يستر .. وربنا معهم .

– ويعلم الله ماذا سيفعلون بنا عندما يصلون الينا ..

– لا خوف علينا نحن يا جماعة .. سنعرف كيف ننفذ من « منع التجول » ومن رصاصهم .. ونرد عليهم كيدهم .. لكن الذى يعز علي هو انتهاء سهراتنا وحكايات الحاج مبارك ..

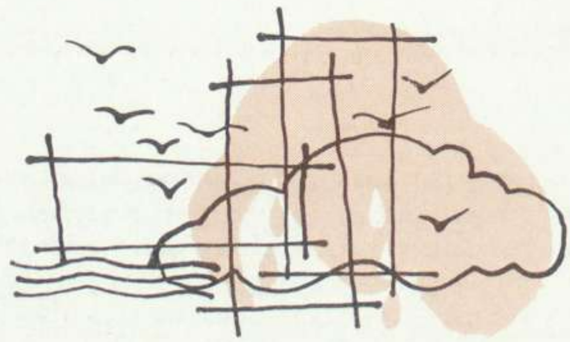
– من قال لك إن الحكايات ستنتهي ؟! فقط سيختلف الراوى .. سيكون فى المرات القادمة « ابو سالم » .. وانا واثق انه لن يحكي حكايات لنا بل سيصنعها ثم يرويها .

وتموت ابتسامة باهتة .. ويسود صمت .. وانسل خارجا من « الديوان » .. وفى داخلي ينتحب صوت خافت .. لم يعد فيه ما يشدني ويحملني الى العالم السحري .. وحتى رواده انفرط عقدهم .. وتباعـــدت مرات اللقاء .. واقتصرت على ما قبل ساعة الغروب .. قبل ان تجوس مركباتهم .. تنشر الخوف .. وتخنق العصافير .. لكنها لا تقتل الحلم .. ولا تسكت حكايات الديوان .. التى اتخذت مسارا آخر .. مع كل مساء .

حمدى الكحلوت

محمود صفر

السفر الشمسي



جاء البحر ...
الباب الأول مغلق
... والثانى مغلق
... والثالث ...

انكفأت فى القلب الأسفار
– عفواً يا سيد أحزان البحر
فأقدام العالم مائية

– ترقص فى الحزن المكتظ
وريش الحلم الأخضر قنديل
.. من منكم ينسج للحلم الأخضر قنديلا
للبحر .. لأعراس الشط الآخر
ماذا سر الطفل فى أذن الحضن الدافىء
يوماً أو يومين
عاماً أو عامين
يركض فى
شعاع الكدر .. الغيم المهموم
الحزن الراقد خلف سياج العذر الواهم
ان قرار الصمت يحيل الخيط الأبيض
.. للخيط الأسود
وأن .. وأن ...
وأن البعد بعيد عن شيء يصخب
.. يرعد
عن لؤلؤة تتمناها كل العذراوات
– عفواً يا سيد احزان البحر

سوسن أخناتون تتجلى
للحلم الواعي
– قف ..
آثار أياديك السكرى
.. أصعب من كل الآثار
مرغ فى الوحل جبينك
.. امسحه بزيت التقديس
جاء البحر ..
الباب الأول مغلق
... والثالث ...
أسراب النورس تدخل فى الأقفاص الذهبية
حيناً غاب ...
وحيناً سراً من أسرار الكون المطلى
يتوخى حزنك هذا المغدور
... طرق العلة والنزف المتأرجح
– عفواً يا سيد أحزان البحر
من قمة ليل الوثن المتناسخ
روح السفر الشمسى
أريدك نكهة قحط أو جر ربابة
جوعاً يخبط أمعاء الأرض
وكل أنوف البشر العطشى
تشتاق لأن تكبر
أن تمرق من صدر الكلمات
عفواً يا سيد أحزان البحر .

البكاء..!

قصة بقلم: فاروق منيب

●● « البكاء » هى آخر قصة قصيرة كتبها القاص المصرى المعروف فاروق منيب ، وهو على فراش المرض فى « مستشفى رويال فرى » بلندن ، قبل ان يغادر دنيانا يوم السبت الموافق ٢٦ نوفمبر ١٩٨٣ ، بعد صراع طويل وعنيد بينه وبين المرض ، لأكثر من ١٣ عاماً ، امضاها مغترباً فى مدينة الصقيع والضباب ، من اجل العلاج !

ومع أن المرض الذى ابتلى به فاروق – مرض الفشل الكلوى – يسـلم صاحبه إلى الاكتئـاب ، والانسـحاب من الحيـاة ، والاستسلام للياس .. إلا ان فاروق ظل بشجاعة وإرادة نادرتين ، يعالج نفسه بنفسه – تحت اشراف المستشفى – بواسطة « الكلية الصناعية » التى قامت الحكومة المصرية ، تقديراً لظروفه ، بشرائها له ، وتركيبها فى بيته بلندن .. يحدوه الأمل فى ان تتاح له زراعة « كلية طبيعية » تعفيه من روتين العناء الجسدى ثمانى ساعات كل يوم ونصف يوم ، مغروس العروق برءوس الابر السميكة ، والأنابيب العديدة ، والجهاز المعقد القائم بتنقية الدم من سموم البولينا ، من أجل ان يعيش يوما آخر ونصف يوم .. يحدوه أمل أكبر فى ان تمكنه « الكلية الطبيعية المزروعة » من العودة النهائية إلى مصر .. إلى وطنه ، وعمله ، وعائلته ، وزملاء مهنتـه واصدقاء عمره من الكتاب والصحفيين .

وتحقق الأمل لفاروق ، فزرعوا له « الكلية الطبيعية » فى يونيو من العام الماضى . لكن جسده الريفى العنيد ، لم يتوقف لحظة عن رفض هذا الجسم الصغير الغريب ، ولمدة عشرة شهور من المعاناة والمضاعفات التى لا يحتملهما بشر ، الأمر الذى اضطر معه الأطباء الى نزع « الكلية المزروعة » من جسده ، وان بقيت المضاعفات واستشرت حتى وهن منه الجسد والجَلَد ، واختلت المعادلة بين ارادة الحياة ، واستبداد المرض .. ففاضت روحه الى بارئها ، متطهرة من ادران الصراع والغربة .

ومن الرائع حقاً ان فاروق منيب – طوال رحلة المعـاناة الشرسة مع المرض ، والظروف بالغة التعقيد التى واجهته مغترباً ، ومريضاً ، ومسئولا عن زوجته وطفليه فى لندن – لم يتوقف عن الكتابة . كان يقول لاصدقائه ، وفى رسائله « ان استمرارى فى الكتابة .. يعنى اننى مازلت احيا » .

ان المكتبة العربية والقارىء العربى سوف يظلان يحتفظان لفاروق منيب بعدد من مؤلفاتـه وكتاباته ذات القيمة الادبية والفنية ، فى القصة القصيرة ، والرواية ، والمسرحية ، والدراسات الأدبية ، نذكر منها :

فى القصة مجموعات « الديك الاحمر » و « زائر الصـبـاح » و « احزان الربيع » و « آدم الصغير » ، و « الجـرح والوردة » . و « عابرو سبيل » .

وفى الرواية : « آدم الكبير » و « أيام الامل » ، والأخيرة نشرت على حلقات خلال الشهور الماضية فى مجلة « صباح الخير » القاهرية .

وله أيضاً مسرحية بعنوان « المطرود » ، وكتاب فى النقد بعنوان « دراسات أدبية معاصرة » .

ان الموضوع الرئيسى فى كتابات فاروق منيب هو : الكشف عن روعة الحياة ، والانتصار لها ، والصراع من اجلها . الحياة فى قصصه هى حلم لطفل . فالشمس تغازل القمر . والاشجار تتحاور مع بعضها البعض ، ومع الانسان . والعصافير تغنى بالكلمات . حياة ملونة ، ومبهجة ، وساحرة ، بالرغم مما يكتنفها من احزان . ومع ذلك يبقى « الحزن » فى قصصه هو « الصراع » المحمل بالمعاناة وبالاصرار وبالأمل . هو الواقع ، وهو المواجهة . ودائماً هناك حزن . وهناك صراع . وهناك أمل . الأبيض والأسود . الفرح والحزن . السعادة والألم . الأمل والياس . الميلاد والموت .. كلها متضادات يطرحها فاروق فى قصصه ، ثم يقف بين كل منهما فى المنتصف ، ودون تشنجات يروح يفض النزاع بينهما . وهو يضع النقيض فى مواجهة النقيض ، كى يكون الصراع بينهما اقرب الى الشرارة المنظورة . وهى شرارة لتضىء . اما ما يحرق منها ، فذلك لتطهير الانسان من الشوائب التى تعيق لديه صفاء العلاقة الحميمة بالوجود .

وهو – فى كل ما يكتب – ينتصر للأمل .

الأمل لديه طائر يحلق باجنحة الحزن ، والمعاناة ، والمحبة ، والارادة ، والقوة .

انه فنان يحلم للحياة ، ويدعو الانسان الى ان يحلم معه بها ولها . واحلامه تنبع دائما من منطقة المعاناة الممتدة على الطريق بين الانسان والحياة . وبين الانسان ونفسه . وبين الانسان والقدر . كلها اعباء يحملها فى الذاكرة ، او فوق كتفيه . لكن عليه أن يمضى بالأمل . اذ هو مزود باعظم طاقة لتوليد الارادة . وهكذا يصبح الانسان قادراً على الحياة .

هذا هو – فى لمحة خاطفة – فاروق منيب ، يضيء مصابيحه من اجل الحياة بلغة شفافة وصافية . وبالرغم من كل الاشواك النابتة فى طريقه .. بالرغم مما يلجئُه الى الرغبة فى « البكاء » ، فانه يتعاطى الحياة ألما جميلا ، ليعطيها أملا اجمل ! ●●

« عبد القادر حميده »



فاروق منيب

كنت اريد ان ابكى ، ولكن دموعى جافة ، عزيزة المنال . كل شىء فى تلك اللحظة يدعو للبكاء ، فما الذى يؤخر هذا الأمل ؟ منذ ايام وانا اتاهب لانفجار كتلة الحزن المركبة على الآلام . تمنيت ان تتخلص تلك السحابة فى السماء من حمولتها ، ها هى حبلى تحب ان تضع وليدها حتى أستريح ! ضربت الهواء بكفى متوهماً ان السحابة تحتاج الى يقظة لتعرف العذاب الذى اعيش فيه . هل يعز البكاء الى هــذه الدرجة ؟ فى مرات سابقة كنت اصمت من اعماقى ، اكتم لحظاتى ، يتركز الحزن فى انفى ، ثم يطلع الى عينى ، فابكى . الآن ، احاول نفس المحاولات السابقة دون جدوى

ويبدو ان انفى تعودت على هذه الحيل الحقيقية المفزعة ، فلم تعد تهتم بها ، وكانها تهمس فى اذنى . اذا اردت ان تبكى .. فابك دون ان اشاركك البكاء ! العين هى المسئولة عن البكاء . لجات الى الماضى .. ان الدموع فيه ليست عزيزة المنال .. وبطبيعتى فانى ثر الدموع .. فما الذى حدث ؟

• •

منذ ثلاثة عشر عاماً وهناك ضربات قاضية فى الكليتين او الكبد او الاوعيـة الدموية او شرايين الراس الرقيقة . وفى كل ضربة افرغ الدموع . فهل خلصت تلك الدموع وانتهى عهدها . وانتقلت الى عصر جفاف النيل الكثيف . اين كنز الميـاه الريانة الشحيحة التى تــروى الالام الدائمة ؟

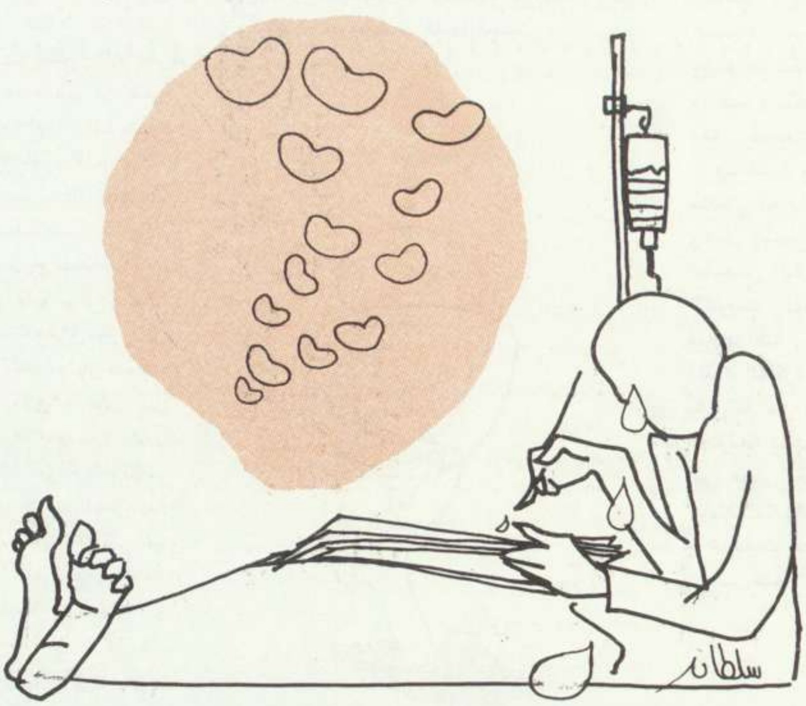
• •

عندما فقدت ابى بكيت ، ولكن عنفوان الشباب دفع امامه الاحزان .. اخذنى اخى الاكبر بجانب السرادق الذى نصبوه لتلقى التعازى .. همس فى اذنى .. هه الآن اصبحت رجلا . انكشفت على العراء مباشرة . قمنا بالواجب . مات ابوك وترك رجالا .. وسوف تتحمل معنا المسئولية .

فى تلك اللحظة كنت اريد ان اهرب . ان مسئوليتى فى اكتشاف الاماكن الجديدة وفى النظر الى البنات من تحت لتحت .. وانفجرت فى البكاء السهل المطيع المريح حتى اتخلص من حمولتى ! . وترك لى ابى علبة صغيرة من الصفيح ، بهــا نصف سيجارة ، وزناداً كان يشعل به سجائره ، ثم فتيلا من القطن المصرى .. ثم زلطة حادة لتولد الشرر .. وهذا كل شىء ! تذكرت موت امى ، فربما بكيت ، ولكن بلا فائدة !

• •

وجاءتنى صورة امى وهى حافيـــة القدمين فى ذات يوم مطير ، تمسك بيدى لتوصلنى الى المدرسة الابتدائية ، كان الجو غاضبا وسخيفا . مطر ورعد وبرق .



البكــاء..!

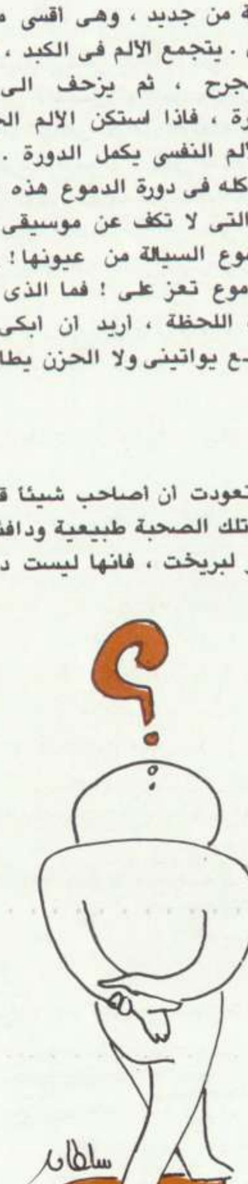
وكانت امى تصمم عند كل فجر ان تصحبنى الى المدرسة . وعلى حافة الترعة انزلقت قدمها ، فسقطت فجاة . وعندئذ تركت يدى حتى افلت بمصيرى . ظلت تكافح المياه الجارية وتستغيث ، الى أن مددت لها يدى فتعلقت بها . خلعت ثوبها الاملس تعصره ولم اتمالك نفسى ، فبكيت ، ان طعم تلك الدموع القديمة مايزال يكمن فى عينى للآن وكلما جلست وحيداً اتذكر هذا الحادث الغريب ، كلما وجدت دموعى سهلة المنال ، تخفف عنى قساوة الذكرى ! كبرت امى ، وفقدت جزءاً كبيراً من بصرها نتيجة مرض السكر ، وحين كنت اذكرها بالحادث المؤسف القديم . كانت تضحك وتقول : كانت ايام . اما انا ، فكنت احبس المرارة فى نفسى ، ثم تتركز فى اسفل انفى ، ثم تطلع الى عينى ساخنة وصامتة ! فى هذه المرة ، وكان ذلك الحدث لم يمر بى ! حاولت ان اتذكر .. لأبكى ، ففشلت .

• •

هل اجرى بدون هدف لاسقط على الأرض ، فتصاب راسى وتسيل دمائى ، فابكى ؟ ولماذا الجا الى إسالة الدماء ، وهى سائلة امامى كل يوم او يومين ، اتامل لونها القرمزى . فى البداية عندما رايت الدم كنت مذعوراً ، الآن الفت المشهد والمغامرة ، بل أصبحت اسعى اليها بنفسى بحكم غريزة حب الحياة . اذن لا فائدة من هذه الفواجع استعيدها ! ان لم يفتح الله علي بدمعة او دمعتين ، فلن ينقذنى من همى أحد ! تحسست مجموعة الأورام الصغيرة فى ساقى ، فوجدت احتقان الدم ياخذ طريقه فى الأوردة والشرايين ، والالتهابات تغطي الساقين . ما الذى اصابنى ؟ ضربات أخرى فى الساقين . كل جرح بميعاد ، ام هى المفاجات تلطمنا على غير توقع . لماذا تصيب كل القذائف مراميها دون ان تخطىء ؟ هل هى براعة الفارس او ضعف الضحية ؟ وهذا هو احد الأورام الذى ظل مختبئاً ، يتصنع الحيل الناعمـــة حتى لا يفصح عن نفسه بسهولة ، وفجاة انفجر على يد الجراح الذى قال حين راه ولمسه باصابعه : هذا شىء غريب .. غريب .. لم أره من قبل ! وفغر الجرح فاه ، يلتهم قطع الشاش والسوائل المطهرة المعقمة ، ووسادة الشاش للبطنة بالقطن . وبدات الممرضات يقمن بحشو الفم المفتوح ، وفى فمى غاز الاضحاك المختلط بالاكسوجين حتى تتخفف الآلام ، وحول الجرح لابد من اخذ الحقنة المخدرة السحرية ! هكذا كل يوم ! وفى تلك الأيام بكيت بجيشان عاطفى لم افعله من قبل ، بل كنت اقبل اصابع الممرضات واسال عن اسمائهن حتى اعترف لهن بالجميل . ومع هذا كله ، فالجرح الممتد الصارخ ما يزال ممتداً يطلب التطبيب . وبت احلم احلاماً مفزعة هادئة مستسلمة ان مشرط الجراح يقوم بعملية جديدة ، وانا خائف أرقب المشهد ، وانطوى على نفسى ، اريد أن ابكى ، لكن الاغماءة تحتوينى بين اليقظة والاغماء . اصحو لاعيش مع الحقيقة من جديد ، وهى اقسى من الحلم والتامل . يتجمع الألم فى الكبد ، ثم ينتقل الى الجرح ، ثم يزحف الى الأورام الصغيرة ، فاذا استكن الالم الجسدى ، اخذ الالم النفسى يكمل الدورة . وكـــان العزاء كله فى دورة الدموع هذه ، كساقية قريتنا التى لا تكف عن موسيقى الاحزان مع الدموع السيالة من عيوننا ! ومع هذا فان الدموع تعز على ! فما الذى اصابنى فى تلك اللحظة ، اريد ان ابكى ، ولكن لا الدمـــع يواتينى ولا الحزن يطاوعنى .

• •

وما تعودت أن اصاحب شيئاً قهراً ، ان لم تكن تلك الصحبة طبيعية ودافئة ! ومع الاعتذار لبريخت ، فانها ليست دائـــرة الطباشير القوقازية ، وانما دائرة الاحزان الدموية ! وليتها وحدها ولكن لابد فوقها « دائرة البكاء الدمعية » . وهى دائرة عزيزة على النفس والروح ياليت تنفجر حتى تخفف من الآلام المستعصية ، او تفتح ثغرة فى درقة النزيف المتواصل ! فاذا الدموع مع الدماء تسبح فى نهر سيال . ولكن للأسف اخشى ان ياخذنا الجرح على غرة ، فيعود كما كان عميقا ومؤلما ومتقيحا فعلها مرات دون ان نلاحظه . الآن اخاف ان المسه باصابعى حتى لا افاجا بانه التوى الى الداخل ، وكون الصديد مرة اخرى !



• •

انتزعت نفسى من هذا الجو الكئيب الى الشارع ، علّنى اتوه فى الزحام اهرب او انسى او اجد السلوى ! لم يكن هناك انسان يخلو من عاهة ظاهرية او داخلية . واحد يتوكا على عصى . وآخر يجلس على مقعد متحرك . وثالث يبصق دما من فمه . وهناك جموع لا تحد العين مداها الى اين يسيرون يبدو ان ليس لديها اى هدف ! يجرى بينها بعض الظرفاء ليحذروا الناس فيقولون . احترسوا من النملة ! احترسوا من النملة ! اية نملة ؟ لا يعرف احد !

ومددت عينى عبر الافق .. كان مزهواً باللون الاحمر .. والشمس تختفى متأزمة الطالع ، وثمة بعض الغربان تحوم فى السماء ، تبحث عن اعشاشها الضائعة .. وشعرت بضربة الم مفاجىء تعبر الكلية والكبد والناصور القديم الذى ما يزال ينزف دماً ، فهببت واقفاً اغطى مكان الالم بكفى .. وتنفست بصعوبة ، فقد اختلطت حقيقة واقعى مع دائرة البشر المعذبين فى الشارع وعند أسطح البيوت وعلى مشارف لون الشمس القرمزى الغارب ! وحتى داخل العربات الهاربة الى مكان فسيح تتنفس فيه براحة .. مع الأطفال الذين يلعبون فى المياه العكرة . وصمتٌ من الكمد ، تشبعت بالواقع مع الالم .. ووجدت حشد الرؤى الحزينة يتجمع فى اسفل انفى ، ثم يطلع الى عينى . فتنزل الدموع مثقلة بالحرارة ، مكثفـــة بالخجل الهـــادىء الأليف .. واحسست معها بسعادة لم اشعر بها فى حياتى كلها ! .

فاروق منيب
لندن ١٨/٤/١٩٨٣

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● ٤٥٠٠ ثانية في صحبة أم كلثوم ●● دار الترجمة



٤٥٠٠ ثانية
في صحبة أم كلثوم

بقلم: الدكتور زكي مبارك

لم تسمح الظروف بلقاء الآنسة أم كلثوم بعد الذى دوناه من لحظات التلاقى فى كتاب « ليلي المريضة فى العراق » وهى لحظات قصار ولكنها كانت جياشة بأقباس المعانى ، ولو طالت تلك اللحظات لظفرنا من سحر الحديث بأطايب وأفانين .

ولم يكن ذلك الحرمان عن هجر منها أو صدود ، فما يستطيع ذلك الروح أن ينسى أن له مآرب وجدانية من مسامرة أرباب الوجدان ، وإنما شاءت المقادير أن تصرفنا بالشواغل القاسية عن التأهب لمداعبة الأفاعى والصلال . وما معنى ذلك ؟

معناه انى ساتحف ام كلثوم بصورة وصفية تبسم لها فى حين وتعبس لها فى احايين ، مع العرفان بانى لم اقل غير الحق فى وصف ذلك الروح اللطيف .

وهل لهذه الحمامة الموصلية روح لطيف ؟

ما وازنت بين غنـــاء ام كلثوم وحديث ام كلثوم إلا تذكرت قول شوقى فى الصوت الحنان .

وتر فى اللهــاة ما للمغنى
من يــد فى صفائه وليانه

هذه الحمامة تغرد بلا وعى ولا إحساس فى نظر من يحكم بظاهر ما ينــد عن شفتيها الورديتين من اغان واحاديث .

فهل تكون فى حقيقة الأمر كذلك ؟

إن كانت ام كلثوم بلا وعى ولا إحساس فعلى الادب والفن العفاء .

وكيف تحرم ام كلثوم قوة الروح وهى بلا نزاع ريحانة هذا العصر واغرودة هذا الجيل ؟

٤٥٠٠ ثانية في صحبة أم كلثوم

وأين من يزعم أن قلبه سلم من الشوق لأغانى أم كلثوم ، وما مرت لحظة واحدة فى المشرق او فى المغرب بدون زفرة أو لوعة تثيرها اغـــانى أم كلثوم ؟

تلك الفتاة هى الشاهد على أن الله يزيد فى الخلق ما يشاء ، فتبارك الله أحسن الخالقين !

ولكن كيف تحل هذه المشـــكلة : مشكلة الفرق بين غناء ام كلثـــوم وحديث ام كلثوم ؟

الحل سهل : لأن العقدة مشتركـــة بينها وبين محمد عبد الوهاب وإليه وإليها انتهى الابداع فى عالم الغناء .

عبد الوهاب رجل اعمال وام كلثوم رجل أعمال ، وذلك سر العبقرية عنـد هذين الروحين ، وهو الدليل على ان الله لا يهب المواهب لأهل التخـــاذل والانحلال ، والزهد فى جمع الثروة هو الآية الحق على التخاذل والانحلال . وغضبة الله على من يحسبنى امزح فى هذا الحديث !

دعتنى ام كلثوم مرة لتناول العشاء فى احد مطاعم القاهرة فاجبت الدعوة ، ولكنى رايت ان ادفـــع عن نفسى ، فاستظرفتنى جداً وصرحت بانى لم اقل غير الحـــق حين قلت : « إنى اعظم من الجاحظ ولو غضب الدكتور طه حسين » .

ولن انسى أبداً موقف القصـبجى الملحن وقد زعم انه صائم مع ان العشاء كان فى جوف الليل ولم نكن فى رمضان ولا شعبان ، ولكنه كان يعرف أن « حمامة الشرق » لا يسرها أن يكون القصبجى رجلا له امعاء تظما وتجوع كسائر الناس ، وكيف يكون فنانا وهو يحس الظما والجوع ؟ !

اشهد أن البخل حق ، وانـــه من خصائص أهل العبقرية ، وإلا فكيف صحبت الدكتور طه حسين عشر سنين ولم اتناول الغداء فى داره غير مرة واحدة لظروف قهرية قضت بان نمضى النهار كله فى درس شواهد الشعر المنحول سنة ١٩٢٦ ؟

وكذلك يكون شقيق الروح محمـــد عبد الوهاب ، فهو أبخل من الجارم بمراحل طوال ، وهو إلى اليوم لا يدرك أن الدينار قد ينقسم إلى دراهم ، وأن الدرهم قد ينقسم إلى فلوس ، إنمـــا الدينار دينار ، فاذا انقسم فهو هباء ، وإليكم هذا الخبر الطريف :

نشر الموسيقار محمد عبد الوهاب كلمات فى مجلة الاثنين عن ذكرياته فى زيارة العراق ، وقد قرأت تلك الذكريات وأنا فى بغداد فحزنت لأنى عرفت منها أن الأستاذ الصراف خدعه فزين لـه الذهاب من دمشق الى بغداد فى سيارة عربية لا انجليزية ، وكانت النتيجة ان يقضى ثلاثة ايام بلياليها فى الطريق بين دمشق وبغداد ، فصممت على تانيب الأستاذ الصراف حين اراه ، ثم عظمت الدهشة وعظم الاستغراب حين عرفت من الأستاذ الصراف ان الموسيقار عبد الوهاب هو الذى اختار تلك السيارة لأن اجرتها ارخص بمبلغ لا يقل بحال من الأحوال عن دينارين !

ماذا أريد أن اقول ؟

لعلى أريد القول بان الاهتمام بجمع الثروة يدل على الشغف بحب الاصيل ، وحب الدنيـــا هو الأصل الأصيل لحيـــوات النـــوازع والغرائـــز والاحاسيس .

وحب الدنيا كان السر فى عبقريـــة احمد شوقى أمير الشعراء ، فقد صحبته مرات كثيرة وهو يطوف على أملاكه بالقاهرة وضواحى القاهرة ، وشهدت كيف ينظر إلى كل بقعة من أملاكه وقلبه يهتف : « كل مليحة بمذاق » ورحم الله شوقى ، فما مات إلا وهو حزين حزين على فراق املاكـــه الواسعة بارجاء هذه البلاد .

وحب الدنيا هو السر فى عبقريـــة عبد الوهاب وام كلثوم ، عبد الوهـــاب ساكن العباسية وام كلثوم ساكنـــة الزمالك ، وهل يستطيع مخلوق ان يقول إنه على شىء من الأدب أو الفن وجيوبه خاوية ؟

آه ، ثم آه ! !

كنت غنياً وكانت لى اموال مرصودة فى مصارف مختلفات ، ثم شاء القدر ان اترفق بمرضاى من الملاح فانفق عليهم ما أملك ، فانا اليوم فقير ، فقير ، فقير ، بحيث ترفض ام كلثوم ان تكون « ليلى المريضة فى الزمالك » بحجة انهـــا صحيحة ، لا بحجة انى لم أعد أملك البر بمرضاى من ذوات الخد الاسيل والطرف الغضيض !

وهجرتى إلى العراق هى سبب هذا البلاء فقد أعدانى العراق بالكرم وراضنى على البذل والجود ، فانا اليوم بلا ذخيرة ولا عتاد .

الم تسمعوا انى كنت اتمرد على رؤسائى بالجامعة المصرية وبوزارة المعارف ، فكنت أملك الزهد فى مناصب الحكومة فى كل وقت ؟

فان صح انى صبرت اخيراً على خدمة الحكومة أربع سنين فاعلموا أن أخاكم مكره لا بطل ، وانه لم يتمرغ فى تراب « الميرى » إلا وهو فى فاقة وإملاق .

وآه ثم آه من الصبر على خدمـــة الحكومة أربع سنين !

وهل خلق الشعراء لهذا الاستعباد ؟ وهل كان ذلك هو المصير المنشود لمن يؤمنون بفاطر النخيل والاعناب ؟

ولكن لا باس فمن واجب الشـــاعر الذى اخضعه الفن للقوافى والأوزان أن يقبل الخضوع لقيود الوظيفة وقيود المجتمع وما قيمة الفلسفة إن لم نحسن تعليل الصبر على قيود الوظيفة وقيود المجتمع ؟

وما حديث الـ ٤٥٠٠ ثانية فى صحبة أم كلثوم ؟

كانت النفس حدثتنى بوجوب السفر إلى الاسكندرية فى اواخر ايلول لأرى كيف ينجزر الصيف عن الخريف فى تلك الشواطىء الفيح ، فرأيت على المحطة فتى من عصبة الفن الجميل وهو يهتف : « اما ترى ثومة يا دكتور ؟ »

والتفت فرأيت إنسانة نحيلة تكبح سحر عينيها بمنظارين سمراوين وهى تحاور المودعين حواراً تقع فيه الفاظ غلاظ على غير ما ينتظر من فتاة لها تلك المكانة بين البيض الخفرات من بنيات وادى النيل .

واقبلت فسلمت تسليم الشـــوق بتهيب واحتراس ، لتفهم انى لا اريد نضالها فى ميدان التنكيت ، ولكن الشقية تغابت وتجاهلت رغبتى فى البعد عن هذا الميدان ، ولم تكن إلا لحظة حتى اقتنعت بان الزمالك تجاور بولاق !

ما الذى يحمل ثومة على خلع البرقع وهى تحاور الرجال وفيهم من لا يتادب وهو يحاور النساء ؟

لم يبق بين ثومة وبين الفصيلة النسائية أية صلة ، فهى اليوم رجل أعمال ، وهى أبو كلثوم لا ام كلثوم .

وقت ثومة لا يضيع فى مراجعة الأدب القديم والادب الحديث - كما تسمعون - وإنما يضيع وقت ثومة فى تدبير المال لاقتناء النفائس من البيوت والبساتين .

وثومة ليست غبية ، فهى تعرف ان البيئات الفنية يكثر فيها الوباء ، وانه لا موجب لطاعة الفطرة التى يتجلى فيها الحنان النسوى ، لئلا يكون من اثر ذلك ان تدور حولها الاقاويل والاراجيف فى زمن الاقاويل والأراجيف .

ومن اجل هذا لا تجيد ام كلثوم ممثلة إلا فى مواقف الانفراد ، فهى كتلة من الثلج حين تحاور رجلا فى مواقفها التمثيلية ، وهى نار تتاجج حين تخلو إلى نفسها فى موقف من مواقف التذكر والاشتياق .

العزلة هى الفرصة الوحيدة لانفجار العواطف فى صدر ام كلثوم ، لأن هذه الانسانة تتوهم أن المجتمع لا يحسن غير التجريح والاغتياب ، فهى تلقاه بلسان حديد لا يجيد غير السخرية والاستهزاء ، فاذا اعتزلت الناس أو توهمت انها اعتزلت الناس صارت أم كلثوم الحقيقية بشفتيها الورديتين وثناياها اللؤلؤية وانفها المسنون . ولو استبحت مغازلة هذه الشقية لقلت ان ابتسامها يصدر عن واد سحيق هو وادى الخلود !

وما أسعد من يظفر بابتسامة صفية من ام كلثوم ولو لحظة واحدة من عمر الزمان !

ها نحن أولاء فى محطة القاهرة ، وإنى وإياها لمختلفان ، فهى ذاهبة إلى المنصورة وانا ذاهب إلى الاسكندرية ، وسنفترق فى طنطا كارهين أو طائعين

واترفق فاقول : الا تحتاج الحمامة الموصلية إلى رجل يضايقها لحظات ؟

فتجيب : وانت ؟ الا تحتاج إلى من يضايقك ساعات ؟

ثم ناخذ فى الحديث بعنف ولجاجة وصيال ، فهل كان بينى وبين هذه الروح ثار قديم ؟ وهل سمعت انى اغتبتها فقلت إنها ريحانة هذا العصر واغرودة



ام كلثوم

هذا الجيل ؟ وهل نقل الوشاة انى زعمت انها اطيب من العطر وارق من الزهر المطلول ؟

لا أعرف ما ذنبى عند ام كلثوم ، ولم اخرج على الأدب فاقول إنها خير ما اخرجت مصر من ثمرات ، وإنها الطف روح سكن الزمالك وتخطر فى شارع فؤاد ؟

ما هفوت فى حق ام كلثوم إلا مرة واحدة حين قلت إن حنجرتها مسروقة من الحمائم الموصلية ، وكان الراى أن اقول إن حمائم الموصل سرقت رخامة الصوت من الحنجرة الكلثومية .

ثم تشتط ام كلثوم فى المزاح الغليظ ولكن مع من ؟ مع الرجل العليم بمواقع أهواء القلوب ولو سدل على سرائرها الف حجاب !

هل تذكرون المصباح المغطى بالأوراق الزرق ؟

هو قلب أم كلثوم ، لو تعلمون !

وبلفظة واحدة نزعت تلك الأوراق لأواجه ذلك القلب الوهاج فما هى تلك اللفظة السحرية ؟

قلت : إن حمامة الشرق تستتر بمزاحها الغليظ قلباً يحترق . فالتفتت الفتاة التفاتة رشيقة وهى تستزيد ، فقلت : وقد حدثتنى ليلى أن الأفعى تغفو اوقاتاً طويلة ثم تستيقظ حين تجد الفرصة لتخدير الفريسة بالسم الزعاف .

وبهذا الكلام تنبهت ام كلثوم من سباتها المتكلف المصنوع ، وابتسمت ابتسامة لن انساها ما حييت ، فقصصت عليها قصة ليلى حين قرات فى كتب التاريخ الطبيعى أن الحيات تثور وتهتاج حين ترى إنسانا اخضر العينين ، فزعمت الشقية انها لم تكن تعرف انى اخضر العينين ، فقلت : وما السر فى نفرتك منى أيتها الرقطاء ؟

وترفقت ام كلثوم وتلطفت بعد التابى والتمنع ، وانطلقت تتحدث بلا تكبر ولا ازدهاء ، فمن قال إنه عرفها قبل فهو كاذب ، لانى اول من نزع الأوراق الزرق عن ذلك القلب الوهاج ،

وانا اول من فرض على أم كلثوم ان تعرف ان الدنيا فيها أمانة وصدق وإخلاص .

من حق ام كلثوم ان تكون فى دنياها رجل أعمال ، فنحن فى عصر سخيف لا يقيم وزنا لمواهب اهل الادب والفن إذا فاتهم سناد الجاه والمال .

ولكن .. ولكن دنيا ام كلثوم صدتها عن الانتفاع بارباب المواهب ، فلو كان لأم كلثوم مستشار امين لو صلت إلى الاعجاز فى الغناء والتمثيل ، فلا عفا الله عمن صدوا هذه الروح عن الاستئناس باذواق أهل الآداب والفنون !

وهل انسى بشاعة الاستئثار بتصوير عصر الرشيد ؟

كان يمكن ان يكون فلم « دنانير » اعجوبة الأفلام التاريخية لو كانت ام كلثوم تعرف ان فى مصر رجالا ادق ذوقا وإحساساً من فلان وفلان ، وان الانتفاع باراء هؤلاء الرجال قد يعود عليها بالخير الجزيل ، ولكن ام كلثوم امراة وإن كانت رجل اعمال ، والمراة لا تفلح حين تتوهم انها اعقل من الرجل .

فلم دنانير جميل جميل ، ولكن تعوزه قوة الروح ، ولأم كلثوم أن تغضب كيف تشاء ، ولفلان ان يقتل نفسه من الغيظ ، فقد اخلف الظن به كل الاخلاف .

إن هذا فلم يلخص راينا فى ام كلثوم : فهى لا تجيد إلا عند العزلة والانفراد .

فاين من يجعل ام كلثوم من ازهار المجتمع ؟

اين من يحول هذه الفتاة إلى روح لطيف يشيع فى المجتمع معانى الأنس والانشراح ؟

إن كانت هذه الفتاة تحب أن تكون « ابن بلد » فقد ظفرت بما تريد ، أما إن كانت تحب أن تكون أعظم من ام كلثوم فلذلك حديث غير هذا الحديث .

ثم وصل القطار إلى طنطا فانتقلت إلى قطار المنصورة وبقيت اتشوف إلى الاسكندرية ، وذلك آخر العهد بتلك الروح ، فان رضيت عن هذا المقال فقد تلتقي فى مصر الجديدة أو فى الزمالك ، وإلا ... ...

زكى مبارك
١٩٤٠

اقتراح ناضج طرحه كاتب عربى كبير منذ ٣٩ سنة ولم يأخذ به أحـــد إلى الآن

دار الترجمة



بقلم : أحمـد حسن الزيات

هذا المقال الممتاز كتبه الأديب العربى الكبير احمد حسن الزيات سنة ١٩٤٥ ووجهه إلى الدكتور عبد الرزاق السنهورى الذى كان وزيراً للمعارف المصرية فى ذلك الحين ، ولكن المقال فى حينه لم يجد صدى له .. وما جاء فى هذا المقال من اقتراح مازال حياً .. ومازال بحاجة إلى وزير يتبناه أو مؤسسة ثقافية تعيد إليه الحياة .. فهل يفيد النداء اليوم بعد ان عجز هذا النداء نفسه عن أن يجد صداه فى حينه سنة ١٩٤٥ ؟ !

ان من المحال ان ننقل الأمة كلها الى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن ان ننقل العلم كله الى الأمـة عن طريق الترجمة .

● ●

يا صاحب المعـــالى ، إن اخص ما يميزك على نظرائك فى العلم والحكم انك تقدس الحقيقة وتطلب الحق ، وإن سبيلك إلى ذلك عقل راجح واضـح يتعمق ويتبسط ، ويحيط ويستوعب ، ويدقق ويحقق ، ويستقرى ويستنبط ، فاذا رايت الحق فى جانبك اقنعت ومنطقك سديد وحجتك ملزمة ، وإن رايته فى الجانب الآخر اقتنعت وعقلك راض ونفسك مسلمة . وقد اجمع الذين عرفوك ان فى مناقشتك الراى او فى مطارحتك الحديث متعة للعقل والذهن لأنك توضح الخطة وتحدد الرسوم وتعين الغاية ، ثم تعرض الراى عالما بما تقول ، وتسمع الراى فاهما لما يقال ، ثم تعارض القول بالقول ، وتوازن الدليل بالدليل ، ثم تحكم الحكم المسبب لك أو عليك فلا تدع للمكابرة والممـاراة سبيلا الى استئناف او نقض !

لذلك احببت ان اتقدم إلى معاليك براى يتصل بالثقافة العامة ، ويقينى انك إذا اقتنعت به امضيته ، وإذا امضيته كان حرياً ان يضيف عصرنا الحــاضر إلى عصــور بركليس واغسطس والمامون ولويس الرابـع عشر ، وهى كما تعلم العصور الذهبية التى حددت المراحل المتعاقبة للانسان المتمدن فى طريقه إلى المعرفة .

تعلم معاليك ان ادبنا الجديد لا يزال ناقصاً فى نوعه قاصراً فى بيانه . ناقص فى نوعه لانه انكر قديمه وجهل

جديد الناس ، فلم يغذه ماض ولم ينمه حاضر ، فظل مخدج الخلق لا هو حي ولا هو ميت . ولقد كان ادبنا القديم فى حدود مراميه اللسان العام لخوالج النفس الانسانية فى اكثر بقاع الارض فلم تكن هناك فكرة تجول فى ذهن كاتب ولا صورة تتمثل فى خاطر شاعر ، إلا وجدت فى هذا الخضم المحيط صدفة تستقر فيها . فلما تحولت عن مذاهبه الانهار ، وجفت على جوانبه الروافد ، عاد كالبحيرة المحدودة لا يمدها إلا قطرات المطر ودفعات السيل حيناً بعد حين . فالقارىء العربى الحديث لا يجد فيما اثر منه ولا فى اكثر ما استجد فيه غذاء عقله ولا رضا شعوره ، لأن المأثور منه ناقص لانقطاعه عن سير المدنية ، والجديد منه ناقص لخلوه من الآداب الأجنبية . والغريب المخجل ان المرء يقرأ اى نابغة من نوابغ العالم فى اى لغة من لغات التمدن إلا فى اللغـــة العربية ! فالتركى مثلا يستطيع ان يقرأ فى لغته هوجو كله ، وشكسبير كله ، وجيته كله ، ولكن العربى لا يجد فى لغته لهولاء العباقرة العالميين إلا كتاباً او كتابين اختارهما مترجم على ذوقه ونشرهما على حسابه !

فاذا اردنا يا معالى الوزير لأدبنــا ان يتسع فى حاضره كما اتسع فى ماضيه ، فليس لنا اليوم غير سبيل الامس : نرفده بآداب الأمم الأوربية ، ونصله بتيار الأفكار الحديثة ، فان لكل أمة مزايا ، ولكل بيئة خصائص . ولن يكون ادبنا عالمياً ما لم يلقح بآداب العالم ، والمحاكاة والاحتذاء من اقوى العوامل اثراً فى الأدب .

والأدب العربى قاصر فى بيانه لأنه مقطوع الصلة بحضارة العصر ، فلا يستطيع اقدر كتابنا ان يتحدث عمــا يستعمل من ماعون واثاث ، ولا ان يصف ما يركب فى باخرة او طائرة . ومجمعنا اللغوى على ما نرى من نشاطه لن يقدم إلى الناس معجمه المنتظر إلا بعد جيل او جيلين ، حين يكون كل شىء فى العالم قد تغير او تطور ، فيضبح معجمه فى الجدة يومئذ كمعجم (لسان العرب) اليوم ! والزمان يا معالى الوزير يسرع ، والعالم كله يجد ، والسارى على مركب العجز لا يلحق ، والبيان القاصر نصف الخرس ، واللغة الناقصة ثلاثة ارباع الجهل .

وما قلناه فى اللغة والأدب نقوله فى العلم والفن ، فان ما فى العربية منهما لا يعدو فى الغالب أن يكون ملخصات مجهولة النسب ، أو مقتبسات قليلة الغناء ، إذا نفعت احداً فانما تنفع طلاب المدارس . اما الشعب الظامىء إلى المعرفة فلا يجد بين يديه من امهات الكتب العلمية والفنية ما ينقع غليله ويسد عوزه . وما دام الأمر كذلك فسيظل اللسان العربى والعقل العربى محصورين فى حدود القرون الوسطى لا يواكبان ركب الحياة ، ولا يسايران تقدم الفكر .

إن العلوم اليوم اوربية وامريكية ما فى ذلك شك . وإن الفروق التى باعدت بين الشرق والغـــرب فى مدلـول الانسانية الراقية إنما يجمعها كلها لفظ العلم . وهذا العلم الذى يسخر السموات والأرض للانسان الضعيف ، ويذلل القطعان الملايين للراعى الفرد ، سيبقى غريباً عنا مالم ننقله إلى ملكنا بالتعريب ، ونعممه فى شعبنا بالنشر ، ولا يمكن أن يصلنا به او يدنينا منه كثرة المدارس ولا وفرة الطلاب ، فان من المحال أن ننقل الأمة كلها الى العلم عن طريق المدرسة ، ولكن من الممكن ان ننقل العلم كله الى الأمة عن طريق الترجمة .

فالترجمة إذن يا معالى الوزير هى الوسيلة الأولى لدفع القصور عن اللغة ، وسد النقص فى الأدب ، وكشف الظلام عن الأمة ، وبحسبنا ان ننقل معجماً من المعاجم العلمية الاوربية لتصبح لغتنا كاملة وثقافتنا شاملة ، فانا مضطرون فى أثناء الترجمة ان نضع المصطلحات الحديثة لكل علم وفن ، فلا يتم المعجم حتى تتم اللغة . وإذا نقلنا الى العربية نتاج القرائح لأقطاب العلوم والفنون والآداب من الانجليز والأمريكان ، والفرنسيين والألمان ، والروسيين والطليان ، اصبح هؤلاء العالميون جزءاً من كياننا الأدبى وركناً فى بنائنا العلمى ، نعبر به ونستمد منه ونفتن فيه ونزيد عليه ، كما فعل آباؤنا الاقدمون بما نقلوه من علوم الاغريق والهنـــود والسريان والفرس .

لذلك أرى - ورأيك الاعلى - أن تنشأ دار للترجمة مستقلة عن ديوان الوزارة يكون لها من جلالة القدر ونباهة الذكر ما للجامعتين ، فانها على اليقين ستكون جامعة شعبية لا تقل عنهما فى الخطر والأثر ، أو قل إنهما الميدانان المتقدمان وهى مركز التموين الذى يمدهما بالميرة والذخيرة والمدد . ثم يختار لها مائتان على الأقل من المترجمين النابغين فى لغتهم وفى اللغات الأوربية الثلاث ، ينقلون الآداب الأجنبية نقلا كاملا صحيحاً ، فلا يدعون علماً من أعلام الأدب والعلم والفن والفلسفة إلا نقلوا كتبه ونشروها على حسب ترتيبها وتبويبها فى طبعاتها الأصلية .

هذه الدار ستنقل إلى العربية كل يوم أربعمائة صفحة مصححة منقحة مهيأة للنشر ، قد تكون كتابين او كتاباً أو جزءاً من كتاب على حسب النظام الذى يوضع لها . فاذا فرغت من ترجمة الموجود فرغت لترجمة المستجد ، فلا يكون بين ظهور الكتاب فى أوربا وظهوره فى مصر إلا ريثما يترجم هنا ويطبع . أما نفقات الدار فلا تزيد على مائة الف جنيه ، وقد تنقص إلى نصف ذلك إذا ساهم فيها الأمراء والأغنياء وجامعة الدول العربية . على ان ما ينفق فى سبيل هذا العمل العظيم يقل مهما كثر فى جانب ما يؤتيه من تجديد اللغة ، وتطعيم الأدب ، وتعريب العلم وتعميم الثقافة ، وتدعيم النهضة ، وتيسير القراءة ، وتشجيع القارىء ، وفى تحقيق منفعة واحدة من هؤلاء تخليد لذكر من قام بهذا العمل او شارك فيه أو أعان عليه ، فما بالك إذا حقق هذه المنافع جمعاء ؟

ذلك جوهر الفكرة يا معالى الوزير عرضته عليك ، اما النظر فى تأثيلها وتفصيلها فاتركه إليك .

أحمد حسن الزيات
١٩٤٥

تقديم: لبنى الريدي

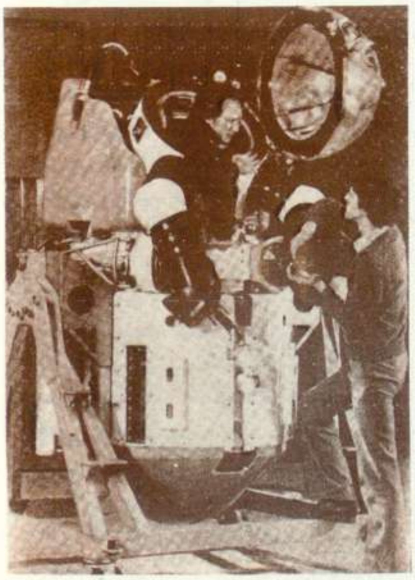
غوّاصة الجيب

انها أصغر واخف غواصة في العالم: فهي مصنوعة من البوليستر المقوى بالياف الزجاج . ولا يزيد ارتفاعها عن ٢٢ متراً ، وتتسع لشخص واحد فقط .

وتتميز هذه الغواصة البريطانية الصنع بالاضافة الى صغر حجمها بانها تستطيع العمل في ظل اقوى التيارات المائية وعلى عمق ٦١٠ متراً ، ولكنها تحتاج الى مركب لوضعها في الماء ثم استعادتها مرة اخرى وترتبط بها بواسطة كابل يضمن لها احتياجاتها من الطاقة اللازمة لتشغيل جهاز الاتصال وارسال المعلومات وآلة التصوير بالاضافة الى محركاتها الستة .

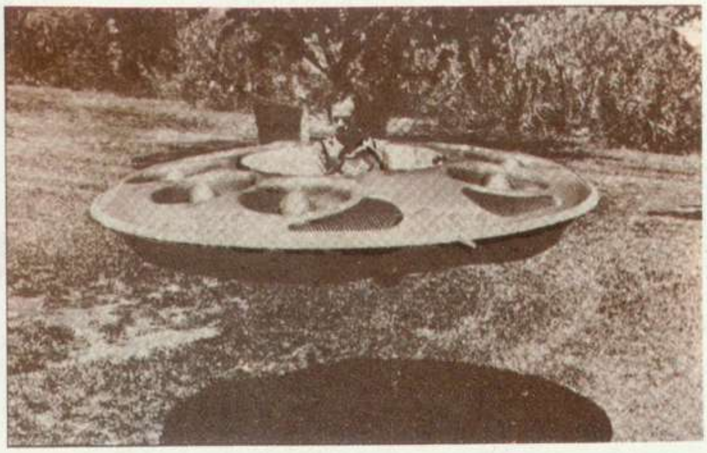
إلا انه بامكان هذه الغواصة التخلص من الكابل والانفصال عن مجموعتها المائية ان لزم الأمر، وعندئذ تعتمد الغواصة على البطاريات الخاصة بها في تشغيل اجهزتها المختلفة وتضمن هذه البطاريات الخاصة العمل بشكل مستقل لمدة ٧٢ ساعة متواصلة .

ويتيح جهاز الغوص الجديد القيام بمهام المراقبة البحرية وصيانة المنشآت التي تقام في قاع البحر دون ان يتعرض الغواص لمشكلات ارتفاع الضغط أو انخفاضه . فكابينة هذه الغواصة تضمن له عزلاً حرارياً وكهربياً كاملا بحيث يستطيع الغواص تنظيم كمية الاكسجين داخل الكابينة وكذلك قوة دفع الغواصة .



غواصة الجيب

الطبق الطائر مرّة أخرى



الطبق الطائر بدلا من الطائرة العمودية

لا تزال فكرة الطبق الطائر تلهم مصممي الطائرات . ففي كاليفورنيا ابتكر مهندس طيران أمريكي نموذجا لطائرة تقوم بمهام الطائرة العمودية ولكنها تتخذ شكل الطبق الطائر ، وهي تتسع لاربعة اشخاص .

ويعتمد عمل هذا الطبق الطائر على مبدأ بسيط وهو سريان سريع لطبقات الهواء ذات الضغط المنخفض فوق الطائرة وسريان بطيء لطبقات الهواء ذات الضغط المرتفع أسفل الطائرة .

ويعمل الطبق الطائر الجديد بواسطة ثمانية محركات قوة كل منها ٣٦ حصاناً . وتدير هذه المحركات مراوح موزعة على محيط الدائرة (كما تبين الصورة) . وتحتفظ الطائرة بتوازنها في الهواء بواسطة اربعة محركات بينما يمكنها الهبوط بدون صعوبة بواسطة محركين فقط . وتبلغ سرعة هذا الطبق ٣٠٠ كيلو متر في الساعة .

وفي كل نفق هوائي يوجد جنيح للتحكم في الحركة الجانبية للطبق الطائر . اما مجموعة الذيل التي تبدو وراء الطيار فهي للتحكم في ثبات وصعود الطائرة المبتكرة . ومن المتوقع أن يصل ثمن هذا الطبق الطائر الى حوالي ٢٥ الف دولار فقط !!

محطة توجيه للأجهزة الإلكترونية



محطة التوجيه الالكترونية

لم يعد التلفزيون مجرد جهاز استقبال للارسال التلفزيوني وانما تحول الى نظام متكامل ومحطة توجيه لكل الأجهزة الالكترونية في المنزل .

وان كانت الشاشة التلفزيونية التقليدية تتصدر هذا النظام فانها اصبحت مزودة بعدة وصلات لربطها بالأجهزة المختلفة من كمبيوتر وكاميرا وجهاز فيديو وساوند سيستم ، الخ .. كما يمكن توصيل نظام الأمن في المنزل بشاشة التلفزيون ايضاً .

ولربط الهاتف بهذه المحطة الالكترونية يصبح من الممكن الاتصال ببنوك المعلومات المختلفة . واذا كان لديك أورج الكتروني يمكنك توصيله بها . ويضيف اليابانيون الى هذه المحطة طباعة تطبع على الورق ما تريده من الصور التي تظهر على الشاشة التلفزيونية.

البناء بالطين

تظل قوالب الطوب المصنوعة من الطين بعد ادخالها الى الفرن لتجف وتتماسك افضل مواد البناء جميعاً . فهي تتميز بقدرة عالية على العزل الحراري حيث تقوم بتخزين الحرارة .

وتقدم احدى الشركات الفرنسية قوالب طينية مبتكرة مزودة بفراغات راسية مرتبة في ١٩ صفاً من الفجوات الطولية الضيقة التي تتخذ شكلا هندسياً خاصاً مما يزيد من قدرتها على العزل الحراري .

ولا يحتاج المبنى المشيد بهذا الطوب الى استخدام مواد عازلة اضافية . فهو يعمل بمثابة تكييف طبيعي يحتفظ بالجدران دافئة في الشتاء ويمنع تسرب الحرارة في الصيف الى داخل المنزل . كما ان استعمال مثل هذا الطوب يحمي المبنى من تكثيف الرطوبة حيث لا يسمح الا بنفاذ ١٪ من الرطوبة في حين تتراوح نسبة الرطوبة التي تنفذ في حالة الجدران الاسمنتية والخرسانية ما بين ٤٪ و ٦٪ .

وتؤكد الشركة المنتجة لهذا الطوب الجديد بانه يتميز بصلابة عالية اذ تزيد مقاومته عن مائة كيلو جرام لكل سنتيمتر مربع كما انه مقاوم للحريق مما يجعل المباني المشيدة به لا تحتاج لترميم لمئات السنين .ومن ناحية اخرى لا يتطلب بناء جدار بهذا الطوب الى تبطين وانما مجرد طلاء خارجي وداخلي فقط بحيث يستطيع اي شخص اقامة جدار مساحته متر مربع في اقل من ساعة.



قالب الطوب الجديد

الهاتف المسجل



الهاتف المسجل

يصعب على الكثير منا تذكر ارقام الهاتف أو مواعيد اقلاع الطائرات بعد الاستعلام عنها في الدليل الهاتفي أو استعلامات المطار . كما قد ننسى المواعيد التي قد نحددها او يختلط علينا الأمر ولا نستطيع تحديد اذا كان الموعد صباحاً أو مساء في يوم الثلاثاء أو الأربعاء الخ . ومن ثم فان هذا الهاتف الجديد يقدم لنا خدمة كبيرة فهو يضم آلة تسجيل تقوم بتسجيل المكالمة اذ يكفي الضغط على احد الأزرار ليقوم الميكرفون الموجود داخل جهاز الهاتف بتسجيل صوت المتحدث على شريط صغير في قاعدة الهاتف . كما يمكن الاستماع الى الشريط بالضغط على زرار آخر ، بالاضافة الى زرار ثالث للتشغيل السريع .

ولقد روعي في تصميمه النواحي الجمالية ، فهو كما يبدو في الصورة ليس اكبرحجماً من الهاتف العادي . ويعمل جهاز التسجيل بواسطة بطاريتين قوة كل منهما ١٫٥ فولت . ومن المتوقع ان يبدا تسويقه مع بداية العام الجديد .



من أهم الأحداث السينمائية لعام ١٩٨٣ بالنسبة للمنطقة العربية بوجه خاص ، هو عرض فيلم « حنا . ك » للمخرج السينمائي المتميز « كوستا جافراس » .
ذلك لأنـه لأول مرة في تاريخ القضية الفلسطينية .. يجرؤ مخرج من الغرب ـ على مستوى عالمي ـ في تقديم صورة من الصراع العربي الاسرائيلي داخل فيلم سينمائي طويل .. ويعرض في جميع أنحاء العالم ..

سينما

القضية الفلسطينية على الشاشة العالمية

فيلم "حنّا.ك" وكيف ننظر إليه؟

رءوف توفيق





الى اليمين الممثلة الأمريكيــــة « جيل كلايبرج » التى لعبت دور المحامية « حنا . ك. » ،والى اعلى الممثل « جابريل بيرن » الذى لعب دور المدعى الاسرائيلى



الممثـــل « جين يان » الـــذى لعب دور الزوج

الممثـــل الفلسطيني « محمد بكرى » في دور سليم بكـــرى

ولكي نقدر مدى اهمية هذا الفيلم .. يجب ان نضع في حسباننا ، حجم ضراوة وضغوط المؤسسات الصهيونية في المجتمع الاوروبي والأمريكي .. حيث تفرض هذه المؤسسات حصاراً حديدياً ، مستخدمة كافة الأساليب السياسيـــة والاقتصاديـــة لمنع تسرب أي وجهة نظر تناقش الحق العربي في هذا الصراع .. وفي نفس الوقت ، الترويج بشتى الطرق ـ اعلامياً وثقافياً وفنياً ـ لحق اليهود في أرض فلسطين ..

فهم الذين تعبوا كثيراً .. وتشردوا طويلا .. ولاقوا كل انواع التعذيب والاضطهاد ، وخصوصاً في سنوات الحرب العالمية الثانية مع جيش النازي .. و .. و .. ومن حقهم الآن أن يستقروا وينعموا بالحياة .. فهم طيبون .. مسالمون .. ظرفاء وانظروا واحة الديموقراطية « اسرائيل » .. الجنة التي صنعها هؤلاء الأبرياء المساكين (! !)

وهكذا لعبت المؤسسات الصهيونية على هذا الوتر طوال السنوات الماضية .. ويشتد العزف ، حتى يصبح ضجيجاً مدوياً ، كلما اقترفت اسرائيل احدى جرائمها البشعة .. كنوع من الغطاء الاعلامي والنفسي ، للاحتفاظ بالراي العام العالمي « تعاطف مستمر » !

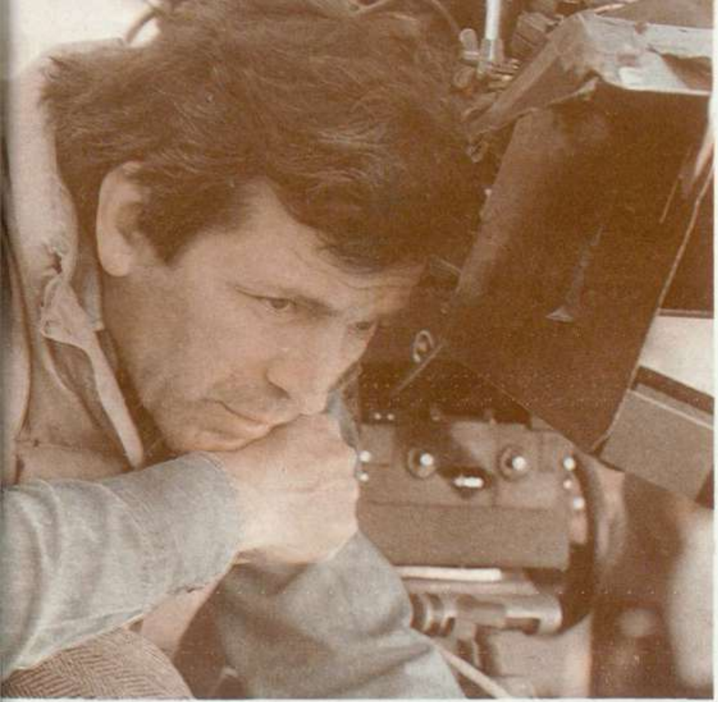
التحرك المطلوب

وقد كتبت في « الدوحة » كثيراً عن هذه السياسة الصهيونية وبالذات في مجال السينما .. محللا ومنبها للعديد من الافلام التي اخرجها مخرجون عالميون كبار ولكنهم تورطوا في الدعاية لليهود ، بشكل سافر أو بذكاء شديد !

وآخر مقالة في هذا الشان نشرت في مجلة الدوحة في سبتمبر ١٩٨٣ وطالما تساءلت بدهشة ممزوجة بالحزن

القضية الفلسطينية على الشاشة العالمية

فيلم "حنا. ك" .. وكيف ننظر إليه؟



المخرج « كوستا جافراس » اثناء تصوير الفيلم داخل اسرائيل

والأسى .. عن الدور العربي .. والمال العربي في اقتحام مجال السينما العالمية لتوضيح الرأي الآخر في هذا الصراع الأسرائيلي : حتى لا ينفرد أصحاب الوجوه القبيحة بكل الصورة .. وحتى لا يصبح صوتهم هو الصوت الوحيد المسموع في العالم ..

وكم كانت المرارة بالغة ، عندما تقدم احد الذين يحملون الجنسية العربية ، بالمساهمة في تمويل الفيلم الانجليزي « عربات النار » الذي يمجد بطولة شاب يهودي في سباق العدو باوليمبياد عام ١٩٢٤ الذي اقيم في باريس ! !

وكان التحرك المطلوب قد اتجه في الطريق العكسي تماماً ! !

حالة من الحصار

وهذه المقدمة الطويلة كان لابد منها .. لتوضيح مدى مغامرة المخـرج اليوناني المولد ، الفرنسي الجنسية «كوستا جافراس» الذي خاض في ارض مليئة بالألغام ليقدم فيلمه « حنا . ك » .

وقد بدا عرض الفيلم في مهرجـــان « فينيسيـــا » الدولي .. واستقبل الفيلم ومخرجه بعاصفة من الاستنكار واللوم من جانب الصحفيين اليهود ..

واتضح هذا الموقف عندما بدا عرض الفيلم عالمياً في امريكا وباريس في النصف الثاني من شهر سبتمبر الماضي .. فقد ضرب حول الفيلم ستار من الاهمال واللامبالاة .. وكانما المقصود هو الالقاء بالفيلم في منطقة الظل والنسيان ..

بالرغم من أن المخرج «كوستا جافراس» يتمتع بسمعة سينمائية مدوية .. فهو مخرج فيلم « زد » الشهير (عام ٦٨) والذي جرؤ أن يناقش من خلاله الحكم العسكري اليوناني .. وهو ايضاً مخرج فيلم « مفقود » الذي يدين فيه تورط السياسة الأمريكية وجهاز المخابرات الأمريكي في انقلاب « شيلي » عام ١٩٧٣ .. وقد أثار هذا الفيلم ضجة كبرى داخل أمريكا .. وفاز بالجائزة الكبرى لمهرجان كان عام ١٩٨٢ مناصفة مع فيلم « الطريق » للمخرج التركي « يلماظ جونيه » (راجع مقال الدوحة لشهر يوليو ٨٢) .

أي أن هذا المخرج لا تمر افلامه في هدوء .. وانما تثير جدلا وحماسا وردود افعال ساخنة .. فلماذا كان نصيب فيلم « حنا . ك » هذا الفتور ؟

المخرج يقول فى القاهرة

في المؤتمر الصحفي الذي عقده المخرج في القاهرة .. بعد عرض الفيلم والاستقبال الحافل الذي قوبل به في ختام مهرجان القاهرة السينمائي السابع .. قال بصراحة شديدة :

« ان الفيلم استقبل في نيويورك بفتور واضح .. ولم تعلق عليه سوى جريدتين فقط .. اما في باريس فقد حقق الفيلم نجاحاً اقل من العادي .. وايضاً الصحافة الفرنسية لم تبد اهتماماً به بالمقارنة بافلامي السابقة .. ويمكن أن نقول أنه مر دون أن يثير اية ضجة في الصحافة الفرنسية .. ولا أستطيع أن افسر هذا ولكني اترك لكم التفسير .. فانا لا اريد أن أوجه اتهاماً للصحافة الغربية فهذا ليس دور المخرج » !

سالوه عن رد فعل الصحافة العربية في لندن وباريس ؟ .

قال بنفس الصراحة : « كانت في اغلبها جيدة جداً .. وفي صالح الفيلم . »

وحتى تكتمل الصورة لابد أن نذكر أنه في هذا المؤتمر الصحفي بالقاهرة ارتفعت بعض الأصوات تعتب على المخرج « كوستا جافراس » أنه لم ينصف تماماً القضية الفلسطينية في فيلمه .. وأنه لم يتعمق في تحليلها بالشكل الكافي ..

وهذه الأصوات ارتفع مثلها بين صفوف العرب في كل من باريس وأمريكا الذين شاهدوا الفيلم وكانوا يتوقعون المزيد من الصراحة والمواجهة وتحديد المواقف ..

وقد يكون لهذه الأصوات كل الحق في تصورها ..

ولكن يجب ألا ننسى .. أن هذا الفنان الأوربي ــ بتفكيره ومنطقه الخاص ــ قد اقبـل على الخـوض في هـذه القضيـــة الساخنة ، دون أن يكون مدفوعاً من احد ، أو لحساب أحد ، وانما لقناعته الشخصية بان يطرح على الشاشة العالمية ، لأول مرة جانباً من الصراع الفلسطيني الاسرائيلي .. وان يتحمل كل عقبات ونتائج هذه المغامرة (وقد بدا بالفعل في حصد هذه العقبات كما أشرنا) .

ويكفي الفيلم .. انه يعيد الى ذهن المتفرج الأوربي والأمريكي .. هذا السؤال البديهي وجوهر القضية كلها .. هذه الأرض ــ أرض فلسطين ــ من حق من ؟ .. هل هي من حق ابنائها .. ام من حق دولـــة الاحتلال ؟ .

والفيلم لا يكتفي بطرح السؤال وبتعقب محاولة الرد عليه .. ولكنه يقدم فلسفة



بين اطلال القرية التى شرد الاسرائيليون سكانها وتحولت المساكن الى خراب .. ومجموعة من الفنيين فى فيلم «حنا . ك .» يضبطون معداتهم لتصوير احد مشاهد الفيلم

النظام الاسرائيلي الذي يعترف من خلال احد كبار ممثلي العدالة فيه ! « لقد عشنا الفي عام في اضطهاد وتشرد .. حتى وجدنا هذه الأرض واصبح لنا وطن وكيان .. ولن نعرضها للضياع وعلينا ان نحميها بكل سبيل » !

قصة الفيلم

وعنوان الفيلم « حنا . ك » هو اختصار لاسم المحامية « حنا . كوفمان » التي تدور من خلالها ومن حولها احداث الفيلم .

فهي امراة في الخامسة والثلاثين من عمرها (تلعب الدور الممثلة الأمريكية جيل كلايبرج) تحيا ازمة شخصية .. فهي امراة ممزقة في عواطفها .. تفتقد الانتماء .. فهي من اصل بولندي .. ولكنها تربت ودرست في امريكا .. وتزوجت في فرنسا .. ثم انتقلت الى اسرائيل لتمارس المحاماة .. ولتقع في غرام المدعي العام الاسرائيلي ، وتحمل منه .. وهي لا تبالي بهذا المازق ولا تستطيع ان تحدد الى اي رجل سترتبط مصيرها .. هل لزوجها الفرنسي الذي يحبها ويغفر لها سقطتها .. ام لعشيقها الاسرائيلي الذي يطلب منها الانفصال عن زوجها ليتزوجها ..

هذه المراة تجد نفسها داخل قضية شاب فلسطيني يريد اثبات حق ملكيته لبيت اسرته في احدى القرى الفلسطينية المحتلة .. ومع هذا الشاب الفلسطيني تكتشف النظام العسكري الاسرائيلي ، والقشرة الهشة التي تعيش فيها، وتتجسد ازمتها اكثر ..

هكذا كانت البداية

والفيلم يبدأ بهذا الشاب الفلسطيني .. وينتهي به .. فهو الموجود الغائب طوال الفيلم .. وكانه الضمير الحي الذي يوقظ كل المشاعر والتساؤلات .

ففي مشهد بداية الفيلم .. يضعنا المخرج « كوستا جافراس » امام القوة الاسرائيلية الغاشمة .. وكانه يريد ان يحدد منذ اللقطة الأولى .. طبيعة هذا المكان واسلوب النظام الاسرائيلي والمعنى الحقيقي للقهر والعنف والاحتلال .

الوقت فجر .. وظلام الليل ما زال يرخي استاره على المكان .. وقوة اسرائيلية مدججة بالسلاح وبالعربات المصفحة تنتشر حول بيوت القرية .. يخرجون سكانها من الفلسطينيين .. ويقبضون على بعض رجالها وشبابها .. ويطلقون كلابهم البوليسية ليتشمموا آثار من افلت منهم .. ويتوقف احد الكلاب بالنباح امام بئر مياه ويتجمع بعض الجنود حول البئر ويسلطون أضواء بطارياتهم ليكتشفوا أن هناك شاباً مختبئاً في قاع البئر .. يطلبون منه الصعود بسرعة .. ويصوبون ناحيته بنادقهم .. ويصعد الشاب لنتعرف على ملامحه الحادة وعيونه الممزوجة بالتحدي والحزن .. ويمطرونه بالأسئلة السريعة باللغة العربية « فين سلاحك .. اين خباته .. كنت رايح فين .. ما اسمك » ؟

ويرد الشاب بثقة كمن تعود على مثل هذه الأسئلة .. إنه لا يحمل سلاحا .. اما اسمه فهو « سليم بكري » (يلعب الدور الممثل الفلسطيني محمد بكري) .

ويدفعونه الى عربة المقبوض عليهم .. بينما تنتقل الكاميرا على وجوه اهالي القرية وهم يقفون يشهدون هذا الهجوم نساء واطفالا وصبية في ملامح كلها اصرار وتحد .. بينما بعض الجنود الاسرائيليين يخرجون امراة عجوزاً من بيتها ويدفعونها بشدة بعيداً عنه .. ثم يمدون الأسلاك المتفجرة ويضغطون على جهاز التفجير لينفجر البيت ويتهاوى كتلا من الأخشاب والحجارة .

ومع منظر البيت في لحظة التفجير تبدأ عناوين الفيلم .

صوت المؤذن « الله اكبر » وتباشير الصباح .. نتعرف على المكان .. احدى قرى الضفة الغربية .. وعربة نقل المعتقلين تمضي مسرعة .. وصوت الفلسطينيين يهتف « ثورة حتى النصر » ونلمح بعضهم وهم يخرجون من العربة الى داخل السجن واصابع ايديهم ترتفع بعلامة النصر ..

موجود .. أو غير موجود ؟

داخل المحكمة .. الشاب الفلسطيني سليم بكري في قفص الاتهام ..

والمحامية « حنا . ك » تدافع عنه : «إنه لم يكن يحمل اية أسلحة . المدعي العام عشيقها يرد بتحديد قاطع « إنه ارهابي » ترد هي « إنه ليس ارهابياً .. إنه كان يريد أن يعود الى بلده »

القاضي يستمع لها في ملل .. وهي تحاول أن تدافع في اصرار !

« لا يمكن اتهامه بشيء لم يفعله .. لقد جاء لزيارة اهله » .



المحامية « حنا . ك . » داخل القريـــــة التي اختفت من الخريطــــة واقامت اسرائيل مســـتوطنة مكانها باســـم اخـــر

سينما

القضية الفلسطينية على الشاشة العالمية

فيلم "حنا.ك" .. وكيف ننظر إليه؟

المدعي العام يسالها في سخرية « اهله .. من هم اهله .. ما هي جنسيتهم او جنسيته .. انه لا ينتمي الى احد هنا ولا ينتمي الى اي بلد .. وليســـت له ايـــة جنسيـــة ؟ » .

فترد عليه « حنا . ك » بنفس السخرية « وقد لا يكون موجوداً بالمرة » ! !

وتاتي هذه العبارة .. كاول قذيفة يطلقها الفيلم على الفكر الاسرائيلي الذي ينكر وجود هؤلاء الفلسطينيين .. ولا يعترف لهم بجنسية او وطن .

مجرد مستندات

ما هي قضية هذا الشاب الفلسطيني « سليم بكري » ؟

قضيته انه قبض عليه بتهمة دخول الأرض الاسرائيلية متسللا .. بينما هو يقول إنه صاحب هذه الأرض .. وان بيت عائلته موجود في « كفر رمانة » .. وهو يحمل المستندات الدالة على الملكية ويحمل صورة العائلة .

إنه ليس ارهابياً .. ولا يحمل اية اسلحة .. وانما كل ما يحمله هو مستندات وصورة العائلة .. ويريد العودة الى بيته .

وتحمل المحامية هذه المستندات وتبدأ رحلتها الى قرية « كفر رمانة » .

وتاتي القذيفة الثانية التي يطلقها الفيلم ضد الحكم الاسرائيلي .. فالمفاجاة المذهلة .. ان قرية « كفر رمانة » قد ازالها الاسرائيليون من على الخريطة .. وانشاوا بدلا منها ما اطلقوا عليه « كفار ريمون » ! ! هدموا المنازل .. واقاموا بدلا منها مساكن حديثة للمهجرين ! ! .

وفي واحد من اذكى مشاهد الفيلم .. نرى رجلا عجوزا من الأهالي الحقيقيين للقرية .. وهو يدب بعصاه على الأرض ويردد كانما يؤكد لنفسه وللجميع « هنا .. كفر رمانة » .

إنها الحقيقة التي لا يمكن تزييفها ..

واحدى المهجرات الروسيات .. تستقبل المحامية بدهشة وهي لا تعرف ما معنى « كفر رمانة » ولا هذا المنزل الذي تبحث عنه .. وإنما تشير لها على منزل قديم تحول الى مزار سياحي !

وتذهب المحامية الى هذا المنزل القديم ، المبنى على الطراز الاسلامي .. لتكتشف على احد حوائطه صورة تذكارية للعائلة التي كانت تقيم هنا .. وهي نفس الصورة التي تحملها ضمن مستندات هذا الشاب الفلسطيني .

اي ان هذا المنزل ، هو منزله .. وهذه الأرض ، هي ارضه .

ضد الأمن

وتعود المحامية بهذا الاكتشاف الذى ظنت انه انتصار لها .. ولقضية موكلها .. ولكن مفاجاة قاسية تنتظرها .

وتاتي القذيفة الثالثة التي يطلقها الفيلم ضد الديمقراطية التي تزعمها اسرائيل .. فهناك اجتماع مغلق يضم استاذ القانون الذي تعمل عنده هذه المحامية .. والمدعي العام الاسرائيلي يحاولان اقناعها بالعدول عن هذه القضية التي بدات تثير الراي العام .. ومنطقهما انه لو حصل هذا الشاب الفلسطيني على حكم باسترداد بيته وارضه .. فهذا معناه







ثلاث لقطات متتالية من مشهد نهاية الفيلم ، حيث تفاجىء المحامية بطرقات على الباب ، فتسرع لترى القادم ، وتكتشف ان فرقـــة من الجنود الاسرائيليين يحـاصرون مدخـل البيت

ان كل الفلسطينيين سيطالبون بارضهم .. وهذا ايضاً معناه نهاية دولة اسرائيل .. وهذا ضد امن اسرائيل .. « وعلينا ان نحمي وطننا مهما كانت التضحيات » ! !

وترد المحامية في صدمة من اكتشف هذا المنطق : « ولكن هل نحميها .. بانكار هذه الحقوق على غيرنا » ؟

يجيبها المحامي الاسرائيلى بكل الثقة والقوة : « نعم .. لو اضطرتنا الظروف الى ذلك » !

وتستسلم المحامية مضطرة امام هذا الحصار .

النهاية .. حالة حصار

وهكذا تتداخل خطوط سيناريو الفيلم .. بين قصة الحياة الشخصية لهذه المحامية وبحثها عن الأمان والحب .. وقصة هذا الفلسطيني الباحث عن حقه الضائع ..



المخرج كوستا جافراس يشرح لقطة من الفيلم للممثلة جيل كلايبرج

وينتهي الفيلم بمشهدين متتاليتين في غاية الاحكام والبلاغة ..

فعلى مائدة العشاء يجتمع الرجال الثلاثة في حياة المحامية .. زوجها الفرنسي وعشيقها الاسرائيلي .. ثم هذا الشاب الفلسطيني سليم بكري الذي انتقل ليعيش في منزلها ..

والتليفزيون يذيع نشرة الأخبار .. والمذيع يعلن عن انفجار قنبلة في اتوبيس في « كفار ريمون » .. وينهض المدعي الاسرائيلي شاهراً مسدسه ويطلب من سليم بكري ان يسلم نفسه فهو المتهم في هذا الحادث .. ويسرع المدعي للاتصال بالشرطة للحضور للقبض على « الارهابي » المتهم .

وينظر له سليم نظرة من يعرف هذه اللعبة .. لقد دبروا الحادث وجاءوا ليتهموه .. والمحامية تدرك تماما انه لا علاقة له بالحادث .. وتثور ضد المدعي الاسرائيلي .. وتطالب من سليم ان يدافع عن نفسه ، فقد كان معها في هذا الصباح .. ولكن سليم يبتسم في حزن ويقول « ما فائدة الكلام .. لقد اصدر الحكم وانتهى الأمر » !

ويخرج سليم من المنزل .. الى اين .. لا احد يعرف !

وتفجر المحامية كل غضبها في زوجها وعشيقها .. فينسحبان من امامها .. وهي تهذي في ضياع «من انا .. ومن اكون ؟ » .

وتستعد لحمام ساخن .. وكانما تريد ان تغتسل من كل هذه الآثار .ولكن صوت دقات متتالية على الباب يجبرها ان تسرع لترى من القادم ..

وتاتي النهاية على نظرات عينيها وهي تتجمد من الدهشة .. لتكتشف فرقة من الجنود الاسرائيليين المدججين بالأسلحة يحاصرون بابها .. وينظرون ناحيتها .. حالة حصار جديدة .. هل جاءوا ليقبضوا على « الارهابي » الفلسطيني كما يسميه عشيقها المدعي الاسرائيلي .. ام انهم جاءوا ليقبضوا عليها ..

سؤال مفتوح لم يجب عليه الفيلم وهو ينتهي بهذه الموسيقى العسكرية المفزعة ..

مناطق الجمال .. والضعف

هذا هو فيلم « حنا . ك » حيث ظهر الاسرائيليون كقتلة ولصوص .. يحملون الأسلحة من اول لقطة في الفيلم وحتى آخر لقطة .. فبقاؤهم مرهون بالسلاح ، ومنطقهم يقوم على الكذب والخداع .وديموقراطيتهم بناء من الورق يحركونه في الاتجاه الذي يحميهم ..

وتغزل المخرج في مدينة القدس .. فقدمها بعين الشاعر الذي احب المدينة .. وقباب مساجدها واصداء الأذان تمتزج باجراس الكنائس .. ووضع في الخلفية موسيقى تنبض بروح الشرق وعذوبته وسحره الذي يمس القلوب ..

لقد تردد طوال الفيلم وصف الارهابي يطلقه الاسرائيليون على اي فلسطيني .. ولكننا لم نر فلسطينيا واحداً شريراً او عاشقا لسفك الدماء ..

وربما كان اضعف ما في الفيلم .. هذا الجزء الخاص بانتقال الشاب الفلسطيني ليعيش في بيت المحامية .. فبدءا من بدروم البيت حتى انتقل الى داخله .. ليقوم برعاية طفل المحامية والخروج به للتنزه ! ! هذا المنزلق السياسي الذي سقط فيه السيناريو .. ربما كان له ما يبرره كحل للقصة العاطفية للمحامية .. ولكنه فتح الباب لرموز وتفسيرات مرفوضة .

دراما انسانية

والمخرج « كوستا جافراس » الذي انتج الفيلم مع زوجته .. يؤكد انه ليس طرفا في الصراع الفلسطيني الاسرائيلي .. « لست مع احد ضد احد .. ولكن هذا الصراع يمثل عندي دراما انسانية شديدة التعقيد .. » .

وقد استخدم المخرج نفس منهجه في فيلم مفقود .. حيث قدم في ذلك الفيلم قصة اب وزوجة يبحثان عن الابن والزوج المفقود في احداث شيلي .. ومن خلال هذا البحث يتعرض للسياسة الخارجية الامريكية .

وفي فيلم « حنا . ك » هناك المراة التي تبحث عن ذاتها .. والشاب الذي يبحث عن حقه .. ومن خلال هذا البحث يتعرض للنظام الاسرائيلي .

وقد كتب المخرج سيناريو الفيلم بالاشتراك مع « فرانكو سوليناس » عن قصة قاما بتاليفها معا من خلال عدة رحلات الى اسرائيل .. حتى ان المخرج فكر ان يكتب على الشاشة في بداية الفيلم « ان هذه القصة حقيقية رغم انها من اختراعنا » ! .. اي ان الخيال تطابق مع الواقع في كثير من النقاط .

وقد استغرق تصوير الفيلم ستة اسابيع داخل اسرائيل .. ثم اربعة اسابيع اخرى في ايطاليا لظروف مالية خاصة بالانتاج .

ومن اهم اكتشافات الفيلم .. ذلك الممثل الفلسطيني « محمد بكري » الذي قام بدور « سليم بكري » وهو من ممثلي المسرح في الارض المحتلة .. ويتميز بوجه معبر فيه كل ملامح الرجولة والصلابة والعذوبة ايضا .

وأكدت الممثلة الامريكية «جيل كلايبرج» انها واحدة من انضج الممثلات اللاتي قدمتهن السينما الأمريكية خلال السنوات الخمس الأخيرة .. وقد استطاعت ان تتحمل عبء الدور باقتدار واضح .

●●

ومهما كانت المآخذ التي يسجلها البعض ضد الفيلم .. إلا انه في النهاية اول محاولة من نوعها في السينما العالمية . وعلينا ان نقف بجوار كل من يفكر في تكرار المحاولة بصورة افضل وباخطاء اقل ..

« رءوف توفيق »

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

الخط العربي

طالعتنا مجلة الدوحة في عددها التسعين الصادر في شهر يونيه ١٩٨٣ م باستطلاع عن كتاب الشهر (ديوان الخط العربي)

ولحاجتنا للكتاب قمنا بتحرير رسالة لمؤلفه الدكتور « عبد الكريم الخطيبي » بجامعة الرباط بالمغرب لافادتنا عن كيفية الحصول على نسخة من الديوان ، ولكن للاسف الشديد رد البريد الينا الخطاب ثانيا وذلك لعدم الاستدلال على عنوان الأستاذ الخطيبي ، فلجانا اليكم للتفضل بارسال نسخة من هذا الديوان بعد افادتنا عن ثمنه .

ومن ناحية اخرى طالعتنا مجلة الدوحة مرة ثانية في عددها الخامس والتسعين الصادر في نوفمبر عام ١٩٨٣ بمقال عنوانه (عبقرية العرب في خطوطهم) بقلم الأستاذ الغمرى عقل تحدث فيه عن اجمل حرف في كل لغات العالم وافادنا بعرض صورة الغلاف لكتاب (روح الخط العربي) تاليف كامل البابا الخطاط ، مما دفعنا ايضا الى الرغبة الشديدة في اقتنائه مع ديوان الخط العربي .. كل هذا من اجل شدة حاجتنا اليهما في عملنا بالجامعة

فهل نطمع بمساندتكم في الحصول على نسختين من ديوان الخط العربي ، وروح الخط العربي ؟

محمد محمود علي اسماعيل
مشرف رعاية الشباب بجامعة صنعاء

— في الوقت الذى نقدر فيه حاجتكم الملحة لهذين الكتابين ، ناسف لعدم قدرتنا على تلبية طلبكم لعدم توفر النسخ لدينا ، لكننا نامل من الأستاذين الكريمين عبد الكريم الخطيبي وكامل البابا ان يقرأ رسالتكم ويلبيا طلبكم .

البترول في منطقة الخليج

اقوم حاليا بكتابة بحث دراسي عن « البترول في منطقة الخليج » ، وبعد أن تقدمت بعدة خطوات في هذا المجال لاحظت بانني بحاجة ملحة الى مزيد من المراجع المتعلقة بالبحث ، لذلك فانني اهيب بالمسئولين في الهيئات والمؤسسات المختصة في خليجنا العربي العزيز ان يتكرموا بارسال ما لديهم من مراجع وتقارير واحصاءات تساعدني على تكملة بحثي ، واظهاره بالمظهر اللائق واهمية الموضوع .

حسين احمد حسين
مصر — الاسكندرية — شارع ابن النديم المتفرع من شارع التوفيقية عمارة السيد عثمان

كتب وصلتنا

تلقت المجلة مجموعة الكتب التالية من كرام قرائها :

- من ثمار الفكر — مجموعة المحاضرات التى تضمنها الموسم الثقافي الثامن ١٤٠٣ هـ ١٩٨٢ م في جامعة قطر .
- مواكب العلماء « من القصص الاسلامي » .
  المؤلف : احمد العناني .
  الناشر : دار المتنبي للنشر والتوزيع — الدوحة — قطر .
- اناشيد اخرى « شعر » .
  المؤلف : د . عيسى الناعوري .
  الناشر : دائرة الثقافة والفنون — عمان .
- الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضارى .
  المؤلف د . محمود حمدى زقزوق .
  الناشر : مجلة الأمة — قطر .
- دوحة الايمان « شعر » .
  المؤلف : سليم سعيد .
  الناشر : مطابع قطر الوطنية — الدوحة .
- الاسلام وتعدد الزوجات .
  المؤلف : الشيخ ابراهيم النعمة
  الناشر : الدار السعودية للنشر والتوزيع — جدة .



اين خالد محمد خالد ؟

منذ شهور غاب عن منبر الدوحة الأستاذ الكبير خالد محمد خالد ، ولا ندري لذلك سببا ... ولست انكر على نفسي وعليكم انني ظللت انتظر طيلة هذه الشهور على امل ان اراه في العدد التالى .. ولكن لا جدوى ! فاين استاذنا وشيخنا الكبير ؟!!

محمد صادق مخاريطه
دمياط — مصر

— يعاني الأستاذ خالد محمد خالد اثار وعكة صحية الم به في الأونة الأخيرة ، ندعو الله ان يمن عليه بالشفاء حتى يعود الى قرائه سليما معافى بعون الله تعالى .

●●●

اتهام

تلقينا من الدكتور عبد الرحمن العيسوي — استاذ ورئيس قسم التربية وعلم النفس بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالمملكة العربية السعودية — رسالة يقول فيها « .. تاكدت مؤخرا بان السيد محمد محمد عيسوي الفيومي قد نشر بتوقيعه عدة مقالات في مجلات عربية مختلفة . هي — في الاصل — ماخوذة نصا وروحا واسلوبا ومنهجا ومادة عن مقالاتي ومؤلفاتي وبحوثي ، وقد كشفت مقارنة المقالات عن هذه الحقيقة المؤسفة من « طالب علم » كان في يوم من الأيام احد تلاميذي ، ويعمل الآن موظفا بالوحدة البيطرية بالمحلة الكبرى بمصر .

تعليقات

... مرسل لكم صوراً لثلاثة كتب وجدت ان السيد وجيه الشربجي قد نقل منها بعض الموضوعات في مجلة الدوحة .. ففى العدد رقم ٩٢ الصادر فى اغسطس عام ١٩٨٣ نشرتم موضوعاً بعنوان « كنوز من المعرفة الاسلامية فى بلغاريا ، وهو فى حقيقته تلخيص لمقدمة كتاب (فهرس المخطوطات العربية المحفوظة فى المكتبة الشعبية بصوفية فى بلغاريا » الجزء الأول من تاليف الدكتور عدنان درويش ، وكذلك مقدمة كتاب (مخطوطات عربية فى مكتبة صوفيا) من تصنيف الدكتور يوسف عز الدين

اما التعريف الوارد فى المقال بالكتب المخطوطة فبامكانكم العودة الى الجزء الأول من كتاب (فهرس المخطوطات العربية فى بلغاريا) لتشاهدوا بانفسكم كيف تم النقل

اما ما تم نقله من الجزء الثانى من الكتاب المذكور انفاً فهو اكثر واشمل (احصائية عن الكتب وارقامها وصفحاتها) .

.. هذا وقد سبق للسيد وجيه الشربجى أن نقل عدة مرات من كتب الاخرين ، ونشره باسمه مثل مقاله عن قلعة دمشق ، فهو منقول بحرفيته من كتاب الدكتور عبد القادر الريحاوي ، وهكذا يستمر فى هذا المجال .

حسبي هذه الاشارة .. أملا من هيئة التحرير ان تتنبه الى مثل هذه الأمور الخطيرة .

الدكتور سميح درويش
دمشق

ـ نحن فى سبيل التحقق مما ورد فى هذه الرسالة وحتى نصل الى الحقيقة فنحن بانتظار رد السيد وجيه الشربجي على كافة الملاحظات السابقة !!

كلمات

صدر العدد الاول من المجلة الثقافية الفصلية «كلمات» التى تصدرها اسرة الادباء والكتاب فى دولة البحرين الشقيقة .

والمجلة عبارة عن كتاب ادبي زاخر بالمقالات ، والقصص ، والقصائد ، والتراجم ، والدراسات .

عن ولادة «كلمات» جاء فى الافتتاحية :

(«كلمات» جاءت فى الوقت المناسب ، لانها ولدت فى الوقت الذى تندر فيه الولادة ، الوقت العربى يزخر بالموت والنهايات . كان كل شىء ينهار ، او يبشر



بانهيار ، وعلى «كلمات» ان تحتفي بصعوباتها ، لانها معنية بالأمل الكامن وراء كل ذلك ، فاصعب الاشياء فى هذا الوقت العربى (ثقافة وواقع) هو ان تامل وتحلم .

.. هذا ويراس تحرير المجلة الأستاذ ابراهيم عبد الله غلوم ، وتضم هيئة تحريرها الاخوة : قاسم حداد ، عبد القادر عقيل ، امين صالح ، خلف احمد خلف .

والى جانب الأمل الذى نعقده على «كلمات» للمساهمة الفعالة فى نشر الثقافات العربية والاسلامية والعالمية فاننا ندعو الكتاب والادباء العرب الى المشاركة فى تجسيد هذا الأمل . عنوان المجلة : ص . ب (١٠١٠) المنامة ـ دولة البحرين .



تصويب

وردنا من استاذنا الكبير الشيخ محمد الغزالي التصويب التالى لبعض ما ورد فى مقالة « مدرسة رائدة وامام ضخم » الذى نشر فى العدد ٩٦ ـ ديسمبر ١٩٨٣ م : « لقد وقع خطا فى مقالي المنشور بالعدد الماضي من الدوحة اذ ذكرت ان مجلة العروة الوثقي كانت تصدر فى لندن ، والصحيح انها كانت تصدر فى باريس ، وقد احتجبت بعد أن ظهر منها ١٨ عدداً ، وذلك بسبب اغلاق الباب امامها فى كثير من العواصم التى كانت خاضعة للاستعمار » .

ردود خاصة

● الأخت صفية الفرجاني ـ الاسماعيلية ـ مصر .

ـ بخصوص كتاب « قضايا تربوية معاصرة » يمكنك طلبه مباشرة من مؤلفه الاستاذ عبد العزيز عبد الله تركى وكيل وزارة التربية والتعليم على عنوانه : ص . ب (٨٠) الدوحة ـ قطر . ولا حاجة لارسال اية مبالغ نقدية .

● الأخ الشربيني احمد عبد الوهاب ـ الدقهلية ـ مصر .

نعتذر لك ، ولجميع الأخوة القراء الذين يطلبون الحصول على اعداد سابقة من الدوحة ، لعدم توفر النسخ المطلوبة .

اما بالنسبة لعدم فوزك فى مسابقات المجلة ، فهذا مرده الى وفرة الاجابات الصحيحة مما يضطرنا الى اجراء القرعة بين القراء ، وحينئذ تكون فرص الفوز محدودة .

● الأخ محمد ابراهيم شيمي ـ القاهرة .

ـ الشاعرة العربية الكبيرة فدوى طوقان مازالت حية ترزق ندعو الله ان يطيل عمرها ويزيد عطاءها ، وهى تعيش فى مسقط راسها « نابلس » بالضفة الغربية المحتلة .

● الأخ عبد الرحمن حريتاني ـ حلب ـ سوريا .

ـ وصلتنا مقالتك ، وسنعمل على الاستفادة من اقتراحاتكم البناءة . لك تحياتنا .

● الأخ برباش نور الدين ـ مكناس ـ المغرب .

ـ وصلتنا رسالتك . ونشكرك على مشاعرك النبيلة . نرجو الكتابة بخط واضح ، وعلى وجه واحد من صفحة الرسالة ، وكتابة اسم الباب على مغلف الرسالة .

● الأخ حامد حسن شبير ـ الخرطوم ـ السودان .

ـ نرحب بمقالاتك عن « شوامخ الفكر والفن بالسودان » . والحصول على الصور ممكن التحقيق .

● الأخت سماح وحيد الدين ـ الاسكندرية ـ مصر .

نرحب بك صديقة للمجلة ، ونحن بانتظار انتاجك .



حاول أن تعرف



الصورة الأولى : من أشهر الأبراج الموجودة فى العالم ، وهو قائم فى واحدة من أشهر المدن وأعرقها فى العالم ، وقد سمى البرج باسمها ، فهل تستطيع معرفة اسم هذا البرج ؟



الصورة الثانية : عالم اسلامى يعتبر من أعظم علماء التاريخ الطبيعي عامة ، وعلم النبات خاصة ، يعتبر كتابه القيم « الجامع لمفردات الأدوية والأغذية » من أهم المراجع فى علم النبات والأدوية المستخلصة من العشب فى القرن الثالث عشر وماتلاه ، فهل عرفته ؟

دوحة القراء

مسابقة الدوحة

برجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٥



الصورة الأولى : سد جراند ديكسنس
الفائزة : سعاد خضر الفوراني ـ سوريا
الفائز : الأمين على الصديق ـ السودان



الصورة الثانية : إبن خلكان
الفائز : خالد أحمد بشار ـ الامارات
الفائز : ساجد رمضان سلطنة عمان

ذكـــاء امـــرأة



ألى امرؤ القيس على نفسه ألا يتزوج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنين ، وكان عندما يخطب أية امرأة يسألها هذا السؤال فتقول له :
أربعة عشرة وذات يوم كان فى طريقه فالتقى برجل يصطحب ابنته الجميلة التى أعجبته فقال لها : أيتها الفتاة ما ثمانية وأربعة واثنان ؟ فقالت :
أما ثمانية فأطباء الكلبة ، وأما أربعة فأخلاف الناقة ، وأما اثنان فثديا المرأة فخطبها من أبيها .

علي عبد الله الشافعى ـ مصر

أدرك أهلك



خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع جماعة من أصحابه الى البادية للصيد والقنص ، فلقيهم أحد الأعراب ممتطيا جواداً أشهب . فأوقفه عمر وقال له : ما اسمك ؟ قال : شهاب ، قال أبو من ؟ قال : أبو جمرة ، فقال : ممن أنت ؟ قال : من بني حرقة ثم من بني ضرام . قال : أين مسكنك ؟ قال : في ذات لظى . قال : ما اسم جوادك ؟ قال سعير ، فقال له عمر : أدرك أهلك قبل أن يحترقوا ! !

مجدي محمد جاد كشك مصر

لقطة الشهر



هــذا الشـــبل من ذاك الأســد

فاز بالجائزة وقدرهـا ١٠٠ ريال قطرى
القارىء : فيصل جريتانى ـ سورية ـ حلب

مثلكِ من تملك بعلها ..!

جاء في أخبار كثير بن عبد الرحمن الشاعر الذي اشتهر بكثير عزة أنه مات وعكرمة مولى ابن عباس في يوم واحد . وقال الناس يومها « مات أشعر الناس وافقه الناس » وغلبت النساء على جنازة كثير يبكينه ويذكرن صاحبته « عزة » في ندبتهن له ، وأقبل محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، يشق طريقه ويضرب النادبات بكمه قائلا : تنحين يا صويحبات يوسف ! فتقدمت له امرأة منهن تقول :

لقد صدقت إنا لصويحبات يوسف .. ولقد كنا له خيراً منكم له » فأوصى أحد مواليه أن يحتفظ بها حتى يجيئه بها بعد انصرافه .

ثم جيء بتلك المرأة كأنها شرارة نار كما قال راوي القصة ، فسألها محمد بن علي : « أنت القائلة إنكن ليوسف خيراً منا ؟ » قالت : نعم .. ثم قالت : تؤمنني غضبك ؟ قال : أنت آمنة من غضبي فأبيني .

قالت : نحن دعوناه الى اللذات من المطعم والمشرب والتمتع والتنعم .. وأنتم معاشر الرجال القيتموه فى الجب ، وبعتموه بأبخس الأثمان ، سجنتموه فى السجن فايانا كان عليه أحنى وبه أرأف ؟

فقال محمد : ولن تغالب امرأة إلا غلبت ، ثم سألها : ألك بعل ؟ قالت : لي من الرجال من أنا بعله ، قال : صدقت ! مثلك من تملك بعلها ولا يملكها .

قمر الدولة دفع الله ابراهيم ـ السودان

دوحة القراء

مسابقة الدوحة



مَن ؟

سياسى خبيث نكب العرب بنكبة لم يعرفها التاريخ من قبله بوعد اصدره ، اسمه من ثلاث كلمات فى ثلاثة عشر حرفاً :

١٣ ـ ٣ قذر

١ ـ ١٠ ـ ٥ ـ ١ ـ ٧ ـ ١٢ ـ ٨ من الانعام

٢ ـ ٦ ـ ١١ ـ ٦ من الأرض الزراعية

٤ ـ ٩ سـيد

أين ؟

الجزء من بلاد الاسلام الذى ضاع نتيجة لسوء حال العرب وذلك الوعد السياسى المذكور . اسمه من ستة احرف :

٤ ـ ٦ وحدة للوزن غير عربية اللفظ .

٥ ـ ٣ ـ ١ ـ ٢ يكون الى اسفل

مـا ؟

الصفة التى تلازم العرب فى اغلب الأحوال فينفذ اى عدو من خلالها ويفعل بالعرب ما يريد . الكلمة من ستة احرف :

٣ ـ ٢ ـ ٤ فساد أو خراب

١ ـ ٦ ـ ٤ غاب واختفى

٥ ـ ٢ اداة تعريف

الإجابة الصحيحة

(١) يتكون اللون الاخضر بمزج لونين من الوان الطيف التالية : الأزرق ـ الأصفر ـ الاحمـــر ـ البنفسجى .

(٢) ثلاث من الصحف والمجلات التالية تصدر بمدينة الدوحة عاصمة دولة قطر : الريان ـ الراية ـ العهد ـ الزمان ـ السياسة ـ الوطن

(٣) من هو مؤلف كتاب ارواح متمردة ؟

جبران خليل جبران ـ انطون سعادة ـ بشارة الخورى .

(٤) فى اوروبا وامريكا يصنعون الجيلاتين الـــذى نـاكله ونحن لا ندرى من : جلود الخنازير ـ امعاء الكلاب ـ روث الضفادع .

(٥) « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » .

قائل هذه العبارة هو :

سيدنا عيسى عليه السلام ـ لقمان الحكيم ـ برناردشو .

(٦) السلاحف البحريـــة من مجموعة الحيوانات :

البرمائية ـ الزاحفة ـ القشرية .

(٧) توفى العالم اللغـــوى ابو منصور الثعالبى مؤلف كتاب فقه اللغة وسر العربية فى سنه : ١٠٣٨ ـ ١١١٢ ـ ١٠٠٥ ميلادية . وكانت وفاته قبل وفاة ابن سينا أم بعدها بعام واحد ؟

(٨) الأقليم الوحيد فى العالم الذى يعيش فيه ايل المسك هـــو : جبال الهمالايا ـ جبال الانديز ـ جبال جنوب سيناء .

(٩) اخى جاوز الظالمون المدى :

اكمل البيت وانسبه الى قائله وما مناسبته ؟

(١٠) «يصنع الفخار من احجار الدولومايت بعد عجن طحينها بالخل » هل هذه العبارة صحيحة علمياً ؟؟

حل مسابقة العـــدد ٩٥

من ؟ سعيد بن جبير

اين ؟ الطائف

مــا ؟ العدل

« الاجوبة الصحيحة»

١ ـ الخريدة ـ الحصة ـ الجمانة

٢ ـ إذا المزكوم لم يطعم شذاها ـ احمد بك شوقى ـ عن لسان ورد زوج ليلى

٣ ـ الكبريتيك

٤ ـ محاكم التفتيش ـ دنشواى ـ دير يٰسين ـ بحر البقر ـ صبرا وشاتيلا

٥ ـ قبل الاسلام

٦ ـ خطا

٧ ـ الالتحام النووى

٨ ـ ١٩٣٢

٩ ـ شرق آسيا

١٠ ـ سيدنا يونس .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ اصل وصورة : الحل : الشعر ـ الحواجب ـ العينين ـ الفم ـ الرقبة ـ الطرحة ـ الفستان .

(١) الفائز : سحيمى محمد ـ المغرب .

(٢) الفائزة: نوره ناصر ابراهيم ـ قطر .

٢ ـ لأقوياء الملاحظة : الحل : قبعة ـ كتاب ـ منفضة سجائر ـ سكين ـ هلال ـ منقله .

(١) الفائز : فلاح جاسم نايف ـ الكويت

(٢) الفائز : محمد صلاح الدين ـ انجلترا

٣ ـ المثل يقول : (١) « الاسكافى حافى والحايك عريان » احمد علي المحاميد ـ الاردن . (٢) « من فوق هالله هالله ومن تحت ماشا الله » سهام محمد ـ الامارات

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى . القارىء : عمر ابراهيم محمد عطيه – الاردن .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى ، القارىء : محمد عوده سلامه – قطر

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارئة : هند ابراهيم زاهر – مصر

وفاز بجائزة قدرها ٥٠ ريالا كل من القراء

١ – عماد الدين دهمه – سوريا
٢ – عمر خالد بدر – السودان
٣ – محمد حسن المهدى – الامارات العربية المتحدة .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ – عبد الرحمن الانصارى – المغرب
٢ – عبد الرحمن ابو عبده – الجزائر
٣ – سنيه احمد السيد – قطر
٤ – راوية عبد العزيز فؤاد – مصر

استراحة الدوحة العدد ٩٥

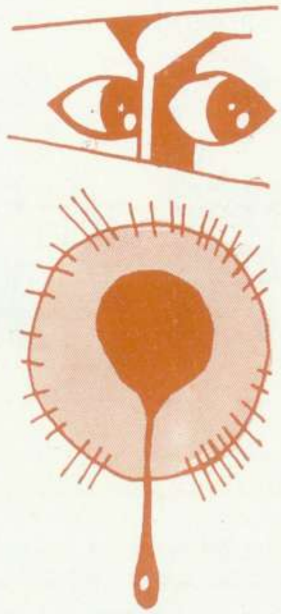
٤ – يخلق من الشبه اربعين – الحل . رقم ٥ . (١) الفائز : عبد الله بدوى – مصر . (٢) : الفائز : عبد النبى عطيه – البحرين

٥ – هات اجمل تعليق : (١) « بن إيه اللى انت جاى تقول عليه » الفائز : امجد محمد عوده – قطر (٢) « حبيبى لما يوعدنى .. تبات الدنيا ضحكالى » الفائز : جمال قطب الغلبان – مصر .

٦ – لعبة الظلال : الحل رقم ٢ (١) الفائز : كمال عبد الله – السودان . (٢) الفائزة : هبه عثمان – السعودية

٧ – دورى الكاريكاتير : الحل : رقم ٩ (١) الفائزة : وفاء امين الشيخ – مصر . (٢) الفائز : عبد العزيز على – البحرين

أوصيك خيرًا بأولادي !



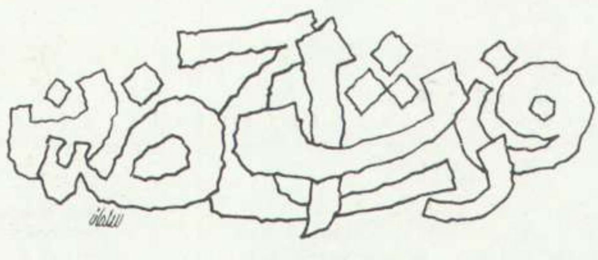
كان الحجاج الثقفى ، رغم ما عرف عنه من الشدة والقسوة ، كريماً تحفل موائده بأشهى المأكولات ، فيطعم منها ضيوفه وغيرهم من الفقراء وأبناء السبيل .

وذات يوم قدم من البادية اعرابي نشأ على شظف العيش ، فهاله ما رأى على المائدة من أطايب الطعام ، وأخذ يأكل فى نهم وشراهة بصورة لفتت أنظار الحاضرين وفى نهاية الطعام قدم طبقاً من أطباق الحلوى أثار فضول الاعرابى برائحته الذكية ومنظره الجميل . فخاطب الحجاج قائلا : « ما اسم هذا الطعام يا مولاى ؟ » فقال الحجاج : « هذا طبق من « الفالوذج » ولو أكلت منه لضربت عنقك بسيفى هذا » !

فبدت الحيرة على وجه الاعرابى ، وأخذ ينظر الى طبق « الفالوذج » تارة والى سيف الحجاج تارة أخرى ، على أن حيرته لم تطل فقد شمر عن ساعده وأرسل يده فى طبق الحلوى وهو يقول : « أوصيك خيراً بأولادى يا أمير المؤمنين » . فضحك الحجاج وعفا عنه .

محمد ياسر منصور – سوريا

أمثال وحكم



- مثل المتكبر كمثل رجل فوق جبل يرى الناس صغاراً . ويرونه صغيراً .
- ثلاثة أشياء لا يمكن تعلمها أبداً .. الكرم..الشعر .. الصوت الحسن .
- الخوف من الهزيمة يلحقها بك .
- العاقل من قل مقاله وكثر احتماله .
- أصلح نفسك يصلح كل الناس ، إذا فاتك خير فأدركه ، وإذا أدركك شر فأسبقه .
- من الممكن تدمير الانسان ولكن ليس من الممكن قهره .
- اذا خرج الكلام من القلب وقع فى القلب ، وإذا خرج من اللسان لم يتجاوز الآذان .
- تضحى المرأة بكل شىء من أجل الرجل الذى تحبه ، ولكنها لا تهتم بمن تثق فى محبته لهـا .

سعد الدين حامد – السودان

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

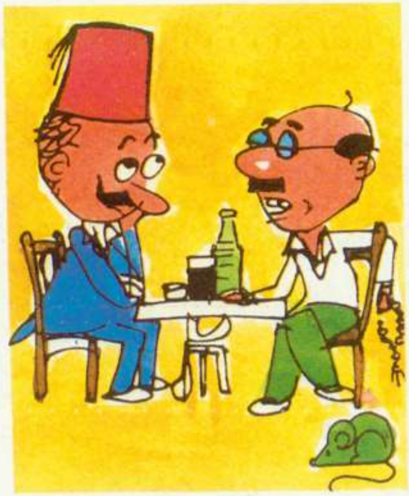
رووف



الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة





بين اصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى هناك سبع اختلافات طفيفة ، اذا استطعت التعرف عليها ارسل الحل لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم!



هذه اللوحة التى لم تتم لقائد عربى كبير وقف فى وجه المستعمر ، وهو صاحب الجملة المشهورة القائلة : « متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم احراراً » .. حاول ان تكمل اللوحة لتتعرف على صاحبها وتحصل على جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، يمكنك التعرف عليهما لتفوز بجائزة تؤكد قوة ملاحظتك .

هات أجمل تعليق



حاول أن تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى لتفوز بجائزة اجمل تعليق .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة شخصيات شديدة الشبه بالموسيقار العالمى « بتهوفن » .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماما ، وفى البقية اختلافات بسيطة ، هل يمكنك التعرف على اللوحة لتفوز بجائزة .

لعبة الظلال



حاول أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى .. اذا عرفت الحل ارسله الينا لتفوز بجائزة .

دورى الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع تحديد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. اذا عرفت الحل ارسله الينا لتفوز بجائزة .

الورقة الأخيرة

قبل فوات الأوان..

بقلم
عبد الله
الشيتي



أعني هنا ، تكريم من يستأهل التكريم ، من ادباء وعلماء ومفكرين وفنانين مبدعين في حياتهم وليس بعد مماتهم ، سواء من جانب الدولة التي ينتمي اليها ذوو الابداع الفكرى والفنى والعلمى ، أو المؤسسات الثقافية والعلمية المعنية ، فى هذا البلد أو ذاك .

انه تكريم - بجملة واحدة مفيدة - قبل **فوات الأوان ،وفى وقته ..والا ماذا يفيد الأديب أو المفكر أو الفنان الراحل من « تكريم » يجىء** متاخراً جداً ، بعد فوات الاوان « لا عين ترى ولا قلب يحزن » .

لقد حدثنى هؤلاء الرواد المبدعون فى نتاجهم على مدى شهور طويلة عن غبطتهم لهذا الحدث .

وكنت قد لبيت دعوة كريمة مؤخراً ، من صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن فهد ابن عبد العزيز الرئيس العام لرعاية الشباب و « أميرهم » فى المملكة العربية السعودية الشقيقة ، لمناسبة حفل التكريم الضخم فى الرياض ، والذى تحول الى مهرجان فرح عم ارجاء المملكة ، وبدت **الرياض يوم التام الشمل العربى - الأدبى -** على أرضها وكأنها فى يوم عيد ولا كل الأعياد . فهى بادرة كريمة من جلالة الملك فهد بن عبد العزيز وحكومته ومن رعاية الشباب ورعاية الكهول معاً - كما قال ذلك أحد الذين تم تكريمهم وهو الاستاذ الجليل حمد الجاسر - وهناك زميلاه الآخران اللذان احتفلنا بتكريمهما الى جانب الأستاذ الجاسر وهما : الأستاذان أحمد السباعى **وعبد الله بن خميس** الذى دلل على عرفانه عبر كلمة شكر وتقدير للملك وحكومته والأمير فيصل، ومثله الاستاذان الجاسر والسباعى .

اما التكريم فهو سخي بل نبيل ، فى شقيه المادى والمعنوى : ١٠٠ ألف ريال مكافأة سنوية مدى الحياة وبراءة الجائزة التقديرية الخاصة بالاداب لعام ١٩٨٣ والتى ستصبح سنوية وتشمل مختلف قطاعات الادب والعلم والثقافة فى المملكة ، وميدالية ذهبية ثمينة .

وساهم الفن التشكيلي فى التكريم - الى جانب أجهزة الاعلام المرئية والسمعية - فتفنن بعض الرسامين السعوديين القادرين برسم لوحات كبيرة لهؤلاء الرواد الأوائل تقديراً منهم لما قدموه لوطنهم وامتهم وما انجزوه من ابداع وفن وعطاء فكرى وادبى وتاريخى وعلمى ، مما كان له اطيب الأثر فى نفس القارىء والمتتبع ونفوس ابناء الجيل الذى نشأ عليهم وتلقى منهم الكثير ، وكان مديناً بالفضل لأهله وهم لذلك مستحقون .

لقد التقى على أرض الريـــاض فى الاسابيع القليلة الماضية ، ما يقرب من ١٢٠ مفكراً وأديباً وعالماً وصحافياً من الوطن العربى والاسلامى شاركوا فى احياء هذه المناسبة الرائدة والتى تمخضت عن اعلان الملك فهد انشاء مجمع علمى ولغوى فى المملكة، وهو فاتحة خير مرتجاة فى المنطقة كلها - تقديراً لأهل العلم واللغة والادب - وتعزيزاً لدورهم ورسالتهم المثلى فى الحياة وخدمة للاجيال ما بعدها خدمة

لقد كان الاجماع عبر الندوات التى أقيمت وحفلات التكريم ومناسبات اللقاءات المشتركة فيما بين ادباء المملكة وادباء العروبة على ان تكريم الاديب أو الشاعر أو الفنان أو المفكر أو العالم فى حياته ، لفتة طيبة ووفية من جانب الدولة - اية دولة - ترعى ادباءها ومبدعيها ، ، لأنه لا فائدة ترتجى من تكريم **يجىء** متاخراً - هذا اذا جاء - وبذلك شعرنا كم غمرت الفرحة قلوب الأساتذة الثلاثة وسط أهلهم وذويهم ومعاصريهم وقرائهم .

وقد حرص المليك ان يقدم اليهم الهدايا والجوائز بنفسه وبوجود أركان الدولة الكبار وآلاف المدعوين من مختلف الفئات والهيئات والفعاليات .

لقد صار للأدب والفكر اهميتهمـــا وشانهما في التقويم وفي المعيار الحضاري والانساني وهذا ما كنا نامل تحقيقه ، وقد قال الأمير فيصل : اننا استأنسنا بتجربة أشقائنا في مصر حيث انشانا هذه الجائزة السنوية على غرار تكريم أهل العلم والادب والفن هناك سنويا !


بيبسي
إجعَل نهارك عيد مَع
بيبسي



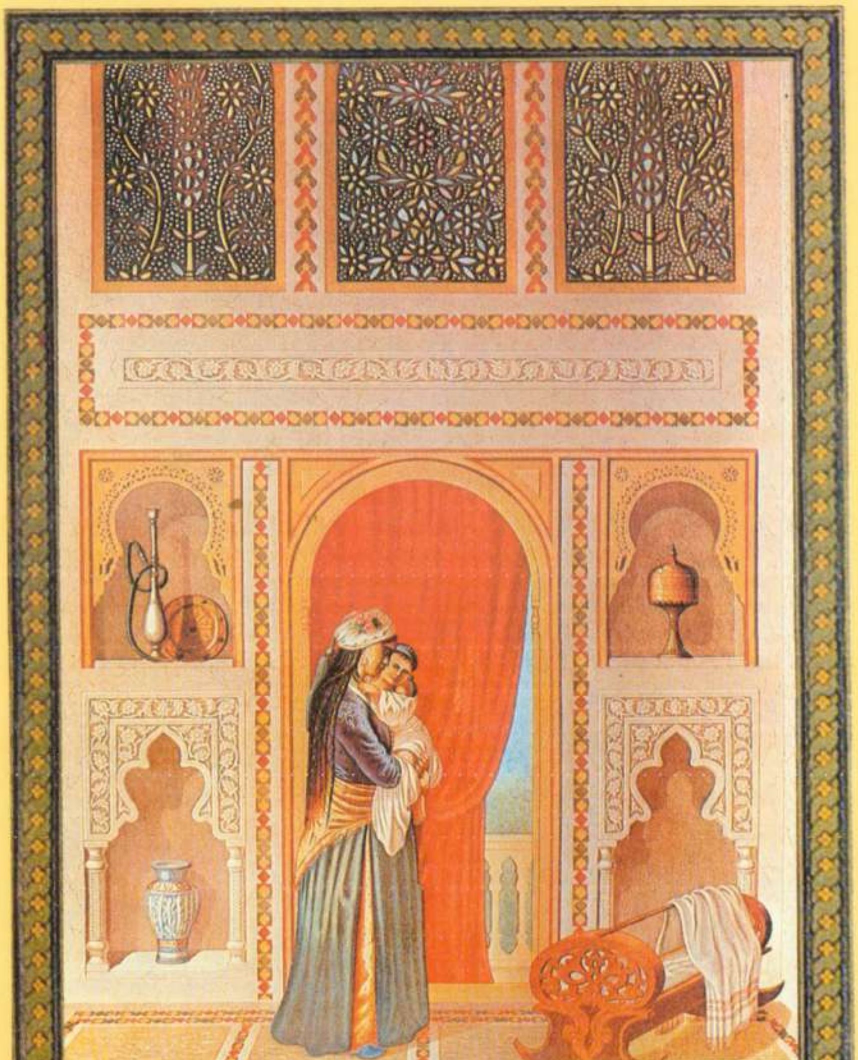
من الذاكرة .. للفنان القطري: سلمان المالكي

العدد ٩٨ - ربيع الثاني ١٤٠٤هـ - فبراير ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

● عشرة أعوام من البحث عن أسرار الفن العربي



● وقفة على جبل الحسرات في غرناطة

د. عبد السلام العجيلي

● أن يتحرّك المشلول .. تلك معجزة .. هل تتحقق؟

د. عبد المحسن صالح

● أخطر رواية سياسية في القرن العشرين

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان :**
دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .

● **مصر :**
مؤسسة توزيع الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة .

● **سوريا :**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .

● **العراق :**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة .
ص . ب ٦٢٤ - بغداد .

● **ليبيا :**
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازى - ص . ب ٣٢١ - بنغازى .

● **الأردن :**
وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .

● **البحرين :**
مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .

● **السعودية :**
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان - ص . ب ١٤٠٥ - الرياض .

مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة .

● **الكويت :**
شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة الكويت .

● **لبنان :**
الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .

● **الجمهورية العربية اليمنية :**
الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى - عدن .

● **الامارات العربية المتحدة :**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع السلام عمارة ثانى بن محمد - ص . ب ٧٩١ - ابو ظبى .

● **سلطنة عمان :**
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر - ص . ب ١٠١١ مطرح مسقط .

● **تونس :**
الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .

● **المغرب :**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .

MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر :**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .

ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع على بن على **Ali Bin Ali Printing Press - Doha**

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٨ - ربيع الثاني ١٤٠٤هـ - فبراير ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة - قطر .
العنوان البرقي : المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها .
فى باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
فى باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين

في هـــــذا العـــــــدد



شاعر يعود مع عصافير المسا (ص ٦٠)



مهرجان المسرح القطري المصري (ص ٨٤)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● ادب وفنون ●



اعرف أمراضك بالريشة الهوائية (ص ١٠٠)

● أبواب ●

الدوحة

مجلة شهرية
ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام
بدولة قطر

● جميع المراسلات
ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة
تعبر عن رأي أصحابها
ولا تعبر بالضرورة
عن رأي وزارة الإعلام
أو رأي المجلة

● المواد لا تعاد إلى مرسليها
نشرت أو لم تنشر

رسائل من جزيرة العرب :

من أجل حوار بين كل العرب

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

عندما تسمع صوتاً ، فى زمننا العربى هذا ، يهتف بك :

● « الحوار الحوار .. !! أفي مدارسنا حوار ؟ أفي جامعاتنا حوار ؟ أفي مجالسنا الخاصة والعامة عبر التاريخ محاورون ؟ » .

وعندما تسمعه يقول :

● « بدون الحوار تنام المدركات أو تضل ، نامت هذه عندي طويلا لأن ابي مات ولم يفتح الحوار والطفل يبقى طفلا وإن كبر إذا لم يجد من يحاوره .. أأتركك (يا ولدي) يحاورك الشارع وتقرأ فى كتب العامة أسمال بضائع السوق وتجارته ؟ أأتركك كتاباً مفتوحاً ، كل من مر به يخط عليه حواره ؟ وأكثر المحاورين لا يحسنون الخط ولا يفقهون جودة الحوار ؟ أأتركك لشعارات البغضاء والكره ، والقارئين له من كتب الأحقاد ؟ عجز الآباء عن فتح الحوار فشابت لمة المجتمع وانحنى ظهره ، لأن الابن لم يحاوره أبوه . سكت الآباء فسكت الفهم وحاورت الجهالة أختها ، ورثتها ثم ورثتها .. من يبطل الميراث الردىء ؟ يبطله الحوار ، يبطله التسامح ، يبطله التواضع ، تبطله الصداقة الحقة .

فاذن .. من يبطل الميراث الردىء ؟

يبطله الحوار ! ! » .

هكذا يسال هذا الصوت .. وهكذا يجيب . فياليت قومي يسمعون !

وياليتهم يسمعونه أيضاً : « خرائبنا الذاتية لا يبنيها من جديد غير الحوار المستمر .. » .

الحوار المستمر ـ يقول الصوت ـ لا الحقد ولا الديناميت ولا الشحنات الناسفة ، لأن هذه تزيد الخرائب خراباً .

ثم يسر إلينا : « فيم سنتحاور ؟ فى شىء كبير وكبير جداً » .

قلت : عندما تسمع صوتا ، فى زمننا العربى هذا ، ينادي هذا النداء .. تشعر بالرغبة فى الاقتراب منه والاستماع إليه لتمحيص مضمون ندائه ، خاصة وانه يحمل تجارب خمس وستين سنة من حاضر الزمن العربى وماضيه .

أن يكون ثمة حوار ، وفى شىء كبير جداً فى زمن القطيعة والاقتتال حول أشياء صغيرة جداً ، فذلك ما يستحق وقفة تعارف وتعريف .

ذلك « الشىء الكبير » مدار الحوار يحاول صاحب النداء أن يبسطه فيما يقرب من مئة وخمس وعشرين « رسالة » تتوزعها كتب ثلاثة صدرت متتابعة مؤخراً فى زمن متقارب .

وهذه الرسائل تقرب فى طابعها الفنى من رسائل النثر العربي الكلاسيكي التى تتناول موضوعات معينة تركز عليها بحثاً وتاملا من مختلف جوانب القضية ،فكانها مقالة موضوعية صيغت فى قالب رسالة ذاتية . ولكن ما يميز هذه الرسائل عن الرسائل العربية القديمة التى تنتقل من



الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجري ... لماذا لم يظهر هذا الصوت المثقل بثماره في وقت أبكر من عمر نهضتنا المعاصرة ؟ !

موضوع إلى أخر، هو انتظامها فى سلك فكرى مترابط واحد، يلخص تجربة عمر وينقل قصة حياة فى ترحالها المجرب المتامل بين سر الحركة فى النجوم والمجرات وسر الحنين لدى البـدوية الى خيمتها فى ارض نجد .

« انتظر منك الجواب - يقول صاحب الرسائل الحكيم لولده - لنبدأ الرحلة فى الحوار ، ونمشي معه سويا فى سكك بيوتنا الضيقة نوسعها شيئاً فشيئاً حتى تتسع وتتسع فان إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الايمان... » .

ويضيف : « ولدي .. حواري معك سياخذك الى قاع الزمن البعيد ، ويمشي بك عليه خطوة خطوة وفق مراى له وتشكله فى ذهني . سنرحّل مطايانا المناخة فى أعماقنا والمعتقلة فى ساحة البيت الذاتي .. وسنحل فى رحلتنا الطويلة ضيوفاً على كل من فكر ، وكل من جاع ، وكل من بكى .. وسنمشي فى الأسواق الزمنية نستقصي الخبر ونباغت فى غيبة الرقيب ابيقور فى ملذاته ، وقارون فى بيته ، ونعود ندلي بشهادتنا على بذاءة الحوار فى خرائب كسرى وقيصر . ومن عناء الرحلة الطويلة ، سننيخ ركائبنا على باب غار حراء لنصغى الى الحوار العظيم فى اليوم العظيم فيما بين جلال الحقيقة وعظمة الاختيار فى الرجل العظيم .. وغار حراء اتعرف ماذا يعني فى رمز الاختيار لأعظم لقاء بين السماء والأرض ؟ .. ومن غار حرا نبدأ الرحلة من جديد ، ونصغي الى الصوت الداخلى فينا كيف يقرأ لنا وكيف يرى الأشياء ويحكم فيها » .

ولا يريد صاحب هذا الصوت ان يبقى صوته واحداً وحيداً .. لأن ذلك يعطل رغبته الملحة فى الحوار وإيمانه الشديد به لذلك تجده منذ البداية يدفع ولده دفعا الى التساؤل والى احاطة دروب الرحلة بغابة من الأسئلة ..

« إلق اسئلتك - يقول - واحداً واحداً حتى تذل لك تجربتي وسريرتي ، فثياب سريرتي فى ثيابي الزمنية غلفتني فى جدر من الكثافة ، ممكن لك ان تضربها باسئلتك حتى تتساقط سماكة الحيطان وتراني على حقيقتي فى تجربتي ، فتدنيك هذه من نفسك ومن كل الناس ...» .

وثيقة عربية معاصرة

هذه الشفافية التى يسعى اليها داعية هذا الحوار العربى ، اطلت أول الأمر فى كتابه الموسوم : (فى اثر المتنبي بين اليمامة والدهناء) برسائله الخمسين التى اتخذت شكل حديث شخصي موجه الى ابي الطيب حول قضايا شعره وحياته وزمنه العربى المرقط الشبيه بزمننا هذا ..

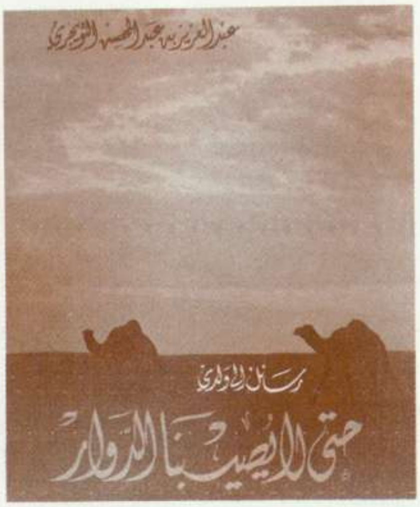
ولم تكن تلك الرسائل نتاج معالجة اكاديمية لظاهرة المتنبي بقدر ما كانت حصيلة معاناة رجل من البادية العربيـة - والبادية العربية بالذات .. بين اليمامة والدهناء - لارث ابي الطيب الذى بقي حياً مخصباً ، مثيراً ، موحياً هناك فى البادية وفى عمق انسانها ، لا كمجرد شعر ، وانما كموقف من الوجود والحياة والأشياء ، وكفلسفة حياة وكطريقة فى تذوق معناها .. ومراراتها .

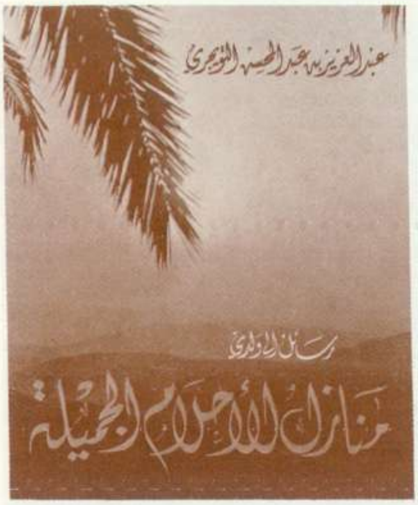
غير ان اهمية الكتاب لم تقف عند هذا الحد ، لانها لم تقتصر على حكمة ابي الطيب وحده ، وانما مازجتها فى مزاج شفاف تجربة الكاتب ذاته ، وارائه فى كثير من الامور ومواقفه فى عديد من قضايـا الواقع العربي المعاصر بحيث جاء فى جانب من جوانبه - وهو الجانب الذاتي الأهم - وثيقة وشهادة عربية معاصرة من قلب الجزيرة العربية الجديدة ، التى تصورها العالم الخارجى خزاناً هائلا للبترول ونسي انها يمكن ان تعود وطنا لمعاناة الانسان وحكمته كما كانت منذ الحنيفية الأولى ..

ذلك الحوار الذى اداره الكاتب بين المتنبي ونفسه فى الكتاب الاول ، اندمجت دوائره فى الكتابين التاليين واتخذ شكل حوار أكثر حميمية بين أب وابنه ، الا انه على ماله من طابع حميم ، اتسع وتشعب وتعمق ليشمل هموم العرب فى حاضرهم الأليم ، وكيفية وصل ماضيهم المشرق بمستقبل اكثر امناً وكرامة ، بحيث بدا لنا الكاتب فى مجمل كتبه الثلاثة وكانه صلة الوصل بين المتنبي ، رمز الماضى الأصيل ، وبين ابنه ، رمز الجيل العربى الجديد ، فى محاولة مضنية لربط ماضى الأمـة بمستقبلها ، وارجاع شبابها الحائر فى حاضر الأمة وحاضر العصر ، الى اسس وجذور اكثر طهارة ورسوخاً وقرباً من النفس .

هكذا جاء الكتاب الثاني لهذا الحكيم المخضرم ، الموسوم (رسائل الى ولدي : حتى لا يصيبنا الدوار) بمثابة محاولة لوقف الانهيار فى الحاضر العربى المهزوز ، بينما جاء كتابه الثالث (منازل الأحلام الجميلة) محاولة منه لاستشراف صورة المستقبل العربي ، عبر مسرى الحوار الممتد من النجوم الى ذرات الرمل فى الصحراء ، ومن طفولة الانسان الى وصوله الى الكواكب ، وقوفاً فى نقطة المركز عند غار حراء للانصات الى ذلك الحوار العظيم بين السماء والأرض : « عمق الحوار فى نفسك وأدره فى وعي يرى فى سعة هذا الكف البسيط فى جبل من جبال الجزيرة العربية مدخلا الى هذا الكون ، ومخرجاً به ، فى أشواق عليا الى آفاق الحقيقة » .

بعد هذا التعريف الموجز بالعمل ، لابد من وقفة تعارف مع صاحبه . فلقد تقطعت بنا سبل التواصل والتعارف فى هذا الزمن





● ● ليس كل ما ينشر من ادب وفكر فى هذه المنطقة هو من صنع وفبركة رجال العلاقات العامة والمستشارين والخبراء .. إن فى السويداء رجالا ، لكن الزبد قد طغى فغطى الزائف على الأصيل عند الناظر من خارج ومن بعيد ، دون معرفة بحقيقة الأرض وحقيقة إنسانها ● ●

العربي ، وتداخلت الأصوات وعلا اكثرها هديراً وصخباً ، واحتجب الصوت الهادىء او اعتزل لوقت يقصر او يطول ، وابتعدت عن انظارنا وجوه تحمل ملامحنا الاصلية واطلت وجوه زوقها ولمعها فن المكياج الحديث فاخذت منا الألباب ، ثم تكشفت لنا عن اقنعة مهرجين ومزورين ، فعدنا نبحث عن وجوهنا الأصلية .. لا نكاد نلقاها ..

واعتقد ان وجه حكيمنا النجدي الشيخ عبد العزيز بن عبد المحسن التويجرى هو من هذه الوجوه التى يحتاج الجيل العربى الجديد الى التعرف اليها ، او إعـــادة اكتشافها ، فصوته ، عبر هذه الرسائل ، ياتينا مثقلا بثمار التجربة الطويلة المنغمسة مباشرة ، وبروح المعاناة المضنية فى هموم الحاضر العربي وشجونه . وعندما يتحدث شيخ مجرب مثله ، من واقع الحياة لا من ارفف الكتب ، بصوت الحكمة العملية التى هى من صميم عمل العقل العربى فى اصالته قبل ان يفسده التنظير والتبرير الخطابي ، فان هذه المحاولة التجديدية العائدة بنا الى حيوية الأصل ، وبهذه النبرة الانتقادية ، والتحذيرية ، والتنبيهية ، تستحق منا وقفة استماع وتبصر ، لاستيعاب ما فيها من طول تامل ، ولتجديد حياتنا الثقافية والفكرية الآسنة بهبة ريح جديدة واصيلة - فى آن معاً - خاصة واننا نشكو العقم والبلادة واليأس سواء على صعيدنا الثقافي العربي العام ، بفعل المحن والتراجعات ، او على صعيدنا الثقافي الخاص بالجزيرة والخليج بفعل الموجة الاستهلاكية المادية المسطحة التى لم تبق للفكر الجاد اي متنفس .

اقول ذلك ، لان الشيخ عبد العزيـــز التويجري يطل على قرائه إطلالة شديدة التواضع ، فتلخصه الأسطر الخلفية بكتبه فى الكلمات القليلة التالية :

● كاتب هذه الرسائل فى العقد السابع من العمر .

● تعلم القراءة والكتابة فى كتاب القرية ، ثم ثقف نفسه ثقافة ذاتية ، وكل ما حصل عليه من العلوم والمعارف هو نتيجة جهد ذاتي ومطالعات وخبرة بالحياة لا تخلو من تامل .

● هو الآن يشغل مركزاً هاماً ببلاده (نائب رئيس الحرس الوطني السعودي)

حقيقة صاحب الرسائل

ومع هذه الأسطر الوجيزة ياتي صوت التويجري مقدماً رسائله : « قد يتساءل من يرى هذه الرسائل : متى كان كاتبها حاطب ليل ؟ لماذا لم يحمل مبكراً بضاعته الى السوق وان كانت من اشجار ذابلة ؟ لماذا لم يدخل المدينة من الصحراء النفسية إلا بعد ان بلغ من العمر آخره ؟ لماذا لم تات بضاعته شابة ؟ قد يتساءل لماذا ولماذا ؟ وقد يصعب عليه ان يقبل بان هذه البضاعة بضاعة لرجل لم يمنحه معلمه شهادة الميلاد الذهني (يقصد الشهادة الجامعية) التى يقبل بها رجل المرور الواقف على افواه الطرقات الزمنية يسائل المارة : افي جيبك شهادة فازكيك وآذن لك ان تدخل بيت المعرفة او التجربة؟» .

ويضيف : « وحتى يتنفس الصعداء اى سؤال يضيق به صدر صاحبه لعله من العلل ، امنحه العذر ، وارتضي بكل رحابة صدر اعتراضه او سؤاله او رفضه او قبوله واحني رقبتي تواضعاً لبشرية الانسان ولعدل الله الذى لا يظلم ولا يحاسب على الكلمة .. متى كانت آتية من الاجتهاد ، ومن تحرى الصواب لا الخطا » .

ويختم تقدمته : « وعذرى ان السنين الطويلة التى حاورتني فيها الحياة ونقلتني من مكان الى آخر ، ومن لون الى آخر ، ومن النقيض الى النقيض هى التى املت علي هذه الرسائل . وياليت كل اب مضي الى ربه خلف لنا ولو قصاصة من الورق قالت لنا فيها : ولدي ، هذه طريقي التى مشيت فيها الى المدفن ، فلاشيء احنى واكرم من عاطفة الأبوة ، وليست وصايا افلاطون او سقراط او من اتى بعدهم من الفلاسفة او قبلهم ، باعز علينا من وصايا الآباء والأجداد ، وان كانت بسيطة ، وان كانت صدى فى جناح جبل من جبال الجزيرة العربية . ولكي تتضح الصورة اكثر ، اود أن تعرف انني لا احمل قلم المؤلف ولا ذهن المفكر ، فحمل القلم فى يد مؤلف او كاتب غيره فى يدى مع هذه الرسائل ، ان كانت رسائل الى صديق كالتى كتبتها فى اثر ابي الطيب او كهذه الرسائل التى اكتبها لكم ولا امنحها فى حجمها وقدرها اكثر مما هى عليه » .

ولقد اوردت هذه السطور بالنص لاقدم للقارىء فكرة عن طريقة الشيخ التويجري فى تقديم رسائله ، ثم لاني المح بين ثنايا هذه السطور طيف رد غير مباشر على معترض جهل حقيقة الأمر ، اقصد حقيقة الرسائل وحقيقة صاحبها - فتصور بعد صدور الكتاب الأول « فى أثر المتنبي » ان الشيخ الذى ظل صامتاً فى مجال النشر المطبعي كل هذه السنين لا يمكنه أن يكون هو بالذات كاتب هذه الرسائل العميقة الناضجة . وذلك المعترض لا اشك انه كان

يجهل تجارب الشيخ التويجري فى مجتمعه ، من بادية وقرية ومدينة ، ويجهل احتكاكه واتصاله الحي المباشر باهل القيادة واهل الأدب والثقافة ورجال البدو والحاضرة فى مختلف شئونهم ، ثم انه كان يجهل حقيقة ادبية تاريخية اساسية عن جزيرة العرب وباديتها ، وهى ان الثقافة هناك منذ عصور تاريخها الباكر فى الجاهلية وصدر الاسلام ، كانت ثقافة شفوية مروية وكانت عملية تداولهـــا وتواصلها وانتقالها تتم عن طريق السماع والتجربة العملية والاحتكاك المباشر ، ولهذا كان لدينا عدد غير قليل من كبـار الشعراء والحكماء الذين لم يتقنـوا الأبجدية المكتوبة والمقروءة لكنهم كانوا رغم ذلك مثقفين ومبدعين للثقافة والأدب والشعر ، لأن عملية التثقيف والتثقف تمت لديهم عن طريق الأخذ المباشر من معلميهم وآبائهم دون كتاب ، كما أن عطاءهم الفكرى تم بالعفوية والتدفق المباشر والارتجال النابع من لحظة المعاناة واختمار التجربة فى النفس ، ومازلنا نشهد – الى عصرنا هذا – شعراء وحكماء ورجال بصيرة وقيادة فى جزيرة العرب اكتسبوا ثقافتهم بهذه الطريقة .

والشيخ التويجري الذى انطلق فى صباه وشبابه فى مثل هذا الجو العفوي المفتوح ، تيسرت له فيما بعد تجارب واتصالات ومشاهدات عبر المسئوليات التى اضطلع بها فى بلاده واللقاءات والوفادات الى العالم العربى والخارجي خلال سنين طويلة ، بما كثف لديه هذه الذخيرة التى ظلت كامنة تتنامى مع العمر الطويل ، ثم انبسطت امامنا فى كتبه الثلاثة كحصيلة فكر ياتي بطبيعته – لـدى أكثر الكتاب – فى نضج الكهولة ، بخلاف الشعر الذى يتدفق لدى أصحابه منذ الشباب . والذى يتأمل فى رسائل التويجري ، وفى أسلوبها يرى انها تنتمى بوضوح الى النوع الفكرى التاملي المثقـل بخلاصـــات التجـارب والخواطر والنظرات الأصيلة لتى عتقها فى دنان النفس الزمن والتجريب والعمر ، فلم يعوزها غير حافز الانفعال بالام الحاضر العربي وفواجعه ، لتتدفق بعد طول اختمار وانحباس .

بل ان هذه التاملات ، لكثرتها وتتابعها المكثف ترهق العبارة احيانا فتلوى ذراعها كي تاخذ امتدادها الذهني الكامل باسرع مما تحتمله الجمل الراكضة وراء حركة الفكر بحيث يحتاج القارىء بين حين وآخر الى انعام النظر فى تفرعات تلك الجمل ، او معترضاتها ، أو اواخرها ليتمكن من متابعة روافد وشوارد تلك المعاني الفكرية المتفرعة بعيداً عن منابعها وبداياتها ، ويرى أين تريد أن تصل ، وذلك لكثرة ما ينتابها من توليد ذهني وخواطر متكاثرة متسائلة تريد أن تطرح كل قضية على أوجهها المختلفة ، دون قطع ، التزاماً بمنطق الحوار المفتوح ، فيتقدم الفكر بذلك على العبارة والمضمون على الشكل . غير ان الوضوح العام فى أسلوب الكاتب ياخذ بيد القارىء على كل حال فى تلك المسالك المتفرعة البعيدة ، فيصل به من الشعاب الجبلية الى السهول المنبسطة ، كما يفعل الدليل الخبير بمسالك الصحراء .

هذا الملحظ فى أسلوب الرسائل يتفق وما ينبه إليه الكاتب ذاته من انها رسائل ذات دفق شخصي وتامل ذاتى ، وليست عملا من اعمال الصناعة الكتابية الملتزمة بشروط مهنة الكاتب . وذلك ما يعطي لهذه الرسائل خصوصيتها ويؤكد التصاقها بشخصية كاتبها نفسه .

لماذا تاخر هذا الصوت ؟

اما لماذا لم تات هذه الرسائل قبل هذا الأوان ، وهو سؤال يتبادر أيضاً الى ذهن القارىء والناقد الذى يسعده هذا الاكتشاف فيتمنى لو ظهر هذا الصوت المثقل بثماره فى وقت ابكر من عمر نهضتنا المعاصرة ، فتعليل ذلك من واقع تاريخنا الثقافي فى هذه المنطقة ان مجالات النشر كانت محدودة وحوافزه الى وقت قريب شبه معدومة ، لأسباب مادية واعتبارات معنوية كثيرة ، واذا علمنا ان شاعراً كالشاعر الكويتي فهد العسكر ، وكاتباً كالأديب والصحافي البحريني عبد الله الزايد قد أحرقا الكثير من اوراقهما ، بدل نشرها ، فى خمسينات هذا القرن ، امكننا أن نتفهم سر احجام الأجيال المخضرمة فى هذه المنطقة عن نشر نتاجها الذاتى ، خاصة إذا كان يتضمن ما ليس داخلا تماماً فى مجرى المالوف والمتعارف عليه .

وبقي أن نقول اخيراً لذلك المعترض الذى صرفنا عن متابعة مضمون الرسائل الى هذه المسالة المفتعلة ، بانه ليس كل ما ينشر من ادب وفكر فى هذه المنطقة هو من صنع وفبركة رجال العلاقات العامـة والمستشارين والخبراء ، وان فى السويداء رجالا ، لكن الزبد قد طغى فغطى الزائف على الأصيل فى نظر الناظر من خارج ، ومن بعيد ، دون معرفة بحقيقة هذه الأرض ، وحقيقة انسانها .

ومن شهادة النص ذاته ، فان المتامل فى هذه الرسائل جميعاً يرى انها ذات نفس واحد متواصل لا يختلف ولا ينقطـــع ولا يتعدد ، كما يجد انها بصورهـــا واستعاراتها المستمدة مباشرة من بوادي نجد وفيافيها وجبالها وعادات اهلهـــا وطباعهم ، وبافكارها وخواطرها النابعه من تجارب رجل عاش هناك عيشة معاينة ومعاناة عبر مراحل وتطورات مختلفة .. من هذا كله يستطيع المتامل الدارس – إذا كان عارفاً بحقيقة تلك الأرض وتاريخُها – أن يقرر باطمئنان ان هذه الرسائل لا تحمل غير البصمات الفكرية لرجل واحد بعينه هو القادر وحده على اعطائها هذا الطابع ، وهذا النفس المتميز . ويكفي فى النهاية صدقه الشديد شاهداً ودليلا ..

طريق الخلاص

وأخيراً فان الغاية من هذه المقالة لم تكن دراسة رسائل التويجري عبر كتبه الثلاثة ، وانما التنبيه اليها وايجاد مدخل للتعريف بها كظاهرة فكرية متميزة ترفد حياتنا الثقافية وتضيف الى جديد الشباب حكمة شابة من أدب الشيوخ المختمر والمعتق . وانها لبادرة مسئولة ومتحضرة ان ياتينا رجل كبير فى الخامسة والستين من بين زحام العمل والتجارب ليضع أمام عرب اليوم حصيلة عمره بصدق بالغ ويربط هذه الحصيلة الذاتية بلزمة امته ويحاول ان يؤشر قدر استطاعته نحو طريق الخلاص . لا نملك أمام بادرة متحضرة ومسئولة كهذه إلا أن نقابلها بتقدير واهتمام ونطالب صاحبها بمزيد من العطاء ، على أن نقرا ما يقوله بتمعن ففيه الكثير مما يعنينا مصيرياً فى أمور كثيرة ، ومعظم هـذه الرسائل تدور حول قضايا خطيرة من حاضرنا بعين على الماضى وعين اخرى على المستقبل ، وكل قضية من قضاياها تصلح أن تكون مدار بحث واخذ وعطاء .

بل إن بعض رسائل التويجري تحتمل الرد والمناقشة فى رسائل بحجمها ومن نوعها .. وذلك ما يمثل منطلقا صالحاً لكتابة كتاب عنوانه « رســـــائل الى عبد العزيز التويجري » .. كى لا يبقى صوته صوتاً وحيداً بلا محاور .. وكي لا يبقي نداؤه بلا مجيب : « افي مجالسنا الخاصة والعامة عبر التاريخ محاورون ؟ » وكي يبقى تنبيهه لنا مثمراً : « من يبطل الميراث الردىء ؟ يبطله الحوار .. » .

فالحوار .. الحـوار طريقاً للانقـــاذ والخلاص .. والى وقفات أكثر تمحيصاً مع رسائل هذا المحاور المتميز .

محمد جابر الأنصاري

ثورة الذكاء

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

في الوقت الذي يتغير فيه العالم تحت تأثير التطورات العلمية والتكنولوجية التى تخطو خطوات واسعة فى كل حقبة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية مازال بعضنا فى الوطن العربى يغض البصر عن هذه التطورات ويتصور اننا نستطيع ان نستمر فى مواجهة مشاكلنا بالطرق التقليدية التى تعودنا عليها دون تغيير . وفى الوقت الذى تناقش فيه الدول المتقدمة شكل مجتمع الغد وصورة المستقبل الذى تريده وتخطط له وتضع الأسس الكفيلة بتحقيقه ، مازلنا نحارب معارك الأمس حيث لا غالب ولا مغلوب ففى مثل هذه المعارك الكل مهزومون .

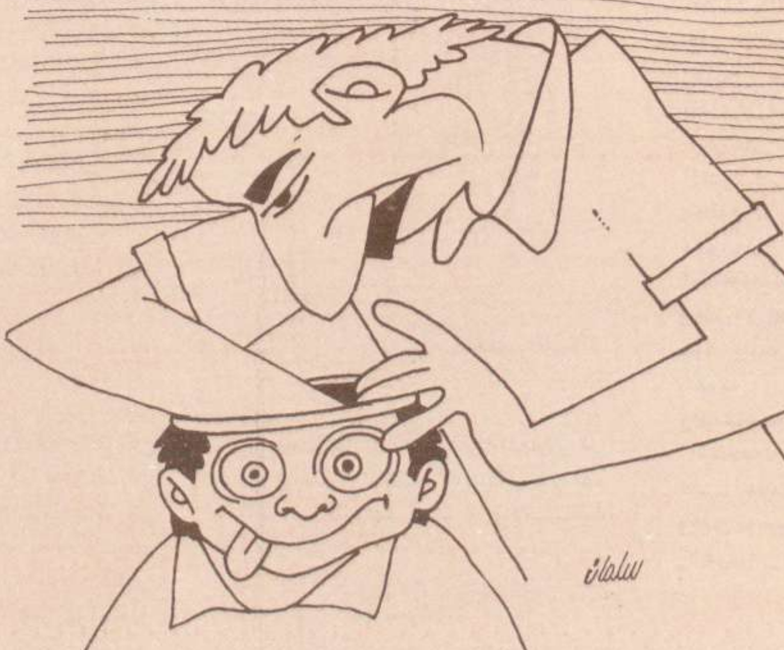
منذ صدور كتاب « صدمة المستقبل » لالفن توفلر ازداد اهتمام العلماء الاجتماعيين بالبحث في امور المستقبل وتاثير الثورة العلمية والتكنولوجية على المجتمع والانسان حتى ان بعض الجامعات تدرس مقررات في مادة « علم اجتماع المستقبل » على سبيل المثال . كما تعددت الدراسات التي تطرح نماذج كلية لتطور العالم والتي كان لنادي روما فضل السبق في التنبيه الى اهميتها عندما اصدر دراسته بعنوان « حدود النمو » ثم دراسة « أهداف للانسانية » وقام علماء امريكا اللاتينية بعمل دراسة مشابهة اسموها « التغيير او الكارثة » وفي عام ١٩٨٢ انتهت مجموعة بحثية في الولايات المتحدة تشكلت بقرار من رئيس الجمهورية من اعداد دراسة « العام ٢٠٠٠ » .

وكل هذه الدراسات تشير الى ازمات المستقبل وبدائله وتنبه الى اخطار غير متوقعة والى فرص ينبغي الامساك بها والى حلول وتصورات بديلة للمشاكل.يجب التفكير فيها والى قدرات وامكانات كامنة يجب تطويرها وتحريكها .

وهكذا فقد ازداد الاهتمام بالاثار السياسية والاجتماعية للثورة العلمية والتكنولوجية والفرص التي تقدمها لتطور الانسانية ، كما ازداد الوعي باهمية الدراسات المستقبلية والتخطيط للغد بناء على هذه المعرفة ، وفي هذا الاطار طرحت قضايا وموضوعات جديدة مثل ثورة الذكاء والهندسة الوراثية والتقدم الهائل في مجال الحاسبات الآلية ، وثورة الاتصالات . وكل هذه تطورات تؤثر بعنف في عالم اليوم وسوف تكون عوامل حاكمة ومحدودة لعالم الغد والتي سوف نعرض لبعض جوانبها في عدد من المقالات .

فعلى سبيل المثال يرى العلماء اليوم ان الذكاء ليس صفة وراثية كما كان ينظر اليه عموماً في الماضي ، بل هو قدرة يمكن تنميتها وتطويرها والارتفاع بها الى مستويات اعلى من خلال المران والتعليم والتدريب وان هذا الفهم يفتح مجالا جديداً للارتقاء الانساني وهو ما يسمى بثورة الذكاء ، ويطرحون على المجتمعات واجب ان تقوم بمهمة « تعليم الذكاء لمواطنيها » .

ينطلق هذا الراي من القول بان الذكاء هو قدرة .وكاية قدرة اخرى يمكن تعلمها وتطويرها . وان الذكاء هو مفهوم مركب يتضمن عدداً من القدرات الفرعية التي تشكل فيما بينها مانسميه بالذكاء ،مثل القدرة على التذكر ،والتحليل ،والربط ،والاستيعاب



للحقائق الجديدة ، والابداع .

ويركز بعض العلماء في تحليلهم للذكاء على قدرة الربط ويرون ان جوهر الذكاء هو القدرة على الربط بين الافكار والظواهر بعضها ببعض ، واكتشاف العلاقات التي تربط بينها ، والتي تكون غامضة او خافية على اخرين . ومن ثم فان الانسان يعتبر اكثر ذكاء عندما تكون لديه قدرة اكبر على ربط افكاره والافكار الاخرى عند مواجهته لمشكلة ما ، وقدرته على ابتكار افكار جديدة وذلك باقامة «تربيطات» وتشابكات » مستحدثة بين هذه الافكار وتوليد او استنباط افكار جديدة منها .

وهكذا فان الذكاء هو اقامة العلاقات بين الافكار والمفاهيم بطرق مختلفة ومستحدثة ويزداد الانسان ذكاء كلما استطاع عمل ذلك في وقت اقل وبيسر اكبر .

الذكاء والوراثة

وجوهر الراي الذي نعرض له في هذا المقال هو ان « الذكاء يمكن تعلمه » وان البشر متساوون في امتلاك حد ادنى من العقل الانساني القابل للتطور والارتقاء ، وان ذكاء الانسان يمكن ان يتغير خلال مراحل نموه العقلى المختلفة وفقاً لبيئته ونوع الاستثارة العقلية والفكرية التي يتعرض لها .

وينتقد اصحاب هذا الراي الاعتقاد الذي ساد لفترة طويلة وهو ان الذكاء صفة بيولوجية او وراثية ، على اساس انه لا يوجد دليل علمي حاسم على ذلك . وان هذه النظرة بدات في التغير بتاثير نتائج الابحاث في خلال الاربعين عاماً الاخيرة ، وبالذات تلك التي تمت على التوائم المتشابهين في كل الصفات والذين يعتبرون من الناحية الوراثية وكانهم شخص واحد قسم الى اثنين ، والتي بدات بدراسات نيومان وفريمان وهولزنجر في عام ١٩٣٧ والتي اشارت الى وجود فروق هامة في الذكاء بينهم بسبب الاعتبارات البيئية التي تعرضوا لها ، وقام فولر بدراسة اوضحت ان الاطفال الامريكيين والافريقيين لديهم نفس القدرة على فهم العلوم الرياضية وان العنصر الحاسم هو الخلفية الاجتماعية . كما اوضحت دراسات اخرى ان ابناء المتعلمين جامعيا في المتوسط اعلى ذكاء من ابناء العمال غير المتعلمين وفي فرنسا اجريت قياسات للذكاء على عينة من الاطفال من بيئات اجتماعية وثقافية مختلفة عند عمر ست شهور ثم كررت نفس القياسات عند عمر اربعة اعوام

وبينما كانت نتائج القياسات الأولى متقاربة للغاية بفارق أربع درجات بين أدنى واعلى درجة فان الفارق اتسع كثيراً في نتائج القياس الثاني واصبح الفارق هو سبعة وثلاثون وفقاً للخلفية الاجتماعية والثقافية لأسر الأطفال . وقادت كل هذه الدراسات والأبحاث الى نتيجة رئيسية مؤداها ان العامل الحاسم في ذكاء الانسان هو الظروف الاجتماعية والثقافية التي يتعرض لها .

ويتم التدليل على ذلك بالاشارة الى ان عقل انسان اليوم مشابه في تكوينه البيولوجي لعقل الانسان الذي عاش مراحل الحضانة الأولى ، وانه اذا كان تكوين العقل البيولوجي لم يختلف في جوهره ، فملذا اختلف ؟ الذي اختلف هو التعليم الذي تعرض له العقل ، وهو تراكم المعارف والخبرات الانسانية التى تناقلها البشر جيلا بعد جيل . ما تغير هو حجم المعلومات التي تصل الى العقل ونوعية التعليم التي يتعرض لها . باختصار ان الفارق الاسلسي بين الانسان في مراحل الاجتماع الأولى وانسان اليوم ليس بيولوجياً أو وراثياً وانما بيئي وثقافي واجتماعي .

ويميز البعض في هذا الشان بين العقل وغيره من اجهزة الجسم الانساني فتلك الأجهزة مثل القلب او الجهاز الهضمي تتحدد وظائفها بيولوجياً فهي معدة ومصممة بشكل لكي تبدأ في العمل فوراً من لحظة الميلاد ، ولا يعتمد عملها على اية مؤثرات بيئية ولا تحتاج الى تدريب أو مران قبل ان تبدأ في ذلك . أما الأنشطة العقلية على خلاف ذلك فلها خصائص مغايرة ويعتمد تطورها ودرجة رقيها على عوامل خارجية .

الذكاء إذن ليس قدرة بيولوجيــة أو وراثية والمجتمع يمكن أن يطور قدرته على « تعليم الذكاء » مثل تطويره للقدرة على « تعليم اللغات » أو القدرات الأخرى وذلك من خلال العملية التعليمية والتربوية وقد صدرت عدة مؤلفات حول هذه النقطة من ابرزها كتاب « ثورة الذكاء » الذي استعرت عنوانه كعنوان لهذا المقال للاستاذ البرتو ما شادور .



تعليم الذكاء !

ولا يعني هذا أن كل الناس متساوون في الذكاء فالتكوين العصبي والبيولوجي لهم مختلف ، وظروفهم البيئية والاجتماعية متباينة ، وارادتهم متنوعة ، ولكن من المؤكد اننا كلنا نستطيع أن نزيد من قدراتنا الذكائية وان نطور منها .

ومن خلال التجارب تم الوصول الى صيغ متعددة لتعليم الذكاء بشكل منهجي أو بعبارة ادق تعليم وتطوير القدرات التي تؤثر في الذكاء . فحتى الآن ينظر الى التعليم على أنه اداة لتعليم معلومــات أو التدريب على طرق للتفكير وللسلوك ، ويبقى ان نعيد النظر اليه على انه اداة لتعليم الذكاء ، بحيث يكون هدف كل المستويات التعليمية هو تطوير الذكاء وان تتغير اساليب التعليم وطرق التدريب بما يلائم ذلك وبما يطور القدرات الرئيسية المكونة للذكاء مثل القدرة على التذكر أو الربط أو الاستيعاب .

وتعليم الذكاء ليس عملية تعليمية تتم في المدارس وحسب ، بل هي عملية اجتماعية ، والمجتمعات التي سوف تتعلم ضرورة ذلك وتدير حياتها على هذا الأساس من الأرجح أن توجه كل مؤسساتها الى غرس وتطوير قدرات الذكاء من خلال لعب الأطفال وبرامج الاذاعة والتلفزيون ، والمدارس وطرق الأداء في المؤسسات المختلفة ليتحول المجتمع كله الى «مجتمع الذكاء» .

وتجارب الدول والمجتمعات عديدة ومتنوعــــة فقد عقدت اليونسكو عــدة اجتماعات حول هذا الموضوع ، وفي فنزويلا انشات وزارة دولة لتنمية الذكاء الانساني وفى الاتحــاد السوفيتي هنـاك تجارب تعليمية هامة ، وانشات الصين مجموعة بحث لدراسة تنمية الذكاء ، وهذه الخبرات تركز على تعليم القدرات المكونة للذكاء مثل القدرة على الربط أو تلك الخاصة بالتقييم وصنع القرار. هذه الخبرات تشير الى قدرة المجتمعات الانسانيـــة لأول مـرة على التخطيط لرفع قدرات الذكاء بين مواطنيها ، وعلى الارتقاء بمستوى ذكاء الانسان العادي بها ، وليس فقط زيادة انتاجيتـــه أو تغيير سلوكه . ولا تخفى الآثار الاجتماعية والسياسية لهذا التطور على قدرة بعض المجتمعات التي ستسير في هذا الطريق على تعظيم قواها البشرية والاجتماعية وعلى توسيع الهوة بينها وبين المجتمعات الاخرى .

تحديات الغد

ان ثورة الذكاء التي اشرت اليها هي عملية تحدث في عالم اليوم وسوف تستمر بنا أو بدوننا ، وسوف تتوقف نتيجة هذه العملية ، وعما اذا كانت سوف تكون لنا ام علينا ، على ما سوف نقوم به ونفعله .

ان احد خصائص العالم الذي نعيش فيه هو التغير السريع وازدياد الفجوة بين المجتمعات المتقدمة وتلك النامية . ولا نملك ونحن على مشارف قرن جديد الا ان نستوعب الثورة العلمية والتكنولوجية التي يشهدها العالم ، وان نستعد منذ الآن لمواجهة نتائجها التي سوف تطرح آثارها علينا لا محالة . وشـكل مجتمعاتنا في المستقبل يتم تحديده اليوم من خلال السياسات والتوجهات التى نتبناها اليوم ، واذا لم نخطط نحن لمستقبلنا فسوف يخططه لنا الآخرون .

فهل سوف تشارك مجتمعاتنا العربية في « ثورة الذكاء » ؟ وهل تتجه مؤسساتنا التعليمية والبحثية والتربوية الى هذا الطريق ؟ وهل نعد أجيالنا الجديدة من الآن للتعامل مع تحديات الغد ؟

علي الدين هلال

وقفـــة صريحـــة مـــع النفس والواقـــع :

ما أحدثه التحضّر من تغيير في منطقة الخليج العربي

بقلم : عبد الرزاق البصير

كل منطقة من مناطق هذا العالم لابد وان تتميز عن غيرها بصفات خاصة تتمثل في التقاليد والعادات . ولا تشذ منطقة الخليج العربي عن هذه القاعدة العامة ، فنحن حين نتامل مسيرة الحياة فى هذه المنطقة ، نجد سكانها العرب يتفقون على تقاليد وعادات كثيرة منها انهم يرون بان الكلمة النافذة والأمر المطاع من نصيب رب العائلة ، فله الحق فى أن يختار الزوجة لولده والزوج لابنته ، ولئن كانت هناك مراجعة للفتى أو الفتاة عن ذلك الحين فهي مراجعة صورية لأن القول الفصل لرب العائلة،بل إن رب العائلة كثيراً ما يختار العمل لأولاده فهو فى أغلب الأحوال يود لو احتذى ابناؤه حذوه في نوع العمل وكثيراً ما تحقق ذلك . أما رسالة المرأة فانها تتاكد في القيام بشؤون المنزل ، منزل أبيها أو منزل زوجها .

ومن صفات اهل هذه المنطقة انهم لا لا يتانقون في تحياتهم او يطيلون فيها حينما يلتق بعضهم ببعض حتى ولو كان ذلك بعد فراق طويل . كذلك نجدلهم ذوقا خاصا في الالحان الموسيقية .

رياح التغيير

ومن المؤكد ان الموسيقى والغناء من افضل الوسائل المعبرة عن بعض مشاعر وعواطف منشئيها وملحنيها ، كما انهما يصوران آمالهم وافراحهم واحزانهم والامهم ، لان الموسيقى والغناء يستوحيان مادتهما من النشاط الذي يمارسه الناس . لذلك اصبحت دراسة الموسيقى والغناء عنصراً من اهم العناصر التي ترشد الباحث الى فهم كثير من العادات والتقاليد . ولهذه الناحية المهمة مجال لا يسعه هذا المقام كما اننا لم نقصد بهذه الكلمة ان نتحدث بالتفصيل عما يتخذه اهل منطقة الخليج العربي من عادات وتقاليد فقد درسه كثير من الباحثين دراسات مستفيضة اغنتنا عن ان نفصل فيها الحديث وكل ما نريد ان نشير اليه هنا هو ان نقول بان رياح التجديد قد ازالت ، اواضعفت على الأقل ، كثيراً من العادات والتقاليد ، فلم تبق تلك القوة او قل لم تبق تلك السيطرة السابقة لرب العائلة لان الاستقلال للابناء والبنات اصبح ميسوراً ، مما يجعلهم قادرين على اختيار ما يلائمهم من الاعمال ، واختيار ما يميلون اليه في الزواج .

وقل مثل ذلك في كثير من العادات والتقاليد ولعل من اهمها مساهمة المراة في بناء الحضارة في هذه المنطقة كما هو الشان في غيرها من المناطق العربية فانت لا تكاد تقصـــد مؤسسـة من المؤسسات او دائرة من الدوائر الرسمية

وغير الرسمية إلا وتجد للمرأة مشاركة لا تقل عن مشاركة الرجل ، ولهذا ماله من الأثر الكبير في تغيير النظرة للمرأة كذلك أصبح للفتى نشاط مستقل .. يمكنه من اختيار ما يميل اليه من العمل

وقد حدث كل هذا التغيير بفضل انتشار التعليم وتغيرمصادر الرزق ، فبعد ان كان معظمه مقصوراً على صيد اللؤلؤ والسمك ، اصبحت مصادر الرزق متشعبة واسعة واصبحت ادوات الحضارة الحديثة المختلفة ضرورة من ضرورات الحياة لا يمكن الاستغناء عنها باي حال من الاحوال. فالشوارع والأسواق متخمة بالسيارات والادوات الحديثة المختلفة ، وهذه لا يمكن ان تاتي الى البلاد الا اذا كان هناك من يملك فهماً لتجارة الاستيراد ، بالاضافة الى انها تحتاج الى صيانة واصلاح، الى غير ذلك مما تقتضيه التجارة بهذه الادوات .

الاحتكاك ببيئات جديدة

ثم ان علينا ان نتذكر بان التعليم استقطب كثيراً من الفتيات والفتيان ، وان هؤلاء المدرسين والمدرسات لم يستطيعوا ان يؤدوا رسالتهم بصورة صحيحة الا بعد أن ذهبوا الى مختلف الجامعات والمعاهد العربية والاجنبية . فقد ذهب الوف من شباب هذه المنطقة الى العراق والشام ومصر ، وذهب مئات الى مختلف المعاهد والجامعات في اوروبا وامريكا . هؤلاء الشباب والشابات ذهبوا الى تلك البلاد فشاهدوا عادات وتقاليد تختلف عما الفوه في بلادهم . وربما كان اولئك الناس يرون صعوبة في الانسجام مع تلك التقاليد والعادات في بادىء الأمر ، ولكنهم حين مكثوا في مختلف البلاد مدة طويلة ، اصبحوا منسجمين مع تلك العادات والتقاليد ، بل إن الكثير منهم اصبحوا يفضلونها على ما نشاوا عليه من عادات وتقاليد . فلما رجعوا الى اوطانهم اخذوا يبذلون كل ما في وسعهم لنشر ما انسجموا معه من عادات وتقاليد ، ويفعلون ذلك بالقول والعمل . فنشا صراع لا يخلو من عنف في بعض الاحيان ، إذ ان الذين لم يشهدوا ما شهده ابناؤهم من امور تختلف عما الفوه ونشاوا عليه ، كانوا يجاهدون في ابقاء الأمور على ما كانت عليه ، لكن تيار التجديد والتطور كان اقوى من المحافظين .

اندثار عادات كثيرة

ولعلي لست أبالغ اذا قلت إن كثيراً من عاداتنا وتقاليدنا اصبحت تاريخا من التاريخ ، وربما تسالني عن اي الحالين افضل ، والجواب عندي هو ان كل حالة من الحالات تتضمن شيئاً من الخير والشر فليست هناك حالة فيها كل الخير ، وليست هناك حالة فيها كل الشر فلقد كان الناس قبل هبوب رياح التجديد يحيون حياة فيها كثير من الاطمئنان . اما الآن ، فان القلق والخوف اصبحا يسيطران على النفوس بسبب تسارع الأحداث ، وبسبب مطالب الحياة المتطورة الكثيرة ، التي لا تكاد تنتهي . وعلينا الا ننسى أن الناس كانوا قبل هذا التطور يعانون من فتك الجهل والمرض والفقر ، مما جعل الحياة ثقيلة . ولكن وعيهم كان ضيقا إذ كان الكثير منهم يعتقد بان ليس بالامكان ابدع مما كان . فكانوا يتقبلون ذلك بنفوس راضية ، مما يخفف عنهم شظف العيش ومرارته . ولعلي لا ابعد عن الصواب اذا قلت إن مسيرة الحياة في الوطن العربي كله كانت على هذه الطريقة قبل انتشار الوعي .

● مثقف ألماني يطالبنا بترجمة أدبنا إلى الآداب الأوروبيّة

● أديبة خليجية تصوّر في قصّة بديعة حالة الرفض للتخلف والتأخر

الأدب .. والتغيير

ومهما يكن من امر فان الدارس المتعمق لآثار الأدباء والشعراء في هذه المنطقة ، ترتسم له صورة ما حدث من تغيير وتطور . ولقد قام جماعة من الباحثين بدراسات دقيقة مستفيضة للآثار الادبية اوضحوا فيها ما اشرنا اليه من رسم صورة متكاملة لما حدث من تطور وتجدد في الشعر والقصة ، ولما حدث من نظرة للحياة تختلف كل الاختلاف عن النظرة السابقة . ومن الامانة العلمية ان نشير بان هؤلاء النفر من الباحثين قد عانوا كثيراً من الارهاق والتعب لقلة المصادر ولان التطور والتجديد في هذه المنطقة كان متسارعا بصورة لا يكاد يلاحقها الباحث . ولكن هؤلاء النفر صبروا وصابروا حتى استطاعوا تذليل ما قام امامهم من عقبات ، فاصدروا دراساتهم الكثيرة المتنوعة التي سهلت الطرق للدارسين . وهي كثيرة لا نستطيع ان نلم بها في هذه الكلمة الموجزة . وسنكتفي بالاشارة الى بعضها دون ان نعني بذلك بان ما نشير اليه من مؤلفات بانها افضلها واعمقها ، ولكن الذي قصدنا اليه هو ان نبين للقارىء الذي يريد ان تكون لديه صورة متكاملة عن التطور والتجديد ، بان الطريق اصبح سهلا ميسوراً يمكن الرجوع اليه .

دراسات أدبية خليجية

وقبل أن ابدا بهذه النقطة أود أن أعلن للقارىء بان هذه الكلمة المتواضعة ليست إلا لمحة بسيطة فيها اشارة الى مايحدث من تجديد وتطور في هـــذه المنطقة . فلقد الف الأستاذ محمد عبد الرحيم كافود كتابا قيما نال به درجة الماجستير وكان بعنوان « الأدب القطري الحديث » وقد سبق لي ان عرضته في مقال نشرته في احد اعداد مجلة العربي والف الاستاذ مشاري عبدالله السجاري كتابا نال به درجة الماجستير من جامعة بغداد اسماه « الشعر الحديث في

الكويت الى سنة ١٩٥٠ » . كذلك قام الاستاذ ابراهيم عبد الله غلوم بدراسة مفصلة للقصة القصيرة في الخليج العربي في كتابه الذي سماه بهذا الاسم وحدثنا الدكتور علوي الهاشمي باسلوب جزل عن موقف الشعراء من النخلة التي اتخذوها رمزاً للامومة ، والبحر الذي جعلوه رمزاً للابوة ، الى غير ما هنالك من دراسات قيمة سدت ثغرة كانت واسعة تجعل الباحثين الذين يريدون ان يظفروا بصورة عن الحالة الاجتماعية والفكرية قبل نصف قرن ، والذين يريدون أن يظفروا بصورة متكاملة للفترة التي نعيشها الآن .

ميلاد جديد

وقد رايت ان اختم هذه الكلمة بتلخيص قصة اعتبر انها تمثل طموح المراة في هذه المنطقة لأن تكون على احدث صورة ، صاغتها كاتبتها باسلوب قصصي يشد كل متذوق للقصة اليه ، فلننظر الى كاتبتنا القديرة كلثم جبر القطرية كيف رسمت الصورة . تقول الكاتبة في قصتها بعنوان « ميلاد جديد » . « كان علي كاية مسافرة اخرى أن أعد حقيبة سفري وابحث عن اشيائي الصغيرة المهملة وغير المهملة وبعض كتبي واواريها فى الحقيبة » .

ثم رات الكاتبة بان لا داعي لحمل حقيبة سفر لانها تقيدها ، فقررت أن تسافر بدون حقيبة ، وحين وصلت الفندق مع اهلها ، اخذ كل منهم يبحث عن حقيبته . ثم اخذوا يمطرونها بالاسئلة : اين حقيبتك ؟ وهي لا تجيب لكن صوتا اجش سالها عن الحقيبة . وكان هذا الصوت هو صوت والدها الذي تكن له كل احترام وتقدير ، مما جعلها تطرق صامتة ، تشعر بالخوف . لكن الله انقذها بقول الخادم يدعو المسافرين الى اللحاق به لياخذهم الى غرفهم المخصصة لهم . فشعرت براحة عجيبة ، فكانها ولدت من جديد لأن قيودها اقل من غيرها .

تقول الكاتبة : « ليتني اولد من جديد ساتخذ لنفسي اسما آخر ... دانيا ... داليا .. دانة » ...

ولست اشك ان الكاتبة كانت تعني كل شيء فيما كتبته في هذه القصة ، فقد سئمت هذه الأسماء المتكررة ... زهرا ... بدرية ... وما الى ذلك فهي تريد أن يكون كل شيء متجدداً يرمز الى التطور .

ولقد بلغت بها الانفعالات الى حد تكاد لو انها اصبحت بدون اسم . فقد تخلصت من الحقيبة ، فلماذا لا تتخلص من الاسماء أيضا ؟ انها بهذا تدعو الى التجديد لأنها تشعر بقيود لا حدود لها .

وقد استغربت اختها اشد الاستغراب حين عرفت انها لم تحمل حقيبة لثيابها . ولكن صاحبتنا طوت ثيابها التي خلعتها عن نفسها ووضعتها على المقعد الخشبي ، تقول : « ونمت على السرير المخصص لي الذي تفصله عن سرير اختي طاولة زجاجية يحتلها هاتف رمادي اللون يقارب بلونه «الاباجورة» المنسق اعلاها بخيوط ذهبية . كيف يتماشى الخط الذهبي واللون الرمادي ؟

واقبل النوم عليها فانساها كل شيء ، ثم استيقظت قبل رفاقها واهلها ، فالشمس لا تزال غائبة فى خدرها . وكانت تشعر بفرح غامر لانها فى باريس ولانها بدون حقيبة ولا اسم . وبخفة عجيبة ونشاط غريب اخذت تركض خارجة من الفندق على غير قصد ، تتجه يمينا مرة وشمالا مرة .. فهى تريد أن تسير وتسير غير مهتمة بالعودة ولا مفكرة فيها . وتقول « ليتنى دائمة السير .. لماذا علينا العودة عندما نذهب ؟ لماذا لا نسير فقط ولا نعود الى الطريق الذى غادرناه .. لماذا .. ؟ » .

وحين قربت من المخبز ملات رائحة الخبز انفها فاستيقظ الجوع فى احشائها . وكان جوعها ممتزجا بالفرح ، فهى لا تجد احداً يعرفها او يرصد خطواتها ، هى حرة فى كل ما تفعل . وقفت لتاخذ ما يسد رمقها ، لكنها لا تحمل نقوداً . قال لها صاحب المخبز : اعربية انت ؟ « قالها بلكنة انجليزية ركيكة يغلب عليها الطابع الفرنسي .. اجائعة انت ؟ لقد طالت وقفتك ! ومن يدرى فقد يكون عربى الهوية هاربا من قدره هناك . انت لا تملكين نقوداً ومع ذلك فعيناك تشيران انك تملكين بئراً من النفط » .

وتقول الكاتبة لقد غزاني احساس قوى : فقد تحررت من النقود ، فلم يعد المال يستعبدنى . ادارت وجهها عنه فقال لابد انك ستعودين ، وبلعتها الارصفة والشوارع الواسعة شاعرة بالحرية ، فهى تستطيع ان تغنى وتبكى او تصرخ دون أن يلتفت اليها احد ، او يسالها احد عما تفعل . وقادتها خطواتها التعبة الى حديقة غناء واسعة والقت بنفسها على احد المقاعد . خلعت حذاءها واخذت تمرغ قدميها بالعشب المبلل بل اخذت تمرغ وجهها وشعرها بالندى الذى يبلل العشب ، وانغمرت فى نوم هادىء عميق .

ثم تختم كاتبتنا قصتها بهذه الفقرة فتقول « .. الظلام .. الخوف .. الجوع ، فلقد تزعزعت ثقتها الممتزجة بنفسها منذ ثلاثة وعشرين عاما » .

لابد من ترجمة أدبنا

وفى يقينى ان ما نقلته من هذه القصة لا يحتاج الى تعقيب فان رموزه مضيئة واضحة . ولابد لي هنا من ان اعتذر الى كاتبتنا الموهوبة كلثم جبر ، فقد يكون عرضى لهذه القصة مشوها لاسلوبها القوى المشرق ، ولكن عذرى فى ذلك انى اردت ان اكشف للقراء ان فى هذه المنطقة فتيات تحمل نفوسهن رغبة عارمة فى التجديد . فهل وفقت الى ما أريد ؟

وانى لادعو صادقا لأن تترجم هذه القصة واشباهها الى اللغات ــ الألمانية والانجليزية والفرنسية لتعرف تلك الشعوب ان هذه المنطقة تحمل فى احشائها نفوسا مشتاقة الى اللحاق بركب الحضارة . فقد قال لي الدكتور (كوري .. أو) مدير مكتبة برلين الشرقية حينما قمت بزيارة تلك المكتبة : ابعثوا بآثاركم الفكرية والأدبية فان كثيراً من المثقفين عندنا يعتقدون أن عقليتكم باقية على ما هى عليه قبل اكثر من خمس وعشرين سنة .

فهل من سميع ؟

عبد الرزاق البصير ــ الكويت

لا تعطوا المستشرقين والمبشرين فرصة للنيل منا والافتراء علينا

شائعات في ميدان العلم



بقلم: محمد الغزالي

ذكر الاستاذ « حفنى ناصف » فى كتابه تاريخ الادب أن قبائل العرب كانت تتفاوت فى جودة الخط ودقة الاملاء ـ على عهد النبوة ـ قال : « وكانت ثقيف ابرع اهل الحجاز فى الكتابة ! كما أن هذيلا كانت من أبرعهم فى الفصاحة !

ولذلك لما عرضت المصاحف على عثمان ابن عفان بعد كتابتها ، ووجد فى رسمها بعض شذوذ عما يقتضيه القياس كزيادة الالف فى قوله تعالى « لا اذبحنه » وقوله « ولا أوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة » ـ وقواعد الاملاء تقضى بكتابة الكلمتين هكذا: لاذبحنه ، ولاوضعوا ـ لما رأى عثمان ذلك قال : لو كان الكاتب من ثقيف والمملى من هذيل لم توجد هذه الحروف الزائدة !!

فارتبك الكتبة فى تدارك ذلك ! فقال عثمان : اتركوها فان العرب ستقيمها بالسنتها !

والالفات الزائدة فيما نقلنا ، تشبهها واوات زائدة مثل « ساوريكم دار الفاسقين » القاعدة ساريكم ! ومثل الواو فى كلمة « الصلواة » ـ فيما نظن ـ فالقاعدة الصلاة

وهذه الرواية التى نقلناها باختصار عن أديب العربية فى عصره « حفنى ناصف » موضع اخذ ورد ، ومع التسليم بها فهى لا تعنى شيئا ذا بال ! إن عثمان رضى الله عنه لم يَهُلْهُ هذا التفاوت الاملائى ، فان المصدر الأول للقرآن الكريم هو التلقى الشفوى ، وهو الذى يستبقى القرآن متلوا على النحو الذى نزل به من عند الله تبارك وتعالى .

ولنضرب مثلا لما نقع نحن فيه من تجاوز لقواعد الاملاء ، اغلبنا يكتب « يقراون » بهمزة فوق الألف ، والصحيح إنها بهمزة فوق الواو « يقرؤون » ، وهذا الاختلاف لا يؤثر فى النطق !

ولم ير عثمان اعادة كتابة المصاحف اطمئنانا إلى ان السنة العرب ستتخطى هذا التفاوت الاملائى ..

إلى هنا والخطب سهل ! وقد صدقت الأيام ظن عثمان رضي الله عنه ..

فالقرآن محفوظ بعناية ما سقط منه حرف ، والتالون له ضابطون لكلماته واحدة واحدة ، وان تمنى البعض لو كتبت كلها وفق قواعد الاملاء .

غفلة وافتراء

ولا نخوض الآن في هذا البحث ، وانما ذكرناه لنسد الباب في وجه بعض المفسرين الغافلين ، وبعض رواة الغرائب السخيفة دون وعي ، أولئك الذين اعطوا المستشرقين والمبشرين فرصاً للنيل منا ، والافتراء على كتابنا ، وجروا علينا متاعب ما كان اغنانا عنها .

والعجب أن أولئك المفسرين والرواة رووا على ما نقلوا وكشفوا بعض فساده ! ولكن بعد ما اعطوه وجاهة ما ، وتدبر قول الخازن ـ غفر الله له ولمن ضبط مثله في تفسير قوله تعالى « لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلاة ... » قال:

« اختلف العلماء في وجه نصبه ! فحكي عن عائشة وابان بن عثمان انه غلط من الكتّاب (!) ينبغي أن يكتب والمقيمون الصلاة (!) وقال عثمان بن عفان : ان في المصحف لحنا ستقيمه العرب بالسنتها ـ يا غوثاه ـ قيل له : افلا تغيره ؟ قال : دعوه فانه لا يحل حراماً ولا يحرم حلالا (!)

وقبل أن ننقل كلام الخازن في الرد على هذه الحكاية السخيفة نقول انه غفر الله له ولمن ضل مثل ضلاله ـ اخطا من عدة وجوه « أ » أعطى هذه الرواية قيمة لا تستحق عشر معشارها ، وكان يجب عليه أن يضرب عن ذكرها او يؤخرها عن مكان الصدارة .

« ب » لم يتثبت من معناها حين نقلها ، فهي على فرض صحتها تتعلق بقواعد الاملاء لا بقواعد الاعراب ، كما شرحنا والفرق بعيد بين اللحن في اللغة ، وبين تجاوز قاعدة املائية في الكتابة .

« جـ » من الكذب نسبة حكاية الى عائشة او غيرها تنال من قداسة القرآن وضبطه كما فعل البعض دون وعي !

والمهم ان الخازن بعد ان قال ما قال شرع يناقشه مناقشة علمية « ... اجيب عما روي عن عثمان بان هذا بعيد جداً لان الذين جمعوا القرآن هم اهل اللغة والفصاحة فكيف يتركون في كتاب الله لحناً يصلحه غيرهم ؟ ما ينبغى أن ينسب هذا اليهم ! »

قال ابن الانباري ما روي عن عثمان لا يصح لأنه غير متصل ! ومحال ان يؤخر عثمان شيئاً فاسداً ليصلحه غيره ، ولأن القرآن منقول بالتواتر فكيف يقع اللحن فيه

القرآن مبرأ من اللحن

إن استصحاب هذه المعاني يجعل حكاية اللحن في القرآن من أبين الكذب ! ! بل ان القول باللحن جهل شائن بقواعد اللغة العربية ! ! فان الطلاب في المدارس يعرفون في باب المفعول به حكم « النصب على الاختصاص » ويستشهدون على وروده في الآداب القديمة بقول الشاعر :

لا يبعدن قومي الذين هم
سم العداة وآفة الجزر !
النازلين بكل معترك
والطيبون معاقد الأزر !

فهل اذا تحدث جهول باللغة عن وقوع خطا في قصيدة او مقالة نصب فيها المفعول على الاختصاص استمعنا الى جهالته ؟ فكيف اذا اتصل الأمر بالقرآن الكريم ؟

المؤسف أن عشقنا للروايات يغلب أحياناً الحكمة والرشد ، كان كل سواد في بياض يجوز أن نكترث به !

الاستعفاف مطلوب لذاته

وقرات لابن كثير رحمه الله تفسيره لقوله تعالى : « يا ايها النبي قل لازواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيما » فرايته ينقل كذلك شائعات علمية لا تثبت على التمحيص

وعيب التفسير الأثري حفاوته احيانا بالأخبار الواهية ، وتركه للتحقيق الفقهي

قال غفر الله له : وروي عن سفيان الثوري أنه قال : لا باس بالنظر الى زينة نساء اهل الذمة (!) وانما نهى عن ذلك لخوف الفتنة لا لحرمتهن ، واستدل بقوله تعالى « ونساء المؤمنين » في الآية !

نقول : وهذه رواية ساقطة من جهتين ، فان أهل الذمة لهم ما لنا وعليهم ما علينا ، وحرمة دمائهم واموالهم واعراضهم ليست موضع ريبة .

ثم ان غض البصر عن زينة النساء يرجع الى تحصين المؤمن وتطهير قلبه كما جاء في آية الغض « .. ذلك ازكى لهم » فكيف بعد ذلك كله ينقل ابن كثير رواية تقول : لا باس بالنظر ؟

وثم خطا ثان فقد ذكر ان الأمّة تنهى عن لبس الجلباب (!) لأن الاماء يكره لهن ان يتشبهن بالحرائر ... أي ان الأمة التي تريد الاحتشام وستر محاسنها تمنع من ذلك !

فعورة الأمة كعورة الرجل ، وينبغي ان ترتاد الشوارع وتغشى الاسواق وهي متكشفة تقع الأعين على وجهها وصدرها وشعرها دون حرج .

وروى الخازن في هذا عن انس بن مالك قال مرت بعمر بن الخطاب جارية متنقبة ، فعلاها بالدرة ! وقال : يا لكاع اتتشبهين بالحرائر ؟ القي القناع ! ـ النقاب ـ وكلمة لكاع تعني الازدراء !

روايات مردودة

وعندي ان هذه الروايات كلها مردودة ، ولا يجوز الالتفات اليها .

واكتفي في تزييفها بما قال ابن حزم في المحلى « ... اما الفرق بين الحرة والأمة ـ في العورات ـ فدين الله تعالى واحد ! والخلقة والطبيعة واحدة ! كل ذلك في الحرائر والاماء سواء !حتى ياتي نص فى الفرق بينهما ، في شيء ، فيوقف عنده ..!

قال : فان قيل ان قول الله تعالى «ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن ... الخ » يدل على أن الله تعالى اراد الحرائر قلنا : هذا هو الكذب بلا شك ، لأن البعل في لغة العرب يتناول السيد والزوج ، وايضاً فالأمة تتزوج ! وما علمنا قط ان الاماء لا يكون لهن آباء وابناء واخوال واعمام كما للحرائر !!

وقد ذهب بعض من وهل في قول الله تعالى « يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين » الى انه إنما امر الله

شائعات في ميدان العلم

تعالى بذلك لأن الفساق كانوا يتعرضون للنساء ، فامر الحرائر ان يلبسن الجلابيب ليعرف الفساق انهن حرائر فلا يعترضوهن .

قال ابن حزم : «ونحن نبرا الى الله من هذا التفسير الفاسد ! فهو إما زلة عالم ووهلة فاضل عاقل ، او افتراء كاذب فاسق ! لأن فيه أن الله تعالى اطلق الفساق على اعراض اماء المسلمين ! وهذه مصيبة الأبد !

وما اختلف اثنان من أهل الاسلام على ان تحريم الزنا بالحرة كتحريمه بالأمة ، وان الحد على الزاني بالحرة كالحد على الزاني بالأمة لا فرق ، وان التعرض للحرة ـ في التحريم ـ كالتعرض للأمة ، لا فرق

ثم قال ابن حزم ـ وكأنما يشير الى ما روي عن عمر في نهيه الأمة عن التنقب ـ قال لهذا او شبهه وجب الا يقبل قول احد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بان يسنده اليه عليه السلام .. ».

وانا اعلم ان هناك من يمقتون ابن حزم ، ولكني لا اعرف الحق بالرجال ، ولكني أعرف الرجال بالحق ! وكلام الرجل هنا لا غبار عليه ، وانما الغبار على غيره ...

ولست أعرف دينا يكره تطلع امراة الى الاستعفاف والاحتشام ، فكيف ينسب ذلك إلى الاسلام ؟

ومع أن قصة الرقيق قد انتهت بخيرها وشرها ! إلا ان الأحداث التاريخية والأحكام الشرعية لها دلالات لا تنتهي ، ومن واجبنا أن ننصف ديننا من القصور الفقهي ، وان نصحح الأخطاء وان شاعت !

خطأ ثالث

وخطا ثالث وقع فيه امامنا الكبير وهو يفسر آية « ... يدنين عليهن من جلابيبهن » فقد نقل عن علي ابن ابي طلحة عن العباس : أمر الله نساء المؤمنين اذا خرجن من بيوتهم لحاجة ان يغطين وجوههن من فوق رءوسهن بالجلابيب ، ويبدين عينا واحدة !

وهذ كلام مردود من ناحيتي السند والمتن كليهما ! وابن عباس لا يجهل ما وقع لأخيه الفضل في حجة الوداع عندما ثبت بصره على وجه امراة حسناء ، فادار الرسول صلى الله عليه وسلم راسه ولم يقل للمراة غطي وجهك ، او اخفي عينا واظهري اخرى ، والحديث في الصحاح ! وهو واحد من نحو عشرة احاديث صحيحة تفيد سفور الوجه دون اعتراض من احد ..! ذكرها الألباني كلها تقريبا في كتاب الحجاب .

وحديث ابن عباس الذي اثبته ابن كثير واهي السند مخالف لما صح ، فهو بتعبير علماء المصطلح منكر !

والقران الكريم لا يفسر بحديث منكر !

وقد قرات لأحد الناس كلاما جاء فيه : ما يدرينا أن الرسول صلى الله عليه وسلم امر المراة التى راهــا الفضــل بن العباس بالتنقب ، ولكن الرواة لم ينقلوا لنا هذا (!)

وهذا تفكير عاجز ! فان احرام المراة في وجهها ـ اذا كانت محرمة ـ ويستحيل ان يقول لها الرسول ذلك كما يستحيل ان يقول لرجل محرم غط راسك !

واذا كانت متحللة من احرامها ، فان تاخير البيان الشرعي عن وقته لا يجوز ، وكتمانه من سامعيه خيانة ! ولو فرضنا جدلا أن اولئك السامعين تواصوا بالنسيان ، فهذا حديث من احاديث كثيرة اقرت السفور ، ولم تطلب من المراة لا تغطية عين ولا عينين !

في حديث المراة التي افهمها النبي صلى الله عليه وسلم أن اكثر ما يدخل النساء النار كفران العشير قال الراوي في صفتها انها «سفعاء الخدين» اي حراء الوجه حمرة مشوبة بسمرة ! فهل عرف ذلك وهي تخفي عينا وتبدي اخرى ؟ ام كانت المراة سافرة دون اعتراض ؟

وعندما يصف النبي صلى الله عليه وسلم امراة بانها سفعاء الخدين ، اتراه كان يصف عورة من العورات يجب تغطيتها ؟ روى ابو داود عن عوف بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : انا وامراة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة ـ واوما بالوسطى والسبابة ـ امراة آمت من زوجها ذات منصب وجمال ، حبست نفسها على يتاماها حتى بانوا او ماتوا » .

الواقع ان آية الأحزاب لم تلغ آية النور « ... ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها » بل هي مكملة لها ، وهي توجب على النساء اذا خرجن من بيوتهن لامــــر مــا أن يكن محتشمات سابغات الجلابيب ملتفات بها حتى لا يتكشف من ابدانهن قليل ولا كثير .

والمراة في هذا السمت الكريم تعرِّف كل من يراها بانها عفيفة متصونة فتنقطع وساوس الاثم عنها .. وقد تكون كذلك وهي سافرة او متنقبة فلا نص في آية الأحزاب ولا في آية النور على ضرب النقاب ، والمعروف في اللغة ان الجلباب هو الثوب الخارجي الذي يشمل ما تحته من ثياب داخلية ، ولا علاقة له بالخمار او اللثام !

وآية النور تستثنى الزينة فى الوجه واليدين من عموم ما يجب اخفاؤه من زينة المراة ، وقد رايت للشيخ الشنقيطي كلاما يشبه التلاعب بالألفاظ فى تفسير الآية ، يريد أن يقول ان الوجه ذات ، والذات لا تستثني من العرض ـ الذي هو الزينة ـ اي أن الآية لا تفيد كشف الوجه واليدين !

وهذا هو اللعب بالألفاظ ، فان الزينة المستثناة لا تنفك عن مواضعها من الوجه واليدين ، واظهار هــذه الزينات اظهار لمواضعها يقينا ، وعلى هذا جمهور الأمة ..

وندع هذه القضية التي يكثر فيها اللجاج ! منبهين الى ان تقاليد المسلمين التي تستحق الاحترام والحفاظ ما اعتمد على المعروف المستيقن من الكتاب والسنة امــا الشــائعات الرائجــة بين الأغمــار فلا وزن لها .. !!

دس يهودى خبيث

وهناك شائعة اخرى من اخبث ما انطلق في آفاق المعرفة الدينيــة ، واحقهــا بالاحتقار ! تلك هي رغبة النبي المفاجئة في الزواج من زينب بنت جحش كما يرجف الخراصون ! والنبي عليه الصلاة والسلام ابعد العالمين عن هذا التطلع ، ويستحيل أن يمر بخاطره هذا الوهم ...

والذي يظهر لي أن دسا يهوديا خفيا من

وراء هذه الشائعة ، يريد القوم - بعدما افتروا على نبي الله داود - أن يجعلوا بينه وبين نبينا شبهاً !

وكان هذا الكيد قميناً أن يموت في مكانه لولا حفاوة بعض الرواة بالغرائب دون وعي ! ولولا أن بعض الكتاب لا يبالي بنسبة الأخطاء أو الخطايا الى الكبار كي يعطي العذر لنفسه ولغيره في ارتكابها ..

القصة الصحيحة

والخلاصة الصحيحة للقصة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب متبناه سابقاً - زيد بن حارثة ، وكان معجباً بخصائصه النفسية والعقلية ، ويراه سيداً قائداً ، وأهلا للامارة والادارة في السلم والحرب ، وقد ولاه قيادة جيش مؤته وولى ابنه من بعده قيادة الجيش المتوجه الى الرومان ، وذكر أن ذلك عن جدارة لا عن محاباة ...

ومن اعزاز رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد انه اختار له ابنة عمته زينب ليتزوجها ، وكان يعتقد أن زينب ستكتشف خِلال زيد وتستريح اليه وتسعد ..

ان فؤاد زيد من الملوك ، وإن كان قد جيء به رقيقاً الى مكة ، مخطوفاً من اسرته وبيع كما بيع يوسف الصديق من قبل وذلك لا يضيره !

لكن زينب قبلت هذا الزواج مرغمة ، كان املها ، وهي من ذؤابة قريش ، أن تتزوج كفئاً لها في النسب وما عساها تصنع اذا كان الرسول قد ضغط عليها وعلى اخيها ؟

وشعر زيد بان امراته تراه دونها ، فثار إباؤه واكفهر الجو في البيت الذي سعى الرسول صلى الله عليه وسلم في بنائه ، ومع تدخل الرسول الكثير لاصلاح ذات البين ، وحرصه على بقاء الزوجية فان الفجوة لا تزيدها الأيام إلا اتساعاً ! وكان الرسول يعجب لنفور زينب من شاب ماجد عظيم ، ويقول : سبحان مقلب القلوب ! وفي ساعة شموخ وغضب طلق زيد امراته .! واستعلن الفشل الذي كان الرسول صلى الله عليه وسلم يداريه .. لقد حار : ماذا يصنع ؟ ثم فوجىء بان الله يطلب منه ان يتزوج هو نفسه زينب ! وفزع لهذا الطلب وتمثل امامه كلام الناس وهم يقولون : تزوج محمد امراة ابنه - اي متبناه - .

وبدلا من ان ينفذ مراد الله تراخى ! بل ذهب الى ابعد ن ذلك وقال لزيد : امسك عليك زوجك واتق الله .. اي راجع زوجتك !

بيد ان الوحي نزل حاسماً يطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم قبول الأمر الواقع ، واقرار الطلاق الذي تم وتنفيذ الأمر الالهي الذي صدر اليه بالزواج من زينب بعد انقضاء عدتها فلا معنى لاخفائه ولا معنى للوجل من كلام الناس ، فشان الانبياء الارتباط بالخالق لا بالخلق وما يجوز هذا الاخفاء بعد ان علم مراد الله بوضوح .. !!

ونحن نفهم سر الألم الذي خامر قلب النبي صلى الله عليه وسلم لفشل الزواج الذي أراد به اسعاد زيد ، ونفهم كذلك سر القلق الذي استولى عليه لما صدر اليه بالتزوج من مطلقة ابنه - او بالتعبير الصحيح متبناه -

لقد حاول التسويف وهيهات ، لابد من انفاذ امر الله الذى عرف الكل انه صدر إليه .

وشاء الله أن يتولى هو سبحانه هذا العقد كى يبطل قانون التبنى الذى شاع بين العرب .

وتفسير الآيات الواردة فى سورة الأحزاب يتضح كل الاتضاح بعد هذا الشرح .

رواة الاراجيف

لكن بعض المغفلين قال : دخل رسول الله على زينب فجاة وهى عند زيد فاحبها من أول نظرة كما يقول مؤلفو الأغانى ! وقال سبحانه مقلب القلوب ! وان ما كان يخفيه هو التدله فى حبها !!

وهذا كلام بادى الكذب والاسفاف ، فان زينب بنت عمة الرسول ، وكان يعرفها جيداً عندما زوجها زيداً ، فما هذا الحب المفاجي ؟ انه خيال سمج !

وكلمة سبحان مقلب القلوب قيلت فى التعليق على كره زينب لرجلها الجدير بالقبول ! كما أوضحنا انفاً .

وتسويف الرسول صلى الله عليه وسلم للزواج منها بعد ما طلقها زيد كان كرها لهذا الزواج وخشية من اقاويل الناس ، ولو كان الأمر اليه ما تزوجها قط .

غير أن القضاء الالهى اعلى واحكم ! فعوتب النبى على تريثه أو تردده !!

ونزل قرآن يلومه على ذلك ! قالت عائشة : لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتم شيئا من الوحى لكتم هذه الآيات .. « وتخشى الناس والله احق ان تخشاه » الخ .

فاين مكان الغرام ، والعشق فى هذا السياق الصارم . ؟

على أن الله تبارك وتعالى - وهو الخبير بالعباد - واسى نبيه بعدما اجتاز هذه المحنة البشرية عظيماً جليلا ، فمدحه مدحاً لم يذكر مثله فى سورة أخرى فقال : « يا ايها النبى إنا ارسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً » ثم قال فى اعقاب قصة زينب والزواج الذى نقلها بعد الى امهات المؤمنين « إن الله وملائكته يصلون على النبى ، يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً » .

ومع هذه الحقائق العلمية فان بعض الكتابات المعاصرة عن ازواج النبى تتحدث عن عشق اخذ بمجامع القلوب (!) لان للشائعات ، أو للأساطير المروية سوقاً بين أهل الغفلة ..

وما اشد مصاب الاسلام من اولئك الرواة البله !!

محمد الغزالى

من ابراهيم طوقان إلى محمد منـــــدور ونـــازك الملائكـــــة

تجربتي الشعرية بين القديم والجديد

بقلم : فدوى طوقان

الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان كتبت إلى رئيس تحرير الدوحة رســـالة تقـول فيها : « تحياتى الطيبة مشفوعة باصدق التمنيات بالعام الجديد ، وبعد ، فقد جئت إلى عمان بعد غياب طويل لأوافيك بفصل مهم من فصول المذكرات غير موجود فى النسخة التى لديكم من « رحلة صعبة . رحلة جبلية » ، وهذا الفصل يقع بعد الصفحة الخمسين وبهذا فان مكانه بالنسبة للحلقات التى يجرى الآن نشرها فى الدوحة سيكون ضمن الحلقة الخامسة »

وقد وصلتنا رسالة الشاعرة الكبيرة بعد ان كانت « الدوحة » قد انتهت من طباعة الفصل الخامس من مذكرات فدوى طوقان . والمنشور فى هذا العدد . وعند قراءة الاضافة الجديدة ، التى أرسلتها « فدوى » وجدنا أنها تمثل فصلا بالغ القيمة والأهمية بالنسبة لتاريخ التطور الشعرى فى الأدب العربى الحديث ، ولذلك رأينا أن نقدمه كمقال مستقل عن « تجربة فدوى الشعرية بين القديم والجديد » ..

الدوحـــة

منذ البداية حذرني ابراهيم من حفظ الشعر الحديث باستثناء بعض قصائد لشوقي وحافظ ابراهيم واسماعيل صبري وخليل مطران كان هو يختارها لي ويوصيني بحفظها . كانت الرومانتيكية هى الاتجاه الغالب على شعراء الشباب العرب فى تلك الفترة ، ولم يكن يرضى ذوق ابراهيم الفنى ما كان ينشر فى الصحف والمجلات الادبية من شعر لهؤلاء الشعراء المحدثين . لقد كان للتراث قداسة فى وجدان ابراهيم ، فقد كان ابنا لجيل فتح عيونه على حركة احياء كبيرة للتراث وذلك بنشر وابتعاث قيمه الفنية ، كقوة السبك ونصاعة العبارة ورونق الديباجة ، ابتداء من البارودى فى مطلع عصر النهضة ومروراً بشوقي ومعاصريه من شعراء مصر والعراق ولبنان وسوريا ، فكان شعر الشباب المنتمين فى ذلك الحين الى مدرسة «ابولو» مثله مثل الشعر المهجرى فى نظره ضعيفا ركيك الأسلوب ولا يرقى الى مستوى التعبير الشعرى الجزل والمميز للتراث الشعرى القديم . كان يلفت نظرى دائما الى ان متانة تركيب الجملة الشعرية والتمكن من ناصية اللغة لن يتوفرا للشاعر دون العودة الى الينابيع الأصيلة للشعر العربى ، يعنى التراث .

التصقت بهذا التراث الشعرى سنين عديدة ظل خلالها هو النموذج الذى احتذيه فى محاولاتي الشعرية على امتداد الفترة ما بين ١٩٣٣ و ١٩٤٠ ، وظل اهتمامي ينصب على ما يسمى بالديباجة والتعابير الفخمة .

لكم شعرت بالزهو والاعتزاز حين رايت الدكتور عمر فروخ صاحب مجلة «الامالي» البيروتيه يقدم لاحدى قصائدى المنشورة فى مجلته بقوله : « هذه ابيات لشاعرة ناشئه وفى الوقت الذى نرى كثيرين من الرجال ينظمون شعراً مؤننا رقيقا ، نرى فتاه فى الخطوات الأولى من حياتها تعيد الى خيالنا ذكرى ابي تمام والمتنبي وتطلع علينا بديباجة شوقي » .

ولقد نما وتضخم اهتمامي بالتركيب القـــديم للعبارة الشعرية الى حـــد كانت افكارى ومشاعرى تنصرف معه عن التجربة الحقيقية الى الاهتمام بتركيب العبارات وانتقاء الكلمات ذات الطنين والدوى :

ولي عندكم قلب غريب مطـرح
لدى بابكم يمسي ويصبح فى الكرب
طليح اذا استنهضته كي اقيـله
تحـــامل ثم انكب من الم الحب
فلا تســالوني عن بكائي فانمـا
بكائي يا احبــاب قلبي على قلبي
ســلام عليـه اذ يموتُ صبابة
واذ انتمو لاهون عن قلبي الصبّ

كنت اوقع قصائدي الغزلية باسم «دنانير» وابعث بها إلى مجلة «الامالي» حينا والى مجلة « الرسالة » القاهرية حينا آخر . كانت كلمة الحب تقترن في ذهني بصورة الفضيحة والعار ، فهذه هي الصورة التي طبعتها في نفسي البيئة المحيطة منذ الصغر . وحين فكرت لاول مــرة بنشر مقطوعتين غزليتين لي في مجلة «الامالي» اخذت من كتاب الاغاني بكل ما احمل من سذاجة وبراءة قول ابي الفرج عن الشاعرة دنانير جارية يحيى البرمكي : « وكانت دنانير شريفة عفيفة » وجعلت من هذه العبارة مدخلا للمقطوعتين الشــعريتين احتمى بهــا من عـــار الحب ولكي أؤكـد للقارىء أن شــعر الحب لا ينفي صـفة العفة والشرف عن الأنثى قائلة ذلك الشعر .

في تلك الأيام كنت اقيم بهـــا مـع ابراهيم وزوجته في القدس . كان ابراهيم يصحب صديقه « ابو سلمى » احيانا لتناول طعام الغذاء في البيت وكان موظفا مثل ابراهيم في مصـــلحة الاذاعـــة الفلسطينية : على المائدة فوجئت ذات مرة بابي سلمى يوجه الى ابراهيم سؤالا لم اتوقعه ، قال : « هل مرت بك يا ابراهيم خلال قراءاتك في كتاب الاغاني هاتان المقطوعتان الشعريتان لدنانير والمنشورتان في العدد الاخير من مجلة « الامالي » . قال ابراهيم : « كلا ، لا اذكر انني قراتهما من قبل » وسكت ابو سلمى . اما انا فلم اقل شيئا ، اخفيت خجلي وارتباكي وراء صمتي وشرعت اتظاهر في الانهماك بتقطيع شريحة اللحم في صحني لكي لا يفشي احمرار وجهي المفاجىء سر الحقيقـــة الـكامن ، الحقيقة التي تقول ان احد عشر قرنا كانت في تلك اللحظة تفصل بين الشـــاعرة البرمكيه دنانير وبين صاحبة الشـــعر المنشور في المجلة والمنتمية كباقي الحضور الى هذا القرن العشرين ، ومع ذلك فهي تكتب شعرا يخلو تماما من رائحة القرن العشرين .

لم اكتم الحقيقة طويلا عن ابراهيم ، اعلنتها بعد بضعة شهور ، فقد كنت اتحصن دائما بمحبته لي وبما كان يبدى من تسامح وعقل مفتوح تجاه المراة . ابهجته معرفة الحقيقة ونقلها لأبي سلمى معتزا فخورا بتمكن تلميذته من كتابة مثل هذا الشعر القوى في تركيبه اللغـــوى السليم .

في الحقيقة ان حكاية الديباجـــة الكلاسيكية هذه ، والاهتمام الكلي بالكلمة ورنينها وباسلوب التعبير المصنوع ، كل هذه كنت احسها سدا يقف دون الحركة والتدفق والانطلاق بعفوية وصدق خلال عملية النظم . كنت احس بالتصنع يدب في ثنايا اشعاري ويلصق بها صفة الجفاف واليبوسة . ولم اكن اعرف كيف ابتعث في قصيدتي النسغ المفقود ولا من اين استمده كنت انحت من صخر فعلا ، وكان هناك شيء يكبل الجيشان العاطفي في داخلي ويحول دون جريان التيار النقي في قصيدتي بسهولة ويسر ، ولم اهتد الى اصالتي الا يوم هداني الدكتور محمد مندور الى أدب المهجر .

كان ذلك الناقد والمفكر الثوري الرائع الذي يتربع الآن على قمة شامخة في تاريخ الأدب والنقد الحديث ، كان قد شرع ينشر في بداية ١٩٤٠ وفي مجلة « الثقافة » المصرية بالذات سلسلة من المقالات النقدية حول الأدب المهموس والتي تناول فيها أدب المهجر بشقيه الشعر والنثر . وجدت ان شعر أولئك الشعراء المهجريين اقرب الى تكويني النفسي وتركيبي الذهني . كما صادف تلك الفترة اكتشافي لشعراء مدرسة « ابولو » كابراهيم ناجي والشابي وعلي محمود طه والتيجاني . من هنا بدأت أدير ظهري للديباجة العبلسية واصبح مطمحي الأكبر هو كتابة شعر يستمد جماله من البساطة والليونة والصدق والصياغة الشعرية الخالية من التكلف .

● ●

في أواخر الأربعينات طلعت الشاعرة الرائدة نازك الملائكة بقصيدة التفعيلة ، ولنازك فضلها الريادي في تطور شـــكل القصيدة العربية المعاصرة وفي السرعة العجيبة التي تم بها اقتناع شـــعراء الخمسينات بهذا الشكل الشعرى الجديد . فقد كان توهج نازك الشعرى انذاك مبهرا للابصار ، ومتميزا بجاذبية خاصة وتاثير كبير . ولعله من الحقائق البديهية ان اية حركة تجديدية لا يتم لها النجاح والانتشار السريع الا اذا كان الصوت الذي ارتفع مناديا بها صوتا متميزا ذا أصداء قوية في الاسماع والنفوس ، وكانت نازك تملك هذا الصوت بحق .

اقتنعت بقصيدة التفعيلة . تخليت عن البيت المستطيل ذي الشكل التقليدي والايقاع الرتيب ورحت امارس كتابة القصيدة الجديدة . لم تكن العملية سهلة باديء الأمر ، فقد واجهتني صعوبة لم أعرفها حين كنت انظم قصيدة البيت ذي التفاعيل المتساوية في شطريه الصدر والعجز . فمنذ اطلعت على علم العروض لا أذكر انني وقعت في خطا الكسر ، فقد كانت موسيقى الوزن الرتيبة المنتظمة تمضي بي تلقائيا في طريق محـــددة مستقيمة . وليس كذلك قصيدة التفعيلة . فهذه القصيدة غير منتظمة الانغام ، من هنا وجدتني اتعثر باديء الأمر ، فلم يكن من السهل على الأذن المحكومة بموسيقى الوزن الرتيب أن تاتلف بيسر مع الانغام غير المنظمة لافتقاد هذه الأنغام للوحدة الأساسية التي يتميز بها البيت المستقل في القصيدة القديمة . ففي قصيدة التفعيلة المتميزة بوحدتها العضوية يتدفق الشاعر خلال أسطر متفاوتة الاطوال ملتحمة التفاعيل ، ولا يقف الا عند الوصول الى نهاية المعنى ليبدأ من جديد بمعنى جديد آخر وهكذا الى نهاية القصيدة .

لا يزال موقفي من التحرر من قيود العروض القديمة هو موقف المؤيد لهذا التحرر . ولا يعني هذا انني مع القائلين بالتخلي عن الوزن والقافية بشكل نهائي ، فالشعر يبقى فنا مستقلا عن النثر ، ولا اجمل من القرارات الموسيقية وهي تتجاوب ضمن الاسطر المتباينة في اطوالها ، ولا اجمل من القوافي وهي تتراوح في قصيدة التفعيلة بين الظهور والاختفاء ثم الظهور على حين فجاة . وبالرغم مما واجهته حركة الشعر الحديث من مقاومة التقليديين ورفضهم القاطع لها ، فقد ظلت صامدة على أرضها واثبتت وجودها باجتذابها لشعراء الخمسينات الموهوبين والذين اصبحوا اليوم اعلاما في تاريخ الشعر العربي المعاصر .

ان قصة الصراع بين القديم والحديث قصة ازلية ، ولكي تتجدد الحياة لابد من هذا الصراع ، فالثبوت والاستقرار محال . وما دام كل شيء ينزع الى التغير والصيرورة ويابى الاكتفاء بذاته ، وما دام هذا النزوع الى التغير هو قانون الحياة فلابد للشعر اذن من أن يدركه هذا القانون فالجمود مستحيل ، وحين نطالب الشاعر العربي الحديث بالاحتفاظ بصفة الثبوت لمبنى القصيدة فكانما نطالبه بما هو ضد طبيعة الاشياء ، بما هو ضد قانون الحركة والتطور .

حتى هذه الحركة الشعرية الحديثة التي مر عليها الآن اكثر من ثلاثة عقود والتي اصبحت تواجه - كما يبدو - خطر الاجترار وتكرار الذات ، حتى هذه الحركة لابد من أن يدركها في النهاية نزوع الى التجدد وطموح الى تجريبية جديدة .

مذكرات فدوى طوقان ص ١٢٢

صـــفحات فى السياســـة العربيـــة مازالت مجهـــــولة

مسئولية النقراشي عن حرب ١٩٤٨

بقلم : الدكتور السيد فهمي الشناوي

قامت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ ومحمود فهمى النقراشى باشا رئيس وزراء مصر فى الحكم ، وانتهت والنقراشى باشا ـ أيضاً فى الحكم .. ويبدو أن الأمر لم يكن مجرد مصادفة ، بقدر ما كان هناك تخطيط سابق للمنطقة كلها !

فعندما اقيل مصطفى النحاس باشا من الحكم فى ١٨ اكتوبر ١٩٤٤ ، عقب اعلان ميثاق الجامعة العربية مباشرة ، كان المستر ونستون تشرشل ـ ألذى اوصى بالاقالة ـ يعلم تماماً انه عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية ، سوف يجرى تخطيط للمنطقة وتوزيع للأسلاب ، يستلزم استبعاد التيار الوطنى من الحكم ..

ومثل هذا التخطيط المدروس سبق لتشرشل ان اجراه فى اعقاب الحرب العالمية الأولى ، التى كان أثناءها يشغل وزارة البحرية والمستعمرات !

كان ونستون تشرشل يخطط بعناية لما بعد الحرب العالمية الثانية ، واضعاً فى الحسبان ضرورة ابعاد الوطنيين فى العراق ومصر وسوريا ، وحشد احزاب الأقلية فى كراسى الحكم ، حتى يكونوا أطوع فى بنانه لما يخطط له فى مرحلة ما بعد صمت المدافع !

وكان السياسى الداهية يعلم جيداً بان اسرائيل ستظهر كدولة بمجرد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، خاصة وان تلك الحرب الضارية عند توقفها ـ لن تكتفى بما تمخضت عنه الحرب العالمية الأولى من مجرد وطن قومى لليهود كما ورد فى تصريح بلفور !

ولم يكن التنبؤ بهذه الدولة مجـــرد استنتاج سياسى منه ، بقدر ما كان ذلك مبنياً على التخطيط الدقيق ، فهو الذى راى بعينيه وتكلم مع الوف المتطوعين اليهود داخل جيوش بريطانيا ، ومن خلال تجربته معهم ادرك ان هؤلاء اليهود المدربين على احدث اسلحة تلك الحرب لا يمكن ان يكونوا قد خاضوا اقسى معاركها ، لمجرد سواد عيون بريطانيا !

لقد كان عدد اليهود الذين حاربوا مع بريطانيا باحدث الأسلحة وارقى التدريبات ـ كما قال جلوب باشا ـ حوالى ستين الفاً ، معظمهم وصل إلى رتب مختلفة من الضباط او على الأقل صف الضباط ، بينما كان كل ما حشده العرب ضد اسرائيل فى عـــام ١٩٤٨ لا يتجاوز عشرة آلاف جندى ، وإن كان هؤلاء لم يتعد تدريبهم ولا تسليحهم إلا بما يناسب مستوى الاحتفالات والتشريفات بالاضافة إلى اسلحتهم المحدودة !

والواقع ان جلوب باشا يذكر عن تلك الفترة ما هو اقسى من ذلك ، ليدلل على خلو الذهن العربى من معنى كلمة سلاح حربى .. يقول أنه قابل عبد الرحمن عزام باشا فى القدس قبيل دخول الجيوش العربية بايام قليلة جداً ، وساله عن مدى ما اعده العرب لهذه الحرب التى يزعمون دخولها ، فذهل من اجابة عزام باشا التى فحواها انه ذهب إلى صحراء ليبيا حيث يعرف اهلها من أيام الدولة العثمانية ، وانه جمع بضع مئات من المجاهدين من ابنـــاء قبائل الصحراء ، وانه سوف يتسوق لهم اسلحة من مخلفات الحرب فى الصحراء الليبية !

كل هذا وأكثر منه ، أورده جلوب باشا فى مذكراته « جندى مع العرب » ..

بداية المؤامرة

لقد كانت الشكوى فى مصر ، وقتئذ ـ من قلة عدد المجندين وانعدام التسليح ،



محمود فهمي النقراشي وإلى يساره ابراهيم عبد الهادى



مصطفى النحاس



فؤاد سراج الدين



ونستون تشرشل



فاروق



عبد الرحمن عزام



جلوب باشا

وكانت تلك المشكلة من اهم موضوعـــات النقاش فى معاهدة ١٩٣٦ .. وكان الوضع الداخلى مزعزعاً ، وكان فاروق يتعمد إهانة رؤساء الاحزاب ، وهو يرى هتلر الذى كان معجباً به كل الاعجاب - ويضع له صورة فى مكتبه - ينتهى تماماً رغم كل القوة الحربية التى اخضعها لطموحاته فى يـوم من الأيام !

وكان فاروق - نفسه - يتقرب من المخابرات الأجنبية ، ويوفر عليها الجهد المفروض ان تبذله للتجسس عليه ، وكان حريصاً على الياس اندراوس باشا وكريم ثابت باشا رغم صلتهما بالمخـــــابرات البريطانية ، وكان حريصاً على ليليان كوهين العميلة الاسرائيلية ، وهو فى اتجاهه نحو هؤلاء وغيرهم كان يظن فى نفسه المقدرة على غزو هذه الجهات قبل أن تغزوه !

وكان فاروق يعلم بضعف جيشه عن عصابات الصهيونية مثل شتيرن وارجون وغيرهما ، لأن جيشه لم يحمه - هو نفسه - يوم أن زحفت نحوه الدبابات ، وذلك بالاضافة إلى انه كان يدير معركة فى مصر ضد القوى الداخلية ، فهو لم ينشىء الحرَس الحديدى الا لاغتيال مصطفى النحاس ، وهو الذى خطط بنفسه تخطيطاً مباشراً لاغتيال حسن البنا ، هذا فى نفس الوقت الذى لم يكن يضع فيه أى تحفظ على الصهاينة بداية من ادمون جهلان اليهودى الذى اشترى له أسلحة الجيش ، إلى صديقته اليهودية الممثلة كاميليا التى احترقت فى طائرة ، وكبيرة وصيفاته مدام قطاوى باشا وهى يهودية !

ولم تكن حقيقة هذا الضعف الحربى لمصر خافية على الزعماء المصريين ، فمن خلال أوراق كليرن المندوب الســـامى البريطانى (السير مايلز لامبسون) انه فى حفلة التعارف التى اقامها وقت قدومه لمصر قال له النحاس باشا إن مجرد وجود كيان يهودى بجوار مصر سوف يؤدى إلى طمع اليهود فى سيناء وتهديدهم لمصر باستمرار عن طريق سيناء ، المقدسة فى تاريخهم ، وقال له إنه سوف يطالب بجلاء الجيـــوش البريطانية عن القنال إلى فلسطين ، وإنه يجب على هذه الجيوش نفسها عدم الجلاء عن فلسطين قبل أن تعطى المجتمع الدولى والدول الكبرى تعهداً لعرب فلسطين بحمايتهم من هذا الوجود الصهيونى ، وإن جلاء هذه الجيوش قبل ذلك سيعتبر تآمراً ضد العرب !

أما اسماعيل صدقى باشا فقد نشر مقالا فى أخبار اليوم قبل دخول مصر الحرب فى عام ١٩٤٨ ، حذر فيه من نتائج هـــذا

مسئولية النقراشي عن حرب ١٩٤٨



التدخل نظراً لضعف هذه الجيوش عدداً وعدة ، وخطب فى مجلس الشيوخ مكرراً هذا الرأى !

ولم يكن موقف أغلب الزعماء المصريين يخرج عن هذه الآراء فى تلك الفترة الهامة فى مسار القضية الفلسطينية !

كيف أعلنت الحرب ؟

فى البداية ظهرت فكرة الجهاد الشعبى عن طريق متطوعين من القوى الوطنية فى الجيش وخارجه ، وكان هذا التيار يخشاه بصفة خاصة فاروق والانجليز خشية ان يخلق تياراً شعبياً يتعارض مع مصالحهم ويكون امتداداً للتيار الشعبى الذى تزعمه امين الحسينى وفوزى القاوقجى !

ورغم اندحار محور النازى الذى كانت بريطانيا تخشى ان ينفخ فى هذا التيار ، إلا انها كانت تتوجس خيفة من الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، خاصة وقد بدت أمريكا تظهر على المسرح فى الشرق الأوسط واتصالها بالأطراف الوطنية ، وكانت الأطراف الوطنية – فى ذلك الوقت – تضع آمالها فى امريكا باعتبارها زعيمة لما أسموه وقتئذ بالعالم الحر ، بل وقيل إن بريطانيا ذاتها ساعدت على إنشاء خلايا متطرفة فى كل بلد كانت تجلو عنه لتواجه بذلك الزحف الأمريكى ، ويقول جلوب باشا الذى رأس الجيوش العربية رسمياً فى هذه الحرب إن الوفاق بين امريكا وروسيا على وراثة بريطانيا وفرنسا امر قديم ، يعود إلى عام ١٩٣٩ ، ولذلك تركا أوربا تمزق نفسها دون تدخل جدى منهما ، إلا بعد استنزاف دماء المانيا من ناحية واوربا الغربية من ناحية اخرى ، ودخلا وهما يتسابقان فيما بينهما على اقتسام التركة التى تركتها خلفها أوربا الغربية المستهلكة القوى !

كانت بريطانيا اثناء الحرب العالمية الثانية تخطط لما بعد الحرب ، تماماً كما فعلت فى الحرب العالمية الأولى .. وكان من

● كان فاروق يحيط نفسه بكثير من العناصر اليهودية

● المستقلون فى السياسة المصرية كانوا وراء الكثير من الكوارث

اهم تخطيطاتها إقامة دولة اسرائيل ، كما خططت فى الحرب الأولى لاقامة وطن قومى لليهود .. وكانت خطة بريطانيا – دائما – هى أن يتولى الحكم فى مصر بعد الحرب مباشرة حكومة اقلية ، تستطيع من خلالها أن تنفذ مخططاتها ، وهى منع قيام تيار وطنى او حتى ليبرالى ، خاصة فى الوقت الذى ستقام فيه دولة اسرائيل ، وكانت تعلم فى نفس الوقت انها بهذا التخطيط قادرة على احتواء رفض القوى الوطنية بعد أن خرجت لتوها من الحرب منتصرة !

وبدأ التخطيط لصنع اقليات تتولى الحكم بعد الحرب ، وكان التقاتل الحزبى يثير غباراً يغطى على الغرضين الانجليزيين والمتمثلين فى القضاء على الليبرالية وانشاء اسرائيل بالاضافة لصنع ما يؤدى إلى الفرقة بين السودان ومصر !

لم تكن بريطانيا تخفى نيتها فى انشاء « الامبراطورية البريطانية الثانية » داخل أفريقيا ومحورها السودان ، وظهرت فى ذلك كتب بريطانية عقب الحرب الثانية مباشرة ومن ثم كانت دبلوماسيتها حريصة جداً على تحجيم مصر داخل حدودها وتشجيع توجيه مصر نحو آسيا ، ولقد لعبت دوراً ايجابياً وواقعياً فى توجيه نظر فاروق نحو آسيا ، وان يرنو ببصره الى الأفق الذى رنا اليه جده محمد علي والذى اعتمد على ان الحقائق « الجيوبولوتيكية » تقول إن الحدود الشمالية لمصر القوية هى جبال طوروس الفاصلة بين سوريا وتركيا !

وعلى اثر هذا التشجيع من وراء الستار دعا فاروق إلى أول مؤتمر قمة فى انشاص ، رغم هزيمة حرب ١٩٤٨ ، وقاد بنفسه السيارة التى اقلت حسنى الزعيم ، وكان فاروق منتشياً بالأمل الذى قدمته له الدبلوماسية البريطانية المحنكة ، ونسي أن تحقيق هذا الحلم يستلزم أولا الاستقلال التام والقوة الذاتية فى مصر والا تحطم حلمه كما تحطم حلم جده بسبب سوريا ايضا ويقول الكابتن سبيرز (اهم رجل مخابرات بريطانية عمل فى الشرق الأوسط خلال الحرب الثانية) : إن سوريا هى جائزة تعطى للقوى فقط !

كان فاروق اذن حريصاً على اعلان الحرب والزحف نحو الشمال ليحقق لنفسه الحلم فى آسيا ، ولم يكن يعلم أن الانجليز يسوقونه الى حيث يتحطم ، وكان الانجليز سعداء اكثر فى أن دخول الجيوش هذه الحرب كبديل عن المتطوعين العرب سوف يطفىء اية احتمالات لحركات القوى الوطنية او الليبرالية او القومية العربية او الاسلامية التى ستكون فلسطين هى شرارتها !

كان فاروق منتشياً ، وكان النقراشى رئيس وزرائه متخوفاً من ضعف الجيش المصرى حتى على مستوى الأمن الداخلى !

وهنا حدث التغير المفاجىء للنقراشى ، وكان الدور البريطانى هو السر الذى وراء هذا التغير !

وظل هذا التغير والدور البريطانى سراً مكتوماً ، لم يتعرض له احد ، رغم كل ما كتب ، وبرغم طوفان ما اخرجته المطابع ، وكان هناك مارداً ساحراً يحرس هذا السر ويمنع الاقتراب منه !

وقد عبر فؤاد سراج الدين فى حديث له مع احمد حمروش فى كتاب « خريف عبد الناصر » عن اندهاشه العميق لتغير موقف النقراشى هذا ، وانه سجل هذا فى مضبطة مجلس الشيوخ كرئيس للمعارضة يومئذ ، وقال ، انه سال النقراشى باشا كيف تدخل

الحرب دون استعداد لدرجة انك تستاجر سيارات نقل من المدنيين لنقل الجنود الى فلسطين ؟ .. ولاذ النقراشي باشا بصمت ابي الهول !.!

كشف الأسرار

ولكن الجهات الاسرائيلية تكتب وتحلل فى الوقت الذى لم يكتب فيه السياسيون المصريون مذكراتهم ، واتاحوا بهذا التقصير للجانب الاسرائيلى ان ينفرد بعرض وجهة نظره وحده فى الساحة !

● كتب « صفران » فى مؤرخه الشهير « من حرب الى حرب » يعزو هزيمة العرب عام ١٩٤٨ الى انها بسبب استهتار العرب بقوة « العصابات » و « شذاذ الآفاق » وقال إنه كان هناك ٦٠٠ الف يهودى معظمهم مارس الحرب فعلا او خدم فيها أو اشتغل بصناعة مرتبطة بها ، بينما كان حولهم ٤٠ مليون عربى لم يسمعوا عن الحروب الا فى اخبار الجرائد والاذاعات كمتفرجين ، وإن الدافع المباشر لهذا الاستهتار القاتل كان موقف الثـــوار الفلسطينيين القوى الذى كان على وشك القضاء على الوجود اليهودى فعلا قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ ، رغم انهم كانوا يواجهون خصمين معاً : اليهود والبريطانيين ، وقال إن الوحيد الذى كان يفهم قوة اليهود الحربية كان هو الملك عبد الله ، ولذلك دخل الحرب مستهدفاً التوقف عند خط التقسيم الذى قررته هيئة الامم بين اليهود والعرب .

● كتب « لازارون » فى كتاب عاصفة على شجر الزيتون الذى اصدرته جمعية اصدقاء الشرق الأوسط الامريكية فى سلسلة كتب عن حقائق الشرق الأوسط . ان الصحفى المصرى المعروف مصطفى امين ذكر له عام ١٩٥٤ داخل دار اخبار اليوم أن سر تحول النقراشى من معارضة دخول الحرب الى الموافقة ، هو ان بريطانيا وعدته بالتزويد بالسلاح الكفيل بالنصر على اليهود ، فلما دخل فعلا وطالبهم بتنفيذ الوعد رفضوا الا إذا وقع تنازل مصر عن السودان .

وفى هذا إجابة على تساؤل فؤاد سراج الدين ازاء غموض موقف النقراشى الذى سجله عليه فى مضبطة مجلس الشيوخ عام ١٩٤٨ ثم ظل هذا الغموض يحير سراج الدين الى السبعينات عندما بث شكوكه لاحمد حمروش !

● كتب « دلن كرزمان » ، يضيف الى ما سبق المواقف الآتية للنقراشى باشا :

ـ ذكر موظفو الخارجية الامريكية لموسى شاريت وحاييم جولدمان ان الخارجيـــة الامريكية رتبت لقاء بينهما وبين النقراشى باشا لكى يمنع النقراشى مصر من دخول الحرب نظير ان يؤجل الجانب اليهودى اعلان الدولة ، وان ممثلى الجانب اليهودى والعربى فى نيويورك سوف يطيرون الى القاهرة فى طائرة الرئيس الامريكى الخاصة « البقرة المقدسة » ، لتنفيذ ذلك ، ولكن الجانبين المصرى وشاريت رفضا ذلك (ص ٢٥١ من الكتاب) .

ـ كان قواد الجيش المصرى قد عارضوا الدخول فى الحرب عام ١٩٤٨ ، ووصل اعتراضهم فعلا الى فاروق والنقراشى اللذين كانا مقتنعين تماماً بذلك ، ويلومان الانجليز على ضعف الجيش المصرى ، ويصفانه بانه جيش استعراض فقط !

وكان الغضب لعدم تسليح الجيش عارماً وشاملا فى كل صفوف الجيش المصرى وان هذا الحنق هو الذى خلق ثورة يوليو . واوجد عبد الناصر (ص ٢٥٥) .

ـ رغم أن فاروق والنقراشى كانا قلقين جداً بخصوص ولاء الجيش ، إلا انهما وجـــدا أن فرقاً من اعدائهما من القـــوى الوطنية قد ذهبت للحرب ، وسواء عادت منتصرة او منهزمة فانها ستوجه الضربة القادمة لهما حتماً سواء كانوا مزهوين بالنصر او ناقمين على الهزيمة ، ولهذا لم يكن امام فاروق والنقراشى الا إدخال الجيش فى الحرب مع ضرب القـــوى الوطنية ، وقد صـــدر القرار فعلا وهم يحاربون ، وقام الجيش باعتقال زملاء السلاح الذين يقاتلون معهم (ص ٢٥٨) .

ـ يحمــل دان كيرزمـــان (ص ٥٠٩) مسئولية الهدنة الأولى للنقراشى باشـــا شخصياً ، ويبرىء جلوب باشا من تضييع اللد والرملة ، ويقول إن جلوب باشا طلب من توفيق باشا ابو الهدى جنوداً فى اللد والرملة وهما من المناطق المخصصة للعرب فى التقسيم ليكونوا اسفينا داخل الكيان اليهودى ، ولكن توفيق ابو الهدى رد عليه « خلاص . كفاية . لن تكون هناك حرب ، ولن نصرف نقودنا فى الحرب ، لقد اتفق معى النقراشى على أن نوقف الحرب » وفى اليوم التالى أعلنت الهدنة .

ونحن ننقل هذا الكلام ـ للاسف ـ من مصدر اسرائيلى ، لأنه لا النقراشى ولا ابو الهدى تركا مذكرات ترد على هذا الزعم الذى قد يكون حقيقة وقد يكون افتراء .

ـ يقول كرزمان إن استئناف القتال بعد الهدنة الأولى تم بناء على ضغط جماهير الشعوب العربية وأن جلوب قال له ان النقراشى باشا وسائر السياسيين العرب مضطرون تحت الضغط الشعبى لاستئناف القتال ، ولكن يجب الا يتجاوز هذا القتال تكتيك الدفاع فقط دون اى هجوم والاكتفاء بما حققته الجيوش قبل الهدنة الأولى (ص ٥٥٦) .

ـ ويقول كيرزمان إن الملك عبد الله كان حريصاً بعد استئناف القتال على الحصول على اكبر قدر من المساحة المخصصة للعرب ، ولكن النقراشي كان مكتفياً بصحراء النقب ، وإن كانت محاطة بمستعمرات يهودية ، وعلى ذلك لم يكن فى الامكان ان يساعد اى طرف عربى الطرف الذى تهاجمه اسرائيل . لذلك عقد الملك عبد الله اجتماعاً ضم النقراشى وجميل مردم ورياض الصلح وفاضل الجمالى وحضره توفيق ابو الهدى بغرض واحد وهو تعهد الجميع بما يقدمونه دفاعاً عن القدس وإزالة الضغط عليها من القوات اليهودية حولها ، وقد اجمع الحاضرون فى



مسئولية النقراشي عن حرب ١٩٤٨

كلماتهم على « أن الدفاع عن القدس واجب مقدس على الجميع » . وصمت النقراشى صمت شهرزاد عن الكلام المباح عندما طالبه الملك عبد الله بالكلام ، وساله هل هو مريض ؟ فرد النقراشى : لقد حضرت لاستمع ولا اتكلم ، ورد الملك عبد الله : لماذا صادرتم اسلحة مرسلة الينا فى السويس ؟ ثم غادر الملك عبــد الله الاجتمــاع (ص ٦١٧) ، وبعــد انســحاب الملك عبد الله سال توفيق ابو الهدى النقراشى باشا ، هل فى امكانكم مهاجمة اليهود جنوبى القدس ، فرد المستشار العسكرى المصاحب للنقراشى : « لا لان اليهــود سيضربون بعنف » !.

●●

– فى يوم ٢٣ اكتوبر عقد اجتماع فى قصر الملك عبد الله بعمان غداة صدور قرار الأمم المتحدة بايقاف اطلاق النار ، حضره الملك عبد الله وجميل مردم رئيس وزراء سوريا وآخرون مع النقراشى باشا ، ورغم صدور قرار وقف اطلاق النار فقد كان هناك زحف اسرائيلى يهــدد القدس الشرقية والضفة الغربية واستغل الملك عبد الله جو الصمت الذى كان يتدثر به النقراشى ، فامتنع عن بدء الحديث فى الجلسة ، وطال نظر الأعضاء اليه والصمت يخيم على الجميع والملك عبد الله يرفض بدء الحديث ويكتفى بالنظر الى النقراشى ، حتى مضت ثلاث دقائق كاملة ، واشار جميل مردم الى الملك بيده طالباً منه بدء الحديث ، ونظر الملك عبد الله الى النقراشى وقال « لا . إنه دور النقراشى باشا فى الكلام ، لعله الآن وبعد أن سقطت بير سبع وحوصرت الفالوجا يطالبنا بالتعاون ! » .

هنا رد النقراشى « لا . نحن لا نحتاج الى معونة احد ، ونفى النقراشى أن تكون بير سبع سقطت أو أن الفالوجا محاصرة ، وهنا قال الملك عبد الله إذن نجتمع بعد ساعتين فى السفارة المصرية ، واستؤنف الاجتماع فى السفارة المصرية حيث كانت الأخبار قد وصلت فعلا عن سقوط بير سبع ومحاصرة الفالوجا ، وقال النقراشى « لا فائــــدة الآن ! » . (ص ٦٧٨) .

– فى ديسمبر كان الرعب قد شل تفكير النقراشى باشا تماماً ، ها هو جيش مصر كله موجود فى المصيدة فى فلسطين ، وليس فى مصر جيش يحمى النظام المهتز لدرجة أن رجال البوليس اضربوا ، وكان هناك حصار حول القيادة السياسية للبلد من كل الجهات ، وفى هــذا الجو من الرعب أصــدر النقراشى مجموعة من القــــرارات الداخلية الخاطئة ، انتهت باغتياله في ٢٥ ديسمبر ١٩٤٨ داخــل وزارة الداخلية .

وجاء ابراهيم عبد الهادى وقال « إن مندوبى مصر واليهود يتقابلون ويتفاوضون فى مجلس الأمن ، فالى متى نرفض الواقع فى التفاوض السياسى بدلا من الحرب » ؟ ، وارسل الى مندوب رالف بنش بالقاهرة بان مفاوضين مصريين سوف يكونون فى طريقهم الى رودس اذا توقفت الأعمال الحربية تماماً فى فلسطين ، ووصل فى ٤ يناير تقرير من فؤاد باشا صادق القائد المصرى فى فلسطين طافح بالرعب ايضاً (ص ٧٤٤) .

الأحداث الجسام

وانتهت صفحة من التاريخ ، هى من اخطر التحولات فى القرن العشرين ، خطورتها أنها مليئة بالأحداث التى ظلت تتعاقب طوال السنوات الماضية .

ورغم أن النقراشى هو الذى اعلن الحرب وخسر الحرب دون أن يدرك اطلاقاً أبعاد الكارثة ، الا أن المؤرخين حتى الآن لم يكتبوا عنه كلمة ، وكان الصمت المفروض لازال سارياً !

لقد كان النقراشى من رجال الصف الثانى غير المؤهلين للزعامــة ، وكان اداة تنفيذ بغير تفكير ولا استشراف للتاريخ ، وفجاة وجد نفسه فى كرسى الرجل الاول بعد اغتيال احمد ماهر ، وكان احمد ماهر من الرجال الذين خطط لهم تشرشل ان يكونوا فى عجلة القيادة فى فترة ما بعد الحرب ، وهى الفترة التى خططت اثناءها الامبريالية العالمية متعاونة مع الصهيونية على تكرار ماساة الاندلس فى ارض فلسطين .

●●

والواقع أن النقراشى باشا كان اقرب الى السياسيين الفرديين الذين لا يعملون فى مجموعات نسميها أحزاباً ، وكانوا يطلقون على انفسهم تعبير « المستقلين » ، ومن أمثلتهم الأوضح فى العمل الفردى شخصيتان خطيرتان : هما على ماهر واحمد حسنين ، وقد لعبا ايضاً اخطر الادوار معتمدين على التناقضات بين الوفد وفاروق والانجليز !

لقد شبه السفراء الانجليز فى مصر اللعبة السياسية بأنها مائدة لها ثلاثة قوائم هى الوفد وفاروق والانجليز ، ولكن يبدو أنهم نسوا القائم الرابع المتمثل فى المستقلين ، وكان الدور الذى لعبه المستقلون أخطر الادوار جميعاً ، وقد ظلت ادوارهم سرية حتى اليوم لأن احداً لم يتعرض لكشفها مركزاً كل الانتباه الى الاحزاب المعلنة فقط !

إن التاريخ السرى لمصر – وهو من صنع من اسموا انفسهم بالمستقلين – اعمق خطراً بكثير من التاريخ العلنى الذى هو تاريخ الأحزاب !

وقد كان تاريخ المستقلين دائماً متصلاً فى الخفاء بتكوين الجمعيات السرية وبالعمل من وراء الكواليس وبمؤامرات فاروق ، ولهذا جلبوا لمصر وللمنطقة مالم يدركوا خطورته من الأحداث الجسام ! .

السيد فهمى الشناوى

منذ أيام أفلاطون وأهل الفكر يناقشون هذه المشكلة :

الفن والأخلاق

بقلم: الدكتور السيد محمد بدوي

● لماذا أعطينا صفات الجمال لأبطال قصصنا الشعبي وصورنا الخونة والسفاحين فى وجوه قبيحة مخيفة ؟ ! ● ● هكذا بالغ أفلاطون فى اخضاع الفن لمثالية أخلاقية ، وطالبنا بأن ننظر إلى الموسيقى كما لو كانت حصناً من حصون الدولة ! ● ● ● شاعر من عصر النهضة يحذرنا من أى شخص لا تهتز مشاعره لنغم عذب أو صوت إنسانى جميل ! ● كان مارتن لوثر يرى أن الفن يحتوى على بذور كل فضيلة ! ● ● الصفاء والطهارة قبل الفن أحياناً عند ميكل انجلو ! ● ● ● الكاتب القصصى بلزاك اتهم كل من يكتب بدون هدف أخلاقى ، بأنه يقدم أدباً تافهاً للتسلية ! ● ● ● ● فيكتور هوجو أكبر شعراء فرنسا وضع الفن فى خدمة التقدم الأخلاقى ليجعله أكثر جمالا وإشراقاً ! ● الكسندر دوماس الابن قال إن الأدب بدون مثل عليا ، ليس إلا أدباً هزيلا ميتاً ! ● ● الصفات الخلقية - فى نظر رسكين - هى العصا السحرية التى أنتجت روائع فن الهندسة والنحت ! ● ● ● المعارضون لهذا الاتجاه اعتبروا ربط الفن بالأخلاق كارثة تهدد القيم الفنية !

يرتبط الفن والاخلاق بعلاقات متشابكة حتى ليصعب احياناً ان نفصل بين حدود الفن وحدود الاخلاق . وقد ظهرت آثار هذا الارتباط والتشابك فى تجاربنا اليومية ، وفى احاديث العامة والأمثلة الشعبية . وإن نظرة إلى الالفاظ التى ننطق بها فى كل مناسبة ، وإلى العبارات التى نعبر بها عن احاسيسنا ، لتكفى للتدليل على ما يحدث فى اذهاننا من مزج بين معانى الفن ومعانى الاخلاق . فقد كان اليونان فى العصر الاغريقى يجمعون فى كلمة واحدة مركبة صفتين ترمزان الى « الجمال والخير ». "Kala Kagathos" . ونحن اليوم قد نصف قصيدة بانها « لعينة » ، وقد نصف لوحة زيتية بانها « مرذولة » ، وقد نصف صوتاً بانه « حنون » ، وذلك دون أن نشعر باننا نضفى على معانى الفن صفات خلقية .

وعلى الضد من ذلك قد نصف الحياة بانها « جميلة » ، والعمل الطيب بانه « رائع » ، والعمل الخبيث بانه « قبيح » ، وذلك دون أن نشعر باننا نضفى على المعانى الخلقية صفات جمالية .

وفى الأساطير والقصص الشعبية واشكال الفن المسرحية ، اعتدنا أن نصور الخونة والسفاحين بوجوه دميمة ، مخيفة وأجسام محدودبة ، كما لوكنا نريد أن نثبت أن النفوس الخبيثة لابد أن تسكن فى اجسام قبيحة . واعتدنا ان نصور ابطال القصص ، الذين يمثلون الشهامة ، فى شكل جميل ، كما لوكنا نريد ان نؤكد ان النفوس الطيبة لا تحويها إلا اجسام رشيقة متناسقة .

فاذا انتقلنا من هذه الملاحظات العابرة إلى النظريات الفلسفية ، فان التحليل يصبح اكثر دقة ، ويطلعنا على اوجه محددة لهذا التداخل بين ضروب الفن وضروب الاخلاق .

لقد اصطلح على ان القيم الانسانية الكبرى هى : الحق ، والخير ، والجمال . واصطلح على ان هذه القيم الثلاث هى موضوعات العلوم « التقديرية » أو

الفن والأخلاق



افلاطون



ميكل انجلو



بلزاك

المعيارية الأساسية ، ونعنى بها المنطق ، والأخلاق ، وعلم الجمال . أما العلوم الأخرى التى نطلق عليها اسم « العلوم النظرية » أو الوصفية فانها تهتم بدراسة الظواهر وعلاقاتها الضرورية ، وتحاول الكشف عن القوانين التى تخضع لها هذه الظواهر ، دون أن تهتم « بالمثال الأعلى » .

وهذه المجالات الثلاثة لتحديد ما يجب أن يكون – أى مجال الحق ، والخير ، والجمال ، لا ينفصل احدها عن الآخر تماماً بل تعرض امام ناظرينا الواناً من التداخل والصفات المشتركة ، وتوجد بذلك فرصاً لاختلاف وجهات النظر : فكل من هذه القيم يرسم مثالا ، ويحدد الوسائل التى تكفل تحقيقه أو الاقتراب منه . واختلاف المثل غالباً ما يؤدى الى اختلاف الوسائل التى تحققها ، ومع ذلك فما اكثر ان تتلاقى معانى الحق والخير والجمال .

هذه هى المشكلة التى نشأت قديما ، ومازالت تتجدد على الدوام : فطوراً يظهر الاتجاه نحو التقريب بين علم الجمال وعلم الأخلاق ، وطوراً يظهر الاتجاه نحو الفصل بينهما . ولو اقتصر الجدل على العلاقة بين الفن والأخلاق لهان الأمر ، ولكن غالبـاً ما تدخل فى الميدان عناصر اخرى ويتشعب الجدل حول علاقة كل من الفن والأخلاق « بالعلم » ، وتتعقد بذلك طرق الوصول الى رأى حاسم فى موضوع القيم الانسانية .

على أننا نفضل أن نترك هذه المسائل الجانبية ، لكى نتفرغ لبحث مسألتنا الأساسية وهى علاقة الفن بالأخلاق .

أهم الاتجاهات

هناك اتجاهان اساسيان لتحديد هذه العلاقة : الأول يدعو لوحدة الفن والأخلاق والآخر لازدواجهما .

ثم تتفرع بعد ذلك المذاهب التى تنادى بوحدة الفن والأخلاق إلى شعب رئيسية ثلاث : الأولى تنادى بالوحدة تحت لواء الأخلاق ، والثانية بالوحدة تحت لواء الفن والثالثة تريد المزج بين القيمتين فى نوع من الاحساس الصوفى :

أى أن هناك شعبة الاتحاد الأخلاقى . Moralisme

وشعبة الاتحاد الفنى Esthétisme

وشعبة الاتحاد الصوفى Mysticisme

اما مذاهب الازدواج فانها تنادى باستقلال الفن عن الأخلاق ، ولكنها لا تعبر عن رأيها فى حيدة تامة : فالفن عند بعضها لابد أن يأتى قبل الأخلاق ، وهذا هو الازدواج كما يفهمه « انصار الفن » . والأخلاق عند آخرين لابد أن تأتى قبل الفن وهذا هو الازدواج كما يفهمه « انصار الأخلاق » . فالقطيعة بين الفن والأخلاق يراد لها أن تكون احياناً فى مصلحة الفن ، وأحياناً فى مصلحة الأخلاق .

هذه هى أهم الاتجاهات التى تتفرع اليها مشكلة العلاقة بين الفن والأخلاق . ولا نستطيع فى هذا المقال أن نعرض لها جميعاً ، ولذلك نقتصر على عرض آراء المذاهب التى تنادى بالوحدة تحت لواء الأخلاق .

ولقد ظهرت فى تاريخ الفكر الانسانى محاولات كثيرة ترمي الى اخضاع الفن ، بل إلى تضحيته احياناً فى سبيل الأخلاق . وقد كان هذا دائماً رأى فلاسفة الأخلاق .

أفلاطون والفن

ويأتى على رأس فلاسفة الأخلاق فيلسوف الاغريق « افلاطون » . فقد كان افلاطون يرى دائما عند تحليل معانى « الجمال » ، و « الخير » أن كلتا القيمتين تحتوى على عناصر متشابهة : وقد جاء فى محاورة « فيليب Philèbe » أن « التناسق والانسجام فى أى شىء يوحيان بمعنى الجمال كما يوحيان بمعنى الفضيلة » . وجاء فى « المادبة » أن « الجمال فى ذاته واحد ، بسيط ، خالد ، عام ، لايتغير ، وكذلك الخير » . وفى « الجمهورية » يقول افلاطون : « إن الفضيلة هى جمال النفس ، أما الرذيلة فهى قبح النفس » .

وهكذا نجد فى جميع محاورات افلاطون ذلك الاتحاد بين معنى الجمال ، ومعنى الخير الذى ظهر فيما بعد بصورة رمزية فى عبارات اللغة اليونانية الدارجة حيث كان الناس يرددون أن « العلم طيب وجميل » ، وأن « من يجيب اجابة طيبة فهو خير وجميل » .

ولكن هل يعنى ذلك أن افلاطون كان مقتنعاً بالربط بين الفن والأخلاق ؟ يخيل الينا أن العلاقة بينهما فى نظره كانت تشبه علاقة الرمز بما يرمز اليه ، أو علاقة المظهر بالحقيقة : فالجمال عنده لا يوجد إلا بقدر ما يعبر تعبيراً رمزياً عن الخير . وهذا التعبير عن الخير فى صورة الجمال ضرورى بالنسبة للنفوس التى لم تبلغ مستوى الكمال ، ولم تستطع بعد أن تدرك فكرة الخير فى صفائها وفى تجردها . فكما أن الناس لا يدركون فكرة الروح إلا اذا رأوا مظاهرها فى الجسد ، فانهم كذلك لا يستطيعون أن يدركوا الحقائق التى تعلو على الحس ، إلا فى مظاهرها الحسية ولذلك فهم لا يدركون الخير إلا عن طريق الجمال .

وهذه الفكرة نراها واضحة فى محاورة « فيليب » : « إذا كنا لا نستطيع أن ندرك الخير فى معناه المجرد فلندركه تحت ثلاثة معان : معنى الجمال ، ومعنى التناسب ، ومعنى الحقيقة » . وعلى ذلك ففكرة الخير هى التى تسيطر فى نظر افلاطون على القيم الأخرى ، وهى التى توحد ، فى عقلنا بين ثالوث القيم الأساسية ، وهى الحق والخير والجمال .

وإذا كان الجمال يتخذ رمزاً للخير ، فانه يصبح بعد ذلك عند افلاطون تابعاً له ، إذ يقول فى « الجمهورية » : « ليس الجمال إلا أحد توابع الخير ، وجمال الخير يجب أن يعلو فوق كل تعبير آخر ، لأن الخير هو الذى يولد العلم ويولد الحقيقة ، وهو لذلك أجمل منهما جميعاً » .

وفى مراتب المثل التى ليست حقائق



فيكتور هوجو



شكسبير



بودلير



مارتن لوثر



جون رسكين

العلم إلا صوراً لها ، يحتل مثال « الخير » مكان الصدارة ، فهو اول المثل . ويقاس ما تحمل المعانى الأخرى من حقيقة بنسبة قربها من هذه الفكرة الأخلاقية الأولى التى يصدر عنها كل شيء .

هذا التحليل لفكرة افلاطون عن علاقة الفن بالاخلاق يبين لنا كيف تتدرج هذه الفكرة فى مرات ثلاث : وحدة الفن والأخلاق ، ثم رمز الجمال للخير ، ثم خضوع الجمال للخير . ولسنا على تمام اليقين من أن هناك تدرجاً حقيقياً فى هذه الفكرة ، وانتقالا منتظماً من درجة إلى أخرى . فالحقيقة أن رأى افلاطون يتارجح بين هذه المراتب جميعاً ، وهو يمس احداهـا مساً خفيفاً لينتقل إلى الأخرى . ويجب الا نغفل فوق ذلك أسلوب افلاطون وعباراته التهكمية التى تجعلنا نتساءل عن المعنى العميق الذى يهدف إليه .

وإذا تخطينا مجال الرأى النظرى إلى مجال التطبيق العملى نجد أن افلاطون قد اقترح فى « الجمهورية » أن الدولة المثالية يجب الا تشجع الماساة (التراجيديا) ، او الملاحم الشعرية . وكل ما يسمح به من انواع الشعر يجب الا يتعدى الأناشيد التى تمجـد وتكرم عظمـاء الرجـال وليس هناك مكان فى المدينة المثالية لأمثال « هوميروس » . ولو عاد « هوميروس » نفسه إلى الظهور لشكره افلاطون بأدب ، ونحاه عن مهمته . ونلمح من خلال عباراته تفضيل المشـرع « سولون » عليه ، لأن التشريع اقرب إلى الأخلاق من الشعر .

وفى « القوانين » يتحدث افلاطون كذلك عن الموسيقى ، وعن الشعر بصيغة لا ندرى مقدار ما فيها من السخرية أو الجـد : « فالفنان الذى يستحق هذا الاسم لا يصح ان يتلقى الالهام من مصادر الجمال ، ولا يستمع لصوت « الحكمة » ، اى ان رسالة الفن يجب أن تكون اخلاقية تهدف الى الاصلاح » .

والشاعر يجب أن ينصرف عن كل مجال لا يخدم مصلحة الدولة .

والموسيقى يجب أن ينصرف عن كل موسيقى صرف ، أى عن الموسيقى التى تعزف بدون مصاحبة الصوت الانسانى . فهذا النوع من الموسيقى يعده افلاطون وحشياً لا يليق إلا بالسوقة والشحاذين ، وطبقة رجال المسرح المنحلين (١) .

« ويجب أن تجيز الدولة رسـمياً ما يتداول من الأغانى ، وكل من تحدثه نفسه بابتداع اغنية جديدة لا تمر على الرقابة ، او من يستخدم اسلوباً مخنثاً فى الأغانى يتهم بالانحراف ، ويحاكم بمقتضى قوانين الدولة الصارمة : « حذار فالتجديد فى الموسيقى إفساد لكل شيء ، وكل من يمس قواعد الموسيقى ، فانه يهز ، فى الوقت نفسه ، القوانين الأساسية للدولة . يجب إذن أن ننظر إلى الموسيقى كما لو كانت حصناً من حصون الدولة » .

وهكذا نلمح الغلو فى إخضاع الفن لمثالية اخلاقية أو سياسية ، ومحاولة اتخاذه وسيلة لخدمة اغراض نفعية . واذا كانت مثل هذه الأحكام التى نزلت بالفن من عليائه قد صدرت عن افلاطون صاحب نظرية المثل ، فكم ينتظر الفن من محنة على يد متزمت واقعى ؟

وساد المبدأ الافلاطونى ، واخـذ الفلاسفة يطبقونه فى المجالات المختلفة للفن ، وخاصة بعد ان حذا « افلوطين » حذو أفلاطون فيما يتصل بالعلاقة بين الفن والاخلاق : فقد اكد فى « التاسـوعة الخامسة » أن « الخير سابق على الجمال واعلى منه : فالخير لا يحتاج إلى الجمال ، على حين أن الجمال يحتاج إلى الخير . والخير اقدم من الجمال لا باعتبار الزمن ، ولكن باعتبار مصادر الحقيقة ، كما ان له قوة اكبر لأنه لا يتقيد بحدود » .

وكان من اثر تطبيق هذا المبدأ ظهور بعض المحاولات لاخضاع الموسيقى للأخلاق ، وتكونت لذلك مدرسة وضعت الأسس النظرية للموسيقى الاخلاقيـة L'ethos musical (٢) وادعى اصحاب هذه المدرسة انهم يستطيعون ان يوضحوا بدقة الصفات الخلقية لكل شكل من اشكال النغم ، ولكل درجة من درجات ارتفاع الصوت ، ولكل مسافة من مسافات السلم الموسيقى وهكذا ..

وظل هذا الارتباط وثيقاً بين الفن والأخلاق طوال العصور الوسطى ، حيث كانت وظيفة الفن الأولى خدمة الكنيسة والمثل العليا .

رجال عصر النهضة

وفى عصر النهضة استمرت هذه الحركة قائمة ، وان اصطبغت بعض الشيء بالصبغة المدنية على اثر حركة احياء العلوم . وعاد الفن يستوحى مثله العليا من التراث الاغريقى الكلاسيكى :

ولا أدل على هذا الارتباط بين الشعور الفنى ، والشعور الأخلاقى من هذه الفقرة التى يقول فيها « رونسار Ronsard » ، شاعر عصر النهضة فى فرنسا : « إن الذى يستمع إلى تاليف عذب لنغم تؤديه الآلات الموسيقية ، او إلى عذوبة الصوت الانسانى ولا يغتبط وتهتز مشاعره من قمة راسه إلى اخمص قدمه ، فانه انسان ذو نفس ملتوية شريرة منحرفة ، ويجب أن يحترس الناس منه كما يحترسون من شـخص لئيم الأصل » .

وفى العصر نفسه نجد أن « شكسبير » ينصح لنا بالحذر من الشخص الـذى لا يشعر فى نفسه بموسيقى داخلية تضيء حنايا قلبه . ولكنه لم يقل لنا : هل كانت هذه الموسيقى تنبعث من حرارة المشاعر او من خلجـات نفس لا تعترف إلا بالفن ؟ .

وكان « مارتن لوثر » ينصح الشـباب « بممارسة هذا الفن ، اى فن الموسيقى » ويعلن فى صراحة « انه ما من شك فى أن الموسيقى تحتوى على بذور كل فضيلة » .

وعبر « ميكل انجلو » اشهر فنانى عصر النهضة عن هذا المعنى فيما يتعلق بفن التصوير والنحت ، فذكر فى خطاب أرسله الى صديقته « فيتوريا » كولونا » : لا يكفى أن يكون المصور حاذقاً لفنه ، ملماً بدقائقه ، بل اعتقد أن حياته يجب أن تكون مثالا للصفاء والطهارة » . ولكن « ميكل انجلو » لم يظل

دائماً على هذا الرأى ، فكم من مرة صرح فيها بان الفن يجب ان تكون له قيمة ذاتية وأن يطلب لذاته ، ولا يتعلق بشىء آخر .

واستمرت فكرة خضوع الفن للأخلاق سائدة عند عدد من المفكرين والادباء خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر . وقد أوضح هؤلاء المفكرون أن « الشىء لا يكون جميلا بغير أن يعبر عن معنى الخير ، ولا يكون خيراً بغير أن يكون جميلا ، وان رغبتنا للجمال تستوجب رغبتنا للخير » .

ومما يستحق التنويه انه في خلال الثورة الفرنسية أعلن الرسام المشـــهور « دافيد » بأعلى صوته امام مجلس الثورة : « أن الفنون يجب أن تتخذ وسيلة لتربية الشعب ، فاننا اذا عرضنا على الشعب صفات البطولة ، والفضائل الوطنية عن طريق الفن ، فان ذلك يشحذ همته ، ويولد فى نفسه الانفعالات القوية التى تدفعه الى طلب المجد ، والى التضحية فى سبيل الوطن » .

تعديل الفكرة

على أن انصار أفلاطون فى العصر الحديث لم يظلوا مخلصين لفكرته اخلاص القدماء ، بل دفعهم التحليل الى شىء من التحوير الذى عدوه إكمالا لفكرة استاذهم الاول .

فقد ذكر افلاطون ان الفن ــ لكى يكون اخلاقياً ــ يجب أن يقتصر على تصوير المعانى الخيرة ، والا يضع امام اعيننا إلا الأمثلة الطيبة . ولكن انصاره من المحدثين يضيفون إلى ذلك قولهم : إن الخير الذى يؤثر فى النفوس يجب أن يكون نشيطاً معبراً عن أفعال قوية ، وهذا النشـــاط يستوجب نوعاً من الكفاح ، كما أن الكفاح يستوجب وجود خصم ، والخصم هنا هـــو « الشر » الذى قد يكمن فى نفوسنا وقد يكون خارجها : وعلى ذلك يجب لابراز فكرة الخير أن يهتم الفن بتصوير الشر ، ويجب أن يعود الشر الى مكانته فى التصوير الفنى أو الأدبى . بل يتحتم احيانا فى مواقف التصوير الفنى أن نترك الرذيلة تنتصر لتدلل بذلك على قوة الكفاح ووعورته . ويكفى أن ينتصر الخير فى ضمير المتفرج او القارىء ، فان فى ذلك ما يحفظ القيمة الأخلاقية للعمل الفنى كاملة .

هذه الآراء اذاعها الذين انتصروا لرسالة الفن الأخلاقية ، واتخذوا افلاطون استاذاً لهم . ولكنهم ارادوا ان تخرج هـــذه الرسالة من نطاق السلبية الى الايجابية ، ومن السكون إلى الحركة .

الفن والأخلاق

وهكذا يرى هؤلاء انفسهم فى حل من إدخال بعض التعديل على موقف استاذهم افلاطون ، لكى يحسنوا إظهار ما للفن من رسالة فى خدمة الأخلاق .

بلزاك ورسالة الفن

وهذه النظرة الافلاطونية فى شكلها الجديد نجدها عند الكاتب القصصي الكبير « بلزاك » . وقد عثر بين خطاباته على خطاب يحدد رسالة الفن الأخلاقيـــة ، واستعان بهذا الخطاب المحامى الذى تولى الدفاع عن « بودلير » اثناء محاكمته على نشر ديوانه المشـــهور « أزهـار الشر Les fleurs du mal » .

ومما جاء فى هذا الخطاب : « إن الهدف الذى يهدف إليه كل كاتب هو الدعوة إلى اصلاح الأخلاق فى العصر الذى يعيش فيه وإذا تخلى الكاتب عن هذا الهدف فانه لا يصبح أكثر من « أداة تسلية للشعب » . إن وسيلتنا التى سنظل نستخدمها هى : أن نبين موطن الداء ، ونشير إلى الجرح الذى يجب أن يلتئم . وكثير من الشخصيات الشريرة التى نصورها فى كتبنا هى ذلك الجرح . إن المؤلفات العظيمة لا يكتب لها الخلود الا بما تثيره من الانفعالات الجامحة ، وليست الانفعالات الجامحة إلا نوعاً من التطرف ، وليس التطرف إلا ميلا نحو الشر .

« والكاتب يؤدى رسالته بامانة ، ويكون ضميره مطمئنا اذا عالج فى مؤلفاته هـــذه العناصر الجوهرية لكل عمل فنى ، وهى عناصر الشر والرذيلة ، على أن يستخلص منها فى النهاية درساً بليغاً . وانا لا افهم أن يكون العمل الفنى ضد الأخلاق إلا اذا هاجم ــ عن قصد ــ القواعد التى يقوم عليها المجتمع ، أو حاول ان يبرر الرذيلة .

وإذا افترضنا ان عبقرياً استطاع ان يحاول المستحيل ، ويخرج لنا تمثيلية كل أشخاصها من الفضلاء ، فان هذه التمثيلية لا تصمد لأكثر من ليلتين على المسرح » .

وهكذا نرى أن المبدأ الذى يعلنه «بلزاك» فى هذا الخطاب ، والذى يحقق للأخلاق هيبتها عن طريق الفن ، يمكن تلخيصه فى هذه الكلمة : ضع اصبعك على الجرح ، ولكن لتعالجه .

العصر الرومانتيكى

يمكن القول إذن إن هذا التيار الذى يخضع الفن لغاية أخلاقية قد استمر عند كثيرين من كتاب العصر الرومانتيكى فى القرن التاسع عشر :

وجاء « فكتور هوجو » اكبر شعراء فرنسا فى ذلك العصر ، فصرح بان « الفن للفن قد يكون جميلا ،ولكن الفن إذا كان فى خدمة التقدم الخلقى فانه لاشـــك اكثر جمالا » .

ولم يعارض هذا الاتجاه إلا اعـــداء الرومانتيكية من انصـــار مدرســـــة « بارناس Parnasse » الذين جعلوا شعار مدرستهم « الفن للفن » . غير أن فحول كتاب العصر لم يستسلموا لهذه المعارضة بل حاربوها بشـــدة : فكتب الكسندر دوماس الابن : « ان الفن للفن عبارة تجمع بين كلمات خالية من كل معنى » . واضاف إلى ذلك أن « كل فن وكل ادب لا يهدف الى التحسين والى التعبير عن مبادىء أخلاقية ، وإلى وضع المثل العليا يمكن اعتباره ادباً هزيلا شاحبا ، او اذا شئت فقل : إنه ادب ولد ميتا » . وختم دفاعه عن رسالة الفن الأخلاقية بقوله : إنه « يتحدى من يستطيع ان يذكر له كاتبا خلد اسمه دون أن يهدف بقلمه إلى اعلاء القيم الانسانية » .

الصفات الخلقية

ويعد « رسكين "Ruskin" » ناقد الفن ، وعالم الاجتماع الانجليزى ، من اكبر المتشيعين لاخضاع الفن للأخلاق عن طريق الدين .

فهو يؤكد أن « مظاهر الفن عند كل شعب مقياس لأخلاقه » . وهو يرى أن « الناقد الفنى الناجح هو من يقرأ ، مثله ، الانجيل كل يوم لمدة أربع ساعات ، وذلك منذ سن الرابعة » .

فيجب على الشعراء ورجال الأدب والفن على حد قوله ، أن يستلهموا أفكارهم من قواعد الدين والأخلاق .

والنتيجة المنطقية لهذا المذهب : هى التفاؤل المطلق فيما يتعلق بالقيمـــة التهذيبية والأخلاقية للفن . بل ان تربية

الذوق هى بالضرورة ، فى نظر رسكين ، تربية للخلق . ومعرفة ما هو جميل وتمييزه هو الطريق الحقيقى ، بل هو الدرجة الأولى التى توصل الى معرفة الأشياء الطيبة وتميزها » . وذلك لان قوانين الجمال ، وما يبعثه الجمال من غبطة تشيع فى النفس ، ومن حياة البهجة والمرح ، كل ذلك يمثل فى عالم المادة صفات القداسة والخلود التى تتصف بها الفضيلة فى عالم المعنويات ، والتى تتصف بها العبادة فى عالم الروح .

وقد رجع رسكين الى تاريخ الفن ليؤكد هذه الحقيقة . ونستطيع أن نقول : إن الفكرة الأساسية فى كتابه « المصابيح السبعة » ، ترمى إلى تأكيد أن الصفات الخلقية العليا هى القوى السحرية التى انتجت روائع فن الهندسة والنحت . كما أن كتابه « احجار فينتسيا » لا يهدف من بدايته إلى نهايته إلا لبيان ان الفن القوطى فى العمارة ، ذلك الفن الذى امتازت به مبانى فينتسيا فى العصور الوسطى ، لم يكن إلا تعبيراً صادقاً عن الروح الوطنية ، وعن الفضائل التى سادت حياة الأسرة .

كما دارت مؤلفاته السابقة حول محور واحد وهو إثبات أن فن العمارة الذى يمتاز بالروعة ويكتب له الخلود ، هو ذلك الفن الذى يخدم ، فى جوهره ، فكرة دينية ، والذى يبرزه إلى حيز الوجود شعب مؤمن لا شعب فاسق ، شعب مخلص للحقائق الواضحة التى انزلها الله الذى لا إله غيره .

وقد أدى هذا الاقتناع الذى شاع فى كتـــابات « رســكين » إلى نتيجتين أساسيتين .

الأولى : أن احكامه على الأعمال الفنية تضع فى المقام الأول العناصر الأخلاقيـة والنفسية ، ثم تاتى بعد ذلك العناصر الفنية البحتة ، كدقة التعبير ، وتوافق الألوان ، وحسن الصنعة ، فهو يهمه ، قبل كل شىء ، أن تكون « تعبيرات الوجه هادئة لا تنم عن خبث او الم نفسانى » وأن تشيع الطمانينة فى حركات الأشخاص وسكناتهم ثم ياتى بعد ذلك الاعجاب بجمال الصنعة ، ومهارة الرسام ، وفهمه لدقائق فنه .

والنتيجة الثانية ـ وهى وثيقة الصلة بالأولى ـ أن احكام « رسكين » على الفنانين ، وتقديره لهم تخالف بل تناقض تماماً ما اصطلحت عليه الأجيال المتتابعة فى جميع العصور .

فقد حكم على « ميكل انجلو » ، وعلى « رافييل » بالسقوط ، لأنهما قد وضعا الاعتبارات الخلقية فى مرتبة ثانوية . وهو يرى أن فن التصوير الذى اشتهر به مصورو ايطاليا الفطاحل قبيل عصر النهضة قد أخذ فى الاضمحلال والتدهور بعد « بروجين » و « بوتيشلى » : « إذ كيف يمكن أن نغتفر لهؤلاء الأساتذة الكبار ، كما يقول ، هذا السم الذى أخذ يسرى فى الفن حين اغفلوا « الروح » واعلوا قيمة « الجسد » ؟ وكيف يمكن أن « نغتفر لهم هذا التحول نحو المادية الذى بدأ فى عصر النهضة ، واخذ ينمو حتى طغى على كل شىء فى عصرنا الحاضر ؟ وهكذا انتهى الأمر بالفنانين المحدثين إلى انهم اصبحوا حاذقين لفنهم من ناحية الصنعة .. مهملين لواجباتهم من ناحية الحرص على المعانى الخلقية .. فلا مناص من الحكم عليهم بالسقوط » .

● ●

والآن بعد هذا العرض لأراء بعض الفلاسفة والكتاب والنقاد الذين تكلموا عن علاقة الفن بالأخلاق ، نستطيع أن نتبين أن الاتجاه الذى أراد اخضاع الفن للقيم الأخلاقية ، قد ظهر فى جميع العصور تقريباً ، وإن اختلف طابعه من حيث القوة والضعف ، ومن حيث الحجج التى يستند اليها فى اثبات دعواه .

ونستطيع أن نتبين كذلك ، من خلال هذا العرض ، أن مطلب الاتحاد بين معانى الفن من ناحية ، والأخلاق من ناحية اخرى ، مطلب عسير ، وانه قد يؤدى احيانا الى تضحية الأسس الفنية الحقيقية فى سبيل اعلاء القيمة الأخلاقية .

ومن الطبيعى أن هذا الاتجاه ، الذى بدأ قوياً منذ عصر افلاطون ، اخذ يصطدم منذ ظهوره باتجاهات اخرى معارضة ، وأن هذه الاتجاهات قد لقيت ، هى الأخرى ، حظوظاً متفاوتة من النجاح او الفشل .

ولم نشأ ، فى هذا المقال ، أن نتعرض لذكر هذه الاتجاهات المعارضة ، للحرص على وحدة الدراسة ، ولكى نستطيع ان نبرز الاتجاه الأخلاقى للفن فى تسلسله الزمنى . ونرجو أن نتمكن من عرض الآراء الأخرى حول هذا الموضوع فى مقال آخر .

السيد محمد بدوى

هـــوامـــش

(١) لم يعش افلاطون ليرى أن ارفع مراتب الفن هو ما تعبر عنه الموسيقى الخالصة ، والقطع التصويرية « والسيمفونيات » الخالدة التى كتبها امثال بيتهوفن ، وموزار ، وهايدن ، وغيرهم .

(٢) نشأت فى العصر الحاضر حركة مماثلة اطلق عليها أصحابها اسم « التعبير الأخلاقى للموسيقى L'expression morale de la musique

الدوحـــة
في الأعـــداد
القـــادمـــة

● الحلقة الثانية
من ندوة
الفكر الخليجي

● حـــوار مـــع
الشـــاعر الكبير
مبـــارك
بن سيـــف
آل ثـــاني
حول قضـــايـــا
الشعر والأدب

وتقرأ لهؤلاء الكتاب :

● د. أمل أمين زكي
● علي محمد إبراهيم
● د. عبدالله العبادي
● يوسف أحمد
● حسن شكري فلفل
● د. محمد فوزي مصطفى
● مصطفى عبدالرحمن
● د. يحيى رجب
● عبدالرحيم عمر
● نديم خشفة
● أحمد عبدالملك

مسافر على الرصيف



وكانت حياته أعظم إنتاجه

بقلم: محمود السعدني

قصة حياة عبد الرحمن الخميسى واحدة من أعجب وأغرب قصص الفنانين والشعراء فى تاريخ مصر ، ولكن الباحث المدقق سيكتشف أن تاريخ مصر الأدبى والفنى ، حافل بقصص كثيرة من هذا الطراز مع اختلافات فى التفاصيل وفى النهايات ، فعبد الرحمن الخميسى هو ابن سيبويه المصرى الذى كان يركب حماره بالمقلوب ويطوف فى الأسواق ويهجو الشعراء المعاصرين ويرميهم بأشنع التهم ويصفهم بأقذع الألفاظ ، وهو عبد الله النديم لو كانت الظروف مناسبة والريح مواتية ، وهو بيرم التونسى لو كانت القضية فى زمنه هى المحتل المستعمر والاستقلال التام أو الموت الزؤام !

وعلى أية حال ، ستجد فى الخميسى شيئاً من كل هؤلاء ، وستظل من أبرز حسناته اهتمامه بالزهور الجديدة والمواهب الصاعدة ، فهو الذى اكتشف سعاد حسنى وكانت مجرد طفلة لا تعرف القراءة والكتابة ، وهو الذى جاء بمحرم فؤاد وانتشله من شارع محمد على الى الشهرة والأضواء ..

وهو الذى وقف إلى جانب عادل إمام وصلاح السعدنى وفاطمة عمارة وفاتن الشوباشى ومحسنة توفيق ، وكان له الفضل فى الأخذ بيد عبد الرحمن شوقى ويوسف إدريس ، وعشرات آخرين اختلفت حظوظهم وتشعبت المسالك بهم فى الحياة ..

ولكن عيب الخميسى انه كان لا يستمر ، كان يرعى الموهبة ثم ينساها فجاة وينشغل بشىء آخر ، وكانت هموم الحياة ومطالبها وكثرة العيال والأتباع هى التى تفرض عليه الهروب أحياناً من مكان إلى آخر والقفز أحياناً من عمل إلى آخر ولعل عدم الاستقرار كان هو الصفة التى لازمت الخميسى منذ نشاته وحتى الآن . حتى البيوت التى سكن فيها تنوعت أحياؤها حسب الظروف والأحوال ، ذات مرة كان يسكن فى عمارة شاهقة تطل على حديقة الأزبكية وكان فى الشقة شرفة واسعة يحلو للخميسى أن يجلس فيها فى ليالى الصيف وذات ليلة مقمرة جذبنى الخميسى من يدى ووقف ينظر إلى الحديقة ، وقضى وقتاً طويلا وهو صامت لا يتكلم ، وفجاة ، قال لى وهو يضغط على ذراعى « شايف الجنينة دى » ! « وشايف الدكة اللى هنـــاك ! . أنا نمت عليها كتير .. وكانت برد ، لا غطاء ولا أكل ولا مستقبل ولا أى شىء ! » .

ولم ينتظر منى رداً أو تعليقاً ، تركنى عند حافة الشرفة وعاد إلى مكانه الذى اعتاد أن يجلس فيه ، وخيل إلى أن الخميسى كان يحدث نفسه ولا يتحدث معى وظننت أنه اختار هذه الشقة بالذات لأنها تطل على هذه الحديقة وعلى هذه الدكة ، ولكن ظنى لم يكن فى محله ، فلم يلبث أن هجرها وذهب الى حي السيدة زينب وسكن فى عمارة حديثة هناك ، وقضى فى هذه الشقة سنوات قبل أن يهجرها الى شـــقة أخرى في حي عـــابدين تطـــل على قصر عابدين ، ولكنه سرعان ما تركهـــا ، وذهب ليعيش فى شقة فى حي معروف على مقربة من نقابة الصحفيين ، ثم تركها هى الأخرى إلى شقة أخرى فى شارع عدلى ، وهى الشقة التى قضى فيها أيامه الأخيرة فى القاهرة قبل أن يغادرها الى بلاد الله .

ولعل علاقة الخميسى بالشقق تعطينا فكرة عن علاقة الخميسى بالناس وبالأشياء فهو يتعلق بشلة ثم يختفى فجاة ليظهر فى شلة جديدة ، وقد ينغمس فى عمل ما حتى يخيل إليك أن الخميسى لابد غارق فيه إلى النهاية ، وفجاة يهجر الخميسى العمل لينغمس فى عمل آخر بنفس الحماس ونفس النشاط . وهو فى هذا الأمر يختلف عن زكريا الحجاوى مثلا ، الذى عاش فى الجيزة حياته كلها ، ورفض أن يغادرها بعد أن انهار بيته ، ورفض شقة عرضوها عليه فى مدينة نصر قائلا : « يمكننى أن أمتلك شقة فى مدينة نصر ولكنى لا أستطيع أن أسكن فيها ، لأن مدينة نصر هى مقبرة للأحياء » .

وهو أيضا يختلف عن عبد الحميـــد قطامش الذى عاش ومات فى شقته بالسيدة زينب ويختلف عن طاهر أبو فاشا الذى عاش العمر كله ولا يزال فى شـــقته فى حي الحســين . وحتى عندمـــا غـــادر الخميسى مصر إلى الخارج ، عـــاش الخميسى فى بيروت فترة ثم تركها وذهب إلى بغداد وعاش فترة طويلة فى بغداد كان فيها زينة المحافل الفنية والأدبية ، ولكنه لم يلبث أن غادر بغداد إلى غير عودة وذهب ليعيش فى أوروبا حيث هو الآن .

وأياً كانت الأسباب التى من أجلها ترك الخميسى بيروت إلى بغداد ثم ترك من أجلها بغداد الى أوروبا ، فإنها حتى لو لم تكن موجودة لاختلقها الخميسى اختلاقاً ، فالاستقرار . عند الخميسى يعنى الجمود والموت .

وإذا كان الخميسى قد تنقل ببساطة بين الشقق والأحياء ، فقد تنقل وبالبساطة نفسها بين أبواب الأدب والفن ، فهو كاتب القصة القصيرة والرواية والمسرحية

والاوبريت والتمثيلية الاذاعية والرواية السينمائية ، واشتغل بالاخراج المسرحى وبالتمثيل المسرحى وبالاخراج السينمائى والتمثيل السينمائى ، كما اشتغل بتاليف الشعر وتاليف الموسيقى وتاليف الاغانى ، وهو الشىء الذى قد يجهله اغلبية القراء . ولقد شاعت للخميسى اغنية للمطربة مها صبرى يقول مطلعها (ما تزوقينى يا ماما ، دا عريسى هيا خدنى بالسلامة) .

وهناك عشرات من الاغنيات التى رددها الشعب المصرى فى فترة الثلاثينات وبداية الاربعينات كانت من تاليف الخميسى وان اذيعت باسماء مؤلفين اخرين . ولقد ذكر لى الخميسى يوماً ما انه عندما جاء الى القاهرة قادماً من المنصورة ، وجد نفسه ضائعاً فى المدينة الكبيرة ، كانت القاهرة اكبر من امكانياته ، وان كانت اصغر من طموحاته ، ولكن الطموحات لا تفيد مع واقع يومى لشاب ريفى يريد ان يعيش ويحتاج إلى ماكل وملبس ومسكن ، وكان على الخميسى ان يتصرف . كان يقضى اغلب اوقاته على مقهى فى حي الحسين ، وعلى غير ميعاد جاءه مؤلف اغان شهير وكان قد سمع بموهبة الخميسى وقدرته على تاليف الاغانى ، ولم يستغرق الاتفاق بينهما سوى دقائق معدودة ، الخميسى يؤلف والشاعر الشهير يبيع باســـمه ويتقاسمان الثمن .

ولا اعتقد ان الاتفاق بين الشاعر المغمور والشاعر المشهور قد تم بحذافيره ، صحيح ان الخميسى الف ، وصحيح ان الشاعر المشهور باع ، ولكن الثمن الذى تقاضاه الخميسى عن تلك الاغنيات كان شيئاً ضئيلا بالنسبة لما دخل جيب الشاعر المشهور ، ولكن الخميسى كان راضياً على اية حال ، فهو يستطيع الآن أن يتنقل فى المدينة وان يسهر وان يقرا ، ويستطيع ايضاً ان يواجه مطالب الحياة . وفى فترة اخرى من فترات حياته ، اضطر الخميسى الى الاشتغال كممثل فى فرقة مسرحية متجولة ، كان يشرف عليها فنان شعبى اصيل هو احمد المسيرى ، ولعل هذه الفترة كانت اخصب فترة فى حياة الخميسى ، فقد طاف الريف المصرى فى فرقة مسرحية كان لها تقاليد وطقوس وصاحبها « احمـــد المسيرى » كان فناناً حقيقيـــاً ، يؤلف المسرحيات المرتجلة ويؤدى ادوار البطولة ، ويؤلف الاغانى لنفسه وللآخرين .

يحكى انه كان يجلس على مقهى فى شارع عماد الدين اثناء الحرب العالميـة الاخيرة ، وكان عاطلا عن العمل ويعانى من البطالة والفلس ، وفجاة دخل المقهى الفنان الشعبى محمود شكوكو ، فنادى عليه احمد المسيرى ، وساله : معاك عشرة جنيــــه يا محمود ؟ ورد محمود شكوكو : ليه ؟ وقال المسيرى : عندى ليك اغنية هتعمل هزة فى البلد ، واخرج شكوكو الجنيهات العشرة ودسها فى يد احمد المسيرى ، فرجاه المسيرى أن يجلس معه خمس دقائق فقط ، ليدون له الاغنية فى ورقة . وفى الواقع لم يكن فى راس احمد المسيرى اى فكرة عن الاغنية التى باعها لمحمود شكوكو بعشرة جنيهات ولكنه بدا يؤلف الاغنية امام محمود شكوكو وعلى الفور وانتهى من تاليفها بالتمام والكمال ، وكان مطلعها « وردة عليك فل عليك ، يا مجننى بسحر عنيك » .. وقد شاعت هذه الاغنية وترددت على السنة المصريين فترة طويلة من الزمان وبالقطع استفاد الخميسى من تجربة احمد المسيرى ، وكان الخميسى دائماً يذكره بالخير ، ويحكى عن ايامه مع المسيرى بعاطفة طيبة ومشاعر قوية ، ولكن وبالرغم من كل الفنون التى مارسها الخميسى ، إلا ان الذى سيبقى من الخميسى فى النهاية ، هو شعره العظيم القديم الذى كتبه قبل ان يتحول الى شاعر واقعى ، وهو فى هذا الشعر بلغ قمماً عالية ويقف مع علي محمود طه وابراهيم ناجى واحمد فتحى وغيرهم من شعراء هذه المرحلة . ويبقى معه ايضاً دوره المتميز فى فيلم الارض « دور الشيخ يوسف الذى شـــارك فى معارك ثورة ١٩١٩ ثم تدحرجت به الاحوال فى النهاية ، فافتتح لنفسه دكاناً فى القرية وانضم الى عساكر الهجانه التى جاءت لضرب الفلاحين وقهرهم ، ثم تطلع الى منصب العمدة عارضاً خدماته على السادة الذين اذاقوا الفلاحين كل انواع الهوان » ولقد تفوق الخميسى فى هذا الدور على نفسه ، فقد قدم نموذجاً بشرياً موجوداً بشكل او باخر فى الحياة السياسية المصرية ، وعلى طول التاريخ وخصوصاً فى العصر الحديث ! ويبقى منه ايضاً . « دور اسماعيل بيه » فى مسرحية « عزبة بنايوتى » المجاهد القديم الذى واجه السجن والنفى وحبل المشنقة ابان ثورة ١٩١٩ ، ثم اكتشف بعد الثورة ان كل شىء قد عاد إلى ما كان عليه ، الثوار تحولوا الى وزراء ، والمناضلون اشتغلوا باعمال المقاولات ، فاغرق نفسه فى الوهم ولكنه ظل شوكة فى جنب شقيقه حسين بيه ، الذى اشتغل مقاولا مع الجيش الانجليزى ، ودخل البرلمان نائباً عن الجماهير !

وتبقى تحفته الشعبية الرائعة « حسن ونعيمة » التى اضفى عليها طعماً جديداً وبساطة متناهية ، وقدم لنا لوحة ريفية باهرة ليس لها نظير ، ثم تبقى قصة حياة الخميسى نفسها ، قصة الفنان الذى تحاصره ظروف اقوى من ارادته ، واعتى من طاقاته ، ولكنه يقهرها جميعاً ، ويهرب من ريف مصر الى القاهرة المزدحمـــة الصاخبة ، يفرض عليها نفسه بعد حين ، ويفرض نفسه بعد ذلك على وطنه العربى كله ، وعلى مناطق اخرى فى العالم خارج وطنه .

ولقد عاش الخميسى حياته كفنان وانتج فى بعض فترات حياته فنا ، ولو كان الخميسى تفرغ لفنه كنجيب محفوظ او توفيق الحكيم ، لترك لنا الخميسى مكتبة عامرة ، ولكن الخميسى آثر ان يعيش حياته بفن على أن ينتج فناً ، ولهذا قد تصبح حياة الخميسى نفسها فناً تستفيد من وراثه اجيالنا الصاعدة ، ولو ان الخميسى تفرغ لكتابة تاريخ حياته كما حدثت وبالتفصيل فبالتاكيد سنحصل على سيرة فنان تقترب من طفولة جوركى واعترافات جان جاك روسو وايام طه حسين فالظروف التى صارعها ، والتجارب التى خاضـــها ، والاهوال التى صادفها لابد ستنتج فى النهاية عملا فنياً رائعاً ومدهشاً وغريباً . قصة فنان وحيد ، واجه اعداء كثيرين ، ولكنه لم ينسحب ولم يتوار ، بل قرر ان يخوض المعركة ضد الجميع ، وأن يقاتل بلا سلاح ، والاغرب انه إنتصر !

جماعة صهيونية شعارها :

لا تترددوا في إطلاق النار على الفلسطينيين !

بقلم : عصام شريح

هذه الظاهرة التى اسمها « غوش ايمونيم » (كتلة الايمان) ماذا تعنى ؟! .. وماذا تخفى وراءها ؟! .. فلقد أصبحت « غوش ايمونيم » أسنان الصهيونية وأظافرها فى مواجهة المواطنين العرب الصامدين فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، وأصبح المستوطنون جنوداً ، وعصابة رسمية ، تخضع لاشراف الجيش الاسرائيلى ، وعلى أيدي ضباطه يتلقى الجنود تدريباتهم العسكرية ، ومن الجيش يتزودون بالأسلحة ، ووزير الحرب « موشى أرينز » يخطب فى أعضاء العصابة قائلا : « لا ترددوا فى اطلاق النار على الفلسطينيين ، اذا تعرضتم للخطر ! ! » .

كل يوم تحمل الينا برقيات الانباء ، هجوماً لغوش ايمونيم على الفلسطينيين لقتلهم ، أو هجوماً على الارض الفلسطينية لمصادرتها ، وبناء مستوطنات يهودية عليها ! ! .. لكان « اسرائيل » قد تحول اسمها الى « غوش ايمونيم » ، فما تفعله « غوش ايمونيم » هو ما يدور فى عقل « اسرائيل » ، وما تبقى خداع وتمويه .

ولنبدأ .. ما هى غوش ايمونيم ؟؟

نشاتها

ظهرت حركة « غوش ايمونيم » الى الوجود عملياً ، فى عام ١٩٦٨ ، ففى ذلك العام ، وصل الحاخام « موشى ليفنغر » ـ زعيم الحركة ـ على راس عشرين شخصاً من اتباعه ، الى فندق « بارك » بمدينة الخليل ، للاحتفال بعيد الفصح ـ على حد زعمه ـ وطلب ليفنغر إذناً بالمكوث فى ذلك المكان بضعة ايام فقط ، وبعد ان حصل على الاذن المطلوب من سلطات الحكم العسكرى فى الضفة الغربية المحتلة ، لم يخرج من المنطقة ابداً .. ومنذ ذلك اليوم وضع الحاخام الصهيونى نصب عينيه تهويد الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، بدءاً من مدينة الخليل والمنطقة المحيطة بها .

وكما تقضي اصول السيناريو فى اية مسرحية ، فقد سلمت الحكومة الاسرائيلية بوجود جماعة غوش ايمونيم فى المنطقة ، وقامت بنقل الجماعة وحاخامها ليفنغر الى مقر الحكم العسكرى الاسرائيلى فى المدينة ، وبعد حوالى سنتين ، انتقل ليفنغر مع عصابته الى ارض عربية مصادرة قرب مدينة الخليل ، حيث اقيمت فوقها مستوطنة « كريات اربع » .

ومنذ ذلك التاريخ ، بدأ « سرطان غوش ايمونيم » ، بالتفشى فى طول الضفة الغربية المحتلة وعرضها ، إلا ان الاعلان رسمياً عن انشاء هذه العصابة ، قد تاخر حتى عام ١٩٧٤ ، حيث وجد الحاخام ليفنغر ومساعدوه ، فرصتهم الذهبية فى الهزيمة الجزئية التى حلت بالكيان الصهيونى فى حرب تشرين الأول اكتوبر من عام ١٩٧٣ ، لان المآسى والمصائب التى تقع لاسرائيل ، ضرورية فى نظر غوش ايمونيم ، لاقناع الاسرائيليين بان الطريق الذى تسير فيه الحركة ، هو وحده الطريق السليم ، وزعماء غوش ايمونيم يدأبون على بث مشاعر الخوف باستمرار ، لكنهم يرددون قول التوراة : « لحظة ضعف ليعقوب (اسرائيل) ، ومنها يتم خلاصه » .

وكل شعارات الحركة مستقاة من « الضيق » وخراب الهيكل ، والكوارث التى حلت باليهود عبر التاريخ .. الخ .

وبينما كانت الحيرة والبلبلة سيدتا الموقف فى الكيان الصهيونى فى اعقاب حرب عام ١٩٧٣ ، نزل الشبان المتدينون الذين تخرجوا من المدارس الدينية ـ اليشيفوت ـ واهمها « مدرسة بني عكيفا » ، نزلوا الى الميدان ، ليعلنوا رفضهم لنتائج تلك الحرب ، ولاتفاقيات فض الاشتباك ، وليقولوا ان الجواب الوحيد على الهزيمة ، إنما يتمثل فى عدم





الحاخام موشى ليفنغر .. وهو فى اللقطة الاخرى يقود مظاهرة استيطانيـــة

الانسحاب أو التخلى عن طريق الايمان او عن اسلوب الاستيطان فى كل انحاء أرض اسرائيل » .

وقد كتب الحاخام موشى ليفنغر بعـد « حرب يوم الغفران » قائلا :

« منذ حرب يوم الغفران ، اصبح الوضع اكثر خطورة ، فقد احتل الرعب والخوف مكان الفرح ، الذى اخذ بالتاكل ، وبدلا من ارتفاع المعنويات الذى ساد فى اعقاب حرب عام ١٩٦٧ ، وانتظار مجيء المسيح (مخلص الشعب اليهودى) ، جاءت حرب عام ١٩٧٣ ، لتشكل رمزاً للخطر بوقف مسيرة قدوم المسـيح المنتظر » .

اما الحاخام حاييم ديفيد هليفي ـ حاخام تل ابيب ـ فقد قال : :

« إن الانسحاب لم يكن اقليمياً فحسب بل كان انسحاباً من الطريق التى تقود الى خلاص شعب اسرائيل خلاصاً كاملا » .

وأما الحاخام يؤال بن نون ، الذى قاد تظاهرات صاخبة لأنصار غوش ايمونيم ، ضد حكومة اسحق رابين ، بسبب الهزيمة فقد اتهم تلك الحكومة ، بانها فاقدة لمعنى السيادة ، وأن سياستها مفروضة عليها من الخارج (من واشنطن) ، وأن الصراع الآن هو من اجل الاستقلال ، لان فقـدان الاستقلال معناه الخراب .. ثم ردد ما قاله زعماء الحركة من قبل : « إنها لحظة ضيق ليعقوب ، ومنها يتم خلاصه » ! !

امنا ـ الميثاق

وفى الواقع فان حركة غوش ايمونيم لا تختلف عملياً من حيث افكارها ومنهجها عن حركة كاخ التى يتزعمها الحاخام مئير كهانا ، او عن حـزب « هاتحياه » الذى يتزعمه البروفسور يوفال نعمان ، ولاحتى عن حزب حيروت الذى يتزعمه اسحق شامير ، وقبله مناحم بيغن ، والخطوط التى تفصل هذه الحركات والاحزاب عن بعضها شكلية ، وتتعلق بالتكتيك وليس بالايديولوجيا ، ذلك أن هـذه الحركات والاحـزاب الصهيونية جميعا ، تؤمن باقامة اسرائيل الكبرى من الفرات الى النيل ، ولها موقف موحد من ضرورة طرد العرب من اراضيهم او القضاء عليهم بشكل او باخر ان لم يغادروا الأرض طوعاً او خوفاً .

وجميـع المستوطنين فى الضـفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، ينتمون الى « حركة امنا ـ اى الميثاق » ، وهى مجلس يتكـون من قـادة الحركـات الصهيونية (المتطرفة) ، وطلاب المدارس الدينية ، ومهمة هذا المجلس الذى تسيطر عليه غوش ايمونيم عملياً ، هى مهمة تنسيقية ليس إلا ، وتشكل « حركة امنا » ومجلس المستوطنات اليهودية فى الضفة الغربية المحتلة ، هيئة عليا لجميـع التنظيمات والحركات على اختلافها ، ومهمة هذه الهيئة تنظيرية اساسا ، وقد اصدرت قبيل غزو لبنان الذى جرى فى حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٢ ، وثيقة حملت توقيع الحاخام يسرائيل هرئيل الأمين العام لمجلس المستوطنات وعضو مستوطنة « عوفرا » ، وتضمنت الوثيقة التى اضيفت اليها عدة فقرات فيما بعد لكى تتلاءم مع الوضع الجديد الناشىء عن الغزو الاسرائيلي للبنان ، تضمنت خطة عمل شبه رسمية لأعضـاء المستوطنات .

واقترحت الوثيقة انشاء هيئة خاصة باسم « شيفوت سيناي » (اى سبي سيناء) ، تتولى دراسة العلاقات مع مصر وما تصفه « بانتهاكات اتفاقية السلام » . وبيت القصيد ، أن تتولى هذه الهيئة البحث عن فرصة مؤاتيه لاعادة سيناء الى الكيان الصهيوني .

وتقترح الوثيقة ايضا ، العمل ضد رؤساء البلديات العرب فى الضفة الغربية المحتلة ، عن طـريق تنظيم تظاهرات ضدهم ، والمطالبة باقصائهم عن مناصبهم ، اما بالنسبة للمسجد الأقصى ، فتقول الوثيقة ، انه يجب دراسة ما إذا كان يجوز الاستمرار فى التخلي عن استعادته أم لا ، باعتباره موضوعاً رئيسيا وحيويا .

جيش خاص

ولحركة غوش ايمونيم جيشها المنظم والخاص ، ومع ان الصحفى الاسرائيلى « داني روبنشتاين » الذى اصدر كتابا عن هذه الحركة مؤخراً ، يقول ان جيش غوش ايمونيم يتكون من مائة رجل ، الا ان احداً لا يعرف العدد على حقيقته ، ويمكن اعتبار جميع الاعضاء فى الحركة جنوداً فى جيش غوش ايمونيم . ويقول الصحفى فى « عل همشمار » « يغئال غلاى » ، انه حين يتم تسريح المستوطنين فى الضفة الغربية المحتلة من الخدمة الاحتياطية فى الجيش الاسرائيلى ، فانهم ينتظمون فى وحدات شبه عسكرية خاصة ، مهمتها « الدفاع » !! عن المستوطنـات والمستوطنين اليهود فى الضفة والقطاع المحتلين ، ويصف هذه الوحدات بانها شبيهة بالميليشيا المسلحة او الحرس المدنى ، لكن « غلاى » يضيف ان هذه الوحدات التى كانت صغيرة العدد وضعيفة البنية ، اصبحت فى السنوات القليلة الماضية منظمة بشكل جيد ، ومعدة للتدخل بشكل فورى فى حال نشوب اعمال عنف او حرب ، ولدى هذه الوحدات العسكرية ، شبكات اتصال ، ومعدات عسكرية ضخمة وثقيلة ، وهى تتلقى الأوامر من المشرفين عليها فقط ، وطبقاً لقرارات مستقلة تصدر عن قادة حركة غوش ايمونيم .

اما الصحفى « شلومو فرانكل » فى « هعولام هزيه » ، فيقول أن المستوطنين التابعين لحركة غوش ايمونيم ، منظمون ايضاً فى تنظيمات عسكرية خاصة بهم ، وكان رئيس اركان الجيش السابق

جماعة صهيونية شعارها:

لا تترددوا في إطلاق النار على الفلسطينيين!

الجنرال رافائيل ايتان قد أخرجهم من وحداتهم الاحتياطية ،ونظمهم فى سرايا كوماندو ، ليتمكنوا من « تنفيذ القانون » بايديهم ، تحت ستار الزى العسكرى .

أفكارهـــا

يمكن تلخيص افكار حركة غوش ايمونيم ، كما وردت على لسان قادتها بما يلى : إن من حق اليهود الاستيطان فى اى جزء من « أرض اسرائيل الكاملة » والتى تمتد حسب ميثاق الحركة حتى مدينة صيدا فى جنوب لبنان ، ويقول الميثاق : « إن أرض اسرائيل الكاملة هى لشعب اسرائيل ، وبحسب توراة اسرائيل ، فان الضفة الغربية وقطاع غزة هما جزء من أرض اسرائيل المحررة ، وانه حتى لو لم يتم الاعلان رسمياً عن ضم هذه الأراضى الى اسرائيل ، فانها تعتبر تلقائياً جزءاً منها ، ومن الواجب العمل على تهويدها ، وزرع المستوطنات اليهودية فيها ، وكل من يعارض ذلك ، فهو خائن وخارج عن الاجماع الصهيونى » ! !

ويقول الحاخام ليفنغر البالغ من العمر ٤٨ عاماً ، « ان كل من يرفض الانصياع للسيادة الاسرائيلية ويحرض ضد اليهود ويعارض عودتهم الى مدينة الخليل ، لا مكان له على أرض اسرائيل !! .. وهناك عدة دول عربية حولنا !! .. » ثم يضيف : « ان من يوافق من العرب على السيادة الاسرائيلية ، فاهلا وسهلا به ، يعيش هنا « باحترام » ولن نمس حتى شعرة من شعر رأسه ، ولكن .. يعيش بدون حقوق سياسية .. له فقط « حقوق انسانية » ، وفقط حق العيش .. تجارة ، نعم .. زراعة ، نعم .. حقوق سياسية .. من يرغب فى ذلك ، فليفتش عنها فى الدول العربية ، ولكن ليس هنا .. فهذه دولة اليهود التى عادوا اليها بعد الفي سنة !! » .

والحاخام ليفنغر ، من انصار التعايش مع العرب .. وأى تعايش ؟ فهو يقول : إن التقاليد اليهودية تامر اليهود بان يحبوا جيرانهم ، وهذا يشمل العرب ، ولكنه يضيف بصراحة بل بوقاحة ، ان هناك مثلا يقول : « ان لم تستعمل العصا ، فستفسد الطفل » ، ولذلك فان ليفنغر يطالب الجيش الاسرائيلى ، بان يصعد من حملات القمع والاجراءات الارهابية والعدوانية ضد المواطنين العرب الصامدين فى الأرض المحتلة ، كفرض غرامات اعلى ، ومد فترة الاعتقال الكيفي ، واصدار حكم بالاعدام ضد اى مرتكب عملية قتل ضد اليهود !!

اما حنان فورات ـ عضو الكنيست ـ الذى انفصل لفترة عن الحاخام ليفنغر وغوش ايمونيم ، لينضم لمؤسسي حزب « هاتحياه ـ النهضة » ، فانه عاد ليضم جهوده هذه الأيام الى جانب ليفنغر ، وهو يقول ان حزب « هاتحياه » هو الممثل البرلمانى لأسلوب وافكار غوش ايمونيم ، ويضيف فورات البالغ من العمر أربعين عاماً ، ان اسرائيل غير مستعدة لخسران اى شيء بعد الانسحاب من مستوطنة ياميت وغيرها فى سيناء ، ومع ان «يهودا والسامره» وغزه هى كل ما يستطيع ان يتصرف به اليهود حاليا ، الا انه واثق من ان اليهود سيملكون جميع ارجاء ارض اسرائيل يوماً ما ، وان الهيكل (هيكل سليمان) سوف يعاد بناؤه .

ويرى حنان فورات ، ان قوة غوش ايمونيم ، تكمن فى التخلى عن طريقة الحياة الغربية ، واتباع طريقة الحياة المبنية على النمط اليهودى ، وفى تشكيل الأسرة بصورة خاصة حسب هذا النمط ، ويقول ، انها ليست صدفة ، ان يكون للحاخام ليفنغر احد عشر ولداً ، وان يكون له هو نفسه سبعة أولاد .

وفى كل الاحوال ، فان هناك فكرتين مركزيتين بالنسبة لحركة غوش ايمونيم ، وهما تدوران حول طرد العرب من الضفة والقطاع المحتلين ، وتقول الفكرة الأولى باستخدام القوة لتحقيق هذا الغرض ، فيما تشير الفكرة الثانية الى امكانية قبول العرب ضمن الجسم الاستيطانى الصهيونى ، ولكن بدون اى حقوق سياسية ، واللجوء الى اساليب الطرد على مراحل . وفى اطار الفكرة الاخيرة ، يقول الحاخام يعقوب اريئيل من المدرسة الدينية فى مستوطنة ياميت بسيناء سابقاً : « انه يجدر بشعب اسرائيل من الناحية الاخلاقية ، ان يستوطن فى كافة أرضه مع الشعوب الاخرى ، وان يعيش بسلام ومساواة .. لكن هل يستوجب هذا الأمر ، طرداً فورياً لجميع العرب ، وبالقوة الى البلدان العربية ؟ .. انه من الأفضل ان يتم تنفيذ ذلك ببطء ، وعلى مراحل ، ومن خلال السيطرة الكاملة على جميع اجزاء أرض اسرائيل ، خصوصاً تلك المناطق التى تهددها اخطار السيطرة الأجنبية ..» ويضيف الحاخام الصهيونى قائلا : « اذا وجدت افضليات اخرى غير طرد العرب فى هذه المرحلة ، ولم تكن مسالة طردهم ملحة فى هذه الفترة ، فلماذا نثير ضجة حول ذلك ؟ ولماذا نثير ضغائن غير ضرورية حالياً ؟ ولماذا لا نعيش سوياً حياة جوار معهم ؟؟ » .

ويقول « تسفى كتسوبر » ـ المستوطن فى مستوطنة كريات أربع ، انه يريد الحفاظ على علاقات جيدة مع العرب ، ولكن المشكلة تكمن فى ان العرب لا يعرفون لغة سوى القوة ! ! ويبرر كتسوبر بهذا المنطق الاخرق « فرض عقوبات عليهم لردعهم » !!

اما « أهارون دومب » ـ وهو احد اعضاء عصابة غوش ايمونيم المسلحين ، والمقيم فى مستوطنة كريات أربع ، فانه لا يخفى موقفه العنصرى الفاضح فى التعامل مع العرب ، حيث يقول : « انه اذا اضطر احدنا الى توجيه صفعة لعربى ، فان ذلك يكون لصالح العربى نفسه ، لأن هذه الصفعة ، تمنع توجيه عيار نارى الى قدمه » !!

ويضيف دومب « إن الحاكم العسكرى الصهيونى مخول باعتقال أى مواطن عربى لمدة ١٨ يوما على ذمة التحقيق ، ودون انذار مسبق ، لكن عندما لا يفعل الحاكم ذلك ، يقوم « جيش غوش ايمونيم » باستدعاء المواطنين العرب للتحقيق معهم ثلاث مرات فى الأسبوع ، ومع ان هذا العمل يشكل عامل ازعاج للعرب ، لأنهم يضطرون الى اغلاق حوانيتهم ووقف أعمالهم فى تلك الأيام ، إلا ان هذا يوفر عليهم الاعتقال لمدة ثمانية عشر يوما» .

وعلى اية حال فان هذه الأفكار العنصرية نحو العرب ، هى الجامع المشترك الاعظم بين الاسرائيليين سواء كانوا فى الأحزاب الحاكمة ، او الاحزاب المعارضة ، وتقول عضو الكنيست « شالوميت الوني » ان لديها ادلة كافية على تواطؤ الحكومة الاسرائيلية مع

المستوطنين الذين يعتدون على العرب ، واضافت « بما أن الاتجاه العام فى اسرائيل ، يميل الى اطلاق يد حركة غوش ايمونيم ، فانه لم يكن باستطاعتى فعل الكثير .. خاصة وان الحكومة تقوم بدعم اعضاء غوش ايمونيم ، حتى عندما يقومون بسلب اليهود الآخرين حقوقهم » .

أهم مستوطنات الحركة

ونشير اخيراً الى اهم مستوطنتين تابعتين لحركة غوش ايمونيم ، وهما « كريات اربع » و « عوفرا » . اللتان تعتبران اهم معقلين لمستوطنى هذه الحركة فى الاراضى العربية المحتلة .

كريات أربع

اقيمت بصورة غير رسمية فى نيسان (ابريل) من عام ١٩٦٨ ، الى الشرق من مدينة الخليل العربية ، وعلى طريق الخليل ـ بني نعيم ، وذلك عندما قدم أوائل المستوطنين الى الخليل بتاريخ ١٢ ـ ٤ ـ ١٩٦٨ ، واقاموا فى فندق «بارك» بحجة انهم من السياح الاجانب ، ثم مكثوا فى المكان بحماية الحكم العسكرى الصهيونى ، وتلقوا تاييداً رسمياً للمرة الأولى من خلال زيارة قام بها نائب رئيسة الحكومة الاسرائيلية « يغئال الون » ، التقى فيها بالمستوطنين ، وشجعهم على الاقامة والاستيطان . وفى ١٨ ـ ٤ ـ ١٩٦٨ ، انتقل المستوطنون الى بعض المبانى التى يشرف عليها الحكم العسكرى فى الخليل ، وبقوا فى المكان الى ان سمحت لهم الحكومة باقامة مدرسة دينية ، ثم سمحت لهم باقامة مطعم ، وبعد ذلك تمكنوا من انتزاع قرار رسمى وعلنى من حكومة غولدا مئير ، يقضى باقامة حي سكنى فى الخليل ، وتطور المشروع ليصبح مستوطنة مدينية صناعية . وفى ١٦ ـ ٤ ـ ١٩٦٨ ، صادقت الحكومة على اقامة مستوطنة ، كريات اربع ، وشرعت فى نفس الوقت فى بناء الوحدات السكنية الأولى فيها .

اما الأراضى التى بنيت عليها هذه المستوطنة ، فهى أراض تعود لأهالى مدينة الخليل ، وبلدة « بنى نعيم وقرية حلحول العربية» وكانت ادارة المستوطنة فى عام ١٩٧٣ ، تتكون من ممثلين للحكم العسكرى والمستوطنين على شكل لجنة مختلطة ، لكن فى اواخر عام ١٩٧٤ ، أصبحت الادارة بشكل كامل فى يد المستوطنين فقط ، وقد تولى موشى ميافسكى رئاسة مجلس ادارة المستوطنة فيما تولى الحاخام موشى ليفنغر منصب منسق الادارة .

بالنسبة لعدد المستوطنين فى «كريات اربع» ، فان التقديرات تشير الى ان عددهم يقرب من أربعة آلاف صهيونى ، فى مقابل حوالى خمسين الف عربى فى مدينة الخليل المجاورة ، ومعظم المستوطنين فى كريات أربع ، هم من اتباع غوش ايمونيم ، وللمستوطنة طابع عسكرى ، حيث المباني فيها محصنة ، والأراضى محاطة بالأسوار وابراج المراقبة .

عوفرا

اقيمت بصورة غير رسمية فى شباط (فبراير) ١٩٧٥ ، على بعد عشرة كيلومترات الى الشمال الشرقى من مدينة رام الله ، وعلى الأراضي التابعة لقريتي «عين يبرود » و « سلواد » العربيتين . وقد اقيمت هذه المستوطنة اولا على خمسين دونما ، كانت قد خصصت لاقامة معسكر للجيش الاردنى قبل احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة فى حرب عام ١٩٦٧ ، وجاءت اقامة « عوفرا » نتيجة لقرار حكومى مُقَنَّع ، سمحت الحكومة الاسرائيلية بموجبه لاحد المتعهدين بان يقيم عدد من العاملين فى مشروعه فى عدد من البيوت المهجورة بالمنطقة . ثم ما لبثت حركة غوش ايمونيم ان شرعت فى تحويل المكان الى مستوطنة دائمة ، وقام رجال الحركة بمصادرة مائتي دونم من الأراضى الخاصة بالمزارعين العرب فى عام ١٩٧٧ . وعندما جاء الليكود الى الحكم ، تم الاعتراف رسمياً بـ « عوفرا » كمستوطنة مدينية ، وذلك بتاريخ ٥ ـ ١٠ ـ ١٩٧٧ . وبعد ذلك بدا المستوطنون فى « عوفرا » بالتوسع على حساب قريتي سلواد وعين يبرود .

وتعتبر مستوطنة « عوفرا » احدى المستوطنات الجماعية التى تديرها جمعية من اعضائها ، لكن ملكية المصانع فيها فردية ، وهى تضم حوالى ثلاثمائة مستوطن ، ويتولى المستوطنون مهمة ادارة شؤونها الأمنية ، بواسطة اداء الاعضاء الخدمة العسكرية داخل المستوطنة نفسها ، وذلك باتفاق خاص مع قيادة الجيش الاسرائيلي ، وتصدر فيها مجلة ناطقة باسم المستوطنين فى الضفة الغربية المحتلة ، اطلق عليها اسم «نيكوداه» ـ أى « النقطة الاستيطانية » أو « المستوطنة » ، ويقيم فى « عوفرا » معظم قادة حركة غوش ايمونيم ، كما يوجد فيها « مجلس المستوطنات الاسرائيلية » فى الاراضى العربية المحتلة .

لماذا غوش ايمونيم ؟

اشرنا الى ان حركة غوش ايمونيم ، نشات وقويت فى ظروف الهزيمة الجزئية التى لحقت بالكيان الصهيونى فى حرب عام ١٩٧٣ ، وكان شعارها : لا للانسحاب من الاراضى المحتلة ، ونعم لاقامة اسرائيل الكبرى .

وفى الواقع ، فان غوش ايمونيم ليست حركة صغيرة ، كما تحاول الصحف الاسرائيلية تصويرها ، بل انها تمثل افكار واحلام السواد الأعظم من الاسرائيليين ـ كما تقول النائبة فى الكنيست شالوميت الوني . وقد جاء صعود غوش ايمونيم ، مترافقاً ومتزامنا ، مع صعود الثورة الفلسطينية ، واحتلال القضية الفلسطينية مركز الصدارة على الصعيد العالمى ، وانفضاح الأسطورة الكاذبة القائلة بان الجيش الاسرائيلى لا يقهر .

ومن هنا كانت غوش ايمونيم نتيجة لاختلال التوازن فى الكيان الصهيونى ، امام الهزيمة التى لحقت بالكيان فى حرب عام ١٩٧٣ ، وامام تنامى العمل الفدائى الفلسطيني ، وامتداد ذراعه الى عمق الكيان الصهيونى .

وبقدر ما كان قيام الكيان عملية سهلة ، وانتصاراته فى حربى ١٩٤٨ ، و ١٩٦٧ ، عملية نزهة ، بقدر ما كانت الضربة صاعقة فى معركة الكرامة فى عام ١٩٦٨ والسنوات التى تلتها ، ثم فى معركة اكتوبر المجيدة ، لذلك كان جنون الاستيطان الذى تجسده حاليا حركة غوش ايمونيم وحركة كاخ وغيرهما .. لان العقل الصهيونى ، عقل مقامر ، لا يرضى أصلا بانصاف الحلول ، ولأن هزيمة فعلية واحدة كافية لأن تجعل الحلم الصهيونى فى خبر كان .

عصام شريح

مدريد ومتاحفها

وقفة على جبل الحسرات العربي!

بقلم : د. عبد السلام العجيلي

هذه هي المرة الرابعة التي تقودني فيها أسفاري الى مدريد ، عاصمة اسبانيا ، ولكنها المرة الاولى التي ازور فيها ، في هذه المدينة الكبيرة والجميلة ، متحفها العسكري .

في زياراتي السالفة للعاصمة الاسبانية كان من اوائل ما اضعه في برنامجي هو التردد على متحفها الكبير ، البرادو . كنت اجول في صالات هذا المتحف الواسعة وبين اجنحته المتعددة ، ساعياً الى لوحات بعينها اعرف اين تقع من زواياه . أسعى اليها كعاشق مسرع الى موعد يحرص على الوصول اليه ، لوحات لموريلو تمثل العذراء وهي تضع قدميها على هلال تلفعه السحب بينما يتجمع حولها صغار الملائكة ويتناثرون كحبات سبحة نورانية.. لوحتي «جويا» المشهورتين ، مايا الكاسية ومايا العارية ، المتقابلتين في قاعتهما القصية ، ترويان للمتامل حكاية ، غامضة وفاضحة في آن واحد ، لفنان احب دوقة رفيعة المقام فعبر عن لوني حبه لها بهاتين اللوحتين الرائعتين في تناقضهما . ولوحات غير هاتين وتلك لا تجدها في غير هذا المتحف المتميز ، البرادو .

وربما كان البرادو اضيق رقعة واقل عدد مقتنيات من متاحف عواصم العالم الكبيرة الاخرى ، امثال « اللوفر » في باريس و « الارميتاج » في لينتجراد . الا أن روائعه المنتقاة وحسن تنسيقها ، وجواً خاصاً لصالات هذا المتحف ، قربته من نفسي منذ زيارتي الأولى له منذ ثلاثين عاماً ، وجعلتني اعتبره من اجمل ما رايته من متاحف العالم الكبرى ، وقد رايت منها الكثير . فيلا سكيز وايلجريكو وموريلو وجويا وغيرهم من فناني اسبانيا الكلاسيكيين الذين أعطوا البرادو طابعه الخاص الذي لا تجاريه فيه متاحف غيره اغنى منه واوسع .

وعندما عدت من جولتي الاخيرة هذه في البرادو قال لي قريبي المقيم في اسبانيا والذي كان يرافقني : تقول انك زرت البرادو مرات اربع على الاقل ، افلا تزور المتحف العسكري مرة واحدة ؟ قلت له متسائلا : المتحف العسكري ؟ لماذا ؟ قال : لتشاهد فيه اشياء كثيرة تهمك .. سيف أبي عبد الله الصغير مثلا .. السيف الذي سلمه لفرديناند وايزابيلا عندما سقطت غرناطة في ايدي الأسبان ..

جبل الحسرات

هززت كتفي لاقتراح قريبي وقلت له : وأي حاجة بي لاستعادة ماساة ذلك السيف وماساة صاحبه ؟ السيوف التي أضعناها ونضيعها في كل يوم كثيرة ، ولن يزيد في عددها سيف ابي عبد الله الصغير أو ينقص منه . إذا ملكت فسحة من الوقت بعد عودتي من الاندلس فاني لن ازور فيها المتحف العسكري ، بل متحف فناني القرن التاسع عشر الذي لم يسبق لي أن شاهدت مقتنياته .

وفي اليوم التالي توجهت الى الاندلس لاقضي فيها اربعة ايام بين قرطبة واشبيلية وغرناطة . ولئن كانت زيارتي لمدريد وماحولها في هذا العام هي الرابعة فانها الثانية لجنوب اسبانيا ولمدن الاندلس ، الفاتنة في مناظرها وآثارها والمثيرة للشجن بتاريخها وذكرياتها . فمنذ ثلاثين عاماً انطلقت من مدريد في قطار الكوريوس ، او قطار البريد ، الذي دار بي في جنوب اسبانيا على هواه ، وهواي ، اتوقف في كل بلدة يحلو لي التوقف بها ، واعود لاستقله الى البلدة التالية ، ببطاقة سفر واحدة لا اغيرها . ذكرياتي عن تلك الرحلة البوهيمية لا تنسى ، وقد أوحت لي بقصص وكتبت عنها مقالات ، وكنت احن دوماً إلى ان أعود الى معاهدها وارى ماذا فعل بها الزمن . وإن كنت اعلم أن فعل الزمن يتمركز في النفوس اكثر من تظاهره في الامكنة .

على اني في هذه المرة لم استقل قطار الكوريوس في عودتي الى مواطن الذكريات ، بل قصدناها في سيارة سياحية كبيرة مكيفة الهواء ، يشرح لنا الدليل فيها المعالم التي نمر بها وتصدح فيها الحان الزارزويلا في الفترات بين الشرح . وفي غرناطة ، حين كانت سيارتنا ترقى بنا من قلب المدينة في طريقها الى المرتفع الذي يعلوه قصر الحمراء كتاج ارجواني ، وتحيط به حدائق جنة العريف كقلائد زبرجدية ، اجلت نظري فيما حولي وقلت للدليل : إني ابحث عن ذلك الجبل الذي توقف به أبو عبد الله ، آخر ملوك غرناطة ، بعد ما سلم عاصمة ملكه لفرديناند وايزابيلا ، فاشار الرجل بيده الى الغرب ، الى قمة بعيدة ، تتسم على

الأفق بارزة بين الغيوم فى آخر انوار النهار ، وقال : إنه هناك ، جبل حسرات العربى !

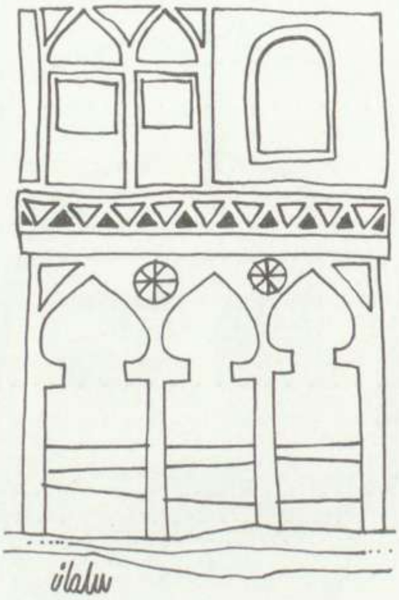
السيف والوثيقة

كان ذلك هو اسم الجبل . عنده توقف أبو عبد الله الصغير ليلقى نظراته الأخيرة على آخر معقل من معاقل العرب والاسلام فى هذا الجزء من القـــارة الاوروبية . كان قد وقع وثيقة الاستسلام ودفع بمفاتيح غرناطة وبسيفه الى فرديناند وايزابيلا ، ثم انسحب يجر ذيول هزيمته عبر مسالك جبال سييرا نيفادا فى طريقه الى العدوة الأخرى والمغرب . وعلى هذه القمة وقف والتفت متطلعاً الى غرناطة والى قصور بني الاحمر فيها ، وأطلقها زفرة حرى بينما سال الدمع من ماقيه . هنالك قالت له أمه ، عائشـة الحوراء ، التى كانت ترافقه فى موكب الخذلان : إبك يا بني .. إبك مثل النساء ملكاً مضاعاً ، لم تحافظ عليه مثل الرجال !

ومن يومها سميت تلك القمة « جبل حسرات العربى » ، وبالأسبانية « مونتى سوسبيرو ديل مورو » .

ولعل الصورة التى بقيت فى خاطرى لهذه القمة ، مكسوة بظلال الغسق الحزينة ، هى التى دفعتنى حين عدت الى مدريد فى رحلتى هذه الى أن أبدل رأيى فازور المتحف العسكرى بعد أن كنت قليل الرغبة بمشاهدة معروضاته . من منا الا وفى اعماق نفسه اثر من النزوع الى المازوشية ، أعني الولع بتعذيب النفس ، إلى ما يثير الحسرة وحس القهر . وكانى أردت أن أكمل القهر الذى أثـاره فى نفسي منظر جبل حسرات ذلك الملك العربى البائس بأن أرى وثيقة هزيمته الى جانب سيفه الذى لم ينتصر به فى المعركة بل تقدم به الى عدوه المنتصر رمز استسلام وخضوع .

تلك الوثيقة بخطها الأندلسي ولغتها الواضحة والجميلة تختصر التاريخ



المحزن بكلمات . أما ذلك السيف بصنعته البديعة ، وبصقال صفحته ، وبحلية مقبضه وغمده المذهبة المزخرفة المرصعة فهى أثر بالغ الجمال والروعة . ولكن ..

ولكن ! .. أرسل عمر بن الخطاب الى عمرو بن معديكرب يطلب منه أن يبعث اليه بسيفه الصمصامه لطول ما سمع عن مضاء هذا السيف وفتك ضرباته . واجاب عمرو طلب الخليفة فارسل اليه بسيفه المشهور ذاك . وقدم عمرو الى المدينة بعد ذلك فقال له عمر رضي الله عنه : يا أبا ثور ، جربنا الصمصامة فلم نجدها كما تحدث الناس عنها . فكان جواب عمرو بن معديكرب قوله : يا امير المؤمنين ، بعثت تطلب السيف ، ولكنك لم تطلب الزند الذى يضرب به ..

أهم لوحة

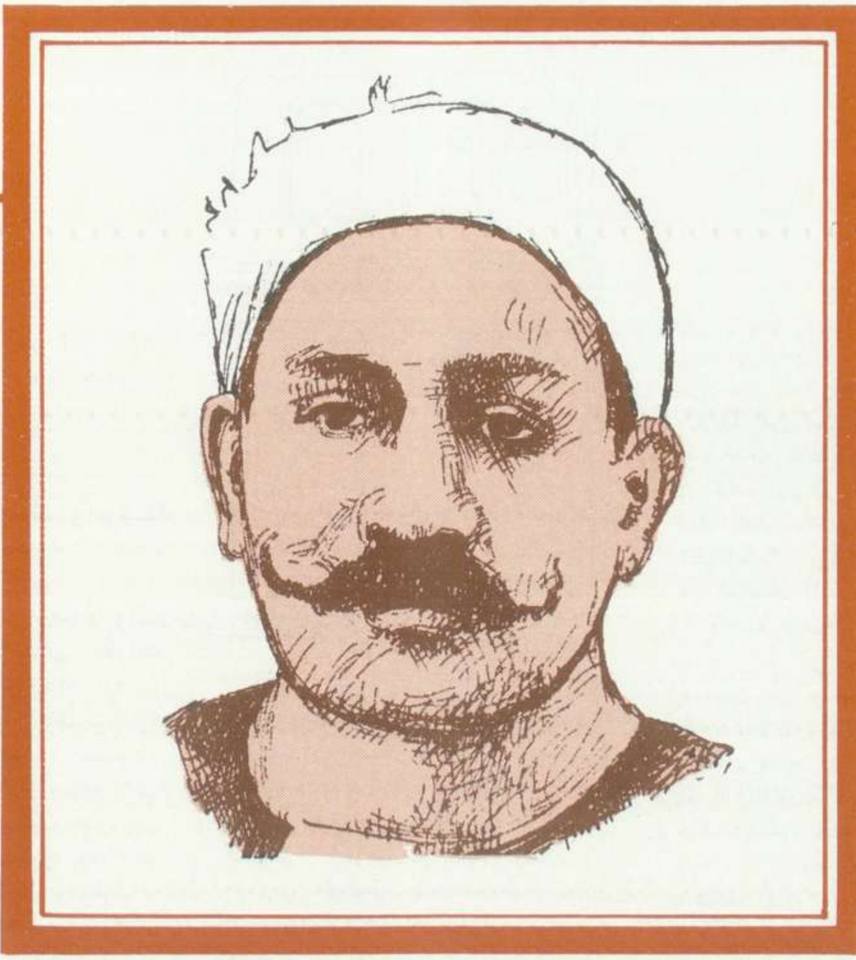
لم تنسني زيارتى لمتحف مدريـد العسكرى ، ولا رؤيتى لذلك السيف وتلك الوثيقة ، زيارة متحف القرن التاسع عشر ومشاهدة مقتنياته التى لم يتسع لهـا متحف البرادو .

إنها فى الواقع مقتنيات ثمينة وذات قيمة فنية كبيرة ، وهى تنتمي الى مختلف مدارس الفن الحـــديث التى اعقبت كلاســيكية المعلمين الأوائـل فى الرسم والتصـــوير . الا أن أهم مـا فى ذلك المتحف لم يكن معروضاً فى صالاته الرئيسية التى حوت أعمال فنانى اسبانيا الكبار فى القرن التاسع عشر ، بل كان فى قاعة خلفية مستقلة افتتحت حديثاً فى هذا المتحف . إنها قاعة خصصت لتعرض فيها لوحة واحدة لبيكاسو ، هى لوحة جويرنيكا التى رسمها ذلك الفنان المشهور ليعبر فيها عن مذبحة تلك القرية ابان الحرب الأهلية الأسبانية فى منتصف الثلاثينات من هذا القرن .

وقد سبق لي أن رأيت لوحة جويرنيكا هذه فى باريس منذ سنوات بعيدة حين عرضت فى متحف الفن الحديث فى العاصمة الفرنسية لأسابيع معدودة . كان بيكاسو قد حرم آثاره على موطنه الأول أسبانيا ، عندما كانت هذه تعيش فى ظل حكم فرانكو القوي . أما اليوم ، وبعد زوال ذلك النظام ، فقد أصبحت تعرض فى مختلف المدن الاسبانية ، عدا عن متحفها الخاص فى برشلونة ، وانضـممت الى طابور المصطفين فى انتظار أن يحين دوري للدخـــول الى نفس مكان اللوحة التى سار بذكرها الركبان . والصحيح أني لم أكن مدفوعاً الى مشاهدتها بدافع الاعجاب بها والتمتع بجمال فنها ، بل كان دافعى هو الفضول والرغبة فى تأمل سحنات المسحورين بفن بيكاسو الذى سحرنى فى يوم من الأيام . لذلك قلت إن ما احتوته القاعة المستقلة المخصصة للوحة بيكاسو كانت أهم ما فى المتحف ولم أقل أنها أبدع ما فيه أو أروع أو أجمل . فأنا من عباد الله الذين يجدون فى انفسهم الشجاعة للافصاح عما يحسون به حقاً ، ويعلنون أنهم لا يرون فى انتاج هذا الفنان العالمي بشهرته ، بيكاسو ، أثر الابداع فائق أو روعة أو جمال ، وانما يرون فيه ضحكاً على ذقون الناس فى عصرنا هذا ، عصر الصرعات والشذوذ فى الفن وغير الفن .

على أن هذا حديث آخر . وهو حديث يطول ولا تتسع له هذه السطور عن متاحف مدريد ، وعن سيف أبى عبد الله الصغير ، وعن حسرات العربى فى الأندلس وغير الأندلس ..

د . عبد السلام العجيلى



أضـــواء جديـــدة على حيـــاة الكاتـــب الذي عبّـــر عن أحـــزان جيـــل كـــامل :

مصطفى لطفي المنفلوطي

الرجل والظاهرة

بقلم : فتحي رضوان

لا احسب ان بلاد اللغة العربية ، من بداية تاريخها حتى اليوم ومن اقصى شرقها الى اقصى غربها ، عرفت عربياً يترجم عن لغة اجنبية ، قصصاً ومسرحيات ، بلغة جميلة الوقع ، حسنة التنسيق ، سهلة التناول ، لطيفة المذاق ، محببة الى القراء الصغار والكبار ، ذائعة الصيت فى دور العلم وبيوت الناس ، مثل مصطفى المنفلوطى الذى ظهر اسمه فى مقالات نشرتها جريدة (المؤيد) التى كان يصدرها ويكتب فيها ويشرف على تحريرها الشيخ على يوسف ، الذى ظفر برتبة الباشوية مع عمامته ، وبساطة نشاته ، وقلة نصيبه من العلم .

وكانت المقالات التى انشاها مصطفى لطفى المنفلوطى فنشرت تباعا فى الجريدة التى سلفت اليها الاشارة ، تحمل عنوانا واحدا هو النظرات ، فاصبح الاسم على كل لسان ، واصبح قراء المؤيد يتناولون الجريدة ، فيبداون بالنظرات ، وقد يعودون اليها ثانية وثالثة ، ومنهم من كان يحفظها ، ومنهم من كان يحرص على حفظ الجريدة التى نشرتها ، فيضعها فى مكان امين ليعود اليها ، حتى جمعها صاحبها ، ناصدر بها كتابا يحمل نفس الاسم (النظرات) فى سنة ١٩١٠ والموافقة لسنة ١٣٢٨ هـ بعد ان طبعتها مطبعة المعارف ، التى انشاها نجيب مترى الذى وفد الى مصر مع جماعة من مواطنيه البنانيين والسوريين الذين لجاوا اليها التماسا للرزق فى الاغلب الاعم ، وهربا من عسف الحكم التركى فى بعض الاحوال ، وكانت هجرة اكثرهم فى الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، فاشتغل بعضهم بالصحافة والطباعة والنشر ، ناسدوا للصحافة العربية ، وللمطبعة والتاليف ايادى لا تنسى ، اذ كان منهم جورجى زيدان الذى انشا (الهلال) الذى لايزال يصدر ، كما انشا ال صروف ونمر ومكاريوس مجلة (المقتطف) واصدر ال تقلا (الاهرام) ، التى صدرت اول ما صدرت فى الاسكندرية ثم انتقلت الى القاهرة فعاشت مائة عام ، وتجاوزت القرن ببضع سنين وهى لا تزال تصابحنا كل يوم .

رقم قياسى فى التوزيع

وما كانت نسخ كتاب (النظرات) تصدر من مطبعة المعارف ، على ورق صقيل ، وحرف جميل ، حتى تهافت القراء عليها ، فنفدت الطبعة الاولى بعد بضعة اسابيع . وكانت هذه الطبعة من عشرة آلاف نسخة ، كما اخبرنى الاديب الذى عاش تلك الايام المرحوم راشد رستم . وعندى نسخة من هذه الطبعة اهدانيها آل الصدر وهم من اهل مصر الكرام ، وان كانت اصولهم ترجع الى مدينة طولكرم فى فلسطين .

وقد وضع المؤلف تحت عنوان كتابه بيانا بمحتواه فقال : « وهى مختار ما كتبه الكاتب من الرسائل فى جريدة (المؤيد) او غيرها من الجرائد تحت عنوان « النظرات » او غيره من العناوين ، وما كتبه من الرسائل ولم ينشره ، وما نظمه من المقطعات والقصائد الشعرية متفرقا » فى الجرائد والمجلات . ثم اضاف عدد الرسائل ٨٣ وعدد القصائد والمقطعات ١٢ وكان ثمن النسخة عشرين قرشا ، وهو سعر مرتفع بالنسبة لثمن الكتب فى تلك الايام .

اما العشرة آلاف نسخة التى طبعت من الطبعة الاولى فقد كانت بحساب تلك الايام اكثر من الكثيرة . فالمؤلف يومذاك لم يكن يستطيع ان يطبع فوق الالف ، فاذا طبع الفين فهو كاتب ذائع الصيت ، بارز فى مجتمع التاليف والمؤلفين ، ولم تكن الالف او الالفان لتباع فى العام او فى العامين ، وقل ان يطبع من الكتاب اكثر من طبعة الا ان يكون كتابا مدرسيا تطبع منه وزارة المعارف عشرات الطبعات لتوزعه على تلاميذ المدارس .

الحزن مفتاح للشهرة

وكانت مقالات النظرات تتناول بالنقد والتعليق شؤونا فى حياة المصريين ، وتسجل مواقف انسانية وتلمح جوانب نفسية ، وتتمشى فى جميع المقالات مسحة حزن ظاهرة تدل على ان الكاتب رجل يعانى لما يصيب البؤساء والاشقياء من بنى الانسان ، وتدمع عيناه ويفيض المه واساه على صفحات ما يسطره قلمه . فتهتز له قلوب قرائه ، ويزدادون حبا له ، واعجابا به ، وحرصا على مطالعته .

والطريف فى الامر ان مصطفى لطفى المنفلوطى لم يكن قد تجاوز الثلاثين من عمره الا بسنوات قليلة حينما بلغ هذا المبلغ من بعد الصيت وذيوع الاسم وبروز المكانة . فقد ولد فى سنة ١٨٧٦ كما جاء فى ترجمة حياته بقلم الكاتب الكبير احمد حافظ عوض ، الذى لعب ادوارا فى السياسة ، وساهم فى النهضة الصحفية حتى أصدر اخر ما اصدر جريدة كوكب الشرق اليومية التى كان هواها مع حزب الوفد ، والتى كتب فيها ممن كتبوا الدكتور احمد ماهر باشا الذى ولي وزارة المعارف ثم رياسة الوزارة وطه حسين وغيرهما .

لماذا ترك الأزهر ؟

قال احمد حافظ عوض ان المنفلوطى قد ولد فى مدينة منفلوط سنة ١٨٧٦ الموافقة سنة ١٢٩٣ هجرية ، فيكون قد اوفى الرابعة والثلاثين سنة ١٩١٠ بعد ان اضاء اسمه الآفاق ، وسنلم باشياء قليلة عن هذه الترجمة لنقف على معالم حياة المنفلوطى . فهو منفلوطى لأنه ينتسب الى مدينة منفلوط التى وان كانت فى الصعيد بعيدة عن العاصمة القاهرة ، الا انها كانت فى تلك الأيام كعدد من مدن الصعيد كقوص مثلا موطنا لعدد من علماء الشريعة واهل الأدب . واسرته تتصل بعائلة (جوربجى) التركية وكان منها لأجيال قضاة شرعيون ونقباء اشراف ، ووالده نفسه ، محمد المنفلوطى ، كان قاضى الشرع فى المدينة وعين اعيانها .

وقد تعلم (مصطفى) على طريقة تلك الايام ، فحفظ القرآن فى الكتاب ، ولحق بالأزهر كاكثر افراد اسرته ، ولعله لم يتم التعليم الأزهرى ، لأن نفسه عزفت عن مناهج التعليم فى ذلك المسجد العريق ، بعد ان تدهورت لحرصها الشديد على القشور وترك اللباب ، والانفصال عن الحياة العامة ، والناي عن معارك السياسة ، والسكوت على ظلم الحكام ، وخروجهم على الشرع ، مما افقدهم ثقة الشعب بهم ، وانصرافه عما يقولون ويكتبون .

وكان الشيخ محمد عبده قد سبق المنفلوطى الى الضيق بالأزهر وطرائقه ، غير ان محمد عبده غالب نفسه وعاد الى معهده ، حتى اتم الدراسة فيه ، وحصل على اجازة العالمية ، واصبح من شيوخه .

اما المنفلوطى فقد علق قلبه وعقله بالأدب ، فانصرف اليه ، واقبل عليه ، لا يشبع من مطالعة الكتب ، وحفظ قصائد كبار الشعراء ، والنظر فى دواوينهم ، وامهات كتبهم . ولصق بالشيخ محمد



مصطفى لطفي المنفلوطي

الرجل والظاهرة

عبده فثبت عنده هذا المثل . فلما مات الشيخ محمد عبده سنة ١٩٠٥ ، انطوى مصطفى المنفلوطي الشاب على نفسه ، وغلبت عليه الكآبة ، وزاد حزنه حتى اصبح هذا الحزن زاده الذى املى عليه الكثير من الرسائل ، والذى طبع اسلوبه فى كل ما يكتب ،حتى الف مجموعة من القصص اسماها (العبرات) فكانت اسماً على مسمى ، فقد استدر بها المنفلوطى دموع قرائه .

فلما خرج على الناس باولى مقالاته فى المؤيد سنة ١٩٠٨ ، استوقف الانظار ، وكان الحزن والانقطاع للقراءة والتامل قد صقل نفسه وقلمه كثيراً .

وقد وصف احمد حافظ عوض وقع كلام المنفلوطى اذ قال : « ولا اظن ان الامــة المصرية لهجت ببيان كاتب وجمال اسلوبه ودقة مسلكه فى هذا العصر الاخير شغفها برسائل المترجم ،ولا اظن ان السبب فى ذلك الا انه فاجاهم من ذلك الاسلوب العربى الفصيح بما لا عهد لهم بمثله الا فى رسائل بلغاء الكتابة الادبية » .

رواية تخطف الأنظار

الا ان الذى ارتفع بالمنفلوطى الى درجة اكبر بكثير من درجة الكاتب المجيــد الذى يتدفق بيانه صافياً نقياً واضحاً ، تدفق الماء الزلال من العيون فى اعلى الجبال ، انه خرج على الناس ، بعــد النظرات ، بقصة تحمل اسماً اعجمياً هو (ماجدولين) ولما قراوها ، وجدوها قصة الفها كاتب فرنسى ذكر اسمه على غلاف القصة اسمه (الفونس كار) وكان اكثر الذين قراوا اسم القصة ،وعرفوا من هو مؤلفها اخذهم العجب من كل جانب ، فالمنفلوطى لم يزعم فى يوم من الايام انه يعرف لغة اجنبية ، ومن ثمة فهو لا يستطيع ان يقرا ما جدولين فى اصلها ، فكيف اتيح له ان ينقلها الى العربية ؟ الا انهم مالبثوا ان قرأوا العبارات الاولى من القصة حتى نسوا انفسهم ، فراحوا يقراون سطورها ، وكانهم يقفزون قفزاً . فالاسلوب القصصى استهواهم وحوادث القصة استبدت بهم ، ثم ما لبثوا مرة اخرى حتى راوا انفسهم مع افراد القصة وكانهم عرفوهم منذ زمان بعيد ، فاحبوهم ، ولما راوا انهم يعانون ويتعذبون ويخفقون فى حبهم ، ويبتعد الواحد منهم عن الآخر ، وهو يموت له حباً واليه شوقاً ، بكوا لهم كما بكى ابطال القصة على انفسهم . واصبـــحت (ماجدولين) حبيبة كل شاب وشابة ، واصبح حبيبها استيفن رمز شقاء المحبين عندهم .

كانت قصة ماجدولين ماساة تقطر دماً ، فراقت لشباب المصريين من الذكور الاناث لامر لم يفطن له مؤرخو الادب اول الامر . فقد غاب عنهم ان مصر كانت حزينة . فقد ظهرت ماجدولين ، والاحتلال البريطانى جاثم على الصدور ، ومصطفى كامل لحق بالرفيق الاعلى بعد ان تقرحت عيــون المصريين بكاء على شبابه ، ثم نفي محمد فريد ، وشقي المصريون بنفيه شقاء بعيداً ، ثم جاءت الحرب العالمية الاولى ، فاظلمت الشوارع واقفرت من الناس ، وضيق على الشعب ، فلم يعد يجتمع ، ولا يلتقي اكثر من اثنين فى مكان الا توجسوا خوفاً من ان يساقوا الى السجن سوقاً ، وفشت الريب ، واشتدت الوساوس . واخذت السلطة الوفاً من شباب البلاد من العمال والفلاحين فساقتهم سوقاً الى العمل الاجبارى فى سكة حديد فلسطين وفى معسكرات الانجليز شرق القناة . واحست كل ام واحس كل اب ، بالحنين الى ولدهما وتغنى المصريون باغان حزينة منها (بلدى يا بلدى .. والسلطة خدت ولدى) .

فما احوج شعب هذا حاله الى من يواسيه فى حزنه ، ويموه بيده العبرات التى رسمت خطوطاً فوق الخدود .. فكانت ماجدولين هى المواساة والمشاركة . وكانت عبارتها سهلة تترقرق المعانى فوق سطحها .. وكانت عذبة ورقيقة ، فاصبح المنفلوطى هو كاتب ماجدولين ، ونسي الناس (النظرات) .

مكتبة من القصص الحزين

وتوالت اثار المنفلوطى القصصية ، فاخرج فى اول يناير سنة ١٩٢٢ قصــة بعنوان (فى سبيل التاج) ذكر على غلافها ان مؤلفها هو الكاتب الفرنسى الشهير فرنسوا توبيه ، وكانت بدورها قصة حب مخفق ووطنية تلقى الخيانة والجحود ، فاحبوها ، وان كانت ماجدولين هى القصة المفضلة . ولم تنقض إلا بضعة شهور لم تبلغ نصف السنة حتى ظهرت رواية ثالثة هى (الشاعر) التى الفها نظماً شاعر فرنسا العظيم (ادمون روستان) لصديقته الممثلة الذائعة الصيت ساره برنار ، فنجحت نجاحاً عظيماً جداً فى فرنسا . وكان ختام هذه السلسلة الرائعة من المسرحيات والقصص قصة حزينة اخرى قدمها المنفلوطى لقراء العربية باسم (الفضيلة) ، وهى من تاليف الكاتب

الفرنسى برناردين دى سان بيير وبهذا اكتملت لدى الشعب المصرى مكتبة من القصص الحزين تتفق مع نزعة الحزن عند اكثر الناس ، وعند المصريين الذين اعدوا لهذه العاصفة منذ اقدم عصورهم ، طقوسا ومراسم ، يعبرون بها عن لواعج قلوبهم وآلام نفوسهم عند فقد الحبيب ، او البعد عنه ، ايا كان سبب البعد .

هل كان المنفلوطى مترجما ؟

وقد شغل المصريون بحبهم لقصص المنفلوطى عن تبين سر قدرة هذا الكاتب الأزهرى القح على الترجمة او النقل عن اللغة الفرنسية هذه الروايات المتنوعة اى التى تختلف الواحدة منها عن الأخرى ، فى سياق الاحداث ، وجو الرواية ، وظروف المأساة ، وسمات الشخصيات ، بلغة جريئة وكانها لغة الأصل ، وكان الناقل يؤلف من ذاكرته ، ويروى عن بديهته ، اذ لا يحس القارىء بغموض المعنى ، كما يحدث فى اكثر الأحوال فى الكتب المترجمة والمنقولة عن لغة اخرى .. فان مطابقة الصورة للأصل لا تتاتى الا قليلا .

انصرف المصريون عن كشف هذا السر ، حتى كشفه المنفلوطى نفسه فى مقدمة رواية الشاعر ، فقد قال فى الطبعة الأولى التى ظهرت فى اول مايو سنة ١٩٢١ :

« اطلعنى حضرة الصديق الكريم الدكتور محمد عبد السلام الجندى على هذه الرواية التى عربها عن اللغة الفرنسية تعريبا حرفيا حافظ فيه على الأصل محافظة دقيقة وطلب الى ان اهذب عبارتها ، ليقدمها الى فرقة تمثيلية تقوم بتمثيلها ، ففعلت . واستطعت فى اثناء ذلك ان اقرا الرواية قراءة دقيقة وان استشف اغراضها ومغازيها التى أراد المؤلف ان يضمنها اياها ، فاعجبنى منها الشىء الكثير ، وافضل ما اعجبنى انها صورت التضحية تصويرا بديعا ، وهى الفضيلة التى اعتقد انها مصدر جميع الفضائل الانسانية ، ونقطة دائرتها .

فرايت ان احولها من القالب التمثيلى الى القالب القصصى ليستطيع القارىء ان يراها على صفحات القرطاس ، كما يستطيع المشاهد ان يراها على مسرح التمثيل . وقد حافظت على الأصل بتمامه ، وقيدت نفسى تقييدا شديدا ، فلم اتجاوز الا فى حذف بعض جمل لا اهمية لها ، وزيادة بعض عبارات اضطرتنى اليها ضرورة النقل والتحويل واتساق الأغراض والمقاصد بدون اخلال بالأصل او خروج من دائرته .

فمن قرا التعريب قرا الأصل ، الا ما كان من الفرق بين بلاغة القلمين ومقدرة الكاتبين وما لابد من عروضه على كل منقول من لغة الى اخرى » .

اذن اتضحت الحقيقة .. فالمنفلوطى كان يتلقى من زملائه واصدقائه روايات ترجموها ، فقراها بالعربية وفهم فحوى الرواية ، وتفاصيل وقائعها ومنحى كل شخصية فيها ، ثم يفرغ لنفسه ويكتب القصة من جديد ، وكانه هو راويها ، وان حرص على التقيد بالأصل فى عموم معناه فخرجت ترجماته عربية خالصة ، ونجت من آفات الترجمة الحرفية ، وتدفقت عباراتها ، ووصلت الى اعمق اعماق نفس القراء ، فتاثروا بها ، واحبوها وكانها اصل عربى خالص .

مساعدوه في الترجمة

ونحسب ان من بين الذين اعانوا المنفلوطى غير الدكتور محمد عبد السلام الجندى الذى توفر على ترجمة (سيرانو دى برجراك) ، الكاتب الكبير حسن الشريف ، فقد كان يتقن العربية والفرنسية وله كتب آية فى بلاغة الأسلوب ، وبراعة الترجمة ، وكان يؤلف احيانا فتاتى مؤلفاته من عيون الأدب العربى ، وان غمط الزمان حقه ، ولم يؤد بنو وطنه إليه ما يستحقه .

والطريف ان احدا بعد المنفلوطى لم يحاول محاولته ولم يسر فى دربه ، واذا كان الاستاذ احمد حسن الزيات قد ترجم آلام فرتر ورفائيل ، إلا انه لم يبلغ شاو المنفلوطى ، ولم ينجح نجاحه .

وقد الف المنفلوطى ونقل الى العربية رسائل تقطر دمعا ، وتفيض حزنا ، ومع ذلك ظفرت بالاعجاب والاقبال لأنه كان حزنا صادقا غير مصطنع ، ولم تكن الغاية منه التاثير الكاذب على القراء ، فلمس شغاف قلوبهم ، وقد خففت عبراتهم قسوة لواعج افئدتهم .

نهاية حزينة

فكان المنفلوطى كاتب الحزن الذى رقق به العواطف ، وصقل المشاعر ، إلا ان الحزن لازمه ، فقدمات ، فلم يشيع جثمانه الا القليل من اهله ومحبيه والمعجبين به الذين يعدون بالالوف ، الا ان القدر ابى الا ان يمضى المنفلوطى الى مثواه الأخير اشبه بالوحيد ، وذلك لأن يوم وفاته كان يوم اطلق احد الشبان رصاصة على سعد زغلول رئيس وزراء مصر فى اغسطس ١٩٢٤ ، وكان سعد زعيم المصريين المحبوب ، ومعقد آمالهم فى ذلك الحين ، فتولاهم هلع انساهم المنفلوطى وتشييعه الى مقره الأخير . وقد سجل امير الشعراء كل ذلك بقصيدة ، كانت بدورها مدحا فى سعد اكثر منه اشادة بالمنفلوطى ، فقد قال :

اخترت يـــوم الهول يـــوم وداع
ونعاك فى عصـــف الرياح الناعى

من مـــات فى فزع القيامـــة لم
يجد قدما تشيع او حفـــاوة ساعى

فتحى رضوان

الهايكو

قصة أقصر قصائد شعرية في أدب العالم!

بقلم: الدكتور عبد الوهاب محمد المسيري

على غصن عار من الأوراق ذابل
حط الغراب ،
حل المساء .

كاريدا / نى
كاراسو / نو / توماريكيرى
آكى / نو / كورى .

الابيات الشعرية الثلاثة السابقة ـ التى اوردنا ترجمتها إلى العربية ثم نقلنا اصواتها اليابانية بحروف عربية ـ تكون قصيدة كاملة ، وتعد اقصر شكل ادبى فى العالم باسره . ويقول الذين يعرفون اليابان وحضارتها ان هذا الشكل الأدبى الذى يعرف « بالهايكو » من اكثر الأنواع الادبية تعبيراً عن حضارتها .

ونحن احوج ما نكون إلى الخروج من عزلتنا الأدبية ، إذ اننا لا نعرف اى آداب اجنبية بخلاف الادبين الانجليزي والفرنسى وربما الأمريكى ، ونعرف بعض الأعمال الأدبية الأسبانية او الايطالية او الألمانية ، ونعرف « إبسن » من النرويج و « تشيخوف » و « ديستوفسكى » من روسيا ، وهكذا . ومن الملاحظ ان كل الآداب الأجنبية التى نلم بها او نعرف عنها او نعرف اطرافاً منها تنتمى إلى ما يعرف بالتراث الأدبى الغربى ، ونظل اسرى لهذه المعرفة ، وهى جزء من ميراثنا الاستعمارى حيث يظن الانسان المُستعْمَر ان حدود العالم تنتهى عند حاضرة الامبراطورية سواء كانت لندن او باريس او واشنطن او موسكو ..!

لكن ماذا عن اليابان ، هذا البلد الشرقى القديم الذى خطى خطوات سريعة نحو العصر الحديث حتى اصبح في طليعة الدول المتقدمة ، وهو يمثل الآن ثلث النظام الراسمالى ، ويعادل انتاجه الصناعى انتاج كل الدول الأوروبية الصناعية مجتمعة ، هذا البلد الذى دخل العصر الحديث ومع هذا ظل شرقيا تقليديا ، نحن لا نعرف عنه الا اقل القليل . ماذا عن ادبه وفنه واشكاله الشعرية ؟ ماذا عن الهايكو ؟

الهايكو (او الهايكاي واحيانا الهوكو) قصيدة قصيرة من ثلاثة ابيات ، يحتوى الأول والأخير منها على خمسة من مقاطع الكلمات والثانى على سبعة ، اى ان القصيدة ككل تحتوى على سبعة عشر مقطعا .

أصل القصائد

ويعود اصل قصائد الهايكو إلى الهوكو او الأبيات الاستهلالية فى قصائد الرنجا (الاشعار المترابطة) . وهذه القصائد الاخيرة كانت تستهل بثلاثة ابيات شعرية تشير الى الفصول او الى السمات الأساسية فى المنظر الطبيعى (وهى فى هذا تشبه الوقوف على الاطلال كتقليد ادبى) . وفى أواخر القرن التاسع عشر تخلص الهوكو كلية من وظيفته الاستهلالية الأساسية كافتتاحية لمجموعة من القصائد المترابطة وسمى بالهايكو ولكن الهوكو كله اصبح يسمى بالهايكو بما فى ذلك الابيات الاستهلالية التى كتبت قبل القرن التاسع عشر . ولذا من الافضل ان نتبنى نحن الاسم الجديد . وقد ظهر هذا النوع الادبى فى القرن السادس عشر ، وازدهر فى القرن السابع عشر حتى القرن التاسع عشر .

واشهر شعراء الهايكو هو الشاعر « ماتسوباشو » وهو الاسم الادبى لماتسنو ميونيوفوزا ، وعادة ما يشار اليه باسم « باشو » وحسب . ولد الشاعر عام ١٦٤٤ فى قرية اوينو من مقاطعة ايجا وتوفى عام ١٦٩٤ . وهو يعد اهم شعراء الهايكو اليابانيين ، فقد اثرى هذا النوع الادبى وطوره وجعله مقبولا فى الاوساط الادبية الراقية والمثقفة .

كان الشاعر مهتماً بالهايكو منذ بداية حياته، ولكنه طرح اهتماماته الادبية جانبا ودخل فى خدمة احد السادة الاغنياء المحليين واصبح من طبقة المحاربين ، الساموراي ، وهى طبقة تشبه طبقة المماليك من بعض الوجوه ، وظيفتها الأساسية والوحيدة هى الحرب والقتال . وبعد موت سيده تخلى باشو عن مكانته كساموراي وكرس نفسه للشعر . وانتقل

الى العاصمة إيدو (التى تسمى الآن طوكيو) وذاع صيته كشاعر ناقد . وفى عام ١٦٧٩ كتب أولى قصائده بالأسلوب الجديد الذى عرف به فيما بعد ، وهى القصيدة التى اوردناها فى مستهل هذه الدراسة .

أهم اعماله

إن الجو البسيط الوصفى الذى تستدعيه عبارته وذكر مواطن التناقض والتماثل بين ظاهرتين مستقلتين اصبحت سمة مميزة لأسلوب باشو . وقد حاول ان يتجاوز بعض التقاليد الفنية الخاصة بهذا النوع الادبى مثل الاعتماد الزائد الجامد على الشكل ، او الاشارة الى الاحداث العابرة او الى الاشاعات السارية . وقد سادت هذه السمات الأخيرة قبل باشو لان الهايكو كان ينظر اليه باعتباره تسلية ادبية عابرة . اما هو فقد اصر على ان يتسم هذا النوع الأدبى بالجدية ، وان يتعامل مع الأمور الثابتة والدائمة . ودرس باشو البوذية خاصة من نوع الزن ، وحاول ان يعكس معنى العالم فى شكل قصائده البسيطة ، كاشفاً عن الآمال الكامنة فى الأشياء البسيطة ، ومظهراً مدى تداخل كل الأشياء .

وفى عام ١٦٨٤ قام باشو باولى رحلاته العديدة والتى يظهر صداها فى شعره . وكتب عملا من اهم اعماله الادبية وهو : « الطريق الضيق إلى الشمال العميق » ، يصف فيه زيارته الى شمال اليابان ، ويعد من اجمل الأعمال الأدبية اليابانية . ولا يكتسب الكتاب اهميته من قصائد الهايكو العديدة التى تسجل المناظر الكثيرة التى رآها الشاعر فى طريقه وحسب ، وانما يستمدها ايضاً من المقطوعات النثرية العديدة الجميلة التى تزود القارىء بخلفية القصائد .

واثناء اسفاره قابل باشو عديداً من الشعراء المحليين ، ودخل معهم فى مسابقات الرنجا . ويذهب بعض النقاد الى ان قصائد الرنجا التى كتبها باشو تفضل قصائد الهايكو .

عشق القديم

وغالبا ما يصف النقاد اليابانيون شعر باشو بكلمة « سابي » وهى تعنى « حب الشىء القديم الذى بهتت الوانه والتى لا تقحم نفسها على حس الانسان » ، كما يظهر فى هذا الهايكو :

رائحة زهرة الاقحوان .
وفى نارا
كل تماثيل البوذا القديمة .

ففى هذه القصيدة تمتزج رائحة زهرة الاقحوان بصورة تماثيل البوذا التى يعلوها التراب والصدا فى « نارا » ، العاصمة القديمة .

وقد عاش باشو حياة تتفق مع روح شعره الرقيقة البسيطة ، إذ كان يعيش فى صومعة عارية من كل زينة ، وكان ينفر من البهرجة العامة فى عصره . كما كان ينسحب احيانا كلية من المجتمع الى باشو / أن فى فوكاجوا — الى كوخ مصنوع من اوراق نبات موز الجنة التى تسمى باليابانية باشو — والتى اشتق الشاعر منها اسمه الأدبى . ويعتبر اليابانيون باشو زعيماً ادبياً من كتاب الهايكو .

● أكبر شعراء « الهايكو » يعيش في صومعة عارية من كل زينة وكان ينفر من البهرجة العامة في عصره !

مصادر الجماليات

وقبل ان نتناول بعض قصائد الهايكو التى كتبها باشو ، يجب ان نشير للمصادر الأساسية لجماليات هذا النوع الأدبى . وقد يكون من المفيد ان نذكر انفسنا ان الموروث الدينى فى آسيا يختلط بالموروث الفلسفى ويمتزج به . ولذا فاحاسيس الآسيويين الدينية رغم عمقها مختلفة تمام الاختلاف عن الاحاسيس الاخرى . واول مصادر جماليات الهايكو هو الشنتو ، وهي من اقدم الطقوس اليابانية واولها . وهي ليست ظاهرة منتظمة بل نوع من انواع الطقوس الشعبية التي تضفي اهمية على قوى الطبيعة . ولا تحاول الشنتو اية تفسيرات فلسفية للكون وانما تشجع على الامتزاج بالطبيعة .

وثانى المصادر الفلسفية للهايكو هو «الطاوية» وهي من اهم الطقوس الصينية بعد الكونفوشيوسية وكلمة « طاو » تعني

الطريق . والطريق هو طريق الطبيعة ، طريق الاتزان بين عناصرها . وتفترض الطاوية ان ثمة عنصرين اساسيين فى الكون لا يتصارعان ، وانما يتفاعلان بشكل جدلى اولهما هو « الين » : العنصر الانثوي القابل الايجابى ، وثانيهما هو « اليانج » : العنصر الذكورى الرافض السالب . وعلى الرغم من اختلاف العنصرين فان الانسان لا يحقق السلام والتناسق الا بان يعيش فى وئام مع كليهما ، ويتبع الطريق — طريق الطبيعة . ولكن الطريق بسبب طبيعته ذاتها لا يمكن وصفه بالكلمات ، فاولئك الذين يعرفونه ليس عليهم ان يتحدثوا عنه ومن يتحدثون عنه لا يعرفونه . او كما تقول القصيدة الطاوية :

الطريق اشبه باناء فارغ
ومع هذا بوسعنا ان ناخذ منه
دون أن يحتاج قط لان نملاه .

اما المصدر الثالث فهو بوذية زن التاملية وهى مدرسة هامة من مدارس البوذية فى اليابان تدعى انها تحاول أن تصل الى جوهر البوذية وان توصله للجماهير — والذى يتكون من تجربة الاستنارة (بودى) التى وصل لها البوذا . وتؤكد بوذية التامل العلاقة بين السيد والمريد ، وبهذه الطريقة ترمي الى ايقاظ « البوذا » الموجود داخل النفس ليعبر عن تحقيق الذات من خلال العمل اليومي . ويمكن الوصول الى الاستنارة من خلال ضبط النفس . وهدف بوذية الزن التاملية هو الدخول الى قلب الموضوع عن طريق الحدس وليس عن طريق العقل . ان بوذية زن تحاول الوصول الى قلب الأشياء الساكن — فالسكون هو اصدق تعبير عن الرؤية العميقة ، وقد قيل في بعض المأثورات العربية : كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة ، ولعلها حينما تتسع

الهايكو

قصة أقصر قصائد شعرية في أدب العالم!

لتشمل الكون باسره فانها لا تضيق وحسب بل تختفي كلية . وقد تركت الزن اثرا عميقا على اليابان في تاكيدها على الهدوء العقلي والجسارة والتلقائية .

ويمكن أن نضيف إلى هذه المصادر الفلسفية بعض الجوانب الهامة في الحضارة اليابانية كمؤثرات قوية في الهايكو ، مثل حب اليابانيين للالوان ، ولكنه حب يوازنه اتجاه الفن اليابانى بشكل عام الى ما يسمى بفن الحد الادنى أي التبسيط في الأشكال الى ان تصل الى الأساسيات وحسب . ويتضح هذا التبسيط في معمار البيت اليابانى وطريقة تاسيسه ، تماما مثلما يتضح حبهم للالوان في الرداء التقليدي المسمى بالكومونو ومن المعروف ان القرن السادس عشر الذي ظهر فيه الهايكو هو نفسه القرن الذي وضعت فيه اسس الفن الياباني المعماري والكومونو .

مميزات القصائد

واصول فن الهايكو ارستقراطية وشعبية في ذات الوقت . فالفن اليابانى - شانه شان الفنون في كل المجتمعات التقليدية - كان ينقسم الى فن الخاصة ، وهو الفن المكتوب الذى يتداوله المتعلمون والاثرياء واهل البلاط ، وفن العامة وهو الفن الشخصى الذى تتداوله الجماهير وله تقاليده الأدبية المستقلة عن فن الخاصة . وتتميز قصائد الهايكو بانها تجمع بين الاثنين ، فقد قام باشو بالجمع بين الموروثين ، اذ نادي بما سماه « الهايكو الحقيقى » الذى يبحث عن روح الشعر في الصدق والاخلاص ، فاستخدم ابسط الكلمات واقصرها ، وادخل على التقاليد الادبية الأرستقراطية مشاعر الناس البسطاء . ولعل قصيدتى الهايكو التاليتين تبينان الاصول الارستقراطية والشعبية للهايكو . وكلا القصيدتين تعالج نفس الموضوع . تقول الهايكو الأرستقراطية :

آه أمطار الربيع
- أيتها السيدة التى تركبين معى هنا -
همسائك !

●

اما الهايكو الشعبية فتقول :

أمطار الربيع ! ومع هذا
بطن الضفادع الصغيرة
لم يصبها البلل .

●

والاختلاف بين القصيدتين يبين مدى اتساع حدود الهايكو وتنوع امكانياته التعبيرية .

ومن اشهر قصائد الهايكو التى كتبها « باشو » القصائد التالية :

قطرة الندى ،
ان هى الا قطرة الندى
ومع هذا .. ومع هذا .

●

أدنى السفر ،
ادور فوق البراري الجرداء -
عالم الأحلام .

●

البرق يلمع فى سكون ،
ويشق الظلام -
صراخ غراب الليل .

●

ساكنة ساكنة
وهى تغوص فى الصخور -
اصوات الجراد هذه .

●

شيئان يسرقهما القمر
الضوء من سيقان الأشجار ،
ويوما من حياتى .

●

أولى قطرات المطر
تسقط على البرعم الذى تفتح لتوه -
كم يرتجف الغصن .

●

يتحرك الغدير ببطء
يحمل تويجات الأزهار
التى سقطت فى ينبوع آخر .

●

الطيور تحلق أثناء الغسق
فى أول ليلة فى رحلتى -
ومع هذا كم بعد منزلى .

●

النهار يذوب فى البحر :
فتى وفتاة يقفان على صخرة ،
ينظران فى سكون .

●

الطفل واقف فى الزبد ،
حينما رايته ، لمست الضباب
الذى يلف طفولتى .

●

تطفو البجعة بعيداً
وقد حملت فى ريشها
ضوء النهار .

●

عيونى تلاحق الطير
حتى غاب عن ناظرى فى البحر ،
ووجد جزيرة صغيرة .

●

آه من قمر الصيف هذا
جعلنى اتجول طيلة المساء
حول البحيرة .

●

البحر اخضر هذا الخريف
وحقل الارز
اخضر مثل السماء .

عالم الطبيعة المتنوع

نلاحظ فى القصائد السابقة انها كلها تستمد صورها من عالم الطبيعة المتنوع المتغير ، ومعظم القصائد تحتوى على اشارة واضحة أو خفية الى احد فصول السنة أو احد الشهور او احدى ساعات النهار أو الى اشجار الكرز . وكان الهايكو فى بدايته قاصراً على وصف يكاد يكون موضوعياً للطبيعة ، بل وكثيراً ما نجد قصائد هايكو تكتفى بوصف السطح المرئى للاشياء . ولكن يجب ان ناخذ حذرنا فالسطح المرئى الذى قد يستوعب انتباهنا ويستغرقنا كلية قد لا يكون سوى قشرة رقيقة تخفى من للمعانى الفلسفية الكامنة الكثير بل ان من سمات الهايكو أن التسطح الرقيق الهادي قد يغطي الكثير من الصراعات الساكنة بشكل مؤقت . ولعل من اسهامات باشو الأساسية انه لم يدمج تراث الخاصة الادبى بتراث العامة وحسب ، بل كان قادراً على أن يضفى على ابسط الأشياء ، بل واحقرها عمقاً نابعاً من تداعياتها الثرية .

وصور الطبيعة البسيطة تستمد قوتها من الموروث الشعرى وتستدعى فى ذهن القارىء العناصر الفلسفية ذات الاصول البوذية والطاوية والشنتوية ويقال ان باشو استخدم ابسط العناصر الطبيعية بل واكثرها خشونة حتى يستبعد كل التفاصيل الفرعية ويبقى على ما هو اساسى وحسب ، وبذا يصبح العنصر الطبيعى جسراً موصلا للطبيعة وللفطرة الانسانية ، والى الصمت الكامن وراء كل الاشياء .

وهو حينما يركز على ما هو اساسى ، فان السطح المرئى البسيط الموصل للصمت يتطلب من القارىء أو المستمع ان يستجيب بكل حواسه (وكانه فى احدى تجارب الزن الفلسفية ويستمع لصوت السيد وكانه احد المريدين ، وبذا تتداخل الرؤية الحسية بالاحساس العاطفي العميق بالادراك الحسى لجوهر الأشياء . ورغم عمق هذه الاحاسيس إلا انها كلها تظل غير محددة المعالم لان السطح المرئى الذى يستوعبها

بسيط فى غاية البساطة ، ويثير الاحساس دون ان يحدده .

مشاركة القارىء

ويمكن القول إن الوسيلة الفنيـــــة الأساسية للهايكو هو ان القصيدة تلمح ولا تفصح ، توحى ولا تعبر ، وتصور الأمور بشكل اضعف او اقل مما هو شائع ، وتعبر عن الكثير من خلال القليل ، وتذكرنا وحسب بالظلال والمعانى والأبعاد دون ذكر لها .

ولعلنا يمكننا ان نبين ما نعنى من خلال قراءة نقدية متعمقة لأول قصائد الهايكو وأخرها فيما ترجمنا من قصائد .

قطر الندى
ان هى إلا قطرة الندى ـ
ومع هذا .. ومع هذا ..

●

البحر اخضر هذا الخريف ،
وحقل الأرز
اخضر مثل السماء .

●

ان كل العناصر التى تحتويها القصيدتان مستقة من الطبيعة ، كما ان ثمة ذكر للزمن ، فقطرة الندى تدل على انه الصباح ، والقصيدة الثانية تذكر الخريف . وكل شىء فى القصيدتين بسيط ومبـــاشر (أو هكذا نظن) . فالقصيدة الأولى تؤكد ان قطرة الندى هى ذاتها ، والثانية تخبرنا ان البحر فى الخريف اخضر وحقل الأرز هو الآخر فى خضرة السماء . ولكن فلنمعن النظر قليلا ولتسترح منا الحـــواس ولا نتعجل ، ولندع ما فى داخلنا من تلقائية يفيض ، فهذه هى شروط التجربة الفلسفية من طراز الزن وهى ايضا الحالة العقلية المطلوبة لقراءة الهايكو . ان فعلنا ذلك اكتشفنا ان الشاعر بتاكيده ان قطرة الندى هى ذاتها وان كل شىء اخضر انما يؤكد وحدة كل عناصر الطبيعة ووحدة الكون ، وتاكيده لهوية هذه العناصر المتعينة يذكرنا بالين واليانج وبالتناسق بل والتناغم بينها . وقطرة الندى رغم انها هى ذاتها الا انها .. ثم يصمت الشاعر ولا يبوح ولا يصرح ولا يلمح ، ويتركنا لنخمن ولنركز لعلنا نصل الى هذا الشىء الجوهرى ، هذا الصمت وراء الأصوات وهذه الوحدة وراء التنوع . وفى القصيدة الثانية ننتهى ايضا فى عالم اقل تحددا فننتقل من خضرة البحر فى الخريف الى خضرة حقل الأرز والتى تشبه خضرة السماء ! والقصيدتان بهذا تجمعان بين العرضي والأزلى ، بين التافه والخطير ، بين السطح والأعماق ، بين الصراع والاتزان او الصراع مع الاتزان . ولكن الاعماق يجب الا تنسينا السطح الرائع الجميل الزائل ، والصمت الـــذى لا يمكن الافصاح عنه يجب الا ينسينا الاصوات الهادئة او الصاخبة : فما هو مرئي ومحسوس وزائل ، جميل ورائع ، ولكن ما هو جميل ورائع ، عرضى وزائل ، وكلاهما لا يجب الآخر ، فلا الين يحل محل اليانج ولا اليانج يحل محل الين .

وهكذا فالقصيدتان تجسدان كثيراً من التقاليد الادبية والقيم الجمالية اليابانية وتجسد تقاليدها الفلسفية العميقة بل وموقفها من الحياة ، ولعلها لاغراقهـــا فى اليابانية وصلت الى الاصالة وبالتالى إلى العالمية . فالأدب يصبح عالميا حينما يكون أصيلا وليس عن طريق تقليد الآخرين .

الجانب القومي

وفن الهايكو لا يزال فنا قائما فى اليابان يمارسه الشعراء بل والجماهير . ففى المساء قد تجتمع الأسرة ويتبادل افرادهـــا قصائد الهايكو ، كما تعقد المسابقات العامة لقرض الشعر وتقرا القصائد الفائزة فى حضرة الامبراطور نفسه . والشعر هنا ليس مجرد هواية او شىء يتم عرضا وانما هو جزء اساسي وعميق من تكوين اليابانيين النفسي . فالياباني يعتقد ان الانسان الذى لا يعشق احد الفنون ويمارسه انسان ناقص غير مكتمل التطور .

ولكن الى جانب الناحية الانسانيـــة والنفسية ، فثمة جانب قومى بالغ الخطورة فهذا الاهتمام من جانب الجماهير بالفنون التقليدية ، لاشك وانه قد حمى هويتها ضد الغزو الثقافى الغربى . فالتاجر الذى يعود الى منزله ليقرا الشعر على احفاده مختلف تمام الاختلاف عن ذلك الذى يعود لينظر الى التليفزيون ليشاهد مسلسل « دالاس » على سبيل المثال . ولنتخيل حالنا لو اننا بنينا منزلا على الطراز العربى ولم نخجل من قراءة اشعارنا العظيمة القديمة والحديثة واستمعنا لشىء من الموسيقى العربية . ولنتخيل حال الهوية العربية التى اهتزت وتكاد تذوب فى خضم السلع شبه الفنية التي تصدرها لنا الدول الغربية ، لو انها تمسكت بموروثها الفني .



وقد عرف الهايكو خارج اليابان فى نهاية القرن التاسع عشر ، وتضافرت عدة عوامل على تعميق تاثيره على بعض الشعراء الغربيين . فعلى سبيل المثال ، كان ايجاز الهايكو واستناده إلى ايحاءات الصورة التقليدية مصدر جاذبية خاصـــة ، فهاتان السمتان تتفقان مع روح الشعر الحديث وجمالياته ، ومن الطريف أن هؤلاء الشعراء كانوا لا يعرفون اليابانية مما يسر عليهم التاثر بالهايكو كما فهموه وكما يتفق مع اهوائهم ، وليس كما هو فى الأصل .

وقد اهتم الناقد الأمريكى ت . إ . هيوم T. M. Hume ، واتباع المدرسية الصورية Imagists بالهايكو حوالى عام ١٩١٠ . وقد ظن الكثيرون ان الهايكو يضفى شرعية على تجاربهم الشعرية وعلى محاولاتهم فى الشعر الحر وعلى الاغراق فى التغريب .

ومن اهم الشعراء الذين تاثروا بالهايكو « إزرا باوند » و « إيمى لويل » ، فقد استخدم « باوند » صوراً زاهية جنباً إلى جنب مع صورة اقل حيوية كما هو الحال فى قصيدته « فى محطة المترو » :

ظهور هذه الوجوه فى الزحام
تويجيات على غصن اسود مبتل .

بل ان اثر الهايكو وصل الى شعراء مثل « ييتس » و « ملكليش » . كما نجد ان شاعراً معاصراً مثل « والاس ستيفنس » قد تبنى بعض القيم الجمالية المتمثلة فى الهايكو ، كما هو الحال فى قصيدته « ثلاث عشرة طريقة لرؤية الطائر الأسود » . وتبين هذه القصائد ان الهايكو قد شجع على ظهور أسلوب الصور المستقاة من الطبيعة ، كما ان بناء القصيدة والمقطوعات ذاته مستمد من الصور . ويقال ان باوند استمد فلسفته الشعرية ـ باسرها من الهايكو .

د . عبد الوهاب المسيري

قُوَى الإنسان الخفيّة في معامل العلماء!

إعداد: محمد العزب موسى

● كيف تتحول الطاقة الروحية المختزنة إلى طاقة قادرة على التعامل مع المادة؟ ●● شاب يتحكم في زهر طاولة ويجعله يقع على الوجه الذي يريده ●●● امرأة تركز على فيلم خام فنرى فيه أشكالا هندسية دون استخدام الكاميرا! ●●●● هل الطبّ الروحيّ يعمل على مستوى عضوي في خلايا الجسم فيشفي الأمراض؟

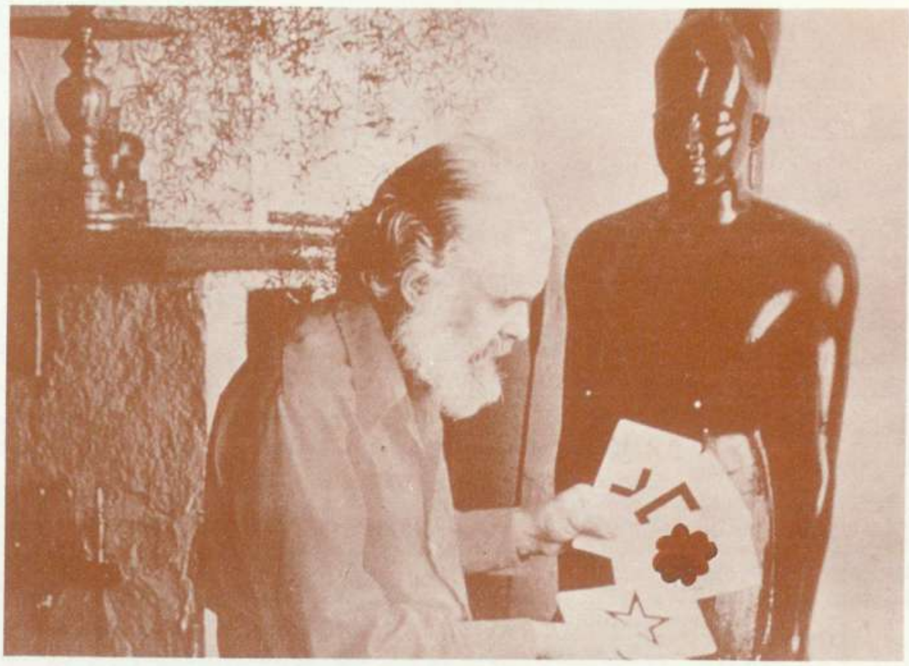
كان من المعتقد فى اذهان العامة ان الظواهر الباراسيكلوجية المعروفة باسم الاستحراك النفسى Psycho-Kenetic ترجع الى فعل قوى ما وراء الطبيعة مثل الأرواح والعفاريت والجن ، ولكن علماء الباراسيكلوجى يعتقدون الآن ان هذه الظواهر لا علاقة لها بمثل هذه القوى الخارجية المجهولة وانما هى نتيجة لانطلاق طاقة نفسية روحية مختزنة ، اما كيف تتحول هذه الطاقة النفسية الى طاقة تحريكية قادرة على التعامل مع المادة ، فهذ ما لا نعرفه بعد .

ومعظم الناس يرون ان فكرة الاستحراك النفسى اكثر صعوبة على التصديق من فكرة الادراك خارج نطاق الحواس ، فمن الممكن تصور تاثير ذهن فى ذهن آخر بدون اية وسيلة ظاهرة للاتصال بينهما ، اما ان يؤثر ذهن فى مادة ، اى ان يستطيع شخص ما ان يؤثر فى احداث العالم المادى الخارجى بارادته المجردة ، فهذا غير متصور ، وغير قابل للتصديق .

ولكن هذه الصعوبة بدات تتراجع الآن امام التجارب المعملية ، وهى ايضا تجارب على اشياء تافهة او صغيرة ، غير انها بمثابة اصبع يشير الى حقائق اكبر خارج نطاق المعامل .

ذات يوم فى اوائل عام ١٩٣٤ دخل شاب مكتب دكتور ج . ب . راين فى جامعة ديوك ، وابتدره قائلا « هاى .. دوك .. لقد جئت لأخبرك بشىء اعتقد انك ينبغى ان تعرفه » ومضى الشاب قائلا انه مقامر محترف وانه عندما يكون فى حالة نفسية معينة وصفها بانها « ساخنة » يستطيع ان يؤثر فى زهر الطاولة فيجعله يقع على الوجه الذى يريده بتاثير إرادته وحدها ، وقد جرب ذلك مراراً حتى تاكد منه تماما ، وقال انه سمع عن تجارب دكتور راين فى الادراك خارج نطاق الحواس ففكر ان دكتور راين هو الرجل الذى يمكن ان ياخذ اكتشافه بجدية ويبحثه بطريقة علمية ، وكان على صواب فى ذلك ، فخلال دقائق كان دكتور راين والمقامر يجلسان على الأرض فى ركن الغرفة يلعبان بالزهر .

وكانت هذه بداية برنامج طويل من الأبحاث على طاقة الاستحراك النفسى فى جامعة ديوك ، ولكن نتائج هذه الأبحاث لم تنشر إلا بعد ذلك بعشر سنوات ، فقد كان لدى دكتور راين ومعاونيه ما يكفيهم من المتاعب فى محاولة اقناع الأوساط العلمية بقبول ادلتهم على تجارب الادراك خارج



احد الباحثين قبل بداية تجربته فى معمله حول ايجاد تفسير معقول للقوى النفسية الكامنة

نطاق الحواس ، ولم يشاءوا ان يزيدوا الموقف صعوبة باعلان سابق لأوانه عن ان فى الامكان ايضا اثبات كافة الاستحراك فى المعامل ، ولذا فقد استمرت خلال السنوات التسع التالية تجارب الزهر فى صمت وهدوء داخل جامعة ديوك ، وكانت نتائجها تسجل بدقة ، وتحلل احصائياً ، ولكن لا تنشر .

كانت التجارب الأولى التى سجلت فى جامعة ديوك تضم ٥٦٢ جولة ، سجلت ٣١١٠ هدفاً صحيحاً ، فى حين ان حد الصدفة ٢٨١٠ (اى ٥ × ٥٦٢) اى ان الأهداف الصحيحة التى سجلت تزيد عن حد الصدفة بمقدار ٣٠٠ هدف ، ودلت الحسابات المؤسسة على نظرية الاحتمالات ان هذه النتيجة لا تاتى بمحض الصدفة إلا مرة كل بليون مرة .

بعد هذه المرحلة الأولية المشجعة ، راى الباحثون فى جامعة ديوك ان الوقت قد حان لتشديد الظروف التى تجرى فيها التجارب ، وذلك ليروا ما اذا كانت هذه النتائج من الممكن ان تغرى لسبب اخر غير الاستحراك النفسى ، وكان هناك سببان محتملان : ان يكون ذلك راجعا الى مهارة رامى الزهر نفسه ، اى انه كما يقال فى لغة الطاولة « يقرص » على الزهر ، والسبب الآخر قد يرجع الى ميل طبيعى فى الزهر نفسه ، فالوجه ذو الأرقام العالية المحفورة يكون اخف نسبياً من الوجه ذى الأرقام الصغيرة الذى لم تؤخذ منه مثل هذه الكمية من المادة ، ولذلك تميل قطعة الزهر الى الاستقرار على وجهها الأثقل اى ان ياتى الوجه ذو الأرقام العالية الى اعلى ، وهى حقيقة قد يدركها اللاعب او الفاعل لا شعورياً فيزيد من مراهنته على هذا الوجه . ومن اجل استبعاد السبب الأول اخترعوا آلة لالقاء الزهر اتوماتيكيا عبارة عن انبوبة متعرجة الداخل ومتصلة بعلبة « تشخلل » الزهر وتطلعه فى الأنبوبة كهربائيا ، اى ان مهارة اللاعب هنا تستبعد تماما ، فلا احد يلمس الزهر فى كل مراحل التجربة . ولاستبعاد السبب الثانى صمموا انواعا خاصة من الزهر الدقيق المتوازن تماما فى كل اوجهه ، واجريت تجارب كثيرة اخرى تحت مثل هذه الظروف المشددة فى جامعة ديوك وغيرها من معامل الأبحاث ، وظلت النتائج بشكل ملحوظ فوق حد الصدفة . ولكن خلافاً لتجارب الادراك خارج ، نطاق الحواس لم يؤد البحث على طاقة الاستحراك الى اكتشاف فعلاء موهوبين فى امكانهم تسجيل اهداف عالية وانما يوحى البحث خلافاً لذلك بان طاقة الاستحراك شائعة لدى الكثيرين ، بل ان معظم الناس يمتلكونها ، ولكنها نادراً ما تظهر نفسها فى شخص دون الآخرين .

● ●

بقي هناك مجالان آخران من طاقة الاستحراك بدا من الممكن اخضاعهما للبحث المعملى ، هما ظاهرة تصوير الأفكار اقترح تسميتها بالعربية « فكروتوغرافيا » والطب الروحى ..

فى علم ١٩١٠ اختبر البروفيسور اليابانى توماكيشى فوكوراى امراة قيل انها تمتلك مقدرة « الاستبصار » Clairvoyance ، واخترع لذلك فكرة ان يدعها تحدس بطريق الاستبصار الصورة المطبوعة على شريحة فيلم لم يجر تحميضه بعد ، وقد لاحظ بعد انتهاء التجارب وتحميض الأفلام ان شرائح اخرى من الأفلام الخام المجاورة قد تاثرت فيما يبدو بمجهود السيدة فى التركيز . فظهرت عليها خطوط وشبه اشكال ، فطلب فوكوراى من السيدة – فى سلسلة اخرى من التجارب – ان تحاول ان تنقل اشكالا معينة – هى فى الغالب اشكال هندسية باللغة اليابانية على شرائح من الأفلام الخام بدون استخدام الكاميرا ، وكانت الشريحة المطلوب تصويرها توضع بين شريحتين اخريين ، واستطاعت السيدة فى حالات كثيرة ان تنجح فى طبع الشكل المطلوب فى شريحة الفيلم المحددة تاركة الشريحتين الخارجتين صافيتين تماما ، ونشر فوكوراى كتاباً عن اكتشافه الغريب مزوداً بصور تجاربه ، ولكن الخصومة التى آثارها هذا الكتاب فى الدوائر العلمية اليابانية أرغمته على الاستقالة من منصبه الجامعى !

قوى الإنسان الخفية في معامل العلماء!

وفيما عدا هذه الحادثة اليابانية لم يسمع احد الكثير عن تصوير الافكار او « الفكروتوغرافيا » حتى جاءت ستينيات هذا القرن ، فقد بدأ باحث نفساني فى دينيفر يدعى دكتور جول ايزبوند يفحص مزاعم خادم فندق فى شيكاغو يدعى تيد سيريوس يدعى انه يستطيع ان يطبع مايشاء من الصور على فيلم بولارويد بمجرد التركيز على عدسة الكاميرا ، وظل ايزبوند يجرى تجاربه على سيريوس عدة سنوات ونشر عن هذه الظاهرة عدة مقالات وكتابا بعنوان « عالم تيد سيريوس » .

ومن هذه الصور التى نشرت تبدو صور اشخاص وسيارات ومبان مثل فندق هيلتون فى دينيفر ، وقبة كنيسة سانتا ماريا دى لوريتو وغيرها ، كما فحص الرجل دكتور برات وجعله يقيم لهذا الغرض فى معمل الباراسيكولوجى بجامعة فيرجينيا مدة شهر ولكن قبل ان يتمكن دكتور برات من اتمام سلسلة من التجارب المشددة على تيد سيريوس ـ الذى كان رجلا لا يعتمد عليه وميالا للخمر ـ غادر سيريوس المعمل بدون مبالاة ، وظلت مزاعمه بدون دليل حاسم . ولا تزال مسالة امكان احداث تفاعلات كيميائية على فيلم حساس باستخدام طاقة الاستحراك النفسى فى حاجة الى مزيد من الأبحاث .

● ●

ولكن الأبحاث التى اجريت على المعالج الروحانى اوسكار استيبانى فى مونتريال بكندا جاءت بنتائج مرضية ، كان استيبانى ضابطا سابقا فى الجيش المجرى برتبة كولونيل ، وقد اكتشف فى نفسه قدرة على شفاء الأمراض اثناء قيامه بدورة على تدليك الخيول فى الثلاثينيات ، فقد لاحظ هو والمتصلون به قدرته على شفاء الخيول المريضة بوضع يديه فوقها وهو ما لم يكن يستطيع ان يفعله زملاؤه فى الـــدورة وسرعان ما اكتسب استيبانى شـــهرة فى بودابست كمعالج روحانى فى الاربعينيات واستمر يزاول الطب الروحى بعد أن هاجر الى كندا فى منتصف الخمسينات واشتهر عنه انه استطاع فى مئات الحالات ان يشفى امراضا ـ معظمها نتيجـــة اضطرابات نفسية ـ عجز الطب العادى عن علاجها . وفى عام ١٩٦١ وافـــق استيبانى على ان يدع دكتور برنارد جراد من جامعة ماكجيل يفحص مقدرته الشفائية علميا .

ولما كان التفسير العقلانى الواضـــح للعلاج الروحانى هو الايحاء ، بمعنى ان ايمان المريض بقدرة المعالج على شفائه هو الذى يحدث الأثر ، لذلك قرر دكتور جراد ان يبدأ تجاربه على ٣٠٠ مريض لا يؤمنون بقدرات استيبانى المزعومة ولا يعرفون عنها شيئا ، فهؤلاء المرضى كانوا فئرانا ، فقد احدث دكتور جراد جرحا صغيرا متشابها فى ٣٠٠ فار من فئران المعامل ، وقسمهم الى ثلاثة اقسام متســـــاوية : المجموعة الأولى يتعامل معها استيبانى ، والمجموعة الثانية يتعامل معها اشخاص لا يزعمون لأنفسهم مقدرة على العلاج الروحانى ، والمجموعة الثالثة تركت بدون علاج ، كمعيار للمجموعتين الأخريين . وكان العلاج ببساطة هو ان يضع المعالج يديه على قفص المجموعة لمدة ١٥ دقيقة مرتين كل يوم ، وبعد ١٦ يوما فحصت الفئران فوجد ان الجروح التى عالجها استيبانى سارت فى طريق الالتئام باسرع من المجموعتين الاخريين .

وقامت الدكتورة جوستا سميث بمزيد من الأبحاث على قدرات استيبانى . كانت الباحثة الدكتورة جوستا سميث مديـــرة « لمعهد الأبعاد الانسانية » بكلية « روزارى هل » بنيويورك . وكانت متخصصة فى الكيمياء العضوية الى جانب كونها راهبة من الفرنسسكان وقد فكرت الدكتـــورة جوستا انه اذا كان الطب الروحى يعمل حقيقة ، فانه لابد ان يعمل على مستوى الانزيمات فى خلايا الجسم ، لأن الانزيمات هى المواد التى تحدث التغيرات الكيماوية فى الخلايا ، وفشل الانزيم هو اساس السبب العضوى للمرض ، وحتى تتحقق الصحة تحتاج بعض انزيمات الجسم الى الاسراع وانزيمات اخرى الى الابطاء .

واجرت الدكتورة جوستا سميث قدرا كبيرا من البحث على انزيم « التربسين » ، وكانت تعلم ان هذا الانزيم يصاب بالضرر الشديد اذا تعرض للاشـــعة فـــوق البنفسجية ، فاعدت وعاء ملاته بمحلـــول التربسين وافسدت تكوين جزيئاته بتعريضه للاشعة فوق البنفسجية ، وطلبت من استيبانى ان يضع كفيه على جانبى الإناء ، وكانت كل ١٥ دقيقة تاخذ كمية قليلة من للحلول وتقوم بتحليلها بواسطة جهاز بالغ الحساسية يســـمى « سبكترو فوتو ميتر » وهو جهاز لقياس شدة الضوء النسبية بين مختلف اجزاء الطيف ، وكانت الدكتورة سميث قد اكتشفت فى تجارب سابقة قدرة استيبانى على زيادة سرعة معدل التفاعلات فى الانزيمات السليمة ، ولكنها الآن اكتشفت أيضا قدرته على اصلاح الجزئيات المدمرة وادت التجارب اللاحقة على مزيد من المعالجين الروحيين وانزيمات اخرى الى تاكيد هذا الاكتشاف .

ولم يكن المعالجون الروحانيون الـــذين تستخدمهم الدكتورة سميث يعلمون اى انزيم يمسكونه بين أيديهم وما اذا كان المطلوب زيادة تفاعلاته او انقاصها حتى يكون لذلك تاثير ايجابى فى الجسم ، ولكن فى حـــالات كثيرة اثبت المعالجـــون الروحانيون قدرتهم على احداث الأثر المطلوب الذى يناسب كل حالة ، وعندما قدمت الدكتورة جوستا سميث نتائج ابحاثها الى الدوائر العلمية اختارت لبحثها هذا العنوان الجدير به « الطب الروحى : من الخرافة الى العلم » .

● ●

وفى السبعينات دخلت الابحـــاث على الاستحراك النفسى مرحلة جديدة باكتشاف مزيد من الأشخاص الموهوبين أمثال انا راسموسين ويورى جيللر ، ويسود الآن الاعتقاد بان ظاهرة الاستحراك يتمتع بها الكثيرون من الناس بدرجة ضعيفة ، ولكنها من النادر ان تعلن عن نفسها بشكل ملفت للنظر .

ولكن الأبحـــاث المعمليـــــة على الباراسيكولوجى لم تقف عند حد اثبات الظاهرة وانما تتعداها الآن الى محاولة ايجاد تفسير مادى معقول لهذه القـــوى النفسية الكامنة ، وقد قطعت الأبحاث شوطا فى هذا المجال ، فالى المقال القادم والأخير .

محمد العزب موسى

المقال القادم : البحث عن اساس مادى لظواهر الباراسيكولوجى

أسماء عربية للمدن في أمريكا

بقلم: الدكتور محمد محمود محمدين

إن من يدرس أسماء الأماكن فى الولايات المتحدة الأمريكية تاخذه الدهشة لتنوع مصادرها اللغوية من جهة وتباين طرق اشتقاقها من جهة اخرى .
ويقدر الباحثون عدد أسماء الأماكن في الولايات المتحدة الأمريكية بنحو ثلاثة ملايين وخمسمائة الف اسم ، أي بمعدل اسم واحد لكل ميل مربع تقريباً . وتتباين الأسماء في أعمارها فبعضها أسماء قديمة أطلقها الهنود الحمر السكان الأصليون ، وبعضها أسماء حملها المهاجرون الى الولايات المتحدة معهم .
ومن الأسماء ما أطلق حديثاً تخليداً لذكرى حدث أو زعيم من الزعماء أو عائلة . ويصل عدد أسماء الأماكن التي صيغت من أسماء العائلات الى ثلاثمائة وخمسين ألف اسم .
أما عن أصول أسماء الأماكن في الولايات المتحدة الأمريكية فمنها ما هو هندي مثل (المسيسبي) أي النهر الكبير ، و (تكساس) محورة عن كلمة تعني الأصدقاء ، ومنها ما استعير من لغات اخرى مختلفة كالانجليزية ، والأسبانية ، والفرنسية ، والايطالية والألمانية ، والروسية والعربية .

كيف انتقلت الأسماء العربية الى الولايات المتحدة الامريكية ؟

قبل أن اتعرض للاجابة عن هذا السؤال أود أن أوضح أن المقصود بالأسماء العربية هنا أسماء الأماكن التي تقع في العالم العربي بصرف النظر عن أصل هذه الأسماء ، وعلى سبيل المثال وليس الحصر ، كلمة الاسكندرية ، أو ممفيس ، أو طيبة ، كلها أسماء لأماكن عربية وان كان الأصل اللغوي ليس عربياً .

ومما لا شك فيه أن الاتصال بجميع سبله لعب دوراً كبيراً في انتقال الأسماء العربية الى الولايات المتحدة الأمريكية بعض الأسماء انتقل على مرحلتين الأولى: الى الأندلس في القرن الثامن الميلادي مع الفتوح الاسلامية العربية . والمرحلة الثانية: انتقلت الى الأمريكتين بعد اكتشافهما في نهاية القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين .

ومن الأسماء العربية ما وجد طريقه عبر القصص والأساطير مثل « الف ليلة وليلة » ومن امثلة هذه الأسماء بغداد ، وعلاء الدين . ومنها ما وصل الى

أسماء عربية للمدن في أمريكا

الولايات المتحدة عن طريق الانجيل مثل (سيناء) في داكوتا الجنوبية ، وتهامة Tehama في كاليفورنيا .

وهناك أسماء عربية اطلقت على اماكن فى الولايات المتحدة الامريكية بسبب معاصرة الأحداث السياسية والحروب ، ومن نماذج هذا النوع من الاسماء مدينة (القادر) نسبة الى عبد القادر الجزائري الذي قاوم الفرنسيين ببسالة .

كما يبدو ان تسمية مدينة في ولاية مينيسوتا باسم دارفور عام ١٨٩٩ م يرجع الى حرب بريطانيا في السودان آنذاك .

ولعل الكشوف الاثرية اسهمت كذلك في انتقال بعض الأسماء الى الولايات المتحدة الأمريكية مثل «كرنك» و «ممفيس» بسبب الكشوف التى تمت فى القرن ١٩ م . واغرى تشابه الظروف الجغرافية لبعض المدن العربية لظروف بعض الأماكن الامريكية الى اطلاق الأسماء العربية على تلك الاماكن ، ومن الامثلة على ذلك : مدينة مكة Mecca .... وتقع في منطقة صحراوية في ولاية كاليفورنيا . واطلق اسم « القاهرة » Cairo على مدينة فى إلينوي تقع على نهر المسيسبي الذي عرف انذاك بنيل امريكا .

وجدير بالذكر ان كاليفورنيا هي اكثر الولايات الامريكية من حيث وجود اسماء الاماكن العربية .

أنماط للأسماء العربية

وهذه انماط من اسماء الاماكن العربية في الولايات المتحدة الامريكية :

● أسماء ذات دلالات اسلامية :

١ - « Allah » الاصل العربي (الله) ويرجح أن التسمية كانت جنة الله ، ثم اختصرت الى الله ، والمكان الذي اطلق عليه الاسم مكان خصب في صحراء اريزونا .

٢ - « Mahomet » الاصل (محمد) يحتمل أن تكون التسمية نسبة الى محمد عليه السلام ، وقد اشارت بذلك المصادر الامريكية ، ويقع المكان المعروف بهذا الاسم في ولاية إلينوي .

٣ - « Medina » الاصل العربي (مدينة) اطلق الاسم على نهر في تكساس عام ١٨٦٩ م ، وفي ولاية نيويورك يتكرر اسم المدينة . وجدير بالذكر ان احدى المدن في نيفادا كانت تعرف باسم « Median » غير اسمها الى مدينة تكريما لاحد القضاة وكان اسمه هارولد مدينة وذلك عام ١٩٥٦ م .

٤ - « Mecca » الاصل العربي (مكة) تقع المدينة المسماة بهذا الاسم في منطقة صحراوية بولاية كاليفورنيا ، وفي ولاية اوهايو كانت هناك مدينة اخرى عرفت باسم (مكة) ثم غير اسمها الى مدينة .

٥ - « Hegira » الاصل العربي (هجرة) يقع المكان المعروف بهذا الاسم في ولاية كنتكي Kentucky

٦ - « California » يعتقد كثير من الباحثين أن المقطع الاول من هذا الاسم محور عن (خليفة) العربية Caliph . وجدير بالذكر ان هناك عشرات من الأسماء من بقاع العالم عرفت بهذا الاسم ، وفى الاسكا وحدها نجد اربعين مكانا يحمل هذه التسمية . ولعل تسمية كاليفورنيا قد وردت لاول مرة عام ١٥٠٠ م في قصيدة شعرية رومانسية .

● أسماء نقلها الاسبان :

١ - « Alameda » الأصل العربي (الأعمدة) تطلق التسمية في الأسبانية ويطلق الاسم حاليا فى كاليفورنيا على مدينة بسبب وجود اشجار البلوط عندها .

٢ - « Alamo » الاصل العربي (علامة) ، يرجح كاتب هذا المقال ان هذه الكلمة في اللغة الأسبانية من اصل عربي . وتطلق الكلمة في اللغة الأسبانية على المناطق ذات الأشجار التي تدل على وجود ماء ، أي انها علامة على وجود الماء . وتطلق التسمية حاليا على مكان في ولاية كاليفورنيا وآخر في نيومكسيكو .

٣ - « Gato » الأصل العربي (قط) انتقلت الكلمة من الاسبانية واطلقت على مكان في كاليفورنيا كانت تكثر به القطط البرية .

٤ - « Habra » الاصل العربي (عبر) حرفت الكلمة في الأسبانية الى abra وهي تستخدم للدلالة على الممرات الجبلية التي تمكن العبور ، ويطلق الاسم على مكان في ولاية كاليفورنيا .

٥ - « Jarro » الاصل العربي (جره) انتقل الاسم من الاسبانية واطلق على واد صغير في كاليفورنيا .

٦ - « Javon » الاصل العربي (صابون) نقلت الى الاسبانية هابون ثم حورت الى جافون ، ويطلق الاسم على مكان في ولاية كاليفورنيا وجد فيه معدن اعتقد بانه صابون طبيعي .

٧ - « Pelado » الاصل العربي (بلاد) كلمة اسبانية تطلق على قمة جبل في ولاية نيومكسيكو .

٨ - « Palaya » الاصل العربي (بلاطة) اطلقها العرب على التكوينات الملحية في السباخات التي تكون على هيئة بلاطة ، ثم اخذها الاسبان واطلقوها على الشواطىء . وتطلق التسمية في الولايات المتحدة على السبخات في كاليفورنيا وفي اريزونا وفى نيومكسيكو Las Playas .. Playas Valley .

● أسماء عربية وصلت الى الولايات المتحدة عن طريق التوراة :

١ - « Damascus » الاصل العربي (دمشق) عاصمة سوريا ورد ذكرها في الكتاب المقدس ، تطلق على مكان في ولاية اوهايو .

٢ - « Egypt » الاصل العربي (مصر) توجد في ولاية إلينوي ، وفي ولاية فرجينيا الغربية مكان يعرف باسم مصر بسبب محصولاته الوفيرة ، وفي

ولاية تكساس مكان تباع فيه الغلال عرف باسم مصر (تاثراً بقصة اخوة يوسف) ، وفي ولاية المسيسبي اطلق اسم مصر عام ١٨٥٨ م على منطقة تتنوع فيها الحبوب .

– ٣ « Hebron » الأصل العربي (مدينة الخليل) ينتشر هذا الاسم في خمس عشرة ولاية تيمناً به .

٤ – « Nineveh » الأصل العربي (نينوي) على الرغم من ان هذه المدينة وصفت في الكتاب المقدس بانها مقر الشر الا ان هناك مدنا عديدة امريكية عرفت بهذا الاسم .

● اسماء عربية اتخذت بسبب الاحداث السياسية :

١ – « Darfur » الأصل العربي (دارفور) مدينة في ولاية مينيسوتا ، اطلق الاسم في عام ١٨٩٩ م بسبب الحرب البريطانية في السودان آنذاك .

٢ – « Dongola » الأصل العربي (دنقلة) يرجح ان التسمية عاصرت الحروب البريطانية في السودان .

٣ – « El Kader » الأصل العربي (عبد القادر) نسبة الى عبد القادر الجزائري الذي قاوم الفرنسيين من عام ١٨٣٢ الى عام ١٨٤٧ م ، وقد اطلق اسمه على مدينة بولاية ايوا تخليداً لذكراه .

● اسماء عربية اطلقت بسبب الظروف الجغرافية :

١ – « Alexandria » الأصل العربي (الاسكندرية) اطلقت التسمية على مكان بولاية فيرجينيا عام ١٧٤٨ م ، ويحتمل ان تكون هناك اسرة عرفت بهذا الاسم .

٢ – « Algiers » الأصل العربي (الجزائر) اطلقت التسمية على مكان في ولاية لويزيانا .

٣ – « Camel » الأصل العربي (جمل) يرد هذا الاسم في ولايات كثيرة منها : كاليفورنيا واريزونا ونيفادا وداكوتا ، وذلك لوجود جبال كانها اسنمة إبل .

٤ – « Gibraltar » الأصل العربي (جبل طارق) يطلق الاسم على بحيرة في السكا لوجود جبل يجاورها يشبه جبل طارق كما توجد جزيرة بهذا الاسم في اوهايو .

٥ – « Nile » الأصل العربى (النيل) .

يطلق الاسم على كثير من الأماكن فى كاليفورنيا مثل : أرض النيل ، حديقة النيل .

٦ – « Cairo » الأصل العربى (القاهرة) .

اطلق هذا الاسم على مدينة فى إلينوى عام ١٨١٨ م ، وتقع المدينة على نهر المسيسبي الذى عرف آنذاك بنيل امريكا .

● اسماء عربية انتقلت عن طريق الأعمال الأدبية والكشوف الأثرية .

١ – « Aladdin » الأصل العربى (علاء الدين) .

الوارد ذكره فى قصص (الف ليلة وليلة)ويطلق اسمه على مكان فى ولاية ويومنج تيمناً بالخير والحظ .

٢ – « Bagdad » الأصل العربى (بغداد) .

عرفت طريقها الى الولايات المتحدة عن طريق الف ليلة وليلة ، وتسمى بهذا الاسم مدينة فى منطقة صحراوية بولاية كاليفورنيا .

٣ – « Baltimor » يرجح ان الأصل العربى (بعل تيمور) ، اى معبد بعل ، إله الفينيقيين الوثنى ، ويطلق الاسم على مدينة فى ولاية مريلاند .

٤ – « Hannibal » الأصل العربى (حنا بعل) اى نعمة بعل ، يرجح ان هذا الاسم اطلق عام ١٧٩٠ م على مدينة فى ولاية نيويورك .

٥ – « Karnak » الأصل العربى (الكرنك) شمالى الأقصر بصعيد مصر اشتهرت فى القرن ١٩ م بسبب الكشوف الأثرية .

٦ – « Memphis » الأصل العربى (ممفيس) مدينة اثرية ، اطلق الاسم عام ١٨٢٦ م على مدينة بولاية تينيسي Tennessee

٧ – « Palmyra » الأصل العربى (تدمر) .

٨ – « Phoenicia » الأصل العربى (فينيقيا) وهى من الأسماء التى اطلقت فى بداية القرن التاسع عشر .

٩ – « Thebes » الأصل العربى (طيبة) مدينة اثرية مصرية (شمالى الأقصر) اطلق الاسم على مكان فى ولاية إلينوى .

● وهذا بخلاف الاسماء الاخرى مثل :

١ – « Abdal » الأصل العربى (عبد الـ ...) .

يطلق الاسم على مكان فى ولاية نبراسكا .

٢ – « Aden » الأصل العربى (عدن) .

يطلق الاسم على مكان فى ولاية نيو مكسيكو .

٣ – « Benali » الأصل العربى (بن على) .

يطلق الاسم على مكان فى ولاية كاليفورنيا ، ويرجح ان بن على كان صاحب مزرعة لتربية الماشية .

٤ – « Palestine » الأصل العربى (فلسطين) .

تطلق التسمية على مكان فى ولاية تكساس .

من العرض السابق يتضح لنا أن نسبة كبيرة من اسماء الأماكن العربية تتركز فى الولايات الجنوبية .. وأن معظم هذه الأسماء اتخذ فى القرن التاسع عشر ، وأن الجسور التى عبرتها تلك الأسماء الى الولايات المتحدة متنوعة بعضها سياسى وبعضها ثقافى .

د . محمد محمود محمدين
جامعة الملك سعود

المراجـــــــع :

1. Georger Stewart, American Place Names, New York, 1970.
2. The Times Atlas of the World, Comprehensive Edition, Times Books, London, 1980.
3. American Place Names, Op.cit, P. 273.

سيناريو شعري

أطفال.. وحجارة.. ومولوتوف

شعر: محمد الظاهر

مهداة إلى أطفال الأرض المحتلة الذين فجّروا هذه الأسطورة من جوّ الواقع

المشهد الأول

● ظهور تدريجي ، بلقطة رئيسية لمخيم « قلندية » حيث تكشف اللقطة المنظر العام للمخيم ، وتظهر جغرافيته ، بشكل جيد ، حتى يستقر فى اذهان المشاهدين ، وتظهر المعالم الجغرافية للوسط الذى يجرى فيه الحدث .

● تبدأ الكاميرا حركة « زوم إن » نحو مركز توزيع المؤن التابع لوكالة الغوث ، وسط المخيم ، وتتركز فى النهاية بلقطة ثابتة عامة ، لصف طويل من الشيوخ والنساء ، والأطفال ، وهم ينظرون الى الكاميرا بتعبيرات مختلفة ، ياس ، حزن ، خوف ، قلق ، غضب ، حقد ، حيرة ، وغيرها من الاحاسيس ، الكاميرا ثابتة على المكان ، لكن الشخصيات داخل الكادر ، تتحرك ، وتغير مواقعها .

وصف خارجي

هذا هو المخَيَّمْ
كالقبر فى العراء
كجثةٍ مطمورةٍ فى خندق الصحراءْ
اظافر الغزاة فى جبينه
وفوق ظهره الصدىء شارةُ الطغاةْ
يَفرُّ فى الصباح من احزانه
لكنه يعود فى المساءْ
مستنقعاً للصمتْ
يصول وحش الخوف فى اطرافه
ويستريح الموتْ

وصف خارجي

هذا هو المخيم
حدودُه رصاصةٌ ومخفرْ
وأفْقُهُ جنازةٌ ومُخبِرْ
لكنه كالطَّوْطَمْ
إن ماتَ ما تألمْ
او عاش ما تَكَلَّمْ
هذا هو المُخيمْ

غناء جماعي

ايها الهارب من قبر الى قبر جديدْ
خفف الوطء على اجسادنا
تَعِبَتْ كلُّ خيولِ الوهم والدربُ بعيدْ
فتربَّعْنا على أحزاننا

لا تقايضْ دمَكَ الطاهرَ بالشَّكِ
ولا تعتبْ علينا
كان مَدُّ البحر فى الجرح
ولكنا نفضنا من دم البحرِ يَدَيْنا

وتجمعنا فَكُنَّا القاعدة
للذى يصعد فى سوق المزادْ
ثم اغمضنا العيونَ الحاقدة
وتوكلنا على رب العباد

غناء فردى

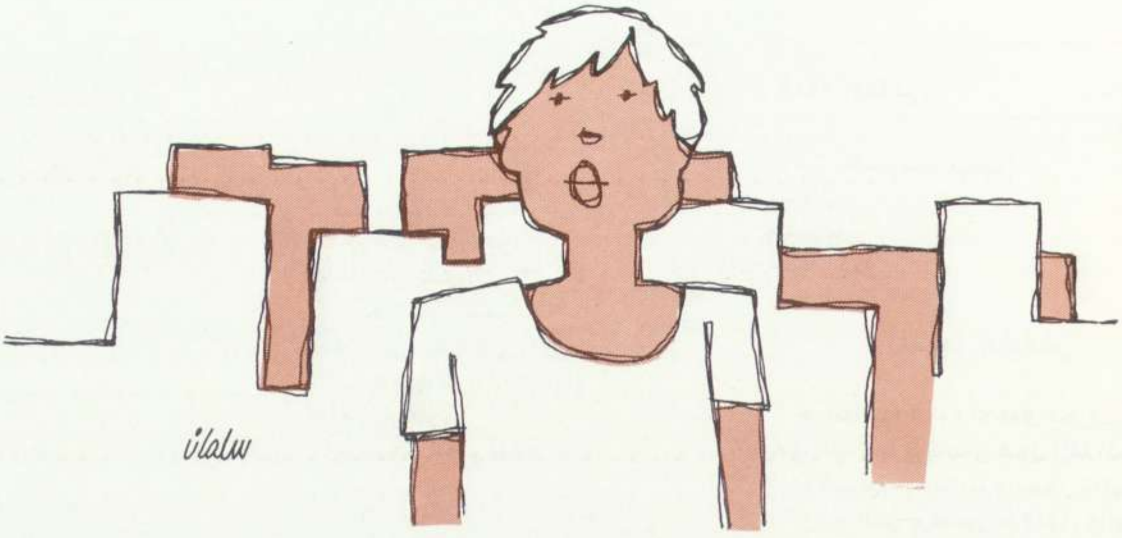
ايها الباحث فى بالِ الزمنْ
عن جموع الفقراء
لا تمت دون ثمنْ
انَّ كلَّ البسطاء
يحفرون الآن قبراً للوطنْ
ويبيعون جلود الشهداءْ

المشهد الثاني

● الكاميرا فى لقطة مكبرة « كلوز أب » لوجه طفلة ، ثم تبدأ الكاميرا حركة « زوم باك » ، حيث نرى الطفلة تقف فى صف المؤن ، تحمل وعاءها المعدنى ، وتستمر اللقطة فى الاتساع حتى تشمل جزءاً من الصف ، ثم تبدأ حركة «تراك شوت» ، لتستعرض بقية الصف ، وحين تصل الى زاوية مركز توزيع المؤن تبدأ حركة بانورامية داخل ازقة المخيم بنفس اللقطة السابقة ، مع التركيز على المناظر التى تدل على حالة البؤس التى يعانى منها المخيم ، وتتركز بلقطة ثابتة على مزبلة المخيم .

حوار مع طفلة

● من أين تاتى الحرب ؟
ـ من جُبَّة الفقير
● وأين ياوى الشعب ؟
ـ لمقلة الضرير
● شعاركم ؟
ـ الموت والتابوت والكفن
● اذن ،
ماذا عن الوطن
ـ لم يبق منه غير الزيتِ والطحينِ والمؤن



غناء جماعي

سيروا تَرَوْا عَجَبا
فلم نزل عربًا
هنا غبارُ القرى
وعرائش الطُّحْلُبْ
هنا اكتنازُ الذرى
بالغامض المرعبْ
هنا انكسارُ الفضاءْ
هنا شموخُ الحضيض
نشاءُ أو لا نشاءْ
هنا نقيضُ النقيضْ

المشهد الثالث

● الكاميرا تتابع حركتها البانورامية ، خارجة من ازقة المخيم ، ثم تبدا اللقطة بالتوسع التدريجي ، حيث نرى احدى التلال تدخل الكادر مع تعديل وضع الكاميرا ، بحيث تصبح اللقطة لقطة عامة منخفضة ، تاخذ التلة من الاسفل .

● تثبت اللقطة ، حيث نرى بعض الاطفال يدخلون الكادر ، ويتسلقون التلة كانهم فى مظاهرة .

● الكاميرا تبدا حركة «زوم ان» مفاجئة ، وسريعة جداً تتركز بلقطة «ميديوم كلوز» لاحد الاطفال وهو يتاكد من سلامة مقلاعه ، ثم تتوسع اللقطة قليلا حتى تشمل الطفل كاملا ، حيث يقوم الطفل بالتقاط حجر كبير نوعاً ما ويضعه فى مقلاعه ، ثم يلوح بالمقلاع عدة مرات ، ثم يطلق الحجر .

● "تراك شوت" سريع للكاميرا ، لمتابعة الحجر وهو ينطلق .

● لقطة مفاجئة ومكبرة لزجاج الباص المكسور .

● تثبت اللقطة على الزجاج المكسور .

غناء جماعي

طفلٌ مع المظاهَرَة
لا يرهب الاعداء
يتابع المسيرْ
سَيُسقِط المؤامرة
ويجعل الدماء
هُتافَهُ الاخير

وصف داخلي

رعشةٌ صامتة
زمنٌ للأمام
يحمل اللافتة
ويد للخصام

غناء جماعي

طفل رمى حَجَرْ
فاطلق الجنود
فى وجهه الرصاص
الطفل والحجرْ
علامة الوجودْ
وشارة الخلاصْ

المشهد الرابع

● الكاميرا فى لقطة عامة لساحة احد البيوت ، "تراك شوت" ، حيث نرى الكاميرا تقوم باستعراض غرف البيت من الخارج وتتركز فى النهاية على احد الأبواب المغلقة .

● "زوم ان" باتجاه ثقب الباب ، وتتركز الكاميرا على فتحة الثقب .

● من خلال ثقب الباب تبدا الكاميرا باستعراض الغرفة ثم تتركز فى النهاية على مجموعة من الأطفال ، وهم يجلسون ، يشاهدون التليفزيون بهدوء واهتمام .

● «زوم ان» نحو شاشة التليفزيون ، حيث تتركز بلقطة مكبرة لشاشة التليفزيون .

● على الشاشة نشاهد المذيع وهو يشرح لهم طريقة عمل قنبلة المولوتوف .

● لقطات متبادلة "كلوز اب" ، لشاشة التليفزيون ، ووجوه الأطفال الذين يتابعون الحدث باهتمام ، مع التاكيد على اسماء المواد الداخلة فى عمل القنبلة .

وصف خارجي

فجاة
تظهر القنبلة
بعضُها
ما تَبَقّى لنا من رمادِ الغضبْ
بعضها
ذرةٌ من رمال النقبْ
بعضها
قطرة سُرِّبَتْ خِلْسَةً
من سحائب أفق العرب

أطفال.. وحجارة.. ومولوتوف

وصف داخلي

فجاة
تبدا المرحلة
من زقاقٍ قديم
ومن ساحةٍ موحلةْ
فجاة
يصعد الطفل من بؤرةِ الخوفِ
للجلجلة
فجاةً تظهر القنبلة

المشهد الخامس

● الكاميرا فى لقطة عامة علوية ، للاطفال فى احد المخازن المهجورة يقومون بصنع قنبلة المولوتوف ، بحيث نراهم يتكورون ككومة على ارضية الغرفة التى تظهر تفاصيلها فى اللقطة .

● الكاميرا تقترب بحركة "زوم ان" من زجاجة المولوتوف ، مع النزول قليلا ، حيث نرى الزجاجة وكانها تتعملق امام الأطفال .

● لقطات "كلوز اب" لوجوه الاطفـــال متبادلة مع اســـتمرار اقتراب الكاميرا من الزجاجة وعملقتها .

غناء فردى

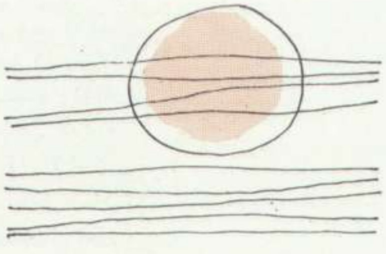
من رَحْمِ الموت خَرَجْنَا
وفتحنا أبواب العالمْ
كان العالَم ينبش وجه الارض يفتّش عنا
من يُدْرِكُنا
هل يُدرِكُنا المَدَى
ام يدركنا الجُند
ام نبدا نحن البحثَ عن الصَّبغ الاخرى
ها نحن نجرب
تبحث عن قمر يحمل فى كَفَّيْهِ الغيم
ونحاول زرع العالم بالاطفال
وبالورد الاحمر

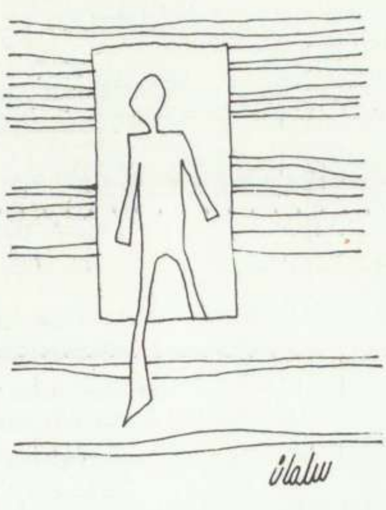
أصـــوات

ـ قَدَرٌ ان نحمل معنا
الخِصْبَ لكل مكان
● قدر ان نُفنى العمرَ
لنبحث عن انسانْ
ـ قدر ان نبحث عن زمنٍ
يُعطينا القدرةَ ان نتجدد
● قدر ان نولد
من رَحْمِ الموتِ مراراً

غناء فردى

ها نحن نُجَرِّبْ
ندرك كيف يصير الوطن امراةً
تهرب منكَ
فتعرف كيف تحاصرُها
وتحاصرُها
وتضيء السرَّ الكامنَ فيها





غناء جماعي

يا من يحمل معه الحلمَ
ويرحلْ
فلتتحملْ
غَدُنا اجملْ

المشهد السادس

● الكاميرا تتابع الاطفال بحركـــة بانورامية وهم يركضون خلال ازقة المخيم خلف كبيرهم ، بحيث نرى بعض تفاصيل الشوارع التى يركضون خلالها ، والطفل الكبير يركض فى المقدمة ، يحمل على ظهره شوالا كبيراً ، ويبدو من خلال تجاعيد الكيس انه شبه فارغ .

أصوات

ـ هذى الابعاد
تَحرثُها الخيلُ
وَيَعْبُرُها الوجه المنفيُّ

● هذى الابعاد
جسرٌ يمتد لارض الريح
نسغٌ تتفتح كل قبور الأرض عليهِ
وتنبض فيْ

ـ هذى الابعادْ
تَتَمَتْرَسُ خلفَ صخورِ الغيبِ
وخارطةِ العبثِ الدموى

غناء جماعي

نَتَجَوَّلُ بين حدود التاريخِ
وبين حدود الاسطورةْ
وَنَشُدُّ لجامَ الموتْ

نحن الاصلُ
ونحن الصورةْ

نخرج من احشاء الكتب المهجورةْ
ونضيء حدود الوطن ـ البيتْ .

وصف خارجي

هذى الابعادْ

تَشُدُّ الأرضَ الى جيدِ الانسانْ
ترسم وَهْجَ الرؤيا
تَرَحَلُ في جسدِ الفرسانْ

المشهد السابع

● الكاميرا مثبتة على قمة احـــد الـــوديان، ومركزة بلقطة عامة على التلة المقابلة لها .

● الإطفال يدخلون الكادر عن بعد ، ويقفون على حافة التلة فى مواجهة الكاميرا .

● الأطفال ينحدرون الى الوادى ، والكاميرا تتابع الاطفال بحركة بانورامية من الاعلى الى قعر الوادى .

● حيث يصلون الى منطقة معينة فى قاع الوادى يتوقفون ، وَيُنزل الطفلُ الكيسَ عن ظهره .

● الكاميرا تبدا حركة « زوم باك » حيث تنتهي بلقطة عامة للمنطقة من اعلى ، مع الاعتناء ببقاء تحركات الاطفال واضحة بعض الشيء من خلال اللقطة .

● الطفل الكبير يشعل القنبلة ويلقي بها نحو مكان معين فى الوادى .

● الكاميرا فى حركة "زوم ان" مفاجئة وسريعة تنتهي بلقطة شاملة للمكان وهو يحترق .

● تثبت اللقطة .

وصف داخلي

من ظُلمةِ الأقْبِيَةْ
ومن فراغ الزمنْ
من جثة الأُضحِيَةْ
ومن بياض الكَفَنْ
نجيئكم خارجينْ

من كرنفال الختامْ
ومن غبار الحروبْ
ومن رَماد السلامْ

وصف خارجي

الحرب مزمورهم
والارض ايمانهم
والشعب ناموسهم
والبحر توراتهم

غناء جماعي

لكل عصر وصى
وإننا الأوصياء
لكل عصر شهيد
وإننا الشهداء

المشهد الثامن

● الكاميرا فىلقطة عامة موسعة ، من منطقة عالية مشرفة على المخيم .

● لقطات مكبرة للاطفال كل على حدة .

الطفل الأول يقف على سطح احد البيوت المطلة على مدخل المخيم .

الطفل الثاني يقف على الزاوية المقابلة لمركز توزيع المؤن .

الطفل الثالث يقف على سور مركز توزيع المؤن .

الطفل الرابع يقف خلف سور مركز توزيع المؤن ، وقد ارتدى معطفا كبيراً ، ويظهر من تعابير وجهه أنه يخبيء شيئا ما تحت المعطف .

● تتركز الكاميرا فى النهاية على الطفل الرابع ، ثم تبدا حركة "تلت اب" من الطفل الرابع الى الطفل الثالث ، ثم حركة "تلت داون" ثم حركة بانورامية استعراضية لشارع المؤن ، حتى تصل الطفل الثانى وتتابع حركتها البانورامية حتى تصـل البيت الذى يقف عليه الطفل الاول ثم حركة "تلت اب" اخرى حتى تتركز على الطفل الأول ، الذى ينظر باتجاه الشارع الرئيسي المؤدى الى المخيم .

● الكاميرا بلقطة عامة بعيدة نحو الشارع من وجهة نظر الطفل حيث نرى مؤخرة راسه تظهر فى مقدمة الكادر ، ثم تختفى ، وتبدا الكاميرا حركة "زوم ان" سريعة ومفاجئة نحو احد الباصـات الاسرائيلية ، وهويتقدم من مدخل المخيم .

● الكاميرا تتابع الباص وهو ينطلق باتجاه مدخل المخيم .

● لقطة مكبرة للطفل الأول يعطى اشارة ما .

● لقطة للكاميرا وهي تتابع الباص .

● لقطة للطفل الثالث وهو يضرب الباص بحجر .

● لقطة للباص يتوقف خلف السور

● لقطة للطفل الرابع وهو يشعل الفتيل

● لقطة للباص متوقفا

● لقطة للطفل يلقي القنبلة من شباك الباص

● لقطة للباص وهو يشتعل

وصف خارجي

تدورُ الشوارعُ دورتها كالفصولْ
ويصهلُ فيهم دَمُ القُبّراتِ
أرصفةُ النفي
فوضى اللغاتِ
هزيعُ النهارِ الأخير
وَنَوْحُ الغرابِ - المذيع -
على قبرِ شعبٍ قتيلْ

ويجذبهم أَلَقٌ خارِجٌ بالمناديلِ
من عُرس بيروتَ
والقناديلِ
من جُرح عَمّانَ
والمواويلِ
من صدرِ جامعة خَضَّبَتْها
دماءُ الخليلْ

وصف داخلي

نحملُ النارَ للماءِ
والرعدَ للبرقِ
نحمل الخندقَ المتراجع فى الجبهاتْ
والغضب المتجول فى الطرقاتْ
نحمل الحلم للعينِ
والعينَ للبندقيةْ
ونخترعُ الابجديةْ

أطفال.. وحجارة.. ومولوتوف

المشهد التاسع

● الكاميرا فى لقطة عامة موسعة لاحد السجون من الخارج .

● الكاميرا تتقدم من احد ابواب السجن بحركة "زوم ان" بطيء .

● تبدأ من الباب حركة بانورامية للداخل وتتابع حركتها البانورامية ، حيث تدخل الكادر وجوه الأطفال الأربعة وتختفي تباعا وهى تنظر الى الكاميرا بتصميم وأمل .

● تتوسع اللقطة بحركة "زوم باك" حتى وجوه الأطفال الاربعة ، وتثبت اللقطة .

غناء فردى

الورودُ الصغيرةُ تكبر قبل الاوانْ
والورود الكبيرة تذبلْ
ولكن حب المحبيّنَ نهر يجيء من اللامكانْ
ودربُ المحبيّنَ لا يتحولْ

وصف خارجي

هنا ولدٌ عابثٌ
يخربش بعض الكلام
ويرسم فى أول السطر وردا
وفي اخر السطر بعضَ البنادقْ
وتخرج من صدره طفلة لا تنامْ
تراوده فى الهزيع الأخير من الليل عن حلمه الغضْ
وتبحث عن جسد ضائع بين هذى الخنادقْ

وصف داخلي

ما بين جرح فلسطينَ والطفلِ خارطةٌ للعذابِ
وخارطة للتَمنّي
وهذى فلسطين تخرج من جرحهم
تطوف البراري بحثاً عن الخبزِ والماءْ
وترجعُ طاويةً فى المساءْ

غناء فردى

تمنيتُ ان استريح
ولكنها فى دمى مهرةٌ لا تَملُّ الصهيلْ
وما زال دربى طويل
وبين دمى والوصول ، الموائدْ
وأخر ما زَيَّفَتْهُ الجرائد

غناء جماعي

ساحِلُ البحر انا
أم حصادُ الأسئلةْ
أم عبورُ الضوءِ فى رحم الخلايا المقفَلَةْ ؟

هل يجوع القلبُ
لو غنى وحيداً
فى انتظار القافلةْ ؟

هل يخونُ الماءُ احلامي
فيجرى
فى عروق المدن المُنْخَذِلَةْ ؟

من لماءِ الحوضْ
عندما يتكىء الماضىْ
على سيف المجانينْ
ويرمى
جثة العصر بوجه السَّابِلَةْ ؟

كيف أعْطي النارَ
للافق
وللحقلِ الرُّؤى
ولطقسِ اللغةَ المرْتَجَلَةْ ؟

كيف اعطي الأرض تاريخي
وأعرافى
وأهدى
لِدَمِ الشَّعْبِ
رؤوسَ القتلةْ

المشهد العاشر

● الكاميرا فى لقطة علوية عامة ، من قمة احدى التلال ، مشرفة على سفح التلة

● الاطفال يدخلون الكادر ، ويصعدون التلة ، ويتعملقون كلما تقدموا من الكاميرا ثم يخرجون من الكادر .

● أخرهم يملأ الكادر ثم يستدير فى مواجهة الكاميرا حيث نرى العزم والتصميم على وجهه .

أصوات

– على جذعهم عَلَّقَ الشعرُ مِعْطَفَهُ
ومضي للبلادْ
كان نَسْغُ الجذورِ
يهزُّ الخلايا
ويشعلُ جَمْرَ الرمادْ

● على جذعهم عَلَّقَ البرتقالُ مواسِمَهُ
واتى
حاملا قبضة من ثَراهْ
لنراهْ

– على جِذعهمْ
علقت الأرض أثقالها واستوت واقفةْ
واستوى البحر بالأزرق الليلكي
يودّعُ امواجه الزاحفةْ

● على جِذْعهمْ
علق الوقت كل تواريخِهِ
وانثنى ساجداً
لم يكن عندما استاسد الموتُ
فى ساحة القتل
مُسْتَفْرَداً مُفْرداً

غناء جماعي

ها هُمُ الآن يمضون للارض
والأرض تاتى اليهمْ
ها هم الآنَ فى لُجَّةِ البحر
والبحر مِلْكَ يديهم
ها هو البرتقال يُخَبِّئُهُمْ فى الجذورْ
والشعر يحرق بالحزن أدْرانَهُ
ويضيء تفاصيلَهُ
ويثورْ

محمد الظاهر – عمان – الأردن

بقلم : الدكتور محمد البهي

"الجنة"

« مثل الجنة التى وعد المتقون : فيها انهار من ماء غير آسن ، وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين ، وانهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثمرات ، ومغفرة من ربهم ، كمن هو خالد فى النار ، وسقوا ماء حميماً فقطع امعاءهم » (محمد : ١٥) ..

إن منطق الدعوة الاسلامية فى القرآن الكريم يقوم على توضيح المفارقة بين المؤمن بالله والكافر به : فى الاعتقاد ، والسلوك ، ومدى التجارب فى علاقات الناس بعضهم ببعض ، وفى نوع الحياة فى الدنيا والمصير فى الآخرة .

فاذا ما يضع مثلا مصير المؤمن والكافر فى الحياة الآخرة موضع الموازنة فى قول الله تعالى فى سورة محمد : « مثل الجنة التى وعد المتقون : فيها انهار من ماء غير آسن ، وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين ، وانهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم .. كمن هو خالد فى النار ، وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم » (محمد : ١٥) .. اذا ما يضع مصير كل منهما هذا الوضع المقارن ، انما يفصل ما سبق ان ذكره فى هذه السورة من : وعد قطعه الله على نفسه فى قوله : « ان الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات : جنات تجرى من تحتها الانهار ، والذين كفروا يتمتعون وياكلون (اى فى الدنيا) كما تاكل الانعام والنار مثوى لهم (اى فى الآخرة) » (السورة السابقة : ١٢) ..

فهذه الآية ذكرت : ان الكافر فى الدنيا يسعى للاستمتاع بالحياة المادية ، والاكل مما تشتهيه النفس مما يؤكل فيها .. اكثر مما يستهدفه المؤمن فى سعيه فيها . بل ان الكافر قد يبالغ فى الاستمتاع بمادياتها ، على نحو : لا يعرف فيه لنفسه ضابطاً ، ولا يعرف لغيره حرمة ووجوداً ، كما يصنع الحيوان سواء بسواء :

« والذين كفروا يتمتعون وياكلون كما تاكل الانعام » . اما المؤمن فلان هدفه فى الدنيا : ان يباشر العدل مع غيره ، والاحسان فى صوره المختلفة الى الآخرين – فهو لا يشغل نفسه بتحقيق شهوات النفس ومتعها المادية بقدر ما يحقق المعانى الانسانية الكريمة فى العلاقات البشرية بينه وبين من عداه . ولذا : استمتاعه من ماديات الحياة الدنيا .. بقدر ما يكون لديه الطاقة على تحقيق هدفه الأسمى .

والحياة الدنيا هى مرحلة فى حياة الانسان – من جهة نظر الاسلام والمؤمن به – تليها مرحلة ثانية وهى مرحلة الآخرة . ومرحلة الدنيا اذا كانت مرحلة اختبار لمن يسعى فيها لتحقيق – شهوات النفس ومتعها وحدها – وهو ذلك الكافر – ولمن يسعى ايضاً ليشارك الآخرين ، وليكون معهم كما يكون مع نفسه ، وليقاسمهم حلوها ومرها على السواء وهو ذلك المؤمن .. فمرحلة الحياة الآخرة هى مرحلة جزاء لكل من النوعين .. هى مرحلة ثواب المؤمن ، وعقاب للكافر .

ولقد جاء فى وصف ثواب المؤمن هنا وهو ثواب الاقامة فى الجنة : « .. فيها انهار من ماء غير آسن (اى غير راكد ولا فاسد) وانهار من لبن لم يتغير طعمه (اى لا يعتريه التحول من حال الى حال كما هو وضعه فى الدنيا) وانهار من خمر لذة للشاربين (اى لا تؤدى الى ذهاب العقل ، ولا تسبب صداعاً ولا غثياناً ، بل هى متعة صافية لمن يشربها) وانهار من عسل مصفى (اى ليست به شوائب غريبة عنه) .. » ومعنى هذه الأوصاف فى تحديد الجنة : انها بها من المتع المادية ما يفوق متع الدنيا فى : الكم ، والكيف معاً . فهى تجرى فى انهار ، وليست فى قوارير . وهى لا يعتريها اى فساد ، أو تحول فيما هى عليه ، كما لا تؤدى الى اى ضرر على المدى القريب أو البعيد . كما هو شان ما فى الدنيا من هذه المتع .

وبالاضافة الى هذه المتع المادية الكثيرة فى حجمها ، والجيدة فى نوعها هناك متعة اخرى بعدها تفوقها فى كل مالها من خيرات ، وهى متعة معنوية . وتلك هى رضاء الله وغفرانه : « ومغفرة من ربهم » .

وجاء كذلك فى وصف عقاب الكافر وهو عقاب الاقامة الدائمة فى النار : « كمن هو خالد فى النار ، وسقوا ماء حميماً (اى اشربوا ماء شديد الحرارة) فقطع أمعاءهم » . فالكافر يعيش فى نار وفى داخل بطنه ماهو يشبه النار ، وهو الماء الشديد الحرارة .

وفى التقابل بين ثواب المؤمن فى آخرته – مع ما قد يتعرض له من حرمان فى دنياه من متعها من جانب – وبين عقاب الكافر فى اخراه ، مع ما قد يستمتع به من متع الحياة الدنيوية المادية حتى يصل الى مستوى الحيوان فى الافراط من جانب آخر .. فى هذا التقابل بين الوضعين : يؤثر العاقل حتما من غير شك وضع المؤمن ، مهما كلفه ايمانه من مشقة فى حياته الدنيوية فى سبيل ايمانه . والوقوف بنفسه عند حسن السعي ، ويعنى مع ما تعنيه الآية هنا : مثل الجنة التى وعد المتقون ليست كمثل النار التى يخلد فيها الكافرون .

شاعر يعود مع «عصافير المسا»

وديوان جديد يثير قضايا ساخنة

حوار: مريم آل سعد

« ... ، هنالك عطش رمال الخصوبة
على وهج الشمس عند الظهيرة ..
تنوء ، تئن ، وتنشق نصفين بذره ..
فتبتسمين قليلا ، أراك ، واحيا التوهج ، أفرح ،
لا أستطيع ، فابكي .
لعل النخيل راتك انبثاقا خطيراً ، وانت
هنا فى الخليج .. تحلين شعرك عند الشواطىء
تغتسلين بماء الخليج ، وعطر الجباه الوضيئة » .
(اضاءة لذاكرة الوطن)

● ● ●

« حط الجرح فى الجرح
واصبر على مايه
صبر النخيل لي طلع
بين العطش والنار
هذا زمان صعب
العيش فيه امرار
والموت ما ينبغى رخص بلا غاية »
(عصافير المسا)



غلاف ديوان عصافير المسا للشاعر على عبد الله خليفة

الشاعر علي عبد الله خليفة يصدر ديوانه الجديد (عصافير المسا) باسلوب جديد ، ليس الأول فى الوطن العربى لكنه اسلوب ينفرد بمميزات لم تتوفر لغيره .

هذه التجربة الجديدة عبـــارة عن « البوم » يحوى الديوان برفقة أربعة اشرطة (كاسيت) مسجلة بصوت الشاعر وهو يلقي هذه الأشعار بمصاحبة موسيقى وضعت خصيصاً لتناسب طريقة ادائه . هذه الموسيقى وضعها خمسة من أبرز ملحني الخليج ممن تتمثل فى الحانهم الاتجاهات الفنية الرئيسية فى الموسيقى الخليجية الحديثة ، وهم : غنام الديكان ومرزوق المرزوق (الكويت) ، احمد الجميرى وخالد الشيخ (البحرين) عبد العزيز ناصر (قطر) واخرج العمل بالمؤثرات ،نجدات المحتسب .

الشاعر علي عبد الله خليفة صوت طليعى من (البحرين) كانت له تجاربه الشعرية بالفصحى وباللهجة العامية ، والتى تضمنتها دواوينه الثلاثة :

● أنين الصوارى ـ ١٩٦٩ .
● عطش النخيل (بالعامية) ـ ١٩٧٠ .
● اضاءة لذاكرة الوطن ـ ١٩٧٣ .
● واخيراً ديوانه الجديد عصافير المسا ـ ١٩٨٣ .

وقد أسهم بجهد رئيسي فى تاسيس (أسرة الأدباء والكتاب) بالبحرين عام ١٩٦٩ . وتولى تاسيس (دار الغد للنشر والتوزيع) بالبحرين عام ١٩٦٤ وهى الدار التى حملت عبء اصدار خمسة وثلاثين مؤلفاً معظمها لمواهب شابة تطرق باب التاليف والنشر لأول مرة ، وهى الدار التى ماتزال تصدر المجلة الأدبية الفصلية (كتابات) منذ علم ١٩٧٦ ، وهو بعد ذلك المشرف على تاسيس مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية المنشا حديثاً بالدوحة .

أما ديوانه الجديد (عصافير المســا) بالعامية ، فقد جاء بعد انقطاع دام عشر سنوات عن النشر وليس عن الكتابة (كما حدثنا الشاعر بعد ذلك) .

لماذا الشعر مسموعاً

● عن الديوان الجديد يحدثنا على عبد الله خليفة :

● ● كما هو معروف . فان الشـــعر العامي مسموع اكثر منه مقرؤ ، وهناك

● شريط « الكاسيت » تطور خطير فى وسائل الاتصال ● ● كان القارىء ، يقصد المكتبة لشراء الكتاب ، فأصبح على الكتاب أن يذهب اليوم إلى القارىء ● ● ماذا أملك ؟ : قصيدة تقفز من دمى ساخنة ، وتجلس أمامى بالعامية على الورق ؟ ! ● ● ● ● الاغراق فى الرمزية صفة ذميمة فى العمل الفنى ، ومدعاة لفشله وموته ! ● نشأت فى بيئة بحرية وسط عائلة تمتهن صيد اللؤلؤ ، وكان للموال مكانة خاصة فى بيتنا ! ● ● بيد الجاهل ينقلب التعبير بالعامية إلى نار تحرقه وتحرق كل الذين حوله ! ● ● ● الكتابة بالعامية ارتبطت فى بعض البلاد العربية بدعوات مشبوهة للنيل من الفصحى ● ● ● ● القصيدة ليست مقالا صحفياً ولا نشرة أخبار !



علي عبد الله خليفة



غنام الديكان



مرزوق المرزوق



احمد الجميرى



خالد الشيخ



عبد العزيز ناصر

بعض العقبات التى تصادف كتابة المفردة العامية عند رسمها على الورق ، لكونها تحتوى حروفاً ليست موجودة فى اللغة العربية مثل حرف (چ) وهو الكاف المشنشنة او ما يعـــادل لفظـة (G) بالانجليزية ، وحرف (ك) الفارسي الذى يعادل نطق الجيم المصرية او الـ (J) الانجليزية .

طبعاً لا توجد صعوبات تحول دون رسم هذه الحروف ، لكن نطق الكلمة مشتملة عليها فى سياق الجملة الشعرية يَشْكُلُ فى بعض الاحيان على القارىء الذى لم يعتد قراءة هذا اللون من الشعر . واذا اخذنا مبدأ ان التعبير شعراً بالعامية فى الظروف الحالية للمجتمع يصل الى قطاع عريض من الناس فى القطر الواحد ، يتلقفه ويتفاعل معه فانه من الاجدى ان يقدم له هذا الشعر مسموعاً وفى أرقى درجات الجودة الفنية من حيث الاداء واختيار المؤثر المرافق وطريقة الاخراج والتسجيل . وهذا ما حاولت ان اقدمه فى هذا العمل الجديد مستخدماً (شريط الكاسيت) .

وشريط (الكاسيت) تطور خطير فى وسائل الاتصال والتوصيل وهو اداة مهمة لشتى انواع الفنون فى عصر اتسم فيه الانسان بسرعة تقبله وتاقلمه مع المعطيات الجديدة لتطور صناعة المعدات الالكترونية بحيث صار من السهل على الانسان ان يستمع الى المادة المسجلة التى يريدها فى اى وقت وباى مكان وبجهد لا يكاد يذكر .

إن عصرنا هذا هو عصر انقـــلاب المعايير وتغيير المواقع ، فقبل ذلك كان القارىء يقصد المكتبة لشراء الكتاب ، فاصبح الكتاب الآن هو الذى يجب ان يذهب الى القارىء .. عليه ان يتواجد فى اماكن مروره مع المجلات والجرائد فى الاكشاك ، فى البقالات وفى (السوبر ماركت) عله يحظى بالتفاتة ، لذلك من الأجدى لدواوين الشعر الجيدة ان تسجل على الكاسيت والفيديو وتنتقل الى المكان الصحيح ، عل كلمة طيبة تصل من بين الغثاثة ومعدات الغزو الذكية .

ويضيف شاعر « العطش والنخيل » : بالنسبة لتجربة (عصافير المسا) مع الكاسيت ، فليست الأولى من نوعها ، سبقتها تجارب شعراء الفصـــحى اللبنانيين على اسطوانات فى اواخر الستينات وكذلك تجربة شاعر العاميـة العراقى الشهير مظفر النواب فى أوائل

شاعر يعود مع «عصافير المسا»
وديوان جديد يثير قضايا ساخنة

السبعينات ، وغيرهم . قدموا الكثير من الشعر مع خلفية موسيقية اعتمدت المختارات الموسيقية العالمية أو التسجيلات الجاهزة لاحدى الآلات الشرقية المنفردة كالعود والناى والقانون . الجديد الذى اقدمه الى محبي الشعر العامى فى الخليج هو هذا العمل الفني الجماعى لخمسة من ابرز ملحني الخليج ، الذين استمعوا الى مادة الديوان مسجلة واختص كل واحد منهم بقسم منها ليضع لحنا خاصا يصاحب المعنى ويعبر عنه وبالتالى يناسب اداء الشاعر . فجاءت الحانهم لتعبر فى الجانب الآخر عن الاتجاهات الفنية الحديثة فى تلحين الكلمة بمنطقة الخليج ، فلاول مرة يتعامل الملحنون المحليون مع الكلمة المؤداة القاء وليس غناء ، فوظفوا اقصى قدراتهم الفنية فى تقديم مادة جديدة فجاءت الحانهم متمايزة ومتنوعة .

عبد العزيز ناصر (قطر) استخدم فى الحانه الآلات الشرقية العريقة ووظف جملا موسيقية من التراث الشعبى عمقت الاحساس بالظما الذى حاولت ان تعبر عنه الكلمة . احمد الجميرى (البحرين) حور ايقاعات اغاني البحر الخليجية بالاتها التقليدية المعروفة ومزجها بانغام العود وادخل عليها صدى الحداء البحرى المعروف باسم (النهمة) ، وغنى بعض المقاطع ، فكأنه أراد أن يجعل من اشعار الحب فى الديوان اختزالا لقصص العشق التى عاشها بحارة الخليج . غنام الديكان (الكويت) أبرز قدرات نغمية غير عادية لآلة العود حين تمزج بانغام الأرغن ليعبر بذلك عن التدفق الساخن لمخزون الذاكرة وهى تنزف من جرح الحاضر مستحضرة الرعشات الاولى للحياة وهى تنبض فى صور الطفولة .

مرزوق المرزوق اعتمد آلة عربية بالغة الحداثة ليوحي باجواء البوح والمناجاة الحميمة ومعانى الاستغراق والذوبان ومشاعر التقاء النهر بالمصب . خالد الشيخ غنى بصوته بعض المقاطع ووظف مجموعة رائعة من الآلات الموسيقية واستثمر قدراتها النغمية كمؤثر يهيىء للمعنى ويصاحبه ، واعطى لكل آلة دوراً قصيراً لكنه شجي ومهم فى بناء هارموني رائع ، أوحى بجو التضاد - الذى عبرت عنه القصائد - بين ما يحلم به الانسان ويتشوق اليه وبين ما هو واقع ومعاش .. جو هموم ومعاناة الضغوط اليومية فى حياتنا المعاصرة ونحن نجتاز الطريق الصعب .. طريق الصدق مع النفس .

المهم التعبير بصدق

● يحدثنا الشاعر على عبد الله خليفة عن تاصل الروح الشعبية فى لغته الشعرية وعن ذلك الامتداد الراسخ الضارب الجذور فى أرض انتمائه الحقيقية ، والمتلون بطقوسها الفطرية .

● ● يقول شاعر الغوص والنخيل :
تراث الشعر العامي فى الخليج والوطن العربى تراث عريق واصيل ينتمى اغلبنا الى جذوره البعيدة ، وهو تراث مؤثر فى حياتنا الى اليوم . والانسان كما هو معروف ابن بيئته ونتاج ظروفه . فلقد ولدت فى بيئة شعبية وعشت فى بيت يحتفى بالشعر الشعبى ، وقد ساعدت ظروف عديدة على أن يكون اغلب الذين حولي منذ الصغر من حفظة ورواة الشعر والمولعين بترديده ، فنشات ووجداني مشبع بالمعانى والصور الجميلة التى تلتقط بحسها الرائع ابسط ما فى الحياة لتصوغه شعراً بالغ التاثير بالعامية ، لذا كانت محاولاتي للكتابة بالعامية ابكر من محاولاتى للكتابة بالفصحى ، وباحساس خال من اى تعقيد وجدت نفسي ازاوج فى الكتابة بين العامية والفصحى . عند الكتابة احس بانني اتنفس تنفسا طبيعيا ولا يهمني أن كان الهواء الذى اتنفسه هواء الغرفة الصغيرة أم هواء الفضاء الواسع . المهم عندى هو أن اعبر بصدق عما احسه .

أعلم جيداً بان الكتابة بالعامية ارتبطت فى بعض البلاد العربية بدعوات استعمارية مشبوهة للنيل من الفصحى ، وأعلم جيداً بان الكتابة بالعامية لها محاذير كثيرة وعليها ماخذ اكثر ، لكن ما ذنبى ! فانا لم اختر اسمي ولم يكن فى مقدورى أن اتحكم فى لون عينى ، ماذا أملك أمام قصيدة تقفز من دمي ساخنة وتجلس امامى بالعامية على الورق ؟
لذلك من المهم أن نفصل وأن نحدد الأمور .

لابد أن نفصل موضوعنا عن الدعوات المشبوهة التى رافقت حركة الشعر العامي فى الوطن العربى منذ زمن والتى دعت الى نبذ الفصحى وروجت لاستخدام حروف غير حروفها . العربية هى لغة المستقبل ، لأنها لغة حية قادرة على التطور لما تتميز به من ثراء وقدرة على التجدد ، ولأن انتشار التعليم سيخلق أجيالا عربية مغايرة لأجيالنا المعاصرة . العامية التى استخدمها فى الكتابة ليست العامية السوقية التى تحفل بها نصوص الأغانى السائدة الآن ، وليست تكريساً لعامية بائدة . انها عاميتنا الحديثة التى نتعاطاها كل يوم وهى لغة وسط أقرب الى الفصحى منها الى العامية . ومنذ بروز اللهجات العربية كانت لغة الشعر العامي الاصيل فى أى قطر من الأقطار العربية لغة خاصة بمفردات مهذبة سلسة ، هل لغة الشعر النبطي هى بالضبط لهجة اهل البادية ؟ كلا ، انها لغة بمفردات وتراكيب خاصة لم تكرس المفردة السوقية لكنها عبرت ووصلت الى كل أهل البادية . هل لغة الموال الشعبى المعروف مطابقة للهجة السائدة زمان رواجه ؟ كلا ، للموال لغة خاصة بمفردات وتراكيب مميزة أرقى بكثير من اللهجة السائدة آنذاك ، لكنها مفهومة ، محببة ومؤثرة ، وتجرى على كل لسان .
والحقيقة انني لا اجيد التبرير ولا التنظير ولكنى اكتب شعراً يتلقفه الناس هنا ، يقراونه ، ويسمعونه ، ويعجبوا به ، فاحاول أن أؤدى ما يمكن لشاعر أن يؤديه من خلال اشعاره .

لهجة بلا مستقبل

● هذا يعني بان اللهجة العامية بلا مستقبل ؟ كيف اذن تحملها امانة نشر ابداعك وهى بهذه الدرجة من العجز ؟
● ● نعم ، اللهجة العامية بلا مستقبل

كل اللهجات العربية ستذوب فى الفصحى بعد حين ، بفضل التعليم وتطور درجة الوعي الثقافى وانتشار اجهزة الاعلام الحديثة ومدى تأثيرها على الناس . وما نكتبه الآن بالعامية قد يكون مؤثراً فى وقتنا هذا والى ما بعد جيل او جيلين حسب اعتقادى ثم تبقى منه بعد ذلك الأضواء الباهرة مثلما نحن الآن مع اشعار محمد العوني ، بديوى الوقداني ، ومحمد بن لعبون وعبد الله الفرج ومحمد الفيحاني وغيرهم .

ان المجتمعات الحديثة فى تطور سريع ومع هذا التطور تاخذ اللهجات نصيبها فتهمل او تسقط بعض المفردات لتحل محلها مفردات ومسميات جديدة وتهذب بعض التعابير وتعيد الحياة صياغة الكثير من التراكيب لتناسب مستوى المعيشة ومستوى الثقافة السائدين فى المجتمع وهذا ما يقرب اللهجات العربية إلى اللغة الام . ولان الأشعار العامية التى كتبت قبل مائتى سنة تحتاج من يشرح بعض مفرداتها للقارىء العادى فى زماننا هذا ، فان الأشعار العامية المعـــاصرة ستحتاج من يشرحها للقارىء الجديد الذى سياتى بعد زماننا . يكفى الشاعر هنا أن يكون معبراً عن ظروفه عن جيله عن زمانه . وارى ان اخلاص الشاعر لفنه قضية مهمة جداً ، واساس هذا الاخلاص هو الصدق فى التعبير ، حتى تبقى اشعاره – ان استطاعت – كمعبر حقيقى عن الزمان الذى ابتدعت فيه .

العامية اداة تعبير خطيرة ، ويجب ان تمارس بوعي . فهى بيد العاقل اداة توصيل تملك خاصية الانتشار السريع فتمد هذا السلك الساخن المتوتر بين المبدع وقاعدة عريضة من الجمهور المتعطش للكلمة ، وبيد الجاهل تنقلب العامية ناراً تحرقه اذا لعب بها وقد تحرق كل من حوله .

● ولكن تجربة (الرحيل عن البحرين) .. جوها مخيم على معظم قصائد الديوان ، واحساسك بالألم لهذا الابتعاد يبدو واضحاً من خلال كلماتك ..

● ● ارتباط الانسان بالمكان الأول ارتباط عاطفى جداً ، ومؤثر جداً ، انني منذ أن ولدت والى ما قبل ست سنوات لم اترك البحرين لأكثر من شهر واحد . لقد طابت لي الاقامة هنا فى الدوحة بين احبائي واهلى واصدقائى ورعاية كريمة من دولة قطر ، التى هى ودولة البحرين غرفتان فى بيت واحد . والانسان عندما ينتقل من بيت الى بيت تظل لديه ذكريات المنزل الأول ممتدة دهراً ويظل ارتباطه قوياً بحجارته .. حتى بذرات رمله وبرائحة الحياة فيه ، البحرين وطنى الصغير .. قريتي .. بيتي .. غرفتي ، والمسافة بين قطر والبحرين لا يسمى عبورها القصير رحيلا . وفى ديوانى الجديد قصيدتان فقط بهذا المعنى كيف اوحتا لك بان معظم قصائد الديوان بهذا المعنى ؟

الاغراق فى الرمزية

● الملاحظ ان البساطة التى تصل الى درجة المباشرة فى ديوانك الأول (انين الصوارى) تحولت الى جنوح نحو الرمز والغموض فى (اضاءة لذاكرة الوطن) فهل يكفى الاعتماد على النقاد لتفسير هذه الرمزية المغرقة ام انها تجربة وقع فيها معظم الشعراء المحدثون وكان لابد ان تمر بها ؟ ..

يبدو أن السؤال لم يرضه تماماً .. اذ اجاب بلهجة يحاول فيها توضيح ما يمكن ان يغمض فى الموضوع :

● ● بملاحظة اولية (انين الصوارى) صدر فى الستينات و (اضاءة لذاكرة الوطن) فى السبعينات ، وهذا يعني ان عشر سنوات تفصل بين هذا الشعر وذاك .

بعد هذه السنوات العشر اذا كتب الشاعر بنفس الأدوات الفنية وبنفس الجو والروح . فذلك يعني انه لم يطور قدراته الفنية ، ولم يقو لغته الشعرية ولم يضف جديداً الى تجربته .

● لكننا هنا نقصـــــد الاغراق فى الرمزية ؟

● ● الاغراق فى الرمزية صفة ذميمة فى العمل الفنى ، ومدعاة لفشله وموته . والقصيدة كائن حي بحاجة الى التواصل مع الآخرين ، والرمز المغلق المستعصى على الفهم يحول بينها وبين المتلقي . لكن الرمز كاداة فنية يجب الاينظر اليه نظرة سلبية اذا استخدم بدرجة معقولة ، فهو اداة فنية متطورة حققت للقصيدة العربية انجازات ابداعية راقية . اعتقد بان الاغراق فى الرمز جاء فى الشعر العربى الحديث بشكلين : الاول مفتعل ، جاء بهدف تغطية ضعف الموهبة السائد على ساحة الشعر العربى وستر العيوب الفنية فى التجارب الشعرية المبتسرة ، والثانى ابتدع لتكثيف المعانى واختزال الصور وجاء تعبيراً عفويا عن مدى التعقيد الحاصل فى كل جوانب الحياة والمؤثر بالطبع على نفسية الشاعر ، مما جعل الكثير من نتاج الشعر الحديث غامضاً او غير مفهوم .

الرمز الفني الذى يخدم القصيدة هو الرمز الشفاف ، الرمز الذى يومىء الى الشىء ويوحي به .. يغني المعني ويعمق ابعاده ، والشعر تالق فني يحتاج الى ثقافة عالية والى مقدرة فذة فى التعبير ، واللغة التى هى اداة الكتابة وطريق التوصيل احدى المؤشرات التى تتاثر بقوة المقدرة الفنية او ضعفها . انا ضد المغالاة فى الرمز لكن تطور الحياة يفرض على القارىء العادي ان يزيد من ثقافته وان يكون لماحاً يقتنص الومض . فالقصيدة ليست مقالا صحفياً ولا نشرة اخبار .

هناك فرق اكيد بين ديوانى الأول وديوانى الثالث لكن هذا الفرق ليس مغالاة فى استخدام الرمز وانما هو محاولة جدية للاستفادة من المنجزات الفنية التى حققتها القصيدة العربية الحديثة .

الموال فى الشعر الخليجى

● كيف بدا شغفك بالموال والى اين وصلت معه ؟

(للشاعر تجربة رائدة فى فن الموال الشعبى ، يقول فى ديوان « عطش النخيل ») :

وين اشترى لك دوا .. ماحد يبيع بلاش
وبلاد ما ينطفي فيها الظما تبلاش
حظ الوفى ينكسر ويقوم حظ اللاش
وين اشترى لك دوا والكل فى شانه
مات النخل باولد والأرض عطشانه

شاعر يعود مع «عصافير المسا»

وديوان جديد يثير قضايا ساخنة

وجروح عمرى كثرت ما صاد نيشانه
اصنع لجرحك دوا ما من دوا ببلاش

● ● الموال كاحد فنون الشعر الشعبى انتشر انتشاراً عظيماً واستخدم بكثرة فى اغانى وأهازيج البحر فى الخليج . البحر كان كل حياة الناس على امتداد الشريط الساحلى لمنطقة الخليج العربى ، وقد نشأ الموال (الزهيرى - السباعى) المتعارف عليه ، فى جنوب العراق بين الفقراء والفلاحين وانتقل الى عمال البحر فى بقية مناطق الخليج فانتشر وازدهر فى هذه البيئة وعشقه عامة الناس لكونه مقطوعة شعرية محدودة الطول فيها قوة واحكام ، تعتمد الجناس اللفظى والقفلة (البيت الأخير) القوية التى غالباً ما تسير مثلا بين الناس أو حكمة وموعظة .

وقد ابدع الشعراء الشعبيون فى تحميل الموال كل هموم وأحزان وآلام الناس حتى اذا ما ارتفع صوت المغنى به انفجر فى قلوب السامعين خليطا من المشاعر واكتظت الذاكرة بصور ما لها آخر .

لقد نشأت فى بيئة بحرية ، وسط عائلة تمتهن صيد اللؤلؤ ، وكان الموال موجوداً فى البيت .. له مكانة خاصة .. يحفظ ويردد ويغنى ، فيترك اثراً بليغا على النفس . ظللت متشبعا بهذا الجو الشعرى .. اعشق الموال مشدوداً اليه ، الى ان تطورت بي الأمور بعد ذلك فجمعت شيئاً من نصوصه المحفوظة لدى افراد العائلة .. والجيران وغيرهم ، هذا التشبع وهذا الشغف افرز تجربة شعرية متواضعة لدى فبعد (انين الصوارى) وفى عام ١٩٧٠ وجدت اني بعفوية أعبر عن احدى تجاربي الشعرية مستخدماً الموال بمواصفاته التقليدية المتعارف عليها . قادني ذلك الى كتابة اكثر من موال ، كنت متردداً ، لكننى احسست بتجاوب الناس وشغفهم ومدى تاثير هذا اللون على نفوسهم فاذا كل ما اردت التعبير عنه فى تلك الفترة ياتي مواويلا ، ضمنتها بعد ذلك مجموعتي الشعرية المسماة (عطش النخيل) .

الموال بشكله الفني التقليدى مؤثر جداً على نفسية ابناء الخليج ومازالت مكانته باقية ، لكن الموال يحتاج الى (صنعة) دقيقة لا تتاتى ادواتها كل حين ، فالى جانب لحظة الالهام الشعرية فانه يتطلب جزءاً غير قليل من الوعى ، حيث لابد للموال من الجناس اللفظى فى آخر كل شطر وهو صنعة لغوية تتطلب حضوراً وتصرفاً فى ابداع الكلمة . فى بعض الأحيان يكتب الموال نفسه دون صنعة أو عناء لكنه فى اغلب الأحيان يحتاج الى تدخل فى عملية الابداع للسيطرة على التركيبات اللغوية التى تتطلب اجتهاداً وصنعة . وذلك مما يحد من استخدامه الآن ويقلل من امكانية تضمينه التجارب الحديثة .

وللموال مفردات خاصة .. بل لغة شعرية خاصة لا تتهيا كل وقت ، ولقد حاولت كسر اللغة التقليدية للموال والخروج من اسر الروح التى بثها فى نفسي شغفى به وذلك للتعبير عن معاناتى الانسانية المعاصرة . ولقد احسست بعد (عطش النخيل) بان القصيدة التى اكتبها بالعامية لا يحتملها الموال ، ووجدت بان تعبيرى الشعرى بالعامية يخرج من يدى مبتعداً عن الموال لياخذ شكل القصيدة الحديثة .

عشر سنوات من الصمت

● يقال : « بان علي عبد الله خليفة » الشاعر والناشر قد اختطفه العمل الادارى على حساب شاعريته وفنه وخطواته الرائدة فى النشر ما قولك ؟

● ● الطيور المغردة قد تبدل ريشها ، أو تترك أعشاشها وتغير مواقعها أو طريقة تعاملها مع الريح عند الطيران لكنها لا تهجر الغناء ولا تفقد خاصية التغريد حتى ولو طال صمتها .

● منذ عشر سنوات لم تنشر شيئا ..

● ● أنا بطبعي شاعر مقل ، وقد اقتنعت بان انشر على الناس افضـــل ما اكتب فقط وليس كل ما اكتب . لذلك أعامل قصائدى عند النشر بصرامة فالغى وأمزق كثيراً منها . مجموعتي الشعرية الأولى (انين الصوارى) ضمت قصائدى للفترة من ١٩٦٣ - ١٩٦٩ ، تجربة الموال فى (عطش النخيل) عام ١٩٧٠ كانت ثمرة علاقة حميمة بهذا الفن منذ مدة ليست بقصيرة . الشعر عمل ابداعي ، ولحظة الكتابة عندى لحظة غير عادية ، وليست فى متناول يدى كل حين ، ولست بقادر على استحضارها متى اردت ، انني اخلص كثيراً لهذه اللحظة الدقيقة التى تدعوني فيها القصيدة فتتجسد المشاعر والاحاسيس كلمات على الورق .

العمل الادارى ليس سهلا تاثيره ، واشعر بتفاهة كل شيء فيه امام عظمة الشعر ، وقد اثر العمل الادارى على قراءاتى ومطالعاتي الادبية . واثر فى طريقة الاستفادة من الوقت ، لكن العمل الادارى ليس جديداً علي فلقد بدأت حياتى العملية بادارة الجمارك والموانيء ، ثم مارسته بدار الغد للنشر والتوزيع بالبحرين . الشعر عملية استجابة لمؤثر داخلي يطغي على الشاعر اينما كان وكيفما يكون .

● المعروف - خليجيا وعربيا - اهتمامك بالتراث الشعبى . ما هى طموحاتك فى هذا المجال ؟

● ● للاسف انه ينظر الى منطقة الخليج والجزيرة العربية على انها فقط منطقة نفط وغنى وسوق لاستهلاك احدث منتجات الصناعة الدولية ، والحقيقة ان هذا الجزء من الوطن العربى عريق فى الحضارة والتاريخ ولن يتاتى لنا تغيير هذه النظرة الا بالرجوع الى الجـذور والمكونات الاولى بحثاً عن منابع اصالتنا ورصد الابداعات المتعددة للناس التى عاشت على هذه الأرض ودراستها ورفد المناسب منها بحياتنا المعاصرة . وبرغم كل المصاعب فاننا نطمح فى ان توفق التجربة الخليجية فى دراسة أشكال ومضامين التعبير الشعبى للمنطقة كجزء من الوطن العربي وذلك بعد جمعها وتدوينها وتوثيقها بأسس علمية سليمة .

مريم آل سعد

خواطر تسر الخاطر

بقلم : زكريا تامر



أوّل من أكل وآخر من شبع

قالت الصحافة العربيــــة ان قائمـة المرشحين لجائزة نوبل للادب هذا العام قد تضمنت مئة اسم لأدباء من شتى بلدان العالم ، وان اسم الشاعر ادونيس كان من بين تلك الأسماء ، ولكن قرار الأكاديميـة السويدية بمنح الجائزة للروائى الانكليزى جاء مخيباً للآمال ، وهزيمة للادب العربى الحديث لا تقل عن هزيمة الخامس من حزيران .

ومن المؤكد ان الأكاديمية السويدية لو علمت بدور ادونيس فى تطـور مسيرة البشرية والادب لما ترددت لحظة فى منح جوائزها كافة له .

وفيما يلى لمحة موجزة عن دور ادونيس وهى لمحة تنبه وتحذر :

– لقد طرد الانسان من الجنة لأنه لم يطع تعاليم ادونيس الداعية الى تجاوز الأشكال والمحتويات التقليدية فى التراث ، واطاع ارشادات افعى تؤثر العبــودية الوديعة .

– عندما رغب ابناء آدم فى أن يعلموا ما اذا كان الطوفان قد انحسر عن الارض ، لم يسارع احد الى تلبية رغبتهم ، فتحول ادونيس الى حمامة بيضاء ، وطار ليعود حاملا فى منقاره غصن زيتـــون اخضر وبطاقات مجانية لركوب الطائرات الى مؤتمر ثقافى يعقد فى بلد اجنبى .

– ادونيس غفر الله له لم يكف طــوال تسعة اشهر وهو لا يزال جنيناً فى بطن امه عن القاء الخطب البليغة المنددة بالبنية الثقافية العتيقة . محرضاً على الثورة الثقافية ، ومطالباً بتاسيس ادب جديد ذي سيادة واسياد غير مرئيين .

– لمــا اصيب الكــاتب الـــروسى دوستويوفسكى بداء الصرع ، وتكاثرت عليه الديون ، وامسى عاجزاً عن كتابة رسالة من سطرين ، بادر ادونيس الى مساعدته ، وكتب رواية «الاخوة كرامازوف» وغيرها من الروايات ، وسمح له أن ينشرها باســمه حانياً عليـــه حنو أم رؤوم ، فالانسان يظل اخاً للانسان مهما اختلفت البلدان ومهمـــا تناقضت العقــــائد والايديولوجيات والانتماءات .

– لما اجتاح المغول والتتار مدن العالم فى موجة دمار لا تقاوم ، نمى الى سمع ادونيس نبا ما يجرى ، فنهض واقفـاً ، وتمطى ، وتثاءب ، ثم شهر سيفه ، وانطلق نحو المغول والتتار ، المعادين للحداثة فى الادب وحـــاربهم كالليث الهصـــور ، واجبرهم على الفــرار الى اخر الدنيــا والاختباء فى الكهوف مرتجفين ارتجافاً يفوق ارتجاف امواج البحــر فى شــتاء عاصف .

– اشفق ادونيس على قرائه ، فابتكر النوم والوسادة ، فنام من نام نوماً طويلا بينما ظل اصحاب المصـــلحة مفتوحى العيون يحرسون مصالحهم .

– كان ســقراط وابو قراط وافلاطــون وافلوطين وداروين ولبلبــــة وفرويــــد وشبنجلر تلاميذ لادونيس ، ولكنهم اكلوا ما على مائدته من زاد ، ثم ركلوهـــا فقابل جحودهم بابتسامة متسامحة ، واثقاً بان عزاءه يكمن فى للممارسة الابداعية فقط .

– دحر ادونيس الصليبيين ، ولم يعن بتصحيح كتب التاريخ الزاعمة ان صلاح الدين الأيوبى هو الذى هزمهم ، فادونيس تعود اداء واجبه القومي بصمت وتواضع ، بعيداً عن الأضواء ، غير مطالب باي ثمن !

– اخترع ادونيس القنبـــلة الذريــة لاستخدامها فى تقويض البنية القديمة ومحو الأنظمة التى تجعل الكاتب يفكر ويكتب ضمن حدود وشروط وقيود . فسرقت امريكا القنبلة لتبيد مدينتين يابانيتين مملوءتين بالمعجبين بادونيس .

– غضــب على هتلر بعـــد أن شاهد رســومه الخالية من التطــور والتطوير ، وأمره بصوت صارم بالانتحار ، فامتثل هتلر للأمر ، وانتحر بغير اسف وندم ، مؤمنا انه نال عقاباً يستحقه .

– الف بيتهوفن سيمفونيته التاسـعة تمجيداً لنجاح ادونيس فى اقنـاع الديوك بالزواج من الدجاج ، فعرف الناس آنذاك البيض المسلوق والبيض المقلى والبيض المشـوى والبيض النيء المسـتخدم فى التظاهرات الجماهيرية غير العربية .

– هدم ادونيس الباستيل بيد واحـدة بينما كانت يده الأخرى تكتب التنظيرات لقصيدة النثر وتبنى مستشفيات للأطفال فى زنجبار ، وترك المقصلة تهوى على عنق ماري انطوانيت تاديباً لها لكونها مناوئة للهيام بالهدم الذى هو هيام بالابداع .

– شـجع ادونيس شكسبير على كتابـة المسرحيات ، ولم يقطع عنـــه النصـــح والارشاد إلا بعـــد أن وثق بان سعد الله ونوس الذى سيولد فيما بعد لن يتفـوق عليه .

– علم ادونيس ابا حيان التوحيدى القراءة والكتابة ، غير ان التوحيدى كان ناكراً للجميل ، ولم يعمل بالمثل القـائل : « من علمنى حرفاً كنت له عبداً » .

– وضـع ادونيس يده على راس نيتشه الأمى ، وقال له بلهجـة آمرة : « اكتب » ، فكتب نيتشه كتابا عنـوانه « هكذا تكلم ادونيس » ، ولكن الناشر كان شوفينياً متعصباً لقوميته فغير العنوان ، وجعله « هكذا تكلم زرادشت » .

– أول من قال ان الارض كروية قولا مدعماً بالأدلة العلمية التي تدحض كان هو أدونيس ، كما انه هو الذي اكتشف أمريكا ومطاع صفدي لا كولومبوس كما تزعم الدوائر الامبرياليـــة .

– وادونيس هو الذى اخترع المحراث والنار والسيارات والقطارات والطائرات والسفن والبنسلين والاسبرين والكوكاكولا والنرجيل والكلينكس ، وهو الذى عشقته عبلة ولم تعشق عنترة ، فلم يعرها أدنى اهتمام ولم يمنحها نظرة ايماناً منه ان احلال التامل العميق والخلق محـــل الطقوس الذهنية الأرثية والشعوذات الفكرية التقليدية التكرارية ياتى أولا فى جدول أعمال زعماء الأدب الحديث الرواد ، أما قضايا العشق والغرام والوصال فهى بند محذوف باستمرار .

فهل ستسارع الأكاديمية السويدية بعد هذا التنويه القصير العاجل الى تصحيح اخطائها أم انها ستستمر فى ضلالهـا المبين ؟

عالم البحار

مخلوقات قاتلة وسامّة ومضيئة!

بقلم: غـازي جـاده

يزخر البحر، على نحو لا تضارعه فيه اليابسة واجواؤها، بضروب لا تحصى من المخلوقات الحية التى لا تخلو من غرابة فى منظرها وسلوكها البيئي الحياتي، وتتنوع مخلوقات البحر وتتزايد فى العدد بكثافة قل ان تتاثر - إلا قليلا - بما يطرأ على مضيفها - البحر - من عاديات التغيير سواء كانت تلوثاً او انفجارات أو عمليات للصيد البحرى .. وهذه الكائنات تتاهب دائماً لاسداء العون للانسان عندما يكاد معين غذائه من البر أن ينضب، أو لاستضافته عندما يفكر بغزو أعماق البحار واستعمارها، كما غزا الفضاء السحيق منذ برهة وجيزة .

ولعلنى لا اكون قد ابتعدت عن هذه الفكرة كثيراً وانا ابتدىء الحديث بالدلافين .. تلك الثدييات الذكية التى شهد لها علماء احياء البحار منذ فترة قريبة بذكائها النادر وهى تعرض حركاتها البارعة الجذابة فى مسابح « الدولفيناريـوم » او مـلاعب الدلافين التى اصبحت منتشرة فى جميع انحاء العالم .. ولقد تضمنت شهادتهم لها بهذا الذكاء تلك اللغة المسموعة التى يتواصل بها افراد هذا النوع فيما بينهم، والتى يحار المرء فى تصنيفها، فهى تتراوح بين الصفرات الثاقبة وبين انين الطفل الصغير، وهى تكاد تكون نظام رموز متكامل بهذا التفاوت فى درجات ارتفاع طبقاتها واختلافها فى درجة حدتها ..

ولعله المخلوق البحرى الوحيد الـذى لا يكتفي بمخاطبة اقرانه، بل ويتجه إلى الانسان مطلقا نداءاته نحوه بشكل لا يمكن ان يفسر إلا حباً ومودة، وهو لاشك حب متبادل، فقد عرف البحارة « الدلفين » كصديق للانسان منذ امد بعيد، وتتردد الكثير من الحكايات فيما بينهم عن اشخاص اشرفوا على الغرق وكان لهم فى الدلفين عوناً ومنقذاً من لجة البحر واعماقه

ولعل الدلفين يشبه فى سلوكه مع الانسان وحركاته اثناء سباحته، الكلب إلى حد بعيد، ولا ننسى بان كليهما متميز كصديق للانسان وكحيوان بالغ الذكاء وقابل للتدريب على الحركات البارعة المحببة .. ومن انواع الدلافين المشهورة، الدلفين « الباسيفيكي » ودلفين « فوهة الزجاجة » والدلفين « القاتم اللون » ..

اما الحيتان فهى من الحيوانات البحرية الثديية وتنقسم الى فئتين :

● الحيتان ذوات عظام « البالين » (او العظام الحوتية) وتعرف ايضاً بالحيتان ذوات الفم الشبكى .. وتتغذى على العوالق المائية، فاغرة فاها لتتدلى من فكها الأعلى الصفائح « البالينية » على شكل شبكة ذات خطوط طولية، وعندمـا يمتلىء فمها بجرعات كبيرة من المـــاء « الدسم »، أو المليء بالحيوانات المجهرية القشرية وافواج القريدس التى لا يزيد طـول الواحد منها عن اربعة سنتمترات تدفع الماء عبر الشبكة ذاتها، ويبقى فى جوفها ما يبقى من هذه الكائنات !

وهذه الفئة التى تضم الحوت الأزرق، وهو اكبر حيوان ثديي معاصر على الاطلاق، إذ يصل طوله عند اكتمال نموه الى ثلاثين متراً ويبلغ وزنه (١٤٠) طنا، تعرضت لكثير من حملات الصيد الجماعى حتى اوشكت على الانقراض، فهاجر قسم كبير منها الى المحيط الأطلسى الجنوبي ..

● أما الفئة الثانية فهى من الحيتان ذوات الأسنان، وتضم « الحوت القاتل »، الذى يفترس «الفقمات» وطيور البحر، والذى يهاجم ضمن أسرابه حيتان الفئة الاولى .. ويتميز هذا الحوت بتشابه مع الدلافين فى النداءات الثاقبة التى يتبادلها افراد نوعه، وبقابليته للتدريب، ولاشك أن الكثير منا قد شاهدوه وهو ينطلق من وسط الماء ليدفع كرة نحو هدف فى سلة عالية فى فيلم ما عن تلك المسابح الاستعراضية، ولعل البعض قد شاهده وهو يؤدى دوره المدهش فى فيلم « أوركا .. الحوت القاتل » !

وهناك كائنات اخرى فى البحار مثـــل « عجول البحر » التى تطلق على «الأطوم» و « خروف البحر »، وهى حيوانات تقتات على الأعشاب البحرية وتشبه اسنانهـــا وانيابها، نظائرها عند الفيلة .



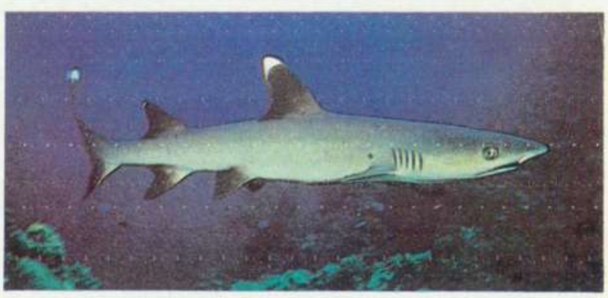
الحوت القاتل .. وهو من الحيتان ذوات الأسنان التى نشاهدها فى افلام الرعب !

وتعيش « الأطومات » فى المحيط الهندى وغرب استراليا وعند جزر الفيليبين ، بينما تعيش « خراف البحر » عند مصبات الأنهار على جانبي خط الاستواء فى المحيط الأطلسى ، وتصعد احيانا نحو اعالى تلك الأنهار !

وهناك كذلك « القضاعة » أو ما يسمى « بثعلب البحر » ،وهو يمضى معظم أوقاته طافيا على ظهره بالقرب من شاطىء البحر ، وعندما يشعر بالجوع يغوص بحثا عن الرخويات وقنافذ البحر ، وهو يستخدم عادة قطعة مسطحة من الحجر يكسر عليها قوقعة فريسته بطرقها عليها عدة مرات !

وغير ذلك هناك الفقمات وسباع البحر والفظوظ التى تشبه الكلاب الى حد بعيد ، إلا أن ذكرها يسمى ثوراً وتسمى انثاها بقرة

وهناك فقمات حقيقية وفقمات ذوات فراء وتضم الفئة الثانية سباع البحر ، وتتميز الفقمة الحقيقية بان قائمتيها الخلفيتين موجهتان بشكل دائم نحو الخلف وهما تقومان مقام دفتي التوجيه اثناء السباحة ، وتشبه حركة الفقمة على البر حركات الديدان واليرقات ، فهى تشتق حركتها مثلها من التحدب والتمدد ، وهى تسمى



نوع صغير من سمك القرش يسبح بسرعة كبيرة ، وينقض - رغم صغره - على كل من يقترب منه !

ايضا الفقمة عديمة الأذنين ، اما فقمات الفراء فلها اذنان خارجتـــان صغيرتان للغاية ، كما انها تستطيع ان تحرك قائمتيها الخلفيتين الى الأمام عندما تتجه نحو اليابسة (والقائمتان هنا همــا زعنفتان ملتحمتان) .

وتتميز الفقمة عموما بنابين مدببين تطبق بهما على فرائسها المراوغة او المنزلقة كالأخطبوط والحبار !

اما الفظوظ فهى تختلف عن سابقاتها فى انها تستخدم انيابها لتحريك اكوام الحجارة نحو قيعان البحر التى تاوى اليها عادة ، كما تستخدم شفتيها والأشعار المحيطة بها لفرز غذائها ونقله الى الفم .

ويعتقد بان « الفظ » يتناول طعامـــه بالامتصاص ، فعندما كانت تفحص معدة الحيوان عند تشريحه كان يلاحظ امتلاؤها بحيوان « الكوكل » « الرخوى بـــدون قوقعته .. ولابد انه يعمد لتثبيت هذا الحيوان على الأرض بواسطة اشعاره الفموية ثم يمتص جسمه ، دون اللجوء لكسر قوقعته !

والمعروف أن منطقة اعماق البحار تبدأ عند المياه التى يزيد عمقها عن (٢٢٠) متراً ، وهى المنطقة من البحر التى لا تنفـذ اليها أشعة الشمس عادة .





ثلاث لقطات أولها ثعلب البحر الذى يقضى معظم وقته طافيا على ظهره بالقرب من شاطىء البحر وعندما يشعر بالجوع يغوص فى الاعماق بحثا عن الفريسة .. ثم لقطة ثانية للدلفين القاتم اللون وهو صديق للانسان وقابل للتدريب على الحركات البارعة المحببة .... اللقطة الثالثة لثعبان بحرى



ونظراً لسواد الظلمة فى هذه المناطق فان الوان كائناتها الحية تغدو عديمة الجدوى ، إذ لا حاجة للسمكة هنا للتمويه عن اعدائها ، وتغلب الالوان القاتمة على اسماك الاعماق فى الغالب !

وتتميز غالبية اسماك الاعماق باعضائها المضيئة التى تفيدها فى التمييز بين ابناء جنسها وطرائدها واعدائها ، كما تفيد منها فى الاغراض التكاثرية . ومنها سمكة « الصنار » او « الشناص » التى تضيء جزءاً منها كمصباح وطعم لفرائسها فى نفس الوقت ، وهناك السمكة الافعوانية التى تحمل شركاً طويلا مضيئا ، وسمكة البلطة المضيئة ، والسمكة الثعبانية التى تحمل على رأسها بقعا مضيئة فتبدو للناظر من بعيد اشبه بسفينة مضاءة النوافذ !

ويبدو ان عالم الاعماق يحتاج لهذه النماذج المضيئة التى تخدع بها الاسماك الصغيرة التى قد تهاجم هذه البقع المضيئة وهى تحسبها فرائس اصغر منها حجماً ، كما ان للأسماك المضيئة افواها كبيرة ملأى باسنان حادة ، لان فرائسها التى يندر ان تمر بها قد تتمكن من الافلات من اشراكها !

وعندما نستعرض فى عالم البحار اسماك القرش ، سنكتشف انها ذوات هياكل غضروفية ، خلافاً لسائر اسماك العالم ذوات الهياكل العظمية الرقيقة او « الحسكية » !

ويرجع تاريخ ظهورها لما قبل (٢٥٠) مليون سنة ، وهى تتضمن انواعاً غير خطرة مثل « حوت القرش » الذى يزيد طوله عن (١٧) متراً والذى تغطى جلده زخارف من الرقائق الجلدية ، وهو منبسط الجسم بحيث يتمكن من الرقود على القاع ، ويظهر بالوانه المموهة وزوائده الجلدية اشبه بمجموعة من الصخور والاعشاب البحرية ، وما إن يقترب منه كائن فضولى او سمكة عابرة او جرادة بحر حتى ينهشها بحركة مفاجئة ، إلا انه عديم الأذى للانسان !

اما اقراش الحيد البحرى فى المحيط الهندى واواسط المحيط الهادى فهى ذوات اشكال انسيابية كالطوربيدات مما يساعدها على السباحة بسرعة كبيرة ، وهى خطرة على الانسان ، فحتى صغارها تنقض على اى شخص يكون قريباً منها ، ويعتبر « القرش النمر » او « قرش الرمال » اشد انواع القرش خطورة ، وهو يعيش فى البحر الابيض المتوسط والمحيط الأطلسي وبحر جنوب افريقيا ، ويصل طول السمكة البالغة الى اربعة أمتار ، وهى لا تكنى بذئاب البحر بسبب وحشيتها وشراهتها فقط ، وإنما لكونها تصطاد بشكل جماعي ، كما هى الحال ايضاً عند ذئاب البر .

وتحمل بعض انواع سمك القرش عادة ، سمكة « الريمورا » التى تكنى بـ « لصوق » القرش والتى تتشبث فى اعلى راس القرش بواسطة ممص فموي ! .

وفى عالم البحار نجد كائنا بحريا يشبه اسماك القرش من حيث احتواء جسمه على هيكل غضروفي ومن حيث انبساط جسمه مثل القرش « السجادي » او حوت القرش ، ويطلق عليه اسم « الشفنين » .. ومع ذلك فان هنالك فوارق بينهما ، ففلاصم الشفنين تقع على الجانب السفلي للجسم ، خلافاً لفلاصم القرش التى تقع على جانبي الراس ، ويفتقر كلاهما لغطاء الفلاصم



دلفين « قومة الزجاجة » شهد له العلماء بالذكاء النادر وله لغــة مسموعة بعضها يشبه انين الطفل الصغير !

الذى تحمله الأسماك ذوات الهياكل العظيمة .

وللشفنين ذيل رفيع مدبب يشبه السوط وهو يلاحظ بوضوح عند الشفنين الحيدي المبرقع بالأزرق .

وهناك الشفنين اللاسع ، الذى يعيش فى المحيط الأطلسي ، وقد سمى باللاسع لانه يحمل بالقرب من قاعدة ذيله نتوءاً يشبه سن المنشار يتصل بغدة سمية !

اما شفنين « مانتا » فيسبح بسرعة ونشاط حتى يبدو عن بعد كما لو كان وطواطا عملاقاً !

ويتميز الشفنين بغرابة في شكله ، فعيناه بارزتان فوق جسم شديد التسطح او الانبساط ، ولو انه سبح بهدوء تحت سطح الماء بقليل لحسب من يرى عينيه انه امام كائن بحرى هائل أو غواصة حديثـــة بمنظارين !

وبعد استعراضنا لكل تلك الكائنات التى يزخر بها البحر ، لا يمكن أن ننسى الزواحف البحرية ، التى من بينها ثعابين البحر التى تعيش فى المحيط الهندى والمناطق القريبة من المحيط الهادى ، وتعتمد على حركة الجسم المتعرجة لتحقيق السباحة السريعة ، وذلك بمساعدة ذيل منبسط يشبه نصل المجداف !

ومن بين الزواحف ايضاً « الاغواته » وهى سحلية ضخمة تعيش فى بعض جزر الفيليبين ، وتسمى « تنين البحر » ، وتمضى عادة معظم وقتها فى البحر حيث ترعى الأعشاب البحرية ، ثم تصعد عــادة على الصخور المطلة على البحر لكى تدفيء جسمها باشعة الشمس !

وهناك كذلك السلاحف البحرية التى تمضى كل وقتها فى البحر ولا تصعد الى البر الا لتضع البيض فيه . وهى ترتاد الشواطىء الرملية التى تزخر بها سواحل اليابسة وعشرات الجزر المنتشرة فى المناطق الاستوائية ، ولا سيما عند البحر الكاريبي وجنوب المحيط الهادى ، وتجر السلحفاة البحرية الأنثى نفسها الى الشاطىء ثم تحفر حفرة عميقة فى احد جوانبه وتضع فيها البيض الذى يتراوح بين (٩٠ ـ ١٠٠) بيضة ، ثم تهيل عليها الرمال بزعانفها الاربع وتتجه عائدة الى البحر .

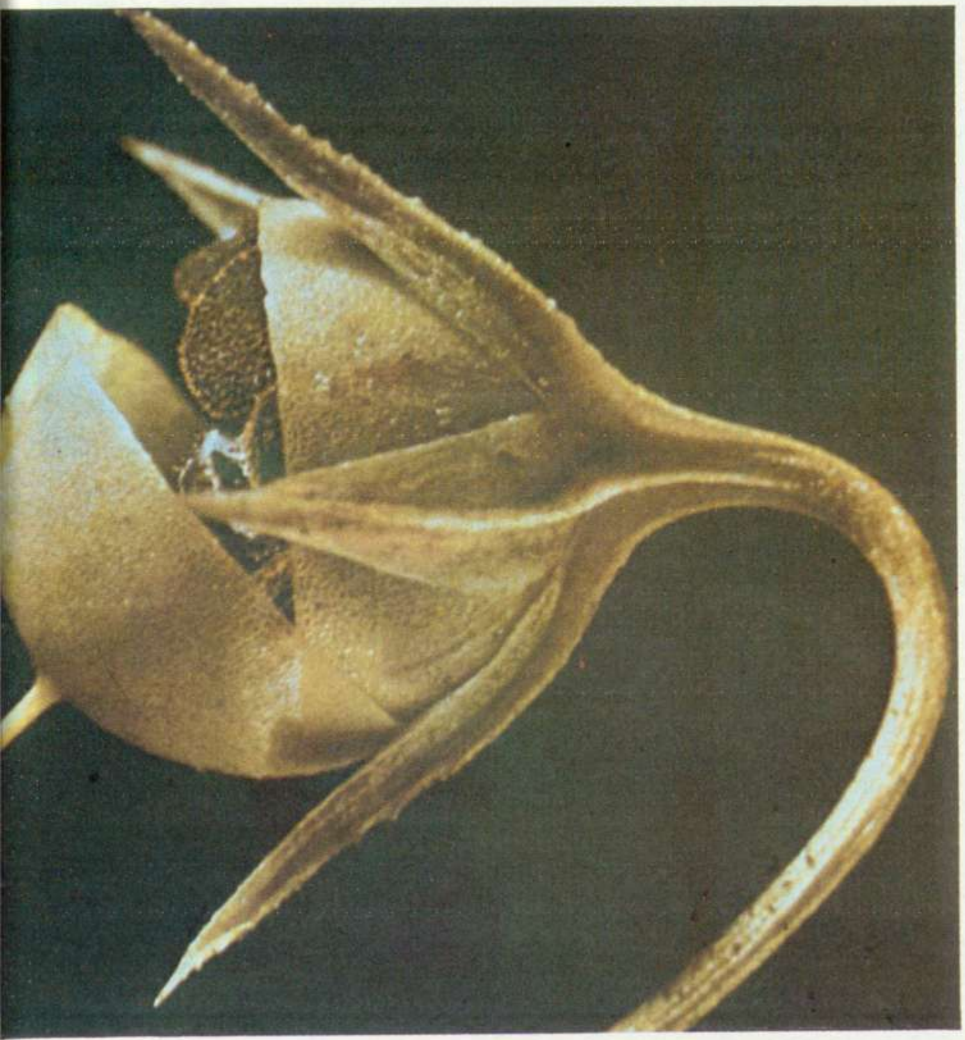
وتقتات السلاحف البحريـــــة على حشائش البحر وتمضغها بافواهها الخالية من الأسنان ، والتى تشـــبه منـــاقير الببغاوات !

وقد اعتاد كثير من الناس على تناول لحم السلحفاة البحرية وبيضها لاعتقادهم بان ذلك يعطى الصحة والقوة ، اما سلحفاة « منقار الصقر » فقد كان البعض يستفيد من صدفتها الخارجية ، وهى الطبقة المتقرنة التى تغطى الدرع العظمى الذى يغلف جسم السلحفاة ويتصل به !

والخلاصة ان عالم البحار مليء بالعديد من الكائنات الحية الغريبة التى تحتاج دراستها الى مجلدات .

غازى جاده ـ سوريا

لقطات من الكون المثير



لاجديد تحت الشمس!

يبدو أن كل فكرة بشرية ليست جديدة تماماً ، اذ لو رجعت الى الأصول فى الطبيعة ، سواء فى عالم النبات أو الحيوان ، لوجدت الفكرة ذاتها ممثلة بشكل أو باخر ، فهذه العلبة التى تشبه الوعاء ، والتى زودت بغطاء ، والذى زود بدوره بجزء اسطوانى رفيع مستطيل ، وكانما هو بمثابة اداة تساعد على رفع الغطاء .. كل هذا وغيره ليس الا تكويناً نباتياً جاء على هيئة ثمرة ، وفى داخل الثمرة تكمن بذور يبدو بعضها كاقراص بنية اللون .. وعندما تنضج البذور ، وتصبح صالحة للخروج ، لتجابه الحياة ، يرفع الغطاء بميكانيكية قدرت تقديراً حسناً ، لتتحرر البذور وتنتشر بمساعدة الرياح التى تهز العلبة ، فتفرغها من كل بذرة ، والى الأرض تعود لتنبت ، وتتكرر قصة الأسلاف ، ومع ذلك فشتان بين علب صنعها الانسان ، وعلب فيها وديعة الحياة ، لتبدأ بها الحياة !

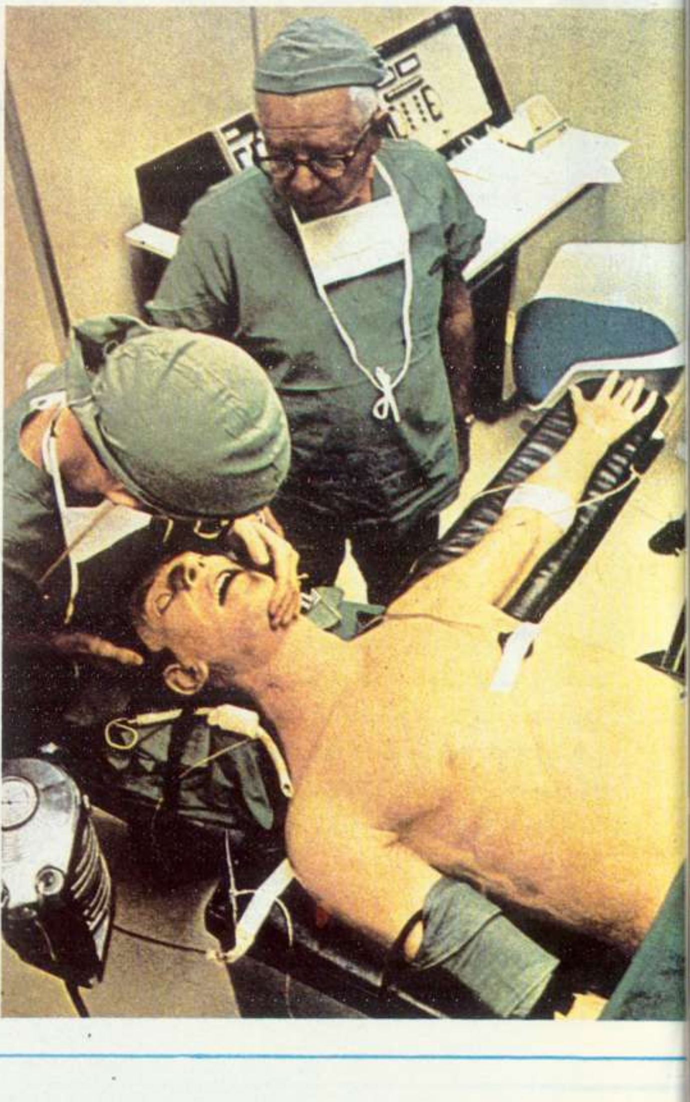


منتهى التنسيق والرفاهية

عندما تبدأ الطائرة فى الهبوط فوق مطار كوبنهاجن - عاصمة الدانمرك ،تبدو هذه الدوائر المثيرة لكل من يتطلع اليها من فوق ، اذ سيرى كل دائرة منها تشبه عجلة عربة من العربات التى تجرها الجياد .. لكن المعالم تبدأ فى الوضوح كلما اقتربت الطائرة من الأرض .. فكل دائرة عبارة عن مستعمرة صغيرة شيدت فى الخلاء لقضاء اجازة قصيرة بعيداً عن صخب المدينة .. والدائرة مقسمة الى ٢٤ قسماً ، وفى نهاياتها الخارجية توجد ٢٤ استراحة أو منزلا صغيراً (فيلا) .. وفى وسطها جاراج للسيارات الخاصة ، وبين المركز والأطراف زرعت المحاور الأربعة والعشرون بأشجار الفاكهة والخضراوات والزهور .. وعلى الحشائش المنسقة بين المستعمرات يلهو الأطفال ، ومعهم أحياناً .. الكبار .. والذى وضع أسس هذا المشروع ويديره بلدية كوبنهاجن ، وهى تتقاضى فى ذلك ايجاراً رمزياً ، فهدفها ان تبنى المئات من هذه المستعمرات ليستمتع بها الكادحون بحياة تدل على منتهى النظام والتنسيق والرفاهية .. ولكل ما سعى !

دائماً يقضي حياته هكذا ممدداً!

الذى يفحص هذا المريض،طالب طب فى السنة النهائية وبجواره استاذه الذى يقيم تلميذه من الناحية الطبية .. لكن هذا المريض لا يكف عن الشكوى والتعبير عما يمكن ان يلحق به من اخطاء يرتكبها معه فاحصوه ، فاحيانا يتاوه او يسعل او يتقيا او يتشنج او يغير سرعة تنفسه او يغمى عليه او « يموت » ثم يعود الى الحياة .. وقبل ان تذهب بنا الظنون كان لابد أن نسارع ونقول ان هذا المريض الممدد على منضدة الفحص ليس من دم ولحم وعظام وشحم ، بل هو « مريض » بلاستيك مزود بعقل اليكترونى مبرمج فيه اصول عمليات التخدير ، وما قد يصاحبها من مضاعفات قد تؤدى الى الموت .. فاذا اخطا الطالب فى الأصول ، عبرت هذه الدمية البشرية ، أو المريض الاليكترونى عن الخطا بما يناسبه ، واذا أحسن الطالب سكت ، لكنه - فى الوقت ذاته - يعطى مؤشرات خاصة كخفقان القلب ، أو انخفاض الضغط ، أو صعوبة التنفس .. فان احسن جاز الامتحان ، وان اساء رسب .. فالذى يحدد هذا هو ذلك « المريض » الاليكترونى الماكر ، الذى لا « يعرف » الا الاصول ، ولا يحابى أحداً على حساب أحد - كما يفعل بعض البشر !





لحوم تعيش على لحوم!

ماذا يعرضه هذان الرجلان ؟ .. الواقع انهما يعرضان مخزوناً ضخماً من اللحوم المجففة والمعلقة والمصنعة بطريقة خاصة ، اذ برع هذان الاخوان « جون وتوم دورسونجا » اللذان هاجرا الى استراليا واستوطناها - برعا فى صناعة أكثر من سبعين صنفاً من اللحوم المجففة .. نعرف منها السجق والبسطرمة واللنشيون .. الخ ، وهى التى نرى بعضها معلقاً على حوامل من وراء حوامل حاملة عشرات الألوف من القطع الملفوفة فى نسيج شبكى ، وتنتشر فى مخزن كبير لا نرى منه الا جانباً صغيراً .. انها صناعة تدر عليهما الملايين ، لكن العبرة ليست فى الملايين ، بل العبرة فى دورة الحياة ذاتها ، فحيث يفرغ هذا المخزن لحومه الحيوانية ، لتدخل فى بناء اللحوم البشرية ، تتكرر الدورة بين بناء وهدم ، أو آكل وماكول ، كما تكررت قبل ذلك على هذا الكوكب ملايين فوق ملايين من المرات ، فكل من عاش على الأرض ، يعود مرة اخرى الى الأرض ، ليتحلل بالميكروبات الى عناصر تعيش عليها النباتات التى ترعاها الحيوانات ، فتتحول الى لحوم تلتهمها حيوانات أخرى ، بما فى ذلك الانسان بطبيعة الحال !

رسـالة لنـدن من : مجـدي نصيف



كتاب يثير ضجة في أوروبا :

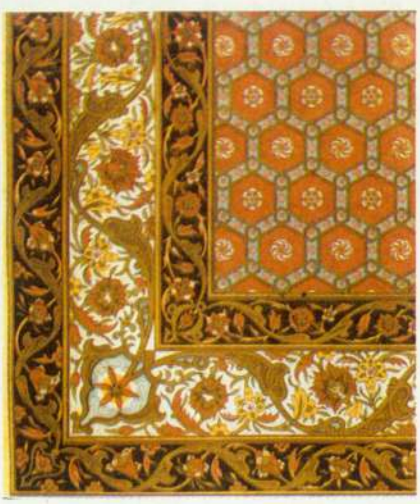
عشرة أعوام من البحث عن أسرار الفن العربي

● إن الحضارة العظيمة التى وضع أسسها القرآن الكريم هى بلا جدال واحدة من أكثر الحضارات أهمية وغنى على مر تاريخ البشرية .

● لو بحثنا عن مهد الشعر فى الأرض ، لما استطاع احد منازعة شبه الجزيرة العربية على شرف ولادته .

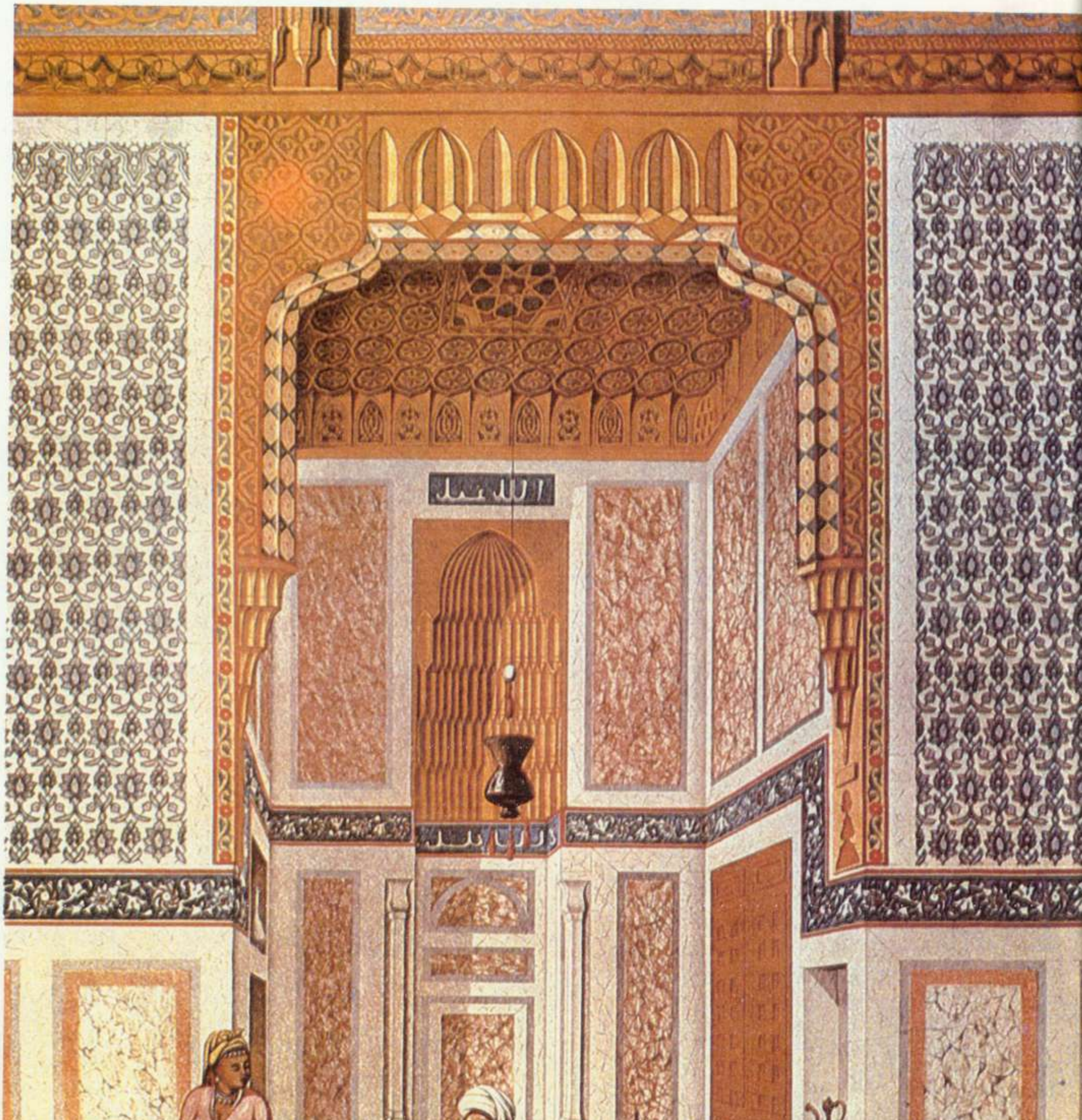


وعاء من القرن السادس عشر تكسوه طبقه ملساء رقيقة وعليه نقوش وكتابات اسلامية

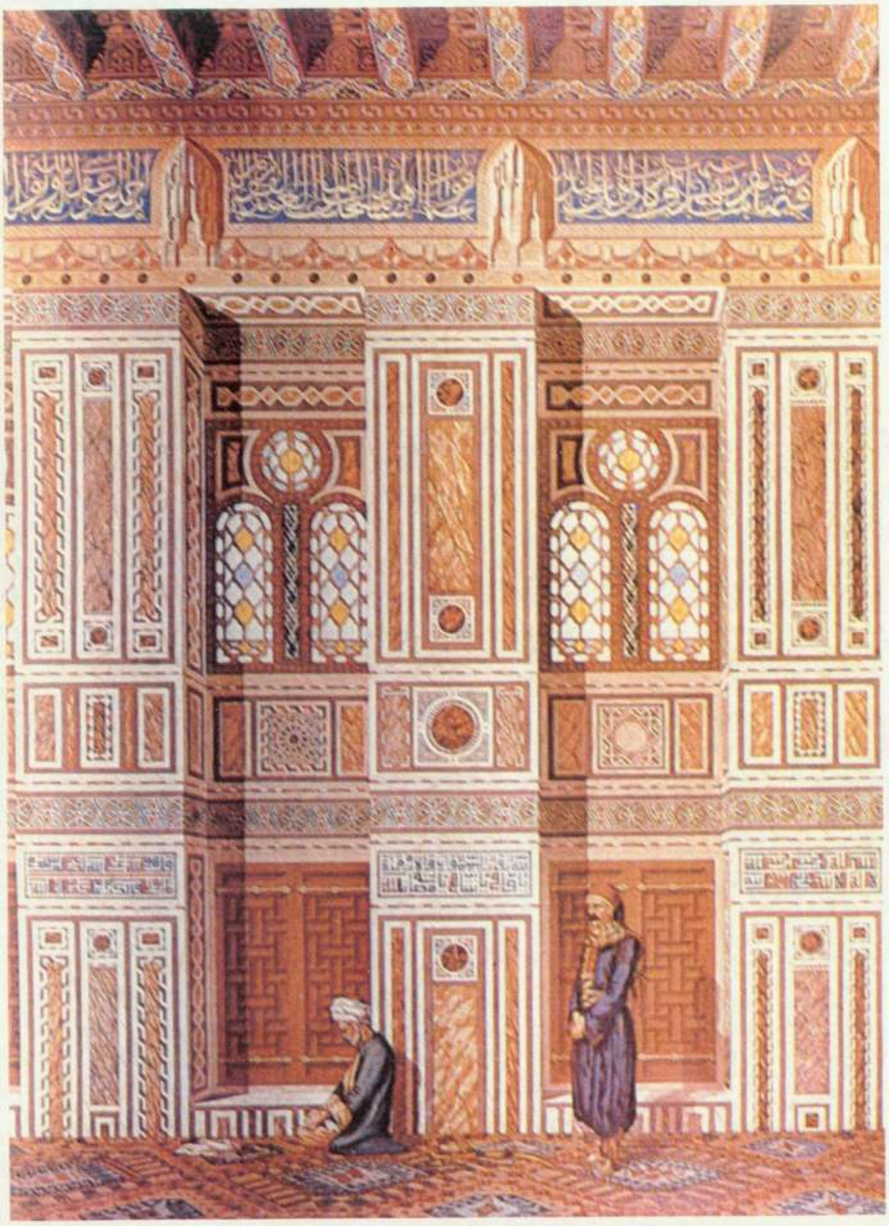


زخرفة اسلامية على الطراز المغربى يعود تاريخها إلى القرن الثامن عشر

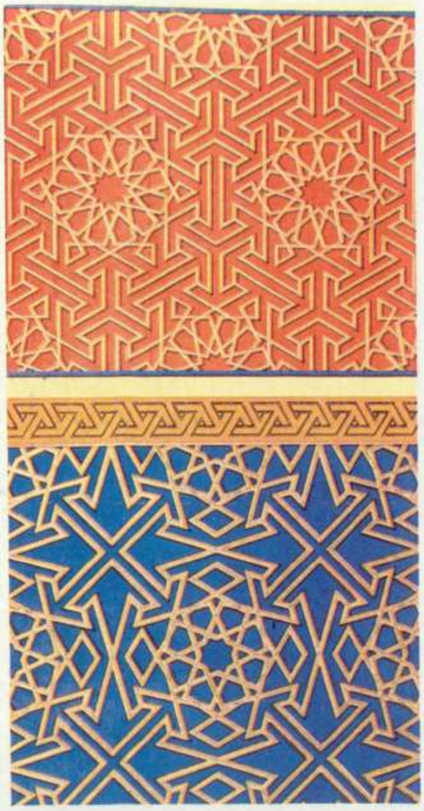
هذا نوع من الكتب لا تخرج المطابع منه سوى كتاب واحد كل عدة سنوات . إنه عمل كبير وعظيم ، وإن كان يحتاج الى جهد ومال لا يمكن ان يتوفرا إلا لمؤسسة حكومية وللأسف فاننا حتى الآن لم نهتم باصدار مثل هذه الكتب الهامة التى تكشف خبايا وكنوز الحضارة العربية

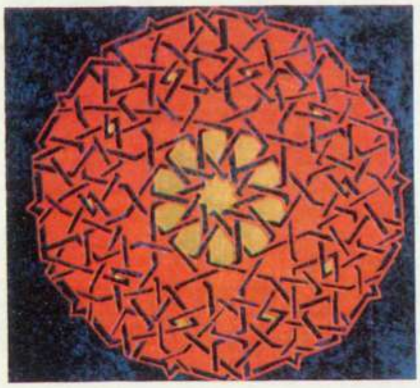


داخل بيت من القرن السابع عشر ، حيث نرى روعة المعمار وجمال الزخارف الاسلامية



القاعة الرئيسية فى مسجد البـرديني الذى بنى فى القرن السابع عشر





نماذج من التكوينات الخشبية بطريقة التعشيق

وكتاب «الفن العربى .. كما يتجلى فى معالم القاهرة» هو نتاج سنوات طوال من البحث العلمى الشاق ، ونحو عشرة اعوام من العمل المتواصل، وهو من بين آخر الأعمال التى نشرت «لأميل بريس دى افينس» أحد كبار علماء المصريات والمستشرقين رحالة القرن التاسع عشر .

ويزداد اعجابنا بهذا الكتب عندما نعلم أن ناشره هو «مكتبة الساقى» بلندن ، والتى تمتلكها مجموعة من المثقفين الشباب العرب ، وانهم عندما قرروا أن يدخلوا ميدان النشر الجاد ، بعد أن استمروا فى خدمات التوزيع على مدى أربع سنوات ، اختاروا أن يقدموا هذا الكتاب باللغة الانجليزية (بعد ترجمته من الفرنسية) بالتعاون مع دار «سيكومور» الفرنسية للنشر .

والى جانب الكتاب ، اهتم الناشر فى الحقيقة بكتابة مقدمة هامة للكتاب هى التى اعتمدت عليها أساساً فى كتابة هذا الموضوع كتقديم للكتاب .

عالم أحب الشرق

المؤلف «دى افينس» عالم احب الشرق ، ولد عام ١٨٠٧ من عائلة كانت موسرة فى يوم ما ثم ضاقت بها السبل . تلقى تعليمه فى «ايكول دى ارتز» حيث تخرج منها عام ١٨٢٦ ، وقضى السبعة عشر عاماً التالية من عمره مسافراً يتنقل بين ستة بلاد ، كان خلالها فى وضع خطر قلق : صحياً ومالياً .

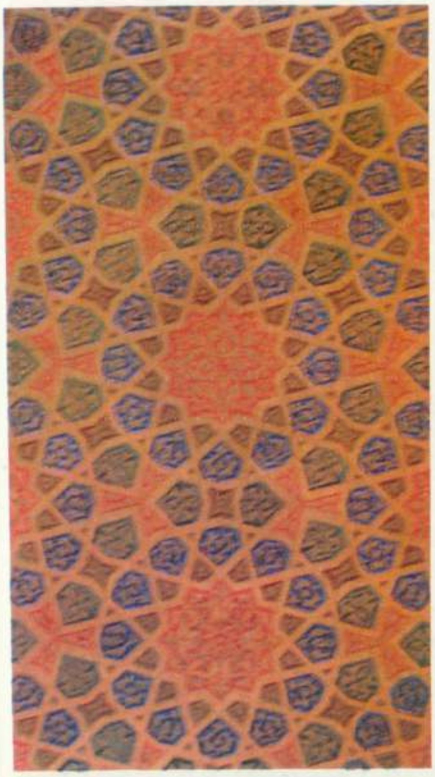
فمنذ سنواته الأولى بهر «دى افينس» بالحياة فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وفى التاسعة عشرة من عمره ذهب الى اليونان محارباً فى «حرب الاستقلال» ، ومن هناك رحل الى الهند ، حيث عمل فترة كسكرتير للحاكم العام . بعدها ترك الهند ليذهب الى فلسطين ثم الى مصر حيث عمل كمهندس مدنى متخصص فى المشاريع المائية التى بدأ محمد علي باشا (والي مصر) ينشئها آنذاك . وقدم احد المشاريع



لوحة من مقامات الحريرى تمثل طبيعة الحياة فى القرن الثالث عشر رسمها فنان العصر العباسى يحيى الواسطى



سجادة كبيرة نادرة من القرن الثامن عشر ، تتميز بنقوشها الدقيقة والوانها الجذابة





نماذج من نقوش السقوف فى المعمار الاسلامى

الى الحكومة المصرية ، فلما رفضت تنفيذه استقال ليعمل مدرساً للهندسة فى «الاكاديمية العسكرية» فى صعيد مصر عام ١٨٣٤ . وبعد خلاف مع مديرها ترك هذا العمل ليتسلم

منصب أستاذ التحصينات بمدرسة المشاة فى دمياط . لكنه ترك هذا العمل ايضا عام ١٨٣٦ ، ليفتتح سبعة اعوام من السفر والترحال الدائمين ، متفرغاً تماماً للبحث عن الآثار فى مصر والسودان واثيوبيا والجزيرة العربية وفلسطين وسوريا (وفرنسا) . بعدها عاد الى مصر ليستقر بالقرب من مدينة (طيبة) المصرية القديمة . وفى هذه الفترة اتقن اللغة العربية واصبح يتكلمها بطلاقة ، وتعلم اللغة المصرية القديمة ـ الهيروغليفية ـ التى لم يكن قد مضى على حل رموزها غير سنوات ، على يد عالم المصريات الفرنسى شامبليون .

كان يحب التجوال والدراسة الدقيقة ، وقد اقتنع بالاسلام واعتنقه مما ساعده على أن يدخل المساجد بحرية ، ليدرس الآثار الاسلامية ، والفن الاسلامى ، وعاش ملتزماً باسلامه وبتقاليد العرب ، فكسب احترامهم كما لم يفعل كثيرون غيره من الأوربيين .

قام «دى افينس» بابحاث كثيرة فى آثار طيبة ، واكتشف عام ١٨٤٣ فى الكرنك ما أصبح يعرف بعد ذلك باسم «غرفة الملوك» كما اشرف فى نفس العام على نقل بعض محتوياتها الى فرنسا ، فنقل تماثيل وجوه الفراعنة الواحد والستين (مثل تحتمس الثالث وعدد من البرديات ، ضمت إحداها دليلا شعبياً للحياة فى فترة حكم سنفرو من «الأسرة الرابعة» قدمه كاجيمنى «الكاتب» المصرى ، الذى عاش فى تلك الفترة . وضمت بردية أخرى دراسة فى الأخلاقيات كتبها بات ـ حوتيب الذى كان موظفاً فى ممفيس أيام حكم «الأسرة الخامسة» ، وهى البردية التى اصبحت معروفة باسم عالمنا أى «بردية بريس» ، وقد أهداها الى «ببليوتيك ناسيونال» بباريس . وفى عام ١٨٤٧ ، نشر «الآثار المصرية



نسيج حريرى مزدان بالرسوم والصور من القرن الرابع عشر



سجادة من القرن الثامن عشر ، تعلق على الحوائط كتحفة من الفنون الاسلامية

والألبوم الشرقى» ، وهو عبارة عن دراسة لعادات سكان وادى النيل وتقاليدهم .

وفى عام ١٨٥٠ بدأ «دى بريس» مرحلة اخرى من الترحال والدراسة ، فسافر الى الجزائر ، وفى أواخر عقد الخمسينات من القرن التاسع عشر ، عاد الى مصر مرة اخرى ، حيث بدأ بحثاً مكثفاً فى الفن والزخرفة والمعمار المصرى : الاسلامى الفرعونى ، بدأه بالمناطق المحيطة بالقاهرة.

وصف كاتب مجهـــول نشر سيرة حياة بريس دى افينس (فى باريس عام ١٨٩٦) كيف كان يعمل ويكتب بحماس وتفان ، فقال :

«خلال اكتشافاته كاد يقتل مرة بعد ان انهارت مئذنة من تحت قدميه . لم يكن يسمح للعقبات ولا للمخاطر ان تحول بينه وبين الحصول على وثيقة ، او معرفة حقيقـة هامة ، أو تحديد تاريخ بالضبط . كان دى افينس احد أولئك الذين لا يفقدون الأمل أبداً ، ولا يهزمون أبداً ، كان احد الذين إذا فقد كل ما لديه ، يظل مثابراً يضع هدفه نصب عينيه ، لا يسمح لنفسه ان يتوارى الهدف عنهما . فى تلك الأيام كانت كثير من المبانى الأثرية تنهار ، وكان لابد من وجود احد كبريس دى افينس كى ينقذ هذه الكنوز المهملة من الدمار والغياب ، ومن ثم إظهار كل اعاجيبها . اما اليوم فلا يكاد يبقى شىء من تلك الكنوز والمعالم والآثار العظيمة فى وادى النيل» .

ثمرة الدراسات

عاد بريس دى افينس الى فرنسا عام ١٨٦٠ ، حاملا معه ثمرة جهوده ودراساته واكتشافاته . كان فى الثالثة والخمسين من عمره . كان ما حمله معه كنوزاً تمثلت فيما يلى :

- ● ٣٠٠ رسم لمخطوطات تضمنت تتبعاً دقيقاً لعدد من الأعمال الفنية والهندسية والمعمارية العظيمة ، وصل طول بعضها الى ثمانية أمتار .
- ● ٨٠٠ متراً من رسوم بعض الزخارف .
- ● ١٥٠ صورة من أهم التفاصيل فى النحت والمعمار ومقاطع طولية وعرضية ونسخ منقولة بعناية للآثار والمعالم التى قام بدراستها .
- ● ١٥٠ رسماً «واسكتشاً» عليها ملاحظات .
- ● ٢٩ جمجمة لموميـــات مصرية قديمة نجح فى تحديد اسم وعمر وتاريخ وعمل كل صاحب جمجمة منها .

كان ذلك ثمرة جهود سنين عديدة قضاها فى العمل الجاد المنظم ، سنين من الملاحظة والاكتشاف . وقد اصبحت هذه الكنوز اساساً لعملين هامين جداً توجا كل اعمال المستشرق «بريس دى أفينس» هما :

أولا : «تاريخ الفن المصرى» ، والمكون من جزئين يحتويان على ١٦٠ لوحة ، الى جانب جزء ثالث يضم الدراسة نفسها .

ثانياً : «الفن العربى» الذى يتكون من ثلاثة أجزاء تحتوى على ٢٠٠ لوحة ، وجزء رابع يحتوى على الدراسة نفسها الى جانب ٣٤ لوحة اضافية ، و ٧٣ رسماً توضيحياً .



دراسات زخرفية للأزهار والوحدات النباتية التى عنى بها الفنان المسلم

لكن التحضير لكل هذه الأعمال لم يبدأ فجاة بطبيعة الحال . ففى عقد الستينات من القرن التاسع عشر ، كان لبريس دى أفينس علاقة وثيقة بمصر ، حيث كان عضواً فى جماعة اشتركت فى اقامة معرض عن مصر «بمعرض باريس الدولى» الشهير عام ١٨٦٧ . كان آنذاك كبير مهندسى ومدير

الشركة الفرنسية التى عهد اليها الخديوى اسماعيل باشا حاكم مصر آنذاك ، بوضع خطط استغلال بحيرات الوجه البحرى ، على طول شاطىء البحر الأبيض المتوسط من الاسكندرية حتى بورسعيد . وحين الغى الخديوى اسماعيل مشروعه هذا فى آخر لحظة ، استقال دى افينس من منصبه وقضى الأعوام العشرة التالية يستعد لنشر عمليه الكبيرين .

نظم دى افينس العمل بحيث درب فرقة خاصة من الفنانين لانتاج لوحات كتابيه ، وأخذ «يعمل دون كلل وباهتمام وغيرة» ـ كما قالت كلمات «نويتس بيوجرافيك» ذاتها . كان لا يعطى أمر طبع صورة إلا إذا كانت مطابقة للأصل تماماً . وادى العمل بهذه الطريقة العلمية الى حد إصابته وعائلته بأزمة مالية طاحنة .

مفاهيم المؤلف

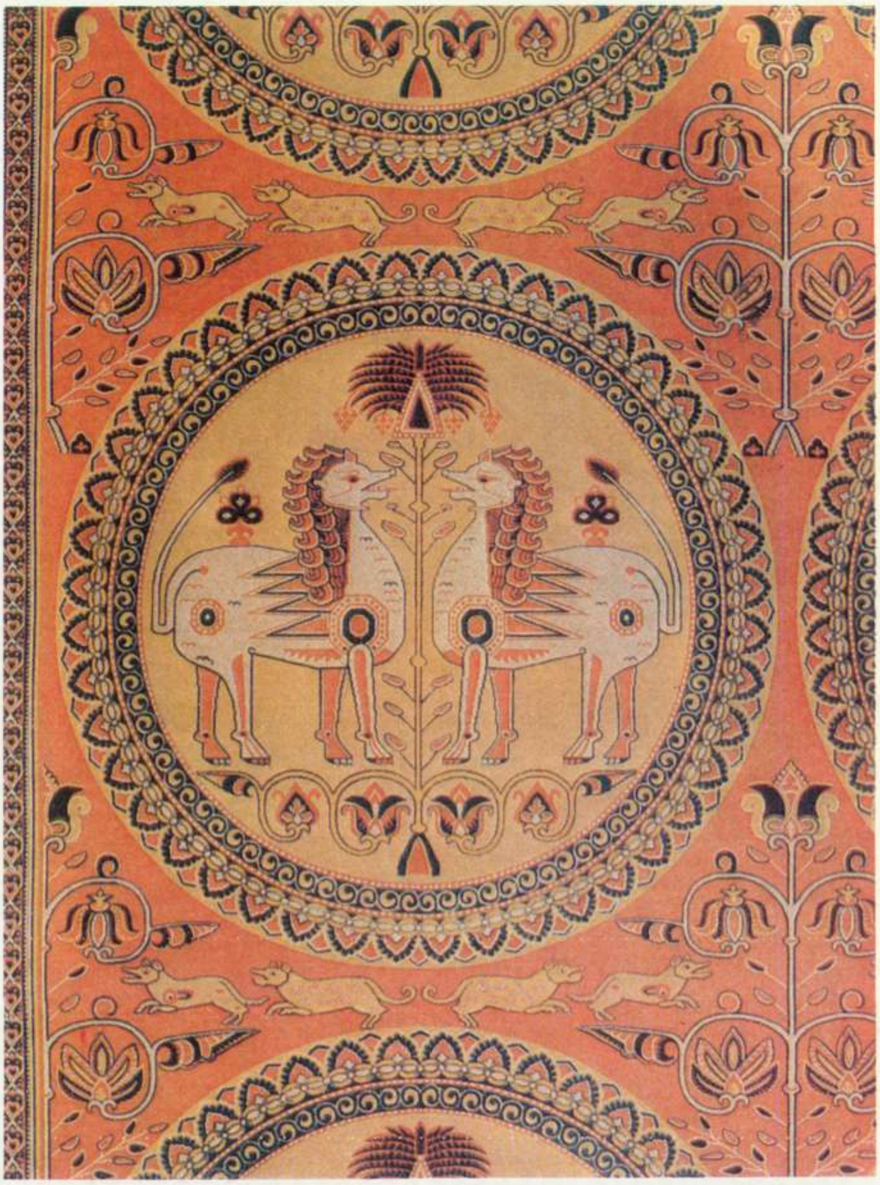
ولا يكفى أن يحب هذا العالم الشرق ليكتب عنه ، ولكن ينبغى أن يفهم روح الشرق ، وأن يكون موضوعياً للغاية . والحقيقة أن هذا كان موقف «دى افينس» الذى يختلف كثيراً عن موقف عدد من المستشرقين الذين وصلوا الى الشرق مع موجة الاستعمار الغربى ، وكان اعجابهم وحبهم له وعشقهم لفنه ينبع من نظرة استعمارية متعالية . ويظهر موقف دى افينس ورأيه من مقدمة هذا الكتاب بالذات والتى نعرضها هنا كما هى :

يقول دى افينس :

«إن الحضارة العظيمة التى وضع اسسها القرآن الكريم ، هى بلاجدال واحدة من اكثر الحضارات اهمية وغنى على مر تاريخ البشرية .

ولقد انتشر الدين الاسلامى بسرعة البرق عبر آسيا حتى بلغ الهند ، وعبر الساحل الافريقى بكامله حتى البحر الأبيض المتوسط ، وحتى الخليج العربى . هنا ظهرت مقاومة الأجناس الغربية للدين الجديد ، رغم أن ذلك لم يتم قبل أن يثبت الاسلام قدمه فى صقلية ، وفى الجزء الأكبر من اسبانيا .

لكن مما يؤسف له أن الروايات التى بلغتنا عن الأيام الأولى للعرب رواد وانصار الحضارة بلا كلل ، ليست سوى روايات متناقضة . ويقتصر بعض ما نعرفه عن العرب على بعض التقاليد القومية محفوظة منذ أيام الطفولة ، وبالتالى فهى تنتقل من جيل الى جيل . لكن رغم الغموض النسبى ، إلا أن الصفات الشعرية المتأصلة فى عبقرية الجنس



احدى روائع فن السجاد ، من القرن الثانى عشر ، وقد استخدم الفنان اثناء اعدادهـا رسوم الحيوانات والنباتات ضمن وحداته الزخرفية وقدمها لنا على هذه الصورة الرائعة

العربى بقيت حية بالخيال المتوهج الذى لم يخب أبداً . كما أن شعب شبه الجزيرة العربية لم يفقد شيئاً من شهرة الماضى .

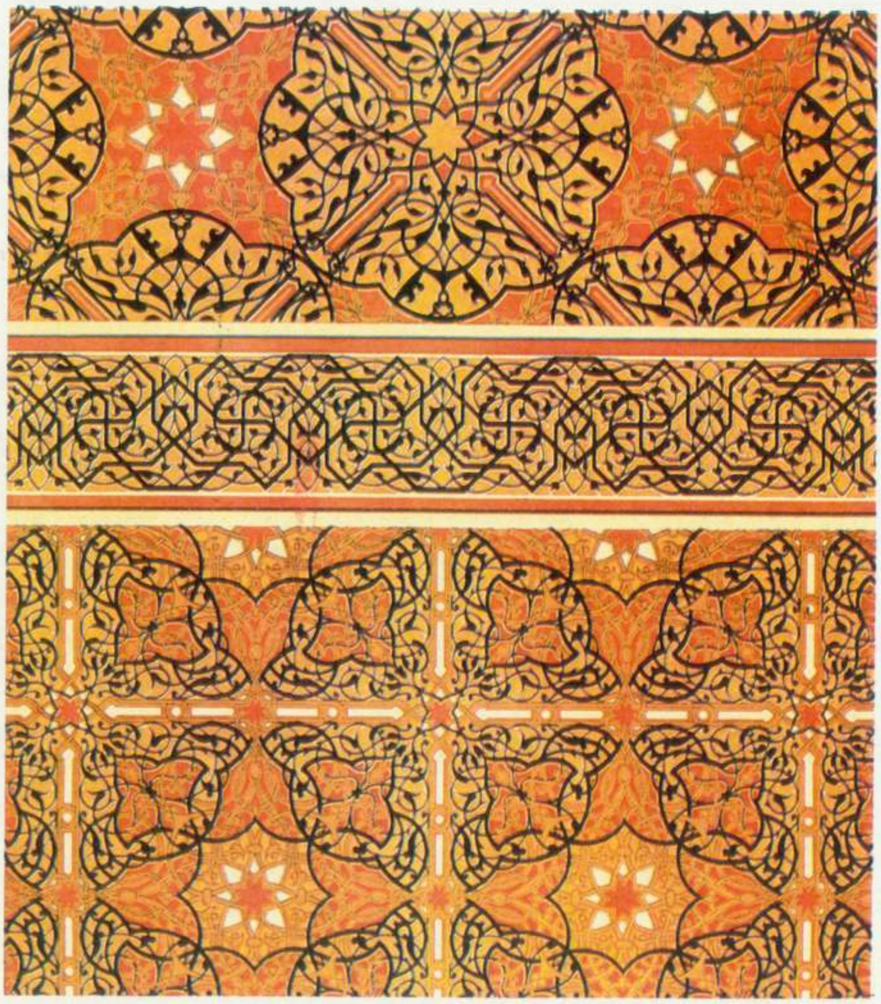
«قال مايجر : لو بحثنا عن مهد الشعر فى الأرض ، لما استطاع احد منازعة شبه الجزيرة العربية على شرف ولادته . فمن سال قلمه بمثل هذا الخلق للخيال ، وتجميله بهذه الحرارة والمشاعر والعظمة والطاقة بهذه الوفرة التى لا تنضب ؟ ليس هناك من كان عقله أكثر حدة ، وروحه اكثر رحابة وحماسة ملتهبة ، وليس هناك مكان فيه ذلك الجمال الذى خلقته عبقرية الطبيعة » .

«علام يدلنا هذا ؟» .

«ألا تفسر اختلافات النمط ، والتى نراها فى أعمال الأجناس المختلفة تحت الحكم الاسلامى ، رغم أن المرء قد يعتبرهم ـ من نواح اخرى ـ مجرد تنويعات مختلفة على نفس الفن ، لأن كل الأهداف التى تلهم هذه الأجناس تنبع من نفس المصدر ، المدرسة التى تأسست فى أواسط العصر الاسلامى؟» .

«لقد ذكرنا مصر وسوريا . ونحن نؤكد انه يجب الالتفات الى هذا المصدر إذا ما أردنا دراسة الفن العربى جيداً ، رغم انه يجب الا ننسى ايضاً أن الفاتحين العرب الأوائل فى تلك البلاد اكتشفوا الفن البيزنطى بكامله ، ذلك الفن الذى كان نابعاً من الفن اليونانى ، ونجحوا فى اقتناص العناصر الأولى منه لفن جديد يمكن تكييفها حسب مواصفات عقيدتهم الخاصة» .

«ولنذكر هنا انه لا غنى عن معرفة اعمق بالحضارة الاسلامية لتدقيق اصول فنوننا



من النقوش التى ابدع الفنان العربى فى ابرازها بهذا التناسق الجميل والتدرج فى الالوان والشكل الجذاب

(يقصد الأوربية) فى القرون الوسطى» .

«والحقيقة فانه بفضل مغامرات الاستكشاف التى لم تسفر تقريباً عن اية نتيجة من الناحية السياسية ، نقل لنا المستشرقون ما هو اكثر من مجرد مجموعة علوم وعمليات صناعية ميكانيكية ، بتقديم قطع الفن الخالدة التى تكاد تبلغ حد الكمال . فبالاضافة الى إدخالها فى قلب حضارة متقدمة للغاية ، فقد ولت النهضة الخالدة التى بدأت فى القرن الخامس عشر ، والمعالم التى حظيت بالاعجاب الشديد .

«وهنا نؤكد على انه منذ سقوط الامبراطورية الرومانية لم يوجد شعب يستحق المعرفة سوى هذا الشعب ، سواء وجهنا انتباهنا الى الرجال العظام الذين انجبهم العرب على مدى قرون عديدة ، أم تاملنا الانجازات العظيمة للفن والعلوم لديهم» .

«وهنا سوف نقوم بدراسة تجسد العبقرية العربية فى فن المعمار والديكور وتحف الأرابيسك ، حتى ادق التفاصيل فى الأثاث خلال الفترات التاريخية الثلاثة من حكمهم فى مصر .

أولى هذه المراحل تقع فيما بين فتح عمرو بن العاص لمصر وحتى تدهور الخلافة من القرن السابع حتى الثانى عشر وقليل من آثار هذه الفترة ومعالمها يبدو فيه تاثير الفن البيزنطى واضحاً للغاية .

الفترة الثانية تقع فيما بين القرن الثالث عشر حتى القرن الخامس عشر ، منذ عهد المماليك حتى السلاطين العثمانيين ، وهى فترة تقدم لنا معماراً دينياً فى أوجه ، ومبان مدنية تماثله ، مقدمة لنا قطعاً تذكرنا بالفن القوطى فى أوربا .

ثم الفترة الثالثة التى تضم القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ومنذ غزو السلطان سليم لمصر ، وحتى وصول الحملة الفرنسية (بقيادة نابليون بونابرت) . وهى الفترة التى خاب فيها الالهام الفنى تحت الحكم العثمانى ، وإن قدمت لنا بعض الأعمال ذات القيمة الحقيقة ، تسجل احتجاج العرب الشديد ضد البربرية» .

ويختتم «دى افينس» ما كتبه كمقدمة لكتابه بقوله :

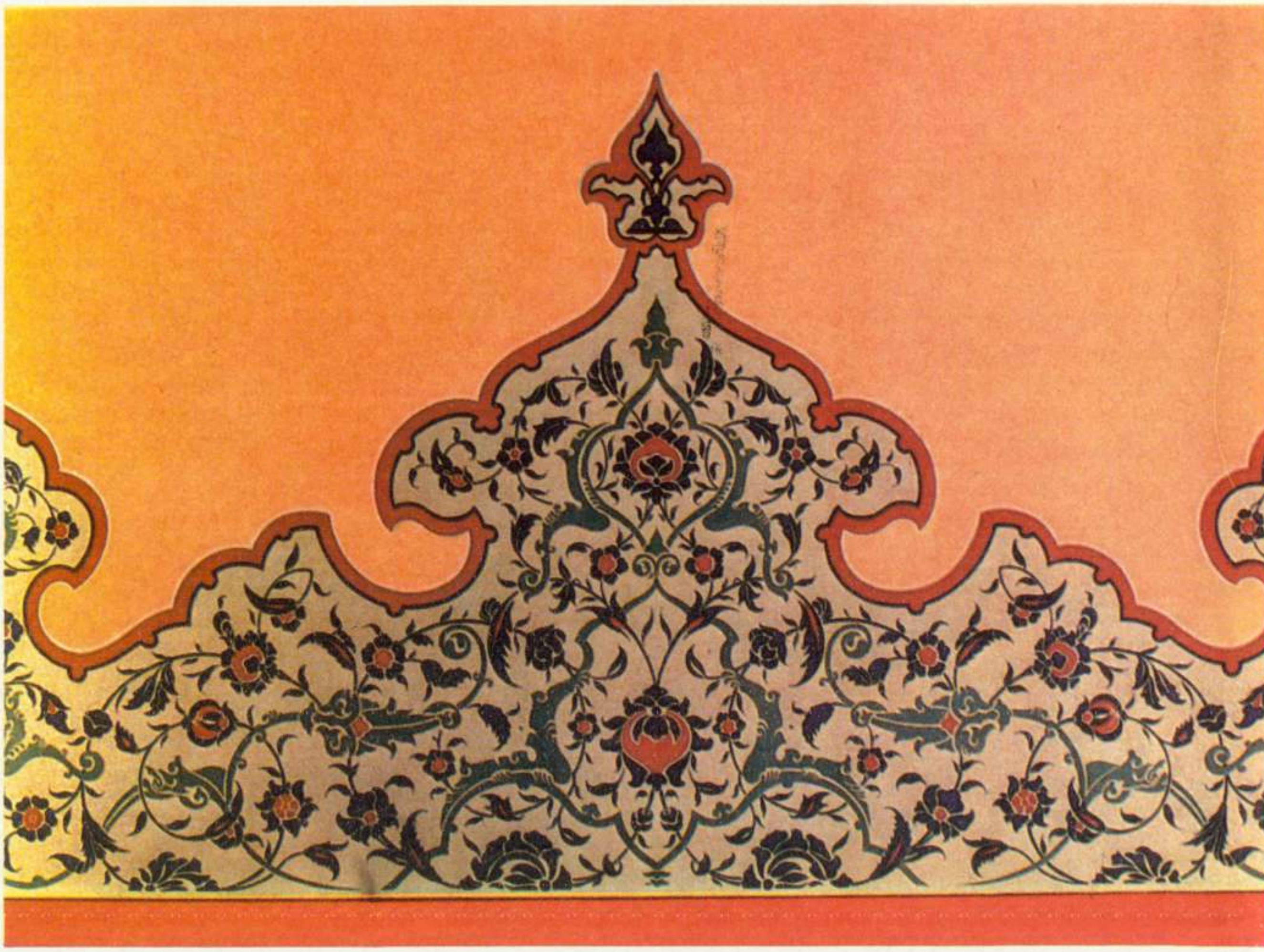
«وفى معرض إظهارنا لهذه الكنوز غير المعروفة حتى الآن لكثير من العلماء والفنانين ، علينا ان نهيىء الجماهير للتقدير وللرؤية الحقة لواحدة من اكثر العهود أهمية فى تاريخ الفنون ، وهو عهد طالما انتظرناه ، انه عهد يقدم علوماً زخرفية جريئة وقطعاً فى فن المعمار يمكن للجماهير بها استنكار الفقر الابداعى ، الذى طالما الهب تلك النفوس المثقفة التى تقر بتقديرها للجمال» .

الكتاب .. والمؤلف

هكذا صدر كتاب الفن العربى عام ١٨٧٧ بهذه المقدمة ، قبل اقل من عامين فقط من وفاة دى افينس ، فى ١٠ يناير ١٨٧٩ بباريس ، ولما يبق سبعة عشر يوماً على عيد ميلاده الثانى والسبعين .

ورغم انه ولد وتوفى فى فرنسا ، وانغماسه فى الثقافة الفرنسية واضح للغاية فى كتاباته ، إلا أن منطقة شرق وجنوب شرقى البحر الأبيض المتوسط ـ التى كانت تعرف فى القرن التاسع عشر باسم «الشرق» ـ كانت وطنه الثانى ، كما يقول مؤلف سيرة حياته المجهول الهوية . فلقد عاش سنوات طويلة من حياته هناك ، ومارس عادات وثقافة تلك المنطقة ، وخالط أهلها ، وتعلم بالاضافة الى العربية ولهجاتها ، والهيروغليفية ، اللغات التركية واليونانية والقبطية والأمهرية ، هذا الى جانب إجادته اللاتينية والانجليزية والايطالية والاسبانية .

إن كتاب «الفن العربى» ـ كما تقول مقدمة الناشر ـ «هو اكثر من مجرد صرح لمثابرة ومهارة وتفانى المؤلف ، فهو مصدر ثمين لمؤرخ الفن المعمارى ، وتسجيل وثائقى دقيق لعدد من البنايات والمظاهر المعمارية والفن والحرف والمعالم الاسلامية فى مصر ، والتى اندثر كثير منها بسبب الاهمال ، ومتطلبات النمو العمرانى فى القاهرة فى القرن العشرين . ويعزز هذا البعد فى كتاب الفن العربى حقيقة انه جاء بعد كتاب «وصف مصر» الذى انتجه علماء الحملة الفرنسية الذين رافقوا نابليون بونابرت ، وجاء بعده هذا الكتاب بستين عاماً وهو عمل ايضاً طالما أشار اليه بريس دى أفينس باعجاب شديد ، ولذا فهو «تعليق»



التاج الذى يعلو باب المنبر فى احد المساجد السورية ، ويعود تاريخه إلى القرن الثامن عشر

على نواح متعددة فى العمل الأول من فترة لا تبعد كثيراً عن فترة العمل نفسه» .

ومن الناحية الأخرى ، فان «بريس دى افينس» قد وفر لمهندسى ومصممى وفنانى ورسامى هذا العصر ، بعض النماذج من الرسوم المتبقية والتفصيلات والرسوم التوضيحية لبعض النواحى المختارة فى مدينة اسلامية فى العصور الوسطى . لقد اختفت المهارات والرسوم التى تتجلى فى كتابه من مدارس المعمار والتصميم فى انحاء العالم لسبب أو لآخر ، ولهذا السبب وحده تستحق لوحاته تدقيق كل الذين يقدرون الرسوم المتقنة بعناية فائقة . وإن تعددت الخطوط فى السـمك والوزن ، والاستخدام الخفى لبعض الأساليب بغرض إبراز التفاصيل عن التركيب والخلفيـة .لقد تم تنفيذه بلمسات واثقة تزودنا بمـا هو اكثر من مجرد تسـجيل حقيقى لما كان هناك فى أواسط القرن التاسع عشر .

وفى احيان كثيرة تظهر رسومات بريس دى افينس شيئاً لا وجود له ،وإنما يرى هو ان وجوده ضرورى ، وقد يبالغ فى إبراز بعض التفصيلات أو العكس لأن إظهارهـا على طبيعتها قد ينقص من الاحساس بالمكان الذى تعمد اللوحة الى إظهاره . فهناك على سبيل المثال تشويه مقصود فى بعض الحالات لاظهار تفصيلات لن تظهر إلا بهذا الأسلوب . .

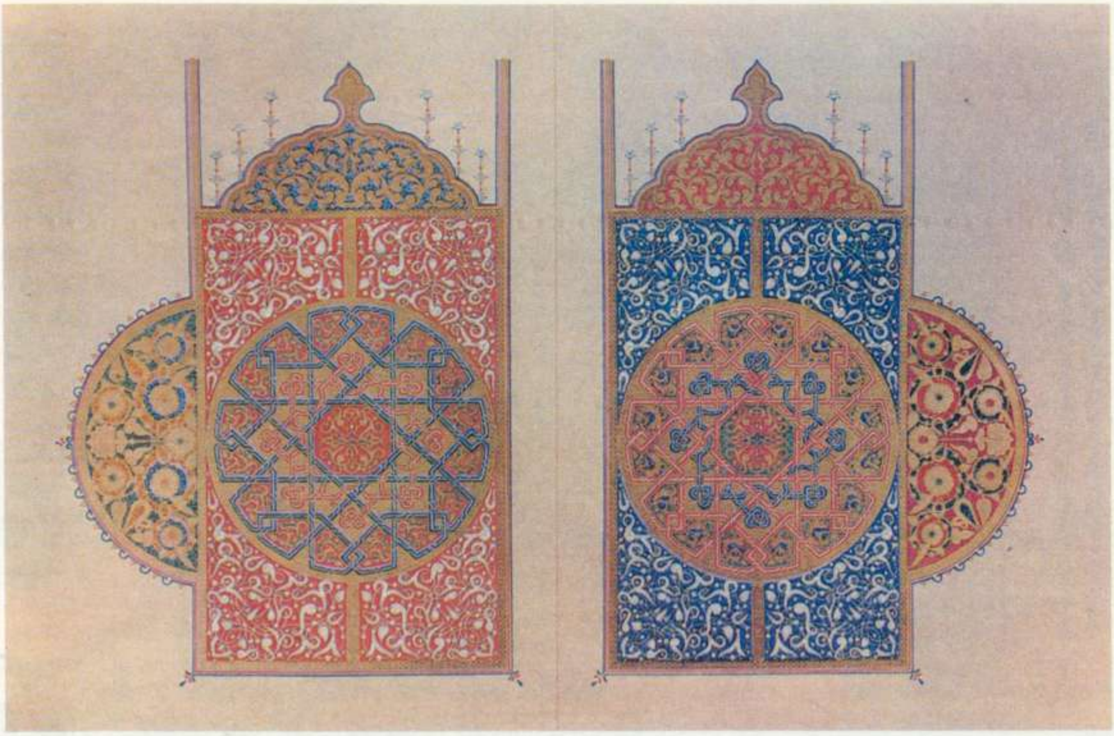
العشق الواضح

من الواضح أن بريس دى افينس قد احب الأماكن التى كتب عنها ورسمها ، منحياً باللوم فى بعض الأحيان لا على الذين أساءوا استعمالها على مر السنين ، وإنما أيضاً بعض الذين بنوا هذه الأماكن لعدم انجازهم بعض التفصيلات على الشكل المطلوب . وعشقه هذا واضح فى كل رسومه التوضيحية ، وهو الدافع وراء كمالها .

ثقافته الخاصة

لكن الفن العربى ليس مجرد عمل فى الوصف المعمارى ، فهو يكتب ويسجل أشكالا متعددة من بلاط مزخرف الى سجاد واقمشة الى مصاحف ومخطوطات ، إنه ايضاً فى كيفية عمل هذه القطع الفنية ، والطريقة التى استخدمت بها . إنه يصف الى جانب هذا أيضاً القيمة التى يلصقها بها المجتمع المعاصر .

والنتيجة هى أن كتابه يشكل لمحات مضيئة لا تقدر بثمن عن نواح فى الحياة



نقوش مغربية لتزيين المصاحف الشريفة فى القرن الثامن عشر

العربية من وجهة نظر شخص متعاطف من أوربا الغربية . وان ابحاثه فى تاريخ المجتمع العربى والثقافة العربية فى مصر ، تطلعنا على عقول المستشرقين فى القرن التاسع عشر . فالأسلوب الذى يفسر به الحضارة العربية يعكس ثقافته الخاصة التى يعتبر الغرب اليوم وريثها الوحيد .

مناقشة التفاصيل

ثم يضم هذا الكتاب العظيم بين دفتيه اثنى عشر فصلا ، مدعمة بالرسوم التوضيحية ، وقد وضع فى آخره مائتى لوحة ملونة .

يناقش الفصل الأول ـ بعد المقدمة التى ترجمناها فى البداية ـ جغرافية مصر ومناخها وسكانها ، ثم يناقش فى الفصل الثانى والثالث والرابع المراحل التاريخية الاسلامية الثلاث منذ الغزو العربى لمصر . وفى الفصل الخامس يتحدث عن الحكومة والاخلاقيات وعادات المماليك وتقاليدهم .

ويبدأ فى الفصل السادس بوصف مدينة القاهرة : جغرافيتها واصولها والقاهرة القديمة (الفسطاط) وجزيرة الروضة والبوابات والأحياء والميادين والقلعة . ثم يخصص الفصل السابع للمعمار الدينى وبداه بوصف عام للجامع والآثار الاسلامية . ثم يصف اربعين جامعاً من جوامع القاهرة وصفاً تفصيلياً . ويصف فى الفصل الثامن المعمار المدنى ولا ينسى حتى الموريستان وعمارته والمدارس والمنازل ، والسبيل والخان ، والحمامات العامة والقصور . ثم يقارن فى نهاية الفصل بين المنازل المصرية والمنازل الجزائرية .

وينتقل فى الفصل التاسع لوصف المعمار العسكرى : البوابات والأسوار وقلعة القاهرة .

ثم ينتقل فى الفصل العاشر الى وصف وشرح الفنون المرتبطة بالمعمار ، وتتضمن اربعة مجالات : فنون البناء (الأسوار والأقواس ، والحيطان والطنف الخ) ، والنجارة (السقوف والمشربيات الخ) والزخرفة (الموزايك والسيراميك الخ) ، وأثاث الجوامع .

ثم يناقش فى الفصل الحادى عشر الفنون المستقلة عن المعمار ، مثل السجاد ، والمعلقات ، والزجاج ، والكتابة العربية . وفى الفصل الأخير (الثانى عشر) يناقش آراءه حول نشأة المعمار العربى واصوله وتطوره ثم اندثاره .

ويضم الجزء الأخير من الكتاب مائتى لوحة ملونة رائعة :

- من اللوحة الأولى وحتى اللوحة ٤٣ المناظر والتفصيلات المعمارية .
- من ٤٤ حتى ٦٧ : الديكورات وفنون الزينة المعمارية .
- من ٤٨ حتى ٦٧ : الكسوة والتبليط .
- من ٦٨ حتى ٧٥ : السقوف
- من ٧٦ حتى ٩٤ : أعمال الخشب .
- من ٩٥ حتى ١٠٧ : الأبواب .
- من ١٠٨ حتى ١٣٣ : القرميد .
- من ١٣٤ حتى ١٣٨ : النجارة ، المشربيات .
- من ١٣٩ حتى ١٤٢ : الداخليات .
- من ١٤٣ حتى ١٤٦ : الزجاج ، والزجاج الملون .
- من ١٤٧ حتى ١٥٤ : السجاد والقماش .
- من ١٥٥ حتى ١٥٦ : الأسلحة .
- من ١٥٧ حتى ١٧٣ : الأثاث المدنى والدينى : النحاس .
- من ١٧٤ حتى ١٨٠ : المخطوطات (والتجليد) .
- من ١٨١ حتى ٢٠٠ : نسخ القرآن الكريم .

● ● ●

هذا هو الكتاب .

وتبقى كلمة يذكرها الناشر حول الترجمة من الفرنسية الى الانجليزية : «لقد جاءت الترجمة مطابقة للنص الأصلى ما أمكن ذلك ، ولم تبذل أية محاولة لاستخدام مصطلحات عصرية أو تصحيح الأخطاء هنا وهناك لحقائق معروفة ، فهى تشكل عنصراً دائماً من قيمة عمل كهذا ، والاستثناء الوحيد هو فى تهجى الأسماء والمصطلحات العربية التى لا تتفق والأصل فقد استخدم أسلوب أسهل فى ترجمتها .

مجدى نصيف

أبو الشمقمق

"ولقد أفلست حتى حلّ أكلي لعيالي"

أبو الشمقمق

بقلم: فيصل طاهر أبو فاشا

منذ ظهر التكسب بالشعر فى فجر الدولة العربية كان كنف الخلفاء فى عصره ظلا يفيء إليه الشعراء حيث يصلهم أولو الأمر .. ويغدقون عليهم .. ولم تكن هذه الطريق معبدة امام سائر الشعراء ، فمنهم من تنكبته .. وكان لزاماً على هؤلاء ان يبحثوا لهم عن مرتزق يعيشون منه .. او عليهم ان يعايشوا الشعر مع الفقر وهم بهذا من المكدين (١) والمحارفين (٢) . وإلى هؤلاء ينتمى ابو الشمقمق (محمد بن مروان) وهو من ظرفاء الشعراء الفقراء او المحارفين .

ونرى فى مادة (ش . م . ق) بالمعاجم ان الشمق (بفتح الشين والميم) هو مرح الجنون . والشّمق (بفتح الشين المشددة وكسر الميم) هو الطويل الجسيم من الرجال . فهل كان ابو الشمقمق كذلك ولهذا سمى بذلك ؟ الذى وصلنا عنه انه كان كبير الأنف عظيمه ، أهْرَتَ الشدقين ، منكر المنظر ، وكان اديباً محارفاً هجاء صعلوكاً برماً بالناس يلقى تبعة فقره وبؤسه ـ شانه فى ذلك شان غيره من امثاله ـ على دنياه ولؤم ناسها وله مع ابى نواس وابى العتاهية اخبار . وملح . ونوادر .

وكان بشار على سلاطته ومُرِّ هجائه يتوقى ابا الشمقمق ويعطيه مائتى درهم فى كل عام ويسميها ابو الشمقمق الجزية ويذكرنا ذلك بحافظ ابراهيم وعبد الحميد الديب فقد كان حافظ ينفح الديب .. ولا يسلم من هجائه .

• • •

مر بابى الشمقمق احد اصدقائه فراه فى اطمار بالية مسحوقة فقال له مداعباً : ابشر يا ابا الشمقمق فقد ورد فى الحديث ان العارين فى الدنيا هم الكاسون فى الآخرة . فبادره أبو الشمقمق قائلا : والله إن صح هذا لكنت انا فى ذلك اليوم بزازاً (٣) .

وانشده قائلا :

انا فى حال تعالى الله ربى أىّ حالِ
ليس لى شيء إذا قيل لمن ذا ؟ قلتُ : ذا لى
ولقد أهزلت حتى محت الشمسُ خيالى
ولقد افلست حتى حَلّ اكلى لعيالى !

ومن طريف شعره تلك الصورة الساخرة التى ينفس فيها عن لواعج نفسه ويظهر فيها حنقه وحقده على من يملكون الركائب :

اترانى أرى من الدهر يوماً
لِىَ فيه مطية غير رجلى

كلما كنت فى جميع وقالوا :
قربوا للرحيل قربت نعلى
حيثما كنت لا اخاف رحيلا
من رآنى فقد رآنى ورحلى

وانظر إليه يصور بريشته بيته فيقول :

برزت من المنازل والقباب
فلم يعسر على احد حجابى
فمنزلى الفضاء وسقف بيتى
سماء الله او قطع السحاب
فانت إذا أردت دخلت بيتى
على مسلما من غير باب
لانى لم اجد مصراع باب
يكون من السحاب او التراب
ولا خفت الاباق على عبيدى
ولا خفت الهلاك على دوابى
وفى ذا راحة وفراغ بال
فداب الدهر ذا أبداً ودابى !

ولم يكن أبو الشمقمق مسبوقاً فى هذه الصور والمعانى . بل كان سباقاً إليها ونهج نهجه بعد ذلك شعراء كثيرون كابى فرعون (الشاعر المتسول) ، وورد عنه فى كتاب طبقات الشعراء لابن المعتز انه من افصح الشعراء واجودهم شعراً ولكنه لم يكن يصبر عن الكدية وكان متبذلا يمد يده للناس ويتكففهم وله فى وصف بيته أبيات يقول فيها :

ليس اغلاقى لبابى ان لى ... فيه ما اخشى عليه السَّرقا
إنما اغلقته كيلا يرى ... سوءَ حالى من يَمرُّ الطرقا
منزلٌ أوطنَهُ الفقر فلو ... دخل السارق فيه سُرِقا

وقد نجد فى شعر المكدين والمحارفين من الشعراء من بلغ بشعره مرتبة أعلى من تلك التى بلغها ابو الشمقمق .

ومع ذلك يبقى لشاعرنا فضل السبق والريادة فى هذا المجال .

هوامش

(١) ، (٢) المكدين والمحارفين :

الفقراء الذين ضاقت امامهم سبل الرزق .

(٣) البزاز : بائع البز بفتح الباء وهى ثياب من الكتان او القطن .



مشهد من مسرحية المناقشة التى قدمتها فرقة مسرح السد ، وهى واحدة من انجح المسرحيات القطرية على المستوى الجماهيرى والنقدى ، والتى قام بتاليفها واخراجها حمد الرميحى وقام ببطولتها غانم السليطى

مهرجان المسرح القطري المصري
أربع ليالٍ متألقة في الدوحة

وانتصر عشاق المسرح على تجّار الفن!

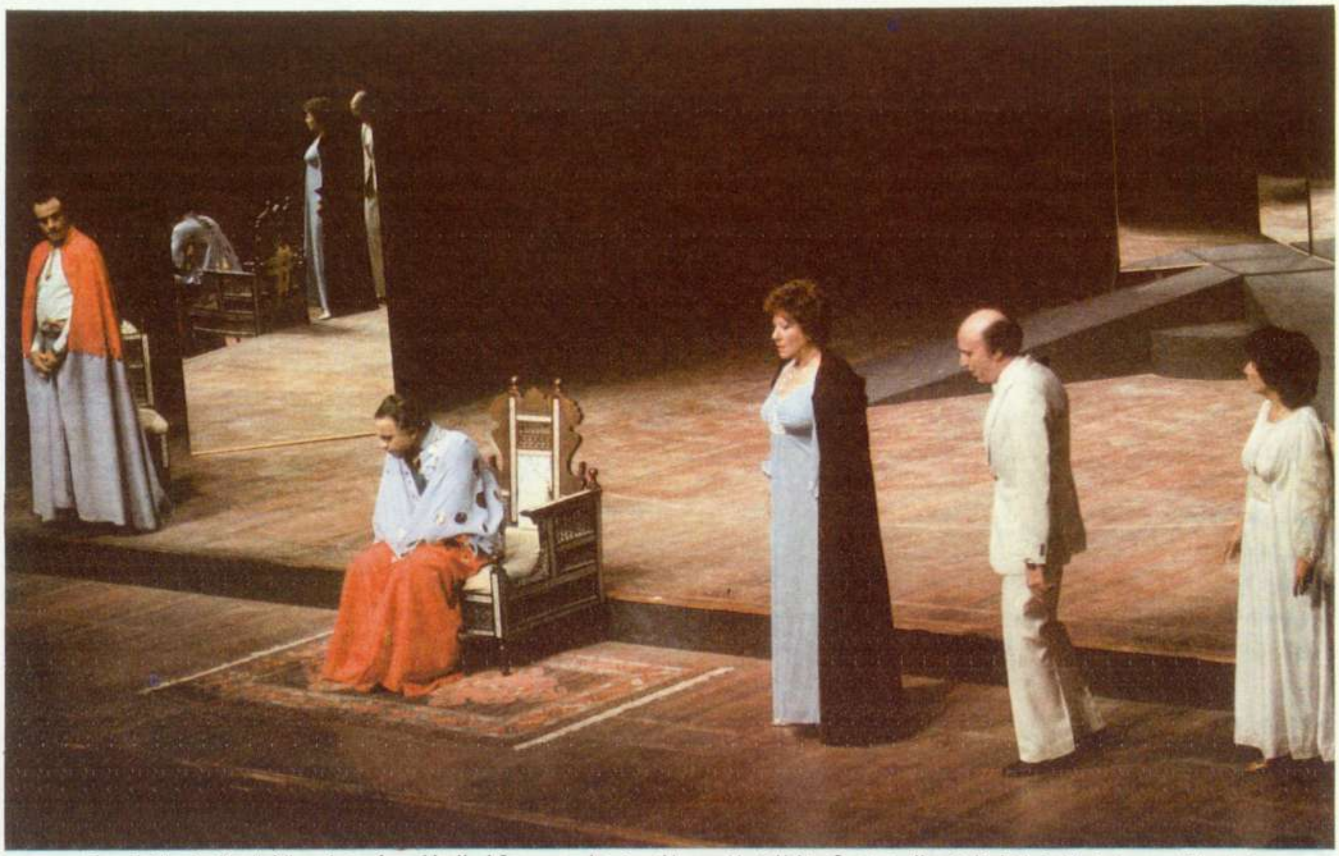
بقلم: عبد الرحمن محسن



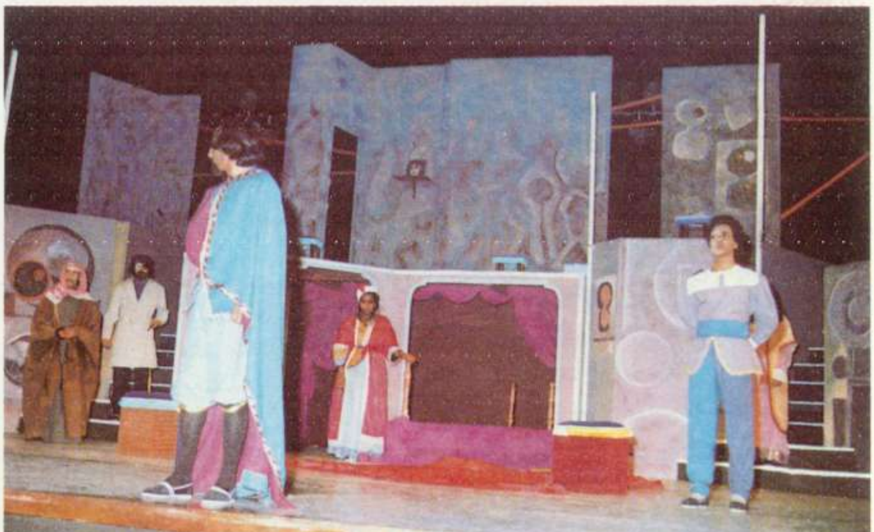
أم هاملت كما حاولت مسرحية المناقشة الساحرة ان تصورها

من بين جميع الفنون ينفرد المسرح بجميع اشكاله بصفة التواصل المباشر بين المبدعين والجمهور ، ولعل فى هذا التواصل وفى تلك الاثارة والمتعة التى يحققها هذا الفن يكمن السر فى استمرار هذا الفن فى عصر اجهزة الاتصال التى تقدم للجمهور كل ما يريد ومالا يريد دون عناء .. ولنفس هذه الاسباب ايضا يمكن ان نرجع ذلك الاصرار والاخلاص العميق لبعض ابطال هذا الفن فى عصر سادته مفاهيم الكسب والتجارة .. ولقد كان اللقاء بين نادى المسرح المصرى ومسرح الاضواء القطرى لقاء بين عشاق المسرح لا بين تجاره .. ومن هنا كان هذا البريق والدفء الذى اثارته ليالى المهرجان الأربع فى تلك الامسيات الشتائية الباردة ..

فعلى انقاض المسرح الجاد فى ستينات مصر الزاهرة قامت عشرات من الفرق العنكبوتية التى احتلت الساحة وعلا



« ما اجملنا » مسرحية رائعة لمحفوظ عبد الرحمن ، قدمها نادى المسرح المصرى على مسرح قطر الوطنى ، فى عرض بالغ الجاذبية والقوة ، وقد استطاعت عملاقة المسرح سميحة ايوب ان تضيف بحضورها الفذ ابعاداً جديدة للمسرحية



« جريمة فى حي البندقية » عرض مسرح الاضواء خلال المهرجان ، من اخراج حسن ابراهيم ، الذى لفت الانظار لامكانيات الفنانين القطريين وطاقاتهم المبدعة



زوجة الابن القتيل فى مسرحية سوء تفاهم تحذر من المصير المحتوم

ضجيجها حين خفتت دقات المسرح الأصيل. ولم تكتف هذه الفرق بتشويه وجه المسرح المصرى فقط ، بل اخذت على عاتقها مهمة مسخ المسرح فى أركان الوطن العربى وتشويه كل منجزات الانسان العربى ! فقبل هذا المهرجان .. زارت الدوحة عشرات الفرق المسرحية العنكبوتية لتقدم عروضها الممسوخة التى تعتمد على مبدا اقبض واهرب ولا يهم بعد ذلك الاثر السيء الذى تتركه خلفها ولا تلك المرارة التى تخلفها فى حلوق مواطنيها حين تتحول همومهم الى مسوخ شائهة ، وحين تتحول نماذجهم الى مجرد راقصة وطبال !

ومن بين كل هذا الركام ، وفى مواجهته تصر بعض الجذور الضاربة فى ارض الاصالة على ان تزهر من جديد ، كما تصر النبتات الجديدة على معانقة وجه الشمس ، وحين يجتمع العشق والموهبة فلابد من التواجد ، وهكذا ولد نادى المسرح المصرى فى يوليو عام ١٩٧٩ .. مجموعة من عشاق المسرح ،

معظمهم من المحترفين القادرين على التكسب بحرفتهم ، لكنهم جميعاً يعرفون انه الكسب الرخيص والخسارة الفادحة ..

وعلى خشبات المسرح المحتلة بانكشارية الحركة المسرحية التجارية ، كافح نادى المسرح المصرى حتى حصل على حقه فى تقديم العروض التى تستحق ان تحمل اسم المسرح المصرى العريق. فقدم نادى المسرح بضع مسرحيات طليعيـــة جديدة لكتاب مصريين وعالميين .. «نادى النفوس العارية» لسعد الدين وهبه .. «الوهم» لمصطفى سعد .. و«الملاحظ والمهندس» لعلى سالم و«القاعدة والاستثناء» لبرخت .. و «سوء تفاهم» لكامى .. وغيرها من المسرحيات الجادة والتجريبية .. وقد اعطى نادى المسرح لاعضائه من المسرحيين الشبان الفرصة النادرة فى ان يقدموا عطاء خصباً جديداً نقياً بعيداً عن شبح المسوخ الهائمة على خشبات المسرح التجارى ، وانقذ بذلك عدداً لا باس به من هؤلاء الشبان من سفينة الاسفاف التى توشك على الغرق !

ولان نادى المسرح نادى عشاق .. لفن اصيل – فى بلد رائد، كان لابد وان تمتد احلامه الى حدودها الطبيعية وان يطمح فى الوصول الى جمهوره العربى .. فى كل مكان .. وكان من المنطقى ايضا ان يشمل هذا الطموح تقديم تجارب المسارح العربيـــة الصاعدة لجمهور هذا النادى ولجمهور المسرح فى مصر عموماً .

الحلم القديم

وعلى ضفاف الخليج – ومنذ عام ١٩٦٦ كانت مجموعة من الشبان المخلصين المتحمسين للفن الأصيل ، تنحت فى صخر الواقع لتطل بوجهها على جمهور لم يعرف المسرح المحلى إلا فى بعض المدارس .. وتاسست فرقة مسرح الاضواء فى البداية بهدف تقديم العروض الغنائية والمسرحية ، وقدمت بالفعل وبامكاناتها المتواضعة أول الاعمال المسرحية الجماهيرية ، ثم تبعتها بعد ذلك ثلاث فرق مسرحية قطرية هى مسرح السد، وفرقة المسرح القطرى، وفرقة المسرح الشعبى (تحت التاسيس) ..

وقد ظلت الفرق المسرحية الثلاث تتنافس لسنوات عديدة على خشبات المسرح المحدودة الموجودة فى قطر الى ان تم فى العام قبل الماضى افتتاح مسرح قطر الوطنى الذى اعطى لهذه الفرق الأساس المادى الصلب للانطلاق ، فبدون خشبة المسرح لم يكن من الممكن لاى من هذه الفرق ان تقدم اكثر من مسرحيتين على اكثر تقدير طوال العام ، ولعدد محدود من الليالى ، كما ان التبادل المسرحى ظل محصوراً فى اطار العروض التجارية لفرق الانكشارية المسرحية التى تاخذ ولا تعطى ، فليس من منطق الأشياء ان تفكر هذه الفرق التجارية فى تقديم تجارب المسرح القطـــرى فى بلادها ..

وفى عام ١٩٨٢ عقد مسرح الأضـواء ونادى المسرح المصرى الاتفاق الذى كان بداية انطلاق المسرح القطرى الى خارج الحدود .. وقدم مسرح الأضواء فى القاهرة عرضاً شيقاً ادهش الجمهور والنقاد الذين بدأ هذا المسرح ونما من غفلة منهم .. غفلة يتحملون هم بعضاً من مسئوليتها وإن لم يتحملوها كلها ..

أول ليالى المهرجان

وفى أول ليالى المهرجان المسرحى المصرى القطرى فى الدوحة ، قدمت فرقة الأضواء مسرحية جريمة فى حي البندقية ، عن نص عطيل لشكسبير .. وعطيل يعـــود لكازندزاكى ، من اعداد عبد المنعم عيسى وحسن ابراهيم ، واخراج حسن ابراهيم – وقد كانت هذه المسرحية فرصة حقيقية لمسرح الاضواء لاستعراض وتفجير كل طاقات الابداع لدى فنانية، لقد اتســم العرض بالضخامة والفخامة فى اعـــداد الممثلين والديكور – وحتى الموسيقى المصاحبة ..

ورغم الديكور المتعدد المستويات والذى احتل اكثر من نصيبه المنطقى على خشبة المسرح ، فقد استطاع المخرج ان يضبط حركة الممثلين وان يناغم بينها ، كما استطاع في معظم اللحظات ان يشد انفاس الجمهور وان يضبط الايقاع السريع الذي يشبه الايقـــاع السينمائى الى حد كبير ، ولعب ببراعة حقيقية بالاداء الذى يتراقص على شعرة دقيقة بين الكلاسيكية والمبالغة الكوميدية دون ان يسقط في هوة التخشب أو الأسفاف ، حتى ان الجمهور ظل لدقائق لا يطلق لضحكاته العنان خشية ان يكون فى مواجهة عرض كلاسيكى تقليدى ..

وقد حاول المخرج والمعد ان يحملا النص بعض وجهات النظر الجديدة .. بالحذف أو الاضافة .. وحتى بالمكياج .. واختيار الممثلين .. فعطيل مشكلته ليست فى لونه كما فسرها شكسبير ووجوه افراد الفرقة مطلية في معظمها باللون الاسود والأبيض فالمشكلة ليست فى لون بشرتنا ولكن فى لون ما نحمل فى قلوبنا .

سوء تفاهم .. لماذا ؟

كتب البير كامى عـــدداً قليـلا من المسرحيات وتعتبر «سوء تفاهم» واحدة من اعماله المبكرة .. وهى تعتمد على حادثة ماساوية .. تجسد مفهوم العبث لدى هذا الكاتب .. حين تقوم أم وشقيقة بقتل الابن العائد ، قبل ان يتعرفا على شخصيته الحقيقية ، والمسرحية بحبكتها واحداثها تحـاول ان تدين هـذا اللاتواصل الذى نعيش فيه ، والذى هو نتاج اطماعنا الفردية وانغلاقنا على ذواتنا ، فالابن قد رحل صبياً وعاد ثرياً ، يحلم باسعاد الأم والشقيقة ، ولكنه قبل ان ينفذ ما اعتزم عليه أصر على ان يختبر بنفسه مشاعره ومشـاعر اسرته التى تركها تعانى حلماً لا يتحقق بمكان مشمس يطل على البحر .. فانجرفت الى القتل على أمل ان تغتســل من الأوزار بامواج الشاطىء الموهوم ..

اخرج شريف خاطر مسرحية : ســوء تفاهم – لنادي المسرح المصري وعرضت في أول مواسمه ، ومن المنطقى ان يقدم نادى المسرح مثل هذه التجارب الخاصة لرواده من المتخصصين والمهتمين كاطلاله على تراث المسرح بكل مدارسه وفلسفاته ، ولكن يبقى السؤال : لماذا هذه المسرحية بالذات فى هذا المهرجان ؟ .

إن جمهور مهرجان المسرح المصرى والقطرى بالقطع هو جمهور أوسع واكثر تنوعاً من جمهور نادى المسرح ، ورغم منطقية اختيار نص عربى ونص عالمى إلا ان السؤال يظل معلقاً ، فهل حقا تبدو سوء تفاهم هى اقرب واهم المسرحيات العالمية التى قدمها نادى المسرح المصرى لهموم واهتمامات جمهور المسرح القطرى ؟ او حتى للحركة المسرحية فى قطر ؟

ان تجربة شريف خاطر السهلة الممتنعة في اخراج المسرحية تجربة تستحق المشاهدة بلاشك ، كذلك الأداء المنضبط لكل الممثلين ، لكن عروضاً اخرى لنادي المسرح المصري كانت اكبر فائدة بلاشك لو عرضت في هذا المهرجان ..الملاحظ والمهندس – لعلي سالم .. ونادي النفوس العارية – لسعد الدين وهبة .. والقاعدة والاستثناء – لبرخت .. كلها تجارب قدمها نادي المسرح لرواده وكلها كانت جديرة بان تثير مزيداً من الاهتمام لدى جمهور هذا المهرجان .

المناقشة مستمرة

خـلال تاريخ المسرح القطري الذي يمتد من عام ١٩٦٦ تاريخ تاسيس مسرح

الاضواء وحتى الآن حظيت مسرحيتان بالنصيب الأكبر من الشهرة والنجاح الجماهيرى .. كانت الأولى هى مسرحية ام الزين - للكاتب القطري عبدالرحمن المناعي .. وكان سر نجاحها هو اصالتها ومحليتها الشديدة فروعة الفن عادة تنتج من مدى التصاقه وتعبيره عن واقع محدد .. وقد تناولت تلك المسرحية مظاهر وهموم التغير الذى اصاب المجتمع الخليجى بعد اكتشاف البترول باسلوب شاعرى رقيق لمس القلوب وامتع العقول ..

اما عرض الليلة الثالثة من مهرجان المسرح المصرى القطرى فقد كان العرض الثانى فى تاريخ المسرح القطرى الذى يحظى بنفس النصيب من الشهرة والنجاح الجماهيرى والنقدى ، فقد عرضت مسرحية « المناقشة » لمرات ثلاث في خلال اقل من عام واحد .. ومثلما كانت الأصالة والارتباط بالواقـع المعـــاش هي أسبـــاب نجـــاح ام الزين .. كانت ايضـــا هي أسباب نجـــاح المناقشـــة .. فرغم ان هذه المسرحية تتسربل بمناقشة هموم المسرح والحركة المسرحية .. إلا انها تنطلق من هذا الواقع الصغير الى الواقع الأكبر .. ومن خلال المناقشة التى تدور بين افراد فرقة مسرحيـــة حـــول النص المنـــاسب تتطرق المناقشة لكثير من المشاكل والعيـــوب الاجتماعية ، كما تناقش حق الفن فى تعرية الحقيقة .. وزيف حملة شعارات « كل شىء على ما يرام » الذين يمثلهم مدير المسرح .

والمناقشة مسرحية من مسرحيات الفصل الواحد وهى فى مجملها مجموعــــة من اللوحات الكوميدية النقيـــة الســـاخرة

احسن المؤلف والمخرج حمد الرميحى فيها استغلال هذا الشكل وقدم عدداً من اللوحات اللاذعة التى لقيت على الفور تجاوباً جماهيرياً كبيراً - ومع ذلك فقد كان للاغراق فى محليه اللهجة التى يدور بها الحوار بعض الأثر في ضعف تقبل بعض جمهور المهرجان لبعض اجزاء العمل نسبياً.

وقد اعاد مؤلف ومخرج العمل صياغة مسرحيته عدة مرات بعد كل عرض ، واضاف لها عدداً من اللمسات والمناظـر الجديدة بعد ان اكتشف مناطق تجـــاوب الجمهور حتى اقتربت هذه المسرحية من مسرح الكوميديا المرتجلة بشكل كبير ..

وبعد ان انفض المهرجان ، عادت هذه المسرحية لتعرض على الجمهور من جديد لتضرب بذلك الرقم القياسى فى عدد مرات العرض ولياليه .

● «المناقشـــة» مسرحية نـــاجحـــة ، عميقـــة الارتـــباط بالواقـــع

مواجهة الحقيقة

من منا لا يحمل الخير حلمـــا في صدره وبين جوانبه ؟ كلنا ، حتى عتاة الاشرار منا .. ولكن .. من منا قادر على ان يطلق لهذا الحلم العنان ؟ من منا قادر على ان يتحمل تبعات هذا الحمل الثقيل ؟ ! قليل بل واقل من القليل ..

المرايا فى صدر المسرح تحذر الجمهور من أول لحظة .. ما ستشاهدونه الليلة ليس مجرد تمثيل .. انه كشف موجع للنفس البشرية انظروا فى المرايا التى امامكم .. انتم ايضاً جزء من هذه الحكاية .. والحكاية حكاية وال في بلد ما فى زمن غير محدد يشـتعل ضـده نوع من التمـرد ويحاول الوزير ان يقنع الوالى باستعمال الحيلة بعد ان فشلت المواجهة وتشعر زوجة الوالى بالملل ، ويعدها الحاجب بمتعة لا تعادلها متعة،ففى الباب عراف يدعى العلم بمـــا خفى .. ومن مقاعـــد الجمهور يتقدم العراف .. مهيباً .. صارم الوجه ويعلن منذ البداية انه لا يدعى العلم بما سياتى .. بل كل لعبته تتركز فى كشف خبايا الصدور .. وآه من هذه الخبايا .. وتبدأ اللعبة بالحديث عن انوف .. ولا حظوا كل ما يحمله هذا الاسم من دلالات .. من قتل انوف فى سجنه ؟ انت ايها الوالى .. ارسلت له جاريتك بالسم ويطلب الوالى اخراج هذا العراف فوراً .. لكن اللعبة تحلو فى اعين الآخرين طالما ان غيرهم هو المتهم .. هو من تتعرى الحقائق فى عقله .. لكن العراف يستدير من جديد لسيدة القصر .. وانت ايضاً عشقت انوف يوماً .. ثم دفنت هذا الحب .. وحاولت قتله .. ووزيرك ايضاً يا سيدى الوالى .. هو الذى احتـــل مكانـــه .. من بقي اذن ؟ الوصيفة سفر .. وانت ايضاً يا سيدتى رغم أنك كنت الوحيدة التى احبته بصدق ، انت ايضاً ، شاركت فى قتله حين التزمت الصمت .. حين تركتيهم ياخذون ابنك وابن انوف لحتفه .. لقد قتلوه بالفعل وقتلتيه بالصمت بالسلب .. كنتم جميعاً تحبونه .. فلماذا قتلتوه ؟ قتلتوه لأنه حلمكم المدفون حياً .. يطل عليكم فى كل لحظة فيكشف لكم كم ضحيتم بكل جميل من ارواحكم من اجل ماذا ؟ الجاه والسلطة والأمان .. من اجل ، هذا قتلتم اجمل ما فيكم : الصدق ، والخير والعدل .. وانتم ايضـــا يا جمهورنا الكريم .. انظروا فى المرايا علكم تكتشفون ماذا قتلتم ..

ويصعد العراف من جديد الى مقـــاعد المتفرجين ليلقى بقنبلته الأخيرة .. حاولوا ان تنسوا .. لكن لن تستطيعوا،فانوف باق .. ليس كرمز - بل مجسداً فى ابنه ، الذى أصبح الآن الامل .

يختفى العراف كما ظهر ، لكنه يترك خلفه الحقائق عارية امام الجميع فهل حقا مات الزيف بمجرد ان واجهنا الحقيقة لمرة!!

ما اعقد الانسان وما ابشعه وما اقدره على التزيف مرة ومرات .. من جديد تقترح الزوجة أن يعود كل شىء الى ما كان عليه فالعراف لم يكن قط .. فهو مجرد وهم - وهو مازال بالباب ينتظر ليسلبنا .. اذن فلنعد الى تمثيل ادوارنا ، ولنهتف جميعاً : ما اجملنا --- او ما ....

محفوظ عبد الرحمن علامة بارزة فى تاريخ الدراما العربية المعاصرة ، وواحد من النوادر الذين استطاعوا ان يحولوا الدراما التليفزيونية الى متعة حقيقية للعقل والروح والوجدان : عنترة ، سليمان الحلبى ، ليلة سقوط غرناطة ، والكتابة على لحم يحترق .. التاريخ فى هذه الأعمال لم يعد مجرد أحداث ومسار بل اصبح رحماً يتخلق منه واقعنا المعاش من جديد ..

كان عرض « ما اجملنا » اخراج عادل هاشم هو العرض الأخير فى المهرجان وكان بحق مسك الختام واستطاعت الفنانة سميحة ايوب بحضورها الفذ على المسرح ان تشد الجمهور الى مقاعده منذ اللحظة الأولى مبهور الانفاس بهذا الايقاع المبهر للحوار الشعرى الكثيف ، الذى يضيف فى كل لحظة كشفاً جديداً للحقائق ..

وماذا بعد ..

انتهت ليالى المهرجان الاربع .. وانفض السامر ، ولكن هذا البريق الذى لمع فى سماء الدوحة لم يخب سريعاً .. فقد اعاد الأمل لجمهور المسرح فى أيام مقبلة .. اكثر صدقـاً واكثر عطاء ..وفي بعث جـديد لروح المسرح العربى التى كادت ان تخبو تحت رمـــاد الاسفـــاف والابتذال وانصراف الجمهور ..

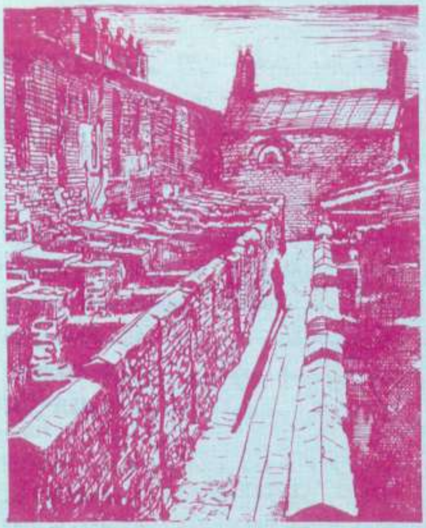
عبد الرحمن محسن



المدرسة التى تلقى فيها تعليمه اثناء فترة صباه فى انجلترا



عندما عاش فى باريس وكتب عدة قصص وروايات مزقها جميعا



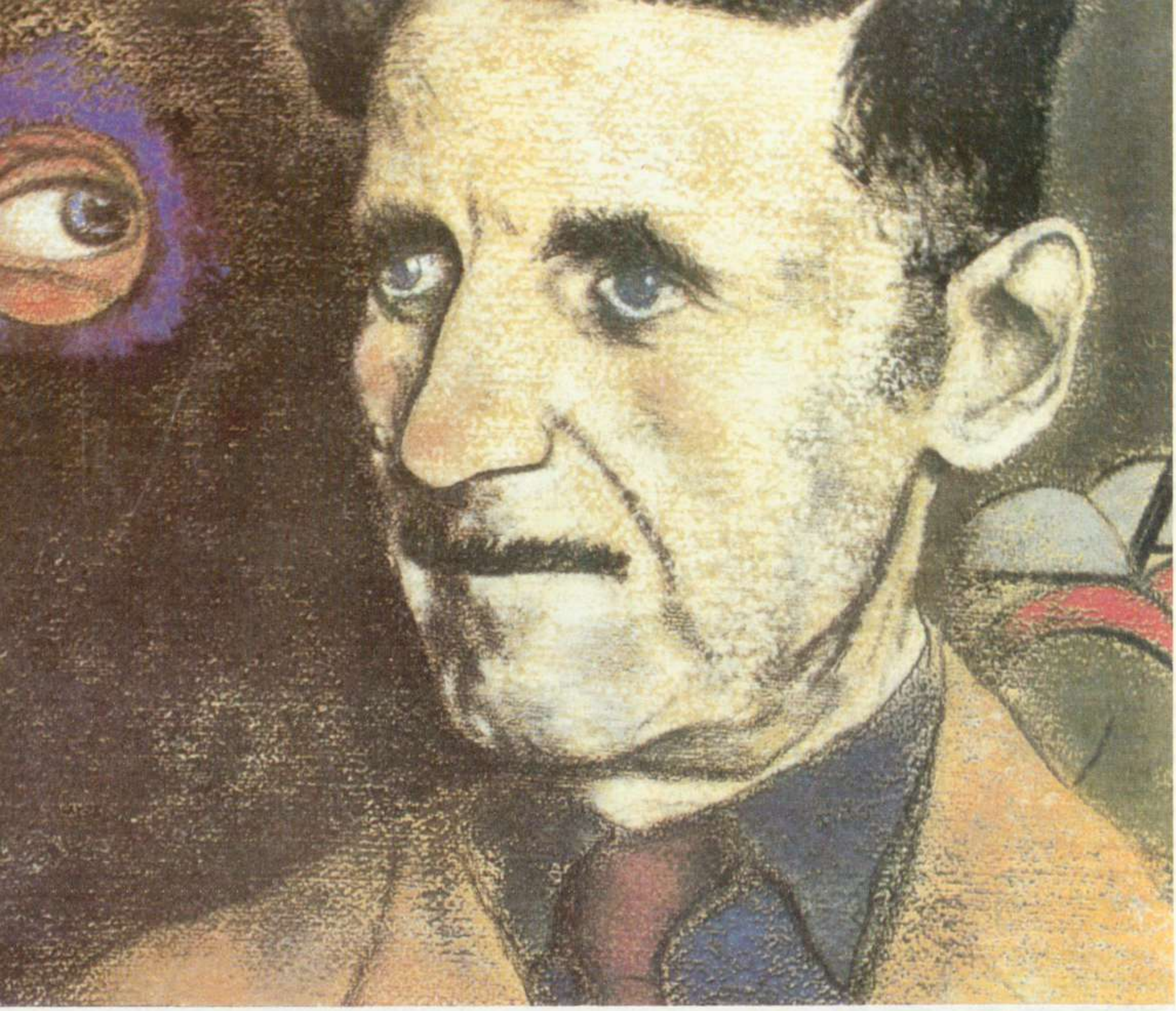
ذهب ليكتب عن عمال المناجم ، واحس بهم ، وتمنى أن يكون واحداً منهم !

١٩٨٤

أخطر رواية سياسية في القرن العشرين

عرض وتقديم: ياسر السباعي

رواية ١٩٨٤ هى أخطر رواية سياسية فى القرن العشرين ، وقد صدرت هذه الرواية سنة ١٩٤٩ ، لكاتبها الروائى الانجليزى « جورج أورويل » وتصور الرواية دولة خيالية هى دولة « أوشانيا العظمى » التى يدبر شئونها « اربع وزارات هى : وزارة الصدق ومهمتها تزييف الحقائق والقضاء على الوثائق التى تذكر الناس بالماضى ، ووزارة السلام وتتولى شئون الحرب والاعداد لها . ووزارة الوفرة والرخاء وتتولى مهمة تخفيض الحصص التموينية المخصصة للأفراد ، وأكثر الوزارات بثاً للهلع والرعب فى قلوب المواطنين هى وزارة الحب التى تعنى بحفظ النظام وتنفيذ القوانين،أما شعارات الدولة الثلاثة المنتشرة فى كل مكان فهى : الحرب هى السلام ـ الحرية هى العبودية ـ الجهل قوة » !



جورج اورويل كاتب رواية (١٩٨٤) التى تذكرها العالم هذا العام ، واثيرت حولها وحول المؤلف ضجة بالغة تستمر طوال هذا العام

ظهرت فى اواخر الخمسينات عدة افلام خيالية تدور حول ما سيحدث فى الثمانينات والتسعينات من هذا القرن ، وقد حدث - علميا - اغلب ما تنبات به تلك الافلام ، وإن كان الواقع والاحداث بقيت بعيدة عن الخيال السينمائى !

وما حدث فى السينما ، حدث فى الادب والفكر بشكل عام ، حيث عبرت كثير من الاعمال عن المستقبل ، واعطت تصورات لما سيحدث فى السنوات القادمة ، او ما يجب حدوثه او عدم حدوثه !

وبعد ان خطط الروائى الانجليزى « آرثر جورج اورويل » لروايته المستقبلية الرائعة « آخر إنسان فى اوربا » شعر بان فكرتها تتبدد بسبب تشاؤمه الدائم من كتاباته والكآبة المستمرة التى كانت تلازمه نتيجة للسل الرئوى الذى اصابه ، غير انه تغلب على ازمته وعاد ليخاطر بكتابة الرواية على الآلة الكاتبة ، وراجعها كمخطوط ، مما ارهقه ودمره جسديا ، بحيث اصبح نزيلا فى مستشفى الامراض المزمنة فى نفس الوقت الذى نشر فيه الرواية فى يونيو عام ١٩٤٩ ولكن تحت عنوان (١٩٨٤) !

وقد اعتبرت هذه الرواية قراءة مبهمة لاشياء مستقبلية طارئة ، فالمؤلف اعتبر عامى ١٩٨٠ و ١٩٨٢ هما زمن روايته ، وان ما هو على وشك الحدوث ربما يحدث بعد عامين او اربعة او قد لا يحدث ابدا !

ماذا تقول الرواية ؟

وهذه الرواية قراها عشرات الملايين من البشر من خلال ٦٢ لغة ، واحدثت ضجة فى كل الاوساط الادبية .. ومن خلال هذه الضجة كان لابد ان نتعرف على الرواية .. ماذا تقول وما هى الفكرة التى تدور حولها والتى حظيت بكل هذا الاهتمام من العالم ؟

انها رواية بطلها ونستون سميث ، موظف بيروقراطى صغير فى دولة (اوشانيا) او اوقيانوسيا الدكتاتورية زمن حرب عالمية دائمة بين قوتين (اوراسيا) و (استاسيا) وبين هاتين القوتين وبقية دول العالم حيث تتغير حالات العداء والتحالفات باستمرار .

وبطلنا سميث يعمل فى وزارة (الصدق) إذ يعيد كتابة القصص الصحفية القديمة لتتلاءم مع افكار الحزب الحاكم ، مستخدما اللغة الرسمية (لغة الكلام الجديد) ويصوغ بواسطتها آراء (قويمة) ليتم تبنيها .. فى هذا المجتمع تلاشت السرية حتى فى النوم .. وسميث وكل اعضاء الحزب تراقبهم شاشات تليفزيونية وملصقات فى كل مكان تقول : « إن الاخ الاكبر يراقبك » .. وفجاة يرتكب سميث جريمة فكرية إذ يقول :

(فليسقط الأخ الأكبر) وسرعان ما ارتكب جريمة شائنة اخرى عند ما وقع فى حب جوليا ، زميلة العمل فى مكتبه .. عند ذلك قامت رابطة (معاداة الجنس بين الشباب) بالتنظير فى فضيلة العزوبية ، وان النسل سيتم قريباً عن طريق زرع النطف ، وان ولاء الناس جميعاً سيتجه نحو الحزب !

وتم القبض على جوليا وسميث ونقلا الى وزارة (الحب) حيث عذب سميث ببطء شديد ، ثم اخذ الى الغرفة ١٠١ وعانى من مخاوفه الشديدة من المحققين ، ولكن عندما دفعوا فى وجهه فاراً توسل إليهم أن يوقعوا هذا العقاب على جوليا بدلا منه فازالت هذه الخيانة منه اخر اثر للاستقامة واصبح (عضواً جيداً فى الحزب) !

وكان لابد له ان يثبت جدارته بعد حصوله على هذه الدرجة فى الحزب بكل ما يملك من طاقة ..

ونقلب صفحات الكتاب لنجد انفسنا فى شارع امام حائط غريب الشكل مصنوع من المعدن المثقب ، ونجد على ذلك الحائط لافتة كتب عليها « ممنوع منعاً باتاً فتح هذا الغطاء الواقى بغير تصريح كتابى خاص من قسم ٢٢ / ب / ي ب ويعاقب المخالف بالاعدام » وتحت هذه اللافتة غطاء من الصلب يشبه القفص مثبت فى الحائط بمفصلات . هذا هو المستقبل كما يراه رجل مذعور .. مستقبل قد يتحقق بمثل هذه السهولة المهلكة !

وتمتد يدان تفتحان هذا الغطاء ، وندرك ان الذى يفتحه ضابط عالى الرتبة . بالداخل غطاء آخر من الصلب عليه لافتة كتب عليها (خطر شديد ، لا يفتح إلا عند الضرورة . هل تاكدت من الاوامر الصادرة إليك ؟) .

تفتح اليدان القفل الآلي فتنفتح ابواب مزدوجة رجاجة من الصلب كاشفة عن صف من الأزرار المضيئة . بعد لحظة تردد ، تضغط احدى اليدين على ستة منها ثم تنسحب : ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، وبكل اجلال وذهول تتردد انفجارات ذرية . الانفجار الأول سريع جداً ثم تطـول الانفجارات تدريجياً .. سحابة من دخان الثلج الجاف تدور فى حركة حلزونيـة ، وتنطلق الأصوات : الحرب الذرية .. المجاعة .. انهيار المدينة . ثم .. تحـل محلها .. طريقة جديدة للحياة !

ومن خلال الدخان المتصاعد تظهر ببطء صورة (الأخ الأكبر تحتها عبارة : الأخ الأكبر يراقبك) على لوحة اعلانات كبيرة !

وفى لندن عام ١٩٨٤ ، عاصمة ولاية « اير ستريب رقم واحد » احدى ولايات جمهورية أوشـانيا ، نرى نهر (التيمز) عند (وستمنستر) وقد اصبح مجرد جدول ضحل يهيم فى ارض معشبة ، اما القناطر فلم تبق منها إلا عقود محطمة ، وصارت مباني البرلمان اطلالا محترقة ، ولكن بقي فى برج فكتوريا ما يكفي للتعرف عليه ، وما يكفى ايضا لجعلنا نقدر مدى الارتفاع الهائل للمبنى الذى كتب على واجهتـه « وزارة الصدق » وتحتها بقليل ثلاثة اعلام قاتمة الالوان مشدودة على واجهة المبنى تحمل شعارات الحزب الثلاثة : « الحـرب سلام ، الحرية عبودية ، الجهل قوة » . ومن احدى نوافذ هذا المبنى يطل علينا راس بطل الرواية ونستون سميث وهو يتطلع الى السماء ، احدى يديه مستقرة على غطاء صندوق عريض للصمامـــات الالكترونية مثبت بالحائط كانما قد هم بفتحه فاسترعى نظره شىء بالخارج . يستدير نحو الصندوق ويفتح مزلاجه ثم يعود الى النافذة !

وسميث هذا رجل ضئيل الجسم يرتدى ثوباً عمالياً (اوفرول) ذا لون رمادى قاتم مما يرتديه اعضاء الحزب الخارجيون . وعلى صدر الثوب وظهره نقشت بلون ابيض : (ك ز ٦٠٩٠ ـ سميث . و) كما هى الحال فى السجون !

وفى اروقة هذا المبنى ثبت على حائط جهاز تليفزيونى ، ذو شاشة وعدسة كبيرة تدور باستمرار . تتوقف العين الاليكترونية فجاة عن الدوران ، وتتوهج العدسة ، وينبعث من الجهاز صوت خشن ذو رنين معدنى ، ويدور هذا الحوار :

الجهاز التليفزيونى : ك ز ٦٠٩٠ ، سميث ، لقد وقفت عند نافذة الشرفة ، بقسم السجلات اكثر من ثمانين ثانية . فماذا تفعل هناك ؟

سميث : (يجفل ويدور حول نفسه فزعاً .. يشير الى صندوق الحائط فى ارتباك) لقد جئت لاغير صماماً فى جهاز كتابة الأحاديث الخاص بي .

الجهاز التليفزيوني : جهاز كتابة الأحاديث الخاص بك .. هل توقف عن العمل ؟

سميث : نعم . الآن فقط (يفتح غطاء الصندوق) .

الجهاز التليفزيونى : كان يجب عليك ان تبلغ عن الخلل .

سميث : (ممسكاً بالصمام فى يده) لقد استطعت بلحظة واحدة من العمل ان اصل الى الصمام المقصود .

الجهاز : (بحدة) أعده الى مكانـه !

(يتجمد سميث من فرط الرعب ثم ينفذ الأمر) انك تعرف أن الواجب يقتضيك احضاره الى مقصورة العمل الخاصة بك عندما تؤمر بذلك . لقد سجلت عليك ملاحظة (خروج عن النظام) . ارجع الى مقصورتك . (يذهب الوهج عن العدسة وتستانف البقعة الفاحصة حركتها) .

ثم يتحرك سميث الى باب مكتوب عليه (اعضاء الحزب الداخليون فقط) .

يفتح الباب فيخرج (أوبريان) وهو رجل ضخم يرتدي حلة ذات لون رمادي خفيف ، وعلى الجانب الأيسر من صدره كتب : (اوبريان ، ج . ب ك ي ٤١٢) في تطريز بارز انيق كشارات الشرف . يرمق سميث اثناء مروره بنظرة عطف وسخرية يتلقاها سميث بقلق .. ويصل سميث الى قسم السجلات وهو عبارة عن حجرة طويلة تصطف فيها مقاصير للعمل مشغولة كلها ، والنافذة الوحيدة للحجرة تقع في جانبها القصي .. يسير ونستون سميث ببطء بين المقصورات ومن احداها برز وجه رجل يرفع عينيه عن جهاز كتابة الأحداث الخاص به ، ويختلس النظر الى ونستون سميث اثناء مروره ، ثم يصل سميث الى مكتبه وفيه جهاز تليفزيوني صغير .. تتوهج عدسة الجهاز !

الجهاز : ك ز ٦٠٩٠ سميث . و .. سيجري اصلاح جهازك فوراً(ويدخل عامل الصيانة ويرفع غطاء جهاز كتابة الأحاديث

ثم بيد خبيرة يستبدل صماماً صغيراً في هذا الجهاز الذي لا يظهر منه الا ميكرفون صغير ، تحركه انبوبة معدنية مرنة ، ووعاء معدني يتلقى الشريط الورقي الذي يخرج من شق في جانب الجهاز كما في جهاز التلكس . وعلى المكتب نفسه قرب الحائط المجاور توجد آلة على شكل صندوق تحوي مكبر صوت صغير ، وشقاً ومفتاحاً ، وتقرأ الرسائل التي توضع في الشق بصوت مسموع . كما توجد بالجدار القريب من سميث انبوبة هوائية لتلقي الرسائل وارسالها ، وهي ذات فوهة واسعة مستطيلة الشكل تحميها شبكة من السلك كتب عليها : (تقتل من يمسها) . ينصرف عامل الصيانة وبعد ذلك تتدحرج من الانبوبة الهوائية اسطوانة من المعدن محدثة صلصلة فيلتقطها سميث ويفتحها .

يستخرج منها نسخة من صحيفة (التايمز) مطوية باحكام ، ورسالة مسجلة على اسطوانة معدنية صغيرة . يضع الاسطوانة في مكانها من الآلة القريبة ويدير المفتاح . يبسط الصحيفة فيرى على راس الصفحة الأولى نفس البيانات التي تحملها فى عـام ١٩٥٤ (لا ننسى ان الأحداث تقع في عام ١٩٨٤) ولكن الصحيفة تتكون من ورقتين صغيرتين

متصلتين فقط والثمن ١٠ سنتات . ينبعث من الآلة صوت خشن غير بشري .

الصوت : التصحيح المطلوب كما يلي : صحيفة التايمز الصادرة في ١٩٨٤/٣/١٧ والمرسلة احدى نسخها رفق هذا ، تتضمن تقريراً عن حديث اذاعه الأخ الاكبر .

(يعثر سميث على علامـــة فى الصفحة الثانية) . ولقد صرح بانه يتنبا بان القوات الاوراسية سوف تشن هجوما على شمال افريقيا . والرجاء تصحيح ذلك طبقا للحقائق . (يغلق ونستون سميث مكبر الصوت ، وبينما يعود الى الصحيفة يتصلب جسمه من الخوف . إن اوبريان يقف الى جانبه ، بوجهه الوحشي ، الماجن ، الفظ ، وبسحره الغريب) !

اوبريان : مساء الخير . هل تم اصلاح الخلل الذي احدثته بجهازك ؟

سميث : نعم وأستطيع المضى فى العمل الآن .

اوبريان : (يصلح من وضع نظارته العديمة الاطار ، وينظر من فوق كتف ونستون سميث الى صحيفة التايمز) اشار الأخ الاكبر بعبارات قاطعة في خطابه الاذاعي الليلة الماضية الى احتمال وقوع هجوم اوراسي واسع النطاق في اوائل الشهر القادم . وقال : « لم يبق الآن اي مجال للشك في ذلك . وسوف يقع الهجوم على شمال افريقيا . اما باقي الجهات فالمتوقع ان تبقى هادئـة » ، خطـا غير عادي !

سميث : (بلهجة خالية من التعبير) من الواضح انه حدث خطا في التقرير الذي وضع عن الخطاب .

اوبريان : (بغيرتعبير ايضا) خطا كبير ما دام الهجوم في الواقـع حدث في الهنـد .

سميث : (مطيلا اليه النظر) في جنوب الهند . منذ ثلاثة ايام .

اوبريان : بالضبط . مثل هذا التقرير الخاطيء ... (يتبادل نظرة سريعة مع سميث) ... يجب الا يبقى .

ينصرف ، يتابعه ونستون سميث ببصره برهة ، ثم يستدير الى جهاز كتابة الاحاديث ويدنى الميكرفون من فمه .

سميث : (متكلما فى بطء ووضـــوح شديدين) . تصحيح معتاد لصحيفة التايمز الصادرة فى ١٧ مارس ١٩٨٤ ، عند المكان الموضـــح . « ثم اشـار الاخ الاكبر بعبارات قاطعة فى خطابه الاذاعى الليلة الماضية الى احتمال وقوع هجوم اوراسى واسع النطاق فى أوائل الشهر القادم . وقال : لم يبق الآن اى مجـــال للشك فى ذلك . وسوف يقع الهجوم فى جنوب الهند . اما باقي الجبهات فالمتوقع ان تظل هادئة » . أعد طباعة عدد سابق كامل .. وملف سابق .



جورج اورويل بريشة رسام جريدة (لوموند) الفرنسية

(بينما يملي ، صدر عن جهاز كتـابة الاحاديث طنين رتيب ، ويخرج منـــه شريط ضيق من الورق .. ليس على دفعات كما يخرج من التلغراف الكاتب ، ولكن فى انسياب متصل ..) .

ضجة حول المؤلف

هذه هى رواية جورج اورويل التى قراها الملايين الذين سمعوا عن (الأخ الاكبر) وعن العام المتوقع لوصوله .. ولهذا فقد حمل لهم هذا العام فى بدايته لحظات مضطربة التفكير فى التقويم الجديد الذى يحمل لأول مرة الرقم ١٩٨٤ ، وكان ذلك بمثابة صدمة كهربائية لجيش صغير من الأساتذة والنقاد والكتاب والصحفيين والشخصيات المرموقة وعلماء الاجتماع والسياسيين وقارئي المستقبل المحترفين . واخذ الحدث اشكالا مختلفة ، منها مثلا سلسلة غير منتهية من الندوات والمؤتمرات والمقالات والكتب وبرنامج وثائقى قدمــه « والتر كرونكيت » من صوت امريكا ، وبضع ساعات بث من برامج التليفزيون البريطانى !

وكل ذلك وغيره بالاضافة إلى نشر طبعة جديدة من ١٧ مجلداً لأعمال أورويل الكاملة خلال هذا العام – ١٩٨٤ – فى انجلترا وأمريكا ، وهذا غير إقامة تمثـال شمعى للمؤلف فى متحف « مدام توسو » بلندن فى نهاية عام ١٩٨٣ !

وقد ناقش ارباب الخيال العلمى هـــذه الكمية الكبيرة من اعمال جورج اورويل ، ويحاول علماء المستقبل مجتمعين ان يبحثوا نفس الموضوع فى واشنطن خلال شهر يونيو عام ١٩٨٤ ، بعد الاحتفال بالمؤلف الكبير ، الذى خطط له معهــد « سميشونيان » ومكتبة « الكونجرس » ، والذى ستلقى اثناؤه محاضرات عن عـــام ١٩٨٤ والحريات المدنية ودولة الأمن الوطنى !

وفى خضم كل ذلك اصبح اتخاذ افكار أورويل كدفاع ، وارتداء معطفه ، شيئا وبائيا ، فهناك كاتب فى الصحيفـــة الليبرالية الكاثوليكية الرومية (كومنويل) اعلن : « لو ان اورويل حيا الآن فسيكون معارضاً فعالا للشركات المتعددة الجنسية وسيؤلف كتابا ضد أصحاب الشركات » . وكذلك مجلة (ناشنال ريفيو) المحافظة ختمت دارسة عن اورويل برؤية مسرحية شاملة فقالت : « ان قوى الظلام حازت على جيوش ضخمة واسلحة اضخم ومحاربين بالاضافة الى اخلاص ووفاء المنحرفين لها اما قوى النور فاورويل فى صفها ، وهذه القوى تستمد غذاءها منه) .. ومن ناحية اخرى اصدرت صحيفة (فيلاج فويس) الراديكالية الليبرالية عدداً خاصاً عن اورويل وعامه تحت عنوان : وقائع رجـل ميت !

وقبل ان يصبح اسم أورويل خرافيا بقدر روايته (١٩٨٤) فان اصدقاءه الشخصيين الذين لم يفكروا بتطلعاته حول اي موضوع كانوا حذرين ، فمثلا يقول المؤلف ف . س برتشت : « لقد فهمت اورويل لدرجة ما . من الصعب تعريفه لانه ما ان تكون فكرة ثابتة عنه حتى يناقضها » .. اما القصـــاص « جوليان سايمونز » فقد تذكر (ميزة الخبث والمشاكسة) لدى اورويل ، فقال : « كانت طباعه ملتوية تخيب امل الناس به وتجعل منهم اعداء له » .. ويقول ملكوم مكريدج عنه : « إنه رجل احتقر كافة المثقفين علما بانه كان مثقفا » .

وبالاضافة إلى ان اورويل مثقف ، فقد كان ذا مواهب اخرى : فهو ناقد داهية فى الأدب والثقافة الشعبية ، وصحفى حول الكتابة السياسية الى شكل فني ، وباحث قدم دراسات دقيقة عن عصره .. ان من يعرفه كغول مرعب يجوس ليلا فى الغرب لا يكون قد عرفه على حقيقته ، فقد اتخذ من قول الحقيقية مهنة له فى زمن اعتقد فيه الكثير من معاصريه أن التاريخ يقتضي الكذب ! ترى من هو اورويل هذا وكيف نشا وترعرع ؟ وماذا يريد ؟ .

من هو ؟

اسمه الحقيقى آريك آرثر بلير ، ولد عام ١٩٠٣ فى الهند ، حيث كان والده يعمل موظفاً فى الامبراطورية البريطانية (التى غابت عنها الشمس) .. اخذته والدته مع اخته الكبرى « مارجورى » الى انجلترا ، فقد كانت الهند مكانا للعمل يناسب الأزواج



من اجل هذا الخراب الذى اشاعه هتلر فى كل مكان ، حارب الكاتب النازية بكل قوة !

اما الأطفال فقد كان يجب تنشئتهم فى وطنهم ، وكان الاب يزور عائلته خلال الاجازات فقط ، وقد ولدت اخته الصغرى افريل عندما كان عمره خمس سنوات !

التفت اورويل بالم الى « الأرستقراطية الرثة » التى تنتمي إليها عائلته واصدقاؤها وقال : (كان كل ايراد العائلة يصرف على المظاهر) .

وعلى عكس اغلب من يتمرد على عالم طفولته فقد اصبح اورويل متعنتا فى نقد نفسه وسلوكه فى سنواته الأولى وكذلك فى ذكريات شبابه .

حافظت عائلة اورويل على المظاهـــر بتسجيل ابنها برسوم مخفضة فى معهد « سانت سايبريان » الذى يهيىء التلاميذ بكل صرامة للدخول الى المدارس العامـة الضخمة ، وكان اورويل ذو الثمانية اعوام يُضرب فيها بسبب عدم مغادرته الفراش بسرعة ، وقد شجعه هذا المعهد على الشعور بعدم فائدته ، وقال : « لم يكن معي مال ، وكنت مريضا ، وقبيحا ، ولا احد يحبنى ، وكنت دائم السعال ، وجبانا ، وكانت تخرج مني رائحة كريهة ، وكنت فتى غير جذاب اطلاقا » !

هكذا قال اورويل عن نفسه ولكن ماذا يقول عنه الآخرون ؟

جاسنتا بوديكام ،عمرها الآن ٨٢ سنة ، كانت قد اصبحت صديقة « اورويل » اثناء اجازاته المدرسية ، رفضت هذه الفكرة وقالت :

« ان فكرة كيف كان اورويل مكروها فكرة بلا معنى ، والحقيقة انه كان اجتماعيا يقوم باصطياد السمك والطيور » وكان يجمع الجنيهات ويطوف بهاريف اكسفورد شاير » علما ان جاسنتا لم ترافقه فى معهد سايبريان .

اما الناقد سيريل كونولي الذى كان زميله فى الصف فقد تذكر ان اورويــل : « شعر بمرارة انه مسجل فى المعهد برسوم مخفضة ، لانه دخل المدرسة بعد ذلك بمنحة دراسية ، واعتبر ذلك مهينا له علما أن هذه المنحة كانت فى الحقيقة نوعا من المجاملة لعائلته » . وعندما خرج بصعوبة من المعهد قال اورويل : « فشل ، فشل ، فشل الفشل من ورائي ومن امامى . تلك هى اعمق قناعة كنت احملها عن نفسى » .

وربما لا يكون اورويل قد شعر بهذا فى ذلك الوقت إذ ان الذى كتب تلك الكلمات رجل يكبره عمراً فى احدى الدراسات عن (عالم متغير بشكل عنيف) . ولم يكن سلوك اورويل يعني فعلا انه يريد النجاح فقد تقاعس خلال اربع سنوات ونصف السنة فى المرحلة الثانوية عندما كان طوله ستة اقدام وثلاثة بوصات وكان مثالا للغباء والكسل اثناء الدراسة ، ومع ذلك فقد كان يقرا كثيراً لمؤلفيه المفضلين (ديكنز ، ثاكرى كبلنغ ، هـ . ج . ويلز) وساهم ببعض القصائد فى منشورات المدرسة ، وشارك فى بعض العاب القوى ، ولم يستطع والده تحمل ارساله الى جامعة اكسفورد او جامعة كمبردج بدون منحة دراسية ، ولكن كفاءة اورويل العلمية اثبتت انه لا يمكن ان يحصل على هذه المنحة .

وبعيداً عن الجامعة ، شعر اورويل انه فى زاوية ميتة فى انجلترا ، فحتى المهن والخدمة المدنية كانت مغلقة فى وجهه ، مما جعله بعيداً عن اصدقائه وزملاء دراسته وكل سكان ايتون الذين حازوا على مناصب حكومية وفنية كبيرة ، ولكل هذه الاسباب اختار السفر مثلما فعل والده ، وغادر البلدة ، والتحق بالشرطة الهنديـــة الامبراطورية حيث جاءته الأوامر بحفظ الأمن فى مستعمرة بورما !

وخلال السنوات الخمس التى قضاها هناك كتب قصتين عظيمتين الأولى بعنوان (شنق) فى عام ١٩٣١ ، حيث يسرد فيها قصة حكم الاعدام فى احد الهنود ورد فعله على هذا الحدث حيث يقول : « إنه لشىء مثير للفضول فحتى تلك اللحظة لم اعرف ماذا يعني تدمير رجل واع . وعندما شاهدت السجين يتوقف جانبا ليتفادى بركة وحل ادركت سر وخطا ازهاق روح وحرمانها من الحياة القصيرة التى تتجلى فى اقصى فيضانها وإشراقها » .

اما القصة الثانية فهى اطلاق النار على فيل (١٩٣٦) وهى مجموعة صـــور عن (عمل الامبراطورية الردىء فى الأحيـاء المغلقة) . ويروى قصة فيل هائج تسبب فى قتل احد السكان الأصليين فانتظر الناس ان تقوم الشرطة بعمل ما . ويقول : « وهنا كنت الرجل الأبيض مع بندقيته امام حشد غير مسلح من السكان الأصليين ، حيث ابدو كالممثل الأول فى مسرحية ، ولكن فى الواقع كنت دمية عبثية تدفعها تلك الوجوه الصفراء من ورائي ، وادركت فى تلك اللحظة انه عندما يتحول الرجل الأبيض الى طاغية انما يقوم عندها بتدمير حريته الذاتية » .

وبعد خمس سنوات من العمل كشرطى عاد الى انجلترا وقدم استقالته من الشرطة فى تلك المستعمرة الهندية .

وتصف صديقته «جاسنتا» تلك اللحظة فتقول : « لقد تغير وبدا اكثر عزلة وغريبا بائسا ، ولابد ان ما حدث له فى بورما قد نغص عليه حياته » .. اما اورويل الشرطى فيصف الشعور الذي رافقه الى وطنه مثل « شعور بالذنب لا يمكن تحمله » . فقد مثل طاغية مستبدا حقيرا فى عمل يرى فيه اظلم نظام للاستغلال ، وقد وجد تشابها بينـه وبين (مثيرى الشـــغب) فى بورمـا الذين يتم جلـدهم ، إنه تشابه يذكره بنفسه وهو تلميذ تجلده وتحقره نفس القوى الامبراطورية ، وهكذا شعر ان مكانه الطبيعى بين المضطهدين !

وبعد ذلك بعشر سنوات كان يقوم برحلات دونكيشوتية جعلته معروفا باسم جديد وشخصية متغيرة . وكانت اول خطوة له ان يخبر اهله انه يريد ان يصبح كاتبا ، اما الخطوة التالية فهى ان يكون ذلك الكاتب وهو الأصعب ، فاتخذ غرفة رخيصة فى لندن بعيداً عن اهله وامضى ساعات طويلة يوميا مع الته الكاتبة ، يكتب عليها نوعا من القصة .. وفى الليل يبدأ تسكعه وهوامه كالشبح فى احياء

الفقراء ، وكان احياناً يتخذ سريراً فى منزل مخصص للمعدمين ، آملا الا تفضحه لهجته الايتونية (نسبة الى بلدته ايتون) ويعلق على تلك الفترة قائلا : « ان ما اردته بصدق فى ذلك الوقت هو ان اعثر على طريقة ما للخروج من العالم المحترم » !

وفى اواخر العشرينات ذهب الى باريس ووجدها مليئة بجيوش من الفنانين والكتاب والطلبة وهواة الفنون والسياح والعاطلين عن العمل الذين لم ير العالم مثلهم فى حياته ، ومع ذلك لم تشده الحياة البوهيمية ، ففى احد احياء الفنانين . « حصل على عمل فى غسل الصحون فى فندق (باريس) حيث كان يعمل ١٣ ساعة يومياً » !



الجورنيكا او الحرب الاهلية الاسبانية كما صورها الفنان بيكاسو .. هذه الحرب عاشها جورج اورويل ، بل واشترك فيها واصيب بطلقة فى حنجرته !

إلى عالم الشهرة

واستمر فى كفاحه ليصبح روائيـــاً ، فالبدايات التى كتبها عن تجاربه فى فندقه الرخيص اصبحت كتابه الاول ، وادرك ان الحياة الشقية التى صورها فى كتـــابه (داخل وخارج باريس ولندن) ـ ١٩٣٣ سوف تثير وتزعج اهله ، لذا اخبر الناشر انه لا يريد طبع الكتاب باسمه الحقيقى :

« إن الاسم الذى انتحله عادة اثناء تسكعى هو ب . س . بورتون ، ولكن إذا كنت تعتقد ان هذا الاسم غير شائع فما رايك باسم كينث مايلز او جورج اورويل او هـ . ليويس ولكنى افضل اسم جورج اورويل » . وجورج كما هو معروف اسم زعيم انجليزى ، ثم ياتى اسم اورويل وهو اسم نهر عرفه اورويل وهو صغير وعلى هذا الاساس اختار اسم جورج اورويل !

ومنذ ذلك الوقت بدات تسيطر عليه فكرة ان شيئاً خاطئاً مرعباً سيحدث فى مسقط رأسه ، فقد عرف (اورويل) الظلم والفقر ، لذا بدأ البحث عن اسبابهما .

ولم يكن تغيره هذا إراديا بشكل كامل ، فكتب ونشر الروايات وحاول اتخاذ الادب كمهنة بدات تقليداً فى انجلترا منذ القرن الثامن عشر ، ولكن تسرعه فى ان يقف شاهداً على عصره ضايقه ولم يرتح له ، وقال : فى عصر سلمي أستطيع ان أؤلف كتباً للزينة وان ابقى بعيداً عن الصراعات السياسية ، لهذا كنت مضطراً لأن أصبح نوعاً من كتاب الكراريس السياسية » .

وفى بداية عام ١٩٣٦ ، طلب منه احد الناشرين ان يذهب إلى شمال انجلترا ، ويعمل كمراسل تحقيقات يقدم حالة عمال المناجم والمصانع العاطلين عن العمل ، اثناء موجات الكساد الاقتصادى .. وامضى اورويل شهرين بين هؤلاء العاطلين عن العمل ، فكان النصف الأول من كتـــابه (الطريق إلى ويغان بير) يحكي قصصهم ، اما النصف الثانى فيروي قصصا عن اورويل نفسه !

وبعد عدة شهور من زواجه من « ايلين اوشفينس » ذات الثلاثين عاما التى كانت تحضر للدراسات العليا فى علم النفس فى لندن بعد ان حصلت على اجازتها من جامعة اكسفورد ، ذهب اورويل الى اسبانيا عندما كان فرانكو يحاول الاطاحة بالحكومة المنتخبة مما ادى إلى حرب اهلية ..

وقد روى اورويل انطباعه فى مدينة برشلونة حول هذه الحقبة ، والتحق بوحدة ميليشيات محلية ، واطلق عليه جنود فرانكو النار فاصابوه بطلقة نارية فى الحنجرة ، وبعد خروجه من المستشفى ظل مختبئاً حتى هرب من البلاد !

وقد تركت مغامرته فى اسبانيا عـــدة انطباعات مصيرية فى شخصيته ، فقد كان وراء معظم الكتابات السياسية بعد هروبه من الحرب الأهلية ، حس مرهف بالغدر والخيانة ، وكان يرى المستقبل والعالم مليئين بصور الاستبداد القاسى !

وعندما عاد اورويل إلى انجلترا قرا بهدوء احداث اسبانيا ، وتاكد انه كان تافها مخدوعاً بقوله : « لقد شاهدت معارك عظيمة ، ارسلت عنها التقارير ، فى أماكن لم يكن فيها قتال ، وشاهدت الهدوء فى اماكن قتل فيها المئات من الرجال ، لقد شاهدت جنوداً لم يروا طلقة نارية واحدة ، استقبلوا كابطال لانتصارات خيالية » .. وقد ارعبته تلك الظاهرة وجعلته كما يقول : « أشعر أحياناً أن التصور الذهنى للحقيقة الموضوعية يتضاءل تدريجيا فى هـــذا العالم » ..

الفرق بين الحرية والعبودية

وقد كرس اورويل بقية حياته لمنع هذه الظاهرة ، وانقض ـ ليس فقط ـ على النازيين والستالينيين ، بل على فردية احدث فلسفة وادب ، فالنظريات التى تقول ان الواقع ببساطة هو خيوط عنكبوتية لصيادى الكلمة جعلته مشدوهاً ومذعوراً فهذه النظريات برايه تقدم الاستعدادات اللازمة لديكتاتورية بشكل متطرف وتقدم الشعارات المشئومة مثل : الحرب هى السلام والحرية هى العبودية والجهل هو القوة .

امام هذه الثرثرة الاستبدادية كان حس اورويل المرهف اول وافضل دفاع ضدها فانسان يفهم معنى كلمتى حرية وعبودية يجب ان يرفض جملة تعادل بينهما ، وقد قال : « فى النثر ، أسوأ ما يقوم به الانسان هو الاستسلام للكلمات ، وعندما تفكر بشىء محسوس إنما تفكر دون أن تنطق بالكلمات ولكن إذا أردت أن تضعه فانك على الأرجح تحوم حوله حتى تجد الكلمات الصحيحة المناسبة » . واي منهج بديل لهذا المنهج إنما يقدم الاستعداد للخيانة والغدر .

وكتب : « عندما تفكر بشيء مجرد تكون اكثر ميلا لاستخدام الكلمات من البداية ، وبدون ان تبذل جهداً واعيا لمنعها فان لهجتك المحلية تندفع وتقوم بعملك على حساب تشويه او حتى تغيير المعنى الذى تقصده » .

ولم يكن اهتمام اورويل باللغة نوعاً من الحذلقة وادعاء العلم ، بعد ان تاكد أن فصاحة الكلام يمكن ان تعني الكثير كواقع حمل السلاح .

١٩٨٤
أخطر رواية سياسية في القرن العشرين

وقد وجه كلامه مثلا الى كل من اراد ان يصغي الى هتلر : (هذا الدكتاتور صعد الى السلطة فى المانيا عن طريق الاقناع والمناقشة) وان (ستالين قد اخفى جرائمه الكبرى وراء ستار دفاعى من الشتائم) .

وحذر فى عشية الحرب العالمية الثانية من الخطر قائلا : « الشىء الرهيب فى الدكتاتوريات الحديثة هى انها لا سابقة لها مطلقا ، ولا يمكن توقع شكل نهايتها ، ففى الماضى كان كل طاغية يسقط قبل او بعد اوانه او على الاقل كان يواجه مقاومة من (الطبيعة الانسانية) متمثلة بالرغبة بالحرية ، ولكن هذه (الطبيعة الانسانية) لا يمكن ان تتاكد من ثباتها فالمذياع ورقابة الصحف والتربيـة وغيرها ، غيرت كل شىء ، والتاثير على آراء الناس اصبح علما فى السنوات العشرين الاخيرة ، ولا نعرف بعد ، كم سيكون هذا العلم ناجحا » !

ولم يسمح اورويل ابدا لهذا التشاؤم الفطرى ان يسيطر على موهبته او طاقته ، فاثناء التهاب اوربا بالحرب ، كان ياخذ بعض الوقت من تعليقاته السياسية ليكتب الدراسات عن تشارلز ديكنز وهنري ميللر وعن المزايا الادبية والاجتماعية لمجلات الشباب الانجليزية .. وبشكل غريب استمرت هذه النصوص بقوتها وكان البقاء يرتبط بالاشياء الصغيرة كمتع الطفولة وليس بالاشياء الكبيرة كالحرب !

وقد عاش اورويل وزوجته اثناء الحرب فى لندن ، ويتذكر ســـيريل كونولي تلك الفترة فيقول : « لقد شعر اورويل انه فى بلدته ، رغم أن لندن كانت تحت القصف الجوي وطلقات المدافع والشجاعة والحطام والقحط والتشرد وعلامات الانطلاق المتصاعد » .

وبعد ذلك اصبح اورويل غريب الاطوار ، كان يقوم بعمل لفائفه من كيس تبغه اللاذع ، ويصب الشاى فى كاس ثم يشربها . كان المال قليلا جداً لديه وقد جعلته كتبه مشهوراً ولكن ليس قادراً على وفاء ديونه فكتب عدة اعمدة فى (تريبيون) الاسبوعية ، واذاع اثناء الحرب من دار الاذاعة البريطانية - مكتب الشرق ، برامجه موجها إياها الى الهند وجنوب شرق آسيا . وفى هذه الفترة كتب روايته (مزرعة الحيوانات) .

و (مزرعة الحيوانات) ليست رواية بل اطول من قصة قصيرة ، وكان اورويل يفضلها عن كل أعماله ، فهى تتكلم مباشرة عن ايامه الأولى فى برشلونة ، وعن الحيوانات التى يساء استخدامها وتعمل اكثر من طاقتهـــا والمتمردة على حكم المزارع المستغل السيد جونز . وقد رفض اكثر من ناشر انجليزى وأمريكى (مزرعة الحيوانات) لسخريتها السياسية الشديدة ، واخيراً وافق احد الناشرين على هذه الرواية ، وكانت ارباحه كبيرة جداً ، فقد استمر بيع هذا الكتاب خلال ٤٠ عاماً تقريبا !

الأيام الأخيرة

وقد توفيت زوجة أورويل عام ١٩٤٥ ، اثناء عملية جراحية لاستئصال السرطان ، وكان عمر أورويل الأرمل عند ذلك ٤١ سنة ،وحيداًمسئولا مع ابنه الصغير ريتشارد الذى كان قد تبناه !

وقادته وحدته ومسؤوليته عن ابنه وتفكيره بالموت الى ان يعرض الزواج على مجموعة نساء اندهشن لطلبه ، وقد كتب لاحداهن بعد لقاءين معها : « إنك شابة معافاة وتستحقين رجلا افضل مني ، فاذا لم تجدي ذلك الرجل ، واذا كنت تفكرين انك ستكوني ارملة من بعدي فباستطاعتك ان تغضبي وتغتاظي ، اي ان تفترضي اني حاليا لا اثير اشمئزازك وتقبلين بي » .. وبشكل متوقع رفضت عرضه !

وبالنســـبة لنجاح كتابه الاخير « مزرعـــة الحيوانات » فقد ساعده هذا النجاح ماليا ، واصبح باستطاعته ان ينقطع عن الكتابة للصحف ، وان يكرس وقته لرواياته الجديدة ، فاتخذ بيتاً بجوار تلك الجزيرة التي يلعب بها الهواء على الساحل الغربي لسكوتلاندة ، وهناك حيث تفاقم مرضــه ، انجز روايتـــه (١٩٨٤) .

وبعد سبعة اشهر فقط من نشر روايته (١٩٨٤) توفى اورويل، وسبعة اشهر فترة كافية ليتاكد ان كتابه اصبح ناجحاً جداً و (غير مفهوم ابداً) ، فحاول ان يقدم ايضاحاً عنه فكتب « لم اقصد فى روايتى الاخيرة ان اهاجم حزب العمل البريطاني (وانا من انصاره) انما قصدت فضح الفساد المرتبط باقتصاد مركزي : لا اعتقد ان هذا المجتمع الذي اصفه سوف يتواجد بالضرورة ولكن اعتقد مع الأخذ بعين الاعتبار حقيقة ان الكتاب هجاء نقدي لاذع ، ان شيئاً مشابهاً يمكن ان يحدث » . والقليل سمعوا هذا الايضاح وصدقوا العنوان والرواية ولكنهم لم يصدقوا الكاتب !

ولم يعتبر أورويل ان رواية (١٩٨٤) تعبر عن رغبته الأخيرة او وصيته او اتهام سريع للانسانية كما ادعى بعضهم بما فيهم «كونولي» الذي قال عنه « انه رجل صائر الى الموت لا محالة ، وهو يعرف ذلك » !

ويعود « مكريدج » ليتذكر آخر نقاش
اورويل فيقول : « لقد قال لي اورويل « عن
المزيد من الاعمال لاكتبها » وبعد ذلك بق
تزوج سونيا برونيل ، تلك المراة الجميلة ال
تصغره بخمسة عشر عاماً ، تزوجها في غر
مرضه في المستشفى !

وعن زواجه يتذكر صديقه الآخر ت . و
فيفل » اقوال اورويل : « يتزوج الانسان
عنده المزيد من الأسباب ليعيش » .. ثم تو
بعد قوله هذا بثلاثة اشهر وكــان ذلك
٢١ يناير عام ١٩٥٠ .

● والآن اين هو اخيراً ؟

على كل حال لقد اثبتت اعماله - مع بعض
الاستثناءات انها قائمة على ارضية صلبة
فرواياته الأربع قبل (مزرعة الحيوانات
جديرة بالقراءة مع انها ذات اهمية اقل ،
شخصيات النساء لديه ، فهن بشكل خاص
شخصيات عديمة الحيوية ومتكلفة شرسة
ولم يكن اورويل يفرض نظريات سياسية فقو
تكمن في سرد المشاكل وليس في اقتر
الحلول !

وكان انجاز أورويل العظيم هو تذكير النا
باستمرار ان عليهم ان يفكروا دائماً بانفسهم
وقد علق اهمية كبيرة على المثاليات اكثر
الايديولوجيات !

ورغم كل التشاؤم الذي ينسب اليه ب
وفاته فقد كان لدى أورويل ايمان دائم وو
تقريبا بقدرة وجدارة الجنس البشري الهن
المتصارع ، لاصلاح عجزه بواسطة اك
المناهج تطرفاً اي التفكير . ففي كتابه (الطر
الى ويغان بير) عبر أورويل عن اعتقاده
« الظلم الاقتصادي سيوقف اللحظة ال
نريدها ان تتوقف وليس قبل ذلك ، واذا ارد
اصلا ان نوقفها فان المناهج ستؤقلم القض
وتسويها بشكل دقيق صارم »

ويضيف باصرار : « الخواء السياسي مرتب
بدمار وتفسخ اللغة .. فالمرء على الارج
يستطيع ان يقوم ببعض الفائدة والتقد
بالبدء من الهدف الكلامي » !

ولهذه النهاية كرس أورويل حياته ، و
صمدت اعماله بوضوح ودقة اليوم الذي كتب
فيه !

إن الطريقة الصحيحة لتذكر جورج أورو
ليس بتذكره كصاحب ارقام عام ١٩٨٤ الذ
سيمضي انما بتذكره كاديب اراد تغيير العال
بتغيير الكلمة !

ياسر السباع

المصادر

١ - « جورج أورويل حياته واعماله بقلم الدكتور رمسيس عوض » .
٢ - مجلة « تايم » .

أشعة الشمس

الأخطار والمزايا وتوقعات هائلة للمستقبل

بقلم : الدكتور عزالدين فراج

الشمس بالنسبة لأرضنا التى نعيش عليها عملاق كبير إذ ان قطر الشمس يعادل مائة مرة قطر الكرة الأرضية .

وإذا اردنا ان نصور حجم الأرض وحجم الشمس ، يمكن ان نمثل حجم الأرض بكرة « التنس » الصغيرة التى نلعب بها ، ونمثل حجم الشمس بكرة كبيرة ، قطرها ستة وعشرون قدما . ما اعظم الفرق بين الحجمين ؟! .

وتشترك جميع نظريات العلماء فى أن الأرض هى بنت الشمس ، وانفصلت عنها فى بداية تطورها ككتلة غازية وحشد من اجسام سائلة وصلبة ، وقد قال الشاعر العراقى معروف الرصافى :

إنما الشمس المنيـــرة
اصل دنيانـــا الكبيرة

إن هـــذى الأرض للشـــمـ
س هى البنت الصــــغيرة

من قـــديم ولدتهـــــا
بعـــد اولاد كثيـــرة

والشمس تجذب الأرض ، ولولا ذلك لانطلقت الى الفضاء ، وكذلك كل الكواكب السيارة الأخرى .

ولولا ضوء الشمس لأصبحت الأرض فى ظلام حالك دائم .

ولولا حرارة الشمس لأصبحت أرضنا ثلجاً متجمداً ، ولانعدمت مظاهر الحياة فيها .

وعلى سطح الشمس نجد السنة من اللهب ، بارتفاعات مختلفة واشكال متباينة وهذه التشكيلات من السنة اللهب فى تحركات مستمرة ، حتى يظن الناظر إليها انها ترتفع من فوهة بركان ، او كمحيط مشتعل .

الأشعة والعافية

ولأشعة الشمس فوائد صحية هامة كما ياتى :

أولا : تقتل حرارة الشمس كثيراً من الجراثيم المسببة للامراض .

ثانيا : تدفىء الجو شتاء .

ثالثا : تعرض جسم الطفل لأشعة الشمس صباحاً يساعد على وقايته من مرض الكساح وهومرض تكون فيه العظام لينة ملتوية .

لهذا ينبغى ان نكثر من نوافذنا فى الجهة القبلية والشرقية ، وان نجعلها مفتوحة مدة كافية من الزمن ، لتدخل الشمس إلى فراشنا وأدواتنا وغرفنا ، فتطهرها من الجراثيم .

ولهذا قديماً قالوا « البيت الذى تدخله الشمس لا يدخله الطبيب » .

الحمام الشمسى

للشمس اشعة مختلفة اهمها :

الأشعة الحرارية .

الأشعة فوق البنفسجية .

والأشعة الحرارية هى التى تسبب شعورنا بالدفء .. أما الأشـــــعة فوق البنفسجية فعظيمة الفائدة متى احسن استغلالها . فمتى امتصها الجلد ووصلت إلى الدهن الموجود تحته ، دفعته إلى صنع فيتامين « د » من بعض مركباته ، ويعتبر الجلد مستودع هذا الفيتامين ، ومنه ياخذ الجسم حاجته شيئا فشيئا .

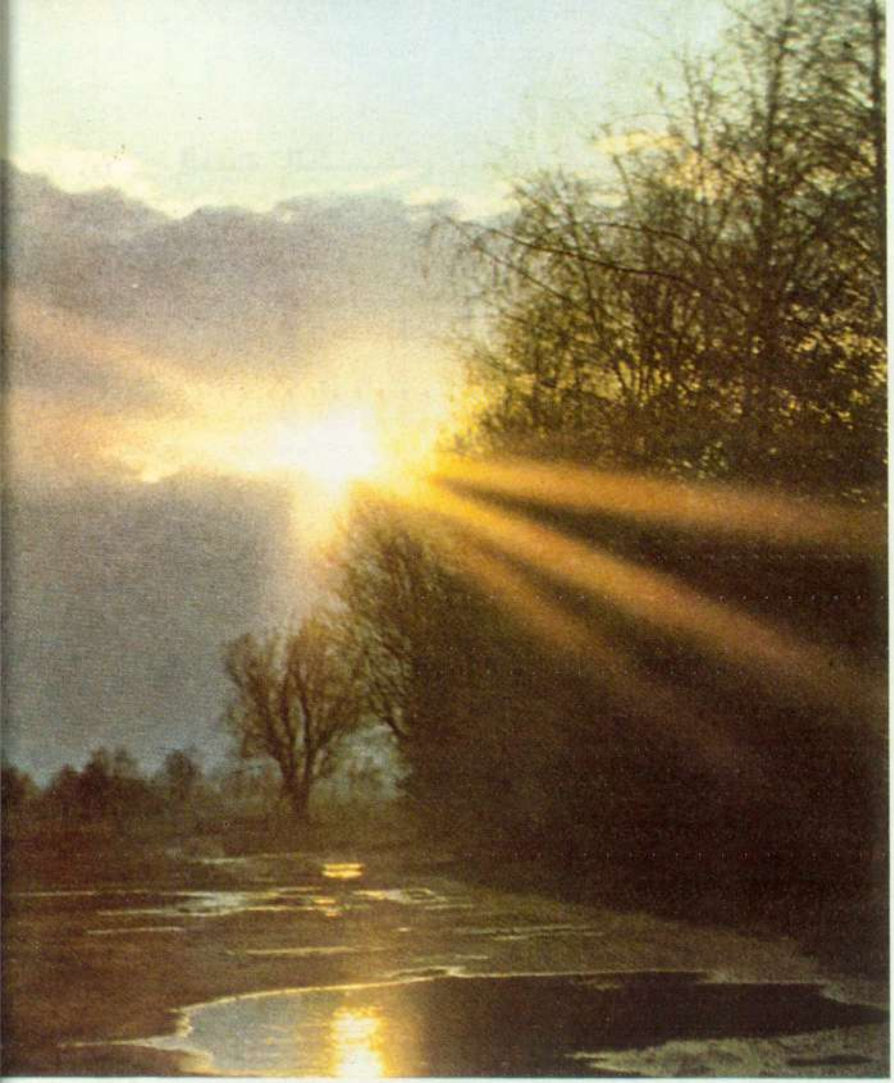
وهذا الفيتامين نافع للكبار ، ولا غنى عنه للصغار إذ يساعد على تكوين عظامهم واسنانهم فى فترة النمو .

والأشعة البنفسجية مفيدة فى الأنيميا العادية إذ انها تنشط الانسجة الخاصة بصنع كريات الدم الحمراء وبصنع الهيموجلوبين ، كما ان لها تاثيراً منبها وقويا على الجهاز العصبى والعضلات ، فيزداد نشاط الانسان الذهنى والفكرى بل والجسمانى ايضاً .

والاسراف فى التعرض لأشعة الشمس والتحمس للافادة من الحمامات الشمسية من غير التدرج من شانه أن يسمح للأشعة البنفسجية بالنفاذ إلى الطبقات الداخلية من الجسم ، لأن الجلد لم يكون بعد من الصبغة المقدار الكافى لدفع هذه الأشعة

والأشعة فوق البنفسجية ذات حدين احدهما ينفع فى تكوين فيتامين « د » والثانى يضر بكرات الدم الحمراء ، إذ ثبت علمياً أن هذه الأشعة إذا ما نفذت الى داخل الجسم بمقدار أكثر من اللازم أذابت كرات الدم الحمراء ، فينطلق منها مركبان اثنان احدهمــــا البورفيرين والثـــــانى الهيستامين - وضرر البورفيرين أنه يزيد فى حساسية الأنسجة لأشعة الشمس ، بحيث يزداد الضرر عند العودة إلى التعرض لها .

وأما الهيستامين فهو سبب الحكه والالتهابات والفقاقيع التى تصيب الجسم من الأفراط فى التعرض لأشعة



لولا ضوء الشمس لاصبحت الارض فى ظلام حالك ولا نعدمت مظاهر الحياة

البيت الصحى هو الذى تدخل الشمس من نوافذه



أشعة الشمس

الأخطار والمزايا وتوقعات هائلة للمستقبل

الشمس .

وانسب وقت للحمامات الشمسية هو الصباح المبكر ، لتكون لدى الشخص قدرة تحمل منتظمة ، تبعاً للارتفاع التدريجى فى درجة الحرارة . ويفضل ان يكون المكان

خلويا ، ويحسن ان يكون جهة الشرق صيفاً والجنوب شتاء ، ويلزم فى جميع الاحوال ان يكون بعيداً عن تيار الهواء .

اما فترة الحمام الشمسى ، فتتوقف على حساسية الشخص وسنه ودرجة حرارة الجو ، ويحسن الا تتجاوز

الساعتين يوميا ، ويجب خلالها وقاية الراس والعينين ، والجزء الخلفى من الرقبة ومنطقة الثدى الايسر حيث يوجد القلب .

وعليك أن تحترس عند الاحساس بحكة او ظهور طفح جلدى احمر يزول من تلقاء ذاته خلال ساعة واحدة . فهذا نذير يحتم انقاص فترة التعرض لهذه الحمامات الشمسية .

الطاقات المحركة

وكل انواع الطاقة المولدة للحركة والعمل كامنة فى باطن الأرض فى صورة فحم وبترول ، صادرة اصلا من الشمس التى هى مصدر الطاقات كلها .

لو حسبنا مقدار ما يقع من اشعة الشمس على الكيلو متر المربع الواحد فى أرض مصر مثلا . نجده يعادل فى قدرته ٢٠٠ الف طن من الفحم سنويا . هذه الكمية من الطاقة الكبيرة وان كانت حقيقتها جزءاً قليلا جداً مما يصدر عن الشمس ذاتها فان هذا الجزء القليل من الطاقة الشمسية الذى يصل إلينا هو اساس الحياة ، ومصدر كل طاقة نافعة .

واستطاع العلم من اعوام ان يقدم لنا المواقد الشمسية التى يتكون الواحد منها من مرآة عاكسة كبيرة من الالومنيوم او الزجاج ، تقوم بتجميع اشعة الشمس فى بؤرة ، بحيث تتركز البؤرة على آنية الطبخ او القلى فترتفع درجة حرارتها الى درجة تفى بالغرض .

الأشعة والغذاء

والمعروف أن الورقة الخضراء تقوم بوظيفة هامة للنبات نفسه وللحياة كلها ، فتعمل الورقة كمصنع يصنع المواد الغذائية اللازمة للنبات ، والضرورية لحياة الانسان والحيوان .

فى هذا المصنع نجد أن الماء المذاب فيه املاح التربة يرتفع إلى الأوراق الخضراء .

وعن طريق الثقوب أو الثغور الموجودة فى الورقة الخضراء ، يدخل غاز ثانى اكسيد الكربون الموجود فى الهواء الجوى .

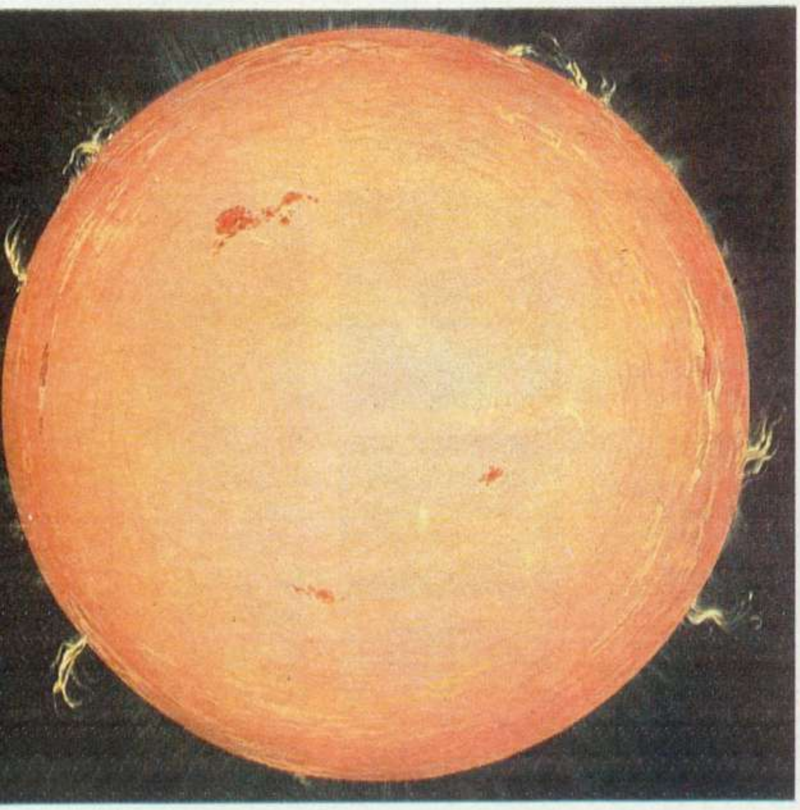
ومتى سقطت أشعة الشمس على الورقة الخضراء بدأ هذا المصنع يعمل عمله ، وهو تكوين السكر والنشا والمواد الغذائية الأخرى .

ومن الورقة الخضراء تنتقل هذه المواد الغذائية إلى جميع اجزاء النبات ، لياخذ كل جزء حاجته منها .

وهذه المواد الغذائية التى تصنعها الورقة الخضراء ضرورية لتكوين الأزهار والثمار والبذور .

بدون سقوط الشمس على الورقة الخضراء فى حدائقنا لن تصنع المواد الغذائية اللازمة للبنات

صورة مقربة نادرة لقرص الشمس التى هى مصدر كل طاقة محركة والتى اخذ العلماء فى السنوات الاخيرة يجرون ابحاثهم للاستفادة من هذه الطاقة فى شئون حياتنا اليومية





والاوراق والثمار والبذور تدخل فى غذاء الانسان والحيوان . وهذا الغذاء يمد الانسان بالحرارة والطاقة والقدرة على الحركة والعمل .

بيوت المستقبل

وقد استطاع العلماء فى عام ١٩٥٤ صنع أول نموذج للبطارية الشمسية ، استخدموا فيها بللورات نصف موصلة للكهرباء ، صنعت من السليكون ، إذا سقطت اشعة الشمس عليها ولدت تياراً كهربائيا .

اما عن علاقة منازل المستقبل باشعة الشمس ، فقد جهزت هذه المنازل بالواح خاصة لتجميع اشعة الشمس ، بها وحدات تدفئة مياه المنزل .

وهذه الصفائح والالواح ووحدات التسخين التى نراها على سطوح المنزل ، وضعت فى وضع مائل لتجميع وامتصاص أكبر قدر من حرارة اشعة الشمس .

وقد وضعت متجهة نحو الجنوب ، لضمان سقوط الاشعة عليها اغلب النهار .

وللمعلوماتك فهذه الصفائح تمص حرارة الشمس ، ويسخن بداخلها السائل الجارى .

وهذا السائل الساخن يجرى فى انابيب داخل خزان الماء ، بها يسخن ماء الخزان الذى يوزع فى انابيب الى جميع اجزاء المنزل ، فيجد أهل هذا المنزل مـاء ساخناً على الدوام ، خصوصاً فى ايام الشتاء الباردة ، وفى غير ايام الشتاء .

الحياة فى الصحارى

إن المشكلة الكبرى فى الصحارى تلك الحرارة الشديدة التى تدفع الانسان الى الهرب منها ، لكن اشعة الشمس التى تلهب الصحراء ، يكون فيها الحل الامثل لتلك المشكلة . إنها قادرة بالفعل على تحويلها إلى جنة تجتذب الناس وتمنع الهاربين منها ، وذلك بتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية عن طريق الخلايا الشمسية - الكهروضوئية - ثم نستغل الطاقة الكهربية المتولدة عن هذا الطريق فى مختلف العمليات ، ومنها عمليات التبريد وتكييف الهواء .

وبتكييف الهواء الصحراوى الشديد الحرارة وايجاد أعمال التبريد فيه ، فانه يغرى الناس بالبقاء فيه وعدم الهروب منه إلى المناطق الباردة والمعتدلة .

الري بالطاقة الشمسية

وفى ولاية نيومكسيكو تمت تجربة ناجحة فى مجال الزراعة ، فقد اقيمت مجموعة من الابراج المرتفعة ، مثبتة فوقها مرايا مقعرة متجهة إلى السماء . وهذه المجموعة من الآلات تشكل نظاماً جديداً للري ، يعتمد تماماً على الطاقة الشمسية ، حيث تحرك حرارة الشمس التى تعكسها المرايا « توربين » يقوم برفع الماء من باطن الأرض ، ويصبها فى خزان ، منه يجرى الماء لري الحقول المجاورة . والآن بعد ان استطعنا تكييف هواء الصحارى ورفع المياه من اعماق الأرض ، اصبحت هذه الصحارى جنات مثمرة .

دكتور عز الدين فراج

جمـــال قطـــب



الفنان الفرنسى رينوار الذى وجد فى التاثيرية ما يتفق مع هـواه

ينابيع البهجة

فى عدة لقاءات سابقة ، استعرضنا بعض الجوانب الابداعية لفنـــانى (التاثيرية) ، وهم الذين فرضوا مذهبهم الفنى على الذوق العالمى . وربما وجدنا فى هذا التعبير شيئا من الغرابة ، اذ ان التذوق هو حس ذاتى يعتمل فى وجدان وبصيرة المتذوق ولا يمكن ان يفـــرض عليه .

ولكن الطبيعة البشرية - عادة - ترفض الحدث الجديد غير المالوف او تنظر إليه بتوجس ، وقد يشتط البعض فيحاربوه .. ويظل الصراع محتدما إلى ان تالف الحواس هذا (الجديد) فيصبح عادياً يعيش مع الناس فى الفة ووفاق ، ومـا ان تمضى فترة زمنية حتى يتحول بعدها ذلك (الحدث) - الذى كان مستغربا ثم اصبح عادياً - إلى تراث نعتز به لانه يمثل حلقة تاريخية فى مسيرة الفكر الانسانى المتجدد على الدوام !

وهذا ما حدث لكثير من مدارس الفن العالمية ، ومنها المدرسة التاثيرية .

ولكن الجدير بالتنويه عن هذه المدرسة انها صاحبت ثورة فكرية شاملة فى النصف الثانى من القرن الماضى ، وفجرت فى قرائح المبدعين طاقات خلاقة مازالت إشعاعا تسطع على الفن والثقافة حتى يومنا هذا ، كما اشترك فيها العديد من اساطين الفكر ، يوم ان كانت العاصمة الفرنسية واحياؤها الشــــهيرة مثـل (مونمارتر) و (البيجال) وغيرهما ، تزخر بصنوف الابداع العالمى ، وتحتضن الافكار الثائرة المتطلعـــة الى البحث والتجديد .

وكانت المنتديات الفكرية والصالونات الفنية المنتشرة فى كل مكان فى باريس تمثل طابع العصر للمجتمع الفرنسى انذاك . وتحولت إلى خلايا إبداعية يجتمع حولها اعلام الفن ورواد الشعر والادب والمسرح والسياسة والصحافة ، ولا غرو ان نقرا اليوم عن تاريخ تلك الفترة الرائعة اسماء الفنانين مانيه ورينوار وديجا وسيزان .. مختلطة مع اسماء إميل زولا وديران ومجلة (لو شاريفارى) ومقهى (جيربوا) و (اثينا الجديدة) .. !

لقد امتلك هؤلاء الصفوة عالمهم امتلاكا شاعرياً ، وآثروا بساطة العيش والكفاح ، وعانوا من الاضطهاد وتعرض بعضهم للفاقة والتشرد ، ورفعوا شعارهم الخالد : لنبق نبلاء ولنسعد بفقرنا !

وعاش فناننا رينوار هـــذه الفترة التحولية العظيمة .. فترة ظهور تلك الحقائق التشكيلية الجديدة التى تبلورت فى اتجاهين اساسيين : التعبير بالصورة والتعبير بالرمز .

وقد صاحب هذين المذهبين ظهور فنانين من ذوى الآراء والأســـاليب الخاصة : فان جوخ ، ويرى ضرورة المزج بين الرمز والواقع ، وجوجان ، يدعو إلى الأسلوب التركيبى الذى يتخطى ظواهر الأشياء ، وسيزان ، يجنح إلى الأسلوب البنائى .. وغيرهم .. وغيرهم .

اما رينوار فلم يكن صاحب نظريـات مستحدثة ، فالفن فى نظره صناعة بارعة قبل كل شىء . ولذلك وجد فى التاثيرية ما يتفق مع هواه ، حيث يستطيع ان يجسد فى فنه صورة حسية وضاءة النور والحياة ، ليس فيها إيماءات الرومانسية الادبية ولا جفاف الذهنية الواقعية ! فهو ياخذ براى الشاعر (مالارميه) بان التصوير تصنعه الأشكال والألوان كمـا تصنع الكلمات قصائد الشعر .

وكان رينوار شديد الاعجاب بالاغريق القدماء إذ جعلوا الأرض زاخرة بالحيـاة الجميلة ، ومن اجل ذلك . اراد فناننا ان يعيد إلى الأرض - فى لوحاته - رونقها المفقود من خلال المراة النابضة بالخصوبة وحس الحياة .. دون ان تهوى إلى الابتذال .

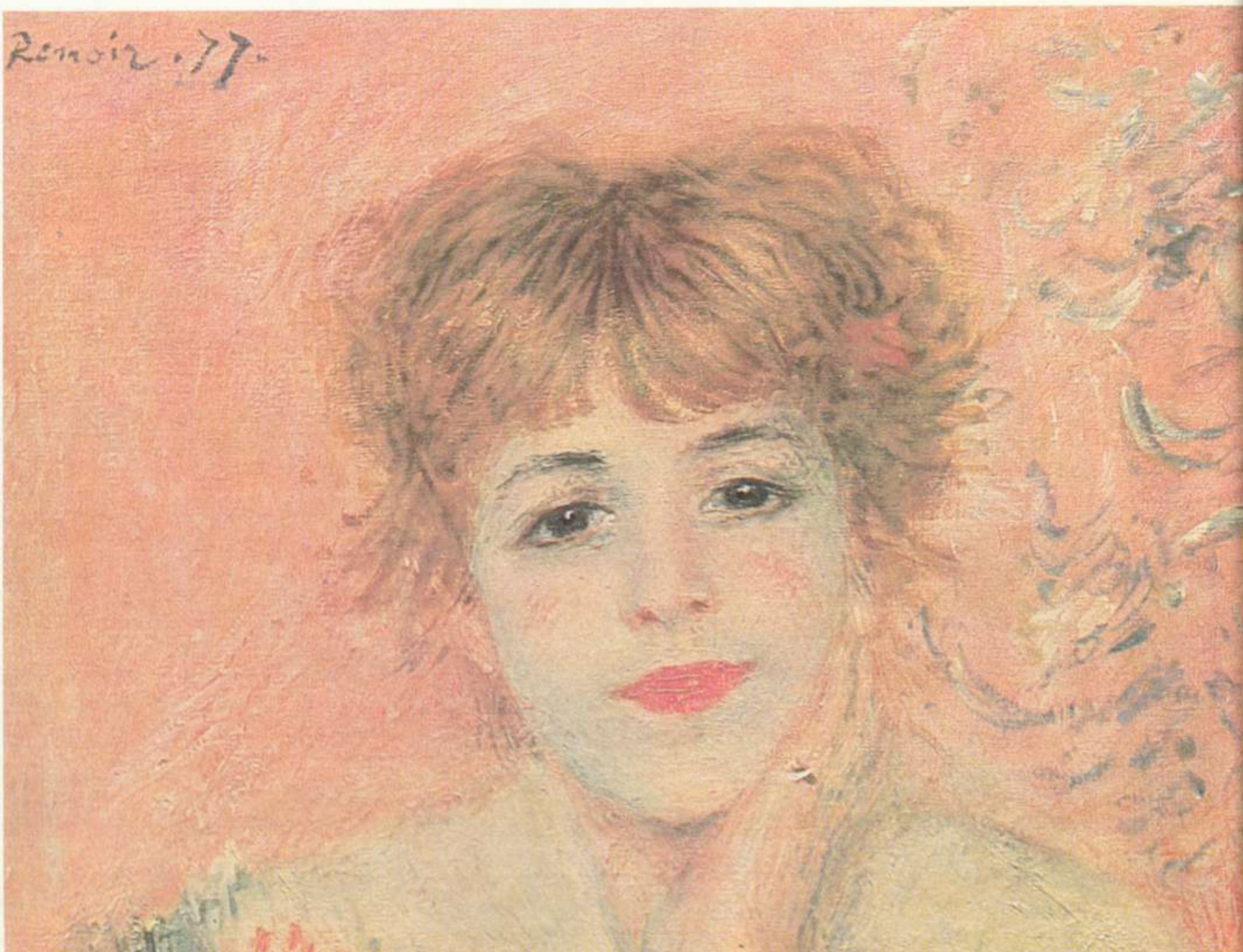
وكما تغنى بجمال المراة ، تغنى كذلك فى اعماله بالثمار اليانعة والزهور المتفتحة ومشاهد الطفولة البريئة .

وايا كان الموضوع الذى صوره ، فان رينوار كان يؤمن بان الصورة يجب ان تكون شيئا ساراً ومبهجاً .

وإذا كانت نظرة التاثيريين إلى الأشكال هى نفس نظرة رينوار من حيث المعالجة اللونية ، إلا ان الاختلاف بينهما يكمن فى انه لم يلجا إلى رسم المناظـر الطبيعية التى كانت المنهج الأساسى لفنانى التاثيرية ، ولكنه اوقف حياته وفنه لرسم الأشخاص (ولاسيما النســـاء الجميلات) فى معظم إبداعاته التى بلغت اكثر من خمسة آلاف لوحة تحتل الآن أروقة متاحف العالم .

كما نلحظ أن المراة عند رينوار تتمتع بجمال هادىء ذى إيحاءات وجدانيـــة سامية ، وبذلك استحق ان يقول عنـه المؤرخون :

إنه أروع من تغنى بجمال المراة وفجر ينابيع البهجة فى الحياة !

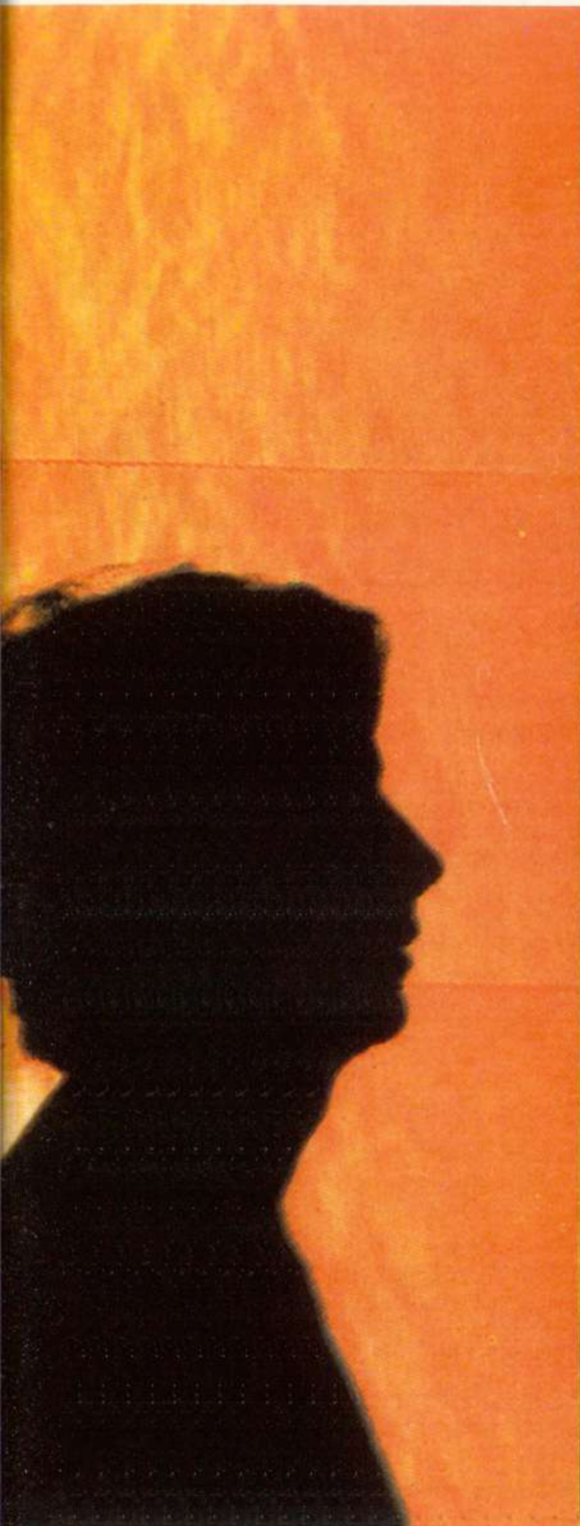


جمال المرأة وبهجة الحياة (الآنسة جين سامارى) .. إحدى روائع رينوار

حسام جميل مدانات

اكتشاف علمى بالغ الأهمية

اعرف أمراضك بالريشة الهوائية!

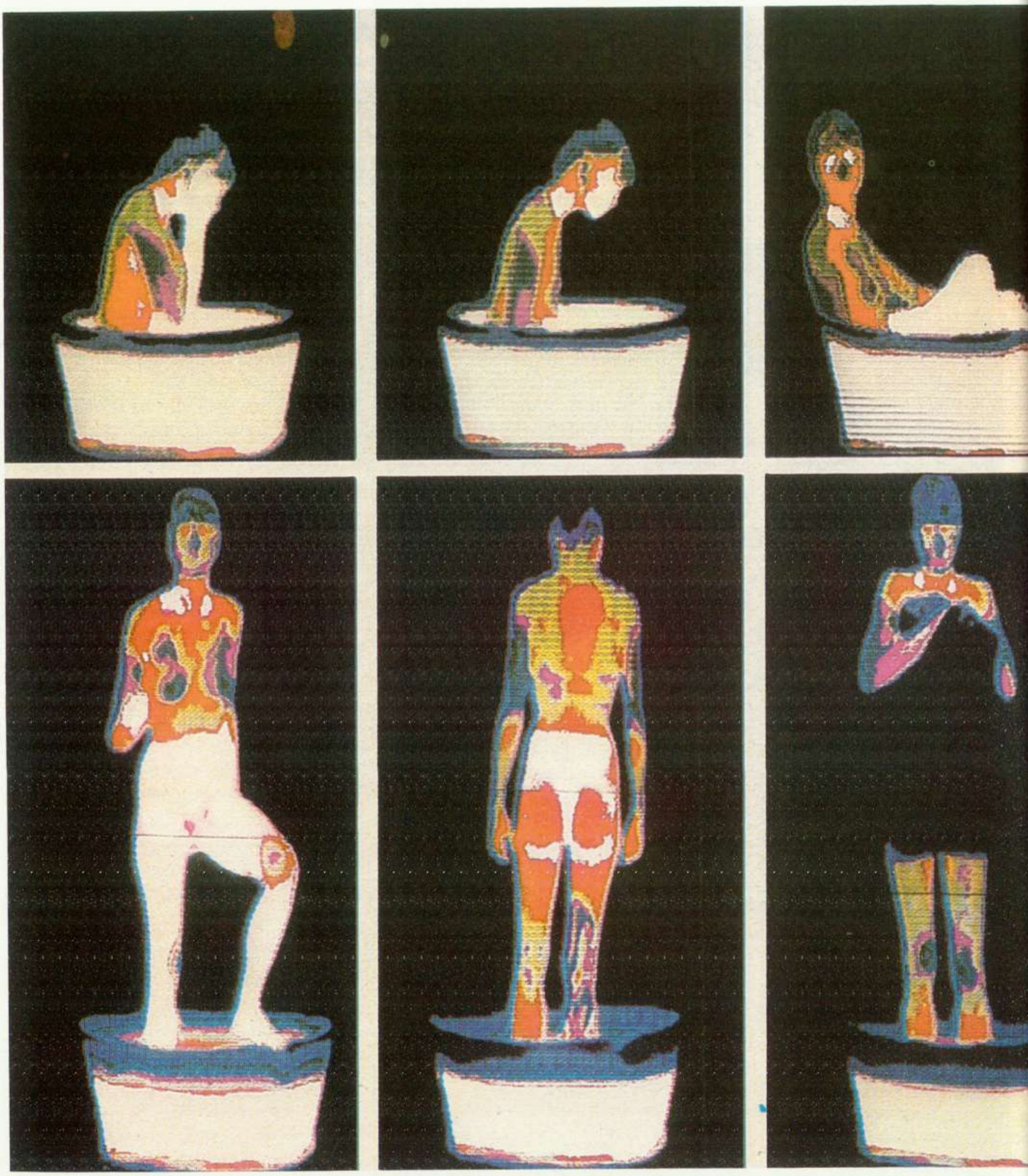




صورة بالكاميرا الحرارية ليد انسان ، تظهر فيها المناطق الحارة باللون الأخضر اللامع والباردة باللون الأخضر الغامق ..

هكذا تتحرك كتلة الهواء حول جسمك ، مثل لهب شمعة ، والجسم مثل «فتيلة» الشمعة فى وسطها !

● عندما تقف فإن الريشة الهوائيه تصنع عازلا جيدًا يقي رأسك من برودة الهواء وحرارته



شخص يستحم فى حوض ، وتظهر فى الصور الحرارية التى اخذت له مناطق الجلد الدافىء بلون ابيض والجلد البـــارد بلون ازرق ، وفى الصورة السفلى إلى اقصى اليمين نرى الشخص واقفا وقد احاط جســـده بمنشـــفة الاستحمام

إذا كنت قد بدات تقرا هذا المقال وانت واقف ، فهل بامكانك ان تتصور ان كتلة من الهواء المتحرك تدور حول جسمك وترتفع إلى حوالى ستة اقدام فوق راسك ! إن هذه الكتلة الهوائية الساخنة تدعى بالريشة الهوائية لانها تشبه الريشة فى الشكل . وطبعاً لا يمكن للعين ان تراها ، ولكن يمكن تصويرها بواسطة آلة تصوير خاصة ، فتبدو من خلالها وهى تدور فى دوامة مستمرة ، وفى حركة لولبية إلى الأعلى مثل لهب شمعة ، حيث يبدو الجسم مثل فتيل الشمعة فى وسطها !

ويبدو أن كل إنسان يتميز بريشة هوائية خاصة به ، وتختلف من شخص لآخر . وهى تعتمـد إلى درجـــة كبيرة

على الوضع الصحي للشخص . وعن طريق فحص هذه الريشة الهوائية ، يكتشف الأطباء طرقاً جـديدة فى التشخيص الطبي فيما يمكن أن نسميه البيولوجيا الهوائية ، وبواسطتها يمكن للأطباء معرفة كيف تشعر ولماذا تشعر بهذه الطريقة ؟

وإحدى تطبيقات هذا العلم هى فى « قراءة » الجسم حرارياً . وتساعد هذه الطرق التى تقاس فيها كمية وتوزيـع الاشعاعات الحرارية للجسم فى الكشف عن أمراض معينة مثل الصداع . وتساعد فى تفسير لماذا لا يملك الانسان حاسة شم قوية (مقارنة مع الكلب مثلا) . كما إنهـا يمكن أن تساعد رجال الشرطة فى إيجاد الجثث المخبأة ، فالمنطقة المخبأة فيها جثة ميت أثناء تحللها ، تظهر إشعاعاً حرارياً أكثر من المناطق المجاورة لها من التربة .

الصدفة هى البداية

إن ما يميز طريقة التشخيص الهوائى الحيوى ، هو انها سلبية ، ولا تحتوى على اجراءات تتطلب مهاجمة الجسم بالأشعة كما فى حالة اخذ الصور بطريقة الأشعة السينية . ولا حاجة ايضاً لأخذ عينات من الدم أو من اعضاء الجسم . إنها علم يعد بايجاد طرق سريعة ورخيصة وآمنة للتشخيص الطبي .

ويعود تاريخ طرق فحص البيولوجيا الهوائية إلى ما قبل اكثر من عقدين من الزمان ففى عام ١٩٦٨ م ، وبينما كان العـالم الفسيولوجى البريطانى « هارولد لويس » يزور مركز فحص للطائرات ، رأى عرضاً لعملية التصوير الشعاعي الشـليرى (Schlieren) ، وهى طريقة ضوئية تصور مجرى الهواء عبر نفق هوائي فى جسم الطائرة .

لقد تم إبتكار طريقة التصوير الشعاعى فى المانيا قبل مائة عام ، حيث استعملت للكشف عن الشقوق الدقيقة والعيوب الأخرى الخفية فى زجاج الأجهزة الضوئية كالعدسات والمناشير ، ولكنها تمكن أيضاً من تكوين صورة تسجل على فيلم لاضطرابات الهواء .

لقد لاحظ لويس أثناء تجربة تصوير الهواء فى النفق الهوائي ، أنه عندما وضع احد الفنيين بالصدفة ، يده فى طريق الشعاع الضوئى ، فان آلة التصوير قد صورت يده كجسم أسود ، ولكنها أعطت صورة مميزة للهواء حولها ، والذى كان يتحرك بطريقة تعتمد على حرارة اليد . لقد إكتشف لويس فوراً مجال استعمال حيوى لآلة التصوير هذه ، وقام بوضعها فوراً فى مختبره الطبي .

ومنذ بداية السبعينات ، بدأ « لويس » وزميله « كلارك » ، باجراء أبحاثهما على الريشة الهوائية المحيطة بالجسم . لم تكن هذه الريشة ظاهرة مثيرة فقط ، بل إنها اثبتت أن لها تطبيقات ومجالات متنوعة ومفاجئة بغرابتها .

لقد ساعدت ابحاثهما فى تفسير كون لباس الرجال فى البلدان الحارة ، مثل الدشداش العربى ، يساعد على تحمل الحر ، فهو يسبب تكوين ما يشـبـه « المنفاخ » عند القدمين ، دافعاً كمية أكبر من الحرارة وبسرعة وفعالية . وبعكس ذلك نجد فى ملابس الرحالة فى مناطق القطب المتجمدة ، حيث تعمل ملابسهم على الحد من حركة تيار الهواء الساخن ، وتحجز قسماً منه فى جيوب مغلقة ، مما يعمل على تكوين عازل إضافى يساعدهم على الاحتفاظ بحرارة أجسامهم .

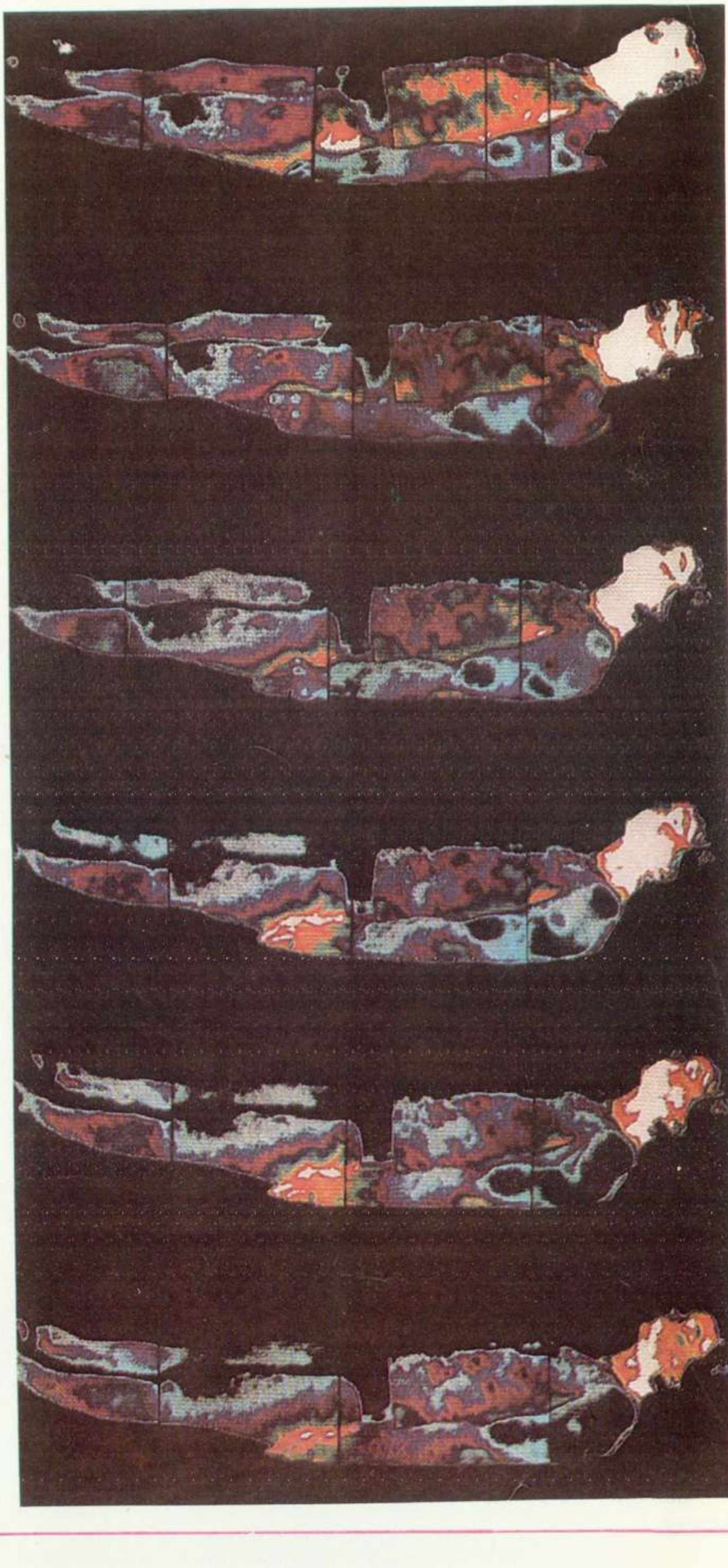
والآن ، وأثناء وقوفك ، فان الريشـة الهوائية تحيط بك وترتفع فوق رأسك إلى ستة أقدام ، مكونة عازلا جيداً يقى رأسك من برودة أو حرارة الهواء المحيط ، بينما تتقلص إلى قدمين فقط أثناء نومك أفقياً . وفى هذه الحالة يفقد الرأس تلك الطبقة الهوائية العازلة ، ويفقد ٣٠٪ من الحرارة فى الجو البارد أكثر مما لو كان الشخص واقفاً . وهكذا ينصح كلارك أن يضع النائم على رأسه غطاء أثناء الموسم البارد .

ولكن يبدو أن الأنف قد يستفيد من كون الجسم مستلقياً أفقياً . ففى وضع الوقوف يكون الأنف غارقاً فى غيمة من الدقائق المتطايرة من الجلد . وقد يفسر هذا ضعف حاسة الشم عند الانسان مقارنة مع معظم الحيوانات الأخرى . ففى الحيوانات التى تعتمد على حاسة الشم ، نجد أن الأنف يبرز أمام الجسم بعيداً عن رائحة الجسم ودقائقه المتطايرة . هل يعنى هذا اننا سنشم بطريقة أكثر فعالية أثناء



◄ هذه الصورة التقطت لطفل بآلة التصوير الحرارية التى تبين كيفية فقدان الجسم لحرارته بتعدد الألوان ، وهذه الفكرة تكشف السرطان المبكر الذى يرفع فى العادة حرارة الأنسجة المجاورة له

▶ درجة الحرارة فى جسم الانسان اثناء النوم .. المناطق الحارة تظهر بلون ابيض ...... والباردة بلون اسود ، مع الوان اخرى تمثل درجة الحرارة التى تقع بين الحدين .. والصور الحرارية العليا تظهر حالة نشاط كبير فى الجسم



الاستلقاء على الظهر ؟ ربما ، لكن الأمر يحتاج إلى إجراء تجارب دقيقة للتاكد من ذلك .

التصوير الحرارى

وتستعمل البيولوجيا الهوائية أداة فعالة اخرى بجانب التصوير الشعاعى ، الا وهى آلة التصوير الحرارية .

وتصوير الجسم حراريا يبين كيفية فقد الجسم لحرارته بواسطة صور متعددة الألوان وكل لون يدل على درجة حرارة مختلفة ، أو على معدل مختلف لفقد الحرارة .

إن تتابع النماذج الحرارية للجسم على شاشة العرض ، يبين الاختلاف المستمر فى درجات حرارة اعضاء وأجزاء الجسم . ويظهر هذا بشكل يشبه المد والجزر للألوان الدالة على المستويات المختلفة لدرجات الحرارة . ومن الصعب حتى الآن ، معرفة السبب الكامن وراء هذا التذبذب المستمرفى درجات حرارة اجزاء الجسم .

لقد أثيرت فكرة استخدام التصوير الحرارى ، للكشف المبكر عن الاصابة بسرطان الصدر ،فالسرطان يرفع عادة من درجة حرارة الأنسجة المجاورة له ، مما يظهرها بلون مختلف على الصورة الحرارية . ولكن الامر يحتاج إلى ابحاث أكثر .

على أية حال ،لقد تم استخدام الصور الحرارية بنجاح فى الكشف عن وجود تجلطات دموية فى الأوعية الدمويه ، فمقارنة صورة للساقين مثلا ، قد تظهر دلائل على وجود نقطة تجلط فى احداهما .

وفى المستقبل قد تصبح طريقة التصوير الحرارى أداة ضرورية للتشخيص الطبى مثلها مثل صور الأشعة السينية المستخدمة حاليا كاداة أساسية للتشخيص .

حسام جميل مدانات

د. عبدالمحسن صالح

إنجازات كبرى في الهندسة الطبيّة :

أن يتحرك المشلول.. تلك معجزة.. هل تتحقق ؟!

لو قدر لك واطلعت على ما يجرى فى بعض معامل معاهد البحوث والجامعات فى الدول المتقدمة ، لرأيت مناظر مثيرة ، وتجارب غريبة ، واجهزة معقدة ، وحاسبات اليكترونية متطورة ، وبين هذه وتلك تقف عقول مفكرة ، وأذهان متفتحة ، لتكشف عن الاسرار الخافية داخل الانسان والحيوان ، فما عادت حواسنا التقليدية بقادرة على كشف ما يجرى فى الكائنات من عمليات منظمة ، وتفاعلات مقدرة ، ووظائف متناسقة ، وامراض خافية ، ومن اجل هذا تسلطت عليها تلك الأجهزة ، لترى مالا تراه عيوننا القاصرة ، وتسجل لنا ما غاب عن البصر والسمع والحس والفؤاد ، وتدفعه إلينا بصورة أكثر إشراقاً ، واعظم منالا ، وأيسر إدراكاً ، وبهذا تزيد معارفنا ، وتتطور علومنا ، لينعكس ذلك على انجازات علمية وتكنولوجية لا نستطيع لها عداً !



● اجهزة وحيوانات وبشر وعلماء واطباء وتجارب تجتمع فى هذه الصورة التى تبدو وكانما نحن قد اخذنا من كل بستان زهرة .. او من كل معمل عينة مما يجرى فيه ، لتوضح لنا قليلا من كثير .. وهو ـ فى النهاية ـ لصالح البشرية ، والتخفيف من الامها ومعاناتها .

وليس من رأى ،كمن لم ير ، فالذى يرى ، قد يحسب أن الانسان أو الحيوان قد اصبح جزءاً من تلك الأجهزة ، وكانما الكائن الحي نظام يخضع لنفس الشرائع والقوانين التى يتعامل بها العلماء فى علومهم المتباينة ، وهذا صحيح إلى حد كبير ، فالكائنات نظم اصغر ، تتبع نظماً اكبر فاكبر ، وان كان النظام الحى هو اعقد وأروع هذه النظم على الاطلاق .. وهذا ما يثير الحيرة عند الذى لا يدرى شيئاً عن أسرار ما يجرى امامه من تجارب : شق منها من دم ولحم وعظام واعصاب ، والشق الآخر من توصيلات كهربية ، واجهزة اليكترونية ، ومؤشرات تتحرك ، ومصابيح تومض ، وشاشات تسجل الأحداث بخطوط ترتفع وتنخفض .. الخ ، وعندئذ قد تقفز إلى ذهنه اسئلة حائرة : ماذا تعنى هذه التجارب حقا؟ .. وإلى أى شىء يهدف العلماء ؟ .. وهل اصبح الكائن الحي بمثابة الآلة التى تخضع أو تستجيب لما حولها من آلات غريبة على عقولنـــا وزماننا ؟ .. الخ .

تجربة مثيرة

قبـــل أن نستعرض هـــذا الموضوع الشائك ، دعنا نلقى نظرة عـــابرة على ما يجرى فى معمل واحد من معامل البحوث الكثيرة المنتشرة فى العالم ، وليكن ذلك – على سبيل المثال – معملا بمدرسة الطب بجامعة سان لويس بالولايات المتحدة الأمريكية ، فهناك قـد تقع العين على تجربة مثيرة بين عالم فى الهندسة الطبية يدعى جيرولد بتروفسكى وبين قط ذى ساق مشلولة .. فبين هذا وذاك تمتد غابة من الأسلاك الدقيقة التى تخرج من ساق الانسان ، لتصب فى ساق الحيوان ، وبين هذا وذاك اجهزة متصلة بحاسب اليكترونى ليسجل ما يجرى فى الخفاء !

الشىء الغريب أن ساق القط المشلولة كانت تتحرك كلما تحركت ساق بتروفسكى وتنثنى إذا انثنت ، وترتخى إذا ارتخت ، أى كانما هى مطيعة « للأوامر » العصبية التى تصدر من راس الانسان ، فتحرك ساقه ، وفى الوقت ذاته تنتقل الاوامر عبر الأقطاب والأسلاك ، ومروراً بالأجهزة التى تركزها وتوجهها ، فتوجه بدورها ساق القط المشلولة – لتستجيب لكل نبضـة عصبية تجرى فى ساق الانسان السليمة !

قد تبدو هذه التجربة بمثابة لعبـة او تسلية لا معنى لها ، ولا هدف من ورائها ، إذ ماذا يعنينا حقاً ان يحرك بتروفسكى ساقه ، فتتجاوب معها ساق قط مشلولة ؟! .

إن ذلك – فى الواقع – يعنى الكثير ، فما يحدث فى هذه التجربة شىء اقرب إلى الخيال .. صحيح ان البداية متواضعة ، لكنها سوف تتطور بمرور الزمن ، فيثاب البشر دون القطط ، لأن الاصل فى هذه التجارب هو السعى للسيطرة على الشلل الذى يصيب ملايين البشر كل عام ، فيعانون منه طيلة حياتهم ، دون امل فى شىء يعيد إليهم حركتهم ، اللهم إلا فى حالات قليلة .. ذلك ان الجهاز العصبي فى اجسامنا لو مسته إصابة ، او لحق به تهتك ، او اضير بجلطة فى المخ .. الخ ، فانه يترك بصماته على هيئة شلل فى العضلات ، وقد يكون ذلك فى عضلات يد او ذراع او ساق او وجه ، او شلل نصفى وما شابه ذلك ، وقد يبقى مع من اصيب به العمر كله ودون أن يكون هناك امل فى تعويض ما راح او ضاع من هذه الخلايا العصبية الثمينة – على الأقل فى وقتنا الحاضر .

ولهذا فان تجربة بتروفسكى تحمـل مؤشرات الأمل والرجاء ، لأن حركة عضلات الساق المشلولة للقط ، وتوجيهها وجهات محددة ، من خلال إشارات عصبية مقدرة ، تعنى بداية السيطرة على واحدة من المآسى الكبرى والدائمة ، ممثلة فى اعراض الشلل ، بسبب عطب فى اعصاب الحركة .

شـبكة هائلة للاتصال والتوجيه

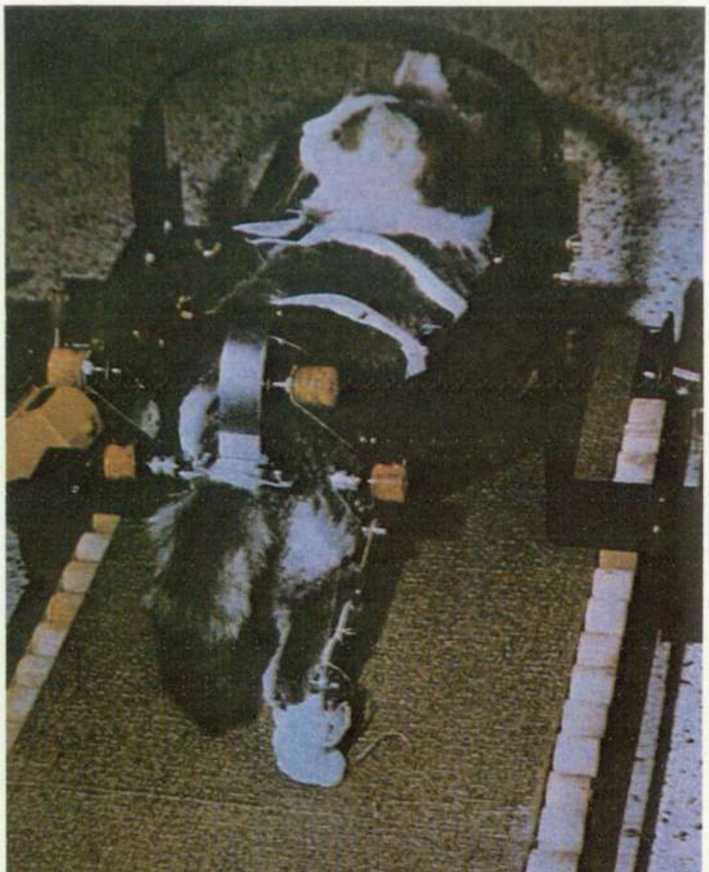
ولكى نوضح المغزى الذى تقوم عليه هذه التجارب ، كان من الأوفق ان نتعرض



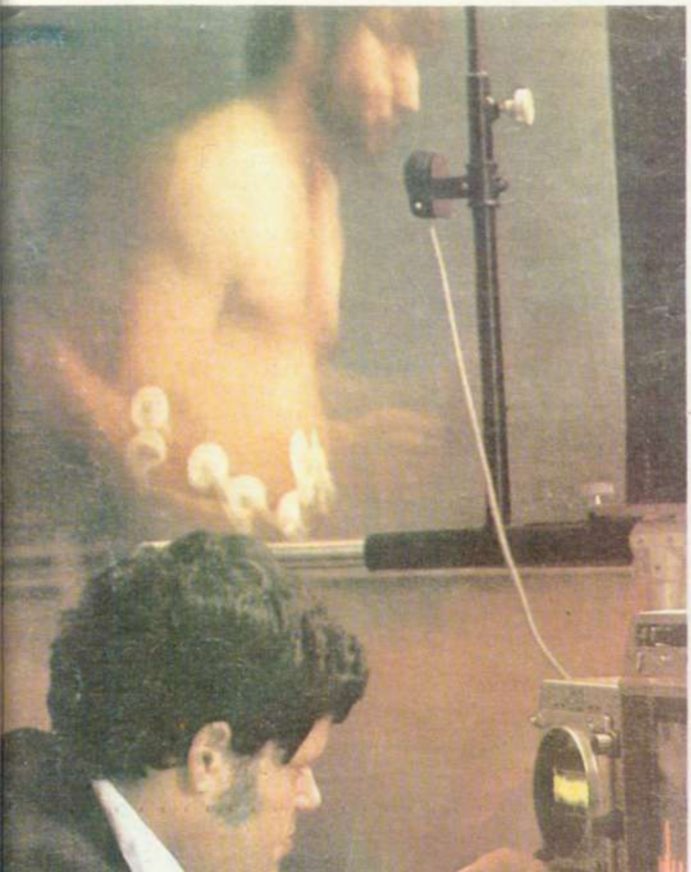
● من خلفه اجهزة ، وعن يمينه اجهزة ، وعن يساره اجهزة ، وكلها قد تسلطت عليه لتسجل ما يجرى فى سمه من تيارات ونبضات ، لعل ذلك يكشف للعلماء مزيداً من الأسرار ، ليؤسسوا عليها معرفتهم .

ـ باختصار شديد ـ لمهمة الجهاز العصبي وعلاقته بالشلل الناتج من خلل فى اى جزء منه .. فالمخ يمكن تشبيهه بالادارة العليا ، او « بالسنترال » الذى تمتد منه شبكة هائلة من الأسلاك او الخطوط التليفونية التى تتجمع فى حـــزم او « كابلات » ، ثم تتوزع بالملايين فى انحاء مدينة كبيرة ، ليتم الاتصال بين الأفراد ، ولكن من خلال السنترال .

وطبيعى ان كل « كابل » هو حزمة مسئولة عن منطقة او حي فى المدينة ، فاذا انقطع هذا الكابل ، او تعرض جزء منه للتاكل او التدمير ، او حدث عطب فى جزء من السنترال المسئول عن هذا الكابل ، فان الشلل او التوقف لابـــد واقـــع على التليفونات المتصلة به ، فلا تستقبل ولا ترسل ، اللهم إلا إذا اعيد وصل او اصلاح ما عطب .. وهذا امر على الفنيين يسير ، لكنه ليس كذلك بالنسبة لشبكة الاعصاب الهائلة التى تنتشر بين ملايين الملايين من خلايا الجسم ، او بالنسبة للمخ العظيم الذى يحتوى وحده على حوالى ١٤ الف مليون خلية ، تتصل مع بعضها بشبكة هائلة من الألياف التى تبدو امام العلماء كغابة كثيفة من المتاهات او الدوائـــر الكهروكيميائية المذهلة والمحيرة ، وهى دائمة الارسال والاستقبال لسيل جارف من المعلومات التى تستقبلها او ترسلها عن طريق الالياف والحزم العصبية ، فيحدث الوعي والاتصال بين عالمين : عالم داخلى يكمن فى اجسامنا ، وعالم خارجى بكل مؤثراته التى تستقبلها الحواس ، وتنقلها إلى المخ على هيئة تيارات من نبضات عصبية متلاحقة ، وفى مراكزه المختلفة يتم ترجمة النبضات إلى معلومات على درجة هائلة من الكفاءة والتعقيد ، ثم يعاد ارسال بعضها الى العضلات ، فتحرك اصبعا او يدا او ذراعا او جفنا او شفة او فكا وساقا وقفصا وبطنا .. الخ .. الخ ، فالمعروف ان كل عضلة فى اجسامنا ـ صغر شانها او كبر ـ لا تتحرك إلا باوامر او نبضات عصبية تصدر من منطقة محددة فى امخاخنا ، لا اوامـــر .. إذن



• قط محاط باجهزة ، وعلى ساقه ضمادات تمتد منها اسلاك واقطاب مزروعة فى عضلاته ، لتنقل نشاطها الحركى والعصبى إلى اجهزة تقوم بتحليلها وتسجيلها



• بتروفسكى امام جهاز يسجل له النشاط الحركى لعضلات البطن لرجل يجلس على كرسى متحرك (اعلى الصورة)

لا استجابة ولا حركة ، هذا رغم أن العضلة سليمة ، لكن المحرك تعطل لأى سبب من الأسباب .

وفكرة العلماء الآن - ومنهم بتروفسكى بطبيعة الحال - تتركز على استنباط « تحويلة » يتم من خلالها إرسال تيارات كهربية مناسبة على نفس النمط الذى يتم به ارسال النبضات العصبية للعضلات ، لعل شللها يتحول إلى حركة .

الفكرة تتبعها فكرة أتقن

لقد ظل العلماء يجمعون الكثير من أسرار الجهاز العصبى على مدى سنين طويلة ، حتى تجمعت لديهم حصيلة من المعلومات وفيرة ، وعرفوا أن النبضات العصبية تنتج من عمليات شحن وتفريغ فى الخلايا العصبية ، فتنطلق عبر الألياف لتؤثر فى حركة الجسم ، فكأنما هذه الخلايا بمثابة دوائر كهربية أو اليكترونية ، مع الفرق طبعاً بين ما خلق الله فقدر وأبدع ، وبين ما صنع الانسان وقلد ، إذ لازالت أسرار الجهاز العصبى من أعظم التحديات التى تجابه العلماء حتى الآن .

ومن هذا المنطلق فكر العلماء والمهندسون والتكنولوجيون فى امكان تطويع الأساسيات التى يتعامل بها الجهاز العصبى مع البناء العضلى ، فيدفعه لحركات متناسقة ومقدرة ، فيقلدون هذا النظام الطبيعى المذهل بنظام صناعى يقوم مقام العضلات ، فكانت الأطراف الصناعية التى حلت محل الأطراف المبتورة .

هناك الآن الاف من البشر الذين يستخدمون يدا أو ذراعاً أو ساقا وكلها من الأطراف الصناعية التى حلت محل الأطراف المبتورة ، لكنها ليست دعامة أو سنادة فقط ، بل أطراف تتحرك بمجرد أن يفكر حاملها فى القيام بحركة ، فاذا أراد أن يقبض على شىء ، تحركت الأصابع الصناعية لتمسك مفتاحاً أو طبقاً أو كوباً أو كتاباً .. الخ ، وإذا أراد أن يصعد سلماً ، أو يتخطى عقبة ، تحركت ساقه الصناعية وفقاً لرغباته الصادرة من جهازه العصبى فتجعل الطرف يرتفع وينخفض وينثنى وينقبض وينبسط .. وبالاختصار ، فان الأطراف الصناعية تشتغل بطريقة أقرب إلى طريقة الأطراف الطبيعية ، رغم أن هذه . من شحم ولحم وأعصاب ، والاخرى من أسلاك ولدائن ومعادن !

ولكن لاشىء يتحرك هكذا بذاته ، بل من وراء كل حركة محرك ، والمحرك هو المخ وللمخ شفرة ، ولقد استعان الانسان بهذه الشفرة ، لا لتحريك عضلات فى ساق أو ذراع (فهذه أطراف مبتورة) لكن لتحريك « موتورات » أو محركات دقيقة ، فتثنى مفصلا ، أو تشد مزلاجا ، أو ترخى مشدا .. إلى آخر هذه الحركات التى تتجاوب تجاوبا متناسقاً مع ما يصلها من تيارات كهربية ضعيفة من العضلات الطبيعية التى لازالت موجودة بحالة سليمة فى أعلى الجزء المبتور ، وفيها أقطاب كهربية مزروعة ، لكنها أرق من شعرة رأس ، وبهذه الأقطاب تتصل محولات ومكبرات لشد التيار ، فتحرك الموتورات التى تحرك الأجزاء المفصلية القائمة فى الطرف الصناعى ، لتقلد عمل الطرف الطبيعى .. لكن الذى يقوم بالتنسيق بين هذه الحركات حاسب اليكترونى مبرمج بالمعلومات التى تؤهله لأداء وظيفته على خير وجه ، وهو ما تراه واضحاً فى الصورة المنشورة هنا لصبى بترت ساقه ، فاستعان على ذلك بساق صناعية تتحرك وفق إرادته .

وكالساق الصناعية تكون الذراع أو اليد الصناعية ، وطبيعى أن تغلف أجزاؤها المنفردة بغلاف يعطيها قواماً أقرب إلى الأصل .. لكن الأهم من ذلك هى الحركة ، لأنها تقع تحت تأثير الجهاز العصبى ، لكن عن طريق وسيط ممثل فى ذاكرة اليكترونية ينسق بين نظامين : أحدهما حي ، والآخر غير ذلك ، وهذا - بلاشك - انجاز عظيم لم يكن ليتحقق إلا بمعرفة دقيقة لبعض أسرار الجهاز العصبى ، هذا بالاضافة إلى التقدم



● قياسات تتم على أحد المشلولين ، حيث تسجل المجهودات البدنية ، والاجهادات العضلية ، ومعدلات التنفس والاختراق .. الخ ، وهى أيضا لازمة لتطوير معارفنا ، والسيطرة على ما قد يحدث بداخلنا .

إنجازات كبرى في الهندسة الطبيّة :

العظيم فى تكنولوجيا الحاسبات الاليكترونية .

التحديات الصعبة

لكن فكرة بتروفسكى تختلف عن فكرة الأطراف الصناعية ، فالأطراف الطبيعية موجودة لكنها مشلولة ، وهو يسعى للسيطرة على حركة العضلات التى انقطعت عنها مؤثرات حركتها ، ولهذا يجاهد لتعويضها عما فقدت ، لعلها تستجيب فتتحرك .

وطبيعى ان السيطرة على تحريك العضلات المشلولة اصعب بكثير من السيطرة على تحريك موتورات ومفاصل ومشدات فى ساق أو ذراع صناعية ، فلكي تتحرك العضلة وفق الاشارات الواصلة إليها من المخ ، كان لابد ان تخضع حركتها البالغة التعقيد للعديد من المتغيرات والعوامل المتداخلة والمتالفة والمتزامنة ، فاذا اختل شرط أو عامل ، اختل توازن الانسان ، ليسقط على الأرض بغتة ، ولهذا فعلى الباحث فى هذا المجال ان ياخذ فى الاعتبار شدة النبضات العصبية ، وبداياتها ونهاياتها وتوقيتها ، والتغذية الراجعة او السارية بين المخ والعضلات لينبيء احدهما الأخر بالحالة أولا باول .. اضف الى ذلك قوة الشد العضلى وارتخائه ، والثقل الواقع عليه ، ودرجة الحرارة . فذبذبتها بين ارتفاع وانخفاض يؤدى إلى نتائج غير مشجعة .

ولاشك ان السيطرة على عمليات الارسال والاستقبال ، وما قد يطرا عليها من متغيرات ، تحتاج إلى اكثر من تخصص ، واكثر من عالم فى كل تخصص لأن سيل المعلومات المتبادلة بين منطقة محددة فى المخ ، وبين عضلة فى الجسم اكبر مما تستوعبه العقول ، ولهذا استعان



ايدى واذرع صناعية من كل شكل وحجم ولون ، وهى لباس مناسب يحجب التكوينات الآلية المفزعة عن عين المشاهد .



● نموذج ليد صناعية تحت الاختبار ، وعندما تثبت صلاحيتها توضع فى قفاز من لدائن صناعية تشبه اليد الطبيعية



● صبى بترت ساقه ، فاستعان بساق صناعية متحركة عن طريق ذاكرة اليكترونية يحملها على كتفه ، فتيسر حركته .

بتروفسكى بثلاثين باحثا ومساعدا من جامعته ، بالاضافة إلى اثنين من اكفا المهندسين فى تصميم وتحوير الأجهزة والحاسبات الاليكترونية ، وبرمجه النبضات العصبية ، والحركات العضلية وتسجيل كل ذلك فى « ذاكرة » اليكترونية او اكثر ، ثم تطوير البحوث والاجهزة لتسير جنبا إلى جنب مع التطور فى جمع المعلومات التى يحصلون عليها بمرور السنين .

وفكرة بتروفسكى ان يلتقط النبضات العصبية المرسلة إلى العضلات المشلولة (لكنها لا تصل بسبب انقطاع الاتصال) ، ويوجهها إلى حاسب اليكترونى مبرمج ، ليكون الوسيط والموجه بين الاشارات العصبية والحركات العضلية ، ورغم صعوبة البحث فى هذا المجال ، ورغم المتاهات والتحديات التى تعيش فيها هذه المجموعة من العلماء ، رغم ذلك فلديهم الثقة والأمل فى التغلب على كل الصعاب وتحقيق الهدف العزيز الذى يبدو لغيرهم كمعجزة يصعب الوصول إليها .. لكن بتروفسكى يعلق على ذلك بتفاؤل فيقول « نحن نمتلك الارادة والعقل والحاسب الاليكترونى ، والمخ يمتلك البروجرام ، ولهذا فما علينا الا ان نترجم مفردات هذا البروجرام ، ونحوله إلى لغة او اوامر فى آلة (يعنى الحاسب الاليكترونى) .. اى سيكون لدينا نظام عصبى اليكترونى مبرمج ، ليوجه من الخارج حركة العضلات المشلولة التى بالداخل » !

أول الغيث قطرة

ويبدو ان الاهداف ستتحقق باسرع مما يقدر لها اصحابها ، فلقد صرح بتروفسكى فى عام ١٩٨٠ - وبعد ان امضى فى بحوثه تلك حوالى ١٣ عاما متواصلة - انه يامل فى تجربة باكورة حاسباته الاليكترونية المبرمجة على المشلولين من البشر ذوى العضلات التى لم تضمر وظائفها بعد (نتيجة عدم تحريكها سنين طويلة) - يامل فى تجربتها فى عام ١٩٨٥ .

لكن الأمور بدات تتكشف ، والتطبيق يثمر بعد اقل من ثلاث سنوات فقط (اى فى عام ١٩٨٢) .. وكانت اول حالة تجرب فيها احدى هذه الحاسبات المبرمجة فتاة تبلغ من العمر ٢٢ عاما ، وتخرجت من نفس الجامعة التى يعمل بها بتروفسكى ، ثم اصيبت فى حادث ليلة تخرجها فنتج عنه شلل فى ساقيها اقعدها عن الحركة .

وعندما تمت العملية ، واستندت الفتاة على سنادتين متوازيتين (انظر الصورة) وفكرت فى حركة ساقها اليمنى لترفعها إلى اعلى ، رفعتها بالفعل ، وخطت بها اول خطوة ، ثم حاولت مع الساق اليسرى ، فخطت بها الخطوة الثانية .. ثم الثالثة .. فالرابعة .. إلى ان قطعت مسافة تقدر بثلاثة امتار ، ثم احست بالاعياء فى ساقيها ، فتوقفت عن الحركة ، لكنها - مع ذلك - قد صاحت بفرحة بالغة : « إنه لشى ء رائع حقا .. فاخيراً بدات ساقاى تحملانى لقد بدات اتحرك » !

صحيح أن البداية جد متواضعة ، لكن رحلة الالف ميل تبدا بخطوة .. فالمهم ان تبدا ، والمهم ايضا ان تتحرك الساق المشلولة حركة ولو بطيئة ، فهذا - فى حد ذاته - يبشر بان العضلات قد استجابت لتوجيهات الحاسب الاليكترونى ، فتحركت لاول مرة بعد شلل اقعدها على كرسى متحرك .

وطبيعى ان كل شى ء سوف يتطور ، كما تطور كل شى ء نعيش به وفيه ، ودائما إلى الاحسن والاتقن ، وذلك بفضل عقول مفكرة ، وافكار متطورة ، وخبرات اكفا ، وحصيلة علمية اعظم ، وبحوث اعمق .. ولاشك ان ذلك وغيره سيؤدى إلى انجازات قد نحسبها الآن ضربا من الاحلام .. فاليوم خطوات متواضعة ، وغداً قد يتحول الشلل إلى شبح ، فيقوم المشلول ليمشى ويتحرك ويعمل ويسعد ، وكانما لسان حاله يقول : خير الناس انفعهم للناس ، وطوبى للعلماء الذين وهبوا علمهم للمرضى والمعوقين والبؤساء !

د . عبد المحسن صالح



● أول تجربة على فتاة مشلولة استطاعت ان تحرك ساقيها لاول مرة بمساعدة ذاكرة اليكترونية ، والأمل معقود على تطور اتقن فى هذا المجال .

بقلم: صبحي الشاروني

الفنان أبو العينين

والعمارة التاريخية والشعبية



صورة شخصية للفنان ، رسمها لنفسه منذ عشرين عاما

عبد الغنى ابو العينين فنان موسوعى له اوجه نشاط متعددة ، فى كل فرع من الفروع التى مارسها تفوق واشتهر حتى اصبح معروفاً على مستوى العالم العربى من خلال تصميماته لأزياء فرق الفنون الشعبية : الفرقة القومية للفنون الشعبية فى مصر والفرق القومية للفنون الشعبية فى قطر ، وعمان ، والجزائر .. وكذلك عرف من خلال موقعه كرائد لفن الاخراج الصحفى ، وتصميماته للديكور المسرحى ، لكن هناك نشاطا تفوق فيه ابو العينين ولا يعرفه الا عدد محدود من اصدقائه ومحبى فنه هو رسم المناظر والتجمعات الانسانية .. إنه يطوف بالمناطق البكر والأحياء الشعبية ليرسمها فى لوحاته التى تعتبر مرجعا فنيا وممتعا للمناظر فى هذه الأماكن فى وقتنا الحاضر .



قبل ان تغرق النوبة بعد بناء السد العالى ، اسرع الفنان ليرسم قراها ذات الطابع المتميز (عام ١٩٦٢)

صور الزعماء والمشاهير

ولد الفنان مع مطلع عام ١٩٢٩ وعندما بلغ سن الدراسة التحق بمدرسة الزيتون الابتدائية عام ١٩٣٧ ، وفى هذه المدرسة احب دروس الرسم والأشغال اليدوية فكان يقضى معظم اوقات فراغه فى الرسم والتشكيل ، سواء فى المدرسة أو بعد عودته الى المنزل ، فى تلك الفترة اكتشف وسيلة تكبير الصور باقلام الفحم الأسود فكان يرسم نسخا كبيرة لوجوه الزعماء والقادة ويثبتها على جدران غرفته ، وذلك نقلا عن المجلات والدوريات التى كان ابوه يحرص على شرائها وتجميعها فى مجلدات متتالية .

نشأ الفنان فى جو منزلى مشبع بالفنون .. ففضلا عن المجلات المصورة التى كان يحلو للفتى اخراجها من صناديقها وتأملها والفرجة على صورها .. فقد كان والده - الموظف القانونى - ما يكاد يعود من عمله حتى ينهمك فى ممارسة هواياته الفنية المتعددة .. مثل التصوير الضوئى بامكانياته المتواضعة فى الثلاثينات .. وكان الأب يستخدم ابنه « نموذجاً » يجلسه أمام عدساته الساعات الطوال .. ثم يصحبه الى الغرفة المظلمة ليرقب فى سعادة ظهور معالم الصورة

أثناء معالجتها بالاحماض والكيماويات ..

هواية الخط العربى

كانت ضمن هوايات والده الرسم وكتابة لافتات الخط العربى وزخرفتها .. وقد احب الفتى هذه الفنون فكان يحاول تقليد والده الذى حصل على شهادة مدرسة تحسين الخطوط الملكية ، وكان قد التحق بها لاشباع هوايته بعد التوظف ، وكان الأب يشجع الابن على كتابة الخط .. وكان من أصدقاء الوالد الشيخ عزيز الرفاعى الذى أسس مدرسة تحسين الخطوط أيام الملك فؤاد - وكان من جلسائه « نجيب هواوينى » و « حسنى » أبو نجاة وسعاد حسنى ، والشيخ « علي بدوى » وأيضا « هاشم » أشهر خطاطى العراق الذى رحل منذ سنوات قليلة ، وأيضا الأمير التركى حرفوش .. وقد كون منهم الأب جمعية الخطاطين المصريين وتولى هو سكرتارية تلك الجمعية .

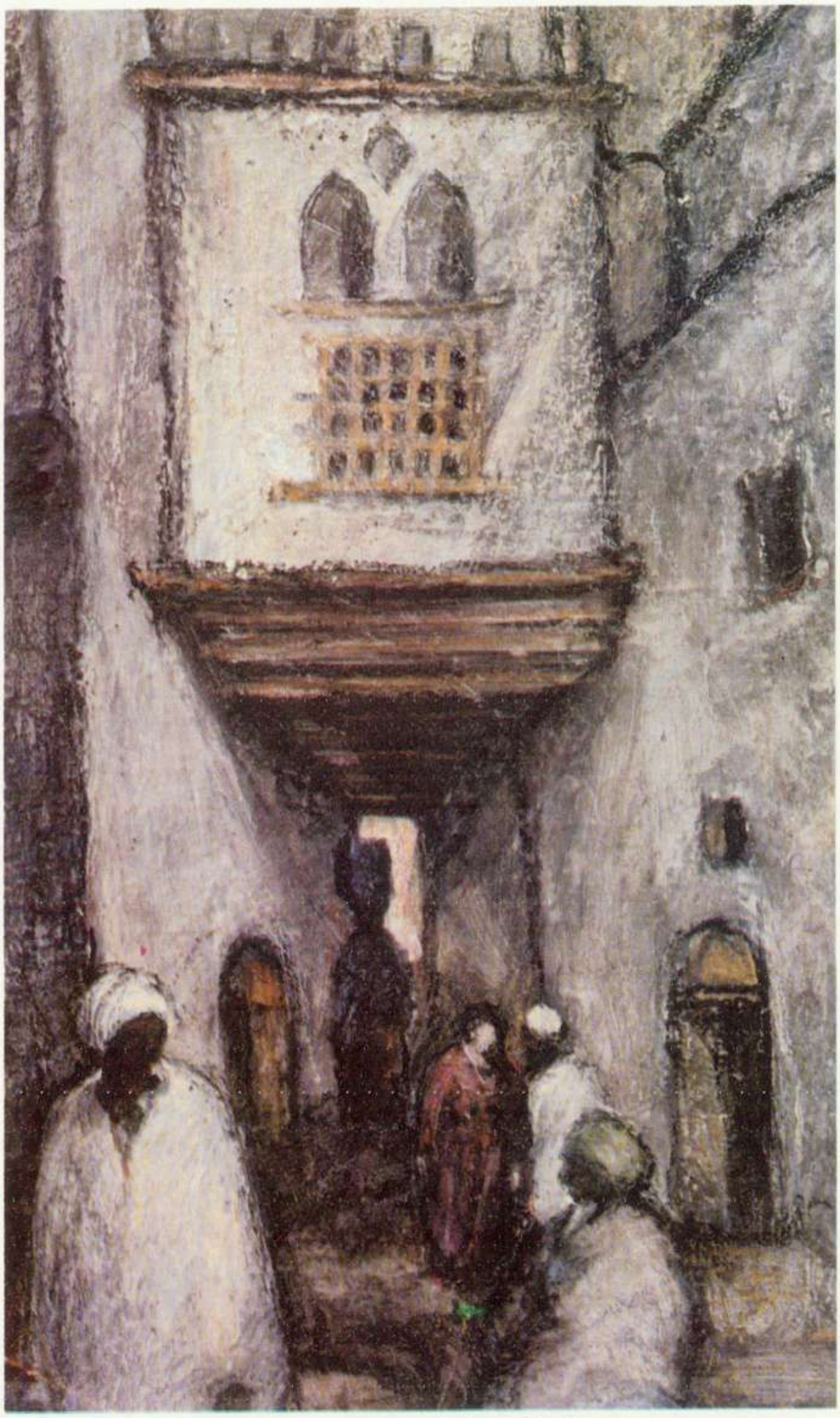
أما هواية الموسيقى فكان يمارسها الأب عازفا على الكمان .. ويجتمع مع اصدقائه فى جلسات استماع موسيقى تمتد الى ما بعد منتصف الليل ..

التمرد على هوايات الأب

عندما انتقل أبو العينين الى مدرسة مصر الجديدة الثانوية كان مدرس مادة الرسم هو الفنان الراحل « محمد لبيب » الذى تعلم فنون الزخرفة بمدرسة الفنون الجميلة العليا ، وكان يقضى معظم وقته فى حجرة الرسم ، وعلى يدى الفنان « محمد لبيب » تعرف « أبو العينين » على عالم الفن التشكيلى معرفة واضحة بعد أن كانت معلوماته مهوشة وغير دقيقة ، لقد فتح عينيه على عالم الزخرفة والديكور والامكانيات المختلفة لتوظيف الفن فى خدمة الحياة اليومية ، وانجذب الفتى نحو هذا الأستاذ فقرر ان يسير فى هذا الطريق بقية حياته .. ومن الطريف ان الفتى بدأ يتمرد على هوايات والده الفنية بل ويسخر منها ، اذ راح يرسم الشوارب والنظارات للصور الفوتوغرافية التى كان يعتز بها أبوه رغم ما كان يلقاه من عقوبة على هذه الشقاوة .

أرض العرب للعرب

عندما أتم الفنان دراسته الثانوية عام ١٩٤٦ التحق بكلية الفنون الجميلة بتشجيع من استاذه وتخصص فى فنون



الحياة فى الواحات كما رسمها الفنان فى لوحاته عام ١٩٧٧

الزخرفة والديكور .. وبدأت صلته الأولى بالصحافة وهو مازال طالباً بكلية الفنون الجميلة فكان يرسم لجريدة النداء اعلاناتها ، ويشارك مع عدد من زملائه فى اصدار الاعداد الأولى من مجلة الغد .

وفى عام ١٩٤٨ بدأت حرب فلسطين ، فانجذب الفنان نحو الأحداث السياسية التى استحوذت على اهتمامه واتجه الى توظيف فنه فى التعبير عن الاحداث السياسية ، وقام بتصميم ملصق حائطى يعبر عن شعار « أرض العرب للعرب » ، وقد لقي هذا الملصق اهتماما شديداً لتفوقه ونجاحه فقامت كلية الفنون الجميلة بطبعه وتعميمه .

كان الأستاذ « مكاوى » هو استاذ الخط العربى بكلية الفنون الجميلة ، وتاسيسا



لوحة من وحي القرية المصرية بهدوئها وبيوتها البسيطة (١٩٥٨) .. لقد كانت القرية من احب الاماكن إلى قلب الفنان ، فهى فى نظره مكان بكر لم تستطع المدينة الحديثة ان تغزوه وتشوهه !

على ما تعلمه أبو العينين فى المنزل من أبيــه وأعضــاء جمعية الخطاطين المصريين ، كانت تثور مناقشات طويلة بين الطالب واستاذه ، واحس ان دروس الخط العربى بالكلية لا تكفي لاشباع رغبته فى التحسين والتجويد ، فالتحق بمدرسة تحسين الخطوط لمدة عامين ، درس خلالها على يدى الخطاطين « محمد عبد الرحمن » و « حسنى » ، وكانت الدراسة مسائية لا تتعارض مع أوقات الدرس بالكلية .

وهكذا تعددت وسائل الفنان للتعبير رغم تفوقه فى الأشكال التقليدية وهى رسم اللوحات الزيتية ، فقد كان « أبو العينين » يبحث باستمرار عن الأساليب التى يستطيع الاعتماد عليها فى الوصول الى قطاعات واسعة من المتذوقين ، فكان دائم البحث عن وسائل اتصال لها القدرة على تهذيب الذوق الفنى والارتقاء به لدى الجماهير .

رائد الاخراج الصحفى

عقب التخرج عام ١٩٥١ ، التحق بوظيفة رسام بالمتحف الزراعى حيث رسم عدة لوحات زخرفية ضخمة ،لكنه لم يستمر فى هذا العمل سوى شهرين حيث تم تعيينه فى وظيفة أكثر ثباتاً وهى مدرس الرسم بمدرسة مصر الجديدة النموذجية (الخليفة المامون) ، ورغم تبرمه بهذا العمل الا انه اداه بنجاح واضح .. والى جانب عمله فى التدريس كان يحقق ذاته من خلال اشرافه على اخراج الصفحة الاجتماعية بجريدة « المصرى » ، وهذا فضلا عن الاجازة الصيفية الطويلة التى اتاحت له عام ١٩٥٢ أن يسافر الى فينيسيا ليشاهد معرض البينالى العالمى ويتجول فى المدن الايطالية متطلعا الى التراث الفنى هناك .

ووقعت أحداث يوليو عام ١٩٥٢ فعاد ليعمل فى مجلة التحرير : أول مجلة تصدرها الثورة ، لكن عمله فى مجلة التحرير لم يستمر سوى شهور اذ تولاها أنور السادات فتركتها المجموعة التى كانت تعمل مع ثروت عكاشة .

ويقدم الفنان استقالته عندما تصدر وزارة التربية والتعليم قراراً بنقله الى مدرسة الرمل الثانوية بالاسكندرية ، وعندئذ يقبل العمل سكرتيراً للتحريــر (مخرج فنى) لمجلة روزاليوسف .

ومن هذا المنبر يحقق الفنان اهدافه حيث استمر هناك حتى عام ١٩٦٢ ، لقد عثر على الطريقة التى يصل بها فنه الى الجمهور العريض ، فكان يقضى نهاره ومعظم ليله فى العمل الذى أحبه ، واستطاع أن يكون مؤثراً فى الصحافة العربية كلها عندما لفت انظار القراء والمتخصصين الى جمال الشكل فى الاخراج الصحفى واثر التناسق بين المواد المرسومة والمكتوبة والعناوين فى رواج المجلة ، وبهذا شارك فى ارساء قاعدة الاهتمام بالشكل الصحفى الذى يخدم المادة المنشورة ويؤكد طبيعتها ويسهل على القراء متابعتها ، كما نجح فى خلق جو عائلى داخل أسرة المجلة بين المحررين والعمال ، فكانوا يتحمسون لعمله ويدافعون عنه فى كل مكان .

وفى نفس الوقت بدأ يحرر فى مجـلة « صباح الخير » عند ظهورها عام ١٩٥٦ باب « نصف حياتك فى المنزل » وكان يصدر على صفحة كاملة أسبوعياً ويقدم للشباب

افكاراً عملية لتجميل البيت ولتصميم الأثاث المناسب ، فيه بساطة وجمال ، حتى ان اعداداً كبيرة من القراء كانت تنزع هذه الصفحة وتحتفظ بها فى كتالوج منظم تلجأ اليه عند الحاجة الى تنفيذ قطعة اثاث أو تجميل ركن من اركان المنزل .

تطوير الخط العربى

اصبح ابو العينين صاحب دعوة كان قد بدأها استاذه عبد السلام الشريف ، وهى ضرورة استخدام الذوق الفنى فى تنسيق المواد الصحفية ، وكان من قبلها يترك هذا الأمر لعامل من عمال المطبعة ، وهكذا كان ابو العينين رائداً فى هذا الميدان حتى اصبح الاخراج الصحفى الآن مهنة يتفرغ لادائها قسم كامل فى كل مجلة أو جريدة .

كان كلما رأى عناوين الصحف والمجلات احس بتنافر بين طريقة كتابتها والموضوع الذى تدعونا الى قراءته ، فينشر موضوع طريف - مثلا - ويكتب عنوانه بالخط الثلث الوقور ، فتحس بخلل فى الرؤية الجمالية وفى العلاقة بين الشكل والموضوع .. وعندما بدأ العمل الصحفى ابتدع الخط الحرفى الصحافة المصرية ، ولم يكن قد سبقه الى تطوير عناوين الصحف الا الفنان عبد السلام الشريف الذى ابتدع « الكوفى الحديث » أو « المبسط » الذى تلاءم مع طبيعة العمل الصحفى .. لقد كان يحاول دائماً عمل أمشق على اسس رياضية وعلمية بهدف اختصار بعض الحروف والتوصل الى حروف موحدة يمكن استخدامها بنفس شكلها فى بداية الكلمة ووسطها ونهايتها .

وما لبث ان تفرغ لمدة عامين لوضع نموذج للخط يجمع بين الكوفى والنسخ باعتبارهما يتضمنان مدات بين الحروف يمكن استغلالها بمرونة فى كتابة العناوين وذلك لتعمم باسلوب « الليتراسيت » .. ولكن الشركة التى تعاقد معها لم تنفذ المشروع وظل فى الادراج .

المناظر

عندما يرسم الفنان « أبو العينين » بالألوان الزيتية يستهويه موضوع الناس



منطقة الخيامية فى القاهرة ، وهى من الاحياء القديمة التى تميزت بعماراتها التاريخية واسواقها ومرافقها التقليدية (١٩٥٨)

والعمارة .. فجميع لوحاته تضم مجموعات انسانية أو تجمعات معمارية .. انه يهتم بالعمارة التاريخية والعمارة الشعبية ، وكلاهما لا ينفصل عن الناس ولا ينفصل عنهما الناس .

ويقول الفنان حول هذا الموضوع : « اذا كان لكل انسان جلده الطبيعى فملابسه هى جلده الثانى أما العمارة فهى جلده الثالث ، لأنها تمثل مسكنه ومكان عمله ومكان راحته حيث يقضى وقت فراغه .. وهذا ما يشدنى الى رسم الموضوع أو المنظر » .

ان لوحاته الزيتيه تتباين مساحتها ، فاحياناً يرسم على مساحة مربعة ، واحياناً اخرى على مستطيل عادى ، ولكننا نجده يتصدى احياناً لمستطيل بعرض الحائط ، وهو يعلل هذا بان الموضوع هو الذى يدفعه الى اختيار المساحة من ناحية ، ومن ناحية اخرى ممارسة تصميمات الديكور علمته مواجهة اى شكل وأى مساحة ليتصدى لحلها . والفنان لا يحدد نفسه فى خامة معينة فيلتقط الرسوم السريعة بالقلم الرصاص أو الأقلام الملونة ، ثم يعيد صياغتها مرة واثنتين وثلاثا فى مرسمه حتى يصل الى المعنى الذى يريده .. انه لا يحب التسجيل الوقتى أو اللحظى للمشهد كما كان يفعل التاثيريون الفرنسيون عندما كانوا يرسمون المنظر الواحد مرة فى الصباح وأخرى فى الظهيرة وثالثه عند الغروب .. وهكذا ، من باب الشغف بتسجيل اختلاف المشهد باختلاف الأضواء الساقطة عليه ، لكن أبو العينين يرى أن مثل هذا التسجيل اللحظى يجعل المشاهد يستوعب العمل الفنى فى لحظة واحدة ، لهذا يرسم المناظر بتدقيق وتان ، حتى يتيح لمن يتامل عمله ان يكتشف - كلما نظر اليه - شيئاً جديداً اكثر عمقاً من تسجيل شكل المكان .

وأحب الأماكن اليه هى المناطق البكر التى لم تغير معالمها المدنية الحديثة حتى الآن ، مثل النوبه القديمة والواحات الداخلة والخارجة وواحة سيوه ، ثم شبه جزيرة سيناء ، بالاضافة الى الريف والأحياء القديمة فى كل مدينة زارها ،



النوبة القديمة .. كانت بيوتها وثيقة الصلة بالبيئة التى عاش فيها الفنان عندما سافر فى رحلات لتسجيل العمارة الشعبية هناك فى اوائل الستينات

والمقصود بالاحياء القديمة تلك المتميزه بعماراتها التاريخية واسواقها ومرافقها التقليدية .. حتى فى أوربا كانت تخطيطاته ورسومه السريعة كلها للاحياء القديمة ،خاصة فى اسبانيا التى اقام فيها عاماً كاملا وشغله تاريخها العربى من ناحية ، واصالة الناس وعمارتهم من ناحية اخرى .

وكان قد سافر الى برشلونة عام ١٩٦٢ لاجراء جراحة « ترقيع قرنية » بسبب وجود تحدب بها ، ثم تدريب العين بعد الجراحة .. وكان الطبيب الذى سافر للعلاج عنده مريض ، فاضطر للبقاء فى انتظار عودته الى العمل ، وخلال الانتظار اقام عند رسام اسمه « ابيون » وزار المتاحف ومراسم الفنانين ورسم مجموعة من الرسوم الرائعة للاشكال المعمارية وللناس الذين احبهم .

يقول الفنان : « إننى أؤمن بالعلاقة الوثيقة بين العمارة والبيئة ، فلا يمكن ان اعيش فى مصر واقيم عمارة على الطراز الامريكى ، لقد ازعجتنى فوضى العمارة فى القاهرة وهى فوضى لا مثيل لها باى مدينة اخرى .

إن العمارة التى تلائمنا تمتد جذورها فى اعماق التاريخ ، والعمارة الاسلامية هى استمرار وتطوير لما سبقها من عمارة مصرية قديمة ، وعندما اقمت مرسمى فى ضاحية الحرانية قرب أهرام الجيزة حاولت التوفيق بين الطابع القومى وروح العصر . فالعمارة ككل شىء نستخدمه فى حياتنا لا تنفصل فيه الوظيفة عن الجمال » .

●●●

وبيت الفنان بالحرانية يضم مرسمه ثم مجموعة مقتنياته ومقتنيات زوجته الفنانة « رعاية النمر » من الفنون التقليدية والشعبية التى تمثل متحفاً صغيراً يستطيع لن يراه الاصدقاء ويكون مدخلا للحوار عن الطراز وعلاقته بالمنفعة أما المكان فهو ريفى هادىء بين الطبيعة الجميلة حيث الشجر والماء .. وقد استعان الفنان بخبرة رائد العمارة الريفية الفنان الكبير «حسن فتحى» الذى سافر معه ابو العينين فى رحلات الى النوبة قبل انشاء السد العالى لتسجيل العمارة الشعبية هناك ، وقد تم رفع مساقط ١٨ منزلا من مناطق مختلفة ابتداء من دراو الى ادندان قرب وادى حلفا .. وقد تعاون المهندسان حسن فتحى ورمسيس ويصا واصف فى انشاء بيت الفنان فى الحرانية مستخدمين الأدوات والخامات المحلية ، كما استعان بمخلفات المبانى القديمة التى هدمت ذات الطراز العربى ليعيد تركيبها فى بيته المتميز .

صبحى الشارونى

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● الحديث ذو شجون ●● من أسرار السياسة الدولية في العالم العربي



الحديث ذو شجون

بقلم: الدكتور زكي مبارك

بين الانسان القديم والانسان الجديد

تكلمت بعض المجلات السورية واللبنانية عن قلة اهتمام الادباء المصريين بما يسمونه « ادب الحرب » ورات فى ذلك تضييعا لاحساسات تستحق التسجيل ، ونصت بالذات على خلو ادبى من احاديث الحرب ، والتفانى إلى شؤون لا تمس أهوال الحرب من قريب ولا من بعيد .

واقول ان موقفى وموقف سائر الادباء المصريين من الحرب هو موقف الانسان الجديد ، وهو يختلف عن الانسان القديم كل الاختلاف او بعض الاختلاف .

وتفصيل ذلك أن الانسان اليوم يدرك اكثر مما يشعر ، وكان الانسان قديماً يشعر اكثر مما يدرك ، والفرق بعيد بين الشعور والادراك .

إن حروب طروادة المشهورة فى التاريخ القديم انطقت اليونان باعظم القصائد واعمق الاقاصيص ، وهى حروب تعتبر العاب اطفال بالنسبة إلى حروب هذه الأزمان ، ومع ذلك لن يكون فى شعراء هذا الجيل من يؤرخ الحروب الحاضرة ، كما أرخ القدماء تلك الحروب .

الانسان القديم كان يحارب وهو مدفوع بعوامل الأزدهاء والاختيال ، أما الانسان الجديد فيحارب وهو مدفوع بعمليات حسابية تراعى فيها الخسائر والأرباح ، فالفرق بين هذين الانسانين هو الفرق بين الشاعر والحاسب ، وثروة الاول احلام ، وثروة الثانى ارقام .

شاهد طريف

إذا تصاول أسدان كان على الأسد المغلوب ان ينسحب إلى ان يتاهب لاستئناف الصيال ، وإذا تقاتل ديكان كان على الديك المغلوب أن يثبت فى الميدان إلى أن يموت .

وكان ذلك لأن الأسد يدرك اكثر مما يشعر ، وان الديك يشعر اكثر مما يدرك ، والشعور أحط مرتبة من الادراك ، فما فى الوجود شعور اقوى من شعور الأطفال .

وأبو تمام الذى بلغ الغاية فى الرثاء بهذا البيت فى وصف احد المستشهدين .

وقد كان فوت الموت سهلا فرده
إليه الحفاظ المر والخلق الوعر

هو نفسه ابو تمام الذى اختار فى ديوان الحماسة أبياتا فى تبرير الهرب من ميدان القتال ، وهى ابيات بعيدة من روح الحماسة ، ولكنها من شواهد العقل ، فقد علل الشاعر هربه من الميدان بانه يفر من أعدائه « طمعا لهم بعقاب يوم مرصد » ، ثم قال :

وعلمت انى إن أقاتل واحداً
أقتل ولا يضرر عدوى مشهدى

وعلى هذا يكون إيثار العقل على الشعور فى ميادين القتال مما آمن به العرب قبل مئات السنين ، وبهذا كان هذا الشاعر من تباشير الانسان الجديد .

١٩٤٤

من أسرار السياسة الدولية في العالم العربي

بقلم : محمد توحيد السلحدار

إن ما يحدث فى الشرقين الأوسط والأدنى من الحادثات ، ويقع فيهما من تولية أو عزل للحكام والحكومات ، ويجرى من السياسات ، كل أولئك أمور يعتقد أناس كثيرون أنها جميعاً من تصرف الشرقيين وحدهم ، وانها لا أثر فيها لنفوذ غيرهم أولدس أو سياسة من سواهم ، لكنها أمور لا يستقل الشرقيون دائماً بالرأى فيها منذ ضعفت الدول الشرقية أو تخلفت ، بل يغلب أن تسببها وتلعب بها أيد صنع اجنبية ظاهرة أحياناً وتارة خفية .

وهذا مقال وجيز جاء بمثال أو امثلة فى موضوعه ، فليس يزعم انه يبين جميع ما وقع لمصر مع فرنسا وانجلترا من جراء تعاديهما ، وطمعهما وتنافسهما الاستعمارى ، وانما غرضه الاشارة الخفيفة إلى أثر ذلك التعادى والطمع والتنافس فى بعض حوادث هذا القطر المتصل بالشرق الادنى ، والمنسوب إلى البلاد العربية بخلط فى دم اهله ، وبلغتهم وتالد ثقافتهم .

● ●

طال العداء بين فرنسا وانجلترا دهراً تحاربتا فيه حرباً عواناً ، وخصوصاً لعهد حكومات الثورة الفرنسية الكبرى وامبراطورية نابليون ، بسبب المبادىء الثورية وأعمال اصحابها ، والسيادة الدولية والبحرية ، والتجارة والاستعمار . وقد ظلت انجلترا فى تلك الأيام تؤلب الدول الأوربية على عدوتها اللدود ، ودخلت الحرب فى الحلف الدولى الأول على فرنسا بعد أن أعدمت لويس السادس عشر سنة ١٧٩٣ ، ولم تكف انجلترا بعد انحلاله بل بقيت تحارب ، والبت الحلف الثانى الذى تحطم ، ثم انتهت حربه سنة ١٨٠٢ بمعاهدة اميان بينها وبين فرنسا .

فكانت انجلترا فى حرب مستمرة مع فرنسا يوم نزلت حملة بونابرت بأبى قير عام ١٧٩٨ ، ويوم ابحر عائداً إلى فرنسا ، ثم تبعه الجنرال بليار بقسم من الحملة فى ٧ من اغسطس عام ١٨٠١ ، فتبعهما الجنرال منو فى الشهر التالى بالقسم الباقى . وجاءت معاهدة اميان بعد ذلك بنحو نصف عام .

وكانت مصر على الدوام محسدة الدول التى سادت العالم القديم : لأنها كانت مركزه الجغرافى ، وإنها تمكن من السيادة على البحر المتوسط . ومفتاح هذه السيادة هو على الأصح تونس لوقوعها فى منتصف البحر واشرافها على شقيه الشرقى والغربى ، وعلى صقلية ومضيق مسينا الفاصلين بينهما . بيد أن مصر أيضاً مشرفة على البحر المتوسط ومشرفة مع ذلك على البحر الأحمر ، وهى منفذ إلى الهند ووصلة بين افريقية وآسية ، ومجاز إلى طرقها البرية . وقد اتجه نظر بونابرت إلى مصر منذ كان يحارب فى إيطاليا حيث انتصر وعد انتصاره طالع سعده ، ومنها كتب إلى تالران سنة ١٧٩٧ : « لن نلبث ملياً حتى نحس انه ليس بد من أن نمتلك مصر لتحطيم انجلترا » . ولما عهدت إليه

● ديليسبس "الأب" هو الذي اكتشف محمد علي وأوصله إلى الحكم

● فرنسا تحاول إنشاء دولة مستقلة عن مصر حول قناة السويس

● مشروع إنجليزي لحفر قناة بين حيفا وخليج العقبة ردًا على فتح قناة السويس

حكومته فى الاستعداد لغزو الانجليز شرع يستعد ، غير انه وضع مشروعاً للاستيلاء على مصر ، وشرح لحكومته ما تجنيه فرنسا من الثمرات إذا هى استبدلته بغزو انجلترا فوكلت إليه قيادة الحملة وفتح القطر .

وملخص الأسباب التى شرحها بونابرت فى إيثار مشروعه ان مصر اخصب أرض وثروتها الزراعية والحيوانية عظيمة ، وانها كانت هرى رومة وهى يومئذ هرى القسطنطينية ، ومجمع القوافل الأفريقية والاسيوية ، ومحل تبادل المتاجر الشرقية والاوربية فاذا قامت فيها إدارة فرنسية خمسين عاماً يزيد عدد سكانها زيادة كبيرة ، وتصبح سوقاً ومصرفاً لمصنوعات فرنسا ، وان حلول الفرنسيين بمصر يضر انجلترا ، ويمكنهم من السيادة على البحر المتوسط فيوطد الامبراطورية العثمانية ، وإذا كان الانهيار مقدراً عليها اخذت فرنسا احسن حصة من سلبها ، فاذا استعمرت فرنسا مصر ، أو جعلتها مستودعاً للمتاجر او موثباً تنقض منه على مؤسسات الانجليز فى الهند ، كان لها أن تستيقن بانها سترد التجارة الكبرى إلى طرقها الطبيعية فتصل إلى الثغور الفرنسية ، لان فرنسا احسن الدول الغربية الكبيرة موقعاً بالنسبة إلى مصر .

● ●

نزلت الحملة الفرنسية باسكندرية فى اول يوليه عام ١٧٩٨ ، واعلن الباب العالى الحرب على فرنسا فى ٤ من سبتمبر من العام نفسه ، واخذ يعبىء جيشين احدهما فى سورية ، والثانى فى رودس لطرد الحملة . فراى بونابرت أن نزول جيش رودس من البحر لا يتيسر إلا فى الصيف ، فاثر ان يفاجىء الجيش البرى قبل أن يتم احتشاده ليشتته فى سورية ويفتحها كما فتح مصر ، ومتى يقهر الترك ويجمع محاربين فى صفه بالتجنيد تمتد الحركة إلى سائر العرب ويتسهل له إصلاح العلاقات بين فرنسا والباب العالى ،

ثم يجتاز الصحراء زاحفاً إلى الهند . لكنه رجع إلى مصر مضطراً بسبب صبر عكا على حصاره وتفشى الطاعون فى عسكره وغير ذلك .

● ●

وجلت الحملة الفرنسية عن مصر ، لكن بونابرت المستعد بجده وفرنسا التى اعتزت به ، فرنسا التى ما فتئت تدافع عن مصالحها فى الشرق لم ييأسا من إمكان فتح هذا القطر ثانية ، بل أرادا العمل على إحياء النفوذ الفرنسى فيه ريثما تتاح فرصة الاستيلاء عليه .

ففى محفوظات وزارة الخارجية البريطانية وثيقتان (١) . إحداهما مذكرة بمشروع لاستقلال مصر منسوب إلى المعلم يعقوب الذى ورد ذكره فى تاريخ الجبرتى - وليس فى كلام المؤرخ إشارة ما إلى انه عرف شيئاً يتعلق بهذا المشروع . والوثيقة الثانية كتاب من قائد سفينة حربية انجليزية ارسل معه المذكرة إلى حكومته عقيب نقله يعقوب من مصر . ولهاتين الوثيقتين علاقة بعمل فرنسا على إحياء نفوذها فى مصر .

فقد وجد رؤساء حملة بونابرت ان المعلم يعقوب رجل حرب وإدارة على ذكاء ومكر ، فالحقوه بجيش الجنرال دزه مديراً للتموين ، فاثبت إخلاصه

لهم وشجاعته . وبعد هزيمة المماليك فى الصعيد رجع فى اسيوط إلى عيشة الثراء بجوار قائده ، وعاشره هو واركان الحرب من ضباطه وبعض أعضاء اللجنة العلمية الفرنسية ، وكانت المحادثات بنادي القائد شائقة وسامية المعانى فى اكثر الاحيان . فلا غرو من أن تكون أرسخت الافكار الجديدة فى أعماق ذهن المعلم . ثم عهد إليه كليبر فى تنظيم المالية المصرية ، ثم جعله رئيساً لفرقة عسكرية ، ورقاه خلف كليبر فى القيادة العامة إلى رتبة اللواء (جنرال) وعينه مساعداً للجنرال بليار فى دفع الجيوش الانجليزية والتركية عن القاهرة ، فعد هو وفرقته العسكرية - عند استسلام العاصمة فى ١٧ من يونيه عام ١٨٠١ - من الجند الموكول أمرهم إلى بليار وابحر مع هذا القسم من جيش الحملة إلى فرنسا على تلك السفينة الحربية الانجليزية .

قال الجنرال يعقوب لقائد السفينة ، فى حديث لم يحضره سوى رجل من اصل فرنسى اسمه لسكرى جاء من مالطة مع الحملة التى استولت عليها فى الطريق إلى مصر : إنه يسر مشروعاً لاستقلال مصر يريد من القائد أن يبلغه عنه سراً إلى الحكومة البريطانية . وخلاصته أن مصر إذا استقلت فانما تكون فى حكم الخاضعة لانجلترا سيدة البحار ، ولن تكون ابداً إلا دولة

من أسرار السياسة الدولية في العالم العربي

زراعية غنية بارضها الخصبة وبتجارة افريقية الوسطى ، وهذه الفوائد تغنى الأمة التى لها دائما أعظم مصلحة فى تجارة مصر وبحارها بسبب الهند ، وهذا الاستقلال لا يكون انقلابا احدثه نور العقل او قلق الخواطر بمبادىء فلسفية متناقضة ، بل يكون تغير أسببه عمل قوة قاهرة فى حال اناس هادئين جهلاء ، لا يعرفون على التقريب سوى المنفعة والخوف ، فلا يكون فى استطاعة المصريين ان يحموا استقلالهم من الأوربيين قبل زمن مديد ، حين تنتظم القوة الأهلية وتصبح مهيبة ، أما حمايته من الترك أو المماليك فان الدول الأوربية تستطيع أن تحرمهم كل اعتداء على مصر ، ويمكن أن يستأجر المصريون فرقة أجنبية مساعدة تجمع إثنى عشر الف رجل أو خمسة عشر الفا ، فتكون نواة الجيش المصرى وتكفى لايقاف الترك فى الصحراء وإبادة المماليك داخل مصر ، ومصر منقسمة طوائف وشيعا يسهل تزجيتها إلى الاختلاف لتتوازن ، وهو ومن معه وفد متصل بها جميعا ، مفوض إليه من وجهاء الاخوان الاحرار ان يفاوض الدول فى الاستقلال (ولو فوضه أحد فى شىء من نحو ذلك لما خفى جملة الأمر على مثل الجبرتي) ، وغرضه أن يفاوض بطريقة تجعل فرنسا هى البادئة بطرح المشروع على انجلترا إذا أيقنت هذه الدولة بفوائده السياسية فعزمت على تأييده عند عودة السلام العام إلى أوربا فلا يتعرض الوفد لرفض مشروعه بسبب التنافر بين هاتين الدولتين الأوربتين ، أو حذر ان يكون حيلة من الجمهورية الفرنسية .

لم يكن الدين حائلا بين الفرنسيين وانصارهم ولم يكن بد من أن يحدث ضم يعقوب إلى الجيش الفرنسى ، قرابة ثلاثة أعوام ، آثارا عميقة فى نفسه . فكان له أن يتوقع المكافأة الثمينة من بونابرت ، ولا سيما بعد إذ أصبح القنصل الأول فى حكومة القنصلية وهو الذى لم يكن ليغفل عن الجزاء السخي على مثل ارتياح المعلم إلى خدمة الفرنسيين فى جميع الأحوال ، واستسلامه لارائهم كل الاستسلام حتى جعلوه جنرالا فرنسيا . غير ان المعلم مات على السفينة الانجليزية عقيب الافضاء بسره ، فكتب لسكرى المشار إليه آنفا مذكرة بالمشروع هى التى أرسلها قائد السفينة مع كتابه إلى الحكومة الانجليزية . وكان يعقوب قبيل موته قد أبدى رغبته فى أن يدفن بجانب (دزه) حبا فيه ، فلم تلق جثته فى البحر بل حفظت فى برميل روم إلى أن دفنت فى مرسيليا .

وواضح من نص الوثيقتين برمته ، ومن سيرة صاحب المشروع فى زمانه ومكانه ، أن فكرة هذا الاستقلال وليدة السياسة العليا ، وأن المعلم يعقوب تبناها تحت رعاية الحملة الفرنسية . ولو امتد بالجنرال يعقوب زمنه لأيدت فرنسا مشروع المعلم يعقوب الوجيه الثرى ، عند عقد معاهدة اميان ، ليخدم مصلحتها بنفوذه فى مصر إذ كان احد رؤساء طائفته وقد صيروه شخصية كبيرة الشان ، لكنه مات فلم يبق فى فرقته من يصلح للحلول محله والمفاوضة فى مشروعه .

• •

لما عاد بونابرت من مصر إلى فرنسا وتولى رياسة الحكومة القنصلية أرسل ماتيو ده لسبس قنصلا عاما إلى مصر ، وذلك فى سنة ١٨٠٤ من أيام القلق التى كان جلاء الجيش الفرنسى عن القطر تركه فيها لنفوذ المماليك وللفوضى . وكان من شان المهمة الحقيقية المعينة لماتيو أن تعرضه للمخاطر فى بهرة هذه الفوضى ، إذ كانت المهمة هى إعادة النفوذ الفرنسى إلى حاله السابقة ، وقد أداها بنجاح باهر : فان البيانات والأوامر السرية التى أصدرها إليه تالران المشهور ، وزير الخارجية الفرنسية يومئذ ، أوجبت عليه أن يبحث فى الجيش التركى الذى حارب الفرنسيين عن رجل مقدام ذى كفاية للحلول محل المماليك ، فاهتدى ماتيو بفراسة ذات بصيرة إلى محمد على (المغفور له محمد علي باشا الكبير) ، وفـاز بصداقته ، وساعده مساعدة فعالة فى سبيل علوه ، فلم يلبث محمد علي أن اصبح سيد البلاد وجعل المصريين ينادون به واليا على مصر ، ثم أباد المماليك - كما كان يحدث لو نفذ مشروع يعقوب .

ومشهور أن فرنسا أيدت المساعى التى نال بها محمد على فرمان الولاية عام ١٨٠٥ ، وقد جاءه بعد ذلك فرمان بنقله واليا على سلانيك ، لأن الحكومة البريطانية طلبت من الباب العالى أن يعيد السلطة إلى المماليك ضامنة له أمانة محمد بك الألفى - الذى كان الانجليز يؤيدونه إذ وعدهم وعودا تعرض مستقبل مصر للخطر ، منها أنه سوف ينزل لهم عن الثغور المصرية الكبيرة . ثم نجحت مساعى فرنسـا فى استنبول ففاز محمد على بفرمان أعاده إلى ولاية مصر من غير أن يبارحها . لكن الانجليز لم يرقهم نجاحه الملائم لسياسة فرنسا ونفوذها فأرسلوا حملة على مصر ، وكانت الخطة لدفع هذه الحملة الخائبة عن الاسكندرية من وضع دروفتى قنصل فرنسا فى هذا الثغر .

• •

استتب حكم محمـد علي وغزا الشـام . وكان لويس فيليب ، ملك فرنسا ، وحكومته والرأى العام الفرنسى ، شديدى الرغبة فى أن ينفذ والى مصر ما عزم عليه وأن يوطد سلطته فى الشرق إلى أقصى حدود الامكان ، فلما خرج أحمد باشا القبطان

بالأسطول العثمانى من الدردنيل فى سنة ١٨٣٩ ليسلمه إليه حقداً منه على عدوه الشخصى خسرو باشا ، الصدر الأعظم ، كان أمير البحر للند يسد بالأسطول الفرنسى منفذ المضيق إلى البحر المتوسط ، فلم يبذل أى جهد ليمنع الأسطول العثمانى من الخروج تنفيذاً للرغبة الدولية الأوربية مع علمه بنية أحمد باشا ، بل أعانه على خدع الانجليز والتخلص إلى مصر . لكن انجلترا خشيت عواقب النصر الذى حازه محمد علي الكبير فحالت دون غرضه من توحيد الشرق العربى تحت حكمه وإن أيدته فرنســـا فى المفاوضات الدولية الأوربية حتى كادت تحارب من اجله ،وذلك حرصاً على نفوذ سياستها . وقد كتب بالمرستون ، وزير الخارجية البريطانية ، فى ٤ من مارس عام ١٨٤٠ إلى جبرو ، رئيس الوزارة الفرنسية : « اما كانت فرنسا تسر لو رأت فى مصر وسورية دولة جديدة مستقلة تؤسس فيهما وتكون من انشائها فتصير بالضرورة حليفتها ؟ لكم الوصاية على الجزائر ، فماذا يبقى يومئذ بينكم وبين حليفتكم مصر ؟ هاتان الدولتـــان المسكينتان تونس وطرابلس ، وهما تكادان لا تكونان شيئاً . وهكذا يصبح ساحل افريقية كله وقسم من ساحل أسية على البحر المتوسط ، من مراكش إلى خليج الاسكندرية ، فى قبضة يدكم وتحت نفوذكم . وهذا محال ان يكون من سبيلنا » .

• •

ضمن مانيو بجراته فيما ابتدا به عمله السياسى صداقة محمد على العظيم ، ووطد فى مصر نفوذ فرنسا لمدة مديدة ، ومهد من حيث لا يدرى لابنه فردينان طريقاً قصداً إلى الاذن له فى إنشاء قناة السويس : فان صداقة الوالى ، بعد إذ وصل إلى الحكم بمواهبه الفطرية وبتاييد من ماتيو ، كانت صداقة مضمونة بادىء بدء لفردينان . وقد اكد الوالى أمر ذلك التاييد من الأب وهذه الصداقة للابن تاكيداً علنياً يوم كان فى سورية بين قواده وحاشيته وراى فيه فردينان اول مرة فقال له : « إن والدك هو الذى جعلنى ما انا اليوم . فاذكر انك تستطيع دائماً ان تعتمد على » . ومن صداقة الوالى نشات صداقة ابنه سعيد باشا لفردينان ، ولولاها لكان من الممكن جداً ان يخفق فى أمر القناة . وليس شك فى أن احوال البيئة التى ظهر فيها محمد علي ، ومنطق التاريخ فى زمانه وتصرفه بسياسة اثبت حكمتها علو شانه ، أمور تؤيد هذه الحقائق . وإذا قال التاريخ بوقوع إرشاد له وإسعاد فان هذا القول ليس يصغر من جلال عبقرية سمت بصاحبها إلى أوج سؤدده ومجده : إذ انقذ مصر من الفوضى واحياها ، ومنحها ملكاً واسعاً وعرشاً زعزع العرش العثمانى المجيد ، ولم يثبت أمامه سوى إجماع الدول العظمى .

• •

ولما وقعت المذابح بسورية ، فى ٩ من يوليـــه عـــام ١٨٦٠ ، رفـــع عبد القادر الجزائرى العلم الفرنسى على داره بدمشق ، وحمى الفرنسيين هو ومن معه من أبناء الجزائر ، وأعاد النظام إلى المدينة فمنحه نابليون الثالث الوشاح الأكبر لجوقة الشرف ، وعظم أمل الفرنسيين فى عبد القادر حتى طلبت صحفهم إنشاء امبراطوية شرقية تضم جميع السكان العرب فى سورية ولبنان والعراق وشبه جزيرة العرب . وهذا المشروع الفرنسى لم يعقبه أى إجراء فيه لكن الانجليز وجسوا بسبب النفوذ الذى اصبح يومئذ لعبد القادر الجزائرى فى سورية فراقبوا أعماله ومسالكه مراقبة دقيقة ، وكان شانهم مع أولاده ان شغل أولئك الانجليز واجسهم منذ اصبح عبد القادر رمز المصلحة الفرنسية فى الشرق حتى اجتهدوا ، عند انتهاء الحرب العالمية الأولى ، فى الحط من سمعة أمراء الجزائر لابعادهم عن سورية حيث كانوا عقبة أمام السياسة الانجليزية .

• •

وكان من المشروط فى عقد الشركة التى حفرت قناة السويس أن تملك جميع الأراضى البور التى تحييها فى جانب القناة . وكانت نية ده لسبس ان يروى خمسة عشر الف فدان من الصحراء فى جانبها الغربى بمياه ترعة من النيل ، وان يستميل بدو سينا إلى سكناها ، وقصد أن يوجد الثقة فى قلـــوبهم بدعوتـــه عبد القـــــادر الجزائرى ، عام ١٨٦٧ إلى زيارة الأعمال الجارية يومئذ فى القناة ، وبتمليكه خمسائة فدان فى بئر بلاح جنوبى نفيشه ، وقد شرع الامير بحث البدو على التجمع حول منشات الشركة عازماً على إسكان واحد من أبنائه بينهم ليعيش معهم ، ساعيا بوجاهته لاصابة الغرض ، فاوجس بالمرستون خيفة من هذا المشروع الذى يلائم مصلحة الشركة ويوائم السياسة فى أن معاً : إذ رأى فيه نواة دويلة عربية تابعة لفرنسا قد تنشا فى برزخ السويس وقد تسد ذات يوم طريق الهند ، فتفادت انجلترا من هذا الخطر البعيد باستعانتها نخوة الخديو اسماعيل ، الذى كان يشغله ما حاز عبد القادر الجزائرى من الشهرة المتناهية فطلب الخديو من ده لسبس أن يعدل عن مشروعه . ولقد بحث الانجليز يومئذ عن سبب يمكنهم من إيجاد طريق حربى يسلكونه إلى الهند راساً إن اغلقت دونهم قنـــــاة السويس ، وينافسها فى كل وقت ، فكان مشروعهم هو حفر قناة من حيفا إلى البحر الميت ومنه إلى العقبة .

ودام تنافس الفرنسيين والانجليز مؤثراً فى شؤون مصر ، آخذاً فى الضعف رويداً حتى انتهى بالاتفاق الودى عام ١٩٠٤ .

محمد توحيد السلحدار
١٩٤٥

قصـــة قصـــيرة

النجـاة..

بقلم : وداد عبداللطيف

قالت امي وهي منهمكة باعداد الحقائب استعداداً لسفرها وحبات العرق الصغيرة تلمع على جبهتها المتعبة فتزيدها تغضنا :
الم تغيري رايك ؟

رمقتها بنظرة ملول ثم طوحت الكتاب من يدي بعيداً وانتصبت واقفة ونظراتها المنكسرة برغبة لم ارغب في تحقيقها تنفذ الى عظامي فارتجف كعصفور بلله المطر رغم دفء المكان .

سحبت قدمي ببطء شديد نحو النافذة . وجاست عيناي في سماء لندن القاتمة .. كل شيء قاتم في هذه المدينة الكئيبة ، اناسها يتحـركون كالأشبــاح .يتنفسون الدخـان الاصفر بصمت .كل شيء هنا ساكن وصامت حتى امطار يناير تتساقط بصمت . كنت ارتجف قلقا وندما لقسوتي معها ، ولكن ما تطلبه صعب التحقيق .. ليس صعبا فقط وانما هو مستحيل ... فجاة شعرت بيديها اليابستين تستقران على كتفي بحب :

سامحيني يا ابنتي اثقلت عليك بطلبي .. على اية حال لا فرق بيننا ، انس الامر وهيا للنوم . لدينا غداً اعمال كثيرة .

اطفات الضوء ودسست نفسي في السرير .. اترقب النوم عله يريحني من افكار تجثم على صدري فتسلبني هدوء البال وتوقظ في النفس شعوراً مريراً .

ليتني وافقتها ووهبتها تذكرتي لتسافر بها بدلا من هذا العناد الأحمق الذي يؤرقني ويورثني هم الندم ... ولكن كيف يمكن ان اتنازل بهذه السهولة عن حلم عملت كثيراً من اجل تحقيقه ... حلم يتمثل في تذكرة سفر لا يحصل عليها الا الاغنياء المحظوظون ...

ما الذى يضيرها لو سافرت مع ركاب الدرجة الثانية وما الذى سينقصها فيهـــا ؟ انها على الاقل لم تحلم مثلي بمضيفة تعـــدل من وضع المخدة تحت راسها بين الفينة والفينة .. لم تحلم بموظفين لا هم ولا شغل لديهم سوى تلبية رغباتها ، لم تحلم بان تعيش كسيدة تامر فتطاع ولو لحظـــات قليلة . كل ما ستفعله هو النوم طيلة ساعات سبع مدة الرحلة وبذا لن تتمتع بالترف المحيط بها .. اما انا فلم اتصور ان سياتي يوم واحظى بتذكرة مجانية لمرافقة والدتي للعلاج ، لم اصدق انه بمبلغ بسيط اقتطعه من راتبي اصـــبح فى مصـــاف الاغنياء ولو لسبع ساعات من الزمن ... والآن وبكل بساطة تطلب مني ان اهبها التذكرة بحجة ان لديها وزنا كثيراً ... مالي انا ووزنها ؟ ان هذه التذكرة الحلم تساوي لدي الكثير .. الأربع عشرة ساعة التي ساقضيها في الجو ذهابا وايابا اجمل مافي الرحلة والتي استغرقت الى هذه اللحظة شهرين ... شهران تنقلنا فيها من مستشفى لآخر بين فحوصات ومواعيد وعلاج حتى اهترات كبد امي المسكينــــة من كثرة ما تناولت من ادوية .. وها هي الآن تستعد للعودة قبلي ، شوقها ولهفتها لصغيريها يمنعانها من الانتظار لأسبوع اخر هي المدة المطلوبة للحصول على تقارير العلاج ..

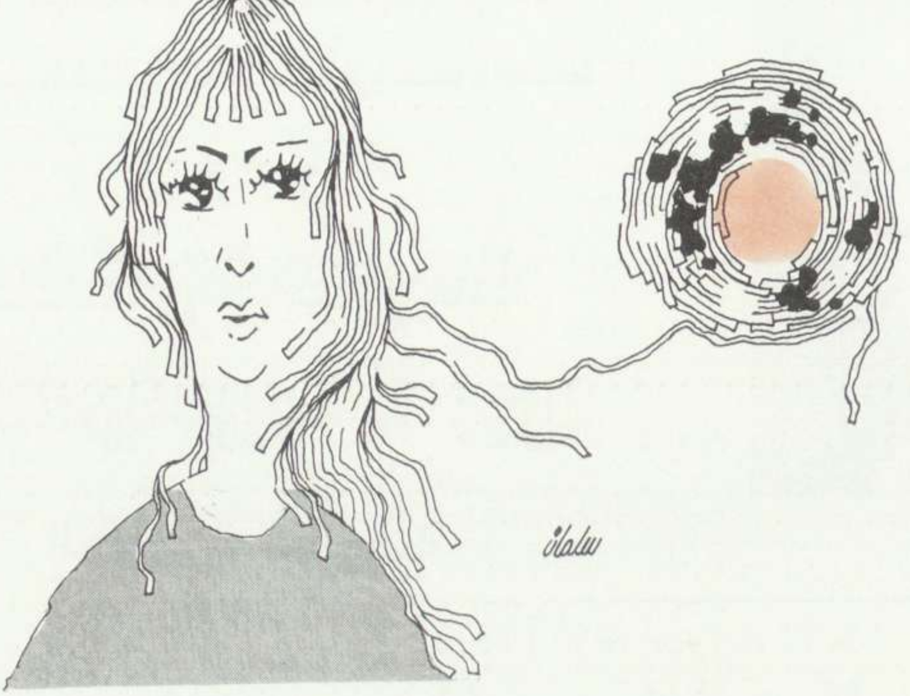
اغمضت عيني تهربا من الظلام المطبق من حولي فاصطدمت بافكاري .. ان لامي البسيطة في بعض الاحيان تطلعات برجوازية تذهلني ... قالت مرة بعد عودتها من العيادة الخارجية وقبل ان تخلع عباءتها :

لولوه اريد ساعة مرصعة بالالماس

واستطردت دون ان تنتظر اجابتي : كنا مكومين فى حجرة الانتظار بالعشرات انفاسنا تختلط باوجاعنا فتنتشر في الجو مرضا جديداً اسمه الملل .

كل واحدة منا تنتظر دورها بصبر نافذ ، وفجاة دخلت الحجرة المكتظة سيدة لم تتواضع وتنتظر دورها بل هرولت الى حجرة الطبيب يسبقها ترحيب الممرضة، وقبل ان تغيب عن ناظري لمحت الساعة الثمينة تبرق حول معصمها ...

زفرت بصوت مكتوم وعيناي تحملقان في خطوط المطر المنسابة على زجـاج النــافذة ما اشبه هذه الخطوط المائيـة بافكــاري ما ان تنقطع حتى تعود وتشكل من جديد بنفس القوة .. وهانذا اجتر ندمي وافكاري مرة اخرى .. لماذا ابخل عليها يا ربي بشيء بسيط كهذا فهى لن تبخل علينا بعمرها ؟ عملت بعد وفاة والدي كعاملة في احدى المدارس لتعول ثلاثة اطفال .. غسلت ومسحت وشقيت سنوات طوالا حتى اشتد



عودنا ووقفت على قدمي .. وهانذا ابخل عليها بهذه التذكرة .. تخشبت يداها وهي تشقى من اجلنا وها انا ...

في الصباح التالي ونحن نعبر الشارع بعد عودتنا من السوق مرت بخاطري الهواجس التي انتابتني ليلة البارحة .. تجاهلتها وتجاهلت القرار الذي اتخذته ليلتها وهي لم تعد لهذا الموضوع ثانية . في اعماقي شكرت لها ذلك :

ما الذي دهاك كادت الشاحنة تدهسك ؟

جاءني صوت امي مخنوقا عاليا وانا ملقاة على الارض والاشياء مبعثرة من حولي . قاتل الله افكاري كادت تقتلني ... وفجاة ارخت امي قبضتها من على ذراعي واخذت تنشج بصوت عال غير عابئة بالمارة وهم يهزون رؤوسهم الصفراء ثم يواصلون سيرهم وكان ما حدث لا يستوجب كل هذه الضجة التي تثيرها امراة غريبة :

انا اسفة يا امي اسفة حقا ؟

ضممتها بيميني بينما انحنيت لالتقط اشياءنا المبعثرة وامطار يناير تختلط بدموع امي وتشاركها بكاء حادثة لم تحدث ..

في الصباح التالي جاءني صوت والدتي خفيضا حنونا :

– الن تشاركيني الافطار الاخير ؟

– انا متعبة دعيني انام قليلا ؟

– احببت أن اقضي معك بعض الوقت .

–حسنا .. قلتها وانا انفض الغطاء الدافيء بملل ورائحة القهوة العربية تتسلل الى انفي من فرجة الباب

في حجرة الاستقبال الصغيرة جلسنا نرشف القهوة والحقائب مكدسة من حولنا : اسمعي ، قالت امي :

– يوم الخميس ساكون بانتظارك في المطار .

– لا داعي لتتعبي ياحبيبتي،اخي فيه الخير .

انتفضت بقوة وكاني سلبتها حقا من اهم حقوقها وتمتمت :

– لا تريدين رؤيتي .. الشهران كانا ثقيلين على قلبك .

– اوه يا امي ما هذا الكلام ، انت تعلمين مكانتك . كل ما في الأمر انني اشفقت عليك طول الانتظار .

– لا تحملي هم انتظاري .. ان لم انتظر قطعة من نفسي فمن انتظر ؟..

• • •

– سافرت امي منذ ساعات بعد ان امطرتني بقبل لا حصر لها وبنصائح كثيرة تدور معظمها حول صحتي الغالية وابت بشدة ان اصحبها الى المطار .. قالت من بين دموعها :

لا داعي لتتعبي يا ابنتي.السائق الذي سيوصلني يتكلم الانكليزية وسوف لا يتركني الا بعد انتهاء كل الاجراءات .

امام اصرارها اذعنت وما أن اقفلت وراءها الباب حتى هرعت الى سريـــري الدافىء وغرقت في نوم عميق .

• • •

قبح الله هذا الهاتف ، الا يكف عن الرنين .. شددت الغطاء بقوة حتى اعلى رأسي ولكن صوته اللحوح أطار النوم من عيني ، جررت قدمي حتى حجرة الاستقبال

– الو من يتكلم .

وعلى الخط الآخر سمعت همهمة انفاس متقطعة وكلمات لا رابط لها .

– الو الو .

بعد لحظات هممت ان اقفل الخط وقبل ان افعل جاءني صوت اخي مشروخا : ماتت امي .. ماتت امي على ارض الوطن قبل أن نراها .. اصطدمت مؤخرة الطائرة بمبنى قديم وانفجرت ...

قبل ان يغمى علي وصلت مسامعي جملته الاخيرة وانغرست في قلبي كخنجر مسموم :

لم ينج من الحادث سوى ركاب الدرجة الأولى .

رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها



مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة الخامسة

كثير من المعاناة والقهر وقليل من الحب والتشجيع!

يبدو لى من رسائل اخى ابراهيم التى كان يبعث بها الى من بيروت خلال العامين ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ اننى كنت اتقدم بسرعة لا اكاد الآن اصدقها . فها هى رسائله تكشف لي اننى اصبحت خلال عامين قادرة على كتابة رسائل وقصائد سليمة من عيوب الصرف والنحو والعروض ، وهذه بلا ريب فترة قصيرة بالنسبة لنقطة الصفر التى انطلقت منها ، ويضاف الى هذا حقيقة اخرى هى عدم وجود من يوجهني فى البيت او يساعدنى . أذكر ان اخى احمد قام بزيارتنا ذات يوم وبمحض الصدفة وقعت يده على قصيدة كنت انظمها فى ذلك الحين فاثنى على جودتها ـ النسبية طبعاً ـ ولفت نظرى الى عيوب قليلة فى بعض قوافيها وتفاعيلها ، فقد كان ، الى جانب تخصصه العلمي فى الفيزياء ذا معرفة باصول الشعر وكان من محبيه ومتذوقيه .

ولقد مضى وقت طويل قبل ان يثق بى احمد وياخذ مسيرتى الشعرية ماخذ الجد فالواقع انه ظل ـ كالآخرين ـ يعتقد ان يد ابراهيم كانت دائماً وراء قصائدى .

لا اذكر هذا الا لتاكيد الحقيقة التى تقول انه اذا التقى الميل الفطرى بالحوافز الدافعة لتحقيق الذات اصبح الانسان مملوكاً واسيراً لمطامحه وتطلعاته كما ان حياته تصبح كلها وقفاً على العمل لتحقيق هذه المطامح والتطلعات فلا تدور الا على محورها ، متحدية كل المعوقات والمثبطات ، ومن ثم تبدأ فى الظهور نتائج لا تكاد تصدق .

بخطى المشوش آنذاك كنت قد نسخت حكمة لكونفوشيوس تقول (حتى صغار الطير يمكنها ان تطير لو ارادت ، فما فى الوجود محال امام الارادة التى لا تقهر) والصقت الورقة على باب خزانتى الصغيرة من الداخل وظلت هذه العبارة تشحنني بالثقة والأمل على مدى سنوات البداية .

● ●

قبل ان ينمو الشاعر كشاعر لابد من مروره بمرحلة التقليد ، يتاثر بالشعراء الآخرين ويحاول تقمص تجاربهم حتى يهتدى الى نفسه واصالته .

كان ابن الرومى من أوائل الشعراء الذين احببتهم . فمنذ ان اختار لي ابراهيم قصيدته الدالية فى رثاء ابنه الأوسط لاحفظها شدنى الى هذا الشاعر حزنه ورقة شعوره وعاطفته المسرفة .. وكانت أول قصيدة نشرت لي فى الصحف تنهج نهج تلك المرثاة وزناً وقافية وعاطفة . وكان عنوان قصيدتى « اشواق الى ابراهيم » او شيئاً من هذا القبيل .



الشيخ الشهيد عز الدين القسام .. رفع يده المؤمنة باول طرقة على باب الثــورة



اخى ابراهيم عبد الفتـــاح طوقان ، الذى حاولت تقليد قصـــائده الوطنية وتقمص تجربته الشعرية !



القائد فوزى القاوقجى : كانت شخصيته وبطولته تثير خيالى ومشاعرى فاعبر عن انبهارى به فى شعرى

وكما قال ابن الرومى فى مطلع قصيدته :

بكاؤكما يشفي وان كان لا يجدي
فجودا فقد أودى نظيركمـــا عندى

قلت وانا اتشوق الى ابراهيم :

لقد زاد فى قلبىَ اشتياقى من البعد
فهل عند ابراهيم مثل الذى عندى ؟
اقول لعين تشتهى النوم كفكفى
دموعك قبلا تستريحي من السهد
الا ليت شعرى هل تجيء ديارنـــا
فيذهب ما يلقاه قلبي من الوجد

● ●

هذا كل ما اذكره من ابيات تلك القصيدة التى حملها اخى يوسف ذات يوم فى جيبه ـ وكان قد بدأ الآن يخفف من ثقل ضغوطه على ـ ليطلع عليها الشاعر عبد الكريم الكرمي « ابو سلمى » .

وفوجئت بالقصيدة ذات صباح منشورة فى جريدة (مرآة الشرق) التى كان يصدرها فى القدس الصحفى الفلسطيني الأستاذ بولس شحاده .

لم تفرحنى المفاجـاة العظمى ، بـل صعقتنى . وربض على قلبي هم ثقيل : ما هذا ؟ اسمي فى الجريدة ؟ كيف سيكون وقع الأمر الخطير على أبي ؟ حتماً سيحرم على كتابة الشعر بعد اليوم .

بقيت تحت الكابوس الى ما بعــد الظهيرة . وحين دخل ابى الى الدار ركضت واختبات فى غرفتنا ـ غرفة البنات ـ وقبعت الهث فى انتظار سقوط السقف على رأسي ـ ولكن ، ولدهشتي ، لم يسقط السقف ، فابى لم يعلق باية كلمة . وتنفست بارتياح عميق .

وأتاح لي هدوء بالى الآن التفكير بالغلام الذى احبنى واحببته : ترى كيف يكون احساسه حين يقرأ اسمي فى الجريدة ؟ ومرت الأيام وتلتها عشرات الاعوام ولم اعرف جواب السؤال قط ، فقد اختفى الغلام وغاب عن عينى الى الأبد .

● ●

فى صيف عام ١٩٣٢ استقال ابراهيم من عمله فى الجامعة الامريكية وعاد ليعمل مدرساً فى القدس ، وقد اصطحبني معه حيث اقمنا معاً فى دار اخى احمد الذى كان قد تزوج حديثاً .

رحت اعني بشؤون ابراهيم الى جانب انكبابي على الدراسة ومحاولات نظم الشعر المستمرة . لكني لم البث ان وقعت فريسة الهم والقلق فقد اخذت حالة ابراهيم

الصحية تتدهور بسرعة كبيرة . وفى اوائل يناير عام ١٩٣٣ نقل الى المستشفى الالمانى فى القدس لاجراء عملية جراحية على معدته ، وكان نجاح تلك العملية املا ميؤوسا منه .

وعدت الى نابلس بقلبي المثقل . وكتبت بكائية حزينة جداً لا اذكر الآن الا البيت الاخير منها ..

ما الشعر الا شكاة الروح إن يئست
وان تغنت فترجيـــــع وألحــان

وكانت على وزن قصيدة ابن الـــرومى « اجنينك الورد اغصان وكثبان » وحين قراها ابراهيم بعد شفائه لم يبد اى تجاوب مشجع . كان قد لاحظ من قبل اننى فى كل محاولاتى الشعرية اغرق فى التعبير عن مشاعر الالم والحزن وكان يلفت نظرى احياناً الى هذه الناحية ويحـــذرنى من الاسترسال فيها . قال لي ذات مرة « يا اختى ، الناس لا تهمهم مشاعرنا الخاصة ، فلا تنسى هذه الحقيقة .. » ولكن يبدو ان طبيعتى الحزينة الانطوائية والتى جعلتنى استغرق دائماً فى الانكفاء على الذات ، هذه الطبيعة يبدو انها كانت اقوى من نصيحة ابراهيم الذهبية . هناك حتمية فى الطبائع ، ولقد ظللت كلما حاولت اتخاذ موقف اقوى من طبيعتى اخفق واعود بمسعاي خائبة مدحورة . وظلت محاولاتى الشعرية تدور اكثر ما تدور حول مشاعرى وآلامى الخاصة .

• •

لم يعد ابراهيم الى مهنة التعليم بعد شفائه ، وطلقها الى غير رجعة . ها هو الآن يستقر فى نابلس ليقوم بعمل إدارى فى دائرة البلدية .

• •

نابلس التى قالوا عنها فى كتب الرحلات انها مسرح الشقاوة والثورة على الحكومة التركية .. وان اهلها موصوفون بالتمرد والعصيان والثورات وشدة الباس ..

ولقد ظلت هذه المدينة ذات التقاليـد النضالية مصدر ازعاج لرجال الحكم منذ سقطت الاقنعة عن الوجه الحقيقى للانتداب البريطانى ومنذ انكشفت خبايا سراديب الصهيونية والاستعمار الغربى .

لا شيء يولد من الفراغ ، فكيف بالشاعر الوطنى ؟ لقد نبت ابراهيم من ارض يجيش باطنها بالاحداث ومجتمع تكمن فيه البذور الثورية باستمرار . ومنذ قصيدته عن

• كانت رقصة «الشارلستون» تنفيساً عمّا كنت أعانيه من كبت وضغط اجتماعي

• ابن عمي يمزق فستاني لمجرّد أنه كان يكسبني مظهراً جميلاً

شهداء « الثلاثاء الحمراء » الابطال اصبح ابراهيم صوت الانسان الفلسطيني الذى التحم وجدانه الوطنى والاجتماعى بالواقع المرفوض . لقد اصبح شعره المحمل بحرارة هذا الواقع واشتعاله قوى النفاذ فى الوجدان الفلسطيني . ولم يلبث ان انضم اليه صوتان لايقلان نفاذاً – عبد الكريم الكرمي (ابو سلمى) وعبد الرحيم محمود تلميذ ابراهيم وصديقه الذى استشهد فيما بعد وهو يدافع عن وطنه المغصـوب فى موقعة الشجرة عام ١٩٤٨ وانضمت هذه الاصوات لتشكل الثالوث الذى صنع البداية للشعراء الفلسطينيين الذين راحوا يقدمون فيما بعد عطاءهم الشعرى المتوهج على طريق الليل الطويل .

• •

كان رجـــال نابلس بعـــد الاحتلال البريطانى مباشرة قد اسسوا « مدرسـة النجاح الوطنية » جامعة النجاح الوطنية الآن – ولم يلبثوا ان قاموا بتاسيس ناد لتلك المدرسة اصبح بعد فترة وجيزة ساحة تقام عليها المهرجانات الوطنيـــــة فى المناسبات المختلفة . وشرع « النادى العربى » هذا يدعو المفكرين والادباء والشعراء من عرب فلسطين والبلاد العربية الاخرى مما اعطى للمدينة وهجاً ثقافيا بالاضافة إلى الوهج الـــوطنى والسياسى . كما اسس فرقة للكشافة اصبحت ذات تاثير كبير على شباب المدينة اليافعين حتى ثورة عام ١٩٣٦ ، وصـــار « النادى العربى » مثار الحماس الوطنى المتاجج ، منه تخرج المظاهرات بجمـوعها الغاضبة ، وكانت قصائد ابراهيم الوطنية تتجاوب اصداؤها تحت قبة هذا النادى فتلهب الجماهير المتحرقة شوقاً الى الحرية والخلاص والاستقلال .

فى هذه الفترة – ما بين ١٩٣٣ واوائل ١٩٣٦ كنت احيانا احاول تقليد ابراهيم فى كتابة الشعر الوطنى وتقمص تجربته الشعرية . وقد كتبت قليلا من القصائد الوطنية واذكر بالذات قصيدة عن الزعماء الفلسطينيين الذين نفتهم حكومة الانتداب الى جزيرة « سيشل » ولقد نشرها الدكتور فروخ فى مجلته « الامالى » التى كان يصدرها فى بيروت . وكان الدكتور فروخ صديقاً حميماً لابراهيم . ولم تكن تلك القصائد نابعة من وعي أو وجدان سياسى حقيقي ولكنها كانت تظهر (شطارتي) فى النظم وفى تقليد البحترى وابى تمام وسواهما ، كما كانت تظهر تمكني النسبي من اللغة والقدرة على التعبير . وكان ابراهيم يفرح فرحاً حقيقيا وهو يرى غرسته تعطى بواكيرها الاولية .

• •

فى هذه الفترة بالذات نشات صداقـة حميمة بيني وبين صبية كانت ابنة لموظف فى نابلس كردى الأصل . كانت هذه الصبية التى قدمت حديثاً من دمشق بعد زيارة لاخوالها هنك تعيش فى مناخ مغاير تماماً للمناخ الذى كنت اعيش فيه . وكان والداها واخوتها واخواتها ينعمون بجو تسكنه روح الفن . كل فرد فى هذه الأسرة كان يجيد العزف على العود كما يجيد الغناء . ولقد اصبح احد ابنائها فيما بعد اسماً معروفاً فى عالم السينما المصرية .

كانت « وجدان » الصبية ، السمراء ، شديدة الجاذبية ، تتردد باستمرار على جدتها المقيمة بجوار بيتنا . ولقد نفحت صداقتها ايامى بنسمة رخية رطيبة . كانت تاتيني وتهمس فى اذنى بلهجتها الشامية العذبة : اكتبي لي رسالة الى (فؤاد) .. وكان فؤاد هذا ابن خالها المقيم فى دمشق وخطيبها الذى احبها خلال زيارتها لدمشق

ومن صديقة المراهقة « وجدان » تعلمت رقصة الشارلستون .. وكان ابراهيم الآن قد اشترى فونوغرافا ادخل البهجة الى نفوسنا جميعاً . وكانت هناك الوان مختلفة من الموسيقى والاغانى المسجلة على اسطوانات « اوديون » و « صوت سيده » وسواها . وكانت من ضمنها موسيقى رقصة التانجو والفوكس تروت والشارلستون .

واصبحت هذه الرقصة بايقاعاتها وموسيقاها الصاخبة ذات التكرار تنفيساً مما كنت اعانيه من كبت وضغط اجتماعي . واصبحت اقوم باداء رقصة الشارلستون بتفنن كبير ونشوة عظمى ، تماماً كما هي الحال مع دراويش الشرق العربي أو فقراء زنوج أمريكا إذ يلجأون الى الرقص على ضوضاء الطبول الصاخبة ليتخففوا من ضغط البيئة الخارجية ..

وكذلك كانت الحال مع عمتي « ش » التي كان استغراقها في حركات الدروشة .. يساعدها على تفريغ المشاعر المتوترة ..

لم يعد بمستطاع « ش » الآن ملاحقتي بالزجر والتعنيف ، فوجودي تحت مظلة ابراهيم أصبح يعطيني شكلا من أشكال الحماية ، ولكنها ظلت تضمر غيظها مني ومن اهتمام ابراهيم بي وتوسوس لابناء عمي فتشحنهم بمشاعر الكراهية .

لقد كنت احس دائماً انني تحت المراقبة ملابسي ظلت تحت رضاهم أو سخطهم . لقد مزق ابن عمي الكبير فستاناً كنت أرتديه ذات مساء ولم يكن الفستان يفتقر الى الحشمة بحال من الاحوال ، ولكن عيبه الوحيد انه كان يكسبني مظهراً جميلا .

ولقد كان يسمح لنفسه بالدخول الى غرفتنا فينبش خزانة كتبي واوراقي . وكان يتحين فرص الأمساك بي متلبسة بارتكاب خطا ما .. كان ينصت أحياناً وهو متوار عن عيني الى قراءتي للقصائد التي كنت اقوم بحفظها لعله يمسك بي ومعي قصيدة حب . كان المسيطر على العائلة وكان علينا جميعاً احناء رؤوسنا أمام ارادته . وكان هناك دائماً كرسي الاتهام معداً لكل واحدة للجلوس عليه ولتلقي الحكم بالادانة .. ولم ينج من الجلوس على هذا الكرسي حتى اخواي الأصغر سناً ، يوسف ورحمي ، أيام صباهما ، ناهيك بأيام مراهقتهما .

هذا العالم الذي كنت أعيش فيه واحياه ظل شديد الوطاة على نفسي طيلة حياة ابن عمي الكبير . حتى لقد سيطر علي الشعور بالعبودية والقسر لا سيما بعد انتقال ابراهيم الى عمله في اذاعة فلسطين بالقدس . اخذت احس أن المساعدات المستاجرات في البيت اكثر حرية وسعادة مني ، وظللت اعجز واضعف من ان افرض نفسي على الأشياء والأمور التي كانت تجري من حولي . كنت على وعي بمهانة هذا الوضع وبعجزي عن تحطيمه والخروج من اطاره . وهكذا قام خصام لا هدنة فيه بين نفسي المقهورة بالكبت ، وبين الواقع المتجهم الذي احياه ، مما أوجد في نفسي انفصاماً شقها الى نصفين : نصف كان يبدو للأعين مستسلماً خاضعاً ، ونصف كان يرعد ويبرق تحت سطح الماء الساكن ، وكانني واحدة من شخصيات تشيكوف ، واذا كانت هناك فترات يفلت فيها زمام الطبيعة الانسانية فتنفجر كتفجر العيون والينابيع فان طبيعتي الضعيفة بقيت مكبوحة ولم يفلت زمامها ابداً ، ولكني كنت انتظر واتربص : سياتي يوم ! .

ظلت مراهقتي المتعجلة هدفاً لسيف « الجلاد » الذي ذكرته فيما بعد في قصيدتي « هو وهي » وفي كثير من قصائد « وحدي مع الأيام » . فقد كان ذلك السوط يهوي على يفاعتي بدعوى التقاليد والمقاييس الاخلاقية الظالمة وكنت اعرف ان الضغوط لم تكن تتعلق بالتقاليد والمقاييس بمقدار ما كانت تنفيساً عن غيظ وحقد بسبب مسيرة الشعر التي بدات اغذ السير فيها بتصوف غريب .

كنت اتحين الفرص لتعلم اللغة الانجليزية ، ولكن نابلس كانت تفتقر للمجال المسعف ، فلم يكن فيها مدارس خصوصية اجنبية بعكس البلدان الاخرى في فلسطين كالناصرة وحيفا ويافا والقدس ولكن كانت هناك مدرسة راهبات مار يوسف

وبا طالما تطلعت الى الالتحاق بها ، كانت بالنسبة لمحيط نابلس شيئاً متميزاً ، تعلم طالباتها – وما كان اقل عددهن – تعلمهن اللغة الفرنسية والعزف على البيانو والرسم بالزيت . وقد تم لي تحقيق هذا التطلع بعد وفاة ابن عمي الكبير وكنت قد بلغت الخامسة والعشرين من العمر ، ودرجت فيها عامين ، فقد ظللت مسكونة بحلم مقاعد الدراسة التي حرمت منها ايام الصغر .

في عام ١٩٣٩ حانت لي الفرصة لتعليم اللغة الانكليزية وسمح أبي لي ولشقيقتي « فتايا » باخذ دروس خصوصية لدى فتاة مسيحية كانت قد تخرجت حديثاً من مدرسة « الفرندز » في رام الله .

اخذنا الدرس الأول ، ثم صدر القرار بالتوقف . فقد اعترض ابناء عمي على هذا الأمر « الناشز » حين علموا بـــه من « ش » وكان أبي حريصاً على ارضائهم . فالمصالح مشتركة ، بالاضافة الى كون شقيقتي الكبرى قد اصبحت الآن زوجة لابن عمها الكبير .

لقد كانوا يرتدون الزي الأوروبي ، ويتكلمون التركية والفرنسية والانكليزية ، وياكلون بالشوكة والسكين ، ويقعون في الحب ، ثم يقفون بالمرصاد كلما حاولت احدانا تحقيق انسانيتها عن طريق التطور الطبيعي أو التطلع الافضل والاحسن ، كانوا يمثلون – خير تمثيل – جمـــود الانسان العربي وعجزه الكلي عن الاحتفاظ بشخصية واحدة غير مشطورة ، وظلوا يمثلون انقسام شخصية الانسان العربي شطرين : نصف مع التطور والتجاوب مع روح العصر ومسايرة ايقاعات الحياة المعاصرة ، ونصف مشلول الاقدام مسكون بالانانية المترسبة في نفس الرجل العربي بكل ما فيها من عنجهية شرقية ، تلك العنجهية التي ظل يعامل الرجال بوحيها الاناث من ذوي قرباهم . وهكذا كـــان كل ما حولي يضغط علي ، حتى جدران الدار الأثرية كنت احسها تجثم على صدري بكل ثقلها وشموخها . كم كنت اشتهي النوم تحت السماء ، لا سقف من فوقي ولا جدران من حولي ولا اقارب بجانبي .

كنت اقف دائماً موقفاً سلبياً مستسلماً تجاه ما يغضب أو يثير ، فما ملكت يوماً الصوت الجريء لأرفعه امامهم بالاحتجاج

اما شقيقتي (فتايا) فكانت ذات تركيب نفسي مختلف تماماً ، كانت جريئة ، لا تخفض راسها ولا تبالي بمن رضي أو سخط وكان ابي يحبها ويطلق عليها اســـم « المسكوبية » للشبه الكبير بين ملامحها وملامح المراة الروسية بوجهها الابيض المستدير الممتلىء وسمنتها المشدودة غير المترهلـــة .

وقفت (فتايا) امام ابي تحتج على تغيير موقفه تجاه مباشرتنا تعلم اللغة الانكليزية . قالت بغضب : اعرف السبب .. انهم « هم » .. هم الذين اوعزوا لك بذلك « ما شانهم بنا ما دمت انت قد سمحت » .

وترضاها ابي قائلا : سيقوم اخوكمـــا «نمر» بمهمة تعليمك انت واختك .

وتطوع نمر للقيام بالمهمة بحماس لا يقل عن حماسنا ، فقد كان على صغر سنه انذاك يضيق بوضع المراة المتخلف في البيت ، كما انه فيما بعد اقنع ابي بالحاق شقيقتي الصغرى (حنان) « بكلية شميدت » للبنات في القدس للحصول على شهادة المتريكوليشن الثانوية .

● ● ● ● ●

بلى كنت افتقد الجراة على الاحتجاج الغاضب على مواقفهم المعادية ، غير ان شعور الكراهية للقيت كان – بالمقابل – ينمو ويتعمق في اغواري كشجرة شيطانية فمهما كان المرء سهل الطباع فلا منجاة له من براثن وحش الكراهية الذي يخلقه فينا وينميه أولئك الذين يسلبوننا حريتنا ويسيئون معاملتنا ولا يثقون بنا .

لقد كنت في نظرهم النغمة النشاز في البيت والنعجة التي خرجت على راعي القطيع . ومن هذا المنطلق ، منذ البداية ، ظلوا يتعاملون معي . ولكي يخنقوا تطلعاتي الى تحقيق الذات كانوا يعملون بمختلف الطرق على زرع بذور عدم الثقة بنفسي والشك بامكاناتي . ويكمن خطر هذا الاسلوب في ان الانسان بطبيعته يرى نفسه بالعين التي يراه بها الآخرون ، وفكرة الآخرين عنـــه هي التي تنغرس فيه لاسيما حين يكون صغيراً او مراهقاً في دور التكوين .

أعرف سيدة لا يشغل فراغ ذهنها الا مشاكلها الممتدة مع (الخدم) فاحاديثها كلها تكاد تنحصر في هذا النطاق . وفي رايها أن الخادم يتصف دائما بالدناءة وعدم احترام الذات ، ولولا هذه الصفة فيه لما قبل بالعمل « المهين » . وهذه آراء واحكام لا يمكن ان تفرزها إلا عقلية انسان لم يعرف اطفاله عضة الجوع ، ناهيك بقسوة القلب واتذكر « ام حسن » التي كانت تعمل في اسرة عمي ، و « ام عفيف » التي كانت تعمل في اسرتنا ، واتذكر « الحاج نافع » الذي كان يعمل في مصبنة ابي وعمي ، واتذكر « سليمان » الذي كان يقوم بتنظيف الديوان واشعال قنديل الزقاق كل مساء ، الى جانب قيامه بشراء كل ما يلزم من حاجات البيت اليومية كالخضار واللحوم وسواها . لقد عرفت كل هؤلاء وغيرهم ، ولي معهم ذكريات حبيبة .. كانوا يدللونني ويحبونني واحبهم ، وكنت شديدة التعلق (بالحاج نافع) بالذات . وحين كنت اصغي الى احاديث تلك السيدة وانا صغيرة كنت اصدق ما تقول ، فالصغار يومنون دائما بكل ما يقوله الكبار ، ولكني كنت في نفس الوقت اقع في حيرة وبلبلة بين الحقيقة التي اعرفها واحس بها من خلال علاقاتي بتلك الفئة المسحوقة وهي حقيقة تدحض ذلك الحكم وبين اقوال تلك السيدة . فما كنت ادرك يومها ان تصرف السيد المتعالي تجاه خادمه والفكرة التي يحملها عنه هي العامل الفعال في توجيه سلوك الخادم وتصرفاته التي يعوزها احترام الذات اذا كان حقاً ما قالته السيدة .. فمن المؤكد ان الانسان يصبح الشخص الذي يعتقده الآخرون ، حيث تسيطر عليه فكرتهم عنه وتصبح هي العاطفة المتحكمة في سلوكه .

وبالنسبة لوضعي وواقعي في البيت اصبحت اقف الآن بين قوتين ، بين ايمان ابراهيم بي الــذي كان يشحنني بالثقـة بالنفس وباحترام الذات وبالأمل في انني ساكون « شيئا » ذا قيمة في يوم ما ، وبين عمل ابناء عمي المستمر على زعزعة هذه

● كنت أفتقـد الجـرأة على الاحتجاج الغاضب في المواقـــف المعـاديـة

● في لحظة .. شعرت بالامتنان تجاه الذين أرادوا خنـقي بالقسـوة وسـوء المعـاملة

الثقة . وشرعت اتراوح بين هاتين القوتين بقدر ما في طبيعتي من السلبية والايجابية وكان علي ان اخوض بالتالي في صراع مع تطلعاتي والواقع الذى اوجدني فيه مجتمع متخلف واقارب لم يتحرر تفكيرهم قط .

كانت هناك بذرة صغيرة تابى الاكتفاء بذاتها وتنزع الى التجرد والتغير ، تنزع الى ان تصير شيئاً آخر ، فهي تابى الثبوت والاستقرار . كنت احس بتلك البذرة تتحرك في داخلي كدينامو لا يهدا ، وكنت احس في الوقت نفسه بالقالب الفولاذي الذى اقبع داخله يعمل على خنق تلك البذرة والقضاء عليها نهائيا . وهناك ، في عقلي الباطن ، كانت تتكون شرارة صغيرة لتصبح فيما بعد بركاناً يمكن ان ينفجر في اية لحظة ليطيح بالقاعدة والاساس الذي قام عليه ذلك القالب اللعين .

وظل عالم كتبي واوراقي يمدني بالقوة ، ويساعدني على التماسك وتثبيت القدمين على الارض المهزوزة تحتها . وظلت احلامي تخطط دائماً لقطع صلتي بكل ما هو رمز للسلطة في العائلة : الأب ، ابناء العم ، العمة ونفرت من كل هؤلاء ، بل اقول بصدق كرهتهم كرها حقيقيا . ومن هنا تعلمت فيما بعد كراهة ما يمثل السلطة الجائرة والحكم الظالم في مختلف مؤسسات المجتمع ولكن كراهتي ظلت في الكثير من الاحيان سلبية لا تتحول الى طاقة تعمل على التغيير الى الأفضل والأكمل والأجمل بالنسبة لمؤسسات المجتمع .

اما بالنسبة لوضعي الخاص فقد صرت فيما بعد اشعر بالامتنان تجاه الذين ارادوا خنقي بالقسوة وسوء المعاملة . فلولا فظاعتهم لما نمت قدرتي على التشبث بما كنت اصبو اليه من مطمح ادبي . ولو انهم حاولوا قتل تطلعاتي بالمحبة واللين لأطفاوا في تلك الشرارة الكامنة ، ولو كانوا استعملوا اليد الحريرية في محاولة خنق تطلعاتي بدلا من اليد الحديدية لافلحوا ونجحوا فخيوط الحرير الرقيقة الناعمة تكون عادة اقدر على الخنق .

حين كنت اقع تحت ممارسة ضغوطهم علي كنت اشعر احيانا انني تحطمت فعلا ، واغرق في بحر مظلم من الياس . ولكن هذا التحطم كان يصل بي الى نقطة بالذات عندها كان يحصل شيء آخر . فحين يصل المرء الى قاع هوة الياس تدب فيه شضارة الحركة لتدفعه الى العمل على الخروج من الهوة . وهكذا كان الصراع بيني وبين القوى المضادة يشتد من جديد ليؤكد لي فيما بعد صحة النظرة الديالكتيكية للحيـــاة .

وعلى امتداد هذه المرحلة ، وكانت اقسى مراحل حياتي على الاطلاق ظلت رعاية ابراهيم لي هي القوة الدافعة في تحويل المشاعر المضغوطة الى طاقة فعلية . فاكب من جديد وباستغراق على مواصلة الدراسة والمطالعة ومحاولات الكتابة شعراً ونثراً .

اذكر الآن انني شهدت قبل سنوات على احد مسارح لندن مسرحية تروي قصة مدرسة ذات طموح وعقل وعاطفة متوهجة ، استطاعت بشخصيتها الأخاذة ان تطبع بصماتها على مجرى حيوات تلميذاتها الصغيرات ، مما كان له اكبر الاثر على توجههن في الحياة فيما بعد . وحين كانت الستارة تسدل كان صوتها ياتي من بعيد وهي تقول : اعطني فتاة في طور التكوين اجعلها من اتباعي مدى الحياة .

● ●

خريف عام ١٩٣٥ .. تشارين تهب رياحها على احراش قرية (يعبد) في قضاء (جنين) .. الأرض الحبلى بالاحداث ترهف السمع على انتظار وتوقع .. الشيخ عز الدين القسام يرفع يده العربية المؤمنة ويقوم باول طرقة على باب الثورة فلا يكاد يفعل حتى تفتح له الابدية ابوابها ليدخل الشهيد العظيم مع بعض رفاقه الاخرين في رهط الشـــهداء الخالدين ..

● ● ●

النار التى قدحتها طرقة الشـيخ الشهيد تعود فتنطلق شرارتها في نيسان

عام ١٩٣٦ بين الفئات الشعبية .. يلتهب الفلاحون والعمال .. تعلن يافا الاضراب ويشمل الاضراب عمال الميناء ..

تشتد الثورة الشعبية المتصاعدة فتنعطف بمسيرة القيادات التقليدية عنوة واقتداراً لتضعها في مواجهة مع الواقع المشتعل ..

في ٢٠ نيسان اجتماع وطني كبير في نابلس ، تتألف فيه (اللجنة القومية) لتصدر بيانها المعبر عن (سخط العرب على سياسة الحكومة التي تهدف الى ابادة العربي في بلده العربي) - فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية - عيسى السفري ..

ويجرف تيار الأحداث الملتهبة قيادات الاحزاب القومية فيكون الاضراب الشامل في فلسطين ، ويبدأ النضال السياسي والمسلح لتشارك فيه مختلف الجماهير الشعبية الفلسطينية ، فتخط فصلا مكثفاً من فصول الكفاح الفلسطيني على شعاب الجبال وفي قراها .. ومن هناك يدوي صوت الشعب الخالد ..

● احنا اللي نحمي الوطن
ونبوس جراحه
ويتجاوب الصدى مردداً :
● بيع أمك واشتري بارودة
والبارودة خير من امك
يوم الثورة تفرج همك

« كتاب اغانينا الشعبية (- نمر سرحان .

● ● ●

أبحث عن نفسي الآن وانا التفت الى تلك الأيام الفلسطينية فأراني في عمان . محاصرة - بسبب الاضراب الشامل في فلسطين . قابعة في بيت شقيقي أحمد المنتدب حديثاً من قبل الحكومة ليشغل منصب مدير المعارف في امارة شرق الأردن .

● ● ●

زوجة أخي تلومه وتشكو تركه لها في بعض الاماسي للقيام بواجب زياراته « الرجالية » هنا أو هناك :

- ولكنك لست وحدك ، لقد اتيت لك باختي لتسليك .

- اختك لا تقيم بجانبي الا قليلا . تعتكف وحدها في الغرفة منذ الثامنة .

كانت زوجة اخي على حق في شكواها ، فما كنت في يوم ما صالحة للقيام بدور المسلية ، وظللت افتقر الى هذه الموهبة ، موهبة تسلية الآخرين ، فقد كانت موهبة مصادقة النفس من جهة ومصادقة كتبي ودفاتري من جهة اخرى هي المسيطرة والمتحكمة في سلوكي .

كان يحدث احيانا نوع من عدم التوازن او من الخلخلة في علاقاتي بالآخرين ، وذلك حين ارتطم بغير المتوقع ، او حين ينقلب المثال الى صورة مهزوزة . هناكنت احس بعجزي عن الالتصاق ، واقع في حالة من الاغتراب الاجتماعي ، فالجأ الى ماواي الأمين ، الى نفسي والى كتبي والى وحدتي التي ظلت تشكل العمود الفقري لوجودي بما تتيحه لي من فرصة المطالعة والتأمل والاحساس بالامان .

ولم تكن أسباب لجوئي الى الوحدة بالضرورة أو في كل الحالات نتيجة لارتطامي بالآخرين ، فحتى في فترات المصالحة والوفاق مع العالم والناس والأشياء ، ظلت مصادقة النفس التي لا تتم الا في جو التوحد هي الاتجاه الغالب . وهذه النزعة الباطنية المتحكمة اصبحت فيما بعد احد اسبب الصراع النفسي الذي عانيته في تجربتي الشعرية ، خاصة حين خرجت الى الحياة المسها باصابعي وتلمسني .

● ● ●

حرارة شعبية القائد فوزي القاوقجي ترتفع الى أعلى درجة ، واصداء الثورة وانجازاتها تصل الى مسامعي من بعيد ، فيما انا قابعة في دار اخي احمد في عمان . وتثير بطولة فوزي القاوقجي خيالي ومشاعري ، فاكب على نظم قصيدة تعكس انبهار الصبية الرومانسية بشخصية قائد الثورة الاسطوري :

بطل الأبطال يا زين الشباب
هات حدثنا عن الأمر العجاب

وتمر الأيام ، ومع افول شعبية القاوقجي وخمود عشق الجماهير له تضيع القصيدة المبهورة مع قصائد المحاولات الفاشلة .

اواخر تشرين ١٩٣٦ ، القيادة العامة للثورة في بلاغ موقع باسم القاوقجي توقيف اعمال الثورة .. ايام قليلة تمر تعلن القيادة بعدها ترك ميدان القتال . الملوك والأمراء العرب قرروا ذلك حفظاً لسلامة المفاوضات ... واعتماداً على نوايا الانكليز « الحسنة » تجاه العرب ! .

انحل الاضراب في فلسطين ، وانفك معه الحصار المضروب حولي في عمان ، فقد اصبح السفر الآن ممكنا ، وظل عام الحصار في عمان صفحة كالحة اللون في رحلة العمر ، فارغة من اي مضمون . لم تعطني تجربة السفر والغياب شيئاً ذا قيمة . كانت عمان عاصمة الامارة بلدة فقيرة صغيرة متواضعة ، تخلو من جاذبية المظهر والمخبر على السواء . فالمواضعات والقيود الاجتماعية الصارمة لم تكن لتختلف عما هو مالوف في بقية البلدان العربية المختلفة . أما أخي احمد فقد كان يرفع دائماً الحاجز الذي يرفعه الأخ الكبير بينه وبين اخواته ، وكانت له علينا سيطرة الاب فكانت علاقتي به يغلب عليها صفة الانكماش والتهيب والكلفة الى جانب الصمت ، والصمت لغة الغرباء حتى لو جمعتهم وحدة الدم .

وعدت الى ركني الخاص في غرفتنا الكبيرة « غرفة البنات » .. عدت الى خزانتي وطاولتي وكرسيي وابريق قهوتي وفنجاني .. فعلى مدى حياتي ظلت تقوم علاقة نفسية حميمة بيني وبين اشيائي المتميزة بطابع الخصوصية وكانت بالنسبة لي طابعاً شديد الجاذبية .

● ● ●

فاتتني في عمان فرصة معاينة الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ، ولكن ها انا بعد شهور اعاينها عن قرب اذ تهب من جديد مع ظهور مشروع التقسيم من جهة ، ومقتل حاكم الناصرة الانكليزي « اندروس » مع حارسه البريطاني في أواخر ايلول ١٩٣٧ من جهة اخرى .

هيج حادث الاغتيال السلطات الحاكمة وبدأت حركة التنكيل وعمليات القمع والاعتقالات الجماعية . وفقدت الهيئة العربية العليا واللجان القومية شرعية قيامها بعد أن اعلنتها السلطات هيئات غير مشروعة . ثم اختفى الحاج امين الحسيني بشكل غريب ، وتشرد بعض الزعماء ونفي بعضهم الآخر الى « سيشل » والثورة تشتد ومعها تشتد عمليات القمع .

كنا نفاجأ باعلان منع التجول في اي وقت من أوقات النهار ، فكان الناس يحاصرون حيث كانوا ، ولا يسمح لهم بالمغادرة الى بيوتهم .

وقفت ذات يوم مع أمي في السوق ، ملجلجتين امام القوات المسلحة وقد اقفلت الطريق الى دارنا ، ولم نعرف اين نذهب . أشار بعض الجنود بايديهم نحو الشرق فعرفنا أن علينا أن نتجه شرقاً . مشينا الى « ساحة المنارة » لنطرق باب عائلة صديقة ونقبع هناك الى أن ارتفع منع التجول فعدنا للبيت .

أصبحت عمليات مداهمة البيوت أمراً مألوفاً ، كان يحدث ذلك في الليل أو النهار ، لا فرق ، وكان فرض الأحكام العرفية على البلاد مؤشراً الى مدى عنف الصدام بين الجماهير والحكم البريطاني .

بقية المذكرات
العدد القادم

بقلم: عبد القادر عقيل

انتبهوا.. هذا المسرح لا يحتمل الأخطاء!

من الظواهر التى برزت على الساحة الثقافية الخليجية فى السنوات الأخيرة هى ظاهرة الاهتمام المتزايد بمسرح الطفل.

وهذه الظاهرة مهمة جداً، وتستحق التوقف عندها والتأمل، ونتمنى لو تسنح الفرصة امام الباحثين والمهتمين بثقافة الطفل لدراسة النصوص المسرحية التى قدمت للاطفال وتقويمها ومعرفة مدى نجاحها وتجاوب الطفل - المتلقى.

سنستشهد هنا بتعريف بليغ للاديب مارك توين حول مسرح الطفل:

(اعتقد ان مسرح الاطفال من اعظم مكتشفات القرن العشرين، وان قيمته التعليمية الكبيرة - التى لاتبدو واضحة أو مفهومة فى الوقت الحاضر - سوف تتجلى قريباً .. إنه اقوى معلم للاخلاق، وخير دافع الى السلوك الطيب اهتدت اليه عبقرية الانسان، لأن دروسه لا تلقن بالكتب بطريقة مرهقة، او فى البيت بطريقة مملة، بل بالحركة المنظورة التى تبعث الحماس، وتصل مباشرة الى قلوب الأطفال التى تعتبر انسب وعاء لهذه الدروس. إن كُتب الاخلاق لا يتعدى تأثيرها العقل، وقلما تصل اليه بعد رحلتها الطويلة الباهتة، ولكن حين تبدأ الدروس رحلتها من مسرح الأطفال، فانها تتوقف فى منتصف الطريق، بل تمضى الى غايتها).

لقد شاهدنا العديد من المسرحيات تقدم للأطفال فى الكويت وقطر والبحرين والامارات وجميعها جذبت انتباه الأطفال ولاقت النجاح المطلوب. لكن هذه الظاهرة جاءت محملة بالاخطاء ايضاً، وفى كثير من الاحيان كانت هذه الأخطاء تحدث بسبب السرعة فى تنفيذ العمل المسرحى، وبسبب الاهتمام الكلي بالكسب المادى المضمون من وراء هذه المسرحيات، فقد ثبت أن معظم المسرحيات التى عرضت للاطفال كانت تدر ربحاً كبيراً على المؤسسة التى قدمت العمل.

يمكن ملاحظة أن المسرحيات التى قدمت للأطفال هى مسرحيات يتم فيها تجريب كل شىء للمرة الأولى. هناك المخرج الذى يجرب الاخراج المسرحى للمرة الأولى، هناك الممثل الذى يقف على خشبة المسرح للمرة الاولى، هناك الموسيقيّ الذى يضع الحان اغانى الاطفال للمرة الأولى. وقد يقول قائل إنه مادام مسرح الطفل شكلا فنياً جديداً، فهو قابل للخطا والصواب، ولابد من الخطا حتى نصل الى الشكل النموذجي لمسرح الطفل، لكن ماذنب الطفل حتى يتحمل الأخطاء تلو الأخطاء؟ وهل هو يعي الأسباب التى دفعت للوقوع فى مثل هذه الأخطاء؟. الطفل يحضر الى المسرح ليرى عملا يستمتع به ويسلب خياله، وعدا ذلك فلاشىء يهمه من مصاعب تنفيذ المسرحية.

مسرح الطفل إذن هو مسرح متخصص بالدرجة الاولى، لا يحتمل الأخطاء المتواصلة، ولا مكان فيه لاختبار موهبة المخرجين او الممثلين المبتدئين. ان مثل هذا المسرح يستدعى وجود الكاتب المتخصص والمخرج المتخصص والممثل البارع، اى عدم اعطاء اية فرصة لحدوث اخطاء قد تربك الطفل عند حضوره الى المسرح، وبالتالى إعطاء المسرح فرصته ليكون اداة هامة من أدوات تشكيل ثقافة الطفل الجادة.

إضافة الى هذا، فان بعض المسرحيات تكتب وتقدم للاطفال باللهجة العامية، اى استخدام اداة تعبيرية غير صحيحة وغير سليمة ايضاً، اداة تاخذ طريقها الى الاضمحلال والنسيان، وليس هناك من مبرر يوجب استخدام اللهجة العامية فى المسرحيات، ولن تشفع الحجة القائلة إن الاطفال ينفرون من اللغة العربية الفصحى لصعوبتها، لأن مثل هذا الافتراض ثبت عدم صحته مع الاقبال المتزايد من الأطفال على مشاهدة برامج الأطفال التى تقدمها مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك لدول الخليج العربية والتى تستخدم فيها - بدون استثناء - اللغة العربية الفصحى.

كذلك نرى أن معظم المسرحيات تستند على فكرة الصراع بين الخير والشر مع إدخال الحركات الهزلية لاضحاك الأطفال واقحام الكثير من اللوحات الغنائية الراقصة دون اغفال الوعظ الدائم.

وإذا قدرنا بان الأطفال الذين سيذهبون لمشاهدة مسرحية ما تتراوح اعمارهم بين الخامسة الى السادسة عشرة لعرفنا بانه لا يمكن باى حال من الاحوال أن تكون هذه المسرحية قد حازت على رضا جميع الأطفال لانه من المعروف علمياً بان هناك مراحل عمرية مختلفة، ولكل مرحلة خصائصها وحاجاتها ورغباتها التى تختلف عن الأخرى. اى ليس من المعقول ان تقدم نفس المسرحية لجميع المراحل العمرية بدون تمييز.

اننا نرى ان مسرح الأطفال المتخصص ينقسم الى ثلاث مراحل مختلفة هى:

١ - مرحلة الخيال المنطلق: وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين ست سنوات الى ثمانى سنوات.

٢ - مرحلة البطولة: وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين تسع سنوات الى اثنتى عشرة سنة.

٣ ـ المرحلة المثالية : وتشمل الاطفال الذين تتراوح اعمارهم بين اثنتى عشرة سنة الى خمس عشرة سنة .

ووفقا لهذه التقسيمات تقدم العروض المسرحية . إننا بهذه الطريقة نعطى لكل مرحلة حقها ونمنح اطفال كل مرحلة فرصة الفهم والاستمتاع بالعمل الذى يقدم اليهم بوعي تام .

، وربما لهذه الأسباب وجدنا ان فى بعض المسرحيات يصاب الأطفال الصغار بالفزع اويولون هاربين ويصرخون باعلى اصواتهم لمنظر لا يحتملونه ، بينما الأطفال الذين يكبرونهم سنا لا يتاثرون مطلقا بهذه المشاهد .

يقول الكاتب الامريكى « وينفريد وارد » فى كتابه عن مسرح الأطفال : (نحن فى حاجة الى فهم اكثر عمقا للاولاد والبنات ، ولابد من دراسة جمهور المتفرجين دراسة علمية متصلة والاستفادة منها ، وهذا يتطلب اخراج مسرحيات لمستويات معينة من السن بدلا من اخراجها للاطفال عامة . ومسرحيات الكبارقد تستهوى من تتراوح اعمارهم بين الثامنة عشرة الى السبعين ، اما بالنسبة لمسرحيات الأطفال فان فارق ثلاث سنوات فى السن يجعل المسرحية تلائم مستوى معين دون غيره) .

إن المطلوب هوايجاد مسرح متخصص دائم للاطفال ، وخلق كوادر مسرحية واعية لدورها الخطير والمهم فى تنشئة الجيل الجديد ، وكل هذا لن يتم بجهود فردية ، ولا برغبة طارئة ، إن نجاح مثل هذا المسرح لن يتم مادامت الاجهـــزة الرسمية المعنية بعيدة عن الفكـــرة ولا تشملها بالرعاية الكاملة والاهتمام الجاد .

عبد القادر عقيل

يا حلوة العينين

شعر : عبد العليم القباني



يا حلوة العينين يـــا كـــوثر ... ماذا لو انى فيهمـا أُبحـــر ؟
أغيب فى عينيـك حتى أرى ... جزائـــر الفـــيروز تســـتنكر
قد مـــر شـهر منذ لقيانـنـا ... والحب ســـر بيننـــا مضمر
فهـل أبوح اليوم ؟ هـل أجترى ؟ ... أم انت أَحْسَسْتِ بمـــا أشعر ؟

• • •

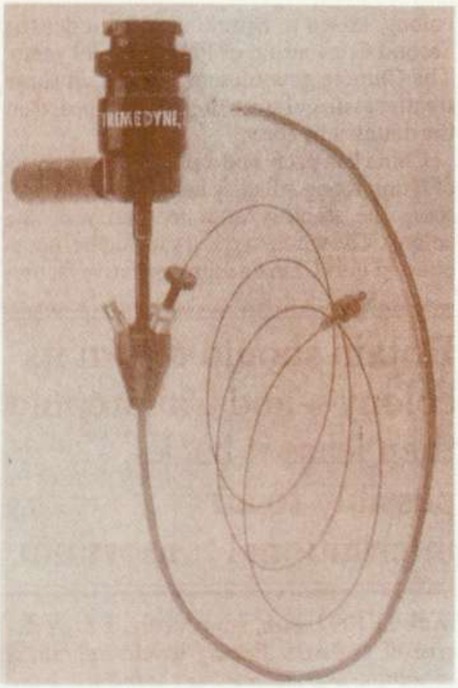
يقـول لى صـمتك فى صمته ... الا تـرى الناس ؟ الا تحـــذر ؟
مـاذا يقول الناس عن شـــاعر ... قد لفـه الشـيب ، وما يكـبر ؟؟
يا أية لله فى خلقـــــه ... من يجحـد الحسنَ الذى أنظر ؟
قولى لهم لا شيء، إن الصـــبا ... جـزء من الشــاعر ، لا يُبْـتَرَ

• • •

يا حـــلوةَ العينين يا كـــوثر ... أذْنَبْتُ أذْنَبْتُ و أســــتغفر
لو أن عمـــرى كله صـــفقة ... فى بسـمةٍ منك ، ولا أكثـــر
قدمتـــه عن خاطـــر ، طيِّبٍ ... فهل أُطيقَ البعـد ؟ أو أصبر ؟
تقول لى عيناك : إن الهـــوىَ ... حق : وان الحقّ : لا يُنكَـــر

تقديم : لبنى الريدي

منظار لفحص الأوعية الدموية من الداخل



تتزايد باطراد استخدامات الألياف الضوئية فى المجالات الطبية ، واحدث استخدام لها هو جهاز لفحص الاوعية الدموية من الداخل ، بحيث تتسلل الأليـاف الضوئية خـلال الأوردة والشرايين لتعطى الأطباء صورة دقيقة عن حالة الأوعية الدموية ، خاصـة فى حالات تصلب الشرايين او انسدادها .

ويتميز هذا المنظار المبتكر بان قطره يتراوح بين ٢٫٥ ملليمتر و ٣ ملليمترات ، وهو يتكون من مجموعة من الأليـاف الضوئيـة المجدولة معـاً والمرتبطـة بمجموعة من الأنابيب المجوفة مكونة كابلا ذا موصلين وأن كانا متحدى المحور .

ويقوم هذا الجهاز باربع وظائف فى آن واحد ، فحزمة من الألياف الضوئية تعمل على اضاءة السطح الداخلى للاوعية الدموية ، بينما تقوم حزمة اخرى بنقل الصورة الى مجموعة من العدسات ينظر الطبيب من خلالها او إلى شاشـة تليفزيونية حيث تعرض صورة لسطح هذه الأوعية من الداخل ، كما يتم حقن محلول خلال الانبوبة الخارجية لهـذه القسطرة لابعاد الدم من مجال الرؤية ، ويمكن حقن المريض من خلال هذا المنظار بالأدوية التى يحتاجها الوعاء الدموى ، وبالتالى يمكن استخدام هذه القسطرة المزودة بالالياف الضوئية فى التشخيص والعلاج معاً !

إلا ان هذه القسطرة برغم دقتها لازالت سميكة لانها لا تستطيع دخول الأوعية الدموية الدقيقة المجاورة للقلب ، ولذلك ابتكر الباحثون منظاراً اخر لا يزيد قطره عن ١٫٨ ملليمتر ،بحيث يمكن استخدامه فى فحص الشرايين التاجية من الداخل ، واكتشاف وجود انسداد او اى بوادر تصلب ، كما يمكن بواسطة هذا المنظار الدقيق تقدير فاعلية العلاج الذى يعطى للمريض !

أبخرة صمغية لرفع البصمات

توصل رجال الأمن الى طريقة جديدة لرفع البصمات ، وهى تتميز بالسرعة والسهولة وبانها اكثر فاعلية من الطريقة التقليدية .

وتستطيع الطريقة المبتكـرة رفـع البصمات من على أية مادة وأى سطح ، فكما تؤكـد الشركة صـاحبة الاختراع . يمكن رفع البصمات من على الجلد الآدمى ، وهى تعتمد فى ذلك على ابخرة كيمائية خاصة ، ويتم تكوين هذه الأبخرة عن طريق غمس قطعة من لباد خاص فى مجموعة من المحاليل مثل تلك المستخدمة فى صنع انواع الغراء ذات القدرة العالية على اللصق ، وبوضع هذا اللباد فى غرفة مغلقة مع الجسم المراد رفع البصمات من عليه تتفاعل الأبخرة المتصاعدة منه مع آثار العرق على أطراف الاصابع وتظهر على الفور صورة للبصمة على طبقـة بلاستيكية بيضاء .

وتعتبر طريقة الأبخرة الصمغية مثالية فى حالة البحث فى حيز كبير مثل غرفة أو داخل سيارة ، إذ يمكن ملء المكان بالأبخرة ليتم رفع جميع البصـمات الموجودة فى المكان دفعة واحدة وبسرعة كبيرة .

وقد تمكنت الشرطة الامريكيـة من اكتشاف أحد الجناة برفع بصماته من على غطاء الوسادة ، وهو مالم يكن من الممكن تحقيقه بالطرق التقليدية ، كما أدين مهرب مخدرات عندما كشفت هذه الأبخرة الكيمائية بصماته على كيس بلاستيك يحتوى المخدرات !

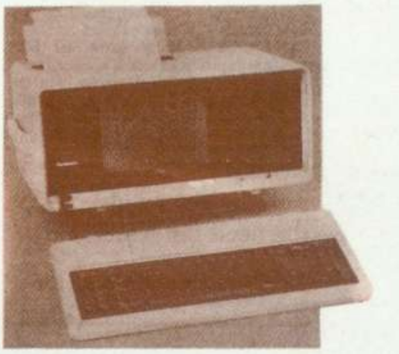
وتقوم الشركة نفسها باعداد طريقة أخرى لرفع البصمات وتعتمد هذه المـرة على جهاز لتوليد أشعة الليزروكاميرا فيديو لتسجيل البصمات .

مصعد له عيون إلكترونية

تراقب العيون الالكترونية العملاء فى البنوك والمحلات التجارية والعديد من الأماكن الأخرى ، ولكن انتقلت مؤخرا الى المصاعد ، حيث ابتكر اليابانيون أجهزة الكترونية تستطيع رصد المنتظرين أمام المصعد ، وبالتالى توجيهه الى الطوابق الاكثر ازدحاماً !

وبينما تكون هذه العيون الالكترونيـة عبارة عن كاميرات فيديو فان عيون المصعد اليابانية تعتمد فى عملها على الأشعة تحت الحمراء ، فهى تقوم برصد الأشعة الحرارية المنبعثة من اى جسم بشرى ، وتثبت هذه العيون أعلى باب المصعد بحيث تمد جهاز الكمبيوتر المركـزى بالمعلومات التى ترصدها ليحدد الكمبيوتر للمصعد الطوابق الأكثر ازدحاماً .

كمبيوتر وطباعة في جهاز واحد



يحتج الكمبيوتر الى عدد من الوحدات المساعدة مثل شاشة تليفزيونية وطباعة ولوحة مفاتيح الخ . وتحاول شركات الالكترونيات التى تعمل فى هذا المجال دمج هذه الوحدات فى وحدة واحدة مع جهاز الكمبيوتر . وكانت اخر ثمار هذه الجهود هذا الكمبيوتر المتنقل الجديد .

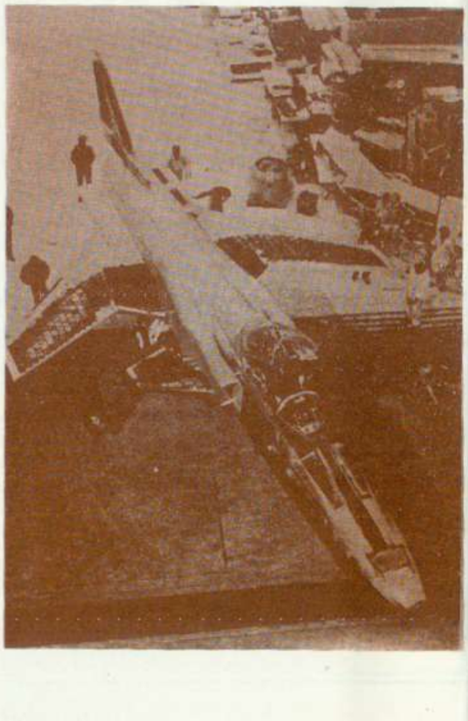
واهم ما يميز هذا الجهاز اليابانى الصنع انه مزود بطباعة حرارية مدمجة تقع أعلى الشاشة ، بحيث يمكن متابعة كل من المادة المطبوعة وما يعرض على الشاشة بسهولة وبدون الحاجة الى تشتيت الجهد والتركيز . ويتم تغذية هذه الطباعة بالورق من أعلى الجهاز . ولا يزيد مساحة الشاشة عن تسع بوصات ، وإن كانت تتميز بصورة نقية . اما لوحة المفاتيح فهى منفصلة وترتبط بالكمبيوتر بواسطة أسلاك ، حتى يمكن وضع الشاشة فى افضل وضع صحى يناسب مستخدم الكمبيوتر ، نظراً لما قد يسببه العمل أمام الشاشة التليفزيونية من صداع وتوتر عصبى .

ملاك حارس للمواليد الجدد

ابتكرت الأبحاث الطبية عدة طرق لمراقبة عملية تنفس المواليد الجدد اثناء نومهم بهدف حمايتهم من حدوث خلل مفاجىء فى عملية التنفس يودى فى كثير من الاحيان بحياة الطفل أثناء نومه ، وهى ظاهرة لازالت تحير الأطباء حتى الآن ، ففى المانيا الغربية وحدها يموت الف طفل كل عام نتيجة هذه الظاهرة ، وهو ما دفع المهندسين هناك الى ابتكار جهاز الكترونى بسيط للقيام بدور المالك والحارس للأطفال فى هذه السن المبكرة .

ويتميز هذا الجهاز بانه غير مزود باقطاب كهربية تثبت على جسم الطفل مثل العديد من اجهزة المراقبة ، كما انه لا يعتمد فى عمله على اسلاك قد تسبب ضيقاً للطفل وتؤدى الى تقييده ، اذ يكفى وضع الجهاز الجديد تحت الحاشية التى ينام عليها المولود فى مهد خاص مصنوع من البلاستيك ، فالجهاز يضم دوائر لرصد الحركة عالية الحساسية بحيث تستطيع التقاط حركة كل من الرئة والحجاب الحاجز ، وبمجرد توقف هذه الحركة يطلق الجهاز جرس انذار

طائرة ذات أجنحة معكوسة



تقدم الصناعة الامريكية نموذجاً جديداً للطائرات المقاتلة لا يشبه اى طائرة أخرى تحلق فى الجو ، ويتحدى تصميم هذه الطائرة كل ما هو معروف حتى الآن فى مجال تصميم الطائرات فبينما تكون اجنحة المقاتلة مرتدة الى الوراء فان أجنحة هذه الطائرة مرتدة الى الامام ، واسم هذه الطائرة التى تفوق سرعتها سرعة الصوت « أكس ـ ٢٩ » ..

وهى تتمتع بقدرة عالية على المناورة ويرجع ذلك الى وضع اجنحتها المعكوسة فبينما لا تستطيع أكثر الطائرات المقاتلة تطوراً مثل « اف ـ ١٦ » الحفاظ على سرعتها التى تفوق سرعة الصوت أثناء المناورة ، فتضطر فى حالة الاشتباك والمناوشات ان تخفض سرعتها لتصل لاقل من سرعة الصوت فان « أكس ـ ٢٩ » بفضل أجنحتها المعكوسة تتمتع بقوة رفع أكبر وبمقاومة اقل مما يجعلها تحافظ على سرعتها وقدرتها على المناورة .

وكانت العقبة أمام تصنيع مثل هذه المقاتلات ذات الأجنحة المثبتة الى الامام ، أنه فى حالة السرعات العالية فان القوى الناجمة عن حركة الاجسام فى الهواء تعمل على نزع هذه الأجنحة .

ولكن المهندسين استطاعوا التغلب على ذلك باستخدام المواد المركبة ، التى تتميز بصلابة فائقة وخفة وزن خيالية فى صنع الأجنحة المرتدة الى الأمام ، بحيث يمكنها الطيران بامان عند السرعات العالية .

وقد استغرق التخطيط والتجارب على هذه الطائرة خمس سنوات ، وسوف يتم تجربتها فى أول طلعة لها فى ابريل القادم ، ومن المتوقع ان يمثل تصميم « اكس ـ ٢٩ » شكل الطائرات فى المستقبل فان هذا التكنيك يتيح بناء طائرات مقاتلة أصغر حجماً واخف وزناً بنسبة ٣٠ فى المائة ، وبالتالى ستكون أسرع من المقاتلات التقليدية !



زائر الارض إلى احد الكواكب فى الفضاء ، تحيط به مخلوقات بشعة ..
لقطة من فيلم « عودة جيدى »

سينما

حرب الصواريخ .. والخيال العلمي
.. وكيف ستكون الحياة ؟

بقلم رءوف توفيق

من المتوقع ان تشهد السينما العالمية فى عام ١٩٨٤ ، اتجاهين بارزين فى نوعية موضوعات الأفلام ..

● الاتجاه الأول : يرتكز على الضجة الهائلة ـ السياسية و الشعبية ـ التى أعقبت عرض الفيلم التليفزيونى « اليوم التالى » فى التليفزيون الامريكى ، والذى صور بشاعة ما يحدث للمواطن الامريكى نتيجة حرب نووية من المحتمل أن تحدث فى أية لحظة .

● الاتجاه الثانى : يقتحم بقوة مجال أفلام الخيال العلمى ، بعد النجاح الساحق الذى حققه فيلم « عودة جيدى » ، والذى يواصل نفس الموضوع ونفس النجاح لفيلم « حرب الكواكب » للمخرج الأمريكى الشاب « جورج لوكاس » .





مجموعة من العلماء فى مركز الابحاث يتناقشون حول نتيجة اختراعهم الجديد المثبت بمخ الانسان .. لقطة من فيلم « عاصفة فى المخ » .

وكلا الاتجاهين من الواضح انهما ياتيان من السينما الامريكية والتى تقف خلفها مؤسسات ضخمة ، تستطيع ان تمول مثل هذه النوعية من الافلام الباهظة التكاليف ، والتى تتجاوز ميزانية الفيلم الواحد اكثر من ثلاثين مليونـــا من الدولارات ، بخلاف عدة ملايين اخرى للدعاية والاعلان تنتشر فى ذكاء لتحاصر المشاهدين اينما كانوا على سطح الارض !

وكلا الاتجاهين – كما هو واضـــح ايضا – يعتمد على سؤال للمستقبل .. « ماذا لو » ؟! .. « وماذا ستكون الحياة » ؟! .

ومن علامة الاستفهام .. يبدا الخيال الذى تغذيه ثورة المعلومات .. وطابور طويل من احدث العقول الاليكترونية .. وتكنولوجيا صناعة السينما المتقدمة فى المؤثرات والخدع البصرية والسمعية ! .

ولمزيد من الايضاح .. علينا ان نقترب أكثر من التفاصيل :

المواطن والحقيقة

بالرغم من أن فيلم « اليوم التـالى » بدأت كتابته والاستعداد له منذ عامين .. الا أن توقيت عرضه جاء مواكبا لحركة الاحتجاج الاوربية والامريكية ضد نشر الصواريخ النووية ، وتفاقم المباحثات للحد من التسليح .

المظـــاهرات والمســـيرات السلمية ولافتات الاحتجاج تغطى أوربا كلها من بلد لآخر .. والشارع الامريكى ايضا شهد نفس المظـاهرات والاحتجاجـــات .. ونشرات الأخبار فى التليفزيون الامريكى والصحف تتابع هذه المظاهرات كل يوم .. بل كل ساعة ..

وفى نفس الوقت تواصل الصواريخ النووية الامريكية رحلتها لتتخذ اماكنها فى أوربا حسب الخطة الموضوعة ، لتواجه الصواريخ السوفيتية المقامة فى أوربـــا الشرقية ..

فى هذا الجو المشحون بالتوتر والقلق ، اذاعت شبكة تليفزيون « ايه . ب . سى » الأمريكية فى مساء الأحد ٢٠ نوفمبر ..

سينما

حرب الصواريخ.. والخيال العلمي.. وكيف ستكون الحياة ؟

فيلم « اليوم التالى » والذى يبلغ طوله ساعتين وربع الساعة .. وبعدها انقلبت الحياة الامريكية .

لا حديث الا عن هذا الفيلم ، الذى شاهده ما يقرب من ٧٥ مليون مشاهد فى ليلة عرضه بالتليفزيون .. ثم خرجت بعده الادارة الامريكية ابتداء من رئيس الجمهورية ووزير الدفاع والخارجية للتعليق على الفيلم ومحاولة تهدئة الراى العام الذى اصيب بالذعر !

وسجل المراقبون ، انه من هذه الليلة ، بدا المواطن الامريكى العادى - والذى لا تهمه كثيراً الشئون السياسية - يستيقظ على حقيقة ، انه مهدد فى امنه وحياته ، وانه فى اى لحظة قد يتحول الى اشلاء او انسان مشوه متاكل كما شاهد فى الفيلم التليفزيونى !

لا منتصر ولا مهزوم !

وهذا المواطن الامريكى العادى الذى كان يتوهم انه يعيش فى حماية اقوى دولة فى العالم ، بدا يفكر وينتبه .. إنه فى لحظة الخطر واندلاع الحرب النووية ، لن يكون طرفاً بين دول متصارعة ، بل بالتاكيد سيكون « ضحية » .. وعندما ستنتهى تلك الحرب البشعة ، لن يكون هناك منتصر ومهزوم ، بل سيكون هناك خراب شامل ودمار يحصد البشرية بكل انجازاتها واحلامها !

وهذه الحقيقة التى توصل اليها « متاخراً » المواطن الامريكى العادى ، جاءت اشبه بالصدمة الكهربائية التى زلزلت كيانه ، واخرجته من دوامة الحياة اليومية ، والسباق المرهق داخل العمل ، والمطاردة اليومية مع اغراءات البضائع الاستهلاكية ، والتمتع بهذا العالم الوردى الذى تنسجه له مؤسسات الدعاية مع كل سلعة جديدة !

الصدمة القاسية

فهذا المواطن الامريكى العادى ، الذى تعود دائماً ان يردد فى كلماته ، عبارة « ليست هناك مشكلة » .. فجاة وجد نفسه داخل مشكلة خطيرة ومدمرة .. !

فهو قد يكون - على حد قول المراقبين - قد اشترك او تابع او قرا ، عن الحروب التى خاضتها امريكا خارج بلاده ، ولكن مهما كانت درجة تاثره بهذه الحروب ، الا إنها لم تحدث على ارضه .. ولم تدخل بيته .. ولم تدمر حياته وتقتل اطفاله .. وتحصد كل شىء فى لحظات .. كما ستفعل الحرب النووية اذا وقعت .. !

حتى افلام الرعب والكوارث التى تخصصت فيها السينما الامريكية .. من فيلم « كينج كونج » الى « الفك المفترس » .. الى افلام الزلزال والمطارات وسقوط البنايات الضخمة .. الى اخر هذه القائمة المعروفة من الافلام ، لم تترك تاثيراً جماعياً ومستمراً كما احدثه هذا الفيلم التليفزيونى « اليوم التالى » .. وذلك لان افلام الرعب والكوارث ، قد يتعامل معها المتفرج كنوع من التسلية والاثارة وتحريك الركود اليومى .. وهى فى النهاية خيال مؤلفين وبراعة مخرجين .. واذا حدثت فهى قد تحدث لآخرين غيره .. !

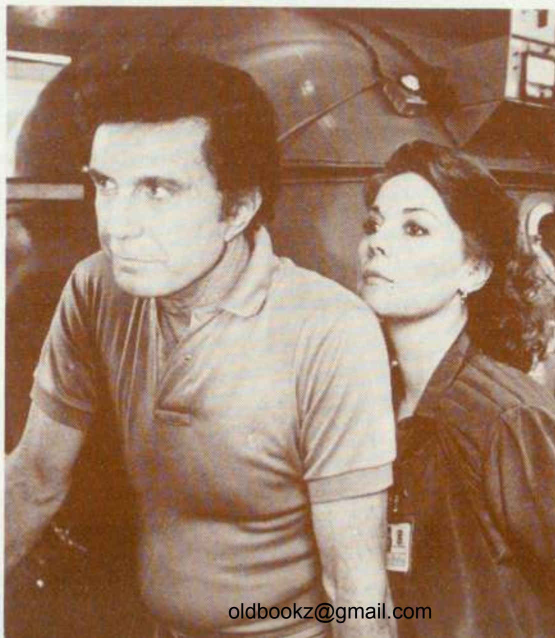
ولكن ما رآه فى « اليوم التالى » ليس فيه « آخرون » .. بل فيه « الجميع » تحت وطاة الدمار النووى .. وهذه الصواريخ موجودة فى مدينته ويستطيع ان يراها بعينه المجردة .. وتاثير الحرب النووية سيمتد الى آلاف الأميال .. وليس هناك مجال للهرب .. أو وقت للتفكير فى الهرب !

ومن هنا كانت صدمة هذا الفيلم .. قاسية .. وذات أصداء واسعة .

الحقيقة أقوى

وفيلم « اليوم التالى » لمخرجه « نيكولاس ميير » لا يمكن اعتباره تحفة فنية .. وايضاً لا يمكن اعتباره فيلماً علمياً دقيقاً .. فهو يصور الدمار الذى حدث فى مدينة لورانس بولاية كنساس الامريكية نتيجة لانطلاق الصواريخ النووية ، حيث تتطاير الجثث بين الانقاض ، ويحل الموت البطيء للذين بقوا على قيد الحياة ، فتتاكل اجسادهم ، ويصابون بالعمى ، وتسقط الاسنان والشعر ، وتموت الخلايا الحية تدريجياً ، وهذا هو المقصود باليوم التالى .. أى اليوم الذى يعقب الانفجار النووى .. !

الا ان المعلومات والنماذج البشرية



« ناتالى وود » فى آخر افلامها : عاصفة فى المخ



ما بعد انطلاق الصواريخ النووية .. الموت والدمار .. لقطة من الفيلم التليفزيونى « اليوم التالى » الذى سبب الذعر للمجتمع الامريكى !

التى قدمها الفيلم ، كانت محل مناقشة طويلة بين العلماء والخبراء ، حيث قالوا ان ما قدمه الفيلم ليس الا صورة مبسطة جداً لما قد يحدث فى الحقيقة .

واعلن احد العلماء انه من خلال التجارب النووية ثبت أن أى مواجهة بالصواريخ النووية سوف تسحق مالا يقل عن سبعين فى المائة من الشعب الامريكى وان خسائر الحرب النووية ليست مقرونة بيوم او اثنين ، بل يمتد تاثيرها الى شهر تقريباً .. وفى خلال هذه الفترة سيتعرض « الجميع » لمخاطر الموت من الاشعاع النووى !!

وقد علق مخرج الفيلم على هذه المعلومات العلمية بقوله : « إنه إذا كان قد انهى فيلمه وبعض شخصياته مازالت تتنفس .. الا انها اللحظات الأخيرة قبل ان ينتهوا تماماً » !

حركات السلام والانتخابات

ومهما كانت ردود الفعل حول هذا الفيلم التليفزيونى ، الا انه فتح الباب لمزيد من الأفلام التى تطرق نفس الموضوع فالمادة حية .. والجو النفسى مستعد لمعرفة المزيد من التفاصيل والحكايات .. ومنظمات السلام والمناوئة لسباق التسلح والمنتشرة فى امريكا واوربا ، مستعدة تماماً للترويج لمثل هذه الافلام والتى تخدم رسالتها ، والتى تعتبرها ايضاً احد اسلحتها الفعالة لاقلاق الادارة السياسية ودفعها لمفاوضات الحد من التسلح .

والادارة الامريكية على ابواب انتخابات الرئاسة فى هذا العام .. وكل المؤشرات تؤكد انها ستكون انتخابات ساخنة .. ومن اهم الأسلحة فى ساحة الانتخابات ، ستكون لمن يعطى الأمل للمواطن الامريكى العادى .. بان الحرب النووية لن تمسه بالفعل !

ومن كل هذا يتاكد لنا ، ان صناعة السينما الامريكية ستشهد تحولا الى هذا النوع من الافلام ، سواء أكان مدفوعاً من الرأى العام ، أو مسنوداً بالنظام الحاكم ، أو بالأحزاب والهيئات والمؤسسات التى لها علاقة بنتائج انتخابات الرئاسة !

العاب الحرب

وربما كان من حسن حظ الفيلم الامريكى « العاب الحرب » للمخرج « جون بادهام » .. أن يعرض فى هذا الوقت ، الذى يتحدث فيه الجميع عن احتمالات المواجهة النووية بين الاتحاد السوفيتى وامريكا !

وفيلم « العاب الحرب » ـ سبق وان تناولته بالتفصيل فى عدد الدوحة لشهر اكتوبر ١٩٨٣ ـ بدأ عرضه فى أوربا مع نهاية عام ١٩٨٣ ، واحتفلت به الصحافة الأوربية الجادة ، تعبيراً عن القلق والأسف لهذا السباق المجنون فى التسلح .. وأيضاً لكل احتمالات الخطأ التى قد تحدث فى لحظة .. فتنطلق الصواريخ المميته لتدمر العالم !

والفيلم ـ كما قلت من قبل ـ يسخر من ظاهرة تحول العقول الاليكترونية ، الى لعبة يستطيع أى صبى او مراهق ان يلهو بها كما يشاء .. ويقدم الفيلم هذا الصبى داخل حجرته وهويلهو بجهازه الخاص .. ويمكنه ان يلتقط « برامج » العقول الاليكترونية الأخرى لتظهر على شاشة



كبار القادة فى وزارة الدفاع الامريكية ، يرقبون ما الذى فعله الصبى وزميلته فى العقل الالكترونى .. لقطة من فيلم العاب الحرب .

جهازه كل المعلومات والبيانات التى يطلبها ، والتى لا يستفيد منها اكثر من التسلية وارضاء الفضول .. واحيانا يستغل هذه الفرصة ليتداخل مع العقل الاليكترونى بمدرسته ، ليغير من درجاته هو وزميلته ، أو يحجز له ولها مكانين الى باريس على الطائرة دون ان يتحرك من مقعده فى الحجرة . !

واللعبة مستمرة .. وظريفة .. حتى يكتشف اثناء تسليته انه التقط وسيلة الاتصال بالعقل الاليكترونى لوزارة الدفاع الامريكية .. وتظهر على شاشة الجهاز كل المعلومات العسكرية عن قوة الاتحاد السوفيتى .. والأسلحة المقابلة فى الولايات الامريكية .

ويدخل الصبى هذه اللعبة هو وصديقته ، ليلعبان لعبة الحرب بين أمريكا وروسيا ، وتكاد الحرب تقع بالفعل ! .

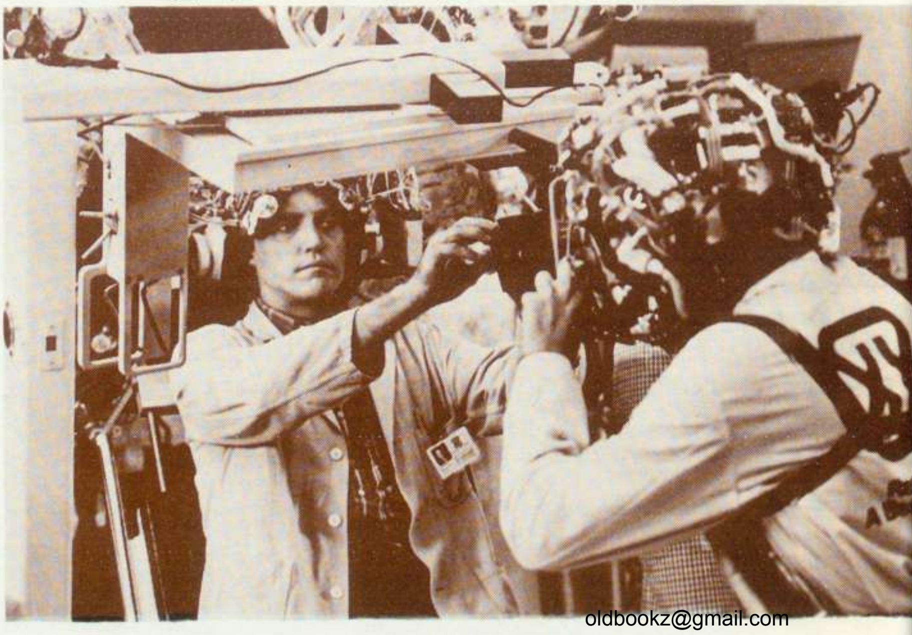
حالة الطوارىء تعلن فى وزارة الدفاع الامريكية .. ويتجمع القادة .. ويظهر الرئيس « ريجان » يعطى تعليماته .. وتبدأ الصواريخ النووية فى التاهب للانطلاق !!

والفيلم يعتمد على النكتة الحقيقية الساخرة ، من أن احتمالات الخطأ قد تحدث لأى سبب ـ حتى ولو كان هذا السبب الصبيانى التافه ـ وفى لحظات التحفز واستعراض القوة ، يغيب العقل تماماً ، وتصبح السيطرة للأزرار والعقول الاليكترونية ، وبعدها الطوفان !

اللعب فى الفضاء

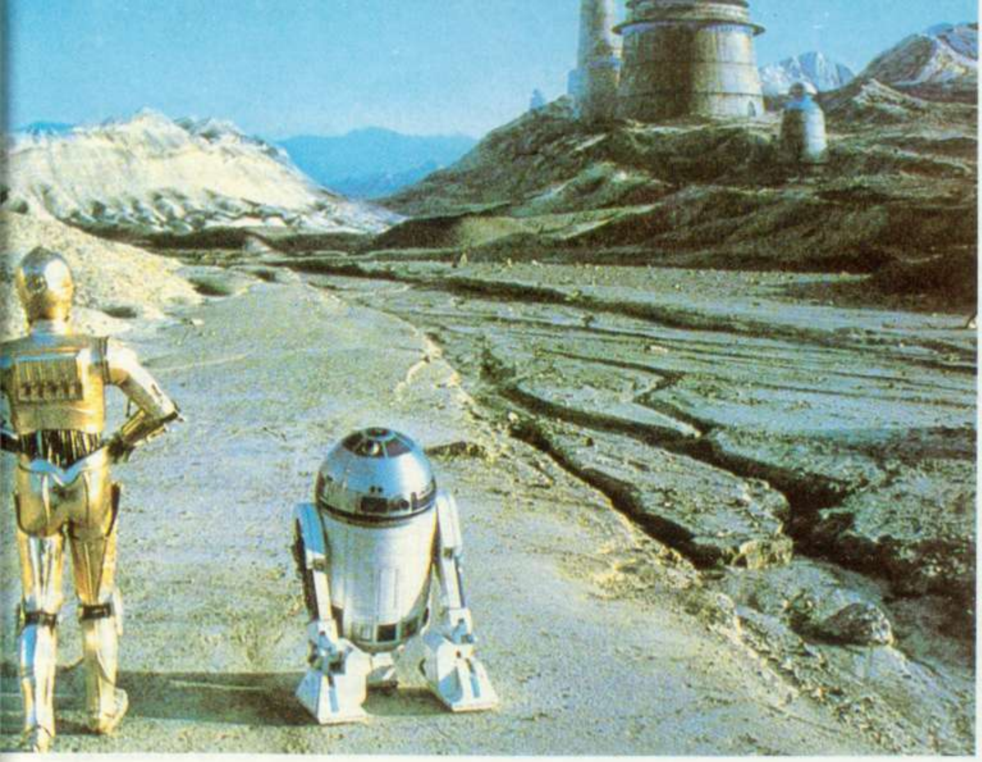
وفى مجال افلام الخيال العلمى ، يتقدم فيلم « عودة جيدى » ليؤكد ان قابلية المشاهدين ـ واغلبهم من الشباب والمراهقين ـ على استعداد كبير لمتابعة قصص غزو الفضاء والدخول فى صراعات وحروب مع سكان الكواكب الاخرى !

الأجهزة العلمية المعقدة التى اصبحت احدى سمات الأفلام الجديدة .





احد المخلوقات الغريبة التى يزخر بها فيلم « عودة جيدى » .



احد الكواكب ، واليات من الصفيح والالمونيوم والكهرباء ، تتحرك وتتكلم وتحارب

سينما

حرب الصواريخ .. والخيال العلمي .. وكيف ستكون الحياة ؟

واذا كان فيلم ١٩٨٢ الاكثر ايرادات هو « أى . تى » ، فان فيلم ١٩٨٣ والذى مازال يكتسح قوائم الايرادات هو « عودة جيدى » .

ولا مقارنة بين الفيلمين من حيث انسانية موضوعهما ، ذلك لان « أى . تى » للمخرج « سبيلبرج » يقدم نموذج مخلوق الفضاء - رغم بشاعة منظره - الا انه يفيض بالطفولة والبراءة والرغبة فى تحقيق الانسجام والتواصل مع ابناء الأرض وبالذات الأطفال .. ومن هنا اكتسب « أى . تى » هذه اللمسة الرقيقة المؤثرة .

بينما فيلم « عودة جيدى » يدخل فى متاهات كثيرة ومعقدة وسط نماذج يتخيلها لسكان الكواكب وحيوانات غريبة الشكل ، والصراع بين الكواكب الخيرة والكواكب الشريرة واسلحة فتاكة من الاشعة الملونة الحمراء والخضراء والزرقاء ، وديكورات غاية فى التعقيد من حيث مسطحات الحديد والالمونيوم ، وعدد هائل من الازرار .

وهذا الجو الغارق فى الغرابة ، والذى ابتكره المخرج الامريكى الشاب « جورج لوكاس » فى فيلم «حرب الكواكب» عام ١٩٧٧ ، والذى اصبح اسطورة السينما الامريكية من حيث الايرادات ، جعل المخرج « جورج لوكاس » يكرر نفس التجربة ، ليس كمخرج ولكن كمنتج ممول وكاتب لسيناريوهات الفيلمين التاليين « الامبراطورية تهاجم » - عام ١٩٧٩ ثم « عودة جيدى » عام ١٩٨٣ ، ليصنع بذلك ثلاثية سينمائية اقترنت باسمه ، وليصبح من اغنى المخرجين الامريكان رغم سنه الذى لم يتجاوز ٣٩ عاماً !

أغرب خطة دعاية

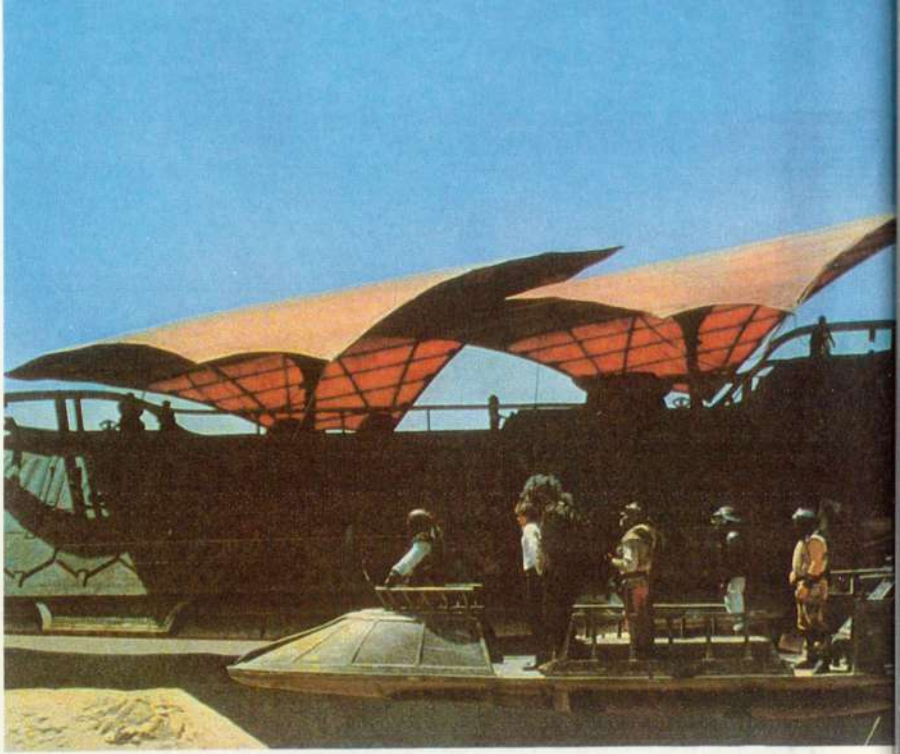
وليس غريباً ان ياتى احد ليرضى فضول المشاهدين من المراهقين بقصص الحرب الخيالية بين الكواكب .. ولكن المثير تماماً هو كيف « تروج » السينما الامريكية لهذا الخيال ، وتجعل من نماذج شخصيات الفيلم وجوداً حقيقياً تتعامل معه داخل بيتك .. وعلى جسدك .. وداخل تفكيرك !

وقد وقعت فى يدى خطة الدعاية لفيلم « عودة جيدى » .. واعترف اننى ذهلت لهذه القدرة والامكانيات للتغلغل والسيطرة على عقول المشاهدين !

فهناك اكثر من عشرين مليون دولار خصصت لحملة الدعاية فى التليفزيون الامريكى والاوربى ، بخلاف قائمة من كبرى مجلات العالم ابتداء من اشهر المجلات السياسية ، الى المجلات النسائية ومجلات الاطفال .. وتضم القائمة اسم كل مجلة والموضوع الذى ستنشره وعدد الصفحات الخاصة به !!

وهناك حملة اذاعية ، فى الاذاعات الامريكية والاوربية ، للدعاية للفيلم من خلال مسابقات تطرح اسئلة على المستمعين عن تفاصيل داخل الفيلم (والاسئلة موجودة والاجابات النموذجية مرفقة بها) وللفائزين جوائز مالية وعينية !!

وبالاضافة الى هذا ، فهناك اتفاق مع مؤسسات امريكية لصنع وتوزيع نماذج مختلفة الاحجام من شخصيات الفيلم .. فضلا عن طبع اسم الفيلم واشهر شخصياته على القمصان والبيجامات والملابس الداخلية (!!) .. وايضا على اقلام الرصاص .. وعلب اللادن .. واوراق اللعب .. وكروت اعياد الميلاد .. وبطاقات التهنئة .. (وكل شىء محدد بالضبط .. الكمية .. وطريقة التوزيع .. والانتشار) !!



سفينة الفضاء الارضية وكانها خفاش ضخم ، وذلك اثناء هبوطها على سطح احد الكواكب .

هذا .. بخلاف نماذج ملصقات الحائط المتعددة الأحجام والأشكال .

والأغرب من كل هذا ، ان الشركة المنتجة للفيلم ، استلفت الديكورات والنماذج الآلية التى ظهرت فى الفيلم ، وصنعت منها مركزاً سياحياً يستقبل الزوار ، ويحق لهم ان يلتقطوا صوراً لانفسهم وسط الديكورات ، وكانهم يطيرون فى الفضاء ، او يسيرون فوق الكواكب ، او يكلمون نجومهم المفضلة فى الفيلم !

وداخل هذا المركز السياحى يستطيع الزائر ان يستقبل كل المؤثرات الصوتية والضوئية التى استخدمت فى الفيلم ، ليعيش مرة اخرى وبنفسه داخل هذا « الخيال » ، وايضاً يستطيع ان يتحدث بالتليفون مع احدى الشخصيات التى يختارها من ابطال الفيلم .. ليسمع كلمات الحوار المأثورة بالفيلم ..

وكعوامل جذب لهذا المركز السياحى ، خصصت برامج حسب السن (وتحدد الخطة مراحل السن كالتالى من ثلاث سنوات الى خمس ـ ومن ست سنوات الى تسع ـ ومن عشر سنوات الى أربع عشرة) ! .. اى ان الخطة تعترف ان جمهورها الأساسى من الأطفال ، ولكل مجموعة لها مسابقاتها الخاصة والتى تتغير يوماً بعد يوم .. وحتى يتحقق هدف المشاركة خصص المركز جوائز خاصة للاطفال الذين يقدمون رسوماتهم من وحى الفيلم وأبطاله !!

وداخل هذا المركز ، تباع النماذج والملصقات والكتب والأسطوانات والشرائط المسجلة الخاصة بالفيلم . (وكل شىء محدد ثمنه مقدماً) .. وهناك جوائز اخرى للمدرسين الذين يصحبون مجموعات التلاميذ الى هذا المركز !

« قاعدة » من المشاهدين

وقد تعمدت ان استطرد فى كشف خطة الدعاية ، لأوضح لكم مدى السيطرة والحصار الذى يتفنن فيه خبراء الدعاية للترغيب لمشاهدة الفيلم ، والذى يصل لمرحلة الاحساس بالذنب اذا لم تتمكن من مشاهدة الفيلم .

وهذا الزرع المبكر والالحاح بالنسبة للأطفال والمراهقين ، إذا كان سيعود بالأرباح المتزايدة لهذا الفيلم ، الا انه ايضاً يخلق « قاعدة » من المشاهدين ، ويفتح الشهية لمزيد من هذه الأفلام !

ومن المعروف ان كل فيلم من هذه الأفلام « الذائعة الصيت » ، يجرى فى ذيلها عشرات من الأفلام الاقل شهرة ، والتى انتجت بميزانيات قليلة ، ولكنها ابداً لا تخسر ، فهى تغطى تكاليفها وتربح ، وتجد لها منفذاً فى دور العرض الدرجة الثانية والثالثة ،ليس فى امريكا وحدها ، بل فى كثير من دول العالم !

عاصفة فى المخ

والخيال العلمى لا ينحصر فى الفضاء والكواكب .. بل يدخل كل المجالات .. والذكى من يطرق مجالا جديداً ..

وفى احدث فيلم بدا عرضه عالميا اخيراً .. الفيلم الامريكى « عاصفة فى المخ » للمخرج « دوجلاس ترامبل » الذى اشتهر ببراعته فى المؤثرات الخاصة التى صممها لفيلم « اوديسا الفضاء » وفيلم « لقاءات قريبة من العالم الثالث » .. انه هنا فى الفيلم الذى يقوم باخراجه يستعرض كل مهاراته فى المؤثرات الخاصة ليقدم اختراعاً مذهلا ـ الذى تدور حوله كل احداث الفيلم ـ وهذا الاختراع عبارة عن جهاز صغير يتصل بمخ الانسان يستطيع ان ينقل كل ما يفكر فيه هذا الانسان ويعرضه على شاشة صغيرة وايضاً يمكن ترجمته الى عبارات مقروءة .. اى انك تستطيع ان تعرف ما الذى يفكر فيه هذا الانسان ، وما الذى يخبئه .. دون أن يفتح فمه بكلمة ؟!

وأهمية هذا الفيلم انه آخر عمل اشتركت فيه الممثلة الامريكية المعروفة « ناتالى وود » قبل انتحارها المفاجىء ، حتى ان الفيلم اكتمل بدونها ..

ويشترك معها ايضاً ، كريستوفر والكن وكليف روبرتسون والممثلة الرائعة لويز فلتشر» التى اشتهرت بدورها كطبيبة فى فيلم « احدهم طار فوق عش المجانين » .

وفيلم « عاصفة فى المخ » يدور فى مركز ابحاث امريكى .. وكما يعلق المخرج « فانه ليس فيلما عن الخيال العلمى ، ولكنه فيلم يحدث الآن » ! .

أين مشاكل العالم الأخرى ؟

وهكذا تفكر السينما الامريكية .. وتخطط لمستقبلها .

والمشكلة ليست فيما تفكر فيه السينما الامريكية .. فهى حرة تفعل ما تشاء .. ولكن المشكلة ان يتحول هذا التفكير الى تيار فى السينما العالمية ..

وننسى او نتناسى .. ان هذا العالم الذى نعيش فيه .. ليس امريكا فقط بمشاكلها واحلامها وخبراء دعاياتها .. إنما العالم له مشاكل اخرى تتعلق بالحرية .. والبحث عن رغيف الخبز .. والدفاع عن ارضه وكرامته ..

العالم ـ حتى لا ننسى ـ به الف مليون نسمة يعصرهم الجوع .. وثمانمائة مليون انسان لا يعرفون القراءة او الكتابة .

العالم ـ حتى لا ننسى ـ فيه دول كبرى تاكل حتى التخمة .. ودول صغرى ، تقترض حتى تدفع ثمن ما تاكله !

انه عالم غريب .. ولكن علينا ان نتعامل معه بفهم .. وحكمة .

رءوف توفيق

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

حول مقال «أخطاء لغوية معاصرة»

قرات فى مجلة الدوحة (العدد ٩٥ ـ محرم ١٤٠٤ هـ ـ نوفمبر ١٩٨٣ م) ص ٣٠ المقال الذى كتبه الدكتور عبد الله العبادى (جامعة قطر) وعنوانه « اخطاء لغوية معاصرة » تناول فيه تصحيح ثلاثة استخدامات وسنناقش اثنين منها . ونحن إذ نشكر له غيرته على العربية لا يمنعنا ذلك من مراجعته :

اولا : ايهما : جاء فى المقال « يقولون ايهما افضل العلم ام المال ؟ والصواب ايما افضل العلم ام المال ؟ » .

وعلل ذلك بان الضمير لابد له من عائد يعود عليه قد تقدم ، ثم ذكر منع النحويين ان يعود الضمير الى متاخر لفظاً ورتبة إلا فى اماكن محدودة ولم يذكر هذه الاماكن ، وختم الحديث فى المسالة بقوله : « ومن ذلك قولهم » ايهما اغنى بالفيتامينات التفاح ام الموز ؟ والصواب ايما اغنى بالفيتامينات التفاح ام الموز ؟ ومن ذلك قوله تعالى « ايما الاجلين قضيت فلا عدوان عليّ » القصص ٢٨ (وردت سهوا فى المقال : يوسف ٢٨) .

اتكا الكاتب على امرين فى تخطئة الاستخدام : الاول عدم جواز عود الضمير إلى متاخر لفظاً ورتبة ، والثانى الآية المذكورة أعلاه .

اما الامر الاول فاحد مواضع عود الضمير على متاخر لفظاً ورتبة يصلح تخريج التركيب عليه ، وذلك حينما يكون مخبراً عنه فيفسره خبره نحو قوله تعالى (إن هى إلا حياتنا الدنيا) (٣٧ ـ المؤمنون) قال الزمخشرى « هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به إلا بما يتلوه من بيانه ، واصله إن الحياة (إلا حياتنا الدنيا) ، ثم هى موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ، ومنه : هى النفس تتحمل ما حملت ، وهى العرب تقول ما شاءت » (الكشاف ٣/ ٣٢) يمكن القول إذن إن التركيب من حيث المعنى هو اي الأمرين افضل العلم ام المال ؟ وحذفت (الأمرين) وجعلت مكانها «هما» لان بعدها ما يفسرها .

ويقول المبرد « واعلم ان كل ما وقعت عليه (أى) فتفسيره بالف الاستفهام و (ام) ، لا تكون الا على ذلك لانك إذا قلت : أزيد فى الدار ام عمرو ؟ فعبارته : ايهما فى الدار » (المقتضب ٢/ ٢٩٤) ولابد لأي هنا من الاضافة إلى « هما » لانها تضاف إلى ما هى بعضه (م . ن ، ص . ن) اما الامر الثانى فنحن نرد الاستشهاد بالاية لان (أى) فيها شرطية لا استفهامية ، يقول ابو حيان (ثم قال ايما الأجلين اى الثمانى أو العشر فلا عدوان على اى لا يعتدى علي فى طلب الزيادة و (اي) شرط و (ما) زائدة . وقرا الحسن والعباس عن ابي عمرو (ايما) بحذف الياء الثانية كما قال الشاعر :

تنظرت نصراً والسماكين ايما   عليّ من الغيث استهلت مواطره

وقرا عبد الله (أي الاجلين ما قضيت) بزيادة ما بين الاجلين وقضيت) (البحر المحيط ٧/ ١١٥) .

واخيراً حسبنا ان نقول إن هذا الاستخدام ليس معاصراً ، فقد ورد فى كتاب (الامتاع والمؤانسة) لابي حيان التوحيدى قال « قيل لديوجانس : ايهما اولى ، طلب الغنى ، ام طلب الحكمة ؟ فقال للدنيا الغنى ، وللآخرة الحكمة » . (الامتاع والمؤانسة ٢/ ٣٢) .

ثانياً : أشياء .

وينعي فيها على الخطباء والمذيعين والمحاضرين صرفهم لهذا اللفظ رغم وروده فى القرآن غير مصروف ورغم اتفاق النحويين على عدم صرفه ، ولا نريد هنا الدخول فى تفاصيل القضية فقد أفاضت الدكتورة وسمية المنصور (جامعة الكويت) فى الحديث عن الجمع (أشياء) فى رسالتها للماجستير (صيغ الجموع فى القرآن الكريم ١٩٧٧ ؟) وانتهت إلى ان منعها من الصرف شذوذ وخاص بنوع ومستوى خاص من الاستخدام وهو القرآن ، ونقلت قول أبي حاتم الذى يذهب فيه الى انها مثل « أبناء » وانه كان يجب انصرافها . (السابق ١٦٥) .

يمكن القول إذن إن اتفاق النحويين على عدم صرفها نابع من التزام القراءة بها فى القرآن . ولم تقم دراسة فاحصة للشعر العربى قبل الاسلام ـ على حد علمى ـ لملاحظة مثل « أشياء » . وإذا عمد المجتمع اللغوى الحاضر إلى صرفها بحس قياسي حيث لم يجد لصرفها سبباً لغوياً واضحاً فانا لانجد باساً فى ذلك وليس هذا مما يجدر بنا الوقوف عنده . ولتغير الموقف اللغوى من الظاهرة الواحدة شواهد من تاريخ العربية نذكر من ذلك الموقف من كلمة « زوج » فقد وردت بهذا اللفظ فى القرآن ، ولكن المجتمع اللغوى احتاج الى تانيث اللفظ للدلالة على الزوج (المراة) فى مقابل (الزوج) الرجل .

أبو أوس ابراهيم الشمسان
جامعة الملك سعود ـ الرياض

رسالة إلى : فدوى طوقان

اتقدم اليك بخالص شكري وعظيم امتناني لما سطرته لنا من مذكراتك على صفحات الدوحة . واعبر لك عن اعجابي الشديد باسلوبك الشيق والذى يشعرني انني اعيش فى مكان الاحداث وزمانها ، واحس بما تحسين به من فرح او حزن ، واتصور نفسي فرداً مقيماً مع عائلتك الكريمة فى نابلس المجاهدة . واسترجع مع حديثك ايام طفولتي وربيع حياتي ، واسبح بخيالي فى نهر الطفولة والصبا ، ومن جديد اقيم بعض المواقف والاحداث على نفس الوتيرة التى تقيمين فيها مواقفك .

ان البيئة الكريمة التى نشات فيها يحتاج اليها كل منزل عربى اصيل ، يتدثر بالاخلاق الفاضلة النزيهة ، حتى يترعرع فيها ابناؤنا وبناتنا .

وارجو ان لا تحرمينا من كتاباتك الشيقة ذات الاسلوب المتميز ، لترعاك عناية الله ، وتحية اليك والى شعبنا الفلسطيني فى الأرض المحتلة .

توفيق عبد الوهاب الخولي
جامعة اسيوط ـ مصر

قلعة صلاح الدين

اثناء مطالعتي للعدد « ٩٥ » من الدوحة الصادر في نوفمبر ١٩٨٣ م قرات موضوعا عن قلعة صلاح الدين الحربية في القاهرة للاستاذ جمال الغيطاني ، وقد استوقفني قوله (ان مسجد « سارية الجبل » او سليمان باشا قد بناه الأمير المرتضي ابو المنصور قسطه الامري عام ٥٣٥ هـ - ١١٤١ م ، ثم جدده سليمان باشا الخادم في عام ٩٣٥ هـ - ١٥٢٨ م ، وعند تجديده اضيفت الى عناصره المعمارية عنـاصر عثمانيه ..) .

ولي على هذه المقولة عدة ملاحظات :

أولا : جميع المؤرخين اتفقوا على ان صلاح الدين عندما بدأ في بناء قلعته الحربية على ربوة من جبل المقطم قام بهدم جميع المباني الموجودة على هذا المكان واستخدم حجارتها في بناء قلعته اي انه قام بمسح جميع المباني التي كانت موجودة .. فمن هذه المباني مسجد الأمير قسطه وهذا عكس كلام الاستاذ « الغيطاني » فهو يقول إنه كان موجوداً منذ سنة ٥٣٥ هـ اي في العصر الفاطمي ثم جدده سليمان باشا في العصر العثماني وهذا خطأ والصحيح أن سليمان باشا استخدم فقط الارض التي كان عليها مسجد قسطه وبنى عليها مسجده « سارية الجبل » .

ثانيا : يجب ان نقارن تخطيط هذا المسجد والمساجد الفاطمية فاننا سنجده يختلف تماما ويبعد كثيراً عن التخطيطات الفاطمية التي عرفناها للمساجد وهذا نراه مثلا في جامع الأزهر - الحاكم - الخ ..

ثالثا : الزخارف واساليبها وتكويناتها عثمانية تماماً

رابعاً : هذا المسجد تم التاريخ لتاسيسه بطريقة لم تعرف سوى في العصر العثماني وهي المسماه « حساب الجمل » وهي طريقة التأريخ بالجملة اللغوية ، وكانت جملة تاسيس مسجد « سارية الجبل » قوله تعالى : (فاركعوا مع الراكعين) فقد اسس سنة ٨٧٠ هـ .

خامساً : لقد اعتمدت في كافة هـذه المعلومات على مراجع عديدة من اهمها : خطط المقريزي ، كريسول ، القاهرة : تاريخها وآثارها ، قلعة صلاح الدين وغيرها من القلاع المعاصرة ، وصف قلعة الجبل .. الخ ..

ناصر عبد الظاهر الأنصاري

سوهاج - مصر

تحيـّة من غانا

وصلت الى المجلة رسالة رقيقة من السيد عمر الفاروق احمد امام سكرتير عام المدرسة الرشادية بمدينة كوماس في غانـا .

ونظراً لما تتضمنه الرسالة من مشاعر صادقة ، فقد رأينا نشرها بكامل نصها :

الى السادة الكرام - وزارة الاعلام - مجلة الدوحة - قطـر .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وتحية اسلامية طيبة وبعد : تتشرف المدرسة الرشادية بكوماس - غانا - ان تكتب اليكم للاعراب عن شكرها العميق ، وامتنانها الكبير على تكرمكم بامدادها باعداد مجلة « الدوحة » الثقافية التي تصل اليها بانتظام ، حيث ان المجلة قد ساهمت مساهمة فعالة في الارتقاء بمستوى المدرسة ، حيث اقبل على مطالعتها جميع اسرة المدرسة من اساتذة وطلبة ، كما وان المواضيع التي تتناولها المجلة في مجالات الادب والثقافة والدين قد شدت انتباهنا ، ونامل ان يستمر هذا العطاء الحي . ونحن اذ نعبر عن تكرار شكرنا ، لنسال الله ان يجزيكم عن الاسلام والعربية كل خير ، وان يثيب جميع العاملين بالمجلة ، ويرفع شانها في كل مكان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

كتب وصلتنا

تلقت المجلة مجموعة الكتب التالية من كرام قرائها :

● انشودة الخليج « شعر » . الشاعر : مبارك بن سيف آل ثاني .
الناشر : مطابع قطر الوطنية .

● الطاقة النووية العربية .
المؤلف : د . عدنان مصطفى .
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية .

● كوكب الشرق : ام كلثوم . تقديم ومراجعة : احمد شفيق أبو عوف .
الناشر : اللجنة الموسيقية العليا .

● نسب عدنان وقحطان .
المؤلف : ابو العباس المبرد . تحقيق : عبد العزيز الراجكوتي . أعيد نشره على نفقة المرحوم : حمد بن نافع آل ثاني / قطر .

● الليل والضفاف « شعر » .
الشاعر : مبارك بن سيف آل ثاني .
الناشر : مطابع قطر الوطنية .

● الموسم الثقافي الأول (١٩٨٣) .
الناشر : مجمع اللغة العربية الأردني .

● اللجنة الموسيقية العليا في ثلاثين عاماً .
المؤلف : احمد شفيق ابو عوف .

ردود خاصة

● الاخ المهندس احمد محمد مرسي : كفر الزيات - مصر .
- قرانا اقتراحاتك ، وسنعمل على تطبيق المناسب منها ان شاء الله . شكراً لك .

● الاخ بوسـلامي مبروك - الجزائر .
- نشكرك على ثقتك بالمجلة ، ونرحب بصداقتك .

● الاخ عبد الناصر عبد الفضيل أبو الحسن : الاسماعيلية - مصر .
- افكارك جيدة ، واسلوبك ينم عن موهبة كامنة ،رجاؤنا ان توثق صلتك بالتراث العربي . نتمنى لك دوام التوفيق .

● الاخ عيد العربي الطيب حدائق القبة .
- قصيدتك في ذكرى مولد رسولنا الحبيب صلى الله عليه وسلم زاخرة بالعواطف النبيلة ، ولكنها تفتقر الى الوزن في كثير من ابياتها . حاول ان تقرا كثيراً .

● الاخ وائل طه قوره : بورسعيد
- نبادلك التحية والتقدير ، وناسف لعدم تلبية طلبك بتخصيص باب لهواة المراسلة .

● الاخ واسطي احمد أبو موسى تلمسان - الجزائر .
- نعتذر عن تلبية طلبك ، لان كتاب « روح الخط العربي » للاستاذ كامل البابا غير متوفر لدينا .

● الاخ الدكتور محمد الحبشي علم الدين : محافظة البحيرة .
ناسف لعدم تمكننا من تلبية طلبك ، فليست لدينا نسخ اضافية من كتاب « الادوية والقرآن الكريم » لمؤلفه الدكتور محمد محمد هاشم ، ولكن يمكنك طلبه من الناشر مباشرة

● السيد ياسين حسين السيد - المكلا - اليمن .
تلقينا رسالتك الرقيقـة ، ونرحب بمساهماتك ، وليست لدينا شروط للنشر سوى جودة الموضوع واتساقه مع روح المجلة ولك تحياتنا .



دوحة القراء



حاول أن تعرف

الصورة الأولى : هذا البناء الهائل الذى يمثل هرماً مقلوباً هو أحد الفنادق الشهيرة فى عاصمة عربية تضم ٢٥٠ فندقاً نظراً لأهميتها السياحية .. ما هى هذه العاصمة العربية الجميلة ؟



••

الصورة الثانية :

يعتبر هذا الروائى المعاصر رائداً فى الأسلوب السهل المباشر ، وقد حصل فى عام ١٩٥٤ على جائزة نوبل فى الأدب ، وولد فى عام ١٨٩٨ ، ومن أشهر رواياته وداعاً أيها السلاح ، ولمن تدق الأجراس .. ما اسم هذا الأديب الشهير ومتى توفى ؟

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الأسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٦



الصورة الأولى : شلال إنجل فى فنزويلا بأمريكا الجنوبية .

- الفائز : عثمان الحداد ـ السعودية
- الفائز : ميشيل الجمل ـ مصر



الصورة الثانية : أبو إسحاق بن محمد الأصطخرى .

- الفائز : عبد المنعم الشيخ ـ السودان
- الفائز : أحمد مروان جرار ـ الأمارات

من أمثالهم

- أرجم المرأة بحجر كريم .

مثل صينى

- البصيرة لا البصر .

مثل اسبانى

- قد لا يلمع بشدة وهو ثمين بشدة .

مثل انجليزى

- القطرات القليلة تصنع جدولا .

مثل ايطالى

- العذاب عربون السعادة أحيانا .

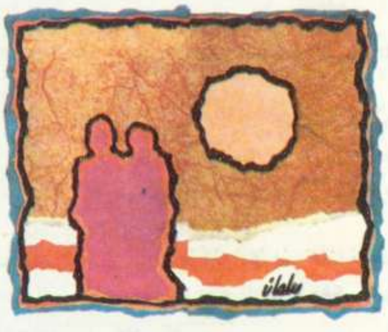
مثل يابانى

- ملعونة سعادة فوق حطام إنسان .

مثل فرنسى

بندر عبد الجبار الحديثى ـ العراق

قالوا في الحلم



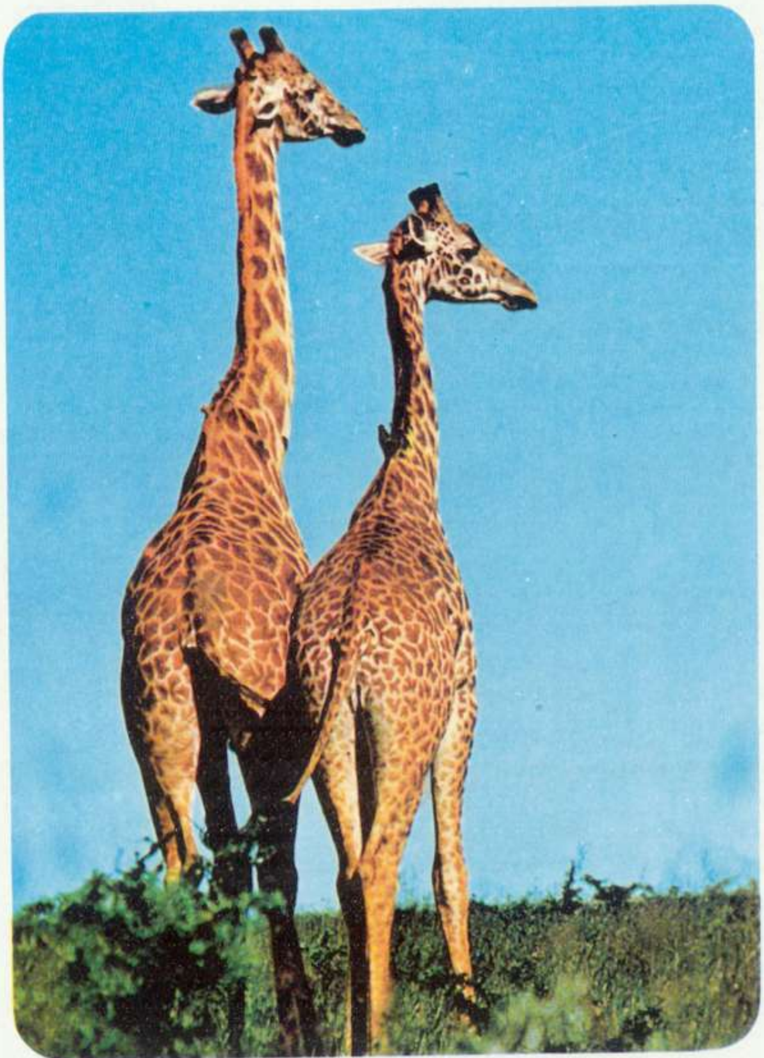
الحلم دفع السيئة بالحسنة . وقيل تجرع الغيظ ـ وقيل الحلم دعامه العقل ـ وقال الله تعالى . فى كتابه الكريم . « ولا تستوى الحسنة ولا السيئة إدفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم . وما يلقاها الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » ، وقال (على) رضى الله عنه . حلمك عن السفيه يكثر أنصارك عليه . وقيل الحليم من لم يكن حلمه لفقد النصره ـ أو عدم القدرة .

والحلم جوهر فى الانسان يعبر عن صدر سالم من القوائل والأذى خال من شوائب الكدر والقذى .

إن الحلم والاناة تؤمان إلى علو الهمة .

عبد النبى يوسف محمد السودان

لقطة الشهر



لحظة تأمل

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء .
مصطفى عبد الله محمد ـ السودان ـ أم درمان

سرّ المحنة!

لعله من دواعى أسفنا جميعا .. غربة الجيل عن وطنه الروحى .. عن تراثه العربى المبين .. لأسباب تتباين من مكان الى آخر .. ففى بعض البلاد العربية ارتفاع باهظ فى أسعار الكتب وخاصة كتب التراث .. وفى بعض هذه البلاد نجد طغيان وسطوة للثقافة المستوردة ، بحيث يصعب معه ـ بل قد يستحيل ـ على الشباب أن يتذكر أن هنالك شيئاً يدعى التراث العربى .. وفى بلد آخر نجد خصاماً جماعياً ـ عفواً لا أجد أنسب من هذا الوصف .. ولا أريد أن أصدق فأقول : عداء فطرياً ـ من الشباب لتراثه العريق ، وهذا يا سيدى هو سر محنتنا !

عادل السمادونى ـ مصر



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

ترسل الاجابات على

العنوان التالى :

مجلة الدوحـــة

ص . ب : ٢٣٢٤

الدوحة ـ قطـــر

مَن ؟

كاتب عربى كبير ولد عـــام ١٨٧٦ وتوفى عام ١٩٢٤ ، تعلم بالازهر الشريف ، واتصـل بالشيخ محمد عبده ، وعاون الشيخ على يوسف فى إصدار جريدة المؤيد .

اسمه مكون من شقين ومن ١٤ حرفاً .

٣ ، ٢ ، ٦ ، ٤ بمعنى الطواف بالبيت .

٢ ، ٦ ، ٤ ، ٥ بمعنى نقي .

أين ؟

ولد هذا الاديب الكبير بمدينة صغيرة فى صعيد مصر واقترن اسمه باسمها ، وهى مكونة من ستة احرف .

الحرف ١ ، ٢ ، ٣ عاصمة قديمة لمصر .

الحرف ٤ ، ٥ ، ٦ قوم ورد اسمهم فى القران الكريم .

مـا ؟

اشهر اعماله الأدبية الذى احتوى على مجموعـــة من المقالات فى مختلف شئون الحياة ، واسم الكتاب مكون من سبعة أحرف .

٣ ، ٤ ، ٥ بمعنى بصر .

٣ ، ١ ، ٢ بمعنى حصل

الإجــابــة الصحيـحــة

١ ـ تتكون دولة الامارات العربية المتحدة من سبع امارات هى ابو ظبى ، دبى ، الشارقة ، راس الخيمة ، ــــ ، ــــ ، ــــ

٢ ـ يعتبر بحر قزوين اكبر بحيرة طبيعية فى العالم ، فما هى اكبر بحيرة صناعية فى العالم ؟

٣ ـ ترقد الدجاجة ٢١ يوما على بيضها حتى يفقس ، فما هى المدة التى يرقدها النسر على بيضه ؟

٤ ـ تولى « اوثانت » منصب السكرتير العام لهيئة الامم المتحدة ، بعـــد مصرع « داج همرشلد » فى حادث طائـــرة فى افريقيا عام ١٩٦٥ ، ١٩٦١ ، ١٩٦٣ .

٥ ـ تعتبر قناة السويس واحدة من اكبر الممرات المائية فى العالم ، فكم يبلغ طولها ؟

٦ ـ تنكس كل دول العالم اعلامها كتقليد متبع فى حالة الحداد القومى ، ما عدا دولة واحدة ما هى ؟

٧ ـ يسير الدم فى الجسم فى دورتين مستقلتين من القلب الى الرئتين ، ثم يعود الى القلب فمن هو اول من اكتشف هـــاتين الدورتين .

٨ ـ يارب ان عظمت ذنوبى كثرة :
اكمل هذا البيت وانسبه الى قائله .

٩ ـ راس الرجاء الصالح هو الطرف الجنوبى من افريقيا ، فما هو اسم الطرف الجنوبى من امريكا الجنوبية ؟

١٠ ـ انا افكر إذن فانا موجود
قائل هذه العبارة مفكر شهير فمن هو ؟

حل مسابقـــة العـــدد ٩٦

من : المهدى .
اين : السودان .
مـا : نهر النيل .

الاجوبة الصحيحة

١ ـ عام ١٩٠٩ .
٢ ـ بابل .
٣ ـ لان بها غازات فاسدة
٤ ـ سور الصين .
٥ ـ الادب ـ الفيزياء ـ الكيمياء ـ الطب .
٦ ـ العبارة صحيحة .
٧ ـ اربعون .
٨ ـ الاعمى .
٩ ـ الكوليرا ـ الطاعون ـ الجدرى ـ التيفوس ـ الحمى الصفراء .
١٠ ـ غنيت للشـــرق الجريح وفى يدى .. ما فى سماء الشرق من امجاد .

أسـماء الفائزيـن في مسابقـة

● اصل وصورة : الأسنان الفستان ـ شعر المراة الساعة ـ العقد ـ زراعه ـ الرجل .

الفائزون : ١ ـ احمد مصطفى حيدر ، مصر ٢ ـ عز الدين عبد الرضى ، السودان

● لاقوياء الملاحظة : سمكة ـ ثعبان ـ دبوس ـ قفل ـ قوقعة ـ طائر .

الفائزون : ١ ـ بوزروا طه محمد ، المغرب ٢ ـ رافع علي محمد . قطر .

● دورى الكاريكاتير : اللاعب رقم ١٠ .

الفائزون : ١ ـ اسامة عبد الحليم الجعلى ، باكستان . ٢ ـ عزه شهاوى خليل السعودية .

● لعبة الظلال : رقم ٣ .

أسماء الفائزين

١ ـ فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء . سيد عبد الله ادم ـ السودان .

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى واشتراك لمدة نصف سنة القارىء . حسن محمود الميداني ـ قطر .

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى . واشتراك لمدة نصف سنة القارىء حسنى جمعه عبد الحميد ـ البحرين .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ علي الهادى وجيج	ليبيا
٢ ـ صفوان عبد الغنى محمود	الأردن
٣ ـ الادريسى عبد القادر بن قدور	المغرب
٤ ـ محمد عبد العظيم سعفان	مصر
٥ ـ مامون خميس العلوى	سلطنة عمان
٦ ـ منى جابر حسن	قطر
٧ ـ محمد صبحى الناطور	سوريا
٨ ـ نواف غزال	باكستان
٩ ـ عمر احمد علي	الهند
١٠ ـ فتحية جمعه محمد	البحرين

استراحة الدوحة العدد ٩٦

الفائزون : ١ ـ يسرى عبد الكريم ، البحرين ٢ ـ امينة احمد الحامولى ، مصر .

● يخلق من الشبه اربعين : الحل رقم ٦ .

الفائزون : ١ ـ نزار محيى الدين محمد ، السودان ٢ ـ بلجازيه محمد ، الجزائر .

● اجمل تعليق :

١ ـ ياواخد القرد على ماله بكره يزول المال ويعود القردالى حاله .

الفائز : محمود حنفى السيسى ـ مصر

● المثل يقول : من شب على شيء شاب عليه .

الفائز : احمد فايد علي ـ دولة الامارات

قرأت الصلع



من المعروف أن رأس كل منا يحتوي على حوالي مائة الف شعرة ... وينمو شعر الرأس بمقدار ٣/١٠ من المليمتر يومياً ويسقط منه خمسون شعرة يومياً أيضا .

وعند اصابة الشخص منا بمرض من الأمراض يسقط الشعر ثم يعود الى الظهور ثانية .. وعندما يبدأ سقوط الشعر عند الرجال ... من منطقة الصدغين .. تدق أجراس الخطر ولكن لا مفر من سقوط الشعر ولا سبيل لوقف هجومه .. وبمرور الأيام تقل كثافة الشعر تدريجيا الى أن ينعدم عند قمة الرأس ثم يتراجع الى الوراء عند خطي الصدغين وعندها يصبح الرأس « أصلعا » محاطاً بالشعر الباقى من جميع الجوانب ، الصلع عند الرجال لا يظهر قبل سن البلوغ ، ولا يوجد عامل هام فى حدوثه . كما أن التقدم في العمر احد أسباب الصلع .

والحقيقة العلمية المؤكدة .. أنه لا توجد مادة منشطة لنمو الشعر ولا يوجد علاج معروف لوقف الصلع أو منع تقدمه .. الا أن هناك حلا بديلا وهو زراعة الشعر ... وذلك بنقل اجزاء رقيقة جداً من مؤخرة فروة الرأس تزرع في المنطقة الأمامية الصلعاء .. ولكن الأجزاء التي ازيلت من المؤخرة لا ينمو مكانها شعر آخر .. ومن حسن حظ « حواء » أن قليلا من بناتها يصبن بالصلع في عمر متقدم .

عربي سعد القوجيى ـ مصر

حاسة العين

أولى الأدب العربى حاسة العين اهتماماً كبيراً . فالعين وهى عضو الأبصار للانسان وغيره من الحيوان ، ورد ذكرها فى جميع فنون الأدب العربى وآثاره ، كما ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، وارتبطت بالحكمة ، والتصوف ، والفقه ، والشريعة ، والعلوم ، علاوة على القصص .

ففى الحديث الشريف : عينان لا تمسهما النار : عين بكت فى جوف الليل من خشية الله ، وعين باتت تحرس فى سبيل الله .

وفى القرآن الكريم : « فلما القوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم » . وفى القرآن أيضاً : « فكلي واشربي وقرّي عينا » .

وفى الأدب يشير ابن حزم فى كتابه « طوق الحمامة » إلى العين بقوله : « والعين باب النفس ، وهى المنقبة عن سرائرها ، والمعبرة لضمائرها ، والمعربة عن بواطنها » ويقول أيضاً :

سأبعد عن دواعى الحب أنى
رأيت الحزم من صفة الرشيد
رأيت الحب أوله التصدى
بعينك من أزاهير الخدود .

نجيب ابراهيم اسماعيل ـ عدن

استراحة الدوحة

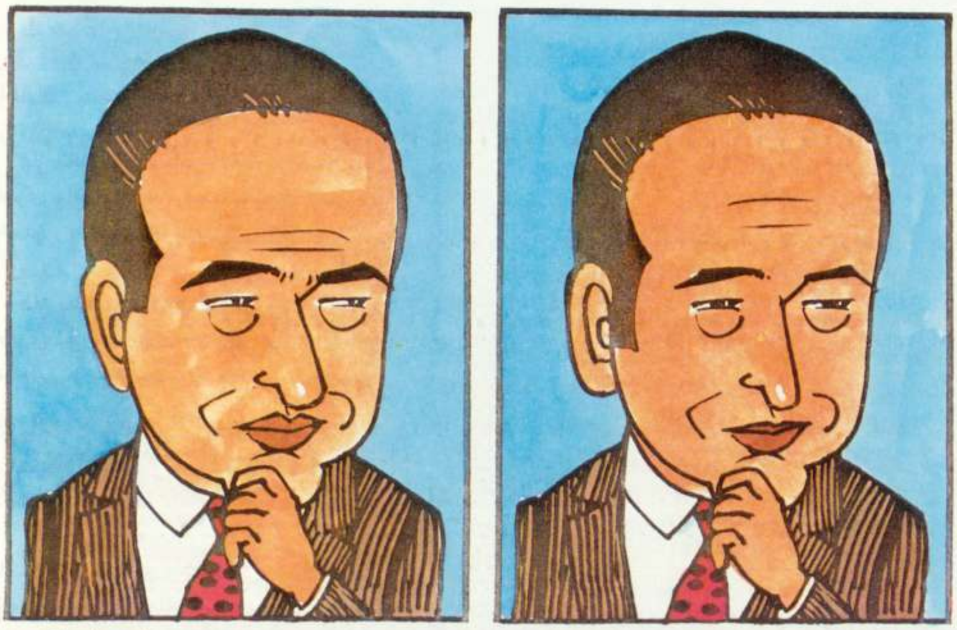
مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رووف



الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة



اصل وصورة المفكر العربى الراحل بدر الدين ابو غازى الذى كانت من أهم أعماله النقدية كتابه عن الفنان محمود مختار صاحب تمثال نهضة مصر المشهور .. وبين الأصل والصورة هناك سبع اختلافات ، حاول أن تتعرف عليها لتحصل على جائزة .

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى قديم معروف ، إذا استطعت معرفته أرسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم!



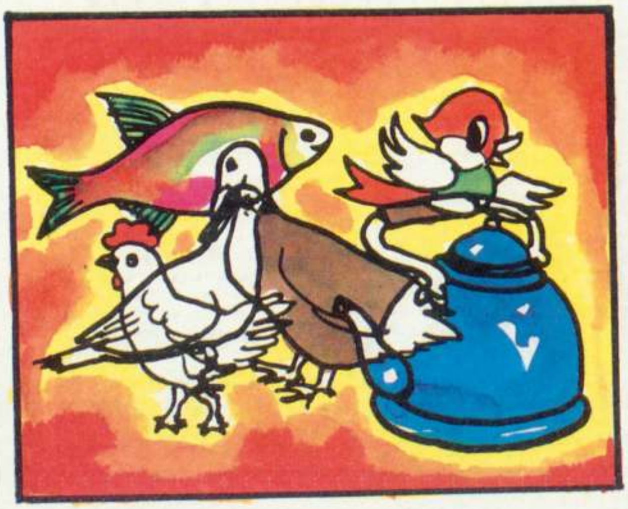
هذه اللوحة رسمت لشاعر عربى كبير ، احتفل العالم العربى بذكراه خلال شهر أكتوبر الماضى .. من أشهر أعماله مصرع كليوبترة ، ومجنون ليلى ، وقمبيز .. اللوحة بالطبع ـ لم تتم .. حاول إكمالها لتتعرف على اسم الشاعر وترسله لنا لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة أشخاص يشبهون الأديب الفرنسى فيكتور هوجو الذى كانت من أعظم رواياته البؤساء التى عربها لنا الشاعر حافظ ابراهيم .. من بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تماماً ، هل يمكنك التعرف عليها لتحصل على جائزة ؟

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها .. إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل أرسله إلينا ربما تفوز بجائزة .

لعبة الظلال



أصيب هذا اللاعب بالارتباك وهو يحاول العثور على ظله الحقيقى .. حاول ان تساعده لتفوز بجائزة فى انتظارك .

الورقة الأخيرة

الذين جرّدوا السيوف لقتال طواحين الهواء!

بقلم: عباس خضر

الآن – بعد هدوء العاصفة وانتهاء الزوبعة – لى كلمة .. كلمة اشعر بها كمواطن عربى شعوراً عميقاً .

كانت العاصفة حول ما اسمته بعض صحف القاهرة « هدم الشوامخ » وجعلت هذا عنوانا لكتابات صالت فيها الأقلام وجالت .. تخيلت « طواحين الهواء » فرسانا مهاجمين .. كما توهمها « دون كيشوت » المشهور !

والشوامخ هم رواد نهضتنا الأدبية الحديثة كطه حسين والعقاد وانداذهما ، قالوا ان بعض الكتاب فى مصر وفى خارج مصر اعملوا معاول الهدم فيهم ، وصاحوا : لمن ؟ كان تلك المعاول تعمل لحساب من هو وراءها .. ولا احسب شيئا وراءها غير الوهم الذى يصور طواحين الهواء فرسانا يجب لقاؤهم بالسيف .

زعموا ان ذلك يقصد به الاساءة إلى مصر وتشويه وجه مصر ..

من قال إن العقاد وطه حسين والرافعى والمنفلوطى وشوقى وحافظ ، وكذلك محمد عبد الوهاب وام كلثوم – من قال إن هؤلاء واضرابهم تملكهم مصر وحدها ؟

اكتب هذا على اثر قراءتى لمقال من مقالات شاعرتنا العربية « فدوى طوقان » بمجلتنا الدوحة ، التى تتحدث فيها عن حياتها ، اذ وقفت عند قولها :

« امتلات الأعماق بعطر زهرة الفل الغامض العجيب ، وحرك المشاعر شيء يستعصى على التفسير ، وراح القلب يذوب تحت تاثير الاغانى المترعة بالعاطفية الشرقية الساخنة . منذ ذلك الحين ضربت اغانى محمد عبد الوهاب جذورها فى قلبى ، وظل عندى سيد الغناء » .

فمحمد عبد الوهاب ليس مطربا مصريا فقط ، إنما هو مطرب عربى للجميع ، يؤثر بغنائه فى قلب فتاة بفلسطين .. هذه فدوى طوقان التى كانت تزاملنا فى مجلة الرسالة بشعرها وهى فى نابلس ، الى جانب اشعار على محمود طه ومحمود حسن اسماعيل ، وإلى جانب كتابات الزيات والعقاد والمازنى والرافعى وساطع الحصرى وإسعاف النشاشيبى وغيرهم من مصر وغير مصر ، كلهم ادباء العرب وشعراؤهم ، كما المتنبى وابى العلاء المعرى وابى نواس وعمر بن ابى ربيعة يكاد الواحد من هؤلاء وهؤلاء يفقد نسبته الى موطنه الأصلى ، فلا مصرى ولا عراقى ولا شامى ولا حجازى . الجميع ادباؤنا وشعراؤنا فى كل أرجاء الوطن العربى . اذا ناقش احد منهم آخر او حتى هاجمه لم يقل له أحد انك تسيء إلى بلد ما او تشوه وجهه .

كان طه حسين يهاجم سعد زغلول ، فلم يقل له احد انك أيها الصعيدى القادم من الوجه القبلى تسيء الى الوجه البحرى الذى ينتمى اليه سعد زغلول .. واذا هوجم العقاد لم يقل للمهاجم احد من اهل اسوان التى ولد ونشا بها العقاد : إنك تشوه وجه اسوان ! ان الفرق بين اقليم وآخر فى داخل قطر عربى مثل الفرق بين قطر عربى وآخر عربى .

ومن ناحية اخرى اقول :

السنا ندعو الى حرية البحث والدراسة وندين بان هذه الحرية تثرى الأدب وتنمى الفكر ؟ فلم إذن نقف فى سبيلها ونضع سوراً حول الشوامخ ونتوهم أن من يمس هذا السور وراءه من يدفعه للاساءة والتشويه ؟

ان أولئك الشوامخ انفسهم كانوا شوامخ لأنهم بحثوا وصالوا وجالوا فى ميدان الأدب قديمه وحديثه ، ولم يحل دون حريتهم حائل ، ولم يرمهم احد بمثل ما يرمى به ناقدوهم الآن . هل هم قديسون منزهون أم هم بشر يصيبون ويخطئون ؟ وهل ينقص من اقدارهم بيان اخطائهم وما لم يوفقوا فيه ؟

واقول لأولئك الكتاب الذين هبوا يصارعون طواحين الهواء : أما كان الأجدر بكم ان تضعوا النقط على الحروف وتقولوا : فلان قال كذا ، وهذا غير صحيح بدليل كذا وكذا ، وتقرعوا الحجة بالحجة بدلا من القذف بالطوب والجرى .. كما يفعل الصغار .. ؟

لقد زامن تلك الحركة الشعواء عمل اخر صالح ، إذ برز جماعة من فضلاء الأساتذة يناقشون لويس عوض فى حملته على جمال الدين الأفغانى ، فى مقالات وصف فيها جمال الدين بانه « مغامر مجهول كافر مجنون مخاطر مغمور زنديق مخبول ملحد ماجور افاق دساس دجال متلون »

ناقشوه فيما قال ، ودفعوا الحجة بالحجة فى هدوء ومنطق ، بينوا فيما بينوا ان لويس عوض سلك مسلكاً غير قويم ، اذ رجع الى تقارير المخابرات الدولية المغرضة ، واستقى من مصادر لا تتصف بالصدق والنزاهة ، وكان من هؤلاء الفضلاء الأستاذ احمد بهجت فى الأهرام والأستاذ محمد الغزالى فى مقال بالدوحة (عدد ٩٦) .

كان لأولئك اسوة حسنة فى هؤلاء ، ولكنهم جلسوا على منصة الموجة الهائجة ، واصدروا احكاما عامة على من لا نعرف . دون اية مناقشة عاقلة !

تحياتى لهؤلاء وأولئك .. هؤلاء الذى سلكوا فى ردودهم ومناقشاتهم سواء السبيل وأولئك الذين أرجو لهم الهداية إلى سواء السبيل .


بيبسى
إجعَل نهارك عيد مَع
بيبسى

مسجد أبي بكر الصديق أحدث مساجد الدوحة



مسيرة الخير
جزء خاص
بمناسبة ٢٢ فبراير

العدد ٩٩ - جمادى الأولى ١٤٠٤هـ - مارس ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية



أجمل لغة في الدنيا .. لغة الزهور!

● المعالم الأولى في عظمة محمد
بقلم: محمد الغزالي

● من المسئول عن هذه الظاهرة الخطيرة في الجامعات العربية؟
بقلم: د. عيسى الناعوري

● قصة جديدة: بقلم: كلثم جبر


بيبسي
PEPSI


تيم
TEEM
TRADEMARK REG. D

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان :**
دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .

● **مصر :**
مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة .

● **سوريا :**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .

● **العراق :**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة .
ص . ب ٦٢٤ - بغداد .

● **ليبيا :**
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازى - ص . ب ٣٢١ - بنغازى .

● **الأردن :**
وكالة التوزيع الاردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .

● **البحرين :**
مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .

● **السعودية :**
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان - ص . ب ١٤٠٥ - الرياض .

مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة .

● **الكويت :**
شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة الكويت .

● **لبنان :**
الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .

● **الجمهورية العربية اليمنية :**
الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى - عدن .

● **الامارات العربية المتحدة :**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد - ص . ب ٧٩١ ابو ظبى

● **سلطنة عمان :**
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر - ص . ب ١٠١١ مطرح مسقط .

● **تونس :**
الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .

● **المغرب :**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .

MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر :**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .

ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع على بن على **Ali Bin Ali Printing Press - Doha**

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ٩٩ - جمادى الأولى ١٤٠٤هـ - مارس ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : - 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

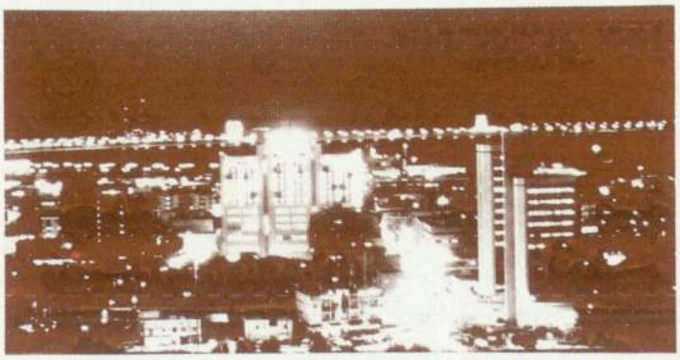
داخل قطر ٦٠ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٦٦ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٧٢ ريالا قطريا .
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٢٥ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٣٢ ريالا قطريا
فى باقي دول العالم ١٤٠ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر : ٥ ريالات
البحرين ٣٠٠ فلس
الامارات العربية ٥ دراهم
عمان ٢٥٠ بيسة
الكويت ٣٠٠ فلس
السعودية ٥ ريالات
الجمهورية اليمنية ٣٠٠ فلس
اليمن الديمقراطية ٣٠٠ فلس
العراق ٣٠٠ فلس
المملكة الاردنية ٢٥٠ فلسا
سوريا ٢٥٠ قرشا
لبنان ٢٥٠ قرشا
مصر ٢٠٠ مليم
ليبيا ٤٠٠ درهم
السودان ٢٥٠ مليما
تونس ٤٠٠ مليم
الجزائر ٤ دنانير
المغرب ٤ دراهم
باقي دول العالم :
ما يعادل دولارين امريكيين



مسيرة الخير فى قطـــر
(جـــزء خاص ص ٦٧)



لوحة الغلاف : قاطفات الزهور للفنان العالمى رينوار
(المقال : لغة الزهور فى الأدب والاساطير ص ١٠٨)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●



معين بسيسو .. القنديل الذى لم ينطفىء
(ص ٢٩)

● أبــواب ●

الدوحة

مجـلة شـهريـة
ثـقافيـة جامعـة
تصـدر عن وزارة الإعـلام
بـدولـة قطـر

● جميـع المراسـلات
ترسـل باسم رئيس التحريـر

● المقـالات المنشـورة في المجـلة
تعـبر عن رأي أصحابـها
ولا تعـبر بالضـرورة
عن رأي وزارة الإعـلام
أو رأي المجـلة

● المـواد لا تعـاد إلى مرسليـها
نشـرت أو لم تـنشـر

بمناسبة النزعة العثمانية الجديدة

هذا التحزب التاريخي نظرة غير علمية ومخادعة للنفس

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

شهدت الثقافة العربية فى الآونة الأخيرة محاولات عدة لاعادة الاعتبار للتاريخ العثماني ولسياسة السلاطين الأتراك فى البلاد العربية ..

وقبل ذلك شهدنا محاولات من نوع آخر لاعادة الاعتبار لتاريخ الفرق والحركات المعارضة فى الاسلام من باطنية وخوارج وقرامطة ..

وقبل هذه وتلك شهد تاريخنا الفكرى المعاصر محاولات لاعادة الاعتبار للتاريخ الأموى ولسياسة الخلفاء الأمويين رداً على روايات خصومهم عنهم فى كتب التاريخ الموالية للعباسيين وغيرهم .

وقد نشهد فى القريب محاولات لاعادة الاعتبار للتاريخ المغولي والتترى ولحروب جنكيزخان وتخريبه لمراكز الحضارة العربية !

ونحن لا نقول ذلك من قبيل الافتراض او التندر والمبالغة .. فموجة اعادة الاعتبار للتاريخ المغولي والتترى قد بدات على يد المستشرق اليهودى الصهيوني « برنارد لويس » فى كتابه الجديد (الاسلام فى التاريخ) الذى اعلن فيه ان ما قيل عن الدمار المغولي فى العالم العربى امر مبالغ فيه جداً وان العرب المعاصرين هم الذين يبالغون فى التهويل من أمر الخراب المغوولي فى بلادهم لتبرير عجزهم وقصورهم وفشلهم ! .. وذلك بالقاء اللوم كله على ما فعله المغول وما اقترفوه فى حق الحضارة العربية ومسارها ، وما وجهوه من ضربة مزعومة قاتلة لمستقبلها . (راجع كتـــابه Islam In History الصفحات ١٧٩ ـ ١٩٨) .

ونحن لا يهمنا امر هذه المحاولة الاخيرة على يد برنارد لويس وامثاله من اعلام الموجة الجديدة المعادية للوجود العربى كله ،، وفى مختلف جذوره وفروعه ومظاهره فهذه المحاولة تدخل فى خانة الثقافة المضادة التى لن يتقبلها اي عربي اياً كانت اتجاهاته وميوله ، ولكن يهمنا ان نتحاور مع اخوتنا المثقفين العرب داخل الاطار الثقافى العربى الاسلامى العام ، ايا كانت مواقعهم الفكريـــة وميـــولهم واتجاهاتهم .

لهؤلاء الاخوة نقول : ان التاريخ هو التاريخ بخيره وشره ، وبايجابيـــاته وسلبياته ، وبامجاده وهزائمه وانه لا يمكن التغيير من حقائق الأشياء وواقع الامور اذا صورنا التاريخ الاموي صفحة ناصعة للقومية العربية ، وصورنا تاريخ الخوارج والقرامطة صفحة ناصعة للحركات الثورية وصورنا تاريخ السلاطين العثمانيين صورة ناصعة للجامعة الاسلامية والدولـــة الاسلامية الواحدة ..

فلا القومية العربية ستكسب من تبييض صحائف الامويين باعتبارهم ملوكاً لاعظم دولة عربية قومية فى التاريخ (إن صح هذا الاعتبار) ..

ولا الحركات الثورية ستستفيد من اخراج تاريخ القرامطة والخوارج كنموذج للنضال التحرري (إن صح هذا الاخراج)

ولا الفكرة الاسلامية المعاصرة ستزداد تالقاً من إعادة الاعتبار لتاريخ السلاطين من بني عثمان إن امكنت الاعادة ..

لكل مجد ظروفه

ان الافكار والدعوات المعـــاصرة لن تستطيع أن تصمد فى التحليل النهائي ، وفى نهاية المطاف ، إلا بما فيها من مضمون واقعي حي معاش قادر على البقــــاء والاستمرار ومواجهة التحديات الماثلة واستيعاب مستلزمات العصر ومتطلبات الحضارة ، لا بما تحاول الاستناد إليه من خلفيات تاريخية ماضية ونماذج منتهية عاشت عصورها واستنفذت مضامينها وانتهت إلى ما انتهت إليه من خير وشر ، ونجاح واخفاق .

فلا القومية العربية تمكنت من الصمود فى وجه التحدي الاسرائيلى باستنكار فتوحات عبد الملك بن مروان ..

ولا الحركات الثورية انقذتها ذكريات القرامطة ..

ولا الدعوة الدينية ستهب لنجدتهـا جيوش سليمان القانونى والســلطان عبد الحميد ..

هذا من ناحية ..

ومن ناحية اخرى فقد اثبتت تجارب الأمم فى الماضى والحاضر انه لا يمكن استعادة عصر من العصور فى عصر آخر وزمن آخر ومرحلة تاريخية وحضارية اخرى مهما كانت طبيعة ذلك العصر وجاذبيتـه العاطفية لقلوب المعاصرين وشدة تاثيره عليهم ، وقوة انتمائهم المذهبى إليه ..

فاليونانى المعـــاصر دائم الحنين والتشوق الى عصر اثينا وامجادها وزمن قائدها الديمقراطى الفذ بركليس وصحائف فلاسفتها وفلاسفة اليونان الآخرين .. ولكن اليونان الحديثة شىء .. واليونان القديمة شىء آخر مختلف .. وقد يتمكن اليونانيون المحدثون من تحقيق منجزات تاريخية جديدة ، عظيمة أو متواضعة ، لكنهم لا ولن يتمكنوا من استعادة التاريخ الاغريقى والهليني بصورته الاصلية مهما حاولوا وفعلوا .. وان أصروا على استعادته فستكون الصورة التى يحققونها صـــورة تقليدية باهتة للصورة الأصل لسبب اساسي وهو ان اى عمل تاريخى عظيـم لا يمكن تحقيقه بالاعتماد على التقليد .. تقليد عمل عظيم سابق .. أو تقليد عظماء سابقين .

العمل التاريخي العظيم يستوحي الروح والجوهر فيما سبقه من أعمال وتجارب لكن عظمته تكمن فى انه ليس تقليداً لاى عمل سابق بعينه .

عظمة صدر الاسلام انه كان عصراً جديداً وتحولا نوعياً فى التاريخ ليس كمثله عصر فيما سبق من ازمان .

وعظمة الفجر الاغريقى ايام بركليس وأرسطو والاسكندر انه كان صفحة جديدة كل الجدة فى التاريخ الاوربي والعالمى ..

أما محاولات التقليد التاريخية فلا تنتج إلا صوراً باهتة هزيلة لا تلبث ان تنمحي من سجل الوجود ..

لقد اغرم الايطاليون المحدثون فى عصر موسوليني بالتاريخ الروماني القديم المجيد وعصر الاباطرة الرومان الكبار . ولقد بذلت الدولة الايطالية الفاشية جهوداً مستميتة للسير على خط الدولة الرومانية القديمة واستعادة أمجادها وصحائفها سطراً سطراً .. ولكن تلك الجهود باءت بالاخفاق وتبديد الجهد فيما لا طائل وراءه ..

هذا التحزب التاريخي
نظرة غير علمية ومخادعة للنفس



السلطان عبد الحميد



تيودور هرتزل

لقد احتل الايطاليون المحدثون ليبيا بالقوة والدم والجبروت .. كما فعلت روما القديمة أيام توسعها .. ولقـــد هجـم الايطاليون المحدثون على استقلال الحبشة فى ضوء العصر الحديث لتقليد اجدادهم الرومان .. ونالوا فى ذلك ما نالوه من إدانات واخفاق ومتاعب ..

وللقارىء الكريم ان يتامل اليوم : ماذا حققت ايطاليا الحديثة من صـــورة الامبراطورية الرومانية القديمة ؟ وإلام قادتها الفاشية المقلدة للنموذج الرومانى ؟

صحيح ان ايطاليا استوحت المجـــد الرومانى فى توحيد كيانها وتحديث ذاتها .. ولكن هل الدولة الايطالية الحديثة صورة مستعادة ، صحيحة وحية ، للامبراطورية الرومانية ؟ وهل كان الطليان المحدثون محقين فى التقليد ؟

بالمقابل فان أمما جديدة ، كالأمــــة الامريكية ، انطلقت بلا تاريخ سابق ، ولا تقليد لأى عصر قديم من عصور التاريخ ، فحققت لنفسها ، بالاعتماد على طاقاتها الحية المعاصرة مالم تحققه أمم أخرى لنفسها وهى تحاول وتحاول تقليد صورها التاريخية القديمة المتوارثة ..

من هذا المنطلق نقول للقوميين العرب لن تحققوا ذاتكم بالرجوع للتاريخ الأموي أو بمحاولة احياء التاريخ الأموى .. فهذا جهد ضائع .. لأن المجد الأموي مرتبط بعصره وظروفه وطاقات أهله .. ثم انكم اذا افتخرتم بامجاد الوليد وتعريب عبد الملك للدولة ،فهل يشرفكم الانتماء الى يزيد والى الوليد بن يزيد وما اقترفاه من اعمال ؟

ونقول للمعجبين بثورات الخـــوارج والقرامطة : تلك أمة سلفت لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، واذا اعجبتكم ثورات هؤلاء واولئك،فهل تمدكم ببرامج عملية وقدرات حية لمواجهة مستلزمات العصر الحديث ،وما يفرضه على اهله من تحديات لم تجابه ثوار الأمس ، ثم هـــل يمكن لاعجابكم ان يشمل ما سيطر على الخوارج من تمرد عقيم لم يثمر ، وما اتصف به القرامطة من تطرف وصل حد الاعتداء على الحرم ونقل الحجر الأسود من مكانه ؟

والمعجبون بالدولة الفاطمية ـ التى كانت فى بداية أمرها دعوة مهدية شعبية معارضة ـ ماذا يستطيعون ان يجدوا فيها عندما استلمت السلطة غير البذخ والترف والتحالف فى نهاية الأمر مع العــــدو الافرنجى ضد بقية العرب والمسلمين ؟

أما آخر المحاولات واعجبها فهى محاولة اعادة الاعتبار للتاريخ العثمانى ولتاريخ السلاطين الأتراك فى العالم العربى الاسلامى باعتبارهم رموزاً للجامعـــة الاسلامية وللكيان الاسلامي الواحد !.

وهذا المنحى التاريخي الجديد فى الثقافة العربية الاسلامية المعاصرة مرده الى اخفاق الحركات القومية والتقدمية التى ثارت على الدولة العثمانية وانفصلت عنها لاقامة كيان عربى عصرى جديد .

وهو منحى يرتبط ببعض مفكري الاتجاه الاسلامى الجديد وفصائله للدفاع عن تاريخ الخلفاء العثمانيين وتقديم صورة اخرى مختلفة عما ساد بين العرب عن مظالم الحكام الأتراك وطبيعتهم وشكل تصرفاتهم .

والحقبة التركيـــة حديثة العهـد .. والناس مازالوا يتذكرونها ويتذكرون طعمها فى ماضيهم القريب ومازالت بعض الأنظمة والقوانين والعادات والعقليات ذات الطابع العثماني قائمة فى بعض البلاد العربية أو أكثرهـــا مهمـــا اختلفت أشكالهـــا واسماؤها .

ونحن لا نريد أن ندخل فى جدل حول صلاحية الحكم العثمانى أو عدم صلاحيته .. فتلك أمة سلفت أيضاً ..

والحكم العثمانى ، كغيره من ظواهر التاريخ ، كائن عضوي تترابط اجـــزاؤه واعضاؤه فى حقيقة كلية واحدة لابد من النظر اليها فى مجموعها وعدم انتقاء اجزاء مقتطعة منها دفاعاً أو هجوماً .

فالحكم العثماني وحد المسلمين لفترة ، ونشر الاسلام وثبت كيان المنطقة لبعض الوقت ، لكنه من الناحية الحضارية، كان متخلف العقلية ولم يستوعب تحولات العصر الحديث ، كما كان استبدادياً من الناحية السياسية والفكرية .

تلك أمة سلفت !

وخلاصة ما يمكن ان نقوله عنه انه لم يستطع الصمود أمام التحديات الجديدة ، فتجاوزه التاريخ ، واسقطه . ولو كان يحمل مقومات البقاء والاستمرار لصمد وبقي رغم محاولات خصومه واعدائه . فكل قوة فى التاريخ يواجهها الاعداء والخصوم .. وما يحسم أمر بقائها أو فنائها مدى قوتها الذاتية ومناعتها الداخلية . ولا يمكن ان نفسر كل سقوط فى تاريخنا بانه ـ فقط ـ من مؤامرات الاستعمار والامبريالية ... فمن

الطبيعي ان يتآمر الاستعمار ضد كل قوة قديمة أو جديدة تحاول توحيد المنطقة وتكتيلها ضده ..

وكل حركة عربية او اسلامية تقول اننا فشلنا فرجهدنا بسبب مؤامرات الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، يحق لنا ان نسألها : هل كنتم تنتظرون ان يرسل لكم الاستعمار والامبريالية والصهيونية باقات من الورد لجهودكم التوحيدية والاصلاحية والتحررية ؟!

فالدولة العثمانية سقطت لانحلال داخلي عميق تاصل فيها ولم تستطع تجاوزه ، والعودة اليوم لبعض الصحائف العثمانية البيضاء - والتي كانت بيضاء حقاً في زمنها وسياقها التاريخي - لن يغير من واقع الأمر شيئاً ولن يعيد الروح لعصر مضى وانقضى . ونعتقد باخلاص ان الصحوة الاسلامية المعاصرة لن تكسب شيئاً من ربط اسمها بالدولة العثمانية أو استيحاء تاريخها ، لان ذلك يعني الارتباط بالمظالم ومظاهر التخلف بمثل ما يعني من تعلق بفتوحاتها وامجادها العسكرية . والواقع ان الدولة العثمانية لم يكن لها غير المجد العسكرى اما سجلها الحضارى والفكرى فمتواضع جداً ويكفى اننا لا نعثر على مفكر واحد ، عربى أو مسلم ، له وزن يذكر من طراز الكندى والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون .. فى التاريخ العثماني كله !!

فماذا يضيف هذا التاريخ لصحوة اسلامية احوج ما تحتاج إليه فى هذا العصر هو الفكر الحضارى المبدع الخلاق ، والقدرة على استيعاب تقنية العصر والانفتاح على الآفاق الانسانية الرحيبة ؟

أما محاولة تبييض صحائف السلطان التركى عبد الحميد بتكرار القول فى كتابات بعض الاسلاميين اليوم : من انه رفض رفضاً باتاً عروض اليهود واغراءاتهم مقابل السماح لهم باقامة مستوطنات صهيونية فى فلسطين .. فهذه مسالة تحتاج إلى تدقيق واعادة نظر لان الامر لم يكن بمثل هذا الحسم والوضوح . ولا داعى ان ننسب للسلطان عبد الحميد مجداً غير مؤكد من اجل احياء النزعة العثمانية الجديدة فى فكرنا التاريخي المعاصر !

مسألة بحاجة إلى تدقيق !

وهذه مسالة تحتاج الى بحث تاريخى كما قلت ، ولكنى اضع تحت نظر القارىء القراءة التاريخية التالية بمناسبة طرح المسالة فى سياق بحثنا هذا .

تقول هذه القراءة التاريخية : « فى ١١ ايار (مايو) ١٩٠١ استقبل السلطان عبد الحميد الزعيم الصهيونى هرتزل الذى يعد بحق مؤسس الحركة الصهيونية .. وفى المقابلة قال السلطان لهرتزل : « كنت دائماً ولا أزال صديقاً لليهود واني اعتمد فى تصريف شئون السلطنة ورعاية مصالحها على اخلاص رعاياي من مسلمين ويهود ، أما سائر رعاياي فثقتي باخلاصهم ضعيفة » . فاجاب هرتزل : « نحن مستعدون لمساعدة تركيا فى شتى الحقول ، لأننا مقتنعون بانها قادرة على تجديد قواها الحيوية » .

« وهنا طلب السلطان من زائره أن يدعو اليهود الى المساهمة فى تحسين مالية الامبراطورية العثمانية فى مقابل السماح لهم بانشاء مستعمرات ضمن المناطق التى يقع عليها اختيارهم . وقيل ان هرتزل وعد بتقديم مليوني ليرة استرلينية ، ولكنه عجز عن تامينها . وهكذا اخفقت أولى المحاولات السلمية لتحقيق حلم صهيون بالاتفاق مع عبد الحميد الذى كان ضعيف الثقة بالعرب » - (راجع : كتاب المسلمون فى المتوسط الشرقى للجنرال بوهرر ، والجنرال اندري ، منشورات دار المكشوف ، بيروت ، ١٩٥٣ ، ص ١٣٢) .

هذا توقف هامشى فقط لنقول لدعاة احياء النزعة العثمانية فى فكرنا الجديد .. رويدكم .. وكفانا ما نحن فيه من جمود .. ولسنا بحاجة إلى جرعة عثمانية لانعاشنا .. كما لم تفدنا الجرعات الاموية أو القرمطية !

وخلاصة القول فى علاقتنا بالتاريخ هى ان نستوحي جوهره ودروسه ، فى سياقه العام وعبر عصوره المختلفة ، وان نبصر ما يحمله من امجاد وانحطاط فى نفس الوقت ، والا نجتزىء عصوراً معينة من التاريخ لننتمي اليها ، أو نختار حركات تاريخية بعينها لنتوحد معها ، فهذا لا طائل وراءه . فالتاريخ سياق واحد متصل الحلقات ، والأطراف المتصارعة وجوه لحقيقة تاريخية واحدة . والمهم هو حقيقة الأمة وجوهرها عبر التاريخ .

نحن ننتمي لتاريخنا العربى الاسلامى العام منذ اقدم عصوره الى اليوم فى جوهره ، وفى قوانينه العامة ، لكننا نخطىء إذا نزعنا اليوم منزعاً اموياً أو فاطمياً او عثمانياً ، وركزنا على عصر واحد وأسدلنا الظلام والستار على العصور الأخرى أو الحركات الأخرى . فهذه نظرة غير علمية وفيها مخادعة للنفس ، فضلا عن كونها غير مجدية فى خلق نهضة موحدة تشمل كل عناصر الأمة وطوائفها بلا استثناء ، وتتطلع الى الأمام والى المستقبل.

فعندما يميل البعض الى الامويين يرد البعض الآخر بالميل الى الفاطميين . وعندما يتجه البعض للعثمانيين يتوجه البعض الآخر الى الصفويين .. وهكذا ندخل فى سلسلة من إعادة صراعات التاريخ ، وربما حماقاته ، بدل ان نبذل الجهد لخوض صراع المصير والمستقبل .

فمن يعيد كتابة التاريخ العربى الاسلامي من جديد بلا هوى اموي أو فاطمي أو عثماني ؟

بل من يستعد لصنع المستقبل العربى وفى حسبانه أن يتخذ التاريخ كحافز لا كعبء ؟!

محمد جابر الأنصارى

لم ينزع إلى التسلط والجبروت ولم ينتقم لنفسه قط ، ولا طلب لها علواً فى الأرض ....

المعالم الأولى في عظمة محمد

بقلم: محمد الغزالي

لست أزعم ولا زعم غيرى أن الصحابة معصومون ولا أنهم فى الفضل سواء ، وانما اقرر انهم صناعة سماوية عالية وقد نجحوا فى تبليغ رسالة غيرت تاريخ العالم ، وان نظامهم الأخلاقى يضارع فى دقته القوانين العلمية ، وان محمداً لا غير هو الذى قدر ـ بفضل الله ـ على إحكام هذا الجيل ، وابداعه على هذا النحو .

ملكتنى الدهشة وانا اقرا كيف أسلم عكرمة بن ابى جهل ، وصفوان بن امية ، وكيف استقبل النبى الكريم بمشاعر الحفاوة والفرحة هذا الاسلام الذى تاخر كثيراً ، وسبقته عداوات رهيبة .

اما صفوان فابوه امية بن خلف الذى تولى تعذيب بلال وكاد يزهق روحه تحت وطاة الصخر واللهب ، والذى لم يدع باباً لايذاء الاسلام ونبيه إلا ولجه ! ولذلك لما راه بلال فى « بدر » أسيراً صاح : امية رأس الكفر ! لا نجوت ان نجا .. ! واجهز عليه .

ولم يكن ابنه ـ حتى فتح مكة ـ خيراً منه ..

واما عكرمة فابوه فرعون الوثنية ، وموقد العداوة والبغضاء ضد عقيدة التوحيد ومعتنقيها ، وقد سماه المسلمون أبا جهل بدل اسمه القديم ـ أبى الحكم لشدة ما يلقون من بطشه !

ولم يكن ابنه حتى فتح مكة خيراً منه ! بل أن عكرمة وصفوان وآخرين من ذوى الشراسة والتعصب رفضوا السلام الممنوح لأهل مكة وقرروا المقاومة لآخر رمق !

فلما يئسوا من النتيجة تركوا جزيرة العرب فارين بكفرهم إلى أرض أخرى. ولكن لله قدراً آخر ، وهو أعلم بخلقه !

إن النبى المنتصر لم يكن طالب ثـار ، ولا ناشد قصاص ! كانت الرغبة المستولية عليه أن يفتح اقفال القلوب ، وأن ينقـذ التائهين الحيارى ، وأن يعالج الأخطاء القديمة بالرفق ، وأن يلقى الأحقاد بالعفو ، وأن يحبب الناس فى الاسلام ، وأن تقر عيناه برؤيتهم يدخلون فيه أفراداً أو أفواجاً !

إنه رحمة مهداة ، إنه رسول يقود العباد إلى ربهم وليس بشراً ينزع إلى التسلط والجبروت ، ما انتقم لنفسه قط ، ولا طلب لها علواً فى الأرض ..

● ●

ولنسرد الشواهد على ذلك من احداث التاريخ .. جاء عمير بن وهب إلى النبى صلى الله عليه وسلم يقول له : يا رسول الله ، صفوان بن امية سيد قومى خرج هارباً ليقذف بنفسه فى البحر وخاف ألا تؤمنه ! فامنه فداك ابى وأمى ، فقال رسول الله قد آمنته . !

لكن صفوان لم يطمئن ، وطلب من عمير علامة تشعره بالأمان ! فقال رسول الله لعمير : خذ عمامتى ـ التى كانت على راسه يوم الفتح ـ فاره إياها . !!

ورجع صفوان ! وحضر معركة حنين مع المسلمين ، وراه النبى عليه الصـــلاة والسلام عند توزيع الغنائم يرمق باعجاب وادياً مليئاً بالابل والغنم ! فقال له النبى الكريم : يعجبك ذلك ؟ قال : نعم ! قال : هو لك !

فقال صفوان : ما تطيب نفس احد بمثل هذا العطاء إلا نفس نبى « أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله » .

كان الرجل فى ريبة من أمره ، ولعله كان يحسب محمداً طالب ملك ، أو عاشق مال وجاه ! فلما راى نفس النبى صلى الله عليه وسلم لا تطلع فيها ولا تعلق لها بشيء جل أو هان من هذا الحطام ، أدرك انها النبوة فاعلن للفور تصديقه بها ..

يقول بعض المستشرقين : لم لم يعامل زعماء اليهود بهذه السماحة ؟ ونجيب : بان صفوان وأشباهه كانوا فى عماية من امرهم وما انشرحت صدورهم للايمان إلا بعد فترة طويلة أو قصيرة ، أما زعماء يهود ، فكانوا يعرفون النبى كما يعرفون أبناءهم ، ومـع ذلك فقد ظاهروا عليه الوثنيين مفضلين الشرك على التوحيد ، ومرجحين مصالحهم الجنسية على الأرض والسماء ، فكيف يترك هؤلاء ؟

أما قصة إيمان عكرمة فهى أجدر بالتامل الطويل ، جاءت امراته « أم حكيم » ـ وكانت قد أسلمت يوم الفتح ـ فقـالت : يا رسول الله هرب عكرمة ، خائفاً أن تقتله فامنه ! فقال : هو آمن ..

وادركت المراة زوجها عند الساحل ، وقد ركب سفينة يريد الابحار بها بعيداً فنادته قائلة : جئتك من عند أوصل الناس ، وأبر الناس ، وخير الناس ، لا تهلك نفسك ، وعد معى ، فقد استأمنت لك رسول الله ..

قال ابن عساكر : فلما دنا من مكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه ياتيكم عكرمة بن أبى جهل مؤمناً ، فلا تسبوا أباه ! فان سب الميت يؤذى الحى ولا يبلغ الميت ..

ولما أقبل عكرمة وثب إليه النبى صلى الله عليه وسلم ، متعجلا ليس عليه رداء ، من فرحه بمقدمه ! وعرض عليه الاسلام ، فقال عكرمة : والله ما دعوت إلا إلى الحق ، وإلى كل أمر حسن جميل ، قد كنت والله فينا ـ قبل دعوتك هذه ـ أصدقنا حديثاً وأبرنا براً ..

وأعلن الرجل اسلامه فى مشهد نابض بالصدق ، كاشف عن مستقبل عامر بحب الله ورسوله .

وكان مطاطئاً راسه حياء من النبى صلى الله عليه وسلم ! ثم قال : يا رسول الله استغفر لى كل عداوة عاديتكها ، أو مركب أوضعت فيه أريد إظهار الشرك والصد عن سبيلك !

فدعا رسول الله له .. فقال عكرمة : أما والله لا أدع نفقة كنت انفقتها فى الصد عن سبيل الله إلا انفقت ضعفها فى سبيل الله ولا قتالا قاتلت فى الصد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه فى سبيل الله ..

● ●

بهذا الخلق العظيم كان صاحب الرسالة الخاتمة يصنع السلف الأول ، إنه لم يصنعهم على هذا الغرار ليؤمنوا به وحسب ! لا ، إنه يريد أن يؤمنوا وأن يحملوا إلى غيرهم الايمان وأن يزيحوا من أمامه العوائق ، إنهم بناة تاريخ مديد ، ودعائم رسالة تستوعب الزمن كله !

إن صحابة محمد تشدهم إليه جاذبية معنوية كهذه الجاذبية المادية التى تربط الشمس بكواكبها واقمارها ، وتنظم ما أودع الله فيها من طاقة وضوء !

فلننظر كيف وفى عكرمة بعهده لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال التاريخ : عندما التقى الروم والعرب فى معركة اليرموك وضع خالد خطته على أن يتحمل قلب الجيش الاسلامى عبء المعركة ، وأن يحتفظ هو بالجناحين ليلتف بهما حول الروم فى الوقت المناسب ..

والروم أضعاف المسلمين أربع مرات فكيف اذا تصدى لهجمتهم القلب وحده ؟ كان الموقف صعباً جداً ، وتهشمت صفوف أمام وطاة الرومان ، وزلزلت أقدام البعض .

وهنا صاح عكرمة : قاتلت رسول الله فى مواطن كثيرة وأفر اليوم ؟ ثم نادى : من يبايع على الموت ؟ فانضم إليه أربعمائة من طلاب الشهادة ، من وجوه المســلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد حتى أثبتوا جميعاً جراحاً ، وقتل منهم خلق كثير .

بيد أن قلب الجيش صد المهاجمين حتى مكن خالداً من الاطباق عليهم بجناحيه فهزموا هزيمة محت دولة الروم من الشام كله ..

ألا ترى التربية النبوية فى موقف عكرمة والرجال الذين آزروه ؟

المعالم الأولى في عظمة محمد

وانظر اثر هذه التربية فى موقف آخر ، روى الطبرانى ان ابا بكر استنفر المسلمين لقتال أهل الردة ، فساروا إلى اليمامة وكذابها مسيلمة ، وكانوا فى منعة وعدد وأهبة ، فهزموا المسلمين ثلاث مرات .

فقال ثابت بن قيس ، وسالم مولى ابى حذيفة : ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلا لأنفسهما حفرة فدخلا فيها ، وكان ثابت يحمل راية المهاجرين ، ولم يترك الصاحبان العظيمان مكانهما حتى قتلا فيه .

أما عباد بن بشر من الانصار فقد نادى فى قومه : احطموا جفون السيوف – اكسروا اغمادها – وتميزوا عن الناس ، واخذ يصيح اخلصونا اخلصونا .

فاحاط به اربعمائة من الانصار ما يخالطهم غيرهم ، وزحفوا إلى الحديقة التى تحصن بها مسيلمة واتباعه واقتحموا بابها ، وتتابع أهل الفداء حتى احتلوها ، وقتلوا الكذاب الذى اثار هذه الفتنة ، ثم غسلوا الجزيرة غسلا من كل هذه الاقذار . !!

إن اعداداً كبيرة من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ذهبوا شهداء فى معارك الجهاد ضد الوثنيين والكتابيين ، ولكن فناء فى الحق هو عين البقاء !

● ●

والدارس المحايد يرى آثار النبوة فى شمائل أولئك الرجال الشجعان ، إن محمداً مات يقيناً ، غير ان روحه بقيت يتحرك بها أصحابه ، فما غرسه فى دمائهم لم يذهب سدى !

لقد اشربوا منه حب الله ، وطلب رضاه والتمهيد للقائه ، والشوق إلى جنتـــه ، فاقدرتهم هذه العواطف الجياشه على تهديم أسوار الباطل وكانت عالية .

وتلاشت امبراطوريات استعصت على الفناء قرونا متطاولة .. !

● ●

وتميز أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بامرين لم يعرفا فى تاريخ النبوات الاولى ..

لقد نقلوا الوحى السماوى كله فما سقط منه حرف ، ونقلوا السنة المحمدية كذلك ، وربوا من الاتباع من عمل عملهم . فاذا الاسلام يبقى فى اصوله النظرية مصونا من كل شائبة .

وظل هذا التواتر للقرآن الكريم كلمة كلمة ، وللسنة فى الجملة ، فتوفرت للرسالة الخاتمة عناصر الخلود ، وظلت وسوف تظل كلمة الله الاخيرة للخلائق اجمعين حتى انتهاء الدنيا .

أما الامر الآخر ، فان الصحابة رضى الله عنهم هم الذين جعلوا عالمية الرســالة حقيقة واقعة، فان النبى عليه الصــلاة والسلام لحق بالرفيق الاعلى ودينه لم يتجاوز حدود جزيرة العرب ، وقد علم الأصحاب الكرام انه مبعوث للعالم كله ، فشرعوا ينساحون فى الأرض مبشرين ومنذرين !

ولم يكن الطريق سهلا ، فان رعاع العرب داخل الجزيرة حاولوا إعادة الليل المدبر وإحياء الجاهلية المسحوقة ، كما أن مجوس فارس وصليبيى الرومان اعترضوا بالعنف مسار الدعوة ! غير أن الجيل الذى رباه محمد كان صلب المعدن ، شديد الباس جمع بين الصرامة والكرامة ، فلم تلن قناته ولم يضرع امام قوى الباطل ! إنه نازلها كلها حتى كسر شوكتها وأسقط دولتها !

ان تربية محمد لهذا الجيل معجزته الكبرى بعد القرآن الكريم ، وإنى احس فى أولئك الأصحاب ذوب نفسه عليه الصلاة والسلام ، ونبل شمائله ، وعمق عبادته ، وحبه الجارف لذات الله واستعلاءه الفذ على مارب الدنيا ..

وصحبة العظماء نعمة جليلة .. إن ساعة مع جليس صالح تنفحك من خلائقه ما ينفحك حامل المسك ، كما ذكر ذلك النبى الكريم ، نعم قد تستفيد فكرة نيرة ، أو خلة طيبة ، أو قدوة حسنة ذاك فى لقاء عابر ، فكيف إذا طال اللقاء ودامت العشرة ؟

ذكر مطعم بن جبير أن قلبه كاد يطير من الرغبة والرهبة والخشوع وهو يسمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور فى صلاة المغرب !

فكيف بمن صلى وراءه بالقرآن كله آلاف الركعات ؟ وخالطه فى شئون حياته وتقلبه بين الناس ؟

إنه جيل لا نظير له فى تاريخ الرسالات ، وتعرف ذلك بالموازنة العادلة !

فبطرس أحد الحواريين الكبار ، وقد صحب عيسى بن مريم طويلا ، ومع ذلك فعندما تعرض هذا النبى الكريم للاضطهاد وشرع خصـــومه من اليهود والرومـــان يقاومون تعاليمه بغضب ، وصدرت الأوامر للشرطة بمصادرة النصرانية واعتقال اتباعها وتعرض عيسى لحرج شديد .. فى هذه الأونة القى القبض على بطرس وسئل:

اتعرف عيسى بن مريم .

قال : لا ! وانكر عدة مرات أن له به صلة .. لقد آثر النجاة بنفسه !

اذكر هذا الموقف الغريب واقرأ هذه القصة ، اسر المشركون زيد بن الدثنة ، وساقوه إلى ساحة القتل ، واحاطوا به فى لحظاته الأخيرة ليشمتوا ويشتفوا ! قال له ابو سفيان – والرمح موجه إلى بطن زيد ليغرس فى احشائه – انشدك بالله يا زيد اتحب أن محمداً الآن عندنا مكانك ، نضرب عنقه ، وانك سالم فى اهلك ؟

قال زيد : والله ما احب أن محمداً صلى الله عليه وسلم الآن فى مكانه الذى هـو فيه ، تصيبه شوكة تؤذيه ، وإنى جالس فى أهلى ... !!

قال أبو سفيان : ما رأيت من الناس احداً يحب احداً كما يحب أصــحاب محمد محمداً .. !!

وقتل الصـحابى الوفى المحب لله ورسوله ، وهو الآن يمرح فى بحبوحة الجنة ! جمعنا الله به ، منة وكرما ..

الفرق بين بطرس وزيد ، هو الفرق بين

أصحاب محمد وسائر الناس ، إنهم طراز آخر من البشرية الزاكية ، ومن ثم قلنا : إنهم جزء من حياة محمد وجهاده وزكاته ، ومجلى لأمجاد انسان ضخم شاء الله أن يخرج العالم على يديه من الظلمات إلى النور ..

● ●

والرجولة الجادة التى تميز بهـا أصحاب محمد حصنت دينه من التحريف ، إن حاخاما مثل شاول تظاهر بالنصرانية ، واستطاع أن يجعل التوحيد تثليثاً ، وأعجز الأتباع الذاهلين عن الاحتفاظ بما لديهم ، فضاع ولم يعثر له على اثر !

أما الصحابة فقد يئس الشيطان أن يعبد فى أرضهم ، أو يغير كلمة من وحيهم ! كانوا أشداء فى صون الحق ودمغ الباطل ! كانوا تلامذة أذكياء النبي المرحمة ونبى الملحمة ، بث فيهم روحه فاضحوا وكانهم صور مصغرة له ..

من أجل ذلك غار عليهم ودفع عنهم ، وحمى أعراضهم ، روى الترمذى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الله الله فى أصحابى ، لا تتخذوهم غرضاً بعدى ! فمن احبهم فبحبى احبهم ، ومن ابغضـهم فببغضى أبغضهم ! ومن آذاهم فقد آذانى ، ومن آذانى فقد آذى الله ! ومن آذى الله فيوشك أن ياخذه .. » .

والتعبير بالايذاء ناضح بفظاعة الجريمة .. قال تعالى « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهينا » .

ولست ازعم ولا زعم غيري ان الصحابة معصومون ولا انهم في الفضل سواء ، وانما اقرر انهم صناعة سماوية عالية ، وقد نجحوا في تبليغ رسالة غيرت تاريخ العالم ، وان نظامهم الاخلاقي يضارع في دقته القوانين العلمية ، وأن محمداً لا غير هو الذي قدر ـ بفضل الله ـ على احكام هذا الجيل ، وابداعه على هذا النحو ...

والآيات الأخيرة من سورة الفتح أوضحت هذه المعاني بايجاز : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » ، والاظهار المذكور يقوم على البرهان ، وتجلية الحقائق وكشف الشبهات ، قبل أي شيء آخر ..

فاذا استنسر الضلال ، واحتقر البرهان قامت الحرب .

والناس ان ظلموا البرهان واعتسفوا
فالحرب أجـدى على الدنيا من السلم !

ثم يقول تبارك اسمه « محمد رسول الله ، والـذين معه أشداء على الكفـار رحمـاء بينهم .. » لابد من الشدة فى وجه محاولات التحريف والكيد واذلال الدعاة ! لا عزة للفرعنة والافساد ! من الخير الا تبقي جراثيم الحيات القاتلة حرة في الفتك والاغتيال !

والى جانب هذا المسلك يجب أن يكون المرء حلو الشمائل دميث الأخلاق مع البراء ، والأخيار ، وقد كان رسول الله أشد حياء من العذراء في خدرها فاذا انتهكت لله حرمة لم يقم لغضبه شيء .. ، وكذلك ربى أمته !

ويطرد وصف المؤمنين فيقول تعـالى : « .. تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم في وجوههم من اثر السجود » الانسان الصادق الشريف تبدو في أساريره سيماء الصدق والشرف ، وتنطبع في وجهه مسحة من أدب وخشوع ، وتدبر قول الشاعر :

وابيض يستسقي الغمام بوجهه
ثمال اليتامى ، عصمة للأرامل !

وبياض الوجوه وسوادها ليس انتماء الى جنس أبيض أو أسود ، وإنما هو نضح الطوايا الطيبة أو الخبيثة ، وما يكسوها من تهلل أو خزى .

والأمة الاسلامية أمة عبادة لله ، ودعوة إلى هذه العبادة ، وانشغال بتكاليفها بالغدو والآصال ، وتوكل على الله ، ورجاء فى بره ، وارتقاب دائم لفضله ورضاه .

قال تعالى « ذلك مثلهم فى التـوراة ومثلهم فى الانجيل .. » لا مكان هنا لذكر ماورد من إرهاصات عن النبوة الخاتمة فى الكتب السابقة ، بل نحن لا نعول عليها فى شيء ! وإنما نتأمل فى ختام الآية ، وكيف بدات الأمـة الاسلامية ضعيفة العود كالنبتة الخضراء الطرية لو داسها حيوان بظلفه لأماتها ، ثم كيف نما هذا الزرع ، وتحولت الساق الغضة إلى شجرة باسقة وانضم إليها غيرها فاذا الحقل المتموج يتحول الى غابة من الأشجار الباسقة ، لو صعد الرجال على اغصانها لحملتهم .

هكذا كنا وهكذا صرنا «كزرع أخرج شطئه ـ فسائله وسلالاته ـ فآزره ـ انضم إلى جواره مثيله فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع .. » .

فى صحراء الجزيرة المنقطعة عن الحضارات كلها صنع محمد عليه الصلاة والسلام أمة عجبا ، قال العدو فى وصف مقاتليها : إنهم رهبان بالليل فرسان بالنهار .

هذه الكلمة تشير الى طبيعة البناء الذى قامت عليه أمتنا .. إنه من الداخل تعاون على البر والتقوى ، وتآخ فى السراء والضراء ، ومن الخارج رباط مستديم لمؤازرة الخير ومدافعة الشر ..

وميزة الرسالة التى اضطلعت بها أمتنا أنها لا تسكت عن معروف ولا تسكت على منكر ، وأنها تشتبك باسم الله مع شياطين الانس والجن لتكف بأسهم وتكسر عدوانهم ..

ولولا ظهور الاسلام لبادت حقائق وفضائل ، ولصارت الانسانية قطيعاً آخر من الوحوش الضارية لا تتحرك إلا بغرائز السوء ..

ان الأمة التى رفعت علم التوحيد هى وحدها التى قلمت أظافر القياصرة والأكاسرة والفراعنة ، واحتضنت سواد الجماهير وقال نبيها لمن يريد طلبه : « ابغـونى فى ضعفائكم هل ترزقون وتنصرون إلا بضعفائكم ؟ » .

أين هذه الأمة الآن ؟ وأين صوتها فى المجامع العالمية ؟ وأين النماذج التى تقدمها لدينها العظيم ؟

لا أقدر على الجواب ! إننا نحاول بشق الأنفس جمع الشتات وإحياء الموات .. وما ندرك سهماً من نجاح إلا اذا أرينا الله من انفسنا الصدق .. !

محمد الغزالى

مكرم عبيد
ليس رائداً للفكرة العربية في مصر

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

- حوار مثير بين مكرم عبيد وأحمد الشقيري
- مكرم يطرد المجاهد الفلسطيني محمد علي الطاهر.. ومصطفى النحاس يسانده ويتبنى قضيته
- صحفي كبير يجعل من مكتبه في جريدة الأهرام وكالة فلسطينية قبل ١٩٤٨

خرجت علينا إحدى الرسائل الجامعية التى نالت درجة الامتياز فى جامعة عربية محترمة برأى محدد تقول فيه : إن مكرم عبيد باشا ، السياسى المصرى المعروف وسكرتير حزب الوفد السابق ورئيس حزب الكتلة الوفدية بعد ذلك ، كان أول رائد للدعوة إلى الوحدة العربية فى مصر .

فهل يستقيم هذا الرأى مع حقائق التاريخ الثابتة ؟ ... هذا ما نناقشه فى المقال التالى ، ونلقى عليه الضوء ، لنرى مدى ما فيه من صحة واستقامة علمية .

إذا كان لكل قضية شكل ومضمون ، فان فكرة الوحدة العربية كانت قائمة مضموناً وغائبة شكلا حتى نهاية الدولة العثمانية .. وبعد استقلال الدول العربية أصبحت الفكرة قائمة شكلا بعد ان نصت عليها كافة الدساتير ، وان كانت غائبة موضوعاً بسبب الافتتان بقضايا ما بعد الاستقلال الوطنى الذى شغل كل دولة إلى حد ما عن تعميق الارتباط العربى ، وان كانت قضية فلسطين المعاصرة هى وحدها التى حافظت على الانتماء العربى .

وشواهد التاريخ تؤكد عمق العلاقة العربية بين كافة الدول العربية وارتباطها بالمصير الواحد ، ففى عهد الظاهر بيبرس كان البريد ينتقل على ظهور الخيل من القاهرة إلى دمشق فى أربعة أيام بصفة منتظمة يومياً وبلا رقابة .. كما ان رحلات ابن بطوطة ما هى إلا تسجيل لرحلات من آلاف الرحلات التى كان يقوم بها ابناء الأمة العربية فى عصره ، عابرين كافة الحدود العربية بلا جمارك او جوازات سفر !

وإذا ما تاملنا اللحظات الأخيرة اللاهثة من حياة الدولة العثمانية ، لوجدنا فى طرابلس ليبيا ان صالح حرب المصرى الذى هرب بجنوده من جيش الاحتلال البريطانى وحكم عليه بالاعدام ، يحارب جنبا إلى جنب مع جعفر العسكرى وهو كردى عراقى ومع عبد الرحمن عزام الذى ضحى بدراسة الطب ليكافح فى سبيل الوحدة العربية ..

وفى تلك الفترة ، كان هناك إلى حد ما تمثيل للعرب فى (مجلس المبعوثان) وكان يصل إلى منصب الصدر الأعظم تونسى (خير الدين باشا) أو مصرى (اسعد حليم) .. كما ان ابا الهدى الصيادى الذى ينسب إليه الكثير من النقد كمستشار سيطر على السلطان عبد الحميد كان عربياً خالصاً فى فكره وسلوكه .

إلا ان كل ذلك وغيره الكثير ، تبدد فى مرحلة تالية ، عندما دخل الاستعمار الغربى إلى كل شبر - تقريباً - من أوطان العرب متجاوزا ذلك حتى اسوار اسطنبول نفسها ، وسقطت القدس امام جيش الجنرال اللبنى ، ووقتها استيقظ العرب ليجدوا انفسهم فريسة للاحتلال البريطانى والفرنسى والايطالى ، واستمات الاستعمار من اجل ضرب الفكرة العربية بكل الوسائل ففى شمال إفريقيا عمد إلى محو اللغة العربية محواً تاماً واحلال الفكر الغربى محل الفكر العربى ، وفى الشام لجا إلى تفتيت الوطن الواحد إلى كيانات صغرى يسهل السيطرة عليها ، وفى وادى النيل كان لابد ان يسعى بكل قواه لايجاد الكيانات المتخاصمة وان شربت من ماء واحد وارتبطت بمصير عربى واحد .

وجاءت فترة ما بين الحربين لتنشغل الدول العربية انشغالا كاملا بقضية الاستقلال الوطنى ، فكان شعار كل دولة هو محاولة تحقيق استقلاله الوطنى والذود عن هذا الاستقلال بكافة الوسائل والسبل .

وظل الحال على ما هو عليه ، حتى برزت



مكرم عبيد



احمد الشقيري



مصطفى النحاس



محمد علي الطاهر

قضية فلسطين ، وهى وحدها التى يعود إليها الفضل فى تذكير العرب جميعاً - رغم انشغالهم بقضية الاستقلال الوطنى - بأن هناك رابطة لغة واحدة وتراث واحد وأصل واحد وآمال واحدة لابد أن تجمع صفوفهم فى مواجهة هذا الخطر الجديد الذى يهددهم جميعــاً وهــو الخطر الصهيونى .

وإلى جوار ذلك كان هناك رجال اللغة من أدباء العروبة ورجال الصحافة والفن والفكر وأساتذة الجامعات ، ممن كان لهم فضل الحفاظ على الانتماء العربى رغم الانشغال بالقضية الوطنية ، فطه حسين والعقاد وغيرهم من ابناء جيلهم فى كافة البلاد العربية كانت كتبهم سفيراً عربياً غير رسمى فى كل شبر من ارض العرب المحتلة ، وتلاوة الشيخ محمد رفعت وغيره من مشاهير المقرئين كانت فيضاً عظيماً يتلهف العرب على سماعه فى كل مكان ، والصحف المصرية كانت تصل لكل البــلاد العربية وكانت فى معظمها من إنشاء الشوام الذين هاجروا إلى مصر ، وحتى الأغنية العربية فى مصر أو الشام او العراق كانت نهراً يرتوى منه العربى اينما كان !

ولطالما بذلت محاولات عديدة من اجل الوحدة السياسية بين العديد من البلاد العربية ، ولكن الاستعمار كان يقف لتلك المحاولات بالمرصاد ، فقضى بمؤامرته على بعضها بمجرد ظهوره ، واجهض البعض الآخر قبل أن يرى النور !

هذه الرسالة الجامعية

ومنذ أيام اطلعت على رسالة دكتوراه (اجيزت بامتياز) من جامعة عربية ، وتوقفت عند ما قاله صاحب الرسالة من أن محاولات الوحدة العربية كان رائدها هو مكرم عبيد ، ووجدت أن الباحث استدل على ذلك بمقال نشره مكرم عبيد فى الهلال الشهرية داعيا إلى الوحدة العربية ، وهذا حكم لا يمكن أن نطلقه ببساطة خاصة إذا ما صدر فى بحث اكاديمى ، المفروض الا تصدر فيه اى احكام دون دراستها من كافة الجوانب ، خاصة وأن كل الذين اهتموا بتاريخنا المعاصر يدركون ان هناك العديد من المحاولات الرامية إلى الوحدة العربية كانت قبل مكرم عبيد ، بل واحب ان اذكر ان مكرم عبيد - نفسه - كان يستغرب وجود هذه الوحدة ويدافع عن قناعته بذلك فى استماتة !

وفى مذكرات احمد الشقيرى (مقابلات مع الملوك والرؤساء العرب) قال ان مكرم باشا وفد على فلسطين كسكرتير عام لحزب الوفد لاستطلاع كفاح شعب فلسطين وليستطيع حزبه ان يكون رأياً فى هذا الموضوع ، وانهم استقبلوه فى عكا ، وخطب لهم وخطبوا له ، وفى السيارة وأثناء العودة دار الحوار التالى بين احمد

الشقيرى ومكرم عبيد :

« مكرم : بلادكم جميلة خالص .. إنها اجمل من مصر .

الشقيرى : استغفر الله .. مصر ام الدنيا .. يكفيكم النيل .. مصر بستان العالم كما يقول ابن خلدون ولكن ..

مكرم : لكن ماذا ؟

الشقيرى : الانجليز واليهود افسدوا علينا جمال بلادنا هذه ..

مكرم : الانجليز موضوع مفهوم .. ولكن اليهود .. أليسوا أولاد عمكم .

الشقيرى مازحاً : أولاد عمكم انتم .. فقد كان اليهود فى مصر فى عهد موسى قبل ان ياتوا إلى فلسطين !

مكرم : وما هو الحل ؟

الشقيرى : الاستقلال لفلسطين فى اطار وحدة عربية .

مكرم : والوحـــدة العربيـــــة .. « يعنى إيه ؟ » (رائد الوحدة العربية هل يسال هذا السؤال ؟) .

الشقيرى : يعنى نريد ان ندخل فى وحدة مع الأردن وسوريا ولبنان والعراق .

مكرم : يعنى إذن انتم « موش عاوزين الاستقلال » !

الشقيرى : الاستقلال عندنا هو بداية الوحدة .

مكرم : معنى هذا ان تكون فلسطين مجرد « مديرية » فى دولة المشرق هذه !!!

الشقيرى : بالضبط » .

هذا هو الحوار الذى دار بين مكرم عبيد واحمد الشقيرى ، وهو حوار ينفى ما قاله الباحث الذى لم يتحر امانة ودقة البحث فى نفس الوقت الذى لا يعفى الذين ناقشوه فى هذا الكلام واجازوه !

ولكن ، لننتقل بعد هذا الحوار ، إلى مذكرات اميل الغورى (٦٠ سنة فى خدمة فلسطين) لنرى انه يسجل للتاريخ ان عدداً غير قليل من زعماء الأحزاب السياسية المصرية لم يبدوا اى اهتمام جدى بثورة فلسطين وكفاحها ، بل وكانوا لا يصدقون ان الفلسطينيين يهاجمون الانجليز فعلا او يطلقون عليهم الرصاص ..

وقال فى هذه المذكرات بوضوح وصراحة « من واجبى ان اقرر ايضاً ان مكرم عبيد والنقراشى واحمد ماهر ونجيب الهلالى لم يكونوا متحمسين ابداً لفلسطين .. ومن حزب الاحرار لم يكن لطفى السيد ولا حسين هيكل ولا محمود عزمى يبدون عطفاً بل ان آراء بعضهم كانت مخالفة لرأى العرب ، وان حافظ رمضان رئيس الحزب الوطنى (القديم) لم يبد اى اهتمـــام بالقضية » ..

ويحدد اميل الغورى أسماء الزعمـاء السياسيين الذين كانوا يبدون عطفاً وتفهماً للكفاح الفلسطينى بانهم فى حزب الوفد لا يخرجون عن : مصطفى النحاس . حمد الباسل ، عبد الستار الباسل ، عبد الرحمن عزام ، محمود بسيونى ، محمود لطيف ، حافظ عوض ، فتح الله بركات .. اما من خارج حزب الوفد فكان المؤيدون للقضـــــية الفلسطينية : محمد محمود ، ومحمد على علوبة ، ومنصور فهمى وحافظ محمود (من الاحرار الدستوريين) واحمد حسين ومصطفى الوكيل ومحمد صبيح (من مصر الفتاة) .

لا خطب ولا حتى كلمات

وهكذا نرى ان تلك الوثائق وغيرها تنفى ما ورد فى رسالة الدكتوراه ، التى اعتمدت فى اصدار هذا القرار التاريخى الخطير على ما ورد فى مقال لمكرم عبيد فى مجلة الهلال ..

فهذا القرار يسقط قيمة الرسالة ، ويعتبر فى نفس الوقت شهادة لمجلة الهلال ولصحف دار الهلال التى دابت على مناصرة القضايا العربية والوحدة بين البلاد العربية ، ولازالت تصدر سنوياً عدداً بعنوان « نحن العرب » .

ولعل ذلك المقـال كان مجرد استكتاب من المجلة لمكرم عبيد باعتباره احـــدى الشخصيات الأدبية السياسية اللامعة ، وللأسف فاننا ـ خارج نطاق ذلك المقـــال ـ لا نجد لرائد القومية العربية خطبة ولا حتى كلمة فى هذا الموضوع !

وقد كانت الصحف المصرية فى ذلك الوقت وقبله اكثر تفهماً واسبق اهتماماً وعناية بقضية فلسطين وكانت هناك باستمرار كلمات ملتهبة عن فلسطين وكفاح شعبها العــــــربى فى « كـوكب الشرق » و « البلاغ » و « مصر الفتاة » وحتى جريدة « المقطم » كانت لا تخلو بين الحين والآخر من مقالات تشرح ابعـــاد القضـــية الفلسطينية .

لقد كان من مؤيدى قضية فلسطين من كبار الصحفيين في ذلك الوقت : حافظ عوض ، وتوفيق دياب ، وعبد القادر حمزة ، واحمد حسين ، وحافظ محمود ، وخليل ثابت ، وفؤاد صروف ، وداود بركات ، واسعد داغر ، ومحمود ابو الفتح . ومحمود صبيح ، والبير عمون .

وكان الصحفى اسعد داغر يحول مكتبه فى جريدة الأهرام إلى وكالة فلسطينية ، بل إلى مركز « عروبة » ، ويجتمع فيه مؤيدو العروبة والمناصرون للقضية الفلسطينية من مصريين وغيرهم مثل خير الدين الزركلى وحبيب جاماتى وموريس ارقش وعبد العزيز العلى وصبحى الشوربجى ويعقوب خورى ومحمد علي الطاهر .

شهادة أخرى

ويذكر محمد على الطاهر فى كتـــابه « ظلام السجن » انه بعد ان كان متخفياً عن الانجليز فى مصر خلال الحرب العالمية الثانية بسبب صدور حكم ضده ، ظهر فجاة امام مكرم عبيد عندما كان وزيراً للمالية فى حكومة مصطفى النحاس ، فنهره مكرم وطرده ، وحاول محمد على الطاهر ان يذكر مكرم بما كان يقوله له من قبل ، فقـــال له « اسمع يا محمـــد .. هذا لما كنـــا فى المعارضة ، ولكننا الآن فى الحكم .. اذهب عنى » .. وذهب محمد على الطاهر إلى مصطفى النحاس ، فافرج عنه ، وحصل له على العفو ، وسهل له اقامته ونشـــاطه السياسى فى مصر .

ونحن لا نستغرب تلك الشهادة او غيرها ، لأن الفكرة العربية نفسها لم تكن متبلورة فى اذهان اغلب الســـياسيين المصريين فى ذلك الوقت ، ولم تتبلور إلا بعد ظهور الخطر الصهيونى واشتعال النزاع العربى الاسرائيلى وكشف المخططات الصهيونية الرامية الى الاستيلاء على معظم اراضى الوطن العربى .

كما أن الفكرة العربية نفسها كانت عدواً لدوداً للاستعمار الذى غذى الاقليمية حتى يضمن بقاءه ، وغذاها بكل الوسائل ، بما فى ذلك التشجيع على الاغتراف من علوم الغرب ، حتى وجدنا رجلا ذكياً ونابغاً وعبقرياً مثل طه حسين يفاجئنا بمقالة فى مجلة « المكشوف الشامية » يقول فيها :



ابراهيم باشا



عبد الرحمن عزام



عبد القادر حمزه



احمد لطفى السيد

« ان الفرعونية متاصلة فى نفوس المصريين ، وانها ستبقى كذلك ، بل يجب ان تبقى كذلك ، ولا تطلبوا من مصر ان تتخلى عن مصريتها وإلا كان معنى طلبكم ان أهدمى يا مصر أبا الهول والاهرام وتغاضى عن جميع الآثار التى تزين متاحفك ومتاحف العالم وانسى نفسك واتبعينا » ..

لقد نسى طه حسين نفسه فى هـــذه الكلمة .. ونسى أن عشاقه فى كل العالم العربى يقراونه بالعربية ولا يقراونـــه بالهيروغليفية !

محاولات نحو الوحدة العربية

من كل ذلك وغيره ، نصل إلى القول باننا نريد أن نوضح حقيقة تقول بان الراى العام المتوهج للفكرة العربية لم ينضج إلا بعد تطور القضية الفلسطينية وتحولها إلى نزاع عربى اسرائيلى شامل ..

ولهذا فمن الخطا ـ على الاقـــل ـ اكاديميا ان نقول ان مقال مكرم عبيد فى الهلال عام ١٩٣٩ كـان اول بادرة نحو الوحدة العربية فى العصر الحديث ، فقد كانت هناك محاولات عديدة ، لقد ذهب عبد الحميد سعيد رئيس جماعة الشبان المسلمين وانشا فروعا لجمعيته فى فلسطين وخطب فى الساحات والذوادى والمساجد داعيا الى الاخوة الاسلامية .

وقبل ذلك دعا خريجو كلية بيروت الى الوحدة العربية فى كتابات البستانى والشدياق وعشرات غيرهم .

ومن قبل كل هؤلاء دعا ابراهيم باشا ابن محمد علي الى الوحدة العربية ايضاً .

بل انه تكونت فى القاهرة رسمياً عـام ١٩٢٢ (قبل مقال مكرم عبيد بسبعة عشر عاماً) « جمعية الرابطة الشرقية » ، نشأت فكرتها لدى ميرزا مهدى رفيع مشلى بك واســـندت رئاســـتها الى الســـيد عبد الحميد البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية ، واتخذت لها مقراً فى دار البكرى بالخرنفش بالقاهرة . وكان من بين اعضائها بعض امراء الأسرة المالكة مثل الأمير يوسف كمال والنبيل اسماعيل داود ، وكان فيها ايضاً الشيخ التفتازانى وصالح جودت « عم الشاعر صالح جودت وكان يعمل بالمحاماة ويحمل نفس الاســـم » والدكتور محجوب ثابت ، والشـــيخ عبد المحسن الكاظمى ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، واحمد شفيق باشا ، والأمير حبيب لطف الله وهو سورى نال لقب الامارة هو واخوه وعملا سفيرين للثورة العربية ضد الأتراك ١٩١٦ فى لندن وباريس ، وانضم الى الجمعيـــة بعـــد تكوينها الأمير عمر طوسون ، وقد انشات هذه الرابطة فرعاً فى تركيا ضم احمد جودت بك الصحفى صاحب اقلام وعمر رضا بك صاحب جريدة الأخبار ومعلم اللغة الانجليزية للسلطان .

وكانت هذه « الرابطة الشرقية » بصدد انشاء فروع لها فى سائر دول الشرق وان تبدأ حملة لجمع اعانات لتجديد المسجد الأقصى المبارك .

• • •

ورغم أن هناك جمعية بهذا النشاط ، وتضم هذه الشخصيات البارزة ، وتسبق مكرم عبيد بعقدين من الزمان ، ورغم شهادات اهل فلسطين انفسهم وعلى راسهم الشقيرى واميل الغورى ومحمد على الطاهر وغيرهم .. رغم كل ذلك تاتى رسالة اكاديمية مجازة لتقول أن مكرم عبيد كان رائداً لفكرة القومية العربية فى العصر الحديث ..

لا .....

السيد فهمى الشناوى

في الدوحـة
العـدد القـادم

يلتقى القــراء بالناقــد الكبير الدكتور علي الراعي

المؤرخون يخطئون .. فمتى يعتدل الميزان؟

نصائح من صوت التاريخ

بقلم : عبد الرزاق البصير

أظلت منطقة خليجنا العربي على مدى تاريخه العريق الطويل ، الذى يمتد الى أكثر من عشرين قرناً من الزمن ، أظلته سحب داكنة كان مطرها حروباً طاحنة سفكت فيها أنهار من الدماء وأزهقت فيها آلاف من الأرواح . كما أن هذه المنطقة الهامة قد انجبت مصابيح نيرة أضاءت عالم الفلسفة ودنيا التاريخ ورياض الأدب . وما تزال سحب داكنة تكمن فيها نيران متوقدة تهب عليه وتشتعل حوله .

ومن المحقق ان رياحاً عاتية لابد ان تهب على تلك السحب فتبددها كما بددت سحبا جاءته فى عصور قديمة وعصور حديثة . وتتالف عناصر هذه الرياح من وحدة شعب هذه المنطقة واعطائه الحرية لتتفجر مواهبه وطاقاته . وستستمر هذه المنطقة فى انجاب المصابيح النيرة التى ستضىء عالم الفلسفة ودنيا التاريخ ورياض الأدب .

لقد هتفت بتلك القرون الكثيرة التى مرت على هذه المنطقة بصوت رفيع مـدة طويلة . لكن استجابتها كانت ضعيفة فى كثير من الأحيان . وكانت تعتذر إلى قائلة : ان المؤرخين ظلموني اذ أنهم لم يسطروا الا القليل مما شهدته هذه للنطقة بل ربما تجد قروناً قد تظنها خالية من نشاط انسان هذه المنطقة ، وليست فى الواقع كذلك . ولكن وهج تاريخ مناطق اخرى كان قويا اغرى كتاب التاريخ الأدبي والسياسي بالوقوف طويلا حوله ، اما انا ، والكلام ما يزال للمنطقة ، فاني فى نظرهم لا استحق جهد المؤرخين !

لقد كان صوت هذه المنطقة الذى سمعته من دمار التاريخ قوياً الا انه مشوب بالحزن والألم فقد قال لي من جملة ما قـــال :

لا يجوز ان تتركوا منطقتكم هذه مهملة لا يعرف تاريخها الا القليل من العلماء ، وحتى هؤلاء فانهم كثيراً ما يضجرهم تعب البحث فى بطون كتب التاريخ ، مما يجعلهم يكتفون بمزق من هنا وهناك لا تكاد تنقع غليلا او تروي ظمأ .

وحتى تتاكد مما اقول اذكرك بما كابدناه نحن سكان هذه المنطقة من البرتغاليين الذين جاءوا الينا حين كانت كلمتنا هى الكلمة العليا وكانت شجرة الاستقرار فينانة تهب علينا نسائمها العطرة ، وكنا تحتها مطمئنين ، نمخر مياه هذا الخليج ذاهبين الى آسيا وافريقيا نحمل اليهـا ما تدره هذه المنطقة من خيرات وعائدين من تلك البلاد بما تدره تلك المناطق من توابل تضفى على الطعام اطيب الروائـــح والصعوم ، وبما تحمله اشجارها من اخشاب نصنع منها السفن والأبـــواب وما نحتاج اليه من امور لتيسير الحياة .

كنا آمنين مطمئنين واذ بالبرتغاليين ياتون الينا بسفن مزودة بادوات تنفث نيرانا حامية . وقد راعنا انهم لا يراعون حرمة للمساكن ، ولا يحملون فى قلوبهم شفقة لطفل أو شيخ ضعيف .ولم يكن لنا علم او تصور بان الانسان يحمل قلبه مثل هذه القسوة ، ولكننا مع ذلك لم نضعف أو نستكن وانما وقف الرجال منا يحاولون صد تلك النيران بادوات ضعيفة بسيطة ، لأن الدفاع عن الشرف ممتزج بدمائنا .

فلما سقط المدافعون منا اقبل اولئك المستعمرون على البقية الباقية يجدعون انوفهم ويصلمون آذانهم ويفقاون عيونهم .

فصابرنا ورابطنا مدة من الزمن . واتفق عرب هذه المنطقة على مقاومة الغزو كل على قدر امكاناته ، مما جعل حيـــاة اولئك المستعمرين حياة قلقة غير آمنه ، ولو فتشتم فيما كتبه « البوكيرك » وهو اعنف رجالهم وأعتاهم من رسائل الى أسياده ، لوجدتم فيها شهادات تملأ نفس كل عربى بالفخر والاعتزاز . ولكن العثور على هذه الرسائل يقتضي منكم جهداً متواصلا ، كذلك عليكم ان تبحثوا عما جاءت به قرائح الشعراء والأدباء والمفكرين من آثار ادبية لتكون الصورة كاملة تامة .

● ●

ثم قالت القرون فى اجابتها ان علي ان اشكر الأستاذ احمد بوشرب احد الباحثين المغاربة على هذا البحث القيم الذى نشره فى العدد السادس والعشرين السنة العاشرة من مجلة « المناهل » المغربية ، فانه بحث نافع فيه تبيين لأكثر من مئة وعشرين وثيقة ، منها ما يمس احتـــلال البرتغاليين للمغرب ، ومنها ما يمس احتلال البرتغاليين لهذه المنطقة .

ولقد كان هذا الباحث موفقا فيما توصل اليه من فهم لتلك الوثائق ، فقد قال فى جملة ما قال : ان ردود الفعل العربيـــة الاسلامية لم تعط نتائج فورية وسريعة نظراً لتفوق البرتغاليين فى ميدان الأسلحة النارية وخصوصاً لافتقار المناطق المعرضة للغزو لقوة عسكرية وسياسية قادرة على الرد على التحدي البرتغالي . وقال ايضا عن هذه الوثائق البرتغالية بانها تشهد على افشال ردود الفعل العربية الاسلامية للمخططات البرتغالية ، فاذا كان الغزو البرتغالى يهدف اولا وقبل كل شيء الى حرمان العرب من دور الوساطة ما بين اوروبا والسودان الغربي من جهة ، والشرق الأقصى من جهة اخرى ، فان تعامل العرب مع هذه المناطق لم يتوقف ابداً ، وان تضرر من الحصار البرتغالى . ولقد اشترك الشعب كله فى مقاومة المستعمرين مما نسف مكتسبات البرتغاليين السياسية والاقتصادية ، لأن الشعب ادرك خطورة المخططات البرتغالية .

● ●

والحق ان حديث صوت التاريخ لم يكن كله حزيناً ذليلا ، وانما كان حديثا يتخلله الرضا فى اواخره لما يجده التاريخ من ادراك شعبي وحكومي واهتمام بالبحث فى تاريخ هذه المنطقة . غير ان الطـــريق ما يزال طويلا ، ومازال البحث فى أوله .

فلابد من بذل جهود مادية ومعنوية ، فان قضية تاريخ هذه المنطقة مهمة تستحق كل ما يبذل فيها من جهود . ولقد كان حديث صوت التاريخ مفصلا يجعلني غير قادر على روايته بكامله . وقد خص الكثير منه حول ما نشرته مجلة « المناهل » من وثائق تاريخية لها اهميتها ، وينصح صوت التاريخ بان نحاول تصويرها ، كما ينبغي علينا ان نسعى الى ترجمتها ونشرها وان نسعى الى كل وثيقة عن هذه المنطقة لما للماضي من صلة بالحاضر ، وان معرفة الانسان بماضيه تزيد فى قدرته على فهم حاضره . ولقد سالت صوت التاريخ عن سبب تسمية هذه القناة « بمضيق هرمز » فاجابني ان عليكم ان تبحثوا فى هذه التسمية وفى غيرها لتستبين لكم الحقائق ولا تكتفوا بما ذكره القدماء من تسميات .

ولقد كنت اشعر فى نبرات صوت التاريخ رنة من الفرح مصدرها هـــذه الترجمات التى قامت بها حكومة دولة قطر لذلك السفر القيم واعني به دليل الخليج لمؤلفه لوريمر فانه سفر ضخم يتالف من سبعة اجزاء تتحدث عن تاريخ المنطقة وسبعة اجزاء اخرى تتحدث عن جغرافيتها على أن صوت التاريخ يرى بان يكون طريق اقتنائه سهلا ميسوراً للباحثين وذلك بان يوضع له ثمن وان يوزع على كل مكتبة تطلبه ليتمكن كل راغب من شرائه .كما ان هناك مصدراً آخر زاد فى فرح التاريخ وهو ان دولا اخرى فى هذه المنطقة اخذت تعنى بكل ما تعنيه لفظة التراث من جانب ديني وشعبي وأدبي وفكري .ويتمثل ذلك كله فى هذه الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية والتى تعالج شتى فنون المعرفة وفى هذه الكتب التى تصدر بين حين وآخر والتى تفتح نوافذ الفكر فان الانسان المتسلح بالمعرفة هو الذى يستطيع ان يتلاءم مع هذا العصر .

عبد الرزاق البصير ــ الكويت

عصـــام شريـــح

آرثر كوستلر:

الغالبيّة العظمى من اليهود المعاصرين ليسوا من أصل فلسطيني وإنما من أصل قوقازي



أحد الاخطاء الفادحة ، التى وقع الاعلام العربى فى حبائلها ، وما يزال ، هو هذا الخلط غير المنطقي فى التعريف بحقيقة اليهود ، وتعرية أصول المستوطنين منهم فى فلسطين المحتلة ، إذ هذه المسألة ، خطيرة ، لأنها أساسية فى التوجهات الاعلامية العربية لو كنا ندري ..حيث ان العقيدة الصهيونية ، تقوم أصلا على جمع يهود العالم فى فلسطين الموسعة « اسرائيل الكبرى » من الفرات الى النيل ، بزعم ان جميع اليهود اليوم هم أحفاد العبريين الذين مروا فى بلاد كنعان فى التاريخ القديم ، واقاموا دويلة صغيرة فيها لم تعمر عملياً أكثر من سبعين عاماً . ومن هنا كان علينا ، ان نركز على فضح الكذبة الصهيونية الكبرى ، والقائلة بأن اليهود القادمين الى بلادنا من روسيا أو بولندا ، أو كافة أقطار أوروبا الشرقية والوسطى ، هم أحفاد العبريين القدماء ، حيث ان هذه الخديعة الكبرى ، ومثلها الخديعة القائلة بأن اليهود الحاليين من أصل سامي ، « أولاد عم العرب » ، كانت السلاح الأكثر مضاء فى يد الحركة الصهيونية لتضليل العالم ، وتصوير عملية غزو فلسطين ، على أنها « عودة الأحفاد الى أرض الميعاد » .

خزاريا.. السلاح البتّار الذي نسيه الإعلام العربي!

وفى الواقع ، فان الأسلحة الاعلامية التى تساعدنا فى تعـــرية الدعــــاية الصهيونية المضللة كثيرة ، ولعل أهمهـا الدراسات التى تثبت ان اليهود الذين هاجروا الى فلسطين من روسيا ودول أوروبا الشرقية بل ودول الغرب عموماً ، هم من أصل قوقازي ، لا يمت باى صلة للعبرانيين القدماء ، وتقول « الموسوعة اليهودية » فى هذا الصدد : « الخزر : شعب تركى الأصل ، تمتزج حياته وتاريخه بالبداية الأولى لتاريخ يهود روسيا .. وقد أكرهته القبائل البدوية فى السهول من جهة ، ودفعه توقه الى السلب والانتقام من جهة أخرى ، الى توطيد أسس مملكة الخزر فى معظم أجزاء روسيا الجنوبية ، قبل قيام (قبائل) الفرنجة فى عام ٨٥٥ م ، بتاسيس الملكية فى روسيا .. وفى هذا الوقت كانت مملكة الخزر فى أوج قوتها ، تخوض غمار حروب متلاحقة .. وعند نهاية القرن الثامن ، تحول ملك الخزر ونبلاؤه واعداد كبيرة من شعبه الوثني ، الى الديانة اليهودية .. وكان عدد اليهود ضخماً فى جميع انحاء مقاطعة الخزر ، خلال الفترة الواقعة ما بين القرنين السابع والعاشر .. وقد بدا فى حوالي القرن التاسع

ان جميع الخزر قد أصبحوا يهوداً ، وانهم اعتنقوا اليهودية قبل وقت قصير فقط » .

ولعل افضل الوثائق التى يمكن للاعلام العربى استخدامها بنجاح فى فضح الخداع الصهيونى ، ذلك الكتاب القيم حول دولة الخزر القديمة المتهودة ، لمؤلفه اليهودى أرثر كوستلر ، والذى اصدر طبعته الأولى فى لندن فى علم ١٩٧٦ تحت عنـوان :

« القبيلة الثالثة عشرة : امبراطورية الخزر وميراثها » ، ولأهمية الكتاب نفدت الطبعة الأولى منه بسرعة ، مما دفع المؤلف الى اعادة طباعته فى نفس العام . لكن .. ماذا فى هذا الكتاب ؟ ؟ .

ينقض كوستلر فى كتابه ، المفـاهيم المغلوطة ، والمضللة التى روجها اليهود عبر عصور طويلة ، من انهم احفـاد العبريين كما قلنا انفاً ويقول :ان اليهود المعاصرين هم فى غالبيتهم احفاد شعب الخزر الذى ينحدر من أصل تركى ، والذى اقام دولة عرفت الأزدهار ، ولعبت دوراً حاسماً فى التاريخ خلال الفترة الممتدة من القرن السابع الى القرن الحادى عشر الميلادى .

وقد شغلت دولة الخزر هذه ، موقعاً استراتيجياً هاماً على المعبر الحيـوي الممتد ما بين البحر الأسود وبحر قزوين (أو بحر الخزر) ، وفى رأي كوستلر ، فان الدور التاريخي الذى لعبته دولة الخزر هذه ، انما تمثل فى وقف الفتوحات العربية الأموية ، مما حال دون العرب وفتح أوروبا الشرقية ، وقد امتدت حروب العرب مع الخزر لأكثر من مائة سنة ، ويقول كوستلر انه « لولا وجود الخزر فى المنطقة الواقعة الى شمال جبال القوقاز (أو القفقاس) ، لكانت بيزنطة ، حصن « الحضـارة » الأوروبية فى الشرق ، ستجد نفسها محاصرة من قبل العرب ، ولكان من الممكن جداً أن يتغير تاريخ المسيحية والاسلام كثيراً عما نعرفه » ويبالغ كوستلر فى إضفاء صفة المنقذين على شعب الخزر ، بقوله : « ان حركة التطويق الاسلاميـة الضخمة عبر جبال البرانس من الغرب ، وعبر جبال القوقاز فى أوروبا الشرقية ، كانت قد وهنت .. ومثلما انقذ شارل مارتل بعناصره الجرمانية بلاد الغال (فرنسا) وأوربا الغربية ، فقد انقذ الخزر التخوم الشرقية لنهرى الفولجا - والدانـوب ، والامبراطورية الرومانية الشرقية نفسها » .

شعب الخزر

تتفق الروايات التاريخية ، على ان شعب الخزر كان يعيش حياة بدوية متخلفة ، اقرب إلى الهمجية ، ولم تقتصر حروب الخزر على العرب فقط ، فقد دخلوا فى حروب متلاحقة مع قبائل الهون التى اندفعت من حدود الصين الى أوروبـا الشرقية ، كما دخلوا فى حروب مع الدولة البيزنطية ومع شعوب روسيا والمجر وغيرها ، والتى قاست الأمرين من وحشية الخزر وتخلفهم الحضارى . وتشير المصادر العربية (الرحالة والزوار) الى ان شعب الخزر كان يعيش غالباً فى الخيام المقببة ، حتى اذا اقبل الشتاء حزموا خيامهم ، او منازلهم المشيدة بشكل دائرى ، وانطلقوا مع اغنامهم أو ماشيتهم الى السـهول والمراعى ، أو نصبوا خيامهم فى حقول الحنطة وكروم العنب التى كانوا يزرعونها.

ويقول الرحالة العربى (الاندلسي) ابن سعيد المغربى فى وصفه لشعب الخـزر: « ولما كانت بلادهم باردة ورطبـة ، فان بشرتهم بيضاء ، وعيونهم زرقاء ، وشعرهم غزير وضارب للحمرة غالباً ، وابدانهم ضخمة ، وأمزجتهم لا مبالية ، ومظهرهم العام همجي » .

اما مبعوث الخليفة العباسي المقتدر بالله - وهو أحمد بن فضلان - الى بلاد الترك والخزر والروس والبلغار والبشكير وغيرهم ، فقد وصف الخزر بقوله : « .. وكل الخزر ، وكذلك ملكهم ، يهود ، ويخضع له البلغار وكل جيرانهم ، وهم يعاملونه باذعان شبيه بالعبادة ، ويظن البعض أن ياجوج وماجوج هم الخزر » .

لكن من الواضح هنا المبالغة فى اطلاق التعريف بالخزر ووصفهم بانهم جميعـاً من اليهـود ، إذ ان من الثابت ان بـلاد الخزر كانت تضم فئات أخرى من غير اليهود ومن غير الخزر ايضاً ، ومنهم المسلمون الذين كان لهم مسجد فى العاصمة .

وعلى أية حال ، فان هناك اتفاقاً بين المؤرخين والرحالة العرب ، والكتـاب الجيورجيون (الروس) والأرمن الـذين تعرضت شعوبهم لغزوات خزرية ، على تخلف الخزر حضارياً ، ويردد مؤرخ جيورجى اعتقاداً قديماً ، يعرف الخزر بانهم جيوش ياجوج وماجوج ،ولهم طبائع الوحوش الضارية ، وهم سفاكو دماء » . ويشير مؤلف أرمنى الى « حشود الخزر الرهيبـة المتغطرسة بغير حدود » . ويصفهم بانهم « ذوو وجوه خالية من الأهداب ، وشعرهم طويل منساب كشعر النساء » .

أسباب التهود

اما تهود قبيلة الخزر ، فيعود فى المقام الأول والأهم ، لأسباب سياسية ، كما يقول كوستلر ، حيث رأى ملك الخزر (الكاجان أو الخاقان) ، ان الموقع الجغرافى لبلاد الخزر يضعها بين فكي رحى قوتين دينيتين عالميتين : أى الاسلام والمسيحية ، أو بين الدولة الاسلامية والدولة البيزنطية ، وقد رأى ملك الخزران اعتناقه لاحدى الديانتين الاسلامية او المسيحية ، سوف يعني ذوبان شعب الخزر فى شعوب هاتين الدولتين ، وبالنسبة له شخصياً ، فسوف يصبح مجرد حاكم اقليم تابع للخليفة المسـلم أو للامبراطور البيزنطي المسيحي .

ويشير كوستلر الى ان هناك سبباً اخر وراء تحول الخزر الى اليهودية ،وهو يعود الى عقيدتهم الدينية المتخلفة ، حيث كشفت لهم صلاتهم الوثيقة ببيزنطة وبغداد ، ان عقيدتهم الشامانية البدائية لم تكن همجية فحسب ، وانما كانت عاجزة ايضا عن ان تضفى على رجال الحكم والقادة تلك الهيبة الروحية والشرعية التى كان يتمتع بها كل من خليفة المسلمين وامبراطور المسيحيين . وكانت الشامانية عبارة عن دين بدائي ، انتشر فى شمال آسيا وأوروبا وبين بعض هنود امريكا الحمر ، وكانت هذه الديانة الوثنية تقول بوجود عالم محجوب يتكون من الآلهة والشياطين وأرواح السلف ، وبأن هذا العالم المخفي ، لا يستجيب إلا للكاهن (الشامان) ، الذى يستخدم السحر لمعالجة المرضى وكشف الغيب والسيطرة على الأحداث .

وفى الواقع فان عملية تهود ملك الخزر الذى فرض الدين الجديد على اتباعه ، لم تحدث فجاة ، وانما جاءت من خلال اطلاع الخزر على الدين اليهودى من اصحابه من اليهود الذين تركوا اراضي الدولـة البيزنطية ، أو بعض الأقطار الآسيوية التى فتحها العرب ونشروا فيها الدين الاسلامي ، ولجاوا الى خزاريا . وكان اضطهاد اليهود فى الدولة البيزنطية قد بدأ فى عهد يوستنيان الأول (٥٤٧ - ٥٦٥ م)

آرثر كوستلر:

الغالبية العظمى من اليهود المعاصرين
ليسوا من أصل فلسطيني وإنما من أصل قوقازي

واتخذ اشكالا مبالغا فيها فى عهد هرقل فى القرن السابع الميلادي ، واستمر كذلك حتى عهد الامبراطور رومانوس فى القرن العاشر الميلادى . ويصف لنا المؤرخ العربى « المسعودى » وضع اليهود اللاجئين الى عاصمة الخزر فى هذه الفترة ، فيقول « .. ويعيش فى هذه المدينة (خازران إثل) ، المسلمون والمسيحيون واليهود والوثنيون ، اما اليهود ، فيضمون الملك وحاشيته والخزر الذين على شاكلته ، وكان ملك الخزر قد صار لتوه يهوديا فى عصر هارون الرشيد ، وانضم اليه اليهود من كافة أمصار الاسلام ، ومن دولة اليونان (بيزنطة) وقد قام ملك اليونان (الامبراطور البيزنطي) باكراه يهود مملكته على الدخول فى المسيحية .. وهكذا فر عدد كبير من دولة اليونان الى بلاد الخزر » .

العرب .. والخزر

تشير المصادر التاريخية الى ان العرب الذين وصلت فتوحاتهم الى الهند والسند والأطراف الجنوبية للصين ، كانوا يعتزمون المضي قدماً ، حتى قلب أوروبا ، عبر جبال القفقاس ، ولهذا رايناهم فيما بين ٦١٢ ـ ٦٥٢ م ، يقتحمون أوروبا عبر جبال البرانس من الغرب ، ويحاولون اقتحام بلاد الخزر بهدف الاستيلاء على مدينة بالانغار لكي يؤمنوا قاعدة عسكرية متقدمة على الجانب الأوروبى من القوقاز ، وبعض المصادر تشير الى ان آخر معركة وقعت بين العرب والخزر كانت فى عام ٦٥٢ م ، وانتهت بمقتل القائد العربى عبد الرحمن ابن ربيع ، وإخفاق الحملة العربية فى الوصول الى هدفها .

وكانت الحرب سجالا خلال فترة الف سنة بين الطرفين ، وان كانت حربا متقطعة وكان الخزر يتوغلون احيانا داخل اراضي الدولة العربية الاسلامية ، ويلي ذلك هجمات عربية مضادة باتجاه الفولجا ، وتقول الروايات التاريخية فى هذا المجال ، ان الخزر اجتازوا جورجيا وارمينيا ، حتى وصلوا الى ديار بكر والموصل ، ولكن جيشا عربيا جرى تشكيله على جناح السرعة ، تمكن من كبح الهجوم الخزري ، ودفع المهاجمين الى الوراء والتقهقر الى مواطنهم الأصلية . ثم قام الخليفة الأموى « مسلمة ابن عبد الملك » ، بحملة شهيرة ضد الخزر ، تمكن خلالها من الاستيلاء على بالانغار ، وتجاوزها حتى سمندر ، وهى مدينة خزرية كبيرة ، وعلى الرغم من ان جيش مسلمة لم يبق طويلا فى بلاد الخزر ، فان هذه الحملة بعثت الخوف فى نفوس الخزر والبيزنطيين معاً ، مما دفع بولي العهد البيزنطي الى الزواج من اميرة خزرية ، وهما اللذان حكم ابنهما بيزنطة باسم « ليو الخزري » .

اما آخر الحملات العربية على بلاد الخزر ، فقد قادها الخليفة مروان الثاني ، أو مروان بن محمد ، وهو آخر الخلفاء الأمويين ، وقد تمكن مروان من التغلغل فى قلب دولة الخزر ، الذى تقهقر جيشه حتى نهر الفولجا داخل الأراضي الروسية ، وقد اضطر خاقان الخزر الى الرضوخ لمطالب مروان ، الذى طلب من الخاقان اعتناق الدين الاسلامي ، ومع ان ملك الخزر اذعن لهذا المطلب ، الا انه تراجع عنه كما يبدو ، بعد مغادرة الجيش العربى لأراضي خزاريا ، ومع انتهاء هذه الحملة العربية على بلاد الخزر توقفت الحروب بين الطرفين .

السقوط

تدل الأحداث التاريخية التى تلت ذلك ، على أن دولة الخزر قد تبددت وانتهت ، عندما هاجمها الروس ، ولم يكن من آثار الحملة الروسية ضد خزاريا سقوط الدولة فحسب ، بل وتشرد أهلها وتشتتهم فى روسيا ودول أوروبا الشرقية ، ويقول « ابن حوقل » الذى أورد خبر هذه الحملة ، ان سقوط خزاريا فى ايدى الروس تم فى عام ٣٥٨ هـ (٩٦٨ م) . وفى الواقع فان روسيا ما تزال تعتبر الموطن الاهم لليهود ، بعد الولايات المتحدة الامريكية ، وقد بلغ تعداد اليهود فى روسيا فى عام ١٨٩٧ ، حوالى خمسة ملايين و ٨٩٤ الف يهودى ، من مجموع احد عشر مليون يهودى فى العالم ، وفى تقرير رسمي يرجع الى عام ١٨٤٢ ، ما يدل على ان عدد معابد اليهود فى روسيا قد بلغ ٦٠٤ معبداً ، و ٢٣٤٠ بيتاً للصلاة ، و ٣٩٤٤ مدرسة ، و ٩٥٤ حاخاماً .

وكان اكبر تجمع لليهود الخزر بعد روسيا ، فى بولندا ، فقد اتخذت المملكة البولندية منذ بداياتها المبكرة تحت حكم عائلة بياست اتجاها واضحا يتلاءم مع اوضاعها الخاصة ، فضلا عن اعتناقها للكاثوليكية الرومانية ، حيث اتبعت سياسة اجتذاب المهاجرين بسبب تخلفها اقتصادياً وحضارياً عن جيرانها الغربيين ، وقد قدمت بولندا لهؤلاء المهاجرين ، وفى مقدمتهم اليهود الخزر ، جميع الضمانات التى تحفظ لهم حرية استخدام استثماراتهم وأموالهم فى البلاد . وكان من هذه الامتيازات التى حصل عليها اليهود الخزر فى بولندا ، منحهم حق تملك معابدهم ومدارسهم ومحاكمهم الخاصة ، وحق حيازة الاراضي ، وحق العمل فيما شاؤوا من التجارة والأعمال الحرة ، وفى احدى الفترات كان لليهود فى بولندا برلمانهم الخاص ، الذى كان يجتمع مرتين كل عام ، وكان لهذا البرلمان حق فرض الضرائب على اليهود . وقد كانت هذه الامتيازات سبباً فى امتعاض البابا كليمنت الرابع ، الذى لم يخف انزعاجه لأحد الأمراء البولنديين ، من كثرة المعابد اليهودية فى مختلف المدن البولندية ، حتى ان مدينة واحدة منها فقط ، كانت تضم مالا يقل عن خمسة معابد ، كما ابدى البابا أسفه العميق ، لكون المعابد اليهودية اكثر ارتفاعاً وفخامة وزينة من الكنائس المسيحية ، حيث كانت مسقوفة بالواح الرصاص المنقوشة والملونة ، مما جعل ما جاورها من كنائس كاثوليكية ، تبدو قميئة بالمقارنة معها .

وبالنظر الى القدرة الفائقة التى يتمتع بها اليهود فى ضرب نطاق كثيف من العزلة حول تجمعاتهم ، فانهم فى الواقع لم يفقدوا الكثير بين حياتهم فى خزاريا وحياتهم فى « الشتات » فى بولندا وروسيا وغيرها من دول أوروبا الشرقية ، فقد اصطنعوا ما يسمى ب الشتتل

وهى نوع من المستوطنات اليهودية عرفته كل من بولندا وليتوانيا ، والشتتل عبارة عن مدينة ريفية الطابع ، وتتمتع باستقلال ذاتي ، وجميع سكانها أو اغلبهم من اليهود. كما ابتدع اليهود ، شكلا اخر من العزلة عرف باسم « الجيتو » ، وهو عبارة عن شارع أو حي ، ينزوي فيه اليهود ، بعد أن يحيطوه باسوار ذات بوابات تغلق ليلا ، وكانت مشاعر التميز عن السكان الآخرين ، والشعور بالحاجة الى الأمن ، وراء فكـرة الشتتل والجيتو

اليهود المعاصرون .. وفلسطين

بعد كل هذا العرض « الموجز » لتاريخ يهود الخزر ، نصل الى الغاية من وراء كل ذلك ، ألا وهى ان يهود اليوم ، لا علاقة لهم بيهود الأمس ، وبالتالى ، فلا علاقة لهم بفلسطين من قريب أو بعيد ، فالغالبية العظمى من اليهود المعاصرين ، ليسوا من سلالة اليهود القدماء الذين اغتصـبوا فلسطين لفترة زمنية قصيرة لا تزيد على سبعين عاماً ، وانما هم من أصل خازاري .

يقول أرثر كوستلر فى كتابه الآنف الذكر « .. ان الغالبية العظمى من اليهود الباقين فى العالم ، هم من أصل أوروبى شرقي ، ومن ثم من أصل خزري ، واذا كان الأمر كذلك ، فان هذا قد يعنى ، أن اسلافهم لم ياتوا من وادي الأردن ، وانما من **الفولجا** ، ولم ينحدروا من كنعان ، وانما من القوقاز ، ويصير من المعتقد فجاة ، انهم يمثلون بدايات الجنس الآري ، وانهم أوفق انتماء من الناحية الوراثية ، الى قبائل الهون والبوجر والمجر ، منهم الى ذرية ابراهيم واسحق ويعقوب » .

ثم يضيف كوستلر مسالة فى غايـة الأهمية ، وهى انه اذا كان يهود اليوم هم فى معظمهم من أصل خازاري ، الا يصبح مصطلح « معاداة السامية » أو «اللاسامية» الذى يشهره يهود اليوم فى وجه كل من يعارضهم ، مصطلحاً كاذباً وخالياً من أى مضمون فعلي لاضطهاد اليهود بسبب كونهم احفاد اليهود القدماء .

وهناك دليل آخر على انتفاء أى صلة دموية أو عـرقية بين اليهود الخزر (أو يهود شرق أوروبا) وفلسطين ، حيث يقول ملك الخزر اليهودي يوسف ، فى رسالة رد بها على رسالة حسداي بن شبروط ـ الطبيب اليهودي الذى قدمه الخليفة الأموى الأندلسي عبد الرحمن الناصر ، فى بلاطه ، حيث يقول يوسف هذا إن قومه « يهود خزاريا » ليسوا من أصل سامي ، بل انهم ينحدرون من القبائل التركية القديمة ، ويؤكد يوسف باعتزاز : « لقد وجدنا فى السجلات العائلية لآبائنا ، ان توجرمه ، كان له عشرة ابناء ، وان اسماء ذريتهم هى كما يلي : يوجار ، دورسو ، أفار ، هون ، باسيلي ، تارنياخ ، خزر ، زاجورا ، بلغار ، سابر .. ونحن ابناء « خزر » سابعهم » .

وفى النهاية ، لابد أن نؤكد مرة اخرى ، ان خزاريا ـ مملكة اليهود ، هى دولة شذاذ الآفاق الذين غزوا بلادنا فلسطين وان فلسطين هى ارض عربية منذ عصور التاريخ الأولى، ولا هوية اخرى لفلسطين مهما كابر الأدعياء ومزورو التاريخ . وازاء هذه الحقيقة الاساسية ، فان **مسالة اليهود الخزر** ، الذين يشكلون الغالبية العظمى من اليهود المعاصرين ، تصبح سلاحاً بتاراً فى يد الاعلام العربي ، لو عرف هذا الاعلام كيف يستفيد من هذه الحقيقة قبل فوات الأوان .

عصام شريح



من هــو :

ارثر كوستلر كاتب يهودي . ولد فى المجر (هنغاريا) فى عام ١٩٠٥ وتلقى تعليمه فى كل من النمسا والمانيا ، وفى سن السابعة عشرة اقبل على تعلم اللغـة الالمانية حتى اتقنها ، ثم تعلم اللغـة الانكليزية فى سن الخامسة والثلاثين ، وكان كوستلر مؤيد اللحركة الصهيونية فى مطلع شبابه ، حيث كتب قصة « اللصوص فى الليل » التى وصف فيها الصراع بين العرب والمستوطنين الصهاينة على ارض فلسطين العربية فى عهد الانتداب البريطانى على البلاد ، بيد أن كوستلر ، عاد فكتب رواية اخرى بعد قيام الكيـان الصهيونى على ارض فلسطين المغتصبة تحت عنوان « الوعد والانجاز : فلسطين ١٩١٧ ـ ١٩٤٩ » ، وصف فيها الاوضاع فى فلسطين إبان حكم الانتداب البريطانى ثم بعد جلاء البريطانيين ، وقيام الكيان الصهيونى فى عام ١٩٤٨ ، وخلص كوستلر فى هذه الرواية إلى وضع خيارين امام يهود العالم لا ثالث لهما وهما : الهجرة الى « اسرائيل » . أو الاندمـاج الكامل ، وقد اختار هو نفسه خيار الاندماج .. وعلى الرغم من انه احسن الخيار ، إلا انه لم يدن اغتصاب فلسطين ، وسـمح لنفسه بوضع خيار هجرة اليهـــود إلى فلسطين المحتلة ، كاحد الحلول المقبولة منه لما يسمى بالمسالة اليهودية مما يشكك فى مصداقية ارائه وتفكيره .

ويبدو ان كوستلر فشل فى الحل الذى ارتضاه لنفسه : عملية الاندماج فى العالم الغربى ـ وبالتحديد فى بريطانيا ، إذ انه انضم فى علم ١٩٦٩ إلى جمعية تطلق على نفسها اسم « جمعية من اجل موت كريم » وفى العام ١٩٨١ ، اصبح نائبا لرئيس هذه الجمعية ، وقد اسهم كوستلر فى كتابة مقدمة لكراس أصدرته الجمعية تحت عنوان : « دليل الخلاص الذاتى » .

وهو يحوي خمسة دروس تعلم الناس كيف ينتحرون « بكرامة .. ومن غير الم » .. ومن المدهش حقا . ان كوستلر انتحر فعلا وزوجته « سينتيا » ، فى أواسط اذار (مارس) من العام الماضى (١٩٨٣) ، وذلك باطلاق النار على نفسيهما فى منزلهما بالعاصمة البريطانية .

ويرى بعض النقاد ، ان ارثر كوستلر ، لم يكن كاتباً المعيا وخلاقا وان شهرته ، انما قامت بسبب الدعاية المركزة من قبل اجهزة الاعلام والصحافة فى الغرب ، حول روايته « ظلام فى النهار » ، التى وجه فيها نقداً لاذعا للنظام الشيوعي .

لكن .. اهمية هذا الكاتب اليهودى تبقى فى نظرنا فى كتابه « امبراطورية الخزر وميراثها : القبيلة الثالثة عشرة » .

كيف نؤرخ لعظمائنا؟

لماذا نخاف من النقد والكشف عن الجوانب السلبية؟

بقلم: فتحي رضوان

التقطت كتاب « شخصيات حقيقية » تأليف ادوين ويلر ستاربك واعوانه » لأتصفحه ، مع انه كتاب قديم صدر سنة ١٩٣٦ عن دار نشر لا أعرف ما إذا كانت قائمة فى الوجود أو اغلقت أبوابها ، تدعى « كتاب العالم » ، وكان مقرها فى مدينة شيكاغو بالولايات المتحدة ، ولكن لى عادة تصفح الكتب القديمة ، وربما قراءتها من جديد ، وهذه العادة من قبيل زيارة الأصدقاء القدامى الذين تراخت علاقتنا بهم ، وقَلَّتْ أو انعدمت زيارتنا لهم .

وهذه القراءة الجديدة لكتب قديمة تثير فى النفس مئات،وربما آلاف الخواطر ، فقد يعجب الانسان من انه قرا هذا الكتاب او ذاك ، وترك على هامشه تعليقات وتاشيرات،ولكنه اليوم لا يتذكر شيئاً واحداً مما قرا ، بل يتصور انه لم يقرا هذا الكتاب ، ولم يطل الوقوف أمام صفحاته ، وجمل من هذه الصفحات .

وهكذا كان حالى مع هذا الكتاب ، وخصوصاً بما جاء فى مقدمة الكتاب اذ ورد فيها ما اترجم نصه فيما يلى :

« إن الصور القلمية فى هذا المجلد وفى المجلدات الاخرى التى تكمله ، هى ثمرة حكم جماعى . وهذا هو منهجنا العلمى ، فجماعات من نقاد ادبيين متمرسين ، يعملون فى مجموعات من ثلاثة او اربعة افراد ، يقرا كل منهم على استقلال ، وكل منهم يسجل ما يظنه او ما تظنه حسب الاحوال فى جوانب تلك الشخصية الخاصة بها ، وعن قيمة تلك الشخصية ككل ، وهذه التقديرات تجمع بعد ذلك وتلخص . واذا حدث ان اتفق فى الراى الثلاثة الأوائل القراء من الأدباء ، لم تعد حاجة بعد ذلك الى مزيد من القراءة . اما اذا وقع الخلاف بين القراء الأوائل ، فان قراءة عدد آخر من النقاد تصبح واجبة ..

ونحن نعمل مخلصين فى محاولة حل الاجابة على السؤال : ماذا تعنى عند الانسان عبارة « الأدب الجيد » ، ثم ما هى المعايير التى يمكن للانسان ان يحكم بمقتضاها عند الاجابة على هذا السؤال ؟ ولقد حاول ادباء من مستوى رفيع مناقشة هذه المشكلة خلال اكثر من الفي سنة ، ونحن نريد ان ندرس ما قالوه ، وما انتهوا إليه من احكام ، عسانا نحصل على نقط ذات اهمية فى نظرنا بالنسبة لهذا الموضوع ، إذ لا يكفى ان نقول إننا نحب او نكره كتابا بعينه ، فانه من المحتم ان نهتدى الى معايير موضوعية تقودنا الى وضع قاعدة صحيحة تقوم عليها احكامنا الأدبية . من هذه المعايير : الاتساق ، الحرفية ، النبرة العاطفية ، الكفاءة او الفاعلية ، القدرة على التاثير فى الآخرين ، الصدق ، رقة وصفاء المواقف الانسانية ، والتوجيه الصحيح ..كما نجحنا فى تحديد معنى كل من هذه المعايير على وجه قاطع .

ولقد تبنينا برنامجا دقيقا ومتميزاً من التذوق ، وقد التمسنا العون من خبراء خارج مجموعتنا ، وقد جاء لمعونتنا على وجه عظيم ، المكتبيون وموظفو المدارس والمدرسون ، والتلاميذ فى منطقة لوس انجلوس وما حولها .وقد تلقينا ما يزيد عن الفي تقرير من اداريين وباحثين تقدموا بعدد ضخم من عينات الدراسة والفحص من تراجم العظماء والتى جمعت ودرست ، اى حللت » ..

انتهت العبارة المنقولة من المقدمة ولست اريد ان اكمل هذه الفقرات لأن ما اعنيه من ترجمتها ونقلها ، المنهج الذى اتبعته هذه المجموعات من الدارسين الذين استخدمهم معهد « ابحاث التراجم » التابع لجامعة جنوب كاليفورنيا ، الذى يصدر



سعد زغلول



محمد عبده



مصطفى كامل

سلسلة « الحياة من خلال التراجم – التراجم الحية » .

وهدف هذا المعهد ، والأسلوب الذى فصلته لك ، هو مقصور على التراجم ، ووضع اسس ادبية ، لتقويم ما يوجد بين أيدى القراء من التراجم ، وإعانة القارىء ، والناقد الأدبى المبتدىء ، وكل الادباء غير المشتغلين بالنقد ، على إصدار احكام صحيحة ، على ما يطالعونه من التراجم .

وقد بدا لى اننا – نحن العرب – فى اشد الحاجة إلى وضع معايير كهذه لتراجم عظمائنا ، ذلك اولا:لأن تراجم عظمائنا ، لقيت لفترة طويلة الاهمال والتقصير ، وقد امتدت هذه الفترات قرونا ، اذ بعد كتاب معجم الأدباء ، ووفيات الأعيـان وبعض كتب الخطط ، التى كانت تحدثنـــا عن شخصيات مجتمعنا العربى ، من ادباء وقضاة وولاة ورجال حكم ، قد توقفت صلاتنا بعظمائنا فى القديم الموغل فى القدم وفى القديم القريب منه ، وحتى فى الحاضر المعاصر . فما اقل ما جمعنا لعظمائنا ، من مذكرات تركوها ، أو رسائل تبادلوها ، أو أوراق تحمل خواطر قصيرة ، ولكنها تكشف عن العالم الداخلى والباطنى للعظيم ، من هموم يومية ، وخواطر نفسية وتعليقات سريعة على شؤون الحياة ومتاعبها ومشكلاتها .

ولما طالت المدة التى تراخت فيها صلاتنا بتاريخنا بعامة ، وتاريخ عظمائنا اصبنا – كتاباً وقراء – بحساسية شديدة كلما قرانا دراسة لشخصية من شخصياتنا ، ولم نعد نطيق أن نسمع فى حق هؤلاء العظماء إلا المديح الخالص . فاذا شاب المديح نقد أو مساءلة ، غضبنا غضباً عنيفاً واعتبرنا النقد تجنياً على العظيم ، او خصومة لا لشخص العظيم موضوع الدراسة ، بل لما يمثله هذا العظيم من معان،سواء كانت وطنية او اجتماعية ار ادبية . وإذا اشتد النقد اعتبر هذا النقد تامراً صريحاً على وطننا او لغتنا ،وضقنا بكل ما جاء فى هذا النقد من امور قد تكون حقائق لاشك فيها .

وليس ثمة شك فى أن من الظواهر الداعية الى الارتياح والسرور ، أن نتعصب لتاريخنا ، وان نقف بالمرصاد ، لكل من يريد أن ينتقص رجالاتنا ،أو يحجب فضلهم ، او يقلل من اياديهم التى طوقوا بها اعناق وطننا ، او لغتنا، أو تلويث ماضينا .

ولا ننكر ان بعض من طويت صدورهم على كره للعرب أو للعروبة ، أو للاسلام او المسلمين ، أو لمصر وللمصريين ، يتزيون فى زي العلماء ، ليسددوا سهامهم الى صميم تاريخنا ، فيلوثوه ، فيسدلوا على جوانب مشرقة منه ، استاراً ، حتى يختفى عن الأعين . ولقد انتهز المستشرقون ، ومن تتلمذ على ايديهم من العرب والمسلمين ، فرصة خلو الميدان من دارسين متمكنين لتاريخنا ، فكثر عـدد المتطفلين والأدعياء ، واثخنوا تاريخنا جراحاً .ولكن بعد اعتبار كل هذه الملابسات ، فتاريخنا القومى ، وتاريخ عظمائنا مهما علا مقدارهم وسمت مكانتهم ليسا مواطن محرمة لا يجوز الدوس خلالها بل هى اماكن للدرس واعادة النظر فى كل العناصر التى سلمنا بها ، واعتبرناها حقائق ، لا يجوز أن تتعرض للمناقشة والتحليل ، فاذا جرؤ كاتب او دارس ، على شىء من ذلك اعتبرنا ما يقوله تجديفاً ، يقارب الكفر ، أو الخيانة ، او المساس بمقدس يجب أن نتكاتف جميعاً فى رده .

والواقع أن هذا المسلك ، ولاسيما اذا اقترن بالمغالاة ، ضار بنا ، ويسيء الى الحركة الفكرية فى بلادنا ، وحسبنا ان نتطلب من الدارس ان يكون مؤهلا لما يتعرض له من الدرس والتمحيص ، وان يكون ما ينشره على الناس ، موثقاً يساق ومعه دليله ، وان تكون مراجعه ومصادره محققة . فاذ توفرت للكاتب هذه الضمانات واختلفنا معه في التقدير الذي ذهب اليه ، وجب أن نعترف أن الأمر امر اختلاف في وجهات النظر . ومن حق اصحابهـــا ان يتناقشــوا ، ويقرعــوا الحجة بالحجة ويقيموا الدليل المستمـد من الكتب ، والدراسات السابقة .

لقد ثـار عـدد من الكتـاب ضدي ، واطلقوا السنتهم في ، حينما تعرضت في بعض ما كتبته لسعد زغلول ، مستنداً الى مذكرات هذا الزعيم التي خطها بقلمه ، ورفضوا أن يراجعوا انفسهم ، ولست ادعي لنفسي العصمة ولم ازعم قط اني من انصار سعد زغلول ، وقد يكون بعض الذي كتبته مؤلماً ولكن كونه كذلك ، لا ينفى انه يستند الى وثائق منشورة ، لم تعد سراً . ولحرصي على الشعور العام ، ورغبتي في الا يظن ان ما اكتبه دعوة حزبية ، توقفت عن تناول هذا الموضوع ، حتى ولو جاء في سياق الحديث وكان الموقف يقتضيه .

ومثل هذا حدث مع غيري بالنسبة للامام محمد عبده ، وظن بعضهم ان المقصود من تناوله وتناول تاريخه ، هو الغض من الاتجاه الدينى الذي يمثله . وهذا امر غير صحيح ولم يفكر فيه احـد .

ودعا الداعون الى الكف عن تناول هذا كله وكانت لهم حجة غير مقبولة: جملتها ان الكتابات التي من هذا القبيل ستهز ثقتنا بتاريخنا ، وستهز ثقة شبابنـــا بامتهم ووطنهم ، وهى حجة داحضة لأن ثقتنا بتاريخنا ونقده يجب ان يقوما على اساس من الدرس الصحيح ، لا المجاملة التي تخفي الحقائق .

ولقد سمعنا كثيراً ما يمس حسن سياسة مصطفى كامل ، بل وما ينسب الى وطنيته الشوائب ، حتى رماه بعضهم بانه كان يدعو الى تبعية مصر لتركيا ، وبانه كان من اعوان مخابرات فرنسا او المانيا ، ولم نغضب لشيء من ذلك ، ولم نطلب اصدار صك حرمان ضد الذين قالوه ، بدعوى ان مصطفى كامل هو مؤسس الحركة الوطنية في مصر ، وان اياديه في عنق بلاده ، وفي سبيل الجامعة الاسلامية ، وفي سبيل الثقافة الوطنية لا تحصى . فهذا كله شيء وتاريخه ونقده ، شيء اخر .

والآن ، هل يمكن ان نطبق الأسلوب الذي اتبعته جامعة جنوب كليفورنيا ، ونؤلف جماعات تضم مختلف المذاهب الأدبية ومنـاهج التاريخ ، لتضـع لنـا دراسات نموذجية لعدد من اكبر زعمائنا وقادتنا وعلمائنا ومفكرينا مؤيدة بالمراجع ، والوثائق لتكون نبراساً لشباب الباحثين في بلادنا ، ولتطمئن المؤرخين الى تاريخ بلادهم ، وصدق تناوله ، وبعده عن الغرض وبراءته من القصور .

أخطر ما عرفه الإنسان حتى الآن

ثورة المعلومات والاتصالات

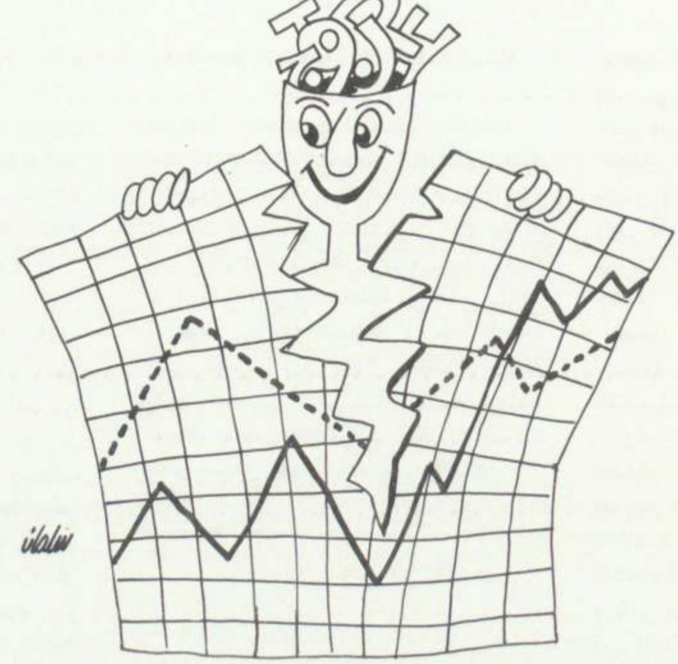
بقلم: الدكتور علي الدين هلال

يعيش عالمنا اليوم فى ثورة علمية وتكنولوجية جديدة، منها ثورة الذكاء، ومنها ثورة الهندسة الوراثية، ومنها ثورة المعلومات التى افرزت تعبيراً جديداً فى الأدب السياسى والاجتماعى هو Telematics وتقوم هذه الثورة على منجزات العلم فى مجالات الكومبيوتر (أو الحاسب الآلي) ، وبالذات الأجيال الجديدة منه ، والأقمار الصناعية والالكترونيات الدقيقة، وازداد عدد العاملين فى هذا المجال . ففى حالة الاقتصاد الامريكى مثلا كان عدد المشتغلين فى مجال المعلومات أكثر من أولئك الذين يشتغلون بالمناجم والزراعة والصناعة مجتمعين فى عام ١٩٧٥ .

وكما ادت الثورة الصناعية الى توسيع دائرة سيطرة الانسان على الطبيعة وعلى البيئة المحيطة به فان ثورة المعلومات لها تاثير مماثل . ولكن على خلاف الثورة الصناعية التى اعتمدت على مصادر غير متجددة مثل الحديد او النفط، وترتب على ذلك ان هناك حدوداً لنموها ولتطويرها ، فان ثورة المعلومات تعتمد على مصدر متجدد ، وهو التدفق اللامتناهى واللامحدود للمعرفة والأفكار . لذلك فان البعض يسمى عصرنا هذا بعصر المعلومات او عصر الالكترونيات .

لقد مكن التقدم العلمى فى مجالات الأقمار الصناعية والحاسبات الآلية والالكترونيات الدقيقة من تخزين وتشغيل واسترجاع وارسال واستقبال كميات هائلة من المعلومات بنفقات متناقصة وفى أشكال مختلفة (جمل - جداول - اشكال بيانية - صور) وفى وقت محدود للغاية . وادى هذا إلى اعادة النظر فى مفهوم المعلومات وفى كيفية استخدامها والآثار المترتبة عليها بحيث اصبح ينظر لها اليوم كمصدر متجدد وكاحد الموارد الاقتصادية شانها فى ذلك شان عناصر الانتاج التقليدية الاخرى (رأس مال وعمل وارض وادارة) . ويتسم هذا المورد الجديد باربع سمات هامة تميزها عن الموارد الأخرى هى ان مصدره العقل الانسانى ، وانه مصدر لا نهائى متجدد ومستمر ولا ينضب ، وانه يمكن ان يتناوله الناس ويشتركون فيه دون ان تضيع قيمته او يبلى ، وانه يمكن نقله من مكان إلى اخر بسرعة فائقة تصل الى اسرع من سرعة الضوء وذلك فى حالة استخدام الأقمار الصناعية .

ونستطيع ان نتبين بعض معالم هذه الثورة اذا عرفنا التطورات الأخيرة فى مجال الحاسب الآلى والالكترونيات الدقيقة .



يبدو ان الحاسب الآلى هو رمز التقدم فى هذا العالم وهناك صراع دولى صامت بين الدول الكبرى حول التقدم فى هذا المجال ، وبالذات بين أمريكا واليابان حول صنع الجيل الخامس من هذه الآلات . ومع نهاية الثمانينات فان اجهزة الحاسب الآلى ستكون قادرة على الاستجابة إلى الذبذبات الصوتية ولن يصبح من الضرورى التعامل معها بالازرار ، كما سوف تزداد قدرتها على « القراءة » والاطلاع بسرعة تفوق قدرة الانسان ، وسوف يتحكم الحاسب فى عمليات الانتاج وضبط الجودة واتباع المقاييس المطلوبة فى الانتاج بنسبة تصل الى ٩٠٪ من اجمالى العملية الانتاجية .

ولكن التحدى الكبير الذى يتصدى له اساسا كل من اليابانيين والأمريكيين هو محاولة بناء حاسب الى يتمتع بالذكاء الصناعى اى لديه القدرة على الفهم والتفكير . ويقصد بالذكاء الصناعى وجود جهاز يمتلك مختلف القدرات التى اصطلح على ربطها بالذكاء الانسانى وعلى ممارسة العمليات المنطقية المختلفة .. وذلك من خلال فهم عملية التفكير الانسانى وبناء اجهزة تقوم بنفس الخطوات التى يمارسها العقل الانسانى ، فالأجهزة الحالية هى مخازن هائلة للمعلومات ولكن الانسان هو الذى يقودها الى مكان المعلومة او البيان فى ذاكرتها ، وهو الذى يحدد طريقة او نوع التحليل للمشكلة التى يريد حلها ، والذى يحاولونه اليوم هو بناء جهاز يستطيع ان يتذكر بنفسه وان يقرا بيانات ووثائق بعدة لغات وان يستخدم التليفون . باختصار جهاز يستطيع أن يبرمج نفسه بنفسه .

اما الالكترونيات الدقيقة فيقصد بها « الفن الالكترونى المستخدم لتحقيق دوائر ومعدات ونظم الكترونية من مكونات متناهية الصغر » وكانت بدايتها الأولية جهاز الترانزستور فى بداية الخمسينات .

وتطورت صناعة الحاسبات الآلية الدقيقة (المايكرو الكترونية) فى السبعينات بدرجة كبيرة ادت الى زيادة فعالية وكفاءة هذه الأجهزة مع تناقص اسعارها ، وتقليل حجمها ، وسهولة تشغيلها واستخدامها .

لذلك تعتبر هذه الصناعة مثلا من اكثر الصناعات الامريكية نموا . ففى عام ١٩٧٨ / ١٩٧٩ حققت زيادة فى عائدها بلغ نسبة ٣٥٪ . وينتظر ان تنمو صناعة الالكترونيات فى الثمانينات فى العالم من حجم ناتج تبلغ اسعاره ١٠٠ بليون دولار فى عام ١٩٨٠ الى ٤٠٠ بليون دولار فى عام ١٩٩٠ ، وان تصبح الصناعة الرابعة فى العالم بعد صناعات السيارات والصلب والكيماويات التى ينتظر ان يبلغ عائد ناتج كل منها ٥٠٠ بليون دولار خلال نفس الفترة .

سقوط حاجز المسافة

وقد ادت هذه الثورة فى مجال الحاسبات والاتصالات إلى نتائج اجتماعية هامة . اول هذه النتائج سقوط حاجز المسافات بشكل فعلى محسوس فى داخل كل مجتمع ، فوفرت التكنولوجيا المتقدمة مثلا امكانية ربط دولة مثل اندونيسيا تتكون من آلاف الجزر بنظام تليفونى يعتمد على القمر الصناعى .

ثانى هذه النتائج انتقال المعلومات عبر الحدود بين الدول بيسر وسهولة . وصحيح ان الجرائد والكتب والمجلات كانت تنتقل دائما ومنذ سنوات طويلة ، ولكن الجديد هو اليسر والسرعة التى يتم بها اليوم انتقال معلومات جمعت فى مكان ما وخزنت فى مكان ثان ، وتم تحليلها فى مكان ثالث ، ثم ارسلت نتائج التحليل إلى مكان رابع . ويستطيع الانسان اليوم فى اغلب مناطق العالم أن يرى ويتابع مباشرة الوقائع عند لحظة وقوعها مثل تتبع مباريات الأولمبياد او الأحداث السياسية الكبرى من خلال القمر الصناعى ، ويستطيع الباحث ان يتعامل تليفونيا - ايضا من خلال القمر الصناعى - مع مراكز المعلومات فى دول اخرى تفصله عنها بحار ومحيطات وآلاف

الأميال ، وان يحصل منها كتـــابة على ما يريده من معلومات وبيانات فى لحظات . وهكذا فان انتقال المعلومات اليوم اصبح أحد مظاهر واشكال انتقال السلع وادى الى انشاء صناعة متزايدة هى صـــناعة المعلومات التى تتمثل فى عمليات جمع وتصنيف وتلخيص واســـترجاع هذه المعلومات .

وادى التطور التكنولوجى الى مظاهر جديدة لم تكن ممكنة او موجودة من قبل ، مثل طبع الجرائد اليومية واصدارها فى اكثر من مكان وعاصمة فى نفس اليوم بعد نقلها عبر الأقمار الصناعية . ولن تمر غير سنوات قليلة قبل أن نرى « البث التليفزيونى الموجه » على غرار الاذاعة الموجهة بحيث يستطيع المواطن العربى فى القاهرة أو بغداد أو الرياض مثلا ان يفتح جهـــاز التليفزيون الخـــاص به لكي يتلقى البث الموجه من الولايات المتحدة او الاتحـــاد السوفيتى ، كما ان هذا التقدم التكنولوجى يفتح الباب أمام امكانية عقد اجتماعات بين اشخاص يقيمون فى بلاد مختلفة ويستطيعون ان يروا بعضهم بعضا من خلال الفيديو وان يتحاوروا مع بعضهم البعض ، وان يراقب كل منهم رد فعـــل ما يقوله على وجه الآخر .

ولكل من هذه التطورات نتائج هامة ويكفى ان ناخذ على سبيل المثال موضوع الرقابة على الاعلام او المطبوعات فما معنى هذا مثلا على ضوء امكانية تلقى المواطن العادى للبث التليفزيونى الامريكى او السوفيتى ؟ وقد يفتح هذا التطور الباب لاختراع اجهزة التشويش على هذا البث كما هو الحال فى اجهزة التشـــويش الاذاعى .

وثالث هذه النتائج يتعلق بتحسين الاداء واتخاذ القرار فى مختلف المجالات والقطاعات . ففى مجال الانتاج مثلا توجد اجهزة التحكم الآلى فى الآلات والمعدات والتى تراقب الدقة فى التشغيل وجودة الأداء ، وفى مجال السلاح والحرب لم تعد الأسلحة الحديثة تعتمد على مهارات فردية أو قدرات شـــخصية بل تقـــوم اجهزة الحاسب الآلى بكشف الأهداف وتحديد مواقعها والتوجيه التلقـــائى للصواريخ والطائرات ، وتقوم نفس الأجهزة بقيادة وتوجيه هبوط الطائرات ، ومع هذا التقدم والتنوع فى الاستخدام تم تصغير حجم هذه الأجهزة بشكل مستمر . وفى مجال المستشفيات تقوم هذه الأجهزة بمراقبة الحالات المرضية الدقيقة ، وبتسجيل نتائج الفحوص الطبية وبتحليل الاختبارات المطلوبة فى الحال ، ويستطيع الطبيب فى بعض المستشفيات المتقدمة ان يجرى استشارات عاجلة وهو يقوم بعملية جراحية لمريض اذا صادفه شىء غير متوقع أو اراد مراجعة الحالات المماثلة للحالة التى يقوم بها ، وفى مجال استخدام الطاقة يقوم الحاسب الآلى مثلا بضبط ورقابة استخدام بنزين العربات ويحدد السرعة التى تحقق افضل استخدام ممكن .

أين نحن من كل هذا ؟

اما فى الأجل الطويل فسوف يكون لثورة المعلومات آثار أكثر عمقا فى المجتمع تقارب تلك المرتبطة بالثورة الصناعية . وهذه الآثار هى موضع بحث ونقاش بين المفكرين الاجتماعيين اليوم . فهناك قضية قدرة الانسان على استيعاب هذه التغيرات وعلى التعامل معها ، وهناك تاثيرها على التنظيم الاجتماعى وعلاقات العمل . فعلى عكس الثورة الصناعية التى فصلت بين المنزل ومكان العمل فان ثورة المعلومات والاتصالات لها تاثير معاكس . ويستطيع المشتغلون بصناعة المعلومات ان يقوموا بوظائفهم فى منازلهم دونما حاجة الى التركز فى مكان واحد ، وسيكون لذلك تاثيره على مركزية العمل ، وسوف يدعم اتجاهات اللامركزية ، كما انها سوف تؤثر على مفهوم الســـلطة . ففى التنظيم الاقتصادى والادارى الراهن فى العالم فان شاغلى المناصب العليا فى المجتمع عادة ما يكونون أكثر معرفة بالمعلومات وعادة ما يكون حجم المعلومات المتاح لشخص ما هو مؤشر على مكانته او نفوذه فى المجتمع . فى مقابل ذلك فان ثورة المعلومات سوف تجعل اعداداً كبيرة من المواطنين على بينة من الكثير من البيانات ، واخيراً سوف يكون لثورة المعلومات تاثيرها على المواصلات وحاجة الانسان الى الانتقال المادى من مكان الى آخر للتعرف على امر ما أو لتبادل الراى فى قضية ما .

ثورة المعلومات لها ايضاً آثار على مفهوم التعليم ونوع القدرات العقلية التى ينبغى ان يخاطبها ويسعى إلى تنميتها ، ففى سياق هذه الثورة فان التعليم يركز على قدرات حل المشاكل ، والتعرف على الحلول المختلفة لها ، والقدرة على ابتكار حلول واساليب جديدة ، ويقدم الحاسب الآلى طرقاً جديدة للتعليم . ويندر ان توجد مدرسة فى البلاد المتقدمة تخلو من جهاز حاسب آلى بحيث اصبحت القدرة على التعامل مع الحاسب الآلى وعمل برامج مبسطة من المهارات التى تقوم المدارس الثانوية بتوفيرها لطلبتها .

وثورة المعلومات ليست بلا مشاكل او مخاطر . فهناك مشكلة خصوصية الانسان وقدرته على الاحتفاظ بدائرة من المعلومات الخاصة وعجزه عن ذلك امام ثورة المعلومات التى تقتحم حياته الخاصة وتضع كل المعلومات والبيانات المتعلقة به فى الحاسب الآلى والتى يتم تجميعها وتحديثها باستمرار ، وهكذا فان ثـــورة المعلومات يمكن ان تدعم جهاز الدولة او الاقليات المسيطرة فى مواجهة الفرد . وهناك مشكلة تدفق المعلومات والآثار السياسية المترتبة على ذلك فى حالة البث التليفزيونى المباشر من الدول الكبرى وامكانات الغزو الفكرى والتسلل الثقافى والتاثير على الأمزجة والعقول . وهناك مشكلة الملكية ومن يملك صناعة المعلومات ومن ثم يستطيع ان يوجهها لخدمة اهداف معينة دون اخرى .

وثورة المعلومات تحدث حولنا ، وحتى الآن فاننا من المستفيدين من نتائجها دون ان نشارك فى صنعها ، ومازلنا نستورد آلاتها واجهزتها ونستخدمها دون أن نسعى للحصول على المعرفة العلمية وعلى الخبرة اللازمة للمشاركة فى هذه الثورة . وخطورة ذلك ان هذه الثورة سوف تزيد الهوة بين المتقدمين والمتخلفين ، وسوف تعطى الأقوياء أدوات جديدة للسيطرة ولممارسة النفوذ . فلماذا لا يكون هناك مثلا هدف تصنيع كومبيوتر عربى كما فعلت الهند ويكون هناك قدرة وصناعة عربية فى مجال الحاسبات الآلية . وصحيح انه طريق صعب ويحتاج الى وقت وجهد ولكنه الطريق الوحيد فيما اتصور لوضـــع مجتمعاتنا على الطريق السليم .

العالم يتغير من حولنا .

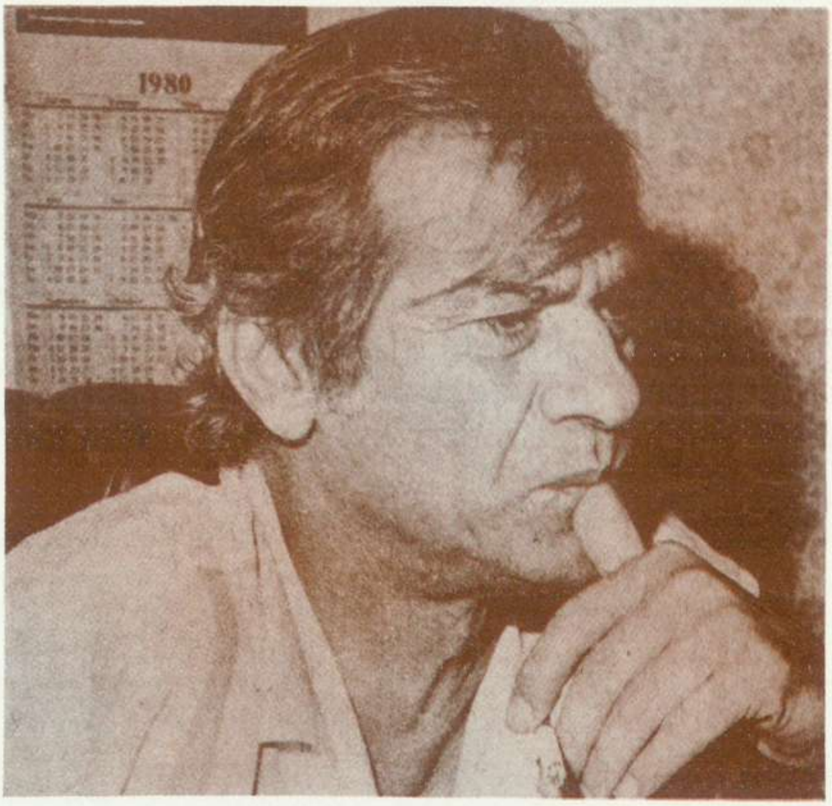
فاين نحن من هذا ؟

علي الدين هلال

معين بسيسو

القنديل الذي لم ينطفئ

بقلم : حمدي الكحلوت



بموت جسد معين لا ينفد الزيت فى القنديل .. ويواصل الأبطال اشعال الفتيل .. وتغمس البنادق حرابها فى وهج الكلمات .. وتضرب شجرة الزيتون جذورها الى الأعماق البعيدة ..فى أرض فلسطين . تشرب من روح الكلمات الشاعرة .. وتعصر زيتاً للقنديل .. فتطل وجوه شهداء الكلمة ـ الفعل .. قوافل من نور .. فيضيء كتف الجبل صوت عبد الرحيم محمود.. عز الدين القسام.. عبد القادر الحسيني .. حسن سلامه .. وتزمجر اصوات غسان كنفاني .. كمال ناصر .. راشد حسين .. ماجد ابو شرار .. نعيم خضر .. علي فوده .. محمود الهمشري .. وأمل زعيتر .. معين بسيسو .. ولا ينطفيء القنديل .

تتنوع أسباب الموت .. موت فى الغربة .. وموت فى الثورة .. وموت تتوهج فيه الآمال .. وموت ينقهر فيه الموت .. والبقاء واحد .. بقاء الكلمة ـ الجمرة او الفكرة ـ الفعل .. لكي يستمر الزيت .. ويواصل الأبطال اشعال الفتيل .. حتى الفجر .

وبين مولده عام ١٩٢٦ فى غزة وبين وفاته عام ١٩٨٤ فى لندن تمضى روح معين فى رحلة سفر لا تعرف الاستقرار .. ولا تعرف المهادنة .. تفتش عن الوطن .. وتهتف للحرية وللكتابة .. والسفر الطويل :

سفر .. سفر (١)
موج يترجمني الى كل اللغات وينكسر
موجاً على كل اللغات وانكسر
سطراً .. سطره
سفن .. سفر
سفن .. كلاب البحر اشرعة السفن
زمن يفتش عن وطن
زمن .. زمن

وفى احياء غزة القديمة ينشا معين ويتنسم عبق التاريخ .. ويتعلم من مدينته مقارعة الزمن وكيفية التعامل مع الغزاة .. وتتكون مع يفاعته وشبابه روح التمرد وبذور الثورة والغضب وهو يرى جموع النازحين تقتلع من مزارعها وبيوتها فى فلسطين امام زوابع الارهاب الصهيونى وتبحث عن الماوى وعن كسر الخبز بعد نكبة عام ١٩٤٨ فينفجر شعره صلابة وتحريضاً واملا :

ولكنه سوف ياتى الصـــــباح
ويكسر ابـــواب هذا الضــــباب (٢)
يضيء لنـــا ارض آبائنـــــا
وارض طفولتنـــا والشــــباب
فتورق آمالنـــا كالغصـــون
وكانت جـــذوراً ببطن التراب
فقم وادع مثلي ليــوم الخلاص
وميلاد تلك الأماني العـــذاب
وإن قيدوك وإن عذبـــوك
وإن هددوك بشر العقـــاب
فلا تستكن يا ابن هـــذا التراب
امام وحوش الحيــاة الغضاب

وبعد عام ١٩٤٨ يشد شاعرنا الرحال الى القاهرة ليكمل تعليمه الجامعي وينفتح على عوالمها الخصبة ويتشرب منها قطرات العلم ويتسمع أنات المعذبين والمقهورين فتمتـزج صورة أهله المشردين فى غزة مع صور البسطاء من اهله فى مصر فتحضره صورة غزه المعذبة :

هذى هى الحسناء غزة فى ماتمها تدور (٣)
مابين جوعى فى الخيام وبين عطشى فى القبور
ومعذب يقتات من دمه ويعتصر الجذور
صور من الاذلال فاغضب ايها الشعب الأسير
فسياطهم كتبت مصائرنا على تلك الظهور

وينهي معين تعليمه فى مصر عام ١٩٥٢ وفى نفس العام يصـــــدر ديوانه الاول :

« المعركة » الذى افتخر بانه طبع على نفقة العمال والفلاحين المصريين وعايش فيه همومهم واحلامهم وسجل فيه الارهاصات الأولى لمعركة القناة التى حفرها ابناء مصر بعرقهم ودمهم واظافرهم وقدمت هدية لجلاديهم محرمة على اصحابها فيصرخ

معين أن « ارفعـــوا ايديكم عن ارض القناة » :

فبحار العالم المصطخبة (٤)
لم تعد أمواجها للقرصنة
والأيادى العفنة
ليس هذا عصر توفيق الجبان
لا ولا عصر ديجول
مونتجومرى والفلول

ويرف طائر الغربة بجناحيه فى قلب شاعرنا فيفرد اشرعته الى عاصمة عربية اخرى ويسافر الى بغداد ويعمل فيها مدرساً فتصدمه صورة السجن الكبير المفروض على اشقائه فى العراق فى عهد نوري السعيد والأحلاف مع المستعمر الانجليزى

فيزفر شعره جمراً يحرق اطراف الواقع المؤلم ويضيء طريق الغد رؤى مستقبلية مشرقة تتخطى القيد والسجان :

سيظل يحرسه العراق (٥)
سيظل يخفق فى العراق
فى ظل اقواس المشانق والرصاص
قلب المقاومة العنيدة والخلاص
جنباً الى جنب يدق مع القلوب
اترى الى شعب العراق
يعدو باشلاء الوثاق ؟
وعلى جواد من لهب
فى أرض معركة الشعوب .

وترنو عينا معين الى مدينته فيعود اليها عام ١٩٥٣ مديراً لاحدى مدارس وكالة غوث اللاجئين ، وما كانت الادارة تعني للشاعر العملاق الا انها اقتراب اكثر من جماهير شعبه وهمومه وما كانت التربية فى مفهومه النضالي الصلب الا بث الروح الوطنية وتاجيج مشاعر الصغار والكبار للثار من غاصبي فلسطين وتثوير تجمعات البؤس فى المخيمات لتخرج عن هدوئها وصمتها وعن همهمات الحزن والغضب المتخفية تحت الأسمال والرماد ولتنطق المدافع الخرساء على كل الحدود .. ويدفع الشاعر المناضل ثمن تغزله بالبندقية سنوات طويلة فى المعتقلات داخل غزه وخارجها ولكن الكلمة ـ الفعل تصر على

الشاعر معين بسيسو في كلمات

● ولد فى غزه عام ١٩٣٠ م .

● سافر الى مصر عام ١٩٤٨ لتلقي العلم وتخرج عام ١٩٥٢ .

● عمل معلماً فى العراق ثم عاد الى غزه عام ١٩٥٣ كمدير لاحدى المدارس التابعة لوكالة غوث اللاجئين بقطاع غزه

● اعتقل فى الفترة ما بين ١٩٥٥ ـ ١٩٥٨ وفى الفترة ما بين ١٩٥٩ ـ ١٩٦٣ لنشاطه السياسي وصلابة موقفه المنحاز لوطنه وللمعذبين فى الأرض .

● نشر احد عشر ديوانا من الشعر صدر أولها « المعركة » عام ١٩٥٢ فى القاهرة وكان اخرها « خذي جسدي كيساً من رمل » الذى ضمنه « الأعمال الكاملة » عام ١٩٧٩ فى بيروت .

● امتد نشاطه الابداعى من الشعر السياسي الملتزم الى المسرح الجاد فكتب مسرحيات كانت اولها « ماساة جيفارا » وكان اخرها : « محاكمة كتاب كليله ودمنة » وجمعت كلها فى كتاب بالاضافة الى كتبه وابحاثه الاخرى .

● نال جائزة اللوتس العالمية عام ١٩٨٠ كما نال « درع الثورة » اعلى وسام فلسطيني كما تراس تحــــرير مجـلة « اللوتس » فى طبعتها العربية وهو عضو فى المجلس الوطني الفلسطيني ومسؤول الشؤون الثقافية فى الامانة العامة للاتحاد العام للكتـــاب والصـحفيين الفلسطينيين .

● توفى فى لندن يوم الاربعاء ٢٥ يناير ١٩٨٤ اثر نوبة قلبية وهو فى طريقه الى موسكو فى مهمة رسمية لوطنه ودفن جثمانه فى القاهرة بناء على طلب اسرته .

المؤرخ الوجداني للشقاء الفلسطيني



اسمحوا لي ان اتحسس بوجع علني قطعة من قلبي سقطت امس . زميلي واحد رفاق طريقي وقصيدتي ، معين بسيسو ، خذله القلب فسكت فى احدى محطات المنافى الكثيرة .

اليس من حق الشاعر ان يواصل فرح اللحظة ؟ لا ، ليس من حقه خاصة اذا كان إبناً لتلك الارض الاسطورية التى فتحت له ابواب كل المنافى وحرمته من زنزانة واحدة فى وطنه . وانا لا اعجب من كيفية موتنا السريع ، بل اعجب من شهية الحياة فينا التى ترغم القلب المثقل بالأسئلة والمجازر على البقاء قليلا ريثما يواصل الشاعر قصيدته وهى وطنه اللغوى ، أو وطنه المؤقت فى اللغة . كم طال هذا « المؤقت » دون ان يطمئن اي شاعر فينا إلى ختام النشيد . لذلك نسرق وقت الكتابة وكانه الوقت الاخير . كل قصيدة نكتبها هى القصيدة الاولى والاخيرة .

تعرفت على معين بسيسو فى القاهرة . كان رفيقى فى كل رحيل ، فالى اين ارحل بعده ؟ كان عاصفة من نشاط النحل .. لم يتوقف عن الأمل والحلم الا ليهجو الزمن الذى عاش فيه . كان حضوره كاملا ، فبم نملأ غيابه ؟

خريج سجون بامتياز . شاعر حاد الطبع واللغة . لا يضرب إلا ليصيب . كرس طاقته الشعرية الكبيرة لمواكبة السعى الفلسطيني إلى هوية وثورة ووطن . وكان المؤرخ الوجدانى للشقاء الفلسطيني الحديث . وكان مناضلا صلباً فى كل المعارك التى خاضتها الثورة الفلسطينية ضد محاولات طمس الهوية ، والشخصية الوطنية المستقلة والوجود الجسدى . كانت قصائده اليومية اثناء حصار تل الزعتر اسلحة صمود . وكانت كتابته اليومية اثناء حصار بيروت اسلحة صمود وثقة عالية بقدرة الجسد والفكرة على التصدي لوحشية الفولاذ ، لأن ارادته كانت من فولاذ مضاد .

وكان حلمه الشخصى ان يموت هناك فى كوخ على شاطىء غزة التى اعتبرها أجمل المدن . وكان يعدنى بان يبني لي كوخاً على اجمل السواحل ، كان يتحدانى مداعباً بانه سيرثيني ، وانني لن اعيش بعده .

لقد كذب علي معين بسيسو لأنه لم يعد لي : لا كوخاً ولا قبراً فى الأرض التى نحلم بالموت فيها . هكذا نحن الفلسطينيين لا يحق لنا ان نختار المهد ولا اللحد .. ولكننا نختار المسافة بينهما ، نختار الحياة كما نريدها بكرامة واصرار على الا ننحني ، بالاصرار على النصر .. وهى ثورة حتى النصر .

محمود درويش

الخروج الى القنديل زيتاً ولو من وراء القضبان يضيء قطار العودة ويدق على ابواب الصمت :

حينما تومض فى عيني غزه (٦)
حينما تنمو كغابة
حينما يلمع برق الكلمات
كلمات من حديد
تطرق الباب الحديد
اطرقي يا قاهره
واطرقي يا غزتي

ويعود طائر السفر يحوم بجناحه على العواصم والبلدان من بيروت الى بغداد الى دمشق الى القاهرة ومن منفى الى حصار ومن أهازيج الشهداء احبابه الى اغانى القناديل المضيئة على دروب المناضلين .. وحين يضنيه الترحال وطعن النصال من الامام والخلف يجلس ليهمس بحلمه فى رؤية ارض وطنه وتلمسها الى ابنته دالية :

الف شتاء قد مر ومازال (٨)
مصلوبك يا وطنى يحلم ،
لو تلمس قدماه
الأرض النائية كنجم
لو يمشي ،
لو يسمع وقع خطاه

وحين يحاصر فى « تل الزعتر » يصرخ وهو يرى سر المأساة ماثلة بوضوح كالشمس أمام الأعين المقاتلة :

« تل الزعتر » (٨)
يا جرحاً يتسع ويصبح ،
هذا الوطن الأكبر .
غنيت طويلا للدالية على جبل « الكرمل »
وكتبت كثيراً للزيتونة فى جبل «القسطل»
وحملتك يا غزة
أو على غزة
كان العنق يذوب كشمعه
والأطفال وراء المتراس « بتل الزعتر »
فى « جسر الباشا » و « النبعة » ..

وفى بيروت يتمترس العشق والثورة والأمل فى قصيدة اخيرة تسافر الى الوطن وتتحدى جيوش الغزاة وبعد بيروت ينكسر جناح الطائر المسافر ولكنه ما يزال يحلق فى آفاق الغربة والثورة والحلم الى أن يحط فى عاصمة الضباب فيخر من الأعلى كشجرة تموت واقفة وما عاد القلب يقوى

على المزيد من الخفقات وما عاد الصوت الجهورى يقوى على الوقوف فى أعلى السارية ليصيح فى شعبه « جزيرة جديدة فى الأفق .. قصيدة جديدة » لكن العطاء كان وفيراً والزيت يملأ القنديل .. ينطفىء فتيل ويشتعل الف فتيل .. ولا ينطفىء القنديل .

حمدي الكحلوت

مصادر واشارات :

(١) من اخر اعمال معين بسيسو الشعرية « قصيدة فى زجاجة » .
(٢) من قصيدة « المهاجرون » فى ديوان «المعركة»
(٣) من قصيدة « المدينة المحاصرة » فى ديوان « المعركة » .
(٤) من قصيدة « ارفعوا ايديكم عن القناة » فى « المعركة » .
(٥) من قصيدة « السجن الكبير » فى ديوان « المعركة » .
(٦) من قصيدة « ارفعوا الأيدى عن ارض القناة - ديوان حينما تمطر الاحجار .
(٧) من قصيدة (الى طفلتي داليه) من ديوان (فلسطين فى القلب) .
(٨) من قصيدة (برقية الى تل الزعتر) من ديوان (الآن خذى جسدى كيساً من رمل) .

حوار مع الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني

من أزمة الشعر.. إلى أزمة الإنسان!

أجرى الحوار: يوسف الحرمي

- معظم دور النشر العربية تأكل الحقوق المادية للشعراء
- الشعر التجريدي سقط وأعلن افلاسه حتى فى الغرب
- نظرية أدونيس فى الشعر نوع من الهيروغليفية لا يمت للأدب العربى بأى صلة
- هناك شعراء لا يعرفون شيئاً عن اللغة والموسيقى ومع ذلك تفتح لهم المطابع صدرها
- في الساحة الأدبية من يحملون اسم الناقد دون ان يستحقوا هذه التسمية
- قصيدة النثر أكذوبة أدبية يرفضها الذوق السليم

فى حوار مع الشاعر القطرى الكبير مبارك ابن سيف آل ثانى، تطرقنا إلى عدة قضايا هامة حول كافة الهموم التى تعترى الحياة الثقافية فى وطننا العربى.

وشاعرنا الكبير لم يعرفه جمهوره من خلال قصائده المتالقة فى العديد من الصحف والمجلات القطرية والخليجية والعربية، ولكنهم يعرفونه ـ كذلك ـ من خلال ديوانيه: انشودة الخليج، والليل والضفاف.. وهما الديوانان اللذان برز فيها اهتمام الشاعر بمعاناة الانسان الخليجى منذ ايام الغوص، ومعاناة الانسان العربى بقضاياه الراهنة

قلت للشاعر مبارك بن سيف آل ثانى، ما رايكم فيما يردده الكثير من النقاد من ان القصيدة العربية تمر بازمة فى المرحلة الراهنة ؟..

وقال لى: لا اعتقد ان القصيدة العربية تمر بازمة كما يشيع البعض، يمكننا ان نقول إن هناك قلة من الشعراء فى عالمنا العربى، بالمقارنة بالعصر الذهبى للشعر ـ إذا جاز هذا التعبير ـ واقصد بالعصر الذهبى على وجه التحديد الثلث الأول من هذا القرن والسنوات التى تلته، عندما كان هناك توهج للشعر وذيوع بالغ لصيت الشعراء، وما نراه الآن ليس إلا لحظة من الركود المصطنع فى وجه انتشار الشعر الجيد، صحيح ان الساحة تفتقر إلى قلة المواهب مقارنة بالماضى، لكن هذا لا يعنى انها خالية من الشعراء الجيدين، ومن المواهب المدفونة التى لا تجد من ينفض التراب عن اعمالها الجيدة وياخذ بيدها لتحتل مكانها المطلوب فى مجتمعها.. وهذا بالطبع يعود إما إلى تقصير من صاحب الموهبة نفسه، أو إحباط يعانى منه نتيجة لعدم اهتمام المجلات الادبية المتخصصة واهمالها للجيل الجديد من الشعراء.. ولذا فانا ارى ان اللوم يقع اولا على وسائل النشر الخاصة والعامة التى بيدها امكانية التوجيه للمواهب الحقيقية وتهيئة الاجواء الكفيلة بوجود صحوة ادبية وفنية نتمناها ونترقبها بفارغ الصبر، وهذا بالطبع إضافة إلى ضرورة ان يتفهم الشاعر الموهوب معنى ومفهوم الموهبة. فالموهبة ستظل اداة قاصرة ما لم تصقل نفسها بالدراسات المكثفة والقراءة المستمرة لكافة التجارب الانسانية، ويكفى ان اقول إن ابا العلاء المعرى مثلا لم يعتمد على ذكائه وموهبته الفذة، بل كان واسع الثقافة فى كل فروع المعرفة حتى ان «التبريزى» قال عنه «ما اعرف أن العرب نطقت بكلمة ولم يعرفها المعرى»!

● ولكننا نلاحظ فى بعض الدول العربية اهتماماً بالكتابة الأدبية يسبق باستمرار الصقل الفكرى، فهل يمثل ذلك عيباً ثقافيا ؟

ـ عموماً الادب نتاج فكرى تشوبه العاطفة ولهذا فانا لا اجد اى تعارض بين العمل الأدبى والعمل الفكرى، فلكى تكون أديباً لابد ان تسلح نفسك اولا باسلحة



الشاعر مبارك بن سيف آل ثاني
فى حواره مع الدوحة



الاديب التى من بينها الثقافة والرؤيـــة الموضوعية للاشياء والحاسة التى تلتقط وتحلل اعتماداً على خلفيتها من القراءة والاطلاع . وإذا كان ذلك مطلوباً للشاعر والروائى والقاص فانه مطلوب بصورة اكبر للناقد الذى يصدر احكامه على الأعمال الأدبية ، فالنقاد الحقيقيون الذين يعتد برايهم ـ للاسف ـ اصبحوا قلة ، بينما راينا فى الساحة العديد من الذين يحملون هذه التسمية بدون ادنى مؤهلاتها ، وأصبح الأدباء الشبان لا يجنون من الكتابات النقدية لهؤلاء غير الابحار فى امواج من الأهواء الشخصية والمقاييس الخاطئة .

واعود فاكرر بان وسائل النشر فى عالمنا العربى هى المسئولة عن كل ذلك ، فهى اداة توجيه ، يمكنها ان تحيى تراثنا الأدبى من جديد إذا ارادت ، ويمكنها ان تبعث الدفء فى حياتنا الثقافية بطرح القضايا الأدبية الهامة وإلقاء الضوء على المواهب الصاعدة .. إن صحفنا مثلا تخصص في كل يوم صفحة للرياضة واحيانا صفحتين ، وهذا جميل لان صحة الابدان من صحة العقول ، ولكن لماذا لا تعطى هذه الصحف الأدب والثقافة نفس القدر ؟ لماذا تخصص صفحة ادبية واحدة كل اسبوع ؟ ولماذا تكتفى بعض الصحف العربية ـ فقط بركن فى احدى صفحاتها للادب ؟ .. وكذلك برامج التليفزيون انها لا تخصص اكثر من نصف ساعة للبرامج الأدبية فى الاسبوع .. وهذا بخلاف دور نشر الكتاب على امتداد عالمنا العربى التى اصبحت تنظر للشعر والقصة على انهما فن لا يحقق المكسب التجارى الذى تحققه الكتب الهابطة التى تثير غرائز القراء .. واذا كان هذا هو الحال فماذا ننتظر أو ماذا نجنى غير تناقص حب الثقافة والرغبة فى القراءة الجادة لدى الناس ؟!

مستقبل الأدب

قلت للشاعر مبارك بن سيف آل ثانى :

● هل يمكننا ان نضع مقاييس للقصيدة الجيدة ، وما هى المعايير التى تجعلنا قادرين على التمييز بين الشعر الجيـــد والشعر الردىء ؟

ـ القصيدة الجيدة لابد ان يتوفر فيها المضمون والبناء الفنى الجيد ، وان تكون بها اصالة فنية وإبداع ، وهما ما يستطيع اى متذوق ان يميزه ، ولكن هناك من يدعون الشعر دون تاهيل، ويخرجون علينا من المطابع وبايديهم دواوين شعر ركيكة غثة فى لغتها وبنائها وقواعدها وعروضها وقافيتها ، وهذا من شانه ان يثير فى نفوسنا الخشية على مستقبل الشعر والأدب فى بلادنا ، وعموماً فان تنامى التذوق لدى القراء هو الذى يكشف هؤلاء المصنوعين ، على حد تعبير الدكتور حسن نعمة .

واعتقد ان تلك المشكلة موجودة فى عالمنا العربى بصفة عامة ، مع بعض التفاوت والتمايز من بلد لآخر نتيجة لاسبقية دخول التعليم والاهتمام بالتربية الثقافية . وهذا ـ بالطبع ـ يتطلب مجهوداً مكثفاً من كل وسائل الاعلام ، لتشجيع المواهب الجديدة الواعدة ومساعدتها بالقاء الضوء عليها وكشف الطريق امامها . والمهم هنا هو الكيف وليس الكم ، وإذا جعلنا اى شاب يشعر بانه قد اصبح قصاصا أو شاعراً فجاة دون مروره بفترة من المعاناة هى فترة التحصيل والصقل والتجربة ، نكون قد ساعدنا على ظهور مجموعة من الشعراء وكتاب القصة الذين لا يتناسب عددهم مع اهمية إنتاجهم !

● إذن .. وعلى ضوء كل ذلك .. هل يمكننا تحديد مسيرة الحركة الأدبية فى دول الخليج العربية ؟ ..

ـ لاشك أن الحركة الأدبية والفكرية بصفة عامة فى دول الخليج العربية تسير بخطوات سريعة إلى الأمام ، وإذا نظرنا إلى هذه الدول منذ عشرين عاما ونظرنا إليها الآن ، فان ذلك يكفي للتعرف على مدى التقدم الذي تم في كافة المجـالات ومنهـا المجالات الفكرية والثقافية ، بعكس بعض الدول العربية الأخرى التي أرى ان مستوى الانتاج الأدبي فيها قد هبط ـ اذا جاز هذا التعبير ـ وهذا يعود الى ظروف كثيرة لطالما ناقشها العديد من المثقفين العرب .

● هل يمكننا ـ ايضا ـ ان نحدد الصعوبات التي تواجه الشعراء والأدباء بصفة عامة ؟

ـ هناك صعوبات مادية تتمثل في القدرة على طبع الانتاج ، حيث ان معظم دور النشر في العالم العربي تلتهم حقوق الشعراء فلايكون لهم مردود يشجعهم على ان يكونوا متفرغين للعمل الفني ، فهذه الدور تقف موقفاً سلبياً من الشعراء بحجة

من أزمة الشعر.. إلى أزمة الإنسان!



ت . س . اليوت



نازك الملائكة

الربح والخسارة .. هذه هي اهم المشاكل التي تواجه الشعراء والادباء بصفة عامة وهناك صعوبات اخرى لا تحتاج الى التنويه .

● هل انت راض عن قصائدك التي كتبتها .. ولماذا ؟

ـ بطبيعة الحال انا راض عنها ، والا ماكتبتها ونشرتها في الصحف والمجلات وطبعتها في دواويني ، والحكم بالطبع في النهاية اتركه للقراء والنقاد ، ولكن هذا لا يعني انني مقتنع بمستواها العام ، فانا انظر دائما الى الافق ، ومن الصعب الوصول الى الافق ، وبالتالي فانني اشعر بانني لم اكتب القصيدة التي تدور في مخيلتي ، او التي احلم بان تكون موجودة يوما ما بين صفحات اوراق احد دواويني .

التجديد في الشعر مطلوب

● هل انت من الذين يؤيدون التجديد في الشعر العربي المعاصر .. وكيف ذلك ؟

ـ التجديد مطلوب والاستمرارية هي مع التجديد ، لكن يجب ان نفهم معنى التجديد : هل هو الغاء التراث الشعري والبدء من الصفر ؟ ام هو استمرارية للشعر والتراث العربي مع تطوير هذا الشعر ؟ وهذه المسالة قد يختلف فيها اشخاص كثيرون في معنى التطوير هل هو في القالب أم في المضمون ؟ وباعتقادي ان الشعر الحديث هو تطوير للشعر القديم ، بل ان هناك شعراء ممن وقفوا ضده واصدروا مؤلفات لمحاربته ، اصبحوا يكتبون بطريقة الشعر الحديث ، فطالما الشعر العربي الحديث يعتمد على وحدة التفعيلة فهذا ايضا ما زال يسير في ظلال الشعر الموروث وهذا هو رايي في الشعر الحديث .

اما بالنسبة للشعر التقليدي فالتطوير يتم عن طريق المضامين والمفاهيم الجديدة والتي تقابلها مقاييس جديدة ايضا تعرفنا بمكامن التجديد والتطوير رغم بقاء القالب كما هو .

● وما رايك فيما يسمى بالقصيدة التجريدية في الوطن العربي ؟

ـ استطيع أن اقول من خلال قراءاتي إن القصيدة التجريدية سقطت في أول الطريق ليس لدينا فقط ولكن عند الشعوب المتقدمة في أوروبا ، فالديوان الذي يحتوي على الشعر التجريدي او السريالي او اللا عقلي لا يطبع منه الا الف وخمسمائة نسخة ، هذا في فرنسا على حد تعبير احد شعراء فرنسا المعاصرين فما بالك بالنسبة للقارىء العربي ؟!

تجربة شاعرين

● هل لك ان تحدثنا عن تجربة الشاعر صلاح عبد الصبور ونزار قباني في الشعر العربي الحديث ؟

ـ اعتقد ان هذين الشاعرين قد دونا تجربتهما الشعرية في كتابين وهما موجودان في جميع المكتبات ، وليس لي ان اضيف او أزيد عليهما اي شيء ، فليس اعرف بالانسان الا الانسان نفسه ، ويستطيع القارىء أن يرجع لكتاب صلاح عبد الصبور تجربتي في الشعر فسوف يكون له خير معين للتعرف على شعر صلاح عبد الصبور وتجربته الشعرية . عموما نزار قباني وصلاح عبد الصبور كانت لهما ابتكارات في الشعر لا شك في ذلك وعموما يمكننا ان نقول عن شعر عبد الصبور انه شعر شمولي الطابع بينما نزار قباني نلتفت ونحدد ملامح الحياة في قصائده حتى من بقايا اعقاب السجائر .. وهما بلاشك امتداد (خصوصا صلاح عبد الصبور) لرواد الشعر الحديث مثل بدر شاكر السياب وزملائه ، مع الفارق في المضامين والاغراض التي تناولها الشاعران في شعرهما .

الغموض في الشعر

وهنا قلت للشاعر مبارك بن سيف ال ثاني :

● رغم ان الشعر الحديث بدا منذ اكثر من ربع قرن ، إلا اننا لا زلنا نرى اتجاهات عديدة ، فهنالك الشعر العمودي والشعر الحر وشعر التفعيلة وقصيدة النثر ، فما تقييمك لهذه الاتجاهات الشعرية ، والصراع الدائر بينها ، وما تقييمك لقصيدة النثر خاصة ؟

ـ لا يوجد شيء اسمه قصيدة نثر او شعر نثري ، ربما هذه تكون خاطرة او كلاما وجدانيا ، ولك ان تسميه ما تشاء إلا ان تسميه شعراً ، اما بالنسبة للشعر العمودي وشعر التفعيلة فهما طبعا ضمن اطار الشعر المتعارف عليه . اما الصراع بين الشعر القديم والحديث فلا اعتقد ان له وجوداً الآن اللهم الا بين قلة قليلة ليس لها ذلك الثقل الذي يمكن ان يؤدي الى التشكيك فيما يسمى بالشعر الحديث .

● ترتبط قضية التجديد لدى الشعراء الشبان بظاهرة الغموض والتعقيد الشديد في اشعارهم فهل هذا عيب او ميزة ؟ وما هو تعليلك لهذه الظاهرة وتقييمك لها ؟

ـ اعتقد ان هذا القصور هو عيب من عيوب الشعر ، وصحيح انه في يوم ما كان لمفهوم ادونيس عن الشعر تاثير على الشعراء الشباب ، ولكن في الوقت الحاضر نجد ان هذا الغموض لم يعد موجوداً عند الكثير من الشعراء ، طبعا الرمز تفرضه ظروف معينة حيث يجنح الشاعر اليه ، ولكن ان تصبغ القصيدة بالغموض والتعتيم فهذا امر مصطنع اكثر مما هو طبيعي ، والصنعة في الشعر هي من اهم عيوبه مهما استترت تحت اية تسمية كانت !

التكوين الفني

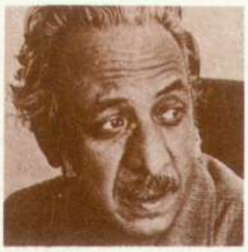
قلت للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني :

● الشاعرة العربية حاولت أن تشارك في نظم الشعر الحديث فهل حققت في رايك نجاحاً ملموساً في هذا المجال ؟

وهل كان ابداعها إضافة حقيقية الى الشعر الحديث ؟

ـ طبعاً حققت نجاحاً في مجال الشعر اذا كنت تقصد مثل فدوى طوقان أو نازك الملائكة أو لميعة عباس أو من شابههن ، وبالتالي لابد أن تكون هناك إضافة حقيقية لابداع المرأة


ابراهيم ناجى


صلاح عبد الصبور


نزار قبانى


بدر شاكر السياب


عزيز اباظه

في مجال الشعر ، وذلك يرجع الى نوعية العاطفة وطبيعة النظرة الى الحياة عموماً وبالتالي لاشك بأن المرأة الأديبة قد اثرت المجال العربي .

● بمن تأثرت في تكوينك الفني من الشعراء العرب أو العالميين ؟

ـ فى الواقع إن أي شاعر أو أديب يتأثر في بداية حياته الأدبية بمجموعة من الشعراء . أما بالنسبة لي فقد كنت معجباًبشعر أحمد شوقي والدكتور ابراهيم ناجي وعزيز اباظة وبدر شاكر السياب ، هذا طبعاً في بداية حياتي الشعرية اي في منتصف الستينات ، ولكن التأثير يزول مع المدة ويصبح للشاعر اسلوبه الخاص المميز عن غيره . أما بالنسبة للشعراء الغربيين ففي الواقع قد تأثرت ببعض الشعراء مثل ت . س . إليوت، وهاردي وتأثرت بكتابات « فرجينيا وولف » والتي تأثرت بدورهـــا بالشاعر العملاق « إليوت » والذي شدني الى قراءة شعر هذا الشاعر وقصائده ومن تأثروا به من الأدباء الأجانب هو تلك البصمات التي تركها على شعرنا العربي منذ أن ترجم له الدكتور لويس عـــوض قصيدة الأرض الموات أو الأرض اليباب ، وربما تكون قصيدتى الزرع في الأرض اليباب والتي كتبتها عام ١٩٧٤ هي احدى تأثيرات هذا الشاعر ، ومازال لهذا الشاعر وهجه واشعاعاته رغم ارتداده عن تلك النظريات التي شغلت أدباء عصره ، ونجد ذلك واضحاً جداً فى مسرحيته الشعرية « جريمة فى الكاتدرائية » .

● من هو الشـــاعر الذى يعجبك من شعراء الخليج والعرب ؟

ـ بالنسبة للشعراء العرب فأستطيع القول بأنهم أربعة شعراء هم : احمـــد شوقى ، وابراهيم ناجى ، بدر شـــاكر السياب ، وعلي محمود طه ..

أمـــا بالنســـبة للشعراء الخليجيين تعجبنى قصائد الشاعر بن عثيمين وهو شاعر خليجى قديم ، كما أن هناك الكثير من الشعراء الذين لهم قصائد جميلة مثل خالد الفرج وهناك العديد الذين لا استطيع حصرهم .. ومن العيوب المنتشرة عندنا فى مجـــال الدراسات الأدبية هو الاحتفاء بالكتـــاب والشعراء على أساس صيتهم وشهرتهم ، وليس على أساس ما ينتجونه فى الوقت الحاضر بالرغم من أن معظمهم مازال فى ميعة البذل والعطاء .

بين محمود درويش وأدونيس

● ما هو رأيك فى تجربتى محمـــــود درويش وأدونيس فى الشـــعر العربى المعاصر ؟

ـ محمود درويش يمثل شعر المقاومة مثله مثل شعراء المقاومة الآخرين ، وشعر المقاومة معروف لدى جميع الشعوب التى عانت من ســـيطرة الغزاة وخاصـــة الفرنسيين حيث ظهر عندهم ما يسمى بالالتزام ، أما بالنسبة لأدونيس فلديه نظرية فى الشعر أستطيع أن أقربها إلى القارىء ، بالقول بأنها أشبه باللغـــة الهيروغليفية ، وهى نظرية فى مجـــال الأدب والشعر خاصة ، وقد كان له فى يوم من الأيام مريدون اهتموا بهـــا وصبغوا قصائدهم بتلك المفاهيم كالغموض مثلاً ، وتفريغ الكلمة من محتواها ثم اعطائهـــا مدلولاً آخر وهـــو ما يسمى ،بالايحاء أو بالمدلول النفسى للكلمة الى آخره .

● إذن فما هو الطريق فى رأيك لتطوير الشعر العربى الحديث؟

ـ فى الواقع الشعر الحديث لا نستطيع تطويره بقرار أو بتوصـــية فمسالة النمو والتطوير خصوصاً بالنسبة للأدب والشعر انما هى نتاج لتطور المجتمع نفسه وتطور المفاهيم والعادات والتقاليد وغير ذلك . صحيح أن الشعر احد واجباته هو التوجيه ولكن مسالة التطوير كما سبق أن ذكرت تأتي من المجتمع نفسه ، ويكفي أن ننظر إلى المذاهب الشعرية لنتعرف على مدى تأثير الحياة الأوربية على الشعر ، وبالتالى نستنتج من ذلك أن الشعر يتطور بتطور المجتمع ويساير نظريات المجتمع ، والمجال واسع ،فلو اننا اردنا ان نوضح ان هناك علاقة تامة بين الأدب وبين حالة المجتمع نخرج من هذا الموضوع ـ كما سبق أن اشرت ـ الى ان التطور فى الشعر هو نتيجة لانعكاس الأحداث التى يعيشها المجتمع ، فيجب ان لا ننسى ايضاً ملاحقة الشـــعر للنظريات الحياتيـــة البيئية والنفسية والاجتماعية الى آخره .

أبو نواس مجدداً

● هل يمكن اعتبار ابى نواس كمجدد فى الشعر القديم ، رائداً للحداثة والتجديد فى الشعر المعاصر ؟

ـ لا اعتقد أن أبا نواس رائد الحداثة والتجديد الا اذا كان المقصـــــود هـــو الاستهلال بالنسبة للقصائد التى وصلتنا منـــه ، فقـــد رفض البدايـــة بالوقوف على الاطلال ـ وأن سبقه الوليد بن يزيد فى ذلك ـ وادخال بعض المضامين والاغراض وغير ذلك ، ولكن لا اعتقد ان هناك تجديداً بالمعنى المفهوم للحداثة ربما التجديد حدث عند بعض شعراء الاندلس فقد ظهر بينهم من جدد فى القالب الشعرى والمضمون كذلك بينهم الشعراء الذين نجد عندهم الوحدة العضوية للقصيدة بشكل متميز وبعضهم من استنطق الجمال وحاوره فى شعره، فهذا هو التجديد الحقيقى الذى يمكن أن نؤرخ به تطور الشعر العربى . قد يكون أبو نواس اعطى الاغراض الجديدة للشعر ، وعاب على الشعراء السابقين وقوفهم على الطلل ومدح الناقه والخيل الى آخره .

طبعاً هذا نوع من التجديد ولكن ليس بالتجديد الذى نستطيع ان نقول بانه قفزة فى الشعر العربى القديم واذا اخذنا مثل هذه المعايير كمؤشر للتجديد فسوف نرى الكثير من الشعراء الذين طوروا فى الأساليب كعمر بن أبي ربيعه ، بالاضافة الى شعراء الموالي والصوفية وغيرهم .

يوسف الحرمى

مسافر على الرصيف



كاتب كبير.. ورحلة بلا متاع!

بقلم: محمود السعدني

لم ألتق بمحمد عودة فى مقهى محمد عبد الله ولكنى قابلته صدفة فى مقهى آخر يقع وسط مدينة القاهرة ، هو مقهى « إيزافتش » الذى كان يطل على ميـــدان الاسماعيلية (التحرير فيما بعد) ، وكان يملكه يوغسلافى مهاجر ، فر من يوغوسلافيا ، واختار القاهرة منفى له ، وأسس محلا أنيقاً للغاية ، واستخدم عمالا من الأجانب قبارصة ويونانيين ، ولكن الرجل اليوغسلافى ـ وهنا العجب ـ قصر نشاط محله على بيع الفول المدمس أشهر طعام شعبى فى مصر ، واجتذب هذا المحل الأنيق الذى يسبح فى جو أوروبى ويبيع طعاماً شعبياً فئة من المثقفين المصريين الذين تعلموا فى الغرب ولم تنقطع جذورهم الضاربة فى أرض مصر !

وكان محمد عودة واحداً من هؤلاء الذين اختاروا من « إيزافتش » محلا مختاراً له ، يجتمع بالأصدقاء ، ويدير المناقشات ويدخل فى معارك نظرية ، ويقرأ جانبا من عشرات الكتب التى كان يحطها دائماً بين يديه .

ولعل اختيار محمد عودة لمقهى « إيزافتش » يرجع إلى الصفات المشتركة بين الرجل والمقهى ، فمحمد عودة واحد من المثقفين المصريين الذين سبحوا فى علوم الغرب ، وأغلب قراءاته باللغتين الفرنســـية والانجليزية ، ومع ذلك لم يبحر محمـــد عودة بعيداً عن شواطىء مصر ، ولم تنقطع خيوطه بقاع المجتمع ، فى الحارة وفى القرية ، بالرغم من أنه كان يعيش فى وسط القاهرة وفى أرقى أحيائها ، وينزل فى بنسيوناتها وفنادقها الصغيرة .

كان صورة مصغرة من قهوة إيزافتش . ديكور أفرنجى وخدمة أجنبية وطعام مصرى عربى أصيل .

كان يتوافد على مقهى « إيزافتش » فى تلك الأيام مجموعة من المثقفين المصريين قرأوا قشوراً فى الثقافة ، وسبحوا فى مجـــار ثقافية ضحلة ، واســـتخدموا شعارات وتعبيرات وعبارات أفرنجية ، وارتاحوا إلى ما وصلوا إليه ، ورضوا عن أنفسهم واكتفوا بمشاهدة الحياة فى مصر من فوق رصيف مقهى « إيزافتش » ثم الدخول فى مناقشات عقيمة حول نظريات لا علاقة لها بواقع شعب مصر . لذلك كان الخلاف محتدماً ومستمراً بين جبهة المثقفين إياهم وبين محمد عودة ، وكان هذا مدخلى إلى محمد عودة . فذات صباح ، احتدمت المناقشة بين محمد عودة وثلة المثقفين إياهم ، وكان الحديث حـــول أم كلثوم وفنها وتأثيرها على وجدان الشعب المصرى وأثرها فى حالة الغيبوبة التى كان يعيشها شعب مصر فى ظل حكومة باطشة وسفارة بريطانية حاكمة . كان رأى المثقفين إياهم ، أن أم كلثوم هى السبب فى كل ما يعانى منه شعب مصر ، فهى ترسم لهم بأغانيها واقعاً مخملياً لا صلة له بالواقع البائس الذى يعيش فيـــــه .



محمد عودة

ووصفوها بانها « أفيون » لتخدير شعب مصر ولتمكين عصابة المستفيدين من دمه ، وكان رأى محمد عودة أن هذه مبالغة لا أساس لها فى الواقع ، وأنه حكم سهل توصلوا إليه لاراحة انفسهم من دراسة المشاكل الحقيقية والأسباب الرئيسية فى تعاسة شعب مصر .

وانضممت فى المناقشة إلى رأى محمد عودة ، ولكنهم تغلبوا علينا بالزعيق واستخدام الشعارات والاستشهاد باقوال من هنا وهناك ، وينطقونها بلغتها الأصلية ويخلطونها بكلمات عربية .

واقتربت من محمد عودة أكثر عندما وصف شلة المثقفين إياهم بانهم جهلة . وكان ذلك الوصف من محمد عودة كافياً لتغيير فكرتى عن شلة إيزافتش .

شلة المثقفين

واحببت محمد عودة أكثر عندما عرضت عليه انتاجا لى فقراه باهتمام وابدى إعجاباً شديداً بما قراه ، على عكس سلوك شلة « إيزافتش » عندما عرضت عليهم شيئاً من انتاجى ، فقد القوا نظرة خاطفة على ما كتبت ، ولم يوجه لى احدهم كلمة ثناء أو كلمة نقد واشغلوا عنى بمناقشة قضايا العصر التى تبدأ من المشكلات التى خلفتها الحرب العالمية الثانية والأخطار المحدقة بالعصر النووى ، وتنتهى دائماً بمناقشة سلوك « مخالى » جرسون مقهى إيزافتش وموقفه الغريب لاصراره على تقاضى حساب الطلبات من شلة المثقفين قبل أن يغادروا المقهى ! ومنذ تلك اللحظة بدأت رحلتى وراء محمد عودة ، فى الصباح عبر شوارع القاهرة الأنيقة، ومساء عبر حوارى وأزقة القاهرة المعزية ، وكانت تنتابه حالة من النشوة وهو يجوب أزقة حى الجمالية وسوق السلاح فى القلعة وكنت أتخيله فى تلك الجولات واحداً من المماليك الذين يحيطون بالسلطان المظفر -وأحيانا أتخيله فلاحاً هارباً من قريته إلى أزقة مصر هرباً من تحكم الملتزم وسياطه . كان يبدو كانه قطعة من جسم الماضى انفصلت فجاة وسقطت فى عصرنا ، وهكذا كان محمد عودة ، حرب طاحنة بين ما يعرفه وما يمارسه ، بين أحلامه التى يحلق بها وواقعه الذى يزحف فيه ، بين طاقاته الذهنية وامكانياته المادية ، بين العصور التى يحيا فيها بخياله والبنسيون الذى ينزل فيه ! . ومن خلال محمد عودة تعرفت إلى عصور مصر الوسيطة وممالكها العظام وقادتها الفاتحين وسلاطينها المستبدين وحكامها الذين نصبوا المشانق ودقوا الخوازيق وفرضوا المكوس والرسوم وشربوا من دم الفلاحين وأكلوا من لحومهم !

وكما « جرجرنى » محمد عودة إلى حوارى مصر المملوكية ، « جرجرته » انا الآخر إلى قهوة محمد عبد الله ، واكتشفت أنه على علاقة بالكل ، وأنه قرأ لزكريا الحجاوى وأنور المعداوى وعبد القادر القط وأنه يعرف قدرات كل منهم ويعرف مواطن القوة والضعف لكل واحد من أعضاء الشلة ولكنه كان أقرب فى مزاجه وتكوينه إلى زكريا الحجاوى . وكان اختياره لزكريا الحجاوى هو اختياره لصف الصعاليك وأبناء الطريق الذين استطاعوا أن يقهروا كل الظروف ليصنعوا على مدى تاريخ مصر عبقريات أضاءت وسط الظلام والعفن والفساد . بدأ محمد عودةمترددا ليلا على قهوة محمد عبد الله ، ولم يكن يحضر وحده ، بل كان يحضر ومعه شلة من الشباب: محررون يحاولون العمل فى دور الصحف ، وشعراء يحاولون نظم الحرف ، وكتاب قصة يحاولون رسم هياكل لعوالم عاشوها أو شاهدوها أو حلموا بها يوماً ما .

كان بعضهم موهوباً ، وأغلبهم عديم الموهبة ، وكان بعضهم خفيف الدم ، وبعضهم ثقيلا لا تطيق الأرض حمله على ظهرها ، ومع ذلك كان عودة يحتضن الكل ويرعى الجميع ، وكان بمثابة الأب الروحى وكان لا يكتفى بفتح الابواب لهم ، ولكنه يتابع مسيرتهم ، ليس بالنفوذ ، فلم يكن له نفوذ على الاطلاق ، ولا بالنقود ، فلم يكن يحمل نقوداً على الاطلاق ولم يكن يملك منها شيئاً ، ولكن بالنقد والتشجيع ، وكنت أعجب كثيراً لهذا السلوك من جانب محمد عودة ، لاننى كنت الوحيد من أفراد الشلة الذى يعلم ظروف محمد عودة على وجه التحديد . ففى تلك السنوات الأولى من حقبة الأربعينات ، كان يسكن فى بنسيونات من الدرجة الثالثة وسط القاهرة ، وكان يختار بالذات تلك البنسيونات التى تملكها أرامل أجنبيات اضطرتهن الظروف إلى تحويل شققهن إلى بنسيونات لمواجهة اعباء الحياة . ولكن الصحافة فى مصر فى تلك الأيام كان اعتمادها على أقلام بعض النجوم ، بينما ينسحق فى قاع المهنة مئات من الموهوبين والمثقفين وأصحاب الأحلام والآمال .ولقد شمل هذا القانون محمد عودة كما شمل الآخرين ، ولذلك كان يضطر أحيانا إلى الانتقال من بنسيون إلى آخر ، أحياناً فى وضح النهار وغالباً فى جنح الليل ومن الأبواب الخلفية .

رحلتى العجيبة

فى تلك الغزوات كان عودة يختار العبد لله لمساعدته فى عملية الهروب من بنسيون لآخر ، وكانت مهمتى تنحصر فى إخلاء الغرفة من الكتب ، وكانت عملية اخلاء الكتب وحدها تستغرق أسبوعاً كاملا فقد كانت الكتب هى كل ثروته فى الحياة . وكانت مجرد صدفة بحتة أننى عثرت على كتاب من كتب عودة أثناء عملية من عمليات النقل ، هذا الكتاب هو « بدائع الزهور فى وقائع الدهور » لابن إياس ، وقررت أن أستعيره من عودة دون أن أخبره ، ولزمت بيتى أسبوعاً مع بدائع الزهور ، وعشت مع الرحلة العجيبة التى عاشتها مصر فى

كاتب كبير.. ورحلة بلا متاع!

عصور سابقة ، من السلطان برقوق إلى المملوك حمص أخضر و شمخت بأنفى فى حروب النصر ، وطاطات رأسى فى معارك الهزيمـــــة ووددت لو انحنيت أمام السلطان قطز اعترافاً بفضله فى إبادة جنس التتـــار من على ظهـــر الأرض ، وأمـــام الملك الظـــــاهر بيبرس ، البطل الذى جعل مصر منارة وحولها إلى قلعة ، وتمنيت لو كنت طبيباً لأقوم بتشريح قلب وعقل الزينى بركات الذى اشتغل مع عشرة حكام وجلس يصدر الأوامر والنواهى من نفس الديوان فى خدمة عشرة عهود ، وكان دائماً مع المملوك الحاكم وموظفاً سابقاً فى خدمة المملوك السابق ، وعلى رأس حكومة المملوك الآتى !

وكان هذا الكتاب هو بابى إلى رحاب مصر المملوكية ، ومن بعـده توغلت فى أزقتها ، وحواريها وقصورها ، وساحاتها ، وكانت مكتبة محمد عودة المتنقلة من بنسيون لآخر هى زادى الذى تسلحت به فى رحلتى الطويلة الحافلة بالأسرار والحكايات والأعاجيب .

وذات مساء ، غادرت مقهى محمد عبد الله مع محمـد عودة ، فى رحلة قصـيرة إلى حي الدقي الفاخر ، باعتبار ما كان فى تلك الأيام ، كانت بالنسبة للعبد لله سهرة إلى مجهول . وعندما دخلت القصر الذى سنقضى السهرة فيه ، أحسست برجفة وانتابتنى قشعريرة ، فلم يكن قد سبق لى الدخول فى مكان مثل هذا من قبل . قصر من القصور التى تظهر عادة فى السينما ، تحوطه حديقة مترامية الأطراف ، أشجار النخيل عالية ومتناسقة ، كأنها صف من الجنود اختير بعناية لاستقبال عظيم ، ورائحة الورد يعبق فى الجو ، والأضواء التى تتلألأ من داخل القصر تضفى على الجو كله مزيداً من الفخامة والابهار ، وفكرت فى الانسحاب واعتذرت لمحمد عودة بحجج واهية ، ولكنه أصر على اصطحابى الى داخل القصر ، وبث فى نفسى الشجاعة ، وكسر الحاجز النفسى الذى كان يفصل بينى وبين هذا الجو الجديد . وعندما خطوت الخطوة الأولى داخل القصر ، اكتشفت عالماً آخر لم أشاهده من قبل . عالم من الراحة والرفاهية والثقافة والموسيقى ، عالم غريب خلا من العقد ومشاكل الحياة اليومية ، عالم كنت محتاجاً إليه لأعرف بالضبط ما يدور على الشاطىء الآخر من الحياة . ولكن ما دار داخل القصر تلك الليلة كان أغرب من الحقيقة ومن الخيال .

حالات تستحق التشجيع

كان القصر الذى دخلناه آية فى الترف والأناقة والجمال ، ولم أكن قد رأيت قصراً مثل هذا قط ، ولم يكن فى القصر سوى سيدتين ألمانيتين فى الخمسين من عمرهما وان كان يبدو عليهما أنهما فى الأربعين . وقد سهرت تلك الليلة سهرة ممتعة استمعت فيها الى موسيقى بتهوفن وباخ ، وقد تبادلنا العزف على البيانو بينما كانت الانوار الخافتة تضفى جواً ساحراً على المكان .

وتناولنا عشاء شهياً ، وكان الحديث يدور بالفرنسية التى لا أعرفها ، واضطرت احداهما إلى التحدث معى بانجليزية ركيكة ، ولكنها اضطرت إلى استعمالها مجاملة للعبد لله الذى كان يجلس أثناء الحديث كثور الله فى برسيمه !

كنت فى الثانية والعشرين من عمرى ، وكنت خجولاً بالرغم من طموحى واقتحامى وقد نغص على خجلى تلك الليلة الرائعة ، والسبب أن هندامى لم يكن لائقاً وحذائى لم يكن نظيفاً ، وتصورت طوال السهرة أن السيدتين تحدقان فى ملابسى وتشمئزان من منظرى ، وعندما صارحت محمد عودة بعد السهرة بحقيقة إحساسى ، نظر نحوى باندهاش ، وأكد لى أنهما سريا جداً لوجودى وانهما لم تلتفتا إلى شىء مما أعانيه ، وأن هذا النوع من الناس لا يستوقفه منظـر الانسان ولا هندامه ، وأن الأوربيين خصوصاً لا يقيمون وزناً لمثل هذه التفاهات التى تتحكم فى حياتنا وفى مصيرنا أيضاً فى شرقنا السعيد !

وشحنتني كلمات عودة بثقة زائدة ، ولذلك كانت السهرات المتتالية ممتعة للعبد لله ، وقد تخليت عن خوفي وخجلي ، واندمجت في الجو الجديد الذي قادني اليه محمد عودة . ولم أكن أنا وحدي الذي يختصه عودة بهذه السهرات التي تفتح أمام الشخص المبتدىء آفاقاً جديدة ، كان يصطحب معه في سهرات أخرى ، آخرين لهم نفس الظروف ، كان احدهم شاباً ريفياً ساذجاً ، وكان عندما يصاب بنزلة برد ، يلف حول رقبته منديل جيب أبيض مبللا بالماء ، عادة من عادات البيئة التي جاء منها الأديب الريفي اياه ، وكان العبد لله دائم السخرية من الأديب الريفي الشاب وبطريقته الخاصة التي يتناول بها الأشياء والحياة . وكان محمد عودة على العكس يرى في كل محاولة حالة تستحق التشجيع وبذرة تستحق الرعاية .

ولعل من أجل هؤلاء الشبان الذين يتزاحمون على أبواب الصحف ، ويقفون في طوابير أمام الحياة الأدبية ينتهزون فرصة ويتشبثون بأمل . لعل بسبب هؤلاء ، كان محمد عودة مرفوضاً عند أغلب أدباء الجيل الكبار ، فما من مرة دعي الى منزل أحدهم ، إلا واصطحب معه عدداً من هؤلاء الشبان ، وكان بعضهم كما قلت ثقيل الظل ، ولم ينقطع عودة عن تلك العادة حتى الآن .

ما بعد الهزيمة

وعندما قامت حرب فلسطين تحمس لها عودة بشكل خاص ، كان يرى أن الحركة الصهيونية هي امتداد لكراهية أوروبا ومن بعدها أمريكا للشرق العربي . عندما انتهت الحرب بهزيمة الجيوش العربية ، أصيب عودة بخيبة أمل وأعلن رفضه لكل شيء وأي شيء . كان مؤمناً بضرورة التغيير وحتميته أيضاً ، وكان مؤمناً بحزب الوفد ، ولكنه كان يائساً من استطاعة حزب الأغلبية القيام بأي عمل حقيقي لقلب الأوضاع في مصر لصالح الناس . كان يرى أن حزب الوفد قد ترهل ، وان الأجنحة المتصارعة داخله قد انتهت بهزيمة الأجنحة الشابة وانتصار جناح الكبار وأبناء العمد والبيوتات العريقة في ريف مصر . وكان من رأيه في تلك الأيام أن المثقفين قد انفصلوا عن واقع الحياة في مصر ، وعاشوا فى بروج عالية وانهمكوا فى مناقشة نظريات لها وجود فى الكتب وان لم يكن لها وجود في حياة الناس .

وكان يرى أن الوقت قد حان لحسم الأمور لصالح الطبقات الفقيرة والمجهدة ، ولكن كيف ؟ كان عودة يردد في حيرة دائماً .. سيحدث التغيير حتماً ، ولكن كيف ومتى هذا هو السؤال .

وفجأة اختفى محمد عودة من القاهرة ، ومن مصر كلها ، طار الى الهند ليعمل هناك وغاب فترة طويلة ، وعندما عاد كان كل شيء قد تغير في مصر وفي عودة ايضاً !

كان في مصر نظام جديد بقيادة مجموعة من ضباط الجيش،وطنيون بالتاكيد ، وان كانت السبل التي يسلكونها غير واضحة المعالم ، ولكن عودة كان متفائلا بالتغيير ، وكان يرى أن ابواب مصر قد انفتحت على آفاق لا يعلم مداها إلا علام الغيوب ، ولكنها حتماً ستتطور وتنتهي الى صالح الجماهير .

ولكن فجأة حدث لعودة ما حدث لكل المثقفين الوطنيين الذين أيدوا الثورة في بدايتها بالقلب وليس بالتقارير ، وكان اختلاف الضباط في القمة وصراع السلطة الذي نشب بينهم منذ أول يوم ، كان قد فتح باباً أمام تسلل عناصر تزحف كالدود ، وتفح كالأفاعي ، وسيطرت هذه العناصر على معظم ضباط القيادة ، واصبح الشعار :من ليس معي ، فهو ضدي . والقي القبض على عودة في أزمة مارس ١٩٥٤ ، وغاب شهوراً في السجن ، وعندما عاد ، كان شديد القرف من كل شيء ، شديد القلق بالنسبة للمستقبل ، ولكنه لم يغير عاداته قط ، الطواف بشوارع القاهرة نهاراً ، والتسكع في أزقتها ليلا ، والتهام الكتب التي بين يديه ، وتوزيع عطفه وحنانه على كل الذين يصارعون على بداية الطريق .

موقف وموقف

وفي عدوان عام١٩٥٦ ، كان محمد عودة معي في بيروت . والحق اقول انه الوحيد بين الجميع الذين كانوا هناك ، الذى لم تخطيء بوصلته هدفها قط ، اعلن منذ أول لحظة وقوفه الى جانب عبد الناصر وثورة مصر ، وكان يرى أن الغزو الفرنسي البريطانى سينتهى بدحره ، وأن عهد كرومر قد ولى ، وان عصراً جديداً قد اشرق على العالم ، وان ثورة مصر كانت الناقوس الذي دق ايذاناً ببدء العصر الجديد . وراح يكتب في الصحف ويناقش في الاجتماعات ، وعندما أصدرنا جريدة الجمهورية (طبعة بيروت) لم ينقطع يوماً عن الكتابة ، ولم ينقطع يوماً عن الحضور ، ولم يفتر حماسه في وقت تردد فيه آخرون انتظاراً لظهور نتيجة المعركة . لم يكن احد منا يتقاضى أجراً ، ولم نكن نجد ما ناكله احياناً ، وكنا نتقاسم السيجارة أغلب الوقت ، وكان في بيروت وقتئذ كاتب مصرى جهير الصمت ، شهير الاسم ، الى جانب عمله كاستاذ بجامعة القاهرة وكان ينزل في فندق فخيم ، ويعيش عيشة السواح ، وعندما طلبنا منه مقالة ضد الغزو ، اعتذر بانه مريض ولا يقدر على الكتابة ، ولكن عندما انتهت المعركة لصالح مصر ، أرسل الينا مقالا من نار ضد الاستعمار ، ومقالا آخر كله نفاق عن بطولة عبد الناصر ورفاقه ، ولم ينس ان يؤكد للقراء ثقته المطلقة فى انتصار ثورة مصر . أغرب شيء اننا عندما عدنا الى القاهرة بقي محمد عودة في الظل وارتفع الآخر على رأس الموكب وسافر على رأس وفد مصري فى مهمة وطنية فى بلاد العالم ! وعندما جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن في عام ١٩٥٩ كان عودة موضع هجوم شديد من بعض التنظيمات السياسية ، لأنه لم يذهب معهم الى السجن ، ورموه بكل تهمة ، واتهموه بكل نقيصة ، وبالرغم من ذلك ، ظل خط عودة هو الخط الوحيد الصحيح ، هكذا برهنت الأيام بعد ذلك . وبينما أثرى عشرات من الذين هاجموه وركبوا الموجة واحترفوا الهتاف ، ظل عودة يكتب ويقرأ ، ويسحب وراءه جيشاً من المواهب الجديدة ، مقتحماً بهم السهرات والعزومات ماسحاً على جراحهم مشجعاً اياهم بكلماته المتفائلة وثقته الزائدة بنضارة المستقبل وبالرغم من كل شيء .

درة ثمينة

كان عودة قد أحدث دوياً في مصر بكتاب صغير الحجم كبير القيمة عن الصين ، وكان بحق نموذجاً في فن الكتابة السياسية كما كان درساً في كيفية تحويل السياسة الى أشعار . كان مستوى رائعاً لأول مرة في العربية ، كان في مستوى ما كتبه ستيفان زفايج واميل لودفج ، وقد بهر الكتاب الجميع ، اليمين واليسار والوسط ، وكان كل ما تقاضاه عودة عن هذا الكتاب ثلاثين جنيهاً مصرياً والشهرة والذكر الحسن ! وطبعاً نشر من الكتاب عدة طبعات ، وبالرغم من ان عودة اصدر كتباً عديدة بعد ذلك ، إلا ان كتابه الأول عن الصين ظل هو درته الثمينة ، وبالرغم من نقائه واخلاصه وبراءته التي تشبه براءة الأطفال ، إلا انه لم يصل حتى في المهنة التي احترفها طويلا وعانى بسببها كثيراً ، وكان مؤهلا لها احسن تاهيل ومسلحاً لها بكل الأسلحة ، لم يصل فيها الى بعض ما وصل اليه تلاميذه والذين تعلموا على يديه .

ملحمة ومأساة

أذكر فى العام ١٩٦٧ اننى ذهبت لمقابلة احد المسئولين ورشحت محمد عودة لتولى منصب رئيس تحرير جريدة لم تكن منتشرة ولم تكن مؤثرة وارتسمت على وجه المسئول علامة لم افهم مغزاها ، وتساءل فى دهشة ممزوجة بالاستنكار «محمد عودة !» ورحت استعرض تاريخ عودة وأعدد مآثره ، وفى النهاية اكتفى بأن هز راسه ولم يقطع بشيء وبعد هذا اللقاء بايام اختير صحفى باهت اللون والطعم ممسوح الاتجاه ، لم يكن يعرفه احد فى مصر خارج دائرة أسرته ، اختير رئيساً لتحرير الجريدة ، وبقي متربعاً على قبرها ست سنوات طوال . والسبب أن محمد عودة كان يعقد صلاته بالناس « اللى تحت » وكان عزوفاً عن الاتصال بالناس « اللى فوق » لم يكن من شلة احد ، ولم تقع عينى عليه فى حفل رسمى ، ولم أشاهده قط فى مكتب مسئول ، ليس ترفعاً من عودة أو استنكاراً أو خصاماً ، ولكن هذه هى طبيعته ، يختنق من الأماكن الرسمية ، ويضيق بالخطوات المنضبطة ، ويكره الانتظام فى صف . وإذا كان هو الكاتب الوحيد الذى لم يتربع على منصب فى عصر عبد الناصر، ولم ينم اجتماعياً إلا بالقدر الطبيعى والمرسوم ، فما حدث له بعد وفاة عبد الناصر يصلح ملحمة تحتاج إلى شاعر شعبى ومطربة شعبية ليطوفا بها فى الأسواق ، وليقصوا احداثها على مسامع الفلاحين فى الحقول ، وهى الملحمة التى انتهت بمأساة ونزول عودة ضيفاً على السجن وهو فى سن المعاش ، ولكن تلك الأيام التى قضاها محمد عودة فى مصر بعد وفاة عبد الناصر وحتى لحظة دخوله السجن ، كانت هى أكثر أيامه حركة وأشدها حرارة ، وأغزرها انتاجاً ، وأثقلها مصائباً ، وأعنفها احداثاً ، ولكنه ظل متشبثاً بالأرض ، لم يفكر مرة واحدة فى أن يغادرها إلى الخارج ، واعتصم بالله والوطن وباهله من أبناء الشعب ، ولكن هذه قصة أخرى .

محمود السعدني

الكجور الكبير

● الكجور الكبير عند قبائل جنوب السودان معناها : الساحر الكبير ، وعبارة « الكجور الكبير » مشهورة ومعروفة فى السودان كله .

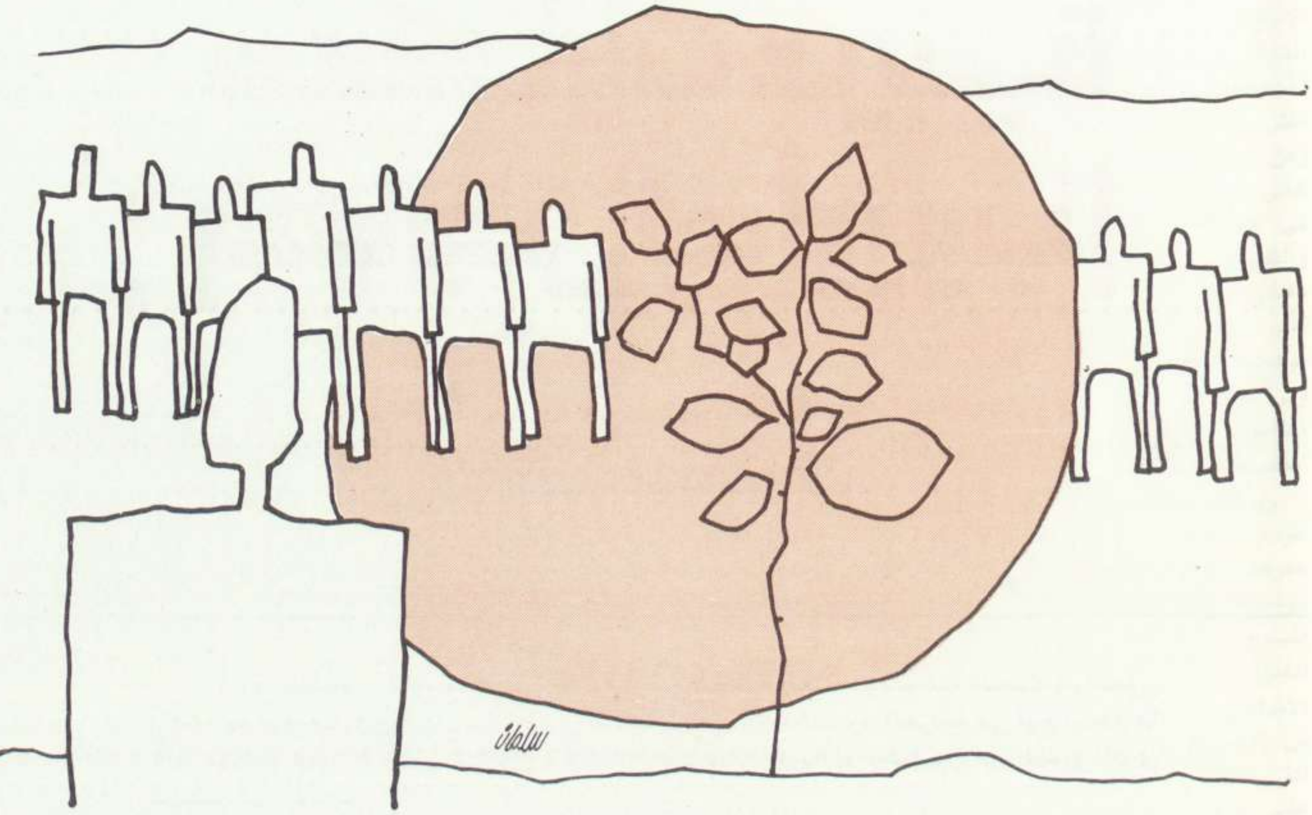
قصة بقلم : علي حمد إبراهيم

قلت لك أن ذلك حدث بالفعل ، وبمثل تلك التفاصيل تماماً . تعرف المدينة الجميلة جيداً . انها لا تزال تتوسد ضفاف البحيرة المدهشة ومازالت تحتضن تلالها المحيطة بحرص شديد ، كمن يخشى على ذلك الجلال من الضياع . وجدان تلك المدينة الافريقى تعرفه وخاطرها المرهق بالذكريات والشجون . شهور عديدة منذ ان وضعت الحرب أثقالها .لقد سكتت المدافع المجنونة عن الهدير ، ولكن المدينة المرهقة لم تسكت عن الأنين والبكاء . لقد كان الارث الحربى عظيماً ، وباعثاً على الاحتراق والتلاشى . انها لم تزل تحدث بصور الرعب الذى أصاب الناس ، وبجنون الرصاص الطائش . ولان فضاء المدينة مازال مشحوناً بالخطر ، فان عدداً قليلا من الناس استطاع أن يتغلب على مخاوفه ويعود . طرقات المدينة التى تعرف ازدحامها مازالت موحشة الا من عدد قليل من بعض الغرباء والقطط البدينة . لعله توافق غريب حقاً .

صحيفة المدينة الوحيدة مازالت تنشر على الناس صور الدمار والقتل الذى اصاب المدينة . هى تفعل ذلك منذ بعض الوقت لاقتناعها بان معظم قرائها لم يكونوا من شهود العيان للذى حدث فى المدينة . فقد هربوا منذ الطلقة الأولى الى اماكن تأمن الأرواح فيها عاديات الموت القصير .

الصور التى تنشرها صحيفة المدينة معبرة وناطقة بشكل غير عادى ، فهى تعطيك انطباعاً بان جميع المقتولين ماتوا وهم يضرعون لقاتليهم أو كانوا يحاولون استخراج صرخة مكتومه لحظة وقوع القتل اياديهم ضارعة الى أعلى فى توسل ورجاء ضائع ، وافواههم فاغرة يصفر من خلالها الريح . استوقفتنى من تلك الصور صورة راهب المدينة العجوز . لقد قتلوه فى منتصف الليل تماماً . ساعة الحائط القديمة كانت تعمل بعناد لحظاتها رغم تطاير زجاج واجهتها الامامية شظايا على أرضية الغرفة . وكانت (داليا) خادمته شاهدة العيان الوحيدة .لقد القت نظرة خائفة على سيدها الذى تكوم على الارض فى بركة من الدماء والقت نظرة أخرى على ساعة الحائط . بعدها بثوان قليلة حملوا جثته خارج المنزل . كانوا مجموعة من الملثمين المدججين بالسلاح يرطنون لغة محلية لم تستطع استيعابها بالكامل . ولكنها استطاعت أن تلم ببعض العبارات التى تمجد (كالومى كوار) كجور القرية الكبير الذى قتلوه فى عقد مضى من الزمان ، قالوا ان الجماعة لم تقتله بيدها ولكنها جندت من قام بالقتل بصورة بشعة . نحن فى الغابة والجبل لم نكن نعرف هذا عندما كنا أمة عذراء تعيش سلوك الغابة والجبل . أربعون عاماً قضاها الرجل العجوز فى المدينة يعلم الناس طقوس الحب .

والأمل كان يدعو الناس لنصرة الضعيف والملهوف . اذكر ذلك الدرس اليومى الذى كان يعطيه للناس كل مساء . اذكر على وجه التحديد ذلك الجدل الذى ثار بينه



وبين أبى ، ذلك الشيخ المقيم على دينه بيقين قاطع كان الراهب يقول ان اى انسان لم يكن فى الاساس مجرماً ، ولكن ظروفاً اجتماعية هى التى تجبر الناس أن يصبحوا مجرمين . كان الراهب العجوز يدعو الناس أن يكونوا رحماء بالمجرمين بسبب هذه القناعة . فقد كان يقول أن المجرم الحقيقى هو الذى يرتكب جريمته وفق حسابات لا يمكن إلا أن تكون دقيقة وماكره . ان مثل هؤلاء المجرمين لا يسلمون رقابهم لمقاصل العدالة كما تسلم الشياه رقابها لقصابى الدرجة الرابعة الذين لا يحسنون حتى الذبح . أبى كان لا يعجبه هذا العطف على بعض المجرمين المجرم فى نظره مجرم تحت جميع الظروف والاعتبارات ويجب أن يؤخذ بقوة حتى يجتث الاجرام من الغابة والجبل ، ولكن الراهب العجوز كان يرد بأن المجتمعات الانسانية باشرت هذه القسوة مع المجرمين فى كل العصور ومع ذلك لم تستطع المجتمعات أن تجتث من على الأرض الاجرام أو المجرمين ، أذكر ذلك الجدل قلت لك . واذكر أيضاً أن غالبية الحاضرين كانوا يميلون الى رأى الراهب العجوز .

•• ولكنهم قتلوه ببشاعة فظيعة . نحن فى الغابة والجبل لم نكن نعرف كيف نقتل بهذا الأسلوب . لقد رفض أن يسلم (كوامى) لمطارديه وقد احتمى ببيته . لماذا تقتلون (كومى) المسكين . لأنه من أهل الطاغية . انها جريمة كبرى بالتأكيد » .

كان يتوجب على أهل الطاغية أن ينجبوا رجلا أقل سوءا من ذلك الطاغية البدين . الرجل الملثم الذى كان يطارد (كومى) قال ذلك ولما ضحك زملاؤه فى الجريمة قال أنه لا يمزح ونعى عليهم انهم دائماً يأخذون ملاحظاته مأخذ الهزل ، وكذلك اليوم الذى وعدهم فيه بأنه عندما تحين الفرصة سيعلق حبل المشنقة حول رقبة الطاغية البدين بصورة أفضل من الطريقة التى علق بها رجال ذلك الطاغية حبل المشنقة حول رقبة ابن عمه الكاردينال . فى المحكمة وقف المتهم الأول يدافع عن نفسه ، قال أن أهل الراهب العجوز خدعوا أهله فى وضح النهار تماماً . جاؤا اليهم بذلك الكتاب ، وما هى الا ازمان قصيرة حتى اخذوا الأرض واعطوهم فى مقابلها ذلك الكتاب . ثم اخذوا يغتصبون كل شىء .. الخيرات كبيرها وصغيرها ، وكذلك النساء . وقال أيضاً أن أهل الراهب علموا أهله المسكنه حتى صاروا كالخراف الاسترالية : تاكل وتنام فينمو لحمها وشحمها ولا يكون فى مقدروها الا أن تسلم رقابها السميكة للقصاب فى خنوع ، دون أن يكون فى امكانها أن تجعر حتى . ولكن الذى اثار المحكمة والحاضرين : أن المتهم اخذ يغنى لنفسه وهو يداعب ابنته الصغيرة التى كانت من بين الحضور وهى ترقد على احضان امها . كان يغنى ويتمايل فى غير طرب .. لقد تذكرت (داليا) كلمات الأغنية من جديد .. فقد كان المتهم يغنى للغابة والجبل .. ولكالومى كوار .. الكحور الكبير ..

منذ قرون وأوروبا تتلهف على أدب العرب

حكايات عربية تهاجر إلى أوروبا!

بقلم: الدكتور الطاهر أحمد مكي

يتفق الباحثون الأوربيون ممن يحترمون موضوعية العلم ، ومنهجية البحث ويرتفعون بأبحاثهم فوق مستوى العصبية أيا كان شكلها ، على أن الحضارة العربية فى أوج ازدهارها على امتداد القرن العاشر الميلادى ، كانت وراء نهضة أوربا،ثم يختلفون فى الطريق الذى سلكته الى بلادهم .

فالعالم الألمانى « هانز بروتس » يرى « أن الحروب الصليبية كانت العامل الوحيد وراء نمو أوربا خلال القرنين الثانى عشر والثالث عشر ، ومنها انبثقت كل العوامل التى أدت الى تكوين أوربا الجديدة ، أوربا عصر النهضة ، والاكتشافات ، وعصر الاصلاح » ثم يشير أيضاً الى أن اسبانيا وصقلية العربيتين كانتا مركزين هامين فى نقل التراث العربى الى أوربا ، ولكنه سرعان ما ينسى رأيه هذا ، ويجعل من فلسطين المصدر الوحيد .

ولكن ارنست بيكر محرر مادة الحروب الصليبية فى كتاب « تراث الاسلام » الذى أصدرته جامعة اكسفورد الانجليزية فى الثلاثينات يرى « أن هذا الزعم باطل ، لأن حركة المولدين والمستعربين فى اسبانيا وصقلية كانت أكثر نفاذاً ، وأوسع محيطاً ، وأبعد عمقاً ، ولو انه جاء متأخراً بعد أن حدث الاتصال بسبب الحروب الصليبية فعلا ، على نحو أو بآخر » ويرى « أن اللاتينيين فى سورية لم يستطيعوا أبداً أن ينفذوا الى وهج الثقافة الاسلامية ، على نحو ما فعل المسيحيون فى غربى البحر الأبيض ، أيام تألق حضارة قرطبة ، وكل اسبانيا الاسلامية » .

ويرى آخرون : أن الحروب الصليبية كانت عاملا الى جانب عوامل أخرى عديدة أدت الى يقظة أوربا بعد سبات عميق .

وبعيداً عن هذا الصراع ، وهو قومى سياسى فى أبعاده ، يضع فى حسبانه الاعتراف بدور اسبانيا ، اسلامية أو مسيحية ، فى نهضة أوربا أو انكاره ، يمكن القول إن الحروب الصليبية لعبت دوراً حاسماً فى الجانب الدينى ، فهبطت بهيبة الباباوات الدينية ، وهزت نفوذ طبقة الرهبان وغذت الشك ، ودفعت بطبقات كثيرة الى التمرد على سلطان الكنيسة ولم تكن تجرؤ على فعل هذا من قبل .

وفى الجانب الاقتصادى والاجتماعى جاءت معها بمساواة أكبر بين الطبقات على نحو لم تعرفه أوربا من قبل . وأوجدت طبقة من الفلاحين الأحرار ومن الحرفيين . وازدهرت الصناعة ، ونمت التجارة ، وانتشرت النباتات والحاصلات العربية ، وشاع استعمال العقاقير المشرقية ، والتوابل ، وعرف الغربيون استخدام السكر فى الحلوى ، وكانوا قبل ذلك يستخدمون العسل ، وأدخل الصليبيون العائدون الى بلادهم عادة فرش البسط والسجاجيد على الأرض ، واستخدام الفراش ، واقتناء الجواهر ، وأدوات الزينة والمساحيق ، وأشياء أخرى كثيرة .

وفى مجال السياسة أدت الحروب الصليبية الى قيام دول ذات سلطة مركزية وادارة منظمة ، وقضاء مستقل ، وكان ذلك أمراً جديداً على أوربا فى العصور الوسطى لا عهد لها به من قبل .

لكن الأندلس ، أو اسبانيا الاسلامية اذا شئت ، أخذت الحظ الأوفر فى مجال الأدب والثقافة ، لأن انتشاره اذ ذاك كان يعتمد فى المقام الأول ، على الرواية الشفوية ، وينهض به الشاعر الجوال ،

وتحمله الأغانى فى رحلتها من الجنوب الى الشمال ، أو أهل الشمال حين يتدفقون على الجانب العربى فى الجنوب ، وهى أمور لكى تعطى ثمارها تتطلب القرب والتواصل والتعايش والتعاطف ، وسهولة وسائل الانتقال ، وأمنها ، وتوفير أدواتها ، وامتداد التلاقى واستمراره بين قطاعات عريضة فى المجتمعين، وهو ما كان ممكناً فى الأندلس أكثر وأعمق مما كان عليه الحال فى المشرق ومن هنا يمكن القول ان العناصر الثقافية التى تكونت منها الحياة العقلية الأوربية فى مجالات الفكر والفلسفة ، والشعر والقصة ، فى القرن الحادى عشر وماتلاه ، وحتى فى الأدب المعاصر ، تعود فى جانب كبير منها الى الحضارة الراقية ، التى توهجت عند جيرانهم الاسبان المسلمين ، ومن هذه الأرض جاءتهم ، أو على أيدى ابنائها تعلموا ، سواء كانت ابداعاً اندلسياً أصيلا ، أو مشرقياً وافداً .

ويمكن القول أن الشعر ، واعنى منه الزجل بخاصة ، القناة الأولى التى تدفقت عبرها ملامح التأثير ، فهو مادة الغناء ، ووسيلة الترفيه الأولى فى بلد لم يعرف المسرح ، ولهذه الدواعى كان اكثر الوان الفنون رواجاً ، الى جانب أن الزجل الأندلسى جاء فى عامية أهله ، وهى خليط من العربية واللهجات اللاتينية العامية التى كانت تتحدث فى تلك الأيام ، وكانت على نحو ما اللغة المشتركة بين سكان الأندلس كله ، جنوبه الاسلامى ، وشماله المسيحى ، ويمكن القول نفسه ، فيما يتصل بالغناء ، وحتى بين سكان مقاطعة برو فانس فى جنوب فرنسا ، فليس شرطاً لكى تستمتع بالأغنية أن تعرف كل كلماتها بدقة .

وكانت قرطبة عاصمة الخلافة ، مهبط الراغبين من أمراء الدول المسيحية واعوانهم ، والأغنياء والتجار ، يبحثون عن كبار الموسيقيين والمغنيين والراقصات لاحياء حفلاتهم فى الزواج والانتصار ، أو لتوشية قصورهم وحصونهم بالمغنيين والشعراء ، ولا يخالج اى باحث منصف الآن الشك فى أن الزجل الأندلسى وراء ازدهار حركة الشعر البروفنسالى فى فجرها والتى حملت اسم شعر التروبادور ، وشملت القرنين الثانى عشر والثالث عشر الميلاديين .

وثيقة هامة فى الحكاية

مع الشعر نفسه ، أو بعده بقليل ، بدأت رحلة الحكاية العربية ، ومع أننا ، كما هو الحال فى الزجل أيضاً ، نجهل الخطوات الأولى ، لكننا لحسن الحظ نملك مع الحكاية وثيقة بالغة الأهمية ، لا تتوفر لنا مع الشعر ، تحدد الزمن الذى اتخذت فيه الرحلة طابعاً كتابياً ، ونشير الى المكان الذى بدأت رحلتها منه ، وعلى يد من تمت الرحلة .

أما المكان ففى مقاطعة أرجون شمال شرقى الأندلس ، واما الوثيقة فهى كتاب « تربية العلماء » والفه يهودى اندلسي يدعى موسى سفردى ، ولد عام ١٠٦٢ م ، ومات فى تاريخ غير معروف ، واعتنق الكاثوليكية فى مدينة وشقة عام ١١٠٦ ، وحمل اسم بطرس الفونسو ، لأن تعميده تم فى يوم عيد القديس بطرس ، وكان فى الرابعة والأربعين من عمره ، وربما كان ذلك بتأثير من رهبان دير كلونى ، وهم طائفة من رهبان الفرنسيين الكاثوليك المتعصبين ، دخلت الأندلس فى القرن الحادى عشر الميلادى ، فى مملكة ارجون أولا ، ومنها الى بقية ممالك الشمال المسيحية ، ومارست على الحياة فيها نفوذاً هائلا ، فنشرت التعصب الذميم ، وكانت وراء اضطهاد غير المسيحيين وجمع كلمة النصارى لمقاتلة المسلمين ، واذكاء روح العداوة والبغضاء ضدهم ، والاستيلاء على مساجد المدن التى سقطت فى أيدى النصارى وتحويلها الى كنائس رغم كل المعاهدات التى وقعت مع المسلمين .

وقد تبناه الفونسو المقاتل ملك ارجون ، والف الى جانب كتاب « تربية العلماء » كتبا اخرى فى الفلك ، واشتهر بكتاب اخر ، جاء فى شكل حوار ، وفيه يدافع عن المسيحية فى مواجهة اليهودية ، ولكن اقامته فى الجانب المسيحى من الأندلس لم تستمر طويلا ، لأننا فيما بعد سوف نلتقى به طبيباً لهنرى الأول ملك انجلترا (١١٠٠ ـ ١١٣٥) ، وكان الى جانب ذلك يتولى تدريس الفلك وتميز من بين تلاميذه الفلكى « ولتشر » رئيس دير ملفون ، ونقل الى هناك الأدوات التقنية التى كان يستخدمها العلماء العرب مثل الاسطرلاب ومقياس الزوايا وغيرها . ويهمنا من بين أعماله كتابه « تربية العلماء » .



يمكن القول ان كتاب « تربية العلماء » أول ماذاع فى أوربا المسيحية من القصص المستقى من اصول عربية ، وتدل الدلائل كلها على أن المؤلف كتب كتابه باللغة العربية أولا ثم ترجمه بنفسه الى اللاتينية ، لأن الأسلوب ، وبناء الجملة ، يحمل خصائص العربية ونسقها فى وضوح وهو مجموعة من القصص العربية القصيرة ، يختلف عددها من طبعة الى اخرى ، فاقلها ثلاثون ، واكثرها تسعة وثلاثون ، واعطاها العنوان الطموح الذى أشرنا اليه ، ورغم أن كلمة « كلريكالس » تعنى فى المفهوم المعاصر « الدينية » ، لكن الرجل لم يرد بها هذا المعنى الذى يرد فى الخاطر الآن ، وانما أراد بها معناها الذى كان رائجاً فى العصور الوسطى ، وهو « العالم » فى مواجهة العامة ، لأنه بالكاد يحمل ملامح مسيحية اذا استثنينا المقدمة والعنوان .

ومع ذلك يمكن القول إنه توجه بكتابه هذا الى رجال الدين بوصفهم الطبقة المثقفة الأولى على أيامه ، والى العلماء فى الدول المسيحية ، وكان واثقا من ان الجو العربى الذى قدم فيه الكتاب لا يصدمهم ، أو يثير فيهم النفور والاشمئزاز ، وانما على النقيض ، يبدو لهم جواً مهاباً ، وعالماً جذاباً ، لما كانت عليه الحضارة العربية اذ ذاك من رقي وازدهار ، ولم يدع ذلك لاستنتاج القارىء وذكائه ، وانما أشار اليه صراحة فى مقدمة الكتاب فذكر انه صنفه من أمثال العرب ومواعظهم ، وحكم الفلاسفة ، والخرافات التى على لسان الطير والحيوان مما كان شائعاً بينهم ، وكل ذلك لكى يتذكر الرجل العالم ، فى لطف ، كثيراً مما كان نسيه ، ويتربى ، ويتهذب ، ويتعلم .

ويتمثل الاطار العام الذى ضم هذه الحكايات الخرافية فى أن والدا أسماه « العربى » دعا ابنه فى لحظة احتضاره ليقدم له النصيحة ، وكما هو الحال فى معظم القصص العربية والمشرقية فى العصر الوسيط ، وفى الأمثال والحكم ، تنطوى دائماً على معنى ظاهر غير مراد فى

حكايات عربية تهاجر إلى أوروبا!

كثير من الاحيان وعلى آخر خفي يلتقط من الفحوى ، وأبعد من المعنى المباشر ، وهو الذى تهدف اليه .

مقارنة عاجلة

لم يدرس احد بعد مصادر الكتــاب منهجيا ،وفى دقة واناة ولكن المقارنة العاجلة بين حكاياته ، وبين الكتب العربية التي ترجمت الى اللغة اللاتينية أو العبريــة ، أو اللغات الأخرى ، في القرن الذي عاشه بطرس الفونسو ، وهو الثاني عشر الميلادي أو القرون التي تلته ، يمكن أن تعيننا على تحديدها ويمكن القول ان كليلة ودمنة في مقدمتها ، فقد نقل عنه معظم الكتاب ، ولابد أنه قرأه في اللغة العربية ، لان أول ترجمة لكليلة ودمنة في أوربا تمت في ايطاليا ، وكانت الى اللغة العبرية ، وقام بها يهودي اعتنق الكاثوليكية يدعى جويل ، وشاعت في أول القرن الثاني عشر الميلادي ، اي انها كانت معاصرة لصاحب « تربية العلماء » ، وعنها تمت ترجمة الكتاب الى اللغة اللاتينية في اسبانيا ، في اواخـر القرن الثالث عشر ، وقام بها يهودي اخر اعتنق الكاثوليكية ايضا ، ويدعى خوان دي كابو ، غير أن الأسبان عرفوها قبل هذا التاريخ في لغتهم العامية ، في الترجمة التي أمر بها الفونسو العالم ملك قشتالة عام ١٢٥١ م ، وهي أكثر دقة وامانة ، لانها من العربية الى القشتالية مباشرة ، في صورتها العامية ، قبل أن تصبح اللغة الاسبانية .

والمصدر الثاني لهذه الحكايات كتاب السندباد ، وعبر الى اوربا في شكل حكايات مستقلة ، قبل أن يصبح جزءاً من الف ليلة وليلة ، عن طريقين : أولهما غربي ، عن طريق ترجمة يونانية ، اعتمدت السريانية ، التي كانت بدورها ترجمة لأصله العربي ، وعرفت منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي ، اي عاصرت مؤلف كتاب « تربية العلماء » ، وترجمت بعد عصره كاملة أو منقوصة الى القشتالية ، والعبريـة ، والقطلونية . والطريق الآخر مشرقي ، وفيه ترجمت الى اللغات الأوروبية عن أصول فهلوية ، وفارسية ، وعبرية ، واسبانية ، وضاعت هذه الأصول كلها ، ما عدا الأصل الاسباني . وأمر بنقل هذه القصص من العربية الى الاسبانية الدوق فدريك اخو الفونسو العالم ، فنجزت الترجمة عام ١٢٥٣ ، وجعل عنوانها « مكايد النساء وحيلهن » .

وصورة الكتاب في أصله العربى ، أو في ترجمته الاسبانية ، تضم ستاً وعشرين حكاية فحسب ، تربط فيما بينها حكاية واحدة اساسية ، على نحو ما في الف ليلة وليلة ، وملخصها : أن فتى اتهمته زوجة أبيه بمحاولة اغتصابها ، فقضى ابوه بموته . ولزم الفتى الصمت ، واجل تنفيذ الحكم سبعة ايام دارت المناقشات خلالها بين زوج الأب وسبعة من العلماء ، ومضى هؤلاء يقصون قصصاً تدور حول مكايد المراة وحيلها وشذوذ طبعها ، وفي اليوم الثامن تنتهي المهلة التي كان طالع الفتى قد أنذره بشر مستطير ان تكلم خلالها ، ويباح له الكلام ، ويخرج عن صمته ، ويظهر لأبيه الملك براءته ، فيعفو عنه ، ويلقي بزوجه في النار .

وهي قصص سطحية ، خفيفة ، لا تبلغ حد الخبث الجاسي الذي نجده في الخرافات الفرنسية ، أو القصص الوقح الذي نجده عند القصاص الايطالي بوكاشيو ، ولكنها مع ذلك ذاعت ذيوعاً عظيماً ، وترجمت الى العديد من اللغات الأوربية ، وسلكت طريقها في القرن التاسع عشر الى الاتجاه الرومانسي ، واصبحت تكون جانباً من قصصه ، في صياغة حديثـة .

ويمكن أن نعد من اصوله ايضا قصة « بولعام ويواصف » وهو كتاب تقبلته لغات كثيرة ، وعقائد متنوعة ، وكان دليل الحياة الزاهدة للبوذيين وللسيحيين والمسلمين واليهود ، ولا يقف تاثيره عند الأسطورة الرئيسية فحسب ، وانما يتجاوزها الى الأمثال الكثيرة التي تتناثر عبر النص ، وتمس الكثير من جوانب الحياة . والأرجح أن القصة هندية ، وسلكت طريقها الى الفارسية ، ثم الى العربية ، وقام بترجمتها من السريانية الى الاغريقية راهب يدعى يوحنا ، في مطلع القرن السابع الميلادي ، في دير بالقرب من القدس ، وعنه انتقلت الى عدد من اللغات الأوربية ، وبلغت اسبانيا في زمن مبكر ، وقد ترجمها يهودي من برشلونة يدعى ابراهام بن حــداي الى اللغة العبرية ، في كتابه « ابن الملك والدرويش » ، في أواخر القرن الثالث عشر الميلادي ، واضاف عدداً من الأمثلة لاتوجد في الأصل ، ووصلت إلى اللغة العربية في زمن قبل هذا ، وعنها انتقلت الى اللغة القشتالية ، فنجدها في كتاب « الاحوال » الذي ألفه خوان منويل عام ١٣٣٢ وفي قصة « الفارس السفار » ، وكتبها مجهول في الفترة نفسها ، أعني مطلع القرن الرابع عشر الميلادي . ولكن الأصل الاندلسي الذي نقلوا عنه لما نعثر عليه .

والقصة في صورتها البدائية ، موجزة وقبل أن يلبسها أهل كل دين الثوب الذي يريدون . وموجزها أن ملكاً ولد له ابن ، فتنبأ له حبر منجم بانه اما أن يبلغ مجداً خالداً ، ويصبح ملكاً عظيماً ، أو انه سوف يتنازل عن العرش ، ويعتزل الناس في صومعته ، ويصبح بوذا . ومن هنا حاول الوالد بكل الوسائل أن يجنب ابنه الشق الثاني من النبوءة ، فعزله في حدائق قصره واحاطه بكل المتع الحسية التي تحول بينه وبين الفكر والتامل ، وتشده الى اللذات والبهجة وتجعله يجهل حقيقة المرض والشيخوخة والموت ، وتحجب بصره عن كل تعاسة في الحياة ، ولكنه خرج يوماً من سجنه الذهبي ، فاذا به امام اللقاءات الثلاثة الشهيرة : الهرم المريض ، وميت يحملونه الى القبر ، وزاهد شحات .

وتظهر في بعض فصول الكتاب أسماء أفلاطون وسقراط وديوجين ، والاسكندر الأكبر ، ولكن ذلك لا يعني تاثيراً اغريقيا أو لاتينيا مباشراً ، لأن هذه الأسماء معهودة لعرب العصر الوسيط ،ويتداولون اسماءهم كثيراً ، وارجح الظن عندي انه اعتمد فيما نقل عنهم على كتاب « مختار الحكم ومحاسن الكلم » لمؤلفه أبي الوفاء المبشر ابن فاتك ، وعاش في مصر الفاطمية في القرن الخامس الهجري ، والحادي عشر الميلادي ، وهو أوفى كتاب في العربية استقصى اقوال الفلاسفة والحكماء في القديم وعلى أيامه ، ويشغل فلاسفة الاغريق مساحة عريضة من صفحاته ، ورغم انه يعود الى نفس القرن الذي عاش فيه بطرس الفونسو مؤلف كتاب « تربية العلماء » ، الا انه سبقه في الحياة وفي التأليف .

وقد نال كتاب « مختار الحكم » شهرة واسعة فى حياة صاحبه ، فيما يبدو ، وكما سنرى ، وتمت أول ترجمة له الى اللغة الاسبانية ، ووصلنا نصها ، فى عصر ألفونسو العالم (١٢٢١ – ١٢٨٢ م) ، وترجم فى الوقت نفسه الى اللغـــة اللاتينية فى ايطاليا ، على يد جوانس دى بروشيدا (١٢٢٥ – ١٣٠٢ م) وكان طبيباً وحاكماً على جزيرة بروشيدا ، ومتامراً فى السياسة ، وعاش فى بلاط فردريك الثانى ، وكان حافلا بمن يعرفون العربية ، ويرجح الاستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى ، انه

اتم الترجمة وهو مقيم هناك .

ولكن تاخر الترجمة لا يعنى ان اسبانيا لم تعرفه قبل القرن الثانى عشر لأن الترجمة تتم عادة بعد أن يشيع الكتاب فى لغته الأصلية بين من يعرفونها ، ويتسع صداه بين من لا يعرفونها ، وتصبح البيئة العلمية مهياة لاستقباله مترجماً ، والترحيب به . وارجح ان الكتاب عرف قبل ذلك بكثير ولا استبعد أن يكون ذلك فى حياة مؤلفه فى القاهرة ، وأن بطرس الفونسو اطلع عليه فى اصله العربى ، وافاد منه ، وهو ظن يرجح به ، ويدعمه ما يذهب اليه العالم الفرنسى جاستون بارى ، المتخصص فى دراسات العصر الوسيط من أن هناك ترجمة بروفنسالية للكتاب ، تعود الى القرن الثانى عشر ، جاءت منظـومة فى البحر السداسى ، وقام بها من يدعى بالدو بعنوان « ايسوب الجديد » ، وانها تمت من أصل لاتينى سبق ، كان ترجمة ماخوذة من الأصل العربى مباشرة .

اتجاه غير عربى

لم يخف بطرس الفونسو أن كتابه يقوم على أصول عربية ، وكان واثقاً أن مثل هذا التصريح يعطى الكتاب مزيداً من الشعبية ورغم نفور رجال الدين منه ظاهراً ، فقد كانت الثقافة العربية على أيامه فى أوجها ، فى الاندلس وفى مصر ، وفى المشرق على السواء . وهو لا يشير الى المسيحية فى ثنايا الكتاب ، باستثناء المقدمة ، وعنوانه بترجمته الحرفية هو « التربية الدينية » ولكن كلمة الدينية لم يكن يقصد بها على أيامه رجال الدين من احبار وقسس ورهبان وانما كانوا يعنون بها ما تعنيه الكلمة الانجليزية الآن من رجل عالم أو باحث او أديب .

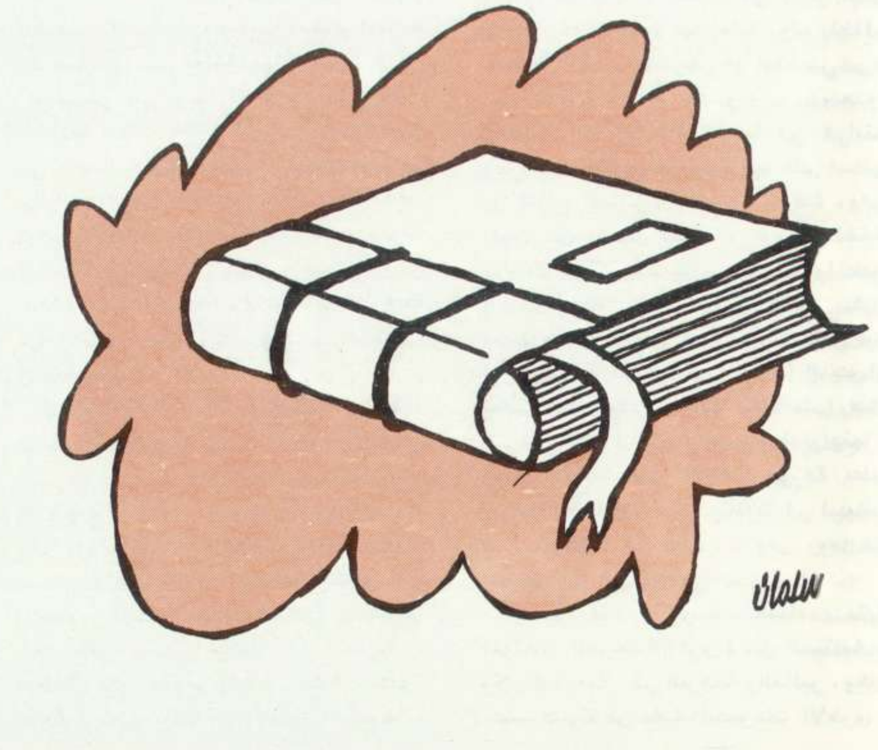
ويسمى بطرس نفسه « خادم المسيح » ويقول فى المقدمة انه الف الكتاب لكى يعرف المرء كيف يمضي حذراً فطناً فى هذا العالم ، على نحو أفضل ، وبذا يامن السلامة فى الدنيا ويربح الجنة فى الآخرة ويرى من الضرورى أن يشير فى أخر مقدمته الى ملاحظة حذرة : « ان من يتصفح هذه الرسالة بعينى انسان ، وياخذ بظاهرها فحسب ، سوف يجدها شيئاً غير مناسب ، وحينئذ انصحه بان يقراها من جديد ، بعينين أكثر نفاذاً وفطنة » .

والحق ان اكثر هذه الحكايات ابعد من أن تبنى معها اخلاق ، أو يؤمل اصلاح ، فست حكايات منها ، هى اطولها - وتمثل خمس الكتاب تقريباً - تدور حول اظهار خبث المراة ومكرها وخيانتها ، وهو اتجاه ليس عربياً فى أصوله ، وانما يعكس خصائص الأدب الهندى ، وقد وفد الينا من هناك ، وسلك طريقه الى الأدب الشعبى فى العالم العربى ، وهو جانب لما يدرس فى تاريخنا الأدبى . ولايقف بطرس عند هذا الجانب ملمحاً أو مشيراً ، وانما يفيض فيه ويطنب على ما سنرى ، وبخاصة ما اتصل منه بالجوانب الخاصة بخداع الزوجة لزوجها والمكر به .

كان بطرس يدرك واعياً انه يلتقط من الأدب العربى موضوعاً لا يرحب به كثيراً رجال الدين المسيحيين على أيامه ، ويفضلون الا يكتب احد عنه والا يجرى الحديث حوله ، فقد كان المالوف بينهم انهم يفضلون أن يديروا ظهورهم لما يجرى فى الواقع ، شائعاً أو نادراً ، وأن يخلصوا جهدهم لما يجب أن يكون عليه الحال ، ممكن التحقيق أو عسيراً ، أو يدخل فى دائرة المستحيل ، وبخاصة ان بطرس لم يكن كاثوليكياً خالصاً ، وانما يهودى اصلا اعتنقها من قريب ، مما يلقى عليه كثيراً من الشبهات ، لأن عدداً كبيراً من يهود العصور الوسطى اعتنقوا المسيحية فى أوربا تخلصاً من الاضطهاد ، وهروباً من الملاحقة ورغبة فى الأمن ، وتحقيق غاياتهم البعيدة الى جانب ما يهدفون اليه من تدمير هذه المجتمعات من داخلها .

وأيا ماكان فقـد استخدم ثقافتـه العبرية السابقة ليحصن بها نفسه فى مواجهة أى اتهام يوجه اليه ، فاتكا على التوراة ، والبس حكاياته ثوباً اخلاقياً ، وذكر بأن نبى الله سليمان لعن المراة الشريرة ، وفى الفصل الخاص بالأمثال السـائرة ، وأورده فى أخر الكتاب ، جاء باثنين وعشرين مثلا في مدح المـراة الفاضلة . ومع ذلك فالكتاب في مجملـه يتحامل على المراة بقسوة لا مبرر لهـا ، ويخرج القارىء منه ، وهو على يقين بان المؤلف يكره النساء ، وابعد ما يكون عن أمثال سليمان ، التي تضع دائمـاً المراة الفاضلة القوية في مواجهة المراة الخبيثة الشريرة ، ومن حق الأولى ان تجد من زوجها الحمد والشكر ، ومن قومهـا الرعايـة والتمجيد .

ولتكون لدى القارىء فكرة عن موقفه من المراة ، وعن طريقته الخاصة في القص ، أقدم ترجمة حرفية للحكاية العاشرة من كتاب « تربية العلماء » وتجىء مسبوقة بمقدمة وعظية بليغة ، على طريقة العصور الوسطى ، وحين يشعر القاص بان



حكايات عربية تهاجر إلى أوروبا!

الجمهور، قارئا او مستمعا، تغشاه السام واعتراه الملل، يلقي اليه بالحكاية، فيستعيد معها نشاطه، ويسترد اهتمامه، ويتابع القاص يقظا متحمسا :

« ذهب رجل في رحلة الى الخارج، واوصى حماته بزوجته خيرا، وفي غيبته احبت الزوجة رجلا اخر، وافضت بذلك الى امها، فاشفقت هذه على ابنتها، وساعدتها في حبها، ودعت حبيبها الى وليمة معهم، وبينما ثلاثتهم ياكلون وصل الزوج فجاة، وطرق الباب، فاسرعت الزوجة وخبات حبيبها في غرفة النوم، وفتحت للطارق فاذا بها امام زوجها.

وما ان دخل الزوج من الباب حتى امر بان يعد له سرير نومه، فهو متعب من الرحلة جدا، فاضطربت الزوجة، ولم تدر ماذا تفعل، ولكن الأم توجهت اليها : لا تتسرعي يا ابنتي باعداد السرير، قبله يجب أن يرى زوجك المفرش الجديد الذي طرزناه.

وجاءت العجوز بمفرش، ورفعته من احد اطرافه، واعطت الطرف الآخر لابنتها كي ترفعه، ومن وراء المفرش مرفوعا بين الاثنين ليراه الزوج، هرب الحبيب المختفي وهكذا سخرت من الزوج، وحينئذ قالت لابنتها : هيا، افرشيه على سرير زوجك، ثم اتجهت اليه :

– لقد صنعناه معا بيدي ويدها !

وقال الزوج :

– وهل تعرفين ياسيدتي كيف تصنعين مفارش جميلة مثله ؟ !

– آه يابني ! ، مفارش كثيرة مثله صنعتها بيدي هاتين !

والقصة كما ترى موجزة، وسريعة، تهتم بالجوهر، ولا تقف عند التفاصيل.

ترجمة الحكايات العربية

هذه الحكاية بالذات اشتهرت اكثر من غيرها، واخذت طريقها الى المختارات القصصية في العصور الوسطى في كل اللغات الأوربية تقريبا، وظلت تتردد على نحو واسع في الشفاه والكتب حتى القرن الخامس عشر، واشهر مجموعات الوعظ والخطابة، واكثرها شيوعا، والفت في انجلترا وفرنسا في مطلع القرن الرابع عشر وجعلت منها حكاية رمزية، فالرجل الذي رحل الى الخارج هو كل مسيحي، لأن الحياة في هذا العالم الفاني رحلة الى الآخرة، وامراته رمز الشهوة والرذيلة، وعودة الزوج الغائب رمز « الندم والتوبة والصيام والصلاة »، والحماة السيئة رمز المعصية، تعمي الانسان بمفرش العبث والشهوات، وهكذا كل تفصيلات القصة اصبحت رمزا لخدمة الوعظ الكنسي وسوف نلتقي بالحكاية نفسها يرددها ثرفانتيس، اديب اسبانيا الكبير (١٥٤٧ – ١٦١٦ م) في قصته « العجوز الغيور ».

اما حكاية الشاب الغيران الذى يحبس امراته في برج، ويغلق عليها الأبواب، فتتركه في الطريق، وتابى ان تفتح له الباب، فسوف تصبح موضوعا محببا الى كثيرين من الكتاب فيما بعد، وسوف نلتقي بها في الحكايات الخرافية الفرنسية، ونجدها في مجموعة « الصباحات العشر » للأديب الايطالي بوكاشيو (١٣١٣ – ١٣٧٥ م)، وفي مشهد من مسرحية «جورج وندان» للكاتب الفرنسي موليير (١٦٢٢ – ١٦٧٣)، وانتقلت كذلك الى المسرح الشعبي الانجليزي، وبين دعاة المثالية بخاصة، كي يستخدمها رجال الدين المخلصين في تربية اتباعهم وتهذيبهم.

وثمة حكاية اخرى تدور حول الاخلاص في الصداقة حتى الموت، وبطلها تاجر من بغداد واخر من القاهرة، ونجد صداها في كتاب « الكوند لوكارنو » لمؤلفه خوان منويل (١٢٨٤ – ١٣٤٨)، وهو حفيد الفونسو العالم، ملك قشتالة الذى ازدهرت الترجمة من العربية في ايامه، وتحت رعايته وبتشجيع منه.

ونلتقي بمصر للمرة الثانية بوصفها حلقة اتصال بين مغرب العالم الاسلامي ومشرقه، حين نجد حاجا اندلسيا يودع كل ثروته امانة عند صديق له في القاهرة، وهو في طريقه الى الحج. واما الحكاية السادسة فقد تناولت رسالة ارسطو الى الاسكندر الأكبر، وتدور الحكاية العشرين حول طائر صغير يبحث عن الحرية فيحتال على الفلاح بعبارات ذكية، حلوة عذبة، حتى يفلت من الأسر، وغيرها.

لقد كان بطرس الفونسو جريئا عندما اقدم على ترجمة الحكايات العربية دون ان يخفي اصلها، او يلقي عليه ستارا، وكان مراوغا حين قدمها نموذجا لأخلاق مسيحية، من سار على هديها ربح الآخرة. وبهذا جعل الكتاب مرجعا هاما لكل خطباء الكنيسة ووعاظها، يقتبسون منه، وكان ذلك مصدر نجاحه الذي لا يبارى.

والى جانب ذلك لقي الكتاب باجمعه اقبالا شديدا من الناس عليه، وذاع في بلاد شتى، وترجم كله او بعضه الى العبرية، وكبريات اللغات الأوربية، كالفرنسية، والانجليزية، والألمانية والايطالية، والاندلسية والقطلونية. بل ان لهجات مغمورة، حظها من الأدب والثقافة متواضع جدا تملك ترجمة لهذا الكتاب المثير، مثل لهجة « بياران »، وهي مقاطعة صغيرة في جنوب فرنسا، تقع شمال جبال البرانس، على الحدود بين اسبانيا وفرنسا وقد تلاشت لهجتها الآن تماما، وظلت مخطوطة الترجمة قابعة في مكتبة مدريد الوطنية، وظل الباحثون يعتقدون لزمن طويل انها في اللغة القطلونية، ثم تبين انها كتبت في اللهجة المحدودة الانتشار جدا.

الأعلى صوتا

لقد لقي الكتاب من اقبال الناس عليه، ومن ذيوعه فى شتى البلاد واللغات ما تحسده عليه الكتب الكبرى، لأن القراء وجدوا فيه حكايات صيغت في جنس ادبي جديد، كان مجهولا لهم تماما، ولم يتخلف عنه من الأدب الاغريقي او اللاتيني شيء يستمتعون به أو يقلدونه، وسعدوا بحكايات تصور عالما جذابا في غرابته وطرافته، وتقوم المسئولية فيه على أساس من المزاج العربي والفلسفة المشرقية. ومن المؤكد أن الاقبال عليه كان شديدا للغاية لأن الناشرين المحدثين عندما قرروا طبع الكتاب وجدوا بين أيديهم قرابة ستين مخطوطة له، تعود الى عصر لم تكن فيه أوربا تعرف المخطوطات على هذا النحو او تعنى بها، وكان تداولها وقفا على رجال الدين، وهم الذين يقرأونها ويتداولونها، وكانت مخطوطات الكتاب موزعة على خريطة أوربا كلها، من برشلونة في اسبانيا حتى كركوف في بولندا، ومن روما في ايطاليا الى أوبسالا فى السويد.

وسبق كتاب « تربية العلماء » بقية المؤلفات العربية الأخرى، مثل السندباد، وكليلة ودمنة، في الترجمة والتاثير، وكان أعلى صوتا من بقية المجموعات الأخرى،

وكالأغنية تماماً ، اجتاح الحواجز والحدود بلا صعوبة ، وانتشر بلا عوائق ، وبعضهم اخذه كلا ، فقد ضم سانتشيث دي فرثيال مادته الى مؤلفه « كتاب الامثال » ، مع تغيير في ترتيب الحكايات فحسب ، ونجد الجانب الأكبر منه في كتاب ايزوبيت المؤرخ الذي امر بترجمته الامير دون انريك ، دوق شقرب ، ونائب الملك في ارجـون ، وكان تقليداً لمجموعة لاتينية قام بها الالماني شتينهوفل ، ظهرت طبعتها الاولى في تاريخ نجهله ، ولكنها على اية حال لايمكن ان تذهب الى ابعد من عام ١٤٧٤ م .

وتتبع الذين نقلوا عنه ، او تاثروا به ، فوق طاقة مقال واحد ، لأن صداه لا يقتصر على كبار الكتاب وحدهم ، وانما نجده عند كثيرين مغمورين ، بعضهم اخذ عنه نصاً ، وآخرون طوروا حكاياته لحسابهم ، وقلدوه في بنائه الفني ، فهو يسلك الايجاز في قصصه ، ويعني بالربط الذكي بين تفصيلاتها ، وخارج هذا قلما يعني بالشكل ويستطيع أي قارىء ، أو قاص اخر ، أو ناسخ أن يضع القصة في النطاق الذي يريد ، فاعانه هذا على ان يتكرر وينتشر ويصبح مغنماً للاقتباس والتقليد .

وكما شاع في العصور الوسطى مخطوطاً ، توالت طباعته في العصر الحديث وظهرت طبعته الأولى في الحدود الفاصلة بين العصرين الوسيط والحديث فطبع في أسبانيا عام ١٤٥٩ م ، ولما يزل المسلمون في غرناطة يقاومون في استماتة الحصار الذي ضربه عليهم ملكا ارجون وقشتالة ، وسوف يستسلم السلطان بعد عام ، وتسقط الدولة ، ولكن المسلمين ظلوا مواطنين من الدرجة الثانية الى ما بعد السقوط بأكثر من قرن من الزمان .

وطبع النص اللاتيني مصحوباً بترجمة شعرية فرنسية تمت في القرن الرابع عشر عام ١٧٦٠ م ، وحملت عنوان « وصية والد لولده » .

وطبعته مرة ثانية جمعية محبي الكتاب الفرنسية عام ١٨٢٤ ، النص اللاتينى مصحوباً بالترجمة الفرنسية النثريـة التي تمت في القرن الخامس عشر الميلادي ، وصدرت بعنوان : « تربية العلماء » .

وطبع النص اللاتينى في برلين عام ١٨٢٧ ، وهو اكثر دقة من الطبعة الفرنسية وحمل عنوان الكتاب الأصلي « تربية العلماء » .

اما طبعات الكتب التي اقتبسته ، او تضمنته الى جانب مواد اخرى ، فكثيرة ، ويتطلب حصرها بحثاً مستقلاً .

الطاهر أحمد مكي

أخطاء لغويّة معاصرة

الدكتور عبدالله العبادي
جامعة قطر

بحريني :

المشهور عندنا فى الخليج انهم ينسبون التابع لدولة البحرين « بحرينى » أى تابع للبحرين ، وهذا خطأ ، والصواب فى نسبته الى البحرين « بحرانى » وذلك من وجهين :

١ ـ إن الاسم اذا نسب الى المثنى ، فان علامة التثنية (الألف والياء) تحذف فنقول مثلا فى النسبة الى زيدان ، وزيدين « زَيْدِيّ » أى ينسب الى مفرده فحسب دون زيادة .

٢ ـ إن النسبة الى البحرين جاءت على غير قياس ، فنقول فى النسـبة الى « البحرين » بحرانى ، والقياس ان يقـال « بحريّ » أى ارجاعه الى المفرد وهـو « البحر » دون زيادة الألف .

هكذا جاء فى كتب اللغة ، فيحفظ ، ولا يقاس عليه ، كما تقول فى النسبة الى البصرة « بصرى » بكسر الباء والقياس « بصرى » والى الدهر « دهرى » بضم الدال والقياس « دهرى » بفتح الدال والى مرو « مَرْوَزِيّ » والقياس « مَروى » .

ونسبوا بحرانى الى البحرين ولم يقولوا « بحرى » لئلا يلتبس بالمنسوب الى البحر ، فالنسبة اليه على الصحيح « بحرى » اما ما نسبه ابن سيده الى سيبويه والخليل من أن النسبة الى البحر « بحرانى » فذلك غير صحيح كما نقل ابن منظور عن السهيلي . وانما الذى قالوه هو نسبة « بحرانى » الى البحرين وانه جاء على غير قياس كما فى « صنعانى » . نسبه الى صـنعاء و « بهرانى » نسبة الى بهراء ، والقياس ان يقال « صنعائي » ، و « بهرائي » .

ثورى :

ويقولون « ثوروى » بواوين ويقصدون الثائر المنسوب الى « الثورة » والصـواب « ثورى » بحذف الواو الثانية : ذلك ان علامة التانيث تحذف من المفرد فى حالة النسبة اليه ، فالواو الثانية منقلبة عن التاء فى « الثورة » فيجب ان تحذف ، كما تقول فى النسبة الى مكة « مكى » والى المدينة « مدنى » والى قرية « قروى » والى جهينة « جهنى » .

ولا يلتبس هذا بالنسبة الى ثور فنقول كذلك « ثورى » لأن سياق الكلام يحـدد المقصود لكل منهما .

سوية :

ويقولون : ذهبنا الى الجامعة « سوية » هذا اليوم، والصواب : ذهبنا الى الجامعة « معاً » هذا اليوم ، ذلك أن « سوية » : مؤنث « لسوى » والسوى من المكان المستوى المعتدل ، تقول هذا مكان « سوى » وهذه أرض سويه ، ورجل « سوى » الخلق ، وامراة سوية .

ويقال : هما على « سوية » فى هذا الأمر بمعنى مستويان ، وقسمت بينهما المـال « سوية » أى بالانصاف بحيث اخـذ كل حقه .

على سوى :

ويقولون : لم احصل سوى على تفاحة واحدة ، ولم اخسر سوى فى سـيارتين ، والصواب : لم احصل على سوى تفاحة واحدة ، ولم اخسر فى سوى سيارتين :

ذلك أن سوى لا تضاف إلا الى اسـم مفرد أى لا تضاف الى الحرف ، ولا الى جملة ، أو شبه جملة (الجار والمجرور والظرف والمظروف) فما بعدها يكون دائماً مجروراً بالاضافة .

اما اذا اتيت « بالا » بدل سوى فان ذلك جائز ، فتقول : فى المثال الأول : لم احصل الا على تفاحة واحدة ، ولم اخسر الا فى سيارتين .

والمعنى واحد غير ان « سوى » اسم ، و « الا » حرف لا يضاف لما بعده .

لماذا تتجمد لغتنا وتزدهر لغات الآخرين ؟!

من المسئول عن هذه الظاهرة الخطيرة في الجامعات العربية ؟

بقلم : الدكتور عيسى الناعوري

فى تشرين الثاني عام ١٩٧٤ ، عقد فى عمان ، «اجتماع خبراء فى تعليم اللغة العربية لتحديد مشكلاتها ، وترتيب أولياتها ، واقتراح خطط لبحثها » . وقد أشرفت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – الادارة التربوية – على هذا الاجتماع ، وكان مكان انعقاده مديرية المناهج فى وزارة التربية والتعليم الأردنية ، واستمر انعقاده من ٢ الى ٧ تشرين الثانى من ذلك العام . وخرج المجتمعون بتقرير نهائي ، وتوصيات .

وعلى الرغم من بعد المسافة الزمنية ، من عام ١٩٧٤ الى اليوم ، وهى عشر سنوات تبدلت فيها أشياء كثيرة فى العالم ، فان هذا التقرير يظل صالحاً لكى نعود الى المعالجات والآراء والتوصيات الواردة فيه ، والتى لا تزال الى اليوم « مكانك سر .. » من حيث التنفيذ العملي .

وها أنا أعود اليوم الى هذا التقرير من جديد ، لأن موضوع اللغة العربية يهمني مثلما يهم كل غيور على هذه اللغة حريص على أن يراها فى أحسن حال من العافية والسلامة . وساتوقف عند بعض خطوات هذا التقرير ، لنرى كيف عالج الخبراء موضوع اللغة العربية ، وماذا استطاعت وزارات التربية والتعليم العربية ، وماذا استطاعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم – وهي من أهم منظمات الجامعة العربية – أن تفعل ، وان تحقق من توصيات هؤلاء الخبراء ، من أجل اصلاح حال اللغة العربية فى الوطن العربى .

وقبل أن أبدا المعالجة ، احب ان اشير الى أن الاجتماع المذكور قد عقد بناء على توصية من مؤتمر وزراء التربية والتعليم فى البلاد العربية . ومعنى هذا أن الاجتماع كان نتيجة الشعور العام لدى أعلى المستويات المسؤولة فى الوطن العربى كله ، ممثلة بوزراء التربية والتعليم والجامعة العربية ، فمن المفروض ان يكون بالتالى ، موضع التنفيذ ، الذى هو بايدى هذه الجهات ، لا بايدى سواها .

سأبدأ اذن بمرافقة هذا التقرير النهائي الذى وضعه خبراء فى اللغة العربيـــة وتعليمها ، يمثلون مختلف اقطار الوطن العربي .

يقول التقرير إن « وزارات التربية والتعليم والمعارف فى الوطن العربى ، دعت الى استخدام اللغة العربية باستمرار فى جميع مستويات التعليم ، والعناية بدراسة مشكلاتها » . وهذا ما أوصى به المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب ، كما جاء فى التقرير .

ما الذى أنجز ؟

فهل تحقق هذا فعلا فى الوطن العربي ، فى (جميع مستويات التعليم) ؟

قد يكون تحقق فى المراحل قبل الجامعية وليس فى كل أجزاء الوطن العربى ، ولكنه حتما لم يتحقق بعد ، ولا يزال يجابه بالرفض العنيد المســتميت فى اغلب الجامعات العربية ، بل لعلي اقول فى كل جامعات العالم العربى ، باستثناء سوريا .

أوليست الجامعات العربية جزءاً من (جميع مستويات التعليم) ؟

واذا كانت مراحل التعليم قبل الجامعية لا تجد ادنى صعوبة فى تدريس جميع العلوم باللغة العربية ، فى جميع المراحل الدراسية ، فهل من المعقول أن يصيبها الاعياء والعجز فى المرحلة الجامعيـــة وحدها ؟ وهل هى حقا عاجزة عن الوفاء بحاجات الجامعات فقط ؟

الذين يقفون فى وجه اللغة العربية بعناد واصرار فى الجامعات العربية ، يدعون أن العربية عاجزة فعلا عن الوفاء بحاجات التعليم العلمى الجامعى . واما الواقع الذى استطاع أن يثبته مجمع اللغة العربية الأردنى ، بتجربته القصيرة فى ترجمة كتب العلوم الجامعية ، واستطاعت أن تثبته كذلك جامعة دمشق بتجربتها الطويلة ، فهو أن اللغة العربية جواد طيع وفي لكل الأغراض العلمية وغير العلمية ، ولكن بعض المسؤولين من أهلها يحاربونها ويصرون على أن يكون التدريس بلغة أجنبية ، وعلى أن تحرم اللغة العربية من حقها فى بيتها وفى أهلها . وهذا ، دون ريب هو التغريب بعينه ، وفيه الحرمان للطالب العربى من أن يفهم النص العلمي ويستوعبه ، ومن أن يستطيع فيما بعد المشاركة فى الابداع العلمي .

ومن المؤسف والمخزى والمحزن معاً ، أن

هؤلاء المتشددين فى محاربة اللغة العربية فى الجامعات ، قد استطاعوا حتى الآن أن يجمدوا العربية فى جامعاتهم ، ويمنحوا الحياة والازدهار للغات الأجنبية ، بعكس جميع الأمم والشعوب التى تحرص على أن تكون السيادة للغاتها القومية دون سواها ، فى كل جانب من جوانب حياتها العلمية والعملية ، والادارية ، والتقنيــة . أو ليس هذا مظهراً من مظاهر التخلف فى العالم العربى ، حتى فى أعلى مستويات الثقافة عندنا ؟

ويقول التقرير ، تعليقاً على قرار المؤتمر الرابع لوزراء التربية والتعليم العرب هذا « ويدرك الخبراء أن هذا القرار له آثاره البعيدة فى حياة اللغة العربية ، لأنه ينقل السياسة التعليمية لهذه اللغة الى نطاق الوطن العربى كله ، ويربط تعليمها بالمفهوم القومى الواسع الشامل .. ووراء هذا الربط حفاظ على الشخصية العربية .. لأن اللغة العربية .. هى اقدر شيء على أن تحفظ لهذه الشخصية ملامح العروبة ، وسمات الدين ، وانطباعات الحيـــاة المشتركة .. وهى الامتداد الحي بين ماض مجيد ، وحاضر مكافح ، ومستقبل مأمول » .

كلام جميل وسليم جداً . ولكن ماذا كانت النتيجة خلال السنوات العشر التى مرت منذ أن اتفق الخبراء العرب على هذا الكلام الجميل والسليم ، ورفعوا توصياتهم الى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، والى وزراء التربية والتعليم العرب ؟ ماذا أستطاع الوزراء أن يفعلوا لتحقيق هذا الكلام ، وتحويله الى عمل ؟ وماذا استطاعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم أن تفعل ؟

لقد ظل الكلام الجميل كلاماً جميلا ، ولم يخرج عن حدود الكلام الجميل الى التطبيق فى الجامعات العربية ، على الرغم من أنها تقوم فى البلاد العربيــة ، وطلابها عرب ، والأغلبية الساحقة من هيآتها التدريسية عربية ، ومن المفروض أن تكون لغتها هى العربية ، ولا شيء غير العربية .

قرار سياسي

ويعود التقرير مرة أخـــرى ، فى التوصيات ، الى موضوع تعريب التعليم العلمى فى الجامعات ، فيقول : « تدارس الخبراء مشـــكلة التعليم الجامعي والعالي ، وعدم استخدام اللغة العربية فى الكليات العلمية والتقنية فى كثير من الدول العربية .. وايماناً منهم بالأهداف القومية التى ترمي الى التخلص من آثار الفترة الاستعمارية السابقة .. واقتناعاً منهم بأثر العلم والتقنيات الحديثة فى النهضة الحضارية المرجوة .. وايماناً منهم بأن تعـــريب العـــلم لا يتعارض مع اتقان اللغات الأجنبية ، ومتابعة البحث العلمى والمشاركة فيه ، وانتفاعاً بتجارب الأمم الأخرى التى جعلت لغتها القومية لغة التعليم الجامعي ، دون أن تكون أرقى من الأمة العربية لغـــة وحضارة .. يوصون بما يلي :

١ – ضرورة اتخاذ اللغة العربية لغة التدريس فى الكليات الجامعية والمعاهـد العالية .

٢ – أن تسعى المنظمة لاستصدار قرار سياسي فى هذا الموضوع على أعلى المستويات ، لوضع حد للتردد فى تنفيذ هذا المبدأ ، الذى أصبح ضرورة قومية أساسية ، وحاجة علمية ملحة » .

قضية تعريب التعليم الجامعي هى اذن (من الأهداف القومية التى ترمي الى التخلص من آثار الفترة الاستعمارية السابقة ، وما أحدثته فى الأمة العربية من عوامل الفرقة ، وضعف ثقتها بذاتها ولغتها) ، كما يقول التقرير .

فهل نفهم من هذا – استنتاجاً وتعقيباً – أن من يحاربون اللغة العربية فى جامعات الوطن العربى ، هم كلهم من الحريصين على بقاء الروح الاستعمارية التى أشاعت الفرقة فى الأمة العربية ، واضعفت ثقتها بذاتها وبلغتها ؟ وهل نفهم من هذا ، بالتالى أن الاستعمار الأجنبي لم يخرج من الأرض العربية ، بل بقيت فيها جذوره فاعلة عن طريق أعداء اللغة العربية من المسؤولين فى الجامعات العربية ؟ وهل نفهم ، بالتالى أيضاً ، أن السياسة فى البلاد العربيـــة لا تدرك ذلك ، وأن السلطات العربية لا تريد لهذا الاستعمار الفكرى أن يزول ؟

اذا كانت الوسائل تؤدى الى الغايات ، فهذا هو المعنى الوحيد لبقاء اللغـــات الأجنبية لغات التدريس الوحيدة فى الجامعات العربية ، ولبقاء اللغة العربية غريبة فى بيتها وفى أهلها .

كان العرب المسلمون فى أسبانياً يتزوجون نساء أسبانيات ، الى جانب زوجاتهم العربيات المسلمات ، غير أنهم كانوا يميزون بين الأجنبية والعربية ، فيدعون الزوجة العربية (الحرة) ، تمييزاً لها ، واعتزازاً بمكانتها على الأجنبية . أما أعداء اللغة العربية من المسؤولين فى الجامعات العربية فليست لديهم هذه الروح العربية الأصيلة ، اذ جعلوا اللغة الأجنبية هى (الحرة) ، واللغة العربية هى (العبدة) فى البيت الذى كان يجب أن يكون لها وحدها ، دون سواها .

ثم يجيء الحديث عن (استصدار قرار سياسي) ، يعجل فى تعريب التعليم العلمى الجامعي . ولست أفهم للقرار السياسى معنى على الاطلاق ، اذ أن القضية قضية كرامة قومية وايمان قومى . انها من البدهيات التى لا تحتاج الى أكثر من أن يشعر المسؤولون بأنهم عرب ، وأن الجامعات عربية ، وفى بلاد عربية ، ويدرس فيها طلاب عرب ، لا أجانب . هذا الشعور وحده كاف ليجعل اللغة العربية هى لغة التدريس ، لا سواها . وما أظن الا أن الجامعات العربية تقوم على دساتير – مثل دساتير الجامعات الأردنية ، تنص على أن اللغة العربية هى لغة التدريس ، الا فى حالات استثنائية شاذة .. ويكفي عندئذ أن تطبق هذه الجامعات دساتيرها لكي توضع الأشياء فى محلها الصحيح .

اللغات الأجنبية

هذه كانت الخطوة الأولى فى التقرير . ثم تجيء الخطوة الثانية ، وتتعلق بتدريس اللغة الأجنبية فى مرحلة التدريس الابتدائية . ويقول التقرير : « أن اللغة الأجنبية تزاحم اللغـــة العربية فى مدارس بعض الدول منذ الصف الأول فى المرحلة الابتدائية ، وفى بعضها فى الصف الثالث أو الرابع أو الخامس ، على حين ترجئها أكثر الدول الى المرحلة الاعدادية ، المتوسطة » . ثم يتحدث التقرير وراء ذلك مباشرة عن (ازدواج التعليم في بعض الدول) .

أنا أؤمن بأن لابد للطالب العربى من أن يكون عارفاً بلغة أجنبية ، الى جانب اتقانه للغته العربية . ولست أرى مانعاً من أن يبدأ تدريس لغة أجنبية ابتداء من الصف الثالث من المرحلة الابتدائية ، على أن لا يكون فى ذلك أي لون من ألوان (المزاحمة للغة العربية) ، فاللغة الأجنبية تدرس كلغة فقط ، وأما مواد الدراسة الأخرى كلها فتدرس بالعربية وحدها ، لكي يتمكن الطالب العربى من اتقان لغته أولا .

وفى هذا المجال يجب أن يعتبر كل معلم نفسه معلماً للغة العربية ، سواء فى ذلك معلم الرياضيات ، ومعلم الكيمياء ، ومعلم الفيزياء ، ومعلم الأحياء ، ومعلم الجغرافيا ومعلم التاريخ . ومن الضرورى جداً أن يطلب الى كل واحد من هؤلاء المعلمين أن يكون متمكناً من لغته العربية ، لكي يستطيع أن يعطى دروسه بلغة عربية سليمة ، فهذه هى الطريقة الوحيدة لكي تصبح لغة الطالب سليمة كذلك .

العامية والمصطلحات العلمية

العربية الصحيحة هى التى ينبغي أن تكون لغة المدرسة : لغة الطالب ، ولغة المدير ، ولغة المعلم ، مثلما هى لغة الكتاب يجب أن لا يسمع الطالب فى المدرسة غير اللغة العربية السليمة ، حتى وهو فى الملعب ، مع زملائه ومعلميه . بذلك تقضي أصول التربية ، وهذا هو الواقع الذى تعيشه الشعوب التى تعرف قيمة لغاتها القومية ، وتحرص على شيوعها ، وعلى سلامتها . حتى المحفوظات والأناشيد فى صف الحضانة ، وصف البستان ، ينبغى أن تكون كلها بلغة عربية نقية . وينبغى أن تنتفى العامية انتفاء تاماً ومطلقاً من حياة المدرسة ، من أول يوم فى حياة الطفل ، الى اخر يوم فى حياة الشاب ، فى المدرسة ، ثم فى الجامعة .

فما هو الواقع فى مدارسنا ؟ وهل استطاع وزراء التعليم العرب ، بعد كل مؤتمراتهم ، وبعد كل التوصيات التى صدرت عنها ، أن يحققوا شيئاً من ذلك ؟ وهل استطاعت المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؟ أم أن مدارسنا لا تزال تدرس حتى اللغة العربية الفصيحة باللهجة العامية ، وليس فى مراحل التدريس الدنيا فقط ، بل فى ما هو أعلى من ذلك ؟ ؟ ..

فما فائدة المؤتمرات اذن ؟ وما فائدة اجتماعات الخبراء ؟ وما فائدة التوصيات والقرارات ؟ وما فائدة كل المال الذى يسفح على المؤتمرات والندوات واجتماعات الخبراء ، اذا لم يكن فى النية العمل بها ؟

والخطوة الثالثة التى تعرض لها التقرير هى (المصطلحات فى المجال التعليمي) ، فقد رأي الخبراء أن هذه

من المسئول عن

هذه الظاهرة الخطيرة في الجامعات العربية ؟

المصطلحات . «تختلف بين دولة وأخرى» ، ولذلك أوصوا «بان تعمل المنظمة على عقد مؤتمر للتربويين واللغويين لدراسة وسائل التقريب بين الخطط الدراسية للغة العربية .. والتوحيد بين المصطلحات التعليمية » .

ان قضية المصطلحات العلمية والتكنولوجية والتعليمية قضية معقدة ومهمة جداً ، ففى كل بلد عربي مصطلحات تختلف عن مصطلحات البلد الآخر ، والمشتغلون بوضع المصطلحات كثيرون جداً ، سواء على مستوى الأفراد ، ام على مستوى الهيئات والمؤسسات ، وليس بينهم أى اتصال للاتفاق على توحيد هذه المصطلحات ، بل إن الاتصال نفسه عسير أحياناً ، وقد يستحيل فى احيان اخرى .

لقد تعددت اللغات العلمية فى الوطن العربى ، بتعدد الجهات المشتغلة بوضع المصطلحات . بل قد تتعدد المصطلحات فى البلد الواحد ، لعدم وجود جهة تنسيق وطنية ، أو قومية ، تكون حلقة اتصال بين العاملين فى حقل المصطلحات .

حتى مجامع اللغة العربية - على قلة عددها ، ومع وجود اتحاد يجمعها من بعيد لبعيد - يعمل كل منها فى وضع المصطلحات على حدة ، دون تنسيق بينها ، ودون محاولة للاتصال والاتفاق على ما يشتغل به كل مجمع من مصطلحات . بل إن الكثير جداً مما وضعته المجامع منفردة لم يصل الى المجامع الأخرى ، ولا الى أيدى الناس ، ولذلك كانت الاستفادة من جهود هذه المجامع فى المصطلحات قليلة .

أين مكتب تنسيق التعريب ؟

ومكتب تنسيق التعريب ، الذى قام لغاية توحيد المصطلح العربى ، لم يستطع أن يصل بجهده ، بشكل نافع وكاف ، الى كل الجهات المشتغلة بالتعريب ووضع المصطلحات . ومنذ أن قام المكتب فى أوائل نيسان عام ١٩٦١ م . لم يعقد غير اربعة مؤتمرات للتعريب ، الأول منها هو الذى انبثق عنه المكتب الدائم لتنسيق التعريب وثلاثة مؤتمرات فقط هى التى عقدت بعد انشائه . وقد اتفقت هذه المؤتمرات الثلاثة على عدد محدود جداً من جداول المصطلحات ، أو معجماتها . وسيعقد المؤتمر الخامس للتعريب فى أواخر هذا العام ، ١٩٨٤ ، فى الأردن ، وفى رحاب مجمع اللغة العربية الأردني ، للاتفاق على عدد آخر من المعاجم الجديدة .

لقد مر على انشاء هذا المكتب الدائم لتنسيق التعريب نحو أربعة وعشرين عاماً وهو يعمل باستمرار ، ويتصل بكل أقطار العالم العربى ، ويجمع المصطلحات من هنا وهناك ، وينسقها ، ويعقد الندوات للخبراء لمناقشتها ، ويستعين بالمجاميع اللغوية ، والجامعات ، والهيئات والمؤسسات العاملة فى حقل التعريب والمصطلح ، وبأصحاب معاجم المصطلحات ، غير أن النتيجة لا تزال محدودة الفائدة جداً ، ولم تستطع مصطلحات المكتب المتفق عليها أن تصل الى الكتب المدرسية فى الأقطار العربية ، ولا الى حيز الاستعمال العام فى الوطن العربى . ولم يستطع المكتب ، رغم جهوده المشكورة ، أن يتوصل الى توحيد المصطلح العلمي والتكنولوجي ، وايصاله الى كل الجهات التى يمكنها أن تستفيد منه ، وعلى الأخص المدارس والجامعات .

فهل كانت العلة فى مكتب تنسيق التعريب ، وفى مجامع اللغة العربية ؟

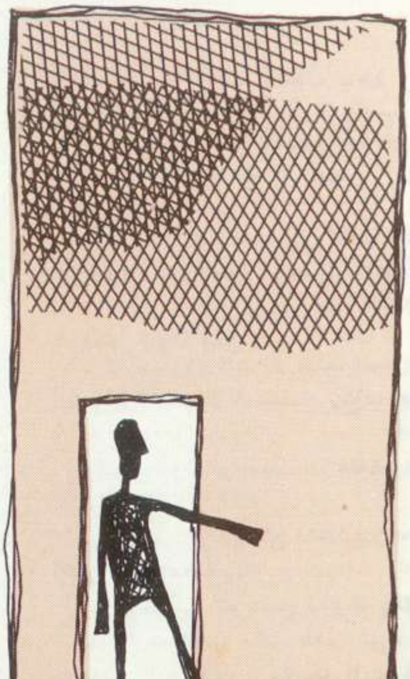
فى يقيني أن العلة أوسع من ذلك كثيراً : العلة والعيب فى العرب أنفسهم ، فهم فى أقطارهم المختلفة يعملون ، فى الواقع ، على أساس أن كل شعب فى بلده يؤلف أمة وحده ، ولا يشعرون شعور الايمان بوحدة الأمة العربية . السياسة هى التى تطبع معاملاتهم ، بين بعضهم البعض ، بطابعها التفريقي . ولهذا لم يتفق قطران من أقطارهم على ثقافة واحدة ، ومنهاج تعليمي وتربوى موحد . حتى هذا اللون من ألوان الثقافة - وحدة الثقافة - لم يستطيعوا - ولم يفكروا بعد - فى الاتفاق عليه . ومن هنا ليس غريباً أن يعمل كل قطر عربى عمله مستقلا فى مجال المصطلح العلمي والتكنولوجي ، كلون من ألوان الاستقلال فى العمل ، قصدوا ذلك أم لم يقصدوه .

فهل من الممكن والمنتظر أن يجيء يوم بمعجزة ، يشعر فيه العرب بوحدتهم القومية ، فينطلق من هنا عملهم على أساس التنسيق ، والتكامل ، لأجل الوصول الى توحيد التربية القومية ، والثقافة القومية ، خطوة أولى الى تحقيق التكامل ، فالوحدة الصحيحة فى العمل القومي للجميع ؟

عيسى الناعورى

أسماء البلاد أساور الدّم

شعر: محمد الظاهر



راحلٌ انت في المدى ، حيث تمضى شهوةُ الموت ، والممالكُ
تُقعى ككلاب اليفة ، خلعتها ، من ضلوع الشعوبِ خيلُ التردّى
ورمتها وحيدة تتشظى فى فراغ الحروب تَرْتَدُّ وَهْماً ، ينشر
الخوف فى عروق العواصمْ

موشك أنْ تقول : جُرحى حِصارٌ
وغبارُ الحروب رَوْثُ بهائم

خطف الجند بَرْقَناَ فانطفانا ، وقرانا كتابَنا غير أنَّا لم نجدْ
فى الحروف وهجَ خطانا ، وافتقدنا دماءنا فانكسرنا ، واتخذنا
من الخطاة رؤوساً ، ونثرنا على البلادِ الهزائِمْ

موسم الخوف والكوابيسِ ارضٌ
وانتحار الرمال سقف الجرائمْ

اى جدوى من غَيْمَةَ نَصَّبَتْنا
فوق سطح البلاد حقلَ جماجمْ

لا تَبعْ للخطاة خيلك واسكنْ شهقةَ الرعد ، والتجىءْ
حيث تمضى ، بقميص الشهيدِ الذى لم يُساوِمْ

هذه الأرض مهرةٌ ويَداها
فى سماء البلاد سربُ حمائم

يدخل العاشقون منها إليها
فاعبر الآن فى ربيع المواسمْ

كل غيب فى دورة الروح موجٌ ، يغسل القلب من ظلال
المعانى ، يطلق الريح فى المسافات ، تمحو آيةَ الرعبِ
من شواهد عصرٍ ، دمهُ العرسُ والضّحايا الولائِمْ

حَرِّرِ الجَمرَ وانتسبْ للشظايا
واتّبِعِ النّسغَ وانتسبْ للبراعمْ

وامـلأ البحر بالمتاريس ، وانحتْ من صخور الجبال كهفاً
وأكمل نَزَقَ الطفل حين يمضي اليها ، حجراً ثائراً ،
حديداً محمّى ، وازرع الحقد فى الخلايا ، وَفَجِّرْ
مرجلَ النفيِ فى الجهاتِ لتقطفْ ، من حقولِ المُحالِ
وردَ العزائِمْ

انتَ لا تملك الجهات ولكنْ
ذَرّةٌ انتَ فى البلاد تُقاوم

اللمسات الإنسانية في الأدب الشعبي العربي

بقلم : عباس خضر

يمتلىء أدبنا العربى الشعبى بقصص البطولات والأبطال الذين خاضوا الحروب واحرزوا الانتصارات . والملاحظ ان تلك الحروب انما كانت حروباً دفاعية ، يتجه خط الدفاع فيها إلى أعداء العرب والمسلمين ، أولئك الأعداء الذين كانوا يغيرون على الحدود الاسلامية ويبطشون باهل البلاد ويقتلون النساء والأطفال والشيوخ ، فيهب العرب لقتالهم وردهم الى بلادهم .

وقصصنا تلك لم تخل مع ذلك من لمسات انسانية ، بل هى مملوءة بهذه اللمسات . فهى تقدم لنا البطل على انه انسان قبل أى شىء ، فاذا اضطرته الظروف القاسية الى القتال فانما ذلك يكون احقاقاً للحق وازهاقاً للباطل .

فى اكثر الأحيان تصور البطل شجاعاً مقداماً منذ مولده ،وفى احيان اخرى تفعل العكس ، فالولد جبان رعديد يخاف من ظله ، كما يقولون .ثم تتدرج به فى تصوير فنى ممتع حتى يصير من المغاوير الشجعان .

وفى خلال ذلك تعطينا اللمســـــة الانسانية التى تدل على ان الانســـان انسان قبل كل شيء .

شريحة من ذات الهمة

هذه شريحة من « سيرة الاميرة ذات الهمة » الحافلة بالامجاد العربية .

كان لاحد القادة العرب ولد اسمه « ثعلب » نشا اول ما نشا على عكس والده « الحصين » الذائع الصيت فى الضرب بالسيف وصراع الأبطال ، خاض المعارك بين العرب والروم ، واحرز فيها نصراً عظيما .

وتشاء المقادير ان يبتلى هذا القائد الشجاع بذلك الولد « ثعلب » الكسلان والجبان ، وقد حاول ابوه ان يدربه على القتال ، وكتب اسمه فى ديوان المجاهدين . وصار له بذلك خمسمائة دينار كل سنة ، ياخذها من والده كاى مقاتل فى الجيش . ورغم ذلك لم يكن يحضر حرباً ولا ضرباً ، بل كان يفزع اذا راى فاراً فى الدار او سمع من الثور الخوار ،وبلغ من الكسل الى حد انه اذا كان نصفه فى الظل والنصف الآخر فى الشمس الحامية وهو نائم .. يكسل ان يزحف من الشمس الى الظل ..

ضاق « الحصين » بابنه ، وتحير فى امره ، ثم قال فى نفسه : ما اظن ولدى هذا يكون فارساً فى يوم من الايام ، فماله جراة على الحرب ، والقتال ، وليس لى الا ان ادفعه الى الفقيه « عقبة » ليعلمه القران وشيئا من العلوم .

ولله فى خلقه شئون .. فقد إمات الله نشاط « ثعلب » البدنى واحيا فى نفسه الفهم والفطنة وسرعة الحفظ ، حتى كان يحفظ فى يوم واحد ما يحفظه غيره فى شهر .

محاربة الروم

هب العرب لحرب الروم الذين اغاروا على حدود بلادهم ، واحتار الحصين فى موقف ولده « ثعلب » كيف ياخذ راتبه كمحارب فى الجيش وهو لا يذهب الى الحرب ولا يقدر على القتال ؟ ثم عزم ان يامره بالمسير الى الميدان ، وليكن ما يكون .. قال له :

ـ يا ولدى انت تعلم انى كتبت اسمك فى ديوان المجاهدين ، واخذت راتبك فى ثلاث سنين ، ولابد من خروجك للقتال .

فبكى الولد وقال :

ـ يا ابى ، هل قلت لك اكتب اسمى فى الديوان ؟ انى لا استطيع ركوب حمار فضلا عن جواد .

وشكاه ابوه الى استاذه « عقبة » فقال الشيخ لتلميذه :

ـ اذهب يا ولدى مع المحاربين ، وما تقدر عليه افعله ..

فبكى ثعلب ، ثم مسح دموعه وقال :

ـ يا سيدنا ، مالى على شيء مما تدعونى اليه يدان .. ولست ادرى كيف يكون حالى اذا اصطفت الفرسان فى حومة الميدان ، وتشابكت الرماح وجَد الضرب والطعان .

فضحك الوالد وقال لولده :

ـ البس عدة الحرب ، واخرج فى زى المجاهدين ، ولا تدخل فى معمعة القتال ، وما

عليك الآن تهلل وتكبر اذ الروم انكسروا .
– وإن كانت الحرب علينا ؟!
– اذا كانت علينا – لا قدر الله – فكن اول من يطلب الهرب .
– وإن كانت الكسرة على العرب ، وحاولت الهرب ، ثم وقعت فى كمين الست اهلك مع الهالكين ؟
فقال والده غاضباً :
– يا أشأم الأولاد ، أليست لك أسوة بهؤلاء المجاهدين الذين جاءوا من كل فج ، وقد باعوا انفسهم لله ؟
وقال عقبة للحصين :
– لا فائدة ترجى من ولدك هذا فى حرب أو نزال ، فارح نفسك واعد ما اخذته من راتبه الى بيت المال .
ولم ييأس الحصين من ولده ، فاراد ان يثير فيه الحمية قائلا له :
– يا ولدى ، لا تكن عاراً علينا ، كيف يقال إن للحصين ولداً ضعيفاً جباناً قد قعد ولم يلب دعوة الجهاد ؟

التقى الجمعان

ثم لجأ الى إغرائه واستدراجه الى الحرب فقال :
– لن اتركك فى الميدان ، بل اركبك الجواد ، ولا تبرح عنك عينى ، واذا رأيت خطراً عليك اخذتك ونجوت بك .
فقال ثعلب مستسلماً :
– يا أبت افعل ما تراه ، فهانذا مطيع لك والله يتولانى برحمته .
لما اصبح الصباح زعقت بوقات الروم ، وخفقت راياتهم ، وتحركت جموعهم ، وصهلت خيل العرب ، واستلت السيوف ، وانقضت السهام ، والتحم الفريقان فى قتال لبس كمثله قتال .
وما رأى ذلك ثعلب حتى ارتعدت فرائصه ، واصطكت أسنانه ، واهتزت رجلاه ، فصارتا تضربان .. ولم يستطع ركوب الحصان .. ولما شاهد ابوه حاله اخذه من يده الى ربوة عالية بعيدة عن القتال وقال له : قف هنا ولا تخف .

فى الجبن سواء

وبينما هو واقف يرتعد اقبل نحوه رجل من الروم ، فتملكه الخوف ، وزاد به الرعب وقال له :



– بـ .. بالله يا .. سيدى .. مـ ـاذا تريد ؟
– لا تخف .. فانا مثلك خائف .
– من تكون يا جبان ! يا ذليل يا مهان !
فقال الرومى ساخراً :
– انا .. الجبان ؟ يا شجاع ! يا مهاب ! تعال .. اننا فى الجبن سواء ..
– قل لي لماذا يقتل بعضنا بعضا ؟ اليس هؤلاء « الشجعان » مجانين .. ؟
– بلى ، انهم والله مجانين .. ولكن قل لي انت ما الذى اخرجك من بلادك واتى بك الى هنا ؟
– ساقونى على الرغم منى .. زعموا انكم اعداء يجب ان نتغذى بكم قبل ان تتعشوا بنا !
– ولكن ها انتم اولاء لا تتغدون !
– مجانين .. الم اقل لك مجانين ؟
وبينما هما كذلك اذا سهم طائش يمرق بينهما ويغوص فى الأرض قريباً منهما . فصاح الرومى ، ووقع ثعلب مغشيا عليه .. وبعد برهة افاق ، فقال له الرومى :
– يا اخى .. هل انت سالم ؟
– الحمد لله .. وانت يا اخى هل اصابك مكروه ؟
– إنى بخير ، انا احب الحياة ولا اريد ان اموت .
– ومن ذا الذى لا يحب الحياة ايها الاحمق ؟
– انا احمق يا جبان ؟
فقال ثعلب ساخراً :
– العفو .. يا فارس وقاهر الشجعان ..
– رجعنا الى الكلام الفارغ ، الم نكن الآن اخوان ؟
– بلى ، ما اعجب الانسان ! عند الروع يتعاطف الناس ، وعند السلم يتخاصمون

ونظر ثعلب غير بعيد ، فرأى ما اثار دهشته .. فقال للرومى :
– انظر .. السهم يتحرك !
– انه يهتز .
– عجباً .. تعال ننظر .
وتقدما الى مكان السهم ، وامسك به ثعلب وجذبه بكلتا يديه ، فاستعصى عليه ، فاخرج السيف الذى معه وحفر حوله ، وهاله المنظر :
– ثعبان .. انظر .. تعال هنا وانظر .. ان السهم مغروس فى ثعبان ، ودم الثعبان يسيل .
والتفت ثعلب الى الرومى فوجده قد ولى بعيداً مذعوراً .. اما هو فقد شعر بجراة لم يعرفها فى نفسه من قبل .. امسك بالثعبان الدامى وجعل يقلبه ويقول : سبحان الله ! هذا الثعبان المختفى فى باطن الارض ينفذ اليه السهم فيرديه ، ونحن على ظهر الارض مستهدفون للسهام فلا يصيبنا سوء !
ونظر ناحية الرومى فرآه ملقى على الارض جثة هامدة وفى صدره سهم طائش !
« مات .. لم يمنعه من الموت خوف ولا حذر ، وكم من شجاع خاض المعركة وعاد سالما » .

تطوير الشخصية

وهنا يعمل قصاصنا على تطوير شخصية ثعلب ، فهو اى القصاص بصدد « التعبئة » ضد المعتدين ، والحرب للدفاع لا تنافى الانسانية ، يقول :
« بينما كان ثعلب واقفا يحدث نفسه ذلك الحديث – رأى جواداً يعدو وليس على ظهره احد ، فاعترض طريقه .. وفى لحظة خاطفة كان على ظهره ، وقد جرد سيفه ، وحمل على الأعداء مع الحاملين عليهم من قومه . وصال وجال فى ميدان القتال ، وحمل يبارز الفرسان ويصرع الأبطال .
ولمحه ابوه . فدنا منه هاتفا :
– ويحك من انت .. ؟
– انا ولدك ثعلب .
– حقا ؟ كم انا فخور بك .. هذا يوم ميلادك .
– انا اليوم يا ابى اشجع خلق الله .
– انت منذ اليوم رجل ، إن مت مت شهيداً ، وإن عشت عشت عزيزاً » .

التنويم المغناطيسي والأسرار الخفية في عالم الحرب والسياسة !

إعداد : محمد العزب موسى

- هتلـــر يطـــارد « عرافـــاً » أوروبيـــاً تنبأ بنهاية النـــازية ومصير الفوهـــرر !
- رجـــل يسرق بنكاً بقـــوة التنـــويم المغنـــاطيسى
- قصـــة المرأة التى تحـــرك أعـــواد الثقاب والسجائر والدبابيس بمجرد النظر اليها
- محـــاولات مضنية لكشـــف أســـباب مادية وعلميـــة وراء الظـــواهر الخارقـــة

فى أوائل الحرب العالمية الثانية ، وبعد ان اجتاحت القوات النازية بولندا كان من اهم ما يشغل بال هتلر أن تعتقل قواته رجلا بولندياً يدعى وولف ميسينج وتاتى به الى برلين حياً أو ميتاً . كان قد اشتهر عن هذا الرجل انه يتمتع بقوى خارقة كوسيط روحى وعراف متنبىء ، وكان قد تنبأ لهتلر قبل اجتياح بولندا بانه سيخسر الحرب فى النهاية ويلقى نهاية شخصية سيئة ، ولما كان هتلر من اشد المتطيرين الذين يؤمنون بالعرافة والتنجيم لذلك فقد أسرها فى نفسه ، وعزم على الانتقام من ميسينج عندما يقع يوماً فى قبضـــة يده .

واستطاع ميسينج أن يهرب فى آخر لحظة ويلجا الى موسكو . ولكنه كان كالمستغيث من الرمضاء بالنار ، اذ نجا من قبضة دكتاتور ليقع فى قبضة دكتاتور آخر .. ستالين الرهيب هذه المرة . فقد سمع الدكتاتور السوفيتى بحكايته وقرر ان يختبر قواه التليباثية وحـــدد بنفسه الامتحان .. ان يستخدم ميسينج قواه المزعومة فى سرقة بنك سوفيتى !

واختار وولف ميسينج بنكاً كبيراً فى موسكو ، لا يعرفه فيه احد ، وفى اليوم المحدد دخل ميسينج البنك بخطوات ثابتة ، وتقدم الى الصراف الذى يجلس خلف نافذته الزجاجية ، وقدم اليه ورقة بيضاء منتزعة من دفتر مدرسى ، ووضع أمامه حقيبة فارغة مفتوحة ، وأمره تليباثياً ان يصرف له مبلغ ١٠٠ الف روبل .

ونظر الصراف الى الورقة ، وفحصها جيداً ، لم يشك لحظة فى أنها « شيك » صحيح .. ولم يلبث ان فتح خزانته وراح يخرج منها رزم البنكنوت ويضعها فى الحقيبة ، حتى عد ١٠٠ الف روبل بالتمام والكمال .

وحمل ميسينج الحقيبة ، وخرج من البنك ، وهناك أطلع رجال ستالين على النقود مثبتا نجاحه فى سرقة البنك ، وبعد ذلك عاد إلى الصراف مرة اخرى وبدا يعيد اليه رزم البنكنوت . ودهش الصراف واخذ ينظر اليه ، والى النقود والى الورقة البيضاء الخالية امامه ، ثم سقط على الارض مصاباً بازمة قلبية ..

ولحسن الحظ فقد نجا الصراف من الازمة القلبية ، ولكن ميسينج لم ينج من قبضة ستالين ، كان ينتظره امتحان آخر اراد به ستالين ان يتاكد شخصياً من قواه الاستثنائية ، فامره ان يدخل عليه فى مكتبه بالكرملين بدون الحصول على اذن كتابى خاص شان كل من يدخل هذا المكان كائناً من كان حتى لو كان من زعماء الحزب والقادة السوفيت .

وفى اليوم المحدد تقدم رجل الى قصر الكرملين وقطع ساحته ، وعند الباب حياه الحرس برفع السلاح ، واخذ الرجل يقطع دهاليز الكرملين ، ويصعد درجاته ، امام اعين الحراس ورجال المخابرات المبثوثين فى كل مكان ، وهؤلاء كانوا يحيونه عندما

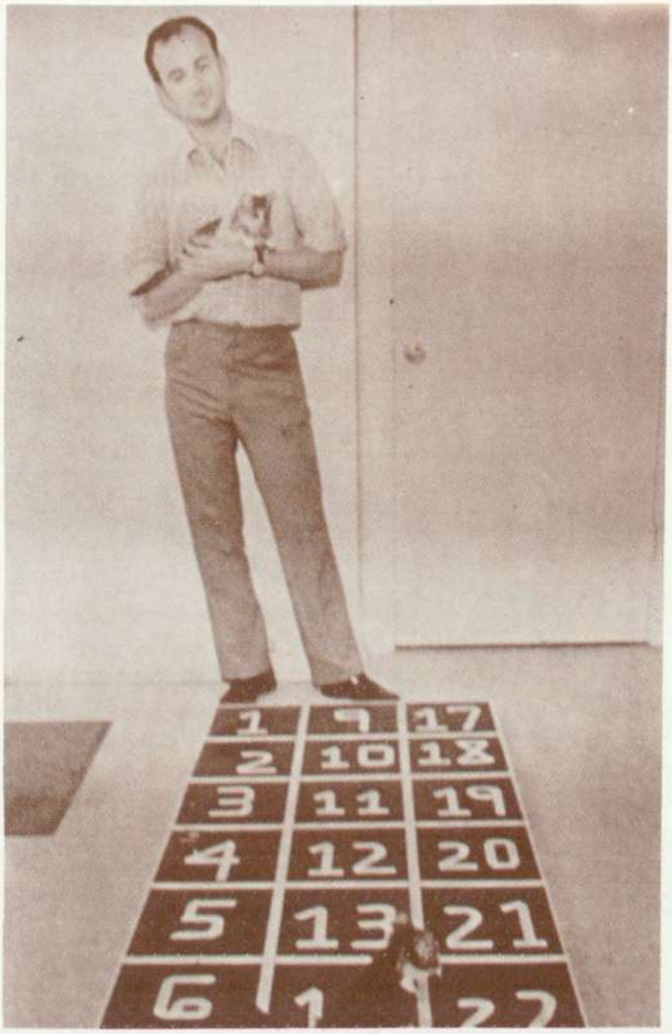
يمر بهم ، الى ان وصل الى غرفة ياور ستالين ، فقام هذا وحياه وصحبه الى غرفة مكتب ستالين ، وفتح له الباب وهو ينحنى انحناءة كبيرة ، وعندئذ رفع ستالين عينيه عن الأوراق التى امامه ، ونظر الى الزائر فاذا به امام ميسينج وجهاً لوجه !

والتفسير الذى اعطاه ميسينج فيما بعد انه اوحى للحراس والمخبرين انه هو نفسه بيريا رئيسهم الذى وضعهم فى هذا المكان ، ومدير المخابرات السوفيتية الرهيب ، وكان هو الوحيد الذى يستطيع الدخول الى ستالين بدون تصريح وفى اى وقت يشاء ..

● ●

هذه عينة من الاقاصيص التى انتشرت عن وولف ميسينج ، وسواء كانت حقيقية او من نسج الخيال والمبالغة ، فالثابت ان السوفيت لم يكونوا اقل من الغربيين اهتماماً بظواهر الباراسيكلوجى ، بل لعلهم كانوا اكثر جدية فى فحص هذه الظواهر التى تبدو متعارضة مع الفلسفة المادية . وكان هدفهم الأكبر البحث عن اساس مادى لهذه الظواهر على فرض ان قد ثبتت صحتها ..

● ●



عالم من علماء الباراسيكلوجى يجرى تجاربه الهامة على الظواهر الخارقة التى مازالت محل نزاع منذ قديم الزمان حتى عصرنا الحالى

تجارب بالتنويم المغناطيسى

ويفضل الباحثون فى اوربا الشرقية والاتحاد السوفيتى اسلوب التنويم المغناطيسى كوسيلة للبحث فى ظواهر الباراسيكلوجى بعكس الباحثين الغربيين الذين يترددون فى اتباع هذا الأسلوب بدعوى تعارضه مع الحرية الفردية ، بل ان الأطباء الغربيين انفسهم نادراً ما يلجاون الى التنويم المغناطيسى للمساعدة فى علاج الأمراض . اما الروس فلهم وجهة نظر مختلفة ، وفى وقت مبكر يعود الى اوائل العشرينات قام اثنان من الباحثين النفسانيين فى الاتحاد السوفيتى هما البروفيسور زيليكوفسكى والدكتور كوتكوف باجراء عدة تجارب على « التليباثى المغناطيسى » باستخدام طالبة شابة دون ان تدرى ، فقد سئلت الطالبة ان تتردد على البروفيسور زيليكوفسكى للمشاركة فى بعض التجارب ، وفى كل مرة تاتى الى معمله كان البروفيسور زيليكوفسكى يعتذر عن عدم اجراء التجربة بدعوى ان بعض الأجهزة لم تصل بعد ، وكانت الفتاة تمكث معه بعض الوقت يثرثران فى اى شىء ، ولكن كان يحدث احيانا ان يدهمها النوم وهى واقفة على قدميها ، ثم تفيق ولا تستطيع ان تفسر سلوكها ، فتعتذر وتنصرف ، ولكن اصحاب التجربة كانوا يعرفون السبب جيداً ، فقد كان الدكتور كوتكوف يجلس فى حجرة اخرى فى نفس المبنى يسلط اشعة تاثيره عليها .

هذه القصة توحى الى الاذهان بقصص العالم الشرير المجنون فى افلام الرعب ، ولكنها عرفت عن مصدر موثوق به هو الدكتور ليونيد فاسيليف اشهر عالم باراسيكلوجى سوفيتى والوحيد الذى ترجمت كتبه الى اللغة الانجليزية . وقد ذكر فاسيليف فى كتابه « تجارب على الايحاء الذهنى » الذى صدر عام ١٩٦٢ قبل وفاته بعدة سنوات ان العلماء الروس بداوا يجرون تجارب منتظمة على التليباثى والتنويم المغناطيسى منذ الثلاثينات ، بعد النجاح المبدئى الذى احرزته تجارب زيليكوفسكى وكوتكوف ، وانهم تلقوا أوامر من « سلطات عليا » بالقيام بهذه التجارب . مما يوحى بانه ربما كان ستالين يشعر بان ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس يمكن ان تكون لها قيمة استراتيجية .

اذا كان فى قدرة انسان ان ينوم اخر مغناطيسياً وهو على مسافة بعيدة منه قد تصل الى الف ميل دون ان يدرى ذلك الشخص الآخر شيئاً عما يجرى ، فتلك بلاشك قدرة رهيبة قد تكون لها نتائج بالغة الخطورة فى العلاقات الانسانية . ولكن هذا بالضبط ما فعله احد زملاء البروفيسور فاسيليف واورد ذكره فى كتابه . كان الرجل من سيفاستبول بالقرم ، ومحل التجربة فتاة فى لينجراد ، واديرت التجربة بحيث يحدث التنويم المغناطيسى اثناء وجود الفتاة الخالية الذهن تماماً عن كل شىء مع طبيبها النفسى الذى كانت تتردد عليه ، وكان هذا

الطبيب مشاركا فى التجربة ومكلفا بتسجيل سلوك الفتاة عند تنويمها مغناطيسيا . وفى تقرير العلماء السوفيت ان اربعة اشخاص من كل مائة شخص لديهم استعداد للتنويم المغناطيسى على البعد .. ولكن الباحثين الغربيين لم يحاولوا التاكد من صحة هذا الزعم .

نظرية الموجات

وكانت قد انتشرت شائعات بان البحرية الامريكية تقوم بتجارب على التليباثى كوسيلة للاتصال بقادة الغواصات فى اعماق المحيطات حيث يكون الاتصال اللاسلكى متعذراً او ضعيفا ، وادت هذه الشائعات الى قيام الاتحاد السوفيتى بنشر ابحاث فاسيليف فى اوائل الستينات ، وقبل ذلك كان البروفيسور فاسيليف يجرى تجاربه وابحاثه فى سرية مطلقة ، لأن التليباثى وظواهر الباراسيكولوجى بصفة عامة تثير مشكلة ايديولوجية بالنسبة للروس ، فما لم يثبت ان هذه الظواهر لها اساس مادى ، اى يمكن تفسيرها على نحو ما بنظرية الموجات فانها تعتبر بمثابة تخريب فى الفلسفة المادية الرسمية ، ولذا فقد تركزت ابحاث فاسيليف على محاولة اكتشاف الطاقة المادية التى تكمن وراء ظواهر الباراسيكلوجى ، وما هى الموجات التى تعمل فى مثل هذه الظواهر .

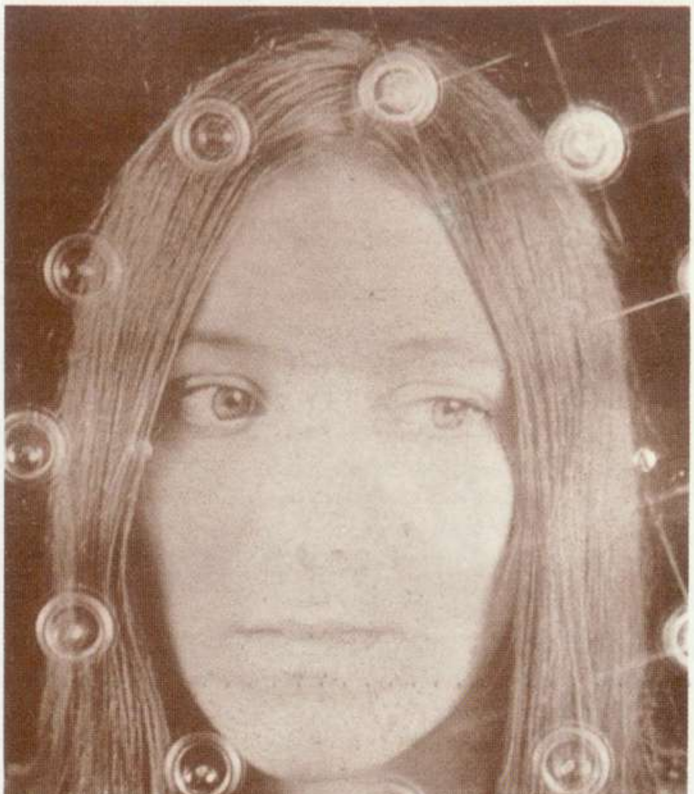
من التجارب التى اجراها فاسيليف فى هذا الشان انه كان يضع الفتاة التى يجرى عليها تجاربه داخل قفص فاراداى وهو صندوق من المعدن السميك يقاوم نفاذ موجات الراديو والموجات الكهرومغناطيسية ، ومع ذلك كانت الفتاة تسقط نائمة عندما يامرها الراسل التليباثى بذلك ، وهو يقف خارج القفص ، ثم وضع الراسل فى كبسولة من الرصاص وغمرها فى حوض ملىء بالزئبق . ومع ذلك استمرت الفتاة فى قفص فاراداى تسقط نائمة كلما امرها الراسل فى كبسولته بذلك . وهكذا بدا واضحا ان نظرية الموجات لا تفسر ما يحدث ، فاستبعدت بهدوء ، ولكن برنامج الابحاث ظل مستمراً .

الراديو الذهنى

فى عام ١٩٦٦ اجريت فى الاتحاد السوفيتى تجربة على التليباثى نالت شهرة كبيرة ، وسمح للصحف بنشرها ومتابعتها ، كان الوسيط فى موسكو ، والفاعل على بعد الفى ميل فى سيبيريا وهو الممثل والصحفى كارل نيكولاييف . اما الوسيط فهو عالم الطبيعة البيولوجية يورى كامينسكى ، واشرف على التجربة مجموعة من العلماء السوفيت ، وقد استطاع كامينسكى بنجاح ان ينقل الى نيكولاييف صوراً ذهنية عن ستة اشياء اعطيت له فى اظرف مغلقة مستقلة فى بداية التجربة ، وفى تجربة اخرى استطاع نيكولاييف ان يسجل ١٢ هدفا صحيحاً من ٢٠ ورقة من اوراق الادراك خارج نطاق الحواس عندما كانت تقلب واحدة بعد الاخرى فى موسكو ، فى حين ان حد الصدفة فى هذه الحالة لا يتجاوز اربعة اهداف .

وتجارب الابحاث السوفيتية على الادراك خارج نطاق الحواس لا تذكر شيئا عن ظاهرة الاستبصار او الرؤية عن بعد ، بالرغم من أن الابحاث الامريكية تشير الى انها ربما كانت اقوى ظواهر الباراسيكلوجى ، وبالرغم من ان ما فعله نيكولاييف يمكن ان يفسر بالاستبصار كما يفسر بالتليباثى إلا ان الروس ظلوا ثابتين على افتراض وجود نوع من « الراديو الذهنى » لتفسير هذه الظواهر .

وبالرغم من انهم لم يستطيعوا الاهتداء الى موجات هذا الراديو إلا ان ابحاثهم القت الضوء على بعض الحقائق المثيرة الخاصة بموجات المخ ، فمثلا عند اجراء احدى التجارب على البعد بين موسكو ولينينجراد وصلوا بالاسلاك بين نيكولاييف واجهزة كهربائية لقياس التغيرات الفسيولوجية وموجات المخ ، ووضع نيكولاييف نفسه فى حالة استعداد ذهنى للاستقبال ثم انتظر ، لم يكن يعلم متى سيبدا كامينسكى على بعد



هذه السيدة بهرت علماء الباراسيكولوجى بقدرتها على تحريك الأشياء بالطاقة الذهنية .. السيدة اسمها : نيليا ميخايلوفا .

٤٠٠ ميل محاولة التخاطر معه ، ولم تكن لديه اية فكرة عن نوع الرسالة التى يتوقعها ، ومع ذلك فقد سجل جهاز تسجيل موجات المخ زيادة مفاجئة فى نشاط مخ نيكولاييف فى نفس اللحظة التى بدا فيها كامينسكى تركيزه لبث الرسالة ، واكثر من ذلك لوحظ ان تزايد هذا النشاط حدث فى ذلك الجزء من المخ المناسب لتلقى نوع الرسالة ، فمثلا إذا ارسل كامينسكى رسالة مصورة كانت تنشط فى مخ نيكولاييف المنطقة التى تتحكم فى النظر ، واذا ارسل رسالة سمعية ، كصفارة مثلا ، فان المنطقة الخاصة بالسمع هى التى تنشط . وقد اشاد بهذه الابحاث عالم الباراسيكلوجى الكبير دكتور ميلان رايزل فى مقالة نشرها بالمجلة الدولية للباراسيكلوجى فى عام ١٩٦٨ ، وقال ان النتائج التى توصل اليها السوفيت قد تقربنا مسافة كبيرة من التحكم فى ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس .

الهالة الكهربائية

ويتصور البعض ان هناك سباقا سريا بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى للتحكم فى ظواهر الباراسيكلوجى وان السوفيت اكثر تقدما فى هذا السباق ، ولكن هذا التصور لا يقوم عليه دليل قوى فى شقيه ، وربما يكون نتيجة فن الخيال العلمى ، ولكن ذلك لا ينفي ان السوفيت اثبتوا تقدما ما فى مجالات معينة منها ابحاث جولاييف على « الهالة الكهربائية » التى تحيط بالأجسام الحية ، وابحاث نوفوميسكى على « القراءة بالاصابع » ، ودراسات مختلفة على ظاهرة الاستحراك لدى السيدة نيليا ميخايلوفا .

ويسمى السوفيت التليباثى « بالاعلام البيولوجى » مما يشير الى تحيزهم الظاهر لفكرة وجود اساس مادى لهذه الظاهرة ، وهم يحاولون ردها الى التغيرات التى تحدث فى « الهالة الكهربائية » حول الأجسام الحية . فقد اكتشف البروفيسور بول جولاييف الذى خلف العالم فاسيليف كرئيس لمعمل «السبرنطيقا » بجامعة لينينجراد باستخدام اجهزة بالغة الحساسية مصممة خصيصا لهذا الغرض ، ان كل الاجسام الحية يحيط بها مجال من الكهرباء الاستاتيكية الضعيفة ، اسماه بالهالة الكهربائية ، وهذا المجال تحدث فيه تغيرات مستمرة ، وحتى الافكار التى تطوف فى ذهن الشخص تؤدى الى تغيرات فى هذا المجال يمكن كشفها وقياسها ، ويقترح جولاييف ان تكون هذه التغيرات فى الهالة الكهربائية هى التى ترسل اشارات تحمل معلومات ، وان هذه هى الوسيلة التى تتفاهم بها بعض الأسماك والحشرات وغيرها من انواع الحيوان ، ومن الممكن ايضا من الناحية النظرية ان يؤدى النشاط الذهنى الى تقوية هذه الهالة الكهربائية بحيث تنتج طاقة قادرة على تحريك الاشياء .

وقد اجريت ابحاث سوفيتية على العلاقة المحتملة بين ظاهرة الاستحراك وهذا المجال الكهربائى الاستاتيكى بالتعاون مع السيدة الشهيرة نيليا ميخايلوفا ، وكانت هذه السيدة - وهى ربة منزل فى لينينجراد - قد بهرت الباراسيكلوجيين السوفيت عدة سنوات بقدرتها على تحريك الاشياء بالطاقة الذهنية ، ومن بين الذين اجروا تجارب عليها دكتور جيرادى سيرجييف الذى صمم جهازاً لالتقاط المجالات الكهروستاتيكية والمغناطيسية المنبعثة من الجسم البشرى على مسافة تصل الى اربعة اقدام وقد وجد دكتور سيرجييف بمساعدة اجهزته ان نيليا ميخايلوفا فى حالتها العادية تنتج من الجهد الكهربائى المنبعث من مؤخرة راسها ما يعادل خمسين ضعف الجهد المنبعث من مقدمة الراس . فى حين ان معظم الناس ينتجون ما يعادل ثلاثة اضعاف او اربعة فقط .. اما عندما تباشر نيليا قواها التحريكية وتقوم بتحريك الأشياء الصغيرة الموضوعة أمامها على المائدة فقد اظهرت الاجهزة ان الحقول المغناطيسية المحيطة بجسمها تبدا فى النبض ، وهذه النبضات تتفق فى وقعها مع نبضات المخ والقلب ، واكثر من ذلك فقد بدا أن فى استطاعتها تركيز مجال القوى المنبعثة منها فى اتجاه الشىء الذى تنظر اليه وتريد تحريكه .

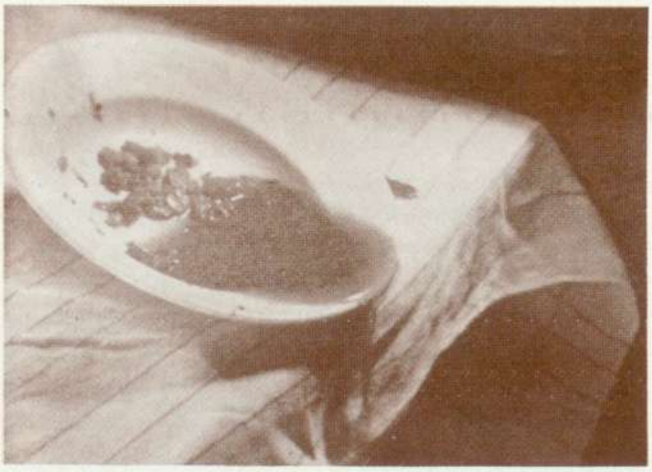
وقد شاهد عدد من الكتاب والباراسيكلوجيين الغربيين نيليا ميخايلوفا وكتبوا عنها ، وشهدوا جميعا بقدراتها الاستثنائية . وقد كان فى امكانها أن تحرك أعواد الثقاب ، والسجائر ، والدبابيس وغيرها من الاشياء الخفيفة التى توضع امامها على المائدة بتحريك يديها فوقها أو بمجرد النظر اليها ، وفى تجربة اخرى استطاعت تهبيط احدى كفتى ميزان حساس متوازن فى كل منهما ثقل وزنه ٣٠ جراماً ، وظلت الكفة هابطة بعد اضافة ثقل اضافى وزنه ١٠ جرامات الى الكفة الاخرى ، ولكنها ما ان تتوقف عن التركيز وتبعد عينيها فان الكفة الثقيلة تهبط على الفور ، ولتحقيق مثل هذه الظواهر كانت ميليا ميخايلوفا تقضى وقتا طويلا فى استجماع قواها ، وبعد ان تنتهى يبدو عليها التعب ، واحيانا وجد انها تفقد بعض وزنها .

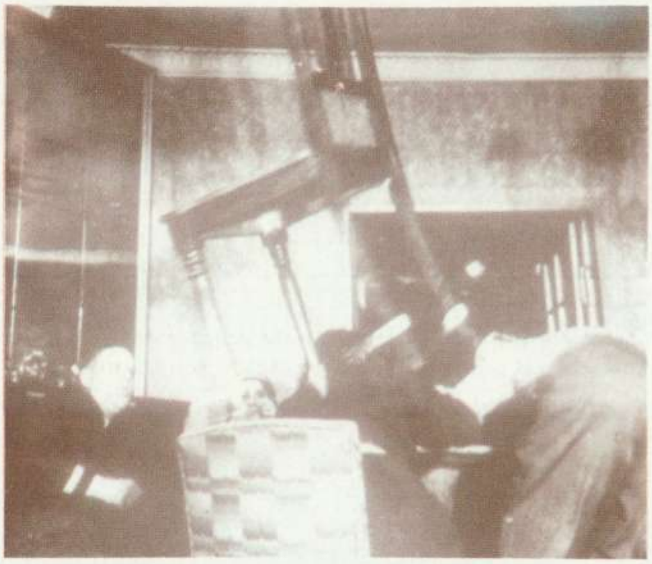
القراءة بالأصابع

وقد اكتشفت موهبة نيليا ميخايلوفا فى الاستحراك بواسطة دكتور فاسيليف اثناء قيامه بفحص ظاهرة خارقة اخرى تملكها هذه السيدة هى القدرة على « الرؤية » باصابعها . والواقع ان القراءة بالاصابع او القراءة بدون نظر تعد من الاهتمامات البارزة فى الابحاث الباراسيكلوجية السوفيتية . وكانت ميليا ميخايلوفا قد اكتشفت لديها هذه المقدرة ذات يوم فى أوائل الستينات عندما كانت تقضى فترة نقاهة من المرض فى مستشفى لينينجراد ، فقد كانت تمضى الوقت فى اعمال التطريز ، ووجدت ان فى استطاعتها أن تعثر على الخيط ذى اللون المطلوب داخل كيس الخيوط دون ان تنظر الى محتويات الكيس ، فكانت تلتقط باصابعها من داخل الكيس اى لون تريده بين عشرات الخيوط والألوان المتماثلة فى الحجم والملمس .

وحدث بعد ذلك ان قرات نيليا مقالا فى احدى المجلات عن سيدة شابة فى مدينة تاجيل بجبال الاورال قيل انها تستطيع ان « ترى » باصابعها ، فابلغت نيليا تجربتها الخاصة الى طبيبها الذى لفت بدوره نظر فاسيليف الى هذه الحالة .

وكانت هذه السيدة الشابة من مدينة تاجيل ، وتدعى روزا كوليشوفا ، قد ذهبت الى طبيبها ذات يوم فى عام ١٩٦٢ ، وأبلغته انها اكتشفت ان فى استطاعتها أن تميز بين الالوان وان تقرا الحروف المطبوعة باستخدام اصابعها ، وبالطبع لم يصدق الطبيب الى ان عرضت روزا قدراتها عليه فاقتنع بها ، وابلغ زملاءه الأطباء باكتشافه . ومن بين هؤلاء البروفيسور ابرام نوفوميسكى الذى





لقطتـــان لظاهرة الاستحراك ، حيث يبدو فى احداهما الطبق مائلا على المائدة والحساء ينسكب منـه .. وفى الصورة الأخرى يبدو الكرسى معلقا فى الهواء !

اختبر بنفسه قدرات روزا وشهد بانها حقيقية .

وسرعان ما استدعيت هذه القرويـة التاجيلية لتقوم بعرض قواها امام فريق من اكبر علماء موسكو ، فى معهد الطبيعة الحيوية باكاديمية العلوم السوفيتية ، واجرى العلماء عليها تجارب صممت بحيث تستبعد احتمال تفسير الظاهرة بالتليباثى أو الاستبصار ، واكدوا بعد ذلك أن روزا تملك حساسية خاصة فى جلدها تمكنها فعلا من « الرؤيـــة » باصابعها !

وكان من الممكن اعتبار حالة روزا كوليشوفا غير ذات اهمية كبيرة لو انها كانت حـالة نادرة ، غير أن الأبحاث والتجـارب التـاليـة التى اجراهـا البروفيسور نوفوميسكى وفريقه اظهرت أن « الرؤية بالجلد » امكانية يمكن تنميتها لدى كثير من الناس ، وقد تمكنت روزا نفسها من تنمية هذه القدرة تدريجيا ، ففى أول الأمر كانت تستطيع ان « ترى » باصابع يدها اليمنى فقط ، ولكنها تعلمت فيما بعد أن ترى باصابع يديها الاثنتين وباجزاء اخرى من جسدها كالمرفق . ووجد نوفوميسكى ان شخصا على الأقل من بين كل ستة اشخاص يستطيع خلال نصف ساعة ان يتعلم كيف يفرق بين لونين بواسطة اللمس ، وبعض الأشخاص اســـتطاعوا تمييز الالوان كلهـا وهم يتفقون عامة على ان كل لون له ملمس خاص ، فالأزرق الفاتح ، ناعم ، مثلا ، بينما الأصفر منزلق ، والبرتقالى جامد وجاف ، وهكذا . كما وجد الأشـــخاص الذين يستطيعون تمييز الألوان باللمس ان كل لون يشع الاحساس الخاص به الى مسافة ما ، فاصبح فى امكانهم أن يعرفوا اللون بمجرد مرور الاصبع من فوقه بدون لمسه بالفعل ، فاشعاع اللون الاحمر مثلا هو أعلى الاشعاعات المحسوسة بينما ادناها هو اشعاع الأزرق الفاتح ، وعلى اساس هذا الدليل اقترح نوفوميسكى ان الرؤية بالجلد يمكن تفسيرها بالتفاعل بين الحقول الكهرومغناطيسية الناتجة من اللون وتلك المحيطة بالجسم البشرى .

تصوير كيرليان

ومن اشهر ابحاث الباراسيكلـوجى السوفيتية ما يعرف باسم « تصـــوير كيرليان » ، فقد تمكن سيميون وفالنتينا كيرليان منذ ٣٠ عاما ، وباستخدام تيارات كهربائية عالية التردد ، من الحصول على صور للكائنات الحية تحيط بها هالة من اللمعان متعددة الألوان ، هذه الهالة التى أسمياها « الجسم البلازمى » ربما هى التى اكتشفها وفحصها فيما بعد علماء من امثال جولاييف وسيرجييف ، ويقال ان جميع الأجسام الحية يحيط بها هذا الجسم البلازمى ، وقد تمكن كيرليان من التقاط صور لأوراق النباتات تبدو فيهـا بوضوح اشعاعات مرئية ، كما ثبت ان هذه الهالة تتغير اذا اصيب النبات بمرض ، وبالمثل فان التغيرات فى الهالة التى تحيط بالانسان تدل على تقلبات حالته الذهنية والبدنية .

ومن الطريف أن نتذكر هنا اعتقاد القدماء بوجود مايسمى بالجسم الاثيرى متفاعلا مع الجسم العضوى ، وبهذا تبدو اكتشافات كيرليان وزملائه الباحثين فى الاتحاد السوفيتى كما لو كانت تؤيد اعتقاداً قديماً يعتبره العلماء الآن فى الشرق والغرب بمثابة خرافة !

وعلى اى الأحوال ، فان اكتشاف هذا المجال يمكن ان يؤدى الى تطورات هامة فى علم الباراسيكلوجى ، اذ يبدو من المحتمل ان تفسر هذه الطاقة المادية المنبعثة من الجسم ظاهرة الاستحراك ، كما يمكن ان تلعب دوراً فى العلاج الروحى وفى ظاهرة الادراك خارج نطاق الحواس ، مما يشير الى احتمال ان تشهد السنوات القـــادمة تطـــورات مثيرة فى الباراسيكلوجى تخرج من معامل الأبحاث فى دول المعسكر الشرقى .

● ●

عود على بدء

قد يكون من المفيد فى ختام هـــذه المقالات عن الباراسيكلوجى ، ذلك العلم الجديد الذى بدأ يفرض نفسه على معامل الأبحاث فى الغرب والشرق ، ان نعود فنلخص اهم معالم الموضوع كى يتبلور فى ذهن القارىء ..

هناك نوعان رئيسيان من الظواهـــر الباراسيكلوجية :نوع يتعلق بالمعرفة كما فى حالة التخاطر (التليبـــاثى) والاستبصار (كلير فويانس) والعرافة والتنبؤ ، وفى هذه الحالات يعتقد ان الشخص قد تلقى معلومات أو معرفة من افكار شخص آخر او من احداث المستقبل بدون استخدام وسائل الاحساس العادية ، ومن هنا جاء تعبير « الادراك خارج نطاق الحواس » . والنوع الآخر ذو طبيعة مادية كالقدرة على تحريك الأشياء بدون لمسها والارتفاع فى الهواء ، واستحضار الأشياء البعيدة ، والخروج من الجسد ، والطب الروحى ، وهذه يجمعها تعبير « الاستحراك النفسى » ، والنوعان بالطبع يجمعهما تعبير الظواهر الباراسيكلوجية أو علم النفس الغيبى .

وبالرغم من ان الاعتقاد فى وجود هذه الظواهر قديم ومسجل منذ فجر التاريخ المكتوب إلا ان الاهتمام العلمى بها حديث نسبياً ولا يرجع الى اكثر من قرن من الزمان . وقبل انتصار العلم الحديث على الخرافة كانت اسباب مثل هذه الظواهر غير مفهومة ، فكان الناس يرجعونها الى تدخل قوى أو كائنات فوق بشريـــة (كالاشـــباح والشـــياطين والسحرة والجن والكائنـــات الاسطوريـــة) . وكان ميدان هذه الظواهر مفتوحاً امام جميع انواع المحتالين والدجالين لاستغلال البسطاء من الناس ، ولكن حتى العلماء كانوا يعتقدون فى صحة هذه الظاهرة ، فمثلا كان العالم الفلكى الكبير جوهانز كيلر يكسب رزقه بقراءة الطالع للاثرياء .

ولا يزال وجـــود الظـــاهرة الباراسيكلوجية الى يومنا هذا محل نزاع كبير ، بالرغم من أن جمعيات كثيرة تضم عديداً من العلماء البارزين والباحثين المنزهين قد تصدت لبحث هذه الظواهر منذ اكثر من قرن ، وبالرغم من ان الموضوع اصبح يبحث الآن فى كثير من الاقسام الاكاديمية فى الجامعات الامريكية والأوربية والسوفيتية . وكثيراً ما تخرج الخصومة حول هذا الموضوع عن حـــد المناقشة العلمية الهادئة ، ويتمسك المعارضون والمؤيدون على السواء بان موقفهم هو الموقف العلمى الوحيد الذى لا يقبل النقض ، ومن هنا يصبح من العسير الوصول الى اتفاق .

وترجع هذه الحساسية البالغة ازاء الظواهر الباراسيكلوجية الى انها تبدو مناقضة لما استقر عليه العلم الحديث من مفاهيم ثابتة كالوزن والكثافة والزمن والطاقة والمادة والسببية ، ومعنى ذلك اما أن تكون هذه الظواهر خاطئة اساساً وضرباً من الوهم والخيال أو ان يكون علينا ان نغير من مفاهيمنا العلميـــة الثابتة .

ولكن ، هل نحن حقاً امام حدين متناقضين ينفى احدهما الآخر ، كالنور والظلام ، والوجود والعدم ؟ ان كثيراً من الأشياء التى كانت مستحيلة علمياً فى الماضى قد ثبتت صحتها العلمية الآن ، وكثيراً مما كان يعتقد انه من قبيل المعجزات وضروب السحر اصبحت أسرارها مفهومة الآن ، وكثيراً من الامنيات التى فكر فيها الانسان كضرب من الخيال لتعارضها مع المفاهيم الثابتة آنذاك ، اصبحت حقيقة واقعة .

والأمر لا يختلف ازاء ظواهـــر الباراسيكلوجى ، فنحن اذ نرصد وجودها لا نعرف بعد كيف تعمل ، واى القوانين تنطبق عليها ، فالمشكلة تكمن فى حدود معرفتنا ، ولا تتعلق باستحالة ذاتية فى الظاهرة ، واذا عرفنا القوانين التى تتحكم فى الظواهر الباراسيكلوجية زالت اية دهشة بصددها واصبحت من طبيعة الأشياء ، فنحن مثلا لا ندهش الآن لالتقاط موجات الراديو واللاسلكى على بعد آلاف الأميال ولكننا نقف مدهوشين أمام ظاهرة التخاطر . ولا نكذب جهاز التليفزيون ولكننا نقسم على تكذيب ظاهـــرة الاستبصار . ولا نستبعد السباحة فى الفضاء خارج نطاق الجاذبية الأرضية ولكن لا نتصور امكان السباحة فى الهواء أو تحريك الأشياء بدون لمسها .

والواقع ان المشكلة الرئيسية التى تواجه البـــاراسيكلوجيين هى عدم الاهتداء حتى الآن الى نظرية علمية شاملة تفسر هذه الظواهر رغم وجودها الفعلى ، وقد قبلت عدة نظريات فى هذا الشان ولكنها لم تكن اكثر من محاولات فلسفية لا ترقى الى مستوى الدليل العلمى القاطع ، ومن الممكن تجميع هذه النظريات فى المجموعات التالية :

(١) النظريات المادية ، التى تفسر الظاهرة محل الجدل بانها ترجع الى نوع من الطاقة المادية لم يكتشف بعد ، وهذه الطاقة تختلف عن انواع الطاقة الاخرى فى انها لا تخضع لقانون التربيع العكسى اذ يبدو ان المسافة لا تاثير لها فى ظواهر الباراسيكلوجى .

(٢) نظريات المجال ، وهى لا تختلف كثيراً عن النظريات المادية ، ولكنها تفسر الظاهرة بمجالات القوى لا بالطاقة فى حد ذاتها ، وهى ايضا تواجه نفس الصعوبة وهى ان المجال الذى يفسرها لم يكتشف بعـد .

(٣) نظرية العقل اللاواعى الجماعى ، وبمقتضى هذه النظرية تشترك جميع الكائنات الحية فى مصدر واحد مشترك غامض لا واع للمعرفة ، ويمكن لاجزاء من لا وعى احد الأشخاص أن تتعامل مع لا وعى شخص اخر . ولكن مثل هذا التفسير يثير من المشاكل اكثر مما يحل منها ، فانه لا سبيل الى فحص هذا اللاوعى الجماعى بله الاقرار بوجوده ، فهو تفسير فلسفى نظرى لا يقوم عليه دليل .

(٤) نظرية القذف الـــذهنى .. وبمقتضاها يتمتع الذهن البشرى بالقدرة على العمل خارج نطاق العالم المادى ولكنه يستطيع التاثير ايضاً فيه . ومثل هذه النظريات معناها فى الحقيقة الاقرار بوجود الظاهرة ، لا تفسيرها .

وهناك نظريات أخرى مماثلة ، ولكنها جميعاً لم تكتسب قبولا عاماً ، ولم تثبت اى منها فائدة عملية للعاملين فى مجال الأبحاث الباراسيكلوجية . أو باختصار ، اننا لا نعرف كيف ولماذا تعمل ظواهر البـــاراسيكلوجى ، هـــذا اذا اعترفنا بوجودها فعلا .

والخلاصة ان هناك ظواهر يبدو انها تعمل خارج نطاق القوانين المعتادة فى الطبيعة وعلم النفس ، ولكننا لم نستطع حتى الآن ان نخضع هذه الظواهر لرقابة تجريبية كافية ، والى أن يحدث ذلك ، والى ان يمكن وضع نظريات كمية شاملة تفسر هذه الظواهر فعلا ولا تتسول هذا التفسير تسولا ، قد يكون من الحكمة ان نتوقف عن الخوض فى مثل هذه الظواهر . !

محمد العزب موسى

الانكسار

قصة بقلم: كلثم جبر

(١)

الوقت فجر ،ونداء المؤذن يخترق ضباب هذه المدينة الصامتة وحزنها ، ويتغلغل من خلال الستائر المسدلة فوق النوافذ فيوقظ من شف نومه طبياً ذلك النداء .

تمدد الحزن سكن الخافق منه والذاكرة .. تشبث بزر « الاباجورة » بجانبه وبقية من إرادة . التهم الصراع بداخله الحزن وجر قدميه متوضئا متسللا عبر ابواب منزله حيث النداء ، مرتكنا بعد ذلك طرفا من المسجد . تهاطل الدمع به والأسى !

(٢)

يعلم ان العيون بالداخل تحاصره .. وتحصي حركاته .. تابط اوراقه والحزن ، راقبته النظرات النهمة بوجع .. اخترقت المسام منه حتى النخاع تناول الكوب الدافىء من الحليب .. العيون لم تزل تحاصره ابتسم لهم قبل ان يتجرع القطرات الأولى الدافئة .

وهمس :

ـ صباح الخير .

صاح صوت اجش اقتبس وحشية الحياة :

ـ إلى أين تتجه في هذا الصباح ؟

ابتسم ثانية رغم الوجع ..

ـ إلى العمل يا أبي .

واصل رشف الحليب الدافىء بهدوء .. تمازجت النظرات اتحدت بدهشة برزت السخرية من العيون .. سالت حتى القهقهة المكتومة ردد الصدى صوت غاضب ..

ـ قلت إلى اين ؟

و ضع كوب الحليب وغضـــبه فى الصينية .. تابط الورق وحزنه .. دلف

خارجا . وهو يجابه الصوت هامسا والدمع بداخله :

ـ إلى العمل يا اخي .

(٣)

يتسلل النور وخوفه إلى « البناية » الضاربة حتى السماء ، يدلف من البوابة الحديدية يلقي بنفسه فى « المصعد » بتلك الوزارة التي يعمل بها قبل أن ... يواجه نفسه كاملا لأول مرة فى مراة « المصعد » الطويلة يتحسس الوجه الحليق منه واليدين، ويتابع رحلة نظراته عبر الثوب المهندم والرائحة الطيبة به .. يستجدى الثقة والقوة .. ويبتسم وتراكم الهموم بداخله .. يفتح باب المصعد النظرة الأولى للمنتظر بالخارج قدوم « المصعد » تصعقه يرجف الرجل المنتظر حينما تلاقت النظرات

.. يتراجع للوراء ويهرول راكضا .

يستجدى الثقة والقوة يتابع السير حيث مكتب « المدير العام » متجاهلا هرولة الرجل الراكض .. يقرع الباب ويدلف ..

يتوارى بالمقعد العريض يمد أوراقه وحزنه يفردها فوق مكتب المدير يواجـــه نظراته الجزعة ويهمس بوجع يتساقط فى نفسه ..

ـ إنها شهادة الطبيب .. وتاكيد فى رئاسة الصحة العامة على شـــفائي وصلاحية عودتى للعمل ثانية .

يزمجر المدير برعب مكتوم ..

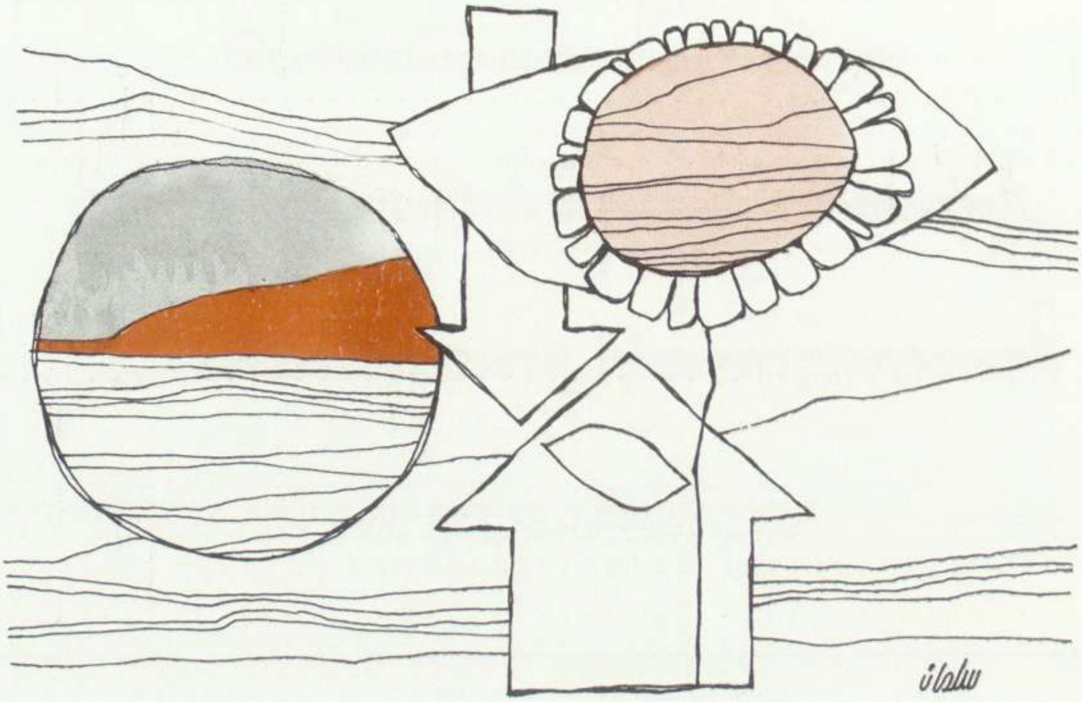
ـ ولكن .. ؟!

يستجدى القوة .. ويصمد ..

ـ يحق لي العودة للعمل قانونا .

(٤)

تتكسر الاضاءات بداخله .. يتلون القهر .. يتحد .. يمتزج .. يقاوم الضباب الزاحف إليه يحاول الانتصار .. يود الحديث ودفء الأسرة .. هربت العيون والوجوه منه لاذت ببقية غرف المنزل .. تنمر الوريد منه الوحدة .. يود الحديث .. يقرع الهاتف بجانبه .. يقاوم الضباب ويرفع السماعة :



ـ لماذا تأخرت فى الرد ؟
كقطرات ينبوع بارد فى امسية هجيرية ارتشف صوتها الهامس عبر الأثير وبقايا الضباب الزاحف إليه ..

ـ اقاوم السواد .
ـ هل عدت للعمل ؟
ـ اقاوم السواد .
ـ هل استقبلك الجميع بود ؟
ـ اقاوم السواد .
ـ امازالوا يخافونك ؟
ـ اقاوم السواد .
ـ اود الزواج بك .
ـ اقـ .

وصمت .. وهى تمارس الصدق بطلبها يوم أن وعت أن للانسان بعـدا اعمق .. من بعده المادى .

(٥)

يرعد المساء بالقسوة والوجع ..
تتساقط الصور فى الذاكرة تبرز امام عينيه ..

المكاتب خالية .. الغرفة ملساء خالية .. الجدران موحشة .. الاقدام والوجوه اين هى .. بحث عن رفاق المكتب لم يجدهم فتح الباب واستفسر :

ـ اين ذهبوا ؟
اجابه الصوت المحب له لعامل يقـوم بخدمتهم بتلك الوزارة ـ

ـ لقد انتقلوا لمكتب اخر يا بني خوفا منك .

يمد الظلام رماديته الموغلة فى الحزن والنحيب يكسو الجدران الملساء حوله، أصوات الهمهمات وقسمات « الممرض » الشاحبة .

تنحب الذاكرة حزنا فتتجسد الصور .

ـ امى أود الزواج بها .
ـ من ؟ ابنة عمك .. ولكن ؟
ـ هى موافقة يا أمي .
ـ ولكن .. ؟
ـ هى قالت ذلك يا أمي .

يزمجر صوت وراء كتفيه لوجه غـاضب يسحب الكتف منه ويصرخ :

ـ انت يا هذا تود الزواج بمن ؟
ـ ابي !
ـ هل نسيت ما انت به ؟
ـ ولكن .. الطبيب اكد شفائي . يهز الحزن بداخله حتى النخاع ويصرخ
ـ اغرب عن وجهي .

فوق الأرض الباردة يتكوم قنفـذي الاحساس ـ عشرات العيون تلاحقه تبرق بالحزن والهذيان تتساقط باروقته الداخلية .. يتكوم اكثر ـ وجه « الممرض » يقترب منه وعشرات العيون .. يلتصق بالحائط .. العويل بداخله والخواء .. يعوي .. يعوي ..

كف راكضة تنهال فوق وجهه .. صوت والده يرعد بالذاكرة .

ـ لم اجن بعد حتى ازوج مجنونا من ابنة اخي .

الداخل موغل بالظلمة والرعب .. تتساقط الأشياء بداخله .. تنكفيء .. تموت .. تموت .. فوق وجهه آثار الصفعة .. يعوي .. ويدا الممرض القويتـــان تقيدانه فوق السرير !!

مشكلات في ترجمة شكسبير إلى العربيّة

بقلم: الدكتورة أمل أمين زكي

استهوت مسرحيات شكسبير بلغتها الغنية الجزلة ومواقفها الدرامية الأخاذة ذوق العرب فى اوائل عهد نهضتهم الحديثة واتصالهم بالعالم الغربى فكانت مسرحياته من اوائل ما ترجم الى العربية فى العصر الحديث منها مسرحيات ترجمت اكثر من مرة من قبل ادباء من مختلف الاقطار العربية .

وشكسبير فى الانجليزية ظاهرة ادبية قائمة بذاتها عكف على دراستها العديد من المتخصصين والفوا فى معانيها وتعابيرها المعاجم وكتب الشروح . بل ان هناك كتبا خاصة بقواعد اللغة الشكسبيرية وصرفها ونحوها . وما توقف الدراسون عن تناول مؤلفات شكسبير ولا اخالهم سيتوقفون .

والذى لا نعلمه هو مدى اطلاع المترجمين العرب الاوائل على هذه المعاجم والتفاسير . فان المترجم العربى لم يذل حظا كبيراً من التوفيق فى الترجمة سواء اعتمد المعاجم المتخصصة ام انه استعان بما كان فى متناول يده من القواميس العامة . وكثير من التعابير الشكسبيرية والمعانى واللمحات الفنية استغلقت على فهمه . كما انه واجه عدداً من التحديات والمشكلات التى استوجبت البراعة والكياسة عند الترجمة لكي تكون لغة المسرحية سلسة واضحة للفهم مستساغة من قبل جمهور المشاهدين العرب . ومن بين تلك التحديات ترجمة ما جاء فى المسرحيات من قسم او لعنة . وقد عالج المترجمون تلك المشكلات كل على طريقته الخاصة . وهذه الدراسة تعقد مقارنة بين الأساليب التى اتبعها المترجمون فى ذلك : وهى تتناول الترجمات التى اطلعت عليها شخصياً وقارنتها مع النص الأصلي لمسرحيات شكسبير ● ●

إن التهاون فى اطلاق القسم وفى استنزال اللعنات فعل غير مستحب فى جميع الديانات السماوية لما يقتضيه ذكر المولى سبحانه وتعالى من اجلال وتبجيل وفى القران الكريم ذكر صريح للغو فى الايمان فى كلام الناس . ولكن برغم ذلك تكثر عبارات القسم واللعن فى كل اللغات وفى كافة الحضارات . وللقسم وظيفة معروفة يحددها كاظم الراوى (١) بقوله « القسم يتخذ وسيلة من وسائل تاكيد القول او الخبر خاصة إذا اريد العزم او الاصرار على أمر من الامور أو الزام النفس بشىء معين » . الا ان صياغة القسم واسلوبه ووقعه على الاذن وفى النفس يختلف باختلاف الشعوب وبتباين ذوقها ومزاجها وبناها الثقافية واللغوية . من هنا كانت ترجمة الايمان واللعنات الى العربية واحدة من التحديات اللغوية والفنية التى جابهت المترجم لمسرحيات مكتوبة فى الاصل لمشاهد تختلف خلفياته الفكرية والثقافية عمن تترجم له المسرحية .

وشكسبير لم يتردد فى استعمال القسم كلما استوجبت حوارياته ذلك (٢) . فان ابطاله وشخوصه ، رجالا ونساء ، وسواء كانوا من النبلاء أو العوام ، جميعهم ورد على لسانهم ذكر الله جل جلاله . ضارعين اليه تارة مقسمين به طوراً ، متوكلين عليه وواثقين به فى احيان كثيرة . كما جاءت على لسانهم اسماء مشاهير القديسين للغرض نفسه . ومع ان الطابع المسيحى يغلب على ايمانهم عادة ، الا ان شكسبير كثيراً ما اقحم الهة الاغريق الوثنية بدلا من أسم المسيح عليه السلام أو اسم العذراء او القديسين تقليداً او تحرجاً من ابتذال القسم بالله جل جلاله . ولعلها كانت أساليب فى القسم مستعملة فى زمانه وموروثة من العصور الوثنية .

الايمان التى يطلقها ابطال شكسبير تكون مستمدة من أساليب القسم عند المسيحيين كما اسلفنا الا ان بعض الصياغات أو التعابير قد تبدو للمشاهد المسلم كفراً وتجديفاً . كما ان البعض الآخر قد يستعصي على فهمه وتقديره .

هـــؤلاء هم أهم من ترجمـــوا شكســـبير إلى العربيـــة


محمد السباعى


علي احمد باكثير


جبرا ابراهيم جبرا


د . محمد عوض محمد


د . محمد عنانى


د . لويس عوض


وليم شكسبير


خليل مطران

وقد واجه مترجم مسرحيات شكسبير هذا الأشكال حسب مقتضى الحال . فغالبـا ما قام باجراء تحوير بسيط على القسم لجعله مناسباً للعقيدة الاسلامية او انه لجا الى حذفه منعا للحرج . والاعجب من هذا وذاك ان المترجم العربى عمد احيانا الى اضافة ايمان من عنده فى مواضع لا وجود للقسم فيها فى النص الاصلى لانه شعر بان المتكلم المسلم لابد ان يطلق يمينا فى مثل تلك المناسبة ! وسوف يتناول هذا البحث الأساليب التى عولج فيها القَسَم من قبل الادباء الذين ترجموا مسرحيات شكسبير الى العربية من ترجمته ترجمة حرفية عن الاصل الى إدخال بعض التحوير عليه ، أو استبداله بقسم اسلامي معروف ، إلى حذفه من الترجمة كلياً .

تحويرات ضرورية

والمعروف ان محمد السباعي أديب معروف له فضل القيام بترجمة عدد من مسرحيات شكسبير الى جانب كتب عديدة عربها عن الانكليزية . هذا المترجم كان ابرز من حرصوا على صياغة اليمين الشكسبيرى صياغة اسلامية صرفة . مثلا فى مسرحية كوريولانس (٣) التى نشرت ترجمتها عام ١٩١١ - وهى مسرحية تقع احداثها فى اقدم حقبات التاريخ الرومانى فى اواخر القرن الخامس قبل الميلاد - فى ترجمة هذه المسرحية بالذات كانت الايمان التى استعملها السباعى اسلامية المفهوم والصياغة اكثر منها فى اى ترجمة اخرى . مثلا فى هذه المسرحية يغضب كايوس مارسيوس فى حواره مع منينيوس فيستعمل يمين « الموت » (كوريولانس ف ١ ، م ١ ، س ٢٠٣) * وذلك يعنى كما يفسره هاريسون (٤) « قسما بموت الرب » وهذا القسم كما لا يخفى لا يقبله المشاهد المسلم بل يراه كفراً وتجديفاً لعلمه بان الله خالد ازلى « كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذى الجلال والاكرام » لذا فان القسم فى الترجمة العربية يجب أن يتغير

مشكلات في ترجمة شكسبير إلى العربية

تغييراً جذرياً او ان يحذف . وقد آثر المترجمون العرب ان يحوروا هذا القسم بما يلائم مجتمعهم . فترجمه السباعي هكذا : « قسماً بالموت الزؤام » اى بالموت المفاجيء (كوريولانس صفحة ١٤ ، س ١٤) (٣) . اما على امام عطية الذى ترجم هذه المسرحية عام ١٩٢٧ اى بعد السباعي بستة عشر عاما ، فانه حور القسم كما فعل السباعي ولكنه استعمل تعبير « قسما بالموت » (ص ١٦ ، س ١٠) (٥) .

وسواء كان المترجمان الفاضلان على علم بحقيقة معنى هذا القسم المرفوضة من قبل مستمعيهم ام لم يعلما ، فان الأسلوب المنبرى الذى استعملاه فى الترجمة كان موفقا كما ان التعبير جاء مقبولا لا يسبب احراجا لاحد . اما فى ترجمة جبرا ابراهيم جبرا لهذه المسرحية عام ١٩٧٤ (٦) فقد انقلب القسم الى سباب بقوله « باللعنة » (ص ٥١ ، س ٣) . ومع ان هذا التعبير لا يلتزم بحرفية النص الا انه يحافظ على مزاج الغضب الذى قصده شكسبير فى المشهد .

وعند تناول اللعن الوثني « بلوتو والجحيم » (ف ١ ، م ٤ ، س ٣٦) الذى يرميه ماريوس فى وجه الجنود الرومان حين تراجعوا امام العدو ، فقد تصرف السباعى بهذه اللعنات تصرفا جميلا وكانها سباب صادر من مسلم حانق يتكلم فى جمع من المسلمين ذلك لانه كان يعلم بانه يكتب لجمهور تجهل اكثريته شخوص الأساطير اليونانية ـ الرومانية امثال بلوتو فاختار ان يغير التعبير بما يشبهه بعض الشيء بدلا من التمسك بحرفية النص ثم قام بشرح ذلك فى هامش للصفحة فترجم التعبير هكذا « اين انت يا مالك واين جهنـم فتبتلعهـم » (كوريولانس ص ٣٠ ، س ١٥) . وبذلك غير اسم بلوتو سيد العالم السفلي فى اساطير الرومان باسم مالك خازن النار فى العقيدة الاسلامية . ومالك مفهوم اسلامي صرف بعيد عن عالم شكسبير وعقائده وثقافته . الا انه يلائم اذن المستمع العربى وذوقه الى جانب تعبيره عن المزاج الذى اراده شكسبير للمشهد . اما المترجم عطية (٥) فانه تجاهل شخصية بلوتو ولم يعوضها بشخصية اخرى بل انه وضع جملة جديدة من عنده فقال « ليت جهنم تفغر فاها فتبتلعهم » (ص ٢٦ ، س ٢) وهو تعبير لا يتعارض مع عقائد العرب ولا يمس اوتارا حساسة . كما ان استعمال كلمة جهنم باللغة العربية لا يحمل وقعا غير مهذب كما هو الحال فى الانكليزية . لذا فقد تناولها المترجمون بسهولة ومن دون تحرج كما سيظهر لنا فى هذا البحث .

اما جبرا فان ترجمته المتـأخرة للمسرحية عام ١٩٧٠ كانت لجمهور عربى اوسع اطلاعا على اداب اليونان والرومان من جمهور المترجمين السابقين لذا فانه ترجم اللعنة ترجمة تكاد تكون حرفيـة « يالبلوتو والجحيم » (ص ٦٥ ، س ١٦) معتمداً على حسن فهم المثقفين من العرب لهذه المعانى .

وفى الخطبة ذاتها من هذه المسرحية يقسم مارسيوس مهدداً جنوده بقـوله « قسماً بنيران السماء سوف اترك العدو واشن حربى عليكم » (ف ١ ، م ٤ س ٣٩ ـ ٤٠) وهنا يسوق السباعى قسما بليغا رائعا عظيم الوقع فى النفس ماخوذاً من القران المجيد نصا فيترجم « والسـماء والطارق » . والطارق الذى ورد فى الآية الكريمة فى مستهل سورة ٨٦ من القران المجيد هو النجم الثاقب . وقد فسر كل من هاريسون (٤) وريندر وكتردج (٧) نيران السماء بانها النجوم . فتعبير السباعى اذن يمكن ان يعتبر ترجمة حرفية جميلة بليغة امينة للنص وملائمة لذوق ومزاج المستمع العربى. اما عطية فانه اهمل ذكر هذا القسم ولم يورده كليا فى ترجمته . واما جبرا ، فانه تمسك حرفيا بنص بيت الشعر دون معناه فقال : « قسما بنيران السماء » (ص ٦٥ ، س ١٧) متجاوزاً المعنى المتفق عليه والذى يشير الى نجوم السماء .

وهنالك فى المسرحية نفسها نصيحة من منينيوس الى كوريولانس حين يهم الاخير بان يقوم خطيبا فى الناخبين اوردها شكسبير حرفيا هكذا « بهدوء اتوسل اليك (ف ٣ ، م ٣ ، س ٣١) . وقد طور عطية هذا التعبير باضافة قسم من عنده ليس فى النص فقال : « استعمل الهدوء وفقك الله الى هداه » (ص ٨٠ ، س ٢٠) . اما جبرا فانه كعادته تمسك بحرفية النص فترجم العبارة هكذا « بهدوء اتوسل اليك » (ص ١٥٠ ، س ٩) وفى رايي اننا لو ترجمنا العبارة بقولنا « بهدوء رحماك » او « وكن هادئا رحماك » لجمعت الترجمة بين حرفية النص وايجازه وبين سلامة الاستعمال اللغوى وطبيعة مزاج المستمع العربى فى آن واحد .

وفى مسرحية روميو وجولييت فى اول بيت منها يمين بسيط من قبيل اللغو فى قول احد خدام بيت كابيوليت « گريكورى وكلمتي ، لن نحمل الفحم » . وهذا قسم غير مستعمل فى العربية . لذا تصرف فيه المترجمون بما راوه مناسبا . فقد ترجمه باكثير (٨) بكلمة « قسما » وترجمه عنانى (٩) بكلمة « اقسم » اما مؤنس طه حسين (١٠) . فقد استعمل كلمة «لعمرى» وكلها تعابير سليمة كثيرة الاستعمال فى العربية . الا اننا نرى فى ترجمة مؤنس طه حسين معنى قريبا جداً من القسم الذى استعمل فى الانكليزية الى جانب سلامة التعبير واصالته وجمال وقعـه على المشاهدين .

اما يمين « مارى» (ف ١ ، م ١ ، س ٣٤) الذى جاء بعد ذلك فى الحوار بين الخادمين والذى تقول ادوردز (١١) بانه تعبير مشتق من اسم العذراء عليها السلام ، فقد اهمل ذكره المترجمون الثلاثة جميعهم من دون مبرر . ومرة اخرى لم يشكل ذكر الجحيم فى هذه المسرحية صعوبة تذكر عند الترجمة . ففي قول تيبلت « اكره هذه الكلمة كما اكره الجحيم » (ف ١ ، م ٢ ، س ٦٤ ـ ٦٥) تمت ترجمة هذه العبارة من قبل المترجمين جميعا باستعمال كلمة « جهنم » او « جحيم » من دون تحرج او تردد .

اضافة للنص

وفى اضافة المترجم لقسم لا وجود له فى النص امثلة عديدة منها ما فعـل باكثير (٨) فى مسرحية روميو وجولييت عند ترجمة قول الامير « لتكونن ارواحكم طعما للسلام » (ف ١ ، م ١ ، س ٩٠) فترجمها باكثير والله لتكونن ارواحكم طعما للسلام » وقد اضفى هذا اليمين على الاصل تلقائية فى استرسال الكلام . ذلك ان القسم فى هذا الموضع وارد جدا على لسان العربى الذى يريد ان يعطي كلامه صفة التاكيد والتاثير ، فارتاى باكثير ان يضيفه بصرف النظر عن النص الشكسبيرى . كذلك فعل عند ترجمة قول

ليدى مونتاكو عن ولدها « انا مسرورة لانه لم يحضر هذه الملاحكة » (ف ١ ، م ١ ، س ١١١) فجاءت ترجمة باكثير منسجمة مع ما تقوله ام عربية فى مثل هذه المناسبة « يا رب لك الحمد اذ لم يكن حاضراً اليوم » (ص ١٤ ، س ٤) والحمد بهذه المناسبة ينطلق من الام العربية تلقائيا من دون شك لذا فقد اضافه بلكثير بصرف النظر عن الالتزام بحرفية النص كما اسلفنا .

كذلك فعل باكثير فى مشهد اخر من المسرحية ذاتها حين يسال بنفوليو والد روميو (مونتاكو) هل يعرف لماذا يبدو روميو منعزلا متجنبا لقاء الآخرين فيجيب مونتاكو بانه سال روميو كما تساءل عن ذلك الكثير من الصحاب . ونص هذا البيت هو « من قبلي ومن قبل كثير من الاصدقاء » (ف ١ ، م ، س ١٤٠) . فيضيف باكثير نصاً لا وجود له فى النص فيقول « اى وربي كم توخيت بنفسى وكثير من صحابى ذاك » (ص ١٥ ، س ٤ ـ ٥) . ومرة اخرى اضفى اليمين على قول الوالد المشفق تلقائية عربية سلسة على كونه مقحم على النص الشكسبيرى .

وفى مكان آخر حشر باكثير قسمه المفضل حيث لا يحوى النص قسما وذلك حين يتحدث بنفوليو مع روميـو عن روزالين فيجيب روميو بالايجـاب « She hath » (ف ١ ، م ١ ، س ٢١١ ـ ٢١٢) فترجم ذلك باكثير بتعبير « اى وربي » (ص ١٨ ، س ١١) .

وبهذه المناسبة نذكر بان لكل مترجم قسمه العربى المفضل الذى يتكرر كثيراً فى الترجمة . فان احب قسم الى نفس باكثير عند ترجمة شكسبير الى العربية هـو « اى وربي » الذى يرد كثيراً فى ترجماته . اما مؤنس طه حسين فانه يفضل تعبير « لعمرى » . واما عناني فانه لا يؤثر قسما واحداً بل هو يغير تعابيره حسب ما يراه ملائما لمقتضى الحال .

ومربية جولييت بالنظر لعقليتهـا وطبيعة صفاتها تكثر من استعمـال الايمان . ولكن معظم ايمانها تكون خفيفة من قبيل اللغو فى الايمان . كالقسم الذي تفوه به حين تسال كم تبلغ جولييت من العمر فتقول « والعقيدة استطيع ان اعطي عمرها الى حد الساعة » (ف ١ ، م ٣ س ١١) . هنا حذف باكثير هذا القسم من الترجمة فى حين ترجمه مؤنس طه حسين ترجمة موفقة بقوله « لعمري » (ص ٤١ ، س ٢١) . وفي المشهد ذاته تقسم المربية مرة اخرى فتقول « والصليب » (ف ١ ، م ٣ س ٣٦) والمقصود هو صليب السيد المسيح عليه السلام (٧) فيهمل باكثير هذا اليمين ويترجمه مؤنس طه حسين حرفياً بتعبير مستعمل في اوساط النصارى العرب فيقول « باسم الصليب » (ص ٤٢ ، س ٣٦) وكذلك يفعل في ترجمته (ص ٨٥ س ٤٠) التزاماً منهما بحرفية النص الذي له ما يطابقه في العربية .

وفي مشهد آخر يقول ابن عم كابيوليت « قسماً بسيدتنا » (ف ١ ، م ٥ ، س ٣١) وقد ترجم مؤنس طه حسين هذا القسم بتعبيره المفضل « لعمر العذراء » (ص ٥٧ س ٣٢) اما باكثير فقد اعطاه طابعاً اسلامياً باستعماله صفة قرآنية للسيدة العذراء فقد ترجمه هكذا « وحق البتول » (ص ٣٦ ، س ١٣) . فجمع بين امانة الترجمة وجمال التعبير . في حين ترجمه العناني بقوله « اقسم بالعذراء » (ص ٨٧ س ١٦) . وكل هذه التعابير امينة للنص الا اننا نرى في ترجمة باكثير تعبيراً منسجماً والجو الشعري الشكسبيري .

ولا يفوت باكثير فرصة لاضافة قسم الى ابيات شكسبير حين يحس بان المناسبة تقتضي ذلك لاضفاء تلقائيـة الحوار العربي عليها . لذا فانه اضاف الى قول تيبالت الذي نصه « انه هو ، روميو ذلك اللئيم » (ف ١ ، م ٥ ، س ٦٢) قسماً من عنده فجعله « اي وربي انه روميو اللئيم » (ص ٣٧ ، س ٢٣) .

مترجم اخر لشكسبير هو خليل مطران الذي ينتمي الى جيل السباعي نراه يتعامل مع الايمان الشكسبيرية بشكل كثير الشبه بتعامل السباعي معها . مثال على ذلك يظهر في المشهد الاول لمسرحية هاملت (١٢) حين يتبادل برناردو نوبة الحراسة من فرانسسكو يقول له في النص الانكليزي « حسناً طاب مساؤك » (ف ١ ، م ٢ ، س ١١) فيترجم مطران الدور هكذا « اذهب راشداً ، طاب مساؤك » (ص ١٠ ، س ٢) . وهذا التمني الاسلامي الشائع في كلام العرب « اذهب راشداً » يعيد الى الذهن معالجة السباعي التي مر ذكرها بكلام منينيوس الى كوريولانس حين ينصحه بكبح غضبه والتزام جانب الهدوء .

مشاكل اخرى

ومن العجب ان النصوص الشكسبيرية حين اوردت ايمانا قريبة من الايمان العربية كان ذلك يشوش بعض المترجمين العرب فيلجاون الى ترجمة حرفية غالباً ما حورت طبيعة القسم نفسه . مثال ذلك في مسرحية هاملت جـاء على لسـان هوراشيو حين راى ظهور شبح الملك الميت « امام ربي / ما كنت لاصدق هذا / لولا التاكد الصحيح الواعي / لعيني راسي » (ف ١ ، م ١ ، س ٥٧ ـ ٥٩) . والقسم بسيط لا تعقيد فيه كما انه مستعمل في كلام العرب الذين كثيراً ما يقولون « الله شاهد او الله شهيد او الله وكيل في لهجتنا العراقية » ولكن ترجمته اختلفت على ايدي المترجمين . ولقد جاء في معجم شمدت (١٣) ومعنى هذا القسم هكذا « والله » وهو قسم بسيط وشائع في كلام العرب . ولكن مطران اعطاه اداء معقداً بترجمته « اعترف بين يدي ربي » (ص ١٣ س ٦) . ومحمد عوض (١٤) ترجمه هكذا « اقسم امام الله » (ص ٣١ ، س ١٩) . اما ترجمة عبد القادر القط (١٥) التي



صورة نادرة تجمع بين د . طه حسين وقرينته السيدة سوزان ، وابنهما مؤنس طه حسين الذى ترجم بعد انهاء دراساته ـ بعض مسرحيات شكسبير إلى العربية .



مشكلات في ترجمة شكسبير إلى العربية

يقول فيها « اشهد الله » (ص ٥١ ، س ٧) فاراها تجمع بين حرفية النص وجمال التعبير وشيوعه على لسان العرب . كما أن الترجمة البسيطة لكل من سامي جريديني (١٦) وجبرا ابراهيم جبرا (١٧) « والله » تجمع بين البساطة والأمانة للنص والانسجام مع كلام العرب .

مرة اخرى فى مسرحية هاملت تتباين الترجمات العربية حين يذكر هاملت الهة الاغريق الوثنية فى قوله « ذلك الملك الممتاز / مثل هايبريون الى ساتر » (ف ١ ، م ٢ ، س ١٤٠) فقد آثر المترجمون الاوائل لشكسبير اهمال ذكر هذه الآلهة كما فى ترجمة كل من جريديني ومطران ، للاسباب التى جعلت السباعى يهمل ذكرها فى ترجماته ايضا . وهى ادراك المترجم بان اكثرية من يترجم لهم من المشاهدين كانت تجهل اساطير الاغريق ولا تدرك قيمة ما ترمز اليه شخوصها . اما الترجمات المتاخرة لكل من جبرا وعوض والقط فانها تتعامل مع هذه الرموز بشكل مختلف بالنظر لعلمها بزيادة اطلاع الطبقة المثقفة العربية على اساطير الاغريق واسماء ابطالها وشخوصها ورموزها . مثلا جبرا فى تعريبه يضع اسماء الآلهة الاغريقية كما جاءت فى النص الاصلى ، ولكنه يفسر ماهية استعمالها فى شارحة على الهامش جامعاً بذلك بين حرفية النص وبين تعريف القارىء العـــربى (وليس مشاهد المسرحية) بماهية الرموز الاسطورية . ذلك لان جبرا الاديب المبدع لا يمكنه ان ينسلخ عن جبرا الاستاذ الجامعى ورسالته فى نشر العلم . وعوض يفعل ذلك ايضا الا انه يسمى ساتر باسم « تيس » اى العنز (ص ٤٤ ، س ١١) . اما القط فكانه يحاول ان يسهل على المشاهد عبء التساءل عن تلك الاسماء فيترجم الاسماء برموزها ويسمى (هايبريون) « الشمس » (ص ٤٤ ، س ١) و (ساتر) « الشهوات » (ص ٦٥ ، س ٢) .

وفى مسرحية هاملت ايضا ، وبعد لقاء هاملت لشبح والده ، يساله صديقاه عن اخباره فيتردد فى البوح بسره خشية ان يفشياه لاحد فيطمئنه هوارشيو بقوله « لست انا يا سيدى والسماء » (ف ١ ، م ٥ ، س ١١٩) . فيتحول هذا القسم على يد مطران يميناً عربياً اسلامياً اذ يقـــول « اقسم برب العزة » (ص ٥٠ ، س ١٣) . وجبرا يترجمه « والله » وهو اليمين الشائع بين الناس . اما جريديني والقط فانهما يلتزمان بحرفية النص « وحق السماء » . واما عوض فانه يحذفه من ترجمته من دون مبرر والموقف يستوجب التاكيد لتطمين هاملت على سره .

كذلك يؤثر جبرا احياناً ان يحذف قسماً موجوداً فى النص الشكسبيرى كما فى المشهد الذى تذهب فيه اوفيليا الى والدها وتخبره بانها خائفة كثيراً . ففى الاصل يسالها والدها « مم تخافين ، بسم الله ؟ » (ف ٢ ، م ١ ، س ٧٦) ولكن جبرا حذف القسم فى نهاية السؤال وقال « ما الذى افزعك يا هذه ؟ » (ص ٥٦ ، س ٢٨) . ولا ارى مبرراً لحذف هذا القسم فان الوالد العربى المسلم يستعمل قسماً كقسم بولونيوس فى مناسبات مماثلة . وقد ارتاى مطران ان يحذف هذا المشهد كلياً من ترجمته . اما جريديني فانه ترجمه مرة اخرى بالقسم الشائع « بالله » (ص ٣٩ ، س ٦) . ومحمد عوض يترجمه بقـــوله « ناشدتك الله » (ص ٧٤ ، س ٩) . والقط يترجمه « بالله عليك » (ص ١٠١ ، س ٨) . وكلها ايمان مقبولة للاذن العربية منسجمة مع اشفاق اب على ابنته فى موقف كهذا . ولكن حرفية النص التى تقول « بسم الله » تكاد ان تطابق التعبير العربى الاسلامى الشائع ولا افهم لماذا تجنب استعماله المترجمون جميعاً .

اخيراً وكما يقول كمال نادر (١٨) فان قضايا العقيدة والدين والقسم لا تشكل مسالة اساســـية فى النصـــوص الشكسبيرية . ولم يقصد شكسبير ان يستخدم مسرحياته للتبشير الدينى ولا للمواعظ العقائدية قط . والقسم فيها لم يكن مقصوداً لذاته بقدر ما كان جزءاً من طبيعة كلام شخوصه . ولكن عند الترجمة الى العربية لابد ان تؤخذ صيغة اليمين واسلوب ذكر الله بنظر الاعتبار كشـــان بقية اوجه اساليب الترجمة الموفقة ، علماً بان اكثرية الايمان يمكن ترجمتها حرفياً الى ايمان عربية اســـلامية شائعـــة فى لسان العرب . فان نجاح المسرحية المترجمة يقاس بسلاسة حوارها وحسن وقعه فى آذان جمهور المشاهدين الى جانب امانتها للنص الاصلى للمؤلف فى اللفظ والفكر والروح .

أمل أمين زكى
رئيسة قسم اللغة الانجليزية - كلية الآداب
جامعة الامارات العربية المتحدة - العين

هـــــوامـــــش

(١) كاظم فتحي الراوى - اساليب القسم فى اللغة العربية . بغداد (١٩٧٧) مطبعة الجامعة .
(٢) للاستزادة : انظر والتر رالي كوبــدج (١٩٦٧) ايمان ولعنات شكسبير . اطروحة غير منشورة - جامعة انديانا .
(٣) محمد السباعي - كوريولانس - القاهرة (١٩١١) مكتبة التاليف .
(٤) ج . ب . هاريسون - الاعمال الكاملة - صفحة ١٢٧٢ ملحوظة ٢٢١ .
* ف = فصل ، م = مشهد ، س = سطر .
(٥) علي امام عطية - كوريولانس - المكتبة الملوكية - القاهرة (١٩٢٧) .
(٦) جبرا ابراهيم جبرا - كوريولانس (١٩٧٤) وزارة الاعلام - الكويت .
(٧) ربنر وكتردج (١٩٧١ ،
(٨) علي احمد بلكثير - روميو وجولييت - القاهرة ١٩٦٩ - مكتبة مصر .
(٩) عناني - روميو وجولييت - القاهرة ١٩٦٥ مسرع نيسان المجلد (١٦) .
(١٠) مؤنس طه حسين - روميو وجولييت - القاهرة ١٩٦٨ دار المعارف .
(١١) ادوردز ، ملريان (١٩٧٤)
(١٢) خليل مطران - هاملت - القاهرة ١٩٥٨ - دار المعارف .
(١٣) شمت (١٩٦٨) Shakespeare Lexicon
(١٤) محمد عوض - هاملت - القاهرة ١٩٧٢ - دار المعارف .
(١٥) عبد القادر القط - هاملت - الكويت ١٩٧١ - وزارة الاعلام .
(١٦) سامي الجريديني - هاملت - القاهرة ط . أولى ١٩١٢ ط ، ثانية ١٩٣٢ المطبعة الرحمانية .
(١٧) جبرا ابراهيم - هاملت - القاهرة ١٩٧٠ - دار الهلال .
(١٨) كمال نادر - شكسبير والمشاهد المتكلم العربية - اطروحة غير منشورة (١٩٥٨) جامعة برمنكهام صفحة ١٦٦ .

مسيرة الخير في قطر

جزء خاص بمناسبة ٢٢ فبراير

كلنا يعرف عظمة ماضي أمّتنا في العهود التي تجلى فيها تمسّكنا بأهداب مبادئ ديننا السامية. وجدير بنا ونحن نستذكر هذه الحقيقة التاريخيّة، أن نتخذ منها نبراسًا يهدينا إلى السبيل الأمثل لمواجهة الظروف البالغة الدقّة التي نجتازها، ذلك السبيل الذي يأمرنا الله سبحانه باتّباعه، ألا وهو توحيد صفّنا وتحقيق تضامننا.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجمع أمّتنا على طريق الحق، وأن يوفقها إلى الاعتصام بحبله، لتحقق - بما تملك من إمكانات هائلة - ما تنشده لنفسها من مكانة وعِزّة وقوّة ومنَعَة، وتسهم بنصيب موفور في تأمين ما نرجوه من خير عميم للإنسانيّة جمعاء.

قال الله تعالى، وهو أصدق القائلين:

"وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم"

من خطاب سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني
في افتتاح الدور العادي الثاني عشر لمجلس الشورى
"٦ ربيع الأول ١٤٠٤هـ - ١٠ ديسمبر ١٩٨٣م"





حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

معالم السياسة التعليمية في قطر



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

يصادف ٢٢ فبراير ذكرى تولي حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى مقاليد الحكم فى البلاد ، وهذه الذكرى تعنى اشياء كثيرة وكبيرة بالنسبة للتربية والتعليم . إن صاحب السمو امير البلاد المفدى كان من اول قادة مسيرة التربية والتعليم في دولة قطر الحديثة ، وبقيادة وتخطيط ومتابعة منه اتخذ قرار تعميم التعليم المنهجي المنتظم فى دولة قطر ، لذلك ما ان تولى سموه مقاليد الحكم فى البلاد حتى اخذ يعمل بكل اخلاص على تحويل الحلم الكبير الى حقيقة تعيش على ارض الواقع ، وبرغم اعباء الحكم فقد بقي سموه يوالى التربية والتعليم بالتوجيه الرشيد والارشاد السديد ، ويولى المشروعات التربوية كل اهتمام وعناية ورعاية .

لذلك كله حظيت التربية منذ ٢٢ فبراير سنة ١٩٧٢ حتى اليوم بقفزات رائعة فى تطورها من حيث الكيف والكم ، فقد توسع التعليم افقياً حتى شمل كل تجمع سكاني على ارض قطر للبنين والبنات والصغار والكبار ولجميع مراحل التعليم ، وراسياً حتى شمل مراحل التعليم بما فيها التعليم الجامعي ، وشملت مجانية التعليم جميع مراحله بما فيها التعليم العالي حتى حصول المتعلم على أعلى الدرجات العلمية التى تدمله اليها امكاناته وقدراته . وتحسنت جميع مدخلات العملية التعليمية البشرية من إدارة تربوية وتوجيه وإدارة مدرسية ومعلمين ووظائف مساعدة ، ومادية من مناهج وكتب ووسائل واجهزة ومعدات وآلات وادوات وبيئة مدرسية وتسهيلات تعليمية ، وتضاعف الانفاق على التعليم للارتقاء بالكيف والكم معاً .

ومجرد مقارنة بين ما كان عليه التعليم فى العام الدراسى ١٩٧٣/٧٢ والعام الدراسى ١٩٨٤/٨٣ توضح مدى التطور الحادث فى كم التعليم :

- كان عد د الطلاب فى التعليم العام والتخصصى ٢٣٣٩٢ طالباً وطالبة فاصبح ٤٧٢٨٥ طالباً وطالبة .
- وكان عد د طلاب البعثات ٥٥٢ فاصبح ٤٢٠٢ طالباً وطالبة .
- وكان عد د طلاب مدارس الكبار ومحو الأمية ٣٢٨٢ فاصبح ٩٤٦٥ طالباً وطالبة .
- وكان عدد المدارس ٩٣ فاصبح ١٦١ مدرسة .
- وكان عد د المعلمين ١٣٧٤ فاصبح ٤٥٤٩ معلماً ومعلمة .
- وكانت الميزانية ٦٨/٣٦٩/٥٢٠ فاصبحت ١/٠٨٤/٥٩٨/٩٧٤ ريالا قطرياً .

وهذا بخلاف اعداد الطلاب فى جامعة قطر الذين اصبحوا ٤٢٠٢ طالباً وطالبة هذا العام ، واعداد الخريجين الجامعيين الذين وصلوا عام ١٩٧٣ إلى ١٤٥ خريج وخريجة ، فاصبحوا فى العام الدراسى ١٩٨٤/٨٣ (٢٨٥٩) طالباً وطالبة .

ويتبين من هذه المقارنة مدى النمو الحادث فى العملية خلال فترة تعتبر وجيزة جداً فى عمر الزمن . على ان النمو الحادث فى نوع التعليم من حيث نوعية المناهج والكتب المدرسية والوسائل والتسهيلات التعليمية والمستحدثات التربوية ، يعتبر اهم ما تحقق للتعليم فى بلادنا ، حتى غدا مستوى التعليم فى دولة قطر محل تقدير مختلف الأوساط التعليمية والتربوية اقليمياً وعربياً ودولياً .

وتتميز التربية فى دولة قطر بعدة أمور قد تلتقي فيها مع التربية فى دول اخرى اقليمية وعربية من قريب أو بعيد ، ولكنا نعتبرها أهم مميزاتنا التربوية وهى :

- استقلالية الشخصية التربوية : اننا امة لها مميزاتها الخاصة بها كامة عربية اسلامية لها عقيدتها السمحة ، ودينها الحنيف ، وحضارتها العريقة ، وتراثها الأصيل ، وتاريخها الناصع ، وسجاياها الجليلة ، وقيمها النبيلة ، لذلك يجب ان يشب ابناؤنا على الولاء الوجداني العميق لهذه الأمة ، وعلى الاعتزاز بالانتماء اليها انتماء لا يخالجه شك ، ولا يخامره تردد ، مهما عصفت بها

الأنواء ، وتراكمت امامها التحديات .

ومن هذا المنطلق تحرص مناهجنا على ترسيخ التربية الايمانية فى نفوس ابنائنا من ايمان بالله الواحد الأحد وايمان برسوله صلى الله عليه وسلم ودينه وشريعته ، الى تمثل هذا الايمان منهاج سلوك واسلوب حياة ، ونموذج عمل وتعامل ، وتتضح هذه الصورة لكل من يطلع على مناهجنا سواء اكان ذلك فى العلوم الشرعية من علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والتوحيد والسيرة او فى أى مادة من المواد او أى ممارسة على المستوى الاجرائي فى العملية التعليمية . ويوضح الميثاق الأخلاقى لمهنة التربية والتعليم فى دولة قطر هذا الاتجاه بما لا يدع مجالا للشك .

● المواءمة بين الاصالة والتجديد : واننا مع حفاظنا على أصالتنا وعراقتنا وتراثنا واعرافنا وتقاليدنا المستمدة من ديننا الحنيف ، بحيث تبقى لنا شخصيتنا العربية الاسلامية المتميزة ، لم ننس اننا نعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين ، حيث التقدم العلمي والتفجر المعرفى والتطور التقني ، وحيث كل يوم يحمل جديداً فى عالم تميز بازدياد الترابط وسرعة الاتصال ، لذلك فاننا قد عملنا بحرص على التوازن بين هذا وذاك ، نرعى اصالتنا بعين ونرمق التجديد والتطوير فى عصر الذرة وغزو الفضاء بالعين الأخرى .

● منطلقات السياسة التربوية : وسياستنا التربوية تنطلق من القيم والمثل التى نؤمن بها وندين لها ، ومن المبادىء التى تتبناها الدولة فى الرعاية الشاملة لابنائها ، وفى مقدمتها الرعاية التربوية لذلك تؤكد السياسة التربوية على مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية لابنائنا ، وعلى مجانية التعليم مجانية مطلقة ، وعلى مسئولية الدولة مسئولية مباشرة فى تامين التعليم الملائم لأبناء وطننا ، بما فى ذلك الموهوبون والمعوقون ، وعلى أن التعليم حق لكل من يعيش على أرض قطر ، وعلى قيام الدولة بواجبها فى ميدان التربية والتعليم تجاه البلاد العربية والاسلامية الشقيقة ، وتجاه الجاليات الاسلامية فى شتى أرجاء المعمورة ، لذلك تجد فى مدارسنا طلاباً من مختلف البلاد العربية وفى معاهدنا وكلياتنا طلاباً من عشرات الجاليات الاسلامية فى شرقى العالم وغربيه . وبذلك تنطلق سياستنا التربوية من قيمنا ومثلنا وانتمائنا الوطنى والقومى والدينى .

● موضوعية استراتيجية التطوير : واستراتيجية التطوير التربوي لدينا تنبثق من احتياجات حقيقية ، تقوم على الدراسة الجادة والبحث المتعمق والتغذية الراجعة من الميدان ، فالتطوير له اهميته فى مواكبة المعاصرة ولكنه يجب ان يبنى على ارض صلبة بحيث يتقبله الواقع ولا يلفظه ، ويهضمه ويتبناه ، ويتحمس له ، فالتطوير ليس حلية تربوية ولا يجب ان يتم التطوير لوجه التطوير ، وانما لضرورات تربوية ملحة ، ولهذا فان التطور لدينا يقوم على البحث التربوى المتعمق وعلى تحليل موضوعي لمعطيات الواقع ، ومن هنا ياتي اهتمامنا بالبحوث التربوية والبحوث العلمية ، وتشارك كل الكفايات المتوافرة لدينا فى عمليات البحث حتى اذا ما اكدت المعطيات والمؤشرات والوقائع ضرورة التطوير ، نجري عمليات التطوير ، بادئين بالتجريب للمنهاج المطور او النظام المطور مع موالاته بالمتابعة والتقويم المستمر ، وبعد ذلك يعمم .

● التحسب للمستقبل : ونحن ندرك ان ابناءنا خلقوا لزمان غير زماننا ، وهم رجال المستقبل بكل فئاته ، وواقع المستقبل يختلف كلياً وجزئياً عن واقع الحاضر الحياتي ، لذلك نحاول ان تستوعب مناهجنا تحسباً علمياً مدروساً لهذا المستقبل .

والتربية والتعليم تعنى بالانسان والانسان بطبيعته حي نام متطور ، لذلك يجب أن تكون التربية بكل مدخلاتها متطورة نامية متجددة على الدوام وإلا حكم عليها بالتحجر والجمود والتوقف ، وتطوير اليوم لا يمكن ان يكون نهاية المطاف بل هو تطوير مرحلي سيناله التطوير غداً او بعد غد أو فى أي فترة زمنية لاحقة . اما عن جهود التطوير فقد احتوت كل مدخلات العملية المادية والبشرية ، ومن أهم هذه الجهود : تطوير المناهج والكتب المدرسية ، وتطوير التقنيات التربوية ، وتطوير البيئة المدرسية ، وتطوير اعداد المعلم وتدريبه ، وتطوير الخدمات الصحية المدرسية الوقائية والعلاجية ، وتطوير النظم التربوية ..

اما التعاون الخليجى فى مضمار التربية والتعليم فهو يعود بجذوره التاريخية الى بداية النهضة التعليمية فى دول الخليج العربية ، فمنذ البدايات الأولى كان التعاون قائماً على اساس تبادل المعرفة والراي والمشورة ثم تعزز هذا التعاون بتوقيع اتفاقيات ثقافية ثنائية بين بلدان المنطقة وفى اوائل السبعينات شعر وزراء التربية والتعليم والمعارف فى دول المنطقة بضرورة تنظيم جهد تعاوني جماعي بين دول المنطقة وبخاصة فى مضمار التربية والتعليم ، نظراً لشعورهم بالتقارب الكبير بين دول المنطقة فى الأهداف والغايات والطموحات واشتراكها فى مواجهة التحديات والمصير المشترك ، وتمخض عن هذه الجهود انشاء مكتب التربية العربى لدول الخليج فى الرياض ويمكن القول ان المكتب قد خطا خطوات كبيرة فى اجراء عمليات التنسيق والتكامل بين الجهود التربوية المختلفة .

اما النتائج الفعلية فقد كان من اهمها : انشاء جامعة الخليج فى البحرين بجهد مشترك ، وانشاء مركز البحوث التربوية فى الكويت ، وتوحيد الاهداف التربوية لدول المنطقة ، وعقد لقاءات دورية بين وكلاء وزارات التربية فى المجلس التنفيذى للمكتب ولقاءات دورية بين وزراء التربية والتعليم فى مؤتمرات وزراء التربية بدول الخليج ، ولقاءات متعددة ومتنوعة بين الاختصاصيين والمسؤولين فى مختلف قطاعات التربية ومديري الجامعات ، وكذلك اللقاءات الطلابية ، وهذه اللقاءات لها نتائج كبيرة على المدى البعيد اذ توحد المنطلقات الفكرية للعاملين فى التربية ، والمفاهيم الاساسية لاجيال المستقبل ، بما تتيحه من تبادل الآراء والأفكار والخبرات وتفاعلها .

وما نؤكده هو اننا نشعر باننا نسير على الطريق الصحيح والسبيل القويم ، ومعنى ذلك اننا سنصل يوماً ان شاء الله فنحن ابناء شعب واحد ودين واحد وأصول واحدة وتراث واحد ، وتاريخ مشترك ، ونواجه اليوم نفس التحديات ونفس المصير المشترك الواحد . واننا نرجو الله تعالى ان يبارك هذه الجهود لما فيه خير شعوبنا وامتنا .

محمد بن حمد آل ثاني

العمل الاجتماعي في قطر

واقعه الراهن وطموحاته المستقبلية



بقلم
علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

استطاعت دولة قطر خلال السنوات الماضية ان تمضى فى مسيرتها المباركة بخطوات ثابتة ، وان تقطع شوطاً جديداً هاماً على طريق الانجازات الكبيرة ، من اجل تحقيق اكبر قدر من التنمية فى اقصر وقت ممكن ، واثبتت الدولة الفتية طوال هذه السنوات ان انجازاتها التى تبلورت فى شكل مشروعات عمرانية وخطط تنمية ومواقف سياسية ، كانت ومازالت تشكل ترجمة عملية للمبادىء والالتزامات التى حددها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة ابن حمد آل ثاني امير البلاد المفدى ، فى النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم فى قطر .

والواقع أن مقومات التنمية الاجتماعية التى أكدها النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم فى البلاد ، ما هى فى الحقيقة إلا مقومات كل مجتمع ديمقراطى سليم ، تسوده العدالة الاجتماعية التى هى قمة الطموح الانسانى .

ومن هذا المنطلق كان تطلعنا إلى تحقيق تلك الأهداف السامية بامل مفعم بالايمان ، حيث سعت وزارة العمل والشئون الاجتماعية إلى وضع هذه الأهداف موضع التنفيذ بقدر المستطاع ، فاعطت القسط الأكبر من العناية والاهتمام لكافة مشروعات الرعاية الاجتماعية ، مستهدفة العمل على تطويرها على أحدث وافضل السبل المتاحة .

وقامت خطة العمل فى وزارة العمل والشئون الاجتماعية على أسس عامة أهمها : رسم سياسة الوزارة على ضوء السياسة العامة للدولة وأهدافها ، العمل فى اطار الخطة العامة للدولة ، التنسيق الشامل بين الخدمات الاجتماعية فى كافة المجالات تحقيقاً لمبدأ التكامل والتوازن فى الخدمات تبعاً للاحتياجات ، اتباع سياسة تطوير أعمال الوزارة فى المضمون والأسلوب ، التعاون مع باقى الوزارات والهيئات ذات الصلة بميادين عمل الوزارة وتنسيق العمل معها اسهاماً فى تحقيق الأهداف المرجوة ، الالتزام بمبدأ الأولوية فى أداء الخدمات والاستفادة منها ، وضع الضوابط الكفيلة بتنظيم ممارسة العمل ووضع مقاييس لجدية العمل فى ادارات الوزارة والأقسام التابعة لها ، ربط العمل بسياسة التخطيط العلمى ، وضع افضل الحلول للمشاكل والصعوبات التى تعترض كفاية الأداء وحسن التنفيذ .

العمل والتنمية الاجتماعية

ولأن العمل الاجتماعى لم يعد محصوراً ضمن اطار المفهوم التقليدى الذى يتوقف عند تقديم الخدمات ، فان الأنشطة المتعددة لوزارة العمل والشئون الاجتماعية وضعت فى اعتبارها أهمية ارتباط العمل الاجتماعى بالتنمية الاجتماعية المرتكزة على توفير الامكانات والوسائل التى تكفل انطلاق الطاقات البشرية والقدرات المادية فى ظل رؤية واضحة للأهداف، وخطة العمل السليمة التى تنشر تحقيق الرقى والرخاء للمجتمع كله .

وقد قامت وزارة العمل والشئون الاجتماعية على الصعيد الاجتماعى ، بتنمية الأنشطة الجماعية من خلال ايجاد المؤسسات الاجتماعية والأهلية ودعمها وتوفير الامكانات الفكرية والفنية التى تمكنها من القيام بدورها فى تنمية وتطوير المجتمع .. أما فى ميدان العمل فانها تتبع أحدث تشريعات العمل ونظمه وأساليبه وظروفه ، وتعمل على ايجاد المناخ الذى يساعد على رفع الكفاءة الانتاجية وتحقيق التقدم الاجتماعى والاقتصادى فى ظل علاقات سليمة ومستقرة بين طرفى الانتاج.

وقد نهجت الوزارة منذ انشائها على تطوير وتعزيز اداراتها المختلفة ، فاعدت مشروع قانون باعادة تنظيمها تضمن انشاء ادارات جديدة للتعاون والتخطيط والشئون الفنية والشئون الادارية والمالية ، فصدر القانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٢ بتنظيم وزارة العمل والشئون الاجتماعية وتحديد اهدافها وصلاحياتها ، ونظامها

الداخلى بشكل يؤمن تيسير وتنسيق وحسن تادية العمل الادارى بالوزارة .

وأعطت الوزارة اهتماماً كبيراً للجانب الاجتماعى ، فاصبحت هناك ادارة خاصة بالشئون الاجتماعية تعمل على تطبيق الضمان الاجتماعى وتوفير المساعدة والعون للفئة المحتاجة ، وانشات مكاتب فرعية فى مدينتي الخور والشمال لتقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين فى اماكن اقامتهم ، بالاضافة الى انشاء مركز التدريب والتاهيل الاجتماعى للسيدات والفتيات القطريات بهدف تحسين الوضع الاجتماعى للأسرة ، وإتاحة الفرصة أمام المتدربات للعمل المنتج والانتفاع به من خلال التدريب على بعض المهارات والحرف التى تتوافق وقدراتهن . وقد بلغت المساعدات الاجتماعية التى شملت ٦٦٠٩ حالة اجتماعية هذا العام (٧٦٫٥٠٤٫١٥٠) أى ستة وسبعون مليوناً وخمسمائة واربعة آلاف ومائة وخمسون ريالا قطرياً .. وهذا بالاضافة إلى تعاون الوزارة مع بعض المخلصين من ابناء قطر لانشاء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين ، التى حققت العديد من المساهمات الأهلية فى هذا المجال الاجتماعى والانسانى الهام .

وقد استمرت الوزارة - بالتعاون مع وزارة الأشغال العامة - فى تنفيذ سياسة الدولة الهادفة إلى انشاء المزيد من المساكن الصحية والعصرية للمواطنين ، فبلغ مجموع المساكن الشعبية والمجانية التى سلمت لأصحابها هذا العام (٧٢٧) مسكناً ، تتناسب مع عدد أفراد أسرة المنتفع والتقاليد والعادات الاجتماعية .. كما انها حرصت - فى نفس الوقت - على تدعيم الحركة التعاونية وتعزيز الخدمات التى تقدمها الجمعيات التعاونية للمواطنين ، فراينا افتتاح سبع جمعيات تعاونية استهلاكية فى أماكن عديدة من البلاد ، ويجرى الاعداد لافتتاح المزيد من الجمعيات فى مناطق مختلفة ، وتولى الوزارة عنايتها ورعايتها لتامين مقومات النجاح لها ، وقد لمس الجميع النتائج الطيبة التى حققتها الجمعيات التعاونية القائمة ، وستظهر النتائج الفعلية بعد قيام الجمعيات الاستهلاكية الأخرى التى لا تزال قيد الانشاء فى مختلف المناطق المأهولة بالسكان فى البلاد .



منظر خارجى لاحدى الجمعيات التعاونية الاستهلاكية



المساكن الشعبية

تنظيم العمالة

أما فى مجال العمل ، فقد سعت الوزارة إلى تنظيم استقدام العمال العرب والأجانب وتسجيلهم لديها ، وتم توقيع خمس اتفاقيات مع كل من جمهورية مصر العربية ، والجمهورية التونسية ، والمملكة المغربية ، وجمهورية السودان الديمقراطية وجمهورية الصومال الديمقراطية ، لتوثيق أواصر الأخوة والتعاون بين دولة قطر والدول العربية الشقيقة ، ولتوفير القوى العاملة اللازمة لتنفيذ المشاريع الانمائية فى الدولة .. وعملت الوزارة أيضاً - على تحسين ظروف العمل للعاملين فى القطاعات المختلفة ، وتحسين مستويات العمال والحفاظ على حقوقهم التى يكفلها لهم القانون .. وفى هذا الصدد سعت الى تنظيم جهاز التفتيش العمالى وتطويره ، وقسم الاستخدام الذى ينظم مع اجهزة الوزارة الأخرى والجهات المختصة فى وزارة الداخلية عملية استقدام العاملين من خارج البلاد ، واصدار بطاقات العمل وحفظ السجلات الخاصة بالعمالة وطلبات الباحثين عن العمل أو العمال .

المشاركة الدولية

وبالاضافة لكل ذلك ، كان حرصنا الدائم على المشاركة فى العديد من المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية التى تعقد على المستوى الاقليمى والعربى والدولى للإطلاع على كل ما يجرى من تطورات فى مجالات العمل والشئون الاجتماعية ، من اجل تحقيق تطلعنا الدائم إلى التوسع فى العمل الاجتماعى وتعميق الشعور بالمسئولية لدى المواطنين ، والاستمرار فى انشاء المزيد من المراكز الاجتماعية والجمعيات التعاونية ، وتشجيع العمل الأهلى التطوعى وأن تحتل رعاية الطفولة والأمومة مكاناً بارزاً فى خطتنا المستقبلية ، حتى نكون قد أدينا بعضاً من الواجب الملقى على عاتقنا ، خدمة لبلد الخير والمحبة - قطر - فى ظل رعاية رائد نهضته صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى ، وولى عهده الأمين سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى .

علي بن أحمد الأنصارى



عبد العزيز بن خالد الغانم رئيس مجلس الشورى

في لقـــــــاء

مع رئيس مجلس الشورى

تجربتنا الديموقراطية مستمدة من مبدأ الشورى في الإسلام

فى لقاء مع سعادة عبد العزيز بن خالد الغانم رئيس مجلس الشورى، دار الحديث حول أهداف مجلس الشورى واختصاصاته، وأهم الوفود العربية والأجنبية التى زارته خلال السنوات الماضية، وأهم التوصيات التى أصدرها، وأول اجتماع عقد عقب إنشائه، وعدد أعضاء المجلس والشروط التى يجب ان تتوفر فى عضو مجلس الشورى، وغير ذلك من القضايا الهامة المتعلقة بهذا الصرح الذى يقوم بدوره الحيوى فى إرســـاء قواعـد الديمقراطية فى البلاد، انطلاقاً من شريعتنا الاسلامية السمحاء.

فى بداية الحديث قلت لســـعادة عبد العزيز بن خالد الغانم رئيس مجلس الشورى:

● نريد أن نتعرف على كافة الجوانب المتعلقة بالمجلس الموقر الذى يؤكد باستمرار أهمية التجربة الديمقراطية المستمدة من مبدأ الشورى فى النظام الاسلامى كاسلوب للحكم .. ولذا هـــل تتفضلون بالحديث عن اهـــداف مجلس الشورى واختصاصاته؟

– جاء فى النظام الاســـاسى للحكم الصادر عام ١٩٧٢ أن الهدف من انشاء مجلس الشورى هو معاونة سمو الأمير ومجلس الوزراء فى اداء مهامهما. فمجلس الشورى انطلاقاً من هذا الهدف يعاون سمو الأمير ومجلس الوزراء فى معالجة شئون الدولة فى مختلف المجالات، ويســعى الى وضع التقاليد البرلمانية وتثبيت القواعد الديمقراطية فى البلاد.

ولعـــل المجال يتســـع هنـــا للتنويه بنجـــاح المجلس فى تحقيق الأهـــداف التى انشىء من اجلها وما ذلك الا لحرص سمو أمير البلاد المفدى على دفع عجلة هذه التجربة الديمقراطية وارساء قواعدها على أسس متينة مستقاة من احكام الشريعة الاسلامية ونابعة من واقعنا وظروفنـــا السياسية والاجتماعية، كما يعود نجاح المجلس ايضاً الى حرص الاعضاء على التزام جانب الموضوعية فى المناقشـــات تحقيقاً للصالح العام للبلاد، وكذلك التعاون البناء القـــائم بين المجلس والحكومة الموقرة.

● وماذا عن قرار انشاء المجلس وتاريخ انشائه وأول اجتماع له ومحاضر جلساته؟

– منذ أن تولى حضرة صاحب الســمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الأمور فى البلاد فى ٢٢ فبراير ١٩٧٢ حرص على أن تكون الديمقراطية أسلوبه فى الحكم فاصدر النظام الأساسى المؤقت المعدل فى شهر ابريل ١٩٧٢، وقد تضمن هذا النظام الأساسى انشاء مجلس الشورى والأحكام المنظمة له، ثم صدر قرار أميرى بتعيين اعضاء المجلس. وفى أول مايو ١٩٧٢ عقد المجلس جلسته الأولى التى افتتحها حضرة صاحب السمو الأمير بكلمة نوه فيها إلى الهدف من انشاء المجلس «... ليعاون برايه على معالجة شئون الدولة فى مختلف النواحى ويساهم بمشورته فى تهيئة وسائل تحقيق النهضة الشاملة التى نصبو اليها جميعاً فى كافة المجالات».

وأما عن محاضر الجلسات المتضمنة لأعماله ومناقشاته وانشطته فقد جرى تجميع محاضر كل دور من أدوار الانعقاد السنوية فى كتاب مستقل تسهيلاً للرجوع اليها باعتبارها مرآة حقيقية ومظهراً من مظاهر الديمقراطية فى هذا البلد منذ فجر الاستقلال.

● ما عدد أعضاء المجلس وما هى احكام العضوية؟

– تطبيقاً لأحكام المادة (٤١) من النظام الأساسى المؤقت لسنة ١٩٧٢ فقد أصدر سمو الأمير قراراً اميرياً بتاريخ ٢٣ ابريل ١٩٧٢ بتعيين اعضاء مجلس الشورى وكان عددهم اذ ذاك عشرين عضواً.

ثم قام سمو الأمير استناداً لنص المادة (٤١) المعدل بتعيين عشرة اعضاء جدداً

فى مجلس الشورى وذلك بالقرار الاميرى رقم ١٢ لسنة ١٩٧٥ حيث كان ذلك القرار بمثابة تدعيم للمجلس الذى اثبت منذ نشاته انه اهل لتحمل المسئولية والذى ثبت بالتجربة انه ادى دوره على احسن وجه .

وطبقاً لأحكام المادة (٤٢) من النظام الأساسي للحكم فانه يشترط فى عضو مجلس الشورى ان يكون قطرى الجنسية اصلا ، والا تقل سنه عند تعيينه عن اربع وعشرين سنة ميلادية ، والا يكون قد سبق الحكم عليه فى جريمة مخلة بالشرف مالم يكن قد رد اليه اعتباره طبقاً للقانون . كما بينت المادة (٤٣) من النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم ان عضو مجلس الشورى يجب أن يكون من ذوى المكانة من أهل الرأى والكفاية . ولقد روعى فى اختيار الاعضاء ان يكونوا ممثلين لكافة المناطق وفئات الشعب القطرى المختلفة بقـــدر الامكان .

● وكم عدد الموظفين العاملين بالمجلس؟

– تضم السكرتارية العامة لمجلس الشورى ، التى هى الجهاز التنفيـذى بالمجلس الذى يتولى كافة الشئون الادارية والمالية والفنية والقانونية ، ويقوم بتنفيذ قرارات المجلس وتوصياته .. تضم ثلاثة وثلاثين موظفاً وعاملا موزعين على اقسام السكرتارية العامة التى يراسها السكرتير العام

● ما أهم الوفود العربية والاجنبية التى زارت المجلس ؟

– يحتفظ مجلس الشورى منذ انشائه بعلاقات طيبة مع مختلف المجالس النيابية سواء أكان ذلك على مستوى منطقة الخليج أم على المستويين العربى والدولى ، والوفود البرلمانية الزائرة هى احدى صور هذه العلاقة القائمة على التعاون المثمر البناء ولقد استقبل المجلس العديد من هذه الوفود القادمة من دولة الكويت وجمهورية مصر العربيــــة ولبنــان والولايـات المتحدة الامريكية وسويسرا وفرنسا والمانيا وانجلترا واستراليا وموريشوس وغيرها .

● ما هى أهم التوصيات التى أصدرها المجلس ؟

– لقد قدم مجلس الشورى منذ انشائه عام ١٩٧٢ توصياته للحكومة فيما عرض عليه من مشروعات القوانين أو المراسيم بقوانين ، اضافة الى ما تصدى له المجلس من مشاكل ومسائل تهم المواطنين،وذلك من خلال طلبات المناقشة العامة والاقتراحات



مجلس الشورى أثناء انعقاده

برغبة التى تقدم بها السادة الأعضاء . وحيث أن المجال لا يتسع لذكر كل هذه الانجازات التى حققها المجلس على مدى الســنوات الماضية ، فاننا ســنذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلى :

ففى مجال مشروعات القوانين :قــام المجلس بدراسة ومناقشة عدد كبير منها كمشروعات القوانين المتعلقة بانشاء ديوان المحاسبة وانشاء بلديات جديدة فى المدن القطرية وانشاء جامعة قطر وانشاء المركز الفنى للتنمية الصناعية وتنظيم وزارة الخارجية ، والمناقصات والمزايدات ، وتوحيد المقاييس والمكاييل والموازين ، وانشاء مؤسســـة النقــد القطــرية ، والجمعيات التعاونية ، ومشروع قانون المطبوعات والنشر ، وايجار الأماكن والمبانى ، والتوثيق ، ومشروع قانون المرور وتقاعد الموظفين القطريين ومشروع قانون مزاولة مهنتي الطب البشرى وطب جراحة الاسنان وتنظيم مهنة الصيدلة والوسطاء ووكلاء مصانع وشركات الادوية ومشروع قانون ببدء الخطوات التنفيذية للاتفاقية الاقتصادية الموحدة بين دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية .

وفى مجال المراسيم بقوانين التى عرضتها الحكومة على مجلس الشورى طبقاً لأحكام المادة (٢٧) من النظام الأساسى المؤقت المعدل للحكم الصادر فى سنة ١٩٧٢ فقد كانت هناك – على سبيل المثال – مراسيم بقوانين تتعلق بتحديـد اختصاصات وزارة الشئون البلدية ، وبوقف تصدير البترول الى كل من الولايات المتحدة الامريكية وهولندا فى عام ١٩٧٣ ، وانشاء المؤسسة العامة القطرية للبترول ، وتنظيم المدارس الخاصة ، وانشاء الجهاز المركزى للاحصاء ، وزيادة الرســـوم الجمركية على السيجار والسجاير والتبغ ومنتجاته .

وهذا بخلاف طلبات المناقشة العامة التى تقدم بها السادة الأعضاء واتخذ المجلس بشانها التوصيات المناسبة ورفعها الى مجلس الوزراء

كما كان هناك العديد من الاقتراحات التى ناقشها المجلس مثل اقتراحـــات برغبة فى شان زيادة اطباء قسم الطوارىء بالمستشفى العام ، وتوزيع قطع من الأراضى على ذوى الدخل المحدود من المواطنين القطريين ، والاسراع فى تنفيذ طلبات الحصول على مساكن ، وتوسيع خطوط سيارات ركوب النقل العام داخل مدينة الدوحة ووضع تعريفة محددة لأجور سيارات الأجرة داخل مدينة الدوحة وخارجها ، ومساعدة المزارعين ومربى الماشية ، وانشاء قسم للكلية الصناعية بالمستشفى العام ، وزيــــادة المعونة الاجتماعية ، وانشاء ملجا للعجزة والمسنين ، وانشاء الحدائق والمنتزهات والمطاعم والشاليهات على السواحل ومدن لألعاب الأطفال ، وتشجيع الشباب القطرى على الزواج وذلك بمنحهم المساعدات المادية التى تعينهم على ذلك .

يوسف الحرمي

الإعلام القطري ولغته الجديدة

بقلم : عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر

كانت الكلمات - وسوف تظل - مرادفة للافكار فنعرف أن اختراع الانسان للكلمة كان بداية الخطوات لتقدم البشرية ، ونعرف أيضاً انه لولا التوصل إلى صياغة الأفكار على شكل كلمات لما كان لتلك الافكار معنى سوى انها تهويمات تدور فى العقل دون أن تؤدى إلى فعل إيجابى او حركة ملموسة .

ولو قارنا ما نتداوله اليوم من كلمات بيسر وسهولة بتلك التى كانت شائعة منذ خمسين سنة لوجدنا البون شاسعاً والفرق كبيراً ، ليس فقط فى موسيقى الكلمة او اسلوب الصياغة،بل ايضاً فيما تؤدى إليه من معنى وربما معان ، مما يؤكد ان الكلمات ما هى فى حقيقة الأمر إلا افكاراً ، وانه كلما نما العقل البشرى ولم تعد تسعفه الثروة اللغوية المتاحة ، لجا إلى نحت كلمات جديدة تلبى متطلباته المتجددة .

والاعلام كلمات ، فى البدء كانت مكتوبة وهى فى عصرنا الحديث مسموعة ومرئية ايضاً. وهو نهر متدفق تنساب فيه المعلومات من مجال إلى اخر بسرعة فائقة .

وفى عصرنا الراهن دخلت إلى لغة الاعلام ، بل إلى لغة التخاطب اليومى ، الفاظاً جديدة ، إضافة إلى أن الكلمات التى كانت متداولة قبل ذلك اكتسبت مضامين جديدة .

والاعلام القطرى كمؤسسة قومية عايشت انتقال هذه الدولة الفتية من طور إلى طور حتى وصلت إلى ما وصلت إليه الآن من تقدم استثمر الثروة اللغوية المتاحة واضاف إليها واعطى للكلمات



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

مدلولاتها المؤثرة .

فقد ساهم بكل الجهد فى تعميق معنى المواطنة وترسيخها فى وجدان كل مواطن يعيش على هذه الأرض ، وقد أدى ذلك إلى عمق احساس مواطنى هذا البلد بقيمة وطنهم واعتزازهم به واستعدادهم للحفاظ على ترابه حتى النفس الأخير . كذلك فقد اعطى للتنمية ملامح محددة تخلص فى وجوب مشاركة المواطن للدولة فى جهدها الدؤوب للنهوض بالبلاد اقتصادياً واجتماعياً .

والثقافة فى الاعلام القطرى اصبحت فعلا وحركة فهى بما تقدمه للمواطن من زاد ثقافى مستمر ، تعطى للحياة معنى وقيمة حضارية ، وهى تسير فى خط مرسوم ، إذ تبسط أعقد ما أبدعته حضارتنا الراهنة فى عبارات سلسلة قريبة إلى فهم الجميع ، وقناعتنا بذلك الدور هى بلا حدود ، فنحن لسنا مع بعض القائلين بان الاعلام بتبسيطه للمادة الثقافية فيه إفساد للفروق وهدم للثقافة ، فالثقافة للجميع وليست لقلة من الصفوة .

إن الحس القومى بما يتضمنه من مدلولات إزاء كافة القضايا المصيرية ، اصبح علامة من علامات اعلامنا فى العصر الحديث ، يعطيها البعد الحقيقى والمعنى الفعلى ، بما يصدر عنه من مادة مقروءة أو مسموعة أو مرئية ، تشرح وتحلل وتفسر قضايا الأمة العربية وتبرز ما فيها من عدالة وهو بذلك يكسب - باستمرار - ارضاً جديدة كل يوم ويستقطب تجاه تلك



قادة دول مجلس التعاون الخليجى أثناء اجتماعاتهم التاريخية فى الدوحة

القضايا متعاطفين ومؤيدين فى أنحاء كثيرة من العالم .

وإذا كانت الضرورات المحلية والدولية قد أملت قيام مجلس التعاون لدول الخليج العربية فى هذه الظروف الهامة ، فان الاعلام القطرى كان على مستوى الحدث استيعاباً وتفاعلا ، وأصبحت كلمـــة « التعاون » مركزاً تشع منه أنشطة عديدة يقوم بها الاعلام القطرى شارحاً معناها مؤكداً ضرورتها .



قاعة المركز الصحفى أثناء انعقاد الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية

ولقد كان عقد القمة الرابعة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية فى الدوحة فى نوفمبر من العام الماضى محكا أظهر عمق فهم الاعلام القطرى لدوره فى هذه المرحلة التى تمر بها البلاد ومنطقة الخليج ككل ، فلقد كان صدق نبرته وموضوعية كلمتــه مثار الاعجاب فى كل مكان ، الأمر الذى بقي أثره فيما يصلنا إلى الآن من رسائل عديدة من كثير من دول العالم تسال وتستفسر، بل وتحلل وتطلب المزيد من المعلومات عن المنطقة ودورها ، وهو مكسب نعمل على استثماره للصالح العام .

إن الانسانية تمر فى هذه الأيام بمرحلة من أهم مراحلها ، فقد زالت الحدود بفضل التطور المتواصل فى وسائل الاتصال ، وأصبح من غير المعقول عدم الاستفادة بهذه الوسائل الحديثة ، التى تواجدت فى هذه الأيام من أجل تنوير الناس وتثقيفهم ، ويقع على عاتق الاعلام فى ذلك العبء الأكبر بما هو متاح له من إمكانات ، وبما هو ميسر له من انتشار فى جميع المجالات وبين كل الفئات .

وإعلامنا القطرى ـ والحمد لله ـ يعي دوره بعمق ويحقق مهامه باقتدار ، وهو يسير وسلاحه الكلمة ، ومنهاجه الحوار ، وهدفه الاقناع والاقتناع ، وهو ينعم بثمار النهضة الشاملة التى نراها فى مجتمعنا فى كل مكان ، بقيادة سمو أمير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، وولى عهده الأمين .

ماذا يقول السفراء العرب عن مسيرة الخير في قطر؟

إعداد: عبدالرحيم أبوعوف



الدكتور خالد عبيدات
سفير المملكة الأردنية الهاشمية



محمد المحرزى
سفير الجمهورية التونسية



عبد المحسن السليمان الزيد
سفير المملكة العربية السعودية



خالد عثمان الراوى
سفير الجمهورية العراقية

● قطر والقيادة الحكيمة ●

نحن عرب الأردن قوميون فى كل منطلقاتنا ، لسبب واضح ، وهو ان مرتكز فكرنا ومحور تصرفنا نابع من المبادىء العظيمة للثورة العربية الكبرى ، وبالتالى فنحن ننظر الى كل مناسبة وطنية فى كل قطر من اقطار امتنا بمنظار المحبة والتهنئة والامل .

إننا فى الأردن ملكا وحكومة وشعبا نشارك اخوتنا فى قطر فرحتهم واعتزازهم بذكرى المناسبة الوطنية التى تولى فيها سمو الامير القائد الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مهام الحكم ، والذى شهد له القاصي والداني بحنكته وحكمته وقدرته .

واذا كنا فى الأردن نفتخر بالانجازات التى حققناها بقيادة جلالة الحسين بدءا بالكفاح من اجل الاستقلال ووصولا الى المثابرة والاصرار من اجل التنمية .. فاننا ننظر بعين التقدير والاعجاب الى الانجازات التى حققها اخوتنا فى قطر .. ويطيب لي ان أصف هذه الانجازات كما يلى :

- صادرة عن قيادة حكيمه تعتمد فى قراراتها على الدراسة والتانى والشمولية .
- تسير هذه الانجازات بتان ولكن برسوخ وثقة .
- يعم خيرها جميع المواطنين .
- تقع كلها فى اطار مجلس التعاون الواقع فى المدار العربى العام .

وهذا الوصف للانجازات القطرية ينسحب على الانجـــازات الداخلية منها والخارجية على حد سواء .. فدولة قطر الفتية أصبحت تخطو خطوات واسعة ومرموقة على الصعيد الدولى . وليس تاهيلها الوحيد الى ذلك البعد الاقتصادى فقط بل وايضا صواب نظرة قيادتها سواء فى المجال الأقليمى او العربى او الاسلامى او العالمى ..

ولا يخفى على اى مهتم بالشئون العربية ذلك الاعجاب المتبادل بين قيادتينا وبين شعبينا ، وهذا الأعجاب المتبادل لم ينبع من فراغ .. بل جذوره عميقة جدا تغوص فى اعماق الفهم والتفاهم .. وستنمو وتتفرع وتزهر وتثمر باذن الله تضامنا عربيا نسعى اليه جميعـا ..

الدكتور خالد عبيدات
سفير المملكة الأردنية الهاشمية

● كلمة حق ●

ليس من الانصاف فى شىء ان تخصص صفحة .. أو بعض صفحة لضيف من ضيوف هذا البلد الامين ليتحدث عما يغمره من مشاعر وانطباعات فى هذه المناسبة الوطنية السعيدة التى يحيي فيها شعب قطر ذكرى استلام صاحب السمو الشـيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الامانة العظمى على راس هذه الدولة الشقيقة .

واذا كانت كلمة الحق التي أريد أن اقولها فياضة ونافذة من اعمق المشاعر الا انها دون الحدث لا محالة .

فهذه معالم النهضة الشاملة واليقظة الكاملة بادية فى الريف والمدينة ، تشهد عما تم انجازه من خطوات فى سبيل تغيير واقع البلاد والعباد من حسن الى احسن فى كل يوم وفى كل مجال .. خطوات ثابتة على طريق بناء دولة عصرية بكل ما فى لفظـة

حققت دولة قطر تحت قيادة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير البلاد المفدى خطوات هامة على طريق بناء الدولة العصرية .. كما تعيش دولة قطر بقيادتها الحكيمة مشاكل الوطن العربى وتساهم بكل الجهد والطاقة فى السعى لتحقيق آماله الواسعة فى التقدم والرخـــاء

ومن قلب الحياة فوق أرض قطر الطيبة ، ومع شعبها العربى الأصيل تحدث بعض السفراء والدبلوماسيين العرب فى الدوحة حول انطباعاتهم عن النهضة التى تعيشها دولة قطر ، متعاونة مع أشقائها العرب ومع شعوب العالم لتحقيق العدل والسلام والرخاء لكل البشر .. وبأقلام هؤلاء السفراء والدبلوماسيين جاءت هذه الكلمات الموجزة المليئة بالمشاعر الفياضة الصادقة ونقدم هذه الكلمات القيمة للسفراء العرب حسب الحروف الأبجدية لأسماء الدول العربية :



جان ملحه
سفير لبنان



محمود مهدى
الوزير المفوض ـ المشرف على رعاية المصالح المصرية فى قطر



عبد الهادى بن جلون اندلسى
سفير المملكة المغربية



عيسى على اسماعيل
القائم باعمال سفارة سلطنة عمان

« عصرية » من معانى التقدم والنمو والنهضة والتطور فى كل ما يخص نواحي الحياة اليومية من اجتماعية واقتصادية وصحية وثقافية وعملية وتربوية وصناعية ورياضية وزراعية ..

كما اتيح لي بحكم تواجدي على اديم هذه الأرض الحبيبة خلال ما يقرب من ثلاث سنوات ان اشاهد عن كثب اهمية الجهود الموفقة التى بذلتها قطر ـ بقيادة راعيها وامامها ـ من اجل التنسيق بين الامكانيات المتكاملة والحاجيات المتشابهة لاقطار الخليج العربى .

وعلى هذا الأساس لعبت دولة قطر دورها الهام فى تحقيق ما وصلت اليه هذه المؤسسة العتيدة من نتائج مباركة فى مختلف الواجهات لمعركة الجهاد الاكبر من اجل سعادة المواطن الخليجي وتحقيق رخائه المادى والأدبى وتامين مناعته الكاملة .

محمـد المحرزي
سفير الجمهورية التونسية

● المسيرة المباركة ●

فى هذا اليوم الاغر مناسبة ذكرى الثانى والعشرين من شهر فبراير عام ١٩٨٤ م الذى يعتبر من الايام المجيدة الخالدة والسعيدة يوم تولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير البلاد مقاليد الحكم ، وعلى امتداد السنوات الماضية حققت دولة قطر انجازات كبيرة فى جميع المجالات سواء فى المجال الداخلى أو الخارجى اكدت بفضل المسيرة المباركة التلاحم بين الشعب وقيادته الحكيمة ، ففى هذه الذكرى المجيدة وعبر الحقبة الزمنية القصيرة الكبيرة فى طموحاتها وانجازاتها جسدت وترجمت هذه الانجازات والطموحات بفضل القيادة الحكيمة القوية الى افعال واعمال ، كل ذلك يستند على الارضية الصلبة التى ترتكز عليها حكومة صاحب السمو امير البلاد المفدى يسانده سمو ولي عهده الأمين .

فقد انتقلت البلاد من عصر الى عصر بخطى ثابته ومدروسة وانطلاقة واسعة وشاملة بكافة مجالات البناء والتقدم ، لبناء الانسان القطرى والأسرة القطرية الواحدة .

وفى مجلس التعاون الخليجى كان لدولة قطر شرف احتضان مؤتمر القمة الرابع لمجلس التعاون لدول الخليج العربية خلال شهر نوفمبر عام ١٩٨٣ ، وفيه أكدت حرصـــها الـــدائم على عمق تلاحمهـــا مـع اشقائها ، معززة هـــذا التـــلاحم لما فيه خير وامن دول المنطقة ، فالانجازات الكبيرة ، التى تحققت بفضل دول المجلس وما ترجمته من عطاءات خيره لابناء هذه المنطقة ، تدعم المسيرة الخليجية الواحدة نحو اهمية العمل المشترك بين دول الخليج العربى ، وتاكيد عمق تفاعلها مع القضايا العربية القومية .

وفى هذا اليوم السعيد انتهز هذه الفرصة المباركة لاشيد بالعلاقات القائمة بين المملكة العربية السعودية ودولة قطر الشقيقة القائمة على العلاقة الاخوية الصادقة القوية

كما وانه ليسرنى ان اشارك شعب قطر العظيم بفرحته بهذا اليوم المجيد ، منتهزاً هذه الفرصة لأرفع اخلص التهاني والتبريكات باسم حضرة صاحب الجلالة الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود وولى عهده حضرة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الله ابن عبد العزيز والنائب الثانى حضرة صاحب السمو الملكى

الأمير سلطان بن عبد العزيز والشعب السعودى الى مقام حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى وولى عهده الأمين والشعب القطرى الشقيق راجياً الله أن يعيد هذه الذكرى اعواماً عديده وان يحفظ دولة قطر الشقيقة من كل مكروه .

عبد المحسن السليمان الزيد
سفير المملكة العربية السعودية

● قطر وقضايا الأمة العربية ●

بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لتولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني مقاليد الحكم فى البلاد ، يسرنى ان اشارك اخوانى ابناء دولة قطر الشقيقة افراحهم بهذه المناسبة ويسعدنى ان اقدم التهنئة الى سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وسمو ولى العهد الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى باسمي شخصياً وباسم اعضاء سفارة الجمهورية العراقية فى قطر الشقيقة متمنياً لهذا البلد العربى وشعبه الأبي .. دوام التقدم والعز والمنعة .. وبالرغم من التحاقى بعملى قبل فترة قصيرة فاننى المس وبشكل مستمر الاهتمام والمتابعة من قبل اجهزة الدولة لتطوير الخدمات والسهر على راحة المواطنين والعمل الجاد والدؤوب لايصال فرص الحضارة والتقنية الى كافة ميادين العمل وتسخيرها لغرض التسريع فى تنمية امكانيات البلد والأخذ بيد هذا الشعب الشقيق نحو التقدم والازدهار .. وبكل اعتزاز اشير الى مواقف دولة قطر القومية فى قضايا الأمة العربية وخاصة ما يتعلق بقضية العرب الكبرى فلسطين والذى عبرت عنه كافة الأجهزة الرسمية والاعلامية بصدق العربى الحريص على مستقبل امته ، وكذلك الموقف الايجابى لدولة قطر الشقيقة من الحرب العراقية الايرانية ومطالبة ايران بالاستجابة الى نداءات السلام والحذو حذو العـراق عمـلا بروح الدين الاسلامى الحنيف .

اكرر تهنئتي لدولة قطر الشقيقة حكومة وشعبا داعيا الله جل وعلا أن يمن على هذا البلد الأمن باضطراد التقدم والرفاهية .. مع شكرى الجزيل لادارة مجلة الدوحة الغراء والعاملين فيها .. لاتاحة هذه الفرصة لنا للتعبير عن اعتزازنا بهذه المناسبة .

خالد عثمان الراوى
سفير الجمهورية العراقية

● قطر : مواقف وانجازات ●

تنسمت فيك يا قطر ، عطر لبنان وارزه الأخضر ، حيث تنبعث منه فى هذه الأيام الكالحة رائحة البارود .

وتوسمت بحكامك الميامين وعلى راسهم حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير البلاد كل الخير والسلام وهو الرائد والصانع والداعم لكل حركة عمرانية لبلده الطيب قطر ، ولشعبه المخلص .

فمنذ أن تولى سموه مقاليد الحكم فى مثل هذا اليوم ، نذر نفسه لتحقيق كل تقدم لحركته العمرانية هذه ليضمن لشعبه القطري الحبيب الازدهار المتواصل والمستمر والمتطور في كافة الميادين منها :

السياسية ـ عنيت الدستورية منها والتشريعية بالاضافة الى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها من الميادين التى يطول بنا ذكرها الآن ..

إن الدور الذى لعبته دولة قطر بالأمس ومازالت تلعبه اليوم وغداً ، لايسعـنا الحديث عنه لتعدد مراميه بل يكفينا ذكر الدور الذى تقوم به دولة قطر متجسداً فى مجلس التعاون الخليجي وما بذلت وتبذل فى سبيله من نشاطات مختلفة ، بغية تعزيز وتدعيم فعالية هذا المجلس وامانته العامة ومختلف اجهزته ولجانه .

وعلى صعيد علاقات دولة قطر الدولية فقد قامت بها تحت رعاية صاحب السمو ، اجهزة وزارة الخارجيـــــة ، خير قيـــام اذ تعمل هذه الأجهزة من اجل تحسين وتنشيط العلاقات الخارجية لدى كافة المحافل الدولية . في الأمم المتحدة ـ مجلس جامعة الدول العربية ـ والمؤتمر الاسلامي .

واخيراً لا يسعني هنا الا ان انوه بالعلاقات الثنائية المتينة القائمة بين دولتي لبنان وقطر منذ القدم وخير دليل على متانة هذه العلاقات وقوف دولة قطر الشقيقة واميرها بجانب لبنان فى محنته القائمة .

فباسم فخامة رئيس الجمهورية الشيخ امين الجميل وباسم الحكومة اللبنانية والشعب اللبناني وباسمى وباسم الجالية اللبنانية فى قطر ، اتقدم باصدق واخلص التمنيات لحضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني وولي عهده الأمين ولحكومته الرشيدة وللشعب القطرى الشقيق بان يعيد هذه الذكرى الطيبة عليهم جميعاً بالخير والسلام والازدهار .

جان ملحه
سفير لبنان

● الدوحة : لؤلؤة الخليج ●

يسعدنى أن اقدم على صفحات مجلة « الدوحة » الغراء تهنئة خالصة الى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر بمناسبة الذكرى الثانية عشرة لتولى سموه مقاليد الحكم فى البلاد .

وانتهز هذه الفرصة الطيبة لأسجل بكل الاعزاز والتقـدير ما لمسته وشاهدته شخصياً خلال ثلاث سنوات سعدت فيها بالعمل فى هذا البلد الطيب ، من تقدم ونهضة فى شتى نواحى الحياة ، والمثل العربى يقول .. « ليس من سمع كمن رأى .. » .

فاذا ما عدت بذاكرتى للفترة الأولى من وصولى الى أرض قطر الشقيق ـ ومقارنة بما كان وبما هى عليه الآن اجد الفرق كبيراً بين ما كان وما هو كائن .. لقد تحولت العاصمة « الدوحة » ـ خلال هذه الفترة الوجيزة ـ الى لؤلؤة تفخر بالصرح المعمـــارية والحضارية التى تتميز بها .. وتطورت معاهد التعليم وأصبحت جامعة قطر تقدم الخريجين فى كل عام من ابناء قطر الذين يعملون بنجاح فى ادارة البناء والتقدم .. ولم يكن التطور فى مجال الثقافة والفنون باقل مما حدث من تطور فى المجالات الأخرى .. وقد أضحى مسرح قطر الوطنى ، هذا التحفة المعمارية

نافذة على احدث ما يجرى على المسارح العالمية من مدارس فكرية وثقافية .. هذا الى جانب ما تزخر به البلاد من انشطة اخرى .. معارض وندوات ومواسم ثقافية وفرق مسرحية اهليه .. ناهيك عن المنجزات التى تحققت فى مجالات الاعلام والصناعة والزراعة والصحة وغيرها ..

والى جانب هذه المظاهر الحضارية التى تبشر بمستقبل زاهر لدولة عصرية تحتل مكانها اللائق بين الامم فان مواقف دولة قطر من مختلف القضايا العربية والعالمية اتسمت بالحكمة والاعتدال والروح البناءة فى طريق السلام والرخاء وهو ما اضفى على العلاقات بين الشعبين القطرى والمصرى روح المودة وكان حافزاً للمساهمة الناجحة بين الاشقاء المصريين لاشقائهم القطريين فى البناء والتقدم .

ولعل التحية التى أزجاها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك إلى اخيه سمو الامير فى حديثه التليفزيونى الى رئيس بعثة التليفزيون القطرى والذى شاهده الجميع خلال الأيام القليلة الماضية هو اصدق ما اقدمه فى هذه المناسبة .. لسمو الامير وللأشقاء القطريين .

محمود مهدى

الوزير المفوض ـ المشرف على رعاية المصالح المصرية فى قطر

● الأصالة العربية والاســـــلامية ●

... أن تسمع عن بلد وعن أوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. وتعجب بما تسمع .. فتلك قضية قد لا تستطيع ان تصدق بكل ما تسمع عنها .. لكن أن ترى من الداخل ما تسمع وما لا تسمع .. أن ترى منجزات ومنشات وتجهيزات مما سمعت واشياء اخرى انجزت بصمت وهدوء وقامت شاخصة ناطقة بالعمل المتقدم .. الهادف الى بناء الدولة وبناء المجتمع وبناء الانســـان اســـاس هـذا وذاك واســـاس المســـتقبل ، فتلك هى الحقيقة التى لا تســـمح بالشـــك أو الـتردد .

... ليس مهماً أن تملك دولة ما ثروة هائلة كثروة البترول .. بقدر ما هو مهم أن يكون مردود تلك الثروة يعود بالخير على شعب الأرض التى اختزنت تلك الثروة .. وايضاً على شعوب اخرى ممن لها علاقة ود وتعاون وسلام بشعب تلك الارض .

والارادة الطيبة .. مع الادارة الحكيمة التى امتاز بها عهد النهضة فى قطر بقيادة سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني الأمير المعظم ، لها أكثر من شاهد ثابت فى أى مجال من مجالات الحياة .. والشواهد كلها تسير فى اتجاه واحد وتعبر عن التمسك بالاصالة العربية والاسلامية .. وتنطلق بها لهضم واحتـــواء ما جاء به التقدم الحضارى والتقنية الحديثة ، والشواهد تقول إن العمارة حديثة ، والتجارة نشيطة ،والمعروضات كثيرة ومتنوعة،والعمل مضمون وموصول .. والأمن موفور والى جانب هذا فالمساجد بمآذنها العالية تتوسط الأسواق والمنازل والمؤمنون يندفعون اليها شيباً وشباباً .. والمدارس والمعاهد والكليات والنوادى الرياضية تحتضن اليها جموع الأطفال والشباب من ذكور واناث .. والشارع .. انيق ونظيف .. ومنسجم ، وبكل المعانى المادية والمعنوية ، انيق ، ونظيف ومنسجم كاحدى علامات الحضارة والمدنية .

... استصحاب هذا الحال يوجب الرضى فى نفوس الناس من مواطنين ومتساكنين بما يكفله هذا البلد الطيب لمن يعيش فيه ويعمل من اجله ، وبما يوفره من حماية ، فهذا الحال يقوم على :

ـ حماية الانسان بتامين الكسب الحلال لحياة كريمة .

حماية الفكر والروح من التشكيك والتخريب لصيانة المثل العليا والقيم السامية .

ـ حماية الانسان بتامين التطبيب والعلاج

ـ حماية الدولة والوطن بالاندماج فى حركات التعاون والتكافل مع الاشقاء والاصدقاء .

ـ حماية الانتماء الى المجموعة الاقليمية والقومية والمؤسسات والمنظمات الدولية .

... من هذا الواقع .. ومن موقع الاخوة الصادقة .. والتعاون المثمر الذي تتميز به العلاقات المغربية القطرية ، والتى يعمل الجميع على تطويرها وازدهارها .. يسعدنى كثيراً ان انقل للشعب القطرى الشقيق ، مشاعر المودة والوفاء من الشعب المغربى الذى يعيش ظروفاً مماثلة من العمل الدؤوب والنهضة الشاملة بقيادة مليكه جلالة الحسن الثانى،وان اتقدم باجمل التهانى وأبرك الامانى لكل فرد من أفراد الشعب القطرى الشقيق فى هذا العيد الوطني ، حيث تتمثل مسيرة نهضته وتقدمه وازدهاره وحيث يرسى القواعد الثابتة للدولة الاصيلة والحديثة بقيادة القائد الحكيم صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني .

عبد الهادى بن جلون اندلسى

سفير المملكة المغربيـــة

● بناء الانسان والمجتمع ●

المتتبع لحركة التنمية والنهضة الحضارية فى دولة قطر يلاحظ التطور والبناء الحضارى المدروس والسليم بفضل القيادة القطرية الرشيدة ، وبتوجيهات صاحب السمو أمير البلاد المفدى فنرى ان البلاد تموج بنشاطات بغير حدود فى مجال النهضة الصناعية والتنمية الاقتصادية والبناء العمرانى وبناء الانسان والمجتمع .

فان خط النهضة والبناء والرقى بالمجتمع والنهوض به يسير سيراً حثيثاً .

فهناك حركة صناعية منظمة تقوم على اسس ثابتة الى جانبها حركة فى مجال التطور والتوسع الزراعى والحيوانى للوصول الى مرحلة الاكتفاء الذاتى كما ان هناك حركة ثقافية واعلامية واجتماعية لتنمية قدرات الانسان وبنائه حتى تتواكب سلوكياته مع التطور الحضارى الذى تشهده البلاد ..

كما ان ما نشـاهده فى دولة قطر من تطور وتقـدم عمرانى وحركة تشييد على احدث التصاميم العمرانية العالمية مستقاة من واقع بيئتنا العربية الاسلامية .

كما اننا نلاحظ انفتاح دولة قطر على بقية دول العالم وارتباطها بالعالم الخارجى مما جعلها تتبوأ مكانه لها وزنها .

كما تعمل ايضاً الى جانب شقيقاتها فى دول مجلس التعاون بتنسيق وتحقيق مفهوم التعاون فى شتى مجـــالاته .

عيسى علي اسماعيل

القائم بأعمال ، سفارة سلطنة عمان بالدوحة

يا نسيم الصبح

شعر: الدكتور محمد فوزي مصطفى - جامعة قطر

يا نسيمَ الصّبْحِ من أرضِ قطرْ
طابَ فى العيدِ حديث وسَمَرْ
يملأ الدنيا طموحاً وفكرْ
كشعاع الشمس فى الكوْنِ عَبَرْ

•••

وَصِحَابِى لاَ مُعِينٌ لا خَبَرْ
وَرَفيقَ العمْرِ قَدْ مَلّ الضَّجَرْ
فى شَكَاةٍ وَحُرور وَسَقَرْ
عَبْقَرِيّ السِّرِّ فى صَمْتِ الحجَرْ

•••

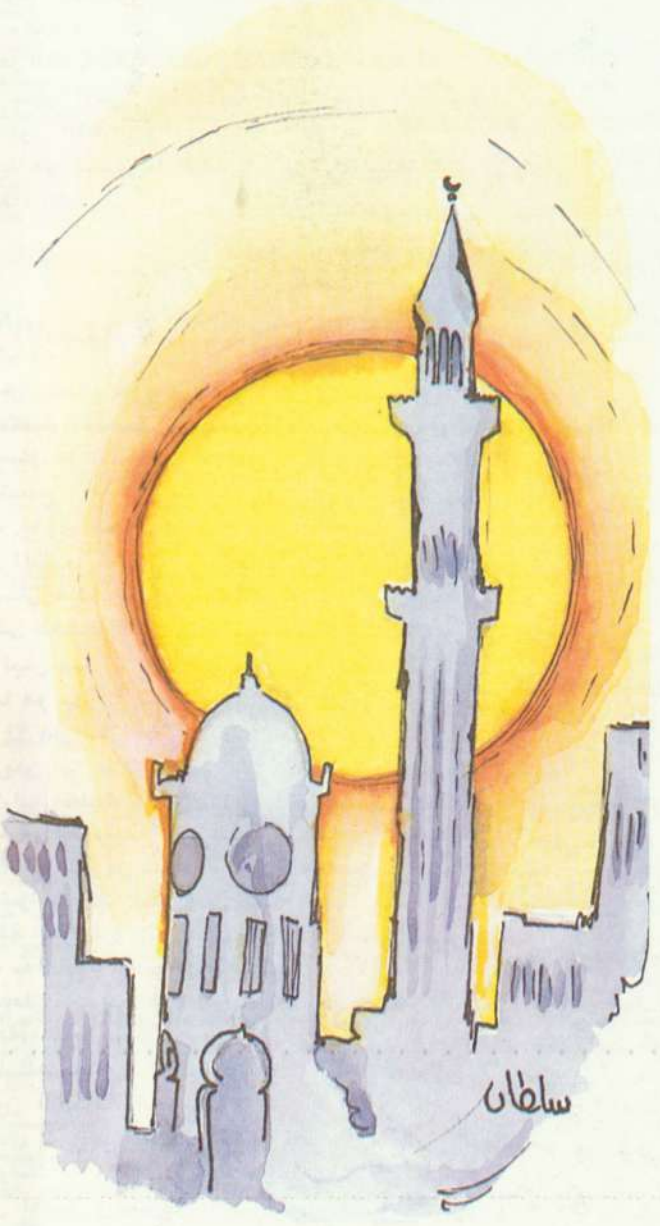
يَا غريبَ الدَّارِ قَدْ طَالَ السَّفَرْ
وَوَجِيبَ القلبِ فى النَّاسِ اشْتهرْ
وتَهَادَتْهُ العَذارَى وَتغنّاهُ الوتَرْ
إنّمَا الدُّنيا حَدِيثٌ وَفِكَرْ

•••

فاسْمعينَا لا نُبَالى بالْكَدَرْ
قَدْ طرَحْنَا الأمْسَ فى طَيِّ القَدَرْ
وَقَضَيْنَا الليْلَ فِى نَحْرِ السَّحَرْ
نَمْسَحُ الأَحزَانَ مِنْ وَجْهِ القمَرْ

•••

حَبّذا الأوْصَافُ فِى عِقْدِ الدُّرَرْ
همّةٌ تُحْيِى مِنَ المَوْتِ البَحَرْ
وَيَفيضُ العَذْبُ كَالنِّيلِ انْهَمَرْ
دُرّةُ الخُلْجَانِ فِى العِيدِ قَطَرْ



دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

الحكمة

يقول الله تعالى فى سـورة الاسراء (٢٣ - ٣٩) : « وقضى ربك : ان لا تعبدوا الا اياه ، وبالوالدين احسانا ... » الى أن يقول « .. ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ، ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى فى جهنم ملوما مدحورا » ..

ويشير بقوله : « ذلك مما أوحى اليه ربك من الحكمة » .. الى الوصايا العديدة التى ذكرت قبل الآية : ابتداء من عبادة الله وحده .. الى عدم الخيلاء فى حركة السير . وهذه الوصايا :

١ - عبادة الله وحده .

٢ - والاحسان فى معاملة الوالدين .

٣ - واعطاء حقوق ذى القربى ، واليتامى ، والمساكين .

٤ - والاعتدال فى انفاق المال على النفس .

٥ - وتجنب قتل الأولاد ، خشية الفقر .

٦ - وعدم الاعتداء على الأعراض بالزنا .

٧ - وعدم الاعتداء على النفوس بالقتل

٨ - وعدم المساس باموال اليتـامى والضعفاء .

٩ - والوفاء بالعهد .

١٠ - والعدل فى التعامل ، والوفاء بالحقوق والواجبات .

١١ - وعـدم التجسس ، وعدم تتبع مالا يغنى الانسان .

١٢ - وعدم الخيلاء فى حركة السير .

... وهى وصايا عملية فى سلوك الانسان حتى عبادة الله وحده ، تحدد منهج السلوك التطبيقى فى الحياة ، وتكون قواعد الاخلاق التى يجب أن يسير عليها الانسان .

وعقب أن يذكرها القرآن الكريم فى وصاياه - التى هى أوامر ، أو نواهي هنا - يشير اليها بانها وحى من « الحكمة » له : « ذلك .. مما أوحى اليك ربك من الحكمة » .. والحكمة اذن هى المناهج العملى للسلوك ، فى مقابل الاعتقاد . فاذا قرنت الحكمة بالكتاب - أى جاءت مقترنة معه - فى آية من آيات القرآن ، كما فى قوله تعالى :

« ولولا فضل الله عليكم ورحمته .. لهمت طائفة منهم (أى من المشركين الماديين الملحدين) ان يضلوك ، وما يضلون الا انفسهم ، وما يضرونك من شىء ، وانزل الله عليك : الكتاب .. والحكمة » (النساء : ١١٣) فالمقصود بالحكمة كذلك : المنهج العملى أو ما يسمى بالشريعة . اذ الشريعة هى الطريق ، والسبيل .. والمقصود بالكتاب ما تضمن العقيدة . واذن قول الله : « وانزل عليك الكتاب ، والحكمة » معناه : انزل عليك العقيدة .. والشريعة معا .. أى انزل عليك دينا متكاملا ، يمثل الاعتقاد الصحيح كما يمثل المنهج العملى السليم . ولذا كان التعقيب فى هذه الآية بقوله : « .. وكان فضل الله عليك عظيما » . لأن الجمع فى الوحي الى رسول من الرسل : بين العقيدة والشريعة .. يعبر عن ميزة الرسول وفضله بين الرسل .

وكذا قوله تعالى فى سورة البقـرة : « يؤتى الحكمة من يشاء ، ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا » (البقرة : ٢٥١) .. بعد تلك الآيات التى أوصت بالانفاق فى سبيل الله : ابتداء من قوله : « مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، فى كل سنبلة مائة حبة ... » الى قوله .. « الشيطان يعدكم الفقر ، ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم مغفرة منه وفضلا ، والله واسع عليم » (البقرة : ٢٦٩) .. فان الحكمة هنا أقرب الى المنهج العملى فى السلوك . لأن الانفاق سبيل وطريق عمل فى الحياة .

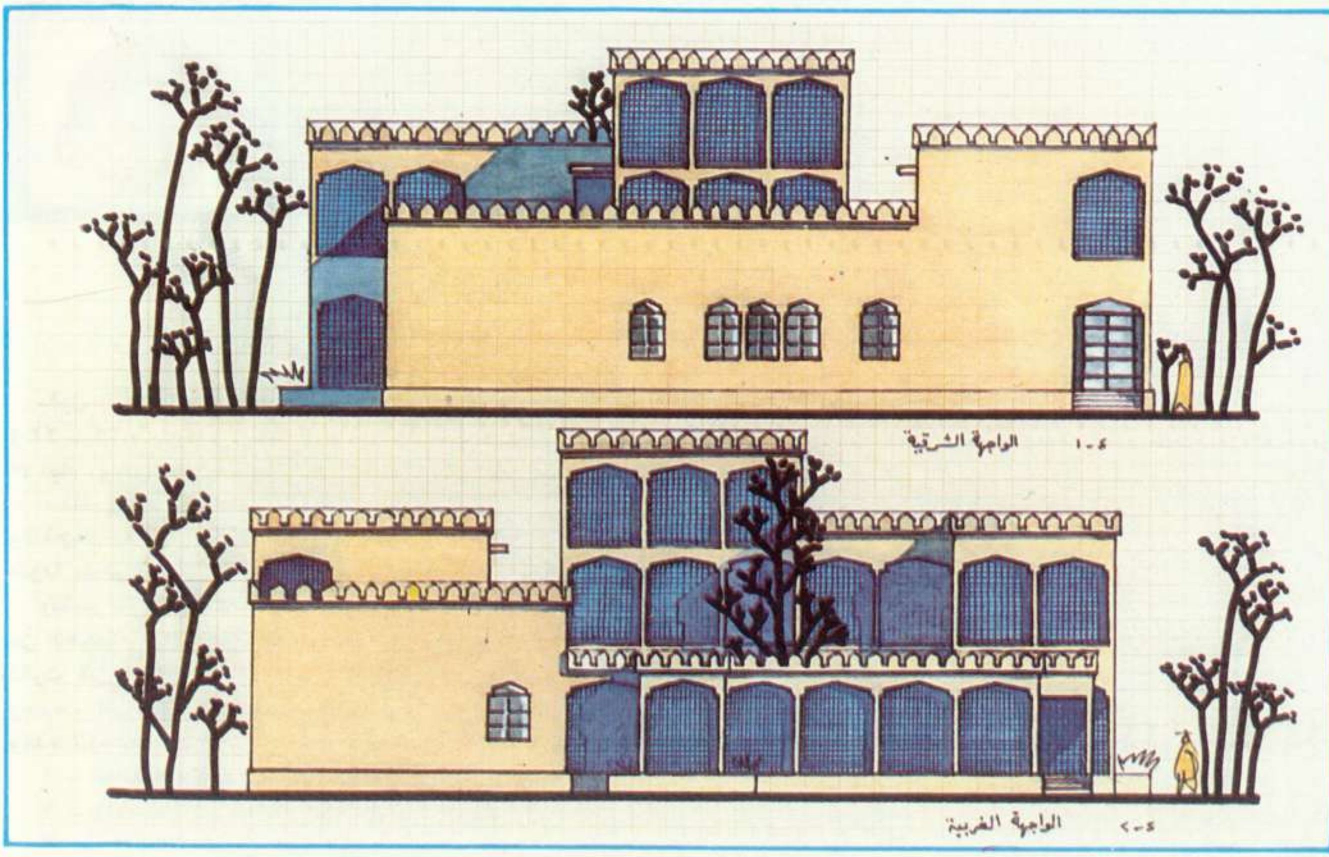
وعلى هذا النحو ما جاء فى قصة داود فى قوله : « ... وقتل داود جالوت ، وآتاه الله الملك ، والحكمـة ، وعلمه مما يشاء ... » (البقرة ٢٥١) .. فالحكمة التى اعطيهـا داود من قبل الله هى : الاخلاق والسلوك المستقيم . فقد عرف عنه انه كان ذا خلق كريم ، وذا شجاعة فى سبيل الايمان بالله . ولذا انتصر فى القتال ضد الأشوريين لتخليص أسرى بنى اسرائيل لديهم . وقد كان أسرهم الأشوريون فى حرب معهم : اذلوهم ، واقتحموا عليهم ديارهم ، وهدموا ما كان لهم من حضارة مادية ومعابد وبينها هيكل سليمان ، والى هذه الهزيمة يشير القرآن الكريم فى سورة الاسراء :

« وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا (أى لتطغون طغيانا ظاهرا) . فاذا جاء وعد أولاهما (أى وعد عقاب الأولى) بعثنا عليكم عبادا لنا أولى باس شـديد (وربما يقصد القرآن الأشوريين هنا) فجاسوا خلال الديار (أى اقتحموها واهلكوا ما وجدوا فيها) وكان وعدا مفعـولا » (الاسراء : ٤ ، ٥) (أى ناجزا ونافذا) .

وعلى هذا المعنى يحمل مفهوم : « الحكمة » - وهو معنى الشريعة أو المنهج العملى والاخلاقى للسلوك - اذا جاءت كلمة الحكمة فى آية وحدها ، أو مقترنة مع كلمة : « الكتاب » . على أن يقصد بالكتاب عندئذ : ما يحدد مضمون العقيدة . كما فى قوله تعالى : « هوالذى بعث فى الأميين رسولا منهم : يتلو عليهم آياته (أى آيات الله التى يوحي بها اليه مما يشمل الشريعة ، والعقيدة معا) ويعلمهم الكتاب (أى العقيدة) والحكمة (أى الشريعة وآداب السلوك) وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (الجمعة : ٢) .

وفيما يقوله جبريل - مبشرا مريم بعيسى المسيح عليه السلام - ردا على سؤالها : « قالت ربى : انى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر ؟ قال : كذلك ، الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فانما يقول له : كن فيكون . ويعلمه الكتاب (أى العقيدة) والحكمـة (أى الشريعة) و التوراة والانجيل (أى ما يجمع الأمرين من عقيدة وشريعـة) ورسولا الى بنى اسرائيل ... » (آل عمران : ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩) .. وفيما يقوله جبريل هنا فى هذا الحوار : من كتاب ، وحكمة .. لا يخرج معناهما عما ذكر من قبل .

وذكر التوراة والانجيل بعد ذلك هو ذكر لما عرف عند بنى اسرائيل مما يعم العقيدة ، والشريعة .. وتاكيدا بأن رسالة عيسى هى فى نطاق ما جاء به موسى من قبل . وبذلك تكون حجته فى بنى اسرائيل حجة واضحة



الواجهتان : الشرقية والغربية للبيت الخليجى الذى يطالب الفنان بضرورة الحفاظ على ملامحه فى المبانى الجديدة

فنان كويتي يحاول إنقاذ البيت الخليجي



الفنان الكويتى احمد زكريا الأنصارى

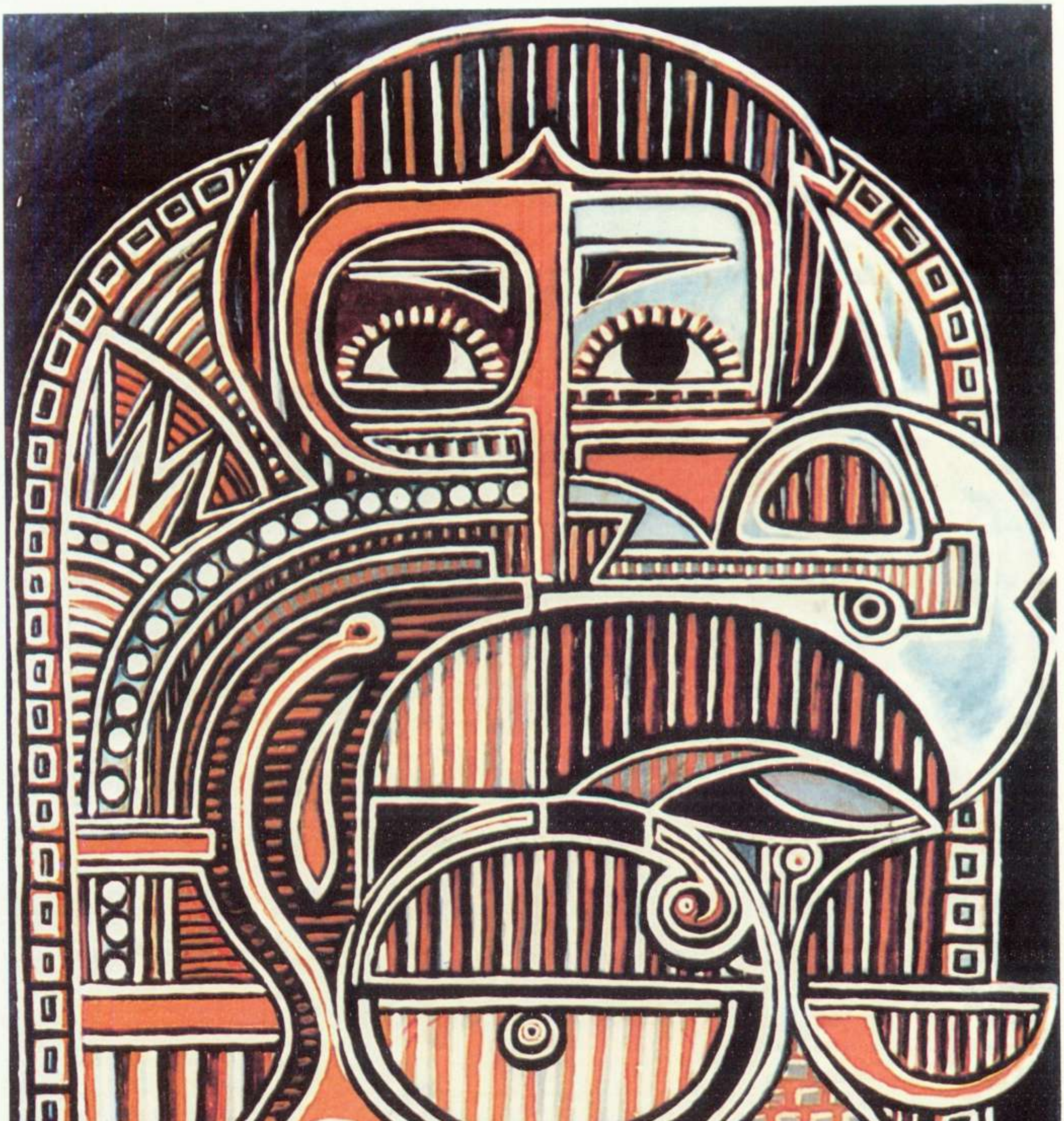
بقلم : يوسف أحمد

يلعب الفن المعمارى دوراً هاماً فى تعديل سلوك الفرد فى الدول المتقدمة ، وتاخذ هذه الدول على عاتقها تحديد مساره واشكاله مترجمة بذلك افكارها وظروفها الاجتماعية والبيئية والاقتصادية .

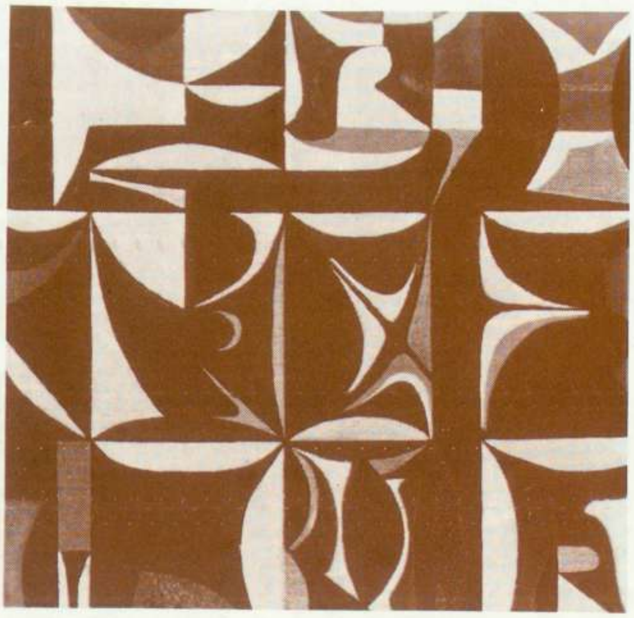
ولقد كان الفن المعماري فى الخليج قبل مائتي عام يفى بحاجات ومتطلبات مواطنيه ، فنجد ان تصميم البيت الخليجى لا يعدو اكثر من فناء كبير تحيط به غرف النوم والمطبخ والحمام ، بحيث يتيح هذا البيت الفرصة الكبيرة لمعيشة عدد كبير من افراد الأسرة ، ويساهم بشكل طبيعى فى تكوين علاقاتهم الاجتماعية الوطيدة !

وقد كان التصاق هذه البيوت فى شكل أفقي ومتراص إنما هو ترديد طبيعى لما كان عليه اهل زمان من مودة ومحبة وإخاء ساعدت على ترابطهم وتماسكهم واهتمامهم بتبادل الزيارات وحل المشاكل والمشاركة الجماعية فى الافراح والاحزان !

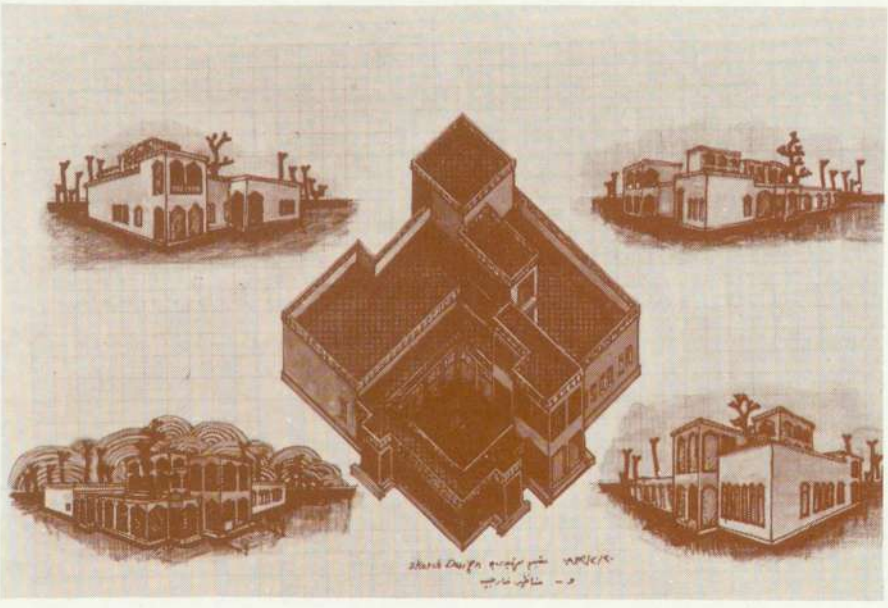
اما اليوم ونتيجة للقفزة التى طرات على منطقة الخليج نتيجة للثروة البترولية الهائلة التى غيرت الكثير من التقاليد والتى جعلت العديد يجرى وراء وهم المدنية الزائفة التى هى بحق اغرب الغرائب على مجتمعنا المعاصر ، فقد وجدنا اننا معرضون خلال السنوات المقبلة لحقيقة مؤسفة تقول ان المعمار



إحدى لوحات الفنان التى تتميز بأسلوبها الخاص .. اللوحة أطلق عليها اسم : الحجاب



تصميم جدارى لحائط سيراميك .. من اعمال الفنان التى حاول فيها الربط بين الشكل والألوان



مناظر خارجية للبيت الخليجى الذى يرى الفنان انه يتيح فرصة كبيرة لمعيشة عدد كبير من افراد الاسرة ، ويساهم فى تكوين علاقاتهم الاجتماعية الوطيدة .

الخليجى سيلفظ انفاسه الأخيرة ، مسدلا بذلك عصراً ذهبياً كانت منطقتنا تتميز به بين كافة المجتمعات .

وبسبب هذا الخطر المقبل ، انبرى بعض المهتمين بهذا الفن وبعض عشاق التعلق بهذا التراث الفنى ، وخرجوا ببعض الحلول والطرق للحفاظ على ما تبقى من تراث معمارى وانقاذ ما يمكن انقاذه من هذا الفن الجميل ..

ومن بين المهتمين بهذا التراث العظيم الفنان احمد زكريا الأنصارى ، الذى قرر أن يسلك هذا الطريق الوعر حتى لو اصطدم ببعض الأفكار المعارضة لتطلعاتـــه وتصوراته .

فاحمد زكريا الأنصارى تربى وترعرع فى مدرسة والده التى كان يشرف عليها خدمة منه لأبناء الحي والأحياء المجاورة حتى دخل مدرسة المباركية فى الكويت عام ١٩٤٢ ، وهنا بدات مرحلة التامل فى حياته حيث التقى بخبرات أساتذته واستفاد من مهارتهم فى النحت والتصوير

ووجد فناننا نفسه مغرماً بتصميم البيوت والنماذج للاحياء القديمـــة ، مستخدماً فى تنفيذها العلب الفارغة والأدوات البسيطة ، وهنا تاصلت فى اعماقه روح الموهبة ، فارسلته دولة الكويت الى مصر لتكملة المرحلة الثانوية فى المدرسة السعيدية والتحق بعدها مباشرة بجامعة الاسكندرية ليدرس فن العمارة ، وفى هذه المرحلة قدم عدة دراسات بديعة لفن المعمار المصرى القديم وللاعمدة الفرعونية ، حتى انهى سنته الاولى فى الاسكندرية ، ليغادرها الى انجلترا حيث التقنيات الحديثة فى التعليم المعمارى واسلوب التدريس المتقدم الذى ينمى موهبة وافكار الطالب عن طريق تشجيع آرائه وتصوراتـــه الخاصة فى المنهج الدراسى !

وعاد الى الكويت عام ١٩٥٦ ليعمل مساعد معمارى فى القسم الهندسي التابع لدائرة المعارف ، وفى هذه الفترة قام بتصميم عدة مدارس حكومية منها مدرسة المتنبي والامين والمامـــون ومدرسـة جول جمال التى سميت فيما بعد بمدرسة « حولي » والتى جاء تصميمها مطابقاً للبيوت الشعبية القديمة فى الكويت ، حيث الفصول تحيط بالفناء وحيث الأرض الفضاء واماكن تسلية الأطفال !

وبهذا التصميم الشعبى يكون احمد زكريا الانصارى أول معمارى كويتى ربط الطفل ببيئته وحيه القديم ومدرسته !

وما ان انجز فناننا هذا التصميم حتى اوفدته دائرة المعارف عام ١٩٥٨ الى ايطاليا لدراسة الفن المعمارى الايطالى الذى كانت تتميز به ايطاليا ـ خاصة ـ فى القرن الرابع عشر وحتى القرن التاسـع عشر ، وعاد إلى الكويت مرة اخرى عام ١٩٦٠ ليعمل فى وزارة الأشغال ليرسل مرة اخرى الى لندن ليتخصص فى التصميم الجداري الذى كان شغله الشاغل ، حيث ابدع فيه مستخدماً البعد الواحد فى احياء الكتابة والتعامل معها تعاملا تشكيلياً ، وفى هذه الفترة انجز عمـلين هامين ، احدهما لمكتبة مركزية جديدة لمدينة فى جنوب (ويلز) ، والآخر لسكن للطلبة فى لندن .

وبعـد ذلك عـاد إلى الكويت ليعمل رئيساً لمكتب البرمجة والتخطيط بوزارة الأشغال العامة ، وتوج خبرته الطويلة باصدار كتاب ضخم يقع فى حوالى ٣٠٠ صفحة من القطع الكبير عن تصوراته وافكاره فى مجالات عديدة من الفنون المرئية والسمعية .

ان هذا الكتاب بحق يعتبر عملة نادرة فى منطقة الخليج ، حيث أن المؤلف قد بذل جهداً كبيراً لاصداره ، واستعرض فيه انجازاته وتخطيطاته تحت عنوان : افكار وتصورات حيث التخبط العشوائي فى التصاميم الهندسية والمعمارية .. فقد انتقد المعمار فى هذه الأيام حيث الابواب مفتوحة على مصاريعها (. لا فى الكويت



نحت من خشب « التيك » صممه الفنان واهتم فيه بجراءة الكتلة ، والعمل يعود انتاجه إلى عام ١٩٦٤

فحسب بل فى منطقة الخليج) نتيجة الهجرة الأجنبية ومعتقداتها وافكارها وظروفها النفسية والاجتماعية ، ونتيجة ايضا للترف المادى الذى اصاب المواطن الخليجى وجعله يستعين بمهندسـين غرباء على المنطقة ، لا يفهمون ظروفها الاجتماعيـة والنفسية ، حتى تراكمت العمارات ذات الزجاج اللامع وكانها علب خاوية لا تلمس المشاعر والوجدان الخليجى !

لقد صرخ احمد زكريا الانصارى من الجهة الغربية للخليج العربى محذراً المسئولين فى المنطقة حتى يسارعوا للابقاء على الرصيد الحالى وحتى يتحركوا فى ظل احتياجات المنطقة !

ويستعرض الفنان المعمارى احمد زكريا فى الفصول الأربعة التى حواها كتابة القيم ، آراءه فى تعريف الفن والأصالة فى العمل الفني وضرورة الفن كقيمة أساسية فى حياة الانسان وكيف ان هذا الفن يعد مظهراً حضاريا لكل مجتمع ، ويستعرض - كذلك - مفاهيم التذوق الفنى العام وأسباب هبوط المستوى الفنى الحالى ، وتغلب العصر المادى على بعض المفاهيم تحت ستار التطور التكنولوجى !

ويؤكد كتابه على دور الفن والصناعة فى خدمة انسان العصر الحديث ، ويتطرق الى الفنان الموهوب كثروة قومية يجب ان نحافظ عليها ونفتح كل الطرق لرعايتها واحاطتها بكل عوامل النجاح .

ويتناول فناننا فى الفصل الثانى من كتابه ، اهمية العمارة واشكالهـا وتصميماتها والدور الذى تلعبه فى تنمية ذوق المواطن وانعكاسه على سلوكه اليومى ، ويتناول قضية المباني التعليمية حيث انه عاصر هذه المشكلة ووقف على مشاكلها ووضع حلولا لها !

وفى الفصل الرابع نراه يضع الحلول لملامح المستقبل مشيراً فى ذلك الى الدور الكبير الذى تقوم به الأجهزة الاعلاميـة والثقافية والتخطيطية ، ويشير فى نفس الوقت الى الشارع الكويتي بما يتضمنه من عمائر ومبان وحدائق ، مؤكداً بانه لا خلاص لنا من هذه الفوضى المعمارية الا باحترام الانسان مادياً وروحياً والانتقال به من مادية التمدن الى الحضارة الحقه حيث الحق والخير والجمال .

انه يقول فى احدى مقدمات كتيباته التى اصدرها بمناسبة اقامة احد معارضه عام ١٩٦٧ عن التصميم الجدارى : « إن التصميم الجدارى ملازم للعمارة على مر التاريخ ، وقد عرفته شعوب كثيرة وبخاصة التى سكنت منها البلاد العربية مثل الفراعنة ، والآشوريين ، والبابليين والفينيقيين ، والحميريين ، واخيراً الدولة الاسلامية .. وقد اصبح هذا الفن ضرورياً بالنسبة للعمارة الحديثة ، لانها خالية من الحليات والنقوش ، وتسيطر على تصميماتها ميكانيكية العصر المادى الذى يعيش فيه » .

وعندما يتحدث عن الاصالة والمعاصرة فانه يقول : « قد يقول قائل ان ما سيراه فى اعمالى لا يمثل البيئة . وهذا عدم فهم ، لانى لا احتاج الى تصوير « بوم » او امراة « لابسة » عباءة حتى امثل بيئتى ، فانا قبل كل شىء عربى ، ولدت وعشت بالكويت وعاصرت ايام الشدة والرخاء فى بلدى ، غنيت وصفقت مع البحارة للغوص والسفر ، غنيت السامري ، وركبت الجمل ، وعشت فى خيمة بالصحراء ، والفن الكويتى متفاعل مع نفسى ، إذن فكل تصميم أو خط اخطه سيكون نابعـاً من أعماقى ويمثل بيئة بلدى ! » .

هذا هو احمد زكريا الانصـارى الـذى يعتبر من الفنانين القلائل فى منطقة الخليج الذين اهتموا بفن العمارة الخليجى ، واستطاعوا بعد عناء طويل ومشقة الالتزام بتقديم فن العمارة الخليجى من منطلق حضـارى لهذه المنطقة المعطاة .

يوسف أحمد



(١) هذه الرقبة الطويلة المنتهية براس صغيرة مستطيلة ، قد تعنى اشياء .. هل هى لوحش بحيرة نيس الذى ظل جسمه الكبير مغموراً فى الماء ؟ ام لكتلة خشبية طافية ؟ .. ام لذيل حيوان ؟ .. ام خدعة ضوئية ؟ .. لا احد يدرى يقينا .

على هامش ظواهر حيّرت الناس

وحش البحيرة المنقرض هل عاد وظهر ؟!

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

على شاطىء بحيرة نيس ـ المشهورة في اسكتلندا باسم « لوخ نيس » ـ وقف الايرلندي « كولامبا » بين بعض رجاله في انتظار قارب ياتيه من الشاطىء الآخر ، ولقد تطوع أحد رجاله في أن يسبح لاحضاره من حيث يرسو هناك ، خاصة وان اتساع البحيرة في هذا المكان لا يزيد عن الميل ، وبينما هم يرقبون الرجل الذي كان يندفع في الماء بمهارة فائقة ، انشقت البحيرة فجاة عن وحش مخيف يزار كالرعد وينطلق بفمه الواسع المفتوح ليلتهم الرجل وتجمدت الدماء في عروق الجميع ، ونظروا الى كولامبا عله يفعل شيئاً ، فرأوه وقد رفع يديه نحو السماء خاشعاً ، والى الله متضرعاً وداعياً ، ثم الى الوحش آمراً « لا تذهب الى أبعد من ذلك ، ولا تلمس ذاك الرجل ، ولتسرع بالعودة الى الأعماق من حيث أتيت » !

هذه القصة الغريبة يرجع تاريخها الى أكثر من ١٤ قرنا ، وكانت قد كتبت بعد موت كولامبا بمائة عام واضيف لها : أن الوحش الرهيب قد اذعن بالفعل لامر كولامبا ، وغاص في البحيرة ، ولم يتعرض بعدها لانسانٍ باذى على الاطلاق !

قد تكون هذه القصة مريحة ومقبولة للذين يعتقدون في الخوارق ، الا انها قد لاتكون كذلك بالنسبة للعلماء الذين يتوقون للكشف عن طبيعة هذه الظواهر المثيرة ، فالذي كان يهمهم حقاً ، هو أن يحصلوا على وصف ـ ولو موجز ـ لشكل هذا الحيوان الأسطوري وحجمه وطوله وعرضه علهم يعرفون شيئاً عن هويته ، لكن يبدو أن القصة كانت رمزاً لواحدة من الخوارق ، ولهذا فلم تضف الى العلم شيئاً مذكوراً !

الظاهرة تتكرر في القرن العشرين

لكن هذه القصة التي يرجع تاريخها الى عام ٥٦٥ م ميلادية قد ظهرت من جديد في



(٢) صورة اخرى لوحش البحيرة ـ كما يدعى الذى التقطها .. صحيح ان لها راسا ورقبة وجسما .. لكن ماذا تخفى تحتها ؟ .. لم يستطع احد حتى الآن ان يتحقق من هويتها ، فربما كانت شيئا طافيا ، وليست كائنا حيا .



(٣) تبدو كانما هى لكائن تحت مياه البحيرة ، او انه ينطلق سابحا تحت السطح مباشرة ، لكنها قد تكون خدعة تصويرية او ضوئية .





(٤) دنسديل يرقب سطح البحيرة من خلال الة تصوير سينمائية عله يلتقط شيئا ، فيعود بالخبر المثير .. والصورة التى بجانبها لمجموعة من العلماء الذين يبحثون عن الوحش فى الاعماق من خلال جهاز « السونار » الذى بدا يتدلى فى الماء

عام ١٩٣٣ ، وبصورة أكثر اثارة ، لكن بدون معجزات هذه المرة ، اذ بينما كان الجراح الانجليزي جوم ماكاي وزوجته يتجولان على شاطىء البحيرة ، لفت نظرهما جسم غريب له ما يشبه الرأس المدببة ، والرقبة الطويلة ، ومن حسن حظهما انهما كانا يحملان معهما آلة تصوير ، فالتقطا له صورة (شكل ١) ، فنشرتها جريدة اسكتلندية محلية مع تعليق مختصر ، ومن الصحيفة انتقل الخبر الى صحف لندن ومنها الى بعض صحافة العالم وقتذاك ، حيث أثار اهتماماً كبيراً بين الناس ، خاصة وان بعضهم كان قد سمع من قبل أن البحيرة مسرح لنوع من الحيوانات الضخمة التي كانت تعيش في عصر الديناصورات التي انقرضت منذ حوالي ٧٠ مليون عام !

من هنا بدأت القصة الحقيقية للبحث عن هذا الوحش الخرافي ، فسارعت جريدة « ديلي ميل » اللندنية بارسال بعثة الى البحيرة ، وكانت مكونة من ثلاثة : رئيسها عضو منتسب الى الجمعية الملكية لعلم الحيوان ، ويصاحبه صحفي ومصور ، وظل الثلاثة يطوفون حول شاطىء البحيرة اياماً علهم يسجلون فيها شيئاً ، لكن محاولاتهم لم تسفر عن شيء ، ولم تشأ المجموعة أن تعود بخفي حنين ، اذ وجدت على الشاطىء آثار أقدام كبيرة وغائرة ، فالتقطوا صورها وعادوا لنشرها ، وتطوع عضو الجمعية في كتابة تقرير عنها ، وأشار الى أنها قد تكون للوحش الذي يسكن البحيرة ، وذهب خياله الى أبعد من ذلك وقال : انه من الحيوانات البرمائية الضخمة ، اذ قد يحلو له أن يخرج ويتجول على الشاطىء ، ثم يعود الى البحيرة ليختفي فيها !

لكن مما لا شك فيه أن القفز الى الاستنتاجات بمثل هذه السرعة ربما بغرض الاثارة ، أو لتحقيق سبق صحفي ،

وحش البحيرة المنقرض

هل عـــادوظــهــر؟!

عادة ما يجـر الى اخطـاء فاحشــة ، فسر ازدهار العلم ، وجدية مساره ، ومصدر احترامه ، يرجع الى رقابة العلماء على العلماء ، فاذا حاد احدهم بشطحات افكاره عن الطريق القويم ، قوموه ـ ليس بالسب او التحقير والتشهير وما شابه ذلك ، بل بدراسة الظاهرة دراسة متانية ، أو باعادة التجربة مرة ومرات ، ذلك أن الحد الفاصل بين الغث والسمين ، يكمن اساساً في التجربة العلمية التي تسير على مناهج واضحة .

ولـقد كـان أول من اضير في هــذه الاستنتاجات المتسرعة الجمعية الملكية نفسها ، اذ أن المتحدث كان واحداً من المنتسبين اليها ، ومن اجل هذا سارع بعض اعضائها لدراسة الظاهرة ، فظهر أن طبعة الاقدام ليست الا لشيء قريب بطبعة القدم اليمني الخلفية لفرس النهر ، وسخر احدهم من ذلك وعلق قائلا : ان اثر القدم هو طبعة متقنة لقاعدة حامل مظلة شاطىء بحر كانت على هيئة قدم فرس النهر ، كما أرادهـا صاحبها الساكن فى « لوخ نيس » .. وكان هذا التهكم الواضح بمثابة القشة التي قصمت ظهر البعير !

وصور أخرى لها حكايات

لكن الصورة التي التقطها الجراح قد جذبت انتباه الكثيرين ، وكان لابد من تعليل ، وظهر لها مؤيدون ومعارضون ، وظلت الأمور حائرة بين الشك والرفض واليقين ، وبقيت هكذا معلقة بضع سنين ، فظهرت اثناءها تعليقات وتفسيرات ، بعضها يرفض الظاهرة واخرى تؤيدها .. فاما المؤيدون فقد ذهبوا الى القول بان سبب ظهور هذا الحيوان الغريب يرجع الى الضوضاء الشديدة التي حلت حول شواطىء البحيرة لانشاء طريق مرصوف في بداية الثلاثينات من هذا القرن ، وفيه استخدم المهندسون المتفجرات لازالة بعض العوائق والصخور ، فازعجت الحيوان الذي ظل مختفياً عن العيون ، وعندئذ اندفع الى السطح وكانما هو يهرب من قضاء الى قضاء !

لكن الرافضين أرجعوا الظاهرة الى جذع أو فرع نبات ربما كان يكمن فى القاع او مغموراً تحت سطح الماء ، وحدث فيه تخمر أدى الى انطلاق غاز ثانى اوكسيد الكربون ، فتجمع الغاز فى فجوات الى ان رفع الكتلة وطفا بها الى السطح ، أو قد يكون ذلك لذيل حيوان القضاعة او ثعلب الماء طويل الذنب ، وأن الصورة قد التقطت فى وضع غير مضبوط ، وهم يستبعدون وجود حيــوان ينتمى الى عصــــر الديناصورات بعد ان حل بها الانقراض منذ زمن سحيق .

ثم تجيء صورة اخرى مثيرة بعد ١٨ عاماً من صورة الجراح ، ففى الصباح الباكر لأحد أيام عام ١٩٥١ ، وبينما كان المدعو لاكلان ستورات متجهاً الى حظيرة مواشيه الواقعة قرب شاطىء البحيرة لاحظ وجود شيء من الاضطراب على سطح الماء ، ثم اذ بثلاثة اجسام تشبه سنام الجمال تطفو ، ومن حركتها تجاه الشاطىء تاكد انها لحيوان واحد ، وهنا اسرع الرجل عائداً الى منزله ، ثم عاد مهرولا وبصحبته آلة تصوير ، ورجل اخر من عائلته ليؤمن على ما راى ، واستطاع ان يلتقط صورة للجزء الطافى من الحيوان وهو يسبح على مسافة من الشاطىء قدرت بحوالى ٥٠ متراً (انظر شكل ٢) .. ومرة أخرى أثار نشر هذه الصورة فى الصحافة اهتماماً كبيراً فى بريطانيا وفى غيرها من الدول ، ومـع ذلك فقد اختلفت حولها الآراء .

وزاد الاهتمام بوحش البحيرة اكثر عندما ظهرت صورة اخرى لحيوان طاف على الماء يشبه القارب المقلوب ، ويرتفع عن السطح حوالى المتر وربع المتر ، وحوله كان الماء يضطرب أو يتموج كلما تحرك أو سكن أو غطس .. ومن ثم فقد تحمس مهندس الطيران « تيم دنسديل » لهذه الظاهرة ، وأراد أن يضع حداً للشكوك التى تثور حولها ـ خاصة من العلماء الحريصين على عدم اللغو فى مسالة شائكة اختلفت فيها أراء الناس ، وتعددت أوصافهم ، حتى لكانما البحيرة تموج بمئات الانواع من الوحوش الضخمة التى لا يجد العلماء لها فى مراجعهم اية أوصاف يمكن أن يستدلوا منها على نوعها وجنسها ورتبتها بين الكائنات .. ذلك أن عدد المشاهدات التى ترددت بين الناس قد وصل الى ما يقرب من ثلاثة آلاف مشاهدة ، وكان معظمها خدعا بصرية ، أو تموجات مائية ، أو انعكاسات ضوئية (شكل ٣) ، أو أجساماً طافية ، أو تخيلات اطلقها بعض المخمورين ، او روايات كاذبة كانت تتلقاها الصحافة ، وتجد فيها مادة مثيرة ، فتسارع بنشر الحكاية مع صورة صاحب الرواية الذى يسعده ذلك سعادة بالغة .

لقد كان من المعروف ان دنسديل مصور بارع ، ولهذا فقد حمل معه آلة تصوير سينمائية فى عام ١٩٦٠ ، واستاجر قارباً ، وعاش فيه على سطح البحيرة متجولا ، عله يلتقط لهذا الوحش الخرافى فيلماً متحركاً ، فيكون له ولغيره خير دليل على مسالة طال اللغو فيها ، دون أن يصل فيها أحد الى راى قاطع (شكل ٤) .

وبالفعل نجح دنسديل فى التقاط بعض الصور لشيء يطفو على الماء ، وله جسم مقوس كالسنام ، ويسبح بسرعة مبتعداً عن الرجل الى ان غاب ، وعندمـــا عرض التليفزيون البريطانى هذا الفيلم المثير ، واستضاف له العالم البريطانى موريس بيرتون ليقول فيه رأيه ، اصيب دنسديل والمشاهدون بخيبة أمل ، اذ قال عالمنـــا البيولوجي : ان الصور تشبه صورة قارب ذى محرك نفاث وهو ينطلق بسرعة بعيداً عن عدسة المصور !

البحث الجاد يأخذ مجراه

واستمرت اللعبة ، وكانما حالها كحال المشاهدات والحكايات التى يتناقلها الناس وتذيعها اجهزة الاعلام عن ظاهرة غزو الأرض باطباق طائرة تحمل مخلوقات عاقلة من الفضاء .. اذ تظهر هذه الحكايات فترة وجيزة ، ثم تختفى لفترات طويلة ، لتعود وتختفى .. وهكذا حكاية وحش البحيرة ، اذ كلما اذاع احد الناس خبراً ، تناقلته الصحافة ، فتصيب الناس بمزيد من الهوس ، والعلماء بمزيد من الأرق ..

وارقهم نابع من مطالبة الجماهير لهم بابداء رايهم فى مســـالة هى من صـــــميم اختصاصهم ، وهم لا يستطيعــــون أن يشيدوا حكمهم على اقوال تتردد بين الناس دون أن يساندها دليل ، والدليل يستلزم بحثاً علمياً جاداً ، والبحث يحتاج الى تمويل ، والتمويل يتطلب ميزانيـــة ، والميزانية قد لا تكون متاحة .. الى آخر هذه الحلقات المفرغة .

فى بداية الستينات من هذا القرن تكونت هيئة شبه علمية اطلقت على نفسها اسم « المكتب الاستطلاعى لبحيرة نيس » ، وكان يراسها عضو البرلمان الانجليزى الأسبق دافيد جيمس ، ويعاونه اثنان من العلماء البيولوجيين ، وانضم اليهم افراد

من المتحمسين والمتطوعين للكشف عن هذا الوحش الغريب .. ومن بينهم محامون ومهندسون وصحفيون ومصورون .. الخ ، وبدأ تمويل الجمعية من جمع الاشتراكات من اعضائها ، وكان التمويل الأكبر - بطبيعة الحال - من الرئيس ، ولقد انشات الجمعية مراكز مراقبة ، زودتها باجهزة تصوير متطورة ، ومناظير مقربة ، وكل ما يلزم لاستطلاع سطح البحيرة من اولها لاخرها ، وهو امر ميسور ، اذ ان طول البحيرة حوالى ٣٧ كيلو متراً ، متوسط اتساعها ١٦٠٠ متر ، واعمق بقعة فيها ٢٣٠ متراً .

ورغم ان آلات التصوير ووسائل الملاحظة كانت تغطى البحيرة باكملها ، ورغم ان الرصد قد استمر شهوراً طـويلة (خاصة أشهر الصيف حيث تتيسر الاجازات للاعضاء ، وحيث المنـــاخ الاسكتلندى مناسب) .. ورغم آلاف الصور التى جمعت - رغم ذلك فلم تسفر هذه المحاولات عن شىء يذكر ، اللهم الا بعض صور جد قليلة لا تختلف كثيراً عن الصور التى التقطت من قبل .

وفى نهاية الستينات وحتى ما بعد منتصف السبعينات ، دخل العلم بثقله وخططه واجهزته ، وطبيعى أن العلماء هنا لا يفعلون كما يفعل الناس ، فلا يقفون على الشواطىء فى انتظار ظهور الشىء ، فيلتقطوا له صوراً ، فهذه وسائل بدائية ، لاتسعف فى البحث الأصيل ، ولا تشفى الغليل .. بل عول العلماء من البداية على اقتحام البحيرة ذاتها ، والبحث فى اعماقها ورصد ما يجرى فى جنباتها .

ورسمت الخطط ، وتقدمت اليابان باحسن ما لديها من أجهزة التصوير تحت الماء ، وساهمت جامعتا اكسفورد وكامبريدج ببريطانيا بخططهما وبعض اجهزتهما وعلمائهما ، وشاركت الولايات المتحدة ممثلة فى أكاديمية العلوم التطبيقية ببوسطن باجهزة غطس متطورة ، ومزودة بأجهزة راصدة ومصورة .. الى آخر هذه التجهيزات التى اصبحت وسيلة متكاملة للبحث ، ووراءها مجموعة مخططة من العلماء .

ونحن لا نستطيع أن نتعرض هنـــا للتفاصيل ، ففيها يتشعب الحديث ويطول ، لكن يكفى أن نختصر ونقول : إن وسائل البحث قـــد تمت بلستخدام كل ما يطرا ومالا يطرا لنا على بال .. بداية من اجهزة السونار (صدى الصوت المرتد من اى عائق الى جهاز يحدد بعض تفاصيله) .. الى آلات تصوير تحت الماء ، الى كاميرات تليفزيونية .. الى شرائط فيديو .. الى اجهزة تصنت على اية اصوات أو اشارات قد تطلقها تلك الحيوانات .. الى فخاخ مزودة بطعم جاذب لشهية تلك الكائنات .. الى خطاطيف وكلابات تنطلق «اتوماتيكيا» بمجرد أن يدخل جسم كبير فى مجـــال الموجات الصوتية ، حيث تندفع اليه ، علها تنهش شيئاً من لحمه ، وبه تعود لتحفظ فى كبسولة خاصة ، لحين فحصـــــها ومقارنتها باى كائن حي معروف .. ليس هذا فحسب ، بل تنطلق فى التو واللحظة سلسلة من التوجيهات المبرمجـــة على حاسب اليكترونى ، لتضىء الكشافات ، وتسجل الأصوات ، وتفتح العدسات فى كاميرات تليفزيونية وستريو وبولا رويد .. الخ (شكل ٥ ، ٦) .

نتائج تحتاج الى تمحيص

ورغم هذا الجهد الكبير فى التخطيط والمسح باحدث الوسائل والاجهزة التى يمتلكها العلم فى الوقت الحاضر ، الا ان ذلك لم يسفر عن نتائج مشجعة .. اذ لم يقترب حيوان ضخم لينهش الطعم الكبير ، حتى تنطلق الأجهزة للرصد والتصوير ، وعليه فلم تسجل الكاميرات اية صور يمكن الاعتماد عليها ، لكن بارقة من امل قد تحققت باجهزة السونار - اى الصدى الصوتى المرتد - ولقد التقط هذا الجهاز شيئاً اخترق مجاله وكان يبعد عنه ١٢ متراً وعلى عمق عشرة امتار ، وبلغ سمكـــه مابين متر وربع الى متر ونصف ، وفي الوقت ذاته انطلقت اجهزة التصوير لتلتقط بعض الصور ، ولكنهـا لم تظهر صوراً واضحة ، وارجع بعض العلماء ذلك الى عدة احتمالات ، منها ان الشيء المعترض ربما اثار الماء لدرجة انه احدث فيه سحابة من مواد دقيقة معلقة ، فحالت بين ضوء الكشـــــافات وبين الهـدف والكاميرات (المعروف أن مياه البحيرة غير صافية) ، أو أن العدسات نفسها قد ترسب عليها - بمرور الوقت - هذه المواد ، فلم تعط النتيجة المطلوبة .. الخ .

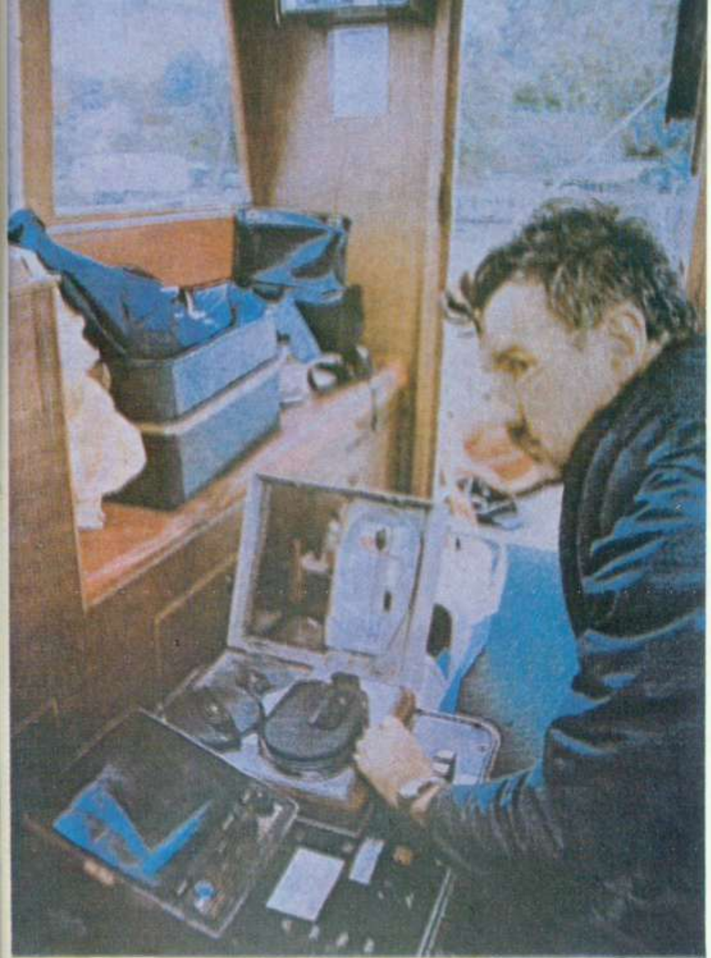
لكن الغريب ان اجهزة التصنت المنتشرة في بعض أرجاء البحيرة قد سجلت اصواتاً لكائنات مختلفة ، ولأعماق تصل الى مائة متر ، أو اقل من ذلك ، لكن احداً لم يستطع ان ينسب هذه الأصوات الى اي حيوان مائي معروف .. وكان من الممكن تتبع مصادر هذه الأصوات ، لكن حركة الغاطسات تحت الماء كانت - لأسباب تكنولوجية - ابطا من حركة هذه المصادر المجهولة !

ولقد كانت أكاديمية العلوم التطبيقية ببوسطن اكثر حظاً ، اذ استطاعت آلات تصويرها - بعد تجنب بعض العقبات - أن تلتقط عدة صور تحت الماء ، لكن اثنتين منها قد أوضحتا شيئاً اقرب الى صورة عام ١٩٣٣ (انظر شكل ١) .. اي براس مدببة ، ورقبة طويلة ، وجسم ضخم (شكل ٧) .. وفي صورة ثالثة ظهر تكوين غريب لم يستطع احد ان يحدد معالمه .. ويعتقد الذين فحصوا هذه الصور أن اضخم هذه الحيوانات تتروح كتلته ما بين ٨٠٠ - ١٥٠٠ كيلوجرام ، وعرضه حوالي المترين ، وطوله في حدود ثمانية امتار .. لكن ما هي هوية هذا المخلوق ، أو الى اية فصيلة ينتمي ، فلا احد يعرف ذلك يقيناً .

ويبدو أن تلك النتيجة قد دفعت بعض العلماء الى مزيد من البحث عن ذلك الحيوان الضخم ، وهذا ما حدث بالضبط ، اذ بدات دراسة اخرى بداية من شهر مايو عام ١٩٨٢ حتى آخر اغسطس من نفس العام ، تحت اشراف وتخطيط دكتور ادريان شاين ، وباشتراك عدة جامعات بريطانية لتدرس طبيعة بحيرة نيس وبحيرة اخرى مجاورة تعرف باسم مورار ، ولم يكن ذلك مقصوراً على البحث عن كائنات ضخمة في هذه البحيرة او تلك فحسب ، بل ايضاً لدراسة نشاتهما وخواصهما الفيزيائية والكيميائية والبيولوجية والجيولوجية ... الخ (شكل ٨) .

والشيء الذي يهمنا في تلك الدراسة هو ما أسفرت عنه البحوث التي تمت بحثاً عن اي حيوان ضخم ، ولقد نشر شاين هذا البحث في العام الماضي (اي ١٩٨٣) وفيه يذكر أن ثلاثة طرازات مختلفة من اجهزة السونار بترددات موجية مختلفة (٥٠ ، ٨٠ ، ١٥٠ كيلوهيرتز) قد ظلت تمسح اعماق بحيرة نيس لأكثر من ١٦٠٠ ساعة متواصلة (اي حوالى ٦٧ يوما كاملا) واظهرت الأجهزة علامات غريبة ليست مفهومة مصادرها ولا طبيعتها ، لكنها على اية حال تشير الى شيء ما . ومن هنا يختتم بحثه بقوله « اننا لم نجد وحوشاً ، ولم نتاكد كذلك من عدم وجودها ، لكن لدينا - على اية حال - حالة تستحق جواباً » .

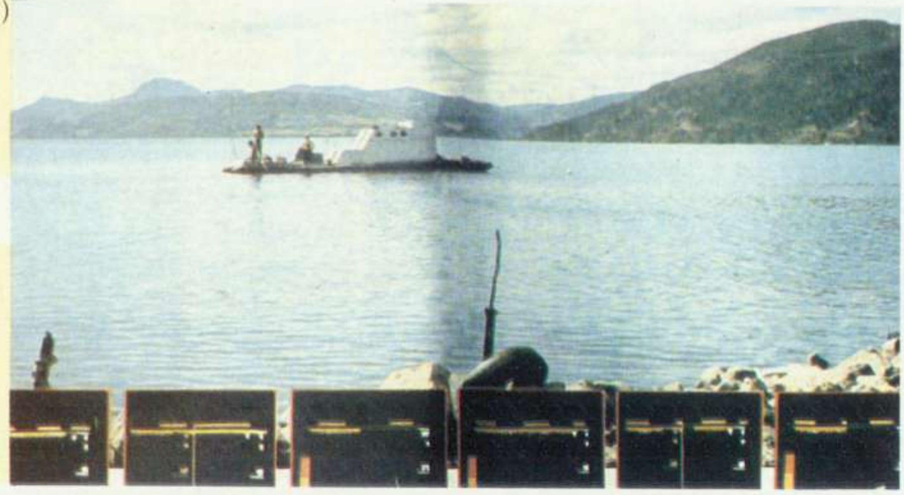
الغريب ايضاً أن اثنين من العلماء هما دكتور هـ . راينز ، « وسير » بيتر سكوت قد اطلقا على الوحش اسماً علمياً هو « نيس تيراس رومبو بيتريكس » وهو اسم لاتيني





(٥) اثنان من العلماء وهما يقومان بارسال الكاميرات التليفزيونية المتصلة باجهزة مساعدة فربما يمر الوحش بجوارها ، فتلقط له صورا دامغة .

(٦) على سطح سفينة الابحاث يجلس العلماء امام اجهزة تلتقط لهم ما يجرى تحت سطح الماء بالصوت والصورة والحركة ، وفى الصورة نرى احد العلماء وهو يقوم بمهمة ضبط الاجهزة الغاطسة على شاشة تليفزيونية موجودة امامه



(٧)
اخر بعثة كشفية تقومبمسح البحيرة ، ومعرفة نباتها وحيوانها ،ثم البحث عن امكان وجود كائنات ضخمة تسكنها ، والصورة التى تحتها هو ما سجلته الاجهزة ،وطبيعى ان ما سجلته لغة خاصة يعرف العلماء مضمونها ، فيميزون الغث من السمين .

مركب ، ويعني « اعجوبة نيس ذو الزعنفة الماسية » ونشرا عنه شيئاً عام ١٩٧٥ في مجلة نيتشر البريطانية (الطبيعة) العلميـــة المشهورة ، وطبيعي ان ما نشره لا يعنى أن الحيوان موجود ، بل هو تكهن او مجرد اشارة توحي بان كائناً بهذه الصفات ربما يشبه مجموعة من الكائنات التي تنتمي الى رتبة الحيوانات البرمائية الضخمة التي انقرضت مـع انقـراض الديناصورات ، وكان اشهر نوع من هذه الرتبة يسمى بليسيوسور ، ولقد عرفناه من بقاياه الحفرية المطبوعة على الصخور ، ومنها استطاع العلمه أن يكونوا له صورة تقريبية (شكل ٩) وهي في خطوطها العريضة تشبه الى حد ما بعض الصور التي التقطت طافية على سطح الماء ، أو مغمورة فيه (قارن شكل ٩ بشكلي ١ ، ٧) .

حرص واجب

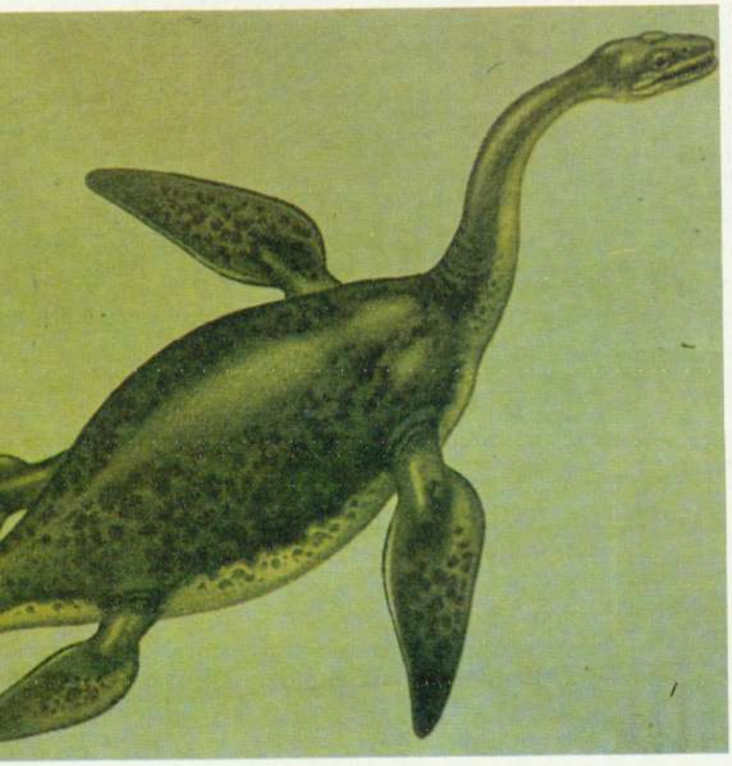
والنتيجة ؟ ... هل الوحش موجود ، أو غير موجود ؟
الناس تقول : نعم .. موجود ، لكن العلم لا ياخذ باقوال الناس ، ولا يعتمد على مشاهداتهم ، اذ ان كثيراً منها خادع ، والعلماء يرفضون التعليق أو التحدث او ابداء الرأي في أمر لا تزال تثور حوله شكوك واضحة .

ولا أحد يستطيع أن يلوم العلماء على ذلك ، ولا ان يتهمهم بالجمود والتزمت والوسوسة ، فالتسرع بالحكم على اية مسالة علمية ليس الا نوعاً من التسيب والغوغائية التي تنال من قدسية العلم ، فللعلم مناهجه الصارمة ، ونتائجه الواضحة ، وهو يبحث أساساً في نظم



(٨)
صورة غريبة ومثيرة التقطت على عمق حوالى عشرة أمتار لجسم غريب يبدو هو الآخر وكأنما له راس ورقبة طويلة وجسم .. لكن الصورة لازال مشكوكاً فيها (قارنها باشكال ١ ، ٩)

(٩)
الهيكل الحفرى يمين لحيوان بلسيوسور كما طبع على الصخور منذ حوالى ٧٠ مليون عام ، ونموذج لذات الحيوان (يسار) شيد على اساس ما وجده العلماء مسجلا على صفحات الصخر ، وهو من الحيوانات البرمائية الضخمة ، لكن هل لازال بعضها يعيش حتى الآن فى « لوخ نيس » ؟ .. لم يثبت ذلك بالدليل القاطع حتى وقتنا الحاضر





الكون الصامدة ، وشرائعه المنضبطة ، وتكويناته المنتظمة ، فانتظمت انماط تفكير أصحاب المنهج العلمي تبعاً لذلك ، اذ ليس من يتعامل مع نظم الله في كونه ، ويستمد منها زاده في تطبيقات نافعة لا نستطيع حصرها ، كمن لا يعرف عن اساسياتها شيئاً ، ثم يحاول أن يقحم نفسه فيما لا يعرف ، ويفرض نفسه وآراءه على من يعرف .. « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » !

ونحن لا نسوق ذلك من قبيل تحصيل الحاصل ، ولكن لهدف واضح .. اذ لا يهمنا وحش البحيرة بقدر ما يهمنا أن نعرض هنا معنى المنهج العلمي الذي لا ينشأ من فراغ بل هو دراسات متانية واعية لظواهر طبيعية لا خلل فيها ولا فروج ، فهناك الكثير من الآراء المضللة التي ينساق وراءها معظم الناس – خاصة شبابنا – دون أن يتفكروا فيها بفكر صائب ، وعقل ناضج ، ليعرفوا الغث من السمين ، أو الصالح من الطالح .. لان المنهج العلمي ، أو التفكير العلمي هو الاساس في التخطيط والحكم على كل ما يعترض حياتنا من مشكلات في عالم متصارع بكل ابعاده ومعانيه .. لان العلم ذاته يستقي زاده من قوانين الكون ، وشرائع الحياة ، فكل ما فيها منظم وبديع وجميل واصيل !

ومن هذا المنطلق ، كان علينا ان نقدم المزيد – على صفحات هذه المجلة – من الظواهر الغريبة التي يتحدث بها الناس ، ويعتقدون في صحتها ، بحجة ان العلم قد حققها ، واعترف بها ، رغم أن العلم بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب . فالى مقال قادم ان شاء الله .

عبد المحسن صالح

لماذا لم نعد نغني؟

بقلم: محمد فتحي

● يبطل الغناء فى أفواه الناس .. ولا يبطل من أبواق الاذاعات !

● الغناء فى الاذاعات يتمشى تمشياً عكسياً مع واقع المجتمع

● الراديو لا يبطل الغناء .. وإذا أبطله لحظات من أجل كلمة أو خبر .. عاد إليه بعزم أشد وصوت أعلى وأغلب !

من جيل او جيلين مضيا ، كان السائر فى الطريق العام لا يفتا يطرق اذنيه ، من حين لحين ، غناء منبعث من باعة الفاكهة بشتى صنوفها ، من عنب وتين وبلح ورمان أو من سقاة شراب العرقسوس والخروب والتمر هندى والليمون والحليب ، فهو شفاء ، ومروق للابدان ، ومن ماء زمزم .. ! وإذا دخلت البيت رن فى بئر السلم غناء لشاب هائم او لشغالة تنقى الأرز أو تخرط البصل ، حتى الرجل الوقور ، فى الحمام ، كان يحلو له أن يرفع عقيرته بالغناء !

وفى القرية عبر الغيطان والحقول الخضراء الممتدة إلى نهاية الشوف ، يجيئك صوت المزمار الحزين وناى الغاب ، أو نحيب الموال تترقرق موجاته إلى قرارات النفوس تثير شجن الحقب والقرون .. والغاب فى افواه اولاد القرية يستلهمون الانغام من الحمام واليمام ، ومن الديك والغراب ، ومن الساقية والنورج .

الغناء والشعر مسالة تمت الى الوجدان فهل فقد الوجدان سلطانه فى نفوس الناس ؟ هل انزوى وران عليه الصدا فى وجه الحاجات الملحة للابدان ؟ هل لذلك صلة بالعناء الذى يتكبده إنسان العصر لقضاء احتياجاته فى زحمة المعيشة الصعبة ومسالكها الوعرة ؟

وقد يدور فى الأذهان تساؤل اخر .. هل لانعدام الأمان العالمى العام والقلق وعدم الثقة فيما قد يجيء به الغد من كوارث وأهوال نووية دخل فيما اصاب وجدان البشر عندنا ، وربما عند غيرنا بدرجة اكبر وافظع ؟!

مهما يكن الأمر فى هذه التساؤلات وغيرها ، فالظاهرة جديرة بالتامل ، وجديرة بان يعكف الباحثون الاجتماعيون على درسها والتقرير فى شانها ، بيد أن الذى يعنينا هنا هو الموقف الذى تتخذه الاذاعات إزاءها .

الغناء يبطل فى افواه الناس ، يموت على شفاههم ، لكنه من ابواق الاذاعات المسموعة والمرئية يتضخم ويتعاظم وتزداد حصصه . أى انه فى الاذاعات يتمشى تمشياً عكسياً مع واقع المجتمع . وهذه أولية ينبغى أن يتوقف عندها المخطط الاذاعى وقفة طويلة تاملية .

هل تفعل الاذاعات ذلك تعويضاً عن الغناء الحي التلقائي المفتقد ؟! هل تفعله إيماء وإحياء للغناء فى نفوس الناس ، بالبث وتكرار البث ومداومة البث ؟! أو هل تفعله إيهاماً لهم بان الصفاء ما يزال يهيمن على الدنيا .. البلابل تصدح والعصافير تزغرد .. واعية تسكب فى وجدانهم ما ينسى ويزيح الهموم والتوترات والانشغالات بامور المجتمع من سياسات وغير سياسات ؟ !

قد يقول قائل إنها تفعل ذلك بثاً لافكار معينة فى نفوس الناس مثل الدعوة إلى الوطنية والى الانتماء الوطنى ، وهو الأمر الملحوظ ، كما السيل ، فى الانتاج الغنائى الاذاعى فى الوقت الحاضر . بيد أن هذه قضية بت فى أمرها من زمن بعيد .. إذ لم يثبت على مدار السنين أن الغناء يشحذ الهمم أو يرفع الحالة المعنوية ، أو حتى يبث السكينة والطمانينة فى النفوس إبان الشدائد . عندما كانت بريطانيا تحارب حربها المصيرية الضروس ضد المانيا ، كانت موجاتها الاذاعية تجلجل بضحكات الكوميديا الساخرة ، إلى جانب الوقائع الحية والرسائل الميدانية الواردة من ساحات القتال ، والتى كانت طوال سنين لا تحمل سوى اخبار الهزائم المتتالية ، هزيمة فى إثر هزيمة ، فى أوربا وآسيا



محمد عبد الوهاب .. كانوا يسمونه قبل عصر الراديو مطرب الملوك والامراء



كانت ام كلثوم تغنى قبل ظهور الراديو فى حديقة الازبكية مقابل اجر لا يقدر عليه المريد من عامة الناس

والصحراء الغربية . لم تلجا الاذاعة البريطانية أبداً ، وهى منهزمة محصورة مدحورة، إلى اصطناع ما يسمى بالاناشيد الحماسية الايهامية ، التى قد تسحر أو تخدر هنيهة أو تسبح بالافئدة فوق غيوم الخيال !

وحتى المانيا النازية ، فى عز سلطانها وانتصاراتها ، وطول باعها فى الاثارة بابتداع التنظيمات الهائلة والتجمعات الضخمة والمواكب الباهرة والأعلام التى تملأ السماء ، لم تلجا ابداً إلى ما يسمى بالاناشيد الوطنية تبث من دور الاذاعات .

النشيد الوطنى ـ واحسبه نشا مع الثورة الفرنسية بنشيد « المارسييز » أضحى فيما بعد الثورة رمزاً ، واحسب ان الدولة لحديثة من ذلك التاريخ اتخذت النشيد الخاص بكل منها رمزاً للوطن ، لسيادته ومجده وعظمته ، لا يعزف إلا فى اغلى وأعز المناسبات ، وليس له أن يبتذل أو يهلهل أو تصب له القوالب والاشباه !

ثم بعد ذلك كله ، افلا يرى مطلقو الأبواق بالمغانى دون ما توقف ، أن السرف فى إذاعة الأغانى تزهيد للناس فى الغناء ، جيده مع رديئه ، وصد للنفوس وصرف للآذان عن سماعه ؟ !

ما نظن أن هذه هى غايتهم .. ؟!

ليست كلمتنا هذه دعوة للاذاعات ان تكف عن بث الغناء وإطلاقه فى الاجواء والأرجاء . إنما نقول إن الغناء فرع من تصنيف الموسيقى وهو واحد من تصانيف الترويح . والترويح ذاته ليس إلا وظيفة واحدة من الوظائف التى تؤديها الخدمات الاذاعية إلى جانب وظائف اخرى كاذاعة أخبار المجتمع ووقائعه ومجريات الأمور فيه ثم وظائف التعليم والتثقيف والتنشئة الاجتماعية . لكنه فى إذاعاتنا ـ دون إذاعات العالم قاطبة ـ ياخذ حجماً بالغ الضخامة ، اكبر كثيراً من حجمه المستحق . فاذا كان له أن يحظى بنصيب لا يتجاوز خمسة فى المائة من وقت البرامج ، نراه يلتهم ما يزيد فى بعض القنوات عن خمسين فى المائة ! ! وهى نسبة مذهلة تخل بالميزان ، وتنحرف الخدمة عن أداء وظائفها الجوهرية فى نواحي عرض الوقائع الحية والتعليم والتثقيف والتنشئة والتنمية وما إليها ، ومن ثم تحرم المواطن من حقه فى الاعلام السليم الذى يتلقاه غيره .

لا نريد أن ناخذ المخططين للاذاعات بسوء الظن ، وانهم إنما يفعلون ذلك ليكفوا انفسهم مئونة الجهد والمشقة فى الابتداع والابتكار وتغطية الوظائف الصعبة الأخرى ، فليس أيسر من أن نكلف من يصك كلمات لأغنية ثم من يلحنها ، ثم من يغنيها من عشرات المتكسبين المشكوك فى مواهبهم والذين استمرأوا العيش الهين وركبوا موجات الاثير مقتحمين اسماعنا ، وأصبحوا كما يقول العامة بتعبيرهم البليغ الضائق « اكثر من الهم على القلب » . وقديماً كان التكسب بالشعر والغناء معرة .

قد يكون المخططون للاذاعات ضحية وهم جاءهم عن طريق التقليد ، التقليد لعهد بداية الاذاعات ، عندما كان الغناء متعة أهل الدعة واليسار ، فى حين لا يجد اليه عامة الناس السبيل ! فى ذلك العهد أشاع الراديو الغناء الرفيع والموسيقى كما أشاع المعرفة والعلم وذخائر الدين ، حلالا للناس كافة ، لا لفئة محظوظة دون غيرها .

أليس يحق لنا ، على ضوء المتغيرات التى جرت فى الزمان والمكان أن ندعو المخططين للاذاعات بتدبر الأمر ؟ .

فهل يتدبرون .. ؟ !

الحياة في الغابات

مخزن هائل للطبيعة نحصل منه على الخشب والورق وألعاب الأطفال والحرير

بقلم : د. عز الدين فراج

تلعب الغابات دوراً كبيراً فى حياة بعض الشعوب ، فلخشابها مصدر ثروة كبيرة ، ودعامة من دعائم الصناعة الحديثة، ففضلا عن اهمية الاخشاب فى بناء الدور والمنازل ، وفضلا عن اهميتها كمصدر من مصادر الوقود ، فانها تمدنا فى كثير من الاحيان بالصموغ التى تدخل فى صناعة العجائن ، وبالقشور التى تدخل فى صناعة الدباغة ، كما تمدنا ببعض المواد الراتنجية وبعض مواد الطلاء .

ولولا الاخشاب لما قامت صناعة الورق ، وكلنا يدرك اهمية الورق فى موكب المعرفة والحضارة ، ولولاها لما قامت ايضا صناعة لعب الاطفال ، ولما تقدمت صناعة الحرير الصناعى .

وتنتشر الغابات فى المناطق الحارة والباردة على السواء ، إلا انه لكل منطقة طابع خاص يميزها ، فغابات المناطق الحارة تنمو فى مناطق تهطل فيها الامطار بغزارة طول العام ، ولهذا نجدها متكاثفة الاشجار ، متشابكة الاغصان .

وعندما تدخل غابة من غابات المناطق الحارة تجد الاشجار باسقة ، قد علت فى الجو امتاراً طوالا ، وتجدها تقاربت جذوعها

الغابات التى تقوم بدور هام فى حياة كافة الشعوب ، ولولاها لما قامت صناعات عديدة فى عالمنا المعاصر



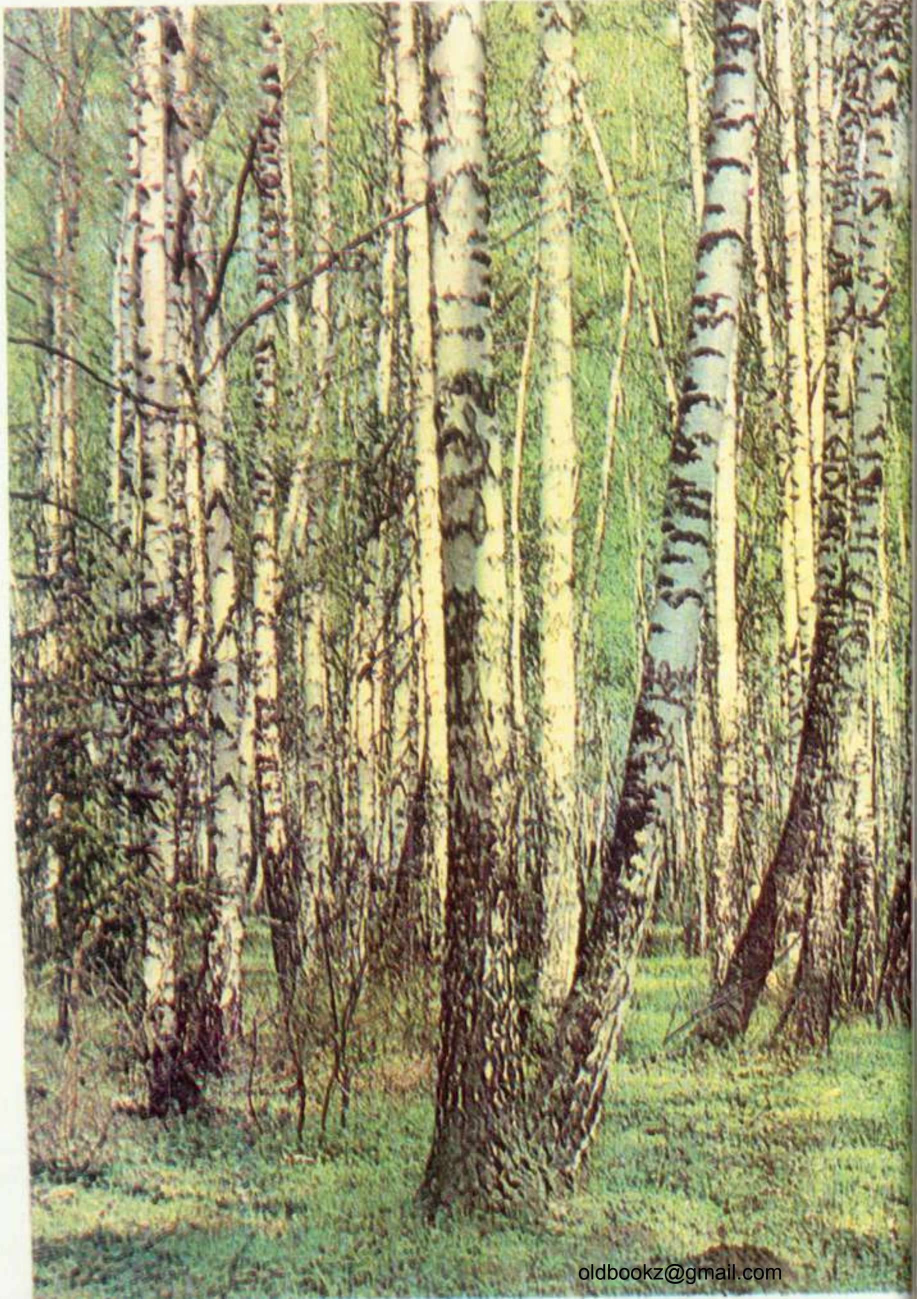




القطيع إلى مصدر المياه فى الغابة فى جماعات ، فهذا من وجهة نظرهم أسلم الطرق للحماية من الأخطار !

غابات متشابكة من غابات المناطق الحارة ، تزخر بانواع مختلفة من الحيوانات والطيـــور

غابات المناطق الباردة وشبه المعتدلة ، لا تتزاحم ولا تتشابك فيها الأشجار



وتلامست رءوسها او كادت ، فكانت كالمظلة أظلت الأرض طولا وعرضاً ، واحتجبت الشمس إلا شعاعات قليلة تجاهد أن تخترق هذا الكون المظلم .

أما غابات المناطق الباردة التى تنتشر في شمال آسيا وامريكا فهى غير كثيفة الأشجار ، وغير متشابكة الأغصان ، ولهذا يمكن السير بين أشجارها الطويلة ذات السيقان المستقيمة ، فى سهولة ويسر ، على نقيض الحال فى غابات المناطق الحارة ، حيث يتعذر السير بسهولة لتشابك اغصانها وتقارب أشجارها .

وتختلف طبيعة الأخشاب وقوتها ومتانتها تبعاً لنوع الغابات التى نمت فيها فاخشاب غابات المناطق الحارة تمتاز بمتانتها ولونها القاتم ، ونجد فى الغابات الحارة أشجار « الأبنوس » وأشجار « الماهوجنى » التى تستخدم بكثرة فى صناعة الأثاث ، كما نجد فيها خشب التيك الدهنى الملمس ، وخشب الجوياكم الشمعى الملمس ، وهذان النوعان الأخيران من الخشب أمتن الأخشاب واكثرها مقاومة لتأثير الأحماض والمركبات الكيماوية .

أما غابات المناطق الباردة فتمدنا باخشاب السرو والصنوبر والعرعر ، وكلها اخشاب غير متينة ، ولذلك فهى قليلة الاستعمال فى صناعة الأثاث ، ولكنها تستخدم على نطاق واسع فى صناعة الورق ، وهذا ما يفسر لنا انتشار صناعة الورق فى السويد والنرويج وشمال كندا ، لكثرة هذه الأشجار المخروطية الشكل .

الحياة في الغابات

أشجار اقتصادية

ومن الأشجار الاقتصادية فى غابات المناطق الحارة شجرة جوز الهند التى تراها بكثرة فى جزر الهند الغربية وجزر الهند الشرقية وبلاد الفلبين والملايو ، وهذه الشجرة تعلو فى بعض الأحيان الى مائة قدم ، وينتهى ساقها فى العادة بتاج من الأوراق المروحية الجميلة ، وتحمل هذه الأشجار ثماراً تختلف كثيراً عن الثمار التى اعتدنا ان نراها نحن معشر الشرقيين فى أسواقنا المحلية ، فالثمرة وهى فوق شجرتها ذات غلاف خارجى مندمج غير منفذ للماء ، يليه غلاف أخر وسطى ليفي هش يتخلله الهواء ، فاما الغلاف الداخلى فهو غلاف خشبى صلب يضم قلب الجوزة بما فيها من عصير لبنى يقال له « لبن جوز الهند » .

ويحتوى لب الثمرة على زيت بنسبة من ٣٠ الى ٤٠٪ ، وزيت جوز الهند يستخدم فى صناعة الشمع ، وفى صناعة الصابون ، وفى صناعة مواد التجميل ، كما يستخدم فى صناعة الزبد الصناعى .

ومن الأشجار الاقتصادية التى نجدهـا فى بعض الغابات الباردة وشبه الباردة ، خصوصاً فى غابات اسبانيا والبرتغال أشجار البلوط .

ومن هذه الأشجار يؤخذ الفلين من محيطها الخارجى عندما يصل قطرها خمسة عشر سنتيمتراً ، وعندئذ تكون قد بلغت من العمر خمسة عشر عاماً .

ويراعى عند نزع الفلين وجمعه من أشجاره أن يكون بين كل جَمعة واخرى سبع سنوات .

وبعد أن تكشط طبقة الفلين تترك فى الهواء والشمس حتى يتم جفافها ، ثم يغلى بعد ذلك ليسهل ضغطه وحزمه .

ومن الفلين نصنع سدادات القوارير ونحوها . لقابليته للضغط ، لأن السوائل لا تنفذ منه .

ويستخدم الفلين فى قوارب النجاة ، لانه يطفو فوق الماء ، كما تجده فى الأفران والثلاجات ، لمقاومته الحرارة والرطوبة ، وتتخذ منه الواح مضغوطة تستـعمل فى المبانى الحديثة لامتصاص الصوت .

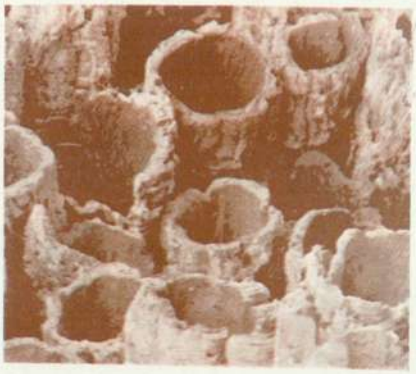
سكان الغابات وأعمالهم

يسكن بعض غابات المناطق الحارة زنوج طوال الأجسام ، ويسكن بعضها الآخر أقزام لا يزيد طوال الواحــد عن ١٢٠ سنتيمتراً .

ويعيش هؤلاء السكان على جمع الثمار من الغابات وصيد الحيوانات البريــة بالقوس والرمح ، ويندر أن يخطىء هؤلاء القوم المرمى . هذا بجانب قطع الأخشاب وجمع الجلود وسن الفيلة .

ولا يبنى سكان الغابات الحارة مساكن ثابتة ، لأن حياتهم تنقل من مكان إلى أخر للبحث عن الغذاء . ومساكنهم اكــواخ بسيطة يقيمونها من اغصان الأشجار .

تكشط القشرة من شجرة الفلين ، لتعطينا الفلين الذى نستخدمه فى اغراضنا المنزلية والصناعية



عند عمل كشط او جرح فى ساق نبات المطاط يسيل عصير لبنى ابيض يصنع منه المطاط



وإذا تركنا غابات المناطق الحارة وذهبنا إلى غابات المناطق الباردة شمال آسيا وامريكا وجدنا الأشياء غير متقاربة ووجدنا الثلوج تغطى أرضها طول الشتاء . وفى هذا الفصل ترى أهالى هذه المنطقة الطوال الأجسام ، البيض الوجوه ، يشتغلون بقطع الأخشاب وينقلونها إلى أقرب مجارى الأنهار ، حتى إذا ما ذاب الثلج جرت مياه الأنهار ودفع التيار الأخشاب معه ، إلى محطات النشر والقطع .

وسكان الغابات الباردة وما جاورها يهتمون اهتماماً كبيراً بصيد الحيوانات ذات الفراء كالدب والثعلب لتصدير فرائها الى الأسواق الخارجية . فهذه الفراء بجانب الأخشاب تعتبر مصدراً هاماً من مصادر الثروة القومية فى هذه المناطق الباردة .

وفى وسط غابات المناطق الحارة وعند حوافها نجد الفيلة والضباع والأسود والحمير الوحشية . أما القرود والطيور فتكثر فى الأجزاء العلوية من اشجار الغابة بينما تكثر الثعابين على اختلاف انواعها فى الأجزاء السفلية من الغابة .

انتقال القرود بين الأشجار

ولما كان التسلق والقفز والقبض على الأشياء من دعامة حياة القردة فى الغابات نجد أن اجسامها قد حل بها بعض التحور لتحقق الحياة في هذه البيئة ، فنجد في القرود المتسلقة عظام الساعد منفصلة انفصالا يساعد على التواء الرسغ ومرونة حركته .

ومما يساعد القرود على القبض على الأشياء تحور شكل الأصابع بطريقة تسمح بالقبض على الأجسام الصلبة ، فنجد فيها الابهام يمكن أن يتقابل ويلتقى مع باقى الأصابع .

وهناك طائفة من القرود تستطيع التعلق بالأشجار والقبض عليها باستخدام ذيلها الطويل القوى العضلات .

واذا وطىء دنيا الغابات مخلوق يخشى شره كالانســان مثلا ، فللحيوان اساليبه الخاصة فى تبادل الانذار والتحذير والتنبيه بقدوم هذا الغريب . وربما كان الغراب فى الغابة أول من يلمح هذا الخطر القادم فيصيح منذراً محذراً .. فلا تلبث الطيور والسناجب أن تحذر بدورها وتنقل هذا الانذار الى كل مكان .

عز الدين فراج

صبحي الشاروني



الفنانة رعاية النمر فى متحفها الشعبى ، وهى ترتدى « برقع » من منطقة الشرقية فى مصر ، مزين بالعملات الذهبية

لماذا لا تتبنى الجامعة العربية هذا العمل الفني الكبير؟

متحف "رعاية النمر" للفنون الشعبية العربية

إنه واحد من المتاحف الشعبية النادرة فى العالم العربى .. استطاعت فنانة عربية أن تقيمه بجهدها الخاص فى قرية صغيرة من قرى الجيزة فى مصر يسمونها « الحرانية » .. لقد اقامت الفنانة رعاية النمر هذا المتحف على الطراز العربى ، نسقت بداخله مجموعتها الخاصة التى ضمت الأزياء الشعبية وبعض الصناعات والحرف التقليدية الشائعة فى واحات وصحراء مصر والعديد من البلاد العربية مثل تونس والعراق واليمن والجزائر والمغرب والسودان وفلسطين وغيرها .. فما هى قصة هذا المتحف النادر ؟! كيف بدأ ، وكيف يواصل الحياة والتطور ؟





داخل متحفها الشعبى بالجلباب
الفلاحى وبجانبها رداء من العريش

زى بدوى ونماذج من الصناعات الشعبية النحاسية والخشبية
والفخارية التى جمعتها من قرية « الحرانية » فى الجيزة .

تحت سفح الهضبة التى تحمل اهرامات الجيزة ، وبالقرب من قرية الحرانية التى اشتهرت بسجادها ذى الزخارف والرسوم التلقائية ، تنتشر مجموعة من بيوت الفنانين التشكيليين ومتاحف انتاجهم .. وعلى مسافة تمتد ٢ كيلومتراً من الطريق الموصل الى منطقة سقارة حيث آثار الدولة القديمة فى مصر .. تتوالى هذه البيوت الفنية والمتاحف الخاصة : متحف درويش للخزف لصاحبه الفنان نبيل درويش ، ثم بيت الفنان العالمى آدم حنين الذى يقيم حالياً بباريس تنتصب تماثيله فى حديقة بيته النوبى الطراز بهذه المنطقة ، ثم المحترف الخزاف محيي الدين طاهر بجوار « بيت الفن فى الحرانية » الذى اقامه المهندس المعمارى الراحل « رمسيس ويصا واصف » وبه متحف حبيب جورجى للفن التلقائى ، ثم متحف زكريا الخنانى ، واخيراً متحف « رعاية النمر » للفنون الشعبية مع مرسم الفنان « عبد الغنى أبو العينين » .

بداية الهواية

وقد بدأت هواية الفنانة رعاية النمر فى جمع الوحدات الشعبية ودراستها منذ الصغر ، واتجهت الى دراسة الفنون الجميلة حيث تخرجت من معهد التربية الفنية للبنات عام ١٩٥٥ ، ثم اتجهت الى العمل الصحفى وتخصصت فى الاخراج وتحرير أبواب المراة والأزياء والهوايات الفنية ، وتنقلت بين « مجلة الاذاعة » و « حواء » و « المجلة الزراعية » و « صوت الشرق » و « نهضة افريقيا » . واثناء عملها فى هذه المجلات انشات وزارة الثقافة المصرية مركزاً للفنون الشعبية ، كان ذلك فى أوائل الستينات ، فانتقلت الفنانة للعمل بهذا المركز .. وكانت مهمتها انشاء متحف للفنون الشعبية وجمع النماذج المتميزة من مختلف الأقاليم فى مصر ، وكان



زى يمنى قديم مطرز بالخيوط المذهبة (القصب) .. فقد بدات الفنانة فى جمع نماذج من الفنون الشعبية العربية بعد ان استكملت المجموعة المصرية .



هذا الزى يمثل ما ترتديه نساء الواحات الداخلة ويلاحظ فيه الجهد الفنى والألوان المبهجة والتطريز والعملات المعدنية .

يوجهها فى هذا المجال خبراء فى الفنون الشعبية من رومانيا التى ذاع صيتها فى هذا الميدان ، فتعلمت الأسلوب العلمى فى دراسة هذه الفنون واختيار النماذج المناسبة منها وتوثيقها وعرضها ، لكنها مالبثت ان اتجهت الى جهاز الثقافة الجماهيرية الذى يخدم قطاعات واسعة من الجمهور فى جميع انحاء مصر ، وذلك لكى تتعرف عن قرب على هذه الفنون بتعمق أكثر ، ولكى تقدم خدماتها فى هذا الميدان لقطاعات أوسع من الجمهور ، ثم تركزت مسئوليتها عن وحدة ثقافية فى الريف هى وحدة قرية « كفر الشرفاء » التى تقوم بتعليم الحرف والفنون الشعبية لأبناء القرية . وفى نفس الوقت كانت مسئولة عن قصر ثقافة الجيزة . وهكذا استفادت من تنقلاتها بين قصور الثقافة الجماهيرية واهتمامها المركز بهذا الميدان لتستكمل مجموعتها من نماذج الفن الشعبى ، وعلى مدى ربع قرن أو أكثر تجمعت لدى الفنانة كل ما وصلت اليه يداها من فنون شعبية سواء كانت ملابس أو صناعات يدوية ، حتى تكونت لديها أكبر مجموعة للفنون الشعبية المصرية والعربية فى الشرق الأوسط .

ولقد شاركت الفنانة فى تاسيس الجمعية المصرية للفنون الشعبية وهى الجمعية التى تتيح للمهتمين بالفن الشعبى أن يتبادلوا الخبرات والمعرفة وتهدف الى المحافظة على هذا التراث من الاندثار وتعريف الجمهور بالتراث الشعبى واتاحة نماذجه أمام الفنانين الذين يتجهون الى دراسته واستيحائه فى انتاجهم الفنى . وقد اقامت هذه الجمعية ستة معارض حتى الآن قدمت للجمهور من خلالها نماذج متميزة ومشوقة من هـذه الفنون .

متاحف الفنون الشعبية

إن المتحف الذى أسسته الفنانة فى مركز



ركن بالمتحف يضم مجموعة أشغال الألياف النباتية (السماد والجريد والخوص ..) من بلاد عربية مختلفة : العراق واليمن ومصر

الفنون الشعبية التابع لوزارة الثقافة لم يتسع ولم تضف اليه نماذج جديدة بعد أن تركته الفنانة عام ١٩٦٦ لتعمل فى متحف المسرح ثم الثقافة الجماهيرية ، أما متحف وكالة الغورى بالقاهرة ومتحف الجمعية الجغرافية فهما فقيران فى النماذج بالقياس الى مجموعة الفنانة التى اقامت لها متحفاً خاصاً تحت سفح الأهرام بالقرب من قرية الحرانية بالجيزة .

إن الفنانة بعد أن استكملت المجموعة المصرية التى تمثل معظم اقاليم مصر اتجهت الى جمع نماذج من الفنون الشعبية العربية ، ورغم انها واجهتها عدة صعوبات على راسها تكاليف السفر والاقامة ثم تكاليف الاقتناء ، الا انها قطعت شوطاً كبيراً فى استكمال المجموعة العربية اذ لديها نماذج من اليمن والعراق والمغرب والجزائر وتونس ، اما باقى البلاد العربية فيضم متحفها أشياء رمزية تحقق وجودها وإن كانت لا تمثلها تمثيلا كاملا .

متحف الحرانية

لقد اقتطعت الفنانة جزءاً من الأرض التى تملكها هى وزوجها الفنان « أبو العينين » لتقيم عليها مبنى على الطراز العربى بقرية الحرانية التى اختارت موقعها لتكون فى مناخ متكامل مع مجموعتها من الفن الشعبى بغير تنافر .
ويضم هذا المتحف نماذج للملابس والحلى وصناعات الخزف والفخار والنسجيات وصناعات الخوص والقش وتشكيل النحاس والمصنوعات الجلدية .

أما أزياء الرجال فهى غير متداولة اى انها لا تعرض عادة للبيع حتى يمكن اقتناؤها للمتحف وهى غير مبهجة وليست بها زخارف ولا يوليها الفنان الشعبى اهتماماً كبيراً . ومتحف « رعاية النمر » لا يضم فقط أعمال الفلكلور ولكنه يضم أيضاً بعض الصناعات والحرف التقليدية

الفن التشكيلى الشعبى

الفولكلور هو فن « المأثور الشعبى » وتطلق هذه الكلمة عادة على الفنون المنطوقة والمسموعة ، أما الفن التشكيلى فيحلو للبعض أن يطلق عليه « فولك آرت » اى فن الشعب تمييزاً له عن الفنون المنطوقة والمسموعة ، خاصة أن دارسي الفنون الشعبية يتخصصون عادة فى واحد من الفرعين الكبيرين المسموعة أو التشكيلية .

والمأثور الشعبى هو العمل الفنى الذى لا يزال يعيش حتى وقتنا الحاضر ولا يزال يستخدم ويتوارث جيلا بعد جيل .. وهو مجهول الأصل ومجهول المؤلف ، فنجد مثلا لحنا شعبيا يعزف فى أكثر من مكان وتصاحبه كلمات تختلف فى موقع عن آخر



الزى التقليدى للبدويات فى سيناء ، حيث نرى لكل قبيلة ما يميزها من الملابس ، ويكون دائما الاختلاف فى لون البرقع



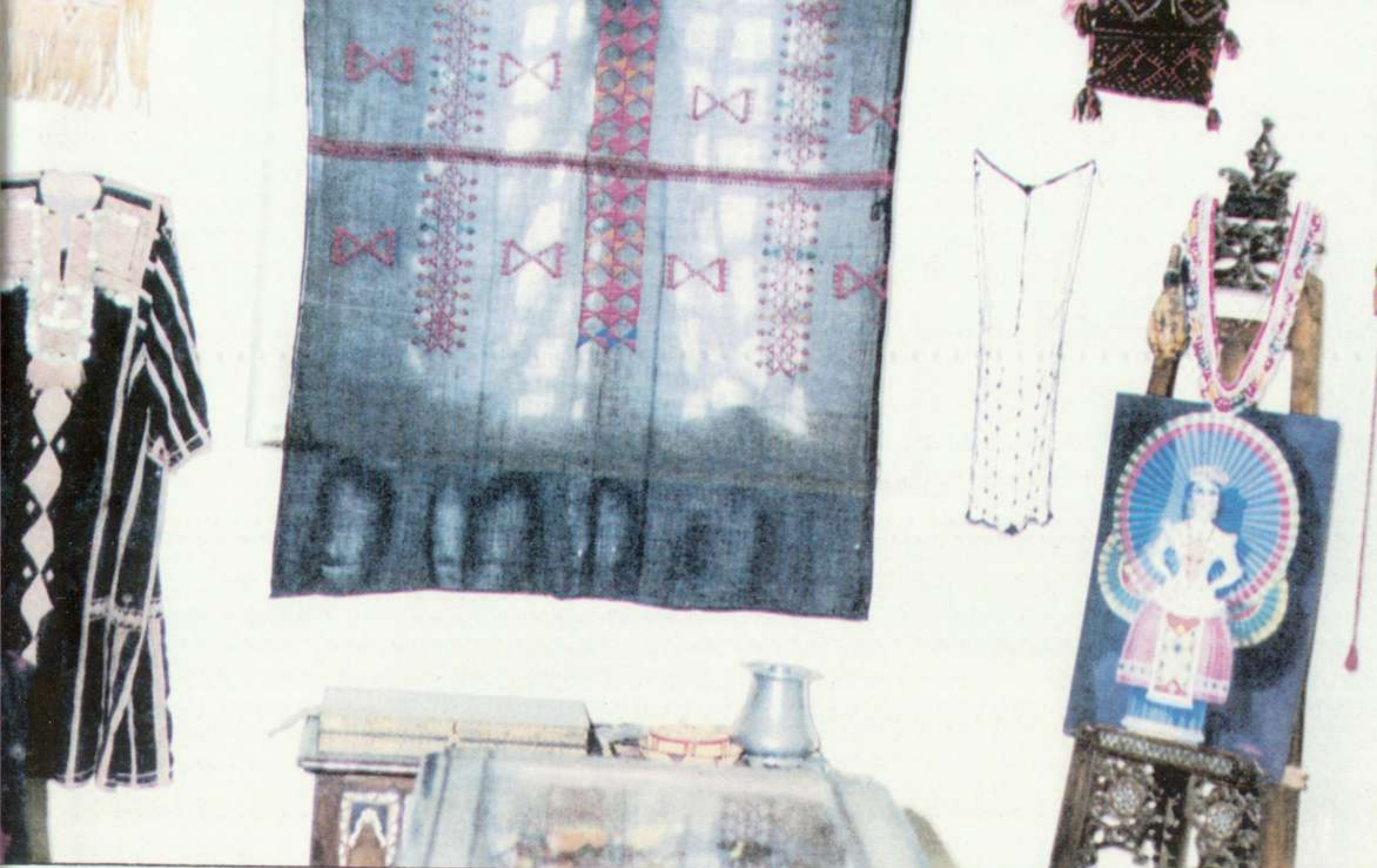
.. ولكن لا مؤلف اللحن معروف ولا مؤلف الكلمات معروف ، فجميع الفنون الشعبية أصحابها مجهولون .

وإننا نرى وحدات زخرفية فى التطريز على الملابس والمنسوجات او الطـراز المعمارى ولا نعرف صاحبها ، وطالما هذه الوحدات مستخدمة فهى من الفن الشعبى أما ما بطل استخدامه فهو من الفنـون التاريخية .

كما أن الصناعات الشعبية والبيئيـة تتاثر تاثيراً واضحاً بالمناخ الجغرافى وطبيعة البيئة ، فالمساحات المزروعة الخضراء لها تاثيرها فى المناطق الريفية ، أما بدو الصحراء فصناعاتهم الشعبية مختلفة ، وعلى سبيل المثال فملابسهم الصوفية من الغنم والوبر حيث لا ينبت القطن أو الكتان فى الصحراء ، لهذا ففنون البدوى على الوبر والصوف والجلود لانه يصنع منها ملابسه ويبنى بها خيمته وينسج منها فراشه ، ولأن البدو رحل فهم يتصلون باطراف المدن والقرى فيشترون الملابس التى تلائم بيئتهم ، وهم يفضلون الاقمشة السوداء للمراة حيث انها اللون الذى يظهر بوضوح عن بعد فى الصحراء القوية الضوء ذات اللون الاصفر على امتداد البصر ، أما الخيوط الملونة فيطرزون بها ما بين الخياطات .. وكلما كثر التطريز وتنوع كان ذلك دليلا على مهارة الفتاة او السيدة ، وهو أمر يدعو للفخر والتباهى ، وكل بيئة لها مثل هذه المواصفات .

تجاوز الحدود السياسية

ان التجاوز الجغرافي يحقق وحـدة فى الفنون الشعبية لا تعترف بالتقسيم السياسى .. مع ان اختلاف المناخ له تاثيره الحاسم .. فالجو الحار فى النوبة جعـل الملابس اخف منها فى سيناء حيث الجو صحراوى قارى .. وفى سيناء لكل قبيلة



هذا الركن الهام فى متحف رعاية النمر تتوسطه « طرحة » من سيناء معروضة فوق النافذة ، وبجانبها برقع بنت البلد المصرية (فى المدن) وعلى الجانب الآخر جلباب من الواحات البحرية ..... ثم معروضات من الصوف والجلد من الجزائر وسوريا





ركن اخر من المتحف يضم غطاء راس من الصوف الاحمر من تونس .. ومراتين على الجانبين من المغرب .. وبعض المقتنيات من فلسطين والسودان والجزائر

ما يميزها فى الملبس ويتركز فى لون البرقع ونوعه ، فهو كالعلم : يتيح معرفة الانتماء القبلى من شكل البرقع . وهناك ملابس للمناسبات ، كما ان ملابس المراة المتزوجة تختلف عن ملابس الفتاة العذراء .

ونلاحظ ان كل الملابس الشعبية فيهـا جهد فنى والوان مبهجة وتطريز وحليات وعملات معدنية او ترتر او ازرار (كما هو الحال فى واحة سيوة) مع كمية كبيرة من الحلى .

كما نجد ان اغلب الملابس التى تخرج بها النساء من الدار باللون الأسود بينما الشال الملون للفتيات والشال الأسود للمتزوجات .. وفى المغرب نجد أن اللون الابيض بدلا من الأسود فى ملابس النساء

ومع ذلك فالفنون الشعبية تتضمن فنونا مهاجرة من بلد الى اخر وهى تواصل الحياة ولا تندثر تبعا لتشابه المعتقدات والعادات والتقاليد ، وقبل كل هذا جغرافية المكان والمستوى الاقتصادى فى الموقع الجديد الذى هاجرت اليه .

إن تشابه البيئات يؤدى الى تشابه فى مواصفات الانتاج الشعبى ، ومن هنا نجد تشابها بين بدو العراق وبدو سيناء وبدو المغرب ، ولكن اذا كانت الهجرة الى بيئة مختلفة فان الفنون المهاجرة تتاقلم مع البيئة الجديدة حتى تؤدى المنتجات الشعبية وظيفتها بكفاءة ، ولو طبقنا ذلك على العمارة او الملابس او الحلى او الفخار نجد ان هذه النظرية صحيحة ، فبالنسبة

للملابس نجد ان سكان الجبال يرتدون ملابس تختلف عن اردية سكان الوديان من ناحية الاتساع والضيق وسمك النسيج وعدد الأردية التى يلبسها الشخص الواحد فوق بعضها .. كما نلاحظ اختلاف ملابس المناسبات مثل الأعياد والزواج والحج ورؤية هلال رمضان .. الخ . فلكل منها مميزاتها التى تتمشى مع المناسبة .

ومما لاشك فيه أن الفنون الشعبية تقع دائماً تحت تاثير الحكام والاغنياء ، اذ يتجه الفنان الشعبى فى كثير من الاحيان الى تقليد الحكام ومحاكاتهم ، فنرى تاثير الفاطميين ثم الاتراك ثم الانجليز باقية آثارهم حتى الآن .. وهناك اشياء تدهشنا اذ يرفض البعض التخلى عنها ، مثل الطربوش التركى مع الجلباب البلدى مع البالطو الانجليزى بينما الحذاء ايطالى ! !

وحدة الفنون العربية

وتعلل الفنانة رعاية النمر اهتمامها بالفن الشعبى الى انحيازها للشعب وللناس البسطاء .. لقد اكتشفت ان الجمال ليس قاصراً على ما يمتلكه الاغنيـــاء والقادرون اقتصادياً ، لكنه يشمل الانسان اينما وجد .. فالانسان ذواق للجمال ومحب للتجميل فى كل مكان وكل البيئات ، سواء فى الصحراء أو الريف ، وهو يحقق ذلك رغم ظروفه الاقتصادية المتواضعة .

والفن الشعبى هو فن تلقائي صادر عن الفطرة ، متوارث ، يتعلمه الصغار عن الكبار ، به اضافات باستمرار ، يعبر عن الاحاسيس والمعتقـــدات والظـــروف الاجتماعية لكل بيئة .. ونستطيع ان نلاحظ تاثير البيئة والمعتقدات على بعض انواع الفنون الشعبية مما يجعلها لا تعترف بالحدود السياسية او الجغرافية ..

وعلى سبيل المثال فان منطقة النوبة تقع داخل الحدود السياسية بمصر ولكن تجاورها مع السودان جعل فنونها الشعبية امتداداً لفنون السودان ، كذلك نفس الامتداد والتشابه بين فنون قبائل الصحراء الغربية فى مصر والفنون الشعبية الليبية ، ونفس الظاهرة نجدها فى فنون سكان شبه جزيرة سيناء التى تعتبر امتداداً للفنون الشعبية فى فلسطين وشبه الجزيرة العربية .

وعلى المستوى العربى تحقق وحـــدة المعتقد وتقارب التقاليد نوعاً من التشابه فى الفنون الشعبية تجعل من الصعوبة التفريق بينها رغم وجود التمايز فى التفاصيل .

لقد اكتشفت الفنانة مع طول معايشتها للفنون الشعبية فى البلاد العربية انهـا تتضمن نوعاً من الوحدة فى الذوق العام لا تعترف بالحدود السياسية والخلافات العارضة ، وهى تستنتج من هذه الظاهرة وجود وحدة فكرية ووحدة فى المزاج العام للشعوب العربية تمثل اساساً مناسباً وتشير الى امكانية تحقيق درجات اخرى من الوحدة العربية فى عصرنا الحاضر .. ان التقارب فى الظروف قد حققت تقارباً شديداً فى مجال الفنون الشعبية .

وتتمنى الفنانة لو اهتمت حكومات البلاد العربية أو الجامعة العربيـــة بمساعدتها فى استكمال رسالتها ولو بالمراجع العلمية والكتب والصور وافلام الفيديو ثم اتاحة فرصة السفر والدراسة والاقتناء .

صبحي الشاروني



زى عروس تونسية .. بين هذا الزى وغيره من الأزياء العربية تتحقق وحدة التراث وتقارب التقاليد

من روائع الفن العالمي

بقلم : جمال قطب

بين الحرّية والإبداع



الفنان الفرنسى جاك لويس دافيد (١٧٤٨ ـ ١٨٢٥)

فرنسا .. وعاصمتها مدينة النور باريس لا يمكن لأى باحث فى مجال الفن إلا ان تكون باريس محوراً لاهتماماته منذ افول نجم عصر النهضة الايطالى باساطينه العظام فى القرن السادس عشر ..

إلا ان معظم الآثار الفنية ذات القيمة التى ظهرت فى فرنسا خلال القرون الثلاثة التى سبقت الثورة الفرنسية فى القرن الثامن عشر ، كان إما مستورداً او مسلوبا باعتباره من غنائم الحرب وبخاصة من إيطاليا والبلاد الواطئة (بلاد الشمال الأوروبى) .

ومنذ أن استقدم الملك فرنسيس الأول فى عام ١٥١٦ رسام عصر النهضة الايطالى الشهير ليوناردو دافنشى لتزيين البلاط الفرنسى بابداعاته ، اصبح الاهتمام بالفن وإكبار شانه من التقاليد المتوارثة بين رجال الحكم فى فرنسا .

نعود الى رسامى البلاط الفرنسى فى القرن الثامن عشر قبيل الثورة ، وكانوا هم خير من انجبتهم البلاد حينذاك ،فنراهم وقد وجدوا انفسهم منساقين إلى ارضاء الارستقراطية المترفة وإظهار الرونق والابهارات البصرية فاضحت اعمالهم اقرب إلى البريق الزائف منه الى المضامين والأبحاث الفنية الجادة الرصينة . ولذلك عرف اسلوبهم الناعم الحالم باسم (الروكوكو) Rococo وهو نوع من الزخرف يقوم على الأقواس القصيرة الشبيهة بالتفافات القواقع ، ومن هنا كان هذا الاسم الذى اطلق عليه : إذ هو مقتبس من الكلمة الفرنسية Rocaille ومعناها النقوش القوقعية الشكل .

وكان فن البلاط هذا بعيداً كل البعد من واقع الحياة وتجاربها ، ويكاد ان يقتصر على حياة الترف الفرنسى الغارق فى البذاخة والارستقراطية .

وكما هو معروف ، فان لكل فعل رد فعل .. وبقدر التطرف فى الأمور ، بقدر ما تكون عليه ردود افعالها !

حدث فى عهد لويس الخامس عشر ان انتشر فجاة التهوس بالفن الكلاسيكى ، على إثر ما كشفت عنه التنقيبات التى كانت جارية إذ ذاك فى إيطاليا من اطلال وتماثيل رومانية تحاكى الفن الاغريقى القديم .. وقد كانت هذه المكتشفات بمثابة دفعة جديدة للروح الوطنية فى نفوس الشباب .. ووجد فيها بعض الفنانين متنفساً للتحليق فى آفاق الأصالة والتراث العريق .. وتمرداً ـ فى الوقت ذاته ـ على فنون الرونق الزائف وترف (الروكوكو) !

وتزعم هذا التيار الوطنى الجارف رسام شاب قدر له أن يصبح عظيم الشان والنفوذ فيما بعد هو (دافيد) واسمه الكامل : جاك لويس دافيد . ولكى يبرهن لويس السادس عشر على مشاركة الشعب فى مشاعره الوطنية ، طلب شراء لوحة (دافيد) الشهيرة المسماة : قسم الاخوة هوراس ، تلك التى استوحاها دافيد من احد المواقف الوطنية فى التاريخ الرومانى القديم . وبذلك انقلبت الأوضاع .. ورأينا لويس السادس عشر يتملق الفنان بدلا من تكالب الفنانين على تملقه قبل ذلك .

وعندما قامت الثورة الفرنسية .. اصبح (دافيد) زعيم المصورين فى فرنسا .. وبعد ان انتخب فى عام ١٧٩٢ عضواً بالجمعية الوطنية ، لم يصبح رسام الثورة فحسب ، بل الحاكم بامره فى كل ما يتعلق بشئون الفن ، فقضى بقبضته الحديدية على كل اثر لمذهب الروكوكو ، وفرض مذهبه الجديد المرتكز اساسا على العودة إلى الكلاسيكيات الماضية وإلى الأسلوب الرصين البارد المتزن الذى يتميز به الفن الاغريقى .. وأسمى هذا الاتجاه : الكلاسيكية الجديدة !

وقد بلغ من شدة باس دافيد أنه جعل الرسامين فى عصره يحسون بان المقصلة فى انتظار رقابهم إذا لم يهتفوا فى لوحاتهم بسقوط الروكوكو ، وبحياة الكلاسيكية الجديدة !

ونفي دافيد إلى ان مات فى بروكسل عام ١٨٢٥ عقب تطور الامور ونفي نابليون إلى (سانت هيلانه) .

وما يؤخذ على فناننا (دافيد) انه كبل حرية الفنانين بالارهاب وفرض سيطرته بالحديد والنار على ارائهم وافكارهم على مدى اثنين وثلاثين عاماً ، ولم يترك أدنى قسط من الحرية لأى فنان مبدع ، وبذلك ضرب مثلا صارخاً للاستبداد الفنى فى التاريخ ..

وللحق ، فيرجع إليه الفضل فى تحرير الفن الفرنسى من الزخرف السقيم ومذهب الروكوكو الزائف .. والعودة إلى البحث عن الجمال الرزين وحبكة الخطوط القوية المستقيمة .

وعلى الصفحة المقابلة يرى القارىء احدى روائع دافيد وهى صورة رسمها لشقيقته وطفلها عام ١٧٩٥ ، ومحفوظة حاليا بمتحف اللوفر .. وإن كانت هذه اللوحة ليست من اهم اعماله الشهيرة : مثل (قسم الاخوة هوراس) او (بروتوس يتلقى نبا وفاة ابنائه) وغيرهما مما استلهمها من تاريخ الرومان ، إلا انها ـ على اية حال ـ تبين بجلاء ملامح اسلوبه وطابعه الهادىء الرصين .



احدى اللوحات التى رسمها الفنان العالمى جاك لويس دافيد لشقيقته (مدام سيرازييه) مع طفلها عام ١٧٩٥ ، وهى محفوظة فى متحف اللوفر بباريس



زهرة الآلام .. وهى من الزهور الجميلة التى تغنى بها الشعراء فى امريكا الجنوبية حيث موطنها الاصلى ، ويطلق علماء النبات على الزهور من جنسها اسـم : « باسيفلورا » وعادة ما تكون الوان ازهارها ارجوانية او بيضاء .

لغة الزهور

في الأدب والأساطير وعادات الشعوب

بقلم : حسني شحادة



زهرة عرف الديك ..تتميز بازهارها الحرشفية المكتظة فى سنابل غليظة ، ومنها ذلك النوع المخملى كالقطيفة .... إنها إحدى الزهور التى تشيع فى المكان دفئا بلونها الاحمر القانى

الأزهار كواكب عطر تتزين بها الطبيعة . وعلامات انس ومسرة ، وصلات بين القلوب والأرواح ، كم حركت فينا عواطف الحب والحنان ، وكم كانت وسيلة ود بين انسان وانسان ، وقد بلغ من مكانتها ان جعلوا لها أعياداً ومواسم ، وقد ذكرت كتب التاريخ الكثير من تلك الأعياد ، فكان الفاطميون يقيمون للورد مهرجاناً فى كل عام (١) .

ودرجت دول شتى على إقامة معارض الزهور ، يجمع فيه العارضون ثروة من الالوان والعطور ، وذخراً من البشاشة والرواء ، ومحفلا من الارواح الباسمة ، والخواطر الناعمة ، التى ترف حول الرياحين ، رفيف الفراش حول المصابيح ، والتى يعجب الانسان وهو يناجيها ، فيحس قربها ، فيستروح منها انس محضرها ، بتحية يبثها الزهر إليه .

الأزهار والشعراء

وأسعد الناس بالأزهار ، واكثرهم تاثراً بها ، هم الأدباء والشعراء ، والموسيقيون والرسامون والمصورون ، فهم الذين يستطيعون أن ينقلوا الى الناس جمال الأزهار ، واشكالها ، والوانها الحافلة بالبهجة والنضارة والجمال . ولهذا نسجت حولها الأساطير ، فأصبح لكل زهرة أوصاف ، جعلها الفنانون شخوصاً تتكلم ، وتتحرك ، وتحس ، وتشعر ، وتخجل وتفرح ، فيقول الشاب الظريف (٢) :

قامت حروب الزهر ما
بين الرياض السندسية



لعلنا راينا تلك الزهرة فى الكثير من حدائقنا بالوانها الجذابة
إنها زهرة عصفور الجنة التى تعتبر من اجمل زهور العالم .

واتت باجمعهـــا لتغــزوا
روضـــة الـــورد الجنيـــة
لكنهـــــا انكســـــرت لأن
الـــورد ، شوكتـــه قويـــة

وكان المتوكل (٣) ، يعظم الورد فى ريعانه ويقول :
« انا ملك السلاطين ، والـــورد ملك الرياحين ، وكل منا احق بصاحبه » .
وقال اردشير بن بابك (٤) يصف الورد :
« هو در ابيض ، وياقوت احمر ، على كراسي زبرجد اخضر ، توسطه شذور من ذهب اصفر ، له رقة الأريج ، ونفحات الطيب والعنبر » .

اما امير الشعراء احمد شوقي ، فجاء يؤكد زعامة الورد على الزهور فيقول :

الورد فى سرر الغصون مفتح
متقابل يثني على الفتـــــاح
ضـــاحي المواكب فى الرياض مميز
دون الزهـــور بشوكة وسلاح
مر النســـيم بصفحتيه مقبلا
مر الشفاه على خدود مـــلاح

اما النرجس فقد تغنى به الشعراء ، وشبهوه بالعيون ، وقد ابدع ابو نواس وهو يقول :

لدى نرجس غض القطـــاف كانه
اذا منحناه العيون ، عيـــون
مخالفـــة اشكالهن بصـــفرة
مكان ســـواد ، والبياض جفون

ويصف مطران (٥) النرجس فيقول :



لوحة فنية لغصن تتناثر فوقه زهور ابدع الخالق فى صنعها ، وقد وجدت الازهار على اليابسة قبل الانسان بزمن طويل ، وعندما بدا تحضر الانسان اتخذها لغة للتخاطب والتعبير عما يخالج النفس فى بعض المناســـبات

إنما النرجس ابتســامة فجر
الطف نســجها يدا نيسـان
قام فى حلة البيــاض فكانت
ثوب روح .. لا ثوب جســم فان

اما زهرة السوسن ، تلك الزهرة التى يستدل بتفتحها على موعد إقبال الربيــع ، فتعد رمز النقاء ، والتواضع ، ويسميها الالمان « ناقوس مايو الصغير » ، ويطلق عليها الفرنسيون « دموع العذراء » وقد نالت اهتمام الشعراء والأدباء ، ومن اجمل ما قراناه عن السوسن قول ابي الحباب فى ثلاث سوسنات :

أبدت ثلاثا من السوسان مائلة
أعناقهن من الأعـياء والكســـل
فبعض نوارهـــا للبعض منفتـح
والبعض منغلق عنهن فى شـــغل
كانها راحة ضمت اناملهـــا من
بعد ما ملئت من جودك الخضـل

اما الشقائق ، فيروى عن النعمان بن المنذر (٧) انه شاهد فى إحدى رحلاته نوعا من الشقائق ، ذا وريقات حمراء ، فاعجب بها ، وامر بحمايته ، فكان لا يقطف إلا له ، ولم يلبث ان حمل اسمه ، فاطلق عليه شقائق النعمان . ويقول الشاعر ابن الزقاق.

ورياض من الشـــقائق اضحى
يتهادى فيها نســيم الريــاح
زرتهـــا والغمام يجلد منــها
زهرات تـــروق لــون الـــراح
قيـــل ما لونها ؟ فقلت مجيبـا
سرقت حمــرة الخـــدود الملاح



كانت هذه الزهرة بشكلها البديع والوانها الجذابة عنصراً من عناصر الجمال للانسان منذ قديم الزمان ، واطلق عليها العلماء فى عصرنا الحديث اسم « زهرة الحام » .

وقد صورت الشاعرة شريفة فتحي باقة جمعت البنفسج والياسمين والورد والاقحوان ، فى لوحة شعرية بديعة فقالت

اذا كانت الأزهار ذات معـــــان
او صــور الاحســـاس بالألـوان
كان البنفســـج أهـــة الاشجان
وتنهد الشـــكوى من الحـــرمان
والياسمين كاعين من نـــــور
ولهى تنم عن الهـــوى المتسور
والورد يحكي قصــــة العشـــاق
فى لونــه شـــعل من الاشواق
ولكل زهر فى الهـــوى معنـــاه
ولـكل حسن اعين وشـــــفاه
الله بارئه ونحن صــــــــداه
لـون بديـــع جل من ســـواه

لغة الزهور

لغة الزهور هى لغة الحب ، فيقـــول « لامرتين » شاعر فرنسا الكبير :

« الحب وردة ذات أشواك ، وكلما كانت الوردة جميلة ، كثرت حولها الأشواك » .

والمثل الهندى يقول :

« ولد الحب مع تفتح زهرة فى إحدى ليالى الربيع المقمرة » .

أما الكاتب الكبير عبـــــاس محمود العقاد (٨) فيقول :

« لاحت لي الأزهار كانها الفاظ حب رفيعه ، مغشات باستعارات ومجازات ، والنسيم حولها كثوب حسناء فيه شذى ، وكل زهرة كابتسامة ، تحتها اسرار واسرار فى معانى القلب .. اهي لغة الضوء الملون من الشمس ، أم لغة الضوء الملون على الخد والشفة والصدر والنحر والديباج والحلى » ..

أما مصطفى صادق الرافعى (٩) الأديب والكاتب المشهور فيقول :

« الزهرة يا صاح .. الزهرة الجميلة التى تطويها فى يدك ، قد تروى لك من فخامة هذه الاسرار ، ما تمتلىء به أفاق الأرض وابراج الشموس والاقمار ، فاذا اخذتهـا بين اصبعيك ، فاذكر انها رمز الحب ، وإذا ذكر الحب ، فاذكر انه الجمال الآلهى والخلود السرمدي » .

والشعوب والأزهار

وتنسيق الأزهار تعبير عن النفس البشرية ، ترسله فى تصوير إبداعي لتعبر به عن الأحاسيس ، ولترمز به الى الآمال ، والرغبات ، والاماني ، لتكون راحة للنفس ، ومبعثا على الرضا ، وتحقيقا لقناعة روحية

وقد اختلفت البلاد والشعوب فى طرق تنسيق الأزهار ، انطلاقا من رسالة التنسيق التى تتميز بناحيتين ، التصوير والتعبير (الرمز) ، أما التصوير ففي انية التنسيق ، وأما التعبير ، فيكون عن معنى قائم او أهداف عليا ، أو أمان يرنون إليها .

لقد هام العرب بالزهور ، فاحتلت آثارهم الأدبية واشعارهم، وعندما انتشر الاسلام فى ممالك الأرض ، حفلت آثار التاريخ بتجميد الأزهار وتصويرها والتغني بجمالها وأريجها ، فقصور الامويين فى الأندلس ، وقصور العباسيين فى بغداد ، تنطق بالحس المرهف والجمال البديع ، فكانت مادة الأدباء والشعراء بما فيها من مباهج وجمال .

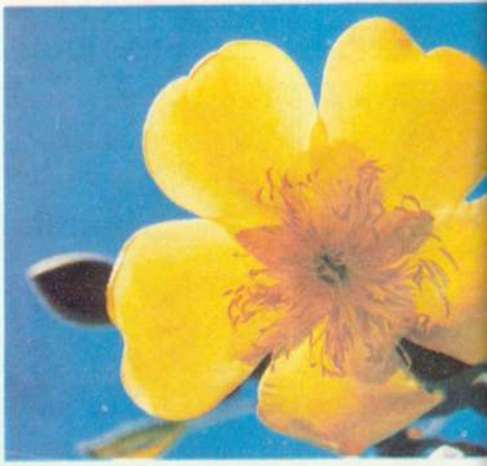
أما فى مصر التى تمثل حضارة عريضة امتدت آلاف السنين ، فقد رفع الفراعنة مكانة الزهور وجعلوها فى مكان سام فى تكوينهم السياسي ، اذ علت زهرة «اللوتس» تيجان الملوك ، واستخدمت رمزا نقش على أثارهم ، وزينت بها معابدهم .

وكان الصينيون يحبون الأزهار لذاتها ، وكان بوذا يتحدث عن جمال الطبيعـة ،





زهرة « صبير السحلب » التى تستخرج منها الأصباغ الهامة، وهذا بخلاف زيوتها العطرية



يقال انه فى زمن السفن الشراعية كان البحارة يعرفون انهم يقتربون من اليابسة قبل ظهورها فى الافق ، إذا جاءتهم نسمة تحمل اريج الازهار إلى انوفهم.. ثم زهرة جميلة اخرى لا تكتفى باستعراض ما لديها من جاذبية خاصة ، ولكنها مصدر هام لطعام النحل التى ترشف منها الرحيق ثم تودعه فى بيوتها عسلا .

فبنى أول معبد ، فوضع فى محرابه ، حاملا من الابنوس عليه زهريات من الخزف الصيني ، ونسق الأزهار وفقا لما تاثر به فى الطبيعة ، فبعض النباتات الطويلة يظل غيرها الصغيرة التى تنمو بجوارها ، وتحنو عليها كصديقين عزيزين ، وهنـــا يبعث الجمال من أسفل ، وينتهى بالسيادة من أعلى ، وقد سمي هذا النظام « ريكوا » .

الأزهار فى اليابان

وتعتبر اليابان بحق ، مصدر وحي وإلهام فى فن تنسيق الأزهار ، وارتبط فن النسيق بحياة اليابانيين ، ولم يقتصر ذلك على الناحية الروحية ، بل ارتبط باخص الطقوس الاجتماعية ، وادقها بحياة الاسرة فى المنزل ، حتى اصبح هذا الفن من اصول الثقافة الوطنية .

ولتنسيق الأزهار عندهم فلسفة خاصة ، مبنية على المشاهدة والتامل والرمز فالمشاهدة فى الطبيعة ، والتامل فى الخطوط الثلاثة ، فيعبرون باحدها الى القوة الغامرة التى تسيطر على حياتهم ، ويرمزون اليها بالشمس أو السماء ، اما الخط الثاني ، فيرمز الى الانسان وصور حياته ، بينما الخط الثالث يرمـز الى الأرض منشا الحياة ونهايتها .

ولعل أهم ما يميز الفن اليابانى فى تنسيق الزهور منذ القدم ، ذلك الجمـال الناتج عن البساطة التامة فى الايقاع الموسيقى للجمال ، هذا الايقاع الذى صمم بعناية ودقة ، حتى اصبح طبيعة فى نفوس اليابانيين ، وليس فنا تخصص فيه البعض دون الآخرين . بل اصبح التعبير بالخطوط طبيعة عابية عندهم . فتوضع الزهرية على حامل له ثلاث قوائم ، ويوضع لكل زهرية منظر خلفي ، عبارة عن لوحة عليها رسوم زيتية ، تمثل منظراً يخالف ما بالزهرية ، وتسمى الزهرية وما حولها باسم « تولونوما » ، ويعرف تنسيق الأزهار باسم « ايكيبانا » .

ويعتبر فن تنسيق الأزهار فى اليابان ، صحيفة الشرف التى تمجد تكوين الطبيعة التقليدى ، عن طريق التجمع والتالف ، وليس ادل على ذلك من زهرية تجمع بين فرع من الصنوبر وازهار من الورد ، فالصنوبر يرمز الى القوة والرجولة ، حيث تقف اشجارها فى الطبيعة شامخة بهاماتها المرفوعة ، واوراقها الابرية الخضراء ، تصارع أحداث الشتاء وقيظ الصيف ، اما الورد بالوانه الجميلة ورقة اوراقه ، فيمثل السيدة الجميلة الرقيقة الاجتماعية ذات الحديث الطلي ، تستظل فى حمى جبروت الصنوبر .

حسني شحاده

هوامش :

(١) الربيع فى الادب والفن لمصطفى عبد الرحمن

(٢) هو عفيف الدين التلمساني من شعراء عصر المماليك الذين عنوا عناية بالغة بالبديع .

(٣) هو المتوكل على الله جعفر بن محمد المعتصم الخليفة العباسي العاشر .

(٤) احد ملوك الفرس من السلالة الساسانية

(٥) خليل مطران شاعر القطرين ورائد الشعر الحديث .

(٧) ملك الحيره .

(٨) كتاب مراجعات ص ٢٦ .

(٩) من كتاب وحي القلم جـ١ ص ٣٨ .

مراجع البحث

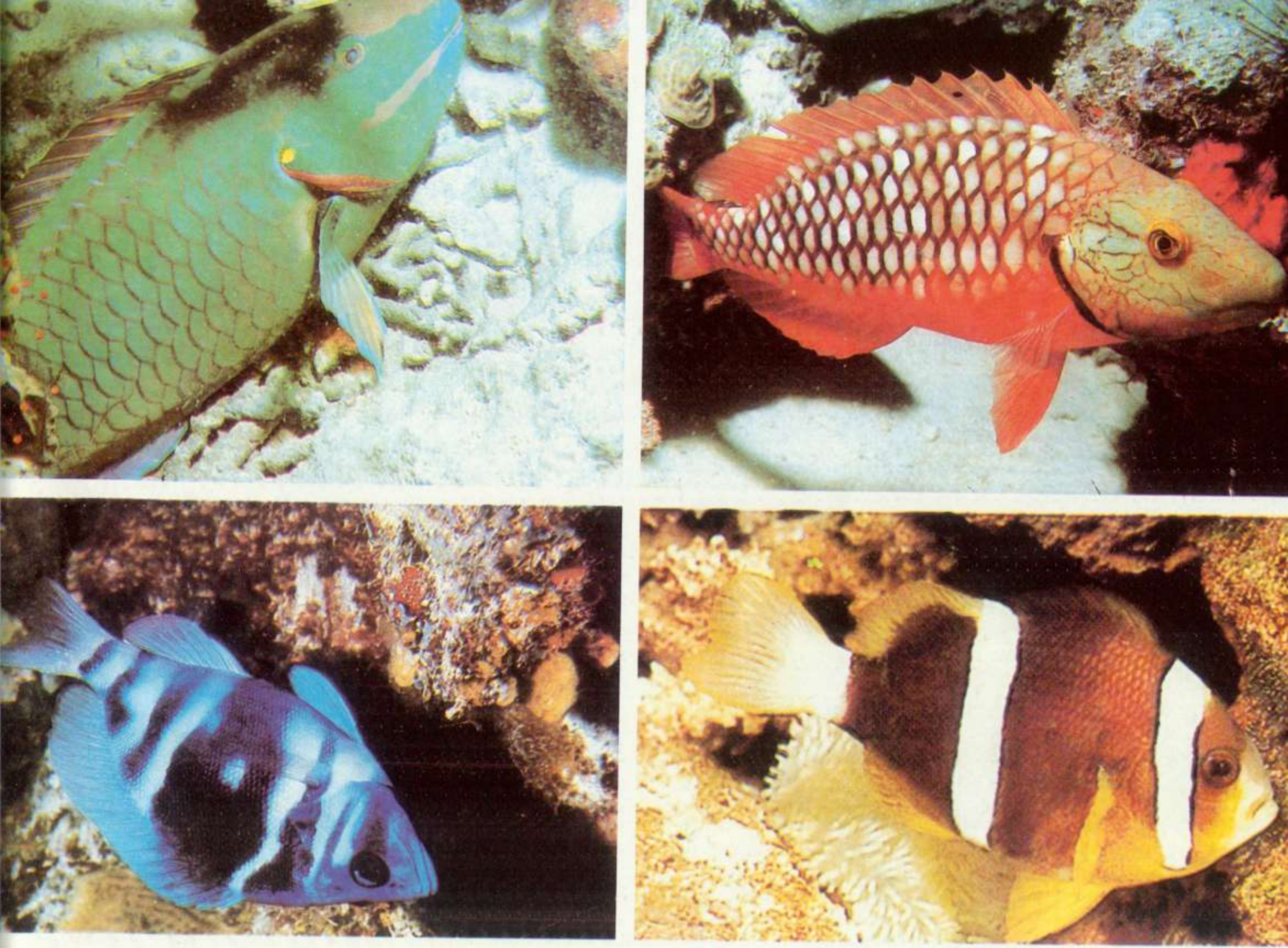
١ – حلمي ابراهيم سلامه عون : تنسيق الازهار .

٢ – عز الدين فراج : فن تنسيق الازهار .

٣ – الشيخ علي بن عبد الله الثـــاني : المختارات الشعرية .

٤ – مصطفى عبد الرحمن : الربيع فى الادب والفن والحياة .

٥ – محمد يسرى الغيطاني : الزهور ونباتات الزينة .



اربع لقطات لتلك الانواع الغريبة من الاسماك .. إلى أعلى السمكة الببغائية التى تمضى طفولتها ملونة بخطوط حمراء ثم تغير شكلها الى الوان يغلب عليها الاخضر والازرق عندما تتحول إلى ذكر كما ترى فى الصورة الثانية .. والصورة الثالثة لسمكة شقائق النعمان التى تغير جنسها وليس لونها ، واخيراً صورة لسمك الهاملت النيلى اللون الذى يغير جنسه عدة مرات فى اليوم الواحد !

أنماط من الحياة نراها غريبة .. ولكنها حقيقة واقعة :

ذكور تتحول إلى إناث وإناث تتحول إلى ذكور عندما تتغيّر ظروف المعيشة !

إعداد : حسام جميل مدانات

صدق أو لا تصدق : هناك أنواع من الأسماك تخضع لظاهرة تغيير الجنس ، الاناث تتحول الى ذكور ، والذكور تصبح إناثاً ، وهذه الأسماك تعيش فى المناطق المدارية والاستوائية ، وبين ٢٣ عائلة على الأقل ، وهذا التحول الغريب يعطى هذه الأسماك أفضلية فى التناسل ، كما أنه يوفر لها سلاحاً جديداً تواجه به الأعداء عندما يتم القضاء على كل ذكور أو كل أناث العائلة ، فهنا يستطيع الجنس الآخر أن يعوض النقص الواضح ، وأن ينقلب إلى النقيض ، وأن يستمر فى دورة الحياة !

عرض من الألوان المتراقصة بين الصخور الملونة في قاع البحر ..

لوحات طبيعية مذهلة تتطلب لغة شاعر مبدع للتعبير عنها ..

ففي ناحية من الماء ، ترى مجموعة من أسماك « اللبروس » زرقاء الراس .. الانثى تميل للصفرة ، بينما الذكر اكبر حجماً ، أزرق اللون ، بظهر مخطط .. وفجاة تمر انثى سمكة الببغاء ببطنها الاحمر ، وببقع بيضاء سداسية الشكل كخلايا النحل تتوزع على الجسم الرمادي. بينما يبدو الذكر بلون شراب النعنع .. اخضر اللون مع ظلال برتقالية ووردية وببقعة صفراء على ذيله .

إن اختلاف اللون بين الجنسين في الأسماك ، يظهر صارخا في مثل هذه الانواع حتى انه كان يعتقد في السابق انها تنتمي لانواع مختلفة ، ولكن مراقبة هذه الأسماك اثناء التزاوج ، مكنت علماء الاحياء البحرية من حل الالغاز ، ومعرفة وتحديد الذكور والاناث من نفس النوع ، كما كشفت هذه المراقبة اموراً محيرة ، ففي بعض الاحيان ، كانت بعض أسماك « اللبروس » تبدو وكانها ليست ذكراً ولا انثى . وانما شيئاً ما بينهما ، كان لونها يظهر اصفر مخططاً ، ولم يتمكن العلماء كذلك ، من العثور على ذكور « اللبروس » صغيرة ، وكانما الذكور كانت تظهر فجاة ناضجة كبيرة الحجم دون أن تكون قد مرت بمرحلة الطفولة .

وكان تفسير هذه الظاهرة الغامضة مثيراً للحيرة والدهشة ، فذكور «اللبروس» كانت تمر بمرحلة الطفولة ، ولكنها عندئذ كانت إناثا ، وهكذا فان جميع صغار اللبروس تكون إناثا ، ثم يغير بعضها جنسه وتصبح ذكوراً عندما تصل الى سن وحجم معينين !

ظاهرة منتشرة

وقد تبين ان ظاهرة تغيير الجنس منتشرة بين العديد من انواع الأسماك ، وخاصة تلك التى تعيش فى المناطق المدارية والاستوائية ، وقد اكتشفت هذه الظاهرة في ٢٣ عائلة على الأقل ، تنتمي الى سبع رتب منفصلة.

والتحول الجنسي قد يكون في اي الاتجاهين . ولكن تحول الاناث الى ذكور Protogyny هو الغالب ويظهر فى أسماك اللبروس .

وقد يكون صحيحاً أن معظم اسماك الشواطىء المرجانية تبدأ حياتها إناثا ، اما التحول الجنسي من ذكر لانثى Protandry فهو اقل انتشاراً ، ولكنه ليس نادراً ، ويظهر فى اسماك ذئب البحر Bass Protogyny والاخنس Parrotfish والسمكة الببغائية واللبروس Wrass .

ما هي الفائدة ؟

ولكن ، لماذا يغير احد الافراد جنسه ؟ وهل من فائدة يجنيها ذلك النوع من الاسماك الذي يتميز بظاهرة تحول الجنس ؟

من التفسيرات المحتملة ، ان هذه الظاهرة تحصل في الانواع التي يكون للافراد كبيرة الحجم فيها امتيازات وافضلية في مجال التكاثر والجنس ، فمثلا عندما تنجح ذكور قليلة كبيرة الحجم باحتكار التزاوج مع مجموعات كبيرة من الاناث ، فان الذكور الاضعف والاصغر حجماً تجد نفسها منبوذة محرومة من حقها في التزاوج ، وعليها عندئذ ان تنتظر حتى تنمو

أما الاناث فى هذه الانواع فليست مجبرة ان تنتظر طويلا ، فهناك دائما ذكور تنتظر الفرصة لتلقح البيض الذى تفرزه هذه الاناث !

وهكذا فالفرد الذي يتحول من انثى الى ذكر يتمتع بحياة خصبة في كلا العالمين ، فهو يضمن تزاوجا ناجحا في صغره في عالم الانوثة ، وله فرصة كبيرة في الحصول على اناث كثيرة خاصة به

اما في الانواع التي لا يظهر فيها تحول الجنس ، فان احد الجنسين على الاقل يكون خاسراً فى احدى مراحل حياته .

ولكن ، لاحظ ، ان هذه الاستراتيجية (إذا صح أن نعتبرها كذلك) ، لا تعتبر فعالة وضرورية إلا في تلك الأنواع التي تتمتع فيها الذكور كبيرة الحجم بحق التزاوج مع عدد كبير من الاناث ، وحيث لاتسنح الفرصة لصغار الذكور لممارسة هذا النشاط ، وقد ايدت الملاحظات والدراسات هذا الرأى ، فسمك « اللبروس » «والسمكة الببغائية» «وذئاب البحر الصغيرة» تتكاثر بتواجد مجموعات كبيرة من الاناث مع ذكر قوي يسيطر عليها ، أو ان الاناث تتكاثر بوضع البيض في مواضع معينة من البحر ، وهذه تقع عادة ضمن ملكية بعض الذكور كبار الحجم !

وعلى النقيض من ذلك ، نجد في بعض انواع « اللبروس » الأوربية . ان الذكر يبذل جهداً ووقتا كبيرين في تجهيز بيت تضع فيه الاناث بيضها ، ثم يرعى ويحمي هذا البيض ، ولهذا ، ففى هذه الانواع لا نلاحظ ظاهرة التحول الجنسي

وفى بعض انواع سمك « اللبروس » التي تعيش في مياه البحر الكاريبي ، نجد في نفس الوقت تحول إناث الى ذكور وأيضا وجود ذكور صغيرة ، فكيف تتمكن هذه الذكور الصغيرة من الحصول على إناث لتلقح بيضها ؟

إنها تلجا لواحدة من وسيلتين : إما ان تتجمع الذكور الصغيرة فى قطعان تجبر ذكراً كبيراً على التخلي عن قسم من ممتلكاته من الأرض والاناث ، او ان ينسل الذكر الصغير مع قطيع الاناث حيث لا يمكن تمييزه عنها سواء بالحجم او باللون ، وهكذا لا يثير انتباه الذكر الكبير أو يسبب اعتداءه ، ويحاول اثناء ذلك حفز انثى مجاورة له على وضع البيض ليلقحه .

لماذا التحول ؟

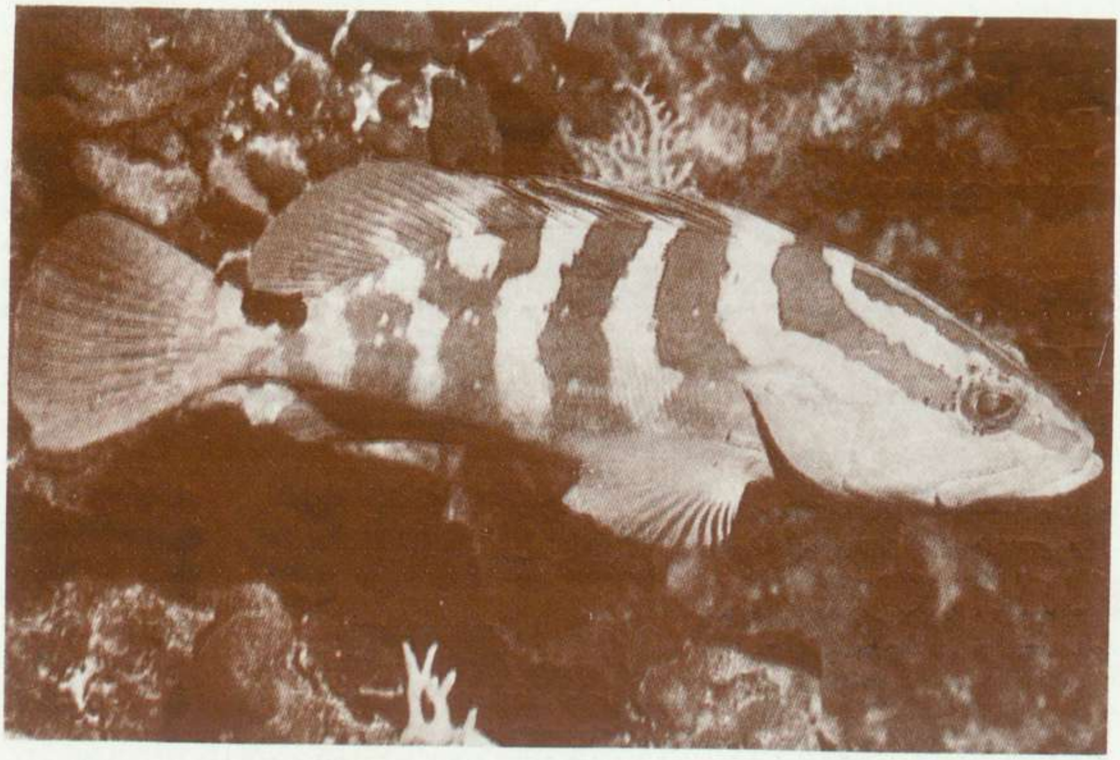
هل يمكن ان نفسر تحول الذكور لاناث فى بعض انواع الأسماك بنفس الطريقة ؟

لقد لوحظ بالفعل ان الاناث في هذه الأنواع تكون اكبر حجماً ، فهذا يعطيها افضلية في التناسل .

وهكذا فان أصغر الذكور يستطيع ان يرعى أكبر الاناث . وهكذا نجد أن الصغار تكون معظمها أو جميعها ذكوراً ، ثم يتحول بعضها الى إناث عندما يكبر حجما !

وعندما يلتزم كلا الجنسين بشريك واحد طوال الحياة ، فان انتاج البيض يكون اكبر

ذكور تتحول إلى إناث وإناث تتحول إلى ذكور عندما تتغير ظروف المعيشة!



عندما ندرس هذه الانواع من الاسماك ، سنكتشف انها قادرة على التنظيم الاجتماعى او العائلى الذى يؤدى الى التطـــورات الغريبة التى تحدث فى عالمها

إذا كانت الأنثى الأكبر حجماً ، ونجد هنا مثالا رائعاً على التحول الجنسي من ذكر لأنثى في سمك شقائق النعمـان البحريـة Anemonefish ويسمى بهذا الاسم لأنه يعيش فى ظل وحماية شقائق النعمان البحرية ولا يتاثر بلسعها ، ونجد فى البيت الواحد فردين بالغين فقط : احدهما انثى والآخر ذكر ، وباقي العائلة اسماك غير ناضجة جنسيا . وتكون الأنثى هي الاكبر حجماً ، ولكن إذا اختفت الانثى لأي سبب ، فان اموراً غريبة تحصل ، اذ ان الذكر يتحول الى انثى بينما ينضج اكبر الأفراد فى الجوار ليتحول الى ذكر !

ويعتبر هذا النظام مثالا صارخاً على القدرة على التنظيم الاجتماعي او العائلي إذ تكون الظروف الاجتماعية حافزاً لحصول تطورات جنسية ، ويكفي أن ندرس النظام الاجتماعى في سمك « اللبروس الخادم » على الشواطىء الاسترالية . وقد سمي بالخادم ، لأنه يعيش في مجموعات ضمن مناطق مرجانية محددة ، ويقوم بتنظيف جلد الأسماك الكبيرة التي تزور « محطة التنظيف » الخاصة بها ، فينظفها من الطفيليات والمخاط !

وتكون المجموعة كلها من الاناث ، باستثناء اكبرها الذي يكون ذكراً يحمي مجموعته ويدافع عن منطقته ، واذا مات الذكر أو ابعـــد عمداً (كما يحصل اثناء إجراء الدراسة عليها) فان اكبر الاناث تقوم بدوره ، من حماية للسكان والاناث ومغازلتها ولكنها لا تتحول الى ذكر إلا بعد بضعة ايام !

الفقاريات الأخرى

لماذا لا تحصل ظاهرة التحول الجنسي في حيوانات فقارية اخرى غير الأسماك ، خاصة وان بعض الطيور والثدييات تتميز بانماط تزاوج تظهر فيها افضلية الذكر الأكبر والأقوى ، فذكر الفقمة (من الثدييات) ينتظر عدة سنوات حتى يصل الى حد يمكنه من امتلاك الأناث ، فلماذا لايمضي هذه السنوات كانثى ؟

قد يكون السبب ان الفروق الجنسية بين الذكر والانثى تكون كبيرة جداً في الثدييات والحيوانات الأرضية عامة ، فهي فروق في الحجم والشكل وايضاً في الصفات التناسلية الخارجية والمصممة لضمان عملية التلقيح ، وهذا أمر لانلاحظه فى الأسماك والتي يلقح بيضها خارجيا ، حيث تلقي الأنثى عادة بيضها للماء ، ويقوم الذكر عندئذ بتلقيحه !

ولكن هناك استثناء واحداً على الأقل ، فقد عرف ان الدجاج قد يغير من جنسه احياناً ، ففي الطيور عامة يكون المبيض الأيسر فقط فعالا (من اجل تخفيف وزن الطائر لتسهيل الطيران) ، والدجاج ليس استثناء عن هذه القاعدة ، ولكن إذا اصيب المبيض الايسر بالمرض ، او توقف عن افراز البيض لأي سبب ، فان المبيض الأيمن قد يتحول وتظهر الدجاجة وتتصرف كانها ديك ، وفى أوربا فى القرون الوسطى كانت الدجاجة من هذا النوع تعتبر من نسل الشيطان ، وانها فقست من بيضة ديك ، وكانت تحرق حية . ولحسن حظ الاسماك فان تغيير الجنس فيها لم يكتشف في ذلك الوقت ، وذلك حتى لا يسجل تاريخ القرون الوسطى حالات حرق الأسماك باعتبارها من نسل الشيطان !

حسام جميل مدانات
الأردن ـ عمان

الكتاب الخليجي في خطر وهـــذه هي الأســـباب

بقلم : محمد المنصور الشقحاء

عندما تتم مطالبتي بالكتابة فمعنى ذلك انني مدعو للمشاركة في نقاش بناء الهدف منه الوصول الى نتائج افضل . لتكون بناء سليما خاليا من العيوب .

من هذا المنطلق ، وجدت ان حديث الاستاذ عبد القادر عقيل عن ازمة توزيع الكتاب الخليجي (الدوحة – عدد ٩٢) دعوة للمشاركة ، حيث ان الحديث ذو شجون والموقف لا يحتاج الى قواعد او قوانين او تنظيرات .. لعلم حديث ، انما هناك من سبقنا الى حل اشكاليات توزيع الكتاب . وايجاد معابر يستطيع من خلالها ان يصل الى متناول كل فرد .

ومن واقع اشكاليات توزيع الكتاب السعودي اتحدث ، وقد جربت طبع المؤلفات الخاصة ، والمشاركة في طبع المؤلفات السعودية من خلال نادي الطائف الادبي . الذي اسهم اسهاما كبيرا في هذا المجال بعد ان كانت الساحة الادبية تفتقر الى المؤلفات الابداعية والعلمية والادبية .

فلقد قام نادي الطائف الادبي بطبع مؤلفات عديدة ، وقف التوزيع امام انتشارها في مدن المملكة العربية السعودية وفي الوطن العربي . رغم ان اسعار هذه المؤلفات زهيدة وتتفق مع منسوب اسعار المؤلفات العربية الاخرى حيث روعي في ذلك بند وصول الكتاب للقارىء وبثمن غير مرهق .

انما دور التوزيع . كانت في واد . وهدف النادي في واد . واحساس المؤلفين بالانسحاق – الأمر الذى أفشل كل التجارب . وانا اسميها تجارب ، لانها كانت من طرف واحد هو النادي ، بعد ان اوصدت دور التوزيع ابوابها امام هذا الكم الهائل من الانتاج–مكتوفة اليدين ، فالعقلية التجارية شلت كل اعصاب التفكير للوصول الى نتيجة .

إذن ما هو البديل ، وعالم التوزيع الآن هاجسه الوحيد ، ايجاد الربح الوفير ، بعيداً عن الحواجز التي قررت ان يكون لكل مؤلف جواز سفر ، يجب ان يحصل على تاشيرة دخول ، وبطاقة صفراء . الخ ؟ الأمر إذن يحتاج الى مراجعة .

وهذه المراجعة تكون في نظري كالتالي ، بالاضافة الى حاجتنا الى دار نشر خليجية .

يجب ان يتم تكوين اتحاد بين دور النشر الخليجية اولا ، تلتزم فيه كل دار بتوزيع نسبة مئوية من كل اصدار تقوم الدار الأخرى بنشره ، بالاضافة الى ايجاد نسبة مئوية اخرى اقل لكل مؤلف يقوم صاحبه بطبعه على حسابه الخاص ، ومن ثم يتعاقد مع دار فى وطنه لتوزيعه ، على شريطة الا تكون الدور المنضمة لهذا الاتحاد ، مجرد مكاتب فقط في احدى العمارات الفخمة شقة مكيفة وسكرتارية ، إذ يشترط ان يكون لكل دار بالاضافة الى المكتب الفخم ، مكتبة للتوزيع والبيع على الاقل . ومن هنا يستطيع القارىء العادي والاديب فى المملكة العربية السعودية الحصول على الكتاب الكويتي . والقطري والبحريني .. الخ .

نحن بحاجـــة الى مثـل هـذه المبادرات ، والخليج العـــربى يعيش نهضـــة ادبيـــة كبيرة من خـــلال الاصدارات الصحفية اليومية والشهرية والأسبوعية والدورية بالاضافة الى وجود أدباء يشار لهم بالبنان لهم ممارسات ابداعية فكرية حية .

لقد ذهب وقت المتلقي . ورجال الفكر العربى ينزحون الينا ليكون هذا التلاحم الفكري لتكون إضاءة .

انما الهدف السامي يقف حائرا امام هذه المقاطعة غير المجدية التي تكونت بسبب افكار بالية عن واقع الخليج وانتماء ابنائه إذ أن الابداع الفكري ، ليس محدوداً على امة دون اخرى . فلكل وطن تراثه ولكل امة مبدعوها ، بغض النظر عن الفوارق الاجتماعيـــة ، والحضارية ، والعلمية .

قد اكون حصلت على بعض المؤلفات البحرينية ، او الكويتية ، بطريق الصدفة . ومن خلال البريد . ولكن ليس معنى ذلك انني استطيع رصد هذه الحركة الفكرية . ولقد حز فى نفسى عندما قرات في مجلة فصول المصرية ، دراسة عن القصة القصيرة في الخليج ان الباحثة توقفت في كتابتها عن القصة السعودية الى ما قبل عشرين عام ... فاصبح البحث ناقصا . ومختلا رغم إدراكي بانها في امكانها الحصول على انتاج حديث من الاندية الادبية ، أو الجامعات او الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون . وقد انتشرت عناوينها فى الصحف السعودية بشكل عام .

ومن هذا المنطلق . اجل (ستشعر حتما بالعجز . وستجيب ببساطة ، انا لم اقرا كتبهم حتى اعرفهم) وهذه المقولة يتم مسحها من الذاكرة بالتلاحم الذي يسمح بموجبه الى دخول الكتاب دون جواز سفر . ومن ثم وجود الناشر الواعي الذي يدرك قوة ومكانة الدور الذي يلعبه . ومن هنا ندرك اننا لسنا بحاجة الى ان يتم طبع الكتاب في القاهرة أو بيروت وأن يتم توزيعه من هناك ، ويتم تصديره لبلد المؤلف . بالاضافة الى البلدان الاخرى اجل (التوزيع هو الانشوطة التي تلتف حول عنق الكتاب الخليجي . وهو سبب كل التباعد والغياب بين كتاب وادباء الخليج) ..

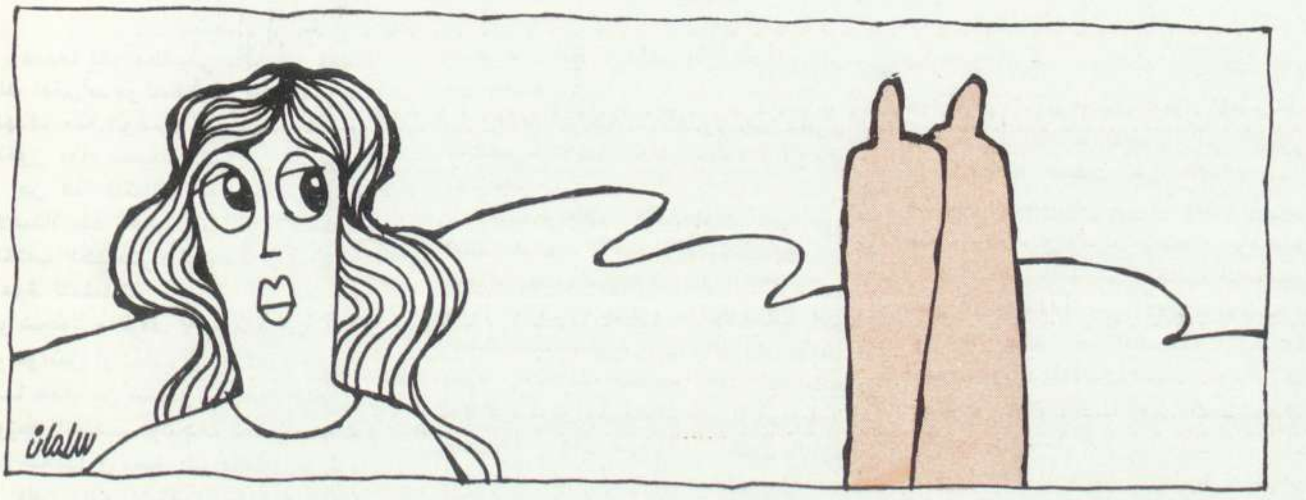
بهذه الكلمات التي غدت هاجسا يتعامل في داخلي حتى استطعت ان أرسمها حروفا . ليجد فيها المتلقي . فكرة جديدة للوصول الى الهدف السامي ، الذي يبحث عنه الغيورون من اجل كلمة حق هي نبراس وضاء يحدد معالم الطريق ، الذى التهمه الظلام الدامس ذات يوم . فعج في الافئدة كابوس اخذ يتناثر مبدداً ما أمامه من قيم ومقومات . وانفلت هاربا ، عندما حل النور ، فانزرعت في العيون علائم اندهاش للفوضى العارمة .

انها دعوة اخذ النسيم يعبث بجدائلها وقد ارتسمت على شفاهها بسمة صغيرة هي دعوة للحياة .

السعودية – الطائف

ثلاث نساء .. وبيت واحد

قصة بقلم : عبد الله عيسى



كاد الزوج ناصر الجعدان ان يوقظ زوجته حصة كعادته كل صباح لتعد له الافطار ولكنه تراجع ولم يفعل . اكتفى بالقاء نظرة حانية على وجهها المستسلم للنوم فى هدوء محتضنة ابنتها ليلى ، أوشك أن يقبلهما ولكنه انصرف الى ثيابه يرتديها .

ترك ناصر زوجته تنام مشفقاً عليها من الجهد الذى بذلته ليلة البارحة فى اعداد الوليمة التى اولمها اخوه راشد لزملائه ، قال لنفسه ان زوجته حصة زوجة دؤوب مخلصة ، فقد بذلت جهداً بالأمس بدأ مع الفجر وقبل أن ترسل الشمس أول شعاع لها . رآها فى ذلك الوقت المبكر تتراجع عن باب سلفتها زوجة اخيه راشد ، وترفض ان توقظها لمساعدتها فى أشغال البيت ، فقد فضلت أن تتركها لتاخذ حظها من النوم ..

ومع الفجر وقبل ان يستيقظ احد كانت حصة قد أعدت لزوجها إفطاره ثم شرعت تهيىء ما يلزم الوليمة من لحوم وخضر وبهارات .. الخ وراحت تغسل قدور الطبخ ، ونظفت صالة الجلوس وصالة الطعام .

فى الحقيقة كانت حصة تقوم بالعبء ، الأكبر من اعباء البيت بلا سأم ولا تذمر ، ودائماً على لسانها كلمة «ان شاء الله» و « حاضره » .. تلبى جميع ما يطلب منها بنية صافية بيضاء كالحليب ، ولا تفارقها ابتسامتها العذبة الرقيقة ، ومنذ ان دخلت بيت الزوجية لم يرها احـــد مقطبة ولم تغضب من احد .

وفى هذا الصباح حدثت أعجوبة من العجائب لم تكن كتلك الخوارق التي نسمع عنها فى الاذاعة أو تنشر بالصحف ، أعجوبة وقعت فى بيت درويش الجعدان ، فلأول مرة تستيقظ « حنان » سلفة « حصة » فى السادسة صباحاً ، وهذا يعد حدثاً تاريخياً من أحداث منزل درويش الجعدان ، فحنان نفسها لا تعرف لماذا استيقظت فى هذه الساعة المبكرة ، لعلها نامت مبكرة اكثر مما ينبغى ، هكذا قالت حنان لنفسها ، كان راشد زوجها مازال نائماً ، وحتى حصة نفسها مازالت تغط فى نوم عميق على غير عادتها ، وعندما دخلت حنان الى المطبخ لتعد لنفسها كوباً من الشاي . فوجئت بما رأته وأصابها بما يشبه الذهول . فحينما طافت عيناها فى انحاء المطبخ كانت الأطباق والأوانى مكدسة بعضها فوق بعض فيما يشبه التل ، ولم تصدق حنان ان كل هذه الأطباق والأوانى هى بقايا وليمة الأمس وأن سلفتها حصة هى التى أعدتها بمفردها . فكرت قليلا ، فتحرك طبعها الكسول وطال بها التفكير فترة اخرى ولكن عينيها لم تستطيعا ان تفارقا مشهد المطبخ ولا الأطباق والأوانى المكدسة وسألت نفسها وهى تهز رأسها هزات خفيفة اتغسلها أم لا ؟ ثم سرحت قليلا وهى تتناول كوب الشاي الذى اعدته لنفسها وتمتمت :

ـ نائمة مرتاحة .. تبغينى اغسل كل هذه الأوانى ؟ !

فرغت من شرب الشاي ، ثم شمرت عن ساعديها دون حماس أو رغبة ، وشرعت فى صب الماء على الأوانى وابتدات بغسل الأطباق الصغيرة ، تحرك مزاجها العصبى الكسول فاحست بالضجر مما تفعل فافلتت من يديها ثلاثة اكواب وتحطمت وتطايرت شظاياها على الأرض فلم تابه بها

ثم راحت بين الفينة والأخرى تدمدم بفظاظة قائلة :

ـ كاننى خادمة .. الغير ياخذ راحته فى النوم وانا وحدى اقوم بغسل كل هذه الأوانى !

لم تصبر حنان على مواصلة العمل فى المطبخ ، تركت ما بين يديها من أوان واقتربت من نافذة المطبخ التى تتدلى عليها أوراق شجر اللوز ثم القت نظرة طويلة على باب حجرة نوم حصة وقالت لنفســها غاضبة :

ـ نومة أهل الكهف !

زفرت حنان فى عصبية وهمت بالخروج من المطبخ نافضة يديها من هذا العمل المضنى ، ولكنها تسمرت فى مكانها فقد رات حماتها شيخة مقبلة نحو المطبخ ، هذه

الحماة العزيزة التى تغدق عليها الحب وتدللها ، رأتها شيخة منغمسة فى غسل الصحون فسألتها مستغربة :

- أين حصة ؟

ردت حنان وقد أزالت سيماء العصبية من وجهها .

- مازالت نائمة !

قالت الحماة فى غيظ :

- نائمة .. البومة . سأذهب إليها لأعلمها كيف تنام !

اصطنعت حنان الاعتراض وهى تقول :

- دعيها تنام يايمه (يا أمى) !

ولكن شيخة لم تنصت لها ، واندفعت إلى حجرة حصة ، بينما وقفت حنان تنظر من نافذة المطبخ وتبتسم فى مكر ودهاء ، كانت الحماة تمقت كنتها (زوجة ولدها) حصة كمقتها لدم أسنانها ، فراحت تطرق الباب بعنف طرقات متتالية فزعت لها حصة وابنتها وسمعت حماتها تقول :

- قومى .. قومى الدنيا ظهر ..

أجابت حصة بصوت يغالبه النعاس :

- إن شاء الله ..

وكعادتها أدت حصة جميع الواجبات اليومية بصدر رحب ، وعندما رأت حنان تغسل الأطباق قالت لها برقة .

- دعى البقية لى .. اذهبى واستريحى !

تظاهرت حنان بالتردد ولكنها سرعان ما استسلمت وتركت كل شىء لحصة وانطلقت خارج المطبخ .

قبيل الضحى كل يوم ، وعندما تكون حصة منشغلة باعداد طعام الغذاء ، تنطلق الحماة وحنان الى الخارج حيث تبدءان بزيارة الجيران والأقارب ، تمضيان الوقت فى الهذر والنميمة ، وإذ هما تفعلان ذلك تكون حصة منشطرة إلى شطرين أحدهما مع ابنتها ليلى حيث تعد لها غذاءها وملابسها والثانى يتطلب السرعة بين الحين والحين الى قدور الطبخ ، وحصة لا تعقد أمور حياتها اليومية ولا تعسرها وتأخذ الأشياء ببساطة وطيبة نفس متناهية وما أن تحس بخروج حماتها وسلفتها حنان حتى تتسرب الى شفتيها ابتسامة لا تستطيع منعها !

ونادراً ما كانت حصة تخرج من البيت .. وهى ان خرجت فالى زيارة للجيران المقربين ، ووقت زيارتها المحبب هو وقت العصارى قبيل غروب الشمس ، وكثيراً ما ترفض حصة الخروج حتى للأعراس التى تشيع البهجة فى الحارة وترفض عادة الذهاب إليها وان كان بيت العروس قريباً ، فهى تفضل أن تبقى فى صالة البيت أمام جهاز التليفزيون تداعب ابنتها ليلى ، وهى ترفض الذهاب إلى هذه الأعراس لا كرهاً فيها ولا تعالياً على أهل الحارة ولكن لأنها لا تملك من الثياب ما يليق بهذه المناسبات وتفضل الاحتفاظ بما يليق من ثيابهـــا لمناسبات أخرى !

وأيضاً لأنها فى الأساس تحب ان تظل فى خدمة رجال البيت ، زوجها ناصر وأخيه راشد ووالدهما درويش الجعدان ، وهؤلاء الرجال ليس لهم موعد ثابت يعودون فيه إلى بيتهم للعشاء فتارة يبكرون وأخرى يتأخرون وتارة يأتون سوياً وأخرى فرادى ، على هواهم ومتى شاء أحدهم ان يعود وحصة دائماً على أتم استعداد ، بمفردها تقوم على خدمة الرجال الثلاثة دون تذمر أو كسل ، لا تتلكأ ، تعد وتهيىء وتلبى .. أما الرجال فيعرفون أين ذهبت شيخة وحنان ولكنهم لا يتساءلون ولا يتكلمون !

كان راشد ينظر إليها وهى تعد له العشاء سواء أكان بحجرته أم بصالة المنزل ، رائحة غادية دون كلل ، ويغبط أخاه على هذه الزوجة الصبور ، وكثيراً ما تمتم لنفسه :

- ليت زوجتى حنان تأخذ من طباعها شيئاً .. ولكن حناناً تريد خادمة !

وحموها درويش الجعـــدان أيضاً كان يحنو عليها ويرفق بها ويهمس لنفسه .

- ياالها من كنة خدوم لولاها لنمت واستيقظت جائعاً .

ولكن ذلك لا يغير من الأمر شيئاً ، فمازالت شيخة الحماة البدينة التى تشبه فرس البحر وكنتها حنان تتزينان كل يوم قرب الغروب وترتديان أبهى الثياب وتمضيان الى زياراتهما دونما اعتبار لشيء آخر .

• •

تذهب الأيام وتمضي وتدق الطبول ذات مساء معلنة عن عرس بالحارة ، وتدعى حصـــة الى الحفل وتقرر الذهاب ، ففى هذا اليوم بالذات كانت قد أنهت أعمالها المنزلية مبكراً ومازال موعد العشاء بعيداً وليس بها هذا اليوم رغبة فى مشاهدة التليفزيون ، وهى لن تتأخر عن موعد الرجال . كى تكون فى خدمتهم عند العشاء .

كانت شيخة وحنان قد سبقتا إلى الحفل ولحقت بهما حصة ، جلست تحملق فى وجوه النسوة والفتيات والشـــابات الصغيرات اللاتى رحن يرقصن على دقات الدفوف ، ومن حين لآخر كان يتعالى صوت أحد قارعى الطبول قائلاً :

هذا من نقوطه
نقوط مبارك بن خليفة
لا غير الله عليه فى شبابه
لا غير الله على أمه فيه
والسامع يصلى على النبى
كله بياض بيض الله وجهه

ثم تتعالى دقات الطبول مرة أخرى .

بعد فترة كانت حصة قد سئمت من الاستماع إلى هذا الضجيج ، فانزوت فى ركن لتهدهد ابنتها التى كان النعاس يغالبها ، وإذ هى كذلك ، اذا جاءها صـــوت اثنتين من النسوة يثرثرن قريباً منها .

- أليست تلك هى « شيخة » وزوجـــة ابنها « حنان » .

- نعم .. إنهما لا تنسيان مسرتهما رغم متاعبهما .. كان الله فى عونهما !

- أية متاعب يا أختاه ؟ !

- تحملان عبء البيت وحدهما ، ثلاثة رجال وكنة أخرى لا تفعل شيئاً .. لا أذكر اسمها آه حصة تسميها حماتها حصة البومة النؤومة .

ما إن سمعت حصة هذا الافتراء حتى سرت البرودة إلى جسدها للحظات وأوشكت أن تمسك بتلابيب المرأتين وتنهرهما ، ولكنها تماسكت فى اللحظة المناسبة وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم ثم سكنت قليلا فى ركنها حتى استعادت هدوءها وحملت ابنتها النائمة على كتفها وجالت بعينيها الغاضبتين فى المكان حتى استقرت العينان على حماتها وسلفتها اللتين استغرقتا فى الثرثرة مع النساء والضحك ورمقتهما بغيظ كظيم ثم استدارت إلى الخارج !

انطلقت حصة إلى الطريق تحمل فى نفسها مشاعر جديدة .. مشاعر ثقيلة وبغيضة وتساءلت هل هذا جزاء الاحسان .. أنا « بومة نؤومة » يا فرس البحر .. عرفت حصه فى هذه الساعة انها لن تحمل لحماتها وسلفتها اية مشاعر طيبة بعد الآن وأن الأمور لن تعود كما كانت فى البيت مرة أخرى أبداً .

فى هذه الليلة عندما عاد الرجال إلى المنزل لم يجدوا عشاءهم جاهزاً ولا حتى حصة كانت مستيقظة فى انتظارهم كما تعودوا دائماً . فقد كانت تتقلب فى فراشها مدعية النوم !

عبد الله عيسى

هامش :

عبد الله عيسى من أدباء الشباب فى الخليج ويعمل فى إدارة الثقافة والفنون فى وزارة الاعلام بدولة قطر .



رحلة صعبة .. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة السادسة

عندما اتهموني بأن أخي يكتب شعري ويوقعه باسمي

كان هناك يوم بقيت صورته حية فى الذاكرة بكل تفاصيلها . استيقظت واخوتى على طرقات احذية الجنود الثقيلة ، كانوا نفراً يقفون وسط الغرفة فى غبش الهزيع الأخير من الليل . هببنا بفزع من الأسرة ، وطلبوا الينا المغادرة فوراً . لم يسمح لنا بتغيير ملابسنا ، ولكنا خطفنا معاطفنا من الخزانة بسرعة ووضعنا أغطية رؤسنا كما اتفق وخرجنا الى السوق مع بقية النساء والرجال والاطفال فى حينا - حي الياسمينة - وبحسب أوامر الجيش المداهم سار الرجال فى طريق وسارت النساء والاطفال فى طريق آخر . كان بين النساء نفساء فى يومها العاشر تسكن بجوارنا ، رأيتها وهى ترفع وجهها المحجب الى أعلى فيبدو عنقها الأبيض وبعض خصل سالفيها الحمراء ، وقالت وهم يتحسسون لفائف المولود الجديد : « ربى يكسر جاهكم ويرمل نسوانكم » ، قالتها بلهجة نابلسية أصيلة ، ناطقة الميم نوناً كما فى اللهجة العامية. أما عمتى الشيخة فكانت تحت وطاة نزلة صدرية حادة ولا تقدر على السير ، فحملها جارنا « الدحدوح » بائع الخضار والفاكهة على ظهره ومشى فى موكب النسوة .

انتهت بنا المسيرة الى منطقة « راس العين » فى سفوح « جرزيم » وانتشرنا هناك فى العراء وقد بدأ الصبح يتنفس .

اطل فجأة من الجانب الآخر صف مزدوج طويل من رجال سكان الأحياء المطوقة . رأيت ابى بينهم مشتملا بعباءته فاحسست بالحزن فى قلبى والحنو يغمر نفسي . ان منظر الشيوخ والطاعنين فى السن فى مثل هذه المواقف يثير فى النفس من المشاعر المرة الحزينة ما لا يثيره الفتية والشبان . ورأيت فى صف الرجال المزدوج المغذ فى السير رجالا عرفوا بالشدة والنزق والعنجهية ، فشعرت بتناقض وجودهم فى المشهد الذليل .

عدنا الى بيوتنا فى الأصيل لنشاهد آثار أسوأ عمليات التفتيش والنهب وكان قلمى الزيتونى اللون ضمن المنهوبات ، وبقيت الى مدى طويل افتقده بشىء من الحسرة ، فقد كان أول قلم حبر امتلكه ، وكان - وهذا السبب الجوهرى فى انزعاجى لفقده - هدية من ابراهيم كافأنى بها على قصيدة رثيت بها الملك فيصل قبل ذلك بسنوات قريبة .

••

كانت الثورة قد عمقت الدوافع العدائية الجماعية فى أفراد الجماهير الفلسطينية نحو الانكليز ، فوعد بلفور كان شيطاناً انكليزياً منذ البداية ، ولقد كانت ثورة (القسام) فى الأصل قائمة على مناهضة الانكليز ومقاومتهم ، فهم أصل الشر والبلاء وهم العاملون على تنفيذ المطامع الصهيونية الخطيرة .

••



هدى هانم شعراوى



عبد الكريم الكرمى ((ابو سلمى))



احمد حسن الزيات



اسعاف النشاشيبى

« جاءت العباية ! .. جاءت العباية .. ! »

كانت هذه كلمة السر فى شوارع نابلس وأزقتها . فحين تقع المدينة فى مازق أو خطر ياتيها من الخارج ، يقوم هناك حب « جماعى » بين النابلسيين يربط الناس بعضهم بالبعض الآخر ، وهذا نزوع طبيعى لدى الجماعة الواحدة ، حيث تنمو فى كل نفـوس الافـراد مشـاعر مشتركة تلقائيا نحو العـدو المشـترك .

« جاءت العباية » .. « جاءت العباية » ! وتتردد كلمة السر فى الأسواق والأزقة ، ويعرف الناس معها أن قوة عسـكرية مداهمة فى الطريق اليهم ، فيختفى من يختفى ويحتاط من يحتاط ..

وأصبح اصطلاح « جاءت العباية » فيما بعد من ضمن تراث الثورة الشعبى فى نابلس .

كانت نابلس ، كالخليل . من معـاقل المقاومة الصعبة ، ولقد جاء يوم اضطرت فيه السلطات الى نفض يدها من الحكم داخل هاتين المدينتين . ولقد بلغ من عنف المقاومة ان الغيت المحاكم فى نابلس ونقلت ملفاتها الى الثكنة العسكرية خـارج المدينة (١) .

••

الحكايات البطولية ، أخبار العنف والموت والاعتقالات والنفى والخيانات .. كل هذه كانت تخترق جدران الدار وتصل الى سمعى عن طريق الآخرين : اخوتى ، الجرائد ، النسوة الزائرات ، صبي اللحام البقال واللبان وسواهم . وحين كانت أصوات المتظاهرين تاتينا من بعيد ثم تقترب شيئاً فشيئاً ، كنت اهبط الدرج ملتفعة الراس بغطاء كبير يغطي وجهى والقسم الأكبر من جسمى ، واركض الى الصفة الحجرية فى الديوان فاطل من احد شبابيكها على السوق ، وتكون الصفة قد غصت بالنسوة من القاطنين بجوارنا أو

المستاجرين . وحين أرى الجماهير الغفيرة الهائجة كانت تغرورق عيناى أو يسيل الدمع على خدى . وقد ظللت فيما تلا من أيام حياتى ابكى واحس بالتاثر العميق ازاء مشهد الجماهير المتراصة ولعل الدمعة التى كانت تسيل من عينى فى مثل هذه المواقف انما كانت بسبب عجزى عن الاندماج فى الآخرين والمشاركة الفعلية فى الالتحاق بهم ، فما عرفت طعم هذا الاندماج ولا تعرفت على زخمه وحلاوة مذاقه الا بعد حـرب حزيران ١٩٦٧ . فالاحتـلال الاسرائيلى أرجع الى الاحساس بنفسي ككائن اجتماعي ، وفى ظل الاحتلال فقط ، حين رحت التقى بالجماهير فى قراءاتي الشعرية ، عرفت القيمة والمعنى الحقيقى للشعر الذى يتعتق ويتخمر فى دنان الشعب .

••

أيقظتنا فى منتصف الليل طرقات الجنود البريطانيين باعقاب بنادقهم على باب دارنا وحين قام أبي اليهم كانت قلوبنا تضطرب وانفاسنا معلقة على حبل التوقع المتارجح فى الهواء : ماذا بعد ؟

وكنا فى اعماقنا نعرف ماذا ياتي بعد ، فحين كانت الأبواب تطرق فى مثل تلك الساعة من الليل كان يفهم المرء أن هناك عملية اعتقال .

ولم يرجع أبي .

وفى الصباح كان فى طريقه الى سجن « عكا » مع الدكتور مصطفى بشناق وفائق العنبتاوى مقيدى الأيدى بالاغلال ، ليلتقوا هناك بالمئات من ضحايا القمع الجماعي .

ظلت علاقتى الشعورية بابي تتارجح بين الحيادية أيام السلام والعافية والحنو البنوى الغامر أيام السجن أو المرض .

••

مرت أيام ، أسابيع ، شهور ، والاحداث فى عنفوانها المتقد . جاءتنا انباء عن مرض أبي فى السجن ، وكان رقيق البنية بطبيعته . استيقظت فى سكون الليل . كان فراشي دافئاً ، وبرد الشتاء حاداً فى الخارج « يقطع المسمار » كما يقولون فى نابلس وقراها . مرت صورة أبى فى خاطرى مطروحاً ، مريضاً ، مؤرقاً بين جدران السجن الجليدية ، واكتسحتنى موجة من الحنو العميق . وكان احساسي القديم بالضغط والكبت بسبب حضوره فى البيت قد تلاشى تماما ليترك مكاناً للوحشة والحنان والشجن .

كانت قطرات الماء فى الخارج تتساقط من أوراق الشجر بايقاع منتظم كدقات الساعة وكانت لحظة غريبة ، لحظة سايكولوجية فى ذلك السكون الشامل ، رايت فيها بعين الخيال قصيدتى التى لم أكن قد كتبتها بعد منشورة فى احـــدى صـــفحات مجلة « الرسالة » ، ورايت ، بعين الخيـــال عنوانها بالخط الأسود : (الى أبي » ! وهربت اللحظة ..

لكن الصورة المتخيلة لم تهرب ، بل ظلت تسكن عينى على مدى ايام ، الى ان اصبحت صورة حقيقية تنهض على صفحة الشعر فى مجلة « الرسالة » ، تلك المجلة التى طالما حلمت بالوصول اليها ، ولم تكن الطريق اليها سهلة المنال .

كانت تجربتي الشعرية فى قصيدتي « الى أبي » حصيلة كل ما تجمع فى نفسي وتراكم من انفعالات منذ اشتعال الثورة عام ١٩٣٦ . ما أقل القصائد التى كتبتها بعد الهزة الانفعالية مباشرة . لقد ظللت أعجز دائماً عن نظم الشعر وانا فى حالة الفوران العاطفى . لقد أصبت بالبكم مدة شهرين كاملين بعد حرب حزيران ، واصيبت مقدرتى على كتابة الشعر بالشلل مدة شهور بعد أحداث ايلول . بعد هدوء العواصف تعود اليّ القدرة على النظم ، فهنا تبدأ القصيدة كالجنين الهلامي ، ولا أعرف فى هذه المرحلة ماذا أريد ان أقول ثم ، وتدريجيا تجد الافكار طريقها الى التبلور ، وبصورة غامضة جداً اجد نفسي أكتب أول سطر ثم الثاني ، بعدها ياتى الجهد الشخصي .

● ●

كان صاحب مجلة « الرسالة » ، احمد حسن الزيات ، يرحمه الله يفتح صدر مجلته للكتاب والشعراء العرب البارزين الى جانب الكتاب المصريين ..

● وعرفت القيمة والمعنى الحقيقي للشعر

● المجتمع النسائي يجرح شعوري ويواجهني بمشاعر سلبية

● كيف أنظم الشعر السياسي وأنا حبيسة الجدران، لا أشارك في معمعة الحياة؟!

فوجيء ابراهيم بالقصيدة وكان يشغل انذاك منصب مدير القسم العربي فى اذاعة فلسطين بالقدس . بعث الي برسالة بريدية قصيرة بدأها بقوله « يا أم التمام » .. ثم هناني على القصيدة « الجيدة » ، وقال ان الاستاذ اسعاف النشاشيبي والاســتاذ خليل السكاكيني وآخرين قد حدثوه بشانها وكلهم يثني عليها أطيب الثناء !

وبكيت فرحاً ! ! .

● ●

اشتد مرض أبي فنقل الى مستشفى السجن في عكا ، وبدأ اخي احمد ، الذى كان قد عاد من عمان الى منصبه فى دائرة المعارف بالقدس ، بدأ يسعى للافراج عن أبي . وقيل له إن امكانية الافراج مشروطة بتقديم مبلغ معين الى واحد من المسؤولين الانكليز آنذاك .

حين ذهب احمد لتقديم الرشوة وجد ان المسؤول المرتشي كان زميلا له أيام الدراسة فى جامعة اكسفورد بانكلترا ، ولكن هذه المفاجاة لم تغير من الأمر شيئاً ، فقد تناول الموظف الانكليزى المبلغ المعين وتبادل الاثنان كلمة الشكر الانكليزية « الشهيرة » بل « المشهرة » .. وانتهى الأمر .

خرج أبي بعد أيام من مستشفى السجن منفيا الى مصر دون السماح له بزيارتنا فى نابلس قبل الرحيل .

● ●

ظهرت على امتداد الثلاثينات وجوه عديدة جديدة لشعراء فلسطينيين شبان راحوا يعطون نتاجهم الشعرى الهادف المعبر عن وعى قومى واحساس بالمسؤولية الوطنية . وقد عمل الشعر ، بنوعيه ، المكتوب منه بالفصحى والمكتوب باللهجة العامية ، عمل جنباً الى جنب مع الصحافة وأنواع الانتاج الادبي الاخرى على ايقاظ الوعي الوطني والسياسي لدى الجماهير في المدن والقرى على السواء ، مما فجر الثورة الفلسطينية الفذة عام ١٩٣٦ . كان وعد بلفور والهجرة اليهودية وتمجيد البذل والفداء من اجل الحفاظ على الارض ، كل هذه وسواها كانت المحور الذى تدور عليه قصائد شعراء الثلاثينات بغض النظر عن التفاوت فى مستوياتها الفنية واصالتها الشعرية . لقد كانت هناك دائماً رابطة قوية بين الشاعر الفلسطيني وحركة النضال ، وما كان الشاعر الفلسطيني الا نتاج واقع نضالي وفاعلا مؤثراً فى ذلك النضال فى الوقت ذاته .

من سوء حظي انني خلقت ، أو ربيت ، على المبالاة بما يقوله الآخرون عني . وهكذا ظللت حريصة بين الجماعة على ان أعبر عن نفسي بغير ضجيج او ادعاء . ولقد بلغ من شدة حساسيتي ان اتخذت لي دائماً قناعاً يخفي عن الآخرين ما تضطرب به روحي . وكان هذا القناع سلاحاً ضد الفضول الجارح سابر الأغوار .

للنـــابلسيين قوانينهم الاجتماعيـــة الخاصة ، ولكي يرضي عنك الناس يجب عليك المحافظة على تلك القوانين ، وكان أهمها الا تتخذ بين الجماعة الموقف الذى يظهرك أكثر معرفة،والا فانت المغرور المدعي البغيض الى النفوس . ان الانتقاد التهكمي اللاذع صفة عامة للنابلسيين . لذلك لم أسمح لنفسي أن تفرض نفسها على الآخرين بالحديث عن موضوعات بعيدة عن اهتمامهم ، وفقدت الرغبة فى الجدال والأخذ والرد . وفى أكثر الحالات كان تواصلي مع الناس مجاملة دون أن اقترب منهم اقتراباً قلبياً .

فى الفترة ما بين الثلاثينــــــات والاربعينات لم يكن يسمح لي بالخروج من المنزل الا بصحبة بعض أهلي ـ أمي مثلا أو عمتي واخواتي وبنات عمي . ولم يكن هناك من متنفس غير الزيارات . ولم يكن هذا الجو يستهويني على الاطلاق ، ولكني كنت اضطر لمصاحبتهن احيانا رغبة فى الخروج من ضغط الجدران العالية ولو لساعتين من الزمن ، وعلى اية حال لم يكن يسمح لأمي ولنساء العائلة الاخريات بالخروج من البيت أكثر من مرة أو مرتين فى الشهر .

كانت الصفة العامة للنساء فى ذلك الحين هي امية العقل، ولم يكن تحصيل من يعرفن القراءة والكتابة ليتجاوز مرحلة التعليم الأولى . كانت هناك قلة قليلة ممن أكملن دراستهن فى (دار المعلمـــات) الحكومية فى القدس وكان أعلى مستوى فى دار المعلمات هو الصف الثاني الثانوى .

هذه الفئة ، فئة معلمات المدارس فى نابلس وغيرها من مدن فلسطين كان لهـا قيمتها الاجتماعية واحترامها فى عيون سكان البلد . فكانت المعلمة تمتاز دائماً بالثقة بالنفس والاعتداد بالذات . ولقد شكلت المعلمات فى نابلس فئة اجتماعية معينة ، وأصبح الانتماء الى هذه الفئة قيمة تتطلع اليها كل فتاة طموحة . لقد عرفت الفتاة المعلمة لأول مرة شيئاً من الاستقلال الاقتصادى وأصبحت تشارك اباها أو اخوتها فى القيام بتكاليف معيشة الأسرة . وكفاها انها لم تعد عالة على أهلها بغض النظر عن كونها أصبحت عنصراً اقتصادياً مساعداً فى البيت .

على أن ذلك لا يعني انها تحررت من المفاهيم الاجتماعية المختلفة والسائدة ، فقد ظلت ترضخ لمجتمع التحفظ والتقاليد والتبعية للرجل لأن درجة تعليمها كانت محدودة جداً فلم تبلغ مبلغـــاً يغير شخصيتها الى حد الاستقلال النفسي والثقة بطاقاتها وامكانياتها . لقد ظلت فى جو حماية الرجل والاتكال عليه ، حتى شريك الحياة لم يكن لها الحق فى اختياره كما انها ظلت تحت رحمة الاخ حتى لو كان عاطلا ولا خير يرجى منه لنفسه أو للعائلة أو للمجتمع .

ولكن على أية حال ظل وضع المعلمة أفضل بكثير من وضع سواها مما أوجد فى نفسها احساساً بالتفوق فى المجتمـــع النسائي الذى يحيط بها ، وكان هـــذا الاحساس يؤثر على سلوكها الاجتماعي ويلونه بالوان الغطرسة والغرور والتخايل بالشخصية .

فى ذلك العهد لم تكن للمعلمات صلة ودية مع الكتب خارج نطاق المدرسة . ولم يكن يعنيهن تثقيف انفسهن بالمطالعة الجادة ، بل كان اهتمامهن مصبوباً على الملابس الأنيقة وتجميل المظهر الخارجي ، فقد كن من ناحية اقتصادية قادرات على اشباع حاجتهن المادية .

وهناك ، بالتاكيد ، استثناء يشذ عن القاعدة دائماً ، ولكنه لا يغير من الحقيقة والواقع بصورة عامة .

هذه الفئة من المعلمات غير القارئات كانت تلقاني بروح غير ودية ، وأحياناً بروح عدائية ، ما عدا واحدة من اللواتى خرجن عن الصورة العامة ، وتفردن بطلب المعرفة وتثقيف الذات وكانت (ست فخرية الحجاوى) معلمتي السابقة فى مدرســة العائشية والتى كانت دائماً تخصني باهتمامها ورعايتها لي في المدرســـة وخارجها .

كانت (الست فخرية) تفرح بما تقرأ لي فى الصحف ، وبالذات فى مجلة «الرسالة» المصرية ، وكانت تملأ نفسي وتفعم شعورى وهي تشجعني وتثني على تقدمى فى مسيرتي الشعرية . كنت حين التقي بها لا اجفل من التحدث اليها عن كتاب قراته أو قصيدة نظمتها ، اذ كنت أجد عندها تجاوباً واصغاء مرهفاً يبعث فى نفسي وهجاً لطيفاً وغبطة عميقة .

وباستثناء (الست فخرية) كان ذلك المجتمع النسوى المميز ، مجتمع المعلمات يجرح شعورى ويواجهني بمشاعر سلبية تعلن عن نفسها باللقاء غير الودى والمتغطرس الذى كنت القاه منهن .

كانت الالسنة الحادة تقول دائماً : اخوها ابراهيم يكتب لها الشعر ويذيله باسمها .

حتى بعد وفاة ابراهيم ظلت تلك المشاعر السلبية قائمة تجاهي . وكان ذلك الجـو العدائي يؤلمني أشد الايلام ، ولم اكن ادرك يومها ان كل نجاح يحققه المرء لابد من دفع ثمن له ، حتى بين الأهل والعشيرة .

زمار البلد لا يطرب .. وهذه حقيقة نفسية عرفتها فيما بعد ، واحنيت لها رأسي وغضضت الطرف .

تلك هى صورة المجتمع النسائي الذى كان يحيط بى فى بلدتي خلال الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن . مجتمـــع برجوازى غير قارىء ، كنت أبدو فى نظره مخلوقة شاذة ، غير اجتماعية .

واتسعت الفجوة بيني وبين المجتمع النسوى ، فلم يكن بمستطاعه أن يعطيني شيئاً أو أن ياخذ مني شيئاً ، كان مجتمعنا لاذع اللسان يثرثر كثيراً جداً . والثرثرة رمز التخلف فى المجتمعات التى لا تقرأ ، وكان علي ان أدرك ان الدنيا كانت على عادتها قبل ان اكتشف عالم الكتاب الجميل الخصيب ، ولكن لم أدرك ذلك فى تلك الأيام ولو ادركته لضاقت الفجوة بيني وبين ذلك المجتمع النسائي البائس .

وودعت آفاق القدس الفسيحة لادخل من جديد (قمقم الحريم) فى نابلس . حيث تعيش الاناث وجودها الهزيل القاتم . كنت اتلفت حولي فلا أرى الا ضحايا بلا شخصية ، بلا كيان مستقل يقبعن فى بيت يتعجل فيه الرجل شيخوخة اخواته وبنات عمه ، متخذاً من القهر وسيلة لذلك التعجيل . بنات عمي لم اعرفهن الا عجائز عجزت الواحدة منهن منذ الخامسة والعشرين من عمرها . لم اعرفهن الا فى ثياب التبتل والرهبنة ، يغطي شعرهن منديل أبيض ، فيما هن قعيدات الجدران المحيطة . ليس لهن صديقات ، ليس لهن حياة خاصة . صبايا بشعر شائب ووجوه جعدها الكبت قبل الاوان بكثير .

كانت وحدتي النفسية قاسية ضمن هذا الواقع . كما كان وجودى داخل ضجيج الأصوات والجلبة التى لا تهدأ شيئاً غير محتمل ، فمنذ الطفولة ظلت الضوضاء عملية تعذيب لي . لم أملك فى تلك الأيام حياتي الخاصة ، ولقد مضى وقت طويل قبل أن استقل بغرفة خاصة بي لم تنجني مع ذلك من البقاء فى قلب الضجيج ، حيث إيوان الجلوس المشترك ، والساحة السماوية المشتركة ، والمطبخ المشترك ، ومنقل النار المشترك . كان جوعي الى الهدوء والصمت والعزلة جوعاً دائمـــاً لا ينتهي . وحين كان يتاح لي سرقة مشوار الى المروج وكروم الزيتون على طـــريق (رفيديا) كنت اجلس فى ظل زيتونة ، وأعب من الصمت والهدوء ، واحلم بامتلاك كوخ خشبي صغير ، يقوم فى احد تلك الكروم واستقل فيه بحياتى .

كذلك أصبح من احلامي الثابتة السفر والدوران حول الأرض . يقولون أن أكثر الذين عشقوا الدوران والأسفار حول العالم كانوا قد عانوا عيشة الحيوانات وراء قضبان الاقفاص الحديدية . لقد كنت اتابع ببصرى العصافير وهى تنطلق من عب الأشجار فى صحن الدار وتمضي الى وراء الجدران سارحة فى الفضاء ، حرة من الخوف والحرمان ، كنت أتابعها ببصرى واشتهى واحلم بامتلاك جناحين طليقين . ولكن صفعات الواقع كانت تهوى علي وتردني مستلبة الاحلام والامنيات .

لم يكن بمستطاعي التفاعل مع الحياة بالصورة القوية التي يجب على الشاعر أن يتفاعل بها . كان عالمي الوحيد فى ذلك الواقع الرهيب بخوائه العاطفي هو عالم الكتب . كنت أعيش مع الافكار المزروعة فى الكتب ، معزولة عن عالم الناس ، بينما انوثتي تئن كالحيوان الجريح فى قفصه ، لا تجد لها متنفساً مهما كان نوعه .

وأنا فى تلك الحال من الحصر النفسي والضيق والاغتراب ، كان أبي ياتي الي طالباً مني كتابة الشعر السياسي . كان يريدني أن آخذ المكان الذى تركه ابراهيم ،

فكلما برزت مناسبة وطنية أو سياسية أقبل علي يسالني الكتابة فى الموضوع . وكان ذلك يتعسني ويشعرني بالعجز . وكان صوت فى داخلي يرتفع بالاحتجاج الصامت : كيف وبأى حق أو منطق يطلب مني والدى نظم الشعر السياسي وأنا حبيسة الجدران ، لا أحضر مجالس الرجال ولا أسمع النقاشات الجادة ولا أشارك فى معمعة الحياة ؟ حتى وطني لم أكن قد تعرفت على وجهه بعد ، فقد كان السفر محرماً علي ، وباستثناء القدس التى عرفتها بفضل احتضان ابراهيم لي حين كان يعمل فى الاذاعة الفلسطينية ، لم أكن أعرف مدينة أخرى غير نابلس .

من قوانين الطبيعة التي لا تقهر أن المخلوقات من نبات وحيوان لا يمكن لها أن تعيش وتنمو خارج شروط بيئية حياتية محددة . وبالنسبة لي لم تكن البيئة البيتية التي نشات فيها ملائمة لخلق روح الاهتمام بالعالم الخارجي وما يدور فيه من صراع .

كان أبي يطالبني بالكتابة في موضوع بعيد عن اهتماماتي كل البعد وليس له اية علاقة بالحركة النفسية في داخلي . وكان يطغى علي شعور بالعجز ، وحين أوي الى فراشي أسلم عيني للبكاء .

ان بلوغنا مركزاً يتطلب منا أشياء تفوق الكفاية الطبيعية فينا كثيراً ما يسيء الينا سيكولوجياً ، وذلك من جراء الصدمة والصعوبات التي نعانيها . كان أبي يظن أن بمستطاعي النظم في أي موضوع . حقاً كنت قد رسخت قدمي في أرض الشعر ولكن تيار الحركة النفسية عندي كان مغايراً ومختلفاً تماماً عن التيار الذي أراد أبي ان يحملني على الانسياق معه . ان على الشاعر أن يعرف الحياة والعالم من حوله قبل أن يعالجها في شعره ، فمن اين آتي بالمادة الأولية الاساسية المناسبة ؟ من اين يتوفر لي الجو الفكري والنفسي لاكتب مثل ذلك الشعر ؟ هل استمده من قراءة الجريدة التي كان يحملها أبي في ظهيرة كل يوم حين يعود الى البيت لتناول الغداء ؟ ان قراءة الصحف ، على اهميتها ، لم تكن كافية لانبعاث جذوة الشعر السياسي في اعماقي . لقد كنت معزولة عزلة تامة عن الحياة الخارجية ، وكانت تلك العزلة مفروضة علي فرضاً ولم اخترها بارادتي . فالعالم الخارجي كان (تابو) محرماً على نساء العائلة ، فلا نشاطات اجتماعية ولا اهتمامات سياسية . كانت أمي واحدة من اعضاء جمعية خيرية نسائية ولكن هذا لا

● حتى وطني لم أكن قد تعرفت على وجهه فقد كان السفر محرّماً عليّ

● عندما ازداد هزالي ولم تكن آلام الرأس تفارقني إلا نادرًا

يغير من الصورة شيئاً ، فقلما كانت تشترك في اجتماعات الجمعية ، ولم يسمح لها في أي مرة بالسفر لحضور المؤتمرات النسائية كغيرها من اعضاء الجمعية ، ولم يسمح لها قط بالمشاركة في السير في مظاهرة نسائية ، فتقاليد العائلة لم تسمح بهذا مطلقاً .

كانت قد تأسست في نابلس جمعية نسائية منذ عام ١٩٢١ برئاسة المرحومة مريم هاشم (توفيت عام ١٩٤٧) وكانت الجمعية ذات طابع خيري ، ثم انضمت عام ١٩٢٩ الى الاتحاد النسائي العربي العام الذي أسسته في مصر المرحومة هدى شعراوي ، هنا اصبح الاتحاد النسائي الفلسطيني يقوم بتنظيم النضال السياسي للمرأة الفلسطينية في معظم المدن الفلسطينية واحياناً في قراها . ولئن كان اشتراك المرأة في المدينة مقتصراً على المظاهرات وبرقيات الاحتجـــاج وعقد المؤتمرات من خلال الهيئات النسائية ، تلك الهيئات التي افرزتها البورجوازية الوطنية آنذاك ، فان المرأة القروية كانت تملك حرية الحركة بشكل افضل واكثر فعالية بفضل سفورها ، فكانت تقوم بنقل السلاح والطعام الى الثوار القابعين في الجبال .

ومع ذلك الوضع المعزول كلياً والمفروض على النساء في البيت لا غرابة في أن يخلو جو الدار النسوي من اي وعي سياسي أو اجتماعي . كانت الدار أشبه بحظيرة كبيرة تملؤها الطيور الداجنة يلقى لها بالعلف فتزدرده دون نقاش ، راضية قانعة به ، وكان ذلك غاية الغايات ونهاية النهايات . وكانت رسالة تلك الطيور الداجنة تقتصر على تفقيس الفراخ الصغيرة واستنفاد أيام العمر بين حلل الطبخ النحاسية الكبيرة وبين حطب الموقد الدائم الاشتعال شتاء وصيفاً .

وكما يحصل في المجتمعات المتخلفة حيث تكون السخافات هي حصيلة حياة المرأة ، فان الجو النسائي في البيت لم يشذ عن هذه القاعدة ، التي كانت هي الصفة السائدة في كل الأسر والبيوت . وهكذا لم يكن بمستطاع الجو العائلى أن يعطيني شيئاً ، بل كان يزيدني رهقاً على رهق .

واصبت بمرض بغض السياسة . ففي هذه المرحلة بالذات عانيت صراعاً نفسياً وفكرياً حاداً . كنت احاول الاستجابة الى رغبة أبي لكي أرضيه واكسب محبته ، ولكن اعماقي كانت تحتج وترفض وتتمرد ، اذا لم اكن متحررة اجتماعياً فكيف استطيع ان أكافح بقلمي من أجل التحرر السياسي أو العقائدي أو الوطني ؟ وظل يعوزني الاختمار السياسي كما كنت افتقر الى البعد الاجتماعي . ولم يكن لدي سوى البعد الأدبي وكان بعداً ناقصاً .

كنت اعي ذاتي ، وكنت على وعي بان هذه الذات لا تتكامل الا في الجماعة . وكانت الجماعة هناك ، وراء الجدران التي تحاصرني ، وبينها وبيني مسافة قرون طويلة من عالم « الحريم » ؟ .

وراح يطغى علي الشعور بالعجز . لقد تعطلت لدي القدرة على كتابة الشعر ، فتوقفت حتى عن نظم الشعر الذاتي . وهكذا غطى الجدب الشعري كل تلك المرحلة الصعبة . وكان وعيي الشديد لما انا فيه من كبت وضغط يؤثر على كياني الروحي والجسدي معاً ، فازداد هزالي ولم تكن آلام الراس تفارقني الا نادراً ، وكان التعب النفسي رابضاً بكل ثقله على اعضاء جسدي ، وفي الليل كان يغرقني العرق .

ولم يعد للحياة معنى أو طعم ، وانما كنت استبطن همومي الخاصة ومشاعري الذاتية وكان عطبا اصابني في داخلي ، كانت التعاسة تضخم شعوري بنفسي وبكياني ،ورحت انزف على حدي سكين تلك المقولة القديمة : (ان لم اكن لنفسي فمن يكون لي ؟ وان اكن لنفسي فمن انا ؟) . لقد ظل ضعف الارتباط بالواقع والحاجة للاتصال بالعالم الخارجي مصدراً لصراع نفسي عانيت منه طويلا ، وكان ابي أول من زرع بذرة هذا الصراع الذي رافقني فيما تلا من مراحل حياتي الشعرية ولكن بصورة مختلفة ساتناولها عند الحديث عن تجربتي الشعرية .

بقية المذكرات العدد القادم

هوامش :

(١) حول الحركة العربية الحديثة ـ عزت دروزة الجزء الثالث ص ٢٠١ .

ذكريات مدرسية



بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني

ساقتصر فى هذا الفصل على طائفة من الذكريات تخيرتها من عهدين - عهد كنت فيه تلميذاً وعهد تال كنت فيه مدرساً وساكتفى بالمعالم الكبرى والخطوط الرئيسية التى تغنى عن التفاصيل ، ولست ارمى غاية من هذا التصوير سوى ما يمكن أن يستفاد من مقابلة عهد بعهد ومواجهة ماض بحاضر . فمثلا يمكن بسهولة أن تتصوروا حال التعليم الابتدائى إذا قلت إن تلميذاً كان معنا فى المدرسة نال الشهادة الابتدائية فعين فى السنة التالية مدرساً لنا فى السنة الرابعة التى تعد لنيل الشهادة الابتدائية . وابلغ من هذا فى الدلالة أنه كان يدرس لنا ما كان يسمى « الأشياء » وهى عبارة عن معارف عامة وكان تدريسها يومئذ باللغة الانجليزية . وارسم خطاً آخر تتم به الصورة فاقول إن ناظرنا كان يقول عن نفسه إنه جاهل جاهل ولكنه إدارى إدارى ، وكان حديث عهد برتبة البيكوية فكانت عبارة « يا سعادة البك » تغفر كل ذنب وتمحو كل خطيئة !

ذكريات مدرسية

وليس اقدر من الصغار على التفطن إلى مواطن الضعف فى الكبار ، وليس أعرف بالمعلم من تلاميذه . وحسبه كشفاً لستره أن مئات من العيون تفحصه كلما بدا لها ، وان مئات من الألسنة الثرثارة لا تنفك تلغط بما ادركته رؤوس اصحابها الصغيرة . واذكر انى كنت الاعب تلميذاً فشتمنى فضربته بسلسلة مفاتيح فقطعت جلد وجهه فذهب يعدو إلى الناظر والدم يسيل من جرحه وقال له وهو يبكى : « يا افندى ابن عبد القادر ضربنى » فاسرها الناظر وبعث يطلبنى وسالنى لماذا فعلت ذلك ؟ فقلت : « ياسعادة البك إنه شتم ابى » وانكر المضروب وقال : « لا والله يا افندى » وتكرر من المضروب نعت الناظر بالافندى وتلقيبي له بسعادة البك ، فضاق صدر الناظر جداً واهوى على المضروب بخيزرانته وهو يقول « افندى فى عينك قليل الحيا » ولا احتاج ان اقول إنى نجوت مما كنت استحقه من العقاب وإن الفضل فى نجاتى إنما كان لكونى لم انس « يا سعادة البك » وان خصمى نسيها .

واوفدنى إليه التلاميذ يوما لارجو منه ان يسمح لنا بزيارة حديقة الحيوانات مجانا فدخلت عليه وسلمت ومهدت بيا سعادة البك ورفعت إليه رجاء الفرقة فدق صدره بكفه وقال : « حوانات حوانات إيه يا ابنى ... اسد فك السلاسل نهش عيل منكم نبقى نقول يا مين ؟ » .

فلم نزر حديقة الحيوانات كما لم يزرها ناظرنا الذى كان يتوهم ان الأسود فيها تربط بالسلاسل .

ودخل علينا مرة ونحن نتلقي درساً فى الحساب فوجد المدرس يملى علينا مسالة خلاصتها ان فلانا اقرض فلانا مبلغاً من المال بفائدة كذا فى المائة ، فاستوقفه الناظر وقال لنا إن المسالة غلط ، وطلب منا ان نبين موضع الغلط فيها ، ويظهر ان المعلم كان اعرف منا بالناظر فقد اكتفى بالابتسام ورحنا نجيب بما يخطر لنا والناظر يرفض كل جواب . واخيراً التفت إلى المدرس وقال له : « يا فلان افندى المسالة كذب فى كذب فارجو الا تعلم الأولاد الكذب مرة اخرى » وخرج .

وكان فى كل مدرسة فرقة للعب الكرة ولكن اعضاء هذه الفرقة لم يكونوا جميعا من التلاميذ ، فانى اذكر ان المدرسة جمعت من كل تلميذ منا خمسة قروش لتدفع للوزارة المصروفات المدرسية لرجل ضخم عملاق حليق اللحية والشاربين احمر الوجه ليلعب مع الفرقة فى المباريات مع المدارس الحكومية الأخرى ، وكان هذا العملاق المخيف يجىء إلى المدرسة وقت الظهر ويخرج منها بعد الغداء ، وكانت مائدته تزدان بانواع من المخلل يؤتى له بها خاصة . وكان إذا احب ان يبقى فى المدرسة نصف ساعة او ساعة لا يجلس إلا فى غرفة المدرسين وهناك تقدم له القهوة والسجاير فيشكر ذلك بهزة من راسه ، والساق على الساق والسيجارة فى فمه انتظاراً لمن ينهض إليه ليشعلها له من المدرسين . وكنا نحن نتزاحم على الباب والنوافذ لنفوز برؤية هذا المنظر .

اظن هذه الخطوط كافية لرسم صورة واضحة لمدرستنا الابتدائية الحكومية فى ذلك العهد . والآن انتقل إلى طائفة اخرى من الصور للمدارس الثانوية .

كان التعليم الثانوى انتقالا بادق المعانى فقد صار كل ما فى المدرسة إنجليزياً – الناظر والمدرسون والتعليم – ما عدا اللغة العربية . وانا إلى هذه اللحظة لا اعرف كيف كنت انجح فى الامتحانات ، واكبر ظنى انهم كانوا يترفقون بنا ويعطفون علينا ويتساهلون معنا ويتركوننا ننجح على سبيل الاستثناء . وادع غيرى واقصر على نفسى فانى اعرف بها ، فاقول إنى ما استطعت قط ان افهم علوم الرياضة او ان اقدر فيها على شىء ، ومع ذلك كنت انتقل من سنة إلى اخرى بلا عائق . وكان الأساتذة يختلفون فمنهم الفظ ومنهم الرقيق ،واذكر ان احدهم كان يذكرنى درسه بالكتاب الذى حفظت فيه القرآن الكريم ، فقد كان يملى درس الجغرافية ، فاذا كان الدرس التالى طالبنا به محفوظاً عن ظهر قلب ، وكان يقف امامه التلميذان والثلاثة دفعة واحدة وعلى مكتبه الكراسة والتلاميذ يتلون وهو يسمع ، ثم يضع فى كل ركن واحداً من الحافظين ليمتحن زملاءه وكنت لا استطيع ان احفظ شيئا عن ظهر قلب فكنت احبس بعد كل درس فى الجغرافيا حتى كرهتها وكرهت حياتى كلها بسببها .

وكان لنا مدرس اخر من اظرف خلق الله وارقهم حاشية واعفهم لفظا ، فكان إذا ساءه من احدنا امر واراد ان يوبخه قال له : تهج كلمة بليد مثلا او مجنون او غير ذلك كراهة منه لاسناد الوصف إلى التلميذ مباشرة . ولم يكن تدريس اللغة العربية خيراً من تدريسها فى الوقت الحاضر ولكنا كنا اقوى فيها من تلاميذ هذا الزمان – لا ادرى لماذا .

وكان المفتش الاول للغة العربية المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ، وكان من اعلم خلق الله بها وبالصرف على الخصوص ، وكان رجلا طيباً ووقوراً مهيبا ، فكان إذا دخل علينا يسرع المدرس إليه فيقبل يده فيدعو له الشيخ ، ولا نستغرب نحن شيئاً من ذلك بل نراه امراً طبيعيا جداً . واعتقد ان منظر اساتذتنا وهم يقبلون يد الشيخ حمزة كان من اهم ما غرس فى نفوسنا حب معلمينا وتوقيرهم ، فانى ارانى إلى هذه الساعة اشعر بحنين إلى هؤلاء المعلمين ولا يسعنى إلا إكبارهم حين التقى بواحد منهم وإن كنت لم استفد منهم شيئا يستحق الذكر . ومن لطائف الشيخ حمزة انه كان يقول ملاحظاته على المعلم على مسمع منا ، ولكنه كان لا يكتب فى تقريره إلى الوزارة إلا خيراً .

وقد اتفق لى بعد ان تخرجت فى مدرسة المعلمين وعينت مدرساً فى المدرسة السعيدية الثانوية ان جاء الشيخ حمزة للتفتيش فاغتنمت هذه الفرصة وقلت : « يا استاذ ، ما هو الاسم العربى الصحيح لهذا الدخان الذى نسميه الدخان تارة والتبغ تارة اخرى » . فقال : « انظرني يا سيدى حتى انظر فى الكناشة » . واخرج مما يلى صدره تحت القفطان كراسة ضخمة لا ادرى كيف كانت مختبئة غير بادية وقلب فيها ثم انشد هذا البيت :

كانما حنحثوا حصا قوادمه
او ام خشف بذى شث وطباق

ومضى عنى . وفكرت انا فى كلمة الطباق التى جاءنى بها الشيخ . فاستحسنتها ورايت انها على العموم خير من كلمة التبغ

التى نعرب بها اللفظ الانجليزى أو الفرنسى « توباك او تاباكو » .

ومن حوادث الشيخ حمزة معى انى كنت أؤدي الامتحان الشفوى فى الشهادة الثانوية وكان هو رئيساً للجان اللغة العربية ، فلما جاء دورى اتفق انه كان موجوداً ، فلما انتهت المطالعة وجاء دور المحفوظات وكان لها مقرر مخصوص سالنى ماذا احفظ . وكنت فى صباح ذلك اليوم قد قرات خطبة قصيرة للنبي صلى الله عليه وسلم فعلقت بذهنى والهمنى الله ان اقول إنى احفظ خطبة للنبي ، ففرح الشيخ جداً وخلع حذاءه وصاح « قل يا شاطر . قـل يا شاطر فتح الله عليك » وسترنى الله فلم اخطيء ، فاكتفى الشيخ بهذا واعفانى من النحو والصرف والاعراب .

ولكنه فى مرة اخرى كاد يضيع على سنة . وكنت طالباً فى مدرسة المعلمين وكانت لجنة الامتحان فى اللغة العربية برياسته فقال احد إخوانى بعد خروجه من الامتحان : إن الشيخ حمزة يفتح كتاب النحو والصرف ويطلب من الطالب ان يتلو الفصل الذى يقع عليه الاختيار . ولم نكن ندرس لا نحواً ولا صرفاً فى المدرسة لان الدراسة كانت مقصورة على الادب ، فايقنا بالفشل . وجاء دورى فدخلت وانا واثق من الرسوب وجلست امامه فناولنى كتاب مقدمة ابن خلدون ففرات . ولا ازال اذكر فاتحة الكلام وهى « اعلم ان العدوان على الناس فى اموالهم ذاهب بامالهم فى تحصيلها » الخ . فقال : ضع الكتاب . فوضعته ، فسالنى عن العدوان والفعلين عدا واعتدي وانتقلنا إلى الصيغ المختلفة التى يكون عليهـــا « الفعل » « اعتدى » مثل « اعتديا » للماضى المثنى و « اعتديا » للأمر ، فسالنى لماذا كان الماضى بالفتح والأمر بالكسر فلم اعرف لهذا سبباً وقلت إنه لا سبب هناك سوى ان العرب نطقوا بهما هكذا . فدهش لهذا الجواب وقال : ولكن لهذا سبباً ، قلت : إن اللغة سبقت النحو والصرف ، وكل هذه القواعد موضوعة بعدها ، وما دمت انطق كما كان العرب يفعلون فان هــذا يكفى ولا داعى للبحث عن سبب مختلق . فغضب وظهر هذا على وجهه فلم ابال بغضبه ، وحدثت نفسى انه خير لى واكرم ان اسقط بخناقة من ان تكون علة سقوطي الجهل

واصررت على رايى وكاد يحدث مالا يحمد ، لولا ان المرحوم الشيخ شاويش ـ وكان عضواً فى اللجنة ـ تدارك الأمر ، فقد نظر فى ساعته ثم التفت إلى الشيخ حمـــزة وقال : « العصر وجب يا مولانا » فنهض الشيخ وهو يقول « اى نعم » وذهب للصلاة ونسينى فكان فى هذا نجاتى . وقد حفظت هذا الجميل للشيخ شاويش ، وكانت هذه الحادثة بداية علاقتى به

ولم تكن المواد كثيرة او طويلة فى مدرسة المعلمين ، ويكفى ان اقول إنه كانت لنا فى الأسبوع ثمانى ساعات لا نتلقى فيها اى درس ، فترك هذا التخفيف وقتا كافيا للمطالعة الخاصة ، وكان اساتذتنا وناظرنا يشجعوننا عليها بكل وسيلة ولا يفوتهم مع التشجيع والحث ان يوجهونا وينظموا لنا الأمر ، واحسب ان هذا نفعنا جداً .

وقد صرت معلماً بعد ذلك وظللت اشتغل بالتعليم عشر سنين ، خمس منها فى الوزارة وخمس فى المدارس الحرة ، وفى هذه السنوات العشر لم احتج ان اعاقب تلميذاً او اوبخه او اقول له كلمة نابية ، ولم يقصر التلاميذ فى محاولة المعاكســـة ولكنى كنت حديث عهد بالتلمذة وبشقاوة التلاميذ . فكنت اعرف كيف اقمع هذه الرغبة الطبيعية فى الشقاوة وكانت طريقتي ان اتجاوز نفسي والتلاميذ ، مثال ذلك ان يحتاج التلميذ إلى قلم او نشافة فيطلبها من جاره ويكلمه فى ذلك فلا أعد هذا من الكلام الذى لا يباح ، ولا اقيم ضجة من اجله .

وقد حدث يوماً وانا مدرس فى المدرسة الخديوية ان دخلت فرقة فالقيت على مكتبى كل ادوات الرياضة مرصوصة على نحو لاشك انه متعمد ، وكان تلاميـــذى لا يجهلون كرهى للرياضة ، وكنت انــــا لا اكتمهم اني اعد نفسى جاهلا بها حماراً فى علومها ، وكان غرضهم من رص هذه الأدوات ان يعابثونى عسى ان اثير الضجة التى يشتهونها ولا يفوزون منى بها . ولكنى لم افعل بل اكتفيت بان دعوت الفراش فحمل هذه الأدوات ووضعها فى مكانها ثم بدأ الدرس .

واتفق يوماً آخر ان دخلت الفصل فاذا رائحة كريهة لا تطاق ، وكان الوقت صيفاً والجو حاراً جداً فضاعف الحر شعورى

بالتنغيص من هذه الرائحة الثقيلة . وادركت انها هى المادة التى كنا ونحن تلاميذ نضعها فى الدواة مع الحبر فتكون لها هذه الرائحة المزعجة . فقلت لنفسى إنهم ثلاثون او اربعون وانا واحد ، وإذا كانت الرائحة القبيحة تغثى نفسى فانها تغثي نفوسهم معى ايضا ، فحالهم ليس خيراً من حالى ، والاحساس المتعب الذى اعانيه ليس قاصراً عليَّ ولا انا منفرد به ، وانهم لأغبياء لانهم اشركوا انفسهم معى وقد ارادوا ان يفردونى بهذه المحنة . والفوز فى هذه الحالة خليق ان يكون لمن هو اقدر على الصبر والاحتمال ، فتجاهلت الأمر وصرت اغلق النوافذ واحدة بعد اخرى لأزيد شعورهم بالضيق والكرب فلا يعودوا إلى مثلها بعد ذلك ، وقد كان .

تصبرت وتشددت ودعوت الله فى سرى ان يقوينى على الاحتمال ، ومضيت فى الدرس بنشاط وهمة لأشغل نفسى عما اعانى من كـرب هذه الرائحة الملعونة . وكنت ارى فى وجوههم امارات الجهد الذى يكابدونه من التجلد مثلى فاسر واغتبط وازداد نشاطا فى الدرس وإغضاء عمن يرفعون اصابعهم ليستاذنوا فى الكلام فقد كنت عارفاً انهم إنما يريدون ان يستاذنوا فى فتح النوافذ عسى ان تخف الرائحة ويلطف وقعها . وظللنا على هذا الحال نصف ساعة كادت ارواحنا فيها تزهق ، ورأيت ان الطاقة الانسانية لا يسعها اكثر من ذلك ، وان التلاميذ خليقون ان يتمردوا إذا أصررت على عنادى المكتوم ، واغتنمت فرصة إصبع مرفوعة وسالت صاحبها عما يريد ، فقال إنه يريد ان يفتح النافذة لان الحر شديد . قلت افتحها ، وفتحت النوافذ كلها . وتشهدنا جميعا واستانفنا الدرس ولكن بفتور لشدة ما قاسينا من رياضة النفس على احتمال مالا يطاق . وانتهى الدرس وخرجت فخرج ورائى ثلاثة او اربعة من التلاميذ ولحقوا بى ، وقال لى واحد منهم إنهم ياسفون لما حصل وإن الامر كان مقصوداً به غيرى ، وإنهم يطلبون الصفح ، فسررت ولكنى تجاهلت وسالتهم عما يعنون . قالوا : الرائحة الكريهة التى كانت فى الفصل . قلت : رائحة ... اى رائحة ؟ إننى مزكوم ولهذا لم اشم شيئاً فلا محل لاعتذاركم . ومضيت عنهم ، وكان هذا درساً نافعاً ولو انى عاقبت احداً لما اثمر

ذكريات مدرسية

العقاب إلا رضاهم عن نفوسهم لأنهم استطاعوا ان ينغصوا على ، وان ينجح معى عبثهم الطبيعى فى مثل سنهم .

وفى اخر سنة من اشتغالي بالتدريس توليت امر مدرسة ثانوية فقلت للأساتذة : إنى الغيت العقوبات جميعا فلا حبس ولا عيش حاف ولا شيء مما اعتاد المعلمون أن يعاقبوا به التلاميذ . ونظريتى هى ان المدرس الذى يحتاج إلى معاقبة تلميذه لا يصلح لهذه المهنة وخير له ان يشتغل بغيرها ، وان العلاقة بين المعلم وتلميذه ينبغى ان تقوم على المودة والاحترام ، وان يكون اكبر واقوى عامل فيها هو شعور التلميذ بان المدرس والد له يبغى له الخير ويخدمه ويفتح له نفسه ويقوى مداركه وينمى استعداده ، وانه لا يلزمه بدرس ولا يفرض عليه شيئا بل يرغبه فى الدرس ويحبب إليه التحصيل . وعلى هذا فليس لأحد من المعلمين ان ينتظر منى اى معونة على ضبط النظام ، وقد كان . قضينا فى هذه المدرسة سنة كاملة لم يشعر فيها التلاميذ بسلطان او سطوة ، وإنما شعروا انهم ابناء لنا واننا إخوان كبار لهم واصدقاء نافعون .

ولم اكتف بهذا بل الغيت « الجرس » الذى يدق إيذانا بابتداء الدرس او انتهائه لأنى لم ار حاجة إليه بعد ان اصبح التلاميذ يحرصون على الحضور والمواظبة من تلقاء انفسهم وبدافع من حبهم للمدرسة ورغبتهم فى الوجود بها مع اخوانهم المدرسين حتى لقد كان الواحد منهم يمرض فيحضر ، وبهذا استغنيت ايضا عن الدفاتر الكثيرة التى تستعمل فى المدارس والتى تحتاج إلى موظفين كثيرين لا داعى لهم .

وقد كنت احب ان اظل فى هذه المدرسة لأرى نتيجة التجربة ، ولكن الحركة الوطنية بدات فى صيف ذلك العام وجرفنا جميعا تيارها الزاخر فهجرت التعليم إلى الصحافة . ولو عدت إليه الآن لكان من المحقق ان اخفق فقد اختلف الحال جدا وانقلبت الاوضاع .

ابراهيم عبد القادر المازنى
١٩٣٨

شكسبير العاشق

بقلم : يوسف روشا

كان جون شكسبير ، والد الشاعر ، فلاحاً . ويقول بعض الرواة إنه كان جزاراً . وليس ببعيد أن يكون الرجل قد اتخذ هاتين الحرفتين فى آن واحد فقد كان جم النشاط سريع الانسجام لا يحجم عن المغامرة فيما يعرض له من الشئون ، فتحسنت حاله بسرعة إذ نراه فى سنة ١٥٥٦ – ولم يمض على وفادته على « ستراتفورد » سوى خمس سنوات – قد ابتاع دارين انيقتين وانتخب نائباً عن هذه البلدة ، ثم قام بعد هذا بقليل باكبر صفقة فى حياته وذلك بزواجه من « مارى أردن » ابنة المزارع الغنى ، فاستقامت حاله وارتفع فى مدة وجيزة من مزارع بسيط إلى مصاف أعيان البلدة .

ولد وليم شكسبير فى ســنة ١٥٦٤ ولا يزال اليوم الذى ولد فيه موضوع اخذ ورد ، فمنهم من يقول إنه ٢٢ ابريل ، ومنهم من يزعم انه ٢٣ ابريل ، فليس فى هــذا ما يهم ، إنما الذى يعنينا انه ولد فى ١٥٦٤ وكان الصبى الأول والطفل الثالث لجون ومارى شكسبير .

لم يرسل جون ابنه وليم إلى المدرسة إلا عند بلوغه السابعة من عمره . وليس من شك فى ان وليم ، وما عرف عنه من توقد فى الذهن ونفاذ فى البصيرة ، كان قد التهم بسهولة ويسر كل ما تلقاه فى مدرسته ، وليس هذا الذى تلقاه مما يغنى ، ذلك انه لم يكن يتعدى النحو وشيئا قليلا جداً من اليونانية واللاتينية اللتين لم يتقدم فيهما تقدما ملموساً ، حتى ان « جـونسن » ، وقد كان معاصراً للشاعر ، قال عنه مرة إن معرفة شكسبير باللاتينية قليلة واقل منها معرفته باليونانية .

على ان حال الأب المالية اخذت فى التدهور حتى اضطر آخر الأمر إلى إخراج كافة ابنائه من المدرسة .

لا نعرف شيئاً عما كان يفعله الشاعر من الثالثة عشرة إلى الثامنة عشرة من عمره ،

واغلب الظن انه كان يساعد اباه فى مهنت[ه] كجزار ، إلا ان سوء الحظ لازم جو[ن] شكسبير ، فاخذ ينحدر رويداً رويداً إل[ى] هاوية الافلاس والفقر المدقع ، فساء[ت] اخلاق وليم وانضم إلى جماعة من الأشرا[ر] يسرقون الغزلان من حدائق الاغنياء !

ولكن اقتحام الحدائق واختطاف الغزلا[ن] لا يعدان شيئاً بجانب ما كان يقوم به ولي[م] شكسبير من غزواته الغرامية ، فقد وج[ه] سهامه ، وهو لا يزال فى الثامنة عشرة م[ن] عمره إلى فؤاد « آن هاتوى » ابنة فلاح [...] فصادها !

كان وليم مشبوب العاطفة ، كما تد[ل] عليه اشعاره وخاصة قصيدته « فينوس وادونيس » . ومن المؤكد انه لم يكن يقص[د] من مغازلة « آن » سوى العبث وإشبا[ع] الشهوة ، ذلك انه لم يكن يحبها ، كما تبي[ن] فيما بعد ، ولكن المسالة تطورت وارغم اخ[ر] الأمر على ان يتزوجها .

كانت « آن » تكبره بثمانى سنوات [...] وبعد ستة اشهر من زواجها وضعت [...] صبية اسماها « سوزان » ولا ريب ان هذ[ا] هو السبب الذى من اجله ارغم وليم عل[ى] الزواج .

على أن هذا الزواج كان نكبة على الشاعر ونعمة على الأدب الانكليزى خاصة والأدب العالمى عامة .

ذلك انه لو لم يتزوج « آن » هذه لما نزح إلى لندن ولما عرف تلك الفتاة ذات الشعر الناعم والحاجبين الأسودين التى جرعته الصاب والعلقم ، والتى من اجلها اخذ يخرج تلك الروائع الخالدات ، ينفث فيها سمه ، وينفس بها عن كربه .

لقد كان وليم ، كما اسلفنا لا يكف عن رمى شباكه هنا وهناك لاصطياد الكواعب ، وكانت « آن » زوجته شديدة الغيرة ، شكسة الطبع ، فكان الخلاف بينهما يتسع والحالة تزداد سوءاً يوماً بعد يوم .

إن غلمته العارمة ورعونته الهوجاء هما اللتان ورطتاه وقيدتاه بهذه الأنشوطة فلا مناص له الآن إلا ان يقطع الحبل . لقد كان عليه أن يختار احد امرين ، إما ان يكون مخلصاً لطبيعته وفنه ، وإما ان يذعن لعرف المجتمع وواجبه ، فاختار الاول وفر إلى لندن ، ولقد عاد هذا الاختيار على العالم باكبر فائدة .

ولقد حاول الشاعر أن يعتذر عن هذه الزلة بهذا البيت :

« الحب طفل غرير ليس يدرى ما الضمير » .

لا نريد أن نقف طويلا لنتبع خطوات شكسبير فى لندن مخافة أن يطول بنا الكلام فيلهينا عما نحن بصدده . يقول الرواة إن أول عمل قام به الشاعر عند هبوطه على لندن هو إمساك الجياد عند أبواب المسرح مقابل جُعل ، ثم تدرج قليلا إلى أن اصبح ممثلا ومؤلفاً للمسرح .

يذهب « فرانك هارس » ، الناقد الانكليزى الشهير إلى أن حياة شكسبير فى لندن حتى سنة ١٥٩٧ ـ السنة التى تعرف فيها إلى « مارى فتون » ـ كانت سعيدة إلى حد ما على الرغم من هذه السحابة القاتمة المتغلغلة فى نفسه . لقد كان ، وهو فى الثالثة والثلاثين من عمره اعظم شاعر ومؤلف للمسرح انجبه التاريخ ، وكانت أواصر الصداقة تربطه مع « الايرل اوف ساوثمتن » واللورد هربرت « بمبروك » ، وهما شابان ارستقراطيان عريقان فى المجد وهذان قرباه إلى القصر .

ومن طريف ما يذكر ان الملكة «اليزابيث» شاهدت مرة رواية « الملك هنرى الرابع » فاعجبت « بفلستاف » ، تلك الشخصية الجذابة المرحة ، فاوعزت إلى شكسبير رغبتها فى أن ترى « فولستاف » عاشقاً قد تيمه الحب . فنزولا على رغبتها اخرج شكسبير فى مدة لا تتجاوز الاسبوع مسرحيته « زوجات وندسور المرحات » فكان نصيبها الفشل ، ذلك لأن الفن العالى لا يخضع للمؤثرات الخارجية ولا يصدر إلا من منبع واحد هو وحى الفنان !

والآن من هذه السيدة « مارى فتون » التى سيطرت على فؤاد الشاعر واضرمت فيه نار الحب ؟ إنها وصيفة الملكة « اليزابيث » ، فى التاسعة عشرة من عمرها ومن عائلة عريقة فى المجد . لقد وصفها شكسبير بانها امراة لا كالنساء ، فارعة القوام ، شاحبة اللون ، عيناها وحاجباها سوداوان ، غجرية الطبع ، متغطرسة ، متمردة ، خليعة ، من ارومة عريقة فى المجد وصاحبة مركز رفيع .

هذه هى المراة التى جن بها الشاعر ، فما هى صفات شكسبير ومؤهلاته حينذاك ؟

لقد كان فى الرابعة والثلاثين من عمره ، ضعيف البنية ، محطم الاعصاب ، خجولا ، فقيراً ، شاعراً . ولكن اغلبية الشعب فى ذلك العصر ، عصر البطولة الجسمية ، لم تكن تحفل بالشعر والشعراء ، وكانت تفضل مصارعة الديكة على اية تحفة فى الفن والأدب .

لذلك لم يجد شكسبير من نفسه الشجاعة لبث هواه اللاعج لحبيبته بنفسه فرجا صديقه « اللورد هربرت » أن يقوم عنه بهذه المهمة فقبل ، ولكن « مارى فتون » تشبثت باللورد الشاب الوسيم وبادلها هو أيضاً الحب وخلفا الشاعر يندب الصداقة والوفاء .

على أن شكسبير لم تخمد جذوته بل زاد وجده ضراماً على مر الايام ، فما انفك يصب جام غضبه على العاشقين فى مسرحياته وقصائده ، يصرح حيناً ويلمح احياناً . ففى مسرحيته « جعجعة ولا طِحْن» يذكر الحادثة بصورة جلية على لسان « كلوديو » ناصحاً للعشاق ومحذراً لهم من الوقوع فيما وقع هو فيه إذ يقول : « حقاً إن الأمير يبثها غرامه ويستهويها لنفسه . إن دعائم الصداقة تكون ثابتة متينة فى كل شىء ما عدا أمور الحب ، فنصيحتى للمحبين الا يتخذوا وسيطاً بينهم وبين من يحبون ، بل ليبثوا غرامهم بانفسهم ، ذلك لأن الجمال نوع من السحر لاتلبث الامانة أن تذوب امامه وتتلاشى » .

ولقد تشتد بالشاعر الأزمة ويضيق « بمارى » ذرعه فيرعد ويزبد مهدداً إياها بانه سيهجوها اقذع الهجاء واقساه ، ولكن فاته ان امراة « كمارى فتون » ، التى كانت تلد نغلا بعد نغل دون ما حياء أو خجل ، لا يهمها ما يكتب عنها بعد ما ذاع امرها بين الملا ، واغلب الظن انها كانت تقابل التهديد بشىء غير قليل من السخرية والاستخفاف .

إذا اردت أن تعرف راى شكسبير فى « مارى فتون » هذه فما عليك إلا ان تقرا مسرحيته « انطونيو وكليوباترة » فما « انطونيو » سوى « شكسبير » وما « كليوباترة » سوى « مارى » وإليك البيان .

« انطونيو » إن مكرها لا يكاد يتصوره عقل إنسان .

« انوبربس » : مهلا سيدى لا تقل هذا . إن عواطفها لمن انبل العواطف وإن حبها لصاف نقي لا تشوبه اية شائبة .

« انطونيو » : لكم وددت انى لم ارها قط .

« انوبربس » : ولكن تكون فى تلك الحالة يا سيدى قد فاتتك قطعة من الفن مدهشة ، وتصبح رحلتك بدونها جافة عقيمة .

بهذه الأسطر الوجيزة عبر لنا شكسبير عن رايه فى « مارى فتون » . إنها شر لابد منه .

ثم يصيح على لسان « انطونيو » والحسرة تكاد تمزق احشاءه « إلى اين قادتنى مصر ؟ » .

إلى الهاوية ولا ريب .

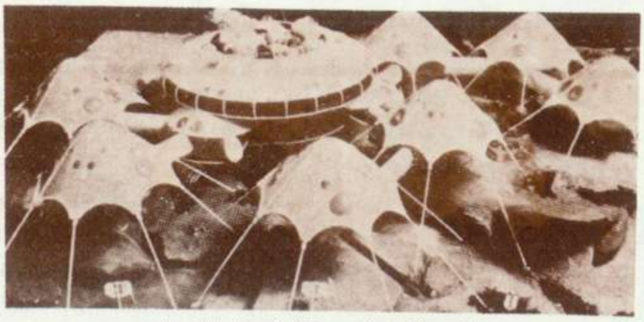
كان ذلك فى ١٦٠٨ وكان قد مضى على تعرفه « بمارى فتون » إحدى عشرة سنة ، ذاق فى اثنائها الأمرين ، فانطوى على نفسه ، واخذ يخرج تلك الماسى الرائعة ، حتى وهن جسمه ، وانهدمت اعصابه ، ونال منه الاعياء فانسحب إلى « ستراتفورد » ، مسقط راسه ، ليقضى ما تبقى من حياته القصيرة تحت عناية ابنته ورعايتها .

(بغداد) . **يوسف روشا**
١٩٤٦

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

خياشيم اصطناعية



ماكيت للقرية التى ستقام فى قاع المحيط

تستعد احدى الشركات الامريكية لانتاج خياشيم اصطناعية تتيح للانسان الحياة فى قاع البحار والمحيطات كما يحلو له ، فمهما طالت مدة بقائه هناك فلن يحتاج الى الصعود الى سطح الماء للتنفس .

فلقد استطاع احد الباحثين الامريكيين الحصول على نوع خاص من الاسفنج له خواص مدهشة ، فهو يتكون من خليط من الدم وبعض المركبات الكيمائية الاخرى ، وبفضل جزيئات الهيموجلوبين تستطيع هذه المادة الاسفنجية امتصاص الاكسجين من الوسط المحيط بها سواء كان هواء أو ماء كما يحدث خلال جدار الحويصلات الهوائية الرقيقة فى الانسان او خلال الخياشيم فى الاسماك .

ومن المتوقع ان يتم تصنيع اول نموذج من هذه المادة مع نهاية عام ١٩٨٤ ، ويتكون هذا النموذج من خزان مثل المستخدم حاليا فى الغوص ولكن الاسطوانات تحتوى فى هذه الحالة المادة البلاستيكية المحتوية على الهيموجلوبين والتى ستقوم بامتصاص الاكسجين من مياه المحيط بشكل مستمر ، بحيث يكفى خزان سعته ثلاثة امتار مكعبة لتغذية ١٥٠ شخصاً اذا فكروا فى العيش فى مدينة فى قاع البحر ، وفى حالة نجاح جميع التجارب فسوف يتم تسويق هذا الجهاز خلال عام ١٩٨٥ .

الألياف الضوئية وخلايا الكبد

تقدم الألياف الضوئية خدمة جديدة فى مجال الطب تضاف الى خدماتها السابقة ، فلقد ابتكر احد الأطباء جهازاً يقوم بتحليل حالة الأنسجة المختلفة فى جسم الانسان .

ويتكون هذا الجهاز من زوج من الألياف الضوئية متصلة معا من احد اطرافها بحيث تدخل الى الجسم من خلال فتحة متناهية الصغر لتصل الى النسيج المطلوب فحصه ، وعندئذ يحمل فرع من الألياف الضوئية اشعة فوق بنفسجية الى هذا النسيج فتثير خلاياه ويتولد ضوء فلورى ينقله الفرع الآخر من الألياف الضوئية الى جهاز خارجى لقياس شدة الضوء ، وتتوقف شدة الضوء على مدى كفاءة عمليات الهدم والبناء داخل الخلايا .

واتاحت التجارب الأولى التى اجريت على هذا الجهاز دراسة التلف الذى تحدثه الكحول لخلايا الكبد ، ولاول مرة يتم مثل هذا الفحص الدقيق لجميع خلايا الكبد ، ولقد أوضح هذا الجهاز أن درجة التلف ليست متساوية بالنسبة لجميع هذه الخلايا .

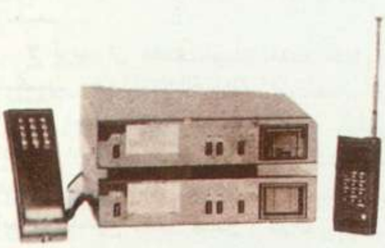
هاتف لاسلكي غير تقليدى

يمكن بواسطة هذا النوع الخاص من الهاتف اللاسلكى استقبال المكالمات الموجهة الى المنزل أو المكتب فى السيارة ، إذ يثبت هوائى على سطح البناية الواقع فيها المنزل او المكتب بحيث يقوم باستقبال المكالمات الموجهة الى جهاز الهاتف المنزلى ويرسلها مرة اخرى فى اتجاه جهاز الاستقبال الموجود فى السيارة .

وعند إجراء اتصال هاتفى من السيارة فان الأرقام التى يتم تكوينها تنقل على الفور الى الهاتف المنزلى الذى يقوم بتنفيذ المكالمة وذلك لان جهاز الارسال الموجود فى السيارة متصل بازرار الهاتف .

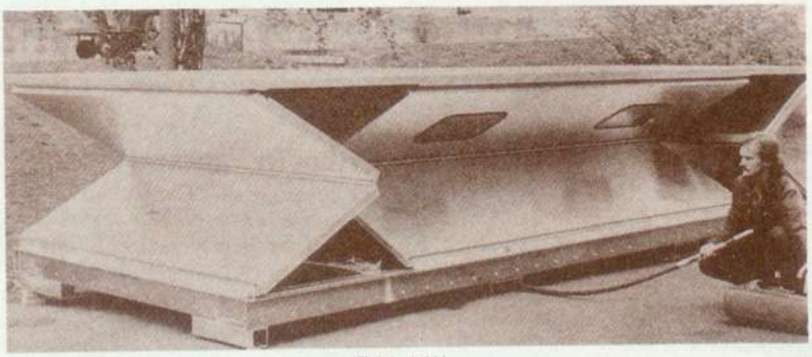
ويستطيع هذا الجهاز العمل فى دائرة قطرها ٨٠ كيلومترا من موقع المنزل أو المكتب ، وهو يتميز عن الهاتف اللاسلكى التقليدى بانه اقتصادى فالمشترك لا يدفع رسوما على المكالمات التى يتلقاها كما يحدث بالنسبة للهاتف اللاسلكى التقليدى كما أن الاتصال بين المنزل والسيارة يتم مجانا لانه يمثل توصيله لنفس الرقم .

ويمكن توصيل الهاتف اللاسلكى بجهاز صغير يتيح للمشترك استقبال وارسال المكالمات من خارج السيارة فى دائرة قطرها ٦٠٠ متر ، ولذلك فان ثمن هذا الهاتف غير التقليدى ثمانية أضعاف ثمن الهاتف اللاسلكى العادى .





احمل منزلك فوق ظهرك



المنزل المتنقل

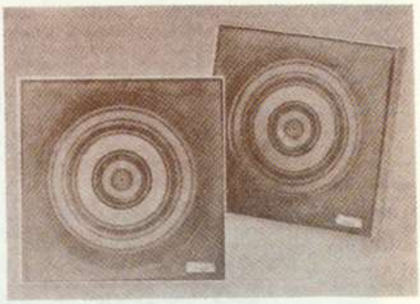
إن هذا البيت المتنقل الذى يمكن حمله الى اى مكان قابل للطى والفرد واقامته لا تستغرق سوى دقائق معدودات ، فهو يقوم بعمل الخيمة ولكنها خيمة من الالومنيوم .

ويبلغ ارتفاع جدرانه سبعة اقدام ونصف وهى معلقة بمفاصل بحيث تطوى الى الداخل - كما تبين الصورة - وعندئذ يتلامس سطح البناء مع أرضيته ويصبح مسطحاً تقريباً بحيث يسهل حمله أو تخزينه .

ولاقامة هذا المنزل السويدى الصنع يتم نفخ اكياس الهواء المزود بها وذلك باستخدام مضخة هواء عادية ، وعندما تنتفخ الاكياس ترتفع الجدران تدريجياً حتى تصل الى نقطة معينة تقوم المفاصل عندها بتثبيتها فى الوضع الراسى .

وصنعت جدران هذا المنزل المتنقل من الواح الالومنيوم المعزول بحيث يناسب المناخ الحار والبارد على حد سواء ، وهو يصلح لاقامة معسكرات للعاملين فى مناطق العمل النائية فى قلب الصحراء او المخيمات فى حالات الطوارىء .. الخ .

مكبرات الصوت المزدوجة



مكبرات الصوت المزدوجة

توضع مكبرات الصوت الستريو عادة داخل خزائن أشبه بالصندوق لاعطاء النغمات الموسيقية العمق والانعكاس المطلوب،وهى سمات هامة خاصة بالنسبة للانغام الخفيضة العميقة .

ولكن بعض مكبرات الصوت المتطورة تكون اقل سمكاً بحيث تبدو وكانها مسطحة ولقد امكن تحقيق ذلك بفضل مجموعات من الدوائر الالكترونية التى تعمل كبديل للرنين الفضائى الذى يوفره الحيز الموجود فى المكبرات العادية .

ويقدم اليابانيون مكبرات صوت جديدة لا سمك لها بحيث يمكن تعليقها على الجدار ، ويرجع صغر حجم هذه المكبرات ورفعها الى تصميم جديد متحد المحور يجعل مخروط مكبر الترددات العالية فى منتصف الغشاء الخاص بمكبر الترددات المنخفضة .

ويحيط بهذا المكبر المزدوج هوائي مرسل غير فعال يعمل فقط على توجيه الصوت فى اتجاه واحد بحيث يمكن تعليق مكبر الصوت على الجدار دون أن يؤثر ذلك فى درجة نقاء الصوت .

جهاز إلكتروني لاكتشاف تسوس الأسنان



سوف يتمكن طبيب الاسنان من اكتشاف التسوس فى مراحله الاولى قبل ان تحدث البكتريا اى تخريب للسن حتى يمكن علاجها دون اللجوء الى حفر الأسنان وحشوها ، ولتحقيق ذلك صمم الباحثون الامريكيون جهاز رصد الكترونى يستطيع اكتشاف اى ضعف مهما كان بسيطاً فى طبقة المينا التى تحمى الأسنان .

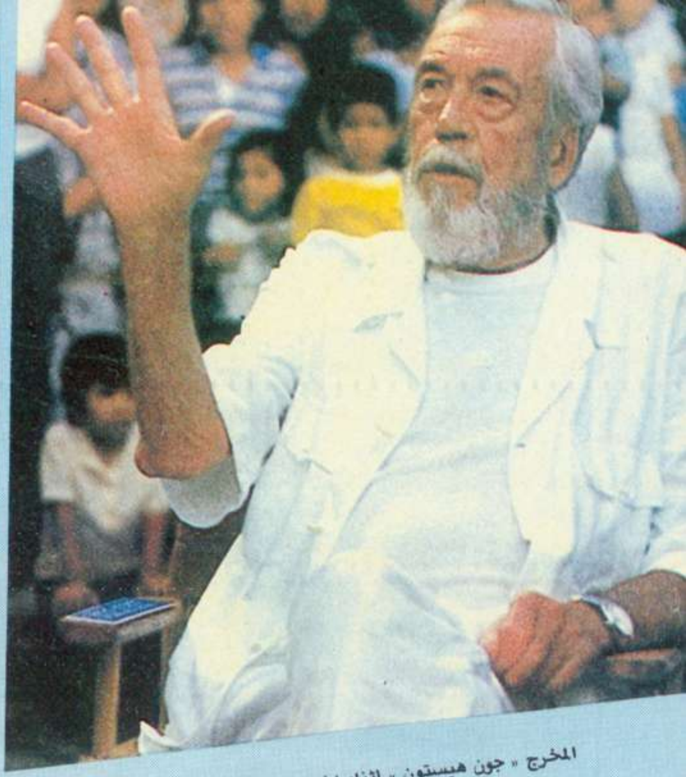
ويشبه هذا الجهاز الأداة التى يستخدمها الطبيب عادة لفحص مينا الأسنان بحثاً عن اى مظاهر للتسوس إذ ان الجهاز الجديد يقوم بتوليد تيار كهربى ضعيف عند وضع طرفه على سطح الأسنان فاذا كانت الأسنان سليمة فان طبقة المينا تعمل كطبقة عازلة وتقاوم مرور التيار،اما اذا كانت تعانى من اى درجة من درجات التحلل أو الضعف فسوف تسمح للتيار بالمرور وفي هذه الحالة فان قيمة فرق الجهد ستظهر على شاشة صغيرة متصلة بالجهاز .

وتتميز هذه الطريقة عن غيرها بانها تستطيع اكتشاف تسوس الأسنان قبل حدوثه فعلياً،وذلك فى مرحلة ضعف طبقة المينا،وهى بمثابة المرحلة الاولية التى تؤدى الى حدوث التسوس ، ومن ثم يمكن اتخاذ تدابير وقائية لحماية الأسنان قبل استخدام الفلوريدات أو طبقة واقيه تساعد المينا على استعادة صلابتها بدلا من الاضطرار الى اللجوء الى الحفر لازالة منطقة التسوس،ثم حشو الجزء المحفور بعد ذلك .

ويعتبر هذا الجهاز الذى لا يسبب اى الم حلا سعيداً لمن يخشى الذهاب الى طبيب الأسنان خاصة من الأطفال .



الطفلة التى اختارها جون هيستون لتلعب بطولة فيلم «انى» ولتصبح حديث العالم



المخرج « جون هيستون » اثناء إخراجه احدث افلامه فى المكسيك

سينما

بقلم رءوف توفيق

عمره ٧٨ عامًا .. ومازال يصنع الأفلام

العجوز .. والسينما

بالتاكيد .. إنه لشىء مثير للدهشة والتامل .. عندما ترى رجلا يقترب من عامه الثامن والسبعين ، يقود كتيبة من الفنانين والفنيين ، ليصنع عالما من الحركة والانفعالات والألوان ويقدم لنا فيلماً ..

انه المخرج الامريكى « جون هيستون » ، الذى يعرفه تاريخ السينما ، واحداً من جيل العباقرة فى الفن .. كاتباً وممثلا ومخرجاً .. ممتلئاً بالحيوية والتمرد .. عرف اقصى درجات النجاح ، وايضاً اقصى درجات الفشل .. ولكنه دائماً كحصان منطلق .. لا يعترف بتقدم العمر ، فالسكون بالنسبة له هو الموت ! .







.. الاولى لاطفال الملجىء الذين ملاوا الشاشة بالحيوية والمرح والرقص والغناء .. والثانية للممثلة « جاكلين بيسيه » والثالثة للممثل « البرت فيني » وقد حلق شعره ليجسد الدور فى فيلم « انى » اثناء تصوير فيلم « تحت البركان » ..

ومن فرط شخصيته الاسطورية ، انشغل به عدد كبير من الكتاب والنقاد لاصدار الكتب عنه ، حتى انه كان مع كل فيلم يخرجه ، يظهر كتاب عن اسلوبه فى اخراج ذلك الفيلم وكيفية تعامله مع الممثلين !

ولم تنضب القصص والروايات عنه ، لانه دائما متجدد ، مثير للجدل .. يملك قدراً هائلا من السخرية والتحدى والتناقضات .. عمل معه فى افلامه عدد كبير من المع نجوم السينما الامريكية .. وتنوعت افلامه من المغامرات ، إلى الأفلام الاجتماعية ، الى الافلام التاريخية ، وحتى الأفلام الاستعراضية !

فمنذ ثلاثة اعوام ، فاجا السينما بفيلمه الاستعراضى « انى » التى لعبت بطولته طفلة عمرها عشرة اعوام .. طفلة مجهولة اختارها من بين مئات الاطفال ، لتصبح بعد هذا الفيلم حديث العالم كله ، تلاحقها عدسات المصورين وشبكات التليفزيون فى أوربا وامريكا والشرق الاقصى ..

اما هو – المخرج جون هيستون – فقد انتهى من ذلك الفيلم .. وبدا يفكر فى مشروعه التالى ، فهو دائما عنده مشروعات للمستقبل ، غير معترف بسنوات الكهولة التى يخوض فيها !

تحت البركان

ومنذ اسابيع قليلة ، انتهى هذا المخرج العجوز من تصوير احدث افلامه « تحت البركان » .. وتم التصوير فى المكسيك ، ذلك المكان الذى يعشقه ويحمل له العديد من الذكريات الحلوة منذ كان شابا فى العشرينات من عمره ..

ها هو الآن يقترب من الثامنة والسبعين ويعود الى نفس الأرض ، ويختار رواية ماخوذة عن اسطورة مكسيكية للروائى « مالكولم لورى » .

ويقول المخرج « جون هيستون » عن هذه الرواية ، « لست أنا الذى لاحقت رواية « تحت البركان » ، بل هى التى لاحقتنى لعدة سنوات .. فقد قرات الرواية وتاثرت بها جداً .. فانا اعرف الكثير عن المكسيك وعن شعبها .. وظلت هذه الرواية تطاردنى كلما فكرت فى فيلم جديد .. وتلقيت عدة سيناريوهات تعالج هذه الرواية ، ولكن لم ينجح احد منها فى اعطائى الانطباع الذى خرجت به من قراءتى للرواية .. واخيراً عثرت على سيناريو كتبه شاب فى الثامنة والعشرين من عمره .. وكانت هذه اول مرة يكتب فيها للسينما .. وقد كتب هذا السيناريو كنوع من التدريب العملى لدراسة السينما فى جامعة « يل » الامريكية .. وامسكت بهذا السيناريو وقررت ان احوله الى فيلم » .

وربما هذا الموقف للمخرج « جون هيوستون » يوضح لنا احد معالم شخصيته الباحثة دائما عن الجديد والغريب ، فهو رغم عمره الفنى الطويل ، واحتكاكه الهائل بعدد من كبار الروائيين وكتاب السيناريو (من بين الذين كتبوا سيناريوهات افلامه : آرثر ميللر – ترومان كابوت – راى برادبورى – رومان جارى) .

رغم هذا الرصيد والخبرة ، فانه يلجا الى شاب حديث التخرج « جيى جالو » ليكتب له آخر افلامه ، وكانه يجدد شبابه الفنى ، ويدفع مزيداً من الحيوية الى افكاره ورؤيته السينمائية . !



الأب والابن يهنىء احدهما الآخر بجائزة الاوسكار عام ١٩٤٩



لقطة من فيلم كوكب القرود ، حيث ظهر جون هيستون متنكرا فى وجه قرد عجوز

سينما

العجوز.. والسينما

تلك الفوضى اللذيذة

ورواية « تحت البركان » تغطى احداثها نهار يوم كامل بين المقابر المكسيكية .. وتحكى عن الفشل فى الحب ..

ويلعب بطولة الفيلم « البرت فينى » و « جاكلين بيسيه » التى كان قد اكتشفها وعمرها ١٨ عاماً .. وها هى الآن بعد رحلتها فى العديد من الأفلام تقول : « ان بدايتى الحقيقية ستكون مع هـذا الفيلم .. ومع هذا المخرج العملاق .. وبالرغم من أن دورى لا يتعدى دقائق معـــدودة من الفيلم » !

اما الممثل « البرت فينى » فهو يعود ليمثل من جديد أمام المخرج « جـــون هيستون » بعد ان قدمه بنجاح فى فيلم « آنى » .. يلعب شخصية المليونير الامريكى الأصلع الذى يعيش فى قصر فاخر فسيح ، يتحرك كل شىء فيه بنظام جاف ، حتى تدخل حياته هـــذه الطفلة الصغيرة « آنى » مع كلبها الابيض .. لينقلب كل شىء على عقب .. وتخلق الطفلة جواً من المرح والسعادة والفوضى اللذيذة .. ويرن صوتها الطفولى داخل الجدران الباردة ، فيشع الدفء .. ويكتشف المليونير الامريكى المتحجر الوجه ، انه لم يعد يطيق الحياة بدونها ..

القصة تقليدية .. ولكن المخرج « جون هيستون » أستطاع ان يملأ الشاشـــة العريضة .. بالحركة والاستعراضـــات التى قام الأطفال بالجانب الأكبر منها ..

اقتحام الخوف

وقد كان غريباً ان يسيطر المخرج العجوز على مجموعة من الأطفال ليستخرج منهم كل هذا التدفق والانسجام والجمال ، ولكنه كان كمن يريد أن يعوض فترة طفولته القاسية المحرومة من الحب والحنان ..

فقد حدث الطلاق بين والديه عندما كان فى الثالثة من عمره .. وعاش الطفل مشرداً بينهما .. الأب ممثل مسرحى جذبه الفن ليتخلى عن وظيفته كمهندس مسئول عن الطاقة والكهرباء .. ويحاول ان يجد له دوراً على المسرح ممثلا أو مغنياً .

اما الأم فقد كانت ثرية .. وصحفية ..

وعن هذه الفترة يحكى «جون هيستون» قائلا :

« سافرت كثيراً مع كل من والدى .. تنقلت بين قضاء الليل داخل اكياس مليئـــة بالحشرات مع ابى ، الى الفنادق الفخمة مع والدتى .. » !

وفى سن الثانية عشرة ، اثناء اقامته فى مدرسة خاصة ، اصيب بمرض خطير ، وشخص المرض بانه تضخم فى القلب ، وفشل فى الكلى ، ووضعته امه داخل مصحة خاصة .

وروى جون هيستون لمجلة « لايف » ، ان هذه الفترة شهدت نقطة تحول فى حياته ، فقد تحول فى المصحة الى طفل خجول خائف..وفى احدى الليالى اراد ان يختبر خوفه .. وحينما استغرق الجميع فى النوم .. ترك فراشه .. وخلع ملابسه وهرع الى مجرى مياه كان يمر فى منطقة المصحة .. وبلا أى تردد قفز فى المياه وترك نفسه للتيار يجرفه الى مسقط مائى حجرى منحدر انحداراً شديداً .. وحينما خرج من الماء وتبين انه مازال حياً .. كرر القفزة الى الماء وفوق المسقط !

يقول هيستون عن هذه التجربة « لقد ايقنت بالغريزة أن الخوف هو العدو الذى يجب أن اقهره » !

واكتشفت ادارة المصحة ، ما يفعله الصبى كل ليلة بالقفز فى الماء ، واعادوا فحصه طبياً من جديد ، وقرروا انه لم يعد مريضاً .

ويعلق محرر مجلة « لايف » على هذه الحادثة بقوله : « إن الملامح التى تكشف عنها هذه الواقعة ، تعتبر من الملامح الأساسية والدائمة فى شخصية جـــون هيستون .. ان المغامرة ــ التى قد تصل الى التهور ــ هى ردود فعل حقيقية فيه .. والحركة واستخدام الحاضر الملموس باكبر قدر من الحيوية .. كانا طريقه الى خلاص الروح .. وبقيا عنده عادة دائمة » !

ساحر السينما

ومن اجمل وامتع الكتب التى صدرت عن حياة هذا المخرج .. ذلك الكتاب الذى اختاره الناقد المصرى المعروف « فوزى سليمان » وترجمه الى العربية بعنـــوان « جون هيستون .. ساحر السينما » .. والكتاب من تاليف « ستيورات كامينسكى » الاستاذ المساعد لمادة السينما بجامعـــة « ايفا نستون » بولاية « الينوى » الامريكية والذى قدم دراسة شاملة لحياة هذا المخرج واهم افلامه ، واحتفظت الترجمة العربية (التى صدرت عن مطبوعـــات كتابى القاهرية) بجاذبية المادة وسلاستها .. ومما اعطى للترجمة هذه الروح ، انها جاءت من عاشق للسينما ، يعيش اغلب ايامه بين الأفلام متنقلا بين المهرجانات العالمية .. يرى ويقرأ ويحلل ..

واعترف اننى عشت ساعات ممتعة مع هذا الكتاب الذى يقع فى اكثر من ثلاثمائة صفحة .. ليس فقط متتبعاً لعالم هذا المخرج العبقرى الغريب الأطـوار .. ولكن نقلنى الكتاب الى الكواليس الخفية لصناعة السينما بكل ما فيها من سحر وفن وحياة .. وتجارة ونقود .. ونجاح وفشل ..



جون هيستون .. كما ظهـــر في احد ادواره علي الشاشـــة

تجربة أول اخراج

ويفسر الكتاب شخصية هذا المخرج ، بانه جمع بين التمثيل - مهنة والده - والكتـــابة - مهنـــة والدتـــه - ليجد نجاحه الأكبر فى مهنة تجمع بين الاثنين وهى الأخراج ..

وفى عام ١٩٤١ اصبح جون هيستون مخرجاً سينمائياً معترفاً به من خلال فيلم « الصقر المالطى » الذى اشترك ايضاً فى كتابة السيناريو له ، عن رواية للكاتب البوليسى « داشيل هاميت » .. ولعب بطولة الفيلم « همفرى بوجارت » .. وحقق الفيلم نجاحاً ساحقاً ورشح لجائزة أوسكار احسن فيلم .. وبهذا النجاح الأول بدات شهرة « جون هيستون » كمخرج ، بعد ان خاض لثلاث سنوات سابقة تجربـــة كتـــابة السيناريو لافلام مخرجين غيره ..

وعن تجربة أول اخراج يتذكر جـــون هيستون فيقول : « لقد قمت بعمل رسوم عن كل مشهد فى الفيلم .. أردت ان أكون واثقاً من نفسى واننى لن اتخبط بين آليات الفيلم » .

وكتبت الممثلة مارى آستور فى كتابها « حياة فى فيلم » انها عندما اشتركت فى فيلم « الصقر المالطى » فوجئت بالمخرج جون هيستون يخطط لكل لقطة بدقة .. ويقوم بتدريب الممثلين على المشهد ثم يصوره فى اقل عدد من مرات التصوير .

أما الممثل « همفرى بوجارت » فقد اطلق على « جون هيستون » لقب « الوحش » وعلق بقوله : « لقد احببت العمل مع جون .. إن الوحش يدفعنى للعمل . فعقله يختلف عن العقل التقليدى وغير متقوقع على ذاته .. إنه ذكى .. ولا يمكن التنبؤ بما سيفعله .. ولهذا فعندما أعمل معه فاننى لا أفكر فى اننى ممثل » ..

وقد عمل همفرى بوجارت مع جـــون هيستون بعد ذلك فى ست افلام .. ورشح لعدة مرات لجوائز أوسكار عن احسن ممثل فى هذه الأفلام .. ولكنه فى عام ١٩٥٢ فاز بالجائزة عن دوره فى فيلم « الملكة الافريقية » الذى اخرجه هيستون .

هو .. والممثلون

ومن أبرز النجوم الذين عملوا مـــع هيستون .. نجد كلارك جيبل - كاترين هيبورن - مارلين مونرو - بول نيومان - ريتشارد بيرتون - ديبورا كير - افا جاردنر - مونتجمرى كليفت - جون واين - بيتى دافيز - بيرت لانكستر ..

قائمة طويلة من ألمع نجوم السينما الامريكية .. ينضم إليهم والده الممثل والتر هيستون الذى عمل معه فى عدة افلام ليجلب الحظ لأبنه على حد قوله .. بينما علق الابن « جون هيستون » قائلا : « اعتقد اننى الوحيد فى تاريخ السينما الذى قـــام بالاخراج لنفسه ولـوالده ولابنته » !

ونجح الأب فى التمثيل ، بل فاز بجائزة اوسكار كاحسن ممثل مساعد فى فيـــلم « كنز سييرا مادرى » الذى اخرجه ابنه وفاز عنه باوسكار احسن مخرج عام ١٩٤٩ .

ولم تنجح الابنة فى التمثيل ، بينما فاقت شهرة جون هيستون كممثل ، شهرته كمخرج ..

وقد ظهر « جون هيستون » كممثل فى فيلم « الكاردينال » للمخرج « اوتو بريمنجر » - عام ٦٢ - وبعدها انطلق فى عالم التمثيل سواء فى افلام اخرجها هو او مخرجون غيره .. وتميز بقامته الطويلة وقدرته على التنكر .. فهو الممثل القادر على تقمص الشخصيات المتميزة ، بملامحه المعبرة ، وصوته العميق .

وهو يقول عن تجربته كممثل : « من المفيد لنفسية المخرج ان يكون بين فترة وأخرى على الجانب الآخر من الكاميرا » !

فى الأماكن الطبيعية

ومن اهم صفات « جون هيســـتون » كمخرج انه يترك الحرية للممثل لكى يتصرف كما يريد فى حدود الشخصية التى يلعبها .. وان كان يؤمن بان الممثل لابد وان يتقمص الشخصية تماماً ، ويخوض مثلها كل التجارب والصعاب ، حتى يبدو منطقياً امام المتفرجين .

ولهذا أصبح معروفاً عنه كمخرج ، ان ما من ممثل اشترك معه فى فيلم الا واصيب بجراح وكدمات وكسور فى ضلوعه .. ! .. فهو يصور افلامه فى الأماكن الطبيعية بين الجبال والغابات والمحيطات .. وتنقـل بممثليه من افريقيا الى اوربا وآسيا وامريكا اللاتينية ..

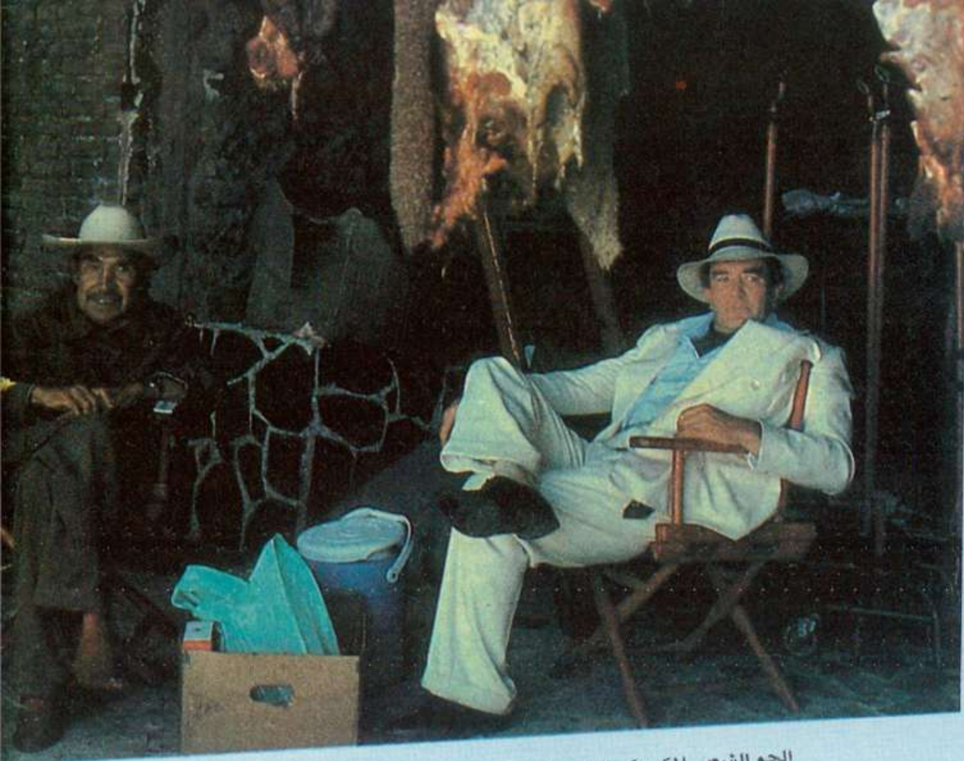
وتحكى فصول كتاب « ساحر السينما » عن أغرب الحوادث التى تعرض لها الممثلون أثناء تصوير افلامه ، ففى فيلم الملكة الأفريقية الذى تم تصويره فى الكونغو واوغندا .. اختار المخرج مكاناً بين الأحراش البدائية .. ودفـــع بممثـــله « همفرى بوجارت » ان يخوض فى مياه بحيرة راكدة ، ليخرج وقد غطته الديدان الماصة وهو يرتجف بشدة .. وقد ادى بوجارت هذا المشهد كما هو مطلوب منه بالضبط .. وكان احد الأسباب التى ساعدت لأن يفوز باوسكار احسن ممثل عن دوره هذا ..

وفى نفس الفيلم ، لقي فريق الفنيين فى الفيلم متاعب كثيرة سواء بالمرض أو من هجوم النمل ، أو من السقوط فى النهر المليء بالديدان والتماسيح .. ورغم طول فترة التصوير وزيادة النفقات وتوالى حالات المرض بين الممثلين والفنيين ، اصر « جون هيستون » على رايه الذى اعلنه « ان الهدف من تصوير الفيلم فى موقع الأحداث .. ان الممثلين اذا عاشوا وسط محيط معين فانهم سوف يتاثرون به .. وسينعكس هذا على ادائهم لادوارهم » .

وكرر المخرج « هيستون » نفس التجربة فى فيلم « موبى ديك » - عام ٥٦ - والذى لعب بطولته جريجورى بيك .. وأورسون ويلز .. وتم تصوير الفيلم فى مدينـــة ايرلندية صغيرة تقع على البحر .. واعيد تصميم واجهة المدينة باكملها حتى تبدو مثل ميناء « نيو بدفورد » فى عـــام ١٨٤٠ حيث تقع احداث الفيلم .. وقد ازال المخرج



« جاكلين بيسيه » و « البرت فينى »
فى لقطة من فيلم « تحت البركان »



الجو الشعبى المكسيكي الذى يعشقه جون هيستون فى اخر لقطات فيلمه الجديد

العجوز..والسينما

اسلاك التليفون .. وقام بالتصوير على ظهر سفينة قديمة .. وتسببت مخاطر التصوير فى البحر فى تعطل العمل عدة مرات عندما اصيب الممثل ريتشارد بيسمارت بثـلاثة كسور فى عظام قدمه اثناء قفزه الى احد قوارب صيد الحيتان .. كمـــا اصيب جريجورى بيك فى ركبته بسبب الكوبرى المبنى لتثبيت ساقه الخشبية .. واصيب ممثل آخر بانزلاق غضروفى والتهاب رئوى بسبب برودة الجو .

ويتذكر « هيستون » هذه التجربـــة فيقول : « كدنا نفقد السفينة ثلاث مرات .. وبالتاكيد كان فى امكاننا أن نصور فى الاستوديو ، ولكن ليس من الممكن مقارنة شىء بثورة عاصفة حقيقية فى البحر .. » !

وفى فيلم « جذور السماء » عن رواية « رومان جارى » .. عـــاد المخـرج جون هيستون ليصور احداث فيلمه على ارض افريقيا عام ٥٨ .. واختـــار افريقيـــا الاستوائية (حتى تبدو الالوان حقيقية على الشاشة .. وتاثير الجو الحار الرطب على الشخصيات) .. وتوالت حوادث المرض بين الممثلين والفنيين .. حتى بلغت فى مجموعها تسعمائة حالة بعد انتهاء التصوير !! .. وطبقاً لما ذكره منتج الفيلم « زانوك » فى كتاب « لا تقل نعم حتى انتهى من الكلام » !

« كان وجه الممثل تريفور هوارد يتحول بصفة دائمة الى حمرة البنجر بسبب الحرارة ، ولذلك كانت تجرى له عمليات (الماكياج) كثيراً حتى يبدو وجهه طبيعياً .. ولأجل خدمة المرض قامت طائرات برحلات منتظمة بين الموقع وباريس » .

هو .. والخيول

أما عن سر ارتباط المخرج « هيستون » بالمكسيك .. فيشرحه كتاب «ساحر السينما» بان « هيستون » في شبابه بدا يهوى ركوب الخيل .. ولما اكتشف ان هذه الهواية تكلفه كثيراً .. قرر ان يلتحق بالجيش المكسيكي .. ليركب الخيول مجانا .. وبعد عامين من التحاقه كان قد تعلم الاسبانية واصبح فارساً متمرساً .. وزاد حبه للمكسيك ..

وتوالت الخيول في افلامــه .. ولعل اشهرها فيلم « غير المتكيفين مع المجتمع» الذي كتب له السيناريو « آرثر ميللر » ولعب بطولته مارلين مونرو وكلارك جيبل ومونتجمري كليفت وايلي والاش » ويتعرض موضوع الفيلم لرجال مهمتهم اصطياد الخيول البرية لبيع لحومها لاطعام الكلاب ..

وقد بدأ تصوير هذا الفيلم عام ٦٠ وبميزانية قدرها أربعة ملايين دولار .. وقد تم تصوير الفيلم بالأبيض والأسود لاعطاء الاحساس بقتامة الموضوع وجفافه ، وابدى المخرج « هيستون » حماسه الشديد للفيلم بقوله : « انه عن ناس يبيعون عملهم ولكنهم لا يبيعون انفسهم .. انه فيلم عن عالم متغير .. فقد كان هناك معنى لحياتنا قبل الحرب العالمية الثانية .. ولكننا فقدنا المعنى الآن ، واصبح المجتمع يطعم الكلاب لحوم الخيل » !

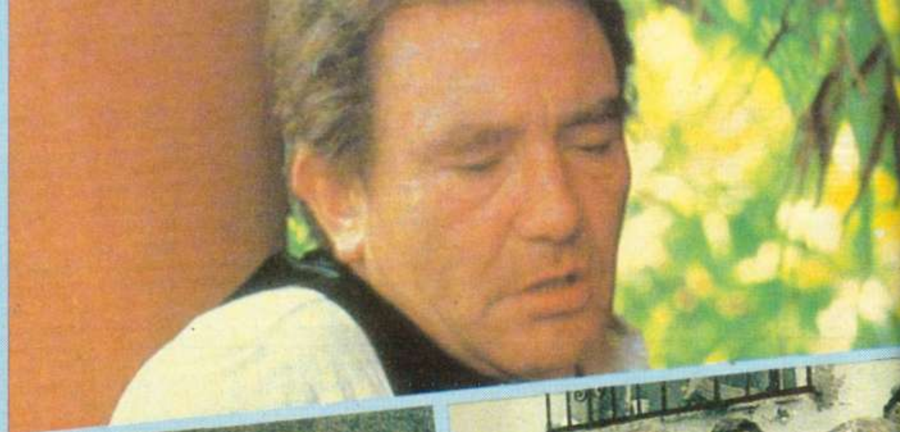
الماضي الجميل

ورغم طبيعة المخرج « هيستون » المتدفقة بالحيوية ، إلا ان افلامه ترتبط بالماضي اكثر مما ترتبط بالحاضر او المستقبل ، وهناك موضوع يتكرر في اغلب افلامه ، عن مجموعة من البشر في رحلـة او مهمة ويواجهون الفشل او الموت ..

وعندما اخرج « هيستون » فيـلم « الطاحونة الحمراء » - عام ٥٣ - عن قصة حياة الرسام الفرنسي لوتريك ، قال الكثير من النقاد ان هناك تشابها واضحاً بين حياة هيستون وحياة لوتريك .

وعندما تحمس بشدة لاخراج فيلم عن السنوات الاخيرة من حياة « فرويد » .. ولعب مونتجمري كليفت آخر ادواره على الشاشة في هذا الفيلم .. لم ينجح الفيلم









الممثل «البرت فيني» فى اخر أدواره امام المخرج «جون هيستون» فى فيلم تحت البركان .. ثم لقطتان اثناء تصوير الفيلم فى المكسيك

المخرج جون هيستون يطل من نافذة اثناء اخراجه احدث افلامه فى المكسيك ، وكأنه يطل على رحلة عمر استمرت ٧٨ عاما

تجاريا .. وعلق هيستون بحزن « ان فرويد كان سابقا لعصره .. ويبدو اني عندي موهبة اخراج افلام إما سابقة او متاخرة عن عصرها .. وكل منها أسوأ من الآخر » !

التناقض وشهية المؤلفين

وفي عام ١٩٦٤ اعطى له المنتج الايطالي « دي لورنتس » فرصة ذهبية باخراج الفيلم الضخم « الانجيل » .. وحقق الفيلم نجاحـــــا تجاريا وفنيـــا .. ولكن « هيستون » أرتضى بعدها ان يخرج ويمثل ربع فيلم عن جيمس بوند « كازينو رويال » . منتهي التناقض .. ولكنها الرغبة في ان يظل على قيد الحياة .. ومواصلة العمل .. واعتبار النجاح او الفشل دافعا للاستمرار .. والتنوع !

ولهذا توقف أمامه الكثيرون من الكتاب والنقاد يحاولون رصد اتجاهاته .. وتنوعت الكتب عنه .. وأستوحى بعضهم تحليل شخصيته في أعمال روائية .. فظهرت مثلا رواية بعنوان « صياد ابيض ذو قلب أسود » يعكس مؤلفها « بيتر فيرتل » رؤية لهيستون اثناء اخراجه فيلم « الملكة الافريقية » .

وظهرت رواية بعنوان « القتل المجنون » أثناء اخراجه لفيلم « موبى ديك » .. وعن نفس الفيلم ظهر كتـاب آخر عنه بعنوان « يعيش وكأنه لورد » !

الفيلم الممنوع

ولكن اهم مفاجآت ذلك المخرج العبقري .. هذا الفيلم التسجيلي الذي اخرجه عام ١٩٤٥ ومنع من العرض بامر من وزارة الدفاع الأمريكية حتى تم الافراج عن الفيلم عام ١٩٨١

وقد اتيحت لي فرصة مشاهدة العرض الأول للفيلم من خلال مهرجان كان ١٩٨١ وكانت الدهشة بالغة من المستوى الفني المتقدم الذي حققه هذا المخرج منذ ستة وثلاثين عاما .. وبدا الفيلم وكانه احدث انتاج سينمائي ..

فقد استخدم المخرج « هيستون » الكاميرات الدقيقة السرية ليسجل رحلة الجنود الأمريكيين اثناء الحرب العالمية الثانية ، داخل أحد المستشفيات الأمريكية العسكرية .. ليتم اختبارهم وعلاجهم من صدمات الحرب .. منهم من فقد السمع والبصر .. ومنهم من اصابتهم الارتعاشة الدائمة او عدم القدرة على الحركة .. أو النوم .. واحساسهم الدائم بالفزع .

عنوان الفيلم « ليكن هناك ضوء » .. والضوء الحقيقي الذي يقدمه هذا الفيلم التسجيلي .. هو عودة هؤلاء الجنود الى حالاتهم الطبيعية بعد علاجهم الطويل والشاق ..

وقد كان واضحا ان وزارة الدفاع الأمريكية قد منعت هذا الفيلم طوال تلك السنين ، حتى لا يوثر الفيلم على نفسية الجنود في الجيش الامريكي .. الى هذه الدرجة كان الفيلم صادقا وقاسيا .

الذي يهزم الرجال ؟

لقد سالوا مرة المخرج هيستون عن فلسفته في الحياة .. فهز راسه وقال بصوته العميق القوي « انني لا اعرف اني عندي فلسفة معينة ، ولكني لا اقوم ابدا بعمل اي شيء لا يدخل المتعة الى نفسي ، فما الذي يهزم معظم الرجال في الحياة ؟ .. من المحتمل ان يكون السبب هو انهم يصنعون تماثيل مزيفة لانفسهم ، ويحاولون الحصول على أشياء ليست لها قيمة » .

وهكذا يواصل هذا المخرج حياته .. ويقترب من الثامنة والسبعين وهو ما زال يعمل .. ويفكر لمشاريع للمستقبل !!

رءوف توفيق

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

أزمة كتابة .. أم أزمة أخلاق ؟!

لقد طالعت ما نشر فى باب « رسائل الى المحرر » بالعدد ٩٧ من الدوحة تحت عنوان « اتهام » ، والذى يتضمن اتهاما ضدي صدر من الدكتور عبد الرحمن العيسوي - رئيس قسم التربية وعلم النفس بجامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - وادعى فيه بانني انقل من بحوثه ومؤلفاته وانشرها فى الصحف والمجلات باسمى !!

وارجو ان تاذنوا لي بالتامل فيما ينطوي عليه هذا الاتهام من ماساة اخلاقية ، ولاطرح عليكم بعض الحقائق ، واترك للمجلة وللقراء اصدار الاحكام ، « واثقا بالله وبضمائركم الحية وبانكم لن تخذلوا الحق ولن ترضوا بغيره بديلا مهما اختلفت مراكز الأفراد » :

اولا : الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عيسوي هو شقيقى الأكبر ، وهناك خلاف عائلى حاد بيننا . وقد دفعه سخطه الشخصى الى مطاردتى بسيل جارف من الشكاوى الباطلة ، والادعاءات الكيدية فى كافة الجهات ، ومن بينها بعض المجلات العربية .. وهو يهدف من وراء ذلك كله الى تشويه سمعتي والنيل من مكانتي . ولان كل تلك الادعاءات باطلة وكاذبة فاني اتركه لله تعالى حيث قال جل شانه : « ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا » .

ثانيا : ان المتامل فى كتاباتي واتجاهى يدرك لأول وهلة ان هناك فرقا شاسعا بين أسلوبى وأسلوبه ، فانا اكتب مدعما العلم بالطابع الاسلامى ، ومعظم مقالاتى لا تخلو من الشواهد الدينية بينما تخلو مقالاته من كل ذلك . فمنهجه هو المنهج الفلسفي البحت .

ثالثا : لنفترض جدلا باننى اخذت مقالاته ونشرتها باسمى ، فلماذا لم يرسل لكم النصوص المنقول عنها حتى تكون دليلا ماديا يثبت وقوع الاتهام ضدي ، وهذا ما اتحداه ان يفعله ! !

رابعا : لقد سبق ان ارسلت لكم صورة من ردي على رسالة مجلة « منار الاسلام » وبها نماذج من مقالاتى ومقالات سيادته من اجل مقارنة الأسلوب ، وهذا دليل متواضع على صدق نواياي ، ولتلمسوا بانفسكم مدى الظلم الذى وقع عليَّ .

خامسا : انني شقيقه الأصغر سنا وعلما ، وكان الجدير به ان يتقي الله فى صلة رحمه ، وان يترفع عن ايذائي وظلمي ، وليتذكر قول الله تعالى : « وعنت الوجوه للحي القيوم ، وقد خاب من حمل ظلما » .

سادسا : كما ان هناك ميثاق شرف لامانة القلم ، فلابد أن يكون هناك أيضا ميثاق لامانة الاتهام ، وما دام هذا الميثاق غير معترف به من لدن الدكتور عبد الرحمن عيسوي فانني اخشى ان يلجا لاثارة حملات اخرى ضدي بعد ان فشلت حملته الحالية . لكننى واثق من تاييد الله لي . قال تعالى : « وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين » .. وقال سبحانه « ومن يتق الله يجعل له مخرجا ، ويرزقه من حيث لا يحتسب » .

سابعا : حسبي الله ونعم الوكيل ، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم .

محمد محمد عيسوي الفيومي
مصر - المحلة الكبرى

- من حق الدكتور عبد الرحمن عيسوي أن يرد على هذه الاتهامات التى لا ندرى مدى صحتها ، وبعد الرد المنتظر ليس امامنا إلا ان نغلق هذا الموضوع وندعو الله بالهداية للجميع وحسن المعاملة بينهم والخروج من هذه الدوائر الضيقة التى تضر بالثقافة والقارىء .

كتب إسلامية إلى غانا

تلقينا من الأخ علي الحسن بابا مدير جمعية الشباب الاسلامية للمنظمة الطلابية بمدينة اكرا عاصمة غانا الرسالة التالية :

نحن نتابع من هنا صدور مجلة الدوحة التى تحتوى على مواضيع جيدة تخدم جميع المهتمين بالقضايا الفكرية ،وبهذه المناسبة فاننا نرجو منكم تزويد الجمعية الاسلامية ببعض الكتب الدينية المتوفرة لديكم من اجل خدمة اخوانكم المسلمين الذين يتحرقون شوقا لمعرفة كافة الامور المتعلقة بديننا الاسلامى الحنيف ، حيث اننا نواجه صعوبات كثيرة فى الحصول عليها .

وفقكم الله وسدد خطاكم .

- ناسف لعدم تمكننا من تلبية طلبكم بصورة مباشرة ، ولكن يمكنكم الحصول على طلباتكم بالكتابة مباشرة الى : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية وعنوانها : ص . ب ٢٣٢ الدوحة دولة قطر وكذلك الى : ادارة إحياء التراث الاسلامى وعنوانها : ص . ب ٤٢٢ الدوحة دولة قطر .

ولكم اطيب تحياتنا .

لست مسحورًا بفن بيكاسو



عزيزى المحرر
تحية طيبة وبعد
اكتب هذه الكلمات من عمان التى جئتها فى زيارة قصيرة . لقيت هنا البارحة عدد الدوحة الاخير ، وهو فى العادة لا يصل إلى سورية الا متاخرا ووجدت فيه مقالى الأخير . منفذ الحروف سامحه الله حذف حرفا واحدا فعكس المعنى الذى قصدته . « قلت : للمسحورين بفن بيكاسو الذى ما سحرنى فى يوم من الأيام » فحذف ما ، وجعلنى بذلك مسحوراً بفن بيكاسو ! سامحه الله مرة أخرى .

للجميع تحياتى واطيب تمنياتى .

د . عبد السلام العجيلي

حول مقالات الشربجي!

سيان عندي انسان يسرق المال، وآخر يختلس نتاج غيره، كلاهما يستحقان العقاب، الأول لحماية المجتمع من الفساد، والثاني للحفاظ على اعمال المبدعين، ومجهوداتهم.

ومجلة الدوحة التى تضم مختلف للمقالات والمواضيع، غفلت عن احد ادعياء الكتابة والبحث، والذى لا يتورع عن تلخيص قسم من كتاب، أوجمع فقرات من هنا وهناك وينسبها اليه دون ذكر المرجع.

وفى العدد رقم ٩٦ المؤرخ فى ديسمبر ١٩٨٣ نشرت «الدوحة» مقالا بعنوان «ثروة نادرة من المخطوطات الاسلامية فى ايطاليا» للمدعي وجيه الشربجي، والموضوع ماخوذ بتشويه من كتاب مخطوطات مكتبة الامبروزيانا بميلانو. وكان السيد الشوربجي قد نقل مقالة عن المخطوطات البلغارية من كتاب الدكتور عدنان درويش ومقالة عن قلعة دمشق من كتاب الدكتور عبد القادر الريحاوي، وهكذا المواضيع السابقة التى نشرتها الدوحة له.

نحن نامل من الدوحة ان تتحرى مصداقية ماينشر بهامن مقالات حفاظا على مستواها، واحتراما لقرائها.

الدكتور علي المخلوف
اللاذقية – سوريا

– لقد تعددت رسائل الاتهام الموجهة ضد السيد وجيه الشربجي، وكنا قد طلبنا منه فى شهر يناير الماضي ضمن باب «رسائل الى المحرر» ان يدفع الاتهامات عن نفسه، ولكنه لم يفعل ومازلنا ننتظر رده حتى يمكن حسم هذا الموضوع، وتحية للذين نبهونا الى هذه القضية وبخاصة الدكاترة الاجلاء : اسماعيل الحسن، سميح درويش، علي المخلوف، ونشكرهم على اهتمامهم بالموضوع، وايضاحهم للحقيقة، ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم.

ملاحظة



نشرت مجلة «سيدتى» حديثا شيقا للاستاذ على بن احمد الانصارى وزير العمل والشئون الاجتماعية فى دولة قطر، اجراه معه الكاتب السعودى الكبير عبد الله الجفرى .. وقد ورد فى احد الابيات الشعرية «مراسم الكون تاثيث». والصواب (تاسيس) وكذلك فى بيت شعرى آخر يقول : فى ذمة الحب لا فى ذمة القدر .. والصواب : فى ذمة الحب لا فى ذمة اللاهى .. و «اللاهى» بمعنى الذى يلهو». وإننا إذ نشير إلى الخطاين – من واقع ملاحظة الاستاذ علي بن احمد الانصارى – فان ذلك لا يقلل من قيمة الحديث ومدى ما تركه فى نفوس الكثيرين من عشاق الفكر والأدب وتحياتنا للزميلة العزيزة «سيدتى» والكاتب الكبير عبد الله الجفرى ..

«الدوحة»

عدلي فخري في حصار بيروت

قرات لاحد الكتاب بمجلة الدوحة ما يفهم منه الهجوم والاستهزاء بالفنان عدلى فخرى.

لقد كنت احد المقاتلين الذين حالفهم الحظ، وسعدوا بوجود الأخ الفنان عدلي فخري بينهم ايام حصار بيروت. فغنوا معه، وتحمسوا معه، ونسوا – للحظات – انهم يواجهون وحدهم «عدوا مصمما على ابادتهم، لا هزيمتهم فقط» بينما كان الكثيرون من العرب يتفرجون على مباريات كاس العالم لكرة القدم!

ولمزيد من الايضاح لتساؤلات الكاتب اقول : لقد حضرت حفلتين لعدلي فخري، وكانتا فى الضاحية الجنوبية من بيروت المحاصرة، الأولى بملجا مدرسة فى الرويس على بعد حوالى ٣٠٠ م من مواقع الاسرائيليين، حيث غنى عدلي للمقاتلين الجرحى بالمستشفى الميداني المؤقت

والمرة الثانية التى سمعته فيها كانت فى ملجا اخر بحارة حريك، قبالة بناية الجزيرة وكان الملجا مكونا من طابقين تحت الأرض، فلم نخف، ولم يخف المغني من «ثقوب الرصاص».

كلمة اخيرة نهمس بها فى اذن ذلك الكاتب : ان المقاتلين الذين كانوا يدافعون عن الأمة العربية فى بيروت لم يموتوا كلهم – كما يتمنى لهم الحاقدون – فمازالت الاكثرية منهم تاكل وتنام وتناقش، وتقرا، وتتدرب، وتستعد لمواصلة النضال. وسوف تنتصر على اعدائها باذن الله تعالى.

الحر
مقاتل عربي – عدن

كتب وصلتنا

تلقت المجلة مجموعة الكتب التالية من كرام قرائها :

● العرب وافريقيا.

– بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التى نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدى الفكر العربى. (٨٢٣ صفحة من الحجم الكبير).

اشتمل الكتاب على ستة عشر فصلا، وخمسة اقسام رئيسية هى : الخلفية التاريخية – التفاعل بين الاقطار العربية والدول الافريقية – افريقيا والصراع الاسرائيلى – ابعاد التعارف العربى الافريقى – مستقبل العلاقات العربية الافريقية.

تحية تقدير وثناء لمركز دراسات الوحدة العربية ومنتدى الفكر العربى .. ولكل الذين ساهموا فى ابراز هذا الانجاز الفكرى الهام.

● ماذا ناخذ بالمفاوضات ؟

تاليف وترجمة : ناهض منير الريس.

الناشر : الاتحاد العام للكتاب والصحافيين الفلسطينيين.

● دوائر فى دفتر الزمن.

تاليف : سباعى احمد عثمان.

الناشر : نادي القصة السعودي



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : كان شاعراً وفيلسوفاً وعالماً فلكياً ، ولكن أهم أعماله كلها اهتمامه بالطيران ، وقد غطى جسمه بالريش فى القرن التأسع الميلادى ، ومد له جناحين طار بهما فى الجو لمسافة بعيدة ثم سقط وأصيب فى ظهره .. من هو ؟



الصورة الثانية : هذه الرقصة الشعبية القديمة من تراث دولة تقع فى جنوب شرق آسيا ، وتبلغ مساحتها ١٩٨٤٠٠ ميل مربع وعدد سكانها حوالى ٣٥ مليون نسمة .. هل يمكنك التعرف على اسم الدولة ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٧



الصورة الأولى : برج لندن
الفائز : متوسل المصطفى ـ المغرب
الفائز : سيف عبيد سيف ـ الامارات



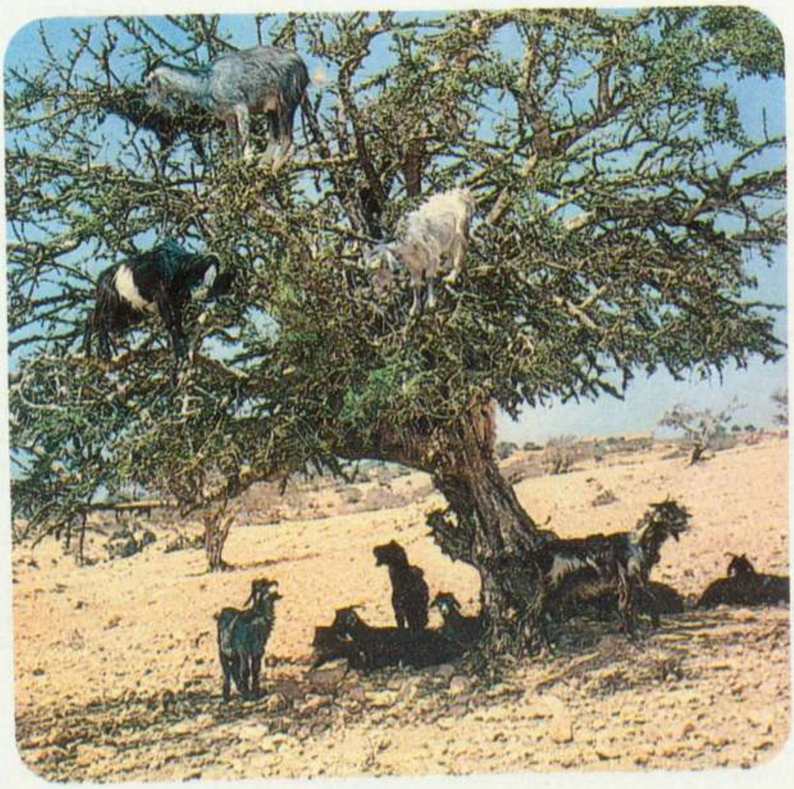
الصورة الثانية : ابن البيطار
الفائز : السيد بدير ابراهيم ـ مصر
الفائز : محمود حسن محمد ـ الأردن

أشهر المساجد في العالم

● الجامع الأزهر فى مصر بنى عام ٩٧٠ م .
● الجامع الأموى فى دمشق بنى عام ٧٠٨ م .
● جامع الزيتونه فى تونس بنى عام ٧٣٢ م .
● جامع قرطبه فى الأندلس بنى عام ٧٨٥ م .
● جامع السلطان أحمد الأول فى استانبول بنى عام ١٦٠٩ م .
● جامع القرويين فى المغرب بنى عام ٨٥٩ م .
● جامع عمرو بن العاص فى مصر بنى عام ٦٤٢ م .

محمد أمين عيسوى ـ مصر

لقطة الشهر



للضرورة أحكام

فاز بالجائزة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى
القارىء : الدرعى امنة – المغرب

الأخ الحق



قيل لابن السماك : أي الأخوان أحق ببقاء المودة ؟ قال : الوافر دينه ، الوافي عقله الذى لا يملك على القرب ، ولا ينساك على البعد ، ان دنوت منه داناك ، وان بعدت عنه راعاك . وان استعنت به عضدك وان احتجت اليه رفدك ، وتكون مودة فعله أكثر من مودة قوله .

وأنشد فى هذا المعني :

ان أخاك الحق من يسعى معك
ومن يضر نفسه لينفعك
ومن اذا ريب الزمان صدعك
شتت فيه شمله ليجمعك

هشام محمد الزميلي
عمان / الأردن

عين الصقر



بما أن العين هي أول مصدر نطل به على العلم والمعرفة ، فالأمر كذلك عند الصقر ، فعيون الصقور أثارت جدلا علمياً كبيراً ، فلم يكن في استطاعة أحد تفسير قدرة الصقور على القنص والرؤية على مسافات بعيدة وارتفاعات شاهقة وتمييز فرائسها بدقة غير عادية أثناء الطيران واثناء ثبات فرائسها في أماكنها وسط بيئة مضللة للرؤية الى حد بعيد ..!

وقد تمكن عالمان هما أ. و. سفايدر والدكتور و. هـ . ميللر من تشريح عين الصقر بأسلوب حديث تماماً ، فاكتشفا أن العين تملك عدسة خلفية مكبرة تقوم بالخطوة الأولى في ابصار الصقر للأشياء البعيدة قبل أن تسلم صورة ما تراه للعدسة الأمامية المتصلة بالمخ ، وبالتالي تتركز صورة الشيء في داخل عين الصقر المساوية تقريباً لحجم عين الانسان رغم ضآلة حجم رأس الطائر وضآلة مخه بالمقارنة الى رأس الانسان ومخه !

عبد الناصر عبد الفضيل ـ مصر



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

ترسل الاجابات على

العنوان التالى :

مجلة الدوحـــة

ص . ب : ٢٣٢٤

الدوحة ـ قطـــر

مَن ؟

من أشهر الزعماء الوطنيين العرب ، ادرك الاستعمار خطورته الشديدة على استمرار احتلاله لذلك البلد العربى فقام بنفيه إلى احدى الجزر النائية .

يتكون اسمه من شقين ومن ثمانية حروف :

٣ ، ٥ ، ٨ مجموعـــة من الشجيرات الكثيفة .

٢ ، ٧ ، ٦ بمعنى اعتمد على

١ ، ٣ بمعنى قفل .

٤ ، ٦ بمعنى اخطا

أيـن ؟

ينتمى هذا الزعيم ، إلى واحد من أهم الأقطار العربية ، اشتهر بحضارات عريقه قامت فوق ارضه ، يتكون اسم ذلك القطر الكامل من سبعة عشر حرفاً .

الأحرف ١، ٥، ١٣، ١٧ مقدار من الماء يؤخذ بالفم .

١١ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٣ ، ١١

٧ ـ الذين يتولون العنايـة ببعض الحيوانات .

١١ ، ١٢ ، ٢ ، ١٤ ، ٤ ، ٥

أحد اقسام الشرطة المهمة

مـــا ؟

اشتهر ذلك القطر بانتاج وتصدير واحـــد من أهـم المحصولات الزراعية التى تساهم فى صناعة كبرى ، ويتكون اسمه من خمســة أحرف .

٥ ، ١ ، ٢ ـ تحصل على

٥ ، ٣ ، ٢ ـ حول

٣ ، ٤ ـ هرة

الإجابـــة الصحيـــحـــة

١ ـ من هو القائد العربى الذى بنى أول جامع فى مصر ؟

عمرو بن العاص ـ سعد بن ابي وقاص ـ عبد الله بن ابى السرج .

٢ ـ اى هذه الكواكب اكثر شبهاً بالارض ؟

عطارد ـ الزهرة ـ المريخ .

٣ ـ كلمة طماطم اصلها :

فارسى من كلمة « بنج ضوملا » ـ اميركى وتعنى فى لغة الهنود الحمر « القمر الاحمر » ـ إيطالى وتعنى « التفاحة الذهبية » .

٤ ـ اكبر مصدر للمياه العذبة فى العالم هو :

الينابيع ـ الجبال الجليدية ـ الأنهار والبحيرات .

٥ ـ معركة القادسـية بين المسلمين والفرس كانت فى عام :

٦٣٤ هـ ـ ٦٣٧ هـ ـ ٦٤٠ هـ .

٦ ـ المصابيح الكهربائيـــة « الفلورسنت او النيون » تتلون انوارها بسبب :

نوع الغاز داخل انبوب المصباح ـ دهان زيتى يرش داخل انبـوب المصباح ـ اختلاف قوة التيـار الكهربائى .

٧ ـ اكبر دولة افريقية مساحة هى : السودان ـ نيجيريـــا ـ الجزائر .

٨ ـ صحيح أم خطا ان السمك لا يسمع ؟

٩ ـ حفرت اول بئر للنفط فى العالم فى عام ١٨٦٠ وكان ذلك فى : جمهوريـــة اذربيجـــان السوفيتية ـ رومانيـــا ـ بنسلفانيا الأمريكية .

١٠ ـ نبئت أن رســـول الله أوعدنى ....

اكمل البيت واذكر قائله .

حل مسابقـــة العـــدد ٩٧

من : آرثر جيمس بلفور .

اين : فلسطين .

مـــا : خلافات .

الأجوبة الصحيحة

١ ـ الأزرق والأصفر .

٢ ـ الريان ، الراية ، العهد

٣ ـ جبران خليل جبران .

٤ ـ جلود الخنازير .

٥ ـ سيدنا عيسى عليه السلام

٦ ـ البرمائية .

٧ ـ ١٠٣٨ بعد وفاة ابن سيناء بعامين

٨ ـ جبال الانديز

٩ ـ اخى جلوز الظالمون المدى فحق الجهاد وحق الفدى

قائله الشاعر علي محمود طه

١٠ ـ صحيحة .

أسماء الفائزين في مسابقة

١ ـ اصل وصورة : الحل : شعر الرجل الايمن ـ اسنانه ـ عيونه ـ الفار ـ زجاجة المياه الغازية ـ شارب الرجل الأيسر ـ الطربوش .

١) الفائزة : نادية عبد احمد ـ مصر .

٢) الفائز : نضال عبد الله ـ البحرين .

٢ ـ لأقوياء الملاحظة : الحل ـ تفاحة ـ كرة ـ دبوس ـ زهرة ـ قلم ـ جرس .

١) الفائز : مامون خميس ـ عمان .

٢) الفائز : محمد عفيفي ـ الامارات

٣ ـ يخلق من الشبه اربعين : الحل رقم ٦

١) الفائز : يحيى عبد الرحمن ـ اليمن

٢) الفائز : زياد اغا هجرس ـ سوريا .

٤ ـ هات اجمل تعليق .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى .
القارىء علي ابراهيم علي – السودان .
فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى .
القارئة : صفا مصدق محمد سيد – مصر .
فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى .
القارىء : أسامه محمد باجرش – اليمن الديمقراطى .
وفاز بجائزة قدرها ٥٠ ريالا كل من القراء :
١ – أحمد صالح فارس – قطر
٢ – أحمد قدرى الريدى – السعودية
٣ – صالح الحمش – سوريا

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ – محمد معن مروان الكويت
٢ – نزار منصور المغرب
٣ – سالم خليفه الشروقى البحرين
٤ – ليلي ابراهيم زاهر ليبيا

استراحة الدوحة العدد ٩٧

١) « اقول ما قولش .. انا خايف اقول .. بلاش اقولك حالى يدلك » الفائزة : عزة شهاب – السعودية .
٢) « ده اللى بيسموه تاثير التليفزيون على المشاهد » الفائز : محمد عباس محمد – مصر .
٥ – لعبة الظلال : الحل رقم ٢
١) الفائز : عبد القادر دراجى – الجزائر
٢) الفائز : السر إدريس محمد عمران – السودان .
٦ – دورى الكاريكاتير : الحل : رقم ٨
١) الفائز : مشهور محمد يونس – الاردن .
٢) الفائز : كريم عز الدين – مصر

كذب المنجمون ولو صدقوا !



دخل أحد المنجمين على ملك فوجد عنده المجلس مزدحماً برجال الدولة ، ورأى المنجم طفلا صغيراً يلعب أمام الملك فقال المنجم للملك : « ان ابنك الصغير يا مولاي نجمه نجم سعيد وصاحب هذا النجم له شأن عظيم ، وتشير ملامح وجهه أنه سيقود الجيوش من نصر الى نصر وسوف يخضع ملوك الدول المجاورة ، وسوف يتزوج بامرأة عظيمة ينجب منها عشراً أولاد ، سيصبحون قواداً عظاماً »

سكت الملك قليلا ، فظن المنجم أن الملك يفكر في مكافأة له ، ولكنه فوجيء بالملك يقول له :

« هذا الطفل الذي أمامي ليس ولداً ، وليس ابني » !

عندئذ اصفر وجه المنجم من الخجل وخرج يتعثر في خطاه .

سيد طه هندي – مصر

أمثال وحكم



● لأن تضيء شمعة صغيرة خير من أن تلعن الظلام كونفشيوس

● فكر فيما سوف يكون عليه شعورك في الغد ، فالأمس انقضى ، واليوم يوشك على الانقضاء بلزاك

● لا سعادة تعادل راحة الضمير سينكا

● أن تكون خير من ان لا تكون ، ولو أن الحياة تبدو مأساة سبنسر

● كلمة واحدة رقيقة أسمعها وأنا حي ، خير عندي من صفحة كاملة في جريدة كبرى حينما أكون قد مت ودفنت فولتير

● لو ان كل رجل أصيب بدوار البحر وارتعدت فرائصه وهو يرى المركب يهتز أمام الأعاصير فقرر أن يعود بها من حيث جاء لبقى الهنود الحمر يمتلكون أمريكا حتى اليوم أدوين ستيوار

● لم تقم أمبراطوريتنا على المبادىء المثالية التي تزدحم بها الكتب ، انها قامت على مبادىء عملية عرفنا كيف نطبقها ونفهمها على ضوء مصالحنا لويد جورج

بو مسهولي ابراهيم – المغرب



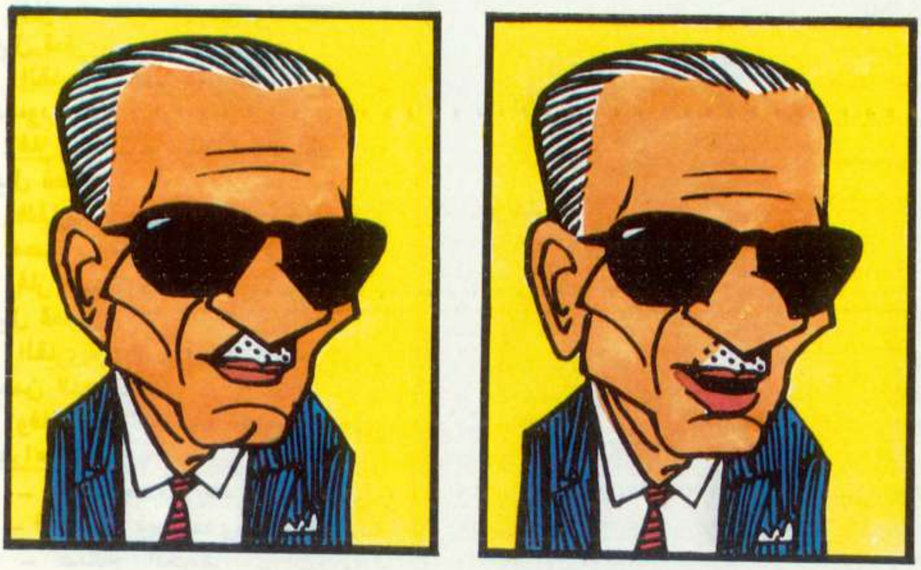
استراحة الدوحة

مجموعة
مسابقات
بالرسوم
بريشة :

رؤوف

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة



قبل أن تتعرف على الاختلافات بين أصل وصورة الدكتور طه حسين وتحصل على جائزة ، نود ان نقول لك ان البحث الذى نال به درجة الدكتوراه من السربون كان عنوانه : ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية .

لوحة لم تتم!



هذه اللوحة لفنان عربى مازالت اغانيه يرددها الكثير من عشاق فنه رغم رحيله عنا منذ سنوات .. مشكلة اللوحة أنها لم تتم .. هل يمكنك التعوف على صاحبها ؟

المثل يقول



كل أمثالنا الشعبية متقاربة اللفظ ومتماثلة المعنى والاختلاف بينها فى اية دولة عربية يقع ـ فقط ـ فى اللهجة .. ولهذا يمكنك أن تقول لنا عن المثل الشعبى الذى يعبر عنه هذا الرسم الكاريكاتيرى ، لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لستة اشخاص يشبهون الأديب عباس محمود العقاد الذى قدم لنا ٧٩ مؤلفاً ضخماً خلال حياته الأدبية « ٧٦ عاماً » .. من بين هذه اللوحات واحدة فقط تشبهه تماماً وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل يمكنك التعرف عليها ؟

هات أجمل تعليق :



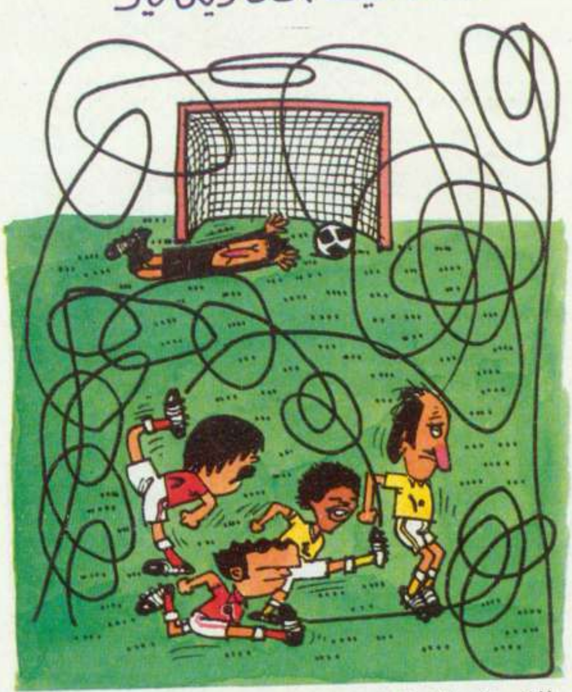
هل تستطيع أن تساهم فى ايجاد تعليق خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى .. إذا استطعت ارسل لنا التعليق لتحصل على جائزة ..

لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقي .. حاول لتجد فى انتظارك جائزة ..

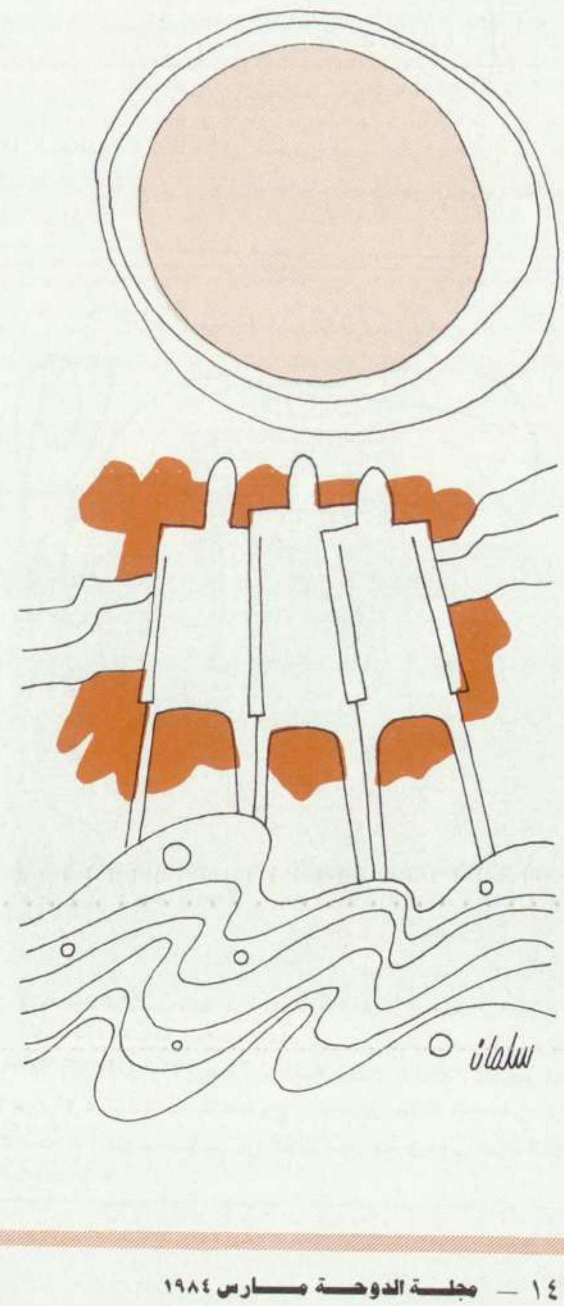
دوري الكاريكاتير



أثناء هذه اللعبة الجماهيرية التى بدات فى بريطانيا ومنها انتقلت إلى القارة الاوربية وجميع انحاء العالم ، اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

قالت.. وقلت

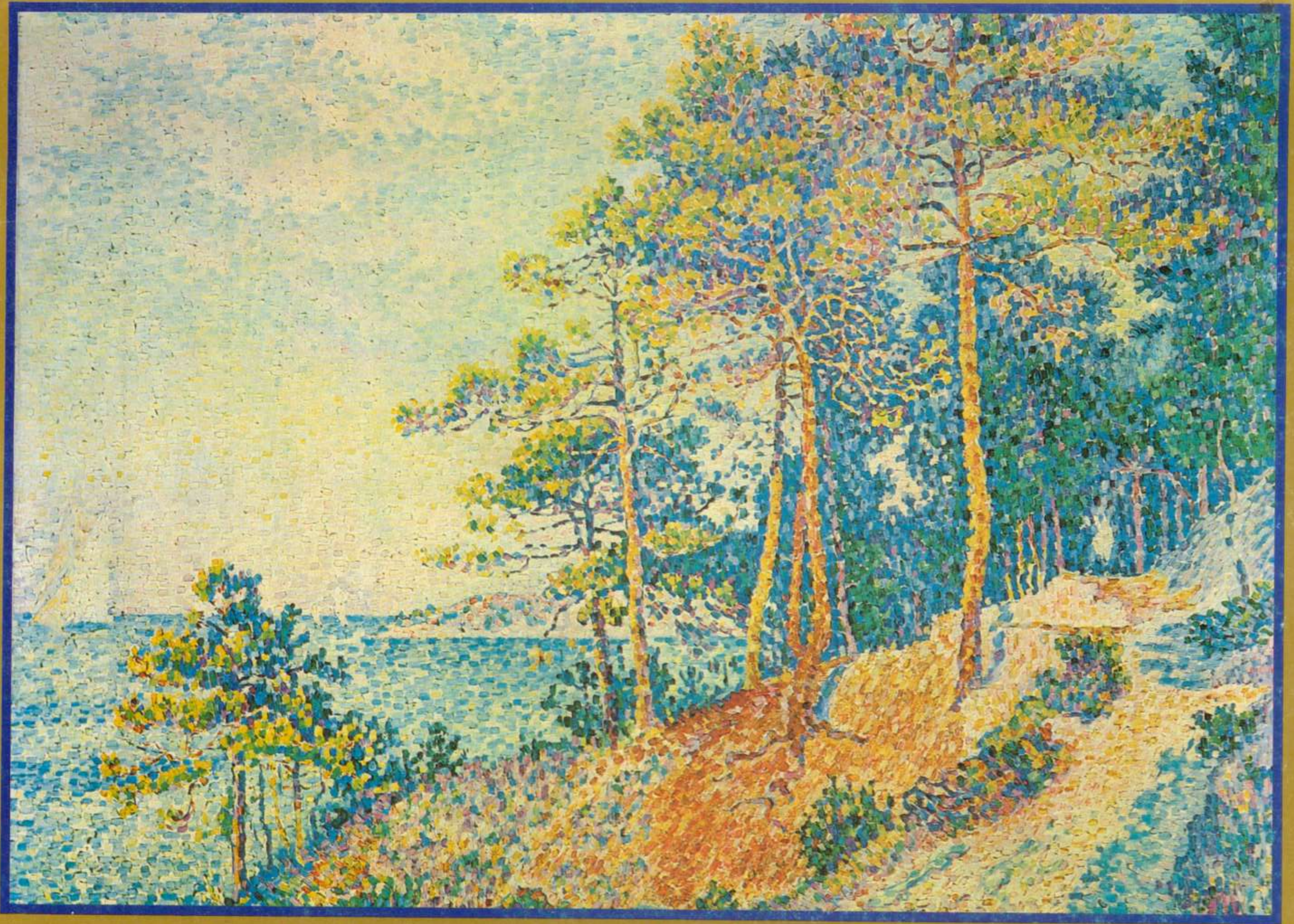
شعر: هـــارون هاشم رشـيد



قالت : حقائبك استجارتْ
من تنقلكَ الكثيـــــــرِ
قلت : الريــاحُ شــديدةٌ
وانـــا نذرت لهـــا مصيري
قالت : سنين العمـــر تمضي
في الترحـــلِ ، والمسيــــرِ
قلت : اختزنتُ هنـا بصدري
جمرة الأملِ الكبيــــرِ
قالت : وموعدنـــا الذي
بعثرتـــه بين السطـــوور
قلت : الطـــريقُ اليــه
محـــفوف بنيران السّعيــرِ
قالت : وتمضي ؟ قلـــت :
حتى نبضـــة النفس الأخير
قالت : تَعبتُ من الحـــرائق
والصـــواعقِ والنفيـــرِ
قلت : الزلازلُ في عـــروقي
فاسمعي صِـــوت الزئيـــر
قالت : وبعـــد ، أمـــا لهذا
الهـــول من يوم مُجيـــر
قلت : اسمعي في الريـــح
صـــوت تقدم الشبل الصغير
هو إن تعبنـــا خلفنـــا ،
في الدرب كالسّهْم المغيــر
يَمْضي لموعدنــا ، فقـــومي
تابعي الخطـــوات سيرري


شاني
ماركة تجارية
SPARKLING
shani
TRADEMARK
FRUIT FLAVOUR
DRINK
NET CONTENTS 296ml


ميرندا
ماركة مسجلة
MIRINDA
TRADEMARK REG'D.
ORANGE



منظر طبيعي يعبر عن فرحة الحياة .. إحدى روائع الفن الفرنسي

العـــدد ١٠٠ - جمادى الثانية ١٤٠٤هـ - أبريـــل ١٩٨٤م

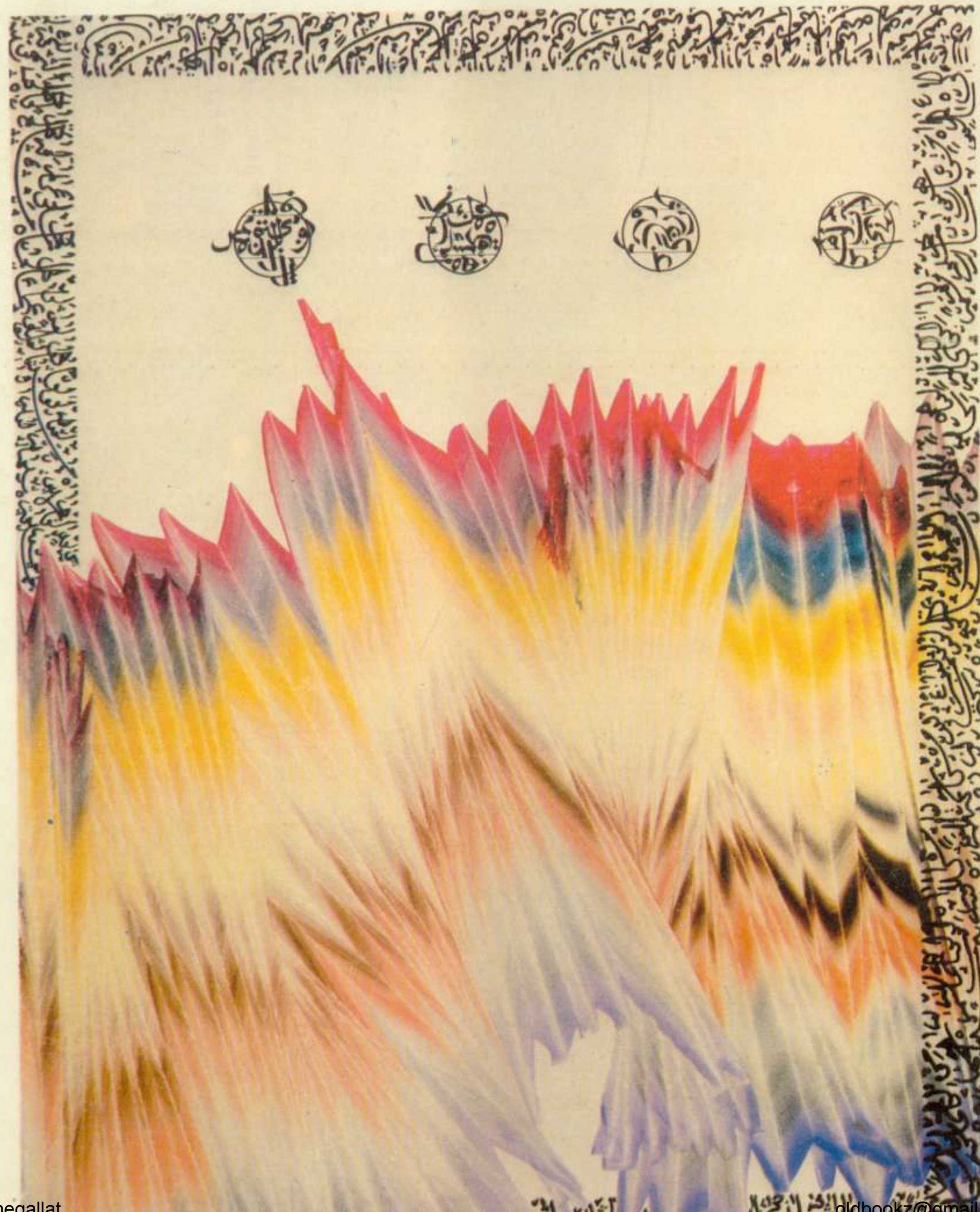
الدوحة

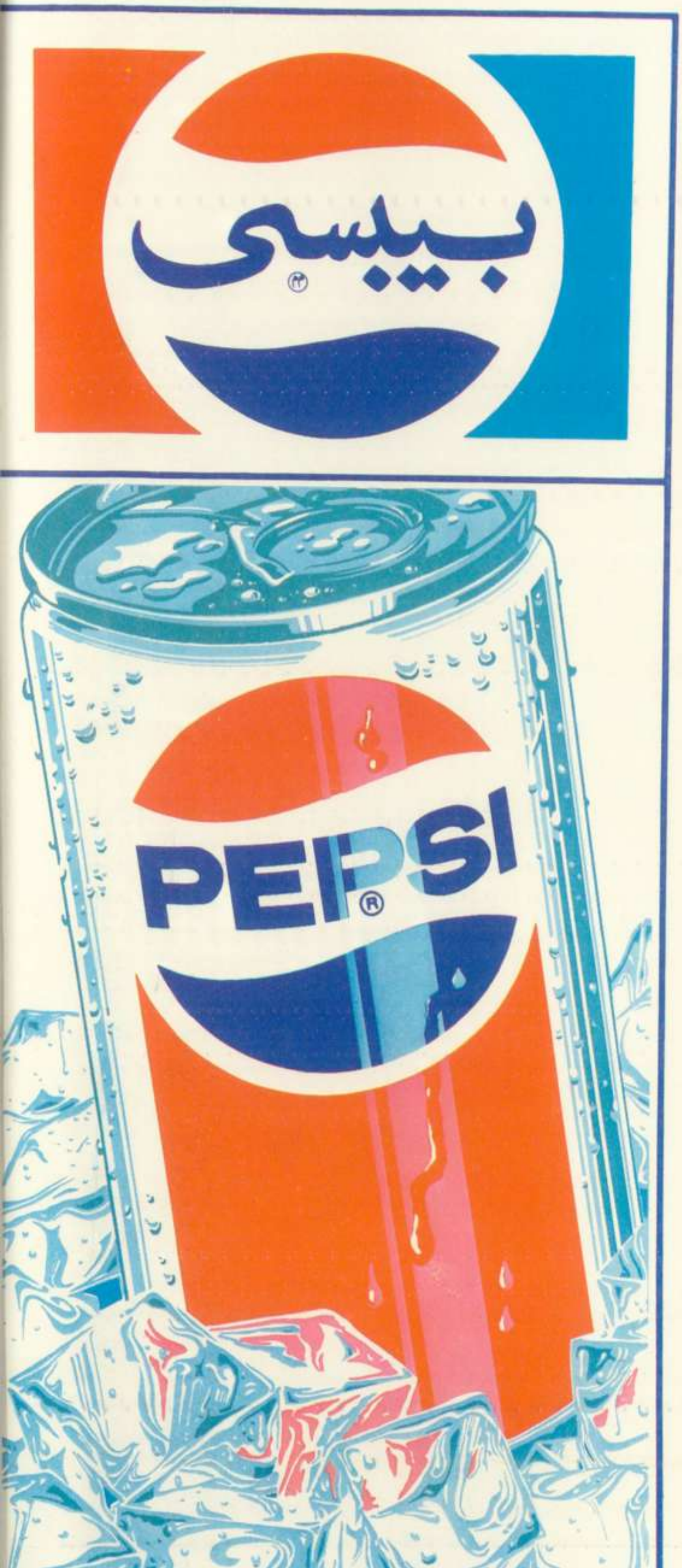
مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الابداع العربي والثقافة الانسانية

● الإســـلام ديـــن المفـــكريـــن
بقـــلم : محـــمد الغـــزالي

● محتــال المقــامة يجد لنفســه روايــة
بقــلم : الدكتور عــلي الراعــي

● قصـــة جديـــدة : بقـلم : ليــلى العثمان




بيبسي
PEPSI


تيم
TEEM
TRADE MARK REG.

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان :**
دار التوزيع – ص . ب ٣٥٨ – الخرطوم .

● **مصر :**
مؤسسة توزيع الأهرام – شارع الجلاء – القاهرة .

● **سوريا :**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات – برامكة ص . ب ٤٩٠٢ – دمشق .

● **العراق :**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان – شارع الرشيد ساحة الوثبة .
ص . ب ٦٢٤ – بغداد .

● **ليبيا :**
المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان – فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ – طرابلس – فرع بنغازي – ص . ب ٣٢١ – بنغازي .

● **الأردن :**
وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ – عمان .

● **البحرين :**
مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ – المنامة .

● **السعودية :**
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان – ص . ب ١٤٠٥ – الرياض .

مكتبة ومطبعة ضياء – المدينة المنورة .

● **الكويت :**
شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ – الصفاة الكويت .

● **لبنان :**
الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ – بيروت .

● **الجمهورية العربية اليمنية :**
الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ – صنعاء .

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع – ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى – عدن .

● **الامارات العربية المتحدة :**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع – شارع المطار الجديد
أبو ظبي ص . ب ٧٩١

● **سلطنة عمان :**
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر – ص . ب ١٠١١ مطرح مسقط .

● **تونس :**
الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج – ص . ب ٤٤٠ – تونس .

● **المغرب :**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف – ص . ب ٦٨٣ – الدار البيضاء .

MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر :**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية – الجزائر .

ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي All Bin All Printing Press - Doha

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١٠٠ - جمادى الثانية ١٤٠٤هـ - أبريل ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة – قطر .
العنوان البرقي :
المجلة – الدوحة
تيلكس : – 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

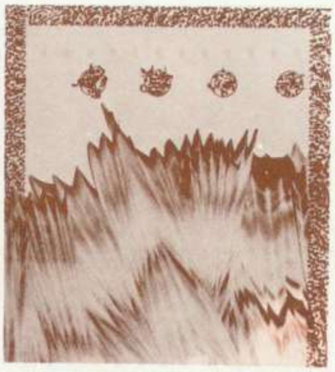
الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلس
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليم
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هـــــــذا العـــــــدد



لوحة الغلاف الأول للفنان التونسى
نجا المهداوى (المقـــال ص ٦٠)



د . محمد جابر الانصارى
مع الصحوة الثقافية (ص ١٤)



د . علي الراعي
محتال المقامة يجد لنفسه رواية (ص٢٢)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●



صلاح طاهر
ست لوحات للخالدين (ص١٠٠)



ليلى العثمان
قصة جديدة (ص ٧٢)

● أبـواب ●

الدوحة

مجلة شهرية
ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام
بدولة قطر

● جميع المراسلات
ترسل باسم رئيس التحرير

بين الكاوبوي الأمريكي والدّب الروسي

١ الكاوبوي



بقلم : الدكتور محمد عبده يماني

هناك اجماع ، لاجدال حوله ، على تقسيم القوى العالمية فى عصرنا الراهن الى قوتين اثنتين ليس غير : القوة الامريكية ، والقوة السوفييتية .

اما باقي القوى ، مهما بلغت ، فانها تصنف إما على أساس دورانها فى فلك احدى القوتين الكبريين ، أو على أساس أوضاعها « الاقليمية » فى المناطق التى توجد فيها .

ولقد ذهب المعلقون والمحللون الى وصف القوتين الكبريين بكلمات توحى وكأنه ليس فى الدنيا سواهما ، فقيل « القوتين الأعظم » وقيل « القوتين الأكبر » وقيل « القوتين العظميين » .. وقيلت أوصاف كثيرة أخرى ..

ونحن لانجادل فى مدى صحة تلك الأوصاف ، ولا فى مدى استحقاق كل من القوتين لهما ، اذا ما اخذنا بعين الاعتبار مابلغتاه من مستوى متقدم سواء فى غزو الفضاء ، والوصول الى الكواكب ، واستخدام الأقمار الصناعية ، وانتاج الأسلحة الاستراتيجية الكونية ، العابرة للفضاء والقارات ، بما تحمل من قنابل للتدمير الشامل : ذرية وهيدروجينية وربما نيترونية ..

ولكننا نجادل ، بل ونعترض ، تجاه هذه الحالة الغريبة من التسليم بتلك الأوصاف وكأن « القوتين الأعظم » قد استباحتا الأرض وما عليها لاطماعهما ، وكأنه ليس على السطح سواهما ، وكأن الوقوف فى وجهيهما أمر مستحيل ، وان على الدول الاخرى ان تختار بين هذه وتلك من القوتين لتنضوى تحت لوائها ، وتحتمي بظلها ، أو يكون مصيرها الضياع والدمار ..

ذلك ان سبب قوة امريكا وروسيا هو — بالذات وفى نفس الوقت — سبب ضعفهما ، مادام ليس باستطاعة أى منهما ان يستخدم قوته النووية الهائلة ، خضوعاً لمبدأ « الردع المتبادل » فكان تلك القوى

- اذن - غير موجودة ، وكان الدولتين الكبيرتين لا تزيدان الا من حيث الامكانات المادية على الدول الاخرى .. فهما قوتان عظيمتان ولكنهما ليستا القوتين الاعظم ، وهما دولتان كبيرتان ، ولكنهما ليســتا الدولتين الأكبر ..

ولا سبيل الى الشك ، ولا الى الانكار بالتالى ، ان امريكا قد بلغت من التقدم الحضارى والتكنولوجي مبلغاً عظيماً جداً ، ربما لا نجد له - كثافة وعمقاً - مثيلا فى العالم ..

ولهذا التقدم اسبابه الكثيرة ، ولكن اهم تلك الأسباب - فى نظرى - هو بعد القارة الامريكية عن مسارح الصراع العالمى ، ابان احتدامها فى أوربا واسيا وافريقيا خلال القرنين الحالي والسابق وهما القرنان اللذان يعادلان - بالضبط - عمر الحضارة الامريكية .

وبحكم الوضع الجغرافى الخاص ، هذا ، استطاعت امريكا - دوما - ان تختار المكان والزمان الملائمين لحركتها ، فهى لم تدخل الحربين العالميتين السابقتين الا بعــد نشوبهما بزمن ، وعلى ضوء معطيـات وحسابات ما كان لها ان تصيب لو ان « الولايات المتحدة » كانت فى القــارة الأوربية ، حيث دارت الاحداث بعنف دون ان تحسب حساباً لآراء ومواقف الدول الأوربية المختلفة .



الجنرال ايزنهاور



سير ونستون تشرشل



الجنرال ديجول

ولقد ظل هذا الوضع الجغرافى الخاص اساسا تلقائياً من اسس السياسة الامريكية ، بصورة جعلت كل ما هو امريكى مختلفاً - بشكل او باخر - عما هو موجود فى بلاد العالم الأخرى .

وكانت هذه العزلة الجغرافية ، سبباً فى نشوء النمط الفريد للحياة الامريكية ، وهو النمط الذى بدأ بظهور من يسمى « راعي البقر » - الكاوبوى - والدور الذى لعبه رعاة البقر فى جميع مناحي الحياة الامريكية ، منذ ذلك الحين والى يومنا هذا ..

الى يومنا هذا ؟

اجل ..

لأن آثار الكاوبوى الامريكى التقليدية قد حفرت فى أعماق الشخصية الامريكية العادية ، بدليل ان تلك الآثار ما تزال مادة رئيسية فى الافلام والمسلســـلات التليفزيونية والكتب والقصص التى تطلع علينا - أيامنا هذه - كل يوم ..

فالكاوبوى ليس مجرد راعي بقر كما هو شان الرعاة فى العالم ..

الراعي فى البلاد الأخرى يرتبط فى الأذهان بالهدوء والسكينة والوداعة ، وقد تضاف الى صورته لمحة اخرى هى « ناى » يعزف عليه خلال ساعات نهاره الطويلة ، وقد يصبح شاعراً يستلهم الطبيعة التى يعيش فى احضانها معظم ايامه ..

اما الكاوبوى الامريكى فشيء آخر ..

ان صورته النموذجية معروفة للجميع ..

فهو قد اشتهر بملابسه التى لا تخرج عن البنطلـــون والقميص المزركشـــين ، والملتصقين بجسمه التصاقاً وثيقاً ، والمنديل الملتف حول عنقه وعقدته متجهة الى اليمين أو اليسار ، والجزمة الطويلة اللامعة بمهمازيها اللذين يصدران صوتاً معدنياً مميزاً كلما سار .. ثم - وهذا هو المهم - المسدسان المشدودان على جانبي وسطه ، يتباهى بهما ويسير مختالا ، ويداه - دائماً وابداً - قريبتان منهما ، مستعداً لأن يتناولهما فى مثل لمح البصر ليطلقهما يمنة ويسرة دون أن يحاسبه احد على ما يفعل ..

كان المقياس الذى به تعرف قيمة الكاوبوى هو - بالتحديد - قدرته على تناول مسدسه بسرعة تفوق سرعة خصمه ، ثم على اصابة الهدف بدقة ، وعلى هاتين النقطتين تتوقف حياته ، كمـــا تتوقف « سمعته » فى أوساط « الكاوبويز » جميعاً عبر القرى والمدن والولايات .

وحول هذا المحور دارت جميع اقاصيص « الكاوبويز » وأساطيرهم : كتباً ، وافلاماً ، ومسلسلات مازال ينتج منها ، حتى اليوم ، شيء كثير .

وفى هذه الأقاصيص اسماء لامعة يعرفها الامريكيون كباراً وصغاراً ، حق المعرفة ، وهى لا تقل اهمية عندهم عن اهمية واشنطن وجيفرسون ولنكولن وسواهم من الرؤساء التاريخيين .

وبطبيعة الحال ، نشات الأجيـــال الأمريكية وهى مشبعة بروح الكاوبويز التى تؤمن بالمسدس وسيلة للتعبير عن الذات ، دفاعاً وعدواناً لا فرق ، وبسرعة تناول المسدس واطلاقه مقياساً للبطـــولة و « العظمة » .

وحتى بعد ان سارت الولايات المتحدة على طريق التمدن والتحضر اشواطاً بعيدة

بين الكاوبوي الأمريكي والدّب الروسي

وعرفت ما عرفت من وسائل الحضارة ، ظلت صورة الكاوبوى تسيطر على عقول الامريكيين وضمائرهم سواء وعوا ذلك ام لم يعوه .

فالجريمة العصرية التى تعتمد على المدافع الرشاشة ، والقنابل ، والعنف المدمر هى من الابتكارات الامريكية التى ظلت - الى اليوم - عنوانا من عناوين الحياة الامريكية العادية ، ومع ان بعض البلاد الاوربية قد اقتبست ذلك الأسلوب ، الا انه ظل ابتكاراً وممارسة امريكيين لم يصل الى مستواهما اى شعب من الشعوب .

انه الكاوبوى الجديد الذى استبدل « مسدس الطاحونة » بالمدفع الرشاش ، ولكنه ظل - كما كان - الرجل الذى يقيس الأمور بمدى القدرة على سرعة استخدام السلاح واتقان الاصابة .

انه - هو نفسه - الكاوبوى الامريكى التقليدى ..

وهى - نفسها - عقلية « رعاة البقر » التى مازالت مترسبة فى اعماق الامريكى ، كبيراً كان أم صغيراً ..

واذا كانت امريكا قد ضربت ارقاماً قياسية كثيرة فى مجالات حضارية متقدمة لا تنكر ، فانها قد ضربت - كذلك وبجدارة تامة - ارقاماً قياسية فى معدلات الجرائم والحوادث التى تستخدم فيها المدافع الرشاشة والبازوكا والقنابل فى وضح النهار ، وفى اكثر المناطق والمدن رقياً وازدحاماً .

ومع خروج امريكا من عزلتها التى كانت قد التزمتها حتى بداية الحرب العالمية الأولى رأى سكان العالم القديم الكاوبوى الامريكى القادم من العالم الجديد رأى العين .

رأوه بسلاحه الفتاك .. وشعوره العميق بالتفوق والتميز ، وبقدراته المادية العظيمة يقاتل الى جانب الحلفاء ويرجح كفتهم لتحقيق النصر ، ثم يستمرىء اللعبة فيجد نفسه ، برغبته او بدونها ، احد محاور الاحداث فى الكرة الارضية جمعاء ..

وما ندرى .. اكان هذا « الظهور » من حسن حظ البشرية ام لا .. ولكن من الثابت ان الكاوبوى الامريكى قد بات رقما رئيسياً فى معادلات السياسة الدولية ..

ومن هنا بدات المأساة .. او المشكلة ..

ان الأمر الذى يؤسف له حقاً ، ان الكاوبوى الامريكى قد ظهر على المسرح بنفس صورته الأسطورية المثالية التى ظهر بها « الكاوبويز الطيبون » فيما مضى ..

انه الكاوبوى الشهم ، البطل ، المقدام ، الذى يلقي بنفسه فى المهالك لانقاذ الشعوب المستضعفة والمغلوبة على امرها تاريخه ناصع البياض ، فلا تشوبه لطخات استعمارية بغيضة كتلك التى تملأ تاريخ الدول الأوربية الاستعمارية : بريطانيا وفرنسا والمانيا وبلجيكا وهولندا وايطاليا وروسيا ..

وقصة كفاحه - هذا الكاوبوى - قد وصلت الى شعوب العالم القديم ، فملأتها اعجاباً وتقديراً ، وبهرتها باضوائها وتهاويلها ..

بل ان الأمر بلغ ببعض الشعوب ان اختارت « الانتداب الامريكى » اذا كان لابد من فرض الانتداب عليها بعد الحرب العظمى ..

وكان السبب فى ذلك ، كما قلنا ، هو امتلاء الافكار بشهامة الكاوبوى الامريكى البطل ، وترفعه عن ممارسة الأساليب الاستعمارية الدموية التى اشتهرت بها الدول الأوربية العريقة فى تلك الأساليب .

لقد بدات نفس الفكرة التى ولد وعاش الكاوبوى عليها تصبح سياسة ثابتة له ..

فكما كان ، فى الماضى ، يؤمن باحقيته فى امتلاك اية مساحة من الأرض بمجرد وضع يده عليها ، ثم بضرورة القدرة على الدفاع عنها ، بدأ الكاوبوى الامريكى الجديد يمد نفوذه هنا وهناك الى مسافات قريبة ، نسبياً ، منه ، فاصبح بعض بلاد الشرق الأقصى منطقة نفوذ امريكية ، ومعظم بلاد امريكا الوسطى والجنوبية كذلك ..

ومع تتابع الأحداث فى القارة الأوربية ، كان الكاوبوى الامريكى بعيداً عن المشاركة فيها ، وقد عبر تشرشل فى مذكراته عن غيظه من هذا الموقف الذى جعل بريطانيا تقف شبه وحيدة فى مواجهة العملاق الالمانى الذى اطلقه هتلر فى الثلاثينات من هذا القرن ، والذى بدأ فى التهام اقطار اوربية واحداً تلو الآخر غير مكترث لشيء .. ولكن الكاوبوى الامريكى لم يبد كثير اهتمام ، فى الواقع ، بما كان يجرى فى الوجه الآخر من الكرة الأرضية ..

وفجأة نزل الى الساحة كاوبوى آخر ، كان الأسرع فى اطلاق مسدسه ، وابرع فى احكام اصابته ، ولكنه - فى الواقع - لم يكن « كاوبوياً » تقليدياً وانما كان من « الساموراى » اليابانى ..

لقد جاء الكاوبوى ، هذه المرة ، من اليابان .. فكانت حادثة « بيرل هاربر » - ٧ ديسمبر ١٩٤١ م - نقطة تحـــول فى التاريخ ..

كانت ضربة الكاوبوى اليابانى موجعة وقاسية ، حين غزا « بيرل هاربر » جواً وبحراً ليقضي على اعداد كبيرة من سفن الأسطول الامريكى ، ولينبه الكاوبوى الامريكى الى ان هناك من يستطيعون تطبيق نفس الأساليب التقليدية للكاوبويز

العجيب حقاً ، ان الامريكيين مازالوا - حتى الآن - معجبين بالاميرال اليابانى « ياماموتو » الذى اعد وقاد ضربة بيرل هاربر التى اصابتهم فى الصميم ..

لقد الفوا عنه كثيراً من الكتب وما زالوا ، وانتجوا عن الحادثة اكثر من فيلم سينمائى ضخم .

كانوا مبهورين - ومعجبين - بالكيفية التى شهر بها الكاوبوى اليابانى مسدسه ليطلقه على الكاوبوى الامريكى ..

قالوا - باعجاب - ان الكاوبوى اليابانى هو الأسرع فى اطلاق مسدسه ..

وسارت الأحداث على النحو الذى نعرفه وباتت امريكا بعد الحرب العالمية الثانية القوة الكبرى الوحيدة فى العالم ..

وهنا بدأ فى التاريخ عهد جديد تسلمت امريكا فيه - راضية ام مكرهة - زمام السياسة الدولية ..

وكان دهاقنة السياسة الأوربيين يشدون شعورهم غيظاً واستنكاراً ..

فاذا كانت الامبراطورية البريطانية قد انشئت بالذكاء والخبث والدهاء ، فان الامريكيين انشأوا امبراطوريتهم بالمال والقوة والعنف ..

- ومرة اخرى يعرب لنا تشرشل عن غيظه ودهشته لما كاد ان يسميه ضيق الأفق الامريكى .. مثال ذلك ، ان رئيس الوزارة



احدى المظاهرات التى عمت أوروبا الغربية رافضة زرع الصواريخ الامريكية النووية فى اوروبا .

البريطانية الاسبق قد بذل المستحيل لاقناع - أو لافهام - القائد الاعلى للقوات الحليفة الجنرال الامريكى ايزنهـــاور ، بان من الضرورى ان تسارع تلك القوات الى احتلال برلين ودول البلقان واوربا الوسطى قبل السوفييت ..

كان تشرشل يفكر كسياسى محترف يتطلع الى ماوراء الأحداث ..

وكان أيزنهاور يفكر ك « كاوبوى » محترف يريد ان يحقق نصراً عسكرياً كاملا دون نظر الى الخلفيات السياســـة للمعـــارك العسكرية ..

وكانت نتيجة ذلك ان وقعت برلين ونصف المانيا ودول أوربا الوسطى فى قبضة الشيوعية واضطرت امريكا ، بعد ذلك ، لبذل جهود هائلة لحماية ما تبقى من أوربا تجاه المطـــامع والتهـــديدات السوفييتية .

لقد استخدم الكاوبوى مسدسه ولم يستخدم عقله .. وكانت النتيجة ما نرى ..

وكان بوسع امريكا ان تفـــرض على السوفييت ما شاءت بعد القاء القنبلة الذرية على هيروشيما ، وانفرادها إذ ذاك بامتلاك هذا السلاح التدميرى الفتاك ..

ولكن الكاوبوى ربت على مسدسه - وهو هذه المرة قنبلة ذرية - واكتفى من الغنيمة بما حقق ..

ونفس القول ينطبق على الممارسة الامريكية فى الصين ..

لقد حاول الزعيم الصينى « تشـــان كاى تشيك » عبثا اقناع - أو افهام - امريكا نتائج تخليها عنه وتركها الصين نهبا لماوتسي تونج واصدقائه السوفييت ..

ولكن الكاوبوى لم يفهم .. وكان ما كان ..

لقد وجد نفسه ، كما كان فى الماضى ، فى ساحة خالية من الاقوياء ، سواه ، فاعاد سيرة جده الذى كان يسيطر على بلدة باكملها بواسطة مسدسه سريع الطلقات ..

ولكن الوضع كان قد اختلف كثيراً ..

كانت هناك دول اخرى ، ليست عظمى فى الواقع ، ولكنها ذات تراث ثقافى وحضارى وسياسى عريق ..

وكان فى مقدمة تلك الدول فرنســـا الديجولية التى كانت اول من قال للكاوبوى (لا) وتصرفت فى معزل عن ارادة هذا الكاوبوى ..

لقد فسر ديجول سياسته ، بكل بساطة ، انها دفاع عن الثقافة الاوربية ، والفرنسية منها بشكل خاص ، وانه لا يرضى لدولة عريقة مثل فرنسا ان تصبح تابعاً للولايات المتحدة حتى ولو كانت تملك الســـلاح والدولارات .. كانت تلك السلسلة من الاجراءات التى اتخذها ديجول والتى كان لها وقع عميق فى امريكا لم تغفره للجنرال الفرنسى قط .. فقد استبدل ديجول الدولارات التى تملكها فرنسا بالذهب ، واخرج قيادة حلف الاطلسي من ارض فرنسا ، وبدأ بتطبيق سياسة تقارب مع السوفييت والصينيين ، ووضع مصلحة فرنسا فوق مصلحة امريكا ..

ولا يتسع لنا المجال هنا لاستعراض كافة الصدمات التى اصيب بها الكاوبوى الامريكى حين واجه مقاومة من صغار ، وضعفاء ، وفقراء ، وكان فى ظنه انـــه لا يوجد على وجه الأرض من يجرؤ على مواجهته وهو : الكبير ، والقوى ، والغني .

ونكتفي بالاشارة الى نموذج واحد وهو النموذج الفييتنامى ..

فعندما ، اقيم احتفال لذكرى ضحايا الحرب الامريكية فى فييتنام وكشف الستار - لأول مرة - عن الرقم الحقيقى للضحايا الامريكيين فى تلك الحرب ..

كان الرقم سبعين الف قتيل خسرتهم امريكا فى فييتنام من اجل « قضية » لم يعرف احد ، حتى الآن ، ما هى على وجه التحديد ..

ففى ايام تصاعد الحرب الامريكية فى فييتنام قالت امريكا انها تدافع عن «أمنها» مع ان امريكا تبعد آلاف الأميـــال عن فييتنام ..

بين الكاوبوي الأمريكي والدّب الروسي

لقد مارست امريكا نفس المنطق الهتلري فى التمسك بما سماه هتلــــر « المـــدى الحيوى » والذى ، بحجتــــه ، غــزا تشيكوسلوفاكيا وبولندا . والنمســـا ثم تعداها الى معظم ارجاء اوربا ..

ولكن الشعب الامريكى لم يقتنع .. وبات التساؤل عن معنى وفائدة حرب فييتنام مادة رئيسية للحديث ..

بل ان نيكسون فاز بتلك الاغلبية الساحقة على اساس برنامجه لانهاء الحرب فى فييتنام .

وسواء شئنا ام ابينا ، أو بالاصـــح : شاءت امريكا ام ابت ، فقد انتهت الحرب الفييتنامية بهزيمة امريكا ..

والغريب انه عندما نقضت « هانوى » اتفاقية انهاء الحرب واكتسحت فييتنام الجنوبية باكملها لم تحرك امريكا ساكناً .. اى ساكن .. فلقد كان الكاوبوى الفييتنامي اشد مراساً واصلب عوداً . واكثر مقاومة ، ولقد قالها نيكسون مرة فى رسالته الشهيرة لعبد الناصر : « نحن قوم نحترم الرجولة ونصفق للبطولة » ..

وهكذا أصبح الانفراد بسياسة « غير امريكية » سياسة رسمية فى كثير من بلاد العالم ومنها أوربا الغربية التى بدات فى تطبيق سياسة مستقلة ، كثيراً او قليلا ، عن السياسة الامريكية وخاصة عبر السوق الأوربية المشتركة والبرلمان الأوربى ..

وكل يوم ، تقريبا ، نسمع عن المظاهرات الشعبية الرافضة لزرع الصـــــواريخ الامريكية النووية فى أوربا ، والمنادية بسياسة لاتنحاز الى اى من القـــوتين الكبريين ..

وفى الشرق الاقصى : من كوريا الى فييتنام الى لاوس الى كمبوديا لاقت السياسة الامريكية هزائم اخرى ..

فلقد ادرك العالم كله ، من خلال واقع التطبيق السياسي الامريكى العملى ، ان امريكا ليست مستعدة لأن تقاتل من اجل احد سواها ، وان على الجميع ان يقاتلوا من اجلها ..

وتثق أوربا الغربية ، اليوم ، ان امريكا لن تحرك ساكنا اذا ما هاجمها السوفييت مادام هذا الهجوم بعيداً عن الاراضي الامريكية ..

وان استخدام الصواريخ النووية ـ التى يقوم الخلاف حول زرعها فى أوربا الآن ـ هو للدفاع عن امريكا ذاتهـــا وليس عن أوربا ..

وان الامريكيين لو كانوا جادين حقاً فى الدفاع عن أوربا لفعلوا شيئاً ـ اى شيء ـ للدفاع عن المجر وتشيكوسلوفاكيا و .. بولونيا ..

اى ان امريكا تريد ان تاخذ دون ان تعطي ..

وهذه هى ـ بالضبط ـ عقلية الكاوبوي الذى يعتمد على مسدسه اكثر مما يعتمد على عقله ..

ومن المؤكد ان أوربا فى توجهها المزدوج نحو دولها فيما بينها من جهة ، ونحـــو السوفييت من جهة اخرى انما تمارس حقها فى الدفاع عن نفسها ومصالحها ، تماماً كما تفعل امريكا ..

وليس عهدنا بعيداً بالازمة التى اثارها مشروع انبوب الغاز السوفييتي الذى تحدث به أوربا حليفتها الكبرى امريكا واصرت على تنفيذه ..

والطريف ان الكاوبوى الامريكي قـــد « اعجب » بالصلابة الأوربية فى التصميم على تنفيذ المشروع فكف عن معارضته واعلن عن موافقته الضمنية ..

انه منطق الكاوبوى الذى يؤمن بان الحديد لا يفله الا الحديد ..

ولو انتقلنا الى الشرق الأوسط لوجدنا ان العقلية الامريكية لم تتغير قط .. امريكا تقول انها زرعت اسرائيل فى قلب المنطقة العربية لحماية مصالحها .. مع انها تعلم ان شعوب المنطقة ، اعني الشعوب العربية اقرب الى التعاطف مع امريكا منهم الى التعاطف مع السوفييت لأسباب كثيرة اهمها ان السوفييت شيوعيون ملحدون ..

ومن المؤكد انه كان ـ ولازال ـ بالامكان اقامة علاقات طيبة متكافئة بين امريكا والعرب تحفظ فيها مصالح الطرفين دون وجود اسرائيل .. وان هذه العلاقات قابلة للتوثق والقوة اكثر بكثير من علاقات تقام ـ اذا قامت ـ بسبب وجود اسرائيل ..

ولا ندري اى كمبيوتر ذاك الذى أوحى للامريكيين ان بامكانهم ان يحفظـــوا مصالحهم فى المنطقة العربية بالقهر والعنف والعدوان التى تمثلها اسرائيل ..

واى الحالتين افضل : علاقة بريئة صادقة قائمة على الثقة .. أم علاقة ملطخة بدماء ضحايا الاعتداءات الاسرائيلية بالسلاح الامريكي ..

لقد وقف الامريكيون مبهورين امام روعة القتال الذى أداه العرب ايام حرب رمضان وقد اعترف نيكسون بذلك بصراحة تامة فى مناسبات عديدة ..

فالعربى كان اسرع الى سحب مسدسه ، وابرع فى اطلاق نيرانه ، فاستحق اعجاب الكاوبوى الامريكى ..

ـ هل يجب ان يصبح العــــالم كله « كاوبويا » لكى يتمكن من التعامل مع امريكا والتفاهم معها ؟ ..

وبعبارة اخرى :

ـ هل نعيش حياة الغاب .. وشريعة العدوان .. واسلوب المسدسات سريعة الطلقات لكى نحمل امريكا على تفهم قضايانا وقضايا سوانا من الشعوب ؟ ..

ترى ..

ما ضر الكاوبوى الامريكى لو استخدم قوته التى لا ينكرها احد فى نصرة الشعوب المظلومة ومساعدة الدول المغلوبة على امرها ، وردع المعتدين والضرب على ايدى الاشرار ؟ .. وهلا يعتقد الكاوبوى ، هذا ، ان مصالحه تكون فى امان اكثر ، وضمان اكبر ، بدل اساليبه الحالية التى اثبتت فشلها وجعلت امريكا مكروهة فى بلاد .. وغير محبوبة فى بلاد .. وغير مرغوب بها فى بلاد ثالثة ؟ ..

انها ماساة العصر التى لم يسبق لها مثيل ..

ففى زمن يفترض فيه ان تجني البشرية ثمار التكنولوجيا المذهلة التى وصلت اليها لتعيش بسلام ودعة واطمئنان .. نجدها تعيش حالة من الذعر الدائم والرعب المستمر .. فالكاوبوى يقف فى الساحة شاهراً مسدسيه ، يطلق النـــار جزافاً وعلى غير هدى ..

اما فى الطرف الآخر من الساحة فيجثم دب ابيض ، ضخم الجثة ، بطيء الحركة ، قوى الضربة ، يعرفه العالم باسم « الدب الروسي » ..

وما بين الكاوبوى الامريكى .. والدب الروسي .. تعيش البشرية اسوأ فترة مرت عليها منذ مئات السنين .. وذاك حديث اخر موعدنا معه ـ ان شاء الله ـ فى القسم التالى .. حيث نلقى الضوء على ســـلوك « الدب الروسى » وتحركاته .. وعقليته .. وممارساته فى العالم ..

محمد عبده يمانى

الإسلام دين المفكرين

صور من التراث الغربي تجمع بين نابليون وفولتير

بقلم: محمد الغزالي



نابليون فى الأزهر بلباس اسلامى

راقبت اناساً يدخلون فى الاسلام ، ويتركون أديانهم الأولى ، وتأملت فى البواعث التى تدفعهم الى ذلك ، فرايتها شتى ! قد تكون الاستنارة العقلية ، وقد تكون الاستراحة النفسية ، وقد تكون اسباباً شخصية أو اجتماعية .

ولم أر لمشاعر الرغبة والرهبة آثارا تذكر فى اعتناق الاسلام ! ذلك أن الهزائم السياسية والاقتصادية التى تحيط بالعالم الاسلامى تجعل ذلك مستبعداً ..

وقد لاحظت امرين جديرين بالدراسة : أن المسلمين يزيدون ببطء ولكن بثبات ! وأن الوافدين الجدد على عقيدة التوحيد لا ينقطع مددهم فى قارات كثيرة ..

أما الأمر الآخر فهو أن الغزو الثقافى يلقى مقاومة شديدة ، وأن محاولات الفتنة ، واخراج المسلمين عن دينهم تلقى مقاومة اشد . ! وذلك برغم القصور والخلل اللذين يسودان ميادين الدعوة والتربية فى عالمنا الاسلامى المترامى الأطراف .. وقد ينجح الاستعمار الشرقى أو الغربى فى إفساد قلب ، وتخليته من اليقين ، بيد أن ذلك القلب المصاب يبقى كالبيت الخرب تصفر فيه الريح ولا يحتله ساكن جديد ..

الإسلام دين المفكرين

واحسب ان الدعاة الصادقين لو تمهد لهم الطريق فانهم يقدرون على استعادة كل هذه القلوب الفارغة، وملئها بالحق مرة اخرى، فان الاسلام كان ولايزال اقرب الاديان الى مواءمة العقل والقلب، والى التجاوب مع اصـالة التفكير وسلامة الضمير ..

ومع احتفائى بكل من يعتنق الاسلام، فانى اتجه باهتمام خاص الى المفكرين الكبار الذين يهشون للاسلام، وتنفتح له اقطار نفوسهم ! واتتبع بدقة مسارهم العقلى وهم يتجهون للاسلام.

واسوق هنا مثلين عرضا لى فى قراءاتى الاخيرة، اخترتهما عن تعمد ووعى .. !

الاول : القائد الفرنسى نابليون بونابرت والثانى الفيلسوف الفرنسى فولتير .. !

اقرا معى هذه العبارات من كتـاب « نظرات سياسية لنابليون » وصدق او لا تصدق ! واستنتج منها ما تشاء فساذكر رايي فى القضية كلها بعد اقتباسها من مرجعها.

مشروع نابليون الاسلامى

وهذا المرجع منشور فى فرنسا، وافريقية، وسائر اقطار العالم، يتحدث فيه نابليون عن نفسه فيقول : انه كان مقتنعاً بان الاسلام هو اصلح قاعدة لبناء اعظم دولة فى التاريخ ! وان هذا الاقتناع صاحبه لدى اعداد الحملة الفرنسية على مصر ! كانت هذه الحملة - كما يقول - تمهيداً لاقامة دولة اسلامية يكون هو على راسها ! ويحكى انه استقدم معه جيشاً من الخبراء والفنيين ليكونوا الجهاز العقلى المدبر لهذه الدولة، وزودهم بوسائل التحضر الحديث ليعينوه على هدفه البعيد ..

وقال إنه اجرى احاديث مع علماء الأزهر اكدت له ان الاسلام عقيدة وجوهر وليس رسوماً وظواهر .. وانه يستطيع التدرج فى بناء الدولة التى يؤمن بها، وإظهار صورتها الاسلامية شيئاً فشيئاً .. !!

وقال : إنه كان يعد لاعتناقه الاسـلام رسمياً عندما يصل إلى بغداد، ويعلن انفصاله عن عقيدته الأولى ! واكد انه قبل حضوره إلى مصر درس الاسلام، واطمان الى صدق تعاليمه، واستقرت هـذه الطمانينة فى نفسه، غير انه لما فاتح معاونيه بدخيلته وامانيه اعترضه بعضهم وبين له وعورة الطريق فكان جوابه : إنه فى سبيل المصالح العليا تحول هنرى الرابع ملك فرنسا السابق من العقيدة البروتستانتية الى العقيدة الكاثوليكية، ولا يوجد ما يمنعه بدوره من التحول الى الاسلام .. ثم قال : إن القاهرة والاسكندرية اجدر من عواصم اوربا لتكونا على راس العالم كله.

ذلك حديث نابليون عن الاسلام ! ونابليون فى نظرى رجل من عشاق المجد وطلاب العلى ومواهبه الذاتية تجعله قديراً على إثارة الميادين وتحريك الجيوش وقهر الاعداء وامتلاك الدول وكان المتنبى كان يصف طموحه وتوثبه عندما قال :

ولا تحسبن المجـد زقّـاً وقينـة
فما المجد إلا السيف والفَتكة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان تُرى
لك الهَبَوات السود والعسكر المَجْرُ
وتركك فى الدنيا دوياً كانما
تداوَلُ سَـمْعَ المرء أنمُله العَشْرُ

ونابليون كالاسكندر المقدونى، كخالد بن الوليد فى جاهليته، قائد عبقرى عـارم المواهب !

ويعلم الله طويته فى جنوحـه الى الاسلام وإحساسه بعظمة عقائده وشرائعه وصلاحيته الفريدة فى انشاء دولة عظيمة، وحضارة اعظم .. ! اكان بذلك يريد بناء نفسه ورفعة اسمه ؟ أم كان يضيء فؤاده بين الحين والحين شعاع من معرفة الحق والتجرد لنشره ؟ ..

لكن الذى لاريب فيه أن نابليون كان اسلم فطرة واصدق قيلا من بعض العسكر الذين ظهروا فى تاريخ امتنا الحديث، فكرهوا الاسلام وهاجموا تعاليمه واهانوا اهله !!

هؤلاء القادة لا يرتفعون الى مستوى نابليون من الناحية الحربية، أو الادارية، وقد ورثوا الاسلام عن آبائهم لم يقدروه حق قدره، فكانت عقباهم الحرمان من توفيق الله، وإصابة امتهم فى مقاتلها.

اما القائد الفرنسى الدارس البصير فقد أدرك عظمة الاسلام والقدرات الروحية والمادية التى يوفرها لمجتمعه فود لو يقيم باسمه دولة، وان ينصب هو على راسها خليفة ..

وجدير بالذكر ان المطبعة العربية التى جاء بها إلى مصر كانت أول مطبعة تدخل القاهرة ! فان الأتراك لم يسمحوا للعرب بان تكون لديهم هذه الآلة الخادمة للغة الوحي .. !!

وماكتبه « نابليون » عن عظمة الاسلام سجله وهو منفى بجزيرة « سانت هيلانة » التى قضى فيها نحبه، اى انها تجارب قائد معمر اثبتها بعد حياة عاصفة ديست فيها ممالك ونمت ثورات ..

فولتير وعقيدة التوحيد

اما المثال الثانى فمن فكر الفيلسوف الفرنسى « فولتير » الذى تزعم الدعوة فى عصره إلى عقيدة التوحيد بعد ما توفر امدا طويلا على دراسة العهدين القديم والجديد وبعـد ما استبطن حصـائل الفلسفة الانسانية عن الخالق .. لقد انتهت به سياحته العقلية الى الاعجاب بالاسلام، واودع إعجابه هذا فى كثير من كتاباته، واختار هنا شاهدين من مدارستى الأخيرة له ..

الشاهد الأول: من كتابه « يقين أسانيد الاسلام » فقد لفت نظرى فى اثناء هذه المدارسة مع الصديق المترجم ان المؤلف وضع آية منقولة عن السورة «٧٧» تحت عنوان الكتاب معناها « بماذا يؤمنون بعد ذلك » ؟ يراها القارىء على غلاف الكتاب !!

قلت للصديق المترجم : انتظر ! السورة السابعة والسبعون هى سورة المرسلات، والآية التى يشير إليها هى قوله تعـالى : « فباى حديث بعده يؤمنون » ؟ وهو معنى تكرر فى السورة الخامسة والأربعين، سورة « الجاثية » « تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فباى حديث بعد الله وآياته يؤمنون » ؟

وفولتير فيلسوف ساخر، وقد ادار محاوراته على السنة ابطال اخترعهم، ومن الطريف انه خلق شخصية وهمية لشيخ اسمه علي جيربر عميد كلية الآلهيات بادرنة - وكانت يوم ذاك عاصـمة اسلامية - وعضو اكاديمية العلـوم بسمرقند ولم تكن يوم ذاك مسـتعمرة





LA CERTITUDE
DES PREUVES
DU MAHOMÉTISME,
OU
EXAMEN des principes d'incrédulité répandus dans les divers Ouvrages du Philosophe HAKIM, en forme de lettres,
ALI-GIER-BER, Asfabi, ou Docteur en Théologie, Principal du Collège d'Andrinople, Associé à l'Académie des Sciences, Belles-Lettres & Arts de Samarcand.
SECONDE PARTIE.
A LONDRES,
MDCCLXXX.

فولتير .. وصورة لغلاف كتابه « يقين أسانيد الاسلام » الذى اتخذت اجراءات حادة لوقفه

روسية ..

ويقول فولتير لقرائه المسيحيين : كيف تحقرون كتاباً يدعو الى الفضيلة والزكاة والرحمة ؟ كتاباً يجعل الرضوان الاعلى جزاء لمن يعملون الصالحات وتتوفر فيهم الكمالات الذاتية ؟ ان الذين يهاجمون القرآن لم يقرءوه قطعاً .. !

اما الشاهد الثانى فننقله من القاموس الفلسفى لفولتير طبعة سنة ١٨٢٢ م الجزء السادس ص ٤ وهو يصف اتباع محمد ، ويرد التهم الموجهة إلى الاسلام بانه دين مادى !

اسمع إليه يقول لكارهى الاســـلام ومهاجميه : « أكرر لكم القول ايها الجهلة الأغبياء الذين غرر بهم جهلة اغبياء ، .

وافهموكم أن عقيدة محمد عقيدة لذات وجنس ، قوامها الشهوات المادية ! فى حين انها ابعد ما تكون عن هذا الوصف ! لقد خدعتم فى هذه الناحية كما خدعتم فى نواح اخرى عديدة .. » .

« ايها الأساقفة والرهبان والقسس ، إذا فرض عليكم قانون يحرم تناول الطعام من الرابعة صباحاً حتى العاشرة مساء فى شهر يوليو – اى فى وقدة الصيف – عندما يحل الصيام فى هذا الشهر .. اذا حرم عليكم لعب الميسر وإلا استهدفتم للعنة الله .. إذا حرم عليكم شرب الخمور والأنبذة تحت التهديد بالجزاء نفسه .. اذا فرض عليكم الحج فى صحراء محرقة .. اذا فرض عليكم اعطاء ½ ٢٪ من مـــالكم للفقراء .. اذا كنتم تتمتعون بزوجات تبلغ ثمانى عشرة زوجة احيانا فجاء من يحذف اربع عشرة من هذا العدد .. هل يمكنكم الادعاء مخلصين بان هذه الشريعة شريعة لذات وجنس .. ؟؟ » .

ثم يقول فولتير مشيراً الى الهزائم التى وقعت بالمسلمين على عهــــده : « ان المسيحيين الآن يتفوقون على المسلمين فى ميادين شتى ، وقد انتصروا عليهم مؤخراً ما بين ســــنة ١٧٦٩ وســـــنة ١٧٧٣ (مشيراً الى الحروب التى نشبت بين الاتراك والاوربيين) لكن الامر لا يدعو الى الاسراف والتهور فى النقد الظالم للاسلام نفسه ! لكن الافتراء على المسلمين اسهل لديكم من استرداد البلاد التى فتحوها ! » .

ويقول « فولتير » : « اننى امقت الافتراء ولا اقبل الصاق التهم بالأتراك رغم كراهيتى لهم ! اننى اكرههم لسوء معاملتهم للنساء ، ولانهم يحاربون الفن .. » .

ولما كان الأوربيون يتندرون برحلة قام بها محمد فى السماء ، ويتخذون من ذلك الخبر مجالا للهزء والتكذيب فان « فولتير » يقول : « ان هذه الرحلة لم يتحدث عنهـا القرآن ، ومن ثم فلا مجال للاستناد اليها فى انكار رسالته ! (١) وقد هدم محمد الضلال السائد فى العالم على عهده ، وقام بالكفاح المفروض على الانسان لبلوغ الحقيقة ! ولكن يبدو انه يوجد دائما من يعملون على استبقاء الباطل وحماية الخطا ! » .

اننى اعرف ان قراراً بابويا صدر بحرمان فولتير لهذه المواقف النزيهة ! وقد احتال ابن اخيه فوارى جثته التراب بعد موته ، وكان المفروض ان تترك نكالا لامثاله !

حتى قامت الثورة الفرنسية فنقلت رفاته الى مقبرة العظماء ، وقدرت عبقرية رجل عاش عشرات السنين يكتب ويؤلف ، وبلغت بحوثه المئات من الرسائل والكتب !

فلأتجـاوز هذا التاريخ المثير الى شيء آخر ! اريد ان اسال ناسا من جلدتنــــا يتكلمون بالسنتنا وينتمون الى تراثنا ، شاء الله ان يعرفوا اللغات الأخرى ، ويقتبسوا منها ويترجموا .. اريد ان اسالهم ماذا افدتم من هذه المقدرة ؟ وماذا افادت امتكم منكم ؟ هل استصحبتم دينـــكم وتاريخكم وانتم تطالعون الثقـــافات الأجنبية ؟ هل استوقفكم صديق يحب العدالة او استثاركم خصم يكره الشرق ، ويزدرى العرب ، وينال من الاسلام .. ؟

إنكم لم تترجموا العلوم ، وكنا افقر اليها من الروايات الغرامية والجنائية التى زحمتم بها لغتنا وشغلتم بها اولادنا .. ونقلتم اكاذيب المستشرقين ومفتريات الناقمين على الاسلام وحضارته وتاريخه المديد ، دون رد ذكى او عادى ، بل احياناً مع الرضا ! فكيف ساغ لكم هذا ؟

وفى الحضارة الغربية عباقرة كثيرون عرفوا للاسلام فضله وقدروا له ما اسدى للعلم وللعالم ، اما كان حقاً عليكم ان تعرفوهم وتشيدوا بصدقهم وتقدروا شجاعتهم بين قومهم ؟ اعتقد ان السكوت هنا لون من الغدر ، بل هو خدمة لكل القوى المعادية للاسلام .

محمد الغزالى

هوامش :

(١) يظهر ان الفيلسوف يشـــير الى « قصة المعراج » التى وردت فى بعض الاحاديث ولعلماء المسلمين فى هذه القصة كلام طويل لا محل لسرده هنا ، وما ننبه إليه ان الدعوة الى الاسلام تكون الى اصوله وما علم بالضرورة منه .. اما القضايا الخلافية والاحكام الظنية فليست موضوع الدعوة ، وتدبر الاثر الوارد : حدثوا الناس بما يطيقون ! اتحبون ان يكذب الله ورسوله ؟؟

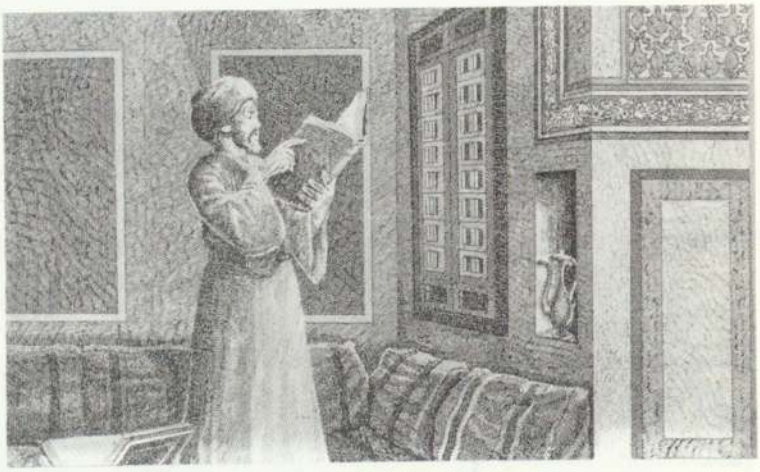
مـع الصحـوة الثقافيـة

نحو فكر اجتماعي يرى الأزمة في جذورها

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

اذا كانت الحاجة ماسة اليوم .. الى التأمل طويلا فى الجذور الاجتماعية التاريخية للأزمة العربية منذ عصر الانحطاط الى اليوم ، فان العلم القادر على التصدى لذلك هو علم الاجتماع أو الفكر الاجتماعى التحليلى والنقدى المتسلح بالعلوم الاجتماعية كافة من تاريخ واقتصاد وسياسة وعلم نفس جماعى .

مثل هذا الفكر هو القادر على رؤية تلك العوامل الاجتماعية التاريخية التى طبعت الوجود العربى بميسمها .



ابن خلدون



محمود سامى البارودى



جرجى زيدان



محمد المويلحى



ابراهيم اليازجى

قيل الكثير ، وكتب الكثير عن أسباب التردى الراهن فى الحياة العربية .

وقد اختلفت وتفاوتت مذاهب تفسير المعضلة ، فمن قائل انها لقصور فى التربية ونظم التعليم ، ومن ذاهب الى انها تعود لطبيعة السياسة وأساليبها ونظمها ، ومن مفترض انها راجعـــة لنوعية النظـــام الاجتماعى الاقتصادى العربى ونوعية العلاقة بين الطبقات الاجتماعية فى هذا النظام . ومن معتقد انه بسبب الاخفاق فى تحقيق الوحدة التى يراها المدخل لأى تغيير نوعى فى الحياة العربية .

هذا بالاضافة الى من يقول ان المشكلة عائدة لتخلى العرب عن تراثهم وقيمهم الأصيلة ، ومن معترض عليه يقول له : بل المشكلة عائدة الى تقصير العرب فى استيعاب حداثة العصر واسرافهم فى التمسك بأهداف الماضى والخضوع لسلطة الأجداد .

ومن قائل ان العرب يحتاجون الى علاج واحد لا ثانى له هو الديمقراطية واحترام حرية الرأى والرأى الآخر ، ومن معارض له يقول : بل العرب باشد الحاجة الى المستبد العـــادل الذى سيحقق لنـــا فى ســـنين ما عجزنا عن تحقيقه فى قرون ، (حسب تعبير الشيخ محمد عبده) .

ومن متيقن انه لا مخرج من التخلف إلا بالتصنيع الحديث لتغيير العقل والسلوك معاً كما ذهب الى ذلك سلامة موسى وكما تؤكده اليوم المدرسة الانمائية العربية فى كثير من البلاد العربية النفطية وغير النفطية ، وتعقد من اجله الكثير من الندوات والمؤتمرات وتنشر عنه الكثير من البحوث والدراسات ..

ولان الكوارث والتراجعات تستمر ، والاخطار تتزايد يوماً بعد يوم ، فلم يعد من الممكن التيقن من وجاهة أى تفسير من تلك التفسيرات العديدة والمتضاربة ، على ما فى كل واحد منها من وجهة نظر جـــديرة بالاعتبار ، وعلى ما يقوم بين عدد منها ، على الأقل ، من تكامل فى اعطاء تفسير أشمل ، وعلاج أعم للأزمة كلها .

وقد بلغ من خطورة الأمر اقتراب بعض

نحو فكر اجتماعي يرى الأزمة في جذورها

العرب من القبول بالنظرية الاستعمارية والصهيونية التقليدية التى نبتت فى دوائر الاستعمار البريطاني والفرنسي ثم تبنتها الدوائر اليهودية واخذت تعمل على تحقيقها ، والقائلة: ان التكوين العربى البشرى يعاني من خلل رئيسي فى بنيته يشمل العقلية والنفسية والسلوكية العربية ، وانه تكوين عاجز عن التفكير العقلي العلمي المنظم ، وعاجز عن العمل الفعال المخطط بسبب احتقار العرب لقيم العمل المهنى والعمل الجماعي المشترك ، واسرافهم فى الفردية والانانية والتنازع الداخلى فيما بينهم ، الأمر الذى ساعد ويساعد على تقسيم العالم العربى الى كيانات ودويلات صغيرة متناحرة تعتمد على الغرب ثم تضطر للقبول بالهيمنة الاسرائيلية التى هى استمرار – حسب زعم تلك النظرية – للحضارة الغربية وللتقدم الغربى فى هـــذه المنطقـة المتخلفـة والمتناحرة .

وقد ظهرت فى السنوات الأخيرة وثائق ودراسات اسرائيلية وغربية تؤكد هذا المعنى وتدعو لتعميقه وترسيخه وتحويله الى واقع نهائي لافكاك للعرب منه ، ويمكن لمن اراد التوسع فى الموضوع ان يعود الى تلك الوثائق ليطلع عليها مباشرة ويرى منطوقها الحرفى الذى اوردناه هنا معدلا ومخففا ، فبعض هذه الوثائق الاسرائيلية يذهب الى حد التحريض على وحدة الكيان المصرى الذى هو اقدم وارسخ كيان عربى فى الماضى والحاضر ، واشد المجتمعات العربية انسجاما وتماسكا ، ليطالب بتفتيته اسوة بالمجتمعات العربية الأخرى التى اجتاحتها هجمة التقسيم ، (وذلك لادراك اسرائيل انه مادامت مصر باقية فى قلب العالم العربى ، موحدة ومتماسكة فلابد يوما ما من اجتماع الاجزاء العربية حولها من جديد ، طال الزمان او قصر . لهذا فان المخطط الاسرائيلي يريد أن يطال آخر امل وابقى رصيد واحتياط لامكانية توحيد العرب ..) .

أيا كان الأمر ، فان تدافع الأحداث المأسوية قد ادى الى تشويش الرؤية العربية الى حد الاقتراب ، كما قلنا ، من قبول هذه النظرية المعادية المشـــينة او ما يشبهها ويدور فى فلكها الفكرى والنفسي وهذا منتهى الهزيمة المراد إلحاقها بالوجود العربى فى الصميم ، فعندما يصل اى عربى الى القبول بالدونية التى يفرضها عدوه عليه فى داخل عقله ونفسه ، لا يبقى من مجال لأى انقاذ او خلاص .

وما يتوجب ايضاحه وادراكه بجلاء تام فى هذا المجال هو ان العدو استغل اخطاء وعللا واوضاعا كانت ومازالت موجودة فى الكيان العربى ، لأن العرب اجلوا حلهـا ومواجهتها منذ بداية النهضة . وساعد الاستعمار على صرفهم عن علاجها وحسمها فبقيت هناك فى داخل الجسم العربى تضعف مناعته وتقلل من قدرته على مقاومة التحديات ، الأمر الذى سهل للجراثيم المعادية اقتحامه والتغلغل فيه واستيطانه وتفتيته كما يحدث اليوم .

فجذور المشكلة اذن ليست فى ضراوة الهجمة المعادية الشرسة على ضراوتها وشراستها وخطورتها . وانت لا تتوقع من عدوك الشرس الغادر الضارى ان يرسل اليك باقات من الورد . فمن طبائع الاشياء ان يكون العدو ضاريا شرسا اذا وجد جسم عدوه ضعيف المناعة قابلا للكسر .

والواقع ان ضعف المناعة كان ملازما للكيان العربى قبل قيام اسرائيل وحروبها ، وقبل وصول الاستعمار وعهوده . كما ان التشوش فى الرؤية العربية بشان تحديد اسباب الأزمة المصيرية الوجودية ، وتحديد علاجها الناجع ، كان ايضا قائما بشكل او بآخر وبصورة مقنعة (بتشديد النون) منذ بداية النهضة ، فجعلته الهزائم والنكبات يظهر بصورة مكشوفة الآن حيث لم يعد بالامكان ستر مصائب قومية بهذا الحجم والاتساع . لكن التشوش فى رؤية العلاج كان قائما منذ البداية وقبل توالى احداث السنوات الاخيرة .

عندما حدثت نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ تصور الكثيرون من العرب ان اللوم يقع على عاتق انظمة عربية معينة كانت قائمة عندئذ ، وتولدت حركة واسعة لتغيير تلك الأنظمة . وهذا ما حدث بالفعل .

وعندما حدثت النكبة العربية الثانية عام ١٩٦٧ اتضح ان المسالة لم تكن بمثل تلك البساطة . فهذه انظمة من نوع آخر تواجه هزيمة مماثلة ، ان لم تكن افدح .. وجرى البحث عن نوع آخر من الاخطاء والمسببات .

وعندما حدثت النكبة العربية باحتلال بيروت وذبح الفلسطينيين فى صبرا وشاتيلا ، فى ظل اوضاع عربية تختلف عن اوضاع ١٩٤٨ واوضاع ١٩٦٧ ، جرى البحث عن نــــوع ثـالث من التنظـير والتفسيرات لأسباب الكارثة .. وهكذا ..

والخطأ فى ذلك كله اننا ناخذ حدثا بعينه مفصولا عن مجرى تاريخنا الحديث كله ومجرى عصر الانحطاط الذى كابدته الأمة العربية ايام المماليك والترك وغيرهم وننظر الى الحدث وكأنه حجر ساقط علينا من السماء وليس خارجا ومنبثقا من مجرى واقع التخلف الذى عشناه ونعيشه والذى ورثناه من عصر انحطاط طويل يبلغ عمره عدة قرون منذ توقف الابداع الحضارى العربى فى القرن الرابع الهجرى ، وتعرض المنطقة العربية للموجات الغربية الكاسحة التى اخذت تجتاحها منذ سيطرة الترك على الخلافة فى عهد المعتصم الى اجتياح المغول بقيادة هولاكو للشرق العربى ، الى تدمير مراكز الحضارة فى المغرب العربى على يد الموجات الصحراوية المتبدية ، كما لاحظ ذلك ابن خلدون واستمد منه نظريته

فى تسير التاريخ العربى على اساس الجدلية المأسوية بين البداوة والحضارة .

وتلك الفذلكات المجتزاة التى تاخـــذ حدثا بعينيه وتعتبره محـور الكارثـة وتشبعه بحثا وتحليلا وكانه لا علاقة له بمجرى التاريخ الذى سبقه ، والواقع العميق الذى حضنه وولده (بتشديد اللام) يعود سر انتشارها الى شيوع الجرائد اليومية والكتابات الصحفية الحديثة العابرة ، والكتب السياسية التى تسعى للانتشار والضجيج ، يضاف الى ذلك النشرات الاخبارية المتتابعة والتغطيات التليفزيونية التى تنقل الوقائع والاحداث مجتزة كامور منفصلة لايربطها رابط .

هذا الطوفان الاعلامي لاى حدث من الاحداث يجعل العقل العربى يضيع فى متاهة الوقائع اليومية المتعاقبة ، واذا ظهر تحليل سياسي فانه يربط احداث اسبوع واحد ، واذا صدر كتاب سياسى فانه يغطى حقبة سنوات معينة ويدخل فى تفاصيلها ، بما يقطعها عما سبقها من فترات تاريخية تولدت تلك الحقبة منها ..

لذلك فان صحافتنا واعلامنا بحاجة الى نشر دراسات اجتماعية تاريخية تتناول جذور واصول المشكلة العربية منذ عصر الانحطاط الى الفترة المعاصرة بشرط ان تكون هذه الدراسات واضحة وغير معقدة موضوعا واسلوبا ليسهل على المواطن العربى فهمها وادراكها .

وعلى المفكرين والجامعـــات ودوائر البحث ومراكز الدراسات التصدي لمعالجة هذا الموضوع الجذرى وطرحه فى ابعاده المختلفة ومن زواياه المتعددة .

وعلى المجـــلات الثقافيـة خاصـة ، والجرائد والاذاعات والتلفزة بعامة تعميم هذه الابحاث بعد تبسيطها دون إخلال ، وتيسيرها دون تسطيح ، لتتولد صحوة ثقافية جديدة بشان الجذور الاجتماعية التاريخية للازمة العربية المستديمة ، تلك الجذور التى تولدت منها مختلف الكوارث القومية ، وتفرعت عنها مختلف مظاهر التخلف ، ليتم تفادى هذا التفريع التجزيئي المضلل لسبل مواجهة الازمة الطاحنة .

والواقع ان المجلة الثقافية العربية تتحمل الجانب الأهم والاكثر دقة من هذه الرسالة . فهى تقف جسراً موصلا – او يجب ان تكون كذلك – بين المفكـــرين والجامعات ومراكز البحث من ناحية،وبين الصحافة والاذاعة والتلفاز والجمهور الواسع من ناحية اخرى،وعليها يقع عبء توصيل الفكر الى وسائل الايصال العامة . وعلى الجانبين التعاون معها فى ذلك لتحقيق هذه المهمة على الوجه الاكمل .

● ●

وفى اعتقادى ان علم الاجتماع ، كفكر حي وليس كمنهج اكاديمي وصفي ، هو علم المرحلة الحاضرة من تاريخ الفكر العربى والثقافة العربية .

فقد كانت علوم الأدب هى علم مطلع النهضة عندما تم احياء اللغة والاساليب الادبية على يد اليازجي والبارودي والمويلحي .

ثم كان الاهتمام بالتاريخ هو النزعة السائدة فى فترة تالية عندما ظهرت سلسلة جرجي زيدان وغيرهـا حول تاريخ العرب والاسلام .

ثم صار علم السياسة ومشتقاته هو علم المرحلة فى الأربعينات والخمسينات بظهور المد السياسى القومى .

هذه العلوم المختلفة اسهمت بشكل او باخر فى دفع ركاب النهضة لكنه لم يكن كافيا على ضوء ما الم بالعرب من هزائم وتراجعات .

واذا كانت الحاجة ماسة اليوم ، كما اوضحنا ، الى التامل طويلا فى الجذور الاجتماعية التاريخية للازمة العربية منذ عصر الانحطاط الى اليوم ، فان العلم القادر على التصدى لذلك هو علم الاجتماع أو الفكر الاجتماعى التحليلي والنقدى المتسلح بالعلوم الاجتماعية كافة من تاريخ واقتصاد وسياسة وعلم نفس جماعي .

مثل هذا الفكر هو القادر على رؤية تلك العوامل الاجتماعية التاريخية التى طبعت الوجـــود العربى بميســـمها ، كالجدلية الدهرية بين البداوة والحضارة ، وتعرض مراكز الحضارة العربية لموجات متعاقبة من غزو الرعاة القادمين من الصحارى الآسيوية والافريقية مما ادى الى الانقطاع والتقطع الحضارى فى التاريخ العربى بفعل هذه الموجات المتبدية المتعاقبة .

اضف الى ذلك وجود الصحراء كعامل انفصالي بين معظم البلاد العربية ، وتاثير التنظيم القبلى والطائفي والعلاقات العشائرية بين الكيانات العربية ، الامر الذى اسهم فى خلق هذه التعددية غير الصحية فى الوطن العربى وســـاعد المخططات الاجنبية على تنفيذ ماربها فى التجزئة والتقسيم .

والحديث عن هذه العوامل الاجتماعية التاريخية وغيرها من عوامل استراتيجية معاصرة حديث يطول ، نكتفى بالاشارة الى عناوينه التى ذكرنا بعضها بايجاز شديد على أمل العودة الى بحثها فى مقال آخر ، مع دعوتنا لكل المفكرين والمثقفين العرب للاسهام فى مثل هذه الابحاث ، لان المهمة اكبر من ان يتصدى لها فرد واحد او جهة واحـــدة .

واذا كان المثقفون العرب لا يقدرون على التاثير فى احداث المصير ، فلا اقل من ان يحاولوا توضيح الرؤية الشاملة والسليمة أمام الامة حول ما يمس وجودها فى الصميم .

محمد جابر الانصارى

وثيقة صهيونية خطيرة

بقلم: عصام شريح

● يسرائيل كنيغ : يجب تشجيع الطلبة العرب على دراسة المواضيع الفنية وعلوم الطبيعة .. لأنها لا تعطي سوى القليل من الوقت للاشتغال بالأمور القومية !
● التكاثر الطبيعي لعرب الجليل .. سيفتح المجال امام دخول قوات عسكرية من الشمال الى اسرائيل .

اذا قدر لمؤسسة اعلامية أو مركز ابحاث عربى ، أن يقدم الحركة الصهيونية موثقة ذات يوم ـ وذلك امل غال ـ فان الوثيقة التى وضعها وكتبها الصهيونى « يسرائيل كنيغ » سوف تتصدر اي عمل من هذا النوع دون ادنى شك .. ذلك ان هذه الوثيقة تتميز بصراحتها المطلقة بما تحفل به من عنصرية وكراهية للعرب ، وتامر مفضوح ضدهم لدفعهم الى الهجرة من وطنهم ، أو جعلهم « مواطنين من الدرجة الدنيا فى الكيان الصهيوني وتقليص عددهم بكل الوسائل والأساليب .. اما بالنسبة ل يسرائيل كنيغ ، فما نعرف مفكراً او منظراً صهيونياً ، كان فى مثل هذا « التجلى » روحه وفكره العنصريين ، وذلك ، فى وثيقته التى ستكون مدار هذه المقالة ، والتى نشرتها صحيفة « عل همشمار » بتاريخ ٧ ـ ٩ ـ ١٩٧٦ .

يسرائيل كنيغ هو متصرف لواء الشمال (منطقة الجليل) بوزارة الداخليـــة الاسرائيلية ، ويضم هذا اللواء او المنطقة اقضية عكا والناصرة وصفد وطبريا ، حيث توجد اكثرية عرب عام ١٩٤٨ .

ومن موقعه كمسؤول لهذه المنطقة على مدى اكثر من عشرين عاماً ، اصيب كنيغ بصدمة نفسية عنيفة ، عندما راى بام عينيه صحوة عرب الجليل فى يوم الارض فى الثلاثين من اذار (مارس) ١٩٧٦ ، حيث سقط ستة من الشهداء وعشرات الجرحى ، فى احداث ذلك اليوم التاريخى المجيد ، عندما هب عرب الجليل هبة الرجل الواحد للدفاع عن ارضهم ، ومقاومة قوانين وممارسات مصادرة الأرض العربية بالقوة .

وازاء ما جرى فى يوم الأرض ، تكشف للصهاينة ، وفى مقدمتهم يسرائيل كنيغ ، أن عرب الجليل ، كانوا فى غفوة ، ليس إلا وان هذه الغفوة قد ذهبت الى غير رجعة ، لتعقبها حالة الصحوة الوطنية والقومية ، وان سياسة الاحتواء التى ظن الصهاينة انها قد نجحت قد سقطت وتهاوت كماتسقط وتتهاوى اوراق الخريف . ومن هنا ، اعاد كنيغ التفكير فى مجمل سياسة الاحتواء ، ليطلع بوثيقته الشهيرة ، التى يوصي فيها باتباع سياسة عنصرية مباشرة وعنيفة .

المشكلة الديمغرافية

وكان اول ما تطرقت اليه وثيقة كنيغ ، المشكلة الديمغرافية ، او التكاثر الطبيعى لعرب الجليل ، وتحذر الوثيقة من خطورة هذه المشكلة بالنسبة لمصير هذه المنطقة ، التى بلغ عدد العرب فيها فى منتصف عام ١٩٧٥ ، نحو ٢٥٠ الف نسمة ، فى مقابل نحو ٢٨٩ الف يهودى ، وتشير الى ان نسبة العرب فى الجليل الغربى قد بلغت ما نسبته ٤٨ بالمائة . ويقدم يسرائيل كنيغ مثلا على التكاثر الطبيعى لعرب الجليل ، فيقول انه فى ازدياد عدد اليهود فى لواء

الشمال ٧٥٩ نسمة فى عام ١٩٧٤ ، فان الزيادة العربية كانت بالمقابل ٩٠٣٥ نسمة ويحذر كنيغ من ان هذا المعدل المطرد فى التكاثر الطبيعي لعرب الجليل ، سوف يجعل نسبتهم تزيد فى المستقبل عن ٥١ بالمائة .

لكن أهم ما يحذر منه كنيغ بالنسبة لهذه الزيادة او التفوق العددي للعرب ، هو أن هذا التفوق يهدد السيطرة اليهودية على منطقة الجليل ، ويفتح الابواب امام دخول قوات عسكرية من الشمال الى « اسرائيل » ويؤثر فى تعاظم الشعور القومى لدى عرب الجليل واستعدادهم للمساهمة فى ذلك .

وتشير الوثيقة الى تنامي الحس القومى فى أوساط عرب ١٩٤٨ وعرب ١٩٦٧ ، نتيجة لحرب عام ١٩٦٧ ، وما اعقبها من سياسة الاتصال الحر من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وسياسة الجسور المفتوحة ، الامر الذى ادى الى تجديد اللقاء بين عرب ١٩٦٧ وعرب الأردن من جهة ، وعرب ١٩٤٨ من جهة اخرى ، وقد نجم عن هذا اللقاء خلق ارضية مشتركة لشعارات النضال القومى فى « اسرائيل » ووقوف العرب بهامات مرفوعة ، وقد جاءت حرب عام ١٩٧٣ لتضخ زخماً جديداً فى هذا التطور الحتمى ، بسبب ما أسفرت عنه من نتائج ، وما ادت اليه التطورات الدولية اللاحقة من اعتراف بمنظمة التحريـــر الفلسطينية ، حاملة للواء النضـــال الفلسطيني .

وتقدم الوثيقة حالات عديدة عن تنامي الحس القومي لدى الفلسطينيين من عرب ١٩٤٨ ، ليس اقلها ، قول رئيس بلدية معليا فى اجتماع عقد فى الناصرة فى عام ١٩٧٥ « ... ما هو حق اسرائيل المعنوى فى مصادرة الاراضي فى هـــذه المنطقـــة (الجليل) ، التى تقع بموجب قرار التقسيم الصادر عن الامم المتحدة فى عام ١٩٤٧ ، خارج دولة اسرائيل ؟! » .

وتعتبر الوثيقة تنامي الشعور القومى لدى عرب ١٩٤٨ ، وبالاخص لدى عرب منطقة الجليل ، ظاهرة تشير الى رغبة هؤلاء العرب فى الاحتجاج ضد الحكم الاسرائيلى ، ولو بنبرة منخفضة ، وهـو ما تصفه الوثيقة بانه « حقيقة خطيرة جداً بالمقارنة مع سلوكهم فى الماضى » ، الأمر الذى يشير الى ان اسرائيل فى طريقها الى مواجهة مكشوفة مع « المشكلة العربية فى اسرائيل ... خاصة وان هناك خوفا جدياً من ان تنفذ خلال العقد المقبل (عقـــد الثمانينـات) عملية استيلاء عربية من الناحية الديمغرافية والسياسية على قضائي عكا والناصرة » . وازاء كل ذلك ، يقترح يسرائيل كنيغ اتباع سياسة قمعية اكثر وضوحاً ، ويضع عدة خطوات لتحقيق هذه السياسة ، منها توســـيع وتعميق الاستيطان اليهودى فى المناطق ذات الكثافة السكانية العربية ، ودرس امكانية خفض عدد العرب فى تجمعاتهم السكانية القائمة وتطبيق القوانين التى من شانها تقييد « عمليات الاستيطان » العربية . كما يقترح كنيغ اتباع سياسة الثواب والعقاب بالنسبة الى القادة والقرى الذين يتكلمون باية صورة معادية « لدولة اسرائيل والصهيونية » . ولمواجهة مشكلة تقدم حزب « راكاح » بين عرب الجليل على غيره من الاحـــزاب الاسرائيلية ، يقول : انه يتوجب تشكيل حزب شقيق لحزب العمل (الذى بقي فى الحكم حتى عام ١٩٧٦) ، « يكون التركيز فيه على مبادىء المساواة والانسانيات والثقافة واللغة والنضال الاجتماعى ورفع علم السلام فى المنطقة ، كما على المؤسسات الحكومية ان تهيىء نفسها من اجل ان يكون لها وجود خفي فى هذا الحزب ، وان تتحكم فيه » .



يسرائيل كنيغ صاحب الوثيقة الصهيونية التى ترمى الى تهويد منطقة الجليل

الزعامة العربية

وتنتقل وثيقة كنيغ الى معالجـــة ما تسميه بمشكلة الزعامة العربية لعرب ١٩٤٨ ، فتعترف ، بان الجيل الجديد من هؤلاء العرب ، هو جيل متمرد ، كما تعترف بفشل السياسة الاسرائيلية فى خلق زعامات عميلة أو موالية بين عرب الجليل ، وتحذر الوثيقة من ان نتائج خلو الساحة العربية « فى اسرائيل » من قادة موالين ، تنطوي على كارثة ، خاصة وان « الجيل الثانى » من العرب ، لم يستطع تقبل القادة الذين فرضتهم السلطات الاسرائيلية بشكل او اخر .

وتتوقع الوثيقة ان تكون احدى نتائج الصراع بين القيادات التقليدية الموالية ، والجيل المتمرد ، انقلاب الصراع على السلطة والمنصب ، « الى صراع ضد مؤسسة الحكم والدولة » ، بالاضافة الى ان اكثرية عرب الجليل ستنتقل باستمرار الى جانب الجيل المتمرد . وازاء هذه الورطة توصي الوثيقة ، بالتخلى عن القيادات الحالية ، (رؤساء بلديات ومخاتير .. الخ) لأن هذه القيادات ـ كما تعترف الوثيقة ـ « لا تمثل السكان العرب » ، والمباشرة فى ايجاد قيادات جديدة « ذات مستوى ثقافي واستقامة شخصية ، وتتمتع بمواهب قيادية ، ومساعدتها على تاسيس حزب عربى ، شقيق لحزب العمل » ، وفى حالة من الشك بجدوى هذه الأساليب ، توصي الوثيقة بالعودة الى التدخل المباشر والتنكيل بالمتمردين ، وذلك « باتخاذ خطوات فردية ضد كل شخصية سلبية فى جميع المؤسسات وعلى جميع المستويات » .

الاقتصاد والعمل

وينتقل يسرائيل كنيغ الى وضـــع الأقلية العربية فى فلسطين المحتلة كايد عاملة فى الاقتصاد الاسرائيلى بكل فروعه ، وخاصة فروع البناء وورش اصـــلاح السيارات ، وكافة الاعمال اليدوية بشكل عام ، فيقول : ان تواجد العرب فى هذه الفروع ، قد اعطاهم شعوراً بالقوة ، وقد ادى هذا الشعور الذى تعزز بتراكم فائض اموال نقدية كبير جداً فى ايدى عـــرب الجليل « بسبب عدم وجود وعي حول توظيف المال فى مشاريع انتاجية اكبر من المشاريع متوسطة الحجم » ، بالاضافة الى واقع الاستقرار الذى تتمتع به الايدي العاملة العربية ، بسبب عدم سوقها

وثيقة صهيونية خطيرة

للخدمة العسكرية لمدة ثلاث سنوات ، كما هو الحال بالنسبة لليهود ، ادى هذا الشعور بالقوة ـ كما يقول كنيغ ـ الى توفر حالة الطمانينة الاجتماعية والاقتصادية لدى عرب الجليل ، وبالتالى تحرير الفرد والعائلة من القلق والهموم اليومية ، مما منحهم من حيث يدرون او لا يدرون ، متسعا من الوقت للتفكير فى امـــور « اجتماعية ـ قومية » .

ولمواجهة هذا الوضع ـ الذى لايخلو من المبالغة ـ يضع كنيغ عدة مقترحات من شانها سلب عـــرب الجليل « وضـــع الطمانينة » الذى يترك لهم مجالا للتفكير فى الامور الوطنية والقومية ، ومن هذه المقترحات التى تنضح بالعنصرية ، وجوب وضع اتفاقات مناسبة مع كل ادارة مشروع او معمل خاضع ل « قانون استثمار راس المال » فى المناطق الحساسة (التى يزيد فيها عدد العمال العرب على العمـــال اليهود) ، بحيث لا يزيد عدد العمال العرب فيها على نسبة عشرين بالمائة ، ومنها ايضا وجوب اتخاذ سلطة الضرائب خطوات سريعة لتعميق الجباية ، ولتنفيذها بصورة صارمة ، وبدون اي استثناء ، ويقترح كذلك وجوب التوصل الى تسوية مع مصـــادر التسويق المركزية للمواد الاستهلاكية ، يكون من شانها وضع العقبات امام الوكلاء العرب ، لمنع اعتماد اليهود عليهم ، وخاصة فى حالات الطوارىء . كما يقترح على الحكومة ايجاد طريقة ، يمكن بواسطتها تجنب تقديم المنح للعائلات العربية متعددة الاولاد ، وقصر هذه المنح على العائلات اليهودية ، ثم يقترح كنيغ اخيرا ، العمل على ايجاد وضـــع تهتم فيـــه المؤسسات المركزية بتفضيل الكوادر اليهودية مكان العرب .

التعليم

تحذر الوثيقة ، من توسيع شبكة التعليم فى أوساط عرب ١٩٤٨ ، فتقول ان الدعم المالي وسياسة المنح لطلبة الجامعات قد اسفرا عن خلق مجتمع طالبي عربى مثقف « ولو بصورة سطحية وريفية ، مما يشكل « خميرة » لقيام حركة قومية بين العرب . وتضيف الوثيقة ان تسهيل قبول الطلبة العرب فى الجامعات والمعاهد العليا ، والمواضيع التى يدرسها هؤلاء الطلاب (الآداب والعلوم السياسية ، وعلم الاجتماع) بالاضافة الى عدم وجود اهتمام وامكانات لاستيعاب الخريجين للعمل ، كل ذلك ادى الى وجود مجموعة كبيرة من « المثقفين » العرب المتذمرين ، الذين وجدوا متنفسا لتذمرهم « فى معاداة مؤسسة الحكم الاسرائيلية والدولة » !! .

وتشير الوثيقة الى ان عدد الخريجين العرب من الجامعات والمعاهد العليا ، بلغ (فى عام ١٩٧٦) اكثر من ٥٧٠٠ خريج ، كما ان عدد الطلبة العرب فى الجامعات والمعاهد الاسرائيلية وصل فى نفس السنة الى حوالى ٢٥٠٠ طالب ، وبالطبع فالوثيقة تهول من خطورة هذه الاعداد من الخريجين والطلبة العرب ، وتستحث السلطات الصهيونية على تقليص الفرص امام الطلاب العرب فى الجامعات والمعاهد ، لتقليص عدد الخريجين والدارسين الى ادنى مستوى ممكن ، لأن المثقفين ـ كما تقول الوثيقة عينها ـ هم « خميرة » اى انتفاضة وطنية فى المستقبل .

ويقدم كنيغ اقتراحات عنصرية خطيرة فى هذا المجال ، ضمن سياسة تجهيل عنصرية شديدة الوضوح لعرب ١٩٤٨ ، واهمها ، تشجيع الطلبة العرب على التوجه لدراسة المواضيع الفنية وعلوم الطبيعة وما شاكل ذلك ، حيث ان هذه المواضيع « لا تعطي سوى القليل من الوقت للاشتغال بالعمل الوطنى والقومى ، اضافة الى ان مستوى الرسوب فيها مرتفع » ، ثم يقترح تسهيل سفر الطلبة الفلسطينيين الذين يودون متابعة دراساتهم العليا ، الى خارج اسرائيل ، وبعد ذلك وضع العراقيل امام عودتهم ، وانخراطهم فى العمل ، ومثل هذه السياسة من شانها تشجيع هجرة هؤلاء الطلاب ، وبذلك تتخلص اسرائيل منهم . ومن المقترحات ايضا ، اتخاذ تدابير صارمة وعلى كل المستويات ، ضد من تسميهم الوثيقة « بالمحرضين » فى أوساط الطلبة العرب فى المعاهد العليا .

وتتحدث الوثيقة اخيرا عن مسالتين هما : تطبيق القانون ، ويوم الأرض ، فبالنسبة للمسالة الأولى ، يعترف يسرائيل كنيغ بضعف المسؤولين الاسرائيليين عن تطبيق القانون ، امام اغراءات العرب ، فيقول « فهؤلاء السكان العرب اصبحوا يعون استنادا الى وقائع ، انه من الممكن خرق القانون بواسطة علاقات مناسبة مع اشخاص مناسبين » . ويحذر ازاء هذا الواقع القائم من الضرر الذى يلحق باسرائيل ، حيث « تظهر علامات ضعف فى الحكم الاسرائيلى فى اعين عرب اسرائيل ، مما يجعلهم يتوقعون المزيد من التنازلات ، فيما اذا مارسوا المزيد من الضغط » .

ويقترح كنيغ بين امور اخرى ، تقديم دعاوى وتنفيذ عدد من الاحكام خاصة فى مواضيع ضريبة الدخل والبناء « غير القانونى » ، لكى « يرتدع » العرب عن التفكير فى امكانية « التهرب » من السلطات القانونية ، اضافة الى تعزيز تواجد قوات الشرطة والأمن على انواعها فى الشارع العربى من اجل « ردع اوساط متطرفة ومحايدة قد تنجر الى اعمال التمرد والتظاهر » .

اما بالنسبة للمسالة الثانية ـ يوم الأرض ـ فتعترف وثيقة كنيغ بانه لأول مرة منذ قيام الكيان الصهيوني ، يحدث تضامن لعرب ١٩٤٨ « عن وعي وبصـــورة علنية ضد الحكومة ، ومع مطلب سياسي ـ قومي عربى متطرف ، واستعداد نفسي للعمل من اجل تحقيق هذا المطلب ، بالاضافة الى ان معظم السكان العرب ايدوا ويؤيدون الآن ايضا ، اولئك الذين قاموا « باعمال الشغب » ، وهاجموا قوات الأمن ، وهم يتضامنون معهم علنـــا ، ويصرحون بذلك على الملا » .

كما تعترف الوثيقة بان الصدام الكبير الذى وقع فى يوم الأرض الفلسطيني وما رافقه من اعمال عنف علنية ، فانه قد ملأ نفوس العرب عزة وكبرياء ، على الرغم من نتائجه المريرة . وفى باب التوقعات تشير الوثيقة الى ان مثل هذه النشاطات لعرب الجليل ، ستؤدى الى « التطرف » وتدهور الوضع ، وتقول بان لدى الأوساط العربية نظرية سائدة تقول بان الوضع الحالى

سيء بالنسبة للعرب ، وفقط في حالة عدم الاستقرار الشامل في اسرائيل ، فان هناك امكانية للتغيير ، وعلى المدى الطويل ، وربما على المدى المنظور ، قد يحدث تفكك اسرائيل من الداخل ، فتتحول تدريجيا الى دولة فلسطينية . ويقترح كنيغ لمعالجة الآثار والتفاعلات الناجمة عن احداث يوم الأرض ، تشكيل لجنة فكرية ، واخرى تنسيقية ، لوضع الخطط المناسبة لمواجهة ذلك .

العنصرية الصهيونية

لقد جاءت وثيقة يسرائيل كنيغ ، لتفضح العنصرية الصهيونية دون مواربة ، ولكي تضع النقاط على الحروف بالنسبة للممارسات الصهيونية القمعية ضد العرب. ولعل اهمية الوثيقة تبرز في كونها وثيقة سياسية تطبيقية ، وليست وثيقة فلسفية او فكرية ، اي انها تعبر فعلا عن سياسة حكومة العدو الرسمية . خصوصا وان يسرائيل كنيغ « متصرف لواء الشمال » ليس ظاهرة فردية او شاذة في السياسة الاسرائيلية في تعامل هذه السياسة مع عرب ١٩٤٨ ، فقد كان هذا الصهيوني ، وطوال السبعة عشر عاما الماضية ، منفذاً « امينا » ، للسياسة الاسرائيلية الرسمية نحو العرب ، وقد ساعد على تعميق التخلف في المجتمع العربي في منطقة الجليل .

وهذه الوثيقة ، التي ما هي سوى إفراز طبيعي على تربة السياسة الاسرائيلية الرسمية ، واستمرار طبيعي لتلك السياسة قد عبرت بشكل واضح عن ثلاث مسائل رئيسية هي : الروح العنصرية الاسرائيلية وكونها برنامج عمل متكامل في منهجيته وخطواته العملية والتطبيقية ، واخيراً الخلفيات والأبعاد السياسية للوثيقة ، والمتمثلة كما تبينا انفا ، اهمية منطقة الجليل بالنسبة للكيان الصهيوني ، والخوف من « قنبلة » التكاثر الطبيعي لعرب الجليل ، وامكانية مطالبة عرب الجليل مستقبلا بحق تقرير المصير ، خاصة وان منطقة الجليل ليست داخلة في حدود الكيان الصهيوني ، كما رسمه قرار تقسيم فلسطين الصادر عن الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧ ، ثم اهتزاز فرضية صهيونية حول امكانية احتواء عرب ١٩٤٨ ، وتعاظم الشعور القومي لدى هؤلاء العرب ، واستحالة دمج العرب بالكيان الصهيوني .

بيد انه ، على الرغم من ان الخطوات العنصرية التي تدعو الوثيقة الى تطبيقها - علما بانها مطبقة عمليا في اكثرها - فانها - اي الوثيقة - تعترف بان الكيان الصهيوني بات يواجه مازقا قاتلا ، بسبب تنامي المشاعر الوطنية والقومية لدى عرب ١٩٤٨ ، وتزايد عدد المثقفين بينهم ، واعتبار هؤلاء العرب ، منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلة لهم ، وتشكل حركة تحرر وطني لعرب فلسطين ، كما تعترف بذلك الوثيقة نفسها .

واخيراً .. فلابد من الاشارة ، الى ان وثيقة يسرائيل كنيغ ، تفتح الأذهان ، على كثير من اساليب الشر العنصرية ، التي يتميز بها العقل اليهودي بشكل عام ، لكنها تفتح الأذهان ايضا ، على مدى المخاوف التي تساور الصهاينة من جراء ، صحوة عرب ١٩٤٨ .

عصام شريح

● من هو ●

ينتمي يسرائيل كنيغ الى اصل بولوني ، وهو من مواليد عام ١٩٢٥ ، وقد هاجرت عائلته من بولونيا الى فلسطين منذ كان طفلا ، وفي شبابه انضم الى عصابة « ليحي » الارهابية ، التي كان يتزعمها في مطلع الاربعينات مناحم بيغن ، وبعد قيام الكيان الصهيوني ، تخرج من كلية الحقوق بالجامعة العبرية بالقدس ، و « جامعة الامن الوطني العسكرية » . وفي مطلع الستينات ، وبتاثير صداقته لابن موشي شابيرا - زعيم حزب « المفدال » السابق حصل على منصب متواضع بوزارة الداخلية ، وما لبث ان انتقل من منصب ضابط ميزانية ، الى نائب حاكم لواء الشمال في عام ١٩٦٦ ، ثم الى منصب حاكم لواء الشمال في كانـــون الاول (ديسمبر) من نفس العام .

ومنذ ذلك الوقت ويسرائيل كنيغ ، يحكم منطقة الجليل بشمال فلسطين المحتلة ، بشكل مطلق تقريبا ، وقد اشرف بنفسه على تنسيق جميع القرارات المتعلقة بمصادرة الاراضي العربية ، وفرض الرسوم على عرب الجليل ، وما رافق ذلك من عمليات هدم المنازل والقرى العربية ، بحجة مخالفة القوانين الاسرائيلية . ولتعزيز قبضته على عرب الجليل ، اقام علاقات وثيقة مع رؤساء البلديات والمستوطنات من الصهاينة ، الذين كانوا يقفون الى جانبه كلما تعرض منصبه للاهتزاز ، او تعرضت سلطاته الواسعة لمحاولات التقليص . وعندما هب عرب الجليل في الثلاثين من اذار (مارس) من عام ١٩٧٦ ، في انتفاضة عارمة ، ضد مصادرة اراضيهم ، قام المستوطنون الصهاينة في المنطقة ، بتسجيل اسم يسرائيل كنيغ في الكتاب الذهبي لهيئة « الكيرين كاييمت » - وهي الدائرة التي تشرف على الاراضي العربية المصادرة بزعم انها اراضي « دولة اسرائيل » .

ومنذ مطلع عام ١٩٨٢ ، امتدت سلطة يسرائيل كنيغ كحاكم للواء الشمال ، لتشمل هضبة الجولان السورية المحتلة حيث حاول فرض الهوية الاسرائيلية على عرب الهضبة من الدروز ، الذين رفضوا ذلك باصرار ، مما انعكس على علاقات كنيغ بالعرب الدروز في شمال فلسطين المحتلة .

وبسبب المنافسة الحزبية ، فان عددا من اعضاء الأحزاب الاسرائيلية ، وجهوا انتقادات مريرة إلى كنيغ ، متهمين إياه باستغلال منصبه ، من اجل الحصول على مزيد من الأصوات ، لصالح حزب « المفدال - الحزب الوطني الديني » الذي ينتمي اليه ، وذلك عبر المساعدات المالية المقدمة للمجالس البلدية ، باعتبار كنيغ هو المشرف على ميزانيات هذه المجالس .

بيد أن شهرة يسرائيل كنيغ بين الصهاينة ، انما تعود في المقام الاول لوثيقة كتبها كنيغ ، ورسم فيها خطوط وتفاصيل سياسة عنصرية حاقدة ضد عرب فلسطين ، ترمي في نهاية المطاف الى تهويد منطقة الجليل ، وتفريغها من الأكثرية العربية ، عن طريق مصادرة الأراضي ، وسلوك سياسة عنيفة وارهابية ، تدفع بعرب الجليل الى الهجرة من ارضهم . وقد وصف البروفسور يشعياهو ليفوفتش « وثيقة كنيغ بقوله » ان كاتبهـا يهودي وطني « بامكان اليهود الاعتماد عليه » واخيراً فان من الملفت للنظر ان يسرائيـل كنيغ متفق عليـــه بين الاحزاب الاسرائيلية ، سواء ايام حكم حزب العمل وشركائه « المعراخ » ، او في الفترة الحالية ، خلال حكم حزب حيروت وشركائه « الليكود » ، وذلك لأن كنيغ يمثل سياسة صهيونية عنصرية راسخة بغض النظر عن انتمائه الحزبي .

آه لو كان الكتاب العرب قد افادوا هذه الفائدة الكبيرة من البطل الذى أنشأوه ، ولم يتركوا لغيرهم أن يدلهم على أفضل السبل لاستغلال كنوزهم الأدبية !

مُحْتال المَقامَة يجد لنفسه رواية

بقلم : الدكتور علي الراعي

ما لم يفعله كتاب المقامة : البديع والحريرى ومن جاء بعدهم ، فعله كاتب انجليزى من كتاب القرن التاسع عشر اسمه : جيمز مورير (١٧٨٠ ـ ١٨٤٩) .

نظر هذا الكاتب حوله ـ فى تركيا وايران ـ الاخيرة خاصة ـ نظرة فاحصة شملت الناس والاشياء ، وملأها العطف ولم ينقصها حدة الذكاء ، فخرج من نظرته هذه بمحتال شديد الذكاء ، واسع الحيلة ، كثير التنقل ، كثير الكذب ، راغب فى ان يرقى بنفسه من أصل وضيع الى مستوى عال ، حاقد على الاغنياء ، منكر لفقره ، غير مستسلم لقدره سماه المؤلف حاجى بابا ، واطلق على الكتاب الذى حوى فعاله وصنوف احتيالاته اسم : مغامرات « حاجى بابا الأصبهانى » فكان حاجى بابا الاصبهانى هو عيسى بن هشام او السروجى ، بعثا من جديد ، بعد اكثر من تسعة قرون ، وعادا ليذرعا أرض الله من فارس الى العراق ومن العراق الى تركيا ، إلى مصر والجزيرة العربية ، طامعين فى مال المغفلين ، ساعيين الى الاحتيال على الاغبياء والأذكياء معاً ، محرزين النصر والهزيمة آنا بعد آن .

ها هو ذا المحتال المقامى يعود إلى أرض المنشأ ، وقد وهبه المؤلف الانجليزى قصة متصلة الأحداث ، تأخذ شكل الرواية ، وأوسع له فى الأرض ونوّع له فى الناس ، وباين فى نوع المغامرات ، حتى استوى امامنا بطلا متكاملا من ابطال ادب الاحتيال ، يجذبنا اليه بمزاجه الشرقى الذى لاشك فيه ، وان جاءت ولادته على يد انجليزى من اقصى الغرب .

ويبدأ حاجى بابا حياته العملية حلاقا فى دكان والده ويظهر براعة فى استخدام الموسى ويتعلم القراءة والكتابة ويبدى حلاوة فى الحديث ، ويتقن فن تدليك المستحمين فى الحمام العام ، ويحفظ نتفا من أشعار سعدى وحافظ ، مما يجعله مسامراً عذب الصحبة ، سواء فى دكان ابيه ام فى الحمام . وسرعان ما يصبح حاجى ، وهو بعد فى السادسة عشرة من عمره رغيبة الناس كلهم .

ومن هنا تتفتح امامه ابواب الحياة الواسعة العريضة ، بكل ما تحمل من مغامرات ، ومازق ، ومخاطر ، ومغريات على



السرقة والاحتيال ، والسعى المحموم وراء المال ، والصعود والهبوط فى ارجوحة الدنيا التى لا يقر لها قرار .

يصر احد التجار ، واسمه عثمان اغا ، على ان يصحبه حاجى بابا فى رحلاته التجارية الواسعة ، ويلح فى هذا حتى يضطر الأب الى الموافقة على مضض ، وتقبل الام والأسف يلفها لفا . ومن ثم يخرج حاجى بابا فى اولى رحلاته ، مع قافلة للتاجر عثمان اغا ، تسعى وراء شراء جلود الخراف من اسطنبول ، وسرعـــان ما يقعون جميعاً اسرى قطاع الطرق من التركمان ، الذين يصادرون القافلة وكل ما فيها وياخذون رجالها اسرى ، ومن بينهم التاجر عثمان اغا ، وحاجى بابا .

وكالعادة ، سرعان ما يتالق حاجى بابا بمواهبه المتعددة ، حتى ليصبح اثيراً لدى رئيس العصابة ، الذى ياخذه معه فى احدى غاراته ، ويقسره على ان يشترك معه فى الهجوم على اصفهان بلده ومسقط راسه وبالفعل ، يقف حاجى بابا امام ابواب الخان الذى ياوى اليه تجار القوافل ، ويطلب الى الحارس أن يفتح له الباب بعـد ان يكشف له عن هويته .

مُحتال المقامة يجد لنفسه رواية

ويفتح الحارس الأبواب مرحباً بصديقه القديم ، فيندفع اللصوص التركمان داخلين ناهبين كل ما تقع عليه ايديهم ، ويصبح حاجى بابا من ذلك اليوم محتالا ، ولصا ، بمشيئته الكاملة ، وان بـــدا تاريخــــه الاحتيالى عن غير رغبة قوية فيه .

ويهرب حاجى بابا من بعد من التركمان ، فتاخذه جماعة من الايرانيين ، على راسهم واحد من ابناء الشـــــاه ، ويســـلبونه حصانه وخمسين قطعة من النقود ، كان بدوره قد سرقها قبل ان يهرب ، من التاجر الأسير عثمان اغا ، وحين يشكو حاجى بابا للوالي يامر هذا اتباعه باعادة المبلغ ، ولكن ليس لحاجى بابا وانما لجيبه الخاص !

ويعمل حاجى بابا من بعد سقاء ، ثم يتاجر فى الطباق المغشوش ، حتى ينكشف امره ويضرب ضربا مبرحا ، ثم يمضى فى طريقه من بلد الى بلد حتى يصل فى نهاية الامر الى طهران .

الفرصة الذهبية

وفى طهران تتفتح امامه ابواب كثيرة للمغامرة يلتحق بخدمة طبيب الشاه ، ويمارس الدجل الطبى معه . ويحتال على طبيب فرنسى لياخـــذ منـــه بعضـــا من الدواء « الافرنجى » الذى كاد يتسبب فى ان يفقد طبيب الشاه مكانته عند سيده ، لانه لم يكن يملك ذلك الدواء . وتتوالى مغامراته ، حتى يصل الى ذروة الاحتيال القائم على الشجاعة وبرود الأعصاب فى حادثة الحمام .

فى هذه المغامرة ، يدخل حاجى بابا الحمام ليتامل فيما جرى له ، ويندب حظه الأسود ، يدخله فى غبشة المساء ، فلا يراه احد من القلة من المستحمين الذين كانوا فيه . ولا يكاد يمضى طويل وقت حتى يدخل « ملاباشى » ، ومعه حاشيته ، ليستمتع بحمام ساخن . وتتركه الحاشية فينزل إلى حوض الماء الحار ، ولا تكاد تمضى دقائق حتى يسمع حاجى بابا اصواتا غريبة تصـــدر من الحوض بينها صوت غرغرة فيذهب حاجى ليستطلع الخبر واذا به يجد الملاباشى يلفظ اخر انفاسه ، مختنقا بالماء .

ويسقط فى يد حاجى بابا . فلا مفر الآن – ان رآه احد – ان يتهم بانه قتل الملاباشى ويقف عاجزا على السلمة التى تؤدى الى خزان الماء ، واذا بخادم الملا الخاص يرى حاجى بابا فيظنه سيده وقد خرج لتوه من الحوض فياخذ يجفف جسمه ويدلكه ويلبسه ملابس الحمام ، وهنا يقرر حاجى بابا ان يدع سوء الفهم هذا يمضى فى سبيله وأن يتلبس شخصية الملاباشى ، مادام هذا هو الطريق الوحيد للخروج من مازقه .

ويركب حاجى حصان الملا ، ويذهب الى داره ، دون ان يشك فيه احد ، ويدخل البيت ويمضى الى خلوة صغيرة ، يهرب فيهـــا من العيون المتسائلة ، ولا يثير سلوكه هذا فضول احد ، فان الملاباشى كان قد تعارك مع زوجته حديثا ، وتخاصما ، فاصبح من الطبيعى ان يتجنبها « الملا » ، ويخلو إلى نفسه .

وفى الخلوة يفحص حاجى اوراق الملا ، ويجد بينها رسالة من كبير الجلادين ، يســال الملا إذنه المطلق فى قضـــــاء امر خاص .. ويرفق كبير الجـــــلادين رسالته بهدية من الشمام الأصبهانى الثمين

ويجد حاجى رسالة اخرى من وكيل أعمال الملا فى الريف تنبؤه بانه بعد كثير من العناء قد استطاع ان يبتز من الفلاحين مائة « طومان » ، وهى الآن جاهزة للتسليم اذا ما تفضل الملا بارسال من يحملها اليه .

وعلى الفور يقرر حاجى بابا ان يحتال على اوسع نطاق ، يصدر من فوره الاذن لكبير الجلادين بفعل ما يريد ويضمنــه رسالة يطلب فيها من الجلاد الأكبر ان يقرضه حصانا فاخر التجهيز . ويكتب لوكيل الاعمال قائلا انه سيرسل مندوبا عنه اسمه حاجى بابا بك ، لتسلم المال ، ويطلب الى الوكيل أن يمضى فى ضرب الفلاحين وابتزازهم .

وفى باكورة الصباح ينفلت حاجى بابا من بيت الملا ، قاصداً بيت كبير الجلادين ، فيتسلم الحصان ويهرب به من فوره ، ثم يجد طريقه الى ضيعة الملا ، ويتسلم المال ، ويضيفه الى الغنائم التى غنمها من الملا نفسه : خمسة طومانات ذهبية وساعة انجليزية من الذهب ايضا وقطعتان من الفضة ومحبرة فاخرة واختام الملا ، وهذه يستخدمها فى ختم رسالتيه المزيفتين .

وهكذا يصبح حاجى بابا – بين يوم وليلة – غنياً ، مرموق المظهر ، مما يسلط عليه القدر الذى يتعقب المحتالين دائما ، فيوقعهم فى حباله ، طال الوقت ام قصر .

غير أن هذه قصة اخرى . اما الآن فاننا نزمع ان نفحص هذه المغامرة الكبرى ، لنستنبط منها بعض سمات المحتال التى يمثلها حاجى بابا .

ملامح شخصية المحتال

انه – ككل محتال قادر – جرىء قوى الفؤاد ، يتمتع بذكاء وسرعة خاطر يخدمانه فى احـــرج المواقف . وهو ايضا ذو قدرات تمثيلية واضحة ، تقوم على دراسة الواقع المحيط ، ثم تمثيله بطريقة تدخل فى روع الناس من ايسر سبيل .

هو مثلا لم ينجح فى اداء دور الملاباشى اعتباطا ، وانما استخدم سابق ملاحظاته لشخصية الملا – وكان على علم وثيق بها – كيف يتكلم – كيف يمشى – كيف يدخن نرجيلته – وساعده حظه فى انه كان فى وزن الملا بالتقريب ، فلم يجد عنتا فى أن ينتفخ الى المظهر المعتاد الذى كان الملا يبدو به دوما . كما ساعده الحظ ايضا فى أن الملا كان قليل الكلام ، ومن ثم لم يفضحه الصوت حين خاطب خدمه وجواريه فى الحمام والدار .

وهو – بالطبع – يكون فاقد الضمير تماما فى مواضع كثيرة . لا يتردد فى سرقة

حتى من احسنوا اليه ـ مثل التاجر عثمان اغا ـ بل ويغش هذا التاجر ذاته بان يزوجه من امراة عجوز قبيحة ، كان قد زوقها له ، ورسم لها صورة خيالية ، لم ياخذه فى هذا اسف او ندم ، لا من قبل ولا من بعد .

وهو طموح ، لا حد لرغبته فى الصعود تاخذه رحلاته التجارية الى اسطنبول فيدعى فى الاماكن العامة انه تاجر ثرى من تجار بغداد . وتلمحه ارملة شابة غنية فتفتن به ، وتخطبه الى نفسها وترسل اليه خادمتها العجوز بهذا الغرض . فحين تساله الخادم عن حسبه ونسبه يخترع على الفور نســباً مشرفاً ينتهى بــه إلى اصــول كريمه ، امــا عن ثرائه فرغم انه لا يملك مالا حاضراً الآن ، فان قوافله تجوب ارض الله فى كل مكان ، تحمل الحرير الفارسى الى خراسان ، وتجلب له جلود الخراف من بخارى . ووكلاؤه ـ محملين بالذهب ـ هم الآن فى « مشهد » يشترون لحسابه الشــيلان الكشميرية ، ودرر الهند الغالية . وفى استراخان يبادل بالقطنيات الاقمشة والزجاج المشغول . والبضائع الهندية التى يشتريها من البصرة ويرسلها الى حلب تعود اليه فى شكل اغطية راس وخيوط الغزل وباختصار فلو تيسر للمرء أن يعد سنابل القمح فى غيط ما ، امكن له ان يحصى ثروة حاجى بابا .

ويتم زواج حاجى بابا من الارملة الجميلة . وتجلب هى اليه كل ثروتها ، ويساله وكيلها عما سوف يعطيها هو . وبعد تردد قصير يقول حاجى بابا انه سيهبها عشرين كيساً من المال وعشرة اكياس من الملابس .

وتمضى ايام العروسين رخاء ، ويمخر مركب زواجهما مياهاً رضية . ولكن حمق حاجى بابا سرعان ما يقلب الأمور على راسه : يلذ له ان يلبس فاخر الثياب ويروح يخايل بمظهره المستفز هذا افراد القوافل من فقراء الايرانيين الذين كان فى عدادهم الى وقت قريب . ويثور غضب هؤلاء فسرعان ما يتعرفون عليه ويفضحون سره .

ويكون مصير حاجى بابا الطرد من الجنة ، ويعود من جديد يذرع طرقات الشقاء .

اجواء المقامة والف ليلة

من بطل المقامة التقليدى وجدنا هنـــا ، كما نجد فى باقى مغامرات حاجى بابـا كثيراً من السمات المشتركة : التمثيل وتلبس الادوار . الاحتيال وسرقة مال الغير . التقلب فى المهن المختلفة سعيا وراء الرزق أو اتقانا للاحتيال . فمثلا يعمل حاجي بابا مساعداً لطبيب ، وطبيباً مزيفاً ، وسقاء وبائعاً للدخان المغشوش ، ويتظاهر بانه درويش وانه تاجر غني ، ويعمل مساعداً لكبير الجلادين ، وكاتباً للاحجبة ووسيط زواج وقاصاً شعبياً .. الخ .

كما ان حظه دائم التفاوت بين صعود وهبوط . فقد ارتفع حتى اصبح زوجا لارملة واسعة الثراء وهبط حين عاد طريداً شارداً فى الارض ، ثم التحق من بعد بخدمة سفير واصبح عينه واذنه وعونه الكبير ، ودخل الخدمة الدبلوماسية لبلده واستخدمه وزير فى مهمة خاصة كلفه بها : ان يذهب الى اصفهان ، مزوداً بسلطان الشاه ليجمع من الاهالى الهدايا التى سوف يقدمها الشاه للبلاط البريطانى . ومن ثم يدخل حاجى اصفهان مسقط راسه بوصفه نائباً للشاه ، ويصبح حاجى بابا ، ابن الحلاق : ميرزا ، حاجى بابا : نائب الشاه . ولكنه يرتفع فى المظهر فقط ، اما فى المخبر ، فانه مرسل كى يبتز أموال الفقراء من بنى طبقته لحساب ظالميهم وجلاديهم .لا ضمير يؤرقه فى هذا ، ولا اعتبار يحدوه غير صالحه الخاص ورغبته المتحرقة فى الصعود .

ها نحن اولاء نجد شخصية المحتال المقامى تكسر قيود الدور المحدود ، والحادثة الواحدة وتتقلب فى بلاد الله الواسعة ، فى اطار رواية باكملها ، فتكون النتيجة ان يستوى المحتال امامنا شخصية حية تضج بالحياة وتتعامل مع ارضنا الاسلامية واهلنا المسلمين فنجد فى انفسنا ميلا شديداً نحوها ونتابع بشغف ما يجرى لها وما يجرى منها ، فننسى او نكاد ان هذه شخصية خلقها كاتب انجليزى وابدعها من واقع حي يعرفه حق المعرفة .

هنا نلقى اجواء المقامة والف ليلة جنباً الى جنب . وكما حطم حاجي بابا حدود المقامة وقصتها الواحدة ، فك كذلك ضفيرة الف ليلة الطويلة ، التى تسلك الحكاية وراء الحكاية فى عقد طويل لا ينتهى الا مع الليلة الاولى بعد الألف . فك هذه الضفيرة ونشر حكاياتها بالطول والعرض ، بعد أن كانت تجرى طولا فقط . فخلصت لنا سبيكة من ذهب فن القصص تحوى فتنة الف ليلة وحوادثها الغريبة الأخاذة دون الاملال والتشتت الذى ينتجه ـ لا محالة ـ تضفير الحكاية فى الحكاية .

ان احداثا فاتنة مثل وقوع حاجي بابا فى غرام الجارية الكردية زينب ولقاءاتهما المحفوفة بخطر القتل ، واختيار الشاه لزينب من دون جوارى سيدها ، الطبيب الخــاص للعاهل ، ليضمها الى حريمه وما يلى ذلك من تحطيم لقلب حاجى بابــا وتشريد له ، وقتل لزينب من بعد ، لرفضها الظهور والرقص فى حضرة الشاه ـ وكان هذا قد وقع فى اسر جمالها الفائق ـ كل هذا بعض من بضاعة الف ليلة .

ومن الف ليلة ايضاً قصة غرام الأرمنيين المسيحيين : يوسف ومريم ، وما وما فيها من اختطاف لمريم فى يــوم زفافها ليوسف ، وما يلي ذلك من احداث وحروب وانقاذ لمريم من براثن خاطفيها الايرانيين .

غير أن المحتال حاجي بابا يظل البطل مع ذلك ، يتحرك امام خلفية الاحداث المثيرة وأوصاف العادات الفولكلورية التي يحرص المؤلف على أن ينقلها لقرائه حرصاً مشكوراً .

ونقرأ هذا كله ، وننفعل به ونقول : آه لو كان الكتاب العرب قد افادوا هذه الفائدة الكبيرة من البطل الذي انشاوه ، ولم يتركوا لغيرهم أن يدلهم على افضل السبل لاستغلال كنوزهم الأدبية ... !

علي الراعى

تحـــــذير إلى العــــرب .. فهـــل من مســـتجيـــب ؟!

هذه هي ثورة الإنسان الآلي

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

تحولت كثير من احلام الانسان عبر التاريخ الى حقائق معاشة اليوم بفعل الثورة العلمية والتكنولوجية المعاصرة ، ومن هذه الاحلام التى ظهرت فى كثير من كتابات الخيال العلمى صورة الانسان الآلى Robot ، الذى يتحدث أو يسير على قدمين والذى يحل محل الانسان فى القيام بالأعمال الشاقة والمضنية . وتحول الحلم الى حقيقة منذ نهاية الستينات وفتح ذلك الباب امام مرحلة جديدة من التقدم اسماها البعض بثورة الانســـان الآلى أو — Robotics — ، وفى بعض التقديرات فانه فى خلال ٣٠ سنة لن تحتـــاج الدول المتقدمة الى اكثر من ١٠٪ من قوتها العاملة حالياً لانتاج ما تحتاج اليه من حاجاتها الاساسية بما فى ذلك الطعام والملبس والمسكن والأدوات الكهربية المنزلية والسيارات .

ويعود تعبير « روبوت » الى كلمة فى اللغة التشيكية Roborta ومعناهـا العمل الاجبارى او السخرة وشاعت نتيجة اســتخدام كاريل تشابيك لها فى قصـة صدرت عام ١٩٢١ . اما التعريف الدقيق للروبوت فهو انه آلة لتوفير الجهد الانسانى وزيادة الاتوماتية او التحكم الذاتى — Automation — ، او انه آلة تقوم بالوظائف الميكانيكية التى يمارسها الانسان . ويقوم الروبوت بهذه الوظائف وذلك من خلال امتلاكه لعقـل (جهاز كومبيوتر اى حاسب الى دقيق) واذرع ميكانيكية لها اصابع ، وتصدر الأوامر من العقل الى الأذرع فى شكل ومضات كهربية ، ويمكن اعادة برمجة العقل للقيام بوظائف مختلفة ومتنوعة .

ويعود التطور الاساسى فى صناعة الروبوت فى العشر سنوات الأخيرة الى ثلاثة عوامل .. أولها التقدم الهائل الذى حدث فى منتصف الستينات فى صناعة الحاسبات الآلية الدقيقة ، والذى ترتب عليه انخفاض سعر وحجم الحاسب الآلى وامكانية استخدامه لأداء وظيفة «العقل» فى الروبوت ، وثانيها ظروف التضخم الاقتصادى فى الدول الغربية وازدياد المطالبة العمالية لرفع الأجور وارتفاع تكلفة الانتاج ، وثالثها - ويتركز فى اليابان اساساً - هو نقص الأيدى العاملة فى بعض الأعمال اليدوية الشاقة ، وهو ما يفسر التوسع اليابانى الكبير فى صناعة الروبوت .

الروبوت فى الصناعة

ولأول وهلة اتضحت الآفاق التى يفتحها الروبوت للصناعة والتى تتمثل فى زيادة حجم الانتاج ، ودقة الأداء ، وضمان الجودة والمعايير ، وامكانية تنويع المهام التى يقوم بها خط الانتاج الواحد وذلك لقدرة الروبوت على القيـــام باكثر من وظيفة .

لقد وجدت الشركات الصناعية الكبرى فى الروبوت ضالتها ، فهو يستطيع العمل فى الظروف الشاقة وغير الصحيـة ، وفى ظل درجات الحرارة أو الرطوبة العالية ، وفى احوال الضوضاء الشديدة التى لا يتحملها الانسان لمدة طويلة . وهو يعمل لمدة ٢٤ ساعة يومياً دون ان يتعب او يكل او ياخذ استراحة للغذاء ، وهو لا يمرض ، ولا يعتذر عن العمل لتعب زوجته او لمشاكل دراسية لابنه فى المدرسة ، وهو لا يشعر بالضجر او القلق ، ولا يهدد بالاضراب ، ولا يطالب برفع اجره من عـام الى آخر ، ولا يحتاج الى ضمان اجتماعى او تأمين صحى .

ولهذه الأسباب كانت نقابات العمال فى الولايات المتحدة من معوقات التوسـع فى استخدام الروبوت نتيجة ما سوف يترتب على إدخاله من بطالة لأعضائها . وكان هذا ايضاً احد الأسباب التى مكنت اليابان من التوسع فى استخدامه دون خشية .. فنظام العمل اليابانى يقوم على ان العامل يلتحق بخدمة احدى الشركات لمدى الحياة ، وهو الأمر الذى لم يوجد نفس المخاوف والمشاكل التى وجدت لدى العمال الامريكيين ، وجعل الشركات اليابانية مسئولة عن اعادة تدريب العمال وتسكينهم فى وظـائف جديدة .

الروبوت بين امريكا واليابان

— من الناحية التاريخية ، سبقت الولايات المتحدة فى اكتشاف المعرفة الفنية اللازمة لتصنيع الروبوت ، وانشئت اول شركة لصناعته باســـم — Unimation — (وهى مازالت من اكبر الشركات فى هذه الصناعة) فى عام ١٩٥٩ ، وقامت بتصنيع اول روبوت فى عام ١٩٦٦ . ولكن التقدم

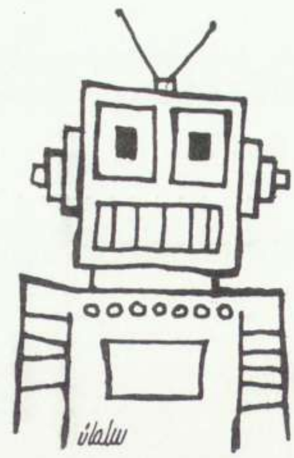
السريع فى هذه الصناعة يعود اساساً الى اليابانيين الذين استوردوا النسخة الاولية التى صنعتها الولايات المتحدة وتم عرضها فى اليابان فى عام ١٩٦٧ . وفى نهاية عام ١٩٦٨ تم توقيع اتفاق لنقل الخبرة المتعلقة بها من امريكا ، وتم تصنيع اول روبوت فى اليابان فى عام ١٩٧٠ . وفى العشر سنوات التالية حققت اليابان قفزات نوعية فى هذا المضمار تدفع كل انسان الى احترام الجهد البشرى الخلاق لهذا الشعب الدؤوب المنتج .

لقد ادرك مخططو التكنولوجية اليابانية مبكراً الآفاق التى يفتحها هذا التطور ، واعتبروه احد اولويات الصناعة ومراكز البحث والتطوير ، فتم انشاء حوالى ٨٠ مركزاً ومختبراً علمياً بواسطة الحكومة والقطاع الخاص لتطوير تكنولوجيا الروبوت ، واقيمت الشركات التى تقوم بتصنيعه ووصل عددها فى عام ١٩٨٠ الى ١٣٥ شركة .

واذا كان هناك اتفاق حول تقدم اليابان فى هذا المجال فان الاختلاف يقوم حول حجم هذا التقدم وصداه بالمقارنة بالولايات المتحدة . ففى دراسة نشرت باللغـــة اليابانية فى مجلة « الاقتصادى » فى ابريل ١٩٨١ ثم ترجمت الى اللغة الانجليزية ، ورد إحصاء نشرته الجمعية اليابانية لصناعة الانسان الآلى مؤداه انه فى نهاية عام ١٩٧٩ كان اجمالى عدد الروبوت فى اليابان ٥٦٫٨٠٠ ، واقتبست نفس الدراسة احصاءات امريكية ورد فيها انه فى نهاية مارس ١٩٧٩ كان يوجد فى اليـــابان ٤٧٫٠٠٠ جهاز بالمقارنة بعدد ٥٨٥٠ فى المانيا الغربية و ٣٢٥٥ فى الولايات المتحدة و ١٨٥ فى انجلترا . وعلق المؤلف اليابانى على هذه الارقام بقوله : « ان اليابان تقف براسها واكتافها فوق العالم كله » . وتنشر المجلات الامريكية ارقاماً اخرى ! ففى عدد مجلة التايم بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٨٠ ، ذكر ان اليابان تمتلك ١٠٫٠٠٠ روبوت ، بالمقارنة بالولايات المتحـدة ٣٠٠٠ والمانيـــا الغربيـة ٨٥٠ واقرت المقالة بان اليابان تتفوق على الولايات المتحدة فى الانتاج بنسبة (٥ الى ١) ..

الروبوت والمستقبل

إن هذه الآلات ذات الشكل الغريب هى احد المكونات الرئيسية للثورة الصناعية الجديدة التى نشهدها اليوم وهى تقوم الآن بالفعـــل بدهـــان السيارات ، وتجميع الثلاجات ، وعمل الخروم فى اجنحة الطائرات ، وتشارك فى تجميع الدبابات



والطائرات والبنادق . وفى اليابان روبوت تستطيع ان تميز بين انواع السمك المختلفة وفقاً للشكل وللحجم وان تفرزها وتضع كل نوع فى سلة مستقلة . وتجرى الابحاث الآن لتصنيع روبوت يقوم بالعمل تحت مياه المحيطات لتصليح السفن او للبحث عن الموارد ، وللعمل فى المناجم ، او للعمل فى الفضاء الخارجي لتصليح الاقمار الصناعية . ولو استطردت فى عرض الابحاث التى تجري فعلا فى مراكز البحوث والجامعات عن الوظائف المختلفة التى يصممون روبوت للقيام بها لتصور القارىء انه ضرب من الخيال . ففى جامعة « واسيدا » اليابانية ، تم تصنيع روبوت يمتلك مجمل قدرات الذكاء لطفل عمره عام ونصف ، ويقومون الآن بالتجارب اللازمة لتطويره لكى يمتلك ذكاء طفل عمره خمس سنوات ، وهناك روبوت تستجيب للذبذبات النابعة عن الصوت فتقوم باداء وظائفها بالأوامر الصوتية .

وفى نوفمبر عام ١٩٨٠ افتتح فى اليابان على ضفاف بحيرة ياماناكا فى مقاطعة ياماناشى مصنع يشتغل فيه الروبوت لمدة ٢٤ ساعة لانتاج روبوت اخرى بتدخل انسانى محدود للغاية ، ويقوم بانتاج ١٠٠ روبوت شهرياً .

وفى امريكا كما فى اليابان تم التركيز على استخدام الروبوت محل الانسان فى خطوط التجميع ، وقامت الشركات الكبرى مثل وستنجهاوس وجنرال موتورز وجنرال الكتريك باستخدامه فى مصانعها . وفى عام ١٩٨٠ امتلكت جنرال الكتريك روبوت اسمته براجمـــا أ ـ ٣٠٠٠ ، تكلف ١١٠٫٠٠٠ دولاراً ، لتجميع الاجهـــزة الكهربائية الدقيقة ، وتستطيع يداه ان تقوما بعمليتين مختلفتين فى نفس الوقت ، ويقوم بتجميع ١٢ قطعة غيار مختلفة وبتربيطها مع بعضها البعض ، ويستطيع ان يميز قطع الغيار التالفة وان يلقيها بعيداً .

فى نهاية الســـبعينات ومع إدراك الولايات المتحدة حجم الهوة التى فصلتها عن اليابان فى مجال صناعة الروبوت ، ولمواجهة انخفاض الانتاجية فانها تركز الآن على هذه الصناعة وتقوم بانتاج ١٥٠٠ روبوت سنوياً ، وقدرت قيمة الناتج بمبلغ ٩٠ مليون دولار فى عام ١٩٨٠ وتقدر زيادة حجم الانتاج والمبيعات حتى تصل الى حوالى ٢ بليون دولار فى عام ١٩٩٠ .

الى اين ؟

ويتركز التنافس بين الشركات العملاقة فى امريكا واليابان اليوم حول تصنيع روبوت يمتلك درجة من الذكاء تمكنه من القيام باعمال التجميع المعقدة والتى تتطلب درجة أعلى من الدقة والقدرة على التمييز .

ولكى يستطيع الروبوت ان يقوم بهذه الأعمال لابد ان يطور ما يشبه حواس النظر واللمس ، كما يحتاج الى قدرة عقلية لتقييم المعلومات التى تصله ، اى قدرة على اتخاذ القرار وذلك بابلاغ نتائج « ما تراه » او ما « تلمسه » الى عقلها . وهو جهاز الحاسب الآلى الدقيق .

ويتم تطوير القدرة على النظر بواسطة آلات تصوير تليفزيونية ، اما اللمس فيعنى اكثر من القدرة على التمييز بين حجم وشكل الأشياء وهو ما يستطيعه الروبوت الآن ولكن ايضاً التمييز بين درجات الحرارة المختلفة للشيء الذى يمسكه بذراعه .

لقد قلنا فى هذه المقالة ـ ومقالات اخرى ـ ان هناك ثورة جديدة فى مجال العلم والتكنولوجيا تحدث امام اعيننا ، ولا يمكن لنا ان نتجاهلها او نغض البصر عنها وعن عواقبها ، واننا مازلنا نعيش على هامش هذه الثورة وعلى حوافها كمستهلكين ، وليس كمشاركين او كمنتجين ، وقلنا ان هذه الثورة سوف تطرح تقسيماً جديداً للعمل ، وسوف تعمق الهوة بين المتقدمين والمتخلفين ، وسوف يكون من الصعب علينا ان نختلق الاعذار ، او ننتحل الأسباب لعدم مشاركتنا فيها ، وعندمـــا تدين الأجيال القادمة ماعجزنا عنه فسوف يكون من الصعب تبرير قصورنا؛ فالموارد المالية موجودة ، والقدرات البشرية يمكن توفيرها والمجال مازال مفتوحاً للمشاركة .

فهل من مستجيب ؟

علي الدين هلال

إعداد: محمد العزب موسى

لغز القارة الغارقة

جنّة أرضيّة ابتلعتها مقبرة مائيّة رهيبة

هناك الغاز كثيرة فى هذا العالم لم تحل .. ربما يكون من اكبرها لغز قارة اطلانطس .. قيل انها كانت جزيرة كبيرة فى حجم قارة ، تقع فى المحيط الأطلسى . وكانت فيها حضارة زاهرة ، ثم اختفت عن سطح الارض فى يوم وليلة .. ابتلعتها مياه المحيط دون أن يتبقى منها شاهد واحد يدل على وجودها . ولكن بالرغم من اختفائها التام المفاجىء ظلت ذكراها قابعة فى الذهن البشرى آلاف السنين ، لم ينجح الزمن فى محوها ، ولم تبددها شكوك المتشككين على مدى القرون .

لقد دفنت اطلانطس تحت سطح البحر ، ولكن قبرها المائى ظل مفتوحاً يلهب خيال البشرية جيلا بعد جيل ، فوضعت حولها آلاف الكتب والمقالات والروايات والقصص القصيرة والأشعار وأفلام السينما ، واطلق اسمها على سفن ومطاعم ومجلات ومحلات بل وعلى منطقة محددة فى كوكب المريخ ، وتكونت جمعيات للاهتمام بدراستها ، وتحرك علماء وباحثون وغواصون للبحث عنها مزودين بأحدث أدوات القــرن العشرين .

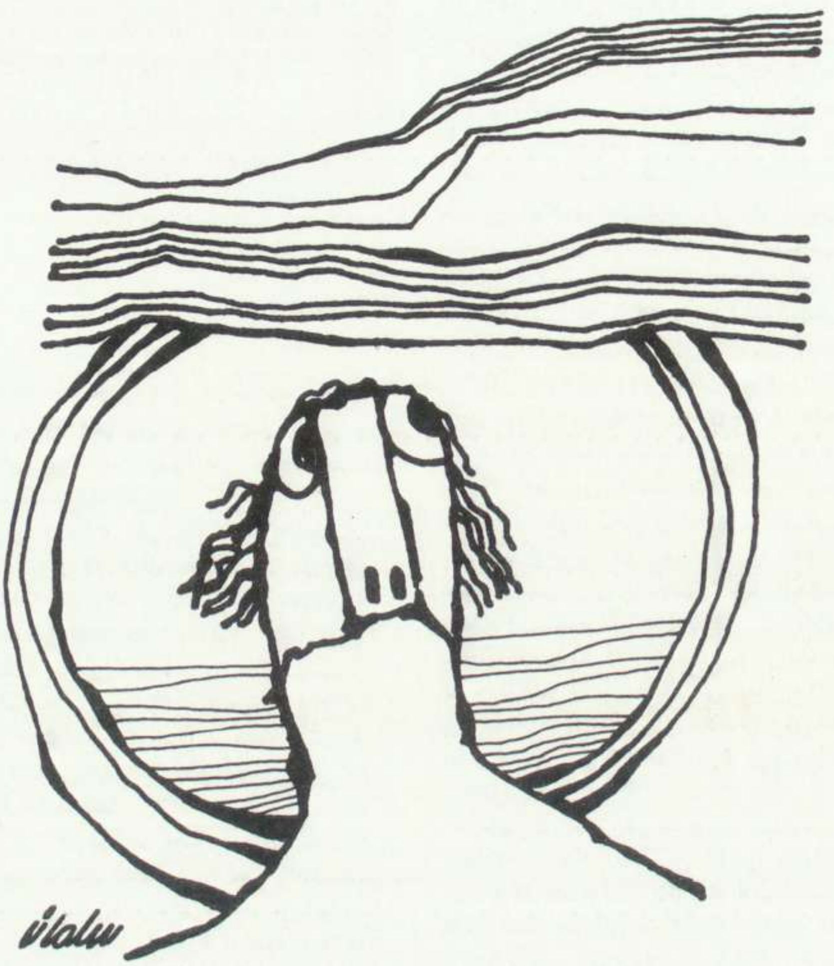
وبالرغم من ذلك يظل لغز اطلانطس قائما كما كان منذ كشف عنه لأول مرة الفيلسوف الاغريقى الشهير افلاطون : هل هى حقيقة ام خرافة ؟ هل البحث عنها يقع فى نطاق الدراسات الأثرية أم فى مجال الشوق البشرى لعصر ذهبى اكثر رونقاً وسعادة ؟

حضارة مزدهرة

قيــل ان اطلانطس كـانت اقرب شيء الى جنة فوق الأرض ، كل الفــواكه والخضروات تنمو بوفرة فى ارضــها ، ومختلف الأزهار والنباتات العطرة تزدهر على سفوح جبالها ، وشتى انــواع الحيوانات المستأنسة والبرية تسعى فى مراعيها وغاباتها ومروجها ، وتشرب من مياهها وبحيراتها ، ومن باطن الأرض تتفجر ينابيع من المياه العذبة الباردة والدافئة تستخدم فى رى المزروعات وتوفير الحمامات لجميع السكان ، بل كانت هناك ايضاً حمامات للخيول والحيوانات ، فكل ما فيها نظيف لامع طاهر ، وكانت ارضها

غنية بالمعادن الثمينة التى جعلت سكانها اغنى من اى شعب ظهر قبلهم او بعدهم ، فكانت معابدهم ومبانيهم العامة مزينة ببذخ بالذهب والفضة والنحاس والعاج . أما القصر الملكى فكان تحفة فريدة فى ضخامته وجماله ، وكان اهل اطلانطس الى جانب مهارتهم فى صياغة المعادن ذوى خبرة هندسية متقدمة ، فانشاوا شبكات من القنوات والجسور تربط المدينة العاصمة بالبحر والريف المحيط بها ، واقاموا موانىء وارصفة هائلة ترسو عليها سفن اسطولهم التجارى الذى يحمل تجارتهم الى اقصى اطراف المسكونة .

لقد أعطى أهل اطلانطس من الخير الوفير ما يجعلهم مستريحين وسعداء فى اى مكان يقيمون فيه ، سواء فى المدينة او الريف ، وقد كانوا فى اول عهدهم اناساً لطفاء المعشر ، حكماء ودودين ، لم يفسدهم ثراؤهم الواسع ولم يغمض عيونهم عن الفضيلة . ولكن مع الزمن اخذ الفساد يدب فى طبيعتهم ، فلم يعودوا يقنعون ببلادهم الوفيرة الخيرات بل اخذوا يتطلعون لحكم البلاد الأجنبية ، فاكتسحت جيوشهم الجرارة حوض البحر المتوسط ، واستولت على مناطق شاسعة فى اوربا وشمال افريقيا ، واستعدت لمهاجمة اثينا ومصر ، وهنا قام الاثينيون ضدهم واضطروهم الى التقهقر الى حيث جاءوا من وراء جبل طارق ولكن لم يكد الاثينيون يوقعون بهم الهزيمة وقبل ان يجنوا ثمار النصر حتى وقعت كارثة كبرى محقت الجيش الاثينى وادت الى غرق قارة اطلانطس باسرها تحت الأمواج ، وربما يكون عدد قليل من شهود هذه الكارثة قد نجوا ليحكوا ما حدث ، اذ على اية حال ظلت القصة عالقة فى الاذهان تروى جيلا بعد جيل لمدة اكثر من ٩٢٠٠ سنة الى ان تم تدوينها لأول مرة ، وتحولت من تراث العالم الشفوى ، الى تراث العالم المكتوب .



محاورات افلاطون

كان أول من سجل هذه الأسطورة على الورق هو الفيلسوف الاغريقى افلاطون الذى عاش فى القرن الرابع قبل الميلاد . فحوالى عام ٣٥٥ ق . م ذكر افلاطون قصة اطلانطس فى سياق محــــاورتين من محاوراته الشهيرة هما « تيمــاوس » و « كريتياس » . وبالرغم من ان افلاطون يؤكد أن قصة القارة المفقودة ماخوذة من السجلات المصرية القديمة ، إلا انه لم يعثر على اى أثر لهذه القصة فى الآثار المصرية او غيرها من مخلفات اى شعب كان يعيش قبل زمن افلاطون . وهكذا ظلت قصة افلاطون هى المرجع الأول والوحيد لاسطورة اطلانطس وكل ما كتب عنها فيما بعد من كتب ومقالات انما يعتمد على رواية افلاطون وحدها سواء بالاضافة او التفسير .

وقد كان افلاطون استاذاً فى فن سرد القصص ، وكان يضع افكاره الفلسفيـــة وتفسيراته للاحداث على السنة شخصيات روائية يجيد تصويرها وبث الحياة فيها ، وربما تكون قصة اطلانطس خيالا محضا من اختراع افلاطون لهذا الغرض ، ولكن مما يثبت قوتها الخارقة انها ظلت تعتبر الى الآن قصة حقيقية بعد اكثر من ٢٣٠٠ عام من كتابتها ، وظلت تلهب افئدة الباحثين الى درجة أن يغامر بعضهم بشهرته العلمية فى سبيل البحث عن هذه القارة المفقودة او آثارها فى غابات الامازون او تحت سطح المحيط . والواقع ان إقدامهم على ذلك لم يكن مبعثه قصة افلاطون وحدها وانما ضاعفت منه مكتشفاتهم هم انفسهم لشواهد تدل على انه كانت هناك – فى وقت ما – قطعة عظيمة من الارض اليابسة فى قلب المحيط الأطلسى تقوم كقنطرة بين القارات الثلاث : افريقيا واوربا وامريكا .

ويتساءل الباحثون : لماذا اذن نجد كثيراً من أوجه الشبه بين الحضارات القديمة فى العالم القديم والعالم الجديد على السواء؟ لماذا نجد نفس النباتات والحيوانات على هذه القارات التى تفصل بينها آلاف الأميال من المياه دون وجود وسيلة معروفة لنقلها أو انتقالها ؟ كيف استطاع الرجال البدائيون فى كثير من البلاد اقامة منشآت جبارة مثل المبانى الحجرية فى الجزر البريطانية والتماثيل الضخمة فى جزيرة « ايستر » بالمحيط الهادى والمدن الغربية المقدسة فى غابات امريكا الجنوبية ؟ هل ساعدهم على ذلك جنس متقدم تكنولوجيا لم يلبث أن اختفى ؟ ثم لماذا تذكر اساطير كل الشعوب نفس القصة عن وقوع كارثة طبيعية كبرى وعن مقدم « قوم » جلبـوا معهم الحضارة من مكان بعيد ؟ هل كانت الكارثة التى اغرقت اطلانطس من القـوة بحيث احدثت اختلالا وخرابا فى كل انحاء

لغز القارة الغارقة

العالم المسكون ؟ وهل كان هؤلاء « القوم » هم مجرد الناجين من الجنس الاطلانطى الذين تصادف ابتعادهم عن جزيرتهم عندما ابتلعها اليم ؟

ان الاجابة على مثل هذه الاسئلة ـ حتى بدون قصة افلاطون ـ تفترض وجود « حلقة ضائعة » بين القارات والحضارات القديمة ، حلقة كانت بمثابة « جسر قارى » يسكنه اناس متقدمـون حضـــاريا وتكنولوجيا فى الماضى البعيد . ومع ذلك فان قصة افلاطون هى التى تكمن حتى الآن فى قلب كل نقاش يؤيد او يرفض وجود هذه القارة الضائعة .

كان افلاطون ـ فيما يبدو ـ ينوى ان يكتب ثلاثية تحتل فيها قصة اطلانطس مكانا بارزا ، ولكنه انجز فقط محاورة واحدة منها وجزءا من المحاورة الثانية ، الاولى بعنوان « تيماوس » والثانية بعنـوان « كريتياس » وككل محـاورات افلاطون الاخرى يلعب الدور الرئيسى فى هاتين المحاورتين المعلم القديم والفيلسوف الاغريقى الكبير سقراط ، اما محاوروه الرئيسيون فهم تيماوس وهو فلكى من البلاد الايطالية ، وكريتياس وهو شاعر ومؤرخ وقريب من بعيد لافلاطون ، وهرموقراطيس وهو قائد عسـكرى من سيراكوز . وهؤلاء الاربعة هم انفسهم الذين اشركهم افلاطون قبل ذلك بسنوات فى محاورته الشهيرة عن « الجمهورية » وقد وعد فيها بان يكتب ثلاثية جديدة تستمر خلالها المناقشة بين الرجال الاربعة بالتفصيل حول الحكومة المثالية .

صولون والمراجع المصرية

وقد جعل افلاطون هؤلاء الرجال الاربعة يجتمعون فى منزل كريتياس فى احد ايام شهر يونيو عام ٤٢١ ق . م . ومن المفروض ان تبدا محاورة « تيماوس » فى اليوم التالى لانتهاء المناقشة التى وردت فى محاورة « الجمهورية » . ويبدا الرجال الاربعة بتذكر النقط الرئيسية فى محاورتهم السابقة ، ثم يشير هرموقراطيس الى « قصة قديمة وردت فى التراث القديم » قال ان كريتياس يعرفها جيدا ، وتحت الحاح الرجال الثلاثة يبدا كريتياس فى رواية تلك القصة ، فيذكر كيف انه حدث منذ قرن ونصف من الزمان ان زار المشرع الاثينى الكبير صولون مصر (صـولون شخص حقيقى زار مصر فعلا ولكن رحلته تمت حوالى عام ٥٩٠ ق . م اى مبكرة بحوالى ٢٠ عاما عن التاريخ الذى اعطاه افلاطون) واثناء وجوده فى « سايس » ، وهى مدينة مصرية فى شمال الدلتا كانت لها علاقات وثيقة باثينا ، اخبره عدد من الكهنة المصريين بقصة اطلانطس ، وهى قصـة « القوم » صولون بانها « حقيقيـة بالتاكيد بالرغم من غرابتها » ، وكان صولون ينوى أن يسجلها كتابة ليعرفها العالم من بعده ، ولكنه لم يفعل ، واكتفى بان رواها لاحد اقربائه ويدعى دروبيدس الذى حكاها بدوره لابنه كريتياس الاكبر وعن طريقه وصلت الى حفيده كريتياس الذى يشارك فى هذه المحاورة مع سقراط والآخرين .

يحكى كريتياس فى محاورة « تيماوس » كيف ان الكهنة المصريين ابلغوا صولون انه طبقا للسجلات القديمة التى لديهم كانت هناك امبراطورية اثينية عظيمة منذ ٩٠٠٠ سنة (اى حوالى ٩٦٠٠ ق . م .) وكانت تعاصرهـــا فى نفس الـــوقت امبراطورية عظيمة اخرى تسمى اطلانطس تقع فى جزيرة كبيرة بحجم قارة وراء اعمدة هرقل (مضيق جبل طارق حاليا) . كانت هذه القارة اكبر من شمال افريقيا وآسيا الصغرى مجتمعين ، والى الوراء منها تمتد سلسلة من الجزر عبر المحيط تصل الى قارة ضخمة اخرى .



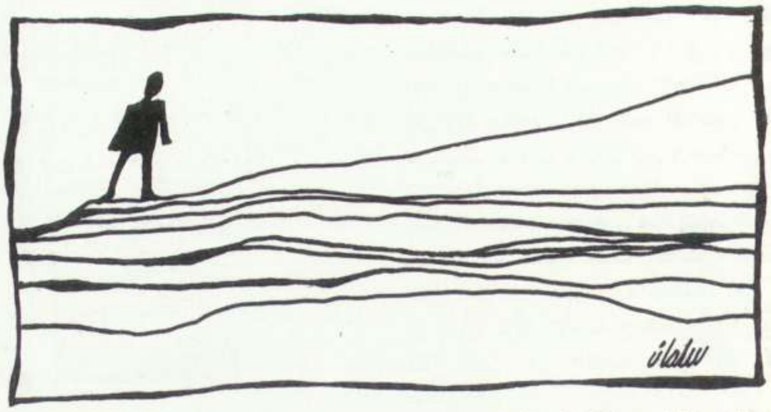
وكان سكان اطلانطس يحكمون جزيرتهم المركزية وعدة جزر اخرى واجزاء من القارة الكبيرة على الجانب الآخر للمحيط (امريكا ؟) ثم تقدمت جيوشهم شرقا الى منطقة البحر المتوسط فاستولت على شمال افريقيا حتى حدود مصر وجنوب أوربا حتى اليونان . وقال الكهنة المصريون « هذه القوة الهائلة تجمعت كلها وعزمت امرها على ان تخضع بضربة واحدة بلادنا وبلادكم وكل المنطقة التى تلى المضيق » ولكن اثينا التى كانت تقف وحدها تمكنت من هزيمة الاطلنطيسيين .. « ثم حدثت بعد ذلك زلازل وفيضانات عنيفة ، وخلال يوم واحد وليلة من الدمار دفن محاربوكم تحت الارض وكذلك جزيرة اطلانطس اختفت بنفس الطريقة فى اعماق البحر ، ولهذا السبب فان البحر فى تلك الاجزاء غير قابل للملاحة والعبور لان هناك طينا ضحلا كثيرا فى الطريق نتيجة لوجود الجزيرة تحت سطحه » .

ويبتهج سقراط لقصة كريتياس التى يصفها بان لها « صفات كثيرة تجعل منها حقيقة لا مجرد خيال » ومع ذلك فان بقية محاورة « تيماوس » تدور فيما بعد حول العلم ، ويظل خبر اطلانطس مبتورا عند هذه النقطة .

وصف اطلانطس

وفى المحاورة الثانية « كريتياس » يتابع افلاطون اكمال قصة اطلانطس ، فيعطى على لسان كريتياس وصفا اكثر تفصيلا للجزيرة القارة منذ نشاة الحضارة على الأرض ، واختص « بوسيدون » سيد البحر والزلازل بجزيرة اطلانطس ، واحـب « بوسيدون » فتاة من ابناء البشر تدعى « كليتو » كانت تعيش فوق تل فى اطلانطس ، ولكى يمنع اى احد من الاقتراب منها قام«بوسيدون» بتطويق التل الذى تعيش فيه « كليتو » بحلقات متتالية من الارض والماء « حلقتين من الارض وثلاث حلقات من الماء .. » وامد التل بما يكفيه من الماء والغذاء « فجعل نبعين من الماء ينبثقان من باطن الارض ، احدهما ساخن والآخر بارد ، وجعل انواعا مختلفة من الغذاء تخرج بوفرة من الارض » .

وتمضى القصة فتذكر ان بوسيدون وكليتو انجبا خمسة ازواج توائم من الذكور وقسم بوسيدون البلاد بين ابنائه العشرة ، فكانوا يحكمونها فى شكل « اتحاد ملوك »



يراسه الابن الأول من التوام الاكبر ويدعى اطلس (وقد سميت الجزيرة باسمه) وانجب هؤلاء الملوك ابناء كثيرين وحكموا هم وذريتهم من بعدهم اجيالا متعاقبة .

وعمرت اطلانطس ، وكثر سكانها ، واقيمت فيها منشات هندسية وزراعية عظيمة ، وبنيت القصور والمعابد ، والموانىء والارصفة ، وجنى الحصاد الوفير من الزراعة والتعدين . وكانت مدينة اطلانطس تقوم حول تل « كليتو » على الشاطىء الجنوبى للجزيرة وهى مدينة مستديرة يبلغ محيطها ١١ ميلا ، وفى منتصفها بالضبط يقوم تل « كليتو » تحيط به حلقاته المتتالية من الماء واليابسة اشبه بقلعة محيطها ثلاثة اميال ، كما اقام الملوك جسوراً تربط بين الحلقات البرية المحيطة بالتل ، وانفاقاً تمر عبرها السفن من حلقة مائية الى اخرى ، وكانت الحلقات البرية مسورة باسوار صخرية مطعمة بالمعادن الثمينة ، ويحيط سور ضخم بالمدينة كلها ، وكانت الحلقة الخارجية من الماء تستخدم كميناء عظيم تزدحم فيه السفن .

وكانت هناك قناة عظيمة يبلغ عرضها ٣٠٠ قدم وعمقها ١٠٠ قدم تربط بين الحلقة المائية الخارجية التى تستخدم كميناء وبين البحر على الشاطىء الجنوبى . وخارج اسوار المدينة يمتد سهل زراعى فسيح تحميه الجبال فى هيئة قطاع مثلث مساحته ٢٣٠ فى ٣٤٠ ميلا ومقسم الى ٦٠ الف قطعة زراعية موزعة على الفلاحين ، اما الجبال فتقوم عليها «قرى كثيرة غنية » .

.. وتتكفل الانهار والبحيرات والمراعى بتوفير الطعام لكل من يدب بقدميه فى اطلانطس من انسان وحيوان اليف وضار وكانت هناك ايضا اخشاب كثيرة من كل نوع تستخدم فى مختلف الاغراض . وكان سكان الجبال وبقية البلاد مقسمين تحت زعامات محلية يتم اختيارها حسب الاحياء والقرى ، وهؤلاء الزعماء يمدون الجيش بحاجته من الرجال.وكان جيش اطلانطس مكونا من المشاة ذوى الأسلحة الخفيفة والثقيلة والفرسان والعربات .

العمارة والقصور والمعابد

ويرسم افلاطون على لسان كريتياس صورة زاهية للعمارة والهندسة فى اطلانطس حيث كانت القصور والمعابد والمبانى العظيمة مبنية بالاحجار الملونة ، البيضاء والحمراء والسوداء ، وفى المعابد بالذات كان اهل اطلانطس يصبون اقصى مهارتهم الفنية والتكونولوجية ، ففى وسط القلعة اقاموا معبداً لكليتو وبوسيدون يحيط به سياج من الذهب ، والى القرب منه يقوم معبد بوسيدون الخاص وهو عبارة عن عمارة هائلة مغطاة بالفضة واعمدتها من الذهب ، وكان سقف المعبد من الداخل مكسوا بالعاج ومزينا بالذهب والفضة والنحاس النقى اللامع « الذى يتوهج كالنار » . وفى داخل المعبد تمثال ضخم من الذهب لبوسيدون وهو يقود عربته التى تجرها ستة خيول مجنحة وتحيط بها ١٠٠ حورية من حوريات البحر يركبن فوق درافيل ، وهذا التمثال من الضخامة بحيث كان راسه يلامس سقف المعبد . وفى خارج المعبد كانت تقوم تماثيل ذهبية للملوك العشرة الأولين وزوجاتهم .

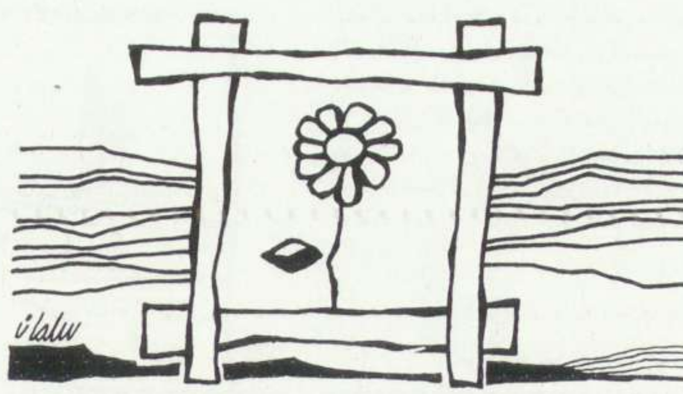
ويمضى كريتياس فيصف المبانى الجميلة التى تتخللها النوافير الدافئة والباردة ، وزرعت وسطها الأشجار والأزهار واقيمت الصهاريج بعضها مكشوف للسماء والبعض مغطى بسقف حيث كانت تستخدم كحمامات « وكانت هناك حمامات للملوك ، وحمامات للعامة ، وكانت هناك ايضا حمامات منفصلة للنساء ، وغيرها للخيول والماشية ، وكل منها مزين بمـــا يناسبه من فنون الزينة ، وكانت المياه التى تلفظها هذه الحمامات يحمل بعضها الى حديقة بوسيدون حيث تنمو كل انواع الأشجار العجيبة البالغة الطول والجمال ، اما باقى المياه فتنقل عبر مواسير فى الجسور الى حلقات الماء الخارجية ، وكانت هناك معابد كثيرة ، وحدائق ، وساحات للرياضة بعضها للرجال والبعض الآخر للخيول تقوم فى الجزيرتين الدائريتين (اللتين تحيط بهما حلقات الماء) وفى منتصف الجزيرة الكبيرة منهما كانت هناك حلقة لسباق الخيل عرضها ٦٠٧ اقدام وتمتد بطول الجزيرة كلها تقام فيها مباريات السباق .

مراسم التضحية بالثيران

وكان الملوك العشرة الذين يحكمون اطلانطس يجتمعون فى معبد بوسيدون مرة كل خمس أو ست سنوات للتشاور فى شئون الحكم واقرار العدل واثناء هذا الاجتماع كانت تجرى مراسم غريبة ، اذ بعد ان ينتهى الملوك من الصلاة كانت تبدا عملية صيد الثيران التى تتجول طليقة فى ساحات المعبد ، وكان عليهم ان يستخدموا فى الامساك بها العصى والحبال فحسب فاذا امسكوا باحدها قادوه الى عمود من البرونز داخل المعبد نقشت عليه قوانين اطلانطس حيث يذبح الثور وتسيل دماؤه على النقوش المقدسة وبعد انتهاء مراسم القربان كان الملوك يشتركون فى مادبة حافلة ، وعندما يسقط الظلام يلتحفون بارواب زرقاء ويتحلقون فى دائرة للنطق باحكامهم التى يسجلها الكتبة فى الواح من الذهب عندما يطلع الصباح .

ولكن مع مرور الزمن بدا اهل اطلانطس يفقدون حب الحكمة والفضيلة الذى ورثوه عن بوسيدون ، وتلوثت طبيعتهم الطاهرة وتغلبت عليها الطبيعة البشرية فصاروا جشعين فاسدين محبين للسيطرة ، وعندئذ – كما يقول افلاطون – « ادرك زيوس ، الذى يحكم بالقانون والذى يستطيع ان يرى مثل هذه الأشياء ، ان جنسا نبيلا قد دب فيه الفساد واصبح فى حالة سيئة ، فاراد ان يعاقبهم من اجل ان يطهرهم ويحسنهم ، مجمع كل رصفائه فى مقره ، وعندمـــا اجتمعوا جميعا تحدث زيوس فقال :

وهنا ، للأسف ، تنقطع قصة افلاطون عن اطلانطس ولا يعود الى تكملتها بعد ذلك ابداً ، ويعتقد بعض الدارسين ان محاورة « كريتياس » كانت مجرد مسودة تخلى افلاطون عن تكملتها ، ويعتقد اخرون ان افلاطون كان ينوى اكمال القصة فى الجزء الثالث فى الثلاثية التى وعد بكتابتها ، ولكنه لم يفعل ، وكتب بدلا منها محاورته الأخيرة « القوانين » .



صعوبات تثيرها القصة

ثار الخلاف حول قصة افلاطون منذ كتبها من ٢٣٠٠ سنة ولا يزال مستمراً للآن هل هى قصة حقيقية ؟ أم نصف حقيقية ؟ أم خيال صرف ؟ ولكل راى معتنقوه الذين دافعوا عنه عبر القرون بل ان قصة افلاطون ما تكاد تذكر فى اى عصر الى عصرنا الحاضر حتى ينقسم سامعوها فوراً بين مؤيد ومعارض .

ومن المؤكد ان قصة افلاطون عن القارة المفقودة اطلانطس تثير عديداً من الصعوبات يراها المعارضون كفيلة بدمغ القصة بالخرافة والخيال ، اما المؤيدون فيقولون ان هذه الصعوبات يمكن فهمها فى حجمها ولا تؤثر فى جوهر القصة وانها غالبا ما ترجع الى المبالغة او الاخطاء التى زحفت على القصة عبر قرون طويلة من تداولها قبل أن تصل الى مسامع افلاطون .

اكبر هذه الصعوبات بالفعل هو التاريخ الذى يعطيه افلاطون لدمار اطلانطس ، فهو يقول ان الكهنة المصريين ابلغوا صولون بان هذا الدمار حدث قبل زيارته لمصر بـ ٩ آلاف سنة ـ اى حوالى عام ٩٦٠٠ ق . م ـ وهو تاريخ اقدم من اى حضارة معروفة ، خاصة ان افلاطون يذكر ايضا انه فى ذلك الوقت كانت اثينا ايضا مركزاً لحضارة عظيمة وانها اوقعت الهزيمة باطلانطس ، فى حين يؤكد الاثريون ان علمهم الوثيق بتطور الحضـــارة الاغريقيـــة منذ بداياتهـــا الاولى ينفي وجـــود اى شعوب متقدمة فى الجزر اليونانية فى مثل هذا الوقت المبكر ، وعلى ذلك إما ان تكون قصة افلاطون محض اختراع او ان افلاطون يذكر تاريخا خاطئا .

والصعوبة الثانية تتعلق بمصدر القصة فانه اذا كانت الحرب قد وقعت اساسا بين اثينا واطلانطس ، فلماذا لم توجد سجلات اغريقية عن هذه المعركة ؟ وكيف يكون المصدر الوحيد لمعرفتهاهو مصر ؟ غير ان افلاطون يفسر ذلك بان الكهنة المصريين ابلغوه ان السجلات الاغريقية قد دمرت نتيجة سلسلة متعاقبة من الكوارث بينما نجت سجلاتهم هم ، والمشكلة اذن انه إذا كانت مثل هذه السجلات المصرية موجودة بالفعل فى زمن زيارة صولون فانها قد اختفت تماما هى ايضا كما اختفت اطلانطس ولم نعد نسمع بالقصة إلا من رواية افلاطون .

واذا افترضنا ان صولون سمع بالقصة حقا من كهنة سايس اثناء زيارته لمصر ، فهل يمكن ان تكون هذه القصة بكل تفاصيلها الدقيقة قد انتقلت شفاهة من جيل الى جيل لمدة ١٥٠ عاما الى ان سمعها افلاطون كما يريدنا ان نصدق ؟ ولكن ذلك ليس بالمستحيل ، لأن فن الرواية الشفوية احرز تقدما كبيراً فى العصور القديمة ، وليس هناك ما يمنع من أن يكون اغريق آخرون قد سمعوا بقصة اطلانطس ولكن افلاطون هو اول من سجلها كتابة فى محاورته .

كما يذكر افلاطون على لسان كريتياس ان صولون كتب مذكرات من مناقشاته مع الكهنة المصريين وانه سلم هذه المذكرات الى اقاربه اجداد كريتياس . وهذه النقطة تثير صعوبة جديدة ، فبينما يقول كريتياس فى احد المواضع انه لا يزال يمتلك هذه المذكرات فى حوزته نراه فى موضع آخر يذكر انه قضى ليلة باكملها يحاول ان يسترجع تفاصيل قصة اطلانطس كما سمعها من جده كريتياس الاكبر كى يقصها على رفاقه ، لماذا اذن لم يرجع الى هـــذه المذكرات لينعش ذاكرته ؟ بل لماذا لم يقدم هذه المذكرات نفسها الى رفاقه الثلاثة كدليل لا يمكن رفضه يؤكد صحة قصته الغريبة ؟

وهناك صعوبة اخرى تتعلق بالتاريخ الذى يعطيه افلاطون لرواية القصة ، فهو يذكر ان الاجتماع الذى تم بين سقراط وزملائه الثلاثة ونوقشت فيه قصة اطلانطس حدث فى عام ٤٢١ ق . م . وكان افلاطون حاضراً فى هذا الاجتماع ، واذا كان ذلك صحيحا فان عمر افلاطون عندئذ كان ست سنوات ، وهو عمر لا يستطيع فيه ان يدرك طبيعة المناقشة دعك من ان يستوعب تفاصيلها على هذا النحو ، وعلى ذلك إما ان تكون قصة افلاطون مؤسسة على معلومات نقلها اليه شخص آخر ، او ان يكون تاريخ الاجتماع خطا ، او ان يكون هذا الجزء من القصة على الأقل ليس صحيحاً .

ويعتقد نقاد قصة اطلانطس ان هذه القصة ببساطة مجرد اختراع من افلاطون كى يسوق خلالها افكاره عن الحضـــارة والحرب والفساد خاصة ان افلاطون تعود ان يلجا الى هذا الأسلوب فى محاوراته ، فكان يضع افكاره على السنة اناس آخرين وفى اطر حوادث مختلفة احيانا .. فليس هناك ما يمنع ان يكون افلاطون قد نحا هذا المنحى ايضا فى محاورتيه « تيماوس » و « كريتياس » . ولكن الملاحظ ان افلاطون بصدد هذه القصة بالذات يحرص على ان يؤكد انها حقيقية ، ويجعل مصدرها صولون ، وهو سياسى حقيقى كبير الاحترام وكان مشهوراً بالصدق اللائق بمشرع كبير ، فنجد كريتياس يعلن ان قصة اطلانطس ..

« رغم انها غريبة إلا انها حقيقية بالتاكيد » ويوافقه سقراط على ذلك . ثم إذا كان غرض افلاطون الوحيد ان يوصل بهذه القصة افكاره الفلسفية فلماذا يملأ قصته بكل هذه التفاصيل الدقيقة التى لا تخدم في شيء فكرته الأساسية ؟ ثم لماذا تراه يتوقف فجاة عن اكمال القصة فى الوقت الذى يتوقع فيه المستمعون ظهور المغزى ووصول الرسالة ؟

الذاكرة الجماعية

ولكن ، بالرغم من هذه الصعوبات والاخطاء والتناقضات التى تنطوى عليها رواية افلاطون عن اطلانطس إلا انه لا يزال من الممكن اعتبارها تسجيلا لاحداث حقيقية ..

فالتاريخ يمدنا بامثلة كثيرة عن اماكن او احداث علقت بالذاكرة الجماعية وكان من المعتقد انها اسطورية او خرافية ثم تكتشف بعد ذلك صحتها او وجودها الفعلي ..

من هذا القبيل ما ذكره هوميروس عن



مدينة طروادة فى ملحمتيه الشهيرتين « الالياذة » و « الاوديسة » ، وقد عاش هوميروس حوالى عام ٨٥٠ ق . م . اى قبل افلاطون بحوالى ٥٠٠ عام ، وقد ظل دارسو هوميروس طوال العصور يعتقدون ان طروادة مدينة خيالية من نسج افكار هوميروس الى ان جاء الأثرى الالمانى هنريش شليمان فى عام ١٨٧١ وكشف بالفعل عن مدينة طروادة فى منطقة هيسارليك فى شمال غرب تركيا وفى نفس المكان الذى حدده هوميروس لها تماما ، حتى قبل أن شليمان كان يبحث عن طروادة وهو « يمسك هومر فى يد والمعول فى يد اخرى » وقد كان معاصرو شليمان يسخرون من محاولته للبحث عن طروادة الخيالية فى اعتقادهم الى ان فوجئوا به ينتشلها من تحت طبقات الثرى .

وجاء بعد ذلك سير آرثر ايفانز وفعل نفس الشيء باكتشافه قصر التيه الذى كان يعيش فيه الوحش الاسطورى « المينوطورس » فى كنوسوس بكريت ، وكان من المعتقد كذلك ان حضارة كريت أو ما يسمى بالحضارة المينوية مجرد خيال واساطير ولكن سير ايفانز اثبت انها حضارة حقيقية متقدمة ازدهرت قبل زمن هوميروس بوقت طويل او منذ حوالى ٤٥٠٠ عام من وقتنا الحاضر .

ان هذين المثلين كافيان لأن نقدر صدق الذاكرة الجماعية وننظر بالتالى الى قصة افلاطون عن اطلانطس بذهن متفتح ، ولكن المشكلة هى انه بينما طروادة وكنوسوس مدفونتان تحت طبقات الثرى فان اطلانطس غارقة على عمق مئات او ربما آلاف الاقدام تحت امواج المحيط ، وحتى على فرض وجودها فلابد أن تكون عوامل التعرية قد ضربتها بدرجة لا يمكن معها التعرف عليها الآن . ومع ذلك إذا كانت رواية افلاطون مؤسسة على وقائع حقيقية فلابد ان تكون هناك آثار ما عن اطلانطس ، ويخبرنا افلاطون أن اهل اطلانطس كانوا يتصلون بالأمم المجاورة ويتبادلون معها التجارة ، فهل يمكن مثلا ان نعثر على ادلة وجودهم فى حضارات هؤلاء الجيران ؟ هـذا ما يعتقده مؤيدو القصة ، فيقولون ان مثل هذه الأدلة كثيرة بالفعل ، فان هناك من المنشآت الهندسية والتكنولوجية البالغة القدم فى العالم القديم ما يؤكد احتمال وجود حضارة بالغة الرقى على طراز اطلانطس لم نعد نعرف عنها شيئا .

● ●

هكذا يستمر الحوار بين رافضى اطلانطس ومؤيديها ، الأولون يقولون انها اسطورة لا ظل لها من الواقع اخترعها افلاطون ليبث خلالها افكاره الفلسفية ، واذا كانت قد علقت بالأذهان فيما بعد فلأنها تعبر عن حاجة البشرية الى الاعتقاد فى وجود عصر ذهبى قديم كانت فيه الحياة اكثر مثالية والرجال والنساء اكثر فضيلة وكمالا . والآخرون يؤكدون ان الصورة التى لدينا عن الحضارة والتطور البشرى غير كافية أو كاملة ، واننا نختار ان نتجاهل الالغاز التى لاتبدو متوافقة مع هذه الصورة الناقصة دون أن ندرك ان هذه الألغاز نفسها يمكن ان تكون مفتاحا لمزيد من الفهم لماضينا الغامض . ومن هذه الالغاز قارة اطلانطس التى تقوم شواهد كثيرة على وجودها ، واذا عثرنا عليها بالفعل سوف يتبدد اى شك بصددها وسوف يوضع كل شيء فى مكانه الصحيح ..

ويضيفون اننا اصبحنا الآن بالفعل قاب قوسين أو ادنى من حل هذا اللغز القديم بفضل ما نملك من وسائل البحث والكشف الحديثة وان البحث عن اطلانطس يعد اهتماما علميا له ما يبرره ، وقد نتمكن خلال هذا الجيل بالتحديد من الوصول الى كلمة اخيرة حول هذا اللغز القديم : هل اطلانطس حقيقة ام خرافة ؟

محمد العزب موسى

(المقال التالى : البحث عن اطلانطس)

حتى نصحح تاريخ الفنان الشهيد:

أعمال لم تنشر لغسّان كنفاني

بقلم: سليمان الشيخ

ضمن مقدمة سلسلة أعمال الشهيد غسان كنفانى التى بدأت مؤسسة الابحاث العربية فى بيروت نشرها منذ سنة ١٩٨١، والتى تتضمن أعماله المنشورة فى كتب من قبل أو الأعمال التى لم يتم نشرها فى كتب، نجد اشارة تفيد ان للكاتب رواية بعنوان « اللوتس الأحمر الميت » لم يتم نشرها فى كتاب من قبل. وتشير المقدمة أيضاً الى ان الرواية تمت كتابتها سنة ١٩٦١ م.

وخلال بحثى عن الأعمال التى لم يتم نشرها فى كتب للكاتب ونشرت فى الصحافة الكويتية اثناء عمله فى الكويت والذى استمر من سنة ١٩٥٦ حتى سنة ١٩٦٠، او بعد مغادرته لها وانتقاله للعمل فى لبنان، فاننى وجدت عدة قصص اشرت اليها فى مقالين سابقين فى مجلة « العربى » ووجدت رواية طويلة ايضا بعنـــوان « العبيد » نشرت مسلسلة فى مجــلة « الطليعة » الكويتية الاسبوعية اعتبارا من العــدد رقــم ٣٢ المــؤرخ بتـــاريخ ١٩٦٣/٥/٢٢ م واستمر نشرها اسبوعياً حتى العدد رقم ٤٨ المؤرخ بتاريخ ١١/٩/١٩٦٣ م.

وهذا يعنى ان نشرها توالى لسبعة عشر اسبوعاً.

وقد لفت نظرى ان الرواية التى تدور بعض فصولها فى ملهى ليلى، يتكرر فيها تناوب التركيز على عنوانى « اللوتس الأحمر الميت » و « العبيد ».

اسمان ورواية واحدة:

لنقرأ هذه الجمل والعبارات على سبيل المثال لا الحصر:

ورد فى الفصل الأول المنشور فى العدد رقم ٣٢ من المجلة ما يلى: « وحدق حواليه بحيرة، الأضواء الحمراء المزروعة فى السقف كزهر اللوتس ».



غسان كنفانى

وورد النص التالى فى نفس الفصل والعدد:

« اننا نمضى حياتنا محكومين كالعبيد، حتى ليموت المرء قبل ان يكتشف ذلك، وهذه ليست مشكلة، المشكلة هى ان يكتشف اللعبة قبل ان يموت ».

وورد فى العدد رقم ٣٣ من المجلة النص التالى:

« جر هشام قدميه وترك زهور اللوتس الحمراء مدلاة من السقف ».

وفى العدد رقم ٤٦ من المجلة ورد النص التالى:

قال هشام لصديقه عدنان:

« كلكم عبيد ».

فاجابه عدنان:

« كلنا عبيد، انا معك، ولكن الفرق بيننا هو ان كلا منا يختار السيد الوحيد الذى نستطيع ان نجعله فيما بعد عبداً لنا ولذلك نختار المستقبل، انظر اليّ جيداً، قد يكون الفرق بينى وبينك اننى ارفض العبودية ولكنك تقبلها ».

وفى العدد رقم ٤٧ ورد النص التالى:

« رفع رأسه، وحدق الى واجهة الملهى. ما الذى أوصلنى الى هنا؟ صفعت انفه رائحـــة العطــــر فاخذ يتنشقها بكل سعة صدره، لو يستطيع ان يدخل الآن.. لو يستطيع! زهر اللوتس الأحمر الميت مازال يتدلى من السقف ».

اخرج من الأمثلة السابقة والأمثلة الأخرى التى احتواها كل فصل تقريباً الى ان هناك رواية واحدة فقط وضع لها الشهيد غسان عنوانين مختلفين:

الأول « موت اللوتس الاحمر » الذى ارجح ان الكاتب وضعه عنواناً للرواية التى وجدها الناشر فى بيروت ضمن اعماله واوراقه التى تركها فى بيته او عند اصدقائه.

الثانى « العبيد » هو العنوان الذى وضعه غسان نفسه للرواية كما تم نشرها فى مجلة الطليعة فى الكويت.

من هنــا نستطيع التأكيـد على ان « اللوتس الأحمر الميت » و « العبيد

عنوانان لرواية واحدة انجزها غسان سنة ١٩٦١ ، اى فى نفس الفترة التى نشر فيها مجموعته القصصية الأولى « موت سرير رقم ١٢ » .

وبذلك تكون « اللوتس الأحمر الميت ، او « العبيد » هى الانتاج الروائى الأول المنشور فى الصحافة للكاتب ، اى انها سبقت فى كتابتها او على الأصح فى نشرها بالصحافة رواية « رجال فى الشمس » التى صدرت فى كتاب سنة ١٩٦٣ .

أسباب عدم النشر

أما لماذا لم ينشرها غسان فى كتاب خلال حياته ؟

ولماذا لم يتم نشرها فى كتـــاب بعــد استشهاده ؟

فان الجــواب على الشـــق الأول من السؤال يدخل فى مجال الاجتهاد الافتراضى ولا يستند الى حجج ملموسة او تصريحات معروفة او منشورة للكاتب .

وارجح أن الكاتب كان يصطدم فى نشره للرواية بعاملين :

الأول : ان الرواية تسجل لحياة بطل سلبى هروبى ، يحاول تدمير ذاته بالهرب من ماضيه النضالى بعد ان اكتشف انه مريض بقلبه وان حياته مهددة بالموت بين لحظة واخرى .

ومع ان الكاتب يصل بحياة بطله العبثية الى الطريق المسدود ، والى النتيجة الفاجعة فى خسارته لصحته وماله وحب أهله ورفاقه وحتى صاحباته ، مما يثبت ادانة الكاتب لنهج الحياة الذى سار فيه بطله ويؤكد الدعوة للالتزام والابتعاد عن فلسفة العبث أو الوجودية فى مفهومها الذى شاع فى فترة الخمسينات والستينات فى بعض اقطارنا العربية مثل :

« الاخرون هم الجحيم » و « عش ليومك ولا تكن عبداً لقضية او مستقبل او ناس الخ » وانقل نصاً ورد فى العدد رقم ٤٠ من المجلة على لسان هشام اهم شخصية فى الرواية :

« الآخرون ، المستقبل ، المثل العليا . خطابات جوفاء مضحكة ، الحاضر هو الشيء الحقيقى الاوحد .

المستقبل ليس لي حتى يصبح حاضرى ، والآخرون ليسوا انا . اعرف الآن بعد هذه التجربة الجديدة شيئاً واحداً فقط ، ان المستقبل لا يساوي ابداً ان نفقد الحاضر من اجله ، والآخرون لا يساوون ابداً فقدان الذات ، انا والحاضر اهم بكثير من اى شيء آخر وانا لست مستعداً لاموت قبل ان اعيش » .

لكن بالرغم من كل ذلك وبالرغم من وجود النقيض الايجابى المتمثل فى شخصية عدنان الملتزم الواعى .. الذى كان يلمع فى حياة هشام كالأمل .. ويطرح نقيضه الايجابى ليواجه مسيرة الدمار التى سار فيها هشام .. اذ قال فى العدد رقم ٤٦ على سبيل المثال :

« الست تريد ان تعود الينا يا هشام بعد كل الذى حدث ؟ الم تشعر بعد بسخف حياتك وفلسفتك وآرائك » .

اقول بالرغم من ذلك فان الرواية لم تملك بهاء الفن الروائى وتطوره الذى اخذ يخطه غسان كما فى رواية « رجال فى الشمس » او « ما تبقى لكم » . وكلما كان الزمن يمضي فان غسان كان ينبذ فكرة نشر الرواية ، لانها لا تتفق مع التطور الفنى الذى وصل اليـه .

الثانى : ان « شبهة » ربط بطل الرواية وتفصيلات حياته من حيث كونه ناضل وسجن وعانى الغربة والحرمان اثناء عمله بالتدريس فى دبى واكتشافه مرض قلبه وعودته محملا بالأسى والصراع مع الزمن والمرض الخ ..

هذه التفصيلات كان يمكن الاستدلال من خلالها على بعض الجوانب من حياة غسان كنفانى نفسه ، من حيث مرض السكر الذى كان يعانى منه وهاجس الموت المبكر الذى انزرع فى واقعه ، ودخوله المبكر معترك النضال واعتقاله وسجنه ثم مجيئه للتدريس فى الكويت ثم عودته الى بيروت .

كل هذه التفصيلات كان يمكن ان يوجد من يربطها ببعضها البعض ثم يخرج بنتيجة تفيد بان الرواية تسجل بعض الجوانب من حياة غسان نفسه . وبما ان البطل كان سلبياً ودخل فى نفق العبث وتحطيم الذات ، لذلك فان غسان المناضل ابى على نفسه نشر الرواية فى كتاب — خوفاً من شبهة الجمع بينه وبين البطل فى تلك المرحلة ، وخوفاً من ان يسجل عليه احد وهو المناضل الملتزم بان حياة بطله العبثية ربما كانت هى نفس حياته هو .

وهذا اجتهاد افتراضى كما نوهت سابقاً .

لذلك فانه لم ينشر الرواية فى كتاب طيلة ايام حياته الثرة والثرية ابداعاً ونضالاً .

اما بالنسبة للشق الثانى من السؤال ، فان دار النشر المنوه عنها فى بداية هذا المقال بشرت وتبشر بانها بصدد نشر الرواية فى وقت قريب .

واذا ما اردت تدعيم ما ذهبت اليه فى عدم نشر الرواية بامثلة مشابهة ، فان رواية « من قتل ليلى الحايك » او « الشيء الاخر » البوليسية التى نشرت مسلسلة فى مجلة « الحوادث » اللبنانية سنة ١٩٦٦ لم ينشرها غسان فى كتاب اثناء حياته نتيجة — كما ارجح — الى العاملين السابقين اللذين نوهت عنهما آنفا .

الرواية فى سطور

أما ملخص الرواية فاننى انقله كما سجله غسان نفسه اعتباراً من العدد رقم ٤٥ من المجلة وكرره فى الأعداد اللاحقة الثلاثة . وقد جاء فى التلخيص ما يلى :

« هشام شاب ضائع .. يبحث عن نفسه من خلال الشراب والليل .. و « ايفـا » . ويعتبر مدة التدريس التى عاشها فى دبى يراسل « ليلى » بحكايات حب جميلة .. قد انتهت بعودته من دبى .. ليعيش كمـــا يريد دون أن يلتقى باخوته العائشين فى نفس المدينة .

وعدنان .. شاب نضالى صديق هشام .. يحاول ان يوضح الحقيقة امام هشام ويبين حقيقة الضياع الذى يعيشه .

ويصر هشام على الزواج من ايفا التى تصده بقوة فهى لا تملك مقومات الحب فيوم وطات اقدام الحلفاء أرض وطنها ، وطاتها اجسام جنود الحلفاء ايضا كما افرغ جندى عدداً من الرصاصات فى ظهر شقيقها الصغير امامها .

ثم يطلب هشام من ايفا ان تزوره فى غرفته بالفندق ، ولكن مريم — التى تعمل فى نفس الملهى — تزوره بدلا منها ، وتصرح له بان ايفا لا تحبه لانها تحب زوجها هي ، وانها — مريم — كانت تظن ان بامكانه ان يساعدها ، ولكن ظنها فيه قد خاب .

ثم بدأ هشام يعود الى نفسه ، بعد ان رأى رجلا عجوزاً معلقاً فى غرفته منتحراً بعد ان صرف عمره على اولاده الذين تنكروا له فى شيخوخته .

كما انه زار ليلى ولكنه وجد ان ما بينهما قد انتهى .

وبدأ يفكر بالعودة الى العمل فى التدريس . ثم عاد الى الفندق فاخبره زميله فى الغرفة : « لقد مات الخضرى » .. وناوله ورقة مطوية بها عنوان تاجر يفتش عن كاتب ليعمل عنده . وذهب هشام الى دكان التاجر واتفق معه على ان يبدأ بالعمل عنده بعد ثلاثة ايام . الا انه التقى بصديقه عدنان فى الطريق فطلب منه ان يعود اليهم ويتخلى عن فلسفته وسخف حياته » .

بقي ان اذكر ان الفنان ناجى العلى رسم لكل حلقة من الحلقات الرسوم المعبرة التى تتناسب مع الأفكار الواردة فيها .

الانفجار الحضاري في الخليج
كيف نفهمه.. وكيف نواجهه؟

بقلم : الدكتور حسن الخياط

إن ما طرا على منطقة الخليج العربية فى الثلاثين سنة الاخيرة قد اطاح بكثير من معالمها الحياتية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية ، واحالها شخصية جغرافية متميزة معاصرة . فقد برهن العربى الخليجى ، انه بقدر تمسكه بتقاليد وعادات مجتمعه واصول عقيدته ومعطيات تراثه وتاريخه ، له استعداداته واندفاعاته فى الخروج عليها والانطلاق فى زحمة وحركة التحديث والعصرية ومتطلباتهما الحياتية. فقد تحول الخليجى من ذلك الفرد القروي او البدوى التقليدى الذى كان فى صراع دائم مع بيئته الطبيعية القاسية فى الصحراء والبحر الى عضو فى مجتمع جديد ، مجتمع الخير والرفاه ، مجتمع البترول . فقد اصبح هذا المورد « البترول » هو المصدر لسيولته النقدية وهو الذى مكنه من ان يطل من خلاله على العالم الخارجى بانماطه السلوكية المغايرة وتقنياته المتطورة ومدنه العملاقة ، فبهرته انوار ومؤشرات ووسائل الحياة الحديثة فى ذلك العالم ، فغرف من ايجابياتها وسلبياتها ، ودخل فى صراع من نوع جديد مع ذاته وجذوره ، وزهد بقريته ، وعشق الحياة الحضرية وحواضرها العملاقة ، فاصبح مواطنها ، وفى ذات الوقت ، اسيرها ، وكذلك وسيلتها فى النمو والتضخم .

والحديث عن الانسان الخليجى وطموحه فى بناء صروح الحواضر الشامخة على جبهة الخليج العربى هى المدخل ، ومن ثم المنطلق ، نحو توصيف وتقويم واقع الحضرية والتحضر فى هذه المنطقة . ولكن وقبل الخوض فى التفاصيل ، يجدر التنويه بان « الحضرية والتحضر » هما من المصطلحات التى لم يتفق حول تعريفهما وتفسيرهما راى ، بل ولازال الكثيرون من الباحثين يخلطون بينهما ، مع ان لهذا الخلط ما يبرره احيانا . فالظاهرتان مترابطتان ، وان وجود احداهما «التحضر» شرط اساسى فى وجود الاخرى « الحضرية » . فللحضرية والتحضر مفاهيم تختلف من مجتمع الى مجتمع ، ومن اقليم حضارى الى آخر ، كما ان هذه المفاهيم ليست لها حدود واضحة او تعاريف متفق عليها ، حتى بين افراد الجماعة الحضارية الواحدة . وسوف لن نكون اكثر دقة وموضوعية فى اصدار الاحكام عن تحضر وحضرية المنطقة الخليجية ، مادام الموضوع برمته وعلى كافة المستويات ، الاقليمية والعالمية ، لا يزال مثار جدل بين اكثر الباحثين تخصصا وخبرة .

فالحضرية Urbanism هى للبعض عملية تغير نوعى فى نظرة الناس للحياة وانماط سلوكهم وفى مجموعة التنظيمات التى اوجدوها ومارسوها ، بينما هى حضارة المدن وطريقة حياة سكانها للبعض الآخر . إنها أسلوب متميز للحياة له قيمه الاجتماعية وركائزه الحياتية ، مع ان هذه القيم وتلك الركائز ليست هى ذاتها فى كل مكان . فلكل حضارة او ثقافة قيمتها واصالتها وركائز حياتها وجذورها التاريخية ، ومن ثم فلها انماط حضريتها وتحضرها .

وكما للحضرية تعريفات وتفسيرات ، فإن لظاهرة التحضر Urbanization هى الاخرى تعريفات وتفسيرات . فقد شخص لمبارد Lompard وهو من اكثر المتخصصين عناية وبحثا فى ظواهر التحضر والحضرية تفسيرات عديدة منها التفسير السلوكى والتفسير الاقتصادى ثم التفسير الديموجرافى . غير أن هناك أخرين من الباحثين ، وهم من الثقاة ايضا ، يرون فى ظاهرة التحضر عملية للتركز السكانى فى المدن ، او بكلمة اخرى هى عملية التغير الكمى فى الحجم السكانى فى الدولة أو الاقليم نحو نمط واسلوب الحياة الحضرية إن هذه التفسيرات توضح دون شك مدى ما يوجد من العلاقات بين الظاهرتين ، ظاهرة التحضر وظاهرة الحضرية . فكلما ازداد تركز السكان فى المدن او « التحضر » كان الميل اكبر نحو حضرية اعلى ، ولو ان قياس الحضرية هذه من المشاكل المعقدة ، ذلك انها ترتبط بالسلوك ، وان السلوك هذا من الأمور النسبية التى تختلف حولها التفسيرات .

هل هناك تلازم تاريخى ومكانى للتحضر والحضرية ؟

ليس فى المنطقة الخليجية ما يتوفر من الدلائل والمؤشرات المكانية والحياتية والشواهد التاريخية ما يكفى لوجود تلازم تاريخى ومكانى بين عمليتى التحضر والحضرية . فالظاهرتان ، وان تطورتا حقا ، الا ان ذلك لم يتم بنسب وبتواتر وبسرعة

متماثلة اطلاقاً . فقد كان بين الاثنين فارق زمني واضح هو في حقيقته انعكاس لما تمت به سرعة وتطور الماديات ومتعلقاتها السكانية والاقتصادية والعمرانية ، وتطور غير الماديات بابعادها الحياتية والاجتماعية والسلوكية . فالماديات في الواقع تتطور بخطوات اسرع من تلك التي تتطور بها القيم الاجتماعية والثقافية واساليب الحياة . وهنا في الخليج عدد من الشواهد لما نقول : فارقام السكان للمدن الخليجية ، وبخاصة الكبرى منها ، تدلل على أن المنطقة قد مرت في سنيها الاخيرة ولا زالت بمرحلة من التحضر السريع لم يسبق لها مثيل ، قوميا وعالميا . فقد اضحى سكان المدن يشكلون اكثر من ٩٠ بالمائة من اجمالي سكان كل من دول الكويت وقطر والبحرين ، و ٨٥ بالمائة من سكان دولة الامارات العربية المتحدة ، واكثر من ٧٠ بالمائةمن سكان الجمهورية العراقية و ٥٠ بالمائة من سكان كل من المملكة العربية السعودية وسلطنة عمان . وتشير التوقعات الى أن معدلات التحضر هذه ستصل في نهاية القرن الى مستويات فلكية (جدول - ١ -) . فالتحضر هو حاليا في ذروة مرحلته الانتقالية ، وان معدلات نموه تتسق مع انتاج البترول وإيراداته وتداعياته الاقتصادية . فالبترول هو ضابط الايقاع في عملية التحضر الخليجي المعاصر .

والحديث عن التحضر يقود الى التساؤل عما إذا كانت قد حدثت طفرة في اسلوب الحياة الحضرية في المنطقة الخليجية مماثلة وموازية لتلك التي مرت بها عملية التحضر . إن كافة الدلائل والمتغيرات تشير الى ان ما حدث في عملية التحضر لم يتكرر في عملية الحضرية . ففي الوقت الذي قفزت فيه اعداد سكان المدن الى ارقام فلكية وتضخمت نسب التحضر خلال فترات مناسبة ، لم يطرا سوى تحول تدريجي بطيء في القيم الاجتماعية والانماط السلوكية الحضرية . فالحضرية كاسلوب متميز للحياة لم تتبع تحضر المنطقة الخليجية تلقائيا ، وبذات الزخم والتردد ، وإنما هناك فاصل زمني بينهما يختلف مداه من دولة خليجية الى اخرى .

فقد تقدم التحضر الكمي ، ممثلا بالحجم السكاني والعمران ، اشواطا على الحضرية النوعية ذات الصلة باسلوب الحياة ومعايشة القيم الحضرية .

مصادر التحضر الخليجي :

نعلم يقينا ان تاريخ الاستقرار البشري في الخليج العربي يضرب بجذوره في اعماق التاريخ . ونعلم في ذات الوقت ان مستوطناته الحضرية لم تكن هي العنصر الأساسي في تشكيل شخصيته الجغرافية ، رغم ما لعبته من دور في تاريخه ، فبصمات التاريخ الطويل لمنطقة الخليج العربي لم تترك آثارها واضحة على طبيعة الاستقرار فيه . فليس في دول الخليج العربية استمرار تاريخي لمستوطنات حضرية في الفترة التي سبقت تاريخها المعاصر . فالتحضر لم يمثل في الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن باعداد محدودة من السكان يتوزعون في مستوطنات صغيرة قابعة داخل اسوار وقلاع دفاعية ، ويخضعون داخلها لحياة قبلية يمارسون فيها قيما اجتماعية تقليدية .

ثم تدفق البترول وبعده الاستقلال الوطني فاحدثا تحولات جذرية واسعة ، اقتصادية واجتماعية وعمرانية . وبدات خطط طموحة للاعمار والبناء ، وتغيرت انماط الاستهلاك ، وزادت السيولة النقدية فانتعش التحضر ، وزادت معدلات نموه ، وبرزت انماط جديدة له . فاتجهت نحو المدن الخليجية هجرات من داخل اقطارها ، من البادية والريف والمستوطنات الحضرية الصغيرة ، وهجرات دولية عربية واجنبية فتزايد السكان بوتائر متسارعةوبمعدلات لا تضاهى على المستويات العربية والعالمية ، واخذت المدن تتسع وتنمو بسكانها لتصبح حواضر كبرى ، بينما اختفت قرى وتضاءلت مدن صغيرة ، وبدات ملامح « الدول - المدن » أو « المدن - الدول » .

إنها عملية تحضر ذات تمويل ضخم ، وتتفق في مراحلها ، كما وكيفا ، مع القدرة على هذا التمويل . إنها ارتبطت مباشرة او بصورة غير مباشرة بمشاريع التنمية الشاملة ، واصبحت من وسائل هذه التنمية كما اصبحت التنمية من اسبابها . فمعظم مشاريع التنمية هي ذاتها معظم ظواهر التحضر ، وإن ظل لكل منهما تداعياته وسماته ومشاكله الخاصة .

ومع هذه الفورة الحضرية القياسية في الحجم والمكان والزمان برزت من المؤشرات والخصائص التي بمجموعها تشكل واقع التحضر الخليجي ونموه ومصادر سكانه واحجام حواضره الكبرى . وفي الجداول (١ ، ٢ ، ٣) شواهد كمية لمثل هذه الخصائص وتلك المؤشرات لأربع من دول الخليج العربية . ومن اهم هذه الخصائص :

١ - لقد تضاعف السكان الحضر في الدول الأربع بين ١٩٥٠ و ١٩٨٠ بحوالي ١٥ ضعفاً ، وذلك من ١٩٠ الف نسمة عام ١٩٥٠ الى نمو ٢٫٧٥ مليون نسمة عام ١٩٨٠ ، بمعدل نمو سنوي يزيد على ١٧ بالمائة قبل ١٩٦٥ و ١٦ بالمائة بين ١٩٦٥ و ١٩٧٥ وحوالى ١٠ بالمائة بعد ١٩٧٥ (جدول - ٢ -) .

إن نمواً بهذه السرعة قد جعل من المنطقة الخليجية واحدة من مناطق العالم المتفجرة حضريا ، إن لم تكن اكثرها تفجراً خاصة وان العالم قد نما بتحضره بمعدل سنوي هو في حدود ٤ - ٤٫٥ بالمائة ، ونما الوطن العربي بمعدل لا يتجاوز ٤٫٥ - ٥٫٥ بالمائة سنويا .

٢ - منذ منتصف القرن بدا التوازن السكاني يختل لصالح المدن على حساب الريف والبادية . فقد كان سكان المدن لا يمثلون في الدول الاربع عام ١٩٥٠ سوى اقل من نصف اجمالي سكانها . وزادت هذه النسبة لتصبح ٦٠ بالمائة في عام ١٩٦٥ و ٩٠ بالمائة عام ١٩٨٠ ، وستصبح ٩٥ بالمائة فاكثر في نهاية القرن (جدول - ١ -) . إن هذا النمو الحضري الانفجاري هو حصيلة هجرة داخلية واخرى خارجية . فخلال فترة قياسية اصبحت المدن الخليجية الكبرى تضم معظم السكان المواطنين واعداداً كبيرة من الوافدين . ففي خلال سنوات تدفق الوافدون وباعداد متزايدة ومن مختلف القوميات والديانات واللغات والمستويات الاقتصادية والاجتماعية نحو الحواضر الخليجية الرئيسية ، فتغير الشارع بسكانه واصبح غريبا عن حضارته وقوميته ، وطغت فيه السن عديدة وسحنات بشرية من جميع الأجناس . فالوافدون يشكلون ما يقرب من ٨٥ بالمائة من سكان مدينتي ابو ظبي ودبي وحوالي ٣/٢ من سكان مدينتي الكويت والدوحة واكثر من ٧٠ بالمائة - من سكان الدمام - الخبر واكثر من نصف سكان المنامة - المحرق ومسقط - مطرح (جدول - ٣ -) . ومما يزيد الصورة تشكيلا وتلوينا ان معظم الوافدين هم من الآسيويين .

إنه شارع غريب حقا في مدن غريبة في منطقة عربية اسلامية ذات تراث اصيل

الانفجار الحضاري في الخليج

كيف نفهمه.. وكيف نواجهه؟

وتاريخ عريق ولغة مجيدة .

٣ ـ ومما يلاحظ فى (الجدول ـ ١ ـ) ان معدلات نسب النمو الحضرى كانت للفترة ١٩٦٥ ـ ١٩٨٠ اكثر سرعة مما كانت عليه للفترة ١٩٥٠ ـ ١٩٦٥ ، مع ان انماط النمو ليست متجانسة فى كل دول المنطقة . فسرعة تواتر نسب التحضر فى فترة ما بعد ١٩٦٥ كانت استجابة لما حدث فى المنطقة من تطور سريع فى انجاز الهياكل الارتكازية او البنى الأساسية للتنمية الشاملة ، والى ما احرز من تقدم فى مرحلة التاسيس الادارى والتشريعى ، وإلى ما اخذت به الدول من اسباب العمران والتوسع التجاري والصناعى وتامين المرافق والخدمات الأساسية . ومن الطبيعى ان جميع هذا التطور والنمو ما كان ليحدث لولا تزايد انتاج وايرادات البترول وتسارع نسب نموها ، وبخاصة فى السبعينات من هذا القرن .

جذور الحضرية الخليجية

إذا كانت الحضرية هى عملية تغير نوعي فى نظرة الناس للحياة وانماط سلوكهم ، أو هى اسلوب متميز للحياة ، فما جذور هذا التغير النوعي وهذا الأسلوب المتميز فى حياة حواضر الخليج العربية ؟ . إن لهذه الجذور مصادر عديدة . فمنها ما انحدر من قيم الحضارة الأصيلة للمنطقة وتراثها وتاريخها وثقافتها الانسانية ، ومنها طارىء تمتد جذوره فى قيم اجتماعية وثقافية دخيلة ذات مصادر وتاثيرات خارجية ، ومنها ما اختلط بقيم التريف والبداوة الآتية اليها من الريف والبادية . وإن اكثر هذه التاثيرات وضوحاً هى تلك الانماط الحياتية والقيم الاجتماعية والنزعات الاقتصادية التى وفدت الى المنطقة من الشرق والغرب ومن جميع القارات عن طريق الاحتكاك الحضارى وعبر شبكات التوصيل الاعلامية والترفيهية وباسم المصالح المشتركة ، أو تلك التى نقلتها الافواج الوافدة من عرب واجانب تاركة بصماتها على مسرح الحياة الخليجية . إن هذه الجذور قد احدثت فى المجتمع الحضري الخليجي التقليدي تغيرات عنيفة فى الشكل والمضمون والسلوك . فتعدد المصادر قد خلقت فى المواطن حالة من القلق والصراع بين ما هو ناشىء عليه من تقاليد وعادات واسلوب حياة ، وما غنّى به من تراث وتاريخ وامجاد ومكرمات ، وبين وسائل واساليب الحياة الحضرية الحديثة التى نقلت اليه فبهرته باضوائها وبمنطلقاتها التحررية واجتذبته وسائلها المادية والتقنية . انه صراع غير عادل بين قيم التقليد والمحافظة التى شب عليها من جهة وقيم المعاصرة والتحديث من جهة اخرى . فبعضها يذكر بالماضى واصالته ، وآخر يهمس بالحاضر بما فيه من ايجابيات وسلبيات .

انماط الحضرية الخليجية

وللحضرية الخليطة انعكاساتها على الحواضر الخليجية . فقد اصبحت دواخل هذه الحواضر بعيدة عن الانسجام والتناغم ، وهو امر طبيعى فى بيئات حضرية ذات شرائح سكانية من جذور متنوعة . ففى هذه الحواضر انماط حضرية عديدة نقتصر منها على ١ ـ النمط الحضري ـ الريفي والبدوي ، ٢ ـ النمط الحضري التقليدي ، ٣ ـ النمط الحضري الحديث .

فالنمط الحضرى ـ الريفي والبدوي هو من مخلفات النزوح السكاني الداخلي من الريف والبادية ، أو من الانتقال من أرياف دول خارجية الى مدن دول الخليج العربية تحت جاذبية الأجور وطرد البيئات القاسية والأوضاع الاقتصادية الصعبة . وبهذا دخلت هذه الأفواج النازحة فى الكم الحضري ، ولكنها فى حقيقة امرها ليست جزءاً من الحضرية . فافرادها يعيشون جسدياً فى المدينة ، ولكنهم روحيا يعيشون فى الريف والبادية . إنهم الاضافة الكمية التى لم تتخذ من محتوى الحضرية الحديثة ، عدا بعض جوانبها الشكلية والمادية ، نمطا حياتيا لها ، ولم تقدم شيئاً لتحديث المجتمع وتطوير نمطه الحياتى الحضري . إنهم الريفيون والبدو الحضر فى مجتمع المدينة الخليجية ، هذا وإن نسبة كبيرة منهم تتجمع بشكل مجموعات قبلية واقليمية ومذهبية تخضع لتقاليد واعراف وانماط سلوك وطرز حياة معينة تستمد جذورها من انتماءاتها الأصلية . ومع ان هؤلاء قد تاثروا تدريجيا ببعض الجوانب المادية والقيم الجديدة نتيجة للاحتكاك بغيرهم من الحضريين ، الا ان مردودات التغير ، وإن بدت ايجابية احياناً فانها لم توفق فى إخفاء ما يجرى تحت السطح من تناقضات ، خاصة وان مثل هذا التغير كان سريعا جداً وخلال جيل واحد. هذا وان وجود هؤلاء فى المجتمع الحضري لا يقتصر على كونهم عناصر استقبال لموجات التغير الحضري عليهم ، بل كانوا ايضا عناصر نقل لأسلوب حياتهم ومشاكلهم الى الحواضر الكبيرة . فقد شاعت فى هذه الحواضر انماط من السلوك الريفى والبدوي ، المحلى أو العالمى ، ليس لها تفسير سوى انها مخلفات فترة ماضية لم يتقدم بها العمر لتتحول الى سلوك حضري بالمفهوم المعاصر .

وينتمي الى النمط الحضري الثاني ، وهو النمط التقليدي ، جميع السكان الأصليين للمدن الخليجية واولئك الوافدين اليها من اصول حضرية خارجية . وينحدر هؤلاء من قوميات ومذاهب وبلدان مختلفة تجمعهم جميعا خاصية واحدة هى انهم نشاوا وترعرعوا فى احضان المدن ، وبخاصة المدن التى لم يتهيا لها ان تاخذ بنمط الحياة الحضرية المعاصرة . فقد بقوا حضريين تقليديين فى اسلوب حياتهم وانماط سلوكهم . ويقوم هؤلاء فى العادة بنشاطات اقتصادية وخدمية ووظيفية مشكلين بذلك العمود الفقري لحياة المدينة الوظيفية ، ولكنهم ليسوا اصحاب دور مباشر فى عملية التحديث الحضري .

اما الحضريون المحدثون فى حواضر الخليج فيشكلون نمطا حياتيا حضرياً متميزاً . فهم من بين اولئك الذين يعملون لقاء دخول مناسبة فى القطاع الوظيفي والاقتصادى الحديث . كما انهم متعلمون ويعيشون اسلوب حياة لا يختلفون فيه عن اسلوب حياة اقرانهم فى اية منطقة متقدمة من العالم . ويرى الدكتور سعد الدين ابراهيم بانهم يتميزون بالعالمية والعقلانية والنظام والقابلية لتلقي الجديد والنظرة العلمية . الا ان كونهم (محدثين) لا يعني انعدام الضغط عليهم لكي يصبحوا (انغلاقيين) فى مسائل القرابة والسلالة والاقليمية الضيقة . فبينهم تنتشر صراعات القيم والأساليب المختلفة لعمليات التكيف بين هذه الجماعة . إن هؤلاء لا يمثلون من سكان الحواضر الخليجية سوى نسبة محدودة من سكانها ، وإن معظم هذه النسبة هى من جذور وافدة عربية واجنبية .

هذا هو الخليج ، وهذه انماط تحضره وحضريته . هو ملتقى التشكيلات السكانية العالمية من الشرق والغرب ومن مواطنها العربية ، ومن ثم فهو ملتقى القيم الاجتماعية والعديد من الانماط السلوكية والحياتية . فنما تحضره بخطوات لم تسبقها شواهد ، وظهرت حضريته متناقضة بين الاصالة النابعة من مجتمعه التقليدي وعراقة تراثه وتاريخه ، وبين الدخيل من حضارات امم اخرى . فحدث الاحتكاك والصراع بين مختلف القيم والممارسات والسلوك الاجتماعي والاقتصادى . فدخل الخليج فى مرحلة جديدة هى مـــرحلة انتقالية ، وانها فى غاية الاهمية ، وفى ذات الوقت معقدة ومتشابكة وغير محدودة المعالم . والمرجح ان هذه المرحلة ستستمر طالما ظل البترول وتداعياته الاقتصادية يحرك عملية التحضر ، وان اجتيازها سيكون صعبا قبل ان تتغير اساسيات الهيكل الاقتصادي نحو تحقيق درجة اكبر من تنويع مصادر الدخل فى دول الخليج العربية .

حسن الخياط ـ جامعة قطر

جدول ـ ١ ـ

نسب السكان الحضر فى الكويت، وقطر والبحرين والامارات العربيــة المتحدة للفترة ١٩٥٠ ـ ٢٠٠٠

الدولة	١٩٥٠		١٩٦٥		١٩٧٥		١٩٨٠		٢٠٠٠	
	حجم السكان (مليون)	٪ الحضر	حجم السكان (مليون)	٪ الحضر	حجم السكان (مليون)	٪ الحضر	حجم السكان (مليون)	٪ الحضر	حجم السكان (مليون)	٪ الحضر
الكويت	٠ر٢	٥١	٠ر٥٢	٦٢	٠ر٩٣	٩٠	١ر٣٦	٩٥	٣ر٧	٩٨
قطر	٠ر٠٢	٥٠	٠ر٠٧	٦٧	٠ر١٣	٧٧	٠ر٢٦	٩٠	٠ر٥	٩٥
البحرين	٠ر١	٧١	٠ر١٦	٧٤	٠ر٢٢	٧٩	٠ر٣٦	٩٠	٠ر٦	٩٥
الامارات العربية	٠ر٠٨٥	٢٥	٠ر١٧	٥١	٠ر٢٢	٦٤	١ر٠٤	٨٥	٣ر٠	٩٥

جدول ـ ٢ ـ

نسب التحضر والنمو الحضري لدول الكويت وقطر والبحرين والامــارات العربية المتحدة ١٩٥٠ ـ ١٩٨٠

السنة	اجمالي السكان (بالالف)	معدل النمو السـكاني	اجمالى السكان الحضر (بالاف)	٪ الحضر من اجمالي السكان	٪ النمو الحضري
١٩٥٠	٣٩٥	—	١٩٠	٤٥	—
١٩٦٥	٨٦٠	١١ر٨	٦٩٣	٨٠	١٧ر٥
١٩٧٥	٢ر٠٩٠	١٤ر٣	١ر٨٤٨	٨٨	١٦ر٣
١٩٨٠	٣ر٠١٨	٨ر٩	٢ر٧٥٠	٩١	٩ر٨

جدول ـ ٣ ـ

بعض المدن الخليجية الكبرى ونسب سكانها وجنسياتهم ١٩٨٠

المدينة	الدولة / المنطقة / المحافظة	الســـكان			جنســـيات السكان		
		سكان الدولة او المنطقة (بالالف)	سكان المدينة (بالالف)	٪ سكان المدينة	مواطنون (بالالف)	وافدون (بالالف)	٪ الوافدين
الكويت الكبرى	دولة الكويت	١ر٣٥٦	١ر٢٠٠	٨٨ر٥	٤٠٠	٨٠٠	٦٧
الدوحة الكبرى	دولة قطر	٢٦٠	٢١٠	٨١	٦٣	١٤٧	٧٠
المنامة ـ المحرق	دولة البحرين	٣٦٠	٢٧٥	٧٤	١١٠	١٦٥	٦٠
ابو ظبى الكبرى	امارة ابو ظبي	٤٥٠	٣٣٠	٧٣	٦٦	٢٦٤	٨٥
دبي الكبرى	امارة دبي	٢٧٨	٢٦٠	٩٥	٤٠	٢٢٠	٨٥
مسقط ـ مطرح	سلطنة عمان	١ر٠٠٠	٣٠٠	٣٠	١٣٥	١٦٥	٥٥
الدمام ـ الخبر	المنطقة الشرقية السعودية	١ر١٠٠	٢٥٠	٢٤	٦٥	١٨٥	٧٤
البصرة الكبرى	محافظة البصرة	١ر٠٠٠	٦٠٠	٦٠	٥٠٠	١٠٠	١٧

محنة اللغة العربية

انتهى الاحتلال العسكري فمتى ينتهي الاحتلال اللغوي؟

بقلم: فتحي رضوان

احتفل مجمع اللغة العربية فى القاهرة بعيده الخمسين ، وذهب رئيسه واعضاؤه الى قصر رياسة الجمهورية ليقابلوا رئيس الجمهورية ، ونشر نبا هذه الزيارة فى الصحف كلها ، ولكن اذا سالت المثقفين العرب ابتداء من طلاب المدارس الابتدائية ، وانتهاء ممن أتموا تعليمهم فى كليات الجامعات ، عن المجمع ورئيسه واعضائه ، واختصاصاته ، ووظائفه ، ولماذا انشيء ، وماذا فعل ، لما استطاع ان يجيبك اكثر هؤلاء بشي ذى قيمة عن هذا السؤال .

وليس فى هذا ما يعيب المجلس ، او يدل على تقصيره فى اداء رسالته . فالمجامع العلمية والأدبية ، فى كل قطر ووطن ، تعيش فى الظل ، ولا يسمع عنها عامة الناس ، الا اقل القليل . ولو حرصت على الشهرة ، وذيوع الصيت ، واكثرت الاعلان عن اعمالها ، لما تغير الحال الا قليلا ، فنشاط هذه المجامع لا يشغل الناس ، ولا يثير اهتمامهم .

ولكن اذا نحيت جانبا شهرة المجمع ، واهتمام الناس به ، وتتبعهم لابنائه ، وتعقبهم لاعضائه ، بقى ان نعرف ماذا فعل هذا المجمع خلال خمسين عاما متصلة هل برئت اللغة العربية - بفضل هذا المجمع - من بعض عيوبها ، هل استحالت الى لغة يتكلمها عامة الناس ، وقد عرفوا صحيحها من سقيمها ، ووقفوا على بعض قواعدها ، فاستقامت السنتهم ، واقبلوا على كتب اللغة يقراونها . أم ان سعى المجمع كان فى نطاق ضيق ، يضع القواعد لأسانيد اللغة ، وييسر فهمها للتلاميذ ، ويقربها منهم ، ويجذبهم اليها ، ويجد فى ذلك عناء جما ، وعنتا شديداً ، لأمور عديدة اقامت الفواصل والحواجز بين العربية والناطقين بها .

والجواب اذا اردنا الحق ، ان البعد بين العربية وابناء العربية لا يزال كبيراً ، بل اننا اذا اردنا الصدق ، فاللغة العربية باتت لغة اجنبية تتعلمها الاجيال الجديدة كما تتعلم الانجليزية او الفرنسية ، فتقرا بعد حين كتبا بهذه اللغات الأجنبية ، وقصصا وبحوثا ، فتعجب بها وتتذوقها ، وتنفر من اكثر ما يكتب بالعربية ، ولا سيما اذا كان هذا المكتوب قد كتب فى زمن قديم نوعا ، انقضى عليه قرن او قرنان .. اما اذا كان اقدم من ذلك عهداً فقراءة النصوص عسيرة غاية العسر وشاقة غاية المشقة .

غربة العربية

فما الذى اوصل العربية وابناء العربية الى هذا الحد ؟ وما الذى اصَّلَ غربة العربية بين الناطقين بها ، واصَّلَ غربة الناطقين بالعربية ، وهم يقراونهـــا ويسمعونها فى قصيدة او خطبة او محاضرة ؟

اننا اذا اردنا ان نحصى الاسباب التى حاصرت اللغة العربية فى نطاق ضيق من حياة العرب ، وجعلت التكلم بها ، فضلا عن الكتابة والخطابة والحديث الادبى والعلمى شاقاً ، لكانت اجمالا :

اولا - قيام لغة عامية الى جانب اللغة العربية الفصحى ، وقد اصبحت العامية هى لغة الحياة اليومية ، يتكلم بها العامة الذين قل نصيبهم من التعليم والثقافة ، كما يتكلم بها فى شؤون واغراض تلك الحياة اعلى المثقفين كعبا فى كل ما يتصل باغراض معايشهم . فشيوخ الأزهر ، واساتذة الجامعات ، وكتاب الصحف ، والأدباء ، والعلماء ، يتكلمون باللغة العامية ، حتى اذا انهمكوا فى حديث علمى او مناقشة ادبية او دينية . وهم اذا ارادوا ان يقتربوا من العامة ، وييسروا لهم فهم ما يقولون ، ترجموا كلامهم من العربية الفصحى الى العامية .

وقد وجد للعامية شعراء وادباء ابدعوا نصوصا بالعامية ، تعتبر من عيون الأدب ، على الرغم من عاميتها - ففيها الكثير من الحكم ، ونظرات فى الحياة عميقة ، ولمحات رائعة تكاد تصل الى مستوى اللغة العربية فى اعلى مراتبها الفصحى .

وتزداد العامية على مر الأيام ثراء وغنى ومرونة وليونة ، حتى لتصبح - على لسان اهل الفن والذوق ، اجمل بكثير من نصوص اللغة العربية السليمة فى تراكيب الصرف والنحو .

اما السبب الثانى فهو وجود طبقات نفوذ وسلطة يهمهم تغليب العامية على العربية ، واغراء الناس بالكلام بالعامية ، فقد كان الحكام فى البلاد العربية لمدى بضعة قرون ، منها خمسة قرون سلخها الحكم العثمانى من سنة ١٥١٧ الى سنة ١٩١٨ ميلادية . كان هؤلاء الحكام اجانب ، وكانت لغتهم غير العربية ، فضاقوا بالعربية ، وشجعوا الناس على التخاطب

بالتركية ، ولم يهمهم فى قليل او كثير ان يتعلم ابناء العربية لغة آبائهم واجدادهم ، واصطنعت الحكومات اللغة التركية لغة رسمية للقرارات والمراسيم ، ولما بدات فترة التنوير الأدبية فى عهد محمد علي ، واصدر رفاعة الطهطاوى جريدة رسمية ، قسم صفحاتها الى قسمين : قسم على اليمين بالتركية دلالة على سبق التركية او تقدمها وقسم على اليسار بالعربية ، وقد بقيت لغة التخاطب والتوثيق والعقود والمراسيم والقرارات تركية او محشوة بالتركية ، وعاشت اكثر هذه الألفاظ التركية التى كانت مستعملة فى دواوين الحكومة ، ومصطلحات الصناعة والتجارة – وحتى الزراعة – متداولة فى اللغة العربية التى حلت تدريجياً محل التركية . فالروزنامة والديوان واسماء الوظائف العسكرية كالاميرالاى والقائمقام والبكباشى واليوزباشى ، وبقية الاماكن والوظائف والموظفين كالدفترخانة ، والسلحانة والشفخانة والسركى ، واسماء الاقارب نحو (زينه) اى امى ، و (ابله) اى اختى ، الخ .

كان ذلك احتلالا لغويا ، الفه الشعب واحبه ، جريا على القاعدة التى قررها ابن خلدون فى مقدمته العظيمة من ان المحكومين مطبوعون على تقليد الحاكمين . وقد كان صغار الناس ، وصغار الحكام ، يتقربون من كبار القوم ولغتهم جميعا التركية – حتى ولو لم يكونوا منحدرين من أصل تركى – بتعلم التركية والتكلم بها ، ونسيان العربية والتبرؤ من النطق بألفاظها .

ثم جاء حكام جدد ، فوجدوا طريق الاستعمار اللغوى ممهداً ، فاصبحت لغة الكلام اليومية مليئة بالألفاظ الأجنبية ، ولاتزال هذه الألفاظ موجودة (كالبلوفر) و (الجاكيت) و (الرانديفو) الى آخر هذه القائمة المعروفة .

تعليم كله قشور

السبب الثالث – هو ان العربية هى لغة القرآن الكريم ، وكان المفروض انها لهذا السبب تكون لغة تتداولها الألسن ، وتتقن قواعدها ، بطريقة تلقائية او ايحائية ، وهى تسمع القرآن الكريم وتحفظه وترتله وتجوده . ولكن العكس هو الذى حدث . فلان الاستعمار الغربى كان استعمارياً مسيحياً ، فقد أدرك خطر بقاء اللغة العربية نقية ، ومتداولة ، فاتفق الاستعمار فى كل مكان سواء كان بريطانيا او فرنسيا ، او هولنديا او اسبانيا او برتغاليا او بلجيكيا ، على عزل اهل المستعمرات من المسلمين غير العرب عن لغتهم ، وابعادهم عنها : اما المسلمون العرب ، فقد جعلوا التعليم الدينى وسيلة الى البعد عن العربية والجهل بها ، والضيق بقواعدها ، والسخرية منها ، فاقتصر الدرس الدينى على حصة واحدة فى الأسبوع ، ووضعت فى ذيل اليوم المدرسى ، بعد ان يكون التلميذ قد انهك فى الدرس ، وأصبح ما يسمعه من الوعظ الدينى ، أو من تلاوة القرآن الكريم لا يزيد عن بضع دقائق فى سماع وتسميع القرآن .

وسقط التعليم كله ، بما فيه تعليم اللغة العربية – فى يد الانجليز ، وكان بعضهم مجرد ضباط فى الجيش البريطانى فى المستعمرات ، فجعل التعليم كله قشوراً لا تصل التلميذ العربى بالعلوم والآداب ، وجعلوا تعليم اللغة العربية حشواً لعقل التلميذ بقواعد اللغة العربية واعرابها بدون ان تقوم اية محاولة لتذوق التلميذ الأدب العربى العذب الجميل ، وتبصير الأولاد الصغار بجمال الشعر والنثر العربى . فشرح الشعر والنثر ، اى النصوص ، هو شرح لمعانى الألفاظ مفككة متحللة ، دون الاشارة الى مواضع الحسن فى النص ، وبيان ما هو الحسن ، وما هو الوصف الجميل ، وما هو الخيال الرائع وما هو الفرق بين شعر وشعر ، وشاعر وشاعر .

ولو كان هناك تركيز بالاضافة الى ذلك على حياة الشعراء العرب ، وجهادهم فى سبيل امتهم ، او فى سبيل قبيلتهم ، وماطبعوا عليه من شجاعة ، وما عرفوا به من فصاحة ، وجهاد بعضهم فى سبيل الدين ، وما لا قوه من عناء وعنت ، لأثار كل ذلك شوق التلاميذ الى جوانب حياة هؤلاء الشعراء والأدباء .

ولما قامت الحركات الوطنية ، واشتد نضال الأمة العربية ، وفاضت آدابها بنصوص النضال والمقاومة والاستشهاد ، زاد الحصار حول اللغة العربية ، وزاد اقصاء تلاميذ هذه اللغة فى المدارس الابتدائية والثانوية عن تذوق عناصر الجمال ولطف التعبير وبساطة الالفاظ . فقد أصبحت اللغة العربية التى هى لغة القرآن الكريم عدو الاستعمار الأول ، فوضعت العقبات ، وارتفعت السدود بين الصبى العربى وروح لغته .

ولما اتصل العرب بالآداب الغربية ، وترجمت بعض النصوص الغربية من قصص قصيرة ، وروايات طويلة ، وفصول قصصية ونصوص نقدية ، ازداد الشباب العربى اعجاباً بالآداب الغربية ، وانحيازاً لها واحتقاراً للغة العربية ، وما انتجته من مقامات ، وفصول تفيض بالثرثرة والسطحية والفجاجة . واصبح داب الأدباء الذين قراوا شكسبير وديكنز وفولتير وتولستوى ودستيفسكى ، لا دعوة الكتاب العرب ، وقراء العربية ، الى تذوق الآداب الغربية ، والاهتداء الى مواطن بلاغتها وفصاحتها وجمال تعبيرها ، واستظهارها لمكنونات النفس ، واسرار القلب ، بل اندفع هؤلاء الى السخرية باللغة العربية وضحالة الآثار التى ينتجها الكاتب والشاعر والاديب العربى ، الى حد ان هؤلاء جميعا اصبحوا لا يحترمون ما خلفه آباؤهم واجدادهم ،ولا ما ينتجه كتاب وشعراء ونقاد من ابناء العصر العربى الحاضر .

قوة اللغة من قوة اهلها

على ان هناك سبباً ضخماً يتقدم كل هذه الأسباب وان كان لا يلغيها ، ذلك هو ان اللغة – لغة اى قوم – هى فى المكان الذى تبلغه القوة العسكرية عند هؤلاء القوم . فاذا سادت دولة ما ، واظلت الدنيا او قدراً كبيراً من الدنيا بعلمها ، سارت لغتها فى اعقاب جيوشها ، فحيثما وصلت جيوشها انتشرت لغتها .

فالانجليز تفوقت لغتهم على لغة الفرنسيين حينما اصبحت الامبراطورية ملكاً باذخاً لا تغيب عنه الشمس ، بعد ان كانت لغة الفرنسيين هى لغة اوربا ، يتكلم بها الملوك فى بلاطهم ، ويتكلم بها معهم أفراد بطانتهم واعضاء حاشيتهم . فقد كان امبراطور بروسيا يتكلم الفرنسية ، ويباهى بانه يتكلم بها عندما كان الملك لويس الرابع عشر هو اقوى ملوك اوروبا ، وبلاطه هو ازهى بلاط ، واحفله بالساسة والعلماء والشعراء . فلما دالت دولة الفرنسيين بعد هزيمة نابليون على يد (نلسون) فى البحر ووليم بث فى السياسة ، اصبحت اللغة الانجليزية هى لغة الحضارة والعلوم والملوك والساسة والطيران والبحرية والتجارة ، وعلا نجم شاعر الانجليز (شكسبير) ، ودرس الناس مسرحياته واعجبوا بها .

ولا تنتظرن ان تسود لغة قوم ذلوا وهلك سلطانهم . وعندما يعود السلطان الى العرب بفضل ثروتهم وموقع بلادهم الفذ ، وتاريخ وطنهم الباهر ، ستجد اللغة العربية على كل لسان ، ولن يخجل العربى من التكلم بها ، وسيجد فيها مئات من المزايا الباهرة والخصائص النادرة .





ثـــروة فنـــية بدائـيّـــة

النقش على الصّخر في عُـمـان

بقلم : يـوسـف الشـاروني

قبل ان يخترع الانسان ادوات الرسم والنحت ويكتشف الخامات التى ينحتها او يلون بها لوحاته ، والخامات التى تصلح ليسجل فوقها صوره ورسوماته ، لجا الى الطبيعة فجعل من الصخور وجدران الكهوف خاماته المفضلة ينقش

عليها ما يريد ان يسجله من مظاهر الحياة حوله او يخشاه اويرجوه . ولا نعرف حتى الآن إذا كانت هذه النقوش والصور جزءاً من طقوس دينية حيث نبعت من الدين فى ذلك الوقت المبكر للبشرية جميع الفنون كالموسيقى والعمارة والفنون التشكيلية والبدايات المسرحية .. الخ ، أم انها دلالة على طبيعة الانسان التى لا تحيا بدون فن يميزه عن الحيوان ، واقصد بالفن إبداع عالم مختلف عن الواقع العملى والفكر المحض وان كان من تلاقيهما معاً ، وذلك بهدف تلبية حاجات معينة فى طبيعة الانسان .

وقد تحمس الباحث السويسرى رودى جاكلى لموضوع النقش على الصخور فى عمان ، فانفق ست سنوات ونصف السنة ما بين عامى ١٩٧٠ و ١٩٧٧ بحثا عن هذه النقوش وتسجيلها ، ثم نشر خلاصة بحثه فى كتيب عام ١٩٨٠ مع صور لبعض هذه النقوش بلغ مجموعها ٢٢٠ صورة التقطها الباحث كلها بنفسه ما عدا صورتين منها . وقد ذكر فى مقدمة كتابه ما عاناه من مشقة فى بحثه عن النقوش إذ كان يتطلب ذلك منه السير عدة ساعات فى حرارة شمس قائظة ومعه جرادل المياه ، فهو يستخدم الطباشير لتظهر النقوش الباهتة واضحة عند تصويرها ، ثم يزيلها بالماء لتعود إلى حالتها الطبيعية .

نقوش الجبل الاخضر

وقد كان الجبل الاخضر الذى يقع شمال عمان المنطقة التى وقع عليها اختياره لبحثه . وتتميز تلك المنطقة بميزتين جعلتا شمال عمان اكثف مناطقها سكانا : أولاهما وجود زراعة على جانبيه (الباطنة شرق الجبل بينه وبين ساحل عمان ، والظاهرة غربا) وذلك بسبب الوديان التى يكونها هطول الأمطار عليه ، وثانيهما وجود المعادن وفى مقدمتها النحاس الذى اكتشفه الانسان منذ الألف الثالثة قبل الميلاد وكانت الحضارة السومرية فى بلاد ما بين النهرين تستمد نحاسها منه فى ذلك الوقت .

والجبل الاخضر معظمه من صخور الحجر الجيرى الملساء السطح بسبب سقوط الأمطار وتدفق المياه مما يغرى بالنقش عليها ، فالخامة توحى بطريقة التعامل معها .. كما ان هناك بعض التكوينات الكربونية ، وبعض الأشكال التى على هذه التكوينات عبارة عن رسوم بارزة موجودة ذات عمق يتراوح ما بين بضعة ملليمترات وسنتيمترين . وكثير من الأشكال موجود على اسطح ملساء تكون حدود الوديان ولهذا فان اسفلها - كالاقدام - متاكل فى العادة ، وقد يصل التاكل إلى طمسها تماما ، بينما الاجزاء التى تقع على ارتفاع يتراوح بين خمسة وعشرة امتار فوق ارض الوادى لم تستطع السيول المستمرة ان تمسها باية اضرار ملحوظة . والنقوش الباهتة - ربما لقدمها - تتعذر رؤيتها بسهولة ، كما يتعذر تصويرها إلا بوضع الطباشير عليها ، وكذلك الامر فيما يتصل بالنقوش على الصخور الكربونية القاتمة .

وقد لوحظ ان هذه النقوش تكون على اللوحات الصخرية فى الأماكن البارزة من الوديان الكبيرة التى تستخدم اماكن عبور مثل وادى عدى الذى يقع بين روى وسيح حطاط ، ووادى بنى خروص فوق العوابى مباشرة ، او وادى السحتن . فهذه وديان تربط خارج عمان بوديان داخلية ماهولة نسبياً بالسكان او احواض واقعة بين الجبال . وقد يتصادف وجود هذه اللوحات الكبيرة فى هذه الوديان مع مواقع المعسكرات او ينابيع المياه .

وهناك مجموعة اخرى من نقوش الصخور تفسير توزيعها اكثر صعوبة ، كتلك التى فى وادى رجمى ووادى بنى رواحه ، فهذه وديان صغيرة لا تفضى الا إلى مراع للماعز على مرتفعات شاهقة شديدة الانحدار ، وإلى مياه فلج من الافلاج (نوع من قنوات الرى تسرى بين منبعها فى الجبال حيث تتجمع مياه الامطار حتى تنتهى إلى سهل ترويه ، وعادة ما تكون أجزاء منها قد حفرها الانسان ثم غطاها لتمر المياه فى باطن الأرض ثم تعود اجزاء اخرى منها كقنوات مفتوحة) تؤدى عادة إلى قرى وحدائق منتشرة على شكل مراوح غرينيه ، وفن النقش على الصخر فى مكان مثل صخرة كولمان فى التلال التى تقع عبر وادى بهلا فريد فى تنوعه وثروته . فالأشخاص الذين رسموا هذه الصور لابد انهم قصدوا مثل هذا المكان لاسباب لا نستطيع فهمها جيداً إلا اذا فهمنا الفن نفسه .

الأشكال الانسانية

وهذه الملاحظات لا تنطبق على كل النقوش الصخرية فهناك حالات اقل شانا كتلك اللوحات الصغيرة التى يمكن العثور عليها فى اماكن كثيرة غير مطروقة نجد عليها نقوشا مثل الناس والحيوانات العصرية ونقوش الخط العربى . ويمكن تقسيم هذه الأشكال إلى مجموعات من ابرزها الأشكال الانسانية والأشكال الحيوانية واشياء تتعلق بالانسان كالأسلحة والملابس ثم هناك مجموعات السفن والكئوس والثقوب واخيراً الكتابة بالاضافة الى ما يبدو انه اشكال عبثية

اما الأشكال الانسانية فمن اكثرها لفتاً للانتباه تلك الأشكال ذات الخصر النحيل حيث يمكن تلقيبها بالأشكال ذات الهرمين : هرم سفلى معتدل وهرم علوى مقلوب يلتقيان عند الخصر النحيل . واذرع معظم هذه الأشكال مرفوعة رغم وجود بعض الاستثناءات . ويمكن ان تكون الرؤس مستديرة او مسطحة من اعلاها او مستطيلة كرؤوس الطير . وفى بعض الحالات القليلة فان الأشكال الانسانية تقبض بوضوح على شىء ما فى ايديها . وهناك مجموعة كبيرة من الاشياء المرسومة المتصلة بوسط هذه الأشكال ، بعضها يبدو كما لو كان سيوفا او خناجر ، بينما بعضها الآخر يمثل غمداً

وهناك اشكال تجمع بين فاس الحرب وشجرة النخيل والانسان . وكان الفنان او الفنانين الذين نقشوها يبحثون عن الخلاصة المشتركة بين هذه الأشكال الثلاثة اشارة الى ارتباطها ببعض فى الحياة . وهى هنا خطان احدهما راس مستقيم يمثل ساق النخيل او يد الفاس او جذع الانسان ، والآخر افقى عليه بانحناء قليل يمثل سعف النخيل او سلاح الفاس او ذراعى الانسان . وهذه الأشكال موجودة بكثرة فى نفس المكان الذى فيه الأشكال العصرية للانسان خصوصا فى وادى عدى .

وهذه الأشكال تجرنا إلى الحديث عن رسم أشياء تتعلق بالانسان منها الأسلحة القديمة فبالاضافة إلى فئوس الحرب هناك الرماح والدروع الكبيرة وفرسان بحرابهم واقواس واسهم وصولجانات وسيوف ودروع صغيرة ، والدروع الصغيرة غالباً من نفس طراز الدروع التى لا تزال تستعمل فى حفلات اللعب بالسيف المصنوعة من جلد وحيد القرن . وبعض الخناجر جديدة نسبياً .

وهناك كذلك تنويعة من الاثواب مثل المازر واغطية الراس والخوذات ، وهى تساهم فى معرفة تاريخ النقش على الصخر وتحديد مصادر التاثير .

الأشكال الحيوانية

اما المجموعات التى تمثل الحيوان فتشمل الثيران والقطط والثعابين

النقش على الصّخر في عُمان

والنسانيس والدواجن والأفيال والمها ، ويحتل الوعل (وقريبه الطهر) مكانة خاصة بسبب نقش صورهما بطريقة متكررة ومتميزة . وبوجه عام تحتل صور الحيوان مكانا بارزاً فى النقش على الصخر فى عمان ، ولعل اكثرها تكراراً حيوانات الركوب كالجمل ، واهم منه الحصان الذى يصورونه ممتلىء الجسم وارجله مكسوة بالشعر الخشن ، ويكون اكبر بكثير من راكبه مما يعطى انطباعا ان الراكب اقل اهمية . اما الجمل فطوله مبالغ فيه برقبته الرشيقة وراكبه فى وضعه التقليدى خلف السنام . بالاضافة الى هذه الحيوانات المعروفة هناك بعض الأشكال تمثل حيوانات من نتاج الخيال .

وهناك مجموعات السـفن ذات الصوارى وذات الأشرعة وذات المداخن ، السفن الواقعية التفاصيل والسفن شبه التجريدية . فعلى مدى قرون كثيرة سافر البحارة العمانيون فيما بين الهند وافريقيا الشرقية . ولابد ان ما اكتسبوه من خبرة فى هذه الرحلات كان له اثره الساحر على الكبار والشباب ، وعلى سكان الصحراء والجبال ، وعلى البحارة انفسهم .

وهناك حفر صغيرة تشبه الكئوس ، اتساعها عدة سنتيمترات وعمقها يتراوح بين بضعة ملليمترات وسنتيمترين ، وتكون احيانا متصلة باخاديد او قنوات على اسطح صخور مسطحة او مائلة قليلا وهى شائعة فى عمان شيوعها فى أوربا ، ويتراوح عمرها ما بين العصر الحجرى الحديث إلى العصر البرونزى ، وهى توجد فى عدة اماكن فى عمان ، منها وادى بنى خروص على لوحة كبيرة بالقرب من جامع صغير ، وفى وادى السحتن عند احد الينابيع الحارة ، وفى وادى العين بالقرب من امل ، وجبل الغول ووادى ريام تحت الممر الضيق وهناك بعض السمات التى تميز هذا النوع من العلامات فى عمان : فبعض الكئوس مخروطية قليلا وذات ثقوب اسطوانية وجدران ملساء



اصطياد الوعول بالشباك

كانما خرطتها مخرطة قطرها يتراوح ما بين عشرين وخمسة وعشرين سنتيمتراً وعمقها يتراوح مابين عشرين إلى ثلاثين سنتيمتراً ، وفى وادى السوى كاس قطرها خمسون سنتيمتراً وعمقها سبعون . وهذه الكئوس إما فى مجموعات وإما منفردة .

وهناك نوع مختلف تماما من الحفر او العلامات على الحجر بعضها حديث وهو عبارة عن اثر حجارة القيت باليد او بالمقلاع (النبلة) او طلقات موجهة إلى أهداف جذبت انظار الذين تسببوا فى هذه العلامات على مر العصور . وكانوا يوجهون اهدافهم نحو اجزاء متحجرة فى الحجر الجيرى ، وثقوب او اشكال محفورة وقد وجد ان منطقة تبلغ مساحتها حوالى ½ ٢ متر مربع قد تلقت ما يزيد عن عشرين ألف طلقة رصاص او طلقة مقلاع على مر السنين ، وعند مدخل أحد الكهوف فى وادى عدى توجد آثار مئات آلاف الطلقات ومن اسباب هذه العلامات التقليد القديم عند السفر إلى الحج وهو رسم الشيطان على الصخور ورجمه بالحجارة .

كتابات حديثة العهد

بالاضافة إلى الأشكال والعلامات هناك ايضا كتابات كثيرة ، اكثرها يبدو حديث العهد بقلم ستيل دقيق ، وكلها موجودة على جانب الجبل فى وادى بنى خروص ، ويبدو ان بعضها كان يدون احداثا تاريخية وبعضها الآخر مما يكتب على شواهد القبور حيث نجد اسم المتوفى وتاريخ الوفاة ، وكلها باللغة العربية .

وهذا يقودنا إلى محاولة تحديد عمر هذه النقوش . فوجود تاريخ او كتابة مؤرخة تمدنا باحسن وسيلة لتاريخ هذه النقوش الصخرية ، وهذا النوع محدود بالفترة الاسلامية العربية . ثم هناك درجة الوضوح فهى وسيلة تقريبية ونسبية لتحديد العمر ، ولكن المؤلف ينبه إلى انه يجب الا يغيب عن البال ان الصخور الكربونية لا تبهت كلها بطريقة واحدة ، كما ان سقوط الأمطار فى مواقع مثل الوطية او الجزء المنخفض من وادى عدى اقل ثلاث او اربع مرات من الأماكن المنبسطة المرتفعة فى وادى حلفين ، بالاضافة إلى ذلك فان الظروف المحلية يمكن ان تؤثر كذلك كوجود سيول تسببت فى تاكل راس وعل وذيله . والأفلاج المفتوحة (القنوات) المعروف تاريخها والممتدة بحذاء الصخور التى عليها تلك النقوش يمكن ان تمدنا بالحد الأدنى لعمر هذه النقوش . وهناك طريقة التاريخ عن طريق مقارنة الأشكال ببعضها فى اللوحة الواحدة . واخيراً هناك ظاهرة اخرى قد تكون خلف التنوع المتعدد لعصور فن النقش على الصخر فى موقع واحد ، ذلك ان نقش صورة فى مكان ما يوماً ما يغرى بنقش صورة اخرى او شكل آخر بجوارها . فالنقش يغرى بالنقش .

• •

وهكذا نجد ان هذه الثروة الفنية البدائية منجم لا ينفد لفنانى عمـان التشكيليين المعاصرين ، ولعله يوجد مثلها فى دول الخليج الاخرى ، بحيث يمكن للفنانين الخليجيين عند محاولاتهم التمرد على الأساليب التقليدية للفن التشكيلى ان يستهلكوا تلك المرحلة الفنية التى تضرب بجذورها فى اعماق بلادهم ، بدلا من استلهام المذاهب الغربية التى تبدو انها نشاز مصطنع وانها مجرد تقليد لا ابتكار فيه ولا ريادة ، على نحو ما احسست عندما شاهدت بعض اللوحات السريالية والتجريدية والتكعيبية فى بعض معارض الفن التشكيلى الخليجى . بذلك يضيفون إلى تراثهم الفنى إضافة حقيقية بل ويقدمون مساهماتهم إلى التراث العالمى .

يوسف الشاروني – مسقط عمان

مدينة الألف ميليشيا

شعر: كمال عمار

مدينة الألف ميليشيا

كلُّ الطرق إليكِ تؤدى يابيروت
مازلت ومازال الغرباء
يتوالون بلا استئذان
يعرفهم لبنان بسيماهم
وسوالفهم يلمع تحت معاطفهم (١)
ذهب « أناسيس » وسيف « يهود »
مازلت كما انت مفتحة الابواب وجانحة المنطق
لم يتغير إلا وجه العُمْله
كنت تُسامين على ارصفة الطرقات المبتله
بدموع جميع الأطفال الفقراء
كنت تباعين بسعر المفرق
صرت تباعين بسعر الجمله
كل الأحياء غدت « حمراء » وسوداء وكل الأحياء
أشلاء تبحث عن تابوت

● ● ●

من نحو العشرين وحين نزلت إلى لبنان
داهمنى ضوءٌ لم تعتده عيناىَ الآمنتان
كان الضوء مثيراً .. فارتبت
وتفكرت قليلا وكثيراً .. وكتبت
ما اعتبرته بيروت « العليا » تحريضاً
للبركان وتقويضاً للأمن العريان الخدَّاعْ
وعلى هذا نُودِىَ باسمى فى دائرةِ
المشبوهين لأنى قلت : (٢)
« ● والطائرة على وشك الاقلاع
ما هو رأيك فى بيروت ؟
- شِعْرٌ فاق حدودَ الابداعْ
لكن فيه بيتٌ مختلٌ التفعيلات »

. . . .

وا أسفاه فما كان الظن بان الأمن لهذا الحد
حقَّ عليك القولُ وصار البيتُ المختل مدائنَ مختله
وضغائن مشتعله
فى زمن اللادهشة والهول الممتد
حين يكون الموت هواء وغذاء
لا يسال مقتول عن مَنْ قتله
فالرابح من عرف يموت
فى هذا الوطن المزدحم بطوفان الأسماء
والوان « السيرياليزم »
ومئات الأوطان وسيارات اللغم الموقوت

● ● ●

قضى الأمر وهذا ما كان
كل يبحث فى لبنان
عن « لبنان » بميلشيا الدم
كل يبحث فى لبنان
عما يتبقى من « لبنان »
قبل اليوم وبعد اليوم

. . . .

لا تثريب عليك ولا لوم
أنتِ سعيت لهذا من ازمان
أو .. فلماذا لم تنتفضى حين
رأيت أحابيل الفِرَقِ وكل الطرقِ
إليك تؤدى يابيروت ؟ !

---

١ - ما سلف منهم .
٢ - ما بين قوسين من قصيدة للشاعر اذاعها بعد زيارته الاولى لبيروت عام ١٩٦٤ .. وللهامش حكاية .

● لو كان عندى سيارة لا تتسع إلا لثلاثة ركاب لوضعت الشعر إلى جانبى ، وحشرت الاقتصاد والسياسة فى المقعد الخلفى ● ● نزار قبانى ليس شاعراً سرياً حتى أخبئه فى معطف كلماتى ، إنه علنى ومبثوث على كل الموجات ● لا أتصور امرأة يمكن أن تدهش الناس إلا إذا كان فى عينيها أو فى صوتها أو فى ابتسامتها شيء من الشعر ● ● الذاكرة العربية غربال واسع الثقوب

سعاد الصباح :

المرأة قصيدة والقصيدة امرأة!

أجرى الحوار : محمد يوسف

الدكتورة سعاد الصباح شاعرة ، بكل معنى الكلمة .
الشعر هو مملكتها ، وحريتها التى تمنحها البعد الانسانى المبرا من القيود ، والمزاجية الممزوجة بالهوى .
ومع أن الاقتصاد هو تخصصها ، و « مجال » مهنتها فى جامعة الكويت .. فان الشعر هو « السيد » الذى تكن له كل معانى التوقير والتبجيل .. ولذا فانها تتعامل معه « بأريحية » ، و « أفضلية » .. ترتشف معه شاي الصباح ، وتقاسمه الوجع العربي الممتد من المحيط الى الخليج ، وتعطره بماء المودة الخالصة .
فى مملكة الشعر تتحرر الدكتورة سعاد الصباح من الثرثرة الملونة لأنها تحول الايقاع الشعري الى « دلالة » جمالية أو فكرية .
وفى هذا الحوار تتحدث الشاعرة سعاد الصباح عن ثلاثية السياسة والاقتصاد والشعر ، وعبد الناصر الذى ترسب فى الذاكرة العربية ، واختبائها فى معطف نزار قبانى الشعري ، والقصيدة والمرأة ، والشعر السياسي ، والمتنبي ورامبو .

— د . سعاد .. الشعر .. لماذا .. ؟

● الشعر لتغيير العالم وجعل الانسان يستحق انسانيته — الشعر بوليصة التامين ضد شيخوخة الاشياء ، وضد جفاف الشجر ، وجفاف البشر . عندما نكتب شعراً فاننا ندافع عن انفسنا ضد الاندثار والانقراض . انه الملح الذى نرشه على عواطفنا وعلى اجسامنا حتى لا نتفسخ .

— ثلاثية السياسة .. الاقتصاد .. الشعر : كيف تتعاملين معها ؟

● الاولوية عندي دائما للشعر . فلو كان عندي سيارة لا تتسع إلا لثلاثة ركاب ، لوضعت الشعر إلى جانبي .. وحشرت السياسة والاقتصاد فى المقعد الخلفي .

— عبد الناصر كيف ترسب فى الذاكرة العربية .. ؟ كيف ترسب فى ذاكرتك .. ؟

● اسوا ما فى العرب ان ذاكرتهم القومية صفر . الذاكرة العربية غربال واسع الثقوب ، وجميع ابطالنا التاريخيين من صلاح الدين الى عبد الناصر مروا من



د . سعاد الصباح : المراة قصيدة ، والقصيدة امراة — الشعر اولا .. ثم الاقتصاد والسياسة — انا لا انفي تاثرى بلغة نزار قباني الشعرية

ثقوب الغربال .. وظل الحصى والتبن والقش والنفايات على وجه الغربال .

اما بالنسبة لي ، فان عبد الناصر اخذ شكل النموذج « الموديل » للقائد العربى العظيم .

– كيف تردين عن قصائدك ونثرياتك هذه التهمة : ان نزار قباني يختبىء فى زاوية من زوايا قصيدتك وكلماتك النثرية ؟

● ومن قال انني اريد ان أرد التهمة .. ان نزار قباني ليس شاعراً سرياً حتى اخبئه فى معطف كلماتي . انه علني ومنشور ومبثوث على كل الموجات من الخليج الى المحيط .

ولا احد يستطيع ان ينكر ان لغة نزار قباني تركت بصماتها على جيلين او ثلاثة من الادباء خلال الاربعين عاماً الاخيرة ، وإلى الذين لا يزالون يوجهون الي تهمة التاثر ، اقول لهم تكراراً وبدون اي عقدة سابقة ، ان نزاراً موجود لا فى معطفي وحدي .. بل فى معاطفنا جميعاً .

– كيف ترتبين هذه المعادلة :
المراة – القصيدة .
القصيدة – المراة .
ايهما ياتي اولا .. ؟

● تاتيان معاً ! فالقصيدة انثى . والمراة انثى . وليس ثمة تناقض بين الاثنتين . انهما تنفجران فى ذات اللحظة كالبرق والرعد .. وكما انني لا اتصور قصـيدة لا تسكنها امراة بشكل من الاشكال ، فانني لا اتصور امراة يمكن أن تدهش الناس إلا إذا كان فى عينيها ، او فى صوتها ، او فى ابتساماتها شيء من الشعر .

– ما موقع القصيدة السياسـية من كرنفال الشعر العربى فى ايامنا هذه ؟

● القصيدة السياسية لها دور رئيسي فى التوعية والتحريض وأشعال الغضب الشعبي ، ورغم ان الجماهير العربية مكسورة وحزينة ، ورغم ان هذه الجماهير اصيبت بالتبلد وموت الاحاسيس من بشاعة ما يجري على مسرح السياسة العربية ، فانني اعتقد ان القصـيدة السياسية الجيدة لم تفقد دورها . ولا تزال قادرة على قيادة المقاومة الشعبية ضد القمع والذل والاستعمار فى سائر اشكاله .

– لماذا تقلصت قصيدة المقاومة ؟

● لماذا تسالنى انا ؟ اسال مدينة بيروت وغيرهـا من مـدن لبنـان

– ما هو ردك على هذه المقولة :
الشعر لا مستقبل له فى غـابة التكنولوجيا ؟

● هذا كلام قيل منذ دخلت الثورة الصناعية لأوربا فى القرن الثامن عشر . ولكن لم تاكل الشعر ولم تاكل الشعراء بدليل انه بعد الثورة الصناعية جاء بودلير ، فاليري ورامبو ، وأراغون ، ت . س . اليوت وغيرهم .

ولا اعتقد ان الكمبيوتر يستطيع ان يكتب شعراً على طريقة مجنون ليلى .. إلا إذا أرسلوه بالطائرة الى بلادنا وراى عيون ليلى العامرية من شقوق خيمتها ..

– من الحلم القومي الممتد من الجرح إلى سنبلة القمح .. متى تشرق شمس الوحدة العربية ؟

● اذا انتهت التمثيلية السخيفة التى مازالت تحفر اعصابنا منذ عام ١٩٤٨ .

– ما هى علاقتك الابداعيـة بهؤلاء الشعراء : المتنبي ، أبو العلاء المعري ، رامبو ، ايفتيشنكو ، احمد شوقي .

● علاقتى جيدة جداً مع اثنين ممن ذكرت . هما المتنبي ، ورامبو .. فالمتنبي هو الأكثر حداثة من جميع الاقدمين والمحدثين بلا استثناء .

ورامبو قاد اخطر انقلاب فى الشعر الفرنسي وهو فى السادسة عشرة .

اما الباقون فعلاقتي بهم علاقة مهنية ، كعلاقة النجار بالنجار ، والحداد بالحداد ، اني اقرا لهم دون ان اشعر انني اريد ان اصرخ ..

الكويت

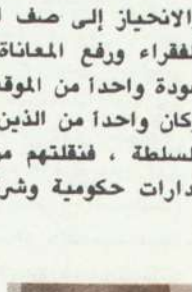


..وكانت جائزته: مائة يوم في السجن

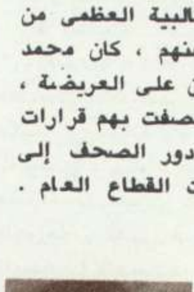
بقلم: محمود السعدني

عندما رحل جمال عبد الناصر ، كان محمد عودة قد بلغ الثانية والخمسين . وفى المهنة التى احترفها ـ مهنة الصحافة .. كان موقعه بعد رحلة شـــاقة طويلة ومضنية ، مجرد محرر سياسى فى احدى الجرائد اليومية . وكان مرتبه لم يصــل بعد الى مرتب زملائه فى المهنة ، او مرتب بعض تلاميذه . لم يصل قط الى منصب رئيس التحرير او منصب رئيس مجلس الادارة ، مع انه كان اشد الجميع حبــا لعبد الناصر واكثرهم حماسا له . وكانت كل ثروته فى الحياة خمسة كتب من تاليفه ، وشقة متواضعة فى عمارة من عمارات الاوقاف فى حي الـدقى ، وسيارة فيـات صغيرة اضطر إلى بيعها بعد ذلك ، وعندما فشل فى استعمالها لعدم قدرته على قيادة السيارة فى بحر زحام القاهرة الرهيب . وبالرغم من المحاولات لاستمالة محمد عودة ، الا انه لم يتخل أبداً عما يعتقده ، ولم يكتب حرفاً ضد قناعاته ، وخاض حرباً ضروساً بقلمه ضد كل الذين حاولوا وعملوا وساهموا فى تلطيخ المرحلة الناصرية فى وحل العار .

ولكن ماساة محمد عودة الحقيقية انه كان يحارب من استفادوا من تلك الفترة والتفوا حول موائدها ، وكان عودة هو الوحيد الذى خرج من المولد بلا حمص ، ولم يخرج من العهد الناصرى إلا بامجاده وذكرياته ، بينما خرج الآخرون بالمكاسب والمغانم . وكانوا خمسة أو ستة من الكتاب المصريين الذين بقوا فى مصر وتشبثوا بمبادئهم ، وكان محمد عودة اكثرهم تشبثا واقلهم ظهوراً ، وعندما رفع كتاب مصر وادباؤها عريضة الى راس الدولة يستنكرون فيها حالة اللاسلم واللاحرب ، ودعوا فيها الى حسم الموقف ، والوقوف بصلابة ضد جيش الاحتلال الاسرائيلى ، وطالبوا بضرورة تحقيق مطالب الشعب والانحياز إلى صف الغالبية العظمى من الفقراء ورفع المعاناة عنهم ، كان محمد عودة واحداً من الموقعين على العريضة ، وكان واحداً من الذين عصفت بهم قرارات السلطة ، فنقلتهم من دور الصحف إلى ادارات حكومية وشركات القطاع العام .



احمد عرابى



محمود سامي البارودي

وعندما عادت الأمور الى وضعها الطبيعى بعد حرب اكتوبر ، اشتعل محمد عودة حماساً للمصرى العادى الذى استطاع أن يقهر الصعب وان يصنع المستحيل ويعبر قناة السويس ويدك حصون خط بارليف .

ولكن الأمور سارت بعد ذلك فى عكس الاتجاه الذى كان يحلم به عودة ، انقسم المجتمع المصرى الى قسمين : الذين عبروا والذين هبروا .

وفى هذا الجو المتوتر آثر احمد بهاء الدين ان يهاجر الى الكويت ، وهرب عشرات من الكتاب المصريين الى بلاد عربية او اوربية ، وهرب محمد عودة ولكن الى داخل مصر . انكفا على كتبه يلتهمها ، وعكف على تاليف عدة كتب صدرت تباعاً كانت بمثابة بصيص من النور وسط الظلام الدامس ، واختار الاستقلال التام وسط التيارات المتصارعة والحياد وسط صراع الأنظمة العربية ، ورفع شعار العروبة دون انضواء وبغير إنحياز . وتفرغ محمد عودة لكتبه ، وادار ظهره لمجتمع العمولات والمكافآت والصفقات والمشروعات ، ولكن هذا المجتمع نفسه أبى أن يتركه . وعندما عصفت بمصر قرارات سبتمبر ١٩٨١ كان محمد عودة ضمن الذين ألقى القبض عليهم وكانت التهمة الموجهة اليه ، التجسس .

والقضية التى تضمه ، اسمها التفاحة ،



عبد الله النديم



اللورد كرومر

وكانت تهمته انه اجتمع مع عبد السلام الزيات نائب رئيس الوزراء السابق .

وعندما دخل محمد عودة السجن كان قد بلغ عامه الثانى والستين ، وفى بلاد اخرى يكرم الكتاب والادباء الذين يبلغون هذه السن ، وتقدم لهم الجوائز والعطايا ، امتنانا وشكراً لهم على ما قدموه . خلال حياتهم الطويلة ولكن . نصيب محمد عودة كان مائة يوم فى السجن واتهام حقير بالتجسس ، وهو العاشق الذى تدله حبا فى مصر ، وهو الشاعر الذى تغنى بكل ذرة تراب فى ارضنا ، وهو الكاتب الذى كان مداده عرق الناس وزحام الطريق ومعاناة الاغلبية الساحقة . وبعد ٦ اكتوبر ١٩٨١ قدر لمصر ان تعود الى الطريق الصحيح ، وقدر لمحمد عودة ان يغـــادر سجنه بعـــد ذلك .. خـــرج بلا مساءلة وبلا محاكمة ، خرج لان التهمة كانت ملفقة ، وخرج لان المتامرين بعضهم انتقل الى رحمة الله وبعضهم انتقل الى سجون الدولة ، وبعضهم فر هاربا خارج البلاد .

وعاد محمد عودة هذه المرة لينقب فى تاريخ مصر عن اعظم أيامها واخلد معاركها ورسم لنا وللاجيال القادمة صورة زاهية الالوان عن الفلاح عرابى ، والشركسى الوطنى محمود سامى البارودى وعن اللورد الوقح كرومر ، وعن الصايع الخالد عبد الله النديم . وكان كتابه سبعة بشوات بمثابة تاريخ جديد لمصر المعاصرة ، ووجهة نظر فلاح مصرى مثقف فى فترة هى بحق من اعجب واغرب واخصب فترات تاريخها على المدى الطويل .. واذا كانت الايام قد زحفت بعودة الى الشيخوخة ، فهو اقرب الشيوخ فى مصر الى الشباب ، اقرب اليهم بفكره وبموقفه ، ويتندر بعض الناس فى مصر ويتداولون مقولة (اذا اردت ان تعرف الاتجاه الصحيح ، فاعرف اولا اين يقف محمد عودة) فهو بالرغم من اضطراب بحر السياسة المصرية وصخب امواجها ، وشدة اعاصيرها وعواصفها ، إلا ان بوصلته لم تخطىء الاتجاه الصحيح قط ، وسفينته لم تخطىء الميناء المنشود .

واذا كان محمد عودة هو واحد من الكتاب الموهوبين ، وخبير من خبراء السياسة العربية المعدودين ، ونجم من نجوم الصحافة والكتابة السياسية ، الا انه لم يظهر قط فى حديث تليفزيونى ، ولم يدع مرة واحدة الى برنامج اذاعى وليس عضواً فى المجالس المتخصصة ، وحتى طلب الانضمام الى اتحاد الكتاب ، رفضوه وطالبوه بان يقدم لهم ما يثبت انه كاتب ، واغرب شيء ان الذين طالبوه بابراز هويته الادبية ، هم ادباء وكتاب من امثال سعد حبلص وسيد المناويشي والاستاذ الكبير احمد ابو دراع . انها ماساة ولكنها ليست ماساة عودة وحده ، بل ماساة الكثيرين من امثال محمد عودة ، وان كان هو نفسه يشعر بانها ليست ماساة اذا قيست بماساة الوطن كله ، والوطن عند محمد عودة هو امتداد الارض العربية من الخليج الى المحيط ، فهو عروبى اصيل بلا ادعاء وبلا ثمن ، وهو لذلك جاب ارض العرب على قدميه ، وجاس خلالها ومن قرية الى قرية ، من وجدة فى المغرب الى الحديدة فى اليمن وله فى كل مكان من الارض العربية اصدقاء وتلاميـــذ ، ولديـــه مقـــــدرة على الحياة فى اى بقعة من ارض العرب اسابيع طويلة دون ان يحمل زاداً او نقوداً ودون ان يحتاج الى استضافة رسمية من الدولة التى يوجد على ارضها ، فهو قـادر دائماً على ايجاد اصدقاء ، وقادر دائماً على خلق جو من حوله ، وقادر ايضا على اكتشاف مواهب جديدة ، بالرغم من طبقات الصدا والتراب .

واذا كان محمد عودة قد خرج من المرحلة الناصرية بلا مغانم ، فقد خرج بايمـــان لا حد له ، بان عبد الناصر كان ضرورة ،

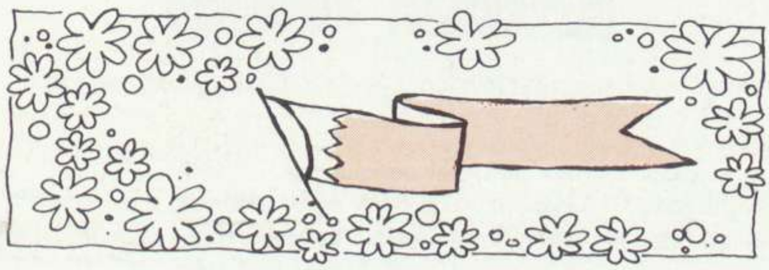
وبالنسبة للعروبة كان املا ومناراً ، وان طريق عبد الناصر هو الطريق السليم ، وحلول عبد الناصر هى الحلول الصحيحة . ولقد حمل على راسه خلال السنوات العشر الاخيرة تراث عبد الناصر وتعاليمه وطاف بها فى الاسواق ، وبالرغم من تنكر الاصدقاء وتناقص الانصار ، وهروب المريدين ، وكثرة المستفيدين ، وزحام الارزقية ، الا انه ظل متمسكا بالطريق ، محافظا على الطريقة مع عدد صغير من المريدين والانصار ، ومن المؤكد انه سيظل على الطريق والطريقة حتى لو بقى وحده .

وبيقى بعد ذلك ، ان عودة عاش فى جيل واحد مع توفيق عبد الحى وعصمت السادات ورشاد عثمان . وبينما هبر توفيق عبد الحى كنوز مصر الذهبية بدون موهبة وبلا علم ، اكتفى عودة بالحصول على كنوزها الروحية . ولذلك سيعيش عودة طويلا فى تاريخ مصر .. الفنان الذى حول السياسة الى شعر ، والسياسى الذى اثبت ان السياسة حرفة تحرق صاحبها بالنار بعكس مفهوم العصر كله ، الذى يؤكد ان الفرق بين السياسى والحرامى هو ان السياسى يدخل السجن اولا .

مسيرة الخير في قطر

أغنية المطر

شعر: الدكتور محمد فوزي مصطفى - جامعة قطر



شَهْرُكَ الميمونُ فى جِيدِ المطَرَهْ
قَطِرَيّ الوسم فى البدو حضر
عبقرياً ساسَ للنـــاس قطـــر
شهرك الميمون من طول « العُمُر » .

• • •

والنهار قُمَيْرٌ قُدَّ من كُمِّ الزَّهَرْ
والشموسُ حَيَاءٌ ترنو فى دَلِّ الخَفَرْ
والسماء رجاء وخليج من دُرَرْ
شهرك الميمون فى الناس قَدَرْ

وعيون تقدح الذهن فِكَرْ
وسمو النفس في الليل قمر
يملأ الرحب اميناً فى السفر
عادل حاشاه من قَوْلِ الهَذَرْ

• • •

شهرك الميمونُ فى الشعرِ غُرَرْ
مفرد فى الدهر بالجُلَّى أمَرْ
شهرُك الثانى وفى الثانى عشر
ليتنى فى العيد قَضَّيْتُ الوَطَرْ

فى العـــدد القـــادم والأعـــداد التـــاليـــة..

تقـــرأ لهـــؤلاء:

- الدكتور عبدالله الطيب • الدكتور حسن عيسى عبدالظاهر
- نعمان عاشور • عارف عطاري • فاطمة حسين
- محمود قاسم • عبدالوهاب المسيري • عبدالرحيم عمر
- محمد صالح الخولاني • الدكتور يحيى رجب • صفوت كمال
- ديزي الأمير • عبدالرحمن محسن

لـيس بالسـلاح وحـده تـدور المعارك

حرب بالألوان

ينتصر فيها القديم على الجديد!

بقلم: ماجـد يوسـف



من وحى الاساطير اندمج الفنان « الويشولى » ليقدم لنا تلك اللوحة التى اعتمدت على الشكل البسيط الذى يصف حياتهم النقية التى لم تتاثر بالحضارات الاخرى .

يشير جارودى فى كتابه الهام « حوار الحضارات » الى الجريمة الفادحة التى ارتكبها المط الحضارى الأوروبى المعاصر بتشييده صرح حضارته التقنية الحديثة على حساب مصادرة الابداعات الحضارية الأصيلة كل الشـــعوب التى نكبت بالاستعمار على مدى القرنين الفائتين ، وانه ــ الاستعمار ــ لم يال جهداً فى طمس الشخصيات المتفردة للامم المستعمرة .. وهى شخصيات كان من شانها لو تم حوار ايجابى مستنير بينها وبين النمط الاوربى الحضارى المسيطر ان تثرى الافق الانساني كله ، وتضفى تنويعات هائلة وخصيبة ومفعمة بالجدة والجمال على تاريخ الانسان .

ولعل تلك الحقيقة التى اشار اليهـــا « جارودى » ان تسطع بدلالاتها الحقيقية فيما يسود الآن على ساحة بلدان العالم الثالث المستقلة حديثا من صراع لا هوادة فيه بين الحلم بابتعاث شخصياتها الأصيلة من ناحية ، واستيعاب النمط الحضارى الاوروبى المهيمن من ناحية اخرى دون ان يتم احدهما على حساب الآخر .. فيما عرف على صعيد هذه البلدان



الحياة فوق الأرض كما تخيلها فنان من قبائل الويشول الذين يعيشون فى جنوب المكسيك .. فى منطقة لا يمكن أن تصل إليها الا سيراً على الأقدام

بالأصالة والمعاصرة مرة .. او التراث والتحديث مرة اخرى .. الخ ، ولعل حل هذه المعادلة ، الذى يتارجح حتى الآن فى معظم بلدان هذا العالم الثالث بين الفشل والنجاح ، ان يكون هو التحدى الأساسى امام بلورة الهوية القومية لهذه الشعوب على مختلف الأصعدة .

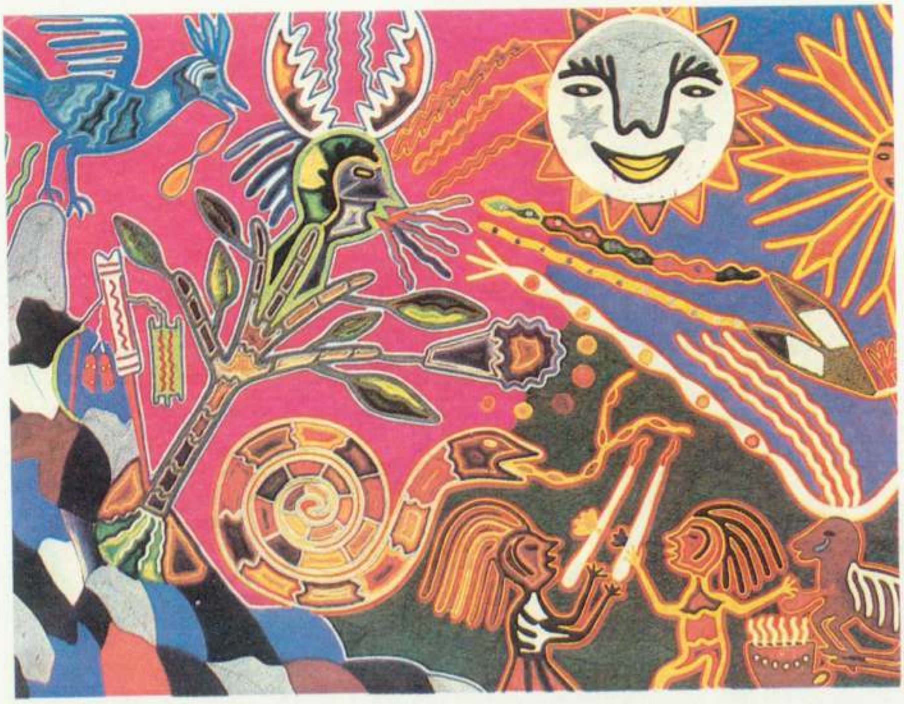
وربما لم ينـج من هذه الحيرة الا تلك الشعوب التى شاءت لها ظروفها المعيشية ان تكون بمعزل عن رياح التغييرات التعسفية التى صاحبت المستعمر الأوروبى فى كل مكان وطئته قدماه .. واستطاعت بقشرتها الصلدة التى نسجتها حول نفسها ان تنجو من المصير التشويهى لابداعها الانسانى ذلك الذى مارسه الرجل الأبيض دائماً ، ومن ثم حفظ لنا دفاعها المستميت ذاك عن نفسها انماطاً اخرى للابداع الانسانى فى مختلف بقاع الأرض أسهم فى بلورة شكل او اشكال متمايزة لعبقرية التنوع الانسانى وقدرته اللامحدودة على التفرد وتقديم اجتهاداته الخاصة ، تلك الاجتهادات التى لم تفقد بكارتها الأولى وخصوبتها الأصيلة تحت معاول حضارة « التنميط » التى فرضها المستعمر .

ومن هذه الشعوب هنود (الويشول) الذين لا يتجاوز تعدادهم السبع آلاف نسمه ويعيشون فى جنوب سلسلة جبال (مادرا) الغربية فى المكسيك .. وهى بقعة لا يمكن اختراقها بغير السير على الأقدام ، لارتفاعها ووعورتها ، ولم تطاها السيارة بعد ! ..

وقد استقر (الويشول) فى سلسلة جبال (سيرا) قبل ان يدخل الأزتكيون وادى المكسيك .. ونجحوا تماماً فى الحفاظ على طابعهم الخاص عن طريق ذاكرة جماعية تتوهج بممارسات جمالية .. وبرغم انهم

يعيشون فى ظروف مجحفة من الفقر ، ويفرضون على انفسهم انواعا اخرى من الحرمان ، إلا انهم من خلال نسق حضارى متماسك ، ومعمار روحى متكامل الانغلاق على قيم روحية بسيطة لعالمهم الخاص الذى يرفض العالم الخـــارجى لانــه لا يضاهيه ابداً مهما بدا من اغراءاته .. استطاعوا عن طريق هذا الانغلاق ان يكونوا اهلا للحياة الروحية لتضحيتهم بالماديات .

ولعل اساطيرهم فى رؤية العالم ان تكون هى الدالة على هذا التميز والتفرد المبدعين .. فللويشول افكارهم الخاصـة التى سبقت الفكر الأسبانى فى امريكـــا اللاتينية ، والاحساس الانسانى العالمى ، ولذلك اتخذ فنهم اشكالا عدة تبدا بالشكل البسيط متدرجة الى المتسامى لتصل اخيراً الى الجماعى .. وهو فن مكرس للوسائل القادرة على تحريك وتوصيف الحياة النقية .. ولا يفهم المغزى العميق لهذا الفن سواهم ، ويمكن اعتباره مظهراً من مظاهر الجهود الجماعية التى تدفعهم فى اوقات معينة من العام الى الاتيان من كل فج للمشاركة فى طقس لا نتجاوز اذا اسميناه (بالدراما الانسانية) والتى يتلخص الغرض منها فى اعادة خلق الجو المواتى الذى تستلزمه الحياة فى العالم من خلال توليفة معقدة ومتراكمة من الرقص والانشاد طوال الليل متمشين مع الايقاع المغناطيسى الغريب لموسيقاهم ، فالعالم كله يهب لهم خيراته مضحيا بذاته ، ومن هنا تولد لديهم احساس خاص ونادر المثال عن التضحية بالذات من اجل الجماعة .. والى ما هو اكثر من الحدود التى يقف عندها الذهن عادة لكلمة (تضحية) .



اعمال اخرى تقدم لنا انماطاللابداع الانسانى الخاضع للاجتهادات الخاصة التى لم تفقد خصوبتها الأصيلة .



أما اطفال «الوشيول» فانهم يتعلمون تقليد الكتابات المتداولة من خلال اشغال الابرة والنسيج والحفر فى الحجر واستخدام الألواح المغطاة بطبقة من الشمع فى تكوين تشكيلات من حبـــات الخرز الزجاجيـة وخيوط الغزل فى فن منابعه انسانية متجردة ولكنه يزخر ببهجة الحياة .

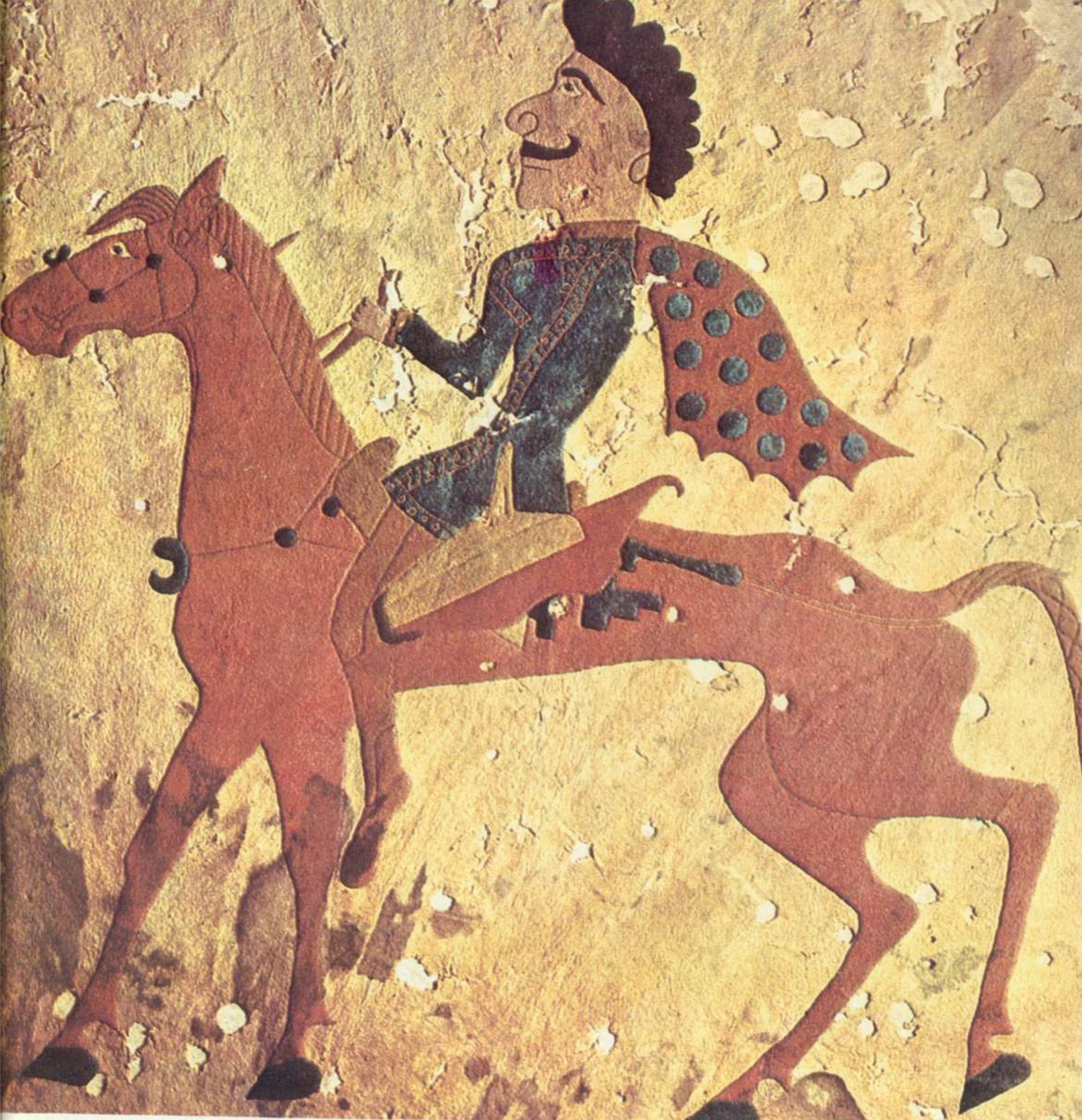
والفنان الويشولى يعتمد ـ تماما ـ على اساطيره فى ابداعه الفنى ، ولذلك فهو لا يرسم فى حقيقة الامر كما نفهم نحن الآن من كلمة الرسم ، وانما هو يندمج فى روح الأشياء .. فكل الموجودات فى ذهن هذا الفنان البدائى تجليات لبعضها البعض .. ولعل اقوى تقاليدهم تعبيراً عن ذلك ظاهرة تجسيد الجماد (الأرض ـ الأم) وهم يطمحون من خلال ذلك الى الوصول لمرحلة من الترقى الروحى يمكن عندها ان نرى دخائل الكائنات الأخرى من خلال وجودنا نحن .. وهم يؤمنون بانه من الصعب الوصول الى ذلك الا عن طريق التجرد المتنامى والمتسامى من الشـــهوات والجسدانية وتطهير النفس من كل ما من شانه افساد الرؤية الحقة لديهم .. فلكى يستطيع الاحفاد ان يروا كما فعل الاسلاف فعلى وجودهم الانسانى ان يسمو من خلال النيريكا (النيرفانا) .

ويبدو جليا انه اذا لم نفهم الأفكـــار الشاعرية التى توحى بها افكار الويشول المعقدة .. فلن ندرك سوى الجانب السطحى لهذه الثقافة العميقة الجذور ، وسوف نفشل بالتالى فى فهم مغزى فنها الاصيل

واذا كان فى مقدورنا ان نلخص اجتهادات المدارس الواقعية المعاصرة فى الفن تحت عنوان واحد هو (اعادة اخراج العالم المرئى بالفعل) فان واقعية امريكا الوسطى (الويشول) تهدف الى اضفاء مظهر مرئى على كل ما هو خفى وغير مرئى فى الواقع .. ولذلك كان من الطبيعى ـ انطلاقا من هذا المنظور الشفاف ـ ان نرى فنان الويشول لكى ينتج عملا فنيا بمفهوم قومه ينغمس ـ وكلية ـ فى رؤية انسانية كاملة يبدع من مناخها ..

.. ولنتامل سويا لوحاتهم تلك فقد يساعدنا هذا على الفهم والاقتراب !

ماجد يوسف



فارس من الفرسان الاوائل ، يمتطى حصانه بدون مهماز ، ويحمل كنانة فارغة من السهام ، وذلك فى احدى المناسبات الهامة فى زمن السلم !

استخدام الخيول وظهور الفرسان
انقلاب خطير في تاريخ الإنسان

بقلم: حسني شحادة



مدربو الخيول الأوائل الأوراسيين (من اصل اوربى - اسيوى) الذين قاموا بترويض الخيول المتوحشة

للفروسية عند الأمم شان عظيم ، ومقام كبير ، فكان اليونانيون القدماء يعظمون فرسانهم الذين اشتهروا امثال « هيركيوليس » و « ليونيدس » . وكذلك كان الرومان يباهون بفحول فرسان الوغى كهرقل الكبير ، وكان للفرس عناية خاصة بالفروسية ، ولهم فرسان معروفون امثال « بهرام جور » ، و « طهماسب » و « رستم » وغيرهم .

وكان للفروسية عند العرب مقام جليل ، ومكانة عليا ، فحب العرب للفروسية ، اصيل قديم ، له فى التاريخ اصول تمتد عبر القرون ، فقد عني العرب بالخيل ، وفى كتب التاريخ الكثير من الروايات التى اسهبوا فى الكتابة عنها . ولم يصل إلينا من ذلك إلا وشل من بحر ، فقد قيل ان الاصمعي صنف للرشيد كتاباً في الخيل ، وان ابا عبيدة صنف فى ذلك خمسين مجلداً (١) !

ومن اطرف ما وصل إلينا ، ان احد ملوك العرب ، اراد ان يشتري فرساً اصيلة من بدوي من رعاياه ، فعرض عليه ثمنا مغرياً وكانت الفرس تسمى سكاب ، فابى البدوي بيع الملك . وقال هذه الأبيات التى تعبر اجمل تعبير عن تعلقه بفرسه الأصيلة ، وحبه لها :

ابيت اللعن إن « سكاب » كنز نفيس ، لايعار ولا يباع



فى ظل شجرة وقف محارب مغولى ليجدل الذيل ا لأملس لفرسه المعد للركوب ، فقد كان المغوليون يعتبرون خيولهم اهم مالديهم من كنوز ، ويولونها عناية فائقة

مكرمـــة مفداة لدينا ، يجـــاع
لهـــا العيـــال ولا تجــــاع
سليلة منجبين تناسلاهــــا
يضمهما ـ اذا اجتمعا ـ الكراع (٢)
فلا تطمع ـ ابيت اللعن ـ فيهـا
وبيعكها بشيء يســـــتطاع
وقد انشد ابو عمر بن عبد البر فقال :
احبوا الخيـــل واطبروا عليهـا
فان العـــز فيهـــا والجمـالا
إذا ما الخيـــل ضيعها انـــاس
ربطناها فاشركن العيــــــالا
نقاسمهـــــا المعيشـــة كل يوم
ونكسوها البراقع والجـــلالا

مكانة الخيول

وحسبنا ان نعلم عن مكانة الخيل ان الله سبحانه وتعالى ذكرها فى عدة مواقع من الكتاب العزيز القرآن الكريم ، فاقسم سبحانه وتعالى بها فى سورة العاديات :
« والعاديات ضبحاً ، فالموريات قدحاً ، فالمغيرات صبحاً ، فاثرن به نقعاً ، فوسطن به جمعاً » .

(صدق الله العظيم)

وعن جرير بن عبد الله قال :
« رايت النبى صلى الله عليه وسلم يلوي ناصية فرسه باصبعيه ، وهو يقول :
« الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة (٣) وكانت خيل رسول الله

صلوات الله وسلامه عليه هى :
السكب ، والمرتجز ، واللحيف ، واللزاز ، وملاوح ، والفرس ، والورد ، وقد وهبه لعمر ابن الخطاب رضى الله عنه » .

ويقال فى الامثال :

« الخيل ميامين » وقالوا : الخيل اعلم بفرسانها . ويقولون إن الخيل فى المنام ، قوة وزينة وعز ، فمن رأى عنده منها شيئا نال قوة وعزة ، وربما دل ذلك على اتساع حاله وانتصاره على اعدائه ، والله اعلم .

المسلمون والفروسية

وكان للفروسية شان كبير عند المسلمين فقد طرق هذا الباب غير واحد من الائمة الاعلام ، فالفوا فيه الكتب ، ودونوا الرسائل (٤) .

فقد الف ابو المنذر هشام بن ابي النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو . النسابة الكوفى الكلبي ، المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية ، كتابا اسماه « نسب الخيل فى الجاهلية والاسلام » .

والف الامام اللغوى ابو عبد الله محمد ابن زياد الكوفى ، المعروف بابن الاعرابى ، المتوفى سنة ٢٣١ هجرية كتابا اسـماه : « اسماء خيل العرب وفرسانها » ، صححه وطبعه البروفسور « جرجس لوي دلا ويدا » استاذ اللغات السامية فى جامعة روما بايطاليا .

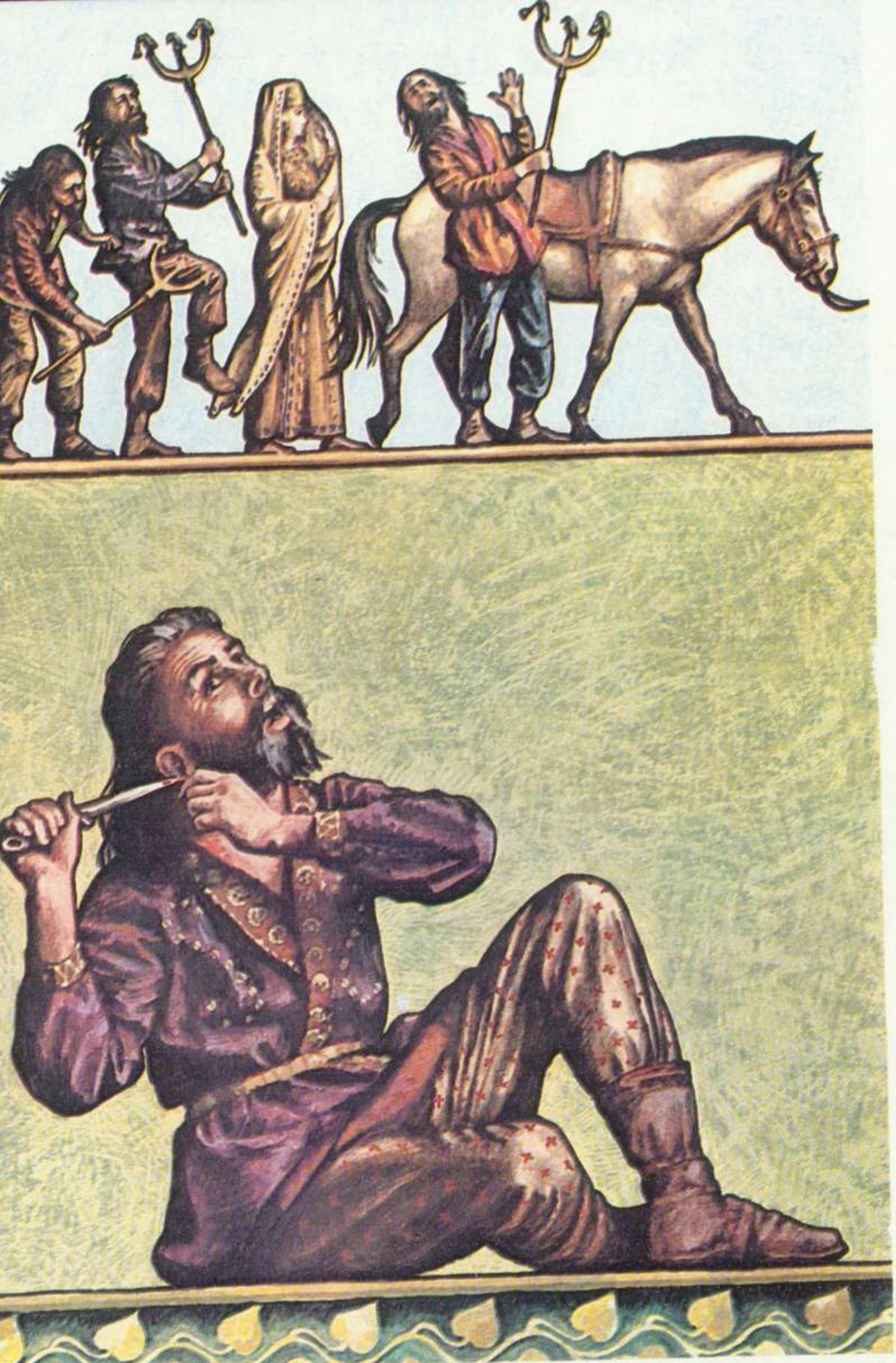
والف الامام العلامة اللغوي النسابه ابي محمد الحسن بن احمد الاعرابى المعرف بالأسود الغندجاني من علماء القرن الخامس ، كتابا اسماه « خيل العرب وانسابها وذكر فرسانها » .

والف العلامة ابو عبد الله شمس الدين محمد بن ابي بكر بن أيوب المعروف بابن القيم الجوزية كتابا اسماه « الفروسـية الشرعية النبوية » حققه العالم السلفي الكبير محمد نصيف والشيخ فوزان السابق

الفرسان الأوائل

لقد خلبت الخيول افئدة البشر منذ اقدم العصور ، فقد جمعت بين الجمال ، والقوة والمهابة ، فدخلت فى دنيا الأساطير ، وحركت اشرعة الخيال للاحلام ، ومع انطلاقة الخيل ، تنطلق جحافل القوة فى نفس الانسان ، فتملأ جوانحه بالرغبة فى معانقة المجد ، ويقول احد الكتاب : (٥) .

« لا اغالى اذا قلت ، انه كان امتطاء الانسان للحصان وسيطرته عليه ، وتمكنه من مسابقة الريح على صهوته ، احدث



قال المؤرخ الاغريقى « هيردوت » انه كانت من تقاليد بعض القبائل عند فقدانهم لاحد الفرسان العظام ان يظهروا الحزن عليه بقطع جزء من اذانهم وان يقتلوا خيوله الخاصة حتى لا يمتطيها فارس غيره !

انقلابا خطيراً فى تاريخ الانسانية ، وتغييراً غريباً فى حركة التاريخ ، غيرت علاقة الانسان بالمكان والزمان والاحداث».

وفى كتاب الفرسان الأوائل الذى الفه « فرانك ترابيت » ، وهو صادر عن سلسلة كتب « تايم لايف » ، يعود الى اعماق التاريخ ، يمخر فى هذا العباب ثم ياخذ من الأساطير الشعبية المتداولة ..

لقد اثبت علماء « الانثروبولوجيا » ان علاقة الانسان بالحصان ، قديمة جداً ،

واثبتت الآثار القديمة التى اكتشفت فى باطن الأرض ، عن قبور فى اوراسيا بها رسوم نادرة ، وآثار عظام تدلل على هذه العلاقة .

ووجد أيضاً على ضفاف نهر « الفولجا » ونهر الدانوب ، آثار تدل على هذا الارتباط واستطاع العلماء بعد البحث والتدقيق وضع مقولة تؤكد انه اينما وضع الانسان بصماته الحضارية عبر التاريخ فهي مرتبطة بالحصان ، فبدون الحصـــان



لا يعرف الانسان مكانه .

ويرسم المؤلف صورة لهؤلاء الفرسان ، فيطلق عليهم الغزاة النبلاء ، وقد اورد المؤرخ اليوناني الشهير - ابو التاريخ - « هيرودوتس » اخبارهم ، فيقول :

« منذ ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة قبل الميلاد ، امتطى الانسان الجواد ، وتجمع هؤلاء الفرسان ، ليؤلفوا عصابات تنشر الذعر ، وتتغلب على الاعداء » .

وقد اتاح الوضع القوي لرجال العصابات ان يجمعوا ثروات طائلة من الذهب والفضة ، لا يمكن أن تقدر .

ترويض الحصان البري

ويقول المؤلف فى الفصل الثانى من الكتاب ، بان الحصان القديم كان حيوانا جميلا جداً ، وكان قصيراً جداً . فصدره العريض ، وانتصاب رقبته، وصغر رأسه ، وجمال ذيله ، تضفي عليه روعة فائقة .

وكان ينتشر فى السهوب وعلى هضاب الجبال ، فى جماعات . منظرها يخلب الالباب . وكانت حيوانات قوية ، تتميز بالسرعة الفائقة ، والقوة المدهشة ، وكان يتداعي فتوة القوم ، من الشباب الاقوياء الشجعان ، فيطاردوا هذه الحيوانات ، حتى يمسكوا بها ، أو ينصبوا لها الافخاخ أو يحفروا لها الحفر .

اما عملية الترويض ، فقد كانت صعبة جداً ، وكثيراً ما كان يلقى بعضهم الموت ، ولكن هذا العناء ، وتلك المشقة كانت تهون عندما يرى الشاب نفسه ممتطياً صهوة الجواد ، مزهواً بنفسه ، مفتخراً بقدرته ، مرهوباً من الناس ، يستطيع ان يمتلك ما يشـــاء .

عروض الخيل

وفى كل عام فى مواسم الشمس المشرقة يجتمع الفرسان ، ويجتمع جمع غفير من الناس من كل حدب وصوب ، ليشاهدوا عروض الخيل ، ويشاهدوا الفرســـان الأقوياء ، وهى يقومون بعروضـــهم ، والعابهم ، ورقصهم ، ومبارزاتهم . وكثيراً ما كانت الخيول تحمل بالغنائم التى يغنمها هؤلاء الغزاة النبلاء ، فيلبسون خيولهم الذهب والفضة ، ويكسون اجسامها بالسبائك اللامعة فيكون الفرس كلعبة ذهبية لامعة جميلة .

وقد اثبتت الحفريات فى كثير من قبور هؤلاء الفرسان ، كنوزاً من الذهب والفضة ، ورسوما ذهبية للخيل الصغيرة ، او





على الصفحة المقابلة : محارب من القرن الرابع قبل الميلاد ، يوجه – في قوة – رمحه إلى خصمه ، والعمل الفني كله من الذهب الخالص ، ومن الآثار النادرة التي مازالت باقية في اليونان .. وعلى هذه الصفحة نرى إلى أعلى : السيدة « وين – شي » زوجة احد الزعماء الصينيين في القرن الثالث قبل الميلاد ، تستعد للرحيل بعد ان افتدت فارسا كبيرا بكنز من الذهب .. اما اللوحة الثانية فهي في موكب عودتها محاطة بالفرسان وإلى جوارها من يحمل لها مظلة طوال الرحلة حتى يقيها من الشمس !

مجسمات بحجمها ، وقد عرض المؤلف صوراً بديعة لهذه الكنوز .

وكثيراً ما كانت توجد الكنوز في غير المقابر ، او بعيدة عنها ، ذلك لأن هؤلاء العصابات او الغزاة ، كانوا يخبئون كنوزهم في اماكن بعيدة عن العيون ، وقد اطلق عليها المؤلف كنوز اللصوص . وافرد لها في الكتاب باباً خاصاً .

العنف والارهاب

وكثيراً ما كان يسود العنف والارهاب ، عند موت هؤلاء الفرسان ، ذلك ان الوريث الحر ، هو القوي الذي يستطيع ان يرهب الفرسان الآخرين ، وكثيراً ما كان يدور قتال او مبارزة ، او مباراة في تحمل الآلام ، للفوز بالميراث ، فالقتال يدور بين العصابات ، اذا مات الزعيم ، لتطويع العصابة المنكوبة ، والاستيلاء على ثروتها وكنوزها .

اما المبارزة فقد كانت تقوم بين من يريد ان يخلف الزعيم ، ويرى في نفسه من القوة ما يؤهله للزعامة ، وبين زعيم عصابة اخرى .

اما تحمل الآلام فقد كانت بايذاء النفس بالحراب أو الرماح او غير ذلك من الادوات ومن يتحمل ويبقى على قيد الحياة فهو الفائز بالميراث الحر .

أسلوب الحياة الريفية

وقد ختم المؤلف كتابه بفصل عن اسلوب الحياة في الريف ، واثر الحصان في تطوير تلك الحياة ، فعندما بنيت البيوت ، راينا العربات التي تجرها الخيول ، فاختصرت عن الانسان عناء كبيراً ، وصار للانسان وقت فراغ ، يزاول فيه الهوايات ، كالصيد ، وامكن استعمال الصقور للصيد ، واللحاق بها على صهوات الجياد وامكن الانتقال من مكان الى مكان طلباً للكلأ والمرعى .

وبذلك فقد نقلت الخيول الانسان من البربرية والبداوة الى حياة الاستقرار والمدنية .

حسني شحادة

هوامش

(١) جواب السائل من الخيل الاصائل تاليف جلالة الملك عبد الله بن الحسين .
(٢) الكراع اسم حصان عربي اصيل كان له شهرة عند العرب في الجاهلية .
(٣) حياة الحيوان الكبرى – للدميري .
(٤) الفروسية لابن القيم الجوزية
(٥) هو الكاتب نبيل محمد رشوان .



نجا المهداوي

رسام من نوع آخر

بقلم عز الدين المدني





بعض اللوحات المتميزة للفنان التونسي ـ نجا المهداوي ... على الصفحة المقابلة لوحة للفنان من اعماله في عام ١٩٨٠ استخدم فيها الوان زيتية وبوليستيرات ... وعلى هذه الصفحة : نحت نحاسي (١٩٧٥)وجرافيك حبر على القماش (١٩٧٨)



خط على الرق (حبر) ١٩٨٠

هلموا معى نحتفل بالاصباغ ، بالأشكال ، بالأحجام ، بالأبعاد . فهذا العيد هو عيدكم .. هلموا جميعاً من وراء الأحقاب والأزمان، قدموا الواح معارفكم وعلومكم . القوا حفنات تلو حفنات من البخور على مواقد الحروف :

انت خذ ازميلك ومطـــرقتك
انت خـــذ قلمك ودواتـــك
انت خـــذ مسطرتك وميزانك
انت خذ ريشـــتك وحبرك
انت خذ مقياسك ومكيـــالك
انت خذ فرشاتك وقمطـرك
انت خذ منظارك ومجهـرك

متى اتممتم الأعداد عليكم بالعزف ، والرقص ، والنحر ، فمن لم يعزف ، ولم يرقص ، ولم ينحر ، لا عيد له .

هات الطين والصلصال
اعطنى الرماد والصوف والصمغ
هات الجير والرمل
ناولنى القصب والخشب
هات الرخام والمرمر
ناولنى الأسمنت والحديـــــد والرصاص والفولاذ والزجاج
هات الذهب والفضة
هات القطن والكتان والحريـــر والحلفاء
هات النفط ومستخرجات النفط
هات الحناء
هات الجلد
هات النحاس
هات العاج
هات الزنك
هات الزئبق
هات الزيت
هات الماء
هات الهواء
هات النار
هات التربة
هات المادة كلها حتى يقوم حرف واحد .



جدارية منسوجة ـ كليم قفصة (نموذج) ١٩٨٠

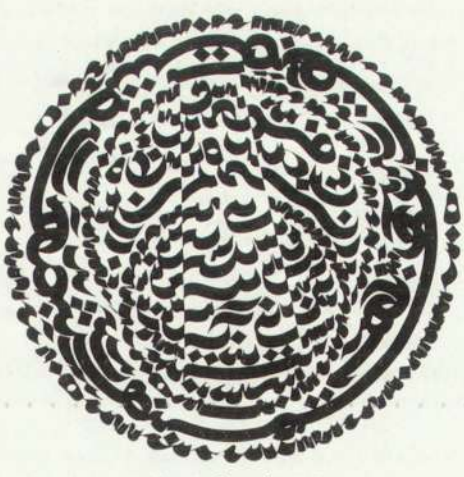
نجا المهداوي

رسّام من نوع آخر

كتــاب الالف

بهذا النثر الذى يشبه القصيد قدم الناقد والقصاص والمسرحى التونسى المعاصر عز الدين المدنى واحداً من اهم الفنانين التشكيليين فى تونس وهو الفنان « نجا المهداوى » الذى نالت اعماله عدة جوائز على المستوى العربى والعالمى .. ووضع مقدمته تحت عنوان « كتاب الألف » ونظراً لأهمية تلك المقدمة وقيمتها الثقافية فى مجال الفن التشكيلى فاننا نقدم بعض فقراتها ، لعلها تلقى الضوء على لوحات هذا الفنان المجدد ، وعلى نوع من الكتابة الفنية المزودة باهم اسلحة الكاتب وهى : المعرفة !

● اننا نقول بان كل معين طبيعى ، وبان كل مربع بشرى . فنحتنا ، ورسدمنا ، وسطرنا ، وحفرنا ، ونقشنا ، ورفعنا ، وكتبنا حروفنا كلها طبيعية وبشرية لاننا تداولنا



جدارية منسوجة (١٩٨٠)

المادة من ذاتها . فكنا فيها وكانت فينا . امر واحد ، وشيء واحد ، وطبيعة واحدة ، وواقع واحد ، ومال واحد . وقد اعلنا فى القديم ومازلنا نعلن فى الحديث ان المثال والواقع لا يتناقضان .

الآن ، وقد اينعنا ، فلنصبغ المدن بالجير والصحارى بالنيلة ، والبحار بالمرجان ، والارض ، بالياقوت ؛ والزمرد ، والماس ، والجوهر ، والدر ، والبردى ، وعظام الجمال والخيل ، والجلود والألواح ، والكتب بالحبر الصينى ، بالزعفران ، بالصمغ ، بالذهب حتى يقوم حرف واحد اسمه الهمزة .

● اجلس وتناول اقلامك و دواتك .

وقل : باسم الله .

ومد يمينك ، فانها ستنقاد لانك قريب من الحرف . بل انك انت الخط ، وانت الحرف !

كن على يقين لا يشوبه ريب بانك من سلالة من نقش ضريح امرىء القيس ، بعد ان اقام بحران ، وزبد ، وأم الجمال ، وخلف فيها آثارا لا تمحى .

ثم انك تنتسب الى خطاطين اعلام كابي علي بن مقلة الوزير ، وابي الحسن علي بن هلال بن البواب ، وابي حيان التوحيدي ، ويحيى بن محمود بن يحيى الواسطى ، وياقوت المستعصمي ، ومحمود النيسابورى العارفين ، المبدعين

مد يمينك نحو الورقة البيضاء البكر ، وامسك بقلمك ، وردد فى سرك وفى علانيتك ما حفظته أيام الطلب قول القائل :

« الكاتب يحتاج الى سبعة معان : الخط المجود بالتحقيق ، والمحلى بالتحديق ، والمجمل بالتحويق ، والمزين بالتخريق ، والمحسن بالتشقيق ، والمجاد بالتدقيق ، والمميز بالتفريق . فهذه اصول الخط وقاعدته المتضمنة لفنونه » . (ابو حيـان التوحيدي) .

لابد لك من احترام قواعد الخط وسننه ، مهما رقصت الحروف فى مخيلتك وامام بصرك ، ولا مناص لك من الابداع داخل تلك القواعد مهما احدثت من أساليب الخط .

● كل ما سبق من القول يؤيد القطيعة المعرفية ويدعمها ، القطيعة المعرفية هى الحد الفاصل بين الذوبان فى الغير والايمان بالكيان ، بين الاستلاب والوعى ، بين التلفيق الايديولوجى والنظرية اليقظة الواضحة ، بين الانهزام التاريخى والوعي التاريخى ، بين الثقافة المكرورة والابداع .

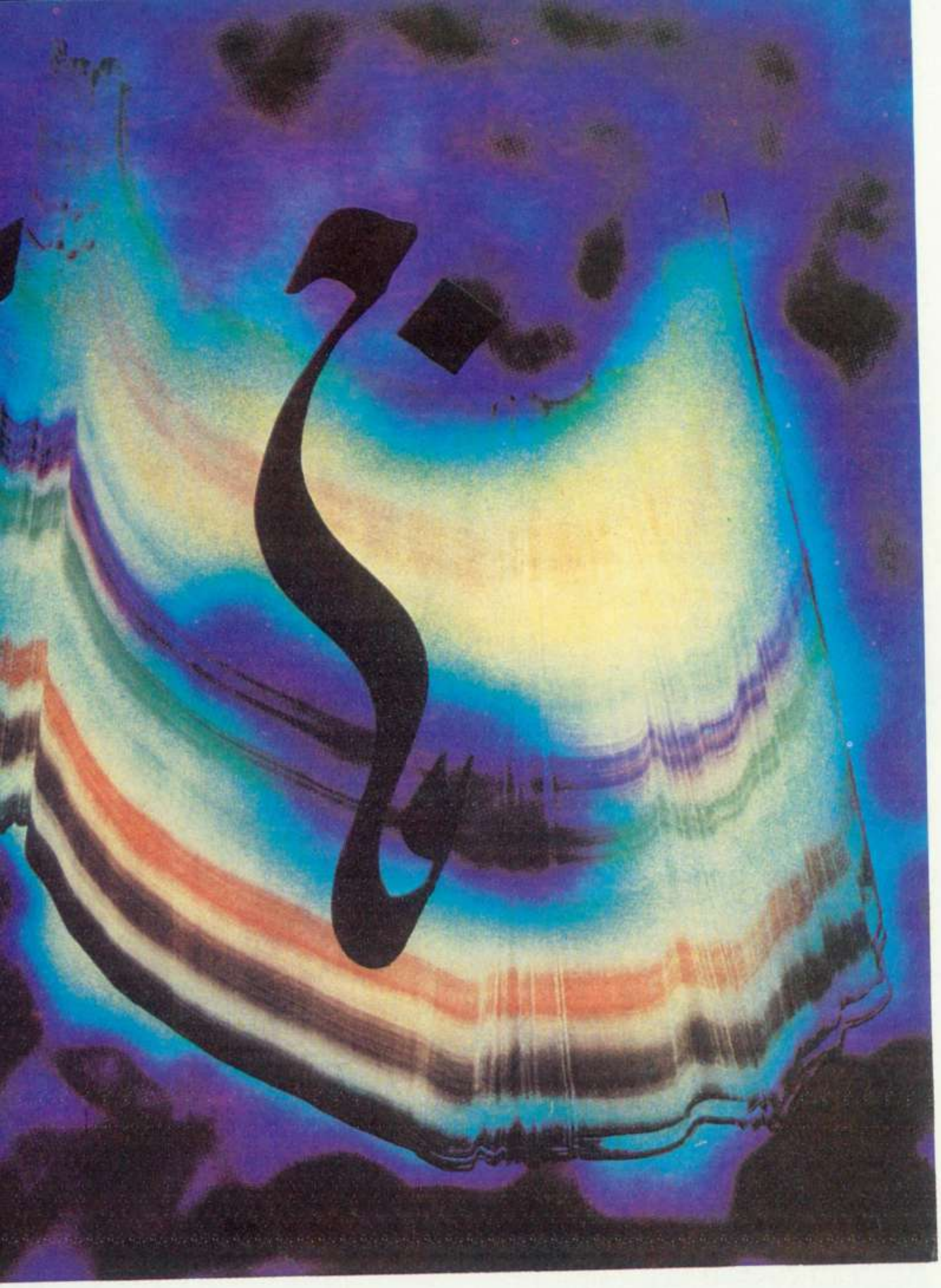
القطيعة المعرفية تقول بان لنا الحق فى ان نختلف ، وان نتباين ، وان نتنوع .

القطيعة المعرفيــة تقول بان هنـاك اختلافا جذريا عميقا جداً بين الحضارة اليهودية المسيحية وما انتجته من ثقافات وبين الحضارة العربية الاسلامية على امتداد ازمنتها .

القطيعة المعرفية تقول بان المعرفة فى الرقعة الحضارية العربية الاسلامية كل شامل تام ، لا تفاضل بين اصنافها ، لان التفاضل هو من المفاهيم العملية فى الفلسفة الايجابية التى كانت عماد السوق الرأسمالية فى تقييم العمل . انه من العبث ان نفضل علم الاجتماع على الفيزياء ، او نؤثر الكهرباء على علم اللغة ، او ان نختار علم الزراعة ، وان نترك جانباً علم الدلالات. وهل السياسة غريبة عن الكتابة ؟ وهل علم الأمراض العصبية غريب عن المسرح ؟ وهل الرسم غريب عن الطبخ ؟ انما المعارف تنساب من حقل الى حقل دون حواجز تعزلها عن بعضها البعض ، لكى يتناول منها كل انسان ما يشاء على قدر حاجته ، وطموحه ، وعشقه ، وحريته حتى لا يقال له : لا تخض فيما لا تعرفه ! لأن الاحتكار لا وجود له فى المعرفة ، بل هو ملك مشاع بين الناس كافة .

القطيعة المعرفية تقول بان كل علم متحيز ، وبان موضوعية العلم خرافة .

القطيعة المعرفية تقول بان التناقض بين الروح والمادة بين المثال والواقع ، بين العقـل والتجربة هو تنـاقض موهوم



الوان اكريليك على الورق (١٩٧٧)

لا اساس له من الصحة اللهم الا فى ادمغة الحضارة اليهودية المسيحية .

القطيعة المعرفية تقول بان الصـلة التى كانت تربط الحضارة اليهودية المسيحية بالحضارة العربية الاسلامية قد تمزقت ، وبحكم ذلك يجب نقد الفكر الفلسفي والفكر الأدبي والفكر العلمي والفكر الفني فى الحضارة اليهـودية المسيحية ، حتى تتم السيطرة المطلقة على ذلك الفكر .

ولا يكون ذلك النقد ولا يقوم الا على اسس تنظيرية مستخرجة من باطن الحضارة الاسلامية ماضيا وحاضراً ومستقبلا . وتستوجب هذه الأسس التنظيرية معرفة دقيقة مدهشة ، وتحاليل متماسكة ، ودراسات ميدانية محصورة .

● القطيعة المعرفية تقول بان مجال الفن متماسك متلاحم متفاعل متجادل مع سائر مجالات الحياة والفكر والممارسة لذلك لا يوجد داخل مجال الفن فرق بين الكتابة والرسم والموسيقى والسينما والرقص والمسرح والنحت والتصوير ، بل هناك صيرورة دائمة .

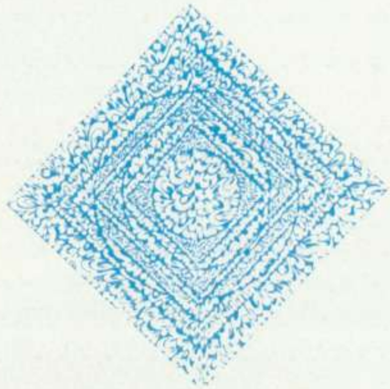
القطيعة المعرفية تقول بان مجال الكتابة او مجال الرسم أو مجال السـينما مثلا لا يمكن له ان يكون الا على امرين متجادلين :

استخراج نظرية من داخل الحضارة

نجا المهداوي

رسام من نوع آخر







جدارية منسوجة (١٩٨٠)

العربية الاسلامية ماضيا وحاضراً ومستقبلا .

انقذ الفن الغربي بواسطة تلك النظرية .

وشان الأسلوب الجاحظي والمنمنمات الواسطية كشان سائر الصنائع والمعارف والمواقف والتيارات الفلسفية .

فماذا نفعل اذن ؟

اذا كان التراث وجها من وجوه البديل الذى ننشده بكل طاقتنا فى جميع المستويات ، فاننا نقول بان ذاك المعمار السني المالكي علامة ، وبان هذا الصحن من الطبخ الأندلسي علامة ، وبان تلك الآنية من النحاس المنقوش علامة ، وبان شكل تلك الحكاية الجاحظية علامة ، وبان صفة هذا الموقف من الأحداث اليومية والمصيرية علامة ، وبان هذه الحروف ذات الخط الكوفي ، والمغربي ، والثلثي ، والديواني ، علامة . من بين نسق من العلامات التى افرزتها الحضارة العربية الاسلامية طوال قرون متعاقبة الى يومنا هذا .

والعلامة تعشق التظاهر ، والبهرج ، والتبرج ، والتالق ، وتكره الخفاء ، والغموض والاشكال .

والعلامة تعشق التعبير ، والهيمنة ، والموضوعية ، وتكره التخصص والتفرد ، والاستثناء .

والعلامة تعشق الفضاء السطحي البعدي ، وتكره العمق ، والباطن ، والضمني .

الفنان يتناول العلامة ، بدل الموروث المخصوص ، ويجعلها مضرب الامثال ، ويجعلها مضرب الابداع وبذلك يرفض الفنان التقليد ، ويجادل التراث ، ويواصل الخيط الرقيق الشفاف الذى يشد كافة حلقات الماضي والحاضر ، والمستقبل أي نواعير الزمان ، وعراه .

● كيف نسمي هذا الفنان من النمط الجديد الذى يعدل قصداً عن فن الخط وتقاليده العريقة والحديثة وسننه ، ويتخذ العلامة الخطية منهجا لعمله الفني ؟

هل هو خطاط ، اذ الخطاط يشتغل بالحروف ، ومجموع الحروف والكلمات ، ومجموع الكلمات ، والجمل ، والفقرات ، ولعله يتجاوز فى بعض الاحوال ذلك كله ليستعمل الحروف والكلمات ، والجمل ، لاسيما المأثور من الكلام ، فى تصوير وجوه وسحن ، واقمار ، واشجار ، وحيوانات واشكال هندسية ؟ .

ليس هذا الفنان بخطاط ، ولا يمكن لنا ان نعده من الخطاطين ذلك انه يقتصر على العلامة الخطية ، وهو يعلم ان دالها هو الخط بجميع انواعه ، وان مدلولها هو البعد المرئي الخاص بالحضارة العربية الاسلامية .

هل هو مزخرف ، إذ المزخرف يصنع توشيح المخطوطات ، وتزيين البنايات ، وحفر الاخشاب ، ونقش العاج ، وسائر المعادن الثمينة بالحروف ، أو بالصور الانسانية ، والحيوانية ، والنباتية ، او باشكال هندسية ؟

ليس هذا الفنان بمزخرف ، ولا بمزين ، ولا بنقاش ، ولا بمرصع ، ولا بمذهب ، بل يقوم بهذه الحرف جميعها ، ويتجاوز بها الى مستوى الفن حيث تندمج شخصية الفنان فى المواد نفسها لتصير اعمالا فنية قائمة بذاتها لا تحتاج فيها الى اصل او الى اساس .

هل هو كاتب ، اذ الكاتب يعنى بالحروف ، والكلمات ، والجمل ، والتعبير ، والاشكال ، والمضامين ، والمثل ، والقيم ؟

ليس هذا الفنان بكاتب ، ذلك ان اعماله لا تقرا كما تقرا المؤلفات ، ولا تفهم كما تفهم الكتابة الابجدية .

هل هو رسام (بالمعنى الغربي لهذه الكلمة) اذ الرسام يهتم بالالوان والاشكال فيجعلها على لوحة زيتية او على لوحة من اية مادة كانت ؟

نعم ، هذا الفنان هو رسام . لكنه رسام من نوع آخر . ذلك انه اضاف الى الالوان



والأشكال الزخرف ، واضاف الى الالوان والأشكال والزخرف والخط الكون وما فى الكون من شخصيته الفنية .

فما اسم هذا الفنان اذن ؟

ليس مــن الضروري ان يبقى فضاء هذا الفنان من النمط الجديد فى اطار لوحة ، وان يسجن فيه ، مهما كان كبر اللوحة ، او اتساعها ، او عمقها .

كل فضاء كوني ، ولا سيما فضاء هذا الفنان :

داخل البيوت وخارجها .

على الشوارع ، وفى البطاح .

عند تمفصل الاحياء ، والاحواز ، والنواحى .

كل فضاء يكون مجالا حراً يستقطب البصر .

الوان جواش على الورق (١٩٧٣)

بتعبير اخر :

لا تحديد الاطار ، ولا سجن اللوحة .

لا ضيق الرواق ، ولا تضخم الابلاغ الفولكلورى .

لا تمنطق العقلانية ، ولا انعكاس الطبيعة او الواقع .

لا مجانية المجتمعات الاستهلاكية ومفاهيمها المتفرعة .

كل فضاء يصنعه الفنان مجالا حراً يستقطب البصر .

بتعبير ثالث :

انسجام بين الاحجام ، بين الابعاد، بين الاعماق .

اندماج الفضاء فى الفضاءات الاخرى .

تلاؤم بين كافة المواد .

جدلية سجال بين جميع الفنون والحرف والآداب والعلوم والمعارف .

● من اين اتناول اشكالي ؟

من المنتهى فى الصغر الى المنتهى فى الكبر

من تكوين العين ، من تكوين النظام الشمسي

من تركيب الذرة ، من تركيب الخلية ، من تعمير المدينة العربية الاسلامية

من موقع المحراب حين تحيط به الزخارف

من انظمة الخطوط وتكويناتها

من صنائع الحرف ومنتوجاتها

من أشكال الطبيعة وطينتها

من الصناعات الدقيقة ، ومن كل شيء

لأن اشكالي مجردة لا تجريد الرسم الغربى الذى لا علاقة له بالواقع الا على صعيد الذهن ، بل مجردة من المثال ، ومتفاعلة مع الواقع ومندمجة فيه .

عز الدين المدنى



— ولد نجا المهداوي بتونس سنة ١٩٣٧ وهو متزوج واب لطفلين .

— درس « بالمراسم الحرة بقرطاج » .

— ١٩٥٩ اول معرض جماعى بدار الثقافة ابن خلدون بتونس .

— تابع دروس شعبة الفن الحـــديث بالـ « دانتى الليغيرى » بتونس حيث عرض سنة ١٩٦٥ .

— متحصل على دبلوم فى الفنـــون التخطيطية من اكاديمية « سانتا اندريا » بروما .

— شارك بصفته عضوا فى مجموعـــة « فونتانا » بميلانو فى عديد من التظاهرات الفنية بروما، وفلورانســا وميلانو والبندقية .

— عضو مؤسس فى تجمع الرسامين العرب بايطاليا .

— ١٩٦٧ الميدالية البرونزية لمعرض السنتين بروما .

— ١٩٦٧ الكاس الفضى للمعـــرض السريالى بروما .

— ١٩٦٧ الجائزة الكبرى الاولى للرسم بدوفيل .

— درس عام ١٩٦٨ بمدرسة « اللوفر » فرع « الفنون الشرقية القديمة » .

— عرض جماعيا وفرديا فى عدة مدن (طوكيو ، نيويورك ، لندن) ويعرض بالبلاد التونسية بانتظام .

— تنويه خاص من لجنة التحكيم فى « كان » و « دوفيل » (١٩٦٨) وفى معرض السنتين للرسم العربي بالكويت (١٩٧٩) .

— ١٩٦٨ الميدالية الذهبية لمعـــرض « نيس » الدولي .

— ١٩٦٨ الميدالية الذهبية لمهرجان الفنون التشكيلية « بكان » .

— ١٩٧١ اصبح عضوا بالمركز الدولي للبحوث الجمالية بتورينو .

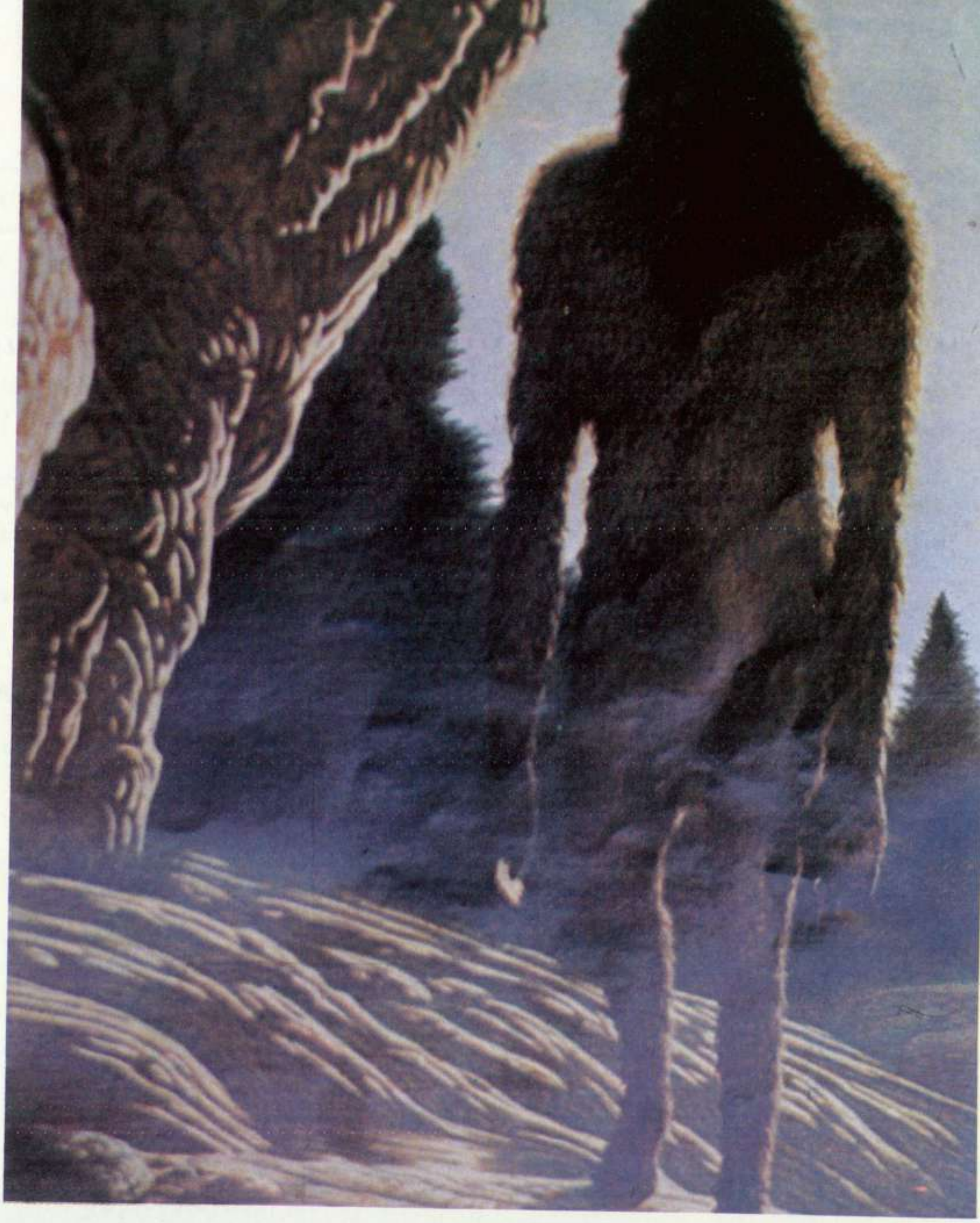
— ١٩٧٨ عاد إلى تونس واقام مرسمه بالمرسى .

— ١٩٨٠ شارك بجدرانية منسوجة فى زخرفة مطار جدة .

— ١٩٨٠ الميدالية الذهبية لبلدية جدة

— ١٩٨٠ اختار متحف « الكلينفنسبور ميوزييوم » (اوفينباخ) احدى اعماله التخطيطية .

— ١٩٨٠ ـ ٨٢ نظم معارض تنشيطية بمدرسة « البوليتكنيك » بزيوريخ وبجامعتها وبجامعة « جنيف » .



شكل (١) رسم تقريبي مشيد على اساس الوصف الذى قدمه بلنج جينشنج وزعم فيه انه راى مخلوقا بتلك الاوصاف .. لكن اين الحقيقة من كل هذا ؟ . (راجع المقال)

ظواهر حيّرت الناس

وحش الغابات..

الكائن الغريب الذي أفزع الناس

بقلم: د. عبدالمحسن صالح

اطلقت المراة الصينية جونج يولان ساقيها للريح ، حاملة طفلتها البالغة من العمر اربعة اعوام ، واخـــذت تصرخ وتستغيث مرددة بهســـتيرية جامحة .. « انسان وحش .. انسان وحش » !

وعندما ابتعدت عن مكانها الذى كانت تجمع منه بعض الحشائش والاعشاب وراء التلال الفاصلة بين قريتها وبين حافة احراش مجاورة ، سالها الذين قابلوها عن سر ذعرها ، وارتجاف جسدها ، فاخبرتهم انها رات الوحش الذى يشبه الانسان ، او الانسان الذى يشبه الوحش ، وهو يرتكز بظهره على جذع شجرة ، ويحتك عليه بشعره الكثيف الذى كان يغطى جسمه من أم راسه حتى اخمص قدميه !

ولم يكذب الناس الخبر ، فانطلقوا الى حيث كانت المراة تجمع العشب ، وتجولوا هنا وهناك ، دون أن يروا اثراً للمخلوق الذى افزعها .. صحيح انهم قد سمعوا كثيراً عن كائنات شبه انسانية تظهر بين الحين والحين فى مناطق كثيرة معزولة ونائية ، الا ان احداً لم يستطع ان يمسك بواحد منها ، أو – على الاقل – يصطاده برصاصة .

وانتقل الخبر الى الشرطة المحلية ، ومنها الى بكين العاصمة ، حيث يوجد علماء متخصصون فى الاجناس .. ولكى يتاكدوا ويطمئنوا الناس – خاصة فى المنطقة التى ظهر فيها الكائن المجهول – فقد توجه فريق بحثى اليها ، وبالتحديد الى الشجرة التى ادعت السيدة ان الوحش كان يحك بها ظهره ، علهم يجدون فيها اثره وبالفعل وجدوا عشرات من الشعرات ذات اللون البنى ، فجمعوها ليفحصوها فى معاملهم ، وليحددوا بها نوع الكائن الذى تركها .

ولم تكتف البعثة بهذا الاثر ، بل تجول اعضاؤها فى المنطقة ، فعثروا على آثار اقدام وفضلات صورت وجمعت من مواقعها حتى يمكن تحليلها ، والتعرف على نوع الطعام الذى يمكن ان يتناوله هذا الكائن او الكائنات التى من المحتمل انها تتجول فى المنطقة ، او تعيش فيها .

وتمت الفحوص والتحاليل – كما اشارت الى ذلك دراسة منشورة فى مجلة « العلم الميسر » منذ حوالى عامين .. واشارت الى ان نتائج التحليلات قد اوضحت أن الشعر الذى ظنوه – باديء الامر – انه قد ينتمى الى احد الدببة ، ليس الا نوعاً من الشعر القريب الشبه برتبة الأوليات ، وهى التى تضم القرود والقردة العليا مثل الشمبانزى والاورانجتـــان والغـــوريلا .. لكن القرود



شكل (٢) « سير » ادموند هيلارى وهو يستعرض صورة تقريبية لانسان الثلوج ، واسفل صورة اثر لقدم فى الثلوج ، لكن ذلك لا يعنى انها لهذا الكائن الغريب الذى يتحدثون عنه وكانما هو ضرب من الأساطير .



شيء ، ووصف المراة للكائن المستند الى الشجرة شيء آخر .

وعن آثار الأقدام التى صورت ، جاء وصفها بالضبط هكذا « ان الآثار تنم عن قدم طويل ، مقدمته اوسع من مؤخرته .. المقدمة عرضها حوالى عشرة سنتيمترات ، والمؤخرة حوالى خمسة .. وعلامات الأصابع تشير الى انها ذات شكل بيضاوى الا ان اصبعاً منها منفرج قليلا عن الأصابع الأخرى ، وتتجه آثار الأقدام فى خط مستقيم ، وتفصل بينها خطوات يتراوح اتساعها بين ٥٠ الى ٩٠ سنتيمتراً » ! .

وعن تحليل الفضلات التى وجدت منتشرة ومركزة فى ستة اماكن فوق ربوة صخرية ، وكانت وقتها جافة وصلبة ، فقد تبين ان هذه الفضلات تحتوى على بقايا اغلفة ثمار غير مهضومة ومنها ثمرة « ابو فروة » البرى ، ولم يكن بها اى اثر لبقايا طعام حيوانى ، مما يشير الى ان هذه الكائنات المجهولة نباتية التغذية !

لمن تكون كل هذه الآثار اذن ؟ .. وهل تشير من قريب أو بعيد الى وجود كائنات بين صفات البشر والقرود ؟ .. اى ارقى من القرود ، واحط من البشر ؟ .. لا احد يستطيع ان يحدد ، رغم ما يتردد من روايات ، وما جمع من آثار .. لكن المخلوق ذاته لم يظهر ليصوره او يصطاده احـد ، وكانما هو اشبه « بفص ملح داب » – على حد تعبير عامة الناس .

وشاهد عيان آخر

وليست تلك هى المرة الأولى التى يوصف فيها هذا « الوحش » الغريب باوصاف تختلف من شاهد الى آخر ، بل هناك العشرات ممن يدعون رؤيته ، وتتبع آثاره .. اذ يصف احد مديرى الكوميونات الصينية بانج جينشنج البالغ من العمر ٣٣ عاماً ما راى لجماعة بحثية تتبع اكاديمية العلوم الصينية فى بكين فيذكر « كان طول الكائن ذى الشعر الكثيف جداً حوالى سبعة اقدام ، وبكتفين اعرض من كتفي الانسان ، وبجبهة راس مفرطحة ، وبعينين غائرتين ، وانف افطس ذى فتحتين متسعتين ، ووجنتين غير بارزتين واذنين كالانسان لكنهما اكبر .. ولقد برز فكاه الى الخارج قليلا ، وكذلك شفتاه ، كما ان اسنانه بدت وكانما هى عريضة كاسنان الخيل ، وظهرت عيناه سوداوى اللون ، اما شعر راسه فكان بنياً داكنا وبطول يصل الى القدم على الأقل ، لينسدل على كتفيه فضفاضا (شكل ١ – وكما تخيله الفنان جريج سكوت من وصف الشاهد) .. لكن الشعر على كل وجهه – عدا الانف والأذنين – فكان اقصر .. ولقد تدلى ذراعاه حتى وصلا الى ما تحت ركبتيه ، ويمتلك يدين كبيرتين بهما اصابع طويلة لا يقل طولها عن ست بوصات ، لكن اصبع الابهام كان منفصلا قليلا عن الأصابع الأخرى ، ولم يكن له ذيل ، لكن شعر جسمه كان قصيراً ، وكان فخذاه مكتنزين واقصر من ساقيه ، وعندما يسير ، فباستقامة ، لكن ساقيه تبدوان منفرجتين .. وبلغ طول قدمه حوالى ١٢ بوصة ، اما عرضه فنصف ذلك ، لكن الجزء الأمامى اعرض من الخلفى ،

وحش الغابات..

دون محاولة لتتبع مساره ، والكشف عن سره ، ولكنهم فى صباح اليوم التالى ابلغوا اكاديمية العلوم الصينية ببكين انهم رأوا الانسان الوحش رؤية لا ريب فيها ولا خداع !



شكل (٣) صورة من الفيلم الذى التقطه راعى الابقار « روجر باترسون » .. وفيه يدعى ان تلك الصورة المهزوزة للانسان الوحش الذى ورد ذكره على السنة الناس منذ زمن طويل .. لكن يبدو انها خادعة

من وحش الغابة إلى وحش الثلوج

وهناك مئات القصص والروايات التى يتناقلها الصينيون منذ آلاف السنين عن ظهور الانسان الوحش ..... لكن احداً لم يستطع ان يصطاد ولو مخلوقاً واحداً ، حتى يثبت بالدليل القاطع وجود مثل هذه المخلوقات التى تتردد على السنة الناس - ليس فى الصين وحدها ، بل فى معظم القارات .. لكن قبل ان نتعرض بالحكم العلمى على ما يتحدث به البشر ، دعنا نسوق ظاهرة اخرى مختلفة كانت مثار جدل كبير ، وفيها يدعى البعض انه راى انساناً غريباً يعيش فى قمم الجبال العالية حيث الثلوج الدائمة ، ومن هنا اطلقوا عليه اسم انسان الثلوج الوحش !

ولقد ترددت على مر العصور حكايات بين سكان المناطق المتاخمة لهضاب التبت فى آسيا ، والهيمالايا فى اوربا ، ليس ذلك فحسب ، بل لقد انتقلت العدوى الى متسلقى الجبال من الاوربيين ، وادعوا انهم شاهدوا انسان الثلوج وهو يتجول بعيداً عن الانظار ، ثم يختفى باسرع مما ظهر داخل كهوف ثلجية !

ومن هؤلاء متسلق الجبال الشهير اريك شبتون الذى قرر انه رأى آثار اقدام غريبة بين ثلوج الهيمالايا فى نوفمبر عام ١٩٥١ ، وظل يتتبع تلك الآثار قرابة ميل الى ان اخفت الثلوج معالمها ، ومع ذلك فقد التقط لها بعض الصور كدليل على ما راى .. ثم ياتى واحد مثل « سير » ادموند هيلارى - الذى صعد من قبل الى قمة ايفرست - ليذكر انه يعتقد فى وجود انسان الثلوج ، اذ سمع من مرشده تنسنج نورجى - الذى صعد معه الى القمة - ان اباه (والذى صعد بدوره الى اعلى ايفرست) قد راى احد هـــذه المخلوقات الغريبة وقد تغطى جسمه بشعر كثيف ليحميه ! (شكل ٢) .

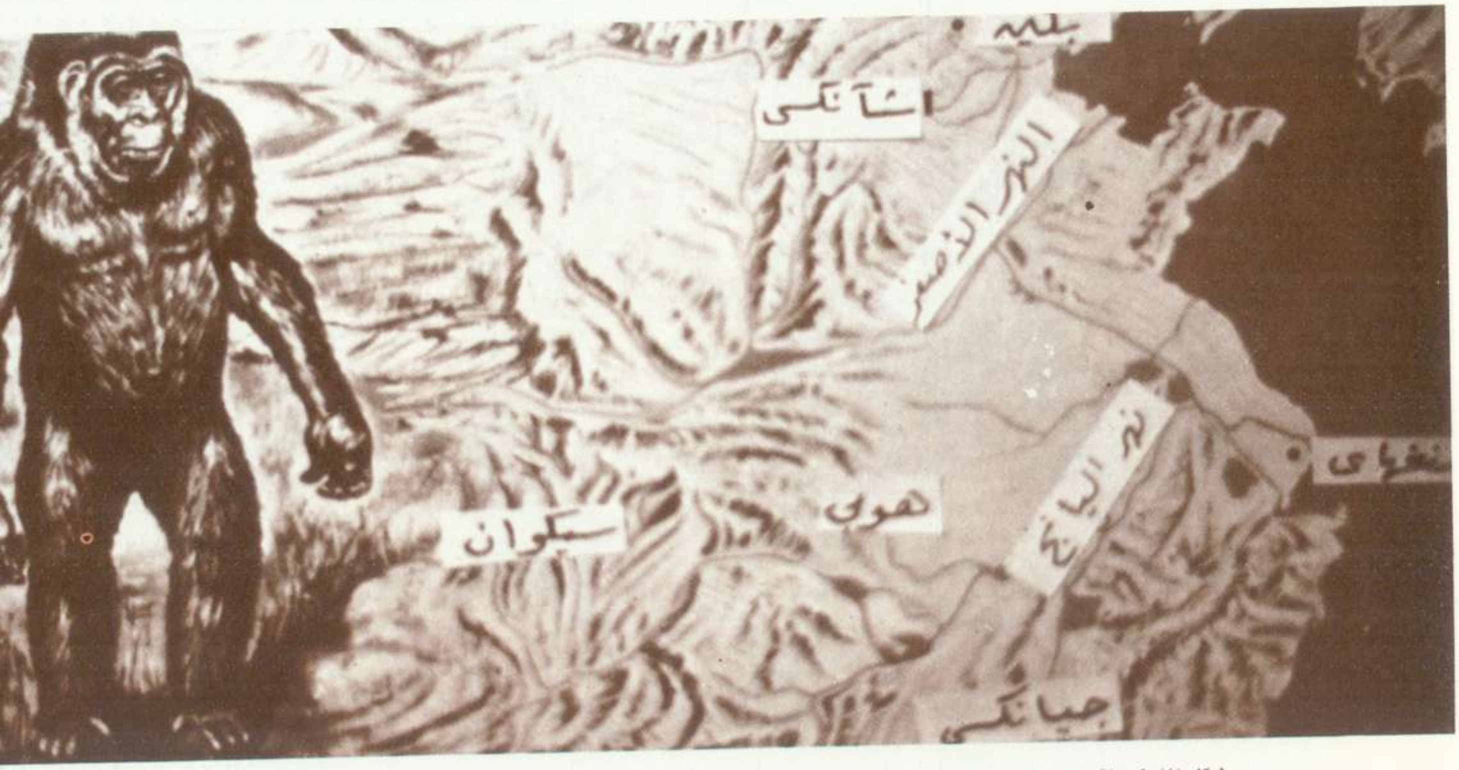
وفى عام ١٩٥٨ اثار دكتور الكسندر برونين العالم السوفيتى غضب زملائه عندما اسر لهم انه راى شبيه الانسان فى

حياتى ، ووقف كل منا يرمق الآخر ويحملق فيه دون حركة ، وبقينا هكذا لمدة ساعة كاملة ، وبعدها امسكت بحجر وقذفته به ، فاصابه فى صدره ، وعندئذ عوى وزمجر عدة مرات ، وهو يتحسس مكان الاصابة بيده اليسرى ، ثم استدار يساراً وتخطى شجرة ، وسار متباطئاً نحو السفح وهو يصدر اصواتاً مكتومة » !

ورواية اخرى تحكى قصة ستة رجال كانوا يتجولون بعربة « جيب » فى ليلة قمرية من ليالى شهر مايو ١٩٧٦ بغابة شيننجيا القريبة من قرية بمقاطعة هوبى ايضاً ، وفى الطريق وقعت اضواء العربة الكاشفة على مخلوق غريب ذى شعر بنى كث وبدون ذيل ، وتوقفت العربة ولازالت اضواؤها مسلطة عليه ، وعندئذ ترك الرجال الخمسة سائق العربة ، وتوجهوا نحو المخلوق المعترض ليحققوا نوعه .. وتستطرد الرواية لتقول : لم يكن بينهم وبينه سوى عدة اقدام قليلة ، فعاينـــوه بوضوح ، فبدا عليه وكانه يتطلع اليهم بنفس فضولهم ، وبعدها انطلق ليختفى بين الأشجار ، وتسمر الرجال فى اماكنهم

وباصابع مفلطحة ، ولقد كان ذكراً - وانا متاكد مما رايت » .

وتذهب الكاتبة الصحفية اودرى توبنج التى كتبت شيئاً عن هذه الظاهرة فى مجلة العلم الميسر ، لتوضح على لسان الرجل متى راى هذا المخلوق ، واين شاهده وكانت اول صحفية غربية يسمح لها بزيارة مجاهل منغوليا عام ١٩٧٣ اثناء حكم ماوتسى تونج .. ولقد كتبت رحلتها تلك فى كتاب نشر عام ١٩٨٠ بعنوان « روعة التبت » سجلت فيه ما شاهدت وما سمعت من غرائب هناك - فيذكر انه راى الكائن الكث الشعر فى شهر اكتوبر عام ١٩٧٧ فى غابة حيث كان يقوم بقطع الأشجار الواقعة على منحدر اخدود فى مقاطعة هوبى ، وعندئذ - والكلام على لسانه « تقدم نحوى اكثر فاكثر ، فانتابنى رعب شديد ، لكننى بدات ابتعد عنه كلما خطا نحوى ، الى ان اصطدم ظهرى بصخرة ناتئة منعتنى من الحركة ، وعندئذ تقدم المخلوق الكث الشعر حتى اصبحت المسافة بينى وبينه لا تزيد عن خمسة اقدام ، وهنا لم اتمالك نفسى ، فرفعت فى وجهه فاسى ، دفاعاً عن



شكل (٤) خريطة تبين بعض مقاطعات الصدين ، حيث يدعى البعض ان الكائن القرديظهر فى مقاطعة او اكثر منها ، والى اليسار رسم توضيحى لهذا المخلوق الخيالى .. وسوف يظل كذلك حتى يثبت ما يصحح ذلك !

جبال البامبر (بوسط آسيا ، وجزء كبير منها يقع جنوب الاتحاد السوفيتى) واتهمه البعض بالخبل ، لانه لا يعرف شيئا عما يقول ، فان ما ذكره هراء فى هراء ! .

ويبدو أن العدوى قد انتشرت حتى وصلت الأمريكتين وكندا .. اذ ظهر الوحش هناك ، ولكن باسماء وصفات مختلفة .. وتناولت اجهزة الاعلام هذه الحكايات بالنشر والتعليق ، حتى زادت حصيلتها عن المئات ، ولكى تضع احدى دور النشر حداً لهذه القصص التى ثار حولها جدل كثير ، فقد اعلنت عن جائزة قدرها مائة الف دولار لمن يصطاد مثل هذا الانسان الوحش او يقدم دليلا قويا على وجوده ، لكن احداً لم يتقدم لنيل الجائزة حتى الآن .. يضاف الى ذلك أن بعثة بحثية قامت بمسح منطقة واسعة معزولة ، حيث تتردد عنها اقاويل بان مثل هذا المخلوق يختفى فيها ، لكنها عادت بخفي حنين .

ومع ذلك فقد تقدم مربى الماشية روجر باترسون بفيلم طوله ٢٩ قدما مدعيا انه يحتوى على الدليل القاطع لوجود الانسان الوحش ، اذ راه يتحرك فى ممر ضيق معزول بالقرب من يوريكا بكاليفورنيا ، وكانت المسافة بينهما حوالى مائة متر .. والغريب انه وصف ذلك المخلوق بانه طويل وذو شعر كثيف وبقامة معتدلة ، وهو يعتقد انها انثى لوجود ثديين متدليين ، وكانت تقفز بخطوات واسعة ، وتهز ذراعيها وكانها تجدف بهما فى الهواء ، وقبل ان تختفى فى الغابة نظرت الى الة التصوير نظرة خاطفة .. وهو يعتذر لأن الفيلم جاء مهزوزاً وغير واضح (شكل ٣) ، لكن الخبراء الذين فحصوه قد اقروا بزيفه الواضح ، او هو خدعة لا تجوز الا على البسطاء .. وعلى هذا يعلق تونى ستيفنز رئيس تحرير جريدة « الينوى » محذراً بقوله : ان كل من يتجول فى هذه المنـاطق مرتدياً لباس حيوان ، فلا يلومن الا نفسه ، فسوف تصيبه رصاصة فى عجزه .. وواضح ان ستيفنز يقصد اللعبة التى يقوم بها البعض علهم يروجون لوجود مثل هذه المخلوقات الأسطورية !

القصص بعد ذلك كثيرة ، وللاسف فقد نقلها بعض الكتاب العرب ونشروها على انها حقائق اطنبوا فيها وزادوا ، حتى تصبح عند القارىء العادى جذابة ومثيرة ومقروءة ، والغريب انهم اعطوها صبغة علمية ، وقالوا انها جاءت كذلك من مراجع علمية ، وان العلماء اعترفوا بها ، لكنهم لم يستطيعوا تفسيرها .. إلى اخر هـــذه الافتراءات التى تزيد الناس ضلالا ، وتلصق بالعلم ما ليس فيه .. صحيح ان المراجع العلمية تضيف الى ذخيرتها مئات بل آلاف الانواع من الكائنات التى تكتشف لأول مرة كل عام ، وهى كائنات صغيرة الحجم ، او قد تكون فى مجاهل الغابات (ومعظمها حشرات وديدان ونباتات وما شابه ذلك) ، او فى اعماق البحار .. المهم انها تجمع وتدرس وتضاف الى مملكتى النبات والحيوان ، لكننا لم نلحظ على الاطلاق ـ وبحكم تخصصنا ـ ان احداً من هذه الكائنات الخرافية ـ التى تتردد على السنة العامة ـ قد ادخلها العلم تحت لوائه ، فعلى اى اساس تدخل ، وليس هناك دليل واحد على هويتها ؟ .. تحت اى اسم او رتبة تدخل او تصنف ؟!

وحش الغابات..





شكل (٥) صورة حقيقية لطفل مغطى بشعر كثيف ، وبجواره تقف اخته دون ان تظهر عليها هذه الصفة الغريبة .. والى اليمين يظهر ظهر الطفل مغطى بشعر كثيف كانه شعر ماعز !

عودة الى الانسان الوحش

ومع حرص العلماء على عدم الاندفاع وراء اهواء الناس وظنونهم ، ثم تضييع الوقت والجهد والمال فى امور لا فائدة منها ، ولا مغنم للعلم فيها ، لانها اشبه بمن يجرى وراء سراب خادع – مع ذلك ، فلا مانع لدى بعضهم من تحرى مثل هذه الامور ، حتى ولو لم يصلوا فيها الى نتيجة ، لان النتيجة السلبية هى على اية حال نتيجة تقــول : لا يوجد شىء من هذا القبيل ، وبهذا تضع حداً فاصلا بين الغث والسمين ، كما حدث مثلا فى وحش بحيرة نيس باسكوتلاندا (انظر مقالنا عن هذا الموضوع بالعدد السابق من هذه المجلة) .

من ذلك مثلا ان سيرادموند هيلارى الذى اشرنا إليه قبل ذلك ، قد راس بعثة مجهزة تجهيزاً حسناً وممولة تمويلا طيباً ، وتوجه بها الى نيبال فى عام ١٩٦٠ للبحث عن الانسان الوحش الذى يعيش هناك ، والمعروف باسم « بي تى » .. الا ان البعثة لم تعثر على شىء يذكر ، لكن بعض الاهالى قد عرضوا عليه ان يرشدوه الى رجل يحتفظ بجزء من راس الانسان الوحش ، مقابل مبلغ من المال ، واسعده ذلك ودفع المطلوب وعاد « بفروة » راس الانسان الوحش ، وسلمها الى بعض العلماء ليفحصوها ، وعندئذ تبين لهم ان ما احضره سيرادموند ليس الا جزءاً من جلد حيوان نوع من الماعز يعيش هناك ، وان الذى باعه له قد صنعه بيديه ليتقن الخدعة .. وتناقل القوم الخبر ليصبح « السير » اضحوكة ، بعد ان خدعه قروى ساذج من الشرق .

على اية حال ، فالامر هنا لا يخلو من تحقيق ، ففى عام ١٩٧٦ قامت فرق بحثية من بكين وشنغهاى ومقاطعات مثل هوبى وشانكسى وسيكوان .. الخ . وظلت تجوب الغابات التى يدعى الناس انهم راوا فيها الانسان الوحش ذا الشعر الكث ، ومسحت ما يزيد على ٦٠٠ ميل مربع ولفترة تزيد على السنتين .. ولكن لم يعثروا على اى اثر لهذا المخلوق الأسطورى المجهول .. تماما مثلما فعلوا مع وحش بحيرة نيس المجهول (شكل ٤) .

الأصل فى تلك المعتقدات

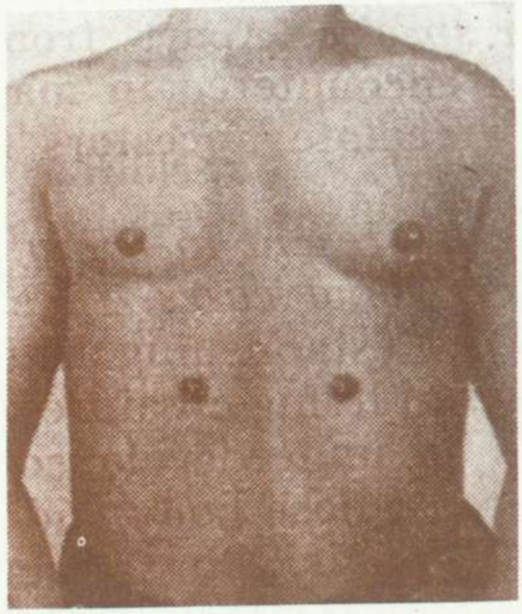
لكن .. لماذا يتفق الذين ادعوا رؤية هذا المخلوق الغريب على انه اقرب لانسان مغطى بشعر كثيف ؟ .. ثم الا يحتمل ان تكون البداية اسطورة لظاهرة رآها الناس رؤية العين ، فحاولوا تعليلها باشباه بشر يعيشون معزولين فى الغابات ؟

ان ذلك محتمل جداً ، خاصة وان الانسان ذا الشعر الكث موجود بالفعل ، وشعره ينسدل على جسمه كانه شعر ماعز او دب او قرد .. لكن هذا الانسان الغريب ليس موجوداً هذه المرة فى الغابــات والاحراش ، بل موجود مع الناس الذين يطلقون هذه الحكايات .

لقد نشرت مجلة انباء الصين المصورة فى عام ١٩٧٨ مقالا مصحوباً بصورة طفل صينى يدعى يوزنهوان .. والطفل مغطى بشعر كثيف عدا الجزء الأمامى من وجهه ، وقد ولد الطفل لابوين عاديين ، كما ان اخته الواقفة الى جواره قد جاءت عادية ايضا (شكل ٥) ومثل هذه الحالات نادرة



شكل (٦) صورة لصبى وعلى وجهه ورقبته شعر كثيف ، وكانما هو بصورة اقرب الى الأسد ، ومن هنا جاءت التسمية .. لاحظ ايضا ان جسمه مغطى بشعر طويل ، لكنه اخف من شعر الرقبة والراس .



شكل (٧) من المفروض ان يكون لكل فرد من النوع البشرى ثديان لاغير .. ضامران فى الرجال ، مكتنزان فى النساء .. لكن احيانا نادرة يظهر اثر ثديين اخرين ـ كما هو واضح فى الصورة ـ وهى ظاهرة الاتافيزم ـ كما يعرفها العلماء .

الحدوث جداً ولقد سجلت الصين ولادة ١٩ حالة مماثلة ، وناشدت الحكومة الناس الا يربطوا بين ولادة مثل هذه الحالات ، وبين ردة او نكسة نحو الحيوانية ، لان غزارة الشعر لا تعنى ان المولود ليس انسانا سويا ، بل هو انسان يتمتع بالعقل والذكاء وحسن التصرف ، وسمو العاطفة ، والبعد عن العدوانية .. الى اخر هذه الصفات الانسانية .

والواقع ان مثل هذه الظاهرة تعرف علميا باسم الاتافيزم Atavism ، وهى التى يظهر فيها الكائن الحى بصفة او صفات تملكها اسلاف حيوانية بعيدة عن الانسان ، لكنها احيانا تظهر فيه ، وبنسب ضئيلة للغاية ، وعادة ما يرجعها الناس الى تفسيرات غريبة .. كان يقال ان الام اثناء حملها قد وقعت عيناها على قرد ، او اعجبت بفرس ، او داخلها الشيطان .. الى اخر هذه التفسيرات التى لا تقوم على اساس !

تذكر لنا العالمة الروسية ايرينا كاروزينا فى كتابها « البيولوجيا » أن السيرك الروسى فى السبعينات من القرن الماضى كان يعرض ضمن برامجه رجلا وابنه بشعر يشبه شعر الكلاب ، وينتشر حول كل جزء من جسميهما .. وهناك ايضا الولد الأسد ، ويدعى ستيفان بوبروفسكى ، اذ جاء الشعر على راسه ووجهه ورقبته وكانما هو شعر اسد (شكل ٦) ، وبقية جسمه مغطى بشعر اخف ، كما ظهرت فى الهند عائلة ذات اجســـام مغطاة بشعر كث كشعر الحيوان ، بما فى ذلك النساء ، وتسلسلت هذه الصفة من الجد الى الحفيد .. كما عرضت ايرينا صورة انسان باربع حلمات (انظر شكل ٦) ، وولد بذيل .. الخ .

إن هـــذه الظـــاهرة غير مفهـــوم اسبابها تماما ، والحديث فى اصولهـــا الوراثية قد يتشعب ويطول ، لكن يكفى ان نقول إنها ترجع الى عوامل جينيـــة (وراثية) ، حيث تجمع الصدفة النادرة بين جينتين او اكثر ، فتعبر عن نفسها بشذوذ خلقى ، ويعيده الناس الى اصول حيوانية ، ثم يتصورون ظهور هذه الاصول فى حيوانات اسطورية ليس لها من وجود حقيقى الا فى تصورات رديئة قد تتخذ احيانا شكل الهلوسة ، وهى لا تظهر الا عند انسان لديه عقيدة راسخة فى وجود مثل هذه الكائنات ، وقد تبدو له فى عزلته على هيئة تهيؤات ، فالذى يعتقد فى شىء يراه والذى لا يعتقد ، لا يرى .

ولاشك ان انتشار مثل هذه الحكايات على مر العصور قد حفر فى ذاكرة الأجيال اعتقاداً راسخاً بوجود هذا الكائن او ذاك فى الغابات ، او على قمم الجبال المغطاة بالثلوج ، وقد يكون ما راى خداعاً بصريا ، او ربما حيوانا من حيوانات الغابة ، لكن خوفه وتصوره قد جسدا له ما راى فى انسان غريب كث الشعر .. ومما يساند ذلك ان فقيها هنديا فى لغة هؤلاء القوم قد اعاد اصـــول كلمـــة « يى تى » الى كلمتين مستخدمتين بين اهالى التبت ، وتعنى احداهما احمر ، والاخرى دب ، اى الدب الأحمر ، واحيانا ما يقف الدب على رجليه الخلفيتين ، وربما اوحت استقامته للانسان المهيا نفسيا لذلك ، انه تقابل وجها لوجه مع انسان الغابة الوحش ـ كما اوحى اليه تراث الأجيال الأسطورى من مئات السنين . ذلك ان اقدم اسطورة صينية عن هذا المخلوق المخيف يرجع تاريخها الى حوالى الفى عام !

وطبيعى ان كل نوع من الكائنـــات لا يمكنه ان يعيش فرداً وحيداً ومشرداً ، بل لابد ان تتالف افراده فى جماعات ، حتى يمكن ان يكون بينها تزاوج وذرية واجيال ، وبهذا يكتب لها الاستمرار ، وليس من المعقول ان يظهر واحد ثم يختفى دون اثر يذكر ، هذا رغم البعثات الاستكشافية التى تمسح قطاعات واسعة من الغابات ، ودون ان تهتدى الى موطن جماعة منها ، او الامساك باحد افرادها ، او حتى بالتقاط صورة واضحة لتكون دليلا عمليا على وجود مثل هذا المخلوق الأسطورى .

لكن كل ذلك قد يهـــون اذا ما قـــورن بمخلوقات اخرى اعجب واغرب تهبط علينا فى اطباق طائرة من الفضاء ، وهى لازالت مادة دسمة تتناولها الصحافة ، ويرددها الناس .. فهل هناك حقا مخلوقات فضائية حطت على ارضنا ، ام انها ايضا خدع وروايات ليس لها من اساس تماما كخدع وروايات وحش البحيرات والغابات والثلوج ؟ .. دعنا نرى .

عبد المحسن صالح

ويبقى الصوت حيًّا



قصة بقلم :
ليـــلى العثــمان

تقول الحكاية : ان ذلك الصوت الحزين الباكي كان ينساب عبر نسيم الليل من مكان ما .. ليطرق الآذان .. ينسكب فيها انسكاب الماء الحارق على الجسد .. ياتى موجعاً .. مترعاً بالألم .. فيه مزيج من الشكوى .. والابتهال . وينذر بحدة قد تتفجر يوماً فتصبح جنوناً يشق بكارة الحي الغافى دائماً على حكايات صغيرة .

هذا الصوت موال بدأ يسمع فى الليل ، يفوح صداه مثقلاً بروائح الألم . وفى النهار رغم الضوضاء والصخب ، يحسه كل من يتحرك وكانه داخل اذنه .. يشقها ، ينتزعه من اشغاله اليومية ، ما بين اللحظة والأخرى وكانه يذكره بان الصوت ما يزال .

اصبح هذا الموال يقلق الصمت .. ويفجر التساؤلات وهو حزين شاك لا يفتأ يردد :

« قلبى على طوير خضر
شالوه من إيدي
ماشافته العين لا
وما رضعه دويدى (١)
عيني عماها ملحها
والنار على خديدي
اصرخ وجمر فى الحشا
وينه ثرى وليدي » .

● ●

يوم الجمعة ينفض شمل المصـــلين . يخرجون من المسجد كل يحمل مسبحته ، تسبقهم آيات الحمد والشكر ، يتوزعون بين الدكاكين القريبة ثم يتفرقون متوجهين كل إلى بيته . يمرون عبر الأزقة الطينية حيث تبـــدو النســـاء الكادحات عائدات من « ســـاحة الصفاة » (٢) بعد نهار شـــاق ، واحدة تحمل قفص الدجاج على راسها . وتدب فى سيرها ، وشجار الدجاجات متواصل فى القفص ، وبعض الريش يتطاير حتى يلتصق « ببوشيتها » (٣) الكالحة . واخرى تحمل سلة مهترئة فارغة الا من بعض قشور بيض تكسر وتلون بلون الصفار الذى تجمد عليه . وام خضر - يعرفها اهل الحي - تدس بقشتها المليئة بحاجيات النسوة ، وغالباً ما يكون حجم البقشة فى طريق العودة اصغر مما كان عليه حين خرجت فى الصباح . وبائعة الباجلاء تهف على وجهها وقد اختارت ظلا تحت الجدار . ولم يكن الطريق يخلو من همهمات .. وسلامات .. واحاديث عابرة بين النسوة . وقد توقف إحداهن ام خضر لتفك بقشتها وسط الشارع لتتفرج على مالديها من حاجات .

ويتراكض الاطفال بين النسوة والرجال يتطاير غبار الطريق تحت اقدامهم . ويشوطون الحجارة التى قد تنفلت وتسقط فى قدر الباجلاء ، فتثور بائعته وتسب ولا من يسمع .

والبنيات الصغيرات على رؤوسهن تتربع « مطابق » (٤) اللبن وهن قادمات من بيت ام علي . او صرر الملابس الملونة لقادمات من بيت - ام عبيدي - الخياطة ، وقد يتلاسن احياناً مع بعض الصبية المهرجين .

تصب هذه الافواج في الشارع الطويل ، ومنه تتوزع عبر الطرقات الدافئة الضيقة العابقة بروائح الطعام .. والكاز .. وبخار التراب .

وكل من يمر عبر تلك الطرقات كان الصوت يتهادى إليه .. وكثيراً ما شـــوهد الناس وهم يرفعون رؤوسهم باحثين عن المصدر الذى يصل منه إلى اذانهم ونوافذ بيوتهم ، فتعلو وجوههم دهشة وحيرة : بينما السؤال يتوالى مع توالي الليالي والأيام : من صاحبة ذلك الصوت المتفجر ألماً بكلمات تؤكد نواح ام فقدت طفلها ؟؟

● ●

لم يكن احد ليعترف من الرجـــال بان لهذا الصوت وجوداً . كان كل واحد منهم يخشى ان تلصق به تهمة إيواء هذا النواح لكن الفضول النسوى كان يوقف سير الأقدام التى كثيراً ما تحار اين تستقر : كل فراغ ياتي الصوت ، ومن كل نافذة يخرج .. ومن كل حجر ينطق ، حتى ان بعضهن اخذ يشيع أن « شيطاناً ما » يفعل هذا .. وبعضهن يؤكد وجود امراة نائحة يسذمعن إلى غنائها حتى تبتل بوشياتهن بقطرات الدمع .

تقول ام خضر وهى تفك بقشتها فى حوش احد البيوت :

- كان الصوت ياتى من بيت « فلان » فتضرب ام سليمان على صدرها الذى يكاد قفصه ان يشق الثوب :

- ويه : عنده زوجتان اراهما كل جمعة فى السوق .

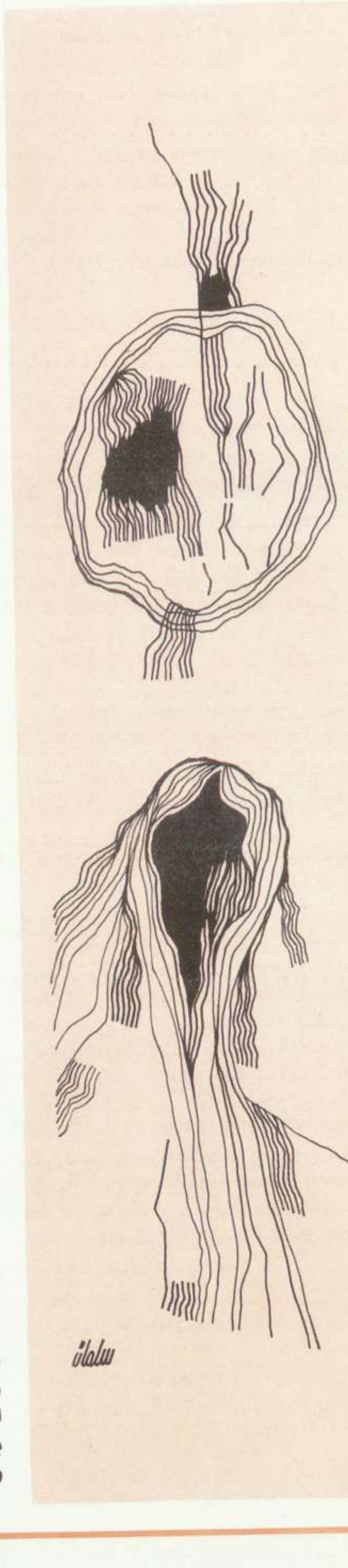
وتحرك ام خضر اناملها بشكل مروحة ثم تستغفر ربها ثلاثاً وتهمس :

- وعنده بنت عانس ! الله اعلم .

فتصفق ام سليمان كفاً بكف :

- لا حول ولا قوة الا بالله .. ولكن يا ام خضر هذه واحدة تنعي ولدها . تنفض ام

خضر عباءتها وتهب واقفة :
- الشكوى لله . والله لا ندري ما هي السالفة . وتخرج .. تترك السؤال مطروحا : ترى ! هل ياتي الصوت من بيت فلان حقا؟؟ وتكاد المراة تؤكد كلام ام خضر لتريح خاطرها .. لكن « عبدة » (٥) بيت « ابو وزان » تهز قناعتها غير الكاملة حين تجيء فى المساء لتوصل غرضا : جلست وتجشات فانتثرت فى المكان رائحة فجل ، فهفت ام سليمان بمهفتها وهى تزم شفتيها قرفا :
- الله هداك يا « غروبة » كانك اكلت عشر شدات من الفجل .
ابتسمت بخجل :
- والله صحيح يا ام سليمان .. رعيت اليوم بالفجل دون ان ادري .. وانا فى طريقى ظهرا من الدكان .. جاءني ذلك الصوت الشاكى .. تعوذت من الشيطان لاكمل طريقي ، لكن الشيطان جبار ، وسوس لي ، من هنا الصوت ، فامشي . لكنه غاب حين وصلت وكانه ياتي من الخلف ويهمس لي : من هنا .. فاتبعته .. واحس بالجوع فاكل من الفجل . ظللت ساعة واكثر حتى كاد يؤذن العصر ولا فائدة ، الصوت يهرب إن لحقته .. ويلحقني إن تركته .. و ...
قاطعتها ام سليمان :
- ما الذى يجبرك ؟ غيرك فعل مافعلت .. ولا احد حتى الآن استطاع ان يعرف صاحبة الصوت او مصدره .
فتفاخرت « غروبة » بصوت ابح :
- ويه .. يرحم والديك ، بدا النـــاس يتهامسون .
وتفجر فضول ام سليمان بفرح :
- بماذا ؟ من تهامس ؟؟
تهربت غروبة من ذكر اي اسم :
- الناس .. اقصد بعضهم .. وحتى عمى « ابو وزان » سمعته يهمس ان الصوت ياتي من بيت « ابو شهاب » .
ثم نفضت ثوبها : والله اعلم .
قالت ام سليمان :
- تقولين « ابو وزان » قال هذا ؟
وانتثر رعب على وجه غروبة :
- الله يخليك يا ام سليمان . لا تقولي انني تفوهت بهذا .. الله اعلم .. قلت لعمتى حين لامتني على تاخـــري ونقص الفجل الذى معي اننى كنت ادور وابحث عن مصـــدر الصوت . انني فعلا لم اتعرف او اقنع بمكان .
- وماذا قالت ؟
- سحبت الفجل من يدى بغيظ . وعند الغذاء سمعتها تحكى قصتي « لابى وزان » وهنا همس بما قلته لك .
وعدتها ام سليمان بالا تنطق بمـــا سمعت ، وحين تركت غروبة حوش الدار ،



كانت ام سليمان تقف وفى خيالها خواطر ، وصور ، وتهيؤات ، ثم مشت وهى تهمس لنفسها : الشكوى لله الشكوى لله .. ساخبر « ابو سليمان » بما قاله « ابو وزان »

● ●

صارت الاغنية تتردد على افواه النسوة وهن يخبزن خبز الرقاق .. او يغسلن الثياب ، حتى وهن يفركن القدور السوداء بالرمل . وانتقلت العدوي إلى الاطفال صبية وبنات ، فاخذن يرددنها ليل نهار رغم صراخ آبائهن فى وجوههن ووجوه امهاتهن اللواتي يرددن الاغنية .
واصبح الامر اعتياديا .. المارون يسمعون ، يبحثون ، ثم يعجزون . والنسوة بفضولهن يخترعن كل يوم حكاية ، والرجال يستغفرون ويهربون من مناقشة الموضوع . حتى كاد الناس بعد ذلك ان يتجاهلوا الامر .. او ينسوه تماما .

● ●

ذات صباح تعكرت السماء بالغبار الأحمر . كان ناصر يمسك بيد اخته وضحة يقطعان الطريق من البيت الى المدرسة . يوصلها اولا ثم يكمل طريقه إلى مدرسته ليعود بعد الانصراف ثانية ، فيجدهـــا تنتظره حاملة دفاترها ، وباليد الاخرى عصا من الحلاوة تمصها بتلذذ ، تعطي له نصفها ما ان يصل .
فى ذلك الصباح تاخرا فى النوم .. لذا كان يجرها من يدها راكضا .
صرخت :
- لماذا تركض ؟؟
- لقد تاخرنا ..
وتوسلت بصوت طفولي :
- لا تذهب من طريق الحوطة .. اريد ان امر على الدكان .
كرر وهو يجرها :
- لقد تاخرنا . اشترى الحلوى من قرب المدرسة .
وباصرار قالت :
- لا اريد .. لا اريد ..
صفعها صفعة خفيفة على وجهها .. وشدها إلى الحوطة ، يقطعانها إلى الشارع الآخر .
كان ملح السماء الاحمر يزداد .. والهواء يتلاعب باوراق الاكياس وبعض القاذورات والحوطة خالية تماما إلا من عنزة تركت لترعى بعض الورق والفضلات . وهما يركضان رغم الحصى والعلب الفارغة . وفجاة هوت اخته منكفئة وصرخت :
- إنك تسحبني .

ويبقى الصوت حيًا

- لقد تاخرنا . هيا .. قومي .

وانحنى ليرفعها عن الأرض ، فاصطدمت عيناه بكومة من التراب المبلل . وقد تبعثر بفعل سقوط اخته عليه.رفعها .. نحاها جانبا ، نظر إليها وتساءل :

- ما هذا ؟

فصرخت فيه كانها تود الانتقام منه :

- هيا .. لقد تاخرنا .

وضع سبابته على شفتيه :

- هص . لنر . ما هذا أولا .

فجاة عوى كلب ، فارتجفت الصغيرة ، لكنه هداها .. وجلس بقربها .. واخذا يتاملان الكومة الرطبة .. وتساءلت العيون الأربع .. تباعدت .. وتلاصقت .. ثم عادت تعانق كومة التراب . مد يده .. اخذ ينبش الكومة فصاحت اخته بصوت مرتجف :

- لا .. لا يا ناصر .. يمكن أن تكون حية،

هداها :

- الحية لا تدفن نفسها هكذا .

ويده لا تزال تنبش .. وتنبش . حتى بدات تغوص بعد ذلك . وإذ اصطدمت بشيء ، التفت إلى اخته :

- وجدته .

شهقت :

- ما هو ؟؟
- كنز !

فرحت :

- كنز ؟ ذهب يعني !

قال وهو يكمل رفع التراب :

- ذهب .. فلوس . المهم وجدنا كنزاً .

وحفر .. ثم مد كلتا يديه الصغيرتين ، وانتشل صرة من القماش الأبيض . نفض عنها التراب ووضعها بينه وبين اخته :

- هيا .. فكي هذه الخيوط .

وانفرجت الصرة عن مشهد جعلهما يقفزان صارخين بصوت واحد : يما .. يما تثلحت اطرافهما لبرهة .. والكلب الذى كان يعوي فى آخر الحوطة اقترب . وصلب اذنين جرباوين ولسانه يلهث ، ثم اقترب . واخذ يشم الصرة ويرفع راسه نحوهما .. ثم يدور .. ويدور بينما عيناهما تتقاذفان الخوف والسؤال .

نطق اخيراً بكلمات عوجاء :

- هذا ولد .

هزت راسها بايجاب ، ولمح دمعة على خدها تلونت بلون « الطوز » (٦) الأحمر .

طرد الكلب بحركة من يده .. ولما لم يتحرك امسك بعلبة فارغة ، قذفه بها .. ثم بعصا . لحقه حتى ابتعد قليلا ، وعاد إلى اخته التى مدت اصابعها تتلمس جسد الطفل الطري . وحين دنا منها سحبت يدها خجلى . فاخذ بدوره يتفحص الطفل . يشد ساقيه ويديه .. وقال :

- هذا ولد ميت .. ولكن !

وبكت :

- واي .. انا خائفة .. هنا يدفنون الأموات ؟؟

لامس كفها الصغير ليزيل بعض هلعها :

- لا .. يدفنونهم فى المقبرة .

واشارت باصبعها :

- وهذا ؟؟
- لا ادرى .

ثم انكفا يلف الطفل بقماشه ، وغيره من الصبية والبنات بداوا يهرعون عبر باب الحوطة . يقتربون .. يقتربون . وقبل ان يكمل وضع الطفل فى حفرته كانوا يتحلقون حوله متسائلين .. لكنه صرخ فيهم :

- ابتعدوا .. لا عليكم من هذا الأمـر .

وثار صراخ الأولاد .. ثم امتدت يد احدهم لتشد « ناصر » من فوق التراب .. وتسحب الصرة البيضاء وتفتحها امام اعين الجماعة التى ما كادت ترى المشهد حتى تطايرت رعباً . وتراكضوا إلى بيوتهم ليعلنوا الخبر . فشد على يد اخته .. والوى راكضا هو الآخر ناسيا المدرسة التى خرج إليها مسرعاً هذا الصباح .

• •

سرى الخبر سريان النار فى الهشيم . وخلال وقت قليل كانت الحوطة تعج بعشرات الرجال والنسوة وبعض الصبية الحفاة فى دشاديش النوم المقلمة القصيرة يفركون اعينهم التى لم تشبع من النوم .

اخذ بعض الرجال يهش الجموع ، لكن الجموع تبتعد من جهة لتزدحم من جهة اخرى . وبدا شجار بعض الصبية ، وكان ثاراً قديماً قد استفاق فجاة بينهم . وبينما تقرص اذانهم وزنودهم اصابع الأمهات اللواتي يردن أن يسمعن كل كلمة ينطق بها الرجال المتحلقون حول جثة الطفل التى اصبحت مشاعاً لكل الأعين .

قال احدهم :

- نواريها التراب .

اعترض آخر :

- هذه ليست مقبرة .

تنهد ثالث وتعوذ :

- من الذى فعل هذه الفعلة ؟

صرخ صوت :

- اقسم انه « ابن حرام » ارادوا التخلص منه !

هداه رجل :

- سم بالرحمن . لا تقسم قبل ان تعرف الحقيقة . لكنه احتد اكثر :
- حقيقة .. اية حقيقة ؟

واشار بيده إلى الجثة واكمل :

- الحقيقة امامك .. ولست اعمى .. جاهل ميت مدفون فى حوطة .

عاد يهدئه :

- صحيح .. صحيح .. لكن يمكن !!
- لا يمكن .. ولا يصير .. هذه فضيحة تتوارى وتنكشف .

كان الغبار الاحمر قد تزايد ، والهواء يرتفع ويهبط فيحمل معه الورق .. وبقايا القمامات . حتى عباءات النسوة بدات تتطاير ، ولمح احدهم ساق امراة فاقترب منها :

- انت .. خذي ولدك وارجعي إلى بيتك ..

ولم ينته حتى كان لسانها ينفلت بالصراخ :

- الم تجد غيري ؟ كل هؤلاء - واشارت بشكل نصف دائرة - كلهن ولا تجد غيري .. ام انني واحدة من اهـل بيتك لتتحكم بي ؟ حمل الرجل نفسه وابتعد يهز راسه .

اخيراً جاء صوت ابو يوسف .. الرجل التقي :

يا جماعة الخير ! صلوا على النبي . نحمل الطفل إلى «الدختر» (٧) أو الى « الأمن العام » ونسلمه هناك والحكومة تتصرف .

وتدخل احدهم :

- لماذا لا ندفنه يا « ابو يوسف » واحدنا يخبر الحكومة . حرام ان نحمل جثة الطفل بهذا الشكل .

وافقت عدة أصوات :

- هذا افضل .. هذا راي معقول .

وتلفت « ابو يوسف » يســتعرض الجموع .. والصغار واشار :

- وهؤلاء الناس ! هل سيتركون الأمر بسلام ؟
- صدقت يا « ابو يوسف » صدقت .. صدقت ..

همهمات انطلقت ، وكل وجه يستعرض الوجوه الاخرى ، وابو يوسف يقترح :

- هل يتكفل احدكم بالذهاب إلى الحكومة .. وآخر بحراسة الجثة ؟ اما انتم ..

وشق طريقه بين الناس :

- ارجوكم .. كل .. إلى بيته .

وحين لمح وجوه بعض الأولاد الكبار صرخ فيهم :

- وانتم .. لماذا لم تذهبـوا إلى مدارسكم ؟ تراكض بعضهم بينما ردد باقون :

– الدنيا « طوز » عمي بو يوسف .
هشهم :
– زين .. زين .. يا الله .. كل واحد على بيته . تفرق الجمع .. بقي اثنان قرب الجثة التى واروها التراب ، وانسحب ثلاثة فى طريقهم إلى التبليغ .

لم تتفرق النسوة .. سرن جماعات .. واحاديثهن تتطاير مع تطاير الغبار والقاذورات .. وكل واحدة تتساءل :
– هل يكون الطفل ابن فلانة .. او فلانة .. او فلانة ..

ففي الحي المجاور نساء معروفات ! لم لا تكون إحداهن قد ارادت الخلاص من الطفل ؟ وتساءلت اخرى :
– ولكن ! لماذا فى الحوطة .. لماذا لم تدفنه فى حوش بيتها ؟
– شيء عجيب . هذه حكاية لم تخطر على البال ! ولكني اؤكد انه ابن حرام كما قالوا ، وإلا لما تخلصوا منه .

سخرت واحدة :
– كانك ترين ابن حرام لأول مـرة ! كم من طفل وجدوه مع « مشـــيمته » فى « البلدية » بين الأوساخ !
– صحيح .. لكن هذا ميت .. وربما مخنوق !
– الخوف .. الخوف يا ام حمد .. او ..

التفتت احداهن إليها :
– او ماذا ؟
– الله اعلم .. ربما يكون ابن عائلة !!

وضـعت النسوة اكفهن مفروشات فوق رؤوسهن ورددن :
– الله اكبر .. الله اكبر .

وشهقت واحدة بصوت عال :
– يا جماعة .. تذكرت .. اينكن عن الصوت ؟؟

اي صوت ؟ ماذا تقولين ؟

انطلقت التساؤلات من كل الالسنة بفضول ، وكانها تهزأ من جهلهن . قالت المراة :

اي صوت ؟؟ كانكن نسيتن !
واخذت تردد :
« قلبي على طوير خضر ..
شالوه من ايدى ..... »

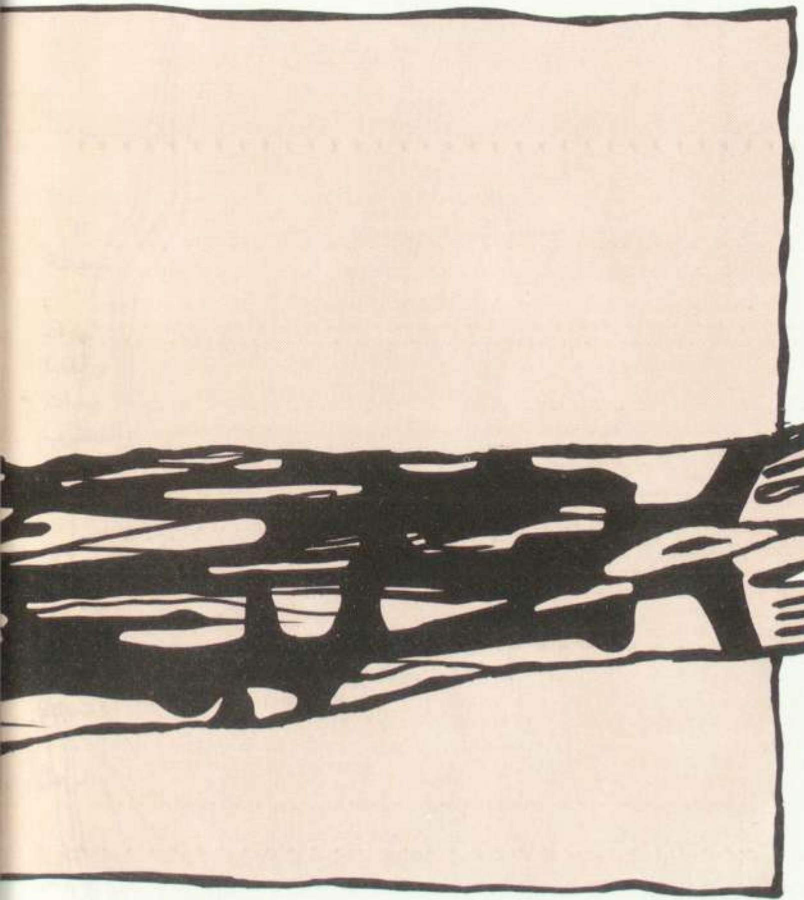
وقاطعتها احداهن محتدة :
– بس .. هذا غباء .. الصوت الـــذي نسمعه صار لها شهور ..

اعترضتها اخرى :
– ما المانع ان تكون ام الطفل ؟

عادت الأولى تدافع عن وجهة نظرها بذكاء تفخر به :
– لقد رايتن الطفل ! هذا مدفون جديد .. وذلك الصوت قديم .. فهل تبقى جثة الطفل سليمة هكذا ؟؟



ويبقى الصوت حيًا



ساد صمت .. كان كل واحدة تلعن غباءها .. وتهامسن :

ـ صدقت .. صدقت .

عادت الأولى وكانها تريد ان تعيد ثقتهن بانفسهن :

ـ كلامكن عن الصوت صحيح .. والله اعلم .. ربما اخذوا من صاحبته الطفل عنوة .. ودفنوه لكنه على اية حال ليس هذا الطفل .. هذا له ام اخرى ارادت التخلص منه .. ومن يدري ربما اهلها .. ثم ضحكت :

ـ ومن يدري ايضا .. ربما غداً نسمع اغنية اخرى ..

قالت إحداهن وبوشيتها تلتصق بفمها :

ـ إن كانت له ام مغدورة .. فما أن نسمع حتى تهرع إلى المكان .. اما إن .

واكملت اخرى :

ـ إن كانت هي واهلها الذين تخلصوا منه فلن تتحرك .

ـ غداً نسمع الأخبار .

قالت واحدة بحسرة :

ـ من اين ياحسرة ! الحكومة ستاخذه وتدفنه وتضيع قصته كما ضاعت قصص اخرى قبله .

• •

ولم يكن مقدراً أن تنام هذه الحكاية كما نامت قبلها حكايات .. فحين كان المارة يسمعون بكاء طفل فى اماكن البلدية المنتشرة فى الأحياء .. او فى الســـوق يجدون طفلا فى « زبيل (٨) » تثور الاقاويل .. تلمع الشائعات ثم تصدأ بعد ذلك وينام عليها الغبار والنسيان .

• •

استيقظت الآذان وصدى الصوت النائح يشق المسافات ، يعبر إلى الوجدان ، يهز النوم الراقد فى الاجفان .. ومنذ كبر المؤذن داعيا لصلاة الفجر كانت الاغنية الحزينة تنطلق وهى تشق رقعة السماء التى هدأ نزيفها الاحمر . لم يعد الصوت وهماً اجرد .. ولم تعد الاغنية مجرد صدى .. إنها حقيقة تؤكد نفسها اليوم ، وتمزق شرايين الصباح المتنفس بعد ليلة طال فيها السهر .. وكثرت الا قاويل .. والتخمينات .

نفض الناس عنهم دبق الأجساد ، والرجال تغيرت خطوتهم .. ساروا باتجاه الصوت الذى كلما اقتربوا .. وسحبت النسوة عباءاتهن وخرجن ، يلتقي فوج باخر ، يلحق بهن الأطفال والصبية .. والرضع على الأذرع لم يغسلوا بعد .. وربما لم يرضعوا .

الصباح يحمل الرنة الحزينة .. لا يسمع سواها ، وسوى صوت الاقدام .. يحذف احدها علبة مبعوجة فتئن ثم تخرس .. وقدم يحذف عصا فتطير مستغيثة .. وخبطت قدم فى « فضلات » احد الصبية .. فسحق نعل حذائه على التراب الخشن ، وفاحت رائحتها القديمة ، فابتعد الناس مهرولين كمن تلحقهم عصا إبليس .. والصوت يقترب .. ويقترب كلما دنوا من الحوطة .

وعند بابها توقف الجمع .. كان الصوت راقداً فيها .. عارياً هذه المرة .. يؤكد حقيقته بنواح مذبوح .

اندفع الفوج .. وعلى التراب الرطب .. كان جسدها ملقى .. عباءتها تنسدل عن نصفها العلوي فتبدو جديلتان فاحمتان تمتزجان بالتراب .. وصوتها يمتزج بدمعه ، جباراً كانه يعنف هذا العالم الراقد تحت جذور الخوف واتربة النهارات المرة المتعاقبة .

لم تجرؤ امراة من قبل أن تعلن عن نفسها واليوم ! ها هي قد انكبت على القبر الفارغ ! نبشته باظافرها .. مزقت رمله .. وطحنت حصاه ، وحين لم تجده فاح عواؤها البائس ..

ورددت الأغنية التي ربما كانت لأم مفجوعة قبلها .. أو لأمهات تواد قلوبهن فى الليل تحت تراب الأرصفة الشرهة للحم الخطايا الدائمة . انكفا رجلان .. رفع احدهما العباءة ليستر وجهها .. وامسك الآخر بذراعيها ليقتلعها من على التراب .. لكنها التصقت بالأرض التصاقا يتحدى الأذرع القوية الممتدة .. غرست كفيها فى القبر المفتوح وصرخت :

ـ دعوني .. اموت لقد قتلوه .

لم يكن هم الرجال مسلطا على معرفة المراة ، فهم حتى لو شاهدوا وجهها تحت



اشعة الشمس المشرقة لما عرفوها .. لكن فضول النساء كان يغلي .. كل تريد ان تلمح ولو طرفاً ، عينا .. او شفة او خداً .. لعلهن يحدسن من تكون .

لكنها لا ترفع وجهاً .. ولا تشعر بوجود من حولها .. لا تحس بالفضول القاتل المطل من العيون ، لا ترى حولها الا اشباحاً لايد مزقت البارحة قلبها .. واختطفت الطفل

• •

تجذرت المراة فى الارض .. تسكب عصارة الروح الجريحة . وتنبع آهاتها كما تنبع نافورة دم من ارض داستها اقدام دخيلة نجسة .. وصوتها يعلو .. وينخفض مبللا بالأسى .. ممزوجاً بنغمات كانها حد السيف يذبح سامعيه ..

« اصرخ وجمر فى الحشا ..

هذا ثرى وليدي

هذا .. ثرى وليدي » .

وتهطل دموع الرجال الذين يحاولون انتشالها .. لكن الجسد ثقيل .. كان آلاف الرمال ، والاتربة والحصى دفنت فيه .

• •

كان النهار قد شعشع .. جدائل باهتة بلون الوجوه .. ونواح النسوة .. يتقاطر .. كل تقف فى مكانها تغطي صفحة الوجه ببوشية سوداء رطبة . لم تعد واحدة تبحث بين الفوج عن شبر تطل منه لتعرف وجه المراة . كان الحزن قد تدفق إلى صدورهن . فمات فيها الفضول .. ماذا يهم أن يعرف وجه المراة ، كان الغضب يلازم انات البكاء .. يود لو يصرخ فى وجوه الرجال المتحلقين .. ان يشير بالأصابع ! ان ينفلت كما تنفلت انات المراة ! وكما انفلتت جدائلها السوداء تتعفر بتراب الارض .. بملحها الذى رش على جثة الطفل .. وكانت العيون تتساءل : اين ذلك الرجل الذى شاركها الفعل وزرع البذرة ؟؟ لماذا لا ياتي كما جاءت !! ولا يبكي .. كما تبكي .. ويتمزق .. كما تتمزق جوارحها ؟؟ لكن الغضب لا يخرج .. والصرخة حبيسة تخشى الانفلات لترتاح من ثقل سنوات الصمت .

حاولت إحداهن ان تشق طريقها .. وتقترب حاملة طفلها الرضيع .. ودت لو تمد يدها به اليها .. وتستحلفها بالله :

– خذى .. هذا هو ابنك .. لم يمت .

لكن الخوف المنسوج كخيوط العنكبوت اوقف المحاولة .. وكذلك الصرخة الداوية التى ارتعد لها الفوج كله .. واستفاقت منه عيون الرضع النائمة .

صرخة المراة مزقت وجه الفجر المتفتح .. ثم ارتدت،سكين شقت الصدر الذى تمزق ثوبه .. وانكفات بلا حراك .

• •

حين تفرقت الجموع تسحب خطاها بحزن تحمل عثار طريقها الذى ما استطاعت جدائل الشمس أن تنيره .. كانت تتهادى إلى الأسماع تلك الاغنية ! حزينة .. لا تزال .. لكنها شديدة الوقع .. تخترق الآذان وكانها تطرقها بآلاف المطارق .. توقظ فيها شيئاً .. تذكر ان الصوت حي .. وانه .. سيبقى .

• •

وتقول الحكاية انهم حين جاءوا ليحملوا جثة المراة .. وجدوا حليب ثدييها المكتنزين يصب فى القبر .. ويروى التراب .

دفنوها .. دفنوا سراً عاش بصدرها .. ومات معها . لا احد يعرف الحكاية .. وحدها فقط كانت تعرفها . ولو بقيت عيناها مشرقتين على هذا الافق الجاحد لروت حكايتها التى تقول :

....

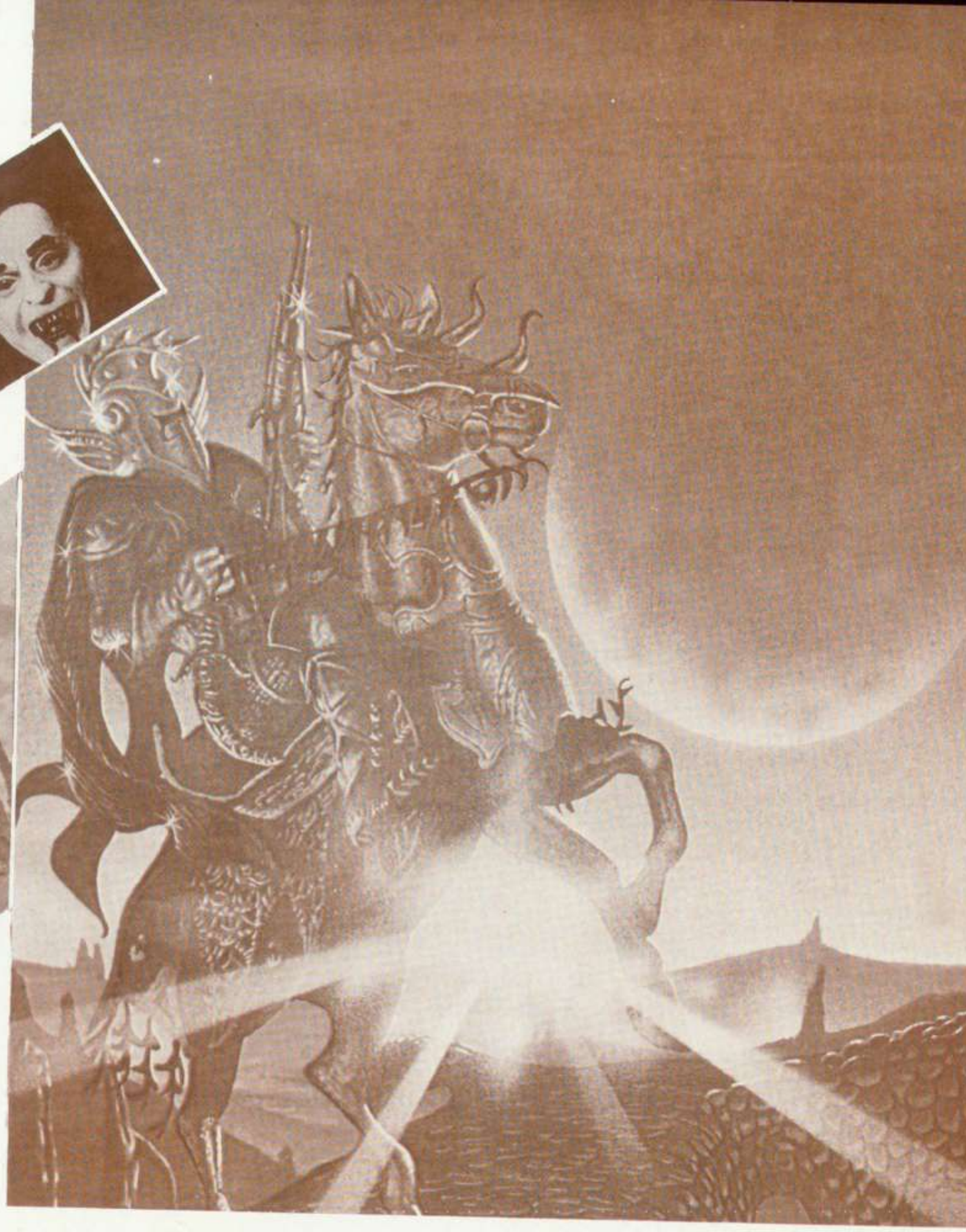
....

....

ليلى العثمان
الكويت

اشـــارات :

١ – دويدي : تصغير لكلمة ديد ومعناها ذدي .
٢ – ساحة الصفاة : ساحة رئيسية فى مدينة الكويت .
٣ – بوشية : غطاء الوجه للنساء ولونه من لون العباءة .
٤ – مطابق : جمع – مطبق – وهو وعاء خاص لوضع اللبن فيه .
٥ – عبده : خادمة مملوكة .
٦ – الطوز : ايام الغبار الحمراء .
٧ – الدختر : الطبيب .
٨ – زبيل : قفه .





مجموعة من اللقطات السينمائية فى افلام الرعب التى تعتمد على الاسراف فى الخيال والتى يحاول عن طريقها صناع السينما فى الغرب ان يحققوا مكاسب طائلة عن طريق خداع الجمهور ومحاولة إلغاء عقله !

الخائفون يدفعون والأذكياء يكسبون

أفلام الجنون تحقق الملايين

إعداد وترجمة : عبد القادر عقيل

منذ ان وجد الانسان البدائى على سطح الارض ، بدا يؤمن بان العالم ملىء بقوى خفية غير منظورة يكون هو ضئيلا امامها . إن الموت والخوف من المجهول ، والرهبة من الكائنات الاخرى التى تشارك الانسان البدائى الحياة على هذا الكوكب ، دفعته للاعتقاد بالسحر ، والخوف من قوى خفية تتربص به دوماً .

ولم يستطع الانسان ان يتخلص من سلطة هذه القوى الشريرة ، إلا بعد مجيء العصر الذى رجحت فيه كفة العقل والمنطق على كفة الخيال الخوف والجهل ، جاء

عصر العقل ليوضح ويثبت بان هذه الخرافات ليس لها وجود مادى ، ولا توجد إلا فى خيال الانسان نفسه .

لكن مع كل التطور الحضارى والعلمى الذى توصل اليه الانسان ، فانه لايزال يميل «للوقوع فى شرك تفاهة الأشياء اليومية» كما يقول الفيلسوف هيدجر ، ولاتزال القصص المخيفة والحوادث المرعبة تثير شهيته ، لذلك فاننا لا نندهش لرواج قصص الرعب واهتمام الناس بها .

ومثلما تحتاج الغرائز فى الانسان الى متنفس ، فان الخوف أيضا يحتاج الى اطلاق أسره من اجل إشباع الغريزة المتوقدة بالداخل . وهذه الفكرة اوحت للمتاجرين فى صناعة السينما «الأسخياء» أن يقوموا ويعرضوا «خدماتهم» للانسان الذى ينتظر من يوقظ غريزته الفعالة .

ويبدو أنه حتى الآن فان السوق الوحيدة التى تستطيع ضمان الربح المادى السريع للمنتجين هى سوق أفلام الرعب . فأفلام الرعب لا تحتاج ، مثل الأفلام الكوميدية أو الدرامية ، الى جمهور متخصص أو مادة أدبية جيدة ، يكفى أن تطرح مادة مرعبة تجذب الجمهور الى القاعة المظلمة .

ولأن سـوق أفلام الرعب مامونـة ومضمونة الربح ، لذا فمنذ البداية لم تكن المادة الأدبية والتقنية السينمائية موضع اهتمام كبير . ولكن حينما كانت تدمج المادة الأدبيـة الجيدة والتقنيـة السينمائية العالية فان الايرادات كانت تتخطى تصور المنتجين التقليديين .

أفلام الرعب الجديدة استطاعت أن تجذب النخبة الراقية من الجمهور ، وان كان المنتجون التقليديون يفضلون قصص الرعب المباشرة ، والتى يعتقدون انها تحقق الايراد السريع أكثر من القصص المعقدة .

فالمباشرة والحوادث المفهومة والمغامرات الكثيرة ، والكمية الوافرة من الدماء ، هى الاطر التى ارتكزت عليها عقول هؤلاء المنتجين . لكن هذه الأطر لم تحقق الا القليل من الاثارة الحقيقية والتوتر لدى المتفرج ، وهذا ما أدى لفترة من الوقت الى ضعف رواج سوق أفلام الرعب ، ولم تعد لهـا الحياة إلا بظهور الأفكار المرعبة الجديدة .

فالتقنية السينمائية العالية ، والقصص المعقدة أخذت تجذب اهتمام المتفرج أكثر من تلك القصص المرعبة المألوفة ، فلا مجال للمقارنة بين أفلام مثل «نفوس معقدة» و «الشياطين» و «الاشمئزاز» مع المواضيع المرعبة المألوفة مثل « غودزيللا » و « كينغ كونغ» .

أفلام الرعب الجديدة اعتمدت على نفس الأسس القديمة لقصص الرعب ، إنما الأشكال المستهلكة تحولت الى أخرى جديدة ، فالساحرة الشريرة أو العرافة تحولت الى عالم مجنون ، وهاجس المسخ الى كائن قبيح كان فى الماضى يتمثل فى تحول الانسان الى ضفدعة ، الآن يتمثل فى تحول الرجل الى مستذئب ، المهم ان فكرة المسخ أو تحول الجمال الى قبح مازالت باقية . مسألة انتصـار الفضيلة / الخير على الشر هى المفتاح الحقيقى لجميع أفلام الرعب ، والتوليفة تظل متشابهة ومتكررة فى معظم هذه الأفلام :

احـدهم ينتبه الى وجود شىء مخيف والآخرون لا يصدقونه أو هم عقلانيون ومنطقيون لا يؤمنون بوجود تلك الأشياء ، مثل أساطير الجن القديمة ، ولذا فإن البطل ، وغالباً ما تشاركه البطلة ، يحاربان وحدهما « الوحش » أو « الكائن المخيف » حتى ينتصرا عليه ويخلصا الناس من شره .

وأفلام الرعب ، كالحكايات القديمة ، ليست بحاجة الى تفاصيل منطقية وعقلانية ، فليس من الضرورى معرفة كيف تشتغل آلات فرنكشتاين ، أو من أين احضر بعض المواد لبناء معمله .

مواضيع أفلام الرعب :

١ ـ المجانين

كل أفلام الرعب تعتمد على الخوف من المجهول . وأحد عناصر المجهول هو الدماغ ، والخوف من الجنون والعته والاضطراب العقلى . فالمجنون تخافه الناس غريزيا ، لأن لا سبيل للتفاهم معه ، والمكان المناسب له (خلاصاً للناس من شره) هو وضعه فى مستشفى للامراض العقلية . لكن اذا كان هذا المجنون طليقاً يجوب الشوارع مع الأسوياء ، هنا مكمن الخطر والرعب .

ولا حاجة للتاكيد هنا بان فيلم هيتشكوك «نفوس معقدة» هو الفيلم النموذج لهذا النوع بالتحديد من أفلام «المجانين» . وهذا الفيلم عندما عرض للمرة الأولى أثار ضجة كبيرة ، مع أن النقاد استقبلوه فى البداية ببرود شديد ، ولكن الشهرة الواسعة للفيلم ، والاقبال المنقطع النظير أثار شهية العاملين فى صناعة السينما ، مما حدا بهم الى عمل مجموعة كبيرة من الأفلام تعتمد كلها أساساً على فكرة هيتشكوك .



هذا الوحش الكاسر يدمر المدن ويقلب القطارات ويحطم المبانى فى احد أفلام الرعب !

القواعد الثابتة لهذه الأفلام :

هناك ثلاث قواعد ثابتة لمواضيع أفلام «المجانين» وهى :

أ ـ يوحى لنا المخرج بان المريض النفسانى الذى يرتكب مجموعة من الجرائم الدموية هو شخص معين من بين مجموعة من الشخصيات ، بعد ذلك يتضح لنا أن القاتل الحقيقى هو شخص آخر لم تحم حوله الشبهات . وفى نهاية الفيلم نحصل على حقيقة «المجنون» الذى كان طوال الفيلم يتصرف تصرفا طبيعيا ، ونراه «مجنونا» فعلا ، مع شرح سريع للجمهور ، من قبل الطبيب أو مفتش الشرطة ، عن حالة جنونه .

من نماذج هذا النوع من الأفلام فيلم «السترة الضيقة» للمخرج ويليام كاسل ، والذى أوحى للمتفرجين بان الممثلة جوان كراوفورد هى المسئولة عن اقتراف سلسلة من جرائم القتل ، ومن ثم نكتشف بان المريض النفسانى الحقيقى ليست هى إنما ابنتها التى كانت تضع على وجهها قناعاً مستعاراً لأمها .

وفى فيلم «كريشيندو» يوحى المخرج بان البطل هو الذى يقوم بالجرائم الدموية ثم



كائنات خرافية فى بعض الأفلام السينمائية التى تحاول بكافة الطرق إثارة المتفرج !

أفلام الجنون تحقق الملايين

نكتشف فى نهاية الفيلم ان شقيق البطل التوأم هو القاتل الحقيقى . اما فى فيلم «السر الدفين» فترتكب سلسلة من جرائم القتل فى سيرك متنقل بين مدن انجلترا .. وتحوم الشبهات حول عدد من الأشخاص ، ولكن فى النهاية نكتشف أن القاتل المجنون هو ابنة صاحب السيرك التى ضجرت من حياة السيرك بسبب انشغال امها عنها .

كل هذه الأفلام تركز على غموض المجانين وخطرهم على الناس ، انهم دائماً يؤكدون على ضرورة الحذر منهم ويذكرون المتفرج بجاك باقر البطون الذى كان يذرع الشوارع الضبابية بحثاً عن ضحية جديدة .

فى احيان كثيرة تستخدم الكاميرا المحمولة باليد لتقوم بدور القاتل المتخفى عن اعين المتفرجين ، وبالتالى تكون الكاميرا عنصراً هاماً فى عملية الاثارة والتشويق . فالكاميرا تحتال وتنسل وتتقدم بسرعة نحو الضحية بطريقة توحى كما لو أنها القاتل . ففى فيلم «الغرفة المتداعية» مثلا تطل الكاميرا من عل وتراقب وتتوارى وكانها عين لأخت كارول لينلى المجنونة .

ب ـ التنويع الثانى فى مواضيع المجانين يتركز على فكرة معرفة هوية القاتل المجنون فى بداية الفيلم ومن ثم متابعة جرائمه الدموية واصطياده الماهر لضحاياه .

وعادة ما تكون هذه الأفلام على هذا النحو : مجموعة من الفتيان والفتيات يعسكرون فى مخيم او يحضرون حفلة راقصة او هم فى رحلة جماعية . يظهر لهم القاتل المجنون ويقتل الواحد تلو الآخر حتى نهاية الفيلم ، وعادة ما يبقى هو والبطل أو البطلة التى تقتله ، وقد يمارس هذا المجنون القتل ليثار من واقعة حصلت له قبل سنوات طويلة ، ولكن فى أكثر الأوقات يقتل بدون سبب معروف .

جـ ـ التنويع الثالث يرتكز على الاشتباه والخوف العام من المجنون . وعادة ما تصاب به البطلة بدفع وتشجيع من قبل الآخرين الذين لهم مصلحة شخصية فى ذلك . فى هذا التنويع نكتشف ، مثل التنويع الأول ، الانحراف فى نهاية الفيلم . ان قوة هذه الأفلام متوقفة على عدم قدرة المتفرجين فى معرفة المجرم ، ثم اكتشافهم ان الشخص الوديع ، البريء ظاهرياً ، يظهر فى نهاية الفيلم إما فى هيئة رجل مجنون عنيف ، أو مجرم مولع بتدبير المكائد . وهذه الأفلام تعيد التوكيد على الموعظة الأخلاقية التى تنصحنا بان لا نؤخذ بالمظاهر الخارجية .

إن المجنون فى بعض الأفلام يتضح احياناً بانه مجرد ضحية ، مثل الأشخاص الذين قتلهم ، فهو يبكى ويصرخ او يخاف من الظلام . والقاتل المجنون يفضل عادة السكاكين الحادة الطويلة او مقصاً كبيراً او فاساً بدلا من الأسلحة النارية الأخرى ، فهو لا يستخدم البنادق ، اما الضحايا ففى الغالب فتيات جميلات .

ولان هذه الأفلام تعتمد كلها على ظاهرة الجنون ، ولأن الجنون ممكن حدوثه وتوقعه ، فالجمهور يقبل على هذه الأفلام لانها فى نظره قابلة للتصديق ، وهى بذلك تحقق الأرباح السريعة للمنتجين .

٢ ـ علماء مجانين يخترعون الوحوش

افلام هذا النوع تعتمد على فكرة العالم المجنون الذى يريد ان يتطفل على قوانين الحياة ويمسك بالمجهول ليستخدمه ضد البشر ، وهذه الفرضية محاولة مشبوهة للتقليل من شان العلماء الذين هم ، بدون شك ، ابعد ما يكونون عن الأفكار الغامضة ان هذه الأفلام تريد أن تقول : لتبق الأشياء كما هى ، ولا جدوى من محاولة البحث او ارتياد المجهول .

قاعدة الفيلم

كل الأفلام ، مع اختلاف الشخصيات الرئيسية ، تتبع الصيغة التالية : عالم مجنون يخترع «كائناً» آليا ، هذا «الكائن» ينفذ أوامره فى البداية ثم يصاب بحالة من الهيجان تجعله يفلت من يد العالم ، ويخرج هذا «الكائن» الى الناس ليقتلهم ويسفك دماءهم ، ثم يعـود الى العـالم المجنون ويقتله ، ويموت هذا «الكائن» بطريقة مناسبة فى نهاية الفيلم (النار افضل الوسائل وأكثرها شيوعاً) .

خير مثال على نوعية هذه الأفلام ، سلسلة افلام «فرانكشتاين» ، التى فتحت الطريق امام افلام أخرى من نفس النوع ، مثل العالم الذى يربى العنكبوتة الذئبية ، والعالم الذى ينوم مغناطيسياً غوريللا ويجعلها تهاجم حياً فى باريس وتقوم بجرائم قتل كثيرة ، والعالم الذى يطلق نحلا قاتلا يستطيع أن يلاحق الضحية بفعل وجود مادة جاذبة لزجة يضعها العالم على ملابس الضحايا . والملاحظ ان اغلب الضحايا فى هذه الافلام فتيات جميلات أو رجال فى متوسط اعمارهم . اما العالم فرغم مزاعم الجنون إلا انه يبدو لنا ذكيا وهادئا ومثقفاً طوال الفيلم .

الفكرة الأساسيه إذن فى هذه الأفلام هى نجـــاح العالم المجنــون فى اختراع

« كائن » رهيب ، ثم انفلات هذا الكائن فى ثورته المألوفة ونهايتــه مـع العـالم المجنون .

من الأفلام ذات المغزى الجيد ، والتى يمكن ان تصنف تحت هذا النوع من الأفلام فيلم «الأسماك الضارية» الذى يحكى عن مجموعة من العلماء الأمريكان تطلب منهم وزارة الدفاع «البنتاغون» اثناء حرب فيتنام ، تربية نوع من الأسماك الصغيرة القاتلة لتقذف فى انهار فيتنام لتقتل الثوار، ثم يتوقف هذا المشروع بعد توقف الحرب ، ولكن العلماء كانوا قد انجزوا المشروع ، فتحـفظ الأسماك الصغيرة فى حوض خاص غير انها تفلت بطريق الخطا وتتسبب فى قتل الناس الابرياء حتى يقضى عليها فى نهاية الفيلم .

٣ ـ كائنات من هذا الكوكب

منذ أن اكتشف المنتجون «كينغ كونغ» فى الغـابة ، وحولوه الى كائن بشـع يهاجم الناس ويقتلهم ، وهم لا يتوانون فى البحث عن اختراعات اخرى تقوم بنفس المهمة . ولكن افلام الوحوش صارت مع الزمن مملة عند الجمهور ، وصارت غير مقنعة مسالة عشق الغوريلا للفتاة الشقراء ، وبسبب ضياع مبالغ كبيرة فى مثل هذه الوحوش فان المشـــتغلين بالسينما اهتدوا الى فكرة تحويل الوحوش الى كائنات اصغر حجما واقل تكلفة .

جميع هذه الأفلام ترتكز على فكرة واحدة وهى : ان كوكبنا هذا ليس مكاناً خاصاً بنا فقط ، وإنما هو كوكب مليء بالوحوش الضارية والكائنات الخطيرة . لذلك فالمنتجون حولوا الحشرات والطيور والاسماك والديدان والحيوانات الأليفة الى وحوش كاسرة همها الأول افناء الجنس البشرى . وعادة ما تقوم هذه الوحوش بتدمير بعض المدن وبقلب القطارات وتحطيم المبانى وارهاب بعض المدن الرئيسية حتى تصل الى العاصمة حيث يقضى عليها هناك بواسطة عقل البطل الخارق .

افلام الوحوش القديمة كانت عن «كينغ كونغ» وهروبه وصراعه مع «كودزيللا» وعن ابن «كودزيللا» او الاخطبوط العظيم الذى يخرج من البحر ويهاجم المدن الامريكية ، أو النملة التى نكتشف فجاة بانها ضخمة للغاية .

اما منتجو افلام الوحوش الجديدة ، بعد ان شاهدوا «طيور» هيتشكوك وهى تهاجم الناس بدون تفسير محدد ، فانهم استخدموا الكلاب والقطط والأرانب والفئران والديدان والعناكب والأسماك وحولوها الى وحوش خطيرة .

وهناك مشاهد متكررة فى افلام الوحوش ـ والرعب عامة ـ : فتاة جميلة تستحم فى حمام او بركة سباحة او فى بحيرة / تسمع هذه الفتاة صوتاً غريباً / تضطرب وتسال بصوت متوسل : من هناك ؟ / تخرج وتجمع ملابسها / تركض / تسمع الصوت وهو يقترب اكثر منها / تصرخ ثم نراها فى لقطة سريعة والوحش يهاجمها .

وعادة ما يهتم الوحش بشخصيات محددة ومحاصرة ولا يحاول الابتعاد عنها ، كانما هدفه الوحيد هو القضاء على هذه المجموعة من البشر فقط ، ثم يقع الوحش بالطبع فى نهاية الفيلم فى الشرك الذى ينصب له من قبل البطل والبطلة او احدهما .

٤ ـ كائنات من كواكب أخرى

عادة ما تكون الكائنات القادمة من كواكب اخرى عبارة عن وحوش اتت فقط لتخويف وافناء الجنس البشرى ، والوحش الغريب يظهر دائماً بصورة ذكية جداً ، كما فى فيلم «غزو ناهشى الجسد» و «التحذير» ولكن الانسان هو الذى ينتصر دائماً ، ويثبت قدرته على قهر الغزاة القادمين من الفضاء ، وحتى لو بدوا لأول وهلة بانهم اقوياء ولا يمكن قهرهم .

٥ ـ رعب آخر

منذ ذلك الوقت الذى كانت فيه الحكايات تروى عن تحول الانسان الوسيم الى ضفدعة والانسان يهجس بالخوف من التحول الى كائن قبيح . من أين جاء هذا الخوف ؟ إنه صعب التحديد ، ولكن الخرافـــات والحكايات الشعبية تؤكد على وجود الأجساد المسكونة ، وعلى سحر الحيوانات وقدرتها على تقمص الأرواح الشريرة ،



وهذه القصص تطورت الى أشكال متنوعة . وقد يكون هذا النوع من الخوف هو اكثر رعباً على الانسان لانها تبدو له سراً مجهولا لا يعرف كنهه . والمنطق الوحيد فى تفسير ذلك هو أن الحيوانات تستطيع ان تسحر الانسان .

فى هذه الأفلام ، البطل يتعرض الى حـــادث ، ثم يتحـول الى كائن نصفه انسان ونصفه حيوان . يقتل بعض الناس ثم فى النهاية يقضى عليه . وافضل مثال على هذا النوع من الافلام سلسلة «الرجل الذئب» رغم أن المنتجين لم يكونوا مقتنعين بالسبب الذى يجعل الانسان يتحول الى مستذئب .

والمستذئب عادة ما نراه فى صورة قبيحة : اياد مشعرة وانياب طويلة ، يجندل الضحية الاولى ويترك اثاره الذئبية بعد ذلك نرى الضحية تصرخ فقط امام الكاميرا كما ان المستذئب يهاجمها ، ثم نسمع عواء غريباً واصوات انقضاض . اما الشكل النهائى للمستذئب فيظهر فى نهاية الفيلم حينما يهاجم ضحيته الاخيرة ويفاجا بانه مطارد ومحاصر ويصاب برصاصة فضية ، ثم نرى المستذئب وقد تحول الى هيئته البشرية مثيراً للشفقة على الحالة التى وصل اليها .

٦ ـ الأموات الأحياء

الخوف الانسانى الدائم من الموت وما وراء الموت كان موضوعاً مفضلا فى افلام الرعب . وكلها تدور حول الاموات الذين تعود اليهم الحياة ويعيشون من جديد . واهم انواع هذه الأفلام ، الزومبى (الميت الحى) ومصاص الدماء . وكل المواضيع لها جذور قديمة

ومنذ ان نشر برام ستوكر روايتـــه « دراكيولا » حول الكونت الشرير الذى يعود الى الحياة ، وهذه الشخصية صارت اكثر انواع الأحياء الاموات شهرة وتشبثا بالعودة الدائمة الى الحياة .

وقصص مسلسل افلام « دراكيولا » معروفة ، انها مثل افلام « فرانكشتاين » : هناك دائما شخص يعود الى الحيـــاة من اجل أن يكون خادماً لأحد الاشرار . اما دراكيولا فينام فى تابوت فخم ، وعنده قوة تنويم مغناطيسية هائلة ، وذعر شديد من النور ، وصورته لا تنعكس فى المرايا .

يقول كرستوفر لي (الذى مثل دور دراكيولا لمدة ١٥ عاماً) : ان الكونت دراكيولا جعل منى رمزاً رهيباً ، وبمعنى

أفلام الجنون تحقق الملايين



الفك المفترس .. حقق منتجه ارقاما خيالية من الارباح لاختياره موضوعا مثيرا حول سمكة قرش ضخمة تهاجم المصيفين فى احد الشواطىء !

اخر ، دراكيولا النموذج المثـــالى للرجل الجذاب ، وهو السيد الذكى ذو الخصائص النبيلة .

وقاتل « دراكيولا » هو الدكتور فان هلسنغ من بنسلفانيا (عادة ما يمثل هذا الدور بيتر كوشنغ) الذى اما ان يطعن دراكيولا بالوتد فى قلبه أو يحرقه بالنار او يرش عليه الماء المطهر أو يعرضـــه لضوء الشمس . المهم ان نرى فى نهاية الفيلم دراكيولا وقد عاد الى التراب فى مراحل متعددة وسريعة للتحول .

ولتنويع افلام « دراكيــولا » فقد صنع المخرجون مصاص دماء يهودى ، ومصاص دماء شاذ .. الخ . اما الضحايا فدائماً فيتات جميلات غبيات .

فى افلام الزومبى ، نرى شخصاً ميتاً يتحرك ، فى الغـــالب دون سبب يذكر ، ومن ثم يقوم باحضار اصدقائه ، بعد ان تحركوا مثله ، ويقتلـــون الضـــحايا الذين يتحولون بدورهم الى كائنات مشابهة تاكل لحم البشر .

الطريقة الوحيدة للقضاء عليهم باطلاق رصاصة فى الراس أو تهشيم الجمجمة والا فان الطعن والوسائل الاخرى لا تؤدى الى عودتهم الثانية الى الموت .

هناك اختلافات كثيرة بين مصاص الدماء والزومبى : عيون مصاص الدماء ممغنطة ، وهو ذكى جداً ، ولا نرى مصاص الدماء الا رجلا ارستقراطيا نبيلا ، فلا يظهر فى هيئة فلاح أو مزارع ، على عكس الزومبى الذين اغلبهم من الفلاحين الفقراء وهم اغبياء ، ثيابهم رثة ، اشكالهم قبيحة ، والكثير من مواقفهم تبعث على الضحك ، مثل طريقة المشى والسقوط على الارض . لا هم لهم الا اكل اللحم البشرى ، على عكس مصاص الدماء ، حيث نرى امراة فى غاية الفتنة وهى تستدرج الرجال لتقضى عليهم ، أو نرى شاباً وسيماً يقوم باغواء الفتيات .

افلام الزومبى تدور احداثها عادة فى قرية صغيرة تقع بالقرب من قصر قديم او مقبرة أو بحيرة . بينما تدور حوادث افلام مصاص الدماء فى القصور الفخمة ، حيث نرى فى البداية جياداً بيضاء تجر عربة سوداء فى ليلة مقمرة ، تجوب الغابة بسرعة شديدة ، ثم تدور الحوادث المفزعة .

ان كريستوفر لي لا يظهر فى افلام الزومبى ، وبيتر كوشنغ لا يظهر ابداً كمصاص دماء . ان المنتجين دائماً يراعون ذوق الجمهور .

٧ ـ السحر :

كان الانسان لفترة طويلة مسكوناً بالخوف من الشيطان والتعامل فى السحر الأسود واستدعاء الأرواح الشريرة التى تستطيع ان تبث الخراب والدمار فى المجتمع . وعلى هذا فقد تعرض آلاف البشر للتعذيب الرهيب والموت البشع بتهمة تعاملهم بالسحر والطقوس الشيطانية ، واجبرت الكثيرات على الاعتراف تحت التعذيب بالاتصال بالأبالسة .

والحرب القديمة بين الدين المسيحى والسحر امتدت الى السينما . وصارت افلام السحر والشياطين اكثر جدية وقوة من المواضيع السابقة الذكر ، فالقوى المخيفة واللامرئية تعتمد على الخيال الانسانى ، لذلك يفضل المنتجون هذه الافلام مع افلام المجانين على بقية الأنواع لمكاســـبها المادية .

الأرواح الشريرة لا تظهر امامنا ، ولا شرط ان تكون مجسدة ، انما تكفى حركات انغلاق الباب والنوافذ ، وهبوب الريح القوية ، وتحرك الصحون والاثاث وتطاير السكاكين لتثير الرعب فى نفوس المشاهدين اكثر من مشهد ظهور المستذئب أو الوحش .

ان ابتسامة الطفل الشيطانية فى نهاية فيلم « البشير » كانت مرعبة جداً ، لأنها أوحت للمتفرج بان الروح الشريرة مازالت حرة طليقة .

ان الحضارة الغربية قائمة على القمع والعنف ، وهذا العنف ، بكل مظاهره ، انتقل الى السينما ، وموجة افلام الرعب لن تنتهى ، لأنها توفر للانسان امكانية التلذذ بالعنف ، وتمثل الفرصة الوحيدة فى الذهاب الى الشطط بالخيال .

يقول فرنر هيرتزوغ ـ وهو احد الاسماء المهمة فى السينما الالمانية ـ عن اخراجه للفيلم المرعب « نوسفيراتو » : « ان مجتمعنا اصبح يمارس القمع والقهر ..

وهذا المناخ ينعكس بالضرورة على الأدب والسينما .. ولهذا فنحن نشهد ميلاد ثقافة مضادة ، كرد فعل ضد مجتمع مادى والى الى اقصى حد .. وفى رأيى ان افلام مصاصى الدماء غالباً ما تظهر بعد الثورات المجهضة .. وانا شخصياً لا استطيع الهروب من التأثيرات التى يمارســـها علينا مجتمعنا » .

ترجمة : عبد القادر عقيل ـ البحرين

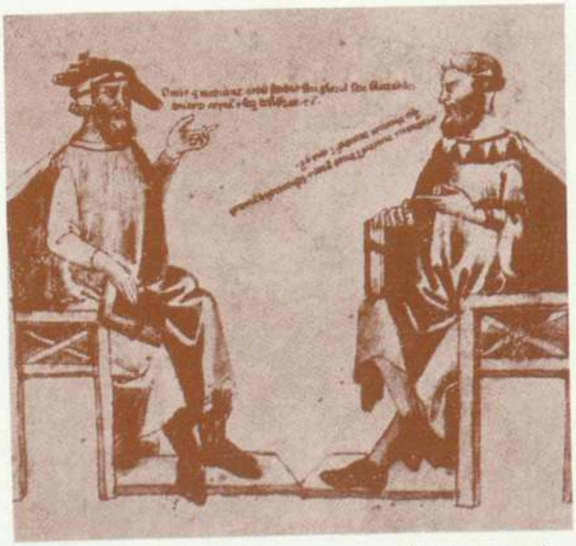
المصـــــدر :

١ ـ البعض يفضلها مقرفة ـ مايكل ارمسترونغ ـ مجلة فيلم اند فيلمنغ ١٩٧١/١/٤ .

٢ ـ الانسان وقواه الخفية ـ كولن ويلسون ـ دار الاداب ـ ١٩٧٧ .

كتاب الشهر

تاريخ أطباء العيون العرب



طبيب عربي من القرون الوسطى يناقش مريضه قبل الكشف عليه

عرض وتقديم : عبد اللطيف الأرناؤوط

« إن العرب أشعلوا سراجهم من القناديل اليونانية ، وبلغت حرفة الطب عندهم من القرن الثامن الى القرن الحادى عشر للميلاد من المكانة والأهمية مالا نكاد نجد له مثيلا فى التاريخ » .

هذه رؤية المؤرخ الانجليزى « السير وليم اوسلر » من خلال بحوثه فى الحضارة العربية والعلوم عند العرب ..

وقد تبوأ الأطباء العرب منزلة رفيعة فى العلوم الطبية بعامة وفى طب العيون بخاصة ،وكتبوا فيها المؤلفات القيمة التى تدلنا على مبلغ ماوصل اليه الطب العربى حتى أن العالم الالمانى « هيرشبرغ » يستشهد قائلا : « إن طب العيون عند العرب قد بلغ فى القرنين الرابع والخامس الهجرى مرتبة سامية تدعو الى الدهشة والاستغراب » ..

وهكذا نرى كيف ساهم كثير من العلماء والباحثين فى التنقيب عن الآثار العلمية التى خلفها أجدادنا العرب .. والتى بقيت رمزاً لحضارتنا المجيدة .. وفخراً للاجيال المتعاقبة ..

ومن هذا المنطلق حرص الدكتور / نشات حمارنة / أستاذ طب العيون فى جامعة دمشق ان يساهم فى البحث العلمى فاصدر كتاباً بعنوان : تاريخ طب العيون عند العرب .

ولأهمية مثل هذه البحوث القيمة التى تكشف عن حقيقة تاريخية كاد الزمن أن يطمسها بغبار النسيان ، رايت ان اقدم هذا الكتاب الذى ضم بين صفحاته تاريخ الطب عند العرب من خلال الدراسات التى تخفق بين ثناياها القلوب الحية لحضارة الأمة العربية المزدهرة .

ونظراً لشغف الدارسين باستطلاع التاريخ ، وحب المعرفة ، والكشف عن خبايا الحقائق التاريخية .. اخترت هذا الكتاب الذى صدرحديثا ..وتوسد المكتبة العربية .

لقد مهد الدكتور نشات حمارنة كتابه بلمحة موجزة عن نشاة الطب ، وممارسة الانسان القديم له ، وبدء ظهور النظرية الطبية ، وعرفنا بمظاهر الطب فى الحضارات القديمة عبر التاريخ . فقام بتصنيف دراسته ضمن البنود التالية :

١ - أجدادنا العرب .. ونظرتهم الى الطب .

٢ - اعلام اطباء العيون العرب قبل الاسلام .

٣ - تراجم الأطباء العرب .

ويتحدث المؤلف فى هذا البحث عن الهجرات الكثيفة التى استوطنت جزيرة العرب ، والحضارات التى اجتذبت قبائل بدوية الى ارض مابين النهرين ، وفى بلاد الشام ، حيث سيطر فيها العنصر العربى منذ اقدم العصور ، وظهرت حضارة الكنعانيين والآراميين المتطورة والمتصلة ببلاد النهرين وبوادى النيل وببادية العرب .

(كل ذلك يشير الى ان هؤلاء العرب (البدو الرحل) الذين يتحدث عنهم المؤرخون حينما يؤرخون للحياة العقلية والعلمية ، لم يكونوا معزولين عن العالم المتحضر المحيط بهم ، ولم يكونوا قليلى التطور الذهني ، بل شاعت المعرفة العلمية عندهم) . والدليل على ذلك هو تطور اللغة العربية وغناها بالألفاظ المترادفة التى تشير الى ثروة ذهنية ، والى نشاط المعرفة العلمية ، مما يبرهن على أن عقل العربى فى الجاهلية لم يكن عاجزاً عن ادراك الفروق الدقيقة بين المعانى ، لوفرة المترادفات ، وغنى التعابير ، ومرونة اللغة . فغنى مفردات اللغة العربية ، وتطور قواعدها ، هو انعكاس واضح لارتقاء المعرفة ، ونشاط الذهن .

كل هذا فى عصر الجاهلية .. ثم جاء الاسلام ، فوسعت هذه اللغة المتطورة كل المعانى التى جاء بها . وجاء عصر ترجمة العلوم من لغة الاغريق ، واللغة الآرامية الى اللغة العربية . فوجد المترجمون فى هذه اللغة قدرة عجيبة على استيعاب مفردات من انواع العلوم المختلفة . وكان عصر الازدهار ، وظهور المعاجم والقواميس التى اتسعت لشتى العلوم .

لقد اراد المؤلف في عرضه أن يجسد معنى العلوم العربية والطب العربى ، فالعرب هم ورثة الحضارة والعلم ، ورثة مصر القديمة وبلاد الرافدين القديمة .

وعندما استعرض المؤلف اعلام اطباء العيون العرب قبل الاسلام ، قال ان الطبيب فى المجتمع المصرى ذو شخصية محترمة تتمتع



غلاف كتاب اطباء العيون العرب الذى قدم فيه تاريخ الطب عند العرب

بسمعة جيدة ، وقد وصل الينا الكثير من المعلومات التى عرفها اطباء العيون فى العصر المصرى القديم ، يوم ظهرت البرديـــات المكتوبة فى الألف الثانى قبل الميلاد ، والتى كانت بدورها منقولة عن برديات اقدم بالف عام أو اكثر .

لقد وصف المصريون القدماء الكثير من امراض العيون ، وعرفوا العديد من الاعشـــاب التى تعالج العيون ، كمـــا استعملوا ادوية من اصل معدنى أو حيوانى ، وعرفوا ايضا بعض الطرق الجراحية .

واستفاد الاغريق من الطب المصرى بشهادة المؤرخين القدامى .

وينقلنا المؤلف الى عصر اطبـــاء العيون فى بلاد مابين النهرين ، إذ ظهرت قوانين نظمت المهن الطبية ، وحددت اجور الأطباء واتعابهم عن المـــداواة والعمليات الجراحية ، كما سنت قوانين صارمة وقاسية ومجحفة بحق الطبيب ، لكنها شكلت رادعاً حقيقياً ضد الأدعياء الذين يزعمون انهم يستطيعون ممارسة المهنة الطبية .

وفى بلاد الرافدين جاء عهد تدريس الطب والامتحان .. فاصبحت الدولة مسؤولة عن منح الاجازة الطبية ، والسماح بممارسة المهنة .

ولم يغفل التاريخ القديم عن ذكر أسماء كثير من الأطباء الذين عاشوا فى صحراء الجزيرة العربية اوفى باديتها او نجودها

تراجم أطباء العيون

لقد انهمك الأطباء الأوائل فى بغداد فى ترجمة مؤلفات اسلافهم الى اللغة العربية فصنفوا المعلومات الطبية سواء كانت من اصل يونانى او هندى او فارسي ، وكان المصدر الرئيسي لدراسة حياة الأطباء العرب ومؤلفاتهم كتب التراجم مثل :

١ ـ عيون الانباء فى طبقات الأطباء ـ لابن ابي اصيبعة .

٢ ـ تاريخ الأطباء والحكماء ـ لاسحق ابن حنين .

وابرز اطباء العيون عند العرب الذين احتلوا مراكز هامة فى هذا الميدان :

● يوحنا بن ماسويه :

ولد فى عام ١٦٠ هـ ـ ٧٧٦ م فى جند نيسابور من اسرة سريانية . هاجرت اسرته الى بغداد وهو فتي ، وتلقى تربية صارمة فى وسط علمي وفى بيت مرموق ، تعلم الطب من والـــده واصـــبح رئيس البيمارستان فى بغداد ، ونال مركزاً رفيعاً فى عهد هارون الرشيد ، واصبح طبيبه الخاص . وكان / يوحنا / يذهب الى بيزنطة للحصول على كتب الطب ، ويحملها معه الى بغداد . اشتهر بغزارة نتاجه ، ووضع فى طب العيون كتابين : ١ ـ دغل العين . ٢ ـ معرفة محنـــة الكحالين .

ويبدو ان / ابن ماسويه / لم ينل من مؤرخي الطب اهتماماً كبيراً ، لذلك فان ماروته عنه المصادر يحتاج الى التدقيق ، وان انشغاله بادارة / البيمارستان / والتعليم والتاليف وصحبته للخلفاء ، منعته من أن يعطي الوقت الكافى للممارسة الطبية . وهو اول من وصف (السبل) المرض الذى يظهر بتشكل اوعية دموية على القرنيـــة . والذى يعـود سببه إلى التراخوما .

وكتاب (دغل العين) اقدم كتاب تعليمي فى طب العيون كتب بالعربية . ويتميز اسلوب هذا الكتاب بحيوية بارزة ، ويعطى اهمية كبيرة إلى عملية استجواب المريض . ويعرض / ابن ماسويه / الاعمال الجراحية عرضاً موجزاً ، ويمكننا القول ان الكتاب مختصر يضم / ٤٧ / فصلا .

اما كتاب / معرفة محنة الكحالين / فهو اقدم كتاب عربى طبي ، اختصر فيه كل علم امراض العين فى عدد محدد من الاسئلة .

● حنين بن اسحق :

يعد الطبيب العربي / حنين بن اسحق العبادي / من مشاهير اطباء العيون فى القرن التاسع الهجرى ، كان ميالا الى دراسة الطب ، وهو من عداد تلامذة الطبيب / يوحنا بن ماسويه / ويروى أن / ابن اسحق / قد ترك مدرسة الطب فى بغداد ،لانه كان يضايق استاذه بكثرة الاسئلة ، فذهب الى / بيزنطة / وتعلم اللغة الاغريقية ، وعند عودته الى بغداد بدا عمله كمترجم .

وكان ابن اسحق يجمع المخطوطات للنص الذى ينوي ترجمته ويقوم بفرزها ومراجعتها وتبويبها ثم ترجمتها ، وتكون الترجمة الى اللغة السريانية ثم الى اللغة العربية .

نقل الكثير من العلوم الاغريقيـــة والسريانية الى اللغة العربية ، واصبح ترجمان الخلفاء وطبيبهم الخاص . كما تعرض الى الدسائس والمؤامرات من خصومه وحساده .

ومن اشهر مؤلفاته فى الطب :
١ ـ المقالات العشر فى العــين ..
٢ ـ حكمة العين .. ٣ ـ مسائل فى العين .

● علي بن عيسى الكحال :

يعد هذا الطبيب من اعظم اطباء العيون وهو مؤلف كتاب / تذكرة الكحالين / وانطلق فيه على منهج علمى حسب تشريح العين ، بدا بامراض الأجفان وامراض جهاز الدمع ، ثم التهاب الملتحمة ، وانتقل إلى أمراض القرنية والقزحية ، فيوضح ماهية المرض وطبيعته ، ثم يذكر اعراضه وعلاماته وأوصافه وميزاته ، واسباب هذا المرض وكيفية معالجته باسلوب علمي واضح .
وهناك عدد آخر من اطباء العيون عند العرب .. منهم :
١ ـ أبو علي بن اعين ـ مؤلف كتاب أمراض العيون ومداواتها .
٢ ـ محمد بن سعيد التميمي ـ صاحب كتاب / ماهية الرمد وأنواعه واسبابه وعلاجه .
٣ ـ أبو على خلف الطولوني ـ وكتابه النهاية والكفاية فى تركيب العينين وخلقتهما وعلاجهما وأدويتهما .
والواقع ان السمعة الوطيدة التى تمتع بها أطباء العرب فى أرجاء الدنيا قاطبة ، كانت تعتمد على باع طويل فى العلوم والخبرة والامتحانات القاسية ، فلم يكن بامكان احد أن يتعاطى مهنة الطب دون دراسة سابقة ، وحرصا على ابقــــاء العيادات الطبية وممارسة هذه المهنة بعيدة عن الاستهتار والامتهان او ادعاء الباطل ، كان كل طبيب مضطراً الى نيل تصريح رسمي خاص يشهد بعلمه وكفاءته ، فقد كان هذا صادراً عن الخليفة .

اما الكحالون / اطباء العيـــــون فيمتحنهم المحتسب بكتاب / حنين بن اسحق ـ العشر مقالات فى العين ـ فمن اجتاز الفحص بتشريح العين ، وعدد طبقاتها السبع وعرف رطوباتها الثلاث ، ثم ادرك امراضها الثلاثة وما يتفرع عن ذلك من الامراض ، وكان خبيراً بتركيب الكحل وأمزجة العقاقير ، منحه المحتسب اجازة بالعمل لمداواة عيون الناس .

ويضم كتاب / تاريخ اطباء العيون العرب معلومات مختصرة عن نظرة العرب فى العلوم الطبيــــة .. وكان باستطاعة المؤلف ان يقدم للقــــارىء معلومات غزيرة مما تحتويه مخطوطاتنا العربية .. وقد كتب المستشرقون والمهتمون بالبحوث العربية الكثير عن فضل العرب فى العلوم بانواعها . وهم الذين استطاعوا ان يجعلوا من اسم الطب العربى الاسلامى حقيقة مشرقة بتجاربهم واختباراتهم وابتكاراتهم فى مختلف الفروع العلمية .

عبد اللطيف الارناؤوط



مخطوط نادر .. للعشر مقالات التى قدمها الطبيب حنين ابن اسحاق عن العين والعضلات المحركة لها فى العصور الوسطى

حتى لايتحول التليفزيون إلى خطر يهدّد الثقافة ويقضي على العقل!

بقلم: أحمد عبد الملك

تتصل عملية التعليم بالاعلام باعتبارها جزءاً منه ، فنحن عندما نعلم انما نريد احداث تغيير فى سلوك وتصرف الطالب ، وما الهدف من عملية الاتصال والارسال الاعلامى سوى احداث التغيير فى سلوك المستقبلين .

ورغم خطورة الاعلام فى توجيه الفرد ايجاباً وسلباً عبر مختلف القنوات .. وتعدد توجهات البرامج سواء فى الاذاعة والتليفزيون او فى المجلات والكتب الا ان هذه الخطورة تصل الى ذروتها عند استخدام وسائل الاعلام فى التربية والتعليم - خصوصاً سهلة الاقتناء - كالتليفزيون .

ولقد اصبح الجيل التليفزيوني اقل اقبالا على مصادر التعليم التى تتطلب جهداً ووقتاً . وفى هذا الصدد يقول الدكتور احمد بدر فى بحثه :

« دور التليفزيون فى التنشئة والعادات القرائية كعناصر قاعدية فى التأثير على المجتمع المعاصر » - الصادر عن جهاز تليفزيون الخليج :

● التعميم الذى ذهب اليه معظم الباحثين ان التليفزيون قد قلل من الوقت المتاح للقراءة له انطباعات عدة .. نذكر منها ما يلى :

١ - انه يمثل تحولا فى الوقت من نشاط فردي (للقراءة) الى نشاط جماعى (مشاهدة التليفزيون) .

٢ - انه تحول من المتابعة النشطة لاهتمامات إيجابية الى تقبل سالب لبرامج معروضة .

٣ - انه مكسب لوسط اعلامى (التليفزيون) الذي يقدم للجمهور الحياة في شكلها الواقعى أو الدرامى على حساب وسط اخر (القراءة) التى يفترض ان لها مطالب كبيرة على الخيال والقدرة على التجرد .

٤ - انه تغيير من وسط (القراءة) يقدم لجمهوره فرصة لا نهائية فى اختيار الموضوعات التى تهمه الى وسط اخر (التليفزيون) الذى يعتبر قوة هائلة للتجانس والتوحيد الاجتماعى والثقافى .

ويجدر بنا فى نهاية هذا العرض عن تاثير التليفزيون على القراءة بصفة عامة وعلى الكتاب بصفة خاصة أن نشير الى تقرير هيئة اليونسكو الدولية عن موقف الثقافة العربية فى السبعينات واوائل الثمانينات ، حيث اكد التقرير على تدهور نشر الكتاب العربى خلال السنوات العشر الماضية .

لقد جاء في تقرير اليونسكو انه في عام ١٩٦٥ صدر فى الوطن العربى ٥١٩٩ كتاباً .. وان هذا الرقم انخفض عام ١٩٨١ الى ٢٨٥٠ كتابا .. وكان من المتوقع مع زيادة عدد السكان وارتفاع نسبة التعليم ان يرتفع عدد الكتب الصادرة فى الوطن العربى الى ١٠٫٠٠٠ كتاب على الأقل ، ويعزو تقرير اليونسكو المذكور هذا التدهور في حركة التاليف والنشر الى اسباب عديدة اهمها : دخول التليفزيون الى البلاد العربية وتراجع عادة القراءة لدى الأجيال العربية الجديدة وذلك بالاضافة الى ارتفاع سعر الكتاب بشكل مبالغ فيه .

من هنا اصبح التليفزيون أباً ثانياً .. ومدرساً ثانياً .. بل يحمل من المواصفات مايجعله ذا تاثير كبير وهام على توجه الطالب .

ومما زاد عملية التعليم تعقيداً فى الآونة الأخيرة ظهور اجهزة الألعاب وغيرها من الملهيات التليفزيونية .

اذن فنحن مطالبون - إزاء الاغراءات .. والملهيات البسيطة السهلة التناول - الى تخطيط برامجنا التعليمية والتربوية بشكل ينافس الاشكال الموجودة التى تجذب النشء .. وتستحوذ على اهتماماته .

ومن اهم النصائح التى قيلت لنا - عندما كنا ندرس الاعلام التربوى فى الجامعات الامريكية - ان نتجنب إحضار المدرس الى غرف الطلبة بالمنزل ، اى ان نعمد فى تقديم برامجنا التعليمية على هيئة محاضر يكرر ما يردده المدرس فى الفصل .

وعلينا أن ناخذ فى الاعتبار الأمور التالية :

● من ناحية انتاجية : فان هذه الأشكال من البرامج تكون سهلة التنفيذ .. قليلة التكلفة .

● من ناحية فنية : تفتقر هذه الأشكال من البرامج الى عنصري المفاجاة والتشويق . وهما عنصران اساسيان لاحداث الاستجابة (كما يقول علم الاتصال) .

● من ناحية تعليمية : يكون مردود هذه البرامج ضعيفاً جداً وذلك لأن الطالب (المشاهد) سبق وان مر بنفس التجربة على مقعد الدراسة .. فى ذات الوقت توجد مغريات اخرى سبق تقديمها ، بالاضافة الى الافتقار للعنصرين سابقى الشرح .

ان وضع مخطط الدورة البرامجية للتليفزيون التربوي تتطلب وعياً تليفزيونياً (اعلامياً) بالدرجة الأولى

وكثيراً ما انصب جهد التربويين على الجانب التعليمي فاغفلوا الجانب الاعلامي وبذلك تضعف الرسالة .. وتضعف الاستجابة فتضيع جهود التربويين والاعلاميين على السواء .

ان نجاح رسالة التليفزيون التربوى لا يقاس بعدد ساعات البث ولا بمقدار الأموال التى صرفت على التجهيزات والمبانى بل بالمردود العلمى الذى يستوطن عقل الطالب .

وفى وقت ازدادت فيه وسائل إلهاء الطالب – كما سبق – وهى بطبيعة الحال تحدث تغييراً فى سلوكه واسلوب حياته تلح الحاجة الى مزاوجة التعليم بالتربية وعدم الفصل بينهما .. وان لا نقدم التعليم على صحن من فضة ونلزم الطالب بتناوله بطريقة جبروتية .. فرضية ونتناسى التربية وتقويم السلوك .. فلا نحن ننجح في الاولى ولا في الثانية

ومحاولة لتاسيس علاقة متينة واعية بين الطالب والتليفزيون التربوى لابد من الوصول الى الآتى :

١ – التوفيق بين التوجه الاعلامي البحت والتوجـه التعـليمى البحت . والوصول الى ارضية مشتركة لخطـة التليفزيون التربوي .. ويندرج تحت هذا الباب تعيين المخططين والمنفذين ومعدى البرامج ، وايجاد قنوات اتصـال بين التليفزيون التربوى وعلماء التربية .

٢ – تقديم المواد التعليمية باسلوب غير مباشر يعتمد على عنصرى التشويق والمفاجاة .. ومحاكاة واقع الطالب باسلوب علمي .. وبتقنية مدروسة بعد اجراء تجارب ميدانية وورقية ومن ثم الشروع فى تسجيل البرامج .

٣ – اشراك الطلبة انفسهم فى البرامج – ليكون التوجيه فى مستوى واحد بين صاحب الرسالة والمتلقي ، اذ ان ذلك يزيد من الثقة بين الطرفين .. ويتوفر الاقنـاع – الذى هو هدف الرسالة – ثم ان ذلك يكسر طوق الاوامر والنواهى المضروب فى حياة الطالب وفى فكره .

٤ – تلاقى برامج المسابقات المدرسية والثقافية اهتماما جيداً لدى أوساط الطلاب .. فعند التفكير فى تقديم هذه البرامج يراعى ان تكون شمولية ، فنحن عندما نجبر الطالب على الحفظ (فى مرحلة التذكر القصيرة) نجعله يفقد تلك المواد المحفوظة قسراً عندما يمر بتجربة اخرى مماثلة، أما عندما نذكره عن طريق المناقشة وتداول الاسئلة بين الطالب والسائل .. والجمهور – حاضر تسجيل البرنامج – ننشط فيه الذاكرة ونعوده على عدم الآلية فى التسجيل واعادة التسجيل .

٥ – يلاحظ ان التليفزيون التربوى فى بعض البلاد العربية موجه الى المراحـل المتقدمة فى الدراسة (الاعدادية والثانوية) لكن الحاجة تلح الى اشباع رغبات جميع شرائح الطلاب – بكل المراحل – ومن هنا – تبرز اهمية تخطيط البرامج بحيث يراعى سن الطالب فى كل مرحلة .

٦ – التعرض لاهم – واكثر – مشاكل الطلبة باسلوب تمثيلى غير مباشر .. فذلك يساهم فى تحول سلوكيات الطلبة .. ويقيم ما اعوج منها .

٧ – التليفزيون كعلم جديد – خصوصاً فى مجال التعليم الدقيق – يتطلب موظفين اكفاء – خصوصا مقدمى المادة – اذ ان هنالك مواصفات حددها علماء الاتصال يجب ان تتوفر فى مقدم برامج التليفزيون منها :

ا – اتقان اللغة .

ب – الحضور والبديهة .

ج – حسن التصرف .. ولفت انتباه المشاهد .

د – القدرة على الحوار باسـلوب حوارى .

هـ – الاناقة فى الملبس .

ولكن الملاحظ فى برامجنا التعليميـة – نظراً لظروف التسجيل وعدم توفر اكفاء في المجال التعليمي الاعلامي – ان نرى في تسجيل عشر حلقات المدرس باللباس نفسه .. ونرى كذلك ان المدرس يتكلم (يفهم منه انـه لا يريد استجابة من احد) .. وبهذا يكون الدرس المدرسي أهم من الدرس التليفزيوني لأنه مباشر .

كما نرى نفس المواد التى ملها الطالب مثل السبورة والطباشير والخريطـة او الوسيلة .

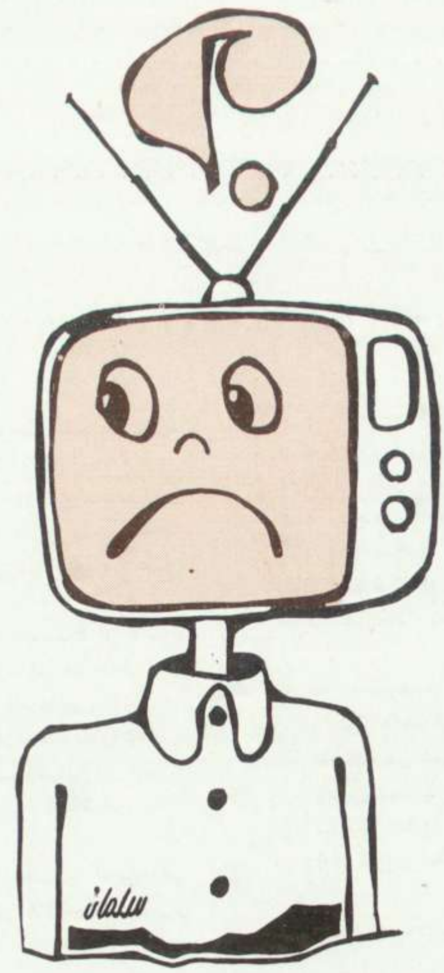
كما انه من رؤية فنية : فان المشاهد يمل من الكادر غير المتحرك .. اذ ان جميع دروس التليفزيون التربوى تؤخذ بنفس الكادر (اللقطة) وهى المتوسـطة فبالاضافة الى تشتت انتباه المشاهد لرتابة اللقطة يصبح الدرس التليفزيونى اذاعيا .. اذ ان المعلول الاساسي للتلفزيون هو الحركة .

وبعد ، فنحن وان كنا مازلنا نحبو فى تعاملنا مع التكنولوجيا الحديثة الا ان ذلك لا يعنى السير دون خطى مدروسة .. كما انه لا يعنى اننا لن نخطىء ولا يعنى اننا نسكت عن اخطائنا ونتخوف من مناقشتهـا ، مهما كانت الدوافع .

ان التليفزيون التربوي جهاز خطير جداً .. وله رسالة هامة وسامية – لانه تخصصي – اكثر من نظيره الرسمي فى البلاد العربية . فهلا حاولنا انتشاله !

أحمد عبد الملك

مراقب اخبار التليفزيون – قطر



المراجـــــع :

1- Foundation of Communication Theory New York

٢ – جهاز تليفزيون الخليج – سلسلة بحوث ودراسات تليفزيونية ، « دور التليفزيون فى التنشئة والعادات القرائية كعناصر قاعدية في التاثير على المجتمع المعاصر ١٩٨٣ .

عندما تنشر البهجة أجنحتها مع الزهور و الطيور

قصة الربيع في الأدب الإنجليزي

بقلم: مصطفى عبد الرحمن

يعني الربيع في انجلترا عودة الحياة ، ويقظتها في كل شيء ... شجر يجتمع له الورق الاخضر .... طير تنطلق من حناجره نغمات من صنع الله جلت قدرته ... أرض تباهي بزهرها أبيضه ، واحمره واصفره ... نسيم يرق ، ويرق بعد ليل طويل من صقيع ، وزمهرير .

ولقد مر الأدب الانجليزى فى مسيرته بمراحل شبيهة بتلك التى مرت بها الآداب العالمية ، واشتركت فى تطويره اسباب غير بعيدة عن تلك التى اشتركت فى تطوير هذه الآداب جميعاً ...

ولم يختلف ادب امة عن هذه الحقيقة التى يشير اليها استقراء الآداب العالمية بوساطة المختصين فى ذلك من كبار النقاد ، والأدباء والشعراء ...

على اننا نلحظ فى مسار التطور الزمنى للانسانية أن هـذه الاغراض المختلفة فى الشعر تتفاوت فى جيل عنها فى جيل آخر ... فالغزل والوقوف على الاطلال فى العصر الجاهلى ، والشعر السياسى والنسيب فى العصر الأموى ، والوصف بانواعه فى العصر العباسى، أغراض مختلفة لكل غرض منها شانه فى عصره يجعله فى مقدمة الأغراض الأخرى من حيث ولع الناس به ، واقبالهم عليه .. .

وعلى الرغم من أن هذا لا يدخل فى نطاق بحثنا (الربيع فى الأدب الانجليزي) فاننا ذكرناه من باب التمثيل ، فالأدب الانجليزي كما قلنا مر بمراحل متعددة ...

إن اغراض الشعر فى العصور التى جاءت قبـل عصر الملكة (اليزابيث) والتى بعدها تختلف فى كل عصر عنها فى العصر الآخر .. فقبل عصر النهضة وحتى بدايته لا نجد للربيع ادباً في هذه المرحلة .. ولم نسمع شعراً فى الربيع الا قصيدة نادرة من نظم (تشوسر) فى منتصف القرن الرابع عشر وتعتبر هذه القصيدة اول قصيدة كتبت خارج الاطار المالوف الذى كان سائداً فى هذا العصر !

قال (تشوسر) .

« حين تنفذ قطرات ابريل الندية الى الجذور الجافة فى شهر مارس .. وتسقيها .. تتفتح الأزهار وحين تهب نسائمه على الأغصان وتاخذ الطيور تغرد ألحانها تهب النفوس من رقادها لتستقبل الق ابريل الخالد ... ... »

وبعد (جيفرى تشوسر ١٣٤٠ ــ ١٤٠٠ م) اهم الشخصيات



فتاة انجليزية امام بيتها الذى تشابكت على جدرانه اغصان الورد .. ثم حقل من الزهور فى الريف الانجليزى الذى الهم الشعراء الانجليز فوصلوا إلى نتائج فى الشعر لم يصل إليها الشعر فى اية امة اوربية اخرى

الأدبية التى لمعت فى سماء الأدب الانجليزى قبل (شكسبير) ..
وفى بداية عصر النهضة ترجمت روائع امة اليونان الى اللغـــات الأوربيـــــة الحديثـــة ومنهـــا (الاليــــاذة) و (الأوديســــا) رائعتــــا (هـــوميروس) كمـــا ترجمت آثار مدرسة الشعر الريفى ووصف المروج والمراعى واعيـــاد الربيـــع التى اسســـها (يثوقريطس) فى القرن الثالث قبل الميلاد . وكذلك اغانى الرعاة التى جاءت فى شعر (فيرجيل ٧٠ ــ ١٩ ق . م .) واطلق عليها الشعر الريفى



وقد تاثر بهذه الترجمات شعراء الطبيعة فى انجلترا شهد بذلك (سبنسر) و (شللى) و (ارنولد) و (ورد زورث) و (كيتس)

شكسبير والربيع

وكان مولد عبقري الآداب العالميـــــــة (شكســـبير) فى قريته (استراتفورد . اون . آفون) ١٥٦٤ م مؤذنا ببدء مرحلة جديدة تنوعت فيها اغراض الأدب لتعبر عن اشواق الأمة الانجليزية وتطلعها الى تكوين امبراطورية لا تغرب عنهـــا الشمس ..

وفى اليوم الذى حطمت فيه انجلترا (الأرمادا) اســـطول (اسبانيا) المسيطر على البحار .. بدأ يلمع كوكب المجد الانجليزى فى سماء السياسة العالمية .. وانعكس ذلك على الأدب الذى بدأ عصراً جديداً مختلفا عن العصور التى سبقته ، واخذ إحساس الناس بالطبيعة وما ينطوى عليه من جمال يعمق فى نفوسهم ،حتى انشدنا (شكسبير) اناشيد الطبيعة بصورة لم نالفها من قبل ، اضاف فيها الى الأدب الوان النور ، والظلال وتغنى بازهار انجلترا البرية ، واقمارها ، وربيعها ، وجمالها .

قال شكسبير .. وقد اقبل الربيع :
تعاليَّ ..واحيي معى .. وكونى حبيبة فؤادى ...
إن التلال .. والوديان .. والمروج .. والجبال

تنشر فى طريقنا العبير ...
هنالك سوف نجلس فى الربيع ...
فوق يانعات الزهور ...
حيث يتراءى الرعاة يطعمون الاغنام ...
وتتجلى الاطيار الصوادح فوق الغدران ...
تترنم سكرى باعذب الالحان ...
هنالك ساصنع لك من ورد الربيع سريراً ...
ومن نوار الاف الازاهير ...
ساصنع لك قبعة جميلة ...
وثوبا موشى باوراق من الزهور البيضاء ...

(فشكسبير) فى هذا النص . يمزج بين الطبيعة وبين مشاعر بنى الانسان ، ويحاول ان يجد علة ذلك الفرح الانسانى فى المظاهر المتنوعة ، والظلال المتناثرة ، ويكشف لنا عن حقيقة الروح الانجليزية التى بدات تحس بذاتها فتطلب المتعة فى الطبيعة

وجـــاء بعد شكسبير (ج . ميلتـــون) ففتـــح للربيع منافذ ذاته لتطل على الكون فاحس بهذا الجمال الذى يملأ الأرض والسماء كلما اقبل ربيع ..

وكتب رائعته فى الربيع والطبيعة .

قال ملتون :

عذب نفس الصباح .. وشروق جبينه مع الطيور المبكرة ...
ومبهجة هى الشمس عندما تنشر لاول وهلة ...
شعاعاتها على الأرض الفرحة ...
وعلى العشب ، والشجر ... والثمر ...
تلك الشعاعات من الأنداء
وشذية هى الأرض الخصبة بعد الطل الناعم
وعذب مجـىء المساء الشكور ، والليل الساجى بطيره الموقر
وهذا القمر الوديع .. ولآلىء السماء ...

ويعتبر النقاد قصيدته (الفردوس المفقود) من أروع ما جاء فى الأدب الانجليزى ..

وحـــاول من بعـــده (الكســـندر بوب ١٦٨٨ ـ ١٧٤٤) إحياء الشعر الريفى ليكون (فرجيل) انجلترا ..

ومن الذين احسوا بالطبيعة إحساساً عميقاً وتغنوا بمفاتنها وجمالهـــا (جيمس تومســـون ١٧٠٠ ـ ١٧٤٨) وكتب قصيدته التى تغنى فيها بالربيع ، والصيف ، والخريف ، والشتاء .. ونشرها فى مجلة أسماها الفصول .

شعراء الرومانسية

وقد اختلفت نظرة شعراء النهضة فى لغتهم ، واخيلتهم واحاسيسهم بجمال الطبيعة فى النصف الأول من القرن السابع عشر عن هؤلاء الذين جاءوا فى النصف الاخير منه وابتدعوا الرومانسية ، وابدعوا تلك النماذج الخالدة التى ما يزال بريق الجمال يشع منها إلى اليوم ...

وسوف يظل بريقها يرسل اشعاعاته الى آخر الزمان ...

والرومانسية فى الأدب مذهب آمن بالفرد ومشـــاعره ، والرومانسيون يرون ان الجمال هو الغاية التى يسعون اليها والجمال هو مرآة الحقيقة المنشودة ..

قال (دى موســـيه) شـــاعر فرنســـا الأكبر : (لا حقيقة سوى الجمال ... ولا جمال بدون حقيقة)

و (وردزورث) واحد من شعراء الرومانسية الكبار في الأدب الانجليزى هؤلاء الذين تغنوا بجمال الطبيعة ، وإشراقة الربيع ويعتبرونه المؤسس الحقيقى للمدرسة الرومانسية لتاثره العميق باراء (روسو) وبالثورة الفرنسية ..

وقد قضى (وردز ورث ١٧٧٠ ـ ١٨٥٠ م) الجانب الأكبر من حياته فى منطقة البحيرات بالقرب من (لانكشير) حيث تلبس الطبيعة هناك ابهى حللها .

قال وردز ورث فى الربيع :

سمعت مزيجاً من الوف النغم ..
بينما كنت فى الغاب مستلقيا ...
وانا فى تلك الحالة النفسية الحلوة ...
التى تتابع فيها على الذهن ...
صور بهيجة ، تتلوها صور كئيبة ...
إن الطبيعة قد وصلت روح الانسان ...
التى تجرى فى دمائى بمظهرها الجميل
وما أشد كربة قلبى
حينما اذكر ما يفعل الانسان باخيه الانسان

• • •

هذه أعشاب البحر
تتضافر اكاليلها مع زهور الربيع
فى ظلال الأشجار النضرة اليانعة
وفى عقيدتى أن كل زهرة
تستمتع بالهواء الذى تستنشقه

• • •

إن الطيور حولى
تقفز وتلعب
ولكنى لا استطيع لفكرها فهماً
غير أن كل هزة فى حركاتها
تبدو لى نشوة من نشوات السرور

• • •

إن الأغصان المزهرة تنشر أوراقها
كى تتلقى نسمات الهواء
وإنى إخال
ويبدو لى من كل ما أرى
ان السرور ينشر فوق المكان جناحيه
فان كانت هذه العقيدة قد هبطت الى من السماء
وان كان هذا هو تدبير الطبيعة المقدسة
أفلا يحق لى
ان ارثى لما صنع الانسان ...
باخيه الانسان ...

و (وردز ورث) فى هذا النص يزيح الستار عن جمال الربيع



وليم شكسبير



شيللى



وردزورث



د . هـ . لورانس

بانامل رقيقة .. إنه يسجل بريشته الملهمة حركة العشب على شاطىء البحر .. وهزة السرور فى الطير ، وبهجة الورق الاخضر ، والغصن المزهر .. ثم هو بعد ذلك يربط فى نفسه بين هذا الجمال الآلهي الخالد ، وبين ظلم الانسان لاخيه الانسان ...

وسواء أدرك (وردزورث) علة ذلك ام لم يدركها فاننا لا نطالبه بضرورة هذا الادراك .. ولا يعنينا ان يكون هو احد المناضلين الاجتماعيين طالما ظفرنا به شاعراً من العباقرة المتفردين ...

وقـد نشر (وردز ورث) اشـعاره واغانيـه التي اشترك فيها مع صديقه الشـاعر (كلوردج) الـذى قاد مع زميله الحركة الرومانسية فى الشعر واقترن اسمهما معاً ۱۷۹۸ م ..

وقد أكد (وردز ورث) و (كلوردج) فى هذه الأشعار ان الشعر ليس كلمات مصفوفة وانما هو فيض من المشـاعر الرقيقة الفياضـة ..

وقد عاشا يقتسمان معاً ميدان الاغانى الشعبية .. وبينما كان يولع الأول بالحاضر الذى يعيشه ، كان الاخر يترنم بالجمال الذى كان فيه يتنفس ، ويعيش ..

ومن طاقة الزهور العطرة التى تضم عباقرة الرومانسية الذين حلقوا فى سماوات الخيال وأسمعوا الدنيا نبض قلوبهم (وليم هاملتون) و (شللى)

عشاق الربيع

إن (شللى) لا يسجل بريشته ما يراه فى الكون بل هو يغوص بها فيه حتى يصل الى ابعد ابعاده .. وينتقل الى اقصى آماده ..

إن هذا الشاعر الكبير ترك وراءه آثاراً ضخمة على الرغم من قصر عمره حيث مات غريقاً فى ايطاليا عن ثلاثين عاماً ..

اننا ما نزال نقرأ شعر شللي الى اليوم فنشعر ان هذا الشاعر العبقرى يضرب باجنحته فى كل تخوم الكون وما تزال روائعـه الى اليوم وستظل الى آخر الزمان من أعظم ما ابدعه الشعراء من بنى الانسان ...

اقرأ له (نشيد الى قبرة) أو (الريح الغربية) لترتفع مع هذا الشاعر الى قمة مشاعره ..

ثم استمع الى (شللي) وهو يمزق الاستار عن اسرار الطبيعة يقول .

فلنقطف الورد فى غدوة حياتنا ، ولنعش فى الرياض بكرة اعمارنا ، ولنتنسم اريج الربيع الغامر ، ولنغمس قلبينا فى فيض اللذة النقية الطاهرة ..
وليكن هوانا يا حبيبتاه . بحراً لا حد لسعته

ومن الصعب عليك أن تحاول المفاضلة بين هؤلاء الشعراء .. إنهم كالازهار المختلفة الالوان فى حديقة الخلود قد تعجب بوردة حمراء ولكن ذلك لا يمنعك من أن تفتن بواحدة من الفل الابيض .. ثم تجذبك اليها واحدة من الأقحوان ..

ومن عشـاق الربيع (هربرت) وهو من مدرسـة (دون Donne) وكانت هذه المدرسـة تهتم بالناحيـة الميتافيزيقية ..

يقول هربرت :

ايها النهار الصبوح الذى لا نسمع فيه ركزا
وقد غمرته الأشواق ...
كانك يوم عرس للسماء والأرض ...
إن الظل سيحزن عليك عندما يهبط المساء
لأنك ستلفظ انفاسك الأخيرة
ايها الربيع الباسم المتفتح الورود
كانك الصندوق امتلاء بصنوف الحلوى الشهية
إن الحانى تخبرنى أن لديك نهاية
ولابد لكل شىء حينئذ أن يموت

فاذا نحن انحدرنا عن القرن الثامن عشر الى القرن الذى يليه ثم الى العصر الحديث فاننا سنجد أن ولع الانجليز بالطبيعة لا يحد ... بل هو نار مشبوبة فى صدره دائماً ..

إن الحديث عن الورد ، والعطر ، والطير ، والزهر والنسيم .. لا ينتهى ...

إنك تجده على لسان كل شاعر حتى على لسان شاعر متشائم مثل (توماس هارى) أو عاكف على لذاته الحسية مثل (د . هـ . لورانس) أو ضارب فى جذوره التاريخ مثل (ت . س . إليوت) ..

وبالرغم من مذاهب هؤلاء الشعراء ، وتعدد اتجاهاتهم الفنية وتباين نظرتهم الى الحياة والوجود ...

.. اقول بالرغم من ذلك كله فانهم لم ينظروا الى الطبيعة من حولهم نظرة من يسجل ما يراه ، ويصف ما يشاهده بل هم نظروا اليها نظرة المتعمق الفاحص بعين الروح ، المنقب فى ترابها بفاس الخيال .. وقد وصلوا الى نتائج لم يصل اليها الشعر فى اية امة أوروبية اخرى .

لقد عشق الانجليز الطبيعة ، وتوغلوا فى بواطنها واسرارها وفهموا كل ما يجرى فى دروبها ، وكهوفها ، وبحارها ، وجبالها وحقولها ، وبحيراتها من معان لا تحد ، وصور لا تحصى ومخبات عن العيون لم يصل غيرهم اليها على مدى الزمان .

مصطفى عبد الرحمن



عارضة الأزياء الشهرة « ماريا هيلين » مع طفلتها الاندونيسية « بارتيني » التى اختارتها بالمراسلة !

أطفال بالمراسلة

دعوة إنسانية لإنقاذ الطفولة في العالم الثالث

نادية يوسف

.. يا آباء الأطفال فى مدن الأحلام .. اتحدوا من اجل رعاية أطفال العالم الثالث .. ليكن عند كل واحد منكم طفل إضافي يرعاه بالمراسلة .. وتربطك به علاقات الحب . بـ ٩ دولارات فقط يمكنك ان تصبح اباً او اماً لطفل من اطفال الدول النامية .. ترعى شئونه الصحية والتعليمية والمستقبل .. من اجل ذلك كله كان انشاء أول جمعية من نوعها فى العالم .. تفتح الطريق امام الأطفال الفقراء فى العالم للحصول على العلم والمعرفة والكساء والطعام . كان صاحب الفكرة مراسل حربى انجليزى لاحدى الصحف اليومية التى تصدر فى لندن .. اسمه « جون لا نجدون دافيز » .. انها ليست وكالة تتبنى الأطفال للقيام بواجب رعايتهم .. ولكنها جمعية تدير برامج التنمية من خلال اطفال العالم الثالث .. فيكفى أن يقع اختيارك على طفل فى احدى هذه الدول ـ ويمكن أن يتم هذا بواسطة الصور ـ حتى يتم تغيير وتطوير كل شىء حوله ..



اطفال القرية الاندونيسية الذين شاركوا الطفلة بارتيني فى فرحتها اثناء لقائها لأول مرة بعارضة الازياء الانجليزية .. ثم لقطة لعارضة الازياء وسط عائلة بارتيني



.. ان اعضاء هذه الجمعية (١) التى لا تعمل بالسياسة ولا تتبع اى طائفة .. جميعهم من الآباء يدفع كل منهم ٩ جنيهات شهرياً ليتبنى طفلا بالمراسلة .. وهذا المبلغ هو رأس مال الجمعية الأساسى .

(.. لقد اصبح عدد هؤلاء الآباء حتى الآن ٢٠٠/٠٠٠ (مائتى الف اب وام) معظمهم من استراليا وكندا وهولندا والولايات المتحدة .. وفى انجلترا وحدها يوجد حوالى ٢٠٠٠ الفين من هؤلاء الآباء .. الذين يقومون بواجب رعاية اطفال العالم الثالث من خلال الرسائل والصور فقط التى يتبادلونها بصورة وجدانية محببة الى قلوبهم . ورغم ذلك فان الجمعية تفخر بان كل اربعة من خمسة من اعضائها يذهبون لزيارة اطفالهم مرة واحدة فى العمر .. فى محاولة للتعرف على مشروعاتها المستقبلية مع الأطفال الذين يولونهم بالرعاية عن بعد.

مشاعر اللقاء الأول

هذه تجربة ام بالمراسلة .. تحكى مشاعر اللقاء الأول مع طفلتها فى احدى قــرى اندونيسيا .

.. انها عارضة الأزياء الشهيرة « ماريا هيلين » .. التى تعيش كاشهر واغنى عارضة ازياء فى انجلترا .. ولأنها زوجة للمصور المعروف « دافيد بيلى » .. فان حياتها مستقرة تحسدها عليها الكثيرات من النساء فى العالم .. فمنزلها مؤسس على احدث طراز .. ويحتل مساحة لا باس بها فى احد احياء لندن الهادئة .. تقضى وقتها بين العمل والأصدقاء المقربين من امثال جيرى هول ومايك جاجر .. عادة ما تقضى شــهور الصيف والاجازات مــع والدتها وشقيقتها فى هاواى .. حيث ولدت وقضت جزءاً من طفولتها ..

.. هكذا كانت حياة « ماريا هيلين » .. ولكن اعلاناً صغيراً نشرته جمعية صنداى تايمز يوماً ما .. لفت نظرها .. وفكرت فيه طويلا .. الاعلان عبارة عن صورة لطفل بعيون واسعة وابتسامة عريضة .. وتحت الصورة هذه الكلمات (بـ ٩ جنيهات استرلينية فقط .. تدفعها كل شهر .. تستطيع ان تمنح السعادة الدائمة لطفل من اطفال العالم الثالث ..) .



انني احب الأطفال .. وهذا لا يكفى .. المفروض ان يتعدى هذا الحب حـــدود الابتسام لهم من بعيد حتى يصل الى مرحلة الاهتمام الشديد بهم والى الشعور بالمسئولية الكاملة نحوهم . قالت ماريا لنفسها :

والحق انه داخل كل منا وتر حساس .. يكفى ان تدق عليه ولو لمرة واحدة لتتحرك العديد من المشاعر .. وهذا بالضبط ما حدث لماريا عندما سالتها احدى صديقاتها .. ان كانت ترغب فى أن تصبح واحدة من الأمهات اللائي يمنحن الرعاية والحب عن طيب خاطر لواحد من اطفال العالم النامى .. لم تتردد ماريا مطلقاً .. وبالفعل وقع اختيارها على طفلة من اندونيسيا تدعى « بارتينى » وعمرها الآن ١٢ عاماً .. تعيش « بارتينى » فى احدى قرى اندونيسيا المتواضعة .. ومع بداية تبنى ماريا لها منذ عامين تغيرت حياتها بالكامل .. التحقت بالتعليم .. ثم قامت الجمعية بتغيير البيئة من حولها .. واثناء هذين العامين كانت بارتينى تبعث الى ماريا بخطابات منتظمة مصحوبة بصور تحكى تطور حياتها اولا باول .. اكتفت ماريا بصور طفلتها بالمراسلة لعامين .. ولكنها قررت ان تـــذهب الى « بارتينى » فى قريتها الأندونيسية لتراها على الطبيعة ..

وبالفعل طارت ماريا الى جاكرتا مع ممثل من الجمعية ومصور صحفى ومحررة صحفية لتسجيل اللقاء ..

.. بعد ساعتين بالسيارات وصلت ماريا الى « قرية سومبرلور » تصفها بقولها .. « انها قرية صغيرة تتفرع من زقاق مترب على الطريق الرئيسى » ..وتصف مشاعرها ايضاً فتقول .. » طوال الطريق كنت قلقة بشـان لقائى ببارتينى .. طفلتى بالمراسلة .. كنت اتساءل باستمرار كيف سابدو لها يا ترى .. هل سنجد ما نتحدث حوله . كيف ستنظر الينا هى واطفال القرية .. ونحمل اجندات فى ايدينا وكاميرات على اكتافنا .. ولكن خوفى مالبث ان تلاشى عندما اقتربنا من القرية .. فلم نجد سوى الترحيب الحار والابتسامات الدائمة على وجوه اهالى القرية .. كما لو كانت الأميرة ديانا هى التى ستزور القرية » .

وتضيف ماريا .. « ان كل اهالى القرية تطوعوا لتوصيلنا الى منزل بارتينى .. وهناك سرعان ما تعرفت على والدها السيد « وانرتو » وكنت قد رايته فى الصور التى ارسلتها الى ابنته بارتينى .. اقصد ابنتى بالمراسلة .

فى البداية استولت على مشاعر الدهشة الممزوجة بالأعجاب .. » الكلام مازال لماريا .. عارضة الأزياء التى تلتقى بطفلتها بالمراسلة لأول مرة .. وتعود لتتساءل « .. كم هى ظالمة تلك الصور إن بارتينى اجمل منها بكثير .. لقد اعتقدت لفترة طويلة انها اجمل طفلة فى القرية .. لكننى بمرور الوقت .. اكتشفت كم كنت فخورة بها الى الدرجة التى كنت اراها اجمل فتاة ليس فى اندونيسيا فقط . ولكن فى العالم كله ..»

الأمومة تتحدث

«.. الأمومة داخل ماريا تتحدث .. من الضرورى أن يرتبط الطفل بشخص ما يشعر انه مسئول عنه .. وهو الشعور الذى يدفعه الى بذل الجهد والنجاح والتفوق . شكراً للجمعية . لقد كان منزل بارتينى .. طفلتى الأندونيسية .. اجمل منازل القرية بالفعل .. اعيد بناؤه بحيث اصبحت حوائطه من الحجارة وحوله حديقة صغيرة ولكنها جميلة ومليئة بالزهور .. اما فى الداخل فالمنزل شديد النظافة .. جيد التهوية .. وبه نافذتان واسعتان من خشب البامبو .. يتخللهما ضوء الشمس بحرية .. وبه ايضاً بارفان ـ حاجز ـ يفصل ما بين حجرتى النوم والمطبخ .. لقـــد تكلفت التحسينات التى ادخلت على منزل بارتينى وأسرتها ١٧٥ جنيها استرليتيا فقط .. وقال لى ممثل الجمعية ايضاً : ان الجمعية تحاول النهوض باحوال الأسرة منذ اصبحت بارتينى طفلتى بالمراسلة .. فقد ابتاعوا للأسرة عنزتين تدران اللبن للاطفال .. ومن ناحية اخرى فان ممثلى الجمعية يساعدون أهالى القرية .. ليس باعطائهم معونات مالية .. ولكن بتعليمهم كيف يساعدون انفسهم ..

.. تعرفت على شقيق بارتينى ووالدهـا ووالدتها .. اما بارتينى طفلتى .. فقد كانت تنظر الى بابتسامة خجولة من حين لآخر .. ربما يكون سبب خجلها هو هذه المساحيق التى وضعتها على وجهها للمرة الأولى تحية لى فيما يبدو ..»

.. عندما سالت ماريا طفلتها بالمراسلة بارتينى عما تنوى عمله بعد انتهائها من دراستها .. قالت لها .. سوف اذهب الى المدرسة العليا .. ثم ماذا بعد ذلك ؟ .. ردت بارتينى بسرعة .. أريد ان اصبح معلمة اطفال ..

«.. والغريب ان اهالى القرية جميعاً وخاصة النساء والأطفال كانوا يتبعوننا الى منزل بارتينى . ويبدو ان الفتاة وإسرتها كانت تعرف هذه الحقيقة .. فاعدت ثلاث بشات خشبية للجلوس عليها .. بينما وقفت هى بجوار الباب للترحيب بالزوار .

.. فى هذه الحالة كان استخدام القاموس ضرورة ملحة .. ورغم اننا كنا نحمله فى ايدينا الا ان مفعوله تضاءل الى جوار الابتسامة الصادقة النابعة من القلب .. لقد فعلت الكثير من اجل التفاهم بينى وبين اطفال القرية .. وبسرعة قدمت الأسرة للزوار الموز والفول السودانى واللحم المشوى وعصير الفواكه ..» ولكن ماريا لم تستطع ان تاكل والعيون من حولها تنظر اليها ..

بعد ذلك قالت لبارتينى .. «لقد احضرت هدايا من لندن .. أرجو ان تحوز رضاءك ..» ثم شرعت ماريا فى التقاطها من الحقيبة واحدة وراء الاخرى ..«اتسعت عينا الطفلة ببريق محبب .. وامسكت بالهدايا .. وكانت عبارة عن اقلام حبر ورصاص وكتب واقلام للتلوين من اجلها .. وبدلة لشقيقها الرضيع وقطعتين من الـ تى شيرت من هاواى لشقيقها الثانى ـ ٨ سنوات ـ وهاندباج او شنطة يد لوالدتها .. وخلية نحل .. احضرت توا من مصنع للخشب .. وعلبتين كبيرتين من الحلوى .. واحدة لبارتينى واسرتها والثانية لأطفال القرية وما ان اعطينا العلبة للصغار الأعزاء حتى اختفوا وهم يجرون وراء بعضهم البعض .. وبعد فترة قصيرة عادوا وعلى وجوههم الكثير من البهجة والمرح ..»

..وقدمت ماريا هيلين الهدايا .. وكل من حولها يضحك ويتكلم .. الا هى .. كانت تفكر .. فى السعادة التى اجتاحت كيان هؤلاء الصغار من اجل اشياء تعد صغيرة وتافهة بالنسبة لها .. كانت تفكر فى لقائها بطفلتها المحبوبة لأول مرة .. وقالت انها سوف تتذكر هذه اللحظة لفترة طويلة قادمة .. وعندما طلب ممثل الجمعية من بارتينى ان تكتب لماريا هيلين كلمة فى كراستها الجديدة .. كتبت بارتينى بخط متعرج « ـ مرحباً ماريا ـ لقد تاثرت كثيراً حتى كدت ابكى » .. ثم خرجت ماريا بينما اصدقاؤها الصغار يلتفون حولها متشابكي الأذرع وكانهم يحتفلون بها ..

ليس هناك جدال فى ان هذا اليوم هو يوم بارتينى .. فكرت ماريا هيلين .. ولكن

كان كل اهل قرية «سومبرلور» يشاركونها سعادتها .. وطبعاً كان من المستحيل ان تلتقط صورة منفردة لها مع بارتينى وحدها او مع عائلتها .. لأن الكل كان يتزاحم حولها وكانهم عائلتها الكبيرة .

وقال لنا ممثل الجمعية .. ان حياة الأسرة بالكامل قد تغيرت منذ اصبحت ماريا اما لبارتينى ومسئولة عن رعايتها .. الأب « وانرتو » يزرع الارز وفول الصويا من اجل الأسرة،الجد يكسب قليلا من عمله فى المزارع .. امـــا الام « تيكـونيم » ففى استطاعتها ان تكسب دخلا من عملها فى الحقول بعد ان تكبر رضيعتها قليلا .. ولكن بالغرابة .. ان دخل الأسرة كلها لا يزيد عن عشرة جنيهات .. تصرف معظمها على التغذية والطعام .. ورغم ذلك فان الأسرة الآن تدخر ٤٠٠ر٤ روبية من هذا الدخل البسيط .

ويؤكـد « جوس هول » المدير المسئول عن الجمعيـــة ، وهو امريكى الجنسية ، يبلغ من العمر ٥٥ عاماً .. ان خطة الجمعية تتلخص ليس فى اعطاء معونات مالية .. ولكنها فقط تساعد الناس على ان يساعدوا انفسهم .. اما النقود التى يرسلها الآباء بالمراسلة .. فانها عادة ما تصرف على تعليم الطفل وتكملة دراسته .. اما الجمعية من جانبها فانها تقوم بتطوير وتحسين مستوى المعيشة فى القريــة . فاحياناً تقوم ببناء مغسل جديد .. واحيانا اخرى تساعد الاهالى على انتاج محاصيل جديدة .. وعلى الرغم من ان الجمعية تعمل بالاتفاق مع الحكومة الاندونيسية والهيئات الاجتماعية فى جاكرتا .. فانهـــا لا تتلقى دعماً مالياً من اى جهة .. وخلال الأسبوع الذى قضيناه فى زيارة الطفلة بارتينى راينا مشروعات القرى الاخرى مثل بناء خزانات للمياه حتى تستطيع القرية ان تجد المياه للاغتسال والاستحمام اثناء مواسم الجفاف .. وقد تعلم اهالى هــذه القرى كيف يساعدون انفسهم .. فهناك اسر تقوم بتربية الدجاج وانتاج البيض .. ومزارع خاصة .. واخرى تصنع الحقائب من الجلد وثالثة تصنع الزى الاندونيسى الجميل .. انها نماذج ناجحة ولاشك .. ولكن الخطة تقوم فى الجانب الآخر بتنفيذ مشروعات صغيرة مثل ادخال الكهرباء ومواقد الغاز لمساعدة الاطفال على اداء واجباتهم المدرسية .. او بناء مراحيض لكل وحدة لخدمة اهالى القرى .

.. وبالمصادفة المحضة وصل محقق صحفى اثناء زيارة ماريا لطفلتها بارتينى الى « سومبرلور » لعمل تحقيق صحفى عن الجمعية .. وتساءل عما اذا كان هناك مناطق اخرى فى العالم تحتاج الى مساعدة الجمعية اكثر من اندونيسيا .. وكانت اجابة ريتشارد تويتز مساعد الجمعية .. ان هناك مناطق عديدة فى العالم مثل الهند واجزاء اخرى من افريقيا .. تعانى من الفقر وسوء التغذية حيث تكون الفرصة متاحة امام التدرن الرئوى للهجوم والقضاء على اكبر عدد من الأطفال فى هذه المناطق .

المشكلة الأساسية

.. والمشكلة الأساسية التى تواجه رسالة الجمعية ليست فى تعليم الاطفال هناك .. ولكن فى توعيتهم بالطرق الصحية لاستخدام مياه الأنهار .. والمؤسف انهم حتى الآن يستخدمون مياه الانهار للتبول والاستحمام فى وقت معاً .. وهنا تبرز المشكلة ليست فى جانبها الاقتصادى والاجتماعى فقط .. ولكن فى انها مشكلة ماساوية فى المقام الاول .

وعلى اى حال كما يقول ممثل الجمعية .. ان سياسة الخطوة خطوة .. تلك التى تتبعها الجمعية حتى الآن فى المناطق التى توجد فيها .. مازالت تحتاج الى مناقشة .. ان النجاح الذى حققته هذه السياسة حتى وقتنا هذا .. لا يعفى مسئوليتها فى ضرورة الاستماع الى آراء اعضائها من الآباء بالمراسلة . لقد اجمعوا جميعاً وعلى راسهم ميشيل اسبل - مريم ستوبارد - مارى تيلور - مور بارونز - ايوارت بيجز .. ان درجة الاحتواء لم تصل بعد إلا الى الأطفال .. وهذا فى نظرهم لا يكفى .. لأن الاحتواء المفروض ان يمتد ليشمل الأسرة كلها .. بل والحى او القرية كلها اذا امكن ذلك . والحق انها المغامرة الكبرى التى تواجه مشروعات الجمعية .. فى كل مناطق التخلف فى العالم الثالث .

.. تصوروا مثلا طفلة فى الثانية عشرة من عمرها مثل بارتينى لم تر مركباً فى حياتها .. بدا هذا واضحاً عندما اصطحبت معها شقيقها - ٨ سنوات - وبعض اطفال القرية .. بارتينى وقفت طويلا امام البحيرة .. فى البداية اعتقدت ماريا .. ان الطفلة بارتينى ماخوذة بشكل البحيرة وكمية المياه بها .. ولكن ميجوتو شقيق بارتينى اوضح لها الأمر فقال .. انها ماخوذة بالقارب الذى يسبح فوق مياه البحيرة .. انها مثل كل اطفال القرية لم تر اى قارب من قبل .. بل انها - يؤكد ميجوتو - المرة الأولى التى تخرج فيها من - سومبر لور - قريتنا .

.. وطوال الرحلة داخـــل حديقـــة الحيوانات كانت علامات الدهشة والانبهار على ملامح الأطفال .. حتى لن ماريا قررت ان تاخذهم مرة اخرى الى الحديقة .. حتى ترى الفرحة مرة اخرى على وجوههم .

.. زار الأطفال مع بارتينى وماريا احد المعارض هناك .. ثم اتجه الجميع الى الفندق الذى تنزل به ماريا .. وهناك .. تقول ماريا : « كانت الفرصة لخبرة جديدة يعايشها الأطفال لأول مرة ايضاً .. ذلك انهم جميعاً وبلا استثناء قد شبكوا ايديهم فوق صدورهم خوفاً من الهواء البارد الذى يحدثه جهاز التكييف الموجود بالفندق ..

صعدنا مع الأطفال فى المصعد الخاص بالفندق .. وطبعاً كانت المرة الأولى التى يستقلون فيها مصعداً .. حتى انهم كانوا فى منتهى الاستغراب والتاثر كما لو كانوا قد ركبوا صاروخ فضاء .. وعندما تثاءب الأطفال واحداً بعد الآخر .. عرفنا ان يوماً كاملا من الخيال والمتعة قد انتهى .. » .

قبل يوم الرحيل قامت ماريا هيلين بزيارة خاصة لبارتينى لتقول لها وداعاً .. كانت لحظة حزينة للطرفين معاً .. ولكنها لم تكن نهاية لعلاقة ماريا بهذه الطفلة واسرتها .. وسالت ماريا جوس هول مدير الجمعية فى اندونيسيا عن نوع الهدايا التى يمكن ان تقدمها للأسرة «.. تناقشنا طويلا ثم قررنا شراء حظيرة كبيرة لتربية الدواجن .. لأننا سنكون كمن ضرب عصفورين بحجر واحد .. انها بمثابة طعام للأسرة الى جانب كونها يمكن ان تدر ربحاً معقولا على افرادها».. وبالفعل تركت ماريا للأسرة ادوات واخشاب ومسامير لصنع الحظيرة بالاضافة الى عشرين جنيها لشراء الدواجن .

تؤكد ماريا اثناء رحلة العودة .. ان ٩ جنيهات استرلينية شهريا .. ليست بمبلغ كبير بالنسبة لعديد من الناس .. ولكن عندما نرى ماذا يمكن ان تصنع هذه الجنيهات القليلة من اشياء ذات نفع لاناس عديدين .. عندئذ .. سوف ندرك بالفعل كم كنا انانيين .. طالما فكرنا فى انفسنا طويلا .. ولكننا نتجاهل دوماً ان الاهتمام بالآخرين يلقى ببذور السعادة فى قلوب هؤلاء الأطفال .. وقلوبنا نحن ايضاً .. وعن نفسى .. تهمس ماريا .« ان جلب السعادة لطفلتى بارتينى بالمراسلة .. هى السلام الحقيقى الذى احس به الآن بكل تاكيد » .

نادية يوسف

هـــامش :

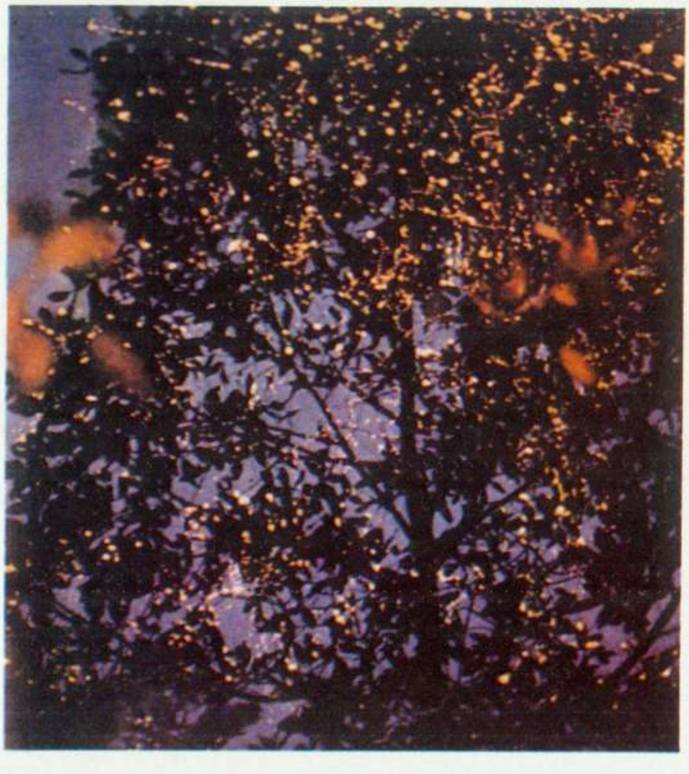
عنوان الجمعية : Foster Parents 114 New Bond St, London W. L. Tel. 01-4091667

لقطات من الكون المثير



تشكيل طبيعي أم صناعي؟

هو بالتاكيد طبيعى، لكن الذى ابرز هذه اللوحة المتناسقة عدة عوامل متداخلة .. فالنبات ذاته أوحى للناظر بفكرة الطواطم المنحوتة أو الأعمدة التى يعلو بعضها بعضاً ، وهو من النباتات الصحراوية التى تنتمى الى عائلة الصبار ذات الكفاءة النادرة فى تخزين المياه فى جذوع او سيقان غضة ، لتحتفظ بها للايام القحطة .. ثم تاتى النسور لتكمل جزءاً من اللوحة الحية ، فاعلاها فى التشكيل يفرد جناحيه عن أخرهما ، ثم تتدرج الأمور فالادنى ، لكن الأهم فى هذه اللقطة المثيرة هو العنصر البشرى ، فقد اختار المصور ميشيل يونج من هيئة تحرير مجلة الجغرافيا الدولية المسافة المناسبة ، من الزاوية المناسبة فى وقفة وحركة الطير المناسبة ، مع الضوء المناسب لتاتى هذه الصورة وكانما هى تماثيل قائمة .



الأشجار المضيئة

من الظواهر المثيرة التى جذبت أنظار الانسان من قديم الزمان ظاهرة الأشجار المضيئة التى توجد فى تايلاند أو ما حولها .. ففى فصل محدد من فصول السنة تضيء الأشجار بمصابيح صغيرة .. المصابيح حية ، أو هى بالتحديد حشرة يطلق عليها اسم ذبابة النار ، رغم أن ما يخرج منها ليس ناراً ، بل نور « بارد » تطلقه غدد خاصة نتيجة لتفاعلات كيميائية .. والذين لاحظوا هذه الظاهرة الغريبة يقولون : ان شجرة فيها تضيء بالاف المصابيح الحية دفعة واحدة ، وبعد فترة زمنية محددة ـ لا تتجاوز ثوان عدة ـ تطفىء أيضاً فى نفس اللحظة ، مما يضفي على الليل الموحش نوعاً من الجمال والالفة والبهجة ، وتبدأ شجرة مجاورة فى الاضاءة ، بعد أن تطفىء الأخرى أنوارها ، ثم تظلم ، لينير غيرها ، ويظل هذا المهرجان الضوئى الغريب يتلالا ليلة من وراء ليلة ، وأسبوعاً فى إثر اسبوع ، حتى يختفى تماماً .. واختفاؤه دليل على نهاية فصل التزاوج بين هذا النوع من الحشرات ، فالاضـــاءة هنـا تعنى استمرار الحياة . وكانما هو مهرجـان ضوئى كالذى يقيمه البشر .. هذا فى الشوارع والبيوت ، وذاك على قمم الأشجار !



اضبط .. حرامي مودرن

يبدو أن المخلوقات بدورها تستكشف وتتعلم وتعي بعض دروس الحياة التى تساعدها فى التغلب على العقبات ، أو البحث عن مصادر جديدة للطعام .. ولاشك ان هذه اللقطة تعبر عن ذلك اجمل تعبير ، وهى تدل على أن هذا النوع من الطيور المعروف باسم العصفور الأزرق لابد انه قد راى يوما اغطية زجاجات اللبن التى يتركها البائع امام البيوت ، وهى تلمع بلونها الأزرق او الاحمر ، ويبدو ان ذلك قد اثار فضوله ، فدفعه الى حب الاستكشاف ، وعندما نقر الغطاء بمنقاره الحاد ، احدث فيه ثقباً ، ومنه نفذ الى محتويات الزجاجة ، واستطعم قشدتها ، وربما لبنها ايضاً .. ويبدو أن اترابه قد لاحظوا ما فعل ، فقلدوه واحبوا ما احب ، وسارت العدوى حتى اصبحت وباء ، وبدأ الناس يحتاطون للأمر ، لكن العصافير بدورها تصرفت « بذكاء » ، فقد تعرفت على موزعى زجاجات اللبن ، وبدأت تحلق فوقهم اينما ذهبوا ، وسرعان ما ينقض العصفور على الزجاجة بمجرد وضعها أمام الباب ، فيسبق اليها صاحبها ، لكن الانسان كان اذكى ، فاحتاط أكثر ، وعندئذ هاجرت العصافير الى مدن جديدة ، لعل سكانها لازالوا عن مكرها غافلون .. وهكذا اثبتت هذه الطيور انها تتطور ايضاً مع تطور حياة البشر



ومن الدفن ما أراح!

تحت الثرى غابت اجساد هؤلاء الحسان اليابانيات ، وعلى وجوههن بدت اغفاءة قد توحى للبعض بانهن اقرب للأموات ، لكن الفتيات هنا قد استسلمن لعملية دفن يطلق عليها حمامات الطين أو الوحل ، اسوة بما يحدث فى حمامات الشمس وبخار الماء الكبريتى أو الساونا وما شابه ذلك ، ظناً من الناس ان حمامات الطين ـ التى تشتهر بها بعض بلاد العالم ومنها اليابان التى نشرت هذه الصورة بغرض الاعلان عن « طينها » الشافي ـ تشفى من كثير من الأمراض مثل الروماتيزم او بعض الأمراض الجلدية ، أو تقوية الدورة الدموية ، أو لتخفيف الآلام النسائية ، أو لبعض الاضطرابات العصبية .. الخ ، ويقال ان الجسم يتغذى بالعناصر الموجودة فى هذا الطين عن طريق امتصاصه بالبشرة ، وهو ظن خاطىء ، لأننا لا نتغذى عن طريق جلودنا او بشرتنا ، فهى لا تتناسب وهذا الامتصاص ، وربما كان الدافع الى الاحساس بالراحة وقتياً بعد حمامات ذلك الوحل الكبريتى او غيره ،فهو دافع نفسى او ايحائى فى اغلب الاحيان

بقلم: جمال قطب

ذات المروحة وشاعرية الحب والصفاء



الفنان العربي محمد حسن
١٨٩٢ - ١٩٦١

تعودنا سويا - منذ سنوات - على ان نرنو بابصارنا وبصائرنا إلى اروقة المتاحف الكبرى فى العواصم العالمية . لنستعرض أعمال الأساطين من الذين خلدوا فى ضمير البشرية ، واضافوا الى التراث الانسانى ابداعات من الفكر والفن الرفيع . وقد جرت عادتنا - فى العالم الثالث - على أن نتغنى بعبقريات هؤلاء الأفذاذ ، وهذا منطق عادل وطبيعى ، لانهم صفوة موهوبة تستحق من بني البشر ان يفخروا بهم على مـــر السنين ولكن ، غالباً ما يعترينا نوع من التادب والحياء والتواضع فننسى انفسنا وعبقرياتنا الجديرة بالذكر. فالعبقرية ملك للبشر جميعا ، ومنة يهبها الله لمن يصطفى من عباده .. كما انها غرس يصـــلح إذا ما صلحت التربة الطيبة وحظى بالرعاية الدائبة .. وهكذا كانت السيطرة فى القرون الوسطى ، وحتى مشارف العصر الحديث ، للفكر الاسلامى وإبداعات الفنان المسلم .. فكانت الاندلس وماثرها وروائعها الفنية - مثلا - منارة من الفن والثقافة العالمية يهتدى بها الغرب والشرق على السواء .

ولما تهاوت ممالك العرب وانحسرت دولتهم ، ثم تفككت بعد انهيار الدولة العثمانية التركية فى العصر الحديث تحت سطوة النفوذ الغربى والقهر الاستعمارى .. اندثرت وحدة الفكر ، وذابت شخصيتنا الفنية فى كيانات غريبة اخرى .. ولم يبق منها إلا القليل .

ومن هذا القليل قامت على ارض مصر فى أوائل القرن العشرين ما يعرف بالنهضة الفنية الحديثة ، وظهر جيل وطنى متحمس لايجاد فن راق يماثل الفن الأوروبى الذى غزا العالم متمركزاً فى العاصمة الفرنسية ويلقى باشعاعاته على المنطقة العربية من واقع السيطرة الأوروبية الشاملة انذاك .

وتالقت اسماء عربية كبيرة شهدت المحافل الفنية فى اكاديميات الغرب لبعضها بالتفوق والعالمية !

ومن هذه الأسماء اللامعة : محمـــود مختار - يوسف كامل - راغب عياد - احمد صبرى - محمد حسن - محمد ناجى .. ومحمود سعيد . وهم جيل الرواد الذين يطلق عليهم : أعمدة الفن السبعة ..

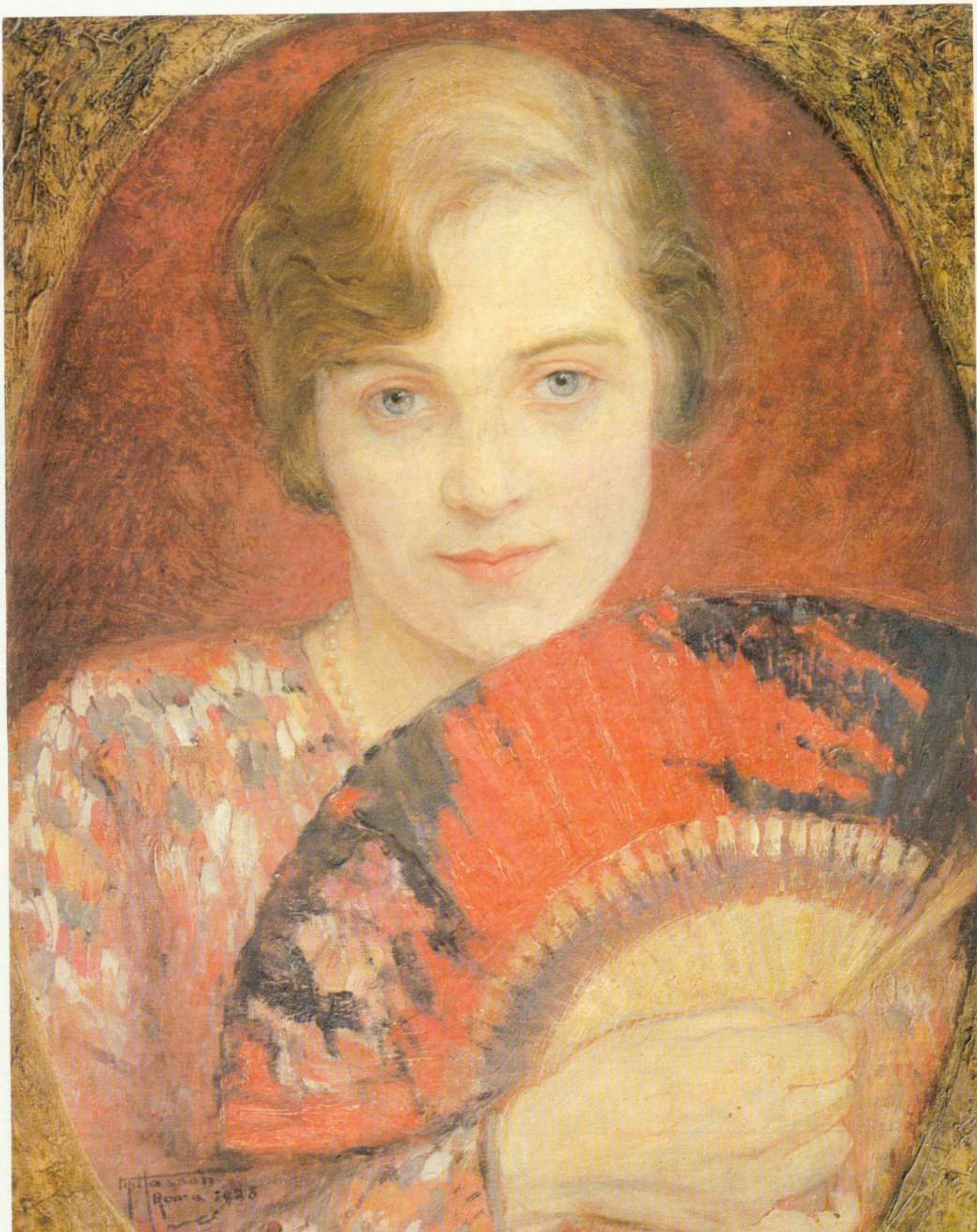
وفناننا محمد حسن هو خامس الرواد الكبار . وقد احيا دور الفنان الصانع أو الفنان التطبيقى .. أو دور (الابـــداع والابتداع) ! اى انه يبتكر الفكرة ثم تتحول بين انامله إلى عمل فنى رائع . وهذا هو مدلول العمل الفنى قبل ان يتحول إلى سباق تشكيلى دون مراعاة للمضمون .

وقد شاء الله ان يكون محمد حسن همزة الوصل بين الفنون الجميلة والفنون التطبيقية ، ولذلك قصة طريفة : فقد كان فناننا من ابرز طلبة الدفعة الأولى لمدرســة الفنون الجميلة التى افتتحت ابوابهـــــا عام ١٩٠٨ بالقاهرة ، واقيم المعرض الأول للنوابغ من اقسام المدرسة المختلفة .

وامتازت أعمال محمد حسن بطابعها ومذاقها الخاص . وكانت هناك مدرستان تطبيقيتان فى ذلك الوقت بجانب مدرسة الفنون هما مدرسة الفنون التطبيقية ومدرسة الفنون والصنايع ، وحضر افتتاح المعرض - ضمن من حضر - رئيس قسم الزخرفة بمدرسة الفنون والصنايع ، وبهر الرجل باعمال فناننا الشاب ، فسعى الى تعيينه مساعداً له ، وبذلك استولى الفن التطبيقى على مشاعر محمد حسن ، واوفد فى بعثة طويلة لدراسة فن صياغة المعادن .. وبعد عودته عام ١٩١٩ اسس صرحاً فنياً جديداً هو مدرسة الصناعات الزخرفية .. ثم عاوده الحنين إلى هواه الاساسى ، واوفد فى بعثة فنية طويلة اخرى سنة ١٩٢٥ لدراسة الفنون الجميلة فى ايطاليا . وبسبب النجاح السابق الذى كان بمثابة انقلاب وطنى فى الصناعة الفنية الدقيقة ، قرر المسئولون تعيينه فى مجـــال الفن التطبيقى حتى وصل إلى مدير مدرسة الفنون التطبيقية عام ١٩٣٧ ، وينتقل الفنان الكبير من منصب إلى آخر .. حتى وصل فى ختام حياته إلى ان يكون أول مدير مصرى للادارة العامة للفنون الجميلة ثم تمتد خبراته إلى المسرح ، فيتولى الاشراف على الفرقة القومية ، ويظل خط الوظيفة من السمات المميزة لحياة الفنان ، حتى بعد بلوغه سن التقاعد عندما عين مديراً للاكاديمية المصرية للفنون فى روما ، ثم مديراً لمتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية الى ان فارق الحياة عام ١٩٦١ ، وفى الذكرى الأولى لوفاته ، قرر المسئولون منحه (جائزة الدولة التقديرية) ، وهى أرفع وسام يحصل عليه عمالقة النابغين فى مصر .

ويعتبر محمد حسن من عباقرة الفن العربى والعالمى فى شتى مجالات التشكيل : فى فن النحت (وقد درسه فى مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة) ، وفى فن التصوير (عندما درسه فى بعثة طويلة إلى ايطاليا) ، وكذلك فى الفن التطبيقى الذى درسه فى بريطانيا ، وارسى قواعده الوطنية فى مصر ، وافسح له الكثير من المعاهـــد والتخصصات والممارسات الرفيعة .

وعلى الصفحة المقابلة ، يرى القارىء احدى لوحاته في فن التصوير الزيتى ، وقد انجزها عام ١٩٢٨ واسماها ذات المروحة ، منتهجاً أسلوبه الواقعى الذى يمتــــاز بالشفافية والصفاء ورهافة الحس .. وتلك كانت خصاله وشخصيته وخلقه ، ومن اقواله المأثورة : الفنان كالشاعر لا يكون مجواداً إلا إذا هيا لنفسه جواً من الحب والصفاء !



ذات المروحة (من مقتنيات متحف الفن الحديث بالقاهرة) رسمها الفنان عام ١٩٢٨



رفاعة الطهطاوى .. أول من فتح نافذة على حضارة اوربا بترجمته للمعارف المختلفة فى الغرب

عندما تتكشف الألوان أسرار الإنسان :

ستة من الخالدين في مرآة صلاح طاهر

صبحي الشاروني



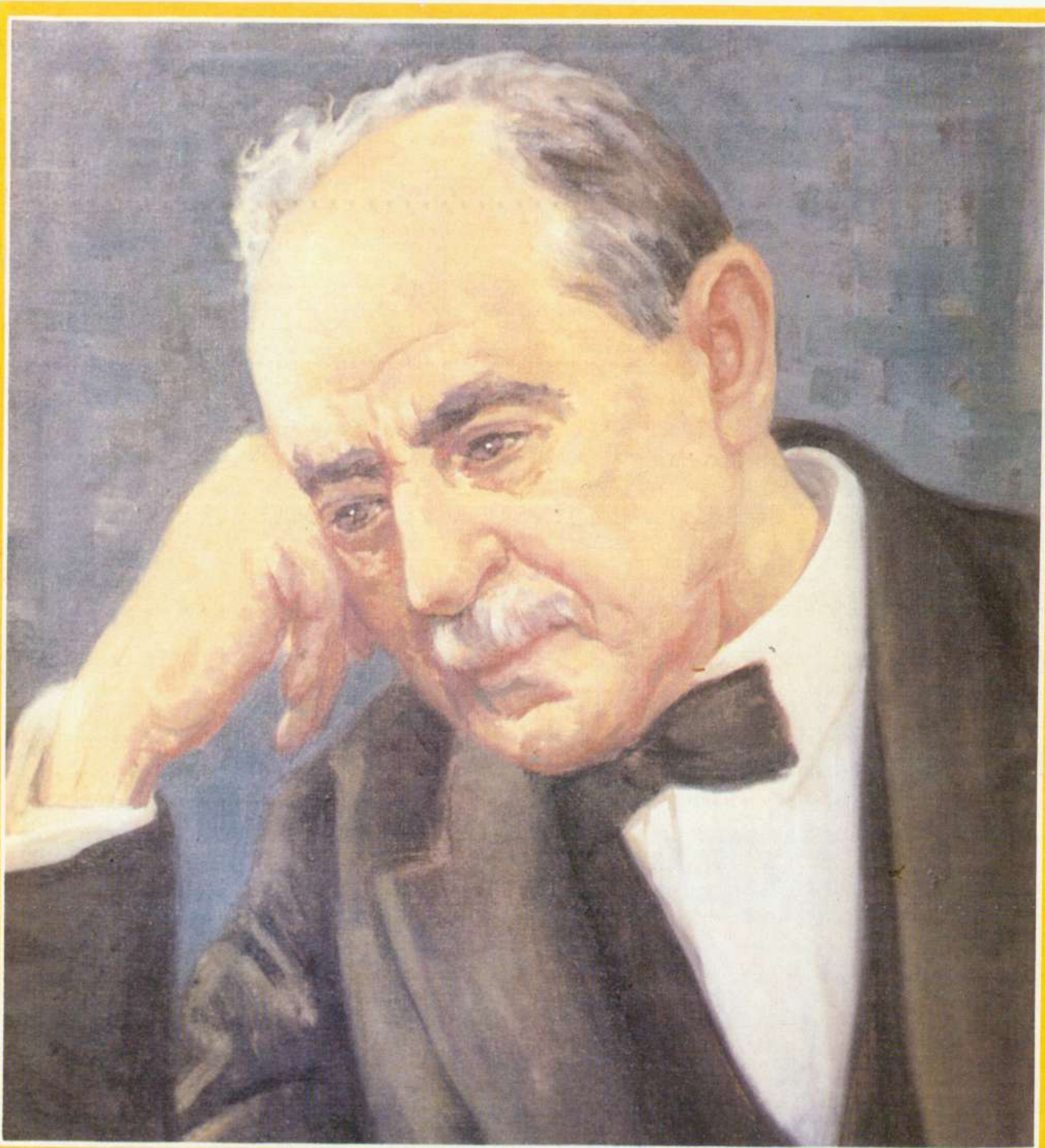
احمد لطفى السيد .. رغم انه كا من مشاهير رجال القانون ، إلا انه احب الفلسفة وترجم ارسطو

منذ عشرين عاماً بدا الفنان الكبير صلاح طاهر فى رسم وجوه الأدباء ورجال الفكر والصحافة فى مصر خلال القرن الأخير .. ولكنه لم يرسم حتى الآن سوى ستة وجوه ثبتت اخيراً فى قاعة المؤتمرات والمحاضرات بمبنى جريدة الاهرام ، وهناك اكثر من ٣٠ لوحة لم تتم تنتشر فى مكتبه بالجريدة التى يعمل بها مستشاراً فنياً ، وكان التخطيط الأول للمشروع ان يتضمن ايضاً وجوه رؤساء تحرير الجريدة منـــذ تاسيسها عام ١٨٧٥

والملاحظ ان معظم هذه الشخصيات التى يرسمها قد رحلت عن عالمنا ، ولهذا يستعين الفنان بالصور الفوتوغرافية التى يحتفظ بها الأرشيف .ومن بين هذه الصور يختار ما تمثل الشخص فى افضل الأوضاع واشهرها ثم يبدا العمل مستعيناً بمعاصريه واحاديثهم عنه ثم كتاباته ، ليتعرف على روحه ويعايشه ، ثم ما كتب عنه اذا كان قد تناول سيرته احد – وهو بهذا يجتهد ان يتوصل الى اعمـــاق الشخصية التى يترجم صورتها بالألوان .

اما المعاصرون فبعضهم يجلس امامـــه للرسم والبعض الآخر يجلس معه للحديث ولا يعطى للفنان سوى فرصة ضئيلة ليضع بضعة خطوط ، فيضطر للاستعانة بالصور

ويحكى الفنان قصة اللوحات التى تمت، وهو يعد باتمام الباقى فى اقرب فرصة ، مؤكداً ان معرفته بصاحب اللوحة اذا كانت وثيقة كانت مهمته فى رسمها أسهل ..



الشاعر احمد شوقى .. اختار الفنان هذا الوضع الشهير له لندرة صوره الخاصة !

وكانت ذكرياته اثناء رسمها من الذكريات التى لا تنسى ..

رفاعة الطهطاوى

رغم أن رفاعة الطهطاوى لا ينتمى الى القرن الأخير الا انه يمثل الأب الروحى للتنوير والثقافة المعاصرة فى الشرق العربى .. فهو أول من اطل على الغرب فى بدايات القرن الماضى ، وفتح نافذة على حضارة أوربا وخاصة فرنسا عندما نقل الى العربية المعارف المختلفة مترجماً ومعلماً ، بالاضافة الى ملاحظاته الذكية ومشاهداته التى اشرك معه القراء فى الفرجة عليها ومتابعتها .

ويقول الفنان صلاح طاهر عن رفاعة الطهطاوى :

إننى اشعر بمدى عمق اتصاله وانتمائه لوطنه ، احس بغيرته الشديدة على مصلحة وطنه ، والمس ذلك من اهتمامات المفكرين المعاصرين به خلال فترة الرسم .. لقد كان الدكتور حسين فوزى اكثرهم حماساً لهذه اللوحة فهو من المغرمين برفاعة الطهطاوى وكان يمر على مكتبى ـ حيث اعمل ـ كلما جاء الى الدار .

أما الدكتور لويس عوض فقد بلغ ولعه بهذه اللوحة وتلهفه عليها الى حد المطالبة بتثبيتها فى مكتبه بالأهرام ثم اصراره على ذلك عندما أوضحت له انها رسمت



طه حسين .. جمعته عدة لقاءات بالفنان .. وكانت مليئة بالذكريات !

خصيصاً لقاعة المؤتمرات والمحاضرات .. ورغم ذلك لم يهدأ حتى احتكمنا لمحمد حسنين هيكل رئيس التحرير وقتئذ فكان حكمه بأن من يرغب فى مشاهدة هذه اللوحة وتأملها فليذهب الى قاعة المؤتمرات والمحاضرات ويتاملها كيفما شاء .

لطفى السيد

ويتحدث صلاح طاهر عن بقية المشاهير العرب خلال القرن الأخير بحرارة وحماس وحب شديد :

كان لطفى السيد من رجال القانون ، لكنه احب الفلسفة وترجم أرسطو الذى لم يكن يخفى اعجابه بفلسفته .. لقد مد الله فى عمره حتى قارب المائة ، وكان رجال الفكر والأدب الذين يترددون على مكتبى اقل حماساً لهذه اللوحة من رجال القانون حتى أن أحدهم كان يتابع نضج هذه اللوحة يوماً بعد يوم ويقول انه يقرأ فيها كل يوم شيئاً جديداً وكأنها تفصح عن تاريخ صاحبها كلما سرت خطوة فى طريق اتمامها، حتى اذا ما انتهيت من رسمها أصبح أقل ترددا على مكتبى .

أحمد شوقى

عند رسم لوحة احمد شوقى واجهتنا مشكلة ندرة الصور الفوتوغرافية لأمير



الشاعر خليل مطران ، الذى كان مديراً للمسرح القومى فى الثلاثينات !

الشعراء ، فهى قليلة للغاية ، ولم نجد بدا من اختيار هذا الوضع الشهير له مع اضافة الحس الشاعرى المرهف والعميق لاحمد شوقى .

وكنت اخطط لمناقشة الموسيقار محمد عبد الوهاب الذى عايشه وكان جليسه واكثر الناس التصاقا به ، لاستنير برايه فيما افعل اثناء الرسم ، كنت امنى نفسى بالاستماع الى ذكرياته عن استاذه شوقى ، لكننى للأسف لم أوفق فى الجمع بين محمد عبد الوهاب وهذه اللوحة ، لأننى فى كل مرة أسعى اليه أجده فى باريس ، حتى بعد أن اتممت اللوحة كان ذلك فى الصيف وهو الفصل الذى يقضيه الفنان بالخارج .

أما الشعراء المعاصرون فقــد كانوا يتجمعون ويزورونني فى مجموعات لا تقل عن ثلاثة ليتابعوا عملى فى هذه اللوحة وابداء رأيهم فيها .

خليل مطران

أما لوحة خليل مطران فقد اهتم بها

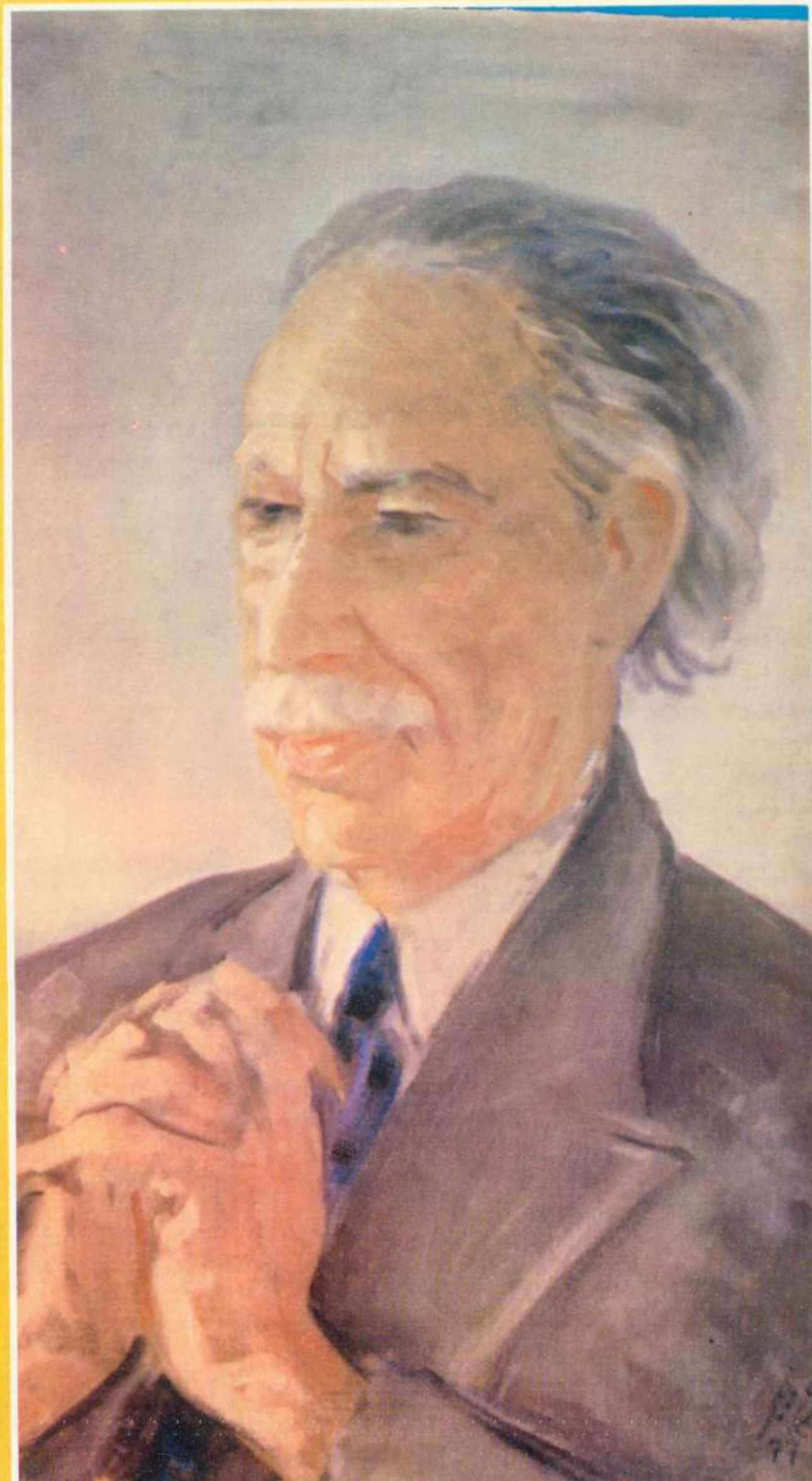
الأستاذ توفيق الحكيم ، فكان يتردد على كثيراً أثناء رسمها ويحضر معه جلساءه ، وينطلق فى حكايات وذكريات عن علاقته بخليل مطران عندما كان مديراً للمسرح القومى — فى الثلاثينات على ما اذكر — فكانت جلسات مسلية وذكريات جعلتنى أعيش تلك الأيام وانا أرسم ،

هذا وقد تحمس احد الأصدقاء فاحضر ديوان خليل مطران ، وكنا نعقد جلسات استماع لأشعاره اثناء عملى فى الرسم ، حتى استحوذ على ايقاع شعره ومعانيه .

طـه حسين

رغم أن الدكتور طه حسين كان معاصراً لرسم هذه اللوحة الا انه لم يجلس امامى لأتمها له ، لكنى كنت التقى به من وقت لآخر لأتاكد من بعض التفاصيل من وجهه ، ولعل اعجب لقاء تم بينى وبينه عندما كنت مشرفاً على مرسم الفنون الجميلة الذى يعقد شتاء بالأقصر وصيفاً بحي الغورية بالقاهرة ، وكان هو مستشاراً فنيا لوزارة المعارف ..

كان اللقاء فى معرض لصور ولوحات أعضاء مرسم الفنون الجميلة وكان امراً غريباً أن يحرص الدكتور طه حسين — وهو ضرير — على افتتاح معرض للصـــور والرسم ، وقد رافقته فى جولة الافتتاح وحاولت قدر طاقتى ان اقربه الى رؤيتنا لكل لوحة وكل قطعة فنية بجميع ما تتضمنه من قيم جمالية وتفاصيل شكلية وحس فنى ثم توالت اللقاءات بيننا بعد ذلك ، ولم اواجه اى صعوبة فى تاكيد شخصيته العظيمة فى هذه اللوحة .



توفيق الحكيم .. كان لا يكف عن الكلام اثناء رسم هذا اللوحة !

توفيق الحكيم

اما وجه توفيق الحكيم فقد رسمته عنه مباشرة .. لكننى واجهت مشـــكلة مستعصية .. فمن عادته عندما يجلس بين الصحاب ان يتخذ احد موقفين : اما ان يجلس ساكتا لا يفتح فمه بالكلام طوال الجلسة ويظل مستمعاً ، واما ان يتكلم فلا يكف عن الكلام طول الوقت .. وكان من حظ هذه اللوحة انه كلما جلس امامى لا يكف عن الكلام لحظه .. وقد لجانا الى الاستعانة ببعض الأصدقاء للحضور فى موعد الرسم لكي يتحدثوا بدلا منه ويبقى هو مستمعاً ، فلم نفلح .. الى ان حضر صديق وافهمنـــاه للـموقف ، ونجح في الانفراد بالحديث ، عندما تكلم عن موضوع يعتبر خطيراً بالنسبة لشخصية توفيق الحكيم ، وكان الحديث حول الضرائب المستحقة عليه .. عندئذ استغرق الحكيم فى التفكير وتحول الى الاصغاء ، فانتهزت هذه الفرصة وانجزت هذه اللوحة بسرعة .. لقد رسمتها فى اقل من ساعة ونصف ساعة .

بعد ذلك عندما رأى الحكيم ما فعلت استحلفنى ألا المسها أو اضيف اليها شيئاً وطلب منى ان اوقع امامه ، فلم اكملها كما أريد وتركتها كما يريد ، لأنه تصور ان اى لمسة أخرى ستفسد المعانى التى اودعتها هذه الصورة وقد احترمت وجهة نظره .

صبحى الشارونى



في بيتنا تقاليد شعبية:

الأعراس والمجالس والملابس الزاهية

تحقيق : يوسف الحرمي

تم بناء بيت التقاليد الشعبية فى وسط الدوحة ـ منطقة الأسواق مع بداية القرن الحالي ، ويتميز عن المنازل المحيطة به ببرجه الهوائي « البادجير » الذى يعرض طريقة المعيشة داخل البيت القطرى وجوانب الحياة الاجتماعية فى الفترة التى سبقت اكتشاف البترول .

إن كل غرفة من غرف هذا البيت تبرز جانباً من الحياة اليومية لأفراد العائلة : استقبال الرجال والنساء ونشاطاتهم وسمرهم ، العاب الأطفال ، الزواج ، نشاة وتطور حياة الولد والبنت ، وكذلك عادات الطعام فى البيوت القطرية ..

وفى ذلك الوقت لم يكن هناك دور محدد للغرف السكنية عدا المجلس والمطبخ ، فاهمية هذا البيت انه يعكس حياة الانسان القطري وطرق معيشته فى زمن كان فيه يعتمد على مهارته الشخصية فى توفير



اسرة قطرية اثناء زيارتها لبيت التقاليد الشعبية الذى ترى بداخله حياة الانسان القطرى وطريقة معيشته فى ايام زمان

كافة أدواته المستخدمة فى المنزل .

ويزخر بيت التقاليد الشعبية بنمط فريد من نوعه للحياة الاجتماعية التى كانت تدور فى داخله من نشاط فى مناسبات مثل الزواج وقد اعد لهذه المناسبة غرفة خاصة تسمى « الخـلـة » وهى بمثـابة مكان يستضيف فيه والد العروس عريس ابنته لمدة تصل الى اسبوع واحد ، وخلال هذه المدة يعتبر ضيفاً على اهل العروس ولذا فهذه الغرفة ليست من الغرف العادية ، حيث يتم تزيينها باجمل الأثاث والمناظر « المرايا » ذات الرسوم الجميلة التى يتم استعارتها من بيوت الحي خلال هـذه المناسبة السعيدة .

وفى هذا البيت نرى كذلك « الدزة » وهي عبارة عن صندوق مليء بملابس العروس الزاهية التى تم اعدادها خصيصا للمناسبة ، بالاضافة الى بعض الحلي الذهبية كالقلايد والسلاسل !

أمـا فيما يخص بقيـة العـادات الاجتماعية ، فقد اعد فى البيت معرض للالعاب الشعبية التى كان يمارسها الاولاد والبنات سواء كانوا فى داخل البيت او فى خارجه ، والصور المعلقة على جدران البيت يمكن للمشاهد الزائر ان يتاملها فهى تعبر عن نفسها بالقراءة والمطالعة !

وكما نعرف فان « المجلس » يلعب دوراً كبيراً فى تنظيم العادات والتقاليد داخـل جدران البيت ، حيث يستقبل رب الأسرة ضيوفه من رجال الحي ليقضـوا فيـه سهراتهم الليلية يسردون القصص والحكايات وتلاوة الأشعار والحديث عن شئون الحياة اليومية ، وغالباً ما تدور « فناجين » القهوة العربية ، وهى تعتبر رمز الضيافة لدى أهل البيت .

ويشاهد الزائر بالمجلس صورتين تعبران عن الوظيفة الأولى للمجلس ، فهما تمثلان مجموعة من الرجال يحتسون القهوة ويلتفون حول الوليمة او « العزيمة » بشكل جماعى .

والبيت يستقبل فى الغالب كل يـوم نساء الحي فى فترة ما بعد العصر ، حيث ينشغلن بسرد القصص المسليـة او الحكايات الطريفة ، بالاضافة الى اعمال الحياكة بالابرة اليدوية لاعداد ملابسهن الخاصة وملابس الأولاد !

وقد قال مدير إدارة السياحة والآثار جـاسم محمـد زينى إنه إذ يشـكر الاخوة المسئولين بوزارة الاعلام ووزارة الأشغال العامة على حسن تعاونهم الكامل فى انجاز هذا المشروع الهام ، فهو سعيد جداً بتحقيق ما كان يتمناه ، فقد كانت تلك الفكرة تدور فى مخيلته منذ وقت طويل ولذا كم كانت سعادته بالغة عندما راى جزءاً من مظاهر الحياة القديمة يبرز حيا إلى الوجود ، لتشاهده الاجيال الجديدة وتتعرف على حياة الاجداد بصورة طبيعية وليتذكروا القول السائر : من لا ماضى له لا حاضر له ، فالآثار والتراث شيئان يعبران بصدق عن حضارة المجتمع ، ونحن فى دولة قطر نريد بذلك ان نثبت باننا نعيش حياة لها جذور اصيلة وعادات وتقاليد جميلة نفتخر بها ونحافظ عليها من خـلال رعايتنا لبيت التقاليد الشعبية .

وبعـد ..

هذه هى أهم الملامح التى يحتويها بيت التقاليد الشعبية التى تتصل بالحيـاة الاجتماعية فى قطر ، حيث يعتبر هذا المشروع الوحيد من نوعه فى دولة قطر لكونه يعكس دراسة خاصة عن حياة الأسرة القطرية التى تغيرت جذريا عندما دخلت الوسائل الحديثة الى مجتمعنـا اليوم .

وسيكون هذا البيت بمثابة معرض دائم للأجيال القادمة ، يشاهدون فيه طريقة الحياة التى كان يعيشها اجدادهم بكل ما فيها من بساطة واعتماد على النفس .

عبدالكريم البليخ

مدينة الشعر والجمال:

كنز أثري تحت الرمال!



المدخل الرئيسى لمدينة الرصافة مازال الى اليوم عن طريق
الباب الشمالى بملامحه القديمة وزخرفته الملفتة للانظار

حفلت البادية السورية منذ اقـدم العصور بمدن وقصور ومنشات من كل نوع رائعة التخطيط مترفة البنيان ، اندثر اكثرها فلم يبق قائماً منه اليوم سوى خرائب متناثرة فى جنبات الواحات وبين الرمال . وربما تحدت بعض الاعمدة الرشيقة والجدران والنقوش عوامل الزمن وافتئات الانسان فظلت منتصبة تثير الخيال عندما يمر المسافرون من امامها اثناء تنقلهم عبر قرون من الصمت إلى عهود كانت تضج فيها بالنشاط والفن والرفاه . من تلك المواقع عشرات اصطلح على تسميتها بالمدن الميتة شرقى حماه وفى جبل الزاوية بين حماه وإدلب وفى جبل باريشا وجبل العلا الى الشمال الغربي من حلب . ومنها آثار «قصر ابن وردان» و «ديرصليب» و «قصر اسرية» . ومن اهمها جميعاً تدمر و « دورا أوروبوس » وماري . ومنها القصور الأموية « الحير الغربى » و « الحـــير الشرقى و « أسيس » فى القطر السورى و « قصر عمره » و « المشتى » و « خربة المفجر » و « خزانة » فى القطر الأردني الشقيق وقصر عنجر فى لبنان الحبيب وغيرها كثير .

وكثير من المدن والقصور مايزال مطموراً تحت رمال البادية السورية تظهره معاول المنقبين وجهودهم سنة بعد سنة . والرصافة واحدة من تلك الروائع التى يزدان بها الكنز الأثرى فى بلادنا وان تكن لم تحظ بعد بما تستحق من عناية باحثينا ورجال الآثار .

وقد ورد ذكر الرصافة فى النصوص الآشورية ، وفى سفر الملوك الرابع من العهد القديم ، وقد جاء اسمها بصـيغة « راصف »

ثم تحول اسمها فيما بعد الى الراسابة ثم الى الرصافة وهو ضم الشيء إلى الشيء كما يرصف البناء . وقد دعيت بعد القرن الرابع « سرجيوبوليس » اي مدينة سرج او سرجيس نسبة الى سانت سرجيس الذى قتل فيها نحو سنة ٣٠٥ ، على عهد ديوقلتيانوس .



بقايا حمامات الرصافة مازالت تشهد على مجدها القديم الزائل



المسرح القديم ببنائه الضخم وساحته



فتاة من الريف القريب من مدينة الرصافة الأثرية أثناء اعدادها طبقا من الخوص



بقايا قصر الخليفة الاموى هشام بن عبد الملك

أهمية المدينة

إلى الجنوب الشرقي من مدينة حلب على بعد ١٨٠ كيلومتر تقع الرصافة ، وتبعد عن مدينة الرقة ٤٠ كيلومترا الى الجنوب .. شيدت فوق منطقة تضم بعض المرتفعات ، ويرى الناظر عندما يطل من خرائبها فضاء منبسطا لا يحده سوى خطوط الافق البعيد . يحيط بالمدينة من الجهة الجنوبية والشرقية هضاب تضم آثاراً لم يكشف إلا عن جزء منها حتى الآن . وتقع ضمن واحة وادى الملح التى كانت توصل مياهه إلى صهاريج بناها هشام لما وقع الطاعون بالشام وكان يسكنها فى الصيف كما ذكر بعضهم ، ووجدت فى اخبار ملوك غسان ، ثم ملك النعمان بن الحارث بن الايهم وهو الذى اصلح صهاريجها وصنع صهريجا عظيما ، وقد كانت ماثلة للوجود قبل عهد الاسلام بدهر ليس بالقصير ، ولعل هشاما عمر سورها او بنى بها ابنية يسكنها وقال احمد بن يحيى وما رصافة الشام فان هشام بن عبد الملك احدثها .. وقال الاصمعي : الزوراء رصافة هشام ، فيها وبرعجيب وعليها سور ، وليس عندهم نهر ولا عين جارية إنما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور ، وربما فرغت في اثناء الصيف فلاهل الثروة منهم .. لهم عبيد وحمير يمضي احدهم إلى الفرات العصر فيجيء بالماء في غداة غد لأنه يمضي اربعة فراسخ او ثلاثة ويرجع مثلها ، وعندهم آبار طول كل بئر مئة وعشرون ذراعاً واكثر ، وهو مع ذلك ملح ردىء ، وهى في وسط البرية ، ولبني خفاجة عليهم خفارة يؤدونها إليهم صاغرين ، وبالجملة لولا حب الوطن لخربت ، وفيها جماعة من اهل الثروة لانهم بين تاجر يسافر الى اقطار البلاد ، وبين مقيم فيها يعامل العرب ، وفيها سويق عدة عشرة دكاكين ، ولهم حذق فى العمل ، وكل رجل عظيم مهما كانت حالته إن كان فقيراً او غنياً يغزل الصوف ونسلؤهم ينسجن ، ولهذه الرصافة غنى الفرزدق بقوله :



احد صهاريج الرصافة الاربعة ، وتظهر فوهة الصهريج وجسمه المتبقى فى باطن الارض

إلام تلفتين وانـــت تحتى
وخير النـــاس كلهم امامي ؟
متى تردى الرصافة تستريحى
من الانساغ والجلب الدوامي

كما ذكرها ابن بطلان الطبيب في رسالته الى هلال بن المحسن فقال : بين الرصافة والرحبة مسيرة اربعة ايام ، قـال : وهذا القصر ، يعني قصر الرصافة ، حصن دون دار الخلافة ببغداد مبني بالحجارة وفيه بيعة عظيمة ظاهرها بالفص المذهب انشاه قسطنطين بن هيلانة وجدد الرصافة وسكنها هشام بن عبد الملك

وتكمن اهمية الرصافة في موقعها على طريق القوافل القديم وهو الطريق الذي يخلف الفرات في موقع « سوار » ويسير باتجاه البحر الابيض المتوسط ماراً بتدمر ودمشق .

وتدل اقدم الشواهد التاريخية على وجود تجمع بشرى فيها فى القرن التاسع عشر قبل الميلاد .. وعندما ادرك الرومان اهمية الطريق المؤدية الى البحر من الفرات اصلحوها واقاموا لحمايتها عـدداً من الحصون الصغيرة ، وكان منها واحد في الرصافة . وتم تشييد ابنيتها من الحجر الكلسي المشرق البياض فهي تلمع في نور الشمس كانها ابراج من الزجاج

السور والقصر القديم

اقام الامبراطور « جو ستنيان » اسوار الرصافة لحمايتها من الهجمات ، وتختص احجارها الجصية التي بنيت بها اسوارها من الحجارة الجصية المتبلورة .. وتمتد هذه الاسوار على شكل مستطيل يتجه باتجاه الجهات الاصلية ويبلغ طول ضلعه باتجاه ٥٣٦ متراً والجنوبي ٥٥٠ متراً وطول الضلع الشرقي ٣٥٠ متراً والغربي ٤١١ متراً ، ولها في منتصف كل ضلع من هذه الاضلاع باب ، والبابان الرئيسيان هما الشمالي والجنوبي ، ويعتبر الباب الشمالي اجمل الابواب الباقية في الرصافة حالياً بزخارفه ، ومداخله ، واعمدته وتيجان نقوشه النباتية الرائعة فوق العمد كما تزين الافريز الاعلى نقوش حيوانية تمثل ثوراً واسدين وكباشاً . اما سور الرصافة فيبلغ سمكه ثلاثة امتار ، وله ابراج متعددة ، مضلعة الشكل ، وابراج الزوايا الاربعة في السور مستديرة . وداخل هذه الاسوار مزدوج ، استعملت فيه الاكتاف او الدعامات ، بدل الاعمدة لاقامة اروقة ذات اقواس مدورة ، تحتوي على نوافذ لقـذف النبال ، وهـذا يـدل على اهميتهـــــا فى اغراض الدفاع ..

لقد اتبع فى تخطيط الرصافة نفس اسلوب المعسكر في العصر البيزنطي ، إذ كان المهندسون في هذا العصر يقيمون المعسكرات على شكل مربع او مستطيل قريب من المربع مما يساعد حسب رأي «جوليوس الافريقي» على إجبار العدو المهاجم ، على توزيع جنوده ، موجهاً القوة الكبرى نحو الواجهة

وأول ما يلاحظ فى الداخل .. عندما تشرع فى الدخول الى المدينة القديمة من الباب الشمالى تشاهد كنيسة الشهادة « المارتيريوم » وما تزال اقسام كثيرة منها قائمة .

والى الجنـوب تقوم بازيليكا سانت سرجيوس وهى اضخم ابنية الرصافة المتبقية واوقعها فى النفس ولا تـزال تحتفظ باكثر اجزائها الاصلية .

وفى الزاوية الجنوبيـة الغربية من السور تقوم منشات صهاريج اربعة جبارة معقودة السقوف ما تزال بحـالة سليمة تدعو للاعجاب وتوحى بصلاحيتها للاستخدام لولا تهدم اقسام صغيرة من سقوفها ، وكانت تفيد فى اختزان كميات احتياطية من مـاء المطر تكفى لظروف الحصار .

اما إذا ترك الزائر المدينة من ثغرة الى الشمال الشرقي من السور على بعد مئتي متر تقريباً فانه يلتقي ببقايا قصر اموي كان دون شك قصر هشام بن عبد الملك الذى كشفت عنه البعثة الالمانية برئاسة السيدة « دورن » .

والقصر مربع الشكل طول كل جانب منه قرابة ثمانين متراً ويحمي كل جانب برجان مستديران يرتكز كل منهما على قاعـدة مربعة .

ولقد تم تشييد اسوار الرصافة الضخمة فى العهد البيزنطي ، وكذلك بناء الصهاريج العميقة لجمع المياه ، كما تركزت حاميه تتناسب مع اهمية المدينة . واثناء تولي الامبراطور « انا ستازيوس » عرش بزنطية دعيت الرصافة « انا ستازيابوليس » على اسم هذا العاهل الذى شيد فيها بناء البازيليكا الفخم ، ويمكن للمؤرخ ان ينسب للعاهل نفسه بناء اسوارها وصهاريجها الضخمة ، فكل شيء يدل على انها تسبق زمن « يوستنيان » الذى اصطلح على نسبتها لعهده ، واستوطنت المدينة فى تلك الفترة قبائل العرب الغسانين وجعل اميرهم المنذر بن حارثة ــ القرن السادس ــ مقره خارج الاسوار ولا يزال نقش باللغة اليونانية على واجهة الكنيسة المربعة يذكر المنذر الملك العربى .. وكانت توجد حامية بزنطية ترابط بالرصافة فى القرن الخامس حينما هاجمها كسرى الاول ملك الفرس اثناء توليه حملة على سورية الشمالية ، ولكنه فشل فى هجومه بفضل اسوارها المنيعة ولم يستطع الوصول الى كنوزها .. غير أن ابنه كسرى الثانى تمكن من التغلب على المدينة ونهبها رغم تجـديـد الحصون الذى قام به « موريكيوس » ،

وظلت الرصافة بعد ذلك النهب مهدمة .. حتى حلول العهد الإسلامي ..

فى ظل الحكم الاسلامي

وتمتعت الرصافة فى ظل الحكم العربى الاسلامي ، بالحرية التامة لما كان للعرب من تسامح مع اصحاب الديانات الأخرى ، وقد اقترن اسم الرصافة فى العصر الأموى بالخليفة هشام بن عبد الملك

وتذكر النصوص التاريخية ، ان الخلافة اتت هشاما سنة (١٠٥ هـ) (ـ (٧٢٣ م) فى الزيتونة بمنزل فى دويره له هناك .. فجاء البريد بالعصا والخاتم ، وسلم عليه بالخلافة فركب هشام من الرصافة حتى أتى دمشق وكانت وفاته بالرصافة يوم الاربعاء لست ليال خلون من ربيع الأول سنة ١٢٥ هـ ـ ٧٤٢ م ، وبها قبره ، كما تذكر النصوص التاريخية ان هشاما قد سكن الرصافة ، وشيد بها قصرين وكان يهرع اليهما صيفاً



الأقواس التى تعلو الباب الشمالى فى مدينة الرصافة .. ويلاحظ النقوش النباتية الرائعة التى تزينه ..

.. وكان سبب نزوله اياها ، أن الخلفاء الأمويين وابناءهم كانويتسابقون ويهرعون من دمشق هرباً من الطاعون . فينزلون البرية خارجاً عن الناس . والحقيقة ان بادية الشام ، واطرافها فى عهد الخلفاء الامويين كانت قد لاقت عهداً جديداً من حياتها ، وتبديل معالمها ، إذ ان هؤلاء الخلفاء قد انشاوا فى رحابها الفسيحة قصورهم الحسان ، وزرعوا بساتينهم النضرة ، واحالوا سكونها إلى ضجيج ملأ ارجاءها ، ونقلوا ترف الحضارة ، ومزجوه فى بساطة البادية .

ولئن فقدت الرصافة مكانتها السياسية ، بعد العصر الأموي فقد ظلت زاهرة من نواحي اخرى ويتمتع اهلها بالعيش الهادي ويبنون علاقتهم مع من جاورهم من الأقطار .

وكان دير الرصافة فى العصر العباسي يستهوي قلوب الشعراء ويحرك مشاعرهم ، اذ انه كان يدهش زائره بحسن عمارته وبنيانه حتى قال ياقوت « وهو من عجائب الدنيا حسنا وعمارة » ومر به فى القرن الثانى ابو نواس الشاعر فقال :

ليس كالدير بالرصافة دير
فيه ماتشتهى النفوس وتهوى

وكان المتوكل على الله فى اجتيازه الى دمشق قد وجد فى حائط من حيطانه رقعة ملصقة مكتوبا عليها هذه الأبيات :

ايا منزلا بالدير اصبح خاليا
تلاعب فيه شمال ودبور
كانك لم تسكنك بيض اوانس
ولم تتبختر فى فنائك صور
وابناء املاك الملوك غياشم
صغيرهم بين الأنام كبير
إذا لبسوا اوراعهم فعنابس
وإن لبسوا تيجانهم فبدور
على انهم يوم اللقاء ضراغم
وانهم يوم النوال بحور
ولم يشهد الصهريج والخيل حوله
عليه فساطيط لهم وخدور
وحولك رايات لهم وعساكر
وخيل لها بعد الصهيل شخير
ليالى هشام بالرصافة قاطن
وفيك ابنه يادير وهو امير
إذا العيش غض والخلافة لدنه
وانت طرير والزمان غرير
بلى فسقاك الله صوب سحائب
عليك بها بعد الرواح بكور
تذكرت قومي بينهم فبكيتهم
بشجو ومثلى بالبكاء جدير

فارتاع المتوكل عند قراءتها ، واستدعى الديراني ، وساله عنها ، فانكر ان يكون علم من كتبها ، فهم بقتله ، فساله الندمان فيه ، وقالوا ليس ممن يتهم بميل إلى دولة دون دولة فتركه .. ثم ان الأبيات من شعر رجل من ولد « روح بن زنباع الجذامي» . من اخوال ولد هشام بن عبد الملك .

ومما هو جدير بالملاحظة ، ان الرصافة عرفت من اهلها كثيراً من رجال العلم والفكر ، فى عصورها السابقة ويذكر منهم « شعيب بن دينا » كاتب فى ايام هشام بن عبد الملك .. وكان يكتب له ، ويعد من مشاهير الكتاب فى الاسلام ومنهم « ابو سليمان محمد بن شهاب ، الزهري » من أهل القرن الرابع من رجال الحديث ، ومنهم الحجلج الرصافى أعلم الناس بخلق الفرس من راسه الى رجله ، وكان عالما بالنبات ايضا ، إلى جانب الحديث ، مات سنة ٢٢١ هـ ـ ٨٣٥ م .

وقد زالت اهمية الرصافة ، وضعف شانها ، فى مطلع القرن التاسع عشر من جراء الزلزال الذى اصابها فتصدعت ابنيتها وانهار بعضها الآخر .

وتم نقل « أهل الرصافة » وترحيلهم إلى السلمية شرق حماة بامر من السلطان بيبرس بين عامى (١٢٦٠ ، ١٢٧٧) ويبدو أن مظاهر الحياة أخذت تتلاشى هناك منذ ذلك التاريخ وليس بعيداً أن يكون الغزو المغولي هو الذى اجهز على الرصافة بالضربة القاضية حين اطبق على المدينة القريبة منها . ويمكن رؤية خرائب الرصافة قبل الوصول إليها بعدة كيلومترات وهي واقعة فى منبسط من الأرض بين جبلي البشري وأبورجمان ولا يقصدها الا بعض البدو الذين يتنقلون مفتشين عن الكلا .

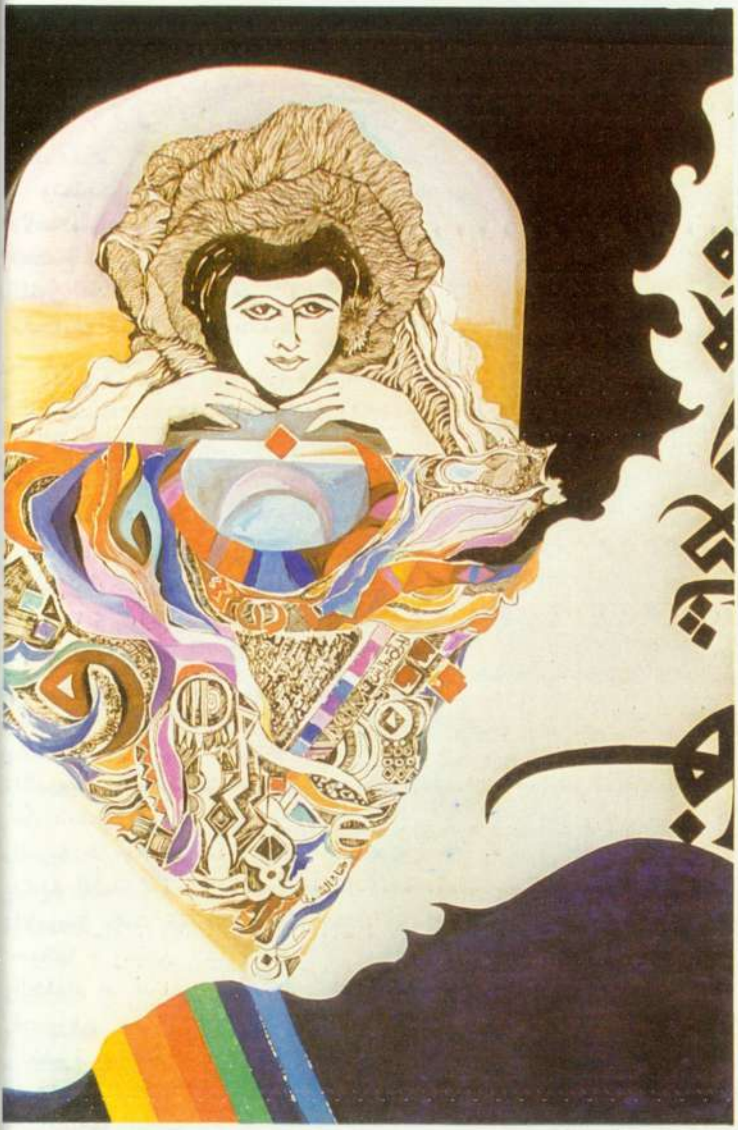
والرصافة اليوم بلدة مهجورة بعيدة عن العمران والتجمعات الانسانية وعن المياه ، على أن آثارها الباقية تعتبر من اجمل ما تضمه البادية السورية من روعة وبهاء ..

عبد الكريم البليخ
الرقة ـ سوريا

بقلم: حسن الملا

فنان يمني يلفت النظر:

استقلال الفنان شرط للإبداع والابتكار



في انتظار المهاجر



علي غداف

تكتسب ارض اليمن قيمتها العظيمة من كونها اكثر الاقطار العربيـــة احتفاظا بالرصيد الحضارى ، فهى كنز لا ينضب من كنوز المعرفة والتراث العربى المعاصر ..

ومنذ المعرض الاول لاتحاد الفنانين العرب فى عام ١٩٧٣ ، برز الفنان اليمنى علي غداف كواحد من اهم الفنانين العرب المبدعين القادرين على البوح باسرار التراث المحلى والاسلامى عامة ، باحدث الأساليب الفنية وايسرها تعبيراً ، واستطاع باجتيازه لهذا الطريق الرحيب ان يتبوا مركزه كفنان عربى معاصر ، سلاحه البحث والتعمق من اجل الدمج بين التراث والمعطيات الثقافية والحضارية لعصرنا الراهن ..

ويخيل الى ان الثقة بالذات لدى هذا الفنان ، كانت ولازالت ترتبط باحساسه الرهيف وانطوائه على عالمه الداخلى الخلاب من اجل بلورة رؤيته للعالم من حوله !

وهو اثناء كل ذلك يلجـا الى اكتشاف احساسه بالحضارة اثناء اغترافه من معين الفنون الحرفية المحلية ، واستخدامه لامكانيات الحرف العربى ، محاولا توسيع قاعدة الاحتمالات الفنية التى ينتقى منها ويستلهم افكاره المتميزة فى لوحاته التى تعبر عن مدى ما تختزنه ذاكرته التدوينية من افكار ومعطيات فنية !

ومن هذا المنطلق الأصيل المتجدد ، جاء معرض الفنان اليمنى علي غداف فى الفترة ما بين ٧ الى ١٢ فبراير ١٩٨٤ ، غنياً بمعطياته الحضارية والتقنيـــة على الصعيدين التدوينى والفولكلورى !

ومن خلال هذا المعرض الهام يطالعنـا الفنان فى اعماله الأخيرة باهتماماته التشخيصية والتجريدية ، وهو بذلك يحاول ان يكتشف العلاقة بين مشـكلة الظهور والخفاء او الظاهر والباطن ، فهو يرسم الانسان بملامحه الطبيعية ، لكنه يعود فيثرى ما يرسمه بالتكوينات الزخرفية وكانه يجد فى ذلك ضرباً من النظام السحرى ، يستعيره من رموز تعبيرية او ميتافيزيقية او إشارة مبهمة زخرفية أو بنية كائن ليس له شكل معين !

على ان تجريداته الشعبية ـ إذا صح هذا التعبير ـ سرعان ما تجد لها متنفساً فى بعض تكوينات الحرف العربى ، ليساهم فى إغناء عالمه التشكيلى بهذا المضمون اللغوى العظيم !

وبالاضافة لكل ذلك ، فان ما يلفت النظر فى اعماله الاخيرة ، هو محاولته ان يعثر



تكوين اسلامى



تكوين عربى



نقوش وزخارف اسلامية

على مفردات لغوية تشكيلية جديـــدة ، يستمدها من ذلك الحوار المستمر ما بين شخوصه ، ففى اى لوحة من لوحاته يستطيع المشاهد ان يحس ـ بكل يسر ـ بالعلاقة بين الانسان او المنظر واللغة المدونة ، فكل حرف ابجدى فيها يتكامل مع الحرف الآخر ، وهذه الحروف فى مجموعها وسيلة للتفاهم بين كل معطيات العمل الفنى ، من خلال نسق معقد من الوحدات !

والملاحظ ان بعض اعمال الفنان تدل على تعمقه فى تجاربه الحرفية فيما يتعلق بفن « الجرافيك » ، فقد اخذ بصناعة الأصول المطبعية مع تطعيمها بمعادن واكسدتها ، وبذلك اضفى عليها جواً من الطرح الحرفى ، الذى برهن به الفنان على مواصلته المستمرة فى مجال الابداعين : الحرفى والفنى !

استلهام الحرف العربى

يقول الفنان علي غداف عن رحلته فى عالم الفن التشكيلى ، انه فى بداياته سار على درب المدرسة الانطباعية ، حتى اخذ يترسخ فى نقل الطبيعة والأشـخاص وما حوله من جماد او طبيعة صامتة ، وبعد ذلك احس برغبة عارمة فى ان ينتقـل بتجربته الى المدارس الفنية المتعددة الأخرى وخاصة السريالية ، وخلال ذلك كان يبحث عن خط واضح لعمله الفنى ، حتى استطاع استاذه المجرى « ماسدلى » صاحب مدرسة « البوب آرت » فى فرنسا حالياً ان يترك اثراً واضحاً فى نفسه قبل عام ١٩٧٤ ، وأن يوجهه الى الطريق الذى استطاع فيه ان يكتشف قدراته من خلال تجارب فنية متعددة فى العمل : كالرسم والحفر والطرق والتشكيل بمواد اخرى ، وهنا بدا يتخذ الرمزية المبسطة كطريق لأسلوبه المعاصر مع استلهام الحرف العربى كلغة تشكيلية يحافظ من خلالها على الشكل والمضمون .

ان البدايات فى استلهام الحرف العربى ـ كما يقول الفنان ـ كانت لفنانين عراقيين مثـل شاكر حسن آل سـعيد ومديحة عمر وجميل حمودى ، حيث كانت الانطلاقة المكثفة بين جمع من الفنانين اطلق عليهم : جماعة البعد الواحد .. هذا مع العلم بانه كانت هناك محاولات اخرى لاستخدام الحرف العربى من بعض الفنانين الاوربيين المعروفين ولكنهم فشلوا بالاحساس بجمال الحرف العربى ومعناه !

فنـــان يـمـنـي يلفت النظر



تكوين شرقي

واقول للفنان علي غداف : إذن وعلى ضوء كل ذلك جاءت تجربتك الفنية من خلال الاطلاعات والتجارب المستفيضة ..

ويقول لى : نعم .. جـــاءت تجربتى المتواضعة من خلال كل ذلك ، بحيث يستطيع اى متذوق فنى ان يتعرف على اسلوبى من خلال « التوليفات » الفنيـة المستخدمة فى اللوحة ، ومن خلال فك رموز زخرفة المصوغات اليمنية القديمـــة واستخدامها فى لوحاتى ، وايضا من خلال التشكيل بالمواد البارزة الأخرى للأشكال التراثية الاسلامية فى البناء والهندسة والزخارف وكل ماله صلة بالأصالة ، مع عدم تجاهل التقنيات الأوربية المعاصرة فى تكوين العمل الفنى !

شخصية اللوحة العربية

قلت للفنان اليمنى علي غداف : ما رايك فى خطوات الحركة التشكيلية فى وطننا العربى ؟

قال : انها نشطة الى حد ما فى بعض الدول العربية ، نتيجة لما تلاقية من دعم مستمر وامكانات متوفرة ، إلا انهـا حتى الآن لم تستطع ان تواكب الحركات الفنية المعاصرة .. فمثلا الفنان العربى المرتبط بالوظيفة لا يمكن مطلقاً ان يعطى كل طاقاته الابداعية فى عمله الفنى ، فالوظيفة تحد من عطائه الابداعى واستمراريته .. وهناك محاولات جادة من خلال التجارب الفنية والعطاء المستمر فى بعض البلدان العربية التى توجد فيها معاهد واكاديميات للفنون التشكيلية ،ومن خلال الفنانين الموفدين للخارج للدراسة والاطلاع ، وحتماً ستعطى هذه الخبرات ثمرة طيبة فى ارض الحركة الفنية التشكيلية العربية فى المستقبل !

● وما رايك فى الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب وما هو دوره الــذى تتمناه ؟

ـ فكرة تكوين الاتحاد كانت ولازالت أملا لكل الفنانين العرب الجادين فى مستقبل الحركة الفنية العربية ، ولكن تلك العقول المبدعة التى حاولت جمع كلمة الفنانين فى هذا الاتحاد والتخطيط المبرمج من خلاله للحركة الفنية حسب معطياتها فى الوطن العربى ، صدموا وهم يرون هذا المجهود يضيع تدريجيا ، فقد شاركت فى عضوية الأمانة العامة التاسيسية للاتحاد من عام ١٩٧٣ وحتى عام ١٩٧٧ ، وقد شهدت تلك الفترة فعلا نشاطاً فعالا فى واقع الحركة الفنية التشكيلية العربية ولكن التراجع حدث فى الأعوام الأخيرة نتيجة للشح فى الدعم لميزانيـة الاتحـاد والبرمجـة فى الانشطة المتباعدة وعدم الاهتمام بمقررات المؤتمرات واللقاءات ، واصبح الحال ان يعود كل عضو امانة عامة بعـــد رحلة استجمام قصيرة دون تنفيذ لهذه المقررات . ولذا نتمنى ان تدعم كل الدول العربية من خلال تجمعاتها الاتحاد العام فى ميزانيته ومشاريعه وان يتفرغ لمكتبه التنفيذى الأعضاء المناسبون .

● وما رايك فى الحركة التشكيلية فى قطر ؟ ..

ـ تلاقى الحركة الفنية التشكيلية فى قطر دعماً ملموساً من الدولة ، وذلك من خلال الاهتمام المباشر والمستمر الملموس ، فتخصيص دائرة لهذا الفن وإنشاء المرسم الحر وايفاد الطلبة المبدعين للدراسة فى الخارج والدعم للجمعية القطرية للفنون التشكيلية، كل هذا سيعطى ثمرة طيبة وإحساساً بالمسئولية من الفنانين انفسهم فى تقديم الجديد والعطاء المستمر ، لمواكبة الحركة الفنية العربية التى سبقت ، ومن ثم الوصول بها الى خارج الوطن العربى ، ففى قطر ـ مثل عواصم الوطن العربى ـ الاتجاهات الفنيةالمختلفة متواجــدة والمحاولات الجادة لايجاد الشخصية الفنية المختلفة تاخذ مكانها بين الاخوة الفنانين ، مما لمسته قريبا ، ومنهم من اخذ اسلوبا خاصـا به عرفته من وقت مضى من خلال المشاركات فى المعارض العربيـــة والدولية المشتركة . وكل ما ينقص الخوتى الفنانين فى قطر ان تكون لهم صالة عرض خاصة بهم ، فهذا سيزيد من نشاطاتهم ، وسيخلق روح التنافس الشريف والابداع المستمر فى الحركة الفنية التشكيلية القطرية .

إنه شيء جميل ان يتعود الجمهور المحب للفن التشكيلى على الزيارة وتكرارها فى صالة المعرض ، فالجمهور متذوق ومطلع ويجب ان تكتمل رؤيته وفهمه للعمل الفنى من خلال النقاش والسؤال عما يقدمه الفنان ،كما ان اهتمام المسؤولين عن التربية الفنية واتاحة الفرصة للطلبة والطالبات الدارسين لمادة الفن أن يطلعوا عن قرب على المعارض التى تقام بين فترة واخرى فى الدوحة ، سواء كان الفنان محليا او عربيا او دوليا ، كل ذلك وغيره سينمى التذوق الفنى تدريجيا لدى المواطن .

قلت له : سؤال اخير .. هل اصبحت للوحة العربية شخصيتها المميزة ؟

وقال : هذا من الصعب تحديده الآن ، لأن كل المدارس الأوروبية لازالت فى أعماق الفنانين العرب ، فالدارسون كل خبرتهم فى الجو الغربى بكل معطياته وتقنياته الفنية واصلا هذه المدارس وروادها من الغرب هى التى يمارس من خلالها الفنان العربى فنه . ولذا فالاتجاهات فى الحركة الفنية العربية المعاصرة قليلة جداً ، وقد تاتى بعد هضم تلك التجارب وافراز ما هو جديد ، ولوعدنا إلى اعمال الواسطى ، سنجد أن لديه مدرسة خاصة به ، وهذا يدل على أن الفنان العربى ـ عندما كان مستقلا ومعتمداً على تراثه ـ كان مبتكراً ومبدعاً فى انتاجه الفنى !

حسن الملا

دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

العمل الصالح

● في القران الكريم آيات عديدة تتحدث عن : « العمل الصالح » وعن طبيعته او حقيقته . وفيما يتجلى من هذه الآيات ، يقصد بالعمل الصالح ، تطبيق مبادىء الايمان بالله وبرسالة الرسل ، وهى رسالة الاسلام دين الله : منذ ابراهيم الى محمد ابن عبد الله ، عليهما الصلاة والسلام : « ان الذين آمنوا ، والذين هادوا ، والنصارى والصابئين : من آمن بالله واليوم الآخر ، وعمل صالحا ، فلهم اجرهم عند ربهم . ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» (البقرة : ٦٢) .

فهذه الآية وضعت جميع الطوائف على عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، امام موقف واحد ، اذا ما طلبت اى منها : الاطمئنان على حياتها ، واللحاق بالمقربين الذين لم تفت عليهم فرصة النجاة . وهذه الطوائف هى : طائفة المؤمنين بالقرآن ، وطائفة اليهود ، وطائفة النصارى ، وطائفة الصابئة ، وهى تلك التى كانت تعبد النجوم والكواكب : فيما بين النهرين وما وراءهما . والموقف الواحد الذى وضعت امامه هذه الطوائف لتحقيق الهدف المرجو هو : الايمان بالله واليوم الآخر ، والعمل الصالح . وهو ذلك العمل الذى يكون وفقاً لهذا الايمان وقائما عليه .

● وشرط أساسى اذن فى مفهوم العمل الصالح ـ كما جاء فى القرآن الكريم هنا ـ ان يكون مؤسساً على الايمان بالله وحده ، وباليوم الآخر ، فاذا كان هناك من يؤدى عمل المؤمنين فى استقامة ، دون أن يكون مؤمناً بالله وباليوم الآخر ، فلا يكون عمله عندئذ عملا صالحاً . ولانطواء العمل الصالح على ضرورة الايمان بالله واليوم الآخر ، قد يكتفى القرآن فى بعض آياته عن ذكر لفظ : الايمان واليوم الآخر ، بذكر العمل الصالح وحده . كما جاء فى قول الله تعالى : « قل : انما انا بشر مثلكم ، يوحى الى : انما آلهكم آله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه : فليعمل عملا صالحاً ، ولا يشرك بعبادة ربه احداً » (الكهف : ١١٠) .. فذكرت الآية صراحة : العمل الصالح ، كامر يتطلب حتما : الايمان بالله ، وباليوم الآخر مسبقا ، ولم تذكر : الايمان صراحة ومباشرة ، وان كان يمكن ان يؤخذ الايمان بالله من قوله « ولا يشرك بعبادة ربه احداً » .. كما يمكن ان يؤخذ الايمان باليوم الآخر ، من قوله : (فمن كان يرجو لقاء ربه) ، ولكن بطريق غير مباشر . والاكتفاء بذكر العمل الصالح عن الايمان : اعتماداً على : ان العمل الصالح يتطلب ضرورة تاسيسه على الايمان المزدوج : بالله وحده وباليوم الآخر .

واذا حكى القرآن نداء الله الى الرسل ، بقوله : « يا أيها الرسل : كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ، انى بما تعملون عليم» (المؤمنون : ٥١) فلم يذكر فى هذا النداء : طلب الايمان ، مع العمل الصالح : فلذلك ليس لأن من مهمة الرسل : الايمان بالله واليوم الآخر أولا ، وبالضرورة . ولكن مع ذلك ـ بالضرورة أيضا لأن العمل الصالح لا يكون صالحاً ومقبولا عند الله إلا اذا ارتبط بالايمان ، وصار فى حركته طبقاً لمبادىء هذا الايمان .

وقوله تعالى : « من عمل صالحاً فلنفسه ومن اساء فعليها » (فصلت : ٤٦) .. لا يقصد هنا بالعمل الصالح : العمل المستقيم فى ذاته ، كما لا يقصد بالعمل السيىء : العمل السيىء فى ذاته . وانما الايمان ضرورة فى كيان العمل الصالح ، وان كان له طابع الاستقامة . وعدم الايمان ضرورة كذلك فى مسمى العمل السيىء .

● ان ضرورة الايمان بالله واليوم الآخر فى مفهوم العمل الصالح ، لأن من لم يؤمن بالله وباليوم الآخر ، مع العمل الصالح .. يستحيل ان يكون ما ياتى به من عمل ، على طول الزمن : لمصلحة الآخرين ، كما هو لمصلحته . اذ طبيعة عدم الايمان بالله كمركز للقيم العليا ـ وهى قيم يتقرب اليها المؤمنون وتحقق المصالح العامة للناس جميعاً ـ قد تدفع الى الايمان بالذات ، وبالسعى فى سبيلها : اما وحدها ، او مع قسط ضئيل جداً فى سبيل الآخرين معها لفترة ما . وهنا يتجه عمل المؤمن بذاته وبانانيته .. الى ان يكون عملا ذاتياً او انانياً . ومثل هذا العمل لا يكون صالحاً . بل يكون عملا سيئا .

.. يستحيل على غير المؤمن بالله ان يكون غير مادى . ومن يكون ماديا يقوم عمله على المقابلة والمبادلة المادية وحدها ، وينكر كل علاقة بينه وبين الآخرين لا تقوم على هذه المبادلة ، حتى علاقته بالأسرة ، وبالوالدين فيها . ومن ينكر الروابط الانسانية فى العلاقات ، وينشد الجانب المادى وحده فيها ، ينكر : كل معنى انسانى وكل قيمة من القيم العليا . وادعاء : ان مثل هذا المنكر للروابط الانسانية : انه يسلك فى عمله ، طريق المصلحة العامة له وللآخرين معه ، انما هو كادعاء اجتماع النقيضين ، كالماء والنار فى مكان واحد وفى وقت واحد .

الايمان بالله هو تحول فى واقع الامر من الانانية الى الجماعية الانسانية .. وبقدر عمق الايمان بالله واليوم الآخر فى نفس المؤمن ، بقدر تمشي عمله مع الخط المستقيم لصالح الجماعة والأمة .

والعمل الصالح اذن ، هو : تعبير مجسد عن هذا الايمان العميق فى نفس المؤمن . ولذا : اصحاب العمل الصالح : لا خوف عليهم ، ولا هم يحزنون . ليس فى آخرتهم فحسب ، وانما مع ذلك فى دنياهم . اذ هم يعيشون لغيرهم قبل ان يعيشوا لذواتهم ..

من أجل البقاء والشفاء

مظلة واقية من الأمراض

د. عزالدين فراج

ماذا يفعل جسم الانسان إذا هاجمته « ميكروبات » الأمراض ؟

عندما تهاجم الميكروبات جسم الانسان ، وتندفع الى داخله ، يصنع هذا الجسم « مواد مضادة » لهذه الجراثيم وسمومها ، اى ان هذه المواد المضادة تقاوم تاثير هذه الميكروبات .

لهذا يحدث صراع وعراك شديد بين ميكروبات الأمراض وتلك المواد المضادة التى كونها الجسم فى الدم .

فاذا ضعف الجسم ، وكان غير قادر على تكوين كمية كافية من هذه « المواد المضادة» تغلبت ميكروبات المرض ، ومرض الانسان .

وإذا استطاع الجسم ان يكون كمية كافية من هذه « المواد المضادة » تغلب على ميكروبات المرض وسلم من الاصابة . وهذه هى الطريقة الطبيعية التى يقاوم بها جسم الانسان ميكروبات الأمراض وهذه المقاومة الطبيعية تسمى الحصانة او المناعـــة الطبيعية .

وعلى ذلك يمكن تعريف الحصانة او المناعة بانها مقاومة الجسم لميكروبات الأمراض اذا هاجمته ، ومنعها من احداث المرض . ويمكن تعريفها بعبارة اخرى بانها قوة دفاع الجســـم اذا غـــزته بعض الميكروبات .

وقد يكسب بعض الناس مناعة او حصانة طبيعية عقب اصابته ببعض الأمراض المعـدية وشفائه منها ، وتظل مثل هذه الحصانة التى تتولد بعد الاصابة بالأمراض بضع سنوات ، كما يحدث بعد الاصابة بالجدرى والحصبة والتيفود والنكاف والكوليرا والسعال الديكى .

واستخدم الانسان نفس الفكرة فى عمل حصانة او مناعة صناعية بحقن الجسم بكميات صغيرة من ميكروبات المرض ، بعـد اضعافها وابطال قدرتها على احداث المرض من غير ان تموت وهذا ما نسميه باللقاح .

وعندما يطعم جسم الانسان او يحقن بهذا اللقاح ، يبدأ الجسم فى تكـــوين « المواد المضادة » لميكروبات المرض بقدر كبير كاف لأن تدخل فى عراك وصراع مع « ميكروبات » نفس المرض اذا هاجمت جسم الانسان بعد ذلك ، وبذلك نستطيع التغلب عليها فيسلم الجسم من المرض ، كما هى الحال فى لقاح الكوليرا ولقاح السعال الديكى .

ويمكن احداث مناعة صناعية اخرى بحقن بعض الحيوانات كالخيول بجرعات من الميكروبات المسببة لبعض الامراض كالدفتيريا او التيتانوس او بسمومها ، فيستجيب دم الحيوان بتكوين مواد مضادة لها تعمل على مقاومة تاثيرها . ثم يؤخذ دم الحيوان لفصل مابه من كريات حمراء وبيضاء عن السائل الدموى الذى يحتوى على مضادات السموم ، ثم يحقن جسم الانسان بجرعات من ذلك السائل الدموى او المصل ليعطى مناعة سريعة ضد المرض ولكن لفترة قصيرة . وتستعمل ضد مرض الدفتريا والتيتانوس .

واصبحنا الآن نستطيع أن نحدث مناعة صناعية باللقاحات والامصال .

ويمكنك ان تنظر إلى الجدول المنشور لترى أوجه الموازنة بين اللقاح الواقى والمصل ..

قصة مثيرة لهذا اللقاح

كان مرض الجدرى منذ اوائل القرن الماضى يعد من اخطر الامراض التى تفتك بالبشرية ، فان نجا المريض من الموت فلن ينجو من التشويه الذى يدوم مدى الحياة . ولم تكن ضحايا هذا المرض قليلة ، بل كانت تعد بعشرات الالوف كل عام .

وفى يوم من الايام دخلت فتاة (ريفية) حانوتا ، وكان مرض الجدرى منتشراً وقتئذ انتشاراً كبيراً ، فبعد ان اشترت هذه القروية ما ارادت من هذا الحانوت التفت اليها القائم على امره وقال :

كيف حالة المرض عندكم ؟!

فاجابته هذه القروية :

المرض منتشر بحال فاقت كل حال ، ولكن حلابات اللبن لا خوف عليهن من هذا المرض .

دار الحديث بين هذه الفتاة القروية وهذا الرجل ، دون ان يثير ذلك اهتمام الحاضرين ، غير شاب فى مقتبل العمر هو « ادوارد جنر » كان وقتئذ طالبا يتعلم الطب ولم ينته من تعليمه بعد .

فتح هذا الحوار امامه آفاقا للتامل والتفكير وراح يردد عبارة هذه الفتاة الريفية مرة بعد مرة قائلا :

الحلابات لا يتعرضن لمرض الجدرى العادى لأنهن يتعرضن لجدرى الابقار .

وعاد يتمتم ويقول :

ولم لا يكون هناك ارتباط بينهما ؟!

وصاح ثانية:التجربة خير برهان .

لكن من يقبل ان يجرب فيه ما يريد ؟ لا احد بالطبع . عندئذ لم يجد « ادوارد جنر » مفراً من ان يجرب فى ابنه الاكبر الوحيد بالرغم مما عرف عنه من قوة العاطفة ورقة القلب وحنان الابوة .

وقف بجوار ابنه مشتت الفكر حائراً بين عاطفة ، تابى عليه أن يضحى بولده ، وبين واجب يملى عليه ان يضحى بكل شىء من اجل البشرية والبشر اجمعين .

مرت دقائق تخيل فيها « ادوارد جنر » عشرات الالوف تموت وتتشوه كل عام ، فجمع امره وآثر ان يضحى بابوته وعاطفته رغبة منه فى انقاذ هذه الالوف .

واخيراً حمل ولده بين يديه ثم وضعه فوق ركبتيه ، واحدث بذراعه خدشاً وضع عليه بعض القيح الذى اتى به من ضرع الابقار المريضة بالجدرى فظهر على ولده اعراض جدرى الابقار وشفى منه بعد قليل ولكن الاب لم يحجم عن تجربة اخطر من ذلك واجل شانا ، فنقل إلى ولده بعد ذلك مادة الجدرى البشرى من طفل مريض ليتحقق من فعل المادة التى كشفها فى الوقاية من خطر هذا الداء . وكان من حظ



ادوارد جنر يطعم ولده لاول مرة بلقاح الجدرى ، ولم يكن يدرى النتيجة وقتئذ .

ولده ومن حظ البشرية ان نجحت هذه التجربة .

ورحل « ادوارد جنر » إلى المنـــاطق الجبلية التى كان يكثر فيها المرض وقتئذ ، وطعم هناك ثلاثة وعشرين طفلا بطريقته الجديدة ، فلم يصابوا بالمرض ، فعاد الى بلده مطمئن الخاطر قرير العين .

درست الجمعية الطبية البريطانية هذا الموضوع ، فوجدت فيه آيات بينات ونتائج باهرات ، فمنحته المدالية الذهبية اعترافاً بفضله .

واذا انتقلنا من تشجيع الهيئات العلمية الى الهيئات الحربية والبحرية وجدنا أن نابليون بونابرت قد امن بفكرته وامر بتطعيم جميع جنوده ضد مرض الجدرى .

وفعل ذلك فى الوقت عينه القائد الاعلى للجيش البريطانى .

هكذا وجه ادوارد جنر البحث العلمى ، الى طريق جديد منتج ، فكان موضع محاكاة الباحثين والمنقبين من بعده ، وكان ذلك فاتحة عهد علمى جديد عرفت فيه امصال ولقاحات اخرى واقية من الكلوليرا والطاعون والتيفود .

هذا الميكروب العنيد

وراى « باستير » ان مرض الكلب مصدر ذعر للناس . حقيقة ان ضحاياه لم تكن كثيرة كما هى الحالة فى التيفوئيد او الملاريا او غيرها من الامراض المعدية ، ولكنه كان اكثر خطورة منها لان المصاب يمضى بضعة اسابيع ثم يغادر العالم بعد آلام مبرحة .

واخذ باستير يفكر فى ترويض هــذا الميكروب العنيد القوى . وبعد بحوث طويلة اهتدوا الى طريقة تضعف الميكروب الضارى ، اذ كانوا ينزعون جزءاً من نخاع السلسلة الفقرية لارنب قتله مرض الكلب ثم يعلقونها لمدة اسبوعين فى قـــارورة لا ينفذ اى ميكروب الى داخلها . ومن هذا النخاع الجاف يحقنون الحيوانات السليمة فلا تموت .

فتساءل باستير :

هل اكتسبت هذه الكلاب مناعة ضد هذا المرض ؟!

ولكى يجيب ، باستير ، على هذا السؤال اجابة كاملة ، عزم على حقن جميع الحيوانات التى سبق ان لقحت بميكروباته الضعيفة بميكروبات المرض الحية النشطة القوية .

وبعد مدة وجد باستير نفسه امام نتيجة رائعة واضحة .. وجد ان الكلاب التى سبق ان لقحت بميكروبات ضعيفة لم يصبها سوء على عكس المجموعة الاخرى .

ونادى باستير مساعديه ليجربا الفكرة على الكلاب السليمة مع اخرى مسعورة تنهش اجسادها ثم حقنها بمواد اللقاح لمدة اسبوعين فكان النصر تاما ، لان واحداً منها لم يصب بالمرض .

وطالب باستير الخبراء ان يفحصوا تجاربه ونتائجه فتالفت لجنة من خيرة العلماء وقررت ان لقاح باستير يحصن الكلاب ضد مرض الكلب فلا يصيبهـــا البته .

واشتدت بباستير الام الناس فكتب الى اصدقائه ينبئهم عن نيته وهى تجربة اللقاح على نفسه .

وفى يوم من الأيام قدمت من الالزاس مدام « مايستر » حزينة يائسة باكية تقود طفلها جوزيف البالغ من العمر تسع سنوات والذى عضه كلب مسعور فى عدة مواضع من جسده الصغير الضعيف ، وراحت هذه الام الحزينة تبكى وتتوسل إليه وتقول :

انقذ لى ولدى .. جرب فيـــه لقاحك يا باستير . وخضع باستير لتوسلات هذه الام المسكينة وراح يجرب فى ولدها لقاحه الجديد .

وتلقى هذا الطفل جميع الحقن اللازمة من غير ان تظهر عليه علامة من علامات الخطر .. واخيراً عاد الى بلده يلهج بالشكر والتقدير والثناء بعد الشفاء

عز الدين فراج

وجه المقارنة	اللقاح الواقى	المصـــل
١ ـ تعريفه	سائل يحوى ميكروب المرض اما ميتا او حيا ضعيفا	سائل يحوى الأجسام المضـــادة جاهزة
٢ ـ اثره	يشجع الجسم البشرى على تكوين اجسام مضادة	الأجسام المضادة الجاهزة تكسب الجسم مناعة فى الحال .
٣ ـ مدة المناعة	يعطى مناعة طويلة لعدة شهور أو سنين	يعطى مناعة لفترة قصيرة تصـل الى بضعة اسابيع فقط
٤ ـ اهميته	يعطى للوقاية من الامراض فقط	يعطى للوقاية والعلاج السريـع لاحتوائه على مضادات السموم .
٥ ـ ظروف استخدامه	يستخدم قبل موسم انتشار الاوبئة بوقت كاف حتى يتاح للجسم تكوين الاجسام اللازمة بالمضادات لوقايته من المرض	يستخدم اثناء انتشار الاوبئـــة لاحتوائه على مضادات السموم جاهزة



رحلة صعبة .. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان .. ترويها بقلمها

مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة السابعة

كان قلبي حديقة للحب لا تذبل أشجارها أبدًا

على الرغم من كون الثورة الفلسطينية التي امتدت ثلاث سنوات (١٩٣٦ - ١٩٣٩) كانت تستهدف قوات الانتداب البريطاني وتركز على مناهضة الانكليز ومقاومتهم ، على الرغم من ذلك فان شراسة القوى الصهيونية لم تتوقف عن تسديد هجماتها على عرب فلسطين في انحاء البلاد المختلفة . بلغت هذه الشراسة ذروتها في تموز عام ١٩٣٨ حيث تصاعدت حوادث تفجير القنابل في الاسواق العربية في القدس ويافا وحيفا ، مما نتج عنه مقتل العشرات من المواطنين العرب .

في ايار ١٩٣٩ صدر الكتاب الابيض مشتملا على تفسير معنى الوطن القومي اليهودي فجاء فيه : « ان بريطانيا لا تفهم من عبارة انشاء وطن قومي يهودي التي جاءت في وعد بلفور ونظام الانتداب تحويل فلسطين الى دولة يهودية » (١) .

ومن هنا بدات اعمال الارهاب الصهيوني تنصب على الانكليز والعرب معاً .

كانت مصلحة الاذاعة الفلسطينية قد انتقلت حديثاً الى مبناها الجديد في حي المصرارة في القدس . المبنى ضخم بطابقين نظمت اجزاؤه من الداخل تنظيماً جديداً بحيث تكون صالحة لاحدث ما تقتضيه محطات الاذاعة .

التاريخ الآن ٢ آب (اغسطس) عام ١٩٣٩ ، والوقت عصر الاربعاء . ابراهيم طوقان والمذيعان توفيق ابو شريف ومحمد بشناق ينتقلون من غرفة المهندسين الى الاستوديو ومن الاستوديو الى غرفة المهندس للتحقق من الاصوات الغنائية والموسيقية فهناك برنامج معقد يشترك فيه واحد وعشرون طفلا عربياً مع مدربهم ، وكلهم يتمرنون على البرنامج بمساعدة المهندس اديب منصور ، ولا احد من هؤلاء يعلم انه يمشي على ارض يكمن تحتها افظع انواع المواد المتفجرة .

ابراهيم ينزل الى غرفته في الدور الاول لانجاز ما تاخر من اعماله . محمد بشناق مع الاطفال في الاستوديو في الطابق الثاني التمرين لا يزال جاريا ، الساعة تدق الخامسة ، مع دقاتها تفتتح الاذاعة المسائية ، كالمعتاد ، باللغات الثلاث : الانكليزية فالعربية فالعبرية .

ابراهيم في غرفته ومعه المذيع توفيق ابو شريف . في الساعة الخامسة والدقيقة الرابعة عشرة يسمعان صوت انفجار قوي لم يخطر لهما انه في الاذاعة ، ذلك انه حدث في احدى الغرف الصغيرة التي يذاع منها ، وهذه الغرف تكون محكمة الاغلاق ، ذات جدران مانعة لتردد الصدى لكنهما سرعان ما يسمعان الضجة في « الليوان » .

يخرجان ليواجها محمد بشناق ممتقع اللون والاطفال حوله في ذعر شديد .. محمد يقول : حريق .. حريق بسبب احتكاك كهربائي .. لحظات .. المهندس اديب منصور ومعاونه ينزلان من الدور الثاني حاملين المذيعة الانكليزية مسز وايزنبرغ .. المهندس ومعاوناه يعودان الى الدور الثاني .. الجريحة تنقل الى غرفة المدير ..

ابراهيم يبقى معها واحد المساعدين الانكليز .. هى تسال عن رجليها وابراهيم والرجل الآخر يهونان عليها الأمر وينفضان عن وجهها الغبار والعفار ..الجريحة تشرف على الاغماء .. ابراهيم يهرع الى الخارج طالبا بعض الماء فيما هو ممسك الباب بيده منعا لدخول احد .. مع تناول ابراهيم لزجاجة الماء من الخادم يهتز مبنى الاذاعة بانفجار آخر .. السقف فوق راس ابراهيم يتمزق .. على قيد خطوات منه تهبط قطعة كبيرة من السقف على عدة (بدالة) التليفون فتحطمها .. ابراهيم ينظر حوله فيرى اولئك الاطفال يكاد يحيق بهم البلاء .. يدفعهم هو ومحمد بشناق الى خارج المبنى .. احـــد افراد حـــرس المبنى البريطانيين يحاول منعهم من مغادرة الساحة السماوية الى الطريق .. ابراهيم ومحمد يتغلبان عليه .. يفتحان الباب غصبا .. الحارس لا يزال يحلق عليهما يريد منعهما .. انفجار آخر .. يتبعه انفجار آخر .. الحارس يدرك الآن خطر الموقف .. ينشغل بخلاص نفسه .. انفجار آخر يطلق معه اديب منصور صرخة شديدة .. رجلاه تنسحقان من اعلى الفخذين .. سيارات الاسعاف تقبل مسرعة .. الاحتيـاطات السريعة للوقاية من الخطر .. لا احد يعلم ان كان قد انتهى ذلك البلاء ام ان هناك بقية تاتي .. ابراهيم يخطر على قلبه طفلاه جعفر وغريب .. يجد للحياة حلاوة .. يسرع الى بيته مبهوراً ذاهلا ..

– ماذا عن اليهود العاملين فى القسم العبرى ؟!

– اتضح ان المبنى كان خاليا وقت الانفجارات من كل الموظفين اليهود !!

● ●

كانت اعماقي ترتعد فيما ابراهيم يقص علينا حكاية اللحظات الرهيبة . اما امي فكانت تقطع لحم الذبيحة لتوزع فيما بعد على فقراء « حي الياسمينة » فداء لابراهيم وكان وجهها المبهوت مخضلا بالـدمع .

عام ١٩٣٩ يودع الخريف ، وموسم الشتاء يعد بعطاء سخي .. وابراهيم يطل علينا فى عطلة اسبوعية قصيرة .

– كيف مسيرتك الجديدة مع معلمتك الجديدة ؟

– توقفت المسيرة قبل ان تبدأ ..

– لماذا ؟

– كما تعرف .. اوامر !

– هيئي نفسك للسفر معي غداً ..

ومضيت اعد حقيبة الملابس ، مبهورة الانفاس . ما كنت احلم بهذا ابداً .



جمال عبد الناصر



ابراهيم عبد الفتاح طوقان

كانت انعطافة جديدة فى حياتى لم يسبق لها مثيل منذ بدات رحلة الشعر . كانت نقطة انطلاق بدات فيها شخصيتى تمتد الى الخارج لأول مرة . فالى جانب التحاقي بمدرسة مسائية لتعليم اللغـة الانكليزية فى جمعية الشبان المسيحية بالقدس ، رحت اشارك فى تقديم بعض الأحاديث الاذاعية والتمثيليات والانشاد مع فرقة الأناشيد فى الاذاعة ، كما نظمت عدة اناشيد لحنت واذيعت ضمن بعض البرامج حدثني ذات يوم الفنان محمد كريم ، عازف البزق ، عن لحن وضعه باسم « البنفسجة الذابلة » وسالنى وضع كلمات لاغنية بهذا الاسم ، ففرحت فرحاً عميقاً ، وقدمت اليه بعد ايام كلمات الاغنية ، فكانت من اجمل اغانيه التى كانت تذاع من دار الاذاعة الفلسطينية بصوته بالذات :

ذوى شبابى وجف عـودى
والعمر ما زال في الربيـــع



بلفور

آهـا لعمرى الغض الجـديد
أودت به حرقة الولـــوع
يا منية النفس ادن منـــي
تعـد نضير الصبا إليّا
تُعِد لروحي الحيـاة إنـــى
بلمسة من يديك احيـــا
مالت براسي
آلام نفسي
اذ فات عمرى
ومات عطرى

الخ ...

كنت فرحة بعالمى الجديد ، سعيدة ببعدى عن نظام الأسرة الصارم وعن الوجوه التى لم اكن احبها ولم تكن تحبني كان جناح ابراهيم ينبسط على ايامى دافئاً حنوناً .

الى جانب هذا كله كانت هناك المكتبات العامرة ، ودور السينما ، والحفلات الغنائية العامة التى كانت تقيمها الاذاعة فيتهافت على حضورها الجمهور العربى فى القدس . وكانت هناك سهرات الأدب والفن الخاصة فى بيت ابراهيم او فى بيت يحيى اللبابيدى مدير القسم الموسيقى فى الاذاعة وذلك حين تستضيف الاذاعة اديباً او موسيقاراً من احد البلدان العربية .

كان المجتمع المحيط بي مجتمعا متحرراً تتمتع فيه المراة الحديثة بشخصية لم تضعفها صرامة الرجل وفظاظته ، يبدو ذلك واضحا فى لباسها ، وحديثها ، وسلوكها الطبيعى فى مجتمع رفع الحجاب الحاجز بين الجنسين واتاح للمراة الشابة قسطاً اكبر من التعليم .

فى هذا الجو الفسيح ، جو الانطلاق الصحى ، شعرت بفوحان الحياة لأول مرة ،

وعرفت راحة النفس ، وهدوء البال ، وطعم الحياة التى غابت عنها الوجوه العابسة والنظرات المتعدية . ومما ساعد على ايجاد التناسق والتناغم فى عالمى الجديد كون زوجة اخي ابراهيم (سامية عبد الهادى) سيدة لينة الطبع ، هادئة . لم تكن « ام جعفر » بالمراة الغيور او المتسلطة . كانت سيدة جميلة ، واثقة من نفسها ، تتفهم تعلقي بابراهيم وتتقبل محبته لي بل لنا جميعا ، نحن امه واخواته واخوتـه . ما شعرت يوما انها تضيق باهتمامه بي ورعايته الخاصة لي . وهكذا فقد توفر لي في اثناء اقامتى فى القدس جو خلا فيه التعامل معي من اساليب التسلط ومحو الذات . لقد حفظ لي ذلك الجو المعافى وجوداً شخصياً ، مستقلا ، لم يكن ليتاح لي لو لم تكن « ام جعفر » تتميز بتلك الصفات الجميلة والطباع الرضية .

فى الربع الاخير من عام ١٩٤٠ ، وفى اكتوبر بالذات اقيل ابراهيم من عمله فى الاذاعة . وكانت وراء هذه الاقالة عوامل عدة . فمنذ اضطلاعه بادارة القسم العربى فيها وقف له اليهود بالمرصاد . لم يكن يسعد الجهات الصهيونية اطلاقا وجود مثل ابراهيم فى مؤسسة ذات خطر كبير فى توجيه الراى العام العربى فى فلسطين . كان ابراهيم فى نظر تلك الجهات عنصراً محرضاً ، يتخذ من مركزه الكبير فى الاذاعة اداة للعمل ضد المصلحة الصهيونية . كم وكم ثارت الصحافة العبرية ضده ، وكم وجهت اليه اصبع الاتهام بسبب الاحاديث التى كان يكتبها ويذيعها ، او الاحاديث التى كان يدرجها فى البرنامج العربى لادباء فلسطين ممن كانوا يساهمون فى تقـديم مختلف الموضـوعات الادبية والاجتماعية والدينية .

كان هناك دائما تفسير او تخريج سياسي لما يذاع من احاديث ، فكانت تلك الجهات اليهودية تشكل من القصة البسيطة شعوبا ودولا ، وحكومات وانتدابات . كما كانت ترى فى الاحاديث الاخلاقية تحريضا تحت قناع ديني . اما الدعاية فكانت فى رايها مبثوثة فى الموضوعات التاريخية . واما الاحاديث النبوية والامثال المشهورة ففيها الخطر كل الخطر ، حيث يطلب خلالها من الامهات ان ينشئن اطفالهن بعضلات قوية ، ومنشا الخطر على زعمها هو ان تلك التنشئة القوية انما يقصد من ورائها المقدرة على المقاومة فى المستقبل ! وهكذا كانت توضع فى الميزان معظم احاديث القسم العربى ، فيناقش ابراهيم فيها ويحاسب عليها (٢) . كان هذا يجرى

● .. وابتعدت عن الوجوه التي لم تكن تحبني ولم أكن أحبها

● في القدس عرفت راحة النفس وهدوء البال وطعم الحياة

مزامنا لمراسلات يتحدث فيها (وايزمن) الى وزير المستعمرات البريطاني عن وجود ٤٠ الف يهودى فى (الهجانا) كان قد تم تدريبهم (٣) .

اما الموضوعات التاريخية التى كان يقدمها ابراهيم فكانت فى راى الصحافة العبرية تهدف الى الدعاية ضد السامية . قالت صحفهم بهذا الصدد . « بلغت (حرية الكلام) فى فلسطين الى ان مصلحة الاذاعة الفلسطينية اذاعت امس حديثا ضد السامية ، وقد كان المحاضر ساميا ، وقد اذيع البغض لاسرائيل بلسان سامى ايضا . اما هذا السامى فليس رجلا عاديا ، فهو موظف من الدرجة الاولى واسمه ابراهيم طوقان ، المساعد لمدير البرامج فى مصلحة الاذاعـة « الفلسطينية » . ثم تطرقت الصحيفة الى موضوع الحديث وكان حول قصة السموال مع امرىء القيس من جهة وقصيدة الاعشى فى مدح شريح ابن السموال من جهة اخرى .

وفى اليوم الثانى تطرقت صحيفة اخرى الى الموضوع نفسه فقالت « ان التمويه المتعمد فى القصة العربية ، لان شاعراً يهوديا مدح فيها ، هذا التمويه المتعمد ذو اهمية ، وهو مخيف حقا فى وضـــعه (وبيانه) الحديث وهو اشد خطراً من قتل بضعة اشخاص بقنبلة خطيرة . ان هذا ليس قلبا للحقيقة التاريخية فحسب ، وانما هو دعاية لهذه القنبلة . ولم تكن الحادثة هذه فريدة فى بابها ، فابراهيم طوقان مدير القسم العربى فى مصلحة الاذاعة الفلسطينية قد سبق له اكثر من مرة ــ دون ان يخطر فى بال احد تتبع عمله بنظام فى مصلحة الاذاعة ــ ان قبض عليه متلبسا بحوادث دعاية ضد اليهود ، ويسبغ عليها ثوبا شفافا من القصص الشائعة ، ولنا ان نقول ان المراقبة الدقيقة تكشف خيانات اكثر قد ارتكبت فى هذه الاداة القديرة على نشر التعليم ، هذه الاداة تحمل حكومة فلسطين كامل مسؤوليتها . وبدلا من ان يكون راديو الحكومة لمثل السلام الاعلى ولاحاديث التهدية ، فقد وضح الآن انه ينشر البغضاء والتهييج بكلام عربى . فهل يدعى المدير العربى لمناقشته الحساب ، ام يظل سائراً فى اعماله بامان ؟ » .

حين دُعي ابراهيم من قبل الجهات الحكومية المسؤولة لمناقشة الحساب رد على ذلك بقوله : « ان السموال واحد من شخصيات عديدة فى الادب العربى ، كانت ولا تزال ، موضع اخذ ورد فى الاوساط الادبية ، لا بل ان هذا الدور من تاريخ الادب له من ينكره انكاراً باتا ، ويعده من الاساطير التى لا تستند الى اساس ، والسبب فى ذلك كون تاريخ الادب فى ادواره الاولى ، والتى نحن بصددها ، ماخوذاً من السنة الرواة ، يتناقلونه بزيادة ونقصان ، فيكون تحت تاثير عوامل شتى ، منها القوة على الحفظ وتفاوت درجاتها ، ومنها عصبية القبائل ، ومنها رواج سوق الرواية ، والتكسب بها عند الخلفاء والامراء ، مما يتطلب دوام المادة وتجديدها فشجع كثيراً من الرواة على الانتحال والاختراع فى القصص والشعر والاخبار . وعندما جاء دور التدوين تجمع فى كتبنا ركام من هذا التراث ، نجد فى تضاربه واختلاف مصادره باعثا ملحا على الاستقصاء العلمي ، وداعيا الى النشاط فى الكشف عن صحيحه وزائفه ، والتحقيق فى نصوصه والتعليق عليها .

وعلاقة السموال بتاريخ الادب العربى وباعظم شاعر فى الجاهلية ، تخول كل متخصص بادبنا وتاريخه ان يتحدث عنه كما يتحدث عن اى شاعر او اديب بقطع النظر عن قوميته ودينه ، فاختيارى السموال أدبى وتاريخى ، وبحثى فيه علمى سبق لي مثله فى عدة ابحاث ابتدات بها فى عهد دراستى فى جامعة بيروت الامريكية . وكانت خطتي ان اتناول حياة الشاعر وما يتعلق بها من روايات مختلفة وانظر فى آثاره ، فاخرج له سيرة منظمة ، مبنية على نقد علمي خالص ، متبعا اساليب البحث الحديثة ، واذكر من هؤلاء الشعراء العباس بن الاحنف ، وديك الجن الحمصى ، ومحمد بن مناذر ، وسبط بن التعاويذى ، والسرى الرفاء ، وقد اذعت طرفاً من حياتهم ونماذج من شعرهم .

والسموال من هؤلاء والبحث فى حياته لا يخرج فى طريقته عن الابحاث فى الشعراء المذكورين .

لقد عنى بالسموال نقاد ثقاة ، اذكر منهم الأب لويس شيخو اليسوعى ، وروحى بك الخالدى المتوفى سنة ١٩١٤ . وكان البحث فى مجلات محترمة كالمشرق والمنادى ، وكتب معروفة منها « شعراء النصرانية » .

ودار البحث حول يهودية السموال فاثبتها الخالدى وانكرها الأب شيخو . كما ان التحقيق اضعف شان الرواية المنقولة عن علاقة امرىء القيس بالسموال ووقف مترددا فى قبولها .

ان الصحف العبرية لم تكن منصفة باخذها (نتيجة البحث) دون البراهين التى ادت الى هذه النتيجة . ولو انها تجردت عن الغرض لرات اننى تناولت امرا القيس اعظم شعرائنا واخلصهم للعروبة ، بنقد صارم وقسوة لا رافة فيها ، فبينت مواضع الضعف فى اخلاقه ، وذهبت الى انه تامر على امته فى قصده ملك الروم ، وقد اتهمته بالخيانة العظمى للجوئه اليه لينصره على بني قومه من العرب . اما الثقة الذى رجعت اليه فى التعليق على السموال فهو ابو الفرج الاصبهاني ، صاحب كتاب الاغانى ، وقد ورد ذكره فى الحديث المذاع » .

ثم كانت الحرب العالمية الثانية ، وكانت الرقابة . وقام بعض المشرفين عليها من منافسيه العرب بالتحريض عليه لدى السلطات البريطانية ، وقام الدس ، وكان دساً لئيماً فاتهم بتسريب الدعاية فى برامجه ضد الحلفاء .

واقيل من مصلحة الاذاعة الفلسطينية لياخذ منافسه مكانه .

غادر ابراهيم الوطن مع عائلته ليعمل فى حقل التعليم فى العراق . وعدت الى نابلس حزينة لما آلت الحال اليه ، شديدة القلق على ابراهيم ، هل ستحتمل صحته العليلة مناخ العراق القاسي ؟

بضعة شهور ، ومرض ، عاد الى نابلس ومات !

● ●

منــذ الطفولة والخوف يرافق مسيرة حياتى . يد عمياء ، لا هبة ، تضرب يمينا وشمالا ، ولا احد يعينني . قد ينهار السقف فجاة ، قد يغرق هذا الجبل فى السهل بهزة مفاجئة ، قد تهوى على الراس مطرقة يحملها صوت ناع ينعى حبيبا من الاحباب .

● ●

ظل حبي لابراهيم مصدر كابة باطنية رافقت تعلقي به طيلة حياته القصيرة . كان شعورى بالسعادة لوجود هذا الاخ الحنون فى حياتى يهزنى احياناً بما يشبه الحزن ، وذلك من فرط خوفى عليه من موت مبكر . كان زلزال نابلس الفظيع عام ١٩٢٧ هو الذى زرع فى قلبي الطفل المتعلق بابراهيم الخوف عليه باستمرار من الموت . ففى ذلك اليوم الذى لا ينسى انهار سقف الغرفة التى كان يقيل فيها لحظة الزلزال . لكن الصدفة شاءت ان يكون سريره بعيداً عن الجزء المنهار ، فنجا من الموت ليمتد به العمر اربعة عشر عاماً اخرى .

لا ازال احتفظ اليوم باشياء صغيرة كان يملكها ابراهيم او اخي نمر الذى اتجهت اليه مشاعر التعلق والحب بعد وفاة ابراهيم : جزدان جلدى صغير ، مفكرة جيب ، رباط عنق ، مشط صغير ، دفتر يشتمل على عناوين وارقام تليفونات ومواعيد لقاءات .

لا ازال احتفظ بهذه الاشياء وسواها ، المسها بحزن وحب ، وكانني احاول ابعاد الفناء والبلى عن الاحبة باحتفاظى باشيائهم الصغيرة والابقاء عليها حية فى خزانتي .

(للاحياء ارض ، وللامــوات ارض ، ولا يصل بينهما الا الحب) ثورنتون وايلدر .

● دسائس المنافسين "العرب" تقصي "إبراهيم طوقان" عن إذاعة القدس

● كنت جائعة إلى شيء غير موجود .. ضائعة وحيدة!

فى ضجة السقوط مات والدى عام ١٩٤٨ ! آلاف من اللاجئين يفيئون فى نزوحهم الى نابلس ، فتكتظ بهم الدور والمساجد والمدارس والكهوف فى جبلى عيبال وجرزيم .

مضت شهور طويلة على وقوع الفضيحة الأولى على الارض العربية قبل ان اعود الى كتابة الشعر ، ولكن وراء الصمت كانت هناك عملية ارهاص واختزان كامنة فى الاعماق ، الاعماق التى لم تعد الآن تكابد الفراغ والخواء .

وانفكت فى الأخير عقدة لسانى . رحت اكتب الشعر الوطني الذى طالما تمنى ابي لو يراني اتفرغ له فاملا مكان ابراهيم . لقد كتبت ذلك الشعر بصورة تلقائية وبدون اى الزام من الخارج .

بعد وفاة والدى لم يعد انفعـــالى بالسياسة معدوماً ، ولكنه لم يكن حاداً ، فلقد ظل يجتاحني على فترات متقطعة ويفتقر الى صفة الاستمرارية ، يشتعل فى المناسـبات المشتعلة ويخمد بخمودها .. يفور مع الفوران العام ويهمد بهموده ، فمع تجمد الأوضاع وتجمد القضية الفلسطينية بدأ يتسرب الخدر الى الحس السياسى لدى

وخرجت الى الحياة اعب منها والمسها ، امسك باللحظات الهاربة فلا ادعها تفوتنى قبل ان استهلكها ثانية فثانية ودقيقة فدقيقة .

● ●

كان جوعي للحياة قاسياً . ان من هدرت سنوات طويلة من عمره فى صحراء الربع الخالي لا يعقل ان يهرب من الواحة الخضراء حين تفتح له ابوابها .

وخرجت بنت الحياة الى امها الحياة ، وكانت صادقة معها كل الصدق ، فطالعتها بوجه طبيعى اصيل هو الوجه الذى يصر المجتمع بقوانينه وتقاليده الصارمة على تزييفه ، واضفاء قناع كاذب عليه . ولم تكن بنت الحياة انانية ، اخذت واعطت ، وكان العطاء قانونها فى الحياة تعمل به ، فقد كان جزءاً لا ينفصل عن طبيعتها . كانت من قبل ، حين تسرق مشوارها الى حقول القمح تكتئب وتحزن ، اذ ترى عطاء القمح دون ان تقدر هى على العطاء . ان القلب الممتلىء بالحب يختنق اذا لم يجد من يحب .

وحان الوقت لتتكلم بنت الحياة ، وحين تتكلم امراة صادقة فالحياة هى التى تتكلم .

لقد ظل مجتمعنا العربي الشرقي يظلم عاطفة الحب مثلما ظلم المراة باستمرار ، وبقيت هذه العاطفة الانسانية الجميلة التى لمست بكفها السحرية حتى قلوب الأنبياء ، هذه العاطفة الانسانية الجميلة ظلت فى مجتمعنا العربى المصـــاب بانفصـام الشخصية معنى محملا بالفضـيحة والعار .

بالنسبة لي ظل الحب يحمل مفهوما اوسع نطاقاً من كونه تاكيداً لأنوثة المراة ، ظل بالنسبة لي تاكيداً لانسانيتي المسحوقة وانقاذاً لها . ولقد بقيت طوال عمرى مشدودة الى الحب ، مدفوعة بعاطفة شعرية يصعب توضيحها فكما تستجيب الطيور بصورة غير ارادية لاتجاهات المجال المغنطيسي فى تحديد اتجاه طيرانهــا ، كذلك ظلت استجابتي للحب ، وبقي هو الشعلة الأكثر اجتذاباً فى مجالات الحياة المختلفة .

ولست ابعد عن الحقيقة اذا قلت ان الحب كان عندى فكرة مجردة وعالما مطلقاً هو الذى احببته . وظل (الآخر) بالنسبة لي تجسيداً لتلك الفكرة التى لم استطع ان اهجر آفاقها ابداً ، حتى اصبحت حاسة من حواسي وغريزة من غرائزى، تحمل الحرارة والنبض باستمرار ، فاغطس معها فى حمام عاطفى ساخن يغسل اعماقى من الشوائب المرة . ولم يكن لتلك الفكرة المجردة شواطىء ولا مرافىء ارسو عندها . كانت بحراً واسعاً تعلو امواجه احيانا حتى تستحيل الى دوامة تدور بي وتلفني حتى تفقدني احيانا احساسي بالعالم الخارجي من حولي .

قبل الخروج من « القمقم » كانت مراهقتى العاطفية حادة مشتعلة . نفس مكبوتة تتفتح لأول كلمة حب تاتيها على صفحة رسالة ، حب بالمراسلة .. كنت اقع فى هذا اللون من الحب الخيالى واغوص فيه وبيني وبين التجربة الواقعية جدران « القمقم » الاثرية ، فكانت المراسلة والخيال هما ميدانى الضيق والواسع فى آن . كنت جائعة الى شيء غير موجود ، ضائعة ، وحيدة ، لا املك شيئا سوى هذا الخيال المشتعل .

وكان الخروج ، حيث وجدت نفسي فى الآخر واهتديت اليها ببوصلة الواقع . ومنذ ذلك الحين ظل قلبي حديقة للحب لا تذبل اشجارها ابداً .

فى لحظات الحب يحس الانسان بانسانيته تتكشف . يخرج من القطب الجليدى المعزول ويرحل الى الوهج والاشراق . ويصبح الآخر كانما هو الجسر الى كون التمت اجزاؤه المبعثرة واصبح كلًا واحداً بلا انهيارات ، كون هو الطريق الى العافية النفسية والروحية بكل ما فيه من حلاوات ومرارات وتناقضات ومفارقات كون جميل وقاس وحنون كالحياة نفسها . وهو بعد ذلك كله مفروض كالحياة والموت خاصة على ذوى الطبائع الشــعرية ، ولا مفر لهم منه .

لا احلى منه حين يلمس حتى توافه الأشياء ، فيحيلها الى اشياء جميلة وذات قيمة : فاتورة حساب فى مطعم .. بطاقة دخول الى مسرح .. زهرة جافة .. قلم حبر ناشف او سائل ، كل هذه وامثالها من توافه الأشياء تصبح ثمينة نادرة حين يلمسها الحب .

كان الخيال المشتعل يصنع هالة سحرية تطوق الانسان المحبوب ، فيضفي عليه ما ليس فيه . كنت ارى النواقص ولكن لم تكن النواقص فى رأيي لتتعارض مع الحب ظل المثاليون فى نظرى يشكلون طبقة فاشلة من المحبين ، فمثاليتهم تجعلهم يعرضون الأمر بشكل يسلخ عن الحب عنف اثارته . لقد آمنت دائما ان الحب ثروة لا ندرك قيمتها الا بعد ان نكون قد انفقناها او خسرناها فى مضاربة .

وحين كان الزمن ـ وهو تلك القـــوة التدميرية الجبارة ـ يفعل فعله فى الاشياء والعلاقات ، لم اكن اطيل الوقوف عند الاطلال .. ولم اكن امينة على الماضى بعد ذهابه ، ولم اسمح لنفسي بان تتيح للماضي سرقة المستقبل فالماضى لص يسرق ولا يعطي .

لا غرابة فى ان يحب القلب الواحد اكثر من مرة ، فمن الشذوذ ان يتجمد قلب الانسان عند شخص معين طول الحياة . انها ظاهرة طبيعية ان تنشا فى القلب وتتكرر اكثر من علاقة ، وفى كل مرة تكون للعاطفة نفس القوة السابقة والصدق والفوحان ولا مكان هنا للاهواء العرضية والطيش والعربدة .

فى احيان كثيرة اجد ان الماضى لم يذهب فقط بمعناه المادى ، بل بمعناه النفسي ايضا ، فما كان فى الماضي يحمل قيمة معينة ، تكون نظرتى إليه فى الحاضر قد اختلفت تماما ففقد بالتالى معناه النفسي ، واحس اني ـ انا نفسي ـ شخصية اخرى لا تمت الى تلك القديمة بصلة ولا تكاد تتعرف عليها الا فى ساحة ذكرى .

عالم طفولتى فقط هو العالم الوحيد الذى لا يفقد معناه النفسى فى داخلى ، انه العالم الوحيد الذى اعود اليه بقلب حار قديم ، وما عدا ذلك فكل شيء فى نظرى ينال منه قانون التطور .

صادف خروجى من « القمقم الحريمى » مرحلة درامية كانت تمر بها الأمة العربية فى عراكها مع الاستعمار الغربى الجديد . فمع سقوط فلسطين عــام ١٩٤٨ تزعزع بنيان المجتمع العربى التقليدى سياسياً واجتماعياً وثقافياً ، ومع سقوط انظمة الحكم فى مصر وسوريا تنامت الحركات الشعبية فى مصر والعراق ، وبدا الفكر التقدمى يوغل فى ضمير الشعوب العربية موجها كفاح الانسان العربى ضد السيطرة الاستعمارية من جهة ، وضد مفاهيم المجتمع التقليدى من جهة اخرى .

مع هبوب رياح التغيير والثورات خرج الشعر من بروج الترف ليواكب مسيرة الجماهير العربية فاعلا ومتفاعلا مع تطلعاتها الى التحرر من القهر والاستغلال واصبحت قضية الشاعر جماعية وبعيدة عن الفردية .

وكان هناك السطوع الباهر لوجه جمال عبد الناصر ، ذلك القائد العربى الذى ملأ الدنيا وشغل الناس . فقد طلع هذا الانسان المخلص على امة ظلت تنتظر قدومه عدة اجيال ، ففجر فيها ، وهو يشرف بها على الامانى الجديدة فجر فيها ينابيع القوة ، فبدا عصب الحياة ينبض فيها من جديد رغماً عن كل قوى الشر المحيطة المضادة .

● القلب الممتلئ بالحب يختنق إذا لم يجد من يحب

● لا أحلى من الحب حين يلمس حتى توافه الأشياء

احببت جمال عبد الناصر كما احبه الملايين من العرب ، عشت تاميم القنال وعشت العدوان الثلاثي على مصر بكل ما أملك من عاطفة وانفعال .

فى هذه الفترة ، وبالذات بين عامى ١٩٥٦ ـ ١٩٥٧ ، كان هناك فى نـــابلس (النادى الثقافى المختلط) الذى اسسه الدكتور وليد قمحاوى مع بعض الشباب الواعي ، لكي يسد فراغا ثقافيا واجتماعيا كان يهيمن على المدينة . وبالرغم من الأصوات المعترضة المعادية التى راحت ترتفع ضد النادى المختلط ، وبالرغم من العبارات الهجومية التى كانت تكتب على جدران المدينة ذات التقاليد الصارمة ، فقد استطاع هذا النادى أن يقوم بتحقيق بعض اهدافه الهادفة ، وذلك من حيث النشاطات الفكرية والادبية والاجتماعية . واقول حقق بعض اهدافه ، ذلك ان نظام الحكم القائم يومئذ لم يلبث ان اغلق أبواب النادى بسبب نشاطه السياسي الخفي .

كنت واحدة من أعضاء النادى ، وكانت أول مرة انخرط فيها مع الجماعة . وحين شبت نار العدوان الثلاثى على مصر اصبح جو النادى يتوهج بالانفعال . كانت قلوبنا متعلقة بشعرة ، تتارجح بين الأمل والخوف من انكسار جديد .

كان قد ظهر قبل ذلك على صعيد السياسة الغربية مبدأ (ايزنهاور ـ دالاس) القائل بتعبئة الفراغ الذى تركته بريطانيا . ومنذ ذلك الوقت بدات المتـــاعب تحيق بالمناضلين .

● ●

شهر مايو فى منتصفه ، او قبله او بعده بقليل .. شمس العصر تلقى على غرفة النادى الغربية اشعة ضعيفة .. الغمائم العابرة تسرق الأشعة من جدران الغرفة بين الحين والآخر .. بعض الاعضـــاء يتبادلون الحديث .. موضوعنا ـ كالعادة ـ يتناول الظروف السياسية السيئة فى البلاد .. على المقعد المقابل الصديقة المعلمة (س) .. عيناها تبرقان فى وجهي .. شيء ما فى عينيها السوداوين يقول لى إنها قلقة وفى حالة غياب .. وفجاة أراها تقفز الى جانبى .. يدنو راسها من راسى وتلامس شفتاها خصلة الشعر على أذنى .. تهمس بغمغمة : « هل لديك مكان امين لأحد الشرفاء المطاردين ؟ اننا فى مازق والعيون تحاصر منطقتنا .. يجب أن يغادر مكانه الحالي هذه الليلة قبل ان يصطادوه » ..

ذهني يتحرك بسرعة .. يدور حوار سريع بيني وبين صمتي المبهور ـ الدار فى هذه الأيام خالية الجو .. الباقون من اسرة عمي فى الدار يعزلهم عنا خصـــــام قائم .. لا مجالس مشتركة بيننا ولا احاديث متبادلة .. العِلِّية الغربية فى طابقنا العلوى معزولة ومناسبة .. امى واختى فتايا بجانبى دائما .. اخى رحمي سيرحب بالضيف بكل تاكيد ..

وهمست فى اذنها : ـ « نعم ! » وتم الاتفاق على ساعة التنفيذ ..

فى الثامنة والنصف مساء كان ثلاثتنا فى سيارة اجـــرة ، وهى بجـــانب السائق الأمين ، وعلى المقعد الخلفى يجلس الى جانبى رجل صامت لا اعرفه ، ملتفع الراس بكوفية بيضاء يمسكها عقال اسود .

السماء معنا !

امطار غزيرة غير متوقعة تهطل في شهر يحمل معه عادة روائح الصيف .. عبرت السيارة داخل السوق القديم .. الدكاكين مقفلة .. البلدة مقفرة الا من قطة تنكمش على نفسها فى زقاق مظلم ، وهناك عابر يركض هاربا من الأمطار المباغتة ، متجنبا ما امكن مزاريب الأسطحة على الجانبين ، راسه غارقة فى كتفيه ويداه مدفونتان فى جيبي سترته .

السماء معنا !

وقفت السيارة عند باب دارنا ، ونزلنا لنرقى السلالم الكثيرة ، المستقيم منها والملتوى ، واحتوتنا غرفة الاستقبال فى الطابق الثالث ، وتم التعارف ! انه الدكتور (ع . ش) .

عاد اخى رحمي للبيت ليفاجا بالضيف العزيز ، وتلقاه بذراعين مفتوحتين .

قبع السياسي المطارد فى « العليـــة » المعزولة بستائرها المرخاة على نوافذ ها الضيقة وبابها الزجاجى .

فى الصبح الباكر توجهت الى داره لأطمئن زوجته الصابرة وبناته الصغيرات الثلاث . كانت عائلته فى قلق كبير لا تعرف من امره شيئا . وبعدها رحلت العائلة الى دمشق .

خلال فترة اقامته كنت حريصة على أن تبدو الأمور فى البيت طبيعية ، لا تثير تساؤلات أفراد أسرة عمى؛وحين كانت أمي تهيىء وجبة الطعام على « صينية » صغيرة كنت اتحين اللحظات التى تخلو فيها ساحة الدار من اهلها ، فاركض « بصينية الطعام » الى العلية . كما انني تعمدت طوال تلك الأيام المواظبة على الذهاب الى النادى ، وحضور عرض الأفلام فى دور السينما كما لو كنت غير مسكونة بالقلق وانشغال البال . وكنت قبل مغادرة الدار اقفل بالمفتاح باب السلم المؤدى الى الطابق العلوى .

كنت سعيدة بالواجب الذى اضطلعت بالقيام به ، ولكن سعادتي كان يمازجها هم خفي . كنت احس برجفة اذا ساير رجل خطواتي فى الطريق خوفا من ان يكون احد المخبرين . ولا ادعى الشجاعة اذا قلت إن خـــوفى الكـــامن لم يكـــن على نفسي . كان همي الوحيد هو الحرص على سلامة المطارد السياسي من جهة ، وسلامة اخي رحمي من جهة اخرى .

مر احد عشر يوما على القابع فى العلية المغلقة ، المسدلة الستائر ، قبل أن يتم تدبير الأمر وتسريب المطارد الى دمشق ..

● ●

اشرب قهوة الصباح على قلق وانتظار .. جرس التليفون فى غرفتى ينتزعنى من مقعدى بقفزة ملهوف .

اتناول السماعة .. دمشق !

ـ .. احكوا مع دمشق !

وتصافح اذنى كلمات زوجة الدكتـــور (ع . ش) ناعمة شامية .

ـ .. هالو .. صباح الخير .. شكرا على الهدية .. وصلت امس في احسن حال .

ـ .. الحمد لله ، لا شكر على واجب .. كيف الصغيرات ؟ سلمى ..

اعدت السماعة ..

تنفست بعمق ، واسترحت !

بقيـــة المذكرات العـــدد القـــادم

هـــــوامـــــش

(١) لم يكن هذا التفسير الا ترجيعا لصدى التفسير الذى تضمنه الكتاب الأبيض الصادر عام ١٩٢٢ وفيه توضيح للمعنى المقصود من عبارة الوطن القومي اليهودى . والتوضيح ينفى ان هذه العبارة تعني فرض الجنسية اليهودية على العرب ، او حرمان سكان البلاد عملهم . كما اعلنت بريطانيا فيه أن وعد بلفور ليس الغاية منه جعل فلسطين يهودية . فحكومة « جلالة الملك » تنظر الى هذه الآمال على انها غير قابلة للتطبيق ، وانها تفكر فى وقت من الأوقات باخضاع او محو السكان العرب او قتل لغتهم وادابهم من فلسطين .

انظر « جذور القضية الفلسطينية » ص ١١٩ د . أميل توما .

(٢) (اخى ابراهيم) سلسلة الثقافة العامة .

(٣) « جذور القضية الفلسطينية » ص ٢٥٣ ـ د . اميل توما

أخطاء لغويّة معاصرة

الدكتور عبدالله العبادي
جامعة قطر

أطلق سَراحَهُ

نسمع فى نشرة الاخبار ، ونقرأ فى الصحف والمجلات جملة « وقد اطلق العدو سراح عدد من الفدائيين الاسرى » او « إن الطيار الاسير اطلق سراحه » . وهـذا التركيب خطأ ، ذلك ان « سراح » مصدرٌ « فعله » سَرَّحَ عنه « يسرِّح » إذا أفرج عنه ، وهو يعني إطلاقه من قيده ، أو من سجنه ، فكيف يستقيم المعنى اذن « اطلق طلاقه » ؟ فالتركيب الصحيح ان يقال « سَرَّحَ العدو عدداً من الفدائيين الأسرى » بمعنى اخرجهم من السجون ، او « اطلقوا الطيار الاسير » او « أُطلِقَ عنه » بمعنى خلوا سبيله (انظر لسان العرب مادة طلق) .

ومن معاني السراح : الطلاق ، او الفراق قال تعالى (وسرحوهن سراحا جميلا) سورة الاحزاب ٤٩ ومنه سَرَّحَ الماشية إذا اطلقها .

القى خطاباً

ويقولون « القى الرئيس خطاباً رائعاً » والصواب « القى الرئيس خُطْبَةً رائعة » ذلك ان الخِطاب ، والمخاطبة : مراجعة الكلام ، وخاطبه بالكلام مخاطبة ، وخطاباً : واجهه بالكلام وهما يتخاطبان ، وجمع «الخُطبة» خُطَبٌ (انظر لسان العرب ١/٣٦١ مادة « خَطَبَ » و « خُطْبَة » بالضم هى « فُعلة » بمعنى مَفْعُولَة نحو نُسْخَة بمعنى مَنْسُوْخَة ، وغُرْفَة من ماء بمعنى مَغْرُوْفَة (انظر المصباح المنير مادة خطب) اما « الخِطْبَة » بكسر الخاء ، فهى طلب الزواج من امراة ، وهو خاطب . ومن معانى الخُطْبَة بضم الخاء مقدمة الكتاب ، وكذلك اللون الكدر المشرب بالحمرة .

الشَّبيبة :

ويقولون « وإنا لنفخر بهؤلاءِ الشَّبْيْبَة من ابناء امتنا » ويعنون بذلك الشَّباب ، او الشُّبَّان جمع « شاب » والصحيح ان الجمع – كما ذكرنا – شباب ، وشُـبَّان ، لان « الشبيبة » مصدر ، تقول شَبَّ يَشِبُّ شباباً وشَبِيْبَةً . وتاتي الشبيبة كذلك اسماً خلاف الشَّيْب ، قال المتنبى :

اتى الزمان بنوه فى شـبيبته
فسرهم واتينـاه على الهرم

ويقال للمراة : امراة « شابة » جمعها « شَوَّاب » ، وقال بعضهم يجمع على شبائب ، وقال الازهرى هو جمع « شَبَّة » مثل « ضَرَّة » و « ضَرائِر » . وكذلك يجمع « شاب » على « شَبَبَة » .وقد جاء فى لسان العرب « لما برز عتبة وشيبة ، والوليد برز لهم « شَبَبَة » من الانصار اى شُبَّان، وأحدهم شاب، ومنه حديث ابن عمر رضى الله عنهما: كنت انا وابن الزبير في « شَبَبَةٍ » معنا .

مائة :

ونسمع من بعض المذيعين والخطباء من ينطق « مِئَة » بالألف قبل الهمزة ، وفتح الميم ، معتمدين فى ذلك على رسم الكلمة بالألف « مائة » والصواب نطقها « مِئَة » بكسر الميم ، وفتح الهمزة وبدون الف ، على وزن « فِئَةٍ » والجمع « مِئَاتٌ » على وزن « فِئَاتٍ » وتجمع كذلك على « مئين » وتعرب إعراب الجمع المذكر السالم . ذلك انه لا يوجد ابداً فى اللغة العربية اسم فيه الف قبله حرف صحيح مكسور ؛ لانه يصعب النطق به ، فلذلك ترى من ينطق حالياً بالالف يفتح اولها ، مع ان الصواب كسر اولها قال تعالى (ولبثوا فى كهفهم ثلثَ مِائةٍ سنين وازدادوا تسـعا) الكهف ٢٥ . اما عن رسمها بالالف فانهم ارادوا التفرقة بينها وبين (مِنْهُ) وذلك قبل ان يامر الحجاج بن يوسف نصر بن عاصم ويحيى بن يعمر العدوانى بنقط الحروف العربية قبل توزيع القران الكريم على الامصار .

وقد راى الكوفيون بعد ذلك حذف الالف برسمها هكذا (مِئَة) نظراً لسهولة التفرقة بينها وبين (مِنهُ) بينما اصر البصريون على إبقائها . ولا تزال كذلك عند البعض فى وقتنا الحاضر . وقد اجاز المجمع اللغوى بالقاهرة كتابة (مِئَة) ومركباتها بدون الف .

قال الجوهرى : أصل (مِائة) مِئًى مثل : مِعًى ، والهاء عوض عن الياء ، وقال ابن برى اصلها « مِئًىٌ » (انظر لسان العـرب ١٥/١٦٩) .

وعند الجماعة اصلها « مِئْيَة » ساكنة العين ، فلما حذفت اللام تخفيفا جاورت العين تاء التانيث ، فانفتحت على العادة والعرف ، فقيل (مِائة) فاذا رددت اللام ، فمذهب سيبويه أن يقر العين بحالها متحركة ، وقد كانت قبل الرد مفتوحة فتقلب اللام الفا ، فيصير تقديرها : مِئا كمِعًى ، فاذا اضفت اليها ، ابدلت الالف واواً ، فقلت : مِئَوِيٌّ كمِعَوِيٍّ (انظر الخصائص لابن جنى ٢/١٠٦) .

عبد الله العبادى

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● رثاء باريس ●● أول حب

رثاء باريس

بقلم: الدكتور زكي مبارك



هذه المقالة البديعة كتبها الأديب العربى الكبير الدكتور زكى مبارك بعد سقوط باريس فى أيدى الألمان النازيين سنة ١٩٤٠ .. ورغم أن هذه المقالة الرائعة تتصل بحادث عالمى قديم إلا أنها فى كل سطر منها تكاد تنطبق على ما أصاب العرب ويصيبهم فى هذه الأيام ، وخاصة بالنسبة لمحنة لبنان وبيروت بالتحديد .

قضى الأمر وسقطت باريس بين أيدى الألمان !

فمن كان يستبعد ان تميد الجبال فليعرف اليوم ان الوجود لا يعـــرف المستحيل . ومن كان يرتاب فى « يوم القيامة » يوم « الفزع الأكبر » فليتصور الساعة التاريخية التى اعترف فيها الجيش الفرنسى بان لا فائدة من الدفاع عن باريس .

ولكن اى جيش ؟

هو جيش صام عن النوم والطعام سبعة ايام الى ان لم يبق من قواه غير اشلاء ، وكان مع ذلك يحب ان يقاتل الى ان يبيد وهو يذود عن باريس ، ولكنه خاف على ذخائرها الغالية فقرر انها « مدينـــة مفتوحة » ومضى يقاتل قتال اليائس المستميت فى مواضع لاقلاع فيهـــا ولا حصون .

إذا حقت المخاوف وسقطت باريس ، باريس صاحبة الحق على جميع الشعوب بفضل ما علمت الناس اصول الثورة على الظلم والاضطهاد .

فان قال قائل إن باريس هى عاصـــمة فرنسا الاستعمارية ، فليذكر انه لم يثر ثائر على الاستعمار فى مشرق او فى مغرب إلا وفى روحه جذوة من النار التى اوقدتها باريس للغضب على استعباد الشعوب .

اقول هذا وقد لامنى صديق على التوجع لمصير فرنسا فى مقال نشرته بجريدة الأهرام منذ اسابيع ، وكانت حجته ان فرنسا صنعت فى الشرق ما صنعت ، وانه لا يجوز الحزن على امة تحملها القوة على ان تبنى وتستطيل .

وهل كنت اجهـــل عيـــوب الامم الاستعمارية حتى يدلنى عليهـــا ذلك الصديق ؟

ان الاسد هو الصورة الفظيعة للبطش والفتك والافتراس ، ولكن هل يشمت الحر بالاسد حين يراه فى مدارج الضــيم والاستذلال ؟

ذلك حالى فى التوجع لفرنسا الجريحة ، وقد حاربتها بقلمى مرات حتى صح لوزير الخارجية الفرنسية ان يعارض فى منحى وسام الاكاديمى سنة ١٩٣١ وهو سر لم اذعه قبل اليوم ، وما اذيعه الآن إلا ليعرف الصديق المتعتب انى لا اهتم بغير المعانى وقد منحت ذلك الوسام بعد تلك الجفوة فى سنة ١٩٣٦ فلم أر فيه إلا تحية لرجل

رثاء باريس

يصادق فرنسا صداقة علمية لا سياسية .

ومن كان فى مثل وطنيتى فهو فوق الشبهات والظنون ، والصدق فى الوطنية من اشرف الارزاق .

إن الضعيف هو الذى يشمت بالقوى حين تزل قدماه ، فليعرف ذلك من يحس الشماتة بمدينة النور ، على عهودها الزواهر اطيب التحيات !

وهل املك إخفاء حسراتى على ما صارت إليه باريس ؟

وهل يستطيع اديب المانى ان يخفى لوعته على مصير تلك المدينة وهو عدو حتى يستطيع اديب مصرى ان يخفى لوعته وهو صديق ؟

حدثتنا البرقيات ان الجنود الألمان طافوا بشوارع باريس وهى خالية ، فاى اديب لا يتفطر قلبه حزنا حين يسمع ان شوارع باريس عرفت الهدوء لحظة من زمان ؟

هى لفتة من لفتات الدهر الغادر الذى يرى كسوف الشمس وخسوف القمر ضرباً من ضروب المزاح .

وهى وثبة من وثبات القدر الذى يزلزل الوجود حين يشاء .

فمن كانت عنده بقية من الصبر على مكاره الأيام فليتفضل علىبكلمة عزاء لاتناسى اصدقائى فى باريس ، اصدقاء العهد الجميل يوم كنت طالباً فى السوربون. السوربون التى صارت اليوم قفراً يباباً لا يطوف باركانه غير الشامتين من غلف القلوب .

باسم القوة غزيت باريس ، وذلك جزاء وفاق ، فليس فى باريس مكان إلا وهو ندي الثرى بالدماء المسفوكة فى سبيل الحرية ، والحرية من اسماء القوة ، والرجل الحر لا يرضى الموت بغير السـيف ، وكذلك تستشهد باريس . فان استطاع الألمان ان يخمدوا اللهب الذى يتوقد فـوق قـبر « الجندى المجهول » تحت « قوس النصر » فسيذكرون بعد حين ان تلك الجذوة ستنقلب إلى سعير يفتك بمجامع الاضغان، ويرد الدنيا إلى عهدها القديم يوم كانت دار علوم وآداب وفنون ، كما كانت لعهد باريس قبل أن يحولها الغزو إلى أشباح لا تملك الجواب بغير الصمت البليغ !

ان لبست باريس أثواب الحداد فى سنة ١٩٤٠ فقد البست برلين اثواب الحداد فى سنة ١٩١٨ . والحروب قصاص ، وكمـا يدين الفتى يدان . وهنيئاً ان يحمل السيف فينتصر فى وقائع وينهزم فى وقائع ، فما الحياة الحق الا عراك ونضال وقتال .

ومن ظن ممن يلاقى الحـروب
بان لا يصـاب فقد ظن عجزا

وهل كفت باريس عن الدعوة الى الحرب حتى تنكر عواقب الحرب ؟

فى باريس مئات من التماثيل لعظماء الرجال الذين كافحوا فى مختلف الميادين ، وفى كل خطوة يخطوها زوار باريس اثر ينطق بان مدينة النور لا تعرف الحياة فى غير الصراع والصيال ، فمـا جزعك يا باريس وانت صيرت الحرب من شرائع الوجود ؟

ان قوة الألمان فيض من قوتك يا باريس ، فانت غرست الحقد فى صدورهم ، وانت قهرتهم على ان يتربصوا بك الدوائر عشرين سنة ليلقوك بافئدة موتورة لا يشفى غليلها غير الولوغ فى دماء الرجال .

فبفضلك استطال الألمان يا باريس ولولا خشيتهم مما تملكين من عظمة وجبروت لما وصلوا فى التسلح الى الحد الذى يسمح بان يقهروك على إلقاء المقاليد .

وانهزامك يا باريس سيكون درساً لأبناء الجيل الجديد ، وبه يعرفون ان لا قيمـة للاعتماد على التاريخ ، وان لا قيمة للتمدح بالفضائل الانسانية ، فما زال ابناء حواء يخضعون لفطرتهم القديمة يوم كانوا من جيوش الغريزة قبل ان يصيروا من رجال الوجدان .

الم اشهد العجائب فى الأعوام التى قضيتها فى السوربون ؟

كان شبان فرنسا فى ذلك العهد يرون الحرب من بقايا الوحشية ، ويتواصون بان يكونوا انصاراً للسلام مهما تغلبت الظروف ثم سمعت بعد ان فارقت باريس ان اقطاب فرنسا يختلفون حول فكرة التسلح وان فيهم من يرى أن ترصد جميع اموال الدولة للمنشآت العمرانية والمدنية .

وذلك ذنبك يا باريس ، فانت وثقت باعتدال الموازين قبل ان تستعد فطرة الانسان الحيوانية للترحيب باعتدال الموازين .

ولو كانت باريس غير باريس لعرف اهلها فى الدنيا خلائق تعيش بغرائز موروثة عن العهود التى سبقت التاريخ .

ان الورد يعتصم بالشوك ، فكيف فات باريس ان تعتصم بالسلاح ؟

تلك هفوة سيكفر عنها ابناء الجيل الجديد فى باريس يوم تنجلي الغمة بعد ان تضع الحرب أوزارها الثقال .

ولكن متى ؟

ان انتظار السلام قد يطول !

• •

فى اى المحامد والمحاسن والمناقب يفكر الرجل حين يجزع لبلواك يا باريس ؟

ايذكر ان مطابعك كانت تخرج نحو سبعين كتابا فى اليوم الواحد ؟

ايذكر ان مكاتبك مرجع لجميع ما ابدعت العقول الانسانية فى القديم والحديث ؟

ايذكر انك صورة الانسانية ، الصورة المجسمة التى تمثل ما تملك الانسانية من آراء واهواء ، وحقائق واباطيل ؟

ايذكر انك ارحب ميدان للصراع بين الحلم والجهل والشك واليقين ؟

ايذكر ان معاهدك العلمية والأدبية والفنية كانت النبراس لأهل العقول والأفكار والأذواق فى اكثر بقاع الأرض ، وان برلين نفسها لم تنج من الافتتان بسحرك القهار ؟

ايذكر ان النشوة الروحية لا تقع إلا لمن يفتح عينيه على نورك الوهاج اول مرة ؟

وما اسعد من يراك يا باريس اول مرة قبل ان يألف مناظر الفردوس ! وهل تحق السلوة لمن يطول عهده بجمالك الفتان ؟

قد ينسي الناس محامدك يا باريس ، إلا محمدة واحدة ستبقى فى ذاكرة الخلود .

فاعداؤك يا باريس لم يكونوا يجدون الأمن والعافية إلا فى ربوعك الضواحك ، وما استطاعت المطابع فى اى ارض ان تذيع الطعن فى فرنسا كما استطاعت مطابع باريس ؟ وما شتمت فرنسا فى اى بلد كما شتمت في باريس !

لم تكن باريس وطناً خالصاً للفرنسيين ، وإنما كانت أوطاناً لطوائف من المفكرين والثائرين يفدون اليها من كل فج ويطعنون أهلها ان أرادوا بلا رقيب ولا حسيب .

كانت باريس هى الملعب الذى تراض فيه عضلات الافكار على المرونة والعنف .

كانت باريس حرباً على اهلها بفضل تلك الحرية ، ولكنها كانت تشعر بالابوة الرحيمة لكل من يلجا إليها ، ولو كان من دعاة الهدم والتخريب .

كانت باريس تعرف ان نشر المعاد من الأفكار الموروثة لا يحتاج إلى حماية ، ففى مقدور كل مخلوق ان يذيع الآراء التقليدية حيث شاء ، وكذلك رات باريس ان تكون حامية الفكر المحرر من جميع القيود ، وفى رحابها ترعرعت المبادىء الجوامح التى صارت عدة اعدائها من الروس والالمان والطليان .

فكيف صرت اليوم يا باريس ؟ وكيف تصيرين بعد اليوم ؟

انا اعرف ان جراحك لن تندمل فى يوم او يومين ، واللحظة الواحدة من الام الاحرار تقدر باعوام طوال ، فماذا تنوين وقد قهرك بغي الأعداء على اعتناق مبدا الحقد الاسود ؟

فى رحابك اليوم شيوخ واطفـــال لا يفتحون عيونهم إلا على ظلمات من فوقها ظلمات ، فهل تختفى البشاشة الروحيـة والوجدانية من ادبك الرفيع ؟ وهل يحل النفاق محل الصراحة بعد ان دفعت الاثمان الغالية فى عقوبة الترحيب بالراى الصريح ؟

وهل تصيرين مثل موسكو وروما وبرلين فى خضوع الأفكار والمذاهب للسلطة العسكرية ؟

انا لا اخاف ان تموت باريس ، وإنما اخاف على باريس عادية الجمود .

ان ابناء باريس حاولوا تخريبها مرات كثيرة بسبب العداوات الحزبية ، ولم يفلحوا ، فكيف يفلح فى تخريبها الأعداء ؟ وهل خلقت باريس للموت ، وهى اسطع جذوات الخلود ؟

احب ان اعرف مصير الحرية الفكرية فى هذا الوجود الموبوء بانفاس المرائين والمخادعين ؟

لم اتفجع على باريس لقرابة او جوار ، وإنما اتفجع على باريس لما بيننا وبينها من انساب علمية وروحية ، فاليها يرجع الفضل فى تخريج من عرفنا من كبار الادباء والزعماء ، وتلك وشائج لا ينساها إلا من ابتلاه الله برذيلة الجحود .

سيعض قوم بنان الندم على الشماتة بمدينة النور ، يوم يعرفون أن لم يبق فى الدنيا مكان تذاع فيه آراء الاحرار بلا تهيب ولا اشفاق بعد خمود باريس .

لابد للفكر من مدينة فى مثل صراحة باريس وسماحة باريس ، فالى اين يذهب الفكر وقد ضرب الحرج على باريس ؟

إن الفكر هو اثمن ما غنمت الانسانية ، وبفضل الفكر الحر عرف الانسان قيمة الوجود .

لابد للعالم المفكر من باريس ولو رفعت فوق ذراها راية الصليب المعقوف !

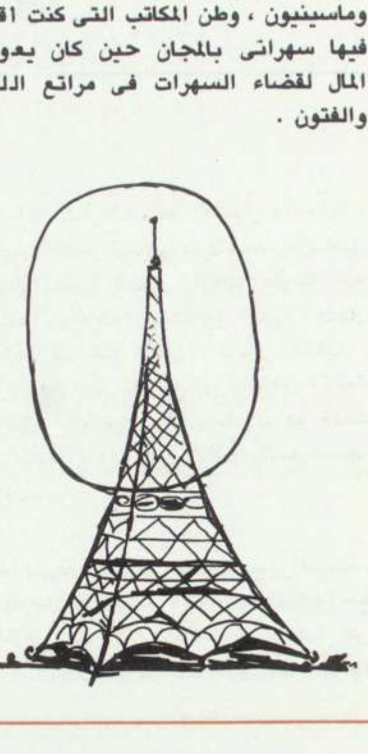
وهل اطفئت انوار بغداد الفكرية بعد ان غلبها التتار المجرمون ؟ .

وهل استطاع الذين حاربوا القاهرة مئات السنين ان يحجبوا انوارها عن الشرق ؟

المدن الفكرية لا تموت ، وكيف يموت الفكر وهو اطول عمراً من الزمان ؟

• •

اما بعد ، فهذه كلمة فاض بها قلب يتوجع لاحزان باريس ، وطن اساتذتى الأماجد من امثال مورنيه وتونلا وشامار وميشو وديبويه ومرسيه وديمومبين ولالاند وماسينيون ، وطن المكاتب التى كنت اقضى فيها سهراتى بالمجان حين كان يعوزنى المال لقضاء السهرات فى مراتع اللهـو والفتون .



هذه كلمة فى التفجع لمصير المدينة التى قضيت فيها اطيب الاعوام من شبابى المدينة التى اوحت الى قلمى كتاب «ذكريات باريس» .

فان ترجـع الأيام بعد الذى مضى
بدى الأثل صيفاً مثل صيفى ومربعى
شددت باعناق النوى بعد هـذه
مرائر ان جاذبتهـــا لم تقطـع

وسنلتقى يا باريس ولو بعد حين وقد طب الزمان لجراحك الداميات !

كيف الحال فى بوليش يا باريس ؟
وكيف الحال فى الشانزليزيه ؟
وكيف الحال فى فرساي وقد قيل فيــه ما قيل ؟

وكيف الحال فى دار المكتبة الأهلية ؟
وكيف حال السامرين على شواطىء السين ، ان بقي للسمر مجال على شواطىء السين ؟
وكيف حال اللاهين واللاعبين بين القصر الكبير والقصر الصغير فى الطريق الى ميدان الانقليد ؟
واين مواعيد الصبابة والوجد فى ساحاتك الفيحاء ؟

واين استقبال الغاديات والرائحات فى الضحى والأصيل حول مخازن السماريتين؟
واين صبح الأحد فى متحف اللوفر وعصر الأحد فى حديقة النبات ؟

واين الصـــوت !
ليرجع العشاق الى مخادعهم بعد العبث بازهار البساتين ؟
واين ؟ واين ؟ واين ؟
هى دنيا تذوقين من باسائها بعض ماذقت بعد فراقك الأليم .

فيا مرجع روحى بعد القاهرة وبغداد وسنتريس ، ويا صاحبة الفضل على اكثر ما نظمت من قصائد وما نشرت من مؤلفات ، ويا وطن الجنرال بوتال الذى كانت داره ملاذ عزيمتى ، ويا وطن الكوليج دى فرانس ومدرسة اللغات الشرقية والسوربون ، ويا وطن الصديق الحميم دى كومنين اقدم إليك اصدق التحيات وانا واثق بنصيبك الأعظم من الخلود .

زكى مبارك – ١٩٤٠

أول حب

بقلم: حسين شوقي

حسين شوقى هو ابن امير الشعراء احمد شوقى ، وقد عاش فى أسبانيا مع والده العظيم حين نفاه الانجليز بعد بداية الحرب العالمية الأولى من مصر ، وبقي هناك خمس سنوات (١٩١٥ ـ ١٩١٩) ، وحسين شوقى شاعر رقيق وكاتب فنان ، وإن كان اسمه قد عاش فى الظل بسبب الهالة الكبيرة التى تحيط باسم والده ، وفى هذه الصورة التى يرسمها حسين شوقى عن حياته العاطفية فى صباه ، وفى المنفى الأسباني ، لمحة جميلة من فنه الرقيق .

كان اول حب لي فى سنة ١٩١٨ اثناء المنفى فى اسبانيا .. كنا نقضي صيف ذلك العام بغرناطة فى الغابة الجميلة التى تحيط بقصر الحمراء الشاهق ، حيث كانت ثريا حظية الملك ابن الاحمر المنعمة المدللة تمرح بين النرجس والياسنت . وكنا نقيم فى فندق شيد فى الغابة نفسها حيث يستطيع الزائر ان ينعم بالراحة والسكون مع بقائه بالقرب من ذلك القصر العربى المجيد ، وكانت هذه الغابة التى غرست فوق رابية ، تطل على مدينة غرناطة بمنظرها الرائع وضواحيها الفاتنة .. وكنا فى اوائل فصل الصيف ، فلم يحضر إلا القليل من السياح ، فلم يكن بالفندق غير اسرة احد كبار الضباط الأسبان واسرتنا ، فما لبثت الأسرتان ان تعارفتا بعدزمن قليل .. كان اهلى يقضون اوقات طويلة مع الضابط وزوجه يتحدثون عن جمال الطبيعة فى هذا المكان : سكون الغابة ، صفاء المياه التى تترقرق فى الجداول الآتية من جبل « الشيرا » الذى يشرف هو كذلك على الحمراء وقد جلل الثلج راسه صيف شتاء ..

اما ابى فقد وجد فى الضابط سميراً انيساً ، لان الرجل كان برغم تربيته الحربية واسع الاطلاع على الأدب والتاريخ .. كما كان يشارك والدى فى توجعه على تلك المدنية العربية الاندلسية العظيمة التى اضاءت العالم الغربى حقبة من الزمن ، حين كان يتخبط فى دياجير الجهل والهمجية ، ثم مالبثت ان اختفت فجاة فى فوضي الوجود .

وكان هذا الضابط اسمر البشرة الى حد يلفت النظر ، وقد قال له ابى مرة إنه لابد ان يكون من اصل عربى ، فامن الضابط على قوله ذاكراً فى شيء من الزهو انه عربى من بنى امية الأمجاد كما تثبت ذلك شجرة نسب اسرته ، إذ كان من النبلاء ..

اما انا ، وكان عمرى إذ ذاك ثلاثة عشر عاماً ، فما كنت احفل ببني امية ولا بغيرهم بل كنت اقضى الوقت فى الغابة ابحث عن فراشة جميلة اضمها الى مجموعتى .



احمد شوقى اثناء منفاه فى اسبانيا (١٩١٥ ـ ١٩١٩) مع ولديه حسين شوقى (على يساره) وعلى شوقى (على يمينه)

كانت تعاوننى فى مهمتى هذه بنت الضابط الصغرى ، اذ كان له بنتان : إحداهما فى العاشرة وكانت مع الاسف دميمة ، ومع ذلك كنت اصطحبها فى جولاتى خلال الغابة لافتقارى إلى رفيق .. اما اختها الكبرى فكانت فى مقتبل العمر ، وهى آية فى الحسن ، ببضاضتها ولونها الخمرى ، وعينيها السوداوين الصغيرتين الحادتين ، ووجهها الذى يبسم دائماً كانه ايام الربيع ..

وكانت هذه الفتاة الرشيقة التى تسمى خوانا ، وكان اهلها يدعونها خوانيتـــا (تصغير خوانا) ـ تدليلا ومحبة ـ تتكرم احياناً بمصاحبتنا فى رحلاتنا .. عندئذ كنت احس بسعادة عظيمة تغمر قلبى ووجدانى ، لابد انى كنت احب خوانيتا حباً جماً إذ ذاك ، فقد فقدت يوماً شالها الحريرى الصغير الذى كانت تلف به عنقها فى احدى هذه الرحلات ، فاخذنا نبحث عنه ـ نحن الثلاثة ـ حتى عثرت عليه انا معلقاً على جذع شجرة ، ولكنى بدلا من ارده اليها الفيت نفسى اقبله ، ثم وضعته خلسة فى جيبى لاحتفظ به . كم كان طيباً عبيق هذا الشال ! وكيف لا يكون وقد احاط بجيد محبوبتى خوانيتا ، وتنسم عبيق غدائرها الساحرة ؟ وكنت فى الليل حينما أرجع الى مخدعى وتتراءى لى صورة خوانيتا فتطرد عنى النوم اضم الى صدرى هذا الشال فيهدىء وجوده اعصابى ويجلب الى النوم والراحة .

أردت مرة أن اقدم اليها هدية مدفوعاً فى ذلك بحب الصبا الجنونى ، ولكن ما الذى كنت استطيع ان اقدمه اليها ونفقة جيبى ضئيلة لا تزيد فى الشهر على ثلاثين فرنكاً اسبانياً ؟ عندئذ قمت بهذه التضحية : اعطيتها مجموعة الفراش التى عانيت المشاق فى جمعها !

اما خوانيتا فلم تكن مع الأسف تشاركنى هذا الحب .. كم كنت احمق حين ظننت ان فتاة كخوانيتا فى العشرين من عمرها تبادل صبياً فى مثل سني الحب ؟ على ان خوانيتا كانت تجد تسلية كبيرة فى التظاهر بحبى ، فتلعب معى ادوراً مؤلمة .. فمن ذلك انها كانت تحتفظ بيدى فى يدها ـ اثناء الرحلات ـ فكنت اذا ما عدت الى الفندق لا اغسل تلك اليد طول النهار ، حتى احتفظ برائحة خوانيتا فيها ، كما كنت اشمها واقبلها خلسة من وقت الى اخر ..

وكانت خوانيتا ترسل الى احياناً بعض تلك النظرات التى لا يقوى على مواجهتها قديسو اسبانيا جميعاً ! وصار اهلها الذين علموا هذه الخديعة منها ينظرون الى بعين ملؤها العطف ، بل كانوا يضطرونها احياناً الى مرافقتى فى الغابة مع اختها ..

وا اسفاه ! لم اعرف الكوميديا التى كانت تلعبها خوانيتا إلا قبل رحيلنا من غرناطة بايام قليلة ! ايها القدر القاسى لماذا لم تترك لصبى مثلى لـذته الموهومـــة وسعادته المزعومة ؟ لماذا لم نرحل قبـــل اطلاعى على الحقيقة المرة ؟ واليك كيف عرفت الخديعة :

كان احد باعة الحلوى المتجولين يمر امام الفندق من حين الى حين .. فنزلت ذات يوم اشترى منه شيئاً من الشكولاتة لخوانيتا واختها ، كما كنت افعل مراراً ، فلما عدت الى الفندق وصعدت الى الحجرة التى كانت تجلس فيها الشقيقتان ، وجدت بابها مفتوحاً وسمعت خوانيتا تضحك مع شاب غريب (هو ابن عمها كما علمت ذلك فيما بعد) وإذا بها تخبره بقصتى بصوت جهير ولهجة ساخرة ، وتذكر له كيف كانت تلعب بعواطفى .. عندئذ سقطت الشكولاته من يدى المضطربة ، واحسست نفسى تذوب كما يذوب تمثال من الثلج تحت اشعة الشمس الحادة !

كرمة ابن هانى

حسين شوقى ـــ ١٩٣٤



تقديم : لبنى الريدي

أول جراحة في قلب جنين

اجرى فريق من الجراحين الفرنسيين اول عملية فى قلب جنين داخل رحم امه . الا ان هذه الجراحة الجريئة اجريت حتى الآن للخراف فقط .

ففى احد معامل الجراحة التجريبية فى باريس يتمتع عشرات الحملان محل التجربة بصحة جيدة . وكان الاطباء قد تمكنوا من قبل من التدخل جراحيا لعلاج بعض انواع التشوهات فى الاجنة الآدمية مثل الاستسقاء فى الدماغ وتعطل عمل الجهاز البولى . وكان نجاح هذه العمليات الدقيقة دافعا للاطباء لتحقيق خطوة اكثر طموحا وهى معالجة تشوهات الجنين قبل ولادته .

وفى سبيل جعل هذا الحلم حقيقة قرر فريق الجراحة الفرنسى احداث تشوهات قلبية بسيطة على اجنة الخراف ثم محاولة اصلاحها بعد ذلك . وقاموا بالفعل بتضييق الشريان الرئوى بوضع رباط حوله وذلك خلال الثلث الثانى من حياة الجنين ، ففتحوا رحم الأم وصدر الجنين ثم اعادوا كل شيء على ما كان عليه ، وبعد شهر ونصف من هذه الجراحة تم فتح الرحم مرة اخرى وصدر الجنين وذلك قبل الولادة بايام قليلة ، فازالوا الرباط ، واعادوا للشريان حجمه الطبيعي بجراحة دقيقة .

وبعد ايام تمت الولادة بشكل طبيعى ، ولا يحمل الحمل الوليد اى آثار للتشوه وبذلك امكن تفادى خلل خطير لعضلة القلب غير قابل للعلاج وفى اغلب الاحيان يودي بحياة الأجنة .

وتتميز الجراحة فى رحم الأم عنها بعد الولادة بان الجنين يستفيد من تدفق الدم طبيعيا الى جسمه من خلال دم امه وهى بمثابة دورة دموية طبيعية وان كانت خارج جسم الجنين فى حين يتعين بعد الولادة توصيله بجهاز لضخ الدم اثناء اجراء جراحة فتح القلب .

ويعتقد الاطباء ان نجاح هذه العملية على الحيوان يعطى املا فى امكانية نجاحها على الانسان قريبا .





لقطتان : الاولى لفتح صدر الجنين ، ثم الأم ووليدها فى صحة جيدة بعد الجراحة

البالون الجراحي

بفضل هذا البالون المعقم يستطيع الجراح العمل خارج غرفة العمليات . وتم تصميم هذا البالون الجراحى على نفس الأساس العلمى المستخدم فى صنع البالون الواقى للمواليد المصابين بخلل خطير فى جهاز المناعة ولا يستطيعون العيش الا فى جو معقم .

ويتصل بالبالون نظام من الصناديق المعقمة لادخال كل المعدات والمواد التى يحتاجها الجراح اثناء العملية . وبفضل القفازات المعقمة المتضمنة فى البالون يعمل الجراح بحرية تامة . واذا تمزق القفاز فلا خطر من تلوث هواء البالون لأن الضغط داخله مكيف بحيث يخرج منه الهواء ولا يدخل اليه .

ويعلق البالون على منصة خاصة بحيث يتم انزاله دون لمسه ليلتصق على جلد المريض فى المنطقة التى ستجرى فيها العملية .. وتكون هذه المنطقة قد سبق تعقيمها ، ثم ينفخ البالون بواسطة جهاز لضخ هواء معقم ، ولا يبقى امام الطبيب سوى ادخال يديه فى القفاز ليقوم بالجراحة بشكل تقليدى تماما . ويستطيع الطبيب - اذا اراد - اجراء العملية بملابسه العادية ، لأنه لا يوجد اتصال مباشر مع الجرح .

ويتمتع هذا البالون بمزايا عديدة : فهو يتيح اجراء العمليات الجراحية فى اماكن غير مجهزة ، اى خارج نطاق المستشفيات ومن المتوقع ان يحقق استخدامه نتائج افضل فى عمليات زرع الأعضاء اذ يستطيع الجراح استئصال العضو من المتبرع ونقله الى المريض دون ان يتعرض لأى تلوث خارجي . كما يتميز هذا البالون بنسبة تلوث منخفضة اثناء الجراحة اقل من ١٪ .

إلا انه لا يمكن اجراء عمليتين متتاليتين تحت نفس البالون لأنه يتعين تنظيفه وتعقيمه اثر كل عملية .. ويستغرق ذلك ساعة ونصف .

ومن فكرة البالون الجراحى تولدت فكرة البالون الضمادة الذى سيحل محل الضمادة التقليدية بعد العمليات الجراحية . فهو يساعد على التئام الجرح بسرعة ، تصل فى بعض الاحيان الى نصف الوقت ، كما يسمح بمراقبة حالة الجرح فى اية لحظة ، ولقد تم استخدامه بنجاح فى حالات الحروق الخطيرة التى تتطلب عمليات زرع لطبقات من البشرة . ومن المتوقع استخدامه عقب كل العمليات الجراحية .



الجراحة تحت البالون المعقم

الســـاعـــة - الكـمـبـيـوتـــر



الكمبيوتر الساعة ولوحة المفاتيح التى تستخدم لادخال المعلومات فقط

بعد ابتكار الساعة الراديو والساعة التلفزيون جاء دور الساعة الكمبيوتر ، وهو ابتكار ياباني بالطبع . وتستطيع هذه الساعة القيام بوظائف متعددة ، فيمكنها اختزان الفي حرف او رقم في ذاكرتها في حين يتسع زجاجها الذي يقوم بدور شاشة الكمبيوتر لأربعة سطور حجم كل منها عشرة حروف ، كما يمكن رسم رسوم بيانية عليها .

وتقوم هذه الساعة بمعالجة النصوص واخراج المعلومات والبيانات مطبوعة ، كما تستطيع الاتصال باجهزة كمبيوتر اخرى بالاضافة طبعا الى تحديد الوقت .

الا أن الساعة نفسها والتي تبدو كساعة عادية لا تقوم إلا بجزء من هذه المهام ، فبتوصيلها بلوحة مفاتيح فى حجم دفتر الشيكات يتم ادخال المعلومات الى ذاكرتها . وتستخدم الشركة اليابانية طريقة مبتكرة لنقل البيانات من لوحة المفاتيح الى ذاكرة الساعة ، تعتمـــد على الحث الكهرومغناطيسي . كما يمكن توصيل الساعة بجهاز صغير يضم طباعة حرارية تطبع سطوراً عرضها عشرين حرفاً . ولكن الساعة العجيبة ليست متوفرة حالياً الا فى اليابان .

الكتابـة بأطـراف الأصابـــع

يقدم اليابانيون آلة حاسبة من نوع جديد فهي لا تضم ازراراً للحروف او الارقام أو الرموز الرياضية المختلفة كما فى جميع الآلات الحاسبة التي نعرفها ، ولكنهـــا تستطيع التعرف على الرموز التي يخطها المستخدم على شاشتها باحد اطراف اصابعه .

ويجعل هذا النظام الالكترونى المتطور للتعرف على رسم الأصابع ، استخدام الآلات الحاسبة اسهل واسرع فلا حاجة للبحث عن الحرف او الرقم لضربه . كما يساهم هذا النظام فى تصغير حجم الآلة الحاسبة التى يبلغ طولها خمس بوصات وعرضها بوصتين ونصف ، أما سمكها فلا يزيد عن ٤ر٠ من البوصة .

وهى تقوم بعدة وظائف بالاضافة الى العمليات الحسابية ،اذ تستطيع اختزان خمسين اسماً ورقم هاتف ، كما تعمل ابجدة اوتوماتيكية لهذا الدليل الالكترونى بحيث يستطيع المستخدم الحصول على المعلومة المطلوبة بكتابة اسم الشخص على الشاشة أو طلب الأسماء كلها التى تبدأ بحرف معين . وتختزن ذاكرة هذه الآلة الحاسبة جـــداول للمواعيد وجـــداول اعمـــال لاسترجاعها حين الحاجة اليها .



الطفلة ترسم باصابعها على اللوحة الالكترونية لتظهر الرسوم على شاشة الكمبيوتر

وتتعرف هذه الآلة الذكية على الأرقام والحروف والرموز بمقارنة الشكل الذى يرسمه المستخدم باطراف اصابعه بالاشكال المختزنة فى ذاكرتها. ومن ناحية اخرى ابتكرت احدى شركات الكمبيوتر جهازاً مزوداً بلوحة ملساء يكتب عليها بالاصابع أو بقلم الكترونى لتظهر على الفور الحروف على الشاشة . كما يمكنك - مثل هذه الطفلة التى تبدو فى الصورة - رسم كل ما يحلو لك ، فهى لوحة الكترونية .

وفى الطريق الى المستهلك كمبيوتر اكثر تطوراً اذ تعمل شاشته عمل اللوحة الالكترونية بحيث يمكن الكتابة بالاصابع على الشاشة مباشرة .

سينما

بقلم رءوف توفيق



سعاد حسنى التى شاركت المخرجين الشبان فى عدد كبير من افلامهم، وتعلمت منهم كيف تختار افلامها بعناية، وتناقش كل تفاصيل العمل حتى تعيش فى الشخصية المرسومة لها فى الفيلم

٢٥ عامًا على إنشاء معهد السينما بالقاهرة

النكتة التي أصبحت حقيقة في السينما المصريّة

هل السينما حرفة من الممكن التقاطها مع الوقت والتدريب .. ام انها علم له اصوله وقواعده ؟

واذا كان من المتفق عليه تماماً ان فنان السينما الحقيقى ، لابد ان يكون موهوباً وعاشقاً مخلصاً لهذا الفن .. فهل نستطيع ان نقول ، ان الموهبة تستغنى عن العلم . ؟

وهل من المنطقى فى عصر يحركه العلم ، ويدفعه الى آفاق جديدة ، ان يظل فن السينما معتمداً على الاجتهادات الشخصية ؟!



نور الشريف فى لقطة من فيلم « آخر الرجال المحترمين » .. الفيلم من اخراج سمير سيف احد ابناء معهد السينما ، وهو من بين الذين لمعوا فى السنوات الاخيرة

اسئلة قديمة .. طرحت كثيراً .. وتباينت الاجابات عليها .. تذكرنا بالجو النفسى الذى استقبل منذ ربع قرن مفاجاة الفنان الدكتور ثروت عكاشة عندما كان وزيراً للثقافة فى الحكومة المصرية ، واصدر قرارات بانشاء عدد من المعاهد الفنية ، من بينها المعهد العالى للسينما ..

يومها .. وما بين الدهشة والسخرية .. انطلق عدد من « عتاولة » السينما المصرية وصغارها .. يطلقون ضحكاتهم المستهزئة بهذا الحدث .. ولا يكفون عن التشنيع بالمعهد الذى سيخرج فنانين « بشهادة حكومية » !!

وحتى عندما بدأ هؤلاء الخريجون فى العمل ، لا حقتهم التشنيعات الساخرة ، والتى تتصيد كل اخطائهم ، ليبرهنوا ان السينما لا تصنعها المناهج والمحاضرات ، بل ان هذه المناهج هى التى افسدت عقول هؤلاء الشبان الحالمين ، فتصوروا انهم عباقرة ينافسون مخرجى اوربا وامريكا ، فانصرف عنهم الجمهور وسقطت افلامهم !

ومضت الأعوام

والآن .. وبعد تجارب النجاح والفشل .. والاكتشافات المثيرة والقاسية فى عالم السينما والجمهور ، نجد انفسنا امام حقيقة لا تقبل الجدل .. إن اكثر من ثلاثة أرباع الذين تقوم عليهم صناعة السينما فى مصر تخرجوا من المعهد العالى للسينما بالقاهرة .. مخرجون وكتاب سيناريو ومصورون ومنتجون ، وفنانو ديكور ومونتاج وصوت .



احمد زكى ونبيلة عبيد ، فى احدث افلام المخرج عاطف الطيب « التخشيبة » الذى يؤكد موهبته بعد نجاح فيلم « سواق الاتوبيس »

سينما

النكتة التي أصبحت حقيقة في السينما المصرية

ولا يمكن إنكار ان عدداً كبيراً من الذين يقوم عليهم فن السينما والتليفزيون فى بعض البلاد العربية ، من خريجى المعهد العالى للسينما فى القاهرة .

ومعنى هذا .. ان ذلك المعهد الذى يحتفل هذ العام بمرور ٢٥ عاما على انشائه ، فانه يحتفل بانتصار العلم والدراسة .. يحتفل باستمراره وصموده رغم كل العقبات !

ذكريات أول عميد للمعهد

واغرب العقبات .. كانت عقبـــات البداية ..

وافضل من يحدثنا عن هذه الفترة ، فنان السينما المصرية الخالد المخرج محمد كريم الذى اختير ليكون اول عميد لمعهد السينما .. وايضا ليقوم باعداد هذا المعهد لاستقبال الطلبة ووضع برامج التدريس وفروعها .. وكانت تجربة بالغة الاثارة .. خصوصـاً عندما نقرؤها الآن .. بعد رحيل محمد كريم .. وبعد ان اصبح معهد السينما هو المعهد الوحيد من نوعه فى الشرق الأوسط .

التجربة فى صفحات كتاب « مذكرات محمد كريم » التى سجلها عنه واعدها للنشر الكاتب الصحفى محمود على وصدرت فى جزئين عام ١٩٧٢ ..

يحكى المخرج محمد كريم فى مذكراته ، انه فى صباح يوم ٢ فبراير ١٩٥٩ استدعى لمقابلة الوزير ثروت عكاشة الذى ابلغـه بترشيحه عميداً لمعهد السينما .. ويقول محمد كريم : « دهشت جداً لهذا الترشيح .. ودهشت جـداً ان اكون انا المخـرج السينمائى « ناظر مدرسة » .. فانا لا اصلح الا ان اكون مخرجاً سينمائيا ولا شىء غير ذلك .. ورفضت هذا المنصب .. وفى هذا الجو المضطرب وفى حالة العصبية التى كنت فيها .. لمحت ابتسامة الوزير ثروت عكاشة وترحيبه وكلماته الرقيقة .. كما يلمح الانسان الصورة المهزوزة .. اخذ الوزير يشجعنى ويذكرنى بواجبى نحو الجيل الجديد ، وانه لا يليق بنا ان نبحث من الخارج عن عميد لمعهد السينما ، وعندنا خير من يقوم بهذا العمل .. واستمر الوزير فى بيانه البليغ حتى خجلت من نفسى لتكرار الاعتذار والعرق يتصبب من جبينى .. ولم يسعنى الا القبول .. !

وتسلم محمد كريم خطاب التعيين فى « فبراير ١٩٥٩ » ، اى قبل تجهيز المعهد وافتتاحه بثمانية اشهر .. كان عليه فى تلك الفترة ان يضع هيكل الدراسة فى المعهد ، وان يخطط لكل شىء ، ولهذا اقترح ان يسافر الى روما والمانيا الغربية والشرقية وباريس ، للاطلاع على نظم المعـاهد السينمائية هناك ، للاستفادة منها فى وضع « تصور » لما يكون عليه معهد السينما بالقاهرة » .

وحددت له وزارة الثقافة مبلغ ثمانمائة جنيه كمصاريف لتلك الرحلة التى تزيد عن شهرين (!!) ولكن وزارة الاقتصاد اعترضت على « ضخامة » هذا المبلغ وقررت تخفيضه الى خمسمائة جنيه فقط !!

وفى هذا الجزء من المذكرات .. يحكى محمد كريم عن مشاهداته فى معاهد السينما بروما والمانيا بشطريها والتى يتوقف عندها حيث تبخرت كل النقود التى معه وقرر العودة الى مصر دون زيارة باريس ..

مفاجاة .. يوم الافتتاح

ويصل محمد كريم الى المفاجاة المذهلة ذات صباح ، حينما اتصل به مكتب الوزير ليبلغه ان معهـد السـينما ومعهد الكونسرفتوار تقرر افتتاحهما مع اعياد الثورة .. اى بعد أيام قليلة ! .

ويسجل محمد كريم كل دهشة قائلا .. « إن مبانى المعهد مازالت « طوب احمر » فكيف يتقرر افتتاحه بهذه السرعة ولكن الامر كان قد انتهى » . واعلنت الوزارة فى الصحف عن يوم الافتتاح .. وكان على ان





عادل ادهم ، فى فيلم المدمن ، للمخرج يوسف فرنسيس ، الذى تخرج من الدفعات الأولى ..

فريد شوقى وليلى طاهر فى فيلم «حكمت المحكمة» للمخرج احمد يحيى .. ثم عزت العلايلى وسعاد حسنى ولقطة من فيلم « اهل القمة » للمخرج علي بدرخان

افعل كل شىء ابتداء من الاشراف على الانتهاء من المبنى وتركيب البلاط .. الى اختيار المواد والمدرسين . !

« وفى اليوم المحدد جاءت الصحافة ووزعت الابتسامات . والتهنئات .. وانا اكاد اقع من طولى .. كنت اشبه بالعريس الذى فوجىء بليلة زفافه فى ٢٤ ساعة .. وكانت ليلة » !

« المهم انتهى العام الدراسى الاول .. واصبح شغلى الشاغل اتمام بناء المعهد لاستقبال الطلبة المنقولين للسنة الثانية .. كنا فى حاجة الى غرف كثيرة وادوات والات سينمائية » .

« كانت متاعبى فى المعهد تتلخص فى عملية الانشاء والخلق .. وفى عملية (نط الحواجز) التى يصنعها الروتين .. اما الانشاء والخلق فهى مهنتى الأساسية كمخرج .. ولكن نط الحواجز مسالة لم يكن فى مقدورى احتمالها .. فقد وصلت تعقيدات الروتين الى وقف صرف مرتبات السعاة والفراشين .. ثم تاخير صرف مستحقات الأساتذة عن شهرين . !!

ملحوظة : كان اجر الاستاذ عن المحاضرة جنيهين اثنين فقط » .

وتوالت طلبات الاستقالة من محمد كريم احتجاجاً على الروتين .. ولكن فى كل مرة كانوا يطلبون منه بالحاح ان يستمر فى عمادة المعهد .. حتى توفيت زوجته التى كان يحبها كثيراً .. فقرر الابتعاد عن كل الناس ..

وما يسجله التاريخ لهذه الفترة .. ان الفنان محمد كريم كان هو باعث الروح فى هذا المعهد .. وان كل جهوده الشاقة والمخلصة هى التى جعلت من هذا البناء ينمو ويزدهر ويصبح له هذا التاثير فى الحياة الفنية الآن ..

الطلبة .. أصبحوا أساتذة

وتوالى على عمادة المعهد عدد من المخرجين والباحثين الدارسين لفن السينما .. حتى وصل اخيراً احد خريجى المعهد الى منصب العمادة .. وهو الدكتور مصطفى محمد علي استاذ مادة التصوير .

وتوالى فى هيئة التدريس عدد كبير من المخرجين منهم : احمد كامل مرسى وصلاح ابو سيف ويوسف شاهين وشادى عبد السلام ومحمد بسيونى وجمال مدكور وسعد نديم ومحمود مرسى وغيرهم ..

وكبر تلاميذ المعهد .. واصبح الآن بعضهم يقوم بالتدريس فيه .

ورغم مرور ٢٥ عاماً على انشاء المعهد .. الا انه لا يمكن القول ان المعهد وصل الى درجة الكمال فى المعدات والامكانات .. بل انه مازال يعانى من نفس الروتين الذى كان يشكو منه المرحوم محمد كريم مع بداية انشاء المعهد ..

ولكن يبدو ان هذا النقص فى الامكانيات هو الذى خلق روح التحدى فى طلبته وخريجيه ، وخلق ما يمكن تسميته بعبقرية التصرف فى الأزمات !

فمع واقع الحياة فى الاستوديوهات والمعامل المصرية .. استطاع هؤلاء الشبان ان يقدموا انفسهم للجمهور ، باقصى قدر ممكن من ترويض الظروف الصعبة .. فقد تعودوا وتدربوا اثناء الدراسة بالمعهد ، على التعامل مع الامكانات الناقصة . !

وقد يستهلك هذا التعامل الصعب ، مزيداً من الجهد والوقت والاعصاب .. ولكنه اصبح كانه ضريبة يومية للعمل !



نور الشريف ومديحه كامل فى لقطة من فيلم « اللعنة » للمخرج حسين الوكيل . والفيلم من اول اعماله السينمائية رغم تخرجه من المعهد منذ اكثر من عشر سنوات .



احمد زكى وتيسير فهمى .. بطلا فيلم « العوامة ٧٠ » للمخرج خيرى بشارة احد خريجى المعهد العالى للسينما والذى قضى سنوات طويلة فى السينما التسجيلية .

سينما

النكتة التي أصبحت حقيقة في السينما المصريّة

سنوات الازدهار الفنى

ولنعد الى الوراء قليلا .. الى سنوات الستينات فى مصر ..

تخرجت الدفعات الأولى من معهدالسينما ، لتجد نفسها داخل بحر زاخر بالاجتهادات الفنية البارزة والمؤثرة .. فى فن الرواية .. والمسرح .. والنقد .. والمناقشات الأدبية الممتلئة بالحيوية والتميز .. بالاضافة الى وجود القطاع العام فى السينما ومحاولته لاحتضان ورعاية الشبان الجدد فى الاخراج واعطائهم فرص العمل والتجريب ..

كان ذلك فى نفس الوقت الذى شهدت فيه القاهرة ، بداية نشاط نادى السينما وعروض افلامه التى كانت تتميز بفتح النوافذ على احدث الاتجاهات الفنية فى العالم ، وحيث كان عشاق السينما تتاح لهم لأول مرة فرصة مشاهدة أفلام ذات صبغة فنية خالصة غير تجارية ، وحيث كانت المناقشات حول هذه الافلام مليئة بالفضول لمعرفة المزيد .

وفى نفس الوقت .. الذى كانت فيه « جمعية الفيلم » تواصل تقديم عروضها السينمائية المختارة بعناية ، وتنظم لاعضائها الندوات والنشرات الفنية وايضا تسهل لهم صنع افلام سينمائية للهواة ..

وفى نفس الوقت الذى انشىء فيه « المركز الفنى للصور المرئية » بهدف اعداد الدراسات العلمية والفنية عن السينما ، واجراء الاحصاءات والبحوث ، وتوفير مكتبة سينمائية مفتوحة لكل مهتم بهذا الفن .

كان الجو الثقافى والفنى .. متوهجا بالحماس والتجارب ، وردود الفعل المباشرة من الجمهور والنقاد .. حتى جاءت هزيمة ١٩٦٧ العسكرية فاحدثت هذا الشرخ النفسى الهائل .

ولكن سرعان ماستجمع شباب الفن انفسهم وجهودهم .. فتكونت « جماعة السينما الجديدة » عام ١٩٦٩ .. ثم جماعة السينمائيين التسجيليين عام ١٩٧٢ بهدف المشاركة فى تقديم سينما بديلة عن السينما التجارية السائدة .

وساند شباب السينما فى احلامهم ومشاريعهم .. المخرجون الاساتذة : صلاح أبو سيف ويوسف شاهين وتوفيق صالح وكمال الشيخ .. والناقد المؤرخ احمد كامل مرسى الذى كان قد قرر أعتزال الاخراج السينمائى .. والاكتفاء بالمتابعة والتحليل ورعايته لابنائه من طلبة السينما وعشاقها.

ثمار الدفعات الأولى

فى هذه الفترة المليئة بالاحداث والمتغيرات .. تذبذب انتاج شباب معهد السينما ، ما بين محاولة تقليد الاتجاهات الأوربية الحديثة ، وبالذات الموجة الفرنسية الجديدة والتى كانت باهرة فى بداياتها بتجاربها ونجومها .. الى محاولة التعبير عن النفس وهموم الشباب والمجتمع المصرى بعد هزيمة ١٩٦٧ .

وكان أهم ما أثمرت عنه هذه الفترة ، هو انفراج الستار عن بعض المخرجين الشبان من خريجى معهد السينما .. هؤلاء هم .

على عبد الخالق وفيلم « اغنية على الممر » — أشرف فهمى وفيلم « ليل وقضبان » — ممدوح شكرى وفيلم « زائر الفجر » — محمد راضى وفيلم « ابناء الصمت » — يوسف فرنسيس وفيلم « زهور برية » — مدكور ثابت وفيلم « صور ممنوعة » الذى اشترك فى اخراجه مع محمد عبد العزيز وأشرف فهمى — مدحت بكير وفيلم « دعوة للحياة » — والمخرج الفلسطيني غالب شعث وفيلمه « ظلال على الجانب الآخر » .

ومن كتاب السيناريو : رافت الميهى — ومصطفى محرم .

وقدمت السينما التسجيلية عدداً كبيراً من اسماء خريجي معهد السينما والذين وهبوا حياتهم للفيلم التسجيلي ..

من هؤلاء : المخرجون احمد راشـد ـ هاشم النحاس ـ محمد قناوى ـ سمير عوف ـ عطيات الابنودى ـ نبيهة لطفى ـ منى مجاهد ..

وانطلق من السينما التسجيلية الى عالم السينما الروائية فى الســنوات الأخيرة المخرجون خيرى بشارة « العوامة ۷۰ » ـ عاطف الطيب « سواق الاتوبيس » ـ داود عبد السيد « الصعاليك » .

ومن السينما التسجيليـــة تخـرج المصورون : سعيد شيمى ومحمـــود عبد السميع ورمسيس مرزوق وسمير فرج وعصام فريد والذين اصبحوا الآن من المع مصورى السينما فى مصر ..

وفى فن المونتاج نجد احمد متولى وعادل منير ونادية شكرى .. وفى الصوت مجدى كامل ..

لقد كان حصاد معهد السينما فى سنواته الاولى .. مفاجأة للذين توقعوا فشل الدراسة .. وانهيار المعهد واغلاق ابوابه !

الاختيار الصعب

ومن منتصف السبعينات .. تغيرت الصورة تماماً .. اصبح خريجو معهد السينما ينتشرون فى اغلب فروع صناعة السينما المصرية .. ولكن فى ظروف اقتصادية واجتماعية مختلفة .

تغيرت نوعية الجمهور .. وتغيرت نوعية الذين يمولون الافلام .. وساد الجو الفنى مزاج التجار واصحاب الدخول الطفيلية وفرضوا ذوقهم فى الفن الذى يشاهدونه .. حتى لم يعد الفن فناً .. بل نوعاً من التسالى والاوهام الكاذبـــــة المخدرة !

وواجه شباب السينما موقفاً صعباً ، فالمجالات كثيرة امامهم للعمل والانتشار والكسب السريع .. ولكن فرصة تحقيق الذات تضاءلت .. بعكس الموقف فى سنوات الستينات .

ومن هنا .. يمكن القول ان حظ الدفعات الأولى من معهد السينما كان افضل من حظ الدفعات الأخيرة ..

على الأقل .. كانت أمام الدفعات الاولى .. فرصة التجريب والمغامرة .. ولكن الآن عليهم ان يلعبوا دائما على المضمون ..

بعض هؤلاء الشبان .. القوا دراستهم جانبا .. وتخلصوا من ارهاق احلام الفن .. واستسلموا للتيار .. يقدمون الافلام كما هى مطلوبة منهم ..

والبعض الآخر .. خاض معارك طويلة مع نفسه ، حتى لا يقع فى بحر لزج من العسل الاسود !

تساؤلات بمناسبة الاحتفال

وفى العامين الاخيرين .. من يتامل خريطة السينما المصرية .. سيكتشف بسهولة ان الذين اصروا على تحيزهم للفن ولم يستسلموا لتيار التجار .. هم الذين يصنعون الآن السينما الواعية فى مصر .. وينالون الاعجاب والتقدير من الجمهور والنقاد ..

ولعل معهد السينما وهو يحتفل فى اكتوبر القادم بمرور ٢٥ عاماً على انشائه .. ان يفرد جزءاً من احتفالاته لتقييم تجربة ابنائه من الخريجين ومشوارهم العملى فى ساحة الفن ..

مثلا لماذا اصبح المخرج محمد عبد العزيز من اكثر المخرجين انتشاراً وله فى كل عام ما بين فيلمين واربعة افلام .. بينما لم يقدم المخرج « على بدرخان » فيلماً منذ ثلاث سنوات بعد فيلم « اهل القمة » .

وماذا يقول اشرف فهمى عن رحلته فى السينما من فيلم « ليل وقضبان » وحتى فيلم « المجهول » مروراً بفيلم « شوق » الذى لعبت بطولته نادية الجندى ؟

وما هى عوامل نجاح فيلم « ســواق الاتوبيس » للمخرج عاطف الطيب والذى اكتسح اغلب جوائز السينما فى العـــام الماضى ؟ .

والى اين انتهت احلام جماعة السينما الجديدة التى كان يراسها المخرج « محمد راضى » ؟

وكيف يرى المخرج « هشام ابو النصر » الفرق بين تدريس الاخراج فى معهد السينما . وممارسة الاخراج عملياً بعد تجربة فيلميه « الاقمـــر » و « قهـــوة المواردى » ؟

إن مثل هذه التساؤلات .. والمواجهات الصادقة مع النفس تعطى لهذا الاحتفال باليوبيل الفضى ، مذاقاً خاصاً .

وياليت يتجمع لدى ادارة المعهـــد ـ بمناسبة هذا الاحتفال ـ تجارب الخريجين من ابناء البلاد العربية والذى وصل عددهم حتى دفعة العام الماضى الى ثمانين خريجاً من مختلف التخصصات .. جاءوا الى القاهرة من السودان وفلسطين وسوريا والعراق .

ان هذه التجارب .. اثراء حقيقى وتدعيم لدور ورسالة المعهد فى السنوات المقبلة .. وحيث تؤكد كل التوقعات انها ستشهد انتصاراً للفن الجيد .. فالزمن لا يعود ابداً الى الوراء . !

رءوف توفيق



ماجدة الخطيب فى فيلم « زائر الفجر » للمخرج الشاب الراحل ممدوح شكرى ، الذى كان من خريجى اول دفعة من معهد السينما



جميل راتب فى فيلم « اللعنة » للمخرج حسين الوكيل

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

اليهود في فرنسا

ارجو ان تعطوني فكرة عن الطائفة اليهودية فى فرنسا من حيث عددها ، ونشاطاتها ، وتاثيرها على المجتمع الفرنسي .

ام الخير مفتاح الورفلي
بنغازى – ليبيا

– تتكون الطائفة اليهودية فى فرنسا من (٦٥٠) الف شخص على وجه التقريب وهي تعتبر من اكبر الطوائف اليهودية فى اوربا بعد الطائفة اليهودية فى الاتحاد السوفيتي ، هذا ، ويوجد حاليا فى العالم (١٥) مليون يهودي ، ويقال إنه هلك منهم ستة ملايين فى المذابح التى اقترفها النازيون خلال الحرب العالمية الثانية (وهذا رقم مبالغ فيه ، ومشكوك فى صحته ، ولم يقم اي سند تاريخي او دليل مادي على دقته من مصادر موثوق بها حتى الآن) .

وقد جاء فى مجمل تحقيق اجراء معهد « سيو فريس » فى عام ١٩٧٧ ان هذه الطائفة تمثل ١٫٣٨ فى المائة من سكان فرنسا منذ اكثر من ١٥ عاماً .

ويشتغل اعضاء هذه الطائفة فى مجالات مختلفة مثل الصناعة والتجارة ، والخدمات ، والأعمال الحرة ، والوسائل الاعلامية .

وتوجد حاليا فى فرنسا اكثر من خمسين منظمة يهودية ، ويتحد معظمها فى اطار المجلس التمثيلي للمؤسسات اليهودية الذى تاسس سراً فى باريس عام ١٩٤٤ م .

ويضم هذا المجلس حوالى اربعين منظمة ابرزها الصندوق الاجتماعى اليهودى الموحد الذى يراسه جي دي روتشيلد ، واتحاد الجمعيات اليهودية ، وجمعية النداء اليهودي الموحد ، اضافه إلى جمعيات صداقة وثقافة ، وكذلك منظمات عديدة مهمتها تشجيع وتسهيل الهجرة الى فلسطين المحتلة. وتوجد للجالية اليهودية فى فرنسا قيادة جماعية يشترك فيها اربعون الف عضو ! وتعمل بتنسيق مستمر مع تل ابيب بصورة رئيسية ، ومع المنظمات الصهيونية فى كثير من عواصم العالم .

تعليق على مقال

خلال قراءتي للعدد رقم ٩٦ من « الدوحة » الصادر فى ديسمبر عام ١٩٨٣ وجدت مقالا بعنوان : مفكر جرىء لا يعرفه العرب بقلم عبد الوهاب الأنصارى ، وذكر الكاتب ان احداً من العرب لا يعرف العالم السلوكي سكنر ولم يطرح اسمه فى الساحة الفكرية !

وعجبت لذلك الأمر ، لأن سكنر معروف تماماً عند كل الدارسين لعلم النفس لأنه يمثل المدرسة السلوكية التى يتزعمها بافلوف .

ولا يوجد كتاب فى علم النفس لا يتعرض لذكر سكنر وخصوصاً لما يعزى له من نظريات التعلم والتعليم المبرمج .

ونحن كطلاب فى جامعة الكويت – تخصص علم النفس – نرى لسكنر افلاماً مصورة بالفيديو تتضمن مقابلات معه يشرح فيها نظرياته العديدة . ولقد ترجم له الاستاذ عبد القادر يوسف كتاب تكنولوجيا السلوك الانسانى ضمن سلسلة عالم المعرفة التى تصدر فى الكويت .

ولقد دهشت حينما قرات للأخ عبد الوهاب الأنصارى قوله بان سكنر توفى فى عام ١٩٧٦ مع العلم انه مازال حياً يرزق ، ويعمل الآن استاذاً لعلم النفس فى جامعة هارفارد .

ومن منطلق تصحيح الخطا كتبت هذا الايضاح لكي لا تكون هناك معلومات مشوهة تنشر فى مجلة ثقافية لها تقديرها فى الساحة الفكرية .

سعود هلال الحربي
الكويت

كتب وصلتنا

تلقت المجلة باقة الكتب والمجلات التالية من كرام قرائها :

● امة واحدة « شعر » .
المؤلف : كمال عبد الكريم الوحيدي .
الناشر : ادارة الثقافة والفنون / وزارة الاعلام – دولة قطر .

● المذهبية الاسلامية والتغيير الحضاري .
المؤلف : د . محسن عبد الحميد
الناشر : الكتاب السادس ضمن سلسلة كتاب الامة – رئاسة المحاكم الشرعية الدوحة – قطر .

● الخلفية الايديولوجية للحروب الصليبية .
المؤلف : د . قاسم عبده قاسم .
الناشر : دار المعارف – القاهرة .

● الصهيونية .
سلسلة عالم الفكر العدد الأول : ابريل – مايو – يونيه .
الناشر : وزارة الاعلام – المكتب الفني – ص . ب ١٩٣ الكويت .

● بداية مسيرة الفن التشكيلي فى الكويت .
– المؤلف : عبد الرسول سلمان .

● فهارس الخزانة الحسنية (المجلد الثالث) ويشمل الفهرس الوصفي لمخطوطات الرياضيات والفلك واحكام النجوم والجغرافيا (٥٢٣ صفحة) .
المصنف : محمد العربي الخطابي (الرباط) .

● هوية « شعر » .
المؤلف : عبد الجبار المختار .
الناشر : مكتبة المعارف – بيروت

● ديوان « احمد بن يوسف الجابر » .
جمع وتحقيق : ا . د . يحيي الجبوري - د . محمد عبد الرحيم قافود .

الناشر : مركز الوثائق والدراسات الانسانية – جامعة قطر .

تحية إلى فدوى طوقان

الشاعرة العربيـــة الكبيرة / فدوى طوقان .

من السودان الحبيب ابعث اليك بارق تحياتي الاخوية ، واعرب لك عن تقديري العظيم لشاعريتك الفذة ، وعطائك المتجدد ، واتوجه اليك بالشكر الوفير على امتاعنـا ومؤانستنا بمذكراتك القيمة التى نتابعها بشغف وشوق فى مطلع كل شهر على صفحات « الدوحة » .

لقد بهرني اسلوبك السلس ، وعباراتك العذبة كعذوبة حسك المرهف ، وشعورك الرقيق ، لقد عشنا معك حياتك المديدة ان شاء الله يوما بيوم ، وحدثا بحدث ، فرحنا لفرحك ، وتالمنا لالمك ، وغضبنا لغضبك ، وشاركنـاك سراءك وضراءك .

تحية من سوداننا الحبيب .. اليك – اطال الله عمرك – وانت اسيرة فى فلسطيننا الحبيبة ، حيث تشاركين اهلك الفلسطينيين صمودهم ونضالهم وصبرهم على جرائم الصهاينة .

انني اشد على ايديكم ، وابشركم بالنصر ان شاء الله مهما طال الزمن وبغى الاعداء .

فضل الله محمد فضل الله
قرية عمر – السودان

تحية للدكتور حسن نعمة

لم اكن اتصور بانني سوف اقرا فى مطبوعة عربية مقالا نقديا صريحا وجريئا مثل مقال الدكتور حسن نعمة سفير دولة قطر لدى الهند ، والذى نشر فى عدد يناير الماضى من « الدوحة » تحت عنوان « ملاحظات صريحة حول ادب الخليج » .

لقد وضع الكاتب القطرى الجرىء ادباء العربيـــة امام مسئولياتهم القومية والتاريخية ، وقرع جرس الانذار امام الجميع حين قال : « يجب الا نجعل من الادب مطية سهلة لتسلق الضعفاء والمتروكين ليكونوا ادباء ، مثلما يتسلق الموظفون لتسلم وظائف ليسوا اهلا لها ، لقد استشرى الادب الردىء فى العالم العربى كله ، وطفت على السطح الفكرى طائفة متطفلة على الأدب ، استطاعت ان تنتزع لنفسها مكانة بسبب الفراغ الفكرى القائم ، وخلت الساحة من الادباء الحقيقيين ، تلك هى الماساة !! » .

تحية للدكتور حسن نعمة ، وتحية لكل الاصوات الصادقة التى تنادي بتصحيح كل المسارات الخاطئة فى حياة امتنا العربية .

محمد كشكش
البيضاء – ليبيا

الدين .. هو الجوهر

عندما خالف الماديون فطرتهم وادعوا – كذبا – ان لا إله ولا دين وأن الدنيا مادة فحسب ، جادلهم العقلاء بحجة مؤداها أن الدين هو الذى يضبط ضمائر الناس وبالتالى يمنعهم عن اتيان كل ما من شانه تقويض البناء الاجتماعى وتفكيك الروابط الانسانية .. لأن الانسان لا يفعل الخير ولا يمتنع عن الشر – فى الغالب – إلا توخيا لثواب أو خوفا من عقاب .. فما الذى يقوم بوظيفة الدين فى غيابه ؟ ..

هنا يقدم الماديون (الاخلاق) .. بديلا عن الدين .. ولكننا – وان سلمنا بقدرة الاخلاق على ذلك – سرعان ما نتبين تناقض الفكر المادى وضرورة وجود الدين لسببين :

أولهما : ان الاخلاق لا توجد إلا فى المجتمع المتدين لأن الأديان تهتم وبالدرجة الأولى – ببناء الناحية الاخلاقية فى الفرد .. فوجود الأخلاق اذن مرهون بوجود الدين ، ويكفينا قول رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » .

والثانى : ان الفكر المادى يطرح فكرة الأخلاق جانبا ويعمل على تحطيمها بدليل قول احد مفكريهم « الأخلاق قيد لا معنى له » .. فكيف يعتمد هؤلاء على شيء يرفضونه ؟! .. يا له من تناقض ، ويا لها من غطرسة اعمت أصحابها عن رؤية الحقيقة .. وصدق الله العظيم إذ يقول « ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمى فهم لا يعقلون » .

جمال جمعه ابراهيم – جامعة الزقازيق

ردود سريعة

● الأخ حازم عزيز شحاده – الاسكندرية .

لا أوافقك فيما ذهبت اليه .. فقد عشت بنفسى فى ليبيـــا ومكثت بين شعبها الابى هنـاك مايقرب من تسعة أعوام ، فما وجدت فيهم الا الكرم والنزاهة والبساطة والشجاعة وكل الصفات النبيلة التى يتمتع بها ابناء الأمة العربية فى شتى ديارهم .

● الأخ بوسعيد سلامه – المغرب .

– يمكنك مراسلة فضيلة الشيخ محمد الغزالي عن طريق بـــاب « رسائل الى المحرر » .

● الأخ سعد عبد الهادي خطاب – محافظة كفر الشيخ – – وصلت رســالتك الى الأخ الفنان جمال قطب ، ولقد تأثـــر بمضمونها ، وتفاعل مع كلماتك الطيبه المعبرة عن تقديرك لعطائه وهو بدوره يبلغك تحيـــاته ، وتمنياته لك بالسعادة والتوفيق .

● الاخ رزق عبد الحميد مرسي – مصر .

– يمكنك مراسلة الأخ الشاعر محمد الظاهر بواسطة : رابطـــة الكتاب الأردنيين – ص . ب ٢٧٩٣ – عمان – الأردن .

● الأخ عيسى موسى : المحرق – البحرين .

– يستحسن ان ترسل حلول المسابقات بصورة منفصلة لكل حل ولكن ضمن رسالة واحدة يكتب على غلافها مسابقة الدوحة . ولا يجوز اشراك المسابقة مع رسائل الى المحرر .

تنـويه

ورد سهوا بمقالة الزميل حمدي الكحلوت « معين بسيسو .. القنديل الذى لم ينطفىء » والتى نشرت فى العدد المـــاضى من « الدوحة » ان الشاعر الراحل ولد عام ١٩٢٦ فى مدينـــة غـــزة ، والصحيح انه ولد فى عام ١٩٣٠ . واثباتا للحقيقة اقتضى التنويه .



دوحة القراء

اشراف : سنان المسلماني

مسابقة الدوحة

يرجى من الأصدقاء الذين يكتبون إلى « دوحة القراء » أن يذكروا على غلاف الرسالة عبارة « دوحة القراء » كما يرجى كتابة اسم المسابقة وكتابة الاسماء والعناوين بوضوح حتى يمكن ارسال المكافآت .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : ميناء هام فى شرق البحر الأبيض المتوسط ، وفى دولة اشتهرت بحضارتها العريقة التى اثرت فى الفكر الانسانى .. هذا الميناء فى مدينة صناعية هامة .. هل يمكنك التعرف على اسم الميناء ؟



الصورة الثانية : هذه اللوحة لأديب فرنسى عاش فى الفترة ما بين ١٨٦٩ - ١٩٥١ ، وكان والده استاذا فى القانون . واستطاعت رواياته ان تحقق شهرة عالمية وخاصة : الباب الضيق ، وسيمفونيتان ، واسفار فى الكونغو .. وقد نال جائزة نوبل عام ١٩٤٧ .. ما اسم هذا الأديب ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٨





الصورة الأولى : مدينة تونس
- الفائز : محمد مصطفى أزغيمات - المغرب
- مريمى فؤاد - الجزائر

الصور الثانية : ارنست همنجواى
- الفائز : رمضاز البكورى - ليبيا
- الفائز : خليل حجاب - مصر

أخطاء شائعة

هذه هى بعض اخطائنا الشائعة فى اللغة العربية :

خطأ	صواب
كبرياء جريحة	كبرياء جريح
جمادي الأول	جمادي الأولى
جمادي الثانية	جمادي الآخرة
خان يونس	خان يونس
جنوبى غزة	جنوب غزة
محمد جلود (صابر)	محمد جليد أو جلد
جهد جهيد	جهد جاهد
اختلى به	خلا به ـ اليه
خول اليه	خوله التصرف
الغير جدير	غير جدير

أكرم محمد الزميلي ـ الأردن

الاستراتيجية والتكتيك

الاستراتيجية هى فن القيادة العامة فى الحرب بأجمعها ، واشتقت من كلمة « ستراتيجوس » اليونانية بمعنى قائد .. والتكتيك هو فن القيادة فى ميدان المعركة واشتقت من كلمة « تاسين » اليونانية وهى فعل معناه يهيىء للحرب . والاستراتيجية فى الأعمال الحربية هى الخطة العامة التى توضع لاحراز هدف . ويعرفها بعض العسكريين بأنها علم القيادة ، وآخرون بأنها فن القيادة . أما التكتيك فهو تعميم خطة معركة واحدة ، وقد تطور مفهوم الاستراتيجية وأصبح معناه أن الحرب استمرار العلاقة السياسية . وقد اعتبر أحد ضباط نابليون أن معنى الاستراتيجية هو فى جلب القوات العسكرية الى جبهة القتال ، أما التكتيك فهو إدارة تلك القوات فى المعركة !

سعاد عبد الرحمن ـ قطر

لقطة الشهر



وجبة من الزهور

فازت بالجائزة : مائة ريال قطرى القارئة:
ميرفت محمد ابراهيم ـ القاهرة ـ عابدين

المفاجأة



قال المحامى فى معرض الدفاع عن موكله المتهم بالسرقة : إن موكلى لم يرتكب جريمة ما ، وكل ما هناك أنه كان ماراً بتلك الشرفة المطلة على الطريق فامتدت يده اليمنى الى الصندوق الذى كان بها واخذه، ولاشك فى انكم توافقوننى على أن اليد ليست سوى عضو من الأعضاء الكثيرة فى الجسم ، فمن العدالة الا تؤخذ الأعضاء كلها بجريمة عضو واحد منها !

فقال له رئيس المحكمة : إن حجتك منطقيه جداً ، ولذلك قضت المحكمة بحبس يد المتهم اليمنى التى سرقت الصندوق سنة مع الشغل وهو حر فى أن يصحبها أو لا يصحبها الى السجن !

وشد ما كانت دهشة القضاة اذ رأوا المتهم يخلع ذراعه الصناعية ثم يتركها على منصة المحكمة ويخرج من القاعة !

منتصر على الداروتى ـ القاهرة



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

ترسل الاجابات على

العنوان التالى :

مجلة الدوحــة

ص . ب : ٢٣٢٤

الدوحة ـ قطــر

مَن ؟

شاعر خليجي كبير ولد عام ١٩٠٨ م ، التحق بعد ان اتم الدراسة الثانوية بمعــارف البحرين عام ١٩٢٧ ـ ١٩٣٢ م ثم اسس المدرسة الاهلية وظلت قائمة لغاية ١٩٣٥ م . وله كثير من الدواوين الشعرية والدراسات التحليلية والنقدية . اسـمه مكون من شقين ومن ١٣ حرفاً .

٥ ، ١٣ ، ٧ بمعنى طحن الطعام .

٢ ، ١٠ ، ١٢ ، ٣ اسم حيوان

أين ؟

ولد هذا الأديب الكــبيرفى مدينة شهيرة ، وظل بهاحتى اتم الدراسة الثانوية عام ١٩٢٦ م .

وهذه المدينة هي عاصمة لاحدى الدول الآسيوية .

ويتكون اسم هذه المدينة من مقطع واحد وستة حروف .

الحروف ٤ ، ٢ ، ٣ بمعنى طائر ليلي .

مـا ؟

من اشهر أعماله ملحمة شعرية عن ماساة فلسطين . اسمها مكون من مقطعين و ١٠ احرف .

٦ ، ٩ ، ٧ ، ٨ بمعنى راى .

٣ ، ١ ، ٢ بمعنى غير نافع .

الإجــابـــة الصحيـــحــة

١ ـ دلمون تعني الجنة باللغة السومرية ، وهى اسم قديم لاحدى الدول العربية .
فما اسم هذه الدولة ؟

٢ ـ دار السلام هي عاصــمة تنزانيا فاين تقع دار الحرب ؟

٣ ـ من هو أول رئيس لهيئــة الأمم المتحدة ؟

٤ ـ إن (رواية الشــراع والعاصفة) ورواية (الثلج ياتي من النافذة) ورواية (الياطر) . كلها روايات لروائى عربى كبير تميز باسلوبه الواقعي ، ولقد قال عن نفسه : (انا كاتب الكفاح والفرح الانسانيين) .
فمن هو ؟

٥ ـ الطيب صالح : اديب عربى كبير ، هل يمكنك التعرف على ثلاثة من اعماله الروائية ؟

(٦) هل هذه العبارة صحيحه علمياً .
خسوف الشمس ـ وكســوف القمر .

٧ ـ دخلت القوات البريطانيـة فلسطين فى نهاية الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ وخرجت سنة ...

٨ ـ واضع علم النحو هو ابو الأسود الدؤلى فمن الذى كلفــه بذلك ؟

٩ ـ يضاف الملح الى الثلج عند صنع المثلجات .. لماذا ؟!

١٠ ـ اكمل هذا البيت فى الشعر وانسبه الى قائله : « فــان اكلوا لحمى وفرت لحومهم » .

حل مسابقــة العــــدد ٩٨

من : مصطفى المنفلوطى .
اين : منفلوط .
مــا : النظرات

الأجوبة الصحيحة

١ ـ عجمان ـ الفجيرة ـ ام القيوين .
٢ ـ بحيرة ناصر،خلف السد العالى باسوان .
٣ ـ لا يرقد النسر على بيضه .
٤ ـ ١٩٦١ .
٥ ـ ١٧٣ كيلومتر .
٦ ـ المملكة العربيــة السعودية . حيث مدون على علمها عبارة لا إله إلا الله ..
٧ ـ العالم العربى ابن النفيس اكتشف الدورة الدموية الصــغرى، والكبرى اكتشفها : وليم هارفى .
٨ ـ فلقد علمت بان عفوك اعظم ـ ابو نواس .
٩ ـ راس هورن .
١٠ ـ الفيلســـوف الفرنسى (ديكارت) .

أسـماء الفائزين في مسابقــة

١ ـ اصل وصورة : خطوط الجبهــة ـ الحاجبان ـ العيون ـ الانف ـ سـوالف الشعر ـ الأذن ـ الشفتان .
الفائزون : (١) مرح ضيف الله محمـد ـ الكويت . (٢) فتحي احمد عبد الحفيظ ـ مصر
٢ ـ لوحة لم تتم لامير الشعراء احمد شوقى .
الفائزون : (١) مصعب الجهمان ـ سوريا (٢) محمد محفوظ صالح ـ اليمن
٣ ـ لأقوياء الملاحظة : إبريق شاى ـ سمكة ـ بطة ـ دجاجة ـ عصفور ـ حمامة .
الفائزون : (١) مامون خميس العلوى ـ سلطنة عمان . (٢) عبد الشكور يونس عباس ـ السعودية .

أسماء الفائزين

١ - فاز بالجائزة الأولى، وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى .
القارئة : آمال حسين بغدادى - مصر .

٢ - فاز بالجائزة الثانية، وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى .
القارىء : محمد علي ابو لبه - الاردن .

٣ - فاز بالجائزة الثالثة، وقدرها ١٠٠ ريال قطرى .
القارىء : حيدر محمد خالد - السودان .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ - ظبيه محمد حسن	قطر
٢ - ابراهيم عبد الله يحيي	سلطنة عمان
٣ - شعيبى عبد الآله	المغرب
٤ - عزام زكريا حزورى	سوريا
٥ - سحر محمد رشيد	السعودية
٦ - هاشم عيسي حسنين	السودان
٧ - عبد المجيد ازر على	الامارات العربية
٨ - توفيق محسن مكاوى	اليمن الشعبية
٩ - رمضان عمر	الجزائر
١٠ - ناصر محمد جميل	العراق

استراحة الدوحة العدد ٩٨

٤ - دورى الكاريكاتير اللاعب رقم ٩ .
الفائزون : (١) جاسم سلمان يعقوب - البحرين . (٢) عبد الرحمن زينل الملا - قطر .
٥ - لعبة الظلال رقم ١ .
الفائزون : (١) محمد عبد الله صالح - السودان . (٢) عبد الله احمد العلى - السعودية .
٦ - يخلق من الشبه اربعين رقم ٢ .
الفائزون : (١) تيلولت كمال - الجزائر (٢) سوسن جاسم الباكر - قطر .
٧ - المثل بيقول : ضرب الحبيب مثل اكل الزبيب .
الفائزون : (١) صلاح عبد الظاهر - مصر . (٢) وحيد محمد محمود - الاردن .

أول طبيبة في أوروبا



هل تعلم أن أول طبيبة فى أمريكا وانجلترا ، رفضوا الحاقها بكلية الطب عندما حاولت أن تتخصص فى هذا المجال ؟ .. ان الطبيبة الأولى « اليزابث بلاكويل » صمدت أمام هذا الرفض ، وسافرت الى مدينة « تشار لستون » فى كارولينا الجنوبية لتدرس فى مدرسة داخلية وتتدرب على يد طبيب مشهور ساعدها فى طموحها وتوجيه دراستها الطبية ، واستطاعت بعد جمع مبلغ من المال أن تلتحق بمعهد الطب بكلية جنيف بعد أن رفض أوراقها ٢٩ معهداً طبياً فى الولايات المتحدة الامريكية ، وتخرجت من هذا المعهد فى عام ١٨٤٩ بدرجة امتياز ، ولم تكتف بشهادتها بل اتجهت الى التدريب العملى على ممارسة الطب فى المستشفيات الشهيرة ، واستطاعت عقب ذلك أن تحصل على مركز طبيب داخلى فى مستشفى انجليزى ولكن القدر كان لها بالمرصاد فبعد تسلمها الوظيفة بأربعة أشهر اصيبت عينها اليسرى من رش مصل أدى الى فقدان تلك العين لنعمة البصر . ولم تستسلم للكارثة فقد أصرت على التقدم فى عملها من اجل أن تحقق حلمها فى أن تكون الجراحة الأولى فى العالم ، وعادت الى وطنها لتؤسس عيادة خاصة لها رغم معارضة كافة الأطباء ، ولم يزرها أى مريض ، ولكنها استطاعت أن تبنى شهرتها عن طريق القاء سلسلة من المحاضرات استطاعت عن طريقها أن تصبح من أهم طبيبات أوربا ، وأن يفد على عيادتها المرضى بأعداد كبيرة !

حسين خلف موسى - دمشق

من أقوال العقاد

● إنه خير لنا أن يكون منا مجازفون متهوسون من أن لا يكون بيننا مجازفون على الاطلاق فيقتلنا حب السلامة وتحسبنا ناجين وادعين ، ونحن فى الحقيقة نعرض أنفسنا لأرذل الأخطار ، وأى خطر أرذل من استكانة النفس وتقلصها من قشورها .

● أعتقد أعتقاداً جازماً أن القمة الروحية التى ارتقى إليها نساك الشرق وفلاسفته لم يبلغها غربى ممن نعرفهم ونقرأ كتاباتهم ، وأن هذا التقصير عيب كمين فيهم ، ويكفى أن أوروبا لم تنبت نبياً ، وأنها عالة على الشرق فيما تدين به .

● الحاكم القدير هو الذى يتقبل المشاركة فى أموره ولا يتقبل المشاركة فى تبعاته وتكاليفه .

● خير الحكومات التى يرضى بها الخاصة ويستطيعون أن يرضوا بها العامة .

● أصدق ما تمتحن به مقاييس الحياة فى الأمم أن تعرف الفضائل التى يزنون بها الرجال ، ماذا يبتغون منهم وفى أى هيئة يحبون أن ينظرون إليهم ؟

● لا يهز الاعصار الجارف ماء الحوض الصغير ، ولكنه يقيم الخضم الواسع ويقعده .

احمد محمد حمادة ج . م . ع . أسوان

أصل وصورة



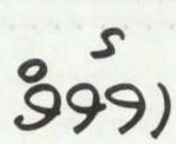


من منا لا يعرف الممثل والمخرج والمؤلف الانجليزى شارلى شابلن ، الذى حصل على الدكتوراه الفخرية فى الآداب من جامعة اكسفورد فى عام ١٩٦٢ ؟ .. لهذا فالمطلوب منك ان تتعرف على سبع اختلافات طفيفة بين أصل وصورة الفنان لتحصل على جائزة .



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :



الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

المثل يقول



قل ان تجد كتاباً فى الأدب إلا وفيه من المثل العربى والى جانبه من المثل الشعبى .. ولهذا فان هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى معروف ، إذا استطعت التعرف عليه ستكون فى انتظارك جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



كل الكتب التى صدرت عن طرق النجاح فى الحياة تؤكد ان قوة الملاحظة مطلوبة فى الانسان الذى تتوفر فيه شروط النجاح .. ولذا عليك ان تتدرب علىهذا العنصر الهام وتتعرف على السبعة أشياء المتداخلة فى هذا الرسم ، وتحصل على جائزة .

هات أجمل تعليق :



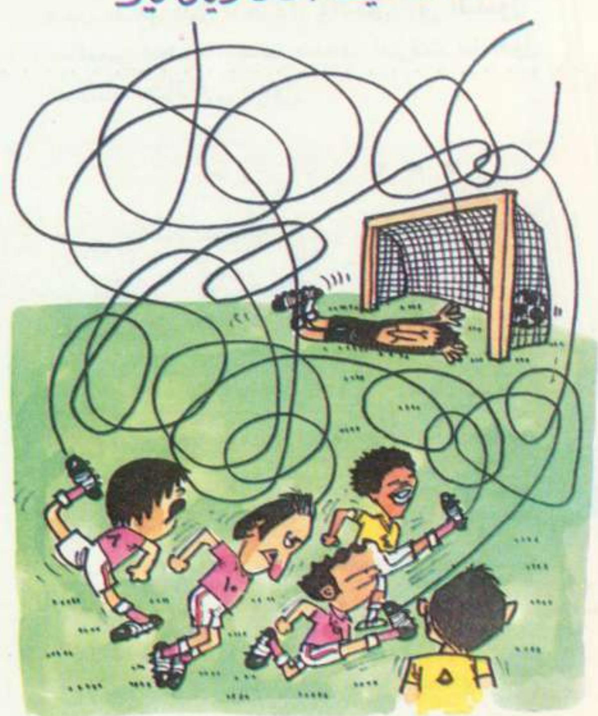
هل تستطيع ان تجد تعليقاً خفيف الظل على هــــذا الرســـم الكاريكاتيرى ؟ .. اذا وجدت التعليق أرسله لنا لتحصل على جائزة

لعبــة الظـــلال



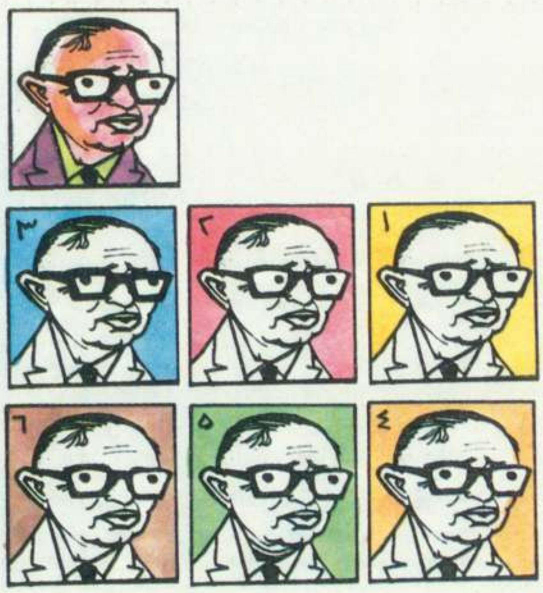
وسط حيرة شديدة حاول هذا اللاعب ان يعثر على ظله الحقيقى ولكن كل محاولاته باءت بالفشل .. ولهذا فالفرصة متاحة أمامك لتساعد اللاعب فى العثور على ظله ولتفوز بجائزة .

دوري الكاريكاتير



من بين اللاعبين الذين امامك ، اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. حاول أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته حتى تحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين

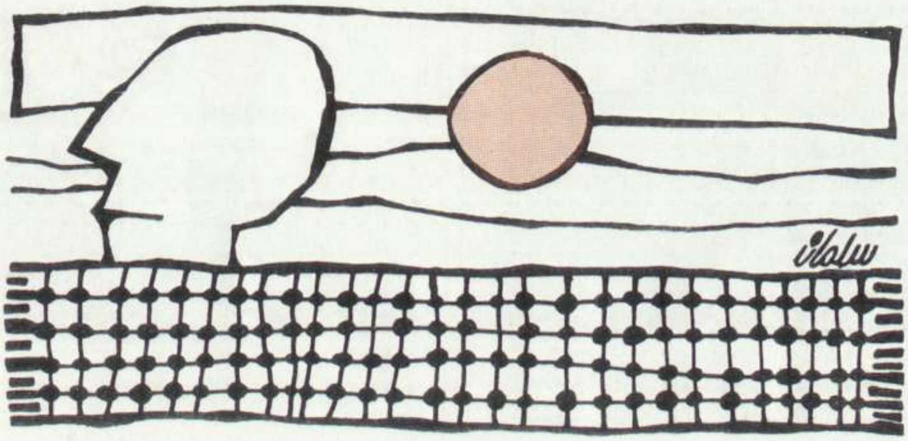


فى اللوحات الست المنشورة امامك ، حاول ان تتعرف على اللوحة التى تشبه الأديب الفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر تمام الشبه . والمعروف أن هذا الأديب منح جائزة نوبل فى الأدب (١٩٦٤) ورفضها ، ومن اشهر مسرحياته : الذباب ، والأيدى القذرة .

عن اغتيال الفارس

(الى شهيد فى الأرض المحتلة ..)

شعر : نصار عبد الله



السكوت على الظلم ظلم اشد !
لم يكن لي يد فى اغتيال حبيبى
لم يكن لي يد
واقفاً كنت ، كان الجنود يجرونه
ثم يلقونه لظلام الأبد
وانا واقف ارتعد

• • •

من ترى ينشر الآن عطر المكان
يا حبيبي الذى كان فى كل آن
وردة فى جبين الزمـــان ؟
من ترى ؟
سالتني وناحت عليك الورود الحسان
سالتني وفاحت عليك الورود
سالتني الصبايا اللواتي كسرن المرايا
وخضبن بالأرض لون الخـدود
من ترى ؟
.. قلت إن الجنــود
حملوا فى الظلام الفتى ..
قلت إن الفتى لن يعود !

• • •

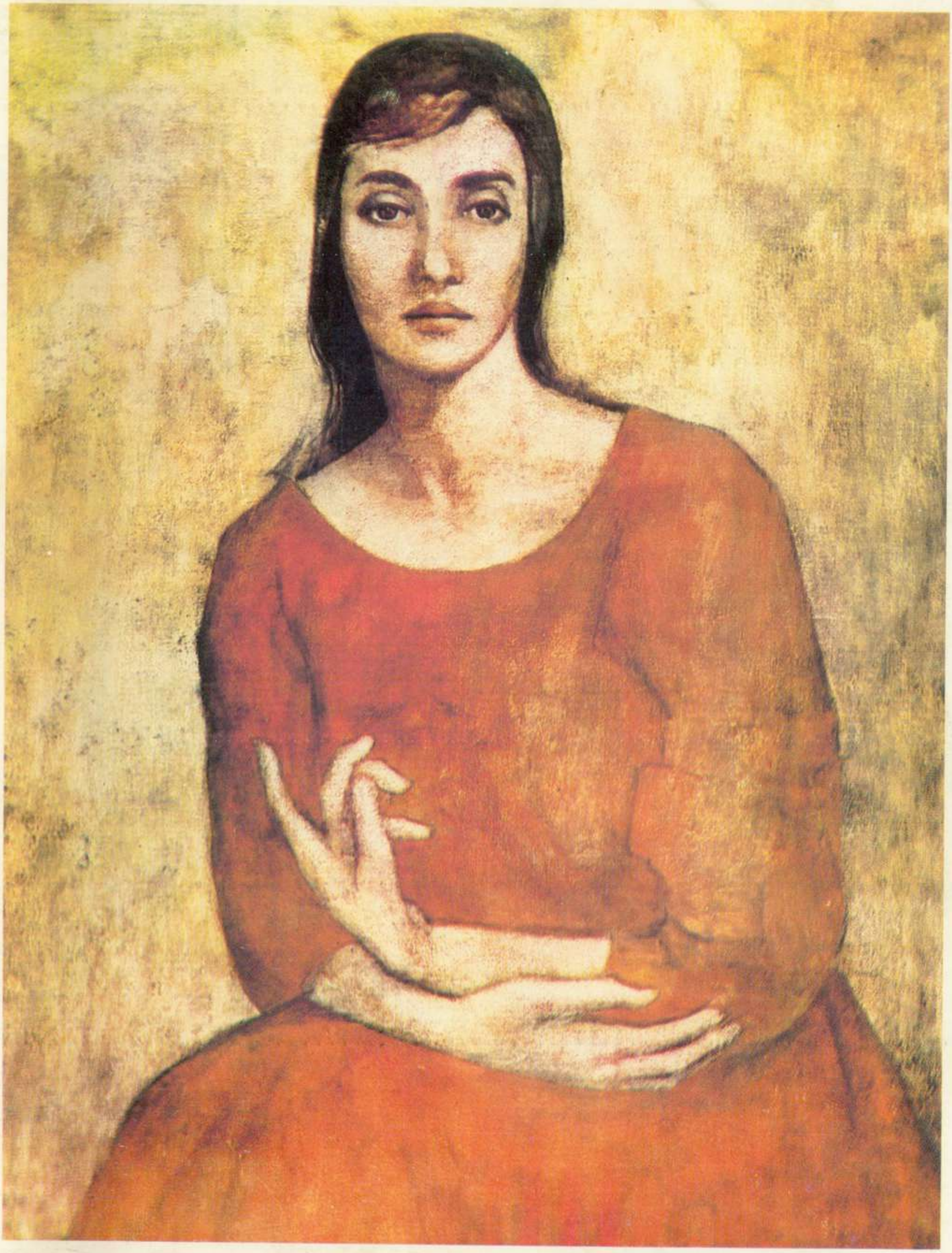
من ترى يسرج الآن ظهــر الخيول
حين يدعو الى العــدل والحق دق الطبول
سالتني الخيول التى حينما ادركت ما اقول
صهلت فجاة فى ذهول !

• • •

من ترى
من ترى
من ترى ؟
الدروب التى سرت فيها ،
و هذى البلاد التى كنت من عاشقيها ،
و هذا الفؤاد الذى ما زلت فيــه
راح يسالني كيف لا يستميت اخ ،
دون قلب اخيــه ،
كيف ــ ذاك المساء الكريه ــ
كيف لم تعترض قاتليه ؟
السكوت على الموت موت !
الليالى تمر وقد توجتني بعار السكوت
يا حبيبي الذى رفعته البنادق للملكوت
انت مت شهيداً وفارقتني ،
وانا كل يوم اموت .


شاني
ماركة تجارية
SPARKLING
shani
TRADEMARK
FRUIT FLAVOUR
DRINK
NET CONTENTS 296ml


ميرندا
ماركة مسجلة
MIRINDA
TRADEMARK REG'D.
ORANGE



وجـــه من مدينـــة حلـب .. للفنان السوري : لؤي كيّالي

العدد ١٠١ - رجب ١٤٠٤هـ - مايو ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

● مخلوقات من الفضاء تتردّد بين الأرض والسماء
د. عبد المحسن صالح

● صراعي في الحياة بين حبّي للناس وخوفي منهم
فدوى طوقان

● أفلام.. أمام المحاكم
رءوف توفيق



عشاق الشرق بين الطبيعة والفن



تيم

إرو عطشك مع

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان :** دار التوزيع – ص . ب ٣٥٨ – الخرطوم .

● **مصر :** مؤسسة توزيع الأهرام – شارع الجلاء – القاهرة .

● **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات – برامكة ص . ب ٤٩٠٢ – دمشق .

● **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان – شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ – بغداد .

● **ليبيا :** المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان – فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ – طرابلس – فرع بنغازي – ص . ب ٣٢١ – بنغازي .

● **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ – عمان .

● **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ – المنامة .

● **السعودية :** مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان – ص . ب ١٤٠٥ – الرياض .

مكتبة ومطبعة ضياء – المدينة المنورة .

● **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ – الصفاة الكويت .

● **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ – بيروت .

● **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ – صنعاء .

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع – ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى – عدن .

● **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع – شارع المطار الجديد ابو ظبي ص . ب ٧٩١

● **سلطنة عمان :** المؤسسة العربية للتوزيع والنشر – ص . ب ١٠١١ مطرح مسقط .

● **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج – ص . ب ٤٤٠ – تونس .

● **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف – ص . ب ٦٨٣ – الدار البيضاء .

MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية – الجزائر .

ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع علي بن علي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١٠١ - رجب ١٤٠٤هـ - مايو ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة – قطر .
العنوان البرقي :
المجلة – الدوحة
تيلكس : – 4521 MAGDO DH
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

في هـــــــــــذا العـــــــــــــدد



هل يتجهون نحو دين طبيعي ؟ ما حكم العقـــل ببطلانه يستحيل ان يكون دينـــا . محمد الغزالي (ص ١١)



نظرة فى الجذور .. مدى مسؤوليـة الماضى عن ازمــة الحـــاضر ..
د . محمد جابر الأنصـــارى (ص ٦)

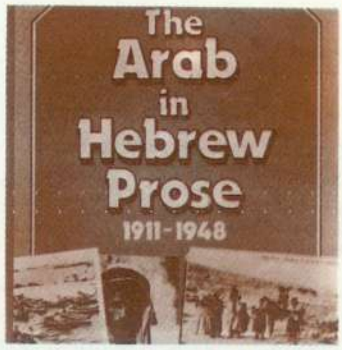


بيكاسو الهند .. يمشي حافيا ويعشق الخط العربي ..
يوسف أحمـــد (ص ٦٢)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●



صورة العربي في الادب اليهودي .. تاليف : ريزا دومب .
عرض : عارف عطارى (ص ١٢٠)

● أبواب ●

الدوحة

مجلة شهرية
ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام
بدولة قطر

● جميع المراسلات
ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة
تعبر عن رأي أصحابها
ولا تعبر بالضرورة
عن رأي وزارة الإعلام
أو رأي المجلة

● المواد لا تعاد إلى مرسليها
نشرت أو لم تنشر

حتى لا نبالغ في التجريح الذاتي لأنفسنا

نظرة في الجذور

مدى مسئولية الماضي عن أزمة الحاضر

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

حتى لا نبالغ فى التجريح الذاتي بسبب ضخامة حجم التراجعات العربية الراهنة ، وحتى لا نفسر معضلتنا العميقة المستعصية بتفسيرات جزئية ووقتية متغيرة بتغير الوقائع والظروف والملابسات الآنية ، لابد من وقفة متانية مع الجذور الاجتماعية التاريخية لأزمة الكيان العربى وازمة العقل العربى وأزمة الانسان العربى .

إن رصد المتغيرات الراهنة أمر لابد من الاستمرار فيه بطبيعة الحال . لكن العقل العربى مطالب اليوم أكثر من أى وقت مضى بعدم الاكتفاء بهذا الرصد الحـــدثي للمتغيرات الراهنة ، والاطلالة من وراء ذلك الى العوامل الاجتماعية والتاريخيـــة والحضارية الفعالة التى جعلت من الكيان العربى ما هو عليه الآن . فهذه العوامل هى التى تتغذى منها اغلب التراجعـــات والانتكاسات فى الحياة العربية المعاصرة.

وما نطرحه هنا هو مجرد اجتهاد فكري قابل للحوار فى محاولة لتفسير التمزق العربى الداخلي ، وضعف القابلية الانتاجية والحضارية فى المجتمعات العربية ، وسهولة تعرضها للمؤثرات والتحديات الخارجية .

ونحن إذا عدنا الى العوامل والجذور الاجتماعية العميقة ، والبعيدة الغـــور التى اثرت فى تكوين المجتمع العربى نجد أول ما نجد ان المنطقة العربية تتصف بخاصية جغرافية وبشرية تكاد تنفرد بها بين مناطق العالم الأخرى ، وهى انها منطقة تضم اقدم مراكز الحضارة فى تاريخ البشرية كمدن وادي الرافدين ووادى النيل واقليم اليمن ومدن الساحل الســـورى والساحل التونسى ، وتضم فى الوقت ذاته عدداً من أوسع وأجدب الصحارى فى العالم كصحارى جزيرة العرب ، وبادية الشام التى تفصل بين سوريا والعراق وصحراء سيناء التى تفصل بين المشرق ومصر ، وصحراء مصر الغربية التى تفصل بين مصر وبين ليبيا واقليم المغرب العربى ككل ، ثم امتدادات الصحراء الافريقية الكبرى التى تفصل بين ليبيا والسودان وتصل الى جنوب الجزائر لتشكل فواصلها هنـــاك مساحات صحراوية أو شبه صحراوية بين بلدان المغرب الكبير ذاتها من موريتانيا الى تونس وليبيا . فكان مراكز التحضر العربى بمثابة جزر منفصلة عن بعضها البعض ، تحيط بها أمواج الرمال الصحراوية فى كل جانب ، فتهددها بالتصحر ، ليس مناخياً فحسب ، بل حضارياً وفكرياً كذلك . إذ إن هذه المفارقة الجغرافيـــة اوجدت مفارقة



ابن خلدون



الجاحظ



طه حسين



ساطع الحصرى

اجتماعية حضارية ذات ديمومة تاريخية : هى مفارقة التقابل والتجاذب والتصارع بين ظاهرة الحضارة وظاهرة البداوة ، أو بين واقع الاستقرار الحضري فى تلك المراكز الحضارية ، الزراعية والتجارية ، وواقع الانتقال الرعوي فى تلك الصحارى وبواديها ، بحيث اصبح تاريخ المنطقة العربية منذ اقدم العصور خاضعاً لقانون ذلك التجاذب المتوتر بين قوى الحاضرة وقوى البادية ، فتسود الأولى ردحاً من الزمن يقصر أو يطول حسب قوة المركز الحضارى المسيطر ، ثم تاتي موجة رعوية اخرى من البادية لتسود الحاضرة ردحاً آخر من الزمن ، وتغير من طبيعة تكوينها البشرى والقيمي والسياسى والثقـافى والاقتصادى بما يتلاءم ونوعية الموجة الرعوية القادمة .. وهكذا .

نظـــرة في الجـــــذور

مدى مسئولية الماضي عن أزمـــة الحاضـــر

الخصوصية العربية

وهذا القانون اكتشفه وحلله بدراية وعمق فيلسوف التاريخ العربى العلامة عبد الرحمن بن خلدون الذى نرى ان اى تحليل لجذور التكوين الاجتماعى التاريخى العربى لابد وان ينطلق من مقدمته ومن نهجه ورؤيته ، قبل القفز الى تبني مناهج علم الاجتمـــاع الأجنبيـة من مادية وليبرالية وغيرها ، لان منهج ابن خلدون مستمد من الخصوصية العربية ذاتها ، وقوانينه مستوحاة من واقع هـذه الخصوصية ومميزاتها الذاتية ، فى حين ان تلك المناهج الاجنبية ، على ما فيها من حداثة وجدة فى التحليل والنظر ، مستمدة من خصوصيات اخرى وبيئات ومجتمعات مختلفة فى الكثير من خصائصها ، بحيث لا تتلاءم قوانينها وتنظيراتها مع صيرورة المجتمع العربى ، بل وتتصادم معها ، وهذا ما يفسر لنا ظاهرة اخفاق العديد من الايديولوجيـات العربيـة المعاصرة التى حاولت علاج المعضلات العربية بالتنظير الأوربي من شرقي وغربي ، فكانت هى فى واد ، وكانت المعضلات العربية فى واد اخر تنتظر من ياتي لتشخيصها حسب منظورها الخاص .

ورغم اننا نتحدث ، بفخر ، عن ابن خلدون منذ عشرات السنين ، ونزعم إحياء تراثه ، ونحتفل بعيد مولده وذكرى وفاته ، إلا ان احداً لم يتقدم بعد ، فى ساحة الفكر الاجتماعى التحليلي النقدي ليواصل مسيرة ابن خلدون فى تشخيص المجتمع العربي ويحاول تطويرها بما يناسب العصر الحديث ، واستخراج رؤية فكرية من منطلقها لفهم هذا الاستعصاء فى الواقع العربى بازاء محاولات التقدم والتوحيد والاستقرار ، وتحديد الكيفية الملائمة والناجعة لتخطى حالة الاستعصاء هذه ، وإيجاد الحل المنتظر للمعضلة المستفحلة البعيدة الجذور .

ورغم ان مفكرين عرباً من امثال طـه حسين وساطع الحصري قد درسوا ابن خلدون ونبهوا الى اهميته إلا ان ذلك لم يخلق بعد حركة عربية ذاتية فى الفكر



اوغست كونت

الاجتماعى العربى لمواصلة هذا الاهتمام وتطويره وايصاله الى نتائجه المرجوة . ولفترة من الوقت كان المثقفون العرب الذين يهتمون بابن خلدون وبالخصوصية العربية يواجهون نوعاً من الارهاب الفكرى يشهره فى وجوههم المسيطرون على الأوساط

الثقافية ودور النشر من المعجبين باوغست كونت وكارل ماركس ودركهايم . ولم يتم اعتراف هؤلاء بابن خلدون مفكراً اجتماعياً قابلا للنظر إلا بعد ان تم (تعميـده) كصاحب نظرة اقتصادية مادية فى معاهد الاستشراق بموسكو وباريس ! .. ولله فى خلقه شئون ! ..

بين الاستقرار والترحل

بعد هذا الاستطراد الذى وجدنـاه ضرورياً للتنبيه الى فكر اجتماعي متجذر فى عمق تراثنا التاريخي ، العلمي والعقلي، نعود الى ظاهرة الصراع فى التكوين العربى بين نزعة الاستقرار الحضري ونزعة الترحل الرعوية ، او بعبارة اخرى ظاهرة الديالكتيك (الجدلية) بين الحضارة والبداوة التى تمثل فى راينا اخطر ديالكتيك فى صيرورة التاريخ العربى وهو ديالكتيك خاص بالمنطقة العربية لم يفطن اليه الفكر الديالكتيكي الاوربى الذى ركز على اهمية الصراع بين الطبقات داخل المجتمع الحضرى الأوربى المستقر ، من زراعي وصناعي ، ولم يتنبه الى امكانية وجود جدل اجتماعى تاريخى من نوع اخر هو الجدل الصراعى بين بنية المجتمع الحضرى ككل ، بكافة طبقاته ، وبنية المجتمع الرعوي ككل ايضاً ، بكافـة عناصره .

وهذه الحقيقة الاجتماعية التاريخيـة لا تعود فحسب الى واقع وجود مساحات صحراوية - رعوية او بدوية داخل المنطقة العربية تفصل بين اقاليمها المتحضرة ، وانما ايضاً الى واقع اخطر من ذلك وهو ان المنطقة العربية ككل محاطة بصحارى وسهوب آسيوية رعوية شاسعة تمتد من جدار الصين الى بر فارس وتمثل خزاناً تاريخياً هائلا للموجات الرعوية البدوية الكاسحة التى لم تكن الموجة التترية بقيادة هولاكو غير واحدة منها . اضف الى ذلك تداخل افريقيا العربية مع افريقيا الرعوية السمراء والسوداء مما أدى الى تعرض مصر وبلدان الشمال الافريقى الى موجات بدوية افريقية قادمة من الجنوب ، بالاضافة الى موجات البادية العربية نفسها التي كانت تعبر صحراء سيناء وصحراء مصر الشرقية وتكمن في الصعيد لتنقض بعدئذ على مراكز الحضارة المغربية كما فعل أعراب بني هلال بمدينة القيروان وسائر المراكز الحضرية في تونس والساحل المغربي . او كما حدث على الجانب الآخر عندما انتظمت قوى البادية الأفريقية في حركتى المرابطين والموحـــدين بالمغرب واجتاحت مراكز الحضارة العربية الاندلسية المتحضرة واخضعتها فكراً وسياسة واجتماعاً لمفهومها الرعوي .

ومن ناحية البحر المفتوح تعرضت مصر والشام للموجات الافرنجية المتبربرة ايام الحروب الصليبية وما قبلها وما بعدها ، مما ادى ايضاً الى تدمير مراكز الحضارة العربية التى إن سلمت من موجات البر لم تسلم من موجات البحر بحكم طبيعتها الجغرافية السهلية المفتوحة التي تفتقر الى الموانع والحواجز الجغرافية الحصينة التى يمكن ان تحميها من غائلة هذه

الموجات المكتسحة ومن تسلل او هجرة العناصر الغريبة الدائمة التسرب الى الوطن العربي ان لم يكن بفعل الغزو ، فبفعل الهجرة المتتابعة للسكن والعمل والالتجاء ثم السيطرة !

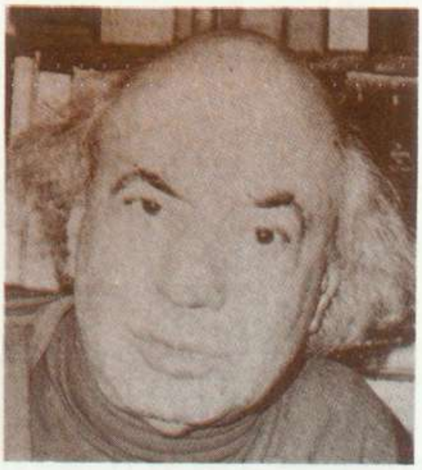
الموجات المكتسحة ومن تسلل او هجرة العناصر الغريبة الدائمة التسرب الى الوطن العربي ان لم يكن بفعل الغزو ، فبفعل الهجرة المتتابعة للسكن والعمل والالتجاء ثم السيطرة !

عوامل هدم وتعطيل

ان تعرض المدينة العربية ، التي هي مركز التحضر ، لسيل الموجات الرعوية المتتابع قد ترك في تكوين المجتمع العربي وبنيته الآثار والترسبات والبثور التالية :

اولا – بالنظر الى كون القبيلة هى الوحدة الاجتماعية فى الموجات الرعوية ، فانها انتقلت ايضاً الى صلب مجتمع المدينة والريف وجلبت معها نزاعاتهـــا وعصبياتها ونظرتها الى العمل المهني والتقني وكل انواع العمل الحضرى . اضف الى ذلك ان القبيلة ، بعكس الاقطاعيـــة الزراعية فى المجتمع الأوربى او اليابانى او الصينى ، تميل بطبيعتها الى مزيد من التشرذم حيث تتحـــول القبيلة الى عشـــائر والعشائر الى بطون وافخـاذ متنافسة وهكذا . بينما تنضم الاقطاعيـة الزراعية الى الاقطاعية الأخرى لتكون نواة الدولة الموحدة كما حدث فى أوربا واليابان والصين والهند .

ثانيا : ان هذه التعددية القبليـــة والعشائرية فى صلب نسيج المجتمع العربى تسببت فى وجود تعددية غير صحية اخرى هى التعددية الطائفيـــة والمذهبية . فنحن إذا عدنا الى الأسباب الجذرية لنشوء اغلب الطوائف والمذاهب فى بلادنا العربية نجد انها نتيجة الصراع السياسي – الاجتماعي بين القبائل والعشـــائر والعوائل من قيسية ويمنية ومن امـــوية وهاشـــمية ..الخ . ثم توسع هـــذا الصراع بدخـــول الأقوام غير العربية فى الدولة الاسلامية بحيث اذا انتمى الأتراك الى مذهب رد عليهم الفرس بالتعصب لمذهب آخر ، مثلما حدث فى



مكسيم رودنسون

البداية عندما مال الامويون فى صراعهم السياسى الى اتجاه ، فرد عليهم خصومهم باتجاه مضاد . وتلبّس الاتجاهان الطابع الديني المذهبى .

وهكذا فان التكـــوين المجتمعى فى المنطقة العربية لم يصب فقط بتعددية القبائل والعشائر والافخاذ ، ولا بتعددية القوميات والأخلاط المتسربة من تركية وفارسية وشركسية وارمنية ، وانما بتعددية المذاهب والطوائف ايضا ، بحيث اذا ذابت فوارق القبائل والقوميات بحكم التزاوج والتعايش الطويل الأمد ، عبر التاريخ ، بقيت فوارق المذاهب والطوائف تثير النعرات وتذكر الناس باصولهم التاريخية المختلفة وتمثل افضل ذريعة فى يد القوى المعادية لتفتيت المنطقة العربية واعادة احياء هذه الظاهرة التعدديـــة – (الفسيفسائية) التى لا يتماشى وجودها مع اى اتجاه حقيقى لخلق كيان مترابط ومتماسك ومستقر ومتحضر يستطيع رد التحديات الخارجية ، والتركيز على العمل والانتاج وتحقيق التقدم فى الداخل .

والجدير بالملاحظة ان الاسلام قد حارب منذ البداية نزعة التعددية القبلية فى المجتمع العربى ، وحذر من الخضوع لقيم البداوة غير الايجابية ، وقد قال النبى العربى الكريم عن نزعة التفاخر القبلي : « دعوها فانها منتنة » اى كريهة الرائحة . غير ان النزاعات القبلية والشعوبية فى تاريخ العصور الاسلامية التالية اعادت هذه التعدديـــة غير الصـحية الى التكوين الاجتماعى العربى . والواقع ان كل مخططات اسرائيل والقوى الأجنبية الطامعة تتلخص فى احياء هذه التعددية الجاهلية فى المنطقة العربية .

ثالثا : إن أهم ظاهرة نجمت عن خضوع مناطق الحضر للموجات الرعوية المتبدية هى ظاهرة الانقطاع أو التقطـــع أو اللااستمرار فى حياة الحضارة العربية . فالواقع ان اغلب حركات الازدهار الحضارى العربى قد تم اغتيالها على يد القوى الرعوية الكاسحة ولم يتح لها مجال النمو والنضج الطبيعى ، والانتقال من مرحلة حضارية الى مرحلة حضارية اعلى كما حدث فى أوربا واليابان بالانتقال من الحضارة الزراعية الاقطاعية الى الحضارة الصناعية الراسمالية . وهذا ما يفسر فى نظرنا لماذا لم يتحول المجتمع العباسى المزدهر تجارياً الى مجتمع صناعى رأسمالى . وذهب مكسيم رودنســـون ، المستشرق الفرنسي ، وغيره فى تفسير هذه الظاهرة الغريبة تفسيرات شتى غير مقنعة وغير نهائية ، ومازال الجدل فى أوساط الفكر الاجتماعي التاريخى قائماً حول هذه المسالة .

ذبول غير طبيعى

وتفسيرنا الذى يمكن ان نقدمه هنا ، على ضوء الديالكتيك بين المجتمع المتحضر والقوى الرعوية ، هو ان المجتمع العباسى المتقدم فكرياً وعمرانياً والمزدهر تجارياً ومهنياً واقتصادياً لم تترك له القوى الرعوية المتخلفة المحيطة به فى الصحارى العربية والآسيوية والأفريقية فرصة النمو الطبيعى وامكانية التراكم الراسمالى المؤدي الى الثورة الصناعية ، بل اخذت تقطع طرق امداداته ومواصلاته التجارية ثم انقضت على مراكزه الحضرية ذاتها بالتسرب سياسياً ودينياً الى مؤسسة

نظـــرة في الجـــذور

مدى مسئولية الماضي عن أزمـــة الحاضـــر

الخلافة والحكم ، ثم بالانقضاض الحربي المباشر عليه عندما تم تفكيك بنيتـــه الحضارية من الداخل .

فاجماع الدارسين ينعقد على ان عهد الخليفة المامون يمثل ذروة ازدهار الحضارة العربية الاسلامية فكريا واقتصاديـــاً وعمرانيا ، وهذا الازدهار كان من الطبيعي ان يواصل النماء والتطور والانتقال الى مراحل اعلي لو احتفظ المجتمع العباسي المتحضر بتماسكه ومناعته الداخلية . فماذا حدث ليفسر كل هذا الارتداد الفكري والحضاري والسياسي في عهدي المعتصم والمتوكل ومن اتى بعدهما ؟

هل يعقل ان الحضارة العباسية التي بلغت أوج شبابها في عصر المامون ، قد انتكست هكذا بشكل طبيعي نحو الذبول والشيخوخة ؟ ان ذلك ضد طبيعة الاشياء . لأن الذبول الحضاري الطبيعي يتطلب عصوراً طويلة متعاقبة ، شانه شان النمو المتدرج في البداية . فلابد ان عاملا قسرياً خارجيا قد اقتحم على التحضر العباسي مسيرته ونموه وتطوره واعاده خطوات واسعة الى الخلف .

وهذا واضح تماماً بسيطرة الموجـــة التركية البدوية على مقاليد المجتمع العباسي في عهد المعتصم الذي كان موالياً للعنصر التركي بتاثير أمه التركية ، مما يعني ان الولاء العربي قد ضعف حتى في مستوى الخلافة بتسرب العناصر غير العربية الى صميم النسيج المجتمعي في أعلى خلاياه . (ومثـل هـذا الولاء المزدوج سيكون من اهم اسباب البلاء في تاريخ العرب) .

فالذي حدث ان الخلافة في عهـد المامون قد واجهت تحديات العناصر البدوية الاعرابية في الشام والجزيرة ، وتحديات العناصر الآسيوية في خراسان واطراف بلاد فارس ، وتوهم المعتصم بعد توليه ان الاستنجاد بقوة من المحاربين الاتراك سوف يحمي الدولة ، ولم يدرك ان سيطرتهم لن تضر الخلافة والســـلطة السياسية فحسب ، بل ستؤدي على المدى الأبعد الى تهديم البناء الحضاري والتقدم الاقتصادي الانتاجي الذي بدأ منذ صـدر الاسلام ، وذلك بحكم الطبيعة الرعوية المتخلفة لاولئك المحاربين الاتراك .

الانقلابات الرعوية

وقد خلف لنا الكاتب والمفكر العباسي الكبير ، الجاحظ ، وثيقة تاريخية هامة عن طبيعة هذه الموجة الرعوية التركية التي هيمنت على عاصمة الخلافة ومراكزها الأخرى عندما قال في رسالته الشهيرة عن الترك : « الترك اصحاب عمد (خيام) وسكان فياف ، وارباب مواش وهم اعراب العجم .. فحين لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة ، ولا غرس ولا بنيان ، ولا شق انهار ولا جباية غلات ، ولم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيـل وطلب الغنـــائم وتدويخ البلدان .. وصار ذلك هو صـــناعتهم وتجارتهم ولذتهم وفخرهم وحديثهم وسمرهم » .

ان الطبيعة المحاربة غير الانتاجية وغير التحضرية لهؤلاء واضحة في رسالة الجاحظ المعاصر لهم ولتلك الفترة . ويلخص الدكتور شوقي ضيف في كتابه « العصر العباسي الثاني » ملامح هذا الانقلاب الرعوي في المجتمع العباسي بقوله : « وكان جمهور هذا الرقيق (التركي) بدواً جفاة فكانوا يركبون الخيل ويركضونها في الشوارع ، فتطا بعض الشيوخ والأطفال والنساء ، مما اضطر المعتصم أن يبني لهم سامراء شمالي بغداد » .

ويمكننا ان نضيف الى وصف الدكتور شوقي ضيف ، بلا مبالغة ، ان الذي وطاته خيل البدو الأتراك لم يكن أهالي بغداد فحسب ، وانما مستوى التحضر العربي الاسلامي في ذلك الوقت ودرجة النمو الاقتصادي التجاري والمهني الانتاجي في الدولة العباسية .

واي مؤرخ اجتماعي يتصدى لمحاولة تفسير عدم تطور المجتمع العباسي من مجتمع تجاري مهني مزدهر الى مجتمع صناعي رأسمالي (بالمعنى الاقتصادي المحض للرأسمالية وليس بمعناهـــا الايديولوجي السائد حالياً) ، لابد له أن يقف طويلا امام مثل هذا التقطع الحضري والانتاجي الذي تسببه الموجات الرعوية للمجتمعات العربية وتترك بصماتهـــا وترسباتها واضحة في تكوينها الاجتماعي الحضري والانتاجي لأمد طويل .

وفي تجربة تاريخية مماثلة بلغ المجتمع العربي في الشام ومصر درجة متقدمة من التحضر والانتاج التجاري والمهني والفني اواخر العصر المملوكي عندما امتص الموجة المملوكية وعرّبها الى حد معين ، وحضّر عناصرها إلى درجة ملحوظة . وكان من المحتمل ان يشهد المجتمع العربي في مصر والشام في تلك الفترة تحولا اقتصادياً وحضاريا هاماً بالانتقال من المرحلة التجارية المزدهرة مع الجمهوريـــات الايطالية كجنوة والبندقية ، الى المرحلة الصناعية التي كانت أوربا على وشك الانتقال اليها .

غير ان هذا المجتمع العربي المتحضر اقتحمته الموجة الرعوية العثمانية القادمة من سهوب آسيا الصغرى بالغزو المباشر ، فقطعت استمراريته الحضاريـــة ونموه الاقتصادي والانتاجي ، كما فعلت الموجة التركية الأولى في عهد المعتصم بالمجتمع العربي بالعراق والمشرق. وحادثة قيام سليمان القانوني ، السلطان التركي ، باجبار افضل المهنيين المصريين والشاميين على ترك العمل بمدنهم العربية والرحيل في ركابه الى اسطنبول ، اشهر من ان تعرّف . فضلا عن حمله ارقى المقتنيات والآثار والادوات من القاهرة ودمشق وحلب إلى عاصمته .

ان هذا التقطع الحضاري والبشري في حياة المجتمعات العربية ليس بالحدث السهل ، ولم يتم تجاوز آثاره بعد .

فازدواجية الولاء ، وتعددية العناصر ، وتدني مستوى الانتاجية ، في العمـــل والحضارة ، والمفارقات القائمة في النسيج المجتمعي العربي بين اعلى مستويات التحضر ، وادنى مستويات التخلف بشكل غير متجانس .. كل ذلك ما يزال فاعلا فعله وتاركا آثاره ، فيما يتعلق بمدى تماسك المجتمعات العربية ضد الأخطار التي تهددها ، ومدى فاعليتها الانتاجية وقدراتها الحضارية بالنسبة لتحدي التنمية والبناء الداخلي . والى وقفة اخرى مع هذه الجذور الاجتماعية التاريخية للأزمة العربية الراهنة .

محمد جابر الأنصاري

هـل يتجهون نحو دين طبيعي ؟

ما حكم العقل ببطلانه يستحيل أن يكون دينًا

بقلم: محمد الغزالي

فى عصرنا هذا كثر الحديث عن الانسان وحقوقه ، وعن الأشواق والآمال التى ينبغى أن تتحقق له ، وعن المتاعب والمظالم التى يجب أن يبرأ منها ..

ويكاد الاجماع العالمى ينعقد ـ ولو نظرياً ـ على ضرورة تكريم الانسانية المجردة ، مهما اختلفت الأنساب والألوان والآراء والأديان . !

وقد يظن البعض ان هذا كسب محدود ، ونراه نحن كسباً كبيراً ، فان البشر على ظهر هذه الأرض عانوا الوانا من الغمط والحيف لا حصر لها ، بل تعرضت اجيال لعذاب الاستئصال دون سبب !

فاذا تعاونت الشعوب والدول على تامين حاضرها ومستقبلها ، ووضعت برامج مادية وادبية لاعلاء قدر الانسان ودعم مكانته الاجتماعية والسياسية فذلك ارتقاء مقدور مشكور !

ولم نلحظ خلافاً يذكر فى الخطط المرسومة لتكريم الانسان وصون حقوقه ! فالمتحدثون من الصين أو من امريكا يدفقون على تجريم الاضطهاد ، وتحريم الارهاق ، ويهفون الى ايجاد عالم تسوده الاخوة والمساواة ، وتتوطد فيـــه الحريـات والكرامات ..

لاحظنا ان « للعقل » احكاما هى موضع التسليم التام ، وان هناك علوما تتجاوب معه ، وينمو فيها ويزدان ! هذه العلوم تتنافس الأمم على تحصيلها وتثميرها ، وقد يتفضل المتقدم على المتخلف ، والواعى على القاصر .

ولاحظنا ان لسلامة الأجسام قيمة كبيرة وان الأمم ترعى أنواع الرياضة التى يصح بها البدن ويقوى ، كما تحرص على مستويات التغذية التى لابد منها ..

ولاحظنا ان مكارم الاخلاق ومحاسن الآداب لا خلاف عليها فما احترم احد زوراً ولا ازدرى صدقا ! وما احسب احداً من اهل الأرض يمج طعم المعروف او ينكر وجهه الوسيم ، الجميع يؤكدون قول الشاعر :

ولم أر كالمعـــروف اما مذاقــه
فحلـــو ، واما وجهه فجميل !!

الانسانية عملة مانوسة لا تهبط قيمتها ، ولا يستوحش منها احد له قلب سليم وعقل سليم .

والعالم الحاضر له ذكريات تاريخية كثيرة اقلها حلو واكثرها مر ، وقد استفاد منها خبرة وكون احكاماً ، وربما نشات عنده عقد مبهمة كالفرد الذى لدغه حنش فصار يخشى الحبل ..

وعلى اية حال فان العالم محق فى كراهيته للاستبداد السياسى والتعصب الدينى ، والنعرات الجنسية ، والفوارق الطبقية ، وهو محق فى نشدانه للعدالة والسماحة والاخاء والتراحم ..

وقد كان الناس يحسبون ان هيئة الامم ومجلس الأمن سيكونان حكومة عالمية تطارد العدوان وتقيم الموازين القسط بين الناس كافة ! ثم استيقظوا من حلمهم على واقع كالح !

فماذا يقول العرب ووطنهم يغتصب منهم جهرة ، وتعين على اغتصابه اكبر دول العالم ؟ وماذا يقول المسلمون فى افغانستان ، او فى « مورو » او فى غيرهما وهم يعانون ضيما يوشك على قتلهم ؟ والغريب ان الولايات المتحدة قاطعت

ماحكم العقل ببطلانه يستحيل أن يكون دينا

هيئة اليونسكو وتعمل على تقويضها لان الهيئة لم ترض عن جور اليهود فى فرض طابعهم على أرض ليست لهم !

ترى ما هى اغوار وابعاد « الانسانية » التى تراضينا عليها وقبلناها عنوانا وموضوعا ؟ اننى - بتجرد كامل - ابحث هذه القضية ، ذلك لانى أرى العالم عاد الى اصله أو حن الى فطرته عندما رفع شعار هذه الانسانية !

ان الدين الذى بلغه المصطفون الاخيار من فجر الخليقة الى الآن هو هذه الانسانية الراشدة لأنها تسمع صوت العقل ، الصالحة لانها تسمع صوت الضمير أى صوت القلب الطهور الذى يحسن الحسن ويقبح القبيح .. !

وعندما يكون الدين هو فطرة الله التى فطر الناس عليها ، فما الجديد الذى ينكره الانسان ، وينتصب لمقاومته ؟ نعم ساء عرض الدين فى اعصار طويلة ، وطولب البشر احيانا بما يخالف الفطرة ، وتاباه الطباع القويمة ، ولست اقبل هذا الوضع ، ومن حق أولى الالباب ان يرفضــوا ما يكذبه العقل ، وما تتاذى منه الفطرة ، لانه ليس دينا نازلا من السماء ، وإنما هو نبت سام خرج من الارض ..

ان سير اليهودية وقف لان ماصحبها من صلف ودعوى يصد عنها ، فالله لم يختر شعبا ليدلله ، ويمكنه من رقاب البشر ، ذاك فضلا عما ذكره العهد القديم والتلمود من صفات لله لا تليق به ولا تصدق فيه ..

وقد نشب صراع ضار بين النصرانية والعلم زهقت فيه أرواح بريئة لان آباء الكنيسة جافوا العقل وعطلوا وظائفه وانكروا امتداده ، وما كان عيسى الا انسانا نبيلا يقول للناس : « إن الله ربى وربكم فاعبدوه ، هذا صراط مستقيم » .

ووقع المسلمون فيما وقع فيه من قبلهم كما جاء فى الحديث : « لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ! قالوا : اليهود والنصارى ؟؟ قال : فمن إذن .. ؟؟ » .

ومن المؤسف ان ناسا من المتكلمين فى الاسلام اشبهوا كهنة الديانتين السابقتين فى ضيق الأفق ، ورداءة النظر ، ومرض الذوق ، وغش العرض ، فكانوا بلاء على الاسلام وغطاء على نوره وصــدا عن سبيله !

بيد أن الله تاذن بحفظ كتابه وصون وحيه وتجديد دينه ونفى الترهات عنه ، ما بقى الليل والنهار ..

ألا فلنعلم أن ما حكم العقل ببطلانه يستحيل أن يكون دينا ، وقد كان ابراهيم الخليل يشير الى طبيعة الحق فى اصل الايمان عندما قال لابيه « يا ابت لم تعبد مالا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنــك شيئا » ؟ .

وكان يقيم الايمان على مهاد اليقين العلمى عندما قال : « يا ابت انى قد جاءنى من العلم مالم ياتك فاتبعنى أهدك صراطا سويا » .

وفى هذا الاتجاه نفسه من إرساء العقيدة على الصواب المستيقن تقرأ الآية الكريمة « قل أرأيتم ما تدعون من دون الله ، أرونى ماذا خلقوا من الارض ؟ أم لهم شرك فى السموات ؟ ائتونى بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم ان كنتم صادقين » .

الدين الحق ، هو الانسانية الصحيحة والانسانية الصحيحة هى العقل الضابط للحقيقة المستنير بالعلم ، الضائق بالخرافة ، النافر من الاوهام ! بيد ان الذكاء الحاد وهو جزء من هذه الانسانية ما يكمل ويستقيم إلا بجزء آخر ينضم إليه ويتحد معه هو القلب النظيف من الكبر والأثرة ، الشاكر لانعم الله والمعترف بامجاده والماضى الى غايته فى هذه الحياة على ضوء من اسمائه الحسنى ، وهداه القويم ..

واعرف وانا محــزون أن هناك من هبط بمعنى الدين وكاد يجعله والانسانيــة نقيضين ! ، وأن هناك من هبط بمفهوم الانسانية ، فعزلها عن ولي نعمتها ، اعنى عن ربها الكبير ، وحبسها فى نطاق الضرورات والمرفهات وحسب !

وأريد أن أمحو هذا التفاوت ، واستبعد اسباب الخصام بين المعنيين ، فهما عند التامل والانصاف معنى واحد .

وأساس الصلح فى نظرى تجريد الايمان من كل وهم يدمغه البرهان ! وتجريد الانسانية من كل غرور يقطعها عن الوحي .

وقد رايت من خبرتي بالاسلام أن الخطب سهل ، وانه مع احترام الفطرية البشرية - وهي قاسم مشترك بين الخلائق كافة - فاننا سنتفق على كلمة سواء ..

فليس مما يليق بدعاة الانسانية أن يذهبوا بانفسهم ويستعلوا على هاديهم ، ويستغلوا اخطاء بعض المتدينين ليدعوا الوحي الآلهي جملة ، ويكتفوا بمرئياتهم وحدها ، وما أكثر هناتها !!

ولم أر اقدر من القرآن الكريم على اقتياد الانسان الى الحق ، والرشد ، وترشيحه لحسنات اليوم والغد ! ولم اعرف اقدر من محمد عليه الصلاة والسلام في حل المشكلات وانارة الظلمات !

كنت اتابع التجارب الأخيرة لاطلاق الأقمار الصناعية من مكوك الفضاء الأمريكي ، وتالمت لان القمرين - وأحدهما اندونوس - زاغا عن مدارهما ، واتخذا طريقا يجعل سعيهما في الفضاء سدى !

قلت : لقد بذل العلمــاء جهودهم ، وما يستطيعون أكثر من ذلك ! ان الجهد البشري قدَّر وما هدى ! أما قدرة الله فشأن آخر . ان الله اعطى كل شيء خلقه ثم هدى.

وما نوازن بين الخلق والخالق ، فان ماقد يبلغه العلماء من ابداع هو سنا من الهام الكبير المتعال ، بيد ان ما حدث يلفت النظر الى عظمة من اطلق الكون في الفضاء فهو يسير في نظامه المرسوم مسخرا دءوبا ، يعلو ويدنو ، ويشرق ويغرب ، ما يتزحزح عن مداره قيد انملة ، ولا يتقدم ولا يتاخر في مساره لحظة عين !

يستحيل أن يخرج شيء على إرادة الله منذ استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض : ائتيا طوعا أو كرها .. قالتا اتينا طائعين .. !

في جو التوحيد الذي جعلني القرآن اتنفس فيه تمر بي خواطر لعلها جديرة بالتسجيل .. ضمني يوما مجلس نابض بالتفكير العميق والحوار المخلص ،وبينما انا مشغول به دارت عيني في المكان كله ، ووعيت أرجاءه جيدا ، واذا هاتف نفسي يقول لي : ان الصورة التي تراها الآن هنا يراها ربك أوضح وأشمل «أبصر به واسمع».

وانتابني لون من الخشوع العابر ، ثم رحلت عن هذا المكان ، وكان سفري بالطائرة وحللت في فندق آخر ، وضمني مع آخرين مجلس جديد ، وتجدد الهاتف النفسي الأول مع زيادة !

ان الله يراك الآن في هذا المجلس ،

ويرى الذين حلوا بعدك في المجلس السابق، أن رؤيته لم تنقص لا هنا ولا هناك « فلنقصّنّ عليهم بعلم وما كنا غائبين ».

وتتابعت الهواتف : لماذا استوقفك هذان المجلسان ؟ ان الشهود الآلهي يشرق على كل مكان قل فيه الناس أو كثروا « إن الله لايخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء » أو لا تذكر قول العلماء انه يستوي في العلم الآلهي يونس وهو في بطن الحوت ومحمد وهو في سدرة المنتهى ؟ وكذلك تستوي فيه هباءة ترتعش في شعاع الشمس ، وحصاة تصهرها الحرارة على بعد الف ميل في باطن الأرض .. !!

وتحرك عقلي مع هذه الخواطر المتداعية وتساءل : لماذا لفتك هذا العلم المحيط وحده ؟ القضية اكبر من استيعاب السمع والبصر والعلم لذلك كله ! القضية قضية ايجاد وإمداد !

فان كل حي يتنفس فبقدرة الله وارادته يعيش ، انه - تبارك اسمه - قيّم السموات والارض ومن فيهن يسوق الرزق لكل فم ، ويدير الاجهزة الهاضمة في البشر والدواب والحشرات والزواحف والطيور كي تبقى الى حين .. !

واستطرد عقلي يتابع النظر : ان ذلك مايقع الآن بيقين ، فهل ذلك جديد في الكون الحافل بالحياة والأحياء ؟ أم أنني وغيري من الخلائق قطرات في بحر الوجود الذي انطلق من الأزل ، واستمر هديره الى يوم الناس هذا ، وسوف يبقى ما شاء له القائم على كل نفس بما كسبت ، الذي جعل الأرض فراشاً والسماء بناء ، والذي أمات وأحيى ، واضحك وأبكى ، ؟؟

نعم فى اللحظة الواحدة قد يقهقه نشوان بالسرور ، وقد يحشرج محتضر راحل عن الدنيا .

والمشيئة العليا من وراء الأضداد كلها تعمل ، لا يحدها زمان ولا مكان .

ما اغرب هذا الوجود كله ، وما اعظام من ابدعه ، واشرف على مسيرته ، سـبحانك لا نحصي ثناء عليك انت كمـا اثنيت على نفسك ..

اننا - بما أودع فينا من عقول - نستطيع معرفة الله ، ونستطيع دراسة عظمته في الكون الذي ذراه ، لكننا لن نعرف الغيوب !

وأول هذه الغيوب المعجزة أن نعرف كنه الخالق ، ذلك مستحيل ، ان الكلمة لا تعرف كاتبها ، ان القمر الصناعي - لو عقـل - ما يعرف كنه الذى أطلقه !

الشمس تطلع كل صباح في عالمنا الصغير على خمسة مليارات من البشر ، كل امرىء منهم يضبط جسمه وفكره ووجدانه ، ومشاعره المهتاجة أو الراكدة ، وحياته القاصدة أو الصاعدة ، طفلا كان أو شيخاً ، ذكراً كان أو أنثى ... هذا الرب الكبير ، يضبطها جميعاً في آن واحد ، مع عوالم اخرى لا ندريها،أفليس من الغرور والتطاول أن يحاول احد منا معرفة سر هذه الذات ؟

ان الايمان ليس لغزاً ، والدين ليس بدعاً ولغط الشكاكين ليس الا سخفاً « اكان للناس عجباً أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم .. » ؟

المشكلة الأولى ما يضمه الناس الى الدين من هوى والدين منه برىء ، ومانزال نؤكد ان كل حكم يرفضه العقل ، وكل مسلك يأباه امرؤ سوي ، وتقاومه الفطرة السليمة يستحيل أن يكون ديناً ، وتدبر قوله سبحانه وتعالى « واذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها . قل ان الله لا يامر بالفحشاء ، اتقولون على الله مالا تعلمون ؟ قل أمر ربي بالقسط ، واقيموا وجوهكم عند كل مسجد .. »

ولما كانت الانسانية قد بلغت شأوا كبيراً من الارتقاء في عصرنا الحاضر ، وكانت الحضارة الغربية - بشقيها الصليبي والشيوعي - هي سيدة الموقف ، وقائدة العالم ، فان صلة هذه الحضارة بالاسلام أهمتني ، واستولت على مساحة رحبة من فكري .

وقد انتهيت بعد سـياحة عقلية بعيدة المدى الى أن العالم يحتاج الى دين طبيعي لا تكلف فيه ولا تعسف ! دين يوائم العقل لا يخاصمه أبداً ، ويتجاوب مع الفطرة فهو منها وهي منه !

وصلة الحضارة الحديثة بالعرب أيام صدارتهم لا يمكن انكارها ، فان احبار اليهود وآباء الكنيسة جميعاً حرصوا على الالتحاق بجامعات الأندلس ، والارتواء من ثقافتها الخصبة ،

وقد ترجموا القرآن الى العبرية واللاتينية ! وبقيت هذه التراجم حكراً على الاحبار والحاخامات حتى تمكن رجال الاصلاح الدينى في أوربا من الاطلاع على هذه النسخ المترجمة ، وكان لها في مناهجهم الفكرية أثر كبير ..

ومنذ ثورة « كرومويل » فى انجلترا سمح بنشر القرآن بالانجليزية لأول مـرة ، ثم نشر بالمانية ، مع الاشارة هنا الى أن قراءة القرآن المترجم في الاقطار الكاثوليكية كانت محرمة ! وتعرض صاحبها لقرار الحرمان ! ومن ثم فان الترجمات القرانية لم تشع الا حيث أعلنت الحرية الدينية ، وهذا ما مكن رجال الفكر الميالين الى عقيدة التوحيد من تفهم الاسلام والمقارنة بين تعاليمه ومواريثهم ، واصدار أحكام تتسم بالشجاعة والتحرر ..

كان من حظى ان اقرا عدة صفحات من كتاب لمفكر مسيحى واسع الذكاء اسمه « ابـادى » Abbadie ، طبع بامستردام سنة ١٧١٩ للميلاد ، والطبعة التى قرات ترجمة لصفحاتها الأولى هى الطبعة السادسة !

ومن السطور التى استوقفتني هذه الكلمات « ... ان المسيح يعلن فى إنجيله : « الفقهاء يعرفون من انتاجهم .. » . وهذا القول لا يبعد عن الحقيقة اذ الحقيقة نفسها هى التى نتعلم منها !

واستناداً إلى هذا المبدأ لا يسعنا إلا ان يكون لنا رأى رفيع فى مكانة محمد وعدّه نبياً عظيماً ، فقد علم البشر ان يفردوا ربهم بالسلطان المطلق ولم يمنح هذا السلطان أحداً من الخلق ! ودفع الأجيال المتعاقبة إلى عبادة الله ذى الجلال والاكرام فالله فوق عرشه رفيع الدرجات ، والناس فى إطار الخليقة الفقيرة إليه وحده .

هل هناك شرع اكثر صحة من هذا الشرع ، إن القرآن كتاب نبيل (!) ومن المؤكد أن محمداً شنت به ضلالات كثيرة ، ونحن نخطىء إذا انكرنا الألقاب التى يضفيها المسلمون على محمد .. » .

هذا كتاب طبع فى أوائل القرن الثامن عشر ينصف الاسلام ويؤكد ما شرحناه هنا من أن أوربا بحاجة الى دين طبيعي ، إلى ايمان فطري إلى تعاليم يرتضيها العقل الحر ، والطبع النقي .

ترى هل ينهض العرب بهذا العبء ؟

محمد الغزالى

تكنولوجيا الغذاء :

... إنهم يزرعون في الماء والهواء والصحراء

الجوع يهدد العالم كله فى بداية القرن القادم اى بعد ١٦ عاماً ، ونحن فى الوطن العربى فى مقدمة الذين يتعرضون لتهديد الجوع ... فماذا فعلنا فى مواجهة الأزمة القادمة ؟

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

تعرضنا فى مقالات سابقة لبعض ابعاد الثورة التكنولوجية الجديدة فى العالم ، وتطبيقاتها فى عدد من المجـالات الاقتصادية وتاثيراتها الاجتماعية ، والآفاق التى تفتحها نتائج ابحاث الكيمياء الحيوية والالكترونيات الدقيقة والذكاء الاصطناعى وثورة المعلومات . ومن المجالات التى يجب ان نتنبه اليها منذ الآن هو تكنولوجيا انتاج الغذاء على ضوء الموقف الحالى فى سوق الغذاء الدولى .

وتبرز اهمية هذا المجال بالنظر الى ما تنبات به معظم التقارير والأبحاث عن مستقبل العالم ابتداء من تقرير نادى روما الشهير باسم « حدود النمو » وانتهاء بتقرير « العام ٢٠٠٠ » الذى اعدته لجنة تشكلت بقرار من رئيس الجمهورية الامريكى ، ورفعته الى الحكومة الامريكية ، وكلها تشير الى ان العالم سوف يواجه بازمة غذاء مع بداية القرن الحادى والعشرين اذا ما استمرت الأوضاع الراهنة على ما هي عليه .

ولا يحتاج الانسان العربى إلى ان ينتظر كل هذه الأعوام ليتعرف على اهميـة تكنولوجيات انتاج الغذاء ، إذ يكفى ان يتامل فى الاعتماد المتزايد لمعظم البلاد العربية فى غذائها على الخارج ، والذى يتعاظم عاماً بعد عام ، ويضع هذه البلاد فى مركز حرج ودقيق إزاء الدول المصدرة للغذاء . فالغذاء ليس سلعة تجارية ، وانما هو مادة استراتيجية شانه فى ذلك شان السلاح تماماً . ومن المتصور ان تستخدمه الدولة المصدرة ، او على الاقل ان تهدد بذلك ، لتحقيق اهدافها او لعقاب من يقفون عقبة امام هذه الأهداف . كما يكفى ان نتذكر انه فى يناير ١٩٨٤ كانت هناك عشرون دولة افريقية تعانى من المجاعات ، يبلغ عدد سكانها حوالى ١٢٠ مليونا ، وان الأمم المتحدة ومنظمة الغذاء الدولية اصدرتا اكثر من اعلان ونداء يدعو دول العالم الى اغاثتها ومساعدتها .

لقد شهد سوق الغذاء الدولى فى حقبة السبعينات ثلاثة تطورات رئيسية : اولها انتهاء الرصيد الاحتياطى الضخم الذى كان احد سمات هذا السوق منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ، والذى ادى فى بعض السنوات إلى قيام الولايات المتحدة بان تدفع لفلاحيها ما يوازى قيمة الانتاج المتوقع من اراضيهم حتى لا يقومـوا بزراعتها . وثانيها ازدياد اعتماد دول العالم فى استيراد الحبوب على امريكا وكندا ، الأمر الذى يضع هاتين الدولتين فى موقف احتكارى ، ويضع العالم كله فى موقف لا يحسد عليه اذا ما تعرضت الدولتان لظروف مناخية غير مواتية للزراعة خاصة وانهما فى منطقة جغرافية واحدة وتتاثران بنفس العوامل . وثالثها دخول الاتحـاد السوفييتى منذ عام ١٩٧٢ سوق الغذاء كمستورد لكميات كبيرة من القمح .

فى هذا السياق يقوم عدد من الدول بتجارب وابحاث رائـدة فى مجـال تكنولوجيات انتاج الغذاء ، من المهم ان نتعرف عليها وان نشارك فيها وفى تطويرها ، والا نكتفى بالدور التقليدى لنا وهو دور المستهلكين او المشترين . فهناك تجارب لزراعة اكثر من محصول واحد فى الموقع الواحد ، والزراعة فى الهواء ، والزراعة المائية ، وزراعة الصحراء .

ففى كل من اليابان والولايات المتحدة تمت دراسات لزراعة اكثر من محصول فى نفس الموقع بحيث يستطيع كل محصول من المحاصيل المزروعة أن يستفيد من المحاصيل الأخرى ، مثل أن يستمد احد المحاصيل النيتروجين من الهواء فيوفر بذلك الأسمدة الآزوتيـة للمحاصيل الأخرى . وهناك اختبارات للزراعة فى الهواء بلا تربة ولا ماء بحيث تنمو الجذور عبر ثقوب كثقوب الغربال ، تتـدلى فى الهـواء ، وتنمو هـذه المتدلية فى الهـواء بواسـطة الرش بالماء والأوكسجين والمواد المغذية . وهنـاك تجارب ناجحة لزراعة الصحراء قام بها معهد زراعة المناطق الصحراوية فى جامعة « تتورى » اليابانية التى تقع فى جزيرة هونشو ، وتمكن فيها من زراعة مساحات كبيرة بالفـراولة وزهـور الجلاديوس



والبطاطس والبطاطا ، كما تمكن من زراعة الطماطم سنتين متتاليتين فى الأرض .

ومنذ عام ١٩٦٠ تتم فى مناطق عديدة فى اليابان الزراعة فى بيوت مصنوعة من صحائف بلاستيكية موضوعة فوق اطارات من البامبو او المعدن ، ويتم التحكم فى درجة الحرارة او الرطوبة فى هذه البيوت بما يناسب كافة انـــواع الخضروات والفواكه .

وهناك الزراعة فى الماء . ويقوم هذا النظام على انتاج الخضروات فى احواض للبذور خالية من التربة يغمرها الماء وضوء الشمس . فبدلا من التربة هناك لوح من المطاط موضوع فوق سطح مشبع بالماء المخلوط بالاسمدة ، وللوح ثقوب عديدة تزرع فيها البذور . وتوضع احواض المطاط فى صف داخل بيوت زراعية مدفأة ، وتقوم هذه الاحواض مقام الحقل الزراعى . وعلى سطح الماء فى هذه الاحواض توضع الواح المطاط لتطفو على سطحه . وفى ثقوبهـا تنمو النباتات الصـغيرة لمختلف انـواع الخضروات ، وتمد الاحواض بمحلول مغذ ليساعد على انتشار جذور النباتات من خلال الحوض . ويقتصر هذا الأسلوب على زراعة الخضروات ذات الأوراق ، أو الخضروات الجذرية مثل الفجل والجزر

كما تمت الاستفادة من نتائج ابحاث الكيمياء الحيوية واستخدام هرمونات النبات فى الزراعة لانضاج النبات فى وقت اقصر بكثير من المدة الطبيعية اللازمة لذلك . وهرمونات النبات هى التى تنظم النمو والتطور والتكاثر للنبات : لذلك فان فهم التركيب الهرمونى ووظيفته يسمح لنا بمعرفة اى الهرمونات مثلا تؤدى الى نمو الجذور او مكافحة الحشرات الضارة او تكبير حجم الثمرة او التحكم فى لونها .

وهناك ابحاث تجرى على مجموعة الهرمونات المعروفة باسم « اوكسين » والتى تنظم نمو اجزاء النبات بمعدلات متناسبة ، وعلى علاقة الأوكسين بالظروف البيئية المختلفة مثل : لماذا تؤدى كمية معينة من اشعة الشمس الى نمو مختلف للنبات ؟ وما تاثير كمية الضوء على هذا النمو ؟ وهناك هرمونات تساعد النبات على تحمل الجفاف ، واخرى تحد من طول سيقان بعض النباتات مثل القمح حتى تستطيع مواجهة الرياح.

وهناك عمليات التهجين المختلفة التى تقوم بها مراكز الابحاث ، فالمركز الدولى لبحوث الأرز فى الفلبين مثلا قام بتهجين انواع مختلفة من الارز للحصول على افضل سلالة من حيث النوعية وقصر الأيام اللازمة للزراعة وحجم الانتاج . ويقوم باحثو المركز بحفظ مجموعات من الخلايا التناسلية للارز لتطوير انواع جديدة يمكن ان تقاوم الأمراض ، وتكافح الآفات ، وتتحمل الجفاف او الفيضانات ، وتعيش تحت انواع مختلفة من الطقس ..

وفى مجال انتاج السمك تشكل الاسماك التى ربيت فى مزارع خاصة نسبة ١٠٪ من مجمل استهلاك اليابان ، وتطورت اساليب تربية الأسماك وليس صيدها وحسب ، وزاد انتاج اليابان من الأسماك التى تربى فى مزارع من ٦٠٠ الف طن فى عام ١٩٧٠ الى مليون ومائة الف طن فى عام ١٩٨٠ .

ويدرس الخبراء الآن امكانية تربية الأسماك فى مناطق فى عرض البحر .

ونسال .. اين نحن من هذه التطورات ؟

واين خططنا ونظرتنا طويلة الأجل حتى نضمن غذاء الأجيال القادمة من العرب ؟

وكيف يتم الاهدار المستمر وعدم استثمار موارد السودان الهائلة من الاراضى الزراعية ؟

عصر المدن المليونية في الخليج :

كل شيء للمدينة.. أقلّ القليل للريف والبادية

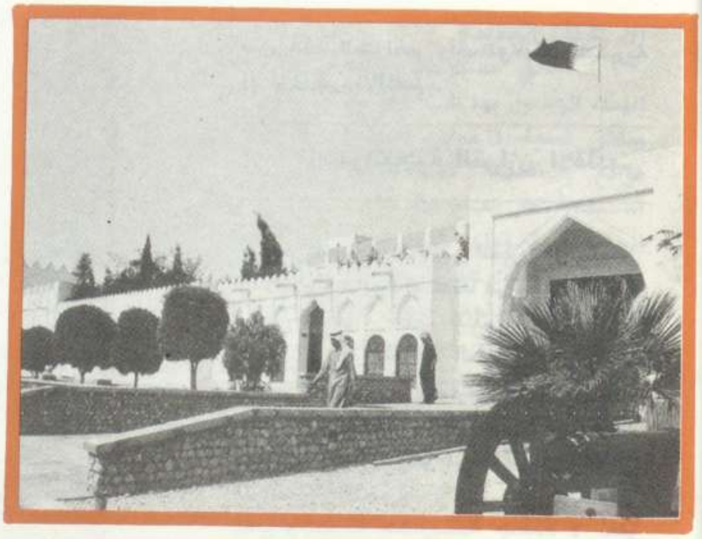
بقلم : الدكتور حسن الخيّاط

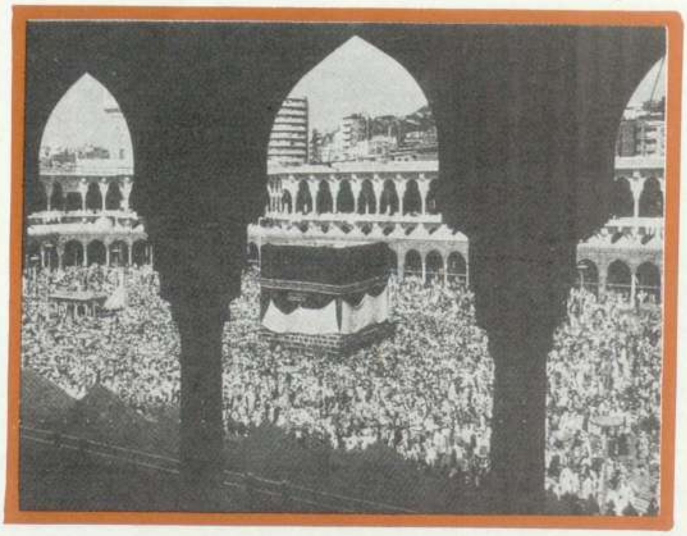
ان ما يميز خارطة الاستيطان البشري فى المنطقة الخليجية حاليا انها خارطة بعيدة عن التعقيد . فليس فى ملامحها ما يوحي بان انماطها التوزيعية تخضع فى كليتها لنظريات الموقع او لقوانين البيئة والسلوك . فقد خضعت المنطقة فى الثلاثين سنة الأخيرة لثورة حضرية ، هى ثورة الحواضر الكبرى . ثورة قضت أو كادت تقضي على الريف وقراه وقزمت مدنه الصغيرة . فقد نمت الحواضر الكبرى بمعدلات فلكية على حساب اقاليمها ، فاختل التوازن سكانيا واقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا بين هذه الحواضر وتلك الاقاليم . واستقطبت الحواضر معظم السكان ، مما شجع البعض ان يصف دولها بانها « دول ـ مدن » او « المدن ـ الدول » .

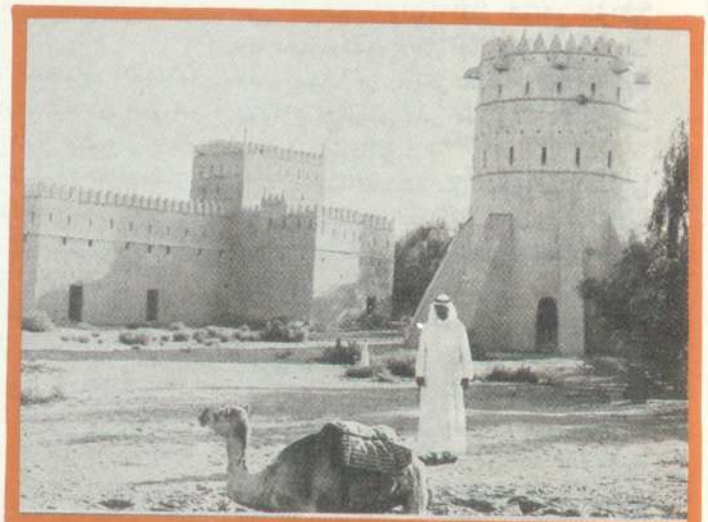
فقد نمت مدينة الكويت الكبرى مثلا بمعدل سنوي يزيد على ١٣ بالمائة ، لتصبح هى وضواحيها ومدنها التابعة اول مدينة مليونية على جبهة الخليج العربى ، ولتشكل اكثر من ٩٠ بالمائة من اجمالى سكان دولة الكويت . ومدينة الدوحة الكبرى عاصمة دولة قطر هى مثل اخر لهذا الاستقطاب السكاني ، إذ انها نمت بسكانها بمعدل سنوي يقرب من ١٥ بالمائة ليصبح حجمها فى حدود ٢٢٠ الف نسمة فى دولة لا يزيد حجم سكانها على ٢٧٠ الف نسمة ، ولتشكل هى وضواحيها اكثر من ٨٠ بالمائة من سكان دولتها قطر ، ولينتشر ٩٠ بالمائة من سكان هذه الدولة فى دائرة حول مدينة الدوحة نصف قطرها ٢٥ كيلومترا .

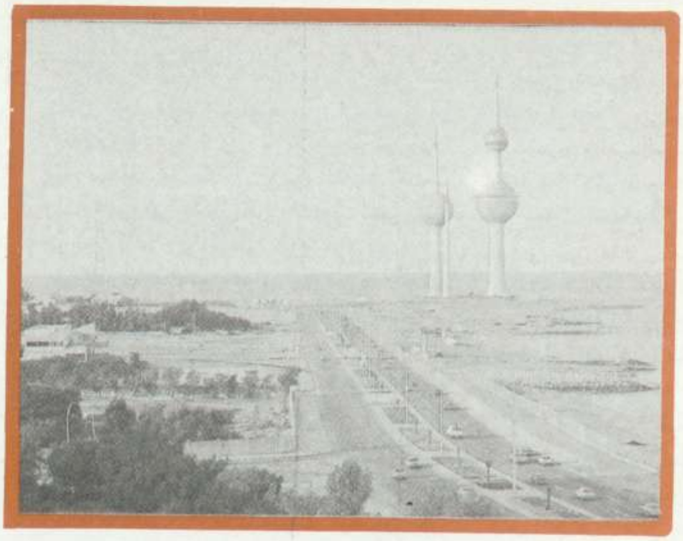
وتتكرر هذه الانماط التوزيعية الاستقطابية للسكان فى دول الخليج العربية الأخرى بنسب متفوتة . ففي دولة البحرين ينتشر ما يقرب من ٨٠ بالمائة من سكانها فى دائرة حول المنامة ـ المحرق نصف قطرها ٥ كيلومترات ، وتصبح هذه النسبة اكثر من ٨٥ بالمائة فى منطقة نصف قطرها ٨ كيلومترات . اما فى دولة الامارات العربية المتحدة فان مدن ابو ظبي ودبي والشارقة تستقطب اكثر من ٦٥ بالمائة من اجمالى الحجم السكانى لهذه الدولة البالغ ١٫١٥٠ مليون نسمة بعد أن نمت هذه المدن بسكانها بمعدلات عالية جداً فاقت ٢٠ بالمائة . وبمثل هذه السرعة والاستقطاب نمت المجمعات الحضرية الخليجية الاخرى فى البصرة والدمام ـ الخبر والهفوف ـ المبرز ومسقط ـ مطرح .

فالتوزيع الحضري فى دول الخليج العربية هو توزيع استقطابي . فقد افرطت الحواضر الكبرى بسكانها على حساب المستوطنات الأخرى ، فاختـل التوازن الاقليمى فى الانتشار البشري وتوزيع المكاسب والخدمات . انه توزيع تمثل الحواضر الكبرى فيه كل شيء وتترك القليل للريف والبادية ومستوطناتهما . فالحواضر الكبرى تمثل دولها سياسيا واقتصاديا واداريا وعسكريا ، وفيها يحتشد معظم السكان وعناصرهم الشابة الفتية ، وعليها تقوم الدول وتستمد قوتها البشرية . وبسبب انفتاح الخليج على العالم الخارجى اتخذت الصناعة والتجارة والخدمات من هذه الحواضر الكبرى مواقع لفعالياتها واتصالاتها ، مما زاد فى نموها وتوسع عمرانها واحتوائها للحركة الاقتصادية وما يلزم لها من الهياكل الارتكازية . ولأن السلطة السياسية تتمركز فيها فقد اضاف اليها قوة جذب اضافية لتكون مواقع للسفارات الأجنبية والمؤسسات التعليمية والمراكز الثقافية والتجارية مما زاد فى تضخمها واحالها قبلة للوافدين اليها من الداخل والخارج ، مما ساعد فى تفريغ الريف والبادية من سكانهما . فالحجم الكبير هنا قد اورث حجما أكبر ، وان السمكة الكبيرة ، او المدينة









المدن الخليجية بحاجة إلى تخطيط علمى جديد حتى لا تصبح هذه المدن « كل شيء » وما حولها « لا شيء »

الكبيرة قد ابتعلت أو تغذت على الأسماك الصغيرة . انه قانون المدينة الأولى فى النمو الحضري ، وليس قاعدة المرتبة ـ الحجم ذات التوزيع الهرمي المدرج المتزن الناضج للمستوطنات البشرية . انه الاستقطاب على حساب التوازن الاقليمي .

وهنا نتساءل : هل من الحكمة ان تطغى استراتيجية الاستقطاب فى النمو الحضري ؟ وهل هناك حجم سكانى امثل يتعين ان يتوقف عنده أو يتباطأ نمو الحواضر الكبرى ؟ وهل ان استراتيجية التوازن الاقليمي فى التوزيع السكاني والحضري هى بديل مناسب يتواءم مع ظروف وامكانات وبيئات دول الخليج العربية ؟ هذه استفسارات لنا حديث حولها فى هذه المقالة .

ايجابيات وسلبيات الاستقطاب :

ان لاستراتيجية استقطاب السكان فى مدن كبرى ايجابياتها وسلبياتها . فمن ايجابياتها ان فى الحواضر الكبرى تتعدد الوظائف والنشاطات الاقتصادية والخدمية وتتشعب وتتعقد ويتبلور تقسيم العمل ويزداد التخصص ويرتفع مستوى الابتكار. ويؤكد البعض على ان الحواضر الكبرى هي المؤشر لارتفاع الحضارة من تكنولوجيا ومستوى دخل ومعيشة . ففيها تزداد نسب الحرف الثالثة (الخدمات) على الثانية (الحرف التحويليـــة) على الاولى (الاستخراجية) . ان هذه ترجمة لقانونى انجل وكولن كلارك فى العلاقة بين مستوى الحضارة وتطور ميزانية الأسرة بالنسبة للاول، ومستوى الحضارة وواقع الحرف ومستوى المعيشة بالنسبة للثـــاني . وللقانونين علاقة باحجام المدن ، اذ كلما ارتفع الدخل ومستوى المعيشة ، وهـــذا ما حدث فى المنطقة الخليجية ، اشتد الاتجاه الى الحواضر الأضخم وارتفعت الانتاجية ومستوى المعيشة ، واصبحت المدن الصغيرة والقرى اعجز عن ان تشبع الحد الأدنى المتزايد من حاجات السكان فتتضاءل أهميتها أو تنقرض تاركة المسرح الجغرافي لنمو الحواضر الكبرى تمكيناً لها من توفير الحاجات العليا المتزايدة . فالأحجام الأكبر تقدم فرصاً اكثر للسكان والوظائف ، وانها اكفأ حضارياً واقدر على اجتذاب ما يستجد منها ، بذلك تتداعى الوظائف ويتضخم الحجم باطراد بمعادلة الربح المركب . كما ان الحواضر الكبرى تقوم بدور آخر ، هو دور سياسي عالمي . فهى الواجهة المتطورة لبلادها ، واجهة سياسية واقتصادية واجتماعية وعمرانية . وهى رمز العزة والسيادة ، وتعبر عن الكيان الوطني ، وتساعد فى توحيد الأمة ، ومن خلالها تطل الدولة على العالم الخارجي .

ولكن بعد حجم معين ، وهو مايسمى بأنسب الحجم ، تتحول الايجابيات فى الحواضر الكبرى الى سلبيات . والسلبيات هذه كثيراً

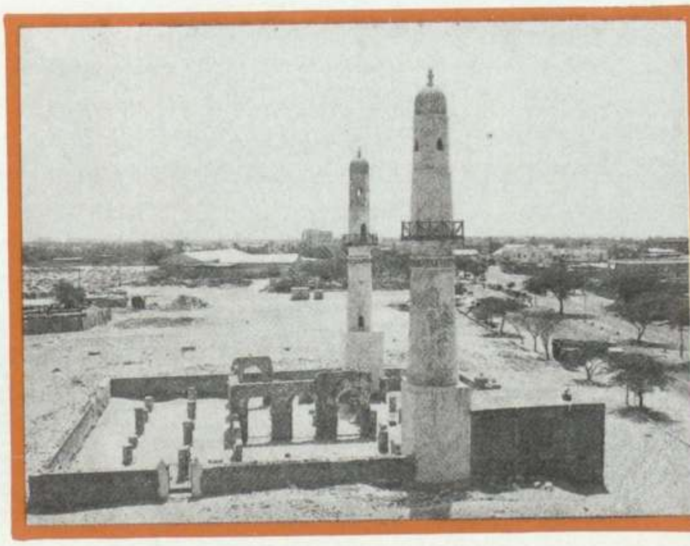
بين هذه الحواضر والمستوطنات البشرية الأخرى فى الاقاليم .

استراتيجية التوازن الاقليمي

ولكن الصعوبات التى اشير اليها ينبغي ان لا تكون حاجزاً او عائقاً فى سبيل تحقيق الطموح فى خلق التوازن السكانى والحضرى فى منطقة الخليج على المدى البعيد على الاقل . وقد يكون لتحقيق ذلك ، وكما اشار البعض ، وبخاصة الدكتور سعد الدين ابراهيم ، وهو من المهتمين بقضايا التحضر والحضرية ، هـــو فى تبني ايديولوجيـــة حضريـــة جديدة لا تقفز فوق الواقع ، وانما تفند الواقع الراهن وتفحصه وتصهره من اجل خلق واقع جديد وهنا يجب ان ترتكز هذه الاستراتيجية للتوازن الاقليمي على عدة ركائز نشير الى بعضها بما ياتي :

١ ـ انه لحقيقة بان الحواضر الكبرى فى دول الخليج العربية قد وصلت بسكانها الى نسب عالية من اجمالي سكان دولها ، وانها بذلك قد خلقت حالة من عدم التوازن فى التـــوزيع البشرى . وكمدخــــل لاستراتيجية جديدة ينبغي اولا ان نوقف نمو هذه الحواضر او نقلل ، على الاقل ، من نسب نموها كخطوة اولى . ويكون السبيل لهذا الغرض هو اتخاذ اجراءات تشريعية او حوافز سلبية تكفل تناقص هجرة الناس الى الحواضر الكبرى ، او قد تشجع البعض من سكانها على الهجرة الى خارجها .

٢ ـ وكخطوة مكملة يتعين ان نخلق فرصا جديدة وحياة مناسبة وبيئة حضارية واجتماعية متكاملة فى مستوطنات خارج الحواضر الكبرى لتكون مراكز استقطاب جديدة للسكان ، سواء كان مصدر هؤلاء السكان من الحواضر الكبيرة ذاتها ، او من الريف والبادية ، او حتى من البلدان الاجنبية ، وبهذه المبادرة تكون قد انطلقت بداية جديدة نحو عهد من التوازن الحضري والاقليمي . وتكـون مراكـز الاستقطاب الجديدة هذه اما من المستوطنات القائمة فعلا ، او بخلق مستوطنات جديدة باحجام متوسطة في مواقع ذات اساس اقتصادي يرتكز على الموارد المحلية التي تكفل لها تلك الاحجام ، او بايجاد مدن توابع على مسافات من الحواضر الكبرى ، او قد تعتمد كل هذه الانواع من المستوطنات في ان واحد . وفيما يلي لمحة عن كل نوع من مراكز



ما اشير الى بعضها فى كتابات الفلاسفة والمؤرخين والاجتماعيين وغيرهم فى القديم والحديث ، وان لم نتفق مع اكثرها . فقد استنكر فلاسفة الاغريق ظاهرة تضخم المدن ، ونظر اليها ابن خلدون على انها عوامل انحلال وانقراض الدول والحضارات، وتطرف شبنجلر فراى متشائما بانها خربت حضارات التاريخ واصبحت مقابر لها .

واذا تجاوزنا الاراء المتشائمة هذه ونظرنا الى واقع الحواضر الكبرى المعاصرة لظهرت لنا سلبيات من اشكال وانواع وانماط اخر . ففى هذه الحواضر يتعقد الجهاز الحضرى ويختل التوازن بين الوظائف وتزداد كلفة التوسع والصيانة وترتفع اسعار الأرض وايجارات المباني وتعم المضاربات العقارية وتختنق حركة النقل وتزداد المسافة بين المنتج والمستهلك وبين المسكن ومكان العمل ، وترتفع اسعار منتجات المدينة والمنتجات الغذائية ، ويتعدد الوسطاء وترتفع تكاليف الخدمات وتزداد مخاطر التلوث .

وهناك سلبيات اخر افرزها استقطاب السكان فى الحواضر الكبرى . فقد استاثرت هذه الحواضر بالموارد المادية والبشرية الوطنية على حساب الاقاليم ، واصبحت قوة جذب للاكثر موهبة وتعليما وطموحا من ابناء الريف والبادية ، واعتمدت عليهم فى تجديد شبابها . وفى سبيل استيعاب هذه الاعداد الوافدة المتزايدة من السكان ورفع مستوى معيشة الآخرين اضطرت الحكومات الى انفاق مبالغ طائلة من المال وصرف جهود كبيرة على الاعمار وتوفير الخدمات وبناء الهياكل الارتكازية . ان مثل هذا النزيف السكاني والعقلي والمادي الداخلي من الريف والبادية يجعل خطط المستقبل لتنميتها اشد صعوبة ، وهو لايختلف عن النزيف العقلي والسكاني والمادي الدولي من البلدان الاقل نمواً الى البلدان المتقدمة .

ومن الناحية الادارية فقد افرزت الحواضر الكبرى مشاكل حادة فى مجال تطبيق القانون وملاحقة الجريمة . وان فى هذه الحواضر الكبرى تفقد القيم التقليدية قيمتها وتظهر فيها علائم ازمة الهوية . ولان الحواضر الخليجية الكبرى اتجهت اتجاها استهلاكيا تعتمد فيه فى كل متطلباتها من الخامات والغذاء على مصادر بعيدة فان زمام اقتصادها ليس فى يدها وانها تقوم على اساس خطر ، ويمكن ان تهوى فى الازمات الاقتصادية او السياسية او الحربية .

وعلى اساس ماتقدم يعتبر البعض هذا الوزن السكانى المفرط للحواضر الخليجية بانه نمو طفيلي او كما يحلو للبعض تسميته سرطاني . فالحواضر الطفيلية هى ما اعتمدت اساساً فى مصادر قوتها ونموها واستثماراتها على الاقليم المحيط بها . بحيث تسلب مدنه الصغيرة وقراه امكانات نموها وتفقدها حاجة اقليمها لها ، وتصبح هى ، اى المدن الصغيرة والقرى ، واقاليمها تابعة تستمد وحيها وحياتها وافكارها من الحاضرة المركزية . وهكذا يقع الاقليم ومستوطناته الصغيرة فى حلقة مفرغة . فلا المستوطنات قادرة على رفع مستوى اقاليمها لضعفها وعجزها المادى وذبولها الحضارى ، ولا الاقاليم قادرة على بعث وتطوير مستوطناتها الصغيرة بسبب ان فوائضها وطاقاتها المادية والبشرية هى المادة الخام لتطور وعمران الحواضر الكبرى . وهذا هو اساس الاستقطاب فى الحواضر الكبرى واختلال التوازن الاقليمي

الاستقطاب الجديدة :

أ - خلق مستوطنات جديدة يكون الهدف الوصول بها الى احجام متوسطة في مناطق تنمية المصادر الطبيعية او في مواقع صناعية . فهنا توجد امكانات اقتصادية تكفل نجاح مثل هذه المستوطنات الجديدة وتحويلها الى مدن متكاملة مزدهرة ، وليست على شكل معسكرات عمل فقط . وبذلك تتوفر فيها امكانات خدمة المناطق المحيطة بها وتوفر لها كافة الخدمات . ولكن الصعوبة في هذه المدن المستقلة والتي تبعد بمسافات عن الحواضر الكبرى انها لا توفر في بداية طريقها الجذب الكافي لليد العاملة حيث يصعب اقناع الافراد باستيطانها او العمل فيها وترك المدن الكبرى . ويمكن تشجيع مثل هذه المدن المتوسطة باقامة الصناعات الجديدة فيها والعمل باللامركزية الادارية . كما يمكن اعطاء هذه المدن اولويات في برامج التنمية الاجتماعية وتنمية المرافق والخدمات ، او على الاقل يكون نصيب الفرد فيها من ميزانية الدولة مساويا لنصيب الفرد في راس المال القومي . وبذلك ستكون هذه المدن مراكز حية تشع تاثيرا ايجابيا على المناطق المحيطة بها ، وبذلك يمكن توصيل الحضرية كاسلوب حياة الى قسم اكبر من السكان عبر هذه المراكز الاقليمية .

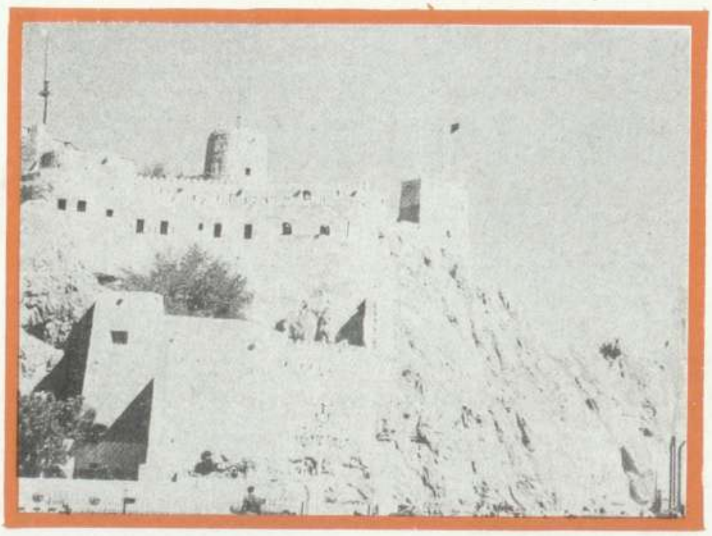
ب - والى جانب تطوير او بعث المدن المتوسطة ينبغي توجيه اهتمام مساو الى المدن الصغيرة القائمة فعلا لانها تمثل راسمال وبيئة جاهزة . فهناك الكثير من مثل هذه المدن ، ومعظمها مواقع قديمة . وكان اختيار اسلافنا اصلا لاسباب وجيهة ، ولكن الاحداث التاريخية والاقتصادية والسياسية التالية افضت الى اهمالها ، وغالبا الى تدهورها . ويمكن استعادة قيمها التاريخية والثقافية بالحد الادنى من الجهد والنفقات . ولكنه ينبغي ايضا تامين قدرتها الحيوية الاقتصادية .. بينما تظل المدينة الجديدة خاما وناقصة في وظائفها ومرافقها مدة طويلة قبل ان تنضج . فالمدن القائمة اقتصادية اكثر من المدن الجديدة كنواة للتنمية الاقليمية . وبطبيعة الحال لن تنتخب من المدن الاقليمية الصغيرة لهذا الغرض الا من تتوافر فيها شروط الموقع الجيد اولا والامكانات المادية ثانيا .

ج - ويرى البعض انه من الايسر اجتذاب الناس الى خارج الحواضر الكبرى بخلق مدن توابع سكنية منفصلة عن هذه الحواضر انفصالا كافيا ، وبذلك تتحول الحاضرة الكبرى من وحيدة النواة الى عديدة النوى . ويرى اصحاب هذه الاستراتيجية بانه بحكم موقع هذه التوابع من الحواضر الكبرى سيتشجع السكان على استيطانها او الانتقال اليها لانها توفر الاتصال الدائم بتلك الحواضر . هذا فضلا عن انه من اليسير توفير الخدمات الاساسية لهذه التوابع من مصادرها الاساسية في الحواضر . ولكن هناك تخوفات من فشل هذه الاستراتيجية ، وذلك ان المدن التوابع ستكون معتمدة في خدماتها وفرص عملها كليا على الحواضر الكبرى مما يجعلها مستوطنات عديمة الشخصية في خضم التجمع الواسع . وهناك تخوف آخر هو ان مثل هذه التوابع سوف لن تستطيع توفير فرص للعمل للراغبين فيه ، وهذا يجعلها عالة على المجمع الحضري المجاور ويجعلها مزدحمة بحيث تخلق مشاكل اضافية . كما أن رحلة العمل اليومية بينها وبين المدن الكبرى ستكون كثيفة مما يخلق ضغطا اضافيا على مرافق المواصلات وشرايينها الرئيسية .

وهناك ملاحظتان نختتم بهما هذه المقالة وهما :

١ - ليس المقصود باستراتيجية التوازن الاقليمي هو بعث وتنمية المستوطنات الاقليمية باحجام متواضعة ، بل لابد لكل اقليم من قاعدة حضارية فعالة لا تتحقق الا بحجم حضري معقول . فتغطية الاقليم بمجاميع من مدن ومستوطنات صغيرة هو اسوا في نظر البعض من الاستقطاب الميتروبوليتاني لانه سيبقي في الاقليم خصائصه الريفية والبدوية .

٢ - إن اعادة التوزيع الحضري والسكاني يتطلب توفير ما يجتذب الناس الى المستوطنات الاقليمية . فالصناعة مثلا مغناطيس السكان والهجرة ، ويستدعي تشجيع المدن الاقليمية تقديم كافة التسهيلات لها في تلك المدن . كما ان خبرات المناطق المختلفة قد اكدت ان بناء مستوطنات حول الصناعات الاستراتيجية والتحويلية امر ممكن وعملي . ومن مقتضيات التوازن الاقليمي ايضا ان يعاد توزيع المرافق والمؤسسات بما فيها التعليمية كالجامعات ، ومنح الامتيازات والتسهيلات المادية للقطاعات المنقولة كتعويض عن الصعوبات الحضارية التي تعاني منها المدن الاقليمية المهملة . فمن الممكن ان تنشا المستوطنات الحضرية حول الجامعات ومراكز البحوث ، كما حدث في انشاء جامعة الامارات العربية المتحدة في مدينة العين ، وجامعة قطر خارج مدينة الدوحة . ولسوء الحظ ان هذه المؤسسات الجامعية قد اقيم عدد منها في مراكز حضرية كبيرة ، وكان يمكن استخدام هذا الرصيد في تنمية مناطق فتحت حديثا . فهي اذا انشئت في مناطق فارغة خارج المدن الكبيرة لن تؤدي وحسب الى جذب الاف من الناس ، بل انها يمكن ايضا ان تصلح كجماعات نموذجية لتجارب هامة في التغيير الاجتماعي . كما يمكن تطوير بعض المستوطنات الحضرية كمواقع سياحية على شواطىء الخليج او في المناطق الأثرية والتاريخية . وقد تضطرنا الاوضاع السياسية ان نسعى لقهر الصحراء التي تفصل بمسافاتها الشاسعة بين الدول العربية الخليجية ومدنها الكبرى باقامة الجسور الإنسانية والمستوطنات البشرية التي توصل بين مجتمعات وابناء هذه الدول . والحكمة التي ننهي بها هذه المقالة هي : ان الارض غير المستوطنة هي ارض لا صاحب لها .



حسن الخياط
جامعة قطر

بنيامين غور آرييه:
فيلسوف "اليد القوية" ضد عرب ١٩٤٨


بنيامين غور اربيه

بقلم: عصام شريح

بنيامين غور آربيه ، مستشار رئيس حكومة العدو للشؤون العربية ، هو احد المنظرين الفاشيين العنصريين لسياسة « اليد القوية » او « القبضة الفولاذية » ، التى اصبحت نهجا ثابتا فى ممارسات الحكومات الصهيونية المتعاقبة ، ضد عرب ١٩٤٨ ، وهذه السياسة هى باختصار سياسة القمع الشامل ضد العرب ، سياسيا وثقافيا واقتصاديا .. لكن .. على الرغم من القسوة والوحشية التى تتصف بها هذه السياسة ، فانها تقف شبه عاجزة ، عن مواجهة تيار الوعي الوطني والقومي المتدفق بين صفوف عرب ١٩٤٨ .. ومع ذلك فان آراء بنيامين غور آربيه ، تبقى مؤشرا رئيسيا على « سياسة اليد القوية » الصهيونية ، وعلى الاتجاه العام للفكر الصهيونى ، الذى هو بالضرورة فكر ارهابي المنحى ، عنصرى النزعة .

آربيه والحركات الوطنية

يقول آربيه ان نشاط الوطنيين العرب (عرب ١٩٤٨) ضد الكيان الاسرائيلي ، قد تجاوز ما يسميه هو « بالخط الاحمر » ، اى ان مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، ينبه إلى ان عرب ١٩٤٨ ، قد نهضوا فعلا بعد سبات امتد لبعض الوقت وأن « الحلبة السياسية فى القطاع العربى تمخضت خلال السنوات الاخيرة ، عن تيارات وطنية جديدة ، كما ان الولاء لمنظمة التحرير الفلسطينية لدى العرب هؤلاء ، قد تجاوز منذ وقت طويل المجال السياسي ، ووصل الى درجة القيام بنشاطات فدائية ضد اسرائيل » . ويستشهد آربيه على ذلك بالاشارة الى ان القوات الاسرائيلية ، القت القبض منذ عام ١٩٦٧ ، على حوالى ١٦٠٠ عربى ، بتهمة القيام بنشاطات فدائية ، كما ان خمس عشرة مدينة وقرية عربية من اصل مائة وخمس عشرة مدينة وقرية ، قام سكانها « باعمال شغب » ، اسفرت عن شل الخدمات الحيوية فى منطقة الجليل ، وعن عزل بعض المستوطنات اليهودية فى هذه المنطقة . بعد ان قام متظاهرون باغلاق الطرق الرئيسية ، بمناسبة « يوم الأرض » .

وبالطبع فان آربيه يتجاهل تماما المشاعر الوطنية لعرب ١٩٤٨ ، ويحاول تقزيم عملية النهوض الوطني لهؤلاء العرب وذلك بالحديث عن تيارات عربية تتراوح ما بين التطرف والاعتدال ، وكلها تعمل على زعزعة اعمدة الكيان الصهيوني ، واهمها الأمن والاستقرار ، ويصنف آربيه الحركات العربية الوطنية داخل فلسطين المحتلة بما يلي :

١ ـ الحركات المتطرفة : وهى تضم فئتين هما : « حركة ابناء البلد » ، و « الحركة الوطنية التقدمية » . اما « حركة ابناء البلد » ، فهى فى الواقع امتداد « لمنظمة الأرض » ، التى ظهرت بين عرب الجليل فى الخمسينات ، وكان الشاعر محمود درويش من مؤسسيها ، وقد استفادت « حركة ابناء البلد » من تجربة « منظمة الأرض » ، حيث انها تلتزم جانب الحذر ، وتنتهج اسلوبا يتسم بالمرونة

● نشاط عرب ١٩٤٨ ضد الكيان الإسرائيلي قد تجاوز الخط الأحمر!

● "أبناء البلد" و"الحركة الوطنية" ظاهرتان جديدتان بين أبناء ١٩٤٨

احيانا ، دون التنازل عن المبادىء ، وذلك لتجنيب الحركة مصير « منظمة الارض » ، التى حلتها سلطات العدو ، وحظرت اى نشاط لها ، بحجة تجاوزها ما تسميه هذه السلطات « بالخط الاحمر » . ويقول آرييه بهذا الصدد : « ان اعضاء حركة ابناء البلد الذين تعلموا من التجارب السابقة ، يبدون حذراً ، ولا يشدون الحبل اكثر من اللازم » ، بيد ان المستشار سرعان ما يرفض هذا الحذر ، ليعلن ان الحركة ، كما تبدو فى بياناتها ، هى حركة خطيرة ، تســتهدف « ازالة اسرائيل ، واقامة دولة علمانية ، فوق جميع الاراضي الفلسطينية » . ومن الواضح ان « حركة ابناء البلد » تستقطب الراى العام لدى عرب ١٩٤٨ ، بدليل أن آرييه يقول انه لا يستطيع تحديد عدد اعضاء الحركة بالضبط ، ويضيف : « يبدو لي ان رؤساء الحركة انفسهم لا يعرفون عدد اعضاء حركتهم » . ولان الحركة لها هذا الاستقطاب الواسع المدى بين جماهير عرب ١٩٤٨ ، فان مستشار رئيس الحكومة يتهم اعضاءها بانتهاج سياسة غاية فى التطرف ، ويقول : « ان اعضاء حركة ابناء البلد يحاولون جر حزب راكاح الى مثل هذا الخط السياسي ، وشعارهم هو : ان الطريق الوحيد السليم والكفيل بالقضاء على اسرائيل واعادة الحقوق الى اصحابها ، انما هو الطريق العسكرى » .

اما عن الحركة « المتطرفة » الثانيـــة « الحركة الوطنية التقدمية » فيصفها غور آرييه بانها اشد تطرفاً من حركة ابناء البلد خاصة وان نشاطها يتركز فى الجامعات ، وان اعضاءها هم فى الغالب ، طلبـــة جامعيون او خريجو جامعات ، اى ان آرييه يريد القول بان «الحركة الوطنية التقدمية» تمتاز عن « حركة ابناء البلد » بالاسس النظرية الواضحة ، والاهداف المحددة ، ومع ان المستشار لا يفرق كثيراً بين الحركتين ، الا انه يسير الى فارق واحد مهم ، وهو ان الحركة الوطنية التقدمية ، تؤمن بالعمل والممارسة ، وليس بالتنظير فقط ، ويقول فى هذا الشان : « ان الحركة الوطنية التقدمية ، تتهم حركة ابناء البلد ، بانها تتكلم فقط ، بينما هى (اى الحركة الوطنية) ، تسعى الى الوصول الى اهدافها عن طريق الممارسة » . ولتبرير سياسة القمع ضد اعضاء الحركة الوطنية يتهم آرييه سبعة من الاعضاء بالسفر الى اسبانيا ، للاتصال مع اعضاء فى منظمات فلسطينية فدائية ، وبالفعل ، فان هؤلاء قاموا بعمليتين فدائيتين بعد عودتهم الى فلسطين المحتلة ، ويعترف آرييه بانه تم القاء القبض عليهم كما صدرت ضدهم احكام بالسجن لفترات مختلفة .

والى جانب هاتين الحركتين ، يشير مستشار رئيس حكومة العدو للشــؤون العربية ، الى تنظيم ديني ، كان قد تاسس قبل اربع سنوات ، ويؤمن هذا التنظيم بان الجهاد هو الطريق الوحيـــد لتحــرير فلسطين .

٢ ـ المعتدلون : يقول آرييه فى وصفه « لتيار الاعتدال » المزعوم بين عرب ١٩٤٨ ان اعضاءه هم من « الاكثرية الصامتة » ، وان هؤلاء يحاولون الحفاظ على مــوقف « معتدل » ، وعدم الانجراف الى تيــــار « التطرف » !! ، ومن الواضح هذا ان المستشار يحاول استخدام سياسة الجزرة فى تحذير العرب من القيام باي نشاط فعلى ضد الكيان الصهيونى ، ويشير الى ان حكومته نبهت « المعتدلين » من ان « تيار التطرف » سوف يقود الى مواجهة بين « الاقلية العربية » ، والاكثرية اليهودية ، وهى مواجهة معروفة النتائج سلفاً .

آرييه وسياسة القوة

ومما لاشك فيه ، ان آرييه يعتبر من اشد الساسة فى الكيان الصهيونى عداء للعرب خاصة وانه يهودى شرقي فى الاصل ومما لاشك فيه ايضاً ، ان آرييه لا يفوت فرصة ، دون ان يؤجج حملات التحريض ، ضد عرب ١٩٤٨ ، فقد قال بعد مسيرات الحداد التى قام بها عرب الجليل والمثلث على ضحايا مجزرة مخيمي صبرا وشاتيلا الفلسطينيين فى بيروت ، قال : « ان من الضرورى الضرب على ايدي « المتطرفين » فى الشارع العربى ، بيد من حديد » ، زاعماً بان هذه المسيرات حملت طابعاً من التطرف لا يمكن التغاضي عنه !

وغور آرييه الشهير بعبارته « ان العرب لا يحترمون غير القوة » ، يهدد الجماهير العربية فى الارض المحتلة بقوله : « اذا تحولتم الى اعداء لنا ، فلسوف نشن عليكم حرباً شعواء ، تماماً مثلما نفعل فى ميادين القتال » .

وانطلاقا من سياسة التهديد والوعيد هذه ، يقود آرييه الحملة الهادفة الى خنق

بنيامين غور آربيه :
فيلسوف "اليد القوية" ضد عرب ١٩٤٨

النهوض الوطني والقومى لعرب فلسطين ، من خلال القرارات المتواصلة التى تصدرها حكومة العدو ، بناء على مشورته ، ففى عام ١٩٧٥ ، تشكلت « اللجنة القطرية لرؤساء المجالس المحلية (البلدية) العربية » ، لكن المستشار عرقل باستمرار عقد اجتماعات لهذه اللجنة ، بحجة « ان كل نشاط فى الوسط العربى ، يعتبر عملا متطرفا » .

واستنادا الى نصائح آربيه ، منعت سلطات العدو عقد « مؤتمر الجماهير العربية » فى مدينة الناصرة ، واعتبرته عملا خارجا على القانون ، وقد عقب « توفيق طوبي » على هذا القرار بقوله : « ان منع عقد المؤتمر فى ١ ـ ١٢ ـ ١٩٨٠ ، هو اجراء خطير ، يمس حرية التعبير والتنظيم ، حيث قامت السلطات لاول مرة ، باستخدام نصوص قانون الطوارىء لعام ١٩٤٥ ، والذى كان معمولا به فى زمن الانتداب البريطانى » .

وبناء على نصيحة من المستشار آربيه ، اصدر رئيس حكومة العدو السابق مناحيم بيغن ، قرارا بتاريخ ١٦ ـ ٤ ـ ١٩٨١ ، يقضي باعتبار « لجنة التنسيق العربية » لجنة خارجة على القانون ، وقد منعت هذه اللجنة من عقد اى اجتماع ، لان آربيه اتهمها بانها مرتبطة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ومن الواضح هنا ان من السهل جدا توجيه تهمة من هذا النوع لاى نشاط يقوم به عرب ١٩٤٨ ، ويذكـــر ان « لجنة التنسيق العربية » التى شكلت بتاريخ ٢١ ـ ٢ ـ ١٩٨١ ، تضـــم فى عضويتها كلا من « حركة ابنـــاء البلد » و « الحركة الوطنية التقدمية » ، ورابطة تخليد تراث الشاعر راشد حسين ، ورابطة النهضة . وبتوجيه من آربيه ايضا ، عارضت حكومة العدو ، تشكيل « لجنـــة المتابعة العربية » التى ضمت رؤســـاء المجالس المحلية « والاعضاء العرب فى الكنيست » ، وقد زعم آربيه ان هذه اللجنة خاضعة لسيطرة حزب « راكح » ، وقال : « انه لا مكان فى اسرائيل ابدا لمثل هذه اللجنة » . وحتى الطلاب العرب ، منعوا من استخدام قاعات الجامعة ، لممارسة نشاطات ثقافية واجتماعية تحت زعم ان الطلاب العرب متطرفون .

ويمكن القول ان سياسة اليد القوية التي يتبناها قادة الكيان الصهيوني ، والتي غالبا ما تكون تكتيكاتها من توجيهات ونصائح بنيامين غور آربيه ، انما تتمثل ، باستخدام سياسة « العصا » غالبا ، و « الجزرة » احيانا ، اي باستخدام القمع والارهاب غالبا ، واستخدم المرونة احيانا ، كما ان غور آربيه هو مصمم الاعيب المكر والخداع ، بين المنظمات والحركات الوطنية العربية ، من اجل اضعافها ، والتمهيد للقضاء عليها عندما تسنح الفرصة المناسبة .

عرب ١٩٤٨
وعرب ١٩٦٧

يولي غور آربيه اهتماما فائقا لما يسميه « بصحوة عرب ١٩٤٨ » ، ويعزو هذه الصحوة في مجملها ، الى الاتصال الذي حدث بين عرب ١٩٤٨ وعرب ١٩٦٧ ، في اعقاب حرب الخامس من حزيران (يونيو) ويشرح آربيه هذه المسالة على الوجه التالي :

ان التحول السياسي الاول لدى عرب ١٩٤٨ ، انما حدث في عام ١٩٥٩ مع تاسيس منظمة الارض ، فقد تحدث العديد من الاكاديميين العرب اعضاء هذه المنظمة تحـــدثوا آنذاك ، عن ضم منطقة الجليل لسوريا ، وضم منطقة المثلث للاردن ، وعن القضاء على اسرائيل . وازاء تفاقم خطر هذه المنظمة « المتطرفة » ، سارعت الحكومة الاسرائيلية الى حل منظمة الارض ، وفرضت حظرا على نشاطاتها ، بيد ان الافكار والمواقف الوطنية ، لدى ذلك الجيل الاكاديمي العربي ، اخذت بالانتشار في شتى انحاء فلسطين ، وكان كلما ازداد عدد الاكاديميين والمثقفين ، كلما تعمقت الافكار الوطنية والقومية بينهم .

لكن التحول الجذري لدى عرب ١٩٤٨ ، انما حدث في اعقاب حرب حزيران (يونيو) من عام ١٩٦٧ ، فقد ادت اللقاءات والاتصالات مع اخوانهم في الضفة الغربية وقطاع غزة ، بعد انقطاع دام تسعة عشر عاما ، الى الهاب مشاعرهم الوطنية ، علما بان عرب ١٩٤٨ ، كانوا « يفاخرون » قبل ذلك ، بانهم « يعيشون في ظل الحضارة والتقدم والانتعاش الاقتصادي .. » ، إلا انهم راوا في عرب ١٩٦٧ ، ما راوه في انفسهم في عام ١٩٤٨ ، اي خاضعين للاحتلال ومضطهدين ، ويتعرضون لخطر الطرد والابعاد عن ارضهم ، ويكابدون من الظلم والدكتاتورية العسكرية ، بيد انهم راوهم ، على الرغم من ذلك ، مرفوعي الرؤوس ، ووطنيين متحررين من القيود العديدة المفروضة على عرب ١٩٤٨ .

ثم يضيف آربيه ، انه في مقابل هذه الصحوة لعرب ١٩٤٨ ، فانه كانت هناك هزيمة حرب عام ١٩٦٧ ، ويقول انه سمع العديد من عرب ١٩٤٨ ، يتساءلون : كيف السبيل الى انزال هزيمة باسرائيل ؟ !! .. كيف السبيل الى تحقيق انتصار عربي ؟ !! ويشير المستشار الى انه ، وعلى الرغم من هذه التساؤلات الحائرة ، فان المنظمات

الفدائية الفلسطينية ، تمكنت خلال الفترة ما بين حرب عام ١٩٦٧ ، وحرب عام ١٩٧٣ من تجنيد ثلاثمائة وعشرين شخصاً من عرب ١٩٤٨ ، في صفوفها ، وقد نفذ هؤلاء بالفعل عمليات فدائية في مختلف انحاء الكيان الصهيوني ، وخاصة في المنطقة الشمالية .

وفي الواقع فان الحيرة والاحباط اللذين عانى منهما عرب ١٩٤٨ كثيراً نتيجة لهزيمة حرب حزيران (يونيو) ، لم يطولا كثيراً ، إذ بعد ست سنوات فقط ، اي في حرب تشرين الاول (اكتوبر) لعام ١٩٧٣ ، انهارت أسطورة الجيش الذي لا يقهر ، ويقول آرييه في ذلك : ان حرب اكتوبر ، كما هو معروف الحقت ضرراً كبيراً بسمعة الجيش الاسرائيلي ، وبالتحديد بصفة الردع التي كان يتميز بها الجيش . فالجيش الذي لا يقهر ، تعرض لهزيمـــة عسكرية ، وهذه الهزيمة شجعت عرب ١٩٤٨ ، على الاستهتار بالجيش الاسرائيلي وبقوة اسرائيل ، بل ان كثيرين من هؤلاء العرب اخذوا يفاخرون ، بان الجندي العربي ، لا يقل كفاءة وقوة عن الجندي الاسرائيلي ، ويقولون : ها هو الجيش الذي لا يقهر ، قد هزم اخيراً ...

التكاثر الطبيعي

ومن الامور التي يتحدث عنها بنيامين غور آرييه بمرارة ، مسالة التكاثر الطبيعي بين عرب ١٩٤٨ ، فهو يقول ان عدد عرب ١٩٤٨ ، كان قبل خمسة وثلاثين عاماً ١٦٥ الف نسمة ، اما الآن ، فقد ارتفع عددهم الى حوالي سبعمائة الف نسمة ، أو يزيد ، ومن المتوقع ان يبلغ هذا العدد في عام ١٩٩٥ ، حوالي مليون نسمة .

ومما يقض احلام المستشار ايضاً ، ان حوالي مائتي الف طالب من عرب ١٩٤٨ ، اي حوالي ثلث عددهم ، يجلسون الآن على مقاعد الدراسة في المراحل التعليمية المختلفة ، ابتداء من رياض الأطفال ، وانتهاء بمعاهد المعلمين ، هذا بالاضافة الى ثلاثة آلاف طالب عربي ، يتلقون دراستهم العليا في الجامعات ، وبعضهم يدرس للحصول على شهادتي الماجستير والدكتوراة .

وازاء واقع التكاثر الطبيعي بين عرب ١٩٤٨ ، ينصح آرييه ، باتباع سياسة تعتمد على رفع المستوى الاقتصادي والثقافي للعرب ، اعتقاداً منه ، بان نسبة التكاثر الطبيعي هذه ستنخفض في حال تقدم الاوضاع الاقتصادية والثقافية لعرب ١٩٤٨ ، خاصة وان الاحصاءات المتوفرة لديه ، تشير الى ان عدد العرب يتضاعف كل ١٧ سنة ، في حين يتضاعف عدد اليهود كل ٣٤ سنة .

الجري وراء الوهم

ان القشرة الحضارية « الرقيقة » التي يحاول عن طريقها مستشار رئيس حكومة العدو للشئون العربية تغطية افكاره الفاشية والارهابية ، لن تخدع احداً ، وخاصة عرب ١٩٤٨ ، الذين يعرفون تخبط المستشار ، وهو يعرض «افكاره الحضارية» عن انتهاج سياسة رفع المستوى الثقافي والاقتصادي للعرب ، من اجل إزاحة الخطر الديمغرافي الذي يحملون في طياتهم ، إذ ان آرييه نفسه هو الذي اعرب عن هلعه من ازدياد عدد المثقفين والاكاديميين بين عرب ١٩٤٨ ، وهو القائل : « انه كلما ازداد عدد هؤلاء ، كلما تعمقت الأفكار الوطنية فيما بينهم » .

وعلى ايـة حـــال ، فان المستشـــار الصهيوني ، لا يستطيع التحول من ارهابي وداعية للعنف ضد العرب ، ومعتنق لسياسة اليد القوية ، الى مبشر بالحضارة ، والذئب سيبقى ذئباً ، ولو تخفّى بجلد خروف .

عصام شريح

من هو :

بنيامين غور اربيه ، من مواليد ١٩٢٨ فى العراق ، بدا نشاطه الصهيونى عندما كان عمره سبعة عشر عاما ، حيث انضم الى تنظيم صهيوني سرى فى العراق ، وهاجر الى فلسطين المحتلة فى عام ١٩٤٨ ، وقاتل فى صفوف عصابة الهاغاناه ، التى تحولت بعد الهزيمة العربية فى تلك الحرب ، الى ما يسمى اليوم بالجيش الاسرائيلى . بعد الحرب عمل بنيامين غور اربيه فى جهـــاز الاستخبارات الصهيونى ، حيث ركز جهده على النشاطات والمهام السرية ، وترك الجهاز فى عام ١٩٧٤ ، وكان برتبة مقدم ، وبعد ذلك بفترة قصيرة ، انضم الى جهاز رئيس الحكومة للشؤون العربية ، متطلعا الى شغل منصب مستشار رئيس الحكومة للشؤون العربية ، لكنه اضطر للانتظار خمس سنوات قبل ان يصل الى هذا المنصب فعلا فى عام ١٩٧٩ ، حيث شغله خلال تلك الفترة على التوالى كل من شموئيل طوليدانو والدكتور موشي شارون .

توزيع عرب ١٩٤٨ كما كان عليه فى نهاية ١٩٨٠

(١١٥ مدينة وقرية عربية)

المنطقة	العدد
الجليل والشمال (اللواء الشمالى ولواء حيفا)	٣٢٩,٤٠٠ نسمة .
المثلث (منطقة الخضيرة وشارون وبتح تكيفا)	١١٨,٠٠٠
النقب الشمالي (اللواء الجنوبى)	٤٩,٨٠٠
القدس (وشرقي القدس وقرى ابو غوش وبيت صفافا وعين رفات وعين نقوبـا)	١١٨,٤٠٠
اللد والرمله	١٢,٣٠٠
يافا	١٠,٣٠٠
المجموع	٦٣٨,٢٠٠

تحيّة لمجمع اللغة العربية وتهنئة بعيده الذهبي

شعر: الدكتور عبد الله الطيب

مضى على مجمع الضّا   د نصف قرن فحيّوا
خمسون عاما تصرّمـ   ـن وهو بعد صبيّ
يقول إنّي بدأت الـ   ـمسير نعم المضيّ
إنّ التخلّف عار   إذا العقول المطيّ
خمسون عاما تصرّمـ   ـن سيرها جلذيّ[1]
أحيا الفصيحة فيهنّـ   ـن جهده المرضيّ
وقد أطلّ على النيـ   ـل عيده الذهبيّ
وغاب عنه رجال   ما الدمع فيهم عصيّ
وللمنايا سهام   ترمي ونحن الرميّ
كانوا نجوما هداة   إذ ليلنا نابغيّ
لمّا نعوا لي أنيسا   كم حزّ ذاك النعيّ[2]
همى عليهم سحاب   من رحمة سرمديّ

بالضاد تعتزّ مصر   وشعبها العربيّ
ولن يزال بمصر   للضاد حزب وفيّ
وللحنيفة ركن   في أرض مصر قويّ
والنيل من جنّة الخلـ   ـد ماؤه الكوثريّ

قد هيّج الشعر هذا اللـ   ـقاء وهو حريّ
إذ هزّ أعماق نفسي   مجاله الفكريّ
والشعر والفكر صنوا   ن قد قضى الطائيّ[3]
وصاحبي من بني الجـ   ـنّ مسلم سنّيّ
تلا بحرف اليزيديّ   ما روى الدوريّ[4]
والأربعين حديثا   ومذهب مالكيّ
وسالك بجنيد   وعقده أشعريّ

وفي السياسة عندي   طريقه مرجئيّ
وقد يشارك في النقـ   ـد وهو تحليليّ
ولم يغب عنه في النقـ   ـد مذهب بنيويّ[5]
نعم الرئيّ وما ذمّ   في القريض الرئيّ

قد أحسن ابن خميس   وبهجت الأثريّ[6]
وعاد مذكور روح   من الحماس فتيّ
أعان ذاك بيان   صلت وقلب ذكيّ
كما يقول ويشفي   بقوله مهديّ
وما الخليّ العلائيّ   نجل هارون سيّ[7]
وكم أفاد علوما   تحقيقه العلميّ
والمجمعيّون كلّ   بحّاثة ألمعيّ
وآخذ بسبيل   بها يتمّ الرقيّ
وفي ربوع المعالي   لهم أثاث وريّ

وابن خميس قوافيـ   ـه جرسهنّ شجيّ
شمّ المعاني الرشيقا   ت لفظهنّ سويّ
يشدّ لطف الحجازيّ   أسره النجديّ
رقيقه حضريّ   وجزله بدويّ
والشيخ من منبع الشعـ   ـر غارف وغذيّ

وبهجت أبهج القلـ   ـب نسجه اليشكريّ[8]
يمدّه النفس الحـ   ـرّ والفؤاد الجريّ
قد اطمأنّت قوافيـ   ـه واتلأبّ الرويّ
أمّا المعاني فقد شعّ   نورهنّ السنيّ

وَأَعْجَبَ النَّاسَ صِدْقُ   فِيهَا وَقَصْدُ جَلِيُّ
وَرَنَّةٌ مِنْ مُجِيدٍ   قَصِيدُهُ مَرْوِيُّ
شَيْخٌ جَهِيرٌ مُنِيرٌ   مُوَفَّقٌ أَرْيَحِيُّ
وَمَا تَشَكَّى الثَّمَانِينَ إِذْ شَكَا الْمُزَنِيُّ[٩]
فَزَادَهُ اللَّهُ عُمْرًا   يَزْدَادُ وَهْوَ هَنِيُّ
مَا انْفَكَّ يُعْطِي الْعَطَاءَ الْكَثِيرَ وَهْوَ السَّخِيُّ

وَمِنْ أَحَذِّ الْأَعَارِيضِ مُضْمَرٌ رَائِيُّ[١٠]
حَيَّا بِهِ مَجْمَعَ الضَّا   دِ خَاطِرٌ رَافِدِيُّ
شِمْنَا بِهِ بَارِقَ الشِّعْرِ لَاحَ مِنْهُ حَبِيُّ ●
فَالسَّامَرَائِيُّ وَبْلٌ   بِهِ وَسَيْلٌ أَتِيُّ[١١]
وَفَوْقَ حَزْنِ الْمَعَانِي   رَوْضٌ وَقَطْفٌ جَنِيُّ

فَقُلْ لِمَنْ عِنْدَهُ الْوَزْ   نُ مَذْهَبٌ رَجْعِيُّ
دَعِ الْمُحَاكَاةَ وَاعْلَمْ   أَنَّ الْمُحَاكَاةَ عِيُّ
وَسِنْخُهَا لَوْ تَأَمَّلْتَ كُلُّهُ أَجْنَبِيُّ
إِنِ اسْتُجِيدَ لَدَى الْقَوْ   مِ فَهْوَ فِينَا زَرِيُّ
هُوَ الصَّدَى ؛ وَزْنُ ذَا الشِّعْرِ طَيْرُنَا الْمَحْكِيُّ
الْوَزْنُ شَيْءٌ أَصِيلٌ   وَعُمْقُهُ جِذْرِيُّ
وَالْجَاحِظُ الْفَحْلُ سَمَّا   هُ مُعْجِزًا يَا أُخَيُّ[١٢]

لَيْسَ كَشَيْءٍ سَمِعْنَا   هُ قِيلَ تَفْعِيلِيُّ
مِنْ قَبْلُ حَاوَلْنَاهُ   إِذِ الشَّبَابُ غَوِيُّ
نَعُدُّهُ تَجْدِيدًا   إِذِ الْجَدِيدُ شَهِيُّ
وَكَانَ مِنَّا عَلَيْهِ   تَوَفُّرٌ جِدِّيُّ
ثُمَّ تَرَكْنَاهُ لَمَّا اسْتَبَانَ مِنْهُ الْخَفِيُّ
إِذْ لَمْ نَجِدْ فِيهِ رُوحَ الشِّعْرِ الَّذِي هُوَ حَيُّ
وَصَحَّ حَقًّا لَدَيْنَا   فَرَاغُهُ الْفَنِّيُّ
وَرُبَّ قَوْمٍ طَبَاهُمْ   شِعَارُهُ الْبَهْرَجِيُّ
إِنَّا رَفَضْنَاهُ ؛ إِنَّا   أَبَاهُ مِنَّا الْأَبِيُّ

هَاجَ الْفُؤَادَ خَيَالٌ   وَافَى وَأَهْدَتْهُ مَيُّ
حَسْنَاءُ هَامَ فُؤَادِي   بِهَا وَشَرْخِي طَرِيُّ
إِنَّ الْجَزَالَةَ عِنْدِي   هِيَ الْبَيَانُ النَّقِيُّ
وَحُبُّهَا فِي فُؤَادِي   هُوَ الْهَوَى الْعُذْرِيُّ
فَحَيِّهَا حِينَ حَيَّا   كَ وَشْيُهَا الْعَبْقَرِيُّ

عَبْدُ الْغَنِيِّ وَبِالْفَضْلِ إِنَّهُ لَغَنِيُّ[١٣]
أَشَادَ بِي فَجَزَاهُ اللَّهُ الْحَكِيمُ الْعَلِيُّ
خَيْرَ الْجَزَاءِ وَعِنْدِي   لَهُ الثَّنَاءُ الزَّكِيُّ
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ   وَكُلُّكُمْ بِي حَفِيُّ

هوامش

(١) الجلذي بضم الجيم وسكون اللام : اي سيره الشديد .

(٢) هو الدكتور ابراهيم انيس عضو المجمع رحمه الله .

(٣) الطائي هو ابو تمام وقال فى الشعر ولكنه صوب العقول ، وقال خذها ابنة الفكر .

(٤) يحيي اليزيدى عن ابى عمرو بن العلاء احد القراء السبعة والدورى احد الرواة عن اليزيدى واهل بلدنا يقرئون برواية الدورى عن ابى عمرو ومن بعد اشارة الى قول ابن عاشر فى عقد الاشعرى وفقه مالك وفى طريقة الجنيد السالك .

(٥) ولك ان تقول « مذهب بنيوي » .

(٦) كان هذا اول بيت فى القصيدة حركه فى النفس سماع قصيدتي عضوي المجمع الاستاذ محمد بهجت الاثرى والاستاذ عبد الله بن خميس ثم توالت الابيات .

(٧) خل العلائى اشارة الى قول ابى العلاء فى سقط الزند : اهدي السلام الى عبد الله الخ والمراد الاشارة الى اسم الدكتور عبد السلام هرون ، امين المجمع .

(٨) اليشكري صاحب المعلقة وقصيدة الاثرى همزية من الخفيف .

(٩) المزني هو زهير بن ابى سلمى وقوله معروف .

(١٠) الاحذ المضمر مجزوء من بحر الكامل ، وبه جاءت قصيدة الدكتور ابراهيم السامرائى وقافيتها راء مضمومة .

(١١) السامرائى هنا بتخفيف الراء المراد الدكتور ابراهيم السامرائى عضو المجمع .

(١٢) قال هذا الجاحظ فى اوائل كتاب الحيوان .

(١٣) هو الاستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن عضو المجمع والقى كلمة عن شعراء المجمع .

● حبى اى سحاب ثقيل دان من الارض كانه يحبو .

الماسونية..

مؤامرة على الفكر الإنساني وعلى العرب والمسلمين بصورة خاصة

بقلم: فتحي رضوان

لا اظن ان التاريخ الانساني عرف احجية من احاجيه ، او لغزاً من الغازه ، كلغز او احجية الماسونية . فالماسونية ظاهرة قديمة ، اولا ، ثم منتشرة فى انحاء المعمورة شرقا وغربا ، وشمالا وجنوبا ، تراها فى بلاد تؤمن بالمسيحية ، وبلاد اسلامية وبلاد لا تؤمن بدين سماوى ، كاليابان ، وهى على الرغم من انتشارها وقدمها ، وكثرة الكتب التى كتبت عنها ، فهى قائمة ، مستقرة ، تلغى وجودها دولة كما فعلت المانيا الهتلرية ، ولكنها فى الجملة ، تعيش - فى الاغلب الاعم - فى دعة واستقرار ، والاعضاء المنضمون إليها يزدادون . ولا احد يعرف ماذا تريد هذه المنظمة ، وماذا حققت من اهدافها المعلنة ، او من اهدافها المنسوبة اليها والتى تبلغ اسوا ما انتوته واضمرته جماعات الشر ، وعصابات الأذى .

وما من كتاب تقرؤه عن الماسونية حتى ترى فى الصفحات الأولى من ذلك الكتاب ، كلاماً صريحاً خلاصته :انه لا احد يعرف شيئا على وجه التحديد ، من التاريخ القديم لهذه المنظمة . حتى ان بعض الكتاب يعتبر ان بداية تاريخها تعود الى النبى موسى عليه السلام ، فى فترة تيه اليهود فى سيناء .

ومن الطريف انه ضمن اوراق المحفل المصرى - والمحفل هو الفرع الماسوني فى بلد من البلاد - نشرة رقم (١) ، وتحمل فى الوقت نفسه تاريخاً هو سنة ٥٩٥٦ ، وهى عند اهل العلم الماسونى ، ترجع الى أربعين قرنا قبل ميلاد المسيح .

وما دام انه ليس ثمة علم محقق فى هذه النقطة ، نقطة ميلاد الماسونية ، فان القول باي شيء جائز ، ومن ذلك فانت تقرا فى بعض الكتب ان المؤسس الأول للماسونية هو والى القدس فى عهد السيد المسيح ، اى هيرودس الثانى ، وقد اسس مع مستشاريه اليهود جمعية سرية اسمها « القوة الخفية » كان هدفها مقاومة دعوة السيد المسيح لأنه كان يبشر بزوال هيكل سليمان . وقد عقد هذا المجلس اولى جلساته فى العاشر من اغسطس سنة ٤٣ ميلادية ، وتعاهدوا على ان يكون عملهم سراً لا يطلع عليه احد ، وقد اطلقت هذه الجماعة على هيكلها ، الذى اقامته لنفسها، اسم « كوكب الشرق الأعظم » ومن هذا نشات الهياكل فى فلسطين اولا ، ثم فى بقية العالم بعد ذلك .

وشرعت تلك الجماعة فى تنفيذ غرضها بهمة لا تعرف الكلل ، فجاست فى فلسطين تبحث عن اتباع المسيح المتسمين بالحمية والنشاط ، فتقتلهم ، والسلطة تعلم وتسكت بل تعلم وتوافق ، ثم اتسع نطاق المطاردة ، حتى خرجت عن نطاق فلسطين ، ولاحقت اتباع الدين الجديد ، والمؤمنين بالنبى الجديد . ويقال ان من اكبر ضحاياها القديس بطرس ، مؤسس كنيسة روما .. والذى يقال بان نيرون امبراطور روما ، هو الذى امر بقتله ، تحت تاثير زوجته اليهودية « بو بايا » .

الماسونية فى العصور الحديثة

ويقول الاستاذان محمد صفوت السقا امينى ، وسعدى ابو حبيب فى كتابهما القيم عن « الماسونية » ، ان بين العلماء من يرجع تاريخ بداية الماسونية الى العصور الحديثة ، ويدللون على رايهم بان وثائق التاريخ الاوروبى الحديثة خلت من اية إشارة الى الماسونية ، وان الاشارة الاولى فى ذلك التاريخ جاءت سنة ١٣٧٦ حينما انتخب عضو لمجلس العموم البريطانى من الماسون لمقعد فى هذا المجلس . فى حين ان اول محفل ماسونى علنى انشيء فى بريطانيا سنة ١٧١٧ واسمه المحفل المتحد العظيم ، وهو محفل لا يزال قائما ، وله مجلة دورية تصدر بانتظام .

ويقول الاستاذان مؤلفا الكتاب عن الدكتور محمد على الزغبى ان المؤتمر الاول للماسون انعقد برئاسة جيمس اندرسون فى لندن سنة ١٧١٧ ، اما جيمس اندرسون فقد ولد سنة ١٦٨٠ وتوفى سنة ١٧٣٩ ، والف اقدم كتاب فى الماسونية باسم (القوانين) سنة ١٧٢٣ ، ويقال ان



صورة نادرة للاجتماعات التى كانت تتم داخل المحفل الماسونى فى القاهرة سنة ١٩٣٠ ، وقد اصبحت الماسونية محرمة قانونا فى مصر وفى سائر انحاء الوطن العربى .

اندرسون كان على صلة باليهود ، لأنه اما انه كان يهوديا واعتنق المسيحية ، او مسيحيا أصيلا من المتهودة .

وليس ثمة شك فى انه مما يثير العجب ان تمضى السنون على ميلاد هذه المؤسسة وتتقدم دراسة التاريخ ، و (الببلوجرافيا) وتحقيق الوثائق ، وتنقطع لهذا الفرع من المعرفة جماعات من العلماء ، ويفلت من هؤلاء جميعا تاريخ (الماسونية) فلا يقطع احد فى شان هذا التاريخ ، او تاريخ مولدها ولا مكان هذا المولد ، ولا الشخص او الأشخاص الذين انشاوها ورعوهـــا ، ولا المبادىء التى اعلنتها .

ويعلل الاستاذان امينى وابو حبيب ان مرد ذلك الغموض هو ان الماسونية لم تولد ابتداء بهذا الاسم ، وانما حملت بادىء ذى بدء اسم جماعة (النور) ، وكان اعضاؤها يتسمون (النورانيون) ، وانها جماعة سرية اصلا ، فكان من مقتضيات هذه السرية التى احاطت بها ، ولازمتها وهى تخطو خطاها الأولى فى الوجود ، أن تكثر الاقنعة على وجهها ، وبالتالى على اسمها ، حتى تختفى تماما من صفحات التاريخ ، ثم تعود باسم اخر ، وثالث ورابع فيصعب على البحاث ان يتعقبوها .

اقنعة الماسونية

ويؤكد البعض ان للماسونية اولاداً شرعيين او غير شرعيين ينوبون عنها ، ويعملون عملها ، المعروف منهم منظمة الروتارى التى انشاها المحامى بول هاريس فى فبراير سنة ١٩٠٥ فى مدينة شيكاغو الامريكية ، وقد آلت رياستها الى مدينة ايفارستون الامريكية ..

ثم منظمة الليونز التى اسست اخيراً فى سنة ١٩٥١ فى نيويورك ، ثم انتقلت الى واشنطون ..

واخيراً منظمة بناى برت ، التى اسست عام ١٨٣٤ ، وقد ولدت اول ما ولدت فى برلين سنة ١٩٠٣ ، ومركزها الآن كزميلتيها السابقتين فى الولايات المتحدة .

ويرد الاستاذان امينى وابو حبيب بداية التاريخ الحديث للماسونية الى رجل غريب الأطوار ، ومتعدد المواهب ، اسمه آدم وايزهاوبت ، ولد فى المانيا سنة ١٧٤٨ ، ودرس اللاهوت ، بوصفه احد رجال الدين المسيحى ، ثم ارتد عن دينه ، واصبح ملحداً ، واصبح استاذاً فى احدى جامعات المانيا ، وفى هذه المرحلة اتصل به اليهود ، فالتقى الطرفان على ان يضعا خطة لتزعم العالم . فنادى وايزهاوبت فعلا بحكومة عالمية واحدة ، تتكون من العباقرة والافذاذ ليسود العالم السلام ، وتتحقق سياسة رفيعة ، تختلف عن سياسات الحكومات التى يفرضها رجال من أوساط العامة ، لا يبلغون شاو هؤلاء النابهين .

وتنسب الى هذا الرجل نوايا شريرة ، يخفيها تحت هذا الستار الجذاب ، الذى صدقه الكثيرون من كبـــار المفكـــرين والعلمـــاء ، وانخدعوا به . ويقال إن من اتباع ذلك الداعية ، « ما تزينى » بطل الوحدة الايطالية الذى توفى سنة ١٨٧٢ ، وتوماس جيفرسون ، الذى كان منافسه فى انتخابات الرياسة الامريكية جون ك آدمز يتهمه بانه استغل المحافل الماسونية لغايات تخريبية .

وقد مات وايزهاوبت فى سنة ١٨٣٠ ، فورثه جنرال امريكى اسمه (البرت بايل) ، وقد لاحظ هذا الخليفة الامريكى للمؤسس الالمانى ان جماعة الماسون اصبحت محلا للشك والريبة ، فغير اسمها ، واسس لها مجالس جديدة ، وبذل جهداً ضخما فى نشر افكارها ، والدعوة لها ، حتى تعددت فروعها فى العالم .

وقد نسب الى (بايل) هذا انه خطط لحروب عالمية ثلاثة ، تحققت منها حربان ، وثلاث ثورات كبرى ، وقعت منها ثورتان كبيرتان ، ثم ثورات جزئية ، وان غايته تهديم العالم ، وإنهاك قواه توطئة لتسوده الحكومة الصهيونية .

ماذا قلنا فى كل ما تقدم ؟

هل قدمنا تاريخا (للماسونية) ام اننا سجلنا ان (الماسونية) لا تاريخ لها ، لأن الذين صنعوها لا يريدون ان يفتحوا ابواب قصرها المسحور للآخرين ، والذين يقفون

الماسونية..
مؤامرة على الفكر الإنساني
وعلى العرب والمسلمين بصورة خاصة



محمود عباسى بك .. مؤسس المحفل الماسونى فى مصر بالزى الرسمى ، واللقطة المسموح بها حسب التقاليد الغريبة للماسونية !



محمد طلعت الفرنساوى بك .. السكرتير الاعظم للمحفل .. وهو من اهم الشخصيات التى نشطت فى ضم الاعضاء البارزين فى المجتمع !



محمد باشا فهمى .. كانوا يطلقون عليه لقب : الأستاذ الاعظم .. وكان يحرص فى بياناته المكتوبة على وصف نفسه بخادم الماسونية !

على اطراف اصابع ارجلهم ليسترقوا نظرة او نظرات من نوافـذ الـدور الاول لا يستطيعون ان يروا شيئا ، فقد تطل نوافذ هذا الدور على مساحة فارغة،او على مطبخ، او حجرة فارغة تتراكض فيها الجرذان والهوام .

وهل معنى ذلك ان الماسونية ستبقى ملتحفة بالغموض ، وانها كانت احجية من احاجى التاريخ ،ولغزاًمن الغازه ، وستبقى هكذا الى اجل غير مسمى ؟

طقوس وخداع

اذن لندع التاريخ جانبا ، ولننظر ماذا فى ايدينا من حقائق واقع الماسونية .

من هذه الحقائق بعض ما كشـفه (الماسونيون) الذين كفروا بالماسونية . فحدثونا عن شيء من طقوس هذا المذهب الغامض عندما ينضم عضو إليها ، وعندما يتدرج هذا العضو فى سلم الدرجـات الماسونية التى هى ٣٣ درجة . طالب الانضمام الى محفل من محافل الماسونية يقف على باب ما يسمى (بالهيـكل) ، فالمصطلحات الماسونية اكثرها يهودى . فالهيكل يذكر السامع بهيكل سليمان الذى تحطم فى القدس ، ولم يبق فيه حجر فوق حجر . يقف الطالب على باب الهيكل ذليلا خاشعا خائفا يترقب ، لانه سيجد الباب مغلقا ، ثم تفتح كوة من الباب الضخم المغلق ، فيزداد وجيب قلبه ، فيرى فى الكوة راس انسان تطل عليه ، وتبشره بان الباب سيفتح قريبا ، ويفتح الباب وتمتد اليه يد ترشده ، واذا به يتجاوز عتبة غرفة مظلمة (تدعى غرفة التامل) مملوءة بالهياكل العظمية والجماجم وعظام ساعدى الانسان او فخذيه ، ثم يؤمر بخلع ثيابه ، ليصبح عاريا تماما ، وليتجرد من كل ما يميزه عن غيره من بنى البشر ، ليصبح رمزاً على الانسان ، الانسان المطلق ،

الانسان الذى لا لون له ، ولا وطن ، ولا لغة ثم ياتيه صوت عميق : الا تزال مصراً على التماس نور الماسونية ؟ فاذا جاء الجواب بنعم ، وغالبا ما ياتى بنعم ، فى صوت مرتعش من الرهبة اولا ، ثم من الرغبة ثانيا ، ثم من الفضول وشدة الشوق الى كشف المجهول الذى ينتظره ثالثا ، وعندما ترن كلمة (نعم) فى جوف الغرفة المظلمة ، يضع المرشد على عيني الطالب قطعة سوداء ، وفى عنقه حبلا .

وقطعة القماش السوداء هى رمز على الظلمات التى كان يتخبط فيها الطالب قبل ان يتاح له نور الماسونية ، والحبل رمز على الانقياد ، والاذعان ، الذى يعاني منه الطالب ، قبل ان يتحرر بهذا النور الذى ينتظره !

ثم يطرق المرشد الباب طرقة مزعجـة ، ويسال الصوت من الداخل من الطارق .

وبعد طقوس ، منها السير فى حجرة الظلام ، ومنها التعثر فى اشياء مبعثرة فى هذه الحجرة ، تمتد إليه يد عند كل عثرة تقيل عثرته ، تصويراً لحياة الطالب ، قبل ان يلتمس النور الماسونى ، فهو يتعثر ، وهو فى حاجة الى مرشد . وقبل ان يقبل فى رحاب الماسونية ، يحذره صوت بقوله : انت مقبل على امتحان عسير ، وستقسم بكتابك المقدس ، بشرفك وذمتك ، وتوقع بمداد من دمك ، فهل لا تزال مصراً ؟!

والحق ان هذه الطقوس تدل على ذكاء



السلطان عبد الحميد .. حارب الماسونية واعتبرها امتداداً للصهيونية ، وتهديداً لتقاليدوفكر العالم الاسلامى .

واضعها ، لانها تبعث فى نفس الطالب رهبة ، وتشعره بان الدخول الى الماسونية ليس هينا ، وتستغل اثر الظلام والوحشة والتعثر والايمانات المغلظة ، وكلها امور تتداعى لها فى نفس الانسان مشاعر اكثرها مترسب فى نفس الانسان من طفولته .

ولست اريد ان اطيل فى سرد باقى الطقوس وحسبي الآن ان انقل لك عن كتاب الماسونية الذى اعتمدت عليه كثيراً فى اعداد هذا المقال ، صيغة القسم الذى يقسمه الطالب :

« اقسم بين يدى الله العلى القدير ، خالق الكون الاعظم ، واتعهد بارادتى واختيارى ان اصون واكتم الأسرار والرموز الماسونية التى تباح لى الآن او فيما بعد ولا ابوح بها لأحد ، إلا للاخ الصادق والمحفل العادل التام المنتظم بعد الدم والاختيار والامتحان بانه اهل للثقة ، واتعهد بالا اكتب هذه الاسرار ، ولا اطبعها ولا احفرها ولا انقشها ولا ادل عليها بوجه من الوجوه » .

بعض من خدعوا بالماسونية

ولندع جانباً هذه الطقوس والرموز والأسرار لنتناول جانباً فى موضوع الماسونية اراه خطيراً الى اقصى الغاية ، وهو فى الوقت نفسه باعث على الحيرة التى لا سبيل الى الخروج منها .

فهذه الماسونية بهذه الرموز والطقوس الغريبة التى لا يجوز أن يطمئن اليها الا عقل طفل ، والتى لا يجوز ان تلقى قبولا او تصديقاً للرجال المجربين ، قبلها واطمان اليها عدد من اكبر الرجال فى تاريخنا الحديث ، فكيف حدث هذا ؟

كيف قبلها رجل فى مثل مكانة وتجربة الزعيم الوطنى المصرى محمد فريد ، رئيس الحزب الوطنى الذى اسسه مصطفى كامل سنة ١٩١٧ .

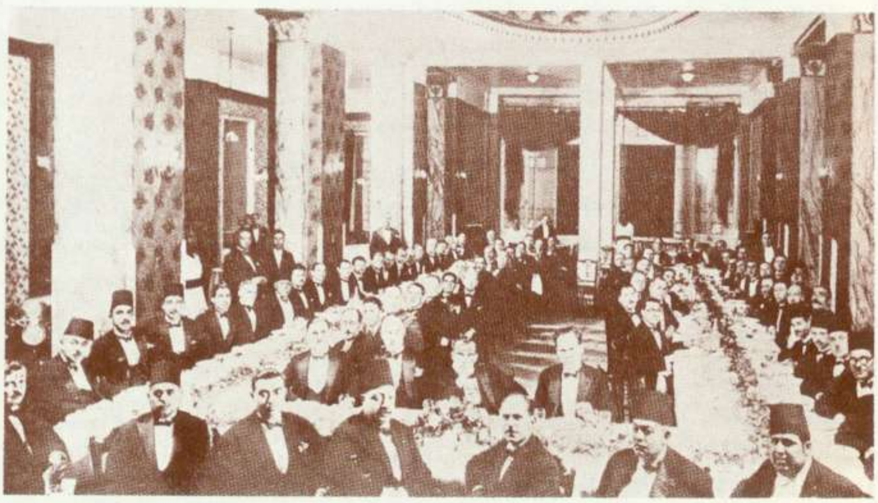
لقد كنت اعرف ان زعيم الماسونية فى مصر هو ادريس بك راغب ، وهو احد ابناء الاغنياء فى مصر ، وقد اغنته ثروته عن العمل ، فوهب وقته كله للماسونية ، فارتفع قدره فيها حتى اصبح رئيس المحفل المصرى الاعظم ، ثم مالبث ان اسس عدداً من المحافل الماسونية لا فى مصر وحدها ، بل فى مصر وسورية وفلسطين ولبنان .

وقد تحالف ادريس بك راغب مع احد امراء البيت المالك المصرى وهو الامير عزيز حسن لاقناع محافل تركيا بالانضواء تحت قيادة المحفل الماسونى المصرى بالقاهرة .

ومن المثير ان يثبت فى تاريخنا ان السلطان عبد الحميد سلطان تركيا ذا الشهرة الواسعة الذى شوه الصهاينة صورته عند الناس لرفضه التام ، واصراره الثابت ، على عدم السماح للصهيونية بزرع مستوطناتها فى فلسطين ، فقام بين الطرفين صراع حاد شمل الماسونية ومحافلها فى تركيا ، فتحالف الماسونيون مع جمعية الاتحاد والترقى التى كان من اعضائها يهود ، لعزل السلطان عبد الحميد وقد تم لهم فعلا عزله فى سنة ١٩٠٩ .

فهل تدبرنا عظات هذا التاريخ ، وادركنا حقيقة تلك الحركة الطويلة العمر الملتحفة بالخفاء ، التى تتشح كل طقوسها ورموزها بالطابع اليهودى .

وهكذا يبدو أن الماسونية إنما هى مؤامرة على الفكر الانسانى السليم ، وهى مؤامرة على العرب والمسلمين بصورة خاصة ، ولا عبرة بانضمام بعض الشخصيات التاريخية البارزة إليها ، فقد يكونون من كبار المخدوعين فى التاريخ .



لقطة داخل محفل ماسونى فى القاهرة اثناء الاحتفال بخطيب اعظم المحفل الأكبر اليونانى بقينا اللقطة عمرها اكثر من نصف قرن ، وهى توضح مدى التنظيم الدقيق الذى تحركت به الماسونية ، لتتحول فى وقت من الاوقات الى اخطبوط يهدد العالم العربى والاسلامى .

فتحى رضوان

حوار زنبقة

شعر : هارون هاشم رشيد

(عند « قمرت » بتونس جذبني
شـميمها .. فارق الذكـرى)



ويحملني أرَجُ الزنبـقِ
إلى الشاطىء الناعم الأزرقِ
إلى شط «غزة» حيث النسيم
يهم الى مُطلـق المطلـقِ
إلى ربوة كنت ألقي اليهـا
مع الليل ، بالجسدِ المرهَقِ
فتحضنني بالوفـاء الحنونِ
وتهمي عَليَّ بحـب نـقي
تذكرني زهـرةٌ من هنـا
تنـامت على شـاطِىءٍ رَيِّقِ
باحلى ليـاليَّ في غَزَّتي
وأطيبَ أيام عمري الشـقي
تذكـرني بانسياب المساء
إلى خيمتي .. والى زورقي
أنا جالس ، ها هنـا مطرقٌ
أُحَـدِّقُ فى الأفق المطـرقِ
وأسـأل نجم المساء المطل
عليَّ باحـزانه المُغـدِقِ
متى بعـد هذا الغياب الطويل
بحق السـماء ، متى نلتقي

زهور ودماء

شعر: محمد الظاهر

أُسرِّحُ نهراً منْ دماءِ أحِبّتي
وأعْقِدُ للموتى زهورَ حَديقتي .

واهبطُ منْ عرشي الى المدن التى نشيجُ ضواحيها ثمارُ مقابرٍ
وصمتُ مبانيها احتراقٌ، ووجهُها تقيءُ عليه الرّيحُ ، امّا
دروبُها ، فسجنٌ وتشريد ومنفىً وهجرةٌ ، وطوقٌ من الاغلال
زنارُ خصرِها ، فأغرِفُ مِمّا يبعثُ الروحَ فى الحَشا ، وارْسُمُ منْ
دَمّي خطوطَ خريطَتي .

وأبْقَى اليفاً غامضاً يارقُ المَدى
إذا مَسّني او فَضّ اسرارَ جُنّتي .

هنا شجرٌ ، لا يقرأُ الوقتُ سِرّهُ ، وظلٌّ كيان يجمْع الغيم
كلّما دنوتُ الى ميعاده، خِلْتُ انّني حصرتُ براري الجرح
حتّى ملكتُها ، وزوّجتَ منّ افقِ المسافةِ خُطوَتي .

دُخاني ابتهالُ الكوْنِ ، وَهْجي انْخِطَافُهُ ، وهَمْسي قَرارُ الأرْضِ ،
والرّعدُ سورَتي .

اغيبُ واسْتَقصّي ، وافرُكُ خاتَمي
وأدْخِلُ في نارِ الاساطيرِ غابَتي .

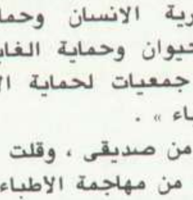
وأدْخِلُ ينبوعى جذورَ سنابلي ، واَجلو مرايا المـاء . أَسْتَنْطِقُ
المَدَى ، وَامشِي إلَى طَقسي ، وقداسِ غُرْبَتِي .

أُحاورُ اَكفاني وأُعْطِي بَديلَها
وأشْرِعُ للآتينَ ابْوابَ رُؤْيَتِى .



دخول البيوت من نوافذها

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

التقيت صـــــديقاً لا يكـــذب إلا فى المناسبات الوطنية الرسمية ، فتاملته بنظرات متفحصة ، ثم قلت له متسائلا بدهشة : « لماذا وجهك أصفر كانك تخليت عن عروبتك وصرت واحـــداً من اهل الصين ؟ » .

فاجاب صديقى عابس الوجه حانقـاً : « وجهى اصفر وقلبى اصفر وعقلى اصفر لاني مريض » .

قلت : « وما هو تشخيص الاطباء لمرضك ؟ » .

قال : « لم اذهب الى اى طبيب لاني افضل أن يميتنى المرض بدلا من ان اقتل باسم الطب » .

فضحكت بمرح ، وقلت : « من الواضح ان تجاربك مع الأطباء ليست بالسارة » .

فقال صديقي : « لن اكذب اذا قلت إن تجاربي مع الأطباء سارة قليلا ومحزنة كثيراً . كنت فيما مضى من السنين اتردد الى طبيب افتتح عيادته فى حي شعبى فقير ، واشتهر ببراعته وزهده فى المال ، وذاع صيته ، وانهالت عليه عروض مغرية ولكنه ابى أن يترك الحي الشعبى الفقير او أن يزيد اجره ، وظل يعمل محافظاً على نهجه حتى مات ، وعندئذ اضطـررت الى التردد الى اطباء آخرين جعلونى اعتقد ان الأطباء نوعان ، اقلية تتصف بالانسانية والنبل ، واغلبية تنظر الى امراض الناس على أنها جسور الى الثروات » .

وتنهد صديقى باسى عميق كانه يشاهد سكان الكرة الأرضية يهلكون ، الامة تلو الامة ، ثم قال : « من المؤسف ان تؤسس جمعيات لحماية حرية الانسان وحماية البيئة وحماية الحيوان وحماية الغابات ، وان لا تؤسس جمعيات لحماية الانسان من بعض الأطباء » .

فاستاءت من صديقى ، وقلت له مؤنباً : « ألا تخجل من مهاجمة الأطباء الذين هم زينة الحياة الدنيا ؟ » .

فتبدل لون وجه صديقي من الاصفر الى الاحمر ، وقال مستسلما لغضب عـارم : « اذا كنت مريضاً حقاً فان سبباً رئيسياً من أسباب مرضي يرجع الى الأدباء واهمالهم وتقصيرهم » . قلت هاجموا الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، وهاجمـوا الاشتراكية والراسمالية ، وهاجموا النقاد وأصحاب دور النشر ، وهاجموا شعوبهم ، ولم يمتدحوا الا انفسهم وحكامهم » .

فقال صديقي : « ولكنهم لم يهاجموا الأطباء » .

قلت : « هذا صحيح ، فهم واعـــون ولا يحبون خوض غمار معركة خاسرة ، فاذا كان الأدباء يملكون الاقلام فان الاطباء يملكون المشارط » .

ففكر صديقى لحظات ، ثم قال لي بحماسة مباغتة : « اسمع . هناك اشخاص حين يعيشون فى البلد الذى ولدوا فيه تكون محاسنهم اكثر من مساوئهم ، ولكنهم اذا تركوا بلدهم واشتغلوا فى بلد عربى آخر فان مساوئهم تفوق محاسنهم ، اما اذا هجروا البلاد العربية وعاشوا فى بلد أجنبى فان محاسنهم تختفى تاركة خلفها المساوىء وحدها » .

فقلت لصديقى : « يبدو انك تركت الحديث عن الأطباء وانتقلت الى الحديث عن أحوال العرب حين يهاجـرون من أوطانهم ؟ » .

فقال صديقى : « ما قلته مجرد مقدمة كي احدثك عن الدكتور فادى » .

قلت : « ومن هو هذا الدكتور فادي ؟ » .

قال صديقى : « هو شاب وسيم وذو مظهر دمث أنيق وسلوك بالغ التهذيب ، وقد جاء الى انكلترا ، ودرس الطب فيها ، وعندما تخرج لم يعد الى بلده ، وآثر الاقامة بلندن ، واشترى منزلا ، ووجد عملا وسارت اموره كما يشتهي ويرغب ، ثم ذهب يوماً الى بلده لزيارة اهله ، وهناك تنبه الى أن انكلترا بلد متخلف اذ لا تعامل الطبيب كانه عبقرى زمانه الذى يحق له ما لا يحق لغيره ، وسارع الى شراء طابق فى بناية تقع في شارع رئيسي لاستخدامه كعيادة له وزود العيادة بالأثاث اللائق والمعدات



الطبية الحديثة ، ثم عاد الى انكلترا ليجلب زوجته وابنه الوحيد الصغير ، وليصفى اعماله ، وقد اقترح عليه زملاؤه من الاطباء ان يجرى قبل عودته الى بلده فحصاً طبياً شاملا لجسمه ، فعمـــل باقتراحهم هازئا ، فهو شاب قوى الجسم ، ولم يمرض مرة واحدة ، ولكن نتيجة الفحص كشفت انه مصاب بالسرطان اصابة خطرة ، ولا امل له فى الشفاء ، فاستسلم لليأس ، وانهارت مشروعاته كلها ووجد نفسه مرغما على البقاء فى لندن للمعالجة على الرغم من انه كان واثقاً بان تلك المعالجة قد تطيل حياته اشهراً ولكنها لن تنقذه من الموت القادم لا محالة » .

ولاذ صديقي بالصمت ، فقلت له مستغربا : « لماذا سكت ؟ اكمل حديثك عن الدكتور فادى . هل مات أم شفى ام مازال مريضاً حتى الآن ؟ » .

فقال صديقى : « جاء الآن دور الحديث عن امراة اسمها عائشة » .

قلت : « والدكتور فادى ؟ » .

ولما كنت اعرف طباع صديقي معرفة جيدة ، فقد قلت له باستسلام : « احك كما يحلو لك » . فقال صديقى : « عائشة التى انوى التحدث عنها هى امراة فى الاربعين من عمرها ، متزوجة ، ولها ثلاثة اولاد ، وقد اصيبت بمرض جعلها طوال اشهر كالميتة ، وعندما شفيت اكد لها طبيبها ان نجاتها من الموت معجزة لن تتكرر ثانية ، ونصحها بالذهاب الى لندن فى اسرع وقت لاجراء عملية جراحية فى الدماغ ، والا فان حياتها ستظل مهددة بخطر الموت المباغت . ولما كانت عائشة مجرد موظفة ذات راتب محدود ، وزوجها ليس احسن حالا منها ، فقد لجأت الى الاستدانة ممن تعرف وممن لا تعرف حتى تمكنت من جمع المبلغ اللازم للمداواة فى لندن ، ثم اتت الى لندن ، وهناك تعرفت الى الدكتور فادى عن طريق احدى الأسر العربية ، واطلعت على مشكلته ، واطلع هو على مشكلتها ، واتفقا على ان هماً واحداً يجمعهما ، فهو مصاب بالسرطان ومحكوم عليه بالموت ، وهى ستموت اذا لم تجر العملية ، وحتى اذا اجريت لها العملية بنجاح فانها ستخلف آثاراً خطيرة فى نطقها وحركتها ، واعلن الدكتور فادى عن استعداده لمساعدتها ولاســـيما انه يعـرف اطبـاء لنـدن ومستشفياتها ، فرحبت عائشة بمساعدته التى كانت بحاجة ماسة اليها ، وابتدأ الدكتور فادى يأخذها الى اطباء ومختبرات ومستشفيات لدراســــة مرضها واجراء الفحوص المطلوبة التى شددت على ضرورة اجراء العملية لها وخطورتها . وفى لحظة من لحظات الالهام تنبهت عائشة الى ان الدكتور فادى يقدم اليها فواتير مزيفة ، وكل ثلاثة جنيهات تدفعها يذهب جنيهان الى جيبه ، فابتعدت عنه بلباقة مع انها كانت تتمنى ان تقول له : لقد فعلت ما فعلت وانت ستموت بعد اشهر فماذا ستفعل لو كنت ستحيا مائة سنة ؟ » .

فضحكت كاني سمعت اطرف نكتة ، فحملق الى صديقي بدهشة ، وقـــال : « اتضحك وانا احكي لك حكاية تحزن ؟ » .

قلت : « الا يحق لي ان اضحك بعد ان اكتشفت ان السرطان له فوائد عظيمة !؟ » .

فقال صديقى : « حتى تقتنـــع اكثر بمساوىء الاطباء ساحكى لك عما شاهدته يوما فى احد المستشفيات » .

قلت : « احك ، فالحكى اذا لم ينفع لم يضر » .

فقال صديقى : « زرت يوماً صديقاً يشغل منصبا اداريا فى مستشفى حكومى ، ولما انتهت زيارتى له ، قادني فضولى الى قسم الاسعاف ، وهناك وقفت دقائق اتفرج ، واثار انتباهى شاب دخل مسرعاً الى قسم الاسعاف يحيط به اربعة من اصدقائه ، وكان الدم ينزف بغزارة من جرح كبير فى رأسه ، وقد بادر الطبيب الى اسعافه ، فنظف جرح رأسه فى ثوان ، ثم وضع فوق الجرح قطعة قطن كبيرة مبللة بالاسبرتو ، وقال للمصاب : « هات اصبعك » ، فمد المصاب سبابته نحو الطبيب الذي امسكها وثبتها بحرص فوق قطعة القطن ، ثم قال للمصاب : « مع السلامة » ، فبهت المصاب ، وبهت اصدقاؤه الاربعة ، وقال احدهم للطبيب : « يا دكتور .. ارجوك الجرح كبير جداً .. الا يحتاج الى خياطة ؟ » ، فاذا قسم الاسعاف يتحول فجأة الى شيء شبيه بمستشفى مجانين واسطبل تتشاجر حيواناته شجاراً دامياً : الطبيب يصيح ويشتم ، والممرضات يصرخن ويشتمن شتائم بذيئة ، والاطباء المتمرنون يصرخون بغضب ملوحين بقبضاتهم مهددين ،

خواطر تسر الخاطر

دخول البيوت من نوافذها

والجدران تصرخ وتتوعد ، فتجمد الشبان الخمسة حيارى ، فما قيل للطبيب لا يهين ولا يمس كرامة ، ثم بادروا الى الفرار وهم المفتولو العضلات غير أبهين لأن يتهموا بالجبن » .

فابتسمت بحنو ، وقلت لصديقى : « انا واثق بانك لا تكذب وحكيت بامانة عما شاهدت ، ولكن من الواضح ان احد الشبان قد شتم القومية العربية دون ان تسمعه ، فغضب العاملون فى قسم الاسعاف ، ومن لا يغضب من اجل القومية العربية غير جدير بان يكون مواطنا صالحا .

فقال صديقى بنزق : « ساحكى لك المزيد حتى تكف عن ايجاد الاعذار » .

قلت : « انا اطالبك فقط بان تقول كلاما يقبله العقل والمنطق » .

قال : « ساحكي لك عما رايته بعيني فى مستشفى حكومى اخر » .

قات : « احك فانت بلا عمل وانا بلا عمل وليس لدينا ما نفعله الا الحكي » .

قال صديقي : « ذات يوم ، ابلغت ان عمتى العجوز أصيبت باغماء بينما كانت تسير فى الطريق ، ونقلت الى احدى المستشفيات الحكومية ، فهرعت اليه ، ورايت عمتي ، فاذا حالتها الصحية سيئة وتستدعي أن تبقى فى المستشفى اياما ، وقد وضعت فى قاعة تشتمل على اكثر من ثلاثين مريضة . وبينما كنت أواسي عمتى واطمئنها ، دخل الى القاعة طبيب فى مقتبل العمر وبرفقته ممرضة ، وابتدا يطوف على المريضات متفقدا احوالهن . وقد لاحظت ان امراة كهلة زرية الثياب تلاحق الطبيب بالحاح وتقول له كلاما لم اسمعه ، فكان الطبيب يبتسم برصانة ، ويتابع اداء عمله . وعندما انتهت جولته واوشك ان يخرج من القاعة صارت المراة الكهلة تصيح به : « الست مسلما ؟ ألسنا كلنا مسلمين ؟ الا يوجد فى قلبك ذرة شفقة او رحمة ؟ » ، فظل الطبيب محافظا على هدوئه ، وغادر القاعة ، وعندئذ انفجر غضب المراة الكهلة فدنوت منها حيث تقف فى اخر القاعة عند سرير تستلقي عليه فتاة لا يتجاوز عمرها الثالثة عشرة ، وكانت جذابة سمراء وديعة ورائعة الجمال ، والضمادات تغطى ساقها اليمنى . سالت المراة الكهلة عن سبب غضبها ، فاشارت الى الفتاة قائلة : « هذه المسكينة ابنتي وساقها محروقة ، وقد طلبت من الدكتور ان يغير الضماد فرفض بحجة انه غيره قبل اسبوعين » .

ونظرت الى الضماد متفحصا ، فاذا هو وسخ يلطخه الصديد ، وتفوح منه رائحة كريهة ، فقلت للمراة الكهلة :

« هذا اهمال فظيع قد يؤدى الى بتر ساق ابنتك ، ويجب الا تسكتي عليه . واذا كان الدكتور مهملا فله رؤساء سيحاسبونه فاذهبي اليهم وقدمى شكواك » .

فبادرت المراة الكهلة الى العمل بنصيحتى فوراً ، وخرجت من القاعة شبه راكضة ، وعدت الى محادثة عمتي ، وفجاة عاد الطبيب والممرضة ، ووقفا فى ركن من اركان القاعة ، وتحادثا لحظات ، ثم اعطى الطبيب الممرضة ملفا وهو يشير بيديه اشارات مبهمة نحو سرير المريضات ، فجاءت الممرضة نحونا ، وقالت لعمتى : « صحتك صارت ممتازة ولم تعودى بحاجة الى اى علاج ، وقد قرر الأطباء اخراجك من المستشفى » . وفتحت الممرضة الملف ، واخرجت منه ورقة ، وقدمتها الى عمتى قائلة : « وهذا أمر باخراجك من المستشفى ، وعليك تنفيذه حالا » فقالت عمتى : « ولكننى أحضرت الى المستشفى قبل اقل من ساعة ولم اتلق اى علاج » ، فقالت الممرضـــة : « هنا مستشفى للمرضى وليس فندقا يقدم الأكل والنوم مجانا » فحاولت التحدث مع الممرضة ، فقالت لي بازدراء : « لا تتدخل فيما لا يعنيك والا ندمت » ، فقلت : « انها عمتى » ، فقالت الممرضة : « وهل نزغرد لانها عمتك ؟ » وهنا لاحظت الممرضة ان الطبيب يشير اليها ، فهرعت نحوه ، وتبعتها ، وسمعت الطبيب يقول لها بصوت خافت غاضب : « أانت حمارة ؟ المريضة التى وقعت امر اخراجها من المستشفى ليست هذه العجوز بل هى تلك البنت المحروقة الساق ، وسريرها هناك فى أخر القاعة » .

فركضت الممرضة نحو الفتاة ، وجعلتها توقع على الورقة البيضاء معترفة بانها تبلغت الامر باخراجها من المستشفى ، ثم غادر الطبيب والممرضة القاعة مسرعين .

وعندما عادت المراة الكهلة الى القاعة كانت تمشي بخطى متثاقلة ، فسالتها عما جرى لها ، فقالت : « لا احد اهتم بي ، وعوملت كاني زبالة » ، ثم تابعت السير نحو سرير ابنتها ، فعلمت بما حدث ، فصاحت وبكت وولولت ، وبحثت عن الطبيب المسؤول ، فاذا هو قد غادر المستشفى ، ولم تجد مفراً من ان تحمل ابنتها وتترك المستشفى » .

وتوقف صديقي عن الكلام حزينا ، فقلت له : « لامبرر لحزنك ، فالطبيب لا يستحق نقمتك ، فهو بفعلته قد برهن على انه شديد الحرص على أموال الشعب » .

قال صديقى بغيظ : « وكيف ؟ » .

قلت : « المسالة جــــد واضـحـة . المستشفى حكومى ، والضماد يشترى من اموال المستشفى ، وأموال المستشفى تاتى من اموال وزارة الصحة ، وأموال وزارة الصحة تاتى من خزينة الدولة ، وأموال خزينة الدولة اتت من جيب الشـــعب ، ولا يجوز ان تبدد الا فى المعارك المصيرية التى ترغم العدو على احتلال مزيد من الارض » .

فحدق الى صديقي كانى مخلوق آت من كوكب المريخ ، ثم قال : « لقد القمتنى حجراً » . فلم افه بكلمة ، انما تخيلت تظاهرة ضخمة تضم عدداً كبيراً من الاطباء المنددين بكتب التاريخ التى تتحدث عن مجازر تيمورلنك ، وهولاكو ، وجنكيزخان ، ولا تتحدث عن مجازر الأطباء .

زكريا تامر

دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

أسماء الله الحسنى

● ان اسماء الله الحسنى هي صفات كمال فيه . اذا ذكرت صفة منها عبرت عن كمال مطلق في ذاته : « هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ، هو الرحمن الرحيم .

هو الله الذي لا إله إلا هو : الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، سبحان الله عما يشركون .

هو الله : الخالق ، الباريء ، المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم » .. (الحشر : ٢٢ ـ ٢٤) .

فهذه الأسماء او الصفات جميعها ـ وغيرها مما ورد بها القرآن هي قيم عليا رفيعة لذات المولى جل جلاله . وكما تدل على سمو الذات العلية ورفعتها وكمالها غير المحدود ، تجذب الداعي للمولى كي يتقرب منها في عبادته ودعواته :

« ولله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها (اي تقربوا اليه بها : بذكرها وترديدها ، وبمحاكاتها في السلوك والتصرفات) وذروا الذين يلحدون في اسمائه (اي واتركوا اولئكم وشانهم الذين يظلمون انفسهم بانتهاك حرمة هذه الأسماء والحط من قدرها ، وهم الوثنيون الماديون الذين يشركون مع الله جلت قدرته : آلهة اخرى لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) سيجزون ما كانوا يعملون » (الأعراف : ١٨٠) .

وباية صفة او باي اسم من اسمائه الحسنى يناجي بها العابد ربه ، فانه يتقرب بها وبمحاكاة اية صفة من صفاته في سلوكه وتصرفاته يتقرب بها اليه سبحانه : « قل : ادعوا الله او ادعوا الرحمن ، أيًّا ما تدعوا ، فله الأسـماء الحسنى ، ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا ، وقل : الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ، ولم يكن له شريك في الملك ، ولم يكن له ولي من الذل ، وكَبِّره تكبيرا » . (الأسراء : ١١٠ ، ١١١).

● والعبادة الحقيقية التي يذكرفيها المؤمن من صفات ربه واسمائه الحسنى ليست ترديد هذه الصفات والأسماء على اللسان في صوت بين الجهر والسرية ، وانما تامل هذه الصفات والأسماء ومحاولة التاثر بها ، ثم محاكاتها في مجال التطبيق والسلوك الانساني ، بعد مجال التامل والتذكر . وما احوج الانسان الى ان يتذكر كمالات الله التي تعبر عنها اسماؤه الحسنى ، ويحاول ان يتقرب بها اليه في تصرفاته ، وبالأخص مع ذاته الانسانية اولا :

١ ـ ان الانسان في حاجة الى أن يعلم ، ويعلم على وجه اخص : الدلائل في الوجود على وحدة الله المطلقة في كماله المطلق فيخشاه ويعبده . والعلم صفة او اسم من اسماء الله الحسنى .

٢ ـ والانسان في حاجة ليعلم : انه عقل وشهوة ، ومنطق وهوى ، وهو بحاجة ليسود عقله على شهوته ، ومنطقه على هواه : فيرتفع عن المهانة والذلة لشهوته وهواه ان اراد لنفسه ان يكون انسانا .

والمهيمن ، والعزيز : من صفات الله واسمائه الحسنى .

٣ ـ والانسان في حاجة ليعلم : ان في اطمئنانه مع نفسه ، وفي علاقته بالآخرين معه .. سعادته ومتعته الحقيقية ، فيسعى الى السلام بينه وبين نفسه فلا يترك هواه في صراع مع نفسه او مع غيره ، بجنوحه وحِدّته . والسلام من صفات الله واسمائه الحسنى .

٤ ـ والانسان في حاجة ليعلم : ان القناعة عن مقدرة هي طريق الكرامة البشرية .

والغنى من صفات الله ، واسمائه الحسنى.

٥ ـ والانسان في حاجة ليعلم : ان تميز انسان عن انسان هو في عمله ، وفي اتقانه لهذا العمل ، وامانته في ادائه ، وبذلك يجيء عمله نموذجا ومثالا .

والخلق ، والابداع : والتصوير : من صفات الله ، واسمائه الحسنى .

٦ ـ والانسان في حاجة ليعلم : ان ممالأة الشر : فيها القضاء على انسانية الانسان وحضارته ، وان الطريق لصيانة الانسانية هو الوقوف في وجه الشر وتحدي مصادره .

والجبار من صفات الله واسمائه الحسنى .

٧ ـ والانسان في حاجة ليعلم : ان الانسان الذي لا يؤمن ، هو ضعيف يسلم نفسه لكل دافع ، ونحو اي اتجاه . وسبيل نجاته من الضعف هو الايمان .

والمؤمن صفة من صفات الله واسمائه الحسنى .

وهكذا : اسماء الله الحسنى فيها سر قوة الانسان : في انسانيته ، وعلى هواه وشهوته ، وفي طمانينته ، وعدم اذلاله ومهانته ، وفي جده في سعيه ، وفي اتقانه لعمله .. فيها سر الانسان المؤمن ، والعادل المتخلق بخلق الله جل شانه .

بمناسبة مرور ٢٥ عاما على صدور "العربي"

العربي
ودورها الثقافي في ربع قرن



بقلم : كامل زهيري

احتفلت الكويت فى الشهر الماضى بمرور ربع قرن على إنشاء مجلة العربى ، وقد جاء الاحتفال على شكل ندوة فكرية رفيعة المستوى عن « المجلات الثقافية والتحديات المعاصرة » ، واشترك فى هذه الندوة الهامة عدد كبير من المفكرين من كل أنحاء الوطن العربى ، من الخليج إلى المحيط ، وقد تجاوز عدد المشاركين فى الندوة مائة مفكر وباحث ، وافتتح الندوة الشيخ صباح الأحمد ، نائب رئيس الوزراء الكويتى ووزير الخارجية والاعلام ، والشيخ ناصر محمد الأحمد الجابر ، وكيل وزارة الاعلام الكويتية ، والدكتور محمد الرميحى رئيس تحرير العربى ، ثم القيت خلال ايام الندوة بعد ذلك مجموعة من الأبحاث الهامة ، دارت حولها مناقشات حية مثمرة ، وقد بدات الندوة بقضايا المجلات الثقافية ، وانتهت بمناقشة كل القضايا الأساسية فى الواقع العربى المعاصر ، والتاريخ العربى ، وصراعات الانسان العربى مع الظروف المحيطة به ، وجاء حصاد الندوة خصباً رائعاً ، وكان من بين الأبحاث الهامة فى الندوة هذا البحث الذى تقدم به الكاتب العربى الكبير كامل زهيرى عن « مجلة العربى ودورها الثقافى خلال ربع قرن » ... وقد اخترنا ـ فى الدوحة ـ أن ننشر نص البحث القيم ، تحية للعربى فى عيدها الفضى .

و « الدوحـة » تنتهز هذه الفرصة ، لتتقدم باخلص التهنئة لدولة الكويت التى لم تبخل بشيء على هذه المؤسسة والمنارة الثقافية الرائدة ، كما نتقدم بالتهنئة للشقيقة الكبرى « العربى » ، بعيدها الفضى ونرجو لها المزيد من النجاح فى اداء رسالتها الكبيرة ، واخيرا فاننا نتقدم باعمق التهنئة والتقدير لرئيس تحرير العربى الكاتب الكبير الدكتور محمد الرميحى ، الذى يتقدم الآن بفكره الحى ، وثقافته الواسعة ، وقلمه الناضج ، وضميره القومى الواعى ، ليحتل ـ بجدارة ـ هذا الموقع الرئيسى فى حركة الثقافة العربية ، وهو موقع رئاسة تحرير العربى .

« رئيس التحرير »

الصحافة لغة مشتقة من الصحف ، جمع صحيفة .

والصحيفة كما شرحها ابن منظور فى لسان العرب هى التى يكتب فيها .

وفى القرآن الكريم ، وردت هذه الآية : « ان هذا لفى الصحف الاولى ، صحف ابراهيم وموسى » . والصحف هنا بمعنى الكتب المنزلة . وفى الصحاح للجوهرى ان الصحيفة ، وجمعها صحف وصحائف ، من الكتاب بمعنى الرسالة .

وفى الحديث الشريف : « اتراني حاملا الى قومى كتابا كصحيفة المتلمس » . ومنها اشتق المصحف (بضم الميم ، او كسرها) بمعنى الكتاب الذى جمعت فيه الصحف ، اى الأوراق والرسائل .

ولما عرف العرب الصحافة « المكتوبة » فى مطلع القرن التاسع عشر لاول مرة ، كانوا يطلقون عليها « الوقائع » . وحين انشا



الشيخ صباح الاحمد يقص الشريط معلنا بدء احتفالات « اليوبيل الفضى » لمجلة « العربى » .

- الكويت لا تصدّر النفط فقط ، فبواسطة "العربي" قامت بتوظيف ثقافي تنموي أيضاً

الشيخ صباح الأحمد
نائب رئيس مجلس الوزراء الكويتي ووزير الخارجية والإعلام

- "العربي" ليست للكويت وحدها ، بل هي للوطن العربي كله

الشيخ ناصر محمد الأحمد الجابر
وكيل وزارة الإعلام

- نجاح المجلات الثقافية في الكويت يعتمد على خلوّها من رائحة الدعاية ، وخلال تجربتي مع "العربي" لم يحدث قط أن كان لدولة الكويت مطلب أو اقتراح أو احتجاج

أحمد بهاء الدين

- نحن بحاجة إلى حركة نقد ثقافية واسعة ، عقلانية ، تتجاوز المغالاة والتخويف

د. محمد الرميحي

خليل الحوزى (١٨٣٦ - ١٩٠٧) عام ١٨٥٨ ، صحيفة « حديقة الاخبار » اطلق عليها التعريف الفرنسى « جورنال » . واستخدم نفس التعبير رفاعة الطهطاوى . وكان اول من اختار لفظة « صحيفة » هو رشيد الدحداح (١٨١٣ - ١٨٩٤) ، الا ان

فارس الشدياق (١٨٠٤ - ١٨٨٨) صاحب جريدة « الجوائب » ومناظر رشيد الدحداح فى المسائل اللغوية استعمل لفظة « جريدة » .

والجريدة ماخوذة عن الجرائد ، اى قضبان النخل المجردة من خوصها . وقد

جرت عادة العرب بعد الاسلام ان تكتب بعض العبارات والآيات القرانية على قضبان النخل عند دفن الميت . وتوضع هذه الجرائد على قبره . وظلت هذه العادة الى ايام قريبة خلت . ومن هنا كانت التسمية مجازية . بمعنى ان الجريدة هى ما يكتب

عليها (١) .

وظل ارباب الصحف فى القرن التاسع عشر لا يفرقون بين الجريدة والمجلة الى ان تولى الشيخ ابراهيم اليازجي (١٨٤٧ - ١٩٠٦) اصدار مجلة « الطبيب » بالاشتراك مع بشارة زلزل وخليل سعاده ، فاستعمل لفظة « مجلة » ويقصد بها الصحيفة العلميـة او الادبية او الاقتصادية .. او ما شاكلها .

والمجلة هنا مشتقة فى راى من مـادة « جلا ، جل،جلالة » (المنجد للاب يوسف المعلوف) ، والمجلة هى الكراسة فيها الحكمة . وقد خصت بها الآن الصحيفة التى على شكل كراس .

وفى راى اخر ان المجلة مشتقة من مادة «جل . جلا» اى ظهر ووضح . ومنها الجلي ضد الخفي . والجليّة اي الخبر اليقين . وجلا اى اوضح وكشف (المنجد للاب يوسف المعلوف ، ومختار الصحاح لابي بكر الرازى) .

والمجلة هنا بمعنى انها تسعى الى استجلاء حقبة من العالم .

ويضع د . مهدي علام ، عضو المجمع وعميد الآداب الاسبق ، تعريفا موجزا للمجلة : « انها صورة مختصرة متجددة رخيصة الثمن لدوائر المعارف » .

ويقول ان وظيفة المجلة كانت قائمة فى حياة المجتمع العربى منذ القدم وكانت هذه الوظيفة تؤدى بطريقة تلائم العصر من ذلك الأدب والمناظرات والأماني وتنـاقل الروايات (٢) .

ويتتبع مهدي علام كلمة « مجلة » فى العربية . ففى لسان العرب : المجلة هى صحيفة فيها الحكمة .

وقد روى النابغة الذبياني :

مجلتهم ذات الاله ودينهـم
قديم فما يرجـون خير العواقب

وفى حديث سويد بن الصامت ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم :

- لعل الذى معك مثل الذى معي . قال :
- وما الذى معك ؟
- قال : مجلة لقمان .

فكل كتاب عند العرب مجلة . يريد كتابا فيه حكمة لقمان .

وفى حديث لانس بن مالك القى الينا مجال - جمع مجلة . يعني صحفا ، واورد ذلك ابو الفضل جمال الدين المعروف بابن المنظور الافريقى المصرى فى لسان العرب .

وقال ابو عبيدة بن الجراح : « كل كتاب عند العرب مجلة » .

وعندما انشا ابراهيم اليازجي وبشارة زلزل مجلة « البيان » بالقاهرة قالا عن المجلة : « انها جليس العالم ، واستاذ المريد ، والموعد الذى يتلاقى فيه المفيد والمستفيد . بل هى خطب العالم فى كل ندوة ، وبريده الى كل خلوة ، والمشكلة التى تتضح بها بصائر اولي الالباب ، والمنار الذى تاتم به المدارك اذا اشتبهت عليها شواكل الصواب » .

وفى راي الدكتور عبد اللطيف حمزة ، استاذ الصحافة بالجامعة المصرية (٣) ان المجلة لا تعدو فى جوهرها ان تكون « اعادة النظر » التى يطلق عليها لفظ Review الانجليزى . والمعنى الحرفى له هو اعادة النظر فيما طبع من اخبار وحوادث ومواد سبق نشرها فى الجرائد اليومية ولم تساعد طبيعة الصحافة اليومية على استيفاء هذه المواد كما ينبغى ، لكن المجلة تستطيع من كل هذا ان تعيد النظر فى جميع هذه المواد على اختلافها ، وان تبدى للقارىء وجهة نظر جديدة .

والكاتب - على اليقين لا يقول كلمته ويمشى . انما يتابع قوله يوما بيوم او اسبوعا باسبوع ، او شهرا بعد شهر . كانه جدول او نهر يصب فى الراى العام . ولهذا فالصحافة داب واستمرار . كانما تنحت فى الصخر حتى تصنع مجرى فى الراى العام وتنشيء تيارا ادبيا ، وهى لذلك بالضرورة علاقة « دورية » منتظمة تقوم على الالحاح والداب والمتابعة .

••

شروط الحياة والاستمرار

وقد تنوعت فنون الصحافة فاصبحت يومية تسبق وتتسابق ، واسبوعية تراجع وتحلل . اما الشهرية فهى اهدا وابطا واعمق واوسع افقا .

و « العربى » مجلة شهرية ، وهى ككل الشهريات الثقافية لا تعتمد ان يحررها كتابها ومحرروها ، وتعتمد ككل الشهريات على جهاز محدود من رئيس التحرير ونائبه او مدير التحرير ، وسكرتير التحرير ، وعدد من المحررين الدائمين و (المصورين) ثم تستكتب بعد ذلك عددا اكبر من المصاحفين اى الكتاب الخارجين او ما نطلق عليهم Free Lancers ، وقد يرتبط بعضهم بصلة تنقطع او تتصل طبقا لسياسة المجلة .

وليس من الانصاف اذن ان نقصر الحديث على رئيس التحرير وحده او على هيئة التحرير ، بل لابد ان يمتد اعادة الفضل فى نشر العربى وانتشارها الى الكتاب والمفكرين والادباء والمؤرخين والعلماء والاطباء والاكاديميين الذين شاركوا فى انشاء ثلاثمائة عدد من اعداد العربى ، حتى بلغت من عمرها ربع قرن .

لكن لو اقتصرت اى دراسة لتاريخ حياة مجلة على قراءة الصفحات وبحث رسائلها واستخلاص اهدافها فانها مهددة ان تصبح نظرة قاصرة ومقصرة ، ذلك ان الصحيفة فى عقيدتى كائن حي يولد وينمو ، او يـذوي ويموت،وهى ككل كائن يلقى المصاعب فى المولد والحياة . ولابد ان يتوفر لها فى الاصل سـبب الوجود وشروط الحياة والاستمرار .

فليست الصحافة آلات طباعـة او قصاصات ورق . وليست حروفا وخطوطا والوانا على ورق مصقول او خشن .

انما هى فى الاساس والاصل . الحرية .

وهى بعد ذلك علاقة حميمة وثيقة بين الكاتب والقارىء تشبه علاقة الولاء والود وهى ايضا علاقة يقظة ذكية مع الاحداث الجارية .

والحرية هى السبب ومبرر الوجود فى اي مطبوع ينشر وينتشر . بل هى الهواء الذى تتنفس فيه الصحف ، وبه تحيا وتنمو وبدونها تصبح قصاصات ورق وحروفا بكماء خرساء لا تشع ولا تضيء .

ولو جاز لاحد ان يدرس تاريخ حيـاة « الاسـتاذ » او « التنكيت والتبكيت » للنديم او « العروة الوثقى » للافغانى ومحمد عبده ، او « الجريدة » للطفي السيد او « المقتطف » ليعقوب صروف وفارس نمر او « الهلال » لجورجى زيدان ، او « المجلة الجديدة » لسلامة موسى ، او « الثقافة » لاحـمد امين او « الرسـالة » للزيات او « العربى » لاحمد زكى وبهاء الـدين والرميحى ، ثم اُغْفِلَتْ قضية الحرية لكان ذلك ظلما مروعا .

فالحرية - فى ظنى - وبعد استقصاء تاريخ حياة مجلات وصحف عربية طوال قرن ونصف ، قضية اساسية وجوهرية .

ومن تاريخ الصحافة العربية - الطويل نسبيا - يثبت يقينا ان الحرية لم تتوفر لها تماما ، ولا دائما . وقد نازع الفكر اهل العزم والسلطان فيها طويلا حتى انتزعوها انتزاعا بعد مواقف ومعارك .. حتى كاد يستقر لنا الآن ذلك الحق الطبيعى الذى نسميه بلغة اهل القانون : حرية العقيدة والراى والتعبير والنشر والصحافة .

ودليلنا من تاريخ الصحافة العربيـة ذاتها .

فقد عرف الوطن العربى المطبعة قبل الصحيفة . وسبقت صحافة السلطة سلطة الصحافة والراى العام . واتى نابليون مصر بالمدفع والمطبعة . وذهب المدفع وبقيت



الشيخ ناصر محمد الأحمد الجابر ، وكيل وزارة الاعلام الكويتية : العربى ليست للكويت وحدها .



الدكتور محمد الرميحى رئيس التحرير الحالى لمجلة « العربى » : المطلوب حركة نقل عقلانية تتجاوز المغالاة والتخويف .

المطبعـــة ، لكن نابليــون جاء بالرقيب « فانتورا » (وكان يجيد سبع لغات منها العربية والتركية والفارسية) . وبلغ من اهتمام بونابرت بمطابع الحملة الرسمية ان امر بنقلها على البارجة لوريان L'Orient التى عقد لها لواء قيادة الحملة ، والتى ابحر عليها بونابرت نفسه لتكون المطابع قريبة منه ، بل وسحب فيها منشوره الأول الى الشواطىء المصرية قبـــل النزول والاقتحام .

ولكن نابليون كما حرص على المطبعة ، ولى الرقيب عليها . وبقيت المطبعة والرقيب بعد ان ذهب المدفع ! .

والمجال لا يتسع بالضرورة ـ للافاضة فى هذه الزاوية الأساسية . لكن المطبعة وحدها لم تصنع الصحافة . بل صنعتها الحرية .

ومن يقرا صحف الثورة العرابية فى مطلع القرن التاسع عشر ، والصحف العديدة النشيطة التى مهدت لها ، ومن يقرا لجمال الدين الأفغانى ، ويعقوب صنوع والمويلحى واديب اسحق ، وميخائيل عبد السيد ، من يقرا الوطن والتجارة ومصر والطائف والاستاذ والتنكيت والتبكيت والمفيد والحجاز يجد المطالبة بحرية الصحافة ويحس وعيا والحاحا بان حرية الوطن لا تفترق عن حرية المواطن ، ومن اسسها حرية الراى والنشر .

ومن تاريخ ما اهمله المؤرخون ذلك الكتاب النادر او تلك الصيحة العجيبة عام ١٨٧٩ ، اى فى اواخر عهد اسماعيل وبداية عهد توفيق ، وهو كتاب « حرية المطابع » نشره شباب الحزب الوطنى الأول ، بالعربية والفرنسية معا بعنوان حرية الصحافـة Liberte de La Presse او حريـة المطابع كما قالت الطبعة العربية (٤) .

يقول الافغاني : الصحافة عمل شريف وانا صحفى . وكان لي فى باريس جريدة اكتب فيها .

ويقول الأفغانى فى « العروة الوثقى » فى ١٣ مارس ١٨٨٤ ـ اى منذ مائة عام بالتمام ، فى العدد الأول :

وزاد الويل بمحق الحرية الشخصية ، والأخذ بالشبهة وان ضعفت واتباع بواطل التهم وان بعدت او استحالت حتى اخذ الفزع من القلوب ماخذه ، وبلغ منها مبلغه فلا ترى مارا بطريقه الا وهو يلتفت وراءه لينظر هل تعلق باثوابه شرطى يقوده الى السجن او يقتضي منه فداء . وكل معروف الاسم من المصريين ينتظر فى كل خطوة عثرة ، ومن كل نهضة سقطة . وله من كل شخص دهشة ، ومن كل طارق لبابه غشية ، واي شقاء ينتظره الحى فى حياته اشنع من هذا (٥) .

ومن الثابت ان برنامج الحزب الوطنى ـ حزب عرابى ـ كان ينص على المطالبة بحرية التعليم ، وحرية الصحافة ، وقد اثبت ذلك بلنت صديق عرابى فى خطابه الذى لخص فيه برنامج العرابيين الى رئيس وزراء بريطانيا (٦) .

وهكذا لم تكن حرية الصحف رحلة او نزهة ، بل كانت صراعا بين تصورين هما « صحافة السلطة » و « سلطة الصحافة » ، حتى ان صدور اول قانون للمطبوعات فى مصر عام ١٨٨١ كان ـ على رواية عرابى فى مذكراته المخطوطة ـ ص (٤٠٦) « لايقاف سيل الصحف الوطنية ، واندفاعها الثورى ، والقضاء على حرية الصحافة » .

وبينما كانت « الوقائع » الرسمية تكتب فى اول ديسمبر ١٨٨١ : « ان الصحافة ليست شيئا رئيسيا فى البلاد ، بل هى امور تكميلية ، مما يسمح للحكومة بالموافقة على وجودها ، او تمنع نشرها . وكذلك فان للسلطة الحاكمة مطلق الحرية فى ان تضع من النظم وان تتخذ من الاجراءات ما تراه مناسبا لمصلحتها هى دون اى اعتبار لأى جهة اخرى » كانت هناك نظرة مضادة تماما فى « التنكيت والتبكيت » (٦ يونيـــو ١٨٨١) وفى الطائف (٣٠ نوفمبر ١٨٨١) وفى البرهان (٥ فبراير ١٨٨٣) .

فتقول البرهان :

« البلاد فى حاجة عظيمة الى حرية الجرائد فهى لسان الأمة . وهى المنبه للحاكم » .

وتقول ايضا (١٨ اكتوبر ١٨٨٣) .

« الاقلام امضى من السيوف . ولكن الكاتب عندنا مكتوف ، وبالقيود محفوف

كيف تساعد الصحافة ، وابواب الكلام امام الكاتب موصدة ، وشمس الحرية محجوبة عنها ، واعنة الاقلام تمسكها المدافع !؟ » .

وليس بدعا اذن ان يترسب فى الضمائر وعي قومى بان الصحافة بغير حرية تصبح اقوالا مرسلة . وليس صدفة ان يصدر الحكم باعدام النديم ويسجن حسن الشيمى ثلاث سنوات ، (صاحب السفير) ونفي الامام محمد عبده ، وان تمنـــع « العروة الوثقي » من دخول مصر (قرار اول مايو ١٨٨٤ بعد تعديل قانون المطبوعات خصيصا) ، وان تتعقب السلطات صحف يعقوب صنوع الصادرة فى باريس حتى لا تصل للقارىء فى مصر .

وكما ظلت المنازعات حول الحرية تشتد فى العقد الأخير من القرن التـاسع عشر نجدها تشتد ايضا فى العقد الأول من القرن العشرين ، ولا يختلف جيل عن جيل حتى نشهد مظاهرة عاصفة من عشرة الاف متظاهر تجتمع فى الأزهر يوم الجمعة ٢٦ مارس ١٩٠٩ وتتجدد احتجاجا على تجديد بطرس باشا غالي رئيس النظارة لقانون المطبوعات القديم ، فتستمر ما بين الأربعاء والجمعة ٣١ مارس واول ابريل ١٩٠٩ ، ويسقط فيها الشهداء من رصاص الانجليز .

ونقرا فى « اللواء » (اول فبرايـــــر ١٩٠٩) :

« ماذا يلجيء الحكومة الى التفكير فى تقييد الصحافة لعلها تريد ان تبطش بالناس بطشة تنسيها طلب الجـــلاء والاستقلال » .

وفى ٢٦ مارس ١٩٠٩ ، يكتب اسماعيل شيمي مقالا عنوانه « تقييد حرية الصحافة » ويكتب عباس محمود العقاد (نفس اليوم) فى « جريدة الدستور » كلمة واحدة قبل الياس :

« لا يجوز اصدار اى قانون أو امر يشتمل على لائحة ادارة عامة ما لم يتقدم ابتداء الى مجلس شورى القوانين » .

ويكتب محمد فريد وجدى :

« ايها الوزرله اسمعوا وعوا

لئن ماتت الحرية اليوم فستبعث غداً » .

وتنشر جريدة « اللواء » - في ٢٨ مارس ١٩٠٩ قرار مجلس النظار باعادة قانون المطبوعات في اطار مجلل بالسواد . ويكتب سيد علي : « الأمر قد قضي وقيدت الاقلام » وتكتب « وادي النيل » :

« ليس بعد الحرية نعمة .

طلبنا اعادة الدستور فاعادوا لنا قانون المطبوعات » .

ويكتب لطفى السيد (٢٥ مارس ١٩٠٩) في « الجريدة » :

« ان الانجليز يريدون الانتقام منا على مجرد طلبنا الدستور فجاءوا بهذه البدعة الجديدة يمزقون طلب الحرية الشخصية كل ممزق يا عجبا كل العجب لماذا يحيون قانون ١٨٨١ (المطبوعات) ولا يحيون دستور ١٨٨٢ (ثاني الدساتير المصرية) . كل ما لنا فيه غرم محبوب لديهم . وكل مالنا فيه غنم فانهم عنه يحيدون » .

ويقول لطفي السيد :

« خير ما تفعله الحكومات لنفسها ، وللامة التى تحكمها ان تكون مع الصحافة فى غاية التسامح . فلا تقف فى طريق رقيها لأن فى ذلك وقوفا فى طريق حرية الراى العام ومصادرة لاعتقاده لا ياتي الا بنتيجة عكسية . لأن الراى العام بطبيعته عنيد تزيده طرائق العنف تشبثا بمعتقده ، وتشعل مصادرة الحرية فى صدره لهب الحرية المتوقد وضوءها الساطع . وسرعان ما يتسرب اليه سوء الظن بالحكومة التى تريده على ان يفل من غرب حدته مهما حسنت نيتها ، وارادت له الخير ، وخافت عليه من الوقوع من شر نفســـه . وخير ما تفعله الحكومة ان يكون اتكالها فى الحكم على رغبة الناس لا على ارهابهم » .

ومن يقرا محاضر جلسات دستور ١٩٣٤ يستوقفه دون شك مواقف نيرة لأربعة عقول مضيئة هم : عبد اللطيف المكبـــاتي ، وعبد العزيز فهمي ، وعلي طاهر ، والشيخ بخيت وكيل الأزهر حينذاك . فحين جاءت مناقشة المادتين ١٤ ، ١٥ من الدستور عن حرية الراي ، وكان مشروعها : حرية الراي مضمونة ، فلكل انسان الحق فى التعبير بحرية عن فكره سواء بالكلام او الكتابة او بطريق الصحف او التصوير بشرط ان يراعى حدود القانون ، ينبري المكباتي - ويا له من رجل - قائلا : « ان الشرط الأخير يجعل المادة فى حكم العدم ، ويقترح ان تحل محلها عبارة « بشرط ان تراعى حدود القوانين العامة » (٧) .

ويدافع على ماهر وعبد العزيز فهمي عن حذف هذا الشرط ، وينتقد على ماهر ان تستلهم اللجنة فى اعمالها مواد دستور ١٩٥٣ الفرنسي ، وهو دستور نابليون الثالث الذى قيد الحريات وعلى راسها الصحافة ، بينما تغفل اللجنة دستور ١٨٧٥ فى عهد مكماهون ، وهو الدستور الذى أطلق الحريات العامة بعد هزيمة ١٨٧٠ ، وبعد أن استقر فى فرنسا فشل شعار بسمارك : « دولة قوية . ومواطن ضعيف » !

ومن عجب ايضا ان الشيخ بخيت الذى اوسعه بيرم التونسى سخرية وتشنيعا فى قصيدته الشهيرة « المجلس البلدى » كان له موقف شريف مشرق فى لجنة الدستور حين طالب باضافة حرية اصدار الكتب الى جانب حرية الصحافة (٨) .

وخلاصة هذه اللمحات والومضات ان حرية الصحف لازمة لأية نهضـة فكريـة وثقافية ، ولم يكن حديث رفاعة الطهطاوى باعجاب عن دستورى ١٨١٥ و ١٨٣٠ الفرنسيين عن حرية النشر وحريــــة الجازيتات « والجورنالات » فى كتابه عن باريز كما لم يكن جيل الثورة العرابية من بعده يختلف كثيرا فى فهمه العميق عن جيل مصطفى كامل ومحمد فريد . ولم يختلف جيل ١٩١٩ عن جيل دستور ٢٣ عن ان خلاصة التجربة ان الحرية ضرورة حياة وسبب وجود للتعبير والصحافة والثقافة .

ومما يزيد تاكيد هذه القضية عند بحث تاريخ حياة اى مجلة ان نرى الصراع دائرا بين سلطة الصحافة وصحافة السلطة ولعل مصدرها التاريخي فى البداية ان المطبعة سبقت الصحافة ، لأن الصحافة حين نشات فى العالم العربى كانت صحافة انشاتها السلطة ، بل إنها لم تصدر بالعربية أول الأمر ، وصدرت بلغتين هما لغة الاحتلال ولغة الشعب .

فالوقائع (١٨٢٨) والزوراء العراقية (١٨٦٩) وطرابلس الغرب صدرت جميعا بالعربية والتركية اى بلغتين ، والمبشر الجزائرية (١٨٤٧) والرائد التونسية (١٨٦٠) صدرتا بالعربية والفرنسية .

وسبب هذه « الثنائية » ان الصحافة ظهرت عندنا ، لتكون لسان حال السلطة الحاكمة ، وكان الهدف فى البداية هو توصيل نظرة السلطة عثمانية او انجليزية او فرنسية او ايطالية !

بل ان مما يثير الالتفاف - وبحق - ان يصدر قانون ١٨٨١ الشهير فى فرنسا فيطلق الحريات ، وتزدهر الجرائد الصادرة باللغة الفرنسية فى الجزائر ثم لا ينطبق قانون الحريات على الجرائد العربية .

فالحرية كل الحرية للاجانب والمتوطنين تتوفر لجرائد المنتخب ، والنهضة ، والصرخة ، والايكو ، بينما الرقابة والقيود والسدود مفروضة على جريدة « المبشر » العربية ، حتى ان الامام محمد عبده عند زيارته للجزائر يبدى حزنه لأنها « متواضعة جدا . وان كانت مفيدة للجزائريين على اى حال » (٩) .

واذا كان هذا هو الحال فى مصر ، والجزائر ، فما كانت الاقطار العربية الخاضعة مباشرة للحكم العثماني باهنا بالا ، بل كانت القيود والسدود تدفع الى ضيق شديد وهجرة اضطرارية الى مصر ، لأنها اقدم فى طلب الحريات واكثر مراسا .

وللطرافة المؤلمة نورد بعض تعليمات الرقابة على عهد السلطان عبد الحميد وهى كما يلي (١٠) .

ا - قبل كل شيء يجب تنوير الشعب عن صحة جلالة مولانا الملك الغالية ثم البحث فى المحصولات الزراعية وعن تقدم التجارة والصناعة فى المملكة .

ب - محظور على الصحف نشر اى شيء يقترن بمصادقة صاحب الدولة وزير المعارف عدا ما يرى دولته مانعاً من نشره من الوجهة الاخلاقية .

ج - محظور على الصحف نشر ابحاث مطولة مهما كان نوعها ، ادبية كانت ام فنية بحيث لا يتسنى للصحيفة او المجلة نشرها مرة واحدة ولا يجوز مطلقا استعمال كلمة « يتبع » وغيرها من التعابير التي تدل على ان للبحث صلة .

د - لما كان ترك الفراغ ، او وضع نقط متتابعة فى المقال يسبب التشويش ويترك المجال لمقولات وفرضيات لا طائل تحتها ، فلا نسمح باستعمال ذلك فى المقال مطلقا .

هـ - يجب الا يعطى اى مجال للطعن فى الشخصيات ، واذا اسندت تهمة السرقة او الرشوة او القتل الى احد الولاة ، او احد المتصرفين فينبغى كتمانها بسبب عدم امكان اثبات صحة تلك التهم . لذلك ينبغى عدم افساح المجال مطلقا لنشر مثال هذه الأمور فى الصحف .

و - محظور على الصحف نشر ظلامة اى رواية (كذا) جماعة من الشعب تشير الى سوء تصرفات موظفى الدولة كما انه محظور على الصحف الاشارة الى اى



د . احمد زكى



احمد بهاء الدين

شكاوى من هذا القبيل طرقت مسامع الذات الملكية المقدسة .

ز ـ بما ان شعبنا الصادق الأمن يجب الا يطلع على اى خبر يتعلق بمحاولات الاغتيال التى قد تقع ضد الملوك فى البلاد الأجنبية ، او اية مشاغبة او مظاهرة يقوم بها المفسدون فى تلك الممالك ، فمن الضرورى الحيلولة دون تسرب امثال هذه الاخبار الى الشعب بصورة مطلقة .

س ـ واخيراً ، وبما ان البحث عن التعليمات ، او التطرق اليها فى الصحف يؤدى الى ان يستغلها بعض الانتهازيين فيجب منع نشر اى شيء يتعلق بها (١١) .

المثلث الذهبى

وخلاصة مغزى هذه الأحداث جميعاً ان الحرية ضرورة حياة وبقاء ، لا يكتب بغيرها للصحافة ان تقوم ، فان قامت بدونها لا يكتب لها التقدم وان بقيت دونها لا يبقى لها غير الضعف والهزال .

وخلاصة تاريخ قرن ونصف من الصحافة العربية يؤكد على اليقين ان الحرية شرط الصحافة الاول ، وبعدها لابد ان يتوفر للصحيفة الحرة الناجحة شرطان اخران :

اولهما : علاقة حميمة بين القارىء والكاتب .

ثانيهما : علاقة ذكية لادراك الاحداث الخارجية .

ومجلة « العربى » اذن ، حين تحتفل بمرور ربع قرن ، كان لا يمكن ان تولد لتبقى وتستمر لو لم يتوفر لها هذا المثلث الذهبى من حرية ، وعلاقة حميمة بالقارىء ، وإدراك ذكي للاحداث .

فلابد من الحساسية المرهفة بالقارىء ، ولابد من تعاقد حميم بين الكاتب والقارىء حتى يستشعر القارىء ان الكاتب يصله وياتيه بما يحسه فى اعماقه مضطربا هائما وهذا ما نسميه علاقة الولاء للقارىء .

والجريدة او المجلة ، كائن حي ، وحياتها ليست صدفة ، بل لقاء كالتقاء مركبات الفضاء مع الأحداث ودليلنا على كثرة التفاصيل التاريخية من امثلة عديدة . فالأهرام انتقلت من النشر الى الانتشار بسبب احداث الحرب بين تركيا وروسيا وادراكها لأهمية هذه الأحداث .

والسفير البيروتية لم تستطع الاقلاع والطيران الا بعد احداث الحرب الاهلية اللبنانية ، وحين وعت تماما اهمية متابعة وتحليل الأحداث ، وتقديم خدمة صحفية جديدة متميزة لقارىء جديد .. وكذلك جريدة « المساء القاهرية » ، جاءت احداث ٥٦ فدفعتها الى الامام وروز اليوسف ما كان لها ان تبقى لو بقيت مجلة فنية كما فى اعدادها الأولى او كما تصورتها فى البداية صاحبتها فاطمة اليوسف . فقد روت ان بائع الصحف القى بنسخة من مجلة الحاوي (لحافظ نجيب) ، وكانت حملة النقد على الفنانين بالغة نهاية القسوة . وتمنت روز اليوسف مجلة « تحمى اهل الفن من الاقلام الموتورة واخذها زكي طليمات باستخفاف ووصفها عبد القادر المازني بانها نزوة فنية ـ كما قال فى العدد الاول ـ ولكن النزوة اصبحت غزوة وتحولت الى حدث حين انتقلت من الفن للسياسة ، وادركها محمد التابعى بموهبته الفذة فابتكر لغة صحفية جديدة سلسة سهلة . وخلص لغة الصحافة من المحسنات والادبيات والجزالة الوهمية ، وحولها الى وضوح وبساطة يستحبها قارىء جديد هو الناخب الجديد بعد دستور ٢٣ الذى يشعر بالنقد والمناوشة والفكاهة والسخريات ، إنه شريك فى تقرير مصير الأمة !

ومجلة العربى اذن ليست استثناء عن تلك القاعدة الذهبية .. فقد ادرك مخططو « العربى » قبل انشائها ان « حرية » العربى عنوان حرية الكويت . وقد اخذت حرية العربى من حرية الوطن . وشاع هذا الحماس للحرية بنوع من السماحة الفكرية التى تحفظ استقلالية الكاتب ومكانته الادبية وزهوه مما يكتب .

وفى ظل هذا المناخ العام لممارسة الحرية ولدت العربى ، واروع سنوات العمر عموما هى السنوات الأولى للاستقلال (١٢) اذ يهب فيها الحماس للوطن والمواطن ويشيع فيها ما اسميه« الحلم العام » . وقد لمست هذا الحلم العام فى الهند فى اعقاب استقلالها وفى السنة التالية لهذا الاستقلال ، واظن ان جيل العشرينات فى مصر كانت به حماسة اشاعت ذلك الحلم العام بعد ثورة ١٩١٩ . والكويت لم تكن استثناء من هذه القاعدة .

وتوفر للعربى ايضا لقاء بالأحداث العنيفة التى هزت المنطقة واظهرت نوعا جديداً من الحاجة الى مجلة جديدة تتحدث عن العروبة والعربى وعن الاسلام والمسلمين بمنظور متسع الافق جغرافياً وتاريخيا . وقد احاطت بالعربى سنوات ٥٨ وما بعدها وماجت باحداث عنيفة عربية وعالمية هى مرحلة « الاسراع » فى تصفية الاستعمار المغادر القديم ، استعمار بريطانيا وفرنسا ، وكانت فرنسا قد انهزمت عسكريا فى الحرب وانجلترا انهزمت اقتصاديا رغم نصرها ، وبدات شمس الاستعمار القديم فى الافول ، وهب فى المنطقة ما بين الثورة والتطور ، او ما بين الثورة والاصلاح وظهرت ثورة الجزائر تهز الوطن العربى شعوراً ووعيا وجاءت دولة الوحدة تجربة جديدة رائدة .. وكانت احداث لبنان والعراق وسوريا عنيفة تهز العقل العربى .

وكان الوطن العربى زاخراً باحداث كبرى . وكان ثمة عالم جديد يولد ، وقارىء جديد يظهر . والمجلة لا تلتقى بقرائها واحداً واحداً ولكنه حدس وفن والهام بنوعية القارىء الشغوف الذى ينتظر خدمة جديدة .

ولم يكن غريبا ان يكتب احمد زكي رئيس تحرير العربى فى العدد الاول قائلا :

« ان مجلة العربى لهذا الوطن العربى كله من الخليج شرقا الى المحيط غربا ، ومن حلب شمالا الى مكلا وجوبا جنوبا » .

ويقول ايضا : « والعربى للفكرة العربية خالصة » . وهى لكل ما يتمخض عن الفكرة العربية من معان ، فهى ضد الجهل ومع المعرفة ، فى هذا الوطن العربى كله . وهى ضد المرض ومع الصحة . ومن الصحة العقول . وهى ضد الفقر . ومع الغنى تطلبه للفقير ليستغنى . وتطلب له من اجل ذلك التعليم الطويل ، والتثقيف الواسع والتدريب الصادق ليعمل مخلصا ويعيش من عمله عيشة راضية كريمة . وتطلب له مجالات العمل ليعمل مخلصا ويعيش من مجالات العمل بعد ذلك بحسبان ان العمل حق من حقوق الانسان على المجتمع الذى يعيش فيه ، وان التعطل حتى فى الثروة والاستغناء مناقضة صارخة لقانون الطبيعة ، قانون الحياة والاحياء ، وهو محقر بكرامة الانسان ، معظم كبرياءه » .

ويضيف : « ومن المعاني التى تتمخض عن الفكرة العربية كما تفهمها العربى الا تتورط فى اشتراكية مفرطة وسمها ما تشاء ولا فى ديمقراطية مفرطة « والعربى » تؤمن بحريه الفرد فى الحياة وهى كذلك تؤمن بحرية المجموع ولا ترضى ان تطغى عليها حرية الفرد فتذهب بها . وانها موازنة دقيقة بين شيئين وهى موازنة عسيرة فى ظل الجهل والفقر والمرض . وهى على اصداء التاريخ مزعجة ، ولكنها يسيرة اعظم اليسر على الرزق الطيب عندما يغزو ، وعلى الصحة عندما تغزو المرض ، وعلى نشر الثقافة تلك الثقافة التى تعتز العربى بانها تشارك بنصيب فى نشرها وانها نصيبها الاكبر فيما تريد ان تسدي به الخير الى ابناء الوطن العربى وبناته » .

ويقول احمد زكي : فى افتتاحية العدد الأول : « واهداف الوطن يجب ان تربط باوثق رباط واسرع رباط والثقافة واوعية الثقافة من صحف وكتب يجب ان يكون لها السبق عند الشعوب العربية جميعا فى الترحيب بها ضيفة وارخاصها بضاعة » .

وهذه السياسة العربية والعربية نجدها ثابتة « سارية » فى اعداد العربى من اولها الى العدد ٣٠١ – موضع الدراسة تتاكد عدداً بعد عدد ، ويقول احمد زكي ويحق فى مطلع السنة الحادية عشرة فى عدد يناير ١٩٧٠ . « ولعل ما ثبت العربى عند مطالبته خطة سابقة رسمناها وعلى السنين لزمناها وسبق ان ذكرناها ، ذلك ان العربى استقى فى كل عدد من سائر صنوف المعرفة ما اشتهر منها وعم . ولقد نذكر من هذه الأبواب : اللغة العربية والادب العربى ، وما يتصل بالادب العربى من طرائف وكذا الادب الغربى والشعر والشعراء والقصص والعروبة والاسلام دينا وشئونا . والتاريخ النافع عن شرقي وغربي وحياة الرجال والنساء والتربية وعلم النفس والمراة والأسرة وغير ذلك الاستطلاعات المصورة وهى تعريف العربى باوطانه العربية ، وبوطنه العربى الكويت صاحبة الفضل فى كل هذا وهي صفحات فى العربى مشرقة بالوانها ومبانيها ومعانيها . وتشهد العربى اذ تستهل عددها الاول بفكرة صحفية مبتكرة ميزتها عن بقية المجلات الشهرية الثقافية ، جمعت بين الصورة والتحقيق ، نموذجا للتحقيق المصور وضعته تحت عنوان « ايها العربى اعرف وطنك » ونشرت فى هذا العدد خمسة « استطلاعات » او تحقيقات مصورة ، واحداً عن الكويت وثانيا عن القاهرة بالليل وثالثا عن « قصة » ٣٢ مليون نخلة بالعراق ورابعا عن القات شيطان فى صورة شجرة (اليمن) ثم تحقيقا عن يوم جيش التحرير الجزائرى » .

ونرى على طول الـ ٣٠١ عدداً ، وهى ثمرة ربع قرن ، استطلاعات صحفية (بعضها خمسة واقلها ثلاثة) تنتقل بالكاميرا والقلم ما بين المشرق والمغرب والجنوب العربى . وقد لازم هذا التخصص اعداد احمد زكي (حتى العدد ٢٠٤ واستمر عند احمد بهاء الدين (حتى الى العدد ٢٨٤) وتمسك به الرميحى حتى الآن .

وفى ظني ان الاستطلاع المصور ، وتحت شعار « ايها العربى اعرف وطنك » لعب دوراً ثقافيا وتثقيفيا ، لانه اشبع حاجة القارىء العربى الشغوف الذى كان فى نهاية الخمسينات وبداية الستينات يسمع حديثا مدويا وملحا عن القومية العربية والعروبة ، وسهلت المجلة للقارىء ان يسافر على الورق بين ربوع الوطن العربى ، ويكتشف خفاياه ، واركانه ، وجوانب من الثقافة والعادات والتاريخ والمكان . فهو ينتقل من العدسة المصورة ، ويرى باللون – وقد يكون لاول مرة – جربة ، او سد مارب ، او موريتانيا او زبيد او ظفار او جيبوتى او تافراوت او جزيرة سوقطرة ومن اماكن غيرها يندر الوصول اليها او يتعذر .

وبقدر ما يلاحظ الباحث تشابها بين بعض ابواب « العربى » وبعض المجلات الثقافية الاخرى التى سبقتها ، فان ابتكار هذا الباب المصور كان تحفة صحفية ، اشبعت حاجة ملحة للقارىء ، فتعلق بها ، واحس بفضلها ، وهذا ما نقصده بعقد الصلات الحميمة بتقديم الجديد للقارىء الجديد .

الأديب العالم

وقد تراس احمد زكي مجلة العربى وظل رئيسها حتى العدد ٢٠٤ ، وانتظم فى تحريرها بدأب . واحمد زكي عالم اديب . وقال عنه احمد امين انه « ادب العلم » وقال عنه العقاد : « انا لا اقرا للدكتور احمد زكي الا واتصوره قد جلس الى مكتبه وبيده الأخرى مسطرة وبرجل » . ونستطيع ان نلمس بسهولة تاثير احمد زكي فى المجلة من الغلاف الى الغلاف . لانك تجد دائما بروازاً هنا او هناك يعود فيه الى الموسوعات ودوائر المعارف ، ويندر ان تعثر على خطا تاريخى او اهمال لا يعقبه تصويب فى عدد ما ، لان احمد زكي كان عالما موسوعيا مدققا ، او لنقل انه كان كيمائيا حتى فى كتابته يزن كلماته ، ويرتبها ، وينسقها ، كما يزن ابواب المجلة ويرتبها وينسقها بتوازن متميز اصبح طابع « العربى » العام .

ويقول احمد زكي فى السنة الحادية عشرة ، عدد يناير ١٩٧٠ : « وتميزت العربى فيما تميزت بالعلم الحديث تنشر منه اطرافا . فاخبار العلم واخبار الطب والعلم باب وحده والطب له بابان . باب يصف فيه من الأمراض ما شاع . وباب يجيب على من يسال من القراء عن امراض واعراض ، وباب ثالث تلك صفحة الطب المصور ، وهى لا تتصل بالمرض ، وانما تصف الجسم على الصحة تركيبا ووظائف واستبدلناها فى هذا العدد بباب جديد ، يجمع بين الاحياء جميعا والانسان منها واسميناها « وحدة الله تتراءى فى وحدة خلقه » وقد شرحنا اهدافه هناك ..

وباب جديد فى العلم مشينا فيه خطوات بدانا تجربة ، فاذا بالبريد يحمل اليذا عنه الحمد الكثير المستطاب . وذلك باب « فى سبيل موسوعة علمية » ويجد القارىء فى هذا العدد خاصة استعراضنا للمرحلة الأولى التى انتهى بها الانسان بالنزول الى القمر .. وهو عرض طال لاننا لم نرده عرضا صحفيا فحسب ولكن اردناه علميا ، كذلك ضمناه ما اتسعت له الصفحات من اجابات على اسئلة لابد هى عارضة للقراء غير العلميين اذا هم قراوا . وجعلناها من البساطة فى مكان .



جرجي زيدان



فارس نمر



رفاعة الطهطاوي



احمد حسن الزيات



محمد التابعي



روز اليوسف

واحمد زكى من هذا الجيل الذى توفر على الدرس قبل الكتابة ، والاحاطة الموسوعية والتدقيق الموسوعى . وهو جيل فريد عرفت بعض شخصياته ، وكنت اعجب بفرط عنايتها بما تكتب وتنشر ، حتى انني كنت الحظ عبد الرحمن صدقي الكاتب الفنان وقد جاوز السبعين يحضر لمجلة الهلال براجع مقاله بعناية وصبر وحماس كانه فى الثلاثين . ولاحظت انه يملا غرف بيته بالكتب حتى ضاقت فاصبح يصفها فى دواليب متخمة ، فهذا دولاب لبودلير وثان لجوته ، وثالث لسيرفانتيس .

ولاحظت أن العقاد يتردد على مكتبة كنت اعرف صاحبها ، واكتشفت بعد مدة ان العقاد يبيع الكتب ولا يشتريها ، وعرفني صاحب المكتبة ان العقاد لم يكن يبيع لعجز مالى ، ولكن لانه يعجز فى العثور على الكتاب بين اكداس كتبه ، فيضطر لشراء نسخة ثانية ثم يتخلص منها بعد ان يفرغ من حاجته . وروى لي ابن سلامة موسى انه كان يلعب مع ابيه لعبة « القاموس » . وكان الابن يمتحن الأب فى كلمات القاموس الانجليزى ، فاذا لم يعرف سلامة موسى معنى كلمة واحدة انقده جنيها . وقال الابن انه كان نادراً ما يفوز .

واحمد زكي من هذا الجيل الموسوعى النادر ، وقد ترجم والف فى العلم والأدب معا ، فترجم مع حسن الزيات غادة الكاميليا او مارجريت ، ولكنه كما قال كان اعرف بالادب الغربي من العربي (حديث لمجلة الاثنين سبتمبر ١٩٤٥) ، واشتغل استاذاً للكيمياء بكلية العلوم جامعة فؤاد ، واصبح مديراً لمؤسسة البحوث العلميـة المصرية ، ثم اصبح وزيراً وعينته حكومة الثورة عام ٥٣ مديراً لجامعة القاهرة ، ومن مؤلفاته « سلطة علمية » وفى ســبيل « موسوعة علمية » ، « مع الله فى الارض » « مع الله فى السماء » ، « بواتق وانابيب » « بين المسموع والمقروء » .

وقد اهتممت بين كل مناصبه قبل توليه « العربى » برئاسته لتحرير « الهلال » ما بين يناير ١٩٤٧ ونهاية ١٩٥٠ ، حتى اكتشفت العلاقة بين الهلال حينذاك و« العربى » الجديد ، ولاحظت انه نقل الهلال ايضا نقلة كبيرة فى الشكل والمضمون . فقد انتقلت الهلال فى عهده الى حجم جديد ، وشكل ثالث ، وطباعة اكثر اناقة ، وعناية بالغلاف والعناوين والاخراج والطباعة ، مع استخدام لطيف للصورة فى حدود مدرسة دار الهلال من عناية بالصورة النسائية والتاريخية وصور الشخصيات وصور المناسبات مع جماليات كلاسيكية .

وفى العدد الأول - بعد التجديد - يناير ١٩٤٧ نجد احمد زكي تلح عليه نفس الفكرة التى عاد اليها وحققها بنجاح ملموس فى العربى ، اذ يقول : « اننا نعود فنذكر ان الهلال مجلة العالم العربى كله ، وانه ليسرنا ان يساهم فيه ادباء الاقطار الشقيقة فى نطاق الخطة التى رسمناها » .

ونلحظ فى هذا العدد من يناير ١٩٤٧ من الهلال مقالات مركزية عالية الاسلوب راقية المستوى لكبار الكتاب فى هذا العصر . منها فلنهدم الهرم الأكبر لابراهيم عبد القادر المازنى ، وحديث مع محمد علي الكبير عن وحدة وادي النيل لعبد الرحمن الرافعى ، وايمانى لعباس محمود العقاد ، وانصفوا الشباب لاحمد زكي ، والخطائي لفكرى اباظة ، ومن هو العظيم للطفى السيد ، ورسالة الى ... لطه حسين ، واستفد من تجاربى لاحمد امين ، وذكرى عهود لمنصور فهمى صور وفنون لانطـون الجميل والجماعى على المسرح لزكى طليمات ، وكيف نستغني لسلامة موسى ، والمصرية فى الميزان لامينة السعيد ، وبتهوفن لعباس حافظ ، ورايت بلاد العجائب لامير بقطر ، وقصة مدينة فى يوميات حلمى مراد (القصاص) ، و اظرف من عرفت لاحمد رامي ، ومقال لاندريه موروا - كتب خصيصا - عن مصير الامبراطورية البريطانية والاستعمار بوجه عام ، واردن رجلا لبنت الشاطىء ، وكتاب الشهر غرام ملك لاميل لودفيج .. الخ .

ويظهر اهتمام احمد زكي بالطب ، فيورد مقالين « الجسم السليم فى الأنف السليم »

للدكتور محمد فطين ، وعيادة الهلال للدكتور سليمان باشا عرفى (عن المعدة) .. وبالعلم فى عالم يغوص فى أعمق أعماق المحيط .. وبالفن ينشر صوراً لمشاهير الرسامين الغربيين مع تعليق الدكتور محمد موسى . وهكذا نجد ان احمد زكي قد احتفظ فى العربى ببابه « حديث الشهر فى الهلال » وبفكرة « كتاب الشهر » ، وباب « العلم والطب » وغير ذلك من الثوابت فى المجلات الثقافية الشـــهرية كبريـد القراء (١٣) .

وبتحليل العدد الأول من مجلة العربى ، فقد نشر لعباس العقاد عن صلاح الدين الأيوبى ، والقومية العربية كما ينبغي ان تفهم لمحمد احمد خلف الله ، والتطور والثورة للدكتور كامل عياد استاذ كلية التربية بالجامعة السعودية والتبادل الثقافى بين الشرق والغرب للدكتور جميل صليبا ، ويناقش قضية نقل التراث الحضارى وهل ساهم العرب فى الحضارة العالمية أم اقتصروا على التقليد ، ويجمع العدد بين العلوم عن الزيت والذرة ، واخبار العلم والعلماء ومرور مائة عام على مولد مكتشف الفيتامينات ، وفى الطب عن السرطان ، وطبيب الأسرة ، واخبار الطب والأطباء ، ويجمع بين القصائد الشعرية والقصص ، ويضيف الاستطلاعات المصورة (وقد تحدثنا عنها من قبل) ولوحة الشهر ، والاذاعة العربية ولغتها لفاروق خورشيد والمسرح ، ومراة الراي العربى ومراة الراي الغربى ..

وهكذا يضع احمد زكي صيغة موسوعية للأدب والعلم والطب والفن وياخذ من كل شيء بطرف ، ويضع معادلة « كيمائية » متوازنة ما بين الأصالة والحداثة وما بين العربى والغربى ، وما بين القديم والجديد ولو انه جنح الى الأدب لأصبحت مجلة ادبية ولو افرط فى العلم لأصبحت علمية ولو تطرف فى الطب لأصبحت طبية ولو اخذ الفن عليه ماخذاً لأصبحت مجلة فنية .

لكن احمد زكي فى اعداده المائتين وضع هذا التوازن الصارم لتكون المجلة «جامعة» وشعبية تبسط العلوم والطب والاختراعات والأدب والتاريخ والفكر ويفيد قارئنا بالمعلومات ، وهى اقـرب الى مجـلات « التعريف » واداة تثقيف عام . وكان احمد زكي قد هدف ان يعرف القارىء بكل شيء . أن يعرف القارىء موطنه ، بل ويعرفه بجسمه ويعرفه تاريخه وادبه القديم والجديد . واطرافاً من كل شيء ايضاً فى معادلة متزنة اتزان عناصر الكيميــاء ، ولناخذ مثلا واحداً فى مادة التاريخ وعاماً واحداً هو عام ٦٩ لنكتشف اتساع الدائرة المعرفية او على الأصح التعريفية التى توختها « العربى » وهدفت اليها .

نجد مثلا « القدس للباقورى » والقادسية لمحمد رجاء حنفي ، والاندلسية لمحمــد عبد الله عنان ، وفتح العرب فرنسا لنور الدين محمود ، والتراجم والسير لعلي ادهم (يناير) وروبسبير لعلي ادهـــم (فبراير) وانشاء الشعر لابراهيم اديس ، والحجاب عند الشعوب القديمة لمحمد سلام زناتي ، والعرب فى الاتحاد السوفياتى لنجده فتحي صفوة ، والناصر لدين الله العباسي لمصطفى جواد ، وخرستوف كولومب لعلي ادهم (مارس) وحدود ثقافة الصحابة لعبد النمر (ابريل) وغزوة خيبر لجعفر جمال الدين والغجر فى المراجع العربية لعلي ادهم (مايو) واليهود تحت مظلة العروبة والاسلام لعلي ادهم (يوليو) عهد من الاستشراق (اغسطس) والحجاب عند العرب وفى الاسلام لمحمود سلام زناتي والطب العربى فى مدرسة سالرمو الطبية لفيصل دبدوب (سبتمبر) والشخصية الانسانية فى الحركـــة التاريخية لعلي ادهم ، وماوتسي تونج لمحمد طنطاوي (اكتوبر) وبطرس الأكبر ومكانته فى تاريخ روسيا لعلي ادهم (نوفمبر) وبالعمل الفدائي انتصر الاسلام فى أول ظهوره لعبد الله كنون (ديسمبر) .

ويضيق المقام لضرب الأمثلة التى تؤكد نفس الاستنتاج : ان « العربى » عمدت بقصد الى الموسوعة والاتساع ، ففى العلوم نجد مواضيع من الأجسام الى الاحتكاك الى الأرض الى الأزهار الحيوانية الى الاسفنج ، والأسلحة الكيماوية ، والأسماك والببغاوات (وهى احب الطيور الى احمد زكي) والبطريق ، وتحلية ماء البحر ، والتغذية ، والهضم والتكنية ، والتماثيل ، والتنفس ، والتوائم ، والثعابين ، والجاذبية ، والجبال ، والجهاز العصبى ، والجوارح من الطير ، والجواهر ، والحرارة والحشرات ، والحصان ، والهضـــبة ، والحيوانات اللاسعة ، والخزف والعمار ، والخلية ، والخمائر ، والخنافس ، ودم الانسان ، والدورة الدموية ، والديدان ، والوزة ، وذكاء الحيوان ، والـــذهب ، والزلازل ، والزواحف ، والسلاح الذري ، والسلاحف ، وزرقة السماء ، وسماعـــة الصدر والقلب ، وشعاع الصوت وشعبة الحيوانات الرخوة ، والشمس – أم الحياة وأم الطاقات – وكواكبها السيارة ، والشياه ، والصابون ، والصاروخ ، والصحراء ، والصدى ، والصدر ، والطاقة ، والطائرة ، وطعام الانسان ، والطعــام والجذس ، والطير ، والضفدع ، والعجلة ، والعقارب ، والعمر ، والعناكب ، وغاز النفط ، وغطاء الأجسام ، والغطس والغطاســـون ، والفيروسات والقراد والقرش ، وقصة الخلق والقط وقنبلة اسرائيل ، والكلبتان والكهرمان والكيماويات ، والمادة والماديون ، والماس ، ومدافع الهاون ، والمد والجزر ، والمعدة ، والمملكة الحيوانية ، ومملكة النحل ، ومنخفض القطارة ، والمياه فى الصحراء الكبرى ، والنار ، والهرمونات ، والهضم ، واجهزته ، والهضم والتغذية ، والهندسة عند العرب ، وهياكل الحيوانات .. الخ (١٤) .

واذا كانت العربى قد تميزت بهـــذا التوازن « الكيميائي » بين ابواب المجلة ، ومادتها ، فقد تميزت ايضا من ناحية شكل العرض بالتنوع ، بين شذرات قصيرة ، ومقالات طويلة ، وبين صفحة واحدة للافتتاحية أو ثلاثين للاستطلاع المصور ، وما بين بريد القراء وانت تسال ونحن نجيب ، وما بين طرائف غريبة وطرائف عربية ، وقد ساعد ذلك على كسر الرتابة ، وتنويع الايقاع مما جعلها مجلة مقبولة ومشتهاة .

واذا كانت العربى قد استطاعت ان تعرض اكثر من الفى كتاب (١٥) فى ما يقرب من مائتي عدد .. وهذه فى حد ذاتها موسوعة ثقافية ، واستطاعت ان تنقل القارىء ما بين ابن خلدون الى جميس جويس ، فقـــد استطاعت ايضا ان تعطي القارىء ٢٩٨ موضوعا عن الكويت فى ٢٠٤ اعداد تناولت الاحتلال والدستور والديمقراطية ومجلس الأمة والثورة العمرانية ، والعمارة والصحافة والاذاعة وادباء الكويت وبترولها وتاريخها .. بل خفر السواحل والشرطة !

وفى ظني ان اغلى ما حرصت عليه العربى هو انها لم تبدد ثقة القارىء بها . ومبعث ذلك هو العناية بعاداتها ، وتدقيقها فى كل ما ينشر فيها ، والعناية المتلهفة براي القارىء . وقد استهلت عددها الأول باستفتاء له جوائز – عن مقالات اعجبت ، ومقالات اخفقت . (وهذه الأسئلة نفسـها نجدها فى هلال احمد زكي) ونجد احتفاء وعناية ببريد القراء (١٦) ، وانت تسال ونحن نجيب بصورة تدل على ان المجـــلة لا تفرض الثقافة والمعرفة ، بل تقدم خدمة ثقافية بناء على طلب القراء وذقدهم وحوارهم .

التجديد من خلال الاستمرار

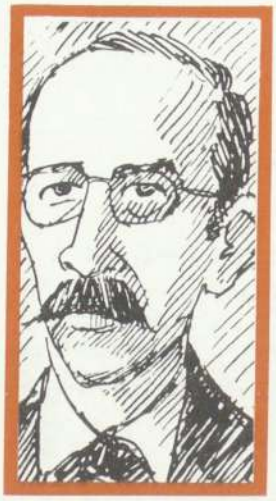
واذا كان احمد زكي – ولا نستطيع أن نوفيه حقه – عالماً اديبا وموسوعيا مدققا وجامعيا حريصا على استقلاليته الفكرية ،



احمد فارس الشدياق



يعقوب صروف



ابراهيم اليازجى

ليبرالى النزعة ، مشغوفاً بالموسوعات ودوائر المعارف ، وقد نجح فى ان يجعل مجلته تصل الى اقصى البلاد العربية ليقدم خدمته او « هديته » ، فقد كان احمد بهاء الدين « صحفياً » بارعاً ، عقلاني النزعة ، مشغوفاً بالمستقبليات ، محباً للحرية ، مهموماً بقضية السلطة والشرعية والحرية وقد ادرك بهاء الدين صعوبة تغيير ما هو ناجح فعلا ، وكان نجاح العربى قيدا عليه ، فسعى الى التجديد فى روية وسماه « التجديد من خلال الاستمرار» ويصف احمد بهاء الدين سياسته ، وهو يودع قراءه : فى يوليو ١٩٨٢ العدد ٢٨٤ .

« .. كان مفتاح نجاح هذه المطبوعات الثقافية شيئاً اساسياً : انها خالية تماماً من اى رائحة دعاية ما او توجيه ما . انما هى ثقافة للثقافة . ولولا ذلك السطر النحيل الذى يقول انها صدرت عن كذا بالكويت فى مكان غير بارز .. لما عرف القارىء الجديد فى أي بلد صدرت !

« وفى تجربتي الخاصة بمجلة العربى – وهى بحكم نوعيتها ولونها – الأوسع انتشاراً بين فئات شتى من القراء ، فلم يحدث قط ان كان لدولة الكويت مطلب او اقتراح او احتجاج » .

.. ومن تجربتي الطويلة بالاشراف على مؤسسات صحفية (١٧) : اعرف أن أكبر غلطة هى أن ياتي رئيس تحرير جديد – أو قديم – ويقلب جريدة او مجلة راساً على عقب ، مهما كان التجديد رائعاً ، وكانه بذلك يقدم للقارىء مجلة جديدة ويضعها فى اختبار جديد .

هكذا كما تعودت دائماً – كانت محاولتى فى مجلة « العربى » هى التجديد من خلال الاستمرار .. أن نضيف الى القراء قراء جدداً لا أن نستبدل قارئاً بقارىء ، وتوسيع مجرى النهر لكى يتسع لمزيد من الثقافة ، دون ان يتحول الى بحر مظلم فوضوى لا يحده شاطئان ..

من هذه المنطلقات حافظنا على الاهتمام بالتراث مع محاولة الانتقال من مجرد نقله الى مناقشته وتامله وتبادل الراي فيه .. حتى يعود النبض الحي الى كل ما هو صالح وأساسى .

وحاولنا أن نطور الاستطلاعات المصورة من مجرد التسجيل الجغرافى المعلوماتى الى التحليل والتعميق .. والى اختيار موضوعات لها فكرة مثل سلسلة « المضايق العربية » والبحار العربية .. وهى عناوين تستدعى بطبيعتها المزج فى الاستطلاع بين التقرير الجغرافى والسكانى الى الآفاق الاستراتيجية والسياسية والتكاملية فى العالم العربى .. كما ذهبنا خارج العالم العربى الى آفاق اخرى بعدت عنا قرونا لايقاظ روابطنا بها : فبحثنا – واحيانا بعناء كبير – وراء التراث العربى والاسلامى من الصـــــين شرقــاً الى الجمهوريات السوفيتية .. الى اعماق افريقيا .. الى جوار البحر الأبيض المتوسط كمالطـــة وقبرص وصـــقلية .. ثم الأندلس (١٨) .

وكان من اكبر اهتماماتنا ان نضيف الى ذلك « المعاصرة » فاضفنا موضوعات فى السياسة القومية ، والاقتصاد ، والعلوم الحديثة ، ثم الاهتمام بالفنون الجميلة كالمسرح والسينما والتليفزيون .. والتركيز فى فن الرسم على الرسامين العرب فى كل قطر عربي ، وكل قضايا وعلوم المستقبلية وأحمد بهاء الدين شحيح بلفظه لهذا يتسق فكره مع عبارته . تعبيراً عن عقلانيته ، ولعله من الطريف ان نتوقف عند مستقبليته وقد شغف بها شغفاً ملفتاً للنظر ، لا هروباً الى الامام . ولكنه شغف اخذ عليه كل مأخـذ .

ودليلنا ما كتبه فى الهلال عام ١٩٦٢ بعنوان تحريراً ١٩٨٧ ، يقول :

طلبت مني مجلة « الهلال » أن اتصور العالم بعد خمس وعشرين سنة ، أن اتصور انني جالس فى مكتبي ادبج مقالا عن الموقف الحاضر ابداه قائلا : تحريراً فى أول مارس ١٩٨٧ .

« ولكنني اعتقد ان هناك ثلاثة مجالات بالذات من مجالات التقدم العلمي . سوف يكون لها اثر كبير على حياة الانسان عام ١٩٨٧ .

الأول : هو البحوث الجارية الآن لتحويل مياه البحر الملحة الى مياه عذبة ..

الثاني : هو بحوث الفضاء التى تتمتع بما يكفيها من جهة الدعاية ومن اهتمام الناس .

فقبل سنة ١٩٨٧ سيكون الانسان قد وصل الى القمر فى رحلات متوالية وسيكون قد تم ارسال أول بعثة علمية كاملة بعلمائها واجهزتها الى المريخ والقمر وغيرهما من الكواكب القريبة .

وفى سنة ١٩٨٧ لن يكون القمر او المريخ كوكباً مسكونا ، فالأرض مازالت فيها مساحات هائلة لم تكتظ بالسكان بعد . ولكن هذه الكواكب ستكون مسكونة قطعاً ببعثات دائمة من العلماء المزودين بالاجهزة اشبه بالبعثات العلمية التى تقيم الآن فى القطب الجنوبي .

ستكون فى هذه الكواكب اذن مدن علمية تنمو تدريجيا . اما الانسان العادى فقد يبدأ فى السفر اليها فى شكل مجموعات للسياحة أول الأمر .

وليس هذا كله الا مقدمة لاكتشافات علمية اخرى تزيدنا معرفة باسرار الكون والحياة . وسيكون أول آثارها معرفة المزيد عن الطاقة الشمسية لاستغلالها على نحو ارخص بكثير جداً عن الطاقة الكهربائية او الطاقة الذرية (١٩) .

ومن يقرأ الأعداد المائتين الأولى لأحمد زكي ثم يقرأ الثمانين عدداً التالية لبهاء الدين يلحظ أن مهمة العربى فى المرحلة الأولى كانت هى التعريف بكل شيء . وهو أول درجات المعرفة .. بينما حاول بهاء الاستمرار فى هذا الطابع ، لكن الاحداث غلبته ، وطبيعة الصحفى فرضت عليه الانتقال من التعريف الى المنهج والقضايا ، مع احساس درامي بالأحداث الجارية تتوفر دائماً للصحفى الكاتب .

وحتى فى الاستطلاعات المصورة حاول أن تنتقل المجلة من مجرد التسجيل الجغرافى والمعلوماتى الى التحليـــل والتعميق ، واختيار موضوعات لها فكرة

مثل سلسلة « المضايق العربية » والبحار العربية ، وهى عناوين تستدعى – كما يقول – بطبيعتها المزج فى الاستطلاع بين التقرير الجغرافي والسكاني وبين الاستراتيجية والسياسية والتكاملية فى العالم العربى .

وقد اضاف قضايا جديدة ، واسماء مجددة فى السياسة والاقتصاد ، والعلوم الحديثة ، ثم وسع الاهتمام بالفنون الحديثة، كالمسرح والسينما والتليفزيون والفنون التشكيلية .

ابتعدت اذن الثقافة فى العربى – من المجلة الوصفية التعريفية الى الثقافة التقويمية التى تثير القضايا وتحلل الأزمات، وناقشت المجلة العروبة والدين والقومية والوطنية والتنمية والموقف العالمى وصراع الشمال والجنوب ، وحاولت وصل عقلانية الثمانينات بعقلانية الثلاثينات ، فنشرت صفحات لزكي مبارك وطه حسين وعجاج نويهض وشكيب ارسلان ومحمد عبده والكواكبي وخير الدين التونسي وكانها تستنجد بهذه الاقلام ! وكانها احست بضربات عنيفة تطرق العقل العربى ، فافردت ابحاثا ومحاورات حول التطرف والارهاب ، والغزو الفكري ، وتهديد الكيان ، وكانها تستشعر ما اسميه ازمة الضمير العربى .

وحتى فى التاريخ ، كانها ارادت طرح قضية اعادة كتابة التاريخ . فنجده يتحول الى قضايا تاريخية ، مثل حقيقة دور المماليك ، أو تقويم الدولة العثمانية ، او حقيقة دور الامكانات فى الوطن العربى ، او تاريخ المعارك العسكرية الاسلامية . وفى العلوم كذلك فتحت المجلة باب الاجتهادات لفلسفة العلوم ، وفي التراث اثارت قضايا الموروث والوافد ، والاصالة والمعاصرة ، والتغريب والغزو .

واصبحت المجلة اكثر موسوعية ، واكثر درامية . وابتعدت على استحياء من مهمة التعريف الى مهمة اثارة القضايا ، مع الاحتفاظ دائما بعمودها الفقرى وهيكلها العظمى القديم ، مع تغيير فى الشكل والطباعة .

ولقد كان اقوى ما فى العهدين هو الثقافة العامة ، واضعف ما فيها هو الابداع الادبى والفني ، وقد يرجع ذلك الى طبيعة رئيس التحرير ، فكلاهما اقرب الى الفكر والسياسة والعلوم ، وابعد عن ملاحظة الابداعات فى محيط القصة والشعر على الرغم من الاضافات التى اضافها بهاء الدين من اسماء وابحاث فى المسرح والسينما والتليفزيون والفيديو والفنون التشكيلية (٢٠) .

ولكن الابداع فى الرسالة والثقافة والكاتب المصرى والسياسة الأسبوعية والآداب والأديب اقوى بلا شك مما حوته « العربى » ولعلها قصدت ذلك او عجزت عنه .

مخاطر التنويع

انك تقرأ مقالا عن اللغة او الدين ثم مقالا عن عقدة الهجر عند الوجوديين ، ثم عرضاً لكتاب عن الاتحاد السوفيتي وازمته الديمقراطية القادمة ، ومقالا عن القران الكريم وحقوق الانسان ، وقد تقرا عن التنمية او الذرة او الاسفنج ، وقد تجد دفاعا عن طه حسين ، ثم بحثا عن الروماتزم او فقر الدم او طفل الانابيب وشيئا عن الفضاء وهذا التنوع قد يثير اضطرابا وجزعا اذا اصبحت المجلة كشكولا .

وصحيح أن الهدف فى التوسع والموسوعية هو التعريف بكل شيء . ان تعرف الوطن ، والعقل والتاريخ والأدب والسياسة والجسم والتنفس . لكن قد تصبح المجلة الثقافية كل شيء ولا شيء !

ومن هنا كانت فراسة هيئة التحرير ، ان يؤخذ من كل منه بطرف ، ومقدار ولا يهبط بها الى تنافر وفوضى .

وقد ينظر البعض نظرة فوقية حين يتهم مثل هذه المجلات الثقافية الادبية العلمية الطبية التى تمتد مادتها للطرائف والماثورات انها تلفيق ثقافي ، وهى نفس التهمة او النكتة التى تشيع بين المثقفين فى باريس عن سلسلة « ماذا اعرف » Que sais - ge وهى سلسلة تثقيفية تبسط العلوم والفنون والآداب والتاريخ ، وقد تنشر عن البنسلين او الفضاء او الأدب الايطالى او ادب امريكا اللاتينية او قصة الورق او حرية الصحافة .

وهم يتهكمون على سلسلة «ماذا اعرف» بان من يقراها ويفرغ منها يقول ايضا : ماذا أعرف !

لكننا لا نرى فى نشر الثقافة العامة ، واشاعتها والاخذ بيد القارىء لاستنهاض فضوله واثارة شغفه ، وتنوير عقله ، ومعونته على المعرفة شيئا يستحق الاستخفاف ، بل انه دور خطير .

ولست مع التهجم الاكاديمي – صدق او كذب – لأن التبسيط فن صعب للغاية .

ودور الصحافة الثقافية هو نشر المعارف الأساسية ، حتى تقوم المجلة محل الجامعة والمدرسة ، وتحل محلها لمن لم يكن له حظ الانتظام فى التعليم .

وهناك من يعقد السهل ، وهناك من يبسط المعقد ، وهذا فن الفنون . وقد اشتهر أن الألمان يعقدون البسيط ، والفرنسيين يسهلون المعقد . ولاحظت ان الفلسفة الوجودية – الحديثة – نشات عند هيدجر وهوسرل وظلت حبيسة مدرجات الجامعة والمصنفات الفكرية – حتى جاءها جان بول سارتر فبسطها وسهلها . ولاحظت انه وهو لا يزال فى الايكول نورمان – عام ١٢٩٧ – ترجم هوسرل فاذا جاءت قارعة الهزيمة وهزمته احداثها ، طرح وجوديته باسلوبين كما فى « الوجود والعدم وهو كتاب عسير لا تدركه الا بقواميس وتفسيرات ، وقد تدرك منه بعض صفحة لا تكملها . ثم استعان بكتب اخرى مبسطة مثل « الوجودية فلسفة انسانية » يفهمها طالب الجامعة وسيدة البيت وفتاة المقهى ... وقصد سارتر أن ينقل الوجودية الى الشارع ، فالف المسرحيات ، واستخدم ابطال الاغريق لينطقها بفكره ، واستعان بالفيلم ، والمقال والمسرحية حتى يبسط المعقد .. ويصل الى الجمهور العريض .

ومهمة الوصول الى الجمهور مهمة عزيزة ، فقد لاحظت ان ابن لماتي وزير صلاح الدين الايوبي كتب كتابا بالفصحى عن المالية ، واخر بالعامية هو الناتوش فى حكم قراقوش ، استعان فيه بالنكت والمفارقات ليصل للجمهور العريض ايضا .

والمجلة الثقافية العامة لابد ان تاخذ بالتبسيط مع الرقي ، حتى تشيع بين الجماهير ، وتقوم برسالة المدرسة والجامعة .

والعربى عندى – خلال خمسة وعشرين عاماً – قد ادت رسالة ثقافية كبيرة ، وضرورية لا يقدح فيها غياب المنهجية او ما التزمت به من حياد ، لأنها لم تنشا لتكون مجلة صدامية . انما نشات للتعريف وللتنوير ، وحسبها ما رسمته لنفسها من هدف حققته ونالت به رضاء القراء ونشر الثقافة .

كلمة عن عهدها الجديد

ولعلي لم اتحدث عن الدكتور محمد الرميحي رئيس التحرير الجديد ، لأن عاما وبعض عام من مجلة ناجحة ، تفرض الاستمرار فرضا ، ولا اقول التكرار ، لا يفصح كله عن خطة الرميحي . واغلب الظن انه سيستمر فى تحقيق رسالة العربى بكفاءة وعناية وهو يدرك أن المجلات كالحدائق تحتاج الى العناية بها . ويدرك اهمية قضية الاخراج والتبويب والألوان . ولعله يدرك اهمية « توظيف » اللون والانقلاب الطباعى الذى حدث فى العقد الأخير فيدخله الى العربى دون أن يفرط فيما اسميه المحسنات الطباعية .

ولازالت « العربى » تحتاج إلى « نغمة » دقيقة من اللون والاخراج حتى يتوافق الشكل الأنيق مع ارتقاء المضمون الفكرى .



الطابع التذكاري الذى اصدرته ادارة البريد الكويتية بمناسبة العيد الفضى لمجلة « العربى »

ورغم قصر المدة ، فقد سعيت لمقارنة كمية بين ابواب ومحاور العربى فى فترة بهاء والرميحى ، فوجدت بالمقارنة بين اعوام ٧٩ ، ٨١ ، ٨٣ وبالمقارنة الكمية نلحظ أن المحاور المشتركة هى الدين ورجاله ، سياسة واقتصاد ، عروبة ، استطلاع عربى وخارجي ، أدب ولغة ، صفحة فى اللغة ، شعر وشعراء ، قصص ، تاريخ أشخاص ، تربية وعلم نفس ، فلسفة مجتمع واجتماع ، كتاب الشهر وفنونه عدا الأبواب الثابتة وحديث الشهر ولو جاز استخدام المقياس الكمي ، فقد كانت المواضيع الدينية ٣٢ سنة ٧٩ و ٣٦ سنة ٨١ و ٣٢ فى سنة ٨٣ ، والعروبة ١٢ سنة ٧٩ و ١٢ سنة ٨١ ، و٢٦ سنة ٨٣ . والقصص كانت ٢٠ فى سنة ٧٩ و ٢٠ سنة ٨١ و ٢٧ سنة ٨٣ وتاريخ الأشخاص ٢٩ سنة ٧٩ و ١٢ سنة ٨١ و ٢٦ سنة ٨٣ أى ان نصيب الدين والعروبة والقصص وتاريخ الأشخاص زاد فى عهد الرميحى عنه فى عهد بهاء . (وان احتفظ العهدان بنفس المنهج تقريباً) .

وقد تساوت تقريباً الاستطلاعات عن الكويت وهي بالتوالى ٤ و ٧ و ٦ وان بلغت نصف ما كانت عليه ايام احمد زكي فى السنوات العشرين الأولى . وتقاربت الاستطلاعات العربية والخارجية فى عهدي بهاء والرميحي وهى على التوالى ١٣ و ١٥ و ١٢ ، وان كانت فى العهدين قد خرجت عن نطاق العالم العربى ، وقد توازنت فى التاريخ (١٤ و ١٧ و ١٤) ، وعلم النفس (١٣ و ٧ و ٧) ، وانخفضت فى الفنون فى السنة الأخيرة فكانت فى عام ٧٩ و ٨١ و ٨٣ (٢٥ و ٢٣ و ١٥) . وهو نقص ملحوظ . ومن ابرز اهتمامات الرميحى القضية الفلسطينية (٢١) وقد زاد من العناية بها وتحليلها وقضـية المؤسسات والحريات .

عن الجماليات

والمجلة الثقافية الموسوعية تعـمـد بالضرورة الى تنوع وتنسـيق واتزان ، يعطيها الهارمونية الخاصة بل نكهتها وعطرها .

والتنوع ينقذ القارىء حتى لا ترص المقالات والبحوث رصا . بل تتنوع اشكال عرض « المادة » فهى تارة بحث رصين مركز وتارة باب من صفحتين ، وتارة ابواب ثابتة قصيرة مثل بريد القراء ، او انت تسأل ونحن نجيب ، وطرائف عربية وغربية ، واقوال الصحف ، ومنتدى العربى ، ومن التراث ، وغير ذلك . واختلاف الأبواب رحمة بالقراء ، هذا مختصر مركز ، وهذا مبسوط طويل ، وهذه شذرات مقتطفة ، وتلك مقتطفات مركزة ، وهذه الأشكال متطورة حتى تقطع الرتابة والملالة .

وكذلك تقطع الصورة والرسم مجرى الكلمات ، لتخفف الضغط على العين ، فلا يصبح الكلام زحاماً مكدساً . كما يقطع تنوع الطول والقصر وتركيز الأبواب ورشاقة المقتطفات من الرتابة حتى يتوافق الشكل مع المضمون .

وتنسيق المادة نسميه الموسيقية السرية او « النغم الذى لا يسمع » ولكن يحسه القارىء ويطرب منه او يفزع !

وقد احسنت العربى بالتبسيط والتنويع ولكننى مازلت اشكو مما أسميه أمية العين العربية ، وانها لا تعرف ابجدية الالوان . وهذه قضية جمالية وفكرية يحسن أن تعالجها العربى بذوق فى الطباعة وتدريب التذوق الفني لعيون الفنون التشكيلية .

وآخر الجماليات هو أول كل عدد ، أى الغلاف ، وقد تميز الغلاف فى الـ ٢٠٦ من الأعداد بكلاسيكية ثابتة ، وكان الغلاف ينقسم الى ثلاثة اقسام منها جزءان ثابتان فى كل عدد ، ويغلب أن يكون صورة لفتاة واحدة (على الأقل) ، وهى لازمة تجارية شائعة وموروثة ، أو صورة استطلاع عن اليمن أو المغرب أو مصر . والصورة ثابتة تخلو من الدرامية والتأثير ولكن الغلاف تحرر فى عهدي بهاء والرميحي ، فالغيت التقسيمات الثابتة على الغلاف ، وكبرت الصورة واصبحت قريبة وتفصيليـة Close up مما يجعلها أكثر درامية وتعبيراً ، كما زادت العناوين الفرعية ، وهو ما يجذب القارىء أكثر .

والغلاف الجديد أكثر اتساقاً مع الذوق والعصر . ولكن تبقى بعض المشكلات الجمالية التى قد تعود الى التنفيذ .. مما قد تعالجه المجلة بنقلتها الطباعية المرتقبة .

وبعد .

فالحديث عن الدور الثقافى لمجلة العربى خلال ربع قرن تكثر فيه التفاصيل لكننا نخلص باطمئنان واخلاص ان أى مؤرخ لتاريخ المجلات الثقافية لا يستطيع أن ينكر الدور المعرفي والتعريفي والثقافي لهذه المجلة الجامعة الناجحة .

وقد نعمت العربى بانها لم تكن حكومية بالمعنى التحكمي . ونعمت بحرية الفكر فلم تكن من صحافة السلطة التى تثقل فى الالحاح والتكرار على القارىء . وخلقت نموذجاً للصحافة الموسوعية ، وصحافة الخدمة الثقافية العامة .

لكن العربى فى الثمانينـات تواجه امتحاناً مثل كل مطبوع عربى ، لأن الوطن العربى كله فى امتحان . اذ يشهد أزمة الثورة والمفاهيم .

ويشهد ازمة الثروة واختلال الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما يشهد الفجوة التكنولوجية ، والقضايا الملتهبة من فلسطين الى لبنان ويشهد بمرارة الخلافات العربية وبعضها مشروع واكثرها وهم .. والخلاصة انها ازمة تهز العقل والضمير .

وليس اجـدر من مجلة رصينة جادة مثـل « العربى » أن تسهم بكتابها ومفكريها ومؤرخيها وباحثيها فى البحث الحر ، وفتح باب الاجتهاد ، والتمسك بحرية الراي ، وحق التعبير ، وقد يكون فى جهدها الثقافي الموصول بعض الشفاء أو كل الشفاء .

كامل زهيرى

لغة الحوار في المسرح

فن "الفرجة" يحتاج إلى لغة خاصة ولا مبرر لأن ندفن رؤوسنا في الرمال

بقلم : نعمان عاشور

تنشر الدوحة هذا الرأى الخاص للكاتب الكبير نعمان عاشور دون ان تتبناه ، بل تدعو إلى مناقشته وتفتح صفحاتها للحوار حوله .

من البدهيات المعروفة فى تاريخ المسرح انه بدأ بالتراجيديا وذلك قبل ان يكون هناك ما نسميه اليوم بالمجتمع الانسانى . وكانت كل موضوعات المسرح تنصب فى تلك المرحلة الباكرة من نشاته على معالجة قضية الصراع بين الانسان وبين القوى الخفية المجهولة التى تسيطر على وجوده ومصيره ، فكانه والحال كذلك لم يكن فرجة للاستمتاع بقدر ما كان محاولة لتفسير كنه الحقائق الكونية التى تحيط بعالم الانسان ولذلك كان الاغريق يستمدون موضوعات مسرحهم من الالياذة والاوديسة التى تحكى عن اساطيرهم .. ولما تطور المجتمع الاغريقى وبدأ ياخذ صورته كمجتمع بشرى له معالمه وعناصر تكوينه .. تبدل الصراع من مقارعة بين القدر والانسان ، الى صراع بين الانسان والانسان فى داخل ما يشكل مجتمعاً تختلف فيه موازين القوى وبالتالى تتعدد فيه اشكال الصراعات وتتحول من مجرد صراع كونى الى صراع اجتماعى . وهكذا ظهرت الكوميديا كتعبير عن الوضع الجديد للحياة الانسانية المتطورة فى صورتها الاجتماعية .. وتحول مفهوم المسرح ليصبح صراعاً اجتماعياً لا يسعى فقط الى تفسير حقيقة القوى المجهولة التى تحيطه ، وانما ايضاً ليكون مجالا لمقارنة القوى الاجتماعية التى تتحكم فى وجوده وترسم له حياته ثم تحدد مصيره ..

وبتلاحق الزمن تطور المسرح فى حياة الناس ليتحول الى اداة لتقويم المجتمع وصلاحه بدفعهم الى التطلع لحياة افضل . وتلك هى الرسالة الجوهرية للكوميديا فى المسرح . وقد صاحب هذا التحول من التراجيديا الى الكوميديا ما يناسب كل منهما من اساليب وطرائق الحوار ..

فاستندت التراجيديا الى اللغة الرفيعة السامية الفخمة ذات العظمة والجلال والرواء اللفظى . وكانت اللغة فى الكوميديا اقل من مستواها « الرفيع كما ينطقها البشر .. وان تكن فى كلا الحالتين لغة واحدة تميزها الشاعرية لأن اليونان وغيرهم من الحضارات لم تكن عندهم لغة للتخاطب ولغة اخرى للكتابة .

المسرح فرجة

لكن المسرح بحكم طبيعته فن يقوم على الفرجة اعنى المشاهدة التى يشترك فيها الجمهور مع الممثلين .. فى التراجيديا لمعرفة وادراك الحقائق الكونية المحيطة به .. وفى الكوميديا لمعرفة وادراك الحقائق الاجتماعية التى تحكم معيشته وتسير وجوده فى حياته مع بقية البشر المحيطين به داخل بيئته . والفرجة فى التراجيديا مؤسسة على الخوف والهلع والاشفاق على مصير الانسان وعجزه عن ان يحمى كيانه من القوى الخارقة ،

بينما هى فى الكوميديا تقوم على النقد ومواجهة التحكم والوقوف فى وجه العجز أو الخطا والمثالب والمعايب التى هى من صفات الانسان .. وبالتالى فان الصراع فى الكوميديا ليس صراعاً محتوماً ونهائياً بين قوة خارقة وقوة عاجزة عن مواجهتها .. وانما هو صراع بين قوى تخضع فى تكوينها لنفس العيوب والقصور والعجز الذى تخضع له القوى المقارعة لها



اديب اسحق



موليير



يعقوب صنوع



تيمور

.. ومن هنا يبرز عنصر التسلية كاساس فى الفرجة الكوميدية لانها تقوم كما اسلفنا على نقد الانسان بنفسه لنفسه .

التســلية

الكوميديا إذن هى الفرجة المسلية .. ولكن هذا لا يعنى ان التراجيديا ليست فرجة هى ايضاً .. فهى فرجة بالقدر الذى تبعث فينا الاحساس بالرهبة .. بينما الكوميديا هى الفرجة التى تبعث فينا الاحساس بالمتعة .. وهى متعة لابد ان تكون مسلية بقدر ما هى مفيدة ..

وكل هذا الشرح اقصد به الوصول الى هدف واحد هو تاكيد ان المسرح بالدرجة الاولى فرجة .. وقد امكن عن طريق هذه الطبيعة اللاصقة بالمسرح كفرجة ان يتطور عبر القرون ليجمع بين الفرجتين . الفرجة الكوميدية والفرجة التراجيدية .. ولا احب ان اقحم هنا التعريف الشــائع بالتراجيكوميديا وهو الطابع الغالب على المسرح فى عصرنا .. وانما كل ما يعنينى هو قضية من اخطر القضايا التى واجهت ولا تزال تواجه مسرحنا العربى .

قضــية اللغة

وهذه القضية هى ما درجنا على تعريفه بقضية اللغة المستعملة فى الحوار المسرحي ، وبالذات اســتعمال اللغة العامية .. واسميه انا « اللغة الدرامية » فى كتابة المسرحيات .. لان التعريفات التى سبق ان اوضحتها تساعد كثيراً على ايضاح حقيقة ومنشا هذه القضية اللغوية فى مسار وتطور مسرحنا العربى القائم ، فضلا عن انها تكشف لنا عن الجوانب الصحيحة للقضية من اكثر زواياها دقة .. وهى زاوية طبيعة المسرح ذاته كفن قوامه الفرجة وليس الكلمة المكتوبة على الورق .. ولن ادخل بالقارىء فى محاولة استطرادية لتعريف معنى المسرح كفرجة ولكن يكفى ان اشير الى ان هذه الفرجة وان اعتمدت على الكلمة فانها لا تعتمد على الكلمة المكتوبة وانما تعتمد اصلا واساسا على الكلمة المجسمة المنطوقة .

وتعالوا بنا فى سياحة خاطفة لوجود المسرح فى حياتنا العربية كمسرح، اعنى كعرض أو فرجة تقدم للجمهور المشاهد وليس كنص مدون فى كتاب . ولعلنــا لا ننسى التجربة الباكرة لمارون النقاش حين قدم مسرحه فى دمشق ثم فى بيروت معرباً موليير باللغة الأدبية وهى اللغة العربية الفصحى .. فانه لم يستطع الصمود بمسرحه الا لمدة قصيرة رغم حداثته كفن جديد مشوق . ثم اضطر بعدها الى تطعيم عروضه بالموسيقى والاغانى لانه ابى أن يتنازل عن الاستعمال الادبى فى لغة الحوار التى عربها بنفسه الى الفصحى .

وليس فى هذا اى طعن فى جدارة واسبقية اللغة الفصحى .. حاشا لله وانما هو تبين لجذور المشكلة الاساسية التى واجهت مسرحنا العربى بعد ذلك فى كافة عهوده .. وهذا ما فطن اليه يعقوب بن صنوع من الاصل فقدم كوميدياته او على الاحرى هزلياته الانتقادية فى قالبها الفكاهى باللغة العامية وكان يسميها لغة التخاطب .. ذلك لانها كانت بواكير درامية ساذجة لم تكن قد اكتشفت اثناءها من خلال الممارسات المتقطعة، اللغة الصالحة للتعبير الكوميدى، وهو ما اعرفه باللغة الدرامية .. بل لقد بلغ الأمر بصنوع حد تاليف مسرحية كاملة للدفاع عن استعماله لغة التخاطب اليومى بدلا من اللغة الفصيحة كما كان يسميها ، وذلك دفاعا عن الهجوم الذى تعرض له من جانب الفقهاء اللغويين كما كان يسميهم وأصر على اللغة الدارجة التى كانوا يسفهونها .. حدث بعد ذلك نفس الشي فى المسرح السكندرى الذى اوجده سليم النقاش واديب اسحاق فى الربع الاخير من القرن الماضى . فلم تلق معرباتهم المسرحية الادبية من جمهور الفرجة ما كانت تستحقه من اقبال . وتكرر الوضع على هذه الصورة إبان النشاط المسرحى الذى سبق ولاحق ثورة ١٩١٩ .. فاصطدم مسرح جورج ابيض بنفس العقبة حتى افلست عروضه واجبر على مشاركة الشيخ سلامه حجازى فى تكوين مسرح يجمع بين الغناء والتراجيديا .. كذلك اضطر محمد تيمور فى سنوات الحرب العالمية الأولى ان يتحول الى كتــابة مسرحياته بغير اللغة العربية الفصيحة فكتب بعضها باللغة العامية .. ولعل هذا هو ما دفع توفيق الحكيم الى الهجرة للكتاب وبالتالى اعتبار النص المسرحى نصاً ادبياً .. كانت الحاجة اذن ماسة لوجود لغة خاصة للمسرح .. تماما كما ان للشعر لغته الخاصة .. فالمسرح من الاصل منبته الشعر ..

لغــة المســرح

تلك هى المشكلة وهى لا تنفى بالضرورة ان اللغة العربية الفصحى لها قيمتها وقوتها ومرونتها وقابليتها لان تكون لغة مسرح .. وانما على العكس فقد اثبتت اللغة العربية الفصحى ضرورتها وحتميتها فى المسرح ولكن بالنسبة لموضوعات بذاتها .. وفى حدود نوعية خاصة من المتفرجين . فاذا راعيت الظروف التى وجد فيها المسرح عندنا على مدى تطوره ومن خلال الممارسات المتلاحقة فى مختلف الفترات والمراحل لما كان لنا ان ننكر هذه الحقيقة وندفن رؤوسنا فى الرمال كالنعام .. واعذرونى إذا كنت على شىء غير قليل من الصراحة التى قد تعرضنى لتهمة الترويج لاستعمال اللغة العامية ومعاداة اللغة العربية الفصحى .. فالعكس هو الصحيح تماماً لاننى اكتب باللغة العربية الفصحى كما ترون واعتقد اننى اجيدها إلى حــد مقبول .. ولكن الضرورات الفنية وطبيعة المسرح كفن اساسه الفرجة هى التى دفعتنى من البداية إلى كتابة حوار معظم مسرحياتى باللغة التى اسموها عامية .. والاسباب كثيرة ومتعددة ومنها ما اسلفت مما واجهه

لغة الحوار في المسرح

فن "الفرجة" يحتاج إلى لغة خاصة ولا مبرر لأن ندفن رؤوسنا في الرمال

المسرح فى مراحل وجوده المتعاقبة فى حياتنا .. واقف بكم عند بداية الخمسينات حين بدا المسرح ياخذ مكانه فى حياتنا الادبية . وبين فنوننا التعبيرية .

اللغـة المحليـة

ماذا كان عليـه الوضـع المسـرحى ايامذاك ؟ !

كانت الحاجة ضرورية وماسة الى حتمية وجود نصوص مسرحية محلية مؤلفة . لأن الفرقة القومية كانت تحتضر بما تابعت تقديمه من مسرحيات لتوفيق الحكيم ومحمود تيمور وشوقى وعزيز اباظه وعلي احمد باكثير ذلك ان اعمالهم كانت بعيدة فى موضوعاتها عن ان تستقطب جمهور هذه الفترة من ناحية لانها تفتقر الى التكامل الدرامى فى البناء الذى يجعلها قابلة وصالحة للعرض المباشر على الجمهور. ومن الناحية الاخرى لانها كانت باللغة العربية الفصحى .. فلما تكونت فرقة المسرح الحديث من اوائل خريجى معهد الفنون المسرحية لم يجد هؤلاء امامهم ما يقدمونه من نصوص تتطلبها حاجة الجمهور المتفرج فلجاوا الى المترجمات والمعربات والمقتبسات . وهذه بدورها لم تكن لتغطى فى موضوعاتها الاجنبية ولغة حوارها المترجم ما يحقق رغبة المتفرج فى مسرح يعبر تعبيراً حقيقيا عن واقع حياته الاجتماعية، ولذلك ازدهر مسرح الريحانى وانتعش مسرح اسماعيل يس وغيرهما على حساب هذا النقص الماثل فيما تقدمه الفرق الجادة .. ثم تضافرت عدة عوامل اخرى اخضعت حركة مسرح الستينات الذى بدا من الاعوام الأولى للخمسينات لمواصفات حتمية ،منها أن يكون مسرحاً اجتماعيا واقعيا يقوم على تصوير ونقد ومعالجة مشاكل المجتمع وقضاياه وهى بالضرورة مشاكل اجتماعية محلية ، وان تكون وسيلته الى ذلك هى الكوميديا وان يتجه الى مخاطبة اوسع رقعة ممكنة من المشاهدين باللغة التى يعبرون بها عن حياتهم وهى لغة التخاطب اليومى .. هذا الى جانب كتابة نصوص مسرحية لها من النضج والتكامل الدرامى ما يحقق تقديمها مباشرة على خشبات المسرح دونما حاجة الى تضمينها فى كتاب مطبوع كنص ادبى .. وقد كانت هذه هى المواصفات التى ميزت مسرح الستينات عما سبقه .. فهو مسرح استوفى الشروط الدرامية كقابلية العرض المباشر على الجمور فى نصوصه المسرحية الخالصة ، ثم انه مسرح اجتمـاعى تغلب عليـه الكوميديا ولا تصلح فى كتاباته وتقديمه للفرجة إلا اللغة المحلية .. ومعنى هذا ان يكون مسرحا استهلاكيا موقوتا طالما انه يخاطب جمهوره بلغة ليس لها ما يتوافر للمادة التى تكتب باللغة العربية الفصحى من قدرة على الرسوخ والبقاء ..

المعادلـة الصعبـة

وكانت تلك بالفعل هى المعادلة الصعبة إذ كيف يمكن وجود مسرح يكتب باللغة العامية وتكون له قيمته الادبية ؟ ! وقد ظلت هذه المشكلة تحيط بمسرح الستينات خاصة فى تجاربه الباكرة الاولى .. وكانت ولا تزال مثار جـدل شديد متصـل حتى اللحظة فى المسرح العربى داخل بيئاته المحلية جميعها . واعترف انها كانت من المؤرقات التى واجهتنا منذ الخمسينات وعلى بداية تكفلنا بالكتابة المسرحية لكنها لم تكن على هذا القدر من الخطورة التى صورت بها من البداية .. ذلك ان ما تمتع به مسرح الستينات من نضج درامى واضح فى نصوصه بموضوعاتها واساليب معالجتها جعله قادراً من داخل تطوره ان يخلق لنفسه اللغة الدرامية التى تتطلبها مكوناته وبالتالي لم يحل بين كتابه وبين طبع نصوصهم فى كتب على انها اعمال ادبية مصاغة فى لغة جديدة لا هى بالعامية ولا هى بالفصحى .. وانما لغة درامية فنية جاء توفيق الحكيم بعد ان كتب مسرحيته الشهيرة « الصفقة » بنفس هذه اللغة تقريباً فسماها « اللغة الثالثة » والواقع انها فى حقيقتها لغة جديدة ولكنها ليست لغة ثالثة .. وانما اللغة الدرامية التى تجعل للمسرح لغته الخاصة كما ان للشعر لغته الخاصة ايضا، لانها كلغة مستحدثة فرضتها طبيعة المسرح كفن فرجة بقدر ما هو لون جديد من الواننا الادبية كالشعر والرواية والقصة . وهى لغة لم تقصر او تعجز فى التعبير عن كل ما يمكن ان تعبر عنه اللغة الفصحى من فكر رفيع وخيال وثاب وعواطف جياشة وتاملات نفسية ووجدانية وصور ابداعية لها قيمتها الجمالية . وهذا ما يميزها عن اللغة العامية المدعاة ويجعلها اقرب الى الفصحى منها الى لغة الحوار اليومى الدارجة .. ولذلك تصبح القيمة الادبية الحقيقية لاي نص درامى ماثلة فى الطاقة التعبيرية الدرامية للحوار الذى كتب به .. وليس مجرد استعمال عبارات او لهجات او كلام عامى عادي مما يدور على لسان الناس وتلك ايضا من ابرز مقومات المسرح كفن درامى قوامه التركيز والتكثيف واللماحية والالمعية فى استعمال الحوار الذى يكتب به النص ..

اللغـة الدراميـة

واعود فاكرر استبعاد اللبس والغموض الذى قـد يراود اى قارىء لهذا المقال . فانا لا ادافع عن اللغة العامية ابداً .. وانما ادافع عن حتمية وجود لغة مسرحية درامية تميز الكتابة للمسرح او التلفزيون او الاذاعة حتى من خلال اللهجات المحلية ذاتها وذلك بعد ان اصبحت اللغة العربية الفصحى نادرة الاستعمال فى معظم المسلسلات والمسرحيات والافلام والتمثيليات فيماخلا تلك التى تتطلب موضوعاتها ، دينية كانت او تاريخية او تراثية او اسطورية ، حتمية كتابتها باللغة العربية الفصحى .. بل ان وجود هذا الوضع الذي يسود مختلف الوان التعبير الدرامى وما يستعمل فيه من حوار عامى أو دارج أو لهجات محلية يجعل من وجود « اللغة الدرامية » ضرورة حتمية حتى لا تختلط الامور،لان وجود مثل هذه اللغة هو السبيل الوحيد القائم للحفاظ على اللغة العربية ذاتها واقصر الطرق الى ذلك القيام بدراسة وتدريس هذه اللغة الدرامية على نفس المستوى الذى تتم به دراسة تاريخ المسرح ونظرياته ومدارسه وعناصره وبنائه واتجاهاته الخ .. الخ .. واعود لاذكركم بالمثل الذائع عن النعامة التى تدفن رأسها فى الرمال .

نعمان عاشور

عندما كان الأوروبيون يقولون :

الشرقيّون أقرب إلى الطبيعة منّا .. ألف مرّة !

بقلم : ماجدة الجندى

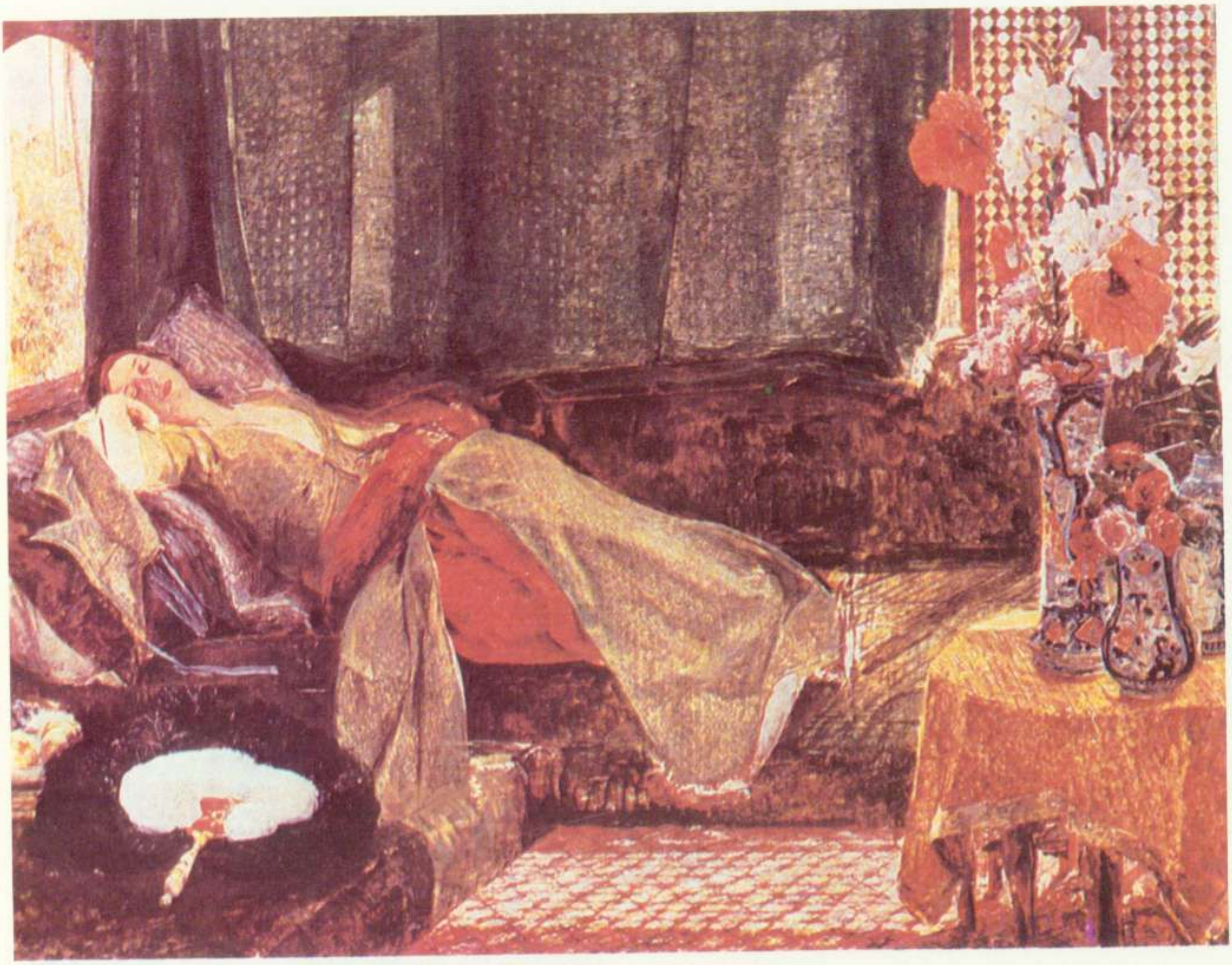


الحصاد .. لوحة مستوحاة من ريف الشرق .. وهى من اعمال الفنان وليم هولمان (١٨٥٤ - ١٨٦٣)

فى القرن التاسع عشر كان الشرق بمثابة « الحلم » بالنسبة لمجتمع الصفوة الاوربية .. كان هو « الحنين » للاخيال احيانا .. او للحرية فى احيان اخرى .. كان الشرق يعنى للبعض ليس فقط موطن الاسرار ، بل ايضا وطن « العواطف الجياشة » ..

وكما ان هناك مكتشفين اوائل لاى ارض جديدة ، كان هناك رواد كشفوا عن الشرق الفنان .. المتوهج .. الغامض .. والسخى فى نفس الوقت !

اثمرت رحلات هؤلاء الرواد او بمعنى آخر مغامراتهم إلى الشرق نصوصا ادبية الهبت مخيلة القراء ، وانبتت داخلهم رغبة لا تقاوم فى رؤيا الجديد على ارض ذلك الشرق الذى لم يكن وقتها قد باح بكثير من مكنوناته !



داخل البيت الشرقى .. فى فترة الظهيرة او القيلولة استوحى الفنان « جون فردريك » هذه اللوحة اثناء رحلته للشرق عام ١٨٧٦

روايات وقصائد خطها الشاعر بيرون .. فيكتور هيجو .. جوته .. وغيرهم .. وكانت هى مصدر الوحى لريشات فنانة حولت الكلمات المنفعلة بالشرق إلى خطوط والوان ولوحات ، شكلت ما يمكن تسميته بالحركة الاستشراقية فى الفن التشكيلى فى القرن التاسع عشر ، بزعامة اسماء ثلاثة تشكل المثلث الرائد الذى قدم اشهر كنوز الفن التشكيلى المستلهمة من الشرق : دولا كروا وشاسريو ، وفرومنتان ..

ولم يقتصر عشاق الشرق فى خلال القرن التاسع عشر على بلد اوربى دون اخر .. اننا نجدهم فى فرنسا .. فى انجلترا .. فى سويسرا وايطاليا والمانيا .. وحتى فى استراليا !

وصاحب الكتاب الذى نحن بصدده هو احد كبار المتخصصين فى ابداعات القرن التاسع عشر عن الفن التشكيلى . إنه « فيليب جوليان » الذى اختار لدراسته العالمية عنوان « المستشرقون » حيث قدم نسيجا متانيا لحركة الاستشراق على خارطة الفن التشكيلى ، عبر ما يزيد عن مائتى صفحة حوت مائة وعشرة لوحة واربعة وعشرين رسماً توضيحياً ، وست صــور لمخطوطات قلمية ، علاوة على سبعة فصول أو اجزاء تتكلم عن الشرق : ما المقصود به؟ .. من هم رواده الأوائل من الفنانين والسفراء والموسيقيين الأوربيين ؟.. وهذا بالاضافة إلى إجابته عن سؤال محورى يقول : لماذا عشق فنانو الغرب الشرق .. وكيف كان عالمهم ؟

بداية الترحال

البداية كانت بالنزعة الرومانتيكية التى دفعت بعديد من السفراء والكتاب الى الترحال بحثاً عن زاد جديد للخيال ، لكن هناك اعترافاً اوليا قد لا يفاجئنا كثيراً يقر به المؤلف حين يتحدث عن بذور الحركات الاستشراقية ، فيقول: إن تحفظ الحكومات الغربية كان يذوب او يتلاشى حين تكون الرغبة فى الرحيل عند الصفوة المثقفة متجهة نحو بلدان لها اهميتها الاستراتيجية او الاقتصادية ، ففى هذه الحالة كانت حكومات الغرب تشجع او تستثمر - بمعنى اقرب الى الصواب - نزعات الفنانين والكتاب الرومانتيكيين فتدفع بهم الى ارض احلامها وخططها فى المستقبل !

ومن هذا المنطلق اصبحنا لا نرى على خارطة الاستشراق مجرد فنانين او كتاب فقط بل وجدنا اسماء لعسكريين ومهندسين ورجال دين وايضا مغامرين !

وإذا ما عدنا لحقيقة رغبات الفنانين او نزوعهم نحو الشرق ، فسوف نجـــد ان ما الهب الحماس وايقظه كان فى البداية كلمات واشعاراً نبعت من محاولة معرفة الأجواء الشرقية اكثر مما نبعت من تجارب



الرحلة إلى مكة .. كما سجلها الفنان « اوجست بيللى » عام ١٨٦١ .. واللوحة فى متحف اللوفر بباريس

حقيقية أو واقعية للرحالة ..

وهناك أربعة أسماء يعتبرها الكاتب مسئولة عن مولد هذا الوله بالشرق لدى الغربيين .. اثنان منهم كانت لهما التجربة الحقيقية فى الرحيل للشرق ، والاثنان الآخران حلماً بالشرق وقراناه فى أشعارهما : شاتو بريان وبيرون ذهبا للشرق فعلا .. أما فيكتور هيجو وهنرى هين فقد كان لحلمهما قوة الرؤيا فى الكلمات !

ولهذا فان كل لوحة حواها كتابنا هذا يمكن ان نجد بين خطوطها نبضاً من هؤلاء الأربعة .. بل وكل لون يمكن ربطه بحرارة كلمات واحد من هؤلاء الرواد !

بيرون ومصادر الالهام

لكن علينا ان نعترف مع صاحب هذا الكتاب بان الشاعر بيرون كان له الاثر الأعمق او الأثر الأكبر على القـــــراء الغربيين ..

وقد بدا شرق بيرون من اسبانيا التى زارها عام ١٨٠٦ م ، وبعدها زار اليونان ثم القسطنطينية وغيرها من بلاد الشرق .

وكان شرق بيرون حسياً .. لحد غير مفهوم ... وكان كذلك وحشياً .. أى باختصار كان شرقا غريبا ! .

فى عام ١٨٢٢ نقلوا اشعار بيرون فى ترجمة متواضعة إلى الفرنسية لتقلب الموازين لا فى عالم الشعراء ، بل فى عالم شباب الرسامين الذين هجروا الموديلات الباردة وافكار الكلاسيكية الجديدة إلى وجوه جنود اتراك وسلاطين ورائحة شرقية.

ولم يكن بيرون وحده هو الذى غير مصادر الالهام فى عالم اللون والريشة ، ولكننا نلمح اصداء الشرق ايضاً فى كلمات كوليردج وتوماس مور وشكسبير وادوارد لين الذى كان لكتاباته مكانة لا تقاوم لدى مثقفى انجلترا !

اما شاتو بريان فقد حمل من رحلته التى بدات من اسبانيا عام ١٨٠٧ م رؤيا جديدة للتاريخ يغلفها الشرق ، وكان له تاثير كبير على العقل الغربى !

القدس فى المقدمة

وفى رءوس معظم من اتجهوا الى الشرق كانت القدس احد الأهداف الرئيسية فى الرحلة تاتى بعدها القاهرة وبالذات لذوى الاحلام الطوباوية !

وقد كان كتاب « وصف مصر » الذى قدمته الحملة الفرنسية على مصر مسئولا عن بعث موجة حب الاستطلاع نحـــو الشرق لدى المواطن الغربى ، فهو الذى دفع الروائى الشاعر الفرنسى فيكتور هوجو إلى اغنياته الشرقية !



فناء جامع الحاكم كما رسمه الفنان « بروسبر ماريلبت » في عام ١٨٤٠ .. واللوحة في متحف اللوفر بباريس

وفى عام ١٨٣٢ م سار الشاعر الفرنسى الرقيق الدقيق « لامرتين » على هـدى « شاتو بريان » مصطحباً زوجته وابنته إلى القدس .. وكتب عن تجربته يقول : « عبر كل حياتى كان الشرق هو حلمى الذى يبدد ظلمات العيش فى موطن رأسى » ..

وقد كان الشرق كما عناه لامرتين ارستقراطياً قريباً من شرق الرسام شاسريو .. وعلى العكس منه كانت رحلة « جيرار دى نرفال » الذى كان يبدو أحياناً كمصرى وهو يتجول بالقاهرة فى عام ١٨٤٩ ، وفى القسطنطينية وسوريا كان بسيطاً متواضعاً ، وللوحاته ميزة الدقة فى التقاط العناصر مع مسحة من الفانتازيا !

أما الشاعر تيوفيل جوتييه فقد تعددت سفراته نحو الشرق .. الى الجزائر ، ثم موفداً من لويس فيليب الى تركيا ، وأخيراً اصطحب الامبراطورة أوجينى فى رحلتها المشهورة لمصر ، وحين زار أسبانيا شدته اندلسها لدرجة أن أوجدت فيه الحنين إلى العالم الاسلامى كله !

جولات شرقية

وقد زار الروائى الكسندر ديماس الشرق وله كتاب « خمسة عشر يوماً فى سيناء » .. أما جوستاف فلوبير فله جولة شرقية طويلة استمرت من عام ١٨٤٩ إلى ١٨٥٢ م ، والغريب أن أكثر ما تشتهر به هذه الجولة هو مسحة الحزن التى غلفتها .. إنه يقول بأحرف ولدتها جولته الشرقية : « هناك الضوء .. السائل يغمر كل المساحات .. يفصل بين الأشياء .. يتغلغل فيها » ..

لقد عاد فلوبير من الشرق أميل للحزن .. للوحدة .. وكانت بصمات رحلته على كتابه « تأملات سانت انطوان » تموج بالاضطراب والتوهج وخليط غريب من المشاعر كان له أثر كبير على مجموعة من الرمزيين فى الأدب والفن !

ونلمح نفس النغمة الحزينة عند



لوحة من بداية القرن التاسع عشر للقاهرة كما سجلها الفنان « ديفيدو برتس »



نساء الجزائر .. أشهر لوحات الفنان الفرنسى « دولاكروا » الذى قام برحلات فى المغرب العربى عاد بعدها ليقول : إنهم أقرب الى الطبيعة منا ألف مرة !

« فرمونتان » فى كتابيه « صيف فى الصحراء » الذىظهر عام ١٨٥٧ « وسنة بالساحل » الذى ظهر عام ١٨٥٩ .. إن هذين العملين يمثلان كلاسيكيات الحركة الاستشراقية !

ثم حدث مع الروائى الفرنسى « بيير لوتى » أن بدأت نغمة جديدة تسرى عند الحديث عن الشرق ، ملخصها أن شرق الشعراء والفنانين غير موجود الا فى مخيلتهم ، وانه فى خدمة المســتعمرين المتخفين فى أرديـة الفن والسياحة !

وقد كان لهذا المعنى ارهاصات بدأت مع تاريخ فتح قناة السويس فى عام ١٨٦٩ حين طغت أحلام الغزو والتجارة وتأكلت تحتها رغبات السفراء !

لقد بلغ اهتمام الفنان بالشرق حدا جعله يصبغ قرنا بأكمله بانطباعاته عن هذا الموطن الجذاب ، حتى أن هوجو كتب يقول : اننا نهتم بالشرق كما لم يحدث من قبل ، فان كان عصر لويس الرابع عشر هلنسيا ، فنحن الآن مستشرقون .. اننا معنيون بالشرق أيا كانت صوره .. معنيون بفكره .. إنه خصب .. بل هو الشاطىء الآخر للسفر !

تلك سطور خطها هوجو فى مقدمة أشعاره عن الشرق ، ونفس المعانى كان يمكن أن يكتبها عشرات آخرون من كافة بلدان الغرب التى ولعت بالشرق ..

وعلى مختلف درجات تنوع اهتمام الأدباء والفنانين ، يمكن القـــول إن الرسامين أو الفنانين القادمين من انجلترا كانت رحلاتهم للشرق تتميز باســتقرارهم لفترات طويلة حيث يستعيرون الأزيـــاء وأحيانا العادات !

أما الألمان ، فقد كانوا يفضلون المرور الأسرع دون التخصص فى شيء

لكن الايطاليين كانوا يبحثون فى الشرق عن زبائن للوحاتهم أكثر كرما من بلدانهم !

ويقول الكاتب إن الفرنسيين وحدهم تمتعوا بتسهيلات من حكومتهم وكانوا الوحيدين الذين يأخذون شكل المبعوثين الرسميين !

أشهر اللوحات

ومن فرنسا خرجت أشهر لوحـــات مستوحاة من الشرق ، قدمها « دولا كروا » أولا فى لوحة جمع فيها بين الموت والتاريخ والرائحة الشرقية ، لكنها كانت بعيدة عن الواقع ، مما دفعه للسفر عام ١٨٣٢ الى المغرب ، ومن هناك كتب « إنهم أقرب الى الطبيعة منا ألف مرة .. فى ملابسهم .. وفى أشكال حياتهم .. وحتى فى أحذيتهم ! » .

وعند العودة توقف دولا كروا فى الجزائر ليستوحى أشهر لوحاته ، بل أشهر لوحات الفنانين الغربيين عن الشرق ، وهى التى أطلق عليها اسم : نساء الجزائر .

لقد أحب دولا كروا الشرق فى رحلته لدرجة انه قال بعد عودته لباريس « ان باريس تزعجنى .. الناس .. الأشياء تبدو لى فى ضوء نهار مختلف » !

أما « شاسريو » الضلع الثانى فى مثلث استلهام الشرق والوله به عند الفنانين الغربيين ، فقد غذته الجزائر ، وهناك كما يقول تعلم كل شيء .. بداية من حب الخيول العربية حتى رؤية السماء بوضوح .. إنه يقول : « وحتى أزرق السماء فى الشرق مشتعل .. » !

وثالث الأضلاع فرومنتان الذى أحبت « جورج صاند » أعماله عن الشرق وقالت عنها : إنها تأسرنى !

ويمكن القول أيضا إن دولا كـــروا وشاسريو وفرومنتان نجحوا فى الأخذ بلب الذوق الغربى عبر قرن كامل ، وكان زبائنهم من هواة المجموعات التشكيلية المنتقاة ، الباحثين عن مذاق الحلم وعبق الشرق ، واللون الواضح القوى الذى لم يجدوه إلا فى اللوحات الشرقية !

ماجدة الجندى



تقوم العاملات من النحل بمعظم العمل فى المستعمرة بطريقة غاية فى الدقة والنظام . فالنحلة العاملة هى التى تبنى الخلية ، وتفرز الشمع ، وعليها تقع مسئولية تنظيف المكان وتهويته وجمع الغذاء ورعاية الصغار وتحويل الرحيق الى عسل !

المهندسون المعماريون في مملكة الحيوان !

بقلم : حسني محمد بدوي

● عرف الانسان فنون البناء والهندسة المعمارية منذ قرون بعيدة ، لكن هناك كائنات فى أدنى سلم التطور ، ومع ذلك هى أقدم منه معرفة بهذه الفنون ، وأقدر على الابداع !

● كيف تبنى تلك الحيوانات بيوتها وحصونها بطريقة تدعونا للتفكير والتامل ؟

● هل تعرف الحيوانات وحيدة الخلية فنون الهندسة المعمارية ؟!

● يقول العلماء ان مملكة الاسفنج أشبه بأكاديمية للفنون الجميلة ولهندسة البناء والعمارة ؟!



بطريقة بارعة اقام هذا الطائر عشه فى منطقة ما'مونة ، وسط سياج من القش يجعله ـ وصغاره القادمين ـ بعيداً عن عيون الباحثين عن الغذاء فى الغابة !

عندما تتاح لنا فرص ملاحظة وتامل سلوك الحيوانات فى اوضاعها واحوالهـا الطبيعية ، فاننا حتماً نكتشف اموراً عجيبة .. ولنتامل معاً بعض جوانب من هذا السلوك ، مثل بناء الحيوانات لبيوتها ، وتربية صغارها والحصول على غذائها والدفاع عن نفسها ضد اعدائها .. كل هذه الامور هى نشاطات عادية فى حياة اغلب الحيوانات .

والحيوانات من المخلوقات البناءة ، بل منها ما يعد من « امهر المهندسين المعماريين الطبيعيين » !

وقد قام العلماء ببحث وفحص انجازاتها البنائية ، بادئين بالكائنات الدنيا ، ذوات الخلية الواحدة ، منتقلين الى ما هو ارقى قليلا ، ثم الى النحل والعناكب والطيـور والحيوانات الثديية ، فلاحظوا ان كثيراً من الحيوانات تحصل على حاجاتها للبناء من اجسامها نفسها ، على حين تجمع حيوانات اخرى ما تحتاج اليه من بيئاتها ، لتقــوم بتشييد بيوتها او حصونها .. بل إن بعض الحيوانات البسيطة « البرزويات » وهى التى تدخل ضمن اسرة الحيوانات وحيدة الخلية ، تعد من زمرة « المهنـدسين المعماريين الطبيعيين » الخبراء ! على حين نجـــد حيوانات ارقى فى تطورها واعلى فى مرتبتها ، مثل القردة ، لا تهتم ببناء بيوت لها او بتنسيق وتجميل ماواها ، فهى كسولة خاملة ، تعيش حياة اقرب الى الفــوضى و « البوهيمية » ! .



رغم أن الاسفنج كائن صامت فى قاع البحار ، إلا انه يبنى كيانه الذى يتكون من خلايا بدائية ـ فى هدوء ـ وبشكل معمارى جميل !

وجدير بنا أن ندرس سلوك « أطفـال الحيوانات » منذ ميلادها وحتى وفاتهـا ، ولكن من العجيب حقاً أن نكتشف أن ليس لكل الحيوانات « مرحلة طفولة » ! إذ يخرج بعضها الى الحياة مسلحاً بفطرة غريبـة ، لا يحتاج الى التعلم والتدريب ، وبعض الحيوانات يحتاج الى ذلك ، الى تمرين خاص والى اكتساب عادات تجعلها بادية الاعتناء والحماية ، إذ تتعلم الكثير من آبائها وامهاتها فى مرحلة الطفولة ، تتعلم بالملاحظة والتقليد والتشجيع ..

أسلحة الطبيعة

وفى صراع الحصول على الغذاء والحفاظ عليه ، نجد أن الطبيعة تسلح الحيوانات بأسلحة خاصة ، وذلك بفضل من الله سبحانه وتعالى خالق الطبيعة ، والكون والسموات والأرض ، ومن هذه الأسلحة : القدرة على حجب الحيوانات نفسها ، أو مهارتها فى الاختفاء والتمويه والقيام بألاعيب خداعية فى مواجهة أعدائها ، فان « الخشف » طفل الظبى مثلا ، لا يظهر ولا يتراءى لبعض الحيوانات الضارية ، كما نرى كثيراً من حيوانات الأسرة القططية ، يزحف خفية وبشكل غير ملحوظ لينقض فجاة على ضحيته ..

والتمويه فى الطبيعة عند الحيوان ، يصور « أفعال الاختفاء » التى لا تحصى ، والتى تقوم بها الحيوانات موضحة بذلك القواعد الأساسية التى تتبعها فى التخفى أو التنكر .

إذن ، تقوم الطبيعة بتسليح الحيوانات ببعض الحيل الدفاعية لدرء الخطر ، أو الوسائل الهجومية للحصول على حاجاتها الغذائية . وتقوم أغلب الحيوانات بوسائل خداعية ـ حتى لو أحدثت فى سبيل ذلك قليلا من الضجة ـ عندما يحيق بها خطر ما ..

ومن ناحية أخرى ، يستعمل كثير من الحيوانات أكثر من سلاح كالأنياب والمخالب والمناقير والسموم وغير ذلك . ويأخذ معظم العلماء فى اعتبارهم ذلك العدد الكبير من الأسلحة المتنوعة ، ومع ذلك فهم يعدون تلك الحيوانات ، بوجه عام مخلوقات مسالمة ! إذ هى فى حقيقة الأمر لا تستعمل أسلحتها إلا للحفاظ على بقائها !



أحد بيوت النمل .. والمعروف أن النمل يقيم مسكنه بطريقة غاية فى الدقة وباساليب متعددة يحتار العقل امام نظامها الرائع !



هذا الطائر المهندس استطاع ان يقيم لنفسه بيتا معلقا ، شيده من مختلف النباتات وخيوط العناكب



هذا الطائر ليس عامل بناء يقف على سقالة .. ولكنه استطاع ان يحفر عشه فى أعلى ساق الشجرة

فهل يتبع البشر هذه القاعدة الطبيعية ؟! وهل البشر حقاً أكثر مسالمة من الحيوانات ؟! .. ما هى أسلحة البناء والتحصين عند الحيوانات ؟!

خبراء البناء

إن المهندس المعمارى فى أى مجتمع حديث ، هو الشخص الذى يتصف بالخبرة والمهارة كنتاج لاعوام من الدراسة والتدريب والتمرين ، وهو اكثر الناس معرفة بالمسائل الخاصة ببناء المساكن وتشييد البنايات .

وقد يبدو الحديث عن خبرات الحيوانات فى مجال البناء والعمارة امراً غريباً عجيباً ، فالى أى حد تعرف بعض الحيوانات – التى نتناولها هنا – « شيئاً » عن « الهندسة المعمارية » فى بنائها لبيوتها وحصونها ؟ ..

لقد اكتشف الباحثون ان كل الحيوانات مخلوقات بناءة ، تدخر فى فطرتها قدرات بنائية معمارية فائقة ، إذ يقوم جميعها بعمل ما ! (ماعدا تلك الحيوانات الطفيلية) . ونقدم فيما يلى ايضاحاً مختصراً ضرورياً ، وذلك فى طريقتين تتبعهما كائنات معينة فى البناء المعمارى داخل مملكتها :

يوجد نوع من الديدان يعيش فقط فى البحر ، هو ذلك النوع المعروف بالديدان البحرية الغليظة التى تؤكد طبيعة بيئتها ، وتتمتع بعدد كبير من « الأهلاب » الغليظة الصلبة ، وهذا مالا يتوافر للديدان التى تعيش فى البر ، وتتكون تلك الأهلاب العظيمة فوق الرأس على هيئة تاج أو على شكل مروحة ، وهى تستعمل وسط أشياء أخرى كشبكة صيد ، إذ يعيش معظم الديدان الهلبية على جسيمات صغيرة من المادة الحية التى تزخر بها البحار !

وتبدو بيئة تلك الديدان ، فى ظاهر الأمر ، بيئة خاملة تفتقر الى الحياة الايجابية النشطة ، والى الحركة السريعة والتنقل من مكان الى مكان ، وتتبع تلك الديدان فى بيئتها طريقة باهرة فى اكتسابها لحاجات معاشها ورزقها ، فهى « تصنع » لها مخبأ أو مكمناً تحتمى فيه ، فى ساعات الجوع ، ثم هى تدفع عنها تيجانها الهلبية وتنشرها كقرون استشعار باحثة بها عن غذاء لها مما يعلق فى بيئتها البحرية ، ويأخذ مكمنها شكل الأنبوبة .



بيت لفئران المزارع ، تقيمه على فروع الاشجار بطريقة محكمة بين عيدان القمح !

المهندس الصامت

ولكن كيف تبنى تلك الديدان الهلبية حصونها الأنبوبية هذه ؟!

توجد طريقتان ، نستطيع بهما الديدان الهلبية أن تشيد أنبوبتها : مأواها ومصدر رزقها ، وحصنها الذى تختبىء داخله وتحتمى به :

الطريقة الأولى : هى أن تفرز الدودة من بدنها أملاحاً جيرية ، تحصل عليها وتحتفظ بها فى نسيج جسمها ، وهى تحصل عليها من خلال غذائها او من مياه البحر ، وبعض الديدان الهلبية لا تفعل هذا على وجه التحديد ،لكنها تفرز من جسمها مادة مخاطية أو دبقاً لزجاً ، وسرعان ما تجمد أو تتصلب هذه المادة وتكون غشاء أو أنبوبة هلامية أو « جيلاتينية » ..

الطريقة الأخرى : هنا ، تقوم الدودة ببناء أنبوبتها من حبات الرمال ، وتعتبر اهلاب الديدان بمثابة مصائد ، تتعلق بها حبات الرمال السابحة فى بيئتها البحرية ، تمر كل حبة من حبات الرمال عبر هذه الاهلاب الى داخل الفم ، إذ تلتقطها الدودة بشفاهها المبللة باللعاب ،والموجودة فى وضع معين على حافة الأنبوبة الآخذة فى النمو ..

إن التشابه أو التناظر الوظيفى هنا ،جدير أن يدعو المرء للتفكير والتامل فى « فن البناء » الذى يمارس داخل البرج الدائرى ، وفى الشكل المعمارى الذى يتم من حوله !

إن الدودة التى تبنى انبوبتها او بيتها من المادة الجيرية او المخاطية ، او تلك التى تشيد مسكنها من حبات الرمال ، انما هى - بلا ريب - دودة تنجز عملا ما ، وهذا العمل ، يمكن اعتباره نوعاً من البناء الهندسى المعمارى ، فهذا الصنف من الديدان الذى يفرز مادة من انسجة جسمه تصلح لبناء مساكنه ، يشبه تماماً ما تفرزه اجسامنا نحن البشر من مادة تصلح لبناء عظامنا ! وينطبق المثل كذلك على ما تفرزه الهلاميات او



طائر يحمل مواد البناء التى يستعين بها فى بناء مسكنه بشكل يلائم القادمين الجدد ، ويجعلهم يشعرون بالراحة والاطمئنان !

الرخويات من مادة لتكوين أصدافهـــا ومحاراتها !

وعلى النقيض من ذلك ، فاننا نجد صنفاً آخر من الديدان البحرية ، يبنى بيوته من حبات الرمل ، يرص الحبات فوق الحبات تماماً كما يفعل بيديه الانسان الحرفى عامل البناء ، والديدان إذ تقوم بهذا العمل الشاق الدؤوب ، انما تراعى حسن اختيارها لمادة البناء التى تحتاج اليها ، ومن ثم لابد أن تتميز هى ببعض « المهارة اليدوية » كى تضع مواد البناء فى مواضعها الصحيحة ولتؤدى عملها المعمارى خير أداء .

ونجد ان مواد البناء فى كل من الطريقتين المذكورتين ، خفيفة هينة قابلة للتثبت والبقاء .

ومهما قلنا ان دافع هاتين الطريقتين هو الغريزة وانهما لا تتطلبان أى تعلم أو تدريب ، إلا أن الحقيقة الواضحة لنا هنا هى انهما موجودتان فى واقع الأمر .. ومع ذلك ، نحن نستطيع من خلال ملاحظتنا وتاملنا لسلوك الدودة البناءة بواسطة المادة الجيرية أو المخاطية او لنشاط الدودة التى تبنى بحبات الرمل ، نستطيع ان نقول ان الدودة من النوع الأول لا تقوم بعمل هندسى معمارى طبيعى ، وأن الدودة من النوع الثانى هى حقـــاً « مهندسة معمارية » بارعة ماهرة بكل معنى البراعة والمهارة !

وفى الحقيقة ،توجد هوة واضحة بين كل من الطريقتين وانجازات هذين الصنفين من الديدان ..

وتتبدى هذه الهوة بوضوح وجلاء عند ملاحظتنا وتاملنا لانجـــازات بعض الحيوانات ذوات الخلية الواحدة ..

إن مملكة « الاسفنج » ذلك الحيوان النباتى البحرى ،هى « مملكة الصمت » ،كما يحلو لبعض الباحثين أن يصفوها ، إذ نجد أن الاسفنج كائن «صامت » و « غير متحرك » ، وهو « شاهد أعمى» للصراعات والمعارك التى تدور فى قيعان البحار والمحيطات بين المفترس والفريسة ، على حين يقف هذا المخلوق العجيب (الأسفنج) فى « الساحة المائية » ساكناً بلا دور ! فهل هو حقاً بلا دور ؟!

انه كائن بناء ،يبنى كيانه فى صمت ، ذلك الكيان الذى يتكون من خلايا بدائية ، إذ هو مخلوق موغل فى القدم ، يعيش حياته الطويلة ثابتاً فى اماكنه ، يمتص غذاءه من تيارات المياه التى تترشح من خلال أجسامه فيتلقى من تلك التيارات البكتيريا والكائنات المجهرية (الصغيرة جداً) التى تتخذ من قنوات الأسفنج أعشاشاً لها .

والأسفنج يتمتع بمناعة فريدة ضد أى مرض ، ومن أسراره الغامضة ان احـــداً لا يعرف على وجه التحديد كم من السنوات يعيش ، فهو كائن لا عمر له ! وهو من زخارف البحر ، إذ يبنى نفسه بشكل جمالى أو معمارى ، ينمو ويزدهر ويتشكل ويتنوع فى أكثر من ٥٠٠ نوع ، ويعتبره العلماء أعجوبة التفوق البيولوجى فى مملكة البحار التى يدور فيها صراع الحيوانات البحرية ومعاركها ، والمنتصر منها فى معركة المصير والبقاء هو الأكثر تمتعاً بكفاءة قتالية عالية .

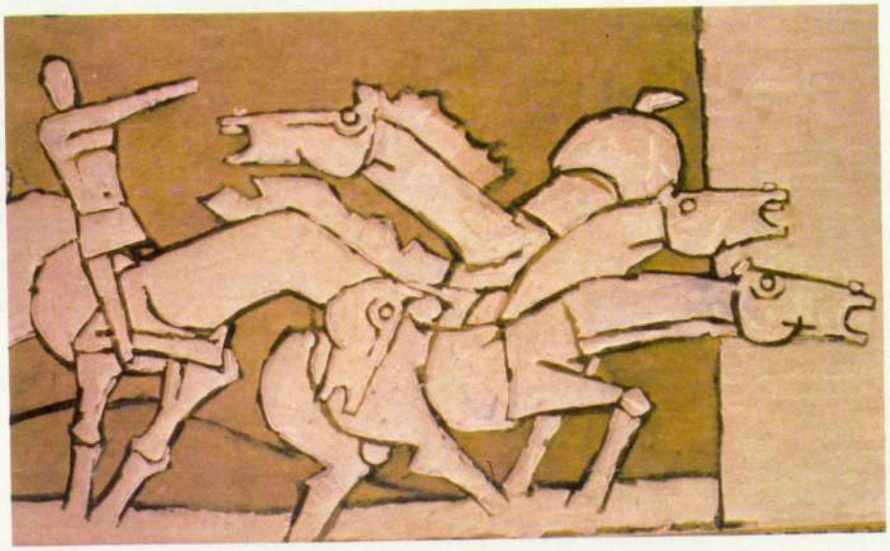
ومع أن الأسفنج مخلوق « صامت أعمى » لا يملك سلاحاً إلا قدرته الكيميائية الحيوية وحصانته من الأمراض ، فانه أطول عمراً من الكائنات البحرية القوية الضارية ! إذ خلقه الله العلى القدير ، مزوداً بغريزة فريدة تساعده على بناء كيانه وحصونه بناء قوياً ، وذلك بفن معمارى عجيب ، يقف بازائه الانسان فى دهشة وإعجاب !!

حسن محمد بدوى

المراجـــع :

(١) كتاب : « ‘ Nature ‘ » اصدره « المتحف الامريكى للتاريخ الطبيعى » :

(٢) مجلة :
Crop Protection Courier (Vol : 14)

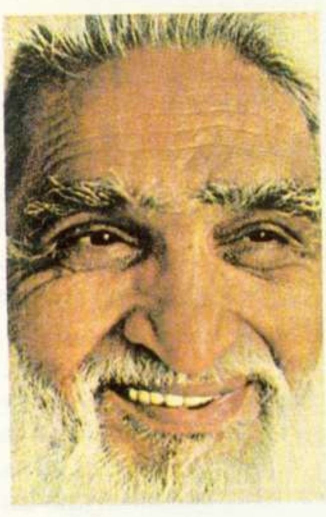


الخيول فى لوحاته تنبض بالحركة .. وهو هنا يقترب فى معالجته من الفنان العالمى بيكاسو للثور فى لوحاته





ابن القرية او الانسان عبر مشواره الصعب فى الحياة



الفنان الهندى : مقبول حسين



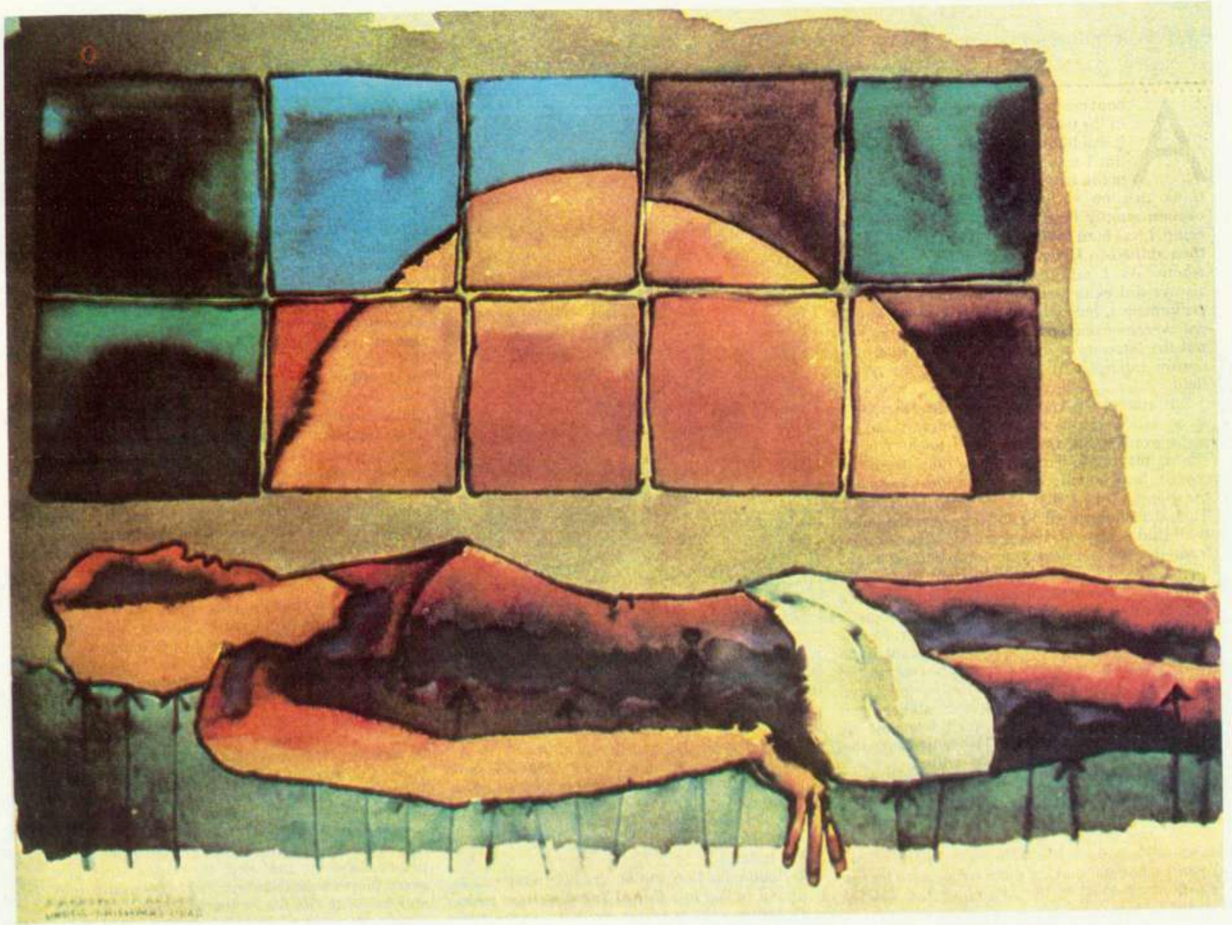
هكذا استخدم الفنان الخط العربى فى احدى لوحاته ليضيف إليها قيمة اصيلة

بيكاسو الهند يمشي حافيًا.. ويعشق الخط العربي!

بقلم: يوسف أحمد

ان احد الجوانب الأكثر إفصاحا لعمل اى فنان هو احساسه بالماضى وقدرته على التمثل الذهنى والوعى بقومه وتوجيهه لكل ذلك الوعى عبر مصفاة الخيال المبدع مع الالتزام بالواقع المعاصر ..

وهذا التشبع الغريزى بالماضى هو المعيار لرسوخ الفنان ثقافيا ولأصالته فنياً فالأصالة ليست هى مجافاة التراث وإنكاره وهى ليست استحداث اشكال لم تكن من قبل موجودة فى الفن او الحياة ، بل هى قدرة الفنان على مواجهة الحاضر فى ضوء الرؤيا الجماعية لماضى امته بكل ما فى ذلك من عراقة ، مع اندماجه فى التجربة التاريخية للانسان بصورة تفتح منافذ جديدة للفكر والشعور .



من وحي قصيدته التى كتب فيها يقول : دع التواريخ تعبرنى .. فانا اشعر بالالوان المحترقة .. فى اصابعى التى تحترق وهى نابضة بالحياة !

ان وراء كل لمسة ريشة من يد الفنان خلفية كبيرة شاسعة من التصورات والأشكال والمعانى الموروثة ، وليست رؤيته متفردة او من صنعه هو وحده ، انها مجرد زاوية جديدة للنظر الى التجربة الجماعية لأمته ..

ومن هذا المنطلق ياتى حديثنا عن الفنان الهندى الكبير مقبول حسين ، باعتباره فنانا أصيلا ، راسخ الأقدام فى التراث الفنى للهند ، وان كان قد انفرد بقدرته على ابداع لغة تشكيلية تجمع بين المعاصرة والتراث الهندى .

والفنــــان الهندى مقبول حسين من الفنانين القلائل الذين يمكن ان نقول في ثقة تامة ان فنهم هو جزء لا يتجزا من حياتهم ، فهو بالنسبة لهم كالتنفس ضروري لوجودهم .. ان تعامله مع الفن بسيط وأساسي وليس مجرد شيء مصطنع أو موهبة مجردة او قدرة على التزويق ، فالفن في اعماقه ، وهو الجذوة التي تمده بالدفء والحرارة وتلون كل انطلاقاته الفنية .

ان اعماله ليست مجرد أعمال فنية مستقلة عن عقله وقلبه ، بل هي مرآة لأفكاره ومشاعره وحالاته النفسية ، وتلك الميزة الأساسية هي التي تفسر لنا جوانب القوة والضعف في لوحاته ، ففي افضل حالاته نجد قوته الذاتية الهائلة تضفي على لوحاته طاقة تلقائية ومتجردة ، تصهر الشكل واللون والايقاع في وحدة كلية متناغمة ، لها نبض واندفاع الظواهر الطبيعية !

لقد جاء هذا الفنان من بين سبعمائة مليون – هم تعداد الهند – ومعه لغته التشكيلية الفريدة التي تؤكد استحقاقه عن جدارة للقب : فنان الهند الاول !

ان لغته التشكيلية تنطلق من الحضارة الهندية الزاخرة بالفن والتجارب العديدة الضاربة في اعماق التاريخ والتي خضعت لتاثيرات الفن الاسلامي بدخوله الى الهند فهو يرى اننا كمسلمين لدينا لغتنا التشكيلية الخاصة والمتميزة ، وان الخط العــربي بليونتـــه العجيبة ورشـــاقته وامكاناته الهائلة يعطينا نهراً متدفقاً اذا ما أردنا تعميق وسائل التعبير الفني !

وقد جاءت لوحات الفنان الهندي الكبير التي عرضها مؤخراً بالدوحة ، لتلامس امكانات الخط العربي ، التي يرى الفنان بان استخدامها جعل جمهور المعارض في أوربا يتوقف ويبحث ويسال في شغف واهتمام !

ان الألوان الصريحة التي تساند اشكال الخط العربي في لوحاته التي رايناها ، لتجعلك تشعر بالجو الشرقي ، وتعايش البيئة التي انبتت هذا الفنان ..

ومن ناحية اخرى فان الفنان مقبول حسين قد التصق في اعماله بكلمات الزعيم الهندي المهاتما غاندي بكل ما تحمله من بسالة وعزم وقوة ، حتى انه استعان بروح قائد الأمة في اغلب لوحاته حيث ترى غاندي ذاهباً الى الصحراء ، أو غاندي يتامل ، أو غاندي يفكر !

وكثيراً مــا يطبق عــادات غـــاندى المتعارف عليها ، مثل السير بدون نعل ، فقد شاهدت الفنان اول مرة حافياً ، وعندما اعطاني اعماله لتجهيزها في معرضه بالدوحة ودعني حتى المصعد وهو حاف !

وظللت مستغرباً لهذا التصرف من فنان كبير ، حتى سالته في اندهاش : لماذا أراك داخل الفندق وخارجه وفي الاسواق حافياً ؟

وقال لي في بساطة وتواضع : لانني اميل دائماً الى الاحساس بالالتصاق بالأرض

سيرة الفنان

١٩١٥ : ولد بـ باندهاربر فى مها راشترى ، حيث غادرت العائلة الى إندور فى نفس السنة .

١٩٣٧ : استقر فى بومبى وبدا حياته كرسام فى الملصقات السينمائية .

١٩٤١ : بدا كمصمم فى الالعاب والاثاث حيث عرض فى معرض جمعية تعاون الفنانين فى الهند .

١٩٤٧ : عرض لاول مرة اعمالا فنية فى بومبى .

١٩٤٨ ـ ٥٢ عرض بشكل توسعى فى بومبى ـ دلهى ـ كلكتا ـ ومدراس .

١٩٥٢ : زيارة الى الصين استغرقت خمسة اسابيع .

١٩٥٣ : زار اوربا لاول مرة حيث اقام معرضاً فرديا فى صالة بالبيت بزيورخ واشترك فى الدبينال فى فينا .

١٩٥٦ : معرض فردي في زيورخ وبراغ .

١٩٥٩ : فاز بالجائزة الاولى بالبينال بطوكيو ـ اليابان ـ وزار الولايات المتحدة .

١٩٦٠ : معرض فردي في كانست كابذت ـ فرانكفورت ـ

١٩٦١ : معرض فردي في طوكيو وروما .

١٩٦٣ : جدارية انجزت لجمعية الصحة العالمية في نيودلهي .

١٩٦٤ : بدات صالة بندول للفنون في الهند العرض على نطـاق واسـع باللوحة الأولى والتى تدعى « بوابة كانش » .

ثم معرض فردي فى صالة الواسطى بغداد . ومعرض فردي فى كابول .

١٩٦٦ : حاز على جائزة « بادمشري » ـ « بدرجة شرف قومية » من قبل رئيس جمهورية الهند .

١٩٧٦ : معرض فردي في صالة نافينا بنيويورك . انتج فيلما بعنوان « من خلال رؤيا عيون فنان » الذي حاز على جائزة « الدب الذهبي » في مهرجان سينما برلين الدولي والذي اشتراه متحف الفنون الحديثة في نيويورك .

معرض فردي في نيويورك ، بولندا ويوغسلافيا .

١٩٦٨ : بدا العمل في ملحمة « الشعر الاثنى عشر الهندية العظيمة « رامايانا » في بادر فيشال بي بسكن حيدر اباد لتحفظ فيمابعد في المتحف .

ستة ايام في عمل لوحة تجريبية امام العامة على ستة لوحات من القماش منشورة على أرض احد صالات نيودلهي ولمدة ساعة ونصف كل يوم وعلى مدى ستة ايام.

١٩٦٩ : معرض في صالة جها نكير للفنون ـ بمباي ـ والذي نظمته صالة شديمولد للفنون .

١٩٧١ : عرض في بينال ساوبولو كفنان خاص. كتاب الفن عن حسين محتويا نسخ اصلية خمسين منها ملونة ومائة وخمسون اسود وابيض معروض فيها اعماله التي نشرته هاري ابرامس بنيويورك .

١٩٧٣ : حاز على درجة شرف قومية « بادما بوشان » من قبل رئيس جمهورية الهند في سكيب كاردن بباريس .

١٩٧٤ : معرض فردي في مركز رابطة الشعوب البريطانية للفنون ـ لندن ـ وفي متحف موسكو للفنون الشرقية وفي متحف ورشستر للفنون

١٩٧٥ : بيروت ـ معرض فردي في مركز تذوكيان للفنون . رسم نصبى جدارى .

« الشعر للرؤيا » بقلم دنبرك حول اعمال حسين نشرت فى سويسرا .

١٩٧٨ : وثيقة « ممر في فضاء الانسان » نشرت من قبل ارميس ـ نيويورك ـ بمقدمة بقلم جستر هيروتز .

١٩٧٩ : دكتوراة الشرف منحتها جامعة بنراس هندو .

١٩٨٠ : اعمال فنية عن قاذرتيراسا في صالة كلكاتا للفنون وفي مركز تاتا .

عرض اعمال بالالوان المائية عن قاذرتيراسا بقاعة بندل ـ بيومباي ـ وصالة تورنتو الثمانين للفنون ومعرض العالم للفنون فى لوس انجيلوس والتي عرضت من قبل صالة جوردان ـ مونتريال .

معرض هـام فى متحف بوستن للفنـون المعاصرة ـ فانكوفو ـ شيكاغو ـ وفي السوق الموسمية لعالم نيويورك في الفنون .

١٩٨٤ : اقام معرضا لاعماله بفندق شيراتون الدوحة



اللقاء : وفيها ترى القوة الديناميكية التى رآها فى الخيول ، فهى رمز للتصدى للزمن !

التي نحن منها ولها!

لقد شدني في لوحات الفنان ، تلك العناصر الأخرى التي ادخلها في اعماله ، مثل استخدامه لبعض الحيوانات وتكرارها كالفيل والحصان . والواقع ان الفيل يمثل الهند وحضارته ، أما الحصان فهو يرى فيه قوة ديناميكية ورمزاً للفحولة والتصدي للزمن !

الا ان ما اوقفني هو ذلك الشبه الكبير بين معالجته للحصان ومعالجة الفنان العالمي بابلو بيكاسو للثور ، خاصة في تجزيء جسد الحصان الى مساحات ديناميكية تنبض بالحركة ، وقد يكون ذلك هو السبب في تسمية الفنان : بيكاسو الهند .. فهو يقترب في بعض معالجاته من الفنان العالمي بيكاسو !

ثم لا أجد بعد ذلك من تقديم للفنان أبلغ من تقديم الدكتور حسن علي حسين نعمة سفير دولة قطر بالهند حيث يقول :

ـ انه فنان يمشي حاملا على كتفيه أسفار تاريخ الحضارة الهندية في مختلف مراحلها ، انه يطوف في المدن والقرى من اقصاها الى ادناها مستلهما منها انماط الحياة العادية لتصبح منهجا له وطريقاً في الفن والتعبير ، حتى اذا ما أوشك ان يستريح في قارعة الطريق وجدناه ينظر فيما جمعه من ترحاله لياخذ ما يلزمه أثناء معالجته للموضوع والقيمة فى لوحاته ..انه فنان نحيل طويل أشيب يحمل ضوءاً يشع به على الانسانية التي أخذ منها واعطاها !

يوسف أحمد



طبقان طائران ينطلقان فى الظلام فوق الاشجار وهما يتوهجان ، او هكذا يبـــــدوان ، لكن الصـــــورة خادعة ، فما نراه هنا ليس الا مصباحين من انـــابيب النيـــون المســـتديرة .

ظواهـــر حيّرت النـــــاس

مخلوقات من الفضاء تتردّد بين الأرض والسماء!

بقلم : الدكتور عبد المحسن صـــــالح

ما من ظاهرة اثارت فضول الناس ، وانتشرت بينهم ، وجذبت اهتمامهم ، وبلبلت افكارهم ، اكثر من الظاهرة التى يطلقون عليها هذه الأيام ظاهرة الأطبـاق الطائرة التى جاءت من السماء ، ثم هبطت علينا من الفضاء ، حاملة معها مخلوقات على قدر هائل من التطور والذكاء ، لكى يزورونا فى ارضنا ، ويعرفوا احوالنا ، ثم ينصرفوا عنا دون ان نعرف عنهم شيئا ، وكانما زياراتهم تتم بنفس السهولة التى تتم بها زياراتنا عبر الدول او القارات .. او ربما ايسر !

فمنذ بداية النصف الثانى من القرن العشرين تعددت الروايات عن ظهور اجسام غريبة تحلق حينا ، وتهبط حينا ، وهى تطلق اضواء باهرة ، والوانا صارخـة ، وضوضاء شديدة او خافتة ، حتى لقد بلغ عدد ما رآه الناس منها اكثر من خمسين الف ظاهرة مختلفة ، وكل واحـــد من المشـــاهدين يدعى ان ماراه ينتمى الى فصيلة الأطباق الطائرة ، وكانما الفضاء فوقنا ملغم بترسانة من المخلوقـــات التى سال لعابها على اهل الأرض بمثل هذه الصورة المفاجئة ، فجاءوها محلقين كالطيور المسالمة او الجارحة !

إذن ما حقيقة هذه الأطباق الطائرة ؟ .. ومن اين تجيء ؟ .. ولماذا جاءت ؟ .. ثم ما رأيُ العلم فيها ، خاصة وان الناس — هذه المرة — قد التقطت لها صوراً واضحة لا غبار عليها ، ولا خداع فيها ، مثلما حدث

مع وحش بحيرة نيس والكائن الذى يعيش فى الثلوج والغابات ؟ (انظر مقالتينا فى العددين السابقين على صفحات هذه المجلة ، فقد تناولنا هذه المخلوقات فيهما بالشرح والتعليق) .

قبل ان نجيب ، دعنا نقدم عدة نماذج من الظواهر التى تطلعت اليها عيون الآلاف أو الملايين من البشر دفعة واحدة ، وهدفنا من ذلك واضح ، لأن الناس هنا لا يمكن أن تجمع على باطل ، أو ان عيون الملايين قد خدعت ، بل لابد ان بينها نسبة معقولة تتمتع بنظر حاد ، وعقل راجح ، وفكر لا تحيز فيه ولا جموح !

الطبق الطائر الذى افزع الروس !

ففى يوم ٢٠ من سبتمبر عام ١٩٧٧ ، رأى سكان مدينة بتروزا فودسك الروسية جسماً مفزعاً ومتوهجاً وضخماً يحلق فوقهم ، وكان يشبه فى الشكل واحداً من قناديل البحر ، لكنه اكبر بكثير ، ثم انه بدا معلقاً بين الأرض والسماء ، وكانما له ذيل يتدلى بين اشجار الغابة التى تبعد عنهم عشرات الأميال (انظر الصورة الدالة على ذلك) . وظل هذا « القنديل البحرى الفضائى » - كما اشتهر به الجسم بين الناس - معلقاً عدة ساعات ، ولقد رآه ايضاً من بعيد سكان مدينة لينجراد ، وهلسنكى عاصمة فنلندا ، وما بينهما من سكان قرى ومدن اصغر .. اذن فالحدث هنا لا يحتاج الى فلسفة اولف أو دوران ، ولابد - والحال كذلك - من تفسير مقنع لهذه الظاهرة الغريبة التى رآها الملايين ، ولساعات طالت !

الغريب ان الدوائر الرسمية فى الاتحاد السوفييتى قد لزمت الصمت إزاء هذا الحدث المثير الذى افزع الملايين ، كما ان العلماء بدورهم قدموا تعليلات لم يقتنع بها الناس .. فاول تعليل تقدمت به وكالة تاس الروسية للأنباء ، وفيه جاء « فى حوالى الساعة الرابعة من صباح يوم ٢٠ سبتمبر توهج فجاة فى السماء نجم ، فاستقبلت الأرض حزماً من الضوء الباهر تشبه السهام ، ثم تقدم النجم ببطء ناحية بتروزافودسك ، وانتشر فوقها على هيئة اشبه بقنديل البحر الهلامى ، حيث انبعثت منه اشعاعات رقيقة بدت للرائى وكانها الأمطار الغزيرة الهائلة ، وبعد مرور بعض الوقت ، توقف اشعاعه ، ثم تحول القنديل الى شبه دائرة متوهجة ، وانطلق بعدها نحو بحيرة اوينجا ، حيث انهمرت منها اضواء ساطعة .. حمراء فى الوسط ، وبيضاء على الجوانب ، واستمرت هذه الظاهرة ما بين ١٠ - ١٢ دقيقة » .. ثم انتقل هذا الخبر من تاس الى صحف الغرب حيث استنتجت ان ما ظهر فى شمال غرب الاتحاد السوفييتى ليس الا جسماً محلقاً مجهولا Unidentified Flying Object - او يوفو UFO من باب الاختصار ليس الا ، وهو التعبير الصحيح المتداول ، لكن الناس تاخذه بمفهوم الطبق او الأطباق الطائرة ، مع ما يمكن ان يحمله هذا التعبير من تضليل فى المفاهيم .

لكن مسالة توهج نجم واندفاعه نحو الأرض فيها مبالغة الى حد كبير ، فالمعروف ان النجم اكبر من الأرض بالاف وعشرات ومئات الآلاف من المرات ، ثم ان دخول نجم الى مجموعتنا الشمسية يعنى تجاذباً ودماراً وانهياراً فى نظام المجموعة ذاتها ، اذ ستختل الجاذبية فيها لا محالة .. وطبيعى ان الناس لم يرتاحوا كثيراً لهذا التعليل ، وعللوه بهبوط سفن تحمل مخلوقات من الفضاء .. فعلى لسان الكسندر كازانتزيف الروسى الذى يعتقد اعتقاداً راسخاً فى هبوط كائنات فضائية الى كوكبنا منذ آلاف السنين يقول « على قدر ما توضحه لى هذه الظاهرة ، فاننى اعتبرها سفينة فضائية حلقت فوق ارضنا لاستكشافها ! .. ثم يجيء فلاديمير آزهازها ليؤمن - ويضيف الى قول كازانتزيف : ان ظاهرة مدينة بتروزافودسك ليست الا « يوفو » - اى سفينة تحمل رواداً او ركاباً فضائيين ، او على اضعف الفروض : « فان ما ظهر قد يكون مجالا من مجالات الطاقة الهائلة التى انطلقت من « اليوفو » ! .

ولقد ظلت هذه القصة تتداول بين الناس تارة ، وعلى صفحات الجرائد والمجلات تارة اخرى ، وكلما مر الزمن يضاف اليها بعض « البهارات » التى تجعلها اكثر جاذبية واثارة ، فمن قائل إن هذا الجسم الضخم ظل مركزاً لنشاط هائل ، اذ كانت تنطلق منه اجسام صغيرة ، بعضها كان يندفع نحو الأرض ثم يختفى وكانما هو يصنع فيها كوات او ثقوباً هائلة .. ومن قائل إن الشيء الذى تعلق فوق المدينة لم يكن الا السفينة الأم لعملية غزو فضائى من الكون ، وان القادمين فيها على درجة هائلة من الذكاء جعلتهم مؤهلين للاتصال باهل الأرض ، ومن قائل إن اشعاعات غريبة قد انطلقت منها ، ووصلت الى المدينة ، فاحدثت ثقوباً فى ارصفة شوارعها ، وفى نوافذ منازلها ، ومن قائل إن الامريكان قد بداوا الحرب النووية ، وان تلك هى النهاية ، ثم يذهب طبيب الى القول بان سيارة الاسعاف التى كان يستقلها قد اصابها الخلل فجاة بمجرد ظهور القنديل المعلق ، وانه قد استنشق هواء غريباً يعتقد انه ملوث بغاز الأوزون المهيج والصادر من هذا الشيء ، وتاتى بعض صحف الغرب المتحيزة لمثل تلك الظواهر ، وتكتب احد عناوينها الأساسية هكذا : أول « يوفو » يسبب دماراً فى مدينة ! .. وهو استنتاج التقطه المراسل مما يتردد بين الناس ، اما مجلة « يوفو ريبورت » الامريكية - وتعتبر من اصدق المجلات واكثرها حرصاً فى نشر مثل هذه الاخبار - فقد ذكرت أن الدمار الذى حل بمدينة بتروزافودسك كان بسبب انفجار صاروخ موجه نحو الأرض من سكان الفضاء البعيد !

لكن .. ما هى الحقيقة وراء كل ذلك ؟ .. ثم ماذا قال عنها العلماء الروس ؟ .. قبل أن نجيب ، دعنا نقدم مثلا آخر من اقصى الغرب .



هذه الظاهرة الغريبة التى تبدو كبالون هائل او على هيئة اقرب الى قنديل البحر الهلامى كما اطلق عليه من شاهدوه فى روسيا ، قالوا عنه انه واحد من الأطباق الطائرة التى تزور ارضنا بين الحين والحين .

مخلوقات من الفضاء
تتردد بين الأرض والسماء !



نعم .. انه يشبه الطبق ، وقد التقطت هذه الصورة فوق جبال الألب عـــــام ١٩٥١ ، لـكن التلفيق فيها واضــح ، اذ انها لشيء من صـــنع الانســان ، واخـــذت له الصـــورة عن قريب .

الطبق الطائر الذى أفزع الامريكان

وكما ظهر الطبق الطائر أو « اليوفو » فى الاتحاد السوفييتى ، كان قد سبقه آخر قبل ذلك بحوالى تسع سنوات فى الولايات المتحدة الامريكية ، فارعب سكان تسع ولايات ، وعندئذ ، تلقت الجهات المعنية آلاف المكالمات ، لتؤكد أن هناك طبقاً طائراً ، أو جسماً مجهولا محلقاً يقترب من الارض حيناً ، ويبتعد عنها حيناً آخر ، ويومض ببريق غريب ، وله شكل عجيب .. المهم ان الأوصاف قد اختلفت ، لكن المعلومات كما تحدث بها الناس قد جمعت ، وعلى هيئة تقارير سجلت ، فوصلت حصيلتهـــا الى ما يقرب من مجلد كامل يضم حوالى ٤٠٠ صفحة فولسكاب .

ونحن بطبيعة الحال لا نستطيع أن نسجل هنا كل ما قيل فى هذه الظاهرة ، بل يكفى أن ناخذ حالة أو حالتين موثوقاً فى صحتهما .. ففى خطاب ارسلته سيدة الى الجهات المختصة يجيء فيه : فى تمام الساعة التاسعة إلا ربعا من مساء ٢ مارس ١٩٦٨ ، وبتوقيت تينيسى ، خرجت انا وزوجى وعمدة المدينة بعد العشاء ، لنتريض ونتحدث فى الخلاء ، وبينما كنت أتطلع ببصرى صدفة الى الفضاء ، رايت ضوءاً يمرق فى السماء ، لكنه بالتاكيد ليس لنجم لامع .

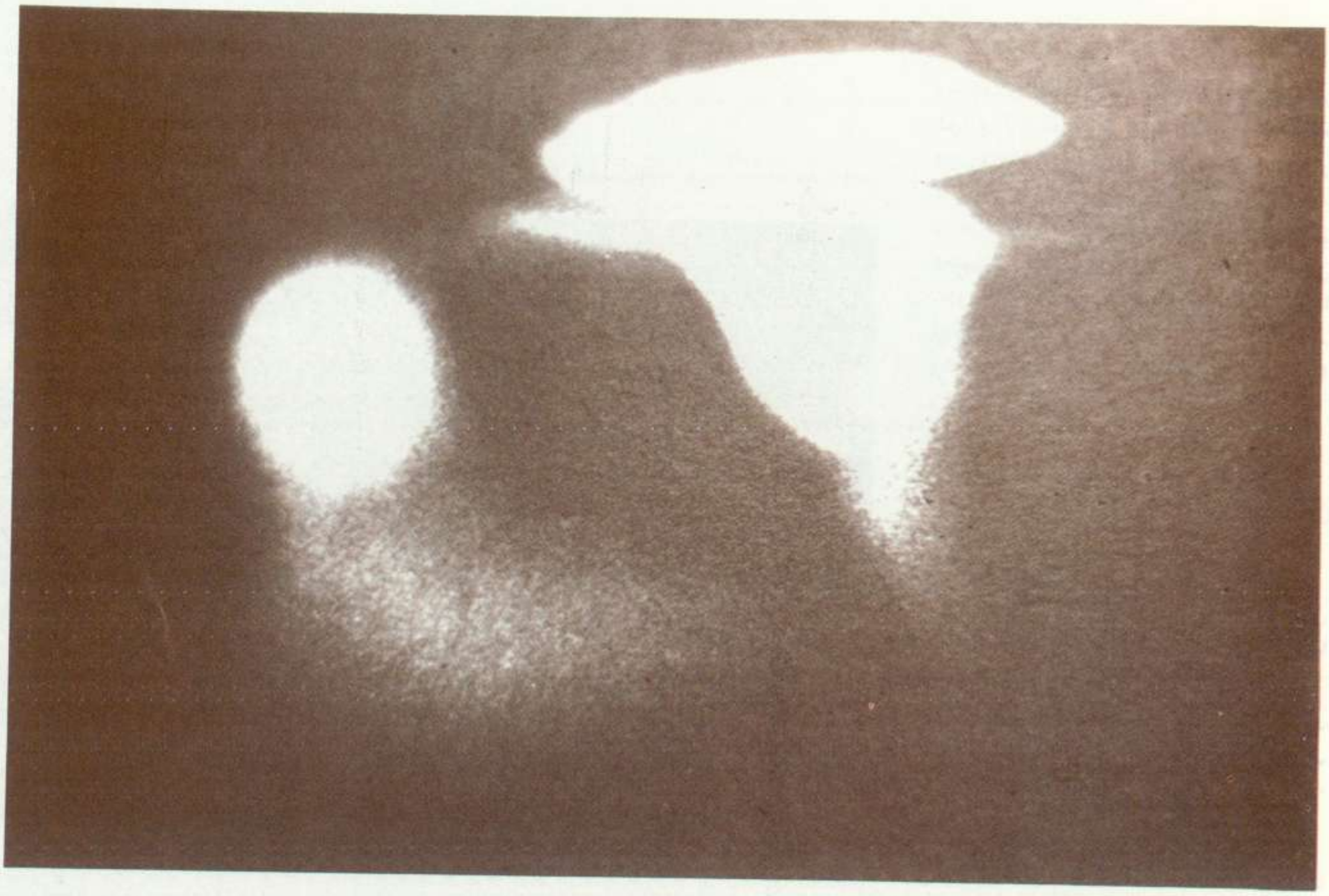
وتستطرد السيدة فى خطابها لتقــول : عندما طلبت من زوجى ومن العمدة ان يشاهدا هذا الجسم المنطلق نحو الجنوب الغربى ، بدا الضوء يكبر ويتضح ويلمع أكثر ، ولقد كان يسير فى مسار يشبه القوس ، ثم بدأ يغير الوانه ، ويقترب منــا .. فظهر كسيجار ضخم ذى نوافذ مربعة .. فاثار ذلك خوفنا ، لكننا تماسكنا ، واخذنا نرقبه بدقة بالغة ، وهو يتجه صوب منزل العمدة ، الا انه اختفى وراء الأشجار ، ثم ظهر مرة اخرى فوق رؤوسنا ، وبدات أعد نوافذ هذا الجسم الغريب المستطيل ، لكننى طردت هذه الفكرة ، حتى اتفرغ لما هــو أهم واعجب ، فلاحظت انه يتميز ببريق معدنى غريب ، فاعطانى ذلك انطباعاً بان الجسم اقرب الينا مما كنت أتصور ، ولقد تبين لنا أن هناك ضوءاً خافتاً ينعكس على بطن هذا الجسم او سطحه للأسفل ، فظهر أن البطن يتكون من الواح معدنية « مبرشمة » (هكذا !!) ، ولقد كانت دهشتى بالغة عندما رنوت بعينى الى النوافذ الكثيرة التى بدا ينبعث منها ضوء واضح ، أو هو اشبه بالضوء المنبعث من نوافذ المنازل المضاءة من الداخل ، ولقد حاولت ان اركز بصرى على ما بداخل هذه النوافذ ، علنى ارقب ركابها ، لكننى لم أستطع ان اتبين شيئاً بوضوح !

واخذت السيدة تشرح مشاهداتها بتفصيل تام ، فوصفت نسبة طول الجسم الى عرضه ، ومقدمته بالنسبة لمؤخرته ، وان المؤخرة كان ينطلق منها ذيل من نار بعرض المؤخرة ، لكن النار كانت مزيجاً من الوان حمراء وبرتقالية وصفراء ، وتاكدت أن الجسم ليس طائرة محلقة ، ولو كان ، لسمعت أزيزا ، ثم أن المسافة كانت بينه وبيننا لا تزيد على الف قدم ـ كما قدرت هى ، وبعدها بدأ يبتعد ، فظهر الذيل النارى اكثر وضوحاً ، (لانهم كانوا ينظرون اليه من الخلف) وعندما وصل الى الأفق البعيد بدا وكانما هو يلاصق الأشجار ، ثم اختفى بعدها دون أن يترك اثراً .. هذا وقد اكدت السيدة انها حادة البصر ، وسليمة العقل ، ولم تتناول حبوب هلوسة أو غيرها مما قد يزيغ البصر ، ويصيب العقل بالهذيان ، واخيراً ختمت تقريرها برسم تقريبى للشيء المجهول ، وعليه تعليق بسيط : أعتقد انه لا يوجد شيء أرضى بهذا الشكل ، ولهذا فمن المحتمل ان يكون آتياً من الفضاء الخارجى !

روايات أخرى غريبة

والواقع أن هناك مئـــات ، بل آلاف الروايات والقصص التى رددها الناس عن هذه الظاهرة ، ولقد اختلفت الأوصاف ، وتضاربت الآراء ، لكنها جميعاً قد اتفقت على شيء واحد : فهذا الجسم او تلك الظاهرة الغريبة ، ليست الا طبقاً طائراً أو انه « يوفو » قد جاء إلى الأرض غازياً .

سيدة من أوهايو تدعى د . اليزابيث تدرس العلوم فى احدى المعاهد وحاصلة على درجة علمية عالية ، تعلق على ما رأت بقولها : ان الدلائل تشير الى أن



فى ظلام الليل التقطت هذه الصورة ، فظهر فيها القمر الى اليمين ، اما الجسم الكبير المتوهج ، فقال عنه ملتقطه جيمس لوسى انه لطبق طائر ، لكن علماء الظواهر الجوية افتوا بان ذلك يحدث من احتراق الشهب اثناء اختراقها للغلاف الهوائى ، فتترك فيه وهجا يتخذ اشـــكالا شتى .

الجسم الذى ظهر ليس الا طبقاً طائراً ، فلقد تطلعت اليه بالمنظار المقرب ، وحسبت - بادىء الأمر - أنه احد الشهب المنطلقة الى الأرض ، لكننى استبعدت ذلك الرأى لأسباب كثيرة (ولن نذكرها هنا) .. فلقد تحول هذا الجسم الطويل الى أجسام ثلاثة تراوحت الوانها ما بين برتقالى وأبيض واحمر ، وكانت تحلق فى تشكيل جوى مثير وتتحرك ببطء نحو الشمال الشرقى .. وعندما رأى كلبها الواقف الى جوارها هذه الظاهرة ، تمدد وتكوم على نفسه ، وكأنما هو يرتعد من الخوف (هكذا !) .

وتجيء رواية أخرى من انديانا لتذكر أنه كان بالامكان رؤية ركاب هذا الجسم المحلق من النوافذ المضيئة التى كانت تتراص على جانبيه فيما لو كانوا جالسين بجوارها !!

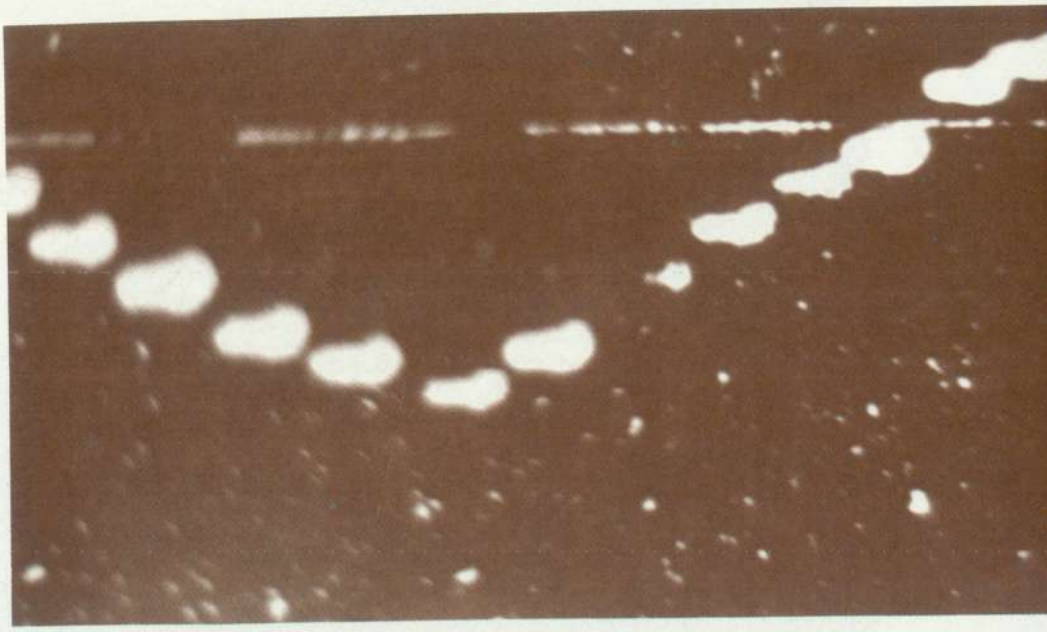
ومن التقارير الغريبة التى تجمعت لدى الهيئات الرسمية ما جاء بالنص الواحد على لســان احد الرواة « يجب أن الفت النظر الى أن النار قد اشتعلت فى الحشائش والأعشاب الموجودة فى المنطقة .. لم تكن حريقاً واحداً ، بل كانت حرائق عدة اندلعت فى أماكن متفرقة ، ولقد بلغ عددها ٧٢ حريقاً ، وأعتقد أن هناك علاقة بين الطبق الطائر وبين تلك الحرائق ! »

والواقع أن الظاهرتين اللتين رآهما الناس فى روسيا وأمريكا صحيحتان ، لكن التفسير خاطىء ، وفى كلتا الحالتين عرف العلماء سرهما ، فاذيع الخبر بصراحة تامة فى الولايات المتحدة ، ومنها الى الصحافة العالمية ، فى حين أن العلماء الروس قد تكتموا الخبر ، وقدموا تفسيرات بديلة بغرض اخفاء الحقيقة عن الناس ، وسوف نعود لتوضيح ذلك بعد قليل .

ولكن الروايات التي وصف بها الناس هاتين الظاهرتين تبدو معقولة بالنسبة لروايات أخرى يلعب الخيال فيها دوراً كبيراً وبحيث قد يتحول الأمر فيها الى مسالة هزلية لا ضابط لها ولا رابط ، وأحياناً ما ينساق في هذه اللعبة أفراد لهم مراكزهم المرموقة ، سواء على مستوى رؤساء دول ، أو لوردات أو شيوخ أو نواب في المجالس النيابيــــة .. الخ ، فواحــد مثل « ايرل كلانكارتي » من مجلس اللوردات البريطانى يعتقد أن الأطباق الطائرة تنفذ الى كوكبنا وتخرج منه من خلال ثقب هائل موجود عند قطبها الشمالي ، وآخر مثل اللورد كينجز نورتون من نفس المجلس قبل رئاسة ما يسمى الجمعية البريطانيــــة لبحــوث اليوفو (هكذا !) .. ومثل هذه الجمعيات تدعو احيانا لعقد مؤتمرات ، وفيها يقدم المشتركون مشاهداتهم وآراءهم وكيفية الاتصال بهولاء القادمين الينا في أطباقهم الطائرة !

ففي مايو من عام ١٩٨١ انعقد المؤتمر العالمي الثاني في لندن « لليوفو » ، وحضره روي هربرت مندوباً عن مجلة نيو ساينتست العلمية ، وأشار الى أن هذا المؤتمر قد ضم اعضاء من ١١ دولة ، وهو يفترض أن المجتمعين كانوا جميعاً من أهل الأرض ، وهذه العبارة تنطوي على تهكم وسخرية ، وللسخرية ما يبررها ، اذ أن احد أعضاء المؤتمر - وهو طبيب نساء - قد أعلن انه قد تلقى أنباء من احدى سفن

مخلوقات من الفضاء
تتردد بين الأرض والسماء!



تشكيل من اجسام محلقة غير معروفة ، او هى ما يعرفه العامة باسم الاطباق الطائرة ، وعندما عرضت على المحللين فى السلاح الجوى الامريكى ، قالوا عنها انها صحيحة ولا خداع فيها ، لكن عندما تكررت الظاهرة ، واعيد الفحص والتحليل بدقة بالغة ، تبين ان هذا التشكيل ليس لاطباق طائرة ، ولكن لسرب من الطيور الليلية المحلقة ، بعـــد ان انعكست اضــواء مدينة لبوك بولايــة تكســاس على اجســـامها .

الفضاء الكونية تفيد أن ارضنا تلك محتلة بملايين الكائنات التي هبطت عليها من الفضاء ، ولهذا يستطرد هربرت ، ويعلق على هذا ساخراً : ربما اختير طبيب النساء لتقبل هذه الأنباء من الفضاء الخارجي ، لانه - على الاقل - خبير « بالفضاء الداخلي » ! .. والسخرية هنـا واضحـة ولا تحتاج لتعليق !

وزغم أن بعض الاعضاء قد اقترح ان تكون الموضوعات المطروحة جادة ورزينة ومحترمة ، لأن الممثلين هنا من علية القوم (هكذا !) - على حد تعبير بيرتل رولمان من السويد ، رغم ذلك ، فقد نادى احدهم بانه لا يستبعد أن يكون بينهم الآن بعض المخلوقات الكونية التي جاءت متخفية الى هذا المؤتمر ، لأن الأطباق الطائرة تحوم حول الأرض كما تحوم الدبابير حول شجرة فاكهة .. ثم يظهر آخر ليؤيد هذا الراي ، فيذكر ان مخلوقات كونية قد هبطت في البرازيل ، ولها في جبهتها عين واحدة كبيرة (ربما يقصد السيكلوب - وهو حيوان خرافي ذو عين واحدة ظهر في أساطير اليونان القديمة) ، وفم يشبه فم الأسماك !! .. والغريب انه يعترف بوجود ادلة قاطعة على هبوط مثل هذه الكائنات الخرافية !

ولقد حضر هذا المؤتمر رجل استكلنذي ، وادعى انه تقابل اثناء عمله في احدى الغابات مع عربة غريبة يستقلها اثنان كرويا الشكل (وقد مرت هذه على الأعضاء دون استفسار عن معنى كروية المخلوقات) وقد أرادا اختطافه ، لكنه كان اسرع ، واستطاع الهرب ، ومع ذلك يصف لنا سطح العربة فيقول انها كانت مثل ورق الصنفرة ، وتمكن من الاحتفاظ بجزء منها ، وبالفعل اظهر للاعضاء قطعة من الورق تشبه الصنفرة .

وقصص اخرى كثيرة يدعي اصحابها انهم قد تقابلوا وجها لوجه مع مخلوقات فضائية ترتدي السترات والبنطلونات وتضع على راسها قبعات وتدخن البـايب وتتحدث الانجليزية بطلاقة ، ولم يجد احد هؤلاء غضاضة في التحدث عن مجموعة من الكائنات الكونية التي هبطت بجوار منزله ، فرحب بهم ، واحبوه واحبهم ، فدعوه الى رحلة فضائية لجرم سماوي مجهول ، وقبل دعوتهم ، وذهب معهـم ، الى اخر هذه القصص الخيالية التي نقلها بعض كتابنا على انها حقائق .. لكنها - والحق يقال - ليست الا هلوسة وهستيريا واضحة .

تحليل الظاهرتين

نعود الآن الى الظاهرتين الكبيرتين اللتين اكد كثير من الناس في كل من روسيا وأمريكا بانهما طبقان كونيان قد حلا بالأرض .. احدهما في الشرق ، والآخر في الغرب .. فظاهرة قنديل البحر الهلامي الضخم الذي حسبه الناس طبقاً طائراً ،

وانه اطلق اشعاعاته على ارصفة الشوارع ونوافذ المنازل فاخترقها ، لم يكن - في الحقيقة - الا صاروخ سويوز الذي حمل قمر التجسس كوزموس ٩٥٥ ، فقد اطلق من قاعدة سرية تعرف باسم قاعدة بليستسك ،

وقد بدأت هذه القاعدة عملها منذ عام ١٩٦٦ ، وهي - على حسب ما ذكره جيمس أوبيرج الذي يعمل لحساب وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) - مسئولة عن اطلاق اكثر من نصف الصواريخ التي يطلقها العالم سنويا ولم يشأ الروس الاعلان عن هذه القاعدة ، ولا كذلك - بطبيعة الحال - عن صواريخ التجسس ، ولا شك ان الاحوال الجوية السائدة في فجر ٢٠ سبتمبر ١٩٧٧ قد ساعدت على تشكيل تلك الظاهرة من عوادم الاحتراق الناشئة من النفاثات الخمس الجبارة للصاروخ ، فبقيت معلقة ومنتشرة على هيئة بالون ضخم ، فاثار ذلك خوف الناس ، واطلقوا العنان لخيالهم .

ورغم ان الدوائر الرسمية والعلمية في الاتحاد السوفييتي لا تعترف باشياء اسمها اطبـاق طائرة ، كما ان هذه الظــاهرة لا تنتشر بين الروس ، كما تنتشر مثلا في دول الغرب ، رغم ذلك لزمت الحكومة الصمت ،

وتركت الناس على علاتهم يتحدثون بها كما شاءت لهم اهواؤهم ، فليس في ذلك ضرر ، طالما ان احداً لا يعرف شيئاً عن القاعدة ، ولا عن صواريخها ونشاطها .. ومع ذلك فقد



عندما جذبت الأطباق الطائرة اهتمام الصبية ، بداوا فى الاتيان بحيل غريبـــة ليلعبوا اللعبة ، فربما تجـــوز على العلماء الخدعـة ، والصورة تبدو لطبق طائر ، لكنها خدعة متقنة لجزء من الة تشريح الخضراوات بعد ان علقت بخيط رفيع شفاف ، ثم التقطت لهاالصورة وكانما هيفوق الأشجار .

تكفل بعض العلماء الروس بتقديم تفسيرات لا أساس لها من الحقيقة – هذا رغم علمهم بتلك الحقيقة ، أو عدم علمهم بها .. المهم الا يعـرف أحد شيئاً عن سر القاعدة ، لكن الظاهرة قد عرفت في الدوائر العلميـة والرسمية والتجسسيـة لدول الغرب .. ورغم ذلك فقد ظلت تتداول في تقارير ونشرات ومؤتمرات المغرمين بظاهرة الأطباق الطائرة على أنها حقيقة واقعة .

وأما الطبق الطائر الذي رآه الأمريكان ، وتحدثوا عنه ، واطنبوا فيه ، وتخيلوه بنوافذ مضيئة ، وانه حلق منهم على مسافات قريبة .. الخ ، فلم يكن الا القمر الروسي « زوند الرابع » وهو واحد ضمن سلسلة من الأقمار الصناعية التي تكتشف الكون الخارجي ، وقد أعلن الروس عنه بعد نجاح اطلاقه من قاعدته ، لكنه فشل في مهمته – فيما بعد – لخلل في أحد أجزائه ، وبدلا من أن يندفع الى الفضاء الخارجي ، بدأ يتهاوى ويحترق وينصهر ويتوهج ويتفتت الى أجزاء رآها الناس بصور مختلفة ، وحسبوها نوافذ وتشكيلات وغزوات آتية من الفضاء الخارجي على متن أطباق طائرة .

بين العلم والخرافة والخداع

الموضوع – بلا شك – طويل جداً ، وحكايات الناس فيه مسلية جداً ، هذا بالاضافة الى الخدع التي كان يقوم بها الصبيان والكبار حباً في الشهرة وتسليط الأضواء عليهم ، اذ كانوا يقومون بخدع كثيرة ، ثم يصورونها على أنها لأطباق طائرة ، فيرسلونها الى الصحافة ، أو الى الجهات الرسمية ، لكن العبء الأكبر كان ينصب على العلماء ، فعليهم ان يعللوا هذه الظاهرة أو تلك ، وغالباً ما كانوا يكتشفون الخدعة ، ونحن لا نستطيع أن نتعرض لكل ذلك هنا ، بل يكفي ان نقدم جانباً ضئيلا منها من خلال عدة صور مزودة بتعليق مختصر يوضح مكامن الخدعة .

ولا شك أن الناس معذورون ، فالذي أعطاهم هذه الثروة الخيالية طبيعة العصر ذاته ، بالاضافة الى منجزاته – فهم يعيشون في عصر الصواريخ الفضائية ، والأقمار الصناعية ، والروايات الخيالية التي يتطلعون اليها في دور السينما أو في التليفزيون ، بالاضافة الى اجهزة الاعلام الأخرى التي لا يهمها الا جذب انتباه الناس بالخبر المثير ، ثم بتعليل كل ظاهرة طبيعية غير مفهومة على انها من الفضاء من خلال اطباق طائرة اخترعها خيال انسان في عام ١٩٤٨ ، ولم تكن في الحقيقة الا انعكاسات ضوئية ظهرت له على هيئة بيضاوية كالأطباق ، فكان أن اطلق عليها اسم الأطباق الطائرة .. ومن يومها انتشرت البدعة ، وزادت اشتعالا ، حتى أصابت الناس بما يشبه الهوس .

هل يعني هذا أن الأطباق الطائرة غير حقيقية ، وان ما رآه الناس وبعشرات الآلاف من المشاهدات يدخل تحت بند الخيال والأسطورة ؟

وهذا سؤال كبير له جوانب متعددة ، لكن يكفي أن نشير فقط الى وجود عدة عوامل تؤثر في احاسيس الناس ، وتشكل انماط تفكيرهم ، فيكون لهم عذرهم ، لكن معظم مارأوه لم يكن أطباقاً طائرة ، بل ظواهر طبيعية وجوية وضوئية أمكن تعليل أكثرها تعليلا سليماً ، ومع ذلك فقد ظلت بعض جوانب الموضوع غير معروفة ، لكن ليس معنى انـنـا لا نعرف التفسير ، أن ما ظهر هو اطباق طائرة ، بل يعني أشـياء أخرى أعمق من ذلك بكثير ، وسنحاول أن نوضح ذلك في دراسة أخرى قادمة ، حتى يتبين الغث من السمين .

عبد المحسن صالح

المقال القادم
بين الظواهر الطبيعية
والتفسيرات الخيالية

أوراق من الأرشيف العتيق

قصة بقلم : ديـــزي الأمــيــر

تنتقل الى بيت جديد ! حلم العمر يتحقق . بيت جديد فى منطقة تحبها .

تطلع ضيوفها الى الأثاث الكثير وعلقوا كم ستتعبين فى حزم الأثاث ! نقله الى بيت جديد مهمة شاقة .

لم تكن تريد تعليقاً ، فهى تدرى انها ستتعب وستحتاج الى ساعات عمل كثيرة للاستعداد الى هذا الحدث الذى انتظرته طويلا .

ولكن الانتظار هذه المرة لم يكن كاذباً ، تصدق احلامها ! أتراها ستصدق ؟ فمنذ متى وهي تحلم بتغيير البيت ؟ سنوات طويلة لا تدرى عددها مرت ، وهل يمكن احتساب الأحلام ؟ طولا وعمقاً ؟

قطع الأثاث الكبيرة الظاهرة ، ليس همأ نقلها ، ولكن القطع الصغيرة التى تحتاج تحكيم لف لئلا تتهشم ، هذه ستتعبها .

وقبل ان تحزم اية حاجة فكرت ان تتخلص من الأشياء الزائـــــدة التى لا تريدها .

فى العُلّية ، حقائب وحقائب قديمـة انزلتها

فتحت الأولى ففاحت رائحة النفتالين . ثياب شتوية فائضة،قلبت واحـــداً ، لم يعجبها اللون ولا التصميم !! ثم اكتشفت انه لم يعد على مقاسها .. تغير جسمها وتغير ذوقها او تغير الذى لا تدرى . المهم انه لم يعد يناسبها. أعادت غلق الحقيبة . ستعطيها لزوجة حارس البناية .

الحقيبة الثانية ، ثياب صيفية فيها رائحة عفن ، ألحقتها بالشتوية .

الثالثة كانت ملأى بالأوراق . اكوام من الأوراق مكتوب عليها بخط اليد واخرى مطبوع عليها وكذلك صحف ومجلات .

تركتها جانباً ، لاشك أن فى هذه المجلات والصحف شيئاً يهمها والا:لم احتفظت بها ؟

وقبل ان تفتح حقيبة اخرى ، فضولها أمسك بمجلة ، قلبت الصفحات تساقط منها مغلف ، أسمها وعنوانها عليه . اسمها وعنوانها ؟ كان هذا عنوانها قبل ربع قرن من الزمن ؟!

قلبت صفحات المجلات فتساقط عدد اخر من المغلفات . الاسم الذى عليها لا يزال اسمها ، ولكن العناوين متغيرة .

ربع قرن ! خمس قرن ! عشر سـنوات ! خمس عشرة سنة !

تغير العنوان كثيراً وكذلك اسم المدن ومكان العمل واسم المكان الموقت لعنوانها . متى كان عنوانها ثابتاً ؟ واية فترة كان موقتاً ؟

أوراق رسائل دون اغلفة . ترى اين كانت تسكن حينما وصلتها هذه الرسائل ؟

بدأت تقرأ المحتوى . من آخر كلمة . من اسم الموقع ، كاتب الرسالة ، وهكذا انفتح مخزن الماضى امامها . جبل من الرسائل من شتى البلدان ، أما كاتبوها وكاتباتها ، فالبعض لا يزال حياً ، آخر لا تعرف مصيره وثالث توفي و .. اخير لم تعد تتذكر شيئاً عنه .

كانت تدرى انها استلمت عدداً كبيراً من الرسائل ولكنها لم تكن تدرى ان هذا العدد الكثير منها لا يزال موجوداً . ولم تراها احتفظت به ؟ هل كان يعني لها شيئاً وهى ترى فى بعضها ماضياً لم تعد تتذكر ، وتتذكر أموراً لا تراها فى الرسائل . دخلت المخزن ، اغلقت باب الغرفة . وضعت نظارتها .

رسالة تقول (حبي لك اسميته اهانة وأنا أسميته النعيم المقيم) التاريخ يعود الى أكثر من ربع قرن . متى قالت هذا الكلام ؟ تدرى انها لم تكتب رسائل بهذا المعنى لاحد . كانت فى ذاك التاريخ غريرة خائفة لا يمكن ان تكتب رسالة لغريب فمن أين جاء هذا الحوار ؟

سمعته من احد ؟ أهى تقول ان الحب اهانة ؟ وهو يقول انه النعيم ؟ ورقة سميكة. برنامج حفلة تخرجها من الجامعة . قرأت الاسماء اين هم زملاؤها الآن ؟

سقطت صورة من بين الأوراق . طلاب صفها كلهم فيها ما عداها . نعم لم تكن تحدث الرجال يومها ، كان فضـــيلة ان لاتحدث الفتاة شاباً ، فكيف تلتقط صورة معه ؟

أتراهم يحتفظون بنسخ من هـــذه الصورة ؟ وهي .. هي احتفظت بها ! ولم تحتفظ ولو لم تنبش مخزن الماضي لما وجدتها .

زادت غوصاً فى المخزن .

رسالة تقول : اسرعي فى قراءة الفصـل الثاني من روايتي ، فقد بدأت بالثالث . وأنت تعرفين انني لن استطيع طبع روايتي قبل اخذ رأيك ، التاريخ ليس بعيداً .

وتساقطت الرسائل. واحـــدة تقول : (سأستمر فى الكتابة اليك مهما طال صمتك ومهما عاقبتني بالانتظار الطويل ، نعم لقد انتظر طويلا وطويلا الى حد الموت) .

عدد من الرسائل لايزال فى مغلفاته . عليها خط اليد نفسه ولكن عنوانها متغير . صار سهلا عليها جمع هذه الرسائل .

تكومت الاغلفة . سحبت الأوراق منها وبدأت تقرأ وتقرأ . لم لم تجب عليهـــا ولا حتى على رسالة واحدة ؟

عادت الى التاريخ . استمر طوال عشر سنوات . وكانت الرسائل تلح وتلح فى الانتظار . لم انتظرت الرسائل منها جواباً ما دامت لم تكتب هي ابداً ؟

الرسائل طويلة وفيها إراقة لعواطف كاتبها . هل أرادت بعدم الكتابة ، قطع الأمل كيلا يستمر ورودها اليها ؟ ام انها تألمت لهدر المشاعر فأرادت لها ان تتكبر وتتوقف ؟

رسالة تقول (لا تنزعجي من لندن ، ستتعودين عليها ، فانا مثلك احسست بالغربة أول الأمر ، والآن كلي شوق لحدائقها الدائمة الخضرة) .

اخرى تقول (اعجب كيف تحبين

بريطانيا ! ما الذى شدك اليها ، انا لم أكلم أحداً مذ جئت ، فالانكليز منغلقون ، متكبرون ، بريطانيا لم تعد عظمى ، فلم التعالى علينا ؟) .

ويظهر ان الرسالة التالية كانت من نفس المصدر فهي تقول (تكلمت أخيراً بعد صمت طويل ، ولكن من حاورته شخص من البرازيل فى نفس كليتي ، وهو مثلي يكره بريطانيا ، هلا اخبرتني امازلت تشتاقين اليها ؟) .

تشتاق ؟ تشتاق ؟ وتتذكر كيف عادت الى لندن بعد غياب عشر سنوات ، ورأت البلد الذى لم تعد تعرف وتتذكر كيف قالت : ذهبت الى البلد الذى أحب شوقاً اليه فشفيت من حبه .

رسالة تقول (مدينتنا تنتظرك دائماً وتحبك كما تحبينها . انتظرنا مجيئك السبت ١٤ كانون الماضى مع علمي ان الثلج متراكم ، والطريق مقطوعة . ولكن فكرت ربما تجدين طائرة . وحينما بدأت الشمس تغيب ثم راحت ، يئست فذهبت لزيارة أصدقاء وتركت رقم هاتفهم لدى أهلي) .

لا لم تكن الرسالة يائسة لانها تقول (تركت رقم هاتفهم لدى أهلي) السنة غير مذكورة ولا كانون معروف رقمه . ترددها على ذاك البلد كان مفرحاً . ما الحاجة الى التفتيش عن السنة ؟

الوقت الآن ليس شتاء والطرق لا يقطعها الثلج . ولكنها لا تستطيع الوصول الى هناك مع ان بقية الطرق غير موصدة ولكن قلبها مغلق .

رسالة تقول (أعتذر عن عدم الاجابة لأني كنت لا أزال افتش عن الكتاب الذى طلبت . وحين احصل عليه ارسله حالا) .

التوقيع غير واضح والرسالة دون غلاف والصفحة الأولى منها مفقودة . ما هو مصدرها ؟ من هو كاتبها ؟ وما الكتاب الذى طلبت ؟ هل هو مرسل اليها ؟

فتشت بين الرسائل عن اخرى يشابه خط كاتبها خط هذه الرسالة ، فلم تعثر على الشبيه .

رسالة وحيدة يتيمة . لا تعرف انها تسرق رسائل الناس . اتراها لها ؟

رسالة تقول (الصحراء عظيمة تصل عيونى الى الأبعد والأبعد . لقد تحسن نظرى . بيروتكم (غابة الحجارة) قصرت بصرى . متى تغادرين هذه المدينة الغريبة ؟) .

تاريخ الرسالة يعود الى عشر سنوات مرت ، صحيح ان بيروت مدينة غريبة كما تقول الرسالة . وتسميها غابة الحجارة . ماذا تسميها الآن وقد صارت غابة السلاح ؟ ؟

رسالة تقول (لا تقولي إنك حزينة . فانت لست كذلك لأنك تحبين الحياة كثيراً وتريدين (العيش) ، ولكن التظاهر بالحزن هو صرعة الشابات والشبان . كنت مثلك أريد الاعلان عن حزن غير موجود حتى جاءنى الحزن الحقيقى فلا تكونى مثلي) . نعم بعد حوالى عشرين سنة جاء الحزن الحقيقى ووزعت حنينها على الف جهة وجهة .

رسالة تقول (لم لا تحسنين خطك ؟ يتعبنى فك الغازه . عندما أكتب اتعمد وضوح كلماتى لأسهل قراءتها) خط يدها غير واضح ؟ الرسالة عمرها خمس عشرة سنة ماذا لو رأوا خطها الآن ؟ لقد زاد غموضاً وزادت سرعتها فى الكتابة تستعجل الزمن لئلا يفوت أكثر مما مضى .

صورة صديقتها مهداة اليها (ذكرى الماضى البعيد الجميل) عمر الاهداء ثلاثون سنة . أكان فى حينها ماض ؟ وكان بعيداً ؟ وكان جميلا ؟ ماذا تكتب صديقتها لو أهدتها صورة جديدة الآن ؟ ؟

على اليمين من الصفحة أرقام وامامها أقوال منسوبة الى قائلها . وجدت شعراً وحكماً وامثالا لشعراء وكتاب ومفكرين معروفين ووجدت بعض الأقوال امامها كلمة (انا) كدليل للقائل ، كل الأبيات الشعرية والأقوال والحكم تتحدث عن الماضى ، وكذلك كانت الكلمات الموقعة (بانا) .

- (أحب زهر النرجس لانه يذكرنى بماض لم يأت بعد) انا .

عدت يا شوق فيما عددت
ربيع العمر ولى فهل تعيد الربيعا
(علي محمود طه) .

- الماضى صورة زيتية تبدو جميلة كلما ابتعدنا عنها (أوسكار وايلد) .

وضعت نفسها مع على محمود طه واوسكار وايلد وغيرهم وغيرهم من المشاهير ، الماضى .. الماضى .. وتذكرت كيف كانت تحتفظ ببعض القصاصات والأشياء وتقول انها ستحبها حينما تصبح ماضياً .



والآن .. الآن عملت بفعل ارادى على إلغاء الماضى . هل تراها استهلكت الماضى قبل ان ياتي ، وحينما اتى كان قد انتهى ؟ ؟

رسالة تقول (ليتك كنت معي اذن لما احسست بوحشة الغروب)

كيف هى الوحشة فى القبر ؟ كيف هي ؟ كيف هي ؟ .

حينما سألوها متى نراك ؟ اجابت نتركها للصدفة . ولم تأت تلك الصدفة . حاولت افشالها متعمدة ، ولم تدر ان الموت سيكون هو الحائل الحقيقى لموعدانتظروه فلم يأت .

دفعت الأوراق . جبل الأوراق . كتل الأوراق . كل الأوراق . كانت قد قررت الغاء الماضى ، فلم عاد اليها ؟ لم عادت إليه ؟ لمَ ؟ ستغلق مخزنه وتحكم قفل صندوقه .

كتل الرسائل امامها .. تركتها هربت الى الغرفة المجاورة . التليفزيون يبث حفلة لام كلثوم . كانت الحفلة فى اخرها ، الجمهور يصفق ويهتف وينادى وأم كلثوم واقفة تشدو :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر
أما للهوى نهي عليك ولا أمر

ثم تبتعد ام كلثوم والستارة تهبط وتتقارب بهدوء ، تغطى المسرح والعازفين ويزداد الهتاف والتصفيق ، ولكن الستارة تستمر فى الانغلاق ويستمر الهتاف والتصفيق ثم .. ثم يخفت . ويدير الحاضرون رؤوسهم عن المسرح ويبدأون بمغادرة القاعة وتسدل الستارة تماماً . يقول المذيع المعلق .. وهكذا ينتهى حفل الليلة ..

فيلم من الأرشيف عرض وانتهى وقته . تسمع نفسها تكمل الأغنية :

نعم انا مشتاق وعندى لوعة
ولكن مثلى لا يذاع له سر

كانت اذاعة بيروت تتحدث عن خرق لوقف اطلاق نار جديد .

ديزى الأمير - بيروت



رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها

مذكرات صريحة لشاعرة عربية كبيرة

الحلقة الأخيرة

صراعي في الحياة.. بين حبي للناس وخوفي منهم

في وسط الخمسينات عرفت الصديقة (ياسمين زهران) دكتورة في التاريخ فيما بعد ، وتوطدت بيننا اواصر صداقة حميمة منذ البداية ، فاتصلت لقاءاتنا ومشاويرنا في القدس ورام الله واريحا على مدى سنوات . كانت ياسمين من ابرز العناصر النسوية المثقفة في البلاد . منها تعلمت حب اعمال الروائي « بروست » .. وكانت مشبعة بالفكر الغربي حتى الامتلاء فكان بيتها ملتقى اصدقائها من المثقفين والمفكرين في رام الله والقدس . وكانت تؤكد دائما على ان العامل الفكري والروحي من اهم العوامل الأساسية في تقرير مصائر الشعوب ولا يقل اهمية عن العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . وللتاريخ شواهد على ذلك . ومن شواهده فتوحات العرب التي لم يكن وراءها تقدم اقتصادي او اجتماعي . لم يكن هنالك سوى الاندفاع الروحي بالعقيدة التي حارب العرب في سبيلها .

وكانت لها في ذلك الحين زاوية اسبوعية في بعض الصحف المحلية جعلت منها منطلقاً لارائها وافكارها والتاكيد على وجوب ايمان الفرد العربي بقوة الامة العربية وبحقها في الحياة الكريمة ، فبدون اختمار هذه الفكرة في اعماقه وامتلاكه للدافع الروحي لن يكون الفرد العربي قادراً على التغيير وتقرير مصيره بنفسه .

كان بيتها في مدينتها رام الله يضم الجنسين من صفوة المثقفين عموماً ، فقد اصبحت الآن الشابة الفلسطينية الجديدة تتمتع بنصيب وافر من التعليم العالي ، حتى بنات بعض المتشددين في نابلس وسواها من المدن الفلسطينية كن من خريجات الجامعات الامريكية والبريطانية .

كانت الصديقات النابلسيات لبيبة صلاح - دكتورة في التربية - يسرى صلاح وسبا عرفات وشقيقتها الفنانة التشكيلية عفاف ، هؤلاء وسواهن من جيل ياسمين المتفتح الواعي في رام الله والقدس كن حبات في عقد ملموم يحتضنه بيت « ياسمين » الجميل .

في بيتها عرفت صديقي حسن الذكر جميل البديري . كان يحب شعري ولكن .. كان يتمنى دائماً ويطلب الي باستمرار الخروج من دائرة الذات ، وفي بيت ياسمين عرفت صديقي الشاعر كمال ناصر .

كان حينئذ نائباً فلسطينياً في البرلمان الأردني ، وكنا نقضي امسيات فنية في بستان ياسمين وقد تركنا النفوس على سجيتها . كان باستمرار قلقاً ثائراً ضاحكاً ، وكانت احاديثنا تدور حول الأوضاع القائمة والشعر والحب والموت والنضال والانتحار كنا نقرا الشعر ونحزن ونفرح ونامل ونياس وكان كمال بشخصيته الديناميكية الحارة شديد القرب من نفوس اصدقائه ومحبيه .



كمال ناصر



سلامة موسى

وفى عام ١٩٥٧ خلال تلك الفترة الدرامية من تاريخنا ، كانت جريدة فلسطين التى تصدر فى القدس تطالع القراء بين يوم وآخر بقصيدة جديدة موقعة باسم « ابو فراس » .

وكان يلفت نظرى ما فى تلك القصائد من حرارة وصدق وشاعرية ، فكنت اتساءل دائماً : ـ من هو « ابو فراس » هذا ؟

وحين سالت الصديق رجا العيسى ، رئيس تحرير جريدة « فلسطين » عن الشاعر المجهول قال وهو يبتسم ـ من تظننيه يكون ؟ قلت ـ اشم فى القصائد رائحة كمال . قال : رجا ـ هس ! لا يسمعك احد .

اذن كمال مختبىء ولم يفلت من الحصار كما كنت اظن . وغمرنى تاثر عميق .

فى طريق عودتى الى نابلس اخذت عصافير الافكار وصور الامسيات الجميلة ولقاءات الاصحاب فى بستان ياسمين زهران ، كل هذه اخذت تحوم وتطوف فى راسى وعينى وقلبى .

فى الاسبوع التالى مضيت الى الصديق رجا العيسى فى القدس ومعى قصيدة جديدة مهداة الى « المغرد السجين » .

خلال بضعة أيام جاءتنى من كمال قصيدة مقابلة . بعدها صرت التقى بكمال فى مخبئه الأمين .

وجدته يوماً يكابد الآلام فى بعض اضراسه . وكانت المغامرة بالتسلل الى طبيب اسنان مستحيلة لخطورتها .

اقترحت عليه ان امضى فى اليوم التالى الى القدس واطلب من نسيبنا الدكتور برهان عبد الهادى المساعدة فى هذا الشان. فى ظهيرة اليوم التالى كان الدكتور برهان يرافقنى الى نابلس . وتم الأمر فى سرية مطلقة .. واستراح كمال.

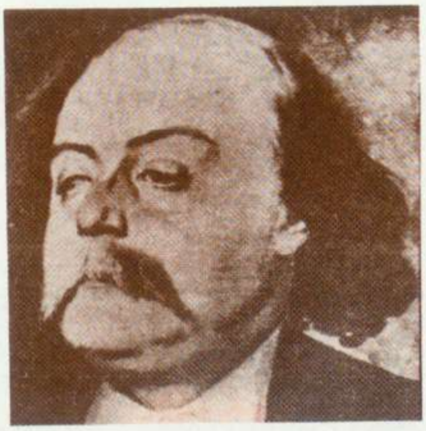
وفى تلك الايام ، ايامى مع الدكتور عبد الرحمن شقير ثم مع الصديق كمال ناصر فى محنته اكتشفت الفرق بين احساس الانسان وتفكيره وهو يعمل منفرداً، واحساسه وتفكيره وهو يعمل مع الجماعة . وذقت حلاوة الشعور الجماعى المشترك واسعدنى خروجى من اطار نفسى الى اطار الجماعة . وحين انتهى عام ١٩٥٧ باحداثه القاتمة شيعته بقصيدة هجائية تنضح مرارة .

بقيت مشكلتى هى ذلك الحماس الآني الذى يهجم مع المناسبات الساخنة ويتراجع مع انتهائها .

كنت اتمنى بصدق لو تظل السياسة جزءاً دائم السخونة فى تفكيرى ، لو استطيع الانضواء الى احد الاحزاب التقدمية ، لو اتخلص من هذا التمزق الدائم بين فرديتى وبين عواطفى الشعبية تلك العواطف التى كانت تستيقظ فقط فى المناسبات المتاججة . كنت اتمنى ومن كل



فوكنر



مارسيل بروست

قلبي لو استطيع الارتماء فى حضن الجماعة فاعيش حياتها واهتماماتها ومواقفها المتصلة بالقضايا الوطنية . ولكن تحقيق هذا التمنى ظل فوق قدرتى ، فالتعامل مع الناس فى الخارج ليس فى طبعى ، وهكـذا بقى عجزى التـام عن الاندمـاج مصـدر شعور بعـدم الرضى ، وبقيت حـائرة بين هذه الحالات المتعارضـة ، موزعـة النفس بفعل التعارض القائم بين قوة طبيعتى الاصلية المتحكمة وبين عدم اقتناعى ، بل كرهى لهذه الطبيعة ، مما ولد فى ضميرى ما يشبه عقدة الذنب . وفى الحقيقة لقد كان عجزى عجزا ماسويا يتطابق وتعريف احد الكتاب للماساة حين قال انها التصادم بالضرورة واستحالة تنفيذ هذه الضرورة عمليا .

كنت احيانا امقت شعلة الحب التى ظلت اقدر على اجتذابى وملء حياتى من اى شىء اخر . فلم يكن بين شعراء جيلي من لم ينضو الى حزب او لم يتخذ موقفا ملتزما ينبع من خلاله شعره . لقد كنت فريسة لتشابك صعب بين شعور (بالأنا) لا استطيع تجاوزه وبين ادراكى التام لما فى تجربتى الشعرية من نقص نابع من خلوها من الالتزام .

احيانا كنت احاول ان افلسف وضعيتى وافتقارى الى الشعور بروح الجماعة ، فامضى فى حوارى مع النفس اتساءل - هل من الممكن أن يتجرد الانسان الشاعر من ذاتيته الى هذا الحد المطلوب منه فى هذا العصر ؟ ثم ، لماذا يساق الشعراء جميعا بهذه العصا الواحدة ، عصا السياسة فقط ؟ إن جوانب الحياة كثيرة ووجوهها متعددة والنزعة الذاتية هى احد هذه الوجوه وهذه الجوانب ، فلماذا تلغى من الشعر ما دام الشعر هو انعكاس الحياة بكل اوضاعها المختلفة . الشاعر انسان قبل ان يكون اى شىء اخر ، قبل ان يكون سياسيا - هكذا كنت افلسف وضعيتى - الشاعر فرد ككل الأفراد يمثل الانسان فى جوهره الذى لا يختلف ، يتالم حين يفجع بموت اخ او حبيب ، يحب الجنس الآخر ، يستجيب لمعطيات الطبيعة والحياة ، فلماذا يطلب منه أن يدير ظهره - كشاعر - الى تلك المعطيات فلا يعبر عنها فى شعره ؟

بل كنت احيانا اذهب الى اقناع نفسى بان الحزبية فى بلادنا العربية ناقصة ، وتظل ذات صفة شخصية ، فهى تتصل بالأشخاص قبل المبادىء مما يشغل الشعب عن العمل الحقيقى .

بالتاكيد لم يكن لجوئى أحيانا الى هـذا التفكير الا تصيدا للمبررات ، فقط . كنت ادرك ان الشاعر يستطيع ان يمارس بشعره فعالية وطنية دون الانضواء الى تنظيمات سياسية معينة ، فليس من المحتم ان يرتبط بالحزبية ليقوم بدوره كشاعر ملتصق بالواقع العربى من حوله .

وهكذا ظلت كتاباتى للشعر أسيرة الحالات العاطفية والنفسية التى تباغت فجاة ، وتذهب فجاة ، ولم اعـرف الاحساس الدائم بالواقع والالتصاق الوجدانى الملازم بالقضية الجماعية الا بعد حرب حزيران .

● ●

انا اقرأ فانا موجودة . ظللت قارئة كتب شرهة . وقد نمى هذه الشراهة حرمانى من الدراسة الاكاديمية ، فالانسان الطموح يظل ينطوى على مرارة مصدرها ذلك الفراغ الذى يتركه فى النفس الحرمان المبكر من المدرسة . هنا يتحول الى (دودة كتب) .

لم تكن قراءاتى منهجية . كنت اقرأ اى كتاب يقع فى يدى ، مرورا بالموضوعات الأدبية والتاريخية والاجتماعية والفلسفية الى كتب العلوم المبسطة . كان سلامة موسى والعقاد والمازنى من الكتاب الذين فتحوا ذهنى وعلمونى ما لم اعلم ، ومنذ الأربعينات أصبحت شديدة الالتصاق بعلم النفس من جهة والرواية من جهة اخرى .

وجدت فى الرواية حصيلة المعرفة الانسانية ، وجدت فيها الفكر والشعر والفلسفة والتحليل النفسى . انها تتناول الحياة بل كل شىء حى . الانسان هذا الجرم الصغير الذى انطوى فيه العـالم الاكبر . تتناوله الرواية بكل اهتزازاته الحية ، بكل تناقضاته وتقلباته ، بكل ما فى تركيبه من عناصر مختلفة متضادة . وهكذا اصبح عالم الروائيين الغربيين الكبار عالمى الذى يضج بالحياة والحركة وانا سجينة الجدران . كنت اقرؤهم بالعربيـة أو بالانكليزية . تولستوى ، دوستويفسكى ، سترندبيرغ ، هكسلى ، د . هـ لورنس ، جراهام جرين ، سمرست موم ، همنجواى ، فوكنر وسواهم . وظل يجتذبنى فى الرواية الفكر الفلسفى بشكل خاص - مشكلة الخير والشر ، قضية الموت والمرض ، قضية العدل . وانجذبت بطبيعتى التشاؤميـة الى الشخصيات القلقة المتشككة المتسائلة دائما .

كان شقيقى رحمى صديقى اللدود . ورحمى ظل دائما اخا حنونا فيه من طباع ابراهيم الكثير خصوصا طبيعة الايثار وحب المساعدة . ولكن رحمى لم يكن يبدى حماسا لاهتماماتى ومطالعاتى واشعارى .

كان رحمى يلح على وجوب ارتباطى بالواقع الذى تعيشه البلاد ، ذلك انا نعيش فى أوضاع وفى زمن لا يستطيع معه احد أن يبقى لا مباليا ، والا فلا ضرورة ولا أهمية لكل ما أكتب من شعر . وكان هـذا يقلقنى وكنت أجد فيه تهديداً لاهمية وجودى ذاته فقد كان الشعر هو كل وجودى .

لم أكن أبالى بالشيوعية ولم تكن لدى فكرة صحيحة عنها ولا صورة واضحة . كانت (عصبة التحرر الوطنى فى فلسطين) قد قررت الموافقة على قرار التقسيم ، وبعد قيام اسرائيل بدأ اعضاء الحزب بقيادة المرحوم فؤاد نصار ، الأمين العام للجنة المركزية يطالبون باقامة الدولة الوطنيـة الفلسطينية المستقلة التى نص عليها قرار الأمم المتحدة فى ١٩٤٧/١١/٢٩ .

فى تلك الأيام كانت تعتبر الموافقة على قرار التقسيم خيانة للوطن والشعب، ومن هنا كان نفورى التلقائى من الشيوعيين . ومن هنا كان يحتدم الجدل بينى وبين شقيقى رحمى .

حين خرجت الى الحياة كنت عزلاء من سلاح الخبرة ومعرفة الناس ، فكانت المواجهة متعبة صعبة يعوزها التكافؤ . ان الكتب وحدها لا تكفى كمصدر لمعرفة الحياة وما فى العلاقات البشرية من تعقيد وتصادم . وعلينا ان نحيا فى الحياة ذاتها فتجاربنا الخاصة تظل هى الينبوع الأصلى لتلك المعرفة .

المشاعر والأفكار المعزولة عن أرض الناس والواقع .. الحس الاجتماعى العاجز عن النمو الحقيقى بسبب كساحة الزمن .. كل هذا فوجىء بالناس والحياة المتحركة وراء عالم « الحريم » المعزول الذى كنت قابعة فيه طوال تلك السنين السـابقة . ووجدتنى اقف حائرة مبلبلة - الحيـاة الاجتماعية ومعطياتها فى طرف ، وانا فى طرف آخر ، وكان الأمر باعثا على الدهشة والخيبة والتامل .

ان نعرف الحياة ونلمسها معناه أن نعرف النـاس ونلمسهم ، ان نصطدم بالآخرين ، ان نضع اصبعنا على ما فيهم من رقة وخشونة وحب وكره ، وضعف وقوة ونبل وحقارة ، وصدق ورياء ، وكل ما هو خليط من التناقضات . وكانت هناك ، الى

● لم أستطع أن أرتبط بأي حزب من الأحزاب

● وجدت في الرواية الغربية حصيلة المعرفة الإنسانية

● تأكدت أن سعادتي لا تكون إلا في عزلتي

جانب هذا ، الضريبة الغالية الثمن التى لا مهرب من أن يدفعها المرء وهى طيبة القلب والبراءة .

اكتشفت ان عالم العلاقات البشرية مشحون بالتعقيدات والعراك . ولم أكن أملك يوما الطبيعة العراكية التي كان يمكن ان تسعفني في ذلك العالم الغريب على طبيعتي . واخذت اضطرب بين حبي للناس وخوفي منهم . بين عمق العلاقة الانسانية التي تربطني بالأصدقاء وبين اكتشافي ان الحقيقة كثيراً ما تناى عن اللغة وتكمن باردة متوارية خلف ستار الكلمات المراوغة . وبقيت اتراوح بين فترات من استيعاب الآخرين والاستمتاع بالصحبة وبين فترات من الخمود والجمود الكليل نحو الناس وفي كثير من الاحيان كنت اتعزى ببيت الشعر الجميل :

اذا أنت لم تشرب مراراً على القذى
ظمئت وأي النـاس تصفو مشاربه

إذ وجدت في هذا البيت تلخيصاً رائعا لكل سايكولوجية الصداقة والعلاقات البشرية عموماً . على ان ارتباطي بالناس ظل يخضع لحالتي المزاجية .

ثم وجدت نزعتي الرومانسية مبررها لتسحبني من جديد الى اعماق ذاتي ، وقد ساعدها في ذلك عدم وجود ما يضطرني إلى الاتصال بالحياة الخارجية ، فلا عمل ولا وظيفة تحتل جزءاً من تفكيري ولم احس يوماً بالميل الى الانخراط في خدمة اجتماعية . وهكذا لم تكن عواطفي ومشاعري لتجد أي موضوع خارجي تمتد اليه أو أي بديل تتفجر من خلاله وتاخذني خارج نفسي ، وتاكد لي ان سعادتي لا تكون الا في عزلتي ، ولكن السعادة الفردية تظل في نزاع وصراع مع الاحساس بالواجب الاجتماعي . فما هو الحل ؟

تحققت من عجزي التام عن تحطيم عزلتي التي لم تعد الآن مفروضة علي من قبل الآخرين ، وفي نفس الوقت لم يكن بوسعي تبرير هذه العزلة في حال من الاحوال ، وهنا بدأ لون اخر من الوان صراعي مع حياتي ومع نفسي .

شرعت ابحث عن مخرج من هذا التازم .
كانت انكلترا حلماً من احلامي البعيدة التي تراودني باستمرار . قلت في نفسي : امضي بقطار العمر في رحلة جديدة الى محطة جديدة لاختراق افاق جديدة .. أغيب في قلب الحضارة هناك عاماً أو عامين .

وغادرت البلاد في أواخر مارس عام ١٩٦٢ وانا اغزل الحلم عند مرافىء التوقـع المثير . غادرت البلاد وفي قلبي نسمات تهفهف رطيبة ناعمة .

● ●

تبقى رحلة الحياة مع الانسان الطموح تجاوزاً مستمراً لمحطات عديدة ، بدون هذا التجاوز يستحيل التجدد والاستمرار في الحياة ، ليس هناك هدف نهائي ، ليس هناك مستقر نهائي يتجمد عنده ، فالحياة حركة بالنسبة له تتجه دائما الى الامام . ان البحث الدائب عن اقاليم جديدة ، حتى لو كان بحثاً ميؤوساً منه ، هو الذي يمنح الحياة غناها وكثافتها .

تمت المذكرات

ملحوظة :
اضطررنا لاختصار بعض الفقرات من الفصلين الأخير وما قبله ، وسوف تصدر هذه المذكرات الهامة للشاعرة الكبيرة فدوى طوقان كاملة فى كتاب يظهر قريباً ، فنعتذر للقراء وللشاعرة الموهوبة عما اضطررنا إليـه من اختصار .

« الدوحـة »

إعداد : محمد العزب موسى

الكاتب الذي قضى عمره في البحث عن أسرار القارة المفقودة

آراؤه واجتهاداته المثيرة ونقد العلماء له

منذ أن كتب افلاطون عن القارة المفقودة « اطلانطس » لم يكف الكتاب والباحثون والمستكشفون عن البحث عن هذه القارة و « العثور » عليها بالفعل فى شتى انحاء الارض !

فكان فرنسيس بيكون الفيلسوف الانجليزى فى القرن السابع عشر يعتقد ان اطلانطس التى أشار اليها افلاطون هى نفسها القارة الامريكية التى اكتشفها كولومبس حديثا . وكتب فيلسوف سويدى يدعى أولوف روبيك كان يعيش فى القرن السابع عشر ايضاً « مثبتاً » ان اطلانطس هى نفسها السويد . وفى القرن الثامن عشر اكد الفلكى الفرنسى جين بيلى - الذى أصبح من ضحايا الثورة الفرنسية فيما بعد - وجود اطلانطس فى المنطقة القطبية الشمالية ، أما فرنسيس ويلفورد - وهو ضابط بريطانى كان يخدم فى الهند فى القرن التاسع عشر - فقد كان مقتنعاً بان الجزر البريطانية هى من بقايا قارة اطلانطس الغارقة ، وانتقل هذا الاقتناع الى الشاعر ويليام بليك الذى أيده فيه بحماسة .

ولم يقتصر الامر على ذلك ، بل ان كثيرين من الباحثين الآخرين - وبعضهم كرس كل حياته لهذا الغرض - وضعوا اطلانطس فى اماكن كثيرة أخرى : شمال افريقيا . جنوب افريقيا . وسط امريكا . استراليا . فرنسا . بحر الشمال . سردينيا . فلسطين ، لبنان ، مالطة . الصحراء الكبرى . شرق بروسيا . البلطيق . سيبيريا . جرينلاند . العراق . ايران . البرازيل . المحيط الهادى . المحيط الهندى .. وبالطبع كان سكان هذه المناطق يتحمسون لهذه النظريات لأن وضع اطلانطس فى بلادهم أو بالقرب منها يعطيهم حجة معقولة فى القول بانهم من احفاد الناجين من هذه القارة العظيمة .

وقد يبدو غريباً أن نلاحظ ان معظم هذه النظريات تضع اطلانطس فوق ارض صلبة وليس فى المحيط كما أشار افلاطون .. ولكن يبدو أن السبب الظاهر لذلك ان معدات الاستكشاف تحت سطح البحر لم تكن قد عرفت بعد ، فانها قد ظهرت مؤخراً جداً ، بما فى ذلك الطائرات التى تصور من الجو ، والغواصات ، ومعدات التصوير والقياس تحت سطح الماء . وبظهور هذه المعدات بدأ الاهتمام يتركز حول وجود أطلانطس في مكانها الأصلي الذي أشار اليه افلاطون وهو المحيط الأطلسي ابتداء من مدخل جبل طارق الى البحر الكاريبي . والواقع أن الأغلبية العظمى من الباحثين الذين اهتموا بلغز اطلانطس يشاركون افلاطون اعتقاده في وجود اطلانطس في المحيط الأطلسي ، وقد جمعوا بالفعل مادة ضخمة تؤيد هذا الاعتقاد .

ايجناتيوس دونيللى

من أهم الباحثين عن اطلانطس الكاتب الامريكى ايجناتيوس دونيللى الذى يلقب احياناً بمؤسس علم « الانطلوجى » نسبة الى القارة المفقودة ، وقد كان دونيللى يتمتع بنشاط بدنى وفكرى هائل جلب له النجاح فى سن مبكرة . ولد دونيللى فى فيلادلفيا عام ١٨٣١ ، ودرس القانون ، وانضم الى رابطة المحامين فى سن الثانية والعشرين ،



كانت اطلانطس ، طبقا لما قاله افلاطون ، قارة واقعة فيما وراء أعمدة هرقل (جبل طارق) ، وكانت ماهولة ، ولكن البحر غمرها . ولكن لا يوجد دليل جيولوجى على وجود كتلة ارضية ضخمة فى المحيط الاطلنطى بين شمال غرب افريقيا وشرق امريكا الشمالية ، كما يظهر فى هذا الرسم الافتراضى .

وبعد ذلك بثلاث سنوات ذهب هو وزوجته وعدد من أصدقائه الى « مينوسوتا » حيث اشتروا قطعة شاسعة من الأرض الخلاء بالقرب من سان بول بهدف أن يقيموا عليها مدينة كبيرة أسموها « نينجر سيتى » ، ولكن المشروع حاق به الفشل ولم تتطور المدينة الوليدة ، بسبب الكساد المالى الذى حدث فى خمسينات القرن الماضى .

بعد ذلك وجه دونيللى اهتمامه للسياسة وانتخب حاكماً لمينو سوتا فى سن الثامنة والعشرين ، وبعد أربع سنوات أخرى انتخب عضواً بالكونجرس حيث قضى دورتين من ثمانى سنوات . وكان دونيللى خطيباً مفوهاً ساخراً . واكتسب احترام زملائه أعضاء مجلس النواب ، ولكن وراء هذا المظهر الخارجى كان دونيللى يعانى من الوحدة الحادة ، خاصة بعد وصوله الى واشنطون ووفاة زوجته ، فاتجه دونيللى الى القراءة والدراسة بحثا عن العزاء ، وأكب على مكتبة الكونجرس الضخمة حيث كان يقضى الساعات الطوال يلتهم كل صنوف المعرفة .

وهزم دونيللى فى انتخابات ١٨٧٠ فعاد الى منزله فى نينجر سيتى . مدينة الأشباح التى حاول انشاءها ، وهناك – بين أوراقه ومكتبته الشخصية الكبيرة – بدأ يضع الكتب التى جعلته شهيراً ليس فى امريكا وحدها وانما فى العالم اجمع ، فبعد سنوات من العزلة والفقر عكف خلالها على موضوعه الوحيد المحبب ، نشر دونيللى تحفته الكبرى « اطلانطس وعالم ما قبل الطوفان » فى عام ١٨٨٢ ، وأحرز هذا الكتاب على الفور شهرة عمت الآفاق ، وفى العام التالى اخرج كتابه الثانى « راجنا روك .. عصر النار والحصباء » وأصبح ايضاً من أوسع الكتب انتشاراً وهو يتعلق بالكوارث الطبيعية الكبرى كالتى يفترض انها اغرقت اطلانطس ، ومما يدل على النجاح الواسع الذى احرزه دونيللى ان كتابه الأول مثلا طبع اكثر من خمسين طبعة ولايزال موجوداً فى الأسواق حتى الآن بعد قرن من صدوره ، ويرجع الى دونيللى الفضل فى تحويل اطلانطس من موضوع للنقاش بين المثقفين الى موضوع جماهيرى يثير اخيلة الملايين .

لم يكتف دونيللى بتاكيد رواية افلاطون وتفسيرها وانما اضاف الكثير من النتائج التى توصل اليها بأبحاثه الخاصة ، ويمكن تلخيص نظرية دونيللى فى ١٣ نقطة رئيسية :

١ – كانت توجد فى المحيط الأطلسى فى مواجهة البحر المتوسط جزيرة كبيرة هى البقية الباقية من قارة اطلانطيك الكبرى فى العصور الجيولوجية القديمة ، وكانت الجزيرة معروفة لسكان العالم القديم باسم اطلانطس .

٢ – ان وصف افلاطون لهذه الجزيرة والحضارة التى كانت قائمة عليها ليس قصة خيالية وانما تاريخ حقيقى .

٣ – كانت اطلانطس هى المكان الأول الذى انتقل فيه الانسان من البربرية الى الحضارة .

٤ – أصبحت اطلانطس مع الزمن أمة قوية كثيفة السكان وخرجت منها هجرات متتالية عمرت شواطىء خليج المكسيك ونهر المسيسيبى ، والامازون ، وساحل أمريكا الجنوبية ، والبحر المتوسط ، والشاطىء الغربى لأوربا وافريقيا ، وبحر

الكاتب
الذي قضى عمره في البحث عن أسرار القارة المفقودة

البلطيق ، والبحر الاسود ، وبحر الخزر فجميع هذه الجهات سكنتها اقوام متحضرة جاءت أصلا من اطلانطس .

٥ – ان اطلانطس كانت العالم البشرى فيما قبل الطوفان ، وكل اساطير الشعوب التى تشـــير الى عصر ذهبى قـــديم انما تشير الى الحياة البشرية المبكرة فى اطلانطس حيث كان يسودها الوئام والسعادة .

٦ – ان ابطال الأساطير لدى الاغريق القــــدامى والفينيقيين والهنـــود والاسكندنافيين هم ببساطة ملوك وملكات وابطال اطلانطس القديمة ، والافعال التى تعزى اليهم فى الأساطير هى احداث تاريخية حقيقية ولكنها مشوهة .

٧ – ان ديانة مصر القديمة وبيرو هى نفسها الديانة الأصلية لاطلانطس والتى هى عبادة الشمس .

٨ – ان اقدم مستعمرة اقامها اهـــل اطلانطس خارج بلادهم ربما هى مصر حيث تعتبر حضارتها صورة طبق الاصل من حضارة اطلانطس .

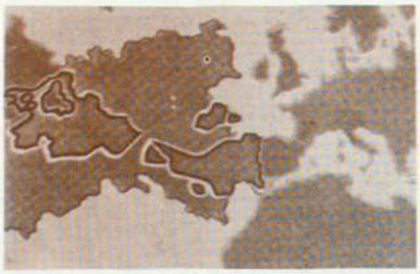
٩ – ان ادوات العصر البرونزى فى اوربا ماخوذة من اطلانطس حيث كان اهـــل اطلانطس اول من استخدم الحديد والمعادن .

١٠ – ان الابجدية الفينيقية التى هى أم كل الابجديات الأوربية ماخوذة من الابجدية الاطلانطسية التى انتقلت ايضـــــا من اطلانطس الى المايا فى امريكا الوسطى .

١١ – ان اطلانطس هى المهد الاصلى للشعوب الآرية والشعوب السامية وربما ايضاً الشعوب التوراتية ، وتتشارك هذه الشعوب جميعاً فى ذكرياتها عن اسطورة الطوفان .

١٢ – ان اطلانطس اختفت نتيجة لانقلاب طبيعى عنيف اغرق الجزيرة باكملها تحت مياه المحيط بكل سكانها تقريبا .

١٣ – ان عدداً قليلا من سكان اطلانطس استطاعوا النجاة بالسفن او القوارب . وهؤلاء حملوا الى مسامع الشعوب الاخرى فى الشرق والغرب تفاصيل الكارثة الكبرى التى محقت بلادهم وهى التى عاشت فى ذاكرة الشعوب القديمة والحديثة فى صورة ذكريات عن الطوفان والفيضانات .



مناقشة نظرية دونيللى

وهكذا يبدو أن دونيللى لم « يكتشف » اطلانطس فحسب ، وانما حل ايضا جميع الغاز الماضى ، فهو يعتبر ان اطلانطس كانت منبع الحضارة (وهو زعم لم يقل به افلاطون) وانها أوحت باساطير مختلف الشعوب (وهى متشابهة حقا فيما بينها) ، كما يزعم دونيللى ان التشابه بين اجناس النبات والحيوان فى القارتين الأوربية والامريكية مرجعه ان لها اصلا مشتركا فى اطلانطس ، فيقـــول نقـلا عن خـــبراء متخصصين أن الطباق والجوافة والقطن والموز لم تكن وقفا على احدى القارتين دون الأخرى قبل اكتشاف كولومبس للعالم الجديد كما هو شائع ، وانما كانت هـــذه المحاصيل وامثالها تنمو فى القارتين على السواء ، وفى اعتقاده ان هذه النباتات عبرت المحيط الأطلسى عن طريق الجسر البرى الذى كانت تمثله اطلانطس .

وكان دونيللى يعتقد ان حضارة مصر القديمة ظهرت فجاة ولم تتطور تدريجيا عبر آلاف السنين مما يشير الى انها مستوردة من مكان اخر ، وتـــراه يقتبس – تاييداً لرايه – فقرة للكاتب الفرنسى ارنست رينان الذى عاش فى القرن التاسع عشر يقول فيها : « ان مصر منذ البداية تبدو ناضجة ، قديمة ، ليست لها عصور اسطورية او بطولية ، كما لو كانت امة بلا شباب ، حضارتها بلا طفولة ، وفنها بلا مهد » ويستند دونيللى الى هذه الفكرة والى حقيقة وجود تشابه بين الحضارة المصرية وحضارات امريكا القديمة للقول بان مصر استعمرها الناجون من اطلانطس ونقلوا اليها الحضارة التى تبلورت فى حياتهم الأولى .

كما يرى دونيللى ان المايا فى امريكا الوسطى هم ايضاً من جنس اطلانطس لانهم يمتلكون ابجدية مشابهة لابجديات العالم القديم ولانهم يعتقدون ان حضارتهم جاءت « عبر البحر فى سفن قدمت من الشرق » أى من اتجاه اطلانطس .

وقد بذل دونيللى جهداً كبيراً فى اثبات وجود صلة بين اطلانطس وغيرها من الحضارات بتحليل المفردات اللغوية ، ويقول ان لغات العالم الجديد (امريكا) على صلة وثيقة بلغات العالم القديم ، واورد قوائم متوازية لكلمات من مختلف هذه اللغات اثباتا لوجهة نظره .

وهكذا ، فان هؤلاء الذين يعتقدون فى وجـــود اطلانطس ويشــعرون ان قصـــة افلاطون بها كثير من الثغرات والاسئلة التى لا جواب لها يمكنهم ان يرجعوا الى دونيللى لملء هذه الثغرات والحصول على اجوبة لهذه التساؤلات ، فالذى فعله دونيللى انه كسا عظام اسطورة افلاطون لحماً . والواقع ان كل كاتب عن اطلانطس جاء بعد دونيللى اخذ عنه ، ولايزال كتاب دونيللى يعد بمثابة مرشـــــد لعـــلم الأطلنطولوجى الى اليوم .

ولكن ، هل يستحق دونيللى شـــهرته فعلا ؟

ان اسلوب دونيللى القوى ، وثقافته الغزيرة ، وحماسته لفكرته ، واعتقاده الجازم فى صحة آرائه .. كل هذه الأشياء تكتسح القارىء وتخفى عنه كثيراً من الأسس الخاطئة التى تقوم عليها نظريته .. ويقول سبراجو دى كامب الذى تخصص فى نقد الكتابات المتعلقة باطلانطس « ان معظم الحقائق التى اعتمد عليها دونيللى اما انها كانت خاطئة عندما استخدمها ، او ثبت خطؤها بعد ذلك نتيجة للاكتشافات التالية » .

ويشير دى كامب الى أن دونيللى اخطا فى اعتقاده ان هنود بيرو كانوا يملكون نظاماً للكتابة خاصاً بهم ، واخطا كذلك فى القول بأن نبات القطن فى العالم القديم والعالم الجديد ينتمى الى نفس النوع ، وكذلك فان مقارنات دونيللى بين ابجدية العالم القديم والعالم الجديد غير دقيقة ومؤسسة على ما يعتبره دونيللى « ابجدية المايا » وهى تكاد تكون من اختراع دونيللى نفسه لاثبات وجود « اشكال وسيطة » بين اللغة اللاتينية ولغة المايا المزعومة ، وكذلك ليس هناك تشابه بين لغة هنود المكسيك واللغة الصينية القديمة .

ولكن مثل هذه الاخطاء العلمية مضت دون أن يفطن اليها احد ، ولايزال دونيللى يتمتع بكثير من الانصار ، وعندما نشر دونيللى كتابه الأول سرعان ما طبقت شهرته الآفاق حتى ان وليام جلاد ستون رئيس وزراء بريطانيا فى ذلك الحين كتب اليه معبراً عن تقديره وحماسته ، بل قد حاول جلادستون ان يقنع البرلمان البريطانى بتخصيص اعتماد مالى للبحث عن اطلانطس ، ونتيجة لهذه الحماسة البالغة خرج دونيللى من عزلته وامتهن إلقاء المحاضرات بنجاح تام كذلك ، ثم توقف فجاة عن القاء المحاضرات وعاد الى عزلته وكتاباته ، واخيراً دخل ميدان السياسة مرة اخرى فساهم فى تاسيس « الحـــزب الشعبى » ورشح نفسه مرتين بلا نجاح كنائب للرئيس فى بطاقة الحزب الشعبى ، وقد مات هذا الرجل النشيط العصامى الذى علم نفسه بنفسه فى عام ١٩٠١ بعد أن أرسى الأساس المتين لعلم الاطلنطولوجى الحديث .

لويس سبنس

وتبع دونيللى آخرون ، كان من ابرزهم الميثولوجى الاسكتلندى لويس سبنس الذى كرس معظم جهوده للاهتمام بامر القارة المفقودة ، فاصدر مجلة عاشت فترة قصيرة اسماها « اطلانطس » كما وضع خمسة كتب فى الموضوع ، ولم يحرز سبنس قدر الشهرة الشعبية التى احرزها دونيللى ، ولكن نظرياته وجدت ترحيباً كبيراً فى دوائر المهتمين بامر اطلانطس ، وحتى المتشككين منهم يقدرون القيمة العلمية لهذه النظريات . قال عنه سبراجو دى كامب انه « كاتب ممتاز وعاقل » ووصف كتابه الرئيسي « مشكلة اطلانطس » بانه افضل دفاع عن وجود اطلانطس نشر حتى تاريخه .

وقد حاول سبنس كما فعل دونيللى أن يتناول موضوعه تناولا علمياً جاداً . وفى كتابه « مشكلة اطلانطس » الذى ظهر عام ١٩٢٤ ركز سبنس على اثبات أربع نقاط :

١ ـ انه كانت توجد فى العصـــور الجيولوجية القديمة قارة كبيرة تحتل كل أو معظم منطقة شمال المحيط الاطلسى وجزءاً كبيراً من حوضه الجنوبى وان هذه القارة تعرضت فى الأزمنة الجيولوجية القديمة لكثير من التغييرات فى الحجم والمساحة بما فى ذلك انغمار اجزاء منها وظهور اجزاء اخرى .

٢ ـ فى عصر الميوسين (٢٥ ـ ١٠ ملايين سنة) كانت هذه القارة لاتزال تحتفظ بطابعها القـاري ، ولكن فى اواخر هذا العصر بدات تتلاشي نتيجة سلسلة متعاقبة من البراكين وغير ذلك من الاسباب

٣ ـ ان هذه العملية ادت الى تكوين كتلات جزرية اصغر اهمها اثنتان : الأولى على مسافة قريبة من مدخل البحر المتوسط وتسمى « اطلانطس » والثانية فى منطقة جزر الهند الغربية الحاليـــة وتسمى « انتيليا » ، وكانت الاتصـالات بين هاتين الكتلتين ممكنة عبر سلسلة من الجزر الصغيرة .

٤ ـ كانت هاتان الكتلتان وسلسلة الجزر التى تصل بينها قائمـــة حتى عصر البليستوسين ، وفى هذه الحقبة (منـذ حوالى ٢٥ الف سنة او بداية عصر ما بعد الجليد) تعرضت اطلانطس لمزيد من الانهيار حتى حدثت الكارثة الأخيرة منذ حوالى ١٠ آلاف سنة قبل الميلاد فغرقت نهائيا اما الكتلة الأخرى « انتيليا » فقد استمرت الى فترة اقرب ولاتزال بقاياها الآن هى مجموعة جزر الانتيل او جزر الهند الغربية .

ولا يتفق سبنس مع افلاطون فى القول بان اطلانطس تلاشت فى يوم وليلة بل يعتقد ان ذلك تم تدريجيا خلال سنوات طويلة ، وكذلك لا يتفق مع دونيللى فى زعمه ان اطلانطس كانت المصدر الأول لكل الحضارات بل يقول ان حضارة اطلانطس كانت تنتمى الى العصر الحجرى القديم ولم تعرف استخدام المعادن .

ويقول سبنس انه اذا كانت اطلانطس موجودة ومسكونة حتى الزمن الذى اعطاه افلاطون وهو ١٠ آلاف سنة قبل الميلاد ، فلابد أن نجـد شواهد عن النـاجين منها فى اماكن اخرى من العالم وهـذا ما نجده فى ثلاثة اقوام من الأجنـاس البائدة هى انسان كرومانيون ، وسكان منطقة الخزر القدماء ، وحملة الحضارة الأزيلية . ويقتبس سبنس عن خبراء كثيرين ما يثبت ان هذه الأجناس الثلاثة لم تتطور فى المناطق التى عثر فيها على آثارها بل تطورت فى اماكن اخرى ، ولما كانت معظم المستوطنات ، الأولى لهذه الاجناس تقع فى المناطق الساحلية بجنوب غربى فرنسا وشمالى اسبانيا،فان ذلك يدل على انها جاءت من مكان آخر من الغرب غير موجود الآن ، ويمكن القول إنه اطلانطس .

والمعروف ان انسان كرومانيون ظهر لأول مرة فى أوربا فى نهاية العصر الجليدى منذ حوالى ٢٥ الف سنة ، ويبدو انه هو الذى قضى على انسان نياتردال الذى كان يسكن هذه المنطقة من قبل لأن الأول كان اكثر تفوقا فى القوة البدنية والذكاء ، وقد ترك انسان كرومانيون رسوما فى الكهوف تمتاز باسلوبها الواقعى المدهش ومعظمهـا لحيوانات مختلفة منها الثور (قارن اهمية الثور فى حضارة اطلانطس) .

وقد استمر هذا الجنس مزدهراً حوالى ١٥ الف سنة الى ان حلت محله غزوات الخزر والازيليين ، وطبقا لما يقوله سبنس فقد جاء هذان الجنسان ايضاً من اطلانطس فى مراحل تالية من تاريخها العنيف ، وقد احتل الازيليون نفس المناطق الأوربية التى كان يحتلها سابقوهم الكرومانيون . واكتشف الأثريون شواهد على أنهم كانوا صيادين خلافا لسابقيهم ، وانه كان فى امكانهم الصيد فى عرض البحر ، واستخلص سبنس من ذلك انه اذا كان الجسر البرى الذى يربط بين اطلانطس وأوربا والذى انتقل عبره الكرومانيون قد اختفى فان خلفاءهم الأزيليين باعتبارهم ركاب بحر كان فى امكانهم استخدام القوارب فى الهرب من الكوارث المتلاحقة التى حاقت بقارتهم الأم .

والمعروف ان الحضارة الأزيلية ظهرت فى أوربا حوالى عام ١٠ آلاف قبل الميلاد وهو نفس التاريخ الذى يعطيه افلاطون لدمار اطلانطس ، ومما له دلالة ان الازيليين كانوا يجعلون وجهة دفناهم نحو الغرب ، اى نحو الجهة التى جاءوا منها حسب قول سبنس .

ويناقش سبنس ايضا احتمال أن يكون

الكاتب
الذي قضى عمره في البحث عن أسرار القارة المفقودة



الأزيليون هم الذين أسسوا حضارة مصر وكريت ، كما ان حضارة المايا جاءت ايضاً من اطلانطس ، ويفسر سبنس الهوة الزمنية الكبيرة التى تفصل بين غرق اطلانطس حوالى ١٠ آلاف سنة قبل الميلاد وظهور حضارة المايا قبيل العصر المسيحى بأن يكون لاجئو اطلانطس قد استقروا اولا فى انتيليا او جزر الأنتيل خلال هذه الفترة الطويلة قبل أن يلحق الدمار بهم الى هناك فيضطرهم الى الهجرة الأخيرة الى امريكا الوسطى .

وقد تناول سبراجو دى كامب نظرية سبنس بالنقد كذلك،بالرغم من امتداحه لها ويقول دى كامب اننا حتى لو الزمنا انفسنا بالحقائق التى يسوقها سبنس سوف نجد انها اقل تاثيراً مما يبدو لأول وهلة ، فمثلا لم تكن حضارة كرومانيون قاصرة على الغرب الأوربى وانما عثر على آثارها ايضاً فى الشرق وخاصة فى فلسطين ، كما انه بالرغم من كل تاكيدات سبنس بان حضارات مصر ويوكاتان وبيرو قد ظهرت الى الوجود فجاة بدون تطور من اشكال حضارية ادنى،الا ان الأثريين المحدثين قد كشفوا عن تطور تدريجى بطىء لهـــذه الحضارات . ففى الامكان مثلا تتبع الحضارة المصرية الى شكلها البدائى الذى كانت عليه فى العصر الحجرى الحديث حيث كان انسان « مرمدة » يرتدى جلود الحيوان ويعيش فى كهوف من الطين ويزرع بطريقة بدائية ، ثم اخذ المصريون يتطورون من هذا المستوى البدائى الى المستوى الرفيع الذى بلغوه فى عصر بناة الأهرام وما بعده .

هل ظهرت اطلانطس ؟

ان أى بحث نظرى عن اطلانطس مهما كان مدعماً بالحجج والأسانيد لابد أن يكون مليئاً بالثقوب ، فالفيصل فى وجود اطلانطس هو العثور عليها بالفعل ، وهذا ما بدأ يدعيه مؤخراً فريق من الباحثين .

ففى عام ١٩٦٨ أعلن اثنان من الطيارين المدنيين كانا يقومـان برحـلة جـــوية فوق جزر « بهاما » انهما شاهدا ما يشـــبه ابنية حجرية تبرز من المحيط بالقرب من سطح الماء عند شاطىء جزيرة « بيمينى » ، وقاما بتصوير هذه الأبنية من الجو ، وعلى الفور تحمس الكثيرون لهذا النبأ باعتباره مصداقاً لنبوءة الوسيط الروحى الشهير ادجار سايس الذى تنبأ فى يونيو ١٩٤٠ بان اجزاء من قارة اطلانطس الغارقة سوف تظهر فى عام ١٩٦٨ او ١٩٦٩ وحدد سايس هذه الاجزاء بانها من الطرف الغربى لاطلانطس المسمى « بوسيديا » وانه يقع بالقرب من جزر « بهاما » !

وتلقف الباحث الأثرى دكتور تشارلس بيرليتز ، وهو فى نفس الوقت غـواص ماهر ، هذا الخيط ، وقام بعدة ابحاث تحت الماء فى هذه المنطقة وما يجاورها ، ووضع كتاباً بعنوان « سر اطلانطس » اكد فيه وجود اطلال كثيرة تحت الماء بالقرب من جزر الكاريبى بما فى ذلك ما يبدو كانه مدينة كبيرة غارقة بالقرب من جزيـــرة « هايتى » كما عثر على ما يبدو كانه طريق مرصوف بالاحجار فى أعماق المحيط شمالى جزيرة « بيمينى » مما يوحى بان جزءاً من الجرف القاري فى المحيط الاطلسى والبحر الكاريبى كان يوماً أرضاً جافة وانه غرق فى وقت كانت فيه الحضارة البشرية قد ظهرت بالفعل .

ولكن ليس ثمة اجماع على أن ما يبدو كاطلال تحت الماء هو حقاً من صنع الانسان ففى رأى البعض ان طريق « بيمينى » ليس اكثر من صخور شاطىء تصادف اصطفافها على هذا النحو ، ولكن دكتور بيرليتز وزميله دكتور مانسون فالنتين وهو الغواص الذى اكتشف الطريق سارعا الى تفنيد هذا الاعتراض ، فكتب دكتور بيرليتز يقول « ان صخور الشاطىء لا يمكن أن تشكل مكعبات ضخمة تتسق فيما بينها على هذا النحو ، ولا يمكن أن تكون زواياها قائمة بمقدار ٩٠ درجة بالضبط ، ولا يمكن أن توجد بينها مثل هذه الفجوات التى تبدو كممرات متعمدة ، والأهم من ذلك جميعاً ان صخور الشاطىء « الطبيعية » التى ترقد فى قاع المحيط ليس من المحتمل ان تعتمد على مثل هذه الأعمدة التى تبدو قائمة بدقة من تحتها ! » .

ومن بين المشاهدات الأخرى* التى عثر عليها بالقرب من شاطىء « بيمينى » مايبدو كانه جدران عمودية ، واقواس كبيرة ، وأهرامات أو قواعد اهرامات تحت سطح البحر ، كما صور الطيارون على بعد عشرة أميال من جزيرة اندروس ، احدى جزر بهاما ما يبدو كانه دائرة ضخمة من الصخور القائمة تصلح كأساس لبناء عظيم ، وعثر بالقرب من شواطىء يوكاتان وهندوراس على ما يبدو كانه طريق من صنع الانسان ممتدة داخل البحر . كما عثر بالقرب من فنزويلا على سور طوله ١٠٠ ميل فى أعماق المحيط ، ولكن الجيولوجيين اعلنوا ان كثيراً من هذه الموجودات يمكن أن تكون مكونات طبيعية ، وقالوا ان « سور فنزويلا» أطـول من أن يعتبر من صـــنع الانسان (وهذه نقطة مردود عليها بان سور الصين العظيم يمتد عدة آلاف من الأميال) .

ويقول بيرليتز ايضاً إن الروس اكتشفوا فى قاع البحر شمالى كوبا مجموعة من المبانى تغطى عشرة أفدنة ، وان ماسحة المحيطات الفرنسية « ارشميد » شاهدت درجات سلم منحوتة فى الرف القاري شمالى بورتو ريكو .

هل مثل هذه المكتشفات الحديثة تفيد فعلا فى العثور على قارة اطلانطس تحت سطح المحيط الأطلسى ؟ ان الحذر يقتضينا على الأقل الانتظار ريثما يتم فحصها بدقة حتى يبت فيما اذا كانت من صنع الطبيعة أم الانسان ، بل ان جزر منطقة الكاريبى نفسها يرى كثير من العلماء انها ظهرت من باطن الأرض نتيجة انفجارات بركانية وليست بقايا قارة غارقة .

والى أن يحسم العلماء هذه المسائل الخلافية دعنا نبحث عن اطلانطس فى مكان آخر بعيد تماماً عن المحيط الاطلسى هو فى رأى بعض علماء التاريخ والآثار جزيرة كريت بالتحديد .. حيث يقولون ان الحضارة الميتوية الراقية الموغلة فى القدم التى ظهرت فى تلك الجزيرة ثم اختفت فجاة ، ليست سوى حضارة اطلانطس التى تحدث عنها افلاطون .

محمد العزب موسى

(المقال التالى والأخير : اطلانطس فى بحر ايجـه) .

"ذات الهـمّة" وحّدت العرب وقـادت الجيش وهزمت الـروم

بقلم : عبـــاس خضـــر

للمراة مكانة مرموقة فى الادب الشعبى العربى ، يصورها مبرزة فى شتى المجالات فهى مرة عالمة نابغة ملمة بكل ما عرف فى عصرها من علوم ومعارف وفنون ، مثل الجارية « تودد » التى ناظرت العلماء والفقهاء والحكماء فى مجلس الخليفة هارون الرشيد ، ووجهت اليهم الأسئلة المعجزة ، فعجزوا عن الاجـــابة ، واجـابت هى بالصواب . وذلك فى حكاية من حكايات الف ليلة وليلة .

ومثل «مريم الزنارية» فى الف ليلة وليلة كذلك . وكانت بنت ملك الفرنجة ، ولعل اسمها الأصلى « مارى » ساقتها الظروف الى ديار الاسلام ، واسلمت وحسن إسلامها ، وتعلق بها فتى عربى احبها واحبته ، وكافح الحبيبان بين ديار الاسلام وبلاد الفرنجة ، ونرى مريم تصارع الفرسان وتصرعهم ، بشجاعة فائقة ، كما تحدثنا « شهر زاد » او كما تحدث الملك شهريار ، بل ان شهر زاد نفسها تعد من البطلات العظيمات ، إذ انقذت بنات مدينتها من القتل ، وبهرت شهريار والهته عن سفك دماء العذارى بحكمتها ولباقتها فى الحكى ، وصارت بعد ملهمة لكثير من الكتاب العرب والأجانب فى اعمال ادبية خالدة .

ونخص بالافاضة هنا امراة اخرى ذات سيرة عظيمة ، صورتها ابرع تصوير فى اعماقها وظاهر افعالها ، هى « ذات الهمة » التى نشات فى بادية العرب . اسمها الأصلى فاطمة ، ولدت لأمير بنى كلاب ، ودفعها الأب الذى لم يرحب بولادتها انثى .. دفعهـــا الى جـــارية لتربيها اســـمها « سعدى » .

اسيرة فى بنى طي

كان بين بنى كلاب وبنى طي دماء قديمة .

وفى غارات بين القبيلتين اخذت سعدى والطفلة فاطمة سبيتين . ونشات فاطمة بين بنى طي فى حضن سعدى ، ولم تعرف لها اما غيرها ، عند رجل من رجال القبيلة كانتا من نصيبه .

كبرت فاطمة وقوى جسمها ، وطمحت بنظرها الى الفرسان وهم يلعبون على الخيل ، ويتضاربون بالسيوف والرماح ، وجعلتْ تخلو الى نفسها فى الخلاء وتحاكيهم ، وتركب خيول مولاها ، وتتعلم الكر والفر والنزال والطراد . كانت تصيح صيحة الفرسان ، فيرتعد منها العبيد ، واذا عصى فحل من فحول الابل صاحت به فارجفته ، واذا جمح حصان تعلقت برقبته وكبحته . واعجب بها الرجال والفتيان ، وحاول بعضهم أن يغازلها فردته بشدة وصرامة ، ولبست زى الرجال حتى بدت كفتى من الفتيان ، وكانت لها مغامرات دلت على شجاعتها الفائقة ، حتى لقبوها بذات الهمة وداهية بنى طي .

قالت فاطمة لسعدى :

– يا امى ، هلا حدثتنى عن القوم الذين كنت تعيشين بينهم قبل ان تنتقلى الى بنى طي .

– نعم يا بنية ، كنا فى بنى كلاب ..

– هل بنو كلاب قوم اشداء ؟

– نعم يا بنية .

– كيف اذن تمكن منهم بنو طي ؟ .

– كانوا سادة العرب ، ودب بينهم الشقاق والنزاع على الامارة .

لما راى الرجل شجاعة ذات الهمة شجع جاريته ذات الهمة على الاغارة والسلب والنهب فاطاعته وتمادت ، واغارت على القبائل ، وساقت إبلها وخيلها .

ذات يوم خلت الى نفسها ، وتاملت حالها ، وبكت .. سالتها سعدى :

– لماذا تبكين يا حبيبتى ؟

– ويلى مما فعلت يا اماه .. لا ، لن اعود الى النهب والسلب ..

– وماذا فعلت يا بنيتى غير ما يفعل الفرسان ؟

– لا يا اماه .. هذا شان الصعاليك ، ماذا اقول لربى يوم القيامة والحساب ؟

مسحت دموعها وسكتت تفكر ، ثم قالت كانها تحدث نفسها :

– ان الفرسان الشرفاء يذهبون الى الجهاد فى سبيل الله ، فان قتلوا كانوا شهداء ، اما انا ان قتلت فى مغامرة من هذه المغامرات فساقتل فى سبيل ناقة او جمل .

اعتزلت ذات الهمة فى مضربها تصلى وتقوم الليل وتطلب من الله ان يغفر لها .

نشوة الحرية

وذات يوم قصد اليها مولاها ومعه نفر من وجوه بنى طي ، وسلموا وجلسوا صامتين . فقالت لهم :

– يا سادات بنى طي ، هل من حاجة فتقضى !

قال مولاها :

– يا بنية ، ان بيننا وبين بنى كلاب عداوات ، وفى قلوبنا منهم نيران لا تطفا ، فقد قتلوا سادتنا وابادوا ابطالنا . واليوم علمنا انهم اعدوا العدة للهجوم علينا وقتالنا ، ولا نريد ان نقعد حتى ياتوا إلى ديارنا .

– وماذا تبغون منى ؟

– انت « داهية بنى طي » كما يلقبك العرب ، وقد صرت اليوم من ابطالنا وحماتنا .

– داهية بنى طي ما هى الا امة من إماء بنى طي ، وكيف تكون الأمة من الحماة ؟

ساد سكوت قطعه مولاها بقوله :

– اشـــهدكم علي يـــا بنى عمى ان فاطمة قد اصبحت منذ اليوم حرة !

شعرت ذات الهمة بالفرحة التى هزت

"ذات الهمة" وحدت العرب وقادت الجيش وهزمت الروم

كيانها وبعثت فى نفسها نشوة الحرية التى نزعت من قلبها شوكة كانت تخزها وتؤرقها .. قالت :

– اما والله لو ملكت الكواكب ما اعد نفسى قد ملكت شيئا اعز مما ملكت اليوم .. يا بنى طى ، انى لكم ناصرة ، والى اعد اكم سائرة ..

أسرت أباها

اقبل بنو كلاب وعلى راسهم اميرهم مظلوم الذى هو فى الحقيقة ابوها .. طلبت مقاتلته فبرز لها وحمل عليها ، واشتبك الاثنان فى قتال ، ولكن « الأب » احس بالشفقة نحوها ففترت عزيمته ، فهجمت عليه وامسكت بيديه ، فوقع منه السيف ، فاخذته اسيراً . واستمرت المعركة وذات الهمة تصول فيها وتجول ، حتى انهزم بنو كلاب ورجعوا الى ديارهم .

حينما اسرت ذات الهمة « مظلوما » لم تكن تعلم انه ابوها ، ولكن سعدى لما راته عرفته ، فافضت الى ذات الهمة بذلك ، والتقى الأب وابنته فى سرور بالغ . ورحل الثلاثة الى ديار بنى كلاب حيث فرح الجميع بعودة ذات الهمة .

وأراد عمها ان يخطبها لابنه ، فعرض عليها ابوها الامر ، فقالت :

– اقسم بالله لو واجهنى كسرى صاحب الايوان بهذا الكلام لكان سيفى اقرب الى هامته من جوابى .. والله يا ابت مالى حاجة الى بعل ، وما اريد عشيراً غير سيفى ولن يكون خدرى الا جوادى ، ولن تتكحل عيناى بسوى الغبار فى المضمار ، ولئن راجعتنى فى هذا الامر لارحلن عن هذه الديار واقيمن فى القفار .

– يا بنية لك ما تشائين ، وانا لا احب الا ما تحبين ، ولا اكره الا ما تكرهين .

علم الخليفة المنصور بامر ذات الهمة ، وكانت جيوش الروم اغارت على الحدود الاسلامية ، فبعث الى بنى كلاب كى يتهيئوا لحرب الأعداء .

الاتحاد والحرب

دقت الطبول فى البادية ، ونودى فى احياء العرب بالسير الى العراق تلبية لدعوة أمير المؤمنين الى الجهاد . وتجمع نحو خمسة آلاف فارس ، قادتهم ذات الهمة الى بغداد . واستقبلهم هناك كبار رجال الدولة . وضربت لهم المضارب كى ينزلوا بها .

ولما استقبلهم المنصور ، ورحب بذات الهمة قالت له :

– يا امير المؤمنين نحن عرب البادية قد جرى الأمر فيما بيننا على الغارات والنهب والسلب والقتال من اجل المراعى والجمال . والآن قد اتحدت القبائل ، وعولت على ترك تلك العادات ، وعزمت على توجيه السيوف الى اعداء العرب والمسلمين ، وصد جيوش الروم عن بلاد الاسلام وهزم ابطالهم وفتح بلادهم .

– احسنت القول ايها الفارسة الشجاعة هلا زدتينا من حديثك العذب .

– نشات يا امير المؤمنين على عادة البدو فى السلب والنهب والقتل والقتال لاتفه الأسباب ، ولكنى تاملت فى ذلك فوجدتها اموراً سيئة ، وكيف نعود الى عادات الجاهلية وقد اكرمنا الله بالاسلام ؟ وارى ان الاتجاه الصحيح هو تاييد الدولة الاسلامية والدفاع عن بلاد الاسلام .

سار الجيش العربى بقيادة ذات الهمة الى الحدود ، حيث التقى وجيش الروم ، اشتبك الفريقان ، والتحم الفرسان ، وعمل سيف العرب فى الروم عمل النار فى الحطب ودارت عدة معارك كانت الحرب فيها سجالا ، ثم انتصر الجيش العربى ، ورد جيوش الروم على اعقابهم خاسرين ، وغنم العرب كثيراً من الأموال والعتاد .

ومن طريف ما يذكر ما حدث فى خلال تلك المعارك ان ذات الهمة غلبت على امرها فى واقعة بسبب خيانة بضعة افراد من جيشها ، فتوقفت عن القتال ، وجعلت تدعو الله وتقول :

– يا من ياتى بالفرج بعد الشدة ، اجعل من امرنا رشدا ، ومن ضيقنا فرجا ، انك انت المأمول وانت المرتجى يارب العالمين .

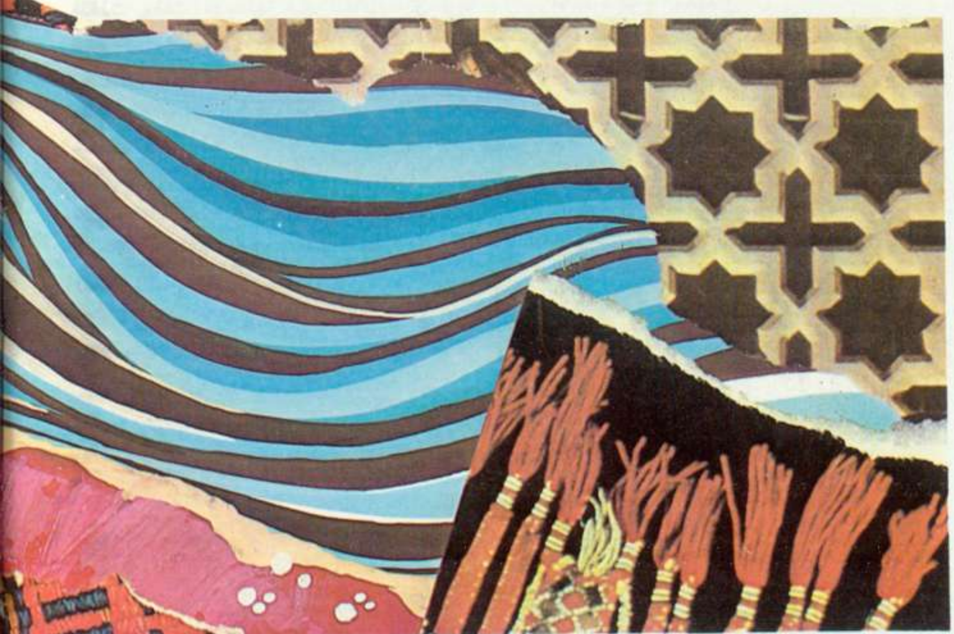
يانس المتعرب

وما فرغت من دعائها حتى رات غباراً يرتفع من ناحية القسطنطينية . ثم ينحسر عن فرسان من الروم يقودهم بطريق يرفع علماً رسم عليه الصليب ، وهمت تستعد للقائه هى ومن معها ، ولكنها سمعته ينادى :

– يا حملة القران وعباد الرحمن ، ابشروا من الله بالجنة والغفران .. واورونا من هى فيكم الأميرة المجاهدة ، الراكعة الساجدة .. ؟

فتقدمت إليه على حذر وقالت :

– أنا التى تطلبها ايها البطريق ، ومن انت ؟



– اعلمى ايتها الأميرة اننى ابن بنت الملك لاوون (ملك الروم) واسمى « يانس المتعرب » انظرى هناك عند الأفق ترى قلعة قائمة فى آخر الدرب ، هى قلعتي ، اعطاها لى جدى ، وهؤلاء خمسمائة فارس تحت إمرتى .. وسبب مجيئى اليكم عجيب ، فقد كنت البارحة نائماً فى الحصن ، فرايت فى المنام كان على الحصن رجلا قائماً يؤذن اذان المسلمين ، ولما فرغ من الآذان نادى :

– يا اهل هذه الديار ، انتبهوا واسمعوا اركبوا غدا لنجدة من هزت الليل بدعائها ، وبكت السماء لبكائها وانصروها على اعدائها .

قالت ذات الهمة :

– الحمد لله الذى استجاب دعائى وساقكم الينا ، ولكن قل لى ايها البطريق لماذا سميت « المتعرب » ؟ هل تحب العرب ؟

– نعم ، لقد اختلطت بالعرب الذين جاءوا الى ديارنا ، وتعلمت منهم اللغة العربية ، واعجبت بفضائلهم ، واخذت عنهم كثيراً من العلوم والمعارف ، وتاثرت بعاداتهم واخلاقهم ، ولهذا سمونى « يانس المتعرب » .

– هل لى ان اسالك سؤالا آخر ؟

– سلى ما شئت يا سيدتى .

– وما الذى اثر فيك من عادات العرب واخلاقهم غير النجدة والمروءة اللتين رايناهما منك اليوم ؟

– عفوا يا سيدتى ، لم افعل غير الواجب ، ولا ادعى انى صاحب نجدة او مروءة .

– صنيعك معنا يدل على ذلك .

سكت يانس قليلا ثم قال :

– يعجبنى من العرب تفاؤلهم واخذهم من الحياة ما تعطيه دون ياس أو إعراض ، وقد كنت زاهداً عازفاً عن الزواج ، ونويت الرهبانية ، ولكن تاثرى بالعرب غيرني .. إن الزواج لابد منه .. عرفت ان نبيكم يحث عليه .

« الزواج لابد منه والنبى يحث عليه » صلى الله عليه وسلم .

اثارت هذه الكلمات فى نفس ذات الهمة افكاراً ومشاعر .. وجعلتها تواجه حقيقة واقعها ، وتساءلت فيما بينها وبين نفسها . حقاً لماذا رفضت الزواج ونفرت من الزوج ؟ لذلك قصة شرحها يطول ، وموعدنا معها فى عدد قادم ان شاء الله .

عباس خضر



حوار مع الشاعر سليمان الفليح :

أكتب قصائدي لمن يطهّرونها بالدّمع

أجرى الحوار : محمد يوسف

الشاعر الكويتى « سليمان الفليح » احد الأصوات الشعرية الجديدة الملفتة للنظر فى الحركة الشعرية العربية الجديدة ، وهو شاعر حاد عنيف ، قصائده أشبه بسيوف الفرسان الذين لا يرون امامهم لمواجهة الدنيا إلا ان يحرصوا على الموت لتوهب لهم الحياة ، قلب « سليمان الفليح » ملىء بالهموم العربية ، هما فوق هم ، ووجهه ملىء بالبراءة والطيبة والحزم فى قول الحق ، والكشف عن اى قناع زائف . وقد أصدر الفليح حتى الآن ديوانين :

– الغناء فى صحراء الألم « ١٩٧٩ » .

– أحزان البدو الرحل « ١٩٨١ » .

وفى هذا الحوار السريع يتحدث الشاعر « الفليح » عن فهمه للشعر ، وعن المدرسة التى ينتمى إليها ، ورأيه فى عدد من الشعراء العرب البارزين ، وعدة قضايا اخرى .

وفى هذا الحوار – على إيجازه – يكشف الشاعر عن روحه ، وموقفه ، ونظرته إلى الفن والحياة .. ونرجو أن نقدم للشاعر فى أعداد قادمة من الدوحة بعض نماذج من شعره الحى .

● فى تصورك الخاص .. ما هو الشعر ؟ وما هى ماهيته ؟ .

– حدائق جحيمية لا تزهر إلا الشرار الذى يتبعثر عاليا عندما تندلع رياح الابداع ليشعل السحائب البليدة التى تهادن الظلام .. انه نهر اشعة يمد الشمس – إزاء محاولات إخمادها – بالضياء .. وهو اخيراً ، دوي الفجيعة عبر السكوت المقيت

● كيف تكتب القصيدة ؟

هل تستدعي ذاكرتك التاريخية اثناء كتابتها ؟

– تماما .. كما لا استدعى القصيدة فانني لا استدعي الذاكرة – لا افقيـا ولا رأسياً – .. الا انهما – غالبا – ما تاتيان معاً .

لست أدري ، حتى اللحظة ، كيف تتفقان على هذا الموعد ، ولست ادري كذلك كيف تنسقان مداهمتهما الغامضة الى تحجرات النفس لتحيا من جديد .

● لمن تكتب القصيدة ؟

– لاولئك الذين يطهرونها – دائما – بالدمع وهم مازالوا يجهلون هذا الفضل العظيم .

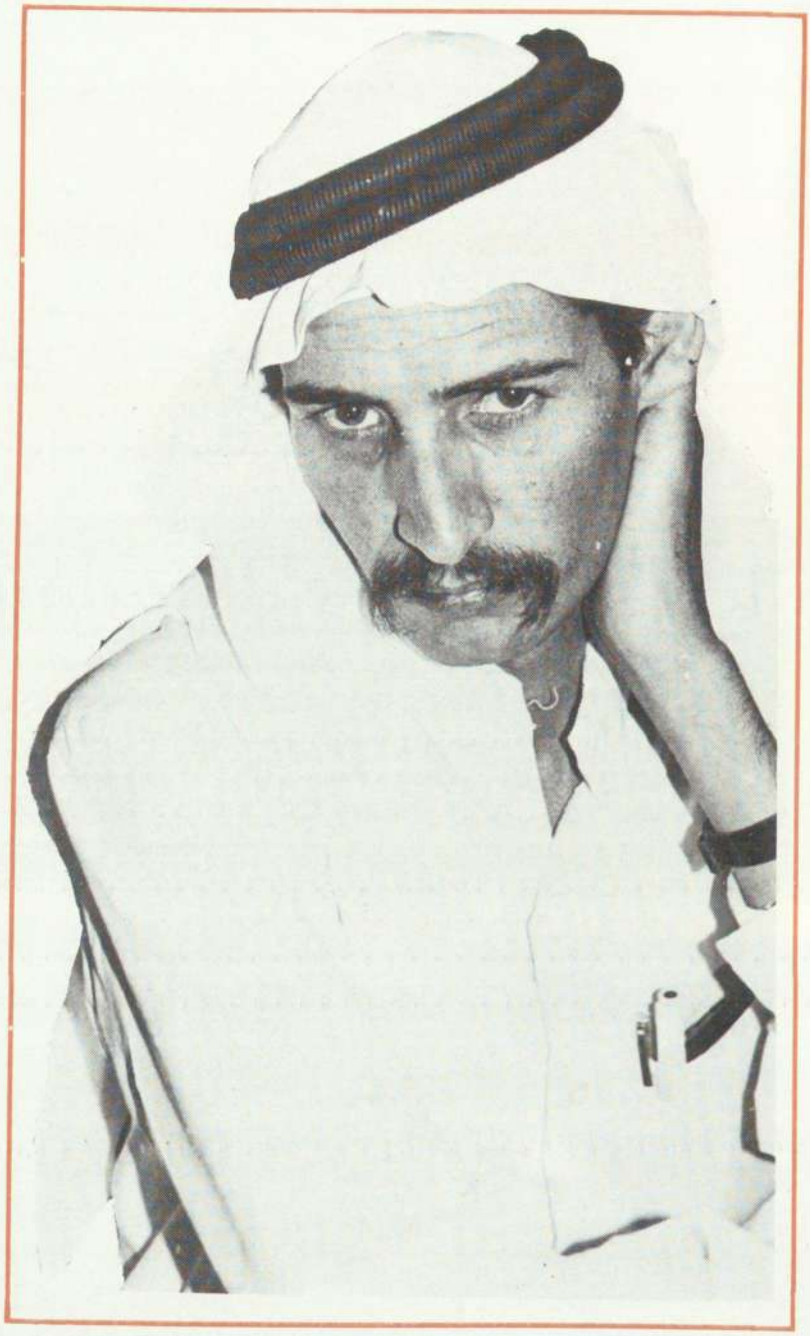
صحيح انها ضيائي الوحيد ولكنها تستمد شرارتها الأولى من بريق تلك الاعين التى تشع فى ليل الحياة .. اما كونها – كما تود ان تستفز – تلمساً للطريق الشائك فانني اقول لك اننى ولدت فى ظل احدى شجيرات الصحراء .. وهناك صبوت على منعرجاتها الصعبة .. ونهضت اخيراً مواصلا مسيرتى ..

الشعر .. والدم ..

● الشهرة فى مدينة الشعر .. تخضع للمقياس التجارى .. مارايك .. ؟

– ان كل شاعر يصدر اشعاره بموجب هذه القناعة ما هو – برايي – إلا غلافا يحوي بضاعة محدودة الصلاحية .. تماما كما هو شان المعلبات التى تختم عـادة بتواريخ نهاية استعمالها .. !!

صحيح انها تكون بضاعة هائلة الترويج بفضل تلاعب التجار وجهل المستهلك



الشاعر الكويتى سليمان الفليح .. ولد فى ظل احدى شجيرات الصحراء .. وعاش عصر الهموم العربية !

وصفاقة الاعلان الذى يصاحب طرحها فى السوق .

الشعر الحقيقى ـ كالدم ـ لا يخضع للعملية التجارية .. الصالح منه يستثمر ، والفاسد يفصد .. فما بالك بالدم المعلب المحدود الصلاحية والاستعمال .. ؟؟! .

● فى قصائدك .. ترشح تنويعات للحن الاغتراب والتوجع الوجودى .. كيف تفسر هذه السمة الشعرية لديك .. ؟

ـ دعنى استرجع لك ـ للاجابة على هذا السؤال صورة عشتها ايام طفولتى .. كانت امى الفقيرة تجرش حبات القمح برحى حجرية ضخمة ، وكانت تقفز من اشداق الرحى بعض حبات القمح هاربة من السحق .. وكنت التقط تلك الحبات وابذرها بالقرب من قربة الماء لكي تنمو . كان تصوري آنذاك يهجس داخلي قائلا : إنك لكى تجعل هذه الحبة تطعم مزيداً من الافواه فازرعها لكى تصبح سنبلة وتمنحنا مزيداً من القمح .. هذه الحبة الهاربة تشبه حال الشاعر إزاء المؤسسات الاجتماعية التى تسحق كل شيء .. ان هروب حبة القمح من فك الرحى ينطوي على اغترابها ، وتحولها إلى سنبلة هو عطاؤها ، وعطاؤها هو الذى ينقذ مزيداً من الجياع .

ليس فى الأمر ورطة .

● جماهيرية الشعر .. والشعر الجماهيرى .. هل هما مصيدة للانقضاض على (حرية) الشاعر وضغط (رؤيته الشعرية) فى قالب صارم ؟

ـ لا اعتقد بان هنالك مصيدة جاهزة سلفا لايقاع الشاعر فى قالب صارم .. لكن الشاعر الذى يحمل احزان وافراح الجماهير .. آمالها وانتصاراتها .. هزائمها وانتكاساتها هو الذى يضع نفسه ، تطوعاً فى هذه الدائرة التى تضيق كلما اقترب منها او اقتربت منه ، وتتسع حتى تصبح خلاء موحشا كلما بعد عنها او ابتعدت عنه .. لذا فانها ولاشك تحصر رؤيته الشعرية .. لكنها لا تحد من فعاليتها .

إذن .. ليس فى الأمر ورطة .. مادمت تؤمن ، كشاعر ، بانك جئت لانقاذ الجماهير من ورطاتها السياسية والتاريخية والاجتماعية .

● ضع عبارة مكثفة ذات دلالة .. امام كل صوت من هذه الأصوات الشعرية .

● ادونيس ؟

ـ صخرة فسفورية فى شعاب الجبال ، يتمنى سكان السهول معرفة سر توهجها .

● نزار قبانى ؟

ـ جبل ذو ازهار اصطناعية رائعة الألوان ..

● احمد عبد المعطى حجازي ؟

ـ نسر نبيل اعياه التجوال فحط على قمته الرؤوم .

● عبد الوهاب البياتي ؟

ـ محارب باسل يستغل نتائج هزائمه وانتصاراته .

● سعدي يوسف ؟

ـ جبهة مغمومة ، عالية تتلقى المطر والأنواء ، ولما تباغتها الشمس تبدو ـ دائما ـ انصع .

● محمود درويش ؟

ـ شجرة زيتون نزقة مضطربة الظل .

● خليفة الوقيان ؟

ـ طائر جارح .

● يعقوب السبيعي ؟

ـ ناظم غزليات رقيق .

● محمد عفيفى مطر ؟

ـ شاعر اقدره كثيراً ولو ان علاقتي بقصائده لم تتعمق جيداً .

● ممدوح عدوان ؟

ـ نموذج فذ لعنفواننا المتمرد المقموع .. والعابث ايضاً .

● علي الجندي ؟

ـ احد بوابات دمشق الشامخة التى لا يدخل منها الا العشاق الساخطون .

● محمد الفيتوري ؟

ـ ابنوسة تغير أوراقها فى الصحراء .

رحلة إلى استانبول

اسمها الأصلي إسلام بول : مدينة الإسلام

إحدى أجمل المدن في الدنيا .. وتاريخها يفيض بالصفحات المشرقة في مواجهة أعداء المسلمين

بقلم : نبيل خالد الأغا

اعترف بداية باننى متجاوب .. بل منحاز وبزاوية حادة الى عظمة الحضارة الاسلامية والى جمال وروعة الطبيعة فى تركيا ، وبشكل خاص الى القسطنطينية عاصمة دولة الخلافة العثمانية ، والتى فتحها القائد الاسلامى الفذ محمد الفاتح بعد انتصاره المظفر على الامبراطورية البيزنطية منذ ٥٣١ عاما ، واسماها اسلام - بول اى بلد الاسلام .. او استانبول كما يطلق عليها اليوم .

كما ان تركيا ليست غريبة عن عالمنا الاسلامى العزيز ، فتسعة وتسعون بالمائة من تعداد الشعب التركى - الذى يزيد عن خمسة واربعين مليون نسمة - يعتنقون الاسلام . وكانت تركيا لفترة طويلة من الزمن مركزاً للخلافة ترنو اليه ابصار وافئدة كل المسلمين فى العالم .

ولكن .. ما هى قصة هذا الانحياز الصريح ؟





مجموعة من اللقطات : الميناء الرئيسي الذى تنطلق منه بواخر الركاب متجهة من استانبول الى مجموعة الجزر التركية البديعة ، ويسمى ميناء « سيركجي » .. وفى اللقطة الثانية نرى فرقة الفنون الشعبية التركية بملابسها الزاهية وهى تؤدى احدى رقصاتها .. واللقطة الثالثة للحدائق الغناء المنتشرة فى جزيرة « ترمال » ، التى يستطيع المرء الوصول اليها بالباخرة فى رحلة تستغرق ساعة ونصف الساعة .





اسمها الأصلي إسلام بول: مدينة الإسلام

منذ فترة طويلة وانا متلهف لزيارة هذه الديار الغالية التى قرات عنها كثيراً فى مرحلة متقدمة من عمرى الدراسي ، وتحاورت عنها طويلا مع مؤيدين لدور دولة الخلافة العثمانيـــــة التى اضطلعت بمسئولية الحكم لأكثر من ستة قرون متواصلة ، ومع معارضين لهذا الدور الذى عطل - حسب زعمهم - مسيرة الامة العربية نحو النمو والتقدم والحرية !

وفى الآونة الأخيرة اراد الله سبحانه وتعالى لهذه الرغبة ان تتحقق وتتجسد .

وعندما علم احد الاصدقاء برغبتي فى زيارة تركيا قال لي : اذا كان لابد من هذه الزيارة ، فاننى انصحك بان تضع على راسك قبعة اوربية ، ولا تشعرن احداً هناك بانك عربى ، فالاتراك يكرهون العـــرب (هكذا !) ولا يطيقون رؤيتهم ، وقد يؤذونهم لأنهم لا يضمرون لنا وداً ولا حبا !!

وبرغم انني لم آخذ كلام ذلك الصديق ماخذ الصدق المطلق ، الا انني اشتريت قبعة بالفعل ، وحملتهـــا معى بصورة احترازية ليس الا !!

وحينما علم سكرتير السفارة التركية فى الدوحة بانني اعمل فى الحقل الصحفي منحنى تاشيرة الزيارة مجانا ، وتمنى لى جولة طيبة ، ورحلة ممتعة ، فكانت تلك البادرة الدافئة اول سهم تركي موجه لاسقاط « نصيحة » ذلك الصديق !

••

غادرت مطار الدوحة الدولى متوجها الى دبي ، ومنها ركبت طائرة « الجامبـــو » الضخمة الى استانبول .. وخلال الرحلة التى استغرقت حوالى اربع ساعات اخذت انبش عما اختزنته الذاكرة من معلومات عن دولة الخلافة العثمانية التى لعبت فى تاريخ الاسلام دوراً رياديا بارزاً ياتي فى المرتبة الثانية بعد الدور العربى الأول بطبيعة الحال .

ولقد اخذ اغلب سلاطين آل عثمان على عواتقهم مسئولية نشر الاسلام وتعميمه على كل بقاع الأرض منذ ان اسس القائد الاسلامى الزاهد عثمان بن ارطغرل اركان الدولة العثمانية عام ١٣٠٠ م . وحتى تاريخ انهائها - بتحريض من اعداء الاسلام - عام ١٩٢٣ م على يد مصطفى كمال اتاتورك .

لقد كان اخواننا الاتراك - بحق - سيوفا مشهرة فى وجوه اعداء الاسلام ، ورفعوا رايته السمحة على كثير من الدول المجاورة لهم كبلغاريا ويوغسلافيا ، والنمسا .. لقد كانوا هناك ذات فترة سواعد قوية تحمي بوابة التاريخ ، ولقد كانوا هنا ايضا فى ديارنا العربية ممثلين للخلافة بعد رحيل بني امية ، وبني العباس ، وبني المماليك اذا جاز التعبير !

وبالرغم مما ياخذه البعض من ماخذ غير ايجابية عليهم فهناك الكثير من الزوايا المضيئة التى تحتسب لهم والتى لا يمكننا انكارها او التقليل من قيمتها ، ولعل اعادة تحقيق الوحدة الاسلامية - برغم بعض سلبياتها - تاتي فى مقدمة هذه الاضاءات ، خاصة وانها اتت بعد فترة تمزق وتكلس شملت كافة انحاء المنطقة ، وهى قريبة الشبه بما نعانيه اليوم من تشتت وتمزق وضياع . وعلى الذين يهاجمون تلك الوحدة ان يتذكروا باننا - حتى كتابة هذا التحقيق - قد فشلنا فى الاتيان بمثل تلك الوحدة او محاكاتها سواء على المستوى الديني او القومى او كلاهما معا !!

وهناك زاوية مضيئة اخرى تحتل مكانة مرموقة فى نفوسنا ، واعنى بها حرص الاتراك العثمانيين وعدم تفريطهم بولاية فلسطين او مجرد تسهيل الهجرة اليهودية اليها ، على الرغم من الأموال الطائلة التى عرضها هيرتسل على السلطان عبد الحميد والتى كان الاخير بامس الحاجة اليها ، ولم يجد الصهيونى الضليع بدا من ان يعترف فى مذكراته بانه جوبه برفض قاطع من الخليفة العثمانى .

وعندما ايقن اليهود ان لا امل لهم فى استجابة السلطان لمطالبهم قررت حكومتهم السرية القضاء على الخلافة العثمانيـــة بمساعدة بني جلدتهم من يهود الدونمـــة الموجودين في تركيا ، واليهود الموجودين في فلسطين .

بين الماضى والحاضر

وبينما كنت محلقا بجسدى وفكرى فى الفضاء والتاريخ معا على ارتفاع يزيد على ثلاثين الف قدم اذ بالمضيفة تعلن عن قرب وصولنا الى مطار (يشـــــل كوي) فى استانبول الغربية ، وعلينا ربط الاحزمة ، والامتناع عن التدخين .. وليس عن التفكير !

وبعد وقت قصير انهيت اجراءات الدخول بيسر وسهولة . ووجدتني بعد ذلك اقف امام مصرف تركى املا يدى بآلاف الليرات التركية (مائة دولار تساوى حوالى ١٧٫٥٠٠ ليرة) .

وبما انني اجهل اسماء الفنادق فقد اختار لي موظف مختص فندقا ما بمنطقة « اكسراي » التى تتكاثر فيها اعــــداد السائحين العرب ، وبعد ان دفعت له اجرة « التاكسى » مقدما كلف احد السائقين بتوصيلى .

واحببت أن اتحادث مع السائق التركى الشاب ، فحققت بعض النجاح ، شيء من الانجليزية على شيء من العربية ، مضافا الى مزيج من اشارات اليدين وحركات الراس والحواجب جعلنا اكثر تفهمـــا لما نريد .

الانطباع الأول الذي يستنبطه المرء ، ويستقر في بؤره الوجدان عند رؤية استانبول لأول وهلة هو ان هذه المدينة لها تاريخ عريق ، وحضارة عظيمة ، يتآلف ماضيها مع حاضرها ويؤلفان معا شيئا قيما ملفتا للنظر بكل المقاييس .

هانذا اتجول بمفردي في القسطنطينية

سالت اول ما سالت عن مسجد السلطان احمد ، على البعد رايت مآذنه وقبابه ، كلما اقتربت منه ازددت افتتانا به ، وعندما دخلته ادهشني كل ما به ، بَسْمَلْتُ ، وحَمْدَلتُ ، وحَوْقلتُ ، وكَبَّرتُ وصَلَّيتُ ركعتين تحية له ، مئات السائحين امثالي ترتسم علائم الدهشة والاعجاب على قسمات وجوههم ، يتاملون ، ويتهامسون ، ويلتقطون صوراً تذكارية ، التاريخ منحه ايضا اسم « الجامع الأزرق » لأن جميع ارضياته واعمدته وقبابه من السيراميك الأزرق ، وهو بلاشك من اكبر واضخم المساجد في العالم قاطبة .

ووسط هذا الجو الروحاني المضمخ باريج الاسلام والايمان هاجت مراجـــــل الذكريات فى خاطرى ووجداني ، وبرزت امامي صورة المسجد الاقصى المبارك ، وما يقاسيه من ويلات الأسر ، ومخاطر التهويد ، وكل المحن التى يعايشها اهلي

واحبتي فى وطنى الفلسطيني المحتل ، واداحت من كبدي على خدى قطرات حرى من الاسى والألم ، وانطلقت من قلبى على شفتي موجات من العبرات والآهات،ولسان حالي يقول : لك الله يا ارض الاسراء ، الله وحده لك وليس من احد سواه .

وحرصت ايضاً على زيارة مسجد « ايا صوفيا » الذى كان فى السابق احد اضخم الكنائس فى العالم ، ولكن المسلمين حولوه الى مسجد بعد الفتح الاسلامى مباشرة ، واضافوا اليه علامات اسلامية مميزة ، وترى فى داخله النقوش العربية الاسلامية وفن الزخرفة ، والخط العربى ..

ولقد سعدت ذات يوم باداء صلاة الجمعة فى احد المساجد الكبيرة ، وفوجئت بالإمام يخطب الخطبة الأولى بلغة عربية سليمة مائة بالمائة ، وشعرت برعشة من السعادة تسرى فى كل جارحة من جوارحى ولقد عالج فيها موضوع « التراحم بين المسلمين » معالجة موضوعية ممتازة .. ولكن تبقى مسالة التطبيق العملي لهذا التراحم بحاجة الى تلاحم المسلمين .. كل المسلمين .. شعوباً وقادة !

اما الخطبة الثانية فكانت باللغة التركية .. وقد اثار انتباهى تدني نسبة الشباب من المصلين الاتراك ، ليس هذا فحسب ، بل هناك الكثير من المساجد المغلقة ، او التى يقتصر ارتيادها على السائحين ، وهواة الرسم والآثار !! انه لأمر محزن حقا !



ساعة نادرة يرجع تاريخها لأكثر من ستة قرون ، وهى من مقتنيات متحف « توب كابي » .

معلومات عامة

قبل ان اتجول مع كرام القراء بين ردهات قصر « توب كابي » ساوجز بعض المعلومات عن جغرافية تركيا ، فمن المعلوم لدى الاختصاصيين ان الجمهورية التركية تتالف من اراض شاسعة تمتد عبر قارتي اسيا واوربا ، وكانت على الدوام مصدراً للتبادل الثقافي بين الأمم ، وبامكان المرء ان يرى العديد من اثار الحضارات التى ازدهرت فى هذه المنطقة .

تبلغ مساحة تركيا حوالى ٨١٤ر٠٠٠ كيلومتر مربع ، يشكل الجزء الأعظم من هذه المساحة (٩٧ بالمائة) شبه جزيرة يطلق عليها اسم الاناضول ، اما الباقى (٣ بالمائة) فيطلق عليه اسم تراقيا.يجاور تركيا من الشرق : الاتحاد السوفيتي وايران ومن الجنوب : سوريا والعراق ، ومن الغرب اليونان وبلغاريا .

يقع الجزء الأعظم من تركيا فى الجانب الغربى من آسيا ، بينما يقع الجزء البسيط الآخر فى قارة اوربا ، والفاصل المـــائي بين القارتين هو مضيق الدردنيل . وبحر مرمرة ، ومضيق البسفور .

اما مدينة استانبول الساحرة فانها تتربع بدلال وكبرياء على القارتين معاً . وفي الوقت الذى يقترب فيه عدد سكانها من خمسة ملايين نسمة . فان عدد سكان انقرة العاصمة لا يزيد عن ثلاثة ملايين نسمة ، ثم تاتي ازمير فى المرتبة الثالثة من حيث عدد السكان ، ثم « اضنا » وتاتي فى المرتبة الرابعة .

ويعد جبل « اغري » اعلى الجبال فى تركيا ، اذ يبلغ ارتفاعه ٥١٩٥ متراً ، وحسب اقوال بعض الرواة فان سفينة نوح عليه السلام اكتشفت فى هذا الجبل ، فلا عجب اذن ان يرى المرء مجموعات متعددة من العلماء والخبراء الأجانب تجوب هذه المنطقة بين فينة واخرى لاجراء الابحاث والدراسات .

وبشكل عام فإن تركيا تتمتع بمناظر جد خلابة ، وبطبيعة جد رائعة وتكثر فيها الانهار التى يزيد عددها عن اربعة عشر نهراً حيث تؤثر ايجابا على اعتدال المناخ فيها .

وبينما يكون الجو معتدلا خلال اشهر الصيف يصادف ان تهطل على البلاد دفعات كثيفة من الامطار ، ولكن سرعان ما تنقشع الغيوم العابرة وتعود الشمس لاشراقتها فى ابهى حلة نورانية اخاذة . وسبحان المبدع الأعظم .

● ●

عرجت على « سراي توب كابي » وهو من اشهر متاحف تركيا ومن اجمل القصور فى العالم،وقد كان فى الأصل المركز الاداري للامبراطورية العثمانية ، والمكان الذى فضله السلاطين لقضاء اوقات فراغهم ، وقد اختير موقعه بعناية وذوق فائقين ، ويضم حاليا بعضا من آثار رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم ، ومن هذه الآثار ـ حسبما يقال ـ خاتمه ، ورسالته الى المقوقس ، وخصلة من شعره ، وسنا من اسنانه ، وبردته الكريمة ، وغير ذلك من آثار تنسب اليه . والله اعلم . كما يضم القصر كذلك سيوفاً ودروعاً منسوبة الى الخلفاء الراشدين ، وبعض الصحابة رضوان اللهم عليهم جميعا . وكذلك عدداً من مفاتيح واقفال الكعبة المشرفة ، ومصحف عثمان رضي الله عنه ، كما يشمل بعض المخطوطات الأثرية والفرمانات السلطانية ، واردية واسلحة وصوراً ورسوما لجميع السلاطين والقادة العثمانيين الكبار .

وبمناسبة ذكر المخطوطات الأثرية ففى تركيا اعداد هائلة من هذه المخطوطات الاسلامية العربية النادرة ، وانني اناشد كافة وزارات الاعلام والثقافة والتعليم وجامعة الدول العربية أن يهتموا بهذه الثروة الانسانية اهتماما يتناسب مع قيمتها ، ويتعاونوا مع السلطات المسئولة فى تركيا لتصويرها ومن ثم نشرها وتعميمها للاســتفادة منها ، فهـل من مجيب ؟ !

الحياة فى المدينة

يتم الانتقال من الضفة الاسيوية فى استانبول الى الضفة الاوربية منها او بالعكس بالمرور فوق مضيق البسفور عبر اضخم رابع جسر فى العالم والذى شيد عام ١٩٧٢ ، ويبلغ طوله الف متر وارتفاعه ستين متراً ، ولا تسنده اية اعمدة او قواعد وهذا مما يساعد على حرية مرور الســفن الحربية والتجارية القادمة بصورة رئيسية من الاتحاد السوفيتي عبر البحر الأسود الى بحر مرمرة ، ومن ثم الى بحر ايجه فالابيض المتوسط او بالعكس .



تشتهر مدينة استانبول بمساجدها التاريخية و ترتفع في سمائها اكثر من الف مئذنة تؤكد انها مازالت درة ثمينة متلالئة في جبين الحضارة الاسلامية .. وفى اللقطة يظهر مسجد السلطان احمد الذى يعتبر من اشهر مساجد المدينة .







بعض المقتنيات الاسلامية فى متحف « توب كابي » الذى يعتبر من اجمل متاحف العالم ويضم بعض المخطوطات الاسلامية النادرة

وتكتظ المياه التركية حول استانبول بمئات القوارب والزوارق والصنادل والسفن الغادية والرائحة والراسية ، ويوجد العـديد من بواخر الركاب التى تتحرك لنقل الركاب بين جزئي استانبول بمعدل مرة واحدة كل ربع ساعة ، ولا تزيد اجرة الانتقال عن نصف ريال قطري،انها ارخص اجرة يدفعها المرء للانتقال السريع بين قارتين !!

واذا اراد الانسان ان ينتقل الى اوربا بواسطة القطار فيمكنه الانطلاق من محطة « سيركجي » حيث تكون العاصـمة البلغارية (صوفيا) اول عاصمة اوربية يصلها ، ومنها بامكانه ان يواصل مسيرته الى يوغسلافيا وهنغارية .. الخ ويمكنه ايضاً الذهاب الى تلك العواصم وغيرها بواسطة السيارات والحافلات والبواخر باسعار زهيدة .

وفى الامكان زيارة المدن التركية الاخرى مثل انقره وازمير واضنا وغيرها وكذلك الى حلب وبغداد عن طريق القطار او الحافلة انطلاقاً من « سيركجي » فى الجانب الآسيوي .

وتكثر فى استانبول مكاتب السياحة التى تهتم بتنظيم رحلات جماعية الى كثير من العواصم العالمية باسعار مناسبة .

ويوجد فى الجزء القديم من المدينة سوق ضخم يدعى بالتركية – كما العربيـة – « بازار عظيم » ، وهو مبني على الطراز الاسلامى القديم حيث شوارعه مسقوفه ، وابوابه كثيرة تبلغ ٧٨ بابا ، ويضم اكثر من اربعة آلاف محل تجاري ، تحتوي على آلاف الانواع من المصنوعات والمنتجات التركية ومن ابرزها السجاد والجلود والنحاس والتحف والمجوهرات وغير ذلك .

والمحلات التجارية التركيـة تتميز – بشكل عام – بتنظيمها وحسن عرض محتوياتها ونظافتها ، وانخفاض الاسعار – نسبياً – فيها ، ويلاحظ ندرة عرض البضائع الاستهلاكية المستوردة والتى تتضاعف اثمانها فى حالة وجودها ، نظراً لأن الحكومة التركية تفرض ضرائب باهظة عليها ، حماية للصناعات التركية ، وتوفيراً



احد اسواق المدينة ، يتميز بدرجة عالية من النظافة والترتيب ، ويضم بعض الصناعات المحلية والشعبية التى يقبل عليها السائحون من مختلف انحاء العالم

للنقد الاجنبى من ناحية اخرى .

ويشارك التاجر التركى اخاه العربى فى حب المساومة ، لكنه لا يبخل بالمعاملة الطيبة ، والابتسامة اللطيفة .

ولقد اعجبنى فعلا ما لاحظته من ارتفاع عال فى درجة النظافة والترتيب باسواق الخضار والفواكه واللحوم فى منطقة « ترلاباشي » ، وتمنيت ان تنتقل هذه « العدوى » الى كل الأسواق فى مدائننا العربية العزيزة .

وبالنسبة للمطاعم فهى متوفرة ، واغلبها يتمتع بمستوى عال من الكفاءة والنظافة ، والمطعم التركى مشهور بذكهته المحببة فى العالم كله ، وهو شبيه بالمطعم العربى فى كثير من اصناف الماكولات وفى مقدمتها الشاورما والكباب (التكه) وقد عرفهما العرب اساسا من الاتراك .

ولا يعاني الزائر العربى المسلم من اية مشكلة طعامية ، حيث ان جميع المذبوحات هناك يتم ذبحها وفق تعاليم الشريعة الاسلامية السمحاء .

ومن ناحية اخرى معروف ان خمسين بالمائة على الأقل من اللغة التركية ماخوذ من اللغة العربية ، ويمكن ملاحظة ذلك فى اللغة الرسمية التركية ، اما لهجات العامة فقد جرى عليها بعض التحريف .. وبرغم ذلك فهناك الكثير من الاستعمالات الصحيحة . فبالاضافة الى الاسماء الدينية ، فالاتراك يستعملون كلماتنا مثل : دوام ، تمام ، سميط ، سلطة ، جزاءات ، خان ، رشوة ، محرر ، جمهورية ، هيكل ، مربع ، عظيم ، شنطه .. الخ .

السائحون العرب

ويقودنا سياق الموضوع للحديث عن السائحين العرب فى استانبول،وانني اكاد اجزم بان كل فندق فيها يكاد لا يخلو ابدآ من وجود افراد عرب ، لا يشغلون فقط فنادقها بل موتيلاتها وبانسيوناتها بمختلف درجاتها واسمائها ومواقعها اضافة الى كثير من الشقق فيها .

اسمها الأصلي إسلام بول : مدينة الإسلام

ولعل من اهم اسباب كثرة السائحين العرب وجود الروابط الدينية المشتركة التى تمتن العلاقة والـود بين الزائر والمزار وكذلك العادات والتقاليد والتراث المشترك وكلها عوامل ايجابية مشجعة ، وتشكل عوامل الطبيعة الساحرة ، وانخفاض الأسعار ، وتطور العلاقات الاقتصادية والسياسية ، وحسن معاملة الاتراك والجوار عناصر جذب وتشجيع للسائحين العرب .

ويَكَوِّن اخواننا العراقيون اكبر نسبة عددية سياحية فى تركيا ، ثم ياتي اخواننا الخليجيون والسوريون فى المرتبتين الثانية والثالثة على التوالى ، وباستطاعة المرء فى حي « اكسراي » وفى شارع «ملت» بالذات ان يرى كثيراً من العرب بصورة واضحة ، والحق انني تالمت كثيراً لمرأى البعض منهم وهم يتصرفون بغير لباقة ، ويجلسون على الأرصفة والمنحنيات ياكلون ويشربون ويتحدثون بصورة غير حضارية ، وغير اسلامية ، وغير عربية ايضا !! لكن هذه الصورة الباهتة تكاد تنعدم فى منطقة « تقسيم » التى تتوسط المدينة ، وتعد من ارقى احياء استانبول .

وقد اخبرنى احد الأخوة الاتراك بانها سميت كذلك لأن احد المهندسين الاتراك النابغين ويدعى سنان باشا قام بتنفيذ اضخم مشروع من نوعه فى عصره لتقسيم المياه وتوزيعها فى كل انحاء المدينة عبر خمسة اقنية بناها فوق قناطر خاصة .

« بورصة » .. وعظمة الله

خلال العطلة الاسبوعية فى تركيا يومي السبت والأحد يخرج الكثيرون من سكان استانبول لقضاء اجازاتهم فى عدد من الجزر الفائقة الجمال فى بحر مرمرة ، والتى تنطلق اليها ارتالهم عبر بواخر ضخمة - وباسعار زهيدة - بمعدل باخرة كل ساعتين حيث يصلون اليها بعد ساعة ونصف الساعة . وهناك يسبحون فى بحيرات الجمال الخلاب الذى ابدعته يد الخالق سبحانه وتعالى ، وبايحاء منه تعالى الى خليفته فى الأرض اضاف الانسان الى بهاء الطبيعة لمسات جمالية زادتها جمالا على جمال واشراقا على اشراق ، فتبارك الله احسن الخالقين .

ليست هذه تهويمات كاتب ، لكنها مجرد محاولة متواضعة لوصف بعض ما رايتـه ولمسته من بدائع آيات الله البينات فى : كينالي ، وبورقاص ، وهيبلي ، وبيوك اضا ، وترمال ، ويالوا ..

اما « بورصة » فتعتبر من ابهى المدائن ليس فى منطقة بحر مرمرة فحسب بل فى تركيا باسرها ، وهى مطروقة الابواب على مدار السنة ، فهى مركز لرياضة التزلج على الجليد شتاء ، ومصيف لطيف المناخ ، نقي الهواء صيفا . ومن روائعها قمة « اولو داغ » التى تعلو مسافة ١٦٥٠ متراً عن مستوى سطح البحر .

وقد وصلت الى هذه القمة بواسطة « التلفريك » خلال خمس واربعين دقيقة ، وهى رحبة وشاسعة ، تزينها الاشجار والشوارع والمحلات التجارية والفنادق الفخمة المترامية على سفوح الجبل ، والعاب الأطفال « وتلفريك » خاص بهم ، ومطاعم كثيرة متنوعة ، لعل اطرف ما فيها انك تختار قطعة اللحم التى تريدها ، وتنقلها بنفسك بعد تقطيعها وتبهيرها من قِبل احد العاملين، ثم تجلس على مائدة تختارها تحت الشجرة التى تفضلها ، وسرعان ما يُؤتى اليك بموقد الفحم الملتهب مع باقى أدوات الشواء ، ثم تتولى - على مسئوليتك الخاصة - اتخاذ باقى الاجراءات اللازمة لالتهام اكبر كمية تحتملها معدتك من اللحوم والمشروبات والفواكه والألبان التركية الشهية .

اما مدينة بورصة ذاتها فهى تزهو بعراقتها ذات السبعين مسجداً والمزينة بالمآذن الرشيقة ، وباشجار الحور والدلب التى تطوق جيدها على هيئة عقد زمردي فاتن الجمال ، وما دام الموقع بهذه الصورة البانورامية فلا تعجب اذا علمنا بان سلاطين آل عثمان قد دفنوا فى « بورصة » تيمنا بجنات عدن الموعودة فى التنزيل الحكيم !

واضافة الى هذه المزايا كلها فبورصة تشتهر ايضا بحماماتها العديدة ذات المياه المعدنية الطبيعية التى عرفت منذ ايام الفينيقيين والرومـانيين والبيزنطيين واخيراً العثمانيين .. انها انامل التاريخ تضفي رونقا رائعا الى جمال الطبيعة الساحر .. وسبحان الذى ابدع جناته فى ارضه .

العودة الى الجذور

عشرة ايام اختلستها من قافلة الزمن ، وامضيتها فى استانبول الفاتنة ، احدى الدرر الثمينة المتلالئة فى جبين الحضارة الاسلامية ، فكانت تلك الايام « طعما » شهيا التهمته فاغراني بالرغبة فى العودة ثانية اليها باذن الله .

ومما يزيد فى غبطتي ما اراه اليوم من تقارب ايجابي بناء بين العرب وتركيا ، بعد تباعد سلبي بينهما دام اكثر من ستين عاماً . وعندما رغبت تركيا - خلال السنوات الأربع الماضية - فى العودة الى جذورها الشرقية ، واسترداد انتمائها التاريخى الى دوحة الامة الاسلامية ، وجدت اكف العرب وقلوبهم مهياة لاحتضان الاخوة الاتراك ومعانقتهم ، وانعكس ذلك فى زيادة التعاون المشترك ، وزيادة نسبة الميزان التجاري والثقافي والاعلامي بين الطرفين ، ووسعت تركيا من نطاق مشاريعها واستثماراتها التنموية فى كثير من الاقطار العربية .

وقد زار الرئيس التركي « كنعان ايفرين» فى الأونة الأخيرة اكثر من عاصمة عربية ، كما زار انقرة خلال نفس الفترة اكثر من رئيس عربى .

واكد الرئيس التركى مراراً على رغبة بلاده فى تعزيز تحالفها مع الدول الاسلامية المجاورة ، ودعمه لخطة السلام العربية المنبثقة عن مؤتمر فاس نظراً لما تتضمنه من سلام عادل ودائم فى المنطقة .

هذا .. ورغم تقديرنا لهذا الدور الا اننا نطمع فى دور تركى اكثر فاعلية وديناميكية لدعم قضايانا العادلة . اننا نطمح فى دور عظيم يتناغم مع طموحاتنا وآمالنا فى الشعب التركى المسلم العزيز .

• •

الم اكن على حق - بعد هذا كله - حين قذفت بالقبعة - التى نصحنى ذلك الصديق بارتدائها - فى وسط بحر مرمرة ، وقذفت معها كل « فيروسات » التفرقة التى يحاول اعداء الاسلام زراعتها فى جسد الأمة الاسلامية الواحدة ؟!

ثم .. الست على حق حينما قررت فى مطلع هذا التحقيق باني منحاز - وبزاوية حادة جداً - الى عظمة الحضارة الاسلامية ، والى جمال وروعة الطبيعة فى تركيا ؟!

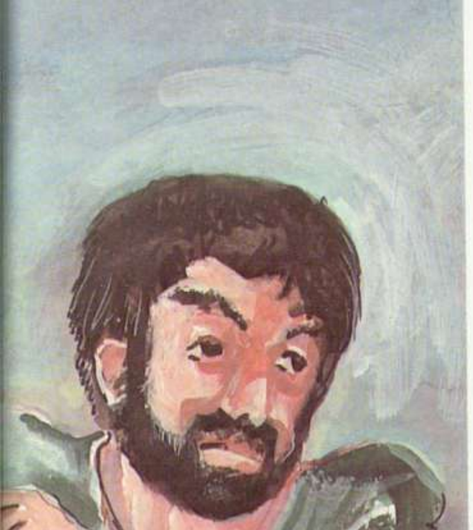
نبيل خالد الآغا

مركز التراث الشعبي
لدول الخليج العربية

يعلن مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربية ، ومقره الرئيسي الدوحة بدولة قطر ، بأنه قد أنهى جميع إجراءات التأسيس الرسمية وأصبحت له الشخصية الاعتبارية كمؤسسة إقليمية تتمتع بالصفة القانونية الدولية ، بفضل تكاتف جهود سبع دول عربية من الخليج هى : دولة الامارات العربية المتحدة ، دولة البحرين ، الجمهورية العراقية ، دولة الكويت ، المملكة العربية السعودية ، سلطنة عمان ودولة قطر . ومجال عمل المركز علمي تخصصي ، يهدف إلى دراسة أشكال ومضامين التعبير الشعبي وكل ما أنتجته الثقافة الشعبية بهذا الجزء من الوطن العربي على مر العصور ، وقد أعتمد لذلك خطة علمية يجرى تنفيذها بوسائل عديدة ، من أهمها التعاون مع كل المختصين في هذا المجال .

فالرجاء من كافة الباحثين والجامعيين والمهتمين بالتراث الشعبي في الخليج والجزيرة العربية ، من الجنسين ، الاتصال بالمركز كتابياً للتعرف ولتحديد سبل التعاون .. تعزيزاً لدور فرق العمل التي يجرى تكوينها بالدول الأعضاء لاجراء المسوحات الميدانية ، وخدمة لتراث هذه المنطقة الذي ظل لفترة طويلة نهباً للضياع والتشتت ، والله الموفق .

تليفون : ٨٦١٩٩٩
ص . ب : ٧٩٩٦
الدوحة ـ قطر



العودة إلى البيت

قصة بقلم : يوسف القعيد

● ● وقفت على باب السجن ، تنتظر دورها فى الزيارة . بدلا من ان تفكر فى زوجها الذى ستقابله بعد قليل ، والذى يوجد فى السجن منذ ثلاث سنوات ، ذهنها يفكر فيما ستقوله لابنها شريف وما ستقوله لابنتها شريفة عند العودة الى البيت .

طفل وطفلة ، حياتهما معا عبارة عن نهر من التساؤلات التى لا نهاية لها . السؤال يلد السؤال .

تحضر لزيارة زوجها كلما كان هناك موعد للزيارة ، تحضر اليه شفافة ونقية . ولكنها فى طريق العودة تترقرق الكلمات بداخلها . الكلمة وراء الاخرى . واول ما تفعله بعد الخروج من الزيارة القصيرة ، إستنشاق هواء النيل الطرى . النيل والاشجار والزهور الخضراء . تشعر ان الروائح المتداخلة ترتعش فى الهواء .

قالت لشريف وقالت لشريفة ، ان والدهما سافر الى الخارج . امطراها بالاسئلة . السؤال وراء السؤال : سافر بالطائرة ام بالباخرة ام بالسيارة ؟ وكيف مر بتجربة ركوب الطائرة ؟ الم يخف ؟ هل عبرت الطائرة فوق المحيطات الواسعة به ؟ هل نام وهو معلق فوق السحاب فى الاجواء العالية ؟ هل نام وكانت وسادته سحابة وبطانيته سحابة اخرى ؟ وملاءة السرير هى السماء الزرقاء الصافية ؟

ما اسعده ، وما اكثر غضبهما منه ، لانه راح دون ان ياخذهما معه . سيعاتبانه عند العـودة ، لا ، سيخاصمانه ، لن يضعا لسانيهما على لسانه ابداً ومهما كانت الاسباب . يعودان اليها يطلبان منها وصف رحلته بالطائرة ، متى بدات ، ليلا ام نهاراً ؟ كم استمرت ؟ هل جلس بجانب النافذة ام فى الداخل ؟ فى الجزء الامامى من الطائرة ام الخلفى ؟ طبعا منعوه من التدخين وفرضوا عليه ربط الحزام حول وسطه . تحكى لهما ، تقول لهما ، تتكلم وهى تعيش بعين الخيال حال زوجها الفعلية . تقف الكلمات فى زورها مثل قطعة العظام الكبيرة . عندما قاطعها شريف :

– من يكذب يا ماما يروح النار . .

ترى زوجها وهى تقـــول وتحكى عن الطائرة ، ملابسه الفضفاضة الواسعة المصنوعة من الكتان الخام ، القميص واسع ولونه ازرق غامق . لا يبدو ان ملابسه قد غسلت من قبل . ويبدو ان هناك من لبسها قبله . وانها عهدة . تسال نفسها : متى يحين الوقت الذى يسلم فيه هذه العهدة ؟!

قالت لهما انه يعيش الآن فى الخارج . يعمل هناك فترة من الوقت ثم يعود . وعندما يعود ، يقول شريف : سيحضر لى سيارة بحق وحقيق . وتكمل شريفة : اما عروستى فلابد وان تكون من النوع الذى يتكلم . ومع مرور الوقت يبدلان ويعدلان فى الهدايا التى ينتظرانها من والدهمـا عنـد العودة . يطلبان من امهما ان تقول له عندما تذهب اليه ، الرغبات الجديدة . ان تكلمه ولا تخشى شـيئاً . فهو يحبهما ولن يغضب ابداً من كثرة التعديل والتبديل بهذه الصورة المستمرة .

هذه المرة تعود من الزيارة وحلقها يختنق بسؤال القاه عليها . ولم تجد إجابة عليه . بعد ان راته ، وبعد الصمت والتهيب والبحث عن نقطة بدء الحديث . رفع يده من بعيد فى وجهها ، عبر السلوك الكثيرة ، طلب منها السكوت . ثم سال : من الذى اخترع الصمت ؟

حركت فمها اكثر من مرة ، ولكن الصوت لم يخرج . لم ترد عليه ، ملامح وجهها إهتزت ولكنه ابتسم – لاول مرة – وقال انه يطلب منها الاجابة فى الزيارة القادمة . وليس الآن .

احيانا ، كانت تصلها منه خطابات بين الزيارة والاخرى . كانت تخفى الخطاب . تقرؤه فى الليل وهما نائمان . وعندما يشاهدان الخطاب فى الصباح . تقول انه ارسل يطلب منها الزيارة . تسال نفسها : ماذا تفعل عندما تكبر الطفلة ، وعندما يكبر الطفل ؟ ان الاطفال لا يظلون اطفالا طوال العمر . سيعرفان القراءة والكتابة ذات يوم تسال نفسها فى فزع وهل يبقى رجلها فى السجن حتى يعرفا القراءة والكتابة ؟

فى كل مرة تعود ، تضيف الى الاكاذيب اكاذيب جديدة . مرة فكرت ، وهى فى طريق العودة ، فى شراء بعض الهدايا لهما . لكى تقول انها من الوالد ، ولكنها حسبت الحسبة فى ذهنها واكتشفت استحالة ذلك . الزيارة تكلفها الكثير ، تشترى له الاطعمة



والشاى والسكر والملابس الداخلية الخفيفة صيفاً والثقيلة شتاء . والدخان والكبريت . تدس فى يده بعض المال المتبقى معها من الشراء فى لحظة الزيارة الخاطفة . فرغم انه فى سجن ، فانه يحتاج بعض الأموال فى الداخل . وهى تحتاج اموالا اخرى تسهل لها امورها يوم الزيارة .. تعود وهى لا تعرف كيف تمر عليها باقى ايام الشهر . حتى يصلها المال مرة اخرى .

إن من يشاهدها لحظة دخولها البيت وهى عائدة من الزيارة يدرك انه امام امراة تهدمت ، تقدمت بها السنون فجاة وحفرت التجاعيد فى وجهها مرة واحدة ، وبدون مقدمات ، خطوطاً كثيرة ، مع انها لم تكمل الثلاثين من عمرها بعد .

تقف على باب بيتها ، تتذكر انها كانت مع زوجها منذ ساعات ، ومع هذا كم يبدو ذلك بعيداً . فكانه مرت عليه فترة طويلة . فكانها تقوم بفعل قامت بفعله من قبل اكثر من مرة .

على باب البيت ، لا مفر من الوقوف بعض الوقت . ليس من اجل فتح الباب . ولكن بحثاً عن الوجه الذى تقابل به طفليها لحظة دخول البيت . تبحث عن ابتسامتها فلا تجدها . تمد يدها ، تمر بها على شفتيها تحاول ان ترقق من ملامح الوجه المتعب . تعيد ترتيب خصلات شعرها من جديد . تتذكر فى وقفتها انها نسيت شعرها ، الذى كم تغزل به زوجها فى سنوات الحب البعيدة ، التى ولت ولن تعود . تقول لنفسها فى وقفتها ان بختها مائل ، حائرة بين السؤال هناك والتساؤلات هنا . وعليها ان تقدم الاجابات . يبدو وجهها مثل المنديل المبتل . سالها زوجها ، بعد سؤاله عن الذى اخترع الصمت . متى تهل السنة التى يولد فيها من جديد ؟ لم تجب على سؤاله للمرة الثانية فى زيارة واحدة . لانها لم تكن تعرف متى تاتى هذه السنة . لهم حسابات خاصة للسنوات . سنة المسجون اقل فى عدد الشهور من السنة العادية . وهناك العفو فى نصف المدة . والعفو فى الاعياد والمناسبات الوطنية . والافراج بسبب حسن السير والسلوك . فلم التحديد ؟ تخشى ان تقول الموعد كما تعرفه ، فيموت الأمل فى قلبه . وقد لا يبقى كل المدة فى السجن . حاولت ان تخلع بعض الكلمات من فمها بصعوبة لتقولها له . ومر وقت حتى تمكنت من استنشاق الهواء بشكل عادى .

تدخل ، تبدأ مباراة السؤال والجواب . تتذكر سياق الاكاذيب ، اين توقفت آخر مرة حتى تكمل المسلسل . تخشى ان تقع بين اكاذيبها . تعرف ان من يكذب كثيراً ينسى كثيراً . وكانت تدرك انه ان تهدمت لعبة الأكاذيب . لن تقف على قدميها مرة اخرى .

تقابله ، بعد السلام والتحية والسؤال عن الصحة والاحوال .. لا يعرفان عم يتحدثان . يبحثان عن الكلمات لفترة من الوقت .. الى أن يعثرا على بداية الكلمات وتجر كل كلمة الاخرى وراءها . ويدور الحديث . تسمعه وتراه جيداً عندما يتكلم . يفيض البشر على وجهها وتغطيه طبقة من الفرح الطفولى . ترتعش يداها من الرجفة

التى تشعر بها . تضع يديها امامها . تحاول تثبيتها فى مكانها . ولكن هدير الانفعال بداخلها يبدو اقوى من قدرتها على السيطرة على نفسها .

فى الدقائق الثلاث ، التى تقضيها معه ، تمتصها تساؤلاته عن شريفة وشريف . كيف يبدوان الآن ؟ فى اى الصفوف الدراسية ، الحضانة ام المدرسة ؟ حالتهما الصحية ؟ ماذا يعرفان عنه ؟ ماذا قالت لهما ؟ يحذرها من تشويه صورته فى عيونهما . ان سقط فى قلبيهما لن يقوم بعد ذلك .

خرجت من باب السجن . وقفت تنظر الى الأسوار العالية المحيطة به ، وسور الأشجار الخارجى . وقفت ، عليها ان تعد من الآن ما ستقوله فى البيت ، حركت يدها . وضعت الكلمة بجوار الكلمة .. حتى اصبحت لديها جملة مفيدة . اخذت الجملة الى الحكاية التى قالتها لهما عن والدهما . تعيد ترتيب عقد الكلمات . تحذف كلمة . تضيف اخرى . تنظر الى الجملة بعد الحذف والاضافة . تكتشف ان الجملة فى حالتها الاولى كانت افضل . يمر الناس بالقرب منها . يقولون ان المراة جنت إما من الفرح بالزيارة ، أو من الاكتشافات التى خرجت بها منها . يضرب العابرون الذين يمرون بها كفا بكف . ينظرون الى سماء الله العالية . يطلبون من رب العباد الرحمة والرافة بعباده . تمسك باخر طرف فى خيط الاكاذيب . اخر ما قالته فى الزيارة السابقة . ان الوالد اشترى فيللا فى البلد البعيد الذى يعيش ويعمل فيه . سالاها : هل فى الفيللا دورة مياه واسعة ؟ قالت نعم وفى الدورة هل يوجد بانيو ؟ قالت نعم ! وهل عدد غرفها يسمح بان يكون لكل واحد غرفة مستقلة ؟ قالت نعم . قال شريف مادامت فيللا فلها حديقة . هل فى الحديقة ملاعب ؟ وسالت شريفة : فى الدور الأرضى الا يوجد مكان لسيارة ؟ اكدت لهما ذلك . اذن سيكون لديهما سيارة .

الم اقل لكما ؟

قالا فى صوت واحد :

ـ لا . لم تقولى لنا .

افاضت فى سيل الأكاذيب . والدهما عنده سيارة . لها جراج فى الفيللا .

تصل الى السؤال الوحيد الذى لا يمكنها تقديم إجابة عليه . لماذا لا تاخذهما اليه ؟ قالت من قبل ان الأطفال لا يستطيعون السفر البعيد . قالت عيون الطفلين : وهل يعود الانسان من السفر البعيد فى نفس يوم السفر ؟ .

مع كل زيارة يكون السؤال : الى متى لا نستطيع السفر ؟ وترد قائلة : فى العام القادم يمكنكما السفر .

احتارت هذه المرة ماذا تقول . عمل الوالد وتحدثت عنه ، البلد الذى يعيش فيه ووصفته . قدمت خليطاً ذهنياً لبلاد الله البعيدة والواسعة . ما قراته وما سمعته ، ما شاهدته فى السينما والتليفزيون كان زادها فى الوصف . تكلمت عن عودته التى لم يحن اوانها بعد ولا تعرف متى يحين الأوان .

ـ تعبت ..

قالتها لنفسها ، كانت تركب الاتوبيس القادم من القناطر الخيرية الى القاهرة . وكانت قد سارت من السجن تحمل الحقائب الخالية . اخذ ما فيها واعادها لها . رحلة العودة . الخضرة ورائحة الارض المروية . والعشاق تحت الأشجار . انتظرت الاتوبيس وعند حضوره ركبت . ولأنه كان خاليا ، اختارت مكاناً بجوار النافذة . انتظرت طويلا حتى تحرك الاتوبيس . دار فى البلد فذهب بها الى النيل . شاهدت مياهه السمراء المتحركة ببطء ابدى . فاشتاقت نفسها للجلوس على شاطئه ، وترك قدميها تلعبان فيه . قررت ان تفعل هذا فى إحدى الزيارات القادمة . لم تشاهد اى شراع ابيض يصل سمرة النيل بزرقة السماء ، ويشرب من قلبها ، فحزنت . كبس الحزن العجوز عليها فخافت ان تفقد قدرتها على الحكى والكذب . حاولت وصل ما انقطع من الكلمات فى ذهنها ، فاكتشفت ان ذلك صعب . ماذا ستقول بعد كل ما قالته ؟ .

اسئلة الولد والبنت لا نهاية لها . ولكن ما عندها هى أوشك على الانتهاء . وقدرتها على قول الجديد توقفت ، احتارت . تحول راسها الى خلية نحل . بدا لها الاتوبيس والناس ، كانهما مشاهد لا علاقة لها بهما ، تشاهدها من بعيد . فكرت ، غريب امر زوجها ، حدثها عن الصمت ، الذى كاد ان يوصله الى الجنون . والضوء الذى يقل بالداخل . يستمع الى ضجيج الزيارة حوله تشعر ان اذنيه كبرت وهما تشربان الاصوات . يتحسس الضوء الصافى بيديه .



يبدو للحظة طارئة فرحاً سعيداً . عند انتهاء الزيارة يقول انه حزين . اذناه ستفتقدان الاصوات ، وعيناه ستبحثان عن الضوء الساطع من الآن . تعود وهى تخشى على عقل زوجها . كيف يقول ان الجوع الفعلى هو للاصوات والضوء والصخب ؟ الأصوات والنور ؟ غريب امر الانسان . فى بيتها تبحث عن لحظات الصمت التى لا تاتى سوى فى عذاب ساعات الليل الاخيرة وعندما تطفىء انوار البيت . تشعر ان اعصابها قد ارتاحت . تقول لنفسها : غريب امر زوجها .

وقفت على باب بيتها ، اخرجت مراة صغيرة من حقيبة يدها . بعد ان وضعت حقائب السفر على الأرض . خيل اليها ان وجهها مغطى بطبقة خفيفة من التراب . يختلط بزغب نما فجاة فى رحلة العودة .

اخرجت المفتاح ، وضعته فى مكانه وادارته . وعندما استدار وانفتح الباب ، جرى نحوها شريف اولا .. ثم شريفة وراءه كانا يقفزان فى صالة البيت التى ليست واسعة . يكركران بالضحك وعلى الشفاه تتزاحم الأسئلة . فذلك هو يوم السفر ، لا يعرفان كلمة الزيارة . انفجرت فيهما معاً . بكت . استسلمت لعاصفة بكائية . كانت تقلع الدموع من بئر القلب . سالا هذه المرة سؤالا واحداً :

وهل حدث لبابا شىء ؟

فزعت من السؤال ، ما كانت تتصور ان يصل تفكيرهما لهذا الحد . طلبت منهما السكوت . رفضا ، تكلما ، الحت فى طلب الصمت . هاجا اكثر . مدت يدها . ضربت شريفة اولا . لطمتها على وجهها بقوة . احمر خد شريفة واحمرت يدها ، حتى كاد الدم أن ينفجر منهما ، حاول شريف منعها . ضربته اكثر ، تحولا تحت ضرباتها المتتابعة الى كتلة هامدة من اللحم . ظلت تضربهما حتى تعبت يداها . نامت بجوارهما فى الصالة .

وبين نشيج البكاء . كانت تختنق بسؤاله : من الذى اخترع الصمت ؟ قالت انها لن تعود اليه ، الا ومعها الاجابة . فى المرات السابقة كانت تعود وهى تختنق من الوحدة . وهذه المرة يحدث الاختناق من السؤال الذى لا تعرف اين تجد الاجابة عليه .

وعندما كان الليل يفرض صمته وظلامه ، كان الثلاثة يبكون وهم نيام فى صالة البيت الضيقة . قالت من جديد ، ولكن لنفسها وبدون صوت :

ـ تعبت .

يوسف القعيد

بقلم : د. عـــزالدين فـــراج

من أجـل حيـاة أكـثر بهجــة :

في بيتنا.. أزهار ونباتات



مجموعة جميلة من نباتات الظل التى تضيف على المسكن الصغير بهجة وجمالا

ليس فى مقدور كثير من الناس السكنى فى فيلات او منازل مستقلة ملحق بها حدائق كبيرة او صغيرة ، بل الغالبية تقطن فى « شقة » يمكننا ان ننسقها وتزينها بنباتات متسلقة او نباتات ذات اوراق مبرقشة او بنباتات ذات ازهار نضرة بهيجة ، خصوصا اذا نسقت بذوق سليم ووجهنا اهتمامنا إلى نظافتها ورعايتها .

إن مثل هذه النباتات فى الصالونات والشرفات هواية طريفة ، يجد فيها من يمارسها متعة كبيرة . ويمكن ان تبدأ الهواية بداية متواضعة ، ثم تزداد مع مضى الزمن اتقانا وابداعا ، فضلا عما تحدثه فى المسكن الصغير من بهجة وجمال

وبعض النباتات لاتنمو نموا جيدا إلا اذا اخذت قسطا من اشعة الشمس ، وتعرضت لضوء الشمس المباشر ، واذا حجبت عنها اشعة الشمس ضعف نموها وحل بها الاصفرار ، بينما نجد نباتات اخرى لا تتحمل اشعة الشمس المباشرة ، وقد تموت اذا تعرضت لها ، وقد نجد مجموعة اخرى من النباتات تحتاج إلى اشعة الشمس ، ولكن لفترة قصيرة من النهار ، وتحتاج للظل باقى اليوم .

وهذا الاختلاف بين النباتات يساعدنا على اختيار النباتات المناسبة للمواضع التامة الظل ، والمواضع نصف المظلمة . وبذلك نضع الشيء فى موضعه المناسب ، فتنمو النباتات بنجاح ، وتحقق الغرض المنشود .

والنباتات التى تحتمل الظل وتنمو فيه بنجاح يمكن الانتفاع بها فى امرين :

١) تزيين مدخل البيت او الشقة .

٢) تزيين حجرات المنزل وردهاته وبعض شرفاته .

وتوضع النباتات ذات الاحجام الكبيرة مثل الاسيدسترا واللاتانيا والدراسينا والفوجير المزروعة داخل الأصص فى أركان الردهات والصالونات ، بعيداً عن الأرائك والمقاعد حتى لا يمسها كل من يمر بجانبها ، فيسبب جفاف بعض اجزائها ، وذلك يشوه منظرها ويقلل من بهجتها .

اما نباتات الظل الصغيرة الحجم مثل الفلانجيوم والبوتس فيمكن وضع أصصها فوق الأرفف والمناضد ، كما يمكن تدلية أفرع البوتس فوق الرفوف العالية ، أو تنسيقها بشكل جذاب .

وإذا كانت الردهة متسعة فيمكن عمل مجموعة من أصص هذه النباتات ، فى احد اركان الردهة ، على هيئة مجموعة (كوشة) متدرجة من اعلى الى اسفل .

كيف تحافظ على نبات الظل ؟

يشكو كثير من الناس من ان نباتات الظل التى تزين بها الحجرات والردهات لا تعيش كثيراً .. واليكم الأسباب التى تؤدى إلى جفاف نباتات الظل وطريقة علاجها :

(أولا) تجنب وضع هذه النباتات فى تيار هوائى مستمر .

(ثانيا) نباتات الظل كباقى النباتات الحية تتنفس .. إذن فالهواء ضرورى لحياتها لما فيه من اكسجين لازم لعملية التنفس ، لهذا يجب تجديد هواء الغرف والردهات .

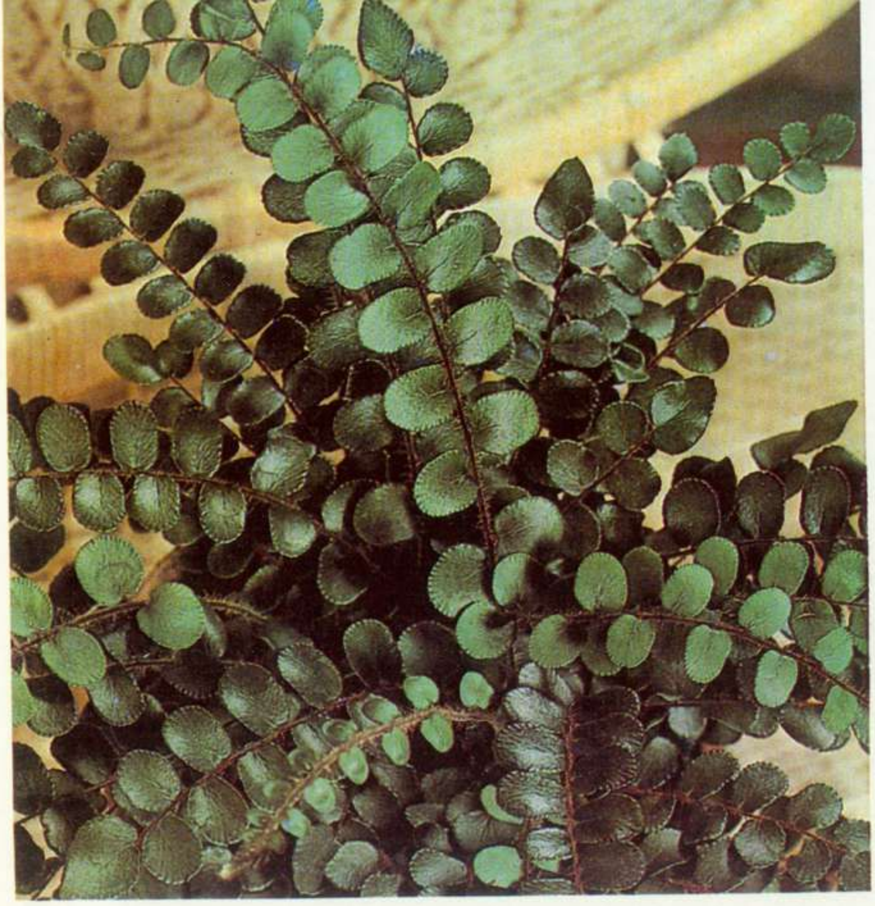
(ثالثا) نباتات الظل وان امكنها الاستغناء عن اشعة الشمس فانه لا يمكنها الاستغناء عن الضوء العادى لعملية التمثيل الكلوروفيلى . ان بقاء هذه النباتات قريبة من النوافذ امر ضرورى .

(رابعا) تبخر الماء فى النباتات والأصص غاية فى القلة ، لهذا كانت كثرة مياه الرى تسبب تعفن الجذور ، وبالتالى جفاف النباتات ، ماعدا « نبات البوتس » فهو نبات مائى لا يصيبه ضرر كبير بسبب ماء الرى .



نباتات زينة معلقة على الحائط ومتسلقة فى الشرفات

في بيتنا.. أزهار ونباتات



كل نباتات الظل تحتاج الى الضوء .. ولهذا فوجودها قرب النوافذ امر ضرورى حتى لا تذبل

تجميل الجدران

لتنسيق الجدران بالازهار نستخدم ونختار عادة الأوعية والأوانى المعلقة او الثابتة فى الجدران ذاتها .

وسواء اكانت الاوانى ثابتة ام معلقة ، فجانب الآنية الملاصق للجدر ينبغى ان يكون مسطحاً مستوياً ، حتى ينطبق على الحائط ويكون ملتصقاً بها .

والاوراق المعلقة تكون عادة من الفخار المطلى او من المعادن المشغولة المزركشة او من الصاج المطلى . وتعلق احيانا بخيوط حريرية ذات الوان جذابة جميلة . وفى الغالب تكون هذه الأوانى المعلقة من النوع الصغير او المتوسط الذى يعلق على جانبى صورة زيتية او على جانبى نافذة او شباك كريتال .

اما الاوانى الثابتة فهذه يعمل حسابها فى بناء الحائط ذاته .. إذ يثبت فى الحائط خوابير تحمل قاعدة من الرخام او المعدن المزركش او الخشب المزخرف . ويوضع فوق هذه القاعدة إناء جميل المنظر من الصينى أو من المعدن المطلى الذى « يلبس فيـه (إناء زجاجى ، يوضع بداخله الماء والأزهار) .

ويراعى عند تنسيق الجدار بالاوانى المعلقة أو الثابتة مراعاة ما ياتى :

(١) أن يكون حجم الآنية الثابتة متناسباً مع حجم الحائط المختارة له .

(٢) أن تكون هذه الاوانى منسجمة فى الوانها مع لون الجدار ومع لون اثاث الغرفة ذاتها .

حدائق النوافذ

ويقصد بحدائق النوافذ المجرات من الأسمنت التى تعمل تحت النوافذ وبعرض مناسب ، لتوضع فيها الصناديق الخشبية التى ترتب فيها نباتات الأزهار .

ويشترط عند انشاء هذا النوع من الحدائق أن تكون النافذة خالية من الضلف الخشبية التى تفتح نحو الخارج .

وتفضل النوافذ المصنوعة من الالمنيوم التى تفتح جانبياً والمنزلقة نحو اليمين او نحو اليسار وترص فى هذه الصناديق الخشبية أصص يمكن تغيير ترتيبها او تغييرها هى احياناً . وتصنع الصناديق عادة من خشب قوى يتحمل الرطوبة ويقاومها ، من غير أن يتعفن ، من خشب الجميز او السرسوع أو السنط . وإذا عمل بدلها مجرات من الخرسانة ، يجب ان يعمل لها مصفاة او مزراب .

وتدهن الصناديق عادة من الداخل بالقار السائل لزيادة مناعة الخشب ومقاومته للرطوبة او باى طلاء اخر واق .

ويتوقف اختيار نباتات حدائق النوافذ على مدى احتياجها للضوء والحرارة ، فاذا كانت واجهة النافذة المعلق بها الصندوق معرضة للشمس مباشرة استعملت نباتات الأزهار العادية . أما اذا كانت الواجهة مظللة او نصف مظللة فنختار نباتات تتحمل الظل .

ويراعى فى النباتات التى تزرع فى هذه الصناديق أن تتشابه احتياجاتها من الماء والغذاء بقدر الامكان .

تجميل الشرفات

أما النباتات التى يمكن اختيارها فى حدائق الشرفات والنوافذ فموفورة ، إلا ان تحديد الملائم منها يتوقف على مدى الاضاءة والظل الواقع على هذه الاماكن .

ففى الأماكن الظليلة يمكن اختيار الكلنديولا والبريميولا والعائق ، كما يمكن اختيار الفوجير والكروتن لجمال اوراقهما . وإن كنت من المحبين للجارونيا ، ففى مقدورك أن تختارها فى حدائق الشرفات الوفيرة الظل . اما المواضع التى يتوفر فيها الضوء كالشرفات الشرقية والقبلية فيمكن أن نختار لها نباتات الزينيا والفربينيا والجوديشيا . وفى بعض أركانها يمكن



نباتات ظل بالغة الجمال ، صغيرة الحجم ، يمكن وضعها فى اصص فوق الارفف



نبات ظل من الاحجام الكبيرة توضع فى اركان الردهات والصالونات

وضع قصارى « الاراولا والداليا » ، كما يمكن اختيار « القرنفل والبلارجونيوم » للغرض ذاته .

والنباتات الحولية الصيفية والشتوية ليست هى كل ما يمكن تربيته فى حدائق النوافذ والشرفات . ولا يجب أن يقتصر الحال عليها .

واحسن طريقة لوضع هذه النباتات المتسلقة على الحائط هى أن توضع الأصص التى لا يزيد قطرها عن ٢٥ سم بجوار الحائط ، مع تخصيص متر من عرض الحائط لكل متسلق . فاذا فرضنا مثلا عرض الحائط متران وضع فيه نباتان ، واذا فرضنا به اربعة امتار وضع فيه اربعة نباتات من هذه النباتات المتسلقة . ويوضع كل أصيص فى منتصف المسافة المخصصة له بعد دق مسامير فى الحائط عموديا على محور الأصيص . وعند اسناد هذه النباتات المتسلقة الى الخيط تربط ربطة واسعة لا تعيق نمو هذه النباتات .

ومن المستحسن دهن حوائط هذه الشرفات بالزيت حتى لا تتسخ هذه الحوائط فى اثناء رش الأوراق بالماء ، وترك المتسلقات من غير رش يجعلها متسخة غير مقبولة ، وبدلا من دهن حوائط هذه الشرفة يمكن تغطيتها بخشب البغدادلى المتقن الصنع والمنسق فى اشكال جميلة . وعلى هذا البغدادلى الملتصق بجدران الشرفة توجه النباتات المتسلقة .

ويلاحظ موقع الشرفة فاذا كانت قبلية او شرقية يجب أن تعمل حماية للجالس من اشعة الشمس ، فيمكن مثلا وضع مائدة مستديرة فى وسط الشرفة ، لها ثقب فى المركز توضع به شمسية ملونة وحولها كراسى من الصاج أو الحديد المزخرف مختلفة الأشكال ، توضع عليها (شلت) عند الجلوس ، وتفضل الكراسى الصاج والحديد ، حيث انها اكثر تحملا للعوامل الجوية كالحرارة والأمطار .

وإذا كانت الشرفة اكثر اتساعا فيمكن أن نعمل فى احد الجوانب تكعيبة من الخشب البغدادلى ذات شكل هندسى بديع (برجولا) . والغرض منها تهيئة مكان مظلل هادىء للجلوس تحتـه . وتغطى « البرجولا » ببعض النباتات المتسلقة التى تزرع تحتها براميل خشبية كبيرة ، وتزين البرجولا ببعض الأضواء الملونة غير المباشرة اى المختفية عن الأنظار ، بحيث لا يبدو منها إلا ضوؤها فقط ، حيث يضفى ذلك على المكان كثيراً من السحر والجمال .

وقد يوضع فانوس من الحديد الزخرفى يتدلى من سقف البرجولا ، ويكون ضوؤه خافتا ويمكن ايضا أن تتدلى من سقف البرجولا بعض النباتات المدادة . كذلك يمكن أن يعلق قفص يحتوى على عصافير الكناريا الملونة الجميلة .

حدائق أسطح المنازل

ويمكن استغلال أسطح المدارس والمنازل فى اقامة حديقة السطح ، لتجميلها وتزيينها واستغلالها فى اعطاء حصص فى الهواء الطلق كحصص الرسم والأعمال الزراعية خصوصا عند ضيق الحديقة المدرسية أو عدم وجودها كلية .

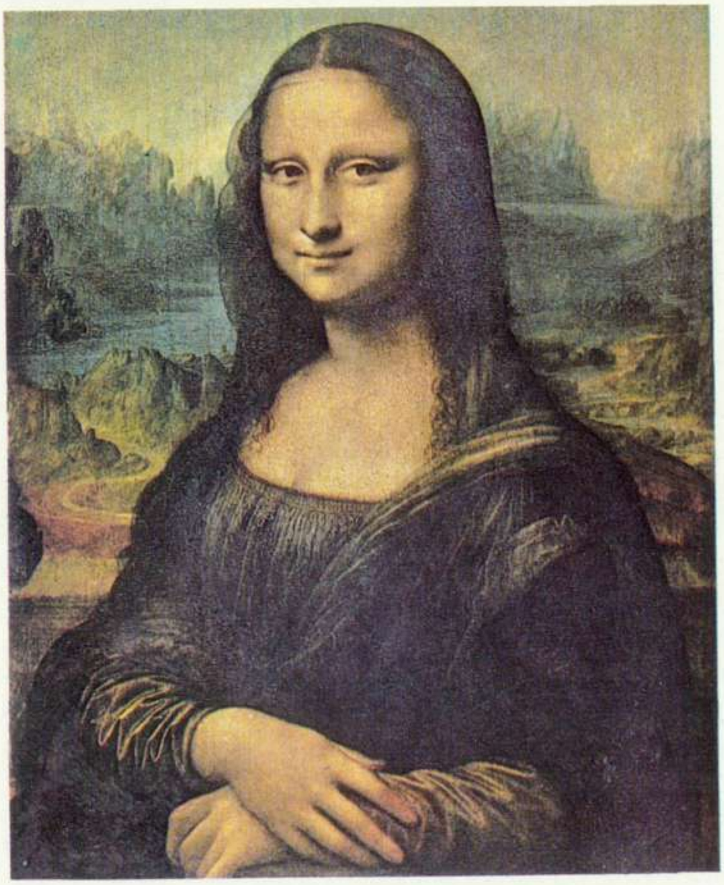
ويلاحظ أن النباتات في حديقة السطح تتعرض لجو حار جاف صيفاً .. فالرطوبة الجوية فيها اقل من الحديقة العادية .. ولهذا لا تنجح زراعة نباتات الفل كالفوجير والاسبرجس الناعم . وانما يستعاض عنها بنباتات تتحمل ضوء الشمس والجو الجاف مثل النباتات العصارية والجاردنيا والاسبرجس الخشن وبعض النباتات المستديمة » كالسلفيا والوانكا والجاردنيا العادية » وكثير من الحوليات الشتوية .

ويمكن تنسيق حدائق السطح بشجيرات مخروطية كشجيرات « التويا » الصغيرة .. ومن الشجيرات التي تصلح لهذه الحدائق الفل ، ومن المتسلقات شجيرات الياسمين التي تضفي على المكان رائحة جميلة .

عز الدين فراج

بقلم: جمال قطب

موناليزا.. الأصل والتقليد



لوحة « موناليزا » الأصلية للفنان العالمي ليوناردو دافنشي

في متحف اللوفر بباريس ، حيث تستقر تحفة ليوناردو دافنشي الخالدة .. « الجيوكوندا او الموناليزا » ، يتزاحم المئات كل صباح حول أشهر لوحة في العالم ، ويقفون أمامها صامتين ساهمين وقد علقت أبصارهم بابتسامتها الغامضة ونظراتها الساحرة .. وبين الفينة والفينة ، يسرى همس كصوت النسيم بين الحضور .. فيه التساؤل وفيه المناجاة واجترار الذكرى وتمجيد العبقرية ..

أما التساؤل ، فمبعثه ما تطالعنا به أجهزة الاعلام من حين لآخر عن اكتشاف لوحة جديدة للموناليزا في هذا المكان أو ذاك ، بل وتتمادى وكالات الأنباء العالمية في سرد المزيد من التفاصيل مؤكدة أن (الخبراء) بعد البحث والتدقيق يرون أن اللوحة من إبداع فنان عصر النهضة الايطالي الأشهر : ليوناردو دافنشي !

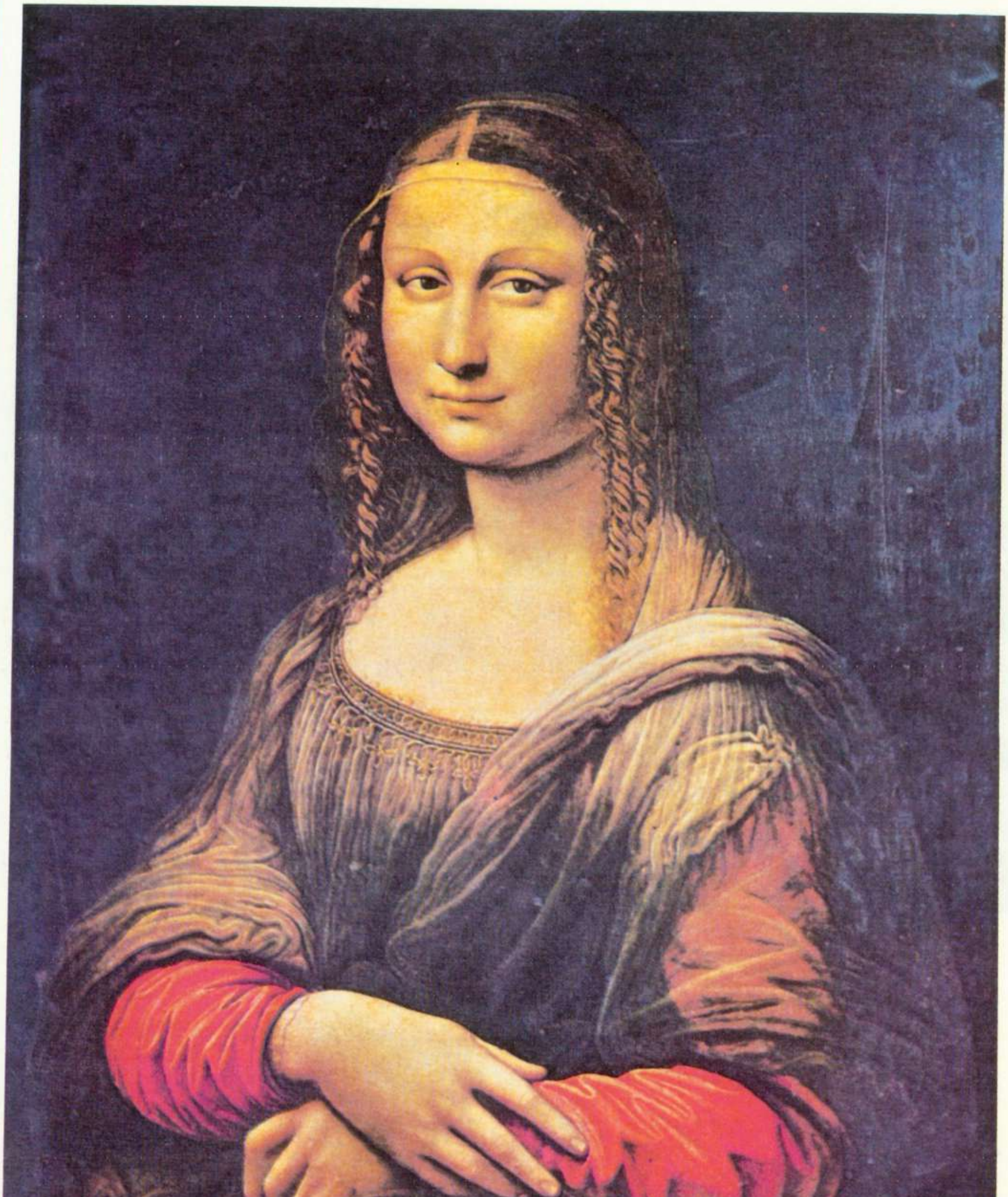
وسرعان ما تخبو جذوة الدعاية لهذا الحدث .. وتتراجع كل التاكيدات لتصبح مجرد ظن أو حدس .. ثم يطويها النسيان ، وتبقى الحقيقة الرائعة المتربعة في أروقة متحف اللوفر ، تضفي على الفكر الانساني ثوب العبقرية الملهمة !

لقد رسمها دافنشي في أربع سنوات كاملة بمدينة فلورنسا في مطلع القرن السادس عشر ، وبلغ من اعتزاز الفنان برائعته الموناليزا أنه كان يحملها معه في أسفاره دون غيرها من اللوحات .. وقد حيكت حولها أساطير وحكايات كثيرة ، وسجلت في الآلاف من القصص والأشعار والمسرحيات ، كما ظهرت عنها « أوبرا الموناليزا » الشهيرة .. وذاعت شهرة اللوحة حتى غمرت أرجاء المعمورة عندما سرقت من متحف اللوفر عام ١٩١١ ، وبذلك شغلت اجهزة الأمن في العالم لسنتين كاملتين حتى عادت لتحتل مكانها ومكانتها في المتحف الكبير !

ولم يثبت على الاطلاق ان الفنان قد رسم اية لوحات اخرى للموناليزا ، ولم يرد عن ذلك شيئا في مذكرات دافنشي التي كان يدونها مفصلة كلما انغمس في عمل جديد ، كما لم نقرا مثل هذه المعلومات في كتب التاريخ ولم نسمع عنها من أقوال معاصريه .

إلا أننا نلاحظ حشداً هائلا من اللوحات المقلدة للوحته الاصلية ، ولا يخلو عصر من العصور - منذ أن رسم دافنشي تحفته الموناليزا - من أعمال مقلدة لروائع الفن العالمي لكبار الفنانين ، ولاسيما للوحة الجيوكوندا كأشهر لوحة في التاريخ !

وقد استعرضنا سوياً من قبل على هذه الصفحات قصة الفنان الأسطورة وملهمته ، وأرينا كيف انتهى المطاف بلوحة الجيوكوندا الى القصور الملكية الفرنسية في عهد الملك فرانسوا عام ١٥١٦ .. ثم استقرت بعد ذلك في متحف اللوفر . واليوم يرى القارىء على الصفحة المقابلة لوحة أحد الفنانين الذين قلدوا الموناليزا .. ولكننا إذا أمعنا النظر في هذه اللوحة المقلدة ، لرأينا الفارق الجوهري بين الأصل والتقليد . وكلما اكتشفت لوحة جديدة من هذه اللوحات المقلدة ثارت حولها الحكايا والظنون التي قد تصل الى درجة الاعتقاد الراسخ من البعض بأنها من أعمال الفنان .. وتعاد الكرة من حيث بدأت وتتبدد الظنون وتنجلي الحقيقة ولا تبقى في الأذهان والوجدان إلا التحفة الخالدة ، ذات الابتسامة الغامضة والنظرات الساهمة الحالمة .. هناك في احدى القاعات بديوان الفن العريق .. في متحف اللوفر .. إنها الموناليزا بين الأصل والتقليد !



الموناليزا التقليد كما رسمها فنان غير معروف فى القرن السادس عشر .. اللوحة ضمن مقتنيات متحف البرادو فى مدريد



انثى طائر الوقواق بعد ان ضبطتها العدسة متلبسة بالجريمة .. إنها تحمل فى منقارها بيضة الطائر المضيف ، وتلقيها خارج العش لتضع بيضتها مكانها !



هذه هى احجام البيض لدى كل انواع هذا الطائر الغريب

من عجائب الحياة :

طائر يعبر القارات ويخدع الطيور الأخرى لترعى صغاره !

حسام جميل مدانات



الام تقف فوق ظهر من تظنه صغيرها ، لتلقى بالطعام فى فمه الواسع والشره .. لاحظ فرق الحجم بين فرخ « الوقواق » الكبير جداً بالنسبة لامه البديلة وهى انثى طائر « الجشنة »

ربما كان اكثر الاصوات عند الطيور التى يذكرها التراث الشعبى الأوربى ، من غناء وشعر وقصص ، صوت الوقواق .. تلك « الوقوقة » الرتيبة الرنانة والتى تسمع على مسافات بعيدة .

ويمثل عبور هذا الطائر للقارة الأوربية نذيراً باقتراب الربيع : ومع هذا فقد بقيت أساليب معيشته محاطة بالكثير من الالغاز حتى وقت قريب جداً .

ان من الأساليب الغريبة التى يمارسها هذا الطائر ، ما يمكن تسميته بالتطفل الحضاني .

حيث تضع انثى الوقواق بيضها فى اعشاش طيور اخرى ، وتترك مهمة حضانة البيض ، ثم رعاية الصغار للطائر الآخر صاحب العش .. ! تصرف ماكر ولئيم بلاشك . ولكن ما الذى يدفعها لمثل هذا التصرف ؟ وكيف توصلت طيور الوقواق الى التغلب على مظاهر الرفض التى عادة ما تبديها انثى اى حيوان تجاه صغار حيوان آخر ، حتى لو كانوا من انثى اخرى من نفس الجنس ؟

ان هذه الظاهرة الغريبة لا تقتصر على الوقواق الاوربي ، رغم أن هذا الوقواق هو الأكثر كمالا فى أساليبه التى يطبقها لاستغلال غيره من الطيور ، اذ تمارس معظم أنواع طائر الوقواق ، وعددها ١٢٦ نوعاً ، والمنتشرة فى انحاء العالم عادة التطفل الحضانى . كما تمارسها طيور اخرى غير الوقواق ، مثل البط الأسود فى أمريكا الجنوبية وطائر الهويد الافريقى ،

استراتيجية التحايل

وتتبع انثى الوقواق استراتيجية بسيطة ومباشرة لتحقيق عملية التطفل على اعشاش ضحاياها ، فهى تبدأ أولا باستكشاف المنطقة المحيطة باعشاش الطيور التى ستضع عليها بيضها ، وهى تضعه فى اعشاش أنواع معينة من الطيور ثم يقع اختيارها على عش معين ، فتبدأ بمراقبة مواعيد خروج وإياب انثى الطائر

من عجائب الحياة :

طائر يعبر القارات ويخدع الطيور الأخرى لترعى صغاره!



طائر الوقواق الصغير يطرد بيض الطائر المضيف لينفرد وحده بالعش تحت رعاية الأم المخدوعة !

صاحبة العش . وهى مراقبة تتم من مكان خفي ، بحيث تضمن الا تشعر الضحية المختارة بها . وبمجرد أن تلاحظ انثى الوقواق أن ضحيتها قد بدأت بوضع البيض ، فانها تستعد للعمل . إنها تنتظر أن تضع الأنثى الاخرى أول بيضة لها ، وأن تغادر العش ، لتذهب فوراً نحو العش وتلتقط تلك بمنقارها ، وتضع فوراً بيضة واحدة من بيضها مكانها ، ثم تبتعد عن العش ، وتتخلص من البيضة التى سرقتها

والمثير فى الامر ، أن هذه العملية لا تدوم أكثر من خمس ثوان . وخلال الايام التالية ، تنهى الأنثى الحاضنة وضع باقى بيضها ، جاهلة ما تم أثناء غيابها ، وغير مدركة لوجود بيضة مزيفة غريبة فى حضانتها .

ولا تعود أنثى الوقواق مطلقا للعش الذى وضعت فيه بيضتها . إنها تبدأ فوراً فى البحث عن عش آخر ، وترتيب الأمور بنفس الطريقة ، لتضع فيه بيضتها التالية وهى تضع فى الفصل الواحد عدداً من البيض قد يبلغ اثنتي عشرة بيضة ، كل منها تضعها فى عش منفصل جديد .

وفى هذه الأثناء ، ترقد أنثى الطير الأخرى على بيضها ، ومن ضمنه بيضة الوقواق ، والتى تفقس عادة قبل غيرها . وهنا يحصل تصرف قد يكون مستغرباً من فرخ طائر ، لم يكد يخرج من البيضة . ولكن كما يقال « ان فرخ البط عوام » أو « من شابه أباه أو أمه فما ظلم » فبمجرد أن يفقس فرخ الوقواق ، حتى يباشر بالعمل لاتمام العدوان الذى بدأته أمه على الطائر الحاضن ، اذ يأخذ هذا الفرخ بدفع باقى البيض خارج العش بكل فعالية ، رغم أنه يكون عارياً من الريش ولا يرى .

وبمجرد أن يصبح البيض خارج العش ، فان الأم الحقيقية لهذا البيض تهمل بيضها تماماً ، وتصب جل اهتمامها على إطعام ما تعتقد أنه صغيرها الى ان يبلغ مرحلة من النضج والقوة تمكنه من مغادرة العش والاعتماد على نفسه .

احتمالات الفشل

رغم البساطة الظاهرة لهذه العملية ، فانها تتضمن نظاماً متكاملا ومعقداً ، مشحوناً باحتمالات الفشل فى اية لحظة ونتيجة اى خطأ فى التصرف .

– ماذا لو أن الطائر الحاضن اكتشف انثى الوقواق أثناء وضعها لبيضته فى العش ؟

– وماذا لو انها لاحظت ان البيضة التى فى عشها ، بيضة غريبة تختلف عن بيضتها هى ؟

– وماذا لو انها ادركت ان فرخ الوقواق بحجمه الكبير ليس من جنسها ولا من صلبها وهجرته او قتلته ؟

والمشكلة الأولى حقيقية وجدية ، فاذا لاحظ الطائر صاحب العش وجود انثى وقواق قريبة ، فانه يهاجمها ويبعدها عن مملكته التي تحدد بمنطقة معينة حول العش ، وهذا يحصل رغم تفوق الوقواق في الحجم .

وقد تمكن علماء بريطانيون من اعطاء ادلة مصورة على اصرار الطيور في الدفاع عن اعشاشها ضد الوقواق ، فقد امسك العالم المختبيء بدمية تمثل طائر الوقواق ، ووضعها بجوار عش طائر صغير ، فهاجم الطائر الدمية بكل عنف متجاهلا اليد التي تمسك بالدمية ، وعندما تاكد من عبث محاولاته لابعاد ما اعتقد انه طائر حقيقي ، تخلى عن عشه نهائياً ولم يعد إليه .

اما عن المشكلة الثانية ، فقد حصل



.. وهنا يستلقى الطائر الصغير فى سعادة بالغة بعد أن انتهى من المهمة العاجلة واصبح وحده فى العش !

احيانا أن هجر الطائر عشه عندما اكتشف بيضة الوقواق الغريبة ، ولكنه في الغالب لا يتمكن من تمييزها عن بيضه ، إذ أن للوقواق قدرة غريبة على تقليد بيض ضحيته ، وبالأحرى فان معظم انواع الوقواق تكون متخصصة بنوع معين من الطيور بحيث أن بيض الطائرين يتشابه تماماً حجماً وشكلا ولونا ، رغم أن بيض الوقواق يكون عادة اكبر قليلا !

ويبدو أن اختلاف حجم البيضة لا يمثل مشكلة حقيقية ، ففي تجارب اجريت على طائر « نورس الرنكة » لوحظ أن انثاه ترقد على اية اجسام لها شكل البيض ، وذلك بالطبع بعد أن تكون قد وضعت بيضها واصبحت في مرحلة احتضان البيض . ان هذا مثال لحالة بسـيطة تتميز بالاثارة حسب التعبير المتخصص لعلماء الأحياء ، فالمثير هو شكل البيض والاستجابة هي الاحتضان .

وفي تجارب على بيض الطيور ، لوحظ انها تكون مستعدة لهجر بيضها الذي ترقد عليه ، إذا رأت بيضة اكبر بجانب عشها ، حيث تفضل عندئذ احتضان البيضة الاكبر وهكذا فان كبر حجم بيضـــة الوقواق لا يشكل عائقا في سبيل تقبلها من قبل الطائر الآخر .

ويبدو مؤكداً أن فرخ الوقواق يخرج من البيضة قبل الأنواع الأخرى التي وضع معها ، وهذا يمكنه من التخلص بسهولة من البيض المنافس ، وحتى لو فقست بعض البيضات الآخريات قبله ، فانه قادر على طرد الفراخ الأخرى من العش واحتكاره لنفسه .

ثم أن الطيور تميل الى الاعتناء بالفرخ الأكبر ، وهذا ما لاحظه علماء الطيور ، حيث وجدوا أن بعض الطيور تهجر صغارها لصالح فرخ اكبر غريب وضع بجانب العش .

ويبدو أن هذا مثال على حكمة الطبيعة وتدبيرها ، فهي تعمل على ضمان البقاء للاقوى والأقدر على الحياة ، خاصة عند نقص الطعام ، حيث يخصص كله أو معظمه للأفراد الأصح والأقوى .

وينمو صغير الوقواق ليصبح عادة اكبر حجماً من انثى الطائر المعيل التي تعتقد أنها أمه ، وتضطر لبذل جهود مضاعفة لاطعام هذا الفم الجائع دائماً .

ان الفم الواسع لصغير الطيور ، يعتبر مثيراً قوياً يحفز الأنثى على العمل لاطعامه حتى أن بعض الطيور المجاورة تهمل جزئياً رعاية صغارها وتشارك في اطعام هذا الفم الكبير .

وتهاجر طيور الوقواق الأوربية في الشتاء نحو الجنوب هاربة من الصقيع الأوربي لتستمتع بدفء القارة الافريقية ، وقبل أن تلحق صغار الوقواق بالطيور البالغة ، فانها تتزود بكميات كبيرة من الطعام ، إنها تلتهم انواعاً من الـديدان لا تجرؤ على اكلها الطيور الأخرى ، فهي إما مرة الطعم أو سامة للطيور الأخرى . وهكذا فانها تكون مستعدة تماماً للرحلة الطويلة عبر البحر وصحراء شمال افريقيا .

إن عدم احتكاك صغير الوقواق بوالديه منذ رؤيته النور ، قد يفسر ببساطة غذائه ، إذ لم تتح له الفرصة ليتعلم من والديه اغان أجمل أو أكثر تعقيداً من ذلك الصوت الرتيب : كوكو ، كوكو ..

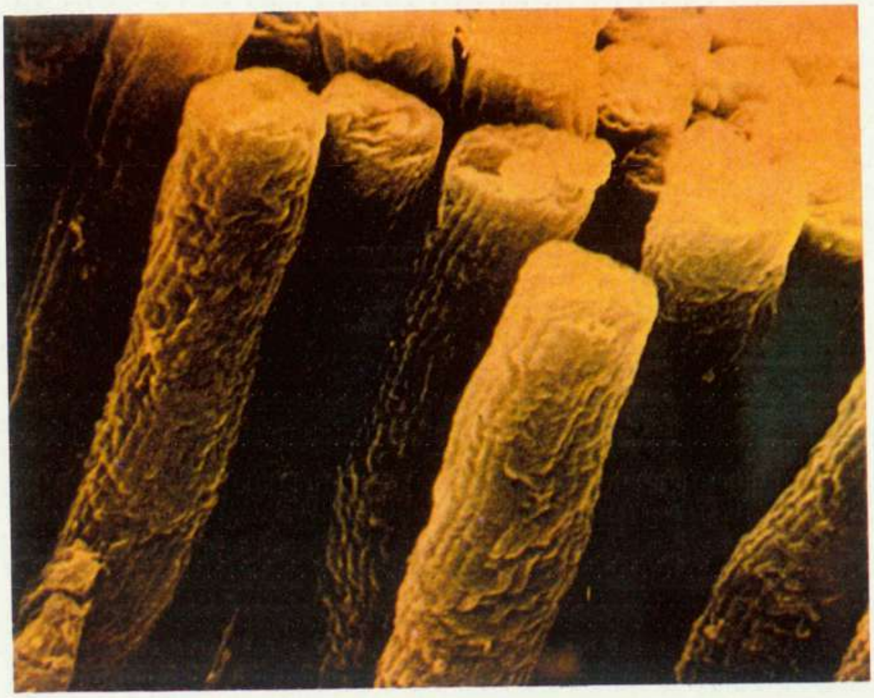
إنه دعاء بسيط بما فيه الكفاية ليردده اعتماداً على غريزته وحدهـــا . وليدنقله بلا تغيير من جيل لجيل عبر العصور !

حسام جميل مدانات - الأردن

لقطات من الكون المثير

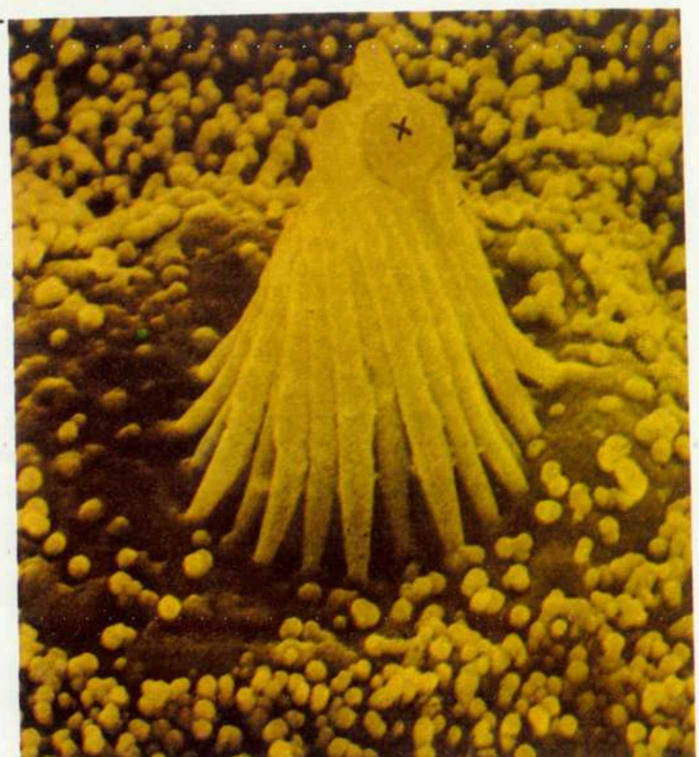
وفي أنفسنا آيات في الخلق مذهلة

سوف نعرض هذه المرة لقطات من داخل اجسامنا ، لتبين لنا ما تنطوى عليه من نظم قدرت تقديرا محكما ، أو ما تحويه من تكوينات تشهد بان كل شيء فينا يحوى فكرة فى الخلق لها دلالاتها العظيمة .. لكننا فى هذه اللقطات سوف نستخدم عينا غير عيوننا ، لترينا « مالا عين رات ، ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .. وهذه العين هى احدى وسائل العلم الحديث التى تكبر التكوينات الدقيقة مئات والاف المرات ، وهى ما يطلق عليه اسم الميكروسكوب الاليكترونى المجسد .. اى الذى يجسد الصور ، ويوضحها لنا فى ابعاد ثلاثة .. فالى عالم اخر فينا يخفى عن العيون - عيوننا ، علنا نتعرف عليه ، او نستكشف ما فيه من أيات محكمات .



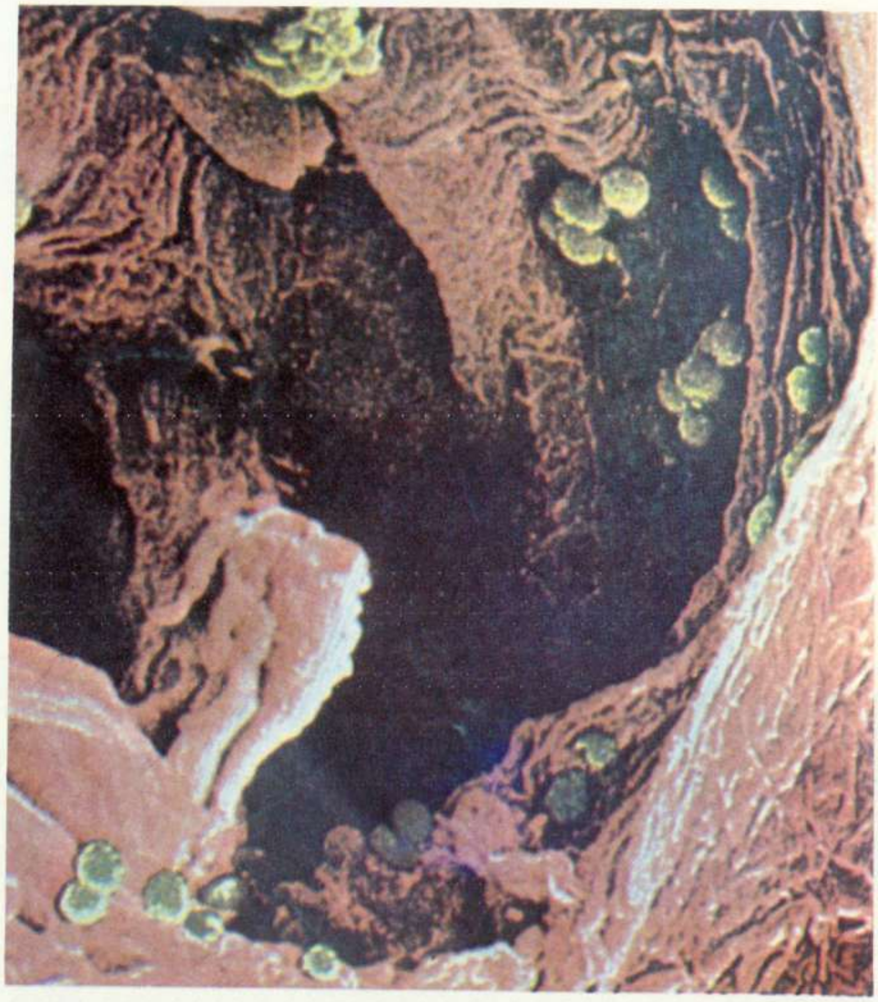
أعمدة اسطوانية بالملايين

هذه الأعمدة ليست الا بنايات دقيقة مقامة على شبكية العين ، وهى التى تقوم باستقبال موجات الضوء المختلفة ، فتحولها الى طاقة كهروكيميائية تنتقل على هيئة نبضات عصبية لتشعرنا بصور عالمنا والوانه .. هذا وتحتوى شبكية كل عين على حوالى ١٢٥ مليونا من هذه التكوينات البديعة ، وكانما هى بطاريات كهروضوئية جد دقيقة ، تصب نبضاتها فى اكثر من مليون ليفة عصبية تتجمع فى « كابل » عصبى وتتوجه الى مراكز الابصار فى امخاخنا لتشعرنا بتفاصيل عالمنا الظاهرة .. أما ما خفي فهو اعظم واروع واتقن (الصورة مكبرة عدة آلاف من المرات) .



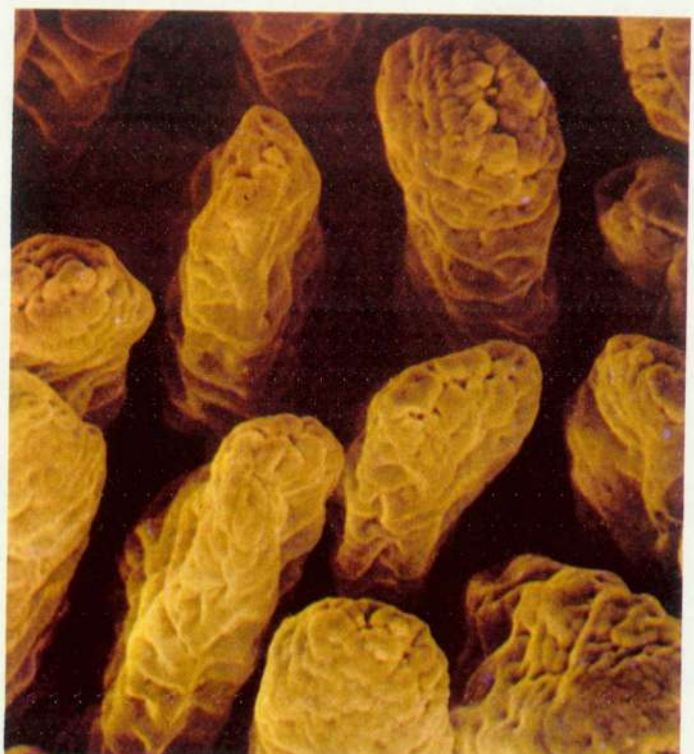
حزمة غريبة

على مساحة لا تتجاوز مساحة راس دبوس صغير (حوالي المليمتر المربع) تنتشر الآلاف من هذه التكوينات التي تشبه الأعواد المتجمعة في حزم بنظام خاص .. ان هذه اللقطة الفريدة بالميكروسكوب الاليكتروني المجسد هي لخلية واحدة - أو بالتحديد لجزء من سطح أو غشاء خلية تعرف باسم خلية الأهداب ، وتنتشر - مع غيرها - بعشرات الالوف في مساحات صغيرة محددة من الأذن الداخلية (تكون في مجموعها مساحة لا تزيد عن أربعة ملليمترات مربعة) .. حيث تضبط لنا توازننا ، فنعرف رؤوسنا من ارجلنا ، أو ميلنا واعتدالنا ، وهو ما نطلق عليه اسم جهاز التوازن .. فكانما هذا التكوين الجميل بمثابة ميزان دقيق تحركه آلاف من بللورات ادق من الحجر الجيري (لا تظهر هنا في الصورة) فتميل الأهداب هذه الجهة او تلك لميل رؤوسنا أو أجسامنا ، فتتحول حركتها الميكانيكية الى نبضات عصبية تستقبلها منطقة محددة في امخاخنا ، فتشعرنا بما صار عليه حالنا .



مغارة .. ولكن أين؟

تمعن فى هذه اللقطة جيداً ، فلعلك تتوصل الى طبيعتها واصلها وموقعها .. انها فتحة غدة عرقية ، وهى تبدو هنا كفوهة واسعة وكانما هى تقود الى مغارة غامضة ، نظراً لانها مكبرة مئات المرات . لاحظ وجود كريات خضراء تنتشر على الفتحة هنا وهناك ، لكن هذه الكريات كائنات دقيقة حية (بكتيريا) تعيش على افرازات الغدد العرقية التى تنتشر على سطوح اجسامنا بالملايين ، وتحول العرق الى رائحة مميزة ، خاصة تحت الابط ، حيث يوجد حوالى ٢ر٥ مليون كائن بكتيرى على كل سنتيمتر مربع من سطحه .. واحياناً ما تنجح بعض انواع البكتيريا فى غزو هذه الفتحات ، حيث تتكاثر فى الداخل مسببة ظهور البثور او الدمامل — لكن ذلك لا يحدث الانادراً بفضل افراز بعض المواد المبيدة لهذه الكائنات .



تضاريس مخيفة

هذه اللقطة قد أوضحها الميكروسكوب المجسم لجزء صغير من سطح الأمعاء الدقيقة مكبرة عشرات المرات ، وكل بروز منها يمثل خملة من ملايين الخملات التي تشارك في تبطين الأمعاء ، لتقوم بهضم الغذاء ، ثم امتصاصه ودفعه الى الدماء .. ولقد جاءت بهذا التشكيل المثير لحكمة ، وحكمتها أن تزيد مساحة السطوح الهاضمة الماصة الى درجات كبيرة،فرغم أن الأمعاء تتكدس في حيز ضيق الا ان مساحة سطوح هذه الخملات تصل الى ٣٠٠ متر مربع ، وكانما الفكرة في هذا التكوين هو الاستخدام الأمثل لأكبر مساحة ممكنة في اضيق حيز ممكن كذلك .. ولكل شيء هنا حساب ومقدار .

الأغنيـاء يبـدأون والموهوبـون يسـتفيـدون:

العيد الماسي
لأول كليـة للفنـون الجميلة في الوطـن العـربي

بقلم: صبحي الشاروني







مجموعة من اللقطات المتعلقة باحتفالات العيد الماسى لأول كلية للفنون الجميلة فى الوطن العربى : الميدالية التذكارية التى اهديت للذين خدموا الفنون الجميلة من الاحياء .. ثم طلبة وطالبات كلية الفنون الذين شاركوا فى المهرجان .. ولقطة ثالثة « للبوستر » الخاص بالمناسبة .. وأخيراً واجهة المبنى الرئيسى لكلية الفنون الجميلة .

نشر الفنان الفرنسي جيروم لابلان في مجلة « مصر المعاصرة » التي كانت تصدر في القاهرة باللغة الفرنسية عام ١٩٠٧ ، مقالا يحكي فيه قصة إنشاء مدرسة الفنون الجميلة المصرية ، وذلك قبل افتتاح المدرسة ببضعة اشهر ، وهو الذي تولى « نظارتها » منذ قيامها عام ١٩٠٨ وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى ..

روى مسيو « لابلان » أن فكرة مشروع انشاء مدرسة للفنون الجميلة راودته لما لمسه من استعداد فني عند بعض الموهوبين من الشباب المصريين الذين جمعته بهم الصدفه فعرض فكرتـه على الأمير « يوسف كمال » الذي أظهر اهتماما واضحا باقتراحه وطلب منه قبل البدء في التنفيذ ان يتعرف على رأى اصدقائه من المصريين والأجانب .. وزوده بقائمة تضم أسماء أصدقائه ومعارفه ، وكلفه أن يبدأ اتصالاته بهم ..

سعى « لابلان » لاقناع هؤلاء الأغنياء والوجهاء بمشروعه ، ولكنهم اعتبروا فكرته خيالية ، مصيرها الفشل ، وخشي الفنان على المشروع من الانهيار ، وعاد الى الأمير حزينا أسفا لعدم نجاحه في إقناعهم .

وما كاد الفنان الفرنسي ينتهي من التعبير عن أسفه ، حتى فاجاه الأمير باعتزامه تنفيذ المشروع بمفرده وعلى نفقته الخاصة . وكلفه باعداد كل ما يلزم من اساتذة وبرامج ، مع تحديد موعد بدء الدراسة والاعلان عن ذلك في الصحف ، وفوضه في وضع شروط الالتحاق بالمدرسة وخصص لها احد قصوره (رقم ١٠٠ شارع درب الجماميز) أمام دائرته ، واوقف عليها من املاكه .





قطعة من النحت الغائر لأصحاب الحرف والزراعة فى مصر القديمة للفنان محمود مختار



احد اقنعة الكرنفال ، يمثل بطريقة كاريكاتيرية وجه الفنان الرائد الراحل : راغب عياد



عازف العود .. كما رسمه الفنان احمد صبرى الذى كان من اوائل تلاميذ الكلية واصبح من أعلام الفن فى وطننا العربى

الفنانون الأجانب والبداية

كان ذلك منذ ٧٥ عاماً ، بعد عام واحد من إنشاء الاحزاب الوطنية فى مصر ، وفى نفس العام الذى انشئت فيه الجامعة الاهلية (جامعة القاهرة الآن) .

وفى أوائل عام ١٩٠٨ بدأ « لابلان » فى اختيار المدرسين من الفنانين الاجـــانب الموجودين فى مصر ، وكان « لابلان » الناظر واستاذ فن النحت و « باولوفورتشيلا » الايطالى أستاذ فن التصوير (أى الرسم بالالوان) و « جيمس كولون » الفرنسى أستاذ الزخرفة و « هنرى بيرون » الفرنسى أستاذ العمارة .

وعلى يد هؤلاء الفنانين الاجانب بدأت تعاليم فنون الرسم تنتقل الى المصريين .. وكذلك النحت وفنون العمارة الحديثة .

افتتحت مدرسة الفنون الجميلة المصرية فى ١٢ مايو سنة ١٩٠٨ وكان (محمود مختار) الطالب رقم واحد ، اذ التحق بها فى ١٣ مايو سنة ١٩٠٨ ، وكان عمره ١٨ سنة وستة شهور .. والتحق بها فى الشهر الاول ما يقرب من ١٧٠ طالباً ، وكانت الدراسة من الثامنة صباحاً الى الواحدة بعد الظهر للطلبة النظاميين ، ومن الواحدة الى الخامسة مساء للموظفين والهواة .. ومدتها ثلاث سنوات .

وفى يونيه عام ١٩١٠ صارت إدارتها تحت إشراف الجامعة المصرية ، لمدة اربعة اشهر ، اذ ـ الحقت فى أكتوبر من نفس العام بادارة التعليم الفنى بوزارة المعارف التى ادخلت عليها عدة اصلاحات ونقحت لائحتها العامة والداخلية ، وكان يتحتم على الراغبين فى الالتحاق بها ان يؤدوا اختبار القبول .. وقد تقرر امتحان الدبلوم بعد السنة النهائية ابتداء من السنة



لوحة « الاخوات » للفنان يوسف كامل الذى تخرج ضمن الدفعة الأولى من الكلية عام ١٩١٢ ، ويعتبر رائداً فى المدرسة التاثيرية فى التصوير

الدراسية ١٩١٢ ـ ١٩١٣ . بمعرفة اللجنة التى تشكلها الوزارة .. وقد نقلت مدرسة الفنون الجميلة المصرية سنة ١٩٢٣ من مكانها الأول بدرب الجماميز الى الدرب الجديد بميدان السيدة زينب حتى عـــام ١٩٢٧ ، وكان ناظرها عند نقل مكانها هو المثال الفرنسى « جبرييل بيبيسى » .

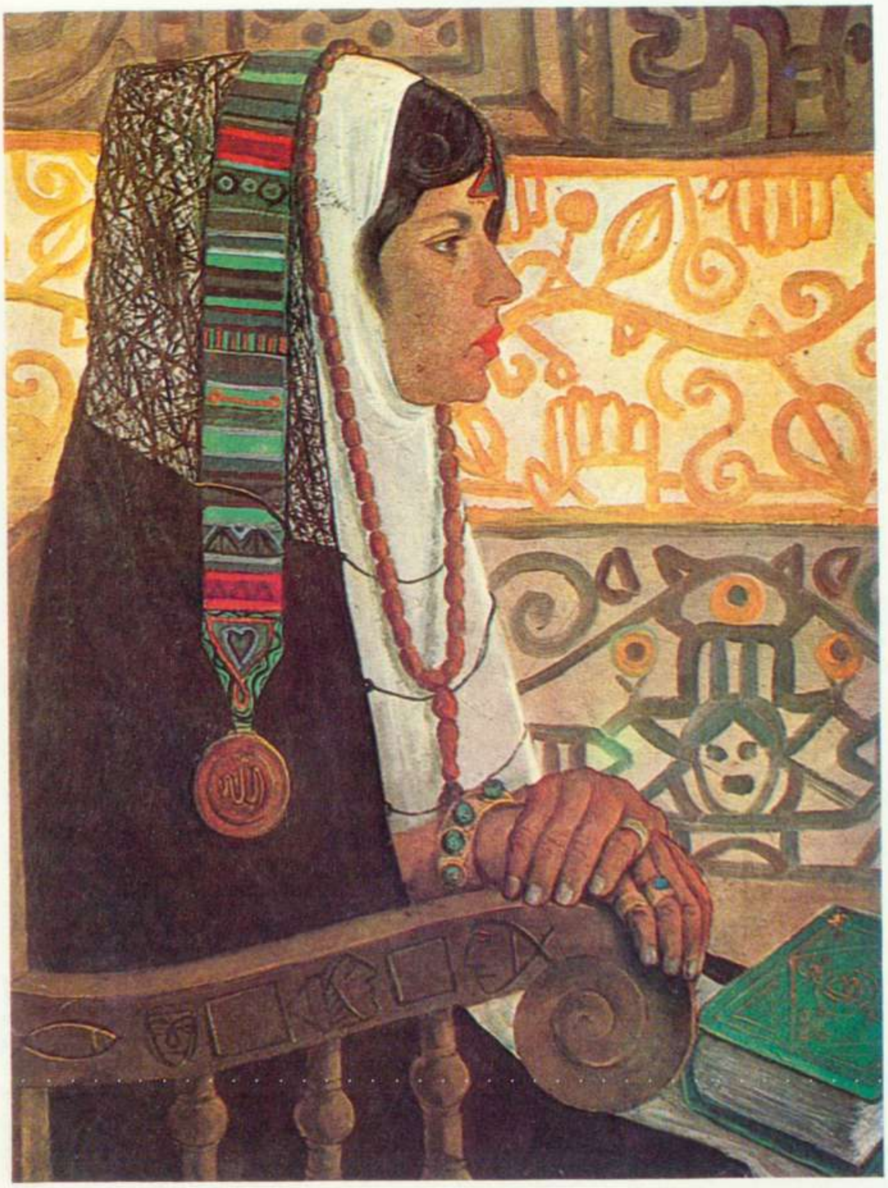
فى ٥ يونيه ١٩٠٩ أوقف الامير « يوسف كمال » عشرة آلاف جنيه ـ بالقيمة الذهبية ـ لبناء مدرسة الفنون الجميلة بعد وفاته .. وفى ١٩١١/٦/٣ أوقف عمارة كبيرة بشارع توفيق بالاسكندرية وأرض زراعية بسمالوط (تقدر قيمتها بمبلغ ٥٩٥٦٠ جنيها ذهبيا للصرف منها على مدرسة الفنون الجميلة المصرية ، على ألا يزيد عدد الطلبة عن ١٥٠ طالبا ..

وفى ٢٠ ديسمبر ١٩٢٧ تغيرت الوقفية السابقة واستبدلت للصرف على ايفاد الأول والثانى من خريجى كل قسم الى فرنسا أو ايطاليا لمدة ثلاث سنوات أو لمدد أخرى تراها الوزارة فى مصلحة كل طالب ليتم دراسته ، واشترط ان يكون الطالب مصرى الجنسية ـ حيث كانت تضم المدرسة عدداً من الطلاب الأجانب .. وفى نفس التاريخ ٢٠ ديسمبر ١٩٢٧ استبدل البند الأول بمبلغ ٢٤ الف جنيه ذهبا لتشييد مدرسة للفنون الجميلة بعد وفاته ، وذلك على الأرض التى يملكها بشارع درب الجماميز (وهو مكان الدائرة) ..

واقبل الشباب المتحمس على المدرسة ، وكانت الدروس تلقى بلغه الاســـاتذة الفرنسية عادة وكانت هذه المشكلة عائقا امام كثير من الطلبة ، وتمكن بعضهم من التغلب عليها وتم لهم التوفيق فاصبحوا رواد الفنون الجميلة الاوائل ..

وبعد ثلاث سنوات من بدء الدراسة ، وبمناسبة تخريج أول دفعة ، أقيم معرض فنى ساهم فيه كل طالب ، وقد اقيم المعرض

في يناير عام ١٩١١ بنادى (الاتوموبيل كلوب) اى نادى السيارات بشارع المدابغ (شارع شريف حاليا) وعرضت فيه الرسوم الهندسية للمنازل والعمارات والمحلات الكبيرة (لطلبة العمارة) وتماثيل لطلبة قسم النحت ولوحات مرسومة بالالوان لطلبة قسمى التصوير والزخرفة .. وكان من بين العارضين « يوسف كامل » ومحمد حسن « وراغب عياد » وعلى حسن « وانطون حجار » ومن المهندسين محمد انيس ، وراغب محمد اسلام ، وفريد نجم ، وتوفيق شارل وغيرهم .. وقد برزت فى هذا المعرض تماثيل الطالب « محمود مختار » ومنها تمثال كاريكاتورى لابن البلد ، وقد نال هذا التمثال اعجاب الكثيرين من المصريين والاجانب ، حتى انه باع منه ثمانى نسخ ، وكان ثمن النسخة جنيهين ذهبيين ، وهو مبلغ كبير فى ذلك الوقت .



من وحى حي الحسين .. للفنان عبد الهادى الجزار

الجيل الأول

كان محمود مختار هو ابرز فنانى الجيل الأول ، وكان من بين افراد هذا الجيل المصورون احمد صبرى ، وعلى الاهوانى ، ولبيب تادرس ، وزكى رائف ، ونحميا سعد وسحاب الماس ، ويوسف كامل ، وراغب عياد .. ومن المثالين عثمان دسوقى وانطون حجار ومحمد حسن.ومن المزخرفين حسين رجب ومحمود ياقوت.ومن المهندسين فريد نجم وابراهيم فوزى ومحمد انيس .

وكان الذين تالقوا من ابناء هذا الجيل الى جانب محمود مختار هم محمد حسن ، وراغب عياد ويوسف كامل واحمد صبرى وعثمان دسوقى ومحمود حسنى .

● محمود مختار : ولد يوم ١٠ مايو سنة ١٨٩١ باحدى قرى المحلة الكبرى ، وكان والده الشيخ ابراهيم العيسوى عمدة هذه القرية الذى هاجرها الى قرية « نشا » من قرى المنصورة، وهناك بدات مواهب الفتى الفنية تتفتح ، ثم رحل الى القاهرة ، وقد تتلمذ فى مدرسة الفنون الجميلة المصرية على يدى « جيروم لابلان » الذى لقنه قواعد النحت الكلاسيكى ، وقد بعث الى باريس على نفقة الأمير « يوسف كمال » من عام ١٩١١ حتى عام ١٩٢٠ وهناك تتلمذ على يدى الفنانين (كوتان) و (مرسييه) ، وقد عرض نموذج تمثاله (نهضة مصر عام ١٩٢٠) بمعرض الفنانين الفرنسيين ، فنال شهادة شرفيه ، بعدها اثار عدد من المفكرين المصريين فكرة اقامة هذا التمثال فى احد ميادين القاهرة ، ونظم اكتتاب شعبى لهذا الغرض ، ثم ساهمت الحكومة المصرية فى اقامته واتم الفنان إقامة تمثال « نهضة مصر » عام ١٩٢٨ ، حيث ازيح عنه الستار فى ميدان محطة السكة الحديد بحضور الملك فؤاد ، ثم نقل الى مدخل جامعة القاهرة عام ١٩٥٥ .. وقد ساهم مختار فى انشاء مدرسة الفنون الجميلة العليا ، كما اقام معرضا خاصا لأعماله فى باريس عام ١٩٣٠ ، ثم تولى إقامة تمثالى « سعد زغلول » بالقاهرة بين عامى ١٩٣٠ ، ١٩٣٤ ، وقد توفى فى ٢٧ مارس سنة ١٩٣٤ ، وقد كرمته الدولة باقامة متحف شامل لأعماله افتتح عام ١٩٦٢ بحديقة الحرية بالجزيرة بالقاهرة .

● محمد حسن بك : ولد فى ٢ مايو ١٨٩٢ والتحق بمدرسة الفنون الجميلة المصرية عند انشائها بقسم التصوير فتتلمذ على يدى « فورتشيلا » و «بيبيسى» و « لابلان » ، وقد عمل مساعداً لرئيس قسم الزخرفة بمدرسة الفنون والصنايع عام ١٩١٠ بجانب دراسته للفنون الجميلة ، ثم بعث الى لندن عام ١٩١٧ لدراسة الفنون التطبيقية ، وبعد عودته شارك فى تاسيس مدرسة الصناعات الزخرفية عام ١٩٢١ ثم اوفد مرة اخرى مبعوثا للدراسة فى اكاديمية روما للفنون الجميلة لمدة ٤ سنوات ابتداء من عام ١٩٢٥ ، وبعد عودته عين وكيلا لمدرسة الفنون التطبيقية ثم عميداً لها ، ثم عين عميداً لمدرسة الفنون الجميلة

العليا من عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٤١ ، وكان اول مصرى يتولى منصب مدير عام الفنون الجميلة « بعد جورج ريمون » علاوة على اشرافه على الفرقة القومية للمسرح ودار الأوبرا منذ عام ١٩٤٨ ، وقد نال رتبة البكوية ، فى عام ١٩٥٢ اى قبل إلغاء الألقاب فى مصر بشهور قليلة، واشرف على الاكاديمية المصرية للفنون الجميلة بروما لمدة ٤ سنوات بعد سن التقاعد ، ثم عين مديراً لمتحف الفنون الجميلة بالاسكندرية حتى سن السبعين ، وقد نال جائزة الدولة التقديرية فى الفنون عام ١٩٦١ لكن فوزه اعلن بعد وفاته فى ١٣ ديسمبر عام ١٩٦١ .

● يوسف كامل : ولد بالقاهرة فى ٢٦ مايو عام ١٨٩١ وتخرج ضمن الدفعة الأولى من مدرسة الفنون الجميلة ليساهم عام ١٩١٢ فى انشاء المدرسة الاعدادية بحي الظاهر ، فكان زميلا لاساتذتها العقاد والمازنى واحمد حسن الزيات وفريد أبو حديد ومحمد بدران وغيرهم من مفكرى مصر الذين اسهموا فى انشاء هذه المدرسة ، وفى عام ١٩٢١ سافر الى روما فى بعثة تبادلية على نفقة زميله الفنان راغب عياد لمدة عام واحد ، وفى عام ١٩٢٥ بعثته الحكومة المصرية الى ايطاليا للدراسة حيث عاد عام ١٩٢٩ ليكون اول فنان مصرى يعمل استاذاً بقسم التصوير بمدرسة الفنون الجميلة العليا حتى وصل الى منصب رئيس قسم التصوير ، وقد تولى ادارة متحف الفن الحديث لمدة عام، سنة ١٩٤٨ ثم عين عميداً لكلية الفنون الجميلة من عام ١٩٥٠ حتى عام ١٩٥٣ ، وسمح بالتحاق البنات لأول مرة للدراسة بها ، وقد تولى منصب مقرر لجنة الفنون التشكيلية بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب ، وحصل على جائزة الدولة التقديرية للفنون عام ١٩٦٠ وتوفى فى ١٢ ديسمبر عام ١٩٧١ . وهو يعتبر رائد المدرسة التاثيرية فى التصوير الزيتى بمصر وكان يتميز بغزارة الانتاج .

● راغب عياد : ولد فى القاهرة فى ١٠ مارس ١٨٩٢ وتلقى الدراسات الأولى بمدرسة الفرير الفرنسية ، وعقب تخرجه من مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩١١ تولى تدريس الرسم بمدرسة الاقباط الكبرى ، وقد سافر عام ١٩٢٣ الى روما فى بعثه تبادلية على نفقة زميله الفنان يوسف كامل « لمدة عام » .. ثم فى بعثه حكومية الى روما لمدة خمسة اعوام درس خلالها فنون التصوير والزخرفة وفن المسرح ، واقام اول معرض له فى روما للمناظر الخلوية عام ١٩٢٩ . وقد عين رئيساً لقسم الزخرفة فى مدرسة الفنون التطبيقية عام ١٩٣٠ ثم



العروس .. للفنان عز الدين حمودة ، الذى كان من ابرز اساتذة التصوير فى الكلية

عين استاذاً بمدرسة الفنون الجميلة العليا عام ١٩٣٧ ثم رئيساً لقسم الدراسات الحرة بها من عام ١٩٤٢ حتى ١٩٥٠ ، وقد شارك فى تاسيس « اتيليه القاهرة » عام ١٩٥٢ . كما تولى ادارة متحف الفن الحديث لمدة خمس سنوات من عام ١٩٥٠ وقد شارك فى اعداد المتحف القبطى وتوسيعه .. هذا وقد نال وساماً من الحكومة الايطالية تقديراً لفنه عام ١٩٣٦ وحصل على جائزة الدولة التقديرية للفنون عام ١٩٦٥ . وتوفى فى ديسمبر عام ١٩٨٢ عن ٩٠ عاماً .

● احمد صبرى : ولد بحي الجمالية بالقاهرة فى ١٩ ابريل عام ١٨٨٩ والتحق بمدرسة الفنون الجميلة المصرية عام ١٩١٠ وتخرج عام ١٩١٥ ، وسافر الى باريس على نفقته الخاصة لمدة عامين سنة ١٩١٩ حيث استكمل دراسته فى فن التصوير الزيتى ، واقام معرضه الأول بالقاهرة سنة ١٩٢٥ .. وقد بعثته الحكومة المصرية فى نفس العام لمدة ٤ سنوات حيث درس فى باريس ، وهناك عرض لوحته الرائعة (الراهبة) فى القصر الكبير بمعرض جمعية الفنون الفرنسية عام ١٩٢٩ فنال عنها شهادة تقدير وميدالية ذهبية .. وعند عودته الى مصر عين استاذاً لفن التصوير الزيتى بمدرسة الفنون الجميلة العليا حتى عام ١٩٤٣ حيث تولى رئاسة قسم الدراسات الحرة حتى عام ١٩٥١ عندما بلغ التقاعد .. وتوفى عام

١٩٥٥ فى ٩ مارس بعد مرض طويل وضعف بصر . وقد اشتهر بالواقعية فى اعماله ودفء الألوان وقدرته الفائقة على رسم الوجوه الشخصية .

البعثة التبادلية

قبل ان ننتقل الى استعراض التطورات التى مرت بها مدرسة الفنون الجميلة ، نقدم نموذجاً واحداً من النماذج العديدة للكفاح الشاق الذى خاضه جيل الرواد يبرز المناخ القاسي الذى عملوا فيه من اجل استكمال ادوات التعبير الفنى لديهم ، حتى احترم الجميع كفاحهم ، انه نموذج للتعاون والتضحية والوفاء من اجل تادية دورهم فى الحياة الثقافية والسياسـيـة على السواء .

فبعد ان تخرج راغب عياد ويوسف كامل من مدرسة الفنون الجميلة عمل كل منهما فى وظيفة مدرس رسم ، راغب عياد فى مدرسةالأقباط الكبرى ، ويوسف كامل فى المدرسة الاعدادية ، ولم يتوقف الفنانان عن الانتاج الفنى واقامة المعارض لانتاجهما ، ومرت سنوات الحرب العالميـة الأولى ثم احداث ثورة ١٩١٩ والفنانان يشعران بضرورة استكمال دراستهما بالخارج ، وكان راغب عياد قد اعتاد ان يسـافر الى ايطاليا خلال شهور الأجازة الصيفية ، وكان احيانا يزور فرنسا فيشاهد المتاحف والمعارض ويملاه الاحساس بمدى حاجته الى الدراسة المنظمة خاصة وان زميلهما محمود مختار كان قد اختار فرنسا وطناً ثانياً له وحقق خلال اقامته هناك مكانة فنية مرموقة .

وكان لراغب عياد مرسم ببيت الفنانين فى القلعة ، وكان يتردد عليه فى هذا المرسم زميله يوسف كامل من حين لآخر .. وفى احدى الجلسات تطور الحديث بينهما الى حياتهما الفنية وضرورة السفر الى ايطاليا والدراسة بها على يد اساتذتـهـا الكبار واقترح عياد ان يقوم كل منهـمـا بالتدريس فى المدرستين معاً ويسافر الآخر الى ايطاليا لتنمية دراسته الفنية .. وراقت الفكرة فى نظرهما وقابلا ناظـرى مدرستى الأقباط والاعدادية ، فوافقا على الفكرة وشجعاهما .. وسافر أولا يوسف كامل ، وزميله عياد يرسل له مرتبه شهرياً .. ولما انتهت مدة يوسف كامل سافر عياد فى الاجازة الصيفية وقابله هناك وقضيا سوياً الاجازة .. بمرورهما على «اكس ليبان» قابلهما محمد كامل سليم (سكرتير سعد زغلول) وكان مدرساً بالاعدادية « مع يوسف كامل » وسمع قصتهما فطلب منهما ان يقابلا سعد زغلول وكان يستشفى هناك بعد خروجه من منفاه فى سيشل .. وقابلا سعد زغلول الذى فرح بهما وقال ليوسف كامل (روح سدد الدين لزميلك) . وعاد يوسف كامل الى مصر وتولى عمله بالمدرستين وارسال النقود لعياد فى ايطاليا حتى اتم دراسته .

وكانت قصة هذين الشابين موضع أعجاب كل من سمع بها .. فلما اجتمعت الدورة الأولى للبرلمان ، وقف ويصا واصف باشا وروى قصة هذين الشابين ، ودعى الى تشجيع الفنون وفتح اعتماد سنوى لذلك فى ميزانية وزارة المعارف .. فوافق المجلس على طلبه واعتمدوا مبلغ اثنى عشر الفا من الجنيهات سنوياً لارسال بعثات الفنانين الى الخارج ، ووافقت الوزارة على إيفاد « يوسف كامل » و « راغب عياد » الى ايطاليا .. و « محمد حسن » الى انجلترا .. و « أحمد صبرى » الى فرنسا .. وذلك سنة ١٩٢٥ .

كلية الفنون الجميلة

قرر البرلمان الأول عـــــام ١٩٢٤ – كاستجابة للبعثة التبادلية بين الفنانين يوسف كامل وراغب عياد – تخصيص ميزانية سنوية للبعثات الفنية وميزانية للاقتناء من أعمال الفنانين ، وتكونت لجنة استشارية للفنون الجميلة ، وهكذا بدأ تشكيل النواة الأولى لمتحف الفن الحديث .

وتتويجاً لهذا الاهتمام الحكومى بالحركة الفنية انشات وزارة المعارف العمومية – وكان هذا اسمها وقتئذ قبل تسميتها وزارة التربية والتعليم ثم وزارة التعليم – المدرسة التحضيرية للفنـون الجميلة عام ١٩٢٧ ، قبل الغاء مدرسة الفنون الجميلة المصرية بالسيدة زينب والتى تخرجت منها اخر دفعة عام ١٩٢٨ ليحل مكانها مدرسة الفنون الجميلة القسم العالى عام ١٩٢٩ ويشمل العمارة والتصوير والنحت ، ومدة الدراسة بها أربع سنوات .. وفى سنة ١٩٣١ اضيف قسم رابع وهو الفنون الزخرفية .. وفى عام ١٩٣٣ اضيف قسم الحفر (الجرافيك) وبذلك استكملت المدرسة اقسامها الخمسة وتخرجت اول دفعة من هذا النظام الجديد عام ١٩٣٣

وقد اختير لمبنى المدرسة فيلا بشارع خلاط بشبرا رقم ١١ من عام ١٩٢٧ ، ثم نقلت فى اغسطس ١٩٣١ الى المبنى رقم ٩١ شارع الجيزة ، وفى سبتمبر سنة ١٩٣٥ نقلت الى مكانها الحالى بشارع اسماعيل محمد رقم ٨ بالزمالك ، واضيفت عمارة جديدة لأقسام الفنون سنة ١٩٥٣ .

وفى عام ١٩٣٧ الغيت المدرسـة التحضيرية للفنون الجميلة واضيفت سنة اعدادية الى الدراسة بالمدرسة العليا وأصبحت سنوات الدراسة خمس سنوات .

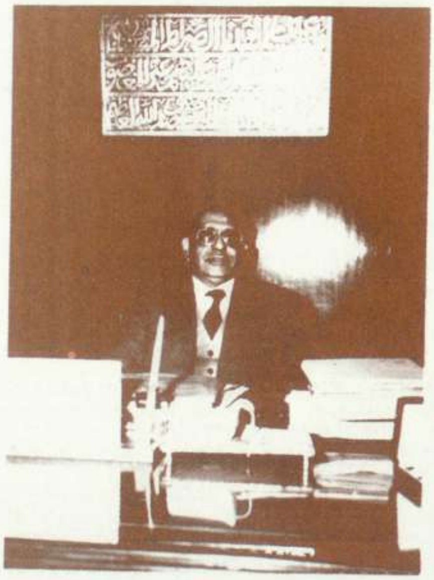
وفى عام ١٩٥١ استبدل اسم مدرسـة



الكتيب الذى أصدرته جامعة حلوان فى المناسبة التاريخية



الأمير يوسف كمال ، منشيء مدرسة الفنون الجميلة المصرية عام ١٩٠٨



الدكتور اسماعيل علم الدين رئيس جامعة حلوان



الفنان صلاح عبد الكريم عميد كلية الفنون الجميلة

الفنون الجميلة العليا باسم الكلية الملكية للفنون الجميلة ، ثم أصبح ابتداء من عام ١٩٥٣ اسمها كلية الفنـــون الجميلة بالقاهرة .

وفى عام ١٩٥٧ قررت لها مصروفات دراسية وكانت قبل ذلك بالمجان ثم الغيت هذه المصروفات فيما بعد .. وفى سبتمبر سنة ١٩٦٦ ضمت مبان وارض وفيلات مجاورة لها كان يملكها احمد عبود (باشا) وبنى عبود ومحمد على حسين (وكان يسكنها الدكتور طه حسين) وهى المساحات الملاصقة للكلية ومبانيها ، وبعد ذلك اقيمت مبان جديدة لتواجه التوسع فى الدراسة وفى اعداد الطلاب .

العمـــداء

كان « جيروم لابلان » أول عميد لهـــا (ناظر المدرسة) من عام ١٩٠٨ حتى ١٩١٨ اعقبه « جبرييل بيسى » حتى ١٩٢٧ ، وعندما تحولت الى مدرسة للفنون الجميلة « العليا » تولى عمادتها (كاميلو انوشنتى) حتى عام ١٩٣٧ ثم الفنان « محمد ناجى » حتى عام ١٩٣٩ ثم الفنان « محمد حسن » ١٩٤١ واصبح اسمها « المدرسة العليا للفنون الجميلة » ، ثم تولى هذا المنصب « شفيق زاهر » حتى ١٩٤٣ ثم المهندس « عبد المنعم هيكل » حتى ١٩٥٠ ثم الفنان (يوسف كامل) حتى ١٩٥٣ واصبح اسمها فى فترة عمادته « الكلية الملكية للفنـــون الجميلة » ثم تغير الى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة . وتولى بعده المهندس « عوض كامل فهمى » حتى ١٩٦٦ ثم (م . احمد الحسينى » حتى عام ١٩٧٢ وبعده الفنان « عبد الله جوهر » حتى ١٩٧٦ وقد ضمت الى جامعة حلوان أثناء عمادته يوم ٢ اكتوبر عام ١٩٧٥ ، اعقبه الفنان (عباس شهدى) حتى عام ١٩٧٨ ثم الفنان « صلاح نايل » الذى أصبح عام ١٩٨٢ نائباً لرئيس جامعة حلوان فحل مكانه الفنان « صلاح عبد الكريم » الذى تحتفل الكلية فى عهده بعيدها الماسى .

أقسام الدراسة

تتكون كلية الفنون الجميلة بالقاهرة من ستة اقسام هى : العمارة - والعلوم الانشائية- والديكور - والتصـــوير - والجرافيك - والنحت .. ومدة الدراسة لنيل درجة البكالوريوس خمس سنوات تبدأ بسنه اعدادية لتخصص العمارة والعلوم الانشائية ، وسنه اعدادية لتخصص الديكور وسنه اعدادية مشتركة لتخصصات التصوير والجرافيك والنحت .

● قسما العمارة والعلوم الانشائية : - يلحق بهذين القسمين الحاصلون على الثانوية العامة تخصص رياضة ، وتهدف الدراسة فيه الى تخريج مهندسين معماريين يتعاملون مع البناء كفن من الفنون الجميلة وليس مجرد اماكن صالحة للاستعمال وحسب .

ويدرس الطلاب فى هذا القسم المواد المتعلقة بالهندسة المعمارية كالتصميم المعمارى والمنظور الهندسي وحساب الانشاءات وغيرها بالاضافة الى تاريخ العمارة والنقد وعلم الجمال والحساب العلمى (الكمبيوتر) ونظريات العمارة ثم الدراسات الميدانية للتراث القومى والحضارة القديمة .

● قسم هندسة الديكور : - يلتحق بهذا القسم الحاصلون على الثانوية العامة تخصص رياضة او علوم ، وتهدف الدراسة فيه الى تخريج مهندسى ديكور لهم رؤية جمالية وعلى دراية بالخامات والمواد وكيفية توظيفها جمالياً ونفعياً .. ويتفرع هذا القسم الى شعبتين لطلاب السنتين الثالثة والرابعة هما (شعبة العمارة الداخلية) للتخصص فى الأثاث وديكور المنازل والفنادق والمكاتب العامة ، وشعبة الفنون التعبيرية للتخصص فى ديكور المسرح والسينما وقاعات العـــرض المختلفة .

● قسم التصوير : يلتحق بهذا القسم وكذلك اقسام الجرافيك والنحت ، الحاصلون على الثانوية العامة سواء تخصص رياضة او علوم او آداب .

ويتدرب طلاب هذا القسم على الرسم بالالوان وتكنولوجيا الألوان وتاريخ الفن وغيرها من الدراسات ويتخصص بعض الطلاب خلال السنتين الثالثة والرابعة فى دراسة التصوير الجدارى اى الرسم على المساحات الضخمة والخامات المناسبة للرسم فى العراء على الجدران الخارجية للمبانى .

● قسم الجرافيك : ويتدرب فيه الطلاب على الطباعة الفنية عن طريق حفر رسومهم على اسطح صلبة لطبع عدة نسخ متشابهة من الرسم الواحد .. وتتضمن الدراسة الخط العربى والتصميم والزخرفة .. ويتخصص الطلاب بعد السنة الثانية فى التصميمات المطبوعة أو الرسوم المتحركة وفنون الكتاب .

● قسم النحت : تتضمن الدراسة فى هذا القسم التشكيل فى الفن والنحت البارز على السطوح المنبسطة وفن الميداليا ثم النحت المباشر على الأحجار الصلده والطرز المعمارية المختلفة بالاضافة الى الدراسات النظرية فى تاريخ النحت وتكنولوجيا معالجة الخامات المختلفة والترميم والنقد الفنى وعلم الجمال ..

ويتخصص طلاب هذا القسم بعد السنة الثانية فى النحت الفراغى والميدانى أو الميدالية والنحت البارز على السطوح المنبسطة .

المرسم والقسم الحر

يتبع كلية الفنون الجميلة مرسم ، انشيء عام ١٩٤٢ كان يلتحق به المتفوقون من الخريجين لمدة عامين بمرتب شهرى ، وهو يعتبر أول شكل فى نظام التفرغ ويمثل نوعاً من البعثة الداخلية .

وقد اختيرت منطقة « الأقصر » بين الآثار القديمة مقراً للمرسم طوال مدة الشتاء ، وأحد البيوت العربية الأثرية « بحوش آدم » بحي الغورية فى القاهرة صيفاً حيث يمكن معايشة الآثار العربية والبيئة الشعبية .

وقد تولى ادارة هذا المرسم منذ انشائه الفنانون « حامد سعيد » ، « عبد القادر رزق » ثم « صلاح طاهر » ثم « عباس شهدى » ثم « الحسين فوزى » .. وقد اغلق عام ١٩٦٧ فى انتظار الاستفادة منه بشكل يتناسب مع الظروف الجديدة فى المجتمع .

اما القسم الحر فقد انشيء عام ١٩٤٢ لقبول الفنانين من الهـواة الذين لا يستطيعون الالتحاق بالدراسة النظامية وكان به قسم نهارى وآخر ليلى لدراسة النحت والتصوير الزيتي . وقد تولى الفنان « أحمد صبرى » تدريس فن التصوير عند انشاء هذا القسم ، والمثال عبد القادر رزق تولى تدريس فن النحت .. ثم صدر قرار عام ١٩٦٦ ينظم الدراسة الحرة أدى إلى إغلاق هذا القسم ، وكان المتفوقون من الفنانين الاحرار يحصلون على جائزة الالتحاق بمرسم الفنون الجميلة .

الاشعاع الثقافى

تعتبر « كلية الفنون الجميلة بالقاهرة » هى المدرسة التى افرخت رواداً عمالقة فى مختلف افرع الفنون الجميلة ، شاركوا بفعالية فى الحياة العامة بتخصصاتهم ، بعضهم وجه نشاطه نحو الصحافة فتطورت على ايديهم بالرسوم والاعلانات والكاريكاتير ، كما تخصص بعضهم فى التحرير والنقد الفنى .

ومنذ ربع قرن كان لهذه الكلية دورها فى انشاء كلية الفنون الجميلة بالاسكندرية ، التى احتفلت منذ شهور بيوبيلها الفضي ، كما انشئت ابتداء من العام الدراسي الحالى « ١٩٨٣ - ١٩٨٤ » كلية الفنون الجميلة بالمنيا : الشقيقة الثالثة .

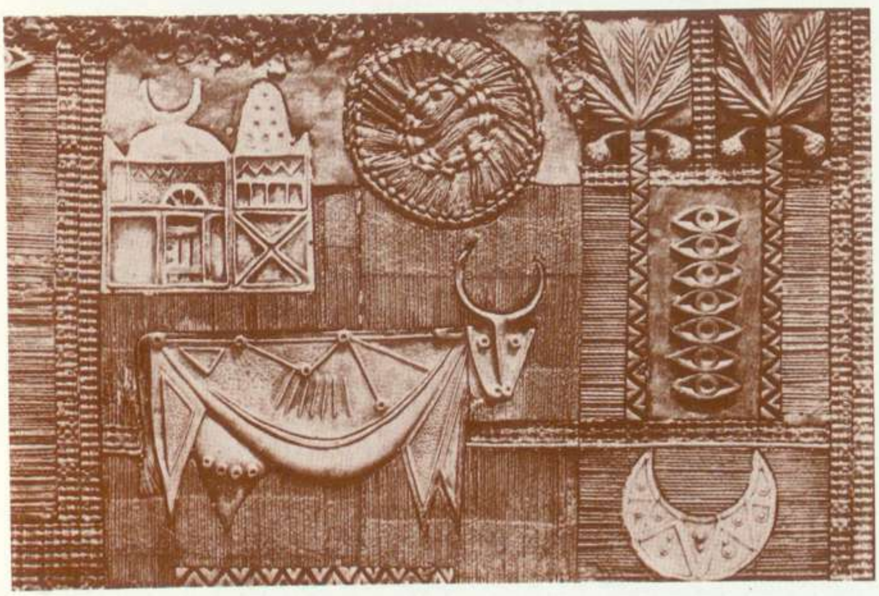
وامتد عطاء هذه الكلية الى المستوى العربى ممثلا فى اساتذتها وخريجيها الذين ساهموا فى انشاء كلية الفنون الجميلة بدمشق ، واستكمال هيئة التدريس بأكاديمية الفنون الجميلة فى بغداد ، وذلك باعتبارها الكلية الأولى للفنون الجميلة فى الشرق العربى ، كما انها استقبلت المبعوثين والدارسين من البلاد العربية والافريقية على مدى نصف القرن الأخير حيث تخرج منها المئات الذين انعكس عطاؤهم على المنطقة كلها .

هذا وقد تطورت برامجها التعليمية بعد انضمامها لجامعة حلوان عام ١٩٧٥ فسبقت الكثير من اكاديميات الفنون فى العالم بانشاء دراسات عليـا تمنح درجات الماجستير والدكتوراه فى مختلف تخصصاتها .

ومن اقطاب الجيلين الثالث والرابع الفنان الحسين فوزى رائد فن «الجرافيك» فى مصر ، الذى درس بباريس بعد تخرجه من مدرسة الفنون الجميلة ، وقد تولى رئاسة قسم الحفر عام ١٩٣٤ واشتهر من خلال رسومه الصحفية بالمجلات والصحف كما رسم مساجد مصر فى كتاب من جزئين طبع بالألوان لحساب وزارة الأوقاف ، وله لوحات زيتية ضخمة فى عدة اماكن عامة .

والفنان صلاح طاهر الذى اشتهر من خلال معارضة المتتالية فى مصر وخارجها وقد عمل مديراً لمكتب وزير الثقافة ثم مديراً عاماً للفنون الجميلة ثم مديراً لدار الاوبرا ويعمل حالياً كمستشار فنى لمؤسسة جريدة الأهرام ، وقد حصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٧٤ .

والفنان عبد السلام الشريف الذى التحق بمدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٣٠ وتخرج عام ١٩٣٥ ليعمل فى الميدان السينمائى والمسرحى ، ثم فى تصميم أوراق البنكنوت وطوابع البريد ، ثم مسجلا لحفائر المعهد الفرنسى للآثار بمنطقتي الكرنك والأقصر ، وقد اشتهر من خلال اهتمامه بالاخراج الصحفى وتصميم الكتاب ، وقد كان أول عميد للمعهد العالى للنقد والتذوق الفنى ، وبعد احالته الى التقاعد عين استاذاً للاخراج الصحفى بجامعة الملك عبد العزيز فى جدة . وقد حصل على وسام الاستحقاق من الدرجة الأولى عام ١٩٦٧ .



القربة (نحاس مطروق) : للفنان صلاح عبد الكريم

وصلاح يوسف كامل واحمد امين عاصم وعبد الحميد حمدى وكامل مصطفى وعبد العزيز درويش وعز الدين حمودة والمرحوم كمال أمين عوض وحامد ندا وحسن صادق يوسف وسمير رافع وكمال السراج ومحمد رياض سعيد وعبد الهادى الوشاحى وحسين الجبالى واحمد نوار وسامى رافع ورءوف عبد المجيد وناجى شاكر وغيرهم ..

وقائع الكرنفال

تتضمن الاحتفالات باليوبيل الماسى معارض ومؤتمرات عملية وحفلات بالاضافة الى الكرنفال الفنى الذى نظمه طلاب الكلية فى شوارع حي الزمالك يوم ١٥ يناير الماضى تقدمته فرقة موسيقى القوات المسلحة وحملة الاعلام ثم هرم من الزهور اعقبته نماذج مكبرة من أدوات الفنانين امام عربة الزهور الرئيسية التى كان يتبعها كرنفال الأقنعة وحاملو البالونات الملونة ، ومن خلفهم عربات ورود وزهور ، ثم قوس نصر محمول على الاكتاف وكانت فى نهاية الاستعراض الفرق الرياضية المختلفة .

وبالاضافة الى يوم المهرجان اقيم معرض كبير فى قاعة المعارض بالكلية ضم نماذج من انتاج فنانى الجيلين الأول والثانى ، استمر لمدة أسبوعين ليحل محله الجيلين الثالث والرابع لمدة اسبوعين اخرين اقيم بعدهما معرض العمارة ثم معرض الخريجين ..

وقد صـدر طابع بريد تذكارى بهـذه المناسبة ، وانتشرت الملصقات الكبيرة تعلن عن هذه الاحتفالات كما تم توزيع الأوسمة والشهادات التقديرية والميداليات التذكارية على من أدوا دوراً فى خدمة هذا المعهد من الأحياء .. بينما عقدت عدة مؤتمرات علمية لمناقشة شئون التعليم بالكلية ودور الخريجين فى المجتمع واستمرت هذه الاحتفالات لمدة شهرين .. وهى التى تحمس لها وساعد على نجاحها الدكتور اسماعيل علم الدين رئيس جامعة حلوان ، والفنان صلاح نايل نائب رئيس الجامعة ، والفنان صلاح عبد الكريم عميد الكلية ، حتى كان الكرنفال والاحتفالات تتلاءم مع الجو الفنى وتلفت الأنظار الى الفنانين الذين رغم قلة عددهم نسبياً فى المجتمع فانهم قد حققوا أثراً عميقاً فى العديد من المجالات .

صبحى الشارونى



العمل (حفر) : للفنان الحسين فوزى

والفنان حسين بيكار الذى تخرج من المدرسة العليا للفنون الجميلة عام ١٩٣٣ وعمل فترة فى المغرب ، وقام بالتدريس فى كلية الفنون الجميلة حتى صار رئيسـاً لقسم التصوير بها ، ثم استقال ليتفرغ للعمل الصحفى عام ١٩٥٩ ، واشتهر من خلال رسومه الصحفية وخاصة صحافة وكتب الأطفال . وحصل على عدة جوائـز وأوسمة كانت اخرها جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٠ .

والفنان أبو صالح الألفى الذى تخرج من الفنون الجميلة عام ١٩٣٦ ، ودرس الآثار الاسلامية ثم التربية الفنية والتذوق الفنى وكان وكيلا لوزارة التربية والتعليم ، ويشغل حالياً منصب نائب الأمين العام لاتحاد الفنانين التشكيليين العرب .

والفنان الراحل جمال السجينى الذى درس النحت بالفنون الجميلة وأكمل دراسته فى ايطاليا واشتهر من خلال تماثيله القومية التى تنتشر فى عدد من المتاحف العالمية .

والفنان عباس شهدى الذى كان أول نقيب للفنانين التشكيليين المصريين .. وكان قد استكمل دراسته باكاديمية (سان فرناندو) للفنون الجميلة بمدريد ، وعمل فترة بكلية الفنون الجميلة بدمشق عند انشائها ، وتولى عمادة كلية الفنون الجميلة بالقاهرة قبل احالته الى التقاعد .

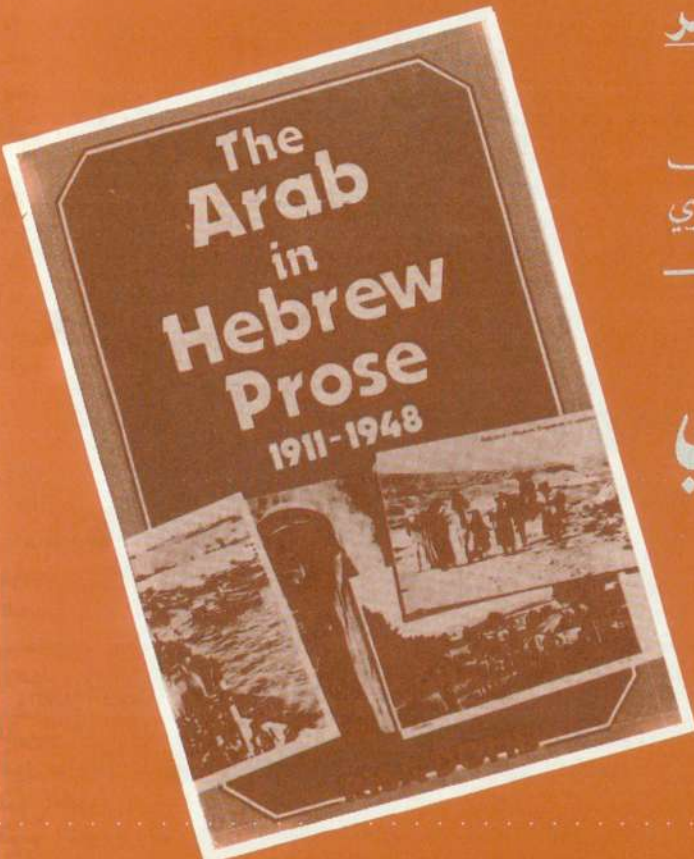
والفنان الراحل عبد الهادى الجزار الذى استكمل دراسته فى ايطاليا وحصل على الميدالية الفضية من معرض الفن المعاصر فى معرض بروكسل الدولى عام ١٩٥٨ ، واشتهر من خلال لوحاته المعبرة عن الطبقات الشعبية والأساطير ثم عن عصر الصناعة والفضاء .

والفنان صلاح عبد الكريم عميد كلية الفنون الجميلة الحالى ، الذى استكمل دراسته فى فرنسا وايطاليا وساهم فى انشاء قسم الديكور بالمعهد العالى للسينما والمعهد العالى للفنون المسرحية ، واشتهر عالميا بقدرته على تشكيل تكوينات نحتية من نفايات الحديد والمعادن ، فحصل على ميدالية الشرف الدولية لفن النحت من بينالى ساوباولو بالبرازيل مرتين عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦٤ .. أما أعماله فى ديكور العمارة الداخلية فهى متعددة بمصر والبلاد العربية وفى أجنحة المعارض الدولية .

هؤلاء بالاضافة الى اسماء كثيرة لمعت وتالقت ، من بينها مصطفى متـولى وعبد القادر رزق المثالان ، وحسنى البنانى ومحمد عزيز مصطفى وعبد الله جوهر

كتاب الشهر

تأليف : ريزا دومب
عرض وتحليل : عارف عطاري



صورة العربي في الأدب اليهودي ما بين ١٩١١ - ١٩٤٨

يلاحظ المهتم بالدراسات الفلسطينية والاسرائيلية ندرة الابحاث ، خاصة المنشورة بالعربية ، المتعلقة بالجوانب الادبية والثقافية للصراع العربى الاسرائيلي ، بالمقارنة مع الدراسات المتعلقة بالأبعاد السياسية والاقتصادية والعسكرية ، مع أن الحرب على الجبهة السياسية والعسكرية إن هى الا التعبير الدموى المتفجر للحرب على الجبهة الثقافية أو الحضارية . حتى الدراسات المنشورة بالعربية ، وإلى حد ما بغير العربية ، استندت ، فى معظم الأحيان ، الى مراجع ومصادر مكتوبة بلغات غير اللغة العبرية .

ومن هذه الزاوية ، وزوايا اخرى ، تاتي قيمة هذه الدراسة التى نعرضها فى هذا العدد . وهى للكاتبة الاسرائيلية « ريزا دومب » المحاضرة فى جامعة كمبردج . ومع أن هذه الدراسة منشورة بالانجليزية إلا انها تحليل لروايات وقصص كتبت باللغة العبرية ، بينما معظم الاعمال الأدبية الصهيونية التى قام باحثون عرب – أمثال غسان كنفاني وهانى الراهب – بتحليلها قد كتبت بلغات غير العبرية ، كما كان كتابها فى الغالب من خارج فلسطين .

والحدود الزمنية لهذه الدراسة هى الفترة الممتدة بين عامي ١٩١١ – ١٩٤٨ اما الحدود المكانية فهي فلسطين فقط .

تطرح الكاتبة فى مقدمة دراستها السؤالين التاليين :

ـ هل انتماء الكتاب لعقيدتهم الصهيونية اثرّ فى تصويرهم للعربى ؟

ـ هل اثر الموطن الاصلي للكتاب على تصويرهم للعربى ؟

فى مناقشتها للسؤال الاول تقول الكاتبة : « ان معظم الاعمال الادبية للكتاب اليهود فى الفترة التى تغطيها الدراسة ، تنكس القيم الاشتراكية للحركة الصهيونية والحركة العمالية ، تلك القيم التى كان يشارك فيها القراء ايضا . وهكذا فتهم صاغوا اعمالهم من زاوية فكرية معينة ، ومن هذه الزاوية قدموا رؤيتهم للواقع » .

وفى مناقشتها للسؤال الثانى تقول : « ان معظم الكتاب اليهود فى تلك الفترة لم يولدوا فى فلسطين . وقبل هجرتهم اليها كنوا قد تغذوا بمعرفة متحيزة . ولذلك شعروا بالاحباط لدى وصولهم إلى فلسطين وقد اثر ذلك على اسلوب تجاوبهم مع المحيط الذى وجدوا انفسهم فيه ، وعلى كيفية تصورهم للواقع » .

ولتوضيح مدى تاثير الموطن الاصلي على الكتاب اختارت الباحثة خمسة كتاب ممن هاجروا الى فلسطين من الخارج ، وكاتبين ممن ولدوا ونشاوا فى فلسطين نفسها .

قسمت الكاتبة دراستها الى ثلاثة اقسام : الأول عبارة عن خلفية تاريخية للفترة التى تغطيها الاعمال المختارة . وهذا القسم يبحث تطور الجماعة اليهودية والجماعة العربية فى فلسطين ، كل على حدة ، مع عرض اسباب التوتر بينهما .

اما القسم الثانى ، فهو تحليل موجز للاعمال المختارة ، يشمل عرض العقدة والشخصيات والأسلوب الأدبى والفكرة الرئيسية .

اما القسم الثالث ، وهو القسم الرئيسي الذى يحمل عنوان الدراسة نفسها ، فهو عرض لصورة العربى ، فى تلك الاعمال المختارة ، من زوايا أربع : ـ العربى كفرد ـ البنية الاجتماعية العربية ـ الدين والعادات العربية ـ العربى فى صلته باليهود .

خلفية تاريخية

تقدم الكاتبة الخلفية التاريخية فى القسم الأول ، من منطق صهيوني ، رغم محاولتها الظهور بمظهر الكاتب الملتزم بالموضوعية . وهى تستخدم السيرة الذاتية لأحد الكتاب ، الذين شملت الدراسة اعمالهم ، وهو « موشي سميلانسكي » ، مصدراً للمعلومات التاريخية الواردة فى هذا القسم . وهى ترى أن « استخدام السيرة الذاتية يتيح فرصة غير عادية لعرض الخلفية التاريخية من خلال الرواية نفسها » .

ولكن من حقنا ان نتساءل الى اى مدى يمكن استخدام السيرة الذاتية . بما تتضمنه من عنصر الذاتية والاختيار من الاحداث ، لعرض معلومات يفترض أن يتسم عرضها بالموضوعية . ومع أن عدداً من الباحثين يرى ان السيرة الذاتية هى احد الأشكال المشروعة للكتابة التاريخية ، إلا اننا نعتقد ان ذاتية الكاتب واختياره الاحداث بما يخدم هدفه ، يقيدان ذلك الاستخدام .

فى سيرة « سميلانسكى » تبسيط لطبيعة واسباب الصراع العربى الاسرائيلى . القضية لديه قضية احتلال واستعمار من جهة وطرد واقتلاع من جهة اخرى . القضية ببساطة هى : ارض يباب جاء اليهود ليعمروها . وهم ليسوا غرباء عنها ، فهى ارض اجدادهم . لم يكونوا فى البدء يتخيلون وجود سكان غرباء فيها . صدموا عندما رأوهم . « ماذا يفعل هؤلاء العرب هنا ؟ » . هكذا تساءلوا فى البداية .

ويعزو « سميلانسكي » الصراع العربى الاسرائيلى الى سوء فهم عائد الى اختلاف اللغة احيانا ، والى عدم فهم اليهود لعادات العرب أو احترامهم لها احيانا اخرى . كما يعزوه على الصعيد العربى إلى تحريض الاتراك للعرب ، كعامل خارجى ، وإلى تحريض ملاك الأرض سكان المدن للمزارعين العرب . كما انه يشير الى مقولة طالما رددها الكتاب الصهاينة وهى ان الصراع العربى الاسرائيلى هو نتيجة تزامن الصحوتين القوميتين العربية واليهودية . وهذا ، كما اشرنا ، تبسيط لجوهر الصراع ، واغفال لحقيقة ارتباط الحركة الصهيونية بالاستعمار العالمى . ولكننا لن نتوقف عند هذا الموضوع حتى لا نبتعد عن الموضوع الرئيسي للكتاب وهو صورة العربى فى الأدب العبري .

اشرنا فى فقرة سابقة الى عدم تصور بعض الكتاب اليهود فى البداية ـ وجود عرب فى فلسطين ، ودهشتهم عندما راوا اولئك العرب . هذا النفي ينسجم مع مقولة الصهيونية بان « فلسطين ارض بلا شعب » التى تبرر او تشكل سنداً للشق الثانى عن المقولة وهو : « لشعب بلا ارض » .

استعمار نبيل !

ولكن بعد أن لم يعد ممكنا انكار وجود الشعب العربى فى فلسطين لجأت الصهيونية الى المنطق الاستعمارى الذى ساد اوروبا فى تلك الفترة من الزمن والقائل بان الشعوب غير الأوروبية شعوب متخلفة وان على الرجل الابيض عبء النهوض بها او بمعنى اخر التخلف يبرر الاستعمار .

وكان لابد أن ينسجم الكتاب اليهود مع هذا المنطق ، وذلك بتصوير الانسان العربى المتخلف . وبالفعل فالعربى فى الاعمال الادبية التى قامت « رايزا دومب » بتحليلها هو تجسيد لكل صفات التخلف !

العربى فى هذه الروايات انسان قدري مستسلم . هكذا يبدو « رشيد » فى قصة « سميلانسكي » « الرجل العجوز » ومحمد فى القصة التى تحمل نفس الاسم . وهكذا يبدو « ابو الشوارب » فى قصة « يتسحاق شامى » ، « انتقام الآباء » .

يشوه هؤلاء الكتاب فكرة القدر فى الاسلام فيصورونها ، من خلال قصصهم ، استقالة مطلقة من الحياة ، وتخليا عن الاختيار الشخصي ، وعدم القدرة على الاعتراض . هكذا يبدو حسن فى قصة « الفلاحين » لـ « سميلانسكي » :

« احنى حسن راسه واستسلم . كذلك كان على الدوام . لقد استسلم لضربات ابيه وشيخ العشيرة وجامع الضرائب ، وللدائن وللعاصفة والجفاف والمجاعة والكوارث » .

وفى قصة « ستافسكي » بعنوان « فى النقب » وصف محزن لسلبية أهل القرية العربية التى تمر فى عام من الجفاف . ورغم ذلك ، ياتى جامع الضرائب لياخذ حصة الحكومة :

« خيم الصمت على القرية صمت طويل يبعث على الوهن . الناس يتجشاون

صــورة العـــربي في الأدب اليهودي

ويبحثون عن ظل عند حائط الى جهة الغرب . اشتدت حرارة الشمس . الحديث اصبح مملا مفككا كاصداء اصوات تاتي من بعيد ثم تتشظى . افترش احد الرجال عباءته وسيطر عليه النعاس . واخر اسند ظهره الى الحائط وجلس متربعا ثم نام . وهكذا ثالث ،ورابع ، بدا القوم وكانهم سكارى ، متعبون إلى درجة النوم ، حتى اذا طلعت اول خيوط الشمس كانت القرية باكملها لا تزال نائمة » .

والعربى جامد يقدس تقاليد الأسلاف ويرفض التغيير . هكذا قــال عنهــم « سميلانسكي » فى قصته « فى كروم يهودا » :

« نحن عرب نتبع اوامر اسلافنـــا :

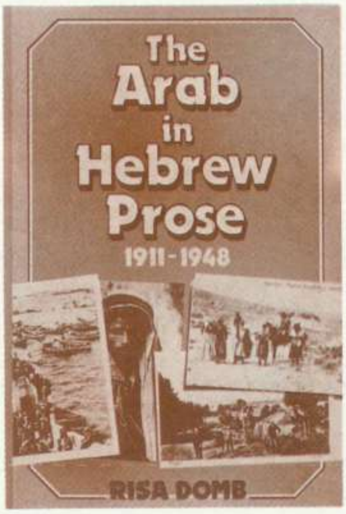
« لا تسكنوا البيوت المبنية من حجر لأن اساساتها تؤذى باطن الأرض . اسكنوا الخيام التى تحيكها نساؤكم من شعور الابل . لا تزرعوا شجراً فى ارضكم ، حتى لا تحجب وجه الأرض المقدسة عن اعينكم . سوف تطول ايامكم على الارض التى وهبها الله لكم ، اذا زرعتموها بالحب فقط ، الذى تصنعون منه الخبز ، وإذا تغذت جمالكم ومواشيكم التى تعيش معكم على العشب ، يجب أن نحافظ على كلمة اسلافنا ونلتزم بها الى الأبد » .

ولكن الانسان العربى ، فى نفس الوقت مبتز مخادع منافق متوحش كذاب . هكذا يبدو فى قصة «يسرائيل زارحى» بعنوان « قرية سلوان » ، وهى عن يهود يمنيين واجهوا ، لدى وصولهم الى شاطىء ارض الاحلام ، ملاحا عربياً هدد حياتهم مالم يضاعفوا له المبلغ المتفق عليه لقاء تهريبهم اليها . كذلك يفعل « عربى » اخر عندمــا يهدد بالوشاية عنهم مالم يدفعـــوا له مبلغا شهريا .

ويصور « زارحى » وحشية العرب فى الحـــرب العالميـــة الأولى ، وهم « يتسللون فى اوقات الهدوء ، يجردون جثث الجنود الاتراك من الملابس ، حتى انهم يقطعون اصبع الميت ليجردوه من خاتمه، ويقتلعوا سن الذهب من فمه » .

ولكن هذه الوحشية تظهر اكثر مع يهود قرية سلوان ، عندما حدث توتر بينهم وبين العرب ، فقام العرب بذبحهم وتدمير منازلهم :

« كانوا يدمرون كل شيء . اقتحموا بيت



الرابي « يوسيف كلاوستر » ، ومزقوا كتبه ومحفوظاته ، التى نثرتها الرياح ، بعد تمزيقها ، فى كل الارجاء . لم يبق منها الا صفحات ممزقة من كتاب عن تاريخ الهيكل الثاني . كما دمروا بيت الكاتب س . ي . عجنون ، وبعثروا مكتبته الثمينة ، ومزقوا كتبه الخاصة بالقدس القديمة التى قضى حياته يجمعها . سرقوا كل ما يستحق السرقة ، ومالم يريدوا سرقته دمروه . وعندما جاء الصباح تراجعوا الى الصحراء » .

وعندما عاد « زكريا » لينقذ صحائف التوراة التى تذكر انه تركها هناك ، وجد بقايا منازل :

« كان الدمار كاملا . حتى الاشياء التافهة مزقوها . لم يبق مسمار فى باب ، ولا باب فى جدار . حتى ارضية المنازل حطموها ، وظهرت عليها آثار اقدامهم . هنا وهناك قد يرى المرء آثار حياة كانت وزالت : إناء ماء محطم ، فجوة لوضع الكتب ... كاد ييأس من العثور على الهدف الذى جاء من اجله ، الى أن شاهد اوراقاً ممزقة ، تعرف من بينها على كتاب التوراة . جمع الأوراق الممزقة ، حملها مع قلبه الممزق ، قبل الأوراق وعانقها ، وبكى بكاء مراً » .

نلاحظ هنا انه مقابل الانسان العربى المتوحش ، انسان يهودي يحرص اكثر ما يحرص على الكتب والمخطوطات ، يقضي عمره فى جمعها والمحافظة عليها ، ويبكي على ضياعها ، ويغامر بحياته لانقاذها .

والانسان العربى متقلب المزاج سريع الغضب محب للثـــار . عــبر عن ذلك « سميلانسكي » فى قصته « فى السهل » فقال :

« انهم بدائيون . احيانا تراهم سعداء وفى سلام . ولكن سرعان ما يتحولون الى مجرمين . إنهم على استعداد ليتقاسموا رغيف الخبز مع الجائع ، ولكنهم على استعداد ايضا لارتكاب جريمة فى سبيل الحصول على شيء يريدونه ولا يستطيعون دفع ثمنه » .

ويصفهم على لسان مســتوطن من « هاديرا » فى نفس القصة فيقول :

إنهم ليسوا شريرين ،ولكنهم بدائيون سريعو التهيج ، تسهل اثارتهم . وهم فقراء ايضا ، وعلى استعداد لارتكاب جريمة من اجل رغيف خبز » .

هكذا صور « شامي » فى قصته « انتقام الآباء » « ابو الشوارب » الزعيم النابلسي الذى يقتل شيخ الشباب ، زعيم الخلايلة ، وهو يحاول ان يضع راية بلده اولا على مقام النبى موسى :

« كانت رغبتهم فى الانتقام والدفاع عن شرفهم قد اشتعلت فى قلوبهم حتى اعمت بصائرهم ، حاصرتهم واسرتهم ، ودفعتهم لارتكاب الخطا تلو الخطا ، وكانهم مجانين فقدوا توازنهم » .

فى قصة عايشة لـ « سميلانسكي » يصف الكاتب عبد الله بانه : « شخص قميء ، روح شريرة ، مليء بالحقد والحسد والكراهية . يسعى وراء المال والجـــاه . لا يوثق به ولم يحافظ يوما على كلمتـــه . لا يعرف إلا كراهية كل من يقف فى طريقه »

والمراة العربية ، فى القصص التى تستعرضها الكاتبة ، محرومة من كل الحقوق . فى قصــــة « لطيفـــة » لـ « سميلانسكي » تساله بطلة القصة : « هل تتزوج النساء عندكم من يحببن ؟

عندنا تباع النساء كالحمير » . اما المراة العربية عند « رابينوفيتش » فهى سهلة ، ورغم انه يعبر عن تقززه من قذارة العرب الا انه يتحـــدث عن انجذابه نحـــو المراة العربية . فى قصة « عماسي الشومير » يقول .

« عندما اريد امراة منهن ، ابعثها الى بركة الماء اولا لتستحم » .

يخلط الكتاب اليهود ، الذين شملتهم الدراسة ، بين الدين والتقاليد والخرافات ، وربما كان هذا الخلط من الكاتبة نفسها . من امثلة ذلك ان موسم النبي موسى ، وهو موضوع قصة « انتقام الآباء » لـ « شامي »

يعتبر موسما دينيا ، ويعبر عنه بكلمة حج . والأمر بطبيعة الحال ليس كذلك ، فهذا الموسم لا يزيد عن كونه احتفالا فولكوريا له ما يشابهه فى معظم البلاد العربية ، كذلك تصور الموسيقى ورقصة « الدبكة » على انها جزء من الطقوس الدينية .كذلك يصور الدراويش على انهم ممثلون للدين . وهكذا : خلط شديد واخطاء كثيرة .

صحيح ان « بيرلا » فى « صراعات الانسان » تحدث عن الحج الى مكة ، إلا ان وصفه تركز على الستائر الباهظة الثمن التى تشحن من دمشق الى مكة .

على صعيد آخر صور « سميلانسكي » الصراع بين المتدينين والعلمانيين ، ففى رواية « الضيف » وكذلك « الحاج ابراهيم » البطل يفطر فى رمضان ويشرب الخمر ، ويسخر من الدين الذى يرتبط به كبار السن .

لماذا الاعجاب بالبدو ؟

ميز الكتاب اليهود فى تلك الفترة بين البدو والفلاحين وسكان المدن . وقد احترموا البدو كثيراً ، واعجبوا بحريتهم وعدم خضوعهم لسلطة الدولة ، وبشجاعتهم ... وقد وصل الاعجاب ببعضهم ان نادى بتحويل اليهود الى بدو . هذا ما يقوله « عماسي » بطل رواية « رابينوفيتش » ، التى تحمل نفس الاسم !

« نحن نعيش على حواف الصحراء . وحسب معلوماتنا ان هناك كنوزا تنتظر من يكشف عنها .. يحتاج اناس امثالنا إلى الوحشية والمتوحشين . نريد ان نجدد دماءنا ... البدوي اليهودى هو المطلوب ... وبدون ذلك لن نتحرر » .

ويكاد « عماسي » يرى : عدة مئات ممن يركبون الجمال ، طاروا كالنسور ، مروا كالغيم فى الرياح . شعورهم الطويلة وطيات عباءاتهم كانت تسبح فى الفضاء ، رماحهم تلوح وجمالهم تصم بشخيرها الآذان » .

ولكن امله يخيب حين يعرف انهم من العرب . وكان « بيرلا » فى قصة « ظلام المعاناة » قد تحدث عن خيبة أمل مماثلة واجهها « ابا يهيا » اليهودى اليمني الذى كان يبحث عن قبائل بدوية يهودية . وتعتقد الكاتبة ان تركيز الكاتبين على خيبة أمل ابطال قصصهما فى العثور على البدو اليهود ، مقصود لوضع حد لتلك الاحلام التى كانت تراود بعض اليهود ، وللعودة بهم الى مشاكل « اليشوف » اى المستوطنات اليهودية فى فلسطين .

اما الفلاحون فيصور الكتاب اليهود حياتهم المزرية ، كما يصفها «سميلانسكي» فى قصته « الفلاحون » .

« بيوتهم من طين صغيرة ، سوداء ، قذرة ، لا نوافذ لها . ملتصقون ببعضهم . غارقون فى الطين » .

ويتحدث فى نفس القصة عن حسين عبد الله :

« الفلاح الاصفر عريض المنكبين ، الذى يعبر وجهه عن الأسى والألم ، ويعبر انحناء ظهره عن الهموم وينوء باعباء الضرائب وزعماء العشائر والجنود والجفاف والعمل الشاق » .

ويركز هؤلاء الكتاب على استغلال الفلاحين من قبل الاغنياء وملاك الأرض يتحدث محمد فى القصة التى تحمل نفس الاسم ، وهى لـ « سميلانسكي » ايضاً عن:

« الاغنياء الذين لو باعوا قمحهم المخزون فى زمن الجفاف لساعدوا الفقراء . صوامعهم تمتلىء بالقمح والشعير وآلاف الفقراء حولهم يموتون من الجوع ولا يجدون رغيف الخبز » .

وفى قصة « الفلاحون » لنفس الكاتب ، يقول : « الاغنياء يقبضون على اعناق الناس وارزاقهم ، ياخذون الأراضي عن طريق الرهن ، تمتلىء جيوبهم بالمال ، بينما يزداد الفلاحون فقراً » .

فى قصة « ناحوم يروشاليمي » بعنوان « ميركادو : سائق الحمار » ، يقول :

« يمتلك الغني قرى بكاملها حول الخليل . كانت تعتبر ملكاً خاصاً له . كل سكانها تحت سيطرته . كل عام ياتون له بهدية : فتاة عذراء يتزوجها » .

لا نستطيع نفي مظالم الاقطاع وملاك الأرض فى تلك الفترة من الزمن ، ولكن استخدام الكتاب اليهود لتلك المظالم لتبرير استيلائهم على الأرض ، او القاء عبء المواجهة بين الفلاحين العرب واليهود ، على الاغنياء الذين حرضوا الفلاحين ليكرسوا امتيازاتهم ، هو - كما اشرنا من قبل - تبسيط للصراع ، ومحاولة للتعتيم على اسبابه الحقيقية . واكثر من ذلك هو محاولة لتصوير الاستيطان اليهودي على انه نعمة للفلاحين والفقراء العرب . وهو ما اثبتت زيفه الاحداث التالية .

اليهودى نموذج للتمدين

ولا يتضح مدى التشويه الذى الحقه الكتاب اليهود بالعرب الا بعرض الصورة التى رسموها لليهودى فى نفس الروايات . اليهودى هو الصورة النقيضة . اليهودى يذهب للطبيب عند المرض ، والعربى يذهب إلى الساحر . اليهود كرماء يدفعون بسخاء مقابل اي ارض يشترونها . العرب اطفال سذج امام اليهود المتقدمين . عندما يظهر النظام الزراعى اليهودي المتقدم يفتح العرب اعينهم على تخلفهم « لقد قلب اليهود العالم راساً على عقب » كما قال حسن فى قصة الوثاق لـ « سميلانسكي » .

وعن سذاجة العرب يتحدث « رابينوفيتش » فى رواية « عماسي الشومير » :

« الحارس العربى ينام . كثيراً ما سرقنا بندقيته دون ان يدري . وسرقنا حميره وتركناها ترعى فى بيارات البرتقال . هل تتوقع ان تراه دون ان يحمل شيئاً على ظهره ، او شيئاً فى كيسه من الأشياء التى لا يزال المالك يحتاجها » .

ومع ان كلا من « سميلانسكي » و « رابينوفيتش » يصور العربى الساذج مقابل اليهودى المتقدم ، إلا ان سميلانسكي يدعو اليهود للتعاطف مع العرب ومحاولة فهمهم واحترام عاداتهم ، والأهم من ذلك انه يعتبر الاستيطان اليهودي فرصة للنهوض بالعرب وانتشالهم من التخلف . فى قصة « الشيخ عبد القادر » يتحدث سميلانسكي عن المواجهة بين اليهود والعرب فى « رحفوت » . عندما أراد اليهود امتلاك الأرض انقسم العرب على انفسهم ، فمنهم من قاتل اليهود كغزاة اوروبيين لم

يروا اى خير من قدومهم ، وقسم راى فى وجود اليهود منفعة مادية واقتصادية وتهيا لقبول الوضع الجديد . هذا الفريق ربح المعركة ، وتبعه الفريق الاول .

فى قصة « الوثاق » يصبح كل امل العرب الفقراء ان يشترى اليهود ارضهم ليتخلصوا من ديونهم لملاك الارض . ولكن السلطات العثمانية هى التى تعارض بيع الأرض لليهود .

اما فى قصة « حسن عبد الهـــادي ابو عيد » فكان رد فعل العرب اللامبالاة . « الفلاحون مشغولون بهمومهم ولا يعنيهم مجيء اليهود » .

فى قصة « رضا ورضـــا الله » لـ « سميلانسكي » ايضاً ، تتحسن حياة الشيخ هلال فقط بعد ان اقيمت الى جانب مضارب قبيلته مستوطنة يهودية :

« منذ اقيمت المستوطنة اليهوديــة الكبيرة الى جانبهم توقفوا عن الترحال واستقروا . ظل الشيخ هلال وبناته يعيشون فى الخيام ، لانهم يرفضون الاستغناء عنها ببيوت الحجر ، إلا انهم اخذوا يحرثون الأرض ويزرعونها بنجاح » .

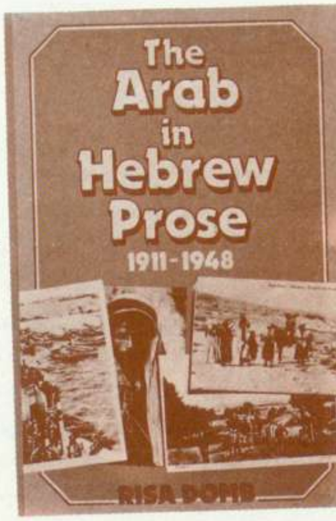
فى رواية « عطا الله » يصبح اليهود قدوة فى عدم الاستغلال :

« عندما تجمع اهل القرية بدا عطا الله يلوم الاغنياء لاستغلالهم اخوانهم الفقراء ودعاهم الى الاقتداء باليهود الذين يدفعون للعرب ضعف ما يستحقون من اجر » .

وكان الكاتب يريد ان يقول : لا مبرر لتذمر العرب من الاستيطان اليهودي فهو خير وبركة عليهم .

وبشكل عام تتعاطف الشخصيات اليهـودية فى روايـــات وقصص «سميلانسكي» مع العربى المظلوم سواء كان رجلا مزارعاً يظلمه صاحب الارض ، او امراة يظلمها زوجها وابوها والمجتمع ، بل هناك تعاطف مع العربى الذى يسيء اليهودى فهمه ، أو لايصبر على سذاجته . المحصلة فى النهاية ان النهوض بالعربى يتم عن طريق الاقتداء باليهود ، وعلى اليهود عبء اخلاقى تجاه ذلك فهم المتقدمون والعرب سذج .

ولكن « رابينوفيتش » يرفض رومانسية « سميلانسكي » ، ولا يرى اي امكانية للتعايش بين العربى المتخلف واليهودى المتقدم :



« لا تتحملنا الأرض معاً . إما نحن او الوثنيون ... ســوف تتقياكم الارض كمــا تقيات الكنعانيين من قبل . سوف ياتي عمال جدد عبريون انقياء » .

ولا يهتم بطل قصته « عماسى الشومير » لمنظر فلاح يهودي يضرب صبياً عربياً . ما يهمه هو ان يتخلص اليهود من احلامهم الرومانسية فى الحياة بسلام مع العرب :

« عليهم ان يقبلوا حقائق الحياة المرة . الرومانسية ممنوعة . عندما يريد الانسان ان يعيش يجب ان يجعل قلبه قاسياً » .

لذلك فبطل القصة لا يكتفي باللامبالاة تجاه ضرب اليهودى للعربى بل يشترك معه :

« امسك اليهودى الصغير العربى من ثوبه وسحبه حتى ظهرت عورته . سقط وكان لا حياة فيه . جاء الفلاح اليهودى وصفعه على وجهه ، وظل يصفعه حتى تدفق الدم من بين شفتيه » .

وهذه فى رايه هى الوسيلة الوحيدة للبقاء . الامور المعنوية لا تقلقه فلا بديل عن امن « اليشوف » . والبطل « عماسي » يحتقر حتى اليهــــود الشــرقيين لأن « السفارديين يشبهون العرب . مساء كل سبت يحل العرب ضيوفاً على السفارديين ويملأون شرفات المنازل بقشر الجوز . يقضمون ويقضمون بشكل مثير للغثيان . وأهم شيء انك لا تستطيع ان تفرق بين الطربوش الاسرائيلى والاسماعيلى » .

لا تختلطوا بالعرب

وهو يثير مخاوف السفارديين من علاقتهم بالعرب فقد اختلط واحد منهم بالعرب وكانت نهايته القتل ، بل إن العرب منعوا والد « عماسي » من الاتيان بقابلة لتوليد امه فماتت اثناء الوضع .

هذا التخويف من غدر العرب ولؤمهم رايناه عند « زارحي » فى « قرية سلوان » . وهو ايضا موجود فى قصة ميركادو : سائق الحمار » لـ « يروشاليمي » . هذه القصـة تدور حول ذبح اليهود للعرب عام ١٩٢٩ فى الخليل . ولا يوضح الكاتب ابداً الاسباب التى أدت الى ذلك . مع ان العلاقات بين العرب واليهود قبل تلك الاحداث كانت طيبة ، فالحاخام « شبتاي » حكيم نزيه يستدعيه العرب واليهود لتسوية المنازعات (لاحظ هذا الايحاء ، فالحاخام وليس رجلا عربياً ، هو الحكم وموضع الثقة) و « ميركادو » يستاجر الحمار ، الذى يعمل عليه ، من عربى ، والعرب يؤجرون ارضهم لليهود ، والمراة العربية تغسل النساء العواقر : عربيات كن او يهوديات ...

ولكن فجاة ودون توضيح للأسباب يخون العرب تلك العلاقات وتكون المذبحة .

أما فى « قرية سلوان » فيوضح « زارحي » سبب كراهية العرب لليهود ، وهو الحسد ، فاليهود يناوؤن مهرة نشيطون .. وبما ان يهود « سلوان » من المهاجرين من اليمن ، فهو يعود الى اضطهادهم هناك ويعزوه الى الاسلام ، فمنذ اعتناق اهل اليمن للاسلام واليهود مضطهدون روحيا واقتصاديا ، فاضطهادهم فى فلسطين هو امتـــداد لاضطهادهم فى اليمن .

وهكذا فان القارىء اليهودى ، الذى كتبت هذه القصص له (فهى مكتوبة بالعبرية) سوف يعتقد بالتاكيد ان هناك خللا ما فى الشخصية العربية والعقلية العربية ، وهذا الخلل يبيح الاستيلاء على ارضها ، فهى اصلا عبء على تلك الارض وسبب من اسباب خرابها . هذا الخلل يسلب العربى حقه فى رفض الوجود اليهودى . وهو فى افضل الاحوال لا يمنحه اكثر من حق التعاطف معه ومحاولة انتشاله من تخلفه .

وبهذا كان الادب الصهيونى رديفاً للسياسة الصــهيونيــة وتنظيراً لها . ان ما يقوله كتاب القصة والرواية الصهيونية هو ما ردده ولازال يردده الساسة الصهاينة. وبذلك تكون الساحة الأدبية هى احدى الجبهات التى خاضت عليها الحركة الصهيونية معركتها ، وهى ساحة جديرة بالبحث والدراسة .

عارف عطاري

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد حجما لا مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● وليم شكسبير .. هل كان ملكا ؟ ●● وسائل الوحدة العربية ومقاصدها

وليم شكسبير .. هل كان ملكا؟

بقلم : حسين غانم

ولد شيكسبير فى ابريل عام ١٥٦٤ ، وتوفى فى ابريل عام ١٦١٦ ، وفى ذكرى ميلاده وموته

نكتب هذه الكلمة الطريفة تحية للشاعر العظيم فى قبره) .

ظلت المسرحيات الخالدة المنسوبة إلى وليم شيكسبير ، شغل العلماء والأدباء والباحثين قرابة قرن من الزمان ، فى ناحية واحدة ، لأن العالم شغل بها منذ ان وجدت من نواحيها الاخرى .

فلم يكن شاغلهم هذا القرن إذن هو قوتها الخارقة ، فلا يختلف اثنان فى عبقرية كاتبها التى لا تجارى . والذى يقدم على بحثها يتهيبها قبل الاقدام على دراستها وفهمها . وشيكسبير علم : اى مادة قائمة بذاتها تدرس فى المدارس الانجليزية جميعا ، ابتدائيها وعاليها .

حتى فن (السينما) ، على ما بلغه من شاو عظيم فى الاخراج والحيل الخارقة للطبيعة نفسها ، يتهيب الاقدام على هذه المسرحيات لاعدادها للسينما ، وقد اخرجت السينما روايتين من مسرحياته ، هما : حلم ليلة صيف ، وروميو وجولييت ، وقد بلغت الاخيرة من الجودة والاتقان فى الاخراج حداً كبيراً . اما حلم نصف الليلة فقد سقطت فى الاخراج ، ولهذا ينظر فن السينما إلى اعمال شيكسبير خجلا !

وهاتان المسرحيتان ليستا من احسن اعمال شيكسبير ، فماذا تكون النتيجة لو اقدم فن السينما على اخراج بعض مسرحياته الممتازة مثل مكبث ، والملك لير ، وعطيل ، وسمبلين ، ويوليوس قيصر ، والعاصفة ، وكما تريد ؟

خذ مثلا كاتبا مسرحيا آخر ، هو برنارد شو ، فقد اعترف بنفســـه ان فيـــلم (بجماليون) الماخوذ عن مسرحيته التى تحمل هذا الاسم ، بلغ درجة من النجاح لم تبلغها المسرحية على المسرح ..

وقل مثل هذا فى فيلم (ميجور باربارا) الماخوذ عن مسرحيته بهذا الاسم ، فقد نجح نجاحا كبيراً ..

وقد عادت (السينما) إلى اعمال شيكسبير فى محاولة اخرى ، هى مسرحية هنرى الخامس ، تخرجها بالألوان الطبيعية ، وهى محاولة جدية عساها تنجح .

●●

اما ان اعمال شيكسبير شغلت العلماء والباحثين قرابة قرن من الزمان ، فلم يكن مبعثها قوتها وعظمتها ، ولكنه البحث فى حقيقة كاتبها ومنشئها ، وهل هو الممثل المغمور وليم شيكسبير ، ام هو شخص غيره ؟

وقد ظهرت كتب عديدة فى هذا الموضوع الى جانب المئات والمئات من الكتب التى تبحث هذه الاعمال وتشرحها وتحلل عبقرية شيكسبير .. وعلى الرغم من قيام هذه

الحرب التى تكاد تستنفذ جهود الشعوب جميعا ، أفراداً وجماعات ، بمن فيهم من علمـاء وأدباء وشعراء وصحافيين ، فان الكتابة عن شيكسبير لم تنقطع عاماً واحداً .. ومن الكتب التى ظهرت عنـــه اخيراً – فى نحو عام سابق من هذا التاريخ – كتاب للأستاذ هسكث بيرسون عن حياة شيكسبير ، وقد قال عنه برناردشو إنه عمل طيب لم يقرأ له نظيراً فى التراجم القديمة التى وصفت عن المترجم له العظيم ..

وكتاب ثان بقلم الدكتور تليارد عنوانه صورة عالم اليزابث ، وآخر بعنوان طوالع فولستاف للأستاذ دوفر وليم .

والكتاب الثانى يختص شيكسبير بالقسم الأكبر منه ، فى كلامه عن تأثير الأدب فى العالم ، وعمل الكتاب الادباء والشعراء فى ســـبيل الانســـانية والحضارة .

اما الثالث فهو يدافع عن شيكسبير من الناحية الانسانية فيما صور به هنرى الرابع فى تخليه عن صديقه فولستاف ، ويدافع عن إنسانية شيكسبير المتطرفة وحبه للخير العميم ، ضد آراء موريس مورجان ..

وكتاب رابع بقلم إديث ستول عنوانه مفكرة شاعر ، وهو يبحث فى نظم شيكسبير وقوته على التعبير البعيد البليغ .

وكتاب خامس ، وهو موضع حديثنا فى هذا المقال ، وهو من الكتب الكثيرة التى شغلت الباحثين قرنا من الزمان فى تلك الناحية الواحدة ، والتى يتلخص بحث العلماء والأدباء فى محاولاتهم ومجادلاتهم منها فى : هل هذه المسرحيات كتبت بقلم شيكسبير أم بقلم فرنسيس بيكون وكيل الملكة اليزابث ، وظلت تنسب إلى شيكسبير مئات من السنين ؟

الكتاب الجديد

هذه المسألة حيرت عديداً من العلماء والأدباء ..

وهذا الكتاب آخر ما ظهر عن هذا الموضوع ، وقد وضعه الأديب الأمريكى المعروف إدوارد مورجان ، الذى توفر على دراسة شيكسبير مدة عشرين عاماً متوالية وخرج من هذه الدراسة بنظرية جديدة – إذا



صحت – قلبت تاريخ شيكسبير ومسرحياته رأساً على عقب ، بل غيرت كثيراً من تاريخ انجلترا المتوسط .

وقد سببت هذه النظرية الجديدة حيرة جديدة ، واستحدثت حدثاً ضخماً فى تاريخ الأدب الانجليزى . وقبل ان نتكلم عن هذا الكتاب ونناقشه يجب ان نضع امامنا ما قاله احد نقاد الانجليز اخيراً بصدد الكتب التى تخرجها المطبعة عن شكســـبير وأعماله : (إن الكتب التى توضع عن شيكسبير شتيت مختلف ، فبعضها دون ، وبعضها جنون ، على ان غالبيتها تتحدث عن الناقد نفسه لا عن شيكسبير واعماله ، ولكنها جهود مشكورة على اية حال !) .

يدعى مورجان ان الاجابة الصحيحة لكل المحـــاولات والمناظرات والبحوث السابقة تتلخص فيما يلى من الحقائق التى ضمنها كتابه ، ونحن نأتى على بعضها ونناقشه فيما يلى :

هل مات إدوارد الســـادس صغيراً ؟

يقول مورجـــان إن فـــرنسيس كتب المسرحيات المعزوة إلى شيكسبير ، ولكن بيكون كان فى نفس الوقت ، هو ملك انجلترا إدوارد السادس الحقيقى !

فالمعروف فى تاريخ انجلترا ان هذا الملك المعجزة ، الخارق الذكاء ، مات فجاة وهو فتى فى السادسة عشرة من عمره . ولكن مورجان ، على ذلك ، يدعى ان ادوارد الصغير لم يمت فى هذه السن الباكرة ولكنه اختفى فجاة اختفاء غامضا مريبا .

الرسالة الخفية

يعلم الأدباء الذين درسوا شيكسبير جيداً ، أن هناك دلائل وقرائن تثبت ان مؤلف روايات شيكسبير حاول ان يحمل اعماله رسالة خفية بين سطورها ..

ولكن هؤلاء الذين يعتقدون ان شيكسبير حاول ان يلمح الى انه بيكون نفســـــه ، تجابههم هذه الحقيقة : لماذا كان بيكون ، وهو ذو الشخصية القوية الممتازة فى البلاد والقاضى الفاضل رفيع الشأن والفيلسوف العظيم ، يحاول ، أو يرغب فى إخفاء حقيقة شخصيته ، ويمنح الخلود لممثل وضيع مجهول اسمه شيكسبير ؟

هذه المسالة المعقولة تهلهل ما نسجه هؤلاء الذين يقولون ان شيكسبير هو بيكون. فقد كان من السهل على بيكون ان يكشف عن نفسه كمؤلف لتلك المسرحيات وهـــو ما تقدم من تلك المكانة الادبية ، لو لم يكن فى المسالة سر اعظم من هذا وأمر اشد خطراً .. يبدو لنا من النقطة التالية ..

هل كان الملك وكيل الملكة ؟

وهذا الرأى المعقول يؤيد وجهة نظر مورجان تأييداً قويا .

فهو يعتقد ان فرنسيس بيكون كان اكثر من كاتب متحجب . لقد كان شخصية متحجبة ايضا ، فهو شخص فر من الجلوس على عرش خطير ، محاط بالدسائس والمؤامرات ، إذ لم يجرؤ على الكشف عن شخصيته الحقيقية خوفاً من (نصف اخته) القوية ، إليزابث ، التى نصبت على عـرش انجلترا عام ١٥٥٨ ، حتى لا تقتله .

ويعتقد مورجان ان اليزابث عرفت ان وكيلها فى الملك ، فرنسيس بيكون ، كان ابن والدها نفسه ، هنرى الثامن ، من زوجته الثالثة جين سيمور ، وإنه سيكون – تبعا لذلك – خطراً شديداً على عرشها ، إذا طالب به .

ولكن ، هل هناك سبب معقول يجعلنا نعتقد ان هذا الغلام ، صار قادراً فيما بعد من سنيه المتاخرة ، على ان يكتب هذه

الاعمال التى نحلها وليم شيكسبير ؟

بالتاكيد هناك سبب معقول !

كان هذا الملك ، وهو طفل صغير ، مشهوراً فى البلاط انه طفل عجيب معجز ، مفرط فى الذكاء والقوة العقلية ، حتى سموه سليمان الثانى !

فقد كان وهو فى السابعة من عمره ، شاعراً ورساما ، وقد حذق اللغة اللاتينية حذقا تاما ..

ولما بلغ الثالثة عشرة من عمره كان يترجم اللغة اللاتينية ! ويحتمل بل يرجح ، انه اتفق مع (نصف اخته) اى اخته من ابيه ، الملكة اليزابث ، على ان يكتب اعماله الاخرى تحت اسم فرنسيس بيكون .. ومن الناحية الثانية ، باستعماله اسم الممثل المجهول شيكسبير لمسرحياته .. ولا يكون بذلك خطراً على عرش (نصف اخته) حتى فى تلميحاته الخفية بين سطور كتاباته فماذا يكون دخل هذا الممثل المجهول المدعو شيكسبير فى عرش انجلترا ، وما هى علاقته به ؟

فى عـــام ١٥٥٣ ، اعلن ان إدوارد الصغير مات فتربعت على عرش انجلترا اللادى جين جراى ، ولكنها قتلت بعد تسعة ايام من حكمها . وعندئذ حكمت كارى تيودور مدة قصيرة ، ثم خلفتها اليزابث عام ١٥٥٨ .

وكانت هذه الفترة من التاريخ الانجليزى فترة دموية من دسائس ودماء .

وإذا كان إدوارد حيا ، ومختفيا ، كان لديه من الأسباب ما يجعله يخشى على حياته إذا ظهر وطالب العرش،فاثر السلامة الشخصية على العرش .

على أن اختفاءه المفاجىء ، وإن ظل سراً مكتوما، جعل كثيرين من الناس يشكون فى انه مات حقا .

ويقول مورجان : إن الأوراق الرسمية فى سنة ١٥٩٩ تثبت ان عدداً كبيراً من الناس القي عليهم القبض ، لانهم أعلنوا ان إدوارد السادس حي لم يمت . وكان حينئذ عمره يقرب من الستين عاماً ..

وكثير من الكتاب والشعراء لمحوا فى كتاباتهم إلى ان الملك الصغير إدوارد لم يمت ، فهذا الشاعر (مايكل درايتون) يقول من قصيدة :

« إن الملك إدوارد السادس ، المقضور فى حياته القصيرة ، (مع الريبة فى هذا) ولكنه ترك المملكة » .

فى منزل بيكون

ويستمر مورجان فى كلامه فيقول ثانياً :

إن هناك برهانا اخر ، وهو ان المنزل القديم ، الذى كان يعيش فيه بيكون ، فى سانت البان ، كان مكتوبا على باب الحجرة الخاصة التى ينام فيها اسماء جميع الملوك لانجلترا من وليم الفاتح الى جيمس الأول الذى ارتقى العرش بعد الملكة اليزابث . وبين اسمى اليزابث وجيمس يوجد اسم اخر يكاد يكون مطموساً ولكنه يبـــدأ بحرف... E وهو اول حرف من اسم إدوارد.

ومن المحتمل جداً ان يكون بيكون فى نزوة تهكمية ساخرة كتب اسم إدوارد هناك وهو يعنى به نفسه !

طغراء

وهنا يذكر مورجان برهانا قويا على صدق نظرياته . ويبدو معقولا إلى حد بعيد .. يدلل به على ان شيكسبير وبيكون ، لم يكونا غير شخص واحد هو إدوارد السادس ..

وهذا هو البرهان :

فى بعض مسرحيات شيكسبير توجد هذه الطغراء ..

EVI

ER

ET

فالأولى تعنى الحرف الأول من إدوارد ، والحرفان بجانبها يعنيان السادس .

والثانية تعنى إدوارد ركس .

والثالثة تعنى إدوارد تيودور .

وهذه الطغراء نفسها وجدت بالذات فى بعض اعمال فرنسيس بيكون .

القرد فى اللحية

ويلفت مورجان انظارنا إلى صورة زيتية لفرنسيس بيكون ، وجدت فى كتابه المعروف :

The Mirror of State and Eloquence

فاذا قلبت هذا الرسم وجعلت راسه إلى اسفل ، وجدت فى لحية الرسم الغريبة شكلا لوجه قرد !

وتذكر سجلات التاريخ ان إدوارد السادس كان مغرماً بقرد يعتز به إلى درجة بعيدة ، وكان هذا القرد يجلس دائما على كتف نديم هذا الملك .. كهذا الرسم :



نقش فى الخشب

ودليل اخر ...

فقد وجد كتاب اسمه Minerva Brittanica بقلم مؤلف مجهول باسم هنرى بتشام ، ويظهر فى هذا الكتاب رسم عليه نقش فى الخشب يحمل هاتين الكلمتين اللاتينيتين Mente Videbor ومعناهما : سأكون مرئيا فى العقول ، ولكن الغريب فى أمر هذا النقش ان نقطة وضعت وضعاً شاذاً بين الكلمتين ، لان هذه النقط لا توضع فى اللغات الافرنجية إلا فى آخر الجمل ، ولكنها موضوعة بين الكلمتين ، فتجعل من أخر الكلمة الأولى ، واول الكلمة الثانية هذه الحروف : TE. VI

وهذه هى الحروف الأولى من اسم : تيودور إدوارد السادس ، كما فى هذا الرسم ، والكاتب يخفى نفسه خلف ستار !

حسين غنام
١٩٤٤

وسائل الوحدة العربية ومقاصدها



بقلم : الدكتور عبد الوهاب عزام

●● الكاتب العربى الكبير عبد الوهاب عزام شغل مناصب هامة فكان عميداً لكلية الآداب فى جامعة القاهرة وسفيراً لمصر فى باكستان والسعودية ، وكان من اسبق دعاة الوحدة العربية فى مصر ، وقد كتب هذا المقال الممتاز منذ اربعين سنة ●●

للعرب موطن واحد او مواطن متصلة مترامية بين هضب إيران وبحر الظلمات . وسعة هذا الوطن لم توهن الصلات بين ارجائه المتنائية ، فكانت متعاونة متواصلة على حين لم يكن للناس من وسـائل الاتصال وطريق التعارف ما كشفت لهم الحضارة الحديثة ، وقد خضعت هذه البلاد كلها حينا ، ومعظم البلاد الاسلامية الأخرى لدولة واحدة ، الكلمة العليا فيها لرجل واحد ، يشرف على هذه الاقطـار الواسعة ويدبر امورها العليا . وكانما زويت للعرب جوانب الارض فدانت اطرافها او كانها كانت مصورة على خريطة، كما قلت فى الخليفة الوليد :

دانت لسطوته البلدان واجتمعت
فى همة العـرب اقطار وامصـار
كان ما بين شيخون وقرطبـة
على الخريطـة للرائين اشبار

فكيف وقد قرب العلم والصناعة ما بين اقطار العالم كله ، وصار ما بين مشرق الأرض ومغربها ايسر على المسافر واقرب مما كان قديما بين ارجاء القطر الواحد . كيف وقد صار الانسان يسمع الانسـان يتكلم فى اقصى الارض ، ويعرف الاحداث التى تقع فى ابعد الممالك اسرع مما كان القدماء يعرفون احداث المدينة الواحدة .

لقد طويت المسافات والاوقات ، وتدانت الابعاد والآماد . فما سعة الوطن العربى بحائلة دون اتصال اقطاره وتعارفها وتعاونها وتاخيها .

ولهذا الموطن الشاسع لغة وادب وتاريخ وثقافة ، كانت وما تزال على تطاول العصور وتنائي الديار ، واحدة او كالواحدة . فاما اللغة فقد بقيت لغة القران شائعة فى هذه الاقطار مسيطرة عليها ، فنشا ما نشا من اللغات المحلية او العامية ، ودامت اللغة العربية ملتقى عقولهم وعواطفهم ، وترجمان آمالهم والامهم ، ووسيلة تفاهمهم وتعـارفهم . فما يلتقى عربى بعربى مهما تباعدت ديارهما إلا ارتفعا قليـلا عن لغتيهما المحليتين إلى العربية الجامعة الواسعة فتحدثا بها ، وتعارفا بما علمتهما العربية من قبل من تـاريخ وادب ، وما طبعتهما عليه من عواطف وآداب ، وكانهما اخوان فرقت بينهما الحادثات حينا ثم اجتمعا .

وإذا تحدثا فى التاريخ رجعا الى اواصر جامعة ، ومفاخر مشتركة . فاذا ذكرا خليفة او ملكا او اديبا او شاعرا او كاتبا او متكلما او محدثا او مفسرا او فقيها او فيلسوفا ذكرا رجالا ليس احدهما اولى بهم من الآخر ، وسمع كل من اخيه ما يعرفه او ما يسره ان يعرفه من تاريخه ، وإذا تحدثا فى الحاضر فبينهما على العـلات عواطف مؤلفة ، وثقافة مقربة ، اجتمع على تاليفها الماضى والحاضر . وكثيرا مالقينا العرب من غير ديارنا فى اوطان عربية وغير عربية فما تناكرت الوجوه ، ولا تقاطعت الألسن ، ولا تباعدت العواطف ، ولا اختلفت المعارف إلا بمقدار ما تختلف معارف رجل عن اخيه فى المملكة الواحدة والبلد الواحد .

هذا ولم يعمل العرب اليوم لنشر ثقافتهم بينهم ، وإشاعة ادبهم فيهم ، والتقريب بين عقولهم وقلوبهم ، وإنما هو ميراث التاريخ الذى لم تقو الخطوب على تفريقه ، ورباط الماضى الذى لم تجرؤ العصور على تمزيقه فكيف إذا مهدت السبل واتخذت الوسائل لتعريف العرب بثقافتهم الموروثة وإمدادهم بثقافة جديدة مشتقة من تاريخهم واوطانهم ، مستمدة من كل ما اخرجته عقول البشر فى الشرق والغرب .

كيف اذا اجتمع علماء العرب على نشر ثقافتهم القديمة مهذبة مرتبة موضحة ميسرة ، واتفقوا على اشاعة ثقافة حديثة ملائمة لبيئاتهم واحوالهم ، ثم اتخذوا فى نشر هذه وتلك وسائل النشر الحديثة .

ان الكتاب ليؤلف اليوم فى القاهرة او دمشق فيقرا فى بغداد بعد قليل ويقرا فى المغرب بعد حين على كثرة ما وضع من الفواصل التى اريد بها قطع المغرب عن سائر بلاد العرب . فكيف إذا نظمت الحكومات والجماعات وسائل التعليم والنشر ، ورفعت العوائق وازالت العقبات ، وتوسلت بما يعرف العالم اليـوم من وسائل .

إن العالم العربى ليصير إذن بلدا واحدا فى ثقافته وتربيته إلا ما تقضى به البيئة من اختلاف بين الاقطار وبين ارجاء القطر الواحد غير مضر بالاواصر ولا مخل بالثقافة المشتركة .

والحق اننا حين نتحدث فى التقريب بين بلاد العرب او التاليف بينها لا نحاول ان نخلق او نضع اواصر وروابط ولا أن

نحتل بالأوهام الى مقاصدنا ولكنها الحقائق الماثلة ، والأواصر القائمة التى غفلنا عنها حينا فما وهنت ، وحاول الزمان إنكارها فما خفيت ، وعالجتها الحادثات لتزيلها فما قدرت . إنها خلق الله ومن يغير على الله خلقه ، وإنها سنة الله ومن يبدل على الله سنته . وإنها الحق الذى لا يملك الباطل له تحويلا ، والتاريخ الــــذى لا تستطيع الخدع فيه تاويلا .

بين البلاد العربية من الروابط والاواصر والعواطف ما بين كل امة موحدة قوية ، وفيها من الآمال والمقاصد ما لكل امة عزيزة طامحة ، ولكن ينقصها التهذيب والتدبير والتنظيم والتوضيح . ولهذه كلها وسائلها وهى يسيرة إن صحت عقولنا ونشطت ايدينا .

لقد دعا العرب منذ سنوات إلى الاحتفال بذكرى ابى الطيب المتنبى . فاجتمع ادباء من الاقطار العربية فى دمشق ،وتجاوبت البلاد العربية كلها بهذه الدعوة ، واحتفلت بهذه الذكرى ، فلم يخل قطر بين دجلة والمحيط الأطلسى من احتفال بالمتنبى وكتابة عنه ، وإعراب عن عواطف العرب بشعره . هذا ولم تكن الوسائل الكافية قد اتخذت للاحتفال بالشاعر الكبير ، ولكنها كانت دعوة صادفت نفوسا متعارفة ، وقلوبا متالفة قد غذاها ادب واحد وايدها تاريخ واحد ، والبلاد العربية تدعو اليوم إلى الاحتفال بابى العلاء المعرى هذا العام. وكل ادباء العرب سواء فى الاهتمام به ، والدعوة إلى إعظامه . وسيكون احتفال المعرى ، مراة لوحدة الثقافة فى البــلاد العربية .

هذه الاواصر والوشائج الطبيعيـــة والتاريخية التى تربط بين بلاد العــرب لا تعمل عملها إلا إذا عنينا بها فاحكمناها ، وازلنا العوائق من طرقها ، ووجهناها إلى الغاية المرجوة واحسنا الانتفاع بها . وإلا بقيت كقوانين الطبيعة التى لا يهتدى اليها أو المعادن الغنية التى لا يستخرج ما فيها، أو الأشجار العظيمة التى لا تجنى ثمراتها أو الانهار الزاخرة التى لا يستقى ماؤها .

إن النيل ودجلة والفرات وبردى وانهاراً اخرى صغيرة تجرى فى بلاد العرب ولكنها لا تسقيها حتى يسيطر الانسان على مجاريها ويحوز مياهها ويسوقها الى الارض بالسدود والقنوات . وكذلكم هذه الافكار التى فى عقولنا والعواطف التى فى قلوبنا والآمال التى فى نفوسنا ، والقوى التى فى ايدينا ، وكل ما عندنا وما نستحدث من علم وادب وخلق ، كلها تحتاج الى العناية والرعاية والتوجيه والاستثمار . فنحن فى حاجة الى مؤتمرات للائتمار بيننا فى التعليم والتربية والاقتصاد وشؤون كثيرة ، ثم اتخاذ الوسائل التى تؤدى بنا الى ما نؤمل من اتفاق وتعاون على بناء حضارتنا على قواعد وطيدة ، والسير إلى مقاصدنا على خطط سديدة . على ان ناخذ للامور اهبتها ونعد لها عدتها ، ونعرف المقاصد ونخط الوسائل على بينة من امرنا ، وبصر بحاجاتنا ، واعتداد بانفسنا فنخلق من بيئتنا وتاريخنا واحوالنا واخلاقنا حضارة فيها من تاريخنا سمات ، وعليها من ايدينا علامات ، فليس كرامة ان تقلد ولا تبتدع ، وليس حياة ان تستعير من غيرك لباسه ، وتستجديه طعامه ، وتاخذ منه حليتك وزينتك ثم تزعم انك نظيره ، ولكن الحياة فكر ونَصَب، وعمل وداب، وخلق واختراع واعتداد بالنفس واعتزاز بها ، وان تشيد بناءك بيدك لنفسك ثم للناس .

إنما الحياة ان يكون للامة على الارض آثارها ، وسماتها وخصائصها . ولا حرج من بعد ان تاخذ من الامم وتعطى ، ثم تعاون البشر كافة على حضارة إنسانية جامعة .

وبعد فعلى الذين يهيمنون على شؤون العرب من رؤساء وزعماء وعلماء وادباء ان يخطوا للاخلاق خططها كما يخطون للمعارف والصناعات وغيرها . فما يرتفع لامة بناء على غير قواعد من اخلاق قوية صحيحة فاضلة . ولا يستقيم لها فى الحياة منهاج إلا على هدى الفضائل والمكارم . إننا وقد اخذتنا الفتن والمحن ، والقت علينا الحوادث اعباء باهظة لا نستطيع ان نثبت ونجد إلا بعدد من الاخلاق واسلحة من الفضائل . ويخشى ان نفتن عن انفسنا فنضل طريقنا ، ونفقد سجايانا ثم لا يردنا إليها الجهاد الطويل ، والجد الدائم والندم الضائع وقديما قال شاعرنا العربى :

ما تنســـج الأيدى يبيد وإنمـــا
يبقى لنـــا مـــا تنســـج الأخـلاق

وحديثا قال شاعرنا شوقي :

وإنمــــا الامم الاخــلاق ما بقيت
فان هُمُ ذهبت اخــلاقهم ذهبــوا

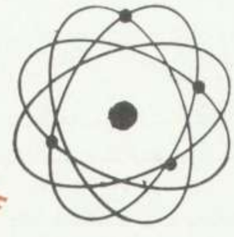
فليحسن سادتنا وقادتنا القيام على اخلاق هذه الامة ، وليحسن الشعراء والكتاب تربيتها وتغذيتها وليجنبوها كل فكرة سقيمة ، وكل معنى عليل ، ليجنبونا الالفاظ الرخوة والمعانى الدنيئة ، فلا يهبطوا بشبابنا إلى الدرك الأسفل حيث تموت الهمم ، وتخمد العزائم ، وليسموا بهم الى المعالى التى تطمح إليها النفوس الأبية القوية الطماحة .

امامنا تجاربنا وتجارب الامم ، فلنعتبر ونتعظ ، فالسعيد من وعظته الحوداث واخذ من الأيام العبر ، واهتدى بهدى التاريخ ، واستمع لنصائح الزمان . إن الزمان يسرع ، والحوادث تتوالى ، والأعمار تمضى ، والتاريخ يسجل والأجيال تقرا ، فليسرع بنا التفكير والتدبير ولتحكم الاقوال والافعال ، لنساير الزمان بكفايته من الاهبة ، ونلقى التاريخ بملئه من العمل الصالح والمجد الباقى .

وبعد فالعرب اليوم . على علاتهم ، فيهم من العقول والأخلاق وبينهم من الروابط والعواطف ،ولهم من التاريخ والمكانة ما يؤلف امــة قوية رشـيدة عزيزة كريمة فاضلة وليس لمسير القافلة إلا ان يبين الطريق وتصلصل الاجراس .

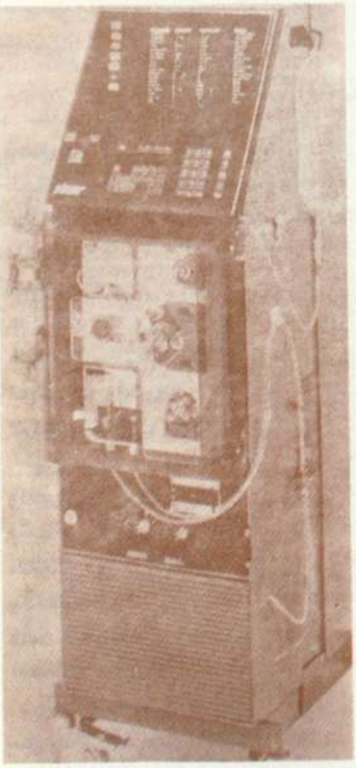
وليست دعوة العرب إلا الى الكرامة والعزة وإلى الخير والحق والوئام والسلام وليست نيتهم إلا الخير للناس جميعا . لا يريدون إلا ان يتخذوا مكانهم بين الامم ، ويؤدوا نصيبهم فى الحضارة الانسانية ، ويوفوا دينهم للتاريخ . ولن يكونوا إلا كما كانوا من قبل انصار حق ودعاة اخوة وبناة مدنية وائمة يهدون إلى الحق وبه يعدلون . ليست دعوة العرب عدوانا على احد ولا عداء لأحد ، وإنما هى دعوة الأمة الكريمة العزيزة العادلة التى تعرف ما يجب عليها لنفسها وللناس ، وتحرص على ان تحمل ما هى اهل له من الاعباء ، وتشيد ما هى جديرة به من المكارم ، وتاخذ حقوقها وتؤدى واجباتها على سنن بينة من العدل والاحسان ، وخطة قويمة من الهدى والرشد والله المسؤول ان يهيىء لها من كل امر رشدا .

عبد الوهاب عزام
١٩٤٤



تقديم : لبنى الزيدي

جهاز إلكتروني للكلى الصناعية



يقدم الكمبيوتر خدمة جديدة للطب ولمن يعانون من قصور فى وظائف الكلى وذلك فى صورة جهاز كلى صناعية جديد مزود بميكروكمبيوتر وشاشة تليفزيونية ولوحة ازرار للتحكم الآلى فى جميع عمليات تخليص الدم من الشوائب وهو يمثل احدث تطور فى مجال تنقية الدم .

حينما تحتاج اجهزة الكلى الصناعية التقليدية الى عمليات مراقبة وضبط مستمرة خلال فترة العلاج التى تستغرق ما بين ثلاث واربع ساعات بهدف تحقيق التوازن السليم للتركيب الكيمائى للدم فان الجهاز الجديد يستطيع مراقبة عمله ذاتيا اثناء التشغيل بحيث يقوم اتوماتيكيا بعمليات الضبط الدورية كما يراقب ايضا حالة المريض من نبض وضغط وحرارة .. الخ .

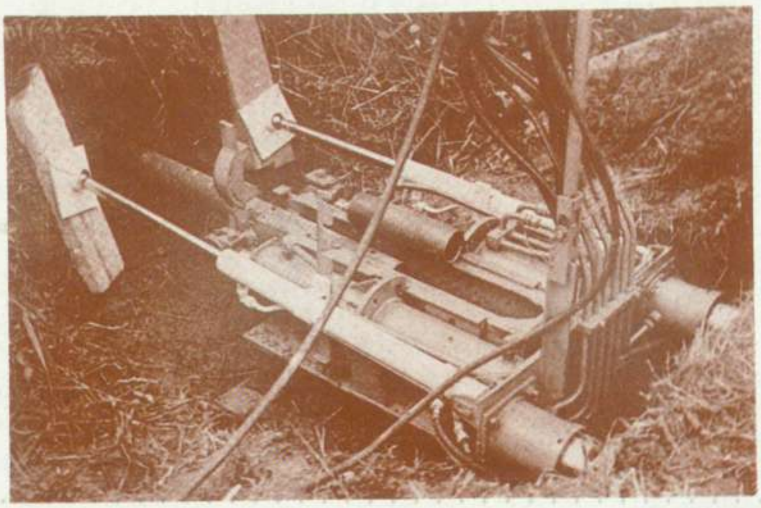
ومن ثم يمكن للمرضى استخدامه فى المنزل وبدون الحاجة الى مساعدة طبية .

وهو يتميز بدقة اكبر من الأجهزة التقليدية ويمكن توصيل جهاز الكلى الصناعية الذى يعمل بالكمبيوتر بخط الهاتف لنقل القراءات التى يسجلها الى المركز الصحى او المستشفى كما يستطيع الطبيب التحكم فى عملية التكرير من بعد عند الحاجة .

وبتوصيل جهاز الكلى الصناعية بطباعة الكترونية يتم تسجيل القرارات المختلفة اتوماتيكيا اثناء عملية التكرير .

ولا يحتاج المريض الى ضبط او تجهيز مسبق للكلى الصناعية فهى تضم ذاكرة الكترونية مسجل فيها التعليمات اللازمة لتشغيل الجهاز بحيث لا يبقى امام المريض سوى الضغط على زرار التشغيل .

الحفارة الأفقية

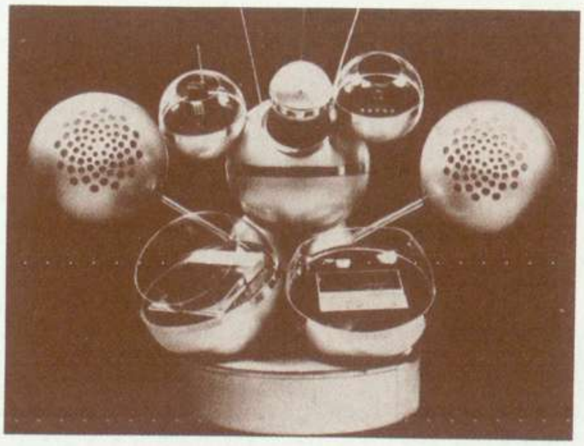


تستطيع هذه الحفارة الافقية مد الكابلات وشبكات انابيب المياه والصرف دون حاجة الى حفر الطريق او تعطيل المرور فى الشوارع . كما يمكنها مد هذه الكابلات والأنابيب تحت اشرطة السكك الحديدية او المناطق السكنية او المطارات او حتى المجارى النهرية . إذ يكفى حفر حفرة صغيرة على العمق المطلوب عند نقطة بداية مد الشبكة واخرى عند نهايتها بحيث يتم ادخال الانابيب او الكابلات من الحفرة الأولى بينما تمثل الاخرى نهاية الشبكة الممتدة تحت الارض .

وتتقدم هذه الحفارة المبتكرة فى باطن الأرض مدفوعة بروافع هيدروليكية قوية للغاية يتراوح ضغطها بين عشرين طنا ، واربعين طناً . وتستطيع هذه الحفارة بالرغم من صغر حجمها ـ طولها ١٫٣٠ متر وعرضها ١٫٢٠ متر العمل فى جميع انواع التربة سواء كانت جيرية او طينية او حتى أراضى المستنقعات .

وهى تتميز بسرعة انجاز كبيرة فلا يستغرق الحفر لعمق ١١ مترا سوى ٤٤ دقيقة اما مد الكابلات او الانابيب فلا يتطلب سوى اثنين من العمال وهو يستغرق ساعة واحدة فقط تكون خلالها قد قامت بحفر ممر ارضى قطره ٢٥ سنتيمترا .

"زحل" وأجهزة الصوتيات



قدمت الصناعة الفرنسية فى معرض اجهزة الصوتيات الذى اقيم مؤخراً فى باريس مجموعة مميزة من اجهزة « الاى - فى » . فهذا الجهاز يحمل اسم « زحل » ويبدو كانه من عالم الفضاء عبارة عن «ساوند سيستم » يتم تشغيله بالتصفيق له فبمجرد ان يلتقط هذه الاشارة الصوتية يبدأ الجهاز فى نشر جميع مكوناته من هوائى ومكبرات صوت وسماعات بحيث تصبح مستعدة للعمل .

ويضم « زحل » بالاضافة الى اجهزة الصوتيات التقليدية من مسجل ومذياع وجهاز تشغيل الاسطوانات هاتف مزود بذاكرة الكترونية لتسجيل المكالمات وهو يتميز بنقاء صوت عالى وترمومتر حرارة وولاعة سجائر . واستخدم فى تصنيع هذا الجهاز المتعدد المنافع خامات بلاستيكية جديدة تجمع بين الشفافية ومقاومة الكسر

ولكن لا يتم تصنيع « زحل » الا بالطلب ولذلك فان ثمنه يصل الى ٣١ الف دولار ! !

كما ضم المعرض هذا الجهاز الستريو الذى يتخذ شكل سماعة الهاتف المثبتة رأسيا على قاعدة معدنية وتم وضع مكبرات الصوت محل بوق وسماعة الهاتف بينما ضم الذراع جهاز التسجيل والمذياع .

الهاتف المطيع



انه هاتف ينفذ اوامر صاحبه دون الحاجة الى تدوير القرص او حتى الضغط على الأزرار فهو يعمل بالأوامر الشفوية وذلك بفضل ما يضمه من دوائر التعرف على الصوت .

وتتم برمجة هذا الهاتف المتطور بتلاوة كلمات كودية تمثل ١٦ رقما هاتفيا بحيث يختزن الهاتف فى ذاكرته الرقم والكود المقابل له . وعندما ينطق صاحبه بالكلمة الكودية يقوم الهـــاتف بطلب الـــرقم اتوماتيكيا . كما يضم الجهاز لوحة ازرار تقليدية لكى يسمح للآخرين باستعماله لأنه لا ينفذ سوى اوامر صاحبه فالدوائر الالكترونية المزود بها لا تتعرف الا على صوت صاحب الهاتف فقط .

ويوجد طراز اخر من هذا الهاتف المطيع يستجيب لمائة امر شفوى ولقد حرص مصممه على اخفاء لوحة الأزرار وراء غطاء مفصلى .

الأشعة تحت الحمراء وأجهزة الاتصال



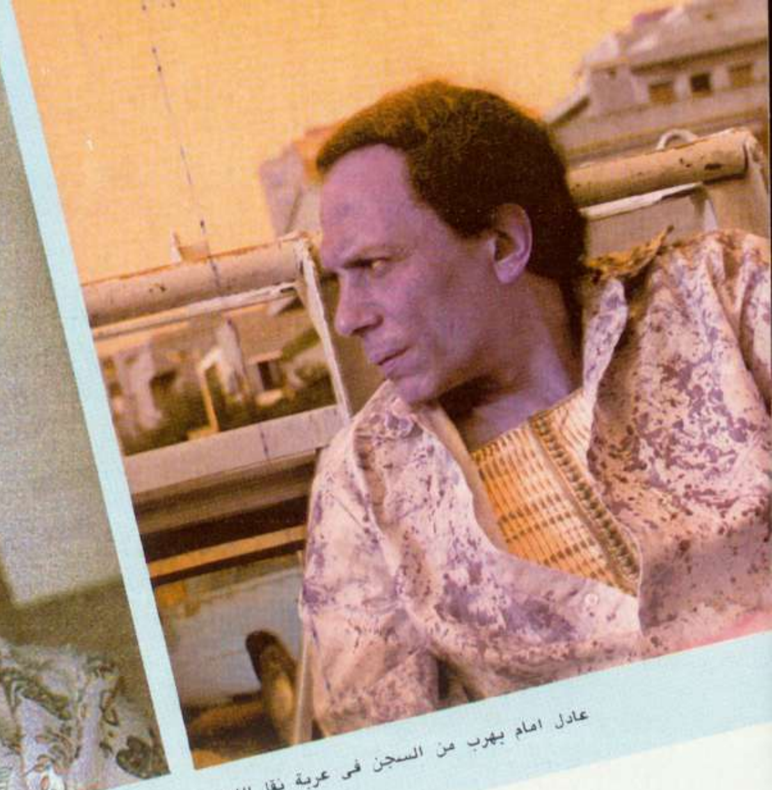
ابتكر الباحثون الامريكيون نظـــام اتصالات لاسلكية يعمل بالأشعة تحت الحمراء بهدف استخدامه كوسيلة اتصال بين رواد الفضاء وبين كابينة التحكم فى المكوك او المركبات الفضائية وذلك اثناء دوران الرواد احراراً فى الفضاء الخارجى .

ويتميز النظام الجديد بصغر حجمه وخفة وزنه بحيث يحمله رائد الفضاء على كتفه مثل السبلايت . كما ان استخدام شعاع ضوئى فى تشغيل جهاز الاتصال يحول دون امكانية التجسس بواسطة اجهزة التصنت الالكترونية او تشويش الارسال .

ويقوم هذا الجهاز باستخدام صمامات ارسال واستقبال للاشعة تحت الحمراء للاتصال بمجموعة من دوائر الارسال والاستقبال المثبتة على امتداد المركبة الفضائية . ويستطيع الشعاع الضوئى حمل رسائل صوتيه مكودة رقميا بين كابينة المكوك والأجهزة اللاسلكية فى المحطات الارضية . ولكن استخدام نظام الاتصالات الذى يعمل بالاشعة تحت الحمراء ليس مقصوراً على مجال الفضاء فان له العديد من التطبيقات على كوكب الارض . ولقد اعتمد تصميمه على تقنيات متطورة فى مجال تكنولوجيا الليزر وانصـــاف الموصلات .



الممثلة الفرنسية « كاترين دينيف » بطلة فيلم « المتعة » الذى يدور فى كواليس قصر الاليزيه بباريس



عادل امام يهرب من السجن فى عربة نقل اللحوم

أفلام .. أمام المحاكم

بقلم رءوف توفيق

شهدت السينما المصرية ، فى الأسابيع الأخيرة ، تطوراً جديداً .. فقد انتقلت أخبار الأفلام الى الصفحات الأولى من الجرائد المصرية .. وأفسحت صفحات الحوادث والقضايا ، مساحات بارزة لتتبع آخر اخبار القضايا المرفوعة على بعض الأفلام !!



الزوجة « يسرا » والشقيقة « اسعاد يونس » فى فيلم « الأفوكاتو »

وهذه الظاهرة اخذت تتكثف بشكل حاد ومثير للانتباه .

ففى فترة واحدة .. كانت هناك خمسة أفلام منظورة امام القضاء المصرى .. فبخلاف القضايا المرفوعة ، من اصحاب فيلمى « درب الهوى » و « خمسة باب » ، للاعتراض على قرار وزير الثقافة المصرى بمصادرتهما ومنع تداولهما فى السوق ..



لقطة تجمع بين « بول نيومان » و « سالى فيلد » من فيلم « غياب ماليس » والذى يتعرض لدور الصحافة فى تحطيم احد الابرياء

كانت هناك ايضاً قضايا مرفوعة ضد أفلام : « المتسول » و « الفرن » و « الأفوكاتو » .

ففى فيلم « المتسول » .. احتج عمدة احدى القرى المصرية ، من ان « عادل امام » بطل الفيلم ، يسخر من اسم قريته .. ورفع العمدة قضية ضد ممثل ومخرج ومنتج الفيلم .. وشغلت هذه القضية بعض اهتمام الراى العام لطرافتها .. ثم جاء حكم المحكمة برفض الدعوى وبراءة الفيلم من التشهير باسم القرية .

واكدت المحكمة فى حكم مستنير « انه لا يمكن الحجر على حرية الكاتب فى التعبير عن رأيه ، سواء فى القصة الواردة فى الفيلم ، او المقال ، او الشعر .. ولولا حرية التعبير لما تقدم الانسان وبلغ اعلى درجات العلم والتقدم » .

ولكن استمراراً للاستفادة من الضجة المثارة حول الفيلم ، قرر منتجه وكاتبه « سمير عبد العظيم » ان يرفع دعوى ضد هذا العمدة ، مطالباً بالتعويض للاساءة الى سمعة الفيلم !

وما كادت هذه القضية تنسحب من صفحات الجرائد .. حتى ظهر من جديد خبر يقول ان احـد المواطنين فى حي « الشرابية » بالقاهرة ، ارسل انذاراً لمنتج فيلم « المتسول » يطالبه بوقف عرض الفيلم .. لان الفيلم يتنافى مع تعاليم الدين .

وفى فيلم « الفرن » .. اجتمع بعض اصحاب الأفران ، للاحتجاج ضد الصورة التى ظهر بها الممثل « عادل أدهم » فى الفيلم .. وطالبوا بتعويض كبير عن هـذا التشهير ، بالاضافة الى منع الفيلم !

اربع قضايا وفيلم واحـد

ولكن اكثر القضايا التى شغلت الوسط الفنى والثقافى فى مصر .. تلك المتعلقة بفيلم « الافوكاتو » الذى كتبه واخرجه « رافت الميهى » ، ولعب بطولته « عادل امام » .

فقد تجمع عدد كبير من المحـامين يطالبون بمنع عرض الفيلم .. بدعوى ان الفيلم يسيء الى مهنة المحاماة ، والى القضاء المصرى .

وبلغ عدد القضايا المرفوعة من المحامين ضد هذا الفيلم .. اربع قضايا .. واحدة

سينما

أفلام .. أمام المحاكم



الممثل « ال باتشينو » على درج احد المحاكم الأمريكية فى فيلم « العدالة للجميع »

منها فى اسوان حيث حكمت المحكمة بالفعل بمنع عرض الفيلم فى دور العرض باسوان .. أما القضايا الثلاث الاخرى فقد نظرت امام ثلاث دوائر مختلفة بمدينة القاهرة .

وفى احدى جلسات المحكمة بمحكمة جنح الأزبكية ، استمرت الجلسة تسع ساعات كاملة ، شاهدت فيها هيئة المحكمة شريطاًسينمائيا لفيلم « الافوكاتو » فى قاعة سينما تابعة للمعهد العالى للسينما .. ثم شاهدت شريط « فيديو » يجمع بعض المشاهد التى اعترض عليها المحامون ، بدعوى انها تسيء لمهنة المحاماة .. وقررت المحكمة سماع شهادة بعض اساتذة معهد السينما .. وايضاً شهادة بعض الكتاب والنقاد والصحفيين الذين تداولوا بمقالاتهم ، رايهم حول الفيلم .

وقد اكتسبت القضايا المرفوعة ضد فيلم « الافوكاتو » اهمية خاصة .. لانها صادرة من محامين اصحاب مهنة تدافع عن الحق وحرية التعبير .. وكان هذا الموقف بالذات هو الذى اثار تعليقات عدد كبير من الكتاب والصحفيين .

والمثير للتامل .. انه فى مقابل عدد المحامين الذين احتجوا على صورة المحامى فى الفيلم .. كان هناك عدد اخر من المحامين الذين انضموا للشهادة والدفاع عن الفيلم ، من زاوية حق الفن فى التعبير .

ماذا يقول « الافوكاتو » ؟

وفيلم « الافوكاتو » يقدم صورة خيالية ساخرة ، لمحام بسيط يهوى التصدى للقضايا الكبيرة والتى يكون فيها المتهمون من الخارجين على القانون .. ويستند فى دفاعه على حقائق التعامل فى الحياة اليومية .. وحيث كاد ان يصبح الخطا هو القاعدة التى يتحرك من خلالها كبار اصحاب النفوذ .. وبالتالى اصبح ما يترتب على الخطا ، هو عرف سائد لا يستحق العقاب !

ويقدم الفيلم صورة كاريكاتيرية ساخرة لحياة هذا المحامى مع زوجته المدرسة ، والتى لا يشغلها شيء سوى ارضاء زوجها .. ثم هناك هذه الشقيقة وخطيبها ومشاكل البحث عن شقة لاتمام الزواج .

وفى المقابل يقدم الفيلم بنفس السخرية الحياة داخل السجن حيث هناك حجرات خاصة لكبار المسجونين (احدهم مليونير ويعمل فى تهريب المخدرات .. والثانى احد مراكز القوى فى الحياة السياسية السابقة) وكلاهما حول حجرته الى حياة كاملة مزودة بكل وسائل الترف ، مستخدماً حارس السجن فى تحقيق رغباتهما !!

وينزل هذا المحامى ضيفاً على السجن .. محكوماً عليه بتهمة الاساءة الى هيئة المحكمة التى كان يلقى امامها دفاعه .

وفى داخل السجن وخارجه .. تتشابك الاحداث لتنتهى بتحالف الفساد الذى يمثله هذا المهرب المليونير ، وذلك السياسى القديم .. ضد هذا المحامى .

ولاشك ان مؤلف الفيلم ومخرجه « رافت الميهى » استخدم كل براعته فى اختراع المواقف الخيالية الساخرة ، ليؤكد على رايه الذى انتهت به احداث الفيلم .. من ان الحيتان الكبيرة فى المجتمع لا يهمها سوى مصلحتها الشخصية ، وانها فى سبيل ذلك قد تتحالف مع الشيطان للبقاء على قيد الحياة ، ولمواصلة رغباتها الجهنمية فى الثراء والسلطة والنفوذ !!

واستطاع الفنان « عادل امام » بكل موهبته فى الاضحاك .. ان يحمل عبء الفيلم على كتفيه .. وان كان العيب الواضح فى سيناريو الفيلم انه بدا بداية مشجعة ومثيرة للخيال والدهشة ، ولكن ما ان اقترب الفيلم من ثلثه الاخير حتى تفرعت الاحداث وضعفت خيوط السيناريو حتى كاد الفيلم يفقد بريقه المتميز .

ولكن .. مهما كانت العيوب الفنية فى الفيلم .. الا ان السؤال المطروح لا يتعلق بهذه النقاط .. ولكن يدور اساسا ، لماذا غضب بعض المحامين من الفيلم ؟ ولماذا تحمسوا للجوء الى القضاء لمنع الفيلم بحجة انه يشوه صورة المحامين ؟

حق الفنان فى التعبير

لا نريد ان نتعرض لصلب القضية المطروحة امام القضاء .. ولكننا فقط نناقش حرية الفنان فى التعبير ، وحقه فى استخدام الشكل الفنى الذى يراه مناسباً لتوصيل الفكرة التى يريد ان يقولها للجمهور .

لقد لجا فيلم « الافوكاتو » الى الخيال الكاريكاتيرى فى التضخيم والمبالغة .. بغرض الخروج عن القوالب التقليدية فى سرد الحكاية .

فليس هذا السجن الذى قدمه الفيلم سجناً حقيقياً .. وليس حارس السجن ، حارساً حقيقياً .. وليست الزوجة المدرسة ، نموذجاً مالوفاً .. وليس هذا المحامى ، شخصاً بعينه .. وانما الصورة كلها اشبه بشخصيات ومعالم مكان تخيلها رسام كاريكاتير .. فاختصر بعض الملامح ، وركز على البعض الآخر .. واستغل نقط الضعف فى الشخصية ، فابرزها بشكل مبالغ فيه حتى يلفت إليها الانتباه .. وهكذا يفعل كل رسامى الكاريكاتير فى لوحاتهم على صفحات الجرائد والمجلات ..

فلماذا يصبح من حق رسام الكاريكاتير ، ان يحرك خطوطه كما يشاء .. ولا يصبح هذا من حق فنان السينما ؟!

الحساسية العاطفية

ان الاجابة على كل هذه التساؤلات .. تنحصر فى جملة واحدة هى .. الحساسية العاطفية .



الممثل « بيتر فينيش » اوسكار احسن ممثل عن فيلم « شبكة التليفزيون »



عادل امام فى لقطة من فيلم المتسول



سكوت » فى فيلم المستشفى

ولطالما عانينا فى مجتمعنا العربى من هذه الحساسية ، على كل المستويات .. ابتداء من السياسة ، وحتى لغة التحاور اليومى .

والفن لا يستطيع التعامل داخل محاذير الحساسية .. انه يصبح فنا ناقصا ومشلولا ..

ولهذا لجا كثير من الكتاب الى استخدام الرموز فى كتاباتهم .. وترك مهمة فك الرموز الى اجتهاد وخيال القارىء .. فهذا الشرطى يرمز الى السلطة .. وهذه المراة ترمز الى الوطن .. وهذا الشخص الابكم يرمز الى المثقفين .. وهذا الطفل يرمز الى النقاء والبراءة .. الخ ..

ولعبة الرموز قد يستخدمها بعض الكتاب بذكاء ومهارة وفن .. ولكن يستخدمها البعض الآخر ، كنوع من المعادلات الحسابية المرهقة والمعقدة ، والتى تلقى بالقارىء فى دوامة بلا قرار !!

واذا كانت المباشرة فى الفن ، هى اسوا انواع الفن ..فان الغرق فى دوامة الرموز تفسد متعة التواصل بين الكاتب وقرائه !

ومن هنا قد يلجا الكاتب الى اسلوب آخر .. وهو اسلوب الخيال ليجسد شخصياته خارج حدود الزمان والمكان .

وهى كلها العاب فنية ، واساليب معروفة فى المجتمعات التى تعانى من تعدد اجهزة الرقابة والمساءلة .

بعيداً عن الخوف

والفن لا يمكن ان يزدهر .. الا فى جو من الحرية .

حينئذ تصبح قضية الفنان ، كيف يعرض موضوعه بشكل جديد ومبتكر .. بعد ان انتهت بالنسبة له مسالة الخوف من مطاردة مسئول . وتفسيرات متعصب .. وحسابات اقليمى او مهنى ينظر للامور نظرة ضيقه متشنجة !

ولهذا ايضا نتامل بدهشة لكل صور الفن التى تاتينا من الخارج .. ونكاد نتساءل بفضول .. كيف سمحوا لهم بان يقولوا هذا ؟ .

وامامنا نماذج كثيرة من السينما العالمية .. بهرت مشاهديها .. واستحقت الجوائز .. لانها قامت اساساً على الحرية .. الحرية فى الفكر والتعبير ..

فمثلا فى السينما الامريكية .. نتذكر العديد من الافلام التى كشفت وفضحت ما يدور فى دهاليز قمة النظام الحاكم .. بدءاً من رئيس الجمهورية الى اقوى المؤسسات العسكرية واجهزة المخابرات الامريكية ..

ومن منا ينسى فيلم « كل رجال الرئيس » الذى يجسد كل تفاصيل فضيحة ووترجيت بالوقائع والأسماء كاملة ..

ومن ينسى فيلم «ثلاثة ايام عصيبة» الذى يدين اجهزة المخابرات الامريكية بوضوح وبدون لف او دوران .. حينما قدم المخرج الامريكى « سيدنى بولاك » تنازع اجهزة المخابرات وتورطها الذى راح ضحيته عدد من الابرياء ..

وهناك على سبيل المثال فيلم « مفقود » للمخرج الفرنسى « كوستا جافراس » والذى يدين فيه ايضا المخابرات الامريكية ودورها المشبوه فى انقلاب شيلى ..

وفيلم « نهاية العالم .. الآن » للمخرج الامريكى « فرانسيس كوبولا » والذى يقدم ادانة بالغة للجيش الامريكى والفلسفة الامريكية فى السيطرة الغاشمة اثناء حرب فيتنام .. حيث يسود منطق العنف والابادة الكاملة ، وعدم الاعتراف بحق الآخرين فى الحرية او الحياة .

سينما

أفلام.. أمام المحاكم



لقطة من الفيلم الانجليزى « مستشفى بريطانيا » والسخرية اللاذعة من كل شيء فى انجلترا

وما أكثر الأفلام الامريكية التى تعرضت للفساد فى اجهزة البوليس الامريكية .. ومنها على سبيل المثال فيلم « سيد المدينة » الذى اخرجه « سيدنى لوميت » من خلال وقائع حقيقية تعرض لها ضابط بوليس عمل لفترة فى قسم مكافحة المخدرات ثم خرج ليكتب مذكراته عن مدى الفساد المنتشر بين رجال البوليس فى هـــذا الجهاز ..

وفى احد مشاهد ذلك الفيلم ، نرى مواجهة بين احد الذين القي عليهم الاتهام، وبين القاضى الذى يحقق معه .. وتتردد هذه العبارات فى قاعة المحاكمة : « نحن نعرف كيف تصبحون قضاة .. لقد دفعت لك رشوة خمسة آلاف دولار .. والآن ترتدى روب القاضى .. تريدون القاء الجميع فى السجن ، لتبقوا انتم تحت الاضواء .. تريدون حماية النظام باخفاء عيوبه .. عليكم اللعنة جميعاً » !

ولم يحتج احد فى امريكا ضد هذا الفيلم .. لا رجال البوليس ولا رجال القضاة .. بل المثير تماماً ان المدعى العام الامريكى صرح بعد عرض هذا الفيلم « ان كمية الفساد الذى انتشر وسط فرقة الضباط فى قسم مكافحة المخدرات ، لا يمكن تصور مداها فى الحقيقة .. بينما الفيلم تساهل معهم كثيراً .. وقدمهم على انهم مجرد حفنة من الرجال الظرفاء .. ولكن الواقع ان هؤلاء هم المسئولون عن توزيع المخدرات وانتشارها فى مدينة نيويورك » ..

أى ان المدعى العام الامريكى اعترض على هذا الفيلم لانه لم يقل كل الحقيقة !

قمة الضحك على القوة

وفى مجال السخرية والخيـــال الكاريكاتيرى .. لا يمكن ان ننسى الفيلم الامريكى « ماش » الذى اخرجه « روبرت التمان » ليضحكنا من الجيش الامريكى ، وهذه المؤسسة العسكرية التى تحاول تخويف الشعوب بالقوة والحروب وسفك الدماء ..

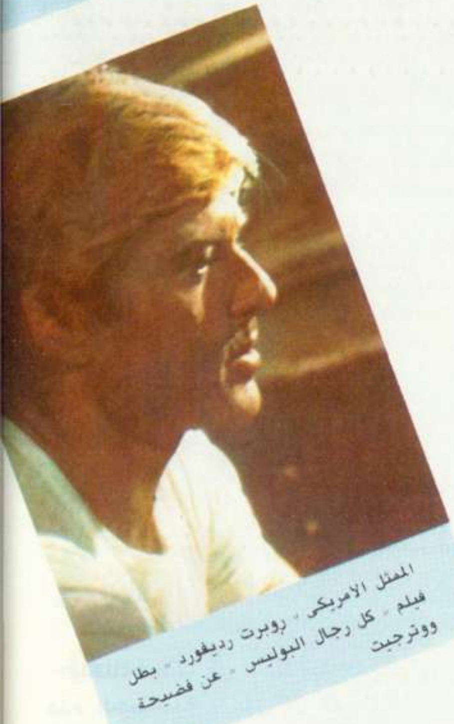
ومن داخل مستشفى ميدانى يسمى « ماش » نلتقى بمجموعة من الشباب الامريكى وجنرالات الحرب .. فى مجموعة طبية تقوم بالعمليات الجراحية والاسعافات لجرحى الحرب .. وفى نفس الوقت تتشابك العلاقات والاحداث لتشكل فى النهاية « قمة روح العبث والاستهتار والفاشية والصلف .. كل هذا فى مزيج شديد السخرية حتى ينتهى الفيلم بلقطة لجندى يقود سيارته عائداً الى وطنه وهو يصيح حانقاً « ياله من جيش ملعون » !

وقد فاز هذا الفيلم عام ٧٠ بالجائـــزة الكبرى لمهرجان كان .. واصبح هذا الفيلم من أهم ملامح السينما الامريكية المعاصرة .. ولم يحتج احد على مدى سخرية الفيلم من الجيش الامريكى !

نقد الصحافة والتليفزيون

وبنفس منطق حرية فنان السينما فى التعبير عن رايه ، وبالشكل الفنى الذى يراه مناسباً .. شاهدنا فى الســـينما الامريكية العديد من الافلام التى تنقد الصحافة .. نذكر منها الفيلم الكوميدى اللاذع « الصفحة الاولى » للمخرج « بيلى وايلدر » والذى لعب بطولته « جاك ليمون » و « والتر ماتيو » الذى يفضح فيه لا انسانية بعض الصحفيين فى سباقهم المجنون من اجل الانفراد بخبر .. وعلاقة حاكم المدينة بالصحيفة .

ومن ذروة الضحك ، والخيال الساحر فى فيلم « الصفحة الاولى » .. الى قمة المأساة التى قـد تتسبب فيها احدى الصحفيات ، فى فيلم « غياب ماليس » الذى اخرجه الامريكى سيدنى بولاك .. ولعبت بطولته « سالى فيلد » مع « بول نيومان » .



الممثل الامريكى « روبرت ردفورد » بطل فيلم « كل رجال البوليس » عن فضيحة ووترجيت

وفى نفس الاتجـــاه .. لم ينـــج التليفزيون من قبضة السينما ومحاولات كشف الفساد داخل شبكات التليفزيون الامريكية .. وابرز مثال على هذه النوعية من الافلام .. الفيلم الذى اخرجه « سيدنى لوميت » بعنوان شبكة التليفزيون ، واستحق عليه ممثله « بيتر فينش » جائزة أوسكار احسن ممثل .. وقد مات قبل ان يتسلم جائزته .

ونقد الأطباء ورجال القضاء

وتعرضت السينما الامريكية .. لكل مهن المجتمع بدون حساسية او خوف .. فادانت رجال القضاء فى فيلم « العدالة للجميع » .. وادانت جشع الاطباء وفساد الضمير فى فيلم « غيبوبة » .. ومزج فيلم « الحكم » بطولة نيومان ، بين اهمال الاطباء والتدخل فى القضاء !



الممثل الفرنسى « جان لوى ترايننتان » يلعب دور احد رؤساء الجمهورية الفرنسية



عادل امام يحاول اثبات اصابته عندما نقل الى مستشفى السجن .. لقطة من فيلم « الافوكاتو »

وربما لا ننسى فيلم « المستشفى » للمخرج « آرثر هيلر » والذى لعب بطولته جورج سكوت .. والفيلم عن ســـيناريو « بادى تشايفسكى » من اشهر كتاب السيناريو فى السينما الامريكية .. حيث قدم فى هذا الفيلم نموذجا من الكوميديا السوداء لمستشفى امريكى تقوم فيه الممرضات باعطاء الحبوب المنومة للمرضى لكى تتفرغ الممرضات لعلاقاتهن العاطفية بالأطباء .. بينما يتوالى الضحايا من المرضى الذين يسقطون صرعى الاهمال والقتل ..

من انجلترا وفرنسا وايطاليا

وفى السينما الانجليزية .. قدمت اخيراً فيلم « مستشفى بريطانيا » للمخـــرج «ليندساى اندرسون» الذى يتفجر بالسخرية من نظام العلاج فى بريطانيا .. (راجع دراسة كاملة عن الفيلم فى مقال الدوحة لشهر اكتوبر ٨٢) .. حيث لا ينجو احد من سخرية هذا الفيلم .. ابتداء من الممرضات الى عمال المطبخ فى المستشفى الى الاطباء وحتى الى ملكة انجلترا .. وفى الطريق يتعرض المخرج الى الاضرابات الانجليزية .. والى الحكام العسكريين الهاربين من بلادهم فيلجأون الى انجلترا بحجة العلاج .. الى التليفزيون الانجليزى !!

وفى فرنسا الآن .. يعرض الفيلم الفرنسى « المتعة » والذى يتعرض لدهاليز قصر الاليزيه .. ورواية تحكى عن علاقة عاطفية كان قد تورط فيها رئيس الجمهورية الفرنسية ، قبل ان يتقلد منصبه .. وكيف تحاول مخابرات رئاسة الجمهورية ان تخفى هذه العلاقة حتى لا تستغلها صحف المعارضة .

وفيلم « المتعة » كتبت قصته « فرانسواز جيرود » والتى كانت تشغل منصب الوزيرة فى وزارتين اثناء حكم الرئيس الفرنسى السابق « جيسكار ديستان » .. وقد حققت هذه القصة عندما طبعت فى كتاب اعلى ارقام فى التوزيع .

ولعبت بطولة الفيلم « كاترين دينيف » مع « جان لوى ترايننتان » .

وفى السينما الايطالية .. تبلغ السخرية مداها ، وبخفة الدم الايطالية المعروفة .. حيث تتفجر المواقف بالجراة والنقد والتهكم الواضح فى كل المســـائل والموضوعات .. بلا حرج او خوف .

وربما يذكر المتتبع للسينما الايطالية .. كيف قدم المخرج الراحل «بازوليني» وجهة نظره الساخرة فى رجال الكنيسة بايطاليا .. وكيف قدم المخرج « فللينى » سخريته اللاذعة من كل ما يحدث فى ايطاليا .. من خلال افلامه ـ ٨ ـ الحياة اللذيذة ـ روما فللينى ـ انى اتذكر ـ مدينة النساء ..

حتى انه فى فيلم « روما فللينى » قدم مشهداً عجيباً لعرض ازياء يقوم به رجال الكنيسة الايطالية !

وفى السينما الايطالية ايضا .. نجد المخرج « فرانشيسكو روزى » وافلامه السياسية الجريئة والتى تعرض من خلالها للفساد فى البوليس ، وللرشوة فى القضاء .. وللصراع بين الاحزاب السياسية .. فى افلام « الايدى فوق المدينة » « التحدى » ـ « قضية ماتيه » ـ « جثث لذيذة » .

• •

ما معنى كل هذه الامثلة والنماذج من السينما العالمية ؟ .

معناها .. ان الفن الذى بلا خـــوف ولا حساسية .. هو الفن الذى يزدهر .. وينتشر فى ارجاء العالم .. ويبقى دائما فى الأذهان علامة على انتصار حرية التعبير .. وايضاً شهادة على قدرة الفنان فى الخلق والابتكار ..

واذا احتج كل صاحب مهنة ضد فيلم .. ولو تدخل الرقباء وكبار الموظفين بدافع الحرص وعدم المساس بالآخرين .. لما أستطاع الفن ان يتنفس .. ولا استمرت عجلة السينما فى الدوران والأبداع كل يوم .

رءوف توفيق

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

بين السلطان عبدالحميد وهيرتزل

قرات فى العدد «٩٩» من الدوحة مقالا للدكتور محمد جابر الانصارى عنوانه : « هذا التحزب التاريخى » ، وتحدث فيه عن السلطان العثمانى عبد الحميد واجتماعه مع هيرتزل . وللامانة التاريخية فاني اقول بان هيرتزل جاء الآستانة عدة مرات ، ولكنه لم يقابل السلطان عبد الحميد الا مرة واحدة ، وهى الزيارة الأولى ، واقتصرت زياراته اللاحقة على مقابلة مستشاري السلطان عبد الحميد فقط ، وقد ركز هيرتزل فى مقابلته مع السلطان علي موضوع الخدمات المالية التى كان بامكان اليهود القيام بها لانقاذ الاقتصاد العثماني ، ولم يتعرض الزعيم الصهيونى امام السلطان للحركة اليهودية والهجرة اليهودية ايضا . ولكنه فى اعقاب المقابلة اجرى اتصالات مع عزت باشا العابد مستشار السلطان ، ودار الحديث حول قضية توحيد اراضي الدولة العثمانية شريطة موافقتهم على قبول الجنسية العثمانية ، وان لا يقوموا باستيطان جماعي .

وقد ذكر الدكتور الانصارى ايضا بان السلطان العثمانى عبد الجميد سمح لهيرتزل بانشاء مستعمرات ضمن الاراضى التى يقع عليها اختيارهم ، وهذا غير صحيح لانه فى الزيارات التى تلت زيارة هيرتزل الأولى لم يستطع فيها ان يقابل السلطان عبد الحميد ، واقتصرت لقاءاته مع مستشاري السلطان فقط حيث كرر المستشارون الاتراك لهيرتزل ان السلطان العثمانى مستعد لفتح أبواب الهجرة لليهود شريطة ان يتخلوا عن جنسياتهم السابقة ويكتسبوا الجنسية العثمانية . واضافة الى ذلك فقد نقل المستشارون الى هيرتزل تحديد السلطات العثمانية للاماكن التى يسمح فيها للمهاجرين اليهود بالاستقرار فيها كالعراق وآسيا الصغرى باستثناء فلسطين . وقد ابلغ السلطان العثماني هيرتزل - عن طريق مستشاريه - قوله : انني لا استطيع التخلي عن شبر واحد من فلسطين حتى مقابل الملايين .

ختاما أرجو ان اكون قد وفقت فى نقل الحقيقة التى اعتمدت فيها على كتاب الدكتور امين عبد الله محمود ، وذلك حتى تسود الحقيقة بين الناس ، علما باني لست من أصحاب النزعة العثمانية ، ولا من محبي السلطنة العثمانية .

عبد الكريم كفرناوي - سوريا

ردود سريعة

● الأخوة : اصدقاء مجلة الدوحة فى مصنع الحديد والصلب بحلوان - مصر .

- نحترم اراءكم ، وتوقيعاتكم ، ولكننا بحاجة الى دليل مادي يؤكد ادانتكم لما يكتبه الكاتب الذى تقصدونه . ونحن على استعداد لنشر انتقاداتكم الموضوعية فقط . لكم تحياتنا .

● الأخ مجدى خليفة - الاسكندرية .

- قصتك لا باس بها ، ولكنها دون مستوى النشر فى الدوحة . تحياتنا لك .

● الأخ احمد التجاني بدوى - جامعة القاهرة .

- نامل ان تبعث بدراستك النقدية الجيدة الى جهة اخرى لنشرها . لك التحية .

● الأخ سامى . ح . ب - جامعة المنصورة .

- صدقني ان قصتك الاخيرة جيدة وهادفة وذات مضامين عديدة وثق بقلمك وبنفسك والله معك .

● الأخ محمد عبد السلام شلبى - جامعة طنطا .

- وصلتنا رسالتك الغاضبة ، ندعو الله أن يهدينا جميعا ، ويوفقنا لما يحبه ويرضاه . لك تحياتنا .

● الأخ السيد محمد عطية - مصر .

- قصيدتك « فى مولد الهادي » جيدة لكننا ننتظر منك ما هو اكثر جودة منها .

● الأخ سلمان محمد الجابري - الكويت .

- نقدر مشاعرك الطيبة تجاه المجلة ، ونعتذر عن نشر « انسانية الانسان » التى اسميتها « قصيدة » .. ننصحك بكثرة الاطلاع على تراثنا الثقافي .

● الأخ ابراهيم سيدي اوشيك - الخرطوم .

يسعدنا أن نقبلك صديقا « للمجلة حسب رغبتك ، ويسعدنا ان نبادلك المودة والتقدير ، ونامل ان ننفذ رغبتك فى العودة الى استعمال الدبابيس فى تغليف المجلة .

تعليق على مقال

قرات فى عدد الدوحة رقم ٩٩ الصادر فى مارس ١٩٨٤ مقالا قيما عن « ثورة المعلومات والاتصالات » بقلم الدكتور على الدين هلال ، ذكر فيه ان المعلومات والبيانات تنقل عن طريق الاقمار الصناعية بسرعة اسرع من سرعة الضوء !

ويجدر بي هنا ان انوه بان نظرية النسبية قد اكدت ان سرعة الضوء هى احدى الثوابت الكونية المطلقة ، والتى تبلغ ثلاثمائة الف كيلومتر تقريبا فى الثانية الواحدة ، وهى سرعة انتشار الموجات اللاسلكية (الضوء يعتبر موجات كهرومغناطيسية تماما مثل الموجات اللاسلكية ولكن الاختلاف يبرز فى طول الموجة او التردد) .

وعلى ذلك فمن الخطا ان نقول ان هناك سرعة اسرع من سرعة الضوء . ولكم أطيب تحياتنا

المهندس / محمد ضيف
القاهرة

كتب وصلتنا

تلقت المجلة باقة الكتب التالية من كرام قرائها :

● جوانب مضيئة فى تاريخ العثمانيين الاتراك .
المؤلف : زياد ابو غنيمة .
الناشر : دار الفرقان للنشر والتوزيع . - عمان - الأردن

● تيسير سبول : العربى الغريب .
● المؤلف : فايز محمود .
- الناشر : دار الكرمل للنشر والتوزيع عمان / الأردن .

● مجلة الدراسات الاعلامية العدد (٣٣) .
الناشر : المركز الافريقى العربي للدراسات الاعلامية / القاهرة .

● الرصيد السكاني لدول الخليج العربية .
● المؤلف : د . حسن الخياط .
- الناشر : مركز الوثائق والدراسات الانسانية بجامعة قطر .

● مجلة المشكاة ثقافية شهرية .
رئيس التحرير : حسن الامراني
- ص . ب ٢٣٨ - وجدة - المغرب .

قول على قول

اتابع باهتمام واعجاب كل ما يكتبه الاستاذ الدكتور سيد فهمى الشناوى ، فهو من القلائل الذين يعرفون امانة الكلمة ويقدرونها حق قدرها ، ولذا تراه ذا حساسية واعية يقظة لما يصيب عرض امته من تشويه او اذى ، فنلمح فى كتابته صورة الغيرة والالتزام بالحقائق التاريخية الثابتة .

ومن اهم المقالات التى قراتها له . ذلك الذى نشر فى العدد ٩٩ (مارس ١٩٨٤) من الدوحة الغراء تحت عنوان : مكرم عبيد .. ليس رائداً للفكرة العربية فى مصر .

واهمية المقال لا تنبع من حيث المعلومات التاريخية التى قام بتصحيحها فحسب ، بل من حيث تعلقه (برسالة اكاديمية) مجازة من لجنة علمية ، وبدرجة (امتياز) وهى اساساً مبنية على امور خاطئة :

وقد يهون الامر لو ان هذا الخطا جرى على السنة الناس واقلام الكتاب فهو (على خطورته) يمكن أن يحتمل . اما ان يدخل الخطا الى رواق الجامعة . ويصل الى مراكز البحث فيها ، ويعتمد ، ويقنن ، ويدخل مكتبة الجامعة ، ويعشعش فيها ، ثم منها ينتشر ويفرخ فهذا هو الشر المستطير .

اود ان اسال الدكتور الشناوى : ماذا صنعت بعد ذلك ؟ هل اكتفيت بهذا المقال ؟ وهل ابلغت الجامعة بالأمر ؟

اعتقد انه على مجلة الدوحة ، وعلى الدكتور الشناوي معاً ان يبلغا الجامعة حتى تعيد النظر فى امر هذا الخطا ، او هذا الخطر .

ان القانون يجرم ويدين من يزيف العلامات التجارية المسجلة كالمياه الغازية ، واللبان ، والشيكولاته ويعتبره غشاً وتزييفاً يعاقب عليه القانون ، اليس تزييف الفكر اخطــر من تزييف (الكولا ، واللبان ، والشيكولاتة) ؟ !

د . عبد العظيم الديب
كلية الشريعة ــ جامعة قطر

نشأة الصحافة القطرية وتطورها



من واقع حاجة المكتبة العربية الى مرجع شامل عن تجربة الصحافة فى قطر باعتبارها من احدث صحافات العالم العربى .. صدر كتاب « الصحافة القطرية .. نشاتها .. وتطورها » بقلم : حسين احمد محمد ، واسامه سيف الدين .. واشراف الدكتور احمد حسين الصاوى ..

والكتــاب يتناول بالتــاريخ والعرض نشاة الصحافة القطرية منذ كانت وليداً يحبو ويتعثر . حتى اصبحت صحافة متطورة تقوم بدورها على اكمل وجه ..

ويتضمن الكتاب خمسة فصول اولها يمهد لنشاة الصحافة بنبذة تاريخية عن قطر ومظاهر حياتها الثقافية ، وثانيها عن نشاة الصحافة الاهلية والبدايات الأولى لأصدار الصحف ويتناول بالتحليل والتفصيل التطورات التي مرت بها الصحف الأهلية منذ نشاتها وحتى نهاية عام ١٩٨٢ ، بينما يتناول الفصل الخامس نشاة وتطور الصحافة الحكومية ، أما الفصل الرابع فيتحدث عن واقع ومستقبل الصحافة القطرية ودورها في المجتمع ، ويأتي الفصل الخامس ليقدم لنا قانون المطبوعات والنشر .

وقد اعتمد الكتــاب على المنهجين الوصفي والتاريخي ، وتنوعت مصادره فشملت الكتب والمراجع العلميــة واللقاءات مع المسئولين في الصحف ، اضافة الى مجلدات الدوريات التي صدرت في قطر منذ نشــاة الصحافة وحتى نهاية عام ١٩٨٢ .

وجاء الكتاب في ٢٣٠ صفحة تلقي الضوء على هذا الموضوع الهام ، وليكون منطلقاً لعدة بحوث اخرى تثري المكتبة العربية في هذا المجال ، وليستفيد منه الباحثون والدارسون والصحفيون فى ابحاثهم ودراساتهم .



دوحة القراء

إشراف
سنان المسلماني

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة العامة تتضمن (من - اين - ما) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى اكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجلة الدوحة - ص . ب ٢٣٢٤ - الدوحة - قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : مدينة عربيـة تاريخية بشمال فلسطين المحتلة ، تقع على خليج باسمها فى مواجهة مدينة حيفا ، احتلتها بريطانيا من عام ١٩١٨ حتى عام ١٩٤٨ ، ونص مشروع تقسيم فلسطين (١٩٤٧) على أن تؤول للعرب ولكن اغتصبها اليهود .. ما اسم المدينة ؟ .



الصورة الثانية : شاعر عربى ، يعتبر من أواخر الرعيل الشعرى الكبير الذى تفتخر العربية بأنه أحد أعمدة الشعر الكبار .. ما اسم هذا الشاعر .. وما أهم دواوينه الشعرية ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ٩٩





الصورة الأولى : تايلاند

● الفائز : سعيد محمد سعيد - الامارات

الفائز : سليم سخى محمود - سلطنة عمان

الصورة الثانية : عباس بن فرناس

● الفائز : نجيب ابراهيم - عدن

● الفائز : مرسي حسين - مصر

طـرائف بـليغـة



● سئل الكاتب الفرنسى أندريه موروا « لماذا يتم الطلاق لأتفه الأسباب ؟ » فأجاب : لأن الزواج الآن يتم لأتفه الأسباب !!

● قال المنصور لأحد الخوارج ، وقد اتي به إليه أسيراً : اخبرنى أى أصحابى كان أشد فى مبارزتكم ؟

فأجاب الخارجى : ما أعرف وجوههم مقبلين وانما أعرف أقفاءهم مدبرين ، فمرهم يديروا ظهورهم لأعرفك أشدهم ادباراً !

● التقى صديقان عند مدخل عيادة أحد الأطباء النفسانيين فقال الأول : هل أنت قادم أم منصرف ؟ وأجاب الثاني : لو كنت أعرف .. لما جئت الى هنا .

محمود آدم بشير
السودان ـ حلفا الجديدة

الشـاعـر القتـيل

كتب الخليفة المنصور الى أحد الولاة ليقسم مالا بين المقعدين والعميان والأيتام ، فدخل على الوالي اعرابي وقال : اكتبني في القواعد ! قال الوالي عافاك الله ! القواعد هن النساء اللاتي انقطعن عن الأزواج والأولاد ومن يعولهن . قال الأعرابي : فاكتبني فى العميان ! قال الوالي : اكتبوه في العميـان ! قال تعالى : إنها لاتعمي الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور » قال الاعرابي : واكتب ابني في الأيتام ! قال الوالي : نعم ، من كنت أنت أباه فهو يتيم !

عبد القادر عزت الخضري ـ مصر

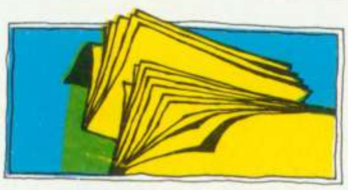
لقطة الشهر



تكوين

لوحة للقارىء محمد شاكر الشيباني ـ الدوحة .. وقد فاز بالجائزة مائة ريال قطرى .

لحظـة مـن فضلـك



من فضلك تريث قليلا عندما تتكلم أو تكتب هذه العبارة ، لتتبين الخطأ من الصواب :

الخطأ	الصواب
اصلاح الفروض	تصليح الفروض
تحوك البنت ملابسها	تحيك البنت ملابسها
إن ذلك لا يحسم الشقاق	إن ذلك لا ينهى الشقاق
من هذه البئر العميقة	من هذا البئر العميق
الكشافون يجولون فى الجبال	الكشافون يتجولون فى الجبال
لا أقبل المسيء قدوة	لا أقبل بالمسيء قدوة

ميهربى سعدى ـ الجزائر



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

شاعر عربى ولد فى عام ١٩٠٦ ، تخرج من مدرسة الحقوق ، وبدأ ينظم الشعر على الأسلوب القديم فى صباه المبكر ، وتأثر بما قراه من المترجمات عن الأدب الغربى والاتجاهات التجديدية فى الشعر العربى المعاصر وخاصة اتجاه « جبران » الرومانسى ، وظهر اثر ذلك فى شعره الناضج الذى يمثل صراع الشباب والموت والفرح والحزن والياس والامل .. اسمه مكون من شقين و ١٥ حرفاً .

٦ ، ٥ ، ٩ شيء يكتب به .

١٢ ، ٢ ، ١١ صغير الأسد .

أين ؟

ولد هذا الشاعر فى قرية « الشابية » ، وهى فى دولة عربية احتلها الفرنسيون عام ١٨٨١ وحصلت على استقلالها الكامل فى مارس ١٩٥٦ ، ويتكون اسم هذه الدولة من مقطع واحد واربعة حروف .

٣ ، ٤ ، ١ بمعنى تركت .

ما ؟

تشتهر هذه الدولة بمحصول رئيسى ينتج انواعاً عديدة منه تصدر للخارج ، واسم هذا المحصول مكون من مقطع واحد وخمسة حروف .

٤ ، ٥ بمعنى سار .

٤ ، ١ ، ٣ بمعنى توفى .

الإجابة الصحيحة

١ ـ ولد الشاعر محمود بيرم التونسى فى : تونس ، الاسكندرية القاهرة .

٢ ـ هل هذه العبارة صحيحة علمياً :

تسمى نقطة نشوء الزلازل تحت السطح بالبؤرة .

٣ ـ من دواوين الكاتب والشاعر والباحث الادبى زكى مبارك : الحان الخلود ، ....

٤ ـ نيروبى عاصمة لدولة افريقية هى : اوغنده ـ كينيا ـ تنزانيا .

٥ ـ اجر الجندى ، الصخب والعنف ، فى النزع الاخير .. كلها روايات لروائى امريكى عاش فى الفترة ما بين ١٨٩٧ و١٩٦٢ ونال جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٤٩ .. فمن هو ؟

٦ ـ عنصر فلزى ابيض كالفضة لامع ، قابل للطرق والسحب : النحاس ـ الحديد ـ الفضة .

٧ ـ معركة العلمين من اشهر معارك الحرب العالمية الثانية ، ما تاريخ وقوعها : ١٩٤٠ ـ ١٩٤٢ ـ ١٩٤٣ .

٨ ـ الطربوش : هل هى كلمة فارسية الاصل ام تركية ؟

٩ ـ اكمل هذا البيت وانسبه لقائله : لمصر أم لربوع الشام تنتسب ..

١٠ ـ اعلان حقوق الانسان : وثيقة تاريخية هامة فى تاريخ الدساتير الفرنسية .. ما اسم واضعها ؟

حل مسابقة العدد ٩٩

من : سعد زغلول .

اين : جمهورية مصر العربية

مـا : القطن .

الأجوبة الصحيحة

١ ـ عمرو بن العاص .

٢ ـ المريخ .

٣ ـ ايطالى وتعنى التفاحة الذهبية .

٤ ـ الجبال الجليدية .

٥ ـ ٦٣٧ .

٦ ـ نوع الغاز داخل انبوب المصباح .

٧ ـ السودان .

٨ ـ خطا .

٩ ـ بنسلفانيا الأمريكية

١٠ ـ نبئت أن رسول الله أوعدنى . والعفو عند رسول الله مامول (كعب بن زهير) .

أسماء الفائزين في مسابقة

● اصل وصورة : الشعر ـ خطوط الجبهة ـ الأنف ـ الشارب ـ الفم ـ الذقن ـ الأذن .
الفائزون : (١) صفية حسن عبد العزيز ـ مصر (٢) فضل محمد محمد ـ جنيف .

● لوحة لم تتم : الفنان عبد الحليم حافظ
الفائزون : (١) رنا محمود الشاهد ـ قطر (٢) نوال محمد علي صالح ـ السودان .

● يخلق من الشبه اربعين : رقم (٥) .
الفائزون : (١) عمر احمد قطان ـ الكويت (٢) على صالح الصمادى ـ الأردن .

● المثل يقول : شر البلية ما يضحك ـ من حفر حفرة لاخيه وقع فيها .
الفائزون : (١) عبد المنعم محمد الشيخ ـ

أسماء الفائزين

١ ـ فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى :
القارئة : امينة عبد الله ابراهيم ـ البحرين

٢ ـ فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى :
القارىء على عثمان عبد الله ـ السودان .

٣ ـ فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى :
القارئة بدرية جمعة السيد بلال ـ مصر .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ عمر ابراهيم محمد عطية الاردن
٢ ـ عبد المجيد أزر على الامارات ـ الشارقة
٣ ـ سميرة عبد الكريم العليوات البحرين
٤ ـ محمد سعيد الامارات ـ دبى
٥ ـ ابراهيم مراد سوريا
٦ ـ علي احمد المصطفى سليمان السودان
٧ ـ تسالى سلامه آدم مصر
٨ ـ لمواوى محمد المغرب
٩ ـ منى محمد عبد الله عدن
١٠ ـ فاطمة عباس تونس

استراحة الدوحة العدد ٩٩

السودان (٢) هويدا ابراهيم عمر ـ مصر
● لعبة الظلال : رقم (٢) .
الفائزون : (١) محمد فؤاد عبد القادر ـ السودان . (٢) نادية الفريبوسى ـ المغرب .
● دورى الكاريكاتيرى : اللاعب رقم (٨) .
الفائزون : (١) ناصر عبد الله عوض ـ عدن (٢) جعفر الجعافرة ـ قطر .
● هات اجمل تعليق : « ما تيجى نبقى مجانين زي اللى بره » ـ الفائز عثمان الحداد ـ السعودية .
● هوه الناس بيمشوا على رجليهم ليه .. همنا مجانين ولا ايه ؟ » .
الفائز سيد محمود عبد الشافى ـ مصر .

أجمل الطيور

يتميز طائر الطاووس بالجمال والخيلاء ، وموطنه الأصلى الهند ، جاءت به سفن سليمان وأخذ الى أوربا منذ القدم ، وكان القدماء المصريون يفاخرون به ويأكلونه لارتفاع ثمنه ، ومن ألوان الطعام الضرورية فى ولائمهم العظيمة طبق كانوا يطبخونه على أدمغة الطاواويس وألسنتها ، وارتبطت هذه العادة بالقرون الوسطى .

والطاووس مشهور بحسن قوامه وجمال الوان ريشه ، والطاووس البرى يفوق الطاووس الداجن جمالا فى شكله والوانه ، وهو بحجم الأنثى من الديك الحبشى ، ويؤثر سكن الغابات والسهول المنخفضة ، كما يحتمل برد الجبال فى شمال الهند ، والذكر أجمل من الأنثى فى المنظر .

والطاووس أنواع . منه العادى وهو أبدعها لطيف الحركة حسن القوام ، طوله من مقدمة المنقار الى أطراف الذنب ٤ أقدام ، ريشه ملون بالأخضر ، والذهبى ، والأصفر ، والأزرق وغير ذلك من الألوان الزاهية ، وذيله طويل ينشره كمروحة يفوق جمال منظرها وزهاء الوانها الوصف .. أما أنثاه فسمراء اللون ، وليس لها من الذيل مثل ما للذكر ، الذى هو معجب بنفسه لدرجة أنه يضرب به المثل ويقال : يختال كالطاووس



ثروت حافظ سعدان
اسيوط ـ ج . م . ع

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسم : ____________
العنوان : ____________
____
اسم المسابقة : ____________
رقم العدد : ____________

« تحذير »
التدخين يضر بصحتك
وننصحك بالامتناع عنه



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة



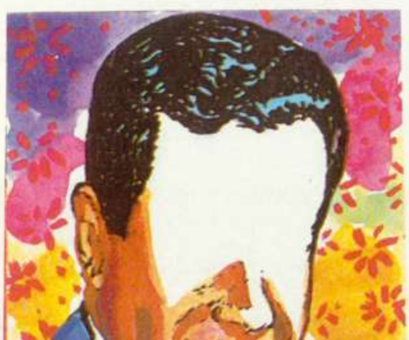
الزعيم أحمد عرابى الذى عين ناظراً للحربية فى وزارة اللواء محمود سامى البارودى ، ووقف فى وجه المستعمر عام ١٨٨٢ ، وحكم عليه بالاعدام ، ثم ابدل الحكم بالنفى إلى سيلان - ان بين أصل وصورة هذا الزعيم سبع اختلافات بسيطة ، اذا عرفتها حصلت على الجائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط !



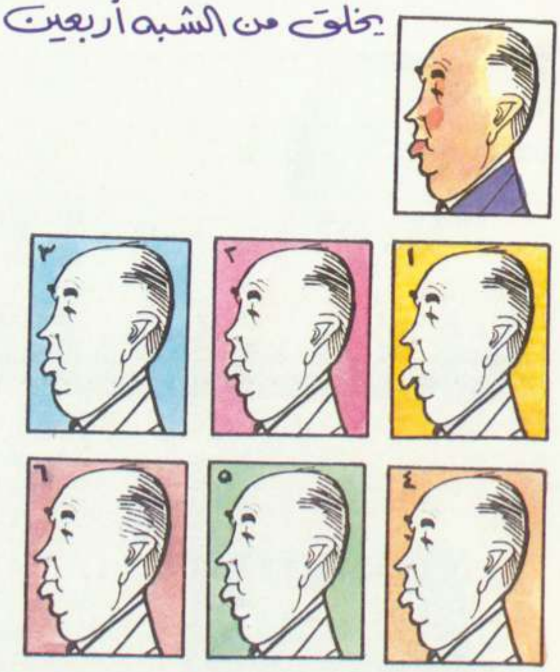
إذا كنت قوى الملاحظة فحاول التعرف على الرسوم التى أمامك وهى لسبعة أشياء متداخلة ثم أرسل الحل إلينا لتفوز بجائزة .

لوحة لم تتم



هذه اللوحة لفنان عربى كبير تغنى الناس بألحانه فى كل مكان .. حاول أن تكمل اللوحة لتتعرف على الفنان وتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



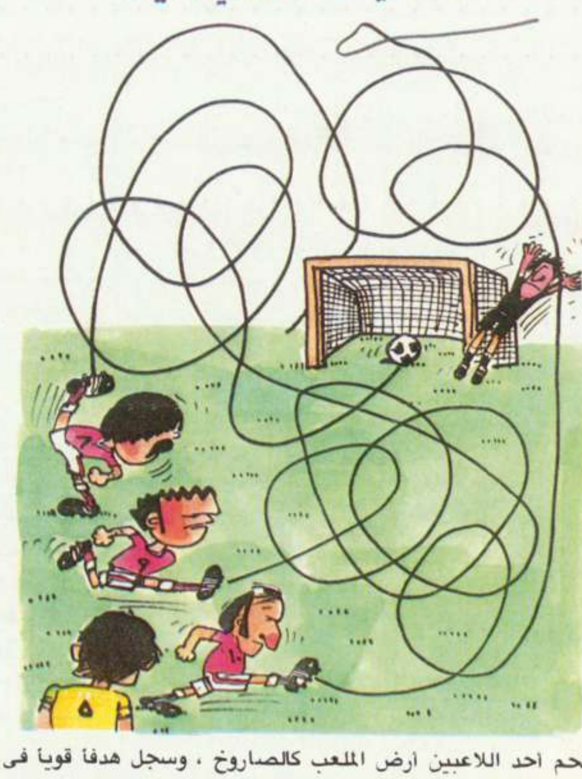
الصورة الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بأشهر مخرجى أفلام الرعب : الفريد هتشكوك .. من بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تمام الشبه .. إذا تعرفت عليها أرسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



فشلت كل محاولات هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى .. حاول أن تساعده فى حل مشكلته لتحصل على جائزة .

دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم .. هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟

هات أجمل تعليق :



حاول أن تجد تعليقاً خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى لتحصل على جائزة .

الورقة الأخيرة



عبدالله الشيتي

نحن.. والقوة الخامسة!

عصر القوة البدنية ولى مع استمرار بث حلقات برامج المصارعة « الحرة ! » من تليفزيونات العالم – والقوة اليوم ذات شقين مادى ومعنوى تتشكل منهما ارادة التحدى وفعل العطاء الواثق الموثوق .. وهو ما ندعو اليه ونتمناه !

هذا ما يمكن ان استخلصه من ندوة الحوار المفتوح التى عقدها مؤخراً فى (الرياض) سمو الامير نايف بن عبد العزيز وزير داخلية المملكة العربية السعودية ورئيس المجلس الاعلى للاعلام ، وقد التقى الأمير المتحدث عن السياسة الاعلامية فى ابعادها المختلفة حديث العارف البصير امام المئات من اساتذة وطلبة ورجال الاعلام والثقافة والادباء فى المملكة الشقيقة . وقرر سمو الامير نايف ان الاعلام فى يومنا ، اصبح « القوة الخامسة فى العالم » مؤكداً ان الاعلام بشموليته – وفى عصرنا الراهن – قوة توازى القوة العسكرية والقوة الاقتصادية والقوة السياسية والقوة العلمية .

انها اذن القوة الكبرى المؤثرة فى حياة الناس والموجهة لمصائرهم ، ناهيك بان القوى العسكرية والاقتصادية والسياسية – كما اكد المتحدث للحاضرين – لا تستغنى عن الاعلام اذ يقوم بمهمة التعبئة المعنوية ، وبمهة التخذيل النفسي (للعدو) فى المجال العسكرى ، ويسهم اسهاماً كبيراً فى تنمية القوة الاقتصادية فى الحفز على العمل ، وبالارشاد الزراعى والصناعى والتجارى ، وأهم من ذلك جميعاً ، انه يخدم القرار السياسى ، ويسهل تدفق المعلومات العلمية على أوسع مدى ..

والنقطة الثانية التى استلفتتني فى تلك الندوة الحاشدة الحافلة (بالحوار المفتوح) والعقل المفتوح امام حقائق الحياة وحقائق الأشياء ، فلسفة الأمير نايف للحرية من وجهة نظره وفهمه لها على انها حرية البناء – مهما كان التعبير او التأثير بالغ القوة اذا كان موضوعياً وهادفاً ، وليس من الحكمة لا المنطق بالطبع ان يتقبل المجتمع او يشجع حرية الهدم .

انها اذن حرية الفعل الجميل – ان جاز التعبير – لا حرية الانفعال والارتجال ..

فالحرية – تعقيباً على شرح وايضاح رئيس المجلس الأعلى للاعلام السعودى – لا يمكن ان تكون افلاتا من القفص فى رأيي – كما يتوهم ذلك الشعراء واصحاب الخيال – انها فى القفص ذاته قفص الضمير !

وما أصعب واشق ، ان يكون هذا الضمير (مستتراً) او حتى نائماً عند بعض حملة القلم ممن تتحول اقلامهم فى ايديهم الى معاول .. وحتى ولو اضحت كذلك . فلابد من ممارسة الفعل الايجابى : اقامة بناء جديد فوق ماتهدم ، لان اشاعة « الخراب » سهل ، ولكن عملية البناء متواصلة ، وذات معاناة وتفاعل حضارى لا يمكن فصله عن الماضى والتراث والتاريخ .



الأمير نايف بن عبد العزيز

واعلامنا العربى الاسلامي – فى تصور سمو الامير نايف عبر ندوته تلك – لابد ان ينبع – فى الدرجة الأولى – من وحي عقيدة التوحيد ومبادىء الاسلام والالتزام بها والاغتراف من ينابيع التراث ، لا التنكر لها تحت اسم « التحديث »والتجديد ، غير السليم وغير المتماسك ..

بلى ، ان الاعلام فى هذه الصورة ، وهو الاطار ، هو القوة الخامسة – بين القوى الراسخة بين جبهتى العالم – ولابد لنا من ان نواكب روح العصر بجذور الماضى وروح التراث ، لئلا ننقطع – ولا قيد انمله – عن ماض تولى ..

« انما الحاضر احلى » ، اذا عرف واحدنا – فى يقيني – اعلامياً كان أو اديباً أو كاتباً أو فناناً ، كيف يقيم جسور التواصل والترابط بين الماضى والحاضر ، فى تطلع واثق مقتدر لمستقبل افضل وغد اجمل ..

لقد كانت فكرة (الحوار المفتوح) ، صراحة وطرحاً للهموم والتساؤلات ، وتداولا للمشكلات المحلية والعربية والدولية .. كانت فكرة ناضجة وضرورية ومؤكدة ، على ان امتنا من محيطها الى خليجها ، لا تستطيع ان تحيا أو حتى تنمو بمعزل عن هذا العالم ..

« انما الحاضر احلى » ، مرة اخرى ، حين يعرف واحدنا – دولا وافراداً – كيف يستطيع ان يكون فعل العطاء عنده ، اقوى من « رغبة » الاخذ ..

وان للاعلام دوراً اى دور ، فى هذا السبيل اذا ما انطلق من موقع المعايشة الصادقة ، من غير ما تضليل ولا تشويش ولا مبالغات ..



إجعَل نهارك عيد مَع

بيبسي



● ترويض الخيل .. للفنان القطري: محمد الجيدة "المعرض الرابع للجمعية القطرية للفنون التشكيلية"

العدد ١٠٢ - شعبان ١٤٠٤هـ - يونية ١٩٨٤م

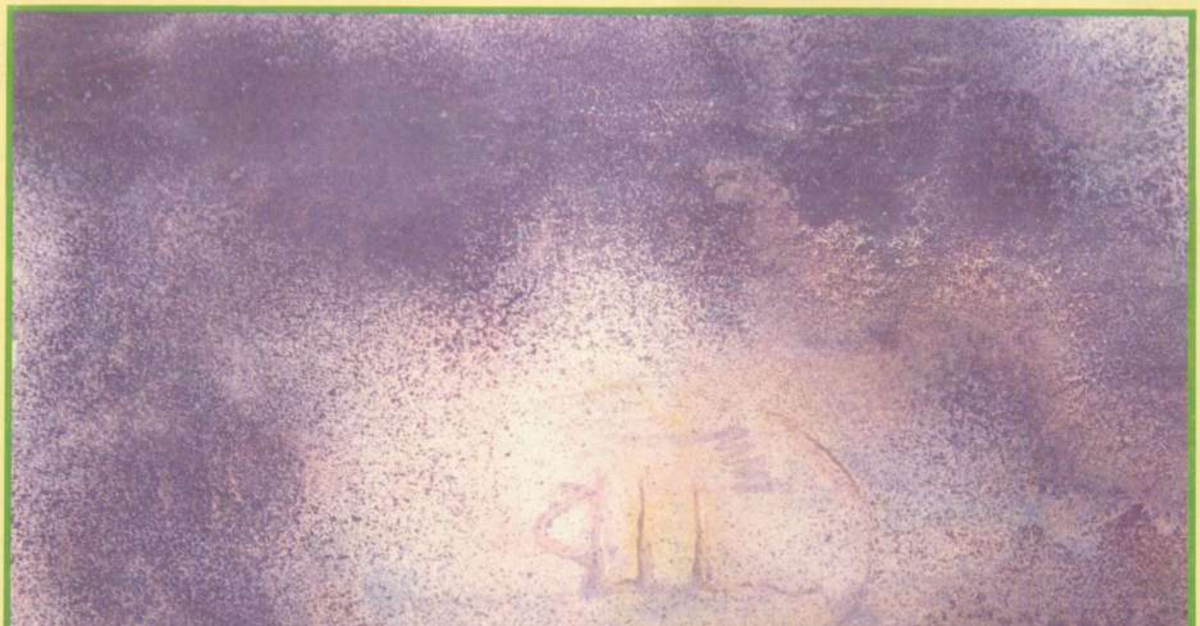
الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

● بين الكاوبوي الأمريكي والدبّ الروسي
د. محمد عبده يماني

● حضارة باقية حتى يجد خصومها البديل
محمد الغزالي

● تحليل الدموع في معامل الأطبّاء
د. نبيل سليم



رمضان كريم .. وكل سنة والمسلمون في عزة وكرامة


TEEM

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان :** دار التوزيع – ص . ب ٣٥٨ – الخرطوم .

● **مصر :** مؤسسة توزيع الأهرام – شارع الجلاء – القاهرة .

● **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات – برامكة ص . ب ٤٩٠٢ – دمشق .

● **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان – شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ – بغداد .

● **ليبيا :** المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان – فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ – طرابلس – فرع بنغازي – ص . ب ٣٢١ – بنغازي .

● **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ – عمان .

● **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ – المنامة .

● **السعودية :** مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان – ص . ب ١٤٠٥ – الرياض .

مكتبة ومطبعة ضياء – المدينة المنورة .

● **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ – الصفاة الكويت .

● **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ – بيروت .

● **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ – صنعاء .

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع – ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى – عدن .

● **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع – شارع المطار الجديد
أبو ظبي ص . ب ٧٩١

● **سلطنة عمان :** المؤسسة العربية للتوزيع والنشر – ص . ب ١٠١١ مطرح مسقط .

● **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج – ص . ب ٤٤٠ – تونس .

● **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف – ص . ب ٦٨٣ – الدار البيضاء .

MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية – الجزائر .

ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع علي بن علي

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١٠٢ - شعبان ١٤٠٤هـ - يونية ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة – قطر .
العنوان البرقي : المجلة – الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH –
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هـــــذا العــــــــدد



لوحة الغلاف الاول : لفظ الجلالة (الله) من لوحات الملكة السابقة فريدة في معرضهـــا الثاني (ص ٥٤)



حوار مع مدير التليفزيون القطري (ص ٨٨)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●



نحن في عيون الاخرين : جولة في ربوع الاردن (ص ٣٨)

● أبــواب ●

الدوحة

مجلة شهرية
ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام
بدولة قطر

● جميع المراسلات
ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة
تعبر عن رأي أصحابها
ولا تعبر بالضرورة
عن رأي وزارة الإعلام
أو رأي المجلة

● المواد لا تعاد إلى مرسليها
نشرت أو لم تنشر

بين الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي

٢ الدبّ الروسيّ



بقلم : الدكتور محمد عبده يماني

هناك إجماع لاجدال حوله على تقسيم القوى العالمية فى عصرنا الراهن إلى قوتين اثنتين ليس غير : القوة الامريكية ، القوة السوفيتية .

أما باقى القوى ، مهما بلغت ، فانها تصنف اما على أساس دورانها فى فلك إحدى القوتين الكبيرتين ، أو على أساس اوضاعها « الاقليمية » فى المناطق التى توجد فيها .

ولقد ذهب المعلقون والمحللون الى وصف القوتين الكبريين بكلمات توحى وكأنه ليس فى الدنيا سواهما ، فقيل « القوتين الاعظم » وقيل « القوتين الأكبر » وقيل « القوتين العظيمتين » .. وقيلت أوصاف كثيرة أخرى .. ونحن لا نجادل فى مدى صحة تلك الأوصاف ولا فى مدى استحقاق كل من القوتين لهما .. ولكننا نجادل تجاه هذه الحالة الغريبة من التسليم بتلك الأوصاف كأن القوتين الأعظم قد استباحتا الأرض وما عليها لأطماعهما وكأن ليس على سطح البسيطة سواهما وكأن الوقوف فى وجهيهما أمر مستحيل وان على الدول الأخرى ان تختار بين هذه وتلك من القوتين تنضوى تحت لوائها وتحتمى بظلها أو يكون مصيرها الضياع والدمار .

ذلك ان سبب قوة أمريكا وروسيا هو بالذات - وفى نفس الوقت - سبب ضعفهما .

وقد تحدثت فى المقال السابق « الدوحة ابريل ١٩٨٤ » عن الكاوبوي الامريكى » وأتحدث اليوم عن الدب الروسى .. ثم أحاول فى المقال القادم ان شاء الله أن أحدد موقعنا منهما .. والمنطلق الصحيح فى رأيى للتعامل معهما .

فى اى دائرة معارف او مـرجع عن التاريخ الطبيعى ، تجد تعريف « الدب » متفق عليه فى جملة نقاط اهمها : ضخامة الجثة ، وبطء الحركة ، وقوة الضربة والســذاجة و .. حب العســل و «الاستعباط» .

وما ادري لماذا وكيف اطلق اسم «الدب» على الروس - الذين اصبحوا سوفييت بعد ولماذا اشتهر تعبير « الدب الروسى » فى الاشارة الى « روسيا » ، ولكننى اتصور ان من ابتكر هذا اللقب اخذ فى اعتباره التكوين النفسى والحركي ثم الهيكلي للكيان السوفيتي .

وابادر فاشير الى ان تمييزى ما بين « روسيا » والاتحاد السوفيتى هو تمييز مقصود ، لأن منطلق دراسة اوضاع الدب الروسى فى عالمنا المعاصر واعتباره ، مع الكاوبوى الامريكى ، قوتين عظيمتين ، انما يبدأ - تحديداً - من تلك النقطة ..

وارجو الا يدهش القارىء اذا وجدنى اتجاوز مؤقتا ، عن واقع الاتحاد السوفيتى كدولة شيوعية كبرى ، بدات منها الشيوعية وانتهت اليها ، فهذا - ورجاء من القارىء الا يعجب - لا يعنينى كثيراً فى موضوع بحثنا ، لأن الدب الروسى بكل ما فيه من صفات ، كان هكذا ايام القياصرة واستمر هكذا ايامنا هذه ، ولم يتغير فيه



رسم كاريكاتورى نشر عام ١٩٠٠ م و هو على شكل خارطة لاوربا تبين أوضاع كل دولة من دولها قبل أربعة عشر عاماً من نشوب الحرب العظمى وسبعة عشر عاماً من قيام الانقلاب البلشفي .. ابرز ما يلاحظ في الرسم هو تصوير روسيا القيصرية على شكل اخطبوط يمد اذرعه النهمة في جميع الاتجاهات ، وفق ما هو معروف عن المطامع الروسية في البلاد الأخرى ..

ان مقارنة بين ما حققه القياصرة وما حققه البلشفيون تؤكد ان البلشفيين قد فاقوا القياصرة ، فعلا ، في انجازاتهم الامبراطورية ، فامتدت اذرع الاخطبوط إلى مناطق عجز القياصرة عن الوصول إليها كاوربا الشرقية مثلا ..

لاحظ ، كذلك ، ان الاعتداء على افغانستان هو هدف قديم للروس بدأوا به بعد حوالي ثمانين عاماً من رسم تلك الخارطة .. وان إيران هي احد أهدافهم كذلك ..

وهكذا تكون مكافحة الامبريالية والا .. فلا ..

شيء .. فهو ـ كما كان أيام القياصرة ـ مازال ضخم الجثة ، بطيء الحركة ، قوى الضربة ، غبيا ، وهائما بالعسل ..

وقد ذهل بعض الناس من الغـزو السوفيتى لافغانستان وتساءلوا .. اي عفريت ركبهم حتى اقدموا على عمل كهذا .. وغزوا افغانستان بين يوم وليلة ؟ وهكذا فجاة بدون مقدمات ..

اما الراسخون فى العلم .. فلم يفاجاوا ابدأ .. بل اعتبروه خطوة متوقعة للتوسع السوفيتى .. الذى يحارب الامبريالية .. والاستعمار اعلاميا ، ويمارسها فعليا .. بل ويسعى لبسط نفوذه على اكبر رقعة ممكنة .. ووفق تحرك استراتيجى مـدروس .. وبتوقيت متزامن مع قدراتهم على الحركة .. والاستيعاب والتبرير غير المنطقى طبعا .. ولكنه تصرف « الدب » وحركته ..

اننى لا انسى قط عبارة قراتها منذ سنوات طويلة ولكنها تستوقف النظر وتستحق الاهتمام ، وتعتبر مفتاحا لتفسير تحركات الدب الروسى ، بعيدأ عن شعاراته المرفوعة ومبادئه المعلنة .

هذه العبارة تقول ، قدر ما تسعفنى الذاكرة :

ـ ان روسيا كانت وستظل قيصرية وبيزنطية ، وان عظام القياصرة لتهتز الآن فرحا فى قبورهم . لان الشيوعيين قد تفوقوا عليهم فى انجازاتهم الامبراطورية . « راجع الخارطة المنشورة مع هذا الكلام » .

ومعنى هذا ان الشيوعية ، كنظام ، ليست اكثر من وسيلة جديدة فى يد روسيا « الامبريالية » بعد ان كانت « البيزنطية » وسيلة القياصرة في بسط سيطرتهم ـ الامبريالية ايضا ـ على اجزاء شاسعة من اوربا الشرقية وآسيا الشمالية الغربية . فكل ما تغير هو « نوعية النظام » ولكن المطامع الامبريالية الروسية قد ظلت كما كانت .

معنى هذا الكلام ايضا ، ان شعار « الاستعمار اعلى مراحل الراسمالية » الذى رفعه لينين ، وبالتالي كل شعارات محاربة الاستعمار والامبريالية لم تكن اكثر من اكذوبة كبرى ، لان شيوعيي روسـيا لا يقلون عن اسلافهم القياصرة فى مطامعهم الامبريالية وخططهم التوسعية التسلطية .

ونستطيع القول ـ بكل بساطة ـ ان كل مازاد عن روسيا الطبيعية من اراضى « الاتحاد السوفييتي » انما هي مستعمرات روسية كان القياصرة قد بداوا من قبل ببسط نفوذهم عليها ، ثم جاء الشيوعيون فاضافوا الى الامبراطورية الروسية بلادأ باكملها كان القياصرة قد عجزوا عن السيطرة عليها ..

فكيف يتفق هذا مع ادعاء الشيوعية محاربة الامبريالية ؟ ..

هذه واحدة ..

اما الثانية . فتتعلق باقطار اوربا الشرقية التى يسيطر عليها السوفييت بحرابهم ودباباتهم تحت اسم « حلف وارسو » ، وتحت شعار « منع توحيـد المانيا » ، فاية علاقة بين روسيا وبين تلك الدول ؟ ..

والثالثة هى الفضيحة التاريخية التى وقعت فى بدايات الحرب العالمية الثانية ، حين وقع « مولوتوف » و « ريبنتروب » ـ وزيرا خارجية ستالين وهتلر ـ اتفاقية التعاون والصداقة التى اقتسم فيهـا ستالين وهتلر اوربا الشرقيـة ، بحيث اجتاحت الجيوش الروسية فنلندا واستونيا ولتوانيا ولاتفيا فى الوقت الذى كانت فيه جيوش هتلر تجتاح اواسط اوربا وغربها ..

ما الفرق ـ هنا ـ بين هتلر وستالين ؟ .. او بين روسيا الشيوعية والمانيا الهتلرية ؟

وكما نعلم ، فقد كان من الواضح ، اذ ذاك ، ان الحرب العالمية الثانية سوف تتمخض عن قوتين عظميين عالميتين ليس غير، هما روسيا وامريكا ، لان منطق مجريات الحرب كان يشير الى ذلك.ومن هنا كان اتفاق « يالطا » الذى عقد بين ستالين وترومان وتقاسم الاثنان فيه مناطق النفوذ ، ونظرأ لأن ترومان لم يكن اكثـر من « كاوبوى » جاء من بلاد « الكاوبويز » لم يكن يهمه كثيرأ ان يفكر بعقله قدر ما يهمه ان يستخدم قوته ويطمئن اليها ، فان ستالين قد انتزع منه شيئا كثيراً ، رغم ضعف موقفه بالنسبة لامريكا التي كانت تمتلك ـ وحدها اذ ذاك ـ القنبلة الذرية ، وهو الامر الذى اضطر السياسي المحترف « تشرشل » للتدخل ، رغم علمه انه لم يكن يمثل اكثر من دولة من الدرجة الثانية ، فعدل الاتفاق بخط يده ، وكان فحوى الاتفاق اطلاق يد روسيا في جميع اقطار اوربا الشرقية والوسطى مع تحفظ واحد ، هو الذى كتبه تشرشل بخط يده ، يتعلق برومانيا وهو ان تكون من نصيب السوفييت بنسبة تسعين فى المائة ومن نصيب « الغرب » بنسبة عشرة في المائة وهذا هو سر انفراد رومانيا بمواقف خاصة خرجت بها عن اجماع الدول الشيوعية الاخرى،فهي تعلم انها تتمتع بنسبة عشرة فى المائة من حماية الكاوبوى الامريكى ، وقد استطاعت استغلال هذه الحمـاية ببراعة .

وهكذا تضخم الدب الروسي وترهل ، اكثر فاكثر ، وباتت له امبراطورية مترامية الاطراف تحتل جانبا كبيرأ من اوربا الشرقية ، ومن آسيا الشمالية ، تجمع مائة واربع قوميات ، وتتكلم عشرات اللغات ، وتضم اكثر من مائتين وسبعة وخمسين مليونا (عدا سكان المستعمرات غير الداخلة في نطاق الاتحاد السوفييتي) .

أما عن بطء الحركة ، فانها سمة اساسية من سمات الدب الروسي ، كما هي سمة الدب الاصلي ، ولقد قرانا عن هذا البطء شيئا كثيرأ في مذكرات كثير من السياسيين بما فيهم بعض السياسيين العرب . فيوم الكرملين بسنة ، وشهرهم بعقد ، وسنتهم بقرن ، وهم يعترفون بذلك ويقولون ان سببه هو « البيروقراطية » و « الروتينية » وكثرة الجهات التي يجب عليها المشاركة في اتخاذ القرار ..

ولكن قوة البطش وسرعة الحركة تبدو لنا على الفور اذا ما خطر لاحدى المستعمرات ان تحاول استنشاق هواء الحرية ، فالدب ـ عندها ـ يكشف عن مخالبه ويضرب بلا ادنى رحمة او شفقة ، وهو ماحدث في المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا و .. افغانستان ..

ويبقى بعد ذلك ان نتساءل :

ـ اذا كان قد تبين لنا ان الدب الروسي ضخم الجثة ، قوي الضربة ، بطيء الحركة محب للعسل (والعسل هنا هو المستعمرات الروسية طبعا) فهل هو ـ بعد ذلك ـ (ساذج) ؟

ونجيب :

ـ اجل .. انه كذلك .. ولو لم يكن ساذجا لما كان دبا ، فهو ساذج اذ يعتقد ان هناك عاقلا واحدأ يصدق مزاعمه حول معاداته للامبريالية ومحاربته إياها .. وهو غبي اذ يعتقد اننا نصدق دعاواه في نصرة الشعوب المستضعفة والتي يجعل اعوانه من تلك الدعاوي بضاعة يومية يتاجرون بها .. وهو غبي إذ يعتقد ان بوسعه ان يقضي على الاسلام ، والاسلام بالذات ، سواء داخل الامبراطورية الروسية او خارجها ..

وهكذا اكتملت ماساة عالمنا المعاصر في وجود الكابوي الاميركي بمسدسيه سريعي الطلقات والدب الروسي بضخامته وبلادته وغبائه وهيامه بالعسل ..

ان من المفارقات الطريفة ، هنا ، ان الطرفين كليهما يعتمدان على قوتيهما العظميين في سياستهما العالمية ، وانهما لايجهدان النفس كثيراً في « التفكير » الذي قد يصل بهما ، لو حدث ، الى الاقتناع بعقم محاولاتهما للسيطرة على العالم ..

لقد ســار السوفييت وراء السياســة الامريكيــة يستفيدون من اخطائهــا ويوظفونها لحسابهم لا لانهم «اذكياء» ولكن لان الاميركيين انفسهم « غير اذكياء » ..

فمن الحقائق المدهشة ، والمضحكة ، ان وراء كل نصر سوفييتي خطا اميركي ، فكلما ارتكبت امريكا اخطاء في حق الشعوب التي تتعامل معها ، كان هؤلاء يعبرون عن رايهم في امريكا بالانحياز الى روسيا ، لا حبا بها ، ولكن نكاية في امريكا ..

ولو ان امريكا وعت هذه الحقيقة ، فمما لاشك فيه ان وجه التاريخ كان قد تغير كثيراً عما هو عليه الآن ، ولكن امريكا ـ لسبب ما ـ لم تفهم ذلك قط .. ومازالت لاتفهمه حتى الآن ..

والدليل على ذلك ان جميع الدول التي ارتبطت مع السوفييت بعلاقات طيبة ، لم تلبث ان انقلبت عليهم في فترة لاحقة ، وكان السوفييت يتغاضون احيانا ، ويصلحون خطاهم حينا اخر ، او يهملون البلد الذي انقلب عليهم ، وفي جميع الاحوال لم يحدث قط ان امريكا استطاعت الاستفادة من تلك المتغيرات والتعامل مع تلك الشعوب من منطلق يختلف عن منطلق اسلوبها الذي يستمد من الاخلاقيات وطباع « الكاوبوي » الشيء الكثير ..

ثم جاءت لعبة «الوفاق» التي كشفت حقيقة موقف الكابوي الاميركي والدب الروسي معا .. ويمكن تلخيص تلك اللعبة ـ بكل بساطة وايجاز ـ بان الطرفين كليهما يبحثان عن مصالحهما قبل كل شيء ، وان علاقتهما مع الدول الاخرى ، كبيرها وصغيرها ، محكومة بهذا الاعتبار ..

وتم التفاهم على مناطق النفوذ ..

بعضها مغلق لصالح امريكا ..

وبعضها مغلق لصالح السوفييت وحدهم ..

وبعضها متروك لـ « شطارة » الطرفين مادامت لا تمس مصالحهما مساساً مباشراً .

وعلى هذا الاساس سارت سياسة القوتين الكبيرتين خلال السنوات الفائتة ، فلا غزو السوفييت لتشيكوسلوفاكيا ازعج امريكا ، ولا اعتداؤهم على افغانستــان استدعى وقفة اميركية صلبة ، وبالمقابل ظلت « اسرائيل » تعربد في الشــرق الاوسط ـ بالاسلحة الاميركية ـ والسوفييت يتغاضون ، فالوفاق سائد بين الطرفين ، وكل منهما يبحث عن مصالحه الخاصة ضمن حدود اللعبة ، بصرف النظر عن اي اعتبار اخر ..

وخلال ذلك ، كان مايزيد عن ثلاثة مليارات ونصف المليار من سكان العالم يعانون من مد سياسة الوفاق وجذرهــا ، ويكتوون بنار المطامع التي تمثلها الدولتان القويتان : الكابوي المسلح بصواريخ «بيرشنغ» ، والدب المسلح بصواريخ (س . س) .. وكلاهما لا يهتم لغير مصالحه الامبراطورية التي لم يعرف التاريخ لها مثيلا ..

ومع ان لكل من الطرفين حلفاءه واصدقاءه ، فقد اثبتت الأحداث ان اولئك الحلفاء والاصدقاء يرزحون تحت وطاة التحالف القاتل والصداقة المميتة ، وانه لولا حسابات الاوضاع الدولية القائمة وتوقعاتها لانفض الجميع عن العملاقين كليهما ، وهو ما راينا له ادلــة ومظــاهر كثيرة ..

اوربا الغربيــة ، مثلا ، لم تترك وسيلة تعبر بها عن ضيقها من السياسة الاميركية الا وسلكتها ، ووجدت في تكتلاتها السياسية والاقتصادية طريقة تحاول ان تتقي بها شر السياستين الاميركيــة والسوفييتية معا ..

واوربا الشرقية ، هي اسوا حالا ، تكاد انفاسها ان تزهق تحت وطاة «الصداقة» السوفييتيــة فتعبر عن رايهــا بتلك الانتفاضات الدموية بين الحين والحين ..

وفي آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، نجد الظاهرة نفسها التي تتارجح ما بين الاستقلال ، كثيراً او قليلا ، عن العملاقين ، والتحالف الكامل مع احدهما ، ثم تارجح هذا التحالف بدوره ما بين المتانة والفتور ، بمقدار ما تتطور مجريــات السياســة العالمية ..

ولعل ظاهرة التكتل والتوحد والاندماج التي نراها في بعض انحاء العالم ، انما هي نتيجة تلقائية لتحسس الدول والشعوب باخطار التعامل مع الكاوبوي الذي اعتمد مسدسه وسيلة للتفاهم ، والدب الذي ليس له من هدف او غاية إلا : العسل ..

ففي اوربا نجد السوق الاوربية المشتركة والبرلمان الاوربي المشترك ، والمجالس الوزارية المشتركة ، وفي افريقيا نجد منظمة الوحدة الافريقية ، وفي آسيا نجد تكتلات اقليمية عديدة ، وفي الخليج نجد مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، وفي العالم الاسلامي نجد رابطة العالم الاسلامي والمؤتمر الاسلامي ، ومؤتمرات القمة والوزراء المتخصصين في العالم الاسلامي وربما امكن ايضا ان نضيف « جامعة الدول العربية » ، وكل هذه التكتلات تهدف ـ حسب ظروف كل منها ـ الى حماية نفسها من العملاقين المتربصين بالأرض وسكانها ، والبحث عن مصالحها بعيداً عن مخاطر التعامل مع اي من العملاقين ..

واذ نتساءل :

ـ ما هو موقفنا ، كمسلمين وكعرب ، وسط لهيب الاوضاع الدولية الحارقة ؟ ..

وما هو موقفنا ونحن مستهدفون بشكل مباشر من القوتين الكبيرتين معــاً ، في سعيهما المحموم لاحتوائنا وضمنا الى مناطق نفوذهما ؟ ..

ـ وما هي الوسيلة التي نستطيع بها ان نحقق اهدافنا الوحدوية والتطورية مع اقرب الناس الينا والصقهم بنا واكثرهم اتفاقا معنا في الاهداف والطموحات ، وفي التعرض لمخاطر مؤامرات الكاوبوي وزميله الدب ؟ ..

الجواب ، من غير تردد ، انما يكمن في كلمتين اثنتين ليس غير ، بهما نحمي انفسنا ، ونقف كقوة عالمية ذات وزن ، ونصدع ـ قبل ذلك ـ بمــا امر به ربنــا وديننا :

ـ التضامن الاسلامي .. التضامن الذي يطابق القول الفعل .. ويسعى فعلا لجعل كلمة الله هي العليا .

اجل ففي غمرة الصراع العالمي المستميت بين القوتين الكبريين ، ووسط تعقيدات المواقف الدولية التي لم يسبق لها ان كانت ـ تاريخيا ـ كما هي اليوم ، نجد ان اتجاه المسلمين الى بعضهم البعض ، وتحالفهم وتضامنهم ووحدة كلمتهم ، ووحدة اقتصادهم ، ووحدة اهدافهم ، هي السبيل الوحيد ـ بل الأوحد ـ نحو التحول التاريخي الحاسم الذي به نثبت جدارتنا في ان نكون مسلمين ..

ولهذا الحديث لقاء اخر باذن الله ..

محمد عبده يماني

العرب.. والقوة الجديدة

بقلم : الدكتور محمد جابر الأنصاري

تميز الشهر المنصرم بتطوير نوعي في علاقة العرب الجديدة بالقوة الاستراتيجية والتكنولوجية الصاعدة فى الشرق الاقصى ، والتى اصطلح على تسميتها بالقوة الصفراء ، وهى القوة التى تمثل اليابان طليعتها الصناعية والاقتصادية المتقدمة ، وتمثل الصين خزانها البشرى الاستراتيجي الهائل ، وتمثل كوريا وفيتنام والفلبين وسنغافورة أطرافها وأذرعها الحضارية المتنامية .

وقد تمثل هذا التطور في زيارتين هامتين على مستوى القمة قام بهما زعيمان عربيان للشرق الأقصى عكستا هذا التوجه الجديد بين العرب والقوة الصفراء التى أصبحت طرفاً أساسياً فى صياغة معادلات القوة فى عالمنا المعاصر . وعالم المستقبل القريب الذى نوشك أن ندخله .



سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

وعندما نقول معادلات القوة فاننا نعني بها القوة الصناعية التقنية ، والقـــوة الاقتصادية ، والقوة البشرية بالاضافة الى القـــوة العسكرية والسياســـية والاستراتيجية وباختصار القوة الحضارية بكل معانيها ومختلف وجوهـها وابعادها .

اما الزيارة الأولى التى اسهمت فى صياغة هذا التطور النوعي فى علاقة العرب بالقوة الجديدة ، فكانت زيارة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر العربيـــة لكل من اليابان وكوريا الجنوبية .

واما الزيارة الثانية فكانت زيارة السيد ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية للصين الشعبية .

ومع ان كل زيارة تاتي فى إطارها المتميز إلا ان الزيارتين معا تمثلان مؤشراً حافلا بالدلالات على الآفاق الجديدة التى يمكن للعرب ان يرتادوها فى علاقتهم المتنامية بالقوة الدولية الجديدة فى الشرق الاقصى والمحيط الهادى (الباسفيكي) .

وقد سبق لنا ان طرحنا على صفحات مجلة « الدوحة » وبشكل مسهب ابعاد هذا الصعود المثير لهذه القوة على مسرح الحضارة والسياسة العالمية ، وحاولنا ان نستكشف امكانيات التعاون بين العرب والقوة المذكورة فى حقول التعاون المختلفة وفى المجال الاستراتيجى على المدى البعيد حيث ثبت بما لا يقبل التردد ان القوة الغربية البيضاء قوة مرتبطة عضوياً باسرائيل والصهيونية جذوراً وشعوراً ومصلحة ، وانها بالتالى غير مؤهلة لتكون صديقا للعرب ، او حليفا استراتيجيا لهم ، باي معنى من المعاني الجدية الصادقة للصداقة او التحالف . ولعل فى التصريحات الأخيرة الصريحة للملك حسين حول هذا الأمر ما يقدم دليلا من احدث الادلة واقواها على صحة هذا الاستنتاج الذى لابد من مواجهته .

ولان العرب ، لأسباب عقائدية وسياسية لا يميل قسم كبير من دولهم للتحالف الاستراتيجي مع الاتحاد السوفياتي رغم تقديرهم لبعض مواقفه تجاه بعض القضايا العربية ، فان البديل المستقبلي المرشح للتحالف مع العرب هو قوة الشرق الجديد غير المرتبطة دينياً ومصلحياً وشعورياً باسرائيل والصهيونية ، وغير المثقلة بماض استعماري بغيض فى المنطقة العربية ، وغير المتهمة باغراض سياسية وخطط مشبوهة تجاه الحاضر والمستقبل العربى ، وغير المرشحة للتصادم مع العرب فى اي مجال مصيري حاضراً ومستقبلا ايضا ، بل ان لهذه القوة الجديدة مصلحة جوهرية فى سيادة

العرب.. والقوة الجديدة

الاستقرار بالمنطقة العربية لتزداد امكانات التعاون الاقتصادى معها الى ابعد الحدود وليتامن تدفق النفط منها الى المصانع الجديدة المتزايدة كل يوم فى اليابان وكوريا وغيرهما .

ولقد ذكرنا في بحث سابق ان منطقة الخليج والجزيرة العربية هى واسطة التفاعل وواجهة التقابل بين العالم العربي والشرق الآسيوي بحكم موقع المنطقة الجغرافي والاستراتيجي ، ومخزونها النفطي ، وعلاقاتها التاريخية مع ذلك الشرق البعيد ، وتعاملها الحالي المتوسع مع القوة الجديدة فى مجالات التكنولوجيا والتجارة والأيدى العاملة الماهرة ، مع الأخذ فى الاعتبار كيفية تاسيس هذا التعامل على اسس بينة ومباديء محددة توازن بين المحاذير والايجابيات ، وتهتم قبل كل شيء بجعل العلاقة الجديدة علاقة متكافئة بين حضارتين تتبادلان الاحترام والفكر والمنفعة لصالح الطرفين وعدم قصر التعامل على طرف يمثل الانتاج والصناعة وهو الطرف الآسيوي ، وطرف يمثل السوق الاستهلاكية وهو الطرف العربي .

وطبيعي ان مثل هذه العلاقة المستقبلية ذات الأبعاد المامولة الواسعة ، لا يمكن ان تنشا بين عشية وضحاها ، ولا يمكن ان تتعبد كل طرقها وتتضح كل معالمها فى بداية التقارب والاتصال ، بل لابد من محاولات رائدة فى هذا المجال تعبد الصعب ، وتستكشف المجهول ، وتزيل العقبات شيئا فشيئا الى ان يتضح للعرب طبيعة الصديق الجديد ، والكيفية الفعالة فى التعامل معه ، والمدى الذى يمكن ان نصل معه إليه .

وبلا ريب فان علينا ان نعرف تحديداً ماذا نريد من صديقنا الجديد ، وماذا يستطيع ان يقدم لنا ، وماذا نستطيع نحن أن نقدم له ، لتحدد المعالم ويتم الانطلاق على اسس واضحة .

والواقع ان حدوث الزيارتين الهامتين فى شهر واحد يفتح مجدداً ملف العلاقات العربية مع قوة الشرق الجديد ، بشكل يتجاوز المدى السياسي والاقتصادي ويمثل تاكيداً للطرح الفكرى الذى كان لمجلة الدوحة دوراً مبكراً فى تناوله وعرضه بين منابر الفكر العربية الاخرى .

فلقد جاءت زيارة صاحب السمو امير دولة قطر لترفع مستوى العلاقة بين الخليج والجزيرة العربية والوطن العربى ككل الى مستوى التعامل فى القمة ، ومن منظور استراتيجي وحضارى شامل ، ولتكون من أول المبادرات العربية الرائدة تجاه الشرق الجديد تستشف ابعاده ، وتستكشف افاقه ، وتعبد الطريق لمبادرات تالية فى هذا المجال الجديد الخصب .

والزيارة بمعناها الرائد هذا اهم من اية نتائج محددة بل ان النتائج ستتولد منها مستقبلا باوفر مما نتوقع ، على اهمية ما تمخضت عنه من نتائج على المدى القريب .

واذا كانت زيارة سمو الامير لكوريا واليابان قد ابرزت اهمية الخليج والجزيرة العربية كواسطة تفاعل وواجهة تقابل بين الأمة العربية والشرق الجديد ، فان زيارة السيد ياسر عرفات للصين الشعبية قد ابرزت وذكرت بالدور الهام والمتميز الذي يمكن لقوة الشرق الجديد ان تضطلع به فى دعم نضال العرب فى صراعهم التاريخي مع اسرائيل والصهيونية العالمية . فقدتم استقبال عرفات فى بكين كرئيس دولة . وهذا يعني ببساطة اعتراف ربع الجنس البشري بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ووقوف ربع الجنس البشري معه فى نضاله ضد مغتصبي وطنه . وهذا المعنى يفتح لنا ، او يجب ان يفتح ، ذلك المدى الخصب المنتظر لامكانية التعاون والتحالف بين العرب والقوة الجديدة من صين ويابان بغض النظر عن نظمها الخاصة بها والتى تلتزم بعدم تصديرها إلينا . والملحوظ بهذا الصدد ان الصين الشعبية تختلف عن الاتحاد السوفياتي حيث تقيم علاقات طبيعية مع اية دولة واى نظام دون تمييز ايدولوجي وهذا ما يسهل التعامل معها بغض النظر عن نظامها الداخلي . كما ان اليابان ، من جانبها ، لم تقم باي نشاط عقائدي ، ايا كان خارج حدودها .

• •

والقوة الجديدة تكاد تغير اليوم التوازن العالمي كله . فقد ابرزت زيارة الرئيس الامريكي ، ريغان ، للصين اهمية وخطورة الفكرة المطروحة حاليا فى الغرب والتى تخيف الأوربيين وتهددهم بعزلة استراتيجية خطيرة .

هذه الفكرة تقول : ان مركز الثقل العالمي سينتقل الى حوض المحيط الهادي (الباسيفيكي) بازدياد التعاون والتعامل بين الولايات المتحدة وكندا من ناحية والصين واليابان وكوريا من ناحية اخرى . وان هذا التقارب سيحل محل الرابطة الاطلسية بين امريكا وحلفائها الاوربيين ، وسيدفع أوربا الى مزيد من العزلة لمواجهة قدرها مع جارها السوفياتي الصعب .

ان اوربا تفعل ما فى وسعها لابقاء الرابطة الأطلسية حية . ولكن الاحداث والتطورات تدفع باتجاه ولادة الرابطة الباسيفيكية التى ستكون اول نموذج لظاهرة حضارية عالمية جديدة لاشرقية ولا غربية ، لا راسمالية ولا ماركسية ، بل مزيج من الشرق والغرب ومزيج من النظام الليبرالي والنظام الشمولي .

ومغزى هذا كله .. ان هناك قوة جديدة عظيمة تولد فى الشرق البعيد .. القوة الصفراء التى ستاخذ لواء الحضارة من يد الجنس الأبيض ان لم تكن قد اخذته بالفعل .. والمبادرات العربية اليوم تجاه هذه القوة ليست من احداث الحاضر بل من معالم المستقبل .

محمد جابر الأنصارى

تحية كريمة للدوحة من مُربٍّ كريم



د . محمد الأحمد الرشيد

الأخ الدكتور محمد جـــابر الانصارى المحترم

السلام عليكم ورحمـــة الله وبركاته ، وبعد ،

فان ما تفضلتم به من عرض دقيق وامين لموضوع صميمي وخطير مثل موضوع الاهدار التربوى فى الدراسة التى اشرتم اليها فى مجلتنا الرائدة « الدوحة » .. يفتح الباب لمناقشة اوسع حول موضوعات جسيمة الأهمية تتصل كلها بمستقبل امتنا الذى ينال منكم بلاشك كل الاهتمام .

ان الموضوعات التى يتم اختيارها لتكون محلا للدراسات .. ومن ثم للنشر .. فى مكتبكم العربى للتربية .. او تلك التى تعقد من اجلها الندوات والمؤتمرات .. هذه الموضوعات ماذا يكون مصيرها بعد صدور الدراسة .. او انتهاء الندوة .. او انفضاض المؤتمر ..

ان مواليد المكتب من منجزاتـــه الفكرية والعلمية قد تتعرض ـ لا سمح الله ـ للاعتلال ، او ربما الموت .. مهما كانت الضرورات التى توجب حياتها .. ما لم تتعهدها ايد امينة باثارة موضوعاتها على المستويات الاعلامية المختلفة .. من الصحافة المتخصصة .. وغير المتخصصة .. فى الاذاعة .. والتليفزيون .. بحيث يكفل لمثل هذه الموضوعات الحياة والنماء من .. « اهل فكر يكفلونه .. وهم له ناصحون » ، والاعلام السخى المخلص يضمن استمرار حياة مادة الموضوعات الجوهرية .. حتى يلتقطها رحم الامة ، ويســتمر فى تغذيتها .. حتى تصبح حلولا حقيقية لمشاكلنا .. ما ازمن منها .. وما نؤمل الا يزمن !

وتناول هذه الموضوعات بمثل ما قدمتم .. وبمثل هذا الاستصراخ المخلص « كتاب يجب ان يقراه كل مسئول .. وكل مواطن عربى .

يمثل رغبتكم الملحة فى وضع القضية فى مركز متفاعل قوى .. وحتى تبسط اليها الأيدى والعقول .. لتصبح .. قضية عامة .. او قومية .. او محلية .. حسب اهميتها التى يراها الباحث والمفكر .. والأديب ..

وكما رايتم بحق ـ اذ ما معنى كل الجهود .. وكل الأموال .. اذا تسربت من خلال الاهدار .. ؟ ثم انك حين تتجه للانقاذ للدائرة الأوسع . وانت تتساءل عن المسئول عن التسرب والاهدار ؟ » .

كمواطنين وآباء وامهات ..

● عندما نترك ابناءنـــا امام التليفزيون والفيديو لساعات طويلة .

● عندما نغرقهم بالمغريـــات الاستهلاكية .. مجانا فى عمر يافع .. انتوقع منهم احترام العلم .. ؟

● عندما نترك ابناءنا خـــلال سنواتهم التكوينية الأساسية فى يد المربيات الأجنبيات ؟

● وهل يجد هذا اليافع التماسك العائلي ؟

نعم ..

اسـئلة اسـاسية وجهتها باستصراخك ..

ولقد عقدت ندوة .. واعد مشروع .. وطرحت دراسة ..

ففى ندوة «التربويون والاعلاميون» بحثت قضايا جد ملحة وعاجلة .. وجذرية معاصرة ومستقبلية وهى تحت الطبع بمطابع المكتب .

وفى موضوع المربيات الأجنبيات فى الخليج .. كان لنا مشروع هام .. وهكذا .. ! واننى اذ اكرر الشكر على تقديركم الكريم لدور المكتب ..

اود أن اشير انه اذا كنا نحاول القيام بابراز الأهميات للمشكلات او الموضوعات الأساسية لخير حاضر ومستقبل امتنا .. فان دوركم الرائد يكمن فى استمرار احياء هـــذه الموضوعات والقاء الضوء المستمر عليها .. حتى تتبناها الأمة باعتبارها هى جهة الاختصاص الحقيقى والنهائى فى حل هذه المشكلات .

سائلين الله أن تسترد امتنا دورها المرموق ..

والســـلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،،

أخوكم

د . محمد الأحمد الرشيد

مدير عام مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض

حضارة باقية

حتى يجد خصومها البديل

بقلم: محمد الغزالي

الحضارة الغربية بشقيها الراسمالى والشيوعى تقود عالمنا المعاصر، وتنفرد بزمامه، وهى حضارة نجحت نجاحا ملحوظا فى اكتشاف الكثير من قوى الكون، وجعله طوع بنان الانسان، يرفه به نفسه إذا شاء، ويدافع به خصومه إذا شاء! وما احسب الانسان على طول تاريخه بلغ ما بلغه اليوم من سيادة وتمكين فى البر والبحر والجو!

إن يده الطولى فى ميادين العلم والتطبيق امكنته من ارتقاء صناعى باهر شمل المجال المدنى والعسكرى على سواء، وها هو ذا بعد ان قدر على الأرض يرنو الى غيرها من الكواكب .!

ولا احب ان اغض من عظمة هذا التقدم الكبير، ولا ان اتذرع بسوء استخدامه الى النيل منه، ان جحود النعمة رذيلة منكورة اما النعمة نفسها فشيء جميل ..

فى بعض الجراحات الدقيقة التى اجريت لى حمدت الله على تقدم الطب، وفى بعض الرحلات البعيدة حمدت الله على تقدم الطيران بل فيما اتناول من طعام، وارتدى من كسوة، اقدر اليسر الذى كفلته المدنية لهذا الجسد، فلا احطاب توقد للطهو، ولا مشقات توجد فى الحياكة! كان كل شيء مسوق لخدمتنا ..

لكن بعض المفارقات تزعجنى! اين يذهب الوقت الذى وفرته لى الآلات المسخرة؟ ان رى الأرض بالطمبور قد يستغرق يوما كاملا، ولكنه بالمضخة الصناعية ياخذ ساعة من نهار، ترى ملاذا يصنع الفلاح عندنا ببقية يومه؟ هل كسب كثيراً عندما يقضيه فى الثرثرة واللغو ..؟

ان انقلاباً حصل فى قريتنا بعد استخدام الآلات، كان الفلاح يصلى الفجر ثم يغدو الى الحقل يقضي فيه سحابة نهاره، ثم يعود مع الغروب ليتناول عشاءه، فاذا صلى العشاء لم يمكث غير قليل حتى ياوى إلى فراشه، فاذا هو عند السحر يقظان يستغفر ربه ويتهيا لليوم الجديد!

اما الآن فهو يسهر مع التلفاز او يتابع برامج الاذاعة، وينام عند منتصف الليل ويصحو غالباً عند مطلع الشمس ثم يذهب الى عمله

غير متعجل ، وتسعفه الات شتى على انجاز ما يبغي !

من الخطا ان الوم التقدم الصناعى لأن بعض الناس اساء استغلاله ، إن المشرفين على مسيرة المجتمع ، وبناء الأخلاق ، وضبط العادات والعبادات كان يجب أن يواجهوا هذه التغيرات بما يصون الأفراد والجماعات .

ومن ثم فانا احتفى بالجوانب المادية من الحضارة الحديثة ، ولا اشارك المتشائمين منها ولا الضائقين بها ، لقد قلت ، ومازلت اكرر القول : ان الانسان ملك فى هذا العالم ، كرمه الله اكثر مما كرم غيره ، وسخر له الأرض والسماء وما بينها ، وكل ما طلبه منه بازاء هذا الخير الدافق ان يعرف ربه فلا ينكره ، وأن يشكره فلا يكفره .. أذلك صعب ؟؟

قال لى صديق : دعنى من تفاؤلك الساذج وتصوراتك الخيالية عن هذه الحضارة ! أتدرى ما قدمه هذا الارتقاء المادى للناس ؟ لقد انشعب العقل البشرى شعبتين ، احداهما تشتغل بالكون واسراره ولا تكترث بربه ! والأخرى تشتغل بالانسان وقواه ولا تهتم بخالقه !

ومن حصيلة الجهد العقلى هنا وهنا استبحرت ميادين المعرفة بالكون والانسان ، ومن حصيلة الجهل بالله هنا وهنا وجه البشر ثمرات العلم والتطبيق والاستكشاف والاختراع إلى تدليل الجانب الحيوانى فيهم ، وإتراف معايشهم على سطح الأرض وحسب !

تقول إن الانسان ملك مكرم ؟ إن الجنس الأبيض الذى يقود هذه الحضارة حقر الانسانية كلها يوم قطعها عن بارئها ، وشغل نفسه بعبادة نفسه ، واشباع غروره ، وتحقير غيره .. الم تقرا الاحصاءات عن موجة الجرائم التى لاتزال صاعدة ، توشك ان تتحول الى طوفان مغرق ؟ ان جرائم الاغتصاب والسطو والضياع والدنس الشاذ تزيد ولا تتراجع .

فاذا تركت الحياة الفردية الى المجتمع الدولى فماذا ترى ؟ الشعوب المستضعفة لا ترى بصيص امل ! وطالب الغلب لا يبالى فى سبيله ان يهلك الحرث والنسل ، القنبلتان اللتان دمرتا هيروشيما وناجازاكى ، وابادتا مئات الألوف من البشر . امسى منهما الوف مهياة للانطلاق فى مخازن الدمار الشامل !

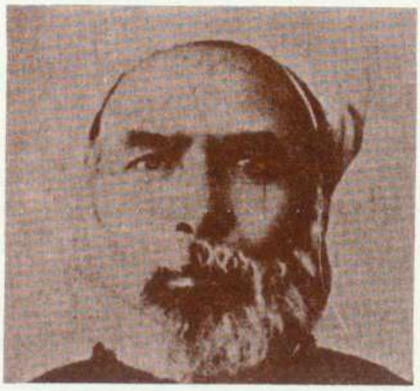
اتظن مهابة الله ومخافة الآخرة هما اللتان تمنعان استخدامهما ؟ ان خوف القصاص العاجل هو الذى يقيم توازن الرعب النووى . !



احمد عرابي



الخديوى توفيق



الشيخ محمد عبده



جمال الدين الافغاني

قاطعت صديقى غير غاضب ، وقلت له : ما اخالفك فيما تصف ، من شاء الثناء على الحضارة الحديثة وجد بواعث المديح ! ومن شاء هجاءها وجد بواعث الملام ، واوثر ان اكون منصفا فى ذكر مالها وما عليها ..

لقد قرات ما كتبه الدكتور يحيى الرخاوى عن حضارة الغرب ، وعن المتدينين الذين يحلمون بوراثتها بعد زوالها ، أو بعد انتحارها ، وضحكت طويلا من عباراته اللاذعة وهو يحصى محاولاتهم الطفولية لاحتواء هذه الحضارة !

ومع انى لم اوافق الأستاذ الرخاوى فى ثقته المطلقة بهذه الحضارة ومستقبلها المديد إلا انى احترمت صدقه القاسى وهو يلمز الورثة المترقبين ويجتاح تكاسلهم وتناقضهم ..

لقد اتصل بنا الأوروبيون من بضعة قرون ، وجلسوا خلال ديارنا يعربدون كيف شاءوا ، كانوا للأسف يمتدون فى الفراغ الذى نشا لا لاننا تخلينا عن قيادة العالم ، بل لاننا عجزنا عن قيادة انفسنا ! كانت الأمة الاسلامية تهوى من أعلى السلم وكان يسمع لتدحرجها على درجة دوى رهيب .

وفى الوهدة التى انتهينا إليها كنا نعانى من محن ثقافية وسياسية لا حصر لها .. كنـــا ـ مدنيا وعسكريا ـ جديرين بالهزيمة ، بان نقاد ولا نقود ، بأن نمشى خلف الآخرين لا ان نتصدر القافلة العالمية كما كان آباؤنا الكبار .. !

حضارة باقية

ذلك ان العقل الاسلامى الذى كان يالف الحرية ويانف من التبعية ، والذى كان يحسن البحث والموازنة والاستنباط والرؤية عن بعد ! هذا العقل انطفأ وهجه ، وذهبت حدته ، وكاد لا يرى !

من ايام كنت اسمع فى إحدى الاذاعات كلاما فقهياً فى ثبوت النسب ، قال المتحدث : إذا طلقت المراة فان الولد الذى تضعه خلال اربع سنين يلحق الزوج المطلق (!) فراجعت متخصصا فى الموضوع فقال لى : هذا هو المذهب ! قلت له ثبت علميا استحالة بقاء الحمل اكثر من عشرة شهور فكيف يبقى حملها من زوجها الأول هذه السنوات الاربع ؟ قال : هذا هو المذهب ! قلت : الذى اعرفه انه لا سناد لهذا الكلام من كتاب او سنة او قياس او ادلة اخرى ! وإذا كان الفقهاء اعتمدوا هذا الحكم من اقاويل شائعة على الافواه ، فما يجوز ان يبقى بعد ثبوت خطئه ! قال : هم يؤثرون تقليد شيوخهم عما تراه انت او غيرك . !

وعدت الى نفسى أندب العقل الاسلامى الأول الذى يستمع القول فيتبع احسنه ، والذى يتوعد بالنكال الجامدين على مواريث الخطا . لأنه وعى قوله تعالى «وكذلك ما ارسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . قال : اولو جئتكم باهدى مما وجدتم عليه اباءكم ؟ قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون . فانتقمنا منهم .. » .

أجل فالعقل الانسانى عندما يصل إلى هذا الدرك يفقد احترامه ، ويعز عليه تقرير حقيقة ، أو ضمان مصلحة ، أو إقامة عدل ..

ونترك المجال الثقافى إلى المجال السياسى الذى كانت امتنا تتحرك داخله من بضعة قرون ، كانت السياسة الداخلية للأمة الاسلامية شديدة الاضطراب ، بل لم يعرف لها محور شرعى تدور عليه !

لقد تعود المسلمون ان يباغتوا باسماء وصفات حاكميهم ، وان يستقبلوهم استقبال الأقدار النازلة إن خيراً فخير وان شراً فشر ! والناس يجيئهم الغيث فيفرحون به ويحمدون الله عليه ، ويصيبهم الجفاف فيعبسون ويحزنون ، ولا شيء لديهم إلا أن يقولوا « إنا لله وإنا إليه راجعون » ..

الجماهير لا شأن لها إن هبت الريح رخاء أو هبت عقيما ، وفى ذلك يقول الشيخ محمد عبده (١) واصفا حال مصر قبل مجيء جمال الدين الأفغاني : إن اهالى مصر قبل سنة ١٢٩٣ هـ كانوا يرون شئونهم العامة والخاصة ملكا لحاكمهم الأعلى يتصرف فيها حسب إرادته ويعتقدون أن سعادتهم وشقاوتهم موكولتان إلى أمانته وعدله او خيانته وظلمه ، وليس لأحد رأى يحق له ان يبديه فى إدارة البلاد او اقتراح يتقدم به لصلاح الأمة ، الناس مصرفون فيما تكلفهم به الحكومة او تضربه عليهم .

نقول : وعندما تقدم احمد عرابى الى الخديوى توفيق يطلب منه قدراً من الكرامة والحرية لشعب بائس ، كانت إجابة الخديوى له ما انتم إلا عبيد إحساناتنا !!

وتدخل السفير الانكليزى فى الحوار المؤسف ناصحا احمد عرابى ان يكون مؤدبا مع سيده !

ذلك هو موقف الحضارة الحديثة فى إرساء العلاقات بين الجماهير والرؤساء ، او ذلك هو مسلك الحضارة الانسانية النبيلة فى معاملة العرب خاصة والمسلمين عامة ..

إنها حضارة ذكية بلاريب ، جميلة بلاريب ، لكن مذاقها مر ، وكيدها سيىء ، كانها المراة اللعوب مي التى وصفها الشاعر بقوله :

على وجه مى مسحة من ملاحة
وتحت الثياب الخزى ، لو كان باديا
الم تر ان الماء يكدر طعمه
وإن كان لون الماء ابيض صافيا ..

وكلمة الخديوى توفيق للقائد المصرى عرابى هى ترديد لكلمة فرعون قديما عندما صاح بقومه « ماعلمت لكم من إله غيرى » أو « انا ربكم الاعلى » ، وإلى هنا والصورة لا تعدو إبراز طاغية امهله القدر اولا ثم اهلكه اخيراً ..

غير اننا من وجهة النظر الاسلامية نتناول الموضوع من ناحية اخرى ، ناحية لها ابعادها الرهيبة ! فان بعض « المتدينين » يعد عرابى خارجا على السلطة ناقضا للبيعة الشرعية (!) ويعد الخديوى اهل الولاء والطاعة !

هذا الصنف من المتدينين يحارب « المثل العليا » فى الحضارة الحديثة بتبنى الأسلوب الخديوى وإضفاء الطابع الاسلامى عليه ، وهو لا يدرى شيئا عن حقوق الشعوب أو حقوق الانسان ، وعن أسس الشورى والبيعة والمساءلة التى عرفت مذ عهد الخلافة الراشدة .. !

من المضحك ان يتقدم هذا النفر من الناس بحضارة بديلة فى ميدان العلاقات الانسانية كما انه من المضحك ان يتقدم المقلدون العميان بحضارة بديلة فى ساحات الابداع والكشف .

وماساة الاسلام تكمن فى ان ناسا يتقدمون بتقاليد الشعوب على انها تعاليم الوحى ، بل انهم يتقدمون بالاخطاء التاريخية على انها توجيهات سماوية .

وستبقى الحضارة الحديثة حاكمة ما بقي هؤلاء يدعون ويكابرون ، ولن تصح مسيرة العالم إلا بعودة الاسلام ذاته على ايدى أولى الالباب ، ومن لهم قلوب ..

اظننى بعدما حاسبت نفسى بصرامة ، ونقدت الجبهة التى انتمى إليها - او احسب عليها - غير ملوم إذا نقدت الحضارة الحديثة ، ونبهت الى بعض ماسيها او معاصيها .. ؟

فليست هذه الحضارة على مستوى الاحترام الذى تطلبه لنفسها او يطلبه لها عشاقها .. ! ابادت فى صمت ، ولا تزال تبيد اجناسا بشرية ضعيفة ..

وسكان استراليا القدماء يختفون الآن قبيلة بعد قبيلة او فرداً بعد فرد امام تفوق الرجل الأبيض الذى يشيع بينهم اردأ انواع الخمور لتاتى عليهم ، وماحدث لسكان امريكا الاصليين يحدث الآن لهؤلاء السكان ، الرجل الأبيض يحسن ان يقول : انا وحدى ! ومن لم يخدمنى فالويل له !

واعتقد ان حرب الافيون فى الصين أوائل القرن الماضى كانت بداية خطة لمثل هذا الافناء ، لولا ان الصينيين استيقظوا قبل ان يقضى عليهم !

هل لى ان الفت النظر الى ان الفاتحين العرب ذابوا فى السكان الاصليين بعد ان قدموا الاسلام لهم ؟ وصلوا وراءهم مامومين فى المساجد وجلسوا بين ايديهم متعلمين فى المدارس ؟ ان الاسلام ارتباط عالمى بالله وليس تفوق جنس يريد لذاته الاستعلاء .. وذلك فرق كبير بين حضارتين ..

الجنس الأبيض الآن احسن زراعة

الارض ، ولكنه يفضل حرق المحاصيل عن بيعها رخيصة ، او اهدائها للجياع .. وهو يكرع انهاراً من الخمر ، ويدع الشعوب المتخلفة تشرب الماء ممزوجاً بالطين ، ولتذهب إلى الجحيم ..

لا باس ان تمرح تحت اقدامه شعوب من الخدم ، اما ان ترنو إلى ابعد من ذلك فلا يجوز ..

ومن سنن الله ان يدع هذه الحضارات تحصد ماتزرع ، وتلقى ما قدمت « ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريباً من دارهم حتى ياتى وعد الله ، إن الله لا يخلف الميعاد » .

إننا ماننكر التفوق الغربى فى النواحى السياسية والاجتماعية ، لكن فضائل الديمقراطية محظور تصديرها للخارج ! وإننى اغبط اسرة الدول الأوربية الغربية على اختفاء الحكم المستبد من ربوعها ، وعلى استقرار المجالس التشريعية ، وتنفس كل انسان فى جو من الحريات الموطدة وتنافس الملكات الذكية فى الخدمات العامة .

إن المظالم فردية كانت او اجتماعية مرفوضة رفضاً قاطعاً ، والرقابة على المال العام صارمة ، وإحساس كل امرئ بامتداده ليس امامه عائق .

الشيء المستغرب ان حملة هذه الحضارة يحتكرون الصنف لانفسهم ! وتنقلب موازينهم عندما يعاملون غيرهم ، ولذلك كان الاستعمار العالمى ولا يزال سبة فى وجه هذه الحضارة ..

وسر هذا الارتكاس فراغ القلوب من الايمان ، والتفرغ لانتهاب اليوم الحاضر ، فلا امل فيما بعده ، وشرق أوربا وغربها سواء فى هذا السعار المادى الغالب . الفارق بين الجانب الشيوعى والجانب الصليبي ، ان الماركسيين صرحاء فى كفرهم بالله واليوم الآخر ، اما الجانب الآخر فالتدين شكل لا موضوع له ، والناس يمشون وراء اهوائهم وحدها ، وسوادهم الاعظم يعرف الأرض وينكر السماء ، ويريد جنة هنا ولا تعنيه جنة فى عالم الغيب .. !

إن اوربا للاسف تعرف الدين عملياً عندما يقع النزاع بين العرب واليهود ! او عندما تريد توسعة املاكها وراء البحار ، وتشد عربات كثيرة فى قاطرتها المنطلقة !! إنها عندئذ تجتر ذكرياتها التاريخية ضد الاسلام ، وتنسى الصدق والعدل فى كل قضية للعرب والمسلمين ، ولا تبــالى بمستقبل الفلسطينى التائه ، او الافغانى المحروب ، او امثالهما من الجماهير التى وقعت فى براثن الاستعمار ، وكانت تعتنق الاسلام ..

وقد نبه المستشار الدكتور فتحى لاشين الى الضغن المكنون فى افئدة المستعمرين ضد الاستعمار وامته قائلا (٢) : « اكتفى بمثالين ينضحان بهذا الغل ويكشفان عن اثاره ! الأول لمسئول فى وزارة الخارجية الفرنسية سنة ١٩٥٢ قال : العالم الاسلامى عملاق مقيد ، لم يكتشف نفسه حتى الآن اكتشافا تاما ، وهو حائر قلق ، ضائق بتخلفه وانحطاطه وإن كان يعانى من الكسل والفوضى .

غير انه راغب فى مستقبل احسن وحرية اوفر ! وعلينا ان نبذل كل جهودنا حتى لا ينهض ويحقق امانيه ! ذلك ان فشــلنا فى تعويق نهضــته يعرضنا لاخطار جسيمة ، ويجعل مستقبلنا فى مهب الريح .. إن صحوة العالم العـــربى ، وما يتبعه من قوى اسلامية كبيرة نذير بكارثة للغرب ونهاية لوظيفته الحقيقية فى قيادة العالم !

والمثال الثانى ننقله عن « يوجين روستو » رئيس قسم التخطيط بوزارة الخارجية الامريكية ، ومستشار الرئيس جونسون فى الستينات يقول : « لا تستطيع امريكا الا ان تقف فى الصف المعادى للاسلام ، اى الى جانب العالم الغربى والدولة الصهيونية ! لانها ان فعلت غير ذلك تنكرت للغتها وفلسفتها وثقافتهــا ومؤسساتها .

« ان هدف العـــالم الغربى فى الشرق الأوسط - هكذا يقول مستشار الرئيس الأسبق - هو تدمير الحضارة الاسلامية ، وان قيام اسرائيل جزء من هذا المخطط ، وليس الا استمراراً للحرب الصليبية » !!

والغريب اننا نسمع فى هذه الايام وعوداً كثيرة لمرشحى الرياسة فى الولايات المتحدة تمنى اليهود بمزيد من المكاسب والغنائم ، على حساب العرب بداهة . فاين مواثيق حقوق الانسان ؟ واين الضمانات التى يمثلها قيام هيئة الامم المتحدة للمحافظة على جميع الشعوب ؟ ذلك كله مالم يكن العرب أو المسلمون طرفاً فى صراع ما ..

اما إذا كان الحيف واقعاً على شعب مسلم او شعب عربى فقد امسى للقضية وجه اخر ! هنا تتحول الحرية الى عبودية ، والمدنية إلى همجية ، والويل للمغلوب .. !

فهل يلام المنكوب إذا تربص الدوائر بالمعتدين ؟ وهل يهزأ به إذا ساء بالحضارة ظنه ؟ ان عدداً من عقلاء الغربيين اخذ يرسل اشارات الخطر لقومه وينبههم إلى سوء المصير ..

ومن الغباء ان نطوى حضارة مالدناتى بشر منها ، فعلام الهدم والبناء ؟ ولست اتخيل احداً يبغى استبدال الــدواب بالطائرات ! الخلاف حول الأنظمة الخلقية والاجتماعية وما يساندها من عقــائد ، والشعور السائد ان الحضارة الحديثة تسيء اكثر مما تحسن ، وتظلم اكثر مما تعدل ، ويعنى ذلك الشك فى اهليتهــا للبقاء . !

فهل يقدم الاسلاميون تصوراً افضل من الناحية النظرية للبديل المطلوب ؟

لا اجيب بالنفى ولا بالاثبات ، وإنما اقول : إن التبديل سوف يقع حتما عندما يوجد الأقدر على القيادة والأولى بالصدارة والأنفع للناس ..

وكيف يوجد ؟ ذاك ما نحاول الاجابة عليه ان شاء الله .

محمد الغزالي

هـــــوامـــــش

(١) من زعماء الاصلاح لاحمد امين باختصار .

(٢) الاقتصاد الاسلامى ص ٣٢ .

النهضة العربية لن تحدث بين يوم وليلة ، ومجتمع الغد الذي سوف يعيش فيه أحفادنا ويعتبرونه نتاجاً لأعمالنا ولجهودنا لن يهبط فجأة من السماء ، أو تنشق عنه الأرض . فحدوث هذه النهضة وشكل مجتمع الغد يتوقفان على ما نقوم به اليوم ، على ما نتبناه من استراتيجيات وما نتخذه من قرارات ، وما نقوم به من اختيارات كبرى تحدد مسارات المستقبل لنا ولأولادنا . ومن أخطر هذه الاختيارات موقفنا من الثورة العلمية والتكنولوجية التي تطرح ظلالها علينا اليوم ، وستكون العامل الأساسي في تحديد مكانة كل مجتمع ودوره في المستقبل ، وأمامنا الخيار هل نريد للغد العربي ان يكون عالة على العالم ، مستضعفاً من الأقوياء ، ومستورداً منهم لسلاحه ولغذائه ، أم نريده مشاركاً في صنع الحضارة ، عزيزاً مهاباً من الجميع ؟
أمامنا الخيار فماذا نريد نحن العرب ؟

حتى لا يصبح العرب عالة على الآخرين :

من لا ينتج غذاءه يفرّط في كرامته !

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

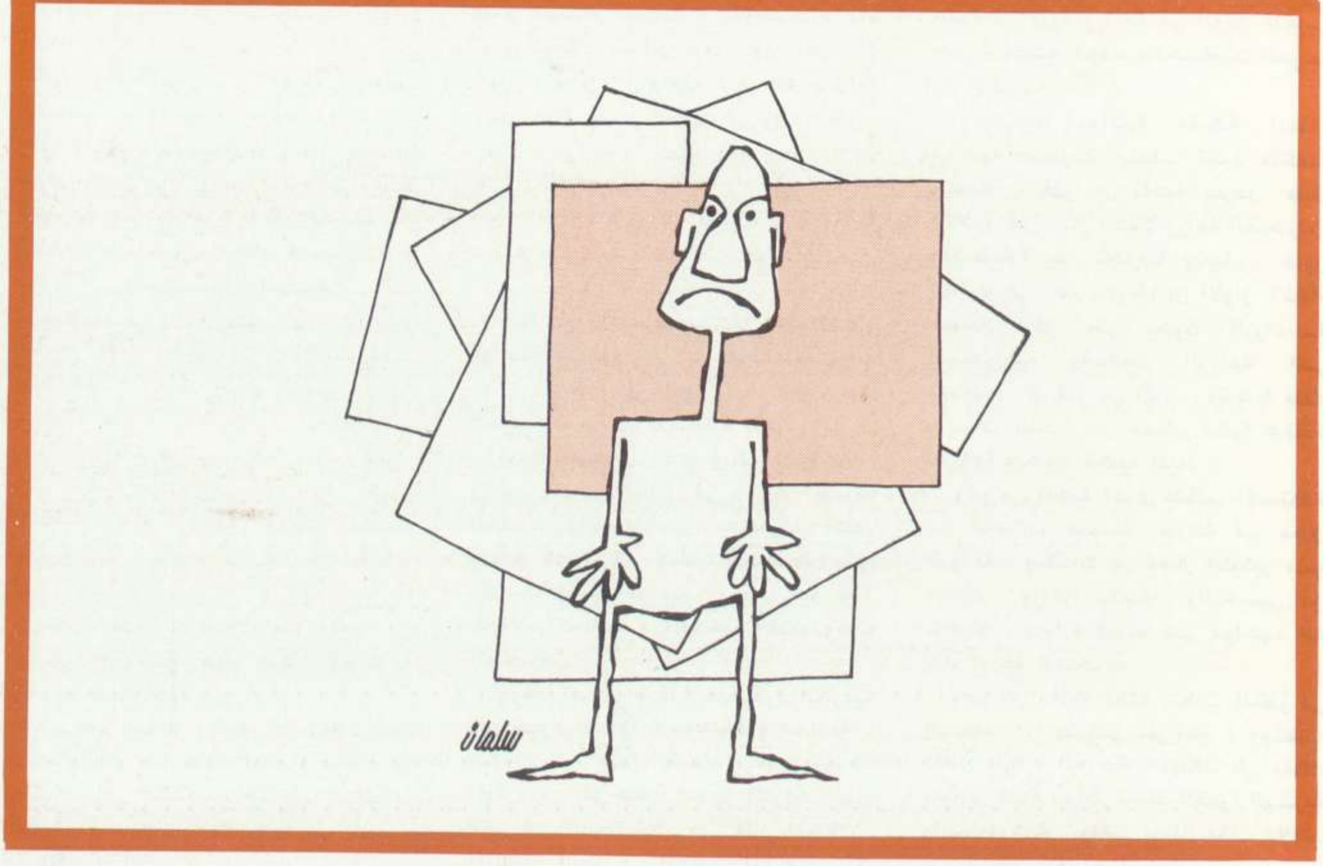
تحدثنا في عدد من المقالات عن أبعاد الثورة العلمية والتكنولوجية التي تغير وجه عالمنا المعاصر ، فتناولنا ثورة الذكاء والتغيرات الهامة التي تحدث في عالم التعليم ، وكيف يعتبر الذكاء قدرة اجتماعية يمكن اكتسابها وتطويرها وتنميتها ، وتحدثنا عن ثورة المعلومات والاتصالات التي تصنع الاساس التكنولوجي للانتقال السريع للأنباء والمعلومات وما يترتب على ذلك من تصورات مشتركة ومن فرص للاحتكاك الثقافي ، وللتغلغل . وناقشنا ثورة الهندسة الوراثية والآفاق التي تطرحها في مجالي الزراعة والصناعة ، والتقدم الهائل في صناعة « الربوت » ، أو الانسان الآلي ، والتكنولوجيات الجديدة في زراعة الغذاء ، واشكال الزراعة الحديثة .

والحديث عن هذه الثورة العلمية والتكنولوجية ليس تبشيراً بعالم خيالي او من قبيل « اليوتوبيا العلمية » ، بل ان مظاهر هذه الثورة وآثارها تتدفق علينا وحولنا من كل جانب في شكل منتجات وأجهزة ومعدات حديثة . فعلى سبيل المثال قام تلفزيون قطر بعمل حوار الكتروني بين الدوحة وواشنطن اشترك فيه الدكتور وليم كوانت الذي عمل في مجلس الامن القومي الامريكي في عهد الرئيس كارتر . وفي ابريل ١٩٨٢ تم حوار مباشر بين القاهرة وست مدن امريكية (نيويورك وشيكاغو ومنيابوليس ، وبوسطن ، ولوس انجلوس ، وسان فرانسيسكو) عن طريق الاقمار الصناعية ، تم فيه حوار وتبادل وجهات النظر بين ما يقرب من ٧٠٠ رجل اعمال امريكي وعدد من المسئولين المصريين حول فرص ومحاولات الاستثمار في مصر .
وهكذا سمحت تكنولوجيا الأقمار الصناعية بعمل ندوة يجلس المشاركون فيها في اماكن تبعد ٧٠٠٠ ميل عن بعضها البعض .

وتزايد أثر ثورة الالكترونيات فى حياة البشر من خلال التقدم الكبير في عالم التليفونات واستخدام التليفون للاتصالات الدولية ، ورخص اسعار حاسبات الجيب الالكترونية والساعات الالكترونية . كما اصبح للالكترونيات الدور الحاسم فى مجال الدفاع والجيوش ، فاجهزة الطائرات وانظمة الدفاع الجوي والتصويب وتوجيه الصواريخ والرادار تعتمد كلها على مكونات الكترونية .

سمات الثورة العلمية

وتتسم هذه الثورة باربع سمات :



اولها : السرعة وتلاحق التجديد والاكتشافات؛ فنحن ننسى اليوم ان جهاز المذياع مثلا لم يكتشف الا منذ خمسين سنة فقط ، وان التلفاز احدث ضجة شديدة عندما ظهر من خمس وعشرين سنة . وهكذا فان المدى الزمنى لكل ثورة تكنولوجية وصناعية يضيق باستمرار . فاذا كان على العالم ان ينتظر ما يقرب من ١٨٠٠ سنة حتى تبدأ الثورة الصناعية الأولى ، فانه دخل الثورة الثانية بعد مائة عام فقط ، والثالثة بعد ربع قرن ، وهو الآن على مشارف ثورته الرابعة بعد عشر سنوات فقط .

وثانيها : ان هذه الثورة تعتمد في المقام الأول ليس على الصناعات الثقيلة أو صناعة الآلات والمعدات والسيارات ، كما فى الثورات السابقة ، وانما أساساً على نتاج العقل الانساني ، وحصيلة الخبرة والمعرفة . لذلك فانه عند تقدير ثمن منتج ما فان الجزء الأكبر يذهب ليس كثمن للمواد الخام ، التي دخلت في عملية التصنيع ، ولكن للمعرفة وللتكنولوجيا المستخدمة .

وثالثها : لأن العقل البشري هو قوام الثورة التكنولوجية الراهنة ، فان مواجهة هذا التطور تستلزم استثماراً رئيسياً في التعليم ، وفي تطور المهارات البشرية ، وتنمية كوادر وقدرات تستطيع التعامل مع احداث وتطوير سنتجات هذه الثورة .

ورابعها : ان هناك عدداً من المجالات الحاكمة لهذه الثورة ، وعلينا ان نتابع التطور فيها الآن ، وهي تكنولوجيا الفضاء (استغلال الطاقات البديلة والطاقة الشمسية) ، والهندسة الوراثية ، وثورة المعلومات الناتجة عن تزاوج نظم المعلومات مع الحاسب الآلي ، وتكنولوجيات انتاج الطعام ، والربوت اى احلال الآلة محل الانسان فى المجال الميكانيكي .

نحن والمستقبل

في هذا السياق ازداد الاهتمام بدراسات المستقبل ، وبشكل العالم في السنوات القادمة مع مشارف القرن الحادي والعشرين وقد ظهرت في السبعينات عدة دراسات تقدم نماذج للتطور العلمي ، أولا الدراسة التي اشتهرت باسم : « تقرير نادي روما » وعنوانها : « حدود النمو » ، والتي ألقت ظلالا من الشك والتشاؤم حول

من لا ينتج غذاءه يفرّط في كرامته !

المستقبل ، واشارت الى نضوب الموارد والطاقة . وتلا هذه الدراسة تقرير اخر لنادي روما بعنوان : « اهداف للمجتمع الانساني » ، وتقرير مجموعة باريلوتشي ، وهو التقرير الذى يمثل اسهاماً لاساتذة العالم الثالث والذى تم اعداده فى امريكا اللاتينية وترجم الى اللغة العربية فى القاهرة تحت عنوان « عالم جـــديد او الكارثة » ، وهناك نموذج ليونتيف ، الذى تم بتكليف من الأمم المتحـــدة ، واعتمد فيـــه على تحليـــل المدخـــلات والمخرجات . وهناك اخيراً التقـــرير عن « العالم سنة ٢٠٠٠ » الذى اعدته لجنة برئاسة الأستاذ بارنى ، والتى شكلت بقرار من الرئيس الامريكى لدراسة تطور الاقتصاد العالمى ووضع الولايات المتحدة فيـــه .

وتتفق هذه الدراسات على عدد من النتائج الرئيسية حول شكل العالم ، نوجزها اجمالا فيما يلى :

١ ـ نمو السكان وانماط الاستهلاك على النحو الراهن فى عالم اليوم لا يمكن ان يستمر ، وان العالم مع افتراض استمرار هذا النمو سوف يواجه بازمة فى الغذاء والطاقة .

٢ ـ انه لا يوجد سبب فنى او تقنى يحول دون الوفاء بالاحتياجات الأساسية لمعظم البشر فى العالم الآن او فى المستقبل وان العجز عن الوفاء بهذه الاحتياجات مصدره أسباب سياسية واجتماعية ، وليس بسبب نقص الموارد ، وان انماط الاستهلاك فى البلاد المتقدمة يجب ان يعاد النظر فيها على ضوء استهلاك الموارد والطاقة .

٣ ـ ان استمرار السياسات الاقتصادية والممارسات التكنولوجية الحالية فى العالم المتقدم سوف تقود الى ازدياد الهوة بين الاغنياء والفقراء ، وإلى تفاقم مشاكل اهدار الطاقة ، ونضوب الموارد ، وتلويث البيئة ، وان مجمل البرامج والسياسات المتبعة فى عديد من الدول المتقدمة والنامية لا تعكس فهماً لمشاكل الغد ، ولا تعد هذه المجتمعات لمواجهة تحدى المستقبل .

٤ ـ انه بسبب تعقد مشاكل الغد ، وازدياد ترابطها وتداخلها ليس فقط داخل المجتمع الواحد ، ولكن ايضاً بين المجتمعات والدول ، اصبح من الضرورى تبني النظرة الشاملة ، والاستعداد منذ اليوم لمواجهة مشاكل الغد ، وان القرارات التى ستتخذ الآن سوف تكون اكثر فعالية واقل تكلفة عما لو اتخذت فى وقت لاحق .

العرب والمستقبل

واذا كان الأهتمام بالمستقبل والاستعداد لمواجهة مشاكله هو أمر تفرضه تطورات الأحداث على كل الدول ، فان أوضاعنا العربية تستدعى منا نظرة اكثر روية .

فهناك التحدى الذى تمثله اسرائيل ، والتى لابد من التامل فى دلالات تطورها الصناعى والتكنولوجى ، وتركيزها المكثف بالذات فى مجال الالكترونيات ، الـــذى تعرضنا لاهميته من قبل ، والذى يمثل احد العناصر الحاكمة فى الساحة التكنولوجية المعاصرة .

وهناك تحدى الغذاء لكل الدول العربية على ضوء التنبؤ بازمة الغذاء العالمية ، وبالذات فى الدول كثيفة السكان وقليلة الموارد ، وعلى ضوء العجز المتزايد الذى ظهر فى السبعينات فى هذا المجال ، وازدياد استيراد العرب لغذائهم من الخارج .

وهناك تحدى الاستعداد لحقبة ما بعد النفط فى المنطقة العربية ، وتداعيات ذلك ليس فقط على الدول النفطية العربية ولكن على الدول الأخرى التى اعتمد اقتصادها بدرجة كبيرة على تدفق التحويلات الرأسمالية من ابنائها العاملين فى الخارج كاليمن الشمالى والأردن ومصر .

ونقول ان المستقبل لم يعد امراً مفروضاً على المجتمعات ، كما انه لم يعد مجالا للخرافة او التفكير الخيالى ، وانه يمكن للبشر معرفة المعالم العامة له ، ومساراته المحتملة ، وان يكون لهم دورهم فى صنع المستقبل وبناء مجتمعاتهم بالشكل الذى يمكنهم من مواجهة تحديات الغد .

لقد قال سقراط مرة:ان المعرفة فضيلة . ويقال اليوم:ان المعرفة قوة . فمعرفتنا باحتمالات التطور فى المستقبل تمكننا من الاستعداد له . واذا أردنا ان ناخذ مثلا واحداً فى هذا الصدد ، فان ما يأتى الى الذهن مباشرة هو موضوع الغذاء وضرورة البدء فى ثورة زراعية فى الوطن العربى حتى نستطيع الوفاء بالاحتياجات العربية من الحبوب .

وموضوع مواجهة مشكلة الغذاء مواجهة صحيحة يتطلب نظرة متكاملة وشاملة ، فهو من ناحية يفرض علينا الدخول في مجال بحوث زراعة الصحراء ، والاستفادة من تجاربنا وتجارب الدول الأخرى في ذلك ، وربما آن الأوان لانشاء جامعة تركز على بحوث الزراعـــة الصحراوية وأساليب الزراعة التي تستخدم اقل قدر من الماء .. وترتبط بذلك دراسات البحث عن مصادر مائية جديدة للزراعة وبحوث تحلية المياه .

وهو من ناحية اخرى يتطلب الاستفادة من انجازات هندسة الوراثة في مجال الزراعة ، وبالذات في مجال التبكير بنمو النبات ، وزيادة ناتجه ، والتحسين من نوعيته ، وزيادة قدرته على مواجهة قلة الماء أو جو الصحراء .

وهو من ناحية ثالثة يتطلب النظر في التنظيم الاجتماعي للزراعة ، ويتطلب تكامل الموارد العربية . فهناك من يمتلك الموارد المالية ، وأخر يمتلك الخبرة البشرية والتكنولوجية ، وثالث يمتلك مئات الآلاف من الأراضي القابلة للزراعة .

ونريد أن نقول ان من لا ينتج غذاءه يفرط في كرامته ، وان الاعتماد على الخارج في مجال الغذاء يعطي الآخرين قوة ضغط هائلة علينا .

والمطلوب منا ان نُدخِل بُعْدَ المستقبل في تخطيطنا للأمور ، وان نتجاوز النظرة التي تعود بعضنا عليها ، وهي الا ننظر الى ما هو اكثر من مواقع الاقدام . من الضروري ان نتجاوز ما هو عاجل وانى وان نضع في حساباتنـــا ظروف المستقبل وازمـــاته وضغوطه .

وعلينا ان نعرف انه اذا لم نخطط نحن لمستقبلنا فلسوف يخططه لنا الآخرون ، وان التفكير والتخطيط للمستقبل هو ايضاً بداية التاثير في شكل هذا المستقبل ، وان الذين يثيرون أسئلة حول المستقبل ، ويخططون وفقاً لذلك ، هم الذين يصنعون المستقبل .

فهل نحن من هؤلاء ؟

علي الدين هلال

مرافعة في أغرب قضية عرفها الإنسان

بقلم: فتحي رضوان

اكتشفت احدى الشركات الكبيرة التى يتسع نشاطها لعدد من القارات ، ان المعلومات التى غذت بها اجهزة الكمبيوتر ، والتى تتضمن تفاصيل مشروعات المستقبل التى سيتكلف تنفيذها البلايين من الدولارات او الجنيهات ، قد سطت عليها شركة منافسة ، فاصبحت قادرة على ان تسبق الشركات الاخرى بتنفيذ تلك المشروعات ، وبالوقوف على كل هذه المعلومات التى انفقت الشركة المجنى عليها الجهد والمال فى سبيل الوصول إليها .

وقد كان لهذا الاكتشاف دوى فى جميع دوائر المال والصناعة والجاسوسية العلمية والسياسية . فقد ادركت الشركات العظمى والمؤسسات الكبرى ، والدول ذات الحول والطول ، ان اخطر اسرارها واولاها بالصيانة ، واحقها بالحراسة ، مهددة بالكشف والسطو والضياع ، وبالتالى تصبح هى مهددة بالمخاطر ذاتها .

وقد استولى على زعماء المال والصناعة والبحوث العلمية والتخطيط هم مقيم ، لانهم ادركوا انهم معرضون لخطر يجعل كل ما يعملونه حمى مستباحاً ، مما يحيل ثمار حياتهم إلى اسلاب وغنائم لا يكاد ينفع فى حمايتها لا جيش ولا حرس .

والخبر الذى نقل الينا تفاصيل هذه الكارثة لم يخبرنا بما اذا كانت الشركة المجنى عليها ، قد ابلغت النيابة بنبا هذا السطو ، فطلبت تعقب الجناة وإنزال العقاب بهم ، ثم تعويض الشركة التى نزل بساحتها هذا المصاب بالبلايين المساوية للخطر والمتكافئة مع الضرر .

وقد اجتمعنا ذات يوم ، وفينا المحامى ورجل القضاء وعلماء الكمبيوتر والادباء واساتذة الطب النفسى ، فتداولنا على سبيل السمر وإزجاء الفراغ فى هذه القضية الفريدة غير المسبوقة ، فتباينت الآراء ، وتناءت التصورات فمن قائل انه ليس فى الأمر جريمة ، لأن ما احتوته هذه الآلات ، ليس سوى علم خالص ، مما يجب ان يكون مشاعا بين الناس ، وان ترتيب هذا العلم على نسق معين لا يحيل هذا العلم الى ملك خاص ، يحمى من الآخرين بالقانون والعقاب والمحاكمة .

ومن قائل إنه ليس هناك علم ، وانما هناك تبويب وتصنيف وتحليل ، وهدف مقصود ، وغاية منشودة ، فاكثر ما وصلت اليه الانسانية من حقائق ضخمة غيرت مسار الحياة وصنعت ما نشهده من معجزات فى الأرض والسماء ، وتطورات فى الماء والهواء ، وثروات مشتقة من اجرام صغيرة ، وعناصر حقيرة ، ليس سوى التصنيف الذى يصنع حقا من الحبة قبة ، ومن الذرة غير المنظورة دنيا مهولة .

وقال ثالث ان الحيازة والتملك والاستئثار آفات تخرج منها اعظم الشرور التى تتصاعد حتى تصبح حروباً تستمر الدهور ، ويتداول انباءها الانسان طوال العصور ، فمن الخير ان يصبح كل شىء

ملكا للجميع ، ولنبدا بما هو علم ، ليسبق الخير الشر ، ولينحسم الحقد بغير خصومة او قضاء .

ثم اقترح مقترح أن نتصور قضية ترفع من الشركة المجنى عليها ضد الشركة الجانية ، ومرافعة من الجانبين ، ثم حكما يصدر بين المتنازعين ، فجرى الأمر على الصورة التالية .

على انه قبل ان تنعقد المحكمة ، وتجرى المحاكمة ، اختلفنا فيمن يسند اليه شرف القضاء فى هذه القضية ، فمن قائل انها قضية علم ، فيجب ان يحكم فيها خمسة أو سبعة من العلماء الذين حصلوا على (إجازة نوبل) ، فاعترض معترض لان جائزة نوبل لم تعد جائزة علمية ، فقد تحولت الى مؤسسة سياسية ، واصبح الحائزون على مكافاتها يمثلون جانبا من الراى الذى انقسم الى معسكرين ، وبذلك بطلت الثقة فى ابطال مؤسسة نوبل ، ووجب ان نختار المحكمين من العالم الثالث الذين استفاضت شهرتهم وعلت سمعتهم ولو لم يحصلوا على جائزة دولية او رتبة عالمية . وقبل الجميع هذا الراى .

الا ان بعض الجالسين قال اننا ما دمنا قد اتفقنا على أن القضاة سيكونون من العالم الثالث فلا باس من ان نضيف اليهم رجالا من علماء الاقتصاد ورجالا من رجال المباحث الدولية ، ليحققوا فى الجانب الجنائى من القضية مع بعض رجال القانون ليبصروا المحكمة بالاجراءات الصحيحة وطريقة الاستدلال القضائية السليمة ، واسلوب كتابة الاحكام . وارتضى الجميع هذا الراى ، وانعقدت المحكمة .

وبدأ رئيس الجلسة بالمناداة على ممثل الشركة التى قامت بتقديم البلاغ . وسال القاضى وهو عالم كبير فى الهند فقال ممثل الشركة الشاكية :

لقد ثبت لدينا بالدليل القاطع ان البرامج التى اعددناها لسنوات ، وانفقنا فيها المال والجهد لعدد ضخم من مشروعات الصناعة والاقتصاد والزراعة العظمى التى نرجو ان تعود بالخير على الانسانية كلها ، قد سطت عليها الشركة الجانية ، ووضعت اليد عليها ، وهى لا تملك الخبرة ولا القدرة الادارية ولا الموارد المالية ، ولا النظرة العالمية التى وصلنا اليها ، وحصلنا عليها خلال قرن كامل من الدراسة المتصلة ، والتجارب التى كلفتنا بلايين من الأموال ، فى اشق الظروف واقساها فى مناطق لم تطاها قدم ، ولا يدرى احد ما تخبئه فى باطنها . ولم يكن تحقيق الربح الهائل هو الهدف ، لأن ما انفقناه فى الماضى ، وما ننفقه الآن وما سننفقه فى المستقبل لا يمكن تعويضه قط فى جيل واحد او اجيال ونحن راضون باحتمالات الخسارة ، وقانعون بمخاطر مشروعاتنا وما قد تجره علينا من متاعب لا اول لها ولا اخر .

رئيس المحكمة : - ماذا تعنى بالمتاعب ؟

المحامى : - وهو ايضا عالم كبير ينتمى لدولة فى الغرب - لقد قصدت يا سيدى القاضى ان استعمل لفظ متاعب ، فان ما نتعرض له فيما نسميه « مشروعات المستقبل » له ردود فعل مروعة . فنحن نعمل فى مناطق قاحلة لا يسمع عنها احد ، ولم تهتم بها حكومة ولا جماعة ، والوصول اليها بالقطار أو السيارة دونه خرط القتاد حقيقة لا مجازا ، والوصول اليها بالطائرة مجازفة بالحياة نفسها ، فلا مطار بها ، ولا ابسط مقومات الحياة الاساسية ، وقد تكون المنطقة التى نرتادها لأول مرة بالنيابة عن الجنس البشرى كله ، استوائية ترتفع بها درجة الحرارة الى خمسين درجة مئوية ، ويملأ جوها حشرات طائرة وهوام لم يدر بها عالم ، ولم يصفها كتاب . وقد تهاجمنا فيها اذا نصبنا خيامنا وحوش كاسرة ، وقد نحسب اننا نقيم على أرض صلبة ، ثم يتضح بعد حين اننا عسكرنا فوق مستنقع تغطيه طبقة ترابية خداعة ، وأوراق نباتات فطرية . ولهذا فما نجمعه من معلومات ليس ثمرة جهد سابق من جماعات أو شركات غيرنا سبقتنا الى المنطقة التى نحاول العمل فيها ، ووضعت لنا ولغيرنا ، حصيلة من المعلومات والمعارف نبنى فوقها ونزيد عليها . فى بعض الاحيان نحن نعالج افكاراً تبدو كانها خيالات أو تصورات لانسان حالم ، وقد نترك كل ما فعلناه وخططنا له فى سنوات عديدة باعتبار ان التجربة اثبتت انه وهم كله .

رئيس المحكمة : - ان ما تقوله مفهوم تماما ، ولا احد يجادل فيه . ولكن هذا هو الذى حدث فى كل مجال جديد فى علوم الطبيعة أو الكيمياء أو الجغرافيا . ففى بعض المجالات يكون البحث بداية مطلقة لم يسبقها تمهيد ، ولكن لا يستطيع عالم أن يدعى انه فى أي منطقة من مناطق البحث لايجد خطوات انسانية سابقة ، وان بدت منقطعة عن البحث الجديد . فالعلم الانسانى كما تعلم هو حجرات ابوابها مفتحة بعضها على بعض . فالجغرافيا والفلك وعلوم البحار صلتها غير مقطوعة حتى بالأدب والقصة والشعر . والكابتن كوك الذى ذهب الى استراليا مهد الطريق للاميرال بيرد الذى ذهب الى القطب .

المحامى : - أنا لا انكر شيئا من هذا ، ولكن الذى اعنيه ان البحث فى منطقة بعينها قد لا يكون محلا لاهتمام سابق لجهة بحث اخرى ، بالمعنى الضيق ، وفى خصوص مجال بحث محدود .

رئيس المحكمة : - مفهوم .. ولكن إلام تهدف من تقرير هذه الحقائق ؟

المحامى : - أهدف الى ان بعض الحقائق المكتشفة يجب أن تبقى حقا خالصا للجهة التى اهتدت اليها ، ولايجوز وضع اليد عليها ، ومحاولة سبق الذين شقوا فى سبيلها ، وبذلوا الجهد وتعرضوا للخطر ، حتى ينتهوا من بحثهم ، ثم يعلنوه بصورة من صور الاعلان العلمى المتفق عليه ، فى رسالة مطبوعة او كتاب منشور أو مجلة تتداولها الأيدى .

رئيس المحكمة : - ما الفرق بالضبط بين نشر معلومات فى كتاب أو مجلة او دورية علمية ، وبين ايداع تلك المعلومات فى كمبيوتر ؟

المحامى : - الفرق كبير جداً . ذلك لأن الكمبيوتر هو وسيلة من وسائل البحث الخاصة ، اشبه شيء بالمسودة التى يعدها العالم فى مختبره ، ليسجل عليها بعض الحقائق الناقصة او غير المؤكدة ليعود اليها ، فيحذف منها ، ويضيف إليها او يستغنى عنها تماما . فلا يجوز ان يذهب

عالم اخر او مندوبه الى مكتب العالم الذى يدرس شيئا ويجمع اوراقه ويجرى بها ، ثم ينتفع بها فى بحث لم يبدأه ، او فى بحث بداه ، ولكنه توقف عنه لأنه لم يستطع ان يمضي به ، وعليه ان ينتظر حتى تنشر تلك الحقائق بالاسلوب الذى تراضى عليه العلماء فى كل مكان . ومع ذلك فان الشركة التى تسرق معلومات غذي بها جهاز كمبيوتر لا تهدف الى الوقوف على حقيقة علمية ، هنا الهدف اموال ومنافع مادية ، وسبق تجارى بحت ، وهذا هو وجه الخطر .

رئيس المحكمة : ـ ولكن ما هو الدليل على حصول السرقة ؟ هل لديكم شيء اكثر من شهادة بعض موظفى الشركة المتهمة الذين اعترفوا ضد الشركة التى يعملون فيها بانها حرضتهم على سرقة هـذه المعلومات .

المحامى : ـ أليس هذا كافيا ؟

رئيس المحكمة : ـ كافيا فى اى شيء ؟

المحامي : ـ كافيا لاثبات السطو .

رئيس المحكمة : ـ اتنكر انه من الممكن فى جو المنافسة القاتلة التى بينكم وبين الشركة المتهمة ـ كما دلت أوراق الدعوى ـ ان يكون الشهود قد تلقوا تحريضا من الشركة المدعية ليشهدوا بما لم يقع .. ؟

المحامي (مقاطعا) : باي غرض ؟

رئيس المحكمة : ـ لتلويث الشركة المتهمة بالسرقة ، وربما لاخراجها تماما من ميدان المنافسة .

المحامي : ـ هذا جائز ، ولكن الاوراق التى قدمناها لكم تقطع بان الشركة المتهمة لم يسبق لها ان وضعت قدمها فى المنطقة التى نعمل فيها . لتقدم ورقة ثابتة التاريخ دالة على انها بدات هذا البحث ، فى اي تاريخ سابق على اليوم ، ثم توقفت فيه .

رئيس المحكمة : ـ (موجها الكلام الى محامى الشركة) هل بدأتم فى اجراء بحث فى الموضوع الذى وقعت فيه السرقة .. السرقة المدعاة ؟

محامى الشركة المتهمة : ـ سيدى الرئيس احد كبار علمائنا ـ اى علماء الانسانية ـ فى الموضوع الذى يجرى فيه التنافس بين الشركتين ويعلم ان البداية فى بحث علمى ، قد تكون منقطعة الصلة من جوهر هذا البحث لسنوات طويلة ، ثم فجاة تظهر الصلة واضحة .

رئيس المحكمة : ـ يعنى انكم تدعون ان موضوع القضية كان محل بحوث ميدانية قديمة عندكم ؟

المحامى : ـ بل انا ساقدم لعدالة المحكمة عند المرافعة الأدلة على اننـــا ـ اعنى شركتنا ـ هى رائدة هذا البحث الخطير وانها انفقت الملايين ، ولا تزال تنفق . ان كثيراً جداً من المجلات العلمية ولسنوات متصلة تابعت نشر نتائجنا ،

التى تؤدى آخر الأمر الى الموضوع الذى تزعم الشركة المدعية انها سبقت الجميع اليه وانفردت به . ان دعوى الشركة المدعية خطر شديد يهدد العلم وحرية البحث ، ويجعل الاغراض التجارية والتنافس على السبق وعلى مناطق الدرس قيداً على الجهد البشرى من اجل الكشف عن الحقائق المخبوءة . نحن فى أول عصر الكمبيوتر ، ومن الخير ان تقرر المحكمة العليا التى ضمت عدداً من اكبر علمائنا مع خبراء فى علم النفس والادارة والمخابرات ، انه لا شيء اسمه سرقة المعلومات وانه حتى اذا ثبت ان دافعه السرقة فيجب الا تمنع الهيئات أو الأفراد المتهمون عن مواصلة الانتفاع بالمعلومات التى وصلت اليهم ، ولو بطريق يقال انه غير مشروع ، والاكتفاء بتعويض الجهة المضرورة التعويض الكافى . اما اخضاع جهات البحث بدعوى السرقة ، للقانون الجنائى فهو ردة لا نقبلها ورجعة لا نسكت عليها .

رئيس المحكمة : ـ الا يكون من الافضل وضع قواعد لتنظيم التعاون بين الجهات التى تبحث فى مجال واحد ، بطريقة ملزمة وبامر من محكمة عدل دولية للشـــئون العلمية .

المحامى المشكو فى شركته : ـ

ياسيدى الرئيس ، لقد ضمنت مرافعتى شيئا من هذا القبيل ، وإنى لأرجو ان يتضمن حكمكم ـ بعد سماع المرافعات وتبادل المذكرات والاطلاع على دلائل الاتهام والبراءة والمستندات ، هذا المبدا وتاكيده . فان القضية المعروضة على سيادتكم اخافت هيئات بحث كثيرة فى العالم كله واوقفت بحوثها مما ضيع عليها مالا انفقته وجهداً بذلته ، ووقتا كانت فى اشد الحاجة اليه ، ولذلك نحن نلتمس ان يفصل فى هذه القضية باسرع وقت .

رئيس المحكمة : ـ نحن حريصون على ذلك ، فنحن ندرك الجانب العلمى والانسانى فى الدعوى . ونحن نراه جانبا اولى بالرعاية .

المحاميان معا : نحن نشكر عدالة المحكمة .

رئيس المحكمة : الا ترون ان نرفع الجلسة لنصف ساعة ؟

الجميع : موافقون .



فتحى رضوان

قضيــة الســاعة في الســياســة العربيــة:

كيف يخلق العرب تناقضا بين أمريكا والكيان الصهيوني؟

بقلم: عصام شريح

إزاء البروز الساطع لليهود الاميركيين، وتاثيرهم الصاعق في أفكار المرشحين للرئاسة الاميركية لعام ١٩٨٤، والتوجهات السياسية لهؤلاء المرشحين نحو الصراع العربي - الاسرائيلي بوجه خاص، ومنطقة الشرق الاوسط بشكل عام، يقف العرب ككل مشدوهين لما يبدر على لسان مرشحي الحزب الديموقراطي (وولتر مونديل و غاري هارت)، وأيضاً إدارة الرئيس (الجمهوري) الحالي رونالد ريغان، من تصريحات ومواقف، هي بعينها السياسة الاسرائيلية في المنطقة العربية ... وازاء هذا كله نعيد طرح موضوع اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، محاولين رسم خطوط عامة لتحرك عربي استراتيجي، لمواجهة هذا اللوبي، الذي يشكل أحد أعمدة الكيان الصهيوني الذي أقيم على أرضنا المغتصبة منذ أكثر من خمسة وثلاثين عاماً.

تشــير الــروايات التاريخية الى ان اول فوج من اليهود هاجر الى اميركا في عام ١٦٥٤، وكان يتالف من ثلاثة وعشرين يهوديا برازيليا، حطوا رحالهم في ميناء «نيوأمستردام» - نيويورك حاليا - والتي كانت آنذاك ضمن المستعمرة الهولندية في اميركا الشمالية وقد توالت الهجرات اليهودية بعد ذلك التاريخ، وكان اهمها ماعرف باسم هجرة السفاراديم، او اليهود الشرقيين (المنحدرين من اصل اسباني)، وقد استوطن هؤلاء في مستعمرات رودآيلند، ونيويورك، وفيلادلفيا، وبنسلفانيا، وجنوب كارولينا، وكتكتكت، وفرجينيا وجورجيا، وتبع هؤلاء (١٨٣٠ - ١٨٨٠) ٢٥٠ الف يهودي الماني، ثم هجرة اكبر بلغ تعداد افرادها، مليونا ونصف المليــون من يهــود اوروبا الشرقيــة (الأشكنازيم) وذلك ما بين ١٨٨١ - ١٩١٠، ومعظم هؤلاء كانوا من اليهود السوفييت والبولونيين، اما الهجرة الاوسع نطاقا، فقد حدثت خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، وكان اكثر المهاجرين هنا من يهود المانيا الهاربين من الحكم النازي، وقد بلغ مجموع اليهود في الولايات المتحدة في عام ١٩٤٥، خمسة ملايين يهودي، كانوا منتشرين في كافة انحاء الولايات، بيد انهم تجمعوا في جاليات كبيرة واحيانا ضخمة، في اهم المدن الاميركية واكبرها حجما. وقد بدات الافكار الصهيونية بالتسرب الى الولايات المتحدة واميركا الشمالية، مع هجرة يهود أوروبا الشرقية (الاشكنازيم) الذين اسسوا فرعا لما كان يعرف بجمعية «احباء صهيون»، التي كانت تنادي باحتلال فلسطين من قبل اليهود، وبعد تاسيس الحركة الصهيونية على يدي تيودور هرتسل (١٨٩٧)، تاسس مايعرف باسم «اتحاد صهيوني نيويورك»، وتبعه في عام ١٨٩٨ تاسيس ما يسمى «باتحاد الصهيونيين الاميركيين»، بعد ذلك، توالى تاسيس جمعيات وروابط يهودية صهيونية في مختلف المدن الاميركية، وتحت اسماء واهداف مختلفة ومتعددة من الناحية الشكلية، لكنها متحدة من ناحية الهدف والمضمون الفكري الجوهري.

وهناك حاليا ٣٢ منظمة وجمعية يهودية رئيسية، تمثل قرابة ستة ملايين يهودي اميركي.

وتتحد جميع هذه المنظمات والجمعيات - كما يقول الدكتور اي. ج. نايدو (هندي) في مؤتمر رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية، الذي يعرف بشكل عام، باسم «مؤتمر المنظمات اليهودية».

ويقوم رئيس هذا المؤتمر بدور الناطق الرسمي باسم جميع هذه المنظمات والجمعيات، خلال الاجتماعات التي تعقد مع اركان الحكومة الامريكية، لمناقشة مسائل تتعلق بالصراع العـــربي -



السناتور وليم فلبرايت، ندد بالضغط الصهيوني واساليب اسرائيل من اجل الحصول على السلاح والاموال الامريكية



السناتور جيمس ابو رزق من اصل عربي، ومعروف بمواقفه المؤيدة للعرب



الجنرال جورج براون، الرئيس الاسبق لهيئة الاركان المشتركة للجيش الامريكي

الصهيوني. اما راس الحربة للوبي اليهودي فهو «لجنة الشؤون العامة الامريكية - الاسرائيلية»، وتضم ١٥ الف عضو، اما لجنتها التنفيذية، فتضم جميع رؤساء المنظمات اليهودية الرئيسية. وتعتمد هذه اللجنة في عملها ونشاطاتها الواسعة بين المسؤولين في الادارة الامريكية، او بين اعضاء مجلسي النواب والشيوخ (الكونغرس)، على مؤسستين بالغتي الاهمية، هما: «مركز ابحاث الشرق الادنى» و «مركز معلومات» تابع للوبي اليهودي» الذي يراسه إي. ل. كينين، الذي راس «لجنة الشؤون العامة الامريكية - الاسرائيلية» لسنوات طويلة، ومازال يحتفظ «بعضوية شرف» فيها. ويعد «مركز ابحاث الشرق الادني»، دراسات حول منطقة الشرق الأوسط بشكل عام، وحول الصراع العربي - الصهيوني بشكل خاص، كما يعد المركز كلمات وابحاثا لبعض اعضاء الكونغرس، ويصدر نشرة دورية اسبوعية، باسم «ذي نير إيست ريبورت»، لها حوالى ثلاثين الف مشترك، وترسل حوالى اربعة آلاف نسخة منها بالبريد، الى كل عضو في الكونغرس الامريكي، والى السفارات والمسؤولين التنفيذيين في الحكومة الامريكية، والى وفود الدول المختلفة في الأمم المتحدة.

نفوذ اللوبي وتأثيره في الحياة السياسية

تلعب الاقلية اليهودية دوراً نشطا ومؤثراً جداً في السياسة الخارجية للولايات المتحدة، وخاصة في القضايا المتعلقة بمنطقة الشرق الاوسط، واهمها الصراع العربي - الصهيوني، ويظهر هذا الدور جليا في الانتخابات الامريكية، سواء انتخابات الرئاسة منها، او انتخابات اعضاء مجلسي الكونغرس، وذلك على الرغم من ان اليهود لا يشكلون اكثر من حوالى ٣ بالمائة من مجموع سكان الولايات المتحدة، لكن ما يعطي هذه النسبة الضئيلة اهميتها في الانتخابات الامريكية هو نظام الانتخابات الامريكي نفسه، فانتخاب الرئيس، يتم على مرحلتين يسبقهما اختيار الحزبين الرئيسيين (الديمقراطي والجمهوري) مرشحه للرئاسة، ثم تبدا المرحلة الأولى، بتشكيل الهيئة الانتخابية، او الناخبين الثانويين، وهي تتكون من ممثلين منتخبين، يماثل عددهم عدد الشيوخ في كل ولاية (اى عضوان للولاية الواحدة)، ويضاف اليهم عدد من النواب، بحيث يصبح مجموع اعضاء الهيئة الانتخابية ٣٥٧ عضواً يمثلون جميع الولايات، وتقوم هذه الهيئة في المرحلة الثانية بانتخاب رئيس الولايات المتحدة، والمهم هنا بالنسبة للمرشح للرئاسة، ان يحصل على غالبية اصوات اعضاء الهيئة، حيث تؤول اليه الأصوات الشعبية باكملها في اى ولاية يتفوق فيها باصوات الهيئة الانتخابية على المرشح المنافس، ولو كان هذا التفوق بصوت واحد وطبقاً لقانون الانتخابات الاميركي، لابد لمرشح الرئاسة من الحصول على الحد الادنى من اصوات الهيئة، اى ٥١ بالمائة، وهو ما يعادل ٢٦٩ صوتا، لليهود منها ١٧١ صوتا انتخابيا، بسبب تمركزهم في الولايات ذات الأصوات الانتخابية العالية مثل ولاية نيويورك التي يبلغ عدد اصواتها داخل الهيئة الانتخابية ٤١ صوتا، وهذا بدوره يفسر التنافس المثير بين مرشحي الرئاسة الامريكية للفوز باصوات اليهود في مدينة نيويورك.

ويضاف الى ما تقدم ايضا، ان اليهود هم الجالية الاكثر اقبالا على صناديق الاقتراع، حيث يصوتون في الانتخابات الامريكية بصورة شبه جماعية، في حين تقف بقية الجاليات، موقف اللامبالاة غالباً من هذه الانتخابات، وعلى سبيل المثال فان اليهود لا يشكلون اكثر من ربع السكان في مدينة نيويورك، إلا ان اربعين بالمائة من اصوات الناخبين في هذه المدينة هي اصوات اليهود، ومن الواضح هنا ان الحركة الصهيونية هي التي توجه وتحدد اتجاهات الناخبين اليهود.

ولا ينحصر هذا الدور اليهودي في الانتخابات الامريكية على انتخابات الرئاسة، بل هو ينسحب كذلك على انتخابات مجلسي النواب والشيوخ وحكام الولايات والقضاة. ونظراً لتركيب المجتمع الامريكي المترجرج، والقائم على تركيب إثني (عرقي) متشعب، وحديث العهد نسبيا، فان ما يهم الرئيس الامريكي او المرشح للرئاسة، هو قبل كل شيء الحفاظ

كيف يخلق العرب تناقضا بين أمريكا والكيان الصهيوني؟

على ما يسمى « بالسلام الداخلي » Internal Peace ، او التوازن بين الاقليات العرقية ، عن طريق الاستجابة لمطالبها وتوجهاتها السياسية الخارجية ، كما ان المرشحين او الاعضاء فى مجلسي الكونغرس وكذلك حكام الولايات والقضاة ، فان ما يهمهم اولا وقبل كل شيء هو تامين مقاعدهم ومناصبهم ، والعودة اليها ثانية فى الانتخابات التالية ، ومن هنا يجد هؤلاء انفسهم مرغمين غالبا على كسب ود اليهود ، والاستجابة لمطالبهم التى هى على العموم مطالب اسرائيل ، ضاربين بالمبادىء ، ومصالح بلادهم الحقيقية ، عرض الحائط ، كما ان الدور البالغ التاثير لليهود الامريكيين فى تمويل الحملات الانتخابية ، بحكم وضعهم المالي المتميز ، يجعل من الرؤساء الامريكيين واعضاء مجلسي النواب والشيوخ ، مطية سهلة الانقياد لاسرائيل .

ولا يقتصر النفوذ اليهودى فى الولايات المتحدة ، على ما تقدم ، بل انه يتعداه الى السيطرة على وسائل الاعلام ، وعلى قطاعات واسعة من النشاطات الاقتصادية ، والشركات الاحتكارية (كارتل) ، وينشا مصدر كل هذه الطاقة السياسية ، عن التشكيل الاجتماعي - الاقتصادى لليهود فى المجتمع الامريكى ، فهم فى اكثريتهم الساحقة من الطبقة الوسطى ، ويشكلون الجماعة الاكثر بحبوحة فى هذا المجتمع ، ويقدمون نحو ٢٠ بالمائة من المحامين فى الولايات المتحدة ، و ١٩ بالمائة من اساتذة الجامعات ، ويلتحق نحو ٨٠ بالمائة من شبابهم وشاباتهم بالجامعات ، ويصيرون من اصحاب المهن . وبالنسبة لوسائل الاعلام ، فانه يكفي ان نشير الى ان شبكات التليفزيون التجارية الثلاث : « إن . بى . سي » و « سي . بي . اس » و « اي . بي . سي » يملكها يهود ، كما ان عائلات يهودية ثرية تملك صحيفتي « النيويورك تايمز » و « الواشنطن بوست » ، اضف الى ذلك ان لليهود سيطرة ونفوذاً واسعاً على عدد من دور النشر مثل « دبل داي » و « مكميلان » و « هاربر ورو » .. الخ . وهذه السيطرة الهائلة على وسائل الاعلام الامريكية ، تجعل الراي العام الامريكى غالبا اسير وجهة النظر الصهيونية بالنسبة لاحداث الشرق الاوسط ، خاصة وان وسائل الاعلام الالكترونية والمطبوعة فى الولايات المتحدة قد اضحت مؤسسات كبرى ، تكاد تكون فى مثل قوة الحكومة فى تكوين المواقف والمفاهيم

كيف يعمل اللوبي ؟

عندما تبرز مسالة مهمة ، تتعلق باسرائيل ، امام الكونغرس تقوم لجنة الشؤون العامة الامريكية الاسرائيلية ، بابلاغ قادة الجالية اليهودية فى مختلف الولايات باخر تطورات هذه المسالة والموقف الواجب اتخاذه منها ، وذلك عن طريق مذكرات ترسل الى هؤلاء القادة على عجل ، وفور تلقي هؤلاء هذه المذكرات ، يقومون باطلاع العناصر البارزة فى الجالية اليهودية فى ولاياتهم على مضمونها ، وفى غضون فترة قصيرة من الوقت تنهال الاف الرسائل على اعضاء الكونغرس ، فيما يبدأ زعماء اليهود فى كل ولاية اتصالات مع النواب والشيوخ ، وخاصة النافذين منهم ، من اجل دعم وجهة النظر الاسرائيلية . اما فى حال اتخاذ بعض اعضاء الكونغرس موقفا غير مؤيد لاسرائيل ، فان هؤلاء يتعرضون على الفور الى حملة تشهير فى وسائل الاعلام ، كما تنهال عليهم « رسائل الكراهية » التى تحمل عبارات بذيئة وتهديدية ، كما حدث للسناتور جيمس ابو رزق (من اصل عربي) المعروف بمواقفه المؤيدة للعرب فيما خص الصراع العربى - الصهيونى ، حيث تلقى الاف الرسائل من هذا النوع من اليهود الامريكيين ، كما قام اللوبى اليهودى بتوزيع ملف عنه فيه الكثير من التزييف والتزوير وتاويل المواقف على غير حقيقتها على كبار الشخصيات فى الكونغرس والحكومة . كما تلقى السناتور تشارلز بيرسي عشرين الف رسالة من اليهود الامريكيين ، نددوا فيها بما وصفوه بتصريحاته « غير المبررة » حول الصراع العربى - الصهيوني ، وكان بيرسي قد طالب فى تصريحاته تلك فى اعقاب جولة له فى منطقة الشرق الاوسط فى عام ١٩٧٤ ، طالب اسرائيل بالانسحاب من الاراضى العربية المحتلة فى عام ١٩٦٧ .



الرئيس بنيامين فرانكلين



السيناتور شارلز بيرس

ويقدم لنا رئيس هيئة الأركان المشتركة الأسبق للجيش الامريكى الجنرال جورج براون ، نموذجا لطريقة عمل اللوبى اليهودى فى الأوساط العليا الحاكمة فى الولايات المتحدة ، ففى عام ١٩٧٦ ، اظهر الجنرال براون تبرمه من النفوذ اليهودى ، الذى وصفه بانه من القوة بحيث بات مسيطراً على الكونغرس ، وقال ان اليهود يملكون الصحف والبنوك ، ويهيمنون على الاقتصاد والسياسة الامريكية الى حد لا يمكن تصديقه ، واعترف الجنرال براون بان القوات البرية الامريكية كانت تعانى انذاك من نقص حاد فى الدبابات ، ومع ذلك فان الحكومة الامريكية مستمرة فى إمداد اسرائيل بالدبابات ، وفقاً لالتزام سابق ، ثم اعطى المثال التالى على النفوذ اليهودى فقال :

« ياتي الاسرائيليون ، ويطلبون من البنتاغون (وزارة الدفاع الامريكية) معدات حربية ، فتؤكد لهم ، انه من الصعب جداً الحصول عليها بدون موافقة الكونغرس ، فيجيبون على الفور : لا يهمكم أمر الكونغرس .. نحن نعرف كيف نعالجه .. ثم يتبين لنا ، انهم يعرفون بالفعل كيف يضمنون موافقة الكونغرس .. » ، بيد ان الجنرال براون حذر من ان حظراً نفطيا جديداً يفرضه العرب ، كما فعلوا فى اعقاب حرب عام ١٩٧٣ ، « قد يدفع الامريكيين الى اتخاذ موقف اقوى ، قد يحطم النفوذ اليهودى فى هذا البلد » ، وسرعان ما ثارت ثائرة اليهود عليه ، وقد اقسم الحاخام الاكبر لمدينة نيويورك ، بان نهاية الجنرال براون ستكون كنهاية وزير الدفاع الامريكى الأسبق فى عهد الرئيس هاري ترومان ، وهو الجنرال فورستال ، وكان يشير بذلك الى ما وصف بانتحار الجنرال فورستال حيث القى بنفسه (كما قيل) من احدى الطوابق العليا فى احدى ناطحات السحاب

ولقي مصرعه فى الحال ، وكان فورستال معارضا لاقامة اسرائيل فى عام ١٩٤٨ .

كما يقدم لنا السناتور السابق وليم فولبرايت ، صورة اخرى عن النفوذ اليهودى فى الولايات المتحدة ، فقد قال:ان اسرائيل لا تعرف كيف تستفيد من « صديق جيد » ، لأنها تدفع الولايات المتحدة الى مواقف سياسية تثير عداء الدول العربية ، ويندد فولبرايت بالضغط اليهودى الـذى لا نهاية له ، كما ندد بالأساليب التى تلجا اليها اسرائيل من اجل الحصول على السلاح والأموال الامريكية ، وقال « ان قصر النظر لدى الاسرائيليين ، امر يمكن فهمه بسبب عقلية الحصار فى اسرائيل ، ولكن الأمر الذى لا يمكن فهمه ، هو وجود هذه العقلية لدى مؤيدي اسرائيل فى الولايات المتحدة ، أولئك الذين يشجعون اسرائيل بمواقفهم المتصلبة ، ويدفعونها الى الاستمرار فى طريق يؤدى بها الى الهلاك ، وربما هلاكنا ايضا » ، ثم يصف فولبرايت موقف اليهود الامريكيين بقوله : « الجالية اليهودية فى هذا البلد (الولايات المتحدة) عبارة عن اناس يضعون الاخلاص لاسرائيل فى المرتبة الأولى » .

ما العمـــل ؟

لابد من التنويه اولا بان ما يحرك عجلة السياسة الامريكية الخارجية ، وخاصة بالنسبة للمنطقة العربية ، ويحدد بالتالى خطوط وربما تفاصيل هذه السياسة ، هما عاملان : أولهما العامل اليهودى الذى يفرزه الوضع المادى المؤثر للجالية اليهودية فى الولايات المتحدة فى الانتخابات الامريكية ، والثاني البعد الاقتصادى ، الذى تفرزه الاستثمارات الامريكية فى مجال الصناعة النفطية ، والاستثمارات الصناعية والتجارية للشركات الامريكية فى حقول اخرى غير النفط ، ويضاف الى هذين العاملين ، العامل الاستراتيجي ، الذى ينادي اصحابه بضرورة استمرار التفوق الامريكى فى العالم ، ومع ان هذا العامل لا يشكل نقطة خلاف بين اللوبي اليهودى والشركات الاحتكارية من حيث كونه هدفا اساسيا ، الا ان الطرفين يختلفان حول اسلوب الوصول الى هذا الهدف ، إذ بينما يطالب اللوبي اليهودي بسياسة امريكية متطابقة مع السياسة الاسرائيلية فى الشرق الأوسط ، وتجاهل الامة العربية تماما ، ودعم سياسة التوسع الصهيونى فى الأرض العربية ، واعتبار اسرائيل الحليف الوحيد والدائم للولايات المتحدة فى المنطقة ، مما يحقق بالتالى العامل الاستراتيجى الامريكى ، فان الشركات واصحاب الاستثمارات ينادون بما يمكن وصفه « بتلطيف السياسة الامريكية فى الشرق الأوسط » والعمل من اجل ضمان استمرارية المصالح الامريكية فى المنطقة ، بحيث لا تفسد السياسة الامريكية هذه المصالح أو تؤدى الى الاضرار بها .

ومع ذلك ، فان بذور التناقض بين المصالح الامريكية والكيان الصهيونى فى المنطقة موجودة ، وان كانت فى حالة جنينية ، وامام العرب مجالان مهمان ، لتنمية هذا التناقض ، وتوسيع حجمه ، ويتمثل المجال الأول فى الولايات المتحدة نفسها ، حيث بامكان العرب خلق لـوبى عربى من مليون من العرب الامريكيين وانصارهم ، ثم فى وضع خطة عملية مبرمجة للاستثمارات والودائع العربية فى الولايات المتحدة ، ودول الغرب الحليفة لها . اما المجال الثانى فيتمثل فى التنافس بين الأنظمة الراسمالية الأوروبية واليابانية والامريكية ، بحيث يقوم العرب باستثمار هذا التناقض لمصلحة قضيتهم ، ويضاف الى هذين المجالين مجال التناقض الامريكى ـ السوفييتي ، الذى يمكن استخدامه لصالح القضية . وعلى اية حال فان هذه مجرد افتراضات ، لكن لا يجوز تجاهلها او التخلي عن العمل من اجلها ، تحت اى مبرر ، وقد يكون السـبيل الى « تحرير » الولايات المتحدة من النفوذ اليهودى ، هو ثورة شعبية ، كما تصور ذلك الرئيس الامريكى الأسبق بنيامين فرانكلين الذى حذر فى عام ١٧٨٩ ، من هجرة اليهود الى الولايات المتحدة ، وطالب بادراج نص صريح فى الدستور الامريكى يمنع اليهود من دخول البلاد « حفاظا على حضارتهـا وقيمها واقتصادها ومستقبل ابنائها » ، لكن حتى مثل هذه الثورة تحتاج الى توسيع التناقض او خلقه ان لم يكن موجودا بين امريكا واسرائيل ، وبين امريكا ويهودها .. ونزعم ان هذه احدى المهام الرئيسية الملقاة على العرب اليوم ولاشك فى ان تصعيد الكفاح الفلسطيني المسلح داخل فلسطين المحتلة ، والدعم العربى لذلك ، يشكل المدخل الاساسي لهذا الطموح .

عصـام شريح

التــوزيع الاســتراتيجي لأصوات اليهـــود الأمـريكيين

تشير الاحصاءات الامريكية الى ان عدد اليهود فى الولايات المتحدة يبلغ حاليا خمسة ملايين و ٧٢٥ الف نسمة ، وان نسبتهم الى الشعب الامريكى تبلغ حوالى ٣ بالمائة . وتشير القائمة التالية الى عدد اليهود ، ونسبتهم فى اهم عشر مدن امريكية ، تلعب دورا مؤثرا فى مجرى الانتخابات وبالتالى سياسة الولايات المتحدة الخارجية .

ـ نيويورك : ١٨٧٢١٥٠ (١٠,٦ بالمائة من عدد السكان) .

ـ كاليفورنيا : ٧٧٥٩٩٥ (٣,٢ بالمائة) .

ـ فلوريدا : ٤٧٨١٨٠ (٤,٧ بالمائة) .

ـ نيوجرسي : ٤٣٥١٦٥ (٥,٩ بالمائة) .

ـ بنسلفانيا : ٤١٥١٢٥ (٣,٥ بالمائة) .

ـ ايلينويز ٢٦٦٩٨٥ (٢,٣ بالمائة) .

ـ ماساشوسيتس : ٢٤٨٥٤٥ (٤,٣ بالمائة) .

ـ ميريلاند : ١٩٥٩١٥ (٤,٦ بالمائة) .

ـ اوهايو : ١٣٨٧٩٥ (١,٣ بالمائة) .

ـ كونكتيكوت : ١٠٢٠٧٥ (٣,٣ بالمائة) .

مسافر على الرصيف



مشروعات الأستاذ حريقة

بقلم: محمود السعدني

اغرب ادباء قهوة محمد عبد الله كان مهندساً ويشتغل باطفاء الحرائق ، وكانت صلته بالقهوة وبالادباء بسبب زمالته القديمة لواحد من فرسان القهوة هو زكريا الحجاوى ، إذ كانا زميلين فى مدرسة الفنون والصنايع والتى خرجت جيلا عملاقا من المهندسين العظام ، ولكنها اغلقت فى حقبة الثلاثينات لأسباب سياسية ، وخسرت مصر باغلاقها معهداً فنياً ممتازاً ومن اعظم طراز .

كان مهندس الحرائق الذى بدا حياته ضابط مطافىء فى الشرطة ، ثم استقال والتحق بالعمل فى احدى شركات البترول الأجنبية الكبرى العاملة فى مصر مما اتاح له دخلا محترما جعله يبدو فى شلة الادباء المعسرين جميعا ، اشبه براع للادباء ومنقذ للازمات التى تعصف بهذا المحيط الغنى بالفكر الفقير بالمادة !

وكان المهندس يكتب قصصا قصيرة احيانا يقراها على الجالسين فى قهوة عبد الله ثم يمزقها وينساها بعد حين . واحيانا كثيرة كان يثرثر حول افكار ادبية يريد أن يكتبها ثم ينسى الامر كله بعد حين ! ومرة واحدة دون عدة فصول من رواية شرع فى تاليفها ، وكان يقراها على بعض الأصدقاء ، حتى استمع إليها ذات مرة عبد الحميد قطامش ، فسخر منه بشدة جعلت المؤلف المهندس يتخلص منها بالتمزيق .

وكان عبد الحميد حمدى ومهنته الهندسة وشهرته « حريقة » ، يبدو كمن ضل الطريق فى الحياة ، كان يتمنى فى اعماقه لو انه كان من اصحاب القلم او من اهل الفن ، ولو واجه الجوع والافلس والضياع . وقد سعى فى فترة من فترات حياته الى تعلم العزف على العود ، واجهد نفسه فى محاولة تلحين بعض الاغانى ، وكان يعزفها فى الأمسيات التى يعقدها فى بيته الفخم القابع على ربوة على شاطىء البحر الاحمر فى السويس . ولكن فنه الموسيقى لم يكن اسعد حظا من انتاجه الأدبى . فكان موضوع سخرية الاصدقاء من اهل الفن والأدب ، وغالبا ما كان يثور بشدة ويتهم شلة الأصدقاء بالحقد والغيرة والخوف من أن يذيع صيته وتضرب شهرته شهرة الآخرين . وبالطبع لم يكن موقفه هذا إلا مشجعا لشلة الأصدقاء على التمادى فى السخرية وتشريح اعماله الفنية بقسوة ليس لها مثيل . ولكن عبد الحميد كان يبدو سعيداً بصحبة هؤلاء الأصدقاء ، وفخوراً ايضا على نحو ما ، وإلا لما كان هذا الاصرار من جانبه على توطيد اواصر الصداقة والاخوة ، بل كان حرصه اشد على عقد السهرات التى تضم هؤلاء الأصدقاء فى منزله ، وكان يبدو كريما فى تلك السهرات على عكس مسلكه مع نفس الشلة خارج منزله ، وكان هذا المسلك من جانب عبد الحميد موضع ثورة شديدة ونقد دائم من جانب الشاعر محمود حسن اسماعيل .

ولقد استطاع المهندس عبد الحميد حمدى أن يدخل تاريخ الأدب رغم انفه ، فقد كتب عنه الفنان زكريا الحجاوى فصلا شيقا فى كتابه الكوتشينة ، وداعبه الشاعر محمود حسن اسماعيل بقصيدة صغيرة ، واطلق عليه عبد الحميد قطامش لقب الأبتر ، باعتبار ان ذيوله الادبية كالقصائد والقصص والروايات التى يكتبها ثم ينساها بعد حين ، باعتبارها ذيولا مقطوعة ومبتورة وصاحبها بلا ذنب ، فهو الأبتر . وكان عبد الحميد يضحك كثيرا على هذه التسمية ويعلق عليها بانها شهادة بفضله على الآخرين لانه بلا ذيل بينما الآخرون بذيول !!

وبالرغم من مهنة عبد الحميد حمدى وخطورتها ايضا ، إلا انه كان يتحين الفرص للهروب من جحيم مهنته إلى قعدات الأدباء والفنانين ، وكانه يريد ان يعيش بخياله فى عالم لم يستطع ان يحيا



فيه على قدميه . واحيانا كان يعانى بشدة من هذه الصحبة ولكنه كان على استعداد لتحمل كل شيء واى شيء فى سبيل ان تزدهر هذه الصحبة وتمتد .

ذات مرة اقنعه زكريا الحجاوى بتوصيله لمكان قريب جداً من القاهرة ، إذ كان المهندس عبد الحميد يمتلك سيارة فرنسية الصنع فى الوقت الذى كانت فيه السيارات الخاصة نوعاً من الترف المبالغ فيه ، ولما كان المهندس عبد الحميد حمدى لابد ان يعود الى السويس ليستكمل عملا هاما بداه ولابد من استكماله فى الصباح التالى ، فاذا علمنا ان عمله كان يتعلق باطفاء الحرائق فى شركة تعمل فى حقول البترول ، لادركنا مدى الأهمية التى توجب وجود المهندس فى مكان عمله فى الوقت المحدد . ولكن من قال ان زكريا الحجاوى الفنان حريص على اطفاء الحرائق حتى ولو كانت فى شركات البترول ! إنه ذاهب الى موعد هايف للغاية ، فهو على موعد مع فنانة الشعب خضرة وفنان الشعب ابو دراع ، وهو ذاهب للاستماع إلى ملاعيب شيحا من خضرة والموال الاحمر من ابو دراع وليذهب المهندس والمواعيد والبترول والحريق ، بعد ذلك إلى الجحيم . ولا مانع من ان يذهب معهم زكريا الحجاوى ، شرط ان يذهب الى السهرة وبعد ان يستمع الى ما يريد .

انطلق الرجل الطيب بالسيارة وبجانبه زكريا الحجاوى فى الطريق إلى قليوب ، وهى ضاحية قريبة جداً من القاهرة وقد تصور المهندس عبد الحميد انها وجهة زكريا الحجاوى ، ولكن زكريا الاديب راح يحكي قصصا من جعبته المليئة بالقصص وكان يعلم عشق عبد الحميد لمثل هذه القصص وشغفه الشديد للاستماع إليه ، وظل الرجل يسوق على طرق ممهدة وعلى طرق لم تمهد بعد حتى اشار إليه زكريا الحجاوى بالتوقف عند قرية على بعد مئتي كيلومتر من القاهرة وتدعى مطوبس ، وهى قرية مصرية ترقد على ربوة عالية وتطل على فرع رشيد وتشرف على قناطر انشاها محمد علي فى زمن سابق ولكنها تضفى على القرية مسحة جمال ليس لها مثيل . ورغم ان المهندس عبد الحميد ثار على زكريا الحجاوى وصرخ فيه ، إلا انه جلس يستمع حتى الصباح مع زكريا الحجاوى ، وعاد معه ايضاً ، وقرر ان لا يخالط زكريا الحجاوى او يتحدث معه او يصافحه ، وان يبتعد عن طريقه وإلى اخر العمر ، وهمس الصديق عبد الحميد قطامش فى اذنى بضرورة التدخل لاصلاح ذات البين ، ولكنى لم ابد اهتماما بما همس به قطامش بل اننى لم ابد اى اهتمام لمحاولات الأصدقاء الآخرين لجمع شمل زكريـــا وعبد الحميد ، والسبب اننى كنت اعرف ما الذى سوف يحدث بينهما مستقبلا .

ولقد حدث ما توقعته بالضبط ، ذات مساء دخلت المقهى واذا بزكريا الحجاوى مستلق على ظهره يضحك من الأعماق ضحكة صافية ، بينما عبد الحميد حمدى يضحك هو الآخر وقد تقوس ووضع يديه على معدته حتى لا تنفجر من شدة الضحك. روى لى زكريا الحجاوى كيف اجتمعا ولماذا استغرقتهما نوبة الضحك ، فقد ذهب زكريا الى المقهى فلم يجد احداً فى الركن الذى اعتادت شلة الأدباء الجلوس فيه ، ولكنه لمح عبد الحميد يجلس وحيداً داخل المقهى كانه لا يريد أن يرى احداً من افراد الشلة ، وأشار زكريا الحجاوى الى واحد من باعة الفاكهة الذين كانوا يفرشون الأرض امام المقهى ، وكان زكريا موضع احترامهم جميعاً وحبهم ايضا ، وامر زكريا البائع بالذهاب الى الأفندى الجالس فى الداخل ، وأشار نحو عبد الحميد ، وقال للبائع روح للسواق وقولله كلم البيه بره عاوزك !

وذهب الرجل بسلامة نية الى عبد الحميد وامره بان يسرع للقاء البيه ولكن

مشروعات الأستاذ حريقة

عبد الحميد شخط فى بائع الفاكهة و امره بالانصراف ، ولكن الرجل الذى كان يحب زكريا الحجاوى ويطيعه ، ومستعداً لتنفيذ اوامره ولو ادى به الامر إلى الليمان ، امسك بعبد الحميد من رقبته ليجره إلى حيث يجلس البيك ، وغضب عبد الحميد غضباً شديداً وصفع البائع على وجهه ، فما كان من البائع إلا ان صفع عبد الحميد باعتباره سائق سيارة البيك ، واسرع زكريا الحجاوى الى التدخل عندما تطورت الامور إلى هذا الحد ، ولكن بائع الفاكهة الذى كان قد جن جنونه قرر ان يواصل المعركة الى النهاية ، ولم يجد زكريا بدا من صفعه لكى يتوقف الا ان البائع انشب اظفاره فى رقبة زكريا الحجاوى ولم يخلص زكريا منه إلا رجال الشرطة ، وعندما انتهت المعركة جلس زكريا وعبد الحميد يضحكان من الاعماق .

والاغرب انه فى نهاية تلك السهرة ، سافرت مع زكريا الحجاوى فى سيارة عبد الحميد إلى مولد السيد البدوى فى طنطا ، وسهرنا هناك حتى الصباح ، والاغرب أن عبد الحميد بعد ان عاد بنا فى الصباح الى القاهرة ، وجه الينا لوماً شديداً لاننا صرفناه عن عمله الهام ، واقسم الا يرانا مرة اخرى ، وقد بر بقسمه ، فلم يزرنا مرة اخرى خلال ذاك النهار ، ولكنه عاد فى اليوم التالى وسهر معنا حتى مطلع الفجر .

ولقد ظل عبد الحميد على اتصال بالجميع حتى واراهم التراب ، وذهب خلف زكريا الحجاوى ، وسار خلف قطامش ، وبكى فى جنازة محمود حسن اسماعيل ، واشترك فى حمل نعش انور المعداوى ، وظل وفياً لهم ولذكـــــراهم ، يحتفظ بقصاصات ورق كتبها زكريا الحجاوى ، وشرائط تسجيل لسهرات فى بيته ضمت قطامش وآخرين .

وبالرغم من السنين الطويلة التى عاشها عبد الحميد فى صحبة الادباء والفنانين ، الا انه لم يترك مهنته قط ، ولم يقصر فى اداء عمله ابداً ، صار فى النهاية واحداً من اكبر خبراء إطفاء حرائق البترول فى مصر . وطار مرة إلى العراق ليشرف على اطفاء حريق شب فى احد ابار البترول هناك ، كما سافر إلى بلاد عربية اخرى ايضاً لنفس الغرض . ولكن قلبه الذى يعشق الفن ، اتسع لحب مهنته إلى درجة التفانى ، وكان اسم حريقة الذى اطلقته عليه شلة الادباء هو التعبير الحقيقى عن واقع يعيشه عبد الحميد ، كان حديثه دائماً عن الحرائق وكيفية إطفائها ، وعن الامن الصناعى وفروعه واساليبه وطرقه المتشعبة . كان حريصاً على ان يحمل معه دبوس ابرة فى اى مكان يذهب إليه ، وكان يستخدمه عند التدخين ، كان يخرم به السيجارة فى اسفلها ، وكان هذا الخرم يتيح للدخان ان يتسرب اثناء التدخين ، وكان يؤكد ان النيكوتين والقطران يتسربان من هذا الخرم ويبقى الدخان الذى لا يؤذى الصدور ، وكان يطلق شاربه بطريقة معينه ومضحكة ، ولكنه كان يؤكد على ان الاسلوب الذى اطلق به شاربه هو الطريقة العلمية التى تحمى انفه ورئتيه من غبار الطريق .

وكان شديد الحرص على التفتيش بنفسه يومياً ليتاكد من ان الامن الصناعى مطبق بحذافيره فى كل قسم من اقسام الشركة ، وكان يبدو فى احسن حالاته عندما يخطر بنشوب حريق فى احد آبار البترول ، وكان يبدو فى زيه الغريب كانه روميل على خط النار ، ولكن قلبه تحطم ذات صباح عندما تحطمت منشئات الشركة ولم يستطع ان يقدم لها يد المساعدة ، لان التدمير لم يكن بفعل النار التى تشب فى مثل تلك المواقع كان التدمير بفعل مدافع اسرائيل وصواريخها وقد ارادوا الانتقام بعد اغراق المدمرة ايلات ، فصوبوا مدافعهم وصواريخهم على منشئات شركة تكرير البترول بالسويس وظلوا يقذفونها لمدة ثلاثة ايام كاملة حتى اصبحت المنشئات اثراً بعد عين .

والغريب أن عبد الحميد بدا بعد هذه الكارثة كانه جزء من منشئات الشركة ، فقد انهار تماماً كانه احد الجدران التى انهارت من العدوان ، وصار اكثر شروداً واقل ثرثرة عما كان ، لقد عاشت الشركة زمناً طويلا تحت حمايته ، كان يطفىء الحرائق التى تشب ، وكان يمنع الحرائق قبل ان تنشب ، ولكن جاءت لحظة حرجة وقاتلة ، احترقت الشركة كلها امام عينيه ولم يستطع ان يفعل شيئاً ، وماذا كان فى وسعه ان يفعل والقذائف تنهال على الشركة كانها مطر ينهال من السماء ، ومع ذلك حـــاول عبد الحميد فى البداية وقد كانت النية صادقة والامكانيات متوفرة ولكن القذائف التى كانت تنهال عليهم بمعدل عشر قذائف كل دقيقة لم تترك فرصة لاحد لان يفعل شيئاً ، والتهمت النيران حتى الارض .

وعاش عبد الحميد بعد ذلك وقد انطفات اللمعة التى كانت فى العيون والجذوة التى كانت فى الروح والرعشة التى كانت فى القلب كانما انتهت الحياة عندما اتت النيران على كل شىء فى معمل تكرير البترول فى السويس . ولقد اعتزل عبد الحميد العمل ، وصار مستشاراً فنياً لشركات البترول ، ولكنه يحن دائماً إلى السويس حيث العمل الذى وهبه روحه ، والجيزة حيث الشلة التى اعطاها حياته ، وربما المحنة التى عاشها ايام حرب الايام الستة وبعد ذلك فى حرب الاستنزاف هى التى ارغمته على اللحاق بموكب المؤلفين ، فقد صار مؤلفاً رغم انفه ، فقد عكف على تاليف كتاب عن الحريق فى الاعماق ، وهو عن حرائق آبار البترول اسبابها وطرق مكافحتها من خلال الخبرة والتجربة والسنين الطويلة . وبالرغم من ذلك مازال المهندس عبد الحميد الذى شارف السبعين يعزف على العود ويحاول كتابة قصص قصيرة واحياناً روايات يمزقها بعد ذلك وينساها بعد حين .

محمود السعدنى

دائرة المعارف القرآنية

بقلم : الدكتور محمد البهي

التقوى

● التقوى في كثير من آيات القرآن الكريم تشير الى معنى : الترك والتجنب ، لما هو باطل في الاعتقاد ، وسيىء في المعاملات والتصرفات وسيىء في السلوك .

ولذا : الآيات التي تحكي دعوة الرسل السابقين لاقوامهم تطلب اليهم : التقوى اولا ، بمعنى الترك لما كانوا عليه ، كتمهيد لقبول الرسالة في جانبها الايجابي وهي العمل الصالح على أساس من الايمان بالله وحده . فتقول هذه الآيات :

« اذ قال لهم اخوهم نوح : الا تتقون ؟ » (الشعراء : ١٠٦) .

« اذ قال لهم اخوهم هود : الا تتقون ؟ » (الشعراء : ١٢٤) .

« اذ قال لهم اخوهم صالح : الا تتقون ؟» (الشعراء : ١٤٢) .

« اذ قال لهم اخوهم لوط : الا تتقون ؟ » (الشعراء : ١٦١) ..

« اذ قال لهم شعيب : الا تتقون ؟ (الشعراء : ١٧٧) ..

وفي حديث القرآن عن مهمة داود عليه السلام يقول : « ياداود : إنا جعلناك خليفة في الارض ، فاحكم بين الناس بالحق ، ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله ، ان الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا ، يوم الحساب » (.. الى ان يقول : « أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات .. كالمفسدين في الأرض ، أم نجعل المتقين .. كالفجار ؟ » (ص : ٢٦ ، ٢٨) فتقضي الآية الأولى من هاتين الآيتين بان جزاء الذين ينحرفون عن سبيل الله ـ وهو سبيل الايمان بالحق ـ هو العذاب الشديد يوم الحساب ، اي في الآخرة ..

وتجيء الآية الثانية هنا لتوضيح : ان هذا الجزاء هو العدل بعينه ، ولكن في صورة منطقية ومقنعة . هي صورة : التفرقة في الجزاء بين المفسد في الارض ، والمؤمن الذي يعمل عملا صالحاً .. بين المتقي ، وهو الذي يترك الجرائم الاجتماعية كلها من : زنا ، وسرقة ، وقتل ، كما يترك الباطل في الاعتقاد من الوثنية والخرافة ، وذلك الآخر الذي يقابله وهو : الفاجر الذي ينحرف عن الطريق المستقيم في السلوك والهداية معاً . فوضع المفسد في هذه الآية : في مواجهة المؤمن الذي يعمل صالحاً .. وهو وضع المتقي : في مواجهة الفاجر المنحرف ومن هذا الوضع ، وهو وضع التقابل ، يفهم : ان التقوى هي ترك الانحراف والباطل . سواء في الاعتقاد .. أو السلوك .

● ومن اجل ذلك : ترد في آيات أخرى ، كلمة : التقوى ، بهذا المعنى والمفهوم ـ وهو مفهوم الترك والتجنب للباطل ـ في اقتران مع عمل ايجابي آخر طبقاً للايمان بالله وحده كشرط لرضاء الله سبحانه . نقرا مثلا قوله تعالى : « وان تؤمنوا ، وتتقوا فلكم اجر عظيم » (آل عمران : ١٧٩) . وقوله : « وان تحسنوا ، وتتقوا ، فان الله كان بما تعملون خبيراً » (النساء ، ١٣٨) . وقوله : « وان تصلحوا ، وتتقوا فان الله كان غفوراً رحيماً » (النساء : ١٣٩) .

فالايمان في آية ، والاحسان في آية أخرى ، والاصلاح في آية ثالثة هنا ، في مقابل : التقوى فيها جميعاً .. يشير الى العمل الايجابي ، بينما : التقوى تشير فقط الى : الترك والتجنب . وقلما يكتفي القرآن في حسن قبول الانسان عند الله بالتقوى وحدها . بل يضيف اليها : العمل الصالح ، وهو العمل الايجابي المثمر ، ممثلا في الايمان او التصديق ، أو ممثلا في الاحسان أو ممثلا في الاصلاح . كما نرى هنا .

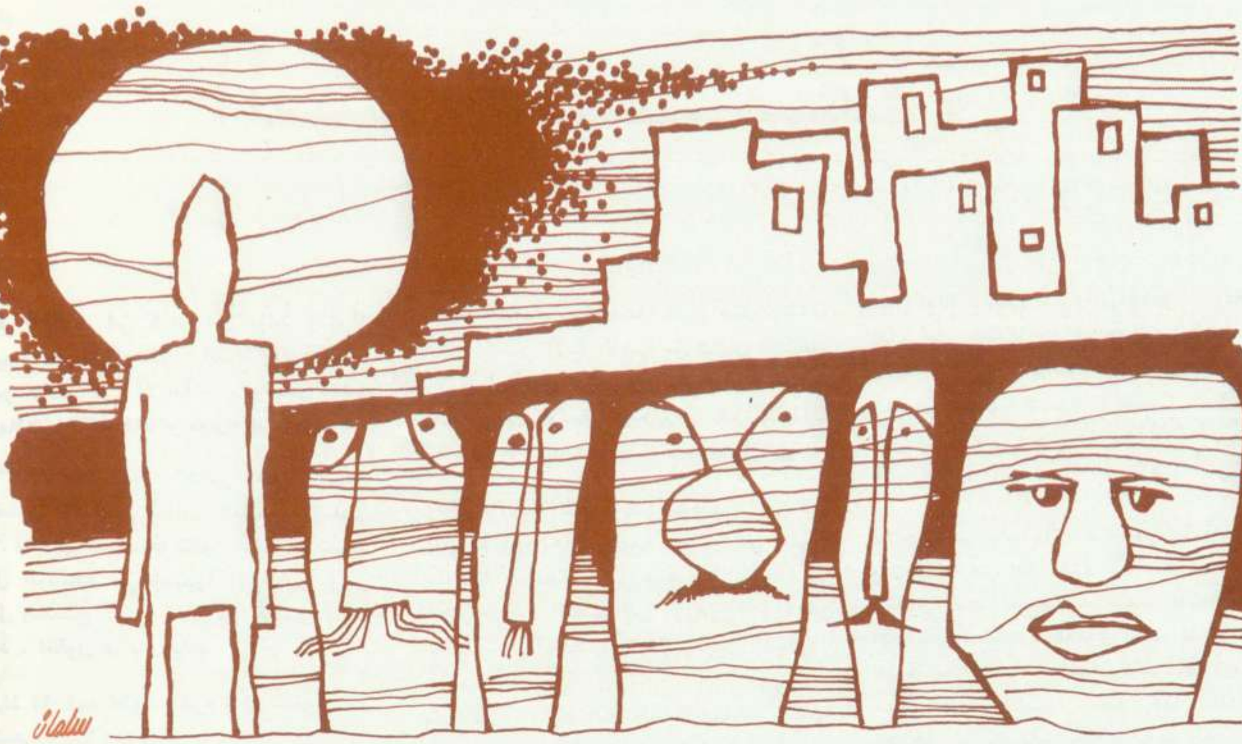
والمتقي إذن هو الذي يترك الموبقات ، والفحشاء والمنكر ، والاعتقاد الباطل ولكي يكون مقبولا عند الله لابد ان يعمل ـ بجانب ذلك الاتقاء ـ عملا صالحاً قائماً على الايمان بالله وحده ومتبعاً فيه هدايته .

ولكن لأن ترك الفحشاء والمنكر والاعتقاد الباطل يحتاج من يتركها الى عزم قوى وارادة نافذة ، وصبر وتحمل .. كان دور المتجنب لها دوراً أساسياً عند الله .

ولذا : عظم شان المتقي ، وشان التقوى في التقدير ، وفي العرف معاً ..

بكائية طاهر عبد السلام

بقلم: علي حمد إبراهيم



يلزمني ان اكتب حكايته كاملة هذا المساء ، لأروح بها عن نفسي ، وليكون التاريخ شاهداً عليها . اعني حكاية زميل الدراسة ، وصديق العمر طاهر عبد السلام. لقد سكن الريح العاصف اخيراً ، وهدأ الموج الصاخب ، وكفت امطار المدينة . والرعود تقلص هديرها ، واسفر من بين السحب والضباب قمر جديد ، يدافع ظلام الليل الذي لامس كل اطراف المدينة . كل موجات الأثير اخذت تتحدث عن حكايته الغريبة بمجرد أن طلع هذا الفجر الدافىء من أيام أكتوبر المبشر بالخير . الحديث عن « طاهر عبد السلام » يجب ان لا يترك للصدف ، ولا للذين لا يعرفون طاهر عبد السلام معرفة موثقة . انني اعتبر نفسي اكثر الناس معرفة بطاهر عبد السلام ، رغم انني اعترف أن فعلته الغريبة فاجاتني تماماً .. اما نهايته ، فقد تركتني بخليط من المشاعر فلا انا حزين عليه ، ولست ادعي انني اتمنى له نهاية غير تلك التي انتهى اليها . ولكني ابدا حكايته من البداية ـ اعني حكاية صديقي « طاهر عبد السلام » .

أول مرة توثقت فيها علاقتنا كانت عندما انتهينا من الدراسة الجامعية ، واحتوتنا تلك المدينة بحياتها المتناقضة . كان شديد الاستغراق والتفكير ، لا يكاد ينظر تحت قدميه وهو يتجول في طرقات المدينة عند كل مساء . يقرا اللافتات البارزة باهتمام شديد ، ثم يفكر قليلا ، ثم يبتسم لنفسه ، ويوسوس ببعض كلمات ثم يردد العبارة التي سمعتها منه كثيراً فيما بعد : « عفن كثير . يكفي لتلويث كل العالم . » ويمضي بتؤدة الى غير اتجاه . قال لي ذات مرة : « ساكتب سيرتي ، ليس لانني أصبحت مهماً ، لكن لانني أصبحت شخصاً هامشياً ، ينظر تحت عصف الريح . و لانني على يقين من أن هذا الريح الصرصر سوف يلقي بي في قاع القمقم ، فان كتابة سيرتي كانسان بائس ، يصارع اقداره العاتية ، سوف تقدم خدمة كبيرة لهواة البحث عن الآثار من الأجيال اللاحقة . فربما عرفوا من خلال سيرتي انني كنت خلاصة بيئة ، زكم

العفن انفها فسالت واعشى القذى عيونها ، فغلبها ان تنظر الى اعلى » . ولكنه تساءل « هل من الممكن ان اكون مخدوعاً هل تنعدم الرغبة في البحث والتنقيب عن الاسباب لدى الاجيال القادمة ، فنضيع من ذاكرة التاريخ ، كما ضعنا من ذاكرة الحياة ؟ والدتي ، تلك المرأة الصبورة المغلوبة على امرها معي ، تقول انني ولدت مخدوعاً ، كبرت مخدوعاً ، وسوف امضي الى منتصف الطريق قبل ان اكتشف مقدار الخديعة . فقد كنت طفلا مشاغباً وبطراً رغم انني ولدت وليس في فمي حتى ملعقة خشب . لذلك فقد كانت تزجرني كلما بدر مني مايعكر صفوها .. مولود على اللحاف ، وبطران .. » .

كانت تلك بعض هواجس صديقي طاهر عبد السلام في أيامنا الأولى في المدينة ، التي كانت تتحول الى سوق كبيرة للنخاسة البشرية . حقيقة الامر .. كان يزعجه تحول المدينـــة الى مـلاه ، تفـــوح منها الروائح الكريهة دون ان ينتبه احد الى ذلك النمو بالاتجاه المعاكس . وكان يجهد نفسه ويجهدني معه بالبحث عن مكان يمكن ان يمضي فيه أمسية صافية . كان يسالني باستغراق غريب : « .. هل تسمع صوت هذا الهدير واهتزاز الأرض هذا ؟ وهذا الدوار الا تحسه ؟ .. كيف لا ترى كل هذا الضباب الكثيف يخيم على بنايات المدينة التي تطول الى أعلى ، بينما تغوص أساسات المدينة في القاع ؟ » وكنت اجهد نفسي لمجاراته في تهويماته ، أو كنت أتظاهر بذلك . كان هذا في بادىء الأمر ونحن نعيش الدوار في المدينة التي أخذت تصرخ ملء شدقيها كالملسوع من عقرب مائي . ولكنني وجدت نفسي افكر في كل ما يقول باكثر من طريقة . كان يجذبني عمق تفكيره وقوة ملاحظاته . سالني ذات مرة : « .. لماذا تسرع عربات المدينة باتجاه البحر ؟ ولماذا تبطىء وهي تسير باتجاه الجبل ؟ ولماذا ترتدي المدينة رداء احمر في الليل ثم تلقيه عن جسدها اذا ما عم نور الصباح ؟ وأذرع هذه المدينة .. لماذا تبدو ضارعة باتجاه البحر ، وكأنها تطلب النجاة من البحر ؟ » .

ويتنهد طاهر عبد السلام طويلا ثم يضيف جملتين : « مسكينة هذه المدينة ! انها لا تدري عدد أسماك القرش في البحر ، ولا تستطيع ان تشيح بانفها عن رائحة العفن الذي يزكم انفهـــا ، ويلوث كـل الأرجاء .. »

اعترف انني لم استطع ان افهم صديقي طاهر عبد السلام بالكامل ، رغم العشرة الطويلة . لكنني لمست عن قرب مواهبه المتفردة العديدة ، وطربت روحي لخاصية السخرية ـ الحادة التي تعمر روحه الصافية . فقد كان ساخراً حتى اخمص قدميه ، قال لي ذات مرة ان والده يزرع الحبوب الزيتية منذ عقود سحيقة من الزمن ، ولكنه لم يستطع ان يوفر رطلا واحداً من الزيت لعياله الذين ياكلون الخبز الناشف بالماء والملح . طاهر عبد السلام يعتقد ان والده يزرع الحبوب الزيتية فقط لكي يقال إنه يشارك في عملية تحويل البلاد الى قارورة زيت للمنطقة العربية ..

في محيطنا الصغير اخذنا نلحظ بروز مواهب طاهر عبد السلام في الرسم بصفة خاصة . لوحاته كانت بلون الدم والزيت ، تتشابك الأشياء فيها حتى لا تستبين البدايات والنهايات . ويبدو الافق غير الافق ، كانه يضرع الى اعلى . حقيقة الأمر .. كل الأشياء في لوحات طاهر عبد السلام تضرع الى اعلى ، رغم لا تميز بوضوح ـ لماذا تضرع الأشياء ؟ .. او من أين تبدأ الضراعة والى اين تنتهى . لقد قلت قبلا ان الاشياء في لوحات طاهر عبد السلام تتشابك باهتياج عنيف . لوحات «تل الردى» و «الخروج السادس» و «الحصار» ، تصدم مسامات الحس بصورة قاتلة ... الاطفال والنساء والعجزة يتكدسون تحت سنابك خيل ضلت طريقها ، والموتى يعانقون وطناً يرونه في الخيال ، أو ربما تمثلوه في خيمة تحت قنابل الاشقاء ، أو في حفرة تحميهم من الرصاص العائم فوق رؤوسهم .. قال لي طاهر عبد السلام ذات مرة ان بعضنا يقتل لانه اصبح عبئاً على اعصاب الآخرين .. اننا يجب أن نطرد الموت العبيط . حتى لا تقتلنا الديكة الرومية . ثم همس لنفســـه لا يمكنني ان اتصالح مع هذا الجاثم على صدري .

وتطول بنا الايام ونحن نبحث في ليل المدينة ونهارها عن عمل يوفر لقمة العيش الشريفة لنا .. لم اكن اتصور انني ساصبح مطلوباً لأن اكتب كل ذلك رغم انني شاركت في الاحداث من الموقع الاقل .. اذكر حتى هذه اللحظة ان طاهر عبد السلام كان يقول : إن الأبطـــال هم الذين يكتبون الواقع بدمائهم ولا يعيشونه ..

اتذكر ذلك اليوم الذي شفت فيه روح الفنان في طاهر عبد السلام مقدار الياس الذي أصابني : ان لا يسفر صبح جديد بعد ليل المدينة الذي طوانا بظلامه الدامس الطويل . فقد ضحك ساخراً وقال : « ان اشجار البلوط لا تقف الا على جذور راسخة .. دعنا نكون كاشجار البلوط . نموت واقفين اذا كان لابد من الموت .. »

« الحياة بالنسبة لي قضية خسرتها منذ بعض الوقت . حقيقة الأمر ، لقد خسرت حياتي قسراً .. اخذت مني حياتي بالقوة . ولكي استرد حياتي ، فانني على قناعة بان ما اخذ مني بالقوة لن يكون باستطاعتي رده الا باستعمال القوة ذاتها .. الذين يقفون في منتصف الطريق دائماً تفوتهم سفن النجاة .. اما الذين يمدون ايديهم في كل الاتجاهات أملا بان تلتقطهم احدى السفن العابرة ، فهؤلاء يغرقون لأن سفينة النجاة الواحدة لا تاتي من جميع الاتجاهات .. اما الذين يرهنون انفسهم للظروف بانتظار ان يكون لكل حادثة حديث فهؤلاء تفوتهم فرصة الحديث ، عندما ياتي وقت الحديث ، فلايستمع اليهم احد ، فيمخرهم عباب السفينة . » ثم زجرني طاهر عبد السلام .. ان احسن صحبته ، والا فراق بيني وبينه اكيد . قلت بل احسن صحبتك فتمتم بكلمات لم اتبينها كاملة .

كان يكشر عن الم مفاجىء ، ثم اخذ يهمس لنفسه « .. لقد اضاعت الثيران الضعيفة ابقارها يوم تركتها للثور الأبيض يرعاها لوحده ، ولم تات لنجدته يوم اكل ذلك الثور الابيض . لقد دارت الدوائر على الأبقار الهزيلة فلم ينفعها خوارها العالى ، ولا الضراعات المستكينة . »

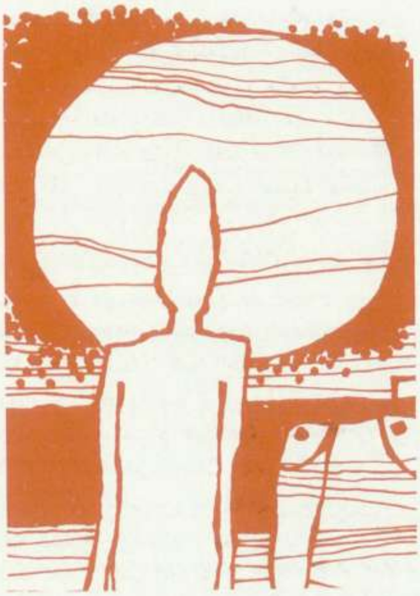
وتمتد مناظراتي مع طاهر عبد السلام عبر ليل المدينة الطويل . كان شغوفاً بقراءة التاريخ . في غرفة الطعام يظل ممسكاً بكتاب التاريخ . في غرفته تراه دافناً عيونه في كتاب التاريخ . وحتى عندما يلف حيّنا الظلام الكثيف ، يظل نور مسرجته يقاوم النعاس ، بينما عيون طاهر عبد السلام تلتهم السطور . ولكنه كان يقذف بالكتاب بعيداً ، احياناً ، ويقفز من مكانه كالملدوغ وقد انتصف الليل ، ثم يناظر نفسه فى توتر اشبه بالجنون ! هذه امتنا لها تاريخ مذكور .. ولكن ما بالها لا تنهى العدو عن حياضها ـ هذه الأمة . لو أن كل صاروخ من الأمة اخذ حجراً ورمى به هذا العدوا ، لفعلوا به كما فعلت الطير الأبابيل بجيش

بكائية طاهر عبد السلام

أبرهة المعتدي . ولكنهم لا يريدون اخذ المسالة كل تلك المسافة . »

وتفترق بنا السبل . اختار طاهر عبد السلام ان يختفي من على سطح الحياة كما يقول لي دائما . لم استطع ان افهم بالكامل ماذا كان يعني بالاختفاء من سطح الحياة . صحيح لم اتعمق في المحاولة لكي افهم ، لانني كنت قد سئمت كثيراً من التفكير الفلسفي الذي ملأ به رأسي . كانت مشاكلي قد تفاقمت ولم يعد لدي لا الوقت ولا الرغبة في اضافة المزيد من المشاكل الذهنية الى مشاكلي الأخرى باي حال . ودعت طاهر عبد السلام ذات مساء وقلت له .. لنكن على صلة . فعشرة الأيام الطويلة التي عشناها سوياً يجب ان تبقى . ان أحزاننا المشتركة باقية ، وكذلك همومنا المشتركة ، وايضاً أمالنا . لم يعلق بشيء . اعطاني صورته الشمسية . قال : احفظ هذه . هي تذكرك بشخصي في جميع الحالات . خصوصاً في الحالات الخاصة والطارئة . ووعدني بأن يكتب لي اذا وجد ما يستحق ان يكتب .. كانت الساعة قد تجاوزت منتصف الليل بالفعل عندما اغلق باب غرفتنا المتواضعة وراءه ، واسلم نفسه للظلام ..

وتمضي سنتان قبل أن أسمع من طاهر عبد السلام اي جديد . الرسالة الطويلة التي وصلتني منه في تلك الامسية زادت من حيرتي . طابع البريد وختم الارسال يشيران الى نفس المدينة . طاهر عبد السلام لم يغادر المدينة اذن . ربما غادرها وعاد اليها . ربما جاء اليها في زيارة قصيرة المهم انه كان موجوداً في المدينة عندما كتب هذا الخطاب ، وتاريخ الخطاب يقول انه كتب في يوم السبت العشرين من اكتوبر . ولكن الطريف حقاً هو ماذا كتب طاهر عبد السلام بعد سنتين من الانقطاع عن صديقه الذي قاسمه قسوة الاغتراب في ليل المدينة الطويل . كتب قائلا انه ظل يكافح : (فندقيا) حتى صار من فصيلة المكافحين الذين لا يلحقون اذى باحد ، ولا يلحقهم اذى من احد الا ما قدر الله منذ الأزل . وانه



وجد نفسه قادراً فقط على الحاق الضرر ببعض ابنية المدينة وبعض أهلها من السابلة .. أما ليل المدينة القاسي الطويل فهو لم يزل هناك . انه مازال يتعلم كيف يرمي ليل المدينة هذه بحجر . واختتم رسالته بان سالني عما اذا كنت مازلت احتفظ بصـــورته القديمة . قال .. انهـا لا تشبهه الآن .. ولكنها تعطي قريباً من ملامحه الاساسية على اي حال .. وقال ايضاً بعد عودته من سفره الطويل ربما اعطاني صورة اخرى . ثم وقع على رسالته بنفس توقيعه القديم .. (طاهر عبد السلام العزب) ساعتها فقط تذكرت اننا كنا نناديه بذلك اللقب – العزب – ونحن بعد طلبة في الجامعة .. كان هو نفسه الذي اطلق على نفسه لقب – العزب – اذ كان يقول انه عزب من صفتين من صفات عصر التدني – كما كان يسميه – وهما صفتا الخوف والطمع . فهو لا يخاف الا من الواحد القهار ، ولا يطمع في غير شبر من الارض تدفن فيه رفاته . اذكر اننا ضحكنا للصورة الجميلة التي يرسمها لنفسه بهذا اللقب ، ثم اعجبتنا عندما تدبرناها ، فاطلقناها عليه . كنا نناديه بطاهر العزب او طاهر عبد السلام العزب فكان يقبل علينا مبتسماً .. كانه يسعد بذلك النداء . لقد انستنا هموم ما بعد عصر الجامعة كثيراً من الطرائف والملح ، وعدنا اناساً نكشر انيابنا عن خوف شديد . لقد اكتشفنا ان السؤال كان اكبر من الاجابة المطروحة .. ان تستمر الاحلام الجميلة على عهد الجامعة الى ما وراء ذلك العهد وكيف .. تلك خواطر اعادني اليها توقيع طاهر عبد السلام فقط في هذه اللحظة ..

ولكنني غضبت مرتين من رسالة طاهر عبد السلام . انه لم يترك لي عنواناً أرد اليه فيه . هذا أولا وقبل كل شيء . ثم انه لم يسالني عن احوالي الخاصة ، ولم يذكر لي شيئاً عن احواله هو الخاصة . لقد ملأ رسالته كالعادة بحديث النظريات التي ماأشبعت بطنا ، والعنتريات التي ماقتلت ذبابة . هذا ما خطر بذهني على اي حال . وضعت الرسالة برفق في مكان امين وقلت أرد عليها لو اردفها طاهر عبد السلام بأخرى تحمل عنواناً . ثم قمت الى صورته القديمـة انظر اليها باعجاب . قال إنها لا تشبهه الآن . ولكنها تعطي بعض ملامحه الاساسية مازالت . هذا الشخص مازال مناكفاً بعد سنتين من الانقطاع – قلت لنفسي ، ثم مضيت في بعض شئوني الخاصة ..

وحدث ذلك الشيء الغريب في ذلك اليوم الدافيء من اكتوبر ... كل موجات الاثير كانت تتحدث عن السائق الغريب الذي اقبل نحو العدو وهو يبتسم .. لقد نسف العدو . ونسف نفسه ايضاً .. كانه يريد ان يلتحم مع العدو لاول مرة التحاماً حقيقياً . عندما نشروا صورة السائق المبتسم للموت وجدت نفسي احتضنها بعنف .. فقد عرفت صاحبها .. طاهر عبد السلام العزب . صحيح انها لا تشبه الصورة التي معي . ولكنها تعطي الملامح الاساسية للبطل . لقد وعد بأن يعطيني صورة جديدة بعد عودته من سفره الطويل ..

علي حمد ابراهيم ـ أبو ظبي

بين الماء والسراب

شعر: عبدالرحيم عمر



قَدْكَ ما اجَّجْتَ فى القلب المولَّعْ !
يا شَجِيَّ الصوت : يا من يسكب
الاحزان من اعماق اعماق الاسى فى كل مَسْمَعْ
ثاني اثنين تلاقي الشمس ملهوف المنى فى كل مطلع
لا تذرنى خجلا في ثوب اعذارى المرقع
ضائعاً بين التانيّ والتمني واستغاثات : انصروني (١)

• • •

لا تذرنى حائر الخطو مُرَوَّع
هدفا للريح تذرو الرمل فى حبة عيني
كلما اغمضت الاجفان جاء العصف أوجع
والصدى يرسم حَدّاً زائغا بين مدى الصوت وبينى :
انصروني .. انصروني

• • •

اى نصر من فراغ الصمت تستجدين بالدمع والوان البكاءْ
لقتيل راح لم يابه له اهلٌ ،
ولا انهلّ له دمع النساءْ
لم يزل يُقْتَلُ فى كل صباح ومساء
عاشقا اغْنَى قصيد الشعراء
شاعراً غَنّى شموخ البسطاء
ثائراً جَسَّدَ معنى الكبرياء
عاملا آمن أن العمر من كدح ومن طول كفاح وعناءْ

• • •

اى هامه ؟
جاوزت فى بثها العاني نواح المستهامه
هجرت حاضرة القوم وشطت ذاهله
لم يؤانسها ضجيج القافله
فمضت للبيد لهفى جافله
خبزها اليومي
ندب الدّم فى الحي المجَوَّع
كلما ازداد شجاها
افتقدت بعض رجاها
وتَلَظَّت تحرق الوحشة والريح جناحيها
فاغضى العالم المسكون بالرغبة فى الاذلال والصمت المقَنَّعْ
وكان الريح والانواء فى الكون تنادى : انصروني
وكان الوُرقَ فى الغابات ، فى اعشاشها جرحى ، تنادى : انصروني
وكاني الواحد المسجون فى عالم شنق الذات قد قررت ان اخرج !
ان اجعل نفسي الزيت والنار لمن يشكو من القَرِّ
وان اجعل نفسى الماء والزاد على مائدة الفَقْر
وارجو ضارعاً ان ينصروني !

• • •

لا تذرنى خاوى القلب مُلَوَّع
فالاعاصير التى تعدو وقد خلت مغاليق الشعاب
ليس فيها من جنوح الرغبة الملحاح للأسمى سوى بعض رغابي
فاذا اقفر روضى بعد ان اينع بلقعْ
فلقد انفقت عمراً كاملا وسط اليباب
حائراً بين وعود النبع بالماء واحلام السراب

• • •

يا شهيداً ! ظل يستنخي شهامات الدهور الازلية
حاملا فى كل ارض عربية
شوقها اللاهب للآتي ، وما يمنع فيها من كلام
مرة ابصرته يقتل فى لبنان مجهول الهويه
وعلى « الاوراس » يقضي حاملا سفر الوصايا العربيه
وعلى شطآن « عكا » يلبس الكوفية البيضاء ، يخفي سر احزان جديدة
كيف اصبحت من الماء إلى الماء نياشين وموسيقى « سلام »
وتلاشى الشوق للأسمى ،
وغابت عن مساء الحيّ اصداء : انصروني .. انصروني ..

هـامش :

(١) كان العرب يعتقدون ان هامة تخرج من راس القتيل تظل تصرخ « انصروني » الى ان ياخذوا بثأره .

حــول كـتـاب : د. كـا فــود

النقـد الأدبي الحديث في الخليـج العـربي

• الحلقــة الأولى •

بقلم: عبدالرزاق البصـير

في تقديرى ان افضل ما يقدمه المفكر في منطقة الخليج العربى ، هو ان يغرس فى النفوس حقيقة ثابتة منذ تكونت هـــذه المنطقة ، وانتشر الانسان العربى فى اقطارها ، وهذه الحقيقة تقول بانه لا توجد اية فوارق اجتماعية او حضارية بين هذه الأجزاء العربية في الخليج ، فالفرد العربى من سكان اى جزء من اجزاء الخليج العربى لا يمكن ان يشعر بغربة حين ينتقل من الكويت مثلا الى البحرين او الى قطر او عمان ، لأن التقاليد والعادات .. لا اقول متشابهة ، وانما اقول واحدة ، على الرغم من ان المستعمر بذل جهوداً كبيرة ليوهم الناس بوجود تفاوت وتباعد فى الاخلاق والطباع والعادات ، ولكن طبيعة الاشياء وقفت امامه منتصبة كالجبل السامق معلنة للعالم ان ما يهدف اليه لا يمكن ان يكون ، لأن وحدة الخليج كالشمس الساطعة التى تبدد بشعاعهـا ماياتيها من سحب مهما كانت ثقيلة . الا اننا مع ذلك فى حاجة الى طرح هذه الحقيقة واعادة الحديث عنها ، لأن وسائل المستعمر كثيرة متنوعة قد تصنع بعض السحب ، ولاسيما فى نفوس الجهال ، اذ ان المنتفعين من الذين يتاجرون بالكلمة يغذون جهود المستعمر ، الأمر الذى خلق ما نشاهده من تفكك يتجلى فى دنيا السياسة ، وهو امر يمزق نفس كل عربى مخلص ، ويتجلى هذا التفكك فى ما يتخذ من خطوات اقتصادية وتربوية تجعل المصالح مختلفة على غير منهج منطلق من التكامل . ولكن الذى يخفف من الآلام هو ان ذوى المصالح الاقتصادية قد تنبهوا الى هذه الناحية الضارة فاخذوا يسعون الى التكامل الاقتصادى ، لادراكهم أن الفرد لا يمكن ان يكتفى بالآثار النظرية التى يصدرها المفكرون من حين الى حين ، وانما يريد ان تكون هذه الآثار النظرية واقعاً محسوساً .

ولعلي لو اردت ان اتحدث بالتفصيل عن النواحي الاقتصادية لخرجت عن القصد ، ولكن نظرة متجردة الى تقارب نظم المصارف والى ما طرأ من الغاء بعض الحواجز ، والى ما يقوم به رجال الاعمال من نشاط في مختلف اقطار هذه المنطقة يؤكد ما اشرنا اليه من اننا مقبلون على اقتصاد متكامل ، وهو بلا شك من اهم الأركان للحلم الذي يداعب النفوس ونعني به الوحدة السياسية لهذه المنطقة ، اضف الى ذلك ماتشهده المنطقة من مؤتمرات وندوات ثقافية واجتماعية لمحو ما زرعته ركائز الاستعمار من اوهام في بعض النفوس .

ومهما يكن من امر ، فان حديثي هذا لم يكن مقصوداً به ان امس الناحية العزيزة على قلوبنا واعنى بها الوحدة ، وانمــا قصدت به ان يدور حول الناحية الثقافية لأني اريد ان اناقش الدكتور محمد عبد الرحيم كافود حول بعض ما جاء في كتابه « النقد الادبي الحديث في الخليج العربي» من قضايا نقدية ، لما لهذا الكتاب من اهمية في دنيا الثقافة ، ذلك ان الاستاذ كافود قد درس الحركة الثقافية في منطقة الخليج العربي دراسة دقيقة مركزة ، مبتدئا بالناحية التعليمية ، فالمؤلف يرى ـ والحق معه ـ ان التعليم هو القاعدة التي يرتكز عليها وعي الانسان ، الأمر الذي يؤهله للمساهمة في تغيير مجتمعه الى الافضل ، متخذاً شتى الوسائل في ذلك والصحافة من اهم الوسائل لذلك .

لهذا ، نجد المؤلف يؤرخ الصحافة الخليجية مبتدئا بمجلة « الكويت » التي اسسها المرحوم عبد العزيز الرشيد ، ثم بكل المجـلات والجرائد الشـهرية والاسبوعية واليومية ، مشيراً الى ما للصحافة من دور كبير في النقد عامة ، غير أن المؤلف كان مهتماً بالنقد الادبي لانه كان الغرض الذي قصده في هذا الكتاب القيم .

وكنت اتمنى لو ان المؤلف اشار الى ما للنقد من اثر كبير فى التطور والتجديد ، لأن النقد لا يقتصر على الجانب الادبي وانما يتناول شتى جوانب الحياة من اقتصاد وسياسة واجتماع ، واكاد اقول بان النقد الأدبي يهم المتخصصين الذين يعنون بالشعر والقصة وما الى ذلك من الناحية الادبية .



غلاف كتاب النقد الأدبى الحديث فى الخليج العربى

أما النقد بمعناه العام ، فانه يمس الحياة بصورة شاملة ، مما قد يعرض الناقد الى كثير من المتاعب ، فمن المحقق ان المؤلف لا يخفي عليه ان احتجاب كثير من الصحف وارغام الكثير من المثقفين على ان يبتعدوا عن نشاطهم وممارساتهم ، بل حتى عن اعمالهم التي تمكنهم من العيش ، كل ذلك يعود الى ما يمارسه من نقد في الشئون العامة . كان على المؤلف ان يلم بذلك لتكون دراسته اشمل ، فان في ذلك أعظم النفع للجيل الناشيء ، خاصة وان المؤلف لا تنقصه الجراة الادبية كما سيتضح بعد حين . وعلى كل حال ، فان المؤلف كان موفقا حين تحدث عن مقاييس النقد عند القدامى ، وانها تعتمد على الذوق وهو مقياس غير صالح للحكم على الأثر الأدبي ، على الرغم من اهمية ذلك المقياس ، لأن الأذواق تختلف من شخص لأخر من حيث السمو او الهبوط ، ولهذا نستطيع ان نصف هذا المقياس بالقصور (اذا ظل وحده مقياساً للحكم) ، وهو حق ، ولكن ليس هو الحق كله ، فالأديب الموهوب يفرض نفسه على الناقد حتى لو اتخذ الذوق مقياساً له في احكامه ، بدليل ان النقاد القدامى مجمعون على تقدير الموهوبين من الشعراء قبل الاسلام ، والموهوبين من الشعراء في العصر الأموي والعباسي ، كاصحاب المعلقات ، وجرير والفرزدق وبشار وابي نواس وابي الطيب المتنبي وامثالهم ، ولست اجهل اختلافهم في تفضيل هذا الاديب او ذاك ، معتمدين في ذلك على الذوق ، ولكنهم جميعاً متفقون على طاقة أولئك الشعراء وانهم يفوقون غيرهم من الشعراء فى القوة الادبية .

وانا متفق مع المؤلف في رايه القائل بان النقاد في منطقة الخليج العربي ، قد ساروا على النهج القديم في النقد ، ولكني اظن ان سبب ذلك يعود الى ان هؤلاء النقاد لم يطلعوا على نظريات النقد الحديثة ، التي لم تصل اثارها الى هذه المنطقة الا بعد ان اصدر النقاد عندنا اراءهم واحكامهم على ما وقفوا عليه من اثار ادبية ، وما اظن اني ابعد عن الصواب من أن المؤلف لو اصدر كتابه هذا قبل ثلاثين سنة لكان نهجه نهج اخوانه من نقاد هذه المنطقة . ومهما يكن من أمر ، فان نقاش المؤلف لأدباء هذه المنطقة نقاش موضوعي مفيد جداً لأنه بعيد عن المجاملة ، ثم انه أرخ في خلال هذا الفصل لكثير من النقاد ، مما يجعل مؤلفه مرجعاً لكثير من الناس ، بل أن هذا الكتاب ربما سيدفع النقاد الى أن يعيدوا النظر فيما سيصدرونه من احكام وأراء للآثار الأدبية في المستقبل ، وهو امر عظيم الأهمية .

ولست في حاجة الى ان اوضح باني اشارك المؤلف فيما ذهب اليه من مخالفة الاستاذ عبد الله زكريا الانصاري ، من ان الشاعر هو القادر على نقد الشعر ، فقد بين المؤلف ذلك بصورة مفصلة حينما تعرض لما ذكرته من صفة الناقد الادبي (ص ٤٩) .

وما احب ان اخفي على القراء انني استغربت أعظم الاستغراب من ذلك الفصل الذي عقده المؤلف والذي تحدث فيه عن خصومات أدبية ، وفيما جاء في تلك الخصومات من آراء وافكار لبعض النقاد في منطقة الخليج ، وقد ناقشها المؤلف مناقشة نقدية ، وكان ذلك قبل خمس واربعين سنة ، وهي ايام كنا فيها مبتدئين في ممارسة النشاط الادبي ، وقد قلت اكثر من مرة ان اول مقال نشرته في جريدة البحرين هو المقال الذي انتصرت فيه للدكتور زكي مبارك ، حينما كان يهاجم المرحوم احمد أمين ، ومن يراجع تلك المقالات يجد ان المسالة ليست مسالة دعوة الى التجديد ودعوة الى المحافظة حسبما ذهب اليه المؤلف ، فقد كان احمد امين يقول عن الأدب العربي بانه ادب « معدة » ، وانه لايصلح لأن يكون أدباً انسانياً ، الأمر الذي اثار الدكتور زكي مبارك فقام بمهاجمته بكل قسوة وغلظة ، ولقد عدت الى ما كتبه الدكتور زكي مبارك ، فوجدته يصف احمد امين بالجهل والعامية ، ووجدته ينعت احمد امين بانه « ممعود » كما حدثنا عن محاربة الهنود لمعدهم ، وهذا ما جاء في بعض تلك المقالات .. يقول الدكتور زكي مبارك : « ان المباعدة بين المعدة والروح عقيدة هندية الأصل ، وتلك المباعدة هي التي قضت بان يعيش الهنود فقراء . ولو احترم الهندي معدته كما يحترم الانجليزي معدته لما استطاع الانجليز ان يكونوا سادة الهنود » . وهذا قول لا يستند على اساس من المنطق كما هو معروف لأن الهنود هزموا الانجليز دون ان يحترموا معدهم .

ومن المحقق انني لا اعد تلك المقالات التي نشرتها في ذلك الحين من المقالات التي تستحق التسجيل والنقاش ، لأنني كنت قد كتبتها قبل ان يستوي نبات الادب على سوقه في نفسي ، واني لأشكر صديقي الدكتور كافود ، حيث شوقني الى قراءة تلك المقالات التي كتبها الدكتور زكي مبارك . كذلك وجدت في هذا الفصل فقرة تشير الى كتاب « في الشعر الجاهلي » الذي الفه الدكتور طه حسين والذي اثار هزة فكرية عظيمة ، كان فيها اكبر النفع ، ولكنها – فيما اعتقد – تتصل بمنهج المؤلف في هذا الكتاب لأن « طه » كان يعالج قضية انتحال الشعر ، وان ما ينسب الى الشعراء الجاهليين امر مشكوك فيه ، فهي تعالج صحة الأدب الجاهلي ، وهي قضية تختلف عن تطور النقد الأدبي ، ولكنه استطراد مفيد لكثير من الناشئة ، لأننا نرجو ان يشوقهم الى الوقوف على ما احدثه ذلك الكتاب من اثر كبير ليس فى الجانب الادبى وانما فى الجانب الفكرى ، على انني اود فى الحلقة القادمة ان لا اترك هذا الفصل قبل ان اناقش المؤلف فيما أبداه من رأي حول الشعر القديم .



احد الشوارع الرئيسية فى مدينة عمان ، التى يعيش فيها حوالى نصف سكان الأردن

نحن في عيون الآخرين :

جولة في ربوع الأردن

بقلم: توماس ابركرومبي ● تصوير: جودي كوب



من آثار البتراء عاصـمة النبطيين



بعض شباب الأردن بالملابس الوطنية فى الجامعة

انتهت الحافلة الصغيرة من قطع المنطقة الحرام وتوقفت امام اخر نقطة تفتيش عربية وسط اعواد الأسل النامية على ضفة نهر الأردن .

اطل ضابط اردنى ذو شارب كث خلال باب الحافلة ، وقال : باسبورتات !

كنت حريصا على تسليمه جواز سفرى الموجود فى جيب معطفى الايمن . راح يتطلع اليه ويقارن بين الوجه والصورة ..

قال الضابط الأردنى وهو يعيد الى وثائقى : الله يسلمك ! واوما لى وانصرف .

وقرقعت عجلاتنا فوق الواح جسر الملك حسين او جسر اللنبى كما كان يعرف من قبل ، وهو احد جسرين مقامين فوق نهر الأردن المضطرب ، اما الآخر فهو جسر داميا الذى يبعد ١٦ ميلا الى الشمال . ان عرض النهر هنا لا يتجاوز ٥٠ قدما حيث يقطع التيار اخر امياله نحو البحر الميت بمياهه اللزجة المالحة ، فى هذا النهر جرى تعميد السيد المسيح ، والى اليوم لايزال الحجاج ياخذون ملء الاواني للتبرك ، وعبر ضفافه الطينية سارت جيوش المصريين والفرس والاغريق والرومان والبيزنطيين والعرب والترك فى طريقها نحو انشاء الامبراطوريات .

« شالوم .. شالوم » ..

قالها جندى اسرائيلى يحمل مدفعا رشاشا وهو يدخل الحافلة ، اخرجت جواز سفرى ، الآخر من جيبى الايسر ، وراح حرس الحدود الاسرائيليون يفرغون محتويات حقيبتى وهم يفتشون كل ما تصل اليه اصابعهم ، حتى لقد فحصوا عينة من معجون اسنانى وفكوا ماكينة حلاقتى الكهربية ، واخيرا قامت امراة من البوليس الحربى بلصق طابع فى جواز سفرى . ان

مثل هذه العلامة إذا وضعت فى جواز سفرى « الحقيقى » كفيلة بعدم ادخالى البلاد العربية أو حتى العودة من حيث جئت عبر نهر الأردن ، ولذلك كنت كالكثيرين من امثالى الذين يعبرون النهر كثيراً ، احتفظ بجوازين للسفر احدهما للعرب والآخر للاسرائيليين .

وقالت المجندة الاسرائيلية بالانجليزية وهى تعيد لى وثائقى : مرحبا بك فى اسرائيل .

انتابنى شعور بالراحة للانتهاء من هذه الرسميات فلم احاول أن أصحح لها ما قالت فانا لست الآن فى اسرائيل ، حقا لقد احتلت اسرائيل هذا الجانب من نهر الأردن عام ١٩٦٧ ولكنها لم تضم اليها رسمياً الضفة الغربية .. اذن فانا قد عبرت من الأردن الى الأردن . اليس كذلك ؟

إن العرب هنا يمثلون ٩٧٪ من سكان الضفة الغربية ، وهم يعتبرون بمثابة مواطنين أردنيين ، واللغة الغالبة هى العربية ، والثقافة عربية ، وهنا ايضـــا تطبق القوانين الأردنية ويتعامل الناس بالدينار الأردنى وكل دول العالم تقريباً بما فيها الولايات المتحدة تنظر رسميا الى الضفة الغربية والقدس الشرقية باعتبارهما « اراض محتلة » ، وحتى الأردن نفسه يعتبر سكان الضفة فلسطينيين يجب ان يقرروا مصيرهم فى النهاية . ولكن بالرغم من ان اتفاقيات كامب ديفيد تلزم اسرائيل بالانسحاب عند الوصول الى اتفاق إلا ان الحكومة الاسرائيلية الحالية عازمة على الا تفعل ذلك مطلقا .

هذه هى « الأراضى المقدسة » من قديم ، لقد ظلت تحت حكم الاتراك العثمانيين عدة قرون ثم خضعت للانتداب البريطانى على فلسطين وشرق الأردن بعد الحرب العالمية الأولى ، وفى عام ١٩٤٦ اعلن عبد الله ملكاً على دولة عربية مستقلة هى المملكة الأردنية الهاشمية ، وفى عام ١٩٤٨ قامت اسرائيل ،وادى ذلك الى الحرب العربية الاسرائيلية الأولى ، وبالرغم من ان الحرب انتهت بهزيمة الجيوش العربية وتركت معظم الشعب الفلسطينى تحت الحكم اليهودى إلا ان القوات الأردنية احتفظت بالقدس الشرقية وسيطرت على الضفة الغربية لنهر الأردن التى اختار سكانها الفلسطينيون ان يتحدوا مع الأردن . وفى حرب ١٩٦٧ احتلت اسرائيل الضفة الغربية ولا تزال تحتلها .

● ●

فى كل مرة أعبر جسر اللنبى الضيق من الأردن الى الأردن (او الى الاراضى المحتلة) واعود من حيث اتيت اشعر بالتوتر المتصاعد على جانبى النهر . فليست هناك دولة تشارك اسرائيل فى مثل هذه الحدود الطويلة كالأردن ، وقد اقامت اسرائيل بالفعل حوالى ١٥٠ مستعمرة يهودية تلقى بظلالها على مستقبل الضفة الغربية ، وتؤثر فى رخاء المملكة الأردنية بالكامل وتجعله محفوفاً بالشـــكوك والمخاطر .

لقد قمت مؤخراً بجولة استغرقت شهرين فى تلك الدولة الهامة بالشرق الأوسط ، خلال هذه الجولة تحدثت مع اردنيين فى المزارع والمصانع .. فى القصر الملكى وفى مضارب البدو المتربة ، فى الوزارات وقاعات المدن .. فى الجامعة وفى مواقف سيارات النقل البعيدة داخل الصحراء .

وفى عاصمة الأردن المتاججة بالنشاط ، عمان ، اكتشفت لنفسى ملجا مفضلا ، هو الطابق الثانى من مقهى يسمى « سنترال » فى قلب السوق القديم ، هناك كنت اجلس لادخن « الشيشة » بينما النادل يضيف بين الحين والآخر جمرات من الفحم المتقد بواسطة ملقاط حديدي كبير .

ان معظم رواد المقهى ـ وجميعهم من الذكور ـ ياتون الى هنا للدردشة ولعب الطاولة ، اما بالنسبة لى فقد كان المقهى بمثابة بانوراما عن الحياة الأردنية ، إذ عندما تهدا حرارة الجو فى ظلال الأصيل تمتلىء الحارات اسفل المقهى بالضوضاء والمارة الذين ينتمون الى ست جنسيات مختلفة على الأقل ويغشـــون الدكاكين والمتاجر الصغيرة التى تعرض اكواما من اوانى الطبخ والأطباق الصيني والمعاطف والحقائب والصنادل والأحذية ،فاذا انتهيت من مشروبى استجمعت قواى . ونزلت الى اسفل لاتحول الى نقطة داخل هذا المنظـر المبرقش !

على طول شارع الملك فيصل مررت على دكاكين الصاغة والصرافين ، وتزاحمت بين القرويات بملابسهن المزركشة ، والتجار الذين يرتدون حللا من ثلاث قطع وعلى رءوسهم غطاء الراس العربى ، وعمال البناء المصريين بجلاليبهم الطويلة وهم يسيرون فى جماعات وقد حمل بعضهم اجهزة « الستريو » الجديدة اللامعه .

وتحت ماذن جامع الحسين تمتد صفوف من باعة الحلوى العربية حيث يتعطر الجو برائحة السكر المعقود وماء الورد لتحلية البقلاوة والكنافة والبورما ، ويتهافت الناس على شراء الفستق المقشر . وتوقفت امام احد الاكشاك ، عبارة عن متجر بدوى عام يعرض خليطاً من البرادات والسروج والسيوف والصوف الخام ومصائد الفئران والدفوف ، والى جانبه اخر يعلق على جدرانه قطعاً من السجاد الزاهية الألوان منسوجة يدويا بواسطة سكان الصحراء .

قال لى وزير العمل جواد العنانى وهو اقتصادى تلقى تدريبه فى امريكا والتقيت به فى مكتبه الجديد فى مركز شميساني ، ان اهم مواردنا القومية « الخبرة » .. ان الأردنيين يعطون اولوية عالية للتعليم .. والاسر الأردنية تقتر على نفسها وتضحى كى ترسل ابناءها وبناتها الى المدرسة .

واضاف وزير العمل الأردنى : ونتيجة لذلك لدينا الآن فائض مهارة .. ان حوالى ٣٠٠ الف عامل ماهر ـ اى نصف قوة العمل الأردنية ـ يشتغلون فى الخارج ، معظمهم فى المملكة العربية السعودية ودول الخليج العربى ، وهم يرسلون الى الوطن اكثر من بليون دولار سنويا تمثل اكبر مورد منفرد للدخل بالنسبة للأردن . اما البطالة فلا وجود لها تقريباً بل نحن فى الواقع نستورد عمالا من الخارج فلدينا ١٢٥ الف عامل اجنبى معظمهم من مصر .

اللقاء الثانى

فى قصر بسمان المطل على وسط عمان استقبلنى جلالة الملك حسين بن طلال . لقد انقضت الآن خمس عشرة سنة منذ التقيت بجلالته لأول مرة فى هذه الحديقة الصغيرة التى تقوم فيها اشجار الصنوبر والسرو . ان الملك الشاب لايزال صوته كما كان عميقاً ، وتحيته دافئة ، وقبضة يده فى المصافحة حديدية ، ولكن جلالته صدمنى بان بدا اكبر من عمره اذ يبلغ الآن السابعة والأربعين فقط ..

لقد ظل الملك عدة شهور يتابع مبادرة الرئيس رونالد ريجان . وتفاوض مع ياسر عرفات زعيم منظمة التحرير الفلسطينية حول الوصول الى « اتفاق » بشان مستقبل الضفة الغربية ، وقام بسفريات واسعة للحصول على التاييد فى العواصم العربية وواشنطون بل حتى فى الصين . وقبل ايام قليلة من التقائى به اعلن الملك حسين ان المبادرة الامريكية قد توقفت .

قال لى جلالته وهو يهز كتفه : « مـاذا نستطيع ان نفعل سوى ان نواصـــل المجادلة ؟ لقد واجهتنا ازمات كثيرة من قبل .. وهذه ايضا سوف نجتازها » .

والملك حسين هو الآن اقدم رئيس دولة فى العالم العربى ، وقد خاض اربعة حروب عربية اسرائيلية .

وجه المدينة

إن الكثيرين من الأردنيين يعتبرون التعليم بمثابة مفتاح البقاء فى مثل هذه الأزمنة الحالية غير المستقرة ، او كما قال لى طالب التقيت به فى جامعـــة الأردن « ان المعرفة ضمان .. انها راسمال لا يمكن ان يسرق او يضم او يصادر » .

ويوجد فى الاردن الآن نحو ٨٥٠ الف طالب منهم ٢٧ الفا فى المستوى الجامعى ، او بمعنى اخر يوجد بين كل ثلاثة اردنيين طالب واحد ، وهناك حوالى ٦٠ الف طالب اردنى يدرسون فى الخارج ، ويعودون مزودين بلغة اجنبية ثانية ـ غالبا ما تكون الانجليزية او « الامريكية » ـ وشيئا فشيئا تتحول عمان الى مدينة ثنائية اللغة .

وعمان مدينة مزدحمة بالسكان ، وبالرغم من نشاط حركة البناء فان الطلب على المساكن اكبر من العرض ، ويتاثر بازمة الاسكان بصفة خاصة ، فقراء المدينة وهم فلسطينيو الضفة الغربية الذين طردتهم الحرب والاحتلال الاسرائيلى وكذلك القرويون الاردنيون الذين تجتذبهم وعود المدينة ، فهؤلاء واولئك يتكدسون فى معسكرات اللاجئين التابعة للامم المتحدة او فى ازقة مبنية بالطوب النيىء ، ولكن فى السنوات الاخيرة اتخذت « ادارة التنمية المدنية » التى انشئت حديثا عدة خطوات للتخفيف من هذه الماساة .

قال لى الدكتور هشام الزاغة الذى يشرف على تخطيط مدينة عمان : اننا فى الوقت الحالى نزيل خمس مناطق من الاحياء الفقيرة وسوف نقيم مكانها ثلاثة مواقع لمدن جديدة تماما على الحد الشرقى للمدينة تتسع لـ ٤٠ الف شخص .

والتقيت فى موقع الوحدة الشرقيــة بالسيدة هداية خيرى وهى باحثة اجتماعية من مواليد القدس التى قالت لى وهى تشير الى ما حولها : اننا هنا نبنى موقع الوحدة والمدارس الابتدائية وبعض المبانى .. والى ابعد من ذلك قليلا سنقيم المستشفى والجامع .

وسرعان ما التف حولنا الناس ومعظمهم من النساء فى ملابسهن القروية ، كانوا متحمسين للمشروع ولكن لديهم بعض التساؤلات التى ترد على معظمها السيدة هداية . قالت احدى السيدات : هل سيمكننى الاحتفاظ بعنزاتى التى اقتات من لبنها وجاء الرد « نعم » وسالت اخرى فى قلق وهى تحمل طفلا باكيا : اننى احتاج الى الدخل الذى احصل عليه من دكانى فى منزلى القديم . قالت السيدة هداية : إننا سنحاول توفير دكان مماثل فى منزلك الجديد ، وسال رجل كهل : هل يتسع المنزل الجديد لزوجتي الاثنتين . وجاءه الرد باسما : يحسن أن تبحث هذا الأمر مـــع المهندسين !


داخل الخيمة العربية نجد الكرم العربى

خارج العاصمة

بالرغم من اغراء المدن فان حوالى نصف سكان الأردن مازالوا يعيشون فى المناطق القروية مع من ندرة الميــاه اللازمة لنمو المحاصيل . وحول عمان اثناء امطار الربيع الشحيحة يسوق الرعاة اغنامهم عبر « مساحات » من الزهور البرية تفصل بين مربعات واسعة من القمح والشعير ، ولكن الأنشودة الرعوية لا تلبث ان تذوى تحت حرارة الشمس فى فصل الصيف المترب الجاف ، وعلى طول وادى الأردن الساخن الذى يقع معظمه على عمق الف قدم تحت سطح البحر تمتد الأراضى الزراعية الرئيسية للبلاد ، ولكن الحاجة الى المياه تترك معظم هذه الاراضى قاحلة غير مزروعة .

وطوال العقود الثلاثة الماضية عملت حكومة الأردن بمساعدة الولايات المتحدة اولا ثم بمساعدة البنك الدولى وبعض الدول العربية الغنية المجاورة على خطط لانعاش الوادى بتزويده بقنوات الري والطرق والمدارس والمساكن ومصانع تعليب الطعام ، واليوم تبلغ ميزانيـــة « هيئة وادى الأردن » ١٨٠ مليون دولار سنويا . وفى « دير الله » بالقرب من ملتقى نهر الأردن ونهر الزرقاء تحدثت مع الدكتور منذر حدادين رئيس هيئة تعمير وادى الأردن والى خلفنا مياه نهر الزرقاء تندفع عبر ازاهير اللوز والنباتات العطرية نحو قناة الغور الشرقية التى اقامتها الهيئة لتعمير المنطقة . وقال الدكتور حدادين : ليست هناك مناطق كثيرة فى العالم صالحة للزراعة مثل هذه المنطقة .. ان الأرض خصبة للغاية والجو جاف خال تقريبا من البرد .. يمكنك هنا ان تزرع مختلف الأشياء .. الموالح والموز والليمون والخضروات .. ان لدينا الماء ، ولدينا الأرض ، ولدينا الناس ، ومهمتنا بسيطة أن نجعل هذه الأشياء تلتقى معاً .

كانت حرب ١٩٦٧ قد ضربت خطط التنمية فى وادى الأردن ، اذ ادت الى شطر الوادى وتمزيقه ثم قصفت اسرائيل بالقنابل قرى الضفة الشرقية والمزارع وقنوات الرى وحولت معظم مياه نهر الأردن ونتيجة لذلك انخفض عدد السكان .

وقال لى الدكتور حدادين : ان قناة الغور الشرقية التى اقمناها على امتداد ٦٠ ميلا كانت خطوة كبرى نحو تعمير الوادى ، انها تستخدم جزءاً من مياه نهر اليرموك وغيره من روافد نهر الأردن وهى الآن تــروى ٥٧,٥٠٠ فدان .

وقدر لى أن أشاهد نموذجا لوفرة الوادى عندما قمت بزيارة مزرعة خاصة يملكها زيد الرفاعى ، وهو صديق طفولة للملك حسين وعمل رئيسا للوزراء فى الفترة من ١٩٧٣ الى ١٩٧٦ . واستقبلنى زيد الرفاعى وكان يدخن سيجار « هافانا » طويلا ويرتدى حذاء برقبة طويلة .. واصطحبنى فى جولة داخل مزرعته التى تبلغ مساحتها ١٦٠ فدانا بالقرب من « الكرامة » . ان هذه المزرعة كانت منذ ثلاث سنوات فقط ارضا قاحلة ولكنها الآن تنتج الخيار والشمام والقرع والكــروم والليمـــون كما تزرع الطماطم داخل صفوف مغطاة بالبلاستيك وتجرى تهويتها بالمراوح الكهربية وتروى



كثيراً ما ترى الناس وهم يمرحون بكرات الثلج

بالتنقيط مما يجعلها قادرة على الانتاج على مدار السنة .

وقال لى السيد الرفاعي اننا نوقف زراعة الطماطم فى يوليو واغسطس ففى الصيف لا نستطيع منافسة المحاصيل التى تزرع فى الأراضى المرتفعة ولكن طماطمنا الشتوية تاتى لنا بضعفي الثمن العادى .

لقد قام السيد الرفاعي ، خريج جامعة هارفارد ورئيس الوزراء الأردنى السابق ، بسفريات واسعة ليحصل على احدث مبتكرات التكنولوجيا الزراعية ، وقد أرانى فى مخازنه جراراً ايطاليا . وبذوراً امريكية ، وانابيب ري المانية ، ومحاريث انجليزية ، وبيوتا زجاجية هولندية .

وقال السيد الرفاعي : ان التكنولوجيا الزراعية المتقدمة مكلفة للغاية ، وهذا المشروع يستخدم ٤٠ موظفا بصفة دائمة بالاضافة الى ١٠٠ عامل موسمي فى فصل الحصاد ، وهو يتكلف ٤٠٠ الف دولار فى العام يخص الماء منها رغم ندرته ٢٪ فقط من الميزانية . ان اعادة الحياة الى الوادى مرة اخرى تتطلب مشاركة الاستثمارات الحكومية والخاصة ليس فى المال فحسب وانما ايضاً فى العمل الشاق والايمان .

ومضى قائلا : اننا مازلنا نعيش تحت تهديد المدافع ،وقد اقيمت ١٩ مستوطنة عسكرية اسرائيلية جديدة عبر النهر مباشرة ولايزال مستقبل الضفة الغربية ابعد ما يكون عن الاستقرار ، ولكن بفضل مشروعات مثل تلك التى تقوم بها هيئة تعمير وادى الأردن بدأ الناس يعودون . ولكن السلام وحده هو الذى يمكن ان يحقق الاستقرار فى هذا الوادى .

«تسألنى عما إذا كنت متفائلا ؟ اعتقد ان ما بنيته هنا يمكن ان يعطيك الجواب ! » .

ان الزراعة فى هذا الوادى ليست بالحديثة العهد ، بل انها تعود الى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد ، كما ان الاطلال القديمة الرائعة والمختلفة ، التى يزهو بها الاردن الحديث تلخص شطراً كبيراً من صراع البشرية ، ففى هذا المكان وجدت أدوات من الظران شذبها الصيادون منذ نصف مليون عام تملأ الصحراء حول واحة الأزرق ، وكشفت الحفريات الحديثة فى عين غزال بالقرب من عمان عن واحدة من اقدم المستوطنات البشرية تعود الى ٨٠٠٠ عام مضت وفيما بعد ترك الفرس والاغريق والرومان والبيزنطيون علاماتهم ، كما خلف الصليبيون قلاعهم ، وبنى الاتراك حصونهم ومساجدهم .



كنوز البتراء

ولكن أروع ماتزهو به الاردن من اثار قديمة مبانى البتراء المنحوتة فى الصخر وقد كانت عاصمة دولة النبط الغامضة وتبعد ١١٥ ميلا جنوبى عمان ، ومن النادر



جمع الفواكه فى المزارع النموذجية الحديثة فى وادى الأردن

ان نجد تضافراً من الطبيعة والانسان الذى نجح فى انشاء مثل هذه المدنية الوردية الجميلة القديمة قدم الزمن .

لقد قدم النبطيون من قلب الجزيرة العربية وكانوا تجار قوافل يحملون البخور والأصباغ والحرير والعبيد ، واقاموا لانفسهم قلعة هنا عند مفرق طرق القوافل المزدهرة فى القرن الرابع قبل الميلاد ونحتوا مئات من القبور المنقوشة والمنازل فى الصخر الحي لتزيين عاصمتهم التى عاشت سبعة قرون ، وفيما بعد حلت الخطوط البحرية محل قوافل الجمال القديمة فخبت المدينة التجارية العظيمة وظلت منسية الف عام .

وقد قمت بزيارة عاصمة النبطيين ذات يوم مع الأشعة الأولى للصباح . وحتى تصل اليها عليك ان تمر عبر الشق الطويل فى جدار الجبل الذى يبدأ بالضبط من تحت بيت الضيافة الحكومى فى وادى موسى ، وعليك ان تقطع زهاء ميل فى ممر ضيق منحوت داخل الحجر الرملى الأحمر بلون الدماء ويزداد هذا الممر اظلاماً كلما تعمقت فيه الى الداخل ، فهو مخبوء فى باطن الجبل بعيداً عن حرارة شمس الصحراء ووهجها ، وفوق راسك على ارتفاع ٢٠٠ قدم تبدو الحوافى العليا للجبل مضيئة بلون السماء ، وبين الحين والآخر يمرق صقر عبر الثغرة المتاحة بين حافتي الشق الجبلى . لقد كان هذا الطريق مرصوفاً بالحجارة الملساء ايام عزه القديم اما اليوم فهو اشبه بمدق خشن تعترضه جلاميد الصخور ، اما عرضه فانه يسمح بالكاد لحصانين بالمرور جنباً الى جنب .

وعلى الجانب الآخر للشق تتبدد الاظلال تحت هجمة الضوء الوردى ، وما ان تخرج من النفق حتى تطالعك واجهة الابنية الكلاسيكية الهائلة بعمدانها وقبابها الكورنثية التى تلمع فى وهجها القرمزى كما لو كانت جديدة لم تطلها يد البلى .

ان احداً – حتى من الخبراء – لا يستطيع ان يحدد ما هى هذه الابنية بالطبع .. قبر ؟ .. معبد ؟ والبدو المحليون يسمونها « خزانة الفرعون » ، والبعض منهم لايزال يعتقد حتى الآن انها تخفي ثروة هائلة من الذهب .. ولكن كنوز البتراء الحقيقية ليست فى الذهب وانما فى هذه الجواهر المعمارية التى ليست خزانة فرعون سوى الأولى منها .

دخلت احدى هذه المقابر المنحوتة فى الصخر ، وهى مزدودة الآن بباب خشبى تعلوه لافتة صغيرة مكتوب عليها : « مرحباً .. تحويل عملة .. سوبر ماركت بدوي .. صندوق بريد » .

قال لى عوض حمد مدير مكتب بريد البتراء : ان حوالى ٢٠ اسرة لاتزال تعيش بين هذه الاطلال بالرغم من ان الكثيرين قد رحلوا الى القرية الجديدة التى بنتها الحكومة على مسافة ميل الى الشمال .

واضاف : انهم لايزالون يرعون اغنامهم هنا ويزرعون سفوح التلال القريبة ، وهناك دائماً موارد للرزق سواء فى العمل فى مناطق التنقيب عن الآثار او فى ارشاد السياح .

اما « السوبر ماركت » الذى يديره عوض فانه يحوى بعض السلع الأساسية : مسحوق الصابون . امواس حلاقة . طباق محلى . بطاطس . بطاريات اضاءة ، وفى الخارج تقوم زوجته وبناته فى ملابسهن الطويلة السوداء بغربلة الدقيق فى نسمة الصباح الخفيفة ، ولكن يمكنك بواسطة تليفون قديم بذراع مثبت على الحائط ان تتصل بالقرن العشرين فى الخارج وتدرك ان تاريخ الشرق الأوسط المضطرب .... لا يزال يدور !

الحياة فى البادية

بينما ازدهرت عبر آلاف السنين مواقع فى الشرق الأوسط ـ مثل البتراء ـ ونمت الى مدن وأمم وامبراطوريات ظلت صحراء شرق الأردن ساحة للبدو الرحل ، وقد حصل هؤلاء البدو على الجمل قبل ۱۱۰۰ عام قبل الميلاد واخذوا يجوبون الصحراء الصخرية القاحلة من مكان الى مكان بحثا عن الكلا لقطعانهم الهزيلة . اما الآن فقد اصبحت ايام البداوة معدودة ، واصبح البدو ساكنو الخيام اقلية ضئيلة فى المملكة هبطت الى اقل من ۳٪ من السكان ، ومع ذلك فقد ترك البدوى علامته على بنى عمومته الذين يسكنون المدن كما يتجلى ذلك فى معايير الشرف المتشددة ، وفى احساسه العميق بالدين ، وفى مزاجه فى الأكل ، وفى ملابسه ومفرداته اللغوية .

وتشرف على النظام والقانون هنـــا قوة بوليس تسمى « شرطة البادية » وهى اقدم قوة عسكرية فى الأردن ولاتزال تجند فى صفوفها البدو المحليين من امثال الكابتن عوض غازى امر المركز «هـ ـ ٥» وهو عبارة عن محطة مزدحمة لسيارات النقل فى قلب الصحراء البازلتية السوداء على الطريق الرئيسى بين عمان وبغداد .

قال لى الكابتن غازى : ان الصحراء بالنسبة لنا ليست مخيفة او غامضة ، انها وطننا ، ونحن نعرف كل تل فيها وكل شبر ، ونفهم علاماتها وسكانها .

واضاف الكابتن غازى : اننا لانزال نرسل داورياتنا من راكبى الجمال ، انها الوسيلة الوحيدة لتغطية بعض اجزاء هذه المنطقة الشاسعة المليئة بالصخور الناتئة التى تمتد من هنا حتى الحدود السورية ، وهذه الداوريات تستطيع ان تفاجىء المهربين الذين يجتازون الحدود حاملين العطور واجهزة التليفزيـــون والسجائر ، فالجمل افضل من يتعامل معهم لأنه لا يثير الغبار ولا يصدر صوت محرك كما تفعل السيارة .

ولكن شرطة البادية مزودة ايضا بسيارات « لاندر روفر » وشاحنات خفيفة من طراز « دودج » .. وقال لى الكابتن غازى ان واجباتنا مثل تلك التى تقوم بها ايـــة قوة بوليس اخرى .. نبحث عن جواز سفر ضائع .. ننقذ ركاب سيارة تعطلت بهم فى الصحراء . نحمل الآن جهاز راديو ارسال واستقبال ، واخذنا دورة تدريبية على التقاط بصمات الأصابع ، ونستطيع ان نستدعى الشرطة النسائية عند الحاجة اليها ، ولدينا معمل جنائى متنقل ، بل وحتى طائرات هليكوبتر حربية .

وقررت ان ابحث عن ساكنى الخيـــام فاخذت سيارة من نقطة « هـ ـ ٥ » قطعت بى الصحراء جنوبا الى « قاع الشجرة » وقد اسميت كذلك بسبب شجرة فستق وحيدة كثيرة الفروع تقوم الى جانب بركة ضحلة من الطين تخلفت عن الامطار النادرة . وتتدلى من فروع هذه الشجرة قصاصات صغيرة من القماش علقها هناك على سبيل التبرك البدو الرحل الذين يمرون بالمكان ، وفعلت مثلهم فقطعت قصاصة من منديلى واضفتها لحسابى الخاص .

وعلى هضبة صخرية صغيرة خلف البركة الضحلة تقوم خيمة خلف سرحان ، وخلعت نعلى وانا ادلف الى الخيمة حيث استقبلنى خلف وهو رجل نحيل اسمر البشرة يرتدى جاكت بدلة فوق قفطان طويل رمادى اللون ويضع على راسه كوفية حمراء ، واضاف خلف بضع حفنات من روث الجمل الجاف الى النار وراح يحرك فوقها المروحة الى ان تحولت الى جمر مشتعل وسرعان ما بدات رائحة بذور القهوة المغلية تملأ المكان .

كانت تغطى الأرض من حول الموقد سجاجيد ممزقة ، وثمة ستارة من القماش السميك تفصل بيننا وبين المكان المخصص للنساء داخل الخيمة ، وصندوق خشبى بدائى الصنع عليه اكواب ومصباح كيروسين . وخلال فتحة فى الخيمة كان فى استطاعتى أن ارى قطيع خلف ويضم مائة جمل او اكثر مشغولة باكل الكلا على خط الافق الجنوبى .

وقال لى خلف : «اننى وابنى الأصغر نرعى هذه الجمال الآن ، فقد رحل معظم رجال العشيرة ، لى خال يخدم فى الجيش واخ يسوق سيارة نقل » .

ان مثل هذه الاعمال خارج الصحراء اصبحت المصدر الرئيسى لدخل البدو الآن .. وقلب خلف القهوة واضاف قليلا من حب الهيل قبل ان يصبها فى انائه النحاسى الطويل ثم ناولنى قدحى قائلا : باسم الله .

إن معظم بدو الأردن الذين يقدر عددهم بنحو ٢٥٠ الفا قد طووا خيامهم الآن ، سـواء نتيجة مواسم القحط القاسية التى حدثت فى السبعينات او استجابة للوعد بحياة اسهل طبقا لبرامج الاسكان الحكومى . وقد زرت قرية لاسكان البدو بالقرب من قلعة الشرطة الصحراوية فى دير الكهف ، وهناك اصطحبنى الشيخ مقبل سرحان فى جولة داخل القرية الصغيرة الجديدة التى تضم ٨٠ منزلا صغيرا كل منها مقام على مساحة فدان ، وكثير من هذه المنازل تحيطها حديقه مزروعة حديثا بالكروم واشجار الزيتون ، ويمكنك ان ترى بعض مظاهر التحول واضحة من حولك ، فهذا مثلا جمل مربوط خلف احد المنازل وسيارة « بيك ـ اب » تنتظر امام الباب التالى . اما بيت الشيخ مقبل سرحان فمزود بالطاقة الشمسية ، ويرتفع فوق البيت هوائى طويل متصل بشبكة من صفائح الخلايا الشمسية لتزويد المنزل بالطاقة وتشغيل اجهزته التى منها الة تليفون تعمل بالضغط على الأزرار .

وقال لى الشيخ مقبل مؤكدا : هذا فى الصحراء كل شىء يقاس بالماء ، وكنا نجلبه أولا بسيارات الصهاريج مقابل ١٠ دنانير (٣٠ دولارا) للحمل الواحد ، ولذا لم يكن هناك ما يكفينا من الماء لتربية الثروة الحيوانية ولكن منذ ثلاث سنوات ربطتنا الحكومة بخط انابيب المياه الذى يمتد من واحة الأزرق الى إربد ، والآن لدينا مايكفينا لزراعة بعض المحاصيل الصغيرة .

استغلال الثروة المعدنية

وفى الوقت الذى يعتنى الأردن بمزارعه الثمينة لاينى جهدا عن استغلال ثروته المعدنية التى تبعث صناعتها النشاط فى أوصال مناطق قاحلة اخرى ، فالفوسفات يستخرج من مناجم التراب فى الصحراء والبوتاس يستخلص من مستودعات المياه المالحة ذات البلورات اللامعة والتى تجلب من البحر الميت ، وينتج الأردن اكثر من أربعة ملايين طن من هاتين المادتين مما يجعل صناعة الأسمدة الكيماوية اكبر صناعة فى الأردن .

وقد زرت شركة البوتاس العربية التى تدير مصانع استخراج الملح على الحافة الجنوبية للبحر الميت ، وهذا المشروع رأسماله ٤٦٥ مليون دولار بالاستثمار المشترك بين المملكة العربية السعودية والكويت والعراق وليبيا والأردن ، وبعد تناول الغذاء فى « مدينة » الشركة ـ وهى واحة بالقرب من غور الصافي تكلفت ٢٥ مليون دولار ومزودة بالحوانيت وملاعب التنس وحمام سباحة ـ ركبت السيارة مع مروان خورى مدير المبيعات الذى اصطحبنى الى البحر الميت وهو يقع على عمق ١٣٠٠ قدم تحت سطح البحر ، وهناك تقوم محطة للضخ تضخ المياه البلورية الصافية ـ التى تبلغ درجة ملوحتها سبعة اضعاف



هكذا يعامل جنود الاحتلال الصهيونى سكان الأرض المحتلة

ملوحة مياه المحيط ـ الى بركة التبخير الأولى .

وشرح لى مروان العملية قائلا : اذنــــا نكثف المحلول فى اربع مراحل ، هذه هى المرحلة الأولى التى نشاهدها الآن وهى عبارة عن شبكة من الأحواض تغطى مساحة ٣٧ ميلا مربعاً من ارض الصحراء ، واشعة الشمس تقوم بكل العمل فى هذه المرحلة وخاصة فى فصل الصـــيف حيث تقترب درجــــة الحرارة من ١٢٠ درجة فهرنهايت فلدينا هنا شمس قوية ..

وبعد ان تتكثف المياه وتتحــــول الى ما يشبه الثلج او الجليد تؤخذ الى محطة التكرير التى تستخرج منها املاح البوتاس الخام وهى على درجة عالية من النقاوة ، وتحمل هذه الاملاح على سيارات نقل صنعت خصيصا حمولة ٥٠ طنا تأخذها جنوبا عبر الصحراء الى ميناء العقبة .

فى ميناء العقبة

وحتى وقت قريب كان ميناء العقبة ـ وهو الميناء البحرى الوحيد فى الأردن ـ مجرد قرية صيادين تقوم تحت ظلال الذخيل بالقرب من القلعة الصغيرة التى انتزعها يوما لورانس العرب من يد الاتراك بعد تقدم سريع عبر الصحراء . وهى محصورة بين اسرائيل وحدود السعودية حيث يبلغ طول الساحل الأردنى بالكاد خمسة اميال .

قال لى محدثى : فى عام ١٩٦٥ استطاعت الحكومة الأردنية ان تعقد اتفاقا مع السعودية حصلت بمقتضاه على ١٢ ميلا اخرى على شاطىء البحر ..

كان محدثى هذا هو مزاحم محيسن كبير مهندسى لجنة تخطيط مدينة العقبة ، وكنا نتناول عشاء من الأسماك الحمراء الطازجة فى مطعم مزدحم فى المركز التجارى الجديد للمدينة .

واضاف محدثى قائلا : ومنذ ذلك الحين نمت مدينة العقبة ستة اضعاف وصارت تضم نحو ٤٠ الف نسمة .

واذ اتطلع عبر خليج العقبة الذى يغمره ضياء القمر كان فى امكانى أن اشاهد انوار ايلات الميناء الاسرائيلى الذى لا يبعد اكثر من خمسة اميال وكذلك انوار السفن التى تتلألأ بعيداً فى البحر .

وقال مزاحم : احيانا تتجمع لدينا مائة سفينة فى انتظار التفريغ او الشحن ، ولكن امكانات الميناء الآن لا تتجاوز ٣٠ او ٣٥ سفينة فى المتوسط ، وسوف يبدأ العمل فوراً فى انشاء امكانات للشحن والتفريغ الآلى تتكلف ٥٠ مليون دولار .

واضاف : ان حوالى ٢٠٠٠ سيارة نقل تخرج يوميا من الميناء لتقطع الصحراء شمالا الى عمان ، وحوالى ٧٠٪ من هذه الحمولة تذهب الى بغداد،فقد ادت الحرب بين العراق وايران الى اغلاق موانىء العراق على الخليج العربى مما ضاعف من عبء العمل فى ميناء العقبة .

وفى صباح اليوم التالى قمت بجولة بحرية فى الميناء على ظهر « لنش » صناعة امريكية يبلغ طوله ٣١ قدما ويقوده محمد مسلم . فمررنا امام شاطىء البحر الذى تقوم فيه البلاجات والفنادق ثم اتجهنا جنوباً لنمر بين السفن العملاقة الراسية فى عرض البحر ، وكان منها سفينة نقل سوفيتية شاهدنا على مؤخرتها اثنين من البحارة يصطادان السمك بواسطة السنانير ، فلما شاهدانا سارعا بسحب حبالهما واختفيا وراء حاجز السفينة .

فابتسم الكابتن مسلم وقال : ها .. انه لا يوجد قانون يحرم الصيد هنا .. ولكنهم يحذرون الدوريات البحرية على اى حال ، وخلال هذا الأسبوع وقعنا غرامات على ثلاث سفن لتلويثها مياه الميناء بالنفايات وقيمة الغرامة الواحدة ١٤٠٠ دينـــار (٤٠٠٠ دولار) .

وعدنا ادراجنا بازاء سلسلة من العوامات الحمراء والبيضاء تمثل خط وقف اطلاق النار بين الأردن واسرائيل فى البحر وخلف هذا الخط كان ضباط الزورق الحربى الاسرائيلى يرمقوننا عبر نظاراتهم المكبرة .

وبالرغم من ان « الحدود » مع اسرائيل مغلقة وعليها حراسة ثقيلة من الجانبين إلا ان الحكومة الأردنية لاتزال تحتفظ بعلاقات حيوية مع عرب الضفة الغربية وقد قابلت حسن ابراهيم وزير شئون الأراضى المحتلة فى مكتبه الذى يضج بالحركة فى عمان ، وكان يحدثنى وهو منكب على العمل بين اكوام من الوثائق .

قال لى الوزير الأردنى : اننا يجب ان نفعل كل شىء لكل الناس الذين يعيشون على الجانب الآخر من النهر ويبلغ عددهم ٨٠٠ الف مواطن اردنى ، ونجدد جوازات سفرهم ، نعطيهم قروضا للاسكان ، ندفع مرتبات الكثيرين من موظفى البلديات ، نحاول تقديم كل ما يمكن من الخدمات الصحية والزراعية ، نصدر شهادات المدارس الثانوية .. وكل عملية من ذلك متعبة للغاية لعدم وجود اتصال بريدى او تليفونى مع الجانب الآخر ، فكل شىء يجب ان ينقل مع رسول مخصوص فى حين تقول اسرائيل ان الضفة الغربية تخصها وتعمل على تغيير وجه الأرض حتى تنتزعها من اصحابها .

واضاف قائلا : ولكن هناك شيئاً لن يستطيعوا تغييره .. روح شعبنا .

الضفة الغربية

لقد لمست بين سكان الضفة الغربية باستمرار تصميما على الاحتفـــاظ بشخصيتهم الفلسطينية ، وهو تصميم يؤججه اليوم الغضب والياس . انك هنا لا ترى ابتسامات على الوجوه ولا تجد سهولة فى الحصول على الاشياء كما هو الحال فى عمان المنتعشة بالرخاء . واذا كان المستقبل يتسع بالنسبة للاردن فهو



تعتبر « العقبة » هى المنفذ البحرى الوحيد للاردن

على العكس من ذلك يضيق بالنسبة لعرب الضفة الغربية الذين تنزع الأرض من تحتهم فدانا بعد فدان .

والسياسة هى الموضوع المسيطر على احاديث ومناقشات سكان الضفة الغربية ، حتى بين الأطفال ، والحياة تتركز هذا كما كانت منذ قرون حول الأسرة والعشيرة ، وهم يتمسكون بعناد بالأرض التى فلحها أباؤهم .

ومن اكثر الناس معرفة بهذه الأرض وحبا لها كمال عبد الفتاح رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة بيرزيت شمال غربي القدس ، وهو يقوم فى هذه الجامعة بتدريس جغرافية فلسطين كما يقوم باستمرار بدراسات ميدانية فى الريف الفلسطينى ، وقد اصطحبنى فى يوم اجازته الى جولة فى الطرق الخلفية للضفة الغربية .

وقال لى كمال ونحن نخرج فى الفجر من المدينة المقدسة فى اتجاه طريق نابلس : ان القدس هى مفرق طرق فلسطين ، وفلسطين مفرق طرق العالم القديم فقد ظلت لمدة خمسة آلاف عام المعبر الرئيسى بين مصر ودمشق .

وفى شمال رام الله وصلنا الى بئر روماذى ثم اجتزناه وبدانا نصعد بالسيارة خلال هضبة من الحجر الجيرى ذات شرفات متعاقبة تنمو فيها أشجار الزيتون وتفترشها الآن ازهار الزعفران البرى ذات الرائحة النفاذة ، وهى اولى ازاهير الشتاء ، وكلما صعدنا الى اعلى تزداد السفوح برودة وتخلى اشجار الزيتون مكانهـــا لشجيرات التين ، ومررنا بقريتى كفر مالك وخربة أبو فلاح حيث تقوم بيوت ذات اسقف مدببة ، وشاهدنا الرجال يحملون الزيتون الى المعاصر المحلية الصغيرة ، وشممنا رائحة الخبز المخبوز فى الافران التى يتعالى منها الدخان امام البيوت . وبالقرب من تل العشور قادتنا طرقات الفولاذ على الصخر الى المحجر القريب حيث راينا رجال المحاجر وهم يقطعون الأحجار وسط سحابات من التراب الأبيض .

واخذنا قسطا من الراحة فى « أريحا » حيث جلسنا بين اشجار النخيل والموز ، وشربنا القهوة ، وذقنا فواكه المنطقة البرتقال والمانجو والافوكاته . اما أسوار أريحا التى اقتحمها يوما يوشع وجيوشه النافخة فى الأبواق فلم يبق منها شيء .

ومضينا قدما ، واشار كمال الى المستوطنات الاسرائيلية ، انها تبلغ حوالى ١٥٠ مستوطنة تحت الانشاء بعضها يبدو كمجرد مركز مراقبة عسكرى صغير ، وبعضها الآخر مثل « راموت » و « نيف ياكوف » مخططة بحيث تتسع لآلاف السكان .

وفيما وراء اريحا توقفنا فى قرية عربية صغيرة تسمى « العوجة » حيث شاهدنا الرجال يقطعون اشجار البرتقال الجافة ويحولونها الى اخشاب للوقود .

وشرح لى كمال الأمر قائلا : ان مستعمرة «يتياف» الاسرائيلية القريبة من هنا قد حفرت آبارا عميقة وهى الآن تسيطر على كل المياه الجوفية فى هذه المنطقة مما يؤدى الى موت الأشجار فلا تصلح إلا اخشابا للوقود ، والعرب هنا لا يمكنهم حفر الآبار لري اراضيهم بسبب التعليمات والنفقات الكبيرة .

واضاف : ان نصف اراضى الضفة الغربية تقريبا تحت سيطرة الاسرائيليين المباشرة بالرغم من ان عدد المستوطنين الاسرائيليين ٢٥ الف اى اقل من ٤٪ من السكان .

وفى هذا المكان ايضا تقوم جامعة بيرزيت التى يعمل بها كمال ، وهى احدى اربع جامعات عربية فى الضفة الغربية المحتلة ، وبؤرة للوطنية الفلسطينية ، وهى تتكون اساسا من المنزل الضخم لأسرة ناصر المسيحية التى انشات الجامعة وضمت اليها فيما بعد عدة

بيوت اخرى مجاورة يحوطها سور حجري .
وقد قام الجنود الاسرائيليون بدعوى مقاومة النشاط الارهابي بايقاف الدراسة في الجامعة ثلاث مرات خلال عام واحد . وقال لي البرت اغازاريان مساعد رئيس جامعة بيرزيت : لقد ضربوا الطلاب وحطموا الفصول اننا تحت ضغط هائل ، ولكننا بالرغم من المضايقات نقوم ببناء حرم جامعي حديث بالقرب من هنا ، وتبلغ نسبة الطالبات لدينا ٤٠٪ من عدد الطلبة المسجلين بالجامعة والذى يصل الى ٢٤٠٠ طالب بعضهم فى « مدارس الخريجين » .

وفى بيرزيت يطلقون اسم « مدارس الخريجين » على السجون الاسرائيلية .

وقد طفت خلال اقليم بيت لحم بسيارة يرافقنى فيها خبير زراعي ان هذا الخبير وزملاءه يقدمون للاهالى الارشارات الفنية الخاصة بالرى وانشاء الطرق وبناء الصهاريج وعمل تعريشات العنب كمساعدة للمزارع الصغير . وفى مكان ليس بالبعيد عن مسقط راس المسيح انحرفنا عن الطريق الرئيسى الى حيث زرنا اخوان الحمامرة الاربعة وهم يقومون تحت اشراف المرشد باقامة الصهاريج واعداد الارض للزراعة ، وتساعد فى العمل نساء العائلات حيث يحملن المونة الطرية الى السفوح . وقال لى احد هؤلاء الاخوة جابر الحمامرة ان هذا السفح ظل سنوات لا يصلح لغير رعي الاغنام ، اما الآن فاننا نامل ان نزرع هنا العنب والزيتون واللوز .

واصلاح الارض على هذا النحو لا يعنى بالنسبة للحمامرة وامثالهم ربحا اكثر فحسب وانما هو ايضا ضمانة اكبر ، لان الارض التى يوجد فيها نشاط وعمل من الصعب مصادرتها ، وقد اغلقت اسرائيل حتى الآن اربع مناطق رعي من اقليم بيت لحم بدعوى « الاستخدام العسكرى المشروع » .

مع بسام الشكعة

في اليوم التالي بينما كنت اقطع شوارع نابلس بسيارة « فورد » استاجرتها خصيصا في طريقي الى بيت بسام الشكعة القى التلاميذ العرب الطوب على سيارتي ظنا منهم انني عدو لان السيارة تحمل لوحة ارقام صفراء في حين ان السيارات العربية تحمل لوحة زرقاء .

ومدينة نابلس هي اكبر مدن الضفة الغربية المحتلة ويسكنها حوالي ١٠٠ الف نسمة وتقع بالقرب من القدس ، وهي مركز مقاومة عنيدة ، وقد ترك الاحتلال الاسرائيلى اثاره على نابلس وسكانها وخاصة على عمدتها بسام الشكعة ، فقد امرت السلطات الاسرائيلية بنفي عمد الضفة الغربية لرفضهم التعاون مع الاحتلال ولكن الشكعة رفض أن يرحل ، وفي عام ١٩٨٠ انفجرت فى سيارة الشكعة قنبلة زرعها ارهابيون اسرائيليون فبترت ساقيه الاثنتين ، وقد التقيت به فى منزله حيث يقيم تحت الاعتقال المنزلي .

قال لى بسام الشكعة : ان السلطات طردتني من مكتبى بدعوى انني عميل لمنظمة التحرير الفلسطينية ولما لم يقبل أى عربى منصب العمودية عينوا السيد شلومو كوهين ليدير هذه المدينة العربية ثم استبدلوا به ضابطا متقاعداً فى الجيش الاسرائيلى . ولكنني لا ازال العمدة الشرعى للمدينة .

وبعض العرب مضطرون للتعاون مع الخطط الاسرائيلية ، فالفلاحون وسكان القرى عليهم أن يذهبوا الى مكاتب روابط القرى التى اقامتها اسرائيل من اجل الحصول ، مثلا ، على مد خط كهربائى ، او تصريح بالبناء ، او اذن بالسفر . ولكن روابط القرى تلقى احتقاراً عريضا ، ووصف الشكعة القائمين بها بانهم « خونة ومتعاونون مع الاحتلال » .

وفى طريق عودتى من الخليل مررت بالمسجد الرمادى المقام فوق قبر ابى الانبياء ابراهيم . وهذا الموقع المقدس من بؤر المواجهة المتكررة بين الجانبين يرمز الى الصراع من اجل التعايش وسط المرارة لان جزءا منه يستخدم كمعبد يهودي .

إذا وقفت فوق جبل الى الشمال الغربى من عمان يمكنك ان ترى بانوراما جميلة للضفة الغربية بتلالها الصفراء ، ومدنها البيضاء ، ووديانها الخضراء . واذا كان اليوم صافيا يستطيع بصرك ان يمتد عبر البحر الميت ليشمل كل وادى الاردن حتى الجليل الادنى .

وفى طريق عودتى الى عمان قال لى صديق اردنى يرافقنى فى السيارة : « ليس هناك ما يدعو للدهشة فى ان الله ارسل الكثيرين من انبيائه الى هذه الارض المقدسة .. فلا يوجد مكان على الارض يحتاجهم اكثر مما يحتاجهم هذا المكان » .

ترجمة : محمد العزب موسى

(عن مجلة ناشيونال جيوجرافيك عدد فبراير ١٩٨٤



سيدة فلسطينية تحتضن علما فلسطينيا منسوجا بيدها ، لتعبر به عن حبها للوطن

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

غضبة مسلم

لقد فرغت للتو من قراءة موضوع « وثيقة صهيونية خطيرة » الذى كتبه الاستاذ عصام شريح فى العدد رقم « ١٠٠ » من مجلة الدوحة ، ثم تساءلت بحزن ومرارة ، لماذا لا يضع المسلمون برنامج عمل متكامل فى منهجيته ، وخطواته العملية التطبيقية كما وضعت الصهيونية برنامجها ؟!

لماذا لايغار المسلمون على مقدساتهم واراضيهم المسلوبة كما يغار الصهاينة على ما لديهم بل ويطمعون فى التهام المزيد من مقدرات المسلمين ؟! لماذا لا يقوم مفكر اسلامى حصيف برسم خطة شاملة لتحرير القدس ، كما قام هذا الصهيوني المتعصب « يسرائيل كينغ » بوضع وثيقته التى ترمي الى تهويد منطقة الجليل العربية ؟

لماذا لا يجتمع مفكرو هذه الامة ومثقفوها لوضع برنامج للجهاد المقدس وتحريض المسلمين على القتال من اجل استعادة الاقصى الشريف ؟ !

ان من الواضح فى هذه الوثيقة ان الارهابى « يسرائيل كينغ » ينضح كل كيانه بالحقد والتعصب ضد المسلمين والعرب ـ وهذا ايضا هو حال كل القادة الصهاينة ـ فلماذا لا يكون مقابل كل هذه الاحقاد والضغائن انتفاضة اسلامية عارمة ترد للمسلمين عزتهم وامجادهم السالفة ؟! ان فى العالم الاسلامى اليوم اكثر من الف مليون مسلم ، فاين هم ؟ واين حميتهم ، وغيرتهم على أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ؟! لقد نجح اليهود ـ للاسف العميق ـ فى سرقة اراضينا ومقدساتنا ، ونجحوا ايضا فى زرع الاتكالية فى نفوسنا ، وحاولوا ان يفسدوا اخلاق المسلمين ـ فزينوا لهم ـ عن طريق وسائل الاعلام الهابطة ـ حياة الدعة والاستكانة والترف والعبث ، وذلك تنفيذا لمخططاتهم التى احتوتها « بروتوكولات حكماء صهيون » !

وبعد .. فهل من يقظة اسلامية ، وانتفاضة عربية تعيد الى المسلمين عزتهم وكرامتهم ، وتعيد المسجد الاقصى المبارك الى حظيرة الاسلام ، والذى بات مهددا بالهدم والزوال ليقيم الصهاينة هيكل سليمان المزعوم على انقاضه ؟

اجيبوني يرعاكم الله .

محمد صديق عبد الله ـ السعودية

توضيح حول مقال

أثناء مطالعتي لمجلة الدوحة العدد ١٠٠ الصادر فى ابريل ١٩٨٤ . وجدت موضوعا بعنوان (تاريخ اطباء العيون العرب) للسيد عبد اللطيف الارناؤوط .

ولقد دهشت . عندما اتممت قراءته . لانني وجدت قسما منه منقولا من مقال (عيون الانباء فى طبقات الاطباء) المنشور فى مجلة الهلال الاحمر العدد ٤٢ صفحة ١٢١ للدكتور احمد السعدي . والغريب ان المقاطع التى وردت فى موضوع السيد الارناؤوط عن ابن ابي اصيبعة وابن ماسويه . ماخوذة حرفيا من مقال الدكتور السعدي . مع بعض التغيير في العناوين فقط .

ومن منطلق .. لفت النظر إلى هذه المطبات الثقافية ، ارسلت هذا الايضاح ، لان مجلة الدوحة . اصبحت بكل اعتزاز مجلة الجماهير العربية المثقفة

الدكتور محمد اديب النحاس
حلب ـ سوريا

الشوفينية والسادية

تصادفني اثناء قراءاتي المتعددة بعض الالفاظ التي لم اتعلمها على مقاعد الدراسة ، فهل لكم ان تفيدوني عن معنى كلمتي الشوفينية والسادية بوجه خاص؟

مقرن عبد الله السلطان
الدمام ـ السعودية

ـ تطلق كلمة « الشوفينية » على كل انسان يتعصب لامر من الامور تعصبا اعمى ، وقد اشتق هذا المصطلح من اسم ضابط فرنسي يدعى « نيكولاس شوفين » وكان يعمل تحت قيادة نابليون بونابرت ، وبرغم ان هذا الضابط جرح سبع عشرة مرة خلال فترة عمله بالجيش الفرنسي تحت القيادة النابليونية الا انه بقي طوال حياته يدافع دفاعا حماسيا اعمى عن قائده . ومن اسم «شوفين» اشتقت «الشوفينية» فاصبحت مصطلحا معروفا يطلق على كل متعصب تعصبا اعمى .



اما بالنسبة لكلمة « السادية » فهى ايضا مشتقة من اسم ارستقراطي فرنسي يدعى « المركيز دى ساد » . وقد توفى عام ١٨١٥ م بعد ان قضى عدة سنوات فى السجن الفرنسى بعد ادانته بارتكاب عدة جرائم اخلاقية ، كتب اثناءها عدة روايات ضمنها بعض مشاهد التعذيب اللااخلاقية . ومن هنا اشتقت « السادية » من اسمه «دى ساد» ، وهى نظرية معروفة فى علم النفس وتعني « استجلاب اللذة عن طريق تعذيب الآخرين » .

كتب وصلتنا

● الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الامريكى ١٩٤٣ ـ ١٩٤٥ م .
المؤلف : د . عاصم الدسوقي ـ استاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة قطر .
الناشر : مطبوعات دارة الملك عبد العزيز / الرياض .

● المعلم علي
المؤلف : عبد الكريم غلاب
الناشر : شركة الطبع والنشر ـ الدار البيضاء

● من قضايا القران
المؤلف : د . اسماعيل احمد الطحان
الناشر : المكتبة العربية ـ الدوحة .

● الحصار : يوميات بيروت ٨٢
المؤلف : علي حسين خلف .
الناشر : دار ابن رشد للنشر والتوزيع ـ عمان .

● الاموال فى دولة الخلافة .
المؤلف : عبد القديم زلوم
الناشر : دار العلم للملايين ـ بيروت .

دعــــوة لأهــــل الخيــر

رئيس تحرير مجلة الدوحة / قطر
سلام الله تعالى عليكم وبعد :
اننا ندعو قراءكم الكرام دعوة خالصة لوجه الله تعالى لأن يسهموا فى انشاء صرح للاسلام فى ارض مصر الحبيبة ، وهو عبارة عن مجمع اسلامى خيري بدانا فعلا فى تاسيسه وهو يشمل داراً لتحفيظ القران الكريم – دار حضانة ، دار مناسبات ، ناديا اجتماعيا للشباب المسلم – عيادة ، ثم مسجداً كبيراً .

وحيث ان هذا المشروع الكبير سيحتاج الى مال كثير راينا ان ندعو كافة القادرين والمحسنين من قراء مجلة الدوحة للمساهمة الخيرة فى بنائه . قال تعـــالى :

« وان تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم » .

ندعو الله سبحانه وتعالى ان يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه ، ونضرع اليه عز وجل ان ينصر الاسلام والمسلمين ، ويعلي كلمة الحق والدين .

ملاحظة : عنواننا : جمهورية مصر العربية – محافظة الشرقية ، مركز ههيا – قرية السلامون – جمعية تنمية المجتمع ، هذا ورقم حساب الجمعية هو : بنك مصر – فرع ابو كبير رقم ٢٧٥ .

محمد السلاموني
رئيس مجلس إدارة جمعية تنمية المجتمع بالسلامون

ردود قصـــــيرة

● الاخ وائل سعد شحاته – بورسعيد .
– نشكرك على اطرائك ، وندعو الله ان يوفقنا لخدمة قرائنا الاعزاء .

● الاخ بوطيب جمال – المغرب .
– نرحب بعطائك الادبي ، وسننشر الصالح منه .

● الاخ مرعي حسن المنشاوي .
– ناسف لعدم مقدرتنا على تلبية طلبك .

● الاخ مازن علي الرواف – عمان .
– لقد توفى المرحوم فريد الأطرش ببيروت يوم ٢٦ من ديسمبر عام ١٩٧٤ م ، وتوفيت المرحومة ام كلثوم فى اليوم الثالث من فبراير عام ١٩٧٥ م . وتوفي المرحـــوم عبد الحليم حافظ فى لندن بتاريخ ٣٠ – ٣ – ١٩٧٧ م .

● الاخ احمد . ش . ن : القليوبية – مصر .
ناسف لعدم استطاعتنا تنفيذ طلبك ، لأن الموضوع ليس من اختصاصنا . الله معك .

● الأخ احمـــد يوســـف الشعراوي القاهرة .
– المادة الجيدة تفرض نفسها ، وتجد طريقها الى النشر ، وان كان هناك تاخير فمرده الى كثرة المواد التى تتلقاها المجلة من كرام قرائها

● الاخ علي محمد الجمال – كفر الزيات .
– يمكنك مراسلة مجلة الفكر باسم السيد الوكيل المساعد لشؤون الثقافة والصحافة والرقابة – وزارة الاعلام – الكويت – ص .ب ١٩٣ .

● الاخوان محمد محمد سليم – مصر ، مصطفى محمد رفعت مصر .
اقتراحكما قيد الدرس ، وشكراً لكما .

● الاخ عبد المنعم الخفاجة – ليبيا
– نحن معك فيما اشرت اليه ،

● الاخت فاتن عزيز السقا – الكويت .
– الانتربول هى الهيئة الدولية للشرطة الجنائية .

● الاخت دمانة علي – الجزائر
مرحبا بك صديقة للمجلة .

رســـائــل إلى فـــدوى طوقـــان



تلقينا عدداً من الرسائل الرقيقة بعث بها بعض كرام القراء ، وكلها تتضمن تحايا عذبة صادقة الى الشاعرة العربية الكبيرة فدوى طوقان ، واعجابا باسلوبها الساحر الذى كتبت به مذكراتها فى مجلة الدوحة على مدى سبعة اشهر كاملة .

وقد ارسل البعض قصائد مديح كتعبير عن مشاعرهم ، وطالب البعض بان نرسل لهم المذكرات كاملة ، بينما طلب احدهم ان نرسل له صورة شخصية لها ، واخر طلب ان نرسل له مجموعاتهـــا الشعرية كاملة !

ولعل ابلغ تلك الرسائل هى التى تلقيناها من الاخت القارئة نجاة حسن المجدي من عطبرة بالسودان الشقيق ، والتى تتمنى على الشاعرة الكبيرة أن تختص « الدوحة » باحدث قصائدها ، وتثني على صمود الشاعرة وبقائها مغروسة كالطود الأشم على صدر اعدائها فى مهجة وطنها الفلسطيني المحتل .

والرسائل التى وصلتنا ممهورة باسماء الأخوة : اسامه السر حبيب الله من السودان ، محمد حسين منصور من مصر ، علي ابراهيم المنياوي من مصر ، أسعد رزق نصر من سوريا ، هيا احمد منصور من الأردن ، وئام خليل احمد من السعودية . احمد محمد مراد الخولي من مصر .

تحيـــة لكـــاتب

تحية للأستاذ مصـــطفى عبد الرحمن على ما قدمه لنا من عرض مبسط وسلس لأعمال بعض شعراء الأدب الانجليزى والذى نشر فى عدد ابريل الماضي من مجلة الدوحة .

حقا لقد إمتعنا الكاتب بتقديم اجمل ما كُتب بايدى شعراء الطبيعة فى الأدب الانجليزى فنقل لنا وببراعة الفنان بعض اشعارهم التى توقظ القلب وتنبه الفكر وتسمو بالروح الى آفاق الخيال الواسعة ، جعلنا نعيش بوجداننا وخيالنا مع الكلمات الخالدة لشعراء خالدين . فتحية للكاتب الأستاذ مصطفى عبد الرحمن والى مزيد من الموضوعات الادبية .

جمال مصطفى ابراهيم
كلية آداب قنا

مبارك بن سيف آل ثاني

لقد استمتعت بالمقابلة الهامة التى اجراها الأستاذ يوسف الحرمى مع الشاعر القطرى الكبير مبارك بن سيف آل ثاني : فى العدد «٩٩» من الدوحة والذى صدر فى شهر مارس من عام ١٩٨٤ م . ولقد اعجبت بمعالجته الموضوعية للقصيدة النثرية التى اعتبرها « اكذوبة ادبية يرفضها الذوق السليم » ، وكذلك نقده لبعض النقاد الذين « يحملون اسم النقاد دون ان يستحقوا هذه التسمية » . وقد كنا نامل من السيد الحرمي أن يضمن لقاءه مختارات من أشعار الأستاذ مبارك ، والذى نامل ان نقرأ له قريباً على صفحات الدوحة

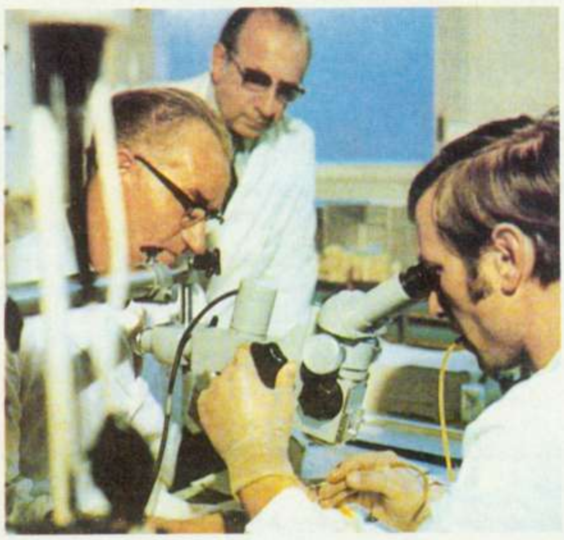
الفاتح بشير – الخرطـــوم

غـدًا في معـامل الأطبـّـاء :

تحليل "الدمع" بعد تحليل "الدم"

● لاخوف على الذين يعرفون الدموع ، أمّا الذين لا يبكون فهم مهددون بقرحة في المعدة !!

بقلم : د. نبيل سليم



هكذا يعكف العلماء على تحليل الدموع داخل معاملهم



أثناء معالجة الدموع كيمائيا للتعرف على خواصها

بداية .. ماذا عن الدموع ؟ .

إن الانسان العادى يفرز ، بمعدل ثابت حوالى نصف لتر من الدموع فى العام ، أى بمقدار ١,٥ سم مكعب فى اليوم .. إن نقطة من الدموع تنساب من العين يوميا ، وبطريقة آلية ، ضرورية جداً لنظافة و « تشحيم » العين .. وإن اختلاج الجفون الذى يحدث مابين عشر مرات إلى خمس عشرة مرة فى الدقيقة ، يعمل على توزيع الدمعة بالتساوى على قرنية عين الانسان الطبيعى !!

ولكن من هو الانسان الطبيعى ؟ !

هو الذى يبكى حينما يشعر بذلك ولا يحبس دموعه !

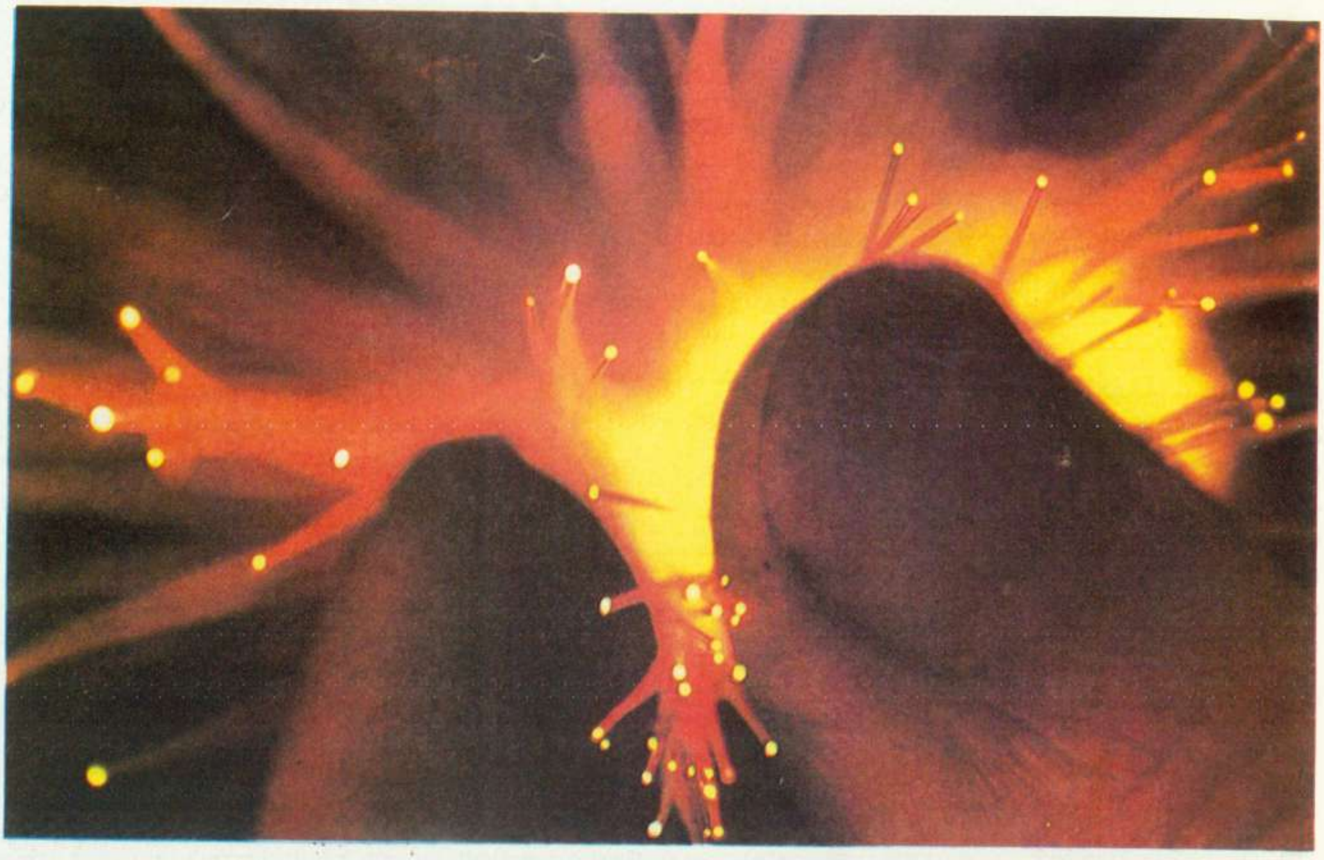
ومن المؤكد ان الدموع لم تعد توزع كما يجب منذ ان اصيب الانسان بحالة مرضية سميت « مرض التمسلح » .. وهو البكاء بغزارة كلما جرى المضغ !

كذلك يعود السبب ايضا الى العادات المتبعة لدى معظم شعوب العالم حيث يعتبر بكاء الرجل ضعفا ، وبكاء المراة واجبا ، واصبح ذرف دموعها موهبة تتمتع بها كلما اقتضى الحال ذلك !

البكاء علاج مفيد

ونحن نجد فى الطبيعة البشرية كل انواع البلل الذى تسببه الدموع ، فهناك الدموع الصحية ، وهى دموع إجبارية وثابتة فى نوعيتها وكميتها ، كما انها تخرج بسرعة عن طريق الانف .. وليس هناك ادنى خوف من هذه الدموع التى تذرفها العين بغزارة .. وإنما الخوف ـ كل الخوف ـ من العين « الجافة » وهى تلك التى لا تذرف الدمع او تلك التى دربت على عدم البكاء ، وتخاف من الوقوع فريسة له .. وعوضا عن ذلك تقع فيما هو اسوا وهو الاصابة بقرحة معدية

ولهذا السبب نجد ان نسبة الرجال الذين يصابون بهذا المرض ، بل وبالعديد من الامراض ، يفوق نسبة النساء اللائى يصبن به .. ومن هنا يجيء التساؤل عما



الألياف البصرية بين اصبعى السبابة .. لقد اصبحت تستخدم فى اجهزة التشخيص الطبية للعين ودموعها !





محلل ذاتى لتحليل مركبات الدمعة .. ثم لقطة مكبرة للدمعة كما تبدو وتحت الميكرسكوب العادى

إذا كانت هناك علاقة بين عدم ذرف الدموع والاصابة بالمرض ؟ .

ويجيب على هذا التساؤل العالم الامريكى الدكتور « وليم فراى » الذى يعمل فى المركز الطبى بولاية مينسوتا قائلا :

« بدون شك !! فالدموع تعمل على اخراج المواد السامة التى تولدها بعض حالات الانفعال ، لذا فان حبس الدموع يعرض الانســان للاصابة بالتســمم البطىء ! » .

ومنذ زمن بعيد عكف العلماء على دراسة الدموع ، وكان العالم الشــهير « جاليان » اول من وصف الغدد الدمعية Lacrimal Glands ، ولقد اصبح من المعروف حاليا ، بالاضافة الى الغدد الدمعية ، عشرات من الغدد الأخرى ، بما فى ذلك الغدد الجنسية وهى ترتبط ايضا بافراز الدموع !

إن إفراز الدموع - هو فى الواقع - عملية معقدة ، فمثلا عند تقشير البصل او تقطيعه او خرطه ، وفى حالات الحزن او الضحك او الضيق ، او إذا دخل العين جسم غريب كالتراب ، فى كل هذه الحالات وغيرها ، يختلف تركيب الدموع من حالة الى اخرى . والمعروف أن الرضيع لا يذرف دمعا قبل اربعة اشهر من مولده .. كما ان المصاب بالسكر يذرف دمعا مسكرا !

وللمعلوماتك فالدموع مائلة بدرجة معينة الى الملوحة ، ولكن اذا ما كثرت الأملاح فى الجسم نجد ان نسبة الملوحة فى الدموع ترتفع ايضا ، وقد لوحظ ان الهرمونات الجنسية لها دور فى نوعية الدموع ، وكذلك تتوقف هذه النوعية على السبب ، وهل هو نفسى او انعكاسى .. ومن الشائع اليوم ان نطلب نحن الأطباء من مرضانا اجراء التحاليل العديدة على : الدم والبول ومختلف السوائل الفسيولوجية ، واظن الى حد بعيد اننا سوف نطلب منهم قريبا أيضا تحليل دموعهم .

وما دام ان هناك ثمة انواعا مختلفة من الدموع ، فلماذا لا يستفاد منها فى تشخيص الأمراض ؟

إن دموعك تحتوى على صوديوم ، وبوتاسيوم ، وانزيمات، واحماض امينية ، وزيت ، ومواد مخاطية مختلفة ، ونسب مكونات هذا الخليط فى الدموع تختلف إلى مالا نهاية !! .

والدموع التى تذرف إثر حزن تحتوى على بروتين بكمية اكبر منها فى الدموع التى يحدثها « تقشير » البصل .. كما ان بحوثا اخرى تجرى فى هذا المجال وتتركز على إحداث الدموع لدوافع غير الانفعالية والفسيولوجية وفحصها .. وبفضل التقدم المذهل الذى تحقق بتحليل الكيمياء الدقيقة يعتزم الدكتور « وليم فراى » وضع قائمة كاملة بمختلف تحليلات الدموع ، وبفضلها سيتمكن الطبيب من قراءة ما تحتويه الدموع كما لو كان ينظر فى « كرة البلور » فيرى فيها ما يشكو منه المريض وهل هو مرض نفسى أو عضوى ؟ .

ولاشك ان قيمة هذا البحث بالغة الأهمية من حيث ما قد يؤدى اليه من نتائج هامة فى مجال الوقاية قبل التشخيص والعلاج .

ومن ناحية اخرى فقد ثبت ان الدموع لها تاثير مباشر على جحوظ العين ، حيث ان التهاب الغدة الدمعية يكون احد الأسباب الرئيسية للجحوظ ، إذ ان هـــذا الالتهاب ينتقل سريعا الى العضلات والنسيج الدهنى، وبالتالى الى معظم الأنسجة ، وهو إن كان فى معظم الاحيان يصيب كبار السن إلا ان إصابات الاطفال به ايضا ممكنة !

أسباب الاصابة

ولكن ما هو الجحوظ ؟

الجحوظ هو بروز مقلة العين خـــارج « الحجاج » وهو عبارة عن تجويف مخروطى قاعدته إلى الامام وقمته إلى الخلف وجدرانه مكونة من صفائح من العظم تتخللها فتحات وشقوق تسمح للأعصاب والاوعية الدموية التى تغذى العين بالمرور خلالها . ويحتوى الحجاج بالاضافة الى العين على الكثير من الاوعية الدموية والاعصاب والعضلات والانسجة الدهنية التى تحيط بالعين . ويتناسب نمو تجويف « الحجاج » مع نمو كرة العين ويتوقف ببلوغ العين حجمها النهائى . ومن ناحية اخرى نجد انه إذا ازيلت العين من « الحجاج » خلال سنوات الطفولة تتوقف الزيادة فى حجم حجاج هذه العين ، ويصير اصغر حجما من حجاج الناحية الاخرى مما يؤدى إلى عدم تناسق شكل الوجه . وكنتيجة لهذا التناسب فى نمو حجم كرة العين وحجم تجويف الحجاج تظل العين محتفظة بوضعها داخل الحجاج بحيث ان القرنية لا تبرز خارج الخط الذى يصـــل حواف الحجـــاج العلوية والسفلية وتبرز خارج الخط الذى يصل الحافة الداخلية بالخارجية بمقدار لا يزيد عن ١٦ مم ، واما فى حالة الجحوظ فان القرنية تكون موجودة خارج هذه الحدود .

والعوامل الأساسية التى تؤدى الى الجحوظ إما ان تكون نتيجة لصغر حجم تجويف الحجاج او نتيجة لزيادة فى حجم احـــد الأنسجة الموجودة بداخل هـــذا التجويف او فى جدرانه العظمية . وترجع هذه العوامل إلى اسباب خلقية او التهابات - اورام - إصابات او اختلال فى وظائف الغدة الدرقية او وظائف التمثيل الغذائى فى الجسم .

وتنتقل هذه الأسباب عن طريق الجينات (الكروموزومات) الوراثية وتؤدى إلى ان يكون حجم الحجاج اصغر من الحجم الطبيعى ، وعادة ما تكون مصاحبة بتغير فى شكل الراس والفم او غيرها من العيوب الخلقية فى منطقة الراس او فى باقى الجسم . فى هذه الحالات يظهر الجحوظ منذ الطفولة المبكرة وعادة يكون فى كلتــا العينين .

وهناك بعض العيوب الخلقية التى تؤدى الى اتصال مباشر بين الشرايين والأوردة التى تغذى العين ، وهذا يجعل الدم الشريانى - ذا الضغط العالى .. يندفع ليملأ الأوردة ويزيد من حجمها عدة مرات .

الالتهـــابات

إذا حدث التهاب فى اى نسيج من انسجة الجسم يحدث رد فعـل مضاد لهذا الالتهاب وياخذ صورة تمدد الاوعية الدموية التى تغذى هذا النسيج وزيادة الرشح من خلال جدران هذه الأوعية مما يسمح لخلايا الدم البيضاء بالتجمع بكثرة فى مكان هذا الالتهاب لمقاومته والقضاء عليه . وكنتيجة لهذه العوامل نجد ان حجم هذا النسيج يزيد عدة مرات عنـــد إصابته بالالتهاب .. كما أن جميع الأنسجة الموجودة داخل تجويف الحجاج - من عضلات ودهن واوعية دموية - وتلك التى تشكل جدرانه - من عظام وغضاريف - معرضة للاصابة بالالتهابات التى تؤدى لزيادة حجمها ، وبالتالى تدفع العين إلى الأمام مسببة جحوظها ، وهناك بعض الديدان الطفيلية التى يمكنها ان تســتقر داخل انسجة الحجاج فيؤدى رد فعل الجسم الى تكون كتلة من الخلايا حول هذه الديدان ، أو تقوم هذه الطفيليات بتكوين كيس يحتوى على يرقاتها وياخذ هذا الكيس فى النمو داخل تجويف الحجاج مؤديا الى جحوظ العين .

الأورام

تصاب انسجة الحجاج بمختلف الاورام من خبيثة وحميدة ، كما يمكن للأورام التى تنمو فى المناطق المحيطة بالحجاج ان تغزوه من خلال الفتحات الموجودة فى جدرانه او بعد تدمير هذه الجدران والامتداد المباشر داخل الحجاج . والاورام التى يمكنها أن تصل الى الحجاج بالطريق المباشر هى تلك التى تنشا فى منطقة الحلق والجيوب الأنفية ، أما الأورام الخبيثة التى تنمو فى المناطق البعيدة من الجسم فتبعث بعض الخلايا السرطانية عن طريق الدم وتنتشر فى مختلف انحاء الجسم بما فيها الحجاج . وقد يكون منشا هذه الخلايا السرطانية هو ورم خبيث فى احد الاعضاء مثل الثدى او الرئة حيث يمكن تشخيص المرض بالكشف الاكلينيكى او بالاشعة، وقد يكون المنشا هو نخاع العظام حيث تتكون خلايا الدم ، ويمكن تشخيص هذه الحالات بفحص الدم او اخذ عينات من نخاع العظام للفحص .

الاصابات

يمكن للبطحات التى تصيب الراس ان تؤدى إلى نزيف داخل الحجاج او كسر عظام الحجاج وصغر حجم تجويفه او تمدد فى جدران الأوعية الدموية او حدوث قنوات اتصال مباشر بين الشرايين والأوردة وكلها من اسباب الجحوظ ، اما فى حالات الاصابة بالاجسام الغريبة نجد ان الأنسجة تحاول التخلص من هذا الجسم الغريب عن طريق احاطته بعدد كبير من الخلايا المدمرة مكونة كتلة من النسيج الخلوى التى تؤدى الى جحوظ العين .

وهناك اسباب اخرى منها امراض العظام المصحوبة بزيادة فى سمك جدران الحجاج ، واوديما الانسجة التى تؤدى الى تجمع كميات كبيرة من السوائل داخل هذه الانسجة واختلال التمثيل الغذائى للدهون فى الجسم مما يؤدى الى تجمع هذه الدهون داخل خلايا الانسجة التى يزيد حجمها .

أنواع الجحوظ

يقسم الجحوظ إلى اقسام اكلينيكية كالآتى :

١ - جحوظ حاد .. ينشا كنتيجة لأسباب سريعة التاثير مثل الالتهابات - النزيف - الأوديما - الكسور .

٢ - جحوظ بطيء .. ويتسبب عن اسباب بطيئة النمو مثل الأورام والاكياس .

٣ - جحوظ متردد : والسبب فى هذا النوع من الجحوظ هو وجود تمددات فى الأوردة وهذه التمددات لا تمتلىء بالدم وتسبب الجحوظ إلا بعد القيام ببعض الحركات الخاصة مثل خفض الراس أسفل مستوى الجسم او ثني الرقبة ، بينما يختفى الجحوظ فى الأوضاع العادية .

٤ - جحوظ نابضة : يعنى هذا أن العين تتحرك إلى الامام والخلف فى تردد مماثل لضربات القلب او نبضات المخ ، ويلاحظ هذا التردد فى حالات الجحوظ الناشئة عن تمددات فى الشرايين أو وجود اتصالات بين الشرايين والأوردة حيث يتغير حجم هذه التمددات مع نبض القلب فيزيد الحجم مع انقباض البطين ويقل مع ارتخائه وينعكس تغير حجم هذه التمددات على الجحوظ الذى يصبح نابضا . وفى حالة وجود امتداد كيس من اغشية المخ داخل الحجاج فان الجحوظ فى هذه الحالة يكون نبضه مماثلا لنبض السائل النخاعى الذى يملا هذا الكيس .

٥ - الجحوظ المنكمش : فى بعض انواع الجحوظ يمكن على العين أن تعود الى وضعها داخل الحجاج وذلك فى حالة ما اذا كان سبب الجحوظ كيسا فى اغشية المخ او تمدد فى الأوعية الدموية . اما إذا كان السبب هو ورم أو التهابات خلف العين فلا يمكن للجحوظ أن يكون منكمشا .

أهم الأخطار

والاخطار الناشئة عن الجحوظ تتلخص فى :

● يقوم الجفن اثناء حركة فتح وغلق الجفون بتوزيع السائل الدمعى فى صورة طبقة رفيعة من السائل على سطح القرنية لترطيبها . اما فى حالة النوم فان القرنية تحفظ رطبة خلف الجفون المعلقة التى تمنع تبخر السائل الدمعى المغطى للعين . وفى حالة توقف حركة الجفن او فى حالة ما إذا كانت هذه الحركة غير كافية لكى تنتشر طبقة الدموع على جميع سطح القرنية ؛ او اذا فشلت الجفون فى تغطية كافة هذا السطح اثناء النوم ، فان جفاف القرنية يحدث ، ويؤدى الى تشققها ثم غزوها بالجراثيم وتعتمها او امتداد هذه العدوى الجرثومية لداخل العين ، وحيث ان الجحوظ يؤدى الى بروز القرنية خارج حدود الحجاج لذلك نجد ان القرنية تصبح بعيدة عن حافة الجفون والتى تصبح غير قادرة على تغطية القرنية مما يؤدى الى جفافها .

● الضغط على الأعصاب والأوعية الدموية داخل الحجاج ، حيث يؤدى الضغط على العصب البصرى الى ضمور هذا العصب وفقد الابصار . كما يؤدى الضغط على الأعصاب الأخرى الى شلل عضلات العين أو فقد احساس القرنية مع ما يستتبعه من تقرحات وعتامات فى القرنية . اما الضغط على الشرايين فينتج عنه انيميا وموت انسجة العين وخاصة الشبكية ، ويؤدى الضغط على الأوردة الى زيادة انفجار هذه الأوردة وحدوث انزفة داخل العين .

● الضغط على كرة العين ، حيث ينبعج سطح كرة العين الى الداخل فيؤدى ذلك إلى زيادة الضغط داخل العين وهذا الضغط العالى يؤثر على الشرايين والأعصاب بالشبكية التى تضمر ويفقد المريض إبصاره او يؤدى هذا الانبعاج الى عدم انتظام فى شكل الشبكية التى تتكون عليها صورة الأجسام المرئية مما يجعل الرؤية تبدو غير منتظمة .

ولكن كيف يمكن معرفة المكان المصاب داخل الجسم ؟ .

هناك عدة طرق بعضها يعتمد على الحس الاكلينيكى والبعض الآخر يحتاج الى اجهزة خاصة مثل :

● اتجاه الجحوظ على الجزء المصاب ، فمثلا أورام العصب البصرى تسبب جحوظا فى الاتجاه الامامى بينما أورام الغدة الدمعية (وهى موجودة فى الجزء العلوى الخارجى من الحجاج) تدفع العين إلى أسفل وإلى الداخل ، بينما الأورام الناشئة من الجيب الأفقى الموجود فى عظام الوجنة تدفع العين الى أعلى .

● اشعة اكس .

● اشعة اكس المصحوبة بحقن صبغات او هواء داخل الحجاج .

● اشعة اكس مع حقن صبغات فى الشرايين او الاوردة .

● الموجات فوق الصوتية .. وتتميز هذه الوسيلة من وسائل البحث على اشعة اكس بقدرتها على اعطاء صورة لمختلف الأنسجة التى تمر خلالها سواء كانت عظمية او نسيجيه طرية ، بينما اشعة اكس تعطى صورة للعظام فقط . كذلك يمكن لهذه الوسيلة التفريق بين الكتل المصمته والاكياس المجوفة والتفرقة بين المكونات الصلبة والسائلة ، وكذلك بين المكونات المتجانسة وغير المتجانسة .

● اشعة اكس المحولة بالحاسب الاليكترونى ، اى يكون استقبال الأشعة على بلورات من مادة حساسة وليس على فيلم فوتوغرافى حيث تقوم هذه البلورات بارسال نبضات كهربائية تتناسب مع كمية الاشعاع التى تصلها او التى تعتمد على مكونات الأنسجة التى مرت الأشعة خلالها الى مضخم لتضخيم قوة هذه النبضات ثم الى العقل الاليكترونى الذى يحولها الى صورة تليفزيونية تختلف اضاءة اجزائها حسب كمية الاشعاع التى وصلت الى الكمبيوتر من هذه الأجزاء .

● الكاميرات الحرارية .. وتستقبل هذه الكاميرات الأشعة تحت الحمراء التى تزداد كميتها فى حالة زيادة سريان الدم فى المكان ، لذلك نجد ان الاورام الخبيثة تظهر أوضح من الاورام الحميدة بهذه الوسيلة من وسائل التصوير .

● التصوير باستعمال النظائر المشعة .. وفيه تستعمل آلات تصوير حساسة لأشعة جاما لتصوير الحجاج بعد حقن النظائر المشعة فى الدم ، إذ تتجمع هذه النظائر فى الأماكن التى يوجد بها نشاط انقسامى للخلايا مثل الاورام السرطانية فتبدو هذه المناطق أوضح من مناطق الانقسام الخلوى الطبيعى .

وهكذا .. فالعلم يتقدم .. والبحث العلمى يستمر كى يبهرنا بالجديد دائما فى اتجاه مواجهة الأمراض ، واصبح تحليل الدموع إضافة جديدة لكل هذه الوسائل وهى احدث ما توصلت اليه الابحاث من اجل التشخيص ، بل والعلاج لكثير من الأمراض .

نبيل سليم علي

صبحي الشاروني

الملكة السابقة فريدة في معرضها الفني الثاني



جزء تفصيلى من لوحة « إبنة اختى » التى رسمها الفنان الرائد محمود سعيد ، لفريدة فى طفولتها عام ١٩٣٣ ، اللوحة ضمن مقتنيات متحف الفنان « محمود سعيد » بالاسكندرية



احدث لقطة للفنانة فريدة ، وهى تتابع كل ما ينشر فى مجلة الدوحة



اسم الجلالة (الله)

للمرة الثانية اقامت : ملكة مصر السابقة « فريدة » معرضاً للوحاتها الفنية بالقاهرة بفندق « الميريديان » المطل على النيل ، حيث عرضت مجموعة من لوحاتها الأخيرة التى رسمتها بعد ان تجاوزت سن الستين .. كانت المرة الأولى عام ١٩٨٠ ، لكن مواصلة الانتاج الفنى والحرص على عرضه على الجمهور فى وطنها مصر وفى الخارج جعلها تعود إلى الأضواء مرة اخرى لكن فى موقع جديد .

إن قصة فريدة يعود تاريخها إلى أكثر من ستين عاماً ..

ففى اليوم الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٩٢١ رزقت السيدة الجليلة زينب هانم ذو الفقار ، حرم سعادة يوسف بك ذو الفقار ، طفلة بديعة التكوين ، هى أول ما رزق الله هذين الزوجين الكريمين من ذرية ، فاطلقا عليها اسما تركيا جميلا هو « صافى ناز » كما كانت عادة الأسر العريقة التى تنتمى إلى اصل تركى قديم .

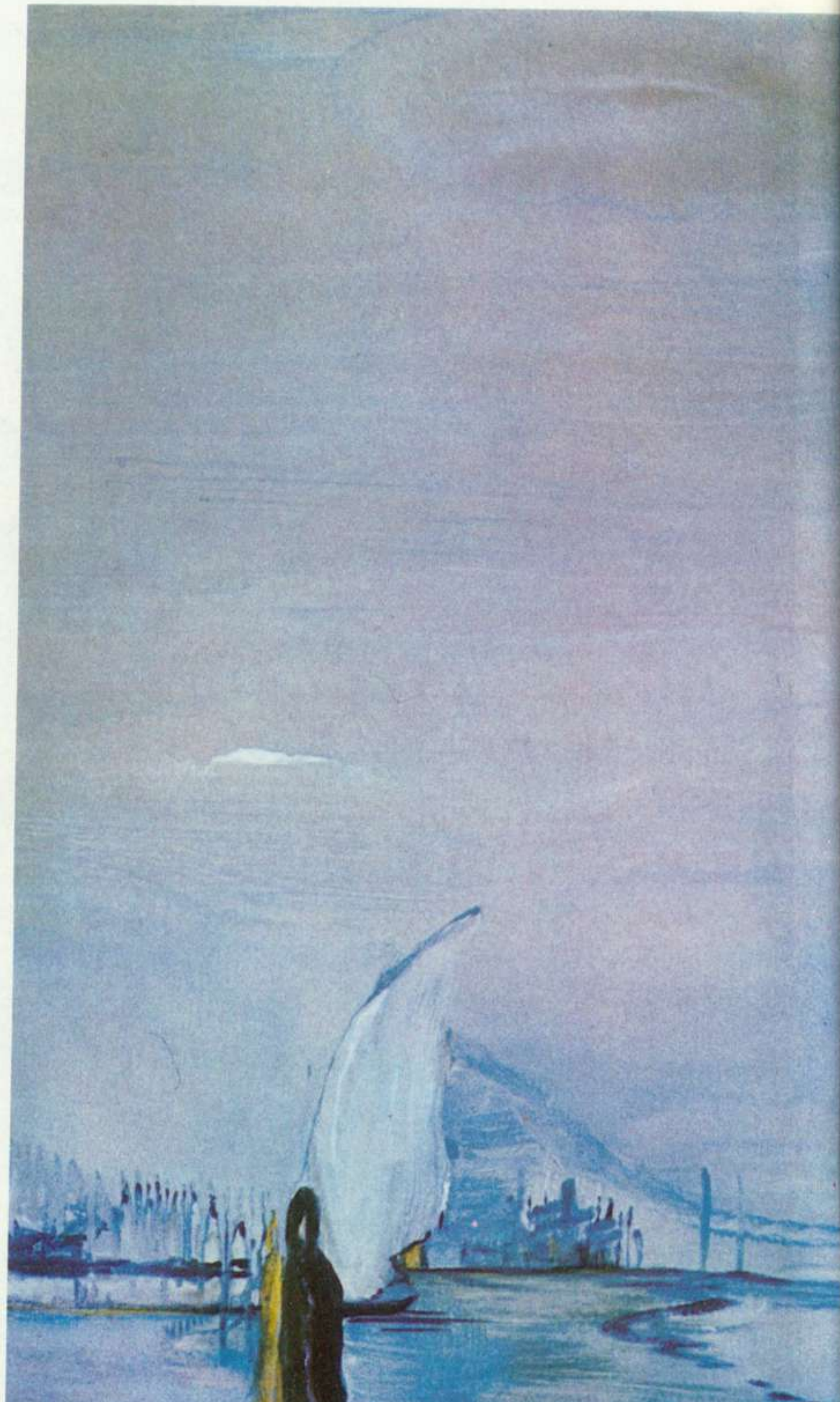
هى كريمة صاحب السعادة يوسف ذو الفقار وكيل محكمة الاستئناف المختلطة ، ابن علي باشا ذو الفقار محافظ العاصمة الأسبق ، ابن يوسف بك رسمى احد كبار ضباط الجيش المصرى فى عهد اسماعيل .

اما والدتها السيد زينب هانم ذو الفقار فهى كريمة المغفور له محمد سعيد باشا الذى راس الوزارة المصرية غير مرة . ولها اخوين هما سعيد ذو الفقـــار وشريف ذو الفقار ..

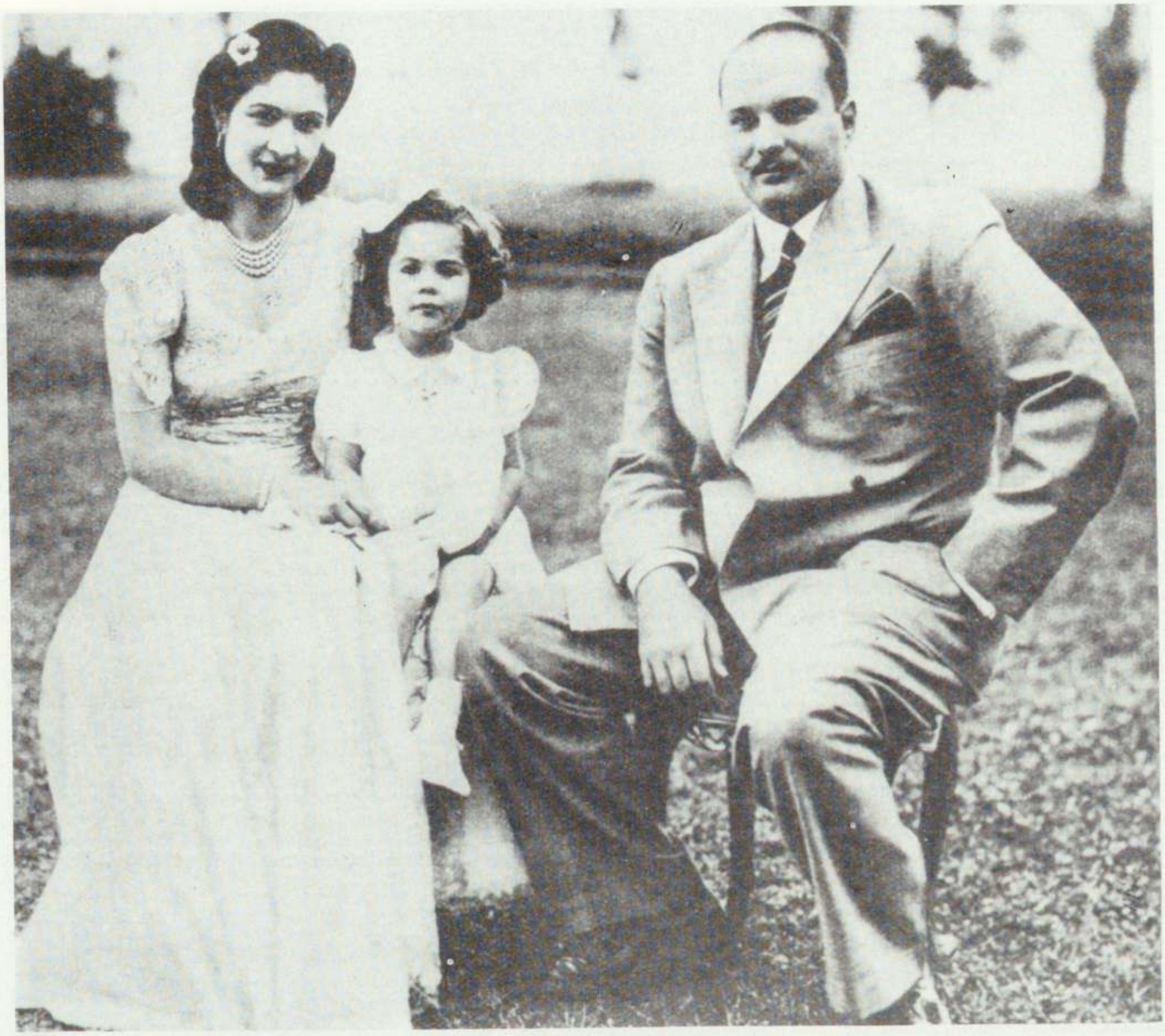
درست فى مدرسة « نوتردام دى سيون » الفرنسية بالاسكندرية فاتقنت اللغتين الفرنسية والانجليزية ، ولما لاحظ والدها حاجتها إلى الاستزادة فى اللغة العربية احضر لها مدرساً خاصاً .

لها هوايات كثيرة أولها الموسيقى وبنوع خاص العزف على البيانو ..

وليس يوسف باشا عازفاً ماهراً على البيانو وحسب ، بل هو كذلك رسام بارع حتى ليجد الداخل الى السراى صورة زيتية من صنع والدها وبريشته ، فلا غرابة



منظر على النيل : احدى لوحاتها فى معرضها الذى اقيم بفندق الميريديان فى القاهرة خلال شهر ابريل ١٩٨٤



صورة عائلية لفاروق وفريدة مع فريال إبنتهما الأولى ـ فبراير ١٩٤٢ م

اذن أن تكون رسامة ماهرة اذ تتلمذت لوالدها فى الرسم وقتا غير قصير .

ولفريدة شغف خاص بعصفور الكنارى ، وقد بلغ من فرط حبها لهذه العصافير انها كانت تتولي اطعامها بنفسها .

المناخ الفنى

وهذا بعض ما نشر بالمجلات المصرية (المصور) فى يناير عام ١٩٣٨ عن الملكة « فريدة » بمناسبة زواجها من الملك فاروق ، الذى غير اسمها من « صافى ناز » الى « فريدة » لانه يبدأ بحرف « الفاء » ، وهو الحرف الذى كان شعاراً للأسرة المالكة فى مصر منذ تولى الملك « فؤاد » والد « فاروق » فكان ينتقى الاسماء التى تبدأ بهذا الحرف ليطلقها على ذريته : فاروق ، فتحية ، فايزة فريال .. وهكذا ..

ولكن « فريدة » لم تستمر ملكة سوى ١١ عاماً ، فقد انجبت ثلاث بنات ولم تنجب ولداً ، وطلقت عام ١٩٤٩ فاصبحت « الملكة السابقة » .. لكنها عندما اتجهت إلى الرسم اتخذت لنفسها اسم « فريدة مصر » ليدرك من يسمع الاسم انها كانت ذات يوم ملكة مصر وسيدتها الاولى .

ولم تبالغ مجلة المصور كثيراً فيما نشرته عنها عند زواجها ، فقدنشأت فى اسرة تعنى بشئون الفن سواء من ناحية العصب او النسب .. فعمها « حسين ذو الفقار » كان مشرفا على تنسيق الحدائق بالقاهرة ، ويرجع إليه الفضل فى اقامة « حديقة الأندلس » ، تلك التحفة الفنية على الطراز العربى الفاخر . اما اخوها « شريف ذو الفقار » فقد اشتهر كمصور فوتوغرافى متفوق ، لكن نشاطه خفت اخيراً رغم تألقه فى هذا الميدان حتى نهاية الستينات . كما ان الفنان المربى « سعد الخادم » هو ابن خالها وهو يعتبر مرجعا موثوقا فى الفنون الشعبية .

لقد ولدت بقصر جدها « محمد سعيد باشا » في حي جاناكليس بمنطقة رمل الاسكندرية ، هذا القصر سكنه خالها الفنان الرائد « محمود سعيد » بعد وفاة ابيه صاحب القصر .. ومحمود سعيد هو احد

الأعمدة السبعة الذين قامت على اكتافهم نهضة الفنون الجميلة فى مصر خلال النصف الاول من القرن العشرين .. لقد اصبح هذا القصر بعد وفاة محمود سعيد « متحف محمود سعيد » الذى تشرف عليه وزارة الثقافة .

وكانت « صافى ناز » تتردد فى طفولتها على خالها الذى رسم لها لوحة رائعة عام ١٩٣٣ واطلق عليها اسم « ابنة اختى » .. إنها تصور الفنانة وهى لم تتجاوز الثانية عشرة من عمرها ، وهى لاتزال تذكر ظروف رسمها عندما جلست امامه فى حديقة القصر تحت الأشجار ، وكانت كثيرة الحركة مما كان يهدد بعدم اتمام تلك اللوحة ، إن هذه اللوحة هى الآن إحدى معروضات هذا المتحف التى يعتز بها .

ومن هنا كانت ميولها الفنية تجـد تشجيعا من الاسرة ، فضلا عن المناخ الثقافى المنتعش بالاسكندرية فيما بين الحربين ، عندما كانت الاسكندرية تستقبل الفنون الواردة عبر البحر الابيض ، وتضم عدداً كبيراً من مراكز الاشعاع الثقافى ، وتعج بالشخصيات اللامعة فى مجالات الادب والفن من المصريين والمستوطنين الاجانب .



الصورة الرسمية التى نشرت لفريدة عند زواجها من فاروق فى يناير عام ١٩٣٨ م

اللوحات الضائعة

وبزواجها من الملك فاروق خرج الفن من بؤرة الاهتمام ، وكنا نرى فى طفولتنا موكبها يسير متجهاً الى مستشفى القصر العينى حيث استحوذ عليها النشـاط الاجتماعى ومساعدة المرضى من الفقراء ..

وعند طلاقها تعاطفت معها مظاهرات الطلبة التى هتفت لها ووصفتها بالطهارة .. لقد كانت تلك الأعوام السابقة على ثورة يوليو ١٩٥٢ هى اعوام العداء للملك السابق فاروق التى مهدت الطريق لتحرك الجيش ليتولى السلطة فى مصر .

وعندما تكون المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية — فى ظل الثورة — اصبح خالها « محمود سعيد » مقرراً للجنة الفنون التشكيلية بالمجلس ، وكان اول من تمنحه الدولة جائزتهـا التقديرية فى فن الرسم تقديراً لمواهبه وجهوده فى ميدان الفنون الجميلة .. إنه هو الذى شجعها على السير فى اتجاه الفن ..

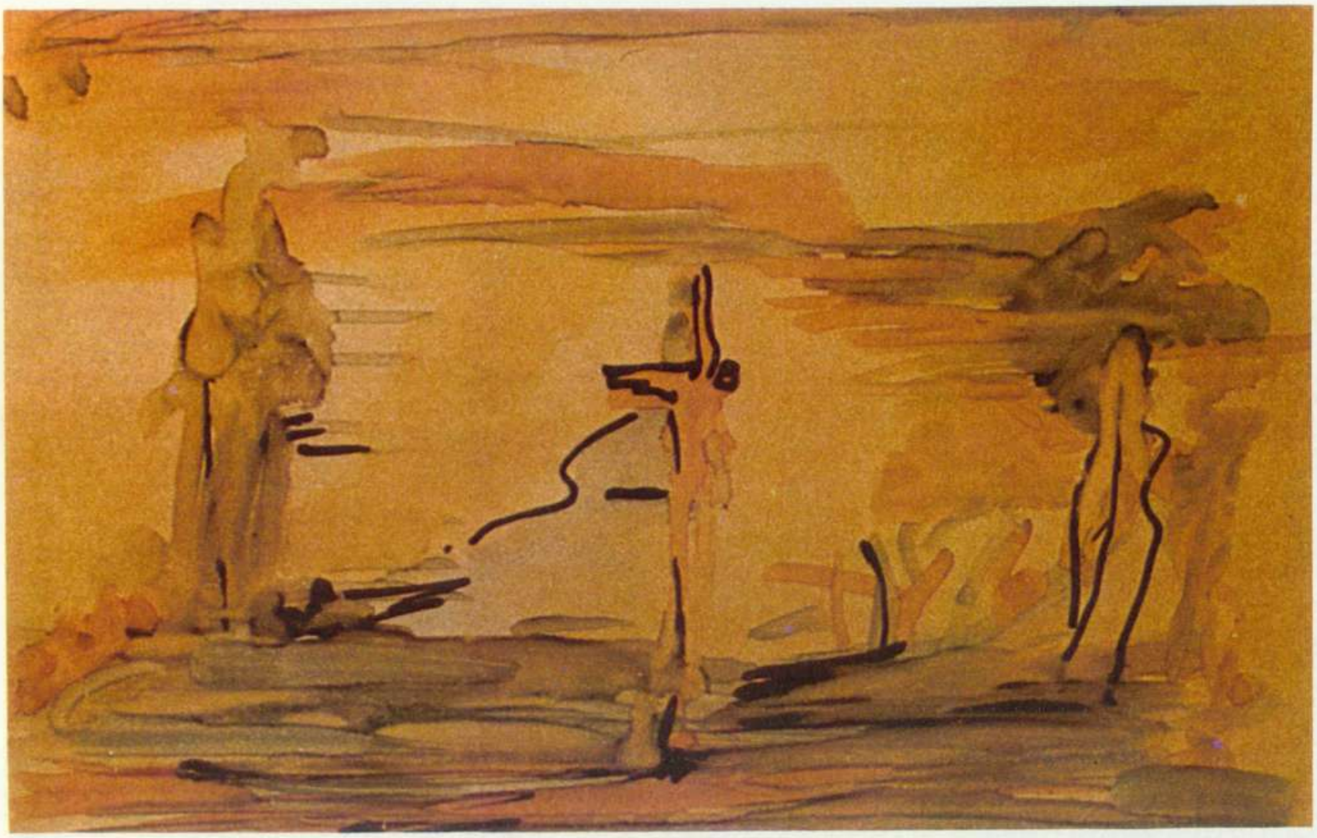
كانت تبحث عن شيء يشغل وقت فراغها وكانت تسكن قرب اهرام الجيزة لا يفصلها عنها سوى المزارع والحقول ، فرسمت الحصاد والعمل فى الحقل والاهرامات ، وشاهد محمود سعيد تلك الرسوم واعتبرها نوعاً من « الفن الفطرى عند الكبار » فشعرت أن ما تفعله له قيمة فنية ، وابدى لها اعجابه بتجربة المربى الرائد « حبيب جورجى » الذى اجرى تجربة تربوية حول الفن الفطرى عند الأطفال المصريين فيما بين عامى ١٩٣٩ و ١٩٥١ ، ووجهها خالها لمشاهدة هذه الاعمال والتعرف عليها باعتبار رسومها لها نفس الروح والمذاق .

ولما كان الفنان يحتاج عادة الى مكان مستقل بعيداً عن أماكن المعيشة لكى يتمكن من الانغماس فى فنه والتفرغ له .. فقد كان لمحمود سعيد مرسماً فوق سطح قصره بالاسكندرية فدعاها لتشغله فترة من الزمن حيث رسمت الوجوه بطريقة بدائية تمثل مرحلتها الثانية .. لكن للاسف كل اعمالها فى مصر قبل الهجرة الى الخارج ضاعت .. والفنانة تتمنى اليوم لو عثرت على نماذج من اعمال تلك المرحلة !

بقيت فى مصر حتى عام ١٩٦٣ تجرب وتحاول ثم سافرت الى لبنان ارض غربتها الاولى حيث واصلت رسم وجوه الشخصيات الاجتماعية ، ولم يتعد الأمر شكلا من اشكال الهواية لتمضية اوقات الفراغ .

من الهواية الى الاحتراف

فى عام ١٩٦٧ وبعد هزيمة يونيو انتقلت « فريدة » الى سويسرا .. من الدفء





ثلاث لوحات من معرض الفنانة : منظر طبيعى ، وجه ، وعلى الصفحة المقابلة : منظر ريفى .. ويرى النقاد ان لوحاتها مشحونة بالضوء والثراء . مع تدرج لـونى وتناسق دقيق . وانها تركز على التلاعب بالخطوط التى تبدو وتختفى وفقا لاحتياجات التكوين .

والمحبة والحنان فى بيروت الى البرودة والجفاف والشقاء والثلوج فى ارض غربتها الثانية ، هناك اتخذ الفن شكل المهنة واستحوذ عليها العمل الفنى ، فاتجهت الى اجراء تجارب على الخامات والأسطح ، لتحصل على وسائط جديدة تعاونها فى التعبير بالرسم ، مثل البحث عن المواد التى تمكنها من تحقيق سطح مصقول عاكس ، وبعد أن كانت ترسم وجوه الناس بدأت ترسم صوراً من ذاكرتها واستخدمت اللهب تكوى به اماكن فى سطح اللوحة لتستخرج من تاثيرات الاحتراق ودرجات الكى اشكالا جمالية وفنية .. لقد عاشت فى سويسرا اربع سنوات كانت تتردد اثناءها على لبنان وباريس ، واقامت أول معارضها فى باريس عام ١٩٦٨ ، وانتقلت المعروضات لامريكا ، لكن قاعة العرض التى تسلمت الأعمال منها ومن عدد من الفنانين الفرنسيين افلست ، واختفت نتيجة لذلك كل أعمالها فى تلك الفترة ايضا .

وقد انتقلت لتعيش فى باريس عام ١٩٧٠ ، واحست بحاجتها الى التعرف على تاريخ الفن فتوقفت عن الرسم عاما كاملا انفقته فى زيارات منتظمة للمتاحف والمعارض الفرنسية ، والتحقت بمدرسة متحف « اللوفر » لتاريخ الفن . ولكى تتعمق فى دراسة الفنون القديمة نقلت بفرشاتها بعض الأيقونات الروسية والبيزنطية ، ثم



حاولت ان ترسم على منوالها من تاليفها .. كما كانت لوحات التصوير الاسلامى وزخارف الكتب والمنمنمات القديمة هى الأشكال الفنية التاريخية التى استحوذت على اهتمامها ، فابتدعت من اجلها نوعا من الطلاء اللامع مثل الورنيش او الشمع ، عندما تكسو به لوحاتها يعطيها مظهرا اثريا .

وفى عام ١٩٧٤ اقامت معرضا لأعمالها فى بيروت ، وزاد احساسها بضرورة الدراسة وتعلم حرفية الفن ، فالتحقت فى باريس بمرسم متخصص فى تعليم طرق الطباعة اليدوية المعـــروفة باســـم « الليتوجراف » وفيها يرسم الفنان تصميمه على سطح صلب كالحجر او المعدن ثم يطبع منه عددا محدودا على الورق ، وإذا كانت لوحته ملونة تحتم عليه ان يرسم كل لون مستقل على سطح الحجر وبعد ان يطبعه يزيل الرسم ويضع بدلا منه اللون الآخر وهكذا فهو يطبع لوحته عدة مرات ليضيف فى كل مرة لونا جديدا .. وقد اتقنت الملكة فريدة هذا النوع من العمل حتى اخرجت اعمالا بها ستة الوان .. لكن رائحة الاحبار وكيماويات المطابع بدات تؤثر على صحتها بالاضافة الى المجهود العضلى الذى تتطلبه عملية الطباعة ، لهذا توقفت بعد فترة عن انتاج هذا النوع من الفن لتستمر فى الرسم الملون وحده .

وبعد دراستها لفن الجرافيك دعيت للاشتراك فى معرض « الفن المصرى المعاصر » الذى اقيم فى القصر الكبير (الجران باليه) وضم اعمال كبار الفنانين التى سافرت من القاهرة الى باريس خصيصا لهذا المعرض عام ١٩٧٥ .. وكانت تمثل هذه الدعوة نهاية لعزلتها وبداية لمرحلة جديدة تحقق لها اتصالا بارض الوطن ، فازداد نشاطها واتسع، فاقامت فى نفس العام معرضا فى مدريد واخر فى جزيرة « بالمادى مايوركا » باسبانيا .

ثم اقامت فى العام التالى معرضا منفردا بقاعة المركز الثقافى المصرى بباريس .. ثم توالت معارضها : فى فرنسا ١٩٧٨ وفى القاهرة ١٩٨٠ ثم فى جنيف ١٩٨١ وفى بلغاريا ١٩٨٢ وفى تكساس بالولايات المتحدة ١٩٨٣ ، واخيرا بالقاهرة مرة اخرى ١٩٨٤ .

الفن الفطرى

وتنتمى اعمال « فريدة » إلى « الفن الفطرى عند الكبار » فرغم المناخ الفنى الذى عاشت فيه الا انها لم تدرس الفن فى سن الدراسة ولكن بعد ان تقدم بها العمر .. صحيح ان دراستها لتاريخ الفن ولفن الجرافيك كان لها أثرها فى تطور فنها واضافة بعض مهارات ومميزات الفنون الرفيعة الى اسلوبها ، لكن يبقى انتاجها حتى الآن داخل دائرة الفنون الفطرية عند الكبار .

إن بعض الراشدين فى المجتمعات الحديثة يتجهون الى الرسم او النحت تحت الحاح رغبة ذاتية جامحة لا يمكن مقاومتها .. ويصل الامر ببعضهم الى هجرة وظائفهم واعمال مهنتهم والتضحية فى سبيل الفن بكل ما يملك .

يحدث ذلك دون اى دراسة سابقة للفن أو اى معرفة بقواعده واصوله .. ان بعض هؤلاء يبدأ الانتاج الفنى بعد ان يتخطى سن الأربعين ، ومعظمهم من سكان المدن .

هؤلاء يطلق على انتاجهم اسم « الفنون الفطرية عند الكبار » لأنهم يتجهون الى الفن تحت الحاح رغبة غريزيه فى سن متقدمه وبدون اى دراسة متخصصة ، ولا يهدفون من هذه الممارسة الى تحقيق اى كسب مادى ، وانما لاشباع هوايتهم او من اجـــل التنفيس عن اشـــكال من الملل والاحباط التى يعانى منها افراد المجتمعات المتقدمة .

وقد انتشرت هذه الظاهرة فى فرنســـا خلال الربع الأخير من القرن الماضى ، ولفتت الأنظار واطلق على روادها اســـم « فنانى يوم الأحد » لأنهم كانوا يمارسون الانتاج الفنى يوم عطلتهم الأسبوعية .

ويعتبر الفنان الفرنسى « هنرى روسو » (١٨٤٤ ـ ١٩١٠) اشهر من مارسوا الفن



فريدة فى عيد ميلادها الحادى والعشرين - سبتمبر ١٩٤٢ م

الفطرى عند الكبار ويطلق عليه البعض اسم « أشهر البدائيين » أو « الجمركى » نظراً لأنه كان موظفاً فى الجمرك لمدة خمسة عشر عاماً رسم خلالها ايام الآحاد والاجازات فقط ، ثم استقال من وظيفته ليتفرغ للرسم .. واعماله تحتل مكاناً بارزاً فى تاريخ الفن ، وتعرض فى احد مبانى متحف اللوفر بباريس الى جانب اعمال الفنانين التاثريين .

والفنان الفطرى يرسم احلامه وخيالاته ، التى تتميز بسذاجة الشكل وبساطة الموضوع ، وهو يخرج فى اعماله بعض المخزون فى اعماق الذاكرة الانسانية .. وتتميز الفنون الفطرية عند الكبار بالخيال الجامح والتعبير القوى بطرق رمزية ، مع الازدحام بالافكار ، ولكل فنان فطرى نظرة خاصة الى العالم تجعل اسلوبه الفنى متفرداً .

وقد شاع الاهتمام بهذا الفن مؤخراً حتى اقيم فى براتسلافا بتشيكوسلوفاكيا معرضاً دورياً يقام مرة كل ثلاث سنوات ويطلق عليه اســـم « الترينالى الدولى للفن الفطرى » ، وذلك منذ عام ١٩٦٦ ويشارك فيه الفنانون الفطريون من جميع انحاء العالم حيث تخصص الجوائز لافضلهم .

تطور رسومها

لقد بدات « فريدة » تتجه إلى الرسم عام ١٩٥٤ فى ظروف نفسية صعبة ، فكان الانغماس فى الرسم يمثل محاولة للهروب من المشاكل والظروف المحيطة ، او نوع من تفريغ الشحنات النفسية .

فى البداية رسمت المناظر التى حولها ، وكانت تسكن قرب اهرام الجيزة حيث تمتد حقول القمح تحت سطح الهضبة التى تحمل تلك الاهرامات .. وكانت رسومها بالقلم الرصاص فسجلت جمال الطبيعة حولها مع التنفيس عن مشاكلها وهمومها ، ثم ما لبثت ان اتجهت الى الرسم بالالوان واذا بكل من راى لوحاتها يثنى على قدراتها على التلوين فهى موهبة طبيعية .. وانتقلت الى رسم وجوه المحيطين بها باسلوبها الفطرى الذى لم تصقله الدراسة الاكاديمية .

وهى لم تتجه الى الرسم من الذاكرة والتاليف الا فى السبعينات ، كانت لوحاتها طوال الفترة السابقة نقلا عن الطبيعة وخاصة وجوه من حولها .. عندما بدات التاليف كانت مشاعر الضيق تسيطر على لوحاتها ، نساء حزينات وخطوط ترمز الى الدموع تسيطر على التكوين العام لكل لوحـة .

وفى باريس وجدت فى محلات بيع أدوات الرسم والفنون الجميلة خامات متنوعة ، فراحت تجرب كل جديد ، ومن هنا تعرفت على خامات تميزت بالبريق والثراء واشبعت رغبتها فى تحقيق سطوح لامعة ذات مظهر معدنى ذهبى وفضى ومتعدد الألوان .

اما الأسلوب المستخدم الآن فى لوحاتها فقد بداته بعد استقرارها فى باريس وبعد اكتشافها للاسلوب الجديد والخامات التى تعطى لوحاتها سطحاً شديد الثراء والغنى .

ويقول الناقد « مانيك بريسكيل » : « إن لوحـــاتها مشحونة بالضوء والثراء ، مع تدرج لونى وتناسق دقيق .. حتى ان الاحساس برقة الخطوط هو احد الملامح المميزة لأعمالها .. انها تركز على التلاعب بالخطوط التى تبـــدو وتختفى وفقــاً لاحتياجات التكوين بينما الضوء يغمر كل شيء حتى اعمق حدود الالوان .. » .

« ان سحر الشرق يظهر فى اللوحات بينما تعبر بعضها عن المعاناة والبؤس فى حين تكتسى جميع الوجوه بانسانيـــة متسامية » .

الاضاءة المتغيرة

فى قاعة معتمة تماماً ، لا يتسلل اليها اى ضوء خارجى ، وزعت اللوحات على الجدران وعلى الحوامل الخشبية .. وفوق كل لوحة مصباح ضوئي يمثل الشمس فى فترة الظهيرة وقد سلط ضوءه على اللوحة مباشرة ، بينما على احد جانبى كل لوحة مصباح اخر يمثل ضوء الشروق او الغروب .. الضوء المسلط على اللوحـــات يخفت تدريجياً حتى تتوه الخطوط وتتعذر الرؤية ويصبح تامل اللوحات كمحاولة النظر الى



صورة من ارشيفها الخاص : فريدة فى يناير عام ١٩٤٢ ، بعد مضى اربع سنوات على زواجها من فاروق

الطبيعة فيما بين الغروب وحلول الظلام .. ثم لا تلبث الأضواء ان تقوى تدريجيا وكان الشمس تشرق من جديد ، فتغتسل اللوحات بالضوء وتكشف عن ادق تفاصيلها وكانها معروضة فى ضوء الشمس .. وهكذا يحلو للمشاهدين ان يراقبوا التغيرات التى تحدث نتيجة لتغير الضوء الصناعى الساقط على العمل الفنى .

لقد كان الفنانون التاثيريون فى فرنسا يحاولون التقاط المشهد فى كل ساعة من ساعات النهار او الليل وتثبيته على لوحاتهم .. اما الفنانة « فريدة مصر » فهى تحاول تحقيق الاحساس بالتغيير والاختلاف عن طريق تلخيص كل ساعات اليوم فى عدة دقائق كبديل لتغيرات ضوء النهار على المنظر الطبيعى الواحد .. اما الهدف الجمالى فهو تحقيق نوع من الحركة التى يطلق عليها اسم « سيتيستزم » .

وموضوعاتها مستوحاة من اشكال الحياة .. حيث تبدو المناظر الريفية من خطوط الفجر الأولى الى الشمس الساطعة فى الظهيرة ، ومن الشحوب فى الغسق حتى هدوء الليل ، وهى الشحوب بالوان مشعة فتحقق نوعا من الحلم الشفاف ، فيه حرارة الفن الفطرى حتى تبدو الأشكال وكان عليها مسحة سحرية .

وتقول الفنانة فى شرح اسلوب عرض لوحاتها :

« بالنسبة للاعمال الفنية الثلاثية الأبعاد ـ مثل النحت وفن العمارة ـ تاتى متعتنا فى النظر اليها من التحرك حول العمل الفنى ورؤيته من زوايا مختلفة .

ولكن عندما يتحرك العمل الفنى ذاته فاننا نطلق عليه اسم « الفن الحركى » وفى عام ١٩٧٨ فى معرضى بباريس ادخلت الاضاءة الصناعية كجزء مكمل للعمل الفنى ، وتمكنت بواسطة استخدام جهاز اضاءة معين الايهام بخلق المنظر الطبيعى المتغير دائما وكانه تحت ضوء الشمس ولكن داخل قاعة العرض نفسها » .

ان امنيتها ان تجد مكانا واسعا لكى ترسم فيه لوحات ضخمة .. ان الافكار تتزاحم عليها الآن ولا تجد مكانا متسعا لتنفيذها .. لكنها تخشى فى نفس الوقت اذا تحققت امنيتها ان تكف الأفكار الجديدة عن التزاحم فى راسها كما يحدث مع كل الفنانين الذين ابدعوا فى سنوات شدقائهم افضل اعمالهم .

بقي ان تعرف ان ملكة مصر السابقة « فريدة مصر » تعيش الآن من فنها .. إنها بعد ان بلغت الثالثة والستين من عمرها اصبح يتوجب عليها رسم اللوحات وبيعها لكى تواصل حياتها فى مستوى لائق .. ولهذا سنشاهد لها معارض تالية وسيتطور رسمها وتعطى الجديد .

صبحى الشارونى



شكل (١) الصورتان لنفس المكان ، لكن الشاطىء فى احداهما (الى اليسار) قد غمرته مياه البحر حتى وصلت الى المنازل ، فى حين أن نفس الشاطىء فى الأخرى (الى اليمين) قد انحسر عنه الماء فظهر .. هذه الظاهرة التى تعرف باسم المد والجزر كانت للناس فيها تفسيرات خيالية وروايات خرافية .

بين الظواهر الطبيعية والتفسيرات الخيالية

بقلم د. عبدالمحسن صالح

الانسان ابن بيئته ـ هكذا قالوا ، وهو قول صحيح الى ابعد الحدود ، ففيها ينشأ وبمناخها يتاقلم ، ومن خيراتها يتغذى ، وعلى عاداتها يتربى ، وبطبيعتها يتكيف ، وفي ظواهرها قد يرى اموراً تحيره ، واحداثا ترعبه ، وعوامل تثيره .. فمن برق يومض ، إلى رعد يقصف ـ الى صواعق تحرق ، الى زلازل تدمر ، الى براكين تتفجر الى شهب تنطلق ، الى رياح تعوى ، الى سيل ينهمر ، الى فيضانات تكتسح .. الى اخر هذه الظواهر التى لازالت بيننا قائمة ، لكننا ـ مع ذلك ـ لا نفسرها كما فسرها الاقدمون بتصورات خيالية ، وحكايات خرافية تناسب مداركهم ، وتساير زمانهم ، فارجعوها الى ارواح واشباح ومردة وغيلان ومعجزات وما شابه ذلك .

ان ظاهرة مثل ظاهرة المد والجزر التى تحدث فى البحار والمحيطات كل يوم ، وفيها يرتفع الماء ليغطى مساحات من اليابسة ، فيكون المد ، ثم ينحسر ، ليكون الجـــزر (شكل ١) .. هذه الظاهرة التيـدرسها التلاميذ الآن فى مدارسهم ، ويعرفون انها نتيجة حتمية لقوى الجاذبية القائمة بين الارض والقمر ، او بين الارض والشمس والقمر ، وانها تخضع لنفس المبادىء التي صاغها العالم الشهير اسحق نيوتن من مئات السنين فى معادلات رياضية ، ليوضح بها حركة وجاذبية الاجـــرام السماوية .. هذه الظاهرة كان للاقدمين فيها تفسيرات غريبة لا تلقى الآن قبولا حتى عند الصبيان !

فمن خيال الاقدمين ان المد والجزر يحدث بسبب حيوان ضخم اسمه الحوت .. « فعندما يتنفس ، ينساب الماء الى منخريه فيكون الجزر ، ثم يتنفس ، فيخرج الماء منهما ، ليكون المـد » !

وفى تصور قديم اخر يجيء التعليل هكذا « ان الأرض تتنفس كما يتنفس الانســان والحيوان ، وان لها قفصا صدريا يعلـو ويهبط ، فاذا استنشقت كان المد ، واذا زفرت حدث الجزر» ! ..

ويسوق المقدسي في هذا المجال تفسيراً طريفا ، فيذكر : « ان الناس قد اختلفت في معرفة اسباب المد والجزر ، الا ان قوماً قالوا عنهما انهما بسبب ملك من الملائكة ، اذا غمس اصبعه في البحر كل يوم مد ،



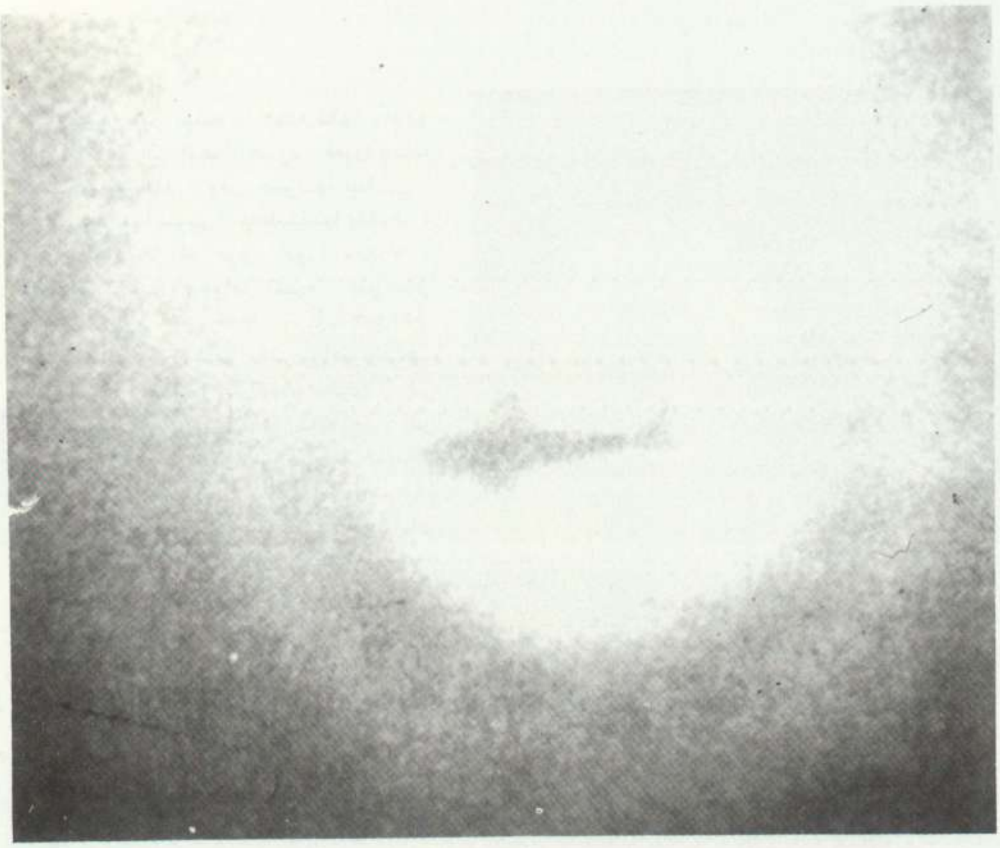
شكل (٢) قد تتوهج السماء فى ليل صاف ببريق لامع وكأنما هناك كوة أو نافذة مضيئة قد فتحت فى السماء . وما هى الا بفعل شهاب احترق فى طبقات الجو العليا نتيجة اندفاعه بسرعة فائقة واحتكاكه بعنف مع جزيئات الهواء .. لكن هذه الظاهرة الطبيعية قد فسرت تفسيراً آخـــر

واذا رفعه جزر» .. وفي التراث الشعبي للدول المختلفة تفسيرات اخرى مسلية وساذجة ، الا انها على اية حال ـ مريحة ومقنعة للعصر الذي قيلت فيه .

لكن ذلك لم يمنع من ظهور بعض العباقرة الذين تاملوا هذه الظاهرة ، وارجعوها الى تفسيرات قريبـــة من تفسيراتنا العصرية ، فها هو ابو معشر البلخى المتوفي عام ٨٨٦ ميلاديـة قد « اتحف العالم الاسلامى والاوربى بحقيقة علمية تتعلق بنظم المد والجزر ، فقد عللها ببحثه على اساس علاقتهما بطلوع القمر وغيابه » ـ على حد ما جاء في كتاب دكتور فيليب حتي « تاريخ العرب » !

بين الماضي والحاضر

والواقع ان الكتب القديمة تحتوى على حصيلة هائلة من الظواهرالطبيعية التي راها الناس ، وعللوها باساطير خاطئة . ورغم ان الافكار قد تنورت ، والمدارك قد تطورت ، والعلوم قد تقدمت ـ رغم ذلك فلا يزال الناس يعيشون في جو من هذه الخرافات ، بعضها امتداد لفكر قديم



شكل (٣) ظل طائرة على السحاب ، وقد أحاطته هالة وهي ظاهرة تظهر كثيراً اذا كانت الظروف الجوية مناسبة .

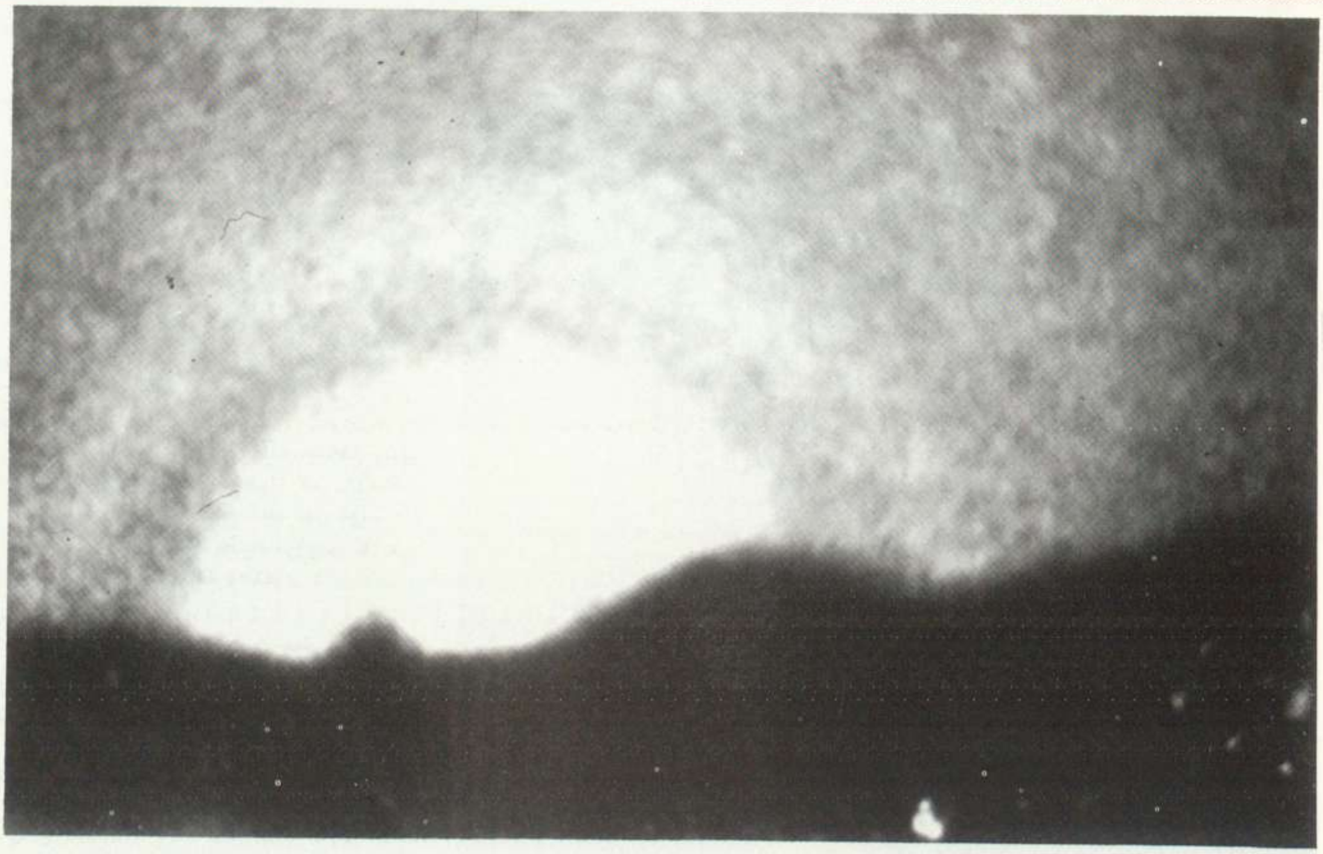
والآخر لفكر حديث فرضته البيئة العصرية الجديدة ، فعندما اكتشف العلماء الحيوانات الضخمة المنقرضة (اي الديناصورات) على هيئة حفريات ، أو عندما تحدثوا عن اشباه الانسان ، او اطلقوا الصواريخ الى الفضاء ، علل الناس الظواهر التي راوها بتعليلات تناسب الحال ، فقالوا انهم رأوا الحيوانات الضخمة تبرز من البحيرات ، وشاهدوا أشباه الانسان يمشي في الثلوج والغابات ، وسجلوا الصواريخ والاطباق الطائرة وهي تاتي وتهبط من الفضاء ، وكلها امور قد حققها العلم ، وظهر زيفها وخداعها ، وهذا ما تعرضنا له بشيء من التفصيل في ثلاث دراسات سابقة على صفحات هذه المجلة .

وقد يساعد الفكرالسائد عند فرد من الأفراد ، او جماعة من الجماعات ، او شعب من الشعوب ، على تعليل الظاهرة الطبيعية بما وفر فى عقله ، أو حسب ما تمليه عليه مداركه ، او متأثراً بالمناخ الفكري السائد في بيئته او زمانه ، فليس ادراك الطفولة كادراك الصبا والشباب والرجال والشيوخ ـ فهذه جميعا مراحل يمر بها الانسان لينضج عقله ، وتزيد معارفه ، وتصقل خبراته ، وينمي ملكاته ـ كل هذا يتوقف على كونه يريد ان يعرف او لا يعرف ، فالذى يعرف خير وافضل ممن لا يعرف .. « قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » !

ان مثلا واحداً قد يوضح معنى ذلك خير توضيح ، فكاتب هذه الدراسة قد راى في صباه المبكر كوة او نافذة تفتح في السماء ، ومنها ينطلق قدر هائل من الضياء ، فانطلق مبتهلا ومكبراً وداعيا ، لعل دعواته تستجاب في هذه اللحظة المباركة في الليلة المباركة في الثلث الاخير من شهر رمضان ، او بالتحديد في ليلة السابع والعشرين من شهر الصيام التى ظن انه راى فيها ليلة القدر .

ان الظاهرة صحيحة ، لكن تعليلي لها في هذه السن المبكرة خاطىء ، وهو ناشىء من اعتقادي الراسخ بما سمعت وقرأت في صباي من كتب عن اوصاف ليلة القدر ، كما انني كنت وقتها مهيا نفسياً لرؤيتها ، حيث كنت اتوجه الى الخلاء ، لارقب السماء ، وبالفعل رايتها ، ومن الممكن أن يراها غيري في اي زمان ومكان ، وعلى مدار العام ، او في كل عام ، لأن ما رايت لم يكن في الحقيقة الا تلك الظاهرة الطبيعية التي يطلق عليها اسم « ظاهرة الكرة النارية » وفيها تحترق الشهب والنيازك المندفعة نحو غلافنا الهوائي بسرعة رهيبة ، وينتج من احتكاكها بجزيئاته ارتفاع هائل في درجات الحرارة تؤدي الى انصهار مادتها وتفتتها في طبقات الجو العليا ، ويصحب ذلك ضوء باهر يختلف شكله باختلاف حجم الشهاب وطبيعته (شكل ٢) .. اي ان رؤيتي لنفس الظاهرة الآن وتعليلي لها ، يختلف عن مفهومي القديم .

اذن فليلة القدر ليست طاقة او كوة او نافذة تفتح في السماء ـ كما جاء في بعض كتب التراث القديم ، بل هي ليلة لها قدرها وشرفها وسموها على سائر الليالي ، لان الامور تقضي فيها وتقدر ـ كما جاء في التفاسير التي اطلعنا عليها ، ولم يرد فيها شيء مما رايت من شهب حسبتها طاقة او كوة ، وقد يراها غيري فيعتقد انها اطباق طائرة ذات اضواء ساطعة ولان عقله قد يكون مهيا لتلك الظاهرة ، وهو ايضا متاثر



شكل (٤) عندما يقف الانسان فوق جبل مرتفع ويقع ظله على سحابة أو شابورة تحته ، فقد تحاط رأسه بهالة كالتى تراها فى الصورة

بما سمع وقرا عن هبوط هذه الاجسام المحلقة من الكون الخارجي .. المهم ان كل انسان يرى الظاهرة الطبيعية ، فيفسرها التفسير الذي يهواه ، ومتاثراً في ذلك بالمناخ الفكري السائد .. ان خيالا فخيالا ، وان علما فعلما ، ولكل ما سعى .

وظهرت المعجزة معلقة !

والغريب أن التفسير الخاطىء « لبعض الظواهر قد يترك بصماته على بعض الشعوب ، واحيانا ما اتخذت الظاهرة علامة على الورع والقدسية ، او هي نذير شؤم ، أو قدوم سعد .. الى آخر هذه الامور

التى سجلتها كتب التاريخ ، وغابت عن كثير من الباحثين ، لكن العلم نبشها وحققها ، وتوصل الى لب الحقيقة فيها ، وعندئذ ظهر أن المعجزة التى تحدث بها الناس ليست معجزة على الاطلاق ، بل هى عجز فى انماط البحث والتفكير ليس الا .

تحكي لنا بعض المراجع العلمية التي تتناول الظواهر الطبيعية قصصا مثيرة ، واعتقادات غريبة هلل لها الاقدمون ، وبها استبشروا خيراً .. من ذلك – على سبيل المثال – ان الامبراطور الرومانى قسطنطين الاكبر (٢٨٠ – ٣٣٧ م) كان اعدى اعداء المسيحية ، لكنه تحول فجاة واعتنقها في عام ٣١٢ م ، واصبح من اخلص انصارها ، وكان سر هذا التحول الغريب انه راى المعجزة رؤية العين في احد ايام ذلك العام اذ جاءه من يخبره ان الله قد اظهر معجزته على صفحة السماء ، وما عليه الا ان يخرج ليراها ، فلعل ذلك بشير يهديه الى الدين الجديد !

وخرج الامبراطور لينظر حيث اشار الناس ، فوجد نوراً مرسوما برسم اشبه بالصليب – راه وهو يتراقص ويتحرك في عليائه ، فوقف مبهوراً لا يكاد يصدق ما يرى ولم ينكر الظاهرة ، اذ كيف ينكرها وقد رآها رؤية لا خداع فيها ولا تمويه ، انها – بلاشك – معجزة لا ينكرها الا كل مكابر جحود ، وعندئذ اعتنق المسيحية عن اقتناع ، واصبح اكبر داعية لانتشارها بين قومه !

لكن هذه المعجزة التي كانت سبباً في تحول الرومان عن الهة آبائهم واجدادهم ، نتيجة لاعلان امبراطورهم اعتناقه للمسيحية ، لم تكن معجزة بالمعنى المفهوم ، بل المعجزة هنا تعني عجز العقل البشري عن تعليل امثال هذه الظاهرة ، ذلك ان البحوث العلمية قد توصلت الى سر «المعجزة» ، وذكرتها في مراجعها ، واشارت الى انها ظاهرة جوية طبيعية نادرة للغاية وتحدث تحت ظروف جد خاصة ، ذلك انعكاس ضوء الشمس على « ندف » الثلوج المنهمرة ، وبميل محدد ، وبزاوية معينة بالنسبة لعيون المشاهدين للظاهرة ، يؤدي الى تكوين شريطين ضوئيين متعامدين وبحيث يبدو التشكيل وكانما هو يتخذ شكل الصليب !

ظاهرة الهالات

والملاحظ دائما ان الفنانين الذين يرسمون الشخصيات التي لها قدسية خاصة ، يحيطون رؤوسها بهالات كانما يشع منها النور ، دلالة على النقاء والطهر والبركه ، أو ما شابه ذلك ، وربما جاءت فكرة هذه الهالة من تجسيد حقيقي حل بواحد او اكثر من القديسين ، بمعنى ان

بين الظواهر الطبيعية والتفسيرات الخيالية



شكل (٥) هذه الصورة معروفة لنا جميعا . وتسمى باسم قوس قزح . وهى نتيجة لانحراف الوان الطيف فى قطيرات الماء المتساقطة من السحاب الممطر

واحداً من اتباعه قد رأى ظله محاطا بتلك الهالة الغريبة وهو يتجول في الاماكن المرتفعة ، ومن ثم اذاع ذلك بين قومـه ، فاتخذوا الهالة شعاراً تحيط برؤوس كل من توسموا فيهم القدسية والتقوى !

لكن ظاهرة الهالة ليست مقصورة على بشر دون بشر ، بل يمكن ان تحيط باي انسان او حيوان او جماد ، طالما كان هو في مكان مرتفع ، وبحيث يقع ظله على شابورة تحته . او على غمام منخفض ، ولقد راها كاتب هذه الدراسة احيانا حول ظل طائرة واقع فوق الغمام (وقد يراها غيره وهو يحلق بالطائرة طالما كان ينظر من الزاوية الصحيحة ، وكانت الظروف الجوية مناسبة ـ شكل ٣) .. المهم ان الهالة ظاهرة طبيعية تعبر عن نفسها كلما تهيات الظروف لظهورها ، بغض النظر عن مكانة صاحب الظل ، اذ ليس سببها قدسية او ورعا أو صلاحا ، لكن يبدو انها تظهر كثيرا لسكان الاماكن المرتفعة ، وعلى الاخص الناسكون الذين يعتزلون الناس للتعبد في الاماكن العالية ، فهم يرونها بمعدلات اكبر من ساكني السهول ، حيث لا تتهيا الظروف لظهورها .

ولقد ذكر الامام زكريا بن محمد القزويني الهالة في كتابه « عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات» نقلا عن ابن سينا ، فيذكر « وحكى الشيخ الرئيس انه كان على الجبل الذي بين باورد وطوس ، وانه اعلى الجبال ، وكانت السماء مكشوفة ، فقال : كنت في وسط الجبل بيني وبين الارض سحاب رطب ، والشمس في وسط السماء ، فنظرت الى السحاب الذي كان بيني وبين الارض ، فرايت دائرة نقية بلون قوس قزح فشرعت في النزول عن الجبل والدائرة تصغر ، فكلما نزلت رايتها اصغر مما كانت قبل ذلك ، الى ان وصلت الى السحاب فاضمحلت » !

ورغم أن الوصف هنا دقيق ، الا انه يخلو من التحليل او التحقيق ، وهذا امر طبيعي ، اذ لم تكن الظواهر الطبيعية قد خضعت في زمانه لما نعرفه اليوم بالعلوم التجريبية ، اى لكي ندرس ظاهرة من الظواهر ،فمن الافضل ان نكررها بنفس ظروفها الطبيعية فى نموذج مصغر داخل المعمل ، وهذا ما فعله س . ت . ولسون في عام ١٨٩٥ ، اذ جهز غرفة الضباب او السـحاب بغـرض تقليد هذه الظاهرة ، لكنـه توصـل بالصدفة الى ما هو اهم ، اذ تبين له ان الجسيمات الكهربية المنطلقة بسرعة هائلة ، تترك اثاراً لمسيرتها بين جزيئات الضباب ، وعندئذ تحولت بحوثه من دراسة الهالة الى دراسة الذرة ، وسميت غرفة الضباب باسمه ، وكانت من اهم الوسـائل التى اوضحت انـواع الجسيمات الذرية المشحونة ، ومن ثم فقد عرفنا الكثير عن الاسرار الذرية ، وتوجت هذه البحوث بان حصل ولسون على جائزة نوبل في عام ١٩٢٧ ، وكان مما قاله في محاضرته اثناء تسلمه الجائزة : في

ستمبر عام ١٨٩٤ قضيت عدة اسابيع في المرصد الفلكي المقام فوق قمـة جبـل بن نيفيس – اعلى القمم الاسكتلندية ، واثناء ذلك جذب نظري دوائر ضوئية ملونة غاية فى البهاء ، وكانت تبدو صادرة من قمة الجبل او من شخص واقف على القمة ، ومن خلفه الشمس ، ومن امامه ظله ممتد على السحاب او الضباب المجتمع اسفل الوادي ، وحول الظل او مقدمته كانت تحيط دوائر ضوئية ذات الوان زاهية .. لقد جذبني ذلك ، وعولت على تقليد هذه الظاهرة في المعمل ، لكنها قادتني الى هذه الجائزة التي اتشرف بحيازتها ! » .

ودرست الظاهرة

والواقع ان كوكبنا – بما فى ذلك غلافه الهوائي – غنى بالظواهر التى يلعب فيها الضوء مع بخار الماء ، او ذرات الهواء ، او الجسيمات المشحونة بالكهرباء ، والآتية الى ارضنا من الفضاء ، او اضواء البرق الخاطفة ، او الصواعق الحارقة .. كل هذا وغيره يتجلى للناس بصور غريبة ومثيرة ومختلفة ، وما من صورة الا وكان لها اكثر من اسطورة ، وهى تختلف باختلاف الزمان والمكان ، لكن سرعان ما تختفى هـذه التفسيرات الخيالية تحت وطأة البحوث العلمية ، وبهذا يمحق الحق الباطل ، كما يمحق النور الظلام الذى عشش على العقول ردحا طويلا من الزمان ، ومع ذلك ، فلا يزال !

وفى احد قصصه يصف لنا الكاتب والروائى الأمريكى الشهير هنرى ميلر انطباعه عن الهالة ، فيقول « بينما كنت انظر ناحية الشاطىء من جهة نيبنذى ، والشمس تشرق من خلفى ، ظهر ظلي مكبراً ومقزحا (اي يشبه قوس قزح) على الضباب الذي يمتد تحتي ، وعندئذ رفعت كلتا ذراعي كمن يبتهل ، فظهرت حول راسي هالة نورانية

وعن هذه الظاهرة المثيرة يقدم لنا كل من دكتـــور هوارد برايت استاذ الفيزياء بجامعة نيوميكسيكو ، ودكتور نيلسون جارمى استاذ الفيزياء النووية بجامعة كاليفورنيا (بيركلى) دراسة مستفيضة ،

عن ظاهرة الهـالة فى مجـلة العـلم الامريكية ، لكن يكفى ان نذكر منها ان الظاهرة ترجع الى تشتت الضوء بواسطة قطيرات الماء المتكونة فى سحابة ، وهى لا تختلف فى اساسياتها عن ظاهرة قوس قزح الذى نراه من على الارض ، لكن الاختلاف يرجع إلى ان القوس يظهر كقوس فى حين ان الهالة تبدو كدوائر تتبع احداها الأخرى فى تشكيل هنـدسى ملـون (شكل ٤) .

ويشير برايت وجارمى الى افضل وسيلة يمكن ان تظهر لك فيها هالة جميلة ، وهى ان تختار سحابة او شابورة ذات قطيرات مائية متجانسة ، وان تكون انت فى مستوى اعلى من هذه او تلك ، وبحيث يسقط عليها ظلك (اى ان ضوء الشمس ياتى من الخلف وبزاوية ، حيل ليلقى بظلك على السحابة) ، وعندئذ ستتمتع بمشهد بديع ، حيث ترى فيه راسك محاطة بهالة رائعة ذات الوان متتابعة ، ثم يذكران : ان احاطة رؤوس القديسين بهذه الهالات ليس مقصوراً على الفن المسيحى وحده ، بل ظهر

ايضا على رؤوس اباطرة الرومان ، والهة اليونان القدامى ، وفى الصور والتماثيل البوذية فى الصين وبورما والهند ، ويعنى ذلك ان الظاهرة قد تراءت لاقوام مختلفى العقيدة فى ازمنة وامكنة مختلفة ، وما ان تظهر ، فظهورها دليل على بهاء وعلو وقدسية ، لكنها من وجهة نظر العلم ليست كذلك ، بل يرجع الى تشتت الأضواء على قطيرات الماء طالما كانت الظروف مواتية لذلك ، وليس ذلك مقصوراً على الطبيعة فى الخارج ، بل ان الظاهرة نفسها يمكن دراستها فى داخل المعامل ، فيتشتت الضوء على قطيرات الماء الدقيقة ، مكونا دوائر اكبر فاكبر ، وبنفس الألوان التى نراها في الهالة الكبيرة .

من الهالة الى القوس

ومادمنا قد تحدثنا عن الهالة ، فان ذلك يدفعنا الى التعرض لظاهرة اخرى ذات صلة وثيقة بتشتت الضوء وظهوره على هيئة قوس يبدو فى الافق بالوانه الجميلة التى طالما اثارت خيال الناس ، ففسروها تفسيراً اسطوريا (شكل ٥) .. من ذلك مثلا ان ابريس (وهى الالهـة الوثنية ذات الجنـاحين فى الأسـاطير القديمة) هى صاحبة القوس – اى قوس قزح ، وهى فى معتقدهم مبعوثة الآلهة الى الأرض ، وظهور قوسها يعنى حضورها لتبشر الناس بامر ، ولهذا يراه اقوام علامة فال حسن ، ويراه آخرون فالا سيئاً .

وهناك أسطورة اسكندنافية تزعم ان قوس قزح هو الطريق الذى يسلكه الآلهة حين يهبطون الى الارض من السماء ، او حين يصعدون ، فى حين تقول اسطورة ثانية من الشرق بان موضع التقاء طرف القوس بالارض يشير الى موقع كنز من ذهب ، وهو عند قدماء المصريين والرومان علامة على قدوم حروب طاحنة ، او اوبئة قاتلة ، او مصائب قادمة !

ويجيء فى لسان العرب ان قوس قزح طرائق متقوسة تبدو فى السماء ايام الربيع وزاد الأزهرى : غب المطر بحمرة وصفرة وخضرة (وغب يعنى بعد المطر) .. ويستطرد اللسان : وفى الحديث عن ابن عباس : لا تقولوا قوس قزح ، فان قزح اسم شيطان ، وقولوا قوس الله عز وجل

ورغم ان بعض ما ذكره لسان العرب اقرب الى الاساطير ، الا ان ذلك لا يعنى ان الظاهرة كانت مجهولة عند العرب ، اذ كتب عنها القزوينى فى كتابه عجائب المخلوقات بقوله : واما قوس قزح فانما يكون إذا حدثت فى خلاف جهة الشمس اجزاء مائية (ربما يعنى قطرات او قطيرات) شفافة صافية من نزول مطر .. الخ ، اى انه لم يعللها بحكايات اسطورية ، وهذا فى حد ذاته خطوة متواضعة نحو التعليل الصحيح ، إذ لم تات التفسيرات وقتها بما تشتهى العقول ، فحقيقة الأمر الآن ان ضوء الشمس اذا مر بين بلايين البلايين من قطيرات الماء المتجانسة ، فان كل قطيرة تتعامل مع اشعة الشمس وكانما هى منشور زجاجى ، فتحرفها وتشتتها الى الوان الطيف المعروفة ، ومن محصلة ذلك ، ينتج قوس قزح .. وليس مهما ان يظهر القوس بفعل المطر ، بل يمكن رؤيته فى رذاذ ماء يندفع بكثرة من رشاش او نافورة ، وبحيث يتخلله ضوء الشمس ، وتنظر اليه من الزاوية المناسبة .

الظواهر بعد ذلك كثيرة ، والتفاسير غريبة ، والأساطير مريحة ، والعلوم تتقدم لتصحح كثيراً من المفـاهيم الخاطئة ، وما اكثر ما يعيش فيه البشر من تصورات رديئة ، وخيالات سقيمة ، لا تستقيم مع فكر ناضج ، وعقل راجح ، وهو ما سنحاول تقديم بعضه على صفحات هذه المجلة ان شاء الله .

عبد المحسن صالح



أضـواء على كاتب سـعودي بـارز

أحمد السباعي قصصياً

يـوسف الشـــاروني

فاز الاستاذ احمد السباعي (١٣٢٣ هـ / ١٩٠٥ م) هذا العام (١٤٠٤ هـ / نوفمبر ١٩٨٣ م) بجائزة الأدب التقديري في المملكة العربية السعودية ، وجاء في تقرير الجهة التي رشحته لنيل الجائزة انه « من عمالقة الصحافة في بلادنا .. فهو - دون مبالغة - يعتبر شاهد العصر بالنسبة لأدبائنا لانه صور الكثير مما كان يموج به ذلك العصرويضطرب في حناياه . وكان له من نفاذ بصيرته ، وقدرته على التحليل ، وأسلوبه القصصي خير مساعد على تقديم هذه الشرائح المتباينة من المجتمع ، فهو شيخ الأدباء دون منازع واجدرهم بالتكريم واحقهم بمنح هذه الجائزة » .

واعترف انه كان من ثمار هذه الجائزة تعرفي على العالم القصصي للأستاذ احمد السباعي ، فما ان اطلعت على قائمة مؤلفاته بمناسبة فوزه بالجائزة حتى لفت انتباهي ان له مجموعة قصصية بعنوان «خالتي كدرجان» ، وكنت اظن ان جيله في السعودية لم يكتب القصة القصيرة بمعناها الحديث ، وان جاز ان يكون قد كتب ما يمكن تسميته بالمقال القصصي أو الصورة القصصية ، وهو الذي يختلط فيه العنصر القصصي بعناصر اخرى غريبة عن الفن القصصي الخالص ، كمرحلة من مراحل التطور نحو ظهور القصة القصيرة كفن أدبي مستقل في عالمنا العربي ، وذلك قياساً على ما نجد في مرحلة الأدب المصري على سبيل المثال وعند اديب مثل المنفلوطي في نظراته (الجزء الأول عام ١٩١٠ والجزء الثاني عام ١٩١٢) وعبراته (١٩١٥) ، والمازني في مجموعاته «صندوق الدنيا» (١٩٢٩) و «خيوط العنكبوت» (١٩٣٥) و «في الطريق» (١٩٣٦) ... الخ ، وطه حسين في «المعذبون في الارض» (١٩٥١) حيث يختلط الاسلوب التقريري بالاسلوب التصويري ، ويتدخل الكاتب بنفسه من حين لآخر فنسمع صوته واضحاً وهو ما سنجد آثاراً منه في قصص احمد السباعي .

المهم انني بادرت فارسلت الى الصديق الأديب السعودي الذواقة سعيد سليمان كردي اطلب منه موافاتي بهذه المجموعة ، فابى كرمه وصداقته للأدب العربي ولي إلا أن يهديني كنزاً من المجموعات القصصية السعودية ، وبعض مؤلفات احمد السباعي وبعض الدراسات في القصة السعودية ، وأرفق مع هديته رسالة يدلي فيها برايه في القصة السعودية اذكره هنا بعد إذنه إذ يقول متواضعاً : « القصة في بلادي لازالت

تحبو الا انها في دور نمو يتسم بالصحة ، كتابها يرتعشون في كتابتها إلا ما ندر ، والنادر لا حكم له » .

بهذه الخلفية اقبلت على قراءة احمد السباعي ، وبالذات على مجموعته «خالتي كدرجان» ، فاذا بي افاجأ بكاتب كتب القصة القصيرة ربما منذ نصف قرن او ربع قرن – فتاريخ اول طبعة للمجموعة غير مثبت – افضل مما يكتبها كتاب قصة معاصرون من شباب الخليجيين ، بل انني أؤكد هنا ما سبق أن ذكره الدكتور منصور ابراهيم الحازمي في كتابه « فن القصة في الأدب السعودي الحديث » من أن أحمد السباعي كاتب قصصي بالسليقة لأنه يملك تلك الحاسة الدرامية التي تنزع الى رؤية الحياة في صورتها الحية المضطربة المتحركة ، لا في صورتها التجريدية الساكنة الجامدة .

فالأسلوب القصصي عند احمد السباعي مبثوث في جميع كتبه حتى تلك التي تبدو للوهلة الأولى انها بحوث موضوعية لا علاقة لها بفن القصة مثل «مطوفون وحجاج» و «دعونا نمشي» و «قال وقلت» ، وهذا كلام اشبه بما يمكن أن يقال عن نظرائه من الأدباء المصريين مصطفى لطفي المنفلوطي وابراهيم عبد القادر المازني ومعاصره بالميلاد يحيى حقي أمد الله في عمريهما .

سيرة ذاتيه

فالى جانب مجموعة قصص «خالتي كدرجان» فان للسباعي رواية عنوانها : «فكرة» ، هو اسم بطلتها ، كما انه نشر ترجمته الذاتية بعنوان «أبو زامل» أولا ، ثم غير عنوانها في طبعتها الثالثة الى «أيامي» ، وأسلوبها القصصي واضح . وهناك علاقة وثيقة بين هذين العملين من ناحية ، وبينهما وبين مجموعة «خالتي كدرجان» من ناحية أخرى . ولعل السبب الأول هو المؤلف الذي يطبع كل كتاباته بطابع مميز نلاحظه مبثوثا في كل كتاباته ، سواء من ناحية الاسلوب ، أو الموضوعات التي تلح عليه ، فما يجمع بين رواية «فكرة» وترجمته الذاتية «أيامي» ، ان كلا من البطلة هنا والبطل هناك – شانها شان مجموعة قصص «خالتي كدرجان» – يعبرعن شخصية الكاتب ، ويجسد آراءه في شتى شئون الحياة والمجتمع والفكر . (انظر منصور ابراهيم الحازمي ، فن القصة في الأدب السعودي الحديث) ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤٠١ / ١٩٨١ ص ٤٤ – ٤٥) .

ثم ان كلا من البطلين متمرد على واقعه . فشخصية « فكرة » كما جاء على غلاف الرواية « هازئة بقواعد الحياة لا يغريها من جمالها وفتنتها ما يغريها في الراي مصدره المنطق الصحيح » . وشخصية زامل ،كما لخصه المؤلف في آخر كتابه بانه لا يقر المبادىء التي لا يقرها عقل ومنطق . ولكن الفرق بينهما هو تجهم الكاتب في روايته **وقهقهته الساخرة الناقدة فى ايامه** .

ويمكننا أن ندرك العلاقة بين «فكرة» و «أيامي» عندما نعلم ان حلماً من احلام احمد السباعي مذ كان في سن العشرين ، ان يتزوج « فتاة ناضجة في تفكيرها ومتعلمة ... واجلس انا وهي نتناقش ، ونمسك بكتاب ونتفلسف . وكان هذا حلمي الجميل والماتع بيني وبين نفسي » . (مجلة سيدتي الشركة السعودية للأبحاث والتسويق ، لندن ، ٢٩ ربيع الأول – ٥ ربيع الثاني ١٤٠٤ هـ/٢ – ٨ يناير ١٩٨٤ ، ص ٨٧) . لكن ظروف المجتمع السعودي في ذلك الوقت لم تتح لأحمد السباعي أن يحقق حلمه في عالم الواقع ، فقد تزوج أربع نساء بحثاً عن « فكرة » ، لكنه يصرح في حديثه المشار اليه سابقاً بانه لم يحقق في هذه الزيجات حلمه نحو المراة التي يرتبط بها وترتبط به . لهذا قام – في رأينا بمحاولتين لتحقيق حلمه : احداهما صحفية والأخرى ادبية . أما المحاولة الصحفية فتمثلت في نشره سلسلة مقالات على لسان فتاة متعلمة تحكي فيها كيف تعلمت ، والرعاية التي نالتها من والدها ومن اخيها حتى شعرت أن للحياة مذاقاً ومعنى بالتعليم وبالفهم . ومع الأيام اخذت افكارها تنمو وتكبر حتى كانت تتعرض للحسد . وكان يكتب هذه المقالات بتوقيع «فتاة» . (الحديث السابق ، ص ١٧ – ١٨) . أما المحاولة الأدبية فهي روايته «فكرة» وهكذا نرى جذور الصلة بين «فكرة» وبطل السيرة الذاتية «أيامي » .

ويكشف لنا أحمد السباعي بنفسه أن لجوءه الى الأسلوب القصصي في كتاب مثل كتابه «فلسفة الجن» كان وسيلته التي اضطر اليها للتحايل لكتابة افكاره الجديدة وطرحها ، لانه كان يجد الهجوم عليه كلما انتقد شيئاً من التقاليد (المرجع السابق . ص ١٩) . مما يذكرنا بما ذكره روائي مثل نجيب محفوظ على لسان احدى شخصياته في السكرية – الجزء الثالث من ثلاثيته – ان «المقالة صريحة ومباشرة ، ولذلك فهي خطيرة خاصة لأن الأعين محملقة فينا ، أما القصة فذات حيل لا حصر لها ، انها فن ماكر » .

سمات أساسيه

اما مجموعته القصصية «خالتى كدرجان» فتتالف من ست قصص ، اطولها «اليتيم المعذب» التي تقع في ٤٢ صفحة من القطع المتوسط من مجموع صفحات المجموعة التي نشرتها دار تهامة في سلسلة الكتاب العربي السعودي عام ١٤٠١ / ١٩٨١ ، وذلك بعد حذف الصفحات البيضاء وصفحات الصور ، اي أن مجموع صفحاتها يساوي مجموع صفحات القصص الخمس الأخرى .

وهناك سمات مشتركة لا يخطئها ادراك القارىء تجمع بين مختلف قصص المجموعة . هذه السمات هي :

– ان قصص المجموعة – شانها شان اعماله القصصية الأخرى التي يتخللها الاسلوب القصصي – « اشبه بسلسلة من الترجمات الذاتية ، يصوغ فيها الكاتب اشتاتا مبعثرة لها اهمية خاصة في حياته ، يحاول أن يجمعها في قالب قصصي يمزج فيه بين الحقيقة والخيال ،ويضفي عليها من فنه وحيويته ما يجعلها في مجموعها رواية شيقة ، مترابطة الحوادث ، متصلة الحلقات» .(فن القصة في الأدب السعودي الحديث ، ص ٤٥) .

– والفترة التي تلح عليه من تاريخ حياته هي فترة طفولته – مثله فى ذلك مثل الكاتب الانجليزي تشارلز ديكنز – وهي فترة تاريخية مميزة لانها فترة تحول في تاريخ الحجاز ما بين أواخر العهد العثماني وأوائل العهد الهاشمي . فكاتبنا ولد في بداية القرن العشرين ، وفي العقد الثاني منه تم التخلص من الحكم التركي وبدأ العهد الهاشمي ، فهي فترة تغير في تاريخ الجزيرة العربية ، وتلك هي ميزة أحمد السباعي التي تحسها من كتاباته : أن له قرون استشعار بما سيترتب على تلك التغييرات من تحولات اجتماعية ، في بلده فكان كالمتنبي حيناً وكالنذير حيناً لقومه . يقول الدكتور منصور ابراهيم الحازمي : «ان الكاتب في أكثر كتبه وقصصه يحاول استعادة تلك الحقبة التاريخية العتيقة وانتشالها من براثن الاهمال والنسيان ، لا حباً فيها بل إنقاذاً لذكريات الطفولة ،

مهما كانت مرارتها في فمه وقلبه ونفسه » . (المرجع السابق ص ١١٣ ـ ١١٤) .

مسرح الأحداث والشخصيات

ومما يلاحظ ان كثيرين من كتاب القصة يتعلقون بفترات معينة او امكنة معينة ـ ربما ترتبط بهذه الفترات ـ يجعلونها المسرح المحبب لأحداث قصصهم وشخصياتها مهما تنوعت . مثال ذلك نجيب محفوظ الذي ينشأ معظم ابطاله في حارات القاهرة المعزية وازقتها ، ويلبسون رداء الفتوات حتى ولو كانوا شخصيات تاريخية او رمزية . وهكذا شان كاتبنا احمد السباعي ، اذ يبدو ان الفترة التاريخية المحببة لديه هي فترة هذا التحول التاريخي لبلاده من خلال وجهة نظر صبي وذكرياته .

ـ والسمة الثالثة تترتب بدورها على السمة السابقة ، فللطفل دور فني هام في قصص احمد السباعي هو دور الراوي . ونحن نختلف مع الدكتور الحازمي حين يقول: إن الطفل هو البطل الحقيقي في قصة السباعي ، لكننا نوافقه حين يقول إن الطفل يقوم بدور الراوي الذي يلاحظ ويرصد في كثير من الخبث والذكاء ، كما في قصة خالتي كدرجان حين كان يلعب مع الصبية الغميمة ولا يحلو له أن يختبيء اذا احتدم اللعب إلا في بيتها ، فتشير له بيدها الى الكنبة التي تتصدر الديوان ليختفي تحتها ، فيلاحظها وهي تعني كثيراً بمكحلتها ، او وهي تاخذ من علبة صغيرة بجوارها باصبعها شيئا تدعكه بين يديها ثم تغشى به وجهها ، وهي تركز امامها مراة فوق كرسي النصبة ثم تاخذ بيدها مقصا تمر به على شعر راسها فتلتقط به شعرة من هنا واخرى من هناك بيضاء ، وكانت تستعين براوية القصة الطفل صاحب ضمير المتكلم للبحث في شعرها عن شعرة بيضاء ... (المجموعة ص ١٤) .

والطفل في قصة «أبو ريحان السقا» هو راوي القصة ايضاً وصاحب ضمير المتكلم فيها . فنحن نتلقى الأحداث الأولى على الأقل للقصة من وجهة نظره فنسمعه يقول « كنا شلة من صغار الطلبة تجمعنا الشقاوة وحب العبث بعم ريحان دون جميع السقاة الصاعدين أو الهابطين في جبل الهندي (المجموعة ص ٨١) . وهو ليس مجرد



أحمد السباعي قصصياً

راو محايد بل إنه يشارك في الأحداث احيانا . اي انه شخصية ثانوية ايضاً في القصة ، لأنه وزملاءه كانوا يعبثون مع عم ريحان فاذا ما ثار عليهم لعبثهم ارضوه بقطعة من الجزر يضعونها في فمه .

ـ ونتيجة لذلك تبرز السمة الرابعة لقصص احمد السباعي فى بنائها القصصي فهى كثيراً ما تكون من قسمين : القسم الأول يشاهده الراوية الطفل مشاهدة العيان . والقسم الثانى يسمعه الراوية وقد شب عن الطوق . ويفصل بين القسمين او يصل بينهما جمل مثل « ومرت السنون طويلة مملة توفيت اثناءها امى اولحقت بها اكثر جاراتها ، ووجدتني اشب عن الطوق فامنع نفسى عن ديوان خالتى كدرجان مسرح لعبى ايام الطفولة ، فلم اعد اسمع عنها شيئاً . بلغنى انها أصيبت فى بعض أيامها بلوثة فى **عقلها** ، فانتقلت الى بيت بعض قريباتها وما لبثت ان توفيت بمرضها . انتهى خبرها الي من عجوز » (المجموعة من ١٥ ـ ١٦) .

ثم نرتد الى الوراء لنعرف ماذا حدث فى تلك الفترة التى قفزها الراوى بين خالتى كدرجان كما شاهدها فى طفولته وخالتى كدرجان كما سمعه عن نهايتها .

وفى قصة ابو ريحان السقا يقول الراوى : "ومضت سنوات طويلة ابتعدت اثناءها عن الدراسة ونسيت اباريحان حتى كنت فى احد الايام أزور مستشفى اجياد فاذا جلبة عالية (المجموعة ص ٨٦) . وفى قصة « بعد أن طاب السفرجل » نقرا هذه الجملة «ومضت سنوات نسيت فيها سعدية امرحسان ...» (المجموعة ص ١٠٤) .. الخ .

ـ لهذا فان السمة الرابعة أن البناء القصصى كثيراً ما يتسم بمقدمة وصفية هى اشبه باعداد المسرح (المرجع السابق ص ١١١) ، اى انها مقدمة سكونية وصفية تتلوها حركة الأحداث وما فيها من عنصر درامى . وغالباً ما ياتينا هذا الاعداد المسرحى من ذاكرة الراوى ايام الطفولة ، فالراوى الطفل لا يتذكر احداثا بقدر ما يتذكر لقطات وصفية سكونية لا حركة فيها ، ولهذا كثيراً ما يستخدم الفعل الماضى الناقص « كنت » ، وهو الذى يدخل على الفعل المضارع فيفيد الوصف فى الماضى فنسمعه يقول : « كنت الاحظ .. كنت كثيراً ما أراها تجلس .. كانت تخدم بيتها وهى فى احلى زينتها » ، حتى اذا كبر الراوى وابتعد عن مسرح طفولته عاد اليه ليستمع الى الأحداث التي تحركت فيمابعد فوق مسرح الذكريات الطفولى ، ويختفي الفعل « كنت » ليحل محله الفعل الماضى الذى يعبر عن الحركة والحدث فنقرا افعالا مثل : شبت خالتى كدرجان فى كنف والدها .. اشتد الطلب على يدها .. عاشت الفتاة فى بيت أبيها .. جازاها بعناد مثله .. طاب انتظارها عبثاً .. الخ ويتكرر هذا فى قصة « الصبى السلطانى » ، كذلك تكرر فى قصتى « أبو السقا » و « بعد أن طال السفرجل » .

ـ السمة الخامسة انه يجيد تقديم شخصياته ، ونتيجة للبناء الفنى فى القصة فان الشخصية تقدم على مرحلتين : المرحلة الأولى هى المرحلة السكونية على نحو ما تقدم الشخصيات فى المسرح من خلال التعليمات الموجهة للمخرج ، ثم تقدم فى الجزء الثانى من القصة من خلال حركتها وتصرفاتها وصراعها فى سبيل الحياة ومع الآخرين.فالراوى الطفل يعطينا صورة وصفية للشخصية من خلال ذكرياته والراوى الذى شب عن الطوق يقدم لنا الشخصية من خلال حركتها .

وهو يقدم شخصياته باكثر من بعد ، احيانا بعدها الجسمى واحيانا بعدها النفسى أو الاجتماعى ، واحيانا بعض هذه الأبعاد أو كلها . فخالتى كدرجان فى الخمسين من عمرها ـ وان كنا نتتبعها منذ أيام شبابها ـ وهى دائمة الاهتمام بزينتها

ورشاقتها انتظاراً لعريسها المأمول ، كذلك تقديمه لشخصيتي « السلطاني » و شحه البلغ وصبيه الذي يوهم الآخرين ببلاهته وذلك من خلال تصرفاته وليس عن طريق الوصف ، حتى نفاجأ انه احد جواسيس العهد العثماني . واليتيم المعذب الذي يذكرنا على الفور بشخصية « جان فالجان » بطل البؤساء للكاتب الفرنسي فيكتور هوجو - وربما قرأ السباعي تعريبها بقلم شاعر النيل حافظ ابراهيم - لاسيما حين نقرأ انه بعد خروجه من السجن وتوبته حاول مرة اخرى أن يجد عملا ، لكنه ما يكاد يلتحق بعمل وينكشف امره حتى يطرد ، وأبو ريحان السقا يقدمه لنا المؤلف ببعده الجسمي من خلال راويته الطفل : « نشهده في اغلب اياما منحنياً تحت قربته « الشعارى » الكبيرة ينقل خطاه فى تثاقل تحت وطأتها متوكئا على عصاه القصيرة كأنها رجل ثالثة ليخالف بها من يمشى على رجلين او أربع » (المجموعة ص ٨١) . ثم يقدمه لنا ببعده النفسى : شخصية ساذجة تغرى الأطفال بمعابثتها ، سريع السخط سريع الرضا كأنما نموه العقلى لم يتجاوز مرحلة الطفولة . أما بعده الاجتماعى فواضح من مهنته ورثاثة ثيابه وكونه من العبيد العتقاء .

وهو يهتم بالأماكن اهتمامه بالشخصيات على نحو ما فعل حين ادخلنا مع راويته الطفل منزل خالتى كدرجان ، وحين أوقفنا مع راويته الطفل أمام دكان عم خليل السلطانى بالقرب من باب العمرة ، نتلهف معه على قطع اللحم المشوى ، ولعل قصته الأخيرة فى المجموعة « بعـــد أن طـاب السفرجل » خير دليل على اهتمامه بالمكان ، فهو يقدم لقارئه كتاب خديجة الفقيهة بحيث يعطينا صورة حية لكتاتيب ذلك العهد ، وكتاتيب الاناث النادرة حينئذ بوجه خاص .

فعلاقة المكان بالشخصية والشخصية بالمكان فى قصص احمد السباعي علاقة تفاعل ، كل منهما يعطى الآخر ويأخذ منه . وطبقاً للبناء القصصى فان تقديم المكان يكون فى القسم الأول السكونى من القصة متلاحماً فى ذاكرة الراوى الطفل مع التقديم الوصفى للشخصية . فاذا كان القسم الثانى فان الاهتمام كله يكاد يتركز على الشخصية فى حركتها ، بينما يتوارى الاهتمام بالمكان .

عامية مفهومة

- ونتيجة لذلك فان الحوار مكتـــوب بالعامية ، ولكنها عامية مفهومة . ولعـل هذا اثر من آثار المدرسة الحديثة فى مصر وقتئذ ، ومفهومها للحوار الواقعى . فعيسى عبيد فى مقدمته لمجموعته القصصية « احسان هانم » (١٩٢١) عارض استخدام العامية فى الحوار ، ثم انتهت هـــذه المعارضة بتساهله الى حد الدفاع عن استخدام العامية متى كانت المحادثات قصيرة ، وهو امر لا يمكن ايجاد ضابط له ، حتى اذا قرأنا حوار قصصه فى مجموعته وجدناه بالعامية كله .

واحمد السباعى فى مجموعته خالتى كدرجان يبث الألفاظ العامية فى سرده القصصى كأنها البهارات لتعطى للقصة مذاقها الشعبى ، وان كان يحاول فى بعض الأحيان أن يردها إلى أصلها فى الفصحى .

هذا فيما يتصل بالسرد ، اما فيما يتصل بالحوار فانه يورده كله بالعامية ، نقرأ هذا في قصة «اليتيم المعذب» التي تبدأ بحوار بين شخصين ، ندرك فيما بعد انهما الشيخ الذي عطف على اليتيم فاحضره الى البيت وزوجته التي ترفضه ، لكنها عامية مبسطة يمكن أن يفهمها - فيما اعتقد - جميع المتكلمين بالعربية ، فهي أشبه ما تكون - بالنسبة للغة الفصحى - بالأسلوب الصحفي الذي لا يستخدم من كلماتها إلا المتداول حتى يفهمها عامة القراء . وكما يستخدم احمد السباعي في السرد الفاظاً لتلوين قصته ببيئتها المحلية ، فانه يفعل الأمر نفسه في حواره . فاذا قرأنا قصة «اخطأ العفريت ولم اخطىء» وجدنا انها قصة حوارية من أولها الى آخرها ، مكتوبة بتلك العامية المحلية المفهومة . بينما يقل الحوار في قصص اخرى حتى لا يتجاوز بضعة سطور .

- ولعل تأثير المدرسة الحديثة في مصر في العشرينات من هذا القرن كان اقوى في الفكرة التي سيطرت على احمد السباعي وهو اهمية تأثير البيئة والظروف الاجتماعية والنفسية في تكوين الشخصية . نجد هذا واضحــاً فى سيرتـــه الذاتية : «أيامي» ، كما انه أوضح ما يكون في قصة « اليتيم المعذب » ، واحمد السباعي حريص على أن تصل فكرته هذه الينا ، ويخشى الا نستنتجها من احداث قصته ، فيعلنها صريحة في اسلوب تقريري حين يصف مايسميه فلسفة الشيخ الذي تبنى هذا اليتيم - وما هو في الواقع إلا احمد السباعي الذي تبنى شخصيته القصصية - فيقول : « كانت له فلسفة عميقة في تنشئـــة الطفل وتربيتـــه وتعويده على ما يتعود . وكان يرى أن بيئته الشخصية وعادات محيطه مسئولة في المقام الأول عن جميع تصرفاته في الحياة » (المجموعة ص ٣٧) .

وفي موضوع آخر يقول : « لم يولد عليوة منحرف الأخلاق أو مستقيمها ، انما كما تولد العجائن اللدنة ، قابلا للتكيف والصياغة » (المجموعة ص ٥٢) « فليس الاجرام فيما اعتقد اكثر من مرض له أسبابه السيكولوجية واعراضه التي تتنوع بتنويع جرائيمه الخاصة » (المجموعة ص ٥٤) . حتى قسوة سيدته عليه أرجعها المؤلف الى ما كانت تعانيه من طغيان امراة ابيها مما جعلها تشعر بالنقص . ثم يتنبأ بان العلم حين يستطيع أن يشخص حقا هذا المرض وان يتتبع انواعه التي لا يحدها حصر ، وان يتعقب الجرثومة المتاصلة في حقيقة كل نوع على حدة .. فسوف لا يعجز عن علاجه بطريقة غير التي نعالجه بها اليوم .

- وهذا يقودنا اخيراً الى الاسلوب التقريري الذي تتسم به بعض قصص احمد السباعي ، وتدخل المؤلف في سياقه الدرامي من حين لآخر بشرح ما هو واضح ، وكأنه يشك في فهم القارىء ويريد التأكد من أن دلالة قصته واضحة لا لبس فيها . وهذه سمة من سمات الأدب القصصي في مرحلته التي اسميها البدائية الفنية . حدث هذا من قبل في مصر حيث اختلط المقال بالقصة فيما أطلق عليه « المقال القصصي » ، على نحو ما نجد في حديث عيسى بن هشام (١٩٠٨) للمويلحي ، باكورة المحاولات الروائية في أدبنا العربي حيث يغلب الأسلوب التقريري على فقرات النقد الاجتماعي . والشيء نفسه في رواية « زينب » لمحمد حسين هيكل (١٩١٢) حيث يتصـــارع الاسلوبـــان الدرامي والتقريري ، وان كان ينتهي لحسن الحظ بانتصار الأسلوب الدرامي . وقد ظل يحيى حقي - المولود في نفس العام الذي ولد فيه احمد السباعي كما سبق وذكرنا - يمثل انتاجه صراع المقال الأدبي مع القصة القصيرة في مصر (يوسف الشاروني ، القصة والمجتمع ، سلسلة كتابك ٧٤ ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٥٣) .

وما أشبه الفترة التاريخية التي كتب فيها احمد السباعي مجموعته القصصية بالنسبة للمجتمع السعودي والأدب السعودي بتلك الفترة التاريخية التي كتب فيها هؤلاء الأدباء المصريون محاولاتهم القصصية بالنسبة للمجتمع المصري والقصة المصرية ، فلا عجب أن تشابهت بعض السمات في كلا الأدبين .

يوسف الشاروني

إعداد: محمد العزب موسى

حضارة الألوان الزاهية والأشكال الرقيقة.. هل تكشف الأسرار حول ماضي الإنسان ؟!

حتى اوائل القرن الحالي ظل معظم المؤرخين يعدون جزيرة كريت بشرق البحر المتوسط ليست بذات اهمية كبيرة في تاريخ الحضارات القديمة . حقا ، كانت لدى الاغريق القدامى قصص واساطير عديدة عن تلك الجزيرة الجبلية التي تقع على الحد الجنوبي لبحر إيجة ، وكانوا ينظرون اليها على انها كانت يوما موطنا لشعب عظيم محب للأسفار البحرية يحكمه ملك يدعى « منيوس » وهو ابن « زيوس » من « أوربا » ، وكانت لديهم اسطورة عن انسان آلي من البرونز ، له جسم انسان وراس ثور ، يذرع شاطىء كريت الصخري جيئة وذهابا ليبعد عنها الغزاة بان يلقي على سفنهم جلاميد من صخر الشاطىء ، وكان هناك ايضا قصر التيه (اللابيرنث) الذي حبس فيه الملك مينوس المينوتور ، وهو وحش له جسد انسان وراس ثور كان يفترس كل عام سبعة شبان وسبع فتيات من خيرة شباب اليونان يتم تقديمهم اليه كقرابين بشرية قبل أن يذبحه في نهاية الأمر البطل الاغريقي ثيسيوس ..

لقد كانت مثل هذه القصص والاساطير شائعة لدى الاغريق عن كريت ، ولكن معظم المؤرخين كانوا يعتبرونها من ضروب الخيال .. الى ان ثبت فيما بعد ان هذه القصص ربما كان لها فعلا اساس من الواقع .

ففي عام ١٩٠٠ اجرت بعثة اثرية بريطانية برئاسة سير آرثر ايفانز حفريات في جزيرة كريت .. وسرعان ما بدات تظهر تحت معاول البعثة مبان وآثار عظيمة دلت على أن كريت شهدت حضارة راقية منذ حوالي ٤٥٠٠ سنة ، واسمى سير آرثر ايفانز هذه الحضارة بالحضارة المينوية ، نسبة الى الملك الاسطوري « مينوس » .

ودلت اكتشافات سير آرثر ايفانز على ان اهل كريت كانوا سادة لكل الجزر في بحر ايجة حين كان الاغريق مازالوا شعبا بربريا متخلفا ، فقد كانوا تجارا ومستعمرين يتلقون الجزية من الشعوب الأقل تقدما منهم ، بما فيهم الاغريق في ارض القارة ، وطار صيتهم بعيدا الى شمال اوربا وغربها ، وجذوبها الى مصر والشاطىء الشرقي للبحر المتوسط ، واشتهروا بحبهم للأسفار ، وثرائهم العريض ، وفخامة حياتهم .

وكانت عاصمتهم كنوسوس ، بالقرب من مدينة هيراكليون الحديثة ، تقع على بعد ثلاثة اميال من شاطىء كريت الشمالي ، وهي مدينة عظيمة ، كان يسكنها نحو ١٠٠ الف نسمة عام ٢٥٠٠ ق . م . وفيها قصر كنوسوس مقر الملك والملكة ومركز الحكومة المينوية ، وهذا القصر عبارة عن مجموعة من المباني الرائعة تغطي ستة افدنة ، ويضم مالا يكاد يحصى من الغرف والقاعات والصالات والدهاليز باروقتها ذات القباب المثلثة ، وعمدانها الملونة ، وشرفاتها الفسيحة . وكان القصر يقوم على مستويات مختلفة من الارض وتربط بين اجزائه الممرات والسلالم والدهاليز الحلزونية . ويبدو أن مثل هذا البناء العجيب هو الذي أوحى للاغريق بقصص التيه في كريت .

وكانت المخازن الضخمة باسفل القصر مليئة بالحبوب والنبيذ والزيت ، حيث نجد بعض الجرار تتسع لنحو ٧٩ الف جالون من زيت الزيتون . وكان القصر ايضا مركزا دينيا وفنيا به غرف للكهنة والكاهنات ومعامل للفنانين وارباب الحرف ، وهؤلاء

كانوا يتمتعون بمركز محترم في المجتمع المينوي . وكانت جدران القصر مزينة برسوم زاهية للطيور والوحوش والأزهار ، وكذلك صور لشبان وفتيات في ملابس انيقة .

وتدل الرسوم والأواني الفخارية التي وجدت في كنوسوس وغيرها من المواقع الاثرية في كريت على ولع ابناء الحضارة المينوية بالالوان الزاهية والأشكال الرقيقة كما تدل على ملاحظتهم الحادة للطبيعة وحبهم الشديد للحياة . وتسجل رسومهم مناظر الرقص والمادب والاحتفالات والرياضة والحيوانات اكثر مما تسجل مناظر الحرب والقتال والحصار . وفي كل مكان يبدو اهتمامهم بالثور واضحاً ، فعلى « الفازات » وقطع الخزف نجد رسوماً لشبان غير مسلحين يقفزون فوق ظهور الثيران او يتعلقون بقرونها وهم يؤدون حركات بهلوانية ، وعثر على انية قرابين على هيئة راس ثور له قرون ذهبية ، ومن الكنوز الأخرى التي كشفت عنها التنقيبات نجد حلي ذهبية ومجوهرات وادوات زينة مطعمة بالذهب والعاج تشهد جميعاً بدرجة الثراء الواسع الذي كان يتمتع به المينويون .

ولم يكن المينويون يحيون في منازل جميلة فحسب وانما كانوا يتمتعون ايضاً بوسائل للراحة لا يكاد يكون لها مثيل حتى في العصور الحديثة ، فكان قصر كنوسوس مزوداً بالمراحيض ذات المياه المتدفقة ، ومواسير المياه الجارية ، وشبكة لصرف مياه الأمطار والمجاري ، وكانت حجراته مزودة بنوافذ تفتح على مناور لادخال الضوء ، وتحيط بالقصر مدينة تبلغ مساحتها ٢٢ فداناً تحوي منازل قباطنة البحر ، والتجار ، واصحاب السفن . ويخترق المدينة شارع مرصوف ، له مصارف للماء على جانبيه ، ويمتد من كنوسوس الى الشاطىء الجنوبي حيث تقوم مدينة عظيمة اخرى تسمى « فايستوس » ، بينما تنتشر في انحاء الجزيرة حوالي ١٠٠ مدينة صغيرة على درجة عالية ايضاً من التنسيق والنظافة ودلت الابحاث الاثرية على أن حضارة كريت ازدهرت زهاء الفي عام متواصلة ، لكنها انهارت فجاة واختفت من الوجود حوالي عام ١٥٠٠ او ١٤٠٠ ق . م .

تشابه كريت واطلانطس

ها نحن لأول مرة نجد شاهداً على وجود



السير ارثر

شعب يشبه شعب اطلانطس الذي تحدث عنه افلاطون ، ولم يمض وقت طويل بعد اكتشافات ايفانز حتى بدأ الباحثون يتساءلون عما اذا كانت ذكريات هذه الحضارة المينوية هي التي اوحت باسطورة اطلانطس .. فكل من اطلانطس وكريت كانت مملكة في جزيرة ، وقوة بحرية واسعة النطاق ، وكل منهما ايضاً لقيت نهاية مفاجئة ، ويبدو ان ثمة تشابه واضح كذلك بين حفلات الرقص على الثيران التي يصورها الفن المينوي وبين مراسم صيد الثيران التى تحدث عنها افلاطون بصدد اطلانطس

وكان اول من اشار الى وجود أوجه تشابه بين اطلانطس افلاطون والحضارة المينوية هو البروفيسور ك . ت . فروست أستاذ التاريخ القديم بجامعة الملكة (كوينز يونيفرستي) ببلفاست ، فقد كتب البروفيسور بروست مقالا في صحيفة «التايمز» اللندنية في عام ١٩٠٩ اي بعد سنوات قلائل من اكتشاف سير ايفانز أوضح فيه الحاجة الى اعادة كتابة تاريخ البحر المتوسط القديم في ضوء اكتشافات كريت ، واضاف قائلا : « ان الوصف العام لاطلانطس كما قدمه افلاطون في محاورتيه « تيماوس » و « وكريتياس » له مشابهات قوية في الحضارة المينوية الى حد القول بان افلاطون نفسه لم يكن في وسعه اختراع كل هذه الحقائق المتشابهة » .

ويدلل فروست على نظريته قائلا « ان حديث افلاطون عن الميناء العظيم بسفنه وتجاره القادمين من كل الأنحاء ، والحمامات القشيبة والملعب الرياضي ، ومراسم التضحية بالثيران ، كل ذلك نجد ما يشابهه في الحضارة المينوية ، ولكن



افلاطون

عندما نقرا عن طريقة اصطياد الثيران في معبد بوسيدون بدون استخدام الاسلحة وانما بالعصي والحبال فحسب ، نجد انفسنا ازاء وصف دقيق لحلقات الرقص على الثيران في كنوسوس ، وهذا الشيء الذي كان يلفت نظر زائري كريت اكثر من غيره ، وادى الى ظهور اسطورة المينوتورس .. ان كلمات افلاطون تكاد تصف بدقة متناهية المناظر التي نجدها مصورة على الأواني الاثرية الكريتية والتي تمثل مطاردة الثيران والامساك بها بطريقة تختلف عن صيد الثيران في اي مكان آخر فيما يتعلق بنقطة هامة اكدها افلاطون في حديثه عن اطلانطس وهي عدم استخدام الاسلحة » .

ولكن كريت ليست في المحيط الاطلسي ، وليست في حجم الجزيرة القارة التي وصفها افلاطون ، ولم تختف تحت امواج البحر .. فكيف يتسنى اذن القول بانهما قد تكونان شيئاً واحداً ؟

لقد حاول فروست ان يفسر اختفاء الحضارة المينوية المفاجىء بان انقطاع الاتصال بطريقة مفاجئة بين تجار كريت وشركائهم المصريين نتيجة لتعرض كريت لغزوات من بلاد اليونان جعل المصريين يعتقدون ان كريت لابد ان تكون قد غرقت تحت سطح البحر ! ولكن الدوائر العلمية رفضت هذا التفسير ، وسرعان ما رفضت نظرية فروست باكملها ، وما لبث ان نسي كل شيء عنها بعد وفاته اثناء الحرب العالمية الاولى .

بركان ثيرا

ولكن بعد ثلاثين عاماً ، اذبرى

حضارة الألوان الزاهية والأشكال الرقيقة..

البروفيسور سبيريدون مارنياتوس - الذي اصبح فيما بعد مديراً عاماً لمصلحة الآثار اليونانية - بتقديم ادلة جديدة تؤيد نظرية فروست ، اذ نشر في صحيفة الآثار البريطانية في عام ١٩٣٩ مقالا بعنوان « الدمار البركاني للحضارة المينوية في كريت » أوضح فيه انه خلال تنقيباته في امينسوس ، وهو موقع ميناء قديم مجاور لكنوسوس ، اكتشف حفرة مليئة بالخفاف البركاني ، كما وجد ايضا دلائل على ان امواجا عاتية طغت على الموقع ، واكتسحت في تراجعها اشياء ضخمة من اماكنها الاصلية ، واعرب مارنياتوس عن اعتقاده بان انهيار كريت لم يكن بسبب غزاة اتوا من الخارج - كما كان يعتقد معظم المؤرخون عندئذ - وانما يرجع الى كارثة طبيعية عنيفة حلت بالجزيرة ، واشار الى احتمال ان يكون مصدر هذا الخراب هو الجزيرة البركانية الصغيرة المسماه « ثيرا » والتي تبعد ٧٥ ميلا شمالي كريت وهي اقصى الجزر الى الجنوب في ارخبيل سيكلاديس .

فما هي جزيرة « ثيرا » هذه ؟

كانت هذه الجزيرة فى الماضي مستديرة الشكل ، يبلغ محيطها حوالي «ميلا» ، ذات قمم صغيرة مدببة ، وتنمو فيها الاشجار والمزروعات الجيدة ، اما فى الحاضر فقد ذهب هذا الرونق القديم ، واصبحت ثيرا ممزقة الى ثلاثة اجزاء اكبرها على شكل هلال ، وهي التي لا تزال تحمل اسم «ثيرا» ويسكنها حاليا حوالي ٥٠٠٠ شخص ، ثم جزيرة اصغر تسمى « تيراسيا » تقع الى الشمال الغربي وتوجد بها حاليا قريتان فحسب ، يسكنهما عدة مئات من الاشخاص والجزء الثالث يسمى « اسبرونيسي » وهو شظية ارضية غير مسكونة . ولكن من يرى هذه الأجزاء الثلاثة من الجو يستطيع ان يلمح بوضوح كيف كانت جميعا فى الماضي جزيرة واحدة مستديرة ، كل ما في الامر ان المنطقة الوسطى فيها اصبحت الآن خليجاً عميقاً بين الجزر الثلاث ، كما يستطيع ان يلاحظ وجود جبال عالية مطلة على الحافة الداخلية للجزر الثلاث ، وهي جبال شديدة الانحدار او تكاد تكون عمودية كما لو كانت قد قطعت بسكين ضخمة . وفي وسط الخليج الذي يتوسط الجزر الثلاث تبرز قبة سوداء تعلوها فوهة بركان تذكر من يراها فوراً بان « ثيرا » كانت يوماً هي البركان النشيط الوحيد في بحر إيجة .

يقول علماء الجيولوجيا انه من المحتمل ان يكون للجزيرة تاريخ طويل جداً من الاضطرابات البركانية ، ولكن من المؤكد ان الانفجار الذي مزق وسط الجزيرة كان اقوى انفجار بركاني معروف في العالم ، وقد بدا باندفاع الخفاف البركاني الذي ادى الى تراكم اكوام ترتفع الى ١٢ قدماً في بعض اجزاء الجزيرة ، ثم حدث فيما يبدو انقطاع او فترة خمود ، تلاها انفجار عنيف ادى الى تغطية الجزيرة كلها ومنطقة واسعة حولها بطبقة سميكة من الرماد الابيض يسمى « تيفرا » ويصل ارتفاع هذه المادة في بعض انحاء الجزيرة الى ٢٠٠ قدم ، وعندما انبثقت هذه المادة من جوف الارض تحت البحر انهار على الفور سطح القشرة الارضية في هذا المكان وهو جزيرة ثيرا وسقط جزء منها في البحر مكونا بذلك الخليج الاوسط الذي يعرفه العلماء باسم « كالديرا » .

بركان كراكاتوا

ان احداً بالطبع لم يشاهد ما حدث في ثيرا ، ولكن فى امكاننا ان نكون فكرة عما حدث فيها من وصف شهود عيان لحادث مماثل وقع سنة ١٨٨٣ . ففي مايو من ذلك العام بدا بركان « كراكاتوا » - وهو بركان من طراز بركان ثيرا - يطلق الحمم . وكراكاتوا جزيرة صغيرة تقع في مضيق «سوندا» الذي يفصل بين جاوا وسومطرة في جنوب شرق آسيا ، وهو مجاور للطريق البحري الرئيسي بين بحر الصين والمحيط الهندي ، ولذلك كانت هناك بعض السفن على مقربة منه عند حدوث الانفجار البركاني ، واعطى ملاحوا هذه السفن فيما بعد وصف شاهد عيان لما حدث .

لم تكن جزيرة « كراكاتوا » مسكونة ، فهي جزيرة بركانية قاحلة غير صالحة للسكنى ، ولكن بركانها ظل خامداً حوالي مائتي سنة قبل ان ينفجر عام ١٨٨٣ ، بعد ست او سبع سنوات من الزلازل العنيفة . ففي يوم ٢٠ مايو ١٨٨٣ بدا البركان في احداث فرقعات هزت النوافذ والابواب على مسافة ١٠٠ ميل ، وبعد ذلك بيومين شوهد عمود من الغبار والغاز يتصاعد من فوهة البركان الى ارتفاع قدر بسبعة اميال ، وتساقط الغبار على مسافة تبعد ٣٠٠ ميل ، ووجد المشاهدون الذين زاروا الجزيرة بعد اسبوع انها مغطاة بطبقة رقيقة من الرماد الأبيض، وان الاشجار جردت من اوراقها واغصانها بفعل تساقط الخفاف البركاني . واستمر النشاط البركاني خلال شهري يونيو ويوليو واوائل اغسطس حيث ذكر زائر اخر لجزيرة كراكاتوا ان كل النباتات في الجزيرة قد دمرت تماما ، ثم جاءت الذروة في يومي ٢٦ و ٢٧ اغسطس بتصاعد سحابة من الدخان الاسود المتموج الى ارتفاع ١٧ ميلا ، وحدثت انفجارات قوية سمعت في كل انحاء جاوة . واثناء الليل يوم ٢٦ اغسطس شاهد بحارة السفينة « تشارلس بال » ، الذين كانوا يبحرون على مسافة ١٥ ميلا شرقي كراكاتوا « كرات من اللهب الابيض » تتساقط على حافة الجزيرة ، واصبح الهواء ساخناً خانقاً معبقاً برائحة الكبريت واخذت السماء « تتحول خلال لحظات من السواد الكثيف الى وهج النار » .

وطوال الليل، استمر هدير البركان من الشدة بحيث حرم سكان غرب جاوة من النوم ، وهدا البركان هنيهة عند الفجر ، ولكن في الصباح الباكر يوم ٢٧ ، حدثت اربع انفجارات متتالية بالغة العنف ، وبخاصة الانفجار الثالث منها ، الذي سمع في جزيرة « رودريجويز » على بعد ٣٠٠٠ ميل ، وربما كان اقوى صوت سجل في تاريخ الارض - وارتفعت سحابة من الدخان الى مسافة ٥٠ ميلا ناشرة محتوياتها عبرمنطقة شاسعة من المحيط الهندي .

وقدر الخبراء ان بركان كراكاتوا لفظ من احشائه حوالي خمسة اميال مكعبة من الحمم ، سقط ثلثها في مجال محيطه عشرة اميال ، مما ادى الى تكوين اكوام من



بقايا اثار مدينة من المدن القديمة فى كريت التى اجتاحتها البراكين .. ترى هل كانت مدن اطلانطس شبيهة بتلك المدينة التى نرى فيها بقايا قصر « كذوسوس » واعمدة متهاوية ؟

«التيفرا» البيضاء ، بلغ ارتفاع بعضها ١٨٥ قدماً في اجزاء الجزيرة التي نجت من الدمار . اما باقي المواد الملفوظة ، فقد حملها الهواء بعيداً حتى باندونج على بعد ١٥٠ ميلا في نفس اليوم .

واستمرت الرياح القوية المشبعة بالتراب البركانى تهب ١٢ يوماً بعد ذلك حتى مسافة ٣٣٠٠ ميل .

وحطمت موجات الصدمة المنبعثة من الانفجار الثالث الكبير النوافذ والجدران على مسافة ١٠٠ ميل ، وامكن تسجيلها فى جميع انحاء الكرة الأرضية ، ولكن موجة المد التى حدثت فى البحار والمحيطات كانت اقوى تخريبا ، فقد اغرقت ودمرت ٣٠٠ مدينة وقرية فى المناطق المجاورة لمضيق «سوندا» ، وادت الى مقتل اكثر من ٣٦ الف شخص تحت

عنف الأمواج التى اجتاحت مساكنهم ، كما ارتفع المد على شواطىء تبعد ٧٠٠٠ ميل عن مكان الانفجار ، بل وقد وصل ارتفاع المد بدرجة طفيفة الى القنال الانجليزى ، وحملت مياه البحر الخفاف البركانى الى آلاف الاميال المربعة ، وامتلأ بها المحيط الهندى لمدة عدة اشهر بعد الانفجار .

وظل الناس فى مختلف انحاء العالم لعدة اشهر ايضاً يرون تلك الظاهرة الغريبة الناجمة عن ارتفاع الغبار الى طبقات الجو العليا ، حيث كانت الشمس تشرق خضراء اللون ، ثم تتحول الى اللون الأزرق ، والقمر يبدو اخضر او ازرق ، وغروب الشمس يخلف وهجاً شديداً فى السماء .

وعندما تجرأ الناس على زيارة الجزيرة بعد هذه الكارثة الكبرى وجدوا ان الجزء الشمالى من كراكاتوا قد سقط تحت سطح البحر مخلفاً خليجاً او « كالديرا » على النحو المشاهد فى « ثيرا » ، كما تمزق باقى الجزيرة الى قسمين .

والآن ، إذا حاولنا المقارنة بين انفجار « ثيرا » بالقرب من كريت وانفجار كراكاتوا فاننا نجد ان « الكالديرا » ، او الخليج المتخلف عن انفجار ثيرا ، اعمق من ذلك المتخلف عن انفجار كراكاتوا كما ان مساحة سطحه تبلغ اربعة اضعاف مساحة سطح الثانى ، وبالرغم من ان ذلك لا يعنى بالضرورة ان انفجار ثيرا كان اقوى بمقدار اربعة اضعاف من انفجار كراكاتوا إلا ان تركيب الخليج واكوام الخفاف فى ثيرا تؤكد ان انفجار ثيرا كان على الأقل فى عنف انفجار كراكاتوا ان لم يكن اكثر منه عنفاً وتدميراً .

متى وقع انفجار ثيرا

عندما يمتزج الخفاف البركانى بالحجر الجيرى ينتج نوع من الاسمنت القوى . وهذا ما حدث فى ثيرا ، وبالتحديد فى جزيرة « ثيراسيا » ، التى اخذت منها خلال ستينيات القرن الماضى كميات ضخمة من الأسمنت لبناء قناة السويس ومدينة بورسعيد فى مصر ، واثناء العمل فى اخذ الأسمنت وجد المهندسون انهم وصلوا فى الحفر الى كتل صخرية فى أسفل طبقات الركام اثناء ثورة البركان ، وكان من الممكن ان يدمرها المهندسون فى تنقيبهم عن مزيد من الأسمنت لولا أن منعهم من ذلك حدوث انفجار بركانى جديد فى عام ١٨٦٦ فارغمهم على التوقف ، وبعد ان هدأ البركان على الأسوار القديمة التى لفتت انظار علماء الآثار الفرنسيين ، فوصل الى الجزيرة فريق منهم برئاسة فرديناند فوكيه واستطاعوا اكتشاف جزء من مستوطنة صغيرة يعود تاريخها الى عصر البرونز فى اكروتيرى شمال شرقى ثيراسيا . وهكذا كان « فوكيه » هو اول من قدم ادلة على أن « ثيرا » تعرضت لانفجار بركانى أثناء عصر البرونز اى فيما بين عامى ٣٠٠٠ و ١٠٠٠ ق . م .

جاءت اكتشافات فوكيه قبل ان يكتشف سيرآرثر ايفانز عظمة الحضارة المينوية فى كريت ، ولذا فان احداً لم يفطن الى دلالة اكتشافات فوكيه قبل مضي قرن كامل من الزمان حين بدأ البروفيسور مارنياتوس تنقيباته الهامة فى اكروتيرى . وفى عام ١٩٥٦ حدث فى الجزيرة زلزال قوى ادى الى تمزيق ارضية محجر فى الجزيرة الرئيسية « ثيرا » فانكشفت بذلك اطلال مبان قديمة وعظام بشرية واسنان واخشاب محترقة ، وقد قام العالم اليونانى دكتور انجيلوس جالا نوبولس بالكشف على هذه المخلفات بطريقة الكربون ــ ١٤ المشع ،

فوجد ان عمرها يبلغ حوالي ٣٥٠٠ سنة ، واجريت اختبارات إضافية فى عام ١٩٦٧ على مجموعة من الاشياء المختلفة التى وجدت فى ثيرا دلت على ان البركان حدث فى وقت ما بين عامى ١٥٠٠ و ١٤٥٠ ق.م . وهذا التاريخ يتفق مع الفترة التى انهارت فيها الحضارة المينوية فجاة .

يقول البروفيسور . ف . لوتشى فى كتابه « نهاية اطلانطس » وهو دراسة علمية حديثة عن القارة المفقودة « اننا لا نعلم ماذا حدث فى كريت وفى الجزر والشواطىء الموجودة فى بحر ايجا ، ولكنى اعتقد انه ليس مما يجافى المنطق ان الخسائر فى الأرواح والممتلكات نتيجة لبركان ثيرا لم تكن اقل ، ان لم تكن اكبر ، من خسائر بركان كراكاتوا . ومن ناحية اخرى ، يمكننا القول بثقة لها ما يبررها ان كريت توقفت عن ان تكون قوة بحرية عظيمة فى اواسط القرن ١٥ ق . م . أليس من المعقول ، اذن ان تفترض ان انفجار ثيرا كان عاملا مؤثرا فى سقوطها ؟ » .

وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية فيما بعد صحة هذا الافتراض ، وثبت يقينا ان الحضارة المينوية التى كانت قائمة فى كريت والجزر المجاورة قد انهارت نتيجة انفجار بركان ثيرا حوالى عام ١٥٠٠ ق . م وانتقلت بالتالى مقاليد القوة من اهل كريت الى سكان الشاطىء اليونانى حيث بدات حضارة « ميسينا » فى الظهور .

عود الى اطلانطس

ويعتقد لوتشى وعدد اخر من العلماء الذين فحصوا آثار ثيرا وكريت ان قصة افلاطون عن اطلانطس لم تكن الا صدى لسقوط الحضارة المينوية ، وان « اختفاء » اطلانطس هو فى حقيقته ضياع مقاليد القوة من ايدى الكريتيين بعد الكوارث الطبيعية التى حلت بجزيرتهم الصغيرة . ومع ذلك فان لوتشى يرفض فكرة البحث عن اطلانطس تحت مياه خليج ثيرا ، ويقول « بالنسبة لى ان اختفاء اطلانطس عبارة عن مغزى تاريخى وليس حقيقة جغرافية » .

ولكن علماء اخرين حاولوا تفسير أسطورة افلاطون على انها تعنى كريت حرفيا ، ومنهم العالم اليونانى دكتور انجيلوس جالا نوبولس الذى يقول ان افلاطون يشير الى جزيرتين : الكبيرة منهما هى المقر الملكى فى كريت ، والصغيرة هى المركز الدينى فى ثيرا . ويقول افلاطون ان مدينة اطلانطس يبلغ محيطها ١١ ميلا ، وهذا بالضبط هو ايضا حجم ثيرا . غير ان جالا نوبولس لم يلبث ان صادفته بعض الصعاب ، اذ وجد ان بعض القياسات لا تتفق بين اطلانطس الكبيرة وكريت الصغيرة ، فافلاطون يقول ، مثلا . ان اطلانطس كانت قارة ضخمة وليست كذلك ثيرا او كريت ، ولكن هذه العقبة لم تفت فى عضد جالانوبولس ، فقد لاحظ ان كل المقاسات فى رواية افلاطون التى تتجاوز رقم ١٠٠٠ إذا قسمت على ١٠ فانها تتفق مع مقاييس الحضارة المينوية ، من حيث المساحة والسكان وغير ذلك ، وعلى ذلك يقترح جالانوبولس انه لابد ان كانت هناك « غلطة عشرية » قد زحفت على قصة اطلانطس كما رواها افلاطون ، سواء كانت هذه الغلطة من جانب الكهنة المصريين الذين رووا القصة لصولون ، او جاءت بعد ذلك نتيجة لتناقل القصة شفاهة من صولون حتى وصلت الى افلاطون ، فربما حدث سواء فى تسجيل الوثائق المصرية او الوثائق اليونانية ان أخطىء الرمز الحسابى ١٠٠ وسجل على انه ١٠٠٠ ، وهناك مثل معاصر لهذا النوع من الاخطاء هو ما بين البليون الامريكى الذى يساوى الف مليون والبليون الانجليزى الذى يساوى مليون مليون .

هذا الخطا ، إذا كان قد حدث فعلا ، فانه لا يفسر فحسب حجم اطلانطس وعدد سكانها وانما يفسر ايضا تاريخ دمارها ، فاذا الغينا الصفر الأخير من أرقام افلاطون نجد ان تاريخ غرق اطلانطس يتفق مع تاريخ انفجار بركان ثيرا وانهيار الحضارة المينوية ، فبدلا من ان يكون ٩٠٠٠ سنة قبل زيارة صولون لمصر ، يصبح ٩٠٠ سنة فقط فاذا عرفنا ان رحلة صولون لمصر حدثت حوالى عام ٦٠٠ ق . م . يكون معنى ذلك ان دمار اطلانطس وقع حوالى عام ١٥٠٠ ق . م ، وهذا يتفق مع تاريخ انفجار بركان ثيرا وسقوط حضارة كريت .

ولكن ذلك لا يقضى على كل العقبات التى تعترض نظرته « اطلانطس فى بحر ايجة » ، فاذا كانت اطلانطس هناك حقا فلماذا يضعها افلاطون بعيدا فى المحيط الأطلسي ؟ واذا كانت اطلانطس قد غرقت على مقربة وثيقة من الشاطىء الاغريقى فلماذا يجهل الاغريق خبرها ويتلمسونه لدى المصريين ؟

يقول فويدو : النظرية ان مثل هذه العقبات من الممكن ازاحتها ايضا .. ان كل ما قاله افلاطون عن موقع اطلانطس انها « تقع خلف اعمدة هرقل » ، ولذا فان قراءه انفسهم هم الذين سارعوا الى افتراض ان اطلانطس تقع فى المحيط الاطلسى على اعتبار ان اعمدة هرقل تعبير كان يطلق على مضيق جبل طارق فى زمن افلاطون . غير أن تعبير « أعمدة هرقل » ـ كما يقول دكتور جالا نوبولس ـ كان يطلق ايضا على جبلين يقعان على الشاطىء الجنوبي لبلاد اليونان (ميسينا القديمة) فى مواجهة كريت ، فاذا كانت قصة افلاطون تشير الى هذين الجبلين يصبح من المؤكد تقريبا ان المينويين هم انفسهم اهل اطلانطس .

وقد دلت الاكتشافات الأثرية على ان الحضارة المينوية اخذت فى اخريات ايامها تكتسب خصائص يونانية ميسينية واضحة مما يدل على ان الكريتيين بداوا يفقدون سيطرتهم على بحر ايجة ، ومن المحتمل ان كانت هناك خصومة بينهم وبين الميسينيين مثل تلك التى اشار افلاطون الى وجودها بين الاثينيين والاطلانطسيين ، وسواء كان الميسينيون قد غزوا اجزاء من كريت بالفعل او ان الحضارتين قد تعايشتا سلميا فان اكتشافات كنوسوس دلت على انه بعد سقوط كريت اخذ الميسينيون مكانهم كقوة كبرى فى بحر ايجة وربما يكون الميسينيون قد احتلوا بالفعل قصر كنوسوس الذى رغم دماره فى البركان نجا بشكل عام ، لأنه كان فى الجزيرة الرئيسية كريت . •

وعلى اية حال ، فقد كان الاغريق حينئذ شعبا صغيرا يحبو فى طفولته ولا يستطيع ان يذكر تاريخ هذه الأحداث بوضوح ، فان

ذاكرة الاغريق التاريخية تبدأ على أقصى تقدير بالقرن الثالث عشر قبل الميلاد تحت قيادة ميسينا التى أصبحت قوة كبرى فى شرق البحر المتوسط ، بل ان أيام ميسينا نفسها لا يكاد يذكرها الاغريق بوضوح ، أما المصريون فكانوا حينئذ شعباً قديماً ، وكانوا يتاجرون منذ أمد طويل مع أهل كريت ، ويسجلون زياراتهم لمصر ، ولذا فليس هناك ما يبعث على الدهشة اذا افترضنا ان المصريين كانوا يعرفون عن أسلاف الاغريق اكثر مما يعرف هؤلاء عن أسلافهم .

ولنستمع الى الكهنة المصريين وهم يقولون لصولون حسب رواية افلاطون :

« انتم ايها الاغريق شعب محدث .. انكم تذكرون طوفانا واحداً ، والحقيقة انه كان هناك الكثير من الطوفانــــات ، وانتم لا تعرفون ان احسن وأرق شعب بشرى كان يعيش يوماً فى بـــلادكم ، وانك انت (يا صولون) ومواطنيك ربما كنتم من احفاد الناجين القلائل الذين بقوا على قيد الحياة من هذا الشعب ، ولكنكم لا تعرفون شيئاً عن ذلك بسبب مرور اجيال كثيرة عليكم ، نسيتم فيها الكتابة » .

وفى رأى بعض العلماء ان العبارة الاخيرة فى الفقرة السابقة تحمل دليلا جديداً يؤكد نظرية « اطلانطس فى ايجة » ، كما يؤكد المصدر المصرى للقصة ، فالكهنة المصريون يشيرون هنا فى الغـــالب الى « ثغرة الأمية » التى حدثت فى بلاد اليونان خلال الألف الثانى قبل الميلاد ، فقد كانت هناك طريقة قديمة للكتابة مستخدمة فى كريت وبلاد اليونان وجزر بحر ايجة ، ولكنها اختفت من الاستخدام بعد عام ١٢٠٠ ق . م . ، ولم يظهر بديل لها حتى حوالى عام ٨٥٠ ق . م . حين اخذت الأشكال الأولى للكتابة الاغريقية العتيقة فى الظهور ، وعلى ذلك فانه حتى اذا كانت هناك سجلات محلية عن انفجار ثيرا وسقوط كريت ، فانها كانت مكتوبة بلغــة لا يستطيع الاغريق فى عهد افلاطون قراءتها .

• •

ان عدداً كبيراً من الباحثين على استعداد الآن لقبول نظرية « اطلانطس فى ايجة » ، ويزعمون ان قصة افلاطون لم تكن مؤسسة على حقائق تاريخية فحسب ، وانما هى تكاد تكون تسجيلا دقيقا يبعث على الدهشة لأحداث وقعت قبل عصره بألف سنة . ويعتقد البروفيســــور جالانوبولس ان ثيرا كانت فى اهمية كريت أو اكثر بالنسبة للمينويين ، فقد كانت هى المدينة المقدسة او مركز الحضارة المينوية ، أما كريت فهى المجال الحضارى الملحق بها

ويتصور جالانوبولس ان سفوح هذه الجزيرة الصغيرة التى يغطيها حالياً الركام البركانى كانت يوماً تضج بالحياة وبالقصور والمعابد العظيمة على نحو يعادل او يفوق مظاهر الحضارة فى كريت نفسها . وعندما ثار البركان دفنت كل هذه المبانى الرائعة تحت وابل الحمم ، ثم غرقت تحت سطح البحر فيما يسمى الآن بالكالديرا او حوض ثيرا ، وقد حدث ذلك فجاة بين يوم وليلة على النحو الذى رواه افلاطون عن اطلانطس نقلا عن كهنة سايس المصريين .

غير ان نظرية « اطلانطس فى ايجة » ، بالرغم من أدلتها القوية ، لا تزال تفتقر الى الدليل الحاسم ، وهو ان يعثر بالفعل تحت مياه حوض ثيرا على بقايا من عمائر الحضارة المينوية الغارقة . وقد بدات مؤخراً بعض الجهود فى هذا الشان ، وحصل غواص فرنسى مستكشف يدعى كوستو على تصريح بالغوص فى هذا المكان للبحث عن الآثار وتصويرها على فيلم تليفزيونى ، وهو يستخدم سفينة ابحاث مزودة بجهازي رادار يستطيع كل منهما مسح منطقة عرضها ٤٠٠ ياردة على كل ما جانبى السفينة وقد ذكر كوستو ان ابحاثه الأولية دلت على وجود « شىء ما » تحت خليج ثيرا ، وانه مصمم على معرفة ماذا يكون هذا الشىء .

• •

والى أن يعثر على مثل هذا الدليل الحاسم لا يمكن القول بان لغز اطلانطس قد صادفه الحل .

ولكن يظل مغزى هلاك اطلانطس موحياً .. ان الحضارات المادية العظيمة بما فيها حضارتنا المعاصرة يمكن ان تبيد بين ليلة وضحاها ، فلا يمنعها عاصم من غضب الله وهذا ما اشار اليه القران الكريم فى اكثر من موضع ولاسيما فى الحديث عن حضارة عاد التى لقيت نفس المصير .. « الم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد . التى لم يخلق مثلها فى البلاد » .

صدق الله العظيم

محمد العزب موسى



الانتظار

قصة بقلم :
الدكتور محمد حسن عبدالله

الزحام على اشده في وادي الجفاف المحاصر بالصحراء والمستنقع ، تلاحمت الاجساد المغبرة كاعواد الحطب في حزمة . طال موقف الضراعة ، ولم ينفتح الباب . الهواء الساخن المشبع بالرطوبة ، وروائح المستنقع القريب زاده الزحام لزوجة وثقلا ، حتى اصبح تنفسه مستحيلا ، لم يعد يفكر في ان يرفع قدما يخفف عنها لهيب الارض او يروح بيد يدفع عن رئتيه سخونة الهواء. شخصت الجماعة الى باب الكهف الصخري المعلق في منحدر الجبل ، بين الارض والسماء ، وقد ارتسمت في عيونها معاني الذل والضراعة ، ونال منها الانتظار حتى مات الاحساس بالزمن وتلاشى القلق وسيطر على الوادي سكون الموت . حين بدأ باب الكهف ينفرج هبت نسمة ندية انتشر عطرها في الوادي فتحركت ارادة الحياة ، وبدات الجماعة تبحث عن الكلام . في مقدمة الصفوف كان عملاق له صوت ومهابة لا يزال يستطيع الصياح ، وترفعه هامته بحيث يراه الجميع ، صنع من كفيه بوقا ، ونادى بضراعة في عمقها استعداد خفي للتمرد :

– ايها السر العظيم .. تاخر المطر ، مات الزرع ، جف الضرع ، ذريتنا يهددها الفناء

قال الصوت القادم من اغوار الكهف :

– كيف وانتم تقيمون على ارض سخية ؟

قال العملاق :

– ما قيمة الأرض السخية دون مطر ؟!

قال الصوت :

– لا قيمة لشيء دون عمل .

قال العملاق :

– كيف نعمل والناس على هذا القدر من الجوع ؟

قال الصوت :

– الجوع مصير الهاربين .

قال العملاق ضارعاً :

– زدني بياناً

قال الصوت وقد بدا يضيق ذرعاً :

– اذهبوا جميعاً الى النهر .

– انه مستنقع !!

قال الصوت موبخاً :

– يا للعقل الراكد ، كيف لم تفطن الى معنى النهر في المستنقع !!

احس العملاق ان الصوت القادم من الكهف يوشك ان يقطع الحوار ، ولم يكن شفى غليله باليقين عما ينبغي له ان يعمل فقال بصوت متقطع ذليل ، وضع في نبراته كل امل الجماعة في ان تعرف طريقا لنجاتها :

– اتوسل اليك .. كيف يتحول المستنقع الى نهر؟

بدا باب الكهف ينغلق ببطء ، والكلمات الأخيرة تتسرب منه وكانها الصدى ، دون ان تشي باقل قدر من العاطفة :

– لقد قلت كل شيء .

تسمرت العيون على الباب المغلق برهة ما لبثت ان سلمت بالأمر الواقع ، فالكهف العجيب لا يفتح الا مرة واحدة كل عام ، صبيحة ظهور النجم الابرق . لم يحدث استثناء واحد لهذه القاعدة ، ومع ان الصوت الصادر عنه لم يكن يرضي حاجة الجماعة كلها الى المعرفة ، فان اشارته المحددة استطاعت – الى الآن – ان تحفظ كيانها المحاصر بمخاطر المستنقع والصحراء .

استدار الحشد توجهه غريزته نحو المستنقع ، وان يكن لا يعرف على وجه اليقين ماذا ينبغي عليه ان يصنع هناك . كان العملاق في المقدمة امام الكهف ، فصار فى اخر الموكب حين استدار الناس قاصدين المستنقع . وهنا صار « الربيع » على راس طريقهم ، وقد كان هناك بعيداً يتسمع على الصوت . بين قلة من مساعديه يشاركونه ما ياتى من شغب .

و « الربع » كائن مخيف ، هو نصف طولي من انسان ، ولكن امعانا في العجب من شكله اطلق عليه اهل الوادي اسم «الربع» ، ولا يعرف احد هل هو ذكر او انثى غير انه يزعم ان له ولداً هو المثل فى الجمال والقوة والذكاء ، ولهذا سماه الكامل ، وارسله الى بلاد بعيدة ، خارج وادي الجفاف ، ليتعلم ، ويعود محملا بالتجارب التي تفيد الوادي ، وترفع عن اهله مخاوف الفناء . كان أهل الوادي يفزعون من الربع ، ويعجبون كيف لمثله ان يتكلم او يتحرك ،



ولكن الفزع منه ما لبث ان تحول مع الزمن الى رهبة وخشوع ، وايمان عميق بان القوة تنبع من العجز ، وان هذا الكيان الهش ، الذي يجد صعوبة في ان يرفع عن نفسه شر ذبابة ، ينطوي على قوة سحرية آسرة !

تكور الربع على نفسه مثل دودة تتاهب للقفز من الطين ، ورفع وجهه المدبوغ امام الجماعة الزاحفة ، وقال :

ـ كعادتكم يا اهل الوادي ، تنقادون للمجهول ولا تثقون في ابن واديكم . المستنقع ! ماذا تجدون هناك غير الحشرات القاتلة ، والروائح الكريهة ؟ سيروا خلف العملاق ليجعل من اجسادكم حصيراً ناعماً يجتاز به النهر الموعود ، او انتظروا الكامل، لقد اغترب من اجلكم ، كل هذا الزمان ، وقريبا يعود محملا بالخير والأمان ..

انتشرت كلمات الربع بين الحشد المتحرك ، كانها الغبار فى العاصفة ، فثار الجدل في دوائر مغلقة ، ارتفع الزعيق في مواقع ، تشابكت الأيدي في مواقع اخرى ، ارتفعت هراوات قليلة ، وسالت قطرات دم هنا وهناك . نظرت الجماعة الى العملاق ان يفعل شيئا او يتكلم ، لكنه لزم الصمت عما جرى ، واستمر في تقدمه في اتجاه المستنقع ، وقال لمن حوله :

ـ انا سامع لصوت الكهف مطيع ، ولكل انسان ان يختار ما يناسبه . قال بعض المقربين منه :

ـ انت قدوة ، ولابد ان توجه الربع بحزم والا افسد عليك الوادي ومن فيه .

قال العملاق بثقة :

ـ انا قدوة في العمل ، وليس في التعدي على الآخرين .

حين شاعت عنه هذه الكلمات ، استمر الربع ينادي بضرورة الانتظار ، لتجنب الضحايا في اقتحام المستنقع ، ويؤكد ان الكامل قادم بالخير والأمان للجميع ، فوجدت كلماته هوى في بعض النفوس ، فاتسعت الحلقة من حوله ، وبدا التنافس فى تقديم الخدمة له ، والترفيه عنه . زلفى للكامل حين يعود . اما الجماعة الزاحفة التي اندفعت بقوة الصوت القادم من الكهف نحو المستنقع ، لا تعرف كيف تقرا فيه معنى النهر ، وتصر على التنفيذ ، فانها حققت المعجزة دون ان تقصد لذلك ، اذ صنعت خطواتها الزاحفة اخدوداً في الأرض سال فيه الماء ،وجرى متدفقا نحو الوادي ، ما لبث الاخدود ان اتسع وعمق ، وكشف عن ينابيع اخرى مطمورة هنا و هناك تجمعت كالشرايين ، وتحول المستنقع الى نبع ونهر ، ولم يشرب الناس اصفى واعذب من مائه،وارتوى الزرع والضرع ،فتحول وادي الجفاف الى جنة مترامية ، فاضت بانواع الثمار ، وهنا اخلد القوم الى الراحة آمنين .

قبل ان تنكسف وجوه الذين احاطوا به وانتظروا معه ، قال الربع للذين حولوا المستنقع الى نهر :

ـ ليس لكم أن تفرحوا ، فهذا مصادفة لاتصح كل مرة . واذا ذكرتم مسيل الماء فاذكروا الثمن الذى دفعتموه : كم من ضحايا داستها اقدامكم وغاصت في الطين وما عدد الذين لدغتهم الافاعي او اصابتهم اشواك المستنقع بالشلل ؟ لو انتظرتم الكامل لجاءكم الخير خالصاً دون ضحايا ودماء ..

لقد خُدعتم بالعملاق ، الذي لم تلسعه بعوضة واحدة .

وقال للذين تحلقوا من حوله :

ـ انتم اهل الفرح .. انظروا .. هذه خيرات الكامل هلت بشائرها عليكم ، دون مخاطرة بالنفس او الراحة . لقد مات من مات ، واصيب وتلطخ الباقون ، وجاء الماء ونحن شركاء فيه ، واثمرت الأشجار للجميع لأنه وادينا كما انه واديهم .

مضت الشهور واوشك العام ان يستدير فذهبت الفرحة بالماء ، ولم يعد الناس يذكرون غير عناء العمل وقلة المحصول ، وانتشرت المرارة في حلوق الجماعة اذ ترى القاعدين يتجاسرون على مزاحمتهم في جني الثمار ، دون ان يشاركوا في مسيرة المستنقع وما خلفت من ضحايا وجراح . وتطور الحال من الشكوى المكتومة الى المجاهرة بالقاء اللوم على العملاق ، والدعوة الى العصيان والامتناع عن العمل

مترحمين على ايام الفراغ وقد نسوا انها كانت ايام الجوع . وبلغ الأمر اسماع العملاق ، فقرر للوهلة الأولى ان ينزل عقوبته بالذين ارتفعت اصواتهم بالتذمر او حرصوا عليه ، ولكن المقربين اليه نصحوه بالانتظار والتريث ، لأن الربع جاهز للافادة من اى شرخ يحدث فى جماعته . وراى هؤلاء المقربون أن الحوار هو الطريق الى الوفاق ، وامتصاص الغضب ، ولم يكن هذا رايهم في المرة السابقة ، لكنهم ارسلوا الى المتذمرين ان ارسلوا الينا من يمثلكم لنتحاور حول ما تشكون منه .

جاء المندوب ، طال الحوار ، اتسعت شقة الخلاف . اتصل به الربع سراً ، وقال له كلمة تنبع من طبيعته العجيبة :

– حذار أن تعود الى صفوف العملاق ، انك وقد خالفته علانية صرت هدفاً مكشوفاً ينبغي الخلاص منه اليوم او غداً . ثم ان هذا الخلاف جعلك راساً لجماعة ، فكيف ترضى أن تعود تابعاً ؟!

هكذا شهدت الأشهر التالية ظهور جماعة جديدة ، وحين تمت القطيعة اتصل الربع بالمتذمرين ، وقال لهم :

– انتم لم تعودوا معهم ، وفي وادينا مفهوم راسخ أن من ليس معنا فهو علينا ، فالحاصل انكم صرتم اعداء للعملاق وجماعته ، وان لم تريدوا ذلك ، والراي ان تنضموا الينا لتقووا بنا ولا يفكر العملاق في مهاجمتكم ، فنحن اهل الانتظار ، والعمـــلاق يعرف صدق وعدنا ، ولهذا لا يجسر على محاربتنا .

لكن رئيس المتذمرين ذكر نصيحة الربع له ، فلم يتنازل عن استقلال جماعته ، واكتفى بالمهادنة التي لا تقطع عنه الخير والأمان ، اذا ما تحقق وعد العودة ، وجاء الكامل !!

صبيحة ظهور النجم الأبرق ، حان وقت الضراعة ، فوقفت الجماعة في الوادي امام باب الكهف ، وكانت هناك جماعتان ترقبان من بعيد وتشاغبان وكان الحركة غير مقصودة بين الحين والحين ، فلما فتح الباب صمت الجميع ، وهتف العملاق :

– ايها السر العظيم ..

جاءه الصوت من اغوار الكهف مقاطعاً :

– لماذا تعودون اليّ بهذا الذل الأبدي ، وقد اعطيتكم سر الفرح ؟

قال العملاق :

– نعم . نعم .. لقد عملنا ، وهذا عرقنا قد امتزج بتراب الوادي مثل ماء النهر ، ولكن عطاء الأرض يشح شهراً بعد شهر .. اطفالنا لا تكاد تجد القوت ، واكثرنا يبيت على الطوى .

قال الصوت :

– لأنكم لم تذهبوا جميعاً .

وقبل أن يستوضح العملاق معنى الاشارة كان الباب قد اغلق ، وفي اعقابه ساد هرج فظيع ، اختلطت فيه الآراء ، ولم يعد احد يسمع لأحد ، وحاول العملاق ان ينظم عملية التعبير ، فظهر فريق راى ان تخلف الربع عن ضراعة العام الماضي بمن معه من القاعدين ، ثم انشقاق المتذمرين هو السبب في عقم الأرض واختفاء الثمار . وراى فريق اخر حين امعن في تأمل كلمات السر العظيم ان « اذهبوا جميعاً » لا يدخل فيها جماعة الربع وامثاله ، لانهم كانوا خارج الجماعة اصلا ، وانما يقصد بها الانسان والحيوان !! جنح قوم الى الأخذ بهذا التاويل المسالم وعارضه اخرون ، ولكن المعارضين اثروا تجنب المزيد من الانقسام باعطائه فرصة التطبيق ، وصمت العملاق عن ابداء رايه للسبب ذاته ، واذ كان يضمر ان « اذهبوا جميعاً » تعني الذهاب بنية صافية وقلب مخلص لا تمازجه رغبة اخرى غير العمل . ونزل امام الناس الى الوادي ومعهم حيوانهم وطيرهم فلم تمض غير اسابيع حتى تجددت قوة الأرض بما خالطها من بقايا المخلفات التي تزاحمت على اديمها ، وعادت دانية القطوف ، زاهية الالوان ، يعجب من يراها كيف يتحول الروث الكريه حين يختلط بالطين اللزج ، الى لون بديع ، وطعم شهي ورائحة مسكرة .

واعلن أصحاب التاويل ان رايهم هو الصواب الوحيد ، وما عداه باطل ، فاصاب الآخرين قلق وحزن ، ولم يعد يقنعهم انهم ياكلون رغداً دون شقاء العمل ، اذ لابد من استرداد الكرامة الجريحة .

وقال الربع لجماعته :

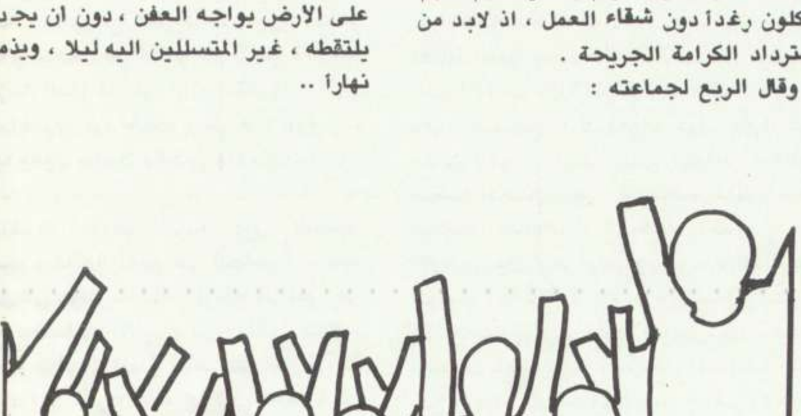
– نحن نملك في الوادي اكثر مما يملكون ندعهم للكد ، ونقاسم في الثمار .

وقال رئيس المتذمرين :

– ياله من مصير محزن ، رفضنا ان نشرب عرق الانسان ، فهاهم يشربون بول الحيوان ، وما هو شر منه . انظروا الى رائحة الوادي كم صارت كريهة ، لاتخدعنكم الثمار في طرف الغصن عن الروث حول الجذور !!

واذ يتسلل هؤلاء واولئك الى حدائق الوادي لاقتناص ثمارها الطيبة دون جهد ، محتمين بالظلام ، راحوا يسرّبون الاقاويل التي تشيع القلق بين الذين سايروا الوضع الجديد ، فاثاروا امام بعضهم قضية الطهارة ، وتساءلوا ببراءة زائفة : هل نعتبر الثمار التي غذيت بالنجاسة طاهرة؟ واصطنعوا امام بعض اخر مازعموه رؤية علمية لقضية « دورة الحياة المغلقة » التي تهدد الوجود من اساسه ، اذ يتغذى الانسان والحيوان على النبات ، فيتحول النبات الى فضلات ، يتغذى بها النبات من جديد لتعود في دورة اخرى الى الانسان والحيوان ، وهكذا ، وراى واضع النظرية ان محصلة الدورة المغلقة هي الانحطاط العام يلاحق الانسان والحيوان والنبات !!

انتشرت المخاوف فى صدور الجماعة ، وكأنها الهوام فوق المستنقع القديم ، ووجدت آذانا صاغية لدى قطاع كبير من أولئك الذين لم يجدوا مناصاً من الاعتراف بخطأ تفسيرهم من قبل ، وامتنع المتحرجون عن طعام الوادي تطهيراً لبطونهم ، وفكر اخرون في الهجرة ليكسروا طوق الدورة المغلقة التي تهدد ذراريهم بالفناء .. انقلب الحال فتكاثر الثمر وتساقط على الارض يواجه العفن ، دون ان يجد من يلتقطه ، غير المتسللين اليه ليلا ، ويذمونه نهاراً ..



ركب العملاقَ هَمٌّ عظيم ، لم يعد يجد فى نفسه دافعاً إلى لقاء جماعته ، إذ راقب بحزن انهم يجارونه ظاهرياً فى آرائه ، فاذا انصرفوا عن مجلسه ظهرت آثار الأقاويل فى سلوكهم ، يمتنع اكثرهم عن تناول الثمار ، فيضعف عن العمل ، ويرسل بعضهم اولاده إلى خارج الوادى بدعوى الرياضة او العلاج . تعلقت آمال العملاق على موقف الضراعة ، وراح يحلم بإلهام جديد يعيد إلى الجماعة وحدتها . وحين استدار العام ، ووقف بين جماعته معلق النظرات على الباب ، كانت الجماعات والشراذم الحائرة بين المنتظرين والمتذمرين والمتطهرين اكثر من ان تحصى ، حتى لم يعد الناس يهتمون بالأسماء التى تطلق عليها . وقبل ان يبدأ العملاق ضراعته المعهودة ، قال بحسرة :

– اننى لم اخالف عهدك ، منذ ارشدتنى وانا اعمل .

قال الصوت :

– لم تعمل كما امرتك .

قال العملاق :

– بل عملت ، ذهبت إلى المستنقع فصار نهراً ، ونزلنا إلى الوادى جميعاً فازداد الخير . المخاوف الجديدة لا اجد لها حلا عندى .

قال الصوت :

– لأنك لم تعمل كما امرتك . الم اوبخك من قبل ؟!

وقبل أن يدرك العملاق ما تعنيه هذه الاشارة ، كان الباب قد اغلق !!

وقف أمام جماعته التى لم تعد حاشدة ، بوجه باسر حزين ، حدقت فيه العيون بكآبة ، بادلهم نظرات تائهة ، وهو موقن انه إذا لم يعثر على حل قريب يعيد الى الوادى وحدته وتماسكه ، فانه لا مناص ، يسلم البقية منهم الى مصير مجهـــول بين الجماعات الكثيرة التى انتحت كل منها وجهة خاصة بها . وتامل بعجب وحزن كيف أن وادى الجفاف اتسع لهم جميعا ، وحافظ على وحدتهم ، واستطاعوا فى ظل الحرمان ان يقاوموا الفناء ، وكيف انهم الآن ينعمون بالخير الوفير سراً وعلانية ، ومع هــذا لا تجد بينهم نفساً راضية ؟ ومع اعتقاده القوى بان الربع مخلوق زائف ، وأن حديثه عن الكامل وعودته مجرد اكذوبة جميلة ، فانه بدأ يهرب الى عالم الأوهام ، حتى اصبح يخشى أن تكون مزاعم الــربع حقيقية .

وحين افاق العملاق الى نفسه عجب كيف تلعب به الظنون ، ولامها على تخبطها الذى سيجعله اكثر استحقاقا للوم من هؤلاء القوم الذين لايزالون يثقون فى انه قادر على اكتشاف الصواب ، ومخاطبة الصوت العظيم ، بل إنه مستحق لتوبيخ آخر لابد انه سيلاقيه حين يظهر النجم الأبرق فى العام القادم .

وحركت فيه كلمة « التوبيخ » شجنا ، فقد سمعها منذ ساعة ، وها هى تعبر بخاطره ، ومن قبل وبخه الصوت العظيم قائلا : « يا للعقل الراكد » فهل هى المفتاح الذى يبحث عنه ؟ ان العقل لم يعمل حتى الآن ، وطاعة الصوت ليست معاندة لاعمال العقل ، والتانيب على العقل الراكد اقترن بالمستنقع الراكد ، وكما اجرينا النهر ، علينا ان نجرى العقل !!

وعاد يلقى نظرة حائرة على الوادى والجماعات المنتشرة فى انحائه ، ويتساءل اى عقل باستطاعته ان يجمع هؤلاء من جديد ؟ أتراه تاخر فى ادراك ما يجب عمله؟ وراودته فكرة جريئة : ان يطرق باب الكهف ويلتمس الدخول ، فهناك تتجلى حقائق الأشياء ، ولكن : كيف الوصول ؟ والكهف فى مكان حصين بين الأرض والسماء . وفكر مرة اخرى أن يستدير من حول الجبل ويبحث عن مدخل آخر . وإذ يثق فى جسارته على اقتحام المجهول والاستهانة بالخطر ، فانه لا يثق فى امتداد الزمن بحيث يتسع لدورة كاملة بحثا عن مدخل آخر للكهف .

وقرر أن يعمل عقله فى اتجاه آخر ، يبحث عن مادة تعطى النبات والحيوان قوة ، لا تغلق دورة الحياة ، ولا تثير مخاوف المتطهرين . اقام فريق عمل ، وبدأ التجريب ، وراح يصهر اشياء ويطحن اخرى ، ويستخلص سوائل ويمزج اخرى حتى حصل على المركب الكيميائى المطلوب واكدت التجارب الأولى نجاحه الواضح ، فتوقف استخدام الفضلات ، ولم تفقد الثمار نضرتها أو طعمها .

استبشرت جماعات شتى بالاختراع الجديد ، ولكن الفرح سرعان ما تبدد ، فالخلافات القديمة ، حتى بعد زوال أسبابها صارت كالعقائد الراسخة ، واصبحت تاريخاً له رواة وشراح . ثم حدثت فى الوادى أمور لم تكن مالوفة فيه من قبل ، فتورم وجه غلام ، وقيل ان كلبا اصيب بسعار مفاجىء ، وان بقرة نطحت رجلا فاردته ، وسرت شائعة بان امراة هجرت بيت الزوجية ولم يعثر لها على اثر . وقد حملت جميعها على الاختراع الجديد .

قرر العملاق ان يتصدى للحمـــلة المغرضة ، فالف لجنة لتقصى الحقائق ، وعلى الفور توقف الناس عن التقاط الثمار حتى تعلن اللجنة نتائج بحثها ، غير ان اللجنة اخذت تنعقد وتنفض مرات ومرات ، وتسربت تصاريح متناقضة قيل انها من مصادر سرية موثوقة منها ، ورأى العملاق أن الانتظار يؤدى الى البلبلة فاجتمع باللجنة يحثها على اعلان رايها ، فقيل له : هذا تدخل فى حرية البحث . وتشددت اللجنة لتؤكد استقلالها ، فاعلنت ان المركب الكيميائى مسئول نسبياً عن الظواهر الجديدة ، ونصحت بعدم استخدامه إلى حين ..

عاد العملاق يفكر ويعمل عقله ، ولكنه لم يجد حوله احداً يساعده على تحويل افكاره الى عمل . وهنا ارتفع صوت الربع من جديد يؤكد ان انتظار عودة الكامل هو الممكن الوحيد . ولم يعد اهل الوادى – وقد ملوا كل شيء – يجدون فى انفسهم حماسة للمشاركة فى خلاف سيحسمه الزمن الآتى .

ولم يظهر النجم الأبرق . ظهر شخص لم يره احد من قبل ، ولم يفصح من يكون ، مسح الوادى بنظرة متانية ، عجب لرائحة العفن المنتشرة ، تجول بحرية بين طرقاته فلم يصادف معترضا او سائلا . كان الصمت يكسو الشوارع ويقبع فى البيوت ، والناس والحيوان قد اخلدوا للسكون وكانهم ديدان قابعة داخل شرانقها ، حاول ان يستثيرهم بالنداء فلم يسمع غير الصدى ، حرك بعضهم فاذا هم خشب مسندة ، إذا تحركت تساقطت .

مضى القادم إلى النهر ، اطلق مياهه الحبيسة تجاه الوادى حتى غمرته ، بدأت شخوص كانما تحاول ان تتحرك ، لكنه قال فى نفسه : اى خير يرتجي من هؤلاء ؟ ذهب الى معمل التجارب ، نثر فوق الماء كمية هائلة من مسحوق ابيض ناعم ، حول الماء إلى ثلج ، غمر الأرض والشجر والبشر .

قبل ان يدخل العملاق فى حالة التجمد ، حاول ان يتحرك ، لكنه احس بالعجز المطلق ، وكل ما قدر عليه دمعة حزينة تحجرت فوق شفته ، وهو يهمس باخر كلماته : هذا ما كنت اتوقعه .

اما الربع فانه قال وهو يرجف رجفته الاخيرة : هذا مالم اكن اتوقعه .

اما القادم من بعيد ، فقد خطف بصره بريق الثلج ونعومة الألوان المغمورة فيه ، وسيطرة الصمت وجمود الحركة . قال بصوت لا اثر فيه للندم : الآن .. حضور دائم ، وطهارة لا مجال للطعن فيها . ولم يعد احد يسال عن شيء .

محمد حسن عبد الله
جامعة الكويت

افتحي الأبواب للآتي

شعر: حسن توفيق

ها هو البحر أمامي ياصديقه   يجرف الشاطىء والروح غريقه
يا له من بحر سحر تتعالى   فيه موجات من العمق طليقه
فاعينيني على الملح ... فإني   صارخ الجرح وأشواقي عميقه
واغمري الافق بإشراقة صدق   كي أحس الأمن يدنو والحقيقه

●●

يلعب البحر باعصابي طويلا   ويناديني لألقى المستحيلا
الصخور السود تمتد أمامي   وشعاع يكشف الوهم الجميلا
إنه الماضي جدار من عذاب   جاثم يخفي عن القلب السبيلا
فمتى حائط مبكانا نجافيه   لنرعى طفلنا الآتي النبيلا ؟

●●

يا حياتي أنت أحلى امنياتي   بربيع دائم الخضرة آت
اشتهي وصلك حتى يتلاشى   كل قيد بيننا في لحظات
غير اني اشهد الجدران تعلو   باسطات ظلها في نظراتي
فاناجيك طويلا في خيالي   والاقيك هنا في عمق ذاتي

●●

يسكب الموج أغانيه النديه   في فم الرمل بشطآن قصيه
فإذا بالروح تهفو لانعتاق   وانطلاق في سماوات بهيه
وإذا القلب ينادي صارخاً   هل ترى القاك وهماً في يديه
أم ترى نبقى حبيبين ونجتا   ز كطيفين مدى الدنيا الشقيه

●●

هذه الدنيا قلوب مغلقه   ووجوه لوجوه مغرقه
كل قلب فيه أسرار تغطت   بملاءات الخداع المطبقه
النفايات تحلت وازدهت   والصداقات ظلال مطرقه
وأنا في الليل أصحو باكياً   - يا حياتي - ناعياً موت الثقه

●●

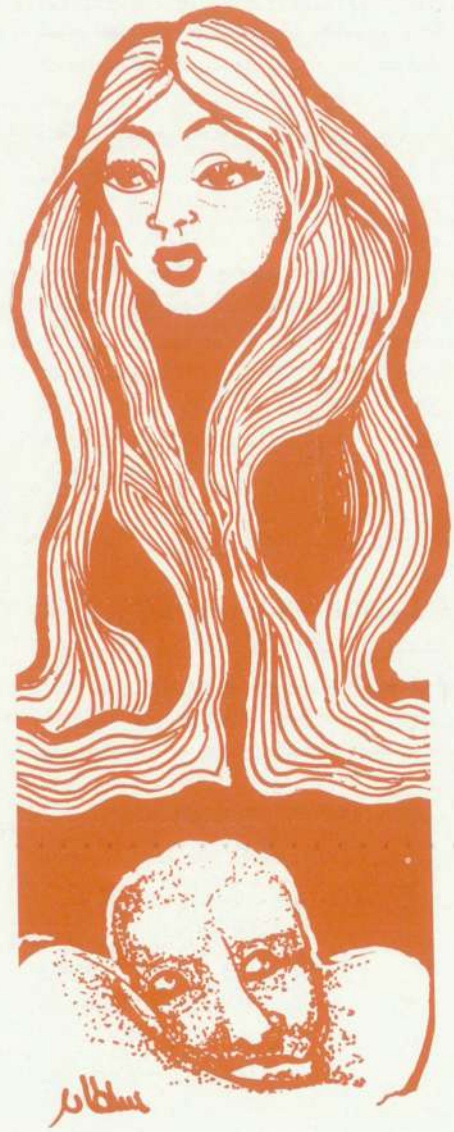
لا تقولي : هل تظل العمر تبكي   إن روحي مزقتها ريح شكي
فعلى الأرض اكاذيب ترامت   وارتوت منها الأناشيد بصك
وعلى الأرض وحوش اطبقت   حولنا واستبدلت حقاً بإفك
ومن الأفق أطلت دمدمات   لا نراها إنما تأتي لفتك

●●

أي أرض سوف تعطينا الأمانا   فنعيش العمر دفئاً وحنانا
اسالي الناس لماذا انكروا   كل حب شع في النفس .. فكانا
ويحهم كم انبتوا زهرالخطايا   واقاموا للرزايا مهرجانا
ويحهم لم يعرفوا حب سواهم   وارتضوا أن يمتطوا الزيف حصانا

●●

آه يا زهرة آمالي النضيره   انني أطلقت أشواقي الكسيره
لم أزل أحيا لإشراقة صدق   يحتويها وجهك الصافي السريره
فارفعي الكف الى الله ابتهالا   ان يمس الخير دنيانا الغريره
وافتحي الأبواب للآتي .. وغني   واسلمي لي - كل حين - يا أثيره



قصة العطور منذ أقدم العصور

● جاءت من الشرق فطالب الرجال في البرلمان الإنجليزي بحمايتهم من إغرائها!

بقلم: عزالدين فراج

كان المصريون القدماء أول من عرف العطر ومواد التجميل ، لقد اعجبوا بها اعجاباً عظيماً رفعها الى مرتبة الفنون الجميلة . وكان من ولعهم بها انها تغلغلت في حياتهم واصبحت تقليداً عادياً في زياراتهم واعيادهم وحفلاتهم .

لقد وجد في بعض أوراق البردي التي يرجع تاريخها الى ١٤٠٠ سنة قبل الميلاد ،

نقوش تثبت انهم كانوا يضعون على شعورهم قطعاً من الدهن المعطر ، على شكل اقماع صغيرة ، تنبعث منها روائح عطرة تعطر الجو المحيط بها .

ولقد اثبتت الأواني المرمرية التي وجدت في مقابر توت عنخ أمون معرفة المصريين القدماء باسرار صناعة العطر ومواد التجميل ، فعند بحث هذه الأوانى وفتحها

وجد ان محتوياتهـا قد احتفظت باريجها العطر ، بالرغم من مرور هذه الحقبة الطويلة من الزمان ، الأمر الذي قد تحار فيه كيمياء القرن العشرين .

ولم ينفرد المصريون القدماء وحدهم بحب العطور والاهتمام بها ، بل جاء من بعدهم العرب المسلمون يستعملون العطور وكان الاسلام قد دعا الى النظافة خصوصاً عند الذهاب الى المسجد قائلا :

خذوا زينتكم عن كل مسجد . ولم يمنع علماء المسلمين التطيب بالروائح العطرة ، ومن هنا لم يجد العرب ما يحرم هذه العطور . وكان هذا دافعاً الى اهتمام العرب بصناعة العطور .

الشرق وأسرار الزينة

وعندما عاد الصليبيون الى بلادهم حملوا الى زوجاتهم العطور وأسرار الزينة من الشرق . وسرعان مالاقت هذه العطور انتشاراً واسعاً . وعمد الاوربيون شيئاً فشيئاً ، بعد الحروب الصليبية ، الى تحضير العطور بايديهم وظلوا ياخذون من الشرق موادها الأولى ، وما ان اقبل القرن الخامس عشر حتى كانت صناعة العطور قد انتشرت في فرنسا وايطاليا وغيرهما . وقد اشتهر الايطاليون وقتئذ بتحضير اجود انواع العطور واخذ الملوك وقتئذ يتسابقون الى استخدامها في قصورهم ، وكان ملوك فرنسا دائما يجيئون بواحد او اكثر من صناع العطر لادارة مصنع العطور في القصر الملكي . وفي القرن السابع عشر كانت المراة الفرنسية تهتم اهتماماً كبيراً باستعمال العطور ، وكثيراً ما كانت تسكب على نفسها زجاجـات كاملـة من هذه العطور .

وما إن جاء القرن الثامن عشر حتى عم استخدام العطر في انجلترا ، مما اضطر الرجال في بريطانيا الى مطالبة البرلمان بتشريع يحميهم من اغراء تلك العطور التي كانت تملأ ملابس النساء وشعورهن وقتئذ وقد اصدر البرلمان الانجليزي بالفعل في عام ١٧٧٠ قانوناً يحرم استعمال العطر ومواد التطرية والتجميل التي من شانها اخفاء العيوب البدنية .

اما الآن وقد تغير الموقف تغيراً كبيراً ، اصبحت العطور ومواد التجميل ضرورة من ضرورات المراة العصرية .

وكانت معظم العطور الى النصف الأخير من القرن التاسع عشر باهظة الثمن لأنها كانت تستخرج كلها من مصادرها الطبيعية ، ويكفي لادراك ذلك ان نعلم ان الكيلو جرام من زيت الورد لا نحصل عليه إلا بعد تقطير ثلاثة آلاف كيلو جرام من بتلات الورد ، واننا نحتاج الى عشرين طناً من زهر البنفسج لانتاج اوقية واحدة من خلاصة عطر البنفسج الصافي . ولكن حدث فى النصف الثاني من القرن التاسع عشر أن تدخلت الكيمياء العضوية الصناعية واصبح في مقدور الكيميائي تقليد الكثير من الروائح العطرية الطبيعية فانخفضت أثمانها وتكاليفها واصبحت في متناول الكثيرين من افراد الشعب .

وتكمن المركبات العطرة في مواضع مختلفة من النباتات ، فعطر الورد يكمن في بتلاته ، وعطر النعناع في أوراقه ، وعطر اللوز في بذره ، وعطر الليمون والبرجموت في قشره وثماره ، وعطر القرفة في لحاء نباتها .

الانسان واستغلال الأزهار

وجدت الأزهار على الأرض قبل ان يوجد الانسان ، ووجدت الأزهار بالوانها الزاهية الجميلة ، وغددها الزيتية ، ورحيقها لتجذب الحشرات اليها .

ولماذا تجذب الحشرات ؟

لأن الحشرات تستطيع عند زيارتها لهذه النباتات ان تنقل حبوب اللقاح من زهرة الى زهرة ، ومن عضو التذكير الى عضو التانيث ، فتتم بهذا الانتقال عملية التلقيح والاخصاب فتتكون الثمار والبذور ، وهذه



كلمة « عطر » تعنى الشذا او العبير ، وهذه مبخرة قديمة تتدلى بالسلاسل الرفيعة . وكان يوضع بها العطر طوال القرن الحادى عشر والثانى عشر .

قصة العطور منذ أقدم العصور

جدار من العصر الرومانى ، عليه رسـوم لفتاة تقوم بصناعة الزيوت العطرية للنباتات





أكثر النباتات العطرة إنتشارا فى العالم : النعناع ، العنز ، واللافندر ، وزهر البرتقال والورد ، والبنفسج .

تحقق بقاء النوع . وجاء الانسان فعرف مواضع هذه الروائح ومواضع غددها ووجودها فاستغلها لنفسه .

أهم المدن المعطرة

في بلاد التيرول يؤخذ نوع من الطحلب النامي على بعض الأشجار ليدخل في صنع طائفة من العطور . وتعد بلغاريا الآن أعظم الأقطار الأوربية انتاجا لزيت الورد حتى أصبحت تسمى بجدارة «حديقة ورد العالم» . وأكثر مناطق بلغاريا انتاجا للورد وزيته العطري « وادي الورد » الذي يقع وسط منطقة تبعد عن مدينة صوفيا بنحو مائتي كيلو متر شرقا .

ويعد زيت الورد من انفس الزيوت النباتية العطرة واغلاها ثمنا لان الكيلو جرام الواحد منه لا تحصل عليه إلا بعد تقطير ثلاثة آلاف كيلو جرام من الورد .



فتاة تقوم بعملية تقطير العطور فى احد مصانع العطور المنتشرة فى جنوب فرنسا



هذا الاناء يملأ بزهور اللافندر وعيدانها قبل التقطير . وهو تقريبا يمثل الطريقة المثلى لاستخراج الزيوت الأساسية للعطور

أما مدينة « جراس » الواقعة في جنوب فرنسا والقائمة على منحدر جبل يعلو سطح البحر بمقدار ١٢٠٠ قدم ، فاشتهرت بزيت الياسمين والقرنفل .

ولا هم لهذه المدينة المعطرة سوى زراعة الياسمين وتقطيره ، ومن عادة أهلها المبادرة الى قطف أزهار الياسمين في اللحظة التي يتم فيها اكتمال عطرها ، فيكفي أن تقع أشعة الشمس بعد ذلك لتفقد هذه الازهار ٢٠٪ من زيتهـــا العطـــري الثمين .

ومن محاسن الطبيعة أن هذه المدينة تشرف على واد طوله ٢٠ ميلا ، تحف به تلال على الجانبين ، فاذا انتصف الليل هب عليها ، من البحر هواء عليل حاملا سحابة مثقلة بماء البحر . وتحت هذه السحابة تغشى الأرض رطوبة طبيعية كالرطوبة التي تكون في البيوت الزجاجية التي تتخذ لتربية النبات والزهر ، فتعين براعم الياسمين على أن تتفتح احسن تفتح فى الساعة التي تسبق الفجر ، فاذا ما تبددت السحابة وطلعت الشمس ، رايت أكوام الياسمين قد قطفت توطئة لنقلها الى أرض المصانع في سرعة فائقة ، لاستخراج ما فيه من زيت .

وصناعة العطور لا تستغني عن زهر الورد والياسمين ، فكل عطر جيد يحوي على قدر من زيت احدى هاتين الزهرتين أو من كليهما .

استخراج الزيوت العطرة

استخراج الزيوت العطرة تختلف طرقها باختلاف النباتات وباختلاف الظـروف الصناعية والتجارية المحيطة بها . واقدم هذه الطرق طريقة التقطير بالبخار وهى أكثر الطرق استعمالا ، حيث توضع الأزهار مع الماء ليغلى ، فيتصاعد بخاره حاملا معه ابخرة الزيت . وتمر الأبخرة بعد ذلك في مكثف يبردها . فتتحول إلى سائل مرة أخرى ويستبقى الزيت والماء فى آنية حيث يطفو الزيت على السطح ويسهل فصله .

أما المركبات العطرة الكامنة فى قشور ثمار البرجموت والليمون ، فتحضر بوضع قشور الثمار فى أكياس من القماش ، ثم الضغط عليها ضغطا آليا ، فينفذ الزيت منها حيث يجمع فى أوعية خاصة . وتتحلل الزيوت العطرة لبعض الأزهار أو تتلف بوساطة البخار ، فتوضع مثل هذه الأزهار فى شحم مصهور حار ليمتص الزيوت . وتعامل الورود وازهار أخرى كثيرة بهذه الطريقة التى تسمى التطرية . وعطـر الياسمين حساس الى درجة ان حرارة التطرية قد تتلفه . وللحصول عليـه تستخدم طريقة اخترعت فى فرنسا وتسمى تقع الأزهار . وفى هذه الطريقة توضع الأزهار بين طبقات من الشحم الحيوانى النقى ، ويستخرج العطر منها كما فى عملية التطرية ، ولكن ببط أكثر . وفى كلتا الطريقتين من طرق الاستخراج ينفصل الزيت عن الشحم بالمذيبات الكيميائية والناتج النهائى يسمى زيت الأزهار .

د . عز الدين فراج

لماذا أهملنا جمع المخطوطات العربية المشرّدة في أوروبا؟

بقلم: وجيه الشربجي

من الثابت أن الغرب لم يسلك سبيل حضارته المعاصرة، الا بعد ان التقى ماضيه بحاضره وقطف ثمار عقول اجداده، ولجا الى دراسة عيون تراثه، للافادة من تجارب اسلافه فى مختلف ميادين المعرفة.

وما أحوجنا فى يقظتنا الراهنة، الى السعي لاحياء تراثنا. بتحقيقه تحقيقاً علمياً وافياً، فنشر التراث العربى المخطوط يفيد العرب جميعاً فى بناء حضارتهم ومستقبلهم، ويدعو الشباب العربى للالتصاق بهموم امته وقضاياها المصيرية.

ولكن الخطوة الأولى والهامة التى ينبغي أن تسبق التحقيق والنشر، هى قيام المؤسسات الثقافية العربية المهتمة بشؤون التراث بحصر جميع المخطوطات العربية الثمينة المنتشرة فى ارجاء العالم. فالاحاطة بكافة كتب التراث العربى وبخاصة العلمية منها، باتت ضرورة قومية ملحة، اذ لا يجوز مطلقاً أن يبقى العرب الى اليوم لا يعرفون مالديهم من كنوز ثقافية وعلمية، صاغها الانسان العربى خلال عصور الازدهار.

والمشكلة الاساسية الآن تكمن فى عدم وجود فهارس تضم المخطوطات العربية الموجودة فى البلاد العربية والأجنبية، فدار الكتب الظاهرية بدمشق التى تحتفظ باكثر من عشرة آلاف مخطوط نادر لم تصدر حتى الآن فهارس لجميع مخطوطاتها، والمكتبات العامة والخاصة فى بغداد والقيروان وحلب وبصرى وغيرها، لا نعلم عن مخطوطاتها الا القليل بسبب عدم تبويبها وتعدادها!

ولا جدال بان فهرسة كتب التراث العربى وتصنيفهاحسب اغراضها وابحاثها له فوائد جمة اهمها: تمكين الباحثين والمستشرقين من الاطلاع على التراث المخطوط لاختيار الصالح والمفيد لاعادة نشره من جديد اضافة الى أن احصاء هذه المخطوطات وتوثيقها يحول دون اختلاسها وتسربها.



الصفحة الرئيسية من المخطوط الهام «سير أعلام النبلاء» للعلامة شمس الدين الذهبي

وأمام القائمين على منظمات ومعاهد التراث العربى اكثر من مجال لتحقيق هذا المطلب، والاحاطة بجميع المخطوطات، وذلك بارسال البعثات والوفود الثقافية الى مكتبات البلاد الغربية لتصنيف كتب التراث العربى القابعة فى خزائنها، وتشكيل لجان من الباحثين العرب وتكليفها باعداد فهارس للمخطوطات المتواجدة فى مكتبات العالم العربى، وانشاء تعاون ثقافى بين الهيئات العلمية العربية والمستشرقين بقصد التنسيق والمتابعة والمراسلة.

ومن البديهى أن كل عمل يهدف الى ابراز ما أضافه العرب الى خزان الحضارة الانسانية، يمثل قدرة الأمة العربية على الصمود وتاكيد الذات ازاء عواصف الغزو ومحاولات الاقتلاع من الجذور التى يتعرض لها العرب طوال تاريخهم.

وإن تمسكنا بتراثنا وتصميمنا على الالتزام باصوله، يثبت للاجيال الجديدة التى تعيش قلقها العميق الى درجة التمزق أن التراث الذى قدمه الاسلاف عبر مسيرتهم الحضارية لا يزال حي يرزق، ويبعد عن هذه الأجيال احساسها بالانطفاء ويؤكد لها وقوفها على أرضية صلبة، لا يزعزعها التهديد والتامر الفكرى والتاريخى.

مخطوطات مشردة

وفى اطار التعريف بمكامن المخطوطات العربية المشردة فى متاحف ومعاهد المدن الأجنبية، نقدم للقارىء العربى وصفاً مكثفاً لطائفة من المخطوطات العربية المحفوظة فى بولونيا (بولندا).

تحتفظ عدة مدن بولونية الى جانب العاصمة وارسو، بكتب قيمة من التراث العربى، يعود تاريخ معظمها الى القرنين العاشر والثانى عشر الهجرى، والقسم الكبير من هذه المخطوطات يوجد فى مدينة (كراكوف) عاصمة بولونيا فى القرون الوسطى، التى تاسست بها اقدم جامعة فى أوربا، عام ١٣٦٤ م، وتفتخر جامعة (ياجللونسكي) بان (كوبرنيك) عالم الفلك الشهير كان من أشهر طلابها.

وتضم مدينة (فروتسلاف) فى مكتبتها العريقة والمشهورة بثروتها العلمية الضخمة، مخطوطات عربية نفيسة، تبحث فى الآداب والتاريخ، كان قد اشار اليها (بروكلمان) عام ١٩٠٠ م فى موسوعته بعد أن أصدر فهرساً بها. وقام «ج ريختير» فى سنة ١٩٣٣ بدراسة مستفيضة لكافة كتب التراث العربى

المحفوظة فى مدينة (بريسلاو) ، ولكن اغلب المخطوطات الشرقية والغربية التى كانت محفوظة فى هذه المدينة فقدت خلال الحرب العالمية الثانيـــة ، إثـر احتراق معالمها .

وفى عام ١٩٥٩ عمد معهد المستشرقين فى اكاديمية العلوم البولونية فى وارسـو الى جمع المخطوطات العربية المبعثرة فى المتاحف والمعاهد البولونية ، وكلف فئة من المستشرقين بتوثيقها واعداد فهرس عام يشمل كل المخطوطات الشرقية الموجودة فى بولونيا ، بما فيها العربية والفارسية والتريه والتركية بغية تصنيفها حسب اللغة والغرض والبحث .

وقد أصدر المستشرق البولوني (ف . كوبياك) الأستاذ فى معهد اللغات الشرقية بجامعة كراكوف ، كشفاً ذكر فيه اسماء وعناوين طائفة كبيرة من كتب التراث العربى الموجودة فى بولونيا ، وركز اهتمامه بصورة خاصة على المخطوطات العربية ذات القيمة العلمية والتاريخية . ووعد باصدار قائمة ثانية تحتوى على جميع المخطوطات والرسائل التى كتبها بولوذيون والمتعلقة بتاريخ الشرق العربى .

أبحاث متنوعة

وأبحاث هذه المخطوطات متنوعـــة الاغراض ، فيها كتب تعالج المواضـيع التاريخية والفقهية والتفسير ، وقسم اخر يتناول علوم الجغرافيا والفلك واللغـة والشعر والنحو ، وجزء يسير تدور ابحاثه حول القصص الشعبية وتراجم الرجال والانساب .

ونشير الى مجموعة من المخطوطات العربية الموجودة فى الاكاديميات والمعاهد البولونية .

● فى معهد اللغات الشرقية بجامعة كراكوفية توجد هذه المخطوطات :

- تبصرة الحكام فى أصول الاقضية ومناهج الأحكام .. لابراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (النسخة مكتوبة فى المدينة المنورة عام ٨٢٤ هـ منقولة عن مخطوطة بيد المؤلف) .

- كتاب طبقات المشايخ لأبى العباس احمد الدرجيني (منقولة عن نسخة من سنة ١١٨٠ هـ) .

- قسم عن اسبانية وصقلية (لابن سعيد الاندلسى) بدون تاريخ .





مدينة « فروتسلاف » التي تضم مكتبتها العتيقة اضخم مجموعة من المخطوطات الشرقية

- كتاب عجب الاعجاب المنتخب من أحوال بني مزاب .. لســـيد بسمعين مدبحي .

- بيان التواريخ .. وهو قسم من تاريخ بني مزاب (لمؤلف مجهول) النسخة بخط مستشرق بولوني .

- كتاب بلا عنوان فى التفسير .. لأبي الخير محمد بن محمد الجزرى الدمشقى الشافعى (النسخة بدون تاريخ) .

- كتاب السير لأبي العباس احمد بن أبي عثمان سعيد بن عبد الواحد الشحافي (النسخة من عام ١١١٩ هـ كتبها أبو بكر ابن أبي بكر) .

● وفى أكاديمية العلوم البولونية توجد المخطوطات التالية :

مدينة « كراكوف » عاصمة بولونيا فى القرون الوسطى ، والتى تحتفظ باكبر ثروة من المخطوطات العربية فى أوربا

- شرح فى المصلي .. لابراهيم بن محمد ابن ابراهيم الحلبي وهو شرح كتاب منية المصلى وغنية المتبدى .. لسديد الدين الكشفرى (تاريخ النسخة رمضان سنة ١٠٤٠ هـ) .

- كتاب شرح الشاطبية .. لعلي بن عثمان بن محمد بن أحمد بن الناصح وهو شرح حرز الاماني ووجه التهاني .. لأبى القاسم الشاطبى (النسخة بدون تاريخ) .

● أما فى المتحف الوطنى فى بولونيا فيوجد به :

- تاريخ الخميس فى احوال انفس النفيس لحسين بن محمد بن حسن الديار بكرى .

- كتاب انساب العرب .. لسلمة بن مسلم الوبي (العوني) (تاريخ النسخة شعبان سنة ١٢٥٣ نقلها سعيد بن ناسب وسليمان بن سعيد مبارك) .

وغير ذلك من المخطوطات العربية الهامة التى تؤكد ثراء المكتبات فى هذا المكان بالتراث العربى الذى يحتاج منا إلى جهود كبيرة لجمع شمله من بلاد عديدة !

المراجـــع :

- بحث حول المخطوطات الشرقيــــة .. للمستشرق البولوني ن كوبياك .

- نوادر المخطوطات العربية فى العالم .. د . جمال ياسين (١٩٥٩) .

- حوار دار بين الكاتب والبروفسور البولوني يانوشن يوسلاف اثناء وجوده فى معهد اللغات الشرقية فى كراكوف عام ١٩٨١ .

حوار مع
مدير التليفزيون القطري

● من أجل رفع مستوى كتابة النصوص وضعنا كل التسهيلات أمام الأدباء والفنانين

●● برامجنا السياسية تهتم بخلق الشعور السياسي والاجتماعي للمشاهد

●●● لا يمكننا الاستغناء عن شراء البرامج والتمثيليات والمسلسلات لأن إنتاجنا لا يكفي!

●●●● مطلوب مسرحيات عربية جيدة.. ولا زلنا نضع الحوافز لتشجيع الكتاب المحليين

أجرى الحوار : يوسف الحرمي



مانع الهاجرى مدير التليفزيون القطرى



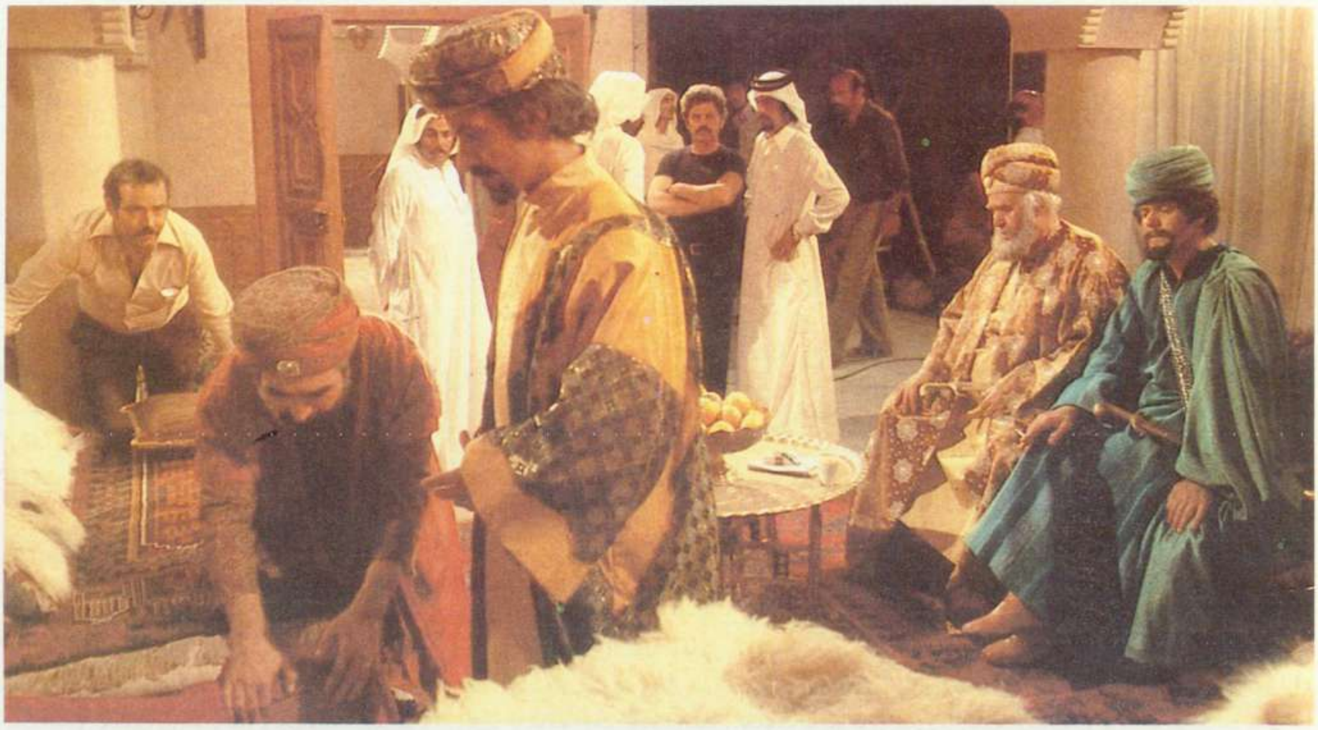
الاجهزة الحديثة داخل التليفزيون القطرى والتى حلت مكان الاجهزة القديمة وفق خطة مدروسة



مشهد من تمثيلية قطرية جديدة ، تم تصويرها داخل استوديوهات التليفزيون القطرى .

ماذا تعرف عن التليفزيون القطرى ؟ .. ما هى الوسائل التقنية الحديثة التى يستعين بها والأساليب العلمية التى يتبعها ؟ .. وما هو دوره فى تعميق القيم الانسانية فى أعماق المواطن من أجل الارتقاء به ثقافياً وفكرياً ؟ وما مدى اهتمامه بالبرامج الأدبية والعلمية وبرامج الأطفال المختلفة ؟ .. والى أى حد يقوم التعاون بينه وبين تليفزيونات دول الخليج فى المجالات المختلفة ؟ ..

حول تلك الأسئلة وغيرها كان هذا اللقاء مع مدير التليفزيون القطرى : مانع الهاجرى .





مشهدان من داخل استديوهات التليفزيون القطرى المزود باحدث اجهزة العصر ، التى توضع فى خدمة انتاج اهم المسلسلات التاريخية الاسلامية والمسلسلات المرتبطة بالتراث الشعبى

● فى بداية الحديث ، هل لك أن تحدثنا عن المبـــادىء التى تعتمدهـــا ادارة التليفزيون في تنسيق برامجها ؟

ـ يعتمد التليفزيون فى تنسيق البرامج التى يضعها على مخططات قائمـة على اسس ثابتة تتدرج كالتالى :

(١) يطلب من معدي البرامج المحلية ان يتقدموا بافكار جديدة للدورة المقبلة .

(٢) تقوم مراقبة العلاقات البرامجية ومراقبة المكتبات باعداد قوائم بالبرامج والمسلسلات والأفلام العربية والأجنبية المتوفرة فى المكتبات للاختيار منها .

(٣) تجتمع لجنة البرامج لمناقشة الأفكار والبرامج التى يمكن وضعها على المخطط الجديد .

(٤) يرفع تقرير بما تمت مناقشته فى لجنة البرامج (التى تتالف من المراقبات المختصة بالبرامج) الى لجنة التخطيط لوضعها على المخطط ولاقرارها .

(٥) يرفع المخطط مع ملخص للمواد الموضوعة عليه الى الوزارة لاعتماده أو

لاجراء اية تعديلات عليه ، ثم يقر نهائيـــا اذا كانت هناك اية تعديلات .

● لو شاهدنا اجهزة التليفزيونات الأوروبية لوجدنا المنوعات تاخذ زمنا طويلا فى ساعات البث ، بينما نشعر أن برامج التليفزيونات العربية تفتقر الى مثل هذه الحيوية لماذا ؟

– يقوم تليفزيون قطر بعرض منوعات غنائية متفرقة من البرامج طوال يـوم البث ، وهناك مجموعة من الأغانى تبث يومياً بعد النشرة العربية بالاضافة الى سهرة منوعات وسط الأسبوع ، وسهرة شعبية يوم الخميس من كل أسبوع واصوات خليجية يوم الجمعة ، وكذلك فان بعض البرامج المحلية لا تخلو من المنوعات الغنائية .

● وماذا عن مدى اهتمامكم بالأعمال الفنية والمسرحية المحلية بشكل خاص والعربية والخليجية بشكل عام ؟

– يولي التليفزيون اهتماما خاصـــا بالأعمال الفنية والمسرحية المحلية ، فهناك اجتماعات تعقد بين المســـئولين فى التليفزيون وبين الكتاب والفنانين المحليين وكذلك فان التليفزيون قد وضع الحوافز لرفع مستوى كتابة النصوص ويقدم التسهيلات الفنية للفرق المسرحية المحلية ويســجل المسرحيات التى ينتجونهـــا ويشتريها منهم مع احتفاظهم بحق توزيعها واما الأعمال المسرحية الخليجية والعربية فان التليفزيون يرحب بعرض الجيد منها ونحن دائماً على اتصال مع المؤسسات التى تنتج الأعمال الفنية والمسرحية للحصول على الأفضل .

● وماذا عن اهتمامكم ببرامج الأطفال ؟

– يولى التليفزيون اهمية خاصة لبرامج الأطفال ، وقد قدم التليفزيون برامج عديدة للطفل أهمها : مسلسل افتح يا سمسم وعرائس الأطفال ومسلسل مدبلج باللغة العربية ومسلسل اسبوعى ملاعب المضمار وافلام الأطفال – ومسلسل المنزل الصغير بالانجليزية بالاضافة الى الرسوم المتحركة والمنوعات الغنائية للاطفال وبرنامج هيا يا اطفال ، والمسلم الصغير ، واطفالنا والعيد وهذه البرامج انتجت محلياً .

● وماذا عن مكتبة التليفزيون ، وما أهم محتويات المكتبة ، وماذا عن اهتمامكم بتطويرها بصورة مستمرة ؟ .

– فى التليفزيون مكتبات ضخمة تحتوي على الأفلام وأشرطة الفيديو وهى كما يلي :

(١) مكتبة الفيديو وتحتوي على حوالى خمسة وعشرين الف شريط من مقاس ٢ انش وخمسة الاف شريط من مقاس انش واحد ، وعلى تلك الأشرطة مواد تغطى جميع أنواع البرامج وكل هذه الأشرطة وما هو مسجل عليها يخص التليفزيون .

(٢) مكتبة الأفلام ، وتحتوي على افلام عربية ملك التليفزيون وأفلام وثائقية عن دولة قطر ، بالاضافة الى افلام اخبارية محفوظة فى مكتبة الأخبار والأفلام التى تصور البرامج المحلية ، أما الأفلام الأخرى التى ترد الى التليفزيون فانها مستاجرة وتعاد للشركات بعد عرضها .

● ما مدى اهتمامكم ببرامج التراث الشعبى ؟

– يهتم التليفزيون ببث برامج التراث الشعبى وذلك من خلال برامج متعددة أهمها : برنامج مجلس الشعراء ، وركن البادية ومن الأدب والفن الشعبى بالاضافة الى منوعات غنائية وبرنامج قطر وفنونها الشعبية والجلسة الشعبية وهذه البرامج تصور انماطاً من الأدب الشعبى والشعر والتراث الفني الشـــعبى . ويحـــاول التليفزيون من خلال تلك البرامج احياء ذلك الفن وتقديمه فى قالب شيق للمشاهدين . كما ان التليفزيون لا يهتم بالتراث الفنى القطرى فحسب بل يتعدى ذلك الى تاريخ الفن الخليجى ضمن برنامج « خليج الأغانى » الذى قام باعداده وتقديمه الزميل علي عبد الله خليفة .

● وماذا عن اهتمامكم بالندوات الدينية والحضارة الاسلامية ؟

– تحظى البرامج الدينية فى التليفزيون باهتمام كبير ، وتجد دائما على مخطط الدورات المتتالية الندوات الدينية والبرامج الاسلامية تتحدث عن الحضارة الاسلامية وتبث عبر شاشة التليفزيون وأهم هذه البرامج :

(١) برنامج « الدين والحياة » – من انتاج تليفزيون قطر وهو من ٢٦ حلقة وهو عبارة عن ندوات دينية .

(٢) برنامج العلم والايمان ويقع فى ٣٠ حلقة وقد عرضنا جزءا منه وسوف نستلم تتمة ذلك البرنامج .

(٣) حلقات من احاديث الشيخ محمد متولى الشعراوى تبث بصورة مستمرة .

(٤) ندوات دينية للشيخ محمد الغزالي .

(٥) برنامج هدى الاسلام اعداد وتقديم الدكتور الشيخ يوسف القرضاوي .

(٦) يعرض التليفزيون من القناة «٣٧» حلقات عن انشطة المسلمين المهاجرين الى الولايات المتحدة وكندا وحرصهم على نشر الحضارة الاسلامية والتمسك بامور دينهم وذلك لاطلاع المشـــاهدين والأجانب على تعاليم ديننا الحنيف . والحلقات باللغة الانكليزية ، هذا ويسعى التليفزيون دائما الى تنويع مصادر البرامج الدينية والى طرق مواضيع تعود على المشاهد بالفائدة وتهدف الى تبصيره بامور الدين ، وكذلك فان التليفزيون يعنى ببث البرامج الدينية المحلية والمسلسلات الاسلامية التاريخية .

● وماذا عن اهتمامكم بالبرامج السياسية والاجتماعية ، وهل لديكم اهتمام بارز لمثل هذه البرامج ؟

– يولى التليفزيون البرامج السياسية اهتماماً بالغاً .. ويسلط الأضواء يومياً على ما يجري على الساحة المحليـــة والخليجية والعالمية من احداث كي يكون المشاهد على اتصال دائم بما يدور حوله ... وذلك يغذي الفكر ... ويدفع المشــاهد الى تفهم الأحداث وعلاقاتها .. والمواقف والايدولوجيات . هنالك برنامج (فى دائرة الضوء) وتتسلط الأضواء خلاله على اهم اخبار النشرة مع التحليل الجيد المدروس ليتمكن المشاهد من مواكبة الأحداث ، وهنالك برنامج (قضايا وآراء) الذي يشرح تداخلات الأحداث وردة الفعل وآراء المحللين تجاه اهم الأحداث .. وهذا البرنامج يعطي المشاهد دفعة من المعرفة والثقافة العامة ، ويبسط الأحداث للمشاهد . وبالاضافة الى برنامج اقـوال الصحف ، الذي يتناول اهم الأحداث التي تناولتها الصحف .. هنالك برنامج (اضواء على الأحداث) وهو برنامج اسبوعي يركز على قضية بعينها باسهاب ، ويعـــود بالمشاهد الى جذور القضية وتطوراتها من كافة الجوانب .

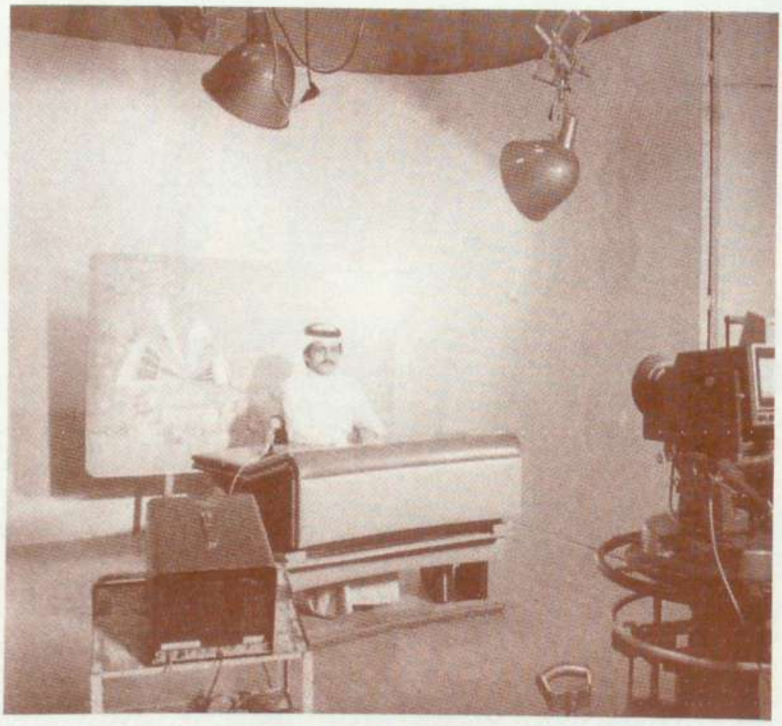
هذا بالاضافة الى برامج المناسبات وهي تعني بخلق شعور سياسي اجتماعي للمشاهد كالقضايا الهامة المطروحــــة على الجامعة العربية أو الأمم المتحدة والأعياد الوطنية للدول العربية واضواء على المؤتمرات واللقاءات والاجتماعات الداخلية والخارجية .

بالاضافة الى ما يقدم على القناة الثانية مثل : –

1. Press Round up
2. News in Focus
3. Mid - Week

● مما لا شك فيه انكم تعتمدون على اكبر نسبة من شراء الأفلام والمسلسلات والتمثيليات من الخارج ، الى متى سيبقى اعتمادكم على ذلك ...
وكيف يمكن الاستغناء عن ذلك ؟

– من سياسة تليفزيون قطر ان ننوع فى برامجنا ففي كل دورة ترى مسلسلات من بلدان عربية مختلفة خليجية وسورية وباللهجة البدوية الأردنية ، وجزائرية وتونسية بالاضافة الى المسلسلات المصرية اما عن الاستغناء عن شراء البرامج .



في كل يوم ، نرى نشرة للاخبار متكاملة ، تعتبر بكل المقاييس من اهم النشرات الاخبارية في العالم العربي ، بما تتضمنه من تغطية كاملة لأهم احداث الساحة المحلية والخليجية والعالمية ، وهذا إضافة إلى برامج تحليل اهم الأحداث وبرنامج أقوال الصحف

والتمثيليات والمسلسلات فهذا لن يكون قبـل مرور وقت طويل جـداً . لان اكبر تليفزيونات العالم لا يمكن ان تكتفى بما تنتجه من البرامج والمسلسلات لتملأ به مخططاتها .

● وماذا عن البرامج الأدبية وما مدى اهتمامكم بالأدب الغربي والأدباء بشكل عام ؟

– بالنسبة للندوات الادبية يقوم التليفزيون بتسجيل كل الأنشطة الأدبيـة والثقافية والمواسم الثقافية من خلال توجيه الدعوات لكبار الادباء والكتاب والشعراء في الدول الخليجية والدول العربية الأخرى الذين يتواجدون في البلاد لتسجيل ندوات لهم ،وكذلك يعرض التليفزيون المجلة الأدبية التى تطلع المشاهدين على الجديد فى عالم الأدب وما يصدر من كتب ادبية وتناقش الموضوعات الأدبية من خلال استضافة اديب أو كاتب .

● بعض المناطق والقرى في منطقة الشمال تشكو من عدم وصول البث التلفزيوني اليها ... هل لديكم النية في تقوية الارسال بحيث يصل الى كل انحاء الدولة ؟

– ان بعض الأماكن في منطقة الشمال وبعض المناطق في دولة قطر لا يصلها البث التليفزيونى بصورة منتظمة وذلك للأسباب الآتية : –

١ – المستوى الارضي لهذه المناطق نازلة عن سطح البحر وللحصول على الارسال في هذه المناطق يجب وضع الهوائي في ارتفاع كبير جداً وهذا صعب .

٢ – عدم توجيه الهوائي التوجيه السليم فمن المفروض ان يتوجه الهوائي الى محطة الارسال وبعض الناس يقوم بتوجيهه الى محطة التليفزيون ، كما تعلمون ان محطة الارسال ليس فى مبنى التليفزيون .

٣ – الهوائي لا يتم تركيبه سليماً ، حيث تجد عدم اتصال الواير (الكيبل بالهوائي) ولذا سنقوم في القريب العاجل جداً بتركيب محطات تقوية لتغطية المناطق التي لا نغطيها .

● هل لديكم نية في تطوير او شراء اجهزة حديثة ومتطورة الى التليفزيون ؟

– من المعلوم ان العلم الحديث يتطور كل يوم وخاصة في المجال الالكتروني والاجهزة الموجودة حاليا في التلفزيون القطرى من احدث الأجهزة الموجودة فى العالم ، حيث قمنا باستبدال جميع الأجهزة القديمة على فترات حسب خطة معينة ولتكملة هذا المشروع :

(١) ستقوم بتغيير جميع الكاميرات القديمة في الأستديوهات الى الأحداث .

(٢) كما اننا سنقوم بتركيب جهاز خاص لتحويل النظام الأمريكى الى النظام الالماني .

(٣) كما ان هناك مشروعاً لاضافة بعض الأجهزة الموجودة لدينا بسبب الضغط البرامجى .

● هل لكم ان تحدثونا عن مشروع توسيع الاستوديوهات وما أهمية كل واحد من هذه الاستوديوهات ؟

– الاستوديوهات الموجودة حالياً تفي بالغرض. واما التوسعات فانها تعتمد على خطة الانتاج ومدى تطورها .

● وما مدى اهتمامكم بالبرامج العلمية والفنية والثقافية ؟

– يبث التليفزيون في كل دورة عدداً من البرامج العلمية التي تتناول البيئـة والاكتشافات العلمية والاختراعات والجسم البشري. واما البرامج الثقافية فانها تغطى مساحة لا باس بها من مخطط الدورة فهناك برامج عن الطبيعة وعن الحيوان وعن عالم البحار وعن سكان العالم . وفي مجال البرامج الفنية فان التليفزيون يعرض برنامج « مجلة التليفزيون » وبرنامج الأدب والفن الشعبي ، وهذه البرامج فى مجموعها توضح مدى اهتمام التليفزيون بتقديم الأفضل من البرامج .

● هل هناك تعاون بين تليفزيون قطـر والتليفزيونات الخليجية العربية بشـكل عـام ؟

– ان التعاون بين تليفزيون قطـر والتليفزيونات الخليجية العربية قائم ويتمثل ذلك في مجالات وانشطة مختلفة اهمها :

(١) تبادل العمل التليفزيوني بشتى مجالاته عن طريق جهاز تليفزيون الخليج .

(٢) المشاركة في انشطة الانتاج التى تقوم بها مؤسسة الانتاج البرامجى المشترك سواء كان ذلك فى المشاريع الانتاجيـة المشتركة مع التليفزيون او في مشاركة ممثلين في البرامج التليفزيونية الموجهة التى تنتجها المؤسسة .

(٥) المشاركة فى الدورات التدريبية الاقليمية التى تعقد بتنسيق من المركز الخليجى لتنسيق التـدريب الاذاعي والتليفزيوني والتي تعقد فى دول الخليج العربية بين الحين والآخر : ومن هذا يتضح اننا نتعاون مع كل تليفزيونات دول الخليج العربية ونرحب دائماً بتطوير ذلك التعاون .

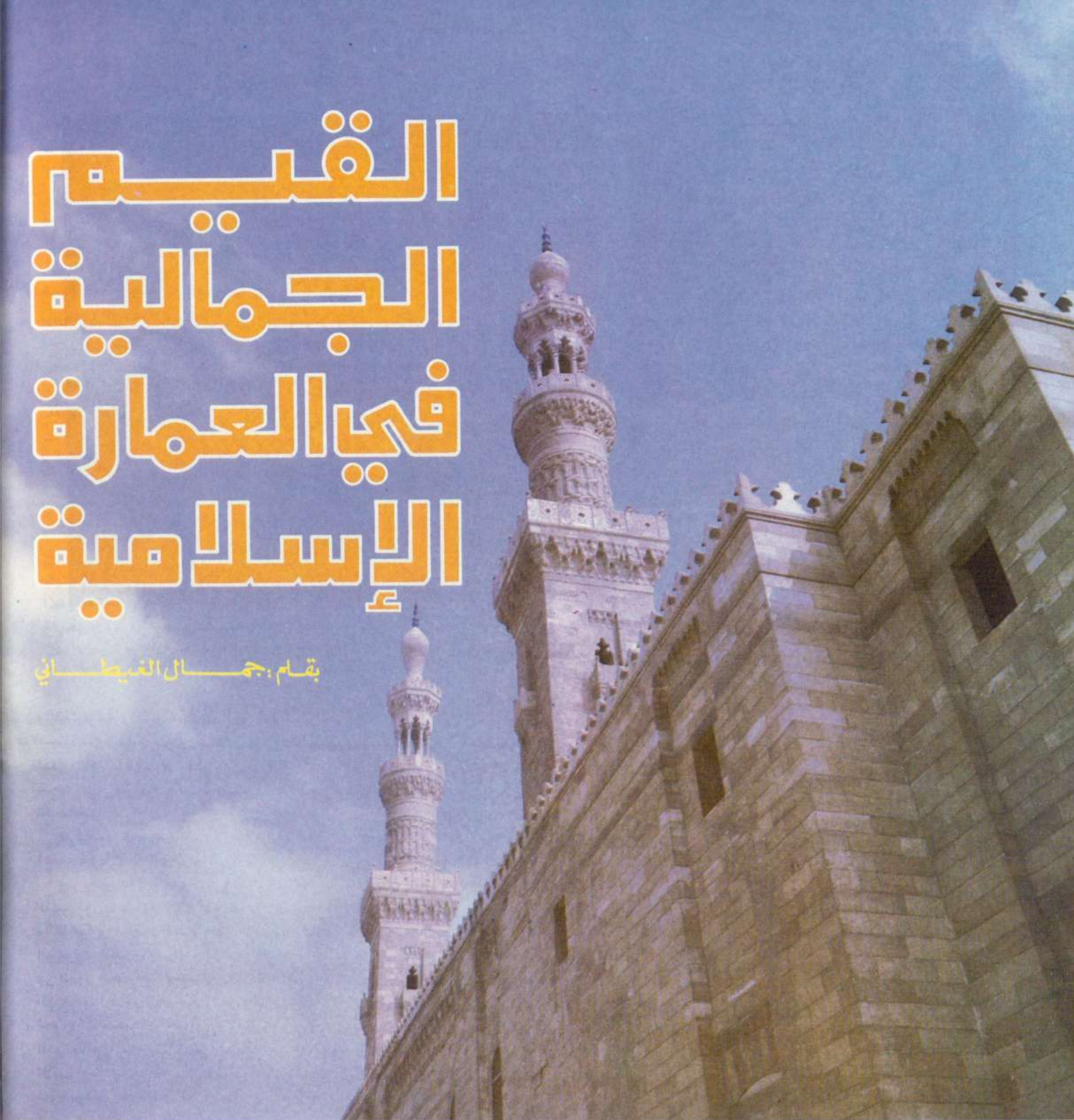
● ما هى مشروعاتكم المستقبلية ؟

– الاهتمام بالانتاج المحلي وتقديم البرامج المحلية الجيدة فى مختلف المجالات سواء كانت دينية او ثقافية .

يوسف الحرمي

القيم الجمالية في العمارة الإسلامية

بقلم: جمال الغيطاني



على الرغم من اختلاف طراز المساجد فى كل إقليم ، فان هناك طابعا مشتركا يميزها عن المبانى ، ويعتبر المسجد أهم المبانى الاسلامية .

" .. للعمارة الاسلامية خصائص مميزة وسمات مشتركة فريدة . هى نتاج عوامل عديدة ، دينية وبيئية ، وجمالية ، وهذه العناصر متنوعة تنوع البلاد المختلفة التى حل بها العـــرب والمســـلمون . فتلك الصحراوات برمالها المنبسطة وتربتها المنفسحة وارضـــها الجرداء ، وبسمائها الصافية ، وبهلالها ونجومها المتالقة ليلا ، أذكت الفكر فنشطت علوم الفلك والرياضة . كما أضفت على روح الفنان العربى أثرا عميقا ، فأثارت وجدانه والهمته أن يحكيه فيما يبدع وأن يطبع به ما ينشيء ، من أجل ذلك جاءت العمارات تحكى ما يقع عليه البصر فى الأرض ، وما يمتد اليه الطرف فى السماء ، فكانت تلك الأهلة التى توجت المآذن ، ثم كانت تلك القباب التى تحاكى قبة السماء ، وكان للرياح الساخنة المحملة بالرمال الحارقة اثرهـــا فى انشـــاء الدور والمساكن فاحيطت بجدران صماء تحميها من نفثات هذا الحريق ، على حين تركت صحونها مكشوفة عارية من السقوف كى



استحدث نظام جديد للاستفادة من المساجد كمدارس ، ونرى فى الصورة مدرسة وخانقاه برقوق

تصل قاطنيها بتلك السماء التي كان البدوي يفزع اليها طالبا الغوث وهربا من الوحشة فلم يشا أن يحجب بينها وبين ماوى روحه اذ اعتبر تلك الفرجة فى سقف داره معبره الى السماء او جزءا من السماء قد شده الى بيته » .

كثيرة تلك المؤلفات التي تناولت العمارة الاسلامية ، فى لغات متعددة ، غير ان كل كتاب منها يتناول حقبة معينة ، أو زاوية احادية الجانب ، اما في لغتنا العربية فان وجود كتاب شامل عن العمارة الاسلامية كان نادراً قبل صدور هذا الكتاب للدكتور ثروت عكاشة الذي يحدد هدفه منذ السطور الأولى :

« لست اقدم في هذا الكتاب بحثاً معمارياً أكاديمياً » ذلك مجال لم يدر في خاطري أن اقتحمه ، غير اني اذ طوفت بكثرة من البلاد يشدني حس الى مواطن الجمال الخصبة التي خلفها اسلافنا المسلمون في آثارنا المعمارية ،أحببت ان اشرك القارىء العربي معي في ارتشاف

هذه المتعة النادرة التي تذوقتها بين حنايا عمائرنا المندثرة عبر عالمنا الاسلامي الكبير .. »

اما المهندس المعماري الكبير حسن فتحي الذي قدم للكتاب فيقول : « على ان هذا الكتاب الذي اتسم بشمول النظرة الى العمارة الاسلامية في عهودها وانماطها المختلفة والذي جمع بين دفتيه عدداً من الآثار التي لم تتح لكاتب قبله أن يجمع بينها على بعد احدهما والآخر من مسافات وعصور »

الى عالم العمارة الاسلامي نمضي عبر هذا المؤلف الهام .

وحدة الطابع

ماهي العناصر المشتركة بين اشكال العمارة الاسلامية المختلفة ؟ ، وماهي منابع هذه العناصر ؟ ، لقد كان لتعاليم الدين الاسلامي الأثر الأعمق ، فالاسلام يعد كل بقعة من الأرض طاهرة يجوز للمؤمن ان يؤدي عليها ما فرضه الله من صلاة ، لذا جاءت المساجد اول ما جاءت في الاسلام صحونا متسعة تسور بجدران ، واذ كان لابد من ان يتجه المسلمون في صلاتهم الى قبلة بعينها ، جاء بناء المساجد مرتبطا كل الارتباط بهذا التوجيه الديني . هذا تعبير معماري جديد ، اذ ربط فن العمارة بين المسجد والكعبة في مكة المكرمة .

مع انتشار الاسلام ، وهجر العرب للبادية ، واستيطانهم المدن ، نشأ فن معماري حضري للمساجد والمدارس والتكايا ، واحتفظ المعمار الاسلامي بخصائصه الاولى ، واضاف اليه الجديد من واقع المدن ، والبيئة المختلفة التي وصل اليها . ونتيجة لاختلاف البلدان . ظهر تباين يسير بين العمارة في هذا البلد وذاك . في ايران مثلا طغت الناحية المعمارية الزخرفية كما يبدو في مسجد شاه باصفهان . وفي مصر غلب الطابع الهندسي ، ويبدو هذا واضحا في العمارة الاسلامية المصرية ، حيث ينبع التعبير من التكوين الانشائي المعماري ، حيث ينبض الاحساس الديني من واقع تصميم الفراغ ، وليس من مجرد صقل السطح وزخرفته . وفي العراق تأثر تصميم المآذن بالابراج البابلية القديمة . وفي تركيا يبدو تأثير العمارة البيزنطية ، على حين تميزت عمارة المغرب والاندلس بالكثير من صفات تشكيل الفراغ وتصميم الاعمدة والعقود المتراكبة وزخارف الجص المفرغ .

هذا التنوع في الظاهر ، يحوي وحدة في الباطن ، انها وحدة الروح الاسلامية الكامنة وراء التكوينات المعمارية والتشكيلات الزخرفية التي اصبحت تقليداً معمارياً يحفظه البناءون عن ظهر قلب .

ساعد على ايجاد وحدة الطابع الاسلامي وحدة النظام في الصلاة ، والاتجاه الى القبلة ، مما ادى الى التشابه في التخطيط المعماري ، وكان من الطبيعي عند نزول الاسلام بتعاليمه التي تهدف الى جمع الانسانية كلها حول فكرة واحدة الا يشتمل كل مسجد على قدس اقداس خاص به كما هي الحال في المعابد الأولى ، بل هنا مكان مقدس واحد يتجه اليه المسلمون جميعا ، الكعبة ، واقتضى هذا ان يكون المسقط الافقي ببيوت العبادة الاسلامية مستطيلا ، اكثر ما يكون انفساحا ، يواجه ضلعه الاكبر مكة المكرمة حتى يستطيل الصف الذي يتلاصق فيه المصلون تاكيداً لفكرة المساواة بين جميع المسلمين الذين يصطفون في صف مستقيم متجهين الى القبلة . وفي البداية عندما كان المسجد مسطحا من الارض مسوراً غير مسقوف لم يكن ثمة ما يحجب نظرة المصلين الى السماء ، لكن عندما تطلب الامر تغطية مكان الصلاة في الجامع اتقاء حرارة الشمس ، وتقلبات العوامل الجوية في البلاد المختلفة ، حرص المعماري العربي على ان تكون نظرة المسلم الى السماء غير محجوبة ، فشطر المسطح شطرين : احدهما مسقوف للصلاة والآخر مكشوف هو الصحن ، وحتى يعوض المصلي في الجزء المغطى عن الاحساس بالانفصال عن السماء ، جعل على السقف قبة ترنو الى السماء ، وانهى اسوار المسجد بعرائس او شرافات متجاورة تتجه رءوسها الى اعلى موحيا بارتباط الارض بالسماء ، أو تلاصق المسلمين سواسية كاسنان المشط . أمام الله .

اما التطلع الى السماء ، والاتجاه اليها ، فقد حققه المعماري المسلم بابتكاره للمئذنة. يقول الاديب الفرنسي انطوان ده سانت اكسبوري :

« جملة مآذن تربط الارض بالسماء ، تكشفت لي فوق خلفية من روعة الغسق ، اشباح الدور المتفاوتة الارتفاع ، المتباينة الاحجام ، مشرعات كالصواري ، يلفها دخان سحب الارجوان وكانها اسطول على وشك الاقلاع . »

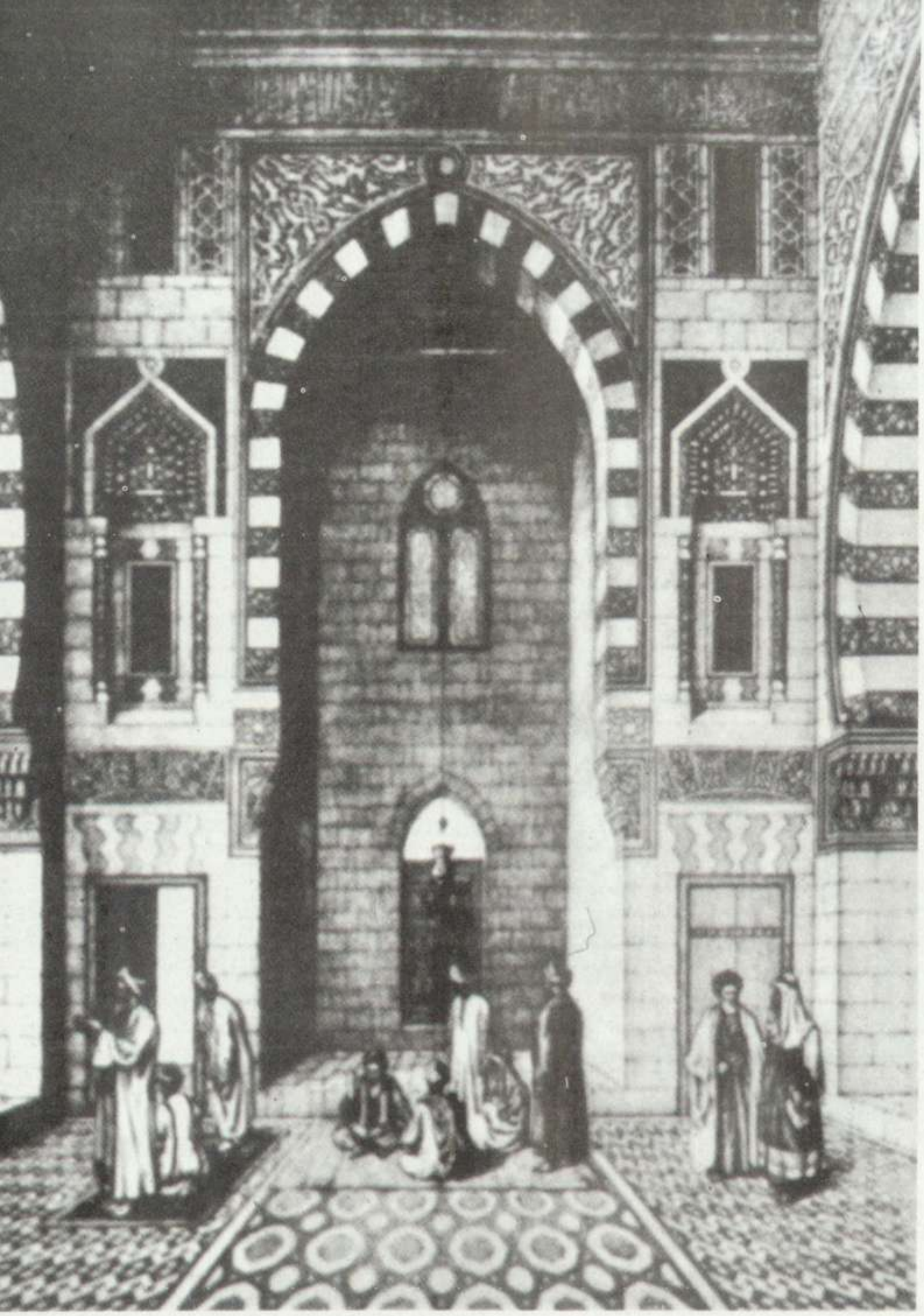
ثمة عنصر آخر هام من عناصر الوحدة ، انه الخط العربي الذي يكتب به المصحف الشريف ، تتقابل اشكال الخط العربي نفسه بمنحنياته وخطوطه وتكويناته الفنية بالتشكيلات الزخرفية التي تزين المصاحف واسطح الجدران في العمارة ، باشكالها ومنحنياتها في تقابلاتها وتحولاتها والقباب التي يزينها .

والى حد ما تأثر الفن الاسلامي بفنون البلاد التي فتحت ، خاصة الطراز البيزنطي والساساني ، اذ تم استبعاد الجوانب الاسطورية وفنون المحاكاة الشكلية النوعية الخاصة وتكويناتها الموروثة والمنقولة ، والمبتكرة ، لقد عولجت الفنون بما يتفق مع روح الدين الاسلامي وفلسفته . بهذا .. تميز الفن الاسلامي بقسماته عن الفنون التي تأثر بها وعن باقي الفنون الدينية .

القيم الجمالية

ينتقل الدكتور ثروت عكاشة الى عرض القيم الجمالية التي تميز العمارة الاسلامية فينفي مزاعم بعض المعماريين الغربيين الذين قالوا بجمود الفن الاسلامي ، نتيجة عجزهم عن التمييز بين الطرز المعمارية المختلفة في اطار هذا الفن . من اهم سمات العمارة الاسلامية عدم تكرار التفاصيل حتى داخل المبنى الواحد ، ويبدو ذلك واضحا في النوافذ الجصية بمسجد احمد بن طولون ، أو قبة قلاوون ، بالقاهرة . ان الاشكال الزخرفية تتعاقب الى مالا نهاية ، في تنوع خصب ، فتحوير الزهور والنباتات والاستنباط المتنوع لأشكالها والتوفيق بينها ينبيء بقدرة فريدة على الابتكار حتى لتبدو وكان معينها لا ينضب . ان المنابر الخشبية تضم مجموعة من الحشوات الصغيرة المتباينة الأشكال التي جمعت بعضها الى بعض ، وان احتفظت كل منها بشخصيتها المستقلة ، تتابع الدوائر والمربعات والمعينات والنجوم والاطباق النجمية متداخلة بعضها ببعض عن طريق التعشيق حتى ليمكن جمعها او تفريقها دون ان يزول اثرها أو يتضاءل . يقول هنري فوسيون :

« ما اخال شيئا يمكنه ان يجرد الحياة من ثوبها الظاهر وينقلها الى مضمونها الدقيق مثل التشكيلات الهندسية للزخارف الاسلامية ، فليست هذه التشكيلات سوى ثمرة للتفكير الرياضي القائم على حساب دقيق يتحول الى نوع من الرسوم البيانية لأفكار فلسفية ومعان روحية ، غير انه ينبغي الا يفوتنا انه خلال هذا الاطار التجريدي تنطلق حياة متدفقة عبر الخطوط فتؤلف بينها تكوينات تتكاثر وتتزايد ، متفرقة مرة ومتجمعة مرات وكان هناك روحا هائمة هي التي تمزج تلك التكوينات وتباعد بينها ثم تجمعها من جديد ، فكل تكوين منها يصلح لأكثر من



من ينظر إلى القيم الجمالية للعمارة الاسلامية يكتشف تلك الحياة المتدفقة في مضمونها الدقيق وتشكيلاتها الهندسية وزخارفها البارعة التي تتفق مع وجدان الانسان المسلم

تاويل يتوقف على ما يصوب عليه المرء نظره ويتامله منها وجميعها تخفي وتكشف في آن واحد عن سر ما تتضمنه من امكانيات وطاقات بلا حدود » .

نجد الضخامة في العديد من العمارة الاسلامية ، مثل مسجد السلطان حسن في القاهرة ، غير ان هذه الضخامة لا تهمل المقياس الانسانى ، وذلك بتجزئة عناصر المبنى وتوزيعها بطريقة منطقية تجمع بين وحدة التصميم وتعدد العناصر التى ينبغى ان تنشا عند تزايد الحجم مع الاحتفاظ بالمقياس الانساني ، ان ضخامة العمارة الاسلامية تسمو بالانسان الى اعلى ، لا تجتم عليه بثقلها ، لا ترهبه بعكس ما نشعر به عندما نقف امام كنيسة القديس بطرس في روما او كنيسة نوتردام في باريس .

بعد التنوع والضخامة ، ياتي اتساق الزخارف ووحدتها ، كان العامل الهام في تحقيق الجمال يكمن في مراعاة النسب والمقاييس التي تتفق ووجدان الانسان المسلم . لاريب في ان القيم الجمالية في العمارة الاسلامية غيرها في العمارة الأوروبية ، الأمر الذى لايجوز معه تطبيق القواعد الجمالية الاوروبية على العمارة الاسلامية .

المــدن

إحدى السمات البارزة للعمارة الاسلامية

تركيزها على الداخل ، فالمنزل الاسلامى مشيد حول صحن داخلي ، يطل على العالم الخارجي من خلال جدران عالية تتخللها نوافذ صغيرة الحجم ومجموعة من المشربيات تهيىء الانفتاح على الخارج دون اخلال بالحجاب ، ودون الاخلال بالتهوية والاضاءة ، وكانت العادة ان تتجمع عدة منازل ضمن تجمع كبير تحوطه الجدران ، يلج اليها الناس من خلال بوابة تؤدي الى مجاز تتفرع منه الممرات للوصول الى دور السكنى ، كان العرف المتبع في تخطيط المدن ، يراعي العوامل الجوية ، ومتطلبات الأمن ، والناحية التعبيرية الجمالية ، مطبقاً فى كلا المستويين الوعى والتلقائية ، كانت الشوارع والحارات تخطط ضيقة متعرجة لأن المساكن والقصور والمباني العامة تضم افنية وحدائق تستقبل الشمس والهواء من مساحتها الداخلية التي لا تجعلها في حاجة الى الشارع المتسع ،فاقتصر اتساعه على ما يفي بمطالب المرور وغدو الباعة الجائلين ، ورواحهم ، كما كان بضيقه وتعرجه يوفر المساحات الظليلة ، ويتيح اختزان الهواء الرطب ليلا حتى يشيعه اثناء ساعات القيظ ملطفاً من حرارة الجو على العكس من الشارع المستقيم الواســع « البوليفار الأوروبي » الذي تستبيحه الرياح صباحاً ومساء .

كما ان تعرج الشوارع يجعلها مقسمة الى اجزاء مقفولة المنظر ، يوفر للسائرين ميزة نفسية ، اذ يوحى لهم بقصر المسافة ، وذلك بتنسيق تجزئته في نقط بؤرية ، كمبنى أو سبيل أو قصر .

وكان الداخل الى المدينــة يمر بالمباني طبقاً لأهميتها ، حتى يصل الى اهمها شأناً في منطقة القلب ، ويشبه ذلك ذروة اللحن الموسيقي ، وهكذا اضيفت الناحية التعبيرية الفنية الى تخطيط المدينة .

ونجد في المدينة الاسلامية جزءاً يمكن اعتباره عمارة تجارية ، حيث توجد الاسواق ، وقد عرفت الخانات ، مثل وكالة الغوري في القاهرة ، وخان الصابون في حلب ، تبدو هذه المباني وكانها منتديات تجارية ، اذ كانت تستخدم لمبيت التجار الذين يدفعون رسوماً عن حصولهم على حق بيع بضائعهم فيها ، فضلا عن الضرائب العامة التي كان يقدرها المحتسب ، وتتميز الوكالة الاسلامية بانها تجمع التجار طبقاً لنوع السلعة التي يعرضونها بغض النظر عن جنسياتهم ، اما المبنى



روعة فن « الارابيسك » فى الجامع الأموى بدمشق الذى استقدم له الفنانون والصناع من سائر الأقاليم الاسلامية ليتم بناؤه فى القرن الثامن الهجرى

المقابل في الغرب والمعروف بالفنداكي البندقي الذي كان يقبل التجار على اساس جنسياتهم .

وشاع نوع آخر من المباني في ايران والاناضول هو خانات القوافل ، وكان الغرض منه ايواء التجار المسافرين وحراستهم ، وكانت تقدم خدماتها بدون مقابل .

ونلاحظ ان معظم المدن الاسلامية ، كانت تتبع فى بناء منازلها تصميما مشتركا في هيكله العام يراعى فيه ظروف المناخ حتى توفر الرطوبة وتقي أهلها لفحات الحر. وأول العناصر التي تسترعي انتباهنا في دور السكنى هي « الصحن » الذي استخدم في تكييف حرارة الجو ، وفي الليل يتسرب الهواء البارد الى اقصى الحجرات ويظل محصوراً بين الجدران حتى ساعة متاخرة ، وقد اضاف المعماري العربي « السلسبيل » الى النافورة في بعض الأحيان ، وهو لوحة جدارية من الرخام مزخرفة بنقوش خفيفة البروز تحاكي صفحة الماء حين يداعبها النسيم ، توضع مائلة قليلا في الجدار المقابل للايوان الرئيسي ، ينساب الماء على سطحها الى قناة يكسوها الرخام تفضي الى حوض الماء . وهناك المندرة (القاعة) ، وقد واجه المعماري العربي حرارة الجو ومشاكل التهوية والاضاءة باللجوء الى « ملقف الهواء » ، وهو طاقة مفتوحة في السقف باعلى الركن الشمالي للقاعة تحتضنه جدران أربعة مرتفعة قليلا تمثل بئر هواء علوي يفتح أعلاه من جانبيه الشمالي والغربي ، ويغطيها سطح مائل يتلقى الهواء الرطب . أما المشربية فكانت حلا موفقاً للتغلب على مشكلات التهوية والاطلال على الخارج وتخفيف حدة الضوء وحجب أشعة الشمس ، فهي تملأ فتحة النافذة بمخمل من الخشب الدقيق في شكل برامق مستديرة المقطع تعمل على توزيع الضوء والظل على بدن البرمق في تدرج لطيف ، والمشاهد للمنظر المقابل يرى لوحة زخرفية كاملة ، أما الناظر من الداخل عبر المشربية فيشعر بالفة الخارج ووهجه مما يذيب وحشة الداخل .

المســـاجد

يخصص الدكتور ثروت عكاشة قسماً كبيراً من كتابه للمساجد . ان الفن الاسلامى ينبع فى جوهره من العقيـدة الدينية التي لا تكتمل الا بالاخلاص ، ومن الطبيعي ان يكون المسجد هو محور هذا الفن الجديد . كانت المساجد الأولى تتالف من مساحة فسيحة هي مكان الصلاة ،



مدرسة الأشرف برسباى فى القاهرة ، وكان تخطيط هذه المدارس عبارة عن صحن مكشوف
تحيط به ايوانات اربعة متعامدة ، مع اضافة ادوار علوية لسكنى الطلبة والأساتذة

يحيطها سياج من الحصير المجدول ، يتصدرها محراب ، لم يكن تصميم المسجد

الا تعبيراً عن وضوح وبساطة العقيدة الدينية وبساطة اسسها وخلوها من تلك الاسرار الغامضة المعقدة التي تتسم بها الشعائر والطقوس في العقائد القديمة ، وكان من الطبيعي ان يتاثر بناء المسجد بالطرز المحلية في البلدان المختلفة التي انضوت تحت راية الاسلام .

وبصفة عامة ، يلتزم في بناء المسجد أن يكون فراغه في اتجاهين ، احدهما رأسي صاعد يربطه بالسماء ، وآخر افقي مستو يربطه بمكة المكرمة ، والقبلة تتحدد بالمحراب ، ولكن في معظم الأحيان كان بناء المسجد باكمله يتجه الى مكة المكرمة ، وتعبر القبة فى المناطق المسقوفة من المسجد عن البعد الرأسي ، الاتجاه الى اعلى .

ومدخل المسجد يفصل بين الخارج والداخل ، انه ينقلنا مما هو غير مقدس الى ما هو مقدس ، والمدخل عامة هو اجمال لعمارة واجهة المسجد اذ هو نقطتها البؤرية ، وذلك بارتفاعه السامق الجدير ببيت الله .

وللترحيب بالداخلين ، اقيم المدخل على هيئة دخول متراجع ، لأعلى شكل خارج بارز وكثيراً ما تنتهي المداخل بقباب نصفية تسمو بالداخل الى اعلى .

يشرح الدكتور ثروت عكاشة التفاصيل الدقيقة لمعمار المساجد الاسلامية بدءا من العصور الاولى حتى العصر العثماني ، ويتوقف عند المساجد الكبرى في مصر ، والشام ، والعراق وايران والمغرب ، وتركيا وآسيا ، كذلك المآذن وتطورها ، والأضرحة ، والمقابر ، مما يجعل الكتاب متسماً بشمولية النظرة الى العمارة الاسلامية ، في عهودها وانماطها المختلفة ، بحيث جمع بين دفتيه وصفاً للعديد من الآثار التي لم يسبق ان ضمها كتاب واحد ، كما ان مشاهدتها ، ووصفها ، جاء بواسطة مؤلف شرقي ، مسلم لديه رهافة الحس ، والقدرة على رؤية القيم الجمالية الخاصة بالمعمار ، والعناصر الروحية الكامنة خلف صلابة الحجر .

يقول المعماري الكبير حسن فتحي في تقديمه للكتاب :

« لقد ايقظ هذا الكتاب في نفسي الاحساس بانني اتجول فوق سطح باخرة «الذكة » في رفقة المؤلف ، الذي يخاطب قراءه كلما توقفت الباخرة امام مسجد الجمعة باصفهان أو جامع السلطان حسن بالقاهرة أو جامع القيروان بتونس ، وتلك الروائع التي تحمل عمارتها ملامح الأهل والأجداد وتشي بسرها للقارىء سواء كان موسيقياً أو مهندساً معمارياً أو أي ذواقة للجمال » .

جمال الغيطاني

بقلم: جمال قطب

جمال الطبيعة وعبقرية اللمسات

ما بين عامي ١٨٤١ و ١٩١٩ كانت حياة احد عباقرة الفن العظام الذي استطاع ان يضفي على الطبيعة البشرية بهجة الالوان واشراقة الحياة والتفاؤل !انه بيير اوجست رينوار ..

وان كنا قد استعرضنا سويا على هذه الصفحات بعض امجاده من قبل ، وتدارسنا بعضا من جوانب حياته ودوره الهام فى تحرر الفن من كلاسيكيات القرون الماضية وانطلاقته الى عوالم حديثة .إلا ان رينوار كان – ومازال – موضوع اعجاب كل المهتمين بالفن ، لانه جمع بين احساسه البهيج المشرق بالألوان ، وشاعرية الأمل المفعم بالجمال والتغني بالنماذج البشرية والأزهار وتمجيد الطفولة ، اي ان نهجه كان البحث عن الجمال . وعمر الرجل حتى بلغ الثامنة والسبعين .. قضاها في حيوية دافقة ودأب وابداع متواصل .. ولا غرو ان تجاوزت اعماله خمسة آلاف لوحة .. يصل ثمن كل منها ارقاما بالملايين !

وعندما يذكر اوجست رينوار تتمثل معه حياة جيل قائد شهد النصف الثاني من القرن الماضي ، ولمسته شرارة الثورة الفرنسية ، كما عاصر التحول الصناعي وظهور الآلة في بداية ازهى عصور التاريخ واكثرها تألقا وثراء فنيا .. الا وهو « العصر الجميل » ، ذلك العصر الرائع الذي أودت به الحرب العالمية الاولى في اوائل القرن العشرين ! وقد كتب على هذا الجيل الثائر ان يتجه الى الطبيعة مباشرة دون حوائل أو وساطة ، وتخلص الفنانون من قيود المراسم والتقوقع التاملي في الابراج العاجية .. وقد التقوا في البداية على شكل مجموعتين :

● مجموعة تلاميذ الأكاديمية السويسرية بزعامة فريدريك بازيل .

● ومجموعة اخرى من الفنانين الاحرار اخذت عليهم الطبيعة مجامع قلوبهم ، واستهوتهم الحياة على شواطىء البحار وفي الغابات المحيطة بباريس والوديان والانهار .. وعلى رأس هذه الجماعة كان أوجست رينوار وكلود مونيه .

.. ومن هؤلاء الشباب المتحمسين .. تكونت المدرسة الفنية التي تمجد الطبيعة والتحرر من قيود الماضي .. تلك المدرسة التي اطلق عليها فيما بعد اسم (التاثيرية) ! وكان شيئا مثيرا ان تنعقد تلك الجموع الرائعة على المقاهي الفنية والأدبية واهمها مقهى « جيربوا » .. وشهد حي مونمارتر (ملتقى المفكرين في باريس) انطلاقة تلك النهضة .. حتى اصبح اسم مونمارتر مقترنا في التاريخ بهذه الحركة التحويلية في مسيرة الابداع العالمي ! وبعد الحرب السبعينية وموت بازيل وغيره من اعضاء الجماعة .. خيم جو الكآبة والقتامة على مقهى جيربوا ، فهجره الفنانون ... وتركوا مونمارتر مؤقتا الى حي البيجال حيث مقهى « أثينا الجديدة » .. وفي هذا المقهى كان يجلس رينوار يتوسط الفنانين والشعراء والأدباء والسياسيين .. ويدور النقاش الذي لا يهدأ طوال الليل .. وكثيرا ما التأم الشمل في اماكن اخرى .. كالصالونات الفنية والأدبية التي عمت باريس آنذاك واهمها صالون الفنانة برت موريسو التي لعبت في حياة هذا الجيل نفس الدور الذي لعبته (مدام ريكاميه) في عصر فناني الامبراطورية في القرن الثامن عشر وأوائل التاسع عشر .

وقد انتهج رينوار – باسلوبه التاثيري المميز – اسلوبا يختلف عن التاثيريين الذين يتجهون الى رسم المناظر الطبيعية .. فكان يرى في الجسم البشري ورسم الأشخاص والطفولة .. غاية مراده ، وقد عاش في قلب مونمارتر ، وسجل حياتها اليومية المليئة بكافة النماذج ، ورأى بهجة الحياة فيها .. واحس انها تنأى في تعاليها وفطرتها وطابعها الخاص عن صخب الحياة الحديثة وكأنها حديقة للمحبين او ثمرة لم تمتد اليها يد العصر الصناعي المعقد !

وعندما رحل رينوار الى إيطاليا كان يقول :

« إنني اشعر بالضيق بعيداً عن مونمارتر » !

ويمكننا ان نقول : ان لرؤيته التشكيلية محورين هما الطفولة والمرأة .. ولكن الصور الشخصية عند رينوار لم تكن مجرد تكليف وعمل ينجز بناء على طلب عملائه ، وانما كان ذريعة للتعبير عن بهجة الحياة من خلال اشراقة الطفولة ووضاءة المرأة .. ومن هذه الوجوه الغضة تشع الفتنة وترتسم امارات الأمل والتفاؤل !

وقد عمر رينوار حتى الى ما بعد اندلاع الحرب العالمية الاولى .. وشهد التحولات الفنية المتتالية التي اعقبت التاثيرية وسميت (ما بعد التاثيرية) وتلتها الوحشية والتكعيبية والتجريدية وغيرها من نظريات الفكر والبناء والرمز والايماءات الذهنية ..

ولكن رينوار لم يكن صاحب نظريات .. فقد كان الفن عنده قبل كل شيء صناعة بارعة .. وقد وجد في التاثيرية ما يتفق مع هواه حيث تعطي المنظورات صورة حسية طبيعية وضاءة النور ، والحياة تنساب في سلاسة بعيداً عن الايماءات الرومانسية الادبية وليس فيها جفاف الذهنية الواقعية

وكان يرى مع الشاعر « مالارميه » بان التصوير تصنعه الألوان والأشكال كما تصنع الشعر القوافي والكلمات ... ولذلك كان يقول دائماً : « الصورة يجب أن تكون شيئا ساراً ومبهجاً وجميلا » !

وظل رينوار .. يبدع ويبدع حتى وهو على فراش الموت .. فكان في آخر أيامه يربط اصابعه ويمسك فرشاته بيد مرتعشة .. حتى يغيب عن وعيه من فرط الاجهاد ..

وفي أواخر ايامه ، طلب ان يحمل الى متحف اللوفر ليملأ ناظريه بلوحاته التى أوقف عليها حياته الطويلة المثمرة !

وعلى الصفحة المقابلة يرى القارىء احدى روائع رينوار التى رسمها عام ١٨٧٦ وعبر فيها عن الطفولة البريئة بين الزهور اليانعة .. فاضحت الطفلة زهرة جميلة بين زهرات الخميلة .. وهكذا كان فنه : بسمة على شفاه الفكر ، وأريجا ينبعث من خمائل الابداع ، ولذلك قال المؤرخون : ان فن رينوار هو بهجة الحياة !



بسمة الطفولة للفنان العالمى اوجست رينوار



مجموعة من حلى الزينة من المرجان ، بلونها الاحمر الساخن ، وكان العرب يطلقون هذا الاسم على صغار اللآلىء ، ثم اطلقوه على العروق الحمراء التى تستخرج من البحر وتصنع منها الحلى

الانسان بطبيعته ميال للجمال ، عاشق لاقتناء كل عزيز ونادر ، محب للتجمل والتزين بالحلي ، والحلي كما يقول ابن سيده (١) : هى كل ما يتزين به من مصنوع المعدنيات والحجارة ،

كانها من حسن وشـاره
والحلي حلي التبر والحجاره

وقد عنى الناس باقتناء الحجارة الكريمة والجواهر منذ اقدم العصور وعرفها الآشوريون ، والاكاديون ، والكلدانيون ، والمصريون والحيثيون ، واعتنوا بها ، فوجدت فى مقابرهم ، ومدافنهم ، وخزائن كنوزهم ، ولكن عنايتهم بها لم تبلغ العناية العلمية ، كما فعل اليونان والفرس ، الذين وصفوها وصفا علميا ، ووضعوا لها أسماء تميز الحجر الواحد الكريم عن غيره ، وممن اشتهر بهذه المعرفة ارسطو طاليس (٢) ، وعنه اخذ جميع من تكلم عن انواع الحجارة الكريمة وخصائصها من عرب وغير عرب ، وقد تبعه فى ذلك ديقوريدس ، فزاد شيئا قليلا .

وقد بحث الناس طويلا ، لكي يجدوا صفات خاصة للتمييز بين الجواهر ، وغيرها من الحجارة اللامعة والشفافة ، ولكنهم لم يقفوا على كنه ذلك ، الى ان ظهرت الكيمياء ، وعلم البلورات ، وعلم الطبيعة فكشفت عن هذه الأسرار .

وتقول دائرة المعارف للمعلم بطرس البستانى (٣) :
حدث ان احد قضاة رومية (روما) . فضل النفي على أن يعطي الامبراطور انطونيوس قطعة جميلة من « الأوفال » كانت عنده !

لماذا اهتم العلماء والشعراء العرب بالجواهر النفيسة والأحجار الكريمة؟

بقلم : حسني شحادة



طاوس وعصفور وثعبان .. وايضا بومة على هيئة حلى تعلق على الصدر .. ثم مجموعة من الاقراط .. وكلها من الذهب المرصع بالماس والياقوت والزمرد وغير ذلك من الاحجار الكريمة



مجموعة نادرة من المجوهرات الاسبانية الشديدة النقاء ، مطعمة بالماس والياقوت والزمرد

العرب والأحجار الكريمة

شهد القرن الثالث الهجري « التاسع الميلادى » (٤) ، بداية حقيقية لانصراف العرب الى الاشتغال بكثير من المجالات العلمية والتجريبية .

وكان للاهتمام بدراسة علم الكيمياء . دوره فى ظهور عدد من العلوم المتخصصة ، وسرعان ما اتصلت جهود الكيميائيين بجهود جماع الاحجار الكريمة ومقتنيها .

جابر بن حيان العالم الكيميائى العربى الكوفى المتوفى سنة ٢٠٠ هـ ، أفرد لعلم الأحجار الكريمة كتاباً من بين كتبه العديدة فى علم الكيمياء ، أسماه « كتاب الأحجار » ثم ألف كتاباً آخر أسماه كتاب « الجواهر الكبير » (٥) .

وألف عطارد بن محمد البغدادى المتوفى سنة ٢٠٦ هـ كتاباً اسماه « منافع الاحجار » وصنف يحيى بن موسويه المتوفى سنة ٢٤٣ هـ ، كتاباً فى صفات الجواهر ومعادنها

وكتب محمد بن شاذان الجوهرى (٦) كتاب « الجواهر وأصنافه » ، وقدمه الى الخليفة المعتضد .

وتعرض الطبيب العربى الشهير « أبو بكر محمد بن زكريا الرازي » المتوفى سنة ٣١١ هـ ، الى دراسة صفات الأحجار الكريمة ، فى كتابيه « الخواص » و « علل المعادن » .

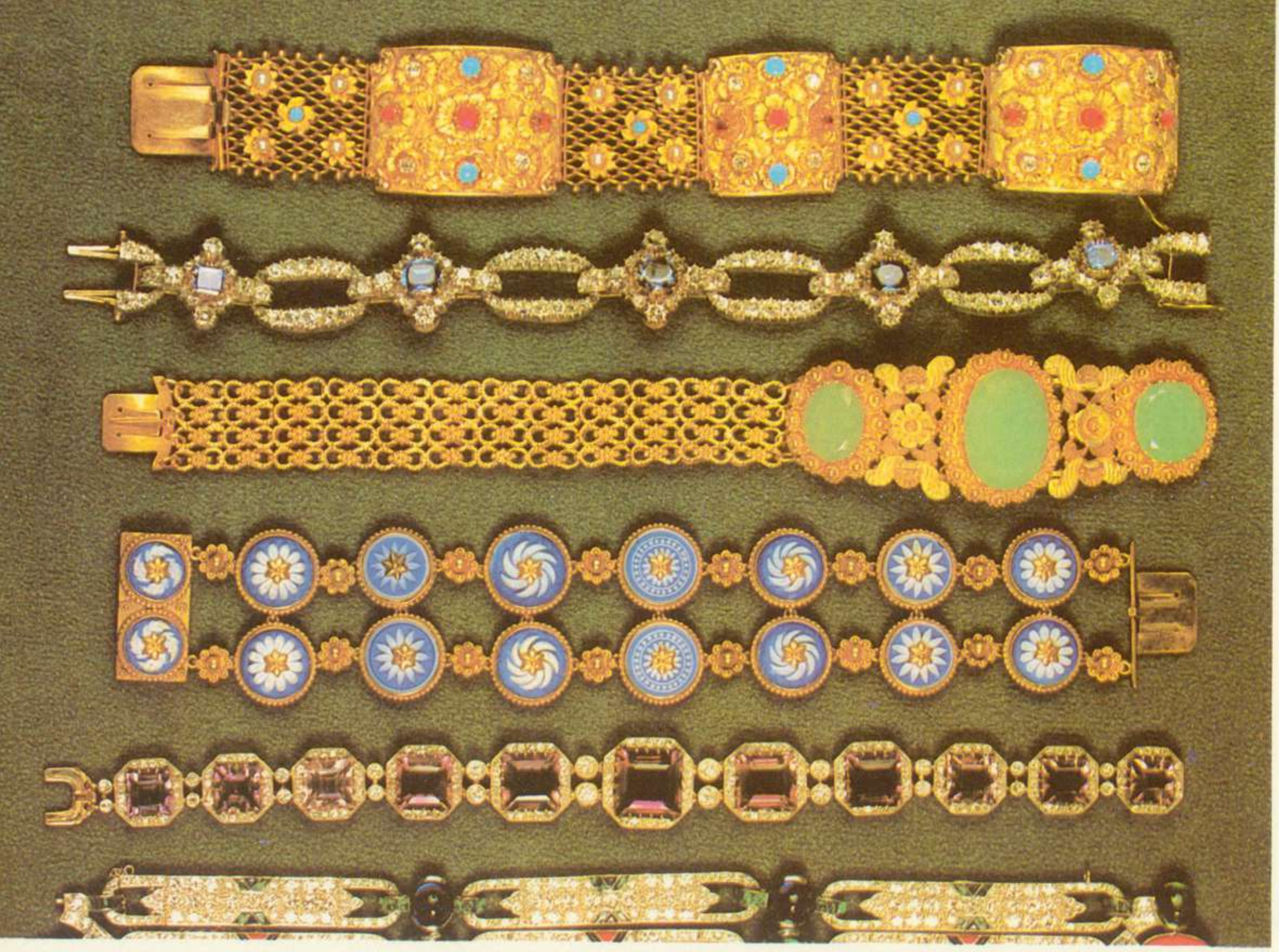
أما الكندى فيلسوف العرب يعقوب بن اسحق ، المتوفى نحو ٢٦٠ هـ ، فقد صنف كتاباً أسماه « الجواهر والأشباه » ، وكتب رسالة فى أنواع الجواهر الثمينة ، ورسالة أخرى فى أنواع الحجارة (٧) .

وكتب ابو جعفر القيرواني المعروف بابن الجزار المتوفى سنة ٣٥٠ هـ كتاباً عن الأحجار الكريمة . وقد افرد أحمد بن عبيد الله بن الحسن بن عياش الجوهري المتوفي سنة ٤٠١ هـ ، كتاباً فى اللؤلؤ ، وصنعته ، وأنواعه . وكتب أبو ابراهيم اسحق بن نصير ، كتاباً أسماه « صناعة الدر الثمين » .

ثم أتى العالم الاسلامي الموسوعى الكبير ، أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني ، فى القرن الخامس الهجري ، ليكتب مصنفه الشهير « الجماهر فى معرفة الجواهر » ، فجاء موسوعة عربية فى علم الأحجار الكريمة ، وكانت خلاصة ماكتبه اليونانيون ، والهنود والفرس ، وأظهر مقدرة فائقة فى الاحاطة بكل المصادر العربية فى موضوع الأحجار الكريمة والجواهر ، سواء كانت أدبية أو علمية متناثرة ، وقد تميز أبو الريحان فى كتابه ، بنقده الشديد للآراء والأفكار غير الموضوعية .

ويبقى كتاب الجماهر فى علم الجواهر مرجعاً ، حتى منتصف القرن السابع الهجري ، حين أتى شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف البقاشي القيسي القاهري المتوفي سنة ٦٥١ هـ (١٢٩٣ م) ، فصنف كتابه الشهير « أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار » !

والأحجار الكريمة (٨) اصطلاح يطلق على الحجارة المعدنية التى لها خواص فيزيائية تجعلها فى رتبة أعلى من المعادن



هذه الأساور المرصعة بالماس والياقوت والفيروز واللؤلؤ يعود تاريخها الى بداية القرن التاسع عشر فى انجلترا

الفلزية ، ومن الحجارة ما لها قيمة كبيرة دفعت الانسان منذ القدم لاستخدامها كحلية ، أو لترصيع الحلي بها . وتسمى فى اللغة العربية بالجواهر ، وهى جذابة اللون ، لماعة البريق ، خفيفة الوزن ، شديدة الصلادة ، نادرة .

ويمكن تقسيمها الى قسمين :

أولا : الجواهر النفيسة

يطلق عليها الجواهر النفيسة ، لانها الاحجار التى تحمل كل أو معظم صفات الاحجار الكريمة ، واشهرها ما يلي :

● الماس أو الالماس :

ويرجع جماله واعتباره اشهر الاحجار الكريمة ، لأنه يحمل كل صفات الحجر الكريم من بريق شديد وصلادة لايقطعها شيء ويقطع كل شيء .

وقد ذكره صاحب الجماهر فى معرفة الجواهر العلامة أبو الريحان البيرونى (٩) فقال بان حجر الألماس لا يكسره شيء ويكسر كل شيء .

وقد ظن الأقدمون انه ماء الحديد المسقي وهو « الظران » فيقول الشاعر الجاهلي امرؤ القيس بن حجر (١٠) :

تطاير ظران الحصى بمناسم
صلاب العجى ملثومها غير أمعرا
كأن صليل المروحين تشذه
صليل سيوف ينتقدن بعبقرا

أغلى الجواهر

يذكر صاحب نخب الذخائر فى احوال الجواهر (١١) ، ابن الأكفانى أن الياقوت هو أول الجواهر وأنفسها واغلاها ، ويقول الله تعالى فى تشبيه الحور العين، « كأنهن الياقوت والمرجان » .

ويقول صاحب الجماهر فى معرفة الجواهر (١٢) . الياقوت بصلابته يغلب مادونه من الأحجار ، ثم يغلبه الالماس ، ومن خواصه الشعاع والصقالة ، ولذلك يشبه بجمر الغضا ، لأنه اصدق ضوءاً ، وأشد حمرة .

ولندرته وحسنه يقول أبو تمام الطائي :

نفق المديح ببابه فكسوته
عقداً من الياقوت غير مثقب

أما أصنافه فأربعة : الاحمر وهو اعلاها رتبة واغلاها قيمة، والأصفر ، والأزرق والأبيض .

أما موطنه ، فجبل يسمى الراهون فى جزيرة سرنديب وفى سيلان ومكران .

الزمرد وقوة الأبصار

يقول أبو ريحان البيروني (١٣) « الزمرد والزبرجد اسمان يترادفان ، على معنى واحد ، لا ينفصل احدهما عن الآخر بالجودة والندرة » .

الخضرة تعم أصنافه كلها ، وأفضله ما كان مشبع الخضرة ، ذا رونق وشعاع لا يشوبه سواد ولا صفره .



هذه الحلى توضح اسلوب المصريين فى صنع المجوهرات الذى غزا أوربا بعد اكتشاف مخلفات توت عنخ آمون عام ١٩٢٥ .

ويمتحن بالعقيق المحدد ، فإن خدشه ، فهو من اشباه الزمرد ، والزمرد من الاحجار الكريمة الغالية ، فقد دخل بختيشوع (١٤) على المتوكل فى يوم مهرجان ، فقال له : اين هديتك ؟

فقال : هديتي لا يملكها خليفة قبلك ولا ملك ، واخرج ملعقة زبرجد تزن ثمانية مثاقيل .

ويقولون بان الزمرد يجلو البصر ، وحامله لا تقربه الحيوانات ذات السموم ، وقد انتشر ذلك على الألسنة وجاء فى شعر ابو سعيد الغانمي :

مـــاء الجداول ما ينساب ملتويا
على زمرد نبت غير منتشـــــــر
كالافعـــوان إذا لاقى زمــــردة
فانساب خوف ذهاب العين والبصر

اللؤلؤ أجمل الاحجار

يقول أرسطو فى كتابه الاحجار (١٥) : « اللؤلؤ حجر شريف ، وجوهر ثمين - معدني وحيواني - وهو من اجمل الأحجار قيمة وقدراً ونفعاً،وحلية تلبس ، وتكوينه مباين لسائر ماعداه من الجواهر الشفافه لانها ترابية وهو حيواني » .

واللؤلؤ جنس يشتمل على نوعيه من الدر الكبار والمرجان الصغار .

وقال تعالى : (١٦) .

« مرج البحـــرين يلتقيـــان . فباي آلاء ربكما تكذبان ، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان فباي آلاء ربكما تكذبان » .

وأسماء اللآلىء تكثر فى اللغة العربية ، ومن اسمائها المشهورة (١٧) : اللؤلؤه ، الدرة ، المرجانة ، النطفة ، التومة ، التوامية ، اللطيمية ، الصدفية ، السفاتة ، الجمانة ، الخريدة ، الحوصة ، الثعثعة ، والحضل

وقد وردت هذه الأسماء فى الشعر . ويقول امرؤ القيس :

فاسبل دمعي كنبض الجمان
والـــدر رقراقـــة المنحـــدر

ويقول ابو الطيب المتنبي :

غدونـــا تنفض الاغصـــان منها
على اعرافهـــا مثل الجمان

أحجار كريمة شائعة

ثانياً : الأحجار الكريمة وشـــبه الكريمـــة :

وتمتاز هذه الاحجار بانها لا تحتوي على جميع ، او معظم خصائص الجواهر النفيسه ، وبانها شائعة ومتوفرة فى كل مكان .

ا - الاحجار الكريمة :

وتاتي فى المرتبة الثانية بعد الجواهر النفيسة ، واشهر الاحجار الكريمة هى : العقيق ، البلور ، اليشب ، الجمشت ، عين الهر ، الفيروز ، اللازورد ، والزبرجـد . ومن الاحجار الكريمة ما هى من اصل عضوي واشهرها : اللؤلؤ (وقد مر فى الجواهر النفيسة) ، المرجان ، العنبر او الكهرمان ، والعاج ، واليشم .

ب - الاحجار شبه الكريمة .

وهى الحجارة التى تحتوى على اقل

الخواص التى تحملها الجواهر النفيسة ، وتستعمل استعمالات شائعة ، للزينة او لصناعة الادوية ، أو عمل التماثيل ، وغيرها .

واشهرها : الجزع ، الدهنج ، حجر الدم ، السبج ، المغناطيس ، والطلق .

ماذا قال عنها الشعراء ؟

وقد كانت هذه الأحجار شبه الكريمة معروفة فى دنيا العرب ، وقد استعملت استعمالات علمية ، بجانب استعمالها للزينة والحلى ، وكانت اشهر استعمالاتها فى الطب ، والصيدلة ، لصناعة الأدوية المختلفة ، كما تناولها الشعراء .

فيقول مثلا ، الطبيب الشهير ابو بكر الرازي فى الفيروز :

ولقد ذكرتك والنجوم كانها
در على ارض من الفيروزج
يلمعن من حلل السحاب كانها
شرر تطاير فى دخان العرفج

ويقول الشاعر الجاهلي امرؤ القيس فى « الجزع » :

فادبرن كالجزع المفصل بينه
بجيد معم فى العشيرة مخول

ويقول ابن المعتز فى البلور :

اما رايت حباب الماء حين بدا
كانه قحف بلور إذا انقلبا

ويقول الشاعر ابو العلاء السروري فى المرجان :

واستمطرت احداقنا فتبادرت
فى حربها بدم ودمع سابق
كالدر والمرجان ينظم دائما
فى العقد بين قلائد ومخانق

اما فى العاج فيقول النابغة الجعدي :

كوقف العاج مس ذكي مسك
يجيء به من اليمن التجار

وهذا عنتره بن شداد الشاعر الجاهلي يقول :

او هي كدرة غواص اطال بها
صهب السبال جلوها يوم تشريق

ويقول الشاعر ابو الطيب المتنبي فى هذا المعنى :

كان الفريد والدر والياقوت
من لفظه وسام الركاز

أشهر المجموعات فى العالم

للاحجار الكريمة والجواهر النفيسة هدف آخر غير التجمل والتزين ، انه الهدف الاقتصادى ، حيث تعتبر رصيدا ماديا يضاف الى مكانة الدولة وتراثها وقدرتها

ومن اشهر مجموعات الجواهر النفيسة والاحجار الكريمة فى العالم كما اوردته دائرة المعارف البريطانية (١٨) ما يلي :

- مجوهرات التاج الملكي البريطاني .
- مجوهرات التاج الامبراطوري الايراني .
- مجوهرات التاج القيصرى الروسي .
- مجوهرات الخلافة فى الامبراطورية العثمانية .
- وهناك مجموعات نادرة وشهيرة فى متاحف الآثار والتاريخ الطبيعي فى عدد من مدن العالم ، كمتحف فيكتوريا بالمملكة المتحدة ، والمتحف البريطاني ، والمتحف الامريكى للتاريخ الطبيعي

هذه نبذة مختصرة عن الجواهر النفيسة والأحجار الكريمة ، نوهت فيها بجهود العرب المسلمين فى هذا العلم ، وعن الكتب التى الفت فيه ووصلت إلى ايدينا ، وهى فى مجملها تدعونا الى مزيد من البحث والدراسة حول الاحجار الكريمة التى أهتم بها العرب منذ القدم .

حسني شحاده



مجموعة من الحلى الجميلة الصنع .. وكلها من الذهب والفيروز .. وقد كانت مواطن الفيروز القديمة موجودة فى شبه جزيرة سيناء وايران .. وانقى انواع الفيروز هو الازرق الصافى اللون !

الهوامش

(١) المخصص حـ ٤ ص ٤٠ .
(٢) نخب الذخائر فى احوال الجواهر لابن الاكفاني ص ١٠٣ .
(٣) دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني جـ ٥ ص ٧٠٦ .
(٤) كتاب الجواهر وصفاتها ليحيى بن ماسويه تحقيق عماد رؤوف ص ٣ .
(٥) الفهرست لابن النديم ص ٥١٢ .
(٦) نفس المرجع السابق ص ٤٥٥ .
(٧) الجواهر وصفاتها لابن ماسويه ص ٧ .
(٨) اللؤلؤ والاحجار الكريمة لنجلة العربي ص ٧٢ .
(٩) الجماهر فى معرفة الجواهر لأبى الريحان البيروني ص ٩٢ .
(١٠) نفس المرجع السابق ص ٩٢ .
(١١) نخب الذخائر فى احوال الجواهر لابن الاكفاني ص ٢ .
(١٢) الجماهر فى معرفة الجواهر لأبى الريحان البيروني ص ٤٦ .
(١٣) نفس المرجع السابق ص ١٦٠ .
(١٤) نفس المرجع السابق ص ١٦٥ .
(١٥) اللؤلؤ والأحجار الكريمة لنجلة العربى ص ١٣ .
(١٦) القران الكريم - سورة الرحمن اية ٢٢ .
(١٧) كتاب الجماهر فى معرفة الجواهر للبيروني ص ١٠٧ .
(١٨) دائرة المعارف البريطانية حـ ٧ ص ٩٧٩ .

لقطات من الكون المثير



الدنيا هموم

لا احد يستطيع ان ينفذ الى اعماق النفس البشرية ، ليكشف اسرارها ، ويدرك خباياها ، أو يطلع على همومها ، رغم أن الهموم قد تعبر عن نفسها .. احياناً بالكلمة التي نفصح بها عن همومنا ، أو قد نكتمها لتظهر على وجوهنا ، ولكن الهموم قد تظهر ايضاً في مجتمعات القرود ، رغم انها لا تستطيع تعبيراً ، إلا أن هذا القرد يعبر عن همه من طريقة جلسته ، وهو يضع يده على خده ، تماماً مثلما يفعل البشر .. ترى ، ما الذي دفعه ليخلو الى نفسه ، ويجلس في عزلته ، ويستكين لهمومه ، وهو سيد قومه .. ربما لانه فقد حريته في أسره ، أو لزوال نفوذه بعد ان تقدم به عمره ، أو لفقد عزيز عليه ، او أي شيء آخر متروك لتقديرك ، فلا احد يستطيع ان يعرف السر ، الا اذا نطق القرد ، ومحال ان ينطق ، ولنتركه - اذن - في همومه ، ما دامت الهموم قد عرفت طريقها أيضاً الى القرود !



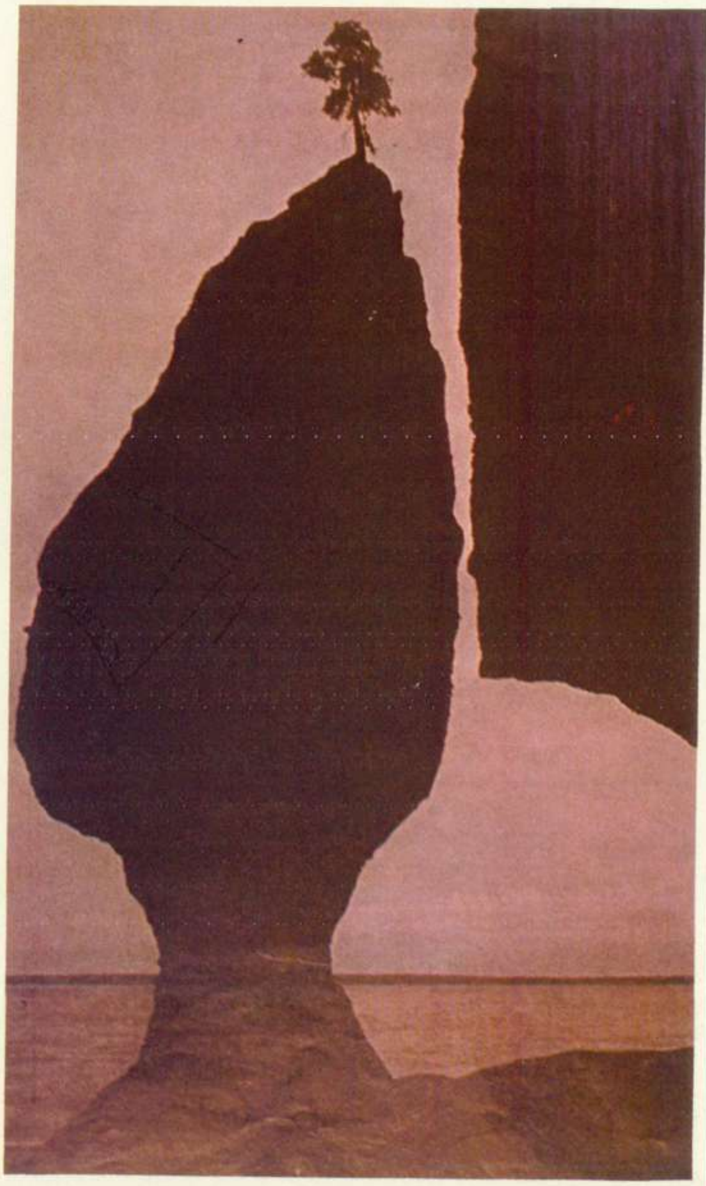
العملاق والأقزام !

تحكي بعض الاساطير عن عوالم من البشر فيها القزم الضال والعمالقة الضخام ، ولكن الاسطورة قد تحققت في ممالك النمل الأبيض ، فالعملاق الذي يتمدد هنا بين الاقزام ليس الا من نوع الاقزام ، او هي ملكة المستعمرة ، وسر ضخامتها تكمن في خصوبتها ، أي في غددها الجنسية المتضخمة بالبويضات ، واللاتي حولها اناث عقيمات ، وهن بناتها اللاتي خرجن من صلبها .. أما « الملك » فهو دون الملكة منزلة وحجماً ، وهو يبدو في الصورة أكبر من الاناث العقيمات قليلا (يربض بجوار مقدمة الملكة والى اعلى من جهة اليسار) .. ومن اجل ذريتها او رعيتها ، فقد فقدت الملكة حريتها وحركتها ، ذلك انها - لضخامتها - لاتستطيع ان تبرح مكانها ، وكل همها ان تطعم وتلقح وتضع البويضات بمعدل واحدة في كل ثانيتين ، أو ثلاثين في الدقيقة ، أو اربعين الفاً في يوم واحد ، أو ١٥ مليوناً في كل عام ، وكل ما يموت يعوض بنسل كثير غير مقطوع ، ولهذا تموج المستعمرة دائماً بملايين فوق ملايين ، وتظل هكذا لعدة سنين ، الى ان تحل محل القديمة ملكة جديدة .. وماتت الملكة .. عاشت الملكة !

الـــرأســـ المجنـــــح!

الذين يبحثون عن مخلوقات كونية ، علهم يكتشفون فيها ما هو اغرب من الحياة الارضية ، قد يكون لهم عذرهم لو ان الأرض قد خلت من كل ما هو مثير ، فهذا المخلوق الغريب ذو الراس المجنح والعينين البيضاويتين ، والجذع الاملس ، يبدو وكانه حيوان اشبه بكوبرا مجنحة كالتي وردت في الاساطير ، لكن الصورة لنبات أرضي غريب ، وحياته اغرب ، لأنه يعيش على التهام اللحوم . فضحاياه من الحشرات التي يجذبها الى جناحيه المزودين برحيق حلو ، ورائحة جذابة ، وعندما تاوي الحشرات اليهما وتتجول عليهما ، تجذبها العينان بلونهما البراق ، فتسعى نحوهما ، وتضل طريقها تحت ستارة اشبه بانف بين العينين ، وما ان تمر تحت الستارة ، فلن تستطيع العودة ، اذ ستقابلها فتحة ، تؤدي الى مصيدة ، تحتل الراس الفارغ ، والراس ذاته بمثابة معدة تهضم وتمتص ، وكانما هي جهاز هضمي لحيوان .. بقى ان نعرف ان هذا النبات يسمى نبات الكوبرا ، وهو حقاً اسم على مسمى !





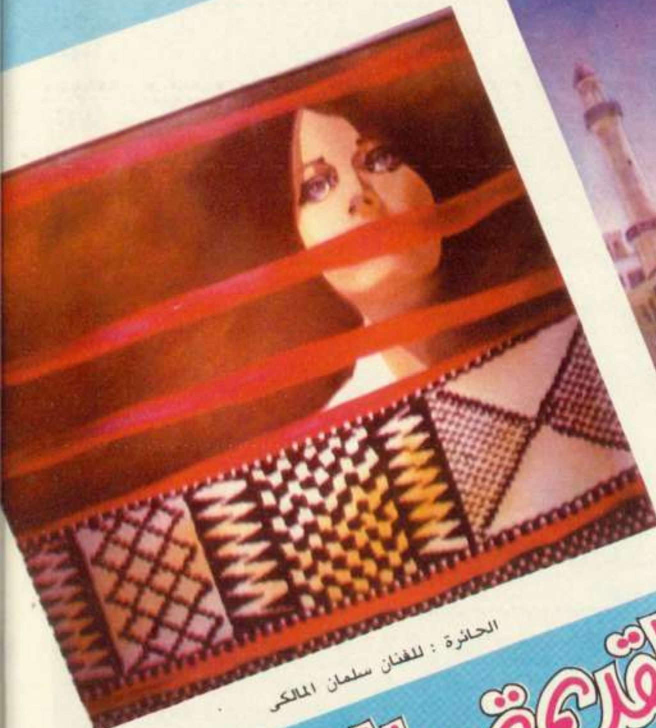
ياشــجــرة..في العـــلالي!

لوحة طبيعية لم ينحتها انس ولا جان ، ورغم ذلك فقد جاءت معبرة عن فن اصيل جذب لروعته عدسة الانسان ، فكانت هذه اللقطة المثيرة عند مدخل خليج فوندى فى نوفاسكوتيا ، واجمل ما فيها هو التشكيل الغريب الذى سيطرت عليه عوامل التعرية من مد وجزر وأمواج ورياح ، فنحتت فى جبل من الاحجار الجيرية ، فجاءت كتلة من الحجر على هيئة اقرب الى الشجرة ، لكن الحياة قد اضافت الى القمة الحجرية بذرة حملتها الرياح ، ونبتت فكانت شجرة حقيقية ، والشجرة ترتفع عن سطح البحر اكثر من عشرين متراً ، وعندما ترتفع الى حوالى ١٦ متراً ، فان مياه البحر تتسرب من خلال الحجر ، وتروى الجذور التى شقت طريقها الى أسفل ، وكانما هى تضرب المثل بصمود الحياة امام كل التحديات ، حتى ولو ادى ذلك الى تفتت الحجر ، نزولا على نفوذ جذور الشجر ، فالحياة اقوى واغرب مما نتصور ، والصورة خير شاهد على ما نقول !

في المعرض الرابع للجمعية القطرية للفنون التشكيلية



الضحى العود (الضحى الكبير) : للفنان يوسف الشريف



الحائرة : للفنان سلمان المالكى

صراع المدارس القديمة والحديثة في لوحات الفنانين

بقلم : يوسف أحمد

الملاحظ فى السنوات الأخيرة أن الحركة التشكيلية فى قطر ، أخذت مساراً جدياً بما احتوته من هذا الكم الهائل من المعارض الفنية ذات المستوى المتميز فى الشكل والمضمون .. وقد صاحب هذه المعارض سواء كانت محلية أو عربية أو عالمية ، عدة ندوات فنية اقيمت فى نفس قاعات العرض بمجرد انتهاء مدة كل معرض ، وكان الحوار يدور فيها ساخناً بين الفنانين العارضين وجمهورهم المتذوق والمتتبع للحـــركة التشكيلية بكل أبعادها وتطوراتها الفذية !

وفى الشهر الماضى أقيم المعرض الرابع للجمعية القطرية للفنون التشكيلية ، وضم لوحـــات أكثر من ستة عشر فنانـــاً ، تنافسوا على تقديم مدارسهم المختلفة سواء كانت واقعية أو تجريدية أو سريالية أو تاثيرية أو غير ذلك .. واستطاعوا بهذا الحشد الكبير من اللوحات التى تخاطب العقل والقلب معاً ، أن يقدموا لنا إضافة جديدة فى مسيرة الفن التشكيلى فى قطر ..

وفى هذا العرض النقدى سوف أتناول بالتحليل أسلوب واتجاه كل فنان من الفنانين المشاركين فى هذا المعرض الهام .

هؤلاء الفنانون ولوحاتهم

بداية فان الفنان الكبير جاسم زينى شارك فى المعرض بلوحتين هما : عودة الروح ، وقصة شاعر .. بينما شارك فى العام الماضى بعدة لوحات غنية بالموضوعات المتنوعة والمعالجات المختلفة .. ورغم تأكيده للدلالة البصرية فى موضوع اللوحتين إلا أن الصياغة الفنية لم تكن فى المستوى الذى عودنا عليه الفنان الكبير فى أعماله السابقة !

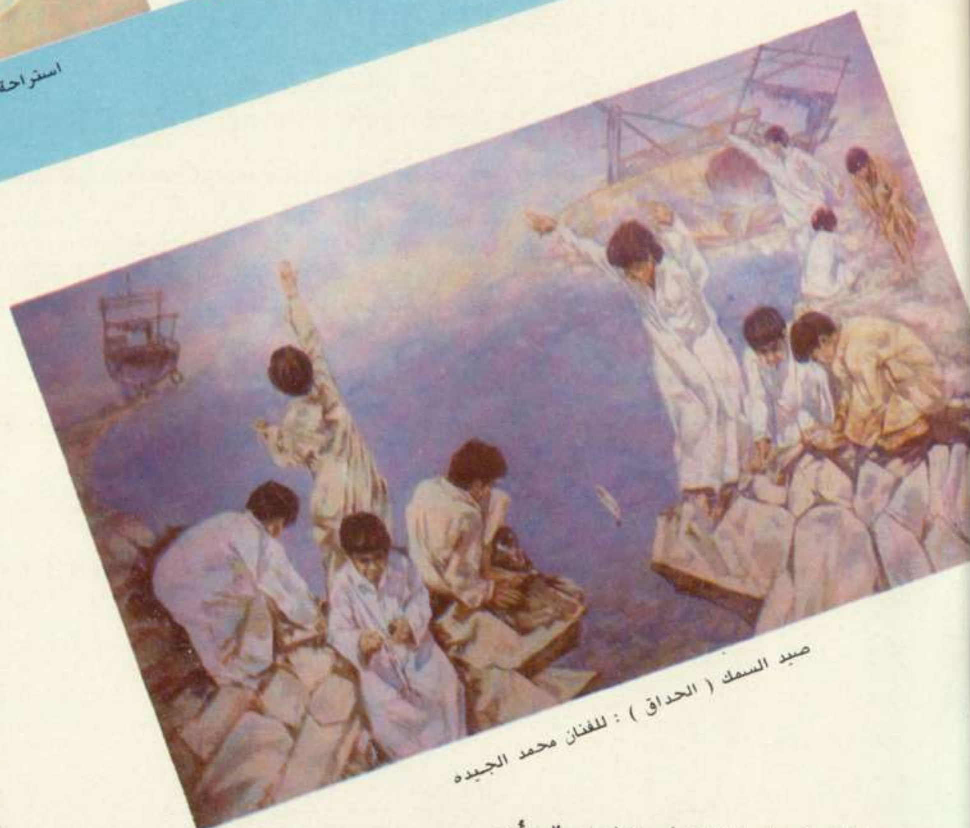
أما الفنان حسن الملا ، فقد تارجحت موضوعات لوحاته بين البيئة ـ كما فى لوحة النساء ـ وبين الواقع العربى الذى تمر به أمتنا كما صوره فى لوحـــة « أرجو ألا تنسى » ..



استراحة بحار : للفنان احمد عبد الله



ماساة شاعر : للفنان يوسف احمد



صيد السمك (الحداق) : للفنان محمد الجيده

والملاحظ على الفنان فى اكثر اعماله أنه اتجه قليلا الى السريالية ، خاصة فى لوحة « علاقة » التى ربط فيها بين بيئة الشاعر القديمة وأفكاره المستوحاة من القلب والرؤيا المستقبلية ، وقد عبر بألوان البيئة الداكنة فى جميع انحاء اللوحة عن فكرته التى تبرز أهمية الارتباط بالأرض من أجل العطاء ، وقد كرر نفس طريقه فى الصياغة فى لوحة « نساء » ولكن بتكنيك مختلف ، وان كان قد استخدم نفس الألوان الداكنة فى اللوحة !

وعندما نستعرض أعمال الفنان الشاب سلطان المناعى ، سنجد انه جعلنا نرى تجربة فنية فريدة فى المعرض ، بتقديمه لثلاثة أعمال من النحت البارز على الخشب والطلاء بالورنيش ليكسبها تنوعاً فى السطوح ويعطيها قيمة فنية عالية .. وقد دلت أعماله التى قدمها على فطرة فى الموهبة وميل الى التبسيط وقدرة على التعامل مع الخامة وتطويعها .. ففى لوحاته الثلاثة : من وحى ٢٢ فبراير ، والقنص ، وبحار .. نرى أهمية القيمة التشكيلية للعمل الفنى والتفاصيل الدقيقة التى تهتم بالخلفيات والربط القوى بين الشكل والمضمون ، مما يجعلنى اتوقع لهذا الفنان ، مع استمرار تناوله لأعماله الفنية على خامات الخشب ، امكانات أكبر فى المعارض القادمة !

وبينما اشترك سلطان الغانم بلوحة واحدة هى « عيون فارقت بيروت » التى أكدت معاصرة الفنان للواقع بصورة جريئة مضموناً وشكلا .. نجد ان الفنان على حسن يحاول فى لوحاته أن يصل سريعاً لتقنيات حديثة فى التكوين عن طريق الحرف العربى ، وهذا لن ياتى إلا بعد تجارب عديدة ومعاناة صادقة مع اللون والتكوين والخط والمساحة والتوازن ، ويمكن الاستفادة من تجارب فنانين عرب سلكوا نفس الطريق مثل الفنان التونسى نجا المهداوى ، خاصة وانه كخطاط يجيد قواعد الخط العربى . ولو بذل جهداً أكثر فى التعامل مع القيم اللونية والشكلية لأصبح من الفنانيين الواعدين !

معالجات فنية متعددة

ولو نظرنا الى تجربة الفنان فرج الدهام فى هذا المعرض ، لوجدنا انه وظف الوانه

صراع المدارس القديمة والحديثة في لوحات الفنانين



علاقة : للفنان حسن الملا



عيون فارقت بيروت : للفنان سلطان الغانم



قصة شاعر : للفنان جاسم زيني



طبيعة صامتة : للفنان فرج الدهام

المائية والزيتية للوصول الى حرارة لون البيئة القطرية ، وانه عالج موضوعات الطبيعة الصامتة التى قدمها فنانـــون متعددون على مدار تاريخ الفن ، ولكن بطريقة متحركة فى المضمون ، ومن هذا المنطلق استطاع أن يقدم لنا عدة تقنيات مختلفة فى أعماله !

أما الفنان محمد الجيدة ، فقد جاءت كل أعماله الفنية لتمس المواطن القطرى بما فيها من قوة فى الأصالة وتدفق المشاعر ، فقد عالج عدة موضوعات كادت أن تنقرض من البيئة مثل راعى الغنم ، وترويض الخيول ، وصيد السمك التى تعتبر من انجح اعماله المقدمة من ناحية المعالجة التشكيلية الخاضعة للدراسة الدقيقة والمتانية وغير ذلك من الاعمال التى تمثل

فى مجملها خطوة جديدة للفنان ، قد تتضح ماثرها فى اعمال لاحقة فى المعارض المستقبلية ..

ثم ننتقل بعد ذلك فى المعرض الى التجربتين الناضجتين اللتين قدمتهما الفنـانة حصة المريخي حـول البحر والعادات والاستعدادات التى يقوم بها البحارة قبل اقلاع السفن لرحلة الصيد والغوص .. وقد استطاعت أن تشعرنـا بجراة معالجتها اللونية ، وبخطواتها الصحيحة والسليمة والواعدة لموهبة جديدة سوف تنضج فى المعارض القادمة ..

وإذا كان الفنان عيسى الغانم قد قدم ثلاث لوحات ربط فيهـا بين العنصر الانسانى والزخرفة فى وحدة واحدة بقصد الدخول الى مرحلة جديدة قد يتجه اليها فى الأعمال القادمة .. فان كاتب المقـال (يوسف أحمد) استمر فى تجاربه مع الحرف العربى ، ولكن بتقنيات مختلفة تماماً وبحلول تشكيلية مختلفة ، متعاملا مع الخامات التى تساعده فى ابراز المردود اللونى الذى امتاز به الفن الاسلامى فى أعمال الخزف والنسيج والتذهيب !

وهناك كذلك الفنان احمد عبد الله الذى قدم عدة لوحات فى المعارض السابقة ، وهو أحد ثمرات المرسم الحر القطرى ، وقد رأينا له فى هذا المعرض عملين هما : استراحة بحار ، ووجه لفتاة قطرية ، ومن خلال هذين العملين اتضحت مقدرة هذا الفنان الشاب فى الاستخدام الفنى لأقلام الباستيل الطباشيرية فى تحديد وتوجيه الضوء على الجسم البشرى والربط بين انتقالات حركة الضوء والألوان الفاتحة والداكنة فى براعة تدل على المستقبل الفنى الذى ينتظره لو استمر فى هذا الطريق !

أما الفنان سلمان المالكى فكانت لوحته « الحائرة » من ضمن الأعمال البارزة فى المعرض ، حيث عالجت فكرة الفتاة والتقاليد القديمة أثناء رحلتها فى الحياة ، وتتميز الألوان المستخدمة فى اللوحة بصفائها ونقائها ، ونلاحظ ايضاً قوة الضوء المنتشر على وجه الفتاة باعتبارها العنصر الرئيسى فى اللوحة ، ولم يتناسى الفنان فى لوحته الوحدات الزخرفية التى تتميز بها الخيام البدوية وبيوت الشعر ، فقد جعلها عنصراً مسانداً لفكرة الأسلوب الفنى الفريد الذى يتميز به .

بين الواقعية والتجريب

وغير هؤلاء الفنانين ، كان من بين الذين اشتركوا فى هذا المعرض الهام :

● الفنان الكاريكاتيرى أحمد هلال وتميز فى لوحته المعروضة بتوزيع مساحات اللون البنى بالطريقة الجريئة واللمسات الصريحة التى تكون فى مجموعها أسلوباً خاصاً !

● الفنان يوسف الشريف الذى يذكرك بالحارة القديمة والجو الكامل للحي بكل ما فيه من حركة وحيوية وخاصة فى لوحته « ضحى العود » ، وفى هذه اللوحة تكتشف تفانى الفنـان فى المعالجـة الواقعية البصرية فى كل تفاصيل اللوحة ، وفى لوحته الاخرى ترى الجو الخليجى من خلال الضوء والظلال والاقتراب بالالوان من البيئة الخليجية .

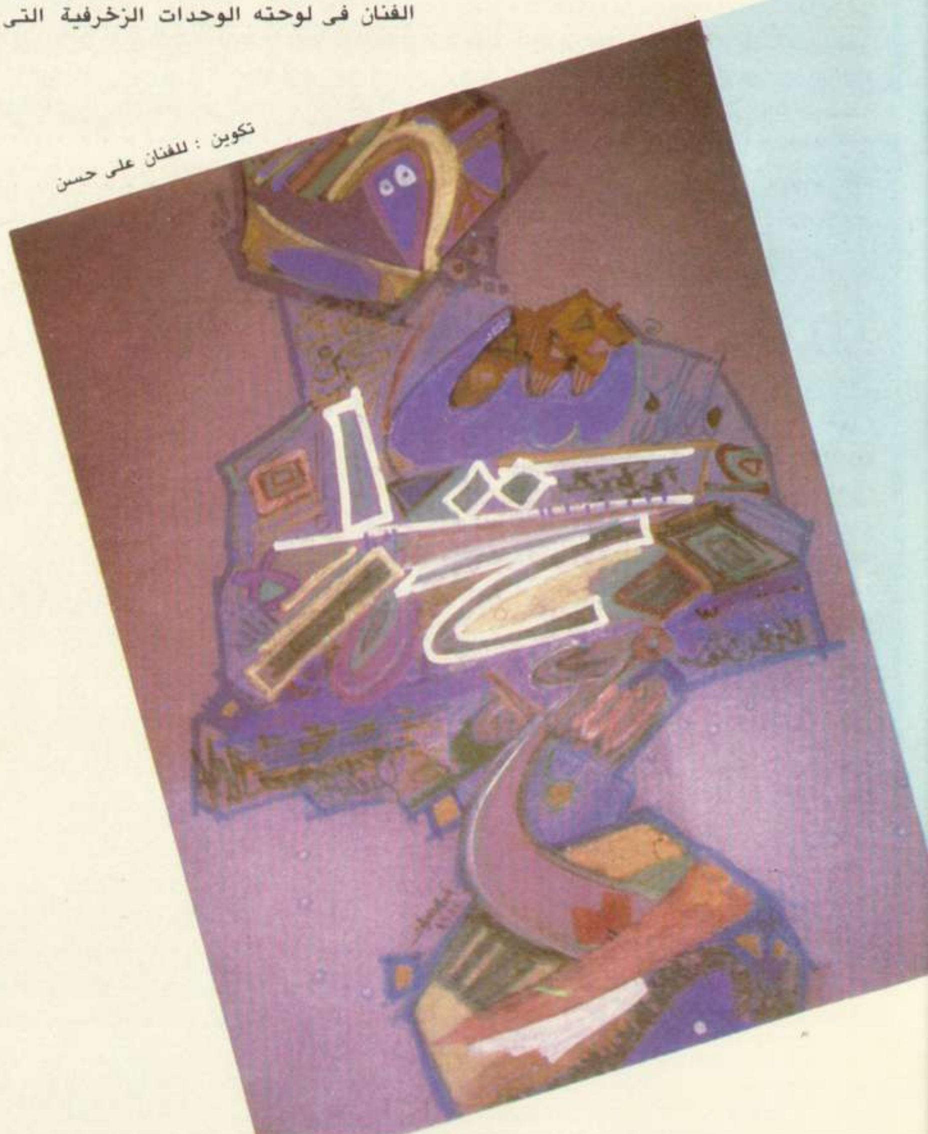
● الفنانة وفاء الحمد التى تشترك لأول مرة فى معارض الجمعية القطرية للفنون التشكيلية بلوحتين ، إحداهما كتابات والأخرى تجريد كتابي ولعلها لو اسـتمرت فى البحث عن طريق تجريد الحرف العربى الى مساحات خطية فسوف نرى لها أسلوباً معيناً يمكن البحث والغوص فيه ، وخاصة ميلها الى الخط الكوفى الذى يتميز بأضلع مستقيمة عنـد تكراره بحيث يمكن الحصول على نغمات مختلفة من المساحات عندما تضاف لها عدة درجات لونية !

● الفنان محمد الصايغ الذى يشترك للمرة الثانية فى هذا المعرض، وتاتي مشاركته فى التصوير الزيتى بثلاث لوحات ، منها منظران طبيعيان والثالثة لصـائغ الذهب الذى صوره بأسلوبه البكر القريب من النحت ، وربما يرجع هذا لأن الفنان اشترك فى العام الماضى بثلاث قطع من النحت لوجوه ، واذا ما استمر الفنان فى البحث والتجريب وتطوير هذا الأسلوب فسيحدد مساره فى المعارض اللاحقة .

● الفنان أحمد زينى الذى مازال يبحث فى طرقات وحوارى قطر القديمة بألوان صفراء تقترب من الذهبية ولكن صياغته الفنية تقترب الى العفوية المفرطة والتى ربما أحياناً تهبط بمسـتوى العمل الفني وتضعف عناصره !

وهكذا نرى اننا اذا ما أردنا أن نقيم هذا المعرض بصورة عامة ، نجد انه متقدم نوعاً ما فى الشكل والمضمون ، اضافة الى تقديمه لعدة مواهب شابة واعدة .

يوسف أحمد



تكوين : للفنان على حسن

استلهام التراث العربي في أدب الأطفال

بين خاتم سليمان والبساط السحري وقصص الأطفال

بقلم: عادل أبو شنب

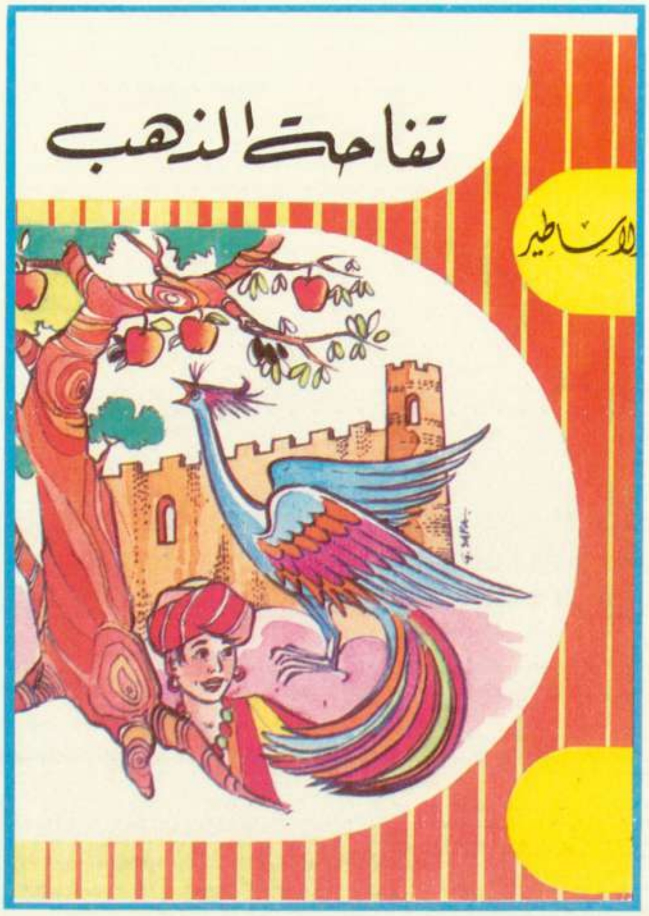


كان المشهد في « حمزة البهلوان » ـ وهو قصص شعبي تمتزج فيه الرواية الخيالية بالرواية الواقعية ـ مثيراً ، الرهبان في صومعة قائمة على قمة جبل يعطون عمر العيار (شقيق حمزة بالتاخي) مكحلة ومرآة ، اذا ما استعمل الأولى غير سحنته كما يشتهي ، واذا ما نظر الى الثانية رأى المشهد الذي يريد رؤيته ولو كان يبعد عنه آلاف الأميال ، لكأن المؤلف المجهول يبشر بظهور فن المكياج الذي يجعل التنكر أمراً سهلا ، وكأنه يبشر بظهور التلفزيون .

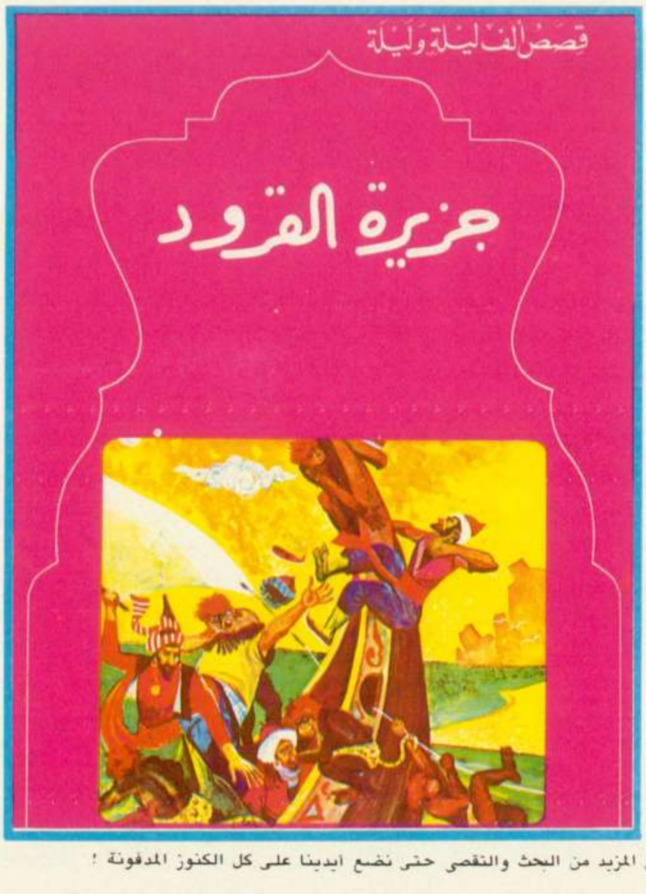
وفي « الف ليلة وليلة » نركب بساط الريح ، وهو ليس سوى سجادة صغيرة تحمل الجالس عليها الى اية بقعة على وجه الأرض ، وتطير دون محرك مرئي ، اونضع في اصبعنا خاتم سليمان فتصبح رؤيتنا متعذرة ، أي نختفي عن الانظار ، وفي سيرة « الملك سيف بن ذي يزن » شطحات من الخيال قد نبتسم ونحن نقرؤها اليوم ، ولكنها كانت تشكل لبنة من لبنات البناء الفني للرواية الشعبية المتوارثة .

وفي « كليلة ودمنة » ، يروي ابنا اوى اللذان سمي الكتاب باسمهما حكايات ذات عبر ، ابطالها حيوانات تحكي وتتصرف كبني البشر ، وفي البخلاء والاخبار العربية القديمة التي نقلها الينا نقلة الاخبار ومؤرخو الادب والسير . كالاصفهاني في كتابه « الاغاني » على سبيل المثال ، ما يرسخ في الذهن ، ويشكل جزءاً من التراث الذى نقتبس منه ونستلهمه في أعمالنا المعاصرة .









بعض قصص الأطفال التى اعتمدت على التراث العربى الذى يحتاج الى المزيد من البحث والتقصى حتى نضع أيدينا على كل الكنوز المدفونة !

يعني استلهام التراث في اعمالنا المعاصرة ، سواء أكانت اعمالا مكتوبة للكبار ، أو مكتوبة للصغار .. اننا نضع ايدينا على واحد من أهم الينابيع التي ترفد الأدب الحديث بمادة ثرية غنية لاتنضب ، والواقع أن التاليف الناجز الذي لا يرتكز الى هذا المصدر ، في ادب الاطفال بخاصة . اقل من التاليف الذي يرتكز اليه حتى الآن ، بل أن ادب الأطفال الناشيء في الوطن العربي خرج من خيمة « كليله ودمنة » على الأغلب .

ان ما يتيح لنا التراث أن نقتبسه منه .. لغني غنى غير معقول ، ولست اظن اننا قادرون على حصره وتعداده ، لكننا نستطيع أن نصنفه الى زمر عديدة :



من وحي التراث العربى والبطولات الخارقة التى جاء ذكرها بين صفحاته ، اتجهت الجهود لتقديم نماذج متعددة فى أدب الطفل .

الخوارق

ان قصصاً تعتمد على خاتم سليمان السحري الذي يخفي الأجسام ، وعلى بساط الريح الذي له قدرة النقل من مكان الى مكان ، في عصر كانت تستخدم فيه الدواب في النقل والانتقال ، وعلى سحر الساحرات وخوارق الجن في المسخ والتشويه والقتل والاتيان بما يعجز البشر عن فعله ، وعلى سفر ذوي البصيرة الى المستقبل .. ان هذه القصص تنطوي على خاصية الفعل الخارق ، اي الفعل الذي يتجاوز قدرة البشر ، ولقد تم استلهام هذه الخاصية في الكتابة الحديثة للأطفال بطرائق مختلفة وهي :

● استهلمت خاصية الفعل الخارق فى خلق نماذج للخارقين ، اي الأبطال الذين يقومون بأفعال تتجاوز قدرات الانسان العادي ، ان عمر العيار في « حمزة البهلوان » الذي اتيح له ان يكون في مكانين اثنين في زمان واحد ، بواسطة مرآته التي تتيح له أن يرى صورة ما تبعد عنه آلاف الأميال ، هو نفسه السوبر مان الخارق الذي يطير بقوة ذاتية غير مبررة ، او هو نفسه « هالك » ذو القوة الوحشية الخامدة التي لا تظهر الا ساعة الانفعال ، أو هو الانسان الذي اتاحت له التكنولوجيا المتطورة ان يطوف بين الكواكب وياتي من الأفعال ما يبهر ، (وقد يكون من المناسب القول هنا إن استلهام خاصية الفعل الخارق في هذا الاتجاه .. لم تنشط في محيطنا العربي لأسباب كثيرة ، لعل اهمها أن كتابنا ورسامينا لم يقعوا فى مازق تمجيد البطولة الفردية السوبرمانية ، وإيماناً منهم بالبطولة الواقعية للفرد ، والبطولة الجماعية ، وكلتاهما تستنكران البطولة التي يرفضها العقل ، وإن كان الأطفال يستطرفونها .

● استلهمت خاصية الفعل الخارق فى خلق حالات خارقة ، ان فتح مغـارة اللصوص بمفتاح لغوي لا اكثر (جملة : افتح يا سمسم الخالدة) ليس سوى مثال تطبيقى باهر ، فبوهج من هذا الاستلهام صنع هـ . ج ويلز آلة الزمان الخارقة التى تتيح لراكبها الانطلاق الى الماضى أو المستقبل بحركة بسيطة ، ويمثل هذه الآلة حملنا بطلا محلياً الى الماضي والمستقبل ، ومن يعد الى بواكير مجلة « اسامة » ير هذا البطل فى عمل لنجاة قصاب حسن ، ليس مترجما على اية حال ، فالمؤلف استخدم آلة الزمان ، اى استخدم الحالة الخارقة للتعريف بالماضي ، ولاستقراء المستقبل .

● استلهمت خاصية الفعل الخارق فى خلق نسيج روائي خارق ، واذا كان التراث الخرافى - أن صح التعبير - فى الحكايات المروية متخوماً بصور السحرة والجنيات وافعالهم ، فان كتاب الأطفال المعاصرين قد استخدموا ، على نحو ما ، الخاصـية نفسها ، وهذه اقاصيص معاصرة يبدو نسيجها مملوءاً بالأفعال الخارقة على نحو ما كانت عليه افعال السحرة والمشعوذين والجن ، ومن الامثلة حكايات الاخوان غريم فى أدب الأطفال الألمانى ، فلقد سارت هذه على هدى الميثولوجيا المتوارثة ، وأعطت الالمان ، بل العالم ما يشبه الأساطير ، بل انها أساطير حديثة ، لها مؤلفون معروفون .

الأنسنة

كان كتاب « كليلة ودمنة » من أوائل الكتب التى أنسنت الحيوان ، ومنحته عقلا وعاطفة وتصرفاً على نحو انساني ، ولا يخفى ان هذه « الأنسنة » قد ولدت لتفادى خطر متوقع ، لكن التاويل الذى ترك للقارىء أو السامع ان يتدبره بنفسه .. كان من قوة التاثير بحيث لم تعد تفهم قصص الكتاب الا مؤولة ، اى بالاسقاط ، وبمحاولة جلاء الباطن ، وعدم الأخذ بالظاهر ، وهكذا تحولت الحيوانات فى « كليلة ودمنة » الى اشخاص من لحم ودم ، لهم وجودهم فى الواقع ، واحيانا تحولت الى رموز تدل على مجردات او قيم خيرة أو شريرة ، وهـو ما وجده الكتاب والمؤلفون مناسباً للأطفال .

والواقع أن هذه المسالة ذات شقين متناقضين ، فالحيوانات الدالة على البشر تستهوي الأطفال ، لأن خاصية «الأنسنة» ، اى تحويل الحيوان الى انسان ، تدخل الطفل فى عالم لا معقول ، يدرك انـه لا معقول ، لكنه يقبله ويستطرفه ، ويراه صورة عن العالم الذى يعيش فى ذهنه الصغير ، العالم الذى تمحي فيه الفروق بين الانسان والحيوان والجماد ، وتتحول فيه الكائنات الى كائنات متساوية فى التفكير والعقل ، وهذا هو الشق الأول فيها غير أن الشق الثاني ينطوى على النقيض ، فالأنسنة تدخل الحالة والشخوص وحتى السياق فى عالم الرمز الذى يحتاج الى تاويل ، اى الى اسقاط ، وهذان الشقان للمسالة ، اى للأنسنة ، جعلا منها واحدة من وسائل التعبير التى يستخدمها الكتاب للكبار والصغار معاً ، وكثيراً ما قرئت قصة للأطفال على انها للأطفال .. فانبات ، باسقاطاتها ، عن حالة من الواقع المعاش الذى يدركه الكبار ، وبذلك بدت الأنسنة وسيلة تعبير ذات اعجاز وبلاغة .

ان الكتاب لم يكفوا عن استخدام الأنسنة فى كتاباتهم ، ومنذ ولادة أدب الأطفال المحلي .. لجا الكتـاب الى الحيوانات يستعيرونها ويستخدمونها ،

واحسب انهم يعون ان توظيف الحيوانات فى ادوار انسانية .. انما هو استلهام للتراث وفى منحيين اثنين :

الأول : استلهام شكلى .. اى تحويل الشكل الحيواني الى شكل انسانى .. اى اسباغ الصفات الشكلية الانسانية على صفات الحيوانات ، (من ذلك جعل الحيوانات تسير على اثنتين بدلا من اربع ، وارتداؤها ثياب بني البشر .. الخ) فى عمليــة الاقتباس والاستلهام .

الثانى : استلهام مضموني .. اى استعارة الحيوان فى تصرف انساني ، مع الابقاء على صفته الحيوانية ، خاصــة الشكلية . (واتذكر هنا على الفور التراث الذى تركه اخوان الصفا فى هذا الميدان ، وهو يحتاج الى بحث خاص) .

وفى اطار هذين المنحيين المتداخلين .. قرانا ونقرا (وبالصورة المرسومة) قصصا معاصرة لكتاب عرب وجدوا فى الانسنة واحدة من طرائق التعبير النافذة الفعالة فى الاطفال .

شخصياً لجات الى ذلك فى كثير من القصص التى كتبت للأطفال ، ولي تجارب فى هذا الميدان ، احب ان احكي عن واحدة مثيرة منها وتتعلق بشخصية « القرد ميمون »

مما لاشك فيه ان الوعي بالتراث لدى الكاتب مسالة مبثوت فيها ، يحمل الكاتب تراث امته وفولكلورها فى وعيه ولا وعيه معا ، ويستلهمه على نحو عفوى كلما أعوزته الحاجة الى ذلك ، وهذا ما حدث عندما شاركنا بتاسيس مجلة « سامر » . كانت الحاجة ماسة الى خلق شخصية قادرة على التكيف ، تملك صفات انسانية وأخرى حيوانية ، مما يتيح لي ، كمؤلف ، توظيفها بشكل يلهب خيال الأطفال ولا يبعدهم عن الواقع ، واظن ان المختزن فى لا وعيي من التراث .. هو الذى أملى علي أن ابتكر شخصية هذا القرد الذى له شكل القرود وتصرفات البشر ، فكانني كنت استعير من « كليلة ودمنة » واحداً من ابطالها .

الحت علي فكرة القرد المحبوس فى زنزانته فى حديقة الحيوان ، والتواق الى الحرية خارج القضبان ، وها هو يتسلل الى عالم البشر ، يجوع ويتشرد ويعاني ثم يعود الى زنزانته ، رافضاً عالم البشر المزيف الذى ياكل فيه القوى الضعيف ، والذى لا يجد فيه الشريف مكاناً لاقامته ، كانت فكرة مثالية .. لها روح الكوميديا السوداء التى قد لا يعيها الأطفال ، لكنهم يستطرفونها بسبب الشخصية المؤنسنة ، ولقد صدق حدسي واقبل الأطفال على ميمون يلاحقونه ويطالبون بالمزيد عنه ، فطورته الى قرد له الصفات الانسانيــة الكاملة مع الخصوصية التى يملكها القرود فى القفز والشيطنة ، مع حنكة اكبر من سن الطفل الذى يوازيه ، وهكذا كان التراث ملهماً مع تحوير وتطوير اقتضتهما ظروف العصر .

ولم تقتصر الأنسنة على الحيوان ، بل تعدتها الى الجماد . ان الأزهار تتكلم والنجوم تناجى ، والأشجار تتصرف ، وكل هذا من اثر استلهام التراث الذى فتح امام ادب الأطفال افاقا رحبه .

الأخبــــار

الاخبار (بالكسر) تراث عربي ، ما اظن ان امة من الامم عنيت به كالأمة العربية ، فمنذ الجاهلية وحتى يومنا هذا ، والرواة يتحدثون ، ينقلون ما راوا او سمعوا .

لقد دونت الأخبار العربية المملوءة بالحكايات عن الناس ، واسندها الرواة الى اصحابها او الى رواة سابقين .

هذه الطريقة فى الأخبار التى استهدفت القص اولا والتوثيق والحرص على الصدق والدقة فى الرواية ثانياً .. استعيرت لتكون شكلا من أشكال الأداء فى أدب الأطفال ، واظن أن رصيداً كافيــاً متوفر الآن كشاهد على هذا النوع (قصة ابي القــاسم الطنبــورى) على ســبيل المثال شاهد على قصص الأخبار التى استفاد منها أدب الأطفال الحديث ، واجد أن من واجبى أن اذكر الفارق ما بين القص الاخبارى والقص الحديث ، حتى تتوضح صورة هذا الجانب من التراث الذى استلهمه الادباء ، ربما دون أن يعرفها ، فالقص الحديث هو اخذ بطرائق الأداء كما الفناها فى القصة الأوروبية ، والقص الاخبارى هو لون عربى خالص ، اى لون تراثى ، استخدمه الرواة والاعلاميون العرب والمسلمون الأوائل ، ومن خصائصه نسبة الخبر الى فلان من فلان عن فلان أولا والسرد المباشر الذى يحكي عن الخبر وابطاله ثانياً ، وعدم اقحام الراوية نفسه فيه ثالثاً ، وان هذه الخصائص لتجدها فى الكتابات الموجهة للاطفال ، مستعارة من التراث ، لانها من القوالب الادائية التى تناسب الصغار ، وعن ابى فرج الأصفهانى فى اغانيه – على سبيل المثال – اخذ الكتاب المادة الأخبارية نفسها ، بطريقة ادائها ، واعطوها للأطفال ، فانسجم هؤلاء معها ، وجاء كتاب آخرون فنسجوا على منوالها ومنوال غيرها ..

اللغــــة

تشكل اللغة العربية ، وهى ارثنا ومعلم من معالم قوميتنا ، جزءا من التراث الذى استلهم فى الكتابة للأطفال ، والمقصود باللغة ، هنا ليس كونها أداة تخاطب وتفاهم ، بل كونها تشكيلا بنائيا تتقولب فيه المعانى المراد ايصالها (أى كونها وعاء يملا بالمواد) ، ويتالف من حروف هى اقرب ما تكون الى التشكيلات الزخرفية ذات الدلالات والتشبيهات الشكلية .

الالف فى اللغة عصا مستقيمة واقفة ، والياء والتاء والثاء اجسام متمددة فوقها نقاط ، وللجيم والحاء والخاء شكلها الواحد المتميز ، ولكل حرف اخر من الحروف الثمانية والعشرين تشكيله البنائى الذى يمكن أن يكون هدفاً تزيينياً خالصاً ، ولم يكن ثمة تردد فى استلهام هذه الخاصية ، فقد استعار كتاب كثر التشكيل البنائى للحروف الهجائية العربية ، واعطـوا ما يمكن وصــــفه بالتلقين ، اى بتعليم الصغار أسرار التشكيل البنائي اللغوي ، وخرجوا من ذلك الى دلالات أكثر عمومية ، اي الى التلقين باســـتخدام التشكيل ، وهكذا اضحت الحروف العربية رموزاً ومفاتيح للدخول الى قضايا ومضامين يراد ايصالها الى الأطفال ، واظن أن اللغة كتراث شكلى أيضاً ستبقى معيناً لا ينضب للكتاب ، يستلهمونها ، ويبتكرون فى مثل هذا الاستلهام ما يغنى ثقافة الطفل وفهمه للغته ، وفهم الحياة والعالم عن طريق اللغة نفسها .

● ●

ان موضوع استلهام التراث الاسلامي فى الكتابة للأطفال يحتاج الى غوص وتنقيب فى التراث اولا وفى الكتابـات العربية المعاصرة الموجهة للأطفال ثانياً ، وباحث يكرس نفسه له سيخرج بسفر كبير ما اظن ان سفراً سيكون له مثل اهميته ، خاصة اذا ما عمد صاحبه الى جعله تطبيقاً مقارناً .

حسبي فى هذا المقال انني دخلت الى القضية من عدة أبواب : الأنسنة والخوارق والأخبار واللغة ، وربما كان ثمة ابواب اخرى لم الجها بعد كاستلهام الحكم والأمثال وتحويلها الى قصص للأطفال ، وحسب هذه الأفكار أن تكون بداية ، وأمل أن يساعد باحثون آخرون ، حتى نخرج الى نظرية يمكن أن تكون الأرضية التى يؤسس عليها ما يمكن أن نسميه ادب الأطفال العربى الخالص .

عادل أبو شنب – سوريا

- لماذا تراجعت هموم الحب إلى المرتبة الثانية أو الثالثة من هموم البطل؟
- السينما التجارية حوّلت الريفي وابن البلد إلى مجرّد محتال.. أو متسوّل!
- النهايات المأساوية هي الملمح المشترك بين مخرجي الثمانينات
- مصرع البطل الإيجابي ظاهرة جديدة تغزو السينما العربية

ملامح وهموم

البطل المعاصر في السينما العربية

بقلم: عبد الرحمن محسن

إن نظرة سريعة على ملامح وهموم ابطال السينما العربية فى مصر كفيلة بان تصيب الانسان بالدوار للهوة السحيقة التى تفصل بين ما كان وما هو كائن .. فتلك النهايات السعيدة التى كان البطل فيها يعدو تجاه البطلة هاتفا باسمها (بعد ان تكون المشاكل قد زالت بقدرة قادر) - قد اختفت تماما لتحتل النهايات الماساوية معظم المساحة . وتراجع الحب ، الذى كان محور الصراع فى كل الأفلام العربية ، حتى الوطنى منها ، الى المرتبة الثانية او الثالثة من هموم الأبطال ، ليفسح المجال لهموم « اكل العيش » والصراع من إجل الابقاء والثراء . أما النقود التى لم نكن نعرف من اين يحصل عليها بطلنا المحب فى الافلام القديمة ، فقد قفزت الآن لتحتل مكان الصدارة فى أسباب الصراع فى معظم الأفلام ، وتنازل شرير الشاشة التقليدى - الباشا أو زعيم العصابة - عن مكانه لمحدث النعمة ، او الشرير الانفتاحى ، مروج الفراخ والبلوبيف الفاسد .. وحتى تلك المبادىء الكلاسيكية الراسخة التى تنتصر للخير على الشر فى النهاية ، قد ولت ، ليتحول البطل فى نهايات نسبة كبيرة من الأفلام ، الى قاتل أو مقتول ، أو الى السقوط حتى دون الالتزام بمبدأ (الجريمة لا تفيد) .

فمتى بدأت هذه التحولات . ولماذا سادت معظم الانتاج السينمائى حتى التجارى منه فى السنوات الأخيرة ؟

من الذى بدأ الظاهرة

السينما التجارية السائدة لا تبدأ عادة فى تغيير جلدها إلا حين يصدمها الواقع المر بانصراف الجمهور عنها ، وتدنى الارباح ، لتكتشف أن ذلك الواقع ، الذى تدعى التعبير عنه ، قد مات منذ مدة ، وفى المقابل فان قلة نادرة من صناع الافلام الصادقين هى التى تقود دائما هذا التغيير ومرتادة الآفاق الجديدة المجهولة لتلتقط انضر النماذج والعلاقات واقدرها تعبيراً عن الواقع المعاش ، بل وتتخطى ذلك احيانا الى التنبؤ بما سيصيب هذا الواقع من متغيرات ، مغامرة بالنجاح الجماهيرى فى سبيل الصدق . وفى ذيل هذه الطليعة ونجاحاتها تلهث السينما التجارية لتستغل وتقولب هذه المنجزات بعد ان تفرغها من مضمونها .. ولكنها عادة ما تختطف الثمرة بعد أن تكون قد نضجت الى حد الفساد .

النهايات الماساوية والبطل القاتل والضحية

كانت الأفلام النادرة التى تنتهى بمصرع البطل أو سقوطه - قبل عام ١٩٦٧ واحداثه التى هزت كل المسلمات - تعتبر واحات شبه منفصلة لا تشكل فى مجملها ظاهرة



يوسف شاهين .. مخرج فيلم الأرض الذى كان أول فيلم عربى ينتهى بمصرع البطل الايجابى



المخرج محمد خان ، الذى انهى ستة من افلامه السبع بالبطل قاتلا أو مقتولا !



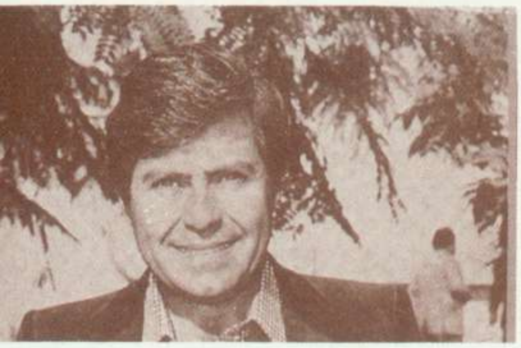
نور الشريف ونموذج جديد لدور «مصور» مع نورا فى فيلم ضربة شمس



محمود المليجي كان يعلم مسبقا الدور المطلوب منه فى اى فيلم وهو دور العزول الشرير



علي بدرخان .. مخرج قليل الانتاج ، ولكنه يجيد تحليل الظواهر والدوافع بلا صراخ



حسين فهمى .. احد نماذج الشر الجديدة فى فيلم موعد على العشـاء

مستمرة مضطردة وكانت معظم هذه الأفلام ماخوذة عن أعمال أدبية محلية أو عالمية ـ أو منقولة بالنص من افلام اجنبية ..

ـ لك يوم يا ظالم ـ بداية ونهاية ـ امراة على الطريق ـ القاهرة ٣٠ ـ الحرام .

وكانت هذه الأفلام فى الغالب تتناول واقعاً تاريخياً او اجتماعياً سابقاً أو غريباً دون اسـقاطات كثيفة على اللحظـة التاريخية التى انتجت فيها ..

وبعد أحداث النكسة بدأت الصورة فى التغير بعد فترة قصيرة وكانت البداية أيضاً بافلام ماخوذة عن اعمال ادبية كتب بعضها قبل عام ١٩٦٧ . ولكن الجديد فى هذه الأفلام كان هو تركيزها على إسقاط كل أحداثها ورموزها على اللحظة المعاشة وأحداثها الدامية . وشهدت أعوام ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ انتاج وعرض أفلام مثل «ميرامار» ـ « شيء من الخوف » ـ « البوسـطجى » و « الأرض » الذى عرض فى عام ١٩٧٠ م .

واذا كان موت عتريس وسرحان البحيرى فى « شيء من الخوف » و « ميرامار » محاولة لادانة النظام السياسي الذى تسبب فى النكسة من وجهة نظر جسدت رموزه فى نموذج الدكتاتور والانتهازى ، واذا كان (البوسطجى) محاولة لادانة الواقـع الاجتماعى فان فيلم (الأرض) كان الفيلم العربى الأول الذى ينتهى بمصرع البطل الايجابى الذى تعاطف معه الجمهور ، فابو سويلم الذى يضرج بدمه الارض وأعواد القطن وثمراته الناصعة فى نهاية الفيلم كان صرخة تحذير مدوية من ذلك الذى حدث فى ١٩٦٧ وما يمكن ان يحدث بعد ذلك ..

وتتالت بعد ذلك الأفلام التى تجسد النهايات الماساوية سواء اكانت الموت او السقوط .

(ليل وقضبان) أول افلام اشرف فهمى ، (ثرثرة على النيل) لحسين كمـال (الرجل الذى فقد ظله) كمال الشـيخ و (الاختيار) ليوسف شاهين .. كانت المرحلة الأولى من هذه الظاهرة تعبيراً عن حالة الصدمة والياس التى اصابت الجميع بعد النكسة ، كما كانت تعبيراً عن محاولات صادقة ـ تصيب أو تخفق ـ فى البحث عن تفسير لما حدث ـ وكان من الممكن لهذه الظاهرة أن تتوقف أو تنتهى أو تنتقل إلى مرحلة أكثر نضجاً وتفاؤلاً خصوصاً بعد الصمود البطولى للشعوب والجيوش العربية فى حرب الاستنزاف أو بعد ذلك التوحد النادر فى حرب اكتوبر، على أكثر تقدير .. لكن الذى حدث هو العكس : لقد استشرت ظاهرة النهايات الماساوية ونموذج البطل القاتل او الضحية بعد أن عوض نصر اكتوبر وبعد التغيرات الاجتماعيـة السريعة التى اصابت المجتمع .

ومع بداية السبعينات وبعد السماح ببعض الانتقادات للعهد السابق ظهـر (زائر الفجر) للمرحوم ممدوح شكرى الذى

بدأ سلسلة افلام ضحايا ما سُمي بمراكز القوى - وتسربل بنقد الماضي ليدين القهر في كل زمان ثم تلاه (المذنبون) لسعيد مرزوق الذى اتخذ من حادثة موت البطلة والتحقيق الذى يدور حولها مصباحاً يكشف به كل عيوب المجتمع .

ويتوج يوسف شاهين هذه المرحلة بفيلمه (عودة الابن الضال) الذى ينتهى بمذبحة كاملة ، يصرع فيها افراد العائلة بعضهم بعضاً ولا ينجو منها الا ذلك الشاب الحالم بالسفر للكواكب الأخرى !!

وكالمعتاد تحاول السينما التجارية بعد تجربتي « زائر الفجر » و « الكرنك » ان تختطف الثمرة لتنتج سلسلة من الافلام الرخيصة عن الأجهزة البوليسية مثـل - (أسياد وعبيد) .. (إحنا بتوع الاتوبيس) (وراء الشمس) الى آخر سلسلة الافلام المشبوهة الهابطة .. ومع ظهور فيلم (على من نطلق الرصاص) لرأفت الميهى وكمال الشيخ ، يتبلور هذا النموذج الجديد للبطل فى أنقى أشكاله : انه البطل القاتل والضحية فى نفس الوقت .. فاحداث الفيلم تبدأ بالبطل وهو يطلق الرصاص على ذلك المسؤول الذى تآمر على قتل صديقه ليخفى جريمته فى سرقة مواد البناء ، والتى تسببت فى موت العشرات ، وفى محاولة البطل للهروب تصدمه عربة مسرعة فيرقد القاتل الضحية ، والضحية القاتل ، فى حجرتين متجاورتين فى نفس المستشفى الى أن يلقى كلاهما حتفه فى نهاية الفيلم بعد أن يكون التحقيق فى الحادث قد كشف كل عيوب المجتمع - كما يراها صناع الفيلم .

وتتتالى بعد ذلك الأفلام التى تنتهى بالبطل قاتلا او مقتولا ، الى أن يتوجها محمد خان ، مخرج نهاية السبعينات البارز الذى تنتهى ستة من افلامه السبعة بالبطل قاتلا أو مقتولا ، أو كليهما معاً - ضربة شمس - الرغبة - الثار - طائر على الطريق - موعد على العشاء - نصف أرنب .. أما أشرف فهمى الذى بدأ حياته الفنية بفيلم « ليل وقضبان » الذى ينتهى بالبطل تنهشه الكلاب فانه يعود - بعد مرحلة الأفلام الهابطة - لينهى معظم أفلامه الجادة الاخيرة بنفس النهاية - مايزال التحقيق مستمراً - الشيطان يعظ - الوحش داخل إنسان - المجهول - اما على عبد الخالق صاحب (أغنية على الممر) ، أول وآخر الأفلام الجادة التى ناقشت نكسة يونيو بشكل مباشر ، فانه يعود بعد فترة كمون بافلام ثلاثة تنتهى أيضاً بالبطل قاتلا أو مقتولا - الابالسة - العار - السادة المرتشون .

ورغم أن سمير سيف حاول فى بداية ظهوره أن ينوع من طبيعة أعماله ، إلا أن نفس المصير المأساوى يلاحق نسبة كبيرة من أفلامه ، بدءاً من (دائرة الانتقام) أول أفلامه ، مروراً بالمتوحشة ، فالمشبوه ، وأخيراً الغول .. آخر ما عـرض له من أفلام .

أما جيل الثمانينات من المخرجين الجادين ، فيكاد هذا البطل وتلك النهاية المأسوية ان يكون القاسم المشترك بينهم وهم رأفت الميهى - عاطف الطيب - حسين الوكيل .

ولم تقتصر ظاهرة البطل القاتل والضحية على المخرجين الجادين فقط ، بل تعدت ذلك إلى النجوم أيضاً ، فى سينما يحكمها النجوم . فمن أبرز الظواهر فى المواسم الثلاثة السابقة قيام نجم كوميدى مثل عادل إمام باداء شخصية البطل القاتل أو الضحية فى أكثر من خمسة أفلام هى : (الجحيم ، المشبوه ، الحب فى زنزانة ، ولا من شاف ولا من درى ، واخيراً الغول) .

ورغم أن معظم هذه الأفلام التى ذكرنا تنتمى الى السينما الجادة ، التى تحاول أن تعبر بصدق عن تلك المتغيرات التى أصابت القيم وتلونات الشخصية ، إلا أن دوافع القتل أو أسباب الموت تختلف حسب رؤية كل مخرج . فاذا كانت هذه الأسـباب والدوافع ترجع عنـد على بدرخان وعلى عبد الخالق ويوسف شاهين الى تناقضات اجتماعية عميقة .. فانها تقترب من العبث والقدرية عند محمد خان .. وتتراوح بين هذا وذاك عند سمير سيف واشرف فهمى ومع ذلك فجميع هـذه النهايات المأساوية وسيادتها تدل بالقطع على ذلك التغير المفزع الذى أصاب العلاقات الاجتماعية وطبيعة تلونات الشخصية القومية ..

الشرير وما أصابه من تغير

الدرامـا هى الحدث ، والحدث لابد له من صراع يتنامى ، والصراع لابد له من أطراف متوازنة القوة حتى يستمر فى صنع الاحداث ودفعها للذروة . ومنذ أرسطو كان أبسط أشكال الصراع هو ذلك الصراع بين الخير المطلق والشر المطلق مجسداً فى نماذج أو شخوص محددة الألوان .. الطيب والشرير .

ولفرط إخلاص السينما التجارية للقواعد الكلاسيكية للدراما - فى بعدها المسطح بالطبع - ظلت لأكثر من نصف قرن تخلق للبطل ذلك العزول الشرير الذى يحاول أن يختطف منه حبيبته . الذى يحيك المؤامرات المفتعلة من أجل أن تكون هناك أحداث ما تشد الجمهور - وكان هذا الشرير عادة ، إما زعيم عصابة ما للتهريب أو باشا ثرياً عجوزاً أو شريراً لوجه الشر .

والغريب أن هذا النموذج ظل سائداً منذ بداية السينما وحتى بعد ١٩٥٢ ، وما أصاب المجتمع المصرى من تغير كما لو كانت الحياة دائماً أسود وأبيض - مع أنها تحولت الى البمبى فى احد هذه الأفلام - وظل استفان روستى وزكى رستم ومحمود المليجى - رحمهم الله - لحقب عديدة يجسدون هذا النموذج أو القالب المسطح الى الحد الذى كان يدفع المليجى لعدم قراءة نص السيناريو بعد قراءة الملخص - فهو يعلم مسبقاً ليس الأحداث فقط ، بل جمل الحوار واللازمات التى وضعت على لسانه فى هذه النوعية السائدة من الأفلام .

ولكن فجأة صدم الواقع كل هؤلاء : فالباشا لم يكن سبب النكسة ، ولا زعيم العصابة ، ولا ذلك الشر المطلق بلا اسباب .. بل كان الشر والشرير جزءاً لايتجزأ منا .. من ذواتنا نحن جميعاً .. وبدأت ملامح الشرير فى التغير وبدأ السواد الداكن الذى يجلل ملامحه فى التلون ببعض البياض ليصبح الشرير فى معظم الأفلام الجادة أقرب الى الواقع ، له دوافعه ومصالحه ومبرراته ، الى أن أصبح فى بعض الأفلام هو البطل الأول ، كما فى (شيء من الخوف) و (الاختيار) و (المذنبون) و (ثرثرة على النيل) .

وبعد ذلك بدأت ملامح لشرير من نوع جديد فى الظهور ذلك هو شرير « مراكز القوى » أو الشرير البوليسي ، وبعد نجاح فيلمى (زائر الفجر) و (الكرنك) ، انتشر هذا الشرير فى طول السينما التجارية وعرضها لفترة قصيرة بعد أن كان قد فقد مبررات وجوده - فالواقع قد أفرز مشكلات



محمود ياسين .. نمط جديد من السلوك والقيم فى فيلم انتبهوا ايها السادة



سعاد حسنى .. قدمت فى أدوارها الأخيرة نماذج جديدة لأنصاف الأشرار

وانماطا جديدة من السلوك والقيم ـ ومن جديد كان على الرواد وصناع الأفلام الجادين أن يعيدوا اكتشاف الواقع من جديد ونماذج الشر التى أفرزها .. بداية من زبال « انتبهوا أيها السادة » مروراً برجـل الأعمال ذى المخالب المخملية فى « موعد على العشاء » ووصولا الى الداهية المطلق السطوة فى « الغول » .

ولم تكتف السينما الجادة كما قلنا بتقديم واكتشاف النماذج السوداء الداكنة بل برعت فى تصوير تلك النماذج الجديدة المعاصرة من انصاف الأشرار انصاف الأخيار ، تلك النماذج الرمادية التى تكتشب التعاطف كما تثير النفور مثل العامل صاحب البوتيكات التائب فى اهل القمة ـ والعامل الانتهازى فى « الحب فى زنزانة » وتاجر المخدرات الأخلاقى المنسجم مع ذاته فى « العار » .

وقبل أن تستكمل السينما الجـــادة تصويرها لنماذج الطفيليين الجدد .. هجم طفيليو السينما التجارية على هذه الأنماط فى فترة الرواج النسبي للسينما المصرية ، ليحولوها من جديد الى مسوخ شائهة ، وقوالب جامدة . واحتل جميل راتب وعلى الشريف وصلاح نظمى مكان استفان روستى وزكى رستم ومحمود المليجى ، واصبحت توليفة الانفتاحى تاجر الفراخ والبلوبيف الفاسد ، الذى يختطف حبيبة البطل المكافح ، أو يغريه بالسقوط ، هى التوليفة الأكثر رواجا فى افلام الأعوام الثلاثة الماضية ، وستستمر كذلك رغم كل المتغيرات الجارية فى الواقع الى أن يصطدم تجار السينما من جديد بانصراف الجمهور عنهم وعن نماذجهم المتحفية .. فيشدون الى بقعة جديدة من اجـــل تشويهها ..

كان بطل الخمسينات والستينات فى المعتاد رجلا من أواسط الناس طبيب أو مهندس أو محام أو مدرس أخلاقى فى الغالب الأعم يهتم بقيم الخير .. والحب والعدل ولو بشكل خطابى .. أما بطل السبعينات والثمانينات فهو فردى يبحث عن خلاصه أو ثأره الشخصى فى أفضل احواله أو أنانى يبرر الفيلم أسباب سقوطه الأخلاقى باشكال تتباين عمقاً وضحالة .

وقد اختفى أو كاد من افلام الحقبتين الأخيرتين ذلك البطل الذى يخوض الصراع من اجل قضية أو مبدأ عام كالوطن أو الحق أو العدل .

فالمحامى الشهير المفوه الذى كانت مشكلته فى افلام الزمن الماضى تتمحور حول إثبات براءة موكله قد حل محله الأفوكاتو ـ حسن سبانخ ـ الذى يكرس براعته والمعيته فى النصب على النصابين ، أو ذلك « البرنس » الذى يسرد علينا الفيلم قصص مغامراته خفيفة الظل من اجل إزاحة كل من يقف فى طريق حصوله على اللقب ، أو ذلك الزوج المغدور الذى يبحث عن ثأره الشخصى ممن اغتصبوا زوجته فى (الثأر) .

واذا كانت هذه النماذج من الأفلام الجادة تحاول أن تعبر بصدق وأن تدين قيم الفردية التى أوشكت أن تسود وتعصف بكل قيم التكافل والخير ـ فان تجار السينما يحملون المعول من اجل الاجهاز على البقية الباقية من القيم الجميلة والنبيلة ، فرجب الذى هو على سطح صفيح ساخن وشعبان تحت الصفر وعنتر الحامل سيفه ومن بعدهم مخيمر الجاهز !! جميعهم يشتركون فى صفة واحدة هى اللاخلاقية التى تبررها هذه الأفلام محاولة أن تكسب لهم التعاطف والتغاضي عن كل جرائمهم الكبيرة والصغيرة .

وبالمثل .. اذا كانت السينما الجادة قد حاولت أن تغير وتوسع من دائرة المهن التى يمتهنها البطل والطبقة الاجتماعية التى ينتمى اليها ـ العامل فى « الحريف » و « الحب فى زنزانة » والسائق فى « طائر على الطريق » .. والمصور فى « ضربة شمس » .. فان السينما التجارية تتلقف الكرة من جديد لتغازل بها جمهورها من الحرفيين وسكان الأحياء الشعبية دون أى فهم لقيم وسلوكيات هذه الفئات .

وتمعن هذه السينما فى تسطيح وتشويه هذه النماذج الى الحد الذى يصبح فيه ابن البلد من هذه الأفلام اكثر غرابة عن الواقع المصرى من نموذج الكاوبوى الأمريكى ، فقد اصبح ابن ، أو بنت البلد ، فى هذه الأفلام لا يجيد الا الردح والنصب والاحتيال والتسول كما فى أفلام الفرن ـ السطوح ـ الباطنية ـ والمتسول ـ ومرزوقة ... وكان هذه الحضارة وهذا المجتمع الذى قام على اكتافهم وبانتاجهم مجتمع من الأفاقين والمتسولين والراقصات وتجار المخدرات !

وملامح لم تظهر بعد

ان هذا المجتمع الذى حاول تجار الفن اختصاره فى تلك النماذج المشوهة هو نفسه ذلك المجتمع الذى أعطى لأمته مليون شاب بنضالهم البطولى على جبهات القتال لمدة سبع سنوات، مليون شاب هم الآن بالتحديد فى عمر أبطال السينما العربية وأكثر من مليونين آخرين يعملون الآن فى أرجاء الوطن الكبير ، ومع ذلك فحتى السينما الجادة لم تقترب إلا اقترابا حذراً من همومهم فى أفلام نادرة ، هى على سبيل الحصر ، (الخبز المر) .. (ســـائق الاتوبيس) و (لا يزال التحقيق مستمراً) و (بيت القاضي) الذى لم ينته تصويره بعد ـ وبالمثل فان هذه السينما قد مرت مر الكرام على العديد من الظواهر الشديدة الخطورة كظواهر التطرف والادمان ، وجذور مثل هذه الظواهر تماماً كما مرت بنفس الطريقة على أخطر الأحداث التى مرت بهذه الأمة منذ نكسة يونيو ومروراً بحرب الاستنزاف وصولا الى حرب أكتوبر.

وسيظل الواقع الحي معينا لا ينضب للنماذج والشخصيات والموضوعات وسيظل البعض يحاول أن يعبر عنه بصدق ليلحق به جامعو الخردة .. ليختطفوا الثمرة بعد أن تكون قد نضجت إلى حد الفساد ..

عبد الرحمن محسن

بيت عمي

قصة بقلم :

محمود الورداني

هبطنا من الاتوبيس ، وعندما عبرنا الشارع ، رحت احاول التطلع الى التلال البعيدة المرتعشة ، وقد بدا شبحها داكنا ، وغارقا فى ضوء الشمس التى بلون المشمش .

وحين انحرفنا الى داخل الحارة ، كان فى وسعى ان ارى بيت « عمى ممدوح » ذا الشرفات المصنوعة من الحديد المشغول ، والمغطاة من الداخل بملاءات ملونة ، حتى أنك لا ترى الناس الذين يكونون واقفين : فقط ترى وجوههم التى تطل عليك من أعلى .

راحت امى تقول للناس المطلين من الأبواب : « العواف ... » . فيما كنا نصعد السلالم الكثيرة الكثيرة ، وانا غير قادر على الضغط على قدميَّ اللتين توجعاننى .

ونحن قد ذهبنا الى ناس كثيرين طوال النهار ، لكنهم ليسوا اقرباءنا مثل عمى ممدوح . فى البداية ، ذهبنا الى « ام سعد » التى سكنا معها فى شارع العطار . ووجدت حجرتنا وقد سكنها ناس آخرون ، وتمكنت من رؤية جانب صغير من الشرفة ، عندما فتح الباب ، وخرجت بنت صغيرة راحت تصيح . على انني تبينت انهم وضعوا سريرهم النحاسى العالى فى المواجهة ـ وامام باب الشرفة . اما سريرنا ، فقد كنا نضعه فى نهاية الحجرة ، بحيث اذا فتحت الباب ، لما امكنك ان ترى سوى الشرفة فقط والسماء الزرقاء . جلست أمى وراحت تحكى ، و « أم سعد » تعمل الشاى. كانت رائحة الشقة هي نفسها ، ورائحة الناس الذين يغسلون ملابسهم تاتى من الحمام ، والاصوات تجيء من هناك وسط وشيش الوابور العالي . لم تقل امي لها ، وسلمت علينا ، وقالت ان عم « ابا سعد » يبحث عن شغل منذ أول الشهر .

بعد ذلك ، قالت امى نذهب الى « أم ابراهيم » ، التى اخذ منا ابنها ابراهيم مكافاة أبى بعد ان مات وصرفوها لنا من الشغل ، وعمل استوديو للتصوير ، ممتلئا بصور الرجال والنساء الضاحكين . ولما انتقلنا من بيت « اسحق » فى شارع « ابن مطروح » ، لنذهب الى شارع « مسرة » فى شقة كاملة ذات حجرتين ، وضعت امي كل الأوراق والصور في حقيبتها الجلدية الحمراء ، وقالت نتركها عند ام ابراهيم حتى لا تضيع . وفي الصباح احضرت انا الحقيبة من هناك . وحين فتحتها أمي ، عرفت على الفور ان احداً قد فتحها . وجعلت تصرخ بصوت خفيض ، وهي تبحث عن الأوراق التي كتبها لنا ابراهيم بعد أن اخذ النقود ، لكنها لم تجدها . وهكذا ، باتوا يعطوننا في بعض الايام نقوداً ، ولا يعطوننا في ايام أخرى ، ونحن نجلس في الصالة . بينما هى تدخن وتزعق في أولاد ابراهيم الصغار الذين يبكون ويعملون ضجيجا ، ثم قالت : « بعد اسبوع يا ام مصطفى يمكن ربنا يفرجها ..» .

هبطنا وذهبنا الى « فوقية » و « هانم » قريبتي امي ، اللتين جاءتا من البلد وقعدتا معنا في شارع مسرة . ثم تركتا البيت وسكنتا هنا ، عندما عرفت امي انهما ستشتغلان عند الناس الذين يعيشون هناك في « باب اللوق » . وقالت هانم ان اختها « نعمت » الصغيرة ، جاءت هي الاخرى من البلد ، والحجرتان اصبحتا لا تكفيان . بكت فوقية السمراء التي كنت احبها ، وهي تشير لنا من خلف ظهر هانم ، وقد وقفت لتسلم علينا قبل ان نمضي ،لكننا لم نفهم ما الذي تقصده فوقية ، ومضينا .

قالت امي نذهب الى « ايوب » . وايوب هو السمسار الصعيدي الذي لا يتحرك معك قبل ان ياخذ العشرة قروش . قام معنا وقال : « خيراً .. لماذا تركتم جارتكم الست محروسة ؟ » . قالت امي : « النصيب يا عم ايوب .. » . وكنا قد هربنا في الليلة الماضية ، حين ايقظتنا « محروسة » ، التي تسكن في الحجرة المجاورة لنا ، وقالت لأمي انها تسمع صوتهما في الشارع يزعقان : زوجها والرجل الآخر الذي اخافه . كان هذا الرجل اسمه « شوقي » ، وكان زوج محروسة ياتي به الى الشقة ، وينادي على امي . وعندما يراني يضع يده في جيب معطفه الرمادي المحلى بالفرو الابيض ليعطيني النقود ، لكنني اتركه واركض الى امي التي كانت تخافه مثلي . ورأيت محروسة وهي تنحني على امي وتكلمها دون ان أسمع انا . تسللنا الى الحمام ،فيما كان صوتهما يقترب ، وهما يزعقان مخمورين كما لم يزعقا من قبل ، قبل ان يكسرا بالفعل باب حجرتنا . خطفنا « منى » اختي من يد محروسة ، ورحنا نركض على السلم المظلم ، و « منى » تبكي حتى وصلنا الى أول الشارع ، ثم انحرفنا الى الشارع الواسع ، وذهبنا لننام عند جارتنا « الست سنية » التي كانت جارتنا قبل ان يموت ابي

تفرجنا مع عم ايوب على حجرة بثلاثة جنيهات في شارع « الجسر » وحجرة اخرى بثلاثة جنيهات ايضاً بجوار المستشفى .



لكن هذه الحجرة لم يقل لنا صاحب البيت ان نعطيه خمسة جنيهات « تامين » مثل الحجرة التي في شارع الجسر . وايوب قال انه سياخذ جنيهاً عندما نكتب العقد مع صاحب البيت .

اخذت امي تخبط الباب البني الداكن ، ثم انني تراجعت معها حين سمعنا صوت زوجة عمي وهي تصيح . فتحت الباب وقالت : « أهلا .. » .

اعرف انها سوف تخزني بالشعر القليل فوق شفتيها حين تنحني هكذا ، وارى الصالة المظلمة الرطبة ، وانا اعبر الى الحجرة الأخرى ، واشم رائحة بيت عمي ، وارغب في نهاية الأمر ، ان استريح على الكنبة التي اسفل النافذة .

ثم انني سمعت صوت ابنة عمي . كانت واقفة على الباب تجفف وجهها بالفوطة التي بلون السماء . سلمت على امي وقبلتها ثم ابتسمت لي قبل أن امضي لتقبلني انا ايضاً . على انني تذكرت مكتبها ، وجعلت ابص في الحجرة ، لتطالعني الراس وكومة العظام التي كانت تخيفنا انا ومنى اختي بها . صحت : « اين الرأس يادكتورة ؟ .. » . قالت : « في الحجرة الأخرى .. » . كانت الحجرة الأخرى هي حجرة الجلوس التي بجوار حجرة عمي ، وكان بها صورة الفلاحات في الحقل ، وقد عملتها ابنة عمي بالخيوط الملونة ، وعلقتها بجوار الآيات التي كتبها عمي بخط اسود جميل .

جاءت زوجة عمي بصينية الشاي . قالت : « اين منى يا مصطفى ؟ .. » ونظرت انا الى امي . قالت : « في البيت . سي ممدوح نائم ؟ .. » . قالت زوجة عمي : « آه » وابنة عمي جلست بجانبي على الكنبة ، وكنت انا احب ان انظر اليها اذا ما كلمتني وهي تضحك هكذا : « هيه .. بتذاكر يا مصطفى ؟ .. » . قلت : « آه .. » ونحن لم نكن ناتي هنا سوى مرة واحدة في الشهر ، هي المرة التي يعطينا فيها عمي النقود ، وتوقع له امي على الورقة الصغيرة . قالت زوجة عمي : « خيراً يا ام مصطفى ؟ .. » قالت امي : « كنا نمر من هنا ، قلت أطلع أسلم عليكم .. » .

وما لبثنا إلا قليلا ، حتى سمعنا صوت عمي وهو يسعل من حجرته التي ينام فيها وحده في نهاية الشقة . قالت ابنة عمي : « كيف حال منى ؟ » قالت امي : « الحمد لله .. » . ونهضت انا ، عندما رأيته وهو يخطو عبر الصالة المظلمة : نحيلا في جلبابه الابيض والرداء الصوفي البني الداكن . سلم علي وقبلني ، وهو يبص بعيونه الصغيرة من خلف زجاج النظارة الابيض . قال لأمي : « منى لم تجىء معكمـا ؟ .. » . قالت : « في البيت » . كنا قد صحونا مبكرين عند الست سنية جارتنا ، وتسللنـــا انا وامي من الفراش قبل ان تصحو منى . جلس عمي على المقعد المجـــاور للفراش . قال : « عندك شاي يا دكتوره ؟ .. » . وضحكت ابنة عمى ، ووضعت له السكر ومضت تصب الشاي .

سكتنا جميعاً ، ثم قامت امي ، ووضعت كوب الشاى على التسريحة . قمت انا ايضاً جعلنا نسلم عليهم وهم يتكلمون ، لكن امي قالت إن منى وحدها .

في الصالة المظلمة قليلا ، وقفت امي حتى اقبل دون ان يبدو منه سوى الجلباب الأبيض وزجاج النظارة . راحت امي تكلمه بصوت خفيض ، وهو يقرب رأسه منها دون ان يرد .

بعد ذلك فتحت انا الباب ، ورأيت ضوء النهار القليل مرة ثانية ، والهواء يهب من السماء التي فوقنا .

ينابيع جديدة للإبداع الفني

التراث الشعبي

وأثره في الثقافة العربية المعاصرة

بقلم : صفوت كمال

شاع فى ثقافتنا العربية منذ منتصف هذا القرن مصطلح فولكلور ، ذلك المصطلح الانجليزى الذى استخدمه العالم الانجليزى سير جون وليام تومز فى ٢٢ من أغسطس عام ١٨٤٦ فى خطاب وجهه لمجلة ذى اثينيوم البريطانية كمحاولة علمية من جانبه لتحديد مفهوم ما كان يعتنى به علماء الأثريات والمهتمون بالآداب الشعبية واللغة واللهجات ، وأيضاً دارسو الثقافات الشعبية ، وما يرتبط بمواد التراث الشعبى التلقائى من بقايا الأساطير والحكايات الخرافية وما يرتبط بذلك من أشكال الممارسات الطقوسية وأشكال الابداع الفنى الشعبى الشائع فى الحياة اليومية الجارية وله أصول قديمة موروثة .

وقد شاع ايضاً بعد ذلك مصطلح فولكلور كمصطلح يدل على مواد الأدب الشفاهى للأمة وعلى الأغانى والموسيقى وعلى مختلف اشكال الابداع الفنى الشعبى بعامة سواء اكانت وسيلة هذا الابداع الكلمة المصوغة شعراً أم نثراً، أم كانت وسيلة التعبير النغم والايقاع فى فنون الموسيقى الشعبية وسواء اكانت هذه الموسيقى مصاحبة للحركة الايقاعية ام للكلمة المغناة او موسيقى خالصة للاستماع الفنى

كما شمل التعريف ايضاً وسائل التعبير الدرامى والمسرح الارتجالى والاحتفالات الطقوسية سواء ما ارتبط منها بموروثات اسطورية او معتقدات خرافية مثل حفلات الزار وغيرها .. أو ما ارتبط بمناسبات دينية فى الأعياد والاحتفالات الموسمية .

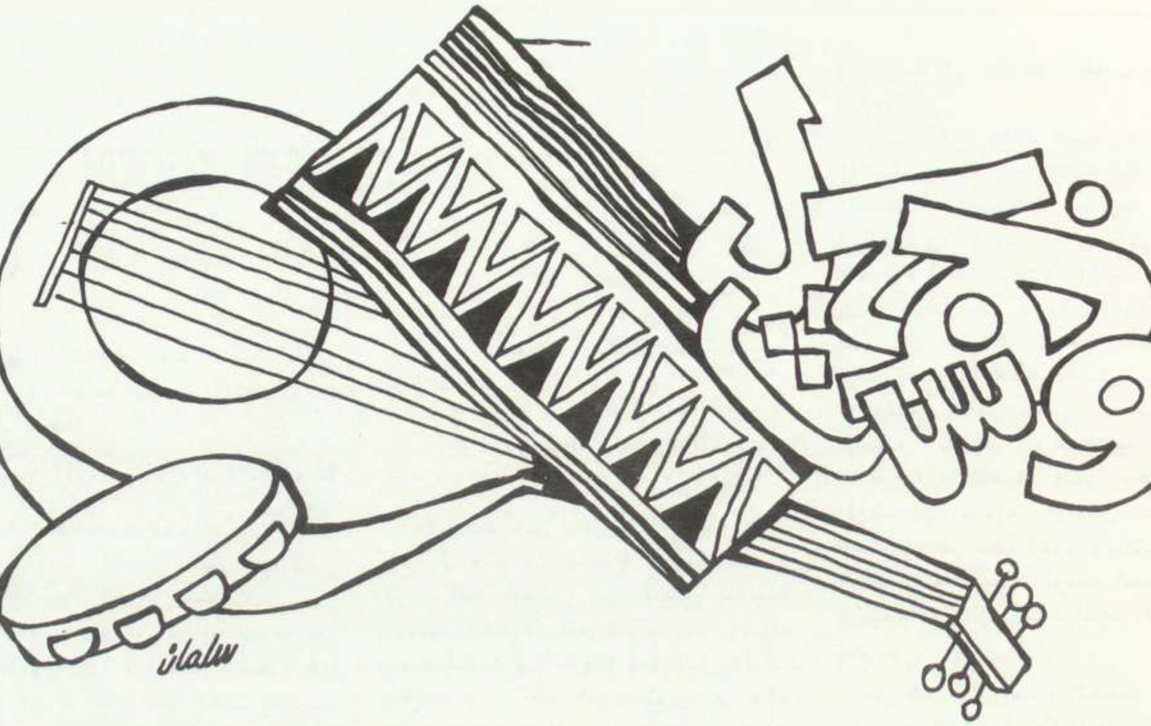
كما اشتمل ايضاً مصطلح فولكلور على وسائل التعبير التشكيلية والفنون التطبيقية ذات القيمة الجمالية من نقوش زخرفية وصور جدارية وتراكيب لونية وادوات الزينة والحلى والمصاغ وقطع الأثاث المطعمة بالصدف او المنقوشة بحفر غائر وبارز .. الى غير ذلك من اشكال فنية لقطع الفخار والأوانى الزجاجية مما هو شائع فى الحياة اليومية إلى غير ذلك من فنون التشكيل والزخرفة والنسيج والتطريز .

كما احتوت المواد الفولكلورية فنون العاب الأطفال ومهارات الفروسية وكل مظاهر النشاط الانسانى مما له قيمة جمالية وطبيعة فنية .

وفى مجتمعنا العربى شاع أيضاً مصطلح « الفنون الشعبية » أو « الفن الشعبى » كمصطلح عربى دارج يدل على « مصطلح الفولكلور » بدلالاته العالمية والواقعية ولكى يدل ايضاً على مختلف اشكال الابداع الشعبى ، الفكرية والمادية والوجدانية باعتبار ان الفن باطلاقه ، هو القدرة على التعبير بمختلف وسائل التعبير الفنية .

وكذلك باعتبار ان هذه المواد التعبيرية هى موروثات ثقافية تتناقلها الأجيال من الأجداد إلى الأحفاد .. فى تواصل ثقافى حي .. وهى موروثات ثقافية تتغير او تتبدل احياناً بطبيعتها الحية ، تبعاً لتغير الظروف التى تحيط بكل جيل وتحيط ايضاً بظروف ومناسبات استخدامها .

ولكن .. مع تغيرها وتبدلها تظل عناصرها الأساسية ثابتة ومحورية ، كمركز وأساس لأشكال الابداع الجديدة .



فالفنون الشعبية بعناصرها الأصلية تكون هى المخزون الثقافى الكامن فى وعى الانسان فى تتابع اجياله ..

وتكون ايضاً بتواصلها الحى ، هى الركيزة الثقافية التى تحدد شخصية المجتمع أو الشعب مع تتابع اجياله ..

ولذا ظهر ايضاً فى ثقافتنا المعاصرة مصطلح التراث الشعبى كمصطلح يدل على مواد التعبير المتوارثة الحية والمعاشة .. بل اصطلح ايضاً على استخدام « التراث الشعبى الحى » كتاكيد لهذه الحيوية ، باعتبار أن عناصر من هذا التراث تضرب فى عمر الزمان الى اكثر من الفى عام أو تمتد فى أصولها الحضارية الى ما هو أبعد من ذلك ..

ومع تحليل المواد التى يدل عليها هذا المصطلح اقر مجمع اللغة العربية مصطلح المأثورات الشعبية كترجمة دقيقة للمصطلح الاعجمى فولكلور .. باعتبار ان مواد المأثورات الشعبية تتمتع بالبعد التاريخى والحيوية والاستمرار فى آن .. اى انها كانت ومازالت .. وهو ما يميزها عن غيرها من مواد التراث مما قد كان .. ولا يكون حاليا ..

فمن التراث ما كان شائعاً فى عصر ما .. ثم اندثر أو تبدل .. ولم يعد له وجود حي فى حياة الناس .. فى حين أن المأثورات .. تتميز بالحيوية والانتقال بمضامينها، بل وفى معظم الأحوال بأشكالها الأساسية عبر الأجيال .

مع تنوع هذه التعاريف او المصطلحات العربية لمصطلح فولكلور ومع الحركة العالمية للاهتمام بموضوعات ومـــواد الفولكلوريين بين مختلف الشعوب كاثر من آثار الاهتمام الرومانسى بحياة عامة الناس وكنزعة قومية للحفاظ على الذات القومية والابداعات الانسانية أمام حركة التطور الصناعى والكم الآلى الكبير .. نشطت اتجاهات فنية وعلمية فى حياتنا المعاصرة العربية منها ما أهتم بالفنون التعبيرية وتكوين الفرق القومية الشعبية تقدم لوحات غنائية وراقصة وبازياء شعبية والحان مستلهمة او مؤلفة على نسق الالحان الشعبية الأصيلة، أو بتقديم عروض فنية أصيلة تجمع الفنانين الشعبيين على خشبة المسرح ، أو بالمزج بين هذه الفرق باصالتها الفنية مع العروض المستحدثة ، كمحاولة اعلامية لتاكيد الشعور القومى وكذلك لتاكيد الدور الخلاق للمجتمعات العربية فى المحافظة على مقومات شخصيتها القومية العربية وكظاهرة فنية تؤكد الدور الابداعى للانسان العربى ازاء حملات الاستعمار العسكرى والسياسى .. أو الغزو الثقافى المخطط له مسبقاً ..

ولقد حققت تلك الجهود الواعية الفنية والرسمية دورها الفعال فى إزالة كثير من مظاهر الغزو الثقافى والفنى للبلاد العربية وبخاصة ما كان مدعوماً بغزو استعمارى عسكرى .. فبمجرد أن انزاحت الغمة الاستعمارية وملكت الدول العربية ارادتها بيدها .. بزغ الاهتمام الواثق بقدرات الشعب العربى الابداعية .

اهتمام علمى

مع هذه الجهود الفنية كان جهد اخر يواكبها ويسبقها ايضاً وهو الجهد العلمى الذى بذله عدد من اساتذة الجامعات العربية وتزخر المكتبات العربية بدراساتهم العلمية فى الكشف عن مقومات ومميزات وقدرات الانسان العربى فى التعبير عن رؤيته الفنية لواقع الحياة ومهارته الفكرية والفنية فى صياغة حياته صوغاً جماليا .. والتعبير عن ذلك بمختلف اشكال التعبير .. فكانت حركة الاهتمام العلمى بهذه القدرات الابداعية المتوارثة ، مركزها الجامعات العربية .. وكانت رسائل الماجستير والدكتوراه منذ اكثر من اربعين عاماً فى جامعة القاهرة تتناول موضوعات من التراث الشعبى العربى .. سواء كان ذلك يرتبط بالسير الشعبية مثل سيرة الهلالية، أو بالقصص الشعبى مثل حكايات ألف ليلة وليلة ، أو بالأمثال ، أو بالأغانى الشعبية .. والمكتبة العربية تضم العديد من الدراسات الاكاديمية والكتب العلمية التى تناولت ابداع الانسان العربى فى حياته اليومية .

وقد واكب الجهدين السابقين الفن والدراسة الاكاديمية جهد اخر لجيل واع من الفنانين المحدثين استلهموا موضوعات التراث الشعبى العربى والمأثورات الشعبية فى اعمال فنية محدثة، سواء كان ذلك فى مجال التاليف المسرحى أو

التراث الشعبي
وأثره في الثقافة العربية المعاصرة

القصصى أو اللوحات الفنية وأعمال النحت التى تصور جوانب من الحياة اليوميـــة للانسان ..

هذه الجهود الجادة الواعية كان لها أكبر الأثر فى تحويل مسار الثقافة العربية المعاصرة .. فقد فجرت هذه الجهود القومية منابع جديدة للتعبير الفنى والفكرى وأعادت للانسان العربى ثقته بنفسه ، بل فتحت أمام الفنان العربى باحات جديدة يطل بها ويخرج من خلالها ايضا الى الانسان فى كل مكان فى العالم ،يقـــدم للانسانية بل وللحضارة المعاصرة رؤية جديدة وأصيلة تكشف عن قدرات الانسان فى صنع الحياة داخل مجتمعه وخارجه .

واذا تاملنا هذه الجهود سنجد انها فى حقيقتها لم تكن صدى للحركة العالمية للاهتمام بابداعات الشعوب وتراثها الحي او ماثوراتها المعاشة .. بل سنجد انها مع الحركة العالمية لفتت انظار الانسان العربى الى أصوله الحضارية وما تتضمنه كتب تراثه من اهتمامات واعية وجادة بواقع الحياة اليومية للانسان العادى .. فشعراء الجاهلية لم يغفلوا فى شعرهم مظاهر الحياة الفنية . فطرفة بن العبد فى مطلع معلقته يصور وشم اليد ولعبـــة « المفايل » التى مازالت شائعة للآن .. واذا قرانا شعر الجاهلية قراءة جديدة على ضوء مفهوم دراسات الماثورات الشعبية أو التراث الشعبى سنجد كثيراً من صور الحياة اليومية القديمة التى لها آثارها للآن فى ممارستنا اليومية،مثلها فى ذلك مثل قصص وأيام العرب،كما أن كتب المؤرخين والرحالة والجغرافيين العرب تزخر بموروثات ثقافية لها وجودها حتى الآن ..

بل ان الاهتمام بالتراث الشعبى بمفهومه الحديث فى الدراسات الفولكلورية له أصوله الثابتة فى دراساتنا العربية قبل أن يظهر مصطلح الفولكلور فى الحياة الغربية والأوربية بخاصة . ولن نبالغ اذا قلنا وقبل أن تنتبه الدراسات الأوربية الى هذا الموضوع الهام من مواضيع الكشف عن ثقافات الامم . فلقد التفت المفكرون والأدباء والفنانون العرب القدامى منذ الف عام وأكثر الى اهمية أشكال الابداع الشعبى والموروث الثقافى فى مكونات الثقافة العربية .

رواد دراسات التراث العربى

فالجاحظ على سبيل المثال (٧٧٥ – ٨٦٨) يعتبر من النماذج الأدبية المتميزة فى تراثنا العربى فى إنشاء الصيغة الأدبية للمادة الفولكلورية – سواء بتسجيله لما فى الحياة العامة من عادات وتقاليد أو من تصورات أسطورية عن عالم الجن والغيلان .. أو نوادر البخلاء أو أنماط من السلوك كانت شائعة فى عصره أو وصف انماط من العلاقات الاجتماعية التى كانت شائعة بين عامة الناس .

وكان الجاحظ بارعاً فى الوصف ، ودقيقاً فى تصوير ما يلاحظ وكان يصور الواقع دون تستر أو محاولة تجميله .

كما ان عبد الله بن المقفع (ت ٧٥٩) كان أديباً رائداً وعالماً فذا من علماء الأدب العربى وأثر كتابه كليلة ودمنة الذى نقله أو وضعه مازال له وجوده فى التراث الشعبى العربى والعالمى .. سواء كانت هذه الحكايات التى تدور على لسان الحيوان من تاليفه أو ترجمة لحكايات هندية وبخاصة من حكايات البنجاتنترا الهندية اى الأسفار الخمسة .. وقد ترجم الأستاذ الدكتور عبد الحميد يونس هذه الحكايات الى العربية .

واذا تاملنا جهداً اخر من جهود المفكرين والأدباء العرب سنجد كتاب الاغانى لأبى الفرج الأصفهانى (٨٩٧ – ٩٦٧) يقف شامخاً بين الدراسات الانسانية العالمية بغزارة مادته ووعيه الحضارى لمكونات الثقافة العربية والاجتماعية فى عصره .. سواء بما يتضمنه هذا العمل العظيم من وصف لمجالس الغناء والطرب ، وما يحوط هذه المجالس من أنماط السلوك والمناسبات العامة .

وقد كان منهجه فى تقصي المعلومات وسردها يعتبر اساساً لأى منهج عربى حديث فى جمع مواد الماثورات الشعبية .

كما أن الفيلسوف العربى الفارابى (ت ٩٥٠) بكتابه الكبير ، كتاب الموسيقى الكبير ، يعتبر مؤسساً لحركة الدراسات الموسيقية فى اطارها الثقافى ومضمونها الاجتماعى .

وهناك غير هؤلاء كثيرون من مفكرين وفلاسفة وأدباء أولوا انماط الثقافة العامة والشعبية الشائعة فى عصورهم اهتمامهم البالغ . ولا حاجة لنا ان نذكر هذا ابن خلدون (١٣٣٢ – ١٤٠٦) الذى اعتبره من خلال موضوعات ومادة بحثه انه رائد الدراسات الفولكلورية فى العالم وليس مؤسس علم الاجتماع فحسب ..

فالمنهج الذى استنه ابن خلدون فى دراسته للحياة الاجتماعية ورصده للتغيرات الثقافية التى تحدث فى المجتمعات نتيجة الانتقال من حالة اجتماعية الى حالة أخرى ، يمكن أن يكون اساساً علمياً سليماً لوضع اسس نظرية عربية ومنهج عربى فى دراسات «الفولكلور» العربى .

من خلال الدراسات العلمية المتانيـــة لماثوراتنا الشعبية يمكننا الاستدلال على مجموعة من المقولات والمفاهيم الفكريـــة والاجتماعية التى تشكل بنية الثقافة العربية . فمثلا يمكن الكشف عن مفهوم الخير أو الشرف أو الأمانة .. والحق والجمال .. ومفهوم الحرب والسلم .. والصبر والاحتمال .. والموت . إلى غير ذلك من أحكام القيم التى تشكل أنماط سلوكه ..

وكذلك إدراك البواعث والعوامل الدافعـــة للابداع وأســـه النفسية والفكرية . باعتبار أن الابداع الفنى للمجتمع هو فى حد ذاته تعبير عن مجموعة القيم والمقولات الفكرية التى يعايشها المجتمع وتحكم انماط سلوكه .

ودراستنا لأشكال الابداع الفنى الشعبى العربى سوف تكشف لنا عن مجالات جديدة من الابداع الفنى والفكرى كما ستقدم لنا فى نفس الوقت رؤية صادقة لواقع شخصية الانسان العربى فى مقومات وجودها الحضارى ..

ودراستنا للفنون الشعبية بمختلف انماطها .. وللماثورات الشعبية بتنوع موادها هى مسؤولية علمية وقومية في آن واحد ليتحقق التواصل الثقافى بين ينابيع الابداع الثقافى الأصيلة فى حياتنا العربية وبين تطلعنا الحالى الى ان تاخذ ثقافتنا العربية مكانتها الجديرة بها بين الثقافات الانسانية المستقبلية وليس المعاصرة فحسب ..

ومسؤوليتنا الحضارية تكمن فى تاكيد انسانية الانسان من خلال الكشف عن قدراته الخلاقة .. واطلاق هذه القدرات لتعبر عن ذاته .

صفوت كمال – الكويت

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● ويسألونك عن القاهرة ●● عيسى العوام

هذا المقال الممتع الطريف كتبه الأديب العربى الكبير زكى مبارك منذ ٤٤ سنة ولاشك أن الصورة التى رسمها زكى مبارك للقاهرة فى هذا المقال الرائع قد تغيرت فى كثير من التفاصيل بعد مرور ما يقرب من نصف قرن على كتابة المقال .

ويسألونك عن القاهرة



بقلم : الدكتور زكى مبارك

اكتب هذه الرسالة وقد هربت من ضجيج القاهرة فى مساء العيد ، وهل فى شوارع القاهرة فى مثل هذا المساء موضع قدم لمن يريد أن يزود قلبه وعينيه بما فى أعياد القاهرة من مواكب السحر وملاعب الفتون ؟

هى دنيا من الغرائب والأعاجيب تسعد بها قلوب ، وتشقى بها قلوب . وهل يعرف حلاوة السعادة أو مرارة الشقاء غير قلب تنطوى عليه احشاء القاهرة فى يوم عيد ؟

يقال فى كل ارض : إن النكتة المصرية هى ابرع ما عرف الناس من صور الذكاء . وهذا حق ..

ولكن هل فكر احد فى اسباب هـــذه الخصوصية ؟

إن النكتة هى النافذة التى نشرف منها على مروج الطرب والابتسام . ولو خلت حياتنا من النكتة لقتلنا الغيظ على الأيام الجوائر التى لا يلتئم بها شمل ولا يعتدل ميزان .

ولعل المقادير لونت القاهرة هذا التلوين العجيب لتطب لقلوبنا الدامية ، القلوب التى مزقها الهيام بالحب فلم تعرف معنى القرار فى صباح أو مساء .

قلت لقلبى : ايكون فرارك من ملاعب القاهرة فى مساء العيد دليلا على انك تشبه الطفل الذى يزهد فى اللعب ؟

فقال : وما حكم الطفل الذى يزهد فى اللعب ؟

فقلت : ينزعج عليه الأهل ، ويستقدمون

له الطبيب ، لأن الطفل لا يزهد فى اللعب إلا وهو عليل .

فقال : وأين أهل القلب العليل لينزعجوا عليه ويستقدموا له الطبيب ... ؟ وعندئذ عرفت ان قلبى يعيش فى الدنيا بلا أهل !

• •

هنا القاهرة !

نعم ، هنا القاهرة ، ولكن اين تقع القاهرة مما يريد القلب المفطور ؟ اين وهى أصل العلة التى ردت الفؤاد وهو صديع ؟

كانت القاهرة فى ماضيها مدينة محدودة النطاق . وكان لها أسوار وابواب . وكان حراسها يطوفون ارجاءها فى ساعة او ساعتين ثم يصمد رئيسهم فوق منارة ويصيح :

« ناموا ، أيها المسلمون ، فانتم فى أمان » .

فاين نحن من ذلك الأمان وقد جدت فى دنيانا معاطب غير عدوان اللصوص على المتاجر والبيوت ؟

يستطيع كل قارىء ان يطمئن الى أن منزله او متجره فى أمان من سطوات الليل ولكن اين الأمان من عدوان الشياطين ، شياطين الغرائز والنحائز والطباع ؟

من يضمن لك الأمان فى مدينة مثل القاهرة وهى اليوم مسبعة عقلية تصطرع فيها المذاهب والآراء ، ولا يغمض فيها جفن الا وهو مروع بقلب ساهر لا يعرف السكون إلا يوم تمن عليه المقادير بالموت ؟

من يضمن لك الأمان فى مدينة مثل القاهرة وانت من نفسك فى حرب ، ومن الزمان فى قتال ، ومن الزملاء فى نضال ؟

يجب ان تعرف انك فى دنيا جديـــدة لا يسلم من خطوبها وصروفها غير من امدته المقادير بالصبر عما فى القاهرة من اصطراع العواطف واصطخاب الأهواء .

فهل أنت من الصابرين ؟ وكيف تصبر عن القاهرة ، وهى قاهرة وفى دمك وروحك اقباس من سعيرها العصوف ؟

الم تسمع ما وقع يوم اقيمت مباراة الأناشيد العسكرية ؟

تلقت اللجنة خمسمائة نشيد ولم تختر غير خمسة اناشيد . فقال القائلون : هذا شاهد جديد على أن دولة الشعر يكثر فيها الأدعياء !

وكان ذلك لاننا نعيش فى القاهرة مدينـــة الأناقة والفخامة والزخرف والبريق ، وفى مثل القاهرة تقهر العواطف وتظلم القلوب . والا فكيف جاز ان ينسى المحكمون ما فى تلك الثروة الشعرية او النظمية من الدلالة على حرارة الأفئدة وشهامة العقول ؟

خمسمائة نشيد ؟ معنى ذلك ، أيها الناس ، أن القاهرة فيها خمسمائة قلب ، وذلك مغنم عظيم . ولكن اين من يقيم الميزان لحيوات القلوب وهى لا تـــوزن ولا تقاس ولا تكال ؟

وهل يشقى فى المدائن العظيمة غير أصحاب القلوب ؟

• •

هنا القاهرة !

نعم ، هنا القاهرة ، ولكن اين مكان الأديب فى المدينة التى اصبحت عاصمة الشرق ؟ اين مكان الأديب فى القاهرة وبفضل قلم الأديب صارت القاهرة عاصمة الشرق ؟ وهل خلدت ليلى إلا بفضل اشعار قيس ؟

اين مكان الأديب فى القاهرة ، ومن دم قلبه خط تاريخها الحديث ؟ بل اين من تسمح له القاهرة بان يقول إنه فى هواهــا مجنون ؟

إنى وإياهـــا كمفتن
بالنـــار تحرقه ويعبدها

هنا ــ فى القاهرة ــ زاد العقول والقلوب والعواطف والأحاسيس ، فاين مكان الأديب يا قاهرة ليؤدى ما اداه عشاق بغداد فى القديم وعشاق باريس فى الحديث ؟

زرت حديقة الأزبكية فى صباح اليوم وهو يوم عيد فلم أر فيها غير شراذم من غلف القلوب ، فاين الأديب الذى يشعر الدنيا بان فى القاهرة حديقة اسمها حديقة الأزبكية ؟ وكيف جاز ان تخلو هذه الحديقة فى يوم العيد من مواكب الحسن الوضاح ، والجمال الفضاح ؟ ومتى نعيش إذا الهانا جد القاهرة عن مداعبة الملاح فى يوم العيد ؟

متى نعيش إذا استطاعت محرجات الحياة ان تقهرنا على التفكير فى منافعنا الدنيوية فى المواسم والأعياد ؟ وهل عمرنا عمر نوح حتى نصبر عن مواسم الأفئدة الى اجل قريب او بعيد ؟

هى أيام نقضيها مشدودين بسلاسل واغلال إلى « قطار المفاجآت » فى هذه الحياة . فمتى نلتفت الى ما انبت الغيث فى صحراء الحياة من أزهار ورياحين ؟

سيندم قوم على ما ضيعوا من مواسم القلوب فى القاهرة . وساذكر بعد فوات الوقت أننى جنيت على شبابى حين أضعته بين سواد المداد وبياض القرطاس فى زمن لا ينفع فيه غير الاتجار بالتراب . فهل أخرج من دارى الى معاقرة الحياة فى هذا المساء ؟ وكيف ولى شواغل تحرمنى الحرية فى مساء العيد ؟

وهل يستطيع قاهرى أن يمضى يوماً واحداً بلا كفاح وهو يعيش فى مدينة مقدودة من صخور الصبر على مصاولة الحياة ؟

ان هذه المدينة التى تفتنكم لم تخلق فى يوم وليلة ، وإنما هى عصارة العزائم الشداد فى الأجيال الطوال . فمن اقام فى القاهرة وله عقل وذوق فليحاسب نفسه على اللمحات واللحظات ليؤدى الزكاة عن قلبه وعقله وذوقه إن كان من الموفقين ، وإلا فهو نفاية ملفوظة فى المدينة « القاهرة » التى تنكر خمود الغرائز وجمـــود الأحاسيس .

هنا القاهرة !

إى ، والله ، هنا القاهرة . وما أسعد من يرى القاهرة أول مرة !

لقد فتنت هذه « القاهرة » من زاروها فى هذه الأيام للاشتراك فى المؤتمر الطبى العربى ، وحمدوا الله على أن جعل للعروبة مدينة مثل القاهرة تتكلم اللغة العربية . فان لم تكن القاهرة أعظم مدينة فى العالم كله فهى بالتاكيد أعظم مدينة فى الشرق بفضل ما جمعت من الخصائص الذاتية التى تحكم لها بالفضل على جميع مدن الشرق ، وليس ذلك بالقليل .

ولكن اين من يعرف اننا بسبب هذه العظمة اشقياء ؟

اين من يعرف ان القاهرة لا تعظم من يوم الى يوم الا لتزيد أعباءنا فى الحياة ؟ والى المنصفين من إخواننا فى الشرق أقدم الظاهرة الآتية ليعرفوا فى أى جحيم يعيش القاهريون .

فى كل بلد من بلاد الشرق يستطيع الرجل الوسط أن يعيش لأن الدنيا في بلاد الشرق لا تزال تتسع للأوساط من الرجال .

أما مصر - ويرحم الله أهل مصر ! - فليس فيها للرجل الوسط مكان .

العالم الوسط لا يستطيع العيش .

والأديب الوسط لا يجد الرزق .

والمغنى الوسط يضيع .

والطبيب الوسط لا يجد ثمن الدواء حين يمرض .

والصحفى الوسط لا يملك الوصول الى خبر صغير .

والممثل الوسط قد لا يجد الفرصة لشهود رواية صغيرة ، فضلا عن القدرة على الاشتراك فى التمثيل .

القاهرة تقول فى كل وقت : كن قاهرياً .

وهل يستطيع كل مصرى أن يكون قاهرياً .

اليست القاهرة هى التى فرضت الخمول على مئات من الشعراء لانهم لم يكونوا فى عبقرية شوقى وحافظ وصبرى ومطران ؟

اليست القاهرة هى التى فرضت الخمول على مئات من الكتاب لانهم لم يكونوا فى عظمة محمد عبده وعلي يوســـف وعبد العزيز جاويش ومصطفى المنفلوطى ومحمد المويلحى !

ومن كتاب اليوم وشعراء اليوم ؟

عندنا مئات من الكتاب والشعراء ، ولكنهم سيموتون بغصة الحسرة على أن نشاوا فى القاهرة لهذا العهد ، عهد الزحام العنيف الذى لا يسلم من كربه غير الفحول الصوالين .

لقد قيل إن الرحمة فوق العدل . فاين نحن من الرحمة واين نحن من العدل ؟ اين من يرحم الأديب الوسط أو يعدل فى الحكم على الأديب الوسط فيقضى بان من حقه ان يعيش لأنه قد يكون اقدر من بعض الذين خلدهم أبو الفرج الأصفهاني ؟

وأين الراحم أو العادل الذى يقول بان فى شعراء اليوم ، الشعراء الذين اخملتهم القاهرة ، من يفوق عشرات من شـــعراء « اليتيمة » و « الذخيرة » و « قلائد العقيان » ؟

القاهرة لا تتسع أبداً لغير الأفذاذ الذين يغلبون الزمان .

وهنا جواب السؤال الذى يوجه اليَّ فى كل يوم :

« كيف يتسع وقتك لكل ما يصدر عن قلمك من الدراسات الأدبية والفلسفية ؟ » .

وهل عندى وقت وانا موظف مسئول امام الواجب ؟

إنما أنا قاهرى يحبس نفسه فى البيت يوم العيد ليحفر بسنان القلم ثقباً يتطلع منه على ضوء العظمة القاهرية عساه يقنع القاهرة بانه رجل مجاهد يستحق أن يعيش .

فان رايتم قاهريا يصنع مثل الذى اصنع فاعرفوا انه رجل مكدود يحاول الظفر بكلمة ثناء من المدينة العاتية التى حكمت بالا يعيش فيها غير من يقدرون على أمواج المحيط فى غضبة العواصف الهوج ، ودهرنا كله عواصف هوج يتفزع من هولها المحيط .

لا تصدقوا أبداً أننا نسعى فى سبيل المجد ، فذلك مطلب لا يخطر لنا فى بال ، وإنما نسعى للخلاص من شماتة الشامتين وسفاهة الكائدين .

آه ثم آه !!

لو كان الماضى ينفع لجاز لرجل مثلى ان يعتمد على ماضيه فى خدمة الحياة الأدبية والفلسفية ، ولكن القاهرة تعبس فى وجه الرجل الذى يعتمد على ماضيه ، لأن ذاكرتها تضيق عن مراجعة الأسماء ، أسماء المجاهدين الذين عطروا باسمها أرجاء الشرق . هى حسناء لعوب لا تعرف غير العاشق المزود باطايب الثروة العافية فيارب كيف أكون فى وطنى يوم يتعب قلمى فانصرف عن الخلوة إليه فى يوم عيد ؟ حتى يوم العيد نقضيه فى نضال ؟

فى مثل هذا العيد من سنة ١٩٣٢ كذبت على أبى مرة ، ولم أكذب عليه غير تلك المرة . كتبت إليه اقول إنى ساقضى أيام العيد فى الاسكندرية فلا ينزعج أهلى إن حرمتنى هذه النزهـــة من الأنس بهم يوم العيد فى سنتريس .

فهل قضيت تلك الأيام فى الاسكندرية ؟

لم تكن إلا حيلة لأحبس نفسي أيام العيد فى البيت لأكتب فصلا من فصــول « النثر الفنى » وهو الفصل الخاص بتطور السجع فى اللغة العربية .

وهل يصنع بنفسه هذا الصنيع إلا قاهرى تقهره القاهرة على النضال المميت ليجد مجالا فى المدينة التى تصطرع فيها أقلام المازنى والعقاد والزيات والبشرى وهيكل وطه حسين ، ومن إليهم من الباحثين الذين سيموتون قبل الأوان بفضل الكفاح الموصول ؟

القاهرة لا تعرف الرجل الوسط ، فافهموا هذه الحقيقة يا أبناء هذا الزمان ، وإلا فهناك « سلة المهملات » تنتظر الألوف ممن يراسلون الجرائد والمجلات ؟

يمن علينا من يحمله التلطف على القول بان القاهرة عاصمة الشرق . فهل تعرف القاهرة أن اقلامنا هى التى صاغت لها تلك العقود من الثناء ؟ وكيف وعندها (سفح المقطم) الذى وسع الألوف من أجسام العبقريين ؟

زرت سفح المقطم منذ أعوام لأستوحى روح ابن الفارض قبل أن اشرع فى كتابة الفصل الخاص به فى كتاب التصوف الاسلامى ، فراعنى أن أعرف أن تلك الناحية هى انفع مكان فى القاهرة من الوجهة الصحية . وكذلك أيقنت أن القاهرة تدخر أجمل بقاعها للأموات . وما أحسبها تصنع ذلك وفاء ، وإنما اخشى أن تكون أرادت التنبيه إلى أن عظمة الرجل فى مصر لا تكون إلا بعد الموت !

يرحمك الله أيها القلب الذى يشغله الكفاح عن ملاهى العيد !

الآن ، وقد انتصف الليل أو كاد ، افكر فى مصيرى بين قومى .

أفكر فى الشباب المضيع بلا لهو ولا فتون !

وهل كنت أول من ندم على الشباب المحروم؟

ولكن ، هل أملك غير الذى صنعت وغير الذى ساصنع ؟

فيا أيها الوطن الغالى ، تذكر ثم تذكر . تذكر أننى كنت ولا أزال مجنون ليلاك ! فان رأيتنى صدفت عن افراحك فى يوم عيد ، فاعرف أن ذلك لم يقع عن جهل أو عقوق ، وإنما هى إرادتك العالية التى قضت بان يعيش ابناؤك وهم دائماً فى حومة قتال !

وما ادعوك ، أيها الوطن ، إلى التصدق على بنظرة عطف ، فانا لا اقبل الصدقات ، وإنما ادعوك إلى مقابلة الجميل بالجميل . فان رفق الآباء يزيد فى بر الأبناء !

وطنى ! لقد شقيت بعظمتك ، ومن أجل هذا احبك واستعذب الصاب والعلقم فى هواك !

وطنى ! إليك اسلمت قلبى وعقلي ، فخذ بزمامى إلى حيث تشاء ، يا انضر دوحة تغنت فوقها البلابل ويا اجمل روضة رنت فيها القبلات ، ويا اطهر بقعة اقيمت فيها المحاريب ، ويا أشرف صحيفة أرهفت آذانها الواعية لصرير القلم البليغ .

زكي مبارك - ١٩٤٠

أبطـــال مجهـــولون :

عيسى العوام



بقلم : محمد فريد أبو حديد

وقفت الى جانب الطريح المسكين وقد فقد المحيطون به الأمل فى حياته ، وكان رجلا نيف على الستين ، ظل يجاهد فى عمله حتى وقع وهو يدفع عربته وعليهـا حملها الثقيل فكان فى وقعته اجله ، وهو من أهل الصعيد الأعلى كما تنم عليه عمامته وسحنته ، إذ كان ثوبه المهلهـل لا يكاد يتماسك فى رأى العين ليكون آية دالة على منبت لابسه ، فكان موته فى جوار البحر الملح موت المهاجر الشهيد ، لا تحيط به عناية أهل ، ولا ترفه عنه شفقة البنين . ومن يدرى ماذا كان يعانى ذلك المسكين قبيل ضجعته من آلام تحملها صامتاً ، وجاهد فى سبيله وهى تخزه وتطعنه ؟ ومن يدرى على أية حال من الضعف كان يدفع بحمله فى سبيل القوت ، وسوط الجوع من ورائه يلهب ظهره ؟

ووقف حوله معى جماعة من أهـــل الساحل بقوامهم السمهرى ولونهم الخمرى فكانوا يؤدون تحية الوداع على غـــير معرفة ، والشفقة بادية فى محياهم ، ولم يكن احدهم خيراً منه بزة ولا مظهراً ، ولكنهم كانوا جميعاً يعرفون كنه ما فى هذه الحال من عظمة لانهم يجاهدون مثله ، ولعلهم هاجروا مثله من بلاد قصايا فى التماس الخبز وما يبلله من رقيق الادام .

« أولئك قومى بارك الله فيهمو » .

وانصرفت وفى عينى دمعة كما كان فى عين سواى من الوقوف إشفاقا على ذلك المسكين ، وجعلت افكر فيما تدين به الحياة لهؤلاء . فهم عدة السلم ، وهم سواعد العمل ، وهم جنود النضال . وأذكرنى ذلك التفكير ببطل من هؤلاء الدهماء ذكر التاريخ اسمه ، وأقام له تمثالا هو رمز لمجهولي الأبطال ، فلسنا نعرف أهله ولامنبته . ولا شيئاً مما يمسه غير اسمه ، وهو « عيسى العوام » .

كان ذلك الرجل يعيش فى عكاء ثغر الشام منذ نيف وثمانمائة عام . فى أيام النضال الكبير بين الشرق والغرب ـ أيام الحروب الصليبية ـ وكان السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فى ذلك الوقت فى صراع الحياة أو الموت مع ملوك الفرنج قد بلغ به الجد أن كان يتمثل بقول عبد الله ابن الزبير وهو يصارع الأشتر النخعى فى موقعة الجمل مصارعة من لا يريد هوادة ، إذ قال :

اقتلوني ومـــالكـــا
واقتلـــوا مالكـــا معى

وكان الفرنج قد جمعوا جموعهم وحشدوا حشدهم أمام عكاء ، وجعلوا التغلب عليها مقصد همهم . فكان هناك ملوك ثلاثة هم اكبر ملوك أوربا وزعماء فرسانها . وحاصروا المسلمين فى ذلك الثغر من قبل البر ومن قبل البحر ، وأتى صلاح الدين من خارج المدينة يحاول رفع الحصار عن اخوانه وجنوده .

واستمات جنود الجانبين فى القتال ، وبذل كل قصاراه فى النضال ، وعض على النواجذ من الأضراس . واستطالت بهم الحرب نيفاً وسنتين ، حتى اشتد الأمر بالمحصورين ، وعجز صلاح الدين عن ان يرفع عنهم نطاق الأعداء ، فاخذ ذلك النطاق يتضايق ويشتد ، حتى بلغت الشدة بالمحصورين مبلغاً عظيماً ، وتراخت همة الدفاع من طول الجهد وشدة القتال .

فذهب جماعة من صيادى عكاء ممن درجوا على أمواج البحر ونشأوا على أمواهه ، فعرفوا مداخله ومخارجه ، ودرعوا فى اقتحام تياراته وخوض غمراته ، وعرضوا على قادة المسلمين ما فى طاقتهم من المساعدة فى ذلك المازق . وتساءل القادة ماذا عسى هؤلاء يصنعون فى قتال العدو ؟ وماذا تراهم يستطيعون ان يبرزوا فيه ؟ فاقبل عليهم الصيادون يعرضون ان

يحملوا الأخبار الى اخوانهم المحصورين ، وأن يحملوا المال اليهم إذ استحال على السلطان الاتصال بهم ، وقالوا انهم يستطيعون أن يستتروا بجنح الليل فيسلكوا سبيلهم بين سفن الأعداء سباحة فاذا ما تعذر ذلك سلكوا بينها غاطسين فى الماء كما تسلك الأسماك وتسبح الحيتان . وكان صلاح الدين فى أشد الحاجة الى الاتصال بالجنود والقواد الذين يدفعون عن المدينة ، فقبل ما عرض هؤلاء الأبطال ، وكانوا منذ ذلك الوقت لا ينقطع وافدهم من المدينة الى عسكر المسلمين ، أو من عسكر المسلمين الى المدينة . وكانوا لا يطلبون فى سبيل ذلك جزاء ، إن هو إلا قربان يقدمونه احتساباً ، وواجب يؤدونه عن رضـــا وسخاء .

وظهر من بينهم « عيسى العوام » فكان أسرعهم سبحاً واجراهم على الليل والنهار واكثرهم إقداماً على الاخطار . فصار يهتف باسمه ، ويدعى إذا ما اشتد الخطر وادلهم الخطب . وكان هو لا يخيب ظناً ولا يخيم عند دعوة . وكانت بسالته تزداد كلما ضاقت حلقة الحصار . والتامت فروجه واتصلت سلسلته . فكان أقر لعينه واثلج لصدره أن يغوص فى شبر بين سفن الفرنج أو يسبح على مرمى سهم من نبالهم . وبقى على أداء واجبه مدة حتى طلع يوم ، وانتظر أهل عكاء طلوع عيسى عليهم من ثنايا الموج كعادته ، فلم يتحقق لهم ذلك . وطال وقوفهم وامتدت أعناقهم نحو البحر ، كلما برق لهم شىء سابح ، أو لمع لهم جسم طاف ، أشاروا إليه إشارة الملهوف ، وتوقعوا أن يكون هو عيسى ، ثم تبين لهم أنه حباب الماء أو رشاش الموج ، فعادوا الى ناحية . فشدوا اليها أبصارهم ثم لم يلبثوا أن يجدوا خيبة لظنونهم وتكذيباً لأوهامهم . لمـا طال بهم الوقوف وملوا الانتظار انصرفوا وفى قلوبهم هلع وتوقع للمحذور ، ولم تخل صدورهم من شكوك ساورتها فى أمانة عيسى وديانته . وقديماً كان فى الناس الطمع واعماهم الجشع ، وقديماً فتنهم حب المال واغواهم شيطان الغرور . أيكون عيسى كبعض من خان وافتتن ؟ أيكون عيسى ممن خذلتهم نفوسهم عندما استطال بها النضال ، وانخلع فؤادهم عندما اكفهر الجو واظلم ؟ لم يرد الله أن يدع تلك الشكوك تساور ذكرى عيسى ، ورحم ذلك الرجل أن يهمس هامس عند ذكرى اسمه بما ثار فى صدره من شك ، فتسود بين الناس صحيفة بيضاء عند الله . فارسل الموج حاملا جسمه نحو الشاطىء ، فرأى الناس بعد بضعة أيام من غيبته وانقطاعه جثته ملقاة على الشاطىء ، ولا تزال حولها أكياس الذهب التى كان بعث بها صلاح الدين معه الى المدينة . فرأى الناس عند ذلك جثة شهيد قضى وهو يؤدى الأمانة ، وجاد بالنفس وهو فى سبيل الخير والمجد .

رحم الله « عيسى العوام » ! وكم فى الناس من مثل عيسى ؟ . غير أن التاريخ لا يذكر منهم أحداً إلا فلتة ليشير الى أن بين المجهولين الآن الألوف من افذاذ الأبطال .



محمد فريد أبو حديد
١٩٣٤

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

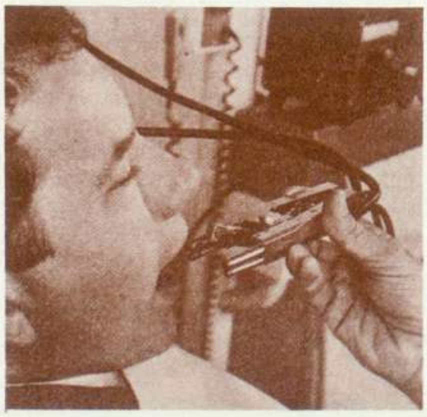
الكمبيوتر والربوت في عيادة الأسنان

دخل الكمبيوتر والربوت عيادة طبيب الاسنان . فلقد ابتكر طبيب فرنسى جهازاً سوف يحدث ثورة فى مجال تركيب الاسنان الصناعية . فهو يقوم بتصوير السن أو الضرس المراد تركيبه ليتولى الكمبيوتر تكوين صورة رياضية ، وتظهر على الشاشة فى شكل سن مجسم . وبالتالى سيستغنى الطبيب عن استخدام العجينة لأخذ شكل السن وصنع قالب له من الشمع أو الجبس بعد ذلك فى المعمل ، مما يستغرق وقتاً وجهداً :

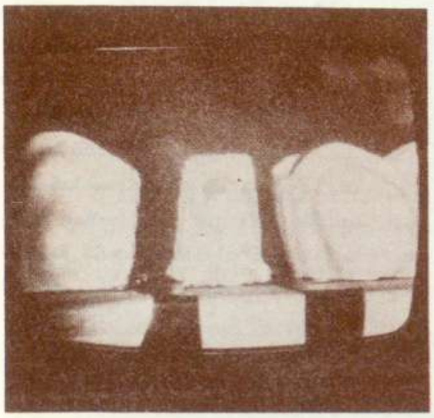
فعند استعمال الجهاز الجديد يدخل الطبيب كاميرا متناهية الصغر فى فم المريض لتصوير السن المراد تركيب سن صناعى فى مكانه ، وتتصل هذه الكاميرا بالكمبيوتر الذى يقوم بتحليل الصورة التى وصلت اليه بواسطة الألياف الضوئية . وعندئذ يظهر على شاشة الجهاز الشكل الخارجى للسن ويعطى الكمبيوتر اوامره للربوت المتصل به ليقوم بخراطة السن الجديد بعد أن يكون قد امده بالمقاسات اللازمة .

وتعطي المخرطة الآلية السن البديل المطابق للاصلى بدقة تفوق عشر مرات الطرق التقليدية . ولا تستغرق هذه العملية كلها سوى نصف ساعة بينما تستغرق مالايقـل عن أربع ساعات عادة .

ولقد امضى الطبيب الفرنسى ١١ عاماً فى تصميم وتنفيذ الجهاز الجديد ، وهو يامل فى امكانية استخدام هذا الجهاز فى فروع اخرى خاصة فى مجال كســور العظام .



ادخال الكاميرا الصغيرة فى فم المريض لتصوير الضرس



صورة مجسمة للسن على شاشة الكمبيوتر



الربوت يقوم بتصنيع السن

الميكرو ليزر



الميكرو ليزر

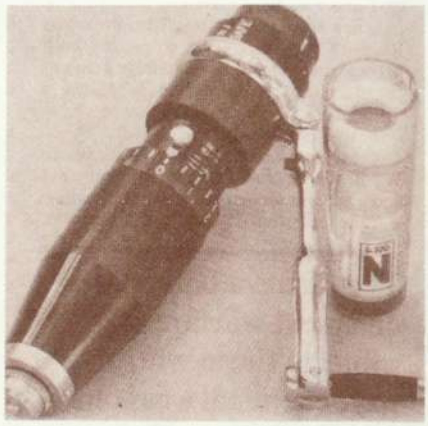
بعد الميكرو كمبيوتر جاء دور « الميكرو ليزر » ، وهو جهاز صغير لتوليد اشعة الليزر يمكن حمله فى حقيبة الأوراق . ويستهدف الميكرو ليزر ـ الذى يعد أصغر جهاز من نوعـه فى العالم ـ التطبيقات الصناعية والطبية . فهو يقطع ويلحم ويثقب مثل اى جهاز ليزر صناعى كبير ، كما يمكنه القيام بكل الخدمات الطبية من جراحة وعلاج .

ويتكون الجهاز الجديد من راس طولها ٢٠ سم وعرضها ٧ سم وسمكها ٥,٥ سم ، وهى تتصل بصندوق صغير (٣٥ سم X ١٥ سم) يضم مفاتيح التحكم والتوصيلات اللازمة لتشغيل الجهاز . كما يحتوى الصندوق على غرفة الضخ الضوئى المزودة بمصباحي تفريغ وعلى مجموعة من المرايا لتوجيه شعاع الليزر والتحكم فيه ،

وعلى مصباحي فلاش من الكوارتز يحتويان على غاز كريبتون وزينون .

ويتميز الميكرو ليزر بالاضافة الى صغر حجمه بسهولة استخدامه ، فيكفى لتشغيله توصيله باي مصدر للتيار . وبالرغم من ان ثمنه خمس ثمن اجهزة الليزر العادية فان امكانياته لاتقل عنها شيئاً .

مضخة أنسولين جديدة وحقن بدون إبر



جهاز الحقن بدون ابر



المعمل الالكتروني الذاتي التحكم

لا يستطيع ١٢ مليون مريض بالسكرى فى العالم الحياة بدون حقن الانسولين ولهذا تتعدد الأبحاث لتسهيل عملية تزويدهم بما يحتاجونه من هذا الهرمون الحيوي .

ففى الولايات المتحدة انتهى الباحثون من تجاربهم على مضخة تزرع فى جسم المريض وتمده بالأنسولين بشكل اتوماتيكى وهى عبارة عن اسطوانة سمكها واحد سنتيمتر وقطرها ثمانية سنتيمترات ، وهى تزرع فى جدار بطن المريض الذى يستطيع برمجتها بواسطة جهاز ارسال خارجى صغير .

ويقوم مكبس المضخة بدفع الانسولين من خزان صغير مصنوع من مادة التيتانيوم الى الجسم . ويساعد التيتانيوم على أن يظل الأنسولين ثابتاً لا يتحلل . ويملأ الخزان بواسطة حقنة بدون مكبس بحيث لا ينساب الانسولين منها إلا اذا كانت موضوعة بشكل سليم فى الفراغ داخل الخزان . ويستخدم فى هذه المضخة انسولين مركز بحيث لا يحتاج الى اعادة ملئها بالدواء الا أربع مرات فى العام .. بينما كانت المضخات السابقة تحتاج الى اعادة تزويدها بالانسولين كل اسبوعين .

ويستطيع المريض الاختيار بين ست جرعات مختلفة من الانسولين قبل تناول الوجبات ، ثم يوقف عمل الجهاز لمدة ثمانى ساعات . فبالرغم من ان الطبيب يثبت معدل الضخ الأساسى للأنسولين ، فان المريض يستطيع تغيير الجرعة الى النصف . فى حين ان المضخات التقليدية تضخ كمية ثابتة من الانسولين ، واذا احتاج المريض الى جرعة أكبر تعين ملء الخزان بمحلول انسولين أكثر تركيزاً .

وبعد تجارب ناجحة على الحيوانات ، يستعد الباحثون لطرح المضخة الجديدة فى الأسواق فى العام القادم .

ويقدم الامريكيون ابتكاراً اخر لمرضى السكرى الذين يضطرون لحقن أنفسهم بالأنسولين تحت الجلد ليظلوا على قيد الحياة . ويهدف الابتكار الى اعفائهم من الم وخز الابرة وذلك بدفع الدواء فى شكل رذاذ مباشرة خلال الجلد بدون ألم .

ويعتمد الجهاز الجديد على ان يربط المريض الزجاجة التى تحوى الأنسولين ويدير ذراع الجهاز ليدخل السائل الى التجويف الداخلى كما يعمل الذراع على لف نوابض التشغيل ، وعندئذ يدير المريض جسم الجهاز ليتحكم فى درجة شد النوابض التى تتولى دفع الدواء خلال جلده عند ضغط رأس الجهاز عليه وبالتالى تتم عملية الحقن بدون وخز أو الم .

هاتف مختلف



ابتكر الامريكيون جهاز هاتف جديد متعدد الاستخدامات ولذلك فهو يضم ٣٥ زرار تحكم بدلا من الأثنى عشر المتعارف عليها .

فبالاضافة الى الاتصال الهاتفى المعتاد يمكن عن طريق هذا الهاتف تغيير درجة التكييف فى الغرفة والتحكم فى سرعة المروحة وتبديل قنوات التليفزيون . كما يرتبط الهاتف بجهاز لرصد الدخان بحيث يتصل من تلقاء نفسه بالمطافىء عند نشوب اى حريق .

ويمكن برمجته ليعطى اشارة ضوئية حمراء اذا ترك باب الغرفة الموجود فيها الهاتف مفتوحاً . وبالتالى يصبح تشغيل العديد من الأجهزة المنزلية ميسراً من خلال أزرار الهاتف .

وقد بدأت بعض الفنادق الامريكية الكبيرة تستخدم هذا الهاتف المتطور حيث يتولى ضمان أمن وراحة النزلاء ، فيحصل النزيل على كل ما يحتاج من خدمات من خلال الهاتف العجيب .



سينما



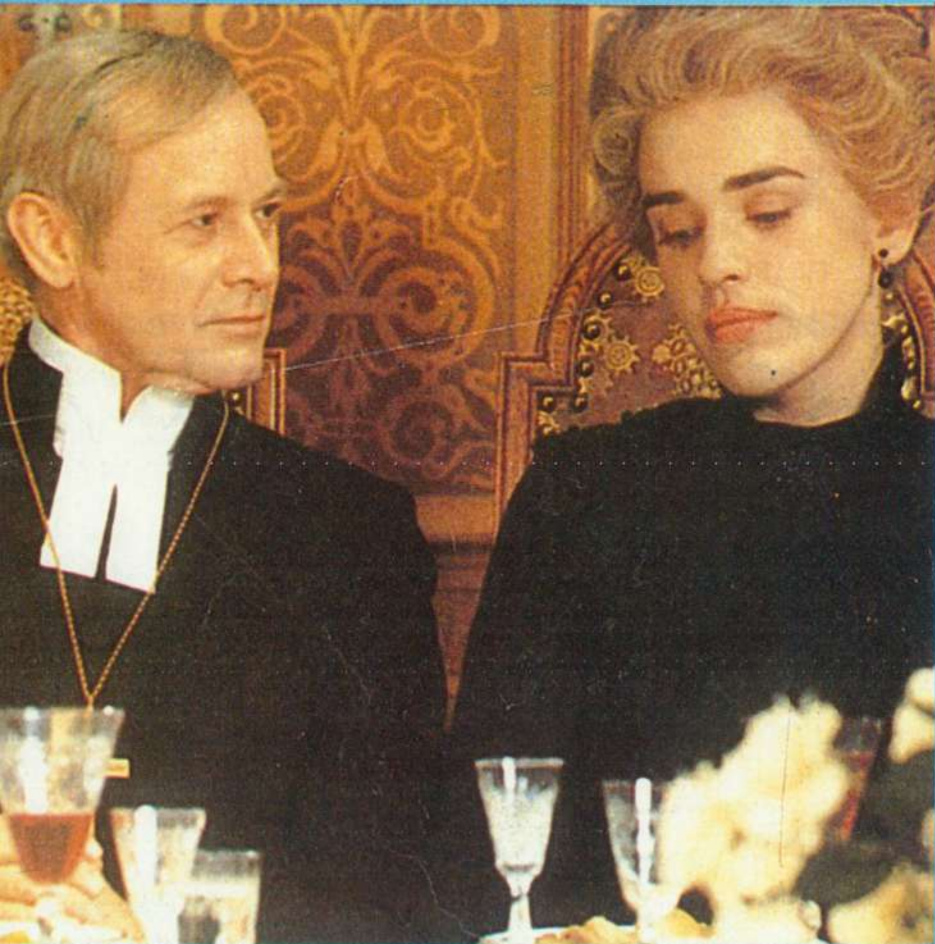
لقطتان : إلى أعلى لقطة من فيلم « فانى والكسندر » ، حيث تبدو براعة المخرج « انجمار برجمان » فى تقديم جمال عصر انقضى بكل تقاليده ..
واللقطة الثانية للفتاة والصبى واحلام المستقبل

وداع فنان عظيم .. وترحيب بالقادم الجديد

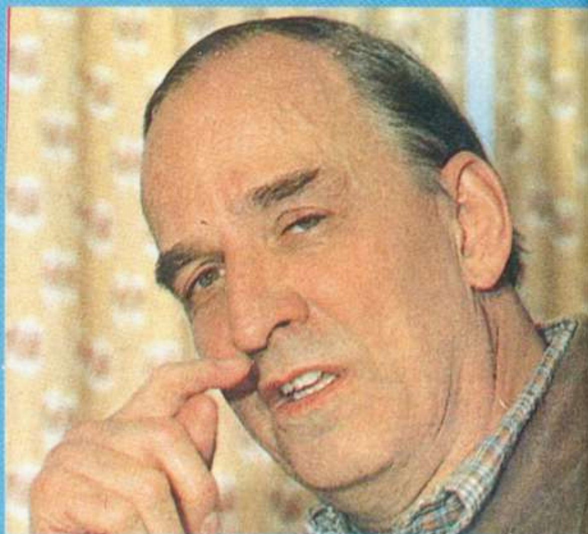
بقلم رءوف توفيق

كما ذهبت أهم جوائز الأوسكار لمخرج شاب يقدم أول أفلامه السينمائية .. فان تلك الجوائز توقفت بالتحية والتقدير لمخرج عبقرى وهو يودع عالم السينما ، معلناً الاعتزال وهو على قمة التوهج ، موضحاً أنه قدم خلاصة رحلته الفنية فى فيلمه الأخير ، ولم يعد لديه أى دافع قوى للاستمرار فى السينما ، وأنه سيكتفي بين حين وآخر بالكتابة والاخراج للمسرح ..

هذا الفنان العبقرى هو المخرج السويدى « انجمار برجمان » .. وفيلمه الأخير هو « فانى والكسندر » الذى حصل على أربع جوائز أوسكار .. وهى أحسن فيلم أجنبى (ناطق بغير اللغة الانجليزية) وأحسن تصوير ، وأحسن ديكور ، وأحسن تصميم ملابس .







لقطتان : الأولى للزوجة بعد ان انتابتها الاحزان .. والثانية للمخرج برجمان وابتسامة العودة إلى ارض الوطن (السويد) ...

احد المشاهد التى يدور اثناؤها الحوار حول كيفية التغلب على الأحزان !

ويبدو أن المخرج « برجمان » كان قد قرر منذ عدة سنوات ، اعتزاله عالم السينما ، ولكنه ارجا تنفيذ قراره ، حينما اتيحت له فرصة اخراج فيلمه « فانى والكسندر » على أرض بلاده ، السويد ، وبين مجاميع عشاقه وتلاميذه ، الذين عاد لهم بعد غيبة استمرت ست سنوات قضاها متنقلا خارج بلاده ، بسبب الخلافات الحادة والمشاكل المعقدة التى واجهها مع الضرائب فى السويد ..

وكانه كان ينتظر التصالح ، ليعود الى موطنه ، وبين اهله ، ليقدم فيلم الوداع ..

وقرار الاعتزال – فى حد ذاته – اعطى مزيداً من الأهمية لفيلم « فانى والكسندر » ، ثم جاءت جوائز الأوسكار اخيراً لتتوج هذا الاهتمام ، وبطريقة غير مالوفة ، فقد جرت العادة أن يتم اختيار فيلم واحد من بين ترشيحات الأفلام الأجنبية ، ليمنح جائزة احسن فيلم اجنبى ، ولكن مع فيلم « فانى والكسندر » فقد حصل على اربع جوائز ، من بينها جائزة التصوير ، للمصور السويدى الفنان « سيفن نيكفست الذى رافق المخرج « انجمار برجمان » طوال رحلته الفنية وشاركه فى معظم افلامه السينمائية .. أى أن الجوائز لم تذهب إلى « الأستاذ » فقط ، بل إمتدت إلى أحد أعمدته السينمائية .

الجحيم .. بدون الآخرين

وفيلم « فانى والكسندر » . هو تنويعة جديدة على نفس المعزوفة التى عشقها وطالما رددها المخرج « برجمان » .

معزوفة الحياة .. وكيف تصبح جحيما لا يطاق .. عندما يفقد الانسان الاتصال بنفسه .. والاتصال بالآخرين ..

وهذ الاحساس الفلسفى بقيمة الحياة والحب .. هو بالتاكيد نظرة متاملة لواقع الحياة الأوربية ، حينما يمتلك الانسان كل وسائل الرفاهية والأجهزة التى تحقق له الراحة ، ولكنه يشعر وكانه عود حطب جاف مزروع فى بيت زجاجى وكل شيء حوله بلا روح او نبض .. (السويد : اعلى نسبة فى دخل الفرد وايضا اعلى نسبة فى الانتحار) !!

وقد تميزت اغلب افلام « برجمان » بانها منسوجة من شخصيات تعانى من القلق والاحباط .. تحيرها دائما اسئلة لا تعرف لها اجابة .. ويحيطها جو من الحزن والكابة .

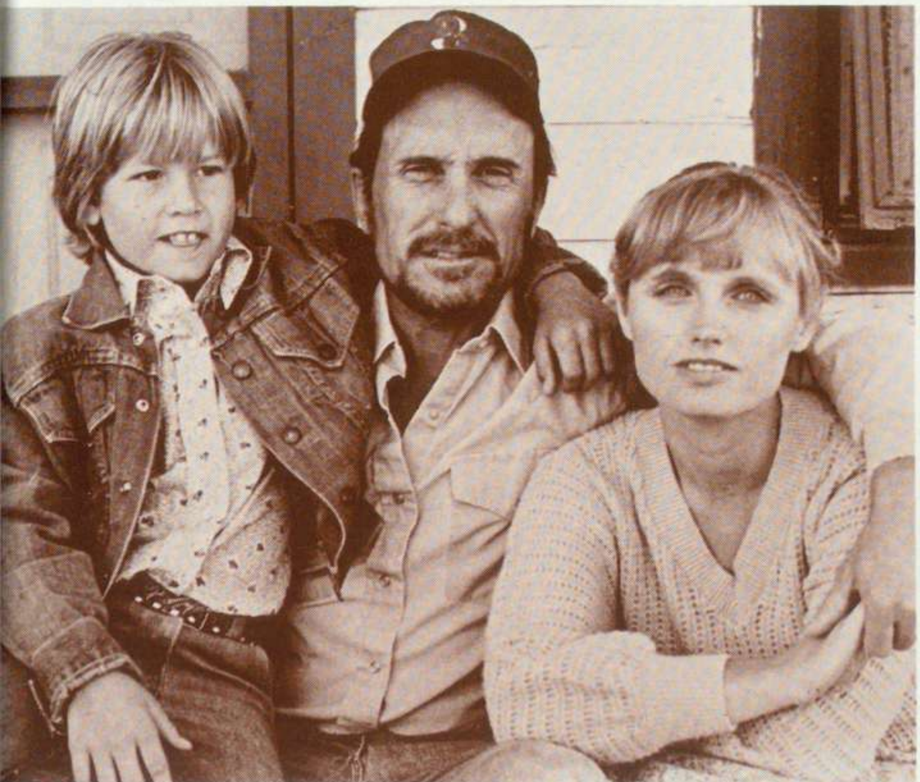
ووسط الانقباض الذى ينتقل بالضرورة الى المتفرج .. ياتى شعاع من الأمل وسط احداث الفيلم .. يؤكده دائما « برجمان » من ان العلاج او الحل ياتى من فهمنا لانفسنا ، وفهمنا للآخرين .

ولقد ساله مرة احد اصدقائه : « لماذا تقدم لنا مثل هذه الأفلام الكئيبة المقبضة ، رغم انك ترى كل مباهج وثراء ومتع الحياة » ؟!

اجاب « برجمان » ! « اذا لم يوجد فى طريقك ممر مظلم .. فلن ترى الجانب المضيء » !



الأم .. والأحفاد .. وتفاصيل العلاقات الاجتماعية المعقدة فى حياة أسرة متوسطة تعيش فى امريكا



الصبى ، ووالدته صاحبة الفندق ، وبينهما المغنى « روبرت دوفال » الذى نال جائزة احسن ممثل

سينما

وداع فنان عظيم .. وترحيب بالقادم الجديد

اعلان الحب للحياة

وقد علق برجمان على فيلمه الاخير « فانى والكسندر » بانه نوع من اعلان الحب للحياة ..

وتبدأ احداث « فانى والكسندر » عام ١٩٠٧ .. وتلك الارملة تراس احتفالا عائليا باذخا فى بيتها .. يتجمع حولها أولادها الثلاثة وزوجاتهم واطفالهم .. وبين الصخب والمرح يسقط الابن متوفيا فجاة .. وهو الابن الاكثر كفاءة ونجاحا والذى يتولى ادارة المسرح الذى تمتلكه الاسرة ..

وبوفاته تعكف زوجته الممثلة الجميلة ، المفعمة بالحيوية والنشاط ، على تربية « فانى » و « الكسندر » ..

ينمو الطفل « الكسندر » ليصبح شخصية جريئة ، تتميز بالقوة والتحدى .. اما الطفلة « فانى » فهى دائما مستسلمة متجهمة .. وتنقلب شخصية الام من المرح والتفاؤل الذى كانت مشهورة به .. الى الحزن والألم ، وتقع فريسة للكوابيس المزعجة .. ولا ينقذها من هذا الحال المتردى الا ذلك الصديق القديم للعائلة ، الذى يتفق مع ابن اخيه على وضع خطة معقدة ، يستخدمان فيها تحضير الأرواح بالشكل الريفى التقليدى ، لانقاذ الأم وطفليها ..

وينتهى الفيلم .. بعودة الحياة والروح للأم .. ولفانى والكسندر .. بينما الجدة ، عميدة الأسرة ، والتى بدا بها الفيلم .. فنحن نراها وهى تقرا احدى مسرحيات سترينبرج : على أرض الواقع المهلهل .. ينسج الخيال خيوطه هاربا ومحلقا بسرعة ليشق طريقه فى اماكن اخرى جديدة .. !

وكان « برجمان » بهذه الكلمات عن الامل .. يضع الكلمة الاخيرة فى مشواره السينمائي . !

اخر مشهد فى اخر فيلم ..

سفير السينما السويدية

وهذا الفيلم الاخير .. هو الفيلم رقم ٤٤ فى رحلة « برجمان » السينمائية والتى بدأها عام ١٩٤٥ .. وكان قبلها يخوض عدة تجارب فى الكتابة والاخراج المسرحى ، وايضا كتابة السيناريوهات السينمائية .

وفى خلال عدة سنوات قليلة من بداية اخراجه للافلام .. أصبح « برجمان » هو سفير السينما السويدية الى العالم . ولم يكن احد يعرف من قبل ان فى السويد ، صناعة سينما .. أو بها سينمائيون بهذا القدر من النضج الفنى !

وحتى هذه اللحظة - ورغم مرور كل هذه السنوات - مازال اسم « برجمان » له وقع خاص فى الفن السينمائى .. ومازال هذا الاسم يرتبط بالنسبة للمشاهد العادى بالسينما السويدية .. أو على حد تعبير أحد النقاد ، ان « برجمان » هو حامل رسالة السويد للعالم ..

واصبحت افلام « برجمان » علامات واضحة فى تاريخ الفن السينمائى .. وارتفع معه عدد من الممثلين والفنيين .. واصبحوا يشكلون « جامعة » لها تقاليدها الخاصة فى الفن .



المخرج انجمار برجمان اثناء تصوير اخر افلامه



« روبرت دوفال » فى لقطة من فيلم « منتهى الرحمة » مع الصبى الصغير والة جيتار وبداية صداقة

وترجع براعة المخرج « برجمان » فى قيادته للممثلين .. الى تجربته السابقة فى العمل بالمسرح .. وهو دائماً يحن للمسرح ويلجأ اليه وقت الأزمات الخاصة ليتنفس هواء صحياً ، كما يقول .

● السينما السويدية .. بدون « برجمان »

ورغم كل النجاح الذى حققه « برجمان » داخل السويد وخارجها .. الا انه لم ينج من الهجوم الذى تزعمه احد المخرجين فى السينما السويدية .. معترضاً على استئثار « برجمان » بكل اهتمام مؤسسة الفيلم السويدى .. ومعترضاً ايضاً على نوعية الأفلام التى يقدمها برجمان ..

واصدر هذا المخرج « بو فيدربرج » كتاباً بعنوان « رؤية فى السينما السويدية » طرح فيه تساؤلا : « لماذا تصبح الدنيا حزينة .. اذا كان برجمان نفسه حزيناً » ؟! .. ودعا المخرج « فيدربرج » الى اتجاه جديد فى السينما السويدية يعتمد على الواقعية الاجتماعية .. ولاقت هذه الدعوة صدى عند الجيل الجديد من السينمائيين الشبان فى السينما السويدية .. ولكن سرعان ما اختلف اصحاب الدعوة ما بين التعبير عن الأفكار السياسية ، وبين الذين ينادون بالاهتمام بالشكل الفنى للفيلم .

وظهرت بعض الأفلام السويدية ، تبشر بمحاولات جديدة فى السينما السويدية .. الا ان هذه الأفلام لم تجد الابواب مفتوحة امامها فى التوزيع العالمى .. نظراً لتردد شركات التوزيع فى قبول اى فيلم من السويد - حتى ولو كان جيداً - الا انه لا يحمل اسم « برجمان » !

ورغم غياب « برجمان » عن السويد - لخلافاته مع الضرائب - .. الا ان السوق العالمى للسينما .. لم يسمح بظهور الا عدد قليل جداً من المخرجين فى السينما السويدية .. ربما اشـــــهرهم المخرج « بو فيدربرج » و « يان ترويل » .

وهذا التعتيم الذى حدث ازاء محاولات السينما السويدية .. لا يمكن القاء اللوم فيه على المخرج « برجمان » .. وانما هى مسائل متعلقة بتجارة الأفلام وحرص شركات التوزيع على عدم المغامرة مع اى اسم غير معروف تجارياً وجماهيرياً ..

يحدث هذا .. بالرغم من ان كل افلام « برجمان » قديمها وحديثها .. ليس من بينها افلام تجارية بالمعنى التقليدى .. وانما هى افلام تكتسب قيمتها باسم مخرجها .. وهى ايضاً افلام لا تحقق الايرادات الخيالية .. وايضاً لا ترضى مزاج جمهور السينما العادى والمنتشر الآن فى جميع انحاء العالم باحثاً عن ارضاء شهوته فى العنف والاثارة .

ومن نفس النقطة .. يكتسب اســـم « برجمان » تاكيداً ورسوخاً فهو يصنع الأفلام باقتناع خاص .. حتى عندما ترك بلاده وتعرض لكل اغراءات السوق الأوربى الامريكى .. لم يتنازل عن افكاره .. ولم يغير من خطه السينمائى .. ولم يفقد احترامه لنفسه .. وايضاً لم يفقد عشاقه احترامهم له . !

و « برجمان » وهو يخطو الآن عامه السادس والستين .. مبتعداً عن اضواء السينما .. باختياره التام .. ستظل افلامه مادة مثيرة للتامل والدراسة .. ولاسترجاع متعة الفن .

من هذه الأفلام : « ابتسامات ليلة صيف » عام ٥٥ - « الختم السابع » عام



الزوجة قبل ان تفجع بوفاة زوجها
وتتورط فى زواج اخر كئيب !



الأم « شيرلى ماكلين » والابنة « ديبرا ونجر » .. واقتراب الموت
.. لقطة من فيلم « شروط المحبة » الفائز بخمس جوائز اوسكار

وداع فنان عظيم .. وترحيب بالقادم الجديد



الارملة صاحبة الفندق

٥٦ – « الفراولة البرية » عـــام ٥٧ – « الينبوع » عام ٥٩ – « من خلال مرآة معتمة » عام ٦٠ – « الصمت » عام ٦٣ – « القناع » عام ٦٦ – « ساعة الذئب » عام ٦٧ – « العار » عام ٦٩ – « اللمسة » عام ٧٣ – « صرخات وهمسات » عـــام ٧٢ – « سونات الخريف » عام ٧٨ واخيراً « فانى والكسندر » عام ٨٣ .

انها بعض الأفلام .. وعلى حد تعبير احد النقاد الامريكيين « كل منها يعتبر تحفة قائمة بذاتها » .. وهكذا يمضى واحد من أعظم مخرجى العصر !

أكثرهم احتراماً

وكما ودعت جوائز الأوسكار المخـــرج « برجمان » .. القت باضوائها على واحد من اقدر الممثلين الامريكيين .. وان كان من اقلهم شهرة .. ذلك هو الممثل « روبرت دوفال » الذى حصل على جائزة احسن ممثل عن دوره فى فيلم « منتهى الرحمة » .

والممثل « روبرت دوفال » تجاوز الآن عامه الخمسين .. وهو يمثل فى الافلام منذ عشرين عاماً بالضبط .. ومن المفارقات الغريبة ان اول فيلم يمثله كان عام ٦٣ .. وهو فيلم « مقتل طائر برىء » لكـــاتب السيناريو « هورتون فوت » .. الذى كتب سيناريو فيلم « منتهى الرحمة » وفاز به « روبرت دوفال » عن جائزة احسن ممثل .

وفى خلال رحلته الفنية ، لعب بطولة عدة مسرحيات فى برودواى .. وايضا لعب ادواراً مميزة فى افلام اكتسبت شهرة عالمية .. من أهم هذه الافلام : « بوليت » – « اهل المطر » – « ماش » – « الأب الروحى » بجزئيه الأول والثانى فى دور محامى العائلة – « شبكة التليفزيون » – « يوم القيامة .. الآن » « سانتيني الكبير » .

وبرع « روبرت دوفال » فى تقمص ادواره .. ولكن ظلت اضواء الشهرة الجماهيرية ، مبتعدة عنه .. مما دفع أحد نقاد السينما الامريكية (ناقد جريدة النيويورك تايمز) لأن يكتب قائلا :

« لقد حان الوقت لان نتعـــرف على « روبرت دوفال » كاحسن الممثلين الامريكيين الآن ، فى خبرته ، وحرفته الفنية .. وقدرته على التلون فى ادواره المختلفة .. وايضا لأكثر الممثلين الامريكيين احتراماً » !

حتى جاء دوره فى فيلم « منتهى الرحمة » .. ولم ينجح الفيلم تجارياً بالدرجة التى تتيح له حجم الشهرة المتوقعة .. الى ان أعلنت جوائز الأوسكار أخيراً .. فبدأت الاضواء تتركز عليه .

فيلم « منتهى الرحمة »

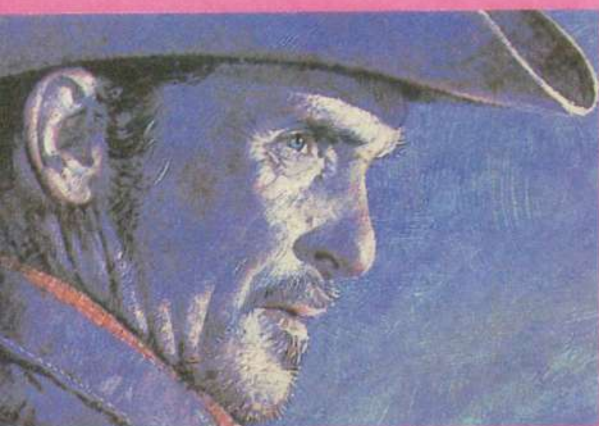
وفيلم « منتهى الرحمة » الذى اخرجه المخـرج الاســترالى الأصل « بروس بيرسفورد » ينسج قصة حب ناعمة بين مغن سابق أدمن الشراب فتدهور حاله .. وبين أرملة تدير فندقاً صغيراً على الطريق ، وهذه الأرملة لها صبى صغير .. تتفرغ



الصبى « الكسندر » ومسرح صغير من العرائس



« شيرلى ماكلين » .. الأم والجدة
في فيــلم « شروط المحبة »



« روبرت دوفال » كما رسمه فنان امريكى ، محددا
ملامحه التى تعبر عن الفارس المهزوم

لتربيته ، كما تتفرغ لادارة الفندق والقيام بكل اعبائه بمفردها .. فى صبر واحتمال وصمت ..

ويستقر المقام لهذا المغنى السابق ، داخل هذا الفندق المنعزل وكانه يهرب من كل ذكرياته وهمومه .. وتستغرقه علاقة الصداقة التى تنشا بينه وبين الصبى الصغير وآلة الجيتار التى يلهو بها .. وفى هذا الجو العائلى الحميم يستعيد المغنى ثقته بنفسه ، ويسترد حيويته المهدرة .. حتى تهاجمه الذكريات متجسدة فى زوجته السابقة والتى جاءت الى اطراف المدينة لتغنى فى احدى الملاهى الصغيرة .. ويذهب إليها ليسالها عن ابنته التى لم يرها منذ ستة اعوام .. ويطلب منها ان تسعى للقائه بها .

وتاتى اليه الابنة .. ليجدها قد كبرت ونضجت .. واصبحت لها حياتها المستقلة .. وتطلب منه الابنة أن يعود لكتابة الاغانى والغناء .. وتشجعه على ان يخوض العمل مرة اخرى .. ويستجيب لها .. وكانه كان فى انتظار هذا التشجيع منذ زمن ، لينطلق فى العمل ..

وفى غمرة هذا الاحساس بالحيوية والتحرر من الفشل .. ياتيه خبر مصرع ابنته فى حادث سيارة .. والخبر كفيل بان يزلزله تماما .. ولكنه يجد من حوله الارملة صاحبة الفندق وابنها الصبى .. وكلاهما تعلق به فى هذه الوحدة القاســية .. ولا يستطيع ان يهزم حلمهما .. ويستقر الثلاثة معا .. وكانهم ضحايا معركة يضمدون جراح بعضهم .. ويواصــلون الحياة ..

يغنى .. ويخرج للسينما

ويلعب روبرت دوفال دور المغنى فى

الفيلم .. ويغنى بصوته .. وقد كتب بنفسه كلمات الاغانى .. اغنيات تفيض بالشجن والعذوبة .. وقسمات وجهه الحادة ، وصلعته التى يغطيها بالقبعة توحى لنا ، باننا امام فارس نبيل يعانى من الانكسار .

ولهذا اكتسب الفيلم هذه اللمسة الشاعرية الحزينة ..

وقد رشح « روبرت دوفال » اكثر من مرة لأوسكار احسن ممثل مساعد .. ثم لاوسكار احسن ممثل عن دوره فى فيلم « سانتيني الكبير » ولكن كان موعده مع الحظ هذا العــام ..

وهو العام الذى شهد تجربته الناجحة فى الاخراج .. حيث اخرج فيلم « انجلو .. حبيبى » عن حياة الغجر فى امريكا من خلال تتبع موقف صبى صغير ، شديد الذكاء والسخرية ، وعلاقاته بعائلته واصدقائه من الغجر ..

وفيلم « انجلو .. حبيبى » كتب له السيناريو ايضاً روبرت دوفال .. بل واذتجه لحسابه الخاص .. اعجاباً منه بهذا المجتمع الغجرى .

وقد عرض الفيلم فى مهرجان كان ٨٣ .. وشاهدته وسط عدد هائل من الصحفيين والنقاد .. واعطى كل منا رايه بالتصفيق فى نهاية الفيلم لجراة المحاولة .. وبساطتها .. وايضاً للرسالة التى اراد أن يضمنها الفيلم بالدفاع عن الاقليات الصغيرة فى معركتها اليومية للحفاظ على كيانها من الذوبان فى خضم المجتمع الامريكى !

وهكذا يثبت الممثل « روبرت دوفال » .. انه فنان خصب ، متعدد المواهب ، وصاحب وجهة نظر ..

القادم من التليفزيون

مفاجاة الاوسكار الثالثة .. ان يعطى

اهم جوائزه الكبرى لفيلم من اخراج شاب يقتحم عالم الاخراج الســينمائى لأول مرة ..

الفيلم هو « شروط المحبة » .. والمخرج هو « جيمس بروكس » .. وقد حصل الفيلم على خمس جوائز .. احسن فيلم ـ واحسن ممثلة (شيرلى ماكلين) ـ واحسن ممثل مساعد (جاك نيكلســون) ـ واحسن سيناريو واحسن اخــــراج (جيمس بروكس) .

والفيلم من نوع الدراما الاجتماعية .. والذى يناقش علاقة الآباء بالابناء .. ويتطرق الى مشاكل المجتمع الامريكى من الداخل .. فى مسائل الحب والزواج ووحدة الآباء .. ومرض الابناء .

ولأن المخرج « جيمس بروكس » يعتبر من اشهر كتاب السيناريو للتليفزيون الامريكى .. فقد عرف كيف يصوغ فيلمه بطريقة تمس مشاعر الامريكيين .. ولعب على أوتار التفاصيل الصغيرة .. وهذا سر نجاحه المدوى ..

••

لقد كانت جوائز الاوسكار هذا العام .. اشبه بالرسائل الموجهة .

رسالة تقدير ووداع الى فنان اصيل يعتزل السينما .

رسالة تشجيع الى فنان صامت لا يسعى وراء الأضواء .

رسالة ترحيب بالقادم الجديد ..

وربما كان هذا العام .. من الاعوام القليلة .. التى يصبح فيها لجوائز الأوسكار الامريكية .. هذا المعنى الهام !!

رءوف توفيق

● قصة قصيرة ●

مغامرة شاب يدعى خلف..

بقلم : بشرى ناصر

توطئة :

لم يكن منا من لم يعرف « ابو جابر » .. فهو نوخذانا وصاحب « الأبوام » ومسؤولنا الأول عن توفير لقمة العيش فى زمن اسود .. وكان والدى من جملة الرجال المنتظرين للموسم .. وقد جاءني بهذه الحكاية التى امتدت حتى آماد بعيدة .. وصرنا نلوح بها فى اغلب الاحايين .. اذ وجدت بيننا مجالا خصباً للرواية والتذكر والتواتر .

الواقعة الأولى

كنت اتذكر خلف .. كما ويحضرني الآن بوجهه القمري .. وعينيه المطلتين على عالم لا يعرف عنه .. أو لا يريد أن يعرف ما يدور به .

بطفولته المليئة بالغموض .. عرفناه .. وبابتعاده عنا وعن العابنا نحن صبية القرية ..

بركضنا ولهونا لم نكن نجده معنا .. هكذا عرفناه .

وهكذا عرفنا فيما بعد أن السدرة الوحيدة المطلة على الساحل ملك له .. كما حشيت رؤوسنا من قبل انها ملك للجن .. ومن يقترب منها .. فانه يعرض جسده لغزو الجن والشياطين ..

ونجمة ، تلك الفتاة العاشقة .. التى أصبح خلف الصبى المليء بالغرابة والغموض كالسدرة تماماً .. يمثل مع امتداد الزمن رمزاً لعواطفها وحبها .

وعلى الرغم من انها أحبت الدخول الى عالمه ، الا انه كما سمعت كان يرفض دوماً تطفلها لدخول ملكوته . وسبر أغوار نفسه المغلقة ..

وكادت أن تنتهى الى رفيقاتها ولهوهن ونسيان ذلك الصبي لولا ان الأحداث مرت سراعاً ..

فقد كان خلف الصبي الجميل والمفعم بالغموض العذب .. من جملة اشيائها الصغيرة التى تطاردها .. ولا تفهمها ..

كانت تراقبه وتتامل من خلال خرابة على الساحل جلوسه المتواصل على البحر .. وانغام نايه التى تصدر بعذوبة ذفتت قلبها الصغير . وما ان تفارق انزواءها .. حتى يعود بها والدها مُطوّع القرية الى المنزل .. أهلها يعرفون حق المعرفة كما نعرف نحن ان « خلف » تسكنه الجن .. ومع ذلك فلم يكن موقفهم تجاهه كبقية أهل قريتنا .. اذ ان ايمان والدها بالخالق كان كبيراً .. وكثيراً ما أستدعي ليقرأ القرآن فى إناء ماء ليشربه خلف بهدوء ودون اى نزق .

يثيرها صمته وانقياده .. لم يعص امراً .. وكانه يقول افعلوا بي ما شئتم ولكن عالمى ملك خاص لي وحدي ..

حينما كانت نجمة تستمع لانغامه .. كانت تبكي .. لم تكن تدري وقتها لماذا .. ربما لأنها احبته .. اذ ان تحديد المشاعر آنذاك كان صعباً ..

لم تكن عيناه وحدهما اللتان تاسرانها .. ولكن عالمه الذى احبت اقتحامه هو الذى شغلها .. حتى باتت لا تمل مراقبته ..

كانت تتخيل انغامه تطلق لها وحدها .. تناديها .. تدعوها .. تطير بها .. وترفعها ..

ووالدها الذى عرف سر تعلقها وشغفها بالصبي لم يكن ليصبر على مراقبتها الطويلة له .. وتاملها فى ذلك الركن المنزوى من الخرابة المتهدمة . فقد صار يخاف عليها من سيطرة الجن ودخولها جسدها .. فكلما عاد بها مساء أسمعها حكايات طويلة عن اناس ذهبوا .. ولم يعودوا ..

وحذرها .. ثم قرأ فى أذنيها المعوذتين .. وتركها لتنام كمن ادى واجبه باحسن وجه .

فى المقابل .. اعتاد خلف جلوسه تحت السدرة .. واعتاد أهل القرية وجوده ورقاده تحتها ليلا .. ليقوم من رقدته بعد ان تضرب الشمس بسياطها جسده ورأسه ..

وكثيراً ما كان أهل القرية يسمعون الخالة أم خلف تنشج من وراء باب غرفتها .. وتندب حظها العاثر .. ليذكرها ابو جابر بالايمان وبارادة الله ومشيئته فتستغفر .

الكثير من أهل القرية تساءلوا .. لماذا يدعى والد خلف بابي جابر .. ولا ينادى باسم ولده ؟

الا انهم كانوا يتركون الموضوع معللين انه لقب بذلك قبل أن يولد خلف .. حتى اقترب موعد الدخول الى البحر .. وكان المطوع من جملة المتاهبين .. فصارت نجمة تحلم بعقود ملونة وهدايا كثيرة ربما مليئة بالغرابة .. قد تكون مثل آلة الناي التى جلبها احد التجار من الهند واهداها خلفاً .. ؟ ربما تكون ممن يسعدهم الحظ بالولوج الى عالمه الجميل ؟

تجرأت مرة واقتربت بخطوات وئيدة من السدرة .. وجدته يستند على جذعها ، وانغامه تتماوج محاكية أمواج البحر ..

طار نورس كمن توجس من خطاها ..

طالعت عينيه الرائعتين وشعره الطويل .. كانت تتمنى سؤاله تتمنى لو يقول لها تعالي .

توقفت طويلا .. لم يشعر بها ..

اقتربت أكثر .. دنت منه .. وانغامه تسكن روحها .. طالعها بتلكما العينين .. وتوقف عن العزف .. حلمت به يناديها .. يجلسها بقربه .. ولكنه انطفا .. وضع آلته فى جيب دشداشته الخفيفة ونام، شعرت بالاحباط فعادت خائبة حزينة .

الواقعة الثانية

لم يبخل المطوع بنصيحة يقدمها لأبي جابر .. فكان الاخير يستدعى والد نجمة إلى مجلسه .. ويطلب المشورة .. حتى وجد المطوع ان الحل للمشكلة .. هو اصطحاب خلف للبحر .. ليترك السدرة .. وقد تقفز الجن الى البحر .. فمن يدري ؟

وهكذا كانت نجمة من جملة المودعين على الساحل .. عين على البوم .. والرجال المسافرين .. وعين على السدرة .

حتى راته يسير بتؤدة .. بعيداً عن كل ما يدور .. وبعيداً عن صراخ الأطفال وتلويح النسوة واناشيدهن





تمنت ان تصافحه .. تقول له : اني انتظرك .. ولكن الكلمات ظلت مشنوقة ما بين شفتيها وحنجرتها .

وراحت الساعات تمر .. والبوم يبتعد عن ناظريها .. ورجلاها امتدتا فانغرستا فى الرمل الناعم ..

عادت للحلم .. ولأحلام نجمة دائماً امتداد وبقية .. حين يعود ساحكي له .. وربما ستحكي له عنه سدرته ستروى له: « كم ناجيتها ورددت عليها حكايات حبي .. »

الشهور تمضي .. والانتظار يكبر وينضج ..

مر شهران .. يتحتم الانتظار مضاعفة حتى يعود لتشبع من مرآه . والدتها تحذرها من ارتياد المكان المشبوه ..

لقد أصبحت امرأة .. والخروج مشين .. ثم ان السدرة مسكونة .. من سيتزوج امرأة مسكونة ؟

هكذا صارت تحتال عليهاحتى لا تعود الى سدرته .. فتعاود الذكرى « الانتظار مؤلم ومفجع » .

حين لمحت على البعد « بوماً » يتجه إلى الساحل .. وجف قلبها .. وارتعشت .. ركضت الى البيوت تصرخ .. عادوا عادوا .

فارتسمت علامات الحيرة والاستغراب .. من فقد من الأهل ؟

لماذا العودة المبكرة ؟

أثمة مكروه ؟

ركضت بعض النسوة دون عباءات .. والبعض منهن حافيات .. كل تطرد من نفسها القلق والخوف بالدعاء .

كانت واثقة ان حبيبها لم يصبه مكروه .. فهو قد ذهب للتسرية عن نفسه .. وليس للابحار .

هكذا خمنت .. حتى دهشت من رؤية دموع « أبو جابر » .. وخلف المحمول على الاكتاف ..

بغتت ..

ومات لسانها .

صافحها والدها .. واخذها للمنزل .. توسلت به .. رجاها ان تعود ..

فاستسلمت وعادت لتفهم .

ــ هل مات ؟

ــ بل جن .

ــ كيف ؟

ــ تعاوده حالات صرع مخيفة ..

ــ خلف ؟

ــ عدنا قبل القفال .. رافة به .

ــ كنا ننام بعد نهار شاق .. ليستسلم هو لأنغامه وهداة البحر ووجه الليل ..

ــ مسكين .. سلم وجهه للجنون ..

قالت ام نجمة ..

بكت ..

ــ تمنت لو تطلق صراخها المكتوم .

ــ لماذا يحدث كل هذا ؟

خلف .. سلبت لبه جنية بحر .. عشقت وجهه .. وعشقت انغامه ، منحت عينيها للبكاء والاسى .

الواقعة الثالثة

عاد أبو جابر باحزانه يطلب مشورة مطوع القرية .

والمطوع يفكر .. وخلف فى مكانه المعتاد .. مع نايه وسدرته .

لنزوجه .

تهلل وجه النوخذا .. ايفيد ذلك ؟

الزواج يخلق الرجال .. ويصهرهم .

خرج النوخـذا من منزل المطوع .. لتمتلىء نجمة بالأمل .. كل النساء يرفضن خلف .. من تريد رجلا مسكوناً بالشياطين سواي ؟

لم يسالها والدها .. تقبل أو لا .. ؟

ربما لأن ايمانه قوي .. أو ربما لأن حكاية حبها كشف عن نقابها .

وحين راحت تتهيا كعروس .. كانت كنورس يحط على البحر .. ويطير .. قلبها نفسه كانه فراشة .. النساء يحضرن الاحتفال .. ويرمقن والدة نجمة .. بنظرات شك وريب ..

اقلت الرجال لتتزوج هذا ؟

ربما طمعاً فى حلاله .

لكزت إحداهن الثانية .. نجمة تهيم به .. الم تعرفي بعد ؟

اعدوا الطعام والفوانيس .. وكل صنوف الاستعدادات للعرس .. وبانتظار خلف .. كتب القدر عليها ان تنتظر .

وطالت فترات الانتظار ..

لمحت والد خلف يسير مسرعاً .. ويتذمر وضجر .. مطلقاً كلمات لم تفهم مغزاها .. أو لم تصل لها كاملة ..

بينما لحق به والدها ..

خمنت انه هناك .. فى عالمه ..

أسدلت اجفانها .. وتزايدت خفقات قلبها

هذي الليلة هو ملك لها .

ستحكى له الكثير .. ستدعه يغني لها بناية .

كانت الاحلام تغزوها بغزارة ..

والرؤى تختلط عليها ..

هل تبدأ فتصارحه ؟ أم تدعه بعالمه وتكتفي بالتطلع اليه .. ؟

دخل والدها ..

دخل والده ..

التقيا وجهاً لوجه ..

ضربت امها على صدرها ..

وصرخت أمه ..

عيناها تناقلت بين الجموع .. على الوجوه .. على آلة الناي بين يدي والده .

ندت منها آهة ..

ــ اين خلف ؟

لم تحصل على إجابة .. بكت .. انتزعت ثيابها الملونة .. مزقتها .. كادت تمزق جسدها .. تغرس اظافرها فى لحم اعصابها وتنهش قلبها ..

ــ اين خلف ؟

مازالت تردد السؤال لترد من بعدها أصداء صوتها .. هذي المرة لم يمنعها احد من الجلوس تحت السدرة .لم يقف فى طريقها أحد ..

وما تزال الاجابات تحتل من رأسها مكاناً كلما لمحت السدرة والبحر ..

قال المطوع :

عرفت جنية البحر بزواجكما .. فاخذت به الى قاع البحر . وقال النوخـذا : انتقمت منه الملعونة واحالته الى زبد .

ذاك اليوم .. كان وجه البحر يكتسي برغوة هائلة من الزبد .. ومنذ ذاك اليوم والبحر لاتهدأ أمواجه .

تنتظر ان يخرج ..

ان يعود اليها .

ولكنها لم تستطع حتى الآن ان تكره السدرة أو البحر .. كما اننا لا نستطيع ان ننسى حكاية خلف .



دوحة القراء

إشــراف
سنان المسلماني

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : مدينة عربية جميلة ، تعتبر إحدى المدن الكبرى فى دولة عربية حصلت على استقلالها فى أول يوليو ١٩٦٢ ، وهى ميناء على البحر الأبيض المتوسط ، ومنها يتم تصدير الحديد والفوسفات .. هل يمكنك التعرف على اسم المدينة ؟

•••



الصورة الثانية : كان قاضى القضاة فى مصر والشام فى القرن السابع الميلادى ، ولد فى مدينة « أربل » بالعراق ، وتوفى فى دمشق حيث دفن بسفح جبل «قاسيون» ويعتبر رائداً فى علم التاريخ الاسلامي ، ومن أهم مؤلفاته : اليد الطولى ، وفيات الأعيان .. من هو ؟

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غــلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة العامــة تتضمن (من ـ اين ـ مـا) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى أكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يــلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجـلة الدوحة ـ ص . ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد "١٠٠"

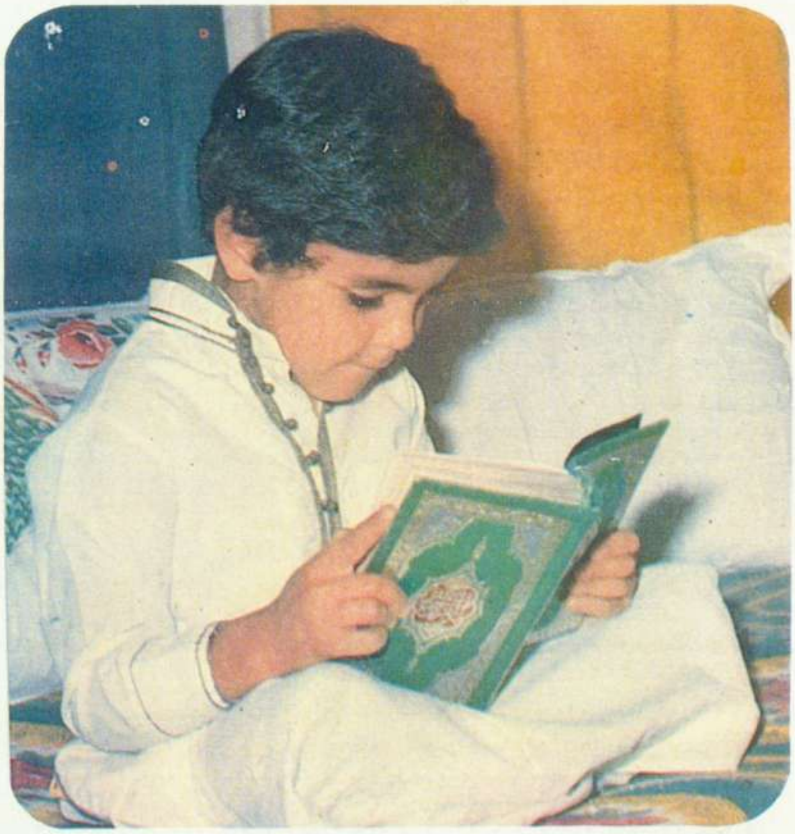


الصورة الأولى : ميناء بيريه .
● الفائز : مصطفى عبد العال ـ مصر
● الفائز : عبد المجيد آزر علي ـ الامارات



الصورة الثانية : آندريه جيد
● الفائزة : هديل مروان جدار / الامارات
● الفائزة : سميحة حسن ـ الأردن

لقطة الشهر



التعليم فى الصغر
كالنقش فى الحجر

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى :
القارئة فاطمة حسن علي ـ المطرية ـ القاهرة

الوصايا السبع



جلس أبو ذر يوماً يحدث ويقول : أوصاني خليلي بسبع ،أمرني بحب المساكين ، والدنو منهم ، وأمرني أن أنظر الى من هو دوني ولا أنظر الى من هو فوقي ، وأمرني الا أسأل احداً شيئاً وأمرني أن أصل الرحم ، وأمرني أن أقول الحق وان كان مراً ، وأمرني أن لاأخاف في الله لومة لائم ، وأمرني أن أكثر من : لا حول ولا قوة الا بالله .

احمد يسلم احمد شنظي
حضرموت ـ اليمن

الشاعر القتيل

كان لشاعر عدو ، فبينما هو سائر ذات يوم فى بعض الطرق اذا به يطارده ، فعلم الشاعر أن عدوه قاتله لا محالة ، فقال له يا هذا . أنا اعلم أن المنية قد حضرت ، ولكن سألتك الله اذا أنت قتلتنى أن تمضى إلى دارى وقف بالباب وقل « الا أيتهـا البنتان إن أباكما » .. فقال سمعاً وطاعة .

وعندما فرغ من قتلة أتى الى داره ووقف بالباب وقال « ألا أيتها البنتانِ إنَ أباكما » وكان للشاعر ابنتان فلما سمعتا قول الرجل أجابتاه بفم واحد « قتيل خذا بالثأر ممن أتاكما » ثم تعلقتا بالرجل ورفعتاه الى الحاكم ، فاستقرره ، وأمر بقتله !

عبد المنعم سالم دفع الله
السودان

كلمات لها معنى

ـ اذا بلغت الى قلب الحياة تجد الجمال في كل شيء ، حتى في العيون المتعامية عن الجمال .
ـ كل رجل يحب أمرأتين ، واحدة يخلقها خياله ، والثانية لم تولد بعد .
ـ اذا كان قلبك بركاناً فكيف تتوقع ان تزهر الازهار في يديك .

« جبران خليل جبران »

ـ يحلو للفتاة أن تحسب أن الانهار لم توجد إلا لكي تمدها بالماء
ـ اذا أنت أغلقت بابك فى وجه الزيف والضلال فستتمتع بالحقيقة .
ـ اننا ندنو من العظمة حين نكون عظماء في تواضعنا

« طاغور »

ـ كل وعاء يضيق بما جعل فيه إلا وعاء العلم فانه يتسع .
ـ المراة شر كلهاءوشر ما فيها انه لابد منها.
ـ أحصد الشر من صدر غيرك بقلعه من صدرك.
ـ اذا اقبلت الدنيا على احد اعارته محاسن غيره واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه.

« على بن أبي طالب »

اسامة اسماعيل سالم ـ مصر الجيزة



دوحة القراء

مسابقة الدوحة ؟؟

مَن ؟

مجاهد عربى كبير ، ناضل فى سبيل استقلال وطنه ، حــارب الاسبان بضراوة ، ثم تقدم إلى المناطق التى يحتلها الفرنسيون فى بلاده ، ولكن الانقسام بين صفوف القبائل أدى الى استسلامه ونفيه إلى إحدى جزر المحيط الهندى ، حتى توفى فى القاهرة . اسمه مكون من شقين و ١٦ حرفاً .

٥ ، ٢ ، ٨ ، ٦ كلمة تستخدم أثناء الطواف فى الحج

١٢ ، ٧ ، ١٠ ، ١٥ بمعنى دمار .

أيـن ؟

ولد هذا القائد ببلـــدة « اجدير » بمنطقة جبال الريف عام ١٨٨٢ ، فى دولة عربية تقع فى شـــمال افريقيـــا ...

.. وانضمت الى جامعـــة الدول العربية فى ٢ مارس ١٩٦١ بعد ان اتمت القوات الفرنسية إخلاء قواعدها العسكرية من هذا البلد الشقيق .

ويتكون اسم هذه الدولة من قطع واحد وستة حروف .

٤ ، ٢ ، ١ ، ٣ بمعنى فتى .

مـا ؟

تشتهر هذه الدولة بثرواتها المعدنية التى من اهمها معدن يستخرج منه سنوياً اكثر من ستة ملايين من الاطنان ، ويليه الحديد والفحم الحجرى والرصاص والمنجنيز والكوبلت والنحاس ..

اسم هذا المعدن مكون من مقطع واحد وثمانية حروف .

٣ ، ٤ ، ٢ اسم حبوب .

١ ، ٥ ، ٨ ، ٢ ، ٣ بمعنى اقترض .

الإجـــابـــة الصحيـــحـــة

١ ـ الزعيم السياسى الفلسطيني الحاج أمين الحسينى ، ولد وتعلم فى القدس ، وتخرج ضابطاً إحتياطياً فى استنبول عام ١٩١٦ ، وعند عودته إلى بلاده بعد الحرب العالمية الأولى نسب إليه الانجليز قيادته لبعض الاضطرابات ، ففر الى دمشق ، وعاد إلى بلده ، لينتخب (مفتى فلسطين الاكبر) خلفاً لاخيه ، وعندما تكون المجلس الاسلامى الاعلى تولى رئاسته عام ١٩٢٢ وكان أول من نبه إلى خطر تكاثر اليهود فى فلسطين . ترى فى أى عام ولد هـــذا المجاهـــد الفلسطيني ؟

(١٨٩٣ ـ ١٩٠٠ ـ ١٨٨٧ م) .

٢ ـ كان محمد صدقى أول طيار مصرى قام برحلة جوية على طائرة صغيرة من أوربا إلى مصر فى عام ١٩٣٠ ، بعد أن تعلم الطيران فى أوربا .. وهز الحدث شاعر كبير حيث قال فى المناسبة :

إنه أول عصـــفور لهم
هز فى الجو جناحيه وصاح

من هو الشاعر صاحب تلك الأبيات ؟

٣ ـ من هم مؤلفى المسرحيات العالمية التالية :

- فى انتظار جودو
- عطيل يعود
- لعبة الكراسى
- أوديب ملكاً

٤ ـ يقول العلماء ان الغـــاز المسيل للدموع يسبب عادة العمى المؤقت لغزارة ما يسيله من الدموع وانه يستخدم فى الحروب وفى تفريق الجماهير .. ولكن هل يمكنك ان تتعرف على المركب الذى ينتسب إليه هذا الغاز ؟

(اكسيد النيتروز ـ احد مركبات البروم ـ خليط من أول اكسيد الكربون والايدروجين) .

حـل مسابقـة العـــدد "١٠٠"

من : ابراهيم العريض

اين : بومبى

مـا : أرض الشهداء

الاجابة الصحيحة

١ ـ دولة البحرين

٢ ـ البلاد التي لم تدخل تحت سيادة الاسلام والتي تكون مسرحاً للحـــرب

٣ ـ ترجيفى لى .

٤ ـ الروائي السوري حنا مينا .

٥ ـ موسم الهجرة الى الشمال / عرس الــزين / مريود .

٦ ـ العبـــارة غير صحيحة .

٧ ـ انتهاء الانتـــداب ١٩٤٨ م .

٨ ـ علي بن ابي طالب كرم الله وجهه .

٩ ـ حتى تصبح درجـــة حرارة ذوبان الثلج اربعة تحت الصـــفر وليس صفراً .

١٠ ـ فان اكلوا لحمى وفـــرت لحومهم
وإن هدموا مجـــدى بنيت لهم مجـــداً
وقائله (المقنـــع الكندي) .

أسـماء الفائزيـن في مسابقــة

١ اصل وصورة : الوردة ـ الرقبة ـ الشارب ـ الأنف ـ الحواجب ـ الأذن ـ الذقن ـ الشعر .

الفائزون : (١) طارق عبد الجواد ـ مصر (٢) ماجده عز الدين صالح ـ السودان .

٢ ـ المثل يقول : (١) اتلم زارور على طريفة .

الفائز : محمود احمـــد فيـــاض ـ الاسكندرية . (٢) إن جاعوا بكوا وإن شبعوا غنوا . الفائزة : رشا محمد سراج الدين ـ طنطا .

٣ ـ لأقوياء الملاحظة فقط : عربة قطار ، مفتاح ، مكنسة ، مروحة ، شجرة ، وردة ، ربطة عنق . (١) الفائز : الدكتور عبد

بأقلام الأصدقاء

لـذة الوهـم



يا همـوم النفس قـومي واقتفي للصبح فجـره
علفي الاصـباح تنفي نبضـة الأحشـاء زفره
طالمـا أذكـت أنيني والفـؤاد الغض جمـره
يا همـوم النفس إني مثقـل باليـأس مكـره
أرقتني أمنيـات دونهـا الأحـلام مره
بت أرجـوها ولكن ذكرهـا للنفس حسـره
افعمت دنيـا شـبابي بهجـة تخبـو ونضره
ثم أردتني عجـوزاً واهنـاً من غير قـدره
أمنياتي إن عمـري مل بالأمـال صـبره
فانطوى في الدهـر يبكي زاهـداً في العيش عمـره
أمنيـاتي ان قـلبي قـدت الآلام صـدره
فهـو في صـمتي أنين تنبش الانفـاس سـره
وهـو في نطقي حـنين يطلق الآهـات حسـره
فاغتنم سـعدي فؤادي واختلس بالوهـم نظـره
لن ترى بالوهـم شـيئاً غير جنـات وخضـره
تلتقى فيهـا الأمـانى حيث تغشـاك المسـره
سوف تلقى العيش حـلواً اذ تـرى الاحـلام حره

محمد بن خليفة العطية – الدوحة

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسـم : ______________

العنـوان : ______________

____

اسم المسابقة : ______________

رقم العدد : ______________

« تحـذير »

التدخـين يضر بصحـتك
وننصحـك بالامتـناع عنه

أسماء الفائزين

١ – فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى .

القارىء : محمد ضيف الله مراد – الكويت .

٢ – فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى .

القارئة : فاطمة محمد جمعه – المنامة – البحرين .

٣ – فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى .

القارئة : زهية محمود القطامى – الأردن

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ – بن كالى الفضيل	الجزائر
٢ – محمد حسن عباس المهدى	الشارقة
٣ – عبد الله عمر محمد	السودان
٤ – عماد عبد العزيز	البحرين
٥ – عبد الله منصور فضل سليمان	الخرطوم
٦ – مريم صلاح الدين	المنامة
٧ – مازن عباس الشهابي	البحرين
٨ – عيسى إرحمه السهلاوى	قطر
٩ – نبيل علي عبد اللطيف	امريكا
١٠ – محمد سعيد	القاهرة

استراحة الدوحة العدد «١٠٠»

المجيد حسن البلوشى – البحـرين (٢) الفائز : احمد يوسف المالكى – قطر .

٤ – هات اجمل تعليق : (١) يخلق من الشبه اربعين – الفائز : طارق سـمير عبد الهادى – سوهاج .

٥ – يخلق من الشبه اربعين : رقم (٤) . (١) الفائزة : و ضحة مبارك السـليطى – قطر . (٢) الفائز : ابراهيم سعيد – السودان

٦ – دورى الكاريكاتير : رقم (١٠) . (١) الفائز : حسن العـوض علي – السودان . (٢) الفائزة : منال سالم – اليمن

٧ – لعبة الظلال : رقم (٢) . (١) الفائز : (١) رافت محمد عوض – اسيوط (٢) السر حسـين – السعودية

استراحة الدوحة

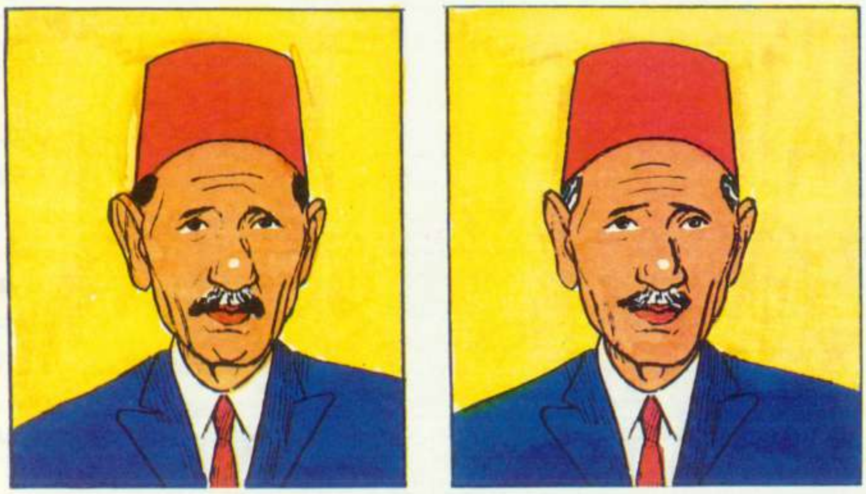


مجموعة
مسابقات
بالرسوم
بريشة :

رؤوف

الجائزة لكل فائز فى هذه المسابقة ستون ريالا قطريا

أصل وصورة



قبل أن تتعرف على الفروق السبعة التى بين أصل وصورة المفكر الفيلسوف العربى احمد لطفى السيد لتحصل على جائزة ، نحب ان نقول لك ان هذا المفكر كان رئيسا لمجمع اللغة العربية من عام ١٩٤٥ حتى عام ١٩٦٢ ، وقد ترجم ارسطو ، ونال عن اعماله العديدة جائزة الدولة التقديرية فى العلوم الاجتماعية عام ١٩٥٨ ، اى قبل وفاته باربع سنوات

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التى لم تتم لفنان عربى راحل من أهم من قدموا الكوميديا فى العالم العربى ، ونقلوها إلى فن رفيع يعالج النماذج الانسانية بصورة ساخرة .. حاول ان تكمل اللوحة وتتعرف على شخصية الفنان العربى لتحصل على جائزة

خيال من ؟



صاحب هذا الخيال هو الدكتاتور الايطالى مؤسس الفاشية وزعيمها ، وقد انتهت محاولاته الخيالية لاعادة الامبراطورية الرومانية باعدامه رميا بالرصاص فى عام ١٩٤٥ .. هل يمكنك التعرف عليه لتحصل على جائزة ؟

لأقوياء الملاحظة فقط!



الرسوم التى امامك لستة اشياء متداخلة .. حاول ان تتعرف عليها وارسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

المثل يقول



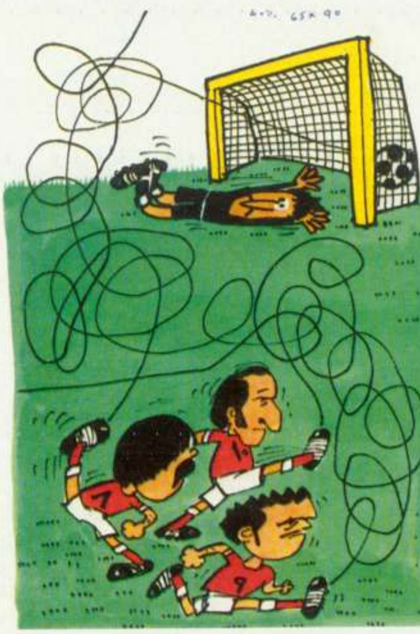
معظم الأمثال العربية ـ تقريبا ـ متشابهة ، فالانسان العربى تعود أن يقول امثاله سواء للعبرة او التحذير او للنقد بصورة تتشابه فيها المعانى وتختلف الالفاظ .. حاول أن تجد المثل الشعبى الذى يعبر عنه هـــذا الرســم الكاريكاتيرى ، اذا كنت تريد الحصول على الجائزة .

لعبة الظــــلال



هذا اللاعب يحاول منذ وقت طويل العثور على ظله ، إذا ساعدته فى العثور على الظل الحقيقى ستكون فى انتظارك جائزة .

دوري الكاريكاتير



كالعادة فى تلك المباراة الحامية ، اقتحم احد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفا قويا فى مرمى الخصم .. هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله الينا ، لعلك تفوز بجائزة .

الورقة الأخيرة



بقلم: عبد الله الشيتي

محطّات للتأمّل

● فارس الخوري – العلامة والسياسي السوري الراحل – كان رجل ظرف ومواقف مشهورة في شجاعة الراي ، وقد جمع بين همة الشباب وحكمة الكهول ! ويروى عنه يوم كان رئيساً لمجلس النواب ، في سورية ، منذ سنين طويلة ، انه ذهب الى سوق (الحميدية) المشهور شهرة سوق (الموسكي) في القاهرة ، وقصد احد محلات كي وبيع الطرابيش – يريد ابتياع طربوش جديد بعد أن أعياه البحث – فوجد ضالته عند صاحب ذلك الدكان الدمشقي ، ولما استفسر عن ثمنه ، هاله ان البائع غالى في طلب الثمن ، فقال له مداعباً :

– يا هذا ، انك لن تجد لطربوشك «رأساً» كبيراً يناسب احداً غيري ، الا راسي ، فما كان من البائع الظريف الا ان عاجلــه بجــواب :

– وانت يا مولانا ، ما كنت تجد طربوشاً يناسب راسك الا في ... دكاني !

●●

● في الطبعة الثانية لكتابي عن الشاعر الراحل المرحوم احمد الصافي النجفي (رحلة عمر مع النجفي) ذكرت في ختام الكتاب ، كيف ان الشاعر الساخر الراحل ، توفى في بغداد ، متاثراً بجراحاته البليغة اثر اصابته بخمس رصاصات طائشة عند كورنيش البحر في (الزيتونة) ببيروت ، حين كان يهم بقطع الشارع لشراء رغيف من الخبز (مكتفيا به كعادته في الزهد والبساطة) وقد قال بعد فقد بصره – اثر غياب ثلاثة واربعين عاماً عن بغداد مغترباً ما بين سورية ولبنان وبعض الاقطار الاخرى :

ياعودةً للدار ما اقساهــا
« اسمعُ » بغــداد ولا أراها !

وكتب احد الزملاء الساخرين – فيمن كتب عن الكتـــاب – مقالة ، تحليلية و « تقريظية » للكتاب ، فوجئت به يصحح لي معلوماتي ومعلومات القراء في نهاية مقالته ، مؤكداً ان احمد الصافي النجفي ، لم يصب بخمس رصاصات ، وانما بست رصاصات !

أما الرصاصة السادسة في رايه الساخر فهي كتابي الذي صدر عن ... المرحوم !

●●

● اشتهر عن المرحوم النجفي « بغضه » للشعر المنثور أو الشعر السايب أو الفالت كما كان يسميه العقاد !

وهذان بيتان (نادران) للنجفي في هذا المعنى والعهدة عليه :

تفلسفت في اكتناه الشعر قوم
فضــاع الوقت وامتد الطريق
فدع عنك «التفلسف» وارو شعراً
فلى عين ترى وفم يذوق !

●●

● علمتني الحياة ان اكبر وعاء في (مطبخ) عمرك وتجاربك ، هو (وعاء النفس) ...

الم يكن الشاعر العربى محقا فى مقولته (من زمان) :

واذا كانت النفوس كبــاراً
تعبت في مرادهـــا الاجسام

وكم أرثي لهم ، أولئك الذين يكون احدهم ممن تنطبق عليه هذه المقولة :

جسم البغال .. واحلام العصافير !

●●

● سئلت في احد البرامج الاذاعية عن اجمل و (اعظم) إهداء تتوج به كتاب أدبي وقع في يدي ، فقلت :

انه ذلك الاهداء الرائع بالمختصر المفيد ، للكاتب المصري الكبير خالد محمد خالد . الاهداء يقول ، في احد مؤلفاته : لله ... وللحريـــة !

●●

● يبقى نزار قباني متفرداً بين عديد من شعراء عصره بصوره وادواته اللفظية وسخريته المرة واللاذعة حين يمزج بين وحدة البيت ووحدة الموضوع . من ذلك مثلا وهو يتوجع متفجعاً على ما وصلنا اليه من حال ، ويجعلنا نتوجع معه ولكن بـ (استمتاع) متميز لفظاً ومعنى :

كل شعر معاصر لبس فيـــه
غضب العصر نملة عرجـاء
الفدائي وحـده يكتب الشعر
وكل الذي كتبنـــــا هراء
عندما تبدأ البنادق بالعزف
تموت القصـائد العصمـاء
البطـولات مــوقف مسرحي
ووجـوه الممثلين فيه طـلاء !
و « فلسطين » بينهم كمزاد
كل شار يزيد حين يشــاء

بلى يا اخي نزار ، لقد اوجعت فادميت وامتعت ـ وتلك هي لعمري المعادلة الصعبة في شعرنا العربي المعاصر ومعظمه (معصور) !

●●

● آخر الكلام : اذا كان لابد لنا من الموت فليمت واحدنا من كثرة الضحك !!


بيبسى



المُسَحِّر "المسحَّراتي" .. للفنان القطري: سلمان المالكي

العـدد ١٠٣ - شــوال ١٤٠٤هـ - يـولـيـو/تـمـوز ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

- طريق السلامة: بين الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي
  د. محمد عبده يماني
- ظواهر حيّرت الناس
  د. عبد المحسن صالح
- الدوحة في مهرجان "كان" السينمائي
  رءوف توفيق

الرموز الجمالية
في معرض
وفيقة سلطان




بيبسي
PEPSI


تيم
TEEM
TRADEMARK REG'D

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان :** دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .

● **مصر :** مؤسسة توزيع الاهرام - شارع الجلاء - القاهرة .

● **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .

● **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ - بغداد .

● **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازي - ص . ب ٣٢١ - بنغازي .

● **الأردن :** وكالة التوزيع الاردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .

● **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .

● **السعودية :** مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان - ص . ب ١٤٠٥ - الرياض .

مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة .

● **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة الكويت .

● **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .

● **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى - عدن .

● **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد أبو ظبي ص . ب ٧٩١

● **سلطنة عمان :** المؤسسة العربية للتوزيع والنشر - ص . ب ١٠١١ مطرح مسقط .

● **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .

● **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .

MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .

ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي All Bin All Printing Press - Doha

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١٠٣ - شوال ١٤٠٤هـ - يوليو "تموز" ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة - قطر .

العنوان البرقي : المجلة - الدوحة

تيلكس : 4521 MAGDO DH -

تليفونات :

رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١

التحرير : ٤٤١٢٧٥

المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨

القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا

دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا

باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها

في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا

للدوائر الحكومية والشركات :

داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا

بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا

في باقي دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هـــــذا العـــــــدد



الاسبوع الثقافي التونسي في الدوحة (ص ٩٤)



من اوراق الافغاني « ثلاث وثائق خطيرة » (ص ٧٠)

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●



الرجال الارامل (ص ٥٨)

● أبــواب ●

الدوحة

مجلة شهرية
ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام
بدولة قطر

هناك إجماع لا جدال حوله على تقسيم القوى العالمية في عصرنا الراهن إلى قوتين اثنتين ليس غير : القوة الامريكية ، القوة السوفيتية .
أما باقي القوى ، مهما بلغت ، فانها تصنف إما على أساس دورانها في فلك إحـدى القوتيـن الكبيرتين ، أو على أساس أوضاعها «الاقليمية» في المناطق التي توجد فيها .
ولقد ذهب المعلقون والمحللون إلى وصف القوتين الكبيرتين بكلمات توحي وكأنه ليس فى الدنيا سواهما ، فقيل «القوتين الأعظم» وقيل «القوتين الأكبر» وقيل «القوتين العظيمتين» .. وقيلت أوصاف كثيرة أخرى .. ونحن لا نجادل في مدى صحة تلك الأوصاف ولا في مدى استحقاق كل من القوتين لهما .. ولكننا نجادل تجاه هذه الحالة الغريبة من التسليم بتلك الأوصاف وكأن القوتين الأعظم قد استباحتا الأرض وما عليها لأطماعهما وكأن ليس على سطح البسيطة سواهما ، وكأن الوقوف في وجهيهما أمر مستحيل ، وأن على الدول الأخرى أن تختار بين هذه وتلك من القوتين تنضوي تحت لوائها وتحتمي بظلها أو يكون مصيرها الضياع والدمار .
ذلك أن سبب قوة أمريكا وروسيا هو بالذات ـ وفي نفس الوقت ـ سبب ضعفهما ..

بين الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي

٣ طريـق السـلامة



بقلم : الدكتور محمد عبده يماني

وقد تحدثت في المقالين السابقين «الدوحة : أبريل ١٩٨٤ ويونيو ١٩٨٤» عن آثار وممارسات الكاوبوي الأمريكي التقليدية .. والتي حفرت في أعماق الشخصية الأمريكية ، وأدت إلى نشأة أجيال مشبعة بروح الكاوبوي ـ تؤمن بالمسدس ، وسرعة الحركة وسيلة للتعبير عن الذات .. وفي الطرف الآخر يقف الدب الروسي ضخم الجثة ، بطيء الحركة ، قوي الضربة (محباً للعسل) وحتى اكتملت المأساة في عالمنا المعاصر .. الكاوبوي الأمريكي من ناحية ، بمسدسه سريع الطلقات ، والدب الروسي بضخامته وهيامه بالعسل من ناحية أخرى ..

فما هو طريق السلامة إذن ؟
وأين نقف ؟
ومع من ؟

واذا كانت هذه هي طبيعة التصرف الامريكي وتلك سمات عقليته، وطبيعة حركته .. واذا كان هذا هو التصرف الروسي مع من يدور في فلكه من قوى مكملة له، حركة، وتأهب، ثم انقضاض، فاني احسب ان طريق السلامة لن يكون عن طريق إثارتهما، او بمحاولة الاحتكاك باي منهما، او الانضمام الى اي من المعسكرين، بل إن طريق السلامة هو استقلالية، وذاتية، واصالة، وعقلانية تحكم حركتنا ..

نحافظ فيها على احترام انفسنا، والحفاظ على ذاتيتنا دون ما حاجة إلى التورط في حبائل اي منهما، وفرق كبير بين التعاون الذي لا يرفضه عاقل، والذي تحتمه المصالح الاقتصادية والعلمية، وغيرها، وبين التحالف الذي لا يجلب إلا اضراراً مباشرة، وإثارة لاحدهما حسداً وغيرة من الاخر، ولكن احداً لا يمكن ان يلومنا او يمنعنا من التعاون في المجالات الحيوية، والمعاشية، غير ان الخطورة كما اسلفت تكمن دون شك، في عملية الاستدراج التي تتم نحو تطوير العلاقات مع اي من المعسكرين بشكل يسمح له بالاقتراب فالتواجد، فالتدخل في شئون المنطقة، وعندها يستحيل التنبؤ بابعاد ومخاطر المراحل القادمة ..

والعقل دون شك يدعونا من الناحية الاخرى إلى عدم إثارتهما، او التصادم معهما، فرحم الله امرا عرف قدر نفسه، والقيم ايضا، والمبادىء الاصيلة لهذه الامة تدعونا للعزة، والكرامة، فلا نهين انفسنا خوفا، او وجلا، فنهون على الناس ومن يهن يسهل الهوان عليه ..

ولقد خلصت في الحلقتين السابقتين بعد استعراض حال القوتين الكبيرتين في العالم (امريكا وروسيا) وممارساتهما في السياسة الدولية .. خلصت من ذلك الاستعراض بحقيقتين ..

الأولى: انه لا امل في ان تتفهم الولايات المتحدة الحقائق المحيطة باوضاع كل منطقة وكل دولة في مختلف بلاد العالم، وان هدفها الوحيد هو تحقيق مصالحها عن طريق «العنف» اي بنفس طريقة الكاوبوي الامريكي التقليدي الذي لا يتحدث إلا بلغة المسدسات سريعة الطلقات، ولا يعجب – او يحترم – إلا بكاوبوي مثله يسارع إلى إشهار مسدسه اولا، بصرف النظر عما إذا كان ذلك الكاوبوي على حق او على باطل، وان هذه السياسة إذا صلحت فيما مضى – دون شك – لا تصلح في عصرنا هذا، فعصر الكاوبوي قد انتهى وانقضى، والسياسة الامريكية تلحق الضرر بالمصالح الامريكية، كما تلحقه – قصداً او عفواً – بمصالح كثير من الدول الاخرى بما فيها الدول الصديقة.

الثانية: ان الاتحاد السوفييتي، الذي مازال يرمز إليه بالدب الابيض منذ عهد القياصرة إلى اليوم، مشغول بمطامعه «الامبريالية» التي حقق شطراً كبيراً منها والتي اكمل بها «السوفييت» ما بدا به القياصرة، مع فارق هام جداً هو ان القياصرة كانوا يعترفون بان لهم مطامع «امبريالية» اما «السوفييت» فانهم يحققون مطامعهم «الامبريالية» تحت شعار «مكافحة الامبريالية» ..

ومن منطلق «الرادع النووي» الذي لجم الدولتين العظميين – كليهما – اصبح المقياس هو القوة العسكرية التقليدية، اصالة او وكالة، وان الدول الاخرى، حتى ما كان خاضعا منها مباشرة لاحدى القوتين ليست ملزمة بالضرورة لان تنحاز إلى إحدى القوتين، ولو كرها في إحداهما، وان اصغر دولة في العالم، ولو كانت بحجم طابع البريد، من حقها ان ترفض الانحياز، وان تبحث عن مصالحها الخاصة مثلما يبحث العملاقان عن مصالحهما الخاصة.

وبطبيعة الحال لم تلاق هذه النظرية هوى في نفوس الامريكيين او السوفييت، فامريكا رفعت في وقت من الاوقات شعار «من ليس معي فهو ضدي»، وروسيا لها اسلوبها الخاص في الغزو والسيطرة والاقتحام، مع إيجاد المبررات «الايديولوجية» اللازمة ..

وربما كان الرئيس اليوجوسلافي الراحل «تيتو» من أوائل من ادركوا حقائق متغيرات عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية، فهو أول من شق عصا الطاعة على الكرملين، وذلك بعد ثلاث سنوات من نهاية الحرب، وانفصل عن الفلك السوفييتي الذي كان يدور فيه، واعلن سياسة مستقلة عن المعسكرين مستغلا بذلك ظروف السياسة الدولية في ذلك الحين، والخوف السوفييتي من السلاح النووي الامريكي، إذ لم تكن روسيا قد امتلكت هذا السلاح بعد، وتمكن تيتو من ان يثبت على سياسته هذه إلى حد بعيد، وضمن حسابات دقيقة جعلت استقلاله عن سلطة الكرملين امراً واقعا استمر بعد ذلك إلى يومنا هذا ..

وربما نسجل لتيتو هذا الموقف لنستخلص منه المغزى: وهو اكتشافه وسيلة للتعايش مع العملاقين، وفي معزل عنهما، الامر الذي وجه انتباه العملاقين إلى ضرورة بلورة موقف الدول – معها او ضدها – فبدات بذلك «موضة الاحلاف» التي كانت وسيلة لتحديد مواقف بعض الدول، فظهر حلف الاطلسي، وتبعه حلف وارسو، ثم بدات «حقبة الاحلاف» في التاريخ الحديث التي بدات مع مطلع الخمسينات.

المهم هنا، ان العملاقين – على قوتهما العظمى – شعرا بالحاجة إلى «التكتل» مع دول اخرى، بصرف النظر عن مدى قوتها، وما تملك من مال وسلاح، لانهما شعرا بانهما لا يستطيعان الانفراد بالمواجهة كلا تجاه الاخر، فكانت «حقبة الاحلاف» مرحلة عاصفة في هذا القرن، سالت بسببها دماء كثيرة، ووقعت احداث هائلة، وتغيرت دول وانظمة وحكام، وكان المستفيد الوحيد في ذلك هو هذا المعسكر او ذاك ..

فاذا كان العملاقان قد شعرا بعجزهما عن الوقوف وحيدين، وهما على ما هما عليه من قوة وسلاح ومناطق نفوذ، فماذا يكون شان الدول الاخرى التي تعتمد على احد المعسكرين في كثير من الشئون العسكرية والاقتصادية والسياسية.

لقد بدا الضيق بسياسة الدولتين العظميين ومحاولاتهما احتواء الدول الاخرى إلى صفهما يطرح شعاراً جديداً هو «الحياد» الذي ابدل اسمه بعد ذلك إلى تعبير اكثر دقة هو «عدم الانحياز» ..

وكان «عدم الانحياز» – هذا – جزءاً من طريق السلامة الذي اكتشفته دول كثيرة، ليست كبيرة وليست عظمى، وبات هذا الشعار مرفوعا حتى اليوم، ومازال يزعج الامريكيين والروس معا ..

عمليا لم تكن دول «عدم الانحياز» جميعا «غير منحازة» فهناك دول ذات ارتباط وثيق بامريكا، واخرى بالسوفييت، ولم يستطع هذا الاتجاه ان يبلور نفسه كقوة عالمية ثالثة، فظل عدم الانحياز شعاراً ورموزاً اكثر منه تطبيقا ومنهجا، بل ان العملاقين قد اتخذا من بعض دول عدم الانحياز «حصان طروادة» الذي به يضربون المنظمة والشعار، ويفرغونهما من كل مضمون عملي.

٣ طريـــق الســـلامة

ولا يتسع لنا المجال للبحث في عوامل عدم فعالية منظمة دول عدم الانحياز ، رغم استمرار اجتماعاتها ومؤتمراتها ، ولكننا نقول ان من غير المعقول ان يجتمع اقصى الشرق واقصى الغرب في منظمة واحدة ، ذات اهداف واحدة ، وان تتفق دولة شيوعية النظام مثل «كوبا / كاسترو» مع دولة او دول اخرى تتناقض معها في كل شيء .

عدم الانحياز إذن ليس هو «طريق السلامة» تجاه العملاقين ، فماذا يكون هذا الطريق ؟ ..

إنه - وبكل بساطة - التكتل الدولي ذو التوجهات المشتركة الحقيقية ..

ومن بين كثير من تجارب هذه التكتلات ، انتقي تجربتيـن نموذجيتيـن يمكن ان نجعلهما مقياسا لما يجب ان يكون عليه طريق السلامة .

واضرب صفحا عن «منظمة الشعوب الامريكيـة» ، والاحـلاف العسكريـة ، والمنظمات الاقليمية المرتبطة كليا باحد المعسكرين ، لانها ادوات سياسية اكثر منها تكتلات فعلية ، واختار تجربتين اثنتين :

التجربة الاولى : زمنيا ، هي تجربة السوق الأوروبية المشتركة ، وما تفرع عنها من مؤسسات ، لقد ادركت دول اوروبا الغربية انها قد اصبحت دولا من الدرجة الثانية ، تجاه امريكا وروسيا ، وان عهد امبراطورياتها قد ولى ليفسح الطريق لامبراطوريتي الكاوبوي الامريكي والدب الروسي الأحمر ، وان طريق السلامة الوحيد المفتوح امامها هو ان تتوحد لتشكل قوة قائمة بذاتها تستطيع مواجهة العملاقين والدفاع عن مصالحها ..

والواقع ان التناقضات القائمة بين دول أوروبا الغربية هي اكثر من عوامل الاتفاق ، فهناك ثارات تاريخية قديمة بين المانيا وفرنسا ، وهناك نزاعات - مجمدة - على الحدود ، وهناك ثقافات مختلفة جذريا عن بعضـها ، فالثقافة الالمانيـة هي غير الثقافة الفرنسيـة ، وغير الثقافـة الايطاليـة ، والتوزيع السكاني غير منسجم مع واقع كل دولة ، فهناك «فرنسيون» يتكلمون اللغة الألمانية ، وهناك تنافس اقتصادي كبير بين معظم الدول الأوروبية ، بحكم انها كلها صناعية ، وهناك اختلافات في انظمة الحكم ، وهناك مشكلات داخلية كثيرة ..

ورغم ذلك كله كانت «الوحدة» هي الوسيلة الوحيدة امام تلك الدول لكي تحمي نفسها في غمرة الصراع المستميت بين العملاقين ..

وهكذا انشئت «السوق الاوروبية المشتركة» والبرلمان الاوروبي ، ومجلس الوحدة الاوروبية ، وهي مؤسسات غايتها السير بالدول الاوروبية على طريق الوحدة بتؤدة واتزان ، بدءا من التنسيق الاقتصادي وانتهاء بشكل وحدوي يجمع بين تلك الدول على غرار الولايات المتحدة الأمريكية ..

وبقدر ما شعر السوفييت بالارتياح لذلك، شعر الأمريكيون بانزعاج .. فالسوفييت يؤيدون - بطبيعة الحال - اية مبادرة تهدف إلى الانعتاق من السيطرة الامريكية بالنسبة لاية دولة من الدول ، فكيف إذا كان الأمر متعلقا بدول أوروبية كانت عظمى ؟ ..

والأمريكيـــون يعتبرون الأوروبيين الغربيين حلفاءهم الطبيعيين ، ولكن على الطريقة الأمريكية ، فالكاوبوي الامريكي هو الذي يحمي أوروبا الغربية بمسدسه وعلى الدول «المحمية» ان تدين له بالولاء والطاعة ، مادام هو الاقوى والاقدر .

وصدرت عن الولايات المتحدة مبادرات كثيرة أراد الأمريكيون منها ان يفهموا الأوروبيين انهم لا يساوون شيئا بدونهم .. وفي نفس الوقت دافـع الأمريكيـــون بعنف عن مصالحهم الاقتصادية ضد مصالح الدول الاوروبية ، ومن شواهد هذا الدفاع معركة طائرة «الكونكورد» الفرنسية البريطانية التي قتلها الأمريكيون دون شفقة رغم انه كبدت فرنسا وبريطانيا نفقات باهظة جدا ، وتفوقت «البوينج» الامريكية حتى في قلب اوروبا الغربية .

وسيطرت الثقافة الأمريكية ، بسطحيتها وفراغها من المحتوى الجدير بالتقدير ، على عقول الأجيال الاوروبية ، عبر المسلسلات والموسيقى والرقص ، الامريكية ، التي اخذت طريقها بسهولة إلى تلك الاجيال .

وكانت مبادرة الرئيس الفرنسي ديجول ، ضد امريكا ، أول رد على ذلك الغزو ، وهي المبادرة التي زلزلت مركز الدولار فترة من الوقت ، وادت إلى تخلي امريكا عن ضمان سعر الدولار ، مما لاتزال اثاره تتفاعل حتى الآن ، وكان تعليل ديجول لمبادرته تلك انها - بكل بساطة - دفـاع عن الثقافـة الفرنسية ..

وكلنا نتذكر الموقف الحيادي الذي وقفته الدول الأوروبية الغربية تجاه التدخل الأمريكي لصالح إسرائيل ايام حرب رمضان فقد رفضت جميع الدول - عدا البرتغال - ان تسمح باقامة جسر جوي امريكي إلى إسرائيل عبر اجوائها ، ورفضت كذلك إخراج اية اسلحة امريكية من قواعدها في اوروبا ، وعندما حاولت امريكا ان تلوح بحلف الأطلسي والتزاماته التي تشمل الجميع ، ردت الدول الغربية - وهي اعضاء في الحلف - أن التدخل الأمريكي لصالح اسرائيل لا يدخل ضمن مهام الحلف وانها بالتالي ترفض التعاون مع امريكا في ذلك ، وقد كان ذلك موقفا يلفت النظر فعلا إذا اخذنا في الاعتبارات العلاقات الوثيقة القائمة بين اسرائيل ومعظم دول الحلف ..

وكان موقف الدول الأوروبية من مشروع خط انابيب الغاز السوفييتي تعبيرا آخر عن محـــاولة اوروبا الغربيـــة لاثبات استقلاليتها حين قررت المضي في تنفيذ المشروع لصالح السوفييت رغم اعتراض الامريكيين ..

وزاد في بلبلة الأمور دخول بريطانيا السوق الأوروبية المشتركة ، وهي الدولة التي تعتبر اكثر دول اوروبا الغربية ولاء لأمريكا وارتباطا بها ، فكان الأمريكيين قد دسوا - عبر بريطانيا - «عميلا» ينطق بلسانهم ويدافع عن مصالحهم ويحاول تخريب السوق إذا استطاع ..

فاذا كـانت الدول الأوروبيـــة رغم تناقضاتها العميقة قد سارت على طريق الوحدة رغم كل الصعوبات ، فما يكون عذرنا - نحن العرب - إذ نجد منظمتنا الوحدوية العتيدة - اعني جامعة الدول العربية - لم تكد تحقق شيئا على طريق التنسيق بين الدول العربية الاثنتين والعشرين ؟

إننا حين ننظر إلى حالة التمزق والتشرذم القائمة بين بعض الدول العربية لنشعر بالدهشة بقدر ما نشعر بالألم .

ذلك أن مقومات الوفاق العربي اكثر - بما لا يقاس - من مقومات الوفاق الأوروبي، وهناك جذور حقيقية عميقة لهذا الوفاق ، وفي مقدمتها : الدين ، واللغة ، والتاريخ ، والامتداد الجغرافي ، والترابط الاقتصادي والحياة البشرية والثقافة و ... الهموم ..

ولو قارنـــا اسبـاب الخلاف العربية باسباب الخلاف الأوروبية لوجدنا الفارق عظيما .. فالشعوب الأوروبية مختلفة



ديجول



تيتو

جذرياً في كل شيء ، وثاراتها تضرب عميقاً في التاريخ البعيد والقريب ..

بينما لا نجد اسباباً جوهرية للخلافات العربية اكثر من المصالح الذاتية ، التي تكاد تكون فردية ، والتي يمكن حلها كلها دفعة واحدة إذا ما صدقت النية وصح العزم ..

ولقد اثبتت الشعوب العربية مصداقية تماسكها بالانتماء العربي في اوقات الأزمات والحروب ، فتضامنت جميعها ، ايام المعارك مع العدو الصهيوني ، لاسيما ايام حرب رمضان ، واسهم كل منها بما استطاع في تحقيق النصر ..

والتفاعل الثقافي بين الشعوب العربية هو اكثر عمقاً ورسوخاً عندنا عما هو عليه في اوروبا الغربية ..

والمصـــالح الاقتصاديـــة والبشريـــة والسياسية هي اكثر وضوحاً وإلحاحاً عما عليه لدى الشعوب الأوروبية ..

ومع هذا لم يعرف العالم العربي في تاريخه كله حالة من التمزق والتشرذم والتباعد والخصومة كما هو الشان اليوم .. لماذا ؟

لا احد يدري ...

وفيم الخلاف ؟

لا احد يدري ...

وعلام الخلاف ؟

لا احد يدري ...

اقولها صادقاً ، وارجو من اي كان ان يتكرم باقناعي - باية وسيلة - بجدية اسباب الخلافات العربية واستعصائها على الحل ...

ومن هنا برزت صورة نموذجية من صور التحسس باخطـــار الأوضـــاع العالميـة الراهنة ، والحاجة إلى التعاون والتنسيق واعني بها صورة «مجلس التعاون الخليجي» ..

ولا نعرف تنسيقاً دولياً حقق النجاح والتطور الايجابي المستمر مثلما حقق التنسيق بين دول مجلس التعاون .. على الاقل فيما طرح حتى الآن .. وما تم بالفعل .

ولعل هذا المجلس هو المؤسسة الدولية الوحيدة التي لم تعصف بها الخلافات ولم يهزها تباين في وجهات النظر ، فاتفقت جوهراً ومخبراً ، وسارت على طريق السلامة اشواطاً بعيدة جداً في زمن قصير جداً .. فقد ساروا على اساس «ان اختلاف الراي لا يفسد للود قضية» ..

ولعله - كذلك - اصدق صور التعاون العربي الذي وضع الاماني موضع التطبيق وبلور الوحـدة الخليجيـــة على شكل اجراءات عملية افاد منها كل مواطن خليجي ، واصبح يتطلع إلى تعاون مستقبلي اوثق .

وفي اعتقادي ان سبب نجاح التعاون الخليجي مرده إلى النية الصادقة المشتركة بين جميع الأطراف لانجاح هذه المؤسسة والسير بها في الطريق المرسوم بشكل متواصل لا يتوقف عند اية عقبة ..

فالمقررات المشتركة ، من القمة إلى القاعدة ، تتخذ طريقها إلى التنفيذ الفوري ، وتباين، وجهات النظر - إذا وجد - يحل بمزيد من الدراسة والتحليل للتوصل إلى صيغة تلائم جميع الأطراف ..

ولو ان اسلوب مجلس التعاون الخليجي قد طبق على مستوى الوطن العربي كله لتغير وجه التاريخ ، ولبات حال العرب خيراً مما هو الآن ..

وقد يخطر لك ان تتساءل :

ما الذي يمنع من تطبيق النموذج الخليجي على دول الجامعة العربية كلها ؟

واجيبك : بانه لا شيء - عملياً ونظرياً - يمنع من ذلك .. ولكن ..... واكتفي من الجواب بهذا الحد ..

● ● ●

المهم ان عهد المواقف الفردية قد انتهى منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ويستحيل على اية دولة ، حتى ولو كانت امريكا او روسيا ، ان تنفرد بمواقف واوضاع تختلف او تنعزل بها عن الآخرين ..

فاذا كان العملاقان - وهما عملاقان - يشعران بالحاجة إلى حلفاء واصدقاء ويبذلان من اجل ذلك جهوداً محمومة واموالاً طائلة ..

وإذا كانت الأخطار المتربصة بالجميع قد دعت اعداء الأمس في اوروبا الغربية إلى التوافق والتعاون والتنسيق ..

وإذا كانت هناك تجارب نموذجية تثبت ان التكتل الاقليمي والدولي ممكن ، إذا صدقت النيات ..

إذا كان الأمر كذلك من مختلف نواحيه - وهو كذلك فعلاً - فماذا يتعين علينا - نحن المسلمين - الذين يعدون قرابة مليار نسمة ان نفعل ؟ ..

وكيف نواجه الحروب الشرسة الموجهة ضدنا بالذات - لاننا مسلمون - من العملاقين كليهما ؟

وكيف نستطيع ان نحمي انفسنا وسط خضم الاعاصير التي تجتاح معظم ارجاء العالم ؟

وكيف - بعد ذلك - نستطيـع ان نتقي شرور ممارسات الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي ونقف كقوة دولية ذات وزن مستقلة المواقف والآراء ..

ذلك هو موضوع القســـم الرابـع - والاخير - من حديثي هذا ...

محمد عبده يماني

التحدي الثقافي

وآخر خط للدفاع عن العرب والمسلمين

بقلم: محمد الغزالي

الغزو الثقافي الذى يجتاح الأمة الإسلامية صنو للغزو العسكري الذى جاس خلال ديارها من بضعة قرون وأثر لا بد منه للهزائم التي أصابتنا وألحقت بنا خسائر مادية ومعنوية فادحة !

والأعداء إذا شنوا غارة على بلدٍ مّا فهم لاينزلون به سائحين عابرين . ولا زائرين متفرجين وإنما ينزلون به مستبيحين بيضته . وكاسرين شوكته . فإن كانوا طلاب مغانم استنزفوا خيره ولم يدعوا لأهله إلا الفتات . وإن كانت لهم أغراض دينية او اجتماعية وضعوا الخطط القريبة والبعيدة لمحو شخصية الأمة وتغيير ملامحها . وكما ينقل النهر من مجرى إلى مجرى . تنقل الأمة رويدا رويداً من مجراها العقلي الأول إلى مجرى آخر يرسمه خصومها ويدفعونها إليه دفعا . . !

والاستعمار الغربي الذى هاجم العالم الإسلاميّ من بضعة قرون كان مزدوج الهدف . فهو طامع في خيرات الشرق الكثيرة يراها ميراثا لاصاحب له . وهو في الوقت نفسه مثقل بضغائن قديمة . يكره الإسلام كراهية شديدة . ويضيق بكل من ينتمي إليه . ويشتد ضيقه بالعرب خاصة . فهم قوم محمد وحملة رسالته . ولاتزال لغتهم مستودع كتابه وسنته . . .

فلما واتته الفرص ووضع يده على أقطارهم شرع يضرب الإسلام بقوة ومكر . ومضي دون هوادة يجهز على فلوله الثقافية الخائرة بعد ما دمر جيوشه العسكرية . .

وانطلقت طلائع الغزو الثقافي تطارد الدين المغلوب على أمره في ميادين التربية والتعليم والتشريع . وتطوى تقاليده الاجتماعية والأدبية والاقتصادية والسياسية . وأفلحت في تكوين أجيال تنظر إلى ماضيها كله على أنه أنقاض أو مخلفات ينبغى أن تستخفي ليحل محلها البناء الجديد الذى وضع الغرب حقيقته وصورته . . !

ولم تكن المعركة سهلة على أية حال . فالمقاومة شديدة . ورجالها مستبسلون . وكلما ظنّ الغزاة أنهم انتصروا بدت لهم الغاية أبعد . والعقبات أشدّ !

ولكى يعرف أبناؤنا أبعاد الموقف نذكر لهم هذه الحقائق

(ا) منذ بدأ الإسلام واليهود والنصارى حاقدون عليه ومعترضون طريقه .تدبر قوله تعالى « ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسداً من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق . . . » وقوله : « لن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتي تتبع ملتهم . . . »

وعندما انشرحت به صدور . واستراحت إليه جماهير سعى هؤلاء وأولئك لفضّ الأتباع عنه ولو بقوا على وثنيتهم القديمة ! من أجل ذلك يقول القرآن الكريم مندداً ومعاتبا :

« ياأهل الكتاب لم تصدُّون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء . وما الله بغافل عما تعملون » ؟

وقد كانت هذه الضغائن وراء الحروب الصليبية في العصور الوسطى . وهى كذلك وراء الحروب الاستعمارية في العصر الحديث .

ولعل السيد جمال الدين الافغاني من أوائل الذين كشفوا هذه النيات السوداء . «يقول : لو ثروب ستودارد إن خلاصة تعليم جمال الدين تنحصر في أن الغرب مناهض للشرق . وأن الروح الصليبية لم تبرح كامنة في الصدور كما كانت متأججة في قلب بطرس الناسك . ولم يزل التعصب كامنا في عناصرها . والغرب لايزال يحاول بكل الوسائل القضاء على أية حركة يحاول بها المسلمون إصلاح أمورهم » نقول : وقد انضمت الشيوعية الى الصليبية في اعتراض الصحوة الاسلامية ومؤازرة الغزو الثقافي

وسد الطرق كلها في وجوه المؤمنين الأحرار . فالخصوم يكثرون ولا يقلون ، والساحة تتسع ولا تضيق .

(ب)ولعل الهدف الأول للغزو الثقافي إصابة العلوم الدينية في مقاتلها بعد إسقاطها عن مكانتها التقليدية وترتبط بعلوم الدين علوم اللغة وفنون الأدب ، فيجب أن تتضعضع هي الأخرى ، ولما كان الاسلام عقيدة وشريعة وتربية وتقاليد . وكانت الثقافة المصاحبة لهذا كله متشعبة متكاثرة ، فان الاستعمار قدر لتدمير هذه الثقافة أمداً يتراوح بين نصف قرن . وقرن كامل .

وهو يستطيع خلال هذا الأمد المتطاول خلق جيل زاهد في الانتماء لدينه غير متحمس له ولا حريص عليه . يهاب الأديان الأخرى ولا يهاب عقيدته ، ويفضل الألسنة الأخرى ويستهين بلغته ، ويكرم زعماء العالم قديماً وحديثاً . أما رجالات الاسلام فليسوا أهلاً لاكتراثه . وربما نال منهم وأزرى عليهم ! !

ولنعترف بأن أعداداً من المرتدين سقطت في هذه الفخاخ . فقد نسمع من يطلب ترك الصلاة أو الصيام حتى لا يضعف الانتاج ! وقد تسمع من يشغب علانية على شرائع الحدود والقصاص ! وقد تسمع من يرفض الولاء للدين ويقدم عليه الانتماء القومي أو الوطني ! وقد تسمع من يدعو الى العلمانية ! أو من يرى المخادنة أحسن من الزواج ..

وكان يستحيل أمس أن تقبل الجماهير معشار هذا الزيغ بيد أن الغزاة الدهاة عرضوها للسنين العجاف والأزمات العضوض فجرت تلهث وراء لقمة الخبز ، وقد يشغلونها بالملاهي والتسالي فيكون سماع أخبار الكرة أهم من أنباء المجاهدين في أفغانستان أو الفلبين .

إن الغزو الثقافي نجح في جعل قيمة مكان قيمة ، واهتمام بدل اهتمام ..

ومع ضياع المعرفة الدينية وسقوط رتبتها دخل الدين كله في محنة هائلة ، والحق يقال أن حماة الاسلام يقفون عند آخر خطوط الدفاع والمستقبل في كف القضاء ...

(ج) ذاك بالنسبة الى ثقافتنا التقليدية ! أما بالنسبة الى العلم العام الذي لا وطن له ، فمعروف أن حصيلتنا منه كانت فوق الصفر بقليل . فلما احتل الغرب ديارنا أخذ يعطينا منه بقدر ما نعطي من أنفسنا ! العلم مدون بلغاته ، وبحوثه مزدهرة في ربوعه ، ومراحل التطبيق العملي والانتاج الصناعي تتم في معامله وتحت إشرافه . وقد ملأ البر والبحر والجو بتفوقه . فاذا رغبنا فلنذهب إليه ولنتجاوب



الشيخ محمد رشيد رضا



الشيخ محمد عبده

معه .. ! واذا كان يضع همنا على الصنبور فان المحبس بين أصابعه إن شاء فتح وإن شاء أغلق . ومن أبى فلا يلومن إلا نفسه .!

وهكذا استطاع المنتصر أن يجر المسلمين وراءه ، وأن يفرض عليهم صبغته ..

وعندما أتعمق هذه المرحلة من التاريخ الاسلامي ، وأتساءل عما أصابنا ،أجد الجواب العدل : لقد كنا للهزيمة أهلا . وماكان يمكن أن يقع إلا ما وقع بعد الخيانات العقلية والخلقية التي لفت حياتنا في الاعصار الأخيرة .

لقد تكاثرت أوزار التخلف المادي والأدبي على ظهر الأمة المسكينة حتى قصمته . ولم يكن ثم بصيص نور يومض بهداية أو نصفة أو مرحمة ، كان الحاكم الجائر ينبت في منصبه فيقال في تسويغ وجوده « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء ... » أما أن المناصب أمانات . وأن ملأها يتم بالاختيار النزيه فذاك حديث لا يخطر ببال .

وكان من يقدر على انتهاب ثروة ضخمة يأخذها في صمت . أو تتطلع الأنظار إليه بوجل . فاذا تجرأ امرؤ فذكر حدود الحلال والحرام قيل له : صه ! ! « إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .. وصاح شاعر « مؤمن »يقول :

ملك الملوك إذا وهب
لا تسألن عن السبب
الله يعطي من يشا
فقفن على حد الأدب

ونشأ عن استقرار هذا الفكر تسليم بالحظوظ العمياء والتفاوت الظالم . وعد ذلك هو الوضع الطبيعي . فما جاء على أصله لا يسأل عن علته ! أما التساؤل : من أين لك هذا ؟ سواء كان هذا مالاً أو حكماً ، فانه سؤال مردود على صاحبه . وقد يكون سبباً في اخترام أجله .

إن المعرفة الدينية في ميداني الحكم والمال لم تكن تنبع من كتاب الله وسنة رسوله وتقاليد الخلافة الراشدة . بل كانت تنبع من طبائع الأثرة والهوى التي استفحلت في الشرق الاسلامي . وكانت لها ظلال كئيبة خلال قرون طويلة ..

وكانت هذه اللوثة موجودة كذلك في الغرب الصليبي . فقد حدث حوار بين قيصر روسيا وجمال الدين الأفغاني . سأله أولاً عن آرائه في الشرق ثم

سأله عن سبب خلافه مع الشاه .

قال جمال الدين : إنها الحكومة الشورية أدعو إليها ولا يراها . !

قال القيصر : الحق مع الشاه إذ كيف يرضي ملك أن يتحكم فيه فلاحو مملكته ؟

قال جمال الدين : أعتقد يا جلالة القيصر أنه خير للملك أن تكون الألوف المؤلفة من رعاياه أصدقاء له بدل أن يكونوا أعداء يتربصون به الدوائر !

فلم يعجب القيصر هذا الحديث ، وغادر المجلس علامة الإذن لجمال الدين أن ينصرف ...

لكن أقطار الغرب لم يطل صبرها على هذا الغرور ، فقامت في القرن السابع عشر ثورة في انجلترا أطاحت بملك من طراز القيصر ، وتبعتها فرنسا في القرن الثامن عشر ، أما روسيا نفسها فان القيصرية طاحت فيها أوائل القرن العشرين .. !

وجمال الدين ومحمد عبده ورشيد رضا كانوا ينصرون الاسلام حين يذكرون بالشورى ، وكانوا يستمدون من تعاليمه لإصلاح ما ساد عصرهم من اعوجاج ، بل لقد كانوا يعالنون بسلفيتهم إذ أن السلفية فيما يعلم أولو الألباب شيء آخر فوق إحفاء الشوارب !

إن الاسلام يضيره أشد الضير أن تختص أرضه وحدها بأجرأ الناس على اغتيال المال العام والخاص ، وأجرأ الناس على تدويخ الشعوب وإذلال من أعز الله وإعزاز من أذل الله ! ! !

وسيقال : طبيعة نظمه أوحت بذلك أو سكتت عليه ، وهذه في نظري أقبح فرية بعد الشرك بالله ...

وهناك سبب آخر أعان الغزو الثقافي على النجاح هو مد خيمة الغيبيات لتشمل مساحات واسعة من عالم الشهادة حتى كأن الدين حارس طبيعي للطلسمات والخرافات ، أو كأنه خصم لدود للمنطق العلمي ! وقد شاع هذا المسلك في مقولات شتى ..

كنت أقرأ كتاباً عن مطالع الأهلة وأوقات الصلوات لفقيه مالكي ، فمررت بقضية أثارها المؤلف : رجل صلى الظهر في مكة ، وكان من أهل الخطوة (!) أي ينتقل بين الأجواء بسرعة البرق ،

قال المؤلف : فوثب بعد صلاته الى طرابلس — في ليبيا — والظهر لما يؤذن له بعد هناك ، هل يعيد الصلاة ؟ أم تكفيه صلاته الأولى ؟

وليس يعنيني أن يكون هذا الكلام حقاً أم باطلاً ، انما الذي يعنيني أنك إذا أنكرت هذه القصة يقول لك شخص هائج : ماذا ؟ أتنكر القدرة الالّهية ؟ إن هذا كفر ! !

ومنعاً من الوقوع في الكفر أثبت الأحناف النسب بين مشرقي تزوج مغربية ، ولم تتيسر له وسيلة انتقال معتادة ، ومع ذلك أنجبت ! إن الولد ينسب إليه ، فقد يكون من أهل الخطوة ، طرقها وعاد قاطعاً ألوف الأميال في ساعة من نهار ! !

وهذا الخيال أو الخبال يرجع إلى مسألة كلامية ، هل العلاقة بين السبب والمسبب عقلية أم عادية ؟ ولمسائل علم الكلام انحرافات معقدة في مسالك أمتنا ومعلوفها ..

وينضم الى ذلك ما يعتبر تلاعباً بالألفاظ وتبادلاً للتهم ، فالمسلمون مجمعون على أن الانسان مسئول عن أفعاله ، لكن هذا المعنى البديه صيغ في عبارة نابية ، ابتدعها المعتزلة ابتداعاً هي : الانسان خالق أفعاله ! والفلاح المسئول عن زرعه لا يقال فيه خالق زرعه ! والبناء الذي شاد قصراً لا يقال عنه خالق القصر ! وكان يمكن أن تهجر هذه الصيغة الى صيغة أكيس وألطف !

لكن سرعان ما احتدمت معركة رهيبة ظلت عدة قرون تمسك فيها أهل السنة بأن الله خالق الأفعال الجبرية والاختيارية ..

وخرج العوام من المعركة وهم يرون ألا قدرة لهم ولا إرادة ولا حول ولا قوة ... ! ! وكان هذا التلاعب بالألفاظ من وراء تضليل أجيال غفيرة ، وتمويت أمة كبيرة ..

وقد بذلت مدرسة المنار جهوداً متصلة لتصحيح المعرفة الدينية ، فحاربت التقليد المذهبي الجامد كما حاربت الأحاديث الضعيفة وضبطت داخل الهداية القرآنية الأحاديث الصحاح ، وطاردت قضايا كلامية وتضليلات سياسية .. واستطاع محمد رشيد رضا أن يسوق توجيهات محمد عبده وسط حشد من الآثار المحررة ..

بيد أن قوى شريرة من الداخل والخارج اعترضت هذا الخير الدافق .

ومن هنا قدر الغزو الثقافي على بلبلة الجماعة الاسلامية وتبديد طاقاتها في غير طائل .. فان كثيراً ممن أحب الاسلام وحن الى العودة اليه قدم الاسلام أو قُدِّم اليه الاسلام جملة معارف من عهود الاضمحلال ومن أيام الهزائم الفكرية والخلقية لأمتنا خلال مسارها الطويل ، فلم يستطع معالجة الانحراف في دنيا المال والحكم ! إلاَّ بالعظات ..

وضم العالم الاسلامي في أرجائه الرحبة أبخل أغنياء وأخبث ساسة ، وسكت رجال العلم الديني التقليديون ! ترى ما أسكتهم ؟ ليس لديهم ما يقولون ليسدوا الطريق أمام التحدي الثقافي القادم من الخارج .

ودعك من ميادين الاقتصاد والسياسة ومن عالم الانتاج والادارة وتحريك الحياة والأحياء ! ولنذهب الى المحاريب وتزكية النفوس وترقيق القلوب وبناء الأخلاق وتوفير الباقيات الصالحات .. إنني بعد تأمل طويل وجدت ثروتنا من المعاني الغالية قليلة ، وزادنا غير كاف لمغالبة حضارة ساحرة الاغراء كثيرة الأحابيل فما العمل ؟

العمل إعادة النظر في ثقافتنا كلها ، أعني ثقافتنا الذاتية لننبذ منها ما ليس له رصيد من هداية الله .. واعادة النظر في العلوم الكونية والانسانية التي تموج بها الأرض لنقتبس منها ما نحتاج إليه على عجل .

ولذلك تفصيل ومنهاج ..

في الانسان غرائز دنيا تشده الى تحت ! وفيه خصائص كريمة تدفعه الى فوق ! فاذا كانت هذه الخصائص أشد قوة ذهبت بالانسان صعداً الى آفاق الحق والخير والجمال .. وان كانت مساوية لغريمتها ذهب السالب في الموجب وبقي المرء موضعه .. وان كانت أضعف منها أخلد الى الأرض واتبع هواه ، فلم تره إلا مبطلاً شريراً دميم الروح !

والذي أقصده أن تحصيل الكمال يحتاج الى معاناة علمية وخلقية .. فالكريم لن يكون كريماً إلا إذا قهر نوازع الشح ، والشجاع لا يكون شجاعاً إلا إذا هزم بواعث الخوف .

والاسلام الذي ننتمي اليه سمع وطاعة لله تباركت أسماؤه ، ولا بد أن يعتمد على معرفة شديدة الوضوح ، وخضوع لا يتخلف في موطن ، واستجابة عاجلة لكل نداء ..

ولا يتم شيء من هذا إلا إذا كانت المشاعر جياشة ، والبواعث حية ، والنفس مكتملة القوى في إرضاء الله .

وأي منصف يتدبر القرآن الكريم في طول السور وعرضها يشعر بأن الايمان الذي يصنعه هو إيمان الرغبة والرهبة ، والتبتل والتوكل ، والصبر والشكر ، والاستناد الى الله والاستمداد منه ، والحب والبغض فيه والسلام أو الحرب من أجله ... إيمان يغمر

المحاريب بالخشية والميادين بالجرأة ويتحرك دون توقف لإحقاق الحق وابطال الباطل ، وسوق الحياة وما فيها لإعلاء كلمة الله .

وكان المفروض في ثقافتنا الذاتية أن علمي الكلام والتصوف يشرفان على هذا الجانب ، ويقومان بتصوير العقائد ، وتأسيس العناصر التي تجعل الإيمان يخالط القلوب ويوجه النفوس .

بيد أن ملابسات شتى أحاطت بهذين العلمين ، فاذا إثمهما أكبر من نفعهما ! فماذا صنعنا لنصلح مسارهما ووجهتهما ؟ إن الايمان النظري قليل الجدوى وإن صحت أدلته ! والعاطفة الحارة قليلة القيمة إذا جانبها الفكر الراشد والرأي الصحيح . !

ولكي نبني أجيالاً صالحة يجب أن نقدم من تراثنا الغني ما ينشئ يقيناً ناضجاً ، وسريرة ناضرة ، وربانية تتعامل مع الدنيا بذكاء وترفع ، لا بنهم وضراعة !

رأيت ناساً يرنون الى أحد الحكام الخونة ، فقلت : أعوذ بالله من الخذلان ، إنهم يرنون الى حظوظ الدنيا عند هؤلاء ، ولو كانوا يؤمنون بالآخرة ما عرفوا لهم باباً ..

ورأيت ناساً أصدروا فتاوي سيئة ، ودافعوا عنها بقوة ! كان الدفاع عن المنصب وراء جدالهم الطويل عن هذه الفتاوي .. !

ألا فلنعلم خبايا هذه المواقف ، يوم تكون صلة امرئ بالمال والجاه كصلة الوثني القديم باللات والعزى ، لأن الله ليس في قلبه ، إن في قلبه شيئاً آخر ! أي إسلام هذا ؟

إن الجانب الألهي في الاسلام والجانب العاطفي في الاسلام ينبغي أن تعاد دراستها على ضوء من الكتاب والسنة ، وأظن الذين حاربوا علم الكلام والتصوف ذكروا بدائل حسنة لما عدوه خطأ في هذين العلمين ، فهل درسنا هذه البدائل ؟ إن جمهوراً كبيراً من المنتمين الى السلفية لا يعرف ماكتبه ابن القيم في « مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين » ولا ماكتبه في « طريق الهجرتين » ولعله يحسب هذه الكتابات من هناته(!)وما هذا الحسبان إلا من فرط الجلافة وغلظ الحجاب ..

والحق أن الإيمان المقبول عند الله هو إيمان المحبة والتفويض ، والركون الى الله لا الى الظالمين ، والأنس بالله لا بالمكانة الشعبية والتفاف الجماهير.. وقد نرى ثروة معجبة من هذه المعاني في تركة المتصوفين يمكن انتقاؤها بعناية ، واطراح ما عداها من بدع .

ولنؤكد هنا أن التصوف المقبول — إن صح التعبير — تربية دقيقة قبل أن يكون سعة علم ، وإنما أخذ على القوم أمران ، أحدهما الغلو والجهل بأحكام كثيرة دينية وانسانية ، والثاني اعتبارهم مراحل الطريق أو درجات الترقي صفة لفرقة متميزة من المسلمين تنعزل بها عن العامة وتنفرد بأحوال خاصة ، وهذا باطل !

فنحن المسلمين أساسنا الأول كتاب الله ، وللإيمان في كتاب الله خصائص تعد مثلاً علياً لكل من يقرؤه ، هذه الخصائص من شهود ومراقبة وتهيب تتكون في ساحات الحياة لا في أجواف الصوامع ، وتدبر لهذه الآيات : « لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله » ، « من الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله . والذين آمنوا أشد حباً لله » ، « الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله .. » ، « إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمنذا الذي ينصركم من بعده » ، « ومالنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ... » ، « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور » ، « ألا بذكر الله تطمئن القلوب » ، « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم .. » الخ الخ

إن المشاعر النابضة بالحياة ، المشاركة في معاركها ، الهاجمة مع أمواج المدّ أو المتراجعة مع أمواج الجزر ! هذه المشاعر هى أجزاء الإيمان عندنا ، فليس الإيمان أنفاسا باردة وخيالات طائرة .

وإذا لم نصنع العلوم التي تقيم هذا الإيمان وترفع قواعده فنحن نخون الإسلام .. إننا نصنع هذه الثقافة لا لنطبّقها بين ظهرانينا وحسب ، بل لنصدّرها إلى العالمين كي يعرفوا : من نحن ، وبماذا ندين . أليست هذه وظيفتنا ؟ إنها رسالة أمتنا التي ينبغى أن تعرف بها شرقا وغربا ..

والصلوات وغيرها من فروض إنما تقدَّر وتقبل بقدر مانحوى من هذه المعاني ، وبقدر ماينشا عنها من أخلاق زاكية ، وبعد عن الدنايا .

والأمم لا تنجح في أداء رسالاتها إلا اذا كانت لها قدرات مادية مساندة ، وحكم الوسائل هنا هو حكم الغايات نفسها ، فما لايتم الواجب إلا به فهو واجب ..

أإذا اعتمد المؤمنون في تحصيل الرغيف على عون الملاحدة أمكنهم هذا العجز من تبليغ رسالتهم ؟ أإذا انتظر المسلمون أمداد السلاح من غيرهم أمكنهم ذلك من الجهاد في سبيل ربهم ؟

إن دولة أسرائيل برعت في صناعة الأسلحة ، ولها في هذا الميدان تجارة عالمية (!) فماذا عند العرب ؟

وأشعر — وأنا أكتب هذه السطور — بالقهر والشتات لا لفراغ بلادنا من المصانع المخوفة ، بل لأن اليهود يستعدون لانتخابات جديدة ، وتوجد بلاد إسلامية تستعد هى الأخرى لانتخابات مماثلة .

قلت في نفسي : منذ نشأت دولة اسرائيل ما زورت فيها انتخابات قط .. !

أما نحن فأبناء بجدتها في صنع النتائج التي يعرفها العالم ...

فلأدع هذا الاستطراد ، ولأعد الى الوسائل التي لابد منها لأداء رسالتنا ..

إن الاسلام أنبأنا بأننا أعلم بشئون دنيانا ،وشئون الدنيا العلمية والعملية تتنافس الآن في تجويدها خمسون ومائة دولة ، كل دولة تبذل وسعها لتتقدم وتسبق ، وتدعم وجودها المادي والأدبي ..

والوحي الألهي لا صلة له بالمعادلات الجبرية ، ولا بالكشوف الكونية ! هذا موكول الى جهود البشر ، ومدى ذكائهم ونشاطهم ، والسباق اليوم رهيب بين فرعي الحضارة الحديثة الشيوعي والصليبي للسيطرة على زمام الحياة الأرضية ...

كلاهما يريد دعم نفسه ومبادئه بما ملكت يداه من علم وتطبيق !

هل للمسلمين وجود في هذه الميادين ؟ أين اختفوا مع أن آباءهم قادوا الحياة البشرية دهراً ؟ وبماذا يشتغلون ؟ الواقع أن هناك خطأ أساسياً في إسلوب تفكيرنا وعبادتنا لربنا ، لأننا لم نعط القدرة المدنية والعسكرية وزنها الصحيح !

أغلب العابدين يرجحون نافلة في مجال العبادات المحضة ، على درس علمي أو إبتكار صناعي ، وربما ظن تلاوة ورد أرضى لله من اختراع آلة ، أو صون جهاز ، أو إحكام إدارة ، أو تدبير سياسة .. !

إن التحدي الثقافي يمتد في هذا الفراغ العقلي والديني عندنا ، وربما أعانه هذا على استئصال شأفتنا ، والقضاء على رسالتنا .

وعندي أن مطاردة الفقهاء والدعاة الذي يصنعون هذا الفراغ أهم من مطاردة تجار المخدرات ،

التحدي الثقافي

وباعة الخمور ، واذا لم ننقذ مستقبلنا الحضاري من هؤلاء الناس قضوا علينا يقيناً ..

ولا ينبغي أن نستحي من أن نكون تلامذة لمن سبقونا ، وان نتواضع لهم حتى نعرف ما لديهم ، ونحسن رتق فتوقنا ...

لكن المأساة المثيرة للبكاء أننا نرسل طلاباً ليكملوا نقصنا في هذه الناحية ، فاذا الذاهب الى موسكو يعود بفكر ماركسي ، والذاهب الى واشنطن يعود بفكر انحلالي تبشيري .. والعلم النافع القليل الذي حصل عليه سرعان ما يتبخر ، ولا نجد أثراً أو أثراً ضَرُّهُ أكثر من نفعه ...

والمرء إذا وهي دينه يقاد من بطنه وفرجه أكثر من عقله وضميره ، وتلك حال مبعوثين كثيرين ...

إن فقرنا العلمي والصناعي شديد ، ونحن أحوج أهل الأرض لنجدات تستبقي حياتنا وإيماننا ، فهل يسعفنا شبابنا في هذه الميادين .؟

ومع استيراد العلم الذي لا وطن له ، نحتاج كذلك الى استيراد الوسائل التي لا وطن لها .. إن الارتقاء البشري في العالم جعل الأدارة فناً رفيع الأداء ! ومكن الاخصائيين ــ بحسن النظام ــ أن يختصروا أوقاتاًوأعمالاً كثيرة ، وأن ينجزوا في ساعات ما ننجزه نحن في أيام !وأن يضبطوا مفاهيم كانت رجراجة ، ويبتوا في قضايا كانت معلقة ...

ولأزد هذا الموضوع جلاء حتي لا يكون نقل الوسائل ذريعة الى نقل الاهداف ..

إنني أومن بالشورى ، وأزدري الاستبداد السياسي من أعماق قلبي ، وأرد إليه أغلب هزائم أمتنا خلال تاريخها ..

وأرمق الديمقراطية الغربية فاحسد أصحابها على مناقشة الآراء بحرية ، وعلى استكانة الحكام للحق ، وعلى اعتزاز الأفراد بكراماتهم .. وكنت أهمس الى نفسي : أما يجيء يوم يظفر فيه المسلمون بمثل هذه النعمة ؟

بيد أنني مسلم ، لا يتقدم شيء أبداً على ولائي لله ، وقد تابعت مناقشات مجلس العموم البريطاني في مسألة إلغاء عقوبة الإعدام ، ورأيت كيف حاولت رئيسة الوزراء الاقتصاص من القتلة ، وكيف خذلها أغلب أعضاء المجلس ، وأصروا على إلغاء عقوبة الاعدام .

قلت : هذا هو الفرق بين الشورى عندنا وبين الشورى عندهم ! نحن نرى أنه لا اجتهاد مع النص ، ولا شورى مع كلام الله ورسوله ، وهؤلاء ساء ظنهم بالدين كله ، وقرروا البحث بعقولهم عن مصالحهم .. وكفر الغربيين بالدين يرجع إلى أسباب نابعة من البيئة لديهم لانشرحها هنا ..

وإنما أحذِّر من عصابة تجحد الشورى وترفض كل الضمانات التي استحدثها العالم الحرّ ــ كما يتسمَّى ! ــ وتجعل الاقتباس من الديمقراطيات الغربية كفرا أو دونه الكفر ! ! وحجتها أنها تجعل السلطة للشعب ولا تقفها أحكام الله . !

وهذه المحاذير كلها تنتفي مع أى دستور ينص على أن الإسلام دين الدوله ، إذ يستحيل معه الخروج على شيء من كتاب الله وسنة رسوله ..

إن المهم هو تقليم أظافر الفرد الطاغية ، واختفاء الصورة السمحة المأخوذة للحكم الديني ، صورة انسان يجيئه شاعر مَلِقٌ ، فيقول : أعطوه مائة ألف درهم !

مائة ألف من عرق الكادحين ثمن كذب مزخرف ! !

فإذا تقدم أحد بنصح ، أو ضبط متلبسا بالامر بالمعروف والنهي عن المنكر ! قيل :اضربوا عنقه ، فإذا هو قصة تُروَى . !

بديه أن هذا ليس سيرة الخلافة الراشدة ، فأين هذه الخلافة ؟ ولماذا لاتحتاط الأمم لنفسها ضد الطواغيت في وثائق مفصَّلة مضبوطة ؟ ؟

ومراقبة المال الخاص والعام في دورته الاجتماعية ! أليست عملا صالحا تفرضه أحكام الحلال والحرام ؟ أيضيق الإسلام بهذه الرقابة ؟

يقول مصطفي صادق الرافعي ــ وهوكاتب مسلم معروف ــ إن الله خلق الأرض وقدَّر فيها أقواتها ، ولكن غنيا واحدا ينفق في لذة يوم قوت مدينة ! وحمار واحدلايأكل الأرض ليجيع بقية الحمير ، ولكن بعض الأغنياء يفعل ذلك ... ! !

هل الإسلام يحمى تلك الفوضي ؟ ويرى الضائقين بها خارجين عليه ؟

فإذا كانت مجتمعات الغرب قد وضعت قوانين وتقاليد تنظم مسيرة المال في المجتمع ، فلماذا لانقتبسها ؟

والاقتباس كما قلنا آنفا لايقبل بتاتا إذا خالف نصا في كتاب أو سنة ...

ومن التحديات الثقافية الحملة على موقف الإسلام من المرأة ، واتهامه باحتقار الأنوثة وانتقاص حقوقها ! والواقع أننا أعنَّا على استمرار هذه الحملة ، بل على نجاحها في بعض الأحيان ... !

فلدينا علماءيختارون في معاملة النساء أعسر الفتاوى وأردأ الأقوال ، وتتملكهم حمَّى إذا ذُكرتْ للمرأة حقوق ، أو مُحيتْ بعض التقاليد التي تحرجها ..

ومعرفة هؤلاء بالإسلام ضحلة أو مشوهة ، أو مكذوبة !ومع ذلك فقد أستطاعوا من قرون ألا تذهب المراة الى مسجد أو مدرسة ! وحكموا ألا ترى أحدا ولايراها أحد ! ورأوا أن تورث ولا ترث ، وأن يختارها من يريد زوجة له ولا تختار هى أحدا ..

وبعد الهزائم الشاملة التي أصابت العالم الأسلاميّ أجمع في كل ميدان ، شرع أولو الألباب يعودون بأمتهم ورويدا رويدا إلى تعاليم الإسلام في عهده الأول ، وهى تعاليم عادلة وفاضلة ، غير أن الجهل المستشرى يضع أمامها عوائق كثيرة .

وكما وجد من يحارب الشورى ودساتيرها الدقيقة وجد من يرى النقاب الركن السادس في الأسلام . ومع هذا النقاب المضروب تنكمش إنسانية المرأة وتذوى قدراتها الأدبية ونشاطها الذى قرره الإسلام من قديم ..

وكأني أسمع من يقول :تريد انحلال الغرب ، وضياع شرفه ..

وهذا افتراء ! فإن الغرب موغل في الآثام التي يأباها كل عاقل ..

والانحراف المأخوذ على الغرب ليس أسوأ من الانحراف الذى ينشدونه هم ! إن الغرب يميل عن الصراط المستقيم ثلاثين درجة إلى اليسار ، وهم يميلون عنه ثلاثين درجة إلى اليمين والعوج الواقع لايخففه أن يكون هنا أو هنا ، إنه بعدٌ عن هدايات الله على أية حال ..

ولكني أَلْقَى كل تحدٍّ ثقافي وأنا راسخ القدم أحبُّ أن أعرف ديني من مصادره السماوية لا من تقاليد الأجناس المختلفة ، وأن أفرق بين اليقينيات والظنيات ، وأن أدرس التاريخ الفقهى والسياسي دراسة اعتبار واستفادة تحميني من التورط فيما تورط فيه قوم آخرون ...

محمد الغزالى

استطاع الإنسان أن يغزو القمر، ولكنه مازال عاجزًا عن مواجهة مشاكله فوق الأرض، وعلى رأسها مشكلة: الجوع

غزو الفضاء وفقر الإنسان

بقلم: الدكتور علي الدين هلال

غريب حقا امر انسان القرن العشرين . فهذا الانسان الذي مشي على سطح القمر . وسار في الفضاء ما زال عاجزاً عن مواجهة مشاكله الاساسية على الارض . وفي الوقت الذي كانت الولايات المتحدة تعلن بفخر عن نجاح رواد مركبة الفضاء «تشالنجر» في مهمة اصلاح قمر صناعي خرج عن مداره ، كانت احدى وعشرون دولة افريقية تواجه نتائج الجفاف ، وتدعو العالم الى مساعدتها على نحو عاجل لمواجهة المجاعة بين سكانها .

وأتذكر مقالة كتبها الاستاذ توفيق الحكيم من حوالى ربع قرن يقول فيها ان حضارة الانسان على هذه الارض ما زالت في دورها البدائي . واننا اذا قارنا بين تاريخ الانسان من عصوره الاولى حتى اليوم لابد ان نصل الى ان الفترة التي بدأ يسيطر فيها على الحياة من حوله ويسخر مواردها لقضاء اغراضه ومصالحه وبالذات في العصر الصناعى هي فترة قصيرة للغاية مقارنة بالتاريخ الطويل الذي سبقها . والذي عاشه الانسان خاضعاً للطبيعة وليس مسيطراً عليها .

والنتيجة ان الحضارة الانسانية التي نراها اليوم والتي تحرز انتصارات وانجازات سريعة ومتلاحقة ما زالت تشغل حيزاً ضئيلا من تاريخ الانسان ، وهي ليست سوى قشرة رقيقة من هذا التاريخ . ولعلنا يجب ان نتذكر انه من ستين سنة فقط كانت مشكلة الطيران الرئيسية هي عبور المحيط الاطلنطي .

ونتيجة لسرعة التقدم العلمي والتكنولوجي فإنه لم يحدث تطور مماثل في النظم الاجتماعية ، ولا في القيم التي تحكم علاقات الدول والشعوب . ومن ثم نجد أمامنا مفارقات تثير الاستغراب والاستنكار : فالدول الكبرى تنفق ملايين الدولارات على غزو الفضاء وعلى استكشاف قاع المحيطات في الوقت الذي تشهد فيه اعداد متزايدة من دول العالم الثالث تدهور اوضاعها الاقتصادية والمعيشية . ولعلنا نقف وقفة اليوم امام المشكلة الكبرى في حياة الملايين من البشر وهي قضية الفقر .

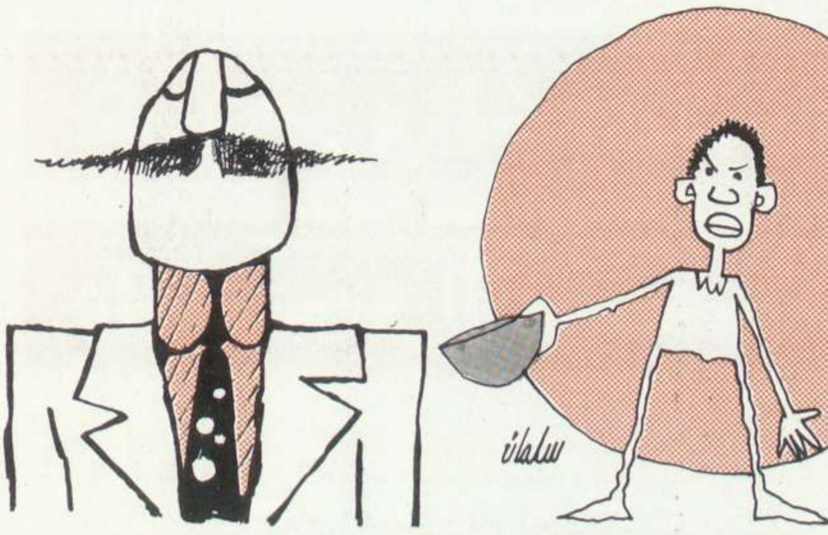
ما هو الفقر ؟

رغم قلة الكتب التي تتعرض لقضية الفقر مباشرة فإن هناك استثناءات هامة وضعت منها محوراً لكتاباتها مثل المجلدات الثلاثة للأستاذ السويدي جونار ميردال عن الفقر في آسيا . وبصفة عامة فان قضية الفقر هي صلب كل الدراسات التي تتحدث عن التنمية الاقتصادية مثلا وكل حديث عن التنمية والتغير الاجتماعي هو حديث عن كيفية القضاء على الفقر .

والفقر هو عجز الانسان عن الوفاء باحتياجاته الاساسية من غذاء وملبس ومسكن ورعاية صحية . ويفرق الباحثون بين مفهومين للفقر : الفقر المطلق ، ويقصد به تردي دخل الانسان عن حد معين فيقال ان هناك خطاً للفقر . ومن هم دونه يعتبرون من الفقراء . ولكن ينتقد هذا المفهوم لعموميته ولانه لا يراعي اختلاف الاسعار والظروف بين مجتمع وآخر ، والمفهوم الثاني هو الفقر النسبي . ويقصد به ان الفقر هو حالة نسبية تختلف من مجتمع لآخر حسب ظروف هذا المجتمع .

والأمر عندي ان كلاً من المفهومين صحيح ، وهما يكملان بعضهما البعض . ولا يصح طرح احدهما كبديل للآخر . فمن ناحية ، هناك مفهوم مطلق للفقر يتمثل في عدم قدرة الانسان على توفير الحاجات الأساسية التي تمكنه من البقاء . وهذه الحاجات لا تختلف في حدها الادنى - من مجتمع لآخر ؛ وهناك مفهوم نسبي يرتبط بظروف كل مجتمع ويضيف الى هذا الحد الأدنى . وإذا كان الفقر المطلق يتعلق بوجود الانسان ذاته وتعرضه لسوء التغذية أو الأمراض ،

غزو الفضاء وفقر الإنسان



فإن الفقر النسبي يتعلق بالشعور بالحرمان والتفاوت بين الفئات في المجتمع .

وبصفة عامة فإن للفقر آثاراً خطيرة على ضحاياه ، فهو يشعرهم بالعجز عن مواجهة متطلبات الحياة ويجعلهم دائماً في موقف غير القادر ، وهو يغرس الشعور بالاغتراب عن المجتمع وقيمه ونظمه ، أو الشعور بالغضب عليه والرغبة في الانتقام منه ، أو الإحساس بضرورة تغييره إلى أوضاع اكثر عدلا .

لماذا الفقر ؟

لمدة طويلة ساد في الفكر الاقتصادي والاجتماعي الرأسمالي الغربي ان الفقراء مسئولون عن فقرهم ، ووفقاً لهذا الرأي فإن الفقير هو انسان محدود القدرات الفنية أو التعليمية ، وان ذلك مرجعه الى العجز أو الكسل او عدم القدرة . وذهب البعض بهذا الرأي وطبقوه على العلاقات بين الشعوب والمجتمعات ، ومن ثم فسّروا الاستعمار بأن هناك شعوبا أرقى وأسمى حضارة من شعوب اخرى ، وتحدثوا بصراحة عن رسالة الحضارة ونشر المدنية التي يقومون بها ، وفي اكثر اشكاله تطرفا فقد قال بعض انصار هذا الرأي بالتفوق العنصري لشعوب على اخرى . وعموماً لم يعد هناك من يدافع عن مثل هذه الآراء صراحة .

ولكن ظهرت آراء أخرى ذات طابع تبسيطي وتجزيئي تربط بين الفقر وقضية التدريب ونقص المهارات ، أو بينه وبين غياب التعليم . ويعيب هذه النظرة غياب التصور الشامل ، فإن كانت قضية الفقر هي مسألة تعليم أو تدريب ، فإن الحل يكمن في برامج التدريب المكثفة ، وان كانت القضيه هي مستويات الأجور ، فمن الممكن المطالبة برفعها ، وإن كانت هي البطالة ، فمن الممكن المطالبة بالتأمينات الاجتماعية والنقابية .

وفي الحقيقة ان كل هذه الأمور هي مظاهر ونتائج تتعلق بكيفية « توزيع الفقر » ، ولا تجيب على سؤال : «لماذا الفقر ذاته » ؟ ولا يمكن في تصورنا الاجابة على هذا السؤال دون مناقشة الهيكل الاجتماعي السائد في المجتمع ، ونظام توزيع الثروة والسلطة ، وسلم الاولويات الاجتماعية ، فقضية الفقر هي قضية التنظيم الاجتماعي ذاته . والفقر ليس قضية فردية ، وهو ليس نتاج إخفاق فردي ولكنه حقيقة جماعية تفرض ظلالها على حياة الملايين من البشر ، وهو افراز للتنظيم الاجتماعي والاقتصادي لمجتمعاتهم ولعلاقة هذه المجتمعات بالدول الصناعية المتقدمة .

آثار الفقر

والفقر ليس مجرد حقيقة اقتصادية وحسب . بل ان حلقة الفقر الخبيثة تحاصر الانسان في كل مقومات حياته المادية والنفسية وتؤثر على سلوكه . فالفقر المادي يؤدي الى عدم الاستمرار في التعليم ، وإلى رعاية صحية سيئة ، وإلى زيادة عدد الفقراء جيلاً بعد جيل ، وهكذا تتواصل حلقات الدخل المحدود والأمية والمرض والبطالة ونقص المهارات .

والفقر هو قنبلة موقوتة يمكن ان تنفجر في اي وقت ، والعامل المحدد لهذا الانفجار هو درجة الوعي . ويمكن طرح العلاقة بين الفقر والوعي في شكل معادلتين :

المعادلة الاولى هي : الفقر - الوعي = اغتراب

والمعادلة الثانية هي : الفقر + الوعي = الثورة

ويتحدث علماء الانثروبولوجيا (علم الانسان) . الذين يركزون في دراساتهم على الجماعات الصغيرة كالقبيلة او الاسرة عن ثقافة الفقر وعن وجود قيم وانماط وسلوك ترتبط بحياة الفقر . في ظل الفقر

وانشغال رب الأسرة تقريباً بالعمل للحفاظ على دخله المحدود . فان الدور الأكبر في الأسرة تقوم به المرأة عادة .

ويتسم مجتمع الفقر بالازدحام في السكن . وانعدام الخصوصية تقريباً . وبضعف القدرات التنظيمية وتكوين الجماعات للدفاع عن حقوق الفقراء بسبب الانصراف الى العمل . وهو ما يؤدي إلى ضعف القدرة السياسية للفقراء لغياب أو ضعف تنظيماتهم .

ان ثقافة الفقر هي ثقافة الحرمان . وهي ثقافة الشعور الدائم بالحاجة الى الإشباع . وبالعجز المستمر عن تحقيق ذلك . وفي غياب الوعي السياسي فهي ثقافة تدعم الشعور بالقدرية وبالعجز وباليأس وبالحاجة الى الهروب إلى عالم آخر مثل عالم المخدرات . او عالم الجنس . والشعور بالانتصار في صورة الماشيزمو الموجودة في امريكا اللاتينية . او عالم الشعوذة والخرافات .

من الفقر الى الجوع

والحديث عن الفقر ليس حديثاً نظرياً : ففي عالم اليوم ومن بين ١٥٠ دولة . فإن ٣٠ منها فقط تدخل في عداد الدول المتقدمة . يشكل مواطنوها ٢٨٪ من عدد سكان العالم ويستهلكون ٧٥٪ من إجمالي استهلاك العالم من الطاقة والموارد . وبحلول العام ٢٠٠٠ فإن نسبة هؤلاء سوف تنخفض إلى ٢٠٪ نتيجة التزايد السكاني في العالم الفقير . في مقابل هذا يوجد حوالي بليون من البشر أي ربع سكان العالم تقريباً يعانون من الجوع وسوء التغذية . ويوجد ٧٠٠ مليون من الأميين . ويزداد اعتماد الدول الفقيرة في غذائها وقمحها على الدول الغنية . وتتراكم ديونها عاماً بعد عام .

ويتمثل هذا الفقر في أوضح صوره في افريقيا التي تحتل ٢٠٪ من مساحة العالم . وتمثل سكانها ١٠٪ من عدده . ولكنها لا تسهم إلا بنسبة ٢.٧٪ من اجمالي الانتاج والخدمات . وفي عام ١٩٨١ قدر عدد الذين يواجهون مشاكل نقص الغذاء في افريقيا بعدد ١٥٠ مليون . مع متوسط للدخل الفردي في حدود ٤٠٠ دولار . ومعدلات تضخم تصل الى ٢١٪ . وبطالة تصل الى ٤٥٪ ليس من الغريب أن يكون معدل موت الأطفال هو ١٣٧ إلى ١٠٠٠ . وأن ١١٪ فقط من الأطفال الذين بلغوا سن التعليم يلتحقون بالمدارس. ويضاعف من حالة الفقر ظروف الحرب في أكثر من مكان (مثل القرن الافريقي بين الحبشة والصومال . وبين الحبشة وارتريا . وفي الجنوب الافريقي حول اتحاد جنوب افريقيا وناميبيا وفي داخل انجولا) وفساد الحكام والحكومات . ونقص الأمطار والجفاف الذي تواجهه دول شرق افريقيا منذ عام ١٩٨٠ . وفي هذا السياق . فإن الخطر الأكبر على الأمن والاستقرار في معظم البلاد الافريقية هو الفقر وسوء التغذية . وان استمرار هذه الأوضاع سوف يقود إلى الانفجارات واعمال العنف مع نهاية القرن .

مع عام ٢٠٠٠ سوف يقدر عدد سكان افريقيا بحوالي ٨٠٠ مليون . وستصل نسبة الأميين منهم الى ٦٠٪ وسيشكلون اكبر تجمع للأميين في العالم . وبينما كانت افريقيا تنتج ٩٥٪ من غذائها عند الاستقلال من ربع قرن مضى . فوفقاً لتقدير المنظمة العالمية للغذاء واخذاً في الاعتبار لاتجاهات الزيادة السكانية وانتاج الطعام الحالية فإن ٥٠٪ من الغذاء سوف يتوجب استيراده من الخارج . وتزداد المفارقة والدهشة عندما نعلم ان ٢٧٪ فقط من الاراضي الصالحة للزراعة هي التي يتم استغلالها . وان افريقيا تنتج اليوم أقل من ١٪ من الناتج الزراعي المحتمل والذي تؤهلها مواردها الزراعية لانتاجه .

ان هذا الوضع يعكس جانباً من تناقضات عالمنا المعاصر . فهذا الفقر المدقع يوجد في عالم يشهد ثورة علمية وتكنولوجية تفتح آفاقاً لا حدود لها للتطور . والمشكلة هي ليست فقط في زيادة انتاجية دول العالم الثالث - وبالذات افريقيا - ولكن ايضا في اعادة النظر في نمط توزيع الموارد على المستوى العالمي . واعادة النظر في الأبنية الاقتصادية والاجتماعية لهذه الدول .

وصحيح ان المعونة الخارجية . في شكل موارد وسلع وحبوب . تلعب دوراً هاما وحاسماً لمواجهة المجاعات مثلما يحدث في السنوات الثلاث الاخيرة . ولكنها بالتأكيد ليست حلاً . فهي تزيد من اعتماد الدول الفقيرة على الدول الغنية . بل - وهذا هو الأخطر - تسمح لحكام هذه الدول بالهروب من مواجهة المشاكل الحقيقية لبلادهم . وبالتعود على هذا الوضع . والحل الحقيقي هو تشجيع الزراعة وزيادة انتاج الحبوب ؛ ولن يحدث ذلك دون النهوض بأوضاع الفلاحين . إذ ان أحد مشاكل استراتيجيات التنمية الاقتصادية في اغلب دول العالم الثالث هو انحيازها الى المدن وإلى الصناعة والخدمات على حساب الزراعة التي تنظر اليها على انها رمز للتخلف وللماضي الذي تريد تجاوزه والخلاص منه . وأدى ذلك الى اهمال للاستثمار في مجال الزراعة وإلى تحول القرية إلى عنصر طرد للسكان الذين هاجروا إلى المدن . وإلى التدهور المتزايد في أوضاع الزراعة . وهو ما أدى إلى نقص الانتاجية والاعتماد على الخارج

وصحيح ان الوطن العربي في مجمله مازال بعيداً عن النموذج الذي تقدمه افريقيا (مع ان بعض الدول العربية مثل جيبوتي والصومال والسودان تواجه ظروفاً صعبة للغاية) ولكن اعتماده على استيراد الغذاء قد تزايد في الخمس عشرة سنة الأخيرة ..

ونحن نقرع الأجراس من الآن ونقول ان العالم كله على ابواب أزمة غذاء . وان الغذاء سيكون عنصراً حاسماً في تحديد مكانة ودور الدول المختلفة . وان العرب مازالوا ينتظرون ثورتهم الخضراء التي يمتلكون كل مقوماتها . ولكنهم يفتقدون حتى الآن القدرة على تعبئة وتنظيم هذه المقومات والإدارة السياسية التي تدرك خطورة الموقف وتستعد لمشاكل الغد من الآن فماذا ننتظر نحن العرب ؟

علي الدين هلال

النطق والمال

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

ما من متادب يحفظ شيئا من شعر المتنبي إلا وجد نفسه في ذات يوم يردد هذا البيت لابي الطيب :

لا خيل عندك تهديها ولا مال
فليسعد النطق ان لم يسعد الحال

نردد هذا البيت ساخرين او معتذرين او مشتكين حسب الموقف والمقام ، معتبرين ان الكلمة المنطوق بها ادنى قيمة من المال ، وان الجود بها عطاء من لا قدرة له على غيرها .

ولاشك في ان هذا التقييم للكلمة صحيح في اكثر الأحيان . إلا ان ثمة احيانا اخرى تعدل فيها قيمة الكلمة قيمة المال المعدود ، وربما فضلت عليه . ويصح هذا حتى عند من يحسبون للمال حسابه ومن يدمنون الاكثار منه . فقد تكون حاجة واحد من هؤلاء في ظرف ما إلى كلمة طيبة ، او إلى جملة مؤثرة ، اشد من حاجته إلى مال يعطاه .

اقمت منذ سنين عديدة فترة طويلة فى باريس ، كنت اتردد اثناءها فى اخريات الليالي على مقهى صغير ، اسمه ادريين ، يقع قريبا من فندقي في حي مونبارناس . كان المقهى مفتوحا لرواده طيلة الليل ، وتلجا إليه زمر من الساهرين بعد انتهاء حفلات المسارح والملاهي ليتموا فيه ليل باريس الذي لا انقضاء له . اسم النادل الليلي لذلك الملهى نيكولا ، وهو كورسيكى الأصل . ولم اكن شخصيا من زبائن نيكولا المفضلين ، فقد كنت ارفض دوما انواع الأشربة الكحولية التي يقترحها علي ، واكتفي بزجاجة من الكولا او من عصير الفواكه ، وبذلك كان نصيبه من البخشيش مني اقل بكثير مما يغدقه عليه الرواد الآخرون .

جئت مرة بعد منتصف الليل إلى هذا المقهى وجلست فى زاوية منه امارس هوايتي المحببة إلى نفسي ، وهي ملاحظة اصناف المترددين والمترددات عليه ، والاستماع إلى احاديثهم ، والتامل فى تصرفاتهم بعين الفضولي الطلعة الذى يجد لذة في التعرف على كل ما يقع عليه بصره . وقف نيكولا على راسي ليسألني عما اشرب . كان الاجهاد باديا بوضوح على ملامحه . ولاغرو ، فقد كنت اعرف انه منذ الاصيل يدور كالمكوك بين البار وقبو الأشربة ومقاعد الزبائن الذين هم في تجدد دائم . إذ لا يتلبث واحدهم في قاعة المقهى المزدحمة إلا ريثما يحتسي كاسه ثم يخرج إلى شوارع الحي الصاخبة تاركا مكانه إلى وافد جديد . قلت للنادل جوابا على سؤاله: كاس عصير .. ولكن ! قال : ماذا ؟ قلت : اردت ان اقول إنك متعب يا نيكولا .. لابد ان يومك كان شاقا !

الصحيح إني لم افطن إلى اللهجة التي قلت بها لنيكولا هذه الكلمات البسيطة . ولكني اذكر اني نطقت بها بحرارة ، وان إشفاقي على ملامحه المكدودة كان صادقا . ورأيته يعتمد بكفيه على المنضدة التي تفصل بيني وبينه ، بعد ان وضع عليها ما كان يحمله من صينية وكؤوس فارغة ، ثم يقول : مضت لي اعوام في هذا المقهى ولم اسمع من احد كلمة لطيفة كهذه التي قلتها لي منذ لحظة ... شكراً يا سيدى ، شكراً ... والتفت إلى فتاة كان مجلسها مع رفيقها يجاور مجلسي وقال لها وهو يشير إلي باصبعه : انظري يا انسة ... الا ترين معي انه اجمل فتى في باريس ؟

• • •

ضحكت يومها من عبارة نيكولا التي قالها بحماس . وبالطبع لم يبلغ بي الغرور ان اصدق فحواها فاعد نفسي من فتيان باريس المتصفين بالجمال ، ولكني كلما تذكرت هذه الواقعة عرفت ان كلمة مناسبة

في موضعها يمكن ان تعدل المال ، او ان تفوقه في بعض الاحيان . وقد اكدت لي هذا الذي اقوله حادثة صغيرة حدثت لي في اخر زيارة لي لمدينة عمان بينما كنت انتقل من المطار إلى فندقي في العاصمة الأردنية .

يبعد مطار عمان الجديد عن قلب المدينة مسافة تقارب الاربعين كيلو متراً . وفي هذه المسافة الطويلة كان لابد من ان يدور الحديث في امور شتى بيني وبين سائق سيارة التاكسي التي كنت راكبها الوحيد . سالني ذلك السائق عما إذا كنت ازور عمان لأول مرة ، قلت له طبعاً لا ، فانا اتردد إليها بين عام واخر منذ عشرين سنة ، قال : إذن فانت ترى مثلي كيف تزداد عاصمة بلدنا اتساعاً عاماً بعد عام . قلت : كل مدن العالم اخذة في الاتساع .. في عمان مثلا اجـــد ان دواراتهـــا تزداد دواراً جديداً في كل عودة إليها في العامين والثلاثة . فامن السائق على كلامي وراح يشير إلى طلائع ابنية المدينة حين بلغناها واصفاً لي فخامة الدور التي يتنافس الاثرياء على اشادتها في اطراف العاصمة . وهز راسه وهو يضيف قائلا : نعم ، يتنافسون في سعة القصور وتعداد غرفها ، واخرة ابن ادم إلى حفرة سعتها ذراع في ذراعين قد يجدها وقد لا يجدها . قلت له : الحق معك وفي التاريخ القديم حكاية بهذا المعنى لا ادري إذا كنت تعرفها . قال : تفضل واحكها لي . قلت : كان احد الخلفاء منفرداً بنفسه في ساعة القيلولة فطلب من حاجبه أن يدخل إليه من يجده بباب القصر ليبادله الحديث . ولم يكن على الباب في تلك الساعة غير شيخ فقير طلب إليه الحاجب ان يتبعه ، فتبعه هذا سائراً وراءه ومخترقاً اروقة قصر الخلافة والأبهاء والغرف الكثيرة واحدة بعد واحدة حتى انتهى إلى القاعة التي كان يتصدرها الخليفة . قال له هذا حين وقعت عينه عليه : ما عندك لي يا شيخ ؟ فقال الرجل : يا أمير المؤمنين :

اما بيوتك في الدنيا فواسعة
فليت قبرك بعد الموت يتسع

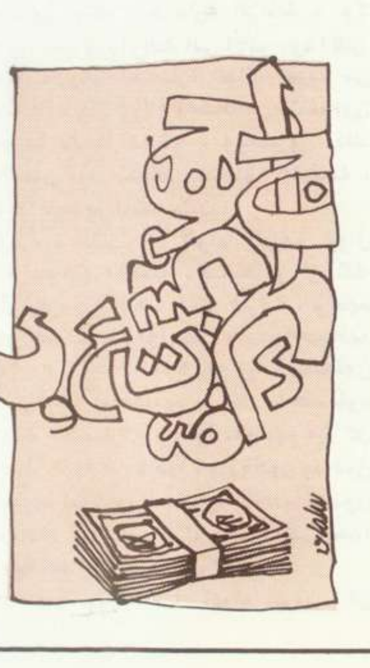
فما كان من الخليفة عند سماع هذا إلا أن قبض على لحيته وانخرط في البكاء ...

اعجب السائق بحكايتي هذه ، او ببيت الشعر الذي انتهت به ، وراح يستعيد مني ذلك البيت المرة تلو المرة . بل إنه اخذ يردده كانه يريد حفظه ، هازاً راسه وهو يقول كالمحدث نفسه : «فليت قبرك بعد الموت يتسع !» . واستمر في ذلك حتى وقف بسيارته بي امام الفندق . ولما سالته عما هو مطلوب مني لقاء المشوار من المطار إلى الفندق قال : تعرفتنا يا سيدى ستة دنانير ونصف الدينار ، ولكني اكتفي منك بخمسة دنانير . ضحكت وقلت : ولماذا هذا التخفيض ؟ اهو ثمن بيت الشعر ؟ قال وهو يبتسم : نعم إنه بيت الشعر ، إنه يساوي اكثر من دينار ونصف يا سيدي !

• • •

وقد يخرس اللسان عن النطق احيانا إلا ان ثمة ملامح في سلوك بني البشر ، وفي تعاملهم فيما بينهم ، تثبت ان المال ليس كل شيء في العلاقات الانسانية ، وان تصرفاً مناسباً في مناسبته قد يواسي او يرضي او يسر عندما لا يتوفر المال او يسعد الحال .

نزلت مرة في احدى رحلاتي المبعدة في مطار كاتماندو ، عاصمة مملكة النيبال ، في زيارتي لتلك المملكة على سفوح جبال هيمالايا . احاط بي وبرفاقي عند مغادرتنا الطائرة جمع من الصبية وتزاحموا علينا وهم يمدون ايديهم إلينا بالسؤال في إلحاح . لم نكن نملك شيئا من عملة ذلك البلد لنصرفهم عنا بقليل من النقود ، ولا كان ممكنا ان نرضيهم بكلمة مواساة طيبة أو نقنعهم ببيت شعر بليغ . فما كان اولئك الصبية الشحاذون يفهمون حرفاً واحداً من لغتنا العربية ، ولا من الفرنسية او



الانكليزية اللتين نتكلمهما . كانوا يحاصروننا بايديهم الممدودة وبسيل من الكلام الذي لا نفقهه حتى اعاقونا عن اللحاق بالسيارات التي كانت في انتظارنا على باب المطار .

كان إلحاح اولئك الصغار علينا ، في ذلك البلد الفقير المتخلف ، مزعجا حقا . ولاحظت ان صبيا منهم ، دون العاشرة من عمره ، كان يمد يده إلينا حتى ليكاد يدخل كفه في جيوبنا ، بينما كان بصره متردداً بين وجوهنا وبين وردة حمراء ، كبيرة وزاهية ، مغروسة في شعر رفيقتي ، كانت المضيفة في الطائرة قد اهدتها إياها قبل نزولنا منها . وفي إحدى المرات ، حين نزعت يد الصبي عني بعنف ، رايته يمد بصره بشوق ومسكنة إلى تلك الوردة ويشير إليها باصبعه. نزعت رفيقتي الوردة من شعرها ومدت بها كفها إلى الصبي ، فتناولها هذا بلهفة ، فقربها من انفه وشفتيه ثم رفعها فوق راسه مشيراً بها إلى رفاقه كانه يفاخرهم بالفوز بها . ولدهشتي رايت الصغار يلتفون حوله ، ثم رايتهم يركضون وراءه حينما اخذ يركض مبتعداً عنا ، مزقزقين فرحاً ، ومخلين بيننا وبين طريق الخروج من بهو المطار ، وكانهم بتلك الوردة قد فازوا باحلى غنيمة واغلاها ...

• • •

إنها ذكريات ، بين قديمة وجديدة ، تداعت إلى خاطري ببيت المتنبي الذي اثبته في مطلع هذا الكلام . فغبطة المعدمين الصغار بوردة اجزاتهم عن هبات الزوار الغرباء ، وبيت شعر قديم قيمه سائق التاكسي الكادح في عمان بدينار ونصف ، وجملة مواساة عابرة شرحت صدر الساقي الكورسيكي في باريس ، كلها تعني أن الكلمة البسيطة او التصرف اللبق قد يكون لهما في النفس الانسانيـــة تاثير لايستهان به . وشرط هذا التاثير ان يصدر التصرف وتصدر الكلمة عن سجية صادقة لا عن افتعال مصطنع . فليس اقدر على هذه النفس الانسانية من تمييز الصدق من الزيف في مثل هذا المجال . والمتنبي نفسه قال ذات يوم في هذا المعنى :

إذا اشْتَبهتْ دُموعٌ في خدودٍ
تَبيّنَ مَنْ بكى مِمّنْ تباكى

عبد السلام العجيلي

الرقة ـ سوريا

عندما تنهار الحضارات

أسوأ الأزمان وأحسن الأزمان

بقلم : فتحي رضوان

ليس هناك شيء خالد ، الا وجه الله الكريم - فالحقيقة التي قررها القران بقوله تعالى : (كل شيء هالك إلا وجهه) هي احدى مقررات العلم الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه او من خلفه ، وهي نفس الحقيقة التي اكدها الفرقان ايضاً بقوله عز وعلا : « وتلك الايام نداولها بين الناس » .

فكما يهلك الانسان العظيم ، والانسان المغمور الذي لا يعرفه احد ، تبيد الدول ذات السلطان الباذخ ، والملك الشامخ ، وتزول الحضارات المزدهرة التي اظلت بظلالها الوارفة امما عديدة وشعوبا كثيرة ولعهود مديدة .

وهذا التطور الدائم سنة من سنن الحياة ، يسير الانسان بفضلها من حال الى حال ، فيعرف من خصائص نفسه ، ومن اسرار الكون ، ومن خفايا الامم والشعوب ما يزيده قدرة على الاصلاح والتعمير ، والاهتداء الى المخبوء من لطائف العلم ، ودقائق الفكر ما كان ابعد الامور عن يد الانسان ، لو بقي على حاله واحدة من الحكم والسياسة ، والعلم والثقافة والمعتقدات والتصورات وصلاته بالعلم وعلاقته بالخالق . فزوال الدول ، وانهيار الحضارات وان كان في الاغلب الاعم مشفوعا بما يشبه المآسي والفواجع إلا انه في نهاية الامر ، يدفع خطى الانسان الى التقدم ومراجعة ما اجتمع لديه من العلم ، وما اطمان اليه من مسلمات الاشياء .

وعندما تنهار الحضارة ، تكون ردود فعل الاقوام الذين عاشوا في ظل تلك الحضارة وتبنوا اصولها ، وامنوا بقواعدها ، على صور ثلاث :

الصورة الاولى : - اقوام يعز عليهم ان تضيع حضارتهم وان يروها تختفي ، ثم يطلب اليهم ان يبدأوا اسلوبا جديداً من الحياة ، وطريقا مستحدثا من التفكير . فيتشبثون بتلك الحضارة الزائلة ، ولا يسلمون ابداً بانها زالت الى الابد . ولما كان التعلق بجوهر الحضارة البائد ضربا من المستحيل ، فان هؤلاء المحافظين يتشبثون بقشورها تشبثا شديداً ، ويعتبرون ذلك دليلا على قوة ايمانهم بمبادئهم القديمة ، وقواعد حياتهم المنقضية .

الصورة الثانية : اقوام يهزهم زوال حضارتهم الى الاعماق ، فيعتقدون ان تلك الحضارة منذ البداية كانت فارغة ، وانهم خدعوا فيها او خدعوا بها ، واقاموا حياتهم على فراغ لا قيمة له ، ولا نفع فيه ، فيعملون على ان يطهروا عقولهم من كل ما حصلوه من هذه الحضارة ، وينقوا نفوسهم من كل ما وصل اليهم من قيمها ، ويروحون يد عون مواطنيهم لياخذوا الحضارة الجديدة دون رفض لاي شيء فيها ، او تشكيك في مبدأ من مبادئها ، او هدف من اهدافها .

الصورة الثالثة : اقوام يرون ان حضارتهم كانت صالحة ونافعة وانها هذبت اخلاقهم ، ومنحتهم مدنية انيقة ، وطرائق في الفكر والعلم عميقة ، وقاومت الاعداء حينا من الدهر ، فاحسنت الدفاع عن نفسها واهلها . ولكن لكل عهد دول ورجال ، فاذا كان الزمان تغير ، والعالم تطور ، وجاءت حضارة جديدة ، فلا نلعن القديمة ، ولا نحملها فوق ما لا يد لها فيه ، ولا ذنب في وقوعه ، إنما هي الدنيا القلب التي تتحول ولا تثبت . فلا يتزعزع ايماننا في انفسنا ، ونحسب اننا كنا بدعاً من الناس ، اخذنا اشياء فارغة ، وهياكل خاوية ، وحسبناها حضارة وعلما وفنا ، وعضضنا عليها بالنواجذ ، فلما هبت ريح التغيير لم تثبت تلك الابنية المتهاوية ، بل سقطت دون ان تحدث دويا . فهذا الزعم خاطىء تماما لخطا الذين اعتبروها الخير والبركة والمجد الذي لا يبلى ، والسلطان الذي لا يهلك .

وهؤلاء الاخرون يحاولون ترقيع حياتهم فياخذون من الحضارة العالية اشياء يرونها ذات قيمة ونفع ، اشبه شيء بمن سقطت داره ، فراح يجمع من بين الانقاض بعض الاثاث الذي لم يتحطم ، وقليلا من النفائس التي سلمت من التحطم والتمزق والضياع ، ثم ضم كل ذلك بعضه الى بعض ، وحاول ان يخلق منه ، مع اشياء جديدة ، بناء جديداً ، لا هو جديد ، ولا هو عتيق ، ولا هو يؤمن بمبادىء الحضارة الغاربة ، ولا هو يكفر بها ، ولا هو يرحب

بالحضارة الوافدة ، ولا هو يفر منها .

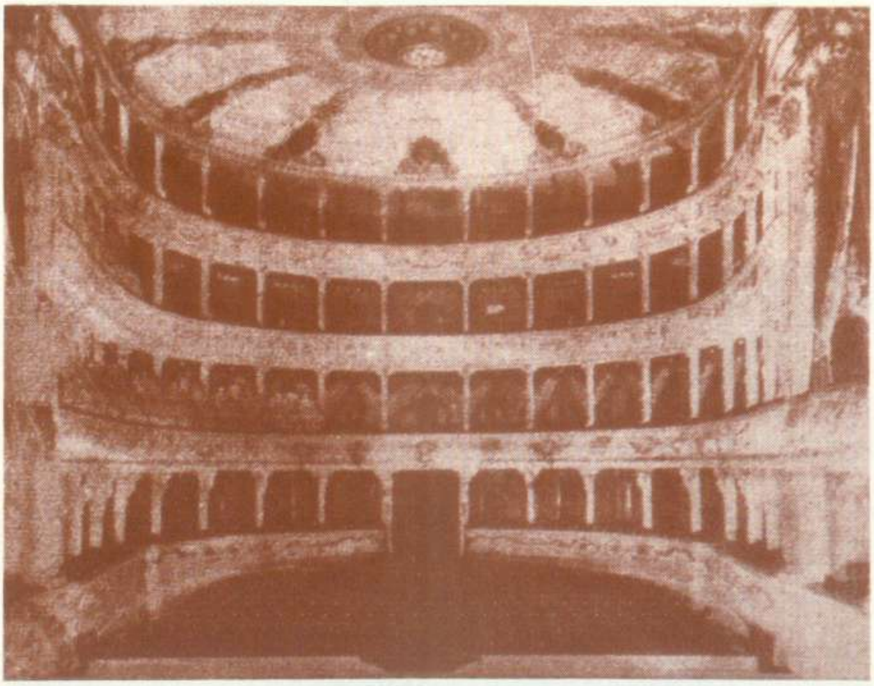
ولكن الذي يستوقفنا في هؤلاء جميعاً شعور بالذنب عميق يخفونه حيناً ، ويعبر عن نفسه حيناً آخر ، ومرد هذا الشعور انهم يحملون انفسهم مسئولية الانهيار الذي اصاب حضارتهم ، مرجعه عيب فيهم وتفريط منهم ، دون أن يكون في الحضارة المنهارة نفسها عيب يؤدي الى افول نجمها وغروب شمسها .

وهذا الشعور بالاثم يفسد على هؤلاء جميعا حياتهم ، مع اختلاف مواقعهم ، وردود افعالهم بالنسبة لانهيار الحضارة التي ينتسبون اليها ، فهم لا يقولون شيئا ، ولا يسلكون طريقا ولا يسمعون اقتراحا ، ولا يناقشون مشروعا ، الا وغلبتهم روح التردد ، واستبدت بهم الوسوسة . فهم يقولون الشيء ، ثم يعدلون عنه ، ويقدمون الاقتراح ثم يسحبونه ، ويزكون المشروع ثم ينقلبون ضده ، ذلك لان الاحساس بالذنب ان لم يكن قائما على اساس ، استحال الى حالة مرضية تمنع الانسان من التفكير السليم ، والاهتداء الى القرار الصائب .

ومن بين ما نرمي به انفسنا في الايام الحاضرة ، اننا نقلد الغرب ، ولكنا لا لا نحسن التقليد ولا النقل ، فنحن نقلد الغرب فيما اصطنعه هذا الغرب من اسباب الترفيه ووسائل الاستجمام ، وجوانب الحياة الكمالية ، دون ان نفطن الى ان الغرب حينما صنع حضارته التي بسطت نفوذها على العالم كله ، لم تصل الى ما وصلت اليه من السيادة والهيمنة ، مع اخضاع قوى الطبيعة ، والانتفاع بها ، حتى استطاعت ان تحلق في اغوار الفضاء ، وان تغوص في اعماق الماء ، وان تفتت الذرة ، وتطلق منها طاقات هائلة ، الا باخذ كل الأمور بالجد ، ومواصلة الجهد ، وضبط النفس وحرمان النفس من الملذات ، ومواجهة المخاطر وحسن التنظيم ، ودقة الادارة ، واشاعة الحرية بين الافراد ، ومحاسبة الحكام عن كل خطا يرتكبونه ، او ضعف يظهرونه ، في حين اننا نعمل النقيض من كل هذا ، فالحكم نؤلههم ، والاعمال تتم بلا نظام محسوب ، واموال الامة تهدر وتبدد على الكماليات الفارغة والمظاهر الكاذبة ، ثم لا مواصلة للعلم ، ولا تتبع للحق ، ولا خطة موضوعة .

فهل هذا ضجيج كله ، ام ان في هذا مبالغة ، لا تتفق مع الواقع ، وهي في الوقت نفسه مبالغة تثبط الهمم ، وتقذف في قلوب الساعين والمصلحين والمجتهدين الياس ، وتصرف عنهم المؤيدين والأعوان .

هل صحيح ان الشرقي بعامة ، او المسلم بخاصة ، او العربي على وجه التحديد ، الآن حينما يحاول ان يجدد حياته ، ويعيد بناء وطنه ، يسير اعتباطا ، ويبدد المال والوقت والجهد ، بغير هدى ولا خطة ، وان



« دار الاوبرا » إحدى الانجازات الحضارية الايجابية لعصر الخديوي اسماعيل ذي السمعة السلبية في التاريخ .

المسلم او العربي او المصري كسول ، مسرف قليل الجهد ، سريع الياس ، هدفه من النقل والاستعارة إمتاع نفسه بلذائذ الحياة ، منصرف عن التعليم والتعلم ، ماخوذ اللب بالمراة الجميلة والمعيشة اللطيفة ؟

ان المسلم والعربي والمصري بذلوا في القرنين الاخيرين ، جهداً موصولا ليلحقوا بركب العلم والبحث الجاد ، وبنوا الجامعات ، والمعاهد ، ونشروا في كل مكان المدارس ، واوفدوا المئات بل مئات الالوف الى مختلف مراكز العلم والدراسة في اوروبا وامريكا ، وحاولوا ان يترجموا ويؤلفوا ويناقشوا ما استطاعوا الى ذلك سبيلا .

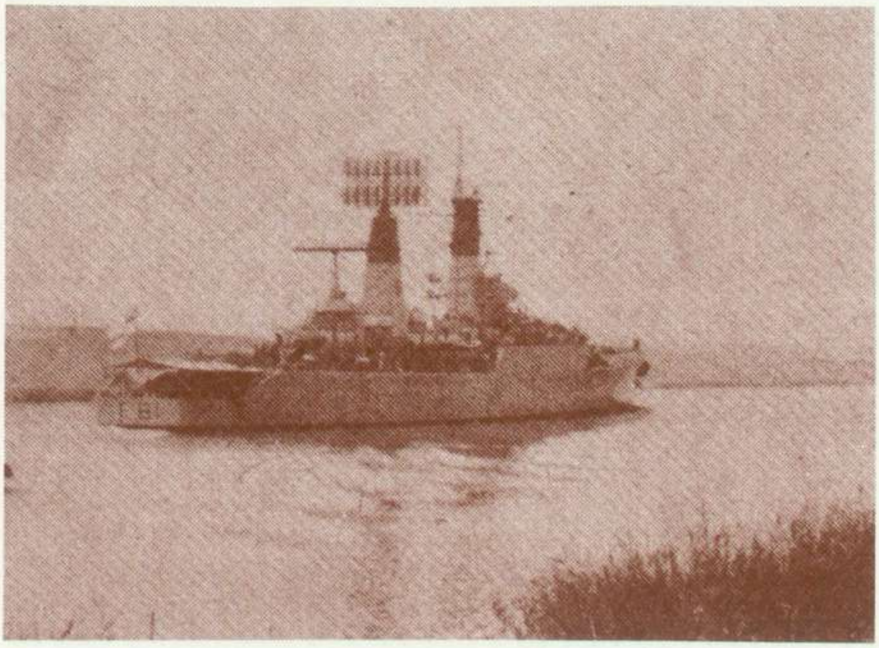
ان التقدم الذي حققوه في السنوات الاخيرة عجزت اوروبا وامريكا ان تحققه الا فيما يزيد عن القرنين ، وما يداني القرنين . وان تاخر المسلم والعربي ـ والمصري على سبيل المثال ـ ليس مرده كله الى عيب هذه الاقوام وزهدهم في طلب العلم ، وعجزهم عن التنظيم وحسن الادارة والزهد في ملذات الحياة ، بل ان هناك اسبابا اخرى لا نذكرها على سبيل التماس العذر وإلقاء التبعة على الغير وعلى الظروف ، وعلى الحظ ، بل لنقرر الواقع ، ونرقى منه الى الاسباب الحقيقية ، والتي منعت واعاقت ركب التقدم الشرقي عن الوصول الى اهدافه ، واللحاق بغاياته .

ولقد جلست ليلة افكر فيما جرى في مصر منذ عهد محمد على الذي ولى الحكم في مصر سنة ١٨٠٥ ، والذي استطاع ان يصنع من مصر في اقل من اربعين عاماً دولة ، كانت من اعظم دول شرق البحر الابيض المتوسط ، كان له جيش وصل الى خط الاستواء ، واوشك ان يقتحم استانبول وحارب في الجليد وفي جحيم الصحراء يعززه اسطول ضخم ، كان يقذف بالرعب في قلب قادة البحرية الغربية ، تتقدمها بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية ، حتى اضطرت الى التامر ضده بليل في نفارين ، احدى موانىء اليونان سنة ١٨٢٠ م .

ثم بدا لي ان اقرا شيئا في صفحات تاريخ مصر ، في حقبة تعد من اشد حقب تاريخ مصر الحديث سوءاً ، وهي اخريات عهد الخديو اسماعيل الذي عزل عن عرشه في سنة ١٨٧٩ . فقد بدا لي ان انقل عن كتاب شهير ، عنونه مؤلفه (روز ستين) ب « خراب مصر » ، وهو الكتاب الذي ترجمه الى العربية المرحوم الاستاذ على احمد شكري . جاء في الفصل الثالث من هذا الكتاب ، وهو الفصل الذي خصص للمالية العامة في مصر . قال المؤلف :

« الآن وقد وصلنا الى هذه النقطة من روايتنا هذه يحسن بنا قبل مواصلة الحديث ان نلقي نظرة على حالة مصر الاقتصادية لنتمكن من معرفة (الاقدار) التي طوحت اسماعيل (الخديو) اولا ، ثم بمصر ثانيا الى الهلاك وسوء المنقلب .

أسوأ الأزمان.. وأحسن الأزمان



كان افتتاح قناة السويس حدثا عالميا مدويا له اثار خطيرة على العالم كله ، وقد تم الافتتاح في عصر اسماعيل ذي السمعة السلبية ايضا !

ونثبت هنا ما خطه شاهد عيان رأى الحوادث عن كثب في الوقت الذي ساء فيه حكم اسماعيل باشا . فقد قال هذا الشاهد وهو مراسل جريدة التايمز البريطانية في مدينة الاسكندرية يوم ٦ يناير ١٨٧٤ ، قال :
تعتبر مصر مثلا باهراً للتقدم فاق تقدمها في سبعين عاماً تقدم كثير غيرها من الممالك في خمسمائة عام .

وربما ادهش هذا القول اولئك الذين اعتادوا ان يقرنوا تاريخ تقدم تلك المملكة المنكودة الحظ بالاحتلال الانجليزي . ولكن التاريخ يذكر مثلا انه بين سنتي ١٨٦٣ و ١٨٧٥ ، اي خلال اثنى عشر عاماً – تم حفر قناة السويس (١٠٠ كيلومتر) وحفرت ١١٢ ترعة للري بلغ طولها ٨٤٠٠ ميل وامتدت السكة الحديدية من ٢٧٥ ميلا الى ١١٨٥ ميلا ، ومن الاسلاك التلغرافية ما يبلغ طوله ٥٠٠ ميلا ، وانشيء من الجسور (اي الكباري) ما لا يقل عن ٤٣٠ جسراً ، بما في ذلك كوبري قصر النيل الذي ظل ابداً من اجمل جسور العالم ، واسست ميناء الاسكندرية ، وانشئت فيها وفي القاهرة محطات المياه النقية لسقاية الاهالي ، وبنيت احواض ميناء السويس ، وانشيء ٦٤ مصنعا لصنع السكر وتكريره ، وادخلت اصلاحات عظيمة في الطرق العامة بالقاهرة وغيرها من المدن ، وقد حدثنا بعض خبراء الاحصاء بان هذه الاعمال العظيمة وحدها بلغت نفقاتها ٦٤ مليون جنيه . فقد امكن بسبب هذه الاصلاحات تحويل مليون وربع مليون فدان من ارض بور الى ارض زراعية انتجت وقتذاك من الحاصلات ما قيمته – بحساب تلك الايام – ١١ مليون جنيه سنويا ، فزادت بهذا مساحة الأراضي الزراعية في مصر من ٤٫٠٥٢٫٠٠٠ فدان في سنة ١٨٦٢ الى ٥٫٤٢٥٫٠٠٠ فدان في سنة ١٨٧٩ .

وقد الغى في هذا العهد نظام الرق ، وحاربته مصر في السودان واعالي النيل وخط الاستواء مما كبد الميزانية المصرية ملايين الجنيهات من اجل هدف إنساني . وجعل التعليم مجانا ، ورصدت الملايين للانفاق على معيشة الطلاب . ولم يكن في مصر سنة ١٨٦٣ سوى ١٨٥ مدرسة ابتدائية ، ولكن لم يات عام ١٨٧٥ حتى بلغ عدد المدارس الابتدائية الى ٤٦٨٥ مدرسة ، وفي هذا العهد انشئت دار الكتب ودار الآثار المصرية ودار الآثار الاسلامية ودار الاوبرا .. كما تمت اشياء ومشروعات واصلاحات إدارية وقضائية هائلة ، كانت بمثابة الثورة الشاملة ، تم هذا في وقت كانت فيه اليابان تمسح بيدها عيونها من آثار النوم العميق ، ولم يكن في اليابان في تلك الفترة عشر معشار ما صنعته مصر في مدة لا تتجاوز عشرين عاما ..

وكان المقدور ان تضطرد خطى التقدم والقوة على منوال يَبُذُّ اليابان ، فان ما حدث في عهد محمد علي جعل مصر اقوى من اليابان في البر والبحر والصناعات والزراعة .

ولا يفوتنا ان نذكر هنا ان اسماعيل كان يضرب به المثل بالحاكم المستهتر العابث الذي لا يتعب من الجري وراء ما يشبع لذاته ، ويرضي غرائزه ، وانه كان كالابله بين المقرضين اليهود ورجال المال القادمين الى مصر من اوربا واميركا ، كالذئاب الجائعة ، بحثا عن الفريسة المسكينة التي لا حول لها ولا قوة .

فاذا كان كل هذا الاصلاح قد تم في عهد المسرف المتلاف غير المجرب ، فماذا كان يحدث في عهد غيره الذين يفوقونه حصافة وحنكة وحرصا على المال وحذقا في انفاقه
ونحن لا نسوق هذا الكلام دفاعا عن الخديو اسماعيل ، ولا عن مصر ، وانما كدليل على أن رمي المصري او العربي او المسلم او الشرقي ليس كما نتصور ، يقلد الغرب اعتباطاً ، ويقلده في القشور والمظاهر الفارغة ، وانه لا يحسن النقل ، ولا يجيد المحاكاة ، وان ماله ضائع ، وجهده مبدد ، وانه لن يلحق بركب الحضارة الحقيقية ابداً .

هذا قول اصبح ديدن فريق من الكتاب يظنون أن الف باء الدعوة الى الاصلاح هي التنديد بالشرقي والمسلم ، بعد أن هلكت حضاراتهما ، وباد ملكهما وانطفات انوار عواصمهم . والحق ان الغرب لم يقنع قط بتحصيل اسباب القوة ، وتحصين نفسه ضد اهل الحضارات القديمة ، بل فعل كل شيء ليحول بين هؤلاء التعساء وبين التقدم واستئناف السير في طريق الشفاء او النقاهة ، وقد سلطوا عليهم كل ما قذف في نفوسهم الخوف والياس ، وما فرق صفوفهم بالمكائد والدسائس ، فلا يجوز للمسلم ولا للعربي ولا للشرقي أن يحسب خطاه تتعثر لانه لا يحسن السير ، ولا يهتدي الى طريق الصواب ، بل انه حاول كثيراً ، وانتج شيئا له قيمته واثره ، وانه قادر على أن يزيد انتاجه ، ويحكم خططه اذا ما عرف كيف تهب عليه من الغرب رياح الفتن التي تفرق وحدته ، وتنتزع من نفسه الثقة بها والاطمئنان اليها ، وهو يحتاج الى مزيد من الحرص والتنبه والدرس .

فتحي رضوان

اللغة العربية في السنغال
قصة الصمود الأسطوري في وجه العقبات والتحديات

بقلم: عبد القادر سيلا

احببت ان اثبت هنا نكتة يعود تاريخها الى الستينات وانا يومذاك طالب بجامعة محمد الخامس بالرباط، مؤداها اننا كنا ثلاثة افارقة في كلية الحقوق بالعاصمة المغربية. واتفق ان عين فيها استاذ ذو كفاءة علمية كبيرة مدرسا لمادتي الحقوق الدستورية والمنظمات الدولية، وكان حديث عهد بالافريقيين ونتيجة لذلك كان يشيح عني كلما رفعت اليد لطرح سؤال او استفسار عن شيء. فاقتنعت ان الرجل تخامره الشكوك في انني اتلقى حقا ما يفيض به او يخوض فيه من قضايا حقوقية شائكة .. وكانت الاعمال التطبيقية الفرصة الوحيدة التي يمكن ان ابتهلها لتبديد تلك الشكوك .. وكانت «اسباب فشل عصبة الامم» عنوان العرض الذي وكل الي .. ولكي تستجمع المفاجاة كامل عناصرها امتنعت عن اطلاع الاستاذ على البحث قبل العرض. ولازاحة البلبلة في نفسه، اردت في مستهل اللقاء إلقاء الموضوع شفهيا لكنه اعترض. وما كان مني إلا الانصياع فشرعت اقرا ما كتبته مركزا نفسي لاحاذر الوقوع في ادنى خطا لغوي .. وازداد دهش الأستاذ عندما جاء دور المناقشة وقال: «اما وقد اجبت عن الأسئلة والاعتراضات بلسان عربي مبين فان البحث من بنات فكرك» وكان يقاطعني بكلمة «عظيم» عدة مرات، حتى اطلقها على الزملاء فيما بعد .. ونظم الأخ واصف منصور الفلسطيني الجنسية ابياتا بهذا الخصوص.

هذا ومن المؤسف حقا ان ينجح الاستعمار في اقناع ابناء العروبة انفسهم ان لغتهم صعبة لا يذللها إلا عربي اصيل بينما تمتزج هذه اللغة امتزاجا عضويا بتاريخ عديد من شعوب القارة الافريقية.

وقد تاثر الشعب السنغالي بمختلف عشائره ايما تاثر بالعربية سواء في حياته الروحية او في حياته الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وذلك بحكم احتكاكه المبكر بالتجار والسياح العرب والبربر الوافدين الى السنغال من بلدان المغرب العربي. وكان للاسلام دور اساسي في تسرب العديد من الكلمات العربية الى اللغات السنغالية المحلية واخصابها وهكذا يسوغ إرجاع تاريخ دخول اللغة العربية الى السنغال الى تواجد المرابطين اصحاب عبدالله بن ياسين باحدى الجزر السنغالية في القرن الحادي عشر الميلادي حيث انطلقوا لاخضاع قبائل بربرية ومملكة غانا الواقعة مباشرة جنوب الصحراء الكبرى، وذلك بقيادة ابي بكر بن عمر ويوسف بن تاشفين مؤسس مملكة ضمت العدوتين المغرب والأندلس فابتداء من هذا العهد اطرد تقدم اللغة العربية، ولم تتقهقر قيد انملة في هذه المنطقة بل خطت خطوات ثابتة بفضل ثبات الاسلام الى ان اصبحت لغة الثقافة والادارة والتجارة والمراسلات ووسيلة للاتصالات الدولية .. وقد شهدت فترات تالق وازدهار في ظل سلطات اسلامية تعاقبت على منطقة جنوب الصحراء الكبرى وبالاخص في عهد مملكة مالي التي لعب بعض ملوكها دوراً غير يسير في نشر الديانة الاسلامية واذكر من بينهم منساموسى كتكا واخاه منسا سليما وكذا نظام الامامة الذي قام في فوتا بشمال السنغال، واستمر اطراد اكتساح العربية افاقا جديدة الى ان استتب الأمر للاستعمار الفرنسي بالسنغال في النصف الأخير من القرن التاسع عشر.

على أن تطور الثقافة العربية في المنطقة لم يتخذ طريقا ذات اتجاه واحد بل كان اخذا وعطاء ومسلكا صاحب اتجاهين: كان علماء عرب وبربر يفدون على مراكز الاشعاع الثقافي في تمبكتو وغاو مثلما كان طلبة العلم وعلماء افريقيين يقصدون جامعات الأزهر والقرويين والزيتونة وتلمسان للتزود من المعرفة ولكن احيانا للتدريس – كان احمد بابا السوداني يعقد حلقات في الكتبية بمراكش ويامه جم غفير من كل حدب وصوب من طلاب العلم.

ومما ساعد اللغة العربية على الانتشار في السنغال – ولعله من اهم خاصياتها – انها لغة تنوء بعدة وظائف متباينة في ان واحد: فاذا كانت صالحة في مجالات الحياة اليومية المعاصرة من إدارة وتعليم وسياسة واقتصاد وفنون – شان اللغات الأوربية الحديثة فانها علاوة على ذلك وبالدرجة الأولى لغة دين سماوي يتمسك به اكثر من مليار مؤمن، ولنزول القران بها

اللغة العربية في السنغال

قصة الصمود الأسطوري في وجه العقبات والتحديات

اصبحت لغة مقدسة ، فكل مسلم في العالم قاطبة يتعلم على الاقل بعض العبارات العربية كالتحية والابتهالات وصيغ الشهادة وطقوس الصلاة ويحفظ آيات من الذكر الحكيم ، فضلا عن ان اية دراسة متقدمة للاسلام تتطلب معرفة اللغة العربية وخاصة القران الكريم ..

ونجم عن هذا المركز المرموق للعربية ان الشعوب التي اعتنقت الاسلام لم تكن تنظر اليها كلغة اجنبية . ولا عجب حينئذ ان نراها عبر الاجيال تساهم في نشرها وتعمل في اغنائها وتتخذها - خلال فترات من تاريخها - اداة للتعبير عن ثقافتها الوطنية، وقد شغلت العربية هذه الوظيفة في السنغال قبل ان تتغلب عليها اللغة الفرنسية على اثر سقوطه تحت نير الاستعمار وظلت ، الى ذلك الحين ، اللغة الوحيدة التي كان يستطيع الانسان السنغالي ان يتفاهم بها خارج بلاده . وكان الملوك والامراء يوظفون المستعربين للقيام بمهام تحرير المراسلات بالعربية او بالحرف العربي باللغات المحلية .

لقد استغرق الوجود العربي حقبة طويلة من الزمن تمتد من العصور الوسطى الى العصر الحديث الى درجة ان اصبحت الثقافة العربية جزءاً لا يتجزأ من التكوين العقلي للانسان السنغالي سواء تعلق الأمر قبل اتصاله بالغرب او خلاله أوبعده .واعتباراً لهذه الحقيقة التاريخية رأت الجهات السنغلية المسؤولة ضرورة دراسة ثقافة وتاريخ البلاد بالاستعانة بالمخطوطات العربية التي دونها العرب أو الافريقيون بالعربية أو باللغات المحلية بواسطة الحرف العربي .

ولا تزال ملامح العربية جلية في الحياة العامة : فمنذ عهد قريب كانت تكتب الارشادات الصحية والتعليمات العامة في الأماكن العمومية باللغات المحلية بالحروف العربية . وبلغ الأمر الى ان جهات تناصب اللغة العربية العداء في السنغال تستخدم الحرف العربي احيانا كثيرة لجاذبيته كوسيلة للاتصال بالجماهير وذلك بهدف التشويش والخداع لأن العامة تعتبر اسلامية كل ما يكتب بالحروف العربية . وقد استغلت الجماعة الاحمدية هذا الجانب فنشرت كتبها باللغات المحلية مع استعمال الحرف العربي .. وهي بذلك حذت حذو البعثات التبشيرية التي ترجمت الاناجيل الى عدة لغات افريقية بالحروف العربية .

هذا ولست مبالغاً إذا قلت إن الحرف العربي لم ينهزم امام الحرف اللاتيني بل قاومه ثم عايشه وظل يؤدي وظيفته كاملة في المستوى الشعبي ملبياً الحاجات الثقافية وتطلعات السنغاليين الدينية والدنيوية . ومن ميزة الحرف العربي انه يتفوق على اللاتيني بِكَوْن هذا الاخير فرض تحت تهديد السيف والبارود وحمته الاسلحة الفتاكة وشجعته المغريات المادية؛ أما العربي فكان في غنى عن حماية لانه صار جزءاً لا يتجزأ من التكوين الحضاري للشخصية السنغالية الأصيلة . وكان العلماء مجندين لا لنشر اللغة العربية وحدها ولكن وكذلك حرفها حيث لا يتاتى تعلم لغة القران للجميع .

إلى جانب ذلك ازدهرت الآداب العربية وتطورت حتى اشتهر كتاب وشعراء يدثرون بها ويقرضون غرر القصائد .

وتتمحور انتاجات شعراء السنغال الناطقين بالعربية حول مواضع محدودة نسبياً حيث تشغل المدائح النبوية مساحة واسعة والمنظومات المدرسية . وهذا الشعر تابع للقصيدة المورتانية قلباً وقالباً فلم يطرأ عليه اي تغيير بالقياس الى الاشعر القديم . ونجد احيانا الشاعر السنغالي يستعين بالتشبيب في مستهل قصيده قبل ان يصل الى محور القصيدة فيتهيج بالبروق ودغدغة بلول الصبا وتغاريد البلابل وطلول دعد .. فلنستمع الى محمد نياس في بداية احدى قصونده :

ما شاق قلبي صوت الشادن الغرد
ولا ابتسام الثنايا الغر عن برد
ولا تثني ملاح بالحمى برزت
تختال في حلل من عيشها الرغد
ولا وصال لدعد بعد ما مطلت
وحبذ الوصل بعد المطل من دعد

دور اللغة العربية في المقاومة الوطنية

لئن سجلت العربية تاخراً ملموساً من حيث مستوى التعبير فانها ظلت على راس الطلائع الأولى في المقاومة الوطنية لكونها سلاحاً ماضياً يهزه الوطنيون المسلمون كلما حاول معتد المساس بكرامة الاسلام والبلاد . وقد تنبه المستعمر الى فاعليتها تلك فجهد نفسه للاجهاز عليها وكسر شوكتها منذ ما تمكن في السنغال فمنع من تداولها في الادارة وحرم استعمالها في المراسلات الرسمية وذلك على إثر قرار اتخذه الحاكم الفرنسي فيدَرْبْ في النصف الثاني من القرن الماضي . ولم تبق الادارة الأجنبية سوى قضاة الشريعة مع تقلص صلاحياتهم .

وللقضاء على اللغة العربية ، خططت الادارة الفرنسية سياسة تتلخص في سد جميع المنافذ التي يمكن أن تتنفس منها العربية واضعة كل العراقيل امام كل من يتقدم لطلب إذن لافتتاح مدرسة عربية . ومن اهون الشروط المطلوب توفرها لطالبي الرخصة ان يكونوا ممن يثق المستعمرون في ولائهم لادارة الاحتلال وهو شرط ، لا شك لا يتوفر في مسلم حقيقي .

ومن الطرف الآخر ، اقدم المستعمر على تشجيع المدرسة الفرنسية بمدها بالمال وحمايتها بقوة الحديد والنار وإرغام الناس على إدخال أولادهم فيها وحصر الوظيفة على أولئك الذين يتقنون لغته . وبلغ مضايقته للعربية ان صار ضعفاء العقول يعتقدون أن التعليم الفرنسي هو الطريق الوحيد إلى الحكم والثقافة والتفنن في العيش والتوسع في معرفة العالم واسرار الحياة والمستوى الاقتصادي الرفيع . وترتب عن هذه الفكرة الخاطئة ان اصبح الناس في السنغال منقسمين الى فئتين : أذكياء واغبياء . اناس ينتمون الى الصفوة وآخرون الى العامة .

وكانت هذه السياسة الاستعمارية ذات اتجاهين احدهما يعمل على تشجيع اللغة الفرنسية والآخر ينفر من العربية . وظل قطع الصلات الثقافية التقليدية بين السنغال والاقطار العربية الاسلامية اجل غاية استهدفتها فرنسا ، وقد نجحت فيه خلال فترة من الزمن فتقوقعت البلاد على نفسها وانكمش مسلموها على انفسهم يجترون الكتب القديمة والقوالب الادبية العتيقة التي اخنى عليها الزمان . ولم تعد تصل اليهم انباء التصورات والتجديدات

التي حدثت في العالم الاسلامي بصفة عامة . وكان الحج الصلة الوحيدة التي يتم بها الاتصال بالعالم الخارجي وكان منظماً في نطاق ضيق ، وكان عيون الادارة الأجنبية يرافقون الحجيج ويتجسسون عليهم .

بداية الانفراج

ظلت العربية خلال فترة الاستعمار كجمرة طامرة تنتظر من ينفض عنها الرماد لتذكو وتلتهب . وكانت نهاية الحرب العالمية الثانية بداية عهد جديد إذ على إثر هذا النزاع العالمي اضطرت الدول الاستعمارية على فتح كوة تطل منها الشعوب المستعمرة ، التي ساعدتها على استعادة حريتها من النازية ، على العالم الخارجي فاستفاد بعض الشباب المسلم من هذا الانفتاح الجديد، فتوجه للدراسة الى شمال افريقيا ، ورأى تلك البلاد العربية تشتعل ثورة ووطنية . ولدى عودته الى بلاده نقل معه افكاراً جديدة متفتحة . فاضطرت الادارة الفرنسية امام التيار الجديد أن ترخص بعض الشيء من غلواء تعسفها ، واعطت بصيصاً من الامل للوطنيين . وهكذا بدأت المنظمات الاسلامية ترى النور وتدعو الى اعطاء المسلمين الحرية وانشاء المدارس العربية ومنحها الدعم المادي شأن مدارس البعثات التبشيرية ، وضرورة ابتعاث الطلبة المسلمين لدراسة اللغة العربية في شمال إفريقيا .

وعندئذ دخل الصراع بين الاستعمار والعربية مرحلة اخرى لم تكن اقل حدة من المرات السالفة . ذلك أن الادارة الفرنسية نسجت الاكاذيب والافتراءات لخلق بلبلة في صفوف المسلمين انصار لغة القرآن فادعت أن المستعربين شيوعيون يتلقون الاوامر والدعم المادي من موسكو وحيناً تزعم انهم عملاء الناصرية او جبهة التحرير الجزائرية ..

ولولا ان اللغة العربية تتمتع بمناعة ذاتية عجيبة ساعدتها على مقاومة التحديات والبقاء شامخة صامدة امام العوامل العاتية ، لانقرضت وتلاشت وصارت في خبر كان . وفي الحقيقة استفادت كثيراً من مظلة الاسلام التي غدت تحميها من كل غارة غادرة ودمار محقق بل تعدى دور الدين الاسلامي من مجرد حماية وانما قام بمهمة الريادة لها كلما عثر على مرتع خصب هداها اليه ثم لا يفتأ يكلاها ويرعاها ويتعهدها حتى تترعرع وتثبت قدماها الى أن تستكمل كل مقوماتها فتصبح كفيلة للتصدي لهجمات اعدائها .

هذا ولم تعرف اللغة العربية تطوراً ذا بال إلا عندما اطل عهد الاستقلال الذي اخذ فيه المسلمون يتنقلون في البلدان دونما قيد ومنحوا حرية تاسيس المدارس العربية الأهلية . فشهدت الستينات نموا سريعاً للحركات الاسلامية حتى اصبحت المؤسسات العلمية العربية تغطي مدن وقرى السنغال . وادخلت الحكومة تدريس اللغة العربية في المراحل الابتدائية كمادة اختيارية وفي المدارس الثانوية كلغة ثانية بعد الانجليزية وعلى قدم المساواة مع اللغة الاسبانية .

وفي جامعة داكار قسم للدراسات العربية يلتحق به الطلبة الراغبون في مواصلة دراساتهم العليا باللغة العربية ، ويضاف اليه المعهد الاسلامي بداكار وهو متخصص في البحوث الاسلامية لكنه يقوم بتنظيم دروس مسائية بالعربية وهناك كذلك المعهد الاساس لافريقيا السوداء يضم كمية ضخمة من المخطوطات النادرة التي الفها سنغاليون باللغة العربية .

وتوظف وزارة التربية الوطنية السنغالية عدداً من حاملي الشهادة العربية وتكاد تكون الوزارة الوحيدة في السنغال التي تستقبل المثقفين المستعربين .

مستقبل اللغة العربية في السنغال

لا شك أن الصف الذي تحتله اللغة العربية في السنغال كبلد غير عربي يعتبر مشرفاً لكن من وجهة اخرى يعد تافها اذا ما وضعنا في عين الاعتبار موقع هذه اللغة في نفوس مسلمي بلاد يستقطب الاسلام ٩٥٪ من سكانها وتتحكم الفرنسية والحضارة الغربية في مصيرهم .

على ان مستقبل اللغة العربية منوط الى حد بعيد بمدى الاهتمام والعناية اللذين ستحظى بهما من قبل ابنائها؛ فصمودها الاسطوري الذي سبقت الاشارة اليه لا ينبغي أن يلهي من تصور المعطيات الجديدة لوضع اللغات حيث اصبحت الدول كبيرها وصغيرها تتنافس في نشر ثقافتها وحضارتها بانفاق الملايين من الدولارات . ولا اخال أن من حق العرب ان يتراجعوا عن هذه التبعة التاريخية والحضارية خصوصاً ان بايديهم كل الوسائل الكفيلة بالنجاح بعد ان وطد لهم الاسلام الأرضية التي ستنطلق منها اللغة العربية .

ولعل افضل ما نختتم به هذه الوقفة الوجيزة عن قضية اللغة العربية بالسنغال فقرات من مقال كتبه السيد فهمي هويدي في مجلة « العربي » الكويتية جاء فيه :

« ان دائرة تعلم اللغة العربية للاجيال الجديدة تضيق باستمرار » حتى قسم اللغة العربية بكلية الآداب في جامعة داكار يعاني من ظروف تعسة للغاية اذ تنقصه المراجع العربية بسبب ضعف الامكانات المادية » ان السفارات الاجنبية تتصل باقسام اللغات خاصة وتزودها بالكتب و المراجع اللازمة باستثناء السفارات العربية التي » تقاطع قسم اللغة العربية .. ومن نتيجة هذا الوضع ان الطالب عندما ما يلتحق بقسم اللغة العربية ويتعرف على ظروفه ويكتشف ان اكثر مراجعه باللغة الفرنسية ، فانه يتحول الى اقسام اخرى لدراسة لغات اخرى .. ! » « لماذا لا تتبنى الدول العربية ذلك القسم في جامعة داكار بدلا من أن يذهب العرب الى الجامعات الأمريكية لتمويل كراسي ومناهج لا تغير من واقع الحال شيئاً في أمريكا ؟ » « ان ادارة المعهد الاسلامي بداكار طلبت من السفارات العربية تزويدها بالكتب والمراجع ولكنها لم تتلق سوى بعض الكتب الدعائية والسياحية والسياسية التي لا تفيد الباحث السنغالي باى حال » .

عبدالقادر سيلا
داكار – السنغال

أبا إيبان
والتسوية الزائفة لقضية فلسطين

بقلم : عصام شريح

- ضم الضفة الغربية وقطاع غزة سيؤدي إلى موت الصهيونية
- أحلام إسرائيل تهاوت في لبنان
- إسرائيل عاجزة عن جعل العرب يستسلمون لها

لاشك ان ابا إيبان ، اصبح بعد موت إيغال الون ، وقبل بضع سنوات ، المنظر الحقيقي لحزب العمل الصهيوني ، وإن كانت اراؤه ، واراء قادة حزب العمل بشكل عام ، هي رجع صدى لمايعرف بمشروع الون لتسوية القضية الفلسطينية بشكل مزيف .

فلدى قراءة افكار ابا إيبان ، تبدو هذه الافكار معبرة عن نظرة معتدلة ، مما يضفي عليها صفة الاغراء للوهلة الاولى ، فإيبان يطرح مسائل لها طابع المفاجاة ، كالانسحاب فوراً من لبنان ، وحل القضية الفلسطينية (مع الأردن) ، وإنهاء قضية الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، مستخدماً في طرح حلول لهذه المسائل ، المفهوم البراغماتي في التعامل مع المتغيرات والتطورات .

ولأن آراء ابا إيبان ، لها طابع المفاجاة والاغراء للوهلة الأولى ، لابد لنا ، من تسليط الاضواء على خلفيات هذه الطروحات ، من اجل وضع النقاط فوق الحروف ، ولكي لا نقع ضحية الاغراء والانبهار ، ولنعرف اين نضع اقدامنا ، ونحن ندرس او نحلل ، او نتعامل مع افكار ابا إيبان ، التي تشكل كما قلنا ، الاطار العام لنظرية حزب العمل الصهيوني اليوم .

إطار التسوية

باديء ذي بدء ، يطرح ابا إيبان ، حلا للصراع العربي ـ الصهيوني ، يقوم على اساس حل مفترض للقضية الفلسطينية ، باعتبار ان هذه القضية هي جوهر الصراع ، وهذا الحل ليس جديداً على اية حال ، فهو مستقى من إيغال الون ، حيث يقول إيبان ، إنه اعاد قراءة المقال الذي كتبه الون ، فوجد فيه ما يمكن ان يوصف بالميثاق بالنسبة لحزب العمل إذ ان الون رفض فكرة «ارض إسرائيل غير المقسمة» التي يدعو اليها الليكود لانه : «في مثل هذه الدولة ، سيحكم الشعب اليهودي شعباً يضم اكثر من مليون عربي ، لا يرغبون ولا يريدون أن يصبحوا مواطنين في «دولة اسرائيل» ، واكثر من ذلك ، فان «العدالة !!» ، تتطلب بان يتمتع هذا المجتمع العرقي والديني (الفلسطيني) ، الذي يضم اكثر من مليون نسمة ، بوضع يتيح له تحقيق رغبته في السيادة العربية» .

والمبدأ الأساسي في برنامج «المعراخ» ـ (حزب العمل وحلفائه) ، يقوم ، كما يقول إيبان ، على معارضة فكرة تطبيق حكم اسرائيلي دائم على العرب في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، وهذا الموقف يستدعي بالضرورة ، العودة الى اتفاقية كامب ديفيد ، حيث لا يرتهن تقرير مصير الضفة الغربية وقطاع غزة باسرائيل وحدها ، وإنما بها وبمصر والأردن ، ومن يصفهم إيبان بممثلي



ابا ايبان



ايجال الون

الفلسطينيين ، الذين ـ كما يقول ايضاً ـ لهم الدور الرئيسي في مستقبل الضفة والقطاع ، لأن اي اتفاق تتوصل إليه الاطراف الاربعة خلال المفاوضات ، يجب ان يطرح على الفلسطينيين للاقتراع عليه .

هذه خلاصة مكثفة بالطبع لافكار ابا إيبان حول القضية الفلسطينية ،لكن ..لهذه الافكار خلفيات ، هي التي املتها في الحقيقة ، وجعلت هذا الصهيوني القديم ، يتراجع عن مواقفه ومواقف حزبه السابق ، خاصة وأن حزب العمل ، كان الحكومة والسلطة الفعلية في الكيان الصهيوني في عدوان عام ١٩٦٧ ، والذي اسفر عن احتلال الضفة الغربية وقطاع غزة ... فما هي هذه الخلفيات ؟!

يقول إيبان بوضوح ، إن هناك انقساما حاداً في الراي بين الاسرائيليين (اليوم) ، حول ما يجب فعله بالمليون والثلاثمائة الف فلسطيني في الضفة والقطاع المحتلين ، بين دعاة الضم ، ودعاة التخلي عن الاراضي المحتلة ، حيث يقول الفريق الاول ان اسرائيل تكون اكثر صهيونية إذا ضمت هذه الاراضي ، باعتبار الضفة الغربية وقطاع غزة جزءاً من «ارض اسرائيل» الكاملة ، فيما يقول الفريق الثاني إن اسرائيل تكون اكثر صهيونية ، إذا حافظت على عنصريتها ، اي على ان يكون «العنصر اليهودي» ، هو قوام كيانها .

وبما ان إيبان هو من اصحاب الراي الثاني ، فانه يحذر الاسرائيليين من ان ضم الضفة والقطاع المحتلين ، سيكون اجراء يستند إلى القوة من قبل طرف واحد هو اسرائيل ، بيد ان هذا الاجراء يترتب عليه ثمن باهظ سيدفعه الكيان الصهيوني، وهذا الثمن ، يتمثل في ان عرب الضفة والقطاع سيحظون بحقوق واسعة (حقوق المواطنة) في إطار النظام السياسي الاسرائيلي ، واول هذه الحقوق هو حق الاقتراع في الانتخابات العامة ، حيث سيملكون قوة انتخابية كبيرة ، وإذا اختاروا ان يستخدموها في تاييد او تشكيل قائمة عربية في الانتخابات العامة فانهم سيشكلون كتلة في الكنيست (البرلمان) تحتل خمسة وعشرين مقعداً على الاقل . وفي راي ابا إيبان ، ان المليون وربع المليون فلسطيني ، لن يشكلوا توازنا في القوى ، في حال الضم ، بل القوة كلها ، حيث سيلهث جميع الساسة الاسرائيلين ، وراء الكتلة العربية ، في الاقتراع على القرارات الرئيسية التي تمس مستقبل الكيان الصهيوني .

ويحذر إيبان جماعة الليكود من ان فكرتها في ضم الاراضي المحتلة ، وحرمان المليون وربع المليون فلسطيني فيها من الحقوق السياسية وخاصة البرلمانية ، سواء بالابقاء على الوضع الدستوري معلقا ، او بتطبيق الحكم الذاتي حسب النمط الاسرائيلي ، سوف يؤدي في النهاية إلى ما يسميه «بموت الصهيونية» ، لأن اسرائيل سوف تتحول في حال كهذه ، إلى «دولة» ثنائية القومية كما ان «الاقلية العربية الكبيرة» ستنمو وتتكاثر باستمرار ، بحيث تشكل خطراً ماثلا ، وارضية للصراعات العنيفة في المستقبل ، على غرار ما يحدث في قبرص ولبنان وايرلندا الشمالية .

وانطلاقا من هذه المقولة ، يدعو ابا إيبان حكومة الليكود إلى تنفيذ اتفاقية كامب ديفيد دون تلكؤ ، ليس لأن اسرائيل تعهدت بذلك لمصر او للولايات المتحدة حسب نصوص الاتفاقية . ولكن لأن هناك التزاما على الحكومة الاسرائيلية نحو الاسرائيليين ، من اجل ما يصفه «بخدمة مصالح شعب اسرائيل» قبل كل شيء ، ويفسر إيبان تصوره للحل «في إيجاد السبيل لجعل المناطق الكثيفة السكان ، مرتبطة بالأردن ، فيما قد يكون دولة فلسطينية ـ اردنية مشتركة . ويحذر مجدداً من ضياع الفرصة التي توفرها إتفاقية كامب ديفيد ، للتوصل إلى حل كهذا لأن ضياع الفرصة ، سوف يؤدي إلى اتفاق العالم باسره ، على ان فشل إتفاقية كامب ديفيد ، ووصول الطريق الذي «فتحته» إلى نهايته ... وعندَ ذلك ستقفز إلى الفراغ الذي سينشا ، مشروعات اخرى يصفها إيبان «بالسلبية» بالنسبة لاسرائيل ، مثل المشروع السعودي ، والمشروع الاوربي (إعلان البندقية) ... ويضيف ابا إيبان إلى الأسباب السابقة التي ولدت لديه قناعاته الحالية ، ان الولايات المتحدة ، باتت تعطي اولوية في حساباتها ، لحل القضية الفلسطينية ، وهو ما يشكل عنصراً رئيسيا في توجهات إيبان الجديدة ، لادراكه ، بان اسرائيل لا تستطيع في نهاية المطاف التمرد على اميركا .

سقوط الاحلام

وبالطبع ، فان اي حل لمستقبل الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، يتطلب

أبا إيبان
والتسوية الزائفة لقضية فلسطين

بالضرورة ، خروج اسرائيل من ورطتها الشائكة في لبنان ، ولذلك يقول إيبان إنه في حال استلام حزب العمل الحكم في الكيان الصهيوني ، نتيجة للانتخابات القادمة (٢٣ تموز - يوليو) ، فانه سيقوم اولا بفك ارتباط اسرائيل في لبنان على الفور ، وسيحاول من ثم فتح الباب امام إيجاد حل لقضية الضفة الغربية وقطاع غزة . ويقول إيبان ايضا : إن على اسرائيل أن تنسحب من لبنان سريعا ، على ان يكون هذا الانسحاب بمثابة عودة إلى العقلانية ، والتخلي عن روح المغامرة ، والتخلص من الخيالات والاوهام ، والرجوع إلى الحقيقة والنظرة الواقعية .

لكن .. لماذا يطرح ابا إيبان فكرة الانسحاب من لبنان بهذا الالحــاح الشديد ؟!! .. وهو الذي صفق للغزو عندما وصل الجيش الاسرائيلي إلى مدينة صيدا في الأسبوع الأول من غزو لبنان في حزيران (يونيو) ١٩٨٢ ؟! في الواقع ..

يكفينا إيبان مؤونة البحث والتحليل ، ليجيب هو نفسه عن السؤالين المتقدمين ، فيشير إلى ان اوهاما وخيالات كثيرة كانت تعشعش في رؤوس الاسرائيليين ، وبصورة خاصـــة حكومـــة الليكود حــول «سحق» منظمة التحرير الفلسطينية ، وإقامة «نظام كتائبي مسيحي في لبنان بدعم اسرائيلي» ، وسيؤدي «الانجاز» الأول إلى إلغاء دور منظمة التحرير الفلسطينية المؤثر في سياسات المنطقة ، فيما سيؤدي «الانجاز» الثاني إلى هيمنة إسرائيل على لبنان ومستقبله ، ودفع القوات السورية إلى الانسحاب من لبنان ، وبالتالي فانه سيكون في إمكان اسرائيل عرض عملية غزو لبنان ، باعتبارها ، خطة استراتيجية لصالح الدول الغربية ومصالحها في ميزان القوى الكبرى . ويضيف إيبان ان ايا من هذه «الاحلام المجنونة» لم يتحقق ، لسبب بسيط هو انها مجرد احلام تتجاهل منطق التاريخ ، مما يجعل الفشل هو النتيجة المحتومة لغزو لبنان ، وقد جاءت الوقائع لتثبت هذه التكهنات ، فقد دفع الجيش الاسرائيلي ٥٦٧ قتيلا من افراده خلال عملية الغزو ، وهو رقم يتجاوز كل ما خسرته اسرائيل بسبب هجمات الفدائيين الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ .. كما ان طموح قادة الليكود وغير الليكود ايضا ، تقلص نتيجـــة لما يواجهـــه الجيش الاسرائيلي في لبنان ، إلى شان تافـــه لا يتعدى المطالبة بمجرد ترتيبات امنية محدودة جدا في جنوب لبنان ، تدعمها ميليشيات إنعزالية ، وقوات الأمم المتحدة .

وباختصار يقول ابا إيبان ، انه لا يشك في أن «بعض الآمال المبالغ فيها» والتي اطلقتها حكومة مناحم بيغن قبل الغزو وخلاله ، قد تحطمت ، مثل « طلوع فجر جديد ، وتوقيع معاهدة سلام مع لبنان ، وإقامة حكومة مستقرة (وموالية لاسرائيل) فيه ، وتشكيل مثلث «للسلام» يضم مصر واسرائيل ولبنان» ... وإزاء هذه النتيجة الماساوية للغزو ، يطالب إيبان «بانقاذ ما يمكن إنقاذه» ، وتحديد سلم اولويات ، بحيث يكون الانسحاب الاسرائيلي من لبنـان مشروطـا بتشكيل حزام امني للمستوطنات اليهودية بشمال فلسطين المحتلة ، يتراوح عمقه ما بين ٤٠ - ٤٥ كيلو مترا داخل اراضي جنوب لبنان .. ويقول ، إن هناك اهدافا عدة ، ينبغي التوصل إليها .. ولكن في حدود الممكن ، ومن دون ان تخلق اسرائيل وضعا يجعلها تواجه اوضاعا اصعب من تلك التي تواجهها حاليا في لبنان .

الحرب .. والدبلوماسية

يشكل فهم ابا إيبـــان للحـــرب والدبلوماسية واهدافها وتكاملها اساسا لطروحاته السابقة ، ولاشك بان الاشارة إلى هذا الفهم ضرورية لاستكمال فهمنا لمنحى تفكير إيبـــان ، فالعمل العسكري لا يمكن ان يحقق للاسرائيليين كل ما يتمنونه ، وإذا كان باستطاعته الحؤول دون تدمير اسرائيل «إلا انه لا يستطيع إيجاد تغيير دائم في الخريطة » ، وحتى الانتصار بالوسائل العسكرية ، لا يمكن اعتباره انتصاراً مطلقا .. ولهذا فان هدف الحروب الحديثة ، ليس القضاء المبرم على الخصم او العدو ، أو إنكار دور الخصم وحقه في ان تكون له كلمة في الحل الذي يعقب الحرب ، وإنما تغيير تفكيره ومواقفه ، بحيث يقترب خلال المفاوضات من مطالب الفريق المنتصر ، ويصبح التوصل إلى حل او اتفاق امراً معقولا ومقبولا لدى الطرفين المتحاربين .. ويشير ابا إيبان في هذا النطاق ، إلى ان اخر حرب كلاسيكية ، استسلم فيها الفريق المهزوم للفريق المنتصر جسداً وروحا ، انتهت في عام ١٩٤٥ ، عندما استسلمت اليابان للولايات المتحدة ، في اعقـــاب إلقـــاء قنبلتين ذريتين على مدينتي هيروشيما وناجازاكي .

واسرائيل .. كما يقول إيبان .. لن تستطيع الوصول إلى هذا الموقف ابدا في هذه الأيام ، لان الحرب اصبحت نوعا من الدبلوماسية ، هدفها هو تمهيد الطريق امام المفاوضات السياسية ، التي يمكن الشروع فيها عن طريق الاقناع والردع وربما التهديد والاغراء والمساومة ، وعندما تفشل هذه الوسائل ، يمكن اللجوء إلى اسلوب الحرب المحدودة ، للضغط على الخصم ، وهذا يعني انه قبل البدء بالحرب ، يتوجب ان تكون هناك فكرة واضحة حول كيفية إنهائها .. ولذلك يتساءل ابا إيبان في اخر كتـــاب له (وهو بعنوان الدبلوماسيـــة الجديدة) ، يتساءل عما يمكن للدولة المنتصرة ان تفعل بانتصارها ، ويجيب على هذا التساؤل - بالنسبة لاسرائيل - بالقول: «إن التاريخ الحديث في الشرق الأوسط ، يعلمنا ان الانتصار والهزيمة هي مفاهيم نسبية ، لأن الحرب نفسها لم تعد امراً مميزاً كما انها لا تتيح للمنتصر حرية العمل حيث انه لا يمكن تحديد نتائج الحرب ، دون النظر إلى النتائج الكامنة خلف نطاقها» .

والدبلوماسية كما يراها ابا إيبان ، ليست هي علم اللاهوت ولا يمكن توخي «الخلاص» عن طريقها ، ومع ذلك ، فان بالامكان عن طريق الدبلوماسية ، نزع فتيل التوتر من منطقة الشرق الأوسط ، بافساح المجال امام ما يسميه إيبان «بالتيار العملي» لأن يسير إلى الأمام - ولو ببطء - باتجاه الاستقرار في المنطقة .

لماذا الآن ؟!

إزاء هذه الافكار - التي تبدو جديدة ومغرية احياناً - نتساءل : لماذا لم يطرح ابا إيبان افكاره هذه عندما كان في موقع المسئولية ؟ او على الاقل عندما كان حزبه - حزب العمل - هو القابض على اعنة السلطة في الكيان الصهيوني ؟؟

وفي رأينا فان طرح هذا السؤال ضروري جداً ، لتقييم افكار ابا إيبان ، ووزن طروحاته «الجديدة» بحجمها الصحيح .

فهذا الصهيوني العريق - القادم من جنوب افريقيا العنصرية - والذي خبر عالم الدبلوماسية عن كثب ، من خلال المناصب الهامة التي تولاها منذ فترة شبابه ، وحتى عام ١٩٧٣ ، بات يعرف ، بعد اربعة حروب عربية - إسرائيلية ، كادت اخرها (حرب ١٩٧٣) ان تقوض إسرائيل من اسسها ، ان الصهيونية لا تستطيع بالحرب فرض الاستسلام على الأمة العربية ، وان الحلم الصهيوني (حدودك يا اسرائيل من الفرات إلى النيل) ، قد فاته قطار الزمن ، كما ان غزو لبنان ، قد عرى اسرائيل واظهر هشـــاشة كيانهـا القائم اساســاً على الاغتصاب والعدوان ، ولذلك ، فانه لا يبقى امام الاسرائيليين اليوم ، سوى «ان ينقذوا ما يمكن إنقاذه» ، سواء في لبنان ، او في الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ، ومن هنا يمكن استيعاب المنطق التسووي الذي وصل إليه ابا إيبان ، بل وحزب العمل وحلفاؤه (المعراخ) اخيراً .

بيد ان مما لاشك فيه ، ان الأمة العربية باصرارها على عدم التنازل عن حقوقها ، وباعتمادها سلاح القوة في اربعة حروب غير متباعدة عن بعضها البعض ، وفي غضون حوالي ثلاثين عاماً ، انما فرضت بمنطلقها هذا ، بعض المتغيرات في العقل الصهيوني ، كما نرى ذلك لدى ابا إيبان اليوم ، حيث ان هذا العقل كان - ومايزال - يتعامل معنا على اساس الشعار الصهيوني «إن العرب لا يفهمون لغة سوى القوة» ، ولعل مما يؤيد مقولتنا هذه ، ان إيبان ، كان مندهشاً في كتابه « الدبلوماسية الجديدة » لأن العرب ، كانوا يحاولون في اعقاب حرب ١٩٦٧ ، ان يدفعوا الاسرائيليين الى التسليم بمطالبهم ، فيما هم في موقع «المهزوم» ، وفيما اسرائيل في موقع «المنتصر» .

ومع كل ذلك .. فان العقل العربي ، مطالب اليوم ، اكثر من اي وقت مضى بمتابعة ما يجري داخل العقل الصهيوني ، وما يطرحه بعض المفكرين والمسئولين الصهاينة من مقولات جديدة ، وخاصة حول طبيعة «اسرائيل» ، ككيان يشكل فيه اليهود عنصراً مطلقاً تقريباً ، من امثال ابا إيبان ، لأن ذلك سيجعل رؤيتنا للصراع العربي - الصهيوني ، اكثر واقعية ، مما سيعزز قدرتنا على إدارة هذا الصراع .

عصام شريح

من هو؟



ولد ابا إيبان في مدينة «كيب تاون» بجنوب افريقيا (ذات النظام العنصري) ، في ٢ شباط (فبراير) ١٩١٥ ، وتلقى دراسته في الشئون العربية والشرقية بجامعة كمبريدج في بريطانيا ، والتحق بالجيش البريطاني ، ونقل إلى القاهرة بناء على طلبه في عام ١٩٤١ ، ليعمل هناك في مكتب وزير الدولة البريطاني ، ثم عمل ضابط اتصال بين بريطانيا والوكالة اليهودية ، وفي عام ١٩٤٦ عمل في القسم السياسي بالوكالة اليهودية ، واختص بالشئون العربية ، وعقب قيام كيان صهيوني على ارض فلسطين المغتصبة في عام ١٩٤٨ ، عين مندوباً لهذا الكيان لدى الأمم المتحدة ، وشغل هذا المنصب حتى عام ١٩٥٩ ، انتخب بعدها عضواً في الكنيست عن حزب الماباي (العمل) ، وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٥٩ - ١٩٦٠ ، عين وزيراً بلا وزارة ، ثم شغل منصب وزير التربية والتعليم والثقافة خلال الفترة من ١٩٦٠ - ١٩٦٣ ، وفي ١٠ كانون الثاني (يناير) ١٩٦٦ ، تولى اهم منصب له ، وهو وزير الخارجية ، وبقي فيه حتى عام ١٩٧٣ .

ابا إيبان ، من أبرز المتخصصين الاسرائيليين في السياســة الخارجيــة الاميركية ، ومن اقرب القادة في الكيان الصهيوني للولايات المتحدة الاميركية ، وقد لعب دوراً رئيسياً في التمهيد لعدوان عام ١٩٦٧ مع الرئيس الاميركي جونسون ، وقبيل حرب عام ١٩٧٣ ، ارتفعت اصوات عديدة في الكيان الصهيوني ضد إيبان ، محملة اياه مسئوليــة عزلة اسرائيل السياسية في القارة الافريقية ، واتخاذ موقف سلبي إزاء التغيير الذي طرا على مواقف دول اوربا الغربية من الصراع العربي - الصهيوني ، وهي الأصوات التي تعالت ضد إيبان في اعقاب حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، وعلى الرغم من محاولات إيبان التركيز على مسئوليــة العسكريين ، وخاصة موشي دايان عن هزيمة اسرائيل في ميدان القتال في تلك الحرب ، فقد استبعد من الاشتراك في وزارة اسحق رابين في عام ١٩٧٤ ، وبقي خارج السلطة حتى اليوم ، بيد ان أسهمه داخل حزب العمل ارتفعت مؤخراً بسبب انتقاداته العنيفة لحكومة الليكود في اعقاب غزو لبنان .

ينادي ابا إيبان حاليا ، بقدر من المرونة في التعامل مع العرب ، لضمان امن وسلامة الكيان الصهيوني ، والابتعاد بهذا الكيان عن روح المغامرة التي ثبت فشلها في غزو لبنان في حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٢ .
ومن اهم كتبه : «صوت اسرائيل» و «شعبي» ، و «الصهيونية والعالم الغربي» ، كما شارك في وضع كتاب عن حياة حاييم وايزمن - أول رئيس للكيان الصهيوني ، ونشر مذكراته مؤخراً . اما احدث كتبه فهو «الدبلوماسية الجديدة» .

رأي للمناقشة

الثورة العرابية والأصابع الصهيونية

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

- ليس عرابي إلا ظاهرة من ظواهر التاريخ.. ولا بدّ من تحليل الظاهرة إذا أردنا الاستفادة والعظة
- الطيور الجارحة التي كانت تحوم في سماء المنطقة منذ أيام عرابي وهبطت لتلتهم الفريسة!
- هل كان الخديوي إسماعيل يرى في عرابي مخلب قط جيد ضد توفيق؟
- لماذا كان هدم الدولة العثمانية مقدمة لبناء إسرائيل؟.. وكيف استخدم "روتشيلد" أمواله ليستر بها زحفه السياسي؟
- هل كان "جامبتا" اليهودي يعشق مصر ويتفانى فيها عندما دعا المصريين للوقوف صفًّا واحدًا ضد الخديوي؟!

قامت الثورة العرابية عام ١٨٨١ كثورة وطنية متاججة تطالب بالدستور والديمقراطية ، وقادها ضباط مصريون متفانون يعبرون عن راي الشعب وجموع الفلاحين تعبيراً عمليا بالسلاح الذي كان في ايديهم . ففي الواقع ان ثورة يوليو ٥٢ انما تبدا من هذا التاريخ يوليو ١٨٨١ وما زالت العسكرية المصرية تشعر شعوراً خاصا نحو احمد عرابي وكفاحه .

وقد اصبحت هذه الثورة بعد قليل قدوة ونموذجا لثورة الشريف الحسين بن علي والى جانب تحريرها هذه الاصقاع من تركيا فانها ايضا كانت ثورة عسكرية مسلحة . واذا كانت الثورة العرابية قد ادخلت مذهب الوطنية لاول مرة على مسرح السياسة في الشرق الاوسط فان ثورة الشريف الحسين بن علي ادخلت ولاول مرة مذهب القومية العربية .

واذ نعتبر ان الثورة العرابية كانت رائدة لعدة ثورات بعدها كثورة المهدي في السودان وثورة الحسين بن علي، ثم الثورة المصرية ٥٢ فاننا نظن ان مثل هذه الثورة تحتاج الى مزيد من الدراسة الموضوعية البعيدة عن العاطفة . مثل هذه الدراسة تسمح بالنظر الى هذه « الحركة » من زاوية غير زاوية الرجل العادي بعاطفته الوطنية

وبادىء ذي بدء نلاحظ ان العالم الخارجي قد عامل عرابي كما عامل عبدالناصر تماما في اللحظة الحرجة : لقد نصح كلا منهما الا يضرب الضربة الأولى !

بعث جونسون الى عبدالناصر مندوبين احدهما رسمي والآخر شخصي (مذكرات محمود رياض وكان وزير خارجية ناصر يومها) اكد المندوبان كلاهما لناصر ان جونسون سوف يعاقب اسرائيل ذاتها لو انها ضربت الضربة الأولى . ثم اتضح بعد



احمد عرابي



جمال عبدالناصر

ذلك ان اسرائيل ضربت الضربة الاولى بتنسيق مع جونسون !

وحدث نفس الشيء بحذافيره مع عرابي : لدرجة انه اصدر بيانا بان طوابي الاسكندرية لن ترد اطلاقا الا بعد الخمس طلقات الأولى من الاسطول ! ولو اقتصرت الطلقات على اربع فلن يرد !

وانهزم عرابي امام بريطانيا ، وانهزم ناصر امام اسرائيل .

واذا كان عرابي قد سلم امره الى الله وسلم سيفه الى ولسلي ووكل محامين انجليز عنه ، وقدم مذكرة دفاعية اشاد فيها بالانجليز واخلاقياتهم ، فان ناصر ظل رافضاً ومقاوماً الى ان مات . ولكن بعد موته بثمان سنوات كان خليفته قد زار اسرائيل ووقع معاهدة .

اذن فالتاريخ يعيد نفسه . وهو الذي يخلق شخوصه ، فدائما عند التاريخ عرابي آخر وناصر اخر وهكذا ومن ثم فاننا حين ندرس عرابي وثورته ، لا نتعرض له كشخص ولا كزعيم ولا كوطني . فهو لا يملك من نفسه الا انه ظاهرة من ظواهر التاريخ . ولابد من تحليل الظاهرة واستيعابها اذا اردنا الفائدة من التاريخ .

ولاشك ان رؤيتنا للتاريخ الآن اوضح كثيراً مما كانت في زمن عرابي او حتى في زمن ناصر . فقد حققت الأحداث اهدافـ؟ وما علينا إلا استقراء الأهداف لنعرف من الذي اطلق علينا قذائفه داخل وطننا ولاي غرض اطلقها علينا .

قامت الثورة العرابية .. وانتهت لا بدخول الاستعمار البريطاني الى مصر والسودان فقط ولكن ما هو اهم : وهو انفصال قاطع وكامل لمصر عن دولة الخلافة : كانت دولة واسعة الأطراف توحد اليمني والشامي ، والمغربي والمصري الخ .. وحدتهم ستة قرون . صحيح انها كانت مريضة . ولكن بالطبع لم يكن متوقعا ان يضربوها او يقطعوا اوصالها وهي سليمة فانتظروا حتى مرضت وشاخت ثم قطعوا من جسدها اهم موقع استراتيجي فيها . انتهت الثورة العرابية اذن بانفصال مصر عن اسطنبول !

ثم قامت الثورة العربية الكبرى . وانتهت ايضا بدخول الاستعمار البريطاني كل شبر في الشرق الاوسط ولكن ما هو اهم من ذلك ايضا هو فصل كل الشرق الأوسط عن الدولة الأم والدولة الرابطة والموحدة لهم ، وانفصلت اذن الشام والعراق والجزيرة عن اسطنبول !

بل ان الخطوة هنا تجاوزت ما حدث عند انفصال مصر . تجاوزتها الى درجة سقوط الخلافة نفسها في اسطنبول ذاتها ، وقيام حكم علماني كامل ، وتحولت البوصلة السياسية ١٨٠ درجة كاملة واضيئت الأنوار امام ابصارنا .. واذا بدولة جديدة قد تكونت على انقاض الدولة العثمانية .. دولة اسرائيل .

وفي نفس الزمن الذي كان اللنبي يدخل القدس قائلا اليوم انتهت الحروب الصليبية ، والذي كان غورو يقول مخاطبا صلاح الدين في قبره : « ها قد عدنا ياصلاح الدين » كان بلفور وزير الخارجية البريطاني يعطي تعهداً بتسليم مفتاح اخطر منطقة في العالم الى دولة جديدة دخيلة على المنطقة

اذن كانت هناك طيور جارحة تحوم في سماء المنطقة منذ ايام عرابي وقبل عبدالناصر ، وقد هبطت والتهمت الجثة .

.... وعد بلفور ليس البداية

يخطىء من يظن ان تاريخ الصهيونية يبدأ من وعد بلفور او من مؤتمر بال الذي راسه هرتزل . فوثائق التاريخ تقول عن يهود فرنسا (لم يكن قد تسموا بالصهاينة بعد) عند اجتماعهم بنابليون ، ان توماس كورتب اليهودي الايرلندي (ايرلندي وليس فرنسي !) قد وجه الى بول بارا راس عضو الدركتوار (حكومة المديرين في الثورة الفرنسية) ينصح فيها الفرنسيين المتطلعين الى استعمار الشرق ان يعملوا على خلق وطن قومي يهودي في فلسطين !

بل في نص كلامه الى الفرنسيين يقول هذا الايرلندي : ان هؤلاء اليهود الذين سيقيمون في فلسطين سوف يحلون محل الامبراطورية العثمانية ! هكذا ! ؟

فهذا الايرلندي يجد ان علاقته بالفرنسيين اليهود اعلى من اختلافه معهم في الجنسية الوطنية ويجد في رابطته الدينية معهم دافعا يطغى على الاختلاف الجنسية . ثم ان تصريحه بان يهود فلسطين تقوم قائمتهم على انقاض الامبراطورية العثمانية لا يحتاج الى جدال ولا مناقشة . وقد تحقق بعد ١٥٠ سنة من التنبؤ به . ثم هو اشد صراحة من ان يقسم قومه الى يهود وصهاينة كما يقال اليوم ولكنه يعتبرهم جمعا واحداً . وهذا هو نص ندائه :

« ان اليهود يقدمون لكم عنصراً استعماريا ثابت الأركان . وهو ضروري لكم لكي يقوم مقام الامبراطورية الآخذة في الانحلال ، امبراطورية العثمانيين ، وهو ضروري لكم لبث الفوضى واشعال الفتن واحلال الأزمات للقضاء على الترك جملة واحدة . وحينئذ فقط فان الاتراك سوف يقللون من تعصبهم نتيجة احتكاكهم بنا

الثورة العرابية والأصابع الصهيونية

نحن اليهود القادمين من مختلف البلدان ، حاملين مختلف النظريات والثقافات المتنوعة بل في اعتقادي ان الصين نفسها سوف تتاثر بنا » .

هذا إذن هو نداء كوربت اليهودي الايرلندي الى حكومة الادارة في باريس ، وهاهو وعد نابليون رداً على النداء نثبته حرفياً وبالنص لاهميته :

« ان العناية الالهية (نفس الكلمة التي استعملها هتلر بعد ذلك !) ارسلتني على راس هذا الجيش وجعلت رائدي العدل وكفلت لي النصر وجعلت من القدس لي مقراً . وستجعله بعد قليل في دمشق !

يا ورثة فلسطين الشرعيين : إن الأمة العظيمة التي تتجر بالرجال كما فعل اولئك الذين باعوا اجدادكم للشعوب تناديكم الآن لا للعمل على اعادة احتلال وطنكم فحسب ولا بغية استرجاع ما فقد منكم بل لاجل مؤازرة هذه الامة لتحفظوها مصونة من جميع الطامعين بكم لكي تصبحوا اسياد بلادكم الحقيقيين .

انهضوا وبرهنوا على ان القوة الساحقة التي كانت لاولئك الذين اضطهدوكم لم تفعل شيئاً في تثبيط همة ابناء هؤلاء الأبطال الذين شرفوا اسبارطة وروما بالتحالف معهما » .

انتهى كلام نابليون الذي قيل عنه انه اسلم ! والذي زعم نائبه (عبد الله جاك مينو) انه اسلم ! فالصقور الصهيونية إذن كانت تحوم في الجو في هذه المنطقة منذ عصر نابليون وخلال فترة الثورة العرابية . وحتى بعد فشل الثورة العرابية كانت محاولات هرتزل في انشاء مستوطنات في العريش ومد مياه النيل اليها من المواضيع الهامة التي رفضها كرومر .

وقبل ان نستعرض دور الصهيونية العالمية خلال زمن الثورة العرابية يجب ان نلاحظ ان لهم اسلوباً سياسياً ولغة سياسية متكررة . وهي تقسم انفسهم إلى فريقين : فريق صقور وفريق حمائم ، وان الفريقين يتفقان في الاهداف القومية ، وإنما يستخدمان هذا الانشقاق الظاهري للايقاع بالفريسة ، إذ تلوذ الفريسة من صقورهم بحمائمهم (كلعبة الثلاث ورقات عندما توقع بالفلاح القادم إلى القاهرة لأول مرة) . واسلوب «الصقور — حمائم» هذا ، يستعملونه مع جميع الشعوب : ففي فترة رئاسة نكسون ، كان كسنجر هو مستشاره الذي تضخم دوره حتى طغى على وزير الخارجية الرسمي . وفي نفس الفترة كان فريق آخر من اليهود هم الذين يدبرون لنكسون فضيحة ووتر جيت .

وفي فترة ناصر كان فريق بن جوريون وجولدا وديان يشهرون السلاح في وجه ناصر بينما يقف فريق يحمل له اغصان زيتون . جولدمان يجري اتصالات ومفاوضات . الفريد ليلنتال يكتب مدافعاً عن العرب ويتلقى منهم الهدايا على دفاعه . والمرابي «برجر» يقوم محامياً عن العروبة . ويوري افنيري عضو الكنيست يضع نظرية « اسرائيل بلا صهاينة » حتى تصبح اسرائيل مقبولة .

دور الصهيونية في الزمن العرابي

تقول الحقائق الناطقة ان السماء الدولية كانت وقفاً على ثلاثة صقور يهودية بدون ادنى منافسة : دزرائيلي اليهودي رئيس وزراء بريطانيا وجامبتا اليهودي وزير خارجية فرنسا وروتشيلد اليهودي المتعهد علناً بتمويل إقامة دولة يهودية في فلسطين .

روتشيلد هو الذي اقرض الخديوي قروضاً ضخمة بفوائد اضخم يعلم تماماً وبكل تاكيد عجز الخديوي عن سدادها فيما بعد . واقراض الخديوي ادى إلى اقراض طبقة الاعيان كلها . في نفس الوقت كان روتشيلد هذا ينفق في صوفية خالصة على انشاء مستعمرات يهودية في فلسطين من قبل نشوب الثورة العرابية ! روتشيلد إذن ليس مجرد مراب ولا هو بنك . إنه اساساً سياسي اصيل وثري مصادفة . وإذا كان غناه قد غطى على سياسته فان هذه التغطية ذاتها هي التي استخدمها كساتر ناجح جداً في زحفه السياسي . روتشيلد انجح مثال تاريخي للسياسي الذي يستخدم المال في غزوه .

اما دزرائيلي فقد كان رئيس وزراء «العالم» في ذلك الوقت الذى لم تكن ظهرت فيه عصبة الامم ولا هيئة الامم ، وذلك بحكم منصبه كرئيس وزراء اكبر دولة استعمارية لا تغرب عنها الشمس ، وقراصنتها يحكمون البحار كلها . وكان اليهودي الوحيد في تاريخ رئاسة وزراء بريطانيا قديماً وحديثاً ! ويهودي صارخ الاسم ! واسمه لا يترك اي هامش للشك . هذا الرجل اشترى اسهم قناة السويس ! وهو عندما اشتراها لم يُبْقِ لمصر في القناة سهماً واحداً (بينما كانت فرنسا ودلسبس قد تركا لها نصيباً نظير الأرض وسخرة العمال !) . اشتراها دزرائيلي باموال من روتشيلد الذى كان ينشىء مستوطنات في فلسطين . اشتراها دون ان يعرض الامر على البرلمان .. باموال من خارج بريطانيا . ولأول مرة وآخر مرة يتجاهل رئيس بريطاني برلمان بريطانيا العتيد . اليس هذا دليلاً على خطورة ما هم مقبلون عليه ؟ لقد وجد دزرائيلي وروتشلد ان الصقر في السماء لا يجوز له ان يستشير احداً لكي ينقض على الفريسة المضمونة .

واخيراً جامبتا . وهو من لاعبي دور الحمائم . وزير خارجية فرنسا يكمل المؤامرة مع الصقور بالمذكرة الخطيرة المعروفة بالمذكرة الثنائية الشهيرة . المذكرة التي هي في الواقع المحرك الحقيقي للفتنة (وصف الامام محمد عبده) او للهوجة . او لنقل نحن للفتنة الهوجاء العاصفة . الفتنة التي حطمت في سبعة اسابيع استقلال مصر الذي بني بالصبر والجهد في ثلاثمائة سنة كاملة !!

تصور ان جامبتا هذا يدعو المصريين مدنيين وعسكريين إلى ان يقفوا موقفاً وطنياً وموحداً وضد الخديوي ! جامبتا هو الذي يحرك جموع الفلاحين . جامبتا يعشق مصر ويتفانى فيها إلى هذه الدرجة ..

١ — هذه المذكرة الخالدة اصابت الخديوي بالرعب . صمم على إثرها على الارتماء في احضان الانجليز . إن الخديوي توفيق قبل هذه المذكرة كان كثير المناكفة مع الانجليز باعتراف كل من كتبوا مذكراتهم من الانجليز في هذه الفترة . وهو نفسه الذي راس الوزارة في جلستها التي رفضت الانذار برفع مدافع طوابي الاسكندرية . وارتماؤه في احضان الانجليز نتيجة رعبه من المذكرة.. يزكيه ضعف شخصيته وانه كان فاقداً للذكاء الذي تميز به اسماعيل وابراهيم ومحمد علي . وان زوجته كانت تراقبه وتراقب زواره .

٢ — هذه المذكرة التي القت الخديوي في احضان الانجليز فجاة رفضها الشراكسة

والاتراك المقيمون في مصر والعاملون بالحكومة والجيش . واعتبروا المذكرة تدخلا صريحا وكان مصر مستعمرة فرنسية . ويلاحظ ان الاتراك والشراكسة والمصريين الذين من اصل تركي والمصريين المتعاطفين مع تركيا (مثل مصطفى كامل) كانوا هم كل شيء في مصر في هذا الوقت : الزعيم الشعبي شريف باشا كان تركيا .

سامي البارودي شاعر الشعب كان تركيا .

وكان مصطفى كامل واحمد شوقي و الوف غيرهم متعاطفين مع تركيا . والمصيف السنوي الرسمي كان اسطنبول ، والمدارس العليا كلها في اسطنبول .

٣ ـ هذه المذكرة حركت الجماهير : فرنسا تدعو الشعب إلى عصيان الخديوي رسميا ! كيف إذن لا تتحرك الجماهير ولا تتملكها الثورة رغم وجود طبقة شريف وسامي البارودى ومصطفى كامل ؟ حتى قادة الجماهير المحترسين والمعتدلين امثال محمد عبده وسعد زغلول راوا فرنسا تغمز لهم بل تناديهم بل تحثهم . وتحثهم رسميا .

• • •

ورأى الفلاحون المصريون في شخصية الضابط احمد عرابي صورة شيخ البلد جسماً ومظهراً وروحا وقيادة وتحمسا . هل يستطيع الفلاحون منع انفسهم من الثورة ؟ كيف ؟! احس شيخ البلد واحس المصريون بدماء اجدادهم الفلاحين تجري ساخنة فى العروق تنادي بالثورة . واهم من هذا ، انهم احسوا لأول مرة في التاريخ ان هناك فلاحا يمكن ان يثور . واحس هذا الفلاح الثائر انه كان يشتغل مئات السنين السابقة بدون اجر !!

لم يكن في الشعب متعلمون . وحتى طلبة الأزهر كانت غالبيتهم لا تتم دراسة الأزهر . إذن لم تكن هناك طبقة مثقفين فضلا عن مفكرين . ولم يكن في مصر كلها مخلوق واحد يعرف شيئا عن الاطماع الصهيونيـة ولا الوطن القومي اليهودي ولا يتخيل قيام دولة اسرائيل .حتى اغنيـاء الريف واعيانه ما كانوا اكثر من ناس سذج اطهار غير متعلمين ، دماؤهم ساخنة ونيـتهم خالصة ، ولا يتصورون أن يكون جامبتا هذا وطنيا اكثر منهم . وكانت الوطنية هي إشعال الحريقة في كل شيء .. فيتم الاستقلال .

كان خافيا عليهم ـ واظنه لازال خافيا على كل المدافعين عن الثورة العرابية حتى يومنا هذا ـ ان المقصود هو فصل مصر عن الدولة العثمانية ، وانهم بعد ٤٠ سنة اخرى سيفصلون الجزيرة والعراق والشام عن الدولة العثمانية ، ثم ٣٠ سنة اخرى يقيمون اسرائيل . ثم تتحول اسرائيل إلى امبراطورية . ولم تقم على انقاض الدولة العثمانية فقط ولكن ايضا على انقاض الامبراطورية البريطانية والفرنسية ذاتها .

إذن كانت هناك سذاجة عامة وشاملة ومؤثرة على عقول كل المصريين . وافضل توضيح لهذه السذاجة ما رواه بلنت محامي وصديق العرابيين نفسه . روى ان قنصل بريطانيا الجنرال قال له : « المصريون كالطفل . ويجب معاملتهم كطفل . انا الذي فصلت لهم دستوراً يناسبهم . وانا الذي صنعت الحزب الوطني (الحزب الوطني الأول الذي راسه عرابي !) ولن يستطيع المصريون ان يستمروا بدوني انا» .

إذن فى الوقت الذي كانت هناك صقور صهيونية جارحة فى السماء كان المصريون غير مدركين للعبة الخطيرة ، ووقعوا تحت وصاية مزعومة من الانجليز .. يزعمون حمـــاية الطـــفل من صقور السمـــاء !

موقف تركيا

كانت الدولة العثمانية تضم البانا ويونانا وعربا واتراكا واجناسا اخرى ، وكان السلطان عبد الحميد ـ المفترى عليه ـ لا يكف لحظة عن تذكير شعوبه بان الذي يربطهم هو الجامعة الاسلامية ، ويحذرهم من فرط عقد هذه الشعوب . وكانت تحذيراته صريحة بان الغرض هو القضاء على الرباط او الرابطة الاسلامية بينهم .

١ ـ فقد أرسل السلطان عبد الحميد رسالة حملها احمد راتب باشا يحذر عرابي فيها من «انتقال مصر إلى ايدي الأجانب» ! وركز على الرابطة الاسلامية بأسلوب يمزق نطاق القلب !

٢ ـ أرسل السلطان بعثتين ، اولاهما برياسة نظمي باشا ثم بعد فترة اخرى بعثة برياسة درويش باشا . مكرراً تحذيره من سلخ العنصر المصري من الرابطة الاسلامية . (في الفترة التالية جمال الدين الأفغاني يدعو نفس الدعوة بعد أن فات الوقت !) . بعثة درويش باشا حملت إلى عرابي وساما .. عرابي راى في إرسال هذا الوسام استدراجا له إلى فخ منصوب !! وهكذا كان حذره فى غير موضعه . فهو نفسه لم يبد مثل هذا الحذر مع دلسبس عندما تعهد له بعدم دخول اساطيل في قناة السويس . وهذا الحذر لم يبده عرابي عندما ظن ان انجلترا سوف تاتيه من الغرب فاتته من الشرق (كما فعلت مع ناصر عام ٥٦ !) وهذا الحذر لم يبده عندما قالوا له لا تضرب الضربة الأولى (كما قالوا لناصر فيما بعد !) . وهذا الحذر لم يبده ليلة معركة التل الكبير عندما انصرف هو وقواده إلى الأذكار !

٣ ـ كان السلطان عبد الحميد يتصل بالثورة العرابية عن طريق الشيخ ظافر ، وهو رجل صوفي كان عبد الحميد قد اخذ عليه العهد . روى هذه الواقعة احمد شفيق باشا في مذكراته .

٤ ـ فكر عبد الحميد في إرسال حملة لاخماد الثورة العرابية خوفا من خروج مصر من المنظمة الاسلامية . إلا ان كبار العسكريين حذروه بان إخلاء عاصمته من جيشه قد يعجل بحركة خلعه في اسطنبول فى غياب الجيش كما خلعوا سابقه عبد العزيز !

٥ ـ فى نفس الوقت الذي كان عبد الحميد محترسا ومتخوفا من انفراط عقد الدولة العثمانية ومتوجسا من يهود فلسطين لدرجة ان كان يامر اليهودي بعدم البقاء في قرية واحدة اكثر من ستة شهور متصلة . وفى الوقت الذي رفض فيه مقابلة هرتزل ورفض طلباته حتى رفض مجرد انشاء الجامعة العبرية اكتشف ان طبيبه الخاص ومرافقه هو من اصل يهودي وادعى الاسلام حتىوصل إلى منصب طبيب السلطان . فطرده عبد الحميد .

وظل عبد الحميد يعتبر ان دعوى المشروطية (البرلمان) هي دعوى مصطنعة يراد بها هدم وتفكيك رابطة الشعوب العثمانية . ولكنه اضطر إلى الخضوع لها وفعلا تفككت الرابطة بعد ذلك وانفصل اليونان والالبان ومصر وغيرها . ويقول خالد العظم رئيس وزراء سوريا بعد ذلك فى مذكراته التي نشرها في أواخر الستينات نادما على ما اصاب جميع دول المنطقة منذ تمتعت بالمشروطية .. إنه :

الثورة العرابية والأصابع الصهيونية

«منذ عام ١٩٠٨ لم يمر على الدول العربية يوم واحد ابيض حتى الآن !» .

مظاهرة ٩ سبتمبر ١٨٨١

يتخذ المدافعون عن الثورة العرابية حتى اليوم هذه المظاهرة حائط مبكى لهم ، يزعمون ان عرابي انما قام بالثورة لتحقيق دستور الشعب . ويوردون جملة نسبت الى عرابي مشكوك فيها تقول : والله الذي لا إله إلا هو لن نكون بعد اليوم عقاراً يورث وقد ولدتنا امهاتنا احراراً .

هذه المظاهرة يجب دراستها بحذر شديد لأن اطرافاً كثيرة كان لها مصلحة فيها .

١ ــ ان لم تكن المظاهرة بتدبير من الخديوي نفسه فانها على الاقل انتهت بكل ما كان يحلم به الخديوي ، وهو عزل رياض باشا وهتاف الجيش بحياة الخديوي .

رياض باشا هذا كان ظل بريطانيا وفرنسا في مصر . وكان كاتماً لأنفاس الخديوي، ورياض باشا كان موجوداً داخل السراي ساعة المظاهرة ولم يخرج لها رغم انه هو رئيس الوزارة . لم يخرج لها رغم خروج كولفن وكوكون وهم وزراء مساعدون له واجانب . لم يخرج لها لأنه احس ان المظاهرة مدبرة ضده هو من الخديوي

٢ ــ هذه المظاهرة كانت من مصلحة بريطانيا ، أول دولة تمنت حدوث المظاهرة حتى تتدخل في شئون مصر هي بريطانيا . ويلاحظ في هذا الصدد ان كولفن كان يثير الخديوي ضد عرابي ويزين له اطلاق الرصاص عليه . ولكن الخديوي رفض ! بل ان خروج كولفن من السراي ووقوفه الى جانب الخديوي اثناء مفاوضة الخديوي لعرابي ربما كان ليتاكد تماماً من افشال اي تفاهم بينهما .

٣ ــ كانت تركيا ايضا لها مصلحة في هذه المظاهرة حيث كانت تامل ان تتلقى نداء للتدخل بجيشها من جهة مصرية إما الخديوي وإما عرابي .

٤ ــ كان الخديوي اسماعيل المخلوع له مصلحة ايضا في استمالة عرابي مخلب قط يخلع به توفيق وهو ابن احدى سراريه فقط لا غير .

ووقائع المظاهرة نفسها تبدى انها مدبرة : فبعد المظاهرة اصدر داود باشا امراً نفذ فعلا بنقل عرابي وفرقته الى راس الوادي بعد ان ادى المهمة والدور الذي رسم له واصبح مطلوباً التخلص منه . وكذلك بنقل عبدالعال وفرقته الى دمياط . اما علي فهمي المتزوج من السراي فقد صدر القرار ببقائه في مصر ! . ولم يعترض احد على هذه القرارات .

نظرة قديمة عن الثورة العرابية

إذا كان هناك من يقدسون الثورة العرابية ويتهيبون نقدها خوفاً من اهتزاز الوطنية في قلوبهم ، فاننا يجب ان نتذكر مواقف بعض من اشتركوا فيها من اهل الراي .

١ ــ الشيخ محمد عبده في موضعين من مذكراته يقول : ان الثورة العرابية بدأت حركة وطنية وانتهت كفتنة . وهو قال هذا رغم انه مات ولا يدرك الدور الصهيوني .

٢ ــ مصطفى كامل زعيم الحزب الوطني كتب سلسلة مقالات في اللواء ضد الثورة العرابية بعد ان جلبت الاستعمار البريطاني وبعد ان احس ان مركز الدولة العثمانية التي كان يتعاطف معها قد تلاشى تقريباً . ونفس هذا الموقف وقفه ايضاً خليفته محمد فريد . اما الشاعر احمد شوقي فقد قال في عرابي من شعر الذم والتحقير ما نرحم به ذكرى عرابي عن تكراره .

٣ ــ كتب محمد فهمي باشا وزير اشغال الثورة العرابية مذكراته في كتابه المعروف البحر الزاخر وفيه من الذم والقدح في عرابي وتصرفاته وسياسته وعسكريته وحياته في المنفى ما نانف من تكراره أيضاً وهو كثير جداً .

نظرة حالية الى الثورة العرابية

لابد ان نعيد حساباتنا . ولابد ان ننصف انفسنا باعادة نظر هذه القضية على ضوء ما تحقق فعلا خلال المائة عام الماضية ، لنثبت لأنفسنا اننا نتعلم من التاريخ واننا احياء ونتطور ونستفيد من الدروس ، لا ان نتحجر عقلا وتاريخاً .

١ ــ لقد وصفنا القنصل البريطاني باننا اطفال سذج عشية الاحتلال البريطاني . ولا شك اننا تطورنا الآن ، وتعلمنا دروساً ودروساً وهو عندما رمانا بالسذاجة كان مدركاً لما تقدم عليه المنطقة من هدم الدولة العثمانية وبناء اسرائيل . وحتى لو لم يكن هناك تبييت لهذا ، فلابد ان نعيد نظرنا بعد ان كبرنا ولم نعد سذجاً . بعد ١٠٠ سنة لم نعد اطفالا . اذا كنا اطفالا منذ ١٠٠ سنة فنحن الآن شيوخ . ويجب ان تكون لنا نظرة اخرى .

٢ ــ كان الشغل الشاغل سياسيا للشعب طوال القرن الماضي هو الاستقلال الوطني . والآن هل يجوز لنا ان ننظر الى ابعد من هذا الافق الوطني المحدود والمنفعل بالعاطفة الوطنية ؟

هل يمكن ان نمد بصرنا لأكثر من موضع قدمنا حتى نعي ان هناك لعبة امم يجب علينا ان نستكشف ابعادها حتى نعرف الى اين نساق . لم يكن احد يعرف لفظ لعبة الامم قبل كتاب مايلزكوبلاند الذي اصدره بعد هزيمة ٦٧ عندما ظن اننا انتهينا .

واخيراً اننا لا نشكك في وطنية عرابي ولا نحمل على الثورة العرابية ولكننا بعد ١٠٠ سنة وبعد ان تجاوزنا مرحلة الطفولة في السياسة الدولية وبعد ان امتد افقنا لأبعد من الحدود الوطنية يظل هناك سؤال يجب الاجابة عليه على ضوء كل ما تحقق .

والسؤال هو : هل كانت الثورة العرابية خطوة اولى لفصل مصر عن الدولة العثمانية بعد ان فشل نابليون نفسه في ذلك ؟ وهل كانت الخطوة التي تتبعها بعد ذلك ومماثلة لها تماما في فصل البلاد العربية الاخرى عن الدولة العثمانية ثم هل كانت اسقاط الدولة العثمانية ذاتها .. هل كل ذلك تم لاقامة دولة اسرائيل على انقاضها وهل تم ذلك كله قصداً ام عفواً ؟ ام يا ترى لم يحدث شيء من هذا ؟

السيد فهمي الشنذاوي



صياد ينشر شباكه لصيد الأسماك المتعددة التي تعتبر من اهم مصادر غذاء الانسان .

اطلبوا الغذاء في الأرض
فإن هي ضاقت فاطلبوه في البحار

بقلم : الدكتور عزالدين فراج

في البحار أنواع من الأسماك مختلفة الأشكال والألوان والصفات ، وتعتبر ثروة اقتصادية كبيرة ، لأنها من أهم مصادر غذاء الانسان ، ويمكن أن تحل الأسماك محل لحوم الأبقار والأغنام والدواجن . هذا مع رخص ثمنها وسهولة الحصول عليها .

ولحوم الأسماك سهلة الهضم ، لذيذة الطعم ، غنية ببعض الفيتامينات الهامة ، وخاصة فيتامين (ا) وفيتامين (د) ، كما تحتوي الأسماك على مقادير مناسبة من الأملاح المعدنية ، وخاصة أملاح اليود والفسفور والكالسيوم اللازمة لتكوين العظام ونشاط الأعصاب .

والأسماك بجانب قيمتها الغذائية لها فوائد اقتصادية أخرى ، أهمها استخراج الزيوت الطبية الغنية بالفيتامينات من كبد بعض الأسماك ، وتستخدم زيوت بعض الأسماك في عدة أغراض كصناعة الطلاء ودبغ الجلود .

وتوجد في البحار عدة أنواع من الأصداف والقواقع التي تصنع منها الأزرار ، كما تستعمل الأصداف اللامعة في تطعيم الأثاث وإطارات الصور ، وتزيين الأبنية ، وعمل العقود والأقراط وغيرها من الحلي ، وتطحن الأصداف أيضا ، وتضاف إلى غذاء الدواجن .

وتطفو على وجه المياه نباتات عديدة ، وتكثر هذه النباتات في المياه الراكدة أو التي تجري ببطء ،



تحتل البحار والمحيطات ثلاثة أرباع مساحة الكرة الأرضية .. ومعنى هذا اننا مطالبين بتوفير الغذاء من هذه الرقعة الشاسعة !

اطلبوا الغذاء في الأرض
فإن هي ضاقت فاطلبوه في البحار



اسماك السالمون والرنجة .. وقد اصبحت للاسماك اليوم فوائد اقتصادية إلى جوار قيمتها الغذائية .

وكذلك توجد الطحالب في البحار والمحيطات ، وتجمع هذه النباتات ، وتجفف ، وتستعمل في تغذية الطيور والماشية ، كما تستخدم كنوع من الأسمدة وكنوع من الوقود . ومن هذه النباتات والطحالب تستخرج بعض العناصر النافعة كاليود والحديد والكالسيوم وغيرها من مواد الدواء والطلاء .

وإذا عرفنا أن سكان الأرض يعيشون الآن على ربع الكرة الأرضية ، بما عليها من أرض مزروعة وصحراوات وثلوج غير مسكونة ، أما ثلاثة أرباع المساحة الباقية فتشغلها البحار والمحيطات ، والأنهار .. أذا عرفنا ذلك لأدركنا أهميتها في الاسهام في توفير الغذاء لبعض سكان هذه الأرض التي نعيش عليها .

مواجهة نقص البروتين

إن البحار الموجودة على كوكبنا الأرض تحتوي على ٢٠,٠٠٠ نوع من النباتات والحيوانات البحرية وأكثر من ١٠٠,٠٠٠ فصيلة من اللافقاريات ، ١١٠٠٠ نوع من الأسماك المختلفة . ويعتقد الخبراء أن البحر بمكنه تقديم ٢٠٠ مليون طن من الأسماك سنويا — أي أربعة أضعاف حصيلة الصيد السنوي في هذه الأيام — وذلك دون أن يتأثر الرصيد الضخم من الأسماك .

والمعروف أيضا أن البحر ينتج المواد الغذائية النباتية التي تعيش عليها الأسماك الصغيرة بكميات هائلة جدا — حوالي ٢٠٠ مليون طن من النباتات وحيدة الخلية والطحالب سنويا — وبالرغم من ذلك فهي لا تكفي كغذاء للعدد الهائل من الأسماك . ولا لكي تتحول عن طريق الأسماك إلى البروتين الحيواني في لحومها . فالأمر يتطلب ١٠٠,٠٠٠ رطل من الطحالب والكائنات النباتية الدقيقة حتى يمكن الحصول على رطل واحد من الأسماك . والحل هو زيادة كمية السمك فيها .

وتجري محاولات أخرى لاستخدام فضلات الانسان كنوع من السماد ، لزيادة نمو النباتات البحرية بنشرها على أعماق بعيدة عن مستوى سطح البحر . فسيؤدي ذلك الى نتائج مفيدة ، كما يفكر العلماء أيضا في اضافة بعض المواد الكيماوية إلى هذه الفضلات حتى يتضاعف نمو الكائنات البحرية الدقيقة والطحالب وبالتالي تزيد كمية الأسماك التي تتغذى عليها .

وهكذا نستطيع أن نصل إلى انتاج أنواع من الأسماك الصغيرة بكميات هائلة تمكننا من صناعة « مسحوق السمك » الذي يحتوي على البروتين الحيواني . ويصبح في الإمكان استخدامه لتعويض البلدان التي تعاني من النقص في البروتين الحيواني . ولا يبدي الناس اليوم اهتمامهم بمسحوق السمك نظرا للرائحة المعروفة التي تنبعث منه . وتجري الآن عمليات لانتاج دقيق السمك الذي يخلو تماما من الروائح لطهوه بمختلف الوسائل ليصبح غذاء شعبيا غنيا بالبروتينات الحيوانية اللازمة للنمو . وتقام الآن في مختلف البلدان المصانع التي سوف تقوم في المستقبل القريب بانتاج دقيق السمك على نطاق واسع .

الطحالب غذاء الانسان

وتعتبر الطحالب ذات أهمية غذائية كبيرة ، إذ تتغذى عليها الحيوانات الصغيرة التي تأكلها بالتالي الأسماك الصغيرة ، وهذه تتغذى عليها الأسماك الكبيرة ، وهي من الأغذية الرئيسية للانسان .

وتلعب الطحالب دورا هاما في حفظ التوازن بين النبات والحيوان في البيئة المائية لأنها أي الطحالب تمتص ثاني أكسيد الكربون وتخرج الأكسيجين في الوقت الذي تمتص فيه الحيوانات الأكسيجين وتخرج ثاني اكسيد الكربون .

وتعتبر الطحالب من المواد والأطعمة الغذائية التي يتناولها الإنسان مباشرة حيث يأكلها اليابانيون .

ويصنع من الطحالب مادة الجيلي التي تستخدم في صناعة الحلوى . ويستخلص من بعض أنواعها

مادة « الآجار آجار » التي تستعمل في عمل مزارع البكتيريا والفطريات.

والطحالب مصدر من أهم المصادر التي يستخلص منها الإنسان اليود والبوتاسيوم ويستخرج من بعضها مساحيق تستخدم في طلاء الأخشاب.

ويضيف بعض المزارعين الطحالب في بعض البلاد إلى أراضيهم الزراعية كسماد.

ودخلت الطحالب مؤخرا سفن الفضاء حيث أستخدمت لتكوين المواد الغذائية ولاستهلاك ثاني اكسيد الكربون المتصاعد من تنفس الإنسان أو الحيوان المسافر واخراج الاوكسيجين.

ويقدر ما تقذفه الأمواج من الطحالب على ساحل الصحراء الغربية المصرية بنحو ١٨٠٠٠ طن سنويا، ومن الممكن الاستفادة من الطحالب البحرية اقتصاديا في الأغراض السابقة.

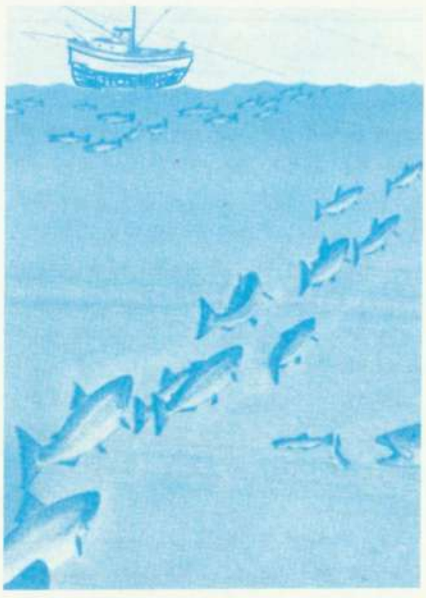
والطحالب هي تلك الكائنات التي تستوطن عادة الماء، وتتراوح في ألوانها — حسب تباين أجناسها — ما بين الأخضر الداكن الاخضرار، والاخضر الضارب إلى الزرقة أو الاصفرار، ومنها ما تتخذ ألوانا بنية أو حمراء، وهي تتباين فيما بينها من حيث الاطوال والاحجام، فمنها ما هي دقيقة الحجم — وحيدة الخلية أو خيطية — لا تستطيع أن تتبينها ألا مجهريا، ومنها ما تتكون من تراكيب خلوية وتكاد تضاهي في أطوالها الأشجار، وقد اتجه إليها الانسان حديثا ليستمد منها احتياجاته المتزايدة من غذاء وكساء وعلاج، بعد ما ثقلت اليابسة بما تحمل من أعباء بني الانسان، وتكاد تعجز — بسبب الانفجار السكاني — أن توفيه شيئ ما يتطلبه من احتياجات — وأصبح الشغل الشاغل لرجال العلم الآن أن يجدوا بين طيات البحار والمحيطات — بما تزخر به من طحالب وأحياء — الغذاء الذي يسد رمق الأعداد المتزايدة من بني الانسان، أو الدواء الذي يسبغ المناعة والشفاء ضد الامراض، أو الألياف الصناعية للمنسوجات، أو مايقوى التربة المنتجة لنباتات الالياف لزراعة الخضر وغيرها من مواد الغذاء.

وكانت بداية تحديد قدرة الطحالب على انتاج البروتينات والفيتامينات في أحد الطحالب الخضر الوحيد الخلية، ويطلق عليها علميا اسم « كلوريللا ».

ففي عام ١٩٤٩ قدر « جافرون » المحصول السنوي لمزرعة مائية مساحتها فدان واحد بخمسين طنا من الوزن الجاف للكوريللا، نصفها من البروتين، ومن الدهون ١٠٪، ومن فيتامين (ا) ٥٠٠٠ وحدة في كل جرام، ومثلها من فيتامين (ج)، ومن حمض الفوليك المضاد للكساح ٤٨٥ وحدة في كل جرام. وهذا المحصول يزيد عدة أضعاف على أي محصول زراعي جزيل العطاء. مما جعل من عملية استزراع الطحالب مشروعا مربحاً يسترعي الأنظار، تخطط من أجله البرامج وترصد الأموال.

ولابد من الإشارة هنا إلى أن البروتينات المستغلة كغذاء للانسان لابد وأن تحتوي على نسب متوازنة من الأحماض الأمينية الضرورية والشبيهة الى حد ما بتلك الموجودة في الاجساد، وهي تكاد تقارب في تكوينها تلك الموجودة في البروتين الكامل للبيض — من وجهة البيولوجيا الصحية — ١٠٠٪.

وبعض الطحالب منتجة للدهون، خصوصا في الطحالب الخضراء. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية أجريت في ألمانيا الغربية تجارب معملية لانتاج الدهون بواسطة الطحالب في مزارع كبيرة فوجد أن من بين الطحالب الكثيرة الانتاج للدهون الطحلبان كلوريللا و سينودزمس وهي من الطحالب الخضراء.



إن كمية البروتين الحيواني التي يمكن استغلالها من المزارع السمكية اكثر بكثير من البروتين الناتج من حظائر الحيوانات.

الاهتمام بثروات البحار

ومن حسن حظ معظم الدول العربية أن لها شواطئ بحرية تمتد حولها لعشرات الألوف من الكيلو مترات، فالدول العربية بشمال أفريقيا تطل على البحر الأبيض والأحمر والمحيط الأطلسي، أو على بحرين معا « كما في جمهورية مصر العربية »، أو لها حدود على بحر من جهة، ومحيط من جهة أخرى « كما في المغرب ».. ومنها ما يطل على الخليج العربي، أو المحيط الهندي، وهذا يعني أننا جميعا نحن العرب — نطل على بحار ومحيطات، لكننا لم نفتح عيوننا على ما فيها من ثروات، فهذه قد تغنينا عن ملايين الأفدنة الزراعية.

فالدول العربية جميعا، رغم امتدادها على شواطئ شاسعة، ولديها امكانات مالية وبشرية فان استغلالها جميعا لثروات البحار يقع في ذيل القائمة بين الدول الأخرى. كان من المفروض أو المحتم أن تتنبه لذلك، وتعطيه ما يستحقه من اهتمام، فهي لديها نقصا ملحوظا في البروتين خاصة، واللحوم عامة.. ولابد أن يكون لها من ذلك النقص دافعٌ قويٌّ وملح، كي تحصل من بحارها وشواطئها على هذه الثروة المتاحة، بدلا من أن تدفع جزءا من ثرواتها، لكي تستورد به ما تحتاج من ذلك المصدر الهام من مصادر الطعام.

ويؤيدنا في ذلك « جيفورد بتشوت » أستاذ الأسماك بجامعة « جون هوبكنز » بامريكا حيث يقول:

كميات البروتين الحيواني التي يمكن استغلالها من مياه البحار والمزارع السمكية من شواطئها تعادل أضعافاً مضاعفة من انتاج الثروات البروتينية الناتجة من حظائر تربية الحيوانات على اختلاف أنواعها. فالميل المربع الواحد من مزرعة سمكية قد يعطي حوالي ٩٠٠ طن من الأسماك كل عام، في حين أن تغذية الماشية على ميل مربع من المراعي يعطي ما يتراوح بين ١٠ إلى ٨٠ طن من اللحوم، فما أعظم الفرق؟!.

عز الدين فراج

● عرفت مجتمعاتنا الصالونات الأدبية في سمر القبيلة وتزاحم الناس حول الشعراء في الأسواق

● من أجل مناقشة أخطر الأفكار الثقافية، هجرت ابنة السفير الفرنسي حياة البلاط إلى صالونها الأدبي!

● وسط الخلافات القومية الأوروبية، أطل المفكرون على آداب الأمم الأخرى في صالون "مدام دي ستال"

● كانت الحياة الأدبية الخالصة لا تشغل المترددين على صالون "نازلي فاضل" لاهتمامهم بالسياسة

● من هم الظرفاء والنبهاء من عشاق الأدب الذين كانوا يترددون على صالون "ماريانا" في حلب؟

الصالونات الأدبية

في الشرق والغرب

بقلم: الدكتور الطاهر أحمد مكي

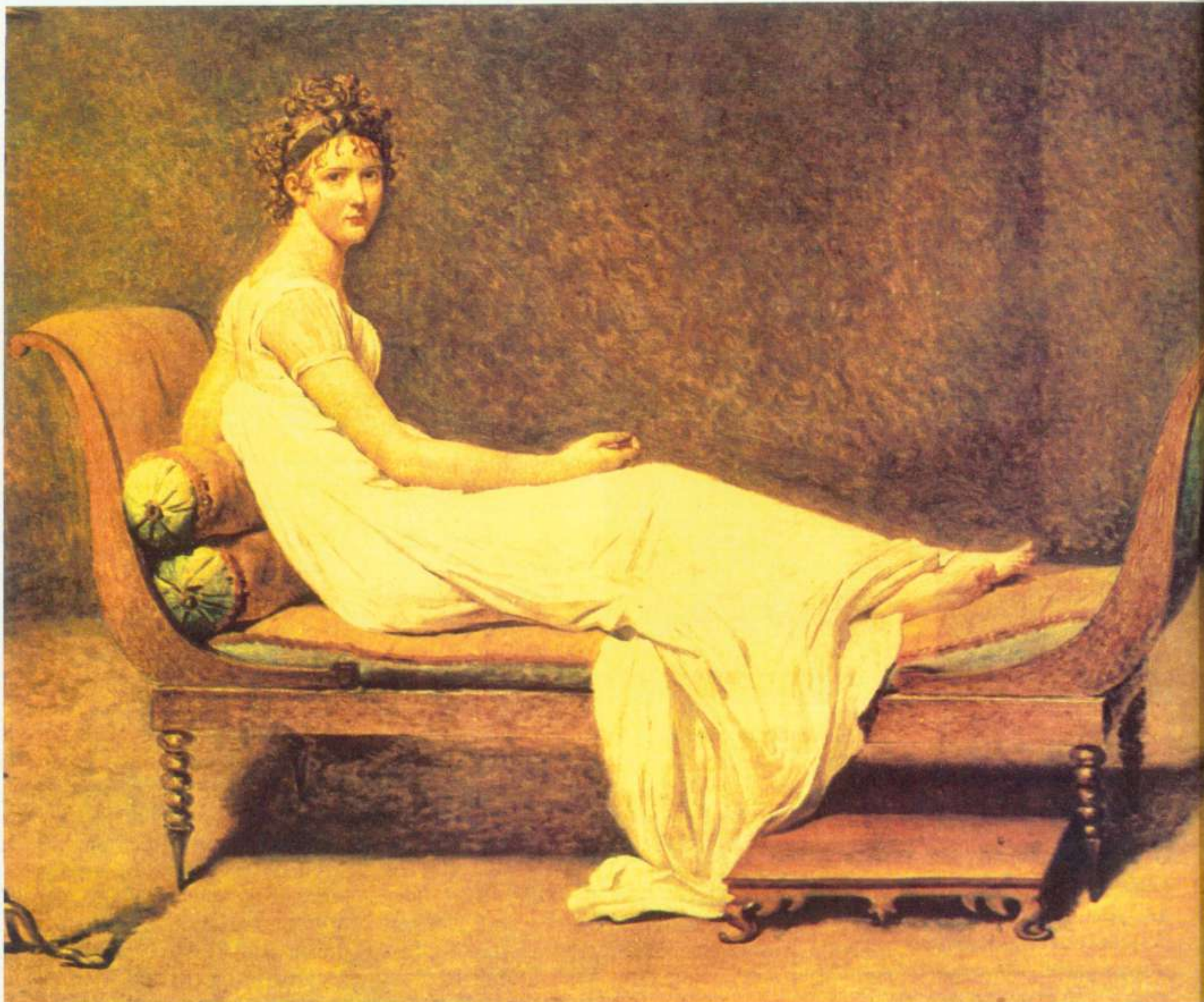
لعبت الصالونات الأدبية دوراً هاماً في إشاعة الثقافة العالمية، فهي تجمع اناساً من مواطن شتى، ويتدارس روادها احدث ما صدر من كتب، ويناقشون اخطر الافكار، ويتبادلون آخر الأنباء. والكلمة لاتينية الأصل، وتعني المكان الذي يستقبل فيه اهل البيت زوارهم بعامة، واذن فتعريبها بندوة او منتدى لا يؤدي المراد منها بدقة، لأن محتوى هذين اللفظين قديم، ويعرفه ادبنا العربي منذ ايامه الاولى، في سمر القبيلة، وتزاحم الناس حول الشعراء في الاسواق، وفيما بعد في قصر الخليفة او الأمير او الحاكم، ذلك ان المنتديات في مجملها كانت وقفاً على الرجال وحدهم، واقول في مجملها لأن صالون ولادة بنت المستكفي في قرطبة، في القرن الحادى عشر الميلادي، وصالون حفصة الركونية في غرناطة في القرن الثاني عشر، كانا يجمعان الادباء من الرجال والنساء على السواء.

عرفت فرنسا هذه الصالونات في القرن السابع عشر وكثرت في القرن التالي له، واكتسبت طابعاً عالمياً بمن كانوا يترددون عليها وبالقضايا التي يتداولها السامرون. وكان يقوم عليها سيدات اتصفن بالالمعية والذكاء والثقافة والجمال، والحس الاجتماعي الرهيف، وتجمع الوانا من المتع الحسية والفكرية، من ادب وفكر وثقافة. وفنون. وبذلك اصبحت سوقا لتبادل الآراء، ومجالا رحيباً للاحاديث المتنوعة، تعرض لكل شيء، وتتناول كل جديد وطريف، من استعراض «مودات» الأزياء إلى الافلاطونية الحديثة، ومن ادب بترارك الايطالي ومقلديه حتى مناقشة قواعد الاملاء.

أقدم صالون فرنسي

بعض هذه الصالونات لعبت دوراً بالغ الاهمية في إلقاء الاضواء الكاشفة على الآداب الأجنبية، ودفع الادباء المغمورين الى عالم الشهرة والخلود، وإذا كان يقال اليوم أن شهرة اي فنان او اديب او كتاب او اغنية في عالمنا العربي المعاصر، تبدأ من القاهرة، فقد كانت في باريس القرن السابع عشر تبدأ في «صالون اوتيل دي رامبوييه» وهو أقدم صالون عرفته فرنسا، واوربا باجمعها.

كانت صاحبة الصالون كاترين دي فيفون، مركيزة رامبوييه، (١٥٨٨ –



مدام ريكاميه كما رسمها الفنان الفرنسي دافيد في عام ١٨٠٠ ، وقد عاشت في الفترة ما بين ١٧٧٧ إلى ١٨٤٩ ، وكان صالونها يجمع أهم الأدباء والشخصيات الاجتماعية .

١٦٦٥) ، فتاة جميلة ، مصقولة التربية ، والدتها رومانية ، وابوها فرنسى ، عمل سفيراً لوطنه فى العاصمة الايطالية ، وآثرت فى زمن مبكر ان تدع حياة البلاط ، وان تفتح صالونها عام ١٦٠٨ للنبلاء ، والطبقة الأرستقراطية ، والمثقفين الذين يودون أن يرتفعوا بذكائهم ومواهبهم الى مستوى هذه الطبقات ، واعدت قاعاته ، وزينت حجراته ، لتبعث البهجة والمتعة في نفوس زواره وتتسع لهما ، ولتكون منتدى لمجتمع الصفوة الراقية باكملها .

في هذا الصالون كانت تلتقي صفوة المثقفين والنبلاء ، وعلية القوم ، يناقشون التيارات الأدبية الحديثة التي تفجرت حول فرنسا ، في إسبانيا أولا ، ثم إيطاليا فيما بعد ، فعرف رواده اتجاه جونجرة شاعر قرطبة الاسبانية ، وأصول الرواية الحديثة ، وما سوف يطلق عليه ادب التصنع ، او الحذلقة ، او الأدب المثقف ، والذي يعتمد على زخرفة الأسلوب ، والايغال في التصوير ، وبدأ فى اسبانيا ، ورحل منها إلى ايطاليا ، وانتهى به المطاف إلى المانيا وانجلترا مروراً بفرنسا نفسها .

وكان الكاتب المسرحي كورناي (١٦٠٦ ــ ١٦٨٤) من رواد هذا الصالون ، وعلى رواده قرأ اصول مسرحياته ، ومسرحيته «السيد» وهو شخصية اندلسية من اثر هذا الصالون (١) ، وفيه ارتجل بوسيه (١٦٢٧ ــ ١٧٠٤) ، وكان شابا ، خطبة امتدت حتى منتصف الليل ، وقال عنها فولتير انه لم يسمع بمثلها لا من قبل ولا من بعد ، وتردد عليه مالرب (١٥٥٥ ــ ١٦٢٨) الشاعر ، وظهر أثر القصائد الايطالية واضحاً في شعره ، وبخاصة في أيام شبابه الاولى قبل ان ينضج ، على حين اهتم فوجيلا (١٥٨٥ ــ ١٦٥٠) بنقاء اللغة الفرنسية ، ومقاومة التسرب الأجنبي إليها ، في الالفاظ او التراكيب ، واستخدم اعضاء المجمع الفرنسى مؤلفاته فى الدفاع عن اللغة هادياً لهم ، وبينما كان مهتماً بالمفردات والنحو ، كان الشاعر شبلان يبذل اقصى جهده لتثبيت مبادىء الكلاسيكية فى الأدب . وقالت عنه جولي ابنة صاحبة الصالون ، انه «شاعر ملحمى تعس ، فاتن الجمال ، ومتعب حتى النخاع» .

وتعكس اعمال فولتير (١٥٩٨ ــ ١٦٤٨) التى نشرت فيما بعد روح هذا الصالون بدقة ، ورغم انه من اصل متواضع ، ظل على امتداد سنوات طويلة العبقرية التى تراس الغرفة الزرقاء فى الصالون ، واثر ان يعيش حياته اولا ، وان يظهر مواهبه فى



قدم طه حسين صورة ادبية لرواد صالون مي زيادة ، الذين كانوا يجتمعون ويتحدثون في كل شيء رغم اختلاف شعوبهم



راى العقاد في حديث مي : طلاوة ورشاقة وجلاء .

الموضوعات الصغيرة والتافهة ، فى مقطعات شعرية يصوغها فى مهارة ويجعل منها نموذجا ، او فى رسالة عاطفية تحمل مشاعره ، وتصبح للآخرين مثلا ، وبذل جهداً كبيراً كي يكون واضحا ، وجهداً اكبر فى اختيار موضوعات تافهة عابثة ، ومع ذلك كانت رسائله موضع الاعجاب والتقدير ومثلا عاليا للاناقة الرفيعة ، وقد ذهب النسيان بسخرياته وعبثه وتفاهته ، وبقي منه أنه اخضع النثر الفرنسى لكي يتسع للتعبير عن حياة المتع واللذاذة .

وفيما بعد اصبح الروائى الفرنسي بلزاك من رواد الصالون ايضا ، ويردون عالمية مصادره واتجاهاته إلى تاثير اجواء الصالون ، والحوار الذى كان يجرى بين قاعاته ، وكانت مدام لافييت من بين الشخصيات التي تتردد عليه في ايامه الاخيرة ، ولعله الهمها روايتها «سيدة» ، وهى تعبق باريج اندلسى إسبانى نفاذ . وشهد الصالون نقاشا حاداً بين رواده حول الهجاء الصحيح لكلمة Muscadin ومعناها شاب انيق ، هل تكتب هكذا ، او تكتب على النحو التالى Muscardin ، ولم ينته المتحاورون الى راى حاسم ودخلت الصورتان المعجم الفرنسى .

وحين بلغت ابنتا صاحبة الصالون ، جولي وانجليك ، السن التى تهيىء لهما الاشتراك فى المناقشات انضمتا الى رواده ، واصبحتا من زهوره ، وابديتا استعداداً ادبياً عالياً ومبكراً ، فهما تقران مسرحيات كورناى وتنتقدانها ، وتعكفان على دراسة كتاب «مقال فى المنهج» لديكارت ، وبلغ اعجابهما بهذا الفيلسوف غايته ، وفتنتا بالمقطعات الشعرية التى تتغزل فى الازهار، وقدمت مجموعة منها تبلغ الستين هدية لجولي ، حين بلغت سن الرشد ، واقيم لها احتفال تقدم فيه الى المجتمع الباريسى انسة . وفيما بعد افترقت الاختان ادبيا ، وكونتا حزبين متنافسين ، وقامت بين الفريقين مناقشات ادبية حول الشاعرين فولتير وبنسيراد (١٦١٣ ـ ١٦٩١) ، ايهما ارق واجمل ، وكلمة الحذلقة Précieux التي اطلقت على نوع من الأدب الفرنسي يعنى بالزخرفة تعود الى هذا العصر ، وترددت كثيراً فى هذا الصالون . وقد امتدت الحياة بصاحبة الصالون ، حتى شاهدت مسرحية موليير الساخرة «المتحذلقات الساخرات» .

وهناك صالون «مدام ريكاميه» في بداية القرن التاسع عشر ، وهي زوجة لأحد كبار رجال البنوك في فرنسا ، واصبح صالونها يجمع اهم الأدباء والشخصيات الاجتماعية المرموقة .. وكذلك هناك صالون الروائية الفرنسية «جورج صاند» التي جاءت إلى باريس عام ١٨٣١ ليصبح صالونها ملتقى لكبار الأدباء والشخصيات .

لم تتوقف عادة الصالون الأدبى فى فرنسا ، وانتقلت من باريس الى بقية عواصم الأقاليم ، والقينا الضوء على بعض ما جرى فى اهمها ، وكان نموذجا لها ومثلا ، وليس هنا مكان ان ناتى على باقيها ولكن صالونا آخر اخذ شهرة عالمية ، ولعب دوراً هاما فى الحياة الادبية ، لا يمكن ان نمر به غافلين ، واعني به صالون مدام دى ستال فى باريس ، او فى قصر كوبيه على ضفاف بحيرة جنيف حين تكون في المنفى ، وكانت صاحبته اديبة كبيرة ، وناقدة عظيمة هيات المناخ لتطور عظيم في النقد والادب ، وقد فتح صالونها فى كوبيه ابوابه على دفعات بين عامى ١٧٩٥ و ١٨١١ لكثير من الادباء المشهورين الذين ينتسبون الى عدد من الامم المختلفة ، وكان ابان هذه السنوات البوتقة التى انصهرت فيها الخلافات القومية الأوربية ، واطل المفكرون من خلاله على آداب الامم الاخرى .

وخارج فرنسا اشتهر صالون الدوقة مازرين فى لندن فى القرن السابع عشر ، وقام بنفس الدور الذى قامت به الصالونات الفرنسية ، ومثله صالون ليدى هولاند فى القرن الذى تلاه . وفى عام ١٧٥٠ انشات مدام نوردان فليشت اول صالون ادبى فى استوكهولم عاصمة السويد .

بعض ما كان يجرى فى هذه الصالونات نراه اليوم جنونا ، ورغم ما اصاب الادب فى ظلها ، بتعظيم اشياء لا اهمية لها ، لعبت دوراً بالغا فى جعل التقاليد اكثر رقة والافكار اكثر خصوبة ، وعملت على تشجيع الوضوح ، ومراعاة الذوق فى التعبير ، وفتح الطريق امام الادب لكي يتميز اجتماعيا ، وعظم تاثير النساء فيه ،





يعقوب صروف ، واسماعيل صبري صاحب مجلة المنار ، وسعد زغلول .. كانوا من ابرز رواد صالون مي زيادة .

واصبحن قوة كبرى فى توجيهه ، الى ما هو صالح أو طالح على السواء .

صالون نازلي فاضل

حين بدات اليقظة العربية خطاها الأولى فى مصر عرفت القاهـــرة هـذه الصالونات تاثرا بفرنسا ، وإذا كانت هناك قد ازدهـرت فـي قـلاع الســادة ، وبيـن عليـة القـوم ، فقـد قـام فـي القاهرة أول صالون نعرفه فى العالم العربى ، ولدينا بعض اخباره فى قصر الأميرة نازلى فاضل ، وباشرافها ، وهى بنت الأمير مصطفى فاضل ، وكان وليا للعهد حين كان اخوه إسماعيل الخديوي ، ولكنه اختلف مع اسماعيل ، فهاجر مصطفى فاضل إلى الأستانة ، وكان محبا للثقافة ، ولديه مكتبة كبيرة ، استولى عليها الخديوي إسماعيل ، وجعلها نواة دار الكتب المصرية ، وحول قصره فى درب الجماميز الى قاعة للمحاضرات العلمية ، ومالبث ان اصبح مقراً لمدرسة دار العلوم العليا . وكانت الأميرة نازلى متزوجة من سفير تركيا فى باريس ، ودفعت بها ثقافتها الى ان تتصل بجماعة تركيا الفتاة ، التى اتخذت من العاصمة الفرنسية مقراً لها ، وكانت تعارض السلطان عبد الحميد ، وتطالب بالاصلاحات الدستورية ، وحين توفي زوجها جاءت مصر ، وشاركت فى النشاط الاجتماعى والثقافى فى تلك الأيام .

كان يتردد على صالون الاميرة نازلى كبار المصريين والأوربيين ، اناس من ثقافات مختلفة ، نعرف منهم الامام محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سلمان ، وسعد زغلول ، وقاسم امين ، ومحمد المويلحى ، وحسن عبد الرازق ، وحسن عاصم ، واخرون ممن لعبوا دوراً هاما فى تطور الحياة الاجتماعية والفكرية فى مصر . وكانت الأحاديث فيه تدور غالبا حول القضايا السياسية ، ووسائل الاصلاح الاجتماعى التى تشغل الناس في ذلك الوقت ، وفيه تبلورت افكار قاسم امين التى حملها كتابيه : «تحرير المراة» و «المراة الجديدة» ووجد من زملائه التشجيع ، وكانت صاحبة الصالون هى التى اختارت صفية ابنة مصطفى فهمى باشا رئيس الوزراء زوجة لسعد زغلول ، وتوسطت له فى ذلك . كما ان الاعداد لانشاء الجامعة المصرية تم فى هذا الصالون . وبعامة كان الصالون وقفا على الطبقة الأرستقراطية ومن تعلق بها ، لا يبلغه إلا الذين ارتفعت حياتهم الاجتماعية الى مقام ممتاز ، ولم تكن الحياة الأدبية الخالصة تشغل احداً ممن يترددون عليه .

صالون مريانا

وفى ذات الوقت تقريباً شهدت حلب فى ديار الشام مولد صالون شبيه ، رغم تعنت التقاليد وتخلفها ، ورجعية الحكم العثمانى وقساوته ، فى دار امراة تنتمى الى اسرة شهرت بالأدب والعلم والفضل ، هى : مريانا مراش (١٨٤٩ — ١٩١٩) ، ويصـفها قسطاكى الحمصى ، وكان من رواد الصالون بانها «مليحة القد ، رقيقة الشمائل ، عذبة المنطق ، فكهة الأخلاق ، طيبة المعشر تميل الى المزاح ، حسنة الجملة ، عصبية المزاج» .

كانت مريانا اول اديبة سورية برزت فى مجالات الأدب والشعر والصحافة فى عصرنا الحديث، ومع ان الحكم العثمانى لم يكن يسمح ، حتى عام ١٩٠٨ ، لأى امراة بان تصدر صحيفة أو مجلة ، أو تعبر عن مشاعرها وافكارها عن طريقها ، حتى لو كانت نسائية ، لأن ذلك ، فيما يرى ، يخالف العادات الاجتماعية .

إلا ان مريانا استطاعت ان تحصل على رخصة بنشر ديوانها الاول ، وكان صغير الحجم ، يضم قصائد فى الغزل والمديح والرثاء ، وصدر عام ١٨٩٣ م ، وربما يسر حصولها على الرخصة ان من بين قصائده واحدة هنأت بها السلطان عبد الحميد عندما تولى الخلافة ، وثانية عايدته بها فى احد اعياد جلوسه على العرش ، وهنأت امه بقصيدة اخرى .

ومنذ صباها الباكر بدات مريانا تكتب في مجلة «الجنان» التى كانت تصدر فى بيروت عن القضايا الاجتماعية ، فكتبت تدعو بنات جنسها الى الكتابة ، وترغبهن فيها ، وتنتقد عادات المراة العربية المعاصرة ، وتحضها على التربية بالعلم ، والتحلى بالأدب ، وتشكو من انحطاط اساليب الكتاب ، وتحثهم على السمو بالمواضيع التى يكتبون فيها ، والترقى باساليبهم .

ونشرت مقالاتها ايضا على صفحات «لسان الحال» فى بيروت ، و «المقتطف» قبل ان تترك بيروت وتلوذ بالقاهرة ، وبعدها كتبت في مجلات اخرى ، ورغم انها لم تكن في البدء ولزمن ، توقع المقالات التى تكتبها ، لانه لم يكن مسموحاً للمراة ان تعبر عن مشاعرها، أو حتى عن افكار انسانية عامة ، فقد وجدت مقالاتها صدى طيباً بين نساء عصرها ، واحيانا كانت تنشر ما تكتب على



جورج صاند (١٨٠٤ ـ ١٨٧٦) روائية فرنسية جاءت إلى باريس عام ١٨٣١ ليصبح لها أهم صالون ادبي .



مدام دي ستال الأديبة والناقدة التي اشتهر صالونها بين عامي ١٧٩٥ و ١٨١١ م وكان في قصر «كوبيه» على ضفاف بحيرة جنيف

- انه «ترجمات من بعض الصحف الأجنبية» رغم انه من ابداعها وبقلمها .

كانت مريانا تجمع بين الثقافتين العربية والفرنسية ، كثيرة السفر الى أوربا ، تقف عند معالمها الحضارية ، وترقب سير الثقافة والفكر فيها ، وتتامل اسباب نهضتها ، ومن المرجح انها قرات ، وربما عرفت ايضا ، شيئا عن الصالونات الادبية فى باريس ، ما شغل منها القرن الثامن عشر او كان قائما على ايامها ، مما دفعها الى ان تقيم فى بيتها صالونا ، على غير سبق في بلدها ، رغم تخلف العادات ، وفساد الحكم العثمانى .

وقد اصبح صالون مريانا فى حلب «مثابة الفضلاء ، وملتقى الظرفاء والنبهاء ، وعشاق الأدب» ، ويتردد عليه قسطاكى الحمصى ، وجبرائيل الدلال ، وكامل الغزي ومن اسرتها اخواها فرنسيس مراش ، وكان طبيبا ، وعبد الله مراش ، وكان يدبج المقالات السياسية الداعية الى الحرية ، فى جريدة «مراة الاحوال» التى تصدر فى لندن عام ١٨٧٦ م ، واخرون من الشخصيات الأدبية حلبية وشامية واجنبية ، يلتقون على موعد ، يتناشدون الأشعار ، ويتناقشون فى الأدب ، وتضفي صاحبة الصالون على الجمع جواً من الالفة ، والمودة والرعاية وحسن اللقاء ، وتشارك فى الحوار ، وتدلي برايها فيما يعرض من قضايا ، وتطربهم من حين لآخر حين تعزف لهم على البيانو انغاما جميلة .

ولكن الحياة فى ظل الحكم العثمانى كانت اسوا من ان تحتمل هذا التقدم والرقي ، فضيقت على رجال الفكر والأدب ، ورات فى تجمعهم تحت اية راية خطراً على نظام الحكم ، وعصفت بهم وقست عليهم ، واضطرتهم واحداً وراء آخر الى مفارقة ديارهم ، ذهب بعضهم الى أوربا ، وهبطت الاغلبية مصر ، واتخذت منها وطنا ، ووجدت فيها ترحيبا ، وحرية فكر ، فاصدروا ما يريدون من صحف ، وكتبوا ما يودون من آراء ، ونشروا ما عندهم من ابداع ، واقفر صالون مريانا من رواده وإن ظلت هي تراسل الصحف والمجلات الادبية فى القاهرة وبيروت .

مي زيادة

على أن اشهر الصالونات العربية واحفلها بالشخصيات التى تتردد عليه ، صالون الأديبة مي زيادة (١٨٨٦ ــ ١٩٤١)، ابوها إلياس زيادة من لبنان وامها من فلسطين ، وبرعت فى مجال الأدب مبكراً ، واخذت بحظ وفير من الثقافة ، فكانت تجيد الفرنسية والانجليزية والالمانية ، وتترجم منها فى سهولة ، وكان ديوانها الشعرى الأول «ازاهير حلم» Fleurs du Reve باللغة الفرنسية ، وإلى جانب ذلك تعرف الايطالية ، وتلم بالاسبانية واللاتينية والسريانية واليونانية ، وتكتب في العربية باسلوب شاعرى اخاذ .

نزحت مي الى القاهرة مع والدها حين جاء مصر عام ١٩١١ بحثا عن الحرية والتسامح ، وهربا من التخلف والاستبداد السائدين فى فلسطين ولبنان والشام ، وكان ميسور الحال فامتلك ارضا زراعية ،



مي زيادة ، برعت في مجال الأدب في وقت مبكر وكان صالونها من اشهر الصالونات



كان الروائي بلزاك من رواد اقدم صالون ادبي في باريس ، ويقال ان عالمية مصادره واتجاهاته كانت بسبب تأثير هذا الصالون !



فولتير .. عكست اعماله ـ بدقة ـ روح صالون «كاترين دي فيفون» مركيزة «رامبوييه»

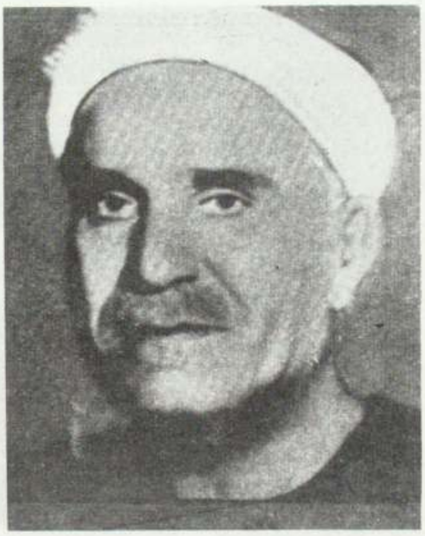
وحقق رغبته الصحفية فاشترى جريدة المحروسة ، واتفقت هجرة مي مع اكتمال انوثتها فاصبحت ناضجة اسرة ، ذات دل يزيدها فتنة ، ولو أن الهجرة نفسها تركت فى اعماقها آثاراً بعيدة المدى لم تندمل مع الزمن ، فكتبت الى العقاد اثر رحلته الى لبنان رسالة ضمنتها مقتطفات من مقالة نشرتها بعد عودته ، بعنوان : «اين وطني؟» تقول فيها : «... ولدت في بلد ، وابي من بلد وامى من بلد ، وسكنى فى بلد ، واشباح نفسى تنتقل من بلد الى بلد ، فلأى هذه البلدان انتمى ؟ ... وعن اى هذه البلدان ادافع ؟ .. يمضى الموتى تاركين للاحداث وراثات حسية ومعنوية ينعمون بها ، وشرفاً قومياً يعززونه ، وتقاليد يحافظون عليها . اما انا فلم يبق لي من آثار موتاي سوى الأثقال المعلقة فى يدى وعنقى ! . فلماذا قدر على ان اكون ابنة وطن تنقصه شروط الوطنية ، فامسى تلك التى لا وطن لها» !

كانت ضائعة ، لأن القومية العربية لم تكن قد اتضحت معالمها كاملة بعد فتنتمى اليها ، ولم تكن مسلمة فتشعر بانضوائها تحت راية الجامعة الاسلامية ، ولا مفكرة فيلسوفة ، تبشر بوحدة قادمة ، وتسهم في بنائها ، وكانت على ايامها وهماً ، وهى على ايامنا حلم ، وسوف يعيشها احفادنا واقعاً .

وصف سلامة موسى مي وصفاً حسياً فى حديث اجراه معها ، ونشره فى عدد اغسطس عام ١٩١٤ من مجلة المستقبل ، فقال عنها : إنها «ربعة ، مستديرة الوجه ، زجاء الحاجبين ، وطفاء الأهداب ، دعجاء العينين ، يتالق الذكاء فى بريقهما ، ويجلل وجهها الجميل شعر جثل اسحم ، وتلعب على شفتيها ابتسامة الخفر ، وهى ابعد النساء عن الاسترجال واشدهن انوثة» .

فى جريدة والدها «المحروسة» بدات نشاطها الأدبى ، فاخذت تكتب باباً ثابتاً تحت عنوان : «يوميات فتاة» ، وكانت غاية مقالاتها ـ فكراً ـ اصلاح المجتمع ورقي الأمة ، واتصفت ـ اسلوباً ـ بتخير الالفاظ ذات الجرس الموسيقي ، ولو انها تكيف اسلوبها حسب ما تقتضيه الغاية ، ومحاولة التاثير فى القارىء عن طريق العاطفة ، فيجيء شجياً ناعماً فى مواقف الحزن والحب ، هامساً عاتباً رقيقاً فى الدعوة الى الاصلاح والتنبيه الى نقص ، متهكما قارصاً عند التعرض للعوائد الاجتماعية المتخلفة ، رشيقاً فى مجال العرض القصصى ، ينضح عاطفة متاججة فى المواقف الحماسية ، وينعكس فى كل ذلك ثقافتها الأجنبية الواسعة ، وما كان منها رومانسياً بخاصة ، فقد تعلقت بلامارتين ، ودى موسيه ، وشاتو بريان ، وجورج صاند من الفرنسيين ، وبايرون ، وكيتس ، وشيللى من الانجليز ، وترجمت عن الألمانية رواية «غرام المانى» لمكس مولر بعنوان : «ابتسامات ودموع» .

فقدت مي والدها عام ١٩١٩ ، وكانت صدمتها شديدة فيه ، إذ كانت تعتمد عليه فى مواجهة المجتمع ، واقتحام دروبه ، ولكنها بمازرة السوريين الذين فى مصر ، وكانوا يتعاضدون فيما بينهم ، تولت تحرير الجريدة ، وامدتها جريدة الأهرام بالعون ، بل انها قدمت لها عام ١٩٢١ مكاناً مناسباً فى الطابق العلوى من احدى عمارات مبناها القديم فى شارع مظلوم ، وبدات فى الوقت نفسه تكتب فى جريدة الأهرام ،


حافظ ابراهيم ومصطفى عبدالرازق وخليل مطران كانوا مع غيرهم يمثلون تشكيلة بين ثقافات متعددة تتبادل الراي والقراءة والاستماع في الصالون الادبي .

ولمجلة الزهور لصاحبيها امين تقي الدين وانطون الجميل ، وكان داود بركات رئيس تحرير الاهرام إذ ذاك متيما بمي على تقدم سنه ، وهو الذى غير اسمها من «مارية» الى «مي» واردفه بلقب النابغة ، وقيل ان الغرض من تقديم المكان لها كان تجاريا

بحتا ، القصد منه كسبها كاتبة ، ونقل اهتماماتها الى جريدة الاهرام ومجلة الزهور . وقد انتهى الأمر بالمحروسة الى التوقف عن الصدور ، ومع الزمن لم تقصر مي جهدها على الأهرام والزهور فاخذت

تكتب فى «المقتطف» و «الهلال» ، واشرفت على الصفحة النسائية فى «السياسة الأسبوعية» ، واسهمت فى تحرير مجلات مصرية وعربية اخرى .

بدا صالون مي عام ١٩١١ ، في مسكنها في شارع عدلي ، في المكان الذي تشغله محطة البنزين الآن ، وكان يحمل اسم شارع المغربي ، ثم انتقل عام ١٩٢٢ إلى الطابق الذي قدمته لها جريدة الأهرام ، واستمر حتى نهاية الثلاثينات ، وكان رحبا

فسيحا ، تانقت في اختيار اثاثه ، وظهر ذوقها السليم في الطرف المنثورة في جوانبه ، والصور المعلقة على جدرانه ، والتماثيل القائمة في اركانه ، واعتادت ان

تستقبل فيه كل يوم ثلاثاء نخبة من الباشوات الكبار ، او الأدباء الأثرياء ، او من الأدباء المعدمين» تمتلىء بهم حجرات

الدار ، وتساعدها امها في الترحيب بالضيوف ، تجلس في صدر الصالون تدير الحديث ، وتوجه الكلام ، وحواليها حشد فيه : اسماعيل صبري باشا ، ومنصور فهمي باشا ، وولي الدين يكن ، ولطفي السيد باشا ، وشيخ العروبة احمد زكي باشا ، ورشيد رضا صاحب مجلة المنار ، وابن اخيه محيي الدين رضا ، والشيخ علي عبد الرازق ، ومصطفى عبد الرازق باشا ، وانطون الجميل باشا ، وخليل مطران بك ، وحافظ ابراهيم بك ، والأمير مصطفى الشهابي ، والفريق امين المعلوف ،

والدكتور يعقوب صروف ، والدكتور شبلي شميل ، وسلامة موسى ، وعباس محمود العقاد ، ومصطفى صادق الرافعي ، وإسماعيل مظهر ، وإيمي خير ، ومحمد حسين المرصفي ، والخطاط نجيب هواويني واحيانا عبد العزيز باشا فهمي ، واحمد

شوقي ، وإبراهيم المازني ، وآخرون .

كان المترددون على الصالون يمثلون تشكيلة متنافرة وعجيبة ، فى مجالات الفكر والأدب والسياسة ، بينهم المسلم والمسيحي ، والذكي ونصف الذكي

واصحاب الثقافة العربية وحدها ، او الأجنبية وحدها ، والجامعون بين ثقافات عديدة ، وقد قدم لنا طه حسين صورة لرواده فقال : «... وكان الذين يختلفون الى هذا الصالون متفاوتين تفاوتا شديدا ، فكان

منهم المصريون والسوريون والاوربيون على اختلاف شعوبهم ، وكان منهم الرجال والنساء ، وكانوا يتحدثون فى كل شىء ، وبلغات مختلفة ، وبالعربية والفرنسية والانكليزية ، وربما استمعوا لقصيدة تنشد او مقالة تقرا ، او قطعة موسيقية تعزف ، او اغنية تنفذ الى القلوب» .

وهم خارج الدار يهاجم بعضهم البعض فى عنف ، ويتبادلون اشد التهم ، ويستخدمون اقسى الالفاظ ، فى الأدب او السياسة ، فاذا اجتازوا عتبة الصالون نسوا خلافاتهم ، واخذوا يتبادلون الراى فيما يقراون او يسمعون ، على امتداد العالم العربى وخارجه ، ومي معهم ، تشترك فى الحديث وتديره ، وكما يقول عباس العقاد : «وهبت ملكة الحديث فى طلاوة ورشاقة وجلاء ، ووهبت ما هو ادل على القدرة من ملكة الحديث ، وهو ملكة التوجيه وادارة الحديث بين مجلس المختلفين فى الراى والمزاج والثقافة والمقال فاذا دار الحديث بينهم جعلته مي على سنة المساواة والكرامة ، وافسحت المجال للراى القائل ، وللراى الذى ينقضه او يهدمه ، وانتظم هذا برفق ومودة ولباقة ، ولم يشعر احد بتوجيه الكلام منها ، وكانها توجهه من غير موجه ، وتنقله بغير ناقل ، وتلك غاية البراعة فى هذا المقام» .

وقدم سلامة موسى تعليلا جيدا لتفوقها فى الحديث وادارته على الكتابة ، فقد كانت فى الأول اذكى منها فى الثانى ، «والسبب انها شرقية ، تخاف فى الكتابة ان تبوح بكل ما تفكر فيه ، ولكن هذا الخوف يزول عنها فى الحديث» .

استطاعت مي ان تفتن اعلام عصرها ، رغم انها عادية الجمال ، وكان وراء ذلك ذكاء نادر تتمتع به ، واطلاع واسع يفرض احترامها ، الى قدر من اللباقة والأناقة فى اللقاء والترحيب ، فلا يجالسها مفكر او

اديب او شاعر حتى يعجب بها ، ويخالها تحبه ، فهي تتكلم بسهولة ، ولغة صحيحة ، فيؤخذ من يصغي إليها بتلك النغمة الآتية من الأعماق ، وقد تنتقل بالحديث من العربية الى غيرها مما تجيد من اللغات الأجنبية ، فضلا عما تعرفه من الفنون



مصطفى صادق الرافعي .. كانت إصابته بالصمم تجعل مشاركته فى الحديث محدودة !



انطو ن الجميل ، اعطى لمي زيادة طابقا في جريدة الأهرام ، انتقل اليه صالونها في عام ١٩٢٢ .

الجميلة كالتصوير والموسيقا ، فلا يعرف مجالسها الملل ولا السأم .

لكن اعجاب الرواد بها لم يكن واحداً ، ولا بمستوى واحد ، بعضهم يكتفى بالنظر والانصات كعبد العزيز فهمى ، وبعضهم يتامل ويسرح كاحمد شوقى ، او يلجا الى الغزل المكشوف كولي الدين يكن ، او يكتب الخطابات الغرامية كلطفى السيد وعباس العقاد ، وتعودت مي على كل هذا ، فهى تتجاهل الالفاظ والكلمات والروايات التى تجدها خارجة ، كانها لم تسمع ولم تقرا ، او كان الرسالة لم تصل .

كان مصطفى صادق الرافعى متيما بمي مع انه يقيم فى طنطا ، وله زوجة و اولاد ويكبرها بثلاثين عاما ، ويبكر فى الحضور كل ثلاثاء على اكمل ما يكون مظهراً واناقة ، وتستقبله مي بما يليق بمكانته كاديب اسلامى وعربى كبير ، وشاعر يزاحم شوقى فى إمارة الشعر ، وكانت اصابته بالصمم تجعل مشاركته فى الاحاديث محدودة ، وربما لهذا السبب اولته مي رعاية خاصة ، فلما ذهبت صرخته سدى ، واحس بفتورها نحوه ، كتب اليها عام ١٩٢٤ رسائله الثانية «رسائل الاحزان» ، وفيها بدا اشد هياما من رسائله الاولى ، وضمنها فلسفته فى الحب والجمال ، وفى العام نفسه ارسل اليها رسائله الأخيرة من خلال كتابه «السحاب الأحمر» ، وتعكس عواطف الغضب والانتقام التى كانت تجتاح داخله.

وكان الشاعر اسماعيل صبرى مهذبا مصقولا ، ويكبر مي بثلاثين عاما ايضا ، ولا يلقاها إلا وينحنى على يدها مقبلا ، وهام بها حبا ، ولم يخف هواه او غيرته عليها ، وصاغ ذلك شعراً ، على حين كان ولي الدين يكن يحبها «بعنف وجسارة» ، وربما احست مي بعواطفه ، او لعلها اشفقت عليه بسبب مرضه وبؤسه . وكان مصطفى عبد الرازق يحبها فى عفة وحياء ، وكتب اليها مرة من باريس يقول : انه على حبه للعاصمة الفرنسية «يتعجل العودة الى القاهرة .. لان فيها من هو احب اليه من مدينة الشباب والأمل» .

وكان عباس العقاد يامل ، فى السنوات الأولى على الاقل ، ان يحتل من قلبها مكانا مرموقا ، إن لم يكن المقام الاول ، فحام حول الحمى سنوات ، ولكن كبرياء المتنبى فيه حال دون ان يفصح او يواصل ، وكانت مي على الطرف الآخر ، يلفها حياء شديد ، وفى خلقها احتشام ، درجت عليه منذ الصبا ، ذات فطنة قوية ، شديدة الحفاظ على كرامتها رغم شبابها المتوقد ، فلم تصرح بشىء ، رغم الرسائل المتبادلة بينهما ، وتوقف بهما الأمر عند رسائل فيها تلميح وعتب ، واقبال وصدود ، ولا شىء اكثر من هذا .

وهناك من كانت علاقتهم بها تعبق باريج الأبوة ، كالذى كان من الدكتور شبلى شميل إذ كان طبيب العائلة وصديقاً حميماً لها ولأسرتها ويعاملها كابنة له ، وربطتها بسلامة موسى صداقة حميمة ، واعجاب متبادل لم يتجاوز هذا القدر ، رغم ان فارق السن بينهما لم يكن كبيراً ، ولم يكن سلامة موسى قد تزوج بعد .

اين كانت مي من هذه القلوب الهائمة ؟ من المؤكد ان قلبها كانثى خفق واضطرب ، امام شخص ما فى لحظة ما ، وانها احبت وهامت ، ولكنها استطاعت ان تكتم هواها فلم يعرف له احد قراراً حقيقيا . قيل إنها احبت جبران خليل ، ولكن عواطفهما ظلت ورقية ، دلفاها في الرسائل المتبادلة بينهما ، ولم تتجاوزاها ، ومات جبران ولم تعرفه إلا صورة . وربما هفا قلبها الى الجانب الأجمل فى كل الذين يترددون عليها ، ولم يثبت جملة عند واحد ، إذا كانت ، فيما يقول سلامة موسى : «تحب عيني مصطفى عبد الرازق» وتؤثر لطفى السيد بشىء من الود ، ومثله انطون الجميل وخليل مطران .

واستمر صالون مي قرابة ثلاثين عاما كاملة ، وهى اطول فترة عرفها صالون ادبى فى الشرق او الغرب ، ثم بدا العمر يتقدم بصاحبته ، واخذت الشيخوخة تزحف عليها ، واختطف الموت بعضا من رواده ، وانفض الآخرون لأن الصالون كان يفتقر المنهج والغاية ، ويتوقف على جمال صاحبته ، ورقتها ودلالها ، وانوثتها وعقلها، فلما وهي في ذلك بتقدم السن ، انفض المعجبون وتخلف الرواد ، ولم يبق من الأمس إلا طيفه ، ومن المجد إلا رماده ، وتحولت حياة صاحبته نفسها إلى خواء ، ركبها الهم والقلق والرعب ، وحاصرتها الأمراض النفسية ، وتخلى عنها الجميع ، وودعت الدنيا وحيدة فى مستشفى المعادى بعد ان انزلت قبله مكرهة مستشفى المجانين فى العصفورية فى بيروت عاما ، ولزمت مستشفى الجامعة الأمريكية فيها عاما اخر ، رغم انها لم تفقد توهجها العقلى حتى الأعوام الأخيرة من حياتها .

واغلق الموت حقبة من الزمن فى حياتنا الادبية ، بما لها وما عليها ، وكان تاثيرها فى مجال الابداع والنقد قويا مثمرا ، فاثرت حياتنا الادبية فى مجالات الشعر والنثر ، والتاليف والصحافة .

وبينما صالون مي يغلق ابوابه تعرضت الحياة الاجتماعية فى مصر لرجات عنيفة ، وتغيرات عميقة ، فخرجت المراة الى مجال العمل فى اعداد كبيرة ، وملات الفتيات المدارس والجامعات ، ولم تعد المراة شيئا نادراً يجهد الانسان وراءه ليراه أو يحاوره ولم تعد الأبنية في معمارها الحديث الضيق والمدينة فى امتدادها المترامى ، تشجع على مثل تلك الصالونات ، فحلت مكانها المنتديات فى دور الصحف ، وفى المقاهى ، وعرفت القاهرة فى الأربعينات ، والحقبة التي تلتها قهوة الحلمية في الحلمية الجديدة ، وقهوة القزاز فى باب الخلق ، والفيشاوى فى حي الحسين ، ومقاه اخرى خلفت ما اندثرت منها ، او انحط مستواها ، وفى الوقت نفسه حاولت بعض المتادبات فى مصر وسورية اقامة مثل هذه الصالونات ، ونسين ان الزمن غير الزمن ، وان الناس غير الناس ، فجاءت محاولتهن تقليداً شائهاً ، تفتقد الأصالة والغاية وانتهت كلها إلى لا شىء .

الطاهر أحمد مكي

مدينة الناقة

إحدى عجائب الأرض التي عاشت فوقها قبيلة ثمود

بقلم: فـــوزي الخـــميس



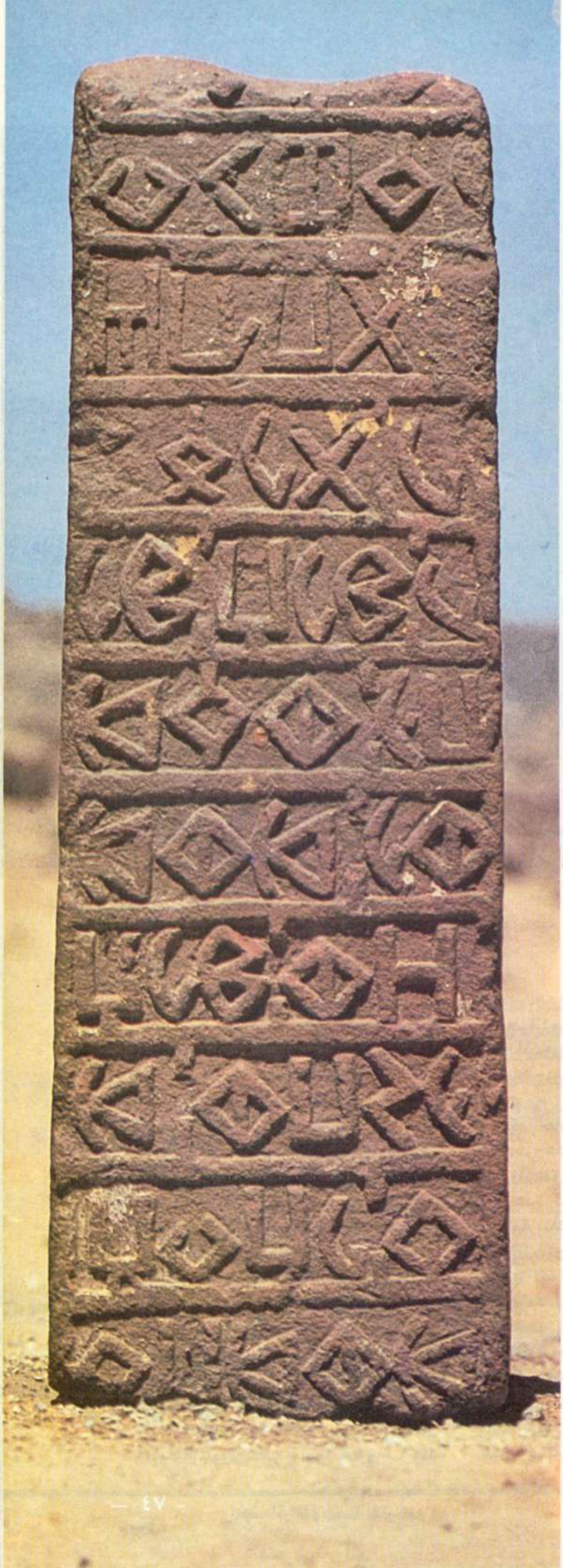
نحت عليه شكل تجريدي لانسان يلبس الحزام ، وهو شاهد قبر عثر عليه في منطقة العلا .

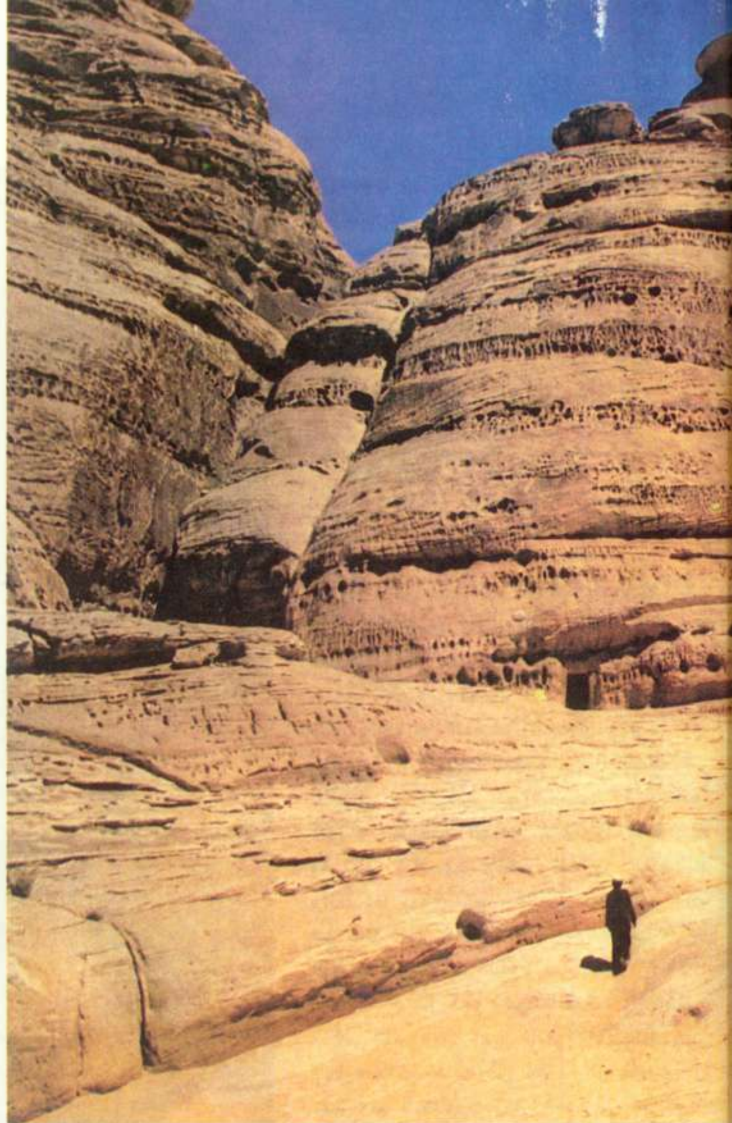
إنها الحجر .. مدينة الناقة .. أو مدائن صالح .. أو أرض الثموديين .. أرض بعض العرب البائدة !

وهي إحدى العجائب على الأرض .. تزخر باعذب الحكايات في عمق التاريخ ، فعلى أرضها عاش منذ زمن قديم قوم ، مسهم الغرور بالمال ، ودعاهم احســاسهم بالأمن في مساكنهم الجبلية القوية الى ممارسة لون من الحرية العابثة ، التي جعلتهم يسخرون بالقيم والمبادىء الأخلاقية .. فكذبوا نبيهم صالحا .. وعقروا ناقة الله ، فباءوا بسخطه وغضبـــه .. واصبحـــوا عبرة للمعتبرين !

ترى ما هي قصة الثموديين ؟ وكيف نحتوا قبورهم في الصخر ؟ .. ولماذا كذبوا نبيهم ؟ .. ومن أي هذه الجبال خرجت الناقة ؟

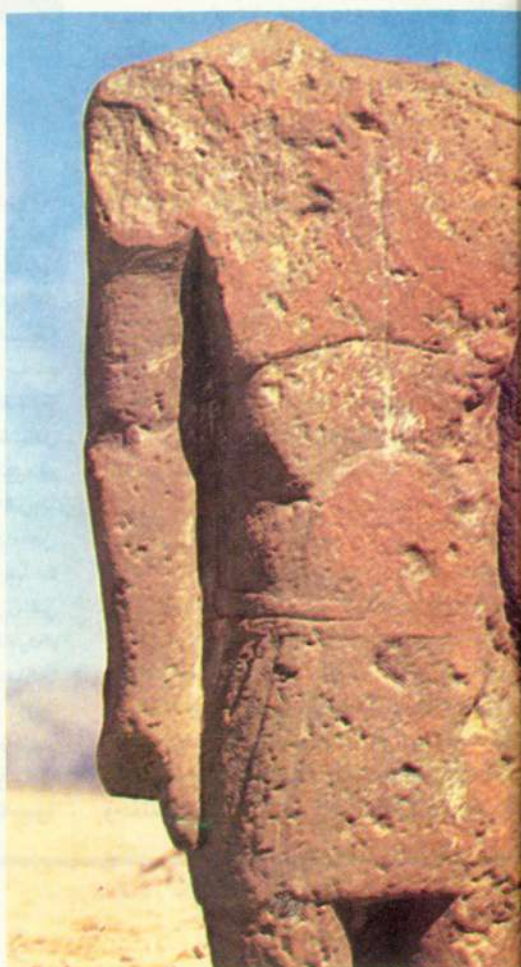
إجابات كثيرة .. ومعلومات أكثر .. نضيفها إلى معلوماتنا لو تابعنا الحكاية منذ البداية ..





منظر جبل في مدائن صالح عليه قناة لحلب ماء الأمطار الى مدخل الضريح

مسلة لحيانية في منطقة العلا . وقد كتب عليها بالخط اللحياني الذي يعود تاريخه إلى القرن الثالث قبل الميلاد .



واجهة تمثال العلا الذي وجد في المعبد اللحياني .



تفاصيل لتاج عمود نبطي يعلو واجهة احد الابنية .

كلنا نعرف أن ارض مدين ودادان في التاريخ جزء من المملكة العربية السعودية ، وان هذه المنطقة تمتد من «المدورة» حدود المملكة مع الأردن الى شمال المدينة المنورة ، وذلك في شريط يصل طوله الى الف كيلومتر ، تتناثر فيه ابرز مدن واثار ما قبل الاسلام مثل تيماء ، وخيبر ، والعلا ، ومدائن صالح ، والقرية ، وغيرها من المناطق التي كانت تقع على الطريق التجاري بين الجزيرة العربية والشام ..

ولو توقفت عند كل اثر من تلك الآثار لاحتاج الأمر مني الى سنوات ، ولذا قررت ان اركز على مدائن صالح او «الحجر» باعتبارها من اهم مدن تلك المنطقة واكثرها حشداً بالقصص والمعلومات ..

ان مدائن صالح تبعد عن مدينة «العلا» الى الشمال ، حوالي ١٥ كيلومتراً ، وهي تابعة إدارياً الى «العلا» التي تقع شمال المدينة المنورة ، في وادي القرى .. وقد كانت «العلا» ذات الاسم الحديث واحة تاريخية لعبت دوراً هاماً عندما كانت قصراً للدادانيين والمعينيين ، وقد استولى عليها الأنباط بين القرن السادس والثالث قبل الميلاد ..

وقد جاءت في القرآن الكريم باسم «الحجر» كحاضرة ثمود قوم نبي الله صالح والمنطقة كما عرفنا قبل زيارتها ، تشتمل على عدة كهوف ومقابر منحوتة في الجبال الرملية المتقاربة ، وقد كانت تلك المدافن - كما تدل نقوشها - مقابر لأقوام كثيرة ممن حكموا المنطقة من انباط ورومان وعرب ..

وعندما دخلناها قبل شروق الشمس ، في عز الشتاء ، كانت اطرافنا ترتعد من البرد ، وعيوننا تحدق بحذر ودهشة وقلوبنا يملأها الخوف .. فنحن نتوجه الى مكان قوم ما زالوا يعذبون حتى الآن ، وسيبقى عذابهم مستمراً الى يوم الساعة ، فقد قال الرسول الكريم عنهم : « إذا مررتم بارضهم ، فكمموا رؤوسكم ، ومروا مسرعين ، خوفاً من ان يلحقكم عذابهم ، فهم يعذبون في منازلهم الى يوم الدين » .. ولهذا كنت اردد في اعماقي : اللهم لا تجعلني مخالفاً لأمر رسول الله .. اللهم سهل مهمتي ، واخرجني من هذا المكان بالسرعة التي اقر بها رسولك ووفقني في نقل العبرة لأولي الألباب !

جزاء الغرور والسطوة

لقد عاش على هذه الأرض اقوام كثيرة ، وتعاقبت عليها مجموعات عديدة من القبائل ، اهم واشهرها قبيلة ثمود ، او قوم صالح ، وهم من قدماء العرب الذين اصابوا حظاً وافياً من النجاح التجاري ووفرة المال ووصلوا الى درجة عالية من الرفاهية في العيش والسيادة بين الناس ، وكانوا اقوياء شديدي الباس فاغتروا بانفسهم وقوتهم وباسهم واخذ الغرور والفساد والتسلط برؤوسهم ، فارسل الله لهم نبياً هو صالح بن عبيد لياخذ بيدهم الى طريق الهداية ، ولكنهم كذبوه .

● « إذ قال لهم اخوهم صالح الا تتقون .. اني لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون وما اسالكم عليه من اجر ، إن اجري إلا على رب العالمين » ..

● « اتتركون في ما ها هنا امنين ، في جنات وعيون ، وزروع ونخل طلعها هضيم وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين ، فاتقوا الله واطيعون ، ولا تطيعوا امر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون » .

● قالوا .. إنما انت من المسحرين ، ما انت إلا بشر مثلنا ، فات باية إن كنت من العارفين » ..

● « قال .. هذه ناقة .. لها شرب ولكم شرب يوم معلوم ، ولا تمسوها بسوء .. فياخذكم عذاب يوم عظيم » ..

● « فعقروها ، فاصبحوا نادمين ، فاخذهم العذاب ، إن في ذلك لآية ، وما كان اكثرهم مؤمنين » .

الأبواب المحكمة

وعندما ارتفعت الشمس ، وارتفعت درجة الحرارة قليلا ، تلقينا دعوة لزيارة حرس المنطقة في معسكرهم ، والسلام على الأمير ، الذي استقبلنا بالحفاوة والاكرام ، وحملنا السلام الحار الى القطريين على



تفاصيل الأفريز على واجهة مبنى في «قصر البنت» مزدانا بنحت « ابو الهول » والنجوم الدائرية .

المستويين الرسمي والشعبي ، وابدى اعجابه باذاعة قطر لما تقدمه من اخبار صادقة في نشراتها ..

وعلى انغام رنة فناجيل القهوة ، بعد التمر والزبدة الطبيعية ولبن الجمال ، تحدثنا كثيراً عن مدائن صالح ، وكان ابرز ما في ذلك الحديث ان الأجانب يهتمون بالآثار اكثر من العرب ، وبحثنا معه الأسباب ، واختلفنا بالطبع ، وودعناهم منطلقين نواصل رحلتنا ، في مدائن صالح او « الحجر » مدينة الناقة ..

وقد كان الناس يعتقدون ان تلك القبور التي في مدينة الناقة هي منازل وقصور الثموديين – بقايا عاد – وجاء القرآن الكريم يروي قصص الغابرين من البشر .. ووضح الفرق بين القبور والمنازل ..

وقبل حوالي عشر سنين ، هطلت على المنطقة امطار غزيرة ، سالت على إثرها السيول ، فجرفت التراب ، وبينت المدينة الثمودية المدفونة ، على اثر ذلك شكلت حكومة المملكة العربية السعودية ، لجنة للتنقيب عن هذه المدينة ، واعتقد ان السنوات القادمة ستكشف عن اهم اثار هؤلاء القوم ، من خلال مدينتهم المدفونة وقبورهم المكشوفة ..

إن نحوت هؤلاء القوم على الابواب وطريقتهم المحكمة في صنعها واحكام إغلاقها على القبور ، يدل على ان الاقوام البائدة من ثمود ، كانوا اناساً عاديين ، وليس كما يقال بانهم من العماليق ، او انهم اناس غير عاديين !

وقد راينا على واجهات المقابر تماثيل وصوراً ورءوساً خرافية وثنية يعود نحتها الى القرن الثاني قبل الميلاد .

وتوجد بالقرب من منطقة المقابر آثار مستوطنات ، ربما كانت في الزمن القديم بيوتاً لسكان مدائن صالح في العصور المختلفة .. كما راينا بعض الاواني المنحوتة من الصخر ، والتي كانت تستعمل للحليب الذي تحلبه الناقة !

وعند بئر الناقة الرئيسي ، الذي مضى عليه اكثر من تسع آلاف سنة ، كانت تقف الناقة عند الزروع الممتدة اكثر من كيلومتر ، وتمد رقبتها لتشرب من هذا البئر !

وقد جاء الأتراك فبنوا عليه هذه القلعة وحصنوه لشرب الحراس من الداخل ، وربطوه ببئر اخرى خارج القلعة بواسطة قناة داخلية ليشرب منه الآخرون ، وهذا إضافة الى بركة ، خصصت للحجاج ، بحيث يتوقفون عندها ، يشربون ويغتسلون ويتزودون بالماء ..

ومازالت من آثار الأتراك في هذا المكان ، بقايا سكة حديد الحجاز ، حيث كانت القطارات تتوقف عند مدائن صالح ، تتزود بالماء والوقود ، وكانت الخدمات تقدم في المدينة للقطارات والحجاج على السواء !

كيف نشأت ؟

ولكن كيف نشأت مدينة الحجر او مدائن صالح ؟

إن تنوع آثار الحجر وفنونها المختلفة يدل على ان حياة ازدهار المنطقة يعود الى آلاف السنين ، فقد ظلت تلك المدائن لزمن طويل ، تتلقى تجارة الشرق القادمة من الموانىء العربية في الجنوب ، وتصدرها نحو الغرب بواسطة موانىء سوريا في الشمال ..

ويلاحظ ان مقابرها تشبه مقابر البتراء عاصمة الأنباط القديمة التي تقع الآن في الأردن .

ولا يعرف بالضبط ما إذا كان الانباط قد فكروا في إمكان تعرض معقلهم الاساسي في البتراء للخطر ، خصوصاً بعدما قوي ساعد الدولتين الكبريين في الشرق الادنى – مملكة البرثيين الفرس ، وامبراطورية البيزنطيين التي تحكم كامل سوريا الكبرى . وبذلك فهم قد انشاوا لهم طريق رجعة بتشكيلات المدن الداخلة اليوم في المنطقة الشمالية الغربية من المملكة العربية السعودية قريباً من الحدود الأردنية ، والتي وان لم تبلغ مبلغ بتراء في الضخامة إلا انها تحمل طرازها المعماري وتعتبر في بعدها اقل تعرضاً للاخطار ..

قد يكون ذلك هو السبب في نشوء الحجر (وتعني ايضا تحتجر) في المواقع الثابتة نسبتها الى قوم ثمود من العرب



في الحجر او مدائن صالح او مدينة الناقة .. إحدى عجائب الارض التي تزخر باهم الحكايات في عمق التاريخ



كاتب المقال امام اثر في مدائن صالح

البائدة ، وهم الذين كذبوا النبي صالحا عليه السلام فباءوا بسخط مهلك من الله تعالى ..

وربما كان السبب مجرد انتشار واتساع رقعة دولة الانباط عهد الملك الحارث الرابع الذي اوصل ملك الانباط الى قمة عظمته واتساعه .

وايما كان الحال فان الحجر التي كذبت المرسلين شانها شان البتراء في استهداف القصد التجاري من انشائها وسكناها ، فهي تقع على شريان التجارة في العالم القديم ، وهي نفس « اجرا » التي اشار اليها المؤرخ القديم سترابو ، وقد اشار لها المؤرخ بلانيوس على انها مقر القبيلة التي سماها «ليانيته» ويرى مؤرخون عرب واجانب انها هي مدائن صالح ، فيما يرى اخرون ان المدائن انما هي موقع « العلا » القريبة من الحجر ، ويدفع اخرون بانهما في الواقع كيان واحد رغم المسافة القليلة الفاصلة بينهما .

ويرد ذكر الحجر في مؤلفات الهيلدنيين كبطليموس كما ذكرها المؤرخ البيزنطي اسطفانوس .

بقايا المدينة

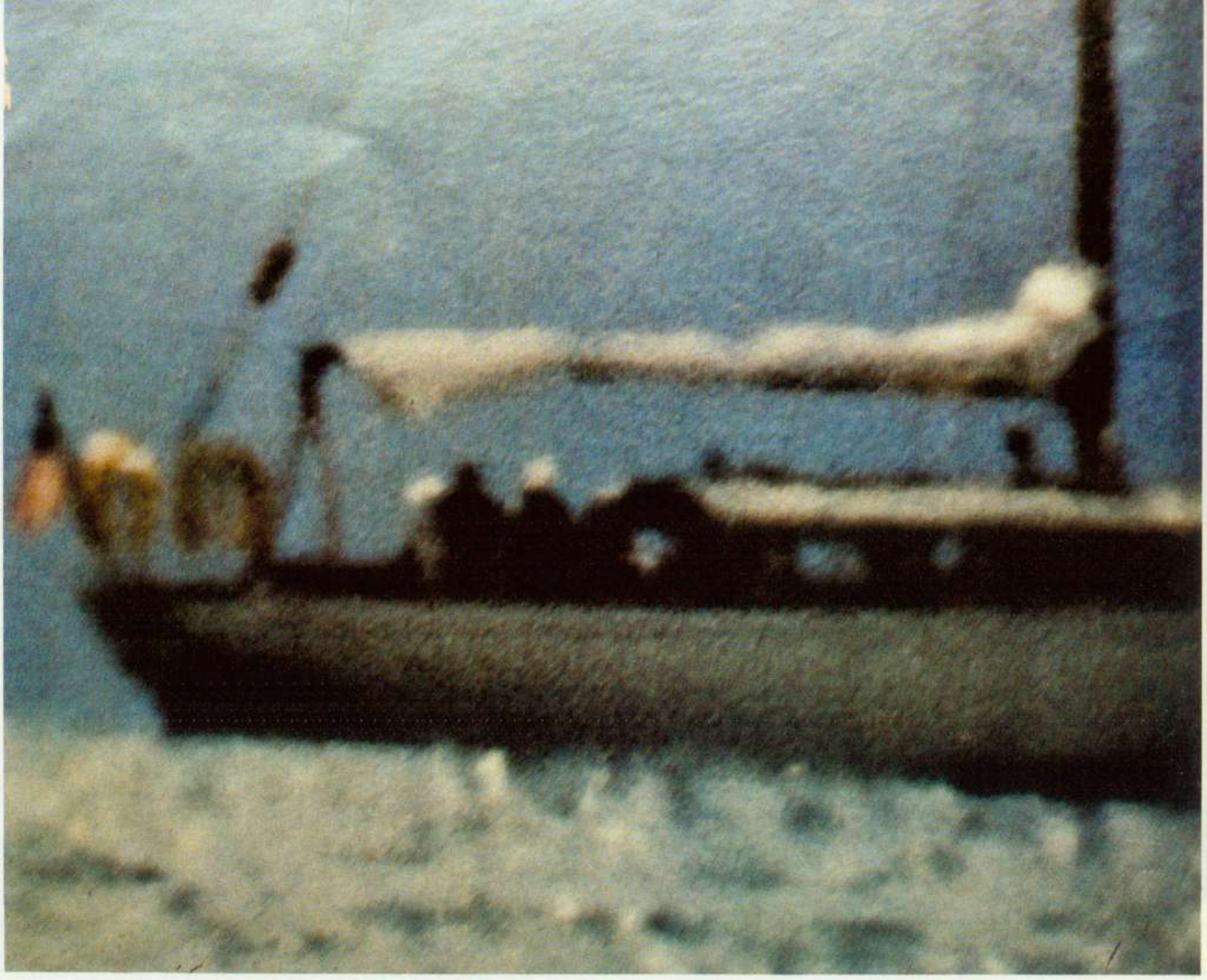
وقد عثر على عدد من النقوش في مدائن صالح جعلت بعض المؤرخين يعتقدون بوجود علاقة بين الحجر او المدائن وبين دولة المعينيين (معين) في اليمن .. ويتردد اسمها في الكتابات القديمة على عدة الفاظ كـ حجرو ،هجرو ، الحجر . وهي نفسها الحجر المذكورة في القران الكريم ، ومؤلفات المؤرخين المسلمين من بعد وفي تحديدهم ان الحجر هي ديار ثمود ناحية الشام عند وادي القرى . وقد تضاءل شانها في الاسلام حتى لم تعد في القرن الثالث الهجري سوى مجرد معلم من آثار يمر بها الناس معتبرين ، وتمتد خرائبها حتى وقتنا الحاضر بين جبل الثلث وموقع قصر البنت وخط سكة حديد الحجاز حيث يرى عابر السبيل هناك آثار حصن قديم وبقايا ابراج وآثار اسوار متعددة .. اما الاثريون فقد عثروا على تيجان اعمدة قديمة ومزولة شمسية ونقود نبطية ترجع الى عهد الحارث الرابع ملك الانباط المشهور ، وبينما بعض آثار البيوت له اسس حجرية ، فان سائر الجدران تبدو وكانما بنيت من اللبن (الطوب المجفف) ، والى الجنوب منها تمتد خرائب العلا .

وقد عثر في هذه الخرائب على قبور من بقايا مدينة الحجر القديمة منقوشة جدرانها نقشا فيه جمال وذوق ، ولا سيما المقبرة العائدة الى القرن الأول قبل الميلاد ، وهي تتالف من حجرات نحتت داخل الصخور ، وبينها دروب تفضي من الواحدة الى الأخرى ، وهي قبور الأسر او فروع القبائل ، ومنها الموضع المشهور بـ « قصر البنت » المنحوت داخل احد التلال ومدخله الخارجي يرتفع عشرين متراً وقد كثرت فيه الزخارف والنقوش بما يشعر باهمية الثاوين فيه .

وهنالك المعبد الذي يناظر معبد بتراء ، وهو مثله مبني على سطح قمة جبلية في جبل اثلب وينهض على قاعدة مربعة عرضها عشرة امتار وطولها اثنا عشر متراً وعلو سقفها ثمانية امتار ، وعرض مدخلها حوالي ثمانية امتار ونصف بارتفاع سبعة امتار ، وعلى جانبي المدخل هذا عمودان من الحجر ، وهناك معبد اخر اقل شانا على مسافة (١٥٠) متراً من جنوب جبل اثلب . ويعتقد ان ثمود ايضاً هم بناة (القرية) في الحجاز وهي اطلال تمتد على مسافة خمسة واربعين ميلا الى الشمال من تبوك في ارض (حسمي) وقد وجدت بها كتابات يونانية ونبطية ورد فيها اسم الامبراطور الروماني ماركوس اوريليوس انطونيوس ، ولوقيوس اوريليوس فيروس .. ويبدو ان النبط في اخر ايام عهدهم قد ركزوا اهتمامهم بهذه المناطق المبتعدة عن عاصمتهم المهددة بالتدخل الروماني المتكرر وربما كان معبد (القرية) عائداً الى القرن الثاني قبل الميلاد ..

ويستدل من الرواية القرانية التي هي الحق بعينه ان هؤلاء الناس اصابوا حظاً وافياً من النجاح التجاري ووفرة المال فمسهم الغرور ، ودعاهم الاحساس بالامن في مساكنهم الجبلية المنحازة الى اطراف الصحراء الى ممارسة لون من الحرية العابثة ، والسخرية بالقيم والمبادىء الاخلاقية ، الى ان اراد الحق جل جلاله ان يجعلهم عبرة للناس حيث لم تغن عنهم مساكن الحجر الوطيدة فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم .

فوزي الخميس



شكل (١) بجوار القارب المنطلق على صفحة البحر يقف اثنان أيضا على الماء دون أن يغوصا فيه .. ترى ، كيف حدث ذلك ؟ .. راجع المقال .

على هامش ظواهر حيرت الناس

ومنهم من يمشي على الماء ومنهم من يطير في الهواء!

بقلم د. عبد المحسن صالح

تواترات الأخبار — ولا تزال — عن بشر رآهم الناس رؤية العين وهم يمشون على الماء ، أو يحلقون على ظهور الخيل في الهواء ، وطبيعي أن مثل تلك الظواهر تعتبر غريبة أشد الغرابة لأنها تتنافى مع المنطق ، وفوق ذلك فهي تخرق الشرائع الطبيعية ، وتطيح بقوانين الجاذبية !

ولقد ورد ذكر تلك الظواهر في التراث اليوناني والروماني وغيره . . أى من أزمنة مختلفة ، وأمكنة متفرقة ، وعقائد متباينة ، وطبيعى أنه لا يوجد دخان بدون نار ، كما أن الناس لا تجمع — عادة — على باطل ، فهذه الاقوال لها بالفعل مايبررها ، اذ من المحتمل أن ترى العين انسانا وكأنما هو يخطو على الماء الى أن يختفي عن الأنظار .

ولا شك أن العقل البشرى الحائر يحاول جاهدا أن يبحث عن تفسير لمثل تلك الأحداث الغريبة ، لكن غالبا ماتعييه الحيلة ، عندئذ لايجد أمامه الا أن يطلق لخياله العنان ، ويعلل ما رأى بحكاية أو أسطورة تنطوى على شيء من الشفافية والكرامات والبركات .





شكل (٢) اذا سكن الهواء ، وارتفعت الحرارة ، تأثرت طبقاته الملامسة لسطح الأرض أو الشارع ، لتصبح أكثر سخونة ، وأقل كثافة ، وفيها تنكسر الأشعة ، وتنعكس إلى العين بحيودها ، فترى الطريق مبتلا كما هو واضح بالصورة .

ومنهم من يمشي على الماء ومنهم من يطير في الهواء!



شكل (٣) سراب الصحراء وتبدو فيه التلال والجبال وكأنما قد انعكست صورها تحت مستوى الأفق ، وبهذا تخدع العين ، وتهيأ لها أنها ترى ماء .

الصورة خير دليل

والآن : ما رأى العلم في مثل هذه الظواهر المحيرة ؟ . . واذا كانت قد حدثت حقا ، فكيف يمكن تفسيرها ؟ . .

الواقع أن الظاهرة صحيحة ، لكن اذا كانت بضاعة الناس في هذا المجال كلاما يزيدون فيه ويحورون ، دون أن يستطيعوا تقديم الدليل الملموس على ما يقولون ، فان العلم قد التقط الدليل بصور دامغة ، وبحوث هادفة ، ولقد قدمنا منها هنا واحدة ، لتكون خير شاهد على أنه بالامكان الظهور فوق الماء ، ودون أن يغوص فيه من يسير عليه (شكل ١) .

الصورة — كما تبدو — لشابين واقفين على الماء ، ونحوهما يتجه قارب على ظهره بعض الأفراد ، وهي صورة حقيقية ، وقد التقطها دكتور آليستار فريزر ، استاذ علم الأرصاد والظواهر الجوية بجامعة بنسلفانيا الأمريكية ، وعرضها ضمن دراسة له على صفحات مجلة علمية امريكية مشهورة (ساينتفيك امريكان) .

ومع أن الظاهرة صحيحة ، الا أنها — مع ذلك — لا تنطوي على معجزات أو كرامات كالتي يتحدث بها الناس عندما رأوا شيئاً شبيها بهذه الصورة ، فهذان الشابان اللذان تراهما يقفان على الماء ليسا هناك بشحمهما ولحمهما ودمهما ، بل إن مكانهما على الشاطئ ، ومع ذلك فيمكن رؤيتهما — في نفس الوقت — على الماء ، وبعيداً عن الشاطئ بكيلومتر أو أكثر !

ما هذا التناقض الذي يشبه الهراء ! . . مرة نقول انهما على الشاطئ ، وأخرى نقول أنهما على الماء ! . . فما هي الحكاية بالضبط !

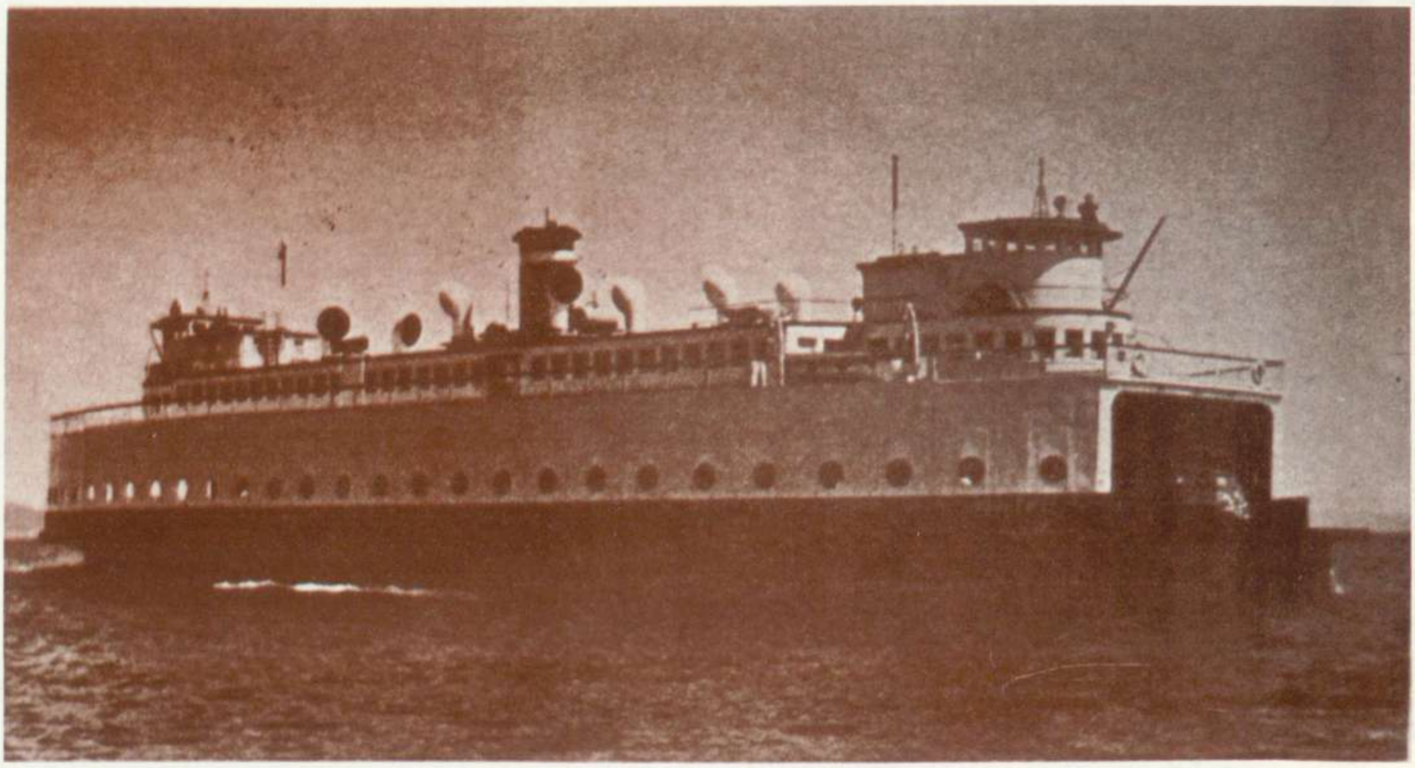
الحكاية ابسط مما نتصور ، ثم أن التناقض غير وارد ، فالاصل على الشاطئ ، والصورة على الماء ، وهي لعبة جديدة من العاب الضوء مع الهواء ، كما لعب الضوء لعبته قبل ذلك مع قطرات الماء ، فظهر بها هالات وأقواس وصلبان كان للأقدمين فيها حكايات وروايات (انظردراستنا السابقة على صفحات هذه المجلة) .

لكن اللعبة هنا مختلفة ، لأن الأشعة الحرارية تؤثر في الهواء عندما يسكن ، وتجعل طبقة منه أعلى حرارة من الأخرى ، وقد تكون الطبقة الملاصقة للارض اسخن أو أبرد من الطبقة أو الطبقات التي تعلوها ، وبهذا تصنع ما يشبه عدسة هائلة ، فينكسر الضوء فيها ، ثم ينعكس الى عيوننا ، فيريناالأشياء في غير موضعها ، أو يرسم لنا صوراً في الهواء أو على صفحة الماء أو في الصحراء لأشياء غير موجودة ، وسوف نوضح ذلك أكثر في نهاية تلك الدراسة .

إن صورة الشابين على الماء ليست إلا نوعاً من

شكل (٤) صورة لسراب معلق . وفيه نرى بعض المعالم الأرضية وكأنما هي سابحة فوق الأرض في الهواء . وعدم الوضوح يرجع الى عدم ثبات الطبقات الهوائية التي تحرف الضوء عن مساره .

شكل (٥) السفينة أو العبّارة التي قد يظهر لها أحيانا سراب يتخذ أشكالا شتى ، لاختلاف كثافة طبقات الهواء ، وازاحتها من مكانها بنسيم خفيف (أنظر الصور التالية) .



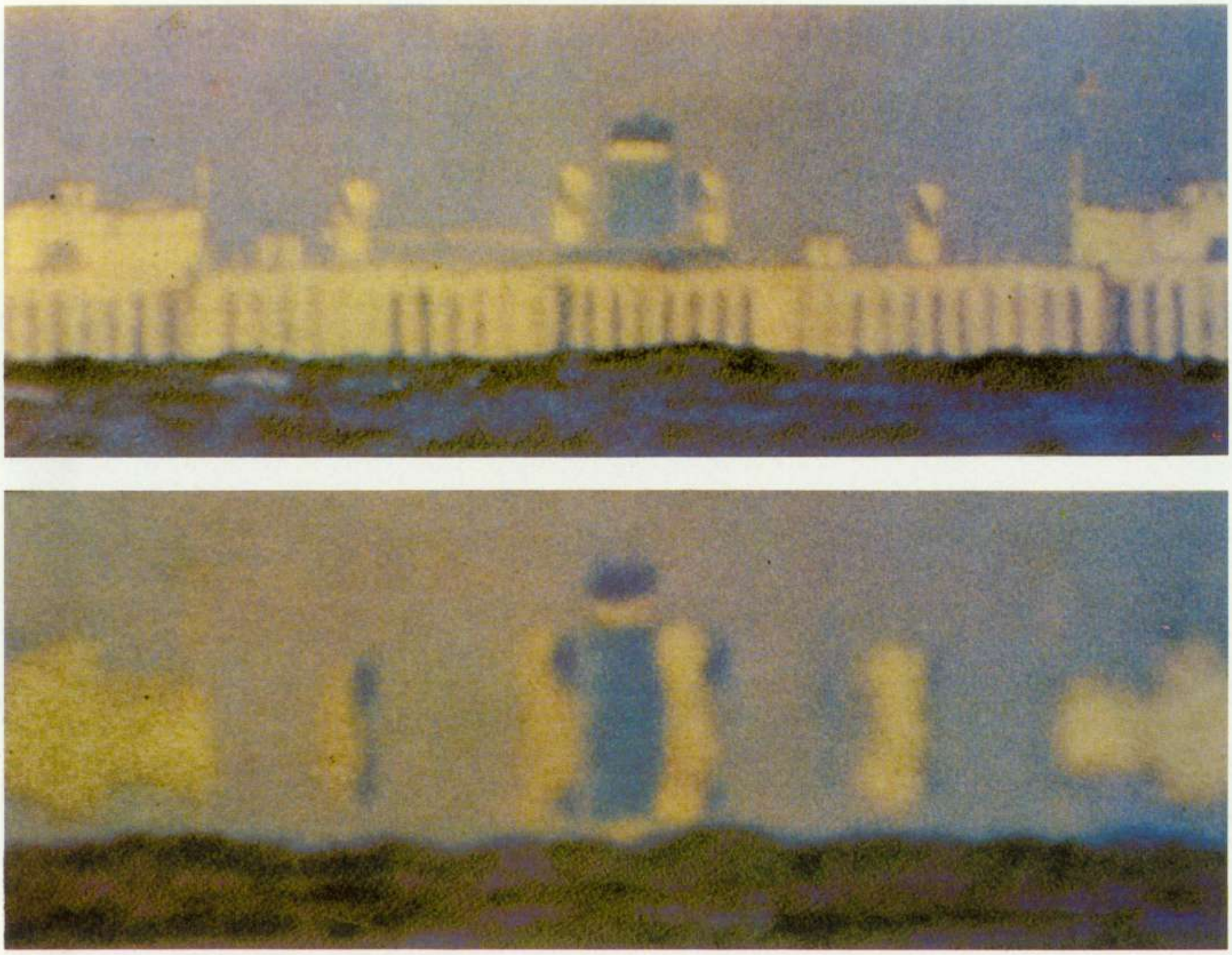
الخداع البصري لنفس الشابين وهما يخطوان على الشاطئ . وهذه الظاهرة الغريبة نوع خاص ونادر من السراب .. صحيح أننا نعرف سراب الصحراء ، أو حتى نراه يمتد على صفحة شارع مرصوف في يوم حار سكن هواؤه ، فيهيأ الينا أن الشارع مبتل (شكل ٢) ، حتى إذا وصلنا الى حيث كان البلل ، لم نجد للماء أثراً ، ومع أن الخدعة هنا لا ضرر منها ، إلا أنها في الصحراء قد أضلت المسافرين المحتاجين للماء ، اذ هم في تيههم يحسبونها واحة فيحاء ، ويشدون لها الرحال ، لكنهم لن يجدوا شيئاً ، ومن أجل هذا ، فقد أطلق عليها البعض اسم بحر الشيطان ، فكأنما الشيطان — في عرفهم — قد زين لهم بحراً ، ليخدعهم ويضلهم ويسخر منهم ، لكن السخرية قد جاءت من انكسار الضوء في طبقات الهواء ، ليكون ذلك النوع من السراب الذي يخدع العين ، وينشئ بحيرات ذات ماء (شكل ٣) .

قلاع في الهواء

هل يعني ذلك أن السراب يتخذ صوراً أخرى !

بالتأكيد نعم .. فقد خدع كاتب هذه الدراسة يوماً في رؤية مدينة معلقة في الهواء فوق مياه البحر الأبيض المتوسط ، وكان ذلك بالتحديد في أحد أيام شهر مايو عام ١٩٧٦ ، وفيه ارتفعت الحرارة ، وسكن الهواء ، وخيم على البحر واليابسة جو خانق قلما يحدث ، وبينما كنت أنظر الى البحر قبيل غروب شمس ذلك اليوم ، شاهدت — من الطابق الخامس لبناية تقع على شاطئ مدينة الأسكندرية — جزءاً من المدينة معلقاً فوق البحر ، وعلى مسافة تبعد عني بحوالي خمسة كيلومترات — على حد تقديري ، وناديت مضيفي — وكان ضابطاً بالبحرية المصرية — ليرى ما رأيت ، فلعل البصر قد زاغ ، لكنه رأى ما رأيت ، ولم تطل حيرتنا ، فلطالما قرأت في مراجعي عن مثل تلك الظواهر الفريدة دون أن أراها ، لكن ما ظهر في ذلك اليوم لم يكن إلا نوعاً من السراب المعلق أو المرتفع فوق الماء (شكل ٤) وهو غير السراب الواطئ أو المنخفض عن مستوى الأفق البصري .

القصة التالية أوردها ثيو لوبساك في كتابه « الغلاف الهوائي » ، وهو يقدم لظاهرة السراب ، ومحتوى القصة قريب الصلة بالظاهرة التي رأيتها فوق البحر .. يقول لوساك : اندفع صبي صغير نحو منزله — الكائن في ضاحية كوكسهافن بالقرب من ميناء هامبورج بألمانيا — وهو ينادي على أمه بذعر وعصبية : أماه .. هناك جزيرة معلقة في الهواء وكأنما هي تهبط من السماء ، وابتسمت الأم لتهدئ من روع ولدها ، اذ حسبته يمزح ، لكنه أكد لها أن



شكل (٦) هذا الشكل الغريب هو سراب للعبّارة التي تراها في شكل ٥ . وهو نوع من السراب المنخفض الذى غير في نسب الأجزاء . والفرق بين الصورتين يرجع الى أن التدرج الحرارى كان أكبر في الصورة السفلى عنه في الصورة العليا .

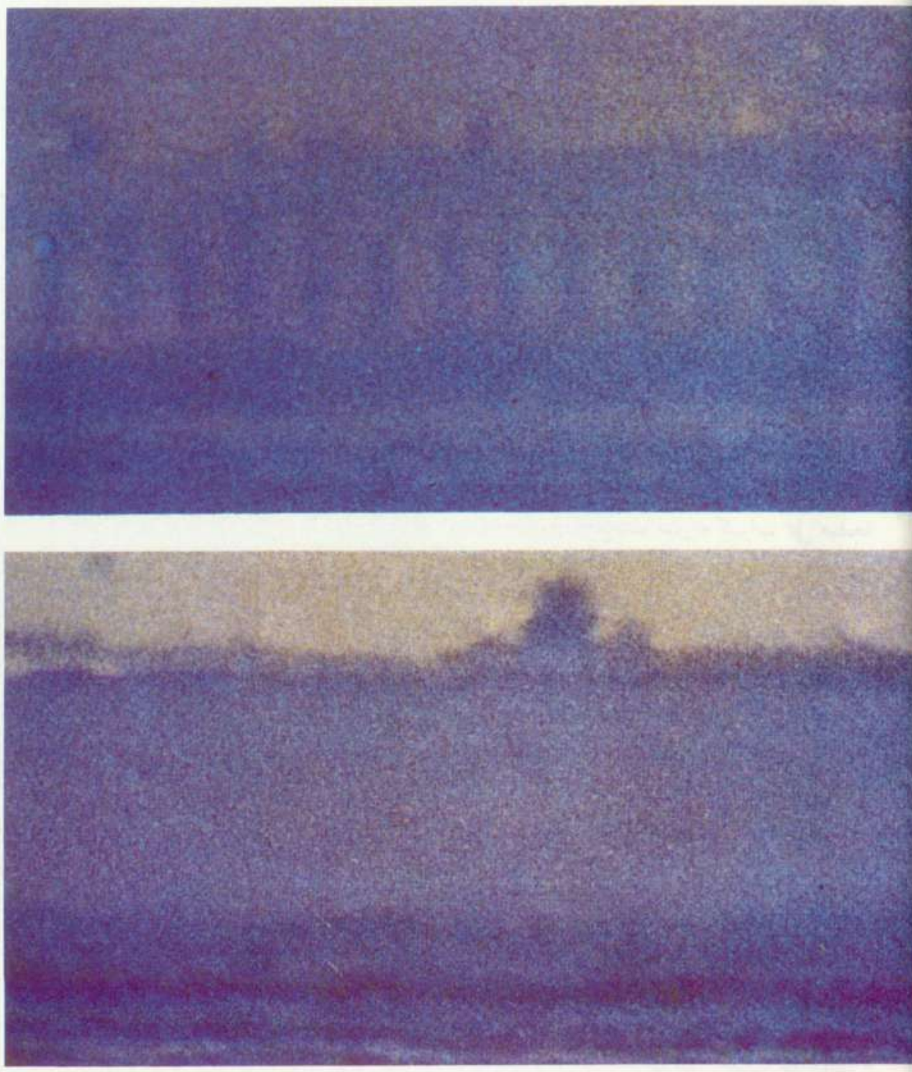
ما رآه حقيقة . وعندما نظرت من النافذة الى حيث أشار ابنها ، تسمرت في مكانها ، اذ رأت بالفعل جزيرة هيليجولاند القريبة نسبياً معلقة فوق بيتها في السماء ، إلا أن تلالها الحمراء وأشجارها الخضراء بدت وكأنما هي مقلوبة في الهواء . وظلت الأم وابنها يرقبان هذا المنظر المثير وهو يتراقص أمام عيونهما ، ويبهت بالتدريج الى أن اختفى بعد حوالي ثلث الساعة !

مثل هذه الأمور ترد في الكتب العلمية الخاصة بدراسة الظواهر الجوية باسم « فاطا مورجانا » Fata Morgana .. وربما كان هذا الاسم مأخوذاً عن أساطير الجني مرجان — ملك الجان التي وردت في ألف ليلة وليلة ، اذ تزعم هذه الأسطورة أن أخت مرجان فاطا (وربما كان الاسم محوراً ويرمز الى فاطمة) كانت تنشئ القلاع والمدن والحدائق في الهواء ، فاذا غضبت ، نفخت فيها ، فتزول بعد دقائق أو ساعات ، وليس ببعيد أن تكون هذه الأسطورة قد حيكت لتفسر معني السراب المعلق أو المرتفع ، اذ لم يكن الانسان وقتها يملك غير شطحات خيال تفسر له ما عجز العقل عن توضيحه .

أبراج تختفي وتظهر !

لكن أجمل وأدق وصف لظاهرة السراب المعلق يجئ في خطاب كان قد بعث به القس الإيطالي أنجيلوتشي لصديق له بتاريخ ١٤ أغسطس عام ١٦٤٣ ، وفيه يجئ « في صباح ذلك اليوم الذي كنت أتطلع فيه الى البحر الذي يحيط بجزيرة صقلية ، رأت عيناي الشاطئ وقد ارتفع في الهواء . وظهر كأنما هو سلسلة من الجبال الداكنة ، وفي واجهته تجلت سلاسل من الأعمدة التي أقدر عددها بحوالي عشرة آلاف عمود ذات لون أبيض رمادي ، ثم بدا لي أن الأعمدة بدأت تنكمش حتي صارت في نصف أطوالها الأصلية ، ومع ذلك فقد اتخذت هاماتها شكل أقواس وكأنما هي قد تحولت الى ما يشبه القنوات المائية الرومانية المعلقة . وقبل أن تختفي كلية ظهرت فوقها قلاع ذات نوافذ وأبراج ... » الخ

مثل هذه الصورة المعقدة من السراب توحي بأن هناك أيد خفية تعمل وتشيد وتبني وتغير نماذج البناء بسرعة هائلة لا يقدر عليها بشر ، ولهذا تصور القدماء أن وراءها قوى خفية تنشئ القلاع والقصور والمدن في الهواء ، ثم تخفيها عن الأعين ، وكأنها لم تكن ، ومن



(٧) السراب المعلق أو المرتفع لنفس العبّارة . وقد جاء بهذه الصورة لأن كثافة طبقات الهواء الملامسة للماء كانت (حيث الهواء أبرد).. والفرق بين الصورتين يرجع الى أن التدرج الحرارى كان أعظم في الصورة السفلى عن العليا .

والسراب ، وفي الأخير تتغير نسب الأجزاء ، فيصغر بعضها أو يختفي ، أو يكبر البعض الآخر ، ويصبح مبالغاً فيه ، كما يبالغ الرسام الكاريكاتوري مثلاً في نسب الأشكال ، أو أشبه بالصور المهزوزة أو غير المضبوطة على شاشة التليفزيون ، أو في المرايا ذات الأسطح غير المستوية ، وهذا يعني أن السراب الناتج من حيود الضوء في طبقات الهواء (ذات التدرج المتتابع في درجات الحرارة ، ومن ثم الكثافة) غير ثابت لعدم ثبوت درجات التدرج الحراري .. فأي خلل فيه يعطي خللاً مبالغاً في السراب ، وهو ما نراه في الصورة السفلى من شكل ٦ ، حيث تختفي السفينة حتى سطحها العلوي (لأنه سراب واطئ أو منخفض) ولا تظهر الا أجزاؤها البارزة على السطح مثل المدخنة و « الهوايات » وكابينة القيادة وما شابه ذلك ، وواضح أن خللاً كبيراً قد حل بالنسب ، لأن التدرج الحراري في الطبقات كان أكبر .

أو قد يحدث العكس لنفس العبارة تحت ظروف أخرى ، وبحيث تؤدي الى ما يعرف بالسراب المرتفع (لأن درجة حرارة الهواء قرب سطح الماء أبرد) .. وهو ما نراه في شكل ٧ ، ولكن بصورة مشوهة ، اذ يبدو جسم العبّارة كحائط يبرز قليلاً فوق سطح الماء (الصورة العليا من الشكل) ، وفوقه تبدو النوافذ وكأنما هي أعمدة كالتي وصفها بيلوتشي من قبل ، ثم قد يتغير هذا المنظر الى تشوه بالغ ، فيبدو كحائط مرتفع فوق سطح البحر ، وفوق الحائط تشكيلات غير واضحة ، وكل من يراها يتخيلها حسب هواه (الصورة السفلى من الشكل ٧) .

سراب مخيف

لقد قدمنا الصور السابقة لتكون بمثابة مدخل مناسب يمكن أن نتصور به ما قد يوضح لنا معنى ظهور المناظر الغريبة التي رآها الناس قديماً ، ولم يستطيعوا لها تعليلاً ، وربما اتخذ السراب صوراً أخرى أعظم تشكيلاً ، وأكثر اثارة ، اذ أحياناً ما يحدث التكبير أو التصغير للأشياء المحسوسة ، فتظهر بصور أخرى على شاشة غير منظورة في ثلوج القطبين ، أو على سطوح البحار والمحيطات ، أو في الصحاري ..

تذكر بعض الكتب التي تناولت دراسة الظواهر الجوية قصة غريبة حدثت للجيش الفرنسي أثناء غزوه لمصر في عام ١٧٩٨ ، اذ رأى الجنود أثناء تقدمهم أرضاً مبتلة موحلة على مدى البصر ، وفي هذه الأرض هنا ظهرت أساطير الجن والمردة والعفاريت وما شابه ذلك .

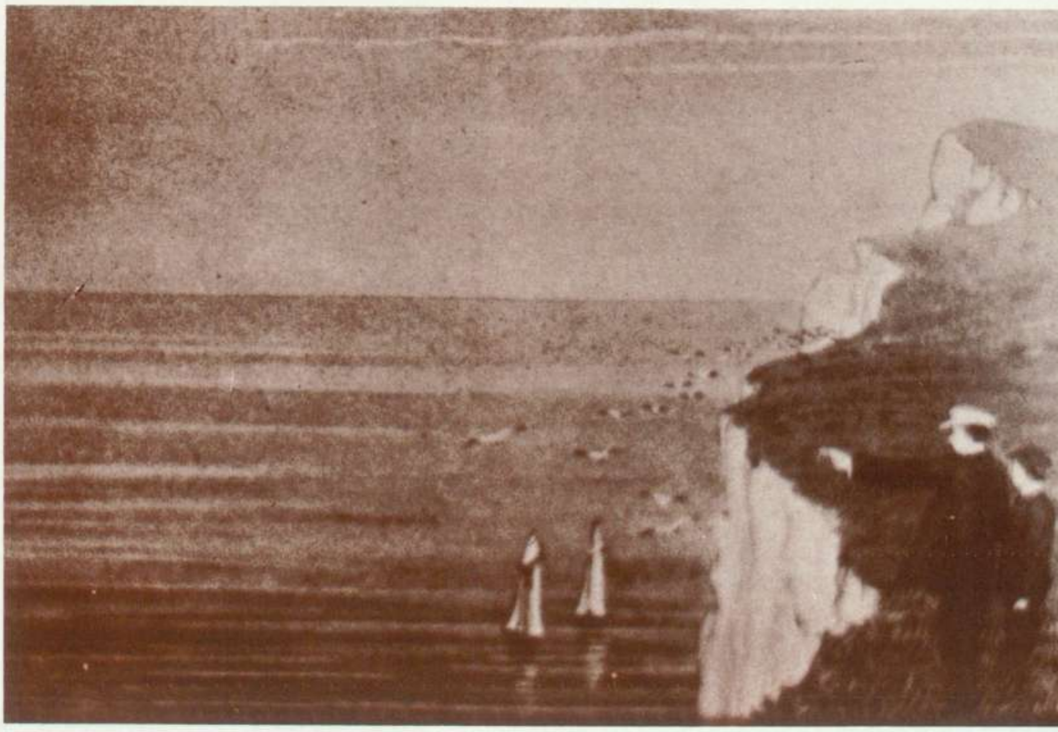
لكن .. كيف يمكن تفسير مثل هذا المشهد المعقد حقا ؟ ..وهل يمكن أن يتمخض السراب عن كل هذه النماذج التي رآها الجيلوتشي أو غيره ؟

الواقع أن الأستاذين ا . ب . فريزر ، و هـ . ماخ قد قدما لنا في هذا المجال دراسة ممتعة ، وفيها يحللان السراب مدعماً بالصور والشرح (التي لا يتسع لها المجال هنا) ، ومع ذلك دعنا نقدم شيئاً قريباً مما رآه القس منذ أكثر من ٣٤٠ عاماً ، وعرضه كل من فريزر وماخ ، ولقد بدأ هذا العرض بعبارة أو سفينة ترى صورتها ضمن هذه الدراسة (شكل ٥) ، لكن الاختلاف بين كثافة طبقات الهواء التي يعلو بعضها البعض قد تلاعب بأشعة الضوء فحادت عن سبيلها بطريقة غريبة ، وبحيث يتمخض هذا الحيود عن صورة مثيرة لا تمت كثيراً لصورة العبّارة .. في فترة زمنية ترى للعبّارة سراباً ، وكأنما هي قد غاصت في الماء ، وبحيث لا تستطيع أن ترى منها إلا كابينة القيادة والهوايات والمدخنة ومؤخرة السفينة ونوافذها التي تتراص فوق سطحها (شكل ٦ — الصورة العليا) ..

لكن .. لماذا ظهرت النوافذ ، وكأنها أعمدة مرصوصة ، أوكأنما السراب هنا يوحي في شكله العام بوجود قصر عائم على الماء ، وللقصر أعمدة كثيرة تنتظم على واجهته ، ومن أوله الى آخره ؟

الواقع أن ذلك يرجع الى أن « العدسة » الهوائية ليست شيئاً مجسداً وثابتاً ، بل هي دائمة التغير مع أية حركة طفيفة للهواء ، وبهذا تختلف النسب بين الأصل

ومنهم من يمشي على الماء ومنهم من يطير في الهواء!



شكل (٨) هكذا يبدو السراب المعلق لسفينة على سطح بحيرة كما رسمها شاهد عيان . وقد جاء السراب بصورة مكبرة ، وظهر وكأنما له ظل مقلوب .

ظهرت بحيرات ثم اختفت . لكن الذي أفزع الجنود أن الحشائش قد تحولت في الهواء الى ما يشبه النخيل المعلق ، ثم ما يلبث أن يختفي ليظهر ، كما ظهرت بعض معالم المنطقة مقلوبة ، وهنا « ركع الجنود على ركبهم ، وأخذوا يبتهلون الى الرب لينقذهم من النهاية المدمرة للعالم » — على حد وصف بعض تلك المراجع ! . .

ويقال أن الوحيد الذي توصل الى السر هو عالم الفيزياء الفرنسي جاسبارد المصاحب لجيش الغزو ، اذ تقدم نحو الجنود المذعورين وأفهمهم بأن هذه اللعبة الخادعة ليست إلا ظاهرة من ظواهر السراب !

وفي الحرب العالمية الأولى ، وبينما كانت المعركة قائمة بين الألمان — وكانوا كثرة ، وبين الانجليز — وكانوا قلة ، وذلك بالقرب من مدينة مونز ببلجيكا ، تراجع الألمان عندما رأوا ما يشبه الخيول التي يمتطيها فرسان وهي تحلق فوق ميدان المعركة . ولقد انتشرت هذه القصة بعد أن كتبت عنها جريدة « الأخبار المسائية — ايفننج نيوز » البريطانية » ثم أكدها بعض العائدين من المعركة . لكنهم لم يذكروا أسماءهم ، خوفاً من اتهامهم بالخبل ، واعتبروا هذه الظاهرة معجزة أو نجدة جاءتهم من السماء ، وبهذا انقذتهم من إبادة محققة على أيدي الألمان . وربما بالغ الجنود فيما شاهدوه وهم في محنتهم وذعرهم ، مثلما اعتقد الفرنسيون أن النخيل قد تراقصت أمامهم في الهواء ، ولم تكن إلا حشائش كبرتها « العدسة » الهوائية ونقلتها على « شاشة » الهواء !

وفي كتاب « الأجسام الطائرة المجهولة » الذي كتب فصوله ١٦ عالماً من تخصصات مختلفة ، يذكر دكتور دونالد مينزل أستاذ الفيزياء الكونية بجامعة هارفارد في الفصل الذي كتبه بعنوان : « اليوفو (أن الأطباق الطائرة — كما يطلق عليها العامة) — الأسطورة العصرية — يذكر : أثناء عملي في البحرية الأمريكية كضابط رادار في الحرب العالمية الثانية ، ورئيساً لقسم البحوث الرياضية والفيزيائية بالاتصالات البحرية . حدث أن ظهر للمدمرة الأمريكية هدف في البحر الأبيض المتوسط ، وفتح الجنود النيران . وظلوا يطلقون قذائفهم حتى غاص الهدف في الأعماق ، ولم يظهر له أثر ، ثم تبين فيما بعد أن الجنود كانوا يطلقون قذائفهم على سراب ، اذ لم يكن الهدف المزعوم إلا انعكاساً لجزيرة مالطة البعيدة !

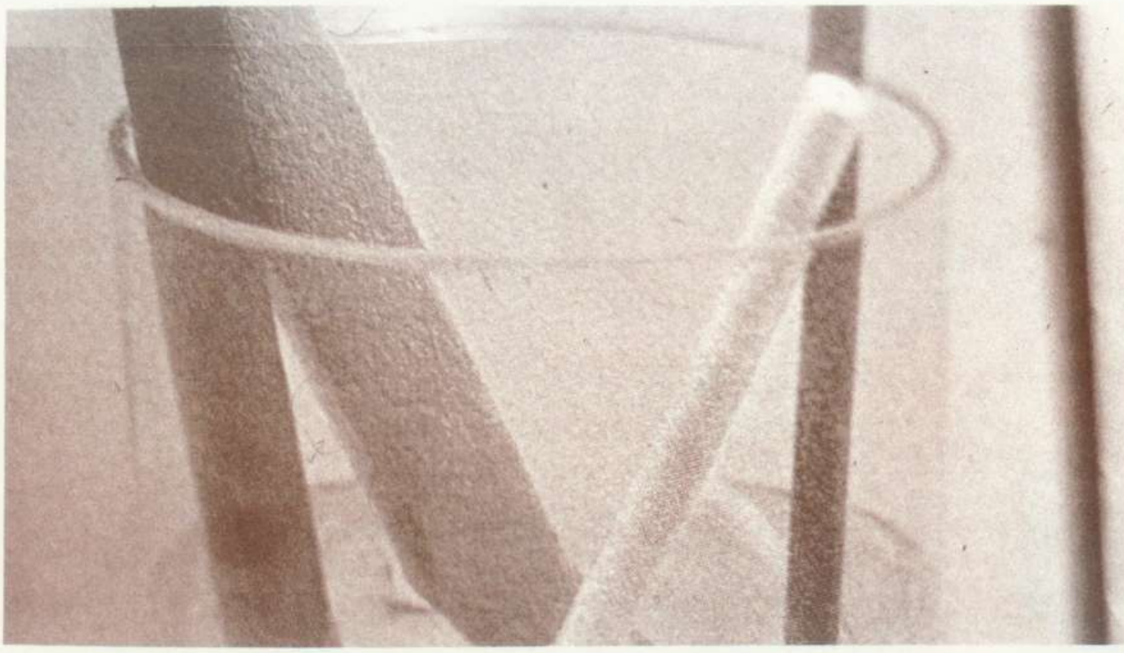
وفي كتابه الممتع « بين الأرض والفضاء » يذكر لنا دكتور كلايد أور الأستاذ بمعهد جورجيا للتكنولوجيا بالولايات المتحدة الأمريكية ظاهرة أخرى للسراب ، فيقول « لقد شاهد بحارة البحر الأبيض المتوسط بدهشة بالغة ظهور جزيرة ناتئة في المياه الواقعة بين مالطة وصقلية ، وعندئذ كانوا يتوجهون اليها ليكونون لهم سبق امتلاكها . لكن آمالهم كانت تتبخر عندما يكتشفون أن ما ظهر لهم لم يكن في الحقيقة إلا جبل « إتنا » الذي انعكست صورته كسراب على صفحة البحر !

ومن الظواهر الغريبة التي يذكرها أيضاً أن ركاب عابرة المحيطات « موريتانيا » قد وقفوا مشدوهين وهم يرقبون سفينة بضائع ضخمة وكأنما مؤخرتها قد ارتفعت في الهواء ، ثم انشطرت الى نصفين ، وركب أحدهما الآخر ، ثم يذكر بعد ذلك شيئاً مثيراً حدث على سطح بحيرة نيس باسكتلندا ، اذ ظهرت سفينة وكأنما هي قد تركت الماء ، وابحرت في الهواء ، وكان لها فيه ظل مقلوب (شكل ٨) .

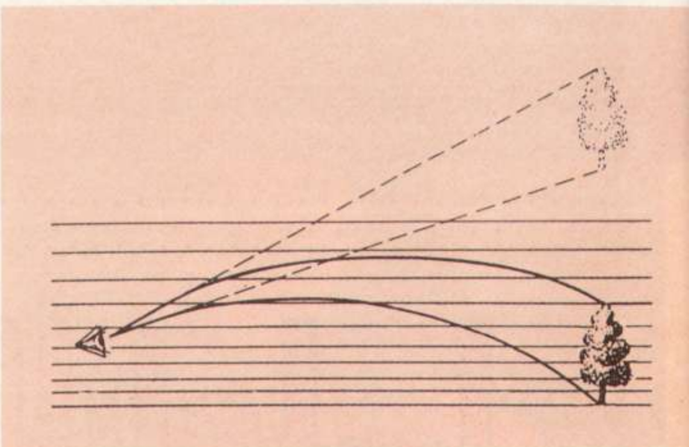
خدعة الجبال على الثلوج

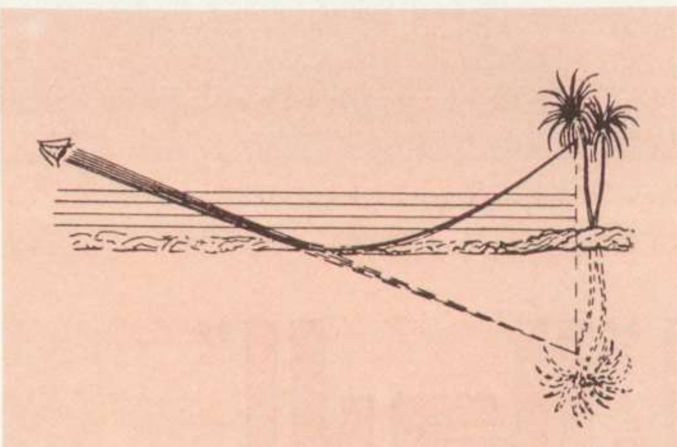
لكن المزاح او الخدعة الكبرى لحيود الضوء عن مساره في الهواء قد جعل العالم يظل زهاء مائة عام وهو يتحدث عن أرض أطلق عليها المكتشفان الانجليزيان جيمس وجون روس اسم « كروكرلاند » . فعندما توجها في رحلتها البحرية تجاه القطب الشمالي في عام ١٨١٨ ليستكشفا ممراً مائياً قيل أنه يفصل بين محيطي الباسيفيكي والاطلنطي في شمال غرب كندا . توقفا في نهاية الرحلة حيث ظهرت لهما سلاسل من الجبال العالية وكأنما هي تسد عليهما طريق الابحار ، وعندئذ عادا ليعترفا أنه لا يوجد أثر لهذا الممر المزعوم . ونفس الشئ حدث للأدميرال الأمريكي روبرت بيرى في عام ١٩٠٦ ، اذ وقف ينظر بانبهار لتلك الجبال البيضاء — جبال كروكرلاند التي رآها الأخوان روس من قبل .

وأثارت هذه الأرض الجديدة اهتمام هيئة المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي ، ورصدت لها ٣٠٠ ألف دولار لاستكشاف ماعكن أن يوجد فيها ، أو مايقع



شكل (٩) عندما توضع الأشياء المستقيمة في كوب به ماء ، تبدو وكأنما هى مكسورة أو بها حيود . بل جاء ذلك نتيجة لحيود في مسار الضوء بوسطين ذوى كثافتين مختلفتين .





وراءها من ثروات أو كائنات . وبالفعل قامت رحلة بحرية ثالثة في عام ١٩١٢ بقيادة دونالد ماكميلان ، وفي طريقة الى كروكرلاند لا في الأهوال . لكنه في النهاية وصل اليها ليجدها أمامه وكما وصفها السابقون ، ولم يستطع أن يتقدم بسفنه لكثرة العوائق ، فنزل مع بعض رفاقه للسير على الأقدام ، لكن المسافة بينه وبين تلك الجبال ظلت ثابتة ، فكلما تقدموا تراجعت هى الى الوراء ، واذا وقفوا توقفت ، وأثار ذلك حيرتهم وخوفهم وفضولهم ، وظلوا يسيرون حتي غروب الشمس ، وعندئذ بدأت الجبال تختفي ، وامتدت أمامهم أرض مستوية مغطاة بالثلوج على مرمى البصر ، ونظر الرجال بعضهم الى بعض ، وكأنهم لا يكادون يصدقون مايرون ، فهذه هى أكبر خدعة وتضليل ومزاح سخيف – لعبه السراب بالانسان – على حد تعبير واحد منهم ، اذ هيأ حيود الضوء في الهواء الملامس للثلوج جبالا لم تكن موجودة في يوم ما على الاطلاق !

القصص بعد ذلك كثيرة ، وظواهر السراب غريبة ، والتفسيرات القديمة ساذجة ومريبة ، لكن كل ذلك يرجع الى انكسار الضوء اذا مر من وسط ذي كثافة أصغر الى وسط آخر ذي كثافة أكبر ، ولكى تتأكد من ذلك ، فعليك احضار كوب ملآن بالماء ، وضع فيه قلما من الرصاص أو أى شئ آخر مستقيم ، عندئذ ستجد القلم وكأنما هو عند التقائه بالماء قد انكسر ، أو بمعني أوضح ليس قلما مستقيما ، بل معوجا ، لكن القلم بالتأكيد سليم ، ولقد جاءت الخدعة من انكسار الضوء او حيوده قليلا عن مساره في الماء ، لأنه اكثف من الهواء (شكل ٩) .

ولقد تعودت عيوننا على استقبال الأشعة الضوئية من مصادرها في خطوط مستقيمة ، لكنها اذا انحرفت أو حادت عن استقامتها ، هيئ للعين أن الضوء لا يزال في استقامته ، وعندئذ تجوز الخدعة ، فتضع الأشياء في غير مواضعها (شكل ١٠) وأحيانا ماتتلاعب بنسبها ، وكأنما طبقات الهواء الساكن ذى الكثافات المختلفة قد أصبحت بمثابة عدسة غير مجسمة ، أو مرآة خيالية ، وفي هذه وتلك ينكسر الضوء وينعكس بطريقة خاطئة الى عيوننا ، لنرى سرابا أو أوهاما أو خيالات فسرها الأقدمون بحكايات خرافية ، وفسر المحدثون بعضه بأطباق طائرة ، ولكل عصر مايناسبه ، ولكل ما سعى وأدرك خرافات كان ذلك خيالا أو علما .

عبد المحسن صالح



لقطتان : الأولى لطفلة فقدت حنان الأم ، وأصبح والدها مسئولا عنها ، بداية من تنظيف ملابسها وإعداد طعامها ، الى تصفيف شعرها . واللقطة الثانية لأب وحيد ، يحاول أن يشق طريق حياته الصعب مع إبنته ، متظاهرا أمامها بأنه لا يوجد مايكدره أو يضايقه .

"الرجال" الأرامل ..!

"عندما يفقد الرجل زوجته ويصبح مسئولا عن تربية أطفاله ..

ماذا يقول العلم .. وماذا يقول الواقع ؟"

نادية يوسف

عندما يفقد الرجل زوجته . . ويصير مضطرا الى أن ينفق كل وقته في رعاية أطفاله منفردا . . وينظر الى عمله خارج المنزل نظرة مربية الأطفال التي تقطع الطريق عائدة الى أطفالها في لهفة وشوق . . ويتكرر هذا الرجل من بيت الى بيت . . ويتكون منهم جمعية ونادى وهيئة وقضية اجتماعية . . تشغل بال أكثر من ثلاثين مليون زوج وحيد في العالم . منهم في انجلترا وحدها مليون زوج وحيد . . كل منهم وجد نفسه فجاة وبدون مقدمات في مواجهة أبناء صغار يحتاجون إلى كساء وغذاء ورعاية وتعليم . . وأمن اجتماعى أيضا . .

لقد أصبح هؤلاء الآباء الوحيدين . . جميعا . . أعضاء دائمين في جمعية «كعكة الزنجبيل للآباء الوحيدين» . . ومهمتها بالدرجة الأولى رعاية مصالح هؤلاء الآباء . . وتبادل الخبرات فيما بينهم . . وأيضا تقديم خدمات محدودة للصغار من وقت لآخر . . بهدف تخفيف العبء عن كاهل الازواج الذين يتولون مهمة اضطرارية . . وشاقة وقاسية . . وغير محببة الى نفوسهم على الاطلاق . .

وها هو أحدهم يحكى تجربته . . يقول :

لقد تحطم زواجى على صخرة الخلافات الزوجية

منذ حوالى ثلاثة اعوام . . تركتني زوجتي فجاة في مواجهة طفلين أحدهما في الثالثة عشرة اسمه « ريتشارد » . . وطفلة في الخامسة اسمها « سارا » . .

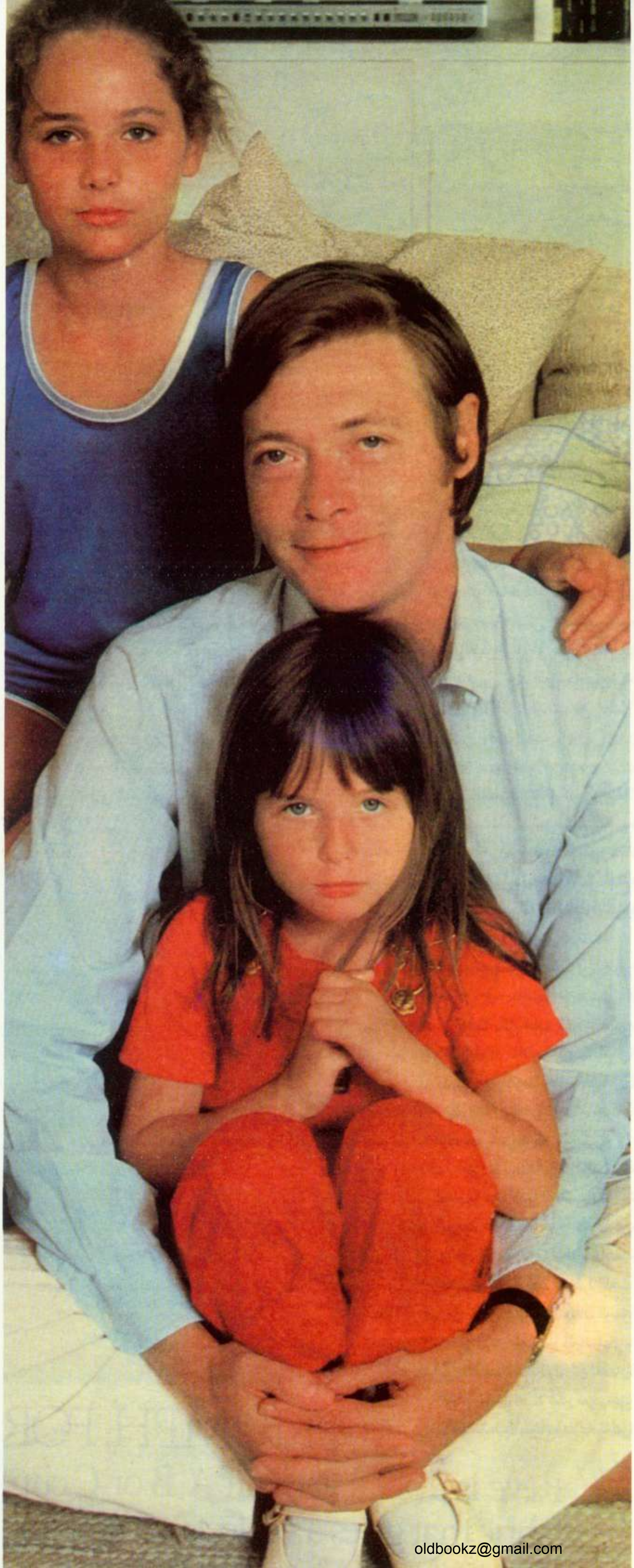
ويضيف : فجأة وجدت أنه لا يوجد ملابس نظيفة بعد أسبوع من مغادرة زوجتي للمنزل . . وكنت خلال الأسبوع أحاول أن أوفر للطفلين كل أسباب السعادة حتي لا يشعرا بغياب والدتهما . . الوقت كله . . لعب . . نزهات خارجية . . استجابة لكل طلباتهم المعقولة وغير المعقولة . . وطبعا بالاضافة الى مهمة غسل الملابس وكيها دون أدنى فكرة عن ذلك . . وبالمثل . . كان لا طعام على المائدة . . الا إذا ابتعته أنا من السوق وقمت بطهية بنفسي . . ويتضاعف عذابي عندما لا يقترب أى من الطفلين من الطعام الذى أنفقت في طهيه أكثر من ساعتين . .

لقد ارتكبت أثناء محاولة إرضاء صغارى ، كل الأخطاء التي يمكن أن يرتكبها طفل أثناء محاولة تجربة أى شئ جديد . . وكانت الوجبة التي يقبل عليها « ريتشارد » و « سارا » هى البيض والبطاطس المقطعة شرائح رفيعة ومقلية في الزيت . . لا لشئ إلا لأنها كانت الوحيدة التي أصنعها باتقان . . لقد بالغت في تقديمها لهما . . حتي جاء وقت وقد أصبحنا ثلاثتنا مرضي من كثرة ماتناولنا من البيض والبطاطس !

ومن الأمور المضحكة بالفعل . . أن المرة الأولى التي شرعت فيها في تنويع الغذاء ، « قررت » تحمير دجاجة . . ووضعتها في الفرن كما هى دون أن أنزع الغلاف البلاستيك من عليها !

إن « دان دين » الأب الوحيد يصف مشاعره بصدق فيقول :

لا شك أنكم تضحكون الآن من حكاية الدجاجة هذه . . ولكن أيامها وبعد الطلاق مباشرة . . كانت هذه المواقف تبدو لى كما لو كانت مأساة حقيقية أكثر منها مادة مثيرة للضحك . . لقد حاولت في العام الأول ، أن أحقق التوازن الفعلى بين العمل في المنزل وخارجه . . وكنت ألهث في محاولة لانجاز الاثنين معا . . أصحب « سارة » الى المدرسة في الصباح الباكر . . وأعود بها مهرولا بعد الظهر لأعد طعام الغداء . . وكم من مرة اقتطعت من وقت العمل حتي أقوم بانجاز شئ هام لهما . . حتي أنني لم أستطع تحقيق ساعات عملى المطلوبة كى أحصل على الأجر الكامل الذى يفي بديوني ومتطلبات أسرتي . . وفي الوقت ذاته كنت أحاول أن أمنح صغارى بعض الأمن المفقود بمغادرة والدتهما ، وهذا في حد ذاته كان مشكلة المشاكل ، إذ كيف يمكن لرجل يشعر في قرارة نفسه بالفشل الذريع في تحقيق التوازن في حياته الزوجية أن يمنح للصغار الأعزاء



الأمن ؟ .. وكم من مرة انتهى بي الأمر أن أشارك الطفلين فراشهما ، لمزيد من الشعور بالأمن والأمان ..

ولكن هل استطاع « دان دين » الأب الوحيد أن يحقق الأمن النفسي لطفليه ؟ . .

يقول هو في أسي :

يكفي أن فقد « ريتشارد — ١٣ سنة — حماسه للمدرسة .. وطبعا بدأت الحالة باهماله للواجبات المدرسية . وأعتقد أنه يحس انهيارا نفسيا . . ولكن لم يرد التحدث معي في أي من مشاكله . . ومن ناحيتي لم أبذل محاولة من أي نوع للضغط عليه . . حتى أنه أسلم نفسه لأصدقائه من ناحية وموسيقاه من ناحية أخرى . .

أما « سارا » — خمس سنوات — فقد بلغت في الالتصاق بي أكثر مما كانت أيام وجود والدتها . لقد تخيلت لفترات طويلة أنها تحتاج لعلاج نفسي ، عندما كانت تجلس ملتصقة بأي امرأة موجودة أثناء زيارات الأصدقاء لنا . .

والخلاصة . . أنك مهما كنت أبا مثاليا في كل شئ ، فإنه لا يمكن أن تكون أما كما ينبغي .

مواجهة الواجبات المنزلية

والحق أنها المرة الأولى التي يجلس فيها « دان دين » ليفكر في أسرته عندما تخيل في وقت ما . أنه يمكن أن يفقد أطفاله كما فقد زوجته من قبل . . ولذلك فكر في الانضمام الى جماعة « كعكة الزنجبيل للآباء الوحيدين » . . فهناك سوف تتاح الفرصة أمامه لسماع مآسي غيره من الآباء الذين يعيشون حياة مماثلة بمفردهم مع أطفالهم . وايضا الاستماع الى نصائحهم إن وجدت .

ولانضمام « دان دين » لهذه الجمعية سبب آخر . . هو أن معظم أصدقاء الأسرة ، هربوا واحدا بعد الآخر بعد الانفصال . . وكان عليه أن يقوم بتكوين حلقة أخرى من الأصدقاء ، لأنه لم يكن من الممكن أن تدور حياته في حلقة مفرغة مع الأطفال فقط . . فضلا عن أن هذا الوضع لم يكن ليحقق مصلحة من أي نوع . . لا بالنسبة للأب الوحيد أو بالنسبة للأطفال . . وتعرف من خلال الجمعية على أصدقاء جدد . قاموا بمهمة عمل ميزانية منتظمة للمنزل . . كما أشاروا عليه بضرورة أن يكسب دخلا اضافيا . . حتى بدأت حياته تسير في الطريق الصحيح مرة أخرى . . ولكن . . هل عرفت السعادة طريقها الى قلب « دان » : ؟ .

يجيب هو نفسه على السؤال :

« انني الآن أفكر أكثر من ذى قبل . . لو أنني كنت قد منحت أطفالى وزوجتي بعض الاهتمام . . . لو أنني كنت حريصا على مناقشة مشاكلى معها بعيدا عن الصغيرين . . لو أنني نظمت نفسي بحيث يتبقى وقت لأرفه فيه عن زوجتي وأولادى خارج المنزل . . ها أنا الآن ألهث في محاولة ، ربما تكون بلا جدوى . . لأحقق للأطفال جزءا مما كانت تحققه لهما والدتهما . . ومهما فعلت فإن هناك شيئا ما يحتاج إلى يد لانجازه . . فالعمل داخل المنزل لا ينتهي . . وبدون عيون المرأة لا يمكن للمنزل أن يستقيم . . على سبيل المثال . . الستائر . . وأغطية الفراش . . لم أكن أعرف كيف تبدو نظيفة طول الوقت أثناء وجود زوجتي معي . . ولماذا تتسخ ونحتاج الى تغيير كل يومين بعد أن انفصلت عنها . . وأتساءل كثيرا ماذا كانت تفعل لتحقق لنا وجبة ساخنة كل يوم . . وأنا لم أتعود على ذلك . . وأفكر كثيرا أيضا . . ماذا كانت تفعل بحيث تتوافر فيه كل العناصر الغذائية ؟ . . وكيف لم أكن أسمع — أثناء وجودنا معا — بمرور وجبة الغذء بدون دجاج أو لحم مشوى . . أو مسلوق . . في حين أسمح لنفسي وللأولاد الآن . . بتناول وجبات محفوظة وجافة . . كل يوم تقريبا ؟ . . إن هذا العقاب الذى أجريه بيني وبين نفسي يعطيني طاقة لبذل المزيد من الجهد من أجل أن أحقق توازنا في غذاءالأطفال من الناحية الصحية على الأقل . . إن الكثيرين يقولون لى لابد وأن يساعدك أطفالك . . وهم بالفعل يساعدونني . . ولكن هل من المناسب نفسيا أن يتحمل الأطفال هذا النوع من المسئوليات . . في هذا الوقت المبكر من عمريهما ؟ . . لا أدرى .

ومن الأمور التي تستهويني الآن . . هي كيف أشرب كوبا من الشاى دون أن أقوم أنا بصنعه . . ولكن هذا لا يتحقق أبدا . . كيف يتحقق هذا المطلب . . و « ريتشارد » — صغيرى — يطاردني بطلباته ؟ . . فهو يقضي اليوم كله خارج المنزل . . وعندما يعود في المساء يكاد يجن لأني لم أعد له حمامه . . أو أضع له الطعام على المنضدة . . أو لم أقم بغسل قميصه الكاروه ؟ . . إنه يشكو دائما من أنني لا أقوم بغسل رداء التدريب عندما يتركه في المكان المخصص للغسيل . . ويأتي يوم التدريب والرداء مازال متسخا . . بينما كانت أمه تقوم بغسله فورا دون أن يطلب منها ذلك . . إنني غالبا ما أحاول عبور هذه المنغصات التافهة مقارنة بأمور أخرى أكثر قسوة وشقاء . . وذلك حتى لا يعلو صوتي على « ريتشارد » وتصبح مشاجرة فعلية بيننا . . إنني أحاول ألا أحزنه أو أضايقه . . وأبتعد تماما عن عقابه بالضرب أو غيره . . إنني أعرف أنني أبدو له كما لو كنت غير مناسب لهذه المهمة . . ولا أستطيع أن أعاقبه بالضرب وخاصة وهو في هذه السن .

إن « سارا » شقيقته مثلا . . تعرف أيضا — رغم صغر سنها — أنها تستطيع أن تجعلني أرقص باشارة من أناملها الدقيقة . . ولكن عندما تسوء الأمور بيننا لدرجة لايمكنني السيطرة عليها . . وأغدو في حالة لا يمكن معها الاستجابة لأى من الصغيرين الماكرين . . انني أعتبر أبا متساهلا طوال الوقت . . ولكن التربية الحقيقية للأولاد من أب وحيد تبدو صعبة وقاسية بكل هذا القدر من التساهل . . وثمة حقيقة يجب أن نعرفها جميعا أن تبذل مجهودك . . ثم تتمنى في قرارةنفسك ألا ترتكب الكثير من الأخطاء أثناء ذلك . .

والحق أن كتب التربية الحديثة التي استعنت بها . ساعدتني كثيرا على أداء مهمتي . . فان الاطفال وهم صغار ، يحتاجون لرعاية بسيطة وواضحة ، فما عليك الا أن تعلمهم وترشد خطواتهم الصغيرة الى مايجب عمله . . ولكن المشكلة كلها تكمن في الفترة التي يطلقون عليها « فترة المراهقة » . . عند ئذ يكون عليك أن تحميهم من الصدمات العاطفية . . حتى لايكبروا وهم غير قادرين على الاحساس بالسعادة من ناحية . . أو الثقة في النفس . . . أو على أقل تقدير فانهم سيشبون غير قادرين على معرفة احتياجات الآخرين . . كذلك فانك لو تعودت على حمل أطفالك دوما فانهم لن يتعلموا السير ابدا .

الثمن : فقدان الوظيفة

وهاهو أب وحيد آخر . . يقوم بمهمة رعاية صغاره بمفرده . . إنه « ريتشارد باجت » . . . يبلغ من العمر ٣٩ سنة . . أرمل من مقاطعة أمبتون شاير بانجلترا . . يقول :

إنها مشكلة كبيرة أن تحقق التوازن بين طرفي المعادلة مع الأطفال في تربيتهم وتهذيبهم . . والاحتفاظ في نفس الوقت بكل حبهم لك . . فابنتي « شيرلى » — عشر سنوات — ناضجة بالنسبة لمن في مثل سنها . . لقد كبرت سريعا بعد وفاة والدتها منذ حوالى ثلاث سنوات . . ولكن « جون » — ٨ سنوات — فإنه يتصرف بطريقة غير مقبولة . . وأنا اكره أن أعاقبه . حتى لو بدت أعماله شيطانية . . لا لشئ الا لأن العقاب يحزنه كثيرا ويجعله يائسا .

إن الأطفال لايقبلون على فكرة عدم التنازل عن حقوقهم مهما كان الأمر . . ان كلا منهم لديه مايفعله داخل المنزل . . ولكنهم اذا أرادوا أن يمارسوا اللعب على أساس أنه جزء من تحقيق سعادتهم . . فان العمل يقع على وحدى . . حتى لا أزعجهم أو أثير تبرمهم .

والحقيقة أنه من الصعب أن أقارن بين أطفالى وأطفال الآخرين لأعرف ما إذا كنت أسير معهم على الطريق أم لا . . لأن هذه الأمور تبعد تماما عن



أب من الرجال الأرامل .. يحاول أن يكسب ثقة ولديه بمشاركتهما في بعض الألعاب .. فهل ينجح في ذلك ؟

حديث الرجال . . وأنا لا أحاول أن أسأل عن ذلك كنوع من أنواع الخجل فقط . .

ويقول « ريتشارد » بأسى :

لقد فقدت وظيفتي « كأمين مكتبة » أثناء مرض زوجتي . . لأنني كنت أحتاج الى وقت طويل للعناية بها . . وبعد وفاتها افترضت أنه يمكن أن أعود الى العمل . . ولكن كل أصحاب الأعمال يصرفون النظر عن تعييني نهائيا . عندما يعرفون أنني أقوم برعاية طفلين بدون مساعدة من أحد . . والآن . . أعيش بمكافأة الضمان الاجتماعي . . دون أن أؤدى أى عمل فعلي أو منتظر . .

لقد تعودت على أن أدفع العربة أمامي لأبتاع حاجيات الأطفال من السوبر ماركت . . أو أن أذهب « بجون » الى المدرسة . . لأنني أشعر كأنني أقوم بعمل هام . . بالطبع كانت البطالة تمزقني في البداية . . ولكن الآن أرى الكثيرين من الرجال لايعملون فلم تعد البطالة تقلقني . . لأنني أعرف أنه لابد أن يأتي يوما تنتهى فيه كل مشاكلي . .

وفي الصيف الماضي . . عندما قضى « ريتشارد » ثلاثة شهور في العمل في المكتبة كجزء من دورة تدريبية طويلة للأشخاص الذين لايعملون ، تأكد من أنه لايمكن الجمع بين العمل ليوم كامل وادارة منزل وتربية طفلين في آن معا . . ويقول « ريتشارد » أكره أن أعود الى المنزل بعد نهاية يوم كامل من العمل . . لأن الطهي والغسل والكى والتنظيف كلها أشياء تنتظرني . فضلا عن أن انجازها يستغرق وقتي كله بحيث لايتبقى منه شىء للأولاد أو لأداء واجباتهم المدرسية . . لقد تأكدت الآن أن الأطفال في حاجة الى أشياء كثيرة أقلها اهمية النقود ، إذن ليس أمامى حل آخر حتى أعمل طوال اليوم ثم أعتني بهم بعد ذلك . . لقد تعودت على خدمة أولادى منذ كانت زوجتي مريضة ، ولكن هناك فرق كبير بين أن أطهو بنفسي مثلا . . والتفكير يوميا في أنواع الطعام التي سنأكلها كل يوم . . وعندما برزت ركبتا جون من بين ثنايا بنطلونه لم يكن لدى أدنى فكرة عما يجب عمله . . ولكن واحدة من جاراتي عرفتني بالرقع الصناعية التي يجب أن ألصقها على ركبة للبنطلون بواسطة المكواة . . حتى لاتهترأ مرة ثانية . . والآن . . لدى فكرة عن الكثير من الأمور الخاصة بالملابس . . وأنا وشيرلى . . ابنتي . . نتعلم الطهو . . كى نستطيع أن نطهو الأطعمة التي كنا نتناولها قبل وفاة زوجتي . .

العلاج في الكتب

ولكن هل يقضي « ريتشارد » حياته بين البيت والأطفال فقط ؟ . .

يقول هو :

« اننا نقطع مبلغا صغيرا أول كل شهر . لكى نستطيع قضاء الصيف خارج المدينة ، ومشاهدة مباريات كرة القدم في الملاعب . . ولكن الصعوبة الحقيقية . . والكلام على لسان الأب الوحيد : » عندما يحدث وأقابل مجموعة من الناس . . أجد صعوبة في مشاركتهم الحديث . إن جميع الرجال يتحدثون عما وصلوا اليه في أعمالهم وماذا فعلوا لتحقيق طموحاتهم . أما أنا فلا أستطيع الاستجابة لهذا الحديث . . والمؤسف أنني حتى الآن لم أفكر جديا . . فيما يمكن عمله لمستقبلى . . أعرف أنني أحيا يوما بيوم . . وأعرف أنني لابد وأن أبني حياتي من جديد . . وأفكر في نفس الشئ بالنسبة لأطفالى الذين يؤكدون لى في كل مناسبة أنهم لايمكن أن يتركوا البيت وأنهم سوف يبقون معى الى الأبد . . ولكنني لا أريد أن يشبوا وفي عقيدتهم أنهم لايمكن ترك والدهم العجوز وحده . . ولذلك أفكر في أن أقدم طلبا لمجلس المدينة للانتقال الى مدينة « ليدز » حيث توجد بقية العائلة . . وبذلك يمكنني أن أجد عملا . . وأن أجد أيضا الحل الأمثل لكثير من مشاكلي .

مؤكدا يقول « ريتشارد » :

مهما كان درجة مايحدث الآن وفي المستقبل فلا يمكن أن أتجاهل مهنتي في تربية صغارى . . ومسئوليتي الكاملة نحوهم . . لقد أصبحت قريبا منهم لدرجة كبيرة أكثر مما يحدث مع كثير من الآباء . . إن الرجل الذى يستطيع أن يقوم برعاية الأطفال وحده لم يوجد بعد . .وإن وجد فهى على كل مهمة غير محببة الى نفسه على الاطلاق . .

إن المشكلة الرئيسية في رأى « ريتشارد » ـــ الأب الوحيد ـــ عندما تأتي اليه ابنته « شيرلى » . . لتسأله أمرا حول سر الحياة . . والعلاقة بين الرجل والمرأة . . في بداية الأمر كان « ريتشارد » يصمت . . ويدعى الجهل بالشئ . . ولكنه أدرك أن صمته هذا لن يحفظ على ابنته جهلها بالاجابة . . ولكنه قد يوقعها في حيرة . . وبعد أن سأل أحد الخبراء في تربية الطفل . . أجابها بقوله : لماذا لانبحث عن الاجابة سويا في كتاب لنتزود بالمعلومات . . . وبالفعل . إن « شيرلى » تأتي الى الآن لتلقي بما عندها من اسئلة تحيرها . . ومن ناحيتي لا أتركها مطلقا الا بعد أن أشهد علامات الرضا النفسي على ملامحها . .

والحق أن « ريتشارد » يبذل الكثير من وقته لكى يكون قريبا من ولديه . . ويقوم بدور الأم . . والأب . . في وقت واحد . . وبالتفصيل يقول « ريتشارد » : اذا لجأ أطفالى الى . . في أى وقت للاستفسار عن أى شئ . . حتى لو بدا لى تافها . . لا أنهرهم أو أبعدهم عني بحجة أنني مشغول بأمور أخرى . . حقيقة أنهم يمكن أن يلجأوا الى في لحظات غير مناسبة على الاطلاق . . كأن أستعد لاعداد الغداء أو أجمع الغسيل لاضعه في الغسالة . . مهما كان الأمر فأنا لا أحاول ابعادهم عني . . لأنني قرأت في كتب تنشئة الأطفال . . أن هذا الشئ التافه في نظرك ، هام جدا بالنسبة لهم ، بل لاتكون ثمة مبالغة اذا قلنا أنه بمثابة اختبار يجرونه هم لأبويهم من حين لآخر . . إنهم يريدون منا أن نقرر في لحظة غير مناسبة دائما . . ايهما أهم في نظر والدهم . . هم . . أو الغسيل ؟ . .

إن الأطفال في جميع أنحاء العالم . . وهذا





هؤلاء الأطفال ، بما يحملون من قلوب صغيرة بريئة ، يتحولون دائما لمشكلة إذا ما تخلت عنهم الأم ، وتصبح مهمة الأب أن يواجه عالمهم الصغير

ماتؤكده أيضا كتب التربية لايريدون آباء عظماء . . آباء يتمتعون بالجمال والوسامة . . أو آباء مليونيرات . . إن كل طفل لايريد أكثر من أب أو أم قريبا اليه . . آباء على استعداد لكي ينحوا كل شئ جانبا في أى مكان وفي أى وقت . . من أجل أن يستمعوا الى مافي عقول صغارهم . . عندئذ يمكنك الحصول على ماتريد دون رد فعل شئ من ناحيتهم أو محاولة للخروج من حصار الأسئلة . . ربما بكذبة أو انكار تام . .

ابنتي « شيرلى » على أبواب المراهقة . . أعرف أنها في حاجة الى والدتها الآن أكثر من أى وقت مضى . . ولكنني أحاول بكل ما أستطيع تجنيبها مشاكل هذه الفترة . . لقد عكفت على قراءة الكتب التي تؤدى الغرض . . « لتنزع من قاموسك نهائيا هذه الكلمات . . . . » لايمكنك أن تخرجى ياابنتي بهذا المنظر . . أو ماهو نوع الوقت الذى سيقضيه الولد خارج المنزل ؟ . . لماذا أنت كسول هكذا ؟ . .

إن كل هذه الأسئلة يطلق عليها علماء النفس في العالم اسئلة « مغلقة » . . بمعنى أنها تغلق الطريق أمام أى تفاهم بينك وبين صغيرك . . حتى لو استنفدت كل طاقتك ولم يعد عندك المزيد من الوقت أو الجهد أو الراحة النفسية المطلوبة لحسن معاملتهم . . ولك أن تضع نفسك مكانهم أو اذا فعل بك رئيسك في العمل مثلما تفعل أنت بهم . . لاشك أنك ستغضب . . وأكثر من ذلك وهو المهم . . سوف تتردد ألف مرة قبل أن تلجأ اليه في أى مشكلة . . اذن لماذا تنكر على صغارك هذا الحق ؟ . . انهم لايختلفون بالمرة . . ويمكنك أن تلقي الاسئلة على أولادك بصورة أخرى . . مثلا هذا اللون رائع . . هل هو الموضة الآن ؟ . . أو أنا قلق عليك فلا تتأخر كثيرا . . قل لى أين ستقضي الوقت حتى اطمئن فقط ؟ . . أويبدو أنك مشغول ومتعجل . . هل يمكنني أن أساعدك ؟ . . إن المعنى بلا شك واحد . . ولكن طريقة التوصيل مختلفة . . ويمكن القياس على ذلك

في أى شيء تطلبه من أولادك . . ثم بعد ذلك لابد وأن نجعل من أنفسنا أذنا صاغية دائما . . وصديقا كل الوقت لهم . .

إن هذه الطريقة أفضل كثيرا من مهاجمتهم . لأن الهجوم كما نعرف جميعا يحتاج الى دفاع . . حتى لو كان مع فلذات أكبادنا . . والأطفال جميعا . . عندما يصلون الى سن المراهقة يميلون عادة الى الرومانسية . . وهم في حاجة الى الالمام بكل أنواع المعلومات بطريقة علمية واضحة . في حاجة أيضا الى نصائحك . . ولكن ليس على شكل خطب منبرية . . أعطها النصيحة في برشامة واحدة لا في زجاجة دواء كاملة . . وتأكد . . وليتأكد كل الآباء أن الابن أو الابنة عندما يتلقون النصيحة . . ربما لا يأخذون بها . . وهذا يحدث غالبا . . وقد تشعر باليأس والبؤس . . ونفاذ الصبر . . عندما ترى أولادك وهم يرتكبون نفس الخطأ أكثر من مرة رغم أنك قدمت النصيحة أكثر من مرة أيضا . . ولكن ثق بأنهم



هل يستطيع أن يعوضه حنان الأمومة ؟ .. هل يستطيع أن يستمر في المهمات التي لا تتقنها إلا المرأة ؟ !

سيعبرون أزماتهم بأفكار جديدة وسلوك صحيح .. تماما كما يفعلون مع الموضات .. انهم يجربونها ثم يتركونها لحالها .. ومع الثقة التي تمنحها لهم والابتسامة الدائمة على وجهك تجعلهم يقتفون أثر خطواتك في النهاية وهو المطلوب .

هل هناك حل ؟

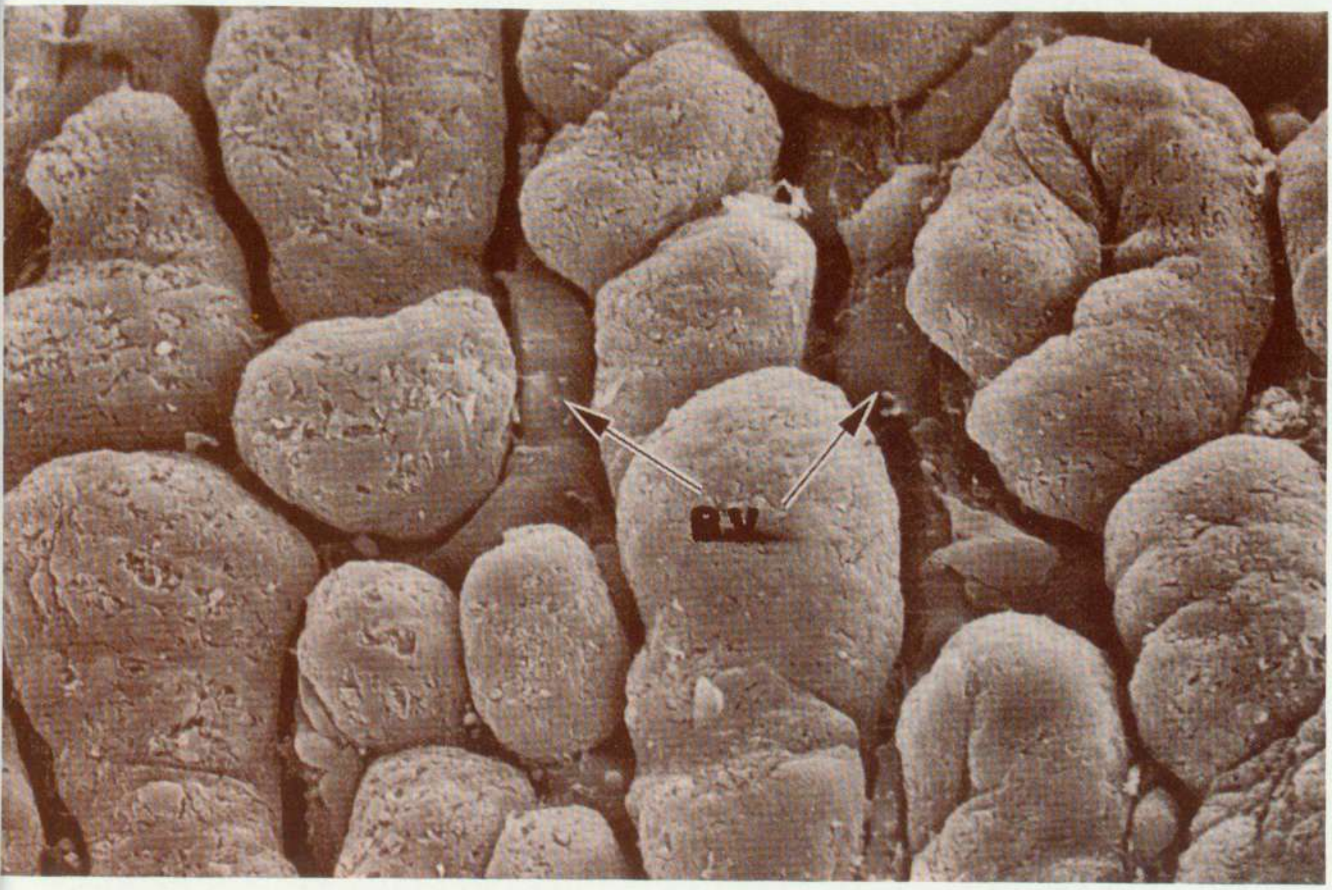
إن نجاح « ريتشارد » في العناية بأطفاله .. تحقق على حساب حياته هو .. الى جانب أنه ليس النموذج الأمثل للآباء الوحيدين في العالم . الذين يتجرعون عبء تربية صغارهم وحدهم .. ولقد أوضحت أبحاث الأسرة التي أجريت حول الطلاق في أمريكا .. مثلا .. أن الآباء الوحيدين الذين يمارسون أعمالهم العادية بجوار العناية بأطفالهم بعد الطلاق .. يعيشون حياة أكثر استقرارا من الناحية العاطفية والانفعالية .. كما يكتسبون ثقة وتلاؤما مع كل شئ .. والأب الوحيد « دان دين » أفضل نموذج لذلك .. فهو قد استمر في عمله .. كما يواظب على حضور اجتماعات مجموعة الآباء الوحيدين بانتظام .. ولا بد وأن يفعل « ريتشارد باجت »نفس الشئ حتى تصبح حياته أكثر اشراقا .. بتحقيق الاتصال الضروري لاستمرار القناعة النفسية .. وأيضا باقامة صداقات مع أناس يقتسمون معه الخبرة والأخطاء ..

وثالثا لتحقيق الاستفادة الكاملة من مشروعات الجمعية .. من أجل صالح الأطفال بعد اليوم المدرسي وفي الأجازات .. لأن هذه المشروعات فوق أنها تتيح للأب الوحيد فرصة التحرك بحرية .. فهى تحقق الأمن الذى يحتاج اليه أطفال الآباء الوحيدين .. فهى تساعد على تنمية مواهبهم واكتشاف قدراتهم الابتكارية مبكرا .. كما أنها تحقق المشاركة وتخفف من حدة المشاكل التي قد يتعرضون لها خلال ممارستهم لمختلف الخبرات .

وفي بعض المناطق تشترك بعض المدارس ودور الحضانة في حل مشاكل هؤلاء الآباء .. فتحصر عدد الآباء الوحيدين وتدعوهم لتنظيم أوقاتهم بحيث يقوم كل منهم برعاية صغاره مع صغار الآباء الآخرين بعد اليوم المدراسي .. وتتم هذه الرعاية عادة بالتناوب بينهم جميعا .. بحيث يتمكن كل أب من أن يكون حرا باقي الاسبوع .. وفي نفس الوقت تتيح للأطفال فرصة التعرف على من هم في مثل أعمارهم .. كيف يعيشون .. ويكونون صداقات فيما بينهم .. من المؤكد أن هذه الصداقات ستحقق لهم السعادة لأن الظروف متقاربة بشكل عام ..

إن هذه الظاهرة تجرنا في النهاية الى ضرورة الاهتمام بتعليم الصبي بعض الأمور المنزليةضمن مواد الدراسة حتى تتاح له ــ على الأقل ــ فرصة العناية بنفسه أولا .. ومن يحتاجون اليه ثانيا ...

نادية يوسف



المادة المطابقة لجزىء البيتا إندرفين « انسيفلين » الذى يؤدى لعدم الاحساس بالألم

هل الفنون جنون ؟

فن التصوير يكشف عن علاج جديد لأمراض العقل !

بقلم : الدكتور نبيل سليم

إن الاضطرابات العقلية لا تفرق بين شخص وآخر فهي تصيب الغني والفقير . الأذكياء والأغبياء ، بل وحتى أصحاب المواهب . . والعباقرة . وأسباب الجنون أو الانهيار العصبي تنبع دائما من إحساس الشخص بالوحدة وسط عالم مليئ بالبشر وبتعقيدات الحياة أو الشعور بالإضطهاد ، واليأس المفاجئ ، وغالبا ما تفترس هذه الأفكار ذا الاحساس المرهف القلق . .

ولكن هل نحن على وشك تحقيق النجاح التام في علاج الاضطرابات العقلية ؟ . لقد ثار هذا التساؤل بعد اكتشاف الأندروفين ، هذا العقار الذي يعد نوعا من المورفين الطبيعي الذي تفرزه بعض المراكز في المخ ، وتمثل الأندروفينات الأمل المرتقب والعلاج الفعال لبعض الامراض أو الاضطرابات العقلية أي «عدم التوازن العقلي» ، ولذلك فإن الأبحاث التي قام بها الطبيب الفنان الفرنسي الدكتور «روجر كيلمن» في هذا المجال أهلته للفوز بجائزة نوبل .

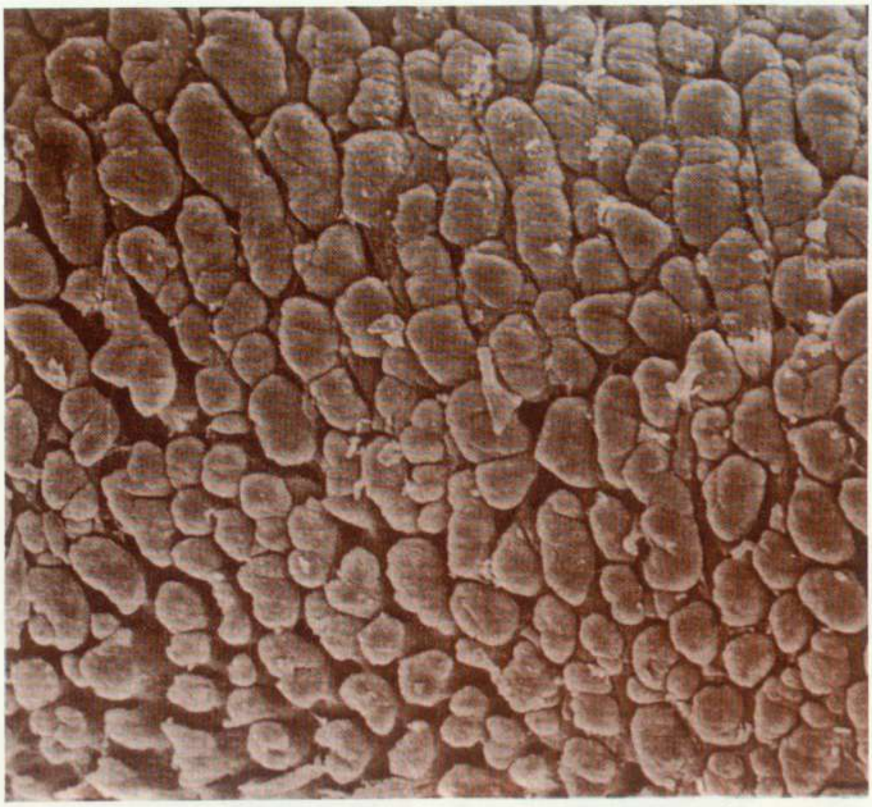
وكان مدخل وسرّ اهتمام هذا الطبيب الفنان ومجموعة العلماء الباحثين هو علاقاتهم ودراساتهم لأعمال الفنانين العالميين أمثال «جويا» ، و«واين» وما اعترى حالاتهم النفسية من اضطرابات رغم تأثيرهم الكبير والقوي في تاريخ فن التصوير بالألوان وبريشتهم السحرية .

ففي الصور التي رسموها ، نجدها وان كانت تحفاً فنية تحتفظ بها المتاحف الكبرى إلا أنها تعبر عن المرحلة التي مر بها هؤلاء الفنانون .

فمثلا نجد في المقال لوحة للفنان الاسباني «جويا» وهي آخر ما رسمه الفنان الكبير ،وقد صور فيها عددا من الغربان الذين يهبطون على حقل بعثرت أوراقه الرياح . ويفسر أطباء النفس هذا التصوير على أنه دليل على حالة من الحزن واليأس الذي أصابه إلى جانب الاحساس بالثورة والغضب ومحاولة التخلص منها .

ومثال آخر للفنان الرسام «لوي واين» الذي كان يعيش في وحدة تامة بعيدا عن الناس رغم نجاحه الفني مع قططه السبع عشرة الذي كان يعشقهن اكثر من جنسه .

وقد رسم (واين) سلسلة من التحف الفنية التعبيرية لحيوانه المفضل «القط» وهي في نفس الوقت التفسير الحقيقي لما أصابه من حالة نفسية أثناء مرضه «بالشيزوفرينيا» والتي كان سببها كما قال علماء النفس : الوحدة والانطواء الشديدين اللذين كان يعشقهما ..



صدق أو لا تصدق : الجرام الواحد من «الأندروفينات» يساوي ٣٠٠ ألف دولار !

وكانت هذه هي الخطوة الأولى في سبيل البحث عن علاج لهذه الأمراض التي شخصتها تلك الفنون والتي توجت بعد ذلك بالاكتشاف الجديد .

أمل مرتقب

«من الذي أسكت الأصوات» . . لقد كانت هذه الكلمات صيحة مريض «بالشيزوفيرينيا» أو انفصام الشخصية التي تتميز بتفكك العوامل النفسية لدى المريض — عندما عولج بهرمون الأندروفين ، وأحرزالعلاج نجاحا باهراً لم يكن في الأمكان تحقيقه باستعمال الأدوية الأخرى التي تستعمل في مثل هذه الحالة .

وكانت هذه أولى النتائج التي حققتها التجارب الأولية التي أجراها الباحثون على الإنسان لاكتشاف فعالية مجموعة من المواد الطبيعية التي تتشابه في تركيبها مع المورفين وهي ما تسمى بالأندروفينات . ويعتقد هؤلاء الباحثون وهم من أشهر العلماء في الولايات المتحدة ، أنهم أصبحوا قاب قوسين أو أدني من تحقيق اكتشاف خطير سوف يحدث تغييرا جذريا في الآراء المعروفة عن كيمياء الأعصاب . بفضل «الاندروفينات» .

والأندروفينات ما هي إلا أحد أنواع الببتيد أي الهرمونات أو الإفرازات التي تفرزها الغدة النخامية . وأبرز مراكز تجمعه في اللوزتين وفي الجهاز الليمفاوي حيث يان على مجموعة كبيرة من الخلايا التي تفرز الأندروفينات . ولم يعد هناك ثمة شك في أن الألم والمتعة والإنفعال ، وكثيرا من الأمراض العقلية لها اتصال بعمل الأندروفينات التي اكتشفت منذ إثني عشر عاما ، بل إن الشخصية ذاتها قد تكون نتاجا لتلك المواد الطبيعية ، وعلى ذلك فإن القدرة على تحمل الألم العظيم قد تكون نتيجة لزيادة كمية الأندروفينات عما هي موجودة في الشخص العادي ، وفي المقابل فإن الميل إلى إدمان السموم وكذلك التسمم الكحولي قد يكون مرجعه الى انخفاض في كمية الأندروفينات عما هي عليه في الأشخاص العاديين .

ويتوقع العالم الدكتور S. Kline مدير معهد أبحاث روكلاند بنيو يورك ، وواحد من اشهر الأطباء النفسانيين ، أن يأتي اليوم الذى يمكن فيه التحكم في هرمونات المخ ، ومعرفة الخلل فيه ومعالجته بهرمونات صناعية مناسبة .

تصنيع الأندروفينات

ومنذ عام تم اكتشاف عائلة بأكملها من تلك المادة سميت ب «الإندروفينات» أو المورفين الداخلي . كما أمكن تركيبها خارج جسم الإنسان



لوحة الغربان : أحد أعمال الفنان الأسباني « جويا » التي فسرها علماء النفس على أنها دليل على حالة من الحزن واليأس بالإحساس والثورة ومحاولة التخلص منها .



ثلاث لوحات للفنان « واين » عبر فيها عن حالة الرعب والقلق والعصبية التي أصابته والتي جعلته يصور لنا القط وكأنه شبح أو مخلوق لا يمكن مقاومة عينيه . بينما جعل الرعب يمثل الشيطان الذي صوره في شكل هندسي وبألوان مثيرة

ولكن بتكاليف باهظة جداً . حيث أن الجرام الواحد يتكلف ٣٠٠,٠٠٠ (ثلاث مائة ألف) دولار ! !

ولقد بدأت هذه الإكتشافات في عام ١٩٦٥ على يد الكيميائي الدكتور « هيلي » من جامعة كالفورنيا بسان فرانسيسكو واطلق عليها اسم بيتا أندروفين . ولكنه أي الدكتور « هيلي » لم يتمكن حتي الآن من رؤيةأي تطبيق لاكتشافه . وان كان قد حدد أن تلك المادة قد تكونت من الغدة النخامية وهي التي تلعب دور « المايسترو » أو الوسيط بين النظام الغددي الداخلي .

ومنذ عامين تمكن الدكتور « سولمان سيندر » الأمريكي والدكتور « هانز كوسترليت » الاسكتلندي – كل على حدة – من ابتكار مادة فعالة أكثر صغراً . تتكون من خمسة أحماض أمينية فقط . في المخ البشري . هذا الجُزَيْ الصغير الذي لم يكن من « البيتا أندروفين » كانت له أيضا بعض خواص المورفين . وقد أطلق عليها اسم انسيفلين . وهو يؤدي بدوره إلى عدم الإحساس بالألم . وكما هي العادة فإن الصدفة تلعب دوراً هاماً في الاكتشافات الخطيرة . ذلك أن باحثاً عربياً عراقياً كان يتمرن في معمل الدكتور « هيلي » . وهو بحكم نشأته وبيئته يعلم أن الابل مشهود لها بقوة تحملها للألم أكثر من بقية الحيوانات الأخرى . ولذا فقد تساءل عما إذا كانت الجمال تنتج كميات أوفر من المواد المسكنة للألم ؟ . . لقد كانت هذه الفكرة صحيحة تماماً فقد استورد الدكتور « هيلي » الغدد النخامية من ٥٠٠ جمل . وتمكن من استخراج مادة مطابقة لجُزَئ من ذرة « بيتا أندروفين » التي كان قد اكتشفها منذ عشرة أعوام . وقدم لبعض اطباء الأمراض النفسية والعصبية ١٦٠ مج من « البيتا اندروفين » لإجراء

تجارب عليها . وكان الدكتور « كيلن » أول من قام بتجربة هذه المادة على المصابين بأمراض عقلية وشاركه زميله الدكتور « هانز لهان » فاختار ستة مرضى لم تكن حالتهم قد تحسنت بالرغم من علاجهم بالمستحضرات الطبية المعروفة في علاج المرض العقلي ، وأعطى لكل منهم ٥.١ مج من المادة . وكانت نتيجة هذا العلاج مشجعة للغاية ، إذ أن أحد هؤلاء المرضى كان يشكو من حالة اكتئاب مزمنة ، فتحسن مزاجه سريعاً . والمريض الثاني البالغ من العمر ٣٤ عاماً كان مصاباً بحالة إنفصام مزمن في الشخصية ، ويشرح حالته النفسية بنفسه قائلاً « منذ عدة سنوات وأنا جالس على الكرسي ، أدخن واستمع الى الراديو دون أن أسمع كلام الأغنيات حتى كدت أصاب بالجنون ، وأمس فقط أستطعت ولأول مرة أن أسمعها فكدت أبكي من السعادة » .

وثلاثة من المرضى الآخرين المصابين بانفصام في الشخصية أحسوا بنوع من الغبطه تراوحت مدتها بين عدة ساعات وبضعة أيام والملاحظ أن اثنين من هؤلاء الثلاثة قد استمروا في تعاطي المهدئات المخالفة للوصفة التي تقررت ، ووجدا أن مفعول الاندروفينات بالنسبة لها قد زال بعد يومين من حقنها ، أما الثالث الذي نفذ الوصفة بدقة وامتنع عن تناول أي عقار منذ بداية التجربة معه فقد استمرت حالته في التحسن التدريجي ، أما المريض السادس فلم يحقق علاجه أي تقدم .

إذن فإن هذه التجربة ، وكذلك التجارب الأخرى التي قام بها أطباء اخرون على المرضى بانفصام الشخصية لم تكلل جميعها بالنجاح التام ، فما زلنا على أعتاب فتح جديد في مجال الكيمياء العقلية .

إجراء تجارب على الانسان

وأخيراً فإن الدكتور « لاسكي » من نيويورك قام باجراء التجربة على نفسه فتناول على دفعتين جرعة ٩٠ ملج من مادة البيتا أندروفين وكان يتوقع أن يحدث له شعور بالغبطة كذلك الذي لاحظه على مرضاه . . إنه يصف إحساسه قائلاً « كان كاحساس من يسبح في الفضاء علاوة على تمتعي بمزاج سعيد وعدم مبالاة . . » ويضيف قائلاً : « لم يكن شعوراً بالضيق . . انه يشبه الإحساس بعد نوم عميق » .

وفي إحدى التجارب حقن الدكتور « لاسكي » نفسه بمادة مخدرة مضادة ولكنها مع ذلك لم تقض على مفعول البيتا اندروفين إلا بعد ساعات من تناوله لها ، كما أحدثت تغييراً مفاجئاً في حالته الذهنية ، وكما يقول « كما لو كنت قد أدرت محولاً كهربائياً » .

ويقول الدكتور « كلين » أن تلك التجارب يجب أن تجرى على الانسان دون الحيوان لأن الحيوانات لا تشكو من انفصام في الشخصية أو من انهيار نفسي ، وهذا لن يحول في المستقبل - عندما يكون في إمكاننا الحصول على كمية أكبر من الأندروفينات - من اجراء تجاربنا على الحيوان لدراسة آثارها عبر الجسم ، وفي معرفة مدى تأثيرها على بقية الأعضاء .

وبصفة عامة فإن التجارب الأولية قد أثبتت حتى الآن أن تلك المواد لا تمثل أية خطورة على المريض اذا ما تناولها ، وليس ثمة أدنى مجال للشك في تأثيرها الفعال على الذهن وعلى السلوك ، فضلاً عما لتلك الأندروفينات من ميزة يجب أن تؤخذ في الاعتبار ، وهي أنها وبمقارنتها بالأدوية النفسية الأخرى ، عبارة عن مادة طبيعية يفرزها الجسم ، ومن المأمول ألا تكون لها أية آثار جانبية كما هو الحال بالنسبة للأدوية الأخرى التي تعطى للمصابين بأمراض عقلية .

ويؤكد الدكتور « كلين » أنه ليس من المستبعد أن نتمكن من تحديد الجرعة التي قد تؤدي بالتالي الى القضاء على الأسباب المباشرة للمرض العقلي وان كان الكثير من الباحثين يرون أننا ما زلنا بعيدين عن ذلك .

ولقد نجحت مجموعة من الباحثين ذوي الشهرة العالمية تابعة لمعهد « سالك » بكاليفورنيا باشراف الدكتور « روجر كلمان » السالف الاشارة اليه في صدر هذا المقال من عمل تركيبة لثلاثة أنواع من الأندروفينات يتم بنجاح استخدامها تحت التخدير بالأبر الصينية ، اذ أن الأبر تحث الخلايا العصبية على افراز الأندروفينات التي يكون لها مفعول مخدر شبيه بمفعول الأفيون ، ومن المعتقد أن هذه الأندروفينات تنتج عن نشاط كهربي مكثف للمخ .

والخلاصة أن الأمل يحدونا الى أن يتحقق خلاص البشرية بفضل هذا الاكتشاف ، من المرض العقلي أو على الأقل التخفيف من آثار المرض الذي يهدر انسانية المريض مادياً وأدبياً .

الخبز وعلاقته بالجنون

ومن ناحية أخرى فان البحث مستمر ، والعلم يتقدم ، وما تزال المناقشات جارية لمعرفة أسباب « انفصام الشخصية » والتفسير الوحيد الذي يبدو مقبولاً هو أنه يحدث نتيجة لمركب كيميائي حيوي ، فقد تم حقن حيوانات التجارب وايضاً العنكبوت ببول مرضى انفصام الشخصية فأحدث هذا الحقن تصرفات شاذة لتلك الحيوانات .

ولقد قامت مجلة « اللانسيت » الطبية البريطانية بدراسة مفيدة في هذا الخصوص وخلصت الى أنه قد تكون هناك علاقة بين « الشيزوفيرينيا » وعدم تحمل ال « جلوتين » وهو غذاء نباتي عبارة عن راسب بروتيني يتم الحصول عليه من الدقيق بعد استبعاد السكريات ، حيث اننا نجد في هذا الراسب البروتيني مادة الجلايدين ، وهي مادة بروتينية ما زال أثرها مشكوكاً فيه ، اذ أنها تحدث عند بعض الأشخاص اضطرابات معوية ! !

ومما يزيد من أمر الشك في أثرها ، أننا نجد أحياناً اضطرابات نفسية لدى الأشخاص الذين يشكون من عدم التقبل المعوي لمادة الجلوتين ، وقيام علاقة كبيرة بينها وبين انفصام الشخصية ! !

والأكثر غرابة من ذلك أنه قد تحقق تحسن سريع لدى مرضى انفصام الشخصية بعد اخضاعهم لنظام غذائي خال من الدقيق ، ولقد تمادى بعض الباحثين مثل العالمين « كاي » وسنج » الى حد اتهامهم للجلوتين باحداث مرض انفصام الشخصية .

هذا وقد حدث خلال الحرب العالمية الثانية ، أن لاحظ الطبيب اليوناني « اناستوسوبولوس » أن الاقلال من تناول منتجات الحبوب (الدقيق) كان له تأثير مفيد على المصابين بالأمراض العقلية .

والعامل المرجح والمؤيد لهذا الافتراض ، أن المصابين بانفصام الشخصية الذين يخضعون لنظام غذائي مكون من الجلوتين اصيبوا باضطرابات أكثر وضوحاً ، وقد قلت هذه الاضطرابات بمجرد خضوعهم لنظام غذائي خال من دقيق الحبوب ! !

فهل يمكن الادعاء بأن الخبز يدفع الانسان الى الجنون ؟ . .

والرد على هذا السؤال أن السواد الاعظم من شعوب العالم تعتمد أساساً في غذائها على الخبز ! !

وفي نفس المضمار أعلن في لندن أن الأطباء بالمستشفى الملكي هناك ، توصلوا الى أن الدواء الجديد « فروي رونولول » الذي يستعمل لعلاج امراض القلب ثبت نجاحه لعلاج مرض انفصام الشخصية .

وأضاف الأطباء الذين جربوا الدواء أن ستة من المرضى شفوا نهائياً وطرأ تحسن ملحوظ على صحة المريض السابع وتحسنت حالة الآخرين - وكانوا اثنين - الى درجة معتدلة ، ولم يستجب لهذا العلاج سوى مريض واحد من عشرة مرضى أجريت عليهم التجربة .

وذكر الدكتور « ماكلوم ترافيلد » أن استعمال الدواء المخصص لعلاج انفصام الشخصية فشل في معالجة الحالات المتقدمة من المرض ، في حين أن دواء القلب نجح في علاجها ، وأن الدواء الجديد ليس له أية مضاعفات جانبية على الدورة الدموية أو الجهاز العصبي ، وقد بدء في استخدامه على نطاق واسع في مستشفيات الأمراض النفسية والعصبية .

نبيل سليم علي

حول كتاب : د. كافود

النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي

الحلقة الثانية

بقلم : عبدالرزاق البصير



غلاف كتاب النقد الأدبي الحديث في الخليج العربي

ان أول ما ألاحظه على الدكتور كافود قوله : « وكان رأس الخارجين على عمود الشعر العربي وزعيمهم مسلم بن الوليد ، وإبا تمام وغيرهما ، وكان أبو نواس يدعو صراحة الى عدم الاقتداء بالقدماء ويحاول أن يختط لنفسه مذهبا جديدا في مطلع القصيدة العربية » .

والذى اعرفه ويعرفه كل من قرأ شعر أبي نواس ومسلم بن الوليد وأبي تمام انهم لم يخرجوا على عمود الشعر ، وانما خرجوا على مضمونه ، وهذا هو رأى الأستاذ عبدالله زكريا الأنصارى الذى انتقده المؤلف ، وحتى ثورة المازني والعقاد في كتاب الديوان المشهور لا تخرج عن هذا الاطار ، فمن المعروف ان العقاد لا يعترف مطلقا بالشعر الحديث حتى انه كان اذا عرض عليه اى ديوان من الشعر الحديث يوم ان كان في مجلس الفنون والآداب كان يطلب ان يعرض على لجنة النثر !

ولست أشك ان ذلك لايخفى على المؤلف لأن هذه القضية مشهورة بين الأدباء ، لهذا استغربت عندما وجدته يستشهد على رأيه الداعي الى اصطناع الشعر الحديث شكلا ومضمونا بفقرة من العقاد ، رحمه الله ، والتي يقول فيها : « ان المعاني والخواطر ليست هي وحدها الغاية من الشعر ، وليس الجديد أن نقتحم المعاني ونتعسف الخواطر ، لأن المعاني والخواطر أدوات الشاعر ووسائله وليست بغاياته وقصارى مقاصده » .

وخلاصة القول ، ان كثيرا من الشعراء المحدثين الموهوبين يعبرون عما يدور في نفوسهم بلون القديم ، وهو مايسمى بالشعر العمودى ، والشعرالحديث ، واذا ماسألتهم عن ذلك قالوا بأن القضية التي يعالجها الشاعر هي التي تفرض عليه ما يلائمها من القوالب ، وهذه حالة قد لا يتصورها الا الشاعر .

ويجدر بي أن أورد بعض الأبيات العمودية لشعراء مطبوعين عرفوا بالتعبير عن أنفسهم بالشعر الحديث أذكر منهم الشاعر المعروف « أحمد مشارى العدواني » ، وهو شاعر لا يختلف اثنان في موهبته الشعرية ، يقول في قصيدة بعنوان « تأملات ذاتية » :

أيامنا تموت . .
كالحشرات في خيوط العنكبوت
أيامنا تموت ،
تنحل في بالوعة الزمن
وظل « خضراء الدمن :
المرأة الحسناء في المنبت السوء »
لها وطن .

ويقول في قصيدة أخرى عنوانها « سأم » :

دعيني أكتم الحزنا
وأطوى الويل والوهنا
سئمت العيش والدنيا
وعفت الأهل والوطنا
وراق لي الردى كاسا
وجوف القبر لي سكنا
دعيني تحت أوقارى
جريحا يحمل الكفنا

وما أظن ناقدا يستطيع أن يقول بأن الأستاذ العدواني لم يكن موفقا في أى قطعة من هاتين القطعتين ، اذ انه استطاع أن يصور فيهما ، العمودية والحديثة ، ما يشعر به كل فرد من حزن وأسى خلقته هذه الأيام البائسة التي تمرّ بهذه الأمة ، وتستطيع أن ترى مثل ذلك عن الشاعر على السبتي والأستاذ خالد سعود الزيد والدكتور خليفة الوقيان والدكتور غازى القصيبي .

وأجد أني أكمل الصورة ان أنا أشرت الى بعض ما جاء في تلك القصيدة البائية الشهيرة التي نفث بها القصيبي والتي أحدثت أثرا كبيرا في أوساط المثقفين وهي من الشعر العمودى الذى يرفضه المؤلف ، وقد جاء فيها :

بيني وبينك ألف واش ينعب
فعلام أسهب في الغناء وأطنب
صوتي يضيع ولا تحس برجعه
ولقد عهدتك حين أنشد تطرب
وأراك مابين الجموع ولا أرى
تلك البشاشة في الملامح تعشب
وتمر عينك بي وتهرع مثلما
عبر الغريب مروعا يتوثب

والقصيدة كلها تجرى على هذا النسق القوى ، وشاعرنا هذا هو صاحب ديوان « معركة بلا راية » ، وغيره من الدواوين ، وكلها اتخذت الشعر الحديث طريقة للافصاح عما في نفس الشاعر .

اذن ، فانني محق حين أقول بأن أستاذنا الدكتور كافود قد اشتط في رفضه كلية للشعر العمودى . . حيث يقول : « فقد يكون المضمون أو الافكار معاصرة ولكن لفّها واخراجها بأثواب قديمة هو الذى يفقدها رونقها وروعتها ويزهد القراء فيها ، فالتجديد في المعاني يحتم التجديد في الصور والأوصاف » . فهل من المؤكد أن القراء يزهدون في القصيدة العمودية التي تعالج قضايانا المعاصرة لأنها عمودية ؟ . ذلك أمر أشك فيه كل الشك .

الجماهير والأدباء المعبرون عن آدابهم :

فهل يستطيع أحد أن يزهد في هذه القطعة التي يصور فيها الشاعر أحمد مطر حقيقة ما نحن فيه بهذه الأسئلة الاستنكارية ، فيقول :

ليس لي في الدرب سفّاح
ولا في البيت مأتم
ودمي غير مباح
وفمي غير مكمم

الى آخر ما جاء في تلك القطعة الرائعة .

أعتقد أن كل من يقف على هذه القطعة لا يستطيع الا أن يعجب بناظمها ويشكره لأنه عبّر عن بعض ما يجول في نفسه ، فالقضية ابداع فني يهز أوتار القلوب ، فان كان ناظمها مالكا لها ، فان قراءه يرغبون فيها ويعجبون بها . وان كان ناظمها متكلفا في ممارساته لفنه فان قراءه يزهدون في آثاره . وقد تحدث النقاد عن القدرة الفنية أحاديث مستفيضة منذ عدة عصور حتى عصرنا الحاضر ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحددوها تحديدا جليا في أطر وقواعد معينة . وعلى كل حال ، فان الحديث عن هذة القضية متشعب ألـّفت فيه كتب كثيرة مما يجعل الحديث عنه غير ممكن في هذا المجال .

وبعد أن ينتهي الأستاذ المؤلف من ابداء رأيه في التقليد والتجديد ، يدعوه بحثه الى الحديث عن شعر المناسبات . والحق أن المؤلف أبدى في هذه القضية رأيا جريئا ، حيث أوضح « أن النظم التقليدية في المجتمع الخليجي كان لها أثرها في شيوع شعر المديح وانتشاره ، وان النظام القبلي ــ كان يتمثل عند بعض الشعراء ــ ان الحاكم فيه هو صاحب النعمة التي يغدقها على من يشاء » .

كل ما أستطيع أن أعقبه على هذا الفصل الممتع هو أن نتذكر جميعا أن عمر نهضة خليجنا العربي قصير ، ولها مقتضياتها ، وما حدث من شعر الشعراء ونقد النقاد لا بد وان يحدث لمثل هذه اليقظة المتأخرة .

من الدواعي التي تدفع الشعراء ، كذلك ماأصدره النقاد من آراء حول الشعر ، أما من حيث الشكل ويتمثل فيما قيل فيه من حيث الغموض والوضوح فانها آراء ما زلت أعتقد بصحتها ، ويكفي أن نتأمل في الأسباب التي أوصلت الجواهرى الى هذه المكانة المرموقة عند النقاد وفي نفوس الجماهير ، حتى أن بعضهم دعاه بمتنبي هذا العصر ، ولست أرى ذلك الذى قارن الجواهرى بالمتنبي مجانبا للصواب ، ولو أردنا أن نفصل القول في ذلك لطال بنا المقام ، وانما اريد أن أشير الى أن الجماهير لم تقبل على آثار الجواهرى الا لأنه قد عبّر عن آلامها ومطامحها ، ويخيل اليّ أن المؤلف يرى بأن الفن يقصد لذاته ، ويتضح ذلك من قوله : ولذا فنحن مع الناقد فيما



الدكتور غازى القصيبي



ابراهيم المازني



عباس محمود العقاد

ذهب اليه من إبعاده للشعر والفن عموما اذا لم يحمل بين طياته مافيه منفعة الجماهير وتحقيق مصالحها الحيوية . لكن المسألة تتوقف عن كيفية تعبير الشاعر عن منفعة الجماهير ومصلحتها ، فاذا كان الشاعر موهوبا ، فانه يكون قادرا على أن يخرج تلك المنفعة بصورة فنية رفيعة ، ودواوين الجواهرى كلها شاهدة على ما نذهب اليه ، ولنأخذ قوله من هذه القصيدة البائية :

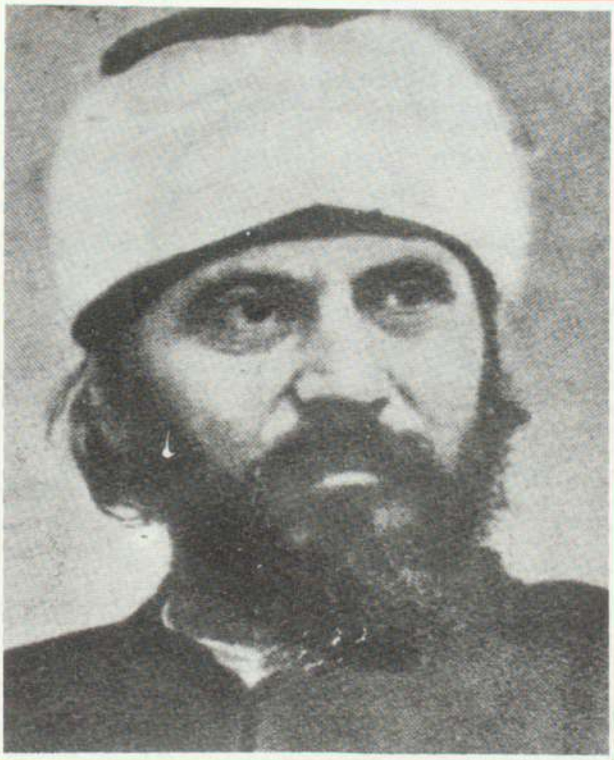
اطـبق على متبـلدين
شـكا على خمولهـم الذباب
لم يعرفـوا لون السـماء
لفرط ما انحنـت الرقـاب
ولفرط ما ديسـت رؤوسـهم
كمـا ديـس الـتراب
اطـبق على المعـزى يراد
بها على الجـوع احتـلاب

لهذا ، لا نستغرب من انثيال الجماهير بصورة قوية حين تعرف أن لسانها الجواهرى سيحيي أمسية شعرية ، حتى أنه لو وقف في أى شارع من شوارع أى مدينة عربية وألقى قصيدة لاحتشدت الجماهير واندفعت كالموج المتلاطم تنادى بسقوط الطغاة ، فقضية الفن للفن قضية تجاوزها الزمن ، ويقال مثل ذلك في حق كل أديب ، ناثرا كان أو شاعرا ، لأن الناس تلتصق بالفرد الذى يرفع صوته عاليا ليعكس ما تشعر به جماهيرنا المقهورة ، وذلك حين يكون الاديب واضح التعبير مشرق الأسلوب .

وعلى كل حال ، فان دراسة أستاذنا الدكتور كافود قد شملت مواقف النقاد في منطقة الخليج العربي حول القصة والمسرحية والشعر المسرحي مستمرا في مناقشة ما أبداه النقاد والأدباء من أفكار وآراء ، شأنه في ذلك كشأنه في مناقشة آراء النقاد حول الشعر شكلا ومضمونا .

وصفوة القول ان هذا الكتاب بجملته يوضح أن المؤلف قد بذل جهو ادا مضنية في تأليف هذا الكتاب ، حيث انه قرأكل ما صدر عن كتاب منطقة الخليج من أحكام أدبية وناقشها مناقشة موضوعية تجعل كتابه هذا مرجعا للباحثين ، كما ذكرت قبل قليل ، على أنني في هذا الحديث لم أشر الا الى لمحات قصيرة من هذه الدراسة القيمة على الرغم من أنني أسهبت في الكلام لأنني وجدت من واجبي أن أجرى ما أجريت من حوار . فعساني وفقت لما قصدت اليه .

عــــلي شـــــلش



جمال الدين الافغاني

من أوراق الأفغـــــاني

ثلاث وثائق خطيرة عن عصر إسماعيل وتوفيق

كشفت أوراق جمال الدين الأفغاني التي نشرتها جامعة طهران عام ١٩٦٣ عن الكثير من الحقائق عن حياة الرجل وأعماله . وألقت هذه الأوراق الكثير — أيضا — من الأضواء على عصر الأفغاني وأعلامه .

وقد اخترنا من هذه الأوراق ثلاثا على جانب كبير من الأهمية والخطورة ، مصورة في أصلها العربي ضمن المصورات العديدة التي ضمها مجلد الأوراق والوثائق . وننقلها هنا بنصها مع التحقيق اللازم .

أولى هذه الأوراق مسودة رسالة كتبها الأفغاني وهو قادم من الهند في طريقه إلى أوربا بعد نفيه من مصر . وكان قد نفي عام ١٨٧٩ وعاش في الهند نحو ثلاث سنوات حتى تمكن الانجليز من إخماد ثورة عرابي عام ١٨٨٢ ، فاختار السفر إلى أوربا حيث أصدر من هناك صحيفته المعروفة « العروة الوثقى » . وقد كتب هذه الرسالة إلى مصطفى رياض باشا (١٨٣٤ — ١٩١١) رئيس الوزراء بمصر في تلك الفترة ، وكان يعد ولي نعمة الأفغاني بمصر وصاحب دعوة إقامته بها بعد طرده من تركيا عام ١٨٧١ .

وثانية هذه الأوراق رسالة مطولة كتبها ابراهيم اللقاني ، أحد تلاميذ الأفغاني بمصر ، من بيروت بعد نفيه مع الشيخ محمد عبده على أثر فشل الثورة العرابية . وفيها صور لأستاذه أحوال مصر بعد طرده منها .

والورقة الأخيرة مسودة مذكرة كتبها ابراهيم المويلحي للسلطان عبد الحميد . وكان المويلحي سكرتيرا للخديوي اسماعيل وصحفيا ، اضطر لمغادرة مصر على أثر تنازل اسماعيل عن حكم مصر لابنه توفيق عام ١٨٧٩ . وكان المويلحي من المقربين إلى الأفغاني أثناء فترة إقامته بفرنسا واصداره صحيفة « العروة الوثقى » .

تكمن أهمية هذه الأوراق الثلاث وخطورتها فيما تكشف عنه من حقائق وما تلقيه من أضواء تتعلق بتاريخ مصر الحديث وما حدث في أواخر عصر اسماعيل وأوائل عصر ابنه توفيق من تطورات أدت إلى احتلال الانجليز لمصر . بل تكشف أيضا عن طبيعة النضال السياسي التقليدي في ذلك الوقت .



اسماعيل باشا



الخديو توفيق

وثيقة عمرها ١٠٢ سنة

● كيف طُرد الأفغاني من مصر.. وكيف عاش في الهند؟
● حقيقة الدسائس التي تعرّض لها الأفغاني في القاهرة

كيف طرد الأفغاني من مصر وكيف عاش منفيا في الهند ؟

لم يستطع أحد ممن كتب عن الأفغاني ، قبل ظهور مسودة رسالته إلى رياض باشا رئيس الوزراء المصري ، أن يتوصل إلى الظروف الحقيقية التي أحاطت بطرد الرجل من مصر والمعاملة المهينة التي عومل بها عند القبض عليه وترحيله من القاهرة إلى السويس ، ولا استطاع أحد أن يلم بالظروف التي أحاطت بالرجل بعد أن نفي إلى الهند ، وراح ينتقل من مدينة إلى مدينة حتى نجح الانجليز في إخماد الثورة العربية في مصر واستتبت أمورهم . وعندذاك سمحوا للأفغاني بحرية الحركة فغادر الهند إلى أوربا مارا بمصر . وأثناء مروره وتوقف السفينة في السويس كتب هذه الرسالة إلى الرجل الذي دعاه إلى الإقامة بمصر ورعاه نحو ثماني سنوات حتى غضب عليه الخديو توفيق . ثم أرسل الرسالة بعد تبييضها مع تابعه « أبو تراب » لتوصيلها مع ثلاث رسائل أخرى إلى معارفه وأصدقائه مثل شريف باشا غريم رياض ورئيس الوزراء الأسبق وعبد الله فكري باشا الصحفي الأديب الذي كان وكيلا لوزارة المعارف في عهد اسماعيل . ولهذا كله تكتسب الرسالة أهمية كبيرة .

ومن الملاحظ أن مسودة الرسالة قد كتبت بخط دقيق وامتلأت بالشطب والتعديل حتى أن بعض عباراتها لا يقرأ ، ومع ذلك فهذه العبارات القليلة القصيرة لا تؤثر في السياق الأساسي . ومن الملاحظ أيضا أنه بالرغم من مرور نحو ثلاث سنوات على طرد الأفغاني لم يستطع — كما سنرى — التخلص من الألم البالغ الذي يبدو أنه لحق به بسبب سوء المعاملة التي لم يكن يتوقعها أصلا .

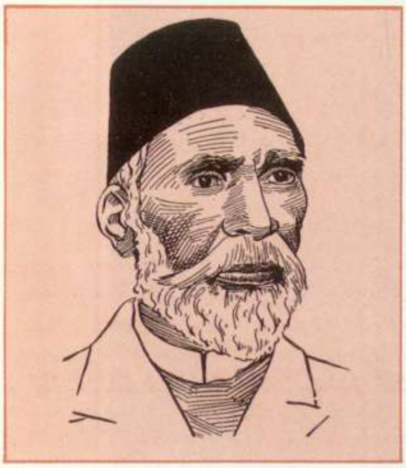
ويبدو أيضا أن هذا الألم البالغ قد قوي في نفسه الشعور بالبراءة الذي يعبر عنه هنا وهناك على طول الرسالة .

سنرى في هذه الرسالة بعد ذلك ما كان من ود بين الأفغاني والخديو توفيق قبل توليه حكم مصر ، وكيف كان أبوه ، الخديو اسماعيل ، يعيش على الدسائس حتى لحظاته الأخيرة ، وكيف قام الماسونيون في مصر وقتها بدور كبير من أجل تثبيت قدمي حليم ابن محمد علي وعم اسماعيل المطالب بالخديوية . ولأن الأفغاني كان وقتها يتشيع لتوفيق فقد ناصبه المتشيعون لحليم العداء . وازداد عداؤهم له عندما نجح توفيق في الاستيلاء على عرش أبيه بفرمان من السلطان العثماني . وانضم إليهم في العداء عثمان غالب ، ضابط القاهرة ، أو حكمدارها ومدير أمنها بالمعنى العصري . وكان عداء عثمان للأفغاني بسبب مقال كتبه احد تلامذة الأخير ضده . ولم تنجح مساعي شريف باشا رئيس الوزراء لرفع الظلم عن الأفغاني . بل إن عثمان الضابط هذا انقض على الأفغاني فور استقالة شريف وصدور تعليمات الطرد من الخديو توفيق نفسه الذي تولى الوزارة بنفسه بعدها .

وبالرغم من إصرار الأفغاني في رسالته على أن وشاية عثمان غالب ضده لدى الخديو هي السبب في طرده فلم يكن الأمر بمثل هذه البساطة التي تصورها ، لأن غالب لم يكن إلا أداة عند الخديو ، بل لم يكن الخديو نفسه إلا أداة في أيدي القناصل الأوربيين ، ولا سيما القنصل الانجليزي والقنصل الفرنسي . وقد كان طرده أول عمل قامت به الوزارة التي ترأسها الخديو توفيق بنفسه يوم ١٨ أغسطس (آب) ١٨٧٩ بعد أن طلب من شريف باشا الاستقالة في الليلة السابقة . ثم أرسل إلى رياض باشا تلغرافا في أوربا بالحضور لتشكيل وزارة



رياض باشا



عبد الله باشا فكري

جديدة ، ولكن رياض لم يصل إلا يوم الثالث من سبتمبر (أيلول) ، أي بعد أن تم طرد الأفغاني ، حتى لا يتشفع له رياض بصفته راعيه . وربما كانت قضية الأفغاني من الأسباب التي أدت إلى استقالة شريف المفاجئة . ولأن شريف كان يعطف على الأفغاني فربما رفض طلب الخديو بابعاده . ويقوي هذا الاحتمال أن وزارة توفيق نفسه التي لم تستمر أكثر من شهر وثلاثة أيام لم تتخذ أي قرار خطير سوى قرار طرد الأفغاني ، وهي نفسها الوزارة التي كانت تضم الشاعر ورئيس الوزراء فيما بعد محمود سامي البارودي أحد أصدقاء الأفغاني ومريديه ، لدرجة أن المؤرخ عبد الرحمن الرافعي علق على ذلك بقوله : « لا شك أن موقف البارودي في هذه الحادثة لا يمكن تسويغه أو الدفاع عنه بأي حال » ومع ذلك فمن الواضح أن توفيق كان قد قرر بعد توليه الحكم في أواخر يونيو (حزيران) ١٨٧٩ أن يتنكر لمبادئ الحكم الدستوري التي وعد بها قبل توليه ، ولكن مشكلته عند ذاك أن فرمان توليته من جانب السلطان العثماني تأخر في الوصول حتى يوم ١٤ أغسطس (آب) من تلك السنة ، أي قبل ثلاثة أيام فقط من استقالة شريف ووزارته . فلما تسلم توفيق فرمان التولية في مساء ذلك اليوم قرر أن يمضي في خطته . ويؤيد ذلك ما كتبه أحد رجال حاشيته في ذلك الوقت ، وهو أحمد شفيق (باشا) الذي قال :

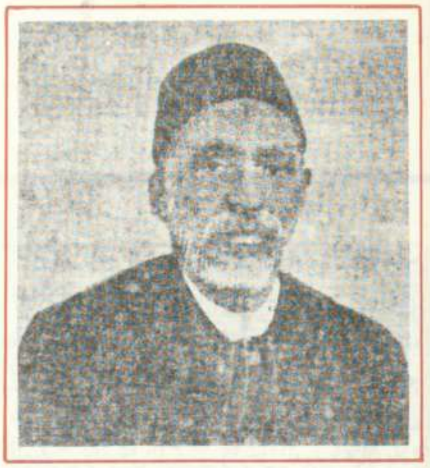
« وقد كثرت الأقاويل حول هذه الاستقالة الفجائية (استقالة وزارة شريف) ، ولكن بواعثها الحقيقية لبثت سرا خفيا حتى علمنا من السراي أن الاستقالة كانت بسبب آراء شريف باشا الدستورية وتوسعه في الأخذ بمبدأ الشورى . فقد قرر مجلس النظار في إحدى جلساته رفع مشروع لتأسيس حكومة دستورية شورية إلى الخديو ، على أن تستقيل النظارة إذا لم يقبل ما عرضته . وتعاهد النظار في هذه الحالة على ألا يدخل منهم أحد في النظارة التي تخلفهم . ولكن توفيق لم يوافق على المشروع بناء على نصائح حاشيته ، فضلا عن أنه كان يرى أنه ليس من السهل انتقال الشعب من حكومة فردية محضة إلى حكومة نيابية بحتة من غير تدرج » ولأن الأفغاني كان يقود تيارا ، تعبر عنه صحف تلاميذه ، وينادي بالحكومة الدستورية الشورية أي الديموقراطية ، كان لابد من التخلص منه فور تمكن الخديو من الحكم . وهذا ما حدث ، وأكده بعد ذلك تهديد صحف تلاميذه ثم إيقافها جميعا ، وكان عددها ثلاث صحف . ومع ذلك كله فرسالة الأفغاني إلى رياض تكشف عن إصراره على بث الود للخديو الذي أساء إليه ، وتحميله ذنب طرده على أحد أتباع الخديو الصغار وهو الضابط المذكور . ولأنه يعرف قرب رياض من الخديو في تلك الفترة ، كما يعرف أن رسالته هذه ستنقل بفحواها على الأقل إلى الخديو فقد أصر على ذالك فيما يبدو لغرض في نفسه ، ولكنه بالقطع لم يكن غرض الرجوع إلى مصر . فكلماته تحمل من الألم والغضب ما يؤكد عزمه وقتها على الذهاب إلى بلاد غير بلاد المسلمين ، التي لم يلق فيها إلا العذاب والمتاعب .

ومن ناحية أخرى يشير الأفغاني في رسالته إلى ما كتبته عن طرده صحيفة « الوقائع » الرسمية ، التي نشرت خبر طرده في « بلاغ رسمي » من إدارة المطبوعات يوم ٣١ أغسطس (آب) ١٨٧٩ . وفي هذا البلاغ المكتوب بالسجع السخيف قال « مدير مطبوعات ووقائع » بالحرف الواحد :

« ... وحكومتنا الخديوية التوفيقية الجليلة التي ما زالت على بصيرة ، متيقظة كل التيقظ ، لا تغادر في استقصاء الجزئيات والكليات صغيرة أو كبيرة ، لا سيما في هذا العصر الجليل ، الذي أنعم الله به علينا بحضرة خديوينا هذا الموفق الجدير بكل تبجيل ، الباذل كليته فيما به نفع العباد ، وإصلاح حال البلاد ، ورفع كل خلل ، ودفع ما يوقع في الزلل .

« فمن ثم قد استشعرت بأن هناك جمعية سرية من الشبان ذوي البطش ، مجتمعة على فساد الدين والدنيا المضر بالبرية ، رئيسها شخص يدعى بجمال الدين الأفغاني . مطرود من بلاده ، ثم من الأستانة العلية لما ارتكبه من أمثال هذه المفسدة في ديارنا المصرية ، المتحققة بالقبض من أهل الضبط ، والتيقظ والبصيرة والربط ، على أوراق عنده مضمونها شاهد عليه بالتوسل بتلك الجمعية إلى السعي في جميع القبائح والمفاسد ، التي لا تخفى على أهل الكياسة ، خصوصا رجال الحكومة المحنكين المدربين على السياسة والرئاسة »

ومن يطالع هذا البلاغ الرسمي السخيف حتى نهايته ، ويطالع صحف تلك السنة على الأقل ، ومنها صحف تلاميذ الأفغاني (ولا سيما ابراهيم اللقاني وأديب اسحق) يشعر على الفور بأن مصر عادت بذلك البلاغ قرنا على الأقل إلى



محمد عثمان بك جلال



حليم باشا



حسين فخرى باشا

الوراء ، لا من ناحية الفكر السياسي فحسب وانما من ناحية فن الكتابة والتحرير أيضا !

يبدو أن الأفغاني كان يتلقى رسائل من مريديه وأتباعه في مصر على أية حال وألا ما عرف شيئا عمّا نشرته « الوقائع » بعد رحيله .

وإذا كانت شرطة الخديو قد أهانت الأفغاني على النحو الذي رواه في رسالته فلم تبزّها إهانة شرطة الانجليز في الهند حتى انتهت الثورة العرابية التي سماها الأفغاني « الداهية » ثم شطب الكلمة واستبدل بها كلمة « الفتنة » ، ووصف عرابي بأنه « القوال المجازف » . ويبدو أن هذه الأوصاف قد اضطر إليها الأفغاني لأنه كان يخاطب رجلا (رياض) معاديا لعرابي والعرابيين ، وهي متناقضة مع ما كتبه بعد ذلك عن عرابي والعرابيين في صحيفة « العروة الوثقى » ، بل متناقضة مع ما كتبه قبل ذلك في مصر نفسها عن دستورية الحكم ونيابيته . ومع ذلك فقد كشف الأفغاني في رسالته عن الضعف الذي قد يصيب الانسان في المحن ويضطره إلى سلوك طريق يأباها . فقد طلب من السلطة الانجليزية في لحظة يأس أن تبعث به إلى مصر أو إلى الخديو كما قال حتى يساعد على تصفية الجو ، أو بمعنى آخر على إطفاء ما سماه بالفتنة !

لم ينس الأفغاني في ختام رسالته أن يوصي رياض باشا — وهو في موقع سلطة — بتلاميذه الذين تعاونوا مع عرابي . بل لم ينس أيضا أن يذكره بأداء الشهادة في حقه عند الخديو مع شريف وعبد الله فكري .

وإذا كانت لغة الأفغاني الأولى هي الفارسية فقد كان يكتب العربية ببراعة يحسد عليها . وكان ينتقي في كتاباته كثيرا من الكلمات المعجمية التي انزوت عن الاستعمال ، وهذا ما نجده في رسالته هذه مثل : تقدعهم بمعنى تمنعهم ، الرحيضة بمعنى النظيفة ، صغو بمعنى ميل ، تبيغ بمعنى فار (الدم) ، الجذبدن بمعنى السعيد ، الخ .

الرسالة بعد هذا كله تدعو المهتمين بالأفغاني وفكره ونشاطه إلى إعادة النظر في الكثير مما شاع في الكتابة عنه ، ولكن ليس على طريقة الدكتورة كيدي الأستاذة بجامعة كاليفورنيا أو الدكتور لويس عوض الذي نقل عنها المادة الأساسية في مقالاته . فقد استخلصا من الرسالة نتائج ليست فيها ، بل قرأت كيدي — دون تدرب كاف على خط الأفغاني — اسم « شاهين باشا » على أنه « سامين باشا » لأن الهاء عند الأفغاني كانت أقرب إلى الميم . وجاء لويس عوض الذي لم يطلع على « الوثائق الأصلية فقرأ الاسم عن ترجمة كيدي الانجليزية وكتبه « سمين باشا » وراح يبحث له عن تفسير فقال : « يبدو أن سمين باشا هذا هو راتب باشا الذي قاد ثورة الضباط الأولى على الوزارة الأوربية الأولى » !

مسـودة رسـالة إلى ريـاض باشـا « ١ »

مولاى

ها أنا اليوم في القنا أذهب إلى لندن ، ومنها الى باريس مُسلّما عليكم وممجداً إياكم تمجيدا يكون إذا وجهته مقامكم وكفاء لعلو شأنكم ، ويعادل عظيم درجتكم في نزاهة النفس وطهارة السريرة ونقاوة السيرة ، ويوازى جليل زينتكم من عقائل الصفات وكرائم الخلائق التي تدثرتم بها ، مؤديا مدارج كمال صعدتم فيه بالعقل المطبوع ، وقصّر الآخرون حقها ، وبما فطرتم عليه من جبلة تأبي أن تقف على الطوية دون أن تبطنها ، وتستنكف إلا أن تخوضها وتكتنهها .

لاشك أن المصيبة العظمى التي رمتني والبلية الكبرى التي أصابتني قد أحطتم بها علما ، وانكشف لكم باطنها عن ظاهرها وسرها عن علنها وظهرت لديكم خفيتها ، ودفعتم عن ظل أستارها حقيقتها ، وعلمتم أنها كانت حَيْفاً على بريء ، جلبت التهمة على نقي ، وما بَقِيَتْ إلى الآن تحت حندس الخفاء محجوبة عن بصيرتكم الثاقبة ولا أكنتها عن بصرك النافذ في أطباق الحجب المظلمة أستار العمى فإن عقلا محصفاً ولبا صرفا مثلكم لاتغرنه الظواهر ولايصغى إلى نعق ناعق ، ولا يعبر سمعه قول مجازف ولاتحركه عواصف التقولات ولاتتزغره هبوب الافتعالات ، بل لايمشي في الحوادث إلا بنوره وهداه ، ولاينقاد في الوقائع إلا إلى سلطان برهان أوضح له سبيل الحق وأداه ـ لأنه يعلم أن من يأخذ بالظاهر يغتر ويغر ، والذى يتبع كل ناعق يغر نفسه ...(٢)



وكم ألبس الحق لباس الباطل ، وكم ظهر الباطل بدثار الحق ، وكم تردى الجور برداء العدل ، وكم علم العدل بعلامة الجور – وحوشيت أن تكون من الذين عقولهم في أذانهم وألبابهم في حاشيتهم وبطانتهم ، يعتقدون مايقولون ويقولون مايسمعون ، ثم يجلسون على منصة الحكم فيقضون ، لاعقل فيرشدهم .... (٣) ولا خشية من سوء فتقدعهم (٤) – ولا أرتاب أنكم بماجبلتم عليه من الفطرة النقية والطينة الرجيحة (٥) ، بعدما ظهر لكم جلي الأمر ، قد استعظمتم الرزية التي غشيتني والداهية التي معكتني بلاجنحة اقترفتها ولاجناية اجترحتها . فإن من لا يستعظم مصيبة العدوان ولابلية الحيف لايأبى أن أتي بها ولايبالى أن يكون مصدرها . وليس في الحيف صغيرة ولا كبيرة ، فإنه منشأ سخافة العقل وقسوة القلب . وإذا اجتمعت هاتان الخلتان في رجل فقد استوت عنده صغيرته وكبيرته . وأنت العدل حقا والنصفة صدقا ...... (٦)

بل أنا موقن أنكم بغريزة عقلكم الثاقب قد علمتم حقيقة هذه المصيبة وأسبابها ودواعيها وبواعثها . ولو اكفهرت سحب التلبيس وقول الزور على سماء عقول كثير من الناس ، وبطهارة نفسكم الزكية قد استعظمتم هذا الجور واستوحشتم من هذا الضيم الذى جنته عليَّ يد الجهل والقسوة ، وحننتم على هذا المظلوم البرئ حنو القريب على القريب . وان قست قلوب الذين لايعقلون ، لأن الحنانة على المظلومين واللهف عليهم إنما تكون بمقدار العدالة وحب النصفة والنفاد من العدوان وكراهة الجور . وأنت تعالى مقامك لك القدم الأعلى في العدالة والقدح المعلى في النصفة .

ومع هذا وهذا وذاك أريد أن أخبركم بحقيقة هذه البليَّة المفجعة حتي يكون سمعها كعيانها وسترها كاعلانها . فأقول إن الخديو كان يحبني قبل أن ينال الملك محبة صادقة . وأما أنا فقد كنت ولياً لمن ولاه وعدواً لمن عاداه ، وسلما لمن سالمه وحربا لمن عانده ، ولا أزال أقدع من يعاديه وأكف من يناويه ، حتي أن الشيخ البكرى كان يريد أن يثير الناس بتحريك اسماعيل باشا والافرنج (فذهب إليه ناصحا له مهدداً إياه قائلا إن الماسونيين عزموا على قتلك غيلة لأنك تسعى في إدامة حكومة هذا الظالم ، فاصفر لونه وغلب عليه الخوف ، وخاف أن لايعين اسماعيل باشا في شيء وأن لايمتثل لأمره (٧)) وكل هذا بعلم الخديو وطلب منه . وكان الخديو كل يوم يرسل الى كاتبه كمال بك قائلا إن افندينا يسلم عليكم ويقول ليس لنا في هذا سواك معين .

وإن جماعة من الإفرنج الماسونيين وأذنابهم من حثالة الأمم الغابرة وثفالة الشعوب الماضية وبقايا السريانيين المنتخرة الذين كانوا تحت رياسة عبد الحليم باشا حينما كان رئيسا على مجلس الماسون في القاهرة ماقصروا أن سعوا لعبد الحليم باشا . وأنا حبا في الخديو جابهتهم بالعداوة وقابلتهم بالخصومة ، ورفضت مجلسهم أنا ومن كان مثلى مغرورا بحب الخديو ، ونبذت رياسة محفلهم ، وتركت ودادهم ، ومججت ألفتهم ، وأنا المؤسس عليهم من سنين . وكانوا يحبونني وأحبهم وأوقرهم ويعظمونني . وكل هذا مافعلته إلاَّ ثقة بحب الخديو – حتي أن المسونيين من الافرنج وأذيالهم ذهبوا إلى (تريكو) (٨) ، وبلغوه أن صغو (٩) المصرين مع عبد الحليم باشا وضلعهم معه (وميلهم إليه) (١٠) وروعوه من وقوع الفتنة إن عدل عنه إلى غيره . ولما بلغت هذا أسرعت أنا والمعتزون بحب الخديو من حزبي إلى القنصل فكذبت مابلغوه ، وأظهرت له جلية الأمر وكشفت القناع عما أضمروه . وقد أعلن كل هذا في الجرائد الوطنية .

وليس للخديو أن ينكر مافعلته ويجحد هذه المساعي وغيره وغيره ، إلا أن يفقأ عين الفتوة ويكفا أذن المروة . ولما أحس إخواني الماسونيون مني الرجوع إليهم والاتفاق معهم ... (١١) وقنطوا من فوز عبد الحليم باشا نصبوني عرضا لسهام افتعالاتهم ، وأطلقوا على ألسنتهم السلاط فبهتوني واتهموني ، ونسبوني إلى طائفة النهليست (١٢) مرة وإلى السوساليست (١٣) أخرى ، وأشاعوا كذبا وبهتانا أني عازم على قتل الخديو والقناصل جميعا . ياللعقل والعاقل ! من أين لى الجيوش التي تقوم بهذه الأمور الصعاب وأنا رجل غريب في مصر ؟ وماكنت أظن في عميقات فكرى أن يوجد في أولاد آدم شخص يعبر سمعه إلى هذه الأباطيل ، ولو كان أفينا ، ولكن قد وجد .

وبعد مانال الخديو الملك تألب هؤلاء الماسونيون أحزاب عبد الحليم باشا ، ودفعوا إلى الخديو وألقوا إليه ماألقوا تشفيا بغيظهم – وأنا ماعاديتهم ولا رفضت رياسة مجلسهم مع علمى بكثرتهم وقوتهم إلا اتكالاً على الخديو وثقة به – وماكنت أدرى أن الخوف من حيث الثقة – وقد كتبت ردا لتقولاتهم في جميع الجرائد المصرية والعربية والافرنجية ، وأظهرت للحكومة فيها مكنون نياتهم واستعنت بها على دفع شرهم – وقد أتاني الشر منها . وقد أعان الماسونيين أحزاب عبد الحليم باشا على اختلافاتهم وساعدهم على افتعالاتهم ، وثمق تعديهم وبهتانهم الشخص المعكوس والهيكل المركوس والرجل المعيوب عثمان باشا المغلوب الذى كان ضابط البلد في ذلك الوقت ، لضغينة اتقدت في أحشائه ، وهى أن شابا من تلامذتي كتب في جريدة من الجرائد في ضمن مقالة مامعناه أن عثمان باشا ضابط البلد مثلا ليس بمعصوم ، يخطئ ويصيب ، فغضب ذلك المركوس وتمعر ، وأخذ الأستاذ بذنب التلميذ ، وزاد على إرجاف حزب عبد الحليم إرجافاً (١٥) .... وبهتانهم بزوده واختلاقهم بافترائه . وسمع (بتقولات هذا النذل (١٦)) إذ ذاك الشريف باشا (١٧) فنهنهه وكفكفه وزجره ونهره ، فكف لسانه كاتما حقده وضغينته . فلما استعفي الشريف باشا قام ذلك اللئيم متوقدا ملتهبا ظنا منه أني شكوته إليه ، لا وحقك على ، مارفعت شكوى إلى أحد . بل ماعلمت أن الشريف باشا زجره وعاتبه إلا من لسانه في ليلة مصيبتي قائلا لى . إنك الآن في قبضتي ، إن شئت أحرقك بالنار وإن شئت أغرقك في الماء جزاء لشكاياتك ، فإن الشريف باشا زجرني وتوعدني بالعزل لأجلك . وبالجملة ، إن ذاك اللئيم بهذه العلل الداهية ، وبإغراء أحزاب عبد الحليم كان يلفق كل يوم أكذوبة ويختلق أرجوفة ، ويبلغها إلى مسامع الخديو . وأنا لثقتي واعتمادى عليه ما كنت مباليا بهذه الإرجافات علما مني بأنه عاقل لما يسمع هذه الاكاذيب في حق رجل قد جاهر بولائه ، ودافع عنه في وقت قد ألجم الخوف أصدقاءه ه. ولكن خاب الظن . وظهر خلاف ماكنت أعتقد – ونسي الخديو محاماتي له ودفاعى عنه ومحبتي إياه (وما واجهني به يوم تبريكه قائلا إن لسانه عن أداء شكرك عاجز (١٨)) ، وزعم زعما عن غير روية ، وظن ظنًا لاعَنْ تدبر وإجالة فكره أني عدو له وأريد الغدر به فأمر بتبعيدى عن الديار المصرية – ظلما وجورا ، وأنا في غفلة عن ذلك ، فما راعني إلا انثيال الضابطة إلى في الساعة الثانية من الليلة السادسة من رمضان لدى العتبة الخضراء وأنا آت من بيت محمود بك العطار (١٩) . فأخذوني بكل غلق واضطراب إلى

لوحه ١٣



الضبطية ، فإذا ذاك اللئيم جالس على منصة الظلم ، فلما سألته عن سبب هذه الفظيعة وعلة هذه الفعلة الشنيعة تعتع ومجمج ، فمرة قال إن العلماء لايرضون بإقامتي في مصر ، ومرة قال إن قناصل الدول في وجل منك ، ومرة قال إن أفندينا ماذاق النوم ثلاث ليال بأيامها من خوفك .

وبعد هذا الخبط والخلط ماصبر حتي كشف عن مكنون سريرته ، وجاهر بما ستره من ضغينة ، وأظهر عليَّ من عتاب شريف باشا قائلا : إني تجاوزت عن إغراقك . ولكن يجب عليك أن تذهب إلى جهنم ، إما عن طريق بلاد العجم ، وإما من بلاد الهند . وكلما طلبت تسفيرى إلى الآستانة أو الى باريس أو الى الحجاز تأبي إلا إرسالي إلى جهنم . وطلبت إلى ذلك اللئيم أن يمهلني يومين وأنا في الضبطية ، حتي أُعدَّ للسفر عدته ، وأبيع مما أملكه مالا ينقل وأحمل معى مايجب أن أستصحبه فأبرز بطنه منتفخا وقال : نحن نكفيك مؤنة هذا وأنت في السويس . كن مطمئنا وهاهو أحمد بك (وكيل الضبطية) تكفل لك جميع ذلك .

وكل هذا كانت منه نكاية في وتشفيا من غيظ ماكان له سبب سوى وهم باطل – ثم أرسلني ذلك النذل إلى السويس مع جمع من الضباط . وبقيت فيه يومين محبوسا محاطا بالعساكر ، لاقدموا لى الطعام ولا تركوني حتي أجلب من السوق – وفي آخر الوقت جاء رجل من طرف الأحمق الذى يتصرف في السويس لظلمه ، وأخذ ماكان في جيبي وجيب خادمى من الدراهم والأقراش (٢٠) وقلم الرصاص والسبحة والمنديل والسكين (٢١) قائلا إن أفندينا قد أمر بذلك . وبعد هذا الفعل الشنيع قادني إلى مراكب الظالم قود الجمل المخشوش ، فلما مثلت بين يديه قلت له بصوت ضعيف أجدع : ياايها الباشا ، إن كنت مأموراً بقتلى فلم التأخير والتواني ؟ وإن لم تكن مأمورا بذلك فلم منعتني عن جلب الطعام من السوق ولا قدمت مايقتات به من عند نفسك (في هذين اليومين بل أمرت أن تصليني جوعا (٢٢)) ، فانكمش وجهه الصلد الوقح كأنه يستحى ، وقال : ماعلى . أنا مامور ومعذور . ثم فغر فاه قائلا ، أنت الآن تذهب إلى وابور الأركط (إن شاء الله يصير . طيب طيب) وتُرسل قبل وصولك أموالك وكتبك إلى بندر كراجي (٢٣) أو بندر أبو شهر أو البصرة ، وترى كل



خبر من أفندينا إن شاء الله (هذه سياسة معوجة تركية) فقلت له إن أمرت أن ترد إلينا الأفراش التي أخذت من جيبنا حتى نقدر على النزول من الوابور إلى بندر من هذه البنادر التي ذكرت . فتعبس وتجهم وقال رافعاً صوته : أما هذه فلا يمكن . لأني أخاف أفندينا . فإن أفندينا قد أمر أن أسلب جميع ماعندك وعند خادمك سوى الثياب .

وجملة الأمر (أنني) قد ذهبت من مصر (بسربال وسروال (٢٤)...) الى بندر الكراجي – وزاد جميع هذه الآلآم والمصائب تأثر النفس الذى حصل لى من خجل استولى على وتبيغ (٢٥) به دمى عندما ماتصورت أن حزب عبد الحليم باشا سيستهزئون بأفعالى ويسخرون من محاماتي عن الخديو ومحبتي له ، وقد جرى على منه ماجرى ، لأنهم كانوا عارفين بحقيقة الأمر – فأسألك الآن ياعقل مصر وياعدل القاهرة بما حزت من مزايا الكمال في عميقات إدراكاتك ودقيقات أفكارك ، وبما نلت من فضيلة التمام في ساحات طهارة نفسك وتقنها وذرى أخلاقها

الذكية وشواهق سجاياها الرجيحة أن تسأل هنا على وقياما بواجب حق العقل وأداء الفريضة العدل ، عن أفعالى وحركاتي مع الخديو وغيره من عبدالله باشا فكرى وفخرى باشا وكمال بك كاتب سر الخديو والشريف باشا الذى بحمايته صرت فريسة للكلاب ، فإن كلاً كان عالما بصدرى ووردى عارفا بأعمالى وأفعالى عندما كنت في بلاد الإفرنج (٢٧) ،

ماخفيت عليهم خافية من أمورى ، حتي تقوم على ماأحطت به علما بنور عقلك من استقامتي واعتدالى شواهد العدل وبراهين الصدق – فيكون حكمك في قضيتي أيها الحاكم العدل عن بينة – ثم تدبر ياعقل مصر بنافذ بصيرتك في هذه الحكومة التي تبكى الفرح الجذبدن (٢٨) وتضحك الكئيب الحزنان ، وتأمل بناقد إدراكك في دعائمها والقوامين على (٢٩)...

(ياترى تدوم حكومة بهؤلاء الظلمة الجهلة وتقوم دولة بأولئك العمى الصم ، ترجو أن تعمر البلاد ؟ (٣٠)... أتظن أن (يزيد مات والحجاج توفي (٣١))؟ إن الحجاج وتيمور قد ماتوا (٣٢)... جراثيم يتناسخون من صلب وينتقلون من بطن إلى بطن . لاتخلق حكومة من حكومات المسلمين في هذه القرون ... على منصة الجور ، يأمرون بالفحشاء والمنكر وينهون عن المعروف والبر .

وحق العدل وعظم شأنه لو تأمل البصير في هذه الحكومات وما فيها من الحيف والعسف لرأى أن بقاءها في العالم لا يكون إلا لتزداد خزيا متتاليا وافتضاحا متواليا ، نكالا من العدل وخذلانا من النصفة وقصاصا لما جنت على أنفسها من الجور والظلم ...

فيا عدل القاهرة لو نظرت بنظارة إنصافك دقائق المصيبة التي أصابتني من الحكومة المصرية ، وأنا طاهر القلب نقي السريرة ، برىء من كل جنحة وجناية ، ورأيت بمرآة عدالتك ماتواردت علىَّ لأجل تلك الرزية من البلايا المتتابعة في الهند لحكمت حكما عادلا أن الداهية الدهياء التي نزلت بالحكومة المصرية وأخذت بمخنقها دون كفارتها – حقا أقول إن بالعدل

قامت السماوات والأرض وما بينهما ، وبالجزاء قام العدل على مركزه ، وعلى محوره استدارت رحاه – والذى أضحكني بعد ماأبكاني ماكتبته أضحوكة الجرائد وفهرست الأفعال السيئة ودفتر الأعمال الشنيعة ، الوقائع المصرية من أن « الحكومة الخديوية قد اطلعت على جمعية سرية رئيسها جمال الدين الأفغاني قد أسست على فساد الدين والدنيا (٣٣) » .

نعم ، قد صدقت في قولها هذا من تكون عونا للحمق وعضدا للخرق ، فقد أفسد الأديان لادينا واحدا – وشكرا للعدل الذى قد أشاع بألف لسان وأضاع بألف قلم كفر من نسبني إلى إفساد الدين – وأماالدليل الذى أقامته من جور الدولة العلية من قبل على صحة ظلم الحكومة الخديوية من بعد فهو دليل طبيعى لا يرد ولا ينكر ، لأن بذر العسلوج (٣٤) من

تلك الدوحة التي ساخت أسنانها في كثبان القسوة ، لاتورق إلا حيفا ولا تزيد إلا عسفا ، ولاتثمر إلا خسفا .وأعجب من كل هذا وأدل أن ذلك اللئيم المعيوب أعطى كتبي وأنا حىٌّ ميراثا ، سبحانه من رجل يرث كل (٣٥)...... وياللانصاف ! وحقك على إن هذا الشئ يستفرغ ماء الشئون ويقض على العاقل بالجنون .

وبعدما يا مولاى – تؤلم قلبك الشفيق الرحيم بعد استماع تفصيل المصيبة التي دمغتني في مصر فالآن أسألك بسماحة أخلاقك أن تعيرني سمعك حتي أقص عليك مجملا من تفصيل مانزل على في الهند من البلايا التي على نتائج البلية المصرية ، لأنك وحدك منتهى شكواى ، فأقول أني من يوم وصولى إلى بندر الكراجي كان ثاني يوم من بلوغ خبر قتل (كيونادى) قنصل الانكليز في كابل كنت تحت الحفظ كل ساعة متهيئاً لاستماع سؤال ولإعطاء جواب ، وكل يوم مستعدا للذهاب من عند حاكم إلى آخر لتجدد الفحص والتمحيص ، وكل شهر مشمرا للانتقال من بلد إلى بلد لاستنطاق جديد واستماع خطاب عنيد . وكانوا يمنعون الناس من معاشرتي ويحظرونني من لقائهم ، ولكنهم ماسلبوني ولا أخذوا المنديل والسبحة من جيبي بأمر الملكة خلافا للحكومة الخديوية ، إلى أن ذهب أيوب خان (٣٦) إلى طهران فحينئذ اطمأنت خواطر الانكليز من طرفي ، وتركوني (٣٧).... ثقيل الظهر كسير العظم من الضنك والضيق والقلق والاضطراب ، أخبط خبط عشواء ، لا أعرف الضلالة من الهدى فذهبت إلى الدكن (٣٩) ، وأنا لا أملك نفيرا ولا فتيلا ، ولا أجد لنفسي بيتا ولا مقيلا – وبينما أنا ضال عن رشدى وحائر في قصدى ، وأتاملْ في المصائب التي تبادرت على ، وأتفكر في حالى وما يئول إليه أمرى فإذا قامت الداهية العرابية (٣٩)، على ساقها ، واستولى الألم على الحكومة الانكليزية ، واشتدت وساوسها خوفا من وقوع الفتنة في الهند ، واعتقدت بأني مرسل من طرف عرابي باشا لتحريك المسلمين وتحريضهم ضد الحكومة الانكليزية فجلبتني من الدكن إلى كلكتا ، واشتدت على في السؤال والجواب ، وكنت كل يوم منها في تهديد وتحذير. ولقد ضيقت على مسالك الرحمة . وكلما كان صوت العرابي يزداد اعتلاء كانت الحكومة الانكليزية تزداد على شدة ، خصوصا عندما قال ذلك القوال المجازف : أنا أثير مسلمى الهند على الانكليز ، حتي أني من شدة تضييق الحكومة وعدم إصغائها إلى ماألقي عليها من الأجوبة طلبت منها اضطرارا (وفرارا من البلية ... إلى بلية أخرى (٤٠)) أن ترسلني إلى الخديو ، ودفعت مسألتي هذه الى حاكم الهند وهو وقتئذ في السملة (٤١) فظللت منتظرا للجواب . وظلت الحكومة في الخطاب والعتاب إلى أن انطفت الفتنة ، فأطلقتني مع مراقبة أفعالى وحركاتي ليلا ونهارا ..

فلما رأيت أن المصائب كل يوم تكشر على عن أنيابها ، وأن البلايا تفتح كل ساعة بابها تفكرت في الرازيا التي جلبتها على الغباوة والقسوة ، وترويت في أمرى وعلمت أني لو أذهب إلى بلدى وفي العين قذى وفي الحلق شجى ، وفي الكبد أواد وفي القلب نار مما أصابني ، لا أجد فيه بين أهله ، وكلهم مسلمون ،

من إذا قصصت قصتي وكشفت عن غصتي يئن على ويتوجع لى ويأسف على مصابي ، لأن المسلمين فطروا على جبلة واحدة ، وخلقوا من طينة متماثلة بلا اختلاف في الطبيعة ولا تغاير في السجية ، لا يستعظمون الضيم ولا يستوحشون من الظلم ولا يرون الحيف فظيعا ولا العسف شنيعا (٤٢) ...

فعزمت أن أذهب – وإن كنت صفر اليدين خالى الراحتين – إلى بلاد فيها عقول صافية وآذان واعية وقلوب شفيقة وأفئدة دقيقة ، حتى أقص عليهم مايجرى على ابن آدم في المشرق (وهذا هو سبب ذهابي الى بلاد الإفرنج (٤٣)) ، وأخمد النار الملتهبة في قلبي من هذه البلايا وأضع حمل هذه الهموم التي أنقضت ظهرى . وأنا إن مت فعلى الدنيا بعدى الصفاء ، وان بقيت فلا أعدم عقلا يرفق بي ولا أفقد عدلا يحن على – وهذا هو سبب ذهابي الى بلاد الافرنج .

وقد أرسلت يامولاى الى رفيع جنابكم خادمى (العارف (٤٤)) لقبض أموالى وكتبي التي تخلفت على في مصر بعد ماشردتني اليد الظالمة ، وأخذ شهريتي الباقية على الحكومة ، والثقة في كل هذه بعد لكم والاعتماد على إنصافكم ، والشفقة منكم ليست بعيدة ، والرحمة فيكم ليست بآية جديدة – وأرجو واسع كرمكم وسماحة أخلاقكم أن تظلوا العارف بظلال شجرة رحمتكم ، وتزوده في فناء عاطفتكم إلى أن يقبض أموالى ويلحق بي في لندن .

ثم أرجو بضراعة واستكانة رجاء معتقد لكم أهل لكل فضيلة تتباهى بها الأمم أن تنظروا إلى تلامذتي بنظر العناية ، خصوصا الشيخ عبده والسيد ابراهيم اللقاني . ولو صدرت عنهم في هذه الفتنة الشوهاء فلتة عن جهالة فاعفوا عنهم بواسع رحمتكم وتجاوز عن سيئاتهم بكريم أخلاقكم . ولا تؤاخذهم يامولاي بخطيئاتهم فإنك أنت العفو الكريم والبر الرحيم .

ولقد أرسلت مكتوبا الى الشريف باشا ومكتوبا آخر إلى عبدالله باشا فكرى ، ودعوتهما إلى أداء الشهادة . والسلام .

في العدد القادم الوثيقة الثانية
من أوراق الأفغاني :
ماذا حدث لتلامذة الأفغاني بعد فشل الثورة العرابية ؟

هوامش

١) كتب هذه المسودة وهو قادم من الهند في أواخر ١٨٨٢ متجها إلى أوربا ، وهى مليئة بالشطب والتعديل وعدم وضوح العبارة وقلقها .
٢) عبارات غير واضحة لاتؤثر في السياق .
٣) عباره غير واضحة لاتؤثر في السياق .
٤) تمنعهم .
٥) النظيفة .
٦) عبارة غير واضحة .
٧) العبارة بين القوسين جاءت في هامش المسودة تصحيحا لعبارة أخرى مشطوبة ولكنها واضحة . ومنها : « وان الشيخ البكرى أولا وشاهين باشا ثانيا كل منهما يريد أن يثير فتنة ويجلب على مصر بلية عمياء هددت كلاً بالماسونيين حتى كف هذا وانقدع (بمعنى كف أو امتنع) ذاك » .
٨) قنصل فرنسا في القاهرة .
٩) ميل .
١٠) كتبت فوق العبارة السابقة وقد تكون بديلا لها .
١١) عبارة غير واضحة .
١٢) العدميون .
١٣) الاشتراكيون .
١٤) كان مأمور الضبطية في القاهرة بما يعادل اليوم مدير الأمن .
١٥) كلمة غير واضحة .
١٦) العبارة كتبت بين السطور .
١٧) محمد شريف رئيس الوزراء وقتذاك .
١٨) العبارة بين السطور .
١٩) أحد نواب القاهرة في برلمان ذلك العهد .
٢٠) القروش . وفي النص كلمات كثيرة من هذا النوع الذى يتصرف فيه الأفغاني عند تعامله مع العربية . ومع ذلك فهو جمع صحيح على وزن أفعال .
٢١) يبدو أنه كان يحمل مطواة !
٢٢) العبارة بين السطور .
٢٣) بندر كراجى : مدينة كراتشي .
٢٤) العبارة بين السطور .
٢٥) تبيغ : فار .
٢٦) فخرى باشا هو حسين فخرى الذى نظم المحاكم الأهلية وكان من رجال الخديو .
٢٧) يقصد عندما كان رياض خارج مصر في أوروبا وقت اعتقاله .
٢٨) الجذبون : السعيد .
٢٩ ، ٣٠) كلمات غير واضحة .
٣١) عبارة مشطوبة .
٣٣) يبدو أن أحد تلاميذه كان قد أرسل له في الهند نسخة من الوقائع المصرية التي نشرت نبأ ابعاده أو أطلعه على مانشرته .
٣٤) النبات الأخضر او الكرم اول ماينبت .
٣٥) كلمه غير واضحة .
٣٦) زعيم أفغاني معاد للانجليز ترك بلاده في ذلك الوقت وذهب إلى إيران .
٣٧) كلمة غير واضحة .
٣٨) حيدر اباد .
٣٩) وضع كلمة « الداهية » محل كلمة « الفتنة » التي شطبها .
٤٠) العبارة بين السطور .
٤١) العاصمة الصيفية للاقليم : سملا .
٤٢) كلمات غير واضحة .
٤٣) عبارة مشطوبة .
٤٤) أبو تراب وكان يكتبه بهذا الاسم .

التاريخ

أعِلْمٌ هو أم أدب؟ وحافز أم حاجز؟

بقلم: أحمد العناني

الناس لا يستوون في موضوع التاريخ أبدا وفي اعتقادي أن المولعين به والكارهين له جميعا على حق ولكن كيف يمكن أن يلتقي على حق ضدّان متناقضان؟ ذلك هو موضوع هذه المقالة التي لا ينسجها تهويم خيال أو افتراض جائز ومحال .. ولكنها حصيلة حياة طويلة مع التاريخ شغفا موروثا من الأب ، بل ومن قبيلة العناني وهي في المغرب ومصر وبلاد الشام والحجاز من المشغولين دائما بالتاريخ حتى إنني أعلم أن من أسباب غفلة الكثيرين منهم هو بلا ريب طول العيش مع الغابرين في الماضي. ولقد أذكر أني التقيت بمؤرخ التاريخين الأندلسي والمغرب محمد عبد الله عنان بمدينة الرياض وقدرت اننا لو جلسنا شهرا فربما لا يكون حديثنا فيه عن الحاضر إلا لماما ... ومن هنا تجئ أحيانا جملة المتحاملين على التاريخ بأنه عبء ، وأن التاريخ لا يعيد نفسه أبدا ....

ولكن الحكمة لا تستخلص من التكرار ، فانما ينشأ الفن والموسيقى من التكرار أما التاريخ فهو تأمل في متشابهات ومتناقضات تأملا يفضي الى الحكمة .. ومن قال أن بونابرت مثلا كان يكرر دروس هنيبال أو الاسكندر تكرارا مقلدا أعمى ولكن أحدا لا ينكر أن خطط نابليون في ساحات ينا واسترلتز شبيهة بخطط هنيبعل في إيطاليا ، بل ان حركات نابليون في البحر المتوسط وبه اسطول بريطانيا الضخم هي نظير انقضاض هنيبعل على شمال إيطاليا من جبال الألب ، كذلك أو قريب من ذلك بالاحرى كان وصول نابليون بحرا إلى مصر .

والآن .. هل التاريخ علم أم أدب؟

من البداية أحب أن أشير إلى أن هناك خلافا حادا على الاقتصاد أأدب هو أم علم؟ .. والمشتغلون بأحوال النفس البشرية يسمون عملهم علم النفس مع اني مستعد للحلف بأن الأدب وحسن الرؤية والخيال والحس النفسي تؤدي أدوارا أكبر في علم النفس من الاختبارات التطبيقية ، والاستبيانات العملية التي يركز عليها من يريدون لعلم النفس أن يكون كذلك بحق وحقيق .. أما لماذا علم النفس وليس أدب النفس أو أحوال النفس؟ فذلك لأن العلم المختبري أصبح يعبد في أوروبا منذ تحولت قلوب الناس هناك عن الكنيسة وتصرفاتها منذ القرن السابع عشر ..

الحقيقة أن التاريخ علم وأدب وأن للتاريخ خدمات لا يمكن أن يؤديها ألا حين يكون أدبا خالصا ولعلم التاريخ رسالة في مجالات مغايرة لا يمكن أن تؤدي إلا والتاريخ علم تجري عليه مناهج النزاهة والتدقيق والقياس كما تجري على علم مختبري ..

وتعالوا إلى شيء أكثر من التبسيط .

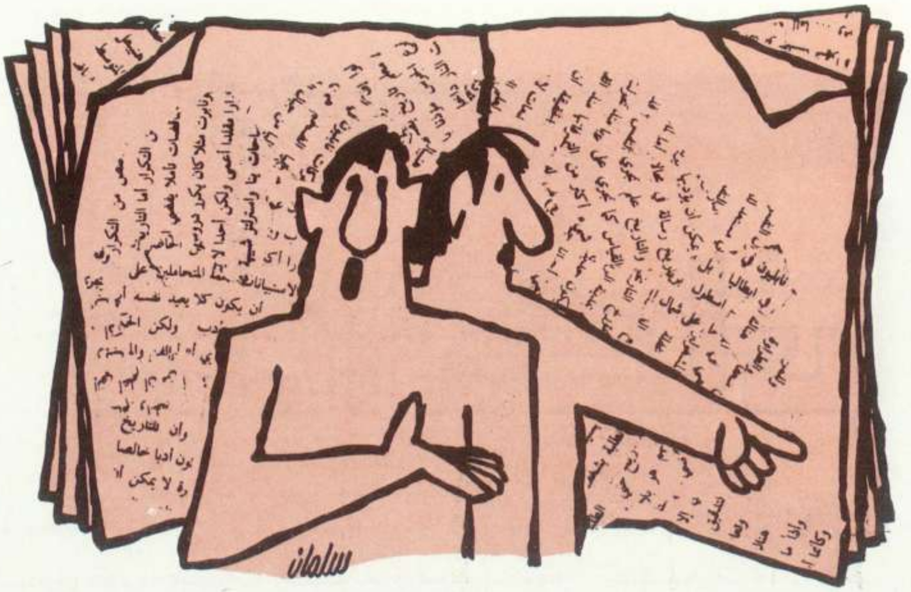
هناك معلم تاريخ يصغى له الطلبة بشغف هائل وأذا ما قرع الجرس مؤذنا بانتهاء الحصة تجد الطلبة وكأنما أطلقت النار داخل صفهم ولم يقرع لخروجهم جرس وحسب ولكن دروس أغلبية الموكول لهم تدريس التاريخ تتحول إلى لعنة وترى الطلبة في حالة بائسة من مغالبة النعاس واحساس الضجر حتى إذا قرع الجرس كان مخرجا أكيدا لهم من غم عظيم ..

ذلك بأن التاريخ كدرس يلقى ليس علما خالصا ولكنه في أغلبه أدب خالص ويجب أن يكون أدبا خالصا ، أما التاريخ كعلم خالص فذلك في مجالات التأليف المتخصص ومحاولات استقراء الحقيقة بين تبرئة شخص أو غير شخص أو تجريمهم ، والوثائق كمادة للتاريخ ليست أدبا ولكنها علم ، دراستها وفحصها واستقراء الحقيقة فيها أو دحضها كل ذلك يجري بأسلوب العلم وطريقة علماء الحديث المسلمين أو أهل المختبرات العلمية .. إن الذي يقرر هل يكون التاريخ علما أم أدبا هو نوع الحاجة للتاريخ ...

فالذي يريد أن يخاطب أمة بحجة تاريخها ودلالاته ويبعث فيها العزم بالتاريخ ينبغي أن تكون له كل مواهب الخطيب والأديب والشاعر والراوية . والذي يعلم الأطفال أو الفتيان تاريخا يجب أن يكون صاحب خيال ، وقدرة على الاستحضار وذاكرة رائعة ورؤية صائبة في علاقات الأشياء ..

وفي مجال تعليم التاريخ تحدث أمور مسلية ، وللمرء ذكريات من أيام التعلّم والتعليم مليئة بالمرح والطراوة ..

هناك أناس يبتلون بلاء بتعليم التاريخ ، بل هم يستضعفون حين يلزمون تعليم التاريخ وابرز ما يتجلى



نقصهم في فشلهم في تجميع الكلام ومقايسة الحقائق ..

والواقع أنه ربما قبل أن يولد يونس شلبي الممثل الذي أجاد في لفت النظر إلى هذه الحقيقة كان هناك أناس من مؤرخين ، أعني ممن يسمون مؤرخين وهم لا يجمعون ..

وليس التاريخ في الحقيقة مجرد سرد للحوادث العسكرية أو السياسية ، فذلك فهم قديم ضيق جدا للتاريخ ، ولكن التاريخ هو تمكين لرجل من الحاضر أن يرى قطاعا من الماضي كأنما يعاد بين ناظريه كما يعيد التلفاز مثلا مشهد تمرير الكرة في تسجيلها اصابة لكي يتأكد بعض الناس بأنها إصابة بحق ..

ولكي يسعد بعض الناس برؤية الهدف وهو يسدد ، ويتألم ويتعلم أناس آخرون من رؤية الهدف مجددا وهو يسدد .. إن الذين يبغون التاريخ « العلم » هم حكام الكرة الذين يريدون أن يحققوا كيف حصل دخول الكرة الهدف وفي اية مواقع كان المهاجمون وأية مواقع كان فيها المدافعون .. وهل الهدف بالتالي قانوني أصولي أم عليه اعتراض مبطل له ..

أما الذين يبغون التاريخ أدبا فهم الذين يستعيدون حوادثه السعيدة ليسروا وليوجدوا في أنفسهم يقينا على إمكان أن يفعل الأبناء ما فعل الآباء .

أو هم كالذين دخلت الكرة هدفهم يستعيدون ظروف الأمر على التلفاز وبهم أسي لما حصل وتصميم على ألا يتكرر الخطأ ..

وبذلك نرى أن نوع الحاجة للتاريخ هي التي تقرر اتجاهاته ..

لكن الكثيرين ممن يؤثرون التاريخ علما ليكون عندهم أحق بالاحترام هم جماعة من أصحاب القلوب الطيبة والنوايا الحسنة والاستقامة بلا ريب ..

ومعروف أن الحق له جلاله العظيم ، وفي محرابه لا تكون عواطف ولا حوافز ولا دوافع وانما تكون رواية حق لما حصل ... وإلا فكيف نرتب أحكاما على باطل ، ونقيم على روايات كاذبة أمورا لها خطرها وأثرها .. لكن هؤلاء الناس مثاليون أيضا ..

والمثاليون على الرأس والعين ولكنهم كالرمية التي لا تصيب سهما ، فالتاريخ هو أمر يتعلق بالانسان ويفرزه الانسان وكل ابن آدم خطاء ... وهيهات يصل الانسان حد الخلوص التام من الهوى .. وتقريبا لحقيقة المشكلة نعيد طرح السؤال التقليدي والتاريخي ايضا هل التاريخ يراد للتاريخ نفسه ؟

أم هل هو يراد للحياة ؟

وأنا شخصيا أريد أن أضيف هذا السؤال اذا كان هناك فنانون أصيلون فيهم ما يكفيهم من الاباء والفقر والغرور ، فلماذا ينجزون أعمالا مبدعة لعائلة مديشي في فلورنسا ولويس الرابع عشر في قصور فرساي واللوفر؟

هل الفن التزام ؟ وهل التاريخ التزام ؟ أم رواية للحقيقة لمجرد الحقيقة ، ولحلاوة الحقيقة وجمالها ؟

ودعنا ننظر في الموضوع في السؤال الذي يطرحه الكثيرون اليوم : هل التاريخ حافز أم حاجز ؟

هل هو عبء ينوء به كاهلنا أم هو حافز يدفعنا إلى الخير والإنجاز ؟ وهل اذا كان التاريخ حافزا يجوز أن نتعمد فيه التهويل والتحريف ؟ رأيي المتواضع إن كنت حقا مؤهلا لأن أتكلم بهذه الكيفية هو أنه لا يوجد شيء اسمه التاريخ للتاريخ وان هذه العبارة لا تعني شيئاً على الأطلاق !

على الأقل يقرأ التاريخ قارئ ليتسلى إن لم يكن ليعتبر. ليس هناك تاريخ للتاريخ ذاته ، ولكنّ هناك تاريخا للاعتبار ، وتاريخا للثقافة ، وتاريخا لتوسيع العقول كما يقال وتاريخا للأهمية والاعتزاز ، وهل كان العرب من أحفظ الناس وأشدهم عناية بالانساب إلا لافتخارهم بأحسابهم وأنسابهم وتبخترهم وخيلائهم .. ؟

التاريخ الانساني

في تصوري واعتقادي أن مجالات ما يسمى بالتاريخ القومي والعشائري ستنغلق بنهاية هذا القرن كذلك سوف يسقط قسم كبير من التواريخ الوطنية.

سيسقط تاريخ الحروب والقتل والمعارك والأيام ويسقط تاريخ الفاشية والفاشيين ويسقط تاريخ المعتدين الصهاينة وسوف يكون البقاء للتاريخ الانساني والحضاري تاريخ ما ينفع الناس ويمكث في الأرض والله ولي التوفيق.

كل ما تريد أن تعرفه عن :

زرع الكلى

- نجحت عملية زرع الكلى عالميًّا بنسبة ٩٠٪ في سنة ١٩٨٠
- العالم العربي بحاجة عاجلة إلى مزيد من التجهيزات والمراكز المتخصصة
- هل يمكن إصدار تشريعات تسمح بالاستفادة من أعضاء ضحايا الحوادث؟

بقلم : الدكتور سامي عزيز

يعتبر زرع الكلى من أنجح عمليات نقل الأعضاء .. تقول التقارير الطبية الصادرة عن أحد المراكز الطبية في بريطانيا إنه في سنة ١٩٨٠ وحدها تم إجراء أكثر من ١٥٠٠ عملية زرع كلى .. وقد وصلت نسبة نجاح مثل هذه العمليات إلى أكثر من ٩٠٪ في العديد من المراكز الطبية في العالم .

ويعتبر جوزيف موري أول من أجرى مثل هذه العمليات بنجاح تام .. كان ذلك سنة ١٩٥٤ بمستشفي بيتربنت ، ويرجع نجاح هذه العملية الى انه اجراها على توائم ، واستمرت الكلية تعمل لمدة ٨ سنوات بعد نقلها ... والواقع انه قبل سنة ١٩٥٤ أجريت العديد من عمليات زرع الكلى في مراكز مختلفة ، إلا أنها كلها فشلت وتوقفت الكلية عن العمل بعد نقلها (طردها الجسم) .. وأشارت الأبحاث التي أجريت على هذه الحالات إلى دور الجهاز المناعي في هذا الفشل . فكما توجد فصائل مختلفة للدم — كما هو معروف — توجد فصائل مختلفة أيضا للأنسجة . ولابد من تطابق هذه الفصائل بين المريض الذي يأخذ الكلية والشخص الذي يعطيه الكلية حتي يتقبلها الجسم بصفة دائمة . ولهذا السبب نجحت العملية التي أجراها جوزيف موري سنة ١٩٥٤ ، إذ أنه أجراها على توائم (مولودين نتيجة تلقيح وانقسام بويضة واحدة) ولذلك فالتطابق بينهما يصل إلى ١٠٠٪ من حيث فصائل الدم وفصائل الأنسجة .

مشكلتان .. هل من حل ؟

المشكلة الأولى .. كيف يمكن زرع كلية بين أشخاص لا يكون التطابق فيهم كاملا ؟ لابد في هذه الحالات من التعامل مع الأجهزة المناعية للجسم وجعلها في حالة تتقبل هذا العضو الغريب (الكلية المزروعة) ولا تطرده . وأشارت الأبحاث إلى الدور الكبير الذي تلعبه خلايا الدم الليمفاوية في طرد الكلى المزروعة عندما لا يكون التطابق في الفصائل كاملا .. وفي البداية بدأ العلماء بتعريض جسم المريض المرادنقل الكلية اليه إلى أشعة اكس ، وذلك بغرض الحد من نشاط خلايا الدم الليمفاوية ، وبالتالي إضعاف جهازه المناعي وتثبيطه ، حتي لا يقوم بعملية الطرد للجسم المزروع . ولكن تعريض الجسم كله لأشعة اكس له مضاعفاته : فهو يقلل مقاومة الجسم ، ويجعله عرضة لأي التهاب ، وقد يؤدي إلى الوفاة . وتم التوصل بعد ذلك إلى العقاقير المثبطة للجهاز المناعي ، وأول هذه العقاقير عقار « ازاثيوبرين » الذي استخدمه روي كالن سنة ١٩٦٢ مع مركبات الكورتيزون . واستمر استخدام مثل هذه العقاقير حتي سنة ١٩٧٠ . وحديثا تم التوصل إلى أنواع جديدة من العقاقير المثبطة للجهاز المناعي ، وأشهرها عقار « السيكلوسبورن » ، الذي يتميز بتأثيره المتميز على الجهاز المناعي ، وقلة مضاعفاته وأضراره .

أما المشكلة الثانية فهي : من أين نحصل على أعداد وفيرة من الكلى لانقاذ حياة هؤلاء المرضي المحتاجين إلى زرع كلوي ؟ .. هناك طريق ضيق وهو قائم الآن نعتمد فيه على المتبرعين ، وغالبا ما يكونون من أقارب المريض : ولكن هناك طريق آخر لم نطرقه بعد وان كانت العديد من الدول الأوربية قد بدأت الاستفادة منه .. انه الاستفادة بكلية بعض المتوفين ، بل وباعضائهم المختلفة في عمليات الزرع . ولكن هناك شروط خاصة لابد من توافرها حتي يمكن أن تقوم الكلية بعملها بعد زرعها . وأول هذه الشروط استمرار سريان الدم في الكلية تحت ضغط معتدل



احدى عمليات زرع الكلى

حتي لحظة إزالتها ، ويكون ذلك باستخدام أجهزة خاصة لضمان استمرار التنفس والدورة الدموية ، وبالتالي تيار معقول من الدم إلى الكلية . كما أصبح من الضروري وجود أجهزة معينة للاحتفاظ بالكلى حتي ٢٠ ساعة قبل نقلها .. وتجدر الاشارة إلى أهمية سرعة إجراء عمليات الزرع .. فكلما قصرت المدة بين أستئصال الكلية وزرعها كانت النتائج أفضل وأجدى .

ويتميز التبرع بكلية المتوفي بمميزات عديدة أهمها

١ ــ يمكن انقاذ شخصين لكل حالة وفاة .

٢ ــ الخسارة ليست كبيرة في حالة طرد الكلية المنقولة من ميت بالمقارنة إلى حدوث نفس الشيء مستخدمين كلية مأخوذة من شخص سليم .

وهذه المزايا بالطبع لا نجدها في حالة التبرع من الأحياء ، لذلك لابد من العمل على طرق هذا السبيل الإنساني النبيل .

زرع الكلية .. لمن ؟

الفشل الكلوي المزمن مهما اختلفت وتعددت أسبابه هو من أهم الدواعي التي تحتاج في علاجها إلى زرع الكلية .. لذلك فالحالات التي تحتاج إلى زرع كلية هي نفسها أسباب الفشل الكلوي المزمن وأهمها :

١ ــ الالتهاب المزمن للكليتين .

٢ ــ تكيس الكليتين .

٣ ــ بعض الأمراض التي تؤثر على الكليتين وتؤدي إلى فشل كلوي مزمن مثل مرض البول السكري ومرض القناع الأحمر(الذئبة الحمراء) والتيبس الجلدي المفصلي .

٤ ــ التهاب نسيج الكلية الناتج عن بعض العقاقير مثل مسكنات الألم وغيرها .

على أي أساس يتم إختيار المتبرع ؟

هناك عدد من الشروط يجب توافرها في المتبرع قبل إجراء عملية زرع الكلية ، وأهم هذه الشروط :

١ ــ أن يتفق المتبرع والمريض المراد زرع الكلية فيه في فصيلة الدم .

٢ ــ أن يتفق المتبرع والمريض المراد زرع الكلية فيه في فصيلة الأنسجة .

٣ ــ أن يمتلك المتبرع كليتين سليمتين .. وان يكون جهازه البولي سليما خاليا من العيوب الخلقية ، ويتم التأكد من ذلك باجراء اشعة بالصبغة على المسالك البولية .

٤ ــ أن يوافق المتبرع والمريض المراد زرع الكلية فيه وأسرة كل منهما على العملية .

٥ ــ أن لا يكون هناك احتمال في ظهور نفس المرض في الكلية بعد نقلها .

لذلك فهناك عدد من الفحوص يجب أن تجرى على المتبرع الحي قبل نقل كلية منه ، وأهم هذه الفحوص :

١ ــ عدد كريات الدم الحمراء ، ونسبة الهيموجلوبين ، ونسبة بولينا الدم ، ومستوى الصوديوم ، والكالسيوم ، والبوتاسيوم وغيرها من العناصر في الدم .

٢ ــ فصيلة الدم ، وفصيلة الأنسجة .

٣ ــ تحليل للبول وعمل مزرعة للبول .

٤ ــ اشعة بالصبغة على المسالك البولية .

٥ ــ مستوى الكريتنين في الدم .

٦ ــ أشعة ملونة لشرايين الكلية .

٧ ــ مزرعة لخلايا الدم الليمفاوية الخاصة بالمتبرع والمريض .

٨ ــ التأكد من خلو الكلية المراد نقلها من

زرع الكلى

فيروس « السيتومجالك » ، وغيرها .

أما المريض المراد نقل الكلية فيه فيجب أن :

١ ـــ يتفق في فصيلة دمه مع المتبرع .

٢ ـــ أن يكون الجزء السفلي لمجاريه البولية (الحوالب والمثانة البولية ومجرى البول) في حالة طبيعية .

٣ ـــ خاليا من التهابات المجاري البولية .

٤ ـــ أن يتم اعداده مسبقا قبل العملية بتنقية دمه بواسطة الكلية الصناعية مرتين أوثلاث كل اسبوع لمدة تتراوح من ٦ ـــ ٨ ساعات كل مرة .

٥ ـــ أن يكون ضغط دمه في حالة تسمح باجراء العملية ويمكن التحكم فيه بالعقاقير.

٦ ـــ وأخيرا أن تكون لديه الرغبة والاقتناع بهذه الوسيلة العلاجية .

موانع اجراء زرع الكلى :

ونقصد هنا الحالات التي نستبعدها من اجراء عملية زرع الكلية .. فزرع الكلية فيها لن يفيدها ولن يحسنها لذلك لا داعي لاجراء هذه العمليات من البداية ، واهم هذه الحالات :

١ ـــ الانتشار السرطاني ، وحالات السرطان عامة .

٢ ـــ التقيح الصديدي بالمسالك البولية .

هذه الحالات السابق ذكرها تزداد سوءا عند إعطائها العقاقير المثبطة للجهاز المناعي

٣ ـــ الحالات المتقدمة لتصلب الشرايين .

٤ ـــ قصور شرايين القلب وقصور القلب والدورة الدموية .

٥ ـــ الأمراض الصدرية المزمنة .

مثبطات الجهاز المناعي :

في حالة زرع كلية في التوائم لا يحتاج الأمر إلى اعطاء احد العقاقير المثبطة للجهاز المناعي ،فالتطابق بينهما يصل إلى ١٠٠٪ في فصيلة الدم وفصيلة الأنسجة . أما بالنسبة للحالات التي لا يصل التطابق فيها إلى ١٠٠٪ ، فانه يجب استخدام العقاقير المثبطة للجهاز المناعي وهي :

١ ـــ الكورتيزون : وخاصة « البردنيزيلون » ١٠٠ ملليجرام يوميا وتقل الجرعة تدريجيا إلى ٣٠ ملليجرام خلال ٣٠ يوما . ويستمر اعطاء العقار بجرعات تصل إلى ١٥ ملليجرام لمدة ٦ شهور بعد اجراء العملية .

٢ ـــ أزاثيوبرين : يعطى بجرعة مقدارها ٢ ملليجرام ٪ كيلوجرام أي حوالي ١٥٠ ملليجرام يوميا بالنسبة للشخص البالغ في المتوسط . وتعدل الجرعة فيما بعد بحسب نتائج عدد كريات الدم البيضاء والصفائح الدموية .

٣ ـــ سيكلوفوسفاميد :

يستخدم كبديل للعقار السابق .

٤ - ميثيل برد نيزيلون .. ويُعْطَى بجرعة مقدارها واحد جرام في الوريد لمدة ٣ أيام متتالية في حالات طرد الجسم للكليةالمزروعة بطريقة حادة .

وحتى يمكن تجنب الأعراض الجانبية التي قد تنشأ من استخدام العقاقير المثبطة للجهاز المناعي ، يجب اجراء تحاليل شاملة للمريض قبل البدء في العلاج وبعد اجراء العملية .. فالغرض من استخدام هذه العقاقير هو منع عملية الطرد ، وجعل الجسم مُتقبلاً للكليةالمزروعة فيه ، وذلك باستخدام أقل جرعة ممكنة من هذه العقاقير.

تفاصيل عملية زرع الكلية :

الكلية المزروعة لا توضع في نفس مكان الكلية المريضة .. ولكننا نختار لها مستوى منخفضاً اسفل البطن بالقرب من المثانة البولية وفي نفس الجهة من الجسم . والعملية تتم خلال مرحلتين . والهدف الجراحي توصيل الأوعية الدموية (الشرايين والأوردة المتصلة بالكلية) ثم توصيل الحالب بالمثانة . ويتم ذلك من خلال قطع جراحي أسفل البطن ، يصل طوله ألى ٢٥ سم ويبعد حوالي ٧ سم أعلى المنطقة الأربية .

ويجب اتخاذ هذه الاعتبارات أثناء الاجراء الجراحي :

١ ـــ قبل توصيل شريان الكلية المراد زرعها بالشريان الحرقفي يجب فحص هذا الشريان والتأكد من خلوه من أي تغيرات باثولوجية .

٢ ـــ يتم بعد ذلك توصيل وريد الكلية المراد زرعها مع الوريد الحرقفي الخارجي لنفس الجهة .

٣ ـــ التخلص من الأوعية الليمفاوية الرفيعة المجاورة لمنطقة العملية ، وذلك بربطها حتى لا يحدث ارتشاح ليمفاوي بعد العملية .

٤ ـــ عند الانتهاء من توصيل أوعية الكلية المراد زرعها مع أوعية الجسم وانسياب الدورة الدموية فيها .. يبدأ لون الكلية في التحسن .

٥ ـــ اخيرا يتم فتح المثانة البولية وتوصيلها مع حالب الكلية المراد زرعها بطريقة معينة تمنع حدوث ارتجاع البول من المثانة إلى الحالب فيما بعد .

هل لزرع الكلية مضاعفات ؟

يمكن تقسيم هذه المضاعفات إلى :

أولا : مضاعفات قد تنتج أثناء العملية :

١ ـــ مضاعفات التخدير المختلفة .

٢ ـــ الطرد المبكر للكلية المزروعة .

٣ ـــ ارتفاع نسبة البوتاسيوم في الدم .

٤ ـــ حدوث نزيف مفاجئ وبصورة شديدة .

ثانيا : مضاعفات قد تنتج بعد العملية :

١ ـــ تأخر الكلية المزروعة في القيام بوظائفها .. مما يتلفها .

٢ ـــ طرد الجسم لها وتوقفها عن العمل ، (غالبا ما يحدث ذلك في اليوم العاشر إلى اليوم الرابع عشر حيث تقل كمية البول وترتفع نسبة بولينا الدم مع ارتفاع بسيط في درجة الحرارة .. ويبدو المريض وكأنه مصاب بالانفلونزا) .

٣ ـــ مضاعفات ناتجة عن عقار الكورتيزون المستخدم في تثبيط الجهاز المناعي مثل الاكتئاب أو ظهور مرض البول السكري .

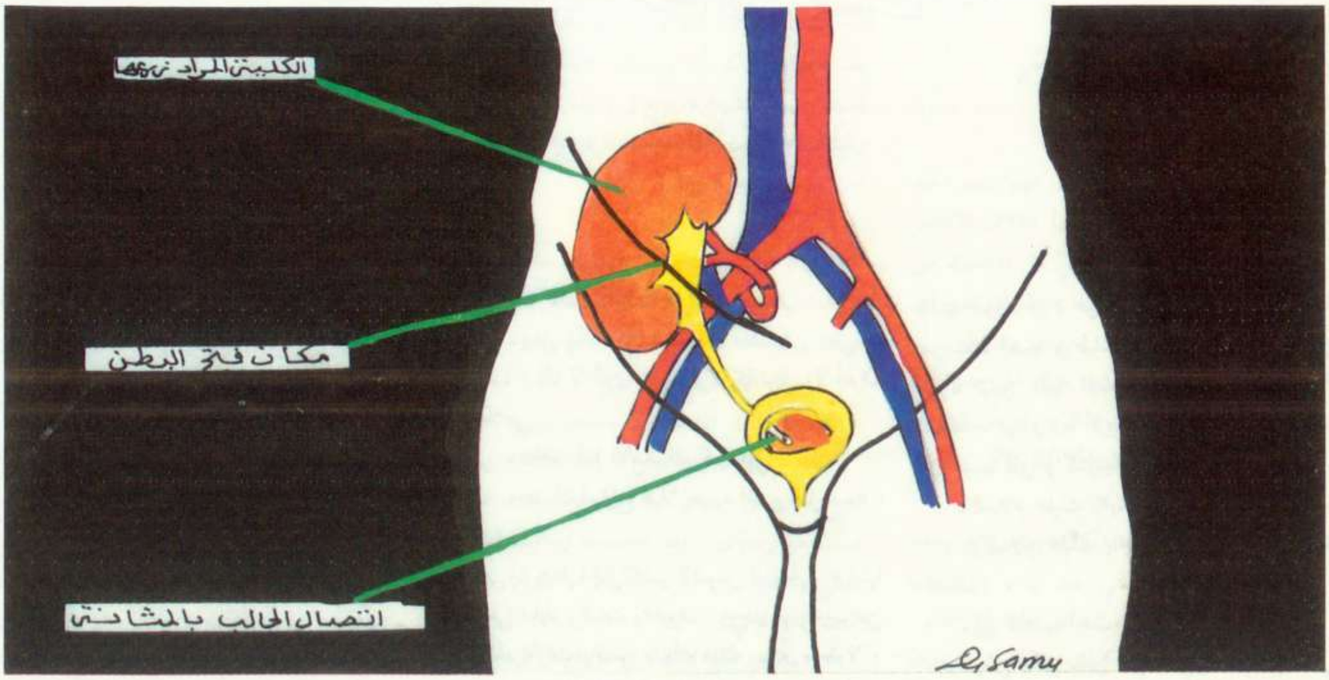
٤ ـــ مضاعفات ناتجة عن العقاقير المثبطة للجهاز المناعي .

٥ ـــ ضعف المقاومة الطبيعية للجسم والاصابة بالالتهاب الرئوي وغيرها .

٦ ـــ تكون جلطات في أوردة الساقين .

ثالثا مضاعفات قد تنتج فيما بعد :

١ ـــ طرد الجسم للكلية المزروعة : قد يحدث ذلك بعد ستة أشهر من إجراء العملية أو بعد إنقاص



التفاصيل الجراحية لعملية زرع الكلى

جرعة العقاقير المثبطة للجهاز المناعي للجسم .

٢ ـ عودة الالتهاب في الكلية المزروعة .

٣ ـ الاصابة بالفيروسات مثل فيروس الهربس وغيرها .

٤ ـ ظهور بعض الأورام السرطانية في الكلية المزروعة .

٥ ـ مضاعفات استخدام العقاقير المثبطة للجهاز المناعي لفترات طويلة .

٦ ـ ارتفاع ضغط الدم .

٧ ـ ظهور بعض الأمراض الجلدية مثل التينيا ، والهربس ، وحب الشباب وغيرها نتيجة ضعف الجهاز المناعي للجسم .

نسبة النجاح بعد العملية :

إرتفعت نسبة نجاح عمليات زرع الكلى بعد التطور الطبي الهائل الذي توصلنا اليه في السنوات القليلة الماضية . وساعد على ذلك :

١ ـ العقاقير المثبطة للجهاز المناعي التي توصلنا اليها أخيرا .

٢ ـ الاختيار السليم للمتبرع .

٣ ـ التقدم الكبير في علوم المناعة .

٤ ـ الخبرة المكتسبة من عمليات زرع الكلى التي تمت خلال الثلاثين سنة الماضية .

وحسب آخر التقارير التي أعلنت في عدد من المجلات الطبية المتخصصة في هذا الشأن نستطيع أن نقول أن نسبة نجاح عمليات زرع الكلى كالآتي :

١ ـ في التوائم تظل الكلية المزروعة في القيام بوظائفها لأكثر من خمس سنوات في ٩٠ ٪ من الحالات .

٢ ـ عند زرع كلية أحد الأقارب ، تظل الكلية المزروعة بدون طرد لأكثر من خمس سنوات في ٨٠ ٪ من الحالات .

٣ ـ عند زرع كلية مأخوذة من ميت ، تظل الكلية المزروعة بدون طرد لأكثر من خمس سنوات في ٥٠ ٪ من الحالات .

كلمة أخيرة أقول .. لا شك أن الفشل الكلوي المزمن يمثل مشكلة خطيرة في بعض البلدان العربية .. فان كانت هذه النتائج صادرة عن أحد المراكز الطبية الأوروبية المتخصصة ، فنحن في أوطاننا العربية نحتاج إلى مزيد من التجهيزات ومزيد من العناية .. ومزيد من هذه المراكز المتخصصة حتى تحقق نتائج مماثلة .. وتجدر الاشارة هنا إلى أهمية اتخاذ خطوات إيجابية في سبيل استصدار تشريعات تسمح بالاستفادة باعضاء موتى الحوادث ليجد مريض الفشل الكلوي طريقه للشفاء ، ونضع حدا لآلامه .

سامي عزيز

عن قصة شعبية عُمانيّة

معروف وجعروف

بقلم: يوسف الشاروني

معروف وجعروف شقيقان ، لكن الفرق بينهما كالفرق بين السماء والأرض كما يقولون . معروف كان غنيا جدا ، عنده قصر فخم له حديقة ملآنة بالزهور والفواكه ، وزوجة جميلة وتجارة ناجحة . وفي بيته مكتبة فيها كتب عن تاريخ البشرية وعن جميع العلوم والمعارف . أما جعروف فكان فقيرا يسكن في كوخ في طرف البلدة ، ويلبس ثيابا قديمة غير نظيفة لأنه لم يكن معه ما يشتري به ملابس جديدة ، وإذا كان معه نقود فانه لا يفكر حتى في تنظيف ما عليه من ملابس . ولم يكن قد قرأ في حياته كتابا غير الكتب التي تعلم فيها القراءة والحساب عندما كان في المدرسة مع أخيه معروف . كما لم يكن له عمل معروف .

وفي يوم من الأيام سأل جعروف نفسه : لماذا أنا فقير؟ وسمع صوتا يقول له : لأن حظك ليس هنا، لكنه في مكان بعيد وراء هذه الجبال . وتلفت حوله ليعرف مصدر الصوت لكنه لم يجد أحدا . فقرر أن يسافر بحثا عن حظه .

وفي الفجر وضع الأشياء الضرورية لرحلته في خُرّج حمله على كتفه ، وأغلق كوخه واتجه سائرا نحو الجبل .

وعندما أصبح جعروف فوق الجبل كانت الشمس قد أشرقت وبدأت تضيء الدنيا بأشعتها المبللة بندى الفجر ، ولمح بقايا حائط قديم لقلعة مهدمة فقال : أذهب هناك لأستريح قليلا — بعد صعودي الجبل — في ظل هذا الحائط ، ثم أعاود السير . لكنه لما اقترب وجد أسداً رابضاً يبدو عليه المرض والضعف . قال له جعروف :

ـ السلام عليك أيها الأسد .

أجاب الأسد في صوت كأنه مواء قطة :

ـ والسلام عليك يابني ، ماذا تفعل في هذا الجبل ؟

ـ أنا ذاهب للقاء حظي .

ـ وهل يمكنك أن تبحث لي معك عن حظي أنا أيضا ؟ فأنا لا أقوى على الحركة كما تراني ولا أعرف علاجي .

ـ حاضر أيها الأسد المسكين مثلي .

وبعد أن استراح قليلا بجواره قام يواصل سيره .

ولما هبط الجبل كانت الشمس قد بدأت حرارتها تدفئ الجماد والنبات والحيوان . ووجد أنه يقترب من الخضرة والماء والناس ، وأن هناك بساتين وحقولا ، حتى وصل إلى فلج مكشوف رأى على حافته شجرة لكن أوراقها كانت جافة وأغصانها يابسة ولا أزهار بها ولا ثمار ، بينما هناك شجرة أخرى بعيدة عن الفلج أوراقها خضراء وزهورها جميلة .

اقترب جعروف من الشجرة الجافة قائلا إنها مثلي ، أما الشجرة الأخرى فهي مثل أخي معروف . ثم حياها ..

ـ السلام عليك أيتها الشجرة .

أجابت الشجرة في صوت كأنه خشخشة أوراقها الجافة عندما تهب ريح واهنة :

ـ والسلام عليك يا أخي ، إلى أين أنت ذاهب ؟

ـ أنا ذاهب للبحث عن حظي .

ـ إذن أرجوك يا أخي أن تبحث لي عن حظي معك ، فأنت كما تراني أعانق الفلج ولكني ظمآنة لا أرتوي ، فأنا قريبة بعيدة منه لا أعرف لذلك سببا .

ـ على العين والرأس أيتها الشجرة المسكينة مثلي .

وبعد أن استراح جعروف بجوارها قليلا ، وأكل شيئا مما معه ، قام يواصل سيره .

وعندما وصل جعروف العمران كانت الشمس قد اشتد ضوؤها وزاد حرها ، لكن الظل والخضرة خففا من شدة الضوء ورطبا من حرارة الجو . وهناك قابل امرأة تبدو عليها الصحة ، طويلة القامة مهيبة الطلعة ، ترتدي زيا أقرب ما يكون إلى زي الحرب ، في عينيها قلق واكتئاب . قال لها جعروف :

ـ السلام عليك يابنة العم .

ـ والسلام عليك يابن العم ، إلى أين تقودك قدماك ؟

ـ إني ذاهب أبحث عن حظي .

ـ وهل يمكن يابن العم أن تبحث لي عن حظي معك ؟ فأنا زعيمة قومي ، وقد أغارت علينا جماعة مجاورة ، ونحن الآن — كما ترى — في حرب معهم ولاأعرف هل سننتصر أو ننهزم .

— اطمئني يا بنت العم ، سأسأل عن حظك تماما كما أسأل عن حظي .

وواصل جعروف سيره ، وظل سائرا سائرا حتى لمح نخلة ، فلما اقترب منها وجد شيخا نائما تحتها . وكان نصف عذوق النخلة — لدهشة جعروف — محملا بالتمر الناضج بينما نصفها الآخر ما زال خلالا (بُسراً)أخضر . وأراد جعروف أن يستريح في ظل النخلة ويسند عليها ظهره ويأكل مما معه فقد جاع مرة أخرى ، لكن الوقت كان ظهرا ، وظل النخلة قصير لا يتسع للشيخ النائم ولشخص آخر إلا إذا زاحمه وأيقظه . وتردد جعروف — الذي كان الآن في قمة تعبه وجوعه — هل يجي الشيخ ويوقظه ليجلس في ظل النخلة ويستريح ويأكل ... ولكن الشيخ لم يترك له فرصة للتردد لأنه ما لبث أن تقلب يمينا وشمالا ثم فتح عينيه ليرى جعروف واقفا فوق رأسه . وحتى لا يظن الشيخ به الظنون بادر جعروف فحياه قائلا :

— السلام عليك يا عمي .

— وعليك السلام يا ابن الأخ ، لماذا تقف هكذا ؟

— هل تسمح لي أن أستريح بجوارك في ظل هذه النخلة العجيبة ؟

ضحك الشيخ ولم يعلق بشيء ، إنما أجابه قائلا :

— يبدو أنك غريب ، ما الذي جاء بك إلى هنا ؟

— جئت يا عمي أبحث عن حظي .

— أنا حظك !

— حظي ؟

— نعم حظك . يمكن أن يكون كهذا التمر الحلو الناضج ، ويمكن أن يكون كهذا الخلال الأخضر طعمه حَلَكْ (قابض) . إلْقِ عليَّ كل ما لديك من أسئلة تخصك وتخص غيرك أيضا . إياك أن تنسي أي سؤال وخصوصا عن حظك ، ولكن بشرطين : أن ما تنسي السؤال عنه لن تكون هناك أية إجابة عليه بعد فوات الأوان ، فسأعاود النوم ولن أستيقظ إلا لغيرك . أما الشرط الثاني فهو ألا تُخبِرالآتي بما فعلته مع الماضي ففي ذلك هلاكك .

فرح جعروف لأن هذا كان معناه نهاية رحلته ووصوله إلى غايته . فلم يعد يشعر لا بالتعب ولا بالجوع ، بل بدأ يلقي أسئلته على الحظ في الحال :

— في طريقي إليك قابلت امرأة هي زعيمة قومها ، وهي في حرب مع جماعة أخرى ، وتريد أن تعرف هل ستنتصر أم ستنهزم .

أجابه الحظ : ستنتصر بشرط أن تتزوج .

— وإذا لم تتزوج ؟

— ستنهزم .

— وقابلت شجرة توقفت عن النمو فجفت أوراقها ويبست أغصانها مع أنها تقف على حافة الفلج ، وتسألك كيف من هذا الحظ التعس تنجو فتنمو :

— تحت جذورها كنز من ذهب أوقف نمو جذورها ومنع عنها غذاءها . وانتزاع الكنز يعيد إليها الحياة ، فتخضر أوراقها وتتفتح أزهارها وتتدلى ثمارها .

— وقابلت أسداً مريضاً لا يقوى على الحركة ، يسأل عن علاج له .

— علاجه أن يأكل رجلا أعمى ، فتعود إليه صحته وترجع قوته .

وشكر جعروف حظه وبدأ رحلة العودة . غير أنه بعد خطوتين تذكر أنه لم يسأل الحظ عن نفسه ، فاستدار ليجد الشيخ قد راح في سبات عميق . وكان واضحا أنه ليست هناك وسيلة لإيقاظه . وكان هذا أول شرط نسيه جعروف .

وفي رحلة عودته كانت الشمس ما تزال تنشر ضوءها الباهر وحرارتها اللافحة حين قابل المرأة تنتظر عودته ، فما أن رأته حتي سألته بتلهف :

— ماذا قال لك الحظ عني ؟

— قال إنك إذا تزوجت ستنتصرين .

— تعلم أنني زعيمة قومي ، ولهذا لا يجوز لي أن أتزوج رجلا من رعاياي . ما رأيك لو تزوجنا ، فأنت لست من رعاياي ، وقد اهتممت وسألت لي عن حظي وعرفته ، إني أعرض عليك أن نتزوج وتصبح أنت زعيم قومي .

— يؤسفني أنني لا أفكر في الزواج الآن ، ولست أحب صراحة أن أكون زوجا لامرأة تتزعم قومها .

— سأتنازل لك عن هذه الزعامة .

— ولو ، السلام عليك يا ابنة العم .

وهكذا فارقها وعاد يستأنف سيره .

وكانت الشمس قد خفت حدة ضوئها وحرارتها قليلا حين قابل الشجرة . سألته الشجرة في تلهف :

— ماذا فعلت يا جعروف مع الحظ ، هل سألته عني ؟

— نعم سألته وقال لي إن تحت جذورك كنزاً من ذهب لو انتزعته لامتدت جذورك وأورقت أغصانك وأينعت أزهارك وتدلت ثمارك .

— إذن تعال واحفر تحتي وخذ الكنز ، تمتلئْ جيوبك بالمال وتمتلئْ جذوري بعصارة الحياة فتسري في أغصاني وأوراقي وأزدان بالأزهار والأثمار .

— لكني لا أجد حولي فأسا ، وأنا الآن مرهق من رحلة الذهاب والإياب ، أخاف أن يأتي عليَّ الليل ومعي الكنز فيطاردني اللصوص وقد يقتلوني ليأخذوه مني .

— غيرك كان ينبش بأظافره ليأخذ الكنز .

— إذا كنت قد رفضت أن أكون زوجا لعروس عظيمة الشأن ، وزعيما لقوم ، فما قيمة الكنز بجانب ذلك ؟ السلام عليك أيتها الشجرة .

— وهكذا نسي الشرط الثاني من شروط حظه . وفارق الشجرة واستمر في طريق عودته .

وكانت الشمس الآن قد أوشكت على المغيب وشف قرصها الأحمر الكبير من خلف سحابات بيضاء خفيفة حين قابل الأسد وهو ما يزال طريحا تحت بقايا حائط القلعة القديمة .

— سأله الأسد في صوت ضعيف لكنه متلهف :

— ماذا فعلت مع الحظ ،هل قابلته ؟

— نعم قابلته وسألته عن المرأة التي تحارب والشجرة التي تموت و ...

وهنا قاطعه الأسد بخبث : وماذا قال لك ؟

أجابه جعروف : قال إن المرأة ستنتصر إذا تزوجت ، والشجرة ستحيا إذا نُزِع الكنز من تحتها .

وتساءل الأسد في حب استطلاع : وماذا فعلت معها ؟

— لم أتزوج المرأة ولا أخذت الكنز .

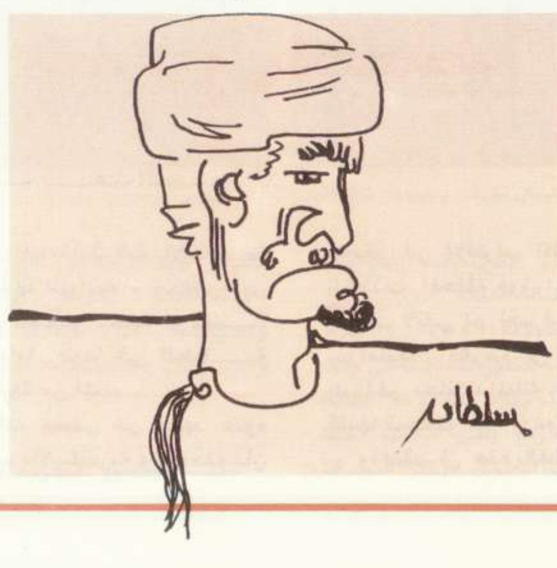
— وماذا قال لك عن علاجي ؟

— علاجك أن تأكل رجلا أعمى .

عندئذ هجم الأسد على جعروف وقال له وهو يلتهمه :

— وهل سأجد رجلا أكثر عمى منك ؟ يعطيك الحظ الفرصة مرتين وتضيعها ، رفضت أن تنقذ المرأة من الهزيمة وتصبح زعيم قومها ، ورفضت أن تنقذ الشجرة من عذاب جوعها وتمتلك كنزاً . أنت هو الرجل الأعمى : ضيعت عمل الخير ومكافأته . هَمْ .. هَمْ .

بقي هناك سر سأقوله لكم بيني وبينكم : لقد أضاع جعروف فرصة حظ ثالثة ، فلو كان قد سأل الحظ عن نفسه ولم ينس ، لأجابه : حظك في بطن الأسد . ولذلك كان سيقتل الأسد أول ما يراه ولا يعطيه الفرصة ليفترسه .





طائر البطريق « الامبراطور » مع صغيره



طائران افريقيان يتبادلان التحية .. الطائران يطلق عليهما اسم : «الاطين»



طائران بحريان يهبطان الى عشهما بعد نهار من العمل المتواصـــل في جمع الغذاء

طيور

عمرها ٦٥ مليون سنة !

بقلم : رجب سعد السيد

اسرتني طيور البحر منذ قرات ذلك المشهد في مسرحية تشيكوف «الطائر البحري» والبطل يدخل إلى المسرح حاملا في يده طائر النورس الذى أرداه قتيلا .. ويبقى ذلك الطائر الرمز جاثما بظله على أحـــداث المسرحية .

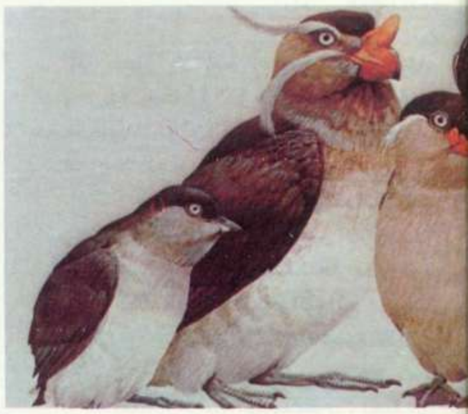
وتولد لدى حب مراقبة طيور البحر وهى تحوم فوق مياه الميناء الشرقية بالاسكندرية .. تؤدى رقصاتها الهوائية ، وتنقض بين الحين والحين لتقتنص سمكة أو كائنـــاً قشرياً أو حيواناً رخوياً فى الطبقـــة السطحية الرقيقة من المياه .

ومنذ التحقت بعملى فى معهد علوم البحار والمصايد بالاسكندرية وانا أحلم بان يتحقق لي الاقتراب أكثر من عالم هــذه الكائنات المحلقة فوق المسطحات المائية . واسفت لأنني لم اجد فى المعهد من يهتم بدراستها ، بالرغم من أن أصواتها تصل إلينا فى معاملنا المطلة على الميناء الشرقية كانها تستنكر هذا الاهمال لها .

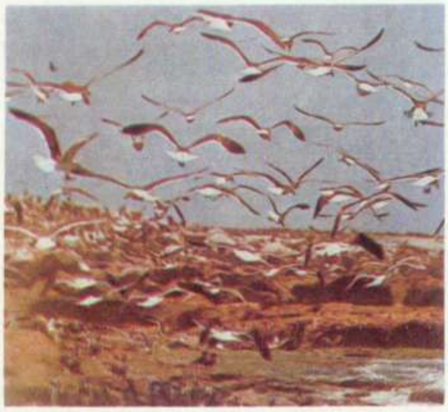
واعتقد أن هذه القطيعة سوف تنتهى



نوع من بطريق بحر الشمال



انواع من بطريق بحر الشمال تزينت وجوهها بزخارف



الطيور البحرية في حفل غذاء على الشاطىء



زوج من طيور « القادوس » البحرية

قريباً ، فقد بدات الترتيبات التمهيدية لاجراء أول دراسة علمية عن الطيور البحرية فى الاسكندرية ، وارجو أن تتاح لنا الظروف المواتية لتظهر نتائجها فى وقت قريب لينتهى جهلنا بهذه المجموعة الهامة من الكائنات البحرية التى شغلنا عنها اهتمامنا بالكائنات الأخرى الأكثر التصاقاً بالبحر كوسط للحياة ، والأشد تاثيراً فى حياة البشر ، والأكثر سهولة فى التناول والدراسة ، مثل الأسماك والقشريـــات والرخويات والطحالب البحرية .

مناطق الطيور

تنتشر الطيور البحرية من القطب إلى القطب . وبالرغم من أن مساحات كبيرة من مياه البحار والمحيطات قد حرمت من بهجة تواجد الطيور البحرية فيها ، فانه من المتوقع دائماً أن تستقبلك طيور البحر أينما توجهت فى البحر الطليق .

ويبلغ عدد أنواع الطيور المنتشرة فى جميع أجواء الكرة الأرضية ٨٦٠٠ نوع ،



زوج من طيور « النوء العملاق » يرقصان في حلقة جثة « بطريق » طافية ، وقد وقف أفراد المستعمرة لايملكون شيئا امام الطائرين المفترسين ، غير مجرد الاكتفاء بالمشهد !

تمثل طيور البحر ٣٪ فقط منها ، إذ يتراوح عدد أنواعها بين ٢٦٠ و ٢٨٥ نوعاً . وعدم تحديد الرقم يرجع إلى الاختلافات بين العلماء حول تحديد مواصفات طيور البحر التى تميزها عن طيور اليابسة .

وقد نشا معظم انواع الطيور البحرية فى المياه الاندو - باسيفيكية (المحيط الهندى والمحيط الهادى) ، ومنها انتشرت فى معظم بحار العلم . أما الطيور التى نشأت فى المحيط الأطلنطى فهى أصغر فى عمر التطور ، وأقل فى درجة التنوع ، وتنتمى كلها إلى أصل نشا فى المياه الجنوبية لهذا المحيط .

ومن الطبيعى أن تكون مناطق التيارات القلابة وتيارات المياه الباردة هى أكثر المناطق ازدحاماً بطيور البحر لأنها الأكثر خصباً وغنى بالغذاء .

وقد قسمت بحار العالم - بصفة عامة - بين الست عشرة عائلة التى تنتمى إليها كافة أنواع الطيور البحرية ، وإن كانت مناطق النفوذ هذه تتقارب وتتداخل فى أحوال كثيرة . كما ان العديد من انواع الطيور البحرية لا يلتزم بهذا التقسيم ، فيظل طيلة حياته فى ترحال مستمر او متقطع بين منطقتين أو أكثر .. وثمة أنواع تقوم برحلات موسمية من شمال الكرة الأرضية إلى جنوبها وبالعكس ، كما ان طائر (القادوس) أو القطرس العظيم يقوم برحلة يلف فيها حول حزام البحار الجنوبية .

وقد نشأت طيور البحر - تطورياً - من أجداد كانت تعيش على اليابسة فى العصور الجيولوجية القديمة . وقد عثر العلماء على حفريات لطائر (الأطيش) يصل عمرها إلى ٦٥ مليون سنة ، وعلى حفريات لطائر القادوس يرجع تاريخها إلى ٥٠ مليون سنة حيث كان يعيش فى البحار الشمالية التى اختفى منها الآن .

العزلة أفضل

وطيور (البطريق) هى اكثر انواع الطيور البحرية بعداً عن الانسان ، فقد فضلت الانعزال فى المناطق القطبية حيث لا يعيش الانسان . ونحن لا نراها إلا فى برامج المنوعات التليفزيونية تؤدي بعض الحركات البهلوانية التى دربت عليها ، أو فى صورها الملصقة على بعض المنتجات الغذائية والصناعية .

وتشتمل عائلة البطريق على ١٩ نوعاً ، أهمها : البطريق الامبراطور ، والبطريق الملك ، والبطريق أصفر العينين ، والبطريق ذو العرف المشرئب ، وبطريق ماجلان ، وبطريق جالاباجوس ، وبطريق أسود القدمين .

والبطريق الامبراطور هو النوع الرئيسى فى أسرة البطاريق ، وهو يقضى سلسلة حياته فى الجليد . إنه ابعد طائر إلى الجنوب . ويصل وزنه إلى سبعين رطلا وطوله إلى ثلاثة اقدام ونصف . ولونه - ككل البطاريق - أسود من الظهر ، والبطن بيضاء ، ولكنه يتميز بلون ذهبى فى وجهه وحول رقبته .

وينحدر البطريق من أسلاف عاشوا على اليابسة منذ حوالى ٦٠ مليون سنة وكانت لهم القدرة على الطيران ، ولكنه اهمل هذه الموهبة ففاق حجمه قدرة الجناحين على حمله ، وعاد مرة ثانية إلى الحياة فى البحر الذى كان اجداده الاسبقون قد زحفوا منه إلى الارض فى العصـــور الجيولوجية السحيقة .

وكان الجفاف الذى حل بمناطق عديدة من العالم فى صالح طيور البطريق ، إذ أتاح لها مساحات إضافية من الاراضى التى هجرها النشاط الانسانى لتتوالد فيها وهى أمنة . ومن ناحية اخرى وفرت لها عمليات صيد الحيتان المكثفة فرصة افضل للحياة إذ أصبحت هى المستهلك الأساسى لكائنات (الكريل) التى كانت تجمعات الحيتان تنافسها عليها .. وتدل الحسابات على أنه قد توفر للبطريق كميات تكفى لسد احتياجات الغذاء لحوالى ٣٠٠ مليون طائر سنوياً .

وتعيش طيور البطريق فى مستعمرات يتفاوت حجمها من نوع لآخر .. فيتراوح عدد أفراد مستعمرة البطريق الامبراطور بين ٢٠٠ر٠٠٠ و ٠٠٠ر ٥٠ زوج ، بينما يصل تعداد مستعمرة النوع المعروف باسم (بطريق أدلى) إلى ما يزيد عن المليون زوج من الطيور .

وتعطى أنثى البطريق فرخاً واحداً فى كل موسم من مواسم التوالد ، بالرغم من انها تضع بيضتين أو ثلاث بيضات فى المرة الواحدة . وفى الغالب تكون البيضة الأخيرة هى الأكبر ، وهى فقط التى تفقس وتعطى فرخ البطريق .

ويصحب عملية التوالد شعائر وطقوس اجتماعية خاصة . وتسلك بعض الأنواع سلوكاً اجتماعياً فريداً إذ تنشىء داراً لحضانة الصغار وفى هذه الدار يتجمع الصغار بهدف حمايتهم ضد خطر الافتراس وأيضاً لتوفير الطاقة اللازمة لتدفئتهم . وفى هذه الحضانة يقوم الوالدان بتوفير الطعام لصغيرهم فقط ! .

أندر الطيور وأجملها

أما طيور القادوس والنوء وجلم الماء ونوء العاصفة والنوء الغواص ، فهى تنتمى لطائفة واحدة تسمى بانبوبية الانف وتتميز بثلاثة ملامح رئيسية :

١ - الأنف الأنبوبية ، ومنها اخذت اسمها الشائع . وهذه الأنف الأنبوبيـة تؤدى وظيفتين : الأولى استشعار مدى قوة الرياح ، والثانية استكناه الروائح . وهما وظيفتان يتفوق فى ادائهما بعض انواع النوء.

٢ - المنقار الخطافى المسطح .

٣ - التركيب الخاص للمعدة . ويتميز بوجود جزء غدى متسع يفرز نوعاً من الزيت يستخدم فى موسم التوالد .

وتضم هذه الطائفة من الطيور اكثر انواع طيور البحر ندرة على الاطلاق ، وهما طائرا (نـوء برمودا) و (النوء أسود العمامة) . وسبب ندرتهما ما حـــاق بتجمعاتهما من استنزاف بالصيد المكثف ، وبتاثير انتشار الأوبئة فى مستعمراتهما .



هذه المساحة الشاسعة تغطيها أسراب من طيور « البطريق » الملكية التي يصل تعدادها داخل مستعمراتها في بحر الشمال الى حوالي نصف مليون طائر !

وتنتشر طيور هذه الطائفة فى كل بحار ومحيطات العالم . ويمكن لمن يقوم بعملية مسح استطلاعى بواسطة منظار مقرب ان يرى اكثر من ١٢ نوعاً من طيور هذه الطائفة بين أى تجمع من الطيور البحرية ، وهذا العدد من الأنواع التى يمكن رصدها معاً لا يمكن ان يتوفر فى الطوائف الأخرى من طيور البحر .

والقادوس من اجمل الطيور البحرية . وهو يسبح فى الفضاء كطائرة شراعية ، ويصل الاتساع بين طرفى الجناحين إلى ٣٧٠ سم فى النوع المعروف باسم القادوس الجوال .

أما طيور النوء فانها من الطيور الكانسة وتسمى بنسور القطب الجنوبى . وهى تتميز بسلوكها الافتراسى فى بعض المناطق حيث تجد ضحاياها من طيور جلم الماء والبطريق والنورس . والغريب انها فى أماكن أخرى تكون جبانة وهيابة وتكتفى بالغذاء البحرى المعتاد ، بالاضافة إلى ما تعثر عليه من جيف .

وتعد طيور جلم الماء من اكثر طيور البحر شيوعاً فى العالم ، فهى تنتشر من المنطقة الجنوبية إلى خط الاستواء ، ويمتد انتشارها فى بعض المناطق من نصف الكرة الشمالى . وهى ذات ريش متواضع .. وربما يرجع ذلك إلى أن هذه الطيور بطبيعتها ليلية النشاط . وتنحصر الوان الريش بين الرمادى الفاتح والبنى والأسود والأبيض .

وجلم الماء من أكثر طيور البحر غموضاً وإثارة لحيرة الدارسين . إنها تطير ليلا فى تجمعات كبيرة وتطلق صرخات غريبة مستهجنة ، وتبنى أعشاشها فى مواضع شاذة مثل قمم الجبال وبين الأشجار فى الغابات الكثيفة ، وتقوم بهجرات غير عادية وغير منتظمة ، وتتغذى بشراهة على كميات هائلة من الكائنات البلانكتونية التى تستخلصها من مياه البحر .

البجع وغربان البحر

وتشتمل طائفة البجعيات واشباهها على ست عائلات من طيور البحر هى : البجع الحقيقى ـ الأطيش ـ الغرياق أو غراب البحر ـ زقق الماء ـ الفرقاط ـ الطيور الاستوائية .

وتتميز هذه الطائفة بوجود اغشية جلدية بين اصابع القدم الأربعة . وينتمى إليها العديد من الأنواع زاهية الألوان . فالبجع والغرياق وزقق الماء لها زخارف واضحة فى الرأس ، وطائر الأطيش ملون الوجه والقدمين . أما ذكر الفرقاط فيكتسى بالزخارف وبكيس قرمزى فى منطقة الرقبة ينمو له فى موسم التزاوج .

وقد نشأت هذه الطيور فى نصف الكرة الجنوبى ، ولكنها منتشرة الآن فى جميع انحاء العالم . ويمكن أن نقول أنها أقل الطيور البحرية التصاقاً بالصفة البحرية . فقليل منها بحرى بحق ويعيش فى أعالى البحار ، أما معظمها فيعيش فى البحار الداخلية الصغيرة وفى المياه المالحة والعذبة الداخلية .

وقد تناقص عدد البجعيات بشكل واضح فى أوروبا وآسيا وافريقيا خلال العقد الحالى وذلك لتعرض المياه الداخلية للتلوث او الاضمحلال بسبب الأنشطة الانسانية أو بتأثير موجات الجفاف التى اجتاحت مساحات شاسعة من افريقيا وآسيا وأوروبا نتيجة للتقلبات المناخية فى الآونة الأخيرة .

وطيور الغرياق (غربان البحر) من شبيهات البجع . وهى طيور شاطئية بارعة فى السباحة والمطاردة تحت سطح الماء . وهى أكولة سريعة النمو . وتتميز بان لهـا أكبر مخالب بين الطيور البحرية .

وإذا كنا قد شبهنا طائر القادوس بانه طائرة شراعية ، فان طائر الفرقاط ذا الجسم المدموك والريش الأسود اللامع الظهـر لا يمكن أن يشبه ـ وهو ينقض فوق سطح الماء ـ إلا طائرة مقاتلة .

وتتوالد طيور الفرقاط مرة كل سنتين ، وذلك بسبب احتياج الطائر الوليد إلى فترة طويلة ليتمكن من الاعتماد على نفسه .

« النورس » بالملايين !

ونأتى إلى آخر المجموعات الكبيرة من الطيور البحرية وهى طائفة النورس وأشباهه ، وتضم النورس وخطاف الماء وأبا مقص وبطريق بحر الشمال .

والموطن الأساسى لطيور النورس هـو النصف الشمالى من الكرة الأرضية ، ولكنها تعيش فى النصف الجنوبى أيضاً .

وقد تحقق للنوارس انتشار واسع فى العالم لانها طيور جوالة ولها قدرة كبيرة على التأقلم وتحمل مختلف الأجواء والظروف البيئية .. فالنوع المعروف باسم (النورس الترابى) أو (نورس الحمم) يعيش فى منطقة جالاباجوس البركانية ، أما النورس الرمادى فانه يعيش فى صحراء بيرو الحارقة . كذلك حققت النوارس نجاحاً كبيراً فى التأقلم مع بيئة المحيط المتجمد الشمالى ، حيث قدرت تجمعاتها هناك بحوالى ٢ مليون نورس من الأنواع الضخمة و ٤ ملايين من الأنـواع الصغيرة .

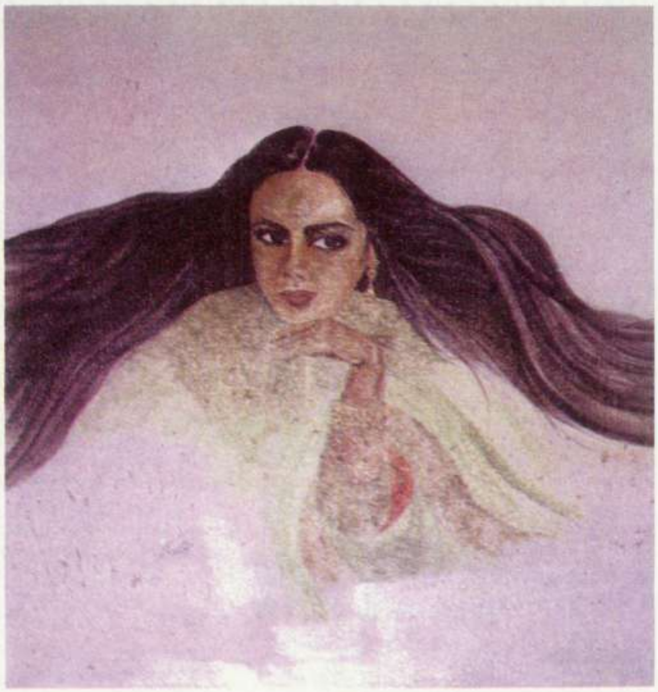
وتشبه طيور خطاف الماء النورس إلى حد كبير فى الوان الريش ، إذ يسود فيها الأسود والرمادى والأبيض . وهى طيور جوالة يمكنها أن تظل محلقة لفترات طويلة

وتشبه طيور بطريق بحر الشمال طيور البطريق الحقيقية فى الزخارف الملونة التى تزين الوجه ، وفى أنها سوداء الظهر بيضاء البطن . وقد اختزلت الأجنحة فى هذه الطيور من شبيهات النورس وذلك لأنها تمارس الغوص أو (الطيران تحت الماء) . وبعض أنواع بطريق بحر الشمال له تركيب خاص يشبه الحقيبة ، وهو عبارة عن امتداد لتجويف الفم . ويكتسب الطائر هذا التركيب حين يصل إلى سن التكاثر ويصير مسئولا عن توفير الغذاء لصغاره .. ففى هذه الحقيبة يمكنه أن يخزن ويحمل يومياً ما يصل وزنه إلى ٢٥ جراماً من الكائنات البلانكتونية ليقدمها للصغير . وهذه الشحنة الغذائية اليومية كافية لكى ينمو الصغير نمواً جيداً .

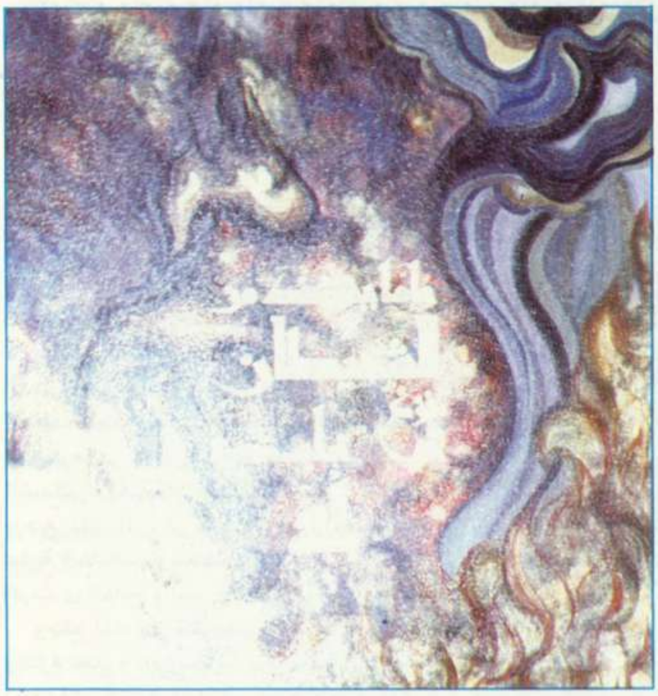
رجب سعد السيد

الرموز الجمالية
في لوحات وفيقة سلطان

بقلم: حسن الملا



لوحة للفنانة وفيقة سلطان في معرضها الاول .. عنوان اللوحة : وجه (١)



من وحي القران الكريم ،حيث نرى البحث في الرموز الجمالية والامكانات الهائلة للحرف العربي

تعتبر ألفنانة القطرية وفيقة سلطان من ضمن الفنانين الذين تطرقوا الى موضوعات البيئة القطرية ، مع تميز لوحاتها بالأشكال المعمارية القطرية ضمن اطار الفن الاسلامي ، وذلك اضافة الى مابرز في معرضها الأخير « بفندق الشيراتون » من لوحات تتطرق الى الرموز الجمالية والامكانات الهائلـة للحرف العربي .

والواقع ان الفن البدائي ، وفن الكهوف والفن الفطري ، ورسوم الاطفال ، وفنون الحضارات القديمة ، والتراث العربي والاسلامي والشرقي ، والفن الافريقي .. كل تلك الفنون وغيرها مازالت هي المنابع الأصيلة التي يستقي منها الفنان الاوربي الحديث ويضيف اليها !

وان كانت تلك الفنون لها اهمية لدى الفنان العربي الحديث ، إلا اننا نلاحظ تركيزه على الاسلامي منها والعربي بقصد ايجاد اللوحة العربية ذات الشخصية المميزة والتي لاتنفصل او تقطع حبل التراث المتواصل !

ولكن هل استطاع الفنان القطري ان يجد طريقه نحو بعث التراث والاستفادة منه بلغة معاصرة ؟

الواقع ان التراث - كما نعلم - هو حصيلة تجارب طويلة اوجدها لنا اسلافنا ، ومسالة إحيائه دون اضافة وتجديد هي مضيعة للوقت ، ولذا فان جهود الفنانين القطريين يجب ان توجه نحو كنوز التراث العظيمة ، لتنهل منها بذكاء وموهبة الفنان المبدع في صدق واخلاص .

وقد جعلني هذا اذهب الى معرض الفنانة وفيقة سلطان ، الذي اقيم تحت اشراف ادارة الثقافة والفنون ، وقام بافتتاحه الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام ..

وقد ضم المعرض ثلاثين لوحة فنية متعددة الاتجاهات والاساليب ، ممثلة في عدة تجارب فنية ، مارستها الفنانة خلال مسيرتها الفنية .. ولعلنا هنا نستعرض بعض الأعمال كنموذج ندخل من خلاله في محاولة لمعرفة الأسلوب والاتجاه ..

الأعمال الفنية الأولى : هي تلك اللوحات التي سبق وان اشتركت بها الفنانة في معارض مشتركة سابقة في قطر وخارج البلاد ، مثل لوحة « الجمل » ، ولوحة « بورتريه » لرجل عجوز التي تمثل مزيجا من مشاعر والوان وخطوط رسمها الزمن على وجه رجل بصورة معبرة تجعلك تشعر بقسوة الأيام والسنين .. وهناك لوحة ثالثة تمثل « منظر طبيعي » اعتمدت فيها الفنانة على التقاطع المزدوج بدلا من الترابط والتواصل ، الأمر الذي أدى الى ضعف في بعض جوانب اللوحة المليئة بالالوان والحركة والانسجام اللوني في جانب بينما في جانب اخر نرى التنافر والتناقض ..

اما اعمالها في المرحلة الأخيرة والتي استخدمت فيها الخط العربي كبنية اساسية فقد استطاعت فيها ان تحلل العلاقة بين الألوان والحروف والموضوعية وخاصة اسم الجلالة (الله) الذي تكرر في مواقع عدة في اللوحة الواحدة .



لوحة تميزت بها الأشكال المعمارية القطرية ضمن إطار الفن الاسلامي .. عنوان اللوحة : بسم الله الرحمن الرحيم

ولاننسى لوحة « منظر لقرية المفجر » التي يكاد يكون فيها اللون الابيض هو الغالب في العمل الفني ولقد بذلت الفنانة جهداً كبيراً في تنفيذ هذه اللوحة حيث جمعت كل حواسها ومشاعرها لابراز الحدث المرسوم في ذهنها بدرجات متدرجة من اللون الأبيض لتعطي شفافيـــة للموضوع وبعداً عميقاً من واقع رؤيا الفنانة وتاثرها بما حولها !

أما لوحة « افراح قطرية » فقد كانت ذات طابع اقرب الى فن « البوسترز » ، وفي هذه اللوحة حالفها التوفيق في ربط الشخصية مع البناء والأبواب والزخارف والشمس المطلة من خلفية المنظر ..

وعلى كل ، فقد كان معرضها الفني صادقاً ومعبراً عن احاسيس سامية ، حاولت أن تعبر عنها بامكاناتها في العمل الفني ورموزه الخاصة في اللون والخط والمساحة وغير ذلك من القيم التشكيلية .

الفنانة في سطور

- من مواليد ١٩٥٢
- مهندسة ديكور
- خريجة كلية الفنون التطبيقية عام ١٩٧٤ القاهرة
- تعمل مراقبة شئون الانتاج بتليفزيون قطر
- اشتركت في جميع المعارض المحلية من عام ١٩٧٢ ـ ١٩٧٨ م
- اشتركت في معرض الكويت الخامس والسادس للفنانين العرب (١٩٧٧ ـ ١٩٧٨)
- اشتركت في معرض مرسم أصيلة بالمغرب
- اشتركت في المعرض القطري في لندن وباريس عام ١٩٧٨
- اشتركت في معرض السنتين العربي الثاني بالمغرب عام ١٩٧٦

مرثية جديدة إلى قُرطبة

شعر: علي جعفر العلاق

لم يكن مِنْ مدىً بينَ أحجارها و السماءِ
غير أسئلتي جهمةً، وغبار ردائي
لم يكنْ من نديمٍ
سوى حلمٍ يتناثرُ :

ايهِ ظبيَ البراري اليتيمْ
دمُكَ الجمرُ يتبعني
أم حنيني القديمْ ؟

••

لم يكنْ غيرُ حشدٍ من الغيمِ ابيضَ
ينحلُّ في طرفِ الارض
يبزغُ ، ينحلُّ ثانيةً

يتقدّمني ،
يتمشّى ، خفيضاً ، ورائي
وأنا ضائعٌ بينَ أحجارِها والسماءِ

••

حُلُمي :
أيّها الأشيبُ ، المذْلهمُّ الخطى و اليدينْ
جسدي طللٌ
أين اقداحُهُ
وندامادُ ؟
أينْ ؟

••

لم يكنْ في المنامِ سوى حُلُمي وعصايْ
لم يكنْ غير راحلتي ،
(هل هواها الممضُّ هوايْ ؟)

عبرتْ غيمةٌ حائطَ النومِ

أيقظني عطرهـــا :
ذي بلادٌ من الماءِ تأوي اليّ
تحدثني عن جنائنها
وأحدّثها عن قـــرايْ ..

••

نهضـــتُ
غادرت غيمةٌ خيمةَ النومِ
كان حشدٌ من الانبياءِ ينوحونَ في طللٍ
ويغطّونَ بالدمعِ مئذنةً شاحبةْ
ورأيتُ بلاداً تجاهد ألاّ تضيعَ ،
شممتُ أريج منائرها المتربــة
ثم فززّني هاجسٌ :

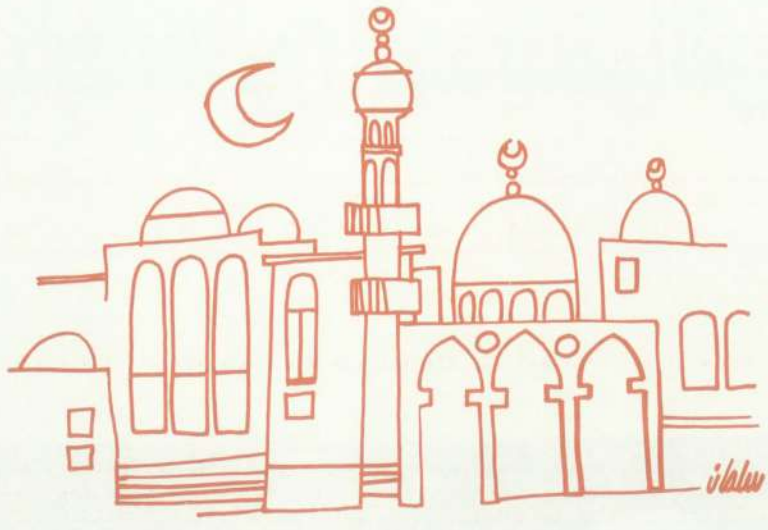
تلكَ بيروتُ أم قرطبةْ ؟
وغزالُ صباي المشرّدُ يقبلُ
أم تلكَ خمرتهُ الطيبةْ ؟

••

ثـمّ أسرَتْ بنا خضرةُ النومِ ،
أسرتْ بنا خضرةُ الغيمِ قافلةً ،
من نجـومٍ مكـدّرةٍ ،
الطريقُ يئنُّ ، وكان ضجيجُ هواجسنا
كضجيجِ خطانـــا :

لم يكن في الطريقِ سوانا
لم يكن في العناءِ سوانا
فالى أينَ تقتادُنا يا هوانا ؟

••



نديميَ هذا الظلامُ ، وصحراؤه الشاسعةْ
نديميَ أرضٌ تجـاهد الا تضيعَ ،
نديمي سماءُ كآبتنا السابعةْ ،
نديميَ هذا الحنينُ القديمُ ،

أيفضي الطريقُ
الى بلدٍ ضائعٍ
أم الى وجهةٍ ضائعةْ ؟

●●

ودخلنا ازقّتها : الشرفاتُ أنينٌ وورد
ومسجدُها سيّدٌ

غارقٌ في مهابتِهِ
حين بادرتُه بالسلامْ

انحنى ، وتلألأ في شفتيهِ غبارُ الكلامْ
ثم ضجَّ انينُ الحجارةِ ،
واتسعتْ ظلمـــةٌ ،

وتسامى عمودٌ من الضوءِ ينحلّ في طرفِ الأرضِ
سمعتُ نواحَ الكتابةِ بينَ الحجرْ

ورأيتُ طيورَ المطرْ
تتجمّع في مقلةِ الشيخِ ، تغسلُ احزانَهُ المتربةْ
وتساءلتُ ليلتها :

قرطبـــةْ !
أو تلكَ خيــولٌ

من الشرقِ تقبلُ
ام انّها ضجةُ الأتربةْ ؟

●●

ونما حُلُمي ،
ورأيتُ دمائي
فرساً يتبخترُ ما بينَ قرطبةٍ والسماءِ
وأسرى بيَ الغيمُ والنومُ :

هذا غزالُ الطفولةِ يتبعني
وعلى كتفيَّ عباءةُ هذا الظلامِ البهيجِ ،
وفي قدحي ضوءُ خمرتِهِ الطيبةْ

ونما حُلُمي :

قلت للحلـــمِ : يا سيدي

للقصيدةِ : يا زهرةَ الروحِ ،
للحـــزنِ : يا ضجّةَ الأتربةْ

هل أسميكَ فاتحةً
أم ختاماً
أسميكَ بيروت ، أم قرطبةْ ؟

في الأسبوع الثقافي التونسي بالدوحة:

المنافسة بين المدينة والقرية

من أجل إحياء العصر الذهبي للصناعات التقليدية

بقلم: يوسف الحرمي



الصناعات الخزفية الجميلة التي ابدعتها الايدي التونسية في مدن نابل والحمامات والقيروان



جانب من الكتب الثقافية والتراثية التي ضمها الاسبوع الثقافي التونسي



سفير تونس في الدوحة : محمد المحرزي



وزير الاعلام القطري عيسى غانم الكواري ،ووزير الاعلام التونسي عبد الرزاق الكافي أثناء افتتاح الاسبوع الثقافي التونسي في الدوحة

شهدت مدينة الدوحة خلال الشهر الماضي الاسبوع الثقافي التونسي الذي ضم العديد من الكتب الثقافيـة والعلميـة والأدبية ، اضافة الى الصناعات القديمة التي ما زالت تعيش في وجدان الانسان التونسي ويتوارثها أباً عن جد رغم مرور آلاف السنين .. واستطاع هذا الاسبوع أن

يجذب العديد من الرواد وان يجعلهم يتساءلون عن كافة التقاليد الموروثة في تونس ، وكيف نشأت تلك الصناعات القديمة، واهم مناطق الانتاج ، وغير ذلك من الأسئلة التي تجعلنا مطالبين بتقديم صورة موجزة عن أهم الصناعات التقليدية في تونس ، وأثر الاسبوع الثقافي التونسي في عقول وقلوب كل من عايشوه !

وبداية فان تونس تحتل بحكم موقعها بالشمال الشرقي للقارة الافريقية مكانة مرموقة في قلب البحر الابيض المتوسط ، وهي لا تبعد عن التراب الأوروبي اكثر من مائة وعشرين كيلو متراً .

ومنذ العقود الغابرة كانت تونس ملتقى لعديد من الحضارات ، الأمر الذي أعطى لصناعتها تنوعا وثراء ولونا متميزا .

وقد اعتدنـا التمييز بين الصناعـة التقليدية الريفية ، وبين الصناعة التقليدية الحضرية ، إلا أن في تونس التكامل قائم بين هاتين الصناعتين والتعايش متاح وينصهر في بوتقه واحدة وذلك لأهمية المدن والقرى في هذه الرقعة من ارض المغرب العربي الكبير في الماضي والحاضر .

ولم يكن للصناعة التقليدية الريفية المرتبطة عادة بالانتاج الفلاحي وبحاجيات المجتمع القروي رواج متسع الرقعة مقارنة الى منتوجات الصناعة التقليدية بالمدن التي كانت تصدر منتوجاتها كالشاشية والمنسوجات وغيرها الى العديد من بلدان



من وحي الحياة الشعبية في تونس بما فيها من الوان ومباهج متعددة

في الاسبوع الثقافي التونسي بالدوحة

المنافسة بين المدينة والقرية

من أجل إحياء العصر الذهبي للصناعات التقليدية

البحر الابيض المتوسط وبعض البلدان الافريقية.

وقد عرفت الصناعة التقليدية ازمة خطيرة إبان الاحتلال الاستعماري ، فاهل الريف الذين تعرضوا لعملية انتزاع شامل لاراضيهم الخصبة ، لم يجدوا في الصناعة التقليدية مورد عيشهم ، حيث عمد المستعمر الى ادخال المعدات الصناعية دون اهتمام بالمحافظة على الحرف في الارياف ، اما في المدن فقد كانت الازمة اشد حدة واعمق اثراً نتيجة فصل البلاد التونسية عن اسواقها المعهودة.

التحول الجذري

ولم تمر فترة طويلة بعد الاستقلال ، حتى تاسس الديوان القومي للصناعة التقليدية ، واسندت اليه مهمة المحافظة على الصناعة التقليدية وتهذيبها وتطويرها ولكى تزداد اهمية هذا القطاع الحيوي بالنسبة للاقتصاد الوطني ، دخل الديوان في الانتاج على نطاق اوسع واشمل .

وتعتبر النتائج المسجلة في قطاع النسيج ايجابية سواء كان ذلك على مستوى حجم الانتاج او على مستوى الجودة .

وتنتج تونس اليوم اجمل انواع السجاد والمنسوجات التي تبدعها ايدي المراة التونسية العاملة ، حيث يصل عدد الحرفيات الى ٤٥ الف ، من بينهن عشر آلاف حرفية تعمل بمركز الديوان ، وخمسة آلاف تعملن بمعامل الخواص ، والبقية اي ثلاثين الفا تعملن في بيوتهن .

وتحتل اليوم منتوجات السجاد والمنسوجات مكانة كبيرة في قطاع الحرف التقليدية ، وقد ادى نشر انتاج السجاد والمنسوجات في مناطق عديدة ، الى تغيير وضع المراة الريفية تغييراً جذرياً واهتمام الدولة بوضع هؤلاء المنتجات ، وتطوير حياتهن .

وعلى ضوء تجربة العشرين سنة المنصرمة تتجه سياسة تونس في ميدان الصناعة التقليدية الى تكثيف الدعم في هذا القطاع لما له من اهمية في البلاد ..

ويعتبر السجاد والمنسوجات الصوفية المتنوعة « مرقوم كليم » .. وكذلك المنسوجات الحائطية المكونة من مربعات ، من اقدم ماعرف في تونس في قطاع النسيج . فمنذ العهد القرطاجي وحتى العهد الاسلامي العربي الاول نجد في العديد من المراجع القديمة اشارة الى جودة تلك المنسوجات واتساع رقعة انتشارها .

وتتكون زربية القيروان الشهيرة من حواش مكثفة الزخارف ، ومن وسط مسدس يحتوي على اشكال هندسية موزعة فوق ارضية هادئة اللون .

ومن بين الصناعات التونسية القديمة ، قطع الخزف الثمينة التي تمتاز برقة زخارفها وجمال الوانها .

والخزف من الحرف التقليدية بتونس منذ آلاف السنين ، تقدمه كل من جزيرة جربة ومدينة نابل بانواع مختلفة وتقدمه ايضا بعض مناطق الارياف التي لها انتاج هش لكنه في غاية الطرافة !

وهناك صناعة الحلي التي تعتبر من عادات أهل الريف بتونس واهمها الفضة ، وهي متنوعة جداً سواء في تقنياتها أو في اشكالها، اما في المدن فان الحضر يفضلون الحلي الذهبية والمجهورات إلا ان لهم ولعا شديداً بالأواني الفضية الصغيرة الحجم .

اما النحاس فيصنع في تونس منذ قرون في اشكال واحجام مختلفة ، ويمتاز بدقة زخارفه ، ومن المنتوجات النحاسية المستحدثة الاواني المطلية بمادة زجاجية صلبة .

ويعتبر الجلد من اهم الصناعات القديمة ، ويصنع منه السروج الثمينة والاحذية بانواعها .. وقد تطورت هذه الصناعات العتيقة واتجهت كغيرها من الصناعات التقليدية الى انتاج يواكب حاجيات العصر .

ونجد التطريز في كل قرية وكل مدينة ، وتستخدم النساء القطن والحرير والاسلاك الفضية والذهبية في التطريز ، ولا يخلو «جهاز» اية عروس من ثياب فاخرة التطريز

ويعتبر حرفيو الخشب بالجمهورية التونسية اليوم ورثة المدارس العريقة التي ازدهرت في القيروان وتونس العاصمة وصفاقس ، وغيرها ، ونجد في انتاجهم اليوم امتداداً لأصالة الجمال ورقة النحوت التى امتازت بها تلك المدارس !

مع السفير التونسي

وحول الاسبوع الثقافى التونسي تحدث محمد المحرزي سفير الجمهورية التونسية فقال ان هذا الجهد الملموس ما هو الا ثمرة مجهـود خـاص بذلتـه مجموعـة من المؤسسات التونسية التي يهمها التعريف بالانتاج التونسي في المجالات الفكرية والصناعية والاقتصادية بوجه عام ، وقد كان للسفارة التونسية بالدوحة دور متواضع في اقامة هذا الاسبوع الثقافي التونسي الذي احتضنته دولة قطر ، وافتتحه الاستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطري والاستاذ عبد الرزاق الكافي وزير الاعلام التونسي وحضره عدد كبير من المسئولين والضيوف والسفراء ورجال الصحافة والاقتصاد ، نذكر من بينهم بالخصوص الاستاذ علي بن احمد الانصاري وزير العمل والشئون الاجتماعية

وقد احتوى هذا المعرض فيما احتوى على مجموعة من الكتب التونسية اشتملت على ما يقارب المائة و خمسين عنواناً من عناوين الانتاج الفكري التونسي في الماضي والحاضر ، كما اشتمل المعرض على عينات من انتاج الصناعات التقليدية التونسية التي اشتهرت بها مختلف المدن والمحافظات في الجمهورية التونسية ، فقد شاهد الزوار نماذج من المصنوعات الخزفية والنحاسية والفضية التي انجزتها الايدي التونسية في مدينة نابل والحمامات والقيروان ، كما شاهدوا اقفاص سيدي ابي سعيد المشهورة في كل ارجاء العالم ، وتاملوا اشكالا متنوعة من المنسوجات الصوفية في شكل سجاجيد تعلق على الحائط من انتاج الجنوب التونسي ، واشتمل المعرض ايضا على قاعة مخصصة لاشكال من المفروشات الخشبية التقليدية المصنوعة من شجر الزيتون .

وخصص جانب كبير اخر لبعض المنتوجات الفلاحية التونسية ، وخصوصا المعلبات ، من خضروات وفواكه وتمور .

ومما لا شك فيه ان هذا المعرض الثقافي الصناعي الاقتصادي في وقت واحد ، قدم صورة حقيقية وملموسة وصادقة عن جوانب معينة من الانتاج التونسي ، وزاد في تعريف الاشقاء القطريين وغيرهم من الجمهور على نبض هذا البلد الحبيب وحياته الثقافية والاقتصادية .

وحول الاتفاقية الاعلامية المبرمة بين قطر وتونس قال السفير التونسي بالدوحة ، انها تعتبر خطوة جديدة في سبيل شمولية التعاون بين البلدين الشقيقين ، فان هذه الوثيقة التي وقعها خلال الشهر الماضي كل من الاستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام القطري والاستاذ عبد الرزاق الكافي وزير الاعلام التونسي تضاف الى الوثائق المماثلة التي امضاها مسئولون قطريون وتونسيون خلال الاشهر القليلة الماضية ، بهدف تعزيز التعاون الثنائي بين البلدين في مختلف المجالات والميادين .

لكن الجانب الذي تمتاز به الاتفاقية الاعلامية التونسية القطرية هو كونها تصنع اسس قواعد للمبادلات في ميادين التلفزيون والاذاعة والصحافة والمطبوعات وكل هذه الوسائل الاعلامية من شانها ان تعزز التعاون بين البلدين في كافة المجالات الاخرى كالسياحة او التجارة او الصناعة او التعليم او غير ذلك من ميادين النهضة الشاملة التي يهدف اليها ابناء البلدين الشقيقين .

يوسف الحرمي

بقلم : الدكتور محمد البهي

التَّــرَف

القران يعلن : ان الترف هو الامارة التي تتصدر امارات الاتجاه المادي في المجتمع .. وان المترفين فيه هم الذين يواجهون الرسل – واصحاب الدعوة الى إنسانية المجتمع – بالمعارضة والصد . لان الدعوة الى مجتمع إنساني لو نجحت او عندما تنجح ، تصيب هؤلاء المترفين اولا في ترفهم ومتعهم ، ثم ثانيا في وضعهم الاجتماعي وزعامتهم : « وما ارسلنا في قرية (اي في مجتمع من نذير (اي رسول ينذر بعقاب المعارضين) إلا قال مترفوها : انا بما ارسلتم به كافرون . وقالوا : نحن اكثر اموالا واولادا ، وما نحن بمعذبين » سبا : ٣٤ – ٣٥

وهؤلاء المترفون كذلك هم قبل غيرهم يشيعون الاعتقاد بانكار الآخرة ، وبالايمان بالحياة الدنيا وحدها . وهذا الاعتقاد المزدوج من : انكار الآخرة والايمان بالدنيا وحده : ظاهرة رئيسية في الاتجاه المادي في المجتمع : « وقال الملأ من قومه الذين كفروا ، وكذبوا بلقاء الآخرة واترفناهم في الحياة الدنيا ، ما هذا إلا بشر مثلكم ياكل مما تاكلون ويشرب مما تشربون .
ولئن اطعمتم بشرا مثلكم إنكم إذن لخاسرون
ايعدكم : انكم اذا متم وكنتم ترابا وعظاما : انكم مخرجون ؟ هيهات هيهات لما توعدون .
ان هي الا حياتنا الدنيا : نموت ، ونحيا ، وما نحن بمبعوثين ، إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا ، وما نحن له بمؤمنين » المؤمنون : ٣٣ – ٣٨

وموقف القران من الترف والمترفين هو اولا : التنديد بهم .. والنظر اليهم على انهم عوامل الهدم في المجتمع المادي . يقول الله تعالى :

« وإذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها ، فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » الاسراء : ١٦

.. ثم ثانيا : انكار التبذير كوسيلة للترف والتبذير انفاق المال في غير حقه وفي غير مصلحة .. او هو انفاقه في باطل ، ولو كان مدا ، اي جزءا قليلا من المال . فامارة التبذير ليست كثرة ما ينفق .. وانما مصرف ماينفق فالعبث هو العبث : في قليله وكثيره وما ينفق في عبث او في باطل من لهو او عداوة لدين الله : هو تبذير مهما كان كمه . ويقول القرآن في انكار وضع المبذرين في آية مدنية في سورة مكية ، وهي سورة الاسراء وهي السورة الخمسون في الوحي المكي :
« ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين (اي إخوانا لهم في الشر) وكان الشيطان لربه كفورا » : الاسراء : ٢٢ .. فيصفهم بانهم الشياطين في الشر .. وفي عدم الاهتداء الى الصراط المستقيم . وهو صراط الايمان بالله .

وبالتنديد بالترف والمترفين اولا .. وبانكار وضع المبذرين ثانيا : يوقظ القرآن الوعي في نفوس المؤمنين – بعد ان تحولوا من جاهليتهم الى الايمان بالله – ضد الترف ، وضد التبذير في سبيله . وهذا مايفعله النهي عنه لو جاء بصيغته . وبذلك تستوي في هذه الخطوة في التنديد والانكار في منهج القرآن : مرحلة التمهيد لما يطلب من وضع نهائي للترف ، وللتبذير في سبيله . والوضع النهائي الذي طلب بعد ذلك هوالحجر على المترفين العابثين باسم السفهاء .

وقد جاءت هذه المرحلة الاخيرة في سورة مدنية ، وهي سورة النساء ، او السورة السادسة في نزول الوحي المدني : تطلب الحجر على السفهاء . وهم اولئكم المبذرون في اموالهم ، والعابثون بها . وهي اذ تطلب الحجر عليهم تطلب ايقاف العبث في اموالهم . واموالهم وان كانت ملكا ومنسوبة اليهم إلا انه يتعلق بها حق المجتمع .. وهو حق اصحاب الحاجة فيها . فالملكية الخاصة التي يقرها الاسلام للمال .. يقر بجانبها منفعة عامة له لاصحاب الحاجة يقول تعالى :

« ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما (الخطاب هنا – كما يقال – للاولياء : اذا قصد بالسفهاء : انهم من اليتامى الذين يجب ان يختبروا قبل تسلمهم اموالهم : ان كانوا قد بلغوا الرشد في التصرف أم لا .. وهذا راي لبعض المفسرين . لان هذه الآية جاءت في اثناء الحديث عن اليتامى وما يتم في اموالهم . ولكن الواضح : ان الخطاب فيها لاولى الامر .. وان السفهاء هم المبذرون بالاموال بوجه عام .. وان على أولي الامر ان يحجروا على هؤلاء السفهاء فيحولوا بينهم وبين ان يباشروا التصرف في اموالهم . لان هذه الاموال في حقيقتها هي اموال المؤمنين جميعا ، لانه يتعلق بها حق المجتمع ، كما سبق) .

وارزقوهم فيها ، واكسوهم ، وقولوا لهم قولا معروفا » اي واجراء ثان يجب ان يتخذ بجانب الحجر على اموال السفهاء ، وهو اجراء تثميرها لمصلحة المحجور عليهم . اي اجراء عدم تجميدها ، وعدم الانفاق من راس المال بعد ذلك من منع من تسلمها من اصحابها اذ بتحريك هذه الاموال في مجال التثمير : يحافظ من جهة على راس المال ، ومن جهة اخرى يمكن ان ينفق من ارباحه على المحجور عليهم . اما القول المعروف لهم فهو الابتعاد في الحديث معهم عما يجرح شعورهم واحساسهم ، بسبب سوء تصرفهم وسفههم . واذا قيل لهم شيء بشان اموالهم يقال لهم : ان ما اتخذ من تدبير إزاء اموالهم هو لمصلحتهم ، ومصلحة اموالهم ، ومصلحة للمجتمع كله .. هو للمحافظة على الوظيفة الاجتماعية للمال ، والمنفعة العامة التي يسندها الاسلام اليه بجانب المصلحة الخاصة لهم . (النساء : ٥)

وبالامر بالحجر على اموال السفهاء هنا – وفي مقدمتهم المترفون والعابثون بالترف – تكون الامارة المميزة للمجتمع الانسانى .. عن المجتمع الجاهلي قبله .. وتتحقق المرحلة التي تتم فيها انسانية المجتمع .

بقلم : جمال قطب

الالتزام .. والبحث عن الجمال المثالي

منذ سنوات ، ونحن نلتقي على هذه الصفحات الفنية في رحلة عبر إبداعات الأفذاذ من فناني العالم الكبار .. وتعتبر هذه اللقاءات الفكرية نافذة نطل بها على التراث الأنساني وكأنه خمائل مبهجة من العبقريات اليانعة .. والقصة لها سحر قوي في النفوس ، فهي تجمع بين متعة العلم وجاذبية الرواية .. ولذلك فقد حرصت على تقديم هذه الاستعراضات الفنية في صورة قصص وطرائف تحوي بين سطورها المعلومة الميسرة المدعمة بالروائع التي جادت بها قرائح الفنانين العظام على مر التاريخ ..

وعلى الصفحة المقابلة .. نرى إحدى لوحات آنجر واسمه الكامل : جان أوجست دومينيك آنجر وهو من الفنانين الذين أرسوا دعائم النهضة الفرنسية والعالمية في النصف الأول من القرن التاسع عشر .. وقد لعب آنجر دور الدكتاتور في حركة الفن الكلاسيكي في فرنسا مثل استاذه (لويس دافيد) الذي فرض على فناني عصره أسلوبه(الكلاسيكية الجديدة)بالارهاب والتسلط .. وجعلهم يحسون بأن المقصلة فوق رقابهم إذا لم يهتفوا بحياة هذا الاتجاه الكلاسيكي الملتزم !

أما كيف يفرض الالتزام على الفنانين — والفن إحساس وتفاعل وتعبير — فلذلك قصة غريبة :

في أواخر القرن الثامن عشر ، نجحت الثورة الفرنسية في القضاء على مظاهر الانغماس في التأنق ... تلك المظاهر التي أضفت على الفن الفرنسي آنذاك طابع البذخ والزخارف الذي أفقد الفن جديته .. وبعد به كل البعد عن واقع الحياة وتجاربها .. فكاد أن يقتصر على تصوير النبلاء على نحو يرضي غرورهم .. وهو ما يعرف باسم (فن الروكوكو) .

وقبيل الثورة في عهد لويس الخامس عشر والبمبادور ، انتشر التهوس بالفن الكلاسيكي على أثر ماكشفت عنه التنقيبات التي كانت جارية إذ ذاك في ايطاليا من أطلال وتماثيل رومانية تحاكي الفن الإغريقي القديم .. وظهر اتجاه فني قومي يستمد أسلوبه من هذه (الموضة) الإغريقية كبديل لفن الروكوكو الزائف .. وبعد موت لويس الخامس عشر ، لم تلبث هذه النزعة ان انقرضت وعاد فن الروكوكو الى مجراه السابق في عهد لويس السادس عشر وماري انطوانيت .. ولكن رساما متحمسا للأسلوب الكلاسيكي ، ظل متعلقا به مستمدا موضوعاته من تاريخ الرومان بما يزخر به من مواقف وطنية ووقائع بطولية مثيرة !

وقدر لهذا الفنان المتحمس وهو (لويس دافيد) أن يصبح ذا شأن عظيم في عهد الثورة ولا سيما بعد أن انتخب عام ١٧٩٢ عضواً بالجمعية الوطنية الفرنسية التي قضت على لويس السادس عشر بالاعدام .. فقضي كذلك على الأكاديمية الملكية وأنشيء مكانها عام ١٧٩٥ (المعهد الوطني) الذي تحول في العام التالي إلى (المعهد الفرنسي) .. وكان من فروع هذا المعهد (أكاديمية الفنون) التي قدر لها أن تبسط نفوذها (بل نفوذ دافيد نفسه) على الحياة الفنية في فرنسا كلها منذ ذلك الحين .. وحتي مطلع القرن العشرين !

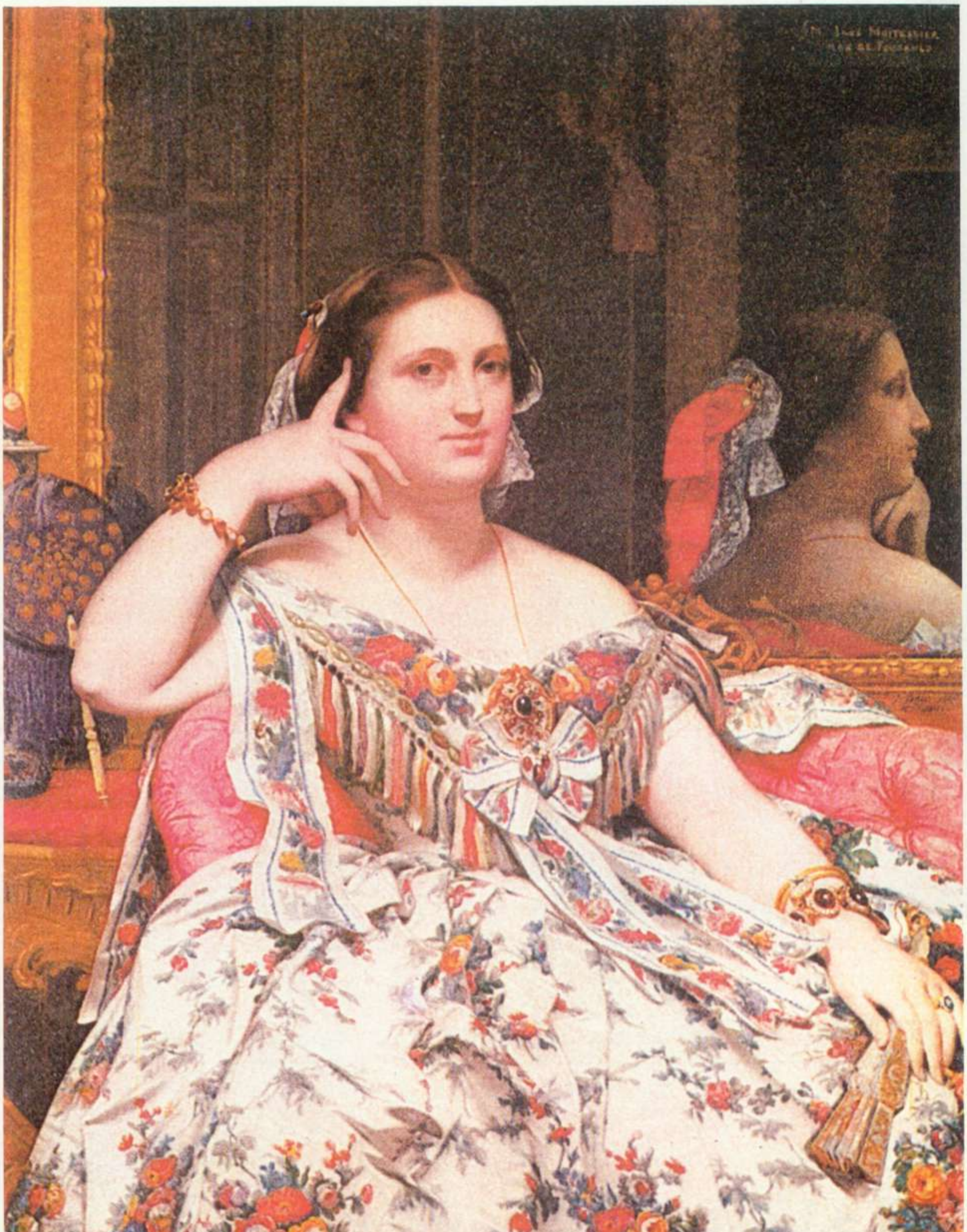
... ودارت الأيام .. وأصاب دافيد ما أصاب الثورة الفرنسية .. ونفي نابليون إلى سانت هيلانة .. كما نفي دافيد إلى بروكسل من عام ١٨١٦ إلى أن مات في منفاه عام ١٨٢٥ ... بعد أن تحكم في كل ما يتعلق بشئون الفن زهاء اثنين وثلاثين عاما .. فرض خلالها على الفنانين أسلوبا قديما (هو الاسلوب الاغريقي) ، دون أن يبيح أدنى قسط من الحرية لأي فنان مبدع !

وبعد وفاته .. أصبح تلميذه (آنجر) زعيم الفن الأكاديمي في فرنسا .. وحذا حذو أستاذه في تزمته وتعصبه .. وكما أن الضغط يولد الانفجار .. فقد رأينا أن حركات فنية مناهضة تزعزع أركان سلطانه مثل (الرومانتيكية) وبعد ذلك ظهرت مدرسة الخروج إلى الطبيعة .. والواقعية ... وكلها مدارس تبشر ببزوغ فجر الحرية الفكرية وفتح باب التأمل على مصراعيه !

وكان (آنجر) يعتقد — سواء من الوجهة التعليمية أو الفنية — أن الرسم (أي الخط) هو أساس فن التصوير .. وهكذا لم يسمح للطلبة في مدارس الفنون الجميلة باستخدام الألوان إلا بعد عدة سنوات من المران على اتقان الرسم وإجادة رشاقة الخطوط إجادة تامة . بل إن آنجر اعتقد أن (اللون) شيء ثانوي وغير ذي قيمة فنية مؤثرة ..وما هو إلا ملء فراغات بين الخطوط .. ولابد أن تبدو اللوحات وكأنها (رسوم مؤثرة ملونة) .. وكانت نصيحته الخالدة لتلاميذه الذين يسألونه أن يرشدهم إلى أسلم الطرق ليصبحوا فنانين مرموقين هي قوله : ارسموا .. ارسموا .. باي خامة وعلى أي شيء .. المهم ألا تتوقف أناملكم عن الرسم وإجادة الخطوط !

وظل آنجر وفيا لتعاليم دافيد من حيث مثالية العمل الفني .. وإن اختلف معه بعض الشيء في البعد عن الميثولوجيات القديمة من تاريخ الرومان والاغريق .. واتخذ نماذج من التاريخ الوسيط والمعاصر .. بحثا عن الجمال ، لا عن الجلال الذي توحي به قصص الأساطير وبطولات التاريخ السحيق !

وإذا نظرنا بدقة الى اللوحة على الصفحة المقابلة(السيدة الجالسة) والتي رسمها آنجر عام ١٨٥٦ لأحدى سيدات مجتمعه .. اتضحت مميزات فنه في البحث عن الجمال المثالي حيث يكون .. وليس بالضرورة أن يكون هو (الجمال الرياضي) الذي يتسم به تاريخ الرومان البطولي والتماثيل الإغريقية القديمة . ثم نلاحظ رشاقة الخطوط المعجزة .. وهو ما تفرد به في أعماله العملاقة التي يعمر بها متحف اللوفر في العاصمة الفرنسية ، والعديد من متاحف العالم الكبرى .



« السيدة الجالسة » : لوحة للفنان الفرنسي « انجر » رسمها في عام ١٨٥٦ م





فتاة من مدينة لوس انجلوس ، التي يوجد بها اكثر من ٦٠ كلية وجامعة

احدى القاعات الثلاث في مركز الموسيقى بلوس انجلوس وهي التي تقدم فيها جوائز الأوسكار للفائزين في السينما

كل عيـــون العـــالم على هـــذه المديـنــة

أعظم مهرجان رياضي وفني عالمي فوق سجّادة مطعّمة باللآلئ الوهّاجة!

إعداد: النـورعثمان أبكـر



محطة الاتحاد ، ذات الطابع المكسيكي ، وهي أخر محطة كبرى للركاب بنيت في الولايات المتحدة

أهي جزيرة على اليابسة ؟
أم مئات من الضواحي التي تبحث عن مدينة تضمها ؟
أو جنة شبه استوائيـــة ؟
أم دولـــة منفصلـــة ؟

كل هذه ، وغيرها من أوصاف ، ظلت مقترنة بمدينة لوس انجلوس . ولكل منها بريق من حقيقة ، ولكن واحدة منها لاتضيء بشكل واضح شخصية هذه المدينة المتعددة الجوانب ، التي تعمرها ١٠ مليون نسمة ، ثلثهم في الجزء الذي يمثل المدينة الرئيسية ، وبقيتهم في ١٣٠ مدينة مستقلة في الاقليم الذي يتمدد عبر خمس مقاطعات في ولاية جنوب كاليفورنيا . ولذا فان من ينظرها من الجو من ساحل المحيط الهادئ يراها ممتدة أبعد من الأفق نفسه ، وتبدو ليلا مثل سجادة مطعمة باللآلىء الوهاجة ، حين تنبض أضواؤها في الهواء الدافىء ، وهي نهاراً مثل انبساط لانهائي من الأبنية المنخفضة ، وبقع من الخضرة الزاهية والتلال الداكنة .



جانب من السبعمائة الف مشترك في مهرجان الشارع لعام ١٩٨٣ في مدينة المهرجانات



تمثال للفنان « الاسكندر كالدر » يزين ساحة احد المصارف في المنطقة التجارية الجديدة في المدينة



هذا الديكور انشيء ليمثل اضواء «لاس فيجاس».

أوائل المهاجرين

وقد نشأت لوس انجلوس قبل قرنين من الزمان ، في الرابع من سبتمبر - ايلول ١٧٨١ كحلقة في عقد من المستعمرات الاسبانية الممتدة عبر مايعرف الآن بالغرب الأمريكي الأوسط . وظلت قرابة قرن من الزمان مدينة صغيرة مغبرة . وفي عام ١٨٢٢ انتقلت السيطرة على الاقليم من اسبانيا الى المكسيك ، ثم الى الولايات المتحدة في ١٨٤٨ .

ومع موجة جنون البحث عن الذهب في عام ١٨٤٩ ، اندفع الى شمال كاليفورنيا سيل من الحالمين بالثراء العريض .. واحالوا سان فرنسيسكو الى مدينة مزدهرة بينما ظلت منطقة لوس انجلوس ، الواقعة على مسافة ٦٥٠ كيلو متراً الى الجنوب ، تنمو في بطء وتدرج . وكانت حفنة من اليانكي قد وصلت الى المدينة في عام ١٨٥٠ ، واخذت في تطوير المراعي التي كانت للمكسيك سابقا ، وجعلت منها مزارع وخططت المجتمعات لاستقبال من قد يفد الى المدينة للاقامة ، وتم ربط المدينة بالسكة الحديدية لأول مرة في عام ١٨٧٦ . وكان اول من قدم بها الى المدينة سواح وزائرون لم يقصدوا الاقامة بها . وبدأت العائلات الموسرة من المدن بشرق الولايات المتحدة تقضي فصل الشتاء في لوس انجلوس .. وشجع ثناؤهم على طقس المدينة آخرين على ارتيادها .

وكانت الموجة الجديدة من ذوي الذهنية التجارية . فاقامت خطا حديديا ثانيا في عام ١٨٨٦ ، مما اشعل حرب اسعار بين الشركتين ، انتهزها آلاف من الناس فرصة للسفر غرباً للاستقرار في بلاد جديدة .

وقد ضمت اول موجة من هؤلاء المهاجرين عائلات ثرية من الشرق ، اجتذبهم ماسمعوا عن المدينة وطقسها ، وانها جنة ارضية تشرق الشمس فيها طيلة

ايام السنة ، حيث يمكن لاي محصول ان ينمو ويثمر كثيراً .

وكان اهم ما سعوا اليه هو غابات البرتقال التي وان تقلصت الآن ، مازالت اهم واقوى رمز لجنوب كاليفورنيا .

وكان بين القادمين الاوائل عجزة ومرضى وكبار سن ، جاءوا بحثاً عن مكان لطيف ينعمون فيه بما تبقى لهم من ايام في هذه الدنيا ، او يؤملون في عافية ونقاهة في صحو طقس تلك المدينة .

أغنياء وفقراء بثمانين لغة

وفي بداية القرن الحالي وفدت موجة ثانية للاقامة في المدن الصغيرة ومزارع الغرب الأوسط . وفي وقت متاخر من عشرينات هذا القرن ، عندما ازدهرت فرص العمل في الزراعة والبترول والسينما ، بدات لوس انجلوس تجتذب الفقراء وغير المؤهلين حرفيا . وكان كثيرون منهم من الذين اتلف الجفاف مزارعهم في الولايات الجنوبية الوسطى . وتلت ذلك هجرة اجنبية ، جلها من المكسيك ، استقرت في كاليفورنيا اولا وكبر حجمها ، واخذت المدينة تتطور ، وتكبر ، وقاعدتها الاقتصادية تتطور وتنمو . اضف الى ذلك ان العمال الصينيين الذين بنوا خطوط السكة الحديدية العابرة للقارة في سبعينات وثمانينات القرن الماضي ظلوا يقيمون عند نهاية الخط بالساحل ، وهم الذين انشاوا صناعة الأسماك ، وجنائن المحاصيل التجارية . وانضم اليهم مع بداية القرن العشرين عدد كبير من اليابانيين ليضيفوا الى مهارة الصينيين ، مهارتهم هم ايضاً في الزراعة وصيد الأسماك وحدائق الزينة .

واستمر انتعاش المدينة الاقتصادي دونما توقف تقريباً لأكثر من نصف قرن . وكان عدد سكانها يتضاعف في كل حقبة .

وفي العشر سنوات الأخيرة اصبحت المدينة مركز جذب للبؤساء والمعدمين القادمين من آسيا وامريكا اللاتينية ، تماما مثلما كانت نيويورك ملاذاً للباحثين عن نسائم الحرية والفرص الجديدة .. والذين هربوا من فقر وظلم اوروبا في القرن التاسع عشر . وقد بلغ عدد الوافدين اللاجئين من المكسيك وامريكا اللاتينية وايران وجنوب شرق آسيا ، منذ عام ١٩٧٠ ، مليوني نسمة وغدت لوس انجلوس نسيجاً معقداً من ذوي الاقامة الطويلة والقادمين الجدد ، من مؤهلين حرفياً وغير مؤهلين ، واغنياء وفقراء .. ويتحدثون ثمانين لغة .



استعراض لاشهى الماكولات البحرية امام احد المطاعم الشهيرة في المدينة

ومع ان لوس انجلوس مفصولة جغرافيا عن بقية القارة بجبال وصحاري ، فهي لاتحس بالعزلة بفضل كبر حجم المواصلات جواً وبراً . وكان الرواد في عملية ازدهار المدينة في اواخر الماضي قد اقاموا كل البنى التحتية اللازمة للتنمية والتطور ، إذ انهم اقاموا شبكة سكك حديدية للقطارات وخطوط الترام بين المدن طولها ٢٤٠٠ كيلو متر ، وشقوا قنوات للمياه من البحيرات والأنهار التي تبعد مئات الكيلومترات ، وعبدوا الشوارع ، واقاموا شبكات لتصريف المياه ، وابتنوا الفنادق ومحطات السكة الحديد ، وذلك كله قبل ان تباع اول مواقع للسكنى . وعندما تفوقت السيارة على القطار ، اقامت سلطات المدينة شبكة من الطرق الكبرى على غرار الدروب التاريخية القديمة ، الأمر الذي ساعد على تكاثر المراكز المحلية .. وفرضت تشريعات صارمة لفصل المناطق السكنية عن مناطق الصناعة والتجارة ، ونسبة لاحتمال وقوع زلازل كبرى في المنطقة ، فرضت قيود صارمة على ارتفاع المباني ..

مدينة لكل الأذواق

ولو شاءت الاقدار للوس انجلوس الكبرى أن تنفصل عن الولايات المتحدة ،



كل هذا الجمع المختلف الالوان ، يعكس نموذجاً من مهرجان الشارع في لوس انجلوس ، وهو حدث سنوي ترعاه سلطات المدينة وبعض المؤسسات ، وتقدم فيه المسرحيات والفقرات المتنوعة ، وتعرض فيه الفنون والأعمال اليدوية

لتستقل بنفسها كدولة ، فانها ستصبح من الناحية الاقتصادية والناتج القومي الدولة الثانية عشرة في العالم ، متفوقة بذلك على المكسيك واستراليا واندونيسيا .

واقتصادها متنوع . فالمدينة مشهورة عالمياً كعاصمة لصناعة الأفلام والبرامج التلفزيونية والموسيقية . ويعمل اكثر من مليون شخص في صناعة الحديد والصلب وصناعة السيارات ، وما شابه ذلك من صناعات متقدمة .. كصناعة الطائرات والالكترونيات ، ووسائل الاتصال .. كما ان مليونا اخر يعملون في مجال الخدمات . وهناك مزارع ضخمة لزراعة القطن والارز ، بجانب مزارع الموالح العتيقة الراسخة .

وقد اخذت لوس انجلوس تنافس مدينة سان فرنسيسكو في مجال التمويل ، والفنون بعد أن كانت قد تفوقت عليها منذ وقت بعيد في عدد السكان والثراء .

ولوس انجيلوس في نظر كثير من الغرباء عنها مدينة مضطربة ، بل وفوضوية . ويزعج زائرها كثيراً أن يضطر الى قطع مسافات طويلة بالسيارة للوصول من نقطة الى اخرى . وقد اشيع عن المدينة انها تختنق تحت عباءة من الضباب الممتزج بالدخان ، وانها منشغلة بجمع الأموال و بالتفاخر بما تملك ، وان المنطقة كلها تتسم بالضحالة الفكرية ، والسعي وراء اللذة ، ولن يكتب لها البقاء .

ولكن من يشق طريقه الى العمق الذي يرقد تحت قشرة العيش فيها ـ يجد جملة من المفاجات السارة ، فالضباب الدخاني بها مثل كل المظاهر الحادة للطقس ، ليس سوى شيء وقتي ومحلي .. والطرق الكبرى ليست مرعبة كما تبدو لأول وهلة ، فهي طرق اتصال مريح بجوانب غنية ومتنوعة من الحياة في المدينة والصحاري والمناطق العذراء ، والسواحل الرملية التي تمتد مئات الكيلومترات .

وسيجد الغريب متاحف عالمية من الدرجة الأولى ، وحفلات موسيقية ، واحداثاً رياضية .. وطقساً يمكن المرء من ان يجري ويسبح ويلعب التنس طيلة أيام السنة .. ويغني المرء عن جارفات الجليد ومكيفات الهواء .

لقد عمدت الافلام السينمائية ، ثم التلفزيونية الى تضخيم كل شيء يحدث في جنوب كاليفورنيا ، خيرا كان ام شراً ، مظهرة له فوق حجمه الطبيعي . ولكن الواقع هو ان معظم اهل لوس انجيلوس يحيون حياة خالية من الاثارة .. حياة مثمرة ، لها محاسنها واخفاقاتها ، ولا تختلف في اساسها عن حياة جملة الشعب الأمريكي .

ولا ينفي ذلك وجود بعض مظاهر الاختلاف : لقد ولد معظم اهل لوس انجيلوس في مواطن اخرى ، ثم انتقلوا اليها ، وقد يرحلون عنها . وقليل منهم الذين يعملون في صناعة الترفيه والتسلية .. ولكن كثيرين منهم قد تأثروا بمزجها للأذواق المعاصرة ، وتطلعها للمستقبل .



متحف الفنون الجميلة ، وهو من اكبر المتاحف في امريكا ، وبه مجموعة كبيرة دائمة العرض ، وقاعات للمحاضرات والأفلام والحفلات الموسيقية ، وتقام به المعارض الخاصة



فتاتان من درب « روديو » في المدينة ويسمونه : الدرب المعبد بالذهب !

والحركة والتجديد ، في المدينة التي تنعدم فيها القيود ، لا يتوقفان . وربما كان جو التسامح الذي لا حدود له فيما يفعله او يتركه المرء ، هو الذي يميز لوس انجيلوس بصورة خاصة .

وما اكثر ما تقدمه لوس انجيلوس : الحدائق الغناء ، والمحاصيل والمنتجات الزراعية المتنوعة ، والتي تتوفر على مدار السنة ، والمطاعم التي ترضي أذواق كل اجناس العالم ، والمعارض والمهرجانات والاستعراضات التي تقام في الطرقات وتعكس ثراء وتنوع إنسانية المدينة والأشكال المعمارية الرائعة ، حيث المباني القديمة تجد الرعاية والتجديد ، والمسارح المحلية ، حيث يعرض آلاف الممثلين مواهبهم وينتظرون الفرصة الذهبية للقيام بدور في السينما او التلفزيون ، والمتاحف الجديدة ، وعروض فرقة اوركسترا لوس انجيلوس التي طبقت شهرتها الآفاق ، وعشرات الفرق الصغيرة ، ومئات الاندية لكل انواع الموسيقى الشعبية .

أصدقاء الشجرة

واقامة المهرجانات والاحتفالات السنوية ليست بالأمر الجديد على سكان مدينة لوس انجيلوس .. فهناك مثلا مهرجان «باسدينا» للزهور ، وهناك كثير من المناسبات الثقافية والرياضية ، المختلفة . ولذا فقد ظل اهل المدينة يعملون في تفان وتركيز لانجاح الألعاب الأولمبية لصيف هذا العام .. فتم تحسين المواصلات العامة ، وتوسيع طاقة مطار لوس انجيلوس الدولي ببناء قسم دولي جديد ، وطريق مزدوج ، ونظمت افواج الاوتوبيسات التي ستنقل الزوار الى مواقع المباريات الأولمبية .

وقد التزم آلاف من المواطنين بالعمل على توفير الراحة والمتعة للقادمين لمشاهدة الألعاب الأولمبية ، فجمع اعضاء ما يعرف باصدقاء الشجرة اموالا لزراعة مليون شجرة لتوفير الظل ، والتجميل ، ولامتصاص التلوث من الجو ، كما ان آخرين قد زرعوا الزهور الأولمبية في كل انحاء المدينة ، وتطوع ٢٠ الف من اهل المدينة لتقديم خدماتهم الى اللجنة الأولمبية في مساعدة الزوار من ناحية السكنى والمواصلات وكل ما يلزم لاستقبال ما يمكن ان يكون صيفاً لم تعرف المدينة في تاريخها ما هو اكثر منه اثارة وامتاعاً .

إعداد : النور عثمان أبكر

لقطات من الكون المثير



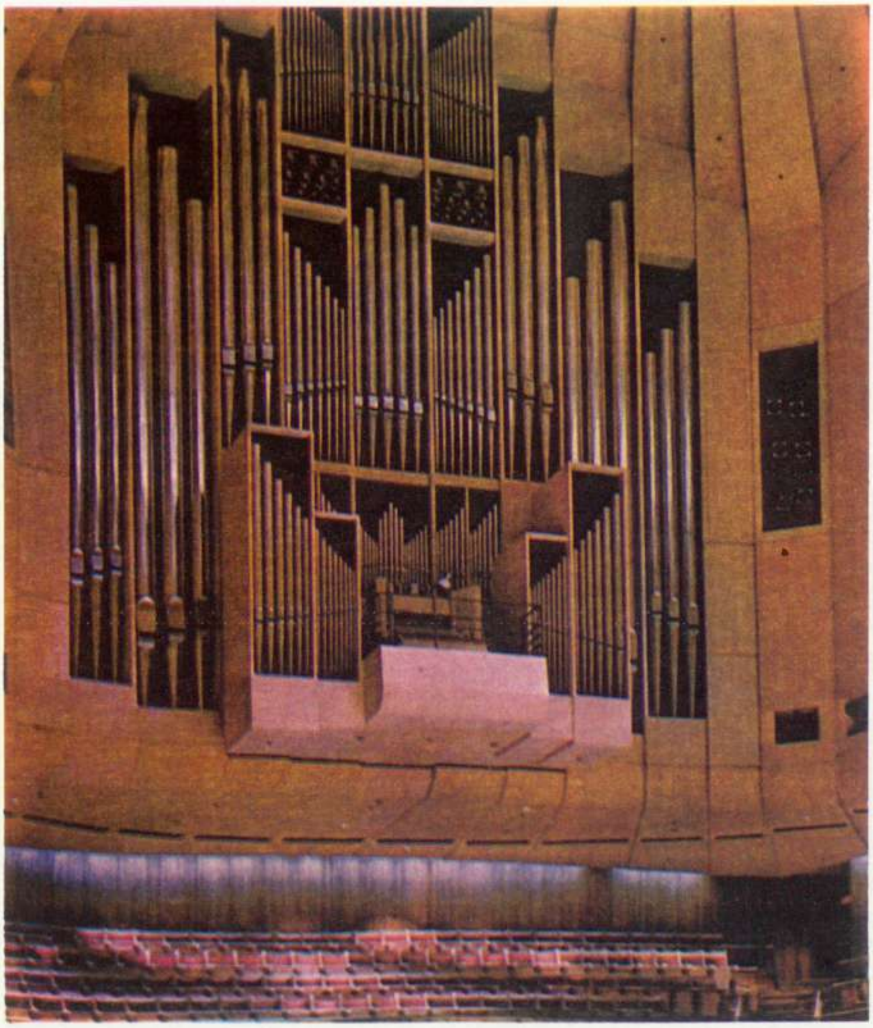
أضخم فهرس في العالم

ان فروع العلم المختلفة تنطلق الآن بانجازاتها كبحر جارف ، ليس ادل على ذلك من هذه المجموعة من المجلدات التي ترتفع الى ما يقرب من المترين ونصف المتر ، ورغم ذلك فهي ليست دائرة معارف قائمة بذ اتها ، بل هي فقط فهرس لاسماء المركبات الكيميائية التي يعرفها العلماء حتى عام ١٩٧٨ ، وتعريف مختصر بكل مركب ، والمجموعة تضم ٥٠٠ مجلداً ، وكل مجلد يزن حوالي نصف كيلوجرام (وزنها الكلي ١١٣٫٨ كيلوجرام) ، وتحتوي على ٩٥٨٨٢ صفحة ، وتضم ٢٠٫٥٥٠٫٠٠٠ اسما لمركبات معروفة ، هذا ويضاف الى هذا الفهرس سنويا عشرات الالوف من المركبات الكيميائية الجديدة المكتشفة او المخلقة .



التقاء عائلى .. على غير موعد!

هناك حيوانات اليفة استلطفت الانسان من قديم الزمان فاقبلت عليه : وارتاحت اليه ، فاواها فى مساكنه ، إما لمنفعة ، او لهواية محببة ، لكن هناك حيوانات برية لم تستلطف الحياة مع الانسان كل الوقت ، بل تعودت على وجوده بين الحين والحين كلما مر ببيئتها الطبيعية ، وعندما شعرت ان رضاه قد حل محل اذاه ، اطمانت اليه ، فخرجت من مخابئها ليطعمها مما اطعمه الله .. واللقطة خير تعبير على ما نقول ، فهذه الحيوانات الاسترالية اللطيفة هى من السلف القديم جداً لحيوان الكنغر المعروف ، فعندما تقابلت هذه العائلة البشرية مع هذه العائلة الحيوانية تم اللقاء ثلاثة بثلاثة .. اى من كل فريق زوج وزوجة وطفل .. الزوج يطعم الزوج ، والانثى بجوار ساق الرجل اليمنى تنتظر الدور ، والطفل فى هذه العائلة او تلك لاه فى ملكوته الصغير ، فطفل الحيوان قد اقبل على درجة طفل الانسان كنوع من حب الاستطلاع ، وطفل الانسان سعيد بالتطلع الى الحيوان ولاشك ان كل عائلة ستذهب الى حال سبيلها ، وهكذا الحياة .. تجمع ثم فراق ، وتبقى الذكريات !



ليس فنا معماريـًا ولا تصميمًا هندسيا

لا احد يستطيع أن يتعرف على حقيقة هذه اللقطة من الناس العاديين ، وقد لا يعرفها الا نفر من الموسيقيين البارعين ، فهذا التكوين الفريد ليس الا واحداً من الآلات الموسيقية المعروفة باسم الأرغن ، وفرق شاسع بين هذا الأرغن المعقد والمتقن وبين الارغن البدائى المعروف لنا جميعاً ، اذ ساهم العلم والتكنولوجيا الحديثة فى تشييده ، وبحيث يبدو وكانما هو اي شيء آخر الا ان يكون آله موسيقية ، فهذه الآله المعقدة مقامة في دار الأوبرا بمدينة سيدني باستراليا ، وبدأ تشغيلها عام ١٩٧٩ ، وتعتبر من أكبر الآلات الموسيقية واكثرها تقدماً وانضباطاً ، وهي تضم حوالي عشر الاف وخمسمائة انبوبة ، تتراوح اطوالها بين عدة سنتيمترات الى عدة امتار ، وعندما يمر فيها الهواء ، تصدر عنها انغام بكل المستويات ، وهى مزودة « بعقــل » اليكترونى متصل بخمس لوحات كبيرة للمفاتيح الضابطة ، وكلها تشتغل بدفع هواء آلى .. ورغم ان هذه الآله تبدو ضخمة بكل المعايير ، الا ان هناك ما هو اضخم منها فى اتلانتيك سيتى بنيوجرسى حيث يحتوى الارغن على ٣٣١١٢ انبوبة ، تخدمها آلة دافعة للهواء تصل قوتها الى ٣٦٥ حصاناً .. ترى ، ماذا يمكن ان تاتى به الأيام بعد ذلك . ؟

حمل عينيه على كفيه !



او كانما الصورة توحى بذلك ، فبدلا من وجود العينين فى مقلتين ، زيادة فى الحرص ، ووسيلة للحماية والحفظ ـ كما هو الحال فى الانسان والحيوان ، الا ان الكابوريا أو السرطان قد نهج طريقاً آخر ، فكانما هو قد جاء بعينيه يحملهما على كفيه .. أو بالتحديد على محورين يتصلان براسه ، والمحوران متحركان وفى نهايتهما تكمن العينان ، وكانما هما خفان وهما فى الحقيقة عينان مركبتان ، وسر هذا التصميم قد لا يخفى مغزاه على لبيب ، لان المحورين يدوران بالعينين ٣٦٠ درجة ، اى فى كل الاتجاهات ، فيرى كل ما يدور من الاخطار ، فاذا سكن فى مخبئه ، لم تختف امامه معالم عالمه ، بل يبرز المحورين الحاملين للعينين بالقدر الذى يرى به كل ما حوله ، ولا يراه من حوله ، فاذا رأى ما يخشاه ، تراجع الى الخلف ساحباً عينيه .. انها على اية حال فكرة جميلة من أفكار الحياة .. ليجيء كل شيء لما هو له ميسر .

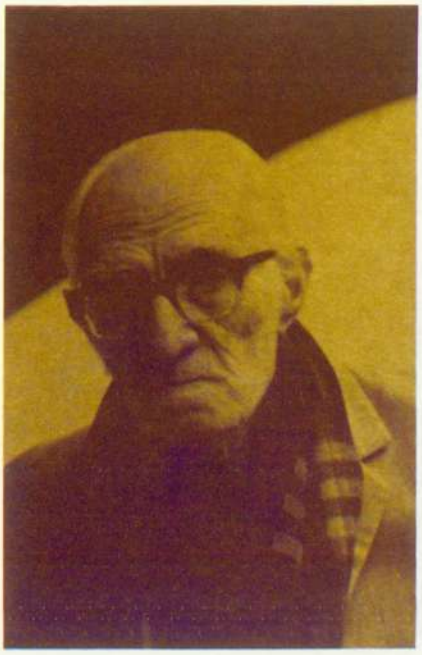
راغب عيّاد
فنان من جيل العمالقة

- أخفى عن أسرته أمر التحاقه بمدرسة الفنون الجميلة، ووقف في وجه النظم الدراسية الفرنسية!
- عند مارست الباخرة في ميناء الإسكندرية خلع قبّعته ورماها في البحر ليعبّر عن رفضه للتأثيرات الفنيّة الأوربيّة

بقلم: صبحي الشاروني



لوحة زيتية بعنوان « الزار » سجل فيها الفنان جانبا من الحفلات الشعبية التي اطلق عليها هذا الاسم .. واللوحة في متحف الفن الحديث بالقاهرة



الفنان راغب عياد ، الذي استطاع بفنه ان يمهد الارض للاجيال القادمة

خمسة وسبعون عاماً مرت على تاريخ افتتاح مدرسة الفنون الجميلة بمصر (١٩٠٨ ١٩٨٣) ، وبينما كنا نتاهب للاحتفال باليوبيل الماسي للحركة الفنية الحديثة ، سقط آخر العمالقة من جيل الرواد أو « الرعيل الأول » وهم الذين نبغوا من بين أول مجموعة من الفنانين الذين التحقوا بهذه المدرسة عند افتتاحها .

في ١٦ ديسمبر ١٩٨٢ توقف قلب احد رواد الفن التشكيلي : راغب عياد عن الخفقان ، وبذلك طويت صفحة من تاريخ الفن العربي في مصر ، مشحونة بالكفاح والابداع وهي التي سجلها الفنانون السبعة :

محمود مختار (١٨٩١ ـ ١٠٣٤) وكان أول الراحلين من هذا الجيل واكثرهم شهرة ثم احمد صبري (١٨٨٩ ـ ١٩٥٥) ، محمد ناجي (١٨٨٨ ـ ١٩٥٦) ، محمد حسن (١٨٩٢ ـ ١٩٦١) ، محمود سعيد (١٨٩٧ ـ ١٩٦٤) ، يوسف كامل (١٨٩١ ـ ١٩٧١) وكان آخر الراحلين من هذا الجيل هو راغب عياد (١٨٩٢ ـ ١٩٨٢) .

توفى عن ٩٠ عاماً عاشها للفن ، خاض خلالها مع زملائه سلسلة من المعارك التي مهدت الأرض للاجيال التالية ، وكانت حياته نضالا متصلا ، فلم يكن للفن في بداية القرن العشرين مكانته الحالية ، بل على العكس .. كان متصلا بالحرف والصناعات اليدوية ، اما الفن بمفهومه الغربي (أي اللوحة والتمثال المجسم) فكان وقفاً على الفنانين الاجانب .



المسرح الشعبي : احدى روائعه التي رسمها في عام ١٩٦٥

راغب عيّاد



المساومة : لوحة رسمها الفنان في عام ١٩٤٥ واستخدم فيها الاحبار والالوان المائية

خلال حكم اسرة محمد على لمصر ظهر الاتجاه الى جعل مصر قطعة من أوربا ، فاقيمت القصور والمتنزهات والنوافير وتماثيل الميادين بواسطة معماريين وفنانين أوروبيين ، فانتقل النمط « الباروكي » و « الكلاسيكي الحديث » الى مصر ، هذا فضلا عن توافد فنانين سائحين سجلوا مناظرها الطبيعية واحياءها الشعبية وطابعها الشرقي باسلوب أوروبي لم ينقل من المشاهد المختلفة سوى مظهرها الخارجي ، وقد انحصر هذا الفن في محيط بعض كبار القوم في المجتمع ، ولم يعرف بقية سكان مصر عن هذا الفن شيئاً ، حتى ظهر بعض المفكرين والكتاب الذين زاروا أوربا ، ولمسوا مكانة الفن في المجتمع الغربي ، فبدأوا يدعون الى الاهتمام بالفنون الجميلة ، وبذلك تهيات النفوس لاستقبال هذا الفن غير النفعي ، الذي يخاطب الوجدان ويرتقي بالأحاسيس .

أما الفنانون الأجانب الذين وفدوا الى مصر في أواخر القرن التاسع عشر ، فقد اتخذوا من حي الخرنفش سوقاً لبضاعتهم حيث تجاورت « دكاكينهم » - أو مراسمهم كما نسميها حالياً وذلك على غرار حي « مونمارتر » في باريس .

بداية الطريق

ولد راغب عياد فى قرية «شبرا قبالة» بالقرب من مركز «أسطنها» بالمنوفية ، يوم ١٠ فبراير عام ١٨٩٢ ، لكن اسرته انتقلت الى القاهرة لتسكن حى الفجالة ، والحقت ابنها «بمدارس الفرير» فى شبرا ثم الخرنفش .. وهكذا تعرف الفتى وهو فى طريقه الى المدرسة وعودته منها على حى الفنانين الأجانب ، وأصبح ملماً بهذا الميدان دون بقية أترابه .

وعند افتتاح مدرسة الفنون الجميلة عام ١٩٠٨ تولى التدريس بها مثال فرنسى ورسام ايطالى ومزخرف ومعمارى فرنسيين .. ولقد فرح هؤلاء الأساتذة براغب عياد عند تقدمه للالتحاق بالمدرسة لتميزه عن بقية المتقدمين الذين جاؤوا من الريف أو من أحياء القاهرة الشعبية ، فكلهم لم يتلقوا أية ثقافة فنية ، بينما راغب عياد يتميز بمعرفته بالفن وامتلاكه لساناً فرنسياً يتيح له التفاهم مباشرة مع أساتذته .. حتى كانوا يستعينون به مترجماً لأفكارهم وأحاديثهم حول الفن لينقلها الى بقية زملائه .

وكانت له شخصيته القوية المستقلة ، فلم يحظ برضاء أساتذته الأوروبيين المستشرقين ، ولم ينل ثناءهم او تشجيعهم بسبب ثورته على النظم الدراسية التى وضعت على غرار مناهج مدرسة بونابرت فى باريس والأكاديميات الايطالية . لم يكن راضياً عن التدريبات بالرسم نقلا عن النماذج المجسمة الاغريقية والرومانية ، إلا أن ثقافته الفنية ومعرفته اللغة الفرنسية كانا كفيلين بحمايته من التعرض للفصل من المدرسة كما حدث لمعظم الملتحقين معه والذين بلغ عددهم ٤٠٠ طالب .

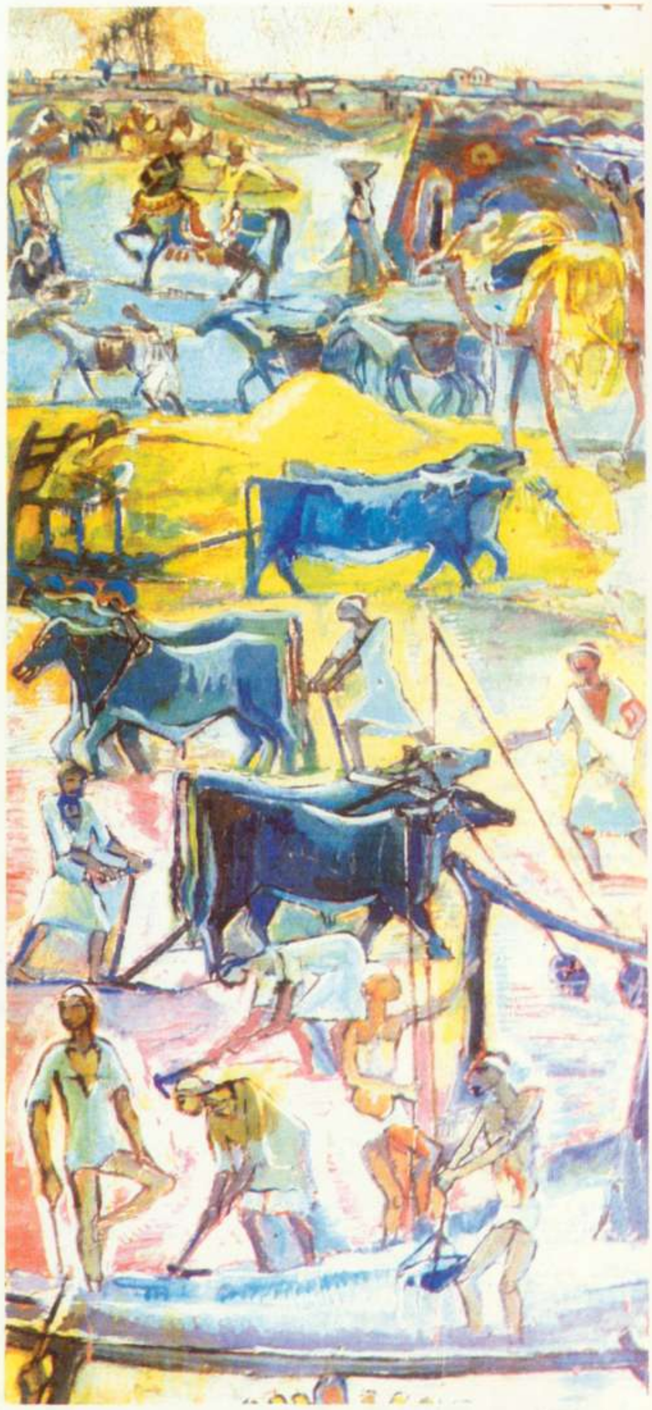
لكن شغف أساتذته بالمشاهد المصرية جعلهم يصحبون تلاميذهم الى خارج جدران مدرستهم لتسجيل المناظر الريفية ومشاهد الأحياء الشعبية والأسواق ، وقد استهوى هذا النوع من الرسم فناننا ونبغ فيه لاتصاله بمصريته وبواقع ارضه .

وهكذا كان للفكر السياسى أثره على فن راغب عياد من البداية ..

ان أي محاولة لتاريخ جهود الجيل الأول من الفنانين وكشف الدوافع التى أدت الى ظهور الحركة الفنية فى مصر لابد أن ننظر اليها من خلال الظروف المختلفة التى



منظر من مدينة بيروجيا



العمل في الحقل : الوان زيتية على خشب ، انجزها الفنان في الخمسينات

أحاطت بنشاتها ، فعندما دخلت مصر مرحلة ثقافية واجتماعية متميزة مع بداية القرن العشرين كانت تلك المرحلة ترتبط الى حد كبير بظروف الصراع السياسى والوجود الاستعمارى ..

فبينما كان الأمير يوسف كمال يهدف الى التقرب للطبقة الوسطى التى ظهرت وأصبح لها تاثيرها على الجماهير كان الأساتذة الأوروبيون يريدون استمراراً لمنهجهم وتربية معاونين لهم فى تنفيذ المشروعات المطلوبة منهم .

فى تلك الظروف كان الاتجاه الى الفن يمثل طريقاً غامضاً ومستقبلا غير مامون .. ولهذا أخفى راغب عياد عن أسرته امر التحاقه بمدرسة الفنون الجميلة لمدة عام كامل لما لمسه من معارضة أسرته لهذا الامر .. لكنهم سلموا بالأمر الواقع بعد ذلك .

سنوات التحفز

فى عام ١٩١١ أتم الجيل الأول دراسته ، واقيم بهذه المناسبة معرض كبير لأعمال الطلاب ، تالق فيه محمود مختار ، وتقرر ارساله فى بعثة الى فرنسا على نفقة الأمير يوسف كمال الذى كان ينفق من أمواله على مدرسة الفنون المصرية .

لكن بعد انقضاء سنوات الدراسة خرج راغب عياد ليواجه مجتمعاً لا يعرف عن الفن شيئاً مما عرفوه ، بل وتنتشر فى النفوس كراهية للتصوير

وبدأ الخريجون يواجهون مصيرهم .. فعمل راغب عياد فى وظيفة مدرس للرسم بمدرسة الأقباط الكبرى ، لكن هذا العمل الوظيفى لم يقنعه لولعه بالفن وايمانه به .. فاتخذ لنفسه مرسماً فى حي القلعة يعتكف فيه بعد ساعات العمل ، وذلك على غرار مراسم الفنانين فى حى الخرنفش .. ثم اذا حلت الاجازة الصيفية سافر الى

راغب عيّاد



ضاربة الودع ، التي يأتيها الريفيون البسطاء لتدلهم على حظهم في الحياة ؛ وهي من اعمال الفنان عام ١٩٥٧

ايطاليا وفرنسا لينهل من منابع الفن ، ثم يعود فى نهاية كل صيف وهو يحلم باستكمال دراسته هناك .

وكان زميله يوسف كامل قد التحق هو الآخر بهيئة التدريس «بالمدرسة الاعدادية» التى كان يعمل فى وظائف التدريس بها عدد من الأدباء والمفكرين ، فاتيح له ان يزامل العقاد والمازنى واحمد حسن الزيات وفريد أبو حديد وصادق عنبر ومحمد بدران والكرداني وعبد الواحد خلاف ومحمد كامل سليم ... وغيرهم من مفكرى مصر الذين أصبحوا بعد ذلك من قادة حزب الوفد خلال ثورة ١٩١٩ وما بعدها .

البعثة التبادلية

كان يوسف كامل يقضى بعض الوقت فى زيارة زميله راغب عياد بمرسمه فى حي القلعة .. ويقال انه اتخذ لنفسه مرسماً بجوار مرسم راغب عياد .. وكانا يتحدثان فى كل الأمور المحيطة بهما ويحاولان التخطيط لمستقبلهما ويبحثان عن طريقة تتيح لهما استكمال دراستهما فى الخارج ، خاصة بعد أن شاهدا زميلهما محمود مختار وقد سافر الى فرنسا بينما زميلهما الآخر محمد حسن ـ الذى عمل مدرساً بمدرسة الفنون والصنائع ـ قد أوفد هو الآخر فى بعثة الى انجلترا عام ١٩١٧ حيث تخصص فى الفنون الزخرفية والتطبيقية .

صحيح أن راغب عياد ويوسف كامل قاما بعرض أعمالهما فى معارض متتالية .. وأثناء الحركة الوطنية انشا عام ١٩٢١ «جمعية اتحاد الفنانين المصريين» بهدف تجميع الفنانين وتعريف الجمهور بقيمة العمل الفنى واقامة المعارض والدعاية لها .. ومع ذلك ظل حلم الدراسة باوربا يراودهما ، حتى هداهما التفكير الى تجربة تعتبر الأولى والأخيرة فى نوعها ، وتمثل علامة بارزة فى مسيرة الكفاح من اجل احترام الفنان وضرورة اكتمال تكوينه الفنى بالدراسة فى الخارج ..

هذه الفكرة تتلخص فى ان يقوم احدهما بالسفر الى ايطاليا للدراسة ، على أن يتولى زميله مهمة القيام بعمله ، وهكذا لا يفقد عمله ولا ينقطع راتبه الذى يصله بانتظام لينفق منه على نفسه أثناء دراسته حتى اذا ما أتم العام الدراسى عاد الى الوطن ليحل مكان زميله ويقوم بالتدريس فى المدرستين ليتيسر للآخر الحياة فى ايطاليا دارساً للفن .

وسميت هذه التجربة باسم «البعثة التبادلية» ، وقاما بتنفيذها عام ١٩٢٢ حيث سافر يوسف كامل أولا وبقى راغب عياد فى القاهرة ، فكان لهذا التكاتف والتعاون صدى مدوياً فى كل مكان ، إذ كتبت عنه الصحف فكان موضع حديث الجميع ، خاصة أن هذا التعاون جاء فى فترة حاول فيها الاستعمار الانجليزى بث التفرقة بين المسلمين والأقباط فى مصر .. فكان هذا التعاون بين مسلم وقبطى رداً بليغاً أخرس هذه المحاولات ، وفى نهاية العام الدراسى الأول سافر راغب عياد ليلحق بزميله فى الاجازة الصيفية ، وهناك لقيا سعد زغلول وهو فى طريقه الى مصر بعد خروجه من منفاه فى سيشل .. إذ كان محمد كامل سليم زميل يوسف كامل فى هيئة التدريس بالمدرسة الاعدادية قد عمل سكرتيراً لسعد زغلول زعيم الثورة فدبر كامل سليم هذا اللقاء .

ووجد سعد فى هذا التعاون بين اثنين من شباب الفنانين دلالة واضحة على المحبة والاخاء ، وقال ليوسف كامل : «عد الى مصر لتوفى دينك لزميلك» .

ولما تولى سعد زغلول الوزارة زعيماً لحزب الوفد ، وبدأت الحياة النيابية ، كانت قصة هذا الكفاح ماثلة أمامه ، وما كاد النائب البرلمانى «ويصا واصف باشا» يثير هذه القضية فى البرلمان ، وينوه بكفاح الجيل الفنى الأول ، حتى أيد سعد زغلول هذا الاتجاه وكذلك جميع أعضاء البرلمان من الوفديين ، فتقرر أول اعتماد لتشجيع الفنون الجميلة والانفاق على البعثات فى الخارج وقدره ١٢ ألف جنيه . فسافر يوسف كامل وراغب عياد ومحمد حسن الى ايطاليا ، وأوفد أحمد صبرى الى فرنسا ، واستمر هؤلاء المبعوثين فى أوربا من عام ١٩٢٥ حتى ١٩٢٩ .

وقد لخص راغب عياد ذكرياته عن تلك الفترة فى قوله : «كان عمرى ١٩ سنة عند التخرج ، وكنت قد نضجت من ناحية الانتاج الفنى ، لكننا كنا منطوبين على أنفسنا .. ومن عام ١٩١٢ الى عام ١٩١٩



الحياة الشعبية بكل ما فيها من فروسية ورجولة ممثلة في لعبة التحطيب ، وهي من اعمال الفنان عام ١٩٣٠

كنا نعمــل في صمت ولم نفكر في مستقبلنــا .. ولكن مــع ظروف ثورة ١٩١٩ واحساسنا بالنضج ، فكرنا فى اقامة معرض لأعمالنا ، وشجعتنا حرم «شعراوى باشا» أحد زعماء ثورة ١٩١٩ (هدى هانم شعراوى) .. وبدأنا نجرب حظنا ونخرج لوحاتنا الى النور . ونجح معرضنا بسبب الظروف السياسية ، وافتتحه سعد زغلول عام ١٩٢١» .

ثم يضيف: «بعد ذلك انشانا جمعية «اتحاد الفنانين المصريين» عام ١٩٢١ ، وذلك أثناء الحركة الوطنية ، وكان هدفها هو لم شمل الفنانين وتعريف الجمهور بالفن وعمل معارض للدعاية الفنية ، ولكن «جمعية محبى الفنون» أرادت بعد ذلك أن تستولى على جمعيتنا ، فكانوا يشجعوننا برأيهم ، ويؤيدون ذهابنا للدراسة فى أوربا وعندما سافرنا فى البعثات الحكومية عام ١٩٢٥ استولت جمعية محد الفنون الجميلة على جمعيتنا» .

معركة الوظائف الفنية

بعد عودة راغب عياد وزملائه من بعثاتهم فى أوربا واجهتهم عقبة استيلاء الأجانب على المناصب المختلفة فى مدرسة الفنون ووزارة المعارف (وزارة التعليم حالياً) .



سوق القرية : لوحة سجلها الفنان بالوان الطباشير ، لهذا الحدث الهام الذي يمثل إحدى العادات الثابتة والمالوفة في القرية

رجع راغب عياد من ايطاليا بعد أن حصل على ثلاث دبلومات فى فن التصوير الزيتى والزخرفة وفن المسرح .. لكنه عمل فى التعليم الصناعى كاستاذ بمدرسة الفنون التطبيقية ، واستمر فى هذا العمل لمدة ٧ سنوات .

وكانت هذه السنوات السبع سنوات كفاح وعمل مستمرين فى اتجاه الدعوة الى تمصير الوظائف الفنية (أى إحــلال المصريين مكان الأجانب فى هذه الوظائف).

وبدأت هذه الدعوة تثمر وتتحقق أهدافها عام ١٩٣٧ ، فنقل راغب عياد الى «مدرسة الفنون الجميلة العليا» ليتولى التدريس بقسم الدراسات الحرة بها حتى عام ١٩٥٠ ، ثم تولى بعد ذلك منصب مدير متحف الفن الحديث حتى احيل الى التقاعد عام ١٩٥٤ .

ومن الجدير بالذكر أنه فى عام ١٩٤١ وقع خلاف حاد بينه وبين ادارة مدرسة الفنون الجميلة العليا ، فتقرر ابعاده عنها وانتدب للاشراف على المتحف القبطى ، ثم عاد سنة ١٩٤٦ الى عمله «بكلية الفنون الجميلة» حيث تهلى رئاسة قسم الدراسات الحرة بها .

ومن نشاطه خارج ميدان تدريس الفنون انه شارك عام ١٩٥٢ فى انشاء جماعة «لاتيليه» للفنانين والكتاب والمعروفة حتى الآن باسم «اتيليه القاهرة» .. كما ساهم فى أعقاب الحرب العالمية الثانية فى تاسيس «جمعية الشعلة» التى وجهت نشاطها الى الايطاليين الخارجين من الاعتقال طوال

راغب عيّاد



نماذج من الريف : دراسة بالأقلام الملونة ، من واقع الحياة الشعبية

فترة الحرب العالمية ، وكانت أهدافها ثقافية وعلمية من اجل تجديد وتوثيق العلاقات الثقافية مع الايطاليين ، وقد واصلت هذه الجمعية نشاطها حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ .

مراحل فنه

كان راغب عياد يطلق على المرحلة الأولى من فنه ـ والتى امتدت حتى عودته من بعثته الحكومية في ايطاليا عام ١٩٣٠ ـ اسم المرحلة الايطالية ويقول : «لقد اجتزت هذه المرحلة رغم أنفى ، انها مرحلة دراسة للجسم الانسانى والأشياء المختلفة ، وقد أفادتنى وأتاحت لي التعمق فى دراسة الأشكال .. لكننى لم أرسم أى منظر من ايطاليا ، وانما كل المناظر الطبيعية التى رسمتها كانت مناظر مصرية ....» .

ويضيف : «وعندما رست الباخرة فى ميناء الاسكندرية خلعت قبعتى والقيتها في البحر ، واقسمت أن اتخلص من التأثيرات الأوروبية واعبر عن بيئتي المحلية وحدها .. ومن ذلك التاريخ عام ١٩٣٠ تحركت فى فنى داخل دائرة لم تتغير وان كنت تطورت فى نفس الاتجـــاه تطوراً بطيئاً تبعـــاً للموضوعات المختلفة التى تناولتها .. ولم يتغير أسلوبى ولكن اهتماماتى هى التى تغيرت ..» .

«اننى أميل أكثر الى الرسم بالخطوط فلوحاتى هى خطوط ملونة ، إننى أعالج موضوعات ولا أرسم اسكتشات (عجالات) .. هذه اللوحات من السهل أن احولها الى لوحات زيتية ، لكننى افضل التعمق فى دراسة الموضوع ومعالجته عشرات المرات حتى يصبح فى أقوى صورة تعبيرية ممكنة» .

وفى اعتقادى ويقينى أن الفنان الحق المخلص لفنه ، هو من يستلهم إلهامه من صميم طبيعة وطنه ومن البيئة والارض التى ترعرع فيها وعاش تحت سمائها ، فيعبر عن مباهجها ومآسيها ، وعن عاداتها وقوميتها بصدق واخلاص وأمانة ، متابعاً ميوله وانطباعاته بالصورة التى تحوله وبالأسلوب الذى يروقه ويفضله» .

وهكذا اتجه عياد الى الحياة الشعبية وخاصة الفن الشعبي في الافراح والاحتفالات الشعبية المتعددة ، وحياة الفلاحين في الحقول وعاداتهم في أوقات الراحة!

ولم يقتصر نشاط الفنان فى الثلاثينيات على رسم اللوحات وإنما كانت له مهارات أخرى فى الجوانب الزخرفية التى ظهرت بوضوح فى مجموعة لوحات التصوير الزخرفى التى نفذها بقصر عزيز بحرى بالقاهرة وتلك التى أقامها بفندق «شبرد» القديم الذى احترق فى حريق القاهرة عام ١٩٥٢ ، كما ظهرت فى لوحته الكبيرة بالمتحف الزراعى «تحية الوطن» .

ومع هذا تظل موهبة هذا الفنان الحقة فى تصويره للعادات والتقاليد ، كان يتجول فى حوارى القاهرة ويلتقط المناظر المعبرة بصدق عن الحياة المصرية .

وهذه هى الخطوة الجريئة التى خطاها راغب عياد ، يدركها من عرف معارض الفن فى مصر قبل الحرب العالمية الثانية ، عندما كان الفن الوضعى القائم على المحاكاة والذى يعتنى بقواعد المنظور والتكوين الاكاديمي : هو الفن السائد بغير منازع .

لقد خرج هذا الفنان الرائد عن الاطار التقليدى ، فلم يصور أوانى الزهور أو مناظر الغروب أو حتى الوجوه الشخصية ، إنما صور عالمه الخاص المعبر عن مصريته.

وعرف الفنان باتجاهه المتحرر فى الرسم ومن عام ١٩٣٧ استقرت ملامح شخصيته الفنية وتبلور أسلوبه الذى اشتهر به .

خطوط عارمة قوية مع نظرة تحليلية للتجمعات فى تحركها وحشودها ، مع رفض المفاهيم المدرسية والأكاديمية فى تكوين اللوحة وتوزيع العناصر .. وفى النهاية كان فنه يمثل ثورة على الجو الرومانسى الذى كان يسود أعمال معظم معاصريه والقواعد الكلاسيكية التى اتبعها زملاؤه وأبناء جيله .. لقد اتجه الى التعبير المباشر البعيد عن العاطفية والزخارف الشكلية .. سواء كان موضوعه من الحياة اليومية أو يصور أحداثاً تاريخية أو دينية .

وقد انتقل الفنان الى استخدام الألوان المائية والاحبار والاقلام الملونة يستخدمها بأسلوب مشحون بطاقات تعبيرية عالية تكشف عن نظرته اللماحة السريعة النافذة لحركة التجمعات الانسانية فى المولد والزار والسوق وحول ملاعب الخيل .

ثم اتجه الى تصوير العمل فى الحقل خلال الخمسينيات واستخدم التكوين المصرى القديم فى تتابع التجمعات وحركتها على سطح اللوحة حيث استبدل بالبعد الثالث التكوين الراسي للجموع .

بعد رحلته مع الفلاحين فى عملهم اتجه خلال الستينات الى عالم الرهبان والأديرة

إنها مرحلة التامل والسكينة التي ابتعدت عن ضجة الحركة والزحام ليترك للمبانى والأشكال المعمارية بألوانها البيضاء مهمة التعبير عن العلاقة بين الانسان والكون ، بأسلوب فائق الحساسية والشاعرية .

وفى عام ١٩٦٥ نال الفنان راغب عياد جائزة الدولة التقديرية فى الفنون ، لما قام به من دور هام فى تمهيد الطريق الحقيقى للفن الحديث بمصر ، كما أهدته أكاديمية الفنون الدكتوراه الفخرية عام ١٩٨٠ تتويجاً لحياته الحافلة .

وقبل أن تغرب شمس عام ١٩٨٢ توفى راغب عياد تاركاً بصماته الواضحة على الفن المصرى حيث سار فى نفس الطريق وتطور به عدد من تلاميذه الذين أصبحوا الآن من أساتذة الفن .

صبحى الشارونى

الثرثرة..

مسرحية قصيرة بقلم: وليد إخلاصي

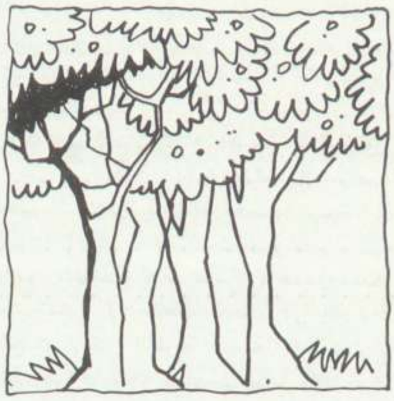
تدور احداث هذه المسرحية في مكان يبدو للوهلة الاولى وكانه غابة اشجار عارية الاغصان . إلا ان الصورة تبدو اوضح بعد لحظات ، فتظهر الاعمدة المغروسة في الارض تحمل في رؤوسها واطرافها كتلا متفاوتة الحجم ، مالوفة او غريبة تشير إلى انها مايكروفونات . وترتبط تلك الاعمدة باسلاك متشابكة تاتي إليها من كل اتجاه ، ومن اعلى ايضا . ويصبح المشهد وكانه معرض للتقدم التكنولوجي لصناعة المايكروفونات .

صمت مطبق يخيم على المكان ، بعد ضجيج خفي من ازيز واصوات مبهمة استمر خلال اللحظات الاولى . يشتعل المشهد بوهج من نور ، وتتوالى الاصوات تاتي من الخارج ، بعيدة وقريبة ومن جهات مختلفة .

تختلط الاغاني العاطفية الشائعة بالأهازيج الشعبية ، بنتف من اخبار عامة سياسية واجتماعية وفنية وعلمية وغيرها بمقاطع من احاديث وحوارات ثقافية وعائلية واقتصادية ودينية ورياضية وغيرها ...

وفي غمرة الضجة المضطربة ، يدخل رجل في منتصف العمر يلهث ، وكانه جرى مسافة طويلة . هو رجل عادي ويرتدي ملابس قديمة ولكنها لائقة . بعد لحظات ، يحس بجو الغابة بعد ان يصبح في منتصف المكان .

يصاب الرجل بالبهر وهو يعاين الاعمدة والأشرطة والرؤوس اللاقطة . في البداية تكون الدهشة ، ومن ثم الفرح . يتحسس اكثر من مايكروفون بفرح طفل وجد لعبته



الضائعة منه .

يشعر بالضجة التي تداخلت فيها الالحان بالكلمات ، والتي احاطت به اتية من بعيد ، ولكنها واضحة . فيتمايل وكان مساً من المتعة اصابه»

صوت ١ : ولا جدال في ان الوعي المتنامي يكشف تلك الالاعيب .

الرجل : (مردداً) ولا جدال في ان الوعي المتنامي يكشف تلك الالاعيب (يبدو مزهواً بقدرته على الترداد ، فيقترب من مايكروفون كبير ، ينقره باصابعه فيتبين له انه لا يعمل) .

الرجل : لا يعمل . لابد انها الكهرباء . الكهرباء نعمة . الكهرباء نقمة . نعيش على الكهرباء ، وعندما تنقطع يتوقف كل شيء (ينقر المايكروفون) ، الكهرباء اختراع عظيم ولكنه مخيف .

صوت ٢ : والحديث عن الصحراء يقودنا الى التغني بماثر الاخلاق . الوفاء والكرم وحسن الضيافة كلها من الماثر التي ...

الرجل : (مردداً مايكوفون اخر) الوفاء والكرم وحسن الضيافة (لنفسه) التغني بماثر الاخلاق يقودنا إلى الحديث عن الصحراء (مصححا) الحديث عن الصحراء هو الذي يقودنا إلى الاخلاق .

(يفحص الراس اللاقط) .

الو .. الو .. واحد اثنان . إنه لا يعمل .

(يلاحق الشريط الناقل على الارض ومن ثم في الهواء) .

بارد ولا يوحي بانه قادر على نقل الكلمات .

صوت ٣ : (مع موسيقى اعلانية) هي الأفضل . هي الأساس . هي الأكثر رواجا . اشتر .. اشتر الأكثر رواجا .

الرجل (مردداً خلف مايكرفون اخر) اشتر اشتر . هي الأفضل . هي الأكثر ارتجاجا .

(يصحح لنفسه) اشتر اشتر . هي الأكثر رواجا .

(ينقر باصبعه الراس اللاقط) .

اشتر اشتر . لابد انها الكهرباء ايضا . يبدو ان مصدر الكهرباء واحد لكل هذه الرؤوس (باسف) سافقد متعة جميلة ولن استطيع ان اسمع صوتي احداً .

(يعاود فحص المايكرفون ويعالجه باصابعه المتحسسة ، وكانه يكتشف شيئا) لابد ان لهذا المفتاح معنى . الو .. الو (يصبح صوته واضحا وقويا) إنه يعمل . لم تكن قضية كهرباء إذن . الو .. واحد .. اثنان .. إنه يعمل . الو .. انا هنا اتحدث اليكم . تسمعونني جيداً . شيء جميل ان يكون الصوت مسموعا .

النشرة..

(تتدفق ضجة ملعب من الخارج ، ثم يظهر صوت المذيع يصف مباراة رياضية في كرة القدم . يصغي الرجل إليها باهتمام بالغ ، وتبدو آثار الانفعال واضحة عليه) .

المذيع : الجماهير تغلي شوقا لتسجيل هدف / عثمان اعطى الكرة لجلال .

الرجل : (منفعلا وقد امسك بالمايكرفون) عثمان اعطى الكرة لجلال . جلال يجري كالغزال . عثمان استرد الكرة . اعطاها من جديد لجلال . جلال يسدد نحو الهدف .

(يقفز في الهواء من فرح) هيه . كول .. كول .

(اصوات المباراة بضجيجها وتعليق المذيع يستمر) .

الرجل : يبدو انني اصبت الهدف . حقا فقد اصبت الهدف .

(يتوقف متاملا نفسه وقد ظهر عليه حزن خفيف) .

منذ كم من الزمن لم اصب الهدف !

(يحرك ساقه في الهواء وكانه يرمي بالكرة) .

هل اصبت الهدف ؟ من يدري ، فالمرمى بعيد بعيد .

(يمشي في المكان كرجل يتنزه في غابة) .

يبدو انني بحاجة إلى مزيد من التدريب كي اصيب الهدف . ولكنني اصبته فعلا .

صوت : (مع بداية المقدمة الموسيقية لأغنية قديمة) والآن يغنينا مطرب التراث الأول احمد محمد المحمودي دور «تكدب علي ليه» .

(مع مطلع الأغنية يتمايل الرجل من خلف المايكروفون يتابع بشفتيه الأغنية ثم مايلبث ان يشارك بها وكانه هو المطرب الذي اعلن عنه) .

الرجل : (يهتف بحبور) وهاانذا اتقن الغناء ايضا . اصبت الهدف واتقنت الغناء في يوم واحد . لابد انها بداية جديدة . هي حقا بداية جديدة ورائعة (يكمل ترداد الأغنية التي ستتوقف بعد قليل ، فيظل هو يتابع لوحده بصوت سيبدو غير مقبول وفيه شيء من النشاز . يتوقف مفكرا) .

الرجل : تبا للكهرباء . يبدو انني ساكتفي اليوم باصابة الهدف ولن اتقن الغناء (بعد لحظات) قد لا انفع شخصيا للغناء . ليس من الضروري لمن يتقن اصابة الهدف ان يتقن فن الغناء .

(يتوجه من الجمهور بجدية كبيرة ويخاطبه) :

سيداتي انساتي سادتي (بعد لحظة) ايها الحضور المبجل (بعد لحظة) اخواتي واخوتي (يتراجع عن الاندفاع ، ويتردد يقول لنفسه) ماذا كنت اود أن اقول . في الحقيقة ..آه . تحدثنا عن اصابة الهدف . آه الهدف .

(يتابع مخاطبا الجمهور) عثمان اعطى الكرة لعثمان . جلال اخذ عثمان وركض به . عثمان يحاول –أن يدخل الهدف .. هيا .. الكرة تذهب وتعود كالمكوك . الجماهير تطالب بهدف . الهدف يقترب . الهدف يبتعد.

(يردد بالية) يقترب / يبتعد / يقترب / يبتعد / يبترب .

(يصمت كمن يراجع نفسه) ماذا تقول يا رجل . الطقس دافيء ولكنه لا يسبب الحمى . الأمور تختلط بعضها ببعض . ماذا حدث لك .. ماذا حدث لك (كمن يتذكر الماضي القريب) كنت تمشي . حسن فانت كنت تمشي / سقطت قدماك في الحذاء فركضت / كان الطريق مسرعا فاسرعت / توقف هنا فتوقفت / اصغ اليهم فاصغيت / هم يتكلمون فتكلمت .

(صوت من الخارج يشد إليه انتباه الرجل) .

صوت : مريض في المشفى الوطني بحاجة الى دم من زمرة /٥/ سلبي .

(يختلط الصوت المذاع مع ترداد الرجل)

الرجل : مريض في المشفى الوطني بحاجة الى دم من زمرة «او» سلبي . سلبي ! لم اسمع بمثل هذه الزمرة من قبل .

(اغنية عاطفية تاتي من الخارج)

لم اعرف هذه الاغنية من قبل . مريض في المشفى الوطني .. ولكني عرفت مرة وانا في الخدمة العسكرية ان زمرة دمي هي /٥/ ايجابي . كيف نسيت انني اعرف انواع الزمر الدموية . مادام هناك الايجابي فلابد من السلبي (متحسرا) لن أستطيع ان اعطي المريض المسكين شيئا من دمي (يخاطب الجمهور من خلال المايكرفون) ايها الحضور الكريم ، ارجو من كل من يحمل زمرة /٥/ سلبي ان يتوجه فورا الى المشفى الوطني .

(إلى نفسه) انتهى البلاغ وسيشفى المريض . (إلى الجمهور) اتذكر الآن ، فهي زمرة دم نادرة ، ولكن واحدا منكم يحملها وسيستجيب للنداء . نحو اخوة في الدم ، اليس كذلك (بعد لحظات) ولكننا لسنا اخوة في الزمر . الايجابي لا يمكن ان يكون اخا للسلبي . الن يستجيب احد للنداء ! مريض بحاجة الى دم .. ومن يدري اننا قد نحتاجه ايضا ذات يوم .

صوت : واليكم تفاصيل النشرة . تقع البلاد تحت تاثير منخفض جوي ..

الرجل : (يردد الجملة مع الصوت الخارجي) تقع البلاد تحت تاثير منخفض جوي ادى الى تدني درجات الحرارة عن معدلها .

(واذ يتابع الصوت اذاعة النشرة الجوية بصوت غير مفهوم ، يحدث الرجل نفسه) الطقس بارد حقا فالحرارة ادنى من معدلها .

(يفكر لحظة وهو يتحسس قميصه) الطقس ليس باردا بل ، في الحقيقة ، يبدو انه دافيء . في الواقع إنه طقس دافيء ، وانا لا البس شيئا سوى هذا القميص (بنشوة) الطقس دافيء ويميل إلى الحرارة لابد انها نشرة غير دقيقة ، بل لنقل إنها خاطئة ، وبشكل ادق هي ملفقة . هل يمكن للنشرة ان تكون ملفقة ؟ لم لا .. فالقميص هو الدليل .

(يخلع قميصه ويلوح به كعلم) القميص هو الدليل . والبلاد لا تقع حاليا تحت تاثير منخفض جوي . الطقس دافيء حقا والقميص هو الدليل .

(يمشي ملوحا بقميصه وكانه حقق انتصارا) .

كنت امشي / دخلت قدماي في الحذاء الراكض فركضت / كان الطريق مسرعا فاسرعت / توقف هنا فتوقفت / اصغ إليهم فاصغيت / وكانت النشرة خاطئة فما صدقت / .

(يقترب واحد من المايكرفونات ، يمتحنه ليجده يعمل) .

واحد .. اثنان .. الو . هذا ما يجب ان يحدث لك . فكر قبل ان تصدق . استمعت وفكرت ، والقميص هو الدليل . سيداتي انساتي سادتي . ايها الحضور الكريم ، قررت أن افكر بتمعن وترو وعمق . قررت (يتحسس راسه بكفيه) راسي في مكانه ، وهذا يعني ان العقل مازال يعمل وله وظيفة سارية المفعول . التفكير سيداتي انساتي

سادتي . ان نفكر . انا افكر / انت تفكر / هو يفكر / هي تفكر / نحن نفكر / هم يفكرون / هن يفكرن / .

(يقفز في المكان بين الاعمدة) .

انا افكر جيداً ، والقميص بيدي والطقس يميل إلى الحرارة .

صوت : (يعقب إشارة موسيقية مستنفرة للحواس) تحذير للسائقين من احتمال تشكل طبقات الجليد في الطرق الرئيسية . كما ونحذر السادة المواطنين من هبوط مفاجىء في درجات الحرارة .

الرجل (هاتفاً بتحد) القميص هو الدليل .. قميصي هو الدليل .

(يتقدم رجل عابر . يبدو عجوزاً بملابسه الشتوية الثقيلة ، إلا ان وجهه لا ينبىء بكهولة ، لكن مشيته البطيئة توحي بعجزه . وعندما يمر بالقرب من الرجل الذي توقف عن تحديه ، لا يلتفت إليه . يتامله الرجل متفحصاً بملابسه) .

الرجل : هو يصدق النشرة الجوية (إلى العابر) هل تصدق النشرة الجوية وإن درجات الحرارة تتدنى ؟

العابر : (يتطلع إلى الرجل بصعوبة وبرود وكانه لا يسمع ما يقوله) وعليكم السلام .

الرجل : (بنزق) وهل بادرتك بالسلام لترد علي به ؟ (مراجعاً نفسه) في الحقيقة انا رجل فظ (يستوقفه) لقد نسينا آداب الطريق . السلام عليكم يا اخ (يمد يده مصافحاً) .

العابر : (يصافحه ثم لا يلبث ان يسحب كفه بحذر) الطقس بارد .

الرجل : حقاً !

العابر : وقد يهطل الثلج .

الرجل : حقاً ، فالنشرة الجوية توحي بذلك .

العابر : الا تشعر بالبرد ؟

الرجل : النشرة تقول .. ولكن الطقس كما ترى معتدل بل ويميل إلى الدفء .

العابر : (ينظر إلى الرجل بريبة) معتدل ! هل تمزح يا رجل ؟

الرجل : معتدل ، وانا لا امزح . والدليل هو قميصي هذا .

العابر : هل تريدني ان اصدق قميصك واكذب النشرة الجوية ؟

(ينظر العابر إلى الرجل باستصغار ، ويهم بمتابعة المسير) .

الرجل : (محذراً) احذرك من الاسراع في خطواتك .



العابر : ولم تحذرني ؟ إنما افضل المشي ببطء .

الرجل : ستغرق فى عرقك وانت غاطس فى مثل هذه الملابس الثقيلة .

العابر : (بعد تفكير) لا افهم كيف يمكن لي ان اغرق فى عرقي والطقس شديد البرودة !

الرجل : (بسخرية) الطقس شديد البرودة حقاً !

العابر : النشرة لا تخطىء .

الرجل : ولكن الاحساس لا يخطىء .

العابر : تقصد قميصك هو الذي لا يخطىء .

الرجل : ها قد بدات تفهم .

العابر : افهم ! طبعاً فانا افهم كل كلمة تقولها النشرات الجوية .

الرجل (يقترب منه ممسكاً بمعطفه) هيا .. اخلع عنك هذه الاثقال الشتوية .

العابر : (بذعر وقد تمسك بمعطفه) هل تريد ان تقتلني يا رجل ؟ البرد يضرّ بي وانا عجوز مريض لا يحتمل نسمة هواء باردة .

(يحاول الرجل مداعبا أن يمس قبعة العابر فيتراجع هذا وينظر إليه بريبة) .

الرجل : دع للهواء فرصة فى تنشيط رأسك .

العابر : من انت يا هذا حتى توجه الأوامر إلي ؟

(ينظر الرجل إلى العابر بقسوة فيخفف هذا من لهجته) .

هل تعتبر نفسك اقوى من البرد او اعرف من النشرات الرسمية ؟

الرجل : (مازحاً) هل تريد ان تعرف حقاً من انا ؟ انا ..

العابر : (يتامل المكان وكانه يكتشفه لأول مرة) ما هذا المكان بحق الله ؟ يبدو غريباً (إلى الرجل) بل وانت غريب الأطوار حقاً .

الرجل : قد يكون المكان غير مالوف حقا ولكن هل أبدو انا غريب الاطوار ؟ .

العابر : (يعاين الأعمدة والأشرطة بنظرات أصابتها الدهشة) أشجار غريبة .

العابر : أشجار !

العابر : (مسحوراً) أشجار لم أر مثلها من قبل .

الرجل : هي مايكروفونات أيها العجوز .

العابر : مايكروفونات ! ولكني لم أر شيئاً يشبهها في اية حديقة او بستان . بل إني لم ارها ابداً .

(يعاين واحدة منها بتخوف شديد)

ماذا تفعل هذه الرؤوس التي تبدو كالكماة على أشجار من حديد ؟

الرجل : تلك اسمها المايكروفونات . تنقل إليك وإلي ما يقوله الآخرون .

العابر : وماذا يقول الآخرون ؟

الرجل : (هامساً فى اذن العابر) منها يقرؤون عليك نشرة الأخبار الجوية .

(ينقر رأس مايكروفون فيتاكد من انه يعمل)

الو .. الو ..

(يتحرك رأس العابر باحثاً عن مصدر الصوت ، فيقوم الرجل ممازحاً بتقليد صوت المذيع) .

والآن إليكم نشرة الاحوال الجوية الجديدة .

العابر : (مستعداً يعطي سمعه بكل اهتمام) حسن ، فها هي النشرة الجوية .

الرجل : تهب على البلاد رياح دافئة .

العابر : (مردداً) رياح دافئة .

الرجل : تتحول إلى رياح حارة .

العابر : (مردداً) تتحول إلى رياح حارة .

الرجل : (بمرح اكبر محافظاً على جديته) وتسجل درجات الحرارة معدلات عالية .

(يحس العابر بالاختناق) .

والآن حان الوقت لكي ترموا بمعاطفكم السميكة بعيداً .

(يبدأ العابر بخلع معطفه) .

العابر : يبدو أن الطقس بدأ يميل إلى السخونة .

الرجل : (يراقب اثر كلامه على العابر فيمضي في مزاحه) وتشير صور الاقمار الصناعية إلى ان موجة جديدة قادمة من

الثرثرة..

شبه القارة الهندية قد تصل خلال الساعات القليلة القادمة .

(يرمي العابر بقبعته الصوفية ارضاً ويبدأ في فك ازرار قميصه) .

وردنا الآن النبأ التالي :

العابر : الحرارة تتلاحق .

الرجل : وصلت الموجة الهندية إلى البلاد منذ قليل دون ان يعترضها عائق .

العابر : رحماك يا رب .

الرجل : وقد يخشى على الاطفال والعجائز والمرضى من آثار الموجة .

(يحرك العابر كفيه لينعش وجهه دفعاً للحرارة التي تكتنفه) .

العابر : اعنا يا الله على العجز والمرض .

الرجل : درجات الحرارة المتوقعة لهذا اليوم .

العابر : (يصغي باهتمام) هه .. لنسمع اخبار البلوى .

الرجل : ثمان وثلاثون درجة في السهول الداخلية .

العابر : لطفك يا رب . ثمان وثلاثون !

الرجل : اربع واربعون درجة مئوية في الشعاب الجبلية .

العابر : اربع واربعون درجة مئوية ! رحمتك يا خالق الحرارة والبرودة .

(ينفجر الرجل ضاحكا فيتطلع إليه العابر باستغراب) .

الرجـل : رحمتـك يا خالـق الوهـــم والحقيقة .

العابر : ماذا تقول ايها الرجل ؟

الرجل : اثرثر .

العابر : ولماذا تضحك ايها الرجل ؟

الرجل : اضحك على النشرة الجوية .

العابر : الا تصدق النشرة الجوية ؟

الرجل : وهل تصدق انت كل ما يقال ؟

العابر : ومن يملك الجراة على تكذيب ما يقال ؟

الرجل : حسن ، فانت تصدق ان موجة ساخنة قد وصلت .

العابر : دون شك ، والحرارة هي الدليل.

الرجل : وما رايك فى ان النشرة كانت ملفقة ؟

العابر : ملفقة ! لا يمكن للنشرة ان تكون ملفقة .

الرجل : حتى ولو كنت انا الذي اذيع النشرة ؟

العابر : (باستخفاف) انت ! ومن انت لتعطي النشرة الرسمية عن الاحوال الجوية ؟

الرجل : كان الأمر مجرد مزاح .

العابر : (يستطلع احوال الرجل ويحاول ان يزجره ولكنه يقلع عن ذلك) .

الطقس حار فعلا ، فالنشرة إذن صادقة .

الرجل : قلت قبل قليل إن الطقس معتدل فلم تصدق .

العابر : ولكن الحرارة لا تطاق ، الا تحس بذلك ؟

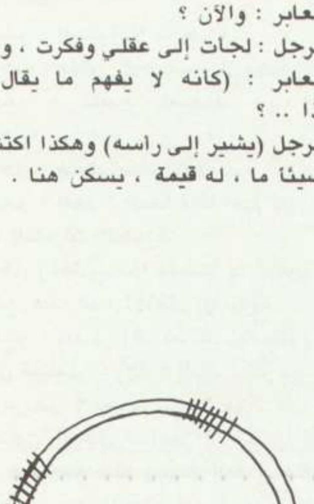
الرجل : بل استسلامك لما يقال هو الذي لا يطاق . اسمع ، فقد كنت مثلك منذ فترة وكنت لا اطاق .

العابر : والآن ؟

الرجل : لجات إلى عقلي وفكرت ، وهكذا

العابر : (كانه لا يفهم ما يقال له) وهكذا .. ؟

الرجل (يشير إلى راسه) وهكذا اكتشفت ان شيئا ما ، له قيمة ، يسكن هنا .



العابر : (محاولا أن يتطلع إلى راسه فيبدو وكانه يلاحق ذبابة تزعجه) شيء يسكن هنا ! هل تضحك علي ، فانا لا ارى شيئا .

الرجل : إنه هو الذي يراك .

العابر : (بذعر) من الذي يراني ؟

الرجل : يراك ويراقبك وقد يحاسبك .

العابر : يراني .. يحاسبني . لم افعل شيئا كي احاسب عليه . الا ترى اني رجل بسيط ومستقيم ولم ارتكب ذنبا ؟

الرجل : ومن قال إنك ارتكبت ذنبا ؟ (بعد لحظة) ذنبك انك لا تستخدمه .

العابر : اقسم اني لم ارتكب ذنبا .

الرجل : ومن يتهمك ؟ كل ما عليك ان تفعله هو أن تفكر .

العابر : هاانذا افكر ، ولم اجد نفسي مذنبا كي يراقبني احد .

الرجل : لا احد يراقبك . كنت اتحدث عن العقل

العابر : (بريبة) وهل اسمه العقل ؟

الرجل : هو اسمه

العابر : العقل هو اسم من يراقبنى ؟

الرجل : هو اسمه حقا . ولكن لم انت خائف منه ؟

العابر : اخاف من يراقبني .. من يتتبع خطواتي

الرجل : يبدو انك فعلت شيئا .. ذنبا ما .. ولربما جريمة ، كي تخاف

العابر : جريمة ! ماذا تقول ؟ انت تمزح . قل انك تمزح . انا ارتكب جريمة ؟ مثلي لا يعرف غير طلب الستر . انا لا اخرج عن الطريق المستقيم (بانفعال) انظر اليّ .. تاملني يا رجل ، هل ترى علائم جريمة على وجهي

الرجل : (يتفحص وجهه ويهز براسه . يدور حول العابر) هي جريمة حقا

العابر : يا الهي !

الرجل : جريمة واضحة الآثار ، وانا اقرا تفاصيلها

العابر : كيف عرفتني ؟ (متداركا) كيف تتهمني ظلما ؟ حرام عليك يا رجل

الرجل : واضحة الآثار حقا

العابر : (مسترحما) اقسم على اني لم ارتكب غلطة واحدة

الرجل : ولكنها واضحة كالشمس

العابر : قد اكون قد فعلت اشياء سيئة .. ولكنها من ذلك النوع الذي يغفر له عـــادة . انا مثل البشر .. انا بشر . ولكن



.. في الحقيقة (بعصبية) اقسم على اني بريء (يتلفت حواليه) الست انت الذي يراقبني ؟ قل الحقيقة .. صارحني . قل انك تراقبني

الرجل : بالفعل ، فانا الذي اراقبك

العابر : ارحمني يا رجل ، فانا لم افعل شيئا

الرجل : اراقب خوفك

العابر : انا اخاف لاني انسان .. مجرد انسان

الرجل : بل تخاف لانك لا تستعمله كما يجب لك ان تفعل

العابر : (متوسلا) صدق براءتي ، فانا لا اقول سوى الحقيقة . كل الناس ، الجيران ، رفاقي في العمل ، يعرفون اني بريء . اسالهم

الرجل : اقول لك انت تخاف ، لانك لا تستخدمه . قل لي

العابر : (مستسلماً) اقول لك كل ما تريد ، ولكن صدق براءتي

الرجل : قل لي ، مــاذا تعـرف عن اليدين ؟ يداك ماذا تفعل بهما ؟

العابر : يداي ! احيي الناس بهما ، أكل بهما .. أعمل

الرجل : عيناك

العابر : (بحيرة) ماذا عن عيني ؟ انظر اليهما فتجد البراءة . انظر وتمعن

الرجل : اقول لك ماذا تفعل بعينيك ؟

العابر : ارى بهما . الطريق مثلا . اقرا بهما إشارات المرور . انا رجل لا اخالف اية اشارة

الرجل : واذناك ؟

العابر : اصغي بهما . الا ترى اني اسمع جيداً ما تقول . اذناي تستمعان دوماً الى الاوامر فاطبقها بحذافيرها . اسال رب العمل ، فانا لا اقول له لا ابداً . ولم يحدث لي ان رفضت له طلباً اقسم لك . انت لا تصدقني ! ..

الرجل : وعقلك يارجل ، ماذا تفعل به ؟

العابر : عقلي ؟

الرجل : نعم عقلك

العابر : وماذا عن عقلي ؟

الرجل : هذا الذي يسكن راسك

العابر : لا اعلم ماذا تعني بقولك

الرجل : اليدان للعمل ، والقدمان للوصول الى الهدف ، والعينان لرؤية الجمال ، والأذنان لسماع الحقيقة . وعقلك .. لماذا العقل يا رجل .. لكي تفكر به

العابر : انا افكر حقاً ، ولطالما فكرت باني بريء . هل تصدقني الآن ؟

الرجل : وما الفائدة ان اصدقك ولا أفعل ؟ فانا رجل مثلي مثلك

العابر : انت مثلي ؟

الرجل : دون شك

العابر : وانت لا تراقبني ؟

الرجل : (بياس) ولم اراقبك يا عم ؟

العابر : (مستعيداً شيئاً من الثقة) ومن الذي يراقبني إذن ؟

الرجل : لا احد .

العابر : انت لا تراقبني اذن

الرجل : ومن انا لأراقب الناس ؟

العابر : تعني انك لست مكلفاً بمراقبتي

الرجل : لا .. لست مكلفاً بمراقبتك او مراقبة احد غيرك . كنت اريد ان اتحدث معك عن العقل . هذا كل ما كنت اتمناه .. ولكن ..

العابر : انت لا تراقبني اذن !

الرجل : كنت اريد ان نتحدث عن العقل الذي يجب ان نستخدمه

العابر : (وقد استعاد ثقته الكاملة بنفسه) وكيف تجرؤ على مخاطبتي هكذا وانت لا شيء ؟

الرجل : ومن قال اني لا شيء ! انا شيء والقيمة هنا .. في العقل الذي يسكن الراس

العابر : (يجمع ملابسه من الارض ثم يتطلع بغضب الى الرجل) دعني بحالي يا رجل . لا اريد ان اسمع منك شيئاً (يمشي خطوة)

الرجل : الا تبقى قليلا كي نتحدث عنه؟

العابر : لا احب ان اتحدث في اشياء لا تعنيني (بعد ان يمشي خطوة اخرى) اليس الطقس بارداً كما تقول النشرة الرسمية ؟

الرجل : احس بحرارة الجو

العابر : وقميصك هو الدليل ؟

الرجل : حقاً

العابر : يعني انك لا تصدق النشرة الرسمية ؟

الرجل : (بياس) حقا انه طقس بارد

العابر : الم اقل لك ؟ (يسرع الى ارتداء المعطف الثقيل)

(يمضي العابر بعيداً بخطوات تبدو اقل تباطؤاً . يبقى الرجل وحيداً)

الرجل : ماذا حدث له ؟ كنت اريد ان احادثه عن العقل ولكنه لا يريد (بعد لحظة) منذ قليل كنت مثله ، وعندما فكرت تبين لي ان الطقس دافيء ، بل ويميل الى الحرارة . استخدمت عقلي فاذا بالطقس يميل الى الدفء . مسكين .. مضى الرجل دون ان يعرف ما يجب ان يكون

(ينتقل الى واحد من المايكروفونات يجربه)

الو .. انه يعمل . سيداتي انساتي سادتي . اليكم نشرة الأحوال العقلية . يميل العقل الى الجمود اذا لم يفكر . واذا .

(يتوقف المايكروفون عن العمل)

الو .. ماذا حدث ؟

(ينتقل الى اخر)

الو ..الو .. انه لا يعمل ايضاً

(ينتقل الى اخر)

الو .. لا يعمل . يبدو انها الكهرباء

(يتابع من خلف مايكرفوفون اخر لا يعمل ، ولكن بصوت مرتفع)

ايها السادة .. ايها السادة .. لم يعد صوتي مسموعاً ..

ستار

وليد اخلاصي

رأي عربي في كتاب عالمي

حرّية الصحافة في مأزق

بقلم: أحمد عبد الملك

منذ أن أخذت الدول الأوروبية في الهيمنة على وسائل الاعلام برزت الحاجة الى حرية الصحافة .. أو أزمة التعبير .. أو ديموقراطية الكلمة .. وغيرها من العبارات التي ما زالت محل أخذ ورد من قبل الأطراف المتعاملة مع الكلمة .. والمطبعة ..

وقع بين يدي هذا الكتاب الذي حاولت ترجمة بعض فصوله من الانجليزية لما لها من أهمية في فهم الأزمة المعاصرة لحرية التعبير .

في الباب الأول يقول الكاتب كوشرو إيراني :

« لقد وضعت حرية الصحافة في موقع دفاعي بسبب عدم قدرتها على الدفاع عن السلام والحرب . وذلك أنها لم تشارك في الحد من سياسة التمييز العنصري في جنوب افريقيا ، كما انها لم تدرك بما فيه الكفاية الحاجة الملحة لدول العالم الثالث للنمو الاقتصادي .

ان الغيرة والحمية لحماية الصحافة في الترخيص لها لمزاولة المهنة ، ووضع الاستعدادات اللازمة لوكالات الانباء تحت وصاية الحكومة لحماية الأخبار الحقيقية ، ولتدريب الصحفيين على مهنة الصحافة الحديثة ، كل ذلك فروع من تلك السياسة وهي وضع الصحافة تحت وصاية الحكومات .

لا اهتمام بمباديء الصحافة

في اجتماع (اكابولكو) كان هناك الكثير من البرامج العائمة .. لم يبد أي منها أدنى اهتمام لحرية الصحافة .. وبدا كل منها مستعدا لنشر الاستعدادات لتبادل الدعاية الحكومية .

وكالة (بان افريكان للأخبار) مثلا كانت تجاهر بانها فرع لمنظمة الوحدة الافريقية .. (كتجمع سياسي وليس كتجمع حرفي) .

شبكة الأخبار الآسيوية بدت موازية لوكالات عدم الانحياز فحصلت على بعض الدعم ، ولكن تبدلت أوضاعها بعد ذلك عندما ابدت محاولات - غير محسوبة - فيما يتعلق بالحرب والسلام .. والحاجة لقهر التمييز العنصري .. والحاجة لدعم النمو الاقتصادي في الدول الفقيرة ..

هذه الشعارات كلها اسيء استخدامها ردحا من الزمن لخنق الصوت الحقيقي للأمم .

وفي الاجتماع الأخير لشبكة الأخبار الآسيوية ، أوصى المجتمعون بانه لا يحق لوكالات الأخبار أن تبيع أخبارها للصحف مباشرة بل يجب ان يتم ذلك عبر الوكالات الوطنية لتسهيل عملية التحكم .

ونظراً لهذه الأوضاع .. وعدم التوصل الى صيغ واضحة لشعارات الحرية ..

برز الى السطح تعبير جديد وهو :

(نظام دولي جديد للمعلومات) :

في هذا المجال تقول : جين ينغ :

إن عبارة « نظام دولي جديد للمعلومات » اشتقت من عبارة « نظام إقتصادي دولي » .. فالأساس نفسه متعدد : سياسي ، اقتصادي ، ثقافي ، اجتماعي .. ولكن كل المشكلة تكمن في الحاجة لتحقيق تغيير في العلاقات الدولية .

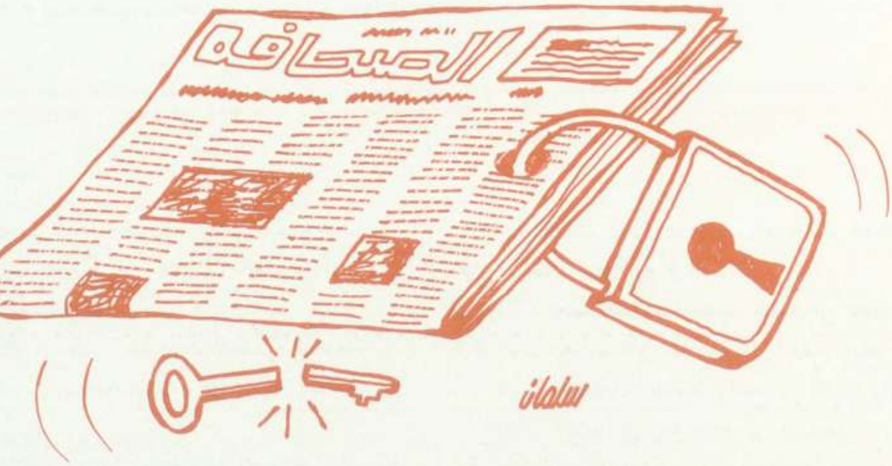
في البداية كان هنالك تغيير سياسي بني على الاعتراف بحق الشعوب في تقرير مصيرها .. بنفسها ، ثم جاء تغيير اقتصادي وجد على أساس الاعتراف بحق التطور . خصوصا فيما يتعلق بالمسائل التي تخصنا . اما التغيير في المعلومات فيأتي من خلال الاعتراف بحقنا في الاتصال الذي لا ينطوي فقط على حقنا في ان نكون عارفين .. ولكن ايضا ما يترتب عليه ، وهو الحق في (الاعلام) . »

يتضح من المقولة ان الحاجة افرزت ايجاد نظام للاعلام .. كما هو الحال بالنسبة للاقتصاد .. والسياسة .. كما انه من قبيل الواقع التطرق الى قضية المصالح المشتركة ، بين الأمم لخلق النظام المطلوب .. لأن اي نظام دولي لا يضع في الاعتبار الظروف المحيطة بالمجتمع يكون ناقصا .. فنحن وان طالبنا بحقنا في الاعلام او (الأخبار) دون مراعاة الواقع الفعلي لطبيعة موقعنا الجغرافي .. وتوزيع سكاننا الطبوغرافي .. وتوجهات الحكومة .. و توجهات الأفراد يعتري بحثنا الضعف .. خصوصا في هذه الظروف .

وتحت عنوان « هدف اليونسكو ضمان حرية اكبر للجميع » يقول اما دوا مختار امبو .. (سكرتير اليونسكو العام) :

« الحاجة للحرية (لديموقراطية عالمية للمعلومات) تمثل العمود الفقري لأهداف اليونسكو في مجال الاعلام . ومن خلال المطالبة بمزيد من مصادر المعلومات والأمل في المزيد من التنويع في مجال الآراء تعبيراً وطباعة - فان اليونسكو في الواقع تطمع لحرية اكبر للجميع .

المطلوب باختصار - زيادة التاكد على التعددية - خلال العالم .. وبين كل امة .. والتعددية - تبدأ من مختلف مصادر المعلومات مع توفر فرصة لكل الشعوب لتعلم اكثر التقنيات والمصادر الاذاعية تعقيداً ، مع توزيع عادل للموجات الاذاعية وخلق مناخات تمكن جميع المناطق من



انتاج وبث برامج تعكس اهتمامات تلك المناطق ومفاهيمهم الخاصة تجاه مشاكل العالم .

والتعددية لا تؤسس بدون بث تدريجي لمناخ من الاحترام المتبادل والتفاهم والثقة بين الناس ـ سواء من خلال الامم او المجتمعات ـ فالحرية فى التعبير تبدو ملازمة لتغذية حقيقة البحث .. وحقيقة الاعلام ومن خلال موقف مسئول تجاه الراي العام .

وحيث أن حرية الصحافة لا تستخدم طبعا ـ لتغذية ايدولوجيات الحكومة فانها لابد ان تخدم اخلاقيات السلام والعدل والاهداف المشتركة والتقدم .. الهامة للابناء الاجتماعي العالمي .

هذه المبادىء صيغت في البلدان بكفاح الناس اينما وجدوا ضد الاحكام الاعتباطية والظلم .. ووجدت لاحترام حقوق المواطن فرداً كان ام جماعة ـ مشتملا على الحياة الخاصة ـ وبدون اي تمييز مبني على العرق ، اللون ، الجنس او الطبقة .

وتحتوي هذه المبادىء احترام كرامة جميع الناس بغض النظر عن حجمهم او ثروتهم او قولهم ومن جميع الفلسفات والقيم .. فهم يعتبرون سواسية .

الحرية واللا مسئولية متناقضان ..

وكما روى لنا التاريخ .. عندما تستخف الحرية بالقيم التي يؤمن بها المجتمع تدب الفوضى السياسية وتلوح الصراعات ويبهت عهد الحرية ويحل التعصب .

واليوم ومع نهاية الالفي عام من التاريخ يبرز السؤال على المستوى العالمي حول القيم والحرية الثمينة المهددة دائما بالظلم والتمييز العنصري والاثارة .. تلك الحرية التي لابد ان تعمم وتكون طبيعية وان تحمى .. وتقوى فى جذورها كي تكون في مثاليات احترام الآخرين واخوة الناس .. وقبولنا مبدأ عدم التعصب وحقوق الآخرين في أن يبدوا مختلفين .. واتاحة الفرصة العادلة لكل منا .

ولاقامة نظام جديد للمعلومات يفترض خلق وسائل اتصال تدار بواسطة رجال ونساء من جميع المناطق في العالم ، ومساهمة واعية للمسئولية الحرفية خصوصاً لدى هؤلاء المحتاجين لها لتحقيق القيم التي نحتفظ بها جميعا ، عندها يكون من الممكن اقامة شبكات متبادلة بين الناس وبقدرة الناس سماع أصواتهم المتعددة مباشرة وبتالف .

لهذا السبب تلح الحاجة لتطوير نظام عالمي للاتصال مكون من عدة انظمة مختلفة مميزة لكل مجتمع . وتستخدم فيه احدث التكنولوجيا المكيفة بسهولة لحاجة جميع الناس بدلا من فرض نظام موحد في كل مكان . فالشبكة العالمية التي بامكانها استخدام سمفونيات الكلمات والصور والاصوات تعكس على المدى الطويل التنوع المطلق للمجتمعات الانسانية وباخلاص وتترجم الطموح الأكبر لجميع الناس .

وبعد ان كان هنالك تعليق او راي حول هذا الباب فان النظام المامول بطبيعة الحال لن يخالف قيم الناس .. ولكن هل الواقع السياسي يفرض قيما محددة محترمة لكل الناس ؟؟ وهل الواقع الاجتماعي لدى الامم المختلفة يسمح بتطبيق هذا النظـــام خصوصا إذا علمنا بان إعلام الدول النامية يديره افراد تعينهم الحكومات حسب مفاهيم معينة وليس حسب حرفيهم كما يطالب بذلك صاحب الباب المذكور وهو السكرتير العام لليونسكو .

ثم هل الواقع الفعلي للثقافة بين الامم يسمح بان يسمع الجميع الأصوات الاقل ؟ .. يجيب على ذلك مختار امبو .. بقوله بتطويع التكنولوجيا لحاجة كل مجتمع .. هنا تبدا الخلافات .. ويتفرد كل مجتمع باتجاهاته .. ويضيع النظام الدولي المامول .

فمفهوم الحرية يختلف في امريكا عنه في مجاهل افريقيا .. وفي البلدان الديكتاتورية النظام ..

إنها فعلا ازمة الاتصال !! ويظل الصراع وتظل الشعارات .. والتارجح حسب مواقف القائمين على الصحافة والاعلام .. وحسب ظروفهم .. واقتصادهم .. هذا إذا علمنا بان الكثيرين من القائمين على الاعلام في العالم يجاهرون بما لا يسرون .. وتلك هي القضية .. والأزمة ..

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

من المحـــــــرر

نحيي قراءنا الاعزاء ، ونصافحهم بأرواحنا وقلوبنا ، ونهنئهم جميعا بحلول عيد الفطر المبارك ، متضرعين لله عز وجل أن يعيد امثال هذا العيد على الامة العربية الاسلامية بكل الخير والسعادة والنصر.

... بالنسبة لهذا الباب « رسائل الى المحرر » فقد قررت اسرة التحرير ابتداء من العدد القادم إن شاء الله زيادة مساحته ليصبح ثلاث صفحات - بدلا من صفحتين - لمواجهة اقبال القراء عليه .

وتقرر ايضا تخصيص صفحة كاملة لـ « كتب وصلتنا » ، وتغيير الاسم الى مكتبة « الدوحة » ، وستظل مادة هذه الصفحة معتمدة بالدرجة الاولى على مايبعثه الينا كرام المؤلفين والقراء من الكتب ، اضافة الى مانراه نحن ضروريا للعرض .

ويبقى أن نشير - مرة اخرى - الى ضرورة مراعاة القراء للملاحظات التالية عندما يرغبون في الكتابة الينا :

اولا : تعتمد مادة هذا الباب اساسا على تعليقات وملاحظات واسئلة واقتراحات ونظرات القراء بما يعود على الجميع بالنفع والفائدة ان شاء الله .

ثانيا : ضرورة الكتابة بخط واضح مع التركيز والاختصار .

ثالثا : الكتابة على وجه واحد من الصفحة .

رابعا : عدم المبالغة في المدح أو القدح .

خامسا : كتابة عبارة « رسائل الى المحرر » على مغلف الرسالة .

وكل عام وانتم بخير

المحرر

الكتـــابة عن الأطفـــال في الجـــزائـــر

لقد ادركت الجزائر أهمية الكتاب في تربية الأطفال ، فتأسست في عام ١٩٧٨م مصلحة مطبوعات الأطفال ، ضمن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، تعرف بدائرة منشورات الأطفال ، إن هذه الدائرة رغم أهميتها تواجه سلسلة من المشاكل والمصاعب أهمها نقص الإعانات

المالية ، والامكانات البشرية من خطاطين ورسامين ومشرفين أدبيين ومحررين خاصة الذين يكتبون للأطفال باللغة العربية ، هذا بالإضافة الى مشاكل الطبع والتوزيع ، وهي المشاكل التي ظلت تعرقل إصدار كتب الأطفال ، وتسببت في النقص الهائل الذي تعاني منه المطبوعات الخاصة بالنشء ، وقد استطاعت هذه الدائرة رغم مشاكلها تكوين سلاسل مختلفة في القصة والشعر وكراسات الألعاب والتلوين والشريط المرسوم ومجلات للأطفال .

ففيما يخص سلاسل القصص ، تقوم دائرة منشورات الأطفال في الجزائر بإصدار ، سلسلة (رياض الأطفال) وهي قصص شيقة موجهة للأطفال الذين تتراوح أعمارهم من ٦ - ١٠ سنوات ، والتي صدر منها : السمكة والفيل ، حكاية الكلب الصغير ، الأصحاب الأخيار ، عاقبة الكسل ، وغيرها .(صور من الطبيعة) سلسلة قصص موجهة للأطفال من ٦ - ٨ سنوات ، تعرفهم ببعض مظاهر الطبيعة برسوم جميلة وأسلوب شيق ،

صدر منها : النملة المجدة ، النحلة ، الخروفان ، السحابة الخيّرة ، وغيرها . كما تصدر سلسلة (مكتبتي) وهي كتب قصصية تخص الأطفال ما بين ٩ - ١٥ سنة وهي قصص مستوحاة من التراث الشعبي والعربي والعالمي ، صدر منها : ابن الشهيد ، سر المشجب ، مرارة الرهان ، العشبة النافعة . وتصدر أيضا سلسلة (أحكي لكم) وهي قصص مغامرات على لسان الحيوانات ، صدر منها : البستاني والأرنب ، العنزة والذئب ، القنفذ وابن آوي ، الثعلب الهارب ..

وسلسلة (هل تعرف) وهي كتيبات تهدف الى تعريف الأطفال من ٦ - ٩ سنوات بأهم خصائص الحيوانات عن طريق القصة الشيقة والأسلوب المبسط والرسوم الجميلة ، صدر منها : الديك والديك الرومي ، الجمل والغزال .

أما في مجال الشعر ، فتقوم دائرة منشورات الأطفال بإصدار سلسلة (شموع) وهي مجموعة قصائد وأناشيد وأغاني خفيفة للأطفال ، وقد صدر منها : (وجاء الربيع) للشاعر سليمان جوادي ، و (ديوان الأطفال ، أناشيد النصر) للشاعر محمد الاخضر السائحي ، (البراعم الندية) للدكتور محمد ناصر ، (الفرحة الخضراء) للشاعر مصطفى محمد الغماري وغيرها ، وقد صدرت كل هذه المجموعات الشعرية بشكل أنيق مزينة برسومات جميلة وجذابة .

كما تصدر عن نفس الدائرة سلسلتا (الواني الجميلة ، ألون وأكتشف) وهي عبارة عن ألعاب تساعد الأطفال على استخدام فكرهم وتنشيط ذهنيهم ، وتؤصل في نفسيتهم ملكة التلوين .

بالإضافة الى هذه السلاسل المختلفة والمتنوعة ، هناك الأشرطة المرسومة وهي عبارة عن قصص مسلسلة تعتمد على الصورة ، حيث تقدم على شكل شريط من عدة صور متتالية متكاملة بالإضافة الى الكلمات التوضيحية التي ترفقها ، تحمل الأطفال الى عالم المغامرات والمفاجآت الممتعة والمفيدة ، صدر منها : مروان والحصان السحري ، باباح الجبار ، هجوم الجرذان .

أما المجلات المتخصصة للأطفال في الجزائر ، والصادرة عن دائرة منشورات الأطفال ، فتنحصر في مجلتي (أمقيدش ، وجريدتي) وهما مجلتان شهريتان .

إن اصدار مثل هذه السلاسل والمجلات يعتبر ضرورة تمليها حاجة الطفل الطبيعية والماسة الى الزاد الفكري ، والثقافي والمطالعة ، وتكتسي أهمية بالغة في إنارة عقله وتطوير معارفه وتوسيع مجال مداركه وتنمية قدراته الحسية والخيالية والتصورية .

تيلولت كمال - الجزائر

ملاحظــــة

في سياق حديثه عن الفن الفرنسي ذكر الفنان جمال قطب في العدد ٩٩ من الدوحة عبارة « البلاد الواطئة » ، وشرح بين قوسين أنها (بلاد الشمال الاوروبي) . والواقع أن البلاد الواطئة (هولندا ، بلجيكا ولوكسمبرج) تقع شمال اوربا ، وليست هي بلاد الشمال الاوروبي . ويبدو أن الكاتب ربما يكون قد خلط بينها وبين البلاد الاسكندنافيه

بلاح بشير — الجزائر

اطلعنا الفنان جمال قطب على ملاحظة السيد بلاح بشير فأجاب :

ان بلاد الشمال الأوربي او ما يعرف بالبلاد الواطئة (هولندا وبلجيكا) هما الدولتان اللتان قامت بهما اروع المدارس الفنية .. اما لكسمبرج — وان كانت جغرافيا — ضمن البلاد المنخفضة حاليا ، الا ان جميع كتب تاريخ الفن لا تذكر عنها شيئا له قيمة ما . حيث لم يظهر بها اي نشاط فني عالمي . كما أن لكسمبرج لم تشتهر في عهد السيطرة الفنية الفلمنكية التي رفعت لواءها هولندا على وجه الخصوص .

حــــول الجامعــــة العربيــــة

ارجو ان تعطوني الاجابة عن :

ا — الدول المؤسسة لجامعة الدول العربية .

ب — تاريخ انضمام دولة قطر ودولة الامارات العربية المتحدة للجامعة .

ج — اسماء امناء الجامعة وتاريخ تعييناتهم .

نائلة شحاده القصري

الزرقاء —الاردن

ج . ا — يعتبر يوم ٢٢ من مارس عام ١٩٤٥ م يوما مشهودا في تاريخ المنطقة العربية . ففية تم ميلاد الجامعة العربية . وفيه وقع ملوك ورؤساء الدول العربية المؤسسة للجامعة على ميثاقها .وهذه الدول هي : الاردن — سوريا — العراق — مصر — لبنان — اليمن — السعودية . وفي اليوم نفسه ايضا تم تعيين السيد عبد الرحمن عزام (باشا) اول امين عام لجامعة الدول العربية .

ج . ب — لقد سهد الربع الأخير من عام ١٩٧١ انضمام عدة دول عربية الى الجامعة . في الحادى عشر من سبتمبر (ايلول) انضمت اليها كل من دولة قطر ودولة البحرين . وفي التاسع والعشرين منه انضمت سلطنة عمان ، وفي السادس من ديسمبر انضمت دولة الامارات العربية المتحدة .

ج ج . اضافة الى ماذكرناه عن تعيين السيد عبد الرحمن عزام امينا عاما للجامعة بتاريخ ٢٢ من مارس ١٩٤٥ ، فقد تم تعيين السيد عبد الخالق حسونة امينا عاما للجامعة بتاريخ ١٤ من مارس عام ١٩٥٢ م ، وقد قضي في امانة الجامعة حوالى عشرين عاما ! ، وفي اليوم الأول من شهر يونيو (حزيران) عام ١٩٧٢ تم تعيين السيد محمود رياض امينا عاما ثالثا للجامعة . اما الامين العام الحالى السيد الشاذلى القليبي فقد تم تعيينه بتاريخ ٢٨ من يونيو عام ١٩٧٩ م ، وفي العام الماضي تجددت امانته للجامعة لمدة اربع سنوات اخرى .

ردود قصــــيرة

- جماعة من المعلمين — وهران — الجزائر وصلتنا رسالتكم ، وتقدر مساعيكم الطيبة ، ولكننا بحاجة الى اسم احدكم لنقدمه للمساهمين . حياكم الله .

- الدكتور محسن حامد : الاسكندرية اليك عنوان الدكتور يوسف ادريس :
١٠٠ شارع النيل — عمارة الهلالية — الدقي — القاهرة .
ج .م .ع .

- الاخ خالد محمد غازي — دمياط
— ننصحك بكثرة القراءة ، والاطلاع على كتب التراث ، ولا تستعجل النشر .

- الاخ محمد احمد جبارة — السودان
— نأمل أن تهتم بدراسة علم العروض ..

- الاخت ثريا زكريا بيلا — مكة المكرمة
— ارجو أن تمنحينا بعض الوقت للاجابة على اسئلتك .

- الاخت ناهدة عزت شنوق — سوريا
— رغم كثرة المؤلفات عن الماسونية فلا يزال يحيطها الكثير من الغموض ، حتي ان الاعضاء السابقين بها يرفضون التحدث عنها ، وحقا ما أخبرتك به صديقتك فسعد زغلول ومحمد عبده وجمال الدين الافغاني كانوا اعضاء في الحركة الماسونية ، ولكن هذا لايبرر مطلقا أن نثق بها ، وانني اعتقد انهم خدعوا بها لفترة وجيزة من حياتهم عرفوا بعدها الحقيقة وانسحبوا من هذه الجمعية سريعا .

الجرح

شعر: أحمد الحوتي

أهـذا هـو النيلُ .. ياسيدي ؟!
والمدائنُ لاتغربُ الشمسُ عنها
وليست تودِّعُ أبناءها النازحين
.. الى مدن آفله !
أهذا هو النيلُ ...
والماء صار غريبا عليه
وشكلُ الزوارق .. والعشبُ
والنجمةُ الراحله !!

° ° °

حسبتك – يوما – من المتعبينَ
وجئتك .. يسبقني بيرق الداخلينَ
وخلفي .. ،
وكنتُ أنا مثلهم !
أباريقهم في يديَّ
وطيرٌ يحطُّ على راحتيَّ .. وقلبي
لماذا تغيّرَ ؟!
إني أفتش ياسيدي عن شبيهي
وأحرق نجمي
أهشِّمُ وجهي الذي لا يبوحُ
– على صفحة الماء
أغرفه – في يديَّ – وألقي بهِ
فوق رمل الشواطىء
علّي أراه – كما كان – وجهاً
تزلزله وردةٌ ذابله

° ° °

وكان – تباركت الشمسُ – والطميُ
كانت بشائرُه – في العروق – خُطىً
والدليلْ .. ،
لماذا تغيّرَ ؟!
كنت إذا غاب وجه الحبيبة يوماً
أروح إليه .. وأسألهُ
ثم أبكي

وكانت دموعي تفرُّ إليهِ ، وليست تميلْ
فينهض ، أبصره – في مرايا التنهد –
وجها تجعَّد .. ، لكنه مثقلٌ بالرحيلْ
يكف عن الحب .. ، لا يستطيعُ
ويفتح لي قلبهُ
والمدائن تحكي ..

وكنتُ أحاوره – كل يوم –
فيغرف لي قبضةً من حليبٍ ، وكأسا
– هو الحب .. ياسيدي ؟
– كيف حال البلاد ؟
– تفرّق أبناؤها في الممالك ..
– ماذا ؟
– يعودون ياسيدي بعد حينٍ ...
– وأنت ؟
– وقفتُ على باب أرحامهم
أستحم ، وأطلبهم للتخاصرِ
(تعرف قدري ..
ولست المكابر)
– أعرف .. أعرف ..
– هل أنت غاضبُ ؟
– ليس معي غير وقت قليلْ ..
... ...
وقبل اكتمال التواصل ، يقفز في ضفتيه
ويمضي !

° ° °

تساوى الدم العذبُ والسيفُ
هذا اعترافٌ بطعم المرارةِ
لا وطنٌ .. ينتهي في الرماد !
هو الحب .. لكنه مثقل بالرحيلْ !!
وأنت .. تزاوج بين السنابل والعشبِ
ترقصُ ..
بين اليمامة والجرح
تخلط بين الحروف الفصيحةِ
تمشي الى آخر الأرضِ
.. وحدكَ !
تمشي ..!
ولستَ لنا غير جرح ضئيلٍ
فهل خانك الوقتُ
أم أنني قد خدعتُ
وتلك اليمامةُ ياسيدي ليس تعرفُ
تلك اليمامةُ ليست تراوغُ
والنيل ... ليست له لغةٌ
وليست له نخلة المستحيلْ
فهل أنت تكذبُ ؟ أم خانك الوقتُ ؟!
إن الموانئ تراوغ كل المصابيح
تأتي القطارات فارغةً
والمدائن ؟
لا تغرب الشمس عنها !
تفتش عن نطفةٍ
.. ثم تنهضُ
هذا هو الوقتُ ..
هل أنت – ياسيدي – غير جرح ضئيلْ ؟

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● قصة صورة ● درسان من دروس الحياة

قصة صورة

● القصة الكاملة لأجمل لوحة في تاريخ الفن
● خمس سنوات قضاها الفنان في رسم لوحته
● فتاة لم تكن رائعة الجمال تصبح نموذجاً للجمال الخالد
● تفاصيل بالغة الدقة والطرافة حول لوحة «الموناليزا»

بقلم: نصري عطا الله سوس

يشارك العمل الفني الخالد الحياة في خلودها وعمقها وتجددها ، وتعدد الآراء فيها واختلاف وجهات النظر اليها ، غير ان العمل الفني يمتاز على الحياة باشتماله على عناصر لا تستمد من الطبيعة المبدعة الموجبة ، بل من شخصية الفنان وعبقريته . فبالعاطفة الزاخرة التي تحتضن الاكوان ، والخيال المتوفز المتقد الذي يبدع من صور الجمال ما لا وجود له في الطبيعة ، والعقل النفاذ الذي يعاون العاطفة والخيال ... كل هذه عناصر إنسانية يشتمل عليها العمل الفني الممتاز ولا وجود لها في الطبيعة — وسر خلوده هو انه خلاصة فترة من حياة رجل عظيم استطاع ان يسبر من اغوار الحياة ما لم يستطعه الناس ، رجل يتيح لهم — بفنه — مشاركته عواطفه وخيالاته واحلامه .

ونحن حين نتامل عملا فنيا كبيراً نحس اننا في صحبة إنسان كبير يقود خطانا نحو اقاليم شاسعة لم نرها ، ويفتح عيوننا على صور من الحق والخير والجمال لم نعرفها من قبل . فالعمل الفني الكبير يفضل الحياة لانه منبع السرور الانساني النبيل في كل حين ، والحياة تسر حينا وتحزن احيانا .

... ذلك هو الخاطر الذي جال بنفسي عندما اردت ان اكتب عن «الجيوكاندة» او «مونا ليزا» اقيم اعمال الفنان الخالد «ليوناردو دافنشي» واكثرها دلالة على شخصيته ونهجه في الانتاج .

ولقد كان ليوناردو (١٤٥٣ ـ ١٥١٩) نجما لامعاً من نجوم النهضة الاوروبية في القرن الخامس عشر ، ونستطيع ان ننحي التاريخ جانبا ونقول إنه احد الافذاذ القلائل والعبقريات الضخمة في تاريخ البشرية كله ، لم يجد معاصره «فاسارس» وصفا يصفه به إلا قوله إنه فوق مستوى البشر ، وقال عنه نيتشه «إن فيه شيئا صامتا اعلى من مستوى الروح الاوروبية ، وهذه خاصية رجل تكشفت له الحياة عن محيط واسع جداً من الخير والشر» وقال هافلوك إليس : «عندما يلعب خيالنا بفكرة السوبرمان يرد لوناردو على خاطرنا كمثل من امثلته المتقدمة» .

● ● ●

عبر لوناردو مراحل المعرفة البشرية وقد وسعها عقله الكبير المتقد شغفا بالحياة وكلفا باسرارها ، ووقف عند تخوم المجهول يحدق في ظلامه وخوافيه ويرسل عليه من نور عقله وإلهام قلبه محاولا ارتياد بعض اراضيه البكر التي لم يحلق فوقها فكر او يشرئب نحوها فؤاد ... وكان تلميذ الحياة ، الحياة كلها : خافيها وظاهرها ، نظر إلى المعرفة البشرية في شتى فروعها وصدورها نظرته إلى بعض من كل ، لا يجوز الوقوف عنده والاكتفاء به ، فكان مصوراً وموسيقيا وعالما ومهندسا وشاعراً وفيلسوفا وفي كل حالة كان رائداً مستكشفا .

وداب الفنان او المفكر العبقري ان يجعل من عقله وقلبه «حقلا للتجارب» . إن الكون

قصة صورة

العظيم أمامه ؛ فلم يعمد إلى معرفته عن طريق افكار الناس وعواطفهم مهما عظم شانهم ؛ إن به حاجة للحياة ؛ فلم لا يعيش ويجرب ويتامل ويدرك الحقائق عن طريق إحساساته ومشاعره وفكره ؟ وهكذا كان لوناردو ...

ولقد كان يؤمن كما آمن سبينوزا بعده أن الحقيقة والكمال شيء واحد . وقال مرة «إن العبقرية الانسانية لن تستطيع أن تستنبط شيئاً اكثر بساطة واكثر وفاء بالغرض من الطبيعة» .

واحرى بمن ينظر إلى الحياة هذه النظرة ، أن ينظر إلى الانسان نفسه نظرة عميقة فاحصة ، وجدير بمن يتامل ذاته ويدرك ما تنطوي عليه النفس من أسرار وما يحتويه القلب من آماد لا يرتادها إلا العباقرة الافذاذ ، الا يقنع عندما يعمد إلى رسم صورة إنسان بتسجيل الملامح والسمات وما قد يرتسم على صفحة الوجه من انفعالات سطحية عابرة .. إن الانسان يولد في الكون الرحب الفسيح وفي فؤاده كون آخر قد يكون أرحب آماداً وأبعد أغواراً من الكون المنظور ، ولكنه يعيش في الظلام صادفاً عن الكون الذي حوله والكون الذي في نفسه ، سادراً في التفاهات معنياً بنوافل الامور ، ولكن هو الذي يستطيع أن يسبر الاغوار لم لا ينتشل من الأعماق بعض المعاني والأسرار التي تحفل بها النفس وتبقى دائما كالنبع المطمور الذي تمر به الأجيال غير عابئة ولا ترسل له من ينقب عنه ويرفع الأستار . ولقد قال : إن فن التصوير نوع من الابداع اتخذه وسيلة لتطبيق الأفكار والتاملات الفلسفية على خاصيات الأشكال طبيعية أو بشرية ، فرسم صورة لم يكن لديه إلا رحلة استكشاف في مجاهل وخبايا الطبيعة الانسانية ، وفي مثل صوره نطالع القوى والقيم الانسانية التي قلما نحسها أو نحفل بها لأن حياتنا السطحية الرخيصة لا تستجيشها أو تهزها من رقادها .

• • •

لقد وهب ليوناردو حياته كلها لشيئين : الحق يلتمسه من كل طريق ويضني نفسه باحثاً عنه ، والجمال ينشده ويرجوه ويتبعه ، وهام اشد الهيام بشيئين : همأ حركة الحياة الجارية ، وبسمات الغيد . وكانه رأى فيهما معاني تفكيره وتاملاته واحلامه ، أو استبان فيهما رمزاً للحياة وما تجيش به من معلوم ومجهول . والمياه الجارية ، كالأنهار والبحار ، حين ترفرف عليها روح الفنان وتناجيها تقول كثيراً وتفضي باحاديث طويلة قد يفهمها القلب ولا يفهمها العقل ، ذلك لأنها لا تتكلم إلا بلغة الأبد ، إنها تلغز وترمز ولا تفصح أبداً .

... إنها ساكنة مرة وفي سكونها وداعة ، ساهمة مرة ، وفي رسومها وجوم وإطراق مثقل بالمعاني ، مترنمة في بشاشة وحبور أحيانا ، مرغية مزبدة في ثورة وعنف أحيانا أخر – وهي سافرة في الفجر ، يتكىء النور الوليد على صدرها مغمغماً في شوق وحنان ، متلالئة في الضحى تتقبل قبلات الشمس في حبور ، باكية في المساء مع الشفق ، وقد تتدثر في الليل قناعا كثيفا من الظلام ، وقد ترتدي غلالة شفافة من ضوء القمر وتغني جزلة طروبة – وفي كل حال لها حديث ، وفي كل مرة لها مناجاة ... وما احلى حديثها الحافل بالأحاجي والأسرار !

وبسمات الغيد ... ؟

بسمات العذارى والفتيات فيها خلاصة الحياة كلها عندما تصفو الحياة من الاكدار وتترفع عن التفاهة والدنايا والصَغَار ، لأنها رمز للمراة في حالة الاقبال والصفاء ، وإذا اقبلت المراة اقبلت الحياة ، وفاضت بكل غال نفيس !

ففي الشفاه والوجنات بهجة الربيع ونضرته ، وتفتح وروده وازاهيره ، وحرارته الحلوة التي تبعث الحياة من جديد وتشعل الحيوية الراكدة .

وفى العيون تحتشد الأسرار العميقة المتلاطمة التي لا يسبر لها غور ...

وفيها السحر الذي يستبينا ، ونرى فيه لمحة مما وراء الوجود من خفايا وأسرار ، وفيها الحلاوة العذبة التي ترقينا ، وفيها القوة الآسرة التي تستبد بنا .

ومن معاني الابتسامة الحنان ...

والحنان أصرة تآلف وامتزاج .

وأسمى لحظات العمر عند الفنان – وعند الانسان عامة – هي تلك التي يخرج فيها عن حدود ذاته ليمتزج بقوة أخرى ويصبح بعضاً منها ، ويمتلىء خاطره ووجدانه بالمعاني المستمدة من معانيها .

ومن معاني الابتسامة الفرح ، والفرح معدن الحياة الأصيل ، وهو الاحساس الذي يتوج أعمالنا وأفكارنا عندما يسيران وفق قانون الحياة ، وهي دليل السعادة ، والسعادة قبلة الحياة !

وفي الابتسامة شعاع من نور من لدن العلي القدير فاطر الحسن وبارىء آياته يشعر الانسان أنه على مقربة من السماء مصدر الصفاء والضياء .

إن ابتسامة المراة – أحيانا – أكبر من المراة ومن الحياة !

• • •

وكان ليوناردو لا يرسم صور الأشخاص إلا في الضوء الباهت الخافت عندما تكون السماء غائمة ، أو قبيل الغروب حين يمتلىء الجو بالايحاءات المبهمة والغمغمات الصامتة التي تغلف عواطفنا بسحابة رقيقة من الصوفية الغامضة المشوقة إلى المجهول وتكتسي الوجوه بذلك السر الذي يكسبها سحراً وحلاوة . وكان لا يتعجل ولا يعمد الى الرسم في كل حين ، بل كان ينتظر صابراً تلك اللحظات التي تتفتح فيها بصائرنا ونعيش في عالم أكبر واحفل بالاحساسات من العالم الذي نعيش فيه عادة ، كان ينتظر تلك اللحظات ، وعندئذ لا يبخل بالمجهود ولا يضن بالمشقة حتى إذا كان بعيداً عن مكان عمله . وكثيراً ما كان يقطع المسافات الطويلة ليصل إلى ذلك المكان وليعمل دقائق قليلة فقط ! وفي هذه الدقائق كان الفنان يضيف إلى عمله جديداً يعتد به .

• • •

ترى لم اختار ليوناردو «موناليزا» ليجعل من صورتها رمزاً لذلك اللغز الخالد الذي نسميه المراة ؟

هذا ما لا ندريه .

كانت « ليزا جيرالدين » إحدى بنات الطبقة الممتازة في فلورنسا وقد تزوجها « فرنسسكو دل جيوكندو » عام ١٤٩٥ ، ولم تكن على درجة رائعة من الجمال أو على

شيء من الامتياز في بيئتها .

عندما شرع ليوناردو في رسم صورتها كانت في ربيعها الرابع والعشرين ولم ينته منها إلا عندما قاربت الثلاثين !

ولعله لم يعتن بعمل من أعماله الفنية مثلما اعتنى بهذه الصور .

وواظبت ليزا على الحضور إلى مرسم الفنان كل هذه السنوات لتجلس أمامه جلستها الخالدة ؛ وكان هو يجلب إلى مرسمه الموسيقيين والشعراء ليسمعوها أطرف ألوان الموسيقى وأبدع قصائد الشعراء حتى ينضح وجهها بذلك التعبير العبقري الذي حفظته لنا هذه الصورة الفريد .

والصورة تمثل ليزا جالسة أمام شرفة رخامية وقد تجردت من كل الحلي والزينة ، مرتدية ثوباً بسيطاً وعلى رأسها غطاء خفيف شفاف . وقد وضعت يدها اليمنى – وهي أجمل يد رسمت في تاريخ فن التصوير كله – فوق يدها اليسرى ومما يلاحظ خلو عينيها من الأهداب والجفون .

ونرى خلفها منظراً من مناظر الطبيعة في جبال الألب قوامه الصخور والينابيع الجارية – وهذا المنظر في حد ذاته لا يقل حيوية وحرارة عن الصورة نفسها وكان ليوناردو قد أراد أن يجمع كل شيء هامت به روحه في صورة واحدة . وقد وفق ، فالصورة فيها تلك البسمة الخالدة ، وما توحيه من معان . وفيها المياه الجارية وما تثيره في النفس من إحساسات .

وكان ليوناردو مشغولا بأعمال أخرى كثيرة إلى جانب صورة «ليزا» ولكن هذه الصورة وحدها كانت تستبد باهتمامه وكان يعود إليها كما يعود المتعب المجهد إلى ملاذه الذي يجد فيه الراحة بعد العناء ، والسعادة بعد الشقاء ، والعزاء بعد الخيبة واليأس .

ولم يفرغ منها إلا بعد خمس سنوات . وقد اعترف أنه لم يفرغ منها تماماً .

ومنذ ذلك الحين و «الجيوكاندة» نبع وحي وإلهام لا يغيض ، فكم تحدث عنها واستوحاها الشعراء والفنانون والكتاب ، وكم سجل عنها الأدب والشعر من روائع باقية ، ومازالت «ليزا» توحي المعاني والأخيلة إلى عشاقها وعشاق الفن والجمال ... ولعلها – إذا أبقى عليها الزمن – ستظل مصدراً من أخصب مصادر الوحي والخيال.

ذلك لأن صورة «ليزا» خلاصة عناصر



لوحة « موناليزا » الأصلية للفنان العالمي ليوناردو دافنشي

كثيرة : كان ليوناردو عندما يجلسها أمامه يستنهض كل إحساساتها ويستجيش أنبل عواطفها ومشاعرها وأفكارها عن طريق ما كان يسمعها من موسيقى وشعر .

وأغلب الظن أنه لم يتقيد بالطبيعة تقيداً مطلقاً بل أضاف إلى ملامحها وتقاطيعها شيئاً من عنده ضنت به الطبيعة على «ليزا» .

وصورة «ليزا» جمعت هذه العناصر على خير مثال .

إنها ليست صورة امرأة تعيش بعقلها وعواطفها وغرائزها في دنيا الناس الحافلة بالصغائر – إنها امرأة ولكنها ليست كالنساء يستغرق العيش في صوره المادية الخالدة كل قوى الحياة نفسها . إنها صورة امرأة تحررت وخرجت من الوجود الضيق لتعيش في الكون الكبير فاستيقظ كل ما في نفسها من عناصر وملكات ، وغدت نفسها مرآة للكون الكبير .

أترى ليوناردو أراد أن يجعل منها رمزاً لخلاصة ما يعتمل في نفسه من معان ، وبدلا من أن يكتب كتابا يضمنه فلسفته رأى أن يرسم صورة ولم يجد خيراً من ملامح «ليزا» وتقاطيعها لإبراز ما تجيش به نفسه الكبيرة من معان وأحاسيس ؟ قد يكون .. ! فقد كان ليوناردو كما قلنا ملاحاً متقحماً يجوب بحار الحياة التي لم ترها من قبله عين ، وكان يعيش دائماً في المنطقة الدقيقة التي تفصل بين المعلوم والمجهول يفعم قلبه الشوق وحب الاستطلاع ويبهر عقله وعينه ما يتكشف له من عظمة وجلال وجمال .

ولقد أفلح ليوناردو في أن يحيط «ليزا» بمثل هذا الجو ويثير في نفسها كل عوامله عن طريق ما كان يسمعها من شعر وموسيقى والنتيجة هي أن ارتسم على وجهها كل معانيه : فالتعبير الذي ينطق به وجهها فيه كثير من اليقظة والحيوية ولكن فيه أيضاً شيء من الدهشة كأنها تحيا حياة غريبة لا تستطيع فهمها ولكنها حياة فاتنة فيها نوع من السحر الخفي . وفي عينيها شيء من الفتور كأنها متعبة ، ولكن فيها أيضاً شيء من العزم والمضاء كأنها – رغم التعب – لم تمل ، وكم تحتوي هاتان العينان من أفكار غريبة وأحلام أبدة وإحساسات رقيقة غامضة .

وكم فيها من سخرية وترفع ، وكم فيها من الانطواء على النفس ورباطة الجأش كأن صاحبتهما تعيش «فوق المعركة» ...

ذلك بعض ما توحيه الجيوكاندة ، وهو نفسه ما توحيه حياة ليوناردو . ولكم سحر «تيوفيل جوتييه» من المرأة وشخصيتها وجمالها في قصته «مدموازيل دي موبان» ولكنه وقف أمام الجيوكاندة وقفة العابد المتأمل وقال : «من أي كوكب وفد ذلك الكائن الغريب ذو النظرة التي تعد باللذات المجهولة وذو التعبير القدسي السخرية ؟ إن ليوناردو يضفي على أشخاصه طابع سمو يجعلنا نحس بالارتباك في حضرتهم . إن الضوء الخافت في عينيها العميقتين يخفي أسراراً محرمة على الغافلين ولغة شفتيها الساخرتين تلائم الذين يعرفون كل شيء ويحتقرون في رفق غلظة البشر »

«أي إصرار مقلق وأية سخرية مترفعة في هاتين العينين الداكنتين وهاتين الشفتين المتموجتين كقوس الحب بعد إطلاق سهمه» .

إن جبينها يشع ذلك الصفو الذي تحسه امرأة موقنة أنها أبدية الجمال ، وأنها أبعد شأواً من كل مثل الشعراء والفنانين» (١) .

وقال عنها الناقد الانجليزي ولتر باتر ما معناه «إن في وجهها خلاصة أفكار وتجارب الدنيا : فيه حيوانية اليونان ، وشهوانية الرومان ، وصوفية العصور

قصة صورة

الوسطى وما فيها من طموح روحي وعشق خيالي ، وفيه ردة الوثنية وخطايا آل بورجيا . إنها اوغل في القدم من الصخور التي تجلس بينها . وكانها قد ماتت وبعثت عدة مرات وعرفت اسرار القبر وغاصت فى البحار العميقة واحتفظت لنفسها بسرها ، وساحت مع تجار الشرق سعياً وراء المنسوجات الغربية . ولقد كانت – مثل ليدا – اما لهيلين الطروادية ، ومثل القديسة — ان— اما لمريم . ولم يكن كل هذا لديها إلا نغمات القيثار وما فعلته بقسماتها واجفانها ويديها» (٢) .

تلك هي قصة الجيوكاندة . فيا لها من درس احفل بالمعاني من اضخم الكتب ! إنها تجعلنا نؤمن بعظمة الانسان ومجده إذا خلص من الدنايا وشغل نفسه بالمعاني السامية التي تحفل بها الدنيا .. إنها تعلمنا إلى اي آماد تستطيع ان ترقى المراة ... من منا يعيش مع «موناليزا» اياما او ساعات ولا يتبدل مثله الاعلى في المراة والجمال : إنها تسمو بافكارنا وعواطفنا وتدخل على قلوبنا الفرح وتهز من قوى الحياة فى نفوسنا ما يجعلنا نستمري طعم العيش ونمجد قوى الحياة ، وما يلبث أن يهتف فى نفوسنا هاتف يقول : لم لا نلتمس في الحياة ما عثرنا عليه فى الفن ؟ وهكذا يوجه الفن ابصارنا إلى اعلى ويعلمنا الاحساس بالجمال والتماسه فلا تقنع به النفوس الخاملة المستغلة .

ولقد آلت هذه الصورة إلى الملك فرنسوا الاول واحتفظ بها في فنتنبلو . ثم نقلت إلى قاعة لويس الرابع عشر في قصر فرساي ثم استقر بها المطاف في متحف اللوفر . وهناك سرقت مرة ثم اعيدت .

وآخر اخبار «الجيوكاندة» ان الهر هتلر قد نقلها إلى قصره الريفي في برختسجادن وانه – برغم متاعب الحرب والسياسة – يجلس امامها كل يوم ساعات متاملا مستوحيا ولعلها تلهمه بعض العزاء .

نصري عطا الله سدوس
١٩٤٥

هوامش :

(١) ترجم بتصرف
(٢) ترجم بتصرف

درسان من دروس الحياة



بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني

...وعلمتني الحياة الابتسام ! وإنه لعجيب أن يحتاج المرء أن يتعلمه ! ألم يقل بعضهم في تعريف الانسان إنه حيوان مبتسم ؟!

من اول ما تعلمته في حياتي ان الدنيا لي ولغيري ، واني لم اعطها وحدي ، ولا اعطيها سواي ملكا خالصا له ، ونحن جميعا شركاء متكافئون في الحقوق ، وعلينا من اجل ذلك واجبات متماثلة . وما دمنا شركاء إلى حين ، وما دام ان المقام في الدنيا على كل حال قليل ، فان من الحماقة ان ننغص على انفسنا هذه الحياة القصيرة بالعنت ، او ان نؤثر التي هي اخشن على التي هي احسن في سيرتنا ، وقد كنت احمق الحمق في صدر حياتي ، وما زالت بي بقية غير هينة من الحماقة ، فما انفكت الدنيا تنفضني كما ينفض الاسد فريسته ، وتشيلني وتحطني ، وترجني وترميني من هنا وهنا ، حتى فاءت بي إلى الرفق والهوادة فارحت واسترحت .

اي نعم ، تتسع الدنيا لي ولغيري ، وتستغني عنا جميعا ! وليس اضل رايا ممن يتوهم ان الحياة لا تطيب له إلا إذا خلا طريقه فيها من الناس . وما احكم قول الانجليز في امثالهم : « عش ودع غيرك يعش » ! وما على المرء إلا ان فكر فيما عسى ان تخسر الدنيا إذا هي خلت من الناس وعادت خرابا يبابا ؟ لا شيء ! لن يكف الفلك المسير عن الدوران ، ولن يعوق الشمس شيء عن الطلوع والافول ، ولن تعدم الحياة على الارض مظهراً آخر تتبدى فيه كما تبدت فينا نحن بني آدم ! وهل نحن إلا صورة من صور الحياة ؟ وهل اعظم غروراً او اقل عقلا ممن يكبر في وهمه ان

الحياة تنعدم إذا انقرض الانسان وتقلص ظله عن الأرض ؟

ولا يتوهم احد ان هذا كلام زاهد او متزهد ، فما انا بهذا ولا ذاك ، واني لمن اشد الناس رغبة في الحياة الرضية ، ونشدانا للعيش الرغيد ، وطلباً لأطايب الدنيا ، وعكوفا علي متعها المشتهاة ، وكل ما في الأمر اني ارى ان فوزي بما ابغي لا يستوجب ان يحرم الناس غيري ما يطلبون ، او ان يخيبوا ويخفقوا . واي دنيا تكون هذه إذا كان نجاح فرد فيها وتوفيقه في إدراك ارابه لا يتسنى إلا بخيبة الباقين ؟ ثم إذي لا احس ان الناس ينافسونني او يزحمونني او يضيقون علي المجال ، فان الأرض رحيبة ومجالاتها لا اخر لها ، وما رايتني عجزت قط عن اختراع طريق بكر ، او الاهتداء إلى ميدان جديد ، إذا شعرت بالحاجة الى ذلك

وصحيح ان الحياة جهاد ـ مع الطبيعة ومع الانسان ـ ولكنا لسنا من الحيوان ، فنضالنا لا ينبغي ان يكون بالانياب والمخالب ، بل بالعقول . ونضال العقول متعة ، وليس يعنى به او يستثقله او يضجر منه إلا من لا يصلح لغير حمل الأثقال كالدواب . وليس امر الدنيا إلى هؤلاء المساكين المستضعفين الذين يساقون ويسخرون ، بل إلى اصحاب العقول . حتى حين تقوم الثورات لا تكون الثورة في حقيقة الامر من الجمهور الاكبر والسواد الأعظم الذي يسفك الدماء ويعيث بالخراب والدماء ، بل ممن يدفعونهم إلى ذلك ويغرونهم به ويحضونهم عليه صراحة وتلميحاً ، وعفواً او عن عمد ، اي من اصحاب العقول . ولست تستطيع ان تعطل عقول الناس او تعقل السنتهم . وخير وارشد ـ لك وللناس ـ ان لا تفعل حتى إذا استطعت . وتصور دنيا ليس فيها من يفكر بعقله وينظر بعينه غير واحد ليس إلا ! اي مزية يستفيدها هذا الفرد ؟ واي متعة او نعيم له في حياته مع اشباه البهائم ؟

إنما المتعة والنعيم في هذا النضال الذي تتصفح فيه عقول منافسيك وتضيفها إلى عقلك ، وانت بذلك تكسب ابداً ولا تخسر ، وتضم كل يوم ثروة ذهنية إلى ما اوتيت من ذلك ، وتمنع عقلك ان يصدا ، لأنك لا تنفك بفضل النضال الذي لا مهرب لك منه ، تجلوه وتشحذه وترهفه .

ولكن المرء لا يستطيع ان يناضل بعقله الفطري . واعني بالفطري الذي لا زاد له من العلم ، ولا مدد من المعرفة . وشبيه بذلك ان تقاوم مقذوفات المدافع بالحجارة . فلا معدى لنا عن تعهد ملكاتنا وتزويدها بالاداة التي تجعلها امضى واكثر غناء .

●●

وعلمتني الحياة الابتسام ! وانه لعجيب ان يحتاج المرء ان يتعلمه ! الم يقل بعضهم في تعريف الانسان إنه حيوان يبتسم ؟ وادعى إلى العجب من ذلك ان تكون المحن والشدائد هي التي علمتنيه وعودتنيه ! إي والله ! فقد كان صدري يضيق ومرارتي تكاد تنشق ، من الغيظ ، وكنت اجزع إذا حاق بي ما اكره ، واقنط من قدرتي على اجتياز المحنة ، حتى تلفت اعصابي واسودت الدنيا في عيني ، بل كاد نور عيني يخبو وينطفىء لفرط ما كنت اعانيه من الاضطراب والألم والكمد ، ثم لطف بي الله فتمردت على نفسي ، وصرت إذا عراني ما كان يعروني من الجزع او الخـــوف او الاضطراب اقول لنفسي : قد جربت مثل هذا من قبل ، وعرفت بالتجربة انه كله يمضي ولا يخلف اثراً ولا يورثني إلا الاسف على ما انهكت من اعصابي في احتماله ، وقد لدغت آلاف المرات ، فلا يجوز ان ألدغ بعد ذلك ابداً ، وخليق بي ان اتلقى كل ما يجيء ـ لا بالصبر والتشدد ، فقد كان ذلك ما افعل ولم يكن يكفي ـ بل بالسخرية والتهكم ـ سخرية العارف وتهكم المدرك للقيم الحقيقية للأشياء ـ وبالابتسام الذي يهون كل صعب ويحيل كل جسيم ضئيلا .

وإذا بالابتسام له فعل السحر بل اقوى . تفتح حنكك ربع قيراط ، وتكلف عينك ان تومض قليلا فتتغير الدنيا كلها ! تجف الدموع إذا كنت تبكي ، وينضب معينها ، وينشرح صدرك إذا كان منقبضاً ، وتشعر بخفة في بدنك بعد ان كان على كاهلك وقر ترزح تحته ، ويزايلك ما كنت تحاذر كانما كان ظلا ارتمى عليه نور فنسخه ، ويتجدد الأمل الذي كان قد استحال الى ياس ، وتنشط للعمل والسعي والجهاد وانت مفعم بالرجاء ، بعد ان كانت رجلاك كانما قد شدتا الى قنطارين من الحديد ، ولن تعود تبالي انك في ضيق ، او انك عـــاطل ، او مريض ، او انك فقدت عزيزاً ، او ان تجارتك بارت وخسرت الف الف جنيه ! كل ذلك الكرب الممض يصبح غير ذي قيمة لا لشيء سوى انك استطعت ان تبتسم !

ولست اتمنى للقراء إلا الخير محضاً ، ولكنه ما من حياة تخلو من دواعي الانقباض او الالم او الحزن ، فليجربوا الابتسامة اذا مر بهم ـ لا قدر الله ـ شيء من ذلك ، وليتاملوا فعل سحره ، فقد وجدته في كل حال وصفة نافعة .

وليس الابتسام سهلا في مثل هذه الحالات ، فانه مغالبة للنفس ، ومغالبتها تتطلب جهداً عظيما ، ولكن الثمرة تستحق العناء ، والمثوبة على قدر المشقة . واول ما يكون على المرء ان يتغلب عليه ، هو الاستحياء من ان يبتسم في موقف حزن او كرب شديد مخافة ان يقول الناس انه يسرف في التكلف . وما من شك في انه لا يتاتى في اول الامر إلا بتكلف شديد ، ولكنه لا يلبث بعد ان ينجح في تكلفه ان يصبح طبيعياً ، لان مجرد الابتسام يفجر ينابيع البشر في النفس فتفيض .

ولان يتكلف المرء الابتسام خير ـ واسهل ايضاً ـ من ان يحتمل ما هو فيه من آلام ، وما يساوره من المخاوف والوساوس والاوهام .

ومتى ابتسم المرء في الشدائد والمحن ، فان الميزان يعتدل من تلقاء نفسه ، فيفطن المرء الى القيمة الحقيقية ـ لا المتوقعة ـ لما هو فيه او لما يخشى ان يكون . فتراه يقول لنفسه إذا كان قد فقد عزيزاً : « لقد مات ، وكان لابد ان يموت يوماً ما ، وسنموت جميعاً متى وافانا الاجل ، فلا حيلة في هذا . وصحيح انه مات في وقت انا احوج ما اكون فيه اليه وإلى عونه ، ولكن اطالة عمره لم تكن في يدي ، واستغراق الحزن ليس من شانه ان يجعلني اقدر على النهوض بالعبء الذي انتقل الى كاهلي » .

وكان قبل ان يبتسم يقول : « يا ويلتاه ! وا مصيبتاه ! ماذا اصنع الآن ! لقد فقدت المعين ، فانا ضائع لا محالة ! وكيف تطيب الحياة لي بعد ؟ الخ الخ » . نعم ، هو سحر ولكنه سحر في وسعنا جميعاً ان نعالجه ونوفق فيه . اقل شيء في مبتداه عسير ، ثم يهون بالدربة والمرانة ويصبح عادة واشبه بالطباع ، ويكسب المرء مناعة وحصانة ، فلا تعود ظروف الأيام قادرة على تقويض كيانها ونقض بنيانها . فجربوا هذا كما جربته ، واشكروني .

ابراهيم عبدالقادر المازني

١٩٤٥

العلم هو المستقبل

تقديم : لبنى الريدي

تصوير خطوط الطاقة في جسم الإنسان

بالرغم من عدم اعتراف فريق من الاطباء بالعلاج بالابر الصينية فلقد اثبتت نجاحا في شفاء العديد من الأمراض ابتداء من الصداع النصفي الى قرحة المعدة والآلام الروماتيزمية الخ .. ولكن لاول مرة استطاع الأطباء تصوير خطوط الطاقة التي يتم العلاج على اساسها وهي الخطوط التي وصفها الأطباء الصينيون منذ الفي عام .

فطبقا للطب الصيني فان كل انسان يملك ١٢ خطا من هذه الخطوط موزعة بالتماثل على جانبي الجسم . ولان الاطباء لم يستطيعوا من قبل مشاهدة هذه الخطوط كان من السهل التشكيك في وجودها .

ولكن التصوير الاشعاعي اثبت وجودها. فعند حقن شخص سليم بمادة الثاليوم المشعة في نقطة من نقاط الوخز بالابر الصينية ينتشر السائل طبقا لاتجاه محدد يماثل الخطوط التي وصفها الاطباء الصينيون .

ولتاكيد هذا الاكتشاف لجا البروفسير «مان - كلود داراس» رئيس الأكاديمية الطبية للعلاج بالابر الصينية في فرنسا الى استخدام كاميرا جاما ، وهي كاميرا تعمل باشعة جاما وتسمح بتتبع مسار المادة المشعة لمسافة اطول . وسجل الاطباء بالصور خطوط الطاقة ، ولاحظوا انها تكون واضحة ومنتظمة بالنسبة للشخص السليم ولها دائما نفس الشكل ، بينما يختلف مسارها ويصبح اقل انتظاما بالنسبة للشخص المريض .

وبعد أن اثبت الأطباء ان المادة المشعة لاتتخذ مسارا شريانيا او ليمفاويا ، اعلن البروفسير الفرنسي أن النسيج الضام الذي تسير فيه خطوط الطاقة ليس متجانسا بحيث تمر النظائر المشعة في المناطق الاقل مقاومة لها . واكدت صحة هذا الفرض ابحاث تناولت التركيب الكيمائي والكهربي للانسجة الواقعة تحت الجلد عند نقاط الوخز بالابر الصينية إذ اثبتت ان نسبة الاكسجين القابل للانتشار في هذه النقاط اعلى من المناطق الاخرى من الجسم ، وهو ما يفسر ضعف مقاومتها لانتشار المادة المشعة .

ويتيح هذا الاكتشاف إجراء فحوص لخطوط الطاقة بواسطة المواد المشعة لتشخيص الامراض ومتابعة تاثير العلاج على المرضى ، وبالتالي يصبح العلاج بالابر الصينية فرعا من فروع الطب الحديث .



الطبيب الفرنسي يعرض إحدى صور خطوط الطاقة

تحويل ضوء الشمس مباشرة إلى طاقة حركية



جهاز تحويل ضوء الشمس مباشرة إلى طاقة حركية

ابتكر باحث ياباني جهازا بسيطا لتحويل ضوء الشمس مباشرة الى طاقة حركية .

ونبتت في ذهنه الفكرة عندما كان يدرس تفاعل غازات عادم السيارات مع ضوء الشمس لتكوين الضباب الدخاني الذي يلوث هواء المدن . فلاحظ ان ثاني اكسيد النتروجين يتحلل بتاثير ضوء الشمس الى اكسيد نتريك واكسجين ، وعندما يحل الظلام يتحدا مرة اخرى .

وقد استفاد الباحث الشاب من هذه الظاهرة الضوءكميائية في تصميم جهاز يحول الطاقة الضوئية للشمس مباشرة الى طاقة حركية . ويتكون هذا الجهاز من اسطوانة من البلاستيك الشفاف مقسمة الى ثلاث غرف وفي قاعدة كل غرفة مكبس متصل بعمود مرفقي مركزي . ويتم ضخ خليط غازي يحتوي على ثاني اكسيد النيتروجين في كل غرفة . وعند تعرض الغرفة الأولى لأشعة الشمس ، يتحلل ثاني اكسيد النيتروجين وتتصاعد حرارة من التفاعل مما يزيد الضغط داخل الغُرفة . وتؤدي زيادة الضغط الى تحريك المكبس الذي يقوم بنقل عزم الدوران الى عمود التحريك . وبينما تتكرر نفس العملية في الغرفة الثانية يعود الضغط في الغرفة الأولى الى مستواه الأصلي نتيجة اتحاد مكونات غاز ثاني اكسيد النيتروجين مرة اخرى .

ويستطيع النموذج الذي نفذه الباحث الياباني ، وهو نموذج تجريبي ، الدوران ١٢ دورة في الدقيقة . إلا ان استخدام العدسات لتركيز ضوء الشمس سوف يزيد من كفاءة الجهاز بشكل حاسم .

وبساطة هذا الجهاز تجعل منه منافسا خطيرا للخلايا الشمسية في الاقمار الصناعية وسفن الفضاء .

هاتف يعمل باللمس

عرضت شركة « اى ـ بى ـ ام » الامريكية في مؤتمر دولي للاتصالات اللاسلكية عقد مؤخراً في جنيف جهازاً تجريبيا لهاتف الكتروني يختلف من حيث الشكل وطريقة العمل عن كل ما نعرفه من اجهزة الهاتف .

فلقد استبدل القرص ولوحة الازرار بشاشة تلفزيونية عرضها تسع بوصات بحيث يتم الاتصال الهاتفي بلمس هذه الشاشة . فعند تشغيل الجهاز تظهر على شاشته صورة هاتف تقليدي مزود بلوحة ارقام عادية ، ولاجراء مكالمة نلمس الارقام المطلوبة على الشاشة . ليتم الاتصال على الفور .

وتختزن ذاكرة الجهاز دليلا يضم قائمة الاسماء والارقام المقابلة لها ، وبالضغط على زر معين يظهر الدليل الالكتروني على الشاشة . ويكفي لاجراء اتصال مع احدى شخصيات الدليل لمس الاسم المطلوب عند ظهوره على الشاشة .

يمكن ايضا استخدام شاشة الهاتف الالكتروني كمفكرة لتسجيل المواعيد والملاحظات ، وذلك بالكتابة عليها بواسطة مؤشر خاص متصل بها ، او حتى بواسطة قلم عادي .



كاميرا جديدة للتصوير الإخباري

كانت هناك مشكلة تكنولوجية تواجه الفنيين في مجال التصوير التلفزيوني للاخبار ، فالكاميرات الالكترونية التي يستخدمونها مزودة بصمامات لاستقبال الضوء لا تعطي صورة واضحة ونقية للمناظر والاجسام الساكنة الا اذا توفرت اضاءة كافية .

اما عند تصوير اجسام متحركة فان الصور تبدو ضبابية وغير واضحة ، كما تنخفض حساسية الصمامات في حالة الاضاءة الخافتة . وظل المصورون لايستطيعون شيئا تجاه ذلك حتى استبدل الباحثون الامريكيون الصمامات التقليدية بخلايا اكثر تطوراً لايزيد حجم الواحدة عن حجم احد اظافر اليد . وهي خلايا حساسة للضوء .

وتتميز الخلايا الجديدة بان الشحنة تختفي من عليها بمجرد معالجة الصورة التي استقبلتها في حين كانت تحتفظ الصمامات باثار من الشحنة بحيث اذا تحركت الكاميرا او تحرك المنظر يرى المتفرج الصورة باهتة وضبابية اما بالنسبة للتصوير في اضاءة ضعيفة فان الخلايا الجديدة تتفوق حتى على العين الانسانية ، فهي تنقل الصور بالوانها الطبيعية حتى وان كان المنظر اقرب للاظلام منه للاضاءة . ويضاف الى هذه المميزات ان الخلايا تعيش فترة اطول من الصمامات .

ولكن الكاميرا الجديدة اغلى ثمنا من الكاميرا التقليدية ، وذاك عيبها الوحيد .

جهاز إلكتروني لاكتشاف المتفجرات والمخدرات



صمم المهندسون البريطانيون جهازين لمكافحة الارهاب وتهريب المخدرات .

الجهاز الاول يعمل بالتوجيه من بعد ويقوم بفحص الطرود المشتبه فيها والعمل على التحكم في تفجيرها . وهو مزود بكاميرا تلفزيونية وبندقية ومطرقة وبعض الادوات الاخرى اللازمة لتفجير العبوة الناسفة او القنبلة بدون احداث اضرار .

ويستطيع هذا الربوت الشجاع التحرك بسهولة في كل انواع الطرق كما يمكنه صعود الدرج وذلك بفضل الحصيرة المزود بها .

ويتميز الجهاز البريطاني بصغر حجمه مما يسهل عملية نقله فطوله ١١٠ سم وعرضه ٦٢ سم وارتفاعه ٦٦ سم اما وزنه فلا يتعدى ٧٥ كيلوجراما .

ويستطيع الجهاز الثاني اكتشاف المتفجرات والمخدرات المخباة وراء الحواجز المختلفة من جدران او ارضيات او حواجز معدنية مثل ابواب السيارات .

ويتكون الجهاز من مجس متداخل يمكن تغيير طوله من ٦٥ سم الى ١٢٤ سم . ويتصل هذا المجس بواسطة سلك كهربي بصندوق الرصد الذي يضم الدوائر الالكترونية ودوائر التحكم وسماعة صغيرة ويحتوي المجس على مصدر اشعاعي ضعيف واداة لرصد عدد النيترونات وطاقتها .

ويعتمد عمل هذا الجهاز على ان الهيدروجين يعمل على تشتيت النيترونات وافقادها جزءاً كبيراً من طاقتها . وبالتالي فعند وضع المجس على حاجز او جدار يخفي المتفجرات او المخدرات تقوم الدوائر الالكترونية بتحليل عدد النيترونات المنعكسة وطاقتها بحيث يصدر الجهاز فرقعة تتناسب مع عدد هذه النيترونات .



الابنة تربت على والدها العجوز ، في حنان وحب ، وتدفعه للحركة والنشاط .. لقطة من فيلم «يوم الاحد في الريف»

الدوحة في مهرجان كان السينمائي

بقلم : رءوف توفيق

تحية للفقراء والعجائز أجمل الأفلام .. وأرقها

آلاف الملايين من الدولارات ، تنفق كل عام من اجل هذه الشرائط السينمائية المتحركة ، والتي لا يكف الناس في جميع انحاء العالم عن مشاهدتها .. ولكن القليل منها هو الذي يبقى في الذاكرة ، ويحرك الوجدان ، ويشعرك انك انسان لك عقل ومشاعر .. وليس فقط مجموعة من الغرائز !

وقد احتشد في مهرجان « كان » السينمائي لهذا العام ، مئات الافلام من كل القارات ، في سباق محموم يؤكد أن السينما مازالت تناضل من اجل بقائها امام هجوم التليفزيون والفيديو .. وهي في هذا السباق تغزو جميع المجالات والموضوعات .. من السياسة الى الجريمة .. ومن منتهى العنف الى مستنقع الغرائز الحسية !



حديث مليء بالحنان مع الأب



الابنة وهي تحاول ان تخلق لعبة جديدة ليشاركها الجميع المرح . لقطة من فيلم «يوم الأحد في الريف»



أفراد العائلة في إحدى اللقطات التي تدل على الجو التقليدي في أثناء زيارة الابن وزوجته ، قبل وصول الابنة .

وفي اطار المسابقة الرسمية للمهرجان ، والتي ضمت افلاما من خمس عشرة دولة .. كانت السمة البارزة أن مستوى الأفلام في هذا العام ، افضل بمراحل كثيرة عن الأعوام الماضية ، على الأقل بالمقارنة بالعام الماضي .

ولهذا مضت ايام المهرجان في ايقاع مليء بالحيوية والمفاجات الطيبة ، رغم سوء الأحوال الجوية ، حيث كانت الامطار لا تكف عن الهطول لأيام متتالية .. مع لفحات من البرد الشديد .. وهو شيء لم يتعوده زوار المهرجان في مثل هذا الوقت من كل عام !

توارت بهرجة النجوم .. وتلاشى ضجيج الدعاية ، امام نوعية من الافلام لا تعتمد على أسماء لامعة من الممثلين ، بقدر ماتعتمد على نوعية الموضوع الذي تقدمه .

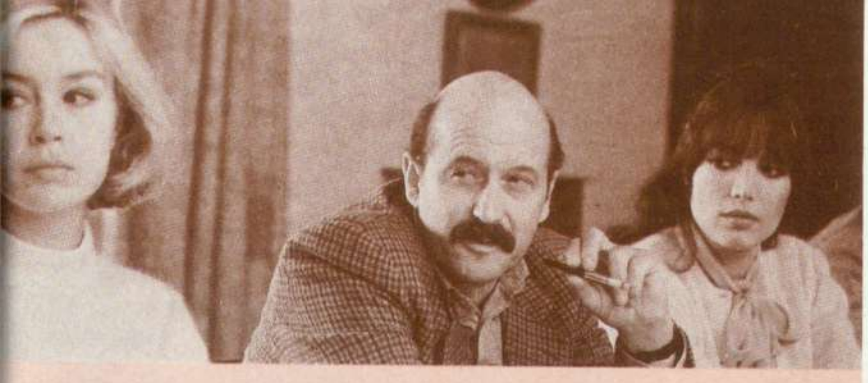
ولهذا نجحت افلام ، بميزانيات بسيطة وبممثلين غير معروفين ، وتاكدت من جديد الحقيقة التي تقول إن السينما لا تصنعها الامكانات الضخمة ، وانما معيارها الحقيقي هو الصدق ، وأن هناك رسالة ما يريد صناع الفيلم ان يبلغوها الى المشاهدين ..

فليس هناك فن من اجل الفن .. او استعراض المهارات الشخصية .. وانما الفن للحياة .. وللمشاركة في صنع مجتمع انساني افضل للجميع .

ومن هذا المنطلق .. كان من اجمل افلام المهرجان واكثرها رقة ونجاحا بين الجمهور والنقاد ، فيلمين من اسبانيا وفرنسا يتحدثان عن الفقراء والعجائز .



العائلة الارستقراطية في لقطة تذكارية



مشهد من فيلم « القديسون الابرياء »

سينما

تحية للفقراء والعجائز أجمل الأفلام .. وأرقها

وباسلوب فني بسيط وعميق .. وصلت رسالة هذين الفيلمين الى ما يزيد عن خمسة الاف ناقد وصحفي من جميع انحاء العالم .. تجمعوا في قاعة العرض .. ووقفوا يصفقون تحية للفيلمين .. وفي هذه اللحظة يتاكد بما لا يدع مجالا للشك ، ان الفن الصادق هو الفن الذي يصل للجميع مهما اختلفت الجنسيات والثقافات .

الفيلم الاسباني

يحمل الفيلم عنوان «القديسون الابرياء» .. والمقصود بالقديسين هنا .. هم هؤلاء الفقراء الذين يتحدث عنهم الفيلم والذين من الممكن ان تراهم في كل انحاء العالم وخصوصا الذين يعيشون تحت ظروف قاسية .. حيث تتشابه الهموم والاحلام .

ويصور الفيلم عائلة من الفلاحين في قرية بجنوب اسبانيا - حيث التخلف والفقر - والبطل الحقيقي للفيلم والذي تتعلق به الابصار منذ البداية وحتى مشهد النهاية .. هو ذلك الفلاح العجوز ، الشديد البراءة كالاطفال ، المبتسم دائما ، والذي لايستطيع التعبير عن نفسه ، فيبدو كالابله .. ولكنه صاحب القلب العطوف والجياش بالمشاعر .. يتلقى نظرات التانيب والاستنكار من الآخرين .. ولكنه يقابل الحياة بابتسامة .. ويعطي كل اهتمامه وحبه للطيور ، يحادثها بنغمات من فمه ويفرح عندما تستجيب لنداءاته ..

يبدا به الفيلم وهو ينادي بومة .. وندرك انه هو الذي رباها واطعمها وخلق معها حواراً خاصا .. واطلق عليها اسماً .. ووسط الحقول يجري مهللا سعيداً ، يبادلها الاصوات ..

ثم نتعرف على عائلته .. ونتعرف عليه اكثر ..

فعندماً تقدم به السن طرده صاحب العمل مستهزئاً بسذاجته .. ولهذا فهو الآن يعيش مع شقيقته وزوجها وابنائهما الاربعة .. من بينهم فتاة ولدت متخلفة عقليا وعاجزة عن النمو .. دائما اما نائمة او تصرخ بصوت اجش .. وهذه الفتاة يطلقون عليها « الصغيرة » ترعاها الأم .. وفي لحظات انشغالها باعباء المنزل والعمل يقوم العجوز الطيب برعايتها .. انه الوحيد الذي يتحمل صراخها ويعرف كيف يجعلها تعود الى النوم .. ورغم ثقل وزنها فهو يحملها على ذراعيه .. ويربت عليها بحنان وحب .. وكانها جزء منه .

وتنتقل العائلة للعمل في مزرعة احد الأثرياء بنفس المنطقة .. ولأول مرة يتعاملون مع بعض مظاهر الحضارة .. لمبات الاضاءة الكهربائية .. والمياه من الصنابير (!!) .. ان هذه الاشياء بالنسبة لهم هي الحلم الذي تحقق لهم ويحرصون على الا يفلت من ايديهم ..

ولذلك عندما يطلب منهم صاحب المزرعة ان تعمل ابنتهم الكبرى كخادمة في منزله .. يوافق الأب في استسلام وخوف رغم ان حلمه كان ان يستكمل ابناؤه التعليم .. حتى يجتازوا عتبة الفقر والخضوع .. ورغم ان الابنة كانت تعمل في احد المصانع القريبة وتذاكر دروسها في نفس الوقت .. الا انهم امام رغبات « السيد » لايستطيعون الرفض ..

وتنتقل الابنة الى منزل « السيد » لنتعرف معها على مدى البذخ والترف .. ونتعرف ايضا على مظاهر التفسخ الاجتماعي حيث تخون الزوجة زوجها مع صديق العائلة .. وحيث رائحة الزيف تملأ المكان ..

وتواصل الابنة عملهـــا في صمت واستسلام ..

وتمضي الأيام بالعائلة الفقيرة وهي تعيش في كوخ بعيد على اطراف المزرعة تواصل العمل الشاق ، ولا تخشى شيئاً قدر ان يكتشف احد صوت ابنتهما المريضة العاجزة .. او ان يعلق احد على سذاجة الشقيق العجوز الذي يحادث الطيور ويبكي لمرضها .. انهما العورة التي تهدد بقاءهما في هذا المكان ..



لقطة من اخر افلام برجمان « بعد البروفة » حيث المخرج المسرحي وهو يحاور الممثلة الج...



افراد العائلة يجتمعون على مائدة الشاي .

لقطة من فيلم « يوم الأحد في الريف »



افراد العائلة الفقيرة ، والأم تحتضن الطفلة ال...

الاستسلام والطاعة

ويختار المخرج ان يحكي يوميات هذه العائلة الفقيرة من خلال شخصيات العائلة .. بحيث تتداخل الاحداث التي نراها من خلال كل شخصية لتصنع في النهاية نسيج الفيلم ككل .

نتوقف عند الشقيقة ومسئولياتها تجاه

ابنائها وزوجها وشقيقها العجوز الابله .. وحرصها على احتواء اي ازمة .

ونتوقف عند الزوج الذي يعمل دائما ليثبت جدارته امام صاحب المزرعة .. المطيع دائماً والذي يدرك تماماً انه يتقبل كل الأوامر – حتى ولو كان يرفضها بينه وبين نفسه – إلا انه امام ضغوط الحياة ، يبدي كل استعداده لان ينفذ رغبات «السيد» خصوصاً عندما يطلبه ليرافقه في رحلات الصيد .. وليجري – اسرع من كلاب الصيد – يلتقط الحصيلة من الطيور و التي اصابتها خراطيش الصيد فسقطت في اماكن متفرقة وبعيدة .. وقد تدرب على ان يعرف اماكن سقوطها وعددها بالضبط .

وعندما يطلب منه «السيد» ان يصعد على قمة شجرة ليحرك نموذجا من الورق على هيئة احد الطيور ، ليجذب بقية الطيور اليه .. يمتثل للاوامر .. ويتقبل «عصبية» السيد وتوتر اعصابه .. راضياً .. وبلا اي احتجاج .

وفي اليوم الذي يسقط فيه من قمة الشجرة .. وتنكسر ساقه .. ويتالم بشدة .. ويرتفع صوته لأول مرة بالالم .. يحاول « السيد » ان يبدي له بعض المشاعر . . كان يذهب معه الى الطبيب .. وكان يدعوه الى سيارته .. ولكن « السيد » لا يستطيع الاستمرار في تمثيل هذه المشاعر .. فيطلب منه ان يواصل الجري في رحلات الصيد معه .. ويحاول الزوج ان يعتذر .. ولكنه تحت الحاح « السيد » يقبل .. وحجته ان «السيد» يتفاءل به ولايريد ان يخيب حظه في الصيد .. فتكون النتيجة اشتداد الالم عليه .. وسقوطه مرة اخرى بساقه المحشورة في قالب الجبس .. ودموع العجز في عينيه .. وحتى في هذه اللحظة يشعر ان من واجبه الا يضايق « السيد » .. فيرشح له شقيق زوجته .. ذلك العجوز الطيب الذي يهوى مخاطبة الطيور ..

ويتقبل « السيد » هذا الحل على مضض.

مفاجأة النهاية

لنات الى قمة احداث الفيلم .. والتي يحركها هذا العجوز الطيب ، العاجز عن التعبير ، المبتسم دائما .. انه يتقبل العدل مع « السيد » في فرح .. ويتجاوز كل الاهانات التي يتلقاها منه .. ولكن عندما يرفع « السيد » بندقية الصيد ويصوب على الطائر الذي رباه ، وتعود أن يحاوره ، ويقف على كتفه .. هنا يصرخ العجوز من الفزع والخوف .. ولكن « السيد » لا يبالي .. ويطلق رصاصته التي تسقط الطائر قتيلا .. ويبكي العجوز في هذيان .. غير مصدق ما حدث ..

وسرعان ما تعود الابتسامة على وجهه .. وهو يصعد قمة الشجرة ليحرك الطائر الورقي .. منفذاً تعليمات « السيد » .. ولكن في هذه اللحظة بالذات ندرك انه ليس بالعجوز الأبله .. انه الواعي المدرك لكل ما يحيط به .. وندرك ان ابتسامته هذه المرة ليست الا ستاراً يخفي خطته ..

من قمة الشجرة .. نراه يدلي بسرعة حبلا معقوداً ليلتقط به عنق « السيد » ويجذبه بكل قوته وهو يضحك ..

مات « السيد » مشنوقاً

اما هو فكان مصيره في احدى مستشفيات الأمراض العقلية .. انه ما زال يبتسم نفس ابتسامته ..

وينتهي الفيلم عليه .. وهو يدندن اغنية قديمة .. وينظر من خلف قضبان نافذة الحجرة .. واصداء نداءاته مع الطيور .. مازالت تصل لنا ..

وبراعة ذلك الفيلم .. فضلا عن موضوعه .. هذا التميز الواضح في الاداء التمثيلي .. وفي التصوير ، والموسيقى .. بحيث يتلاحم كل هذا مع الطبيعة .. لتشكل «صورة» جديدة للعين فيها الحيوية ، وروح الفكاهة .. رغم قتامة المكان الذي يعيش فيه هؤلاء الفقراء ..

ولا يعيب الفيلم سوى تلك المبالغة التقليدية في تجسيد حياة الاغنياء اصحاب الارض .. وكان المخرج « ماريو كاموس » اراد ان يؤكد على التناقض الصارخ بين الطبقتين .

ويعلق المخرج بقوله « ان زمن احداث الفيلم يقع في الستينات من هذا القرن .. ورغم هذا فان الفقراء في جنوب اسبانيا وغربها يعيشون حياة متخلفة جداً .. وليس عليهم غير الطاعة لأصحاب الارض .. فهم يقيمون في حظائر ويعاملون معاملة اقل من كلاب الصيد .. ومع ذلك فهؤلاء الفقراء في اتحاد وتلاحم قوي مع الطبيعة والطيور ..

الممثل الاسباني «فرانشيسكو رابل» العجوز الطيب وقد انتهت رحلته إلى مستشفى الأمراض العقلية



من الأدب الأسباني

وفيلم «القديسون الابرياء» ماخوذ عن رواية للكاتب الاسباني «ميجيل ديلبس» .

ويدافع المخرج «ماريو كاموس» عن حماسه الشديد للاستفادة من الأدب الاسباني لتعميق الروح المحلية فى السينما الاسبانية .. وهو يقول «ان الجمهور الاسباني ، كان قد هجر السينما المحلية لفترات طويلة خصوصا في السنوات التي كانت فيها السينما الامريكية والايطالية والفرنسية تغرق السوق بافلامها .. ولكن تدريجيا بدأ الجمهور الاسباني يتغير .. فهناك رغبة لان يعرف الجمهور مشكلة رجل فى قرية اسبانية .. على ان يعرف مشكلة رجل امريكي في فيتنام» .

ومما يؤكد هذا المنطق .. ان فيلم «القديسون الأبرياء» حقق نجاحاً محلياً كبيراً عند عرضه لأول مرة في اسبانيا .. وكذلك نجح الفيلم السابق للمخرج .. والذي كان يحمل عنوان « السلوك » .. نجح محلياً .. ونجح عالميا ايضا وحصل على جائزة مهرجان برلين مناصفة في العام الماضي .

ويعلق المخرج قائلا : « لزمن طويل كان مخرجو السينما الاسبانية مضطرين لان يصنعوا افلاماً يمكن بيعها للسوق العالمي .. حتى ولو كانت هناك موضوعات محلية من الممكن أن تكون لها الصبغة العالمية ويفهمها الجميع » .

وهذا الفيلم .. وهذا المنطق في التعامل مع الواقع المحلي .. هو نموذج ممكن ان يحسم المناقشات الطويلة والتقليدية التي تطرح دائماً ونحن نتساءل .. كيف يمكن ان تصبح السينما العربية لها وجود عالمي !

الفيلم الفرنسي

المفاجأة الثانية .. كانت مع الفيلم الفرنسي « يوم الأحد في الريف » للمخرج الفرنسي « برتراند تافرنيه » والذي يعرفه عشاق السينما من خلال افلامه السابقة واشهرها « ساعاتي سان بول » عام ٧٤ «القاضي والقاتل» عام ٧٦ – «الموت مباشرة» عام ٧٩ « يوم الاجازة » عام ٨٠

سينما

تحية للفقراء والعجائز
أجمل الأفلام .. وأرقها



العجوز الطيب في حوار مع الطائر الذي رباه

وفي هذا العام يفاجئنا هذا المخرج الفرنسي الشاعري الاسلوب بفيلمه الجديد « يوم الأحد في الريف » ليحكي لنا ببساطة شديدة حياة رجل عجوز يعيش في بيت ريفي .. وينتظر زيارة ابنائه له في يوم الاجازة ، يوم الأحد ..

والفيلم لايتضمن اي احداث مثيرة .. وانما مجموعة من المشاعر يفجرها المخرج في قصيدة سينمائية .. اشبه ما تكون بالسيمفونية بين رجل عجوز وابنائه واحفاده .. وبين الطبيعة في الريف الفرنسي ..

فهذا الرجل العجوز .. يقضي ايامه في الريف يرسم لوحات من داخل بيته او من النافذة .. لقد توقف عند المرحلة التأثيرية .. ولم يعد قادراً على المغامرة .. سواء في اسلوب الرسم .. او في الحياة عموما ..

حركته محدودة .. يرسم نفس الحديقة .. او نفس هذا الركن الصغير من بيته .. ولقد كررهما لدرجة اوقعته في الملل ..

وفي صباح يوم الأحد من ذلك الصيف .. يخرج مرتدياً ملابسه كاملة ، في طريقه لمحطة القطار لاستقبال ابنه وزوجته واحفاده الثلاثة .. الذين تعودوا ان يأتوا له من باريس ليقضوا معه يوم الاجازة .

وكالعادة يتأخر في الوصول الى محطة القطار .. ولكنه يصمم على انه خرج في الموعد المناسب .. وانه اشترى ذلك البيت الريفي لأنه يبعد عشر دقائق فقط عن محطة القطار .

ويبدأ اليوم بالشكل التقليدي .. نفس الحديث والمشاكل والأسئلة والاجابات .. ونفس الازعاج من الأطفال الثلاثة ..

ولكن يتغير كل هذا مع وصول ابنته الشابة وهي تقود سيارتها .. انها فتاة مليئة بالحيوية والمرح .



صاحب المزرعة مع زوجته في الفيلم الاسباني



الأم وقد ارهقها التعب والاستسلام



اثناء الانتقال للعمل في المزرعة



الطبيب يعالج الساق المكسورة للفلاح البسيط



المخرج «ماريو كاموس» مع منتج الفيلم جوليان ماثيوس .

ماذا يفعل الحنان ؟

وتدب الحياة في المكان .. فهذه الفتاة قادرة على ان تخلق حواراً جديداً .. والعاباً

جديدة .. وضحكات غير تقليدية .. وهي ايضاً تملك قدراً هائلا من الحب والحنان لوالدها .. وهو عندما ينظر لها يشعر بان كل احساسه بتقدم العمر، وبضعف جسده .. قد تلاشى .. واصبح اكثر نشاطا ومرحاً ..

ولكنه عندما يلاحظ ان ابنته تتحدث في التليفون بقلق تسال عن صديقها في باريس .. تراوده من جديد مشاعر الخوف .. انه يخاف عليها .. ويخاف ان يفقدها ..

وينتهي اليوم .. وتحين ساعة الرحيل .. والأب يمسك بابنته يناشدها الا تنقطع عن زيارتها له .. والابنة تبتسم له في ثقة وتطمئنه انها لن تكف عن زيارته .. وتربت على كتفه بحنان .. وتطلب منه ان يرسم لوحات جديدة .. ويهز رأسه في حيوية وسعادة ..

ويرحل الجميع .. ويبقى العجوز وحيداً مع اصداء اليوم والاصوات التي كانت تملأ المكان منذ لحظات .. ويحدق في المكان كانه يراه لأول مرة .. ثم يقترب من اللوحة التي كان يرسمها .. ليضعها جانبا .. ويبدأ في رسم لوحة جديدة .. وقد غير مكانه لأول مرة مواجها الحياة بكل نبضها واشراقها ..

وينتهي الفيلم .. وتشتعل قاعة العرض بالتصفيق المتواصل .. ذلك لأن رسالة الفيلم مست أوتار مشاعر كل المشاهدين .

فهذا العجوز الذي قدمه الفيلم .. بالقطع هو شخص نعرفه .. قد يكون قريبا لنا .. او صديقا .. او جاراً ..

ففي تلك المرحلة المتقدمة من العمر .. حيث الوحدة .. والأرق .. والذكريات .. وآلام الشيخوخة .. يصبح الانسان في امس الحاجة الى شحنة من الأمل .. والى الكثير من الدفء والحنان .. وليس قادراً على ان يعطي مثل هذه الشحنة ، غير الابناء .. فهل يدرك الابناء هذا ؟

خطاب المخرج

انه سؤال يفجره الفيلم بلا اي خطابة .. أو مبالغة .. ولكن باكبر قدر من الصدق .. ومن خلال عشرات التفاصيل الانسانية الصغيرة التي تشكل في النهاية معنى التواصل والمشاركة ..

والذي يعطي الفيلم مذاقه المميز .. ذلك الاسلوب الشاعري الذي تناول به المخرج « تافرينيه » تفاصيل ذلك اليوم دون اي لحظة نشاز .. او ملل .

وقد اشترك المخرج مع زوجته في كتابة سيناريو الفيلم .. وايضا في اختيار الموسيقى والملابس والديكور .

ولم يتردد المخرج في ان يضمن الكتيب الصحفي الخاص بالفيلم .. بعض رسائله التي كان قد ارسلها لزوجته يبلغها فيها تفاصيل ما توصل اليه في اثناء معالجة السيناريو واختيار الممثلين وبقية عناصر الفيلم .

وكانما أراد المخرج من خلال نشر هذه الرسائل الخاصة .. ان يؤكد على معنى الحب والتفاهم والمشاركة .

رءوف توفيق



الشقيقة وزوجها في انتظار التعليمات .. لقطة من الفيلم الاسباني

مفاجــأة "برجمـان" وفيـلمه الجديد

من حق قارىء « الدوحة » .. ان اعتذر له عن الخطا الذي اوقعني فيه المخرج العالمي «انجمار برجمان»

فقد كتبت في العدد الماضي عن فيلم « فاني والكسندر » الذي فاز بجائزة الاوسكار كاحسن فيلم اجنبي .. وكتبت مستنداً الى تصريحات المخرج « برجمان »والتي ادلى بها للصحافة العالمية ، والتي كررها في اكثر من مناسبة .. إن فيلم « فاني والكسندر » هو آخر افلامه .. وانه قرر اعتزال السينما والاكتفاء بالاخراج المسرحي ..

ولكن في مهرجان « كان » السينمائي الاخير .. فوجئنا جميعا بان « برجمان » سيقدم لنا احدث افلامه .. وخرجت الصحف ووكالات الانباء .. تصف هذه المفاجاة بكل عبارات الدهشة والاعجاب .. فمعنى هذا ان برجمان تراجع عن قرار الاعتزال ..

واحتشد آلاف الصحفيين والنقاد في حفلة عرض الفيلم الجديد « بعد البروفة » .. لتصبح المفاجــاة مفاجاتين .

الفيلم الجديد مدته ساعةواثنتي عشرة دقيقة فقط .. والفيلم يعتبر مشهداً واحداً طويلا .. حيث خشبة المسرح ويجلس عليها المخرج بعد انتهاء البروفة .. ثم تدخل ممثلة شابة ويدور حوار بينهما .. ثم تدخل الممثلة المتقدمة في السن ويدور حوار بينهما .. وينتهي الفيلم في نفس المكان .

والحوار عن المسرح والحياة .. وقد كتب برجمان سيناريو الفيلم .. ووضع جزءاً كبيراً من تساؤلاته واكتشافاته مع عالم الممثليـــن والاضواء في الحوار الذي ينطق به المخرج المسرحي في هذا الفيلم ..

فهو الرجل الذي ارهقه المسرح .. ولكنه ما زال يحب التعامل مع الممثلين .. ويعشق كل الجو المحيط بالتمثيل .. وهو ايضا الرجل الذي يشعر بان الموت يقترب منه .. كما يشعر بالاحساس المرير بالوحدة

والفيلم مليء بالحوار .. كل الممثلين يتكلمون بلا انقطاع .. ويخلق « برجمان » من هذا الجو اسلوبا فنيا متميزاً مستخدماً اللقطات المكبرة التي تحاول ان تكشف عن اغوار ابطال الفيلم

وكعادة « برجمان » يتركنا مع سؤال .. هل هذا ما شاهدناه جزء من المسرح .. أو جزء من الحياة ؟

الفيلم صور في السويد .. وقام بتصويره رفيق رحلته الفنية « سفن نيكفست » .. ولعب بطولته اثنان من الممثلين الذين شاركوه العديد من افلامه السابقة وهما «ارلاند جوسفسن » و « انجريد تولين » .. ومعهما الوجه الجديد الذي يقدمه «برجمان» بكل ثقة « لينا اولين »

والمباراة رائعة في التمثيل .. والحوار مكتوب بطريقة ممتعة

وليس بعد هذه المفاجاة .. ان نكرر هل يعتزل « برجمان » السينما أم لا ..؟!

مفاجأة غريبة

قصة لم تنشر للأديب الراحل : فاروق منيب

ولادة متعسرة ..

كان ياما كان فى قديم الزمان الى الآن حكاية ترويها الاجيال . ولم يكن يصدقها عقل او خيل ، لكن الذين يرددونها يوما بعد يوم ما يزالون يؤكدون وقوعها دون ادنى شك او افتعال . ففى قديم السنين قبل الميلاد حكم مصر القديمة مدة يوم واحد رجل جبار ، داهية عتيد ، ناعم كالأفعى ، جبان كالفار عندما يقع فريسة أمام القط ! . له لسان سليط ، حقود القلب والوجدان . يروون عن هذ الرجل انه ولد ولادة متعسرة ملتوي الأصابع ، وساق أطول من ساق ، وبطن منتفخة ، لا يعرف احد سرها ، هل هو مريض بالطحال او الكبد أو الأمعاء ، لكن علامته المميزة انه محدودب الظهر ، ومن هنا اطلقوا عليه لقب الأحدب ! .

المهم انتهز الطفل ولادته على هذه الحال ولم يكف عن البكاء ، نادبا حظه العاثر ، وحط عليه نكد الدنيا ، فجعل يلعن البشر اجمعين ، ويبشر بولادة الشر بين الناس . وعندما دبت خطواته الصغيرة على الارض كان اول شىء فعله هو انه شج راس اخته وهو يضحك من اعماقه ، ثم قعد يتفرج على الدماء وهى تسيل من راسها المفتوح ! . وحين أيقن انها تتالم وتعانى وتحتضر ، نتيجة النزيف الذى سببه انفجار الشرايين فى مخها ! ، تمدد مستريحاً على الأرض ، يشعر بالزهو الشديد ، والامتنان العظيم لارادته ، ثم حمل اخته الصغيرة بين يديه وهو يبتسم فخوراً ، ليرمى بجثتها وراء البيت ، فى جنح الظلام ! . وعاد يشم رائحة الدماء فى انفه ، يستنشق رائحته الفواحة ، ويغنى اغنية الموت على موسيقى أثيرية تطوف بخياله ، ثم انفجر فى ضحكات عالية ، وهو فى قمة الفرح والسعادة الروحية ! . واحتفظ بجلطات الدم المجمدة على كفيه للذكرى ، ثم جاءته الفكرة على مهل ! .

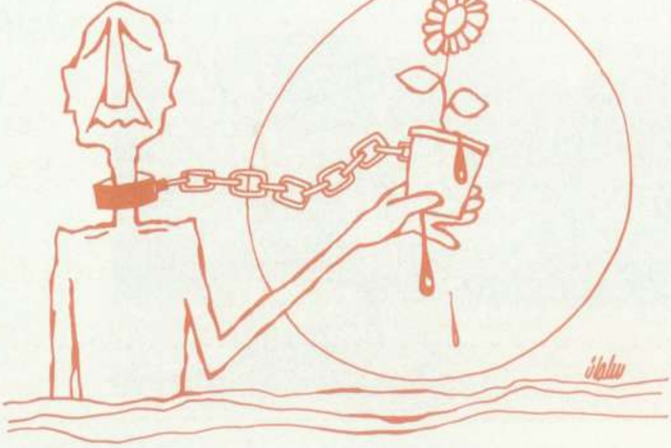
طريق الحكمة والفلسفة !

لماذا لا يتعلم الحكمة والفلسفة ، ويجمع اكبر كمية من الكتب والقواميس والأوراق ؟

وفعلا بدأ مشروعه العظيم . وقال فى نفسه : ينبغى أن اخفى شرورى وانتقامى وحقدى وسمومى إلى داخلى ، احتفظ بها لأفرزها فى الوقت المناسب وبطريقتى الخاصة جداً .. وليكن ظاهرى هو مهنتى . وكان يقعد بعد ان أن أطلق لحيته إلى الآخر ، وسط اكوام الكتب والأوراق والأقلام باحثاً ومنقبا . وفى بعض الأحيان يظل الساعات الطويلة يفتش عن معنى كلمة يعجزه معناها ! . وكان حريصاً على أن كل كلمة او نصيحة او استشارة يقولها او يكتبها أن يكون لها ثمن معين . وعن هذا الطريق اصبحت ثروته ملكاً لشره ، ولتنفيذ خططه الجهنمية فى القتل والتدمير وتنكيد أرواح البشر . وعاد زهوه يتالق وينمو ويتطور منذ حادثة قتل شقيقته الشهيرة . وكان يفتتح الصفحات على الدوام بقوله ... انا الوحيد الأوحد ... انا الوحيد الأوحد ... وليذهب العالم إلى الجحيم . وكان كلما تنفس روائح عطر الزهور أو الورود من بعيد ، كلما تحسس بقايا الدماء فى كفيه ، ثم يرفعهما إلى انفه ليتلذذ برائحتها النفاذة الأصيلة . وإذا سمع اناساً يضحكون من قلوبهم ضحكات صافيات محبة ، اهتز صدره بالأحقاد المزمنة ومغيظا ومتشفيا وواعداً بالانتقام . وفي مرة جلس القرفصاء ، نافذ العينين ، يراقب مجموعة من الشباب فى إحدى الحدائق تحتفل بالربيع ، وهي تنشد اناشيد الأمل والرخاء والسلام ، ولحظتها طق شرر من عينيه فى الهواء إلى تلك المجموعة ، فسقطت بعض الأشجار الخضراء ، واكتسح فى طريقه زهور الفل والياسمين ، ثم نفذ إلى قلب المجموعة . فجاة انفجرت العيون فى البكاء ، وقام الأفراد يضربون بعضهم بعضاً ، يهشمون انوفهم ورؤوسهم بلكمات حديدية صارمة . ومن بعيد ، كان الأحدب يدير المعركة بكل خلجة فى عقله وروحه . وحين عاد إلى البيت أمسك ورقة وقلماً وكتب فى مذكراته .. الحكمة فى الشر والخبث والقتل والتدمير ، وليست فى الطيبة والمعرفة والطب والتجارب التى تنفع الناس ... والفلسفة بايجاز ليست في الحكمة ايضاً .. وإنما فى قتل الأجساد والأرواح ..!

الانتصار الساحق ..

وحين كبر الأحدب ، وأصبح صبياً ، ثم رجلا ، دخل في صراع من اجل صولجان الحكم ، فبدأ يستعطف الناس واصدر بياناً قال فيه : يا أيها الناس ... لقد عانيت منذ ولادتي المتعسرة الآلام والأحزان ... وتعجز الكلمات فى بعض الأحيان عما أريد أن أعبر عنه ! وهكذا ترون لا عمل لي سوى الحكمة ودراسة الفلسفة ، ونحن اليوم نحتاج إلى التخطيط والتنظيم ..



وعلى حوافى الترع والمصارف وعلى أعمدة المعابد ، وعلى طول نهر النيل وزع المنشور . كانت المياه تجرفه دون ان تمحي حروفه التى كتبت بطريقة سرية ، لم يكشف عن سرها احد حتى الآن ! . وانتشر خبر المنشور وسط الناس من الشمال عند الأسكندرية ، وإلى اقصى الجنوب على

مشارف وادي حلفا . وتجرا وكتب بيانه على بعض أوراق البردي ، فبانت اللعبة مفضوحة وصارخة . وملا الاحدب هذا الورق بكلماته المزيفة . ولكن ويا للغرابة ، فقد صدق السذج والبلهاء ،

وبعض الطيبين كلماته وادعاءاته . وصمت الشقيق الأكبر ، فلم يدخل معه فى اي صراع . فقد كان كل همه ان يعيش حياته الحقيقية بصدق ، يسعد ناسه ، ويقودهم إلى الرفاهية ، وكان شغله الدائم أن يزين المعابد بالنقوش والرسوم الزاهية ، ويبحث فى طريق جديد للمواصلات ، وان يؤلف من الخيوط الحريرية نسيجا مختلفا الوانه ، وان يرعى الزراعة الناشئة ، وان يوفر العدس والفول والخبز والكركديه ... ويقضي على البلهارسيا ... ويعقد المؤتمرات مع الحكماء والعلماء والفنانين على شاطىء النيل ، يشربون من مائه العذب السلسبيل ، .. ومع هذا فقد انتصر الأحدب الشرير على الملك العادل المستنير ! .

• • •

وعندما تبوا الأحدب الحكم ، علق المشانق لأصدقائه الذين اوصلوه إلى منصة الحكم والسلطة . وسخر الآلاف لتسبح بحمده والثناء عليه ، ورفعه على الأعناق فى كل مناسبة ، وبلا مناسبة . ورغم أن المدة كانت قصيرة جداً ، إلا انه استطاع فيها أن يحقق احلامه . واصبح كما كان يكتب فى كراسته القديمة ، السيد الوحيد الأوحد هو انا ، وليذهب العالم إلى الجحيم . وفجاة ودع الحياة بين دهشة الجميع ، فانزعج الناس من الحدث بل اشفقوا عليه ، وصعبت عليهم معاناته وقصته كلها منذ ولادته المتعسرة وتشوهاته المزمنة ، وساد الهرج والمرج انحاء البلاد ، ولكن لم يكن باليد حيلة إلا الرضوخ للأمر الواقع ، ودفن الاحدب فى مقبرته إلى ان اكتشفت حديثا ، وبجواره وجدوا كتبه وادواته ، ثم كراسة بها قصة حياته كاملة ، ولكن الغريب في الامر ان العلماء لم يلاحظوا اية تشوهات على جسده مما وصف فى القصة الشهيرة او الروايات المعروفة ! . ولم يكن بد من تكوين فريق من العلماء المصريين مع العلماء الاجانب وخبراء المصريات لبحث الحالة والتاريخ والرواية ! . وكانت هناك مناقشات طويلة حول معالجة الموقف ، هل يكون داخليا ام خارجيا ، فاتفقوا بعد طول الجدل والتعب والأرهاق إلى ان يحملوا مومياء الملك الأحدب إلى الخارج ، ليعرفوا الحقيقة التى ظلت مجهولة آلاف السنين ! .

مفاجاة غريبة ..

وفى احد الأيام صباحا .. دقت اجراس وكالات الأنباء ، علامة على اهمية الأخبار الواردة وسرعة ارسالها .. ثم ساد الترقب والحذر والفضول ... وانفجرت الحروف تقول ... أصدر العلماء الأطباء وخبراء الميثيولوجيا .. المشتركون في فحص مومياء الرجل المصري القديم الملقب بالاحدب بيانا مدهشا وصحيحا فى نفس الوقت ، قالوا فيه ... إن مومياء الرجل الاحدب الذي حكم مصر يوما واحداً فقط ، خالية من اية تشوهات قديمة او حديثة ، وان كبده وطحاله ورئتيه وقلبه ... كلها كانت سليمة،

حتى ظهره كان مستقيما ، ليس به حدب من اي نوع كان ! . وبايجاز ، وظائف الأعضاء كلها كانت على درجة عالية من الكفاءة الصحية ، بل الممتازة ! .

سؤال بدون جواب ...

وكما بدأ اللغظ قديما ... ساد حديثا ... فقد راح اهل مصر المعاصرة يسالون انفسهم ... إذن لماذا كل هذه الضجة التى آثارها الرجل الاحدب قديما ... وجعلنا نشعر بالذنب نحوه لمدى آلاف السنين ... ونعطف عليه وعلى قصة مرضه الشهيرة ..

ثم قصة وفاته المفاجئة الحزينة .... ولم يستطيعوا أن يحصلوا على إجابة مقنعة وشافية عن سؤالهم .... اللهم إلا همهمات هنا وهناك ... واشاعات مبتورة ... تقول ...

إن الأحدب استغل عواطف الناس منذ طفولته وصباه الباكر إلى أن اعتلى منصة الحكم والسلطة ... وجمع الفلوس ...

وغرر بالطيبين والسذج والبلهاء آلاف السنين .

فاروق منيب» لندن



دوحة القراء

إشــراف
سنان المسـلمـاني

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غــلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة العامــة تتضمن (من ـ اين ـ مـا) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى اكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يــلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجــلة الدوحة ـ ص . ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : ناطحات سحاب على الطراز القديم بمنطقة بجنوب جزيرة العرب على خليج عدن والبحر العربي .. ترى ما اسم المنطقة ؟

● ● ●



الصورة الثانية : أديب عالمي ، ذائع الصيت ، أصبحت كتاباته جزءاً من اللغة الانجليزية ، ولد في « بورتسموث » ببريطانيا عام ١٨١٢ ، وتوفى في الثامنة والخمسين من عمره ومن أهم رواياته : التطلعات الكبرى ، اغنية عيد الميلاد ، وقصة مدينتين .. من هو هذا الأديب الذي كتب في حياته ١٤ عملا أدبياً ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد "١٠١"





الصورة الأولى : عكا

● الفائز : وليد سليمان السلوم ـ سورية

● الفائز : الزكي الطيب ـ المغرب

الصورة الثانية : مهدي الجواهري

● الفائز : أمجد ضيف الله ـ الكويت

● الفائز : مصطفى محمد ـ الأسكندرية

هـل تعـلم ؟



● أن أول من خط بالقلم هو النبي ادريس عليه السلام وهو من خاط الثياب ولبسها وكانوا من قبله يلبسون الجلود .

● أن النحلة تقطع مايزيد عن مليون و ٤٠٠ الف كيلومتر لجمع مايكفي لتكوين كيلو جرام من العسل من رحيق الأزهار بسرعة متوسطة تبلغ ١١ كيلومتر/ساعة .

● أن أضخم مكتبة في العالم هي مكتبة الكونجرس بواشنطن إذ تحتوي الآن على أكثر من ٣٨ مليون كتاب ومخطوطوتبلغ مساحة المكتبة الكلية ١٣ فدانا وتحتوي على أرفف يبلغ طولها حوالي ٤٠٠ كيلومتر .

عماد الياسين ـ سوريا

لقطة الشهر



: لوحة للقارىء خالد الجتال ـ الدوحة
.. وقد فاز بالجائزة مائة ريال قطري

درس ديني

من أقوال عبدالله بن مبارك

●سلطان الزهد أعظم من سلطان الرعية لأن سلطان الرعية لا يجمع الناس إلا بالعصا والزاهد ينفر من الناس فيتبعوه .

● أعلم الناس بالله تعالى أشدهم منه خشية وانما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ

● ان التواضع هو التكبر على الأغنياء

● الصمت ازين بالفتى ، من منطق في غير حينه .

● ان الزيادة في العلم ينبغي أن تتبعها الزيادة في العمل .

● كان عمر (رضي الله عنه) يهاب الله هيبة شديدة فهابه الناس أشد هيبة.

محمد عبد الحميد عبد الله كلداري
الدوحة ـ قطر

من أمثال الشعوب

● لسان المرأة سيفها ولذلك تستعمله دائما حتى لا يصدأ . — مثل صيني

● الحب هو صداقة اشتعلت فيها النار . — مثل هولندي

● لا يقلل من صلابة الرخام كونه لامعا ومصقولا . — مثل أمريكى

●عندماتتكلم النقود يصمت كل شىء . — مثل برتغالى

● الآراء كالمسامير كلما طرقها المرء أكثر كلما ازدادت عمقا . — مثل يابانى

● الحب كالشوربه أوله حاروآخره بارد . — مثل برازيلي

● أفقر الشعوب من لا تملك الأمل . — مثل المانى

بسام عبد الكريم محمد مصر ـ الدقهلية



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

؟؟ ؟؟

مَن ؟	أين ؟	ما ؟
● شاعر عربي ، ولد في عام ١٩١٠ ، ونال بكالوريوس العلوم درس الشعر الانجليزى ، وتولى إدارة دار الكتب في بلاده ، والف مسرحيته الشعرية، «رايات ذي قار» ، وتدرج في المناصب الدبلوماسية حتى وصل إلى درجة سفير في عدة بلاد من بينها الهند والنمسا والبرازيل .. اسمه مكون من عشرة احرف ومقطعين : ٢ ، ٤ ، ٣ ، ٥ سد في اليمن ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ اداة قديمة للكتابة .	● ولد هذا الشاعر في قطر عربي كانت عاصمته هي عاصمة الدولة الأموية ، وتم طرد الرومان منها على ايدي العرب في الاعوام من ٦٣٣ - ٦٣٦ .. اسم القطر مكون من مقطع واحد وخمسة حروف : ٣ ، ٢ ، ٤ بمعنى حكى	● اهم مساجد عاصمة هذا القطر بناه الوليد بن عبد الملك (٧٠٨ - ٧١٤) وجلب له الصناع والفنيين من كافة البـلاد الاسلاميـة. واسم المسجد مكون من مقطع واحد وستة حروف : ٥ ، ٣ ، ٦ بمعنى حاكم

الإجابة الصحيحة

١ - قبائل البجة : رعاة رحل ، يعيشون في شبه عزلة اجتماعية وثقافية ، وهم مسلمون شديدو التمسك بالاسلام ، ويصل تعدادهم الى مليون ونصف مليون ترى في اي الدول يعيشون ؟ : مصر ، السودان ، المغرب ، الصومال .

٢ - كثيراً ما يتردد في الصحف والمجلات اسم البيت الابيض باعتباره مقراً لرئيس الولايات المتحدة الامريكية وباعتباره ايضا اقدم بناء رسمي في واشنطن ، وفي عام ١٨١٤ احرقه الجنود الانجليز خلال غارة قاموا بها على العاصمة فاعيد ترميمه ، وطلي باللون الأبيض ، ومن وقتها سمي بالبيت الأبيض ، ترى في اي عام اسس ؟ : ١٧٢٩ - ١٧٩٢ - ١٥١٤ م .

٣ - عندما انشئت مكتبة جامع الزيتونة في تونس وضع فيها منشئوها اربعين الف مخطوط ، ثم اضيفت اليها مخطوطات نادرة اخرى في العصور التالية ، ولم يبق منها الآن إلا القليل ، ترى من بني جامع الزيتونة ؟ : عمرو بن العاص- الوالي عبدالله ابن الحبحاب - عقبة بن نافع .

٤ - اشهر لوحة للفنان العالمي بيكاسو هي لوحة (الجرونيكا) وقد استوحاها من ماساة إحدى القرى الاسبانية في شمال اسبانيا عام ١٩٣٦ م ، ما هي القوات المعتدية على هذه القرية المسالمة ؟ : القوات الفاشية - الروسية الفرنسية - النازية .

٥ - من هم مؤلفو هذه المسرحيات قمبيز - ماساة الحلاج - الفيل يا ملك الزمان

حل مسابقة العدد ١٠١

من : ابو القاسم الشابى
اين : تونس
ما : التمر

الأجوبة الصحيحة

١ - الاسكندرية
٢ - العبارة صحيحة
٣ - الحـان الخلود وديوان زكى مبارك
٤ - كينيا
٥ - وليم فوكنر
٦ - الحديد
٧ - ١٩٤٢
٨ - فارسية
٩ - لمصرام لربوع الشام تنتسب : هنا العلا وهناك المجد والحسب
١٠ - سيس

أسماء الفائزين في مسابقة

● اصل وصورة : الطربوش - الشعر - الجبهة الرقبة - الذقن - الأذن - الشارب
● لأقوياء الملاحظة فقط : بالونة - غليون عجلة - مهرج - بابيون - فرشاة اسنان - كف
● لوحة لم تتم : الفنان فريد الأطرش
● يخلق من الشبه اربعين : رقم (٥) .
● لعبة الظلال : رقم (١) .
● دوري الكاريكاتير : رقم (٩) .
● هات اجمل تعليق : « ماما » مذيعة بالتليفزيون.. ليه بتسالي ..؟!

أسماء الفائزين

١) خالد محمد محمود محمد - مصر .

أسماء الفائزين

١ ـ فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري :
القارىء يوسف عبدالله الشبعان : البحرين .
٢ فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري :
القارىء دخيل الله مبارك القدان المملكة العربية السعودية .
٣ ـ فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري :
القارئة سمية عبدالغني محمود الأردن

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ منى وحيد مناع ـ الكويت
٢ ـ مرح مروان جميل مراد ـ سوريا .
٣ ـ السراج الحسن محمد ـ المغرب
٤ ـ اعتدال جميل مراد ـ الدوحة
٥ ـ محمد أحمد شقير ـ الكويت
٦ ـ بسملة مقداد أنور ابراهيم العراق
٧ ـ هياء دخيل مفلح ـ السعودية
٨ ـ ناول عبدالهادي ـ الدار البيضاء
٩ ـ أحمد بشار خالد ـ أبو ظبي
١٠ ـ السيد محمد زكي الدين الوحش ـ مصر

استراحة الدوحة العدد ١٠١

٢) مجدي عبد اللطيف الريح ـ السودان .
٣) عبدالله علي الموتان ـ السعودية .
٤) فهمي محمد فهمي عامر ـ مصر .
٥) إيناس عبدالعزيز الكواري ـ قطر .
٦) احدوث مصطفى ـ المغرب .
٧) محمد صالح احمد محمد ـ سلطنة عمان .
٨) سوسن زيارة ـ سوريا .
٩) صالح سليمان صلاح ـ الأردن .
١٠) رمشي بو شعيب ـ المغرب .
١١) الانصاري محمود محمد حارس مصر .
١٢) نعيمة غازي ـ الجزائر .
فازت باشتراك لمدة ستة اشهر .
١٣) سيد فولي سليمان محمد ـ اسوان .
١٤) محمد صالح الغالي سلم ـ السودان .

الأكذوبة الكبرى



الدونية هي شعور الفرد بالنقص أو أنه « دون غيره » أي أقل منه ، وهذا الشعور غالباً ما يصيب الشعوب المهزومة في الحروب أو الشعوب المتخلفة عن ركب الحضارة عموماً

وقد حاولت اسرائيل أن تشوه صورة العرب ، فاتهمتهم بهذه العقدة لمجرد أنها حققت انتصارات عسكرية وقتية في عام ١٩٦٧ ، وجنّدت وسائل اعلامها في كل مكان للتركيز على مفاهيم كاذبة عن اليهود ، تعني في جملتها أنهم شعب فريد ، تتوفر فيه الخصال الحميدة كالذكاء الحاد والشجاعة وسمو الأخلاق .. وان العرب يجمعون نقيض تلك الصفات !

على ان الحقيقة عكس ذلك ، فلقد وصف زعيم اليهود تيودور هيرتزل بني جلدته بأنهم يعبدون المال ومغرقين في البخل والغباء والأنانية وفساد الخلق الذي وصفه بقوله :

«يقف في وجهي جدار صلب هو فساد أخلاق اليهود » .. وها هي الأيام قد أثبتت الحقيقة وتحطمت الغطرسة اليهودية بأيدي العرب في حرب رمضان المجيدة .

جمال جمعة ابراهيم
كلية الحقوق ـ مصر

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسم : ....

العنوان : ....

....

اسم المسابقة : ....

رقم العدد : ....

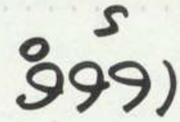
« تحذير »

التدخين يضر بصحتك
وننصحك بالامتناع عنه



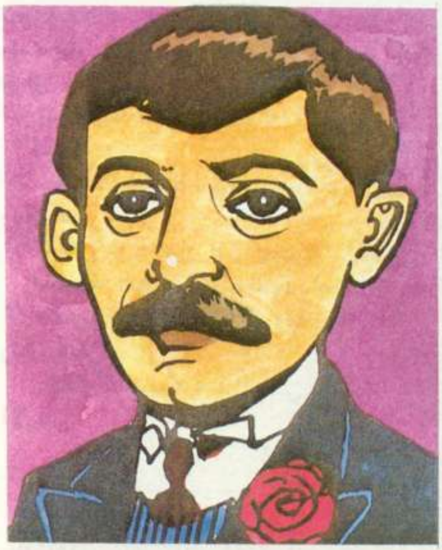
استراحة الدوحة

مجموعة
مسابقات
بالرسوم
بريشة :



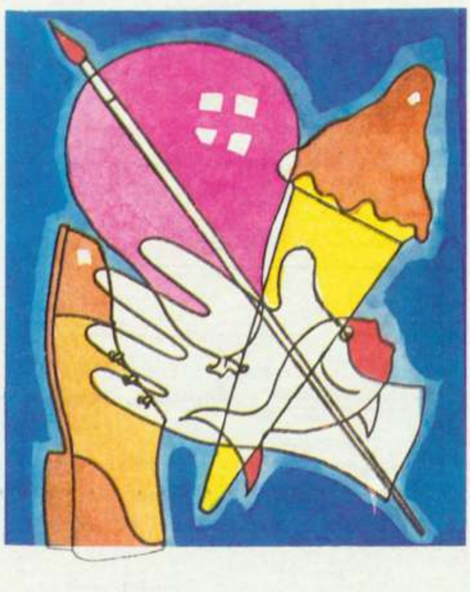
أصل وصورة





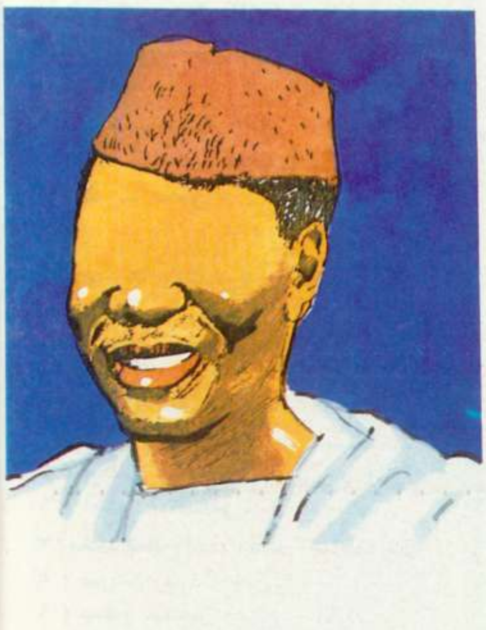
هل تعلم ان قاسم امين تعلم في الازهر ودرس القانون في فرنسا وانه من اصل كردي ؟ .. وعلى كل ، وبعد هذه المعلومة البسيطة ، يمكنك ان تجرب سرعة اكتشافك للاختلافات السبع بين اصل وصورة القاضي والكاتب العربي قاسم امين .

لأقوياء الملاحظة فقط!



امامك رسوم لستة اشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ! حاول لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التي لم تتم ، لزعيم افريقي مسلم راحل كان رئيساً لدولة افريقية صديقة للعرب .. اكمل اللوحة واذكر اسم الزعيم ودولته لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



هل تستطيع ان تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقي .. حاول لأن في انتظارك جائزة .

هات أجمل تعليق :



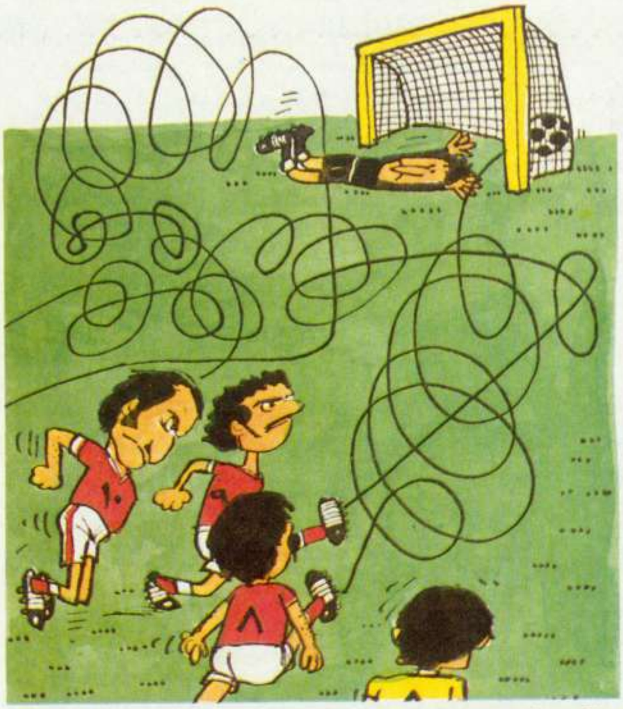
هذا الرسم الكاريكاتيري ينقصه التعليق المناسب ، وفي حالة فوز صاحب التعليق سيكون من حقه الحصول على جائزة .

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عن مثل شعبي معروف ، إذا استطعت التعرف عليه ستحصل على جائزة .

دوري الكاريكاتير



اقتحم احد اللاعبين ارض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفا قويا في مرمى الخصم . هل تستطيع ان تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ؟ .. إذا عرفت الحل ارسله إلينا لتفوز بجائزة .

الورقة الأخيرة



بقلم: عبد الله الجفري

سافر إلى القمر.. وستعود شاباً!

عنوان مثير .. اليس كذلك ؟!

ولكن .. اين هو القمر في نفسية الانسان اليوم .. كيف ينظر اليه ، وما الذي يفعله فيه ؟!

وإذا كان هناك « القمر »الذي ما زال يجد شعراء يناجونه ، وينادونه ، ويبوحون له بمكنونات نفوسهم .. فليس هو ذلك القمر الذي يشدون اليه الرحال ويسافرون اليه ، فالقمر بمعناه موضعه النفس ، اما القمر بمحتواه فلا ينفع .. إنه بحر من الرمال والاتربة الناعمة والبراكين والصخور .. او هكذا افادونا عندما عادوا من سطح القمر !

غير ان العنوان المثير هذا : « سافر الى القمر وستعود شاباً » يبدو غير مريح لكل السخرية التي تتغرغر بها صبح مساء .. حينما نتحدث عن العمر ، والشباب ، والاولاد ، ومسئوليات الحياة ، وتصورت .. لو ان شيخاً مسناً قد قرا العنوان .. ماذا كان سيفعل ، ومثلي يتشدق بشباب العمر ؟!

وابتسمت بفتور قائلا : انه عنوان جرائد !!

وتحركت في مقعدي ، وقلت « بتفاؤل : » على ما تصبح الرحلات الى القمر كما الرحلات الى جزر اليونان مثلا ، او الى غابات تركيا المرتفعة .. يكون الشيب حينذاك قد وخط فودي ، فاصعد الى هناك عجوزاً هرماً ، واعود من هناك شاباً من جديد ، فاحيا مرتين .. في عصرين .. بقصتين !!

تخريف .. أليس كذلك ؟!

لكن العلماء سيصيبوننا بالجنون ، والدليل نجده في هذا الخبر :

— « يؤكد العلماء ان هناك دلائل علمية تثبت ان رحلات الفضاء تعيد للانسان شبابه ، ولدى العلماء ما يثبت ان رجال الفضاء الذين قاموا برحلاتهم المعروفة قبل سنوات الى سطح القمر .. عادوا من رحلاتهم اصغر سناً من اقرانهم الذين لم يقوموا بهذه الرحلات » !!

معقول هذا ؟!

لقد راينا صور اولئك الرواد ، وكادت سحناتهم فيما يلوح قد تقدمت الى الشيخوخة .. بل ان احدهم قد مات .. فما هو الصحيح ؟!

ان الخبر لم يكتمل بعد .. فاضافوا يقولون :

— إن الناس لن تصدق (رجال الفضاء في رحلة ابوللو ١٥ : ديفيد سكوت — ٣٩ سنة — والفريد وردن — ٣٩ سنة — وجيمس اردن — ٤١ سنة — يعتبرون اصغر سنا من اي شخص اخر في العالم في مثل سنهم ، ذلك لان نسبة الفرق في الوقت الحالي ضئيلة جداً ولكن العلماء يؤكدون — ايضا — ان الموقف سيختلف في المستقبل .. عندما يقوم رجال الفضاء بزيارة النجوم في رحلات تستغرق وقتاً طويلا .. اذ سيعودون وهم اصغر سناً من ابنائهم » !

وهذا يعني — إن صدقوا — ان كثيراً من المفاهيم ستتبدل ، وكثيراً من سلوك الناس ستحل عليه اتجاهات وافتراضات ومفاجآت ايضا ، وان هذا المخلوق الآدمي المغرور — رغم السكتة القلبية وحوادث السيارات والأمراض المستعصية — والمليء بالطموح وبالأماني .. سيكون اكثر غروراً وعنجهية وامتلاء بالدنيا .. خاصة اذا كان الرواد من امريكا ، او من الاتحاد السوفيتي ، وفيما يلوح .. انهم لن يكونوا إلا من هناك !!

وستضاف ايضا الى هذا التوقع « حسبة » .. او نظرية رياضية تتلخص في هذا المثال :

— يروي ان العالم ريتشارد كيننغ اصطحب ساعة ذرية من طائرة جامبو ، وحدث في الساعة تاخير بعد الرحلة يوازي واحد على مليون من الثانية ، وظهر ان العالم كيننغ قد اصبح اصغر سنا بنفس هذه النسبة . وهذا ينطبق على النظرية التي اعلنها اينشتاين عام ١٩٠٥ وقال فيها : انه كلما زادت سرعة القطار .. نقص الوقت لراكب هذا القطار !!

واذن .. فالعلماء يريدون ان يجعلوا الحياة — بالرحلات الفضائية اكثر سرعة لقطع الوقت ، او لكسبه بمزيد من العمر والحياة ، فكلما اسرعت في اي شيء جعلت من نتائجه مكسباً لحياتك ولعمرك !

بمعنى : ان الرحلات الفضائية — من مراميها الصغيرة — ان تقول لك نفس الحكمة القديمة : الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك ، وهذا هو كل ما في الأمر .. امر العلم ، وامر المصالح والرغائب ، ولذلك .. فليس بمستغرب ان تزداد حوادث الموت بالسيارات بسبب السرعة الجنونية لاختصار الوقت ، ولكنهم سيموتون ولن يصعدوا الى القمر ، اما الذين سيصعدون الى القمر ، فبعد عمر طويل .. ربما بعد جيلين !

يا امان الخائفين !!

●●

● حصيلة الشهر :

● اردتك ان تسمعي الصدى في النظرة !

ان امنحك اجل واصدق عطاء لن يمنح لانسانة غيرك !

ان اودعك تحدقين في عيني .. لترى وجهك النقي باسماً يدعو الى بهاء الحياة !

انني متعب جداً .. فهل تحكمين ان ارتاح بالتخيل ؟!


شاني
ماركة تجارية
SPARKLING
shani
TRADEMARK
FRUIT FLAVOUR DRINK
NET CONTENTS 296ml


ميرندا
ماركة مسجلة
MIRINDA
TRADEMARK REG'D.
ORANGE



فرحة العيد

العدد ١٠٤ - ذو القعدة ١٤٠٤هـ - أغسطس/آب ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

• نساء الفرنجة في الأدب الشعبي العربي

• قصة الكولسترول.. أو "عفريت الدم"

• تفاصيل الليلة الأخيرة في حياة صلاح عبد الصبور




TEEM

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان :**
دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .

● **مصر :**
مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة .

● **سوريا :**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .

● **العراق :**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة .
ص . ب ٦٢٤ - بغداد .

● **ليبيا :**
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازي - ص . ب ٣٢١ - بنغازي .

● **الأردن :**
وكالة التوزيع الاردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .

● **البحرين :**
مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .

● **السعودية :**
مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان - ص . ب ١٤٠٥ - الرياض .

مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة .

● **الكويت :**
شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ - الصحافة الكويت .

● **لبنان :**
الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .

● **الجمهورية العربية اليمنية :**
الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى - عدن .

● **الامارات العربية المتحدة :**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد
ابو ظبي ص . ب ٧٩١

● **سلطنة عمان :**
المؤسسة العربية للتوزيع والنشر - ص . ب ١٠١١ مطرح مسقط .

● **تونس :**
الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .

● **المغرب :**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر :**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
٢٠ نهج الحرية - الجزائر .
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١٠٤ - ذو القعدة ١٤٠٤هـ - أغسطس/آب ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي :
المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

البلد	السعر
قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هــــذا العــــدد



محمد الغزالى : ميراث الأرض لمن ؟ ص ٦



د عبد السلام العجيلي: مفارقات في عصرنا ص ١٠

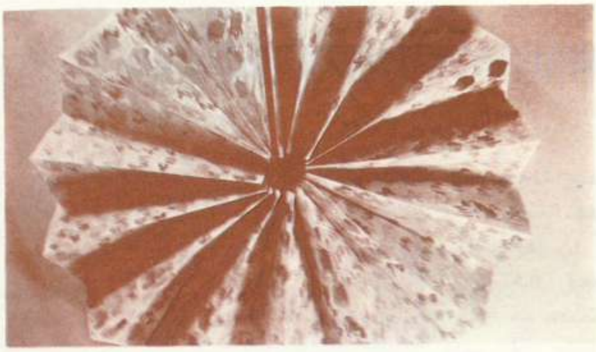


د . على الراعى : حسد برنارد شو وليم شكسبيرص ٢٠

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●



لوحة الغلاف « الله في كل مكان » . الكتابة الطفولية ص ٥٢

● أبـواب ●

الدوحة

مجـلة شـهرية
ثـقافيـة جامعـة
تصـدر عن وزارة الإعـلام
بـدولـة قطـر

ميراث الأرض لمن..؟

الأنفع للناس هو العدل سياسياً كان أو اجتماعياً ، والشورى ولو بين أفراد الأسرة الواحدة ، والنظام الشامل لا الفوضى السائدة والحرية التي تكتمل في جوها العقول وتنضج الملكات ، والتعارف لا التناكر ، والتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، وإتاحة الفرص للفطر السليمة والمواهب الرفيعة أن تنفح وتبدع .

بقلم : محمد الغزالي

جاء في القران الكريم هذا الحكم الحاسم ! «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين » ما معنى وراثة الأرض ؟ ومن هم العباد الصالحون ؟

من تتبع الآيات المشابهة في القرآن الكريم نجد أن هناك معنيين لوراثة الارض :

الأول - وهو الشائع بين العابدين - يتصل بالدار الآخرة ، اي أن العراك الرهيب في هذه الدنيا ، والميدان الملىء بالانتصارات والانكسارات والصاعدين والهابطين والمكثرين والمقلين والظالمين والمظلومين سينتهي حتماً لمصلحة الأخيار من الناس فهم الذين يضعون ايديهم على مصيرها ، وتقر اعينهم بما أسلفوا فيها !

وفي هذا يقول الله تبارك اسمه ، واصفاً ما يدور على السنة المؤمنين بعد هذه النهاية « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده ، واورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » .

الرواية إذن ليست هزلية كما يقول احد الكتاب الأوربيين لجلسائه وهو يحتضر ، ويرسل آخر انفاسه في هذه الدنيا : أسدلوا الستارة فقد انتهت المهزلة !

إن الستار يسدل على فصل ليزاح عن فصل آخر اخطر وابقى ! وقصة الحياة ليست تمثيلية مضحكة أو مبكية ! «افحسبتم انما خلقناكم عبثاً وانكم إلينا لا ترجعون ؟ فتعالى الله الملك الحق ..!» الامر جد لا هزل ، والظالم الضاحك هنا سوف يبكي طويلا ! ، والمضطهد المرمي وراء الأسوار سوف يتقدم كثيراً ، والمستقبل البعيد للخير لا للشر ..

وهناك معنى آخر لوراثة الارض نريد ان نتريث عنده طويلا .. نجده في قوله سبحانه عن بني اسرائيل في صراعهم مع الفراعنة ، وبعد محنتهم باستئصال الذكور واستبقاء النساء « واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها ، وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه ..»

وظاهر ان هذا الصراع بين الحق والباطل طال أمده ، لقد بقي عشرات السنين التي لاقى المستضعفون خلالها عنتاً هائلا ، وتحملوا تضحيات ثقيلة ، ولكنهم صبروا ! وكان هذا الصبر كان النار التي اشعلت في كيانهم لينضجوا ويصلحوا لميراث الأرض !

ومع أن عقيدة التوحيد اجدر بالنصر من اول يوم عندما تشتبك بالاستبداد الفردي وادعاء بشر للألوهية ، إلا ان حملة العقيدة لا يكتب لهم الفوز حتى يبلغوا مستوى معيناً من الكمال الشخصي والرقي الاجتماعي والقدرة على إسداء الخير العام.

تلك هي حقيقة الصلاح التي ينبغي ان يعرفها العابدون !

قد تسأل : من اين اتت هذه الشروط التي ذكرتها ؟ والجواب : من وصف الله للحق وأهله والباطل واهله في آيات اخرى

تفسر المجمل هنا ، والقرآن يفسر بعضه بعضاً ..

إن القرآن الكريم يجعل الخاصة الأولى للحق أنه ينفع الناس مادياً وأدبياً ، وتسعد به الجماهير في عاجل أمرها وآجله ! قد يعلو الباطل ولا قيمة لعلوه فالغثاء الرخيص قد يكسو سطح الماء ، والجيف الميتة قد تطفو فوق التيار ، ولا قيمة لهذا ولا لذاك ، تدبرقوله تعالى «انزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها ، فاحتمل السيل زبداً رابياً ، ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله ، كذلك يضرب الله الحق والباطل ، فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض».

والأنفع للناس هو العدل سياسياً كان أو اجتماعياً ، والشورى ولو بين أفراد الأسرة الواحدة ، والنظام الشامل لا الفوضى السائدة ، والحرية التي تكتمل في جوها العقول وتنضج الملكات ، وتمحص الآراء ، والتعارف لا التناكر ، والتعاون على البر والتقوى لا على الاثم والعدوان ، وإتاحة الفرص للفطر السليمة والمواهب الرفيعة أن تنفح وتبدع ...

●●

إن حملة العقائد الجديرين بالنصر ليسوا قطاع طريق ورجال عصابات ، إنهم طلائع المعرفة واشعة اليقين واصحاب الأخلاق الزاكية والانفاس الطاهرة ، انهم - بايجاز - صانعو النهضات الحقيقية ، وأخلاف النبيين التقاة وقادة الفكر الواعي والسلوك المجدي .

هؤلاء هم الصالحون الجديرون بالسيادة فى الدنيا .

إن الله لم ينصر العرب قديماً لأنه حابى جنساً على جنس ! ولكن لان عدل عمر انفع للانسانية من جبروت كسرى ، وضوابط الوحي عند الصحابة الأولين افضل للناس من تحريف أهل الكتاب .

والصدق اثقل في الميزان من الكذب ، عندما يكون الصدق سمة جيل يتحرك به ويموت في سبيله لا عندما يكون خطباً رنانة وصحائف مزوقة ..!!

إن انتصار العرب على الفرس والرومان يعني انتصار حضارة متفوقة على حضارات تعفنت ووجب دفنها ! لا محاباة هناك ، انما هو اطراد السنن الكونية التي وضعها الله للمجتمع البشرى قديماً وحديثاً .. وطبقت بصرامة على الانبياء والصديقين كما طبقت على العتاة المفسدين « قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ».

ونسال مرة أخرى : ما هو الصلاح الذي تعنيه الآية « .. ان الارض يرثها عبادي الصالحون» هل هو قدرة على الصلاة والصيام وعجز عن الجهاد وعن صنع آلاته التي يحيا الايمان في ظلها ؟ هل هو رغبة في الطعام وعجز عن احياء الموات وتكثير النبات ؟

لننظر هذه المرة إلى العبد الصالح الذي انزل عليه الزبور كما انزل الذكر على نبينا ، لننظر الى داود ولنر عناصر صلاحيته ! يقول الله في داود « ولقد آتينا داود منا فضلا يا جبال أوبى معه والطير .. » كان الرجل العابد يتغنى بأمجاد الله ويسبح بحمده ، وكانت العاطفة الحادة تشيع في غنائه فيهبط لها الطير ، وتتردد اصداؤها في الجبال .

فهل اكتفى بهذه الروحانية ؟ كلا ! لقد ضم إليها مهارة صناعية عظيمة ووجهه الوحي إلى إجادة الصناعة التي لانت له ، واحكام نسج الدروع التي كانت قديماً من أدوات القتال ..

فماذا بعد الغناء بعظمة إلله ، وصنع الاسلحة للدفاع عن دينه ؟

وصفه القرآن بانه كان صاحب توبة ، وصاحب دولة ، وأرشده إلى أن يحكم بين الناس بالحق ، والا يتبع الهوى ! كما بشره بحسن المآب لسرعة استغفاره ، وحسن سجوده ! .. عناصر الصلاح هنا تجمع اكتمالا نفسياً وصناعياً وسياسياً اي عناصر حضارة مؤمنة لا يجوز أن تنساها الأمم ، ذكرت في الزبور الذي استمع له بنو اسرائيل قديماً كما ذكرت في القرآن الكريم الذي نهض به العرب وسادوا ..

والمعروف من بدء الخليقة أن الانسان أوتي علماً عجزت عن مثله الملائكة ، وان هذه النشاة العلمية هي المهاد الأول لحركته الذكية في البر والبحر - والجو - وكل ما كلف الانسان به - بعد هذا التمكين - أن يعرف : من سَوَّاه ؟ ومن فَضَّلَه ؟ من صاحب هذا الكون الكبير ؟ ما حقوقه ؟

فلا يجوز له بعد هذه المقدمات البينة أن يزعم للكون ربا آخر يتوجه بعمله اليه ، ولا يجوز له أن يحيا متمرداً على المنهج الذي خطه له ! وانها لخسة محقورة أن يجحد المرء اصل وجوده وولي نعمته ، وان يعيش وفق منهج آخر يخطه هو لنفسه أو يخطه شيء آخر له ! هذا هو الشرك المرفوض «قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون ؟ ولقد أوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين » .

والمطلوب من الانسان الا يدع عقله مطية لهواه ، والا يجعل خصائصه الأدبية الرفيعة طيعة لغرائزه الدنيا ، ولأثرته الخاصة ، فانه إن فعل ذلك أهلك نفسه ومن معه على سواء ..

فالانسان الصالح ليس صاحب العقل الكبير فقط ، بل ينبغي ان يكون كذلك صاحب قلب سليم وضمير يقظان وقدرة على كبح نفسه وامتلاك رغبته ..

ولباب الدين هذه الحقائق وما يضبطها وينميها من عبادات ..

بيد أن هناك ناساً مرضوا كما تمرض النباتات والحيوانات ، ونسوا كلا أو جزءاً مما ذكرنا ! وليتهم لما مرضوا نشدوا العافية كي يحيوا أصحاء ،كلا ، لقد حسبوا امراضهم هي الاصل ، أو هي طبائع الأشياء ، وأرادوا فرض ذلك على الدين والدنيا ..!!

الأرض ذلول للانسان منذ نشاته الأولى

ميراث الأرض لمن..؟

فاذا البعض يعجز عن امتطاء هذه الوسيلة الذلول لانه كسيح معلول ، فاذا هو يريد جعل كساحه الفكري فلسفة تعتنق او دينا يتبع ! واذا هو يستحلي الجهل بالدنيا وتجهيل غيره فيها ! ومن ثم امست الغربة على المادة وقوانينها واسرارها شريعة الامم المتخلفة ، والظاهرة المنتشرة فيما يسمى اليوم العالم الثالث !!

من قال : إن هذا الجهل صلاح ؟ وانه طبيعة الدين ؟ اي دين ؟ الدين الذي يقول لاتباعه : «ولقد مكناكم في الأرض وجعلنا لكم فيها معايش ...» ؟ الدين الذي يقول لاتباعه « .. وانزلنا الحديد فيه باس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب » ؟ إن اولئك المتخلفين عقلياً وحضارياً فقدوا اهم معالم الصلاح ! وهم اعجز ان يقيموا مجتمعاً تقياً ، او يقاوموا مجتمعاً كفوراً ...!

والمتخلفون عقلياً وحضارياً يستحيل ان يصنعوا صحوة اسلامية لان الصلاح في الاسلام ليس خيمة من الغيبيات يهرع اليها العجزة ! إنه اقتدار في عالم الشهادة يتمكن المرء به أن يحمي ايمانه المعقول بكل الوسائل الممكنة في الأرض والسماء . !

●●

قال لي شاب طبيب ينشد المعرفة ، وقد بوغت بما اقرر : هل الأوضاع في الحضارة الحديثة اتقى لله واجدر بالبقاء من الأوضاع بيننا معشر المؤمنين المتخلفين ؟

قلت له : ما احسن هذا السؤال ، وأريد ان اجيب عنه بتؤدة حتى نعرف مالنا وما علينا ...

إن الحضارة الحديثة بشقيها الغربي والشرقي احرزت تقدماً هائلا خدمت به اغراضها الرديئة ! ولكي نكون احق منها بالقيادة والسيادة يجب علينا ان نحرز تقدماً علمياً مثل او أوسع من تقدمها ، ولا يكفي هذا ! بل يجب أن نضم الى هذا التقدم العلمي تقدماً خلقياً يجعل تفوقنا الحضاري في خدمة مبادئنا ومثلنا العليا ..

تقول : كيف ؟ فلاشرح ما اعني .. إن الأوربيين اثاروا الأرض وعمروها اكثر مما أثرناها نحن وعمرناها ، وقدروا على استخراج معادنها الجامدة والسائلة على حين عجزنا نحن كل العجز !

افلا يزين لهم هذا السبق انهم اولى بالأرض منا ؟ وان مبادئهم احق بالبقاء من مبادئنا ؟ وان أرباح هذا السبق حل لهم وحرام علينا ؟

فاذا حدث – بعد زمان طويل او قصير – ان تلاشى ذلك التفوق بقي امر اخر ذو بال ! اين تفوقنا الاداري في ميدان الحكم والمال ؟ إن الحقب الأخيرة في دولة الخلافة الغاربة لا تشرف الاسلام في ذلك المجال ! إن الشورى وحقوق الانسان وكرامة الجمهور وحصانة المال العام سمات بارزة في الدولة العصرية ! فهل هي سمات بارزة في تصورنا نحن لفن السياسة ؟

إن السلطان سليم الاول وجه جيشه – بغباء فذ – لاحتلال مصر ، والقضاء على دورها الرئيسي فى الصف الاسلامي فهل هذا المسلك نموذج للتصرف الراشد ؟ وهل احتج عليه احد ؟

المؤسف ان عدداً من المتحدثين في الاسلام لا يدري عن الادارة الاسلامية رأساً من ذنب ، ولا يعي الضوابط الدقيقة لحماية الدماء والآراء والأفراد والجماعات ! فهل نصف هذه الجهالة بانها صلاح يرث اصحابه أرض الله ، ويطبقون فيها شرائع الله ؟؟

كلمة الصلاح تعني الصحة النفسية والفكرية والاجتماعية ، وابعد الناس عنها هم المعلولون فى تلك النواحي جميعاً ، واني أعجب من عجز إنسان عن حماية المسجد وهو يعلم ان هناك خصوماً يتربصون به ، ويريدون تخريبه مصداق قوله تعالى : «ومن اظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها أسمه وسعى في خرابها» ما سر عجزه ؟ انه لا يستطيع صنع الأسلحة التي يدفعبها عنه ! وها هم أولاء إخواننا في افغانستان يعانون الأمرين في الذود عن بلادهم ومساجدهم وعقائدهم ، لأن الجبهات التي تبيع السلاح لا تمدهم بما يغني !!

هل التخلف الكيماوي والهندسي والفيزيائى من معالم التقوى ؟

إذا نبه الله عباده إلى ان الأرض يرثها عباده الصالحون ، فمعنى ذلك الصلاح أوسع من ركعات تؤدى أو أيام تصام ، انه علم رحب الآفاق بكل شيء في مقدور البشر وعدل ممدود الرواق لا يشقى معه ضعيف ! ولا يزيد فيه نصيب مؤيد على نصيب معارض ! ونظافة تنتظم الوجوه والثياب والبيوت والشوارع والقرى والمدن ، وأمان ضد الجوع والقلق وطوارق اليوم والغد ، وكفالة لحرية العقل والضمير تنمو فيها المواهب وتنضج الملكات وتكتمل الشخصية وتصان المرافق العامة والخاصة ...

قال لي الشاب الطبيب : انك اسهبت في وصف الأوضاع الرديئة التي طرات على المسلمين في هذا العصر ، بيد ان هذه الأوضاع مهما ساءت لا تحرمهم حق القيادة لانهم حملة رسالة الحق ، ولا تجعل أعداءهم أولى بالله منهم ! ولا تنس ان حضارة الغرب مدمرة لا معمرة ، وانها توجه ذكاءها إلى إشقاء البشر ، ولابد أن يلحقها عقاب القدر .

واستتلى يقول : هل تعلم ان انتاج قنبلة زنة عشرين كيلو يساوي شراء ثلاثين طناً من الفحم الكافي لتدفئة ٢٣ أسرة طوال فصل الشتاء ؟ وانه يمكن بثمن مدمرة واحدة بناء مستشفى حديث يتسع لمائة مريض ؟ وبثمن دبابة واحدة يمكن صنع ٤٨ جراراً زراعياً تنشيء الحياة لا الهلاك ؟ وبثمن طائرة مقاتلة يمكن انشاء ١٥ مدرسة تتكون كل مدرسة من ستة فصول ؟ وان بعض قاذفات القنابل يبلغ ثمن الواحدة منها ٥٠ الف طن من القمح ...الخ

قلت للشاب الطبيب : إن ما تذكر لا يواري سوأة التخلف الذي تعيش فيه أمم العالم الثالث ، ولا يشفع للمسلمين أمام

الله عندما يحاسبهم على قصورهم الحضاري وتقهقرهم الصناعي ..

لقد انهزم المسلمون في احد لانهم لم يستجمعوا المقدمات التي تنتج النصر ! ولم يكن المشركون اولى بالله منهم ! إن الله وضع للنصر اسباباً كثيرة واوجب على عباده كلهم رعايتها ، فمن ابى فلا يلومن إلا نفسه !

وهل تلاشى الوجـــود الاسلامي في الاندلس وفي غيره إلا لهذا الغرور الذي زين للمسلمين الاسترخاء الفكري والكسل العقلي ، واطمعهم - مع ذلك - في النصر ؟ كيف وهم يقرءون في كتابهم « إن الله لا يصلح عمل المفسدين ! ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون »؟؟

أما الاحصاءات التي ذكرتها عن تكاليف أدوات الدمار فهو شيء مخز حقا ، ولكنه يمسنا قبل ان يمس غيرنا !

قال : كيف ؟ قلت : إن القوم لم يدعوا شبر ارض عندهم إلا زرعوه ، ولا مدارس أو مستشفيات تحتاج اليها شعوبهم إلا بنوها وتكليفهم ان يصنعوا مثل ذلك في ارجاء العالم الثالث موضع نظر ، ان اثرتهم عمياء واستعلاءهم خبيث ، وسيقولون : لماذا نخدم قوماً لا يخدمون انفسهم ؟ قوماً ينفقون على شهواتهم اضعاف ما ينفقون على وسائل الرقي والازدهار ؟

والواقع ان مصيبة العالم الثالث في ملكاته واخلاقه افدح من مصيبته في ثرواته وارزاقه ...

والعرب اليوم يشتبكون في حرب مع المغيرين على الأرض المقدسة ، ترى كيف نصف الأوضاع العامة داخل الارض المحتلة ، وكيف يطرد العرب اسرة اسرة من مدنهم وقراهم ؟ إننـــا نلحـظ بين اليهـود ما يلي:

١ - اليهودية سلاح فعال في الهجوم ! ومواريث التوراة والعهد القديم كله والتلمود وكل الاساطير الشائعة بين القوم تستخدم لالهـاب الحماس بين العامة والخاصة .

ب - الأنوثـــة قسيمـــة للذكـــورة في بنـاء الدولـة والمجتمع ، والمراة هي التي تحدد جنسية اليهودي اذا اختلف دين الزوجين ، وهناك فرق نسائية جيدة التدريب على الحرب (!) والسلم ورئيسة الوزراء « جولدامائير » هي التي كشفت قماءة بعض الزعماء العرب وانزلت بهم انكى الهزائم ..

جـ - وجهت تهمة السرقة إلى وزير الاديان «هارون ابو حصيرة» وعوقب بالسجن (!) واعفي كذلك رئيس الوزراء « اسحاق رابين» من منصبه لمخالفات مالية لا تشين ذمته ، نسبت إلى امراته !

د - في تحقيق رات الادارة اليهوديـــة إجراءه لتحديد الدور اليهودي في مذبحة بيروت « صبرا وشاتيلا» امر القاضي «كاهان» باخراج الوزير شارون من الوزارة ، ونفذ الحكم ، وإن اعاده « بيجن » إلى الحكومة بلا وزارة يشغلها ...

هـ - راى «بيجن» ان يترك العمل الحكومي بعدما حقق لقومه اطماعاً رهيبة ، فخرج دون إحراج أو إزراء وقعد في بيته محفوظ المكانة بين بني جنسه ... الخ

واليهـود يصنعـون أنواع الســلاح ويبيعون ما يفيض عن حاجتهم ، ويرى المراقبون انهم اتموا صنع القنبلة الذرية وسواء صح هذا أم لم يصح فهم متقدمون صناعياً إلى حد بعيد أو إلى حد مخوف .

ولا أريد أن ابحث المقابل لهذه الأوصاف بين العرب ! وانما اذكر باستغراب ان العرب في فلسطين او في الجامعـــة يستبعدون الاسلام سلاحاً ، ولو كان دفاعياً مع انهم يترنحون تحت وطاة العقيدة المهاجمة !!

قلت وأنا غاضب : اذا لم يكن هذا ارتداداً عن الاسلام فهو خيانة للأوطان ! فقال لي أحد الناس إن بعض المتدينين هم السبب في هذه الطامة ! المستمع الى اقوالهم والناظر في احوالهم يرى العجب ، لا شيء هنالك اهم من الجلباب القصير واللحية الطويلة . والنقاب السميك ، والترويج لبعض النظرات في فروع الفقه وجعل بعض العادات المحلية دينا عالمياً ... أما التفوق العلمي والصناعي فشيء لا لا يعنيهم ! وكذلك اعتناق فهم ناضج في سياسة الحكم والمال ، لكانهم يؤثرون الاستبداد على الشورى ، والراسمالية على العدالة الاجتماعية و ..

قلت له : صه ! دعك من هذا المجون ، ان الاشخاص الذين تعنيهم ما كان لهم وجود حقيقي يوم كان الدعاة الراشدون يتكلمون ويوجهون ، إن أولئك القاصرين دفعتهم الى الأمام قوى محلية وعالمية تكيد للاسلام وتؤخر صحوته وتود له العنت والبوار ...

●●

وعدت الى نفسي كي استعرض الامور كلها ، إنني خائف مع انهزام الفقه أن يتقدم الاغبياء وينفردوا بالقيادة ، وتلك هي الفرصة المتاحة للاستعمار الثقافي كي يجهز على ديننا ويقضي على مستقبله ..

وتذكرت رسالة جاءتني من احد طلابي الذين يستزيدون من المعرفة في الولايات المتحدة يقول فيها « ... كنت في مكتبة عامة لجامعة (...) فاذا طالب عربي يلبس جلباباً أقرب الى أن يكون قميصاً ، وفي فمه سواك يديره احياناً ويثبته احياناً ، ووددت لو كانت لحيته مهذبة ! لقد كان منظره العام رسماً كاريكاتيريا للاسلام يثير السخرية ...»

ان هذه المناظر المؤذية كثيرة ، وما أرتاب في ان وراءها أصابع خفية تعمل ضد الاسلام !

لقد آن الأوان ليعلم المسلمون معنى قوله تعالى : « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الأرض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين » .

محمد الغزالي

مفارقات في عصرنا

مئات الملايين ومليارات الدولارات ينفقها البشر في انجازات علمية تبدو في ظاهرها رائعة

يحق للبشرية أن تفخر بها، بينما يكمن في باطنها الشر المستطير لهذه البشرية نفسها ...

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

السيد ليوندبرغ مواطن سويدي اجريت له منذ عدة شهور في بريطانيا عملية جراحية جريئة وخطيرة، هي الأولى من نوعها في ذلك البلد، الا وهي زرع قلب ورئة من احد المعطين في صدر السيد ليوندبرغ مكان قلبه ورئته التالفين.

وقد اجريت هذه العملية للسيد ليوندبرغ السويدي في بريطانيا لا عن ضعف في كفاءة جراحي السويد بلده الشخصي، بل لأن قانون بلده ذاك يقف امام بعض جراحات نقل الاعضاء. فالقانون السويدي لا يعترف بما يسمى بالموت الدماغي، وهو المرحلة التي تعتبر فيها القوانين الاخرى الانسان ميتاً عندما ينعدم نشاط دماغه انعداماً تاماً لا رجعة فيه، ولو ظلت بقية اعضائه، ومنها القلب تعمل عملها الصحيح. ولذلك فان القانون في السويد لا يقبل بانتزاع قلب اذا ماتت جملته العصبية المركزية، بمعنى ان دماغه فقد كل اثر للحياة، كي ينقل هذا القلب الى انسان اخر ولو كان في هذا النقل حياة الانسان الاخير الذي تلف قلبه بينما ظلت سائر اعضاء جسمه سليمة.

وعلى هذا اجريت تلك الجراحة الخطيرة لذلك المواطن السويدي في بريطانيا، برضى الحكومة السويدية نفسها بل بتبنيها لها. فقد تولت هي، اعني الحكومة السويدية، دفع تكاليف العملية كما تولت بلدية مدينة السيد ليوندبرغ دفع نفقات اقامة مواطنها في المستشفى. وبلغت تلك التكاليف والنفقات مبلغاً لا يستهان به: خمسة وثلاثين الف جنيه استرليني، من جنيهات صاحبة الجلالة ملكة بريطانيا العظمى!

هل يبدو هذا المبلغ كبيراً لانجاز تلك العملية الفذة التي ابقت شعلة الحياة متقدة في صدر السيد ليوندبرغ واطالت عمره؟ انه كبير حقا، إلا انه يهون امام ما تكلفه عمليات اخرى لنقل الأعضاء اجريت في الولايات المتحدة الأمريكية، مثل عملية زرع كبد استبدلت فيها بكبد معطوبة كبد صحيحة، ماخوذة من مدهوس بسيارة او من ضحية حادث مات فيه صاحبها موتا دماغيا بينما ظلت بقية اعضاء جسمه سليمة. عملية زرع الكبد هذه كلفت بالدولارات ما يعادل مائة وثلاثين الف جنيه استرليني! ترى ماذا يكون رد فعل ذلك العاشق القديم حين ياتيه الجواب بهذا الرقم من آلاف **الجنيهات على السؤال الذي طرحه ذات يوم في بيت شعره المشهور:**

> ولي كبد مقروحة من يبيعني
> بها كبداً ليست بذات قروح؟ ...

●●

اذن فان مبلغ خمسة وثلاثين الف جنيه استرليني مبلغ معقول لعملية زرع قلب ورئة جديدين للسيد ليوندبرغ السويدي، تلك العملية التي نجحت من الناحية الفنية والعملية نجاحاً كاملا ولكنها، وياللأسف، لم تفلح في اطالة عمره أكثر من اسبوعين اسلم بعدهما الروح لخالقه. وكذلك فان مئات الآلاف من الدولارات تنفق على تبديل كبد لواحد من رعايا الولايات المتحدة الأمريكية قد تبدو مقبولة في انفاقها لتحقيق ما انجزه العلم من تقدم ولانقاذ حياة انسان، ولو كان هذا الانسان قد اتلف كبده في شرب الكحول وكان الانقاذ لمدة لا تتجاوز اسابيع محدودة.

اقول ان هذه المبالغ وتلك تبدو معقولة ومقبولة، بل ان إنفاقها في ما انفقت فيه يثير في نفسنا الاعجاب بما حققه العلم في عصرنا من انجازات، لولا اننا نقرأ في المجلة التي تحدثت عن هذه الامور ما يدعونا الى اعادة النظر في تقديرنا وفي اعجابنا. ففي الوقت الذي تشيد فيه تلك المجلة بعملية زرع القلب والرئة الناجحة، الناجحة لمدة اسبوعين فقط، في صدر السيد ليوندبرغ، نجدها تشير الى ان عشرات الآلاف من اطفال العالم الثالث مهددون بالموت من نقص السوائل وقلة الاماهة في ابدانهم، وان هذا التهديد يمكن رفعه عن حياة عشرات الآلاف بتزويدهم بظروف اعادة الاماهة. هذه الظروف تحوي مركبات ملحية بسيطة، ولا تكلف كثيراً. فنفقات زرع كبد في جنب احد الأمريكيين من الكحوليين، او نفقات عملية مثل التي اجريت للسيد ليوندبرغ، تكفي لشراء كميات هائلة من ظروف الاماهة القادرة على انقاذ حياة مئات الآلاف من الأطفال الذين فقدوا سوائل ابدانهم بالانتانات والاسهالات ...

لابد لهذه المقارنة، بين ما انفق لانقاذ حياة فرد واحد وبين ما يمتنع عن انفاقه لانقاذ حيوات عشرات الألوف، من ان تمحو

من نفوسنا اعجاباً خالجها في البدء بمقدرة الجراحين في عصرنا هذا على تبديل عضو بعضو في الجسد البشري ، وبتقدم العلم الذي سمح بنقل قلب ورئة في صدر ميت فعلا ليبعث بهذا النقل الحياة في صدر آخر مشرف صاحبه على الموت . فاي فخر للبشرية في ان تنفق الثروات وتبذل الجهود لتمد أسابيع في حياة انسان واحد مقيم في زاوية معينة من عالمنا ، بينما يحجب الجزء اليسير من تلك الثروات والجهود عن آلاف الانفس البشرية المشرفة على الموت في زوايا اخرى من نفس العالم ،

وهي الزوايا التي يسمونها العالم الثالث ؟ واى معنى للتقدم العلمي والروح الانسانية اذا كانت حصيلتهما أن يفرق بين حياة بشرية وحياة بشرية اخرى وان تغمض الأعين عن مآسي الملايين لتختص بالرعاية العشرات او الأفراد ؟ !

●●

إنها لمقارنة مؤسية ، وانه لتفريق صارخ وجارح ذاك الذي يتبدى لنا فيما ذكرناه آنفاً ويبدو لنا هذا التفريق أمضَّ وقعاً في القضية التي شغلت في الشهور المنصرمة مختلف الأوساط الطبية والقضائية فى الولايات المتحدة الامريكية والتي سميت بقضية العامل البرتقالي . لقد انتهت هذه القضية باتفاق حبي تعهدت فيه سبع شركات كيمائية أمريكية بان تدفع مائة وثمانين مليوناً من الدولارات كتعويض الى المتضررين بالعامل البرتقالي هذا .

والعامل البرتقالي هو مركب كيمائي مسقط لأوراق الأشجار ، استخدمه الامريكيون بكميات هائلة اثناء حرب فييتنام بهدف تعرية اشجار الغابات الكثيفة حيث كان الفييتناميون يرابطون ويكمنون ويشنون الغارات على غزاة بلادهم. وتبين بعد سنوات من انقضاء تلك الحرب ومن انسحاب الجيوش الأمريكية الغازية الى بلادها أن ضرر العامل البرتقالي لم يقتصر على ابادة الغابات والقضاء على معالم الحياة فيها ، بل انه اثر في كثير ممن لامس اوانيه او تنشق ذراته . وقد تظاهر هذا التأثير في الاعوام الاخيرة بالاصابات السرطانية والاضطرابات العصبية وامراض الكبد والجلد فيمن تعرضوا لأذاه. وعلى هذا اقيمت الدعاوى على الشركات الصناعية التي قدمت هذا المركب الكيميائي للجيش الأمريكي مدعية ان لا ضرر له على الانسان ، واضطرت تلك الشركات الى عقد ذلك الاتفاق الحبي الذي قبلت بموجبه ان تدفع للمتضررين هذا المبلغ غير الزهيد : مائة وثمانين مليون دولار امريكي .

لعل لنا الحق في أن نبتسم شماتة بتلك الشركات لخسارتها الفادحة في هذه القضية نتيجة متاجرتها بسلامة بني البشر وبارواحهم . إلا ان ابتسامتنا لا تلبث ان تنقلب الى كآبة ، او الى سخرية سوداء ، حين نعرف الى اي من المتضررين ستدفع هذه التعويضات الهائلة . انها لن تدفع لسكان المناطق التي تعرت غاباتها في فييتنام ، ولا الى الذين اصبحت قراهم فيها قاعاً صفصفاً ودفن ذووهم احياء تحت ركامها ، ولا الى الذين خلف العامل البرتقالي في اجسادهم السرطان والجنون وآفات الكبد والجلد والعظام من ابناء تلك البلاد . لن تدفع الشركات الأمريكية تعويضاتها للفييتناميين الذين غزوا في عقر دورهم بالعامل البرتقالي ، وانما ستدفعها الى المحاربين القدماء في الجيش الأمريكي . الى الغزاة الذين ارتد بعض باسهم اليهم وتجرعوا قليلا من السم الذي كالوه بالقناطير المقنطرة للآخرين ... فلنتأمل !

●●

خمسة وثلاثون الف جنيه استرليني لعملية نقل قلب ورئة لم يعملا اكثر من اسبوعين ، ومائة وثلاثون الف جنيه استرليني لزرع كبد صحيحة مكان تالفة ، ومائة وثلاثون مليون دولار تعويضاً لمن اضر به العامل البرتقالي بين المحاربين القدماء في الجيش الامريكي ... مبالغ ضخمة وخيالية حين نتدبرها ونتصور ما يمكن ان تمسح من بؤس في مناطق كثيرة لا يحتاج فيها الناس الا الى القليل كي يصحوا ويعيشوا سعداء .

ومع ذلك فان هذه المبالغ الخيالية نفسها تتضاءل أمام ما ينفق في ابواب اخرى تبدو في ظاهرها انجازات علمية رائعة يحق للبشرية ان تفخر بها ، بينما يكمن في باطنها الشر المستطير لهذه البشرية نفسها مئات الملايين ومليارات الدولارات التي تنفق في صنع الصواريخ ذات الرؤوس النووية ، وعلى الغواصات الذرية ، وعلى الطائرات الجبارة المشحونة بعوامل القتل والتدمير والتي تجوب اجواء كرتنا الارضية اربعة وعشرين ساعة في كل يوم ، وعلى سفن الفضاء الخالية والماهولة والمكوكات الناقلة لها ... كم يهدر في هذه وتلك من مال هو في مصدره معتصر من بؤس البؤساء ودم الفقراء ، وهو في غايته اداة تخريب وافناء !

في نيسان – ابريل الفائت قام ملاحو المكوك الفضائي شالنجر بعملية فريدة في نوعها ، رائعة في دقة تنفيذها ، هي اصلاح عطب في قمر اصطناعي كان قد اطلق في شباط – فبراير عام ١٩٨٠ وتعطل فيه بعد اطلاقه جانب من تجهيزاته الالكترونية . في عملية الاصلاح هذه خرج احد الملاحين من المكوك الى الفضاء الحر ، ممتطياً كرسياً ذا حركة ذاتية مستقلة ، واستطاع الامساك بالقمر الاصطناعي مقدمة لفك لوالب التجهيزات المعطوبة باليد ، وهي ستة وثلاثون مسماراً لولبياً قطر واحدها ثلاثة مليمترات . لم تكلف هذه العملية التي اجريت في مدار فضائي يبعد عن سطح الأرض خمسمائة كيلومتر سوى مبلغ زهيد ... خمسين مليون دولار فقط . انه مبلغ زهيد بالقياس الى ثمن القمر الاصطناعي المعطوب ، فهو لو لم يصلح لوجب ان يرسل قمر غيره ، ليوضع في مداره ، قيمته مائتان واربعين مليوناً من الدولارات ! وما هي مهمة هذا القمر الاصطناعي وأمثاله ؟ انها مهمة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب . ظاهرها مراقبة النشاط الشمسي في السلم ، وباطنها ان تكون سلاحاً فعالا في حالة الحرب فتنقل او تمطر قنابل نووية على اقاليم يسكنها من البشر جماهير مجمهرة ، غير مفرقة بين صالح وطالح او بين بريء ومجرم ...

●●

رووا انه جيء للمامون في احد مجالسه برجل ادعى انه يحسن شيئاً لا يستطيع ان ياتي به غيره . وقام الرجل بعرض ما يحسنه أمام المامون ، فغرس إبرة دقيقة في الأرض امامه وابتعد خطوات ثم راح يقذف من يده بمجموعة من الابر واحدة بعد الأخرى ، فيصيب برأس كل ابرة مقذوفة عين الابرة التي سبقتها ، اعني الفتحة التي ينتظم بها الخيط . كرر الرجل ذلك حتى بلغ ما انفذه من واحدة في عين الأخرى مائة ابرة . وكان ذلك شيئاً رائعاً حقاً ومعجزاً . فلما انتهى الرجل من عرضه أمر المامون بمكافاته المكافاة التي يستحق . امر باعطائه مائة دينار وبان يجلد مائة سوط : مائة دينار لمهارته الفائقة ، ومائة سوط لاهدار هذه المهارة فيما لا يفيد ولا يعني ...

ترى بماذا كان يامر المامون لدعاة العلم ودهاقنة السياسة والادارة في عصرنا هذا حين يرى كيف يهدر هؤلاء واولئك عبقريتهم العلمية وقدرتهم السياسية وكفاءاتهم الادارية ، لا في امور تفيد البشرية وتخفف من اوجاعها ، بل انهم يهدرونها فيما يزيد بؤس هذه البشرية في بعض الاحيان وفيما يهدد كيانها ووجودها بالامحاء والتلاشي في كثير من الاحيان ؟!

الرقة – سوريا

هل يمكن القول حقا وصدقا إن بامكان أحد الأقطار العربية تحقيق استقراره وأمنه ورفاهيته دون أن يكون مرتبطا بواقع المنطقة كلها ؟ ... ماذا تقول الحقائق والوثائق السياسية والبراهين العلمية حول هذه القضية ؟

أمن مصر والأمن العربي

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

يمكننا تحليل علاقة مصر بغيرها من الاقطار العربية من اكثر من جانب . فهناك الجانب القومي الذي يركز على عوامل التشابه والتداخل من لغة وثقافة وتاريخ وتراث ، والجانب الاقتصادي الذي يشير الى المنفعة المتبادلة والمصلحة المشتركة ، والجانب المستقبلي الذي ينبه الى التحديات والاخطار المتوقعة ، والتي لا يمكن مواجهتها إلا في اطار جماعي . وهناك الجانب الذي تنطلق منه هذه المقالة وهو الجانب الأمني الذي يثير كل هذه الاعتبارات على اساس ان الأمن القومي لم يعد ينظر اليه على انه مسالة عسكرية وحسب ، وانما مسالة اجتماعية .. تنموية يدخل في تحديدها عديد من العوامل الاقصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية والعسكرية .

ونطرح هنا وجهة النظر التي تقول بان مستقبل مصر وامنها مرتبط اوثق الارتباط بمجموعة البلاد العربية ، وان تحقيق الأمن المصري وضمان التنمية غير ممكنين في خارج الاطار العربي؛فامن مصر كدولة وككيان تاريخي وبشري يرتبط بموقعها الجغرافي الذي وصفه نابليون بانه اهم موقع في العالم ، والذي يتسم اساسا بموقعه المتوسط بين المشرق والمغرب العربيين . فهو حلقة وصل بين البلاد العربية ، وبين آسيا وافريقيا ، وبين البحرين الابيض والاحمر .

وسوف نتعرض لعلاقة الأمن المصري بالأمن العربي من ثلاثة جوانب .

اولها : العلاقة الاستراتيجية بين مصر والمشرق العربي .

يعلمنا التاريخ ان مصر غزيت في الغالب الاعم من الشمال الشرقي وان الدفاع عنها يبدأ في الشام ، وكم من مرات خرجت فيها الجيوش المصرية في عهد الفراعنة أو في العصر الحديث خارج حدودها لضمان ان لا تسيطر على الشام قوة معادية لمصر .

وتعلمت انجلترا ايضا هذا الدرس ، وكان الهجوم العثماني المفاجىء على قناة السويس فى برابر ١٩١٥ دافعاً لها على التعجيل بفرض نفوذها على فلسطين كاجراء وقائي من اي هجوم معاد على مصر

فعندما اعد جمال باشا ومعه القائد الالماني كريستشتين جيشا قوامه ٣٠ الف مقاتل مزوداً بالعوامات والكباري المتنقلة والجمال واخترق الصحراء وفاجا الانجليز يومي ٢ و ٣ فبراير ١٩١٥ تيقنت القيادة العسكرية الانجليزية أن الصحراء الشرقية



مصطفي كامل



محمد على



جمال عبد الناصر



بن جوريون



تيودور هرتزل

ليست حصنا طبيعيا لحدود مصر الشرقية وازدادت اهمية فلسطين للانجليز لحماية ظهر قناة السويس .

لذلك فان احد دروس العسكرية المصرية أن من يسيطر على سيناء يسيطر على قناة السويس ، ومن يسيطر على قناة السويس يهدد العمق المصري كله . فسيناء تاريخيا لم تكن فاصلا جغرافيا او حائلا يمنع الغزاة من وصول مصر ، وقليلة هي الجيوش التي حاولت عبور هذه الصحراء وفشلت . على العكس كانت سيناء ممراً عبرته الجيوش الغازية الى مصر ، او خرجت منه الحملات المصرية التي واجهت الاعداء على أرض الشام .

فكل قوة معادية سيطرت على فلسطين ومنطقة الشام استخدمت موقعها هذا كنقطة وثوب على مصر (الحيثيين ، والهكسوس ، والفرس ، والرومان والعثمانيين على سبيل المثال) .

وكذلك فان مصر خرجت للدفاع عن نفسها وخاضت بعضاً من اعظم معاركها العسكرية في نفس المنطقة . فها هو احمس يطارد الهكسوس ، وتحتمس يخوض معركة مجدو ، وصلاح الدين يهزم الصليبيين في حطين ، وسيف الدولة قطز يخوض معركة عين جالوت . وفي نفس البقعة الجغرافية ايضا كانت حمص ونصيبين ، وكانت مرج دابق .

وهكذا فمن الناحية الجيوبوليتيكية فان منطقة الشام وبالذات فلسطين تمثل منطقة الدفاع عن حدود مصر الشرقية ، وتنظر مصر بعدم الرضا وبالقلق على امنها اذا ما سقطت هذه المنطقة في ايد معادية .

وثانيها : موقع مصر ومكانتها الدولية .

لقد ادى موقع مصر – اضافة الى تجربتها التاريخية – الى ان تصبح محط انظار القوى الكبرى الساعية الى التغلغل فى المنطقة والسيطرة عليها . ومن ناحية اخرى فقد كان هذا الموقع – والتجربة – هو الذي سمح لمصر بان تلعب دوراً فعالا في شئون المنطقة وتؤثر على مجريات الاحداث فيها .

فموقع مصر يرتب نتائج مختلطة ومزدوجة . وهو مصدر ضعف لها اذا ما استكانت ووقعت فريسة للاطماع الخارجية . وهو مصدر قوة لها اذا ما اتبعت سياسة نشطة ولعبت دوراً ايجابيا في شئون المنطقة المحيطة بها .

موقع مصر إذن لا يرتب لها بالضرورة مزية أو عيباً ، وانما تتوقف آثاره على كيفية الاستفادة منه ، ونوع السياسات

أمن مصر والأمن العربي

التي تتبعها مصر وحكمها في المراحل التاريخية المختلفة . ففي بعض المراحل اتبعت مصر سياسة دفاعية ، او انكفات على ذاتها وقادها ذلك الى دورة من الضعف، وفي مراحل اخرى انتجت سياسة ايجابية نشطة فتحركت بها عبر الاقليم كله ،حركته وقويت به . فمصر تستمد مكانتها الدولية وهيبتها من خلال الدور الذي تقوم به في المنطقة العربية باعتبارها نموذجاً للتكامل الوطني والوحدة الادارية والسياسية التي لم تتفتت او تتجزأ عبر مراحل تاريخية طويلة ،وباعتبارها مستودعاً هائلاً للخبرات الفنية والعملية في شتى مجالات المعرفة .

لذلك سعت الدول الكبرى ذات النفوذ في المنطقة او صاحبة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية فيها الى « عزل » مصر والى « تحييد » دورها في المنطقة . وهي بهذا تحقق هدفين : اضعاف مصر نفسها ، وكذا اضعاف البلاد العربية الاخرى ، ذلك ان عزلة مصر او حيادها هو اضعاف لمصر وللبلاد العربية على السواء .. اضعاف لمصر لانه يعزلها عن مجال نشاطها وفعاليتها الطبيعي والذي تحقق من خلاله قوتها وازدهارها ، واضعاف للمنطقة لغياب الدور المصري والثقل الذي يوفره هذا الدور .

وقد يكون من المفيد هنا ان نعود الى التاريخ ، فمع مطلع القرن التاسع عشر شهدت مصر تجربة صناعية وعسكرية هائلة في عهد محمد علي باشا الكبير ما زالت دروسها مفيدة لنا حتى اليوم وما زال موقف الدول الكبرى منها وسياساتهم إزاءها من الامور التي تستدعي النظر والتحليل .

واقتبس من تقريرين يشيران الى المعنى الذي ورد سلفا . الاول رفع الى وزارة الخارجية الفرنسية في عام ١٨٢٩ يفسر اسباب تاييد فرنسا لمحمد علي في ذلك الوقت ويرد فيه :

« هناك اولا موقع مصر الذي يفرض بان يمتد تاثيرها الى اكثر المقاطعات بعداً عن مركز الامبراطورية (يقصد الامبراطورية العثمانية) او الاكثر عرضة الى الانفصال . فهناك سوريا من الشرق والدويلات البربرية من الغرب ... علينا ان نعترف بان هذا



نابليون بونابرت

الموقع يساعد كثيراً على إنشاء قوة حقيقية . ان صلات اللغة والعادات والأصل المشترك تشكل روابط دائمة قد تتيح دمج سكان سوريا وبلاد البربر بسكان مصر .. وبهذا الشكل فقد تحتل مصر مكاناً مميزاً بين الدول الواقعة على البحر الأبيض المتوسط دون ان يكون هناك على كل حال ما يجعلنا نخاف من ان تصبح قوية اكثر من اللزوم » !!)

اما التقرير الثاني فيعود الى عام ١٨٣٣ وقام بكتابته مبعوث لميترنيخ ارسله لمتابعة الموقف في مصر ورفع تقريراً الى سفير النمسا في القسطنطينية وردت فيه العبارات التالية :

« اني ارى الى جانب امكانيات الباب العالي المعدومة وهيبته المتداعية يوما عن يوم جيشاً عربياً مصرياً مدرباً احسن تدريب ، مزهواً بالنصر ، واسطولا جباراً ، وموارد كافية لزيادة حجم هذا الاسطول وذلك الجيش الى ثلاثة امثالها ، وادارة في غنى شبه تام عن الاتراك ، وانبعاث الروح القومية عند العرب ، واخيراً تقديراً متصاعداً وواسعاً يتمتع به هذا الاخير (يقصد محمد علي) على امتداد البلاد الناطقة بالعربية »

وعندما نعود الى التاريخ ايضاً لنقرأ كتابات رواد الحركة الصهيونية نجد ان لمصر موقعاً متميزاً في تفكيرهم ايضاً . فتيودور هرتزل مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية زار مصر وكان حريصاً على اللقاء بقادة الحركة الوطنية المصرية في اوربا - والتقى بالفعل بمصطفى كامل - لكي يشرح لهم اهداف حركته وتصويرها لهم على انها لا تمثل خطراً على مصر ، كما تكشف كتابات بن جوريون عن نظرته لمصر باعتبارها العدو الحقيقي الذي يمكن ان يمثل عنصر تحد لاسرائيل .

وفي العصر الحديث قامت سياسات الدول الكبرى ذات السيطرة والاطماع والتطلعات في المنطقة لتحقيق هدفين : الحيلولة دون قيام دولة كبرى في المنطقة ، وبالذات اذاكان مركزها مصر . وهذا يفسر مواقف هذه الدول من حركة القومية العربية ومحاولات الوحدة التي تبلورت في الخمسينات ومطلع الستينات ، وعزل مصر عن المنطقة والابقاء عليها في اطار حدودها السياسية والادارية الضيقة . كان ذلك هو موقف الدول الكبرى إزاء محمد علي و ازاء جمال عبدالناصر ، وكان ذلك احد الاهداف الاساسية - ان لم يكن اهمها - من معاهدة كامب ديفيد من وجهة النظر الصهيونية الاسرائيلية .

وثالثها : ان مناطق الامن المصري تتطابق مع مناطق الأمن العربي ويقصد بمناطق الامن تلك التي تعتبرها الدولة ماسة بمصالحها ، وان اوضاعها السياسية والعسكرية لها تاثير على استقرار الدولة وامنها . ومناطق الامن هذه قد تكون مناطق الحدود والجوار الجغرافي او تلك المرتبطة بالمصالح الاقتصادية والاستراتيجية للدولة .

وفي حالة مصر نجد ان مناطق الأمن التي تهتم بها تتطابق ايضاً مع مناطق الأمن العربية او هي اقطار عربية . فهناك السودان الذي يعتبر الاهتمام الأمني الأول لمصر ، فالسودان ومصر يمثلان امتداداً واحداً من حيث الأرض والمياه والسواحل ، والسودان هو العمق الاستراتيجي الجنوبي وهو مجال رئيسي للتكامل

الاقتصادي ، وللتعاون في مجال توزيع مياه النيل واقامة علاقات مع دول حوض وادي النيل .

وهناك ليبيا التي تعتبر الباب الغربي لمصر وحلقة اتصالها بمنطقة المغرب وعمقها الاستراتيجي الغربي وامتدادها فيما يتعلق بالتكوينات البشرية في الصحراء الغربية ، وبرزت اهمية ليبيا الاستراتيجية عندما اغلقت الموانىء المصرية في حرب ١٩٧٣ وتلقت مصر امداداتها من خلال طرابلس .

وهناك منطقة المشرق العربي التي تناولناها سلفاً ، والتي تفاعلت مع مصر في مراحل التاريخ المختلفة ، مداً وجزراً . فمن ناحية فان اي قوة معادية استولت على هذه المنطقة اتخذتها نقطة وثوب وانطلاق للسيطرة على مصر ، ومن ناحية اخرى نجد ان مصر لم تنتظر حتى يصل الخطر على ابوابها مباشرة وانما خرجت الى ملاقاة الاعداء ومنازلتهم في منطقة المشرق .وهناك اخيراً السواحل المصرية الطويلة على امتداد البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر واهتمام مصر بامن هذين البحرين وفي هذا الامر يتطابق الأمن المصري والعربي ايضاً .

فالبحر الاحمر هو احد مناطق الأمن الرئيسية من زاوية الأمن العربي . فهذه المنطقة يحدها شمالا خليج السويس والشاطىء الغربي لخليج العقبة ، بينما يقع الشاطىء الشرقي للخليج ضمن حدود المملكة العربية السعودية ، وفي اقصى شمال الخليج يوجد ميناء العقبة الذي يعد المنفذ الوحيد للاردن على البحر الاحمر ، والى الغرب منه يقع ميناء إيلات في اسرائيل (أم الرشراش العربية والتي استولت عليها اسرائيل بعد وقف اطلاق النار لضمان منفذ بحري لها) . اما الحد الجنوبي للبحر فيطل عليه اليمنان والصومال وجيبوتي واثيوبيا ، ومن هذا العرض يتضح ان اغلب شواطىء البحر الاحمر تقع ضمن حدود عربية ، فالدول الواقعة على الساحل الشرقي باكمله عربية (الأردن والسعودية واليمنان) وان حوالي ٢٠٠٠ ميل من الساحل الغربي تقع في مصر والسودان وجيبوتي والصومال ، بينما تشغل السواحل الارترية حوالي ٤٠٠ ميل من هذا الساحل .

نفس الشيء يمكن ان يقال بالنسبة للسواحل الشرقية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط التي تشغلها اساساً بلاد عربية وهكذا .. فان دوائر الأمن المصري تتطابق وتتلامس مع مناطق الأمن العربية.

ونستطيع ان نضيف الى ما تقدم ان امن مصر الاقتصادي وقضية التنمية فيها ترتبط ايضاً بالتكامل الاقتصادي العربي .

الى ماذا يقودنا هذا التحليل ؟

يقودنا الى ان امن مصر هو جزء من الأمن العربي ، وان الأمن العربي لا يتحقق في غياب مصر ، فكلاهما وجها عملة واحدة وان قصور دور مصر هو اضعاف لمصر ولغيرها من البلاد العربية على السواء .

ويترتب على ذلك ان الوضع الذي حاولت معاهدة كامب ديفيد تكريسه ، والاوهام الاسرائيلية حول فرص التعاون المصري الاسرائيلي في المنطقة ، وان محاولات طرح المصلحة الوطنية المصرية كمناقض للمصلحة القومية العربية ، وان



آريل شارون

دعاوي سياسة مصر اولا ، وانه من الممكن عمل سلام مصري اسرائيلي في غياب حل للقضية الفلسطينية او تسوية شاملة للصراع العربي الاسرائيلي .. كل هذه اطروحات ودعاوي مردود عليها ليس فقط تاريخيا ومنطقيا وعلميا ، ولكن تجربة السنوات الأخيرة والمراجعة التي تحدث الآن في مصر افصح من كل دليل .

وما ينطبق على مصر في هذا الصدد ينطبق على البلاد العربية الأخرى التي توجد بها آراء مماثلة . فليست القضية مصر اولا (او سوريا او تونس او المغرب او السعودية) ام العرب اولا ، ففي هذا تبسيط مخل للامور . فهذا الراي يضع المصلحة القطرية والمصلحة القومية كامرين متناقضين .

والذين يقولون بالرابطة بين المصلحتين ينطلقون من ان امن البلاد العربية واستقرارها ونهضتها رهين بنهضة عربية شاملة وباستقرار عربي اوسع نطاقا . فامور الوطن العربي مترابطة ومتداخلة . فمثلا الحرب الايرانية العراقية اثرت بشكل بارز على منطقة الخليج ، والتهديد الاسرائيلي لم يكن قط موجهاً الى الشعب الفلسطيني وحسب ، ووفقا لشارون فان الأمن الاسرائيلي يمتد الى باكستان واواسط افريقيا ويشمل كل منطقة الخليج والمغرب العربي .

فهل يمكن القول ـ حقا وصدقا انه بمكنة احد الأقطار العربية تحقيق استقرارها وامنه ورفاهيته عبر فترة ممتدة من الزمان دون ان يكون ذلك مرتبطا بواقع المنطقة كلها ؟

وعلى ضوء الثورة العلمية والتكنولوجية الجديدة ، والتقدم المذهل في مجال السلاح والاهمية الاستراتيجية والسياسية لمنطقتنا العربية من وجهة نظر الدولتين الاعظم والقوى الكبرى .. على ضوء ذلك كله هل يستطيع احد ان يزعم ان بمكنة اي منا ان يواجه بمفرده تحديات المستقبل ؟

على الدين هلال

جوزيف تشوربا

تضخيم الكيان الصهيوني.. والتحذير من العروبة

بقلم : عصام شريح

اسرائيل في نظر المفكر الأمريكي الصهيوني « تشوربا » هي جزء لا يتجزأ من أمريكا ، وهي ذراعها الضاربة في الشرق الأوسط ضد حركة النهوض العربي .. وآراء أخرى غريبة لمفكر له صوت مسموع في الولايات المتحدة

جوزيف تشوربا ، الباحث والمفكر اليهودي الأمريكي ، يقدم لنا نمطاً فريداً في الفكر الصهيوني الحديث ، الذي يرى في « اسرائيل » جزءاً لا يتجزأ من الولايات المتحدة الأمريكية ، بل ذراعها الضاربة في الشرق الأوسط ضد حركة النهوض العربي ، وفي العالم ضد ما يسميه تشوربا بالهيمنة السوفيتية . وبالطبع فإن هذا الفكر لايعدو كونه فكراً تبريرياً ، يحاول ربط الكيان الصهيوني بالولايات المتحدة ، تماماً كما ارتبطت الحركة الصهيونية منذ قيامها وتأسيسها في أواخر القرن الماضي وحتى أواخر الأربعينات من هذا القرن ، ببريطانيا ، وربما كان هذا الأمر تحصيل حاصل بسبب الطبيعة الطفيلية للحركة الصهيونية وللكيان الصهيوني ، ولكن أهم ما يميز فكر جوزيف تشوربا في رأينا ، هو كونه فكراً توتاليتارياً (شمولياً) ، وهذا أيضا غير مستغرب ، لأن التوتاليتارية صفة أساسية في الحركة الصهيونية ، وانطلاقا من هذه النظرة الأحادية الجانب ، نرى كيف ينظر تشوربا للسياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط ، بحيث يجعلها أسيرة « اسرائيل » ، ويجعل الصراع العربي - الصهيوني بالتالي ، جزءاً رئيسياً من الصراع الدولي بين حلفي الناتو ووارسو ، وهو تنظير مضلّل ، هدفه تسخير قدرات الولايات المتحدة العسكرية والاقتصادية والمالية لصالح الصهيونية وكيانها العنصري في فلسطين المحتلة .

« اسرائيل » تشوربا في الاستراتيجية الأمريكية

يحاول تشوربا من ضمن نظريته الشمولية في الصراع الدولي ، أن يضع « اسرائيل » في قلب معادلة الغرب بشكل عام ، والمعادلة الأمريكية بشكل خاص بالنسبة لهذا الصراع ، ولذلك فهو يرسم لها صورة مشرقة ، ويتحدث عن حيويتها الحاسمة بالنسبة للولايات المتحدة ، الأمر الذي يفرض على هذه الأخيرة أن تلتزم « بالدفاع » عن الكيان الصهيوني والحفاظ عليه بدون شروط مسبقة ، ويقول في كتابه « سياسات الهزيمة : أفول امريكا في الشرق الأوسط » ، الصادر في عام ١٩٧٧ : « ان دعم الولايات المتحدة لإسرائيل لا يجدر أن يكون متوقفاً على وجود ملايين اليهود فيها فحسب ، وانما لأنها ستبقى ذات أهمية استراتيجية كبرى لأمن الولايات المتحدة » . وفي أعقاب الغزو الإسرائيلي للبنان ، أخذت النشوة تشوربا ، مما دفعه الى المغالاة في وصف الدور العسكري « لإسرائيل » في الاستراتيجية الأمريكية ، بل واستراتيجية الغرب بشكل عام ، ونقلت صحيفة علهمشمار عنه القول (٢٦ - ٨ - ١٩٨٢) : « ان التطور التكنولوجي ، والقوة العسكرية الإسرائيلية ، المندمجين بكافة الطاقات الغربية ، قد يحسمان ميزان القوى العالمي لصالح الغرب ، دون ان تكون هناك حاجة الى قوة ردع نووية » ، وتعقب الصحيفة الإسرائيلية على كلمات الدكتور جوزيف تشوربا ، بالقول انه - اي تشوربا ، يرى في هذه الحالة ، طريقا منطقياً واحداً أمام السياسة الأمريكية ، ألا وهو بناء محل السياسة الشرق الأوسطية ، بالتنسيق والتعاون مع « اسرائيل » ، ومن خلال الاعتماد عليها .. أما إذا انحرفت الولايات المتحدة عن هذا الطريق ، فإنها تخسر اللعبة لصالح الاتحاد السوفيتي .

ويمضي تشوربا قدما في تضخيم دور اسرائيل في الاستراتيجية الأمريكية في منطقة الشرق



رونالد ريجان



جيمى كارتر

الأوسط ، فيقول أن الولايات المتحدة لا تستطيع نشر قواتها في المنطقة ، سواء أكان ذلك على المدى القصير أو على المدى الطويل ، دون الاعتماد على تحالف عسكري واضح مع « اسرائيل » ، ويضيف أن صانعي السياسة الأمريكيين قد تجنبوا مثل هذه الخطوة حتى الآن ، مذكّرين بمعارضة الكتلة العربية ، ومع ذلك – يقول تشوربا – فهناك عدد من البدائل العسكرية التي يمكن الاعتماد عليها عوضاً عن التحالف مع « اسرائيل » وإن كانت هذه البدائل جميعا لا تفوق التحالف مع اسرائيل » ، على أن يكون مفهوماً لواشنطن « على أن مصداقية أمريكا تحتاج ، في مواجهة التحديات ، الى عنصر عسكرى ثابت .. بيْد أن هذا الاقتراح ، لايعني أن تستخدم الولايات المتحدة اسرائيل ، كمندوب أو وكيل أو عميل لها ، ولكنه يعني أن العلاقات العسكرية الإسرائيلية – الأمريكية ، لابدّ وأن تُنسَّق ، حتى يمكنها تشكيل قوة كبيرة تتمتع بامداد جيد من قوة عظمى ، ولديها (اسرائيل) آلة قتالية متفوقة تماماًفي المنطقة ، وربما في العالم . »

ثم ينتقل الدكتور تشوربا ليحدّد المكاسب التي ستجنيها الولايات المتحدة من تحالفها مع اسرائيل ، وهي مكاسب توازي تلك التي تقدمها معظم أطراف حلف شمال الأطلسي !! .. وهذه المكاسب في رأي تشوربا هي التالية :

اولا : ان « اسرائيل » تملك جيشاً ، يعتبر قوة مقاتلة ، ويستطيع خلال ثماني وأربعين ساعة ، تعبئة أكثر من أربعمائة ألف جندي . ولإضفاء هالة من « العظمة » على الجيش الإسرائيلي ، يضيف تشوربا ان لهذا الجيش سجلا من النجاح في ميدان القتال – وهو مؤشر رئيسي على قيمتهم كشريك وحليف للولايات المتحدة ، كما أن هيكل القيادة الاسرائيلية مجرَّبٌ في القتال ، والأركان العامة للجيش منظَّمة .

ثانيا – لدى الكيان الصهيوني ، تسهيلات إسناد من الدرجة الأولى !! يمكنها أن توفّر الصيانة والإعداد للمعركة ، للقوات الأمريكية التي تحتاج بقوة لمثل هذه التسهيلات ، كما أن القواعد الجوية الإسرائيلية تمثل حالة متقدمة في هذا السبيل ، حيث يمكنها تقديم إسناد لأية طائرة تكتيكية ، وللعديد من الطائرات الاستراتيجيةالتي تمتلكها الولايات المتحدة ، ويضاف الى ذلك أن « الموانىء الإسرائيلية » ، قادرة تماماً على تقديم الخدمات وعمليات المساندة لجميع سفن الأسطول السادس الأميركي المرابط في البحر الأبيض المتوسط ، بما في ذلك حاملات الطائرات !

ثالثا – ان سلاح المدرعات الإسرائيلي – كما يزعم تشوربا – هو أفضل سلاح مدرعات في العالم اطلاقاً !! .. كما أن السلاح الجوي الاسرائيلي ، هو ندٌ لأي سلاح جوي آخر في العالم !! .. أما الأسطول الاسرائيلي ، فهو – على حدّ ادعاء الصهيوني تشوربا – رائد في حرب الصواريخ سطح سطح أو بحر – بحر .

رابعا – ينتقل تشوربا بعد ذلك الى اضفاء هالة خاصة من الأهمية على جهاز الاستخبارات الاسرائيلي ، فيقول ان هذا الجهاز ، يقدم للولايات المتحدة ، خدمة هي في أمسّ الحاجة اليها ، وذلك لأن « اسرائيل »تبقى أفضل مصدر للمعلومات السياسية والعسكرية الأساسية في المنطقة !!

وبعد عملية التضخيم لدور « اسرائيل » في الاستراتيجية الأميركية بمنطقة الشرق الأوسط ، ينتقل

جوزيف تشوربا

تضخيم الكيان الصهيوني.. والتحذير من العروبة

تشوربا الى مطالبة الولايات المتحدة بدعم عملية وخطط الاستيطان الصهيوني في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، زاعماً أن واشنطن اتخذت موقفاً انهزامياً بالنسبة « للاستيطان الإسرائيلي في فلسطين الغربية وعند خطوط الدفاع الإسرائيلية » !! ثم يحاول أن يقدم تبريراته لعملية الإستيطان الصهيوني العدوانية ، في قالب منطقي أخرق ، لصالح « اسرائيل » والولايات المتحدة معاً ، فيقول : « انه يجب ان يكون واضحاً ، ان الاستيطان الإسرائيلي ، أمرٌ أساسي ملحّ بالنسبة للمنطقة الواقعة غربي قطاع غزة ، من أجل اقامة منطقة سكنية عازلة ، عند منافذ الطرق المصرية ، عبر مائة وخمسين ميلا من صحراء سيناء . وبالمثل ، فانه من الواضح ان قدرة « اسرائيل » على الحياة تتطلب وجوداً أمنياً دائماً في الجبال الواقعة شمال وجنوب القدس ، في منطقتي « يهودا والسامرة » اللتيْن لاتبعدان عن شاطىء البحر الأبيض المتوسط أكثر من عشرة أميال فقط ، وبهذا ، فان الولايات المتحدة ، تحرم نفسها من قدرة « اسرائيل » على الحفاظ على طاقتها الكاملة ، في وقت هي أحوج ما تكون فيه إلى ذلك ، وما قد يكون أكثر إحراجاً هو وجود « اسرائيل » غير امنه اعتمادا على الضمانات الخارجية .. وهذا لا يفقد « اسرائيل » **أهميتها .. فحسب ، بل ويجعل منها عبئاً عسكرياً على الولايات المتحدة » !!**

ويختصر الدكتور جوزيف تشوربا أفكاره حول الدور الإسرائيلي المزعوم في الشرق الأوسط وربما في العالم ، بالقول ان « اسرائيل » قوية ، تخدم أهداف السياسة الاميركية بطريقتين : الأولى كدولة حصينة في وجه ما يصفه ب « فيروس » العدوان العربي !! .. والثانية كقوة جاهزة دائما ، لردع أي انقضاض سوفيتي على المنطقة !! ..

تحريض ضد العروبة

يحاول تشوربا تركيز أنظار الولايات المتحدة على « اسرائيل » كقوة استراتيجية ، وكحليف قوي وفاعل ومخلص ، من خلال التحذير من قيام وحدة عربية ، ومن خلال تصوير أي تكتل عربي مهما كان شأنه ، على أنه يشكل خطراً على أميركا والغرب في منطقة الشرق الأوسط .

وفي نطاق هذا التنظير المضلّل ، يقلّل تشوربا من « خطر » السوفييت في المنطقة ، مركّزاً هذا الخطر على العروبة ، فيقول : « ان العرب يشعرون بأنهم ضحايا الامبريالية الغربية ، التي سعت ، وما تزال تسعى ، لتقسيمهم واخضاعهم لسيطرتها ، وان الأمة العربية الناشئة ، قد حرمها الغرب من ان تحتل موقعها الصحيح في قيادة العالم !! » . ثم يزعم تشوربا أن الولايات المتحدة بسياساتها القائمة على « عدم الاعتماد على دولة واحدة بعينها في المنطقة » ، وبسعيها نحو تحقيق تسوية شاملة للصراع العربي – الصهيوني ، انما تُقوي بذلك جانب القومية العربية ، اضافة الى ان هذه السياسة تفرض أعباء اضافية على « اسرائيل » ، تتمثل في « الضغوط الأميركية » على « اسرائيل » لكي تصبح أكثر اقتراباً من التسوية المنشودة ، ويضيف ان سعي الإدارة الاميركية (إدارة جيمي كارتر) ، لتعميم « اتفاقية كامب ديفيد » ، ستنتهي الى الإخفاق في استخلاص الدروس والعبر المطلوبة ، وخاصة بالنسبة لدور « اسرائيل » الذي لايجارى ، في الاستراتيجية الاميركية في المنطقة . ومع كل هذا ، يهاجم تشوربا اتفاقية كامب ديفيد ، لأن السعي الأميركي المسعور لتحقيقها ، لم يأخذ في حسابه « خطورة اتخاذ موقف انهزامي بالنسبة لأمن اسرائيل » عن طريق دعوتها لوقف عملية الاستيطان في الأراضي العربية المحتلة ، أو تفكيك المستوطنات القائمة ، ضمن صفقة الحل الذي تتصوره واشنطن .

وأكثر من ذلك ، يغالي تشوربا في تنظيره الذي يصبّ أخيراً في طاحونة المصالح الإسرائيلية فقط ، فيعرب عن اعتقاده بأن الإدارة الاميركية ، قد وقعت في خطأيْن فادحيْن ، أولها الاعتقاد بأن ماكان يوصف بخطة التحالف الاستراتيجي الجماعي أو الكلي في الشرق الأوسط هي سياسة صائبة ، والثاني ، الاعتقاد بأن الصراع العربي – الصهيوني ، والقضية الفلسطينية ، هما سبب أزمة الشرق الأوسط والتوتر الدائم في المنطقة . وقال تشوربا في مذكرة عرضها على الحزب الجمهوري الأميركي الذي يعتبر أحد أهم أعضائه الفاعلين والمؤثرين ، قال ان هذا الاعتقاد ، جعل الحكومات الأميركية المتعاقبة ، تتصور أن عليها أن تحاول حلّ هذا الصراع بما في ذلك وضع حل للقضية الفلسطينية ، بينما الحقيقة – كما تشير الى ذلك مذكرة تشوربا – هي أن حل القضية الفلسطينية ، ووضع نهاية للصراع العربي – الصهيوني « لن يقضي على التطرف العربي ، ولن يؤمن استمرار وصول الغرب الى نفط الشرق الأوسط » !!

والبديل لكل ذلك ، كما يرى تشوربا ويدعي ، هو الاستجابة للمطامع الصهيونية في المنطقة ، وخلق « وقائع جديدة » تخدم الأهداف الإسرائيلية ، التي هي في نهاية المطاف أهداف اميركية . وتشير المذكرة بهذا الشأن ، الى ملامح يُستنتج منها بزوغ « اسرائيل » كقوة عظمى في الشرق العربي ، وإيجاد لبنان محايد كمنطقة عازلة بين العرب والكيان الصهيوني ، عن طريق العمل لابقاء وضعه على ما هو عليه من التوتر وإثارة الفتن الطائفية بين أبنائه ، ثم اعادة طرح نظرية حزب العمل الصهيوني بالدعوة الى اقامة دولة فلسطينية في الضفة الشرقية لنهر الأردن !! وتصفية منظمة التحرير الفلسطينية ، أو تفتيتها وإذابتها بشكل تتلاشى معه تلقائياً ، ثم السعي بعد ذلك الى خلق خمس أو ست دويلات عرقية أو طائفية ، لتغيير خارطة المنطقة ، وتقطيع أوصالها بشكل يحول دون ظهور أي وحدة عربية .

من هـــــو؟

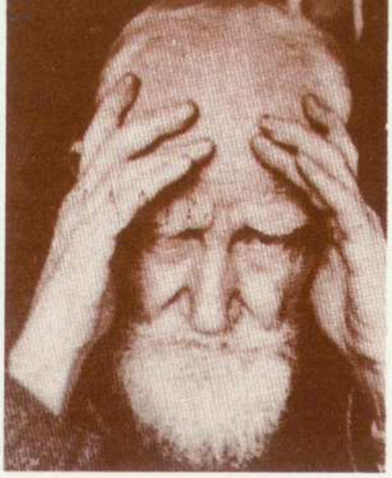
يشغل جوزيف تشوربا – اليهودي الأميركي ، والصهيوني المتعصب – منصب مدير مركز الأمن الدولي بواشنطن ، وقد عمل في عام ١٩٨٠ ، مستشاراً للرئيس الأميركي رونالد ريغان عندما كان الأخير مرشحاً للرئاسة آنذااك ، ويعتبر تشوربا باحثاً متخصصاً في شؤون العالم العربي ومنطقة الشرق الأوسط ، حيث شغل منصب مستشار خاص لجهاز استخبارات سلاح الجو في البنتاغون ، وخاصة لشؤون الاستخبارات المتعلقة بالشرق الأوسط ، وذلك قبل ان يصطدم برئيس هيئة أركان الجيش الأميركي الأسبق الجنرال جورج براون ، حيث اضطر تشوربا للاستقالة بسبب خلافه مع الجنرال براون أثر التصريحات التي أطلقها الأخير في أواخر عام ١٩٧٦ ، والتي اكد فيها أن « اسرائيل » قد أصبحت عبئاً عسكرياً على الولايات المتحدة .

وكان تشوربا رفيقاً عزيزاً جداً للارهابي الصهيوني المعروف الحاخام مائير كهانا رئيس عصابة « كاخ » حالياً ، ومؤسس مايسمى « برابطة الدفاع اليهودية » ، ولم يفترق الرجلان إلا بعد أن قرر كهانا الانتقال من الولايات المتحدة الى الكيان الصهيوني للاستقرار هناك . وقد اشترك تشوربا مع الحاخام كهانا في تأسيس مكتب للاستشارات القانونية أطلقا عليه اسم « البحث الاستشاري المتحد » ، وكان تشوربا آنذاك يعمل في جامعة ادلفي في غاردن سيتي ، وهي إحدى ضواحي مدينة نيويورك ، ويُعد لنيْل شهادة الدكتوراه من جامعة كولومبيا ، وفي عام ١٩٧٦ ، وأثناء عمله مستشاراً للجنرال جورج كيغان ، رئيس جهاز الاستخبارات بسلاح الجو الأميركي ، أدلى تشوربا بتصريح لمراسل صحيفة النيويورك تايمز ادعى فيه « ان هناك عقدة معادية لإسرائيل في وزارة الدفاع الأميركية ! » لكنه اعترف لنفس المراسل بأنه رُسم حاخاماً ، كما كشف النقاب عن اشتراكه مع الحاخام مائير كهانا لما أسمياه « بحركة الرابع من تموز (يوليو) » في عام ١٩٦٥ ، وقد قامت هذه الحركة بتنظيم خلايا في المناطق الجامعية ، لكسب التأييد لحرب فيتنام ورفض انسحاب الولايات المتحدة من ذلك البلد ، وفي عام ١٩٦٨ ، اشترك الحاخامان كهانا وتشوربا في تأليف كتاب بعنوان « شريحة اللحم اليهودي في فيتنام » ، قالا فيه ، انه اذا تخلّت الولايات المتحدة عن التزاماتها في فيتنام الجنوبية ، فانها سوف تتخلى حتماً عن اسرائيل ، ولهذا فقد اعتبر كهانا وتشوربا ، أن من الأهمية بمكان ، أن يؤيد اليهود الأميركيون حرب فيتنام والتورط الأميركي العسكري في تلك الحرب ، علماً بأن الحاخامين ، لم يتطوعا للحرب في فيتنام .

منطلقات تشوربا

أشرنا سابقاً ، الى أن منطلقات جوزيف تشوربا – اليهودي الأميركي – لاتنبع من المصلحة الأميركية على الإطلاق ، بل هي تتناقض مع هذه المصلحة ، إنْ لم تكن مدمرة لها في النهاية ، إذْ ليس في منطقة الشرق الأوسط ، غير الكيان الصهيوني ، وكيفية حماية هذا الكيان ، وامداده بأسباب القوة والعدوان ، من أجل أن يمضي الصهاينة قدماً في سياستهم التوسعية في الأرض العربية . وقلنا ان تشوربا هو من العقول الصهيونية النادرة حاليا في تعصبها ونظرتها التوتاليتارية الأحادية ، التي لاتستطيع أن ترى من الألوان غير الأبيض والأسود . ومن هذه المنطلقات الراسخة في الذهنية الصهيونية ، والمستقاة أصلاً من الأساطير الصهيونية المتحجرة حول ما يسمى « بالشعب المختار » وَ « أرض الميعاد » ، رأينا كيف أن تشوربا ركّز جميع طاقاته الذهنية على زاوية واحدة ، هي اعتبار اسرائيل ليس حجر الزاوية في السياسة الأميركية في الشرق الأوسط فحسب ، وانما الشريك القوي للولايات المتحدة في المنطقة ، الذي يحق له أن يطالب بعائدات مقابل أتعابه وجهوده وفي اطار هذا التفكير والتنظير الصهيوني المتعصب والمخرق ، رأينا أيضاً كيف حذف تشوربا العالم العربي من الوجود ، وسخّف أي دعوة للتعاون مع أي دولة عربية ، وأكثر من ذلك فقد جعل تشوربا من العروبة والقومية العربية خطراً حقيقياً يتهدد المصالح الأميركية والحضارة الغربية . وعلى أية حال ، فاننا كنا ننتظر مثل هذه الأفكار من صهيوني ذميم كجوزيف تشوربا ، لأن الصهيونية ، صاحبة النظرة الشمولية والأحادية الجانب ، هي حركة عمياء ، وستبقى تصارع حتى النهاية ، حتى لو منيت بأكثر من هزيمة ، كما سيبقى داء جنون العظمة ، محوراً أساسياً من محاورها .. وهذه الحقيقة يجب أن تظل ماثلة في أذهان العرب ، في تقديري ، حتى ولو ظهرت الصهيونية في موقف المتراجع ، كما يبدو ذلك في المرحلة الراهنة من خلال طروحات حزب العمل ، وبعض الشخصيات الصهيونية .

عصام شريح



برناردشو



شكبير

حسد برنارد شو وليم شكسبير وتمنى لو أخرجه من قبره ورجمه بالحجارة

بقلم: الدكتور علي الراعي

اظن ان شيئاً من الحسد قد مازج الموقف المركب الذي وقفه برنارد شو من وليم شكسبير . في احدى المناسبات كتب شو يقول : « ليس بين الكتاب البارزين من احتقره الاحتقار الذي اكنه لشكسبير ، حين أروح اقيس عقلي بعقله ... ولو قيض لي أن استخرجه من قبره لرجمته بالحجارة لأستريح . » !

وراء هذا القول الفظيع المبالغ في حذقه ، كان يستخفي اعجاب برنارد شو بالكاتب المسرحي وليم شكسبير . كتب الايرلندي الكبير في مقدمته لمجلد : « ثلاث مسرحيات للمتطهرين » يقول : « ما في امكان احد أن يكتب تراجيديا تفوق الملك لير . » فدلل بهذا على سلامة حكمه كناقد للدراما والمسرح ، فان الملك لير هي في عرف الكثيرين ، ليس فقط أروع تراجيديات شكسبير ، بل هي أعظم ما اخرج العقل الدرامي الانساني من تراجيديا . انها العمل الذي فجر - بجسارة - حدود العمل الدرامي وخرج للناس في شكل اصطلحنا على أن نسميه : «فوق الدراما» ، أو : « دراما وزيادة» . والنتيجة أن أحداً من المخرجين الكثيرين الذين تصدوا لاخراج «الملك لير» ، لم يستطع أن يلم بموضوعها في شموله ، فاكتفى بان اقترب منها اقتراباً جزئياً ، تناول نواحي بعينها من العمل الكبير .

واذن ، فما دام هذا التقدير الموفور هو ما يكنه شو للدرامى الانساني الأول ، ففيم احتقاره له ، لماذا يود لو استطاع ان يخرجه من قبره ليرجمه بالحجارة ؟ الجواب وارد في عبارة : «حين أروح اقيس عقلي بعقله .» فان شو كان يقدر شكسبير ، الكاتب المسرحي ، ويحتقر شكسبير المفكر وصاحب العاطفة . فكر شكسبير لديه هو فكر العصور الوسطى وعصر النهضة ، وهذا فكر بائد في نظر شو ، من الواجب التخلص منه فوراً . حتم ان يقوم فكر جديد في المسرح ينتج مسرحيات جديدة ، ستكون بحكم الضرورة مغايرة لمسرحيات شكسبير ومنافية لها . وبغير هذا الفكر الجديد لن تقوم الدراما الجديدة التي كان شو يتطلع اليها .

ولكن : لماذا ينبغي التخلص من شكسبير ، قبل ان تقوم الدراما الجديدة ؟ يجيب شو : ان من المستحيل ان يقوم شكسبيران اثنان في حقبة فلسفية واحدة . ان اول من يظهر على الساحة من عباقرة يضم حصاد الحقل الدرامي وياخذه كله لنفسه تاركاً لمن ياتون بعده مهمة التقاط البقايا هنا وهناك . ومن ثم تكون مهمة هؤلاء اما الانشغال بالفتات ، او التظاهر بانهم يحصدون ويضمون ما لا وجود له في الواقع .

لقد عبر شكسبير تمام التعبير عن عصره ، واستنفد في هذا التعبير العصر ووسائل التعبير معاً ، وبات حتماً ان تمضي عربة الدراما قدماً وتتحرك الى موقع آخر ، حاملة بضاعة جديدة تعرضها على زبائن جدد . ولأن هذا التحرك لم يتم ، سقط المسرح البريطاني - والغربي عامة - في بئر سحيقة ، وتوزع الاهتمام بشكسبير بين سوء استخدام مسرحياته وسوء فهمها من جهة ، وبين تقديسها وعبادة منشئها عبادة لا عقل فيها ولا فهم ولا تقدير ، من جهة أخرى .

اورد برنارد شو الكلمات والمعاني سالفة الذكر في احد أجزاء مقدمته لمجلد : « ثلاث مسرحيات للمتطهرين » - الجزء المعنون : «انا افضل من شكسبير ؟ » وفيه يعقد مقارنة بين مسرحية : «انطونيو وكليوباترا» لشكسبير ومسرحيته هو : « قيصر وكليوبترا . » يقول شو : في الاساطير اليونانية قامت الساحرة « سيرسي » بتحويل الابطال الى خنازير . ويبدو أن المزاج الرومانسي المعاصر يميل الى ان تحول « سيرسي » الخنازير الى ابطال . ان شكسبير يعطينا صورة صادقة لجندي كسرته الشهوة ، وامراة لعوب يموت بين ذراعيها امثال هذا الجندي ، ثم يروح يجهد قدرته الهائلة على الخطابة الدرامية ، واستدرار العطف المسرحي ، كي يقنع

الحمقى بين متفرجيه بان بطليه قد كسبا الحب وان خسرا العالم ، وان الحب هو التعويض العدل لهذه الخسارة . فاية اكذوبة هذه ، ومن يصدقها منا إلا بنات الحان (وهن كليوباترات عصرنا الحالي) - اذا ما وجدن شاعراً يحولهن الى حبيبات خالدات ؟

ثم يمضي برنارد شو الى القول بان شكسبير كان يرى الحياة على حقيقتها ثم يروح يصورها تصويراً رومانسيا . ومال من يفعل هذا هو الياس ، والانصراف عن الحياة ، بدعوى انها هباء وقبض الريح . ألم يجعل ماكبث يقول : « انطفئي ، انطفئي ايتها الذبالة القصيرة » لانه اصر على ان يجعل بطله ، وهو أديب معاصر في جوهره مجرماً يستشير الساحرات ؟ (١)

ويحدد برنارد شو اعتراضه على مسرحية : « انطونيو وكليوباترا » ، وعلى مسرح شكسبير بعامة قائلا : ان لي اعتراضاً تقنياً على اتخاذ الولوع الجنسي موضوعاً للتراجيديا . ان هذا أمر لا يؤتي ثماراً ذات بال الا في حقل الكوميديا . فلتتعرض الواقعية للولوع الجنسي - فلتنقده الكوميديا ، فليسخر منه كتاب الأدب المكشوف . اما ان يطلب الينا ان نعرض أرواحنا لخطر الافتتان بسحره - ان نعبده ، ونتحداه ونزعم انه هو وحده ما يجعل الحياة جديرة بان نحياها فشيء لايمكن وصفه الا بانه خبل اسلم الى الجنون الحسي .

لهذا رأى شو ان انطونيو شكسبير هو فشل واضح ، بينما وجد الملك لير رائعة درامية محققة . وسبب التفاوت في رايه ان شكسبير قد خبر الضعف الانساني خبرة كبرى ، بينما لم يعرف القوة الانسانية في كثير .

وهنا ناتي الى نقطة هامة في مفهوم برنارد شو للدراما ، هي التي حددت شكل ومضمون هذه الدراما ، وهي التي حددت وتحدد مصير مسرحه . لقد نفى شو من مسرحه اشياء كثيرة هي التي تكون دم الحياة في الدراما . نفى الحب المفتون لما تقدم ذكره من اسباب واستبعد الجريمة لأنها في رايه لا تثير الاهتمام . بل استهان كثيراً بالعواطف أصلا ، مصرحاً بانه لا يامن لها ، ولا يثق بالعاطفة تخرج من «فرن» النفس حمراء متوهجة ، فانها سرعان ما تنطفىء . ووضع شو في مقابل هذا كله العقل البشري . هو وحده الجدير بالاعتبار هو وحده البوصلة الهادية ، والارض الراسخة والمستقبل الواعد . ثم مضى يكتب مسرحياته بوحي من هذا كله ، فجاءت هذه المسرحيات أمثلة متالقة للفكر البشري المستنير ، وللحماس العقلي الدفاق ، وللقدرة الفائقة على تحريك الأفكار على المسرح ، والباسها ثوب البشر . وقد انتج هذا القدر البارز من المواهب الكوميديا الانسانية الذكية ، الطيبة القلب ، التي لا تتشفى في ضعف الأفراد ، وانما تصب جام غضبها على ضعف المجتمعات . وكان هذا انجازاً كبيراً لا شك فيه ، دفع الناقد والدارس المسرحي المرموق ايريك بنتلي الى القول بان شو قد حول مسار الكوميديا العالمية من نقد افراد مختارين كلهم معايب الى نقد الناس كلهم ، من منطلق اننا كلنا خطاة وكلنا نستحق العقاب ، وكلنا قادرون - بفضل العقل - على أن نقوم ماضينا من اعوجاج .

وهذه هي القوة الانسانية التي قال شو ان شكسبير لم يعاينها فجهلها ، بينما عرفها هو فكتب من واقعها . غير ان شو لم يحسب حساباً لاحتمال ان يضعف العقل البشري ، او يضل طريقه أو تهبط عليه كارثة تصيبه بالشلل التام . وقد جاءت هذه الكارثة في شكل دمار فظيع شامل ، جلبته الحرب العالمية الأولى فهز ايمان شو بالعقل من القواعد . هذا هو «الانسان العاقل» قد فقد عقله ، فاي امل بقى لشو ، المفكر ، والانسان وكاتب دراما الأفكار الذكية ؟

كان شو يحس بمقدمات هذه الكارثة الوشيكة . فكتب لصديقته الممثلة مسز باتريك كامبل في عام ١٩١٣ ، قبل شهور قليلة من هبوب الاعصار المدمر يقول : «قد تركت الحياة تهرب مني .. وانا الآن جهاز هضمي فارغ ليس له إلا عقل يدق فليدق ما شاء . ان كانت روحي قد ماتت ، فاني قادر على أن اظل ادق حتى يموت عقلي بدوره» .

وقبل هذا - في عام ١٩١٢ - كتب شو لصديقته هذه يحذرها من نفسه : « صمي أذنيك عن هذا الكذاب الايرلندي الدعي الممثل .. انه كتلة من الخيال بلا قلب . آلة تكتب وتتحدث . لقد انفق قرابة اربعين عاماً مع هذه الآلة حتى اصبحت شيطانية القدرة» .

غير أن مسز كامبل لم تكن في حاجة الى تحذيراته هذه . كتبت تنقد في صراحة موجعة احدى مسرحياته : «ان قلمك يدفعك الى النشوة فتسكر . انت تنظر من ثقب الباب بقبعتك وليس بعينك . وسرعان ما تهزأ بشخصياتك فتصبح مجرد ابواق في خدمة التصميم العام للمسرحية ، بلا لحم ولا دم . وبينما اشعر انا بالفوضى في مواضع بذاتها تقول انت لنفسك : هنا كنت ملهماً .

ثم تنقد مسز كامبل شخص شو وحياته معاً . تقول وهي تلفت نظره الى انه قد جهل عاطفة الأبوة : هؤلاء الأبناء العشرة الذين لم تنجبهم قد كانوا جديرين أن يعلموك شيئاً . وتقول في مكان آخر : ان دور المحامي الذي تحب دائماً ان تلبس مسوحه يتسرب الى كل ما تقول وتكتب وتفعل .. انه الدور الذي أمض عيشي سنوات طويلة ، وحال بينك وبين ان تصبح شكسبيراً - شاعراً » .

وضع شو اذن في مسرحه العقل بدلا من العاطفة . واحل اليقين محل الشك ، فسلب مسرحياته بهذا قدراً كبيراً من حيويتها . اما شكسبير فقد علمه السير في الطرقات ، وشظف العيش ، وخداع الاصدقاء ، وفقدان الحبيب ، وانحسار ود المؤيدين ان حياة الانسان شيء هش حقاً - ان ابناء الانسان في نظر القدر لا يعدون ان يكونوا مجموعة من الذباب تتلهى الكوارث بقتلها - ان الشر في الكون اصيل وعميق وممتد ، وان صراع الخير معه قليل الانتصارات وان اسمى ما يحققه الانسان لنفسه من شرف هو أن يدخل مع الشر في عراك يعلم سلفاً انه مهزوم فيه .

ابطال شكسبير جرحى ، مكسورون ، محيرون ، وهذا يجعلهم اكثر انسانية بكثير من ابطال شو ، الذين يصل بهم الوثوق حد الصلف الفكري احياناً ، وان عرف بعضهم الهزيمة والانكسار - على المستوى الفكري وحسب ! هكذا تنكسر جان دارك ، وبربارا ، انكسار العقيدة وليس انكسار القلب . أما شكسبير ففي ابطاله من يرتكب جريمة لم يكن يقصدها فيدمر بحمقه اعز ما يملك (عطيل) او من يخدع نفسه بان جريمة واحدة تكسب له العرش وتؤمن حياته (ماكبث) ، أو من يتامل الشر والخير والموت والحياة والانتقام والتسامح ، بينما ايام الحياة تنفلت من بين اصابعه ، حتى يدفعه تيار الحياة ذاتها الى العمل (هاملت) . أو من يحمله الكبر والعجب والجوع الى الملق على ان يلقي بنفسه وباعز من احب في أتون حرب الخير والشر على المستويين الفردي والكوني (الملك لير) . ليس بين هؤلاء من علم شيئاً علم اليقين ، وإنما كلهم ضائع ، مشرد ينطبق عليه قول المعلم الكبير شكسبير في رثاء الانسان : « آه ايها الحيوان المسكين المغلوق (٢) الجسد » .. !

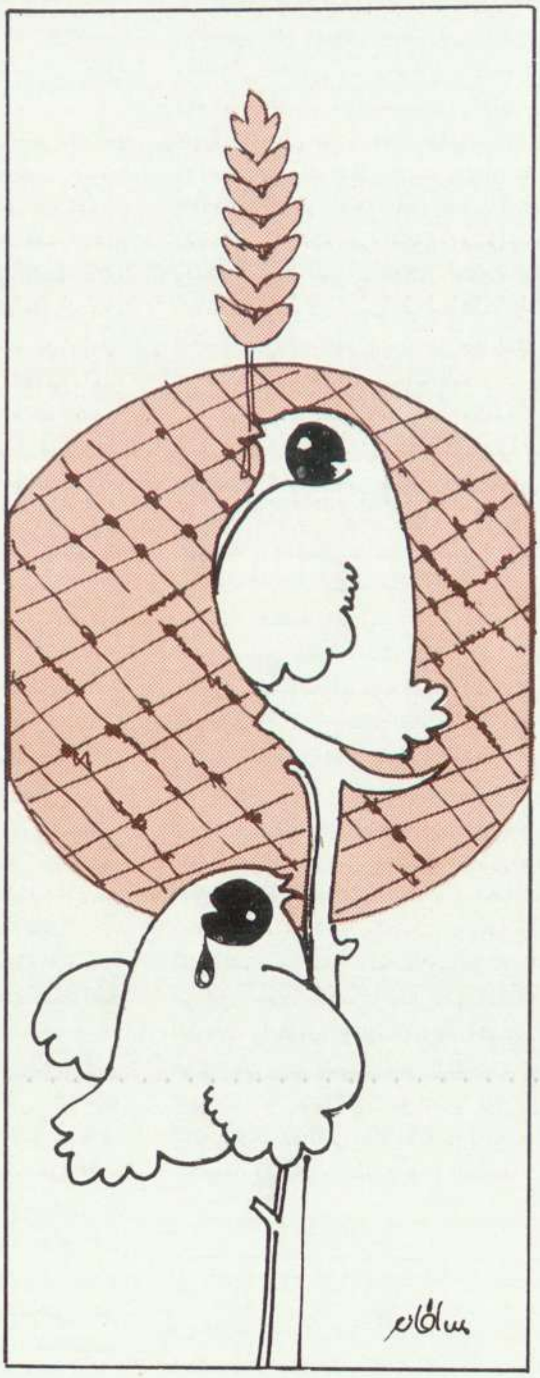
هوامش

(١) يشير شو هنا الى ما يراه النقاد الشكسبيريون من ان ماكبث فنان وشاعر مرهف الحس ، قبل ان يكون جنديا . ويستشهدون بكثرة المقاطع الشعرية العذبة التي يرددها خلال المسرحية .

(٢) إشارة الى انه الحيوان الوحيد الذي يسير قائما على رجلين .

حنين إلى غزّة ...

شعر: هارون هاشم رشيد



(١)

نعمْ «غزةُ» فَلْنَفْرَعْ بها ظَهْرَ الأُلى كَذَبوا
نعمْ «غزةٌ» ما مِنا لغير تُرابها نَسَبُ
طلعنا من نواحيها كما تتلألأُ الشهبُ
وكُنا مِثْلَما الصُبار منهُ الشوكُ، والغضبُ

(٢)

مدينتنا يُصلي المجدُ في أَبوابِها يثبُ
مدينتنا وللتاريخ مِنْ أخبارِها كُتبُ
فكم غازٍ تحداها فَذَلَّ، وراحَ ينسحبُ
وكَمْ عادٍ بساحتها تهاوى، وهو ينتحبُ
مدينتنا زها «عمروُ» بها ورفَاقُهُ النُجُبُ
تلقَّاهُ أهاليها وقالوا: إننا عَرَبُ
وشدَّوْا أزره حُبًّا وصانوه، وما غُلِبُوا
مدينتنا التي يسخو بها الزيتونُ والعِنَبُ
بشطٍّ لا مثيل لَهُ يضيءُ كأنه الذهبُ
بأسراب البلابل وهي في أغصانها تَثِبُ
تُغنينا، وتُسْعِدُنا ويدفقُ شدوها العَجَبُ
«بحاراتٍ» ترعرعنا بها نَلْهُو، ونَصْطَخِبُ
ندُور كما فراشاتٍ وفي الأنحاءِ ننسربُ

* * *

لغزة يحفظُ التاريخُ من هَبُّوا ومن وثبوا
ومَنْ بالدّم خطُّوها سطورَ المجد كَمْ كَتَبوا

[المدينة العظيمة التي ضربت أروع الأَمثلةِ في الصمود والفداء]

« فدائيون » ماحادوا عن التحرير أو تعبوا
همو أولُ مَنْ لَبى هُمو النيرانُ والحطبُ
هُمُ الرايةُ شامخةً تُطأطئُ دونها السُحبُ
هُمُ ما في صُفوفهمو دَعِيُّ ، عابثٌ خَرِبُ

* * *

تعالي .. يا مدينتنا نعيدُ الأمسَ نقتربُ
تعالى نقرأ الأسماءَ مَنْ شدوا وَمَنْ ضربوا
وَمَنْ كانوا كماَ الإعصار يَهْدُرُ حينَ يَصْطَخِبُ
تعالي نقرأُ الصفحاتِ نُرجِعُ بعضَ ما وهَبوا
أَلَسْتِ السُورةَ الأولى لمن قرأوا وَمَنْ كتَبوا
ألستِ الجبهةَ العليا لمنْ تاقوا وَمَنْ رغبوا

* * *

« فدائيون » ياَ غزةُ أَهْلُكِ أَينما ذَهَبوا
« فدائيون » تدري الأرضُ كيف لأَجلها غضبوا
وكيف فداءها بَذَلوا دَماً كالنهر يَنْسَكِبُ
ففي « الزيتونِ » كمْ صمدوا وفي « التُفاح » كم ضربوا
وفي « شجاعيةِ » الأبطالِ كم مِنْ أجلها وَثَبوا
وفي « السُوباط » كم ألقوا لظىً يَغْلُو ويلتهبُ
هُمو مَنْ أبدعوا بالبذلِ مَا لَمْ تعرفِ الكُتُبُ
ومَا لَمْ يحفظِ التاريخُ مَا لم تَحفظَ الحقَبُ
مدينةُ « هاشمٍ » أبداً كَحَدِ السيفِ تَنْتَصِبُ
يضئُ « الشافعِيُ » بها فيزهرُ عُمْرُها الخصبُ

* * *

تعالي يا مدينتنا فيومُ النصر يَقْتَربُ
أراكِ الآن يحدونى اليكِ الشوقُ أنجذبُ
فيا « غزةُ » يا أُمي التي أرجو وأرتقبُ
ويادارى التي يرتاحُ في أعتابها التَعَبُ
بغَيركِ ها أنا لا شئ لا إسمُ ولا نسَبُ
بغيركِ تنطوي الأيامُ جرداءَ ، وتغترِبُ

* * *

أنا طِفْلُكِ يا « غزةُ » ذاكَ العابثُ الطَرِبُ
أنا كَمْ مِنْ « سُنُونُوةٍ » حفِلْتُ بما بهِ تَهَبُ
وَكَمْ من « بلبل » غَنَّى معى فانزاحت الكُربُ
وكم من مَرةٍ بادرتُ ليلكَ ، وهو يَنْسَحِبُ
وطالعتُ السنا الوَرْدي من خديكِ يَنْسَكِبُ
مُعَذِّبتي أنا أدري بأني حينَ أغتربُ
أظلُّ كطائرِ الدُوري في الآفاق أضطَربُ
وأعلم أنني ما عشتُ دونكِ مُجْهَدٌ تَعِبُ

تونس ١٠/٦/١٩٨٤

هوامش

* « الزيتون » و « التفاح » و « الشجاعيه » و « السوباط » حارات مدينة غزة و « هاشم » هو هاشم بن عبد مناف جد رسول الله صلى الله عليه وسلم المدفون في مدينة غزه ، و « الشافعى » هو الامام الشافعى أعظم من أنجبت مدينة غزة .

مسافر على الرصيف



شاعر من بغداد

بقلم : محمود السعدني

لم تكن قهوة عبدالله قهوة مصرية فحسب ، ولكنها كانت قهوة عربية ايضا ، وقد شهدها وحضر مجالسها ادباء وشعراء وفنانون عرب من كل الاقطار ، عدنان الراوي وشفيق الكمالي من العراق ، ونزار قباني واديب نحوي من سوريا ، وعبدالهادي الهوني من ليبيا ، ومعين بسيسو وابو سلمى من فلسطين ، والفيتوري من السودان !

كان عدنان الراوي عضواً اصيلا في ندوة القهوة ، وكان يقضي اغلب اوقاته فيها عقب لجوئه الى القاهرة هارباً من طغيان نوري السعيد وعبد الكريم قاسم ، وغوغائية من سموا انفسهم بالتقدميين العراقيين الذين اعتبروا العروبة والقومية رجساً من عمل الشيطان .

وكان عدنان الراوي شاعراً يرى ان للشعر وظيفة واحدة هي القتال ضد اعداء العروبة ، ولذلك كان اول من اضطهده نظام عبدالكريم قاسم .ونظام نوري السعيد من قبله فاضطر الى الهرب عبر الحدود السورية ومن هناك جاء الى القاهرة هارباً من جحيم بغداد ، ولما كانت له علاقات سابقة بانور المعداوي ، فقد اختار السكن في حي الدقي وجعل من قهوة «عبدالله» مكانا مختاراً لتدبيج قصائد من نار ضد العصبة التي استولت على بغداد في غفلة من الزمن .

كان من عادته ان يحضر الى المقهى في الضحى ، فيجلس ساهما يرقب حركة الميدان ، ويظل على هذا الوضع ساعات ثم ينصرف في الساعة الثانية بعد الظهر ليذهب الى شقته فيستريح بعض الوقت قبل ان يعود الى المقهى في السادسة مساء فيجلس صامتاً نحو ساعتين قبل ان يندمج في حوار ساخن حول العروبة والشعوبية والوحدة وانصار التجزئة والانقسام ! وكان يبدو في تلك الاوقات بالرغم من ضآلة حجمه كانه بركان تغلي في اعماقه الحمم ، ولكنه كان يعود الى هدوئه وصمته بعد نهاية الجلسة ويعود الى الحملقة في الميدان حتى تغلق المقهى ابوابها ، فيهب متخذاً طريقه الى شقته سيراً على الاقدام ، وكان يسلك طريقاً واحداً لا يغيره عبر شارع المدارس حيث تقع جامعة القاهرة ، ومن هناك الى شارع الدقي حيث يقيم . ولقد حاولت مراراً وفي المرات القليلة التي شاركته فيها رحلة السير على الاقدام ان اسلك طريقاً اخر عبر شارع «مراد» او شارع «النيل» ، ولكنه كان يرفض بشدة ، فقد كان يشم في شارع المدارس رائحة شوارع مشابهة احبها في احياء الاعظمية وصدر القناة والسبع ابكار في بغداد .

وكان عدنان الراوي يعشق بغداد بجنون ، كان يتوقف احيانا كثيرة عند منظر يصادفه في الطريق ويزفر في حسرة ويقول في هدوء وفي اسى : هذا المنظر له شبيه في سوق الغزل ببغداد ، اما شارع النيل فكان يذكره بشارع ابي نواس على شاطىء دجلة ، وكان يتردد كثيراً على شارع الموسكي لانه كان يشبه شارع الرشيد .

وكان يرى ان العراق هو اهم جزء فى الوطن العربي واخطره ايضا ، إنه اخطر من فلسطين ، لان فلسطين تقع في قلب الأمة ، وقد ضاعت من قبل ولكن العرب استردوها ، لأن العرب حولها من كل مكان ، اما العراق فهو نتوء خارج من جسم الوطن العربي ويحيطه اغراب من كل جانب ، ولذلك فالخطر عليه اكبر ، لأن الاعداء يمكنهم لو تمكنوا ان يقضموا منه قطعة وراء قطعة ، ولو ضاعت قطعة ، فمن المستحيل ان تعود ، وكان حزينا ومهموما لأن عبدالكريم قاسم وبطانته ليسوا امناء على تراب العراق ، لأن التراب ليس له قداسة في نظرهم ، انما القداسة والفداء للطبقة ، بغض النظر عن اللون والجنس والدين . وعندما سألته ذات مساء ببراءة متحمس لم تنضجه الاحداث بعد عن السبب في مجيئه الى القاهرة ، ولماذا لم يستقر في بيروت مثلا وهي اقرب الى بغداد قال ، هذا سؤال وجيه وان كانت الاجابة عليه ينبغي ان تكون معلومة لديك . ولما بدا على ملامحي انني لم افهم ، قال صحيح بيروت اقرب ، ولكن في السياسة القرب والبعد ليس له فضل ، ولكن الفضل كله للتاثير ، ولهذا السبب جئت الى القاهرة ، لانها اكثر تاثيراً على بغداد من بيروت او غيرها من العواصم ، ولأن مصر هي القطر القاعدة ، وعلى كل المقاتلين من اجل العروبة والحالمين بدولة الوحدة ان يحتشدوا جميعا في القاهرة وليس في اي ارض سواها ، لان الاحتشاد في مكان آخر هو مضيعة للوقت ولعل هذا هو السبب الذي اوقع عدنان في تناقض حاد مع بعض فصائل الثورة العربية التي لم تكن تؤمن بما يؤمن به عدنان ، ولم تكن ترى ما يراه .

والحق اقول انني من خلال صداقتي لعدنان الراوي التي امتدت عدة سنوات ، كنت اتصور – ولا ادري لماذا – انه يعيش

سعيداً في القاهرة ، فهو لا يؤدي اي عمل وهو يقضي نهاره كله على المقهى مع الاحبة والأصدقاء ، وهو حر يقرض الشعر ويتغنى ببغداد ويكافح وهو في مامن من الخطر . الى ان اكتشفت العكس ! ففي ذات مرة من المرات التي انفردت فيها بعدنان في المقهى ، راح يحكي لي عن القلق الذي ياكله ، والألم الذي يعتصر قلبه ، وعن الضياع الذي يشعر به غالباً ، وعن الاهانات التي تلحق به احياناً ، من بعض صغار الموظفين الهلافيت الذين يعملون في اجهزة الدولة ، وقال وهو يزفر بشدة ، لولا المبادىء التي اعتنقها والهدف الذي اسعى اليه ، لآثرت العيش في بغداد في اي وضع وتحت ظل اي نظام ، ولكنه قدري ، ولم يولد بعد من يستطيع تغيير مسار الأقدار !

ولم اصدق عدنان ، او بمعنى اصح لم اقتنع بما قال ، ظننته يبالغ في وصف مشاعره ، ولكني وبعد مرور عشرين عاماً على كلمات عدنان الراوي التي قالها لي في قهوة عبدالله ذات مساء ، تذكرته عندما كنت مقيماً في المنفى والغربة وقد سارت بي الاقدار الى موقعه السابق واصبحت لاجئاً وقضيت تسع سنوات طويلة في هذه الغربة ، وتمنيت في بعض الاوقات لو كان عدنان الراوي على قيد الحياة ، لقلت له صدقت يا عم عدنان ، فما ابشع ان يشعر الانسان انه مثل ريشة في مهب الريح ، وما اتعس لحظات الحيرة والضياع ، وما افظع ان يتحكم في الحر الهارب بعض هلافيت الموظفين الذين هم لكثرتهم ووجودهم في كل الاقطار ، دليل على اننا امة واحدة دون جدال !!

وكلما رجعت الآن الى تلك الايام في اواخر حقبة الخمسينات واوائل حقبة الستينات ، اتذكر كيف كان وجه عدنان مراة لما يحدث في بغداد . عندما اندلعت ثورة الشواف في الموصل ، كاد يرقص طرباً وتخلى في تلك الليلة عن وقاره المعهود ، وعندما انتكست الثورة ، بدا عدنان كانه ميت خارج من قبره وبعدها صار يائساً من تغيير الاحوال ، وعندما تطورت الأحوال في بغداد الى الاسوا ، وانطلق المهداوي خلف احرار العراق ،وأسرف فيهم قتلا وتشريدا . اصبح عدنان يختفي من المقهى بالأيام كان يلزم شقته فلا يغادرها ، ويبتعد عن الأصدقاء، فلا يذهب لاحد ولا يستقبل احداً واعتدنا نحن رواد القهوة هذا الغياب ، فلم نعد نلح في السؤال عندما يبتعد عن اعيننا ، ولكن غيابه الأخير طال ، فذهبنا نسال عنه ، واكتشفنا انه في



عدنان الراوى

المستشفى . وحكى لنا وهو على سرير المرض ، كيف انه يعاني من كحة شديدة لم يستطع التخلص منها ، وقال ان الأطباء نصحوه بالاقلاع عن التدخين ، وضحك في مرارة وقال ، لقد اقلعت عن الوطن ، والآن جاء دور الاقلاع عن الهوايات ! وقال بعد صمت قصير ، ماذا يبقى من الانسان ؟ وخرج عدنان من المستشفى ولكنه سرعان ما عاد اليه ، واصبح يتردد على المستشفى بين الحين والحين ، ولكنه ازداد نحولا ، وضربت الصفرة في وجنتيه ، وذبلت عيناه وعللنا مرضه الى شدة حنينه لبغداد .

واصبح عدنان شديد الخوف ، ليس من المرض او الموت ، ولكن خوفاً من ان يموت وهو بعيد عن مسقط الراس ، ودون ان تكتحل عيناه برؤيته من جديد .

وتهدمت جدران قهوة محمد عبدالله ، وزالت كلها قبل ان ينهار النظام الذي كان قائماً في بغداد ، واضطر الى مغادرة قهوة عبدالله الى قهوة انديانا التي كانت مقعداً لكل اللاجئين القادمين من بغداد ، ولكنه كان يؤثر الوحدة والصمت . وذات صباح جاءه الفرج ، فقد سقط النظام الذي كان قائماً في بغداد . وطار عدنان الى بغداد ، ولكنه سرعان ما عاد ليواصل علاجه في القاهرة .

في تلك الأثناء كان الأطباء قد اكتشفوا مرضه الحقيقي ، كان داء السرطان قد انتشر في صدره وكبده وتوغل في امعائه وعندما عاد الى القاهرة كان قد فقد نصف وزنه ، وافتقد حماسه وحيويته ، وعندما سالته عن الأحوال في بغداد ، اجاب في ابتسامة باهتة : تغيرت بغداد وتغيرت انا الآخر . ودخل المستشفى في القاهرة لعدة شهور ، ولكنه ظل متمسكاً بعادة قديمة لديه ، فقد كان يكتب خطابات يومية لعدد من اصدقائه يشرح لهم مرضه وتطوراته ويضمنها ابياتاً من شعره كتبها حديثاً . وكان شعره في تلك الفترة غاية في

العذوبة والصفاء وكانما تحول عدنان فجاة الى صوفي يحلق في ملكوت الله . واقترح عدنان في احد خطاباته لأنور المعداوي ان يبحث له عن ناشر في القاهرة ينشر ديوان شعره . وفي خطاب اخر كتب يقول لأنور المعداوي : إذا قدر لي الشفاء فسابادر باستكمال بناء داري التي تقع بمنطقة ساحرة على صدر القناة في بغداد . ولكن المرض اللعين كان قد انشب اظافره في لحمه وفي عظامه ، ويبدو انه مل طول الرقدة ومرارة الوحدة ، فترك المستشفى وغادر القاهرة عائداً الى بغداد .

وعندما زرت بغداد بعد ثورة ١٤ رمضان ذهبت لزيارة عدنان الراوي في منزله بصدر القناة ، ولكني كرهت اليوم الذي ذهبت فيه اليه ، لانني لم اتعرف عليه إلا بصعوبة ، وعندما رايته انكرته ، لم يكن هذا عدنان الذي عرفته ، اين الأمل ؟ والحيوية ؟ اين البركان الذي كان في داخله ؟ والتصميم الذي كان في عينيه ؟ لقد انطفا كل شيء فجاة واصبح الرجل حطاماً وشبحاً ، وهو بعد على مشارف الخامسة والأربعين . وبالرغم من ضعفه وذبوله إلا انه استقبلني بحفاوة شديدة واصر على ان ينهض من فراشه ، وتمنى لو استرد عافيته ساعة من الزمان ليقضيها معي في حديقة منزله ، وليطلعني على طريقة طهي السمك المسجوف والذي كان يحبه وطالما حكى لنا في قهوة عبدالله عن السمك المسجوف ، وسالني عن اخبار القاهرة واخبار الأصدقاء واستفسر عن مرض انور المعداوي ، وعن احوال زكريا الحجاوي وعندما نهضت مودعا إياه تعلقت يده بيدي دقائق .وقال ، لقد افتقدت القاهرة ولياليها ومقاهيها ، ولكني ساعود اليها قريباً لأعرض نفسي على الطبيب واقضي اياماً مع الأصدقاء . وعندما خرجت من بيته ادركت انها آخر مرة اراه فيها ، وانه على وشك الانطفاء روحاً كما انطفا جسداً . ولقد حدث ما توقعته . فبعد وصولي الى القاهرة ، جاء عدنان إلى القاهرة ليدخل المستشفى مرة اخرى واخيرة ، وبعد اسابيع قليلة مات في القاهرة ، واقيمت له جنازة كبرى ، ونقل جثمانه إلى بغداد ليدفن في أرضها كما تمنى دائماً ، ومضى واحد من جيل المثقفين العرب الذين اقلقهم مصير الوطن وارعبهم ما يلوح على الطريق من نذر ، وسقطوا وهم يحاربون في الداخل وفي الخارج معاً اعداء اغراباً في الخارج واعداء محليين في الداخل ، ولشدة ما قاتلوا في المعارك سقطوا صرعى قبل الأوان !

الوسّية

عمل أدبي كبير أغفله النقد ظلماً!

بقلم : فتحي رضوان

لقد عرفت الدكتور خليل حسن خليل منذ سنوات ، أستاذاً في جامعة القاهرة ، في الاقتصاد السياسي ، وكان كل مايصدر عنه ، يدل على أنه صنع نفسه ، وكابد في الحياة ، مكابدة كلفته الكثير من الالم والحرمان ، بل من الشقاء والعذاب ، فخرج من التجربة الطويلة المضنية ، صلب العود ، تلميذا باراً لسنوات الكفاح ، وللطريق الصعب ، الذى شقه في الصخر ، بأظافره ، صابراً صامداً ، لا ينثني له عزم ، ولا تلين له قناة . عرفت ذلك من قسمات وجهه ، ونبرات صوته ، وقامته الممشوقة ، واستعداده المتجدد ، لإسماع صوته ، وفرض وجوده . ولكن كل هذا ، من قبيل الاستنتاج والاحساس اللا شعورى ، من مخالطة غير صميمة ، في فترة غير طويلة ، ومن كلمة ألقاها في اجتماع انتخابي في مصر الجديدة الضاحية الأنيقة – أو التي كانت أنيقة – والتي تقع غير بعيد من القاهرة . فقد تنافس على هذه الدائرة خمسة من المرشحين ، وكنت عضواً في اللجنة العليا للانتخابات ، ومشرفاً على مصر الجديدة وما حولها ، واقترحت على المرشحين ان يقدموا أنفسهم للناخبين في اجتماع واحد . فلما جاء دوره للكلام ، قال كلاماً ، هز الحاضرين ، وأنا في مقدمتهم . لقد انفعلت له من الاعماق لأنه قال مالم يكن في وسع أحد سواه ان يقوله . فقد قال : اذا كان مجتمع الثورة يتكون من العمال والفلاحين والجنود والمثقفين ، فأنا أمثل هذه الطوائف جميعاً ، فقد كنت عاملاً زراعياً ، لم يزد أجرى عن قروش ، وعشت عيشة الفلاح الفقير الصغير المحروم والتحقت بالجيش جنديا متطوعاً ، وفي كل يوم خميس كنت أقف في ميدان الجامع بمصر الجديدة ، لأنتظر الترام الأبيض لأذهب الى القاهرة ، التماساً للراحة والترفيه بعد اسبوع عمل شاق ، ثم إني قد علمت نفس فحصلت على الشهادات من الابتدائية حتى ليسانس كلية الحقوق ، منتسباً ، وبالمجان .

ولكن مهما كان تأثرى بهذا الكلام ، واعجابي بشجاعة الذى قاله ، فقد كان انفعالاً عابراً ، لأنه قيل مع كلام كثير غيره ، ولأنه قيل دون أن نعرف ما وراءه من أهوال المكابدة ، ولا المآسي التي عبرت عنها هذه الكلمات القصار ، ومدى اختلاط سني تلك التجربة بالدم المسفوك ، والعرق المتصبب ، والاحساس الجريح ، والكرامة المطعونة ، حيث اتصل بي الدكتور خليل حسن خليل منذ أسابيع قليلة ، وطلب ان يزورني ، فلما جاء لزيارتي ، لمحت في يده كتابا ، وهمت أنه أحد كتبه في شؤون الاقتصاد أو السياسة ، ولكني فوجئت بانه رواية تحمل اسم الوسية ، وأنها صدرت منذ سنوات ، فاغفلها الجميع ، فمَرَّتْ منسية ومتروكة . وقد تصورت باديءَ الأمر أنها محاولة وحيدة ، لرجل علم ، أراد أن يرفه عن نفسه بعمل أدبي ، فجاء كالعادة في مثل هذه الظروف ، أشبه شئ بالتقرير ، الذى ينطوى على طرائف مرت بكاتبه ، وقد يتسم بالمذاق الأدبي ، وبطلاوة الاسلوب ، وبحرارة العبارة ، وبصدق الكاتب . ولكنها تبقى في آخر الأمر ، منقطعة الصلة بروح العمل الأدبي ، الذى يحتاج مع كل تلك العناصر ، الى خيال ، يستخرج من الوقائع ، بواطن حقائقها ، ويحس بتناقض الحياة ، الذى يحيل المآسي الى مهازل تضحك ، والمهازل الى مآسٍ تبكى ، ويروى الفواجع وهو يسخر منها ، ويعلو عليها ، ويطل على تتابعها واتصالها ، كمصور يجلس على مقعد عال ، يراها ، وحدة لا تنفصل اجزاؤها بعضها عن بعض ، ثم يرى ماوراءها ، مما لا تدركه العيون ولا تهتدى اليه الأبصار ، ويبقى حقا خالصا لذوى البصيرة النفاذة فلما قرأت



الوسية ، رأيت أن المجتمع الأدبي ، قد ظلم مؤلف الوسية ظلما بيِّنا . وظلم نفسه في الوقت نفسه . (فالوسيه) وثيقة أدبية من الطراز الاول ، رسمت بريشة فنان مرهف الحس ، قوى النفس ، له في الحياة اهداف تجعل تجارب الألم والفجيعة ، والاهمال والسقوط ، والتطلع الى التقدم والنجاح ، المحفوف بالمكاره ، والمصاحب للفشل الموجع ، وخيبة الأمل الطاغية ، عناصر لا مفر منها ، ولا مندوحة عنها . بل لعلها هى الدم الذى تعجن به فطيرة الحياة ، في اسمى درجاتها ، والتي لا تخرج هذه الفطيرة من فرن الأمتحان الرهيب ، الا اذا عجنت ، وأصبحت جزءا منها .

قرأت ثم قرأت ، وأخذت أطوى الصفحات ، وأنا أقلب في الوقت نفسه ، وقائع مساحة من الزمن ، بلغت نحو ربع قرن ، تزاحمت فيها الأحداث ، وتشابكت ، كما لم تتزاحم وتتشابك في أية فترة أخرى .

فالفترة التي تصورها ، وتعبر عنها ، وتصف مقدماتها ، وخلفياتها رواية الوسيه هى الفترة التي شهدت الحرب العالمية الثانية ، ونشوب حرب فلسطين وتجمع ارهاصات ثورة سنة ١٩٥٢ ، وتهاوى العهد القديم ، وتشبثه العنيد بالبقاء ، وحرصه على ألا يترك المسرح ، وعجز قوى التجديد والعهد الجديد عن رفع قبضة الاستعمار والظلم الاجتماعى ، عن عنقه الضعيفة والنحيفة التي تكاد تنفصل في يده عن الصدر والرأس ، ليسلم صاحبه أنفاسه الأخيرة للموت الأبدى .

فترة ليس في غناها وضخامة آثارها ، وتعقد مقدماتها وتنوع مصادرها ومواردها غيرها في تاريخ مصر الحديث ، وفي تاريخ المنطقة العربية كلها خلال القرنين الحاسمين : التاسع عشر والعشرين . وهى فترة للأسف المحض ، لم تظفر من أدب المصريين أو أدب العرب أجمعين ، ماتستحقه من التصوير والتحليل . فاذا استحضرنا اسماء الروايات والقصص والمسرحيات والقصائد ، لم نجد فيها كلها في الاغلب الأعم الاّ صورا من الظاهر ، تروى الوقائع وتقدم الشخصيات ، ولا تغوص الى الباطن ، ولعل مرد ذلك الى أن اكثر الذين كتبوا عنها ، كانوا ممن يشاهدون أحداثها من موقع المتفرج وقد يكون المتفرج حساساً ، وشديد الاتصال بمن يرى ، ثائرا على مايجرى راغبا في التغيير ، ناقماً على تفريط بعض القادة والمسئولين أو تباطئهم أو تهاونهم الذى يبلغ حد الخيانة ، ولكن ليس في هؤلاء جميعا واحد اكتوى بنار تلك الأيام ، وبات على الطوى ليالى ، والتحف السماء ، وافترش الغبراء . وكان واحداً من المحرومين بالمعنى الحرفي لهذه الكلمة الحارقة والكاوية . ولكن خليل حسن خليل عرف لهيب الجحيم ، وهو يتلظى في أعماقه ، وعاش في الخلاء ، واتخذ من اكياس القطن فرشاً وغطاءً ، وأكل الخبز الردئ المخلوط بالتراب ، ولم يكن أدامه الا (المخلل) الذى يشوى الامعاء ، فيتركه ، وهو يتلوى من المواد الكاوية ، التي كان يتبلغ بها باعتبارها طعاماً . وكان في الوقت نفسه في ذيل المجتمع ، لا يعرفه أحد ، حتى ولا الشرطى الذى لايملك حتى لنفسه ضرا ولا نفعا ، فهو يواجه المجتمع بكل سلطاته ، وبكل طبقات أغنيائه وأشباه الأغنياء ، واتباع الاغنياء وصنائعهم ، وهو وحده شبْه عار ، يخوض في الوحل ، ويترك في العراء ويتكلم معه صاحب الضيعة ، كما يتحدث الى أحد حميره أو خيله ، لمجرد أنه يقضي حاجته وينفذ أمره ، ولم يكن خليل حسن خليل العامل الزراعى ، في ضيعة الخواجه اليوناني أياً كان اسمه (يني) أو (منحا ليدى) ، أو (كوستا) ، مجرد عامل زراعى يتقاضى في الشهر الواحد ٤٥قرشا صاغا – لا

الوسيّة

عمل أدبي كبير أغفله النقد ظلماً!

في اليوم – ولا في الاسبوع – وانما في الشهر ، الذى عدة أيامه كما نعرف كلنا ثلاثون يوماً، ثلاثون يوما ينفق فيها ٤٥ قرشاً لا على نفسه فقط ، وانما على نفسه وعلى أمه وعلى اخواته البنات . ولا تسألني كيف استطاع ان يعيش هو وعائلته بهذا المبلغ الحقير . وياليته كان فلاحاً ورث الفقر عن أبيه وجده ، وأصبح يؤمن بأن ما يجرى له ، ليس سوى الامر الطبيعي ، الذى يشبه شروق الشمس وغروبها ، وامتلاء الشوارع بالطين ، ووجود الناموس والقمل والضفادع ، وباقي الضربات التي ضرب بها الله فرعون وقومه .

فقد كان خليل حسن خليل طالباً متفوقا في المدرسة الابتدائية بقرية كفر صقر ، وحصل على شهادة الابتدائية بتفوق عظيم ، وذهب الى المدرسة الثانوية ، ولكنه طرد لا لأنه رسب ، ولا لأنه ارتكب خطأ خلقيا ولكن لأنه ارتكب أكبر جرائم ذلك العهد : فقره المدقع الذى حال بينه وبين ان يدفع القسط الثاني من مصروفات المدرسة لان وزارة التعليم في ذلك العهد ضنت عليه بمجانية كاملة مع تفوقه العظيم فطرد ليعمل في مزرعة الخواجه اليوناني الذى وفد الى مصر ليعمل خادماً في مقهى (جرسون) كان الأجانب في ذلك العهد ، يجدون في خدمتهم جيش احتلال بريطاني . فقد كان ممكناً ان يتحول الخادم اليوناني الأمى الجاهل ، والجشع ، والذى لا يتورع عن ارتكاب أية جريمة ، مع الفظاظة والغلظة والتعالى على المصريين واستغلال فقرائهم ، يستطيع ان يتحول الى ثرى كبير ، ويملك في ناصية واحدة خمسمائة فدان ويكون الفلاح الصغير الذى يبلغ الخامسة عشر ، موظفاً عنده يقوم باكثر من وظيفة هامة : كتابية وادارية ، مقابل مرتب حينما بلغ أقصى الغاية كان جنيهاواحدا .

كان الأدب المصرى في أشد الحاجة الى كاتب خاص هذه التجربة ، ليصفها بصدق ، وببراعة حقيقية ، فقد عرف خاصية العمل الأدبي الناجح ، وهى الاقتصاد الشديد في الالفاظ ، حتي تصبح الجملة وحدة متماسكة ، كأنها رصاصة تقتل ، أو تبعث في نفس القارئ جيشاناً واضطرابا وانفعالا ، يهدأ ليتجدد ، ويتوارى ليظهر .

فرواية الدكتور حسن خليل حسن ، خلت من الرنين الخطابي ، والنبرة الوعظية والاسلوب التقريرى ، وهذه كلها عيوب ، تجرد الرواية من مذاقها الروائي الذى هو جوهر العمل الأدبي الذى يتخذ الرواية شكلاً ، وقالبا . وللرواية ميزة أخرى ، ذلك هو تجرد الرواية من المرارة التي تضعف السمة التلقائية للقص والسرد ، وتميل بها الى صيغة القص ، أو الوعظ . فحياة الصبي في ضيعة (الخواجا اليوناني) ، والتناقض الهائل بين بذخ حياة هذا الدخيل الذى يكاد يكون لصا متلبساً بسرقته ، بين جموع الفلاحين الذين يشقون طوال العام ، في أشد الظروف قسوة ، مقابل كسرة خبز لاتسد رمقهم ولا تقيم أودهم ، تروى ، في طيبة وسذاجة ، وكان الذى يرويها صبي شقي ، يسخر من هذا الاسلوب المضحك المخزى من شئ لايصح تسميته حياة الاعلى سبيل التزييف او التلطف وهو اذ يروى هذه الحياة ، ويصورها لك ، لا يقف أمامك بالفرشاة وبذلة الفنان فيفسد عليك تمتعك بالصورة التي تنتفض حياة ، وتتألق فيها الالوان المتباينة ، مع تناسق تام بجو المأساة التي بلغت القمة واستحالت مهزلة . وهو قادر على ان يصور الشخصيات العديدة التي تتكون منها الصورة الرائعة التي يقدمها لك ، بدقة تاخذ بلبك : رئيسه المباشر (سليم) الذى يكاد يتضور من الجوع ومع ذلك يرضى بقسمته ويدعو الله مخلصا (اللهم أدمها نعمة) ويجعل شعاره قولة (رضا) والخفير ، والكاتب الذى يسرق الخواجة صاحب الضيعة ، والفلاحون الفقراء الذين يطحنهم الفقر طحنا بقسوة بالغة ، وهم أعجز من أن يتصوروا هناك مخرجاً من هذا الجحيم الذى يصطلون بناره .

ولا تفارق الكاتب قدرته حين يتنقل من حياة الريف ، الى دنيا المحبين التي تحس معها بنسمات رقيقة ، ولطيفة تخفف من قسوة جو الرواية ، وهى تقدم لنا أهل الريف ، أشبه شئ بالمحكوم عليهم بالموت ، وهم يساقون الى مشنقة خفية ، يعلقون في حبالها ، ومع ذلك لا يموتون . وحينما يصل بطل الرواية الى القمة ، فيحصل على ليسانس الحقوق ، لا تحس ان الازمة انتهت ، وانما تحس أن أزمة البطل ، طوال فصول الرواية هى في الواقع أزمة مجتمع ، فالشقاء الذى يعانيه البطل ، هو شقاء المجتمع الذى ولد فيه ، وانتسب اليه ، وهو شقاء يطارد الفقراء فيه وميسورى الحال معاً ، وان كان وقعه عند هؤلاء يختلف عن وقعه عند اولئك .

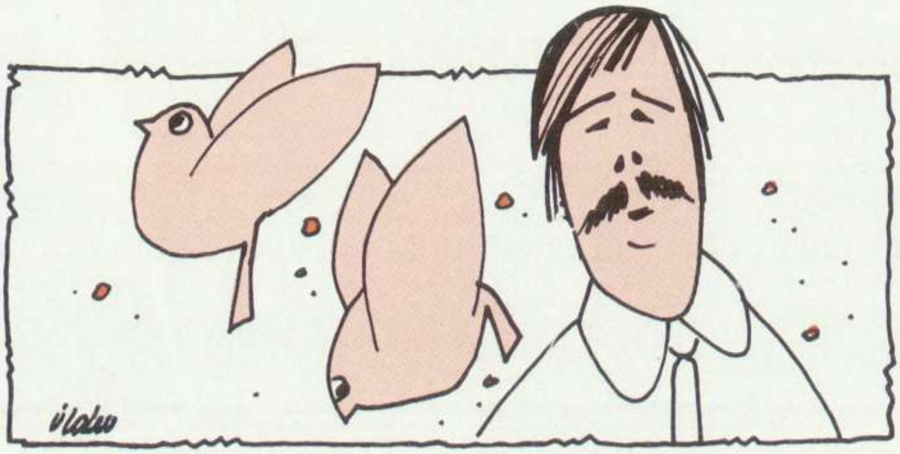
وآخر الأمر أنا أزعم أن (رواية الوسيه) ، هى وثيقة اجتماعية وسياسية ، ناطقة وموحية ودافعة ، بقدر ماهى وثيقة ، تقف وستقف في تاريخنا الأدبي في مكان خاص ، سيلفت إليها الانظار وسيوقف الاقلام ، ولو اننا اغمضنا العين عنها وتجاهلناها ، ربما لأننا ألفنا أن نعايش التوافه ، والسطحيات ، واعمالا تتسم بالغلظة والفراغ .

فتحى رضوان

ضريح المليكة

« إلى أمي »

شعر: علي جعفر العلاق

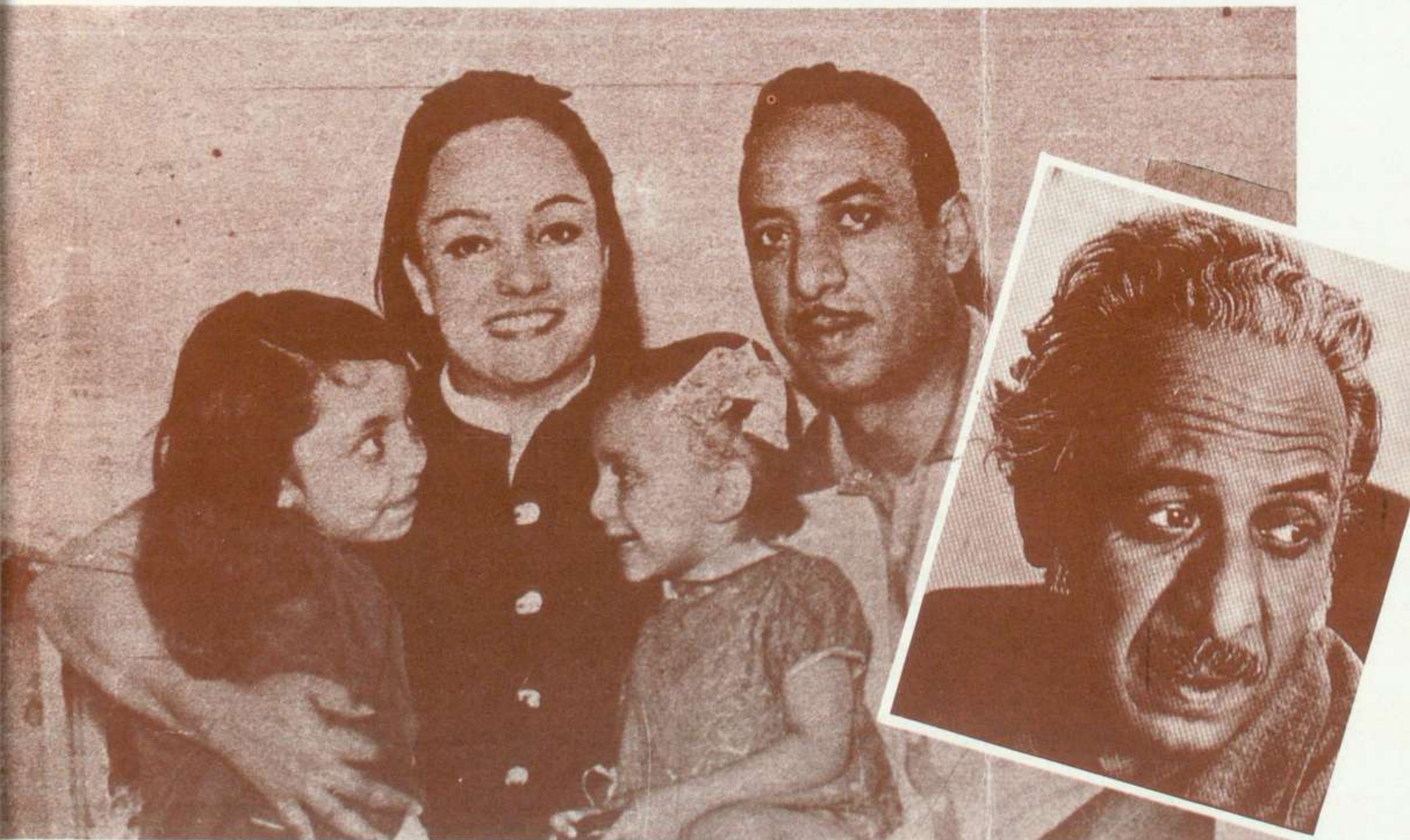


تظلّلني وأنا أدخلُ المقبرةْ
سماءٌ من اليتمِ ،
والعشب ،
والحَسَراتْ ،
رمادٌ يحاصرني من جميعِ الجهاتْ
سُحُبٌ مقفرةٌ ،
تظلّلني وأنا أدخلُ المقبرة ..
سريرُ المليكةِ مملكة
من أنينٍ وأتربةٍ ،
قمرٌ ضائعٌ فوقَ صمتِ المياهْ ،
أرائكُ منذورةٌ
لطيور الصباح
ضريحُ المليكةِ أدعيةٌ ،
تعبٌ لايجدّ مداهْ ..
وتتّسعُ المقبرةْ
ترتّب أحجارَها
وتتادمُ آبارها المقفره
توسّعها تارةً ،
وتضيّقها تارةً .

على بعضها البعضِ تتكيءُ
ومن آخرِ العمرِ تبتديُّ
تلمَّسْتُ دربيَ ، لا العشب يعرفُ
أينَ خباءُ المليكةِ ، لا الرملُ يعرفُ
أينَ أريكتُها ،

مَنْ يشمُّ حرائقَ روحي ؟
مَن يحرّرني
مَنْ دخانِ ثيابي ؟
حنينيَ مشتبكٌ
ودمي شركٌ
لا صطيادِ الأسَى
والذئابِ ..

وأخرجُ من طرفِ المقبرةْ
يرافقني قبرُها الواسعُ
ويهمسُ لي السورُ ، والقمرُ الضائعُ :
– ضريحُ المليكةِ في أوّلِ المقبرةْ .
– ضريحُ المليكةِ في آخرِ المقبرةْ .
– ضريحُ المليكةِ ، كالافقِ ، يحتضن ، المقبرةْ ..



الشاعر صلاح عبد الصبور مع زوجته الأديبة سميحة غالب وابنتيه الوحيدتين : مى ومعتزة

كيف انتهت حياة شاعر كبير؟

تفاصيل الليلة الأخيرة في حياة الشاعر صلاح عبد الصبور

الأديبة سميحة غالب زوجة الشاعر:

- زوجي قتلته كلمة تشبه طعنة السكين .
- النقاد ظلموا صلاح عبد الصبور عندما طالبوه بالتفاؤل في شعره .
- «الحديقة الموحشة» آخر ما كتب ، عن عالم أبي العلاء المعري .
- «أحلام الفارس القديم» أحب قصائده إلى نفسي ، و «ليلي والمجنون» أحب مسرحياته إلي .

أجرى الحوار : محمد يوسف

في هذا الحوار مع السيدة سميحة غالب (زوجة الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور) تميط ، رفيقة دربه ، اللثام عن تفاصيل الليلة الأخيرة التي شهدت سقوط الفارس ، وتلم شظايا المشهد الأخير الفاجع قبل إسدال الستار .

من جانب آخر ، تستدعي السيدة سميحة غالب ذاكرتها المضيئة لتتحدث عن الكتب والأوراق الأخيرة التي تركها صلاح عبد الصبور ، وتجيب على بعض الأسئلة التي تتناول العصر الذي عاشه وعايشه ، وهل أنصفه أم ظلمه ، ولماذا كانت رؤيته الشعرية مبطنة برائحة اليأس الوجودي ، ولماذا لم يتفرغ الفارس الراحل للابداع والكتابة ، وهل خذل صاحب (الناس في بلادي) الشعر والموقف أم لا ، وما هي أحب أشعاره ومسرحياته إلى نفسها ؛ وماذا علم ابنتيه : «مي» ، و«معتزة» ؛ إلى جانب بعض ذكرياتها معه .

وفيما يلي نص الحوار .

● **الاوراق الاخيرة التي تركها صلاح عبد الصبور .. ماذا كانت تحتوي ؟ وهل اكملها .. ؟**

–الأوراق الاخيرة التي كتبها صلاح عبد الصبور اتت مشتتة ، متفرقة .. تفرق وتشتت الايام نفسها .

كانت الايام بالنسبة لصلاح قاسية موحشة ، لم يعرف فيها إلا بسمات قليلة وجلة ومترددة ، تاتي على استحياء وتعكس على محيا ابنتيه «مي» ، و «معتزة» ؛ فهما كانتا البسمة الوحيدة في حياته ، اضيف انهما كانتا السبب الوحيد ايضا الذي جعله يحرص على بعض الأشياء التي لم يكن هو شخصيا بحاجة إليها .

وانا ادين نفسي ، بصفتي زوجة لصلاح عبد الصبور ، لأنني وضعت امومتي في المرتبة الأولى ، ولم اسمح لأي ظرف من الظروف أن يهز كيان اسرتي الصغيرة .

اعود إلى الأوراق التي تركها صلاح فاقول لك إنه انتهى من كتابه «الحديقة الموحشة» وهو عبارة عن نصوص مختارة من شعر ابي العلاء المعري مع تقديم وتحليل ونظرة نقدية .

كتب أيضاً ، قبل رحيله ، بدايات مسرحيتين ، الأولى عن (عنترة) والاخرى عن (الزير سالم) ، إلى جانب كتابة بداية لمسرحية نثرية ، وبداية مشروع قاموس عربي كان قد اتفق على إعداده وكتابته ، مع سهيل إدريس لنشره في دار الآداب .

● **الليلة الأخيرة التي شهدت رحيل صلاح عبد الصبور : ما هي تفاصيلها ؟ ماذا حدث ؟ .. وكيف سقط الفارس ؟**

– بداية اقول لك إن صلاح عبد الصبور لم يكن يقبل ان ينتمي إلى اي نظام سياسي .

ببساطة : لانه لم يقتنع باي نظام سياسي ، ولم يكتب كلمة تاييد او مهادنة لأي نظام من الانظمة .

صلاح عبد الصبور كان يحمل هموم المثقفين على كتفيه ، وفي قلبه ، لقد كرس حياته لها ، ومات بها او بسببها .

وفي الليلة الاخيرة قتلته .. كلمة !

وهذا يؤيده تقرير الاطباء ، فالتقرير الموجود عندي يقول بان صلاح داهمته (جلطة في الشريان التاجي نتيجة انفعال داخلي اتى بعد فترة (إجهاد) .

والكلمة القاتلة قالها رسام مصري معروف الاسم في الجلسة التعسة في اليوم الاخير من حياة صلاح .

قال الرسام لصلاح بالحرف الواحد ، في منزل احمد عبد المعطي حجازي الذي كنا نحتفل معه بعيد ميلاد ابنته : «لقد بعت نفسك بمليم» .

كانت الكلمة طعنة غادرة في ظهر صلاح .. طمست كل الحقائق .

وقبل هذه الطعنة .. كانت الجلسة تضيق الخناق على صلاح بشكل ملتوٍ ، يحوم حول توجيه اتهامات باطلة له .

وتمالك صلاح نفسه ورد على الرسام : كيف بعت نفسي ؟ ولمن ؟ وباي ثمن بعت نفسي ؟

ولما لم يرد عليه بجواب مقنع اضاف صلاح قائلا : انتم لا تجيدون إلا كلام الطرطشة العاطفية .

وهب واقفاً وهو يضع يده على قلبه ، يطلب هواء نقيا لان جو المكان تسمم بالغدر والكذب وتلفيق اسباب الاتهام .

● **كيف واجهت هذا الموقف .. وكيف تصرفت إزاءه ؟**

– في بداية الكلام المريب ، وقبل ان يصاب صلاح بالأزمة القلبية احسست انا بضيق في التنفس ، واخذتني زوجة عبد المعطي حجازي لاغسل وجهي وامسح دموعي ، ولكني شعرت بان روحي على وشك ان تصعد إلى بارئها .

وقلت لزوجة حجازي : إنني اشعر باني اموت فعلا .

ولكنني تماسكت ، وعدت لاكون إلى جوار صلاح .

بعدها سمعت الكلمة القاتلة ، او الطعنة الغادرة توجه إلى قلب صلاح في حضور ابنتيه (وابنتي) : «مي» ، و «معتزة» .. !

ولم اتمالك نفسي ، ولم يشف غليلي رد صلاح ، فصحت في وجوه الحاضرين متهمة الجلسة كلها بطابع السوقية .

وطلبت ، من الرسام في ذروة الانفعال ، ان يعطيني ورقة مكتوبة في ثلاثة اسطر ، لا غير ، يذكر فيها بعضاً من مواقفه الوطنية الشريفة ..

.. ولكن صلاح وضع يده على كتفي قائلا : كوني قوية يا ام «مي» .

وردد هذه العبارة اكثر من مرة ، وكانت هذه هي آخر كلماته لي .

● **هل تسمحين لذاكرتك باعادة المشهد الأخير .. بتفاصيله المفجعة ؟**

– نسيت ان اذكر انه بعد ان ثرت اذا في وجوه الحاضرين انحنى الرسام على حذاء

تفاصيل الليلة الأخيرة

في حياة الشاعر صلاح عبد الصبور

صلاح طالباً منه الصفح والتسامح .

وسحب صلاح قدمه إلى الخلف قائلا : انا اكره مثل هذا التصرف .

وخرج إلى الطريق طلباً للهواء النقي عله يشفيه من الطعنة الغادرة .

وخرج خلفه احمد حجازي وجابر عصفور .. وعندما كنت اهرول للحاق بصلاح اعترض طريقي امل دنقل قائلا : دعيه يذهب معهم وحده ، ليتمشى قليلا ويعود متناسيا ما قيل .

وبعد اكثر من ساعة ، ولا ادري بالتحديد الوقت الذي عاد فيه احمد حجازي وجابر عصفور ليقولا لي إن صلاح في غرفة الانعاش بالمستشفى .

ولم يصارحاني او يكاشفاني بان قلبه المطعون بغدر الأصدقاء لم يحتمل اكثر من دقائق ففارق الحياة غير اسف عليها .

ولكنني سمعت امل دنقل يتحدث بالتليفون مع الرسام الذي كان قد غادر الجلسة إلى منزله ويقول له : لقد قتلت صلاح عبد الصبور !

وعندئذ عرفت أن صلاح قد مات فعلا ، ولكني كنت احاول الا اصدق عيني ولا سمعي ، واتشبث باي امل ، ولو كان واهياً جداً ، خاصة وان «مي» و «معتزة» كانتا معنا ، وشهدتا وسمعتا كل شيء .

واوصلت بنتي إلى منزل امي ، وصممت على الذهاب إلى المستشفى .. وذهب معي جابر عصفور واحمد حجازي ثم لحق بنا امل دنقل بعد وقت قليل ، وبعض الأصدقاء الآخرين ..

وانا الآن .. لا اذكر كل الوجوه التي كانت موجودة في ساحة المستشفى فقد كان المشهد فاجعا إلى اقصى درجة .

لكنني اذكر كلمات امل دنقل الذي كان ممسكاً بذراعي لمساعدتي على الوقوف ومغادرة المستشفى .

قال امل : حزننا على صلاح لا نهاية له .. إننا جميعا سنتشرد من بعده .

وهنا انتبهت لكلمات الصديق امل وقلت له : الم يكن في استطاعتك ان تقول هذا الكلام لصلاح نفسه قبل ان يموت حتى تثلج صدره وهو يواجه هذه الافتراءات الكاذبة .

و ... كان قد فات الأوان ... !

المحور الثاني :

● العصر ، الذي عاشه وعايشه ، صلاح عبد الصبور باشراقاته وظلماته ، بانتصاراته وانكساراته ، ببياضه وسواده .. هل انصف صلاح عبد الصبور ام ظلمه ؟

اقول لك الآن ، بمنتهى الوضوح . ان الايام ظلمت صلاح عبدالصبور كثيراً ، وحتى الأصدقاء الذين كانوا يحيطون به في الصباح وهو في مكتبه (وكان كل منهم يطلب عوناً في عمل او في نشر كتاب ، ولم يرد صلاح لهم طلباً ابداً .. حتى هؤلاء الأصدقاء طعنوه طعنة غادرة .

والاقسى والامر ان صلاح كان يعرف طبائع الأشياء ، وجوهر الامور ، وفضائل البشر ، وغدر الاصدقاء ومرارة الايام ، ويشعر بها ، ويعيشها . لذلك ظلمه النقاد عندما طلبوا منه ان يسبغ بعض التفاؤل على شعره .

من اين ياتي الفرح وهذا هو الواقع المر الذي يواجهه ويجابهه على المستويين السياسي والاجتماعي ، بل حتى مستوى واقع الصحاب .

هذا زمن الحق الضائع
لا يعرف فيه مقتول من قاتله ومتى قتله
ورؤوس الناس على جثث الحيوانات
ورؤوس الحيوانات على جثث الناس
فتحسس راسك
فتحسس راسك

(المقطع الرابع من قصيدة « الظل والصليب» ديوان «اقول لكم») .

ها انا سائر في الفصول ، عليل
صحيح ، كئيب ، واخشى الكآبةَ
حينا ، وتمضي الحياة تعيدُ
مداراتها والشموس النجوم تعيدُ
استداراتها ، وروحي تعيد ولادتها
واحتضاراتها :
والشموس النجوم الآهلة ، يا زمنا
فاتراً ، يا حياة تجرب كيف تقلدُ
صورتها فى الزمان البعيد القديم
ها انا استدير بوجهي إليك ، ايا
زمنا ليس يوجد بعد ، ايا زمنا
قادما من وراء الغيوم

لقد ظلم العصر كله صلاح عبد الصبور، فلقد كان لصلاح فلسفته الخاصة في رؤية الاشياء ، وتقليب الامور ، وكانت رؤيته تنطوي على اشراقات وتكهنات مستقبلية ثاقبة :

كهان الكلمات الكتبة
جهال الاروقة الكذبة
وفلاسفة الطلسمات
والبلداء الشعراء

جرذان الأحياء
وتماسيح الأموات

•

حكوا اقفيتهم ، وتلاغوا كذباب الحانات
لا يعرف احدهمو من امر الكلمات
إلا غمغمة او همهمة او هسهسة او تاتاة
او فافاة او شقشقة او سفسفة او ما شابه ذلك من اصوات
وتسلوا بترامي تلك الفقاعات
لما سكروا سكر الضفدع بالطين
طربوا بنعيق الأصوات المجنون
حتى ثقلت اجفانهمو ، واجتاحتهم شهوة عربدة فظة
فانطلقوا في نبرات مكتظة

وتلوك الأشداق الفارغة القذرة
لحم الكلمات المطعون
حتى القوا ببقايا قيئهم الملعون
في رحم الحق
في رحم الخير
في رحم الحرية .

(مسرحية «ليلى والمجنون») .

● أختار كل أيامي معه إلا يوماً واحداً هو يوم رحيله .

● لم يتفرغ صلاح للكتابة لأنه لم يكن يملك غير راتبه .

● عندما كتب «مأساة الحلاج» كان يائساً من وجود العدل بين البشر ، وعندما كتب «بعد أن يموت الملك» قدم رؤية درامية للشاعر المهزوم الذي لا يملك غير كلماته .

● يرى بعض النقاد الذين يربطون مفهوم الالتزام (شعريا وإنسانيا) بمفهوم إعلان الموقف الواضح إزاء السلطة الهرمية الفردية بانه خذل الشعر ، وخذل الموقف .. فما رايك ؟

– في رايي .. إن وظيفة الشاعر ان يقدم الواقع من خلال رموزه المتمثلة في شعره ، فهو يحمل قلما ولا يحمل سيفا ، علما بان السيف احيانا تكون له ضربات طائشة وغير واعية ، اما القلم ، خاصة اذا كان في يد واعية مبصرة ، فانه يقدم كلمات لا تفسد فنه ولكنها تجسد الحقيقة وتبلورها في صياغة إبداعية يفهمها ويهضمها القارىء والمتلقي .

واضرب لك مثلا بما حدث عام ١٩٧٢ .. اي قبل حرب اكتوبر ، وهي الفترة التي عانى فيها الشعب والجيش المصري من عقدة اللاسلم واللاحرب ...

وخرج طلاب جامعة القاهرة في مظاهرات عاتية مطالبين بوضع حد لهذه الحالة ، وكانت المظاهرات تحمل لافتات كتبت عليها بعض اشعار صلاح عبدالصبور : (انفجروا او موتوا) ، و (رعب اكبر من هذا سوف يجيء) و (إنا ننتظر نبيا يحمل سيفا) .

الم تكن هذه المقتطفات من اشعار صلاح عبدالصبور تجسد موقفا ملتزما واضحا ؟

فكيف يقول هؤلاء النقاد ، بعد ذلك ، إن صلاح خذل الشعر وخذل الموقف ؟

إنني اطالبهم بالاحتكام إلى شعره ، وتفاصيل رؤيته الشعرية .

● ... الجانب الاخر من السؤال ، والخاص بالموقف .. في حاجة إلى بعض الاضاءة .. ؟

– لاباس .

ساذكر لك شيئا عن الملابسات التي اقترنت ، بطبيعة الحال ، بالظروف السياسية الأخيرة التي عاشها وواجهها صلاح عبد الصبور في الهند .

لقد ترك صلاح القاهرة على كره منه وشد الرحال إلى الهند حيث عمل هناك لمدة ثلاثة اعوام .

وهناك تضاعف حزن صلاح ، وكآبته ، وتفاقم إحساسه بالغربة .

وكانت الشمس الحزينة
تصب نارها الحزينة
في الأعين الحزينة لكتاباته
لامراة حزينة ، ورُجل حزين
في بلدة حزينة

(المقطع رقم (١٢) من قصيدة «شذرات من حكاية متكررة وحزينة» / ديوان (الابحار في الذاكرة)) .

وعاد صلاح عبد الصبور إلى القاهرة وهو يعرف انه سيواجه ازمات نفسية واوضاعا غير مرضية ، ولكنه قال لي :

– فليكن .. ساقضي بقية ايامي في وطني .

وعاد ليشغل نفس الوظيفة التي كان يشغلها قبل ان يغادر الوطن .

والوظيفة ، بغض النظر عن طبيعتها ، قيد على الفنان .. لكن كان يخفف من وطاتها على صلاح انها كانت في هيئة الكتاب مما اتاح له الفرصة لخدمة الادباء الشبان على اختلاف اتجاهاتهم وانتماءاتهم ، فطبع لهم الدواوين والمجموعات القصصية والدراسات وغيرها بشكل موسع لم يحدث قبل ذلك ولا بعد ذلك وكان مكتبه في هيئة الكتاب يشكل تجمعا او صالونا ادبيا لا ينفض إطلاقا ، تلتقي فيه كل الاتجاهات وكل الانتماءات ؛ وكان الحوار فيه مفتوحا ومتنوعا ولا قيد عليه .

لقد اعطى صلاح معظم وقته للشباب والشيوخ من المثقفين ؛ وكان يشارك بالراي والحوار في هذه الجلسات التي كانت تضم رموزا ثقافية على امتداد الرقعة السياسية .. من اليمين واليسار والوسط .. على اختلاف مشاربهم واعمارهم .. من مصر او من العالم العربي .

ما كان احد المثقفين او المبدعين يزور القاهرة إلا ويجعل مزاره : مكتب صلاح عبد الصبور صباحا ، او بيته عندما ياتي المساء .

ربما .. لهذا السبب بالذات لم يستطع صلاح في الأيام الاخيرة ان يتفرغ لكتاباته ؛ وعندما قرر ترك الوظيفة للتفرغ للكتابة لم تمهله الأيام .

● هل تسمحين ان اعترض تداعيات الذاكرة واسال : لماذا لم يفكر صلاح عبد الصبور فى التفرغ للكتابة منذ وقت طويل سابق ؟

إن صلاح عبد الصبور لم يكن يملك إلا راتبه . وبالطبع فان التفرغ للكتابة وهجر الوظيفة كانا يتطلبان ويقتضيان ترتيب الأمور المالية التي كان ينفق منها على بيته وبنتيه .

وكما اشرت فان صلاح كان لا يملك إلا راتبه الوظيفي .. وذلك منذ ان تخرج من الجامعة وعمل مدرسا ثم صحفيا ثم موظفا بهيئة الكتاب .. لكن الوظيفة اكلت ايامه ، وقتلت وقته ، ومن اجلها او بسببها طعنته كلمات مسمومة قاتلة .

ومن اراد ان يعرف صلاح عبد الصبور فليقرا اشعاره في دواوينه او مسرحياته .. لقد كان اسلوب صلاح عبد الصبور في النضال بالكلمة واعيا وموضوعيا ، ولم يكن يندفع وراء الكلمات البراقة التي تخاطب العواطف فحسب ؛ فقد كان يخاطب العقل قبل القلب ليصل إلى قلب الحقيقة .

● قصائد صلاح عبد الصبور الأخيرة كانت تفوح منها رائحة «الياس الوجودي» .. كيف تفسرين ذلك ؟

– عندما كتب صلاح مسرحيته الشعرية (ماساة الحلاج) كان يائسا من وجود العدل بين البشر ، وعندما كتب مسرحية (ليلي والمجنون) كان يائسا من تمثل الحقيقة

تفاصيل الليلة الأخيرة

في حياة الشاعر صلاح عبد الصبور

ووضوحها ، وتعرف البشر عليها ؛ وعندما كتب مسرحية (مسافر ليل) قدم رؤية جديدة لعبثية الكلمات ، وكيف تتخفى كلمات الظلم والكذب في ثوب الحقيقة ، وعندما كتب مسرحية (الاميرة تنتظر) قدم شكلا دراميا للصراع بين المثقف والسلطة الطاغية في شخصيتي القرندل والسمندل ، وعندما كتب مسرحية (بعد ان يموت الملك) قدم رؤية درامية للشاعر المهزوم الذي لا يملك غير كلماته واشعاره في صراعه من اجل الوطن الأمثل .

لقد وضع صلاح نفسه وفكره في خيوط وخطوط درامياته الشعرية الخمس التي مكنته من التوثب الدرامي حيث تكون مساحة الكلمة اوسع واعمق وارحب .

● ما هي احب قصائد صلاح عبد الصبور ، واحب مسرحياته إليك ؟

ـ احب قصائده إلى قصيدة (احلام الفارس القديم) ، اما احب مسرحياته إلى نفسي فهي مسرحية (ليلى والمجنون) ، خاصة المونولوج الذي اجراه على لسان سعيد الشاعر والذي حمل عنوانا طويلا هو : (يوميات نبي مهزوم يحمل قلماً ، ينتظر نبياً يحمل سيفا) .

● ذكرياتكما ... حياتكما .. ايامكما ..

ما هو مقدار ما كان فيها من عطر الشعر ، وندى الاشراق الشعري ؟

ـ هانذا افتقد ايامي مع صلاح عبد الصبور ..

افتقدها مع حفيف الأوراق البيضاء والمحبرة التي مازالت على مكتبه .

افتقد اياما كنت فيها معه اميرة بيته ، والتي تنتظر غدواته وروحاته .. فكنت دائماً ، الأميرة التي تنتظر .

والآن ...

إذا جلست على الكرسي المقابل لمكتبه افتقد بشدة حديثنا الليلي ، وحول النافذة اشجار الليل الهامسة تشاركنا الحديث ..

افتقده وهو يحدثني عن احلامه .. احلام الفارس .. فارس الكلمة الصادقة .

كانت يسافر ليلا مع الكلمات المشوقة الذكية .

كانت أوراقه تناديه فيلبي نداءها ليلا ، ويخط عليها كلمات قلبه السرية .

وكنت اجلس قبالته ساعات طوالا ، انشغل بقراءة ما يختاره لي حتى يفرغ من الكتابة فيقرأ لي ما كتب .

فرحت باول مولود لنا ، وكان مسرحية «ماساة الحلاج» ، ثم فرحت بقدوم ابنتنا الأولى «مي» ؛ وبعدها عشت فرحة مسرحية «الأميرة تنتظر» ومسرحية «مسافر ليل» ، ثم .. فرحة قدوم ابنتنا الثانية «معتزة» ؛ وميلاد مسرحية «ليلي والمجنون» ، ثم مرحية «بعد أن يموت الملك» .

● «مي» و«معتزة» .. ماذا غرس فيهما صلاح عبدالصبور من شعر وشاعرية ؟

ـ كما كان صلاح عبدالصبور يعتني بكل كلمة يكتبها كان يعتني كذلك بكل كلمة يقولها لـ « مي » أو « معتزة » .

علمهما أن أسعد الأيام هي التي يقضيانها مع كتاب مختار بمنتهى العناية ، يضيف لهما شيئاً جديداً وجيداً .

وعلمهما ايضاً كيف يكون اختيار الطريق الى الحق والعدل والشرف ، لذلك كانت مهمتي معهما ميسورة وهادئة .

لقد ورثت « مي » ومعتزة » عن ابيهما الحياة المليئة بالكلمات الصادقة المحملة بكل النوايا الطيبة تجاه البشر .

وانا اتنبأ للصغيرة « معتزة » ان تكون شاعرة متميزة .

لقد كان صلاح فارساً نبيلا يحلم باصلاح العالم ، وجعله يقف على قدميه بدلا من ان يقف على راسه فتنقلب كل الأشياء الحقة والصحيحة .

كان صلاح عبد الصبور يبغي ترتيب الاشياء ، واعادة البسمة الصادقة للبشرية .. بعد أن ضاعت منه ومنها .

كانت تتجاذبه نزعة نحو الاصلاح ، رغبة في احداث التوازن بين البشر ، وامنية لتحقيق عدالة إنسانية ظلت مفقودة وغائبة لقرون طويلة إلا في فردوس (اليوتوبيا) حيث المدينة الفاضلة مثال تجريدي ، لا واقع حي تجسيدي .

● صلاح عبدالصبور .. كصوت شعري ريادي .. ماذا اضاف للقصيدة العربية الحديثة ؟

ـ لقد اضاف صلاح عبدالصبور الكثير الى شكل القصيدة ومضمونها .. وانا اترك تفاصيل هذه المسالة للنقاد للاستفاضة فيها ، والاستشهاد بنماذج من اشعاره التي تمثل الاضافة الشكلية والمضمونية التي اشرت اليها .

اما من جانبي .. فانا اقول إن صلاح اضاف قاموساً من الالفاظ والمفردات الجديدة ، المخالفة والمجازفة الى القصيدة الحديثة .

لقد كان يعشق استنباط اللفظ الجديد ، ساعده على ذلك معرفته الجيدة واللصيقة بالادب العربي القديم وتراث الشعر العربي فكان يهوى تحليل اللفظ القديم ، واستنباط اللفظ الجديد والمفردة الجديدة .

لهذه الأسباب ، ولأسباب أخرى عديدة .. تزوجت صلاح عبدالصبور عن عمد وسبق اصرار .. فانا لا أرى احداً غيره في الكون يناسب عقلي ووجداني .

ولو عاد الزمن ثانية الى الوراء .. حيث بداية علاقتنا وتواصلنا وحياتنا لاخترته واخترت حياتي على ما كانت عليه مع اسقاط يوم واحد منها هو يوم موت ورحيل صلاح عبدالصبور .

محمد يوسف

الإنفـــــاق

بقلم : الدكتور محمد البهي

جاءت السورة الأولى في الوحي المدني وهي سورة البقرة ، في آية منها تدعو الى الاعطاء غير المحدود لاصحاب الحاجة ، الا بحاجة المالك للمال نفسه . فتقول :

« ويسالونك : ماذا ينفقون ؟ (اي اي مقدار ينفقونه في سبيل الله ، لصاحب الحاجة او الخير العام ؟) .

« قل العفو » (وما يجيب به عن هذا السؤال : هو ان ينفقوا الزائد عن حاجاتهم هم) البقرة : ٢١٩

ومعنى ذلك : ان المؤمنين – كقاعدة كليـة – مطالبون بالانفاق على اصحاب الحاجة من اموالهم .. الى ان لا يبقى في هذه الأموال إلا ما يسد حـــاجتهم هم . وما جاء من تحديد الانفاق في احاديث الزكاة ، كشرح لآية الصدقات في آخر سورة مدنية ، وهي سورة التوبة لا يمس هذه القاعدة الكلية . فالزكاة هي ادنى مستويات الانفاق ، كظاهرة للمجتمع الانساني – وهو ما يريد الاسلام ان يحققه – تقابل ظاهرة الشح في المجتمع المادي الوثني ، او المجتمع الجاهلي ، اذ بدون هذه المستويات لا يكون المجتمع قد تحول بعد . والمجتمع المؤمن مطالب بعد ذلك : بالسعة في الانفاق لخير اصحاب الحاجة فيه ، ان كانت هناك ضرورة للتوسع فيه .. او هو مطالب بان يكون على استعداد نفسي على الاقل : لانفاق ما زاد عن انصبة الزكاة ، مما يدخل في نطاق : « الزائد او العفو » عن حاجة المالك الخاصة .

واذا كانت آية البقرة هذه : تدعو بصفة عامة الى إنفاق الزائد عن الحاجة الخاصة في سبيل الله ، او في سبيل الخير العام ، والمصلحة العامة في المجتمع ، اي في مصلحة المحرومين واصحاب الحاجة فيه .. فان منهج القرآن لم يدع المؤمنين يشعرون بعبء إذا هم قاموا بانفاق الزائد كله على هؤلاء الضعفاء في المجتمع ، فذكرهم بان ملكيتهم للمال ليست ملكية اصلية . وانما يدهم عليه : يد خلافة وإنابة . فهم مستخلفون فقط على المال اما ملكيته فهي لله وحده . وعلى من يستخلف على امر ما : ان يسير وفق الطريق الذي يرسمه صاحب الشان الاول . وصاحب الشان الاول هذا في المال ، هو الله تعالى .. وطريقه لانفاقه : ان تغطى بمنفعته حاجة المسلمين جميعا ، حاجة من يدهم على المال .. وحاجة الآخرين الذين لا يد لهم على شيء منه .

وجاء هذا التذكير في السورة الثانية في الوحي المدني وهي سورة الحديد ، في قول الله تعالى :

« آمنوا بالله ورسوله (اي كونوا مؤمنين حقاً بالله وبرسوله وامارة ايمانكم بالله ان تتبعوا ما انزل في كتابه ، وهو القرآن . وامارة ايمانكم برسوله ، عليه السلام ، ان تقتدوا به في تطبيق ما اوحي اليه . وهذا الطلب مقدمة ضرورية لاتباع ما يقال لهم الآن في شان الانفاق) .

« وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه (ومما يجب ان تطيعوا فيه : ان تنفقوا مما استخلفكم الله عليه من مال . ومن السهل عليكم طاعته في ذلك . لان وضعكم مع المال لا يعدو ان يكون وضع الوكيل او المفوض في التصرف فيه . ولذا : لا ينبغي لكم ان تتراخوا في الاستجابة لما يطلب منكم الآن ، في أمره) .

« فالذين آمنوا منكم وانفقوا لهم اجر كبير » (ومع كون الانفاق من المال على أصحاب الحاجة ، طاعة لأمر الله فيه ، وهو مالكه الحقيقي .. فان المؤمن منكم اذا كان مؤمناً حقاً ، واتخذ من الانفاق العام امارة على ايمانه : فله جزاؤه العظيم عند الله ، في دنياه وفي آخرته . ويلاحظ هنا في هذه الآية – وفي غيرها من آيات اخرى – ان القرآن في منهجه يضع ايمان المؤمنين في مواضع خاصة ، في بعض الأحيان ، بعد اعلانهم قبوله وفي اثناء تحول مجتمعهم موضع التساؤل ، فيقول هنا : « فالذين آمنوا منكم » وكانه يشير الى ان قضية الايمان في تحول المجتمع ليست شعاراً يتلى ، وليس انفعال عاطفة ، ولا حماسة مؤقتة ، انما هي سلوك معين ، في ظل توجيه معين ، يختلف تماماً عما كان للمجتمع من توجيه سابق . والايمان الحقيقي هنا يجب ان يقترن بالانفاق في سبيل الله ، فيكون الانفاق عنواناً له . وليس التعبير بالقول وحده . وهذه الملاحظة تعطي : ان المجتمع في تحوله من مجتمع مشرك بالله وجاهلي مادي الى مجتمع يؤمن بالله وحده ، وانساني في علاقة افراده بعضهم ببعض .. يحتاج الى خطوات في حركة انتقاله .. ويحتاج الى مثابرة على تثبيته على الايمان ، وعلى دفعه من خطوة الى التي تليها ، حتى يكتمل تحوله) الحديد : ٧

ولا ينسى القرآن مرة بعد الاخرى ان يعيد تذكير المؤمنين بالمال : في ملكيته وفي تحديد مصرفه ، حتى لا يترك لهم فرصة للتراخي في التطبيق ، بعد ان آمنوا ورغبوا في التحول عن مجتمعهم السابق . فيقول الله تعالى في نفس السورة :

« وما لكم الا تنفقوا في سبيل الله ، ولله ميراث السماوات والارض (اي اي حاجز نفسي او مادي بقي لديكم الآن ، ويحول دون ان تنفقوا مما تضعون ايديكم عليه من أموال : في سبيل الله بعد ان علمتم – وبعد ان تعلموا – ان الله وحده هو الذي يرث السموات ، والأرض وما عليها فهو المالك لكل ما فيها ، والمال الذي بايديكم هو ماله .. والامر بانفاقه في سبيل اللـــه هو أمـــره) .

ثلاث خطوات الآن في منهج القرآن لتغيير موقف المؤمنين – اي الذين اعلنوا ايمانهم – من المحرومين والضعفاء في المجتمع :

طلب بانفاق العفو في سبيلهم : « قل : العفو »

وتبرير لما طلب : بملكية المال لله . وباستخلاف المالكين عليه فحسب : «وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه» .. «ومالكم الا تنفقوا في سبيل الله . ولله ميراث السموات والارض » .

وترغيب في العدول عن الشح الى الانفاق ، يجعل المنفق مقرضاً لله ، بما ينفقه في سبيل هؤلاء المحرومين : « من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً ، فيضاعفه له ، وله اجر كريم »

اللحظات الأخيرة

في حياة أهل مدينة "بومبى" الرومانية الضائعة

● فصول جديدة ترويها الاكتشافات الحديثة في المدينة الضائعة ●● بعد ١٩٠٠ سنة تم العثور على ثلاث عائلات هاربة من الجحيم! ●●● مازالت أبخرة الأحماض الكربونية تمنع علماء الآثار من الكشف والتنقيب بدون أجهزة تنفس

بقلم: حسني محمد بدوي





اتضح للعلماء ان اجساد الضحايا حافظت على تفاصيل ملامحها بسبب قشرة من الرماد التصقت بها وحفظتها على مر الزمن



عالم الآثار « اميديو مايوري » الذي ظل يشرف على التنقيب لمدة ٣٧ سنة ، وهو هنا يروي التفاصيل الجديدة للماساة



عالم يسكب الجص في القالب بحيث يتخذ هيئة جسم الضحية ، وبعد أن يجف يقشر الرماد ويكشف عن القالب الجصي

كارثة تاريخية : كيف طمرت « بومبي » ؟ : في يوم قديم مشئوم ، يوم ٢٤ اغسطس عام ٧٩ (في القرن الأول الميلادي) ـ لاح لأهل مدينة « بومبي » بايطاليا ، ان بركان « فيزوف » سيقضي على العالم . انتابهم ذعر وهلع ، فالبركان كان يشرف على مدينتهم صباحاً في هدوء وسلام ، ثم ما لبث في لمحة البصر أن صار له هزيم يدوي في عنان السماء وارتفعت من قمته سحابة كثيفة مخيفة حجبت الشمس ، ثم اعقب ذلك انفجار مروع وفغر الجبل فوهته وبدأ وابل الموت ! انقضت قنابل من الاحجار البركانية ـ التي تشكلت في ذلك التنور ـ على المدينة المنكوبة فهدمت الجدران ونسفت الأسطح وغطت الشوارع وفر الأهالي صارخين في هذه الرمضاء يتشبثون ببلاط السقوف والأوسدة لتقيهم وابل الحصى البركاني . ورفض كثير من أهالي بومبي ـ لا سيما الموسرون منهم ـ أن يهجروا بيوتهم الانيقة وممتلكاتهم الثمينة ، فاحتموا بها حتى تنجلي المحنة . وقد كلفهم ذلك القرار حياتهم ! إذ ظلت الصخور والرماد ، تتراكم وترتفع حتى بلغت أبواب البيوت ونوافذها ودفنت سكانها أحياء وهم يتزاحمون في الدهاليز والأقبية . وتسربت الغازات البركانية السامة فاصابت من التجا منهم الى الطوابق العلوية . وما لبث بحر طام من الصخور والرماد أن اغار على افاريز الأسطح ثم تطاول الى ما هو اعلى من ذلك . وهكذا طمرت « بومبي » !

ولم يقنع بركان « فيزوف » باغتيال المدينة ، فاهال على قبرها اطناناً من الرماد وكانه يروم محو ذكرها . وخلال ثلاثة ايام ، تحولت المدينة من ميناء عامر الى « قرافة » ضخمة موحشة ، يعلوها عشرون قدماً من الأحجار والرماد حيث دفن تحتها ١٦٫٠٠٠ نسمة من أهلها اي ٨٠٪ من سكانها .

وقصة فاجعة « بومبي » ليست جديدة .

اللحظات الأخيرة

في حياة أهل مدينة "بومبى" الرومانية الضائعة

وقد يتساءل الكثيرون : إذن ، لماذا نكرر سردها ؟ ! يقول لنا (أمديو مايورى) — مدير الآثار بمنطقة « كامبانيا » بايطاليا : إن اجابتي على ذلك أن سبعة وثلاثين عاماً من اشتغالي مديراً لأعمال الحفريات والأطلال الأثرية قد علمتني أن القصة الكاملة بومبي لم ترو بعد ! وإن فصولا جديدة لم تزل قيد التسجيل . وتفسير ذلك بسيط ، فأهالي بومبي — بخلاف كثيرين من ضحايا الانفجارات البركانية — لم يموتوا حرقا ، لكنهم سقطوا اختناقا ! كانت الأحجار والرماد أشبه بتابوت احتوى المدينة فحفظها بدقة وأمانة أكثر مما كان سيحافظ عليها مدير متحف ماهر ! وهذا هو السبب في أننا نزداد معرفة كل يوم بمدينة « بومبي » لأننا في الواقع لا ننقب عن أطلال ، بل ندرس متحفاً جاهزاً لم تمسسه يد .

ويستطرد عالم الآثار (أميديو) قائلا : مثال ذلك ، مما وجدناه : ١٣ شخصاً ممن اكتشفناهم أخيراً مطمورين ، وما تنطوي عليه قصتهم المؤثرة من أهوال على الشدائد . وقد استنتجنا كما سترى ، أنهم يمثلون ثلاث عائلات . وقد تكون عائلتان منها من أهل الزراعة أما العائلة الثالثة فكانت من أرباب التجارة . وكانوا جميعاً يعيشون على الجانب الجنوبي من بومبي وهي أبعد الجهات عن البركان ، بالقرب من بوابة « نيوتشريان » . وكان يربطهم حسن الجوار ، شأنهم في ذلك شأن كل من يعيش بعيداً عن وسط المدينة ولا يستغني بعضهم عن بعض . ولعلهم — عندما ظهرت بوادر الخطر — تجمعوا وتشاوروا في الأمر سريعاً وعقدوا عزمهم على الالتجاء الى أقوى الديار ، الى أكثر المساكن متانة في البنيان، ريثما يكف البركان عن قذف وابل أحجاره . وتستطيع أن تتخيلهم وقد أقعوا يائسين وراء جدران البيت الذي كان لا شك يرتج بهم تحت ضربات الصخور وقذائف الأحجار ! ثم وقعت واقعة رهيبة ، فحين هدأ تدفق المقذوفات ، ظهر خطر أفدح لا قبل لهم به ، في شكل سحابة سوداء كثيفة من الرماد مختلطة ببخار كثيف اقتحم العيون فأعماها وتسرب الى الرئات سريعاً فتعلق بها وخنقها ! ولم يكن لهم خيار في ذلك ، فخرج هذا الرهط هارباً من ذلك البيت ، خرجوا متشابكي الأيدي تربطهم روابط القربى والحنان والدفء العائلي . تلك الروابط الحميمة التي لم يستطع الخطر الداهم أن يفصم عراها .

خرج الهاربون يخبطون في الظلام خبط عشواء فوق الرمل والحصى الذي كان قد طمر الحدائق والدروب والمسالك ، بل وجدران البيوت ، وأثناء هروبهم ، لابد أنهم كانوا ينادون بعضهم البعض مشجعين ، يرومون الوصول الى بر الأمان . ولكن هيهات ! فلم يكن هناك أمان . فقد غطتهم سحابة الرماد الندي وخنقتهم خنقا وصرعتهم وخمدت أنفاسهم وتحولت جثثهم الملقاة الى كثبان لا شكل لها ولا هيئة في مهاد الرماد ، حيث انمحت معالمهم وملامحهم . والرماد لا يزال يتساقط وسواهم بالأرض ... « وهناك ، عثرنا عليهم بعد ألف وتسعمائة سنة على مبعدة ٣٠ قدماً من ملاذهم الأخير . ولكن الشيء الغريب حقا ، أن الهيئة التي اكتشفناهم عليها ، لم تكن مجرد رفات نخرة ولم تكن قطعاً من قماش « شائطة » تخدع عالم الآثار وتطلق خياله للعنان — (ولهذا السبب أطلق على بومبي اسم « متحف ») — ، بل ما وجدناه هو جثثهم المتحجرة ، جيف الثلاثة عشر شخصاً الذين ذكرناهم آنفاً . تلك صورة أمينة للضحايا .. وجدناهم بما كانوا عليه من تعبيرات وجوههم و « تسريحة » شعرهم ، لحظة الموت .. عثرنا عليهم بمعالمهم التفصيلية الدقيقة وبملابسهم وممتلكاتهم التي كانوا يحملونها ساعة الفرار . ذلك كله يساعدنا على التكهن — بكل دقة — ، بنوعية أعمالهم وحرفهم وبأحوالهم الصحية في يوم الكارثة المشئوم .

ويضيف عالم الآثار (أمديو مايوري) : ووجدت أن البقايا البشرية في بومبي تنقسم الى نموذجين كما توحي بذلك روايتي للفاجعة :

١ — النموذج الأول يمثل أغنياء بومبي الذين لاذوا ببيوتهم حتى اللحظة الأخيرة . وهم الذين عثرنا عليهم محبوسين وراء جدران بيوتهم وكأنهم في سجن ، وقد اجتمعوا في الأركان أو عند الأبواب في محاولة عقيمة أخيرة للفرار . وجدنا هؤلاء الضحايا ، هياكل عظمية لأن الذي قتلهم



عائلة مكونة من ١٣ فرداً ، سقطوا أثناء هروبهم بسبب الأبخرة الفتاكة والدخان الكاتم للأنفاس — وأيضاً — بسبب .. وابل الأحجار !

هو الحصى البركاني الجاف . وقد عثرنا على ممتلكاتهم ، على حالها ، مثل : الأساور والأقراط الذهبية والأثاث المعدني والصور الحائطية والتماثيل الخ .. ، ثم تسرب الماء والهواء بمضي الوقت فاتلف المواد الهشة كالاقمشة والخشب والانسجة البشرية .

٢ ـ النموذج الثاني : اما الذين دفنوا في الطبقة العليا من الرماد وهم يحاولون الفرار من المدينة ، فامرهم مختلف ـ إذ اكتنفهم الرماد الندي والتصق بجثثهم كقالب الجص ، فحافظ على تفاصيل ملامحهم وعضلات أجسامهم ، بل وعلى طيات ملابسهم . وكانما شاءت الطبيعة أن تكافئهم على ما بذلوه من جهود مضنية بتخليد اجسامهم على هذا النحو كالتماثيل نعم ، إن جثث هؤلاء الضحايا قد تحللت بمضي الزمن ، ولكن بعد أن تصلبت هذه القشرة او هذا القالب من الرماد ، فحفظت معالمهم على مر الزمان ، منذ سنة ٧٩ ميلادية .

ويرجع فضل اكتشاف هذه القوالب عام ١٨٦٠ م ، الى احد علماء الآثار في بومبي هو « جوسبي فيوريللي » .. ونحن ندين له بتطوير العملية التي نحول بها هذه القوالب ـ ويمكن أن نسميها « صوراً » طينيـــة ، سلبيـــة ـ إلى تماثيل من الجص . وبطريقة بسيطة . فنحن كنا ننقب بحرص ،نبحث في الطبقات العليا . وعندما نعثر علىالكثبان او القوالب المطمورة ، نقوم بفصلها عن المهاد اللاصقة بها ثم نعمد الى ثقبها باداة طويلة تشبه الملعقة ثم نسكب في الثقوب سائل الجص الذي يجف بعد ثلاثة أيام فنقوم بكسر قشرة الرماد المتصلبة . وكانت النتائج باهرة إذ اننا واجهنا فجاة مخلوقات بشرية من الماضي البعيد في لحظة غمار الاحتضار !وجدنا بعضهم يتخذ هيئة المواجهة العنيفة لمصيره ، وبعضهم يتساند في سكون وكانه في سبات عميق .

ورغم أن هذه القوالب معروفة منذ زمن بعيد فاننا لم نعثر ـ والحديث هنا لعالم الآثار « أميدو » ـ على اعداد كبيرة منها في مثل هذه الحالة الجيدة (كما حدث عند عثورنا على الثلاثة عشر شخصا) ، وهذا هو الأمر المثير حقاً ، بل كان ذلك سبب اهتمامنا بدراستها ، إذ اننا بعد أن خلعنا عن الجثث قوالبها ، استطعنا ان نستعيد اللحظات الأخيرة في حياة الضحايا بادق تفصيلاتها !



تاجر هارب ، لقي حتفه وهو يحاول النهوض دون جدوى ، وقد حافظ الجص على هيئته التي صبها الطين البركاني قبل ١٩٠٠ سنة

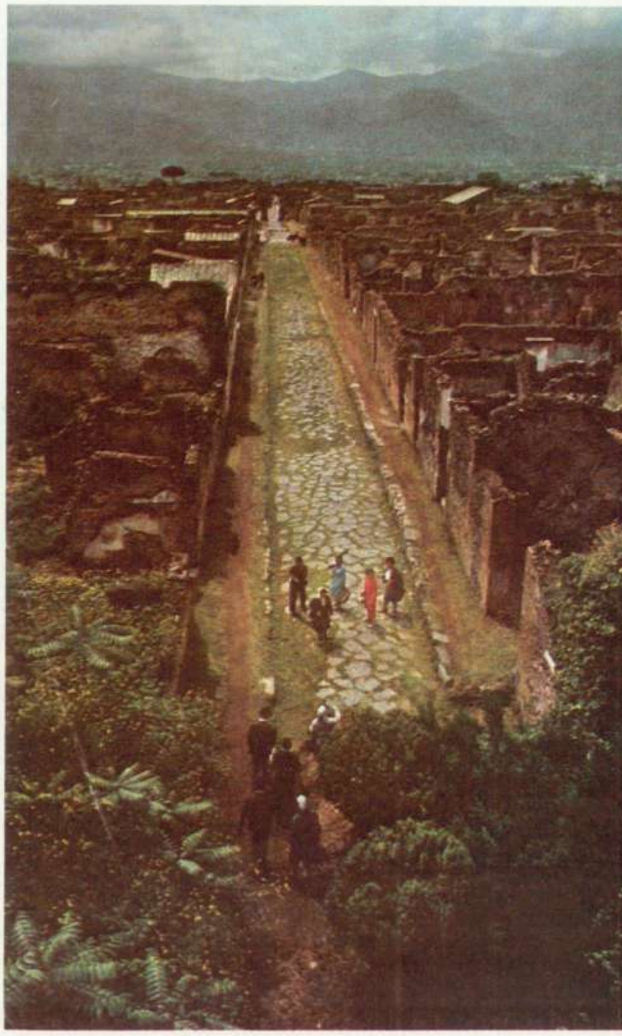
مشاهد من الفاجعة

عندما قرر ذلك الرهط الفرار من الوابل البركاني ، تولى قيادتهم احد المزارعين ، وتقدمهم خادم يحمل على كاهله كيساً ممتلئاً بالزاد . وقد عثرنا عليه حيث سقط بالقرب من احد حقول « الكرنب » ، وهو من الخضر التي تشتهر بزراعتها بومباى . وكان الرجل ـ الخادم منحنياً مقرفصاً ، ليس مما ينوء به من حمل ولكن لما يواجهه من الظلام الحالك الكثيف ولما يقاومه من الريح البركانية العاصفة ، وتلاه ولدا المزارع وهما في سن تتراوح بين الرابعة والخامسة . ولعلهما قبل ساعات قليلة ، يلهوان في الحقل الأخضر تحت الشمس ! . أما « الآن » وفي هذا الجحيم والظلام ، لعلهما يستجيران حتى لا يتركا وحدهما . ولم نعثر في عنق احد هذين الطفلين على التميمة التي جرت العادة في بومباى على تعليقها حول العنق دفعاً للشر ! ووجدنا على مقربة منهما قطعة من البلاط وانية فجة الصنع . لا شك أن الطفلين قد اتخذا من هذه الآنية وقتذاك ، دريئة لحماية راسيهما .

واخيراً ، كان والد الطفلين . فالأب المزارع كان يساند زوجته المرتعدة وقد انكبا على الأرض وكانهما يخفيان سكرات الموت . اما الطفلان فقد لقيا حتفهما وكان وجهاهما الى السماء ، وقد سكنت اساريرهما كانهما بعد أن ذرفا الدموع قد استسلما للموت !

وفي اعقاب اسرة المزارع ، جاء زوجان شابان وابنتهما : الزوج متشبث بوسادة وكان يحمي بها راسه (كما يستنتج ذلك من بصمته على معطف حريري) ـ وقد لقيت زوجته حتفها بالقرب منه فخرت جاثية على ركبتيها وقد امسكت بجلبابها على فمها في محاولة يائسة ، لعل ذلك ينقي الرماد ويقيها من شره . أما حالة الابنة فقد خذلنا السائل الجصي ، فلم نعرف عن حالتها لحظة الموت شيئاً يذكر سوى انها كانت صبية نحيلة مهزولة .

وعثرنا ـ كما يروى (أميدو) ـ على أسرة « التاجر » ، وهي مكونة من غلامين ، تتبعهما أمهما وشقيقتهما الصغرى وقد تشابكت أطراف الغلامين مما يقطع بانهما كانا يسيران متماسكي الأيدي وانهما سقطا معاً .. أما الأم التي أوهنها وضعها ، فجاءت بعدهما حاملة وليدتها ـ ولعلها كانت تحاول أن تخفف من آلامها في لحظتها الأخيرة . وجاء الأب في ذيل موكب الموت هذا .. ! وكان مشهد ذلك الأب اكثر حزناً وترويعاًمن بقية شخصيات هذا الرهط الصريع ! فلم يكن مطروحاً على الأرض بل كان جالساً على كثيب من التراب ، وقد انحنى ظهره وهو يهم بالنهوض ليدفع عن نفسه هذا الشيطان الأسود : رماد الموت الكثيف ! وقد بدا الأب وهو يمسك بتلابيبه بغية أن يساعد افراد اسرته . وكان في



بومبي المدمرة : نافذة نطل منها اليوم على الماضي البعيد .

اللحظات الأخيرة

في حياة أهل مدينة "بومبي" الرومانية الضائعة



ام وابنتها من ضحايا البركان .. ويرى الفنان الايطالي الشهير « فيتوريو اكورنبرو » وهو يرسم المشهد

وضعه هذا لا يشبه القوالب المتجمدة المتجردة ، بل كان في هيئة إنسان حي من لحم ودم .

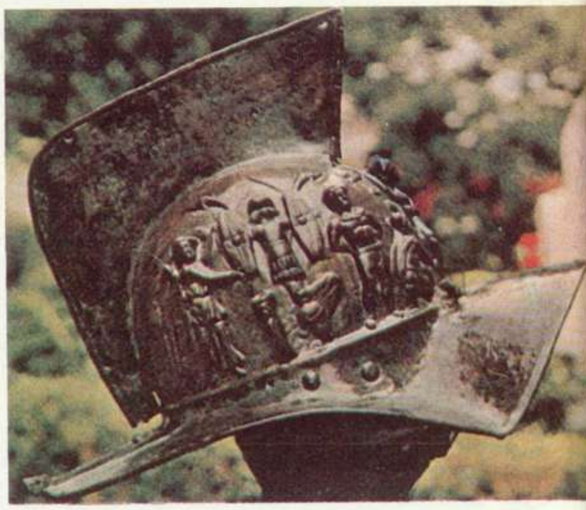
هؤلاء ، إذن ، هم الشهود العيان على الكارثة .. الفاجعة التي حلت ببومبي . ولكنهم لم يكونوا وحدهم في ذلك ، فقبل سنوات خلت ، كشف النقاب عن عدد آخر من الضحايا الهاربين في النصف الجنوبي من المدينة . فقد كان الجانب الاقرب الى البحر ، السبيل الرئيسي للهروب .. « وهناك عثرنا على أربعة قوالب لاولئك الضحايا الذين نجوا من الجدران المتصدعة والسقوف المنهارة والبلاط المتطاير كالمقذوفات بفعل الريح البركاني . ولكنهم لقوا حتفهم اخيراً بالقرب من المرفا ! كان أول الضحايا رجلا متين الجسم ، مفتول العضلات ، يبدو انه ناضل الموت بشجاعة حتى النهاية . وجدناه منكبا على وجهه ، منفرج الساقين فذكرنا ببطل هزمه خصم عنيد . وعثرنا على شخصين آخرين كانا ابدع من التماثيل ، ثبت لنا انهما : شاب وحسناء ، هربا معاً وظلا متشابكي الأيدي حتى اللحظة الأخيرة ، حتى فرقتهما دوامة أو مقذوف طائر من البلاط فخرا على وجهيهما وهما يحاولان أن يتلامسا ! أما آخر أولئك الأربعة ، فهو رجل مسن ، شحاذ – كما نستدل على ذلك من لباسه . ولعله كان يولي الأدبار وقد تشبث بما انعم به عليه من لحم وخبز . وكان هذا الشحاذ – عابر السبيل – ، ينتعل « صندلا » يحسده عليه اكثر سكان المدينة اناقة !

إن هذه الجثث .. هذه « التماثيل البشرية » تفصح عن تعبير قوي ، عن الحياة والموت في بومبي .والبقايا المتناثرة هناك ، تنطوي بدورها على « دراما » مفجعة .

ويذكر « أمديو مايوري » الذي يروي لنا هذه المأساة ، اكتشافاً تم سنة ١٩٣٦ ، في البيت المعروف بـ « فيلا الأسرار » التي تعلق على جدرانها صور رائعة تمثل « طقوس ديونيزوس » الممنوعة . فقد عثر فيها بجناح الخدم ، على عظام احد العاملين في تلك الدار ، ولعله الخفير ، وقد انكب على وجهه حريصاً على أداء واجبات وظيفته حتى اللحظة الأخيرة بالرغم من غياب صاحب البيت ! كما عثر تحت مدخل ذلك البيت المسقوف على هياكل عمال كانوا يقومون باصلاح خزانات المياه لحظة



ممر في مدينة بومبي ، ويرى في الصورة قوس «كاليجولا»



خوذة اثرية ، عثر عليها ضمن ممتلكات اهالي بومبي (المتحف الاهلي – نابولي)



« البولدوزر » يكشط الارض ، استطاع العلماء ان يعثروا على القوالب الطينية التي جفت فوق اجساد الضحايا

انفجار البركان وقد حبسوا في القبو ، ثم ماتوا بتأثير ابخرة الاحماض الكربونية التي منعت علماء الآثار – بالرغم من مضي تسعة عشر قرناً على وقوع الكارثة – ، منعتهم من اعمال الكشف والتنقيب بدون اجهزة للتنفس ! وقد لاذ كثير من اهالي بومبي آنذاك ، بملعب المدينة «الباليسترا» .

ومن بين مكتشفات علماء الآثار في ذلك الملعب – من سنة ١٩٣٢ الى ١٩٣٥ م – بقايا عمال كانوا يقومون باصلاح الاتلاف التي سببها زلزال وقع قبل سبع عشرة سنة من نكبة بومبي ! وعندما ثار بركان «فيزوف» ، هربت جموع اولئك العمال الى مرحاض واحكموا إغلاقه عليهم ، مرتقبين زوال الخطر ، وقد تركوا « المكاري » المسكين وحده مع حماره . فلما وجد نفسه في الخلاء ، راح يدق على الأبواب . ولما لم يجد مغيثاً استسلم للموت بعد ان لف جسمه بعطاف ، كما تلتف الدودة في الشرنقة ، واتكا على حائط بناية ومات مختنقاً بالدوامة النارية . وعثر علماء الآثار بالقرب منه على رمة حماره الذي كان لا يزال عنقه مطوقاً بطوق من الزجاج الملون ، ما يزال يستعمله حوذية مدينة « نابولي » في تزيين دوابهم الى ايامنا هذه . وعاش رفاق ذلك المكان مدة أطول قليلا من المكاري وقد انقذهم محبسهم من وابل الاحجار ، ولكن سحابة الرماد التي اعقبته تسربت من النوافذ فخنقتهم !

وبالرغم من كل قرائن الموت هذه ، إلا ان بومبي تبدو احياناً مدينة حية . فانت إذا سرت في شوارعها امام الحوانيت والبيوت التي كشف عنها النقاب ، والتي تتالق جدرانها باوجه الحياة ، فانك تكاد تسمع هدير الجمهور يتناهى من ساحة الملعب البعيد أو ربما تسمع عجيج أو قضقضة عجلات العربات يتردد صداها في احد الشوارع الجانبية . ولكن الهدير لا ياتيك ولا العجيج يوافيك ! لم يبق في بومبي إلا الجمال والسماء الصحو الصافية ، وها هو بركان « فيزوف » قائم في هدوء وسلام ، يشرف على المدينة تماماً كما كان يشرف عليها بنفس الهدوء والسلام في باكورة صباح ذلك اليوم المشئوم منذ الف وتسعمائة عام مضت !!

حسني محمد بدوي

● مازالت القرون السبعة الأخيرة التي شهدت تفكك العالم الإسلامي وتراجعه في حاجة لإعادة الكتابة !

الشعوب وتدوين التاريخ

بقلم : أحمد العناني

تمهيد :

بعد ان عرضت في مقال سابق في الدوحة ، كيف تراوح موقف الناس من التاريخ بين اعتباره احيانا علما تنطبق عليه شروط البحث العلمي المنهجي الدقيق ، او ادبا قصصيا ممتعا يعيد صوراً من قطاعات من حياة شخص هام او عصر محدد ، بينت ان الأهداف الموجهة لعمليات التدوين والرواية ونوع الاستخدام هي التي تقرر نوعية الأسلوب المطبق في التاريخ .

وفيما رفضت المدرسة الاغريقية القديمة في تدوين التاريخ اعتبار التراجم والسير جميعا تاريخا باي معنى ، فان المسلمين في تدوين سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم جعلوا من ترجمة الحياة عملية علمية لا غبار عليها .

وعلينا ان نبين من البداية ان هناك فرقا اساسيا بين موقف الحضارات الوثنية ، وموقف الحضارتين الاسلامية والمسيحية من التاريخ ... الا وهو اهتمام الحضارات ذوات الكتب السماوية باسترجاع الماضي ، فيما كان المؤرخون الوثنيون يفهمون التاريخ على انه تسجيل الأحداث التي يعاصرونها او هي قريبة من الحاضر قربا يجعلها ماثلة مثولا واضحا في ذاكرات الناس ، اما عملية البحث عن اصل الخليقة وتطور فروع نوح عليه السلام من ساميين وآريين وحاميين ، وانتشارهم في الأرض فذلك ما لم يخطر للمؤرخين الوثنيين ببال . لقد تراكم التاريخ المصري الفرعوني نتيجة عناية ملوك الأسر المصرية المتعاقبة على تسجيل مدوناتهم وتركها لمن يخلفهم ثم يزيد عليها تابعوهم .. وفي هذا المجال كان جهد الرومان والاغريق لا يحسب شيئا إذا ما قيس بعمل الفراعنة ...

تاريخ التاريخ

سنجد انفسنا بحكم الضرورة مضطرين إلى توفير خلاصة عن تاريخ علم التاريخ إذا وجب تسمية التاريخ علما او تاريخ الأدب التاريخي إذا اعتبر التاريخ ادبا ، ولما كان التسلسل التاريخي يقتضينا ان نبتدىء بعلم التاريخ عند الشعوب الوثنية التي سبقتنا على مسرح الحضارة العالمية فاننا سنحاول ان نجعل استعراضنا للانشطة التاريخية عند الشعوب بافضل إيجاز ممكن ، ولن نجانب هذا الايجاز إلا حيث تكون هناك نقطة تنطوي على مبدا له وجوده في الهيكل النهائي لفهمنا التاريخ ورسالته ، وكيف يمكن ان يكون دوره في مرحلتنا الحضارية الراهنة ، واهم من ذلك كله النقاط التي يجب اعتبارها لاعادة كتابة تاريخنا ولاسيما ما يختص بفترة القرون السبعة الاخيرة التي شهدت تفكك العالم الاسلامي وتراجعه وخسران مراكزه التجارية واخيرا استقلاله السياسي ..

المولد الأرستقراطي للتاريخ

ولد التاريخ ارستقراطيا حيثما وجد في العالم القديم ، فالمدونات المصرية القديمة هي سجلات حوليات ملكية ، فهي تاريخ اسر حاكمة متسلسلة مدون على ورق البردى وعلى الاحجار والهياكل والمسلات ، وهو إذا خرج عن الموضوع المباشر لانتصارات واخبار الملوك فربما يتعرض لمجموعة معتقدات معظمها وثني اسطوري محض ، وبعضها الاخر ربما كان متاثرا بالدعوات الدينية السماوية بمنطقة الشرق الادنى ، والواقع إن ما يدعيه بعض المؤرخين المصريين المحدثين عن السبق المطلق لمصر على سائر الدنيا في موضوع التوحيد منذ خمسة آلاف سنة هو إدعاء لا يدخل في حسابه ابدا سلسلة الأنبياء الذين سبقوا موسى عليه السلام . إن سيدنا ابراهيم عليه السلام سابق لموسى والتوراة بفترة طويلة وليس بدعا ان تنتقل عقيدة التوحيد في عصر إبراهيم وابنائه بعد ان شادوا لها بيتا في مكة ، فضلا عما بشروا به حيثما اتجه بهم السير ، وكذلك شان سائر احواض الأنهار التي ظهرت فيها الكتابة كحوض النهرين في العراق على مستوى ارستقراطي ، وكذلك احواض الأنهار الصينية . وحسبك ان تعرف ان الغازي الآشوري اشور بنيبعل من القرن السابع قبل الميلاد ترك وراءه حوالي عشرين الف طوبة تحمل الكتابات التي تتحدث عن مجده وانتصاراته ، وهذا العدد هو الجزء الذي استطاع البقاء من عدة مجموعات من نفس النوع .

ولولا ان بعض الاباطرة والملوك كانوا يخضعون لمشاعر بدائية مفهومة من الحسد والغيرة فيدمرون ما خلف اسلافهم لابراز دورهم هم كما فعل بعض ملوك البابليين . ويؤكد المختصون في هذه الدراسات القديمة ، وجود تشابه غريب على مدى الف سنة بين مضامين تلك السجلات البدائية التي كانت تمجد الملوك في ظل إشادتها بالهة بلاده ، وكيف كان التوافق قائما بين الملك المنتصر وبين تلك الآلهة التي تعطى وضعا غير بعيد عن وضع البشر ولكن دون حديث عن صراع بينها وبين ملوك بلادها على غرار ما خالف به الاغريق الذين كان الصراع الطابع المميز لعلاقات شخصياتهم البشرية مع الهة جبل اوليمبوس .

وفي الصين ايضا نجد ولادة ارستقراطية للتاريخ الذي تعود اقدم نقوشه الباقية إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، حيث تقول الرواية التقليدية إن كونفوشيوس المتوفي عام ٤٧٩ قبل الميلاد كان أول من دون حوليات تصف احداث منطقة «لو» التي عاش بها . لكن كل النقوش السابقة لأول توحيد لمناطق الصين في القرن الثالث قبل الميلاد ليس لها اهمية

تذكر في مجال النقد التاريخي . إن أول الآثار القيمة الباقية المسماة بالشيه تشي (الحوليات التاريخية) تبتدىء باحداث عام خمسة وثمانين قبل الميلاد ويعتبر كاتب تلك الحوليات وهو سواما تشيين اب التاريخ الصيني ، وقد واصل الصينيون كتابة الحوليات طالما ظل النظام الامبراطوري قائما عندهم إلى عام الف وتسعمئة واحد عشر للميلاد . وفي هذا المجال يعتبر إنجاز الصين اعظم إنجاز متواصل في التاريخ من ناحية الاستمرارية وغزارة المعلومات الداخلة ، في الحوليات . وبطبيعة الحال فان تواريخ وحوليات الأسر الفرعونية المصرية قد تكون اطول في مجملها الزمني واقدم من كل ما عداها بكل تاكيد .. لكن صفة الحداثة والاستمرار وتنويع المادة المدونة يجعل من الانجاز الصيني شيئا متفرداً من وجهة نظر المؤرخ .. اما المدونات اليابانية فهي فرع من مدونات الصين .

مزايا الانجازات التاريخية القديمة

ولما كان اخر حديثنا عن الصين فينبغي ان نقرر بالنسبة لمدوني التاريخ الصينيين ميزة كبيرة وهي اعتقادهم بان التاريخ إنما ينطوي على رسالة ذات فحوى وموضوع حين يستطيع ان يزودنا للحاضر بمجموعة ارشادات تعين في توجيه سلوكنا على صعيد الواقع الحي ، ومن هنا تجيء اهمية الصدق في المعلومات التاريخية حيث ان التزوير في الماضي هو اب الخطل في الحاضر . والواقع إن هذه الفكرة الأصيلة ، إنما يعود الفضل فيها لكونفوشيوس نفسه : فقد كان يشدد في التوصية على تحري الحقيقة في تدوين الاحداث . وقد تاصل هذا التقليد بحيث ان توحيد الصين في حكم امبراطوري لم يمكن للتوجهات الارستقراطية ان تطمس مفاهيم باقي الناس جميعا يستمسكون بها إلى حد التقديس . ومايزال لدى الصينيين سجلات ضخمة منذ عهد اسرة تانج التي حكمت من بداية القرن السابع الميلادي إلى بداية القرن العاشر .

والواقع ان الأمور خلال وبعد القرن العاشر الميلادي لم تشر على الكيفية التي جرت بها قبل ذلك القرن حيث تدخلت البيروقراطية لاحداث تغيير في التوجه التاريخي في التدوين ، وحادت به عن سبيل الموضوعية ، بحيث تتكرر موضوعات شخصية بليدة عن مولد ووفاة اعلام الحكم والقوة المادية وتتدنى بالتالي اهمية السجلات كلها .

ابن خلدون الصين

والحقيقة إن الصينيين على حق إذا هم فاخروا ببعض شخصيات مؤرخيهم في العصر الذهبي للتدوين السابق للقرن العاشر للميلاد كما ذكرنا انفا ، ولاسيما بالرجل الذي تبدو اهميته في تاريخهم مناظرة لاهمية ابن خلدون في التاريخ العربي الاسلامي ، وإن كان المفكر العربي لاسباب محققة اكتسب شخصية إنسانية عالمية لاسيما كمؤسس لعلم الاجتماع لم يحصل عليها لن تشيه - تشي (٦٦١ - ٧٢١ م) مؤلف ما يسمى (التشيه تونج) وهي أول مقالة عرف انها تعالج تاريخ علم التاريخ وتضع ملاحظات جوهرية حول النقد التاريخي .

والحقيقة إن امتياز الصين في مجال تدوين التاريخ وعلمه إنما يعود لامرين : أولهما التنوع النسبي للموضوعات المشمولة بمدوناتهم ومستواها المرتقي من الصحة ومطابقة الواقع ، وثانيهما تكرر ظهور المعلقين على موضوع التاريخ واساليب تدوينه .

ولست أريد من القارىء ان يتعجل اية مقارنة بين تاريخ علم التاريخ العربي الاسلامي وبين نظائره في الحضارات الأخرى قبل ان نعطي فكرة سريعة عن منجزات الآخرين الذين سبقونا في التسلسل التاريخي .



المؤرخون الاغريق والرومان

يعتبر الغربيون هيرودتس اب التاريخ الاغريقي قفزة نوعية في فهم التاريخ قياسا على مجمل الآراء التاريخية للسجلات الارستقراطية المتخشبة في الهياكل ومدافن الأباطرة والملوك ، وليس هيرودتس في الواقع قفزة من فراغ ولكنه ظهر قبيله وفي خلال حياته مدرسة من المؤرخين في غرب آسيا كانت لها جدة واضحة ، وتساؤلات مثيرة ، نزعة إلى نقد الروايات التاريخية ومناقشة اساليبها واهدافها . ولم يكن هؤلاء يقبلون المدونات الكلاسيكية على علاتها ، ولا كانوا يرتضون لانفسهم الوقوف عند حدودها الجامدة .. فنحن حين ندرس هيرودتس نرى رجلا فيه روح متلهفة إلى معرفة كل شيء عن عادات الشعوب الاخرى ونظمها بل وحتى ادواتها وملابسها . ولا شك في أن احتكاك الامبراطورية الفارسية باغريق آسيا الصغرى الغربية على ساحل بحر إيجه له الفضل الأساسي في تحريك خيال اولئك اليونانيين الذين كان موقعهم الطبيعي يعطيهم في مجال التخيل وحب الاستطلاع ابعاداً كبيرة . ولما كان صدام المتناقضات على الصعيد الواحد يؤجج حركة الفكر والخيال ، فان الفروق الكبيرة بين عادات الفرس الذين حكموا تلك المنطقة وعادات اليونانيين وعقلية الفرس وعقليتهم قد غذى التوجه إلى الروح الانتقادية والباحثة في تلك المنطقة .

كذلك فانه توجد ادلة على الأثر المصري في عقلية تلك الفئة الممتازة من اليونانيين ما بين القرن السابع إلى القرن الرابع قبل الميلاد . وعلى سبيل المثال فان هيرودتس في تاريخه يقول إن هيكتايوس الاغريقي اراد ان يفاخر بعض المصريين بانه يعرف اسماء اجداده إلى الجد السادس عشر وهو يعتقد ان ذلك اقصى غايات القدرة العارفة فاذا هو يفاجأ بان لدى المصري سجلا بدون تاريخ ثلاثمئة وستة واربعين جداً من اجداده ... عند ذلك اسقط في يد هيكتايوس وادرك ان للمعرفة ابعاداً اكبر مما يتصور وان للدخول في حياة الشعوب ، والسفر عبر العقول المختلفة مزايا في تحريك الذهن البشري لا تقدر بثمن ..

ولنا للموضوع مواصلة في الاعداد القادمة إن شاء الله تعالى .

محمد سالم الوضاحي :



لقطة للفنان نفسه

مصور البيئة العمانية

بقلم: يوسف الشاروني



شباب القرية مع تراثهم .. القلعة من خلال باب قديم

من قلب عمان ، ومن أعماق تربتها خرج مصورنا الشاب . فقد ولد عام ١٩٥٩ فى بلدة سمد الشان ، تلك المدينة العمانية التى كثيراً ما يذكرها المؤرخون العمانيون حيث شهدت كثيراً من معارك القبائل والغزوات الخارجية على مدى التاريخ العمانى الطويل ، فهى تقع بالداخل فى المنطقة الوسطى (الشرقية سابقا) وتبعد عن مسقط بحوالى ١٥٠ كم .

وقد تردد الطفل محمد على الكتاب حيث تعلم القرآن وحفظه . وعندما يروى مشوار حياته فانه يقول :

.. وبعد ذلك انتقلت الى مدرسة أخرى تعلمت بها مبادىء الحساب واللغة العربية والشئون الدينية كالصلاة والزكاة وغيرهما كنا نحفظها حفظاً وذلك لمدة اربع سنوات وكانت تلك المدرسة قد اقيمت باموال اهل البلد اى مدرسة غير حكومية بها حوالى سبعين طالباً . واذكر ان كل الكتب الدراسية وقتها كانت باقلام عمانية لكنها مطبوعة فى القاهرة . ومن بين هذه الكتب

كتاب « الملحة » (بضم الميم وكسر اللام وفتح الحاء) وهو كتاب لغوى ، ثم « الفية ابن مالك » لحفظ قواعد اللغة شعراً ، وجوهر النظام وبه آلاف الأبيات من الشعر فى جميع مسائل الفقه .

ولم اكن أخرج من قريتى الا مرة واحدة الى العاصمة وذلك لصحبة والدى لبيع التمر والليمون ثم يعود بالأرز والبن للتجارة فيهما وبتموين البيت . وقد أكسبتنى رحلات الوالد خبرة . وكانت قد سبقت له التجارة مع ساحل افريقيا والهند وباكستان لمدة ٣٧ سنة . وكانت وقتها الطرق غير آمنة ، ولهذا علمونا كيف نحمل

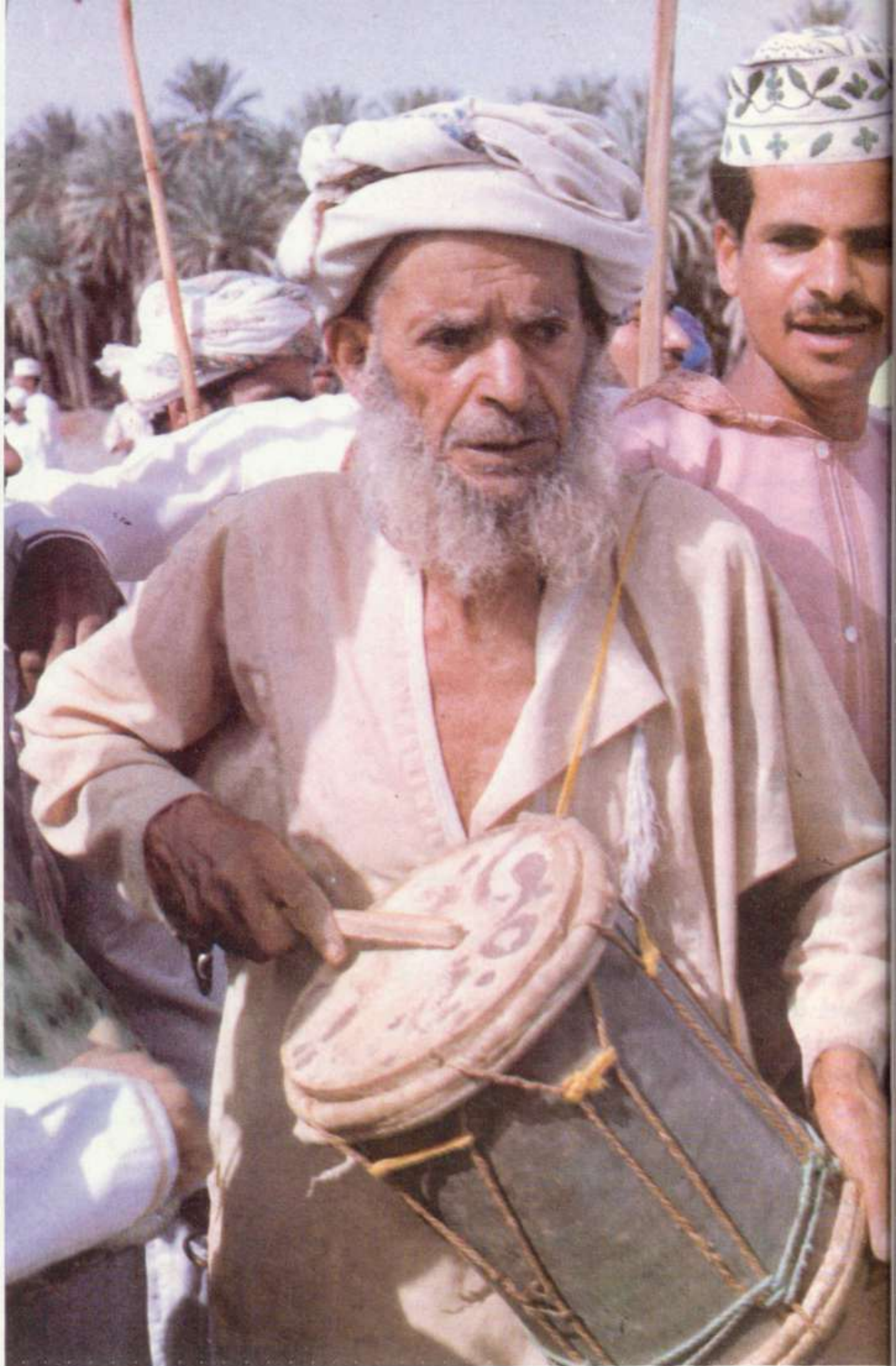
السلاح ونستعمله ، وهو خنجر وعصا داخل البلدة وبندقية ورصاص احتياطى خارجها . والآن نحمل السلاح كزينة فى العرس والأعياد ، ولاصابة الأهـــداف كهواية .



شاطىء بالبحرين وقت الغروب .. عبرت اللقطة عن اعجابه بجمال موقع هذا البلد الخليجى الشقيق



الزهور في شتاء عمان



قارع الطبول

وفى احدى هذه الرحلات إلى العاصمة قرر والدى ادخالى المدرسة الابتدائية بها ،

وذلك عندما رأيت بعض الصغار فى زيهم المدرسي يحملون كتبهم فاحببت ان اكون مثلهم ، وكانت عندى رغبة فى الدراسة . وقام الوالد بالتغلب على الصعوبات حتى نجح فى ادخالى المدرسة الابتدائية فى أواخر الستينات والى عام ١٩٧٤ حين حصلت على الشهادة الابتدائية . وكنا ندرس اللغة الانجليزية من السنة الأولى الابتدائية مما جعلنا نجيد هذه اللغة .

وبعد ذلك التحقت بشركة تنمية نفط عمان كموظف ادارى فى فهود لمدة خمس سنوات ، وكان عمرى وقتها ١٥ سنة . ثم قررت تكملة الدراسة مسائياً فانتسبت الى مدرسة روى الاعدادية . كما انتسبت الى المعهد الثقافى البريطانى بمطرح حيث درست لمدة عامين اللغة الانجليزية وحصلت على شهادة الدراسة المتوسطة والشهادة الاولى فى اللغة الانجليزية .

وبعد انتقالى من فهود الى مسقط اشتغلت بوظيفة مصور . وفى هذه الاثناء حضرت دورة قصيرة فى لندن للاطلاع على كل ما هو جد يد فى التصوير ، والتفاعل مع بعض الأفكار الجديدة ، حيث أن التصوير مجال مفتوح يتغير وينمو باستمرار بل يتطور يومياً .

وأثناء دراستى بالعاصمة بدات اقرا الصحف وأرى ما بها من صور . واكتشفت أن الصور تشدنى أكثر من المقالات ، فاخذت أهتم بكيفية تصوير الناس وكيفية تحميض الصور ثم طبعها على الورق .

وشيئاً فشيئاً وجدتنى مشدوداً لتصوير الأهل والأصدقاء والمعالم التاريخية بعد ان اشتريت آلة تصوير بسيطة بما ادخرته من مصروفى خصيصاً لذلك . فسلطنة عمان لها تراث عميق وعادات وتقاليد تشهد بذلك القلاع والحصون التى تمثلت ببطولات



طبيعة عمان : ماء .. شجر .. احجار

العمانيين وارتوت بدمائهم وهم يحررون البلاد من كل من حاول أن يحتلها . كل هذه المعالم شدتنى وجعلتنى احلم بنقلها وحفظها فى صور معبرة . كذلك العادات العمانية فى الأعياد والمناسبات كالأعراس والختان والحج تجذب من له هواية التصوير لأنه يحب أن يسجل كل ذلك لاسيما وان هذه العادات بدات تختفى بسبب المد الحضارى الحديث ، كما بدات بعض القلاع تنهار وان كانت وزارة الثقافة والتراث القومى تحاول جهدها الابقاء عليها ولكن يبقى هناك الكثير مما يحتاج إلى إنقاذ سريع . كل هذه الأشياء أردت روايتها بالعدسة للأجيال القادمة ، لأن العدسة قد تحفظ للتاريخ مالا تستطيعه الوسائل الأخرى .

وحول اسئلتى المتعددة كانت تلك اجاباته :

ـ أصور فى الشهر حوالى مائة صورة خاصة كهواية تكلفنى الكثير ، وحوالى الف صورة لجريدة الشركة التى تصدر مرة كل أسبوعين ومجلة اخبار شركتنا التى تصدر مرة كل ثلاثة شهور وبعض النشرات الأخرى ، وكذلك تزويد الجرائد المحلية لتغطية بعض الأحداث الصحفية الخاصة بوزارة النفط والمعادن وبشركة تنمية نفط عمان .

ـ فلسفتى من التصوير بكل بساطة هى الامتاع الفنى ، وتصوير البيئة العمانية وتسجيلها كتراث خوفاً عليها من الضياع او التغيير او الانقراض .

ـ افضل تصوير جلالة السلطان ساعة وقوف الكل عند السلام السلطانى .

ـ افضل أن أصور القلاع من خلال نوافذ قديمة او مداخل رئيسية حتى تكتمل الصورة التراثية من ناحية وحتى تظهر القلعة وكأنها من خلال إطار من ناحية أخرى كما احب أن اصور الناس وهم على طبيعتهم وليس بعد أن يتهيئوا تهيئاً مصطنعاً ، لأننى بذلك أصورهم وهم يعبرون عن أنفسهم تعبيراً صادقاً طبيعياً .

ـ تقول متى استخدم اللقطات القريبة ، طبعاً استخدمها للوجوه المعبرة ولكن من بعيد باستخدام عدسات مقربة حتى لا يشعر الشخص انى اقوم بتصويره ، وأستخدم اللقطات الأبعد للمجموعات كما فى احتفالات الأعياد والأعراس والتقاط مجموعات الأطفال والحيوان ..

وتختلف زاوية اللقطة باختلاف موضوع الصورة والمعنى الذى أريد ان اضيفه عليها فمثلا صور الشباب الذين يتناولون اكلة العيد أردت أن أقدم فيها للمشاهد صورة شاملة لهذه الأكلة العمانية أو الخليجية الشعبية التى تؤكل قبل صلاة العيد ، فجعلت الكاميرا تشرف عليهم من مكان أعلى مما اتاح للمشاهد رؤية حركة تناول الطعام من جميع جوانب الصورة وفكرة التناول الجماعى لتلك الأكلة الشعبية المسماة « العرسية » دون تصوير وجوه اشخاص بعينهم .

اما اللقطة من اسفل فحين اريد ان أصور القلاع أو النخيل للتعبير عن مدى عظمتها وجلالها وقيمتها ، فالقلعة كانت تحمى أمن القرية ، والنخلة كانت المصدر الغذائى الأساسى والتجارى فى عمان قبل ظهور النفط ، وكثيراً ما وقفت بجانب العمانى وقت الشدة ، كما أن لها احترامها الدينى إذ وردت فى القرآن الكريم .

ـ تقول ولماذا لا اصور آبار النفط وحفاراته ولحظة تدفقه من البئر وقد اصبح اليوم الأساس التجارى للبلاد ، واقول لك اننى أريد أن أصور أولا ما هو فى طريقه الى الزوال ثم ما تتفرد به عمان ويقدم شخصيتها ، فالنفط مشترك بين دول كثيرة عربية وغير عربية . ومع ذلك فان لى لقطات لأجهزة الحفر لها خلفيتها الجمالية التى احرص على أن أبرزها من خلالها ، وتعتبر هذه اللقطات ملكاً للشركة التى أعمل بها وقد سبق أن نشرت فى صحافتها . كما أن لدى مجموعة كبيرة من هذه اللقطات

ـ ابيض واسود ـ سبق نشرها فى جريدة « تايمز اف عمان » . ولكن هوايتي الحقيقية هي تصوير ما قبل النفط .

ـ اثناء الدورة التدريبية التى حضرتها فى لندن تعرفت على مصورين بريطانيين محترفين لديهم شركات عالمية للتصوير مثل جون لورنس وجون ريثبون وبوب الكوك . وقد عايشتهم فترة لاكتساب مهارات فن التصوير وان كنت اعتقد أن لى أسلوبى الخاص بى واننى لا اتبع منهجهم فى التصوير . كما أنى أشاهد معارض الصور كلما أتيح لى ذلك ومن بينها تلك المعارض



الخنجر : مفخرة العماني وجزء من شخصيته وزيه الرسمي

التى يقيمها جيم برلنسون وهو مصور هاو بشركة تنمية نفط عمان منذ الستينات ، ويعجبنى اختياره الجيد للقطاته وميله لتصوير التراث العمانى والبيئة العمانية .

– اول دولة عربية زرتها كانت مصر عام ١٩٧٦ حيث قمت بتصوير الأهرام و« أبو الهول » ، وأعجبني ان خلفيتـــه كـانت الأهرام مما أضفى عليه العظمة ، واعتقد انه لو كان أبو الهول وحده بدون الأهرامات لأضعف ذلك من اهميته ، وهنا دور الفنان أن يحرص على هذا الترابط بين الأهرام و« أبو الهول » ويبرزه في لقطته مما يضيف رؤية جديدة ل « أبو الهول » لا يمكن الحصول عليها اذا صورته منفرداً . واعجبنى فى مصر طيبة شعبها وبساطتهم ومثابرتهم . كما قمت بزيارة بعض دول الخليج مثل دولة الامارات وقطر والبحرين ، ولم الاحظ أى فرق عن عمان فى هذه البلاد لتقارب عادات السكان الذين هم فى الواقع شعب واحد . وبعد ذلك سافرت الى بريطانيا لحضور دورة فى التصوير وكان ذلك فى بداية الشتاء ، وقمت فيها برحلات داخلية . كما زرت الشرق الأقصى : الهند وتايلاند والفليبين وهونج كونج وسنغافورة . والتقطت فى هذه الرحلة ١٠٨٠ صورة ملونة وحوالى ٢٠٠ شريحة و ٢٥٠ صورة أبيض وأسود . وكان أهم ما يجذبنى فى هذه الرحلات هو المعالم التاريخية فى البلاد التى زرتها مرتبطة ببيئتها المحلية وطبيعتها الخلابة كالخضرة والشلالات والسحب والأنهار التى تشتهر بها بعض هذه البلاد فمثلا فى الفليبين تتبعت بالصورة نهراً حتى منابعه التى يتساقط منها الماء فى انحدار عنيف مكوناً شلالات ، وأمضيت يوماً كاملا فى رحلتي الذهاب والاياب والتصوير والاستجمام .

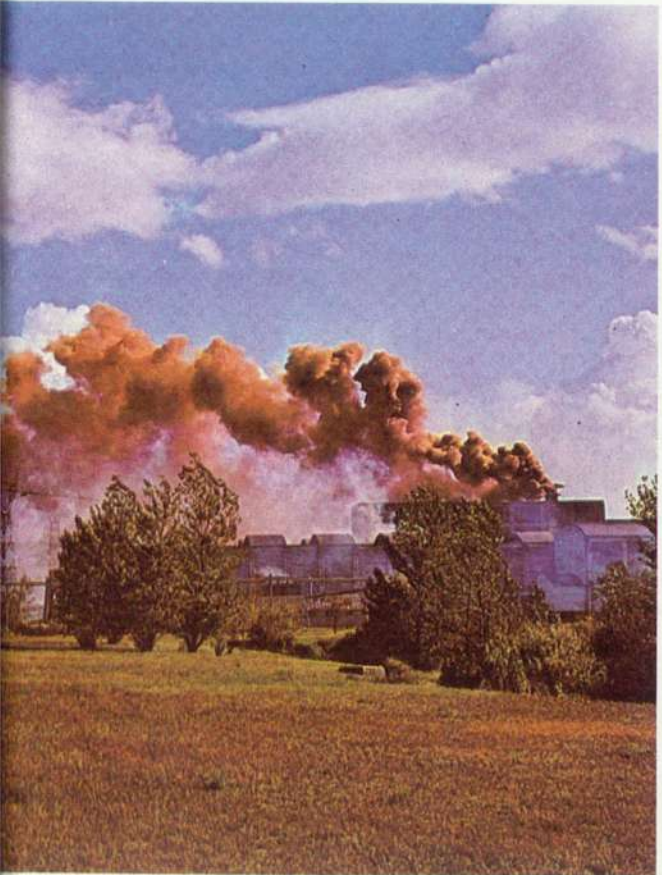
– وفى عام الشبيبة الماضى اعلنت وزارة التراث القومى والثقافة عن اقامة مسابقة فى التصوير ، فكرت فى الاشتراك فيها ولكنى كنت متردداً . وفى آخر يوم فى آخر ساعة تقدمت باثنتى عشرة صورة فازت منها احدى اللقطات التى تصور مجموعة من الطلبة فى مسيرة شعبية بمناسبة عام الشبيبة فى بلدتى سمد الشان .

– أحب الألوان الى الألوان الهادئة ، لهذا فان افضل اوقات التصوير عندى ساعات الشروق والغروب ، فانا ارتاح لألوان طبيعية في هذين الوقتين . كما انني لا أحب المساحات الفارغة الواسعة فى الصورة بل يعجبنى دائماً أن يكون هناك تشكيل يملؤها مثل السحب بالنسبة للسماء وانعكاسات الأشجار او الجبال أو حتى تجعدات الموج بالنسبة للماء . واذا كان هناك فراغ فى الصورة فانه لا يكون فراغاً جمالياً اذا ظل ممتداً حتى نهاياتها بل افضل أن يوازنه – ولو فى ركن قصى – جماد أو كائن حى مهما ضؤل حجمه .

• •

ان محمد سالم على الوضاحي نموذج لجيل الشباب العمانى الذى يتكون الآن ، تمتد جذوره وطفولته الى عمان ما قبل النفط ، ولكنه عاش ويعيش شبابه فيما تلا ذلك من « انتفاضة » نقلت البلاد من القرون الوسطى الى القرن العشرين . ففنه بين تلقائية موهبته ومهارة اكتسبها حين ساد بلاده مناخ موات لتلقى مثل هذه المواهب والترحيب بها بمجرد أن شب عن سنوات الطفولة . وهذه المرحلة المتشابكة لسنوات التكوين افضت به الى وضعه الفنى الذى يتلخص فى أنه إذا كان الحاضر حرفته (تصوير النفط وآباره واجهزة حفره ..) فان الماضى – بكل ما فيه من جاذبية ورومانسية وعراقة – هوايته . لهذا فهو حريص على أن يكون مصور البيئة العمانية بكل جوانبها . إنه يصور الوجوه العمانية المعبرة : وجوه الكبار الذين ترك الزمن بصماته فوق جباههم ، ووجوه الأطفال والشباب بما فيها من براءة وحماسة وأمل . كما يصور المجموعات العمانية وهى تتعامل فى حركتها اليومية أو وهى تمارس عاداتها أو تلهو فى أوقات فراغها بالعابها الشعبية . كذلك تتبع عدسته معالم بلاده التاريخية وفى مقدمتها قلاعها وحصونها وطبيعة عمان الفريدة التى يتجاور فيها الجبل والماء – بحراً كان أو فلجاً – مع الخضرة . إنه حريص على أن تبلور عدسته روح عمان بوجه خاص والطابع الخليجى بوجه عام سواء فى البشر أو الشجر أو الحجر .

يوسف الشارونى





حرارة الشمس هي التي تسبب تبخر الماء وصعوده إلى أعلى وتحوله إلى سحب

أسرار الرعد والبرق والسحب والثلوج

لماذا تنشأ الظواهر الجوّية في السماء؟

بقلم الدكتور عز الدين فراج

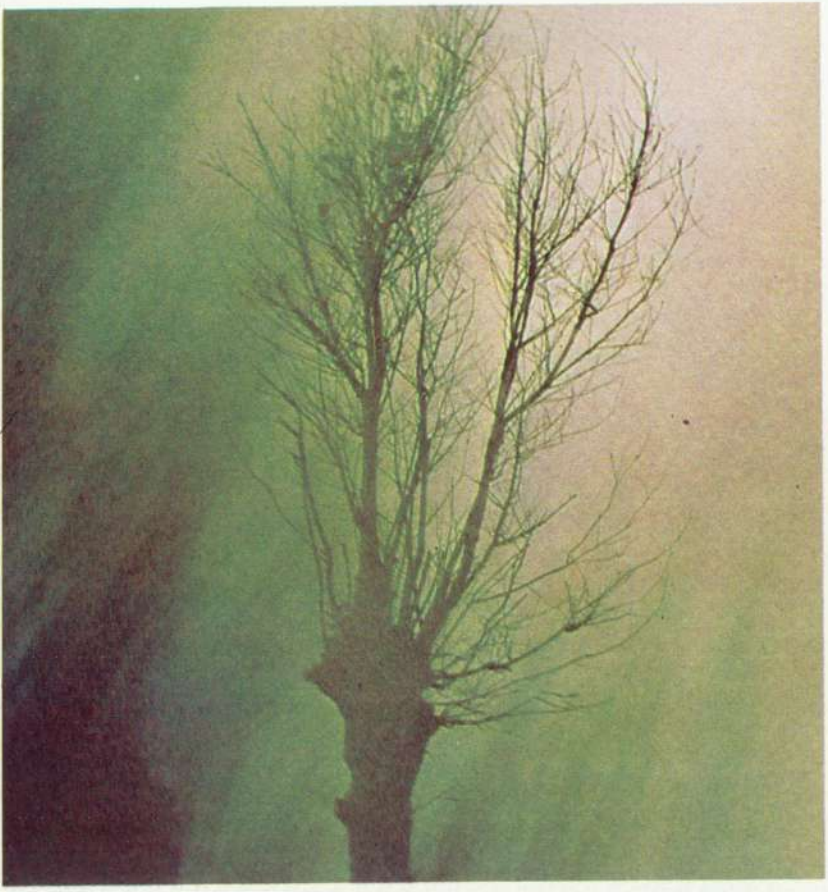
يتبخر الماء وتتصاعد أبخرته في الجو فتبرد وتتكثف ، فان تم تكثف هذا البخار في منطقة قريبة من سطح الارض تكون ما يعرف بالضباب . وما الضباب إلا قطيرات دقيقة جدا من الماء تبقى معلقة في الهواء ، فتجعله غير شفاف ، فيتعذر رؤية الأجسام البعيدة ، كما يتعذر السير في الطرقات . وإذا تعرضت هذه القطيرات الصغيرة إلى تاثير اشعة الشمس تبخرت تدريجيا وانقشع الضباب .

ومما يساعد على تكوين الضباب وجود الغبار ودقائق الأتربة الرفيعة في الجو ، لانها تعمل على تكثف بخار الماء عليها ، ولذا نشاهد الضباب بكثرة في جو المدن الصناعية حيث ترسل مداخن المصانع والأفران كميات لا حد لها من الدخان وذرات الاتربة .

اما إذا برد بخار الماء بعيدا عن سطح الأرض لملامسته لسطح بارد كقمم الجبال العالية ، أو لملامسته لجزء آخر من الهواء اكثر منه برودة يتكثف مكونا سحابة يمكن رؤيتها بوضوح .

وتختلف السحب في شكلها ولونها فمنها الصغير المتقطع ، وهذه هي اكثر السحب ارتفاعا ، ومنها الداكنة اللون ، وهذه ممطرة في الغالب .

وإذا استمر تكثف بخار الماء في السحابة وكان سريعا فان دقائق الماء المتكاثفة تزداد في حجمها ويتصل بعضها ببعض ، فاذا بها في النهاية قطرات كبيرة لا يقوى الهواء على حملها ، فتسقط في صورة مطر .



البرق .. شرارة كبيرة هائلة الخطر .. إذا لمست الانسان فانها تصعقه .



هطـول الأمطـار بعد ان تتكثف ابخـرة المـاء في السحابة ويتصل بعضهـا ببعض بحيث لا يقـوى الهواء على حملهـا ..



سحب تكثفت قطراتها ونزلت امطاراً .



بلورات الثلج التي تتكون نتيجة انخفاض الحرارة إلى ماتحت الصفر

وإذا مرت هذه القطرات اثناء سقوطها بطبقة هوائية مشبعة بالبخار كان المطر غزيراً ، أما إذا مرت بطبقة هوائية غير مشبعة تناقص حجمها ونزل المطر رذاذاً .

والثلج عبارة عن بللورات متطايرة على شكل شظايا رقيقة ، تشبه زغب الريش الأبيض . ويتكون الثلج نتيجة انخفاض درجة الحرارة إلى ما تحت الصفر في طبقات الهواء المحتوية على سحاب . وتتساقط هذه البللورات التي يبلغ طولها قرابة بوصة على الأرض فتكسوها كما تكسو النباتات وقمم الأشجار وسطوح المنازل .

ويشترط لكي يبقى الثلج دون ذوبان بان تكون درجة الحرارة على سطح الأرض حوالي الصفر . أما إذا ارتفعت الحرارة فان الثلج يذوب ويتحول إلى ماء .

وقد يتراكم الثلج على قمم الجبال والهضاب ، وفي الأقطار الباردة في صورة حقول ثلج واسعة . وقد يتكدس بعضه فوق بعض فيتصلب ويتحول إلى جليد وبحالته الصلبة المعروفة .

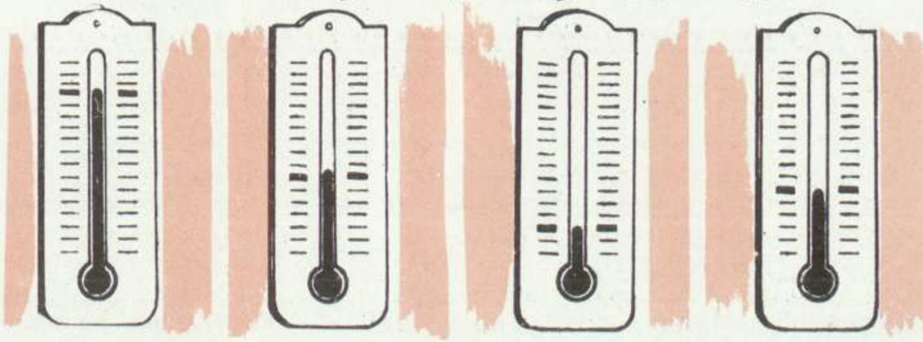
وقد شاهد كثير من السائحين الوانا مُتعددة للثلج ، ففي بعض جبال هنغاريا العالية شوهد الثلج الأسود ، وفي برنزويك شوهد الثلج الاصفر ، وفي بعض المناطق القريبة من المتجمدين شوهد الثلج الاخضر.

غير ان اكثر انواع الجليد الملون شيوعاً هو الثلج الاحمر ، ويتفاوت لونه من لون وردي فاتح إلى لون احمر قاتم كلون الدم . ويشاهد هذا الثلج في قمة سانت برنارد وفي المناطق القطبية ، وفي جبال الانديز

أسرار الرعد والبرق والسحب والثلوج

لماذا تنشأ الظواهر الجوية في السماء ؟

الظَّوَاهِرُ الجَوِّيَّةُ وَالطَّبِيعِيَّةُ فِي فُصُولِ السَّنَةِ المُخْتَلِفَةِ



رسم توضيحي يبين الظواهر الجوية والطبيعية في فصول السنة المختلفة .

بامريكا الجنوبية .

وفي بعض الاحيان يكون تلون الثلج بالالوان المختلفة سببه وجود شوائب او اتربة معدنية في الثلج ، وقد يتكاثف في اعالي السحب قطرات صغيرة من الماء خصوصاً في اثناء عواصف الرعد والبرق ، ولا يلبث أن تتخذ شكل كرات صغيرة من الجليد تبدأ في النزول ، ولكن العاصفة تحمل هذه الكرات الصغيرة مرة اخرى داخل السحاب ، فيتكاثف حولها نطاق جديد من الثلج أو من الماء الذي لا يلبث ان يتجمد بفعل ثقلها ، ولكن التيارات الصاعدة القوية تحملها إلى اعلا فتكسوها قشرة جديدة . وقد تبلغ عدد القشرات المتعاقبة نحو عشرين قشرة .

وعندما يصل قطر هذه الكرات نحو ١٫٥ سنتمتر تسقط على الأرض . وقد يكون سقوط الكرات بكميات كبيرة وبسرعة هائلة فيحدث تلفاً للمزروعات .

والبرد يسقط في جميع خطوط العرض ولكن يندر جداً عند خط الاستواء ، نظراً لأن حركة الهواء السفلى تذيبه قبل أن يصل إلى الأرض .

البرق والرعد

البرق هو شرارة كهربية ، كتلك الشرارة التي تحدث حين يتلاقى سلكان مكهربان ، ولكنها شرارة كبيرة عريضة هائلة الخطر ، لو لمست إنساناً لصعقته او حرقته ، فلا يبقى منه إلا رماد . وتحدث هذه الشرارة حين تلتقي في السماء سحابتان مشحونتان بالكهرباء .

واخطر انواع البرق ، هو الذي يكون اتجاهه من فوق الى تحت ، لانه يصعق كل ما يصادفه من انسان وحيوان ، كما يحرق الدور والمصانع ، ويبيد الزرع ، ويعطل القوى الكهربية التي نستخدمها في الاضاءة وإدارة المصانع .

ومن ثم كانت فائدة القضبان الحديدية (مانعة الصواعق) التي تثبت في اعلى الأبنية ، فهي تعمل على توحيد الشرارات وانتقالها في مادة الحديد ، وهو موصل جيد ، دون أن تضر بالبناء .

أما الرعد فهو صوت ضخم ينتج من تعاقب الحرارة والبرودة التي تحدثها شرارة البرق ، وذلك ان البرق حين يلمع ، يحدث في طبقات الجو العليا سخونة شديدة ، تعقبها برودة شديدة سريعة ، فينتج عن ذلك تمدد مفاجىء يعقبه تقلص الهواء في ممر شرارة البرق يتمخض عنه جلجلة هي الرعد الذي نسمعه .

وهذا الصوت الذي نسمعه هو قرقعة الشرارة الكهربية ، وقد يبدو ان الرعد جلجلة متواصلة ، إلا ان الرعد في الحقيقة انفجار واحد فقط ، ولكن طول الشرارة يبلغ عدة اميال ، ولهذا يصل الصوت في مختلف انحائها إلى الاذن في اوقات مختلفة ويزيد طول جلجلة الرعد الصدى الذي تعكسه الغيوم او الوديان او الجبال ويسمع صوت الرعد دائماً بعد لمعان البرق بوقت قصير ، وذلك لأن الضوء اسرع من الصوت ، فلو ان قذيفة اطلقت من بندقية ، لشاهدنا وهج القذيفة قبل ان نسمع صوت الطلق ، بالرغم من حدوث الاشتعال والصوت في وقت واحد .

ولو أن هذه الومضات الكهربية التي نراها فى السماء ونسميها البرق ، تتولد بطريقة صناعية ، لكانت تكاليف البرق الواحد منها ، تعادل ما ينفقه الشخص العادي على اضاءة منزله بالكهرباء لمدة اربعين عاماً تقريباً إذ تبلغ قوة اضاءة البرق الواحد نحو ٢٠٫٠٠٠ كيلو واط تبلغ نفقة توليدها مئات الجنيهات .. فاذا قدرنا ان معدل كمية البرق التي تحدث في وقت واحد هو ٢٠٠٠ ابراق ، فان هذه الكمية تعادل مقدار ما يولده العالم من الكهرباء ، مضروباً في الف .

الشهب في الفضاء

وكثيراً ما نشاهد في ارجاء الفضاء ونحن ننظر للسماء ، ما يشبه النجوم تتساقط ، ويبدو لنا انها تهوي إلى الأرض .

والحقيقة ان هذه الاجرام المضيئة ليست نجوماً ، بل هي كتل مادية تسبح في فضاء الكون ، وقد يقترب بعضها من الكرة الأرضية ، فتشده إليها بتاثير قوة الجذب وعندما تصل إلى الجو تلتهب القطع الكبيرة منها نتيجة احتكاكها بالهواء ، فيظهر لها ضوء ساطع ، وتبدو كالنجوم الهاوية من السماء .

ويقرر علماء الفلك ان عدد الشهب التي تلتقطها الكرة الأرضية في كل اسبوع ملايين ، ولكن لا نراها جميعها ، لأن الجزء الأكبر منها قطع صغيرة جداً تتحول إلى دقائق ترابية بمجرد احتكاكها بالهواء .

وهناك راي يقول إن منشا اغلب الشهب من المادة التي تتركب منها بعض النجوم ذات الذنب ، قد يحدث ان تترك جزءاً من ذيلها الذي يبقى متحركاً في الفضاء ، ثم لا يلبث الذنب ان يتحطم تدريجيا إلى اجزاء متفرقة ، تتبعثر هنا وهناك .

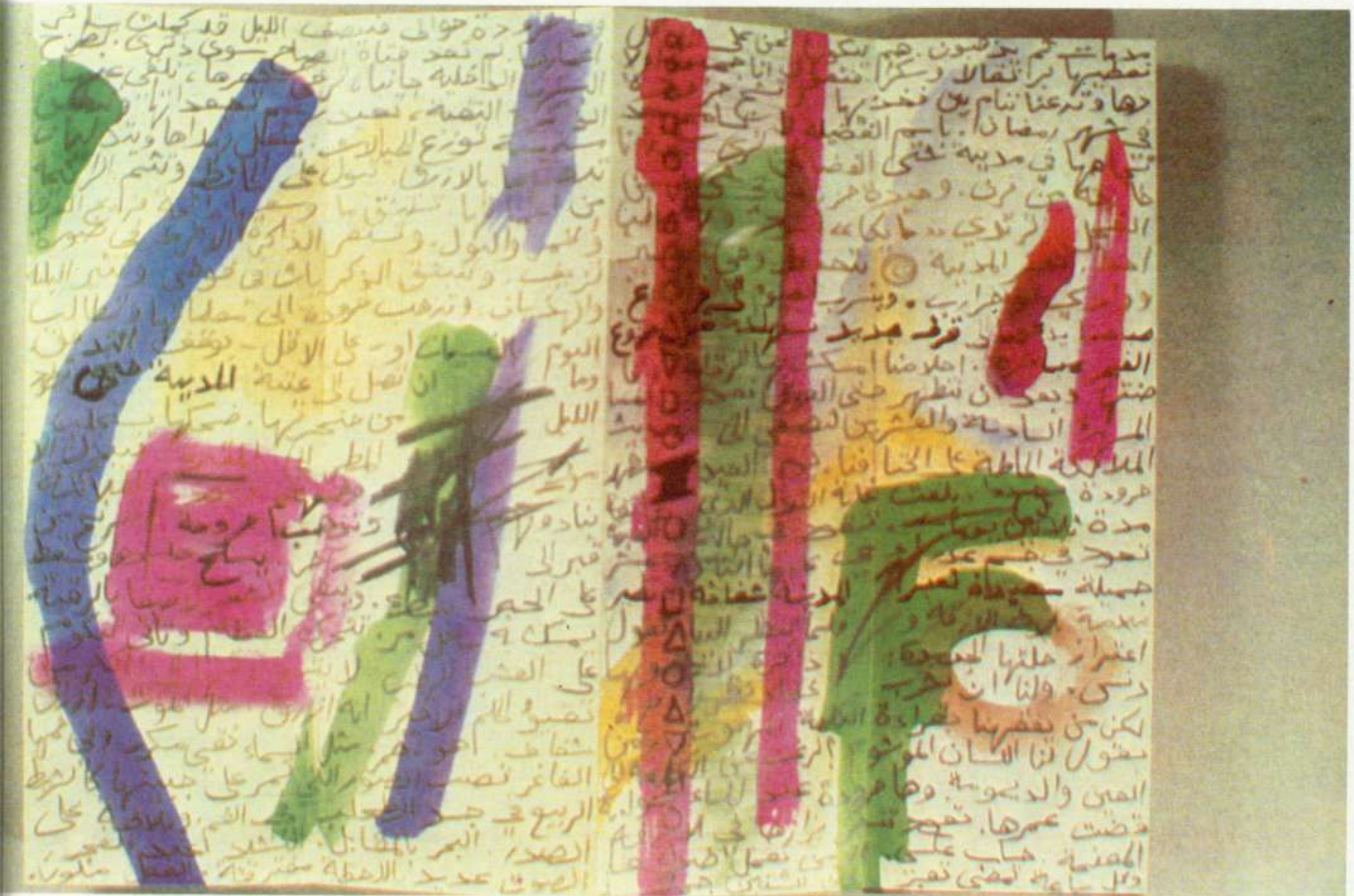
عز الدين فراج

أحزان الشعراء..

"عن شاعر الصعاليك عروة بن الورد"

شعر: أحمد سويلم

تأخذين برأسى كل مساءٍ .. تُجيدين هدْهَدَةَ القلب ..
تحتملين غبارَ المسافاتِ .. عصفَ الحكايات ..
عيناي تلتئمان .. تحطّان فوق عذوبةِ صدرك .. أقضمُ
خبزى المندَّى بصوتكِ .. يؤنسني في ليالي التوجسِ
والغزوِ .. يزرع في الصَحَراء نخيلاً .. إليه أفيءُ ..
وأغمض عينيّ .. أحلم أني بصدرى طفل التوهجْ ..
أنكرتْني القبيلةُ ..
لستَ الذى تستحق الولاءَ .. ولستَ الذى تتقلدُ
أوسمةَ الشعرِ ..
نعرفُ كم تقرضُ الشعرَ .. كم تتزاحمُ بالسيفِ
عند الملمَّاتِ .. كم تملكُ القلبَ والعينَ ..
لكننا لا نريدُكَ صوتَ الجياعِ المهانينَ ..
هم يستحقون بؤسَ الحياةِ .. وجوعَ الصعاليكِ
في الصَحَراءِ ..
طاردتني القبيلةُ .. ضجَّ بيَ الشعرُ والشعراءُ .. رَمَتْني
القبيلةُ بالشرك .. والإفك .. تطلبُ رأسيَ ..
تمنحُ أبهى القلائد للفائزينَ ..
ارتميتُ بصدركِ يارحبةَ الصدرِ ..
لذتُ بعينيكِ .. سيفي جفونُكِ .. شعريَ
من وجنتيك يضيْ ..
جئتُ رَثَّ الثيابِ فقيراً .. أُغنّي بشعرى لم هام مثلىَ
في الصحراء ..
جئتُ .. لاتنكرى الحَظْوَ .. لا تسلميني لسيف القبيلةِ ..
حسبك .. أحلى القلائد – حين منحتُك بالأمس أعتى
الوحوش تطأطئ بين يديك الرءوسَ .. وتحرس بابكِ
حسبي – أُقَسِّمُ جسميَ بين الجموع الكثيرة – أحسو برودةَ
مائيَ من أجل عينيكِ .. تشق جراحيَ من أجل عينيكِ ..
ينطلقُ الشعرُ .. يصرخُ بالليلِ حتى يقضَّ المضاجعَ ..
يخترقُ الشعرُ أعتى الحصونْ ..
وأنا لا أهونُ ..
لأنيَ عاهدتُ عينيكِ ذاتَ صباح .. وهاجرتُ ..
يوماً أغيرُ على النجد .. يوماً أغير على السهل .. كلَّ
الليالي الكئيبة أسقطها تحت سيفيَ .. كل حكايا
الصعاليكِ .. كل الأساطيرِ تذكُرني في ليالى القبيلة ..
ليس لى الآن غير ملامح وجهكِ ..
شاهتْ وجوهُ القبيلةِ ..
شاهَ بها الشعراءُ يريقون وجه القصائد بين
دنانِ الشرابِ .. يُحِيلون سقط الرجال كراماً على
الأرض .. شاهَ بها الشعراء ..
منذ هاجرتُ ..
سيفيَ أشرعُهُ في الوجوه الكئيبة – تدفن عينُ الطفولةِ
في الرملِ .. تفرق أشرعةُ الحبِ
سيفيَ أشرعُهُ .. منذ هاجرتُ ..
حرفيَ أنفذه في القلوب الغريبة .. علّ الحجارةَ
تسقُطُ .. أبني سياجاً من الحبِّ .. أفتح باباً
من الدفء للأشقياءِ ..
اقبليني كما جئتُ ملتجئا ..
اجعلى الحب بيني وبينك مبتدءاً ..
ان شعريَ منذ سئمتُ القبيلةَ لا يقبلُ الزَيْفَ
لا يقبلُ الأدعياءَ ..
لا تُطِيلى التساؤل عن سفرى في ليالى الشتاءِ ..
إنَّ صوتَ المهانين مازال يصرخ عند الشواطئ .. في
طرق الصحراءِ
والقبيلةُ تطلبُ رأسي .. وسيفي مازال ملكَ
يمينيَ .. والشعراءُ يريقون ماءَ الوجوهِ .. يكيدونَ
للوطن الخصبِ ..
كل مساءٍ يقيمون حفل احتضار القصائدِ تحت عروشِ
العتاةِ .. وصوت المهانين عند الشواطئ .. في الصحراءِ
القريبة مازال يصرخ كل مساءٍ .. يطالب بالقوتِ
والسيف .. كل صباح ..
أيقظى الآن عينيك .. ظلّيَ لديَّ .. اجعلى الحبَّ بيني
وبينك مبتدءاً ..
أيقظى الآن قلبكِ ..
لا تسلميني لسيف القبيلهْ !



الطاهر بنجلون : الولد يحكي القصة بالقلم الرصاص



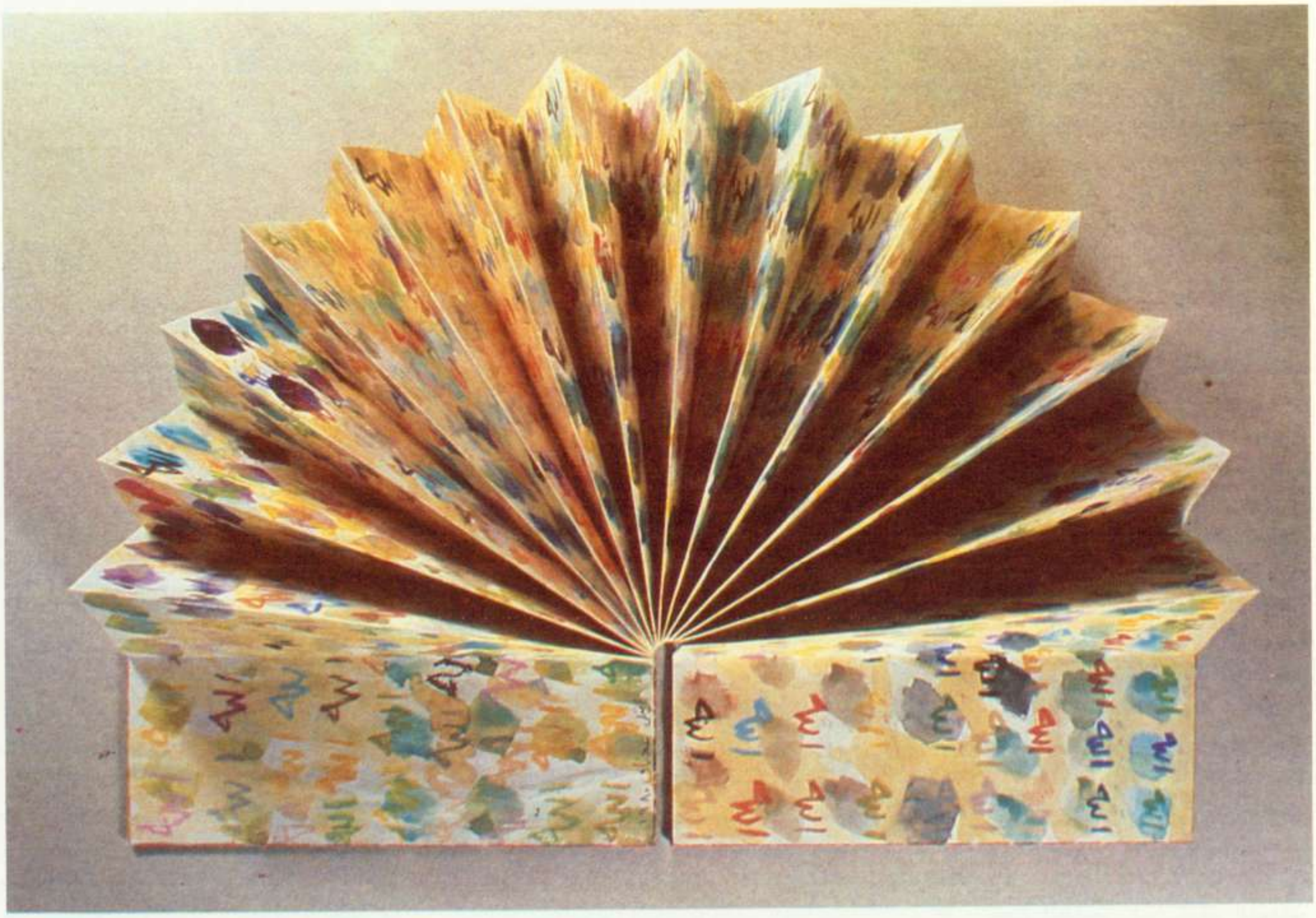
إيثيل عدنان امام طاولة الرسم

تجربة فنية جديدة

الكتابة الطفولية

قصائد وأعمال أهم الشعراء والروائيين العرب في دفاتر يابانية مطوية

بقلم : شربل داغر



الدفتر الياباني المطوي

إنها ترسم على الدفاتر اليابانية المطوية قصائد وأعمال أهم الروائيين العرب في تجربة جديدة ومتميزة ، لا تعتمد فيها على تلقي النص الشعري أو الروائي ـ فقط ـ ولكنها تبرز سياقه التاريخي والحضاري .

وهي تخط العمل الأدبي بطريقتها الخاصة في معالجة الحرف العربي ، وبأفكار تترجم معنى التغني بحب الأرض والتمسك بارثها العظيم .

وفي بعض أوراقها تستخدم أدوات الجراحة العربية القديمة : عيون ، وشم ، إمرأة ، يد ، نخلة ، قارب ، بندقية ..

واذا كانت شديدة الحرص على الابتعاد عن الترجمة الحرفية للنص ، فانها في كل دفاترها تطبق جملة « بودلير » الشهيرة : أكره الحركة التي تبدل وجهة السطور !

وفي هذه الدفاتر التي تؤكد فيها ـ دائماً ـ هويتها تقدم لنا بأسلوبها الخاص ثلاثة دفاتر لبدر شاكر السياب هي مدينة السندباد والمعبد الغريق ، والأم والطفلة الضائعة .. وتقدم لنا ـ ايضاً ـ دفاتر أخرى لفاضل العزاوي ، وفؤاد غبريال ، وأدونيس ، والطاهر بنجلون ، ومحمود درويش ، وجورج شحادة ، وعبدالوهاب البياتي ، وابن الفارض ، وفايز المقدسي ، وغيرهم ..

إن « إيثيل عدنان » التي تكتب القصة القصيرة والرواية والقصيدة ، تقدم الآن تجربتها الابداعية الفريدة في دفاترها التي تمثل التعبير الناضج ، والتي تعتمد على ملامح الابجدية العربية في علاقة من التواصل الوجداني والايقاع اللوني الذي يأتي إلينا وكأنه مقطوعة موسيقية لها إيقاع بديع وتثير في اعماقنا أرقى الخيالات والصور المتعددة !

ولكن ما هو محتوى وأبعاد وفكرة هذه الدفاتر التي تقدمها لنا الفنانة الكاتبة ؟ هذا ما سنحاول الاجابة عنه في هذه الدراسة التي تلقي الضوء على هذا العمل الفني والثقافي الجديد .

تجربة فنية جديدة

الكتابة الطفولية

هذه الدراسة لا تعنى بمجمل نتاج «ايثيل عدنان» الكتابي ، ولا بمجمل نتاجها الفني ، بل بعدد محدد من اعمالها الفنية ، المعروفة باسم « الدفاتر » . هذا التحديد لازم مع كاتبة مثلها ، ذلك ان سيرتها الابداعية لا تتحقق في مسار واحد ، مهما تكاثرت او تباينت مراحله ، بل في مسارات عدة . فهي تكتب القصة القصيرة والرواية والقصيدة ، بالانكليزية والفرنسية ، مثلما تحفر وتنسج وترسم .

من اب سوري وام يونانية ، ولدت ايثيل عدنان في بيروت عام ١٩٢٥ ، لكنها قضت حياتها بين ١٩٥٥ و ١٩٧٢ في امريكا الشمالية دون توقف (كانت تعود احيانا لقضاء شهر العطلة الصيفية في بيروت) ، ومنذ ١٩٧٦ بين باريس وكاليفورنيا .

منذ الولادة عرفت ايثيل عدنان تعدد الأصول : والدها سوري ، لكنه كان ضابطا في الجيش العثماني ، وامها يونانية من ازمير ... التركية حاليا .

في الحياة كما في الفن عرفت التمزق ، اي البحث الدائب عن الهوية .

التعدد لا يناسبها وحسب ، بل يؤلفها ، في كيانها ، وفي تعبيرها الفني والأدبي . وهذه الدراسة تعنى بـ « الدفاتر » ، لأنها تمثل التعبير الناضج والبين عن بحثها التشكيلي في اشكالية الهوية . هذا ما نداقع عنه ، وما سنعمل على بيانه : ننطلق من هذه الفرضية ، ونتوخى عبرالتحليل برهنة صمتها ، اي اننا نترك لنتائج الدراسة ان تبرهن صحة الانطلاق من هذه الفرضية ، ومن هذا التقدير لنتاج الفنانة ..

لماذا هذه الدفاتر ؟

انها دفاتر « ماكي موكو » اليابانية ، اي الدفاتر المطوية ، التي تصنع حرفيا ، بالايدي ، في مدينة كيتو اليابانية ، ذات العراقة الامبراطورية .

دفتر الـ « ماكي موكو » يشبه الكتاب ، بغلافين سميكين ، لكنه ، على خلاف الكتاب ، يفتح ويغلق على طريقة آلة «الأوكارديون» الموسيقية ، اي ان أوراق الدفتر لا تقلب صفحة تلو صفحة ، بل بكيفية حرة تماما ، تصل الى فتح الدفتر تماما بحيث تؤلف اوراقه المتصلة ورقة واحدة .

إنه دفتر (اي متعدد الأوراق) (أوراقه متصلة ومفتوحة على بعضها البعض) في آن معا . كل دفتر يختلف عن الآخر ، وكل دفتر قابل لـ « التاليف » ، اي لأن يتخذ اشكالا متبدلة ومعقولة ، في كل لحظة ، ووفقا لمشيئتنا . انه دفتر شخصي ، إذن . كل نسخة منه فريدة في نوعها ، على خلاف الورق الطباعي (او القماشة الفنية ، وغيرها من الحوامل المادية للتعبير الكتابي او التشكيلي) ، العمومي والمشترك « هل عرفت فنانا يرسم بقلم «بيك» (*Bic*) من الحبر الناشف ! ؟ » سالتني ايثيل ذات مرة ، وهي تضحك ، للتاكيد على رغبة الفنان الدائمة في التوفق بحوامل مادية ومواد فنية ، تخصه دون غيره . فعند بعض الفنانين ، ومنهم ايثيل عدنان ، لا يقتصر البحث التشكيلي على صياغة «رؤيا» فنية ما ، بل يشتمل البحث ايضا على بناء مادي مميز لهذه الرؤيا ، فتستبد شهوة الابتكار فيهم لدرجة انهم يريدون ان يجعلوا من العمل الفني « شيئا » ، «جسما» ، «مادة» ، بالمعنى الفيزيائي الدقيق للكلمة .

احجام الدفاتر مختلفة : ٣٣ سم عاموديا ١٢ر٦ م . افقيا (القياس الافقي يشمل عدد الصفحات بشكل متصل ، كما لو ان الدفتر ورقة واحدة) ، ٢٤ سم x ٤٠ر٥ م . ، ٢٧ سم x ٧٠ر٢ م ..

ولكن كيف تعرفت ايثيل عدنان على هذه الدفاتر ؟

« التقيت ذات مساء في ١٩٦٢ في مقهى بكاليفورنيا بالصديق الأمريكي ريك باردين . كان مجنونا بالرسم . ما كان يفارقه القلم بالحبر الصيني . اية ورقة ، حتى ورقة المطعم ، كانت صالحة عنده للرسم . لكنه دعاني في ذلك المساء الى الرسم فوق دفتر «ماكي موكو» بدل الحوار . وفي حزيران/يونيو ١٩٦٣ حاولت ، ولاول مرة بشكل جدي ، الرسم فوق دفتر ياباني ، ولكني ما لبثت ان انقطعت عن اكمال الدفتر عدة شهور ، حتى شباط/فبراير ١٩٦٤ ، حيث انتهيت من تخطيط قصيدة « مدينة السندباد » للسياب فوقه . وقد قمت بهذا العمل الأول ، على تقطعه ، حبا باكتشاف هذا الحامل المادي واختيار ممكناته الفنية . وما حاولت تجربة ثانية إلا بعد ثلاث سنوات ونصف ، إثر النكسة العربية في صيف ١٩٦٧ . ارتعبت في حينها كثيراً (وقد كنت في امريكا) ، واختلت عزيمتي ، لدرجة انني ما وجدت غير الرسم الحروفي ليعيد لي ثقتي بنفسي ، وبهويتي » .

الصدفة (واللعب والاختبار) تفسر التجربة الأولى . الارتجاجة النفسية دفعتها الى القيام بمحاولة ثانية . والخيار الفني جعلها تقدم على المحاولة الثالثة ، وعلى عشرات المحاولات بعدها .

ولكن ، لماذا هذه الدفاتر اليابانية بالذات لماذا التوجه الى الحرف العربي ، الى القصيدة العربية الحديثة بالذات ؟ على اية حاجات ، فنية ، روحية ، يجيب مثل هذا البحث ؟ .. لن نجيب على هذه الاسئلة وغيرها ، إلا مع تقدم البحث وتطوره . ما يمكن ان نؤكده ، منذ الآن ، هو ان ما بدات به ايثيل عدنان ذات مساء في كاليفورنيا سيتخذ لاحقا وجهة المسار ، وسيجد لاحقا الاجابة البينة على الغموض الذي اكتنف اعتمادها على هذه الطريقة الفنية في ايام النكسة العربية العصيبة عليها ، خاصة في امريكا الغربة .

ما هي « دفاتر ايثيل عدنان » ، موضوع دراستنا ؟

- « مدينة السندباد » لبدر شاكر السياب (حزيران/يونيو ١٩٦٣ – شباط/فبراير ١٩٦٤) .
- « المعبد الغريق » لبدر شاكر السياب (حزيران/يونيو ١٩٦٧) .
- « الام والطفلة الضائعة » لبدر شاكر السياب (١٩٦٨) .
- ٢٤ قصيدة لفؤاد غبريال نفاع ، مترجمة الى العربية عن الفرنسية (١٩٦٩)
- «بيوت العنكبوت» (جزءان) لتريز بصبوص (١٩٧٠) .
- «نزهة المحارب» لفاضل العزاوي (١٩٧١) .
- قصائد من « اغاني مهيار الدمشقي » لادونيس (١٩٧٤).
- «حدودة» ، الترجمة العربية من الفرنسية للفصل الأول من رواية الطاهر بنجلون التي تحمل هذا العنوان (١٩٧٨)
- «العصافير تموت في الجليل» لمحمود درويش (١٩٨٠) .
- ثلاث وعشرون قصيدة لجورج شحادة مترجمة الى العربية من الفرنسية (١٩٨١)
- «بابلو نيرودا» لعبدالوهاب البياتي ، دون تاريخ .
- «صقر قريش» لادونيس ، دون تاريخ .
- قصائد لابن الفارض ، دون تاريخ .
- قصيدة لفايز المقدسي ، دون تاريخ .

...

إلى هذا ، نضيف ثلاثة دفاتر « حرة » ، اي غير مقيدة باي نص شعري او روائي ،

تحت عنوان « الله » ، حيث ترد فوق كل دفتر كلمة واحدة : الله . مرة واحدة افردت عدنان احد دفاترها لشعرها ، إذ كرست دفتراً لقصيدتها «خمس حواس لموت واحد» «الدفاتر» : انها الرسم ـ الخط .

اليس الخط رسماً ؟ اليس الرسم خطاً ؟ كيف يخط الرسم ؟ كيف يرسم الخط ؟ لماذا نقول الخط ، لا التخطيط ؟ الا يعني الخط قيداً ونسقاً مضبوطاً بالضرورة ، فيما يعني الرسم اشكالا حرة بالضرورة ؟ كيف يتواكب الخط والرسم فوق ورقة الدفتر ؟ هل تؤلف الورقة عملا فنيا « مستقلا » ؟ ما هي البنية الفنية للدفتر ؟ ...

علاقتها باللغة العربية

تغسل « إيثيل يديها قبل الرسم . تماما مثل الخطاط (القديم) قبل أن يباشر تخطيطاته ، مثل طفلة « شاطرة » ، جدية ومواظبة ، قبل القيام بمعطيات الاستنساخ تغسل يديها باناة ، لا يعرف تشددها الرسام عادة . تقبل صوب طاولة الرسم نظيفة ، نقية ومستغرقة ، فكل خطأ او اعتذار مستبعد باحكام في الطقس ، في الاحتفال .

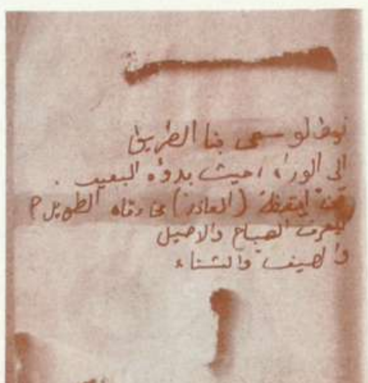
تجلس ايثيل للرسم امام الطاولة . تجلس للرسم ، لا تقف ، ولا تتمشى (في المحترف أو في الهواء الطلق) لتعود (امام حمالة اللوحات) . انها ثابتة فوق كرسي ، لا تحتاج لتحركات عديدة ، ولا لزوايا معينة تشترط التنقل ، لكي تنظر الى «موضعها» الى مثالها الخارجي ، ولكي تستعيده في قياسات واحجام والوان .تنكب ايثيل على الورقة دون ان ترفع راسها أبداً تماماً مثل الطفلة التي تستنسخ الجملة نفسها ، مراراً وتكراراً ، بالوان عدة او نصاً مثبتا في كتاب جرى وضعه لهذا الغرض فوق دفتر الاستنساخ ... هذه الطفلة لا تدفع رأسها ، لانها تنفذ عقوبة ، او لانها تجتاز امتحانا اخلاقيا وروحيا قاسيا ، يشترط منها التركيز والتهيب ، امام الاستاذ ـ الناظر أو الأب ـ المراقب . تماما مثل الخطاط الذي لا يبحث عن المعنى في الخارج ، بل في نفسه ، لا في ما يحيط به بل في ما اعتمل في داخله ، انه يستغرق في حالته الداخلية بحيث يجده .

تتهيب وتخشى ما تقوم به لانها تقدره بشكل سام ومنزه عن اية اغراض شخصية او ضيقة الافق . إنها « لا تتردد ، بل تتهيب ذلك ان عليها ان تتدرج في ممارسة فنية ـ روحية عريقة ، وبالغة التقدير من جماعتها احساسها يتجمع ، يتركز في يدها اليمنى . تميل براسها ايضا الى الجهة اليمنى ، الى اليد اليمنى التي تمسك بالقلم القلم يبلغ عنها ، يوصلها .

منذ ان تجلس ايثيل عدنان الى الطاولة لرسم دفاترها تدخل في حالة روحية ، تقبل عليه خاشعة ومتهيبة .

تستعيد ايثيل هذه الوضعية حين تجلس للرسم : « ما تعلمت العربية إلا في وقت متاخر جداً من عمري ، في بدايات السبعينات ، وبشكل اولي جداً . لما كنت طفلة ، ايام الانتداب الفرنسي للبنان ، ما كنا نتكلم العربية في بيتنا . اي لم نكن نعرفها ، ومدرستي لم تكن تعلمني اياها . والدي ـ وقد كان متقدما في السن ـ كان يريد مني أن اتعلمها ، لكنه ما كان له الصبر الكافي لتعليمي » .

منذ الطفولة كانت تشعر ايثيل بعلاقة «عاطفية» ما ، قائمة خاصة على الاحترام والتقدير ، مع العربية ، وذلك دون ان تتعرف على اشاراتها اللغوية . كانت تستطيع ، في ذلك الوقت ، تمييز العربية عن غيرها من اللغات (كالفرنسية مثلا التي كانت تتعلمها وتتكلمها في المدرسة والبيت) من ناحية « شكلية » فقط ، قائمة على ملامح الأبجدية العربية كاشكال خطية ، طباعية او حرفية . وكانت تستطيع ايضا التمييز « الصوتي » لهذه اللغة عن



صفحات بدر شاكر السياب مرسومة

غيرها « حتى اني ـ غير العربية ـ كانت ، حين تريد مدح شخص ما ، تشير الى انه يكتب العربية بخط انيق وواضح » .

منذ الطفولة نشأت بين إيثيل واللغة العربية علاقة خاصة ، قائمة على التعايش معاً دون التعرف المقرب او المعمق لها . انها علاقة من التواصل الوجداني ، فيما يسبق الوعي والتعرف والاستيعاب للكلمات ومعانيها ، مفردة أو مجتمعة في الجمل . كانت ، في البيت أو المدرسة ، مع الاهل أو الأصدقاء ، تستمع الى العربية . كانت «تعيش» العربية دون أن «تفكرها» بالضرورة ،ودون ان تحفظها غيباً . «لهذا كانت تاتيني ، وانا طفلة ، بعض العبارات العربية محملة بالاحاسيس التي ترافقها » .

ما كانت تعرف العربية ، لكنها كانت تخشاها ، تحترمها ، تقدرها وتعطيها هالة عظيمة «كنت اشعر بان هذه اللغة هي غير سائر اللغات ، بانها لغة مختلفة ، معتبرة ومحترمة » .

● منذ الطفولة كنت تشعرين بمثل هذه المكانة الكبيرة للعربية ؟

ـ أبي كان يفضل قلمه . كان يتعامل معه بفخر ، وبكيفية مخالفة لغيره من الادوات . كان يعوض أبي عن عدم معرفتي بالعربية ودراستي لها بان يدعوني الى استنساخ بعض صفحات الكتب والجرائد . اتذكر بان المتعة والجدية كانتا تلازمانني في جلسات الاستنساخ هذه . كان يروق لي هذا الامر ، فقد كنت اشعر انني انفذ رغبة غالية وثمينة عند والدي ، وقد كان يحلو لي ايضا التخطيط بحد ذاته .

● كيف كان يحلو لك التخطيط ! ؟ .. الأولاد يتضايقون من ذلك عادة !

ـ الأولاد يتضايقون من التخطيط حين يكون عقوبة مدرسية ، اما عندي فقد كان نزهة ، وعطلة خارج الالتزامات المدرسية . لم اكن اعرف حروف العربية وحركاتها ، اي ان تخطيط العبارات كان بمثابة الرسم الخالص عندي . لم اكن اقلد او استنسخ حروفاً وكلمات بقدر ما كنت اتبين اشخاصا ووجوها و ملامح وحركات واشارات رمزية في هذه الحروف .

ايثيل عدنان عرفت ، منذ الطفولة إذن الحرف العربي كرسم . ومن المعروف ان الأولاد يسمون الخط رسما في بداية تعرفهم على الخط ، وبعد ان تكون ايديهم قد تمرست بالرسم . في البداية يكتفي الولد بان يتعرف على شكل اللغة ، على طابعها «الرمزي» . انه يراها كوجه ، كامتداد ، كنمط ، ولا يتبينها بعد كمبنى ـ معنى .



لفظ الجلالة في حركة تكرارية في احد دفاترها

حين رسمت ايثيل عدنان دفترها الاول ، والثاني .. كانت قد عرفت بممارسات فنية اخرى ، من الحفر بانواعه حتى السجادة الفنية مروراً بالمائيات والزيتيات . وقبل ان تباشر ايثيل تشكيلاتها الحروفية – الفنية في دفاترها كانت قد عرفت التشكيلات التجريدية فقط ، دون اية علاقات تشخيصية . فما الذي جعلها ، في ليالي النكسة العربية في ١٩٦٧ ، تبدل طريقتها الفنية بصورة تامة ، فتنطلق في بحثها الحروفي التشكيكلي وتنتقل الى لون تصويري يقترب من التشخيصية اكثر من التجريدية ، وتستبدل المحفورة والقماشة والورقة السميكة بالدفتر اليابانى ؟

يصعب علينا ان نجيب بشكل حاسم وقاطع على مثل هذا السؤال . ان هذا اللجوء ، كمثل العديد من العمليات النفسية المعقدة ، يبقى صعب التفسير ، لانه يصدر عن العقل الباطن ، محمولا فوق تدافعات الغريزة والرغبات ومواجهتها العميقة .

ايثيل تستطيع تفسير هذا بعد وقت : «ارتعبت حينها كثيراً ، وتبلبلت عزيمتي لدرجة انني ما وجدت غير الرسم الحروفي فوق الدفتر الياباني ما يعيد الطمانينة الى نفسي . اللغة العربية حضرت في غرفتي مثل حبل النجاة ، او مثل حبل الرجاء . حضرت مثل العلاقة الاكيدة والحاسمة لعربيتي ، في وقت كانت تتداعى فيه الأرض من تحتي» . يمكننا ، دون شك ، ان نجد في هذا اللجوء الى الحرف محاولة الذات في الدفاع عن نفسها ، في التاكد من هويتها ، وذلك في الشان غير المهدد بالهزائم . اي في اللغة .

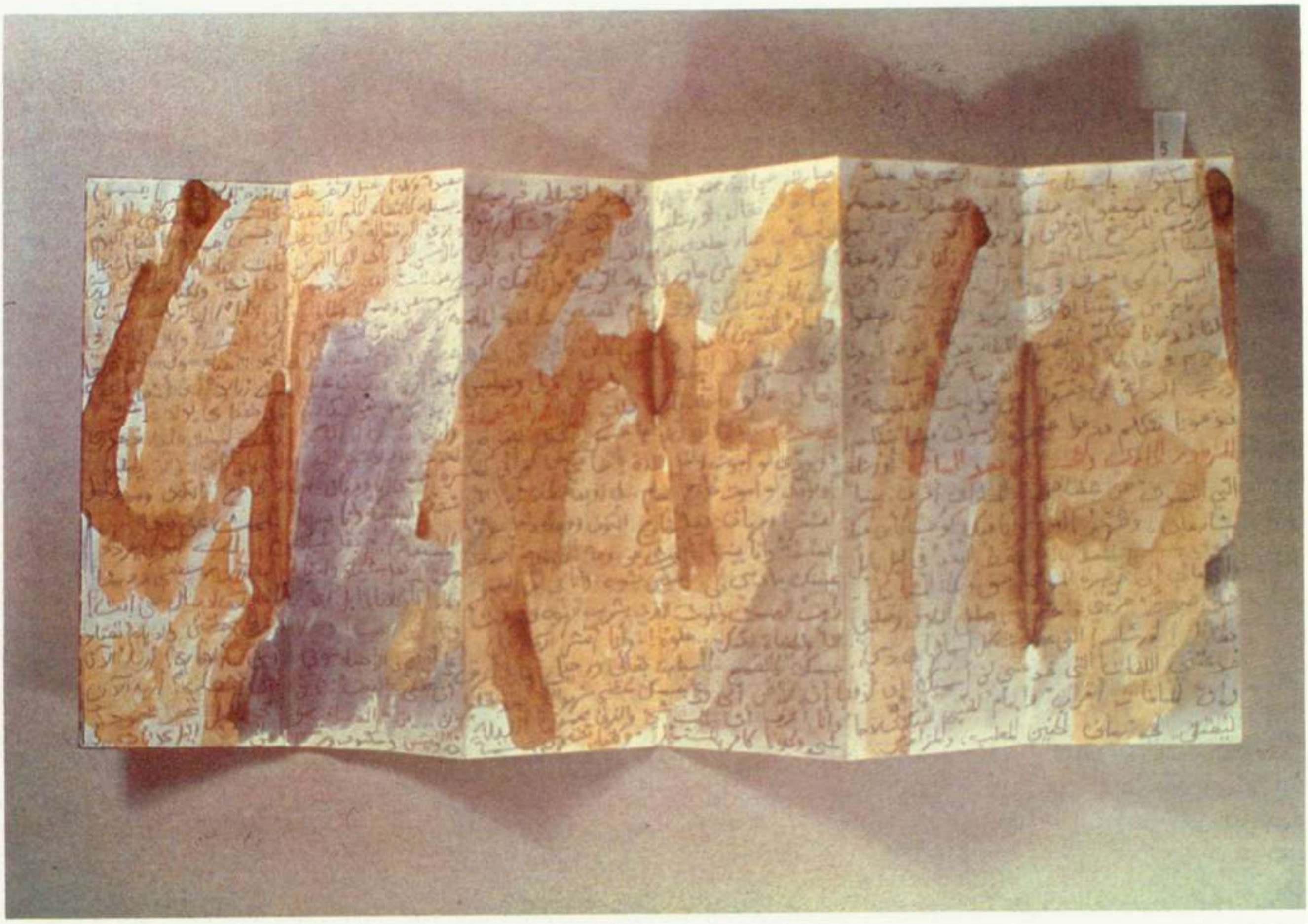
وبمجرد ان جلست ايثيل للرسم فوق الدفتر الياباني استعادت وضعيتها الطفولية في الاستنساخ ، وبمجرد ان باشرت بـ «تصوير» (حتى لا نقول : «بتخطيط» الكلمات العربية استعادت ايضاً تلك العلاقة الخاصة ، العاطفية والمتهيبة ، التي تربطها بالعربية . تستعيد هذه الوضعية بعد ان اخذت الحياة ، مثل ممارستها الفنية او الكتابية ، مسارات اخرى ، مخالفة ، بكيفية ما للجذور التي عرفتها ايثيل ، ولو بشكل ملتبس ومشوش ، في طفولتها . كانها « الابن الضال » ، تعود الى قيم الجماعة ، الى البيت الأبوي ، الى بيت المعاني والاشكال ، الى اللغة .. الأم ، بعد ان «تغربت» طويلا بين البلدان والفنون والكتابات .

استعادت طريق البيت الابوي ولم يعد الرسم ممارسة او طريقة ، بل طقساً احتفاليا ، بدلالات روحية .

دراسة الدفاتر

سننطلق لدراسة «الدفاتر» من عينة مختارة ، هي دفتر «الأم والطفلة الضائعة» وستعيننا هذه الدراسة العينية على بناء عدة مفهومية واستعمالية ، نستطيع توظيفها وتشغيلها لدراسة سائر « الدفاتر » ذلك ان هذه «الدفاتر» تؤلف نسقاً واحداً في بنيانها العميق : هذا ما نفترض وجوده ، هذا ما سنبينه .

دفتر « الأم والطفلة الضائعة » يمتلك القياسات التالية : ٣٣ سم (عاموديا) X ١٢ر٦ م . (افقيا) ، وهو يتالف من ٢٤



صفحات من دفاتر الفنانة التي ترسمها مثلما يكتب الروائي روايته

ورقة . يتالف الدفتر ، بناء لنظرة اولى من خطوط ومن الوان مائية ، ذات علاقات ورموز تشخيصية واضحة في غالب الأحيان .

لا يمكننا ، في المستوى الاول من القراءة التحليلية ، وهي عملية الوصف المنهجية للدفتر المقصود ، إلا أن نقيم الفصل بين نسقين تعبيريين في بنية كل دفتر : نسق الخط ونسق الرسم .

نسق الخط

ايثيل عدنان تخط قصيدة السياب برمتها ، دون ان تحذف اي بيت ، وأية علامة تنقيط ، كما خرجت القصيدة في صورة طباعية بمجلة «شعر» اللبنانية . ايثيل تخط القصيدة دون ان تبدل ابداً من هياتها الطباعية ، فلا تقدم ولا تؤخر اي بيت ، وتحتفظ بالسطر الطباعي (وبيباضه) فوق دفترها مثلما ورد في المجلة . لكن بعض الأوراق تاتي خالية من اي تخطيط ، مكتفية بالرسوم الخط مستو ، كما لو انها تخط فوق دفتر مسطر ومخطط ، كما انها تحافظ على وجهة سير الخط العربي من اليمين إلى الشمال . إنها لا تخط بل تستنسخ ، ذلك انها تتقيد تماماً وتنضبط بالصورة الطباعية الأصلية ، دون ان تخرج عليها ابداً ، على الأقل في هذا الدفتر .

إنها تستنسخ ، اي انها تورد الخط ، دون ان تجمله ، دون ان تكتشف او ان تجرب إمكاناته التشكيلية . لكن خطها ياتي دون اي «تاسلب» او «تزويق» يعرفه الأولاد عادة في فروض الاستنساخ . يد ايثيل تبدو طليقة ، متحررة من هذا الارث المدرسي . لحسن حظها لم تعرف ايثيل عدنان مدرساً (او مدرسة) يعلمها اصول الاستنساخ وقواعده ، ولا يعاقبها إذا لم تتقيد تماماً بهذه الاشتراطات والقيود . إن خطها «المفركش» و «المخربط» والمتعثر يعطي لتخطيطها «شخصية» تميزه ، فياتي غير مثقل ابداً بارث التخطيط المدرسي ، ولا باسلوبية الخطاطين العرب المحترفين.

ايثيل عدنان تكتب القصيدة (او الفصل الروائي) سطراً مسطراً ، مقطعاً مقطعاً ، دون أن تتنازل عن اي حرف ، عن اية نقطة، دون أن تبدل ابداً تتابع النص وسيرورته .

تناسب ايثيل في هذا الدفتر جملة بودلير الشهيرة «اكره الحركة التي تبدل وجهة السطور» ، لكنها ، في الدفاتر الاخرى «تبدل وجهة السطور» . ففي اكثر من دفتر لا لا تحتفظ ايثيل بمظهر الصورة الطباعية للقصيدة حين تستنسخها فوق الدفتر ؛ اي انها ما عادت تحتفظ بالبياض الطباعي ، بل صارت تصل السطور او الابيات الشعرية ببعضها البعض . هذا ما نلاحظه في «دفتر بابلو نيرودا» ، او في «دفتر حدوده» ... بحيث يمكننا القول : التقيد بالصورة الطباعية ، الذي لاحظناه في دفتر «الأم والطفلة الضائعة» ، ظاهرة محدودة ، تتسم بها دفاتر ايثيل الاولى («مدينة السندباد» ، «المعبد الغريق») ، ولا تلبث ان تبتعد عنها في الدفاتر اللاحقة . ايثيل تتخلص من هذا التهيب ، ومن هذا التقيد ولكن بشكل محدود . فهي تكتفي بالغاء مساحة البياض الطباعي ، اي ان النص يتتابع دون اي تبديل يعاكس حركة المبني - المعنى مطلقاً . النص يبقى متتابعاً ،

تجربــــة فنـــية جديـــــدة

الكتابة الطفولية

وعباراته «مقروءة» تماماً .

يحتفظ نسق الخط بتتابعه «المقروء» لانه يحترم اساساً الوجهة المستوية للخط ، ومن اليمين إلى الشمال . نسق الخط يتبع القصيدة تماماً ، والفنانة تتقيد به . هذه هي القاعدة الأساسية لهذا النسق . وكل تبديل يطرا عليه لا يخل ابداً باساس القاعدة : ففي «دفتر بابلونيرودا» لا تخط ايثيل القصيدة في عدد من الورقات بشكل مستو ومستقيم ، بل يتخذ ، احيانا ، نسق الخط شكلا مائلا ومنحنيا ومدوراً قليلا : في «دفتر حدودة» تخط الفنانة احيانا وفق الاتجاه العامودي ، لا وفق الاتجاه الافقي المعتاد في دفتر «ثلاث وعشرون قصيدة لجورج شحادة «تخط القصائد كلها ، وبشكل متصل . نقطة مميزة هي التي تفصل بين نهاية قصيدة وبداية اخرى ...

وللتاكيد على ما نقوله وندافع عنه ، نتوقف ايضاً عند «دفاتر الله» : في هذه الدفاتر الثلاثة تكتب ايثيل كلمة «الله» ، بالحجم نفسه، بشكل متتابع ، وفق وجهة مستقيمة ، افقية ، من اليمين إلى الشمال ، كما لو انها آلة طباعة مضبوطة ...

الفنانة تستنسخ ، إذن ، ولا تخط ، رغم ان خطها يخلو من اي تاسلب او اي تزويق. هي معنية باعادة كتابة النص ، لا باستلهامه أو التاثر به . الخط هنا ، ملكة يدوية ، لا حرفة فنية ، ، ولا طريقة تشكيلية ـ حروفية . إنها لا تزوق الحرف لاغراض زخرفية او تصميمية أو تزيينية ، ولا تكتبه وفق قواعده ومدارسه المعروفة ، وهي ايضا ، لا تصوغه كعنصر تشكيلي فى اللوحة ، كما يفعل اكثر من فنان عربي حروفي . إنها تورد النص ، تثبته ، وتتاكد بهذه الطريقة من تملكها له ، من وجودها فيه .

تتخذ ايثيل طريقــة المـــدون او الناسخ : تورد النص المعني دون زيادة أو نقصان ، حيث تتخذ الأشكال الخطية للكلمات الاحجام نفسها والبياضات نفسها فيما بينها ، وحيث تحضر الكلمات بطريقة جلية وبينة ، وذلك وفق خطوط مستقيمة ومتتابعة ، خاصة بكل ورقة . النص «مقروء» دوماً في «الدفاتر» ، ونسق الخط ، اي الاستنسخ ، يحقق هذا الغرض .

الرسم والبنية العميقة

● نسق الرسم : ننطلق مجدداً من دفتر «الأم والطفلة الضائعة» . تخط ايثيل دفترها هذا بريشة الحبر ، وتستعمل الالوان المائية لرسومها . لون الورقات الابيض تحتفظ به كسطح تصويري . نَتَبَيَّنُهُ كلون في سائر الأوراق ، ونشعر بوجوده دوما : إنه الحامل الفني ، إنها رسوم فوق دفتر .

لا تخلو اية ورقة من الرسم (بعكس الخط ، إذن) ، ونتبين في هذه الرسوم علامات تشخيصية : أدوات للجراحة العربية القديمة ، عيون ، وشم ، امراة ، يد، نخلة ، قارب ، بندقية ... وفى الورقة الاخيرة نتبين رجلا جالساً ، كانه «الحكواتي» (إنه «التوقيع» : انتهى «الدفتر» ، وانتهى «الحكواتي» من سرد حكايته) ...

ولكن على ماذا يقوم هذا النسق ؟ هل هو نسق فعلا ، ام انه عبارة عن وحدات فنية مستقلة كاعمال ، ولكن متصلة بحكم التتابع في «الدفتر» ؟

تشترك أوراق «الدفتر» فيما بينها في انها تعتمد على مواد العمل الفني نفسها (الحبر للخط ، والألوان المائية للرسم) ، وفي انها تتابع وفق طريقة فنية متشابهة . فاللونان ، الأزرق الغامق والأصفر يتتابعان على مدى الورقات ، دون اي انقطاع ، ويؤلفان ، بالتالي ، نسقا لونيا يجد «الدفتر» فيه قاعدة لانسجامه ولوحدته .

وهذا ما نتاكد من وجوده في سائر «الدفاتر» : فـ «دفتر ٢٤ قصيدة لفؤاد غبريال نفاع «كتبته كله بالريشة» اما «دفترة حدودة» فقد كتبته كله بالقلم الرصاص ... هذا يصح في اداة الخط ، وفي ادوات الرسم ومواده ايضاً : فاللونان المائيان ، الرمادي والبني الفاتح ، يتكرران في سائر أوراق «دفتر العصافير تموت فى الجليل» تعدد إيثيل في الأدوات والمواد والطرق الفنية في «الدفتر» الواحد ، لكنها تعتمدها على امتداد «الدفاتر» : ففي «دفتر نزهة المحارب» تخط الفنانة القصيدة بالحبر ، بالوان مختلفة (احمر ، ازرق ، أسود ...) ، ولكن على امتداد الورقات .

الفنانة ، إذن تعتمد في كل « دفتر على اداة مشتركة للخط (حتى لو تعددت) ، وعلى اداة مشتركة للرسم ، وعلى بعض الألوان المتكررة ، وعلى طريقة اسلوبية (تجريدية ، تشخيصية ، بين التجريدية والتشخيصية ...) .

منذ الورقة الأولى تقرر ايثيل جملة من الامور ، توحد بوظائفها المختلفة وتؤلف نسقا للرسم . تقرر هذه الامور قبل مباشرة الرسم : باية مواد تخط ؟ باية مواد ترسم ؟ هل تخط القصيدة بلون واحد ام بعدة الوان ؟ هل يكون الرسم تجريديا ام تضمنه إشارات ورموزاً تشخيصية ؟ ... وهي ، في هذا ، تشبه المؤلف الموسيقى قبل مباشرة التاليف : اي سلم موسيقي ، واية مفاتيح ؟ كم آلة موسيقية يستعمل ؟ ...

النسق موجود ، إذن ، على مستوى الاداة والمادة ، اي على مستوى القرار والقصد ، وموجود ايضا فيما تتجه الاوراق وتتبادله على مستوى الرسم من علاقات وتجاوبات : ففي «دفتر العصافير تموت في الجليل» لا تكرر الفنانة اللونين الرمادي والبني الفاتح وحسب ، بل تكررهما كشكل ايضا ، في هيئة بقع مستطيلة مائلة. فالنسق لا يقوم ، هنا ، على الاداة والمادة وحسب ، بل على الايقاع المتناوب ايضاً . في «دفتر ثلاث وعشرون قصيدة لجورج شحادة» نتبين الحبر في طبقة خلفية ، واللون الفضي في طبقة الكتابة فوقها ، وذلك فوق إيقاع متناوب على مدى الورقات .

● البنية العميقة : نستطيع بيسر أن نقيم تقابلا بين العلاقات التشكيلية ، ذات الطابع التشخيصي ، في دفتر «الام والطفلة الضائعة (قارب ، بندقية ، نخلة ، امراة ...)

والعلامات اللغوية التي تتجاوب معها فى القصيدة المستنسخة . ونستطيع ، إذن ، ان نتبين التقاطعات والتعالقات بين علامات النسقين ، فعلامات الرسم تتجاوب مثل الصدى مع العلامات اللغوية المماثلة لها .

في «الدفاتر» الثلاثة الأولى نستطيع بيسر ان نضبط هذه العلاقات المعلنة والواضحة بين النسقين ، ذلك ان نسق الرسم يسهل العملية بتوفره على عــــدة علامات تشكيلية .

ايثيل عدنان لا تبحث عن نظام متطور ومعقد للتبادلات التعبيرية بين علامات النسقين ، حيث تلتقط من القصيدة علامة «النخلة» او «القارب» او «المراة» وترسمها في «الدفتر» .

لكنها تذهب بعيداً في البحث عن علاقات جديدة بين النسقين في « الدفاتر » الأخرى : لماذا تستعمل الفنانة في «دفتر نزهة المحارب» الألوان النباتية (قشر الرمان) التي تستعمل لصباغة الصوف

الخاص بنسيج السجاد في العالم العربي – الاسلامي ؟ نستطيع ان نجيب على هذا السؤال ، بنفس الطريقة التي نستطيع فيها الاجابة على هذا السؤال : ولماذا تستعمل ايضا الالوان الصارخة والمتعاكسة ، المعروفة باسم «الالوان البربرية» ، في «دفتر حدودة» ؟ ففي هذين الدفترين تقيم علاقة بين اختيار اللون وتاريخ استعماله ، وبين اختيار القصيدة (أو الفصل الروائي) بمحمولاتها التعبيرية والتاريخية العديدة . في «دفتر حدودة» ايضا تستنسخ ايثيل الفصل الروائي بقلم الرصاص : قامت بمثل هذا الاختيار لان صوت المتكلم في الرواية يعود إلى الطفل . أي أن القلم الرصاص يناسبه .

الفنانة ما عادت تتوقف امام النص مباشرة ، لتنغلق عليه ، بل باتت تتلقاه في سياقه العام ، في سياقه التاريخي والحضاري . إنها تبتعد عن «الترجمة» ، أي «الترجمة الحرفية» للنص عبر الرسم . هذا مستحيل . هذا ما تبينته ايثيل أصلا في ديوانها الشعري «قيامة عربية» . الترجمة المباشرة غير ممكنة ، وإذا ما تحققت عبر بعض العلامات (اي نظام التعالقات بين النسقين) ، فان هذه الترجمة تاسر التعبير ، وتسطحه بالتالي ؛ كذلك فان الفنانة ، في هذه الحالة ، لا تكون اكثر من منفذة ، واكثر من مزوقة للنص .

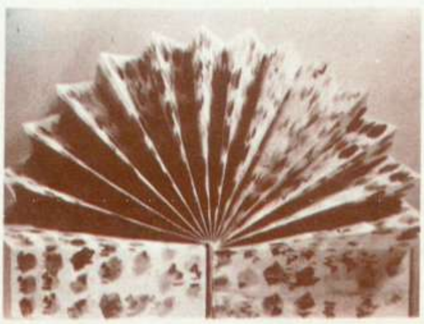
السؤال ، إذن ، هو كيف «تقرا» ايثيل النص رسما ؟ تنطلق ايثيل في الرسم من وضعية ، قد «يحسدها » عليها سائر الفنانين العرب الحروفيين . غيرها من الفنانين يرسم حروفا ، جملا او قصائد ، يعاونهم ويأسرهم في عملية الرسم فهمهم ، القاموسي على الاقل ، إن لم نقل ايضا الرمزي والتخيلي المتداول ، لهذه الحروف والجمل والقصائد . استيعابهم الواعي للنص (أي معرفتهم باللغة العربية) بشكل ، وبكيفية مسبقة ، معنى سياقيا يوجه ويضبط ، بقدر ما يفتح ويكشف ، سبل التعبير الفني عن هذا النص . اما هي فلا تعرف من الكلمات إلا اشباه معانيها ، إلا خيالاتها ، إلا مناخاتها ، او ما تستثيره في النفس من ردود فعل ، من تدافعات، من موجات واندفاعات غريزية وحسية ، فيما يسبق الوعي ويحرر اليد الراسمة بشكل بدئي . إذا كانت تتقيد ايثيل في الخط بالاستنساخ ، فانها في مجال الرسم تفتح الابواب لكشوفات الحدس ومواقعات الجسد لمعاني العبارة

قراءتها للقصيدة والرواية

لندع الفنانة تشرح لنا طريقتها : «يحدث لي أن ارسم ، أن اخطط طوال عشر ساعات متصلة ، دون أن انتبه إلى أن الليل انقضى ، ودون أن افهم كلمات القصيدة بالضرورة . إنها موجة اثيرية . إنه التواصل العمقي . اتعامل مع القصيدة فيما يتعدى معناها ، بوصفها طاقة ، روحية ونفسية . حين اقرا القصيدة اعمل على التقاط ايقاعها ، اي دفقتها الباطنية . والطاقة ، هنا ، ليست بدائية بل منظمة في تتابعها مثل إيقاع . قد لا التقط سائر المعاني في القصيدة ، لكن التقاطي للايقاع يكفيني . هذا يجعلني اصل إلى القصيدة بكيفية اسرع واعمق من طريقة القراءة القاموسية ، المتابعة والمتانية .

● تقدمين لنا «قراءة» خاصة بكل قصيدة ، غير قاموسية ، وشخصية جدا ، وغير بينة بالضرورة ؟

– النص سر خلف حجاب ، والوصول إليه لا يتحقق بسلوك الطريق المنطقي دوما





اعرف العربية بطريقة مغايرة عن الناس . ذلك كما لو أن الصم يسمعون والعمي يرون . هذا الشعور بسرية علاقتي مع العربية اتحقق منه حين اكتبها ، لا حين اسمعها . هذا الأمر لا القاه إلا مع العربية .

إيثيل عدنان ترسم دفترها مثلما يكتب الروائي روايته : تتوقف عن الرسم ثم تعود إليه ، والعودة أسهل ، طالما انها تحتفظ بالايقاع ، بمقام القصيدة . إنها ترسم ، أي تتبين المعنى الذي يتكشف من وراء الحجاب . جهلها (أو معرفتها المحدودة بالاحرى) بالعربية ينقذها من القيود التي تكبل القارىء – الفنان حين يتفهم المعنى . جهلها يحررها ، يجعلها تتخلص من المعنى القصدي ، العمدي . لهذا تبدو في دفاترها هذه كمن يتعلم القراءة ، كمن يتكشف المعنى بطريقة غير منطقية وغير تقليدية ، بطريقة حدسية وباطنية .

«طريقة» ايثيل عدنان هي مراهنتها (الرابحة دون شك) على وجود صلة لازمة بين المحمولات المعلنة والمضمرة للقصيدة وطاقة التحسس والفهم عندها ، هذه «الطريقة» تشبه لقاء الصديقين في حفلة تنكرية حيث لا يحتاج احدهما إلا لبعض الحركات ، ولبعض المقاربات لكي يتعرف على فتاته .. المقنعة . إنها تستدرج القصيدة ، وتبادرها ، فيلتقيان دون تمنع . إنها تشرح لنا ذلك بقولها : «حين نكون مشحونين داخليا ، وخازنين لاحاسيس تجد صداها أو جوابها أو مصدرها عند الشاعر ، كاتب القصيدة التي أرسمها ، فاننا نستطيع الاعتماد على الصدفة ، دون أن نخشى الاستسلام لها» .

ايثيل عدنان لا تستسلم للصدفة ، بل لنزوعات احاسيسها ، ولحرية يدها . إنها لا تبحث عن الهوية في «معنى» خارجي ، في شكل فني معتبر ومعمم (مثل التخطيط العربي) ، بل في «نفسها» ، في صلة عفوية من تاريخها الشخصي . إنها لا «تقرر» هويتها ، بل تحدس بها وتتبينها في تدافعات يدها .

شربل داغر



الجامع الاموي بالليل ، ولقطة من داخله تتحدث عن الحضارة المعمارية الاسلامية

دمشق القديمة

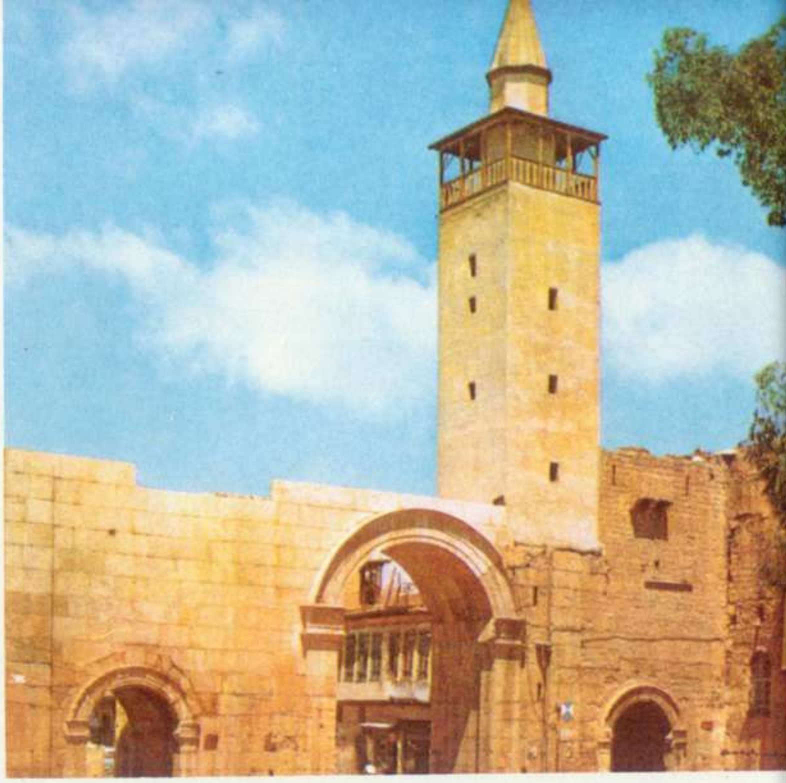
حسن العمارة والنضارة وكثرة الفاكهة

بقلم : نبيل السمان

دمشق المدينة الخالدة التي امتدت جذورها في اعماق التاريخ الانساني ، فكانت اول عاصمة في العالم بناها الانسان في هذه الرقعة من الارض ، وبالرغم من كل ما اعتراها من احداث جسام الا ان نبض الحياة ما زال يجري في عروقها ، فهي المدينة الصامدة تستوحى من عراقة الماضى ، واصالة الحضارة ما يجعلها تتصدر المدن فى المشرق ، وتضيء بسناها شعلة التقدم .

دمشق اللقب

تضطرب الروايات حول سبب تسميتها ، فياقوت الحموي في معجم البلدان يقول : دمشق الشام بكسر اوله وفتح ثانيه . هى جنة الارض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة . سميت بذلك لانهم (دمشقوا) في بنائها اي اسرعوا ، وقيل سميت دمشق بدماشق بن قاني بن مالك بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام وقيل ان اول من بناها (بيوراسف) وقيل ان اول من بناها جيرون بن سعد بن ارم بن سام بن نوح وسماها (ارم ذات العماد) ويظهر ان الاسم متصل بقصة ابراهيم (سفر التكوين ، الاصحاح /١٤/الآية /١٥ / والآراميون سموها (دارميسق) وهي تعني الأرض المسقية



الباب الشرقي في دمشق القديمة



سوق الحميدية احد معالم المدينة القديمة



قصر العظم الذي يتميز بطابعه الفريد في نوعه



لوحات تنطق بعظمة الفن الاسلامي في الجامع الأموي

لوفرة مياهها ، وربما اطلق اللفظ الروحي (دومسكس) اي مسك مضاعف لطيبها ، ولعلنا أميل الى التسمية الآرامية منها الى غيرها .

موقع دمشق

تقع مدينة دمشق على خط طول ٣٦° ١٨َ شرقي جرينتش وخط عرض ٣٣° ٢١َ شمالا ، وهي عاصمة القطر العربي السوري وتقع في القسم الجنوبي الغربي منه ، وكان لموقعها هذا أثر كبير في ذيوع شهرتها في العالم ، فهي حلقة الاتصال التجاري والزراعي والصناعي في العالم القديم وهي صامدة في وجه الاخطار التي تتعرض لهـا في العصر الحديث .

دمشق ونهر بردى توأمان وكل منهما يدين للآخر بوجوده ، بل ان النهر الخالد كان أكثر فعالية ويخترقها من الغرب الى الشرق مؤلفاً واحة خضراء واسعة فكانت غوطة دمشق ، وتتحلق حول المدينة سلسلة من الجبال الشاهقة منها (قاسيون والقلمون) يفصل بينهما خانق بردى عند الربوة ، وهذا ما جعل هذه المدينة تتصف بالتنوع . ففيها الجبل والسهل والوادي ، ويقول الاستاذ نقولا زيادة في كتابه مدن عربية (انتزع الله من الصحراء رقعة فدحا



شارع الصالحية في دمشق

دمشق القديمة

سطحها وكثر انهارها ونوع اشجارها وفصل ازهارها واخصب تربتها وميز ربوتها فكان من ذلك دمشق وغوطتها) .

عدد السكان

ليست هنالك احصاءات دقيقة عن عدد سكان مدينة دمشق اليوم ، الا ان احصاء عام ١٩٦٠ حدد عدد السكان بـ ٥٢٩٫٩٦٣ نسمة ، وقد تم هذا التعداد وفق الاساليب العلمية الحديثة الا ان ذلك العدد ازداد بشكل فاق كل التصورات والتقديرات تبعاً للهجرة الداخلية من الريف الى المدينة ، والخارجية من الاقطار الاخرى،فبلغ عدد سكان دمشق ما يقرب (١٫٥١٢٫٠٠٠) مليـون وخمسمائـة واثنتي عشر الف نسمة .

واتسعت تبعاً لذلك هذه المدينة في كل اتجاه ، واقيمت المشاريع الاسكانية الطابقية الحديثة لتستوعب هذا العدد الضخم فكانت دمشق الجديدة التي توسعت على حساب المدينة القديمة وعلى حساب الاراضي الخضراء في غوطة دمشق ولشد ما يشعر ابناء دمشق بالأسى عندما يرون معولا ينهال على بيت اثري قديم او على حساب شجرة خضراء في روابي الغوطة .

أهم المعالم

ومهما حاولنا ان نتحدث عما تتميز به هذه المدينة الخالدة فغيض من فيض . ولعل الذي يلفت انتباهك ويشدك اليه هو سور المدينة .

سور المدينـة

يحيط بمدينة دمشق القديمة سور مبني من الحجر الصخري الكبير الذي مازال ماثلا للعيان حتى يومنا هذا . بالرغم من اختفائه خلف البيوت القديمة وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله (١٥٠٠ م) وعرضه (٧٥٠ م) وتمتد اضلاعه مستقيمة تماماً ماعدا الجبهة الشمالية وهي المشرفة على النهر الذي قام مقام الخندق ، فكان لابد من الالتواءات والمنعرجات ، وكان للسور عدة ابواب للدخول الى المدينة ، وهذا يذكرنا بدخول خالد بن الوليد وابي عبيدة بن الجراح عند الفتح الاسلامي لمدينة دمشق عام (٦٣٥ م) الا ان ابواب المدينة ازدادت عبر التاريخ والدول التي تتالت على هذه المدينة ضمن حقب مختلفة من عمر الزمن فبلغت عددا من الابواب منها : الباب الشرقي - باب الفرج - باب السـلام - باب النصر - باب الفراديس - باب كيسان - الباب الصغير - باب الجابية .

المسجد الأموي

يقف الجامع الأموي اليوم ناطقا بعظمة العصر الأموي في التاريخ الاسلامي متحدثا عن الحضارة المعمـارية الاسلامية المتمثلة باقامة هذا الصرح الضخم المقام في مدينة دمشق عاصمة الدولة الاموية . ومما يعتز به ابناء مدينة دمشق مسجدهم الكبير لأنه المثال الذي احتذاه الكثير من المهندسين المعماريين في الاعصر التي تلت في بناء المساجد الاسلامية . وقصة البداية لهذا المسجد تعود الى ما خامر الوليد ابن عبد الملك الخليفة الأموي من آمال ، ومطامح لبناء مسجد يليق بعظمة الدولة ، ويضاهي الكنائس الرومية الفخمة التي تمتلىء بها المدينة فاتفق واولى امر كنيسة القديس (يوحنا المعمدان) الملاصقة للجامع الأموي على ضم ارضها اليه لانشاء الجامع ، وبدأ العمل به سنة ٨٧ هـ وقيل ٨٨ هـ (٧٠٦ م ٧٠٧ م) وفق نموذج فريد لامثيل له،واستمر بناؤه عشر سنوات وعمل

فيه حوالي عشرة آلاف عامل ماهر يقطعون الأحجار الرخامية الكبيرة ليبنوا الاعمدة الرخامية التي تميزه ، وليرفعوا جدرانه الباسقة الموشاة بصور مناظر الطبيعة بالفسيفساء المذهب ، والأخضر ، والاصفر لتكون لوحات رائعة ناطقة بعظمة الفن الاسلامي،وقد بنى الوليد المنارة المسماة بـ (العروس) وجعل عليها عدداً من المصابيح توقد عند حلول الظلام فتبدو ساحرة بمنظرها الجميل . وقد حكي الجاحظ في كتابه البلدان (قال بعض السلف : ما يجوز أن يكون احد اشد شوقا الى الجنة من اهالي دمشق لما يرونه من حسن مسجدهم) ولعل هذا المسجد لم ينج من يد الدهر وويلاته فاحترق وتهدم جزء منه ولكن الله قيض لهذه المائرة الخالدة

من يعني بها ويعيد اليها رعشة الحياة. وصحن المسجد واسع وكبير تتوسطه بركة ماء بغية الوضوء وفى مصلى المسجد تجد الأعمدة الرخامية وعليها الاقواس ويتوسط المصلى (ضريح النبى يحيى (يوحنا المعمدان) وفى وسط المصلى يقطع أروقته الثلاثة رواق مرتفع اطلق عليه اسم النسر تشكل القبة راسه،والرواق القاطع جسمه والأروقة عن يمين وشمال جناحيه وتعرف هذه القبة بـ (قبة النسر) والتى ترتفع حوالى ٣٦ م . ويبقى الجامع الاموى سجلا « تاريخيا حافلا » بفن العمارة ،

ومائرة خالدة من مائر الاسلام موحيا بعظمة هذه الامة . وقد ازيلت اليوم جميع الدكاكين المحيطة به والتى حجبته عن السوق وتطفلت على جدرانه ليعود كما كان مشرقا « ورائعا » .

دمشق القديمة

ترتمي مدينة دمشق القديمة فى احضان السور القديم المحيط بها وحول الجامع الاموى الكبير ، وضريح صلاح الدين الايوبى . وقد حافظت احياء دمشق القديمة على نموذجها القديم منذ مئات السنين حتى اكتسبت دمشق شهرة واهمية كبيرتين لانهما تنطقان بقدم هذه المدينة العريقة .

وبيوتها متلاصقة ومتعانقة ، يتكىء بعضها على بعضها الآخر مؤلفا سلسلة طويلة من البيوت العتيقة داخل ازقة و (حارات) ضيقة متداخلة ، واغلب الظن أن هذه الطريقة فى البناء والتجمع السكنى للأسرة الواحدة ، أو المتقاربة كان نتيجة لتوفير عنصر الحماية فى وجه الطامعين . والحي يبدا بحارة اختنق الطريق فيها فضاق ، وبوابة فى بدايته كانت تغلق ليلا : ويخترق المدينة القديمة شارعان متوازيان مستقيمان يصل احدهما بين الباب الشرقي وباب الجابية (الباب الغربى) ويطلق على هذا الجزء سـوق (مدحت باشا) حيث تكثر متاجر النسيج والصناعات التقليدية اليوم (العباءات - الكوفيات - العقل - النحاسيات) والثانى يدعى طريق جادة ساروجة طريق الطاحون وهو يلتقى مع طريق بين الحواصل القادم من ساحة الشهداء (المرجة) عند منتصف المسافة بين جامع الجوزة وجامع السادات وكان يطلق عليه (طريق عبيد) وهو يمتد الى الجانب الشمالي من المدينة المسورة. ومازالت الاحياء القديمة محافظة على بعض مظاهرها الجميلة ففيها الحمام والمسجد والسوق مثال : (حمام الجوزة - مسجد الجوزة - سوق ساروجة) وستجد فى (السبع طوالع اليوم) حمام الملك الظاهر ومدرسة الملك الظاهر (المكتبة الظاهرية) وسوق الحميدية شاهداً بارزاً على هذا التجمع والتقسيم ، وستجد دروبا ضيقة توصلك الى الأسواق الأخرى وخاصة السوق الرئيسية الملاصقة للجامع الكبير (سوق الحميدية الذى كان فى سالف الزمان خندقا يحمي القلعة من الجانب الجنوبي) وسوق الصاغة وسوق الخياطين،وهذه الأسواق تعج بما تفخر به مدينة دمشق من السيوف التى اشتهرت بصنعها والمحلاة بايات من القران الكريم . والنسيج الدمشقى الشهير (البروكار) عدا المصنوعات الخشبية المطعمة بالصدف .

والحمامات المتوزعة داخل هذه الاحياء تثير عجبك،فالماء يتدفق فيها ضمن قناة من بردى وبركة ماء تتوسط الحمام وتحيط بها مصاطب مرتفعة للاستراحة بعد الحمام الساخن ، واخذ كاس من الشاى ، او عصير الفاكهة للانتعاش ، وهو مؤلف من ثلاثة اقسام (جوانى - وسطانى - براني) .

والواقع انه لا يمكن لأى كان أن يعرف محاسن المدينة القديمة فى نظرة عابرة تقع فيها عينه على الحمامات ، والمدارس والمساجد ، الا انه يكتشف سحر وجمال هذه المدينة الفاتنة اذا دخل البيت الدمشقى القديم .

البيت الدمشقى

لعل لحمة دمشق القديمة هذا السور المحيط بها ، وسداها تلك البيوت الدمشقية العتيقة التى عانقت السور حيناً وابتعدت عنه احيانا لتؤلف عدداً من الضواحى المترامية (الصالحية - المهاجرين) ، واغلب بيوت دمشق العتيقة اليوم يعود تاريخها الى العهد العثمانى . وقـد لا يعجبك منظر البيت الخارجى اليوم فهو على غاية من البساطة مكسو بالطين الممزوج بالقش (اللبن) الا انه يروعك ويدهشك عندما تدخل اليه لتجد نفسك فى ساحة كبيرة تتوسطها بركة ماء رخامية مزخرفة تتصاعد فى وسطها نافورة ماء تاتي ضمن نظام بديع من نهر بردى ، وقد تحولت المياه الى ماء عذب نظيف من نبع الفيجة ، وتتحلق حول الساحة اشجار الليمون والكباد ، وانواع من الورود والرياحين التى يفوح أريجها فيغمر المنزل ، بعطر فواح رائع . والبيت مؤلف من طابقين تطل غرفه السفلية على هذه الساحة الرائعة وقد تصدرها (ايوان) يرتفع فوق مصطبة صغيرة ، وسقوف المنزل مزينة باجمل انواع النقوش الشرقية البديعة والالوان الرائعة . وهذا القسم معد للسكن الصيفى نظرا لما يتمتع به من رطوبة محببة أيام القيظ . والطابق العلوى مؤلف من عدد من الغرف تداعبها اشعة الشمس الذهبية وتدخل الدفء اليها وتطل على الساحة المكشوفة للدار من شرفات داخلية.وهو مخصص لقضاء فصل الشتاء وتعورك الطرق الضيقة من خلال بوابات كانت تغلق قديما فى الليل لتحمى أهل الحارة ممن يتطلع للاعتداء عليهم ، الى هذا البيت الدمشقى القديم .

ولكن دمشق القديمة اليوم تعانى الاحتضار نتيجة التوسع السكانى الكبير. وهدر هذا الكنز الذى تتمتع به دمشق وبالرغم من كل ما يبذل من جهود فما زالت المعاول تنهال عليها لترتفع مكانها دور حديثة. وقد انشئت فى دمشق جمعيات هدفها الحفاظ على المدينة القديمة وطابعها الأصيل وغوطتها الغناء ولكن تجرى الرياح بما لا تشتهي السفن،فحي ساروجة اليوم تلوح فوقه أم المنون وحي الصالحية القديم بدات تغزوه المنازل الحديثة وتاتي عليه فلم يبق منه سوى اطلال تعتصر الفؤاد .

نبيل السمان - دمشق

من روائع
الفن العالمي

بقلم: جمال قطب

فتيات البيانو


الفنان الفرنسى رينوار

في متحف اللوفر بباريس يمكنك ان ترى إحدى روائع الفنان الفرنسي اوجست رينوار التي سماها فتيات البيانو ، متأثراً ككل الفرنسيين بالقول المشهور :التطور الثقافي في كل أوربا لا تعكسه إلا الموسيقى الفرنسية !

اللوحة رسمها الفنان في عام ١٨٩٢ ، وفي وقت كان فيه يعتبرواحداً من اهم الفنانين الذين اسسوا الحركة الفنية التي سميت فيما بعد بالتأثيرية .

وكالعادة نجد ان رينوار في هذه اللوحة يهتم ببهجة الحياة وجمال المراة ورقتها ، فهو لا يؤمن اثناء معالجته الفنية بالنظريات والفلسفات المستترة ، ولكنه يوازن ببراعة بين الواقع والالهام والوجدان فعبقريته الفذة تجعله يقدم لنا اعماله بدون افراط في الرومانسية او جفاف في الواقعية !

لقد رسم رينوار هذه اللوحة وقت ان كانت العاصمة الفرنسية واحياؤها الشهيرة مثل « مونمارتر » و « البيجال » وغيرهما ، تمثل متحفاً يزخر بصنوف الابداع العظيم ، ويلتقي فيها كل الباحثين عن الحداثة والتجديد في الفن !

كانت باريس هي الخلية الابداعية لرواد الفن والشعر والقصة وكافة الآداب الاخرى .. كانت تنتشر في قلبها المنتديات الفكرية والصالونات الادبية التي اثرت الحياة وجعلت الناس يعيشون عصرهم في نقاش وإبتكار وسمو بالعقل والروح معاً !

وعاش رينوار في تلك الفترة بكل ذرة من كيانه ، رافعاً مع زملائه ـ الشعار البسيط الذي توجوا فيه الفن فوق كل شيء وفضلوه على قطعة الخبز بقولهم : « لنبق نبلاء ولنسعد بفقرنا » ..وكانوا لا يعنون هنا بان يكونوا نبلاء على طريقة العصور الوسطى .. ولكن عليهم ان يلتزموا بما اقتنعوا به من أساليب فنية ، وان يدافعوا عنها بشرف ولو كلفهم ذلك : الفقر والضياع والتشرد !

وقد التقى رينوار مع زملائه موذيه ، وبازيل ، ومانيه ، وإميل زولا ، وغيرهم في مقهى « الجيربوا »،وكانوا يظلون في نقاش لا ينقطع مع اهل الأدب والفن العالمي الحديث ، ثم انتقل هذا الحشد من الفنانين والأدباء الى حي البيجال ليسير كل منهم في طريقه ، حتى اجتمعوا مرة اخرى في مقهى اثينا الجديدة ، الذي عرفه تاريخ الفن من خلال زبائنه المولعين بجمال الطبيعة ونور الشمس والتعبير الساخن عن الضوء والدفء والحياة !

ومن خلال تردد رينوار على هذا المقهى بدأ يلتقي باشهر تجار اللوحات في باريس واخذ اسلوبه يتطور في التعبير عن الشكل الانساني ، بينما كان زملاؤه التأثيريون منصرفين تماماً الى رسم المناظر الطبيعية .

وفي عام ١٨٧٤ اقيم اول معرض للفنانين التأثيريين ، واشترك فيه بالطبع فناننا رينوار ، ليقبل الجمهور عليه بصورة منقطعة النظير ، وليرى بدهشة هذا الفن المتحرر من القيود الأكاديمية والكلاسيكيات المتعارف عليها منذ الأزمنة القديمة .. ومن تاريخ هذا المعرض تزايد عدد المتحمسين للتأثيرية ، وطبعت أثرها على معظم اعمال المرحلة الفنية ، بل وادت ـ فيما بعد ـ الى مذاهب خاصة كالرمزية والوحشية والتكعيبية والتجريدية ثم السيريالية .

كان رينوار يقول الفن في نظره صناعة بارعة قبل كل شيء ، وانه وجد في التأثيرية ما يتفق مع هواه . كما انه كان يرى أن التصوير فن تصنعه الأشكال والألوان !

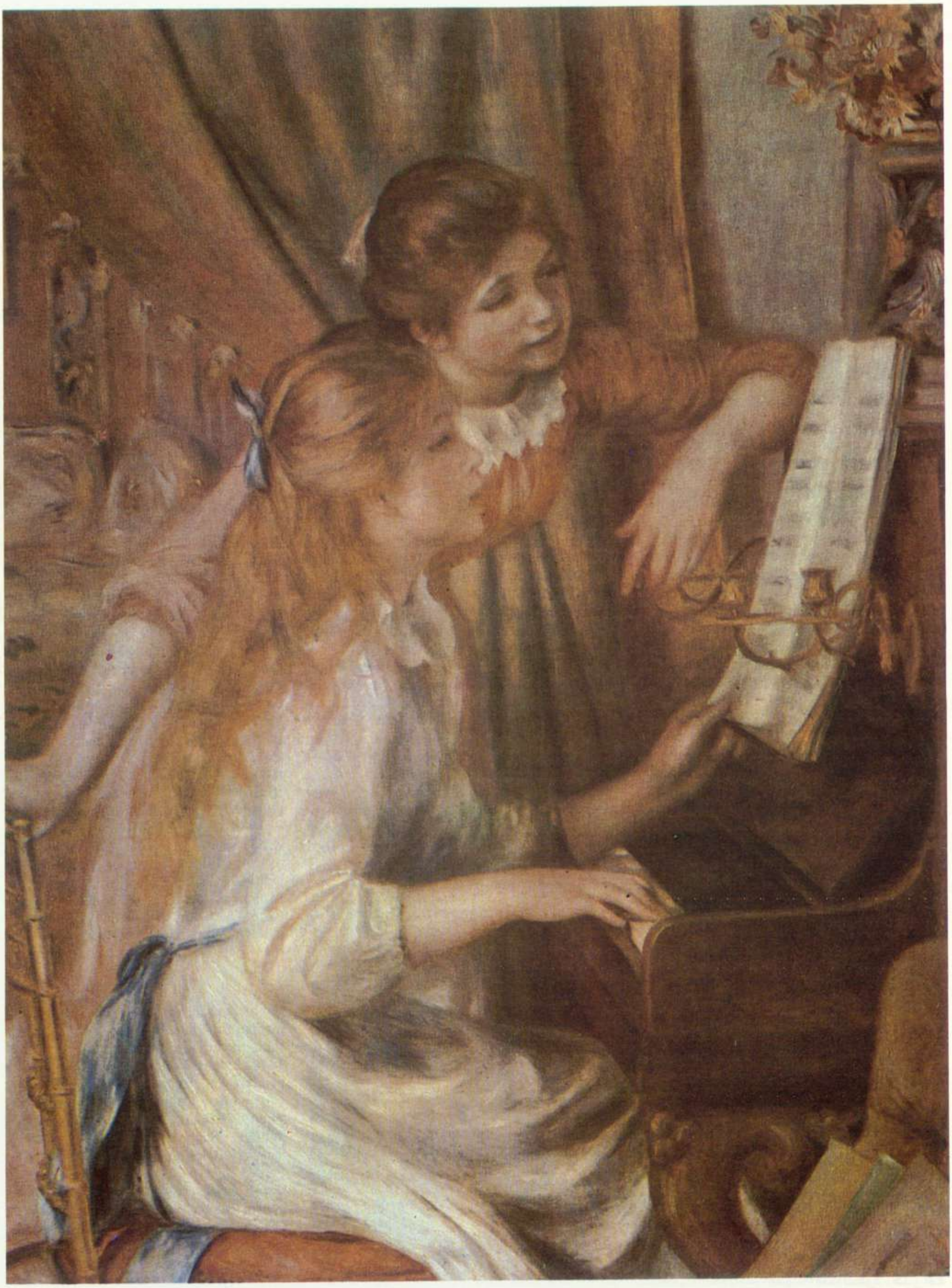
وعندما تتامل اللوحة التي امامك سيتضح لك ان الفنان اوجست رينوار اهتم بابراز الحياة الجميلة من خلال المراة المتدفقة بالحيوية والحسن ، والباعثة للبهجة في الحياة ، فقد كان ينظر الى المراة على انها شيء سار وبهيج ، فهي مثل الثمار اليانعة او الزهرة المتفتحة او الطفولة البريئة ، ولذلك كانت معظم لوحاته تدور حول تلك المعاني الجميلة !

وقد رسم رينوار النساء في لوحاته مضفياً عليهن لوناً من الجمال الهادىء ، والايحاءات الوجدانية السامية مع ابراز لعالمهن الساحر كرمز من رموز العطاء والالهام الدائم في الحياة ، ولهذا فقد صدق النقاد حينما قالوا عنه انه اروع من تغنى بجمال المراة وفجر ينابيع البهجة في الحياة !

ولعل اللوحة المنشورة على الصفحة المقابلة ، والتي رسمها الفنان « فتيات البيانو » تعطيك فكرة عن فن رينوار الذي رسم في حياته التي عاش فيها ٧٨ عاماً ، حوالي خمسة آلاف لوحة !

إن مجرد نظرة الى اللوحة ، تجعلك تشعر بجو المكان الذي يعطره سحر المراة والنغمات الدافئة !

جمال قطب



فتيات البيانو .. لوحة للفنان العالمي اوجست رينوار (١٨٩٢)

الأستاذ الجامعي العربي.. وحاجته إلى الأمن

بقلم: الدكتور كاظم ولي أغا - باريس

بحلول شهر نيسان (ابريل)، عادت الحركة إلى فناء الجامعة، ودبت الروح في ارجائها، فلقد عاد الطلبة من عطلتهم القصيرة في اواخر اذار (مارس). وتهيأ الأساتذة لأداء واجبهم من بعد راحة، وكلهم امل في عطاء جيد ومردود يثمر ... ولكن تبدأ في الافق وشوشات وهمسات .. فلان الغي عقده، فلان جدد له، هل سمعتم بخطة الوزارة في عمل اطر وطنية وانهاء عقود العمل للجميع، إنها في صدد شد الاحزمة على البطون، لتوفير القطع الاجنبي .. فرواتب الاساتذة ترهق الميزانية، وتسبب فيها شرخاً كبيراً ...

رايتهم في غرفة الاساتذة، التي تجمع مختلف التخصصات. من كل قطر عربي اتوا، تركوا الاهل والديار. الأرض التي كانت مرتعاً لطفولتهم، ومدارج صباهم، ضنت عليهم بالعيش الكريم، والحياة السعيدة، حرمتهم من الفرص المتكافئة، وحقوق المواطنة، احصت عليهم انفاسهم. اعمالهم. اقوالهم. هددتهم في معاشهم. في وقت اصبح الرغيف يحتاج لمن يختطفه والقيمة لمن ملك المال.

قول الحق اصبح تهمة، النقد البناء اصبح جريمة، العبرة والعظة تهديد. ضرب الأمثلة من الماضي والحاضر تجريح. انعدم الامن في وقت احوج ما يكون فيه استاذ الجامعة إليه. وهو مثقف الاجيال، باني نفوسهم بالعزة والاباء، شاحن قلوبهم بالعقيدة السليمة، والمثل العليا، والافكار المتجددة، التي تهيؤهم للحياة، وتنشؤهم تنشئة صحيحة واعية.

نظرات التساؤل حيرى في عيونهم. ماذا سيكون المصير. ما إن يدخل قادم جديد، حتى يسارعوا في الاستفسار، عن مجريات الامور، لا جديد. الفرمان لم يصدر بعد. ويفتح الباب عن امين سر العميد يعلن للجميع ان العميد يدعو الاساتذة كل على حدة للاجتماع به.

كان هناك يتصدر مكتبه الضخم، بدت على محياه مخايل الابهة والعظمة، او هكذا حاول ان يظهر، فالتعالي والغرور، سمة من سمات البيروقراطية، ونوع من تعويض الذات عما تفتقده وتقصر عن الوصول إليه، وبواسطته يمكن ان تضيق الحلقات التي تفصل بينه وبين اساتذة فاقوه في العمر والخبرة والمعرفة. نفض سيجاره المستورد ونفث حلقات من الدخان واخذ في ابداء الملاحظات في النواحي التربوية والمسلكية ثم قال: هل تريد ان تستمر في العمل للعام المقبل؟ وكان الرد بالايجاب، فلو كان ينوي عدم العمل لكان تقدم بكتاب استقالة ولا شك ان السائل عارف مسبقاً فيما إذا كان سيرى الماثل امامه عاماً اخر ام لا، لانه هو الذي يوصي الوزارة بذلك.

تبدأ فترة الترقب، وتنتشر الشائعات والاقاويل، ويظل الاستاذ في تحفز، وعدم استقرار، حتى تفرج الادراج عن مكنوناتها ويعرف اصحاب اليمين من اصحاب الشمال، ويؤتى كل فرد من اساتذة الجامعة كتابه بيمينه ام بشماله. ويبدأ طريق البحث عن عمل اخر، مراسلات، كذب، لجان مقابلة، مكاتب توظيف، وتتدخل عوامل كثيرة. يرجع إلى تاريخه الشخصي وسيرته الذاتية، الى اقاويل الناس، وشهادات الشهود، وتزكية المغرضين والمتدخلين. ينبغي ان يكون تاريخه ناصعاً ليس له راي في مشكلة من مشاكل الحياة. او هوية يؤكد بها ذاته، او مبدأ عقائدي مهما كان، اتخذه لنفسه طريقاً او حتى اسلوباً في التفكير، أو الاستهلاك الذاتي يفترض فيه ان يكون إمعة (من ياكل من اكل السلطان ينبغي ان يضرب بسيفه) وهكذا تتضافر تلك العوامل في حجب الثقة او تزكيتها للشخص، وقد تكون الخبرة والقدرة على العطاء العلمي والتربوي في اخر القائمة.

مشهد يتكرر كل عام، وفي كل قطر عربي ما زال في حاجة إلى كوادر علمية (من المحيط إلى الخليج) مع بعض الاستثناءات. اصبح استاذ الجامعة خاضعاً للعرض والطلب، محتاجاً إلى بطاقة تعريف، وشهادة شهود، بالسلوك الحسن وبالخضوع والانقياد حتى يرضى عنه مخدموه واولياء نعمته. وهو الذي ينبغي ان يكون في موقع التوجيه والاشراف والتبصير والتربية، ابي النفس وافر الكرامة، لا يدين بالولاء لأحد، ولا يتلقى الأوامر من احد إلا ما يصدر عن ضميره الواعي، وموضوعيته العلمية التي تناى به عن الخطا والزلل.

وتاتي لوحة ثانية، تلك هي نظرة الناس وتعاملهم معه، فهو الأجنبي الذي جاء ينهب المال بدون عائد ومعهم الحق في ذلك فالعلم اصبح ابخس السلع، والتعليم اصبح مهنة الضعيف. يريدون قطاً من خشب يصطاد ولا ياكل. كانما جاء الاستاذ في خدمة عسكرية.

إذا لم ينظروا إلى هذا الضيف القادم إليهم على انه من ابناء عمومتهم، له ما لهم وعليه ما عليهم، بحكم اواصر العشيرة وروابط القبيلة، او بحكم الاخوة في الدين فينظروا إليه، على انه فرد جاء يؤدي خدمة، خدمة مشرفة، ليست كاي من الخدمات، فيها بناء الروح، وتربية النفوس، وصقلها، ووضعها في الظروف التي تؤهلها للتقدم والازدهار، وعليهم تمكينه من ذلك بالتخلي عن نظرة الغرور والتكبر تجاهه، واعطاؤه الحقوق التي لهم او حقاً احوج ما يكون إليه، وهو الحاجة إلى الأمن، فيه ياكل وبه يعيش وبه يتثقف وبه يكبر وينتشي، وبه ينتج وبه يؤسس ويبني. الحاجة إلى الامن هي اساس عمل المثقف مهما كان، الامن بكل معانيه، الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والفكري.

قد يقول قائل انت تطلب لأستاذ الجامعة ما لم يعطه وطنه، فكيف تطلب التامين له من الآخرين، ذلك منطق غير صحيح، فليس كل استاذ جامعي مضطهداً في وطنه ولا كل أستاذ يعيش حياة غير كريمة في بلده، إنما طلبه لتلك الحاجة نابع من نفس متطلعة دوماً نحو الحرية واحساس بقيمة الموقع الذي هو فيه. ولا يعني طلب الأستاذ تحسين احواله المادية والمعاشية وحتى المعنوية، انه طالب صدقة، فاحسن الشعوب وارقاها تستقدم من تشعر انهم قادرون على مساعدتها، كما ينتقل الخبراء من كافة الأمم ليحلوا ضيوفاً، مستشارين عند من يحتاجون إليهم. ويجري ذلك بشكل طبيعي وبيسر بعيداً عن الحساسيات التي ارجو ان تبرا منها امتنا لتعود «خير امة اخرجت للناس».

الفراشة والعطر

شعر: حسن توفيق

سألتُك ألاَّ تريقي على الأرض سرَّ الفراشهْ
دعيها معَ الليل تغفو طويلاً بأحضانِ زهرهْ
وفي الصبح تصحو لتوقظ أخرى .. تُقَبِّلُ أوراقَها في بشاشه
وتتركُها في انتظارِ الصباح المُؤَمَّلِ دوما رفيقةَ حيره
وتحت أشعة شمس الأصيلْ
تطير لتعكسَ ألوانها الزاهيات على صفحاتِ بُحَيْرهْ
وبعَد قليلْ
تحطُّ على ثغر أخرى لتمتصَّ منها جمالَ الرحيقِ وسحرَهْ
وفي الليل .. في الصبح .. عند الأصيلْ
تُعاوِدُ رحلتَها بين عِطْرِ الزهور .. ولا تَسْأمُ العِطْرَ مَرَّهْ !

• • •

تقول الفراشةُ في الليل .. في الصبح .. عندَ الأصيلْ
هو العطْر عنديَ يجثو .. ويشتاقُ – كالعبد – أَسْرَهْ
هو العطر عندي يجثو أمامي .. ألستُ أميرةَ كلِّ الحدائقْ ؟
أَلَسْتُ التي ترتجيها الزهورُ جميعا بشوق يؤجِّج في النفس أعتى الحرائقْ ؟
ألستُ التي ترتجيها الزهورُ .. فتحيا مع الشوق حتي تميلْ
ويحيا خيالي بأعماقها مثل تذكار حبٍّ جميلْ
يُزيحُ عن الروح كلَّ أساها .. ويَسْكُبُ فيها صفاء وخُضْرهْ ؟!

• • •

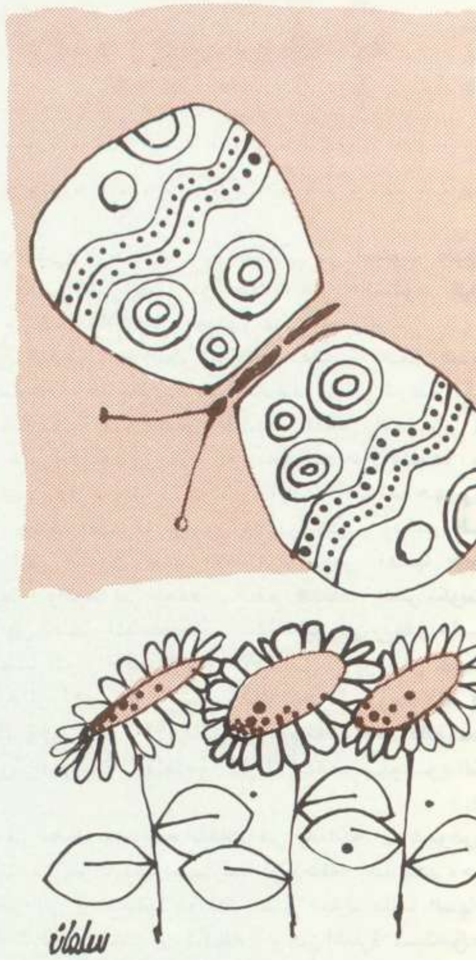
تظلُّ الفراشةُ تزهو بألوانها الزاهيَهْ
ولكنها – ياحياتي – تظل تعاني
تسائلُ أعماقَها في بهاء التفتح للسِّر حيثُ تُطلُّ الرؤى صافيه
أكل الزهور سواء لديَّ ؟ .. أزهر يفوحُ بأسمى المعاني
كزهرٍ يُغيِّر ألوانَهُ ؟ !
أزهرٌ يواجهني بالرحيق المراوغ دوماً
كزهر يُفتِّحُ وجدانَهُ
وينثرُهُ في طريقي نسائمَ حبٍّ تطوِّقني في انطلاقي يوماً فيوماً ؟
أأبقى مع الزهر حيرى ... أرفرفُ دون مقرِّ ؟
وفي كل ليل .. وفي كل صبحٍ .. وعند الأصيل أعاني ضياعا
أُواجهُ نفسي فأشعر أني موجهةٌ في انطلاقي – برغمى – لأهواء بحرِ
أُواجهُ نفسي .. فتزداد أوجاعُ روحى اتساعا ! !

• • •

فراشةَ روحي .. دعيني أصومُ عن الكلماتْ
دعيني فقد أرهق القلب عبء انتظار الشروق وعبء التقلب عبر الفصولْ
دعيني أخبئْ همى .. وأمضي مع الذكرياتْ
دعيني .. لما عدت أقوى على أن أقول الذى أشتهى أن أقولْ !

• • •

فراشةَ روحي .. أراك ابتسمتِ .. فلألأتِ في القلبِ شمس الصفاءْ
دعيني إذنْ كى أقول الذى أشتهى أن أقولْ
دعيني أقول أحبُّك في النور رغم تجهم وجه الفضاءْ
أحبُّك سراً ... أحبك جهراً ... أحبك دوما
أحبُّك رغم تقلُّبِ كلِّ وجوهِ الفصولْ
أحبُّك دوما ... ويزدادُ حُبّي يوما .. فيوماً ...



من أوراق الأفغاني

٢



تحقيق وتعليق:
الدكتور علي شلش

ثلاث وثائق خطيرة عن عصر إسماعيل وتوفيق

وثيقة عمرها ١٠١ سنة

ماذا حدث لتلامذة الأفغاني بعد فشل الثورة العرابية؟

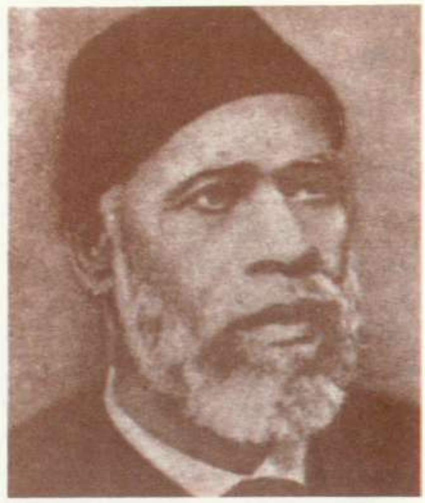
رحل الافغاني فجاة عن مصر مطروداً ومهانا ، ولكن بقي تلامذته ومريدوه . وياتي على راس هؤلاء من المصريين : محمد عبده وابراهيم اللقاني . اما محمد عبده فقد ازدادت شهرته مع الزمن واصبح علماً في راسه نار كما يقول القدماء . واما ابراهيم اللقاني فلم يعد مشهوراً ولا معروفا . ولم يبق منه اليوم سوى شارع يحمل اسمه في ضاحية مصر الجديدة التي لم يكن له بها اية علاقة . بل ان احداً لم يكتب عنه بتدقيق او فحص ، حتى اصبحت كتابة تاريخه عملية شاقة بعد مرور هذا الزمن . ولكن الاشارات الكثيرة إليه في تاريخ الصحافة المصرية تقول انه صحفي درس بالأزهر وتعرف الى الأفغاني بعد مجيئه إلى مصر ، وصار ثاني مريد له بعد محمد عبده . وولاه الأفغاني صحيفة « مرآة الشرق » التي ظهرت سنة ١٨٧٨ وتولى تحريرها لبضعة اشهر الصحفي والشاعر الشامي سليم العنحوري . ولما عاد الأخير الى بيروت وانفض عن جماعة الافغاني تولى اللقاني تحرير الصحيفة حتى اصابها التعطيل ثم الايقاف فور طرد الأفغاني ، وبعدها تعاون اللقاني مع رياض باشا ثم مع العرابيين حتى انكسرت شوكتهم وحل الانجليز حكاماً حقيقيين ومحتلين للبلاد ، فنفوا اللقاني مع كثيرين . ثم عاد في أواخر الثمانينات ليعمل محاميا ، كما عمل سعد زغلول ، حتى مات قبيل الحرب العالمية الأولى .

واذ كان هذا التاريخ مختصراً لا يشفي غليل اي باحث ، فهذه الرسالة التي بعث بها التلميذ الى أستاذه تلقي الكثير من الضوء على صاحبها ، وما حدث له ولزملائه ، بل لمصر كلها ، بعد اخماد الثورة العرابية .

سيلاحظ قارىء الرسالة ان اللقاني ذو اسلوب بليغ وعبارة منتقاة . وسيلاحظ ايضا من خلال هذا الأسلوب كيف تمكن الأفغاني من قلب تلاميذه وعقولهم على السواء .

ويصور اللقاني ما حدث له ولجماعته ، محمد عبده وسعد زغلول وغيرهما ، من مطاردة ومراقبة على ايدي شرطة الخديو بعد رحيل استاذهم ، كما يصور خشية الناس العاديين وانصاف العاديين على انفسهم من هذه الجماعة بعد طرد قائدها ، ومهاجمة الصحف لهم ، ولا سيما « الأهرام » ، التي كانت تمدحهم واستاذهم من قبل ، وتنشر لهم ما يريدون له او عنه . ويشير الى بعض الأحداث التي سبقت طرد الاستاذ ، ومن اهمها خطبته في الاسكندرية ، واثرها في جماعة « مصر الفتاة » التي تكونت بعدها في الثغر من شباب المتمصرين . كما يشير الى رياض باشا ، الذي أصبح رئيسا للوزراء بعد رحيل الافغاني ، ويرى أن عيبه الوحيد هو تصوره ان المصريين ليسوا اهلا للحرية . ومع ذلك ففي عهد رياض اخذ نجم تلامذة الأفغاني في الصعود ، ثم تالق نجمهم في عهد الثورة العرابية ، فتقدموا في الوظائف وعوضوا الكثير مما فقدوه .

وليس في معظم ما ساقه اللقاني في رسالته اي غموض ، ولكنه يكشف فيها عن سر طريف لم يدرسه أو يحققه احد بعد ، حين اشار بشكل عابر الى ان بعض مؤلفات علي مبارك باشا الذي كان من وزراء ذلك العهد ليست من تاليفه ، وهي إشارة تستحق الاهتمام في الحقيقة ، ولكن أهم ما في الرسالة هو تصويرها لما حدث بعد رحيل الأفغاني .


علي باشا مبارك


سعد زغلول


محمد عبده

رسالة من إبراهيم اللقاني (١)

● أصبحنا بين أهل مصر كالسامري في قوم موسى !

(نص رسالة ابراهيم اللقاني)

من بيروت في ١٥ فبراير ١٨٨٣ الموافق ٧ ربيع الثاني ١٣٠٠ هـ .

إن راسل سواي حظيرة قدس مولاي وانا لم افعل فلا عجب ولا عقوق ، فاني اخص حشم تلك الحظيرة واقربهم إلى قدسها ، فانا اشدهم خوفاً من مولاي وابعدهم تصوراً لعظمته . وما تصورت غير العجز عن التصور . فكما نزع بي الوجد الى المراسلة غشيني من هذا التصور رعاش عمني هيبة ودهشة ، وافعمني ذهولا وغشية ، حتى لا اعقل إلا العجز ، ولا اعي إلا القصور ، ولا اسمع إلا الزجر ، ولا ابصر إلا الحطة ، ولا احس إلا الضعف ، ولا اجد إلا الحيرة . بل هذه كلها كلمات اكنى بها عما يعروني حينئذ من الاحوال كما يكني بما في الدنيا عما في الجنة . على اني لم انهزم من هذه الاحوال لأول صدمة ، بل اثبت اغالبها واعاني تلطيفها بالالتفات إلى جانب حلم سيدي وسعة كرمه ، فلا يجديني هذا الالتفات إلا الرجاء في غفران ما اراني عند النظر إلى جانب جلاله قد اقترفته من سوء الأدب بسبب الجراة على إرادة مراسلة مولى لا تطاول اعناق الحكماء موطن نعله من العلياء ، مولى لا ندري هل يعلم الحكمة ام الحكمة تعلمه ، ولا نفقه من المعنى ومن المبنى منهما ، مولى لا نتحاشى أن نقول فيه إن روح الطبيعة برزت في ثيابه لتهدي عالمها إلى ما تريده من أسرارها ، وترشد ابناءها سبيل التمدن الحق الذي ضلوه وحسبوا انهم سلكوه . فمن انا إذاً وماذا اكون حتى اترفع واتطاول تهافتا على مراسلته . وهل لي من العلم إلا ما الهمني إياه ، وهل الهمني إلا ما يلهمه الوالد لطفله من الكنايات التي تلائم ذوق الطفولية كما يكنى له مثلا عن الجذب المنوطة به الكواكب بجبال من نور ، او كما يعبر له عن لذة العلم في ذوق اهله بحلاوة السكر ونحو ذلك مما إذا شب الطفل وبلغ سن الادراك لا يجد بينه وبين المكنى عنه نسبة ما ، وتعقل انه لم يكن متعقلا .

هذه هي منزلتي من مولاي بل منزلة جميع العالم منه . ولن اراني مهما بلغت بالغاً حداً يؤهلني إلى مراسلته إلا استفادة واسترشاداً . وذلك ما اردت من الوكتي (٢) هذه . ويعلم الله وسيدي اني ما قصدت بما قدمت حسن تنصل من تقصير او دفع توهم قصور . ولكن وحق المولى يميناً قطع لساني إن حنثت فيها . ما حكيت إلا صدقاً ولا ذكرت إلا حقاً . هذا وإن ما اردته فسابسطه بعد حكاية حال يحب مولاي التفكير بذكرها ، وها هي بغاية الاجمال ونهاية الايجاز .

لما سلبنا روحنا ورفاقنا حياتنا الحقيقية (استاذنا وسيدنا) اخذ الخوعم الخيعامة (٣) يتربص بنا الفرص لتلاشينا غير مكتف ذلك الهيرع (٤) بما فعل من خنا وخيانة . وكان قد نبه الضابط علينا فوكل بنا عيونا لا تكاد تطرف تراقب ما عسى ان يفرط منا من هفوة او عثرة بها فلازمتنا العيون ملازمة العرض للجوهر ، لا تنفك عنا اينما كنا وحيث حللنا . وقد زاد ذلك في نفور الناس منا ، حتى اصبحنا اجانب منهم وفيهم ، وإنما يشار إلينا باطراف البنان بحيث كنا إذا حل احد منا بقهوة انفض جميع من بها تباعا سراعا لا يكاد يلوي احدهم على آخر فتخلو القهوة ويكسد سوقها ، ولا يدري صاحبها ما السبب . وكثيراً ما كنت انا وسعيد (٥) نفعل ذلك لهواً ولعباً ، ثم امتنعنا اشفاقا على ارباب القهاوي من الافلاس . وهكذا اصبحنا بين اهل مصر كالسامري في قوم موسى . واخص بالتسفيه من بينهم كتاب جرائدهم ، ومن كان يبالغ في الخضوع للسيد . فقد كان هذان الفريقان اشد حدة واحد لساناً كانهم يدراون بذلك عن انفسهم شبهة النسبة إلى السيد ، وهذا بصرف النظر عن صاحب الأهرام (٦) ، فهو لا يزال كلما عنت له فرصة يملأ جداول صحيفته بذكرنا لاسيما عند انتصار الانجليز . فقد دندن وطنطن وصرخ وصوت وولول ، ونادى بان جميع ما جرى في مصر هو ثمرة ما بذر جمال الدين وتلامذته . واما كتبة الجرائد الأجنبية فلم اذكر لاحد منهم سوءاً إلا لمكاتب «التيمس» الذي كان فيما اظن مدح السيد إثر زيارته له فانه اراد ان يقدح فبحث وفتش على معايب فلم يجد ، وابى إلا الذم ، فرمى المولى بان عيونه كانت تبرق (٧) . ولم ندر ماذا اراد بهذا الوصف . وكانه اعمى فرمى السيد بما هو من اوصاف البصير .

ولا اذكر جريدة الحكومة وما اتت به فقد قامت وقعدت وكرت وفرت وفكرت ودبرت وغاصت في بحار السجع ثم ادركها الكلل فنامت واحتلمت ، ثم تنبهت وتمطت ، ثم تثاءبت وتجشت ، ثم لفظت شيئا لاكته بعد ان قاءته امعاء اوليائها ، ثم كلفت غيرها من الجرائد بان تلوث وجوهها بتلك



الفضلات فابت «مراة الشرق» (٨) إلا الطهارة فعوقبت بالتعطيل ستة اشهر واوعدت بالبحث في سالف اعدادها زاعمين انهم يذكرون لها الوقيعة في الدولة العلية (وماذا كان اسكتهم عما سلف ؟) فاثرت «المرآة» ان تحتجب اجتنابا للشر وتركت امر الوعيد لله .

وإذا علمنا ما هم يتربصونه بنا احرصنا كل الحرص غير مظهرين المبالاة والاكتراث آخذين باطراف المكر والدهاء والخديعة مع شرف نفس وعلو همة وإباء ضيم غير معتمدين ولا معولين على احد إلا فيما حدث لي عند فراق السيد إذ رفعت في حقي شكاوي عديدة إلى الضبطية ممن كانت «مراة الشرق» تعلن مساويهم . فاول طلب جاءني من الضبطية كان في غد رحيل المولى ، فايقنت بالشر لجهلي بسر الطلب فبعثني هذا اليقين إلى التوجه إلى موسيو فجري (٩) وعرضت عليه الطلب فايقن مما ايقنت به ايضا وقال لا تخف وإنما استصحب معك احداً ليعود إلى بخبر ما يحدث لك ، وإياك ان تنزعج او تقول إذا سئلت عن شيء إلا الحق ففعلت كذلك ولكن لما وجدت الطلب لأجل الشكاوي المذكورة حمدت الله وصرفتها بكلمتين ليس إلا ، فلم تبلغ الضبطية مني مرجوها .

وهكذا لبثنا ستة اشهر نعاني مقاومة الاضطهاد . وقد ظهر سر مولانا في خلال الستة الاشهر هذه بمظهر عجيب . وذلك ان جماعة اسكندرية الذين ظهر فيهم اثر خطبة المولى (١٠) وهم آل بيت سرسق وقطه وزغيب والمخلع اجتمعوا على القيام باعلاء كلمة السيد والنداء بما كان ينادي به وضموا إليهم عصبة من المسلمين ، وتعاونوا على إصدار جريدة (١١) نصفها عربي والنصف الآخر فرنساوي ينشرون فيها ما جمع السيد عليه كلمتهم في خطبته . فاخذت تلك الجريدة من اول يوم صدرت فيه شهرة لم تاخذها اشهر جرائد اوربا بعد عدة سنين . على انها جانبت التهور والحدة فوق ما يوجبه عليها الادب والاعتدال حتى لقد تهافتت على تسوئتها سائر الجرائد صنيعة شريف باشا فاخرستهم جميعا بما اوجب الثناء عليها وحببهم فيها رغم انفهم . ولم يكن عمل هؤلاء الجماعة مقصوراً على تلك الجريدة .

بل كانوا دونوا لائحة إصلاح ، وجاء بها وفد منهم إلى مصر ، ورفعها إلى الخديو . وساله عن لسان الجمعية العمل بها فتنغص الخديو من ذلك ، ولكن لم يستطع إلا الاحتمال والصمت . ثم اخذوا ايضاً في تدوين لوائح غير تلك بما يرون وجوب إجرائه في القطر ، ولكن من سوء البخت ان رياض باشا الذي كان وقتئذ ناظر النظار يرى ان المصريين ليسوا اهلا لمثل هذه الحرية ، وهي عقيدته التي يعلمها فيه سيدي ، والتي هي عيبه الوحيد فتصدى لتلك الجريدة ، وكلف ناظر المطبوعات الذي كان وقتئذ إيتاليانيا (١٢) ، فاستعصم . فكلف نفس ناظر الخارجية بذلك ، ففعل على غير العادة . فلم يكن من الجمعية إلا ان رفعوا على الحكومة قضية فقضي لهم . وهموا باصدار الجريدة ثانيا لولا ان المسلمين الذين كانوا في جمعيتهم تفرقوا عنهم ، بل وتصدوا لايذائهم نفاقا فعجبوا ، وسخطوا ، قائلين إنما نحن نخدم بذلك المصريين ، لا نخدم انفسنا . إذ ما من احد منا إلا وهو رعية دولة اجنبية ، وفي مامن من استبداد الحكومة المصرية ، وفي غنى عن حريتها . فحيث ابى المصريون الاشتراك في هذه الخدمة فما لنا وهذا العناد الذي ليس لأشخاصنا منه فائدة . ومن حينئذ كفوا عن مشروعهم ، فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ثم لم تمض علينا هذه الاشهر إلا وقد تنقل بنا الدهر فاحلنا المكانة العليا والمنزلة القصوى ، فتولى الشيخ محمد عبده تحرير الوقائع . وضم إليه إخواننا الطلبة كالشيخ عبد الكريم وسعد زغلول والسيد وفا والشيخ داغر والشيخ محمد خليل . وتولى علي بك (١٣) مظهر رياسة القلم العربي بمجلس النظار . وتولى هذا الخادم وظيفة الكاتب الثاني بنظارة الأشغال . وبالجملة لم يبق احد من المخلصين في محبة السيد إلا وقد ظهر شانه وارتفعت مكانته ، حتى اندهش الناس من هذا الانتقال السريع الذي نلناه بعد توقعهم تلاشينا . ما منعهم من ان يقولوا علينا سحرة إلا تحاشيهم من التظاهر باعتقاد السحر المعدود في ذوق المتنورين من الخرافات . وكان هذا الانتقال اوقع في افئدة الناس منا رهبة وهيبة . وحملهم على تعظيمنا وتكريمنا ، ومراعاة

الأدب باستخدام مجالسنا حتى كنا نضحك من ذلك فيما بيننا إذا خلونا . وانا لا ارى ان ذلك الانتقال هو العلة التامة في تعظيمنا إلى حد بحيث كنا لو حل احد منا بمجلس، طاطات له الرؤوس وخرست الألسن وصاغت له الآذان وتحلقت له بقية الأعضاء . وإنما ذلك لسر اثمره بذر غرسه فينا استاذنا وتعهدنا بما اودعه بنا من ماء الحزم فزها واينع .

على ان خمرة هذا الانتقال لم تسكرنا فتنسينا اخذ الحذر من (خرزنبور) (١٤) اريد توفيقا . إذ كان لم يزل بنفسه منا ما كان اولا . بل زاده تقدمنا حنقاً علينا ، واحْبَنْطَا منا ، وما غل يديه عن البطش بنا إلا ما كان مصابا به في عهد وزارة رياض من انحلال القوة وفقد النفوذ . إذ لم يكن معه مستطيعا حلا ولا عقداً ولا امراً ولا نهيا ، بل حجر عليه فعل ما هو من حقوقه كاعطاء الرتب إلا براي مجلس النظار ، فهيهات هيهات ان تنتم مصر تؤما لرياض لو بقيت في يد اهلها .

وقد زاد حذرنا عندما ابتدات الحوادث الاخيرة التي سموها عصيانا فجانبنا الدخول فيها ما استطعنا سالكين طريق من ليس له في الأمر شيء ، زاهدين في الذواب زهدنا في العقاب ، لا رغبة عن الحرية ولا ضنا بارواحنا فيها . بل لعلمنا بالباعث الحقيقي على تلك الحركة . وجزمنا بضعف القائمين بها ، وجهلهم بما يجب لها ، راجين مع هذا ان نسلم من تمحيص نسبتها إلينا ، إذ لم يكن يحصل بمصر ادنى حركة من هذا القبيل إلا عدوها من آثار استاذنا وتلامذته . ولهذا فاننا حمدنا الله تعالى حيث لم يكن السيد بمصر أيام هذه الحوادث ، وإلا لكان اول محاسب ، فلله الشكر والثناء .

ثم انتهت تلك الحوادث باستوزار عصبتها فاخذوا في تنقية الوظائف من الغلث القديم ، وانتقوا لها من الشبان من راوه خليقاً بها ، فكنا فيمن وقع اختيارهم عليه ، فتولى محمد عبده فوق تحرير الوقائع رياسة قلم المطبوعات الشرقية ، وعربية وتركية وغيرها (وإن لم يعرف غير الأولى) وصار هذا الضعيف (انا) مفتشا بالداخلية ، وسعد زغلول معاونا بها ، فزاد بذلك ارتفاع شاننا ولكن عد ذنبا لنا عند حزب الخديوي . على اننا ، وعلى

● كان الإنجليز يمنعون وصول أهلنا الينا ، ولكن إذا جيء لنا بلباس أوطعام ، حمله السجّانون إلينا !



من بيروت في ١٥ فبراير ١٨٨٢م الموافق [illegible]

ان ارسل سواي حظيرة قدس مولاي وأنا لم أفعل فلا عجب ولا عقوق فاني أخص حشم
تلك الحظيرة واقربهم الى قدسها فأنا اشدهم خوفاً من مولاي وابعدهم تصوراً لعظمته وما
تصورت غير العجز عن التصور فكلما ترحى الوجد الى المراسلة غشيني من هذا التصور غاشٍ
عمني هيبة ودهشة وأفعمني ذهولاً وغشية حتى لا اعقل الا العجز ولا أعي الا القصور
ولا اسمع الا الزجر ولا ابصر الا الخطة ولا أحس الا الضعف ولا أجد الا الحيرة
بل هذه كلها كلمات اكني بها عما يعروني حينئذ من الاحوال كما يكنى بما في الدنيا عما
في الجنة على أني لم انهزم من هذه الاحوال بأول صدمة بل اثبت اغالبها وأعاني
تلطيفها بالالتفات الى جانب حلم سيدي وسعة كرمه فلا يجديني هذا الالتفات الا الرجا
في غفران ما أراني عند النظر الى جانب جلاله قد اقترفته من سوء الأدب بسبب الجرأة
على ارادة مراسلة مولى لا تتطاول اعناق الحكماء موطئ نعله من العلياء مولى لا ندري
هل يعلم الحكمة ام الحكمة تعلمه ولا نعرفه من المعنى ومن المبنى منها مولى لا نخشى أن
نقول فيه ان روح الطبيعة برزت في ثيابه لتهدي عالمها الى ما تريد من اسرارها وترشد
ابناءها سبيل التمدن الحق الذي ضلوه وحسبوا انهم سلكوه فمن أنا اذاً وماذا اكون حتى
ارفع والتطاول لها فتكلم مراسلته وهل لي من العلم الا ما الهمني اياه وهل الهمني الا ما
يلهمه الوالد لطفله من الكنايات التي تلائم ذوق الطفولية كما يكني له مثلاً عن الجذب في
المنوطة به الكواكب بحبال من نور او كما يعبر له عن لذة العلم في ذوق اهله بحلاوة السكر
ونحو ذلك مما اذا شب الطفل وبلغ سن الادراك لا يجد بينه وبين المكني عنه نسبة ما
وتعقل انه لم يكن متعقلاً . هذه هي منزلتي من مولاي بل منزلة جميع العالم منه ولكن

الصفحة الأولى من رسالة اللقاني

الخصوص ابراهيم ، لم نخرج عن الحد الذي أوقفنا انفسنا عنده في تلك الحوادث . ولم نتظاهر بالميل مع اي الحزبين . ولم يكن لنا فعل في جريان الحوادث غير ما كان يطلب من الآراء والمشورة . ولم يكن من راينا إلا اجتناب اسباب الحرب والاجتهاد في دفع وساوس المستر مالت قنصل انكلترا الجنرال (١٥) وفي مداهاته ومسالمته واجتذابه .

وقد كان الناس جميعاً إلا النزر اليسير سروا بانتهاء الوزارة إلى العصبة المذكورة وصيرورة الحكومة شوروية (١٦) فاخذوا في أسباب إعلان السرور ، فكانوا يتسابقون الى اعداد الليالي لتلاوة الخطب لا للاسكر والطرب . واكثر ما كانوا يعولون في الخطابة على تلامذة السيد ، إلا اننا كنا نروغ ، ونحاول الخلاص من ذلك ، فلا نجد مفراً ، خصوصاً وقد كان الوزراء هم الذين يندبوننا غالباً إلى ارتقاء المنابر فنمتثل ، ولكن لا نخرج فيما نقول عن حد الاعتدال فطار بذلك صيتنا ، واشتهر امرنا ، فعدوا ذلك لنا ذنباً ثانياً ، وتم اعتقاد حزب الخديو باننا من حزب العصاة .

ثم استفحلت الحوادث بدسائس مالت . وسقطت تلك الوزارة ، وال الأمر إلى مفاجاة انجلترا بضرب مصر ضرباً لا يسوغه قانون ولا ترضاه عوائد المتوحشين ، فضلا عمن يدعون التمدن . ثم انجلت الحرب عن هزيمة المصريين بدسائس الخديو وسلطان باشا ، فاخذت الحكومة في القبض على رؤوس العصبة ، واعداد المشانق لهم ، ظناً من الخديو انه سيكون حراً فيما يريد وينتهي ، وان الانجليز ما بذلوا مالهم ، واراقوا دماءهم إلا لتاييد جنابه حقيقة عشقاً فيه وشغفاً به لتنال ويكتوريا (١٧) من حسنه وجماله ما قضت عمرها في تمنيه منه ، ولكن ما أَنْبَهَهُ وما اذكاه ، فقد فهم اليوم انهم ما جاءوا إلا لتقييده لا لتاييده .

وقد كنا ضمن الرؤوس المقبوض عليهم فدخلنا السجن جازمين بالقتل ، ولكن وايم الذمة ما نبضت لنا فريصة ولا خفق لنا قلب ولا شابنا انزعاج الا ما دخلنا من الاشفاق على تيتيم اطفالنا . على ان الانجليز لم تدعه يتمكن من الانتقام والتشفي ، وانما جارته على هواه إلى ان احتلت انحاء القطر وتغلغلت في احشائه ، وتمكنت من القلاع والحصون والثغور . وجمعت جميع ما في القطر من انواع الأسلحة ، ثم تظاهرت برايها من انه لابد من المحاكمة ، ولا رافة منها ، استغفر الله ، ولكن استحالة للافئدة بما توهمه بهذا الفعل من انها عادلة منصفة ، وجعلت للخديو بسلامته نصيباً من هذا الاتهام ، اذ بنته على اوامره ليقال عنها انها ايدت رجلا عادلا . وحينئذ شكلوا من المجالس ما شكلوا وجمعوا رايهم على محاكمة الأشقى فالأشقى . فاحصوا اولي الدرجة الأولى من الشقاوة بحسب انتقاء الخديو ومن بحاشيته من الصغار ، ونقلوهم من سجن الضبطية إلى محل اخر اعدوه لسجنهم . وزعموا انه على نمط سجن الاشقياء في اوربا . وما اظنهم صادقين في زعمهم هذا ، والا لكان حكام اوربا افظ الناس واغلظهم واقساهم واخشنهم قلبا . فاني كنت محسوباً من ارباب هاته الدرجة ، وسجنت في هذا السجن خمسة اشهر إلا



أياماً . وها أنا أصف لمولاي على ما هو عليه بلا زيادة ولا نقصان ويقيسه إن شاء على ما هو مشاهد له الآن في فرنسا .

هو عبارة عن حجرة ليس بها متنفس إلا منفذ صغير مما يلي السقف ، عليه شباك من حديد ضيق الأبعاد جداً ، يليه منسوج من سلك لا تزيد مسامه عن مسام الخرقة ، بحيث لا يكون الضوء في تلك الحجرة عند محاذاة الشمس لذلك المنفذ إلا بمقدار ما يرى الانسان أن يضع قدمه . وفي تلك الحجرة رطوبة لا يمكن اتقاؤها ولا اتقاء ما يصعد عنها من الروائح الكريهة التي أثرت ببصري تأثيراً لم يزل بي حتى الآن . ثم هي لا تفتح لا ليلا ولا نهاراً إلا لحظة عند الصباح ولحظة عند المساء لقضاء الحاجة على أنهم لا يمكنوننا من قضائها على وجه الصحة . بل كانوا يستحثوننا ، وربما دخلوا المرحاض وانهضونا رغماً . ولذلك كنا كثيراً ما نضطر إلى قضائها داخل الحجـــرة وكانوا يحظرون علينـــا الاستصباح وتناول الدخان ومطالعة الكتب وتلاوة القرآن والكتابة . فكانوا يمنعون وصول شيء من أسباب ذلك الينا ، وعلى الخصوص إن كان جرنالا . ولزيادة احتياطهم كانوا كل يومين يأتوننا فيفتشوننا تفتيشاً مهيناً خوفاً من أن يكون قد وصل الينا شيء من المحظور علينا ، مثل كبريت أو ورق ولو أبيض ، ثم ينفصلون عنا بعد أن يوسعونا إهانة وتهديداً وإبعاداً بالقتل والسلب ، ونوسعهم تجلداً وثباتاً . وكانوا أيضاً يمنعون وصول أهلنا وخدمنا إلينا . وانما إذا جيء لنا بطعام أو لباس من قبل أهلنا حمله السجانون إلينا ، من غير أن نرى من جاء به أو يرانا . وربما جهلوا صاحب الشيء فأعطوه لغيره ، وهذا بعد أن يتناولوا منه لأنفسهم ما يشتهون ويعطوننا الباقي كصدقة يطرحونه من بعد فيكسر من الأواني ما يكسر ، ويتلوث من الثياب ما يتلوث ، وتنال الأرض من الطعام نصيبها .

هذا هو مجمل أوصاف السجن فهل هو كذلك في أوربا ؟ نعم . كان يستطيع تلطيف هذه الشدة من يبسط يده بالبذل . فقد تحصل بعضهم على العلبة من الكبريت بليرا انجليزية (١٨) فكم يكون ثمة غيرها من أنواع التلطيف . وقد تحصل محمد أفندي الصدر على دواة وقلم بثلاث عشرة ليرة . وعلى هذا القياس يا سيدي ، وهو قياس ينتج أن مثلي عانى الشدة طول المدة ولم يستطع إلى التلطيف سبيلا . وما هي بالمدة القصيرة ، بل خمسة أشهر إلا أياماً .

على أن الانجليز كانوا عينوا مفتشين منهم للسجون يمرون علينا مرة كل أسبوع يسألونا عن أحوالنا ، وعما عسانا نشكو منه فكنا نكتم عنهم حقيقة الحال إلا ما يضر بالصحة ، مخافة أن تقع شكوانا إلى مسامع الخرنوص (توفيق) بواسطة السجانين الذين هم من أعوانه ، فلا يعدم حيلة إلى إيذائنا ، وما ذلك إلا لانقطاع أخبار الخارج عنا ، وجهلنا بما هو عليه من الضعف وسقوط المنزلة ، وإلا لكنا تخلصنا من هول تلك الشدة غير مكترثين بما كان يصل إلينا من التهديد والوعيد . ولكن ما هي حيلة الجاهل الذي ما عرف حلول العيد إلا بتوالي إطلاق المدافع أربعة أيام في كل وقت من الأوقات الخمسة .

وما كان لنا مؤنس في السجن إلا تعليل النفس بقرب حلول دورنا في المحاكمة ، ولا مسامر إلا هواجس الخاطر بما ندافع به عن أنفسنا وقت المرافعة ، فكانت تسر وتنشرح من هذه الخواطر وتمنى ذاتها أماني عديدة من الغلبة وكسب الشرف والفخار في مقام المحاكمة وطلب عوض ما لحقها من الاهانة والضرر والخسارة إلى غير ذلك من الأماني التي كانت كأنها بين أيدينا ثم استيقظنا فلم نجدها . وذلك أنهم رأوا المحاكمة تودي إلى إهانة القمهد (توفيق) بوقوفه صغيراً ذليلا في مقام المرافعة والى القاء المسئولية بتمامها على عاتقه ، وهذا يدلي الى فضيحة الانجليز بتأييدها ولداً درقما (١٩) مثل هذا ، فأحبت أن تتلافى هذه الفضيحة من وجه ، والخديو تواقع وترامى على اللورد دوفرين (٢٠) من وجه آخر فبتت المسألة على وجه سياسي لا وجه قانوني . وكانت قد تواطأت مع عرابي ورفاقه على بت المسألة بهذه الطريقة فادعى المجلس أن عرابي وستة معه استحقوا القتل ، وأن الخديو تنازل إلى النفي المؤبد ، وفوضوا أمر باقي المسجونين إلى رأي الخديو فأطلق من أطلق ، وجرد من جرد ، ونفى من نفى ، كل ذلك بالاستبداد والهوى ، لا بالتحقيق والانصاف .

وكنت أنا والشيخ محمد عبده في ضمن من حكم عليهم بالنفي ، كل منا ثلاث (٢١) خارج القطر المصري ، بعد أن كان محكوماً علي بتسع سنين ، وعلى الشيخ محمد بعشر سنين في توكر وهي بلد بالسودان فوق مصوع ، وسر هذا التخفيف جدال وقع بين سعادة العلامة الفيلسوف علي مبارك باشا وبين شريف باشا . أما سعادة الأول فكان حاول نفينا الى حيث لا نتمتع بالحياة ولا نعود جزاء إحساننا عليه وتصنيفنا له التصانيف التي يتيه بها على العلماء فضلا عن الذوات من غير أن ننال منه على ذلك ثواباً إلا الراتب الذي كنا نأخذه من الحكومة في نظير عملنا بها ، وكأنه أشفق أن نتم بانتحاله تلك التصانيف في يوم ما من الأيام ولو بعد موته فيضيع صيته الباطل سدى ، فأراد أن يعجل بفقدنا فطلب أن ننفى هذا النفي القاطع للحياة . وأما سعادة شريف باشا حفظه الله فكان يحاول إطلاقنا . ولا صلة بيننا وبينه البتة ، فلا أدري ما الذي بعثه على المدافعة عنا جزاه الله خير الجزاء . فقد كانت مدافعته سبباً لتلطيف الحكم ودفع الأذى الذي أراده بنا علي مبارك لعنة الله عليه .

وفاتني أن أذكر لمولاي أنهم ساووا في السجن بين تلامذته ورؤوس العصبة ، أي عرابي وباقي السبعة الذين استحقوا القتل فأفردوا كلا منا في سجن على حدته ، وزادوا في التشديد عليه فوق ما عاملوا به عامة المسجونين . ولو كان الأمر بيد اليعو (توفيق) لا مستفتح بقتلنـــا كـل من يـود الانتقام منهم ، ولكن الله سلم .

ثم بعد الحكم علينا أخذوا يحذفوننا جماعة فجماعة إلى حيث ما يريده كل شخص من الجهات . فلما جاء دور الجماعة الذين كنت محذوفاً معهم ، ونقلنا الى سجن الاسكندرية يتربصون بنا ميقات سير الوابورات (٢٢) ، رأيت في السجن رجلا أعجمياً طويل اللحية عليه سيماء المرض أقبل يسلم على سلام الأخصاء مع هشاشة أعرفها وبشاشة لي عهد بها وأن مازجها تململ المريض وتأوه المظلوم فتأملت طلعته وذهلت ، وغبت عن وجودي فإني وجدته أبا تراب . أوليس أني خليـــق بتلك الدهشة ؟ كيف لا وهي فرصة لو فاجأت الحجر الصلد لذاب ماء أو طار بخاراً . ثم بعد أن وقفت منه على ما فصله لمولاي

ومولاه حمدت الله على مصيبته قدر حمده على مصيبتي . إذ كانت مصيبة كل فائدة لصاحبه . أقل ما في ذلك زوال وحشة الانفراد .

هذا موجز ما كان مما يتعلق بنا بعد فراق سيدنا . وقد أضربت عن حوادث

● كنت أنا والشيخ محمد عبده ضمن من حكموا عليهم بالنفي
وكان السبب جد الأوقع بين العلامة علي مبارك وبين شريف باشا!

كثيرة جرت في خلال ذلك . وكنت قيدتها واحدة فواحدة ، فاستوعبت مجلداً لطيف الحجم . وادخرته على نية ان ادفعه فكاهة إلى سيدنا عندما يسعدني الاتفاق بلقياه . فانني كنت ولا ازال امنى النفس برؤيته عاملا على بلوغ هذه الامنية مادمت حيا ، فاني وحقه لا أرى الحياة إلا بخدمته . وهذا المجلد كان قاصراً على ما جرى من عهد فراق السيد إلى مبدأ الحوادث الأخيرة المسماة عصيانا مستفتحا بذكر السيد ومناقبه وما فعله بمصر من المواهب ، وما تركه بها من الآثار التي ما خدم بها الاسلام احد قبله ، والتي لا يقوم عليها إلا الحقيقة المحمدية . واما ما جرى من ابتداء الحوادث الأخيرة الى ليلة القبض علي فقد افردتها بالتقيد ، وعنيت بها عناية المؤرخ الناقد على قدر ما وصل إليه حولي حاكيا لكل حادثة منها على ما ظهر واشتهر ، ومردفاً لها بما بطن من امرها واستتر على ماينبغي من الضبط والدقة، وما يوجبه النظر فيها من التجريح والتصحيح والتخطئة والتصويب ، فاستوعبت هذه الحوادث ايضا مجلداً اعظم حجما من الأول . وادخرته كذلك ليكون لي إذا راق مولاي اثراً وذكراً . غير ان الظلم يا سيدي لا يبقي ولا يذر ، فانهم ليلة ان قبضوا على اقاموا على المنزل غفراً (٢٣) محافظة على ما فيه إلى ان يهاجموه ويضبطوا ما يضبطونه منه كما فعلوا بمنزل الشيخ محمد عبده من قبل بليلة . إذ ضبطوا جميع ما به من الأوراق ، فاوعزت الى اختي عندما وقفت على نيتهم في ليلة القبض ان توارى سائر ما عندي من الورق إلا ما كان منها مجلداً مطبوعاً ، فلم تتمكن من فعل ما أوعزت به إليها ، فان العسكر الذين كانوا غفراً على المنزل منعوا خروج كل شيء بل منعوا خروج احد من اهل المنزل ، ودخول احد اليهم . ولهذا فلم تجد بدأ من طرحه في المرحاض فذهبت ذكراي فيما لا يذكر .

ها انا قد بسطت ما اردت بسطه من حكاية حالنا ، فلاعرض على مولاي ما اردته بهذه الالوكة . قد قضى علينا السجن ببيع امتعة منازلنا حتى الغطاء والوطاء لسد الرمق باثمانها . فلم ينقض السجن إلا وقد نفد جميع ما لدينا ، فتخيرنا ان ننفى إلى بلاد دولتنا رجاء ان نجد بها ملجأ ، ونصادف فيها مخلصا فنحصل على ما يقيم أودنا الى أن يقضي الدهر بما هو قاض تاركين امر عيالنا في مصر إلى الله ذفعل بهم الصدفة العمياء ما هي فاعلة ، فجئنا بيروت ، فلم يستقر بنا المقام حتى امرنا بالخروج منها وان لا نطا ارضا للدولة العلية مطلقا ، فحرنا في امرنا ، وحملنا الاضطرار على استرحام الباب العالي على النحو الذي فصله ابو تراب لسيدي . فاذا لم يستجب الباب العالي دعاءنا فما هي الحيلة ، وماذا نصنع واين نذهب ، ولسنا على شيء يؤهلنا إلى قصد اوربا ولا عندنا من الثروة ما يساعدنا على المقام فيها ، وما سالنا سيدنا هذا السؤال طالبين منه الجواب إلا لانه هو السبب في ظهورنا وافتتاح بصائرنا . وقد كنا اولا نسبح في بحار الغفلة متلذذين باوهامنا ، متنعمين بخرافاتنا ، نقرا وردنا وننام ، ولا علينا ولا لنا ، فجئت واستنقذتنا من هذه الاوهام ، واستخلصتنا من الخمول ، فاحييت لنا بذلك احساسا كان فاقداً منا ، وشعوراً لم نكن نعهده فينا ، فصرنا نتالم من كل ما لا يلائم هذا الاحساس ونتاذى من كل ما لا يجانس ذلك الشعور ولا شيء في مصر مما يلائم هذا او يجانس ذاك . فنحن على الدوام في الم وتململ . وانت انت السبب في ذلك (وعجيب اننا لا ننفك نشكرك على ذلك عوضا عن ان نشكوك) فعلى سيدنا ان يهدينا السبيل الذي نسلكه فيما نزل بنا من المصاب . واسال الله ان يهدينا سبيلا يوصلنا الى الاجتماع بمولانا حفظه الله . هذا واني اختتم هذا الحديث بلثم اعتاب مجلسه . غرس فضلكم

ابراهيم اللقاني

هنا تنتهى رسالة ابراهيم اللقاني الذى يضيف إليها

بعد توقيعه عليها هذه السطور :

حضرة الشيخ محمد عبده حضر تحرير هذه الالوكة وسالني ان ارفع فيها إلى سيدنا ما هو واجب عليه من تقبيل اقدام ولثم راحات وغير ذلك مما يكفيني مؤنة ذكره علم المولى بحال تلامذته .

وإذا شاء السيد ان يتفضل على خادمه ابي تراب او عبده ابراهيم بشيء من الكتابة فليكن عنوانه باسم السيد عبدالقادر افندي القباني مدير جريدة ثمرات الفنون .

علي شلش

في العدد القادم

ابراهيم المويلحى ومغامراته
السياسية في أوربا

هــــوامــــش

١) قال عنه رشيد رضا إنه « يعد المريد الثاني للسيد جمال الدين » أنظر تاريخ الأستاذ الإمام ج ١ص ٠٢٧٤ وكان اللقاني تلميذاً في الأزهر أثناء وجود جمال الدين في مصر. ثم أصبح صحفيا وشاعرا ومحاميا ، تولى تحرير صحيفة « مرآة الشوق » ثم سجن ونفي مع محمد عبده بسبب الثورة العرابية .

٢) الألوك والألوكة في القاموس بمعني : الرسالة .

٣ ، ٤) كنايات تسفيه يقصد بها الخديو توفيق .

٥) سعيد البستاني .

٦) سليم تقلا صاحب امتياز جريدة الأهرام وجريدة الوقت .

٧) أى تتقد بالذكاء .

٨) صحيفة استصدر الافغاني ترخيصها عام ١٨٧٨ وتولى تحريرها سليم العنحورى حتي العدد ١٦ ثم تركها عائدا الى الشام فتولاها اللقاني .

٩) موظف بوزارة الداخلية .

١٠) خطبة للأفغاني ألقاها في زيزينيا برمل الاسكندرية في جمع من النساء عام ١٨٧٩ ، وبعدها جمع أنصاره ألوفا من الفرنكات وزعت بأمره على الفقراء كما ذكر عنحورى . أما هذه الجماعة فكانت من المسيحيين الشوام واليهود مع أقلية مسلمة .

١١) جريدة « مصر الفتاة » صدرت في الاسكندرية عام ١٨٧٩

١٢) يقصد أيطاليا .

١٣) جميع هذه الاسماء كانوا تلاميذ ومريدين وأصدقاء للأفغاني .

١٤) اسم آخر من اسماء التسفيه للخديو توفيق .

١٥) بمعني : العام وكان القنصل هوادوارد ماليت .

١٦) بمعني : ديموقراطية نيابية .

٧١) يقصد الملكة فيكتوريا .

١٨) يقصد : بجنيه أنجليزى .

١٩) اسم تسفيه للخديو بمعني : لاطائل منه .

٢٠) كان سفير انجلترا في الآستانة وقتها . وقد أوفدته حكومته إلى مصر بعد هزيمة الثوره ووقوع الاحتلال لوضع نظام أساسي للحكومة المصرية . ولبث بمصر فترة وضع خلالها تقريره المشهور الذى طالب فيه باستبعاد الحكومة الدستورية لعدم أهلية البلاد لها ، وتخفيض الجيش ، وزياده الشرطة ، وإلغاء مجلس النواب ، الخ .

٢١) يقصد ثلاث سنين وقد نسي كتابة الكلمة فيما يبدو .

٢٢) الوابورات : البواخر .

٢٣) خفراء

● ماركيز والموضوع الواحد في كل العمر
● ماهو موضوع الكاتب ماركيز في كل رواياته؟
● هل قتل سانتياغو نصار في رواية "قصة موت معلن" لأنه عربي؟!

بطل عربي في رواية من أمريكا اللاتينية

القتيل عربي.. فمن القاتل؟

بقلم: سليمان الشيخ

فى مقابلة أجرتها مجلة « لوبوان » الفرنسية مع الكاتب الكولومبى غابرييل غارسيا ماركيز الذى حاز على جائزة نوبل للآداب عام ١٩٨٢ ، اختزل فى عدة كلمات ما يمكن أن يبذل الناقد عدة أيام وأسابيع من جهد البحث والقراءة والمقارنة للوصول الى النتيجة نفسها : « ان الروائى لا يكتب غير كتاب واحد فى حياته ، وتصدر له مجموعة كتابات تحت نفس الفكرة ، ولكنها تحمل عناوين مختلفة » .

فلو حاولنا تطبيق النتيجة السابقة على روايات ماركيز نفسه ،فاننا سنجد انه لم يكن يخص فى كلماته السابقة تلك اى روائى آخر غيره ، أو على الأصح فان النتيجة التى اعلنها كانت مستقاة من واقع تجربته هو ، وليست نابعة من دراسة تجربة غيره .

والفكرة التى كانت محوراً فى جل كتابات الروائى ماركيز تمثلت فى درس نماذج معينة من الناس فى وحدتهم وعزلتهم ، لا لان اشهر رواياته حملت هذا الاسم « مائة عام من العزلة » ، بل لانه جعل موضوع العزلة شغله الشاغل فى روايات اخرى غير تلك الرواية التى اشرت اليها .

فاذا كان قد عزل قريته (ماكوندو) ، ووضعها على مشرحة وعيه الذى اطلق له العنان للرجوع الى ارض الذاكرة البكر ، والوجدان الشعبى المتاكسد بتكوينات أسطورية بدائية ، وسلسل عائلة بويندنيا ، وسجل تعاقب اجيالها وصولا الى الانقراض أو العزلة ، ثم كرر ذلك الموضوع الأثير لديه « العزلة » فى روايات اخرى مثل : « لا احد يكتب الى الكولونيل » ، « حكاية بحار غريق » و « عاصفة الاوراق » و « خريف البطريرك » وغيرها ، بل انه كرر واعاد إحياء بعض الشخصيات الواردة فى روايته الاولى « لا احد يكتب الى الكولونيل » ، وفى روايته المشهورة « مائة عام من العزلة » ووزعها بنفس الاسماء والملامح ، واحياناً جعلها تلعب الدور نفسه فى رواياته وقصصه اللاحقة .

وآخر رواية صدرت للمؤلف فى هذا المجال حملت اسم « قصة موت معلن » وصدرت سنة ١٩٨١ ، وتمت ترجمتها فى العام نفسه الى العربية .

وقبل الدخول فى أجواء الرواية فاننا نسجل التالى :

ان ماركيز فى رواياته يدرس شخصياته جيداً ، ويغوص فى دواخلها ، ويستبطن ماضيها ، ويوفر لها تفصيلات حياتية يخلط فيها الواقعى بالغرائبى بالأسطورى ، ويجعل للمصادفة وما هو غير مألوف أو معقول دخلا فى ترتيب الأحداث ومسارات الحياة .

وآخر منعزل أو منقطع علق المؤلف حياته بحبل المصادفة كان شاباً عربياً فى الواحد والعشرين من عمره اسمه « سانتياغو نصار » فى رواية « قصة موت معلن » التى صدرت عن دار الحقائق فى بيروت من ترجمة صالح علمانى .

وهو فى هذه الرواية اتبع اسلوباً خالف فيه أساليب معظم الروائيين الذين يجهدون فى التخطيط للاعلان عن ذروة الرواية ، وحل عقدها فى نهاياتها .

أما هو أى ماركيز فانه أباح سر الرواية فى عنوانها ، ثم كرره فى السطور الأولى منها :

« فى اليوم الذى كانوا سيقتلونه فيه » ص ٧ .

ولكن لماذا كانوا سيقتلون سينتاغو نصار ومن هم ؟ .

ولماذا كان معظم سكان القرية يعرفون أن سانتياغو سيقتل ؟ ولماذا لم يفعلوا شيئاً كي يحولوا دون ذلك ؟؟

اعترف بداية أن كاتباً عربياً كبيراً استفزنى لقراءة الرواية والنبش عن سبب قتل سانتياغو نصار قبل حصول ماركيز على جائزة نوبل .

وما استفزنى أكثر أن الكاتب المشار اليه خرج بنتيجة قالها لى وعلامات التشفى والاحتقار تقطر من بين ثنايا كلماته وتعابير وجهه ويديه ! « تصنعون هالات الدعاية والتقدير لكاتب عنصرى يعادى العرب » !!

سالت : .. كيف ؟ . لقد قرات معظم ما وصلت اليه يداى من كتب مترجمة للمؤلف ، فلم اجد ما تشير اليه فى كتاباته اضافة الى أن مواقف الكاتب وتصريحاته المنشورة لم تش مطلقاً بما تشير اليه .

بقيت نفس التعابير على وجه الكاتب العربى وقال : اقرا رواية « قصة موت معلن » وستجد ما أقوله مجسداً فيها !

اندفعت لقراءة الرواية بعدها مستعملا كل حواسي ومداركي لرصد النتيجة التى توصل اليها كاتبنا العربى .

وكما كشف ماركيز سره وسر بطله فأباحه ثم أهدر دمه ، وتحايل على الظروف ولجا الى المصادفات الغريبة وربما المفتعلة كي يودى بحياته ، فانني انا بدورى ساقوم بكشف سر عملية القتل فى هذه السطور الأولى من عرض الرواية .

لقد قتل سانتياغو نصار ابن المهاجر العربى ابراهيم نصار لأجل حادثة شرف اتهم بها اتهاماً ، وانتهت الرواية بقتله دون قطع الشك باليقين بان سانتياغو هو حقيقة مرتكب (جرم) الاعتداء على شرف الفتاة انخيلا فيكاريو .

وقد تم اتخاذ قرار القتل من قبل شقيقي الفتاة بتحريض من أمهم بمجرد اعادة الفتاة من قبل عريسها بياردوسان رومان بعد أن مكثت فى بيته خمس ساعات فقط ، اكتشف فيها أنها ليست عذراء .

وعندما سئلت عن المعتدى أجابت مباشرة : انه سانتياغو نصار !



ماركيز

فلماذا اختارته هو بالذات من بين شبان القرية كلها ؟.. خاصة وان (احداً لم يصدق أن يكون الفاعل هو سانتياغو نصار) كما ورد فى صفحة ٧٩ من الرواية .

وقد لجا الكاتب الى تقليب شـــتى الاحتمالات ـ على لسان الراوى ـ ومنها هذا الاحتمال :

(والرواية الأكثر انتشاراً ، وربما الأكثر شراً هى التى تقول بان انخيلا فيكاريو كانت تتستر على شخص تحبه فعلا ، وقد اختارت سانتياغو نصار لأنها لم تفكر ابداً بأن يتجرأ اخواها عليه) ص ٨٠ .

والراوى الذى يذكر لها هذه الرواية وهذا الاحتمال ، يفاجأ بانها ، وبعد ثلاث وعشرين سنة من ارتكاب الحادث تقذف بوجهه بالجواب التالى :

(لا تفكر أكثر بهذا الموضوع يابن خالتى لقد كان هو) ص ٨٠ .

الا أن الراوى يدحض هذا الاتهام فيما بعد على لسان القاضى الذى حقق فى القضية فقال :

(لقد كان يرى ، مثل أصدقاء سانتياغو نصار المقربين ، بأن تصرف هذا الاخير فى الساعات الأخيرة من حياته هو دليل قاطع على براءته) ص ٨٨ .

ويرصد الكاتب الدقائق الأخيرة من حياة سانتياغو التى ترد فيها التحذيرات بمقتله المحتم ، حتى يصل الى العربى الاصل ناهير ميغيل ، والد خطيبته فلورا ، الذى يخبره بان أخوي الفتاة يبحثان عنه لقتله ، فما كان من سانتياغو إلا أن (شحب لونه) ص ١٠٠ . ويؤكد له ناهير :

أنت تعلم ما اذا كانوا محقين أم لا . وعلى كل حال ، لم يبق أمامك الآن سوى احد أمرين : اما أن تختبىء هنا ، وهذا البيت كبيتك ، أو تخرج ببندقيتى) ص ١٠٠ ـ ١٠١ .

الا أن جواب سانتياغو جاء مشبعاً ببراءة ذاهلة :

(لست أفهم شيئاً مما تقول) ص ١٠١ .

ثم خرج بعدها .

فهل خروجه جاء نتيجة انقياده لكبريائه فى إثبات عدم الخوف وعدم التراجع ؟ أم نتيجة لتشوش البراءة وذهول الضياع الناتج عن سوء التقدير ؟ مهما كانت التقديرات ، فان الكاتب كان مصراً على قتل ســانتياغو نصــار ، حتى ولو اضـطره السياق الروائى الى اختلاق مصادفات غريبة ينقصها التبرير الكافى .. وكمثال على ذلك :

مصادفات

عندما طلبت كوتيلدى أرمينتا ، صاحبة الدكان المطل على طريق ذهاب وايـــاب سانتياغو ، من اندالثيو باردو اللحاق به وتحذيره ، فان احد الاخوين كان فى نفس الدكان قال له :

(لاتزعج نفسك ، ويمكنك على كل حال اعتباره ميتاً) ص ٨٩ .

ويتكرر هذا التبشير (القدرى) فى كلام نفس الأخ عندما قيل له أن سانتياغو يحمل سلاحاً .. فقال :

(الموتى لا يطلقون الرصاص) ص ٩٥ .

وحتى ديفينا فلورا ، ابنة الخادمة فى بيت سانتياغو نصار ، فان الراوى سجل احاسيسها فقال : (وقد خافت كثيراً عندما أمسكها من معصمها بيد احست أنها باردة ومتحجرة كيد ميت) ص ١٥ .

فاذا أضفنا الى القدرية السابقة توفير

كل الظروف واحيانا افتعالها وقسرها كي يلاقى سانتياغو حتفه ، كعدم اتخاذ كل الجهات المعنية من سلطات دينية ودنيوية (القس ، العمدة ، الافراد العاديين) الاحتياطات اللازمة لحماية سانتياغو من نهاية القتل الحتمية ، الى درجة أوصلت الراوى الى الاعلان الصريح عن مسؤولية ناس القرية جميعهم عن ارتكاب الجريمة : (يمكن أن نكون جميعاً مذنبين فيها) ص ٧٢ .

مع أن الجميع ، أو على الأصح ، معظم الجميع ، كانوا على علم بنوايا الاخوين ، وكان بينهم من يملك سلطة منع الجريمة ، خاصة وان الاخوين لم يتركا احداً شاهداه الا واخبراه عن نيتهما ، وبينا له سلاح الجريمة .

فما هو سبب الاصرار من قبل الكاتب على قتل سانتياغو ، خاصة وانه لم يتم التاكد والقطع النهائى بانه هو المعتدى على شرف البنت ؟

هل نعيد الأمر الى ماذهب اليه الكاتب العربى ، اى الى موقف عنصرى من قبل ناس القرية ضـــد العـــرب ممثلين بسانتياغو ؟

إن هذا السؤال تدحضه عدة مواقف من قبل عدة شخصيات فى الرواية وفى القرية .. فقد وقفوا فى صف سانتياغو بالرغم من أن أصولهم العرقية لا تمت الى العرب بصلة .. كمواقف مارغوت اخت الراوى ، وامه ، وصاحبة الدكان كوتيليدى ارمينتا ، التى لم تترك احداً الا واخبرته عما ينتويه الاخوان ، وكريستو بيدويا صديقه الذى لازمه حتى اللحظات الاخيرة قبل موته وغيرهم .

ويدحضه ايضاً الحديث التقريرى الذى ورد فى الرواية عن العرب ، وكيفية مجيئهم الى القرية ، وما الت اليه احوالهم ، والذى لا يشتم منه اى تحامل عليهم .

وتدحضه ايضا الحقيقة المعروفة للجميع بان سكان منطقة الكاريبى وغيرها من مناطق قارة امريكا كلها خليط ومزيج من عدة عناصر وشعوب .

يذكر الدكتور محمود على مكى فى المقدمة التى كتبها .. للترجمة العربية لمسرحية (سمك عسير الهضم) ، للكاتب الغواتيمالى مانويل جاليتش التى صدرت عن وزارة الاعلام فى الكويت سنة ١٩٦٩ المعلومات التالية :

« ومن المعروف أن معظم بلاد امريكا اللاتينية تقوم فيها الآن مجتمعات يمكن ان نطلق عليها لفظة فسيفسائية ، اى مركبة من اجناس مختلفة : منها الابيض الاوربى والأحمر الهندى : والاسود الزنجى ، ثم العناصر الاخرى المتولدة عن تشابك هذه



ماركيز

الأجناس وتزاوجها : المخلطون الناتجون عن ابيض وهندية ، والمولدون الناتجون عن ابيض وسوداء ، والهجناء الناتجون عن هندى وسوداء ، واخيراً الاخلاط الكثيرة المتولدة عن تزاوج كل هذه السلالات الجديدة . وهذه ظاهرة نلاحظها بصفة خاصة فى المكسيك وبلاد امريكا الوسطى وجزر بحر الكاريبى وكثير من بلاد امريكا الجنوبية مثل البرازيل وفنزويلا وكولومبيا واكوادور وبيرو وبوليفيـــا » ص ٢٤ . من مقدمة المسرحية .

نعود الى سؤالنا : لماذا تجاهل الكثيرون من ابناء القرية الاشارات المؤكدة على احتمال قتل سانتياغو ؟

ولماذا سانتياغو بالذات ؟

ان المؤلف لم يهمل تبرير وتفسير مواقف بعض الأطراف .

وهذه محاولة لامتحان ذلك :

انخيلا فيكاريو

لقد وضع الراوى احتمال ان انخيلا فيكاريو قد وجهت اتهامها لسانتياغو لكونه الأمنع من بين شبان القرية على احتمالات القتل والثار للشرف المفضوح . الا ان الفتاة نفت هذا الاحتمال كما اشرنا .

فاذا ما اردنا المضى فى احتمال الا يكون سانتياغو الفاعل حقيقة .. افلا توجد عند الفتاة بعض المسوغات الأخرى حتى ولو لم تعلنها ؟

يمكن وضع عدة احتمالات فى هذا المجال :

قد يعود موقف الفتاة الى التشفي من سانتياغو ، ومكيدة من مكائد النساء اللواتى يجدن انفسهن مرفوضات من قبل الرجال .

ولنقرا هذا النص الذى ورد فى صفحة ٣١ على لسان سانتياغو محدثا الراوى : « ها هي ابنة خالتك الحمقاء - يقصد انخيلا - انها تنفع لتعلق على سلك » .

ولنقرا هذا النص :

« فهما ينتميان الى عـــالمين مختلفين (سانتياغو وانخيلا) ولم يرهما احد معاً فى يوم من الأيام ، خصوصاً وهما وحيدان وكان سانتياغو مندفعاً جداً بحيث لا يمكن له ان يلتفت اليها . (ابنة خالتك الحمقاء) وهذا ما كان يقوله لى عندما يريد ذكرها . وفوق ذلك كان باشقا بين الدجاج ، كما كنا نقول فى تلك الأيام .

، ولكن لم تعرف عنه فى القرية اية علاقات سوى علاقته مع خطيبته فلورا ميغل » ص ٦٩ .

افلا يمكن ان تكون آراء سانتياغو بانخيلا قد وصلتها ، فاحبت ان تنتقم ثأراً لشرف غيرها ولعبارات الاحتقار التى كان يقولها ويرددها عنها ؟

فيكتوريا غوثمان

هى واحدة من الشخصيات التى اظهرت عداء مكتوماً وعدم اكتراث بسانتياغو ومصيره ، مع انها تعمل خادمة فى بيت آل نصار منذ زمن طويل .. فما هى اسباب العداء المكتوم ؟

دعونا نطل على مشهد كان يجمع سانتياجو بابنتها ديفينـــا فلـــور : (امسك سانتياغو نصار بمعصمها (ديفينا فلور) عندما اقتربت لترفع الفنجان الفارغ من امامه ، وقال لها :

- ها قد اصبحت فى السن المناسب للترويض .

رفعت فكتوريا غوثمان السكين الدامي أمامه وأمرته بجدية :

- افلتها ايها الأبيض . فلن تشرب من هذا الماء مادمت انا على قيد الحيـــاة) ص ١٢ .

وقد التقط الراوى هذا الخيط فالصق او (منتج) اذا ما اردنا استعمال التعبير السينمائي هذا المشهد بمشهد آخر سابق عليه زمنيا وافادنا بالتالي :

- كان ابراهيم نصار قد اغوى بهـــا (فيكتوريا غوثمان) وهى فى أوج مراهقتها ومارس الحب معها لعدة سنوات فى اسطبلات المزرعة ، ثم نقلها لتخدم فى البيت عندما خمدت عاطفته ، وديفينا فلور التى كانت ابنتها من زوج جديد ، كانت تعلم انها مرصودة لسرير سانتياغو نصار السرى وكانت هذه الفكرة تسبب لها قلقاً مبكراً ، (لم يولد رجل مثل هذا بعد) هكذا قالت لى ديفينا فلور البدينة الكئيبة والمحاطة باولاد انجبتهم من غراميات

اخرى ، فردت عليها فكتوريا غوثمان :
(انه مثل والده تماما : قذر) .
وضح اذن سبب موقف فيكتوريـــا غوثمان .

لقد كانت تكن عداء (تاريخيا) للأب وأبنه بسبب ما حاق بها من تصرفات ابراهيم نصار ، وليس لأى سبب آخر .

العزلة والعادات :

واذن .. الا يوجد سبب آخر لهذه العزلة القاتلة التى وضع فيها المؤلف بطله ، والشراك المميتة التى وضعها فى طريقه ؟
دعونا نلجا الى احتمالات التناقضات الطبقية :

صحيح أن عائلة نصار كانت تعتبر من العائلات الغنية فى القرية ، الا انه لم يرد فى الرواية ما يمكن اعتباره سببا مباشرا لترجيح دافع القتل نتيجة عوامل استغلال أو اضطهاد طبقى من قبل ابراهيم نصار أو ابنه .

ولم يرد فى الرواية الا هذه الاشارة :
(لماذا تريدان قتل سانتياغو نصار . على الرغم من وجود أغنيـــاء كثيرين يستحقون الموت قبله ؟) ص ٤٨ .

كما وردت على لسان فاوسنينوسانتوس الجزار الذى باح له الأخوان بنيتهما لقتل سانتياغو بعد أن سنا الســـكاكين فى دكانه .

وهكذا تهاوت كل أسباب مقتل سانتياغو أمام اتهام الفتاة انخيلا فيكاريو باذه هو مغتصبها . فلماذا استعمل الكاتب كل ملكاته وخبراته فى الكتابة لتوفير الظروف الممكنة وحتى المستحيلة لعزل سانتياغو واظهار طائر الموت وهو يحوم فوق رأسه فى الحلم والحقيقة ؟

اننى أرجح الجواب الذى قاله ماركيز فى بداية المقال :

(ان الروائى لا يكتب غير كتاب واحد فى حياته ، وتصدر له مجموعة كتابات تحت نفس الفكرة ولكنها تحمل عناوين مختلفة) .

وكتاب ماركيز الواحد والوحيد فى حياته هو العزلة .

وسانتياغو نصار كما كان (قتيل) تلك العزلة المقصودة ... (وقتيل) سطوة التقاليد فى تلك المنطقة وقوانينها الخاصة التى تتجاوز القوانين الحكومية العامة ! ..
لقد قتل بسبب ذلك وليس بسبب كونه عربياً !

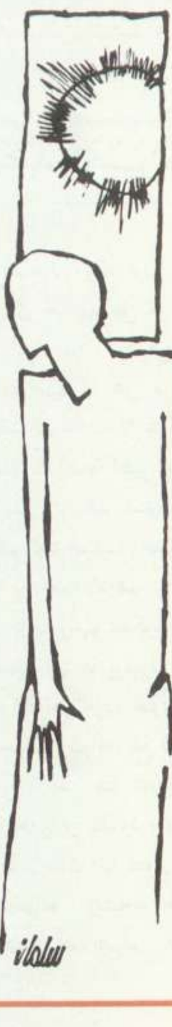
سليمان الشيخ ـ الكويت

فلا يغريك منا أن مددنا إليك يدًا..

شــــعر: كمال عمار

نبا عهدُ الصِّبا وخبا الحبابُ
وكل صبابة في الكأس صـابُ
قرّبناها فزاد الجرح غــوراً
ورب أسىً يُــولّدُهُ اقترابُ
وهمٌّ لو أقـــام ببطـنِ دنٍّ
لفارقَـــهُ وقد ثَمِـل الشرابُ
وَطَرْفٍ ليس ينفي الحزن عنه
منادمـــــة وعنقودٌ مذابُ
وغيري يطلب السلوان فيها
وتشْربه أماذيهـــا الكِذابُ
ولكنّا عرفناها وفـــــاءً
لعهد ليس يغريـه الايـابُ
ولا يُرْضيه منّا أن وفينـا
ولا يُدْنيه بوحٌ أو عتـــابُ
عجبت لخافقٍ ما زال يرعى
زمانا كان حاضره الغيـــابُ
أقام على هواه وصام دهـراً
ودون مناه أستـــار وبـــابُ
ويضنيه الحنين ولا معيـن
يُغاديه وقد عزّ الطِّـــلابُ
رَحِمْتُ عذابـــه فاصم عني
كأنْ قد صار يَفْتِنُه العذابُ
وَرُمْتُ نجـــاته فاجاب اني
« نَجِيٌّ » لا يطاوله عُبـــاب
والْجَـمَ منطقي فطويتُ ظني
وقلت لخافقي ما فيك عــابُ

رضيت به وبي حتى غدونــا
يقينا لا يداخلـــه ارتيـــابُ
بأنا أول العشـــاق كنـــا
وما زلنا العراقـــة والجنابُ
لنا في العشق سالفـةٌ وذِكْرٌ
ومنزلة يُرجّيهـا السحـابُ
اذا قيل المحبـــون القدامى
ذُكِرْنا ليس ينكرنا الكتـابُ
فلا يغريك منا أن مددنـــا
اليك يدأ ويعدوكِ الصـوابُ
أقيمي واعدلي ما بين بدءٍ
وخاتمـةٌ فقد مال النِّصـابُ
رأيت بقلبكِ الدنيا صفاءً
وبأساءً وان ستر النقـابُ
فهاتِ جميعها صفوا وشجوا
فان صريعها عفوا يُثـــابُ



ظواهر حيّرت الناس

الذين يملكون طاقات غامضة يحرّكون بها الأشياء ويثنون المعادن

العلم يدرس هذه الظواهر ويضع النقاط فوق الحروف

بقلم : الدكتور عبد المحسن صالح

لا يزال الناس يفتنون بحكايات تتردد عن قوى وظواهر غريبة تنبع من الانسان ذاته ، وبها يستطيع أن يحضر الأرواح ، أو يتحدث مع الأشباح ، أو يقرأ الطالع ، أو يتنبأ بالمستقبل ، أو يرشد عن المسروقات ، أو يرى أحداثا تقع رغم ما بينه وبينها من مسافات تقدر بمئات وآلاف الكيلو مترات ، أو يقرأ افكار غيره ، وكأنما مخه بمثابة محطة ارسال واستقبال لموجات غامضة يبعثها أو يستقبلها كلما سمحت حالته « الروحية » بذلك ، وفوق كل هذا يستطيع أن يثني المعادن ، ويحرك الأشياء ، ويتحكم في زهر الطاولة بمجرد تركيز بصره عليه ، فيطيع قوته الخفية ، ويتخذ الوضع المضبوط .. الى آخر هذه الظواهر المثيرة التي تجد هوى وتقبلا من قطاعات عريضة من الناس – ليس فقط بين العامة ، بل أيضا بين كثير من المتعلمين والمثقفين ، ولا مانع كذلك من وجود قلة من العلماء ، تعتقد فيما يعتقد فيه البسطاء !

والانسان بطبيعته يخشى المجهول ، ومن ثم كان ولعه وحرصه على كشف ما يحيط به من غموض ، ومن هنا نشأ السحرة والعرافون والمتنبئون والمشعوذون ، أو من في حكمهم على مر العصور ، وكان تأثيرهم على الناس كبيرا ، وطبيعي أن لكل عصر فئة تحاول بسط سيطرتها على من حولها ، والادعاء بامتلاكها لقدرات غامضة لا يمتلكها غيرهم من البشر ، وبهذه القدرات زعموا تحقيق أمور هي في حكم المعجزات ، ومن ثم فقد استرهبوا الناس وأرهبوهم ، فعملوا لهم ألف حساب وحساب ، ربما خوفا من بطشهم ، أو تجنبا لاذاهم ، أو احتراما لقدراتهم ، ولم لا ، خاصة وأنهم يمتلكون قوى خفية او طاقات روحية يفعلون بها ما يريدون ؟ !

ولا شك أن هذه الظواهر الغريبة تحتوى على أنباء مثيرة ، وحكايات عجيبة ، وشواهد تقع فيما وراء أى تفسير عقلي أو علمي ، ومن هنا تناولها كثير من الكتاب المشهورين والمغمورين بالسرد والاطناب في كتب او مقالات ، اذ لا شك انها تحتوى على مادة دسمة وجذابة تغرى بالقراءة ، وتشحذ الخيال .. ثم لا ينسي هؤلاء الكتاب ان يضيفوا اليها بعض « البهارات » العلمية ، حتي تبدو وكأنها احدى العلوم التجريبية ، فيزيد تصديق الناس لها ، وشغفهم بها .

ولا شك أن موضوع هذه الظواهر المحيرة متشعب وطويل ، ويحتاج في تقديمه وشرحه وتعليله الى دراسات طويلة ، لكننا سنحاول جاهدين ان نتناوله باختصار في دراسة او دراستين ، حتي يتبين لنا الغث من السمين ، ولنركز هنا على ظاهرة تلك القوى الخفية التي قيل ان من ملكها يستطيع أن يحرك بها الأشياء ، ويثني المعادن ، ويوقف عقارب الساعات .ويكون صورا على الأفلام الخام دون أن تتعرض لضوء ، بل تأتي الصورة من تركيز الطاقة الذهنية على الفيلم ، فتنتقل من الرأس على هيئة موجات غير معروف طبيعتها ، لتعطى « صورة فكرية » – إن صح هذا التعبير !

رواد الظاهرة

ورائدا هذه الظاهرة شابان : أحدهما من اصل يهودى ويدعى يورى جيلر ، والآخر فرنسي ويدعى



فتاة تدَّعى أنها تملك قدرات على ثني « البايب » المعدنية بمجرد تركيز طاقتها الخفية عليها .. لاحظ أن الفتاة قد أمسكت البايب بأصابعها ، وهنا تكمن الخدعة (هذه الصورة والصورتان التاليتان عن كتاب دكتور جون تايلور « العقول السوبر أو الخارقة »



طفل عمره سبع سنوات ، وهو ضمن عشرات تأثروا بيورى جيلر أو جيرارد ، وظهرت فيهم فجأة قدرات خارقة .. وهو هنا يعرض علينا الدليل على امتلاكه لقوة مكنته من ثني شوكة وملعقة .. والى اسفل شرائح من البلاستيك زعموا أنها تكسرت بتركيز البصر عليها .

جين – بيير جيرارد ، وبجوار هذين الشابين يوجد المئات ممن يدعون امتلاك هذه القدرات ، ومنهم صبيان وبنات ، لكن جيلر وجيرارد هما أشهر اثنين في هذا المجال ، ولقد أظهرا براعتهما في ثني الشوك والملاعق والسكاكين وقضبان من المعادن .. الخ ، أمام الملايين وهم يعرضون قدراتهم الخارقة عن طريق شبكات التليفزيون في أوربا وأمريكا أو على خشبات المسارح ، او في جلسات خاصة تعقد لهم في معامل البحوث حيث يوضعون تحت اختبارات يشرف عليها بعض العلماء ، وفي كل هذه الحالات كانت المعادن تنثني عند تركيز النظر عليها ، وكأنما هناك قوى خفية تتسلط على الأشياء ، وهذا ماأثار حيرة العلماء ، وجعلهم يضربون أخماسا في اسداس ، ويحاولون جاهدين البحث عن تفسير معقول لقدرات العقل البشرى ، وكيفية توجيهها ، للاتيان بمثل هذه المعجزات – أو هكذا كانت تشير افكار الناس ، ونجد لديهم قبولا حسنا .. ومنه بعض دراسات ظهرت على صفحات هذه المجلة في اعداد سابقة (من ٩٥ – ٩٩) ورغم أن الذى أعدها (هو الكاتب الصحفي محمد العزب موسي) قد توخى فيها الحرص والتحليل الأقرب الى الصيغة العلمية ، الا أن الانطباع الذى يسيطر على القارىء في النهاية ان هذه الطاقات الغيبية او الظواهر الروحية موجودة بين بعض الناس ، ونحن لا نستطيع هنا ان نحدد المصدر أو المصادر التي أعد منها الكاتب مادته ، فهى كثيرة ، لكن المصدر بالقطع لا يمثل وجهة النظر العلمية ، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا المقال .

فكاتب هذه الدراسة يرجع اهتمامه بهذا الموضوع الى حوالى ١٥ عاما ، ومصادره في ذلك – وبحكم تخصصه العلمي – مجلات ومراجع علمية يكتبها علماء متخصصون ، وطبيعى اننا نعرض هنا وجهة نظر العلم ، مع اعترافنا بأن هناك كتبا ظهرت لعلماء قلائل ، وتعرضت لهذه الظواهر ، ثم تعاطف مؤلفوها مع اصحاب هذه الخوارق ، لكن ذلك لا يعني أيضا انها وجهة نظر العلم .

ان معظم العلماء – ان لم يكن كلهم الآن – قد بدأوا ينظرون الى مثل هذه الظواهر نظرة كلها شك وريبة وحذر ، أو أن بعضهم يختصر الطريق ويرفضها رفضا باتا – ليس حبا في الرفض لذاته ، بل يرجع ذلك الى احساسهم بان ذلك ينطوى على خداع ودجل قد يضر ولا ينفع (خاصة في مجتمعنا الشرقي) ، أو هو أقرب الى الأمور التي يمارسها السحرة او الحواة ، ولهذا يرفض هؤلاء العلماء ان يضيعوا وقتهم وجهدهم فيما لا يفيد .. ثم أن الادعاء بامتلاك أشخاص موهوبين لقدرات ذهنية لا يمتلكها غيرهم ، انما هو ادعاء تثور حوله الشكوك ، ويطويه الغموض ، وليس له أية معايير يمكن بواسطتها وضع « بروتوكولات » محددة ، لا جراء تجارب مقننة تؤدى الى نتائج واضحة ، لتتمخض عن نظرية علمية ، يمكن بها شرح هذه الظواهر الخفية !

ومع ذلك فهناك علماء قلائل قبلوا أن يفحصوا تلك الحالات التي يدعى أصحابها امتلاكهم لهذه القدرات ، ووضعت لذلك المعايير العلمية ، واختبر

لها علماء ذوو تخصصات متباينة . وعلى شرط ألا يكونوا من المتحيزين أو المعتقدين أو المتعاطفين مع الذين سيتقدمون لهذه الاختبارات . اذ كثيرا ماكان يحدث أن يتراخى بعضهم في الرقابة الصارمة التي فرضت على هؤلاء المدعين ، مما ييسر حدوث الخداع . فتأتي النتائج مضللة .

ولقد كان ميدان هذه البحوث الولايات المتحدة الأمريكية حيث يوجد جيلر ، وفرنسا حيث يعيش جبرارد ، وبريطانيا حيث يوجد أيضا كثيرون يدعون امتلاكهم لتلك القدرات « السوبر » .. المهم أن الاختبارات قد تمت في معامل بل للبحوث بنيو جيرسي ، وفي مركز جودارد للفضاء بكاليفورنيا ، ثم في جامعة ستانفورد ، وكان بطلها جيلر ، وهيئة تضم علماء مثل دكتور بوهاريش ، وهو الذى اكتشف جيلر في اسرائيل ، وصحبه الى أمريكا ، وعمل له دعاية كبيرة . لبوهاريش هذا اختراعات تجمع بين أجهزة طبية واليكترونية . وتضم الهيئة كذلك عالمين من علماء الفيزياء هما دكتور تارج ودكتور بوتهوف ، وأيضا دكتور جون تيلور أستاذ الرياضيات بجامعة لندن ، وكان وقتها أستاذا زائرا بالولايات المتحدة ، ثم رائد الفضاء دكتور ادجار مينتشيل .. الخ

ولقد نجح هؤلاء في التسلل الى مجلة نيتشر (الطبيعة) ذات السمعة العلمية المتميزة والعريقة ، واستطاعوا نشر بحث عن جيلر ، بضمان سمعتهم العلمية ، وأثبتوا أنه يمتلك أحيانا قوى خارقة لايستطيع أحد تعليلها تعليلا علميا .. وكان هذا البحث الذى تسلل الى النشر في مجلة نيتشر بمثابة انتصار كبير للمعتقدين في وجود طاقات خفية أو روحية أو حواس أقوى من حواسنا المعروفة . وهذا ما ارتكزت عليه الجمعيات الروحية كدليل على صدق مزاعمها ، ثم راحت تطنب في نشره بدورياتها الكثيرة التي تجد رواجا بين الناس .. لكن ذلك قد أصاب العلماء التجريبين بصدمة وخيبة أمل ، وأصاب الهيئة العلمية المشرفة على تحرير مجلة نيتشر بالندم !

جدل ودجل

ولا شك أن العلماء الجادين (ولا بد أن يكونوا كذلك رغم وجود قلة من منحر في الأفكار) يعلمون تماما أن القوى الخارقة ليست الا حيلا وخدعا ودجلا لا يجوز الا على المتعاطفين مع أو المعتقدين في وجود هذه الخوارق .

ولقد صحت توقعاتهم . خاصة بعد أن خرج دكتور بوهاريش على الملأ بكتاب عن معجزات جيلر ، وعنوانه « يورى » . ثم يقدم دكتور ليال واطسون كتابا بعنوان « فيما وراء الطبيعة » ، ويتبعه دكتور تايلور بكتاب ثالث اسماه « العقول الخارقة » (أو السوبر) .. وفي هذه الكتب أو غيرها (وبعضها في حوزة كاتب هذه الدراسة ، ومنها كتابي واطسون وتايلور) أمور تعجب القارىء العادى ، وتثير خياله ، وفيها أيضا مادة دسمة للصحف والمجلات التي تحب نشر مثل تلك الأخبار المثيرة والجذابة لمعظم القراء ، ولكنها في الوقت ذاته – تصبح بمثابة شوكة في الزور ، أو غصة في حلق العلماء الذين يتعاملون مع الشرائع الطبيعية ، والسنن الكونية ، والقوانين العلمية ، وهي جميعا تدل على تناسق في الفكرة ، ونظام في الخلق ، وتدبير مذهل في كل صغيرة وكبيرة من أمور الكون والحياة . ومن أجل هذا انتظمت أفكارهم ، وتناسقت نظرياتهم ، وتقدمت علومهم ، وتطورت دولهم ومجتمعاتهم تبعا لذلك . ولا أحد يستطيع أن ينكر ذلك ، ثم أن افكار العلماء لهذه الظواهر الغريبة . له بعد ذلك ما يبرره .



ظاهرة التأثير على الأشياء بطاقة غير معروفة ، فتجعلها تتحرك بذاتها ، والصورة توضح سيدة تدعى مدام فينو جرادوفا وهي تؤثر ببصرها على أعواد الكبريت ، فتجعلها تتحرك وتغير مواضعها .. ان الخدعة هنا واضحة .

فالعلم من قديم حريص على ألا يدخل في مجاله ما ليس أهلاً له . « وعلم » تحضير الأرواح أو التخاطر أو الاستبصار أو الاستحراك (تحريك الأشياء أو السيطرة عليها بالتركيز » طاقة العين عليها ، وهو ما يسميه البعض بسيادة الروح على المادة) أو فيما وراء النفس أو الروح أو الطبيعة .. الخ . كل هذا وغيره ليس مجاله معامل العلماء . لأن التجارب العلمية تُجرى على المكشوف . ولها طريقة عمل محددة . ويمكن لأى انسان أن يجرى نفس التجارب ، ويحصل على نفس النتائج . طالما اتبع نفس طريقة العمل . لكن كل ذلك غير وارد في تجارب القوى الخارقة أو المعجزة . فاعادة التجربة تحت نفس الظروف لاتؤدى الى نفس النتائج . وكثيرا ما تتبخر هذه الطاقات الخفية عند مايشدد العلماء الرقابة على أصحاب القوى الخارقة . ويضعون للتجارب شروطا أصعب ، وأحكاما أدق . ورغم ذلك فقد تمكن أمثال جيلر وجبرارد من خداع العلماء . فالعلماء بشر . والساحر أو الحاوى قد يكون أذكى منهم في مجال أكل عيشه . أو اسرع حركة مما قد تسجله عيونهم . أو أمكر من أجهزتهم . ولقد أعترف بعض العلماء الذين أشرفوا على هذه التجارب بانهم خُدعوا . إما لأنهم قد تحللوا بعض الشيء من المراقبة الصارمة التي يجب فرضها على هوءلاء الادعياء في تحركاتهم وسلوكهم . أو لأنهم كانوا يتعاطفون معهم عندما يطلب منهم أن يتركوهم وشأنهم بعض الوقت . لأن طاقتهم الخارقة قد تبخرت . أو لأنهم لم يذكروا النتائج السلبية . واكتفوا بذكر الايجابية منها .. الخ . لكن الشيء الواضح في كل هذه الدراسات هو عدم الوضوح . أذ كلما اصبحت الرقابة صارمة . وشروط الاختبار قاسية . فان الفشل الذريع كان القاسم المشترك الأعظم لتحقيق أية نتيجة حاسمة !

اختبار مثير

على أنه يجدر بنا أن نقدم هنا واحدة من التجارب التي ستوضح لنا بجلاء معنى القوى الخارقة التي يمتلكها جيلر وجبرارد وأمثالها . وبها يستطيعون أن يكشفوا المستور ، وكأنما تنطلق من عيونهم أشعة مجهولة ونفاذة وقوية . لترى مالا تستطيع عيوننا أن تراه .

لقد اجريت احدى هذه التجارب أمام آلاف الناس في مسرح كبير . وأشرف عليها بعض العلماء الذين لا يرقى اليهم الشك . فجاءوا بعشرة علب معدنية صغيرة من ذلك النوع الذى توضع فيه أفلام



في مؤتمر صحفي عقد ليوري جيلر وتبدو صورته الى اليسار وهو يحاول ثني مفتاح أحد الصحفيين .. ولقد تمكن من خداعه مع من حولها - كما ثبت ذلك فيما بعد (عن مجلة نيوسايتنتيست البريطانية) .

التصوير . وفي واحدة فقط من هذه العلب وضعت قطعة معدنية . وكان المطلوب من جيلر أن يحدد أية علبة من العشرة تحتوى على القطعة المعدنية . ولم تكن هناك أية وسيلة للخداع . فلقد كانت العلب متشابهة تماما . وأعدت اعدادا متقنا في غياب جيلر . ولم يتصل بأحد على الاطلاق عله يعرف منه شيئا قد يساعده في تحديد هدفه . الى آخر هذا الحرص الشديد الواجب في هذا المجال .

وخرج جيلر الى المسرح . ووجد امامه منضدة توزعت عليها العلب بطريقة متباعدة وبغير نظام واضح . وبدأ جيلر يركز نظره . وكأنما هو ينفذ بقوته الخفية الى داخل كل علبة مغلقة . عله يعرف ان كانت فارغة أو مشحونة . وأخذ يقترب من المنضدة تارة . ويبتعد عنها تارة أخرى . ثم اذ به يبدأ في الاشارة الى علبة من العلب قائلا : ان هذه العلبة فارغة . وبالفعل كانت تظهر فارغة عند فتحها . فينال دهشة الناس واعجابهم وتصفيقهم . وظل جيلر يحقق نجاحا من وراء نجاح . وينال اعجابا من وراء اعجاب ودون أن يخطىء مرة واحدة . حتى انتهى بانتقاء العلبة التاسعة الفارغة . ثم أشار الى العاشرة المتبقية . وقال : هاكم العلبة المشحونة ! ! وصفق الحاضرون طويلا . فقد برهن جيلر بصدق على امتلاكه لملكة الجلاء البصرى أو الاستبصار .

هل لجيلر - اذن حاسة أخرى غير حواسنا المعروفة . لتريه « مالا عين رأت » ؟ .. واذا كان الأمر كذلك . فما هى طبيعتها ؟ .. ثم ما تعليل العلم حقا لمثل هذه الظاهرة المحيرة ؟

الحاسة هنا غير موجودة . والتعليل أبسط مما نتصور . فالأصل في اظهار هذه القدرة الفائقة على الاختيار الصحيح . ودون خطأ واحد . لا يرجع الى الاستبصار بقدر ماهو راجع الى « الاستغفال » - ليس فقط على مستوى الناس . بل أيضا على مستوى العلماء .. فلقد خدعهم جيلر واستغفلهم . مستخدما في ذلك قوة فراسته . وحدّة ملاحظته . وخفة حركته . وبراعة تمثيله . وشدة تأثيره . أو أية صفات أخرى تريد أن تضيفها الى ذلك . لتصبح ملائمة لانسان ضالع في التمويه والخداع والضحك على « ذقون » العباد !

ولقد اكتشف سر الخدعة دكتور جوزيف هانلون أحد أعضاء الهيئة العلمية الاستشارية لمجلة « نيوساينتيست » البريطانية » (وهى مجلة علمية ترجمتها رجل العلم الحديث) .. اذ كانت عيناه - كما يقول - تلاحظ كل حركة من حركات جيلر . وشك في أمره . فنصح المشرفين على هذه التجربة بعدم السماح لجيلر بالاقتراب من المنضدة . لأنه كان - وفي غفلة من العيون - يهزها بخفة . وسر ذلك لا يخفى على لبيب . اذ أن العلب الفارغة كانت تهتز بدرجات أكبر (لأنها أخف) . ولن يلحظ هذه الاهتزازات غير المحسوسة الا كل من أوتي قوة ملاحظة فائقة . وكان جيلر يمتلكها . بدليل أنه لم ينجح بعد ذلك مرة واحدة في تحديد العلبة الثقيلة أولا من العلب الخفيفة .. اذن فنجاحه لايعود الى تلك القوى الخفية التي زعم أنه يمتلكها . بل الى خدعة ما أبسطها . لكن ما أمكرها .

مزيد من الخدع والتضليل

وفي مقال تحليلي نشره دكتور هانلون في مجلة رجل العلم الحديث . وتحت عنوان « علم ثني الملاعق » (والتهكم هنا واضح في كلمة علم) يقول في مقدمة مقاله « في ليلة ممطرة من ليالى شهر يونيو اندفعت سيارة تحمل خمسة رجال - يبدو عليهم سيما التعقل والرزانة - نحو معمل في باث (اسم مدينة بريطانيا) . حيث قطعت مائة ميل . وذلك لمشاهدة فتاة وهى تقوم بثني الملاعق بقوى خارقة يمكن تعليلها . لكنها مع ذلك فشلت .. إن هذه الرحلة الشاقة تقدم لنا دليلا على أن عملية ثني الملاعق بدأت تجذب اهتمام العلماء الجادين . لكنها في الوقت ذاته توضح التغيرات التي حدثت في غضون السنوات الاربع الأخيرة منذ أن ظهر يورى جيلر على مسرح الأحداث . وعندئذ ظهر عشرات الاطفال الذين ادعوا امتلاكهم لقدرات مثل قدراته .. وعندما وقع العلماء الخمسة على مواطن الضعف في التجربة التي تحملوا مشقة السفر اليها . وبدأوا يشددون الرقابة على

الذين يملكون طاقات غامضة



يورى جيلر يمسك بقطعة معدنية زاعما أنه يثنيها عندما يسلط بصره عليها ..
فهل حقا في عينيه طاقة خفية يفعل بها ما يشاء فيما يشاء ! .. راجع المقال

الفتاة تارة ، وعلى بروتوكول التجربة تارة أخرى ، اختفت قواها الخارقة ، ولم تستطع ثني ملعقة واحدة » !

ويستطرد هانلون معقبا « ان واحدا مثل البروفيسور جون تايلور قد ذكر منذ سنتين اثنتين في كتابة « العقول الخارقة » (وهو الذى سبق ان اشرنا اليه في حينه) قوله بالحرف الواحد : بربط كل الادلة في نظرة شمولية ، فان استنتاجا واحدا يمكن أن يكون ممكنا : هذا الاستنتاج هو أن الظاهرة الغريبة لثني المعادن ظاهرة صحيحة ، عاد في الاسبوع السابق (كتب ذلك التعليق في ١٤ يوليو ١٩٧٧) واعترف لمجلة رجل العلم الحديث « أنه الآن ليس متأكدا تماما من وجود قوى خارقة لثني المعادن » ! .. ففي معمله اختفت قدرات الأطفال الذين ادعوا أنهم يستطيعون ثني الملاعق والشوك بمجرد النظر اليها ، وسر فشلهم يرجع الى تشديد الرقابةعليهم . ثم ان كفاءة هوءلاء الأطفال لم تصل الآن الى نسبة ١٠٠ ٪ – على حد قوله من قبل . بل انهم لم يستطيعوا أن يكرروا أداءهم حتي ولو أضعفت الرقابة عليهم » !

ان الاختبار الذى أجرى في « باث » كان في معمل هارى كولينز ، وهو الشخص الوحيد في بريطانيا الذى حصل على منحة حكومية تقدر بعشرة آلاف جنيه استرليني من مجلس بحوث العلوم الاجتماعية لكى يستخدمها في الصرف على التجارب التي تجرى في الباراسيكولوجى (وهو فرع ثانوى أو جانبي من السيكولوجى أو علم النفس ويتناول الغيبيات بما فيها البحوث الروحية والقوى الخارقة ، لكنه ليس علما معترفا به في الدوائر العلمية على أية حال) .. ولقد اشتهر كولينز ببحثه الذى قبل للنشر في مجلة « نيتشر » (الطبيعة) وفيه قرر أنه استطاع أن يكتشف غش خمسة من اليوريين الصغار (نسبة الى يورى جيلر ، اذ أنهم يسيرون على طريقته) وهم يؤدون عملية ثني الملاعق .. الا أنه مع ذلك قد قرر أن بعض النتائج كانت مشجعة ، لكنها غير مقنعة ، خاصة بالنسبة للمتشككين في جدوى هذه الظاهرة ، وهو هنا كمن يمسك العصا من منتصفها ، ربما ليستفيد بكل المنحة !

وعلى صعيد آخر يذكر دكتور جيرمى شيرفاس في تعليق له ظهر في عدد ٣ فبراير عام ١٩٨٣ من نفس المجلة (وهى المجلة التي غطت اخبار هذا الموضوع وحققت فيه لسنوات طويلة) إن هناك من يدعى « ستيفن شو » الذى استطاع ان ينقل صورا ذهنية مختلفة على فيلم حساس ، فانطبعت على الفيلم تلقائيا ، ثم ظهر فيما بعد أنه كان يبصق على العدسة ودون أن يراه أحد ، ثم يحرك الفيلم في غفلة عن الاعين داخل آلة التصوير السينمائية ، فيظهر بصاقه بأشكال مختلفة .

والواقع أن الخدع كثيرة ، كما أن « البحوث » في هذا المجال يكتنفها الغموض والدجل والتسيب ، وهى لهذا لانحظى باحترام جمهرة العلماء التجريبيين ، أضف الى ذلك أن بعض العلماء القليلين الذين لهم اهتمامات بمثل تلك الظواهر ، قد يولونها بعض الاهتمام بجوار اهتمامهم ببحوثهم الأصلية طبعا – كما يحدث احيانا في معاهدنا وجامعاتنا ، إذ قد يكون العالم عالما في معمله في الصباح مثلا مع المعادلات الرياضية ، والتجارب العلمية ، والنتائج المنطقية التي تتمشي مع القوانين الكونية ، وعندما يختلط بالناس في المساء ، تجده قد تخلى عن أفكاره المنظمة ، وبحوثه المنمقة ، ونظرياته المنسقة ، ثم يروح يطلق لفكره العنان ، ليسبح في الخيال ، أو يسعد لقراءة الكف والفنجان ، او يحضر جلسات تحضير الأرواح والجان ، أو يعتقد في القوى الخفية أو الخوارق التي ما أنزل الله بها من سلطان ، وهو سلوك متناقض وغريب ، وأقرب الى أعراض انفصام الشخصية .

لكن العلماء المتشككين في هذه الظواهر التي سيطرت على عقول الناس ، يعتقدون أن دعاوى ظهور القوى الخارقة بين بعض الصبية والشباب ، ليست في حقيقتها الا عروضا أو ظواهر أقرب الى عروض السحرة ، أو فنون الحواة ، والضحية في ذلك هم العلماء الذين لا يستطيعون اكتشاف هذه الخدع ، اذ ليسوا هم مؤهلين لكشف الحيل وخفة الحركة التي يتقنها هؤلاء الادعياء ، والى هنا أشار بعض العلماء أن يستشيروا بعض السحرة أو الحواة ممن لهم طول باع في هذا المضمار .. فكما لايفل الحديد الا الحديد ، كذلك لا يفل عمل الساحر الا ساحر مثله .. وقد كان ، فلأول مرة في تاريخ العلم يتسلل الحواة الى المعامل ، ويشتركون مع العلماء في وضع التجارب .. صحيح أن هذا التعاون بين فئة وقورة مجالها المعامل والتجارب ، وبين فئة مخادعة مجالها السيرك والمسارح – تعاون غير متكافئ ، ولا يحظى بالاحترام ، بل هو يثير امتعاض العلماء ، الا أن الغاية هنا قد تبرر الوسيلة الفجة والرديئة ، خصوصا اذا كانت الغاية هي وضع حد لظاهرة محيرة بلبلت الأفكار ، ولم يحسم أمرها بعد .

فهل حسم الحواة الأمر !

دعنا نفرد لذلك دراسة قادمة ، ليتبين الغث من السمين

عبد المحسن صالح

ثلاث قصائد

شعر: إبراهيم نصر الله

١ - الطائر

كان يأتي
ومن أين ؟
لا اعرفُ الآنَ
لكنَّهُ كانَ يأتي
ينقرُ الخشبَ المتشققَ
أدعوهُ
كنْ أيها الطيرُ صدري وصوتي
وأذهبْ الى آخرِ السنواتِ
حصادِ الاماكنِ
والناسِ
وأرجعْ
وخبِّرْ دمي أن هذي الخطى
لم تكن بدء موتي !
كان يأتي
ومن أينَ
لا أعرفُ الآنَ لكنه كان يأتي
مرةً فاجأوه على غصنِ قلبي
وكانَ صغيراً.. صغيراً صغيرْ
وإذ أمسكوا بجناحيهِ
صحتُ :
- وفي الروح جرحٌ -
دعوني أطيرُ ! !

٢ - المُهر

بيدرٌ من سحابٍ
ومن برقِ هذي البراري التي
لمْ تُقمْ في الغصونْ
نيزكٌ ودَّعَ الصخرَ والانطفاء
وخربشَ بالرعدِ هذا السكونْ

طيبٌ مثل إطلالةِ الشمسِ
في صدره الحبُ
والفرحُ البكرُ
لا يتقي السهمَ مبتعداً
لا يخونْ

طائرٌ غادرَ الليلَ والطرقاتِ على عجلٍ
نسي الأجنحةْ
بعد أن طالعَ الارضَ واسعةً كالجنونْ
وأمنيةً كسرتْ وقتها

حينما أبصرت كلَّ ما لا يراه المدى والعيونْ
وله ارضهُ
وتلالُ الصهيلِ
وعينيه.. ما نشتهي أن نكونْ

فهو أمضى السيوفِ
وأوفى الخنادقِ
والاصدقاء
وأعلى الحصونْ

٣ - رحيل

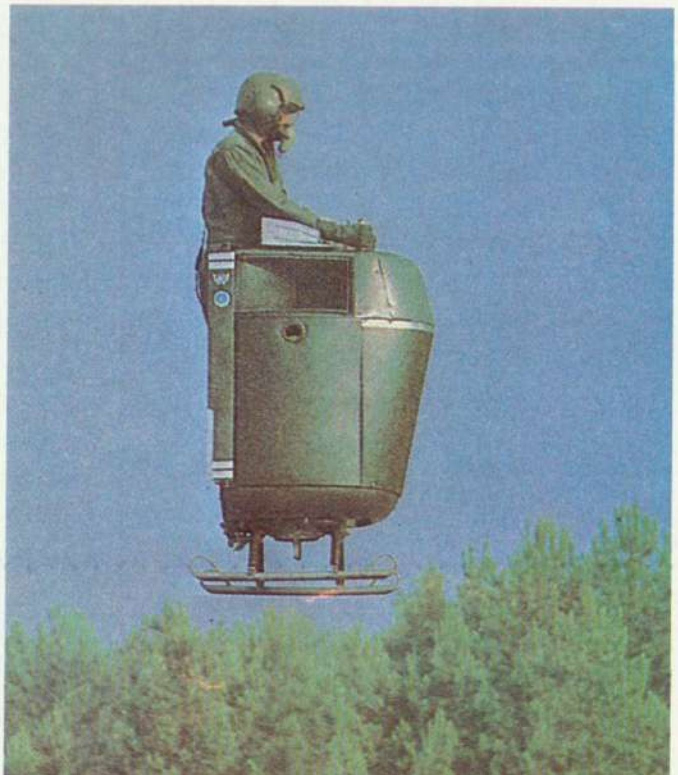
لم يقلْ للزهورِ التي احتشدتْ في الطريقِ :
وداعا
لم يقل للصباح الذى يعبرُ الارضَ :
ياصاحبي.. سأكونُ هنا دائماً
لم يقل للشوارعِ هذي خطايَ
تؤوبُ كعادتها
والمشاويرُ تحفظُ نكهتَها
لم يقل للصديق أنتظرني
لم يقل للصغار هنا كنتُ ألهو.. وأكبرُ
فاحتفظوا بالملاعبِ
والرملِ حتى أعودْ
لم يقل للمدينةِ :
هذا دمي خارجٌ من يديكِ
وفي غفلةٍ منكِ يعبرُ أحزانَهُ
والحدودْ
لم يقلْ أي شيء
ولم يأخذ الشمسَ والداليةْ
ولم يأخذ الجرحَ
أو يأخذ الفرحَ
لم يبتكرْ كلمةً في الوداعِ
ولم يذرف النجمةَ العاليةْ
لم يحمل العشبَ في يدهِ
واندفاعَ الشجرْ
ولم تندفع في المساءأصابعه الناحلةْ
كي تلمَّ الرسائلَ
والأغنياتِ
وبعضَ الصورْ
لم يقلْ أيَّ شيء
ولكنني حينَ عانقتُهُ
في يديَّ انكسرْ

لقطات من الكون المثير



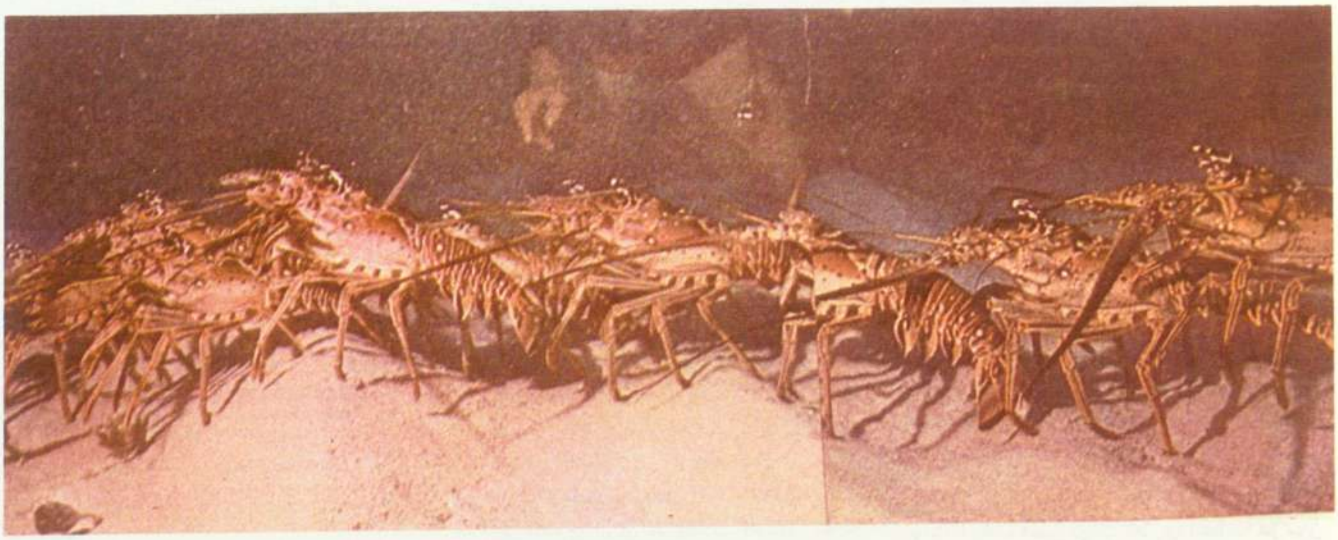
ابحث عن الأنثى

إذا وجدت ذكرين يتصارعان « فابحث عن الانثى » كما يقول المثل الفرنسي ، وفي هذا لا يختلف الكلاب عن الوعول عن الحشرات عن البشر ، فغالباً ما تكون وراء الجريمة انثى ، .. والصراع القائم هذا بين خنفس وخنفس ، هو أيضاً بسبب أنثى ، لكنها تاخذ مكانها بين الاعشاب ، لتنتظر نتيجة المعركة ، والمنتصر يفوز بها ، وليذهب المهزوم إلى الجحيم ، وهذه الخنافس يطلق عليها خنافس الوعل ، لأنها تمتلك مخالب قوية على رؤوسها كقرون الوعول الذكور ، لتتصارع بها أيضاً في غاباتها من اجل الاناث ، وتعتبر هذه الخنافس بمثابة «الديناصورات» في عالم الحشرات ، لضخامة احجامها ، وقوة اجسامها ..



الدبّور الطائر

عندما تزدحم الشوارع بسياراتها ، او تضيق بسائريها ، فقد ياتي اليوم الذي يحلقون به فوق مدنهم ، ويطيرون إلى مقار اعمالهم او سكنهم ، وقد يزدحم بهم الهواء ، فيصبحون كاسراب الطير التي تحلق في الجو .. وليس ذلك خيالا محضا ، لان ما تراه في الصورة قد حول الخيال إلى واقع ، فهذه الآلة الطائرة لا تزيد عن حجم منبر الخطابة ، ويطلق عليها اسم «الدبور» الطائر ، وقد تم تجربتها بنجاح في العام الماضي بالولايات المتحدة الامريكية ، وهي لحساب الجيش الأمريكي في الوقت الحاضر ، ويستطيع هذا «الدبور» ان يحمل راكبه إلى ارتفاع يصل إلى مئات الاقدام ، وينطلق لمسافة قد تصل الى ٥٠ كيلو متراً ، ويمكن توجيهه بسهولة تامة ، وهو يشتغل بالة نفاثة لا يزيد قطرها عن ٣٠ سنتيمتراً ، وارتفاعها عن ٩٥ سنتيمتراً . واليوم هي للعسكريين ، وغداً قد تكون للمدنيين .. وإنا لمنتظرون !



المسيرة الكبرى

لاحظ دكتور وليام هيرنكايند اغرب طابور يقوم به الكائن البحري باسم جراد البحر ذي الأشواك وفيه يحتضن كل فرد الذي امامه بلامسيه الطويلين ـ كما هو واضح في تلك اللقطة الغريبة ، ويبدأ الطابور بفردين او ثلاثة ، وعندئذ يخرج له من مخابئه جراد جديد ، ليلحق بهذا الطابور القصير ، ويظل الطابور يكبر إلى ان يبلغ افراده حوالي ٦٥ فرداً ، وتحدث الهجرة بمئات الطوابير ، وتظل سائرة ليلا نهاراً ، ولمسافات تصل إلى حوالي ٨٠ كيلو متراً ، لكن احداً لم يعرف حتى الآن سر هذا التنظيم المثير الذي يحدث تحت مياه البحر الكاريبي ، أو كيف يبدأ ، أو ما الذي يحركه ، وما هي وجهته .. كل ما عرفه العلماء ان هجرة هذه الكائنات موقوتة «بساعة» بيولوجية مضبوطة .. فعندما اخذ العلماء منها العشرات والمئات ووضعت متفرقة في احواض كبيرة ، بدأت تتجمع وتكون طوابير في نفس الوقت الذي حدثت فيه هجرة اترابها في البحر الكاريبي ، ليس هذا فحسب ، بل ظلت الطوابير تتحرك في الأحواض لمدة اسبوعين كاملين ، ودون هدف واضح ، ولازال سر حركة هذه الكائنات خافيا حتى الآن ، وما أكثر الأسرار التي تخفى على الحس والسمع والبصر والفؤاد .



ضفدع جريء يقلب المعايير

الصورة ليست خدعة ، بل حقيقة لاشك فيها ، إذ نشرتها إحدى المجلات العلمية دليلا على التنوع بين المخلوقات ، والتنوع كذلك في الطعام ، صحيح ان ضفادعنا التي نعرفها تعيش على الحشرات والهوام والديدان ، وصحيح انها اصغر كثيراً من الفئران ، ولا يمكن للأصغر ان يحتوي في جوفه الأكبر ، لكن قد تنعكس الآية ، فيصبح الضفدع اكبر حجماً من الفار ، وعندئذ يتضح الأمر ، ونصدق ان الضفدع يبلع الفار بقي أن نشير ان هذا الضفدع برازيلي الأصل ، وقد يصل وزنه إلى حوالي رطلين ، والفار حوالي نصف رطل ، ومع ذلك فهناك ضفادع اضخم ، فضفدع ترينيداد قد يصل وزنه إلى حوالي خمسة ارطال (اكثر من كيلو جرامين !!) .

أكبر خطر على الإنسان

الكولسترول.. عفريت الدم

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

إذا كان العفريت خارج جسم الانسان قادر على اتيان الاشياء الخارقة واتيانها دون ان ترى له اثراً حتى ليظنه البعض مجرد اسطورة لا تستند الى واقع . فان العفريت داخل جسم الانسان اكثر قدرة على هذه الخوارق .

ففي الدم يجري هذا العفريت فيلعب بمصائرنا . وهو دائم التغيير والتنكر يلبس لكل يوم قناعاً ، وتحت كل قناع يقوم بدور خاص وكل دور اشد غرابة واعجازاً من الدور الآخر . فهو وان كان اصلا مادة شحمية تكون دسم الدم وعرفت عند الناس على هذه الصورة ، إلا انه إذا غير ترتيب بعض ذراته يتحول الى هرمون الذكورة . واذا غير اخرى صار هرمون الانوثة . واذا بدل ذرة مكان ذرة اصبح هو حامض العصارة الصفراوية للمرارة .واذا لبس قناعاً آخر فاذا هو فيتامين د الثاني الفعال في الكلى والخاص بامتصاص الجير .

هذه هي بعض الاقنعة التي كشف العلماء خلفها وجه هذا العفريت الى الآن . وربما في المستقبل يكتشفونه متخفياً خلف غيرها وغيرها .

دهنيات الدم

الصورة الأولى : دهنيات الدم . هذه الصورة الشائعة لهذا العفريت اصبحت معروفة للقاصي والداني . ومع ذلك ما اغمضها وما اكثر اختلاف الراي حولها . فالبعض يقول انها تتاتى من اكل الشحوم والدسم والزيت . ثم تاتي ظاهرة تصفع هذا الراي . نعم ، فالاسكيمو ياكلون لحم حيوان الثلوج وكله شحم خالص تقريباً وياكلونه بكميات كبيرة ويومية تصل الى بضع كيلوجرامات وربما لا يجدون طعاماً غيره في افطار او غداء أو عشاء . ومع ذلك فكولسترول الدم عندهم منخفض والذبحة الصدرية غير معروفة . ثم هناك ايضاً الرهبان المنقطعون في الاديرة ولا ياكلون إلا الزيت وبكميات كبيرة ومع ذلك تنخفض كميات كولسترول الدم عندهم وتندر الذبحة الصدرية ويعيشون في المتوسط اكثر من غيرهم .. وقد يعمرون .

فقال قائل آخر لعلها السمن البلدي والدهون الحيوانية هي سبب ارتفاع هذا الكولسترول، ولكن اتضح وبغير جدال اخيراً ان السمن النباتي لا يقل رفعاً للكولسترول ان لم يزد عليه . ولعل اقرب الأمثلة الى هذا ان الفلاح الذي قد يشرب السمن شرباً لا يعاني من الكولسترول مثل موظف المدينة الذي يعيش على المسلي النباتي . ولا يعاني من الذبحة ما يعانيه صاحبنا الموظف .

وقيل إن زيت الذرة هو الدسم الوحيد المناسب للسيطرة على هذا العفريت . ولكنه قول قد لا يثبت وقد تاخذ موجته زمناً ثم تمضي .

وعلى العموم ما استقر الراي عليه واتفقت عليه آراء العلماء جميعاً ان دسم الدم هذا إذا ترسب على جدران الأوعية فضاق اتساعها وقلت مطاطية جدرانها وبالتالي ارتفع الضغط الدموي بكل مضاعفاته . واذا ضاقت الأوعية سهل انسدادها بترسب كرات الدم وصفائحه على مكان الدهن . فاذا حدث هذا في أوعية القلب نشات الذبحة الصدرية وجلطة عضلة القلب . واذا حدث هذا في اوعية المخ اصيب صاحبها بالفالج وانواع الشلل المختلفة . واذا حدث في اوعية الكلى ارتفع ضغط الدم ارتفاعاً مستمراً ووصل الى درجات رهيبة .

ومن المتفق عليه الآن لدى العلماء ايضاً ان الرياضة او العمل الجسماني المجهد هو وحده السبيل المؤدي الى السيطرة على عفريت الدم هذا . فالفلاح الذي يمارس الفلاحة بيديه حتى يجهد ويلهث ويعرق عليه أن يحمد الله انه طارد العفريت الى صاحب الأرض القابع في بيته امام مائدة حافلة بما يظن انها اطايب الطعام وهي كلها كولسترول ملعون يدخل الى البطن متستراً خلف الطعام الدسم الشهي .

الهرمون

الصورة الثانية : الهرمون . وما ادراك ما الهرمون . ربما لا يكون الشيطان شيئاً إلا انه هرمون ، هرمون يوقد فحولة خطرة او يوقد مرجل الغيظ المنفجر والفعل المتصلت والعمل الطائش .

إذا غير عفريتنا الكولسترولي هذا ترتيب بعض ذراته اعطانا هرمون الذكورة واذا اعاد تغيير ذرات اخرى اعطانا هرمون الأنثى . وما بين بين اعطانا الخنثى . وهكذا العفرتة .

اما هرمون الذكورة : فما من بالغ يبلغ الحلم حتى يحس عفريتنا قد ركبه .. ولا عاصم إلا الله ومن نسى هذا فلا نذكره . ومن لم ينس فلا حاجة به لوصفنا .

إنما نكتفي بذكر تغيير الجسد فقط . فاذا الشعر ينبت على الشارب والذقن وفي اجزاء اخرى في الجسم . وإذا الصوت يغلظ . واذا العضلات تشتد ويبدأ في استعمالها في كل من حوله اخوته ثم اصدقائه ثم الاغراب . واذا الصدر يتسع عرضاً واذا بالحوض يضيق ايضاً بالعرض

وكل هذا شيء وميله نحو الأنثى الغريبة والغيرة على الأنثى القريبة شيء آخر اكثر كثيراً جداً . مغنطيسية بشرية اقوى من مغنطيس الحديد . تجذب وتنجذب . وإذا بالبريق في العيون له لغة والابتسامات لها معاني وقواميس . وإذا باحساس جديد بالغلاف الجوي حول الأنثى لم يكن موجوداً . وإذا باتصالات لاسلكية واستشعار من بعد ورموت كنترول مع الأنثى . ولا نصف إلا ونوجز حتى لا نخرج عن موضوعنا .

هذا الهرمون نفسه لو حدث فيه بعض الترتيب الآخر لأصبح هرموناً انثوياً . فاذا الجلد يزداد رقة حتى لتبين العروق من تحته . واذا الصوت ينعم وشعر الرأس يطول . والصدر ينكمش في العرض والحوض يتسع في العرض والصوت ينعم والعضلات تضعف حتى تتلاشى ويكثر الشحم حول الصدر والحوض وتتغير المشية والجلسة والوقفة والحركة . وتنشا نظرة جديدة الى الام والاب والاخوة والعالم الخارجي والمستقبل

وفارس الأحلام والبيت المستقل والذرية . وقد تتفوق الفتاة على الولد في دراسته ولكنها في اعماقها لا تحلم الا بعالمها الخاص الجديد ، ولا يغني نجاحها العام عن عالمها الخاص شيئاً مهما تظاهرت هي بالعكس . والتظاهر فن تتقنه بعد ان يركبها عفريتنا هذا . وتستمر في التظاهر والتمثيل واحيانا الى درجات خطيرة وربما قاتلة لمن حولها أو لها ايضاً .

وعالم التظاهر وعلم التظاهر فن قاصر على الأنثى . تتقنه وحدها . وتبدأ في خطواته الأولى بالمكياج الانثوي وباهتمامها بزيها الخاص وخياطتها المخصوصة وازياء المودة . وتتخيل بعضهن ان البارفان ما هو الا عرقها هي . وان السكر والعسل هو طعم اي شيء تلمسه باصبعها وتتظاهر بعضهن بان العيون كلها تنظر اليها والعقول كلها تتوه فيها ، وقد يتمادى التظاهر هذا الى ان يصبح تصديقا . شكراً لعفريت الدم هذا .

انظر الى نفس المراة بعد اختناق عفريت الدم هذا في سن الياس . تدنى عليها جلبابها . لا تهتم كثيراً بنفسها ما تغير فيها شيء إلا اختناق هذا العفريت داخلها .

والواقع ان كثيراً جداً من الجرائم الجنسية وانحرافاتها قد يقع فيها من كانوا يوماً ما ملائكة اطهاراً ولكنه هذا العفريت لعب بهم وسيطر عليهم ورماهم بسهمه ثم انسل . وما منا إلا ولديه عفريته . وكثير ممن حرموا من هذا العفريت او قلت فيهم عفرتته تمنوا العكس !

قال لي مريض بالغدة يوماً - وهو شيخ وقور : كم اتمنى لو كنت اقفز من سقف بيت الى بيت ويجري ورائي الناس ليضربوني !

هذا وقد يظهر عفريت الكولسترول في الدم لابساً قناعاً آخر تماماً . هذه المرة يظهر على هيئة هرمونات الغدة الكظرية التي تقبع فوق الكلى .

احد هذه الهرمونات الكظرية هو هرمون الالدوسترون وهو الهرمون الذي يحبس الملح وبالتالي الماء المذيب لهذا الملح في داخل الجسد . ولو غاب هذا الهرمون تماما مات الانسان لأن الانسان لا يعيش بدون الملح والماء داخل دمه . وكانما كان الانسان الأول فعلا خلية أميبية ساكنة داخل مياه البحار الملحة . ثم خرجت هذه الخلية من

الماء المالح الى سطح الأرض ثم تطورت . ولكنها في كل هذه الأطوار لا زالت تحتفظ داخل كيانها بالملح والماء الذي نشأت أصلا داخله !

هرمون الالدستون هذا اذا نقص نشا مرض اديسون وهو مرض يتميز بالضعف بل الوهن الشديد. فلا يقدر على اي مجهود عضلي ولو السير الى مسافة معقولة مثلا . ويعاني دائماً من انخفاض بل هبوط دائم ثم تغمق بشرته كانما حرقته الشمس العادية هذه .

ومن هرمونات الغدة الكظرية ايضاً والتي هي اساساً كولسترول متحور هرمون يحول سكر الدم الى نشا ثم يحول النشا الى دهن وهذا الهرمون العجيب يلعب دوراً خطيراً في السمنة وفي مرض السكر . ومن هرمونات الغدة الكظرية ايضاً هرمونات جنسية اخرى غير هرمون الخصية او المبيض . هذه الهرمونات إذا زادت قد يبدو الطفل هرقلياً : طفل في سنواته العشر الأولى ومع ذلك عنده شارب وعضلات واعضاء جنسية مكتملة . او قد تبدأ طفلة تحيض وهي بعد في السنوات الأولى من عمرها . ولكن معظم هذه الحالات يكون مصحوباً دائماً بنقص تفكيري وذكائي وذاكرة وربما تاخر عقلي واضح . لأن العقل لا ينضح ابداً بالهرمونات . العقل لا ينمو بطاقة صادرة من عفريت الدم . وليس لعفريت ما سلطان على العقل . وهذا من فضل الله . والا كان عقل الانسان عرضة لنوبات مع نمو سنه أو مع تقلب عاطفته او مع نشاط الهرمون في الشاب ثم نقصه في الشيخوخة المذكرة وانعدامه تماماً في الشيخوخة المؤنثة . موضوع نمو العقل ونشاطه نعرض له في مقال آخر انشاء الله

فيتامين د

الصورة الثالثة : قلنا ان الكولسترول قد يظهر على هيئة دهن دم وقد يلبس قناعات فيظهر على هيئة هرمونات ذكورة او انوثة أو هرمونات كظرية . ولكن هناك صورة أو هيئة أخرى أو قناع آخر قد يظهر فيه هذا الكولسترول :

قد يظهر على هيئة فيتامين (د) الذي يمتص الجير الكلسي أو الكالسيوم من الأمعاء ثم يرسبه على العظام بغرض تقويتها وتمتينها بالاسمنت . حتى يمكن للهيكل العظمي ان يحمل ثقل الانسان وان يتحرك به ايضاً . وهذا الفتامين يقل في الشيخوخة . كما ورد في وصف الشيخ .



« وهن العظم مني » هنا عفريتنا نقص ونكث عن العمل .

وهذا الفيتامين يعمل اساساً في نطاق نفوذ محدود وهي الكلى . يمنع الكلى من ان تتبول كلس عظام الجسم الى الخارج بل يجعلها تحتفظ به الى مستوى معين في الدم ومن ثم يترسب من الدم الى العظام . فنقص هذا الفيتامين اذن يصيب الكلى ذاتها بمرض فشل كلوي مزمن الطفل المصاب به لا ينمو . بطنه دائماً كبيرة . عظامه دائماً اضعف من ان تحمله . مع تاثيرات جانبية طبعاً على الشعر والأظافر والذاكرة واحياناً الجنس .

وزيادة هذا الفيتامين ايضاً ضارة تسبب ترسيب الجير في فم الكلوة ذاتها . بعبارة اخرى يتحول الجير من العظم الى لحم الكلوة وبعض العضلات والانسجة الطرية وترسيب الجير في لحم الكلوة اخطر كثيراً من تكون الحصو في الكلى . لأن الأولى تعني تعطل وظيفة الكلى بصفة دائمة بينما الثانية تعبر فقط عن تغيير مؤقت في البول من حيث درجة ترسيب الأملاح به أو من حيث سلاسة انطلاقه المعتاد .

الصفراء

الصورة الرابعة : واخيراً فقد يظهر الكولسترول اللعين وقد غير ترتيب بعض ذراته فاذا هو حمض العصارة الصفراوية التي تفرزها الكبد والتي تتجمع فى المرارة والتي قد يسبب انسداد جريانها مرض الصفراء وقد يسبب تركيزها مرض حصوة المرارة أو التهابها . وهكذا من يفلت من هذا العفريت من حيث تصلب الشرايين قد لا يفلت منه من حيث اضطرابات الهرمونات أو وهن العظم او تعظم الانسجة والأعضاء خصوصاً الكلى أو التهاب وحصوات المرارة.

والعجيب ان معظم التهابات المرارة وحصوها يكون في النساء وخصوصاً وفيرة الانجاب منهن والسمينة الغليظة القوام وفيما بعد سن الاربعين بالذات حينما يركز العفريت ضرباته .

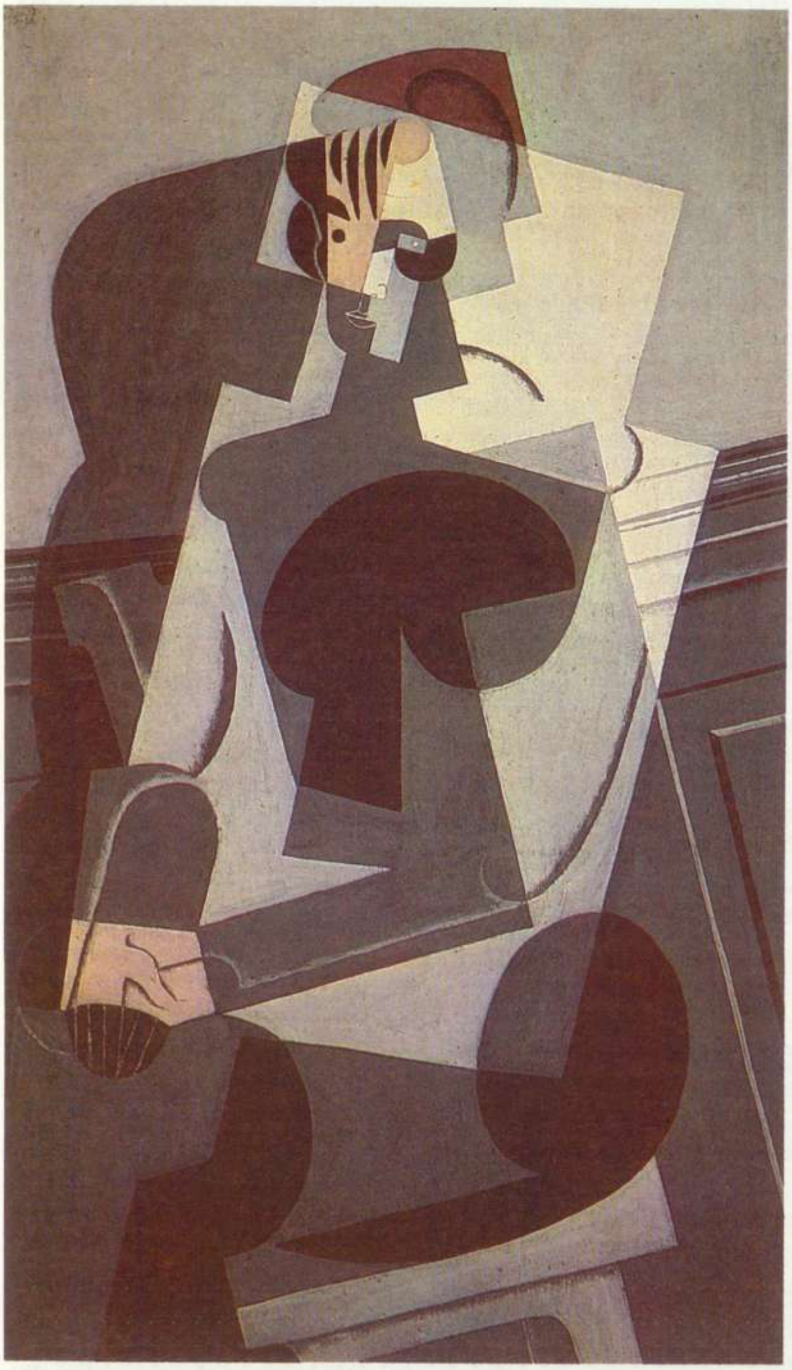
ولايذكر العلماء اي حسنة لهذا العفريت من خلف كل هذه الأقنعة الا مرة واحدة عندما يكون احد هرمونات الغدة الكظرية المسمى « ديزوكسكور تكوسترون » بعض اللعب بهذا الهرمون قد يقوي ويشد عضلة القلب .

ومع هذا فهذا العفريت العجيب لا زال غامضاً على العلماء . واذا كانوا قد كشفوه وهو يرتدي عدة اقنعة الا انهم لم يكشفوا كل الأقنعة : وما أوتوا من العلم إلا قليلا. ولا نعلم ما يميط الغد اللثام عنه بعد في هذا الصدد .

رسالة لندن من
مجدي نصيف

أضخم مهرجان في أوروبا

فن لا يعرف الخجل من الواقع





المهرج والجيتار : لوحة للفنان الاسباني الذي التزم تماما بالتكعيبية الصارمة (١٩١٧) .. ثم لوحة اخرى للفنان رسمها لزوجته « جوزيت » عام ١٩١٦

نادراً ما يجتمع مثل هذا العدد من الاعمال الفنية لاتجاه واحد من اتجاهات الفن المعاصر - هو التكعيبية - في مكان واحد . ذلك أنه كان هناك ما يربو على المائتين وخمسين لوحة وتمثال عرضت « بالتيت جاليرى » بلندن ، جمعت من أماكن شتى في العالم لتعرض هنا . حتى لقد قال « وليم باكر » الناقد الفنى لصحيفة « الفاينتشيال تايمز » البريطانية :

« إن هذا المعرض لهو على قدر من الأهمية يفوق أى معرض يمكن أن نراه فى



ثلاثة وجوه تحت الشجرة : إحدى لوحات بيكاسو التي رسمها في باريس في شتاء عام ١٩٠٧

لندن أو فى أى بلد آخر ، سواء هذا العام أو أى عام آخر . ربماكان هذا ادعاء كبيراً ، لكن حقيقته لا يمكن تخطيئها بالنظر إلى الشواهد المعلقة على جدران المعرض » .

كيف استطاعت صالة عرض « تيت » اللندنية أن تجمع كل هذا الكم من الأعمال الفنية ؟

لقد كلف « الان بونيس » مدير الصالة . الخبيرين « دوجلاس كوبر » و « جارى تيترو » بتهيئة هذا المعرض . فقدما عملا رائعاً بالفعل ، اذ قاما بجمع مائتين وخمسة وثلاثين عملا فنياً معظمها لوحات وبعضها تماثيل (تكعيبية) ممـا لا يقل عن خمسين متحفاً ومائة شخص يحتفظون لديهم بهذه الأعمال .

قاما بعد ذلك بتصنيفها تاريخياً ، حيث وضعت فى ست صالات بالتيت جاليرى ، ثم قاما بعمل « كتالوج » يضم اللوحات وكلمات عنها وتاريخ انتاجها ، و «الكتالوج» فى حد ذاته يمثل عملا رائعاً .

إن هذا المعرض يبين التاريخ الزمنى للتكعيبية وتطورها على يد الفنانين الأربعة الأساسيين لهذا الفن وهم : براك ، وبيكاسو ، وجريس ، وليجيه بين عامى ١٩٠٧ و ١٩٢٠ كذلك ضم المعرض أعمال الفنانين المثالين لورين وليبشيتز ، هذا الى جانب أعمال فنانين فرنسيين قدموا أعمالا للحركة التكعيبية فى سنواتها الأولى وهم الفنانون . ديلونى . ، وجليزيه ، وماركو سيس ، وميتنزنجر ، وفيلون .

وساعد على نجاح هذا المعرض أن بعض المتاحف اعارت أعمالا تكعيبية فى



جورج براك .. فنان المناظر الطبيعية الذي رفض « هوجة » الوحشية !



الفنان جوان جريس مع زوجته في الاستديو (١٩٢٢)

حوزتها لم تكن تسمح باخراجها إما لأنها غالية الثمن، وإما لأن نقلها يشكل خطورة بالغة لأنها هشة ، واذا تصورنا الأموال المطلوبة لنقل هذه الأعمال وارجاعها إلى اصحابها وكذلك الأموال التي بذلت للتأمين عليها ، وما صرف على طباعـــة ونشر الكتالوج ، لأدركنا ضخامة هذا العمل .

نجوم التكعيبية

وليست أهمية هذا المعرض العظيم فى جماليات الفن التى تتاح لأول مرة للجمهور العادى ولدارسي التكعيبية ومحبيها ومحبى الفن عموماً ، ولكن أهميته تكمن أيضاً فى أنه يساعد على دراسة هذا الفن بالذات ، ذلك لأنه – فى مجال الفن – تركز الاهتمام فى السنوات الخمس عشرة الأخيرة على التكعيبية ومعرفة أسرارها .

فالتكعيبية هى بـــراك وبيكاســو وأصدقاؤهما ، ومازالت صورتها فى أذهـان المثقفين على أنها استعراض لحيل الفن الحديث ، وأنها فن مشاغب ساخر ، مدمر ، صعب ، وغامض ، بل ومعاد للفن !

لكن الحقيقة أن الفن الحديث ليس حيلة ، ولا يمكن أن توصم التكعيبية بهذه الصفات ، فالأعمال الفنية المعروضة بالتيت جاليرى ، هى نفسها التى تكذب تلك الادعاءات . انها نخبة ممتازة مقتناة

عرضت أمامنا ، وهى أيضاً تعرض لنا كل تحول ذى مغزى فى قصة التكعيبية ، ابتداء من التلمس التجريبي الأول عام ١٩٠٧ عندما تحرك بيكاسو وبراك كل منهما ليتقابلا (فنياً) حتى الشتات النهائى والتفرق الذى حدث حوالى عام ١٩٢٠ .

لقد افلح الناقدان الخبيران – كوبر وتيترو اللذان اختارا الأعمال الفنية للعرض – فى التوصل إلى التمثيل القاطع الوضوح للتكعيبية . وحقيقة الأمر انه بالنسبة لى استطيع أن أقول اننى استمتعت بهذا الفن ، وإن لم يقتنع المرء

بتلك المختـــارات فلن يقنعـــه شيء آخر ، خاصـــة عندمـــا يسير المرء ويتأمل لوحات المعرض وفى يده هـــذا الكتالوج الرائع ، وبعد أن يقرأ الكتيب المصاحب !

إن أول ما يمكن أن نقوله عن المعرض ، هو ذلك الجمال الطبيعى لكل ما فيه ، وكذلك مدى تقدمه التقنى .

لقد ظلت التكعيبية تحت مجهر الفحص ودراسات تاريخ الفن ، وظلت فريسة للانتقاد والنقد والتحامل ، لوقت أكثر من اللازم ، ومع ذلك ظلت غامضة ، لم تقدم ملامحها ، ولا عناصر الجمال الكامنة فيها .

إن ما يفعله المرء الذى « يتفرج » على هذا المعرض ، هو انه يعيد النظر فيما عرض أمامه ، فى لوحات صنعها وانتجها فنانون،فهى بالفعل أعمال فنية عظيمة قبل

كل شيء . ان الألوان فى اللوحات غنية كثيفة ، واللمسات رقيقة ومقتصد فيها ومؤثرة على الدوام .

لقد خصصت ثلاث حجرات فى المعرض لتبين التعاون والتطور المتوازى لبيكاسو وبراك بين عامى ١٩٠٧ و ١٩١٤ ، وهى الفترة التى يطلق عليها النقاد « فترة التماسك الكامل لاعادة التعبير غير العادية لما قد يراه الفن ، ولما قد يفعله ، قبل أن يبدأ تشكيل أكثر حرية وأكثر خصوصية وذاتية ليحل محل ذلك التحليل المنضبط » .

ان الأعمال الفنية لهذين الفنانين



الفنان فيرناند ليجر وهو من مشاهير الفن التكعيبي



بيكاسو ، راسم الأشخاص ، البدائي والرمزي ، الذي يتميز بالحضور القوي !

العظيمين تولد قوة تذوق جمالى مدهشة واستثارة حسية هائلة .

وحقيقة الأمر أن التجربة التى تعطيها كل حجرة من حجرات « التيت جاليرى » عندما قدم معرض التكعيبية الأساسية ، ستظل اكثر رسوخاً فى الذاكرة لأنها غير قابلة للتكرار ، حيث أن مثل تلك المجموعة من الأعمال الفنية من الصعب أن تجتمع معاً مرة أخرى ، الا بمعجزة !

يقول الناقد وليم باكر « ان الجديد فى الموضوع لم يكن فى حقيقة الأمـــر ، الاستقلال التصويرى ، أو البحث العلمى فى عمليات الرؤية ، وذلك لأن الفنانين التاثيريين ومن بعدهم « الفـــوفيست » (الوحشيون - لو صح التعبير - وهم أصحاب حركة فنية مضـــادة لحركـة التاثيريين وهى تهتم بتجديد الأشكال ، ومنها الفنان فان جوخ) كانوا جميعاً بطرقهم الجديدة قد خاضوا فى غمار نفس البحر من قبل » !

التزام بدون خجل

لكن كما يقول مؤرخو الفن الحديث ، فان الحركة التكعيبية فى الحقيقة هى التزام غير خجل يرى أن الشيء الذى يرسمه الفنان لا يحتاج بأن يرسم كما هو بنفس صورته ، لكى يعطى الاحساس بانه هو . ولتبسيط المسالة كما يقول بيكاسو فانه يكفى للفنان ان يعرف مكونات الشيء ثم يرسمه كما يريد ، فالوجه مكون من عينين وفم وأنف ، يرسمها الفنان كما يريد ، وكما يحس بها ، وليس بملامحها المالوفة فى الوجه !

فالرسم يمكن أن يمنحنا إحساســاً مكافئاً بالخبرة عن الموضوع ، يعطينا شيئاً من نظام مخالف إلى حد ما عن التمثيل او الايحاء أو الوصف التقليدى . إن لنا عينين تريان فى نفس الوقت أشياء مختلفة ، او على الأصح همـا تسجلان نفس الشيء بطريقة مختلفة ، رغم ان تلك الاختلافات فى الرؤية تحل بطريقة غير محسوسة ، ولا تثبت تلك العيون أبداً !

« ان التوقع التقليدى وحده يجعلنا نشعر بأن الصورة المرسومة يجب ان تظل متكافئة غير متحركة ، جانبية كما لو كانت ترى بعين واحدة » .

ويحصر معرض « التيت جاليرى » الشيء الغريب ان تلك الصور التى رسمها الفنانون التكعيبيون ، تلك اللوحات المقطعة الأوصال ، والتى ينظر إليها عامة الناس على انها رسومات مشوهة ، والتى كادت أن تكون فى وقتها غير مفهومة .. تلك الصور قد أصبحت واضحة ومفهومة بمرور الأيام .

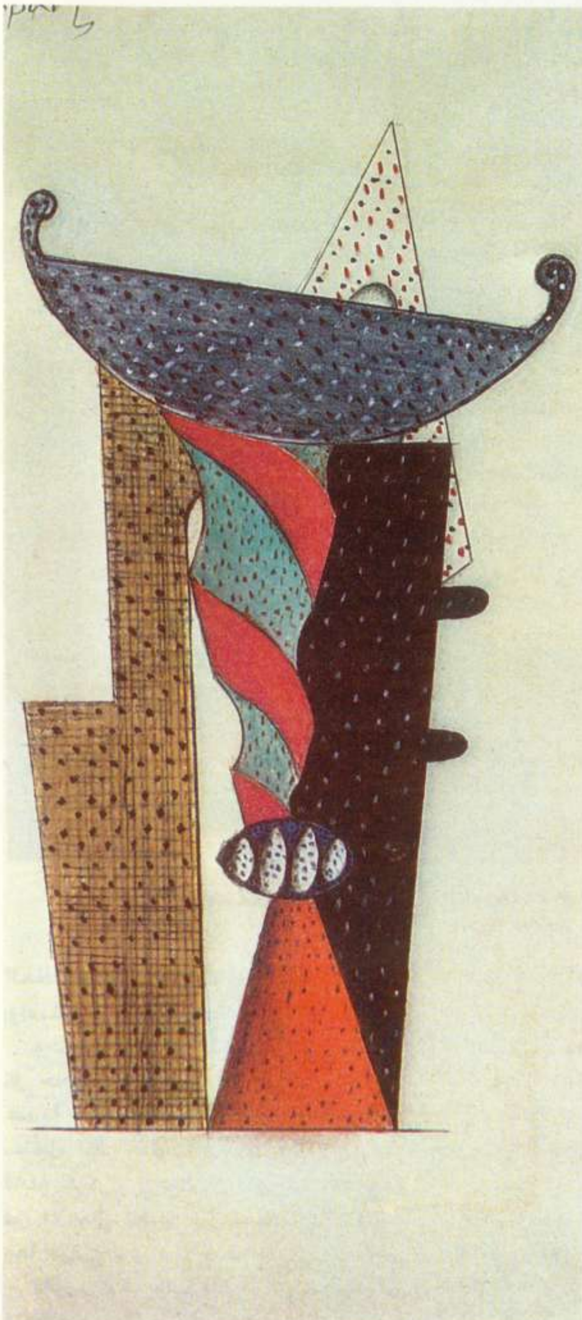
لقد فتح باب الفن إذن لمن يريد المرور ، لأن الرسم يمكن أن يصبح عندئذ اى شيء يرغب فيه الفنان .شيء ما وهم حقيقة او ايحاء ، أو كلاهما معاً . لقد جاءت الحرية من التقليد واصبحت المسؤولية الجديدة ثقيلة . ذلك أن الفنانين قد أصبحوا أحراراً فيما ينتجون وفيما يعملون . لقد انتهزوا الفرصة التى جاءت من التجربة بعد وقت قصير .

بدأ الفنانون يختـــارون الامكانـات الزخرفية أو التاثيرية أو التقليديــة للتكعيبية !

الخروج من الطريق الضيق



الفتاة والطوق : من لوحات الفنان بيكاسو عام ١٩١٨



دراسة للراس : لوحة للفنان « جاك ليبشتز » ، لا ترى فيها من ملامح الوجه غير اللسان المتدلي وأربعة أسنان !

اللندنى نفسه فى الفنانين الرئيسيين للحركة التكعيبية ، وفى حلقتهم الوثيقة . ولكن حتى هنا ، فان القصة فى فصولها الأخيرة ، كانت قصة تنوع وتطور ذاتى ، ذلك أن الحركة التكعيبية ذاتها انحصرت فى عدة فنانين ، بل ونكاد أن نقول انها انحصرت – اساساً – فى براك وبيكاسو !

ومنذ بداية ظهور الحركة حوالى عام ١٩١١ ، فان الفنانين الثـــانويين (في الحركة) يخرجون بجمال التعبير عن الطريق الضيق : ديلونى وجليزس وفيلون وماركو سيس وتنزجر . ويبدو وكان ليجيه يحاكي – بطريقة غريبة – شاجال حوالى عام ١٩١٢ . لكن رغم ذلك لا يقلل هذا أبداً من حيوية وزخرفية رسومه .

« وحتى جوان جريس ، ذلك الأسبانى النشط المتسلل الذى اصبح بعد عام ١٩١٢ اجود الثانويين من الفنانين التكعيبيين ، والذى التزم تماماً بالمبادىء التكعيبيـــة الصارمة ، وكان له تاثير خاص ، حيث دفع **اساتذتــه في الفن الى تخفيف « قسـوة » فنهم باستخدام الوان اخف و « باليته » اكثر تلويناً !**

أما ليتشتز ولورنز ، فانهما الفنانـــان اللذان « ينحتان » ، ويقدمان التماثيـــل التكعيبية ، وهما بذلك ينقيان البديل الثلاثى الأبعاد .

لكن يظل براك وبيكاسو هما بطلا المعرض كله ، وتظل أعمالهما الفنية هى مادته الأساسية . فالعرض ينتهى بهما ، كما بدأ بهما ، رغم أن طريقيهما قد تفرعا .

لقد كانت هناك دائماً اختلافات أساسية بينهما . لكن الفن التكعيبى كان فى حاجة اليهما معاً ، فى حاجة الى كل من العنصرين المتكاملين : الفنان براك راسم







ثلاث لوحات : أولها لجريس بعنوان زجاجة ماء و طبق فاكهة .. والثانية لبيكاسو وعنوانها : المرأة والقبعة .. أما اللوحة الثالثة فهي لبراك بعنوان : الموسيقار

المناظر الطبيعية الذى يرفض « هوجة » « الفوفيست » والذى يلقى بنظره ناحية سيزان ، والفنان بيكاسو راسم الأشخاص : البدائى والرمزى حيث تتقابل الكلاسيكية والرومانسية فى لوحات الأشخاص غير المتحركين وحياة الحجرة !

لقد كررا المشاركة فى موضوع الأعمال الفنية ، وكانت أعمالهما غير الموقعة ضحية الصعوبة ، حيث ارجعت فوراً اليهما !

على أنه ليس من الخيال أن نتبين فى براك احساساً أكثر تعقلا ، وسمة بنائية أكثر ثباتاً فى الموضوع ، ولمسة مكبوحة الجرح ، وربما وجلة !

وللفنان بيكاسو حضور اقوى ، وتاكيد أكثر نشاطاً !

وبينما ظل براك تكعيبياً – في الأساس – طوال حياته ، يتشعب بيكاسو فى جميع الاتجاهات !

• •

على أن التكعيبية لم تكن أبداً قضية جامدة منغلقة على نفسها ، ولم تكن ابداً نظاماً ، ولكنها كانت طريقة للاستجابة للأشياء المرئية .. كانت طريقة لجعل الفن قابلا للتكيف بطريقة لا متناهية .

ظلت التكعيبية مع بيكاسو أيضاً معطية له فى نفس الوقت حرية فى التكوين ، ونظاماً فى البناء ، كانا يميزان معاً كل شيء يفعله . هنا نجد أنفسنا معه ، ننظر فى كلا الاتجاهين فى نفس الوقت ، للأمام وللخلف ، وفيما بعد يصبح هذا هو مجال التكعيبية .

مجدى نصيف

ردّ على نعمان عاشور

- المسرح فن المشاركة وليس فن الفرجة
- الحوار الجيّد أسلوب وليس لغة
- هل صحيح أن المسرح لا ينتعش إلا بالحريّة

بقلم: حافظ أمين

اخي وصديقي نعمان

في مقالكم الممتع (لغة الحوار في المسرح) المنشور في العدد ١٠١ من الدوحة (مايو ١٩٨٤) تقولون ان المسرح فن الفرجة، وإن الكوميديا هي الفرجة التي تبعث فينا السرور والبهجة، والتراجيديا هي الفرجة التي تبعث فينا الاحساس بالرهبة، وارجو ان تسمح لي بالاختلاف معكم، فاقول ان المسرح فن المشاركة الدرامية وليس فن الفرجة، ذلك انه يختلف عن باقي فنون الفرجة دون المشاركة الايجابية، كالسينما والتليفزيون والفيديو، كما يختلف عن العروض غير الدرامية، التي يساهم فيها الجمهور بالمشاركة، كعروض الرياضة والغناء.

وعندما اسالكم تغيير وصف المسرح من (فن الفرجة) الى فن (المشاركة الدرامية)، فاني لا اطلب تغييراً شكلياً بسيطاً، وانما ارى ان من اهم اسباب ازمة المسرح العربي في السبعينات، عدم ادراك مؤلفي الستينات ان المسرح لم يعد فناً للفرجة، منذ انتشار التليفزيون في المنازل.

لعلي لا اقول لكم شيئاً جديداً عليكم، عندما اذكر ان المسرح يجب ان يقدم عروضاً مختلفة كل الاختلاف عما تقدمه وسائل الاتصال الاخرى، خاصة إذا كانت هذه الوسائل اقل تكلفة ومشقة. فالتمثيلية التي يكتبها المؤلف، وتكون صالحة للعرض في التليفزيون، لن تجد لها جمهوراً كبيراً إذا عرضها المسرح.

والغريب ان معظم مؤلفي مسرح الستينات لم ينتبهوا الى هذه الظاهرة، واستمروا في الكتابة بنفس المنوال الذي كان يكتب به، مع ان هذه المنافسة لم تكن امراً جديداً على المسرح العربي، الذي واجه مثلها خلال الاربعينات، عندما انتشرت الاذاعة والسينما، وواجه يوسف وهبي وعلي الكسار وغيرهما ازمة مماثلة، ولم يستطع التغلب عليها إلا القليلون، من امثال نجيب الريحاني الذي انتبه إلى ضرورة تغيير المؤلف، فحل بديع خيري مكان امين صدقي.

وكان من نتائج عدم انتباه مؤلفي الستينات الى هذه المنافسة الجديدة، إصابة الكثير منهم بالياس والاحباط. بل لقد توفى بعضهم متاثراً بهذا الاحباط وهو في ريعان شبابه، مثل ميخائيل رومان ونجيب سرور ومحمود دياب.

إن النجاح الكبير الذي لاقاه مسلسل (عيلة الدوغري) وعرضه التليفزيون في اواخر السبعينات، وامثاله من العروض التليفزيونية الناجحة، اكبر دليل على ان رجال المسرح في الثمانينات إن ارادوا اجتياز الأزمة لابد ان يقدموا للمسرح شيئاً مختلفاً تماماً عما يقدمه التليفزيون، شيئاً يلح رواد المسرح على رؤيته ولا يستطيع التليفزيون تقديمه، شيئاً يسمى (فن المشاركة الدرامية) لا (فن الفرجة).

يجب على مؤلفي مسرح الستينات ان ارادوا مواصلة التاليف لمسرح الثمانينات ان يدركوا ادركاً كاملا من هو جمهورهم الجديد، وما هو الشكل الدرامي الذي سيجعل طالب الدراما في ايامنا يترك مكانه المريح امام التليفزيون، ويتكبد مشقة الطريق، ويتوجه لا إلى السينما او إلى المسارح التي تشبه الكباريهات ولكن إلى المسرح الجاد.

إن جمهور المسرح يطلب الاشتراك الايجابي والتفاعل الحي مع ما يقدم له، وجمهور المسرح يبحث عن اعمال تصور المشكلات الحقيقية لمجتمعه، فلابد ان يكون مؤلف الثمانينات مدركاً لمشاكل الثمانينات، ولابد ان يكتب مسرحياته في اشكال تضاعف تفاعل متفرج الثمانينات، هذا التفاعل الذي حرمته منه باقي الوسائل.

●●

اما الاختلاف الثاني، الذي ارجو من اخي وصديقي نعمان، ان يتقبله مني بصدر رحب، فهو ان اطلق على (الاشتراطات الفنية المطلوبة في الحوار المسرحي الجيد) كلمة (اسلوب) وليست كلمة (لغة)، فالحوار الذي يتصف بالوضوح والتركيز، وقوة التعبير، وعمق الاحساس، وجمال الموسيقى، وغير ذلك من الاشتراطات الضرورية في الحوار الجيد، يسمى (اسلوبا) دراميا، وليس (لغة) درامية.

وهذا الاختلاف غير شكلي ايضاً، لان نتائجه خطيرة جداً، ولعل من اخطر نتائج هذا التعبير، وصف اللغة العامية بانها اللغة الدرامية !!، وتفسيركم فشل عروض توفيق الحكيم ومحمود تيمور وعلي باكثير، ومن قبلهم مارون النقاش واديب اسحق وجورج ابيض بانها كانت عروضاً باللغة الفصحى، وكان ليس في اللغة الفصحى أسلوب درامي يتميز باشتراطات الحوار المسرحي الجيد.

إن هذا يبعدنا كثيراً عن جذور مشكلة المسرح، والتي اراها تتلخص في أن اهم أسباب النجاح او الفشل هو في اختيار



رحلوا عن الدنيا متأثرين باليأس والاحباط : ميخائيل رومان ، نجيب سرور ، محمود دياب





قادوا انتعاش العشرينات المسرحي : نجيب الريحاني يوسف وهبي ، علي الكسار







توفيق الحكيم ، ومحمود تيمور ، وعلي باكثير .. وسؤال يقول : أليس في اللغة أسلوب درامي يتميز باشتراطات الحوار الجيدة ؟







المؤلف لموضوع المسرحية ، وليس في فصاحة اللغة او عاميتها . ولعل ازمة السبعينات ليست إلا مرحلة انتقال من موضوع الى موضوع ومن شكل الى شكل . تماما كما حدث للمسرح في الاربعينـــات .

وتوجد الآن ارهاصات لانتعاش مسرحي قادم ، شيء مماثل للانتعاش الذي قاده يوسف وهبي ونجيب الريحاني وعلي الكسار وزملاؤهم في العشرينات – بعد ثورة ١٩١٩ – وكان هناك وقتئذ إجماع من الشعب وقادته على ضرورة مواجهة الاستعمار والتغريب . وشيء يماثل ايضا الانتعاش الذي قادته الفرق المسرحية بعد ثورة ١٩٥٢ – وعلى راسها المسرح القومي والمسرح الحر – وكان هناك اجماع من الشعب والحكومات على ضرورة مواجهة الظلم الاجتماعي

يحدث الآن بداية اتفاق بين الشعب وقادته على مواجهة المشكلة الجديدة ، وهو اتفاق يشير الى قرب حدوث نهضة مسرحية جديدة ، وتتلخص المشكلة الجديدة في سلبية الناس وتسيبهم وضعف الانتماء . خلال السنوات الأخيرة من السبعينات ، والسنوات الأولى من الثمانينات ، كانت هناك فجوة عميقة بين الناس والحكومة . كان كل منهما يتصور ان الآخر هو العدو الأول للاصلاح ، وكان العدو الحقيقي قد اخفى نفسه عن الاثنين ، وكأنه يلبس طاقية الاخفاء ، يعبث مرة بالحكومة ، ومرة بالشعب ، فيجعل كلا منهما يتهم الآخر بانه أصل العبث ، كما يحدث في الأفلام الهزلية ، الى ان تنبه الاثنان الى اصل العبث .

على مؤلفي مسرح الستينات ان يتنبهوا الى هذا اللون الجديد من الصراع ، والى ان الشكل المرتقب للمسرح الجديد سيكون اكثر وضوحا واقل نعومية من مسرح الستينات ، ذلك المسرح الذي كان يقوم في اغلبه على الأشكال الاوتشركية والرمزية .

ان شكل المسرحية يتاثر اولا بموضوعها وثانيا بوسائل الاتصال المنافسة ، فعندما كان مسرح العشرينـات بلا منافس تقريبـا إذ لم يكن قد انتشر الراديو والسينما – وكانت الموضوعات الغالبة حينئذ هي التهكم على ظاهرة التفرنج ، او التنبيه الى مخاطر الاستعمار ، كان الشكل الغالب للمسرحية هو المهزلة الصاخبة او الميلودراما الصارخـــة . وعندمـا كان المنافس الأول لمسرح اواخر الخمسينات وأوائل الستينات هو السينما ، كان الموضوع الغالب هو الصراع العميق بين طبقات شعب واحد ، كان الشكل الغالب في المسرحية هو الرمز ، والكوميديا الخالية من الصراع العنيف والقصة المثيرة .

لهذا يجب أن يدرك مؤلفو المسرح الجديد ان النهضة المسرحية القادمة (وقد اتت في ظل منافسين جديدين ، هما التليفزيون والفيديو ، والصراع فيها ضد عدو خارجي شرس) ستعتمد على مسرحيات مختلفة تماماً عن مسرحيات الستينات .

●●

اخي وصديقي نعمان

هل أغامر واختلف معكم للمرة الثالثة ، فاقول لكم ان تركيزكم – في الفترة الاخيرة – على اعتبار (غياب الحرية) هو السبب الأول لأزمة المسرح ليس صحيحا كله .

نعم ! ان المسرح لا ينتعش إلا في ظل مناخ يتفق فيه الشعب مع الحكومة على اهمية التعبير عن المشكلات الحقيقية للبلاد ، ولكن هذا لا يعني بالضبط «الحرية» .

فانتعاش المسرح المصري – مثلا – في النصف الثاني من الخمسينات والنصف الأول من الستينات ، لا يعني ان مصر كانت تنعم بمناخ تسوده الحرية الكاملة في ذلك الوقت ، ولكن يعني ان حكومة الثورة قد اتحدت أهدافها مع اهداف مجموعة من المؤلفين المسرحيين المجيدين الذين آمنوا باهداف الشعب حينذاك ، وانت طبعا على رأسهم .

كذلك فان الأزمة الحادة التي مر بها المسرح العربي خلال السبعينات ، لا تعني ان الحرية كانت مفقودة تماما في ذلك العقد وانما تعني عدم تبلور الاهداف ووضوح الرؤيا .

ونحن هنا نتكلم عن المسرح الجاد . اما المسرح الهزلي الهابط ، فهو كالكباريهات ، ينتعش إذا امتـلأت جـيوب عملائـــه بالأموال ، وانتعاشه يعني انحطاط البلاد ، فليس هناك ما هو اخطر على الحضارة من ذهاب الأموال إلى هؤلاء الناس .

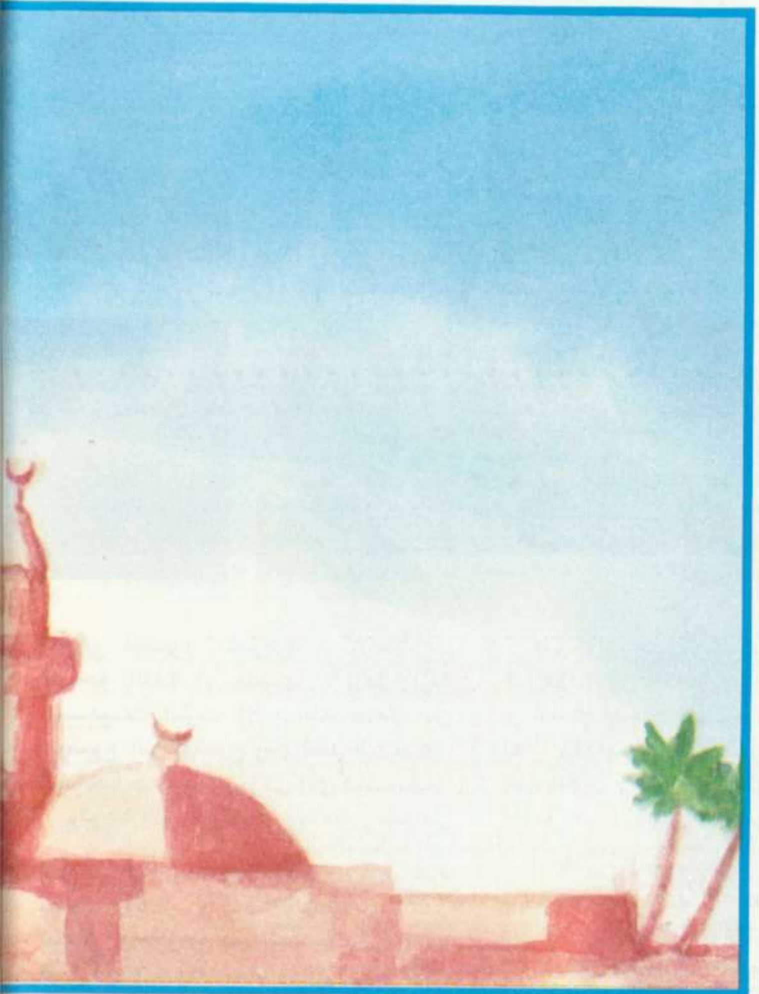
إن ترديد مؤلفي مسرح الستينات الاتهامات للرقابة على المصنفات الفنية ، ووضعهم كل اللوم على غياب الديمقراطية يبعدهم عن الأسباب الحقيقية للازمة .

عزيزي نعمان

هل اختلفت معكم كثيراً ؟ ... لا باس .. فاختلاف الاصدقاء المخلصين او اتفاقهم ليس له إلا غرضٌ واحدٌ : هو الوصول الى الحقيقة .

والسلام .

عبـــــاس خضـــــر



نساء الفرنجة في الأدب الشعبي العربي

في خلال الحروب الصليبية وقبلها وبعدها اختلط العرب بالعجم ، وصارت بينهم صلات اجتماعية ذات طابع اسلامي ، **بعيداً عن الحروب وويلاتها ، ونرى في ادبنا الشعبي كثيراً من هذه العلاقات ، نرى بنات** الروم يتصلن بفتيان العرب ، ويكون بينهم **مغامرات وحكايات ، ينتهي معظمها نهايات سعيدة ، بالزواج وانجاب الصبيان والبنات** بعد ان تدخل الزوجة الافرنجية في دين الزوج المسلم : دين الاسلام .

وهذا جانب اجتماعي للحروب واحتكاك المحاربين من عرب وروم ، وهو جانب اكثر عمقا وثباتا من المعارك الحربية ، فالحرب تكون سجالا بين الفريقين ، يقع البلد في يد فريق ، ثم ينتزعه منه الفريق الآخر . أما الزوجة فقد استقرت عند زوجها ، وانجبت منه ، وصارت جذراً من جذور المجتمع .

الصعيدي والافرنجية

تحكي شهر زاد في الليلة الرابعة والتسعين بعد الثمانمائة ، فتقول للملك شهريار :

يحكى ان الأمير شجاع الدين محمد والي القاهرة قال :

بتنا عند رجل من بلاد الصعيد حيث ضيفنا واكرمنا ، وكان ذلك الرجل اسمر شديد السمرة ، وهو شيخ كبير ، وكان له اولاد صغار بيض بياضهم مشرب بحمرة ، فقلنا له :

يا فلان ، ما بال اولادك هؤلاء بيضاً وانت شديد السمرة ؟

فقال :

امهم إفرنجية .. اخذتها من بلاد الشام ، ولي معها حديث عجيب ..

ـ اتحفنا به .

ـ كنت قد زرعت كتاناً في هذه البلدة ، ثم حصدته وانفقت عليه خمسمائة دينار ، ثم اردت بيعه فلم اره يكسب شيئاً . فقالوا لي : اذهب به الى « عكا » وانت تربح فيه ربحاً عظيماً . وكانت عكا في ذلك الوقت في يد الافرنج ، فذهبت به الى هناك ، وبعته بثمن كبير ، ولكن باجل ، بدفع الثمن بعد ستة أشهر .

المرأة والعجوز

وفي اثناء ذلك وانا في السوق مرت بي امراة افرنجية ، ونساء الافرنج كما تعلمون يمشين في الاسواق بلا نقاب . ارادت ان تشتري مني كتاناً فرايت من جمالها ما بهرني وشدني اليها ، فبعت لها شيئاً من الكتان ، وتساهلت في الثمن متاثراً بجمالها ، فاخذته وانصرفت .

ولم تذهب صورتها من خيالي ، حتى عادت الي بعد ايام ، فبعت لها شيئاً آخر ، وتساهلت معها اكثر من المرة الأولى . ثم كررت مجيئها الى ، ولم يخف عليها إعجابي بها . وقد اعتادت ان تمشي مع امراة عجوز ، قلت للعجوز وقد انتحيت بها جانبا :

ـ اني احب هذه الفتاة ، شغفت بها ، هل تتحيلين لي في اللقاء بها ؟



— اتحيل لك في ذلك ، ولكن هذا السر لا يخرج من بين ثلاثتنا : انا وانت وهي .. ولابد من ان تبذل مالا .

— اذا ذهبت روحي في سبيل لقائي بها فما ذلك بكثير ..

واتفقنا على ان ادفع لها خمسين دينارا ودفعتها اليها عن طيب خاطر .

قالت العجوز :

— هيىء موضعا في بيتك ، وستجيء اليك في هذه الليلة .

مضيت وجهزت ما قدرت عليه من ماكل ومشرب وحلوى وشمع ، وكانت داري مطلة على البحر ، وكان الزمن صيفا ، ففرشت على سطح الدار ، وجاءت الافرنجية ، فاكلنا وشربنا ، وتقدم الليل فجلسنا تحت السماء والقمر يضيء ، وصرنا ننظر خيال النجوم في انعكاسه على ماء البحر .

قلت في نفسي :

« اما تستحي من الله عز وجل وانت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصي الله مع إفرنجية وتستوجب عذاب النار ! اللهم اشهدك اني قد عففت عن هذه الافرنجية في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك » .

وغرقت في النوم وانا مستريح الضمير ، فقامت هي في السحر دون ان اشعر بها ومضت الى حال سبيلها ..

فلما اصبح الصباح لم اجدها ، فحمدت الله وتوضات وصليت ، وذهبت الى حانوتي في السوق . ولم يمض إلا قليل من الوقت حتى رايتها هي والعجوز تمران بي ، ولمحتها غضبى .. وكانها القمر !

كاد عقلي ان يطير ، إذ عاودني الوجد والهيام .. قلت في نفسي :

« من انت حتى تترك هذا الجمال ؟ هل انت العابد الزاهد كالسرى السقطي او بشر الحافي او الجنيد البغدادي او الفضيل بن عياض ؟ ! »

غادرت مكاني في الحانوت ولحقت بهما تباطات العجوز حتى لحقتها ، قلت لها :

— إرجعي الي بها ..

قالت العجوز كانها تؤنبني :

— وحق المسيح ما ترجع اليك الا اذا دفعت مائة دينار .

اعطيتها مائة الدينار ، وجاءت الي مرة ثانية ، فلما صارت عندي رجعت الى تلك الفكرة ، وداخلني الشعور باني مقبل على ذنب عظيم .

الرغبة والتعفف

عففت عنها ، وتركتها .

ولما كنت في السوق صباح اليوم التالي عبرت تلك العجوز وهي غضبى .. قلت لها

— هلا رجعت بها الي ..؟

قالت وهي لا تزال في غضبها :

— وحق المسيح ما تفرح بها بعد ذلك إلا بخمسمائة دينار او تموت كمدا ..

نساء الفرنجة في الأدب الشعبي العربي

فارتعدت لذلك ، وحرت في امري بين الرغبة في المراة والمبلغ المطلوب ، بل كانت الحيرة في الحقيقة بين الرغبة في المراة والتعفف وخشية الله .

وبينما انا كذلك اذا المنادي ينادي :

– يا معشر المسلمين ، ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انتهت ، وعلى من هذا من المسلمين الغرباء أن يرحلوا الى بلادهم في خلال اسبوع يقضون فيه حاجاتهم وينصرفون .

انقطعت العجوز ، واخذت في تحصيل ثمن الكتان الذي اشتراه مني الناس ، واسرعت في بيع ما بقي باي ثمن .

ثم خرجت ومضيت الى دمشق ، وكان معي بعض البضاعة فبعتها بثمن اكبر ، لانقطاع وصول السلع بسبب انقضاء الهدنة ورجوع الحرب . كل ذلك وفي قلبي من الافرنجية ما فيه من شدة المحبة وعظيم الشوق .

الملك الناصر والافرنج

واردت ان اسري عن نفسي واشغلها عن ذلك ، فاتجرت بما معي من مال في الجواري عسى ان يذهب ما بقلبي من الافرنجية ، ومضت ثلاث سنوات وما زلت اشعر بالحنين اليها .. جرى للملك الناصر مع الافرنج ما جرى من الوقائع ، ونصره الله عليهم ، واسر ملوكهم وامراءهم ، وصارت بلاد الساحل كلها في ايدي المسلمين .

وردت علي تجارتي في الجواري اموالا كثيرة ، فقد كان انتصار المسلمين مدعاة الى كثرة السبي من بنات الافرنج ، كنت اشتري الواحدة بعشرة دنانير وابيعها بمائة . اتفق ان جاءني رجل وطلب مني جارية للملك الناصر ، وكان عندي جارية حسناء ، فعرضتها عليه ، فاشتراها له مني بمائة دينار ، وقال : ليس معي الآن إلا تسعين ديناراً خذها وتبقى لك عشرة . ولما طلبتها لم يجدوا في خزانة الملك ذلك اليوم شيئا ، لانه انفق الأموال جميعها في حرب الافرنج ، فاخبروه بذلك ، فقال : امضوا به الى خزانة السبي ، وليأخذ واحدة من بنات الافرنج في العشرة دنانير ..

اخذوني الى خزانة السبي فرايت هناك الجارية الافرنجية التي كنت تعلقت بها في عكا ، عرفتها حق المعرفة ، وكانت امراة فارس من فرسان الافرنج ، فقلت : اعطوني هذه ، فاخذتها ومضيت الى خيمتي ، وقلت لها :

— اتعرفينني .

— لا .

— انا صاحبك الذي كنت اتاجر في الكتان بعكا ، وجرى لي معك ما جرى .

— آه .. تذكرتك .

— اخذت مني الذهب ، وقلت على لسان العجوز ما تنتظرني إلا إذا دفعت خمسمائة دينار ، وقد اخذتك ملكاً بعشرة دنانير ..

فجزعت اشد الجزع ،

– هذا سر دينك الصحيح ، اشهد ان لا اله إلا الله وان محمداً رسول الله .

اسلمت وحسن اسلامها ، فقلت في نفسي والله لا امضي اليها إلا بعد عتقها وزواجها وذهبت الى القاضي ابن شداد ، وحكيت له ما جرى ، فعقد لي عليها .

حملت مني وعاشت معي على احسن حال . وبعد مدة اعلن ان الملك يطلب الاسرى والسبايا تنفيذاً لاتفاق وقع بينه وبين امراء جيش الفرنجة يقضي برد الاسرى من الجانبين ، ورد من كان في حوزة المسلمين من الرجال والنساء ، ولم يبق إلا المراة التي عندي . قالوا ان امراة الفارس فلان لم تحضر ، وسالوا عنها ، والحوا في السؤال ، فاخبروا انها عندي ، فطلبوها مني ، فجزعت اشد الجزع ودخلت عليها ، فلاحظت تغير لوني ومااعتراني ، فقالت لي :



– مالك وما الذي اصابك ؟

– جاء رسول الملك ياخذ الاسرى جميعهم ، وطلبوك مني .

– لا باس عليك ، اوصلني الى الملك وانا اعرف ما اقول له بين يديه .

فاخذتها وذهبت بها حتى كنا امام الملك الناصر ورسول الافرنج جالس على يمينه .

فقال لها الملك :

– قد فك الله اسرك ، وجاء هذا الرسول لياخذك الى بلادك .

– اني قد اسلمت وتزوجت هذا الرجل ، وقد حملت كما ترون بطني .

فقال الرسول :

– ايهما احب اليك هذا المسلم ام زوجك الفارس فلان ؟

فقالت له :

– هذا المسلم احب الي .

فقالوا لي :

خذ امراتك وامض .

صندوق من أمها

وارسل رسول الافرنج خلفي رجلا يقول لي :

– ان امها ارسلت اليها هذا الصندوق ، فخذه وسلمه لها .

– ولما كنا في الدار تسلمت الصندوق وفتحته ، فراينا فيه ثيابها ومعها الصرتان : احداهما بخمسين ديناراً والأخرى بمائة دينار ، وهي الدنانير التي دفعتها اليها في عكا .

حمدت الله تعالى ، وهي تعيش الآن معي ، وهي التي صنعت لكم هذا الطعام وهؤلاء الاولاد منها .

وادرك شهر زاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح .

هذه القصة تشبه قصص الكاتب الفرنسي « جي دي موباسان » رائد القصة القصيرة الحديثة في العالم ، وتشبه كذلك قصص الجاحظ عن البخلاء ، من حيث التمهيد للحكي بعقد مجلس يدور فيه الحديث حتى ينبري احد الجالسين فيحكي ما حدث او شاهده .

الشرق والغرب في الادب والفن يلتقيان ، مهما بعد المكان واختلفت الأوطان . وهكذا الناس جميع الناس ، ان فرقتهم السياسة والحروب جمعتهم الفنون والآداب .

عباس خضر

دمى

شعر: محمد الظاهر



إذا فَرَّ منْ رئتي والتجأْ
لهذا القميصِ المطرَّزِ بالوحلِ والطعناتْ
وحاصرني بالوميضِ المتوَّجِ في الحدقاتْ
واشعلَ في الأرضِ قنديلهُ وانطفأْ
وحكَّ جـدارَ الصـدأْ
وأَسْندَني وَانـكفأْ
هلْ أقولُ دمي جاهلٌ بالتضاريسِ
أو غافل عن طقوس اللغاتْ

° ° °

تَحمَّلْتهُ
كانَ عبئِي الذي لا يُرى
والرهانَ الذي راوَدَتْهُ القبائلُ منْ الفِ عامٍ وعامْ
كلَّما طلبَتْ وُدَّهُ ، وَرمَتْهُ بداءِ الفصامْ
تناثرَ في جسدي شجرا
وَأَوْغلَ كالنَّسغِ شدَّ اليهِ العُرى
وأَعلى كيانَ التحوُّلِ منْ بينِ هذا الرُّكامْ
وظلَّ عَصِيّاً على أنْ يباعَ وَأنْ يُشترى

° ° °

كُلّما هجتُه تَتوَهَّجُ في داخلي اللذةُ الغامِرَةْ
فَيمْنَحُني الانْفعالَ البرىءْ
قاتـمٌ ومضــيءْ
خامـدٌ وجـرىءْ
يباغتُني في المَجــيءْ
ويكسرُني عندما يتحوَّلُ في صفحةِ الذّاكرَةْ

° ° °

اذا فرَّ منْ رئتـي سـيِّدي
وصارَ صديقَ المسافةِ والانهارِ وفاتحةَ للغدِ
سَيَخْطِفُني منْ يَــدي
يُعَمِّدُني في الجحيمِ ويصهرُني كالحديدْ
وُيبْدِعُني منْ جديــدْ

احــــذروا.. المضــــادات الحيويــــة خطــــر!

علاج جديد
يمنع الإصابة بالحساسية

بقلم: الدكتور نبيل سليم

توصل عالم فرنسي مع فريق من اطباء مستشفى « نيكر » الى أسرع وأسهل طريقة لتحديد نوع المواد المسببة للحساسية ، والطريقة الجديدة التي لا تسبب أي متاعب للمريض بل تجعل العلاج أكثر سهولة .

العالم الفرنسي وهو يجري اختبارات تجربته العلمية المثيرة في المعمل القومي للصحة والابحاث الطبية في باريس



ولكن كيف تتم هذه الطريقة التي سوف تنتشر قريبا في كل دول العالم ؟ وما هي اخر ابحاث علاج الحساسية ؟ .

لقد تركزت تجربة الدكتور جاك بنفينيست المسئول عن الأبحاث في المعمل القومي للصحة والأبحاث الطبية في باريس مع فريق من الأطباء حول نوع من كرات الدم البيضاء تسمى « بازوفيل » Basophil وهي المسئولة عن الاصابة بالحساسية في جسم الانسان ، فعندما تتفاعل هذه الكرات البيضاء مع مادة مسببة للحساسية ، تخرج منها ذرات صغيرة تحمل مواد كالهستامين (Histamine) التي تسبب الالتهابات المقرونة بالحساسية Alergosis .

والبازوفيل له من الخلايا التي تقبل الصبغة القاعدية فهو عندما يتفاعل مع إحدى الاصباغ القاعدية يصطبغ باللون الاحمر ويفقد هذه الخاصية عندما يتفاعل مع المواد المسببة للحساسية التي تسبب خروج الذرات الصغيرة الحاملة للهستامين منه .. ومن هنا بدأ « د . جاك بنفينيست » تجاربه وتوصل الى ان ياخذ بضع نقط من دم شرياني من ذراع مريض الحساسية ووضعها في انبوبة اختبار تحتوي على محلول يمكنه تحطيم كرات الدم الحمراء ، وكذلك تلوين « البازوفيل » باللون الاحمر ، ثم اخذ كميات صغيرة من هذا المحلول



البازوفيـل



الزجاجة اليسرى هي التي بها المادة المصنعة للعلاج

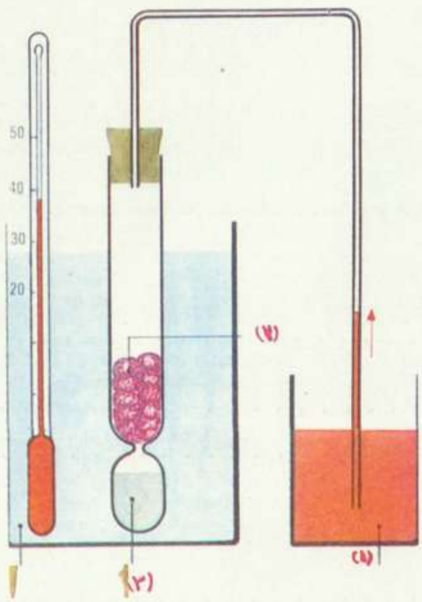
وجعلها مع المواد المختلفة المسببة للحساسية ، وكلما فقدت العينة اللون الاحمر دل ذلك على ان المريض لديه حساسية من هذه المادة ، وعلى ذلك ، يمكن بواسطة عينة صغيرة من الدم تحديد نوع المواد المسببة لحساسية صاحب العينة وكذلك مدى حساسيته لهذه المواد .

وهذه التجربة ستكون قريبا في خدمة الأطباء في كثير من دول العالم وسوف يتم تداولها تجاريا على شكل صندوق اختبار صغير يحتوي على زجاجة بها مادة ملونة هي « صبغة التوليدين الأزرق » ، وكذلك مجموعة من انابيب الاختبار البلاستيك بها مادة تمنع تجلط عينات الدم المأخوذة من المريض ، كما تحتوي على شرائح مصفوف عليها عينات المواد المسببة للحساسية .

مميزات التجربة

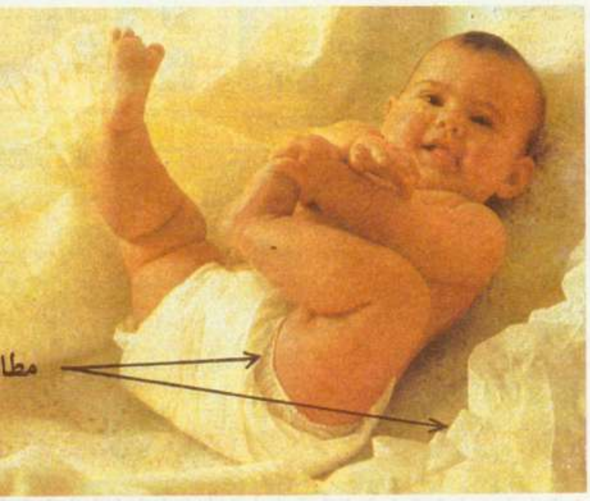
ومن خصائص التجربة انها لا تعرض المريض نفسه للمواد المسببة للحساسية مثلما يحدث في التجارب الحالية ، وبالتالي لا تعرضه لأزمات حساسية شديدة قد تصل الى مرحلة الخطورة كما في حالات الربو وهي حساسية الرئة ، وانما تتطلب التجربة فقط ٣٫٥ ملليمتر كعينة من دم المريض ، وهي تعطي نتائج محددة عن نوع وكمية المواد المسببة للحساسية للمريض باختلاف انواعها بما في ذلك الرطوبة والاتربة وشعر الحيوانات ولدغ الحشرات والادوية والغذاء وكل ذلك بدون تعرض المريض لأي خطر .

وتتميز التجربة فوق كل ذلك بانها قليلة



تجربة العالم الفرنسي التي يتم بها ترسيب المادة المصنعة في المعمل والتي تحقن لعلاج حساسية البنسلين

التكاليف وتعطي نتائجها في ساعة واحدة ولا يوجد حتى الآن علاج حاسم للحساسية سواء استخدم المريض ادوية الحساسية العادية او لم يستخدمها ، ولذلك تهدف أبحاث العلماء الآن إلى إيجاد طريقة تمنع الاصابة بالحساسية ، وقد تركزت تجاربهم للوصول الى هذا الغرض على الخلية نفسها ، وقد اقترب العلماء من ايجاد نظام للعلاج يعمل على سطح خلايا « البازوفيل » هذا وقد استطاع علماء من جامعة بيرن من منع تشابك خلية « البازوفيل » مع جزيء البنسلين الذي يسبب حساسية لبعض



الثياب المطاطية من اكثر مسببات الحساسية عند الاطفال

المرضى وذلك باستخدام « البنسيلويل » وهو أحد جزيئات البنسلين والمسئول عن حدوث الحساسية ، وجعله يتحد ببعض الجزيئات الاخرى مما يحول دون تفاعله مع البازوفيل ، ويتم بعد ذلك حقن هذه المادة المصنعة في المعمل لمرضى لديهم حساسية من البنسلين .

وقد نجحت هذه المادة الجديدة في علاج المرضى دون ظهور حالات حساسية بنسبة ٨٠٪ بينما ظهرت على ١٠٪ من المرضى حساسية من المادة الجديدة ، وهناك ابحاث اخرى تهدف الى منع سطح خلية « البازوفيل » من اتخاذ اشكال معينة تساعد على اتحاد الجزيئات المسببة للحساسية فيها مما يسبب خروج الحبيبات الصغيرة منها وتظهر بسببها أعراض الحساسية على المريض .

ومن جهة اخرى ما زال البحث العلمي يتقدم في سبيل القضاء على الآثار الجانبية لكل المضادات الحيوية ، وهذه

علاج جديد
يمنع الإصابة بالحساسية



تقول الأبحاث العلمية الحديثة ان «التتراسكلين» ومشتقاته لها خواص سامة خطيرة في حالات متعددة .

احدى محاولات العلم من اجل الحد من اخطار استعمال التتراسيكلين ، وان كنا نعلم جميعا ان هناك مضادات حيوية اخرى لها اضرار جانبية لا تقل خطورة عن التتراسيكلين ، ولكن اخطار التتراسيكلين الشديدة والتي انتشرت بشكل مزعج هي التي حدت بقسم المعلومات العلمية التابع للسكرتارية الفنية لقطاع الدواء بمنظمة الصحة العالمية الى إصدار بحثا او نشرة علمية عن خطورة إساءة استخدام التتراسيكلين وتاثيره السام في الانسان عموما والسيدات الحوامل والاطفال بوجه خاص .

ذو الأقنعة الخطيرة

ويباع التتراسيكلين في الأسواق حاملا اسماء كثيرة اهمها «السيجماميسين ، والفيبراميسين ، والهوستاسيكلين ، وسيجماسيد ، والتتراسيد ، وهذه الانواع تكون في صورة بودرة او كبسول ، اقراص ، امبولات ، قطرة ، معلق ، مراهم ولبوس .

ويقول البحث ان التتراسكلين استخدم على نطاق واسع وبنجاح منذ اكثر من ١٧ عاما على انه مضاد حيوي مامون عند استخدامه باعتدال لمدة قصيرة ، وفي بعض حالات النزلات الشعبية الحادة التي تتطلب مدة اطول في العلاج ، فان الأعراض الجانبية التي تظهر على المريض تكون بسيطة إذا كانت صحته العامة جيدة، واكثر هذه الأعراض الجانبية انتشاراً هي الدوخة والقيء والاسهال ، ويمكن التغلب عليها إذا تناول المريض الدواء بعد الاكل

وهي تزول بعد نهاية العلاج مباشرة .

ولكن هناك حقائق جديدة بدات في الظهور بعد ذلك وهي ان التتراسكلين ومشتقاته لها خواص سامة خطيرة في حالات متعددة .

ففي عام ١٩٦٣ وجد العالم دوجلاس ان ٦١ مريضـــا ممن عولجـوا بواسطـــة التتراسكلين من امراض حادة في الجهاز التنفسي ، ظهر ترسيب للدواء في اظافر ايديهم وارجلهم ، والاغرب من ذلك ان ضمن هؤلاء المرضى ٦ سيدات حوامل ، وجد ان اطفالهن فقدوا ـ عندما بلغوا سن التسنين ـ لون الأسنان الطبيعي ، مما يدل على ان ترسيب التتراسيكلين حدث في المشيمة واستمر لمدة طويلة بعد ذلك .

ومما يؤكد ذلك ان العالم كوهلان كان يجري في نفس الوقت ابحاثا عن الترسيب واسبابه ، على اجنة الحيوان والانسان ، واثبت ان مادة التتراسيكلين تخترق المشيمة بسرعة وسهولة ، وتتداخل في تكوين ونمو الهيكل العظمي ، وإذا استخدم فى علاج الحوامل خلال الاشهر الاخيرة من الحمل ، فانه يترسب في الهيكل العظمي للجنين البشري ، ويؤثر في نمو العظام ، وفي تاخر نمو الجسم عموما .. ولكنه لم يسبب اي تشوه فى العظام إلا في حالة واحدة ولد فيها الطفل مشوه الذراعين ، وكانت امه قد تناولت التتراسيكلين لمدة اربعة ايام في بداية حملها .

وقد ثبت ايضا علاقة التتراسيكلين بالاصابة بتليف الكبد والمرارة مما يؤدي في بعض الأحيان إلى الوفاة .

وتناول كمية كبيرة من التتراسيكلين لمدة طويلة يؤدي إلى الاصابة بالسرطان والجلطات الدموية وارتفاع ضغط الدم داخل المخ وارتفاع درجة الحرارة . كما يؤثر في الاصابة بمرض السكر .

تحذير

ويمكن الآن ان نقول إنه لا يجب على الاطلاق استخدام التتراسيكلين إلا تحت إشراف دقيق من الطبيب وفي الحالات القصوى التي لا يفيد فيها العلاج بواسطة المضادات الحيوية الاخرى ، وخاصة عند السيدات الحوامل والاطفال ، وما هو جدير بالذكر أن اتحاد الادوية الفيدرالي يمنع استخدام التتراسيكلين في نفس الوقت مع مضاد حيوي اخر لانه لا يعود بالفائدة في علاج المريض ، إذ ربما يتسبب إلى حد كبير في ظهور اعراض جانبية سيئة ومتزايدة في هذه الحالة .

نبيل سليم

خيبة أمل شهرزاد

شعر: حسن شكري فلفل



وحين يطلعُ النهارْ
تعودُ للمحارِ شهرزادْ
وتسكتُ الحكايا
وينزوي لِصَقِ ذاتِهِ شهريارْ
يفتّقُ السكونْ
يسترجعُ الاحلامْ
ويقدحُ الزنادْ
فقصّةٌ يألفُها
وقصّةٌ تُعادْ
وليلةٌ جديدةٌ
بخورُها
فى عالمِ المزادْ
اجواؤها والمِسْكُ والدخانْ
فى عتمةِ السكونِ والجمادْ
يُتابعُ الشُطّارْ
فى قاربِ البحّارْ
وينتشى

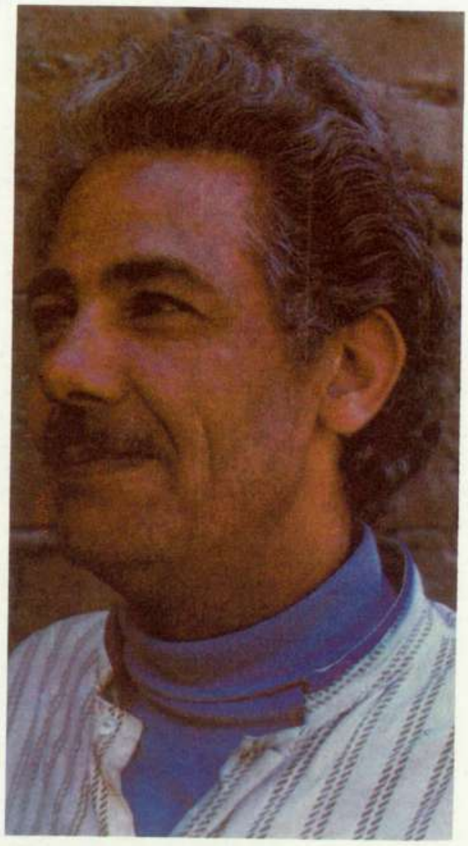
محاولا أن يُدرِكَ الأسرارْ
لكنَّ شهرزادْ
يُدرِكُها النهارْ
وينزوي لِصَقِ ذاتِهِ شهريارْ

ترجيعة :

يا شهرزادُ كفـــاكِ قصّةَ فارس
فتكتْ بـــــه الأرزاء والأنـواءُ
قُصّي على ذاك العليلِ حكايـةً
تُغْنِيــهِ عمّـــا يرتجيه الـداءُ
فهو المـــريضُ ولا رجـــاءَ لبُرئه
اســـتفحلتْ فى ذاتِــه الأدواءُ
ما داك طَـــرْحَ فراشِـهِ وهُمومِـه
هــل يُرتجى بُرْءٌ له وشِــفاءُ ؟



عازف الربابة .. إحدى لوحاته البديعة التي استقاها من وحي الفن الشعبي في الريف



الفنان الفطرى محمد على.هجر حي الصاغة ليتفرغ للفن

محمد علي.. فنان فطري

صائغ الذهب الذي اتجه إلى الرسم

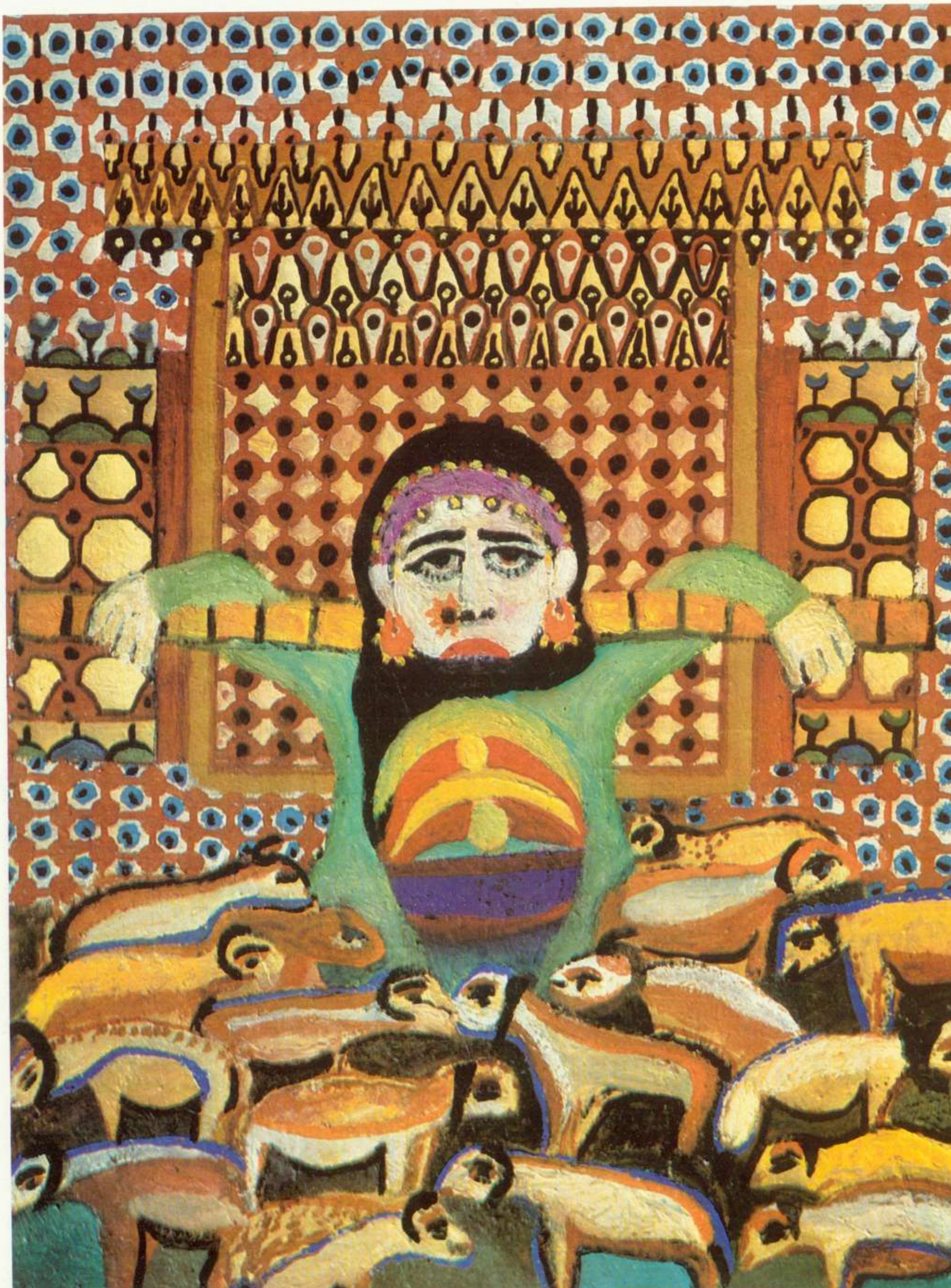
- ترك مهنته في حي الصاغة، ليقيم أول معارضه عن مأساة الشعب الفلسطيني
- لا يتقيد بالواقع، ولديه قدرة واضحة على استخدام الألوان في صخب وقوة
- عالمه البساطة والشوارع الضيقة والحيوانات الخرساء، وهو لا يعرف الابتسامات المصنوعة ولا المظاهر الخادعة

بقلم: صبحي الشاروني

شارع الأزهر يزدحم جانباه بسيارات النقل التي تقف لصق الرصيف لتفرغ أو تستقبل بضائعها ، أما نهر الشارع فمزدحم بالسيارات التي تتابع متباطئة لكثرتها ... ومن هذا الشارع العريض يتفرع شارع « الغورية » العتيق المزدحم بالبشر والحوانيت الصغيرة المتجاورة وعربات باعة اللبان والعطارة والبخور والبضائع الملونة .

عندما تنحرف يساراً لتدخل شارع « حوش قدم » تنتقل فجأة من هذا الجو الصاخب الى شارع هادئ ضيق متعرج ، تحده جدران قديمة مرتفعة تشير الى تاريخه ، وتخف حدة الضوء الساطع ، ومنه تتفرع حارة « حوش قدم » حيث المنازل المتهالكة وكأنها تتعانق أو تتساند .. تدخل احداها لتصعد على درجات متآكلة ، وتعبر ممرات مظلمة لتصل في النهاية الى حجرة الفنان « محمد علي » .. عرضها متران وطولها ثلاثة أمتار وبها نافذة ضيقة وحيدة مرتفعة ، في هذه الحجرة المزدحمة ينام الفنان ويأكل ويعيش ويرسم ...

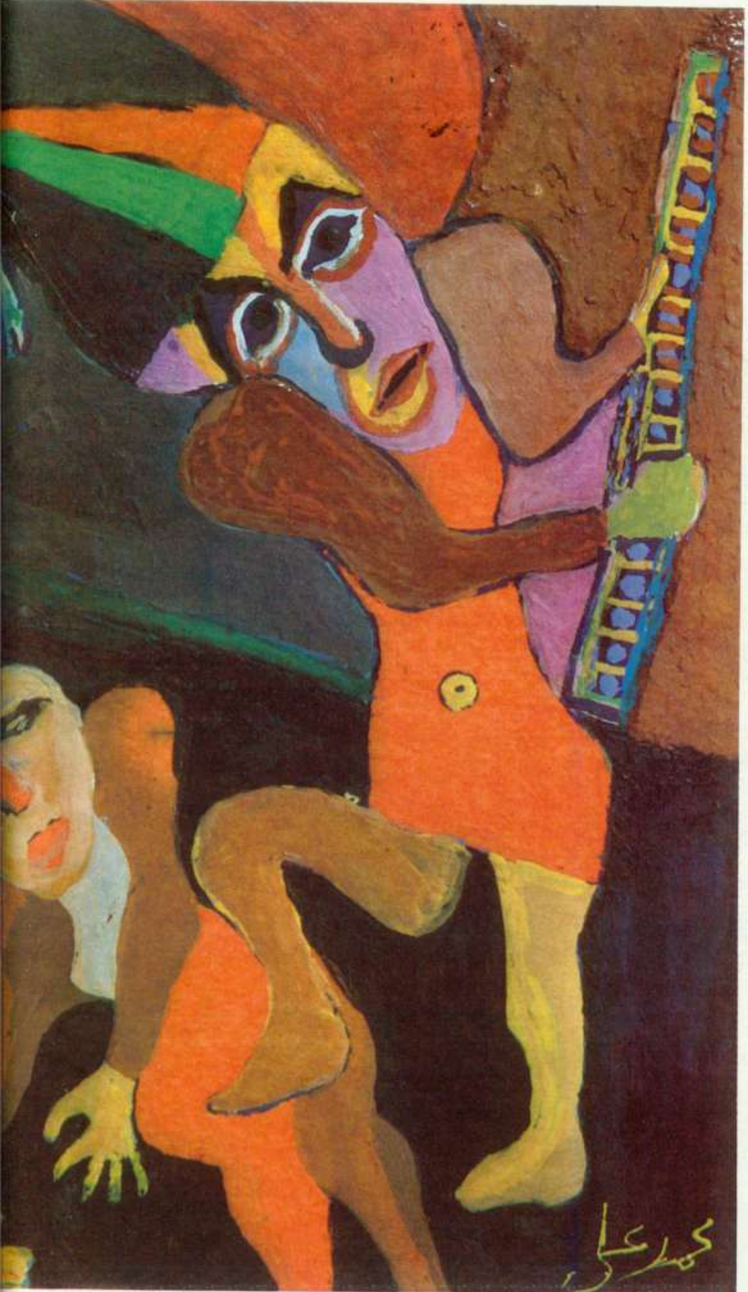
الجدران مغطاة بلوحاته الملونة ، وفي أحد أركان الحجرة بقية اللوحات مكدسة فوق بعضها ، والفنان يستقبلك مبتسماً مرحباً ويعرض عليك أعماله بفخر مع كلمات قليلة هي اسم اللوحة والمصادر التي استوحى منها رسمه .. انه لا يعرف القراءة ، ولا يعرف من الكتابة إلا حروف اسمه ، فهو لا يجيد الحديث لكنه يجيد التعبير عن أفكاره بالخطوط والألوان .



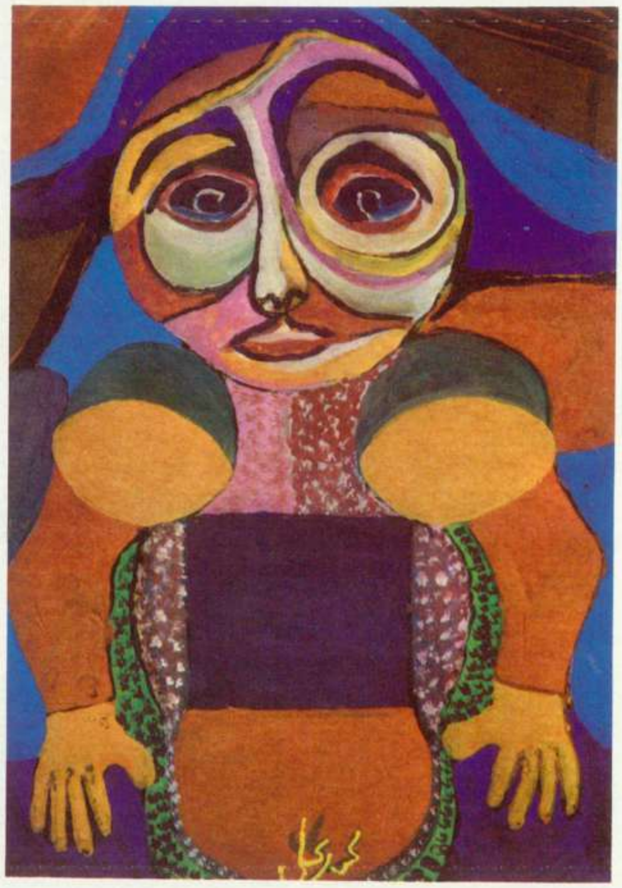
راعية الغنم .. لوحة تتميز بالتلقائية والصدق والبساطة ، مع جراة وانطلاق في الالوان

محمد علي.. فنان فطري

صائغ الذهب الذي اتجه إلى الرسم



المهرج .. لوحة لا تظهر فيها اعماق خادعة رغم ان خطوطها لا تلتزم بقواعد الفن المدرسي



الطفولة في حارته كما احس بها الفنان وقدمها في صدق وواقعية

الفن الفطري : ما هو؟

مع نهاية القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام بظاهرة الفن الفطري .. البعض يعتقد أن هذه الظاهرة بدأت مع نضج المجتمع الصناعي والبعض الآخر يتصور أنها ظاهرة قديمة لكن الاهتمام بها لم يبدأ الا منذ أقل من قرن واحد ..

كان أول الفطريين وأشهرهم هو « هنري روسو » الفرنسي (١٨٤٤ - ١٩١٠) الذي كان موظفاً بالجمارك ولذلك لقب بالجمركي .. وسمى فنه (بالفن الساذج » وهناك من يلقبه : « أشهر البدائيين » .. وفي بعض البلاد أطلق على أمثال هنري روسو اسم الفنانين « الوحشيين » .

ومع تزايد الاهتمام بهذا النوع من الفن أقامت تشيكوسلوفاكيا في مدينة براتسلافيا معرضاً دورياً دولياً في المتحف الوطني السلوفاكي مرة كل ثلاث سنوات بالتعاون مع هيئة اليونسكو منذ عام ١٩٦٦ : للفن الفطري في العالم ، وسميت الجائزة الكبرى لهذا المعرض باسم « الجمركي روسو » اعترافاً بريادته لهذا الفن.

وقد اتفق النقاد ومنظمو هذا المعرض الدولي — الذي لم تشارك فيه من الدول العربية غير العراق — على اطلاق الفن الفطري (أر — انسيتيك) واستبعاد التسميات الأخرى ، لأن السذاجة تتضمن قلة الإدراك ، والوحشية تدل على القسوة والعنف ، والبدائية لا تتفق مع سكان المدن الذين يخرج من بينهم معظم هؤلاء الفنانين.

فالفنان الفطري هو الذي لم يتلق تعليماً ، مع توفر القيم الفنية فيما يبدعه من اعمال .. انه فن ينبع من القلب ومن الغريزة مباشرة دون أي اعداد أو تدريب مدرسي سابق .. فن يمارسه أصحابه في أوقات الفراغ ، ويتميز بالنقاء وقوة التعبير.. لم ينتجه

اصحابه من أجل البيع كما هو الحال عند الفنان الشعبي ، ولا للعرض أو ليكتب عنه النقاد كما يفعل الفنانون الدارسون .. ان اهدافه تنتهي بانجاز العمل الفني .. والفنان الفطري يكتفي بالاستمتاع والتلذذ أثناء الرسم أو النحت ، ويتميز بأعلى درجات الصدق والاخلاص ، فهو يحقق التعبير أو التنفس أو التسامي بالغرائز المكبوتة ، وفي نفس الوقت تتضمن أعماله مواصفات الجمال الفني مثل : الايقاع والتوافق والتقابل والتوازن والاستقرار وما الى ذلك .

واذا كان تقييم أعمال كبار الفنانين ينظر بعين الاعتبار الى قدرة الفنان على التعبير بتلقائية عن المشاعر الدفينة ، فان أهم ما يميز الفن الفطري أنه يحقق هذا الجانب وحده .. وهو قوة التعبير التلقائي بغض النظر عن الخبرات المكتسبة على مدى تاريخ الفن .

صحيح هناك أوجه تشابه بين الفن الفطري من جانب وفنون الطفل وفنون الشعوب والقبائل البدائية وفنون الانسان الأول الذي سكن الكهوف وانتاج الفنان الشعبي الذي يجمل الأدوات والمنتجات التي يصنعها .. من جانب آخر .. لكن وجه الاختلاف بينه وبين كل الفنون يتركز في أنه ينبع من الفطرة الانسانية الصافية بدون تقليد لا للانتاج السابق ولا لمظهر الاشياء ، دون التأثر بالثقافات التي وصلت اليها حضارة الانسان أو مناهجه العقلية .

ورغم وجود صفات مشتركة بين انتاج الفنانين الفطريين أنفسهم الا أن العجب في أمر هذا الفن أن كل فنان فطري يختلف أسلوبه عن الآخرين ويتخذ مظهراً لا يشاركه فيه أحد ويتمتع بنوع من التفرد داخل اطار هذا النوع من الفن .. ويلقى اعجاباً واسعاً من جمهور المثقفين ..

الطريق الى الرسم

ولد فناننا في مايو عام ١٩٣٠ وظل حتي عام ١٩٥٢ يعمل في « الصاغة » يشكل الذهب والمعادن النفيسة صانعاً منها الأسلاك والسلاسل والحلي .. وكان يرسم عليها رسوماً فرعونية تعلمها في البداية وظل يكررها في ملل . وبدأ يحاول رسم أشياء أخرى غير تلك التي يشكلها على المعدن النفيس ، بعد أن يفرغ من عمله .

في تلك الفترة تعرف على « الشيخ إمام » الذي جاء يسكن في « حوش قدم » ، وتصادف أن سكن في نفس المنزل ، وانضم الشاعر أحمد فؤاد نجم اليهما وكانوا ثالوثاً لا يفترق . فعاشوا معاً : الشاعر يكتب قصائده والشيخ امام يلحنها ويغنيها بينما « محمد علي » يعمل في الصاغة ويصحبهما بعد أن يفرغ من عمله في المساء .

وذات يوم اقترح عليه « أحمد فؤاد نجم » أن يترك



منظر من وحي الريف بجمال خضرته وبساطة وطيبة اهله

عمله في « الصاغة » ويعمل معهما كأحد أفراد الكورس أو بمعنى أصح أن يكون هو الكورس الوحيد وضابط الايقاع ... فترك عمله وتبعهما ..

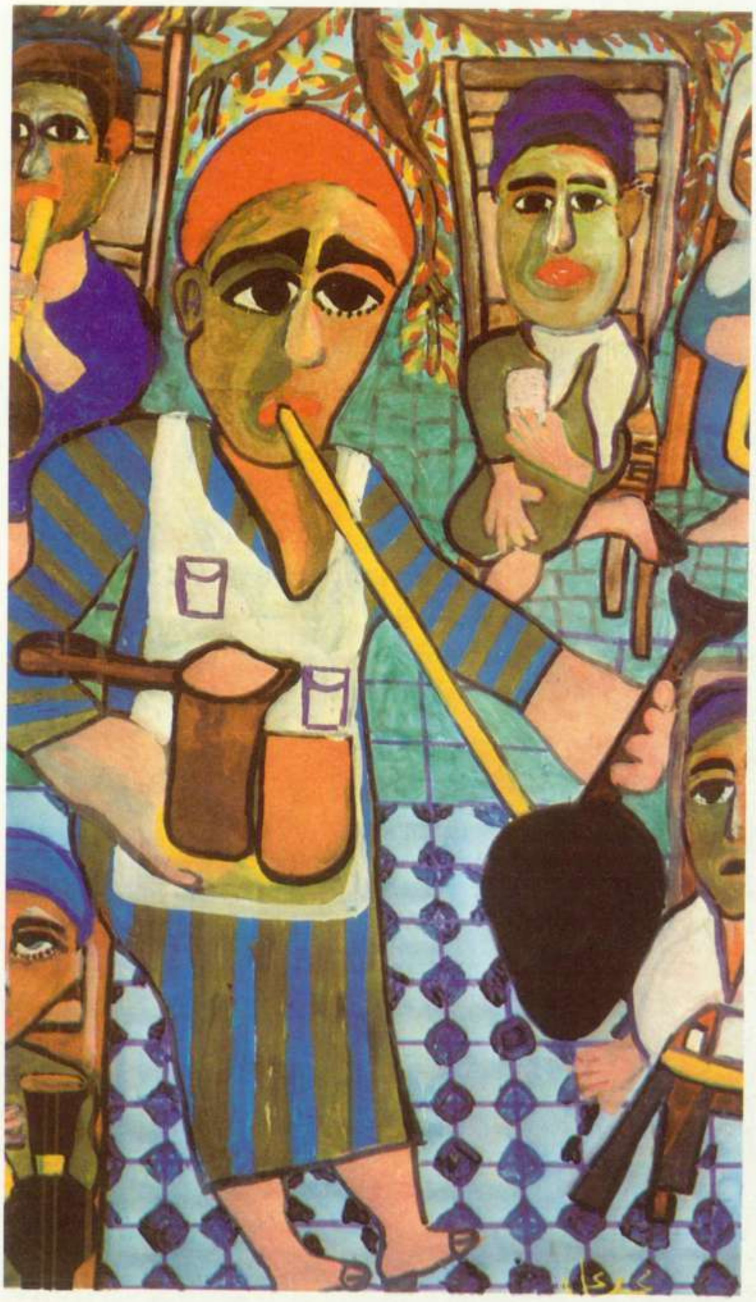
وظل حتي عام ١٩٦٨ يرسم في وقت الفراغ حتي تركة الشيخ امام والشاعر وبقي هو وحيداً .. فانصرف للرسم معظم الوقت حتي زاره أحد الفنانين وأعجب باعماله وشجعه على الاستمرار في الرسم .. فراح يرسم أقنعة ووجوهاً من مخيلته ، وفي عام ١٩٧٠ بدأ يرسم مجموعة كبيرة من اللوحات التي تصور انفعالاته وتخيلاته عن مأساة الشعب الفلسطيني وأقام أول معارضه لهذه الأعمال ، وعند انعقاد مؤتمر القمة العربي بالقاهرة زارت وفود المؤتمر معرضه ، وبيعت معظم اللوحات .وقد عاد الشيخ امام ونجم إليه في ذلك الوقت وشاهدا نجاحه .. فتفرغ تماماً للرسم ..

كانت كل لوحاته سياسية تعبر عن القصائد السياسية التي يضعها الشاعر .. إنه لا يعرف القراءة والكتابة ولكنه يستمع اليها من خلال الشيخ امام ويعتمد في رسمها على أحاسيسه فقط .. فكان أحمد فؤاد نجم يكتب والشيخ امام يلحن ويغني ومحمد علي يترجم القصائد الى خطوط وألوان .

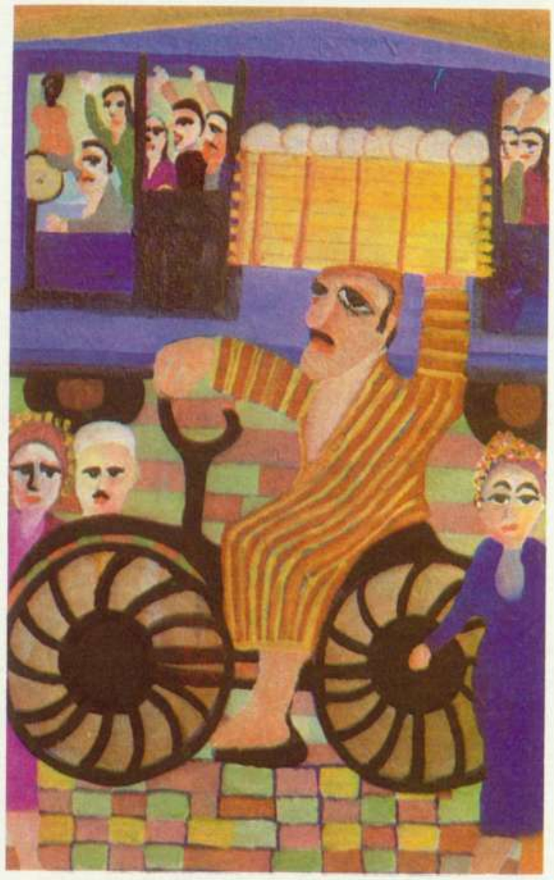
لقد غير نمط حياته ، ورغم كفاحة في الحياة

محمد علي.. فنان فطري

صائغ الذهب الذي اتجه إلى الرسم



مقهى شعبي ،حيث نرى الرؤية العفوية للفنان في عالم بهيج ملىء بالألوان الصارخة



بائع الخبز بدراجته التي يطوف بها الاحياء الشعبية

ورؤيته الصادقة للأشياء فانه راح يعبر عن كل ذلك بألوان حادة صارخة ..ثم بدأت تهدأ حدة التمرد وراح يرسم ما يعن له من أفكار خارج اطار الشعر السياسي وبدأ يعبر عما حوله .. واصبحت لوحاته متفائلة ، وان كانت تعبر عن الناس المطحونين الذين يعانون الفقر والبراءة ، فألوانه البراقة تتضمن نوعاً من الشجن ، حيث يجتمع الحزن والفرح في آن واحد .

لكنه لم يتوقف عن التعاون مع أصحاب العمر ، وقد قام محمد علي بتصميم الغلاف وعمل الرسوم الداخلية لآخر ديوان أصدره الشاعر أحمد فؤاد نجم تحت اسم « أغنيات الحب والحياة » .

مميزات فنه

لوحات محمد علي تتضمن مميزات كل الفنانين الفطريين : التلقائية والصدق والبساطة ، وهو يلتزم عادة بالبيئة التي حوله ، ولا تخرج أشكاله عن دائرة محدودة تدور حولها أعماله ، ورغم أن خطوطه لم تلتزم بقواعد الفن المدرسي التي تفرض نفسها على الفنان الدارس الا انها تبدو بسيطة في غير تكلف ، والألوان تتميز بالانطلاق والجرأة .

إنه يخلط الحقيقة بالخيال ولا يتقيد بالنسب أو قواعد المنظور ، فاللوحة عنده تحتفظ بشكلها المسطح ولا تظهر فيها أعماق خادعة .. الرؤوس عادة أكبر مما يجب .. العلاقة بين الأشخاص والأشكال مسرحية غير منطقية تمنح ابداعه طابعاً سريالياً وعاطفياً .. وفي غمرة الانفعال يقوم الفنان بالإسقاط الفوري لمشاعره وأفكاره ، المساحات كبيرة ملونة في معظم انحاء اللوحة .. ثم يتوقف عند احدى هذه المساحات وكأنه يستريح قليلاً فنرى زخرفة أو ثرثرة تشكيلية ، اذ نجده يضع تفاصيل دقيقة كزخارف الدانتلا تتخذ عادة شكلاً هندسياً فتعطي للوحة نوعاً من الطرافة والبراءة وخفة الظل كما في لوحته « راعية الغنم » .

انه لا يعرف شيئاً عن المدارس أو المذاهب الفنية وربما لم يسمع عنها من قبل ، لم يتقيد بالواقع انما قدمّ الانفعالات والاشكال المنعكسة في ذهنه عن الواقع .. يتميز بمقدرة واضحة على استخدام الالوان التي تبدو شديدة الثراء في صخبها وقوتها ..

وهو يصور المكدودين والمضحكين والمشعوذين .. مثل السقا والمداح وقارئ البخت وجمهور الأفراح والموالد ... لوحاته مزدحمة كجمهور الغورية .. فهو يعيش الحياة في الحي الشعبي الفقير ولا يتطلع اليه من الخارج ، لهذا يخرج في لوحاته جانباً مما يتضمنه مخزون الخبرات الجمالية المترسبة بشكل خافت في اعماق ذاكرة كل منا وهذا ما يجعله متواصلاً معنا .. وفي لحظات التسامي والانسجام والتلذذ بالعمل الفني يخرج من أعماقه العناصر المكبوتة تحت طبقات العقل الواعي ، لتحقق بطريقة لا ارادية وفي أشكال فنية عناصر سيريالية تهيأت الظروف لظهورها بغير افتعال .

وبالاضافة للبيئة الشعبية التي يصورها نجد الرؤية العفوية في عالم بهيج يعج بالالوان الصاخبة وهو يرسم الناس والحيوانات بمنطق واحد فتحس أنهم يعيشون في عالم من السعادة .. يقترب فنه من فنون القبائل الافريقية خاصة في تحويره للعناصر والوجوه التي تذكرنا بالاقنعة الافريقية بالوانها المتباينة .. ومن السهل أن نلاحظ التطابق بين مجموعته اللونية والوان الفنانين الوحشيين « الفوف » أمثال « جورج روو » و « هنري ماتيس » .. بل وهناك نسب بينها وبين ألوان التعبيريين .

هذا المزج نجده مجتمعاً فيما يشبه سذاجة الطفل اذ يصور عالماً من الاحلام والرؤى الكابوسية من العقل الباطن ، مما يحقق للمشاهد احساساً بالدهشة والجدة معاً ، ونحن واثقون أنه لم يقصد تحقيق كل هذه التأثيرات ، وانما جاءت عن تلقائية وفطرة ، فهي الموهبة وحدها بدون شك .

والغريب أن لوحاته تمنحنا احساساً بالمرح مرة والكآبة مرة ، والجدية أو السخرية أو الروحانية مرات .. ونلمس ذلك من الاشكال ومن خلال تكوين اللوحة وتنظيمها أيضاً .. والفنان يتردد أحياناً على معارض الفنانين الدارسين لهذا تتطور اعماله وتتجددلكنها لم تفقد أصالتها وطزاجتها بعد .



داخل بيت ريفي .. احدى اللوحات التي رسم فيها البيئة الشعبية بعيداً عن التعقيدات الفنية والمذاهب الغريبة

جمهور الفنـــان

ان معارض الفنان تزدحم بالمشاهدين وكان آخرها في بداية عام ١٩٨٤ .. وقد بيعت معظم المعروضات .. وجمهور هذا المعرض يتكون أساساً من المثقفين والفنانين ، بينما يقبل على شراء لوحاته أيضاً السياح الأجانب الذين يفدون على حجرته المتواضعة في « حوش قدم » .. أما سكان الحي نفسه فيعتبرون ما يفعله مهنة أو حرفة مماثلة لمهنهم .. لا يهتمون بتأمل أعماله أو الفرجة عليها ، فالجمهور من الطبقات المتوسطة .

ومع هذا فالفنان الفطري يعيش في عالم بعيد عن المجتمع الذي يثني على أعماله ويهتم بها ، انه ينتمي الى عالم آخر هو عالم البساطة والشوارع الضيقة والحيوانات الخرساء والناس الشعبيين الذين يدفئونه بعمق ولا يعبر عن واقعهم أحد غيره ، فهو ليس رجل القاعات المفروشة بالابسطة ، والمضاءة بالثريات ، ولا عالم الجمل المنمقة ، والابتسامات المصنوعة والمظاهر الخادعة .

لهذا أشفقت عليه عندما أكد لي أنه سيقيم معرضاً لهذه الأعمال في هولندا بالاشتراك مع فنانة هولندية زارته في حجرته ووجهت اليه الدعوة ليعرض الى جانبها هناك . وبقي أن ننتظر أثر هذه التجربة على فن محمد علي .

صبحي الشاروني



هذه الفراشة الأوربية الخضراء تتمتع بميزة لونية تجعلها تندمج وتختفي بين الأوراق!

الزهور الطائرة

- في العصور الوسطى كان الناس يخشون ظاهرة سقوط "المطر الملون" غير مدركين أنها تعني ميلاد مخلوق وديع هو الفراشة
- عدوّها اللدود "النمل" وهي تواجه خطره بإفراز عصارة حلوة المذاق!
- عالم فرنسي يطالب بالسجن المؤبّد لكل من يقتل فراشة!

محمد مروان جميل مراد



زهرة من الزهور الطائرة التي أصبحت مهددة بالانقراض في العالم ، والتي يطالب العلماء بحمايتها من أيدي هواة صيد الفراشات !

كانت السيارة ما تزال تدرج على الطريق الظليلة بين صفين من شجر باسق ، حين انتبهت من تاملي العميق على صوت مرافقي « سميث » يقول :

– .. هيه .. عش رجباً تر عجباً ..

وسرنى كثيراً أن أراه قد حفظ المثل العربى عن ظهر قلب ، ولما يمض غير يوم واحد على ترديدى له بعد زيارتنا المدهشة لمدينة « العناكب » ! ..

وكان « سميث » قد صحبني يوم أمس إلى مزرعة « بيل جون » صاحب اغرب هواية فى العالم ، وامضيت نهارى أستمع الى الشخص الوحيد فى أوربا كلها ، المهتم بهواية جمع « بيوت العناكب » وهو يسرد لي بشغف وحماس حكاياه مع هـــذه « المخلوقات الدقيقة » ويكشف أسرارها العجيبة .. لقد أسلم الرجل نفسه سنوات طويلة للطبيعة فى كل مكان ، ووقف جهده على دراسة هذه المخلوقات ، وبيوتهـــا الدقيقة ليفهمها ويتعرف على أشكالهـــا وأحجامها وتركيبها الغريب ، ولم يترك صاحبنا « مستوطنة » للعناكب فى أكثر مناطق العالم إلا وزارها ، وجمع اكبر عدد ممكن من بيوت العناكب ، وحفظها بطريقة علمية ، لا تغير لمسة فى تركيبها الرائع وهندستها الفنية ، ثم قام بتطوير هوايته ، حين عمل على تربية العناكب بنفسه وتوفير الأجواء الملائمة لها .

كان « بيل » ينتظر بالساعات مراقباً عناكبه الجديدة ، ليعرف ان كانت قد الفت بيئتها الجديدة ، وقد تمر ايام قبل ان يعبر العنكبوت عن رضاه ، ويشرع ببناء بيته الأنيق ، مبشراً « بيل جون » برضاه ، فاذا



فراشة بيضاء جميلة تمتص رحيق الأزهار

اكتمل البيت قام الرجل برفعه من جانبيه ، بواسطة شريحتين زجاجيتين ، وما لبث أن ضمهما معاً وثبتهما بشريط لاصق وبذلك يتم حفظ البيت العنكبوتي إلى الأبد كما تحفظ الصور التذكارية فى البومها الخاص .

يدهشك « بيل جون » بان فى العالم الآن أكثر من ٥٠ الف نوع من العناكب ، وما تزال هناك اعداد كبيرة لم تكتشف إلى الآن ..

عالم الفراش

ارتطم راسى بسقف السيارة حين عبرت مرتفعاً ترابياً ، فتوقف شريط تاملاتى ، وعدت اتذكر اننى فى الطريق إلى مكان فريد آخر فى مقاطعة « كنت » للقاء جديد عجيب ، ثم انعطف السائق نحو بوابة واسعة ، ومالبث أن توقف فى ممر ظليل ..

ـ أسف .. بشأن « المطب » ، قال « سميث » ، ولكن بعد قليل لن تكون نادماً أبداً ..

ومع الخطوة الأولى ، جاءتنى أصوات غريبة ، هى مزيج من الهسهسة والرفيف الناعم ، كانت تعلو وتنخفض تماماً ، كوشوشة النسمات الرقيقة فى اغصان الشجر المتمايلة .. فما اقتربت أكثر ، حتى رأيتنى أمام مشهد خلاب لا انساه ! .. ملايين الفراشات ، من كل حجم ونوع ، تتطاير فى كل صوب ، كما لو ان فناناً يرش الفضاء بازهار ملونة .. هل هو حلم ؟!

صافحني صاحب المزرعة الخيالية : « مايكل ديكنز » بابتسامة صافية ورحب حين علم بموضوع دراستى الصحفية ، بان يسرد علي تفاصيل عمله ، كلها :

ـ إن عالم الفراش ، الشاعرى الآسر ، يشكل منجماً لمعلومات الدارسين فى علوم الطبيعة والعلوم الاخرى ، فهذه الزهرات الملونة الطائرة كانت من الأزمنة الغابرة ، رمزاً لخدمة الحياة البشرية ، وفى الأساطير أن الصبية الجميلة « تسيشى » خطفت يوماً على يد حبيبها وصارت حكايتها معيناً لا ينضب لخيال الفنانين ، يستلهمون منها لوحات معبرة ، تصورها على شكل فراشة تبسط جناحيها المزركشين ، وتهم بالانطلاق إلى زهرة متفتحة .. وغدت حكاية « تسيشى » فى عهد « الرومان » نوعاً من المغالاة التى لا تستحق فى الأصل أن تمزج بروايات الملائكة « وقد شبهت بها ، فقيل عنها · إنها مثل الملائكة تطير على أشعة جميلة ، وتستمد طاقتها من الأفلاك العليا وتعبر المحيطات وتتغذى على نور الشمس » !

وفى العصور الوسطى ، كان الناس يخشون ظاهرة سقوط « المطر الملون » ، لكن العلماء اليوم ، يعرفون أن هذه الظاهرة علامة على ميلاد مخلوق وديع اسمه « الفراش » .. كيف ؟!

● المعروف أن حياة الفراشة تبدأ بالبيضة ، وهذه عملية بالغة الدقة والحساسية .. هنالك نوع تضع أنثاه (٢٠) بيضة فقط ، ونوع تضع أنثاه الآلاف .. لكن النسبة المئوية لليرقيات التى تبقى على قيد الحياة ، تنمو وتكبر ، لا تزيد أبداً على ١٠ بالمئة ، وبعد ايام تخرج اليرقات .

ـ انظر ها هى ذى تخلع شرانقها أمامك ، مجرد دودة صغيرة خضراء منقطة بالأسود أعضاؤها كاملة ، عدا الغدد المنتجة ، الأمر الذى يضطر اليرقة إلى أن تحيا حياة كسل واتكالية ، غالباً ما تجعلها قادرة على الدفاع عن نفسها ، والهرب من عدوها اللدود « النمل » الذى لا يمنعه من التهامها إلا كونها تفرز عصارة حلوة المذاق ، ذات تركيب كحولي ، يسهل حفظه كمؤونة لفصل الشتاء ، وما يفعله النمل هنا ، هو الضغط على الجدار الخارجى للحلقة العاشرة فى جسم اليرقة ، فتخرج العصارة الحلوة ويلهو بها النمل .. بينما تتغذى اليرقة من البيض فترة تكفى لمرحلة التحول ، وما تلبث أن تصبح فراشة ، سرعان ما تفلت من سجانيها ..

فى مرحلة اليرقة هذه ، تثبت بعض الحشرات نفسها على بطن ورقة خضراء ، بينما تقبع انواع اخرى فى زوايا من الأرض ، وتحيط بعض الأنواع نفسها بغطاء رقيق ريثما تنمو اجنحتها ، ويزداد رقة بملامسة الهواء ، وتفاعله مع سائل أزرق يحتوى على الحبيبات الملونة التى ما إن تنفض الفراشة جناحيها للخروج من الكيس المحيط بها ، حتى تتناثر فى الجو .. وتلك الحبيبات هى « المطر الملون » السالف

الذكر .. تلتجىء الفراشة لأقرب مخبأ وتبدأ بتنظيف نفسها مما علق بجسمها من سائل ملون ، وتتسلق غصناً عالياً فتتعرض للهواء ، وما تلبث اجنحتها ان تجف وتصبح جاهزة للطيران ..

.. كان « ديكنز » مسترسلا فى حديثه ، وهو ينقل عينيه بين اقفاصه البللورية ، وتابع يقول : لكن هذه المخلوقات الوديعة لم تعد تعيش ، كما سبق ، فى طبيعة مفتوحة ، ان الخطر يتهددها ، ويؤدى إلى تضاؤل أعدادها سنوياً ، ولا يزال الكثيرون عاجزين عن ادراك خطورة الأمر ..

– ماذا تعنى ؟!

– إن الطبيعة تخطو نحو الموت بتثاقل .. صحيح أن عدداً كبيراً من الحشرات قد انقرضت ، لكن الأمر يصبح اكثر مدعاة للأسى حين يتصل بالفراشات ..

لقد بدأ القلق ، منذ فترة غير قصيرة ، يساور المهتمين بحماية البيئة ، من كارثة محتملة ، وهى انقراض عدد كبير من الفصائل النباتية ، التى ترتبط استمراريتها بلقاح محدد تمنحه لها الفراشات المتنقلة من نبتة لاخرى ، وراح هؤلاء المختصون بحماية البيئة فى فرنسا ، يرفعون أصواتهم احتجاجاً على صيادي نهاية الأسبوع الذين ينطلقون بشباكهم إلى الحقول لاصطياد فراشات « التابيس » الخضراء ، والتى اصبحت تباع فى السوق السوداء بسبب ندرتها وجمالها الخلاب .. وذهب الأمر باحد علماء الحشرات « روجيه



ليست لوحة فنية .. ولكنها فراشة ملونة بالوان بديعة ، وقد اكتشف العلماء حتى الآن مائة الف رسم مختلف للفراشات



يرقة الفراشة هي خير مثال للتمويه وخداع الأعداء باللون والشكل اللذين يعطيان لها الحماية فوق اغصان النباتات

فولا » إلى رفع شعار « كل من يقتل فراشة يقتل انساناً » ، والمطالبة بالسجن المؤبد لكل من يقتل واحدة من هذه المخلوقات اللطيفة ! .

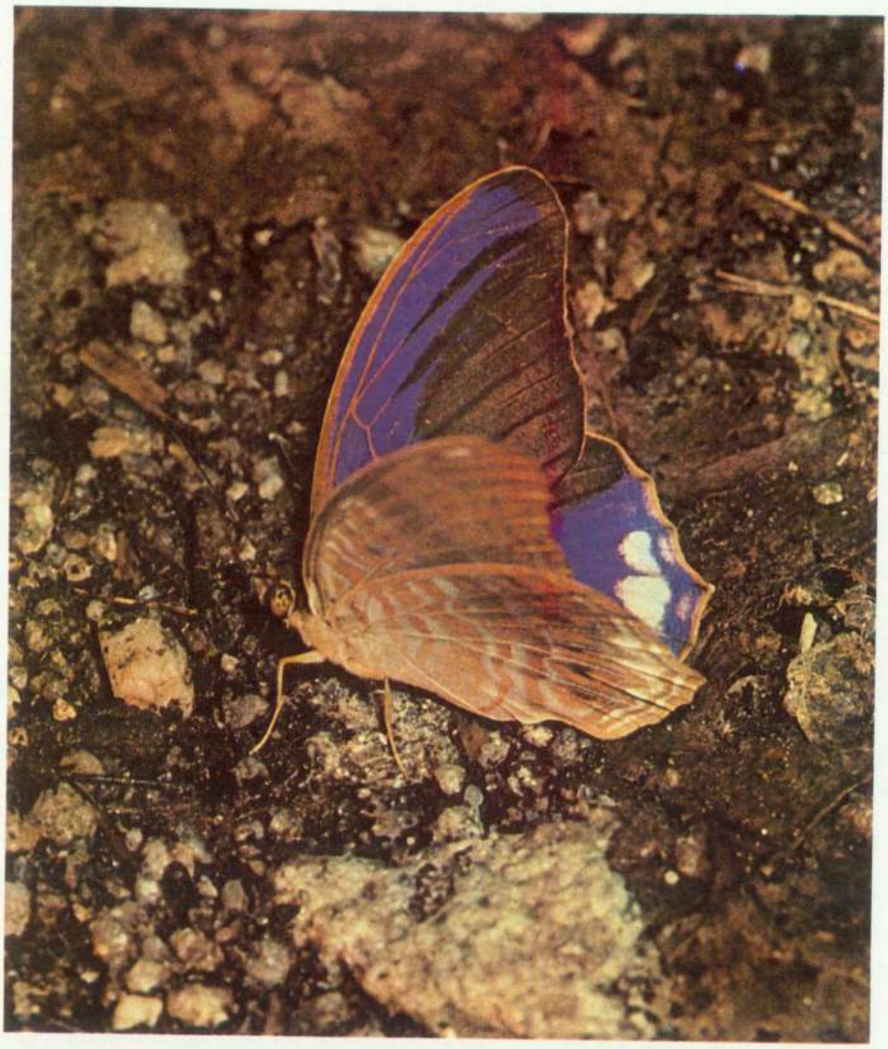
وليس الصيادون وحدهم هم قتلة الفراش ، ولكن هناك أصحاب الحدائق الذين يرشون حدائقهم بالمبيدات السامة فضلا عن أولئك الذين يحيطون الأراضى بالسياج الشائكة ، وبرك الماء .

الحسناء النادرة

وقادنى « ديكنز » . وهو يخفي ملامح أسى تنم عنها نظرة عينيه .. قادنى إلى قفص جديد تتراقص فيه ، فراشات صغيرة زرقاء فاتنة ، وقال :

– هذه « فراشة الانجليز الأثيرة » : « ماكولينيا اريون » .. ولكنها اليوم نادرة الوجود ، ولم يبق من وجود لها الا فى بضع مستوطنات متناثرة فى الريف الانجليزى ، وحين جرب بعض الخبراء إكثار هذا النوع فشلوا ، فقد باضت الفراشات فى حقل للصعتر اقيم خاصة لاستضافتها ، لكن البيض ظل مقفلا .. وهكذا فان الانجليز الذين حافظوا على الأسرة المالكة ، برغم كل الهزات التى تعرضت لها بريطانيا ، لم يستطيعوا المحافظة على ملكة أسرة الجمال اسمها : « ماكولينيا » !

وليت الأمر اقتصر علينا هنا ، إذن لكانت الكارثة هينة ، ولكن المختصين فى الولايات المتحدة أيضاً ، لاحظوا أن الفصائل الاحدى وأربعين من فراشات البلاد ، تواجه خطراً محدقاً ، ولهذا قام البروفيسور « برنارد سيرفى » صاحب المؤلفات الكثيرة حول التطور العكسي للطبيعة ، يطلق النفير ويعلن بان انقراض الحشرات هو مقدمة



فراشة اسيوية نادرة ، يكمن سر جمالها في التباين بين الالوان الباهتة والالوان الزاهية



الفراشة «النمر» رغم هذا الجمال فان لها رائحة ينفر منها الانسان والكائنات المفترسة !

لانقراض البشرية ، ولست ادري ان كان هذا النفير سيضع حداً لعملية القضاء الجماعية التى يتعرض لها الفراش فى كل مكان ..

بالنسبة لي ـ يقول « ديكنز » بدأ الامر مجرد هواية في منتهى الروعة ، عن طريقها تمكنت من معرفة الشيء الكثير عن العالم المدهش الذي تعيش فيه هذه الكائنات ذات الالوان الخلابة .. وكنت ارجع الى الكتب والنشرات التي توضح لي معارف كثيرة عنها ، من حيث دورة حياتها وأشكالها وانواعها ، واماكن وجودها ، وكيفية الحصول عليها دون صعاب .. ثم كانت نقطة التحول الهامة ، حين التقيت مع « شيلا » زوجتي ، فجبنا معاً ارجاء انجلترا ، وانطلقنا بعد ذلك في العالم ، نجمع كل ما نريده من انواع الفراش ، من امريكا اللاتينية ، ومن الهند ومدغشقر ومن ماليزيا واليابان .. واخيراً وعلى مساحة خمسة افدنة هنا في مقاطعة « كنت » شرعنا نجسد احلامنا في هذه المزرعة الهادئة ، التي تحولت في زمن يسير الى احد المراكز الجيدة لتربية الفراشات بانواعها المختلفة ، وتطور الأمر الى تصديرها الى كل مكان ، واصبح عدد زبائننا القادمين من الخارج يزداد سواء في أفريقيا أو اوربا ونيوزلندا والأمريكتين ، ونحن نزودهم بدليل سنوي مقابل اشتراك سنوي .. واخبرني بان مزرعته تزود معظم محطات التليفزيون واستديوهات السينما بما تحتاج اليه من الفراشات الحية التي يبلغ عدد انواعها نحو ٦٠٫٠٠٠ نوع . ويؤكد « ديكنز » بان مزرعته لم تكن يوماً مجرد مصدر للمعيشة وحسب ، بقدر ما يريدها أن تكون مختبراً عالمياً لدراسة الفراشات ، وهذه هي رسالته الهامة على حد تعبيره ..

مهرجان الألوان

وتقدم ، من جديد ، الى قفص في الركن ، واشار الى فراشة ترفرف باجنحة مزركشة منقوشة برسوم غاية في الروعة .. كانت اشبه « بطاووس » يتباهى بطلته البهية :

ـ هذا نوع من اكبر واجمل الفراش في العالم .. إنه يعيش في المناطق المدارية كالبرازيل وأفريقيا الوسطى . واسترسل في الحديث بزهو من يملك نوعاً نادراً من الفراش لا يقدر بثمن : الوان الفراش لا تزال موضع اهتمام الباحثين الذين ينتقلون من اكتشاف لآخر ، فكل جناح مرصع بفسيفساء من الرقاقات المتناهية الدقة التي تشكل الواناً خلابة بانكسار الأشعة ، وقد كشف هؤلاء حتى الآن عن مئة الف رسم مختلف دون ان يعرفوا القانون الذي يحكم هذا المهرجان اللوني .

وقبيل اشرافنا على نهاية الجولة ، قدم لي « ديكنز » كتاباً من تاليفه اسماه « دنيا الفراش » وغمز لي بطرف عينه : هذا كنز ثمين ، ان كنت مهتماً حقاً بمتابعة الأمر ، في السيارة ونحن ننهب طريق العودة ، قرات مقدمة الكتاب :

« اذا رايت الفراشات محومة في بستان .. مثل شلال ملون ، يرش العالم بالنور والعطر .. فاستحلفك بكل مقدس ، ان ترفق بها .. فلربما كانت هي الفراشات الأخيرة التي تمتع بها ناظريك قبيل الانقراض !! » .

محمد مروان جميل مراد ـ الكويت

نافذة ثقافية

بقلم: محمد العزب موسى

قلب نمر وضمير ذئب

أصدرت احدى دور النشر البريطانية مؤخرا كتابا عن الامبراطور الصيني القديم شيه هوانج تي أول موحد للولايات الصينية في القرن الثالث قبل الميلاد، وباني سور الصين العظيم الذى يمتد ١٥٠٠ ميل بين الجبال والوهاد ليدفع عن بلاده هجمات البرابرة.

ان دراسة مثل هذه الشخصية أمر مشوق للغاية لأنها تتعلق بقوى النفس البشرية وفلسفة الخير والشر والحكم والاستبداد في العصور القديمة.

فقد كان شيه هوانج شي من أقوى وأبشع الاباطرة في تاريخ الصين الطويل، كان له على حد تعبير المؤرخ ول ديورانت قلب نمر، وضمير ذئب، وكان لايصنع الخير أبدا في حياته. ويقال انه في صغره دفع بأبيه الى الانتحار، وبأمه الى الجنون. وقد تولى العرش وهو في الخامسة والعشرين وشرع فورا في توحيد الصين لأول مرة في تاريخها فحارب جميع الولايات وانتصر عليها خلال تسع سنوات. ثم سخر شعبه في اقامة السور العظيم الذى عد وما زال من عجائب الدنيا. وكان كحاكم يجمع بين فلسفة نيتشه في تمجيد القوة وارادة بسمرك في الحكم بالحديد والنار. وهذا مامكنه من اخضاع تلك البلاد الشاسعة تحت ادارة مركزية قوية لم يكن لها مثيل في تاريخ الصين من قبل أو بعد الى أن ظهر ماوتسي تونج بعد ٢٣ قرنا.

وفي شيخوخته ازداد شيه هوانج تي قوة وفظاظة وفقد الثقة بكل المحيطين به، فكان يجلس والسيف على فخذيه فاذا أنس من أى مسئول بالبلاط ايماءة أو كلمة لا تعجبه قفز واقفا وأطاح برأسه بضربة واحدة. حتى أصبح بلاطه وقاعة عرشه أشبه بالمذبح. وعندما يأوى الى النوم لا يجعل أحدا يعرف في اية حجرة من حجرات القصر المائة ينام. ولما حانت منيته وادرك انه هالك لا محالة أعد لنفسه قبراً منيعاً وأمر بأن تدفن معه ثلاثة آلاف فتاة على قيد الحياة، ووضع آلات ميكانيكية في قبره تستطيع أن تقتل أو تصطاد كل من يحاول اقتحام القبر، كما أمر بأن يدفن معه العمال الذين يحملون جثته فلا يدلون على المكان الذى دفن فيه.

كان شيه هوانج تي هذا يشعر بأكبر العداء ازاء فريق معين من الناس، هم الشعراء والنقاد والفلاسفة والمؤرخين وطلاب الفلسفة الكونفوشية بالذات، فاعدم بضع مئات منهم، وأمر باحراق كل المؤلفات وكل كتب الاقدمين «كي يرتفع عبء الماضي عن كاهل الحاضر» وقتل آلاف الاشخاص الذين حاولوا اخفاء بعض الكتب. ولذا فقد اضطر العلماء والطلاب الى حفظ جميع المؤلفات القيمة وجميع الأشعار القديمة عن ظهر قلب كما تمكن آخرون عن اخفاء بعض الكتب في مغارات سحيقة بالجبال.

وعندما مات شيه هوانج تي ظلت جثته ملقاة في قصره عدة أيام دون أن يجرؤ أحد على الاقتراب منها، الى أن أنتنت وأزكمت الأنوف فاضطر عبيده الى نقلها في قافلة سمك لاخفاء رائحتها.

وسرعان ما عادت الكتب والأشعار الى الظهور.. وانتصرت الكلمة!

عقبة في وجه البحث العلمي

ذكرت احصائية لليونسكو انه خلال عام ١٩٨٠ ناقشت جامعات العالم ٧٠ الف رسالة علمية للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراة، وأصدرت المؤسسات ذات الطابع العلمي أو الاقتصادى أو التكنولوجي ٥٠٠ الف تقرير، ونشرت المجلات العلمية ١٥٠ الف بحث في مختلف فروع المعرفة، كما صدر ١٢٠٠ تقرير مفصل عن المؤتمرات والندوات العلمية.

وقدرت الاحصائية انه من المتوقع على سنة ٢٠٠٠ أن يصل عدد الابحاث والدراسات والمقالات التي تصدر سنويا الى عشرة ملايين يمكن أن يضمها ١٤٠ الف مجلد ضخم.

وفي الماضي كان العلماء والباحثون والمثقفون في العصور الحالية يسافرون الى أخر الدنيا للحصول على أى جديد في ميدان تخصصهم كان الواحد منهم يبدد أثمن الوقت وأعز المال من أجل العثور على كتاب جديد، أو مناقشة عالم آخر، او الاحتكاك بثقافة مغايرة.

كان نقص المعلومات وندرة المراجع عندئذ من اكبر العقبات التي تحول دون التقدم العلمي والفكرى، أما الأن فقد انقلبت الآية تماما، وأصبحت الوفرة هى العقبة.

فهذه التلال الهائلة من الابحاث العلمية بالاضافة الى مئات الالوف من الكتب الجديدة التي تقذف بها المطابع كل عام، أصبحت عقبة كئودا في وجه البحث العلمي، اذ لا يمكن أن يحيط أى باحث بكل مايصدر في فرع تخصصه من منشورات، وقد افترض لو أن باحثا في فرع الكيمياء العضوية وحدها يتقن ٣٠ لغة اتقانا تاما وانه عكف على قراءة ماينشر من ابحاث في هذا الفرع لمدة عام كامل على أساس ٤٠ ساعة عمل في الاسبوع وبواقع أربعة أبحاث في الساعة فانه لا يحيط في نهاية العام باكثر من جزء واحد من عشرين جزءا من المادة المتاحة.

وهذا هو السبب في ظاهرة الازدواجية الخطيرة التي أصبحت تعوق البحث العلمي. فالنقطة الواحدة قد يبحثها عشرة أشخاص في نفس الوقت، وربما تكون قد قتلت بحثا أيضا من قبل. وكان من الاجدى توفير هذه الجهود لبحث نقطة أخرى. وهذه الظاهرة اكثر ماتكون خطرا بالنسبة للدول النامية لأنها لا تملك ترف اهدار جهود باحثيها على هذا النحو.

كيف السبيل الى علاج هذا الوضع؟ هذا هو السؤال الذى لا يستطيع أن يجيب عليه البحث العلمي الحديث!

أنا لا أتكلم بالعربية ولكني أفكّر بها وقلبي دائماً مع العرب



لوسيان بيترلان

انه واحد من ابرز الشخصيات الفرنسية التي ناصرت قضايانا العربية باقتناع وحماس ، فهو لا يتكلم العربية ، ورغم ذلك يقول دائماً : أنا افكر بالعربية ، وقلبي عربي ، ولكن هذا لا يعني انني مجنون بحب العرب ، ولكنني عموماً احترمهم !

وفي حوار مع المفكر الفرنسي « لوسيان بيترلان » عند زيارته للدوحة في بداية شهر يناير من هذا العام ، ناقشته في عدة قضايا هامة حول أهداف جمعية التضامن الفرنسي التي تاسست في عام ١٩٦٧ ، وعن الدور الايجابي الذي قام به من اجل اطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين والعرب داخل اسرائيل ، وعن النفوذ اليهودي داخل فرنسا ، وكيفية حل القضية الفلسطينية ، ورايه في الخلاف الطارىء على منظمة التحرير ، وتقييمه للمعارضة الاسرائيلية ، والأبعاد السياسة لحرب الخليج والحرب اللبنانية ، وغير ذلك من القضايا الساخنة التي فرضت نفسها على الأحداث في المنطقة .

قبل ان ندخل في هذا الحوار الهام مع المفكر الفرنسي « لوسيان بيتر لان » كان لابد ان نلقي قليلا من الضوء على حياته ..

فقد ولد في مدينة (كوربفوا) في ١٥ يوليو عام ١٩٣٢ ، وهي مدينة تقع في ضواحي باريس ، ولم يكد يبلغ السادسة عشرة من عمره حتى التحق بصفوف الحركة الديجولية ليناضل معها ، الامر الذي قاده الى الجزائر ، في عز اندلاع الحرب الأهلية ضد مشروع الجنرال ديجول لانهاء الاستعمار الفرنسي في الجزائر . وسار بالتزامه حتى النهاية ، وخاض (الحرب الارهابية) التى يروى فصولها فى كتابه (كنا كلنا ارهابيين) وفيه روى قصة الكفاح المسلح ضد ارهاب (منظمة الجيش السري) الفرنسية في الجزائر .

وعند عودته الى باريس لم يلتحق بقافلة « الديجوليين الفدائيين » بل ظل يعمل في نصرة القضايا العادلة ، حتى اسس جمعية التضامن الفرنسى العربي عام ١٩٦٧ ، واصبح امينها العام ثم رئيسها منذ عام ١٩٧٨ .

يحدثنا لوسيان بيترلان رئيس الجمعية عن النضال اليومى ضد الدعاية الصهيونية في فرنسا واوروبا بشكل عام ، يحدثنا عن مشاكل الجمعية مع العرب وفي سبيل العرب .

للصهاينة دعامة قوية والعرب غائبون

● هل تتفضل وتحدثنا عن جمعية التضامن الفرنسي العربي وعن اهدافها .

● ● انشانا الجمعية عام ١٩٦٧ باسم جمعية التضامن الفرنسى العربى لاظهار تضامننا وصداقتنا مع العرب وخاصة من عانى منهم من اعتداء ١٩٦٧ . اسسها فى البداية (لوي تير نوار) وكان وزيراً للاعلام عند الجنرال ديجول ، وكنت الأمين العام للجمعية ، ثم خلفته واصبحت رئيسها منذ عام ١٩٧٨ . هذه الجمعية دعمها الجنرال ديجول مادياً ، وقال وقتها « لتيرنوار » ان « للصهاينة دعامة قوية فى فرنسا والعرب لا يمثلهم شيء عندنا » وافهم الجمعية ان تكون قريبة من العرب بعيداً عن روح الاستعمار والفوقية ، وان تظهــــر من الحضارة العربية والاسلامية ما ندين به فى حضارتنا لهم ، وان تناضل ضد العنصرية فعندنا مليونى عربي ، واول ما تعرفت على العرب كان ذلك فى الجزائر فى مارس عام ١٩٦٠ ، اي قبل عامين من استقلال الجزائر ، وكنت اعنى ببث البرامج الاذاعية فى راديو الجزائر ، وبدات حركة ديجول لاعطاء الجزائر استقلالها ،

أجرى الحوار: ياسر السباعي

وصحيح أن الجزائريين انتزعوا استقلالهم ولكن كان هناك بعض الجنرالات الفرنسيين الذين رفضوا ذلك فانشـاوا (منظمة الجيش السرى) الفرنسي الارهابي فى الجزائر التى حاربناها بكل قوتنا ، وبعدها عدت الى فرنسا لانشـاء الجمعية وتبنينا مهمة شرح القضـية الفلسطينية ودعمنا كل القضايا العربية .

حرب الخليج لا تدور فقط فى الخليج

● ما هو الهدف من زيارتكم لدولة قطر ؟

● ● جئت الى قطر بناء على دعوة من جامعة الدول العربية ، بعد ان زرت السعودية والكويت والامارات لاشرح للمسئولين العمل الذى نقوم به ولاطلب منهم حضوراً أكبر فى الغرب ، لأننا نعتقد أن الحرب القائمة فى لبنان او الخليج لا تدور فقط فى هذه المنطقة ، انها حرب ذات نتائج مفيدة لاعداء العرب فى فرنسا ، وهى حرب سياسية دبلوماسية وعسكرية . إنها حرب شنها الصهاينة منذ ثلاثين عاماً حرب دعائية دائمة فى فرنسا وامريكا ، فهم ذوو دعم مادي وسياسي يسـمح لهم بالاستمرار فى التوسع . المال يأتيهم من الغرب وامريكا ، فالغرب هو الذى خلق اسرائيل ، لذلك علينا ان نناضل لدى الغرب لدعم القضايا العربية . المهم إذن أن اشرح للمسئولين دور المنظمات الصهيونيـة النشطة ، وبالمقابل علينا ان نقوم باعمال مضادة لهم ، وهذا ما شرحته لمجلس وزراء الاعلام العرب فى عام ١٩٨٢ ، صحيح اننا لسنا عرباً ولا مسلمين ولكننا قريبون منهم ان الحرب مع اسرائيل فى فرنسا حرب نفسية اعلامية ، فهي تسمم افكار الغرب ، وعلى كل حال أشعر بيقظة عربية فى هذا المجال ، تستخدم نفس أساليب الأعداء .

لن يفهمني العرب لو زرت اسرائيل

● هل سبق وزرت اسرائيل ؟

● ● كلا .. أبداً . اعتقد ان ذلك ليس ممكناً حالياً . لقد طلب مني الفلسطينيون (مثل بسام الشكعة وتوفيق زياد) أن اذهب إلى اسرائيل وهذا صعب لأني رئيس جمعية تتضامن مع العرب ، ولن يفهمني العرب لو زرت اسرائيل .

لست مجنوناً بحب العرب ولكن قلبي عربي :

● هل تتكلم العربية ؟

● ● كلا ولكن أفكر بالعربية . امضيت الكثير من جهدي فى دعم تعليم اللغـة العربية فى فرنسا ، ولكنى لم اتعلمها لصعوبتها . قلبى عربي ولكني لست مجنوناً بحب العرب ، ولكني احترمهم .

كانت مشكلة فرنسا مع العـرب هي ازالة الاستعمار :

● تأسست جمعيتكم او (جمعيتنا) عام ١٩٦٧ فلماذا لم تؤسس قبل ذلك ، علماً بان المشكلة بدأت منذ عام ١٩٤٧ ؟

● ● المشكلة بدأت فعلا فى عـام ١٩٦٧ . فحتى عام ١٩٦٢ (استقلال الجزائر) كان لفرنسا مشـكلة ازالة الاستعمار مع الوطن العربى . كنت مناضلا ديجولياً منذ كان عمرى ستة عشر عاماً فى عام ١٩٤٨ ، وكان فى الجامعات بعض الفرنسيين الذين يعملون لصالح العرب ثقافياً واقتصادياً فارأت جمعيتنا اعطاء البعد السياسي .

لو أنه يعطيني جزءاً من طائرته

● ما هى مصادر تمويلكم ؟

● ● التمويل هو مشكلتنا . من أهم مصادر الاعـلان في مجلتنـا (فرنسـا والبلدان العربية) ، فالحكومة الفرنسية خفضت مساعداتها لنا . إننا نطلب من الجامعة العربية والدول العربية فقط نشر اعلاناتها فى مجلتنا والاشتراك فى شرائها ، فلدينا أمانة عامة دائمة تتطلب الكثير من المصاريف . ان من اهداف تنقلاتي فى الدول العربية إفهام المسئولين اننا بحاجة الى الدعم المادي . ومشكلتنا هى نفس مشكلة الجمعيات الأخرى فى ايطاليا وسويسرا والمانيا . لقد طلبت من احد الوزراء العرب (مازحاً) أن يعطيني جزءاً من طائرته .. ولكن !

شعوب عربية

● فى منشوراتكم تتكرر جملة (شعوب عربية) فهل تعاملونا كشعوب ام كشعب واحد ؟ .

● ● لا نعطي أهمية لهذه المصطلحات فليس من الممكن ان نعتبر أن الجزائريين واليمنيين مثلا شعب واحـد ، فهنـاك خصوصيات تفرق بين هذين الشعبين وهذا طبيعي . صحيح أن هناك وحدة بين الشعوب العربية أكثر من الشعوب الأوربية ولكن .. لا تفهم مني اني انتقد .. المسالة مسالة اشكال التعبير .

لا فرنســيون مؤقتـون ولا اسرائيليون أجانب :

● هل عندكم فى الجمعية بعض الأعضاء اليهود العرب أو الفرنسيين ؟

● ● نعم .. ولكن قليل جداً ، منهم مثلا الفرنسيون ذوو الاصل اليهودى ، عندنا : (ميشيل راشلين) و (لانـا ليفين) و (عمانويل ليفين) وهم مواطنون فرنسيون ويؤكدون فرنسيتهم . واسرائيل دائماً تغريهم ، ولكنهم لا يريدون أن يكونوا فرنسيين مؤقتين او اسرائيليين اجانب فى فرنسا .

نتعـامل مع يهود يرفضـون الصهيونية :

● هل لديكم علاقات مع المعارضـة الاسرائيلية ؟

● ● لدينا علاقات مع اسرائيليين مناهضين للصهيونية ، وكذلك مـع (الجمعية الاسرائيلية لحقوق الانسان) برئاسة الدكتور (اسرائيل شارل) ونستعمل نفس أساليبهم فى فضح الاستعمار والتعذيب . ولدينا علاقات مع يهود مستقيمي الراي يسمون حركتهم

أنا لا أتكلم بالعربية ولكني أفكر بها وقلبي دائماً مع العرب

(ليتوري كارتا) وهم متدينون ويناهضون الصهيونية بكل اخلاص ويرفضون الدولة الصهيونية اليهودية . ولدينا ايضا علاقات مع (حركة السلام الآن) ولكن فيهم بعض الغموض فهم مع السلام فى لبنان وضد الحرب فيها ، ولكن البعض منهم ضد الحوار مع منظمة التحرير او مغادرة الأراضي المحتلة بعد عام ١٩٦٧ . المهم هو العلاقات مع العالم العربي . نحن لسنا جمعية يسارية لمجرد تضامننا مع الشعب الفلسطيني ، بل نمثل كل التيـــارات العربية المناهضة للصهيونية .

ساهمنا في اطلاق سراح الأسرى الفلسطينيين والعرب

● سمعت انكم ساهمتم فى تبادل الأسرى بين منظمة التحرير والصهاينة ؟

● ● فعلا : لقد اتصل بي وسيط صحافي صديق كان قــد طلب منـــه الاسرائيليون معرفة شروط المنظمة لعملية التبادل . طلبت من المنظمة معرفة شروطها فاستلمت الشروط ونقلتها بدوري ، وعلى اثر ذلك تم التبادل ، وكانت هناك محاولات قبل ذلك لاطلاق سراح الأسرى سواء عن طريق كرايسكي او غيره ، ولكنها لم تؤد الى شيء ، وقد كتبت مقالا فى جريـــدة ((لوموند) الفرنسية عن عملية التبادل .

لسنا عرباً أكثر من العرب

● ان من يتابع نشاطاتكم واهدافكم يعتقد انكم عرب اكثر من العرب احيانا !

● ● هذا كلام جميل ! المشكلة ان بعض الدول العربية تريد أن نتبنى اراءها ونقوم بالدعاية لنظامها فقط . ان هذا لصالح اسرائيل وضد العرب . لقد اصــدرت مجلتنا (فرنسا والبلدان العربية) اعداداً خاصة عن اقطار الوطن العربى بغية إظهار كل ما هو ايجابى عند العرب مما يظهرنا احيانا كوكلاء دعاية وكعرب اكثر من العرب انفسهم . إننا نريد من العرب ان ينهوا صراعاتهم الداخلية ، فالأمة العربية موجودة ، وكذلك الدول العربيـــــة بكل خصوصياتها ، ولكن إذا تغيرت بعض الأنظمة العربية مستقبلا فهذا شانها وليس شاننا ، ومع ذلك فنحن لسنا عربا اكثر من العرب .

الاستشراق بين العلم والجاسوسية

● يميز العرب فى الاستشراق (بين العلم والجاسوسية الثقافية) فهل يعمل معكم بعض المستشرقين وهل تميزون بين كلا النوعين من الاستشراق ؟

● ● يعمل معنا جاك بيرك ومكسيم رودنسون وروجيه جارودي واخرون من قريب او من بعيد ولكني لا اتعامل مـع (جواسيس) مستشرقين . اعرف بعض المستشرقين الغامضين واعرف بعض المستعربين المعادين للعــرب ولكني لا اتعامل معهم .

افران الغاز النازية ليست فكـــرة مختلقة :

● الكاتب الفرنسي (فوريسون) أصدر كتابات يدحض فكرة افران الغاز النازية التى استغلها الصهاينة فى دعايتهم . وعلى أثـر نشر الكتـــاب تم توقيف ومحاكمة هذا المؤلف . فماذا قدمتم له ؟

● ● لا اعتقد ان دليل (فوريسون) قوى فى كتابه . إن رئيسنا (لوي تيرنوار) كان رئيسا للمقاومة الفرنسية فى (شايو) ضد النازيين ومساعداً لـ (جان مولان) عذبه رجال الجستابو ، وراى غرف الغاز ، وراى ما عاناه اليهود ، ليس اليهود وحدهم بل فئات اخرى . ولكن لا نقول باي حال من الأحوال ان افران الغاز فكرة مختلقة . انها موجودة وقد استغلها الصهاينة فعلا . ان من عانى من افران الغاز - اي اليهود - اصبحوا جلادين ارهابيين فى ايامنا هذه واعتقد ان الفلسطينيين يدفعون ثمن غلطة ارتكبتها المانيا النازية .

لن ينتصر الفلسطينيون بدون الدعم العربى .

● ما رايك بالخلاف الطارىء على منظمة التحرير ؟

● ● هذا سؤال محير ! اعتقد انه حدث نفس الشيء فى المقاومة الفرنسية والثورة الجزائرية . إنه خلاف حول الاستراتيجية ، ومع ذلك فهذا امر يخص الفلسطينيين وحدهم ، وببساطة نامل وجود استراتيجية محددة مع العالم العربي ، لأنه فى رأيي لن ينتصر الفلسطينيون بدون الدعم العربى ، ففرنسا لن تاتي لتحرر فلسطين ، ولن تتحرر فلسطين إلا بالتلاحم العربى كما حصل فى قمة فاس ، ان مقررات قمة فاس كانت كلها ضد اسرائيل ولصالح العرب .

اذا الصراع فى منظمة التحرير شيء طبيعي ومنطقي يحدث فى كل الحركات الثورية .

هذا هو دور قطر فى القضية

● فى عام ١٩٨٠ اجرت مجلتكم (فرنسا والبلدان العربية) لقاء صحفياً مع سعادة الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى . فما هى برايكم ثمرة هذا اللقاء ؟

● ● لقد نشرنا موضوعا عن المكانة التي تحتلها قطر فى الوطن العربى بغية اعطاء صورة جيدة عن قطر . ان من اهداف زيارتي اعطاء الراى الفرنسى صورة عن الدور الذى تلعبه دول الخليج . إنها دول واقعية ومعتدلة تحاول ان تلعب دور الوسيط بين الدول العربية المختلفة فى الراي ، واظن ان هذا هو دور قطر فى القضية .

للمسلمين والمسيحيين واليهود مستقبل مشترك :

● هل تعاطفك مع العرب يعني انك تكره اليهود او الاسرائيليين او الصهاينة ؟

● ● انا لا اكره احداً . على اليهود ان يتمكنوا من العيش مع العرب اينما كانوا والا يشعروا بفوقيتهم او دونيتهم . انهم كالآخرين ، والعرب نفس الشيء امـــا الاسرائيليون فهناك الطيبون منهم الذين يريدون انهاء الحرب ، فامهات وزوجات المحاربين الاسرائيلين واولادهم يريدون ان يعيشوا بهدوء مثل الآخرين ، وهناك ايضا متهورون يريدون قتل الجميع واعتقد ان جو الحرب يفرض عليهم ذلك . امل ان تخف الكراهية ، وان نعتبر ان لليهود والعرب مسيحيين ومسلمين مستقبلا مشتركا واحداً . إنها امنية ! إن الحرب العالمية

الثانية بين الشعوب الأوربية كلفتنا ٦٠ مليون ضحية ! وها نحن نحاول ان نتقرب من بعضنا فى أوربا .

اخترت العرب عندما اشتدت حملات العداء ضدهم

● لماذا اخترت التضامن مع العرب بالذات رغم وجود امم اخرى اقرب الى الفرنسيين من العرب ؟

● ● لقد وجدنا مع العرب فى مناخ سياسي واحد . كان لدي اعتبار خاص عن العرب فى وقت إشتدت حملات العداء ضدهم وخاصة بعد حرب عام ١٩٦٧ . عندنا فى فرنسا جمعيات تضامن مع البولونيين والأفغان وجنوب افريقيا . اخترت العرب لاني اعرف الجزائر ولأن عندنا جالية عربية كبيرة وقوية . ولأنه من الظلم ان يدفع العرب ثمن غلطة ارتكبها الأوربيون . لقد عينتني الحكومة الاشتراكية اداريا فى (معهد العالم العربي) رغم انهم يعرفون اني ديجولي ، فكل الحكومات المتعاقبة دعمت جمعيتنا لأنهم يعرفونها كوجه من وجوه فرنسا تجاه العرب .

الحل في فاس

● ما هو برأيك حل القضية الفلسطينية ؟

● ● أعتقد ان الحل يكمن فى قرارات قمة فاس . سؤالك هذا طرحته بنفسي على الرئيس سليمان فرنجية . فى فاس وافق المؤتمرون على الدولة اليهودية وانشاء دولة فلسطينية فى الاراضى المحتلة وقال لي فرنجية « إذا وافقت اسرائيل على هذا فان العالم العربي كله سيوافق بدون استثناء » والحالة هذه فان اسرائيل لاتوافق لأن هناك اعتبارات اخرى مثل صراع الشرق والغرب الذي تلعب فيه اسرائيل دوراً كبيراً ، وهناك ايضاً مصالح خارجية باستمرار الحرب . وإذا ما وافقت اسرائيل على الحوار مع المنظمة بالاشتراك مع الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة ، وأوربا فاننا نكون اقرب الى السلام .

اليهود أقوياء فى الأحزاب والمعارضة

● مَنْ مِنَ هؤلاء الفرنسيين باعتقادك اقرب الى العرب : الديجوليين ام الجيسكارديين ام الاشتراكيين ام الشيوعيين ؟

● ● برأيي وبشكل منطقي ان الشيوعيين يدعمون القضية الفلسطينية ولكنهم ليسوا مع كل العرب وهذا مخالف لجمعيتنا ، وفى بقية الاحزاب هناك من يعمل لصالح العرب . اعتقد ان جاك شيراك هو اقرب سياسي الى العرب ولكن فى الأحزاب الثلاثة الاشتراكي والجيسكاردي والديجولى هناك من يناصر اسرائيل كسياسة داخلية فى كل حزب . فالأصوات اليهودية بسبب قوتها فى احزاب الاغلبية وفى المعارضة ايضاً ، تؤثر احياناً على مسيرة هذه الاحزاب .

العرب ساميون ومع ذلك يتهمنا الصهاينة بالعداء للسامية

● هل تتهمكم المؤسسات الصهيونية بالعداء للسامية علماًبان العرب ساميون ايضاً ؟

● ● نعم . وهناك ايضاً بعض الصحف تتهمنا بذلك وقد اقمنا الدعاوى ضدهم . وهناك حملة عدائية ضدنا آخرها انه قبل مغادرتي باريس مؤخراً استلمنا رسالة تهديد . لقد عانينا من الاعتداءات فى (شايو) و (ليون) و (باريس) حيث فجروا مكاتبنا . إنهم لا يتهموننا بالعداء للسامية فقط بل باخفاء الارهابيين ايضاً .

اما كون العرب ساميين ونتهم نحن بالعداء للسامية فهذا مالا افهمه . ولكن الآن فى الغرب عندما نقول العداء للسامية يفهم منها فقط العداء لليهود ، واليهود فى هذه الحالة لا يعتبرون ان العرب ساميون .

العرب لا يثقون باصدقائهم

● ما الذى لا يعجبك فى العرب ؟

● ● أولا الصراع بين العرب انفسهم وكذلك عدم اعتنائهم بصورتهم فى الغرب وعدم قيامهم بالجهد الكافي لاثبات حضورهم .إنهم لا يثقون باصدقائهم ، وعندما نقوم بعملنا يظنون اننا تجاريون او مخابرات . المشكلة هى مشكلة ثقة .

● ها هي ١٧ سنة مرت من نضالكم فى سبيل العرب و ٣٧ سنة من نضال العرب فى سبيل قضاياهم ، واسرائيل مازالت تتوسع فكيف تعلل ذلك ؟

● ● اعتقد ان اسرائيل استفادت من الغرب لأنها تعتبر نفسها جزءاً من الغرب ونتيجة من نتائج الحرب العالمية الثانية . كما ان الرأيين الغربى والشرقى يعتبران ان لليهود الحق فى إقامة وطن لهم ولكنهما لم يعتبرا ان هذه الدولة ستقوم على حساب العرب . إن اسرائيل خطيئة اوربية يدفع العرب ثمنها غالياً . اعتقد ان على الدول العربية التى خرجت من المرحلة الاستعمارية ان يمارسوا استقلالهم وسيادتهم وان يتفهموا واجبهم . ربما يلعب البترول دوراً ولكن امل الا يكون البترول فقط فى اعتبار العرب . عليهم ان يتحدوا ليلعبوا دورهم التاريخى على المستوى العالمى . إن التاريخ يقول أن العرب هم الشركاء المقرون للأوربيين باستثناء فترة القطيعة عندما جاء العرب الى اوربا والاوربيون جاءوا الى العرب ، كل بحروبه القديمة ! لقد جاءت اسرائيل بتمويل الغرب ودعم الولايات المتحدة ومجاملة الدول الاشتراكية

نهضة العرب كانت مشرفة

● من (الحروب الصليبية) الى (جمعيات التضامن) فترة طويلة . كيف تراها ؟

● ● هذا اول سؤال يوجه لي فى حياتي ..

إنها فترة كان العرب فى تاريخنا غائبين او أعداء من وجهة نظر العداء بين الاسلام والمسيحية الكاثوليكية . إنها فترة قال عنها المستشرق الفرنسي جوستاف لوبون « لم يكن العرب متحضرين جداً ولا منحطين جداً » وهذا موقف غامض تجاه الحضارة العربية . اعتقد ان نهضة العرب كانت فى ذلك الوقت مشرقة ، واعتقد انها ذات معنى اكبر من النهضة اليهودية ، اقصد انشاء دولة اسرائيل .

ياسر السباعى

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

* المسـلمون في أمريـكا *

وردتنا من مركز الدعوة الاسلامية في امريكا رسالة ايضاحية جاء فيها :

يوجد في امريكا مايزيد على ٤ ملايين مسلم و ٦٠٠ مركز اسلامي موزعون في المدن والعواصم والقرى والجامعات والمعاهد .

والمسلمون ينقسمون الى أربع مجموعات اساسية :

اولا الامريكان المستوطنون – من أصل مسلم أو ممن اهتدوا الى الاسلام .

ثانيا المهاجرون من جميع الجنسيات والاوطان .

ثالثا الطلبة المسلمون من معظم البلاد الاسلامية .

رابعا السفارات والقنصليات والبعثات للدول الاسلامية .

هذا ويبلغ عدد الامريكان الذين لا ديانة لهم ١٠٠ مليون ، ويعانون فراغا روحيا كبيرا ويبحثون عن دين يملأوا هذا الفراغ ، والرغبة موجودةلدى الامريكان للدخول في الاسلام . ولكن ينقصنا الدعاة الذين يستطيعون دعوة الامريكان الى الاسلام ويدركون تفكيرهم ومشاكلهم الاجتماعية . والى الآن لايوجد في امريكا مراكز أو مؤسسات اسلامية مختصة في أمور الدعوة الاسلامية . ولهذا لابد من وجود مكتب يقوم بمهام الدعوة الى الله للامريكان غير المسلمين .

ولاجل ذلك قامت مجموعة من المسلمين الأمريكان بتأسيس مركز اسلامى للدعوة الى الله ونشر تعاليم الاسلام عن طريق القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، آخذين بعين الأعتبار قول الله تعالى في القرآن الكريم :

« ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين . »

ان الهدف الاساسي من تأسيس هذا المركز الاسلامى هو دعوة الامريكان الى الاسلام حتي يقوموا بأنفسهم بالدعوة الى الله تعالى في كل مدينة وقرية في الولايات المتحدة الأمريكية ، وحتي ينتشر الاسلام في هذه البلاد كما انتشر في الماضي في البلاد الآخرى . وقد أخذ المسؤولون على عاتقهم قول الله تبارك وتعالى :

« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة . » وأخذوا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« لإن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها . »

وقد أخذ المسؤولون على عاتقهم دعوة الناس الى رسالة الاسلام الحنيف بالطرق والوسائل الميسرة لدي المجتمع الأمريكى متمسكين بقول الله تبارك وتعالى في القرآن الكريم :

« قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ، ولانشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله . »

هذا ... ومن أهم النشاطات المنوطة بالمركز :

اولا – الاتصال بالأفراد والعائلات الذين لادين لهم وتبليغهم رسالة الاسلام

ثانيا – إلقاء المحاضرات عن الاسلام في الجامعات والمدارس والكنائس والمعابد .

ثالثا – كتابة وطبع ونشر وتوزيع النشرات عن الاسلام وتعاليمة .

رابعا – عقد ندوات علمية ودينية وثقافية وحضارية مع غير المسلمين وذلك لشرح مبادئ الاسلام الحنيف .

إن هذا المركز الأسلامى يناشد اخوانه المسلمين في مشارق الارض ومغاربها للمساهمة في الدعوة الاسلامية في أمريكا وتبليغ دعوة الاسلام الى الأمريكان المتعطشين الى دين الاسلام الحنيف .

لذا فمن كان يريد المساهمة في تبليغ رسالة الاسلام ، فإن الفرصة سانحة وباب التبرعات مفتوح ، والله لايضيع أجر المحسنين . قال تعالى : « مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . »

ويسرنا أن نتلقي مساعدات المحسنين على العنوان التالي :

Islamic Information Center of America
First National Bank of Des Plaines
Corner Lee and Prairie
Des Plaines, Illinois 60016 U.S.A.
Account No. 16-205-670

وللمزيد من المعلومات :

يرجى الأتصال بالمركز الاسلامى عن طريق العنوان التالي :

Islamic Information Center of America
P.O. Box 4052
Des Plaines, Illinois 60016 U.S.A.
Tel. (312) 827-4451

* اقـتـراح *

اضافة الى المواد والابواب الجيدة الى تزخر بها المجلة ، فاتني اتقدم اليكم باقتراح مفيد يكمل دائرة الاعجاب بها .. ويتمثل هذا الاقتراح في إدخال بعض المسائل الشطرنجية ضمن دوحة القراء ، خاصة واننا في وطننا العربي العزيز نفتقر الى مجلات شطرنجية متخصصة ، في حين لاتخلو معظم الصحف والمجلات الاجنبية من الدراسات الشطرنجية والمنافسات والمسابقات الخاصة بهذه الرياضة العقلية المهمة .

محمد النسعة ـ الاردن

الصحف القطرية

ارجو اعطائي فكرة عن اسماء وعناوين الصحف اليومية التي تصدر في دولة قطر.

ايهاب ابو زيد الاردن

– لقد صدرت أول صحيفة يومية في قطر عام ١٩٧٢ م ، وتحمل اسم « العرب » ، وتصدر عن دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ، ومؤسسها ورئيس تحريرها هو السيد عبدالله حسين نعمة عميد الصحافة القطرية . وعنوان جريدة العرب : ص – ب٦٣٣ –الدوحة – قطر .

اما الصحيفة اليومية الاخرى فهي « الراية » ، وقد صدر العدد الاول منها في شهر مايو عام ١٩٧٩ م ، عن مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، ويرأس تحريرها الاستاذ ناصر محمد العثمان ، وعنوانها : ص – ب٣٤٦٤ – الدوحة – قطر .

اما الصحيفة اليومية الثالثة التي تصدر في دولة قطر فهي « The Gulf Times » التي تصدر باللغة الانجليزية عن مؤسسة الخليج للطباعة والنشر ، ويرأس تحريرها الاستاذ / يوسف الدرويش وعنوانها : ص – ب ٢٨٨٨ – الدوحة قطر .

ولمزيد من الايضاحات يمكنك الاطلاع على كتاب « نشأة الصحافة القطرية وتطورها » الذى صدر مؤخرا عن ادارة المطبوعات والنشر بوزارة الاعلام القطرية ، تأليف حسين احمد محمد ، واسامة سيف الدين واشراف احمد حسين الصاوى .

قول على قول

لاحظت اثناء قراءتي للعدد ٩٩ من الدوحة بأن الدكتور محمد البهي في دائرة المعارف القرآنية ذكر في سياق حديثه

عن نبي الله داود انه قاتل الآشوريين « ... لتخليص اسرى بني اسرائيل لديهم ، وقد كان اسرهم الآشوريون في حرب معهم : أذلوهم ، واقتحموا عليهم ديارهم ، وهدموا ما كان لهم من حضارة مادية ، ومعابد ، وبينها هيكل سليمان . »

وهذا القول مناف للحقائق التاريخية التي أفهمها .. لأن داود لم يحارب الأشوريين ابدا ، وإنما حارب شعبا كنعانيا ، وذلك في اواسط القرن الحادى عشر قبل الميلاد . ثم أن الغزو الأشورى الشهير لفلسطين بقيادة (بنوخذ نصر) حدث بعد ذلك بقرون عديدة وبالتحديد في سنة ٥٨٦ ق . م . وكان من نتائج الغزو تدمير الهيكل ، وسبي الشعب الاسرائيلي ، واما بالنسبة للهيكل ذاته فقد بناه سليمان بن داود عليه السلام في حدود عام ٩٥٢ ق . م . اى بعد وفاة داود بثمانية عشر عاما .

بلاح بشير الجزائر العاصمة

أشهر وكالات الأنباء

ارجو ان تذكروا لى اشهر وكالات الانباء العالمية ، مع تحديد جنسياتها .

فاتنه خالد دبوس الكويت

١ – وكالة اليونايتد بريس انترناشيونال الامريكية . (U.P.I.)
٢ – وكالة الاسوشيتد بريس الامريكية . (A.P.)
٣ – وكالة رويتر البريطانية .
٤ – وكالة الأنباء الفرنسية (A.F.P.)
٥ – وكالة الانباء الألمانية (D.P.A.)
٦ – وكالة تاس السوفيتية
٧ – وكالة الانباء اليابانية (GI. GI)
٨ – وكالة الانباء اليابانية (Kuda)
٩ – وكالة الانباء الايطالية (Ansa)
١٠ – وكالة الانباء الهندية (U.N.I.)
١١ – وكالة تانيوج اليوغسلافية .
١٢ – وكالة ابناء الشرق الاوسط المصرية .
١٣ – وكالة الأنباء الصينية

ملاحظات قارئ

انطلاقا من محبتي العميقة للمجلة ورغبة منى فى تقدمها نحو الافضل ، فارجو ان تتسع صدور اسرة التحرير لتقبل هذه الملاحظات :

اولا : عند نشر اجابات المسابقة يفضل اعادة ذكر الاسئلة حتى يتمكن القارىء من تذكرها ، وعندئذ ستكون الفائدة مضاعفة .

ثانيا : اما بالنسبة لجوائز المسابقة فارى انها متواضعة جدا بالمقارنة مع الـ ١٣ سؤالا مضمون المسابقة فى كل عدد .

راجيا قبول تحياتي وتقديرى

وليد سليمان السلوم – سوريا

رسائل إلى المحرر

* رحلة إلى استانبول *

وردتنا عدة رسائل أبدى مرسلوها اعجابهم بموضوع « رحلة الى استانبول » الذي كتبه نبيل خالد الأغا ، الذي نشر في العدد ١٠١ من الدوحة والصادر في شهر مايو (آيار) الماضي .

وهذه الرسائل موقعة بأسماء الأخوة : رستم كيلاني (القاهرة) ، محمد محمد عيسوي (القاهرة) ، وزان هادي عمر (المغرب) ، زياد فايز المصري (القاهرة) ، نمر غازي الكحلة (عمان) .

وفي الوقت الذي نعرب فيه عن شكرنا وتقديرنا لهؤلاء الاخوة ، نود ان نتجاوز دائرة الثناء لنعبر الى ساحة النقد ، حيث تلقينا رسالتين — من سوريا — اولاهما من الأخ سلوم الذياب من دير الزور يقول فيها :

« ... لقد حاول الأخ نبيل خالد الأغا أن يدافع عن الدولة العثمانية من خلال مقالته « رحلة الى استانبول » وابدى تقديره للأتراك لأنهم حققوا الوحدة الإسلامية ، ولم يفرطوا بولاية فلسطين !

ان الوحدة الإسلامية التي أشاد بها الأخ الكاتب كانت باختصار شديد لمصلحة الأتراك ولم تكن لمصلحة العرب !

أما الموضوع الثاني وهو عدم التفريط بفلسطين ، فتقول المصادر التاريخية أن السلطان عبد الحميد اتفق مع اليهود كي يقفوا بجانب الامبراطورية العثمانية ماديا ومعنويا . وحدد مبلغ المساعدة المالية التي سوف يقدمها يهود العالم ، لقاء اعطائهم وطنا لهم . لكن اليهود لم يفوا بالتزاماتهم المالية ، مما جعل السلطان عبد الحميد لا يفي أيضا بوعده .

ومهما تعددت الروايات ، واختلفت الاسباب فالثابت ان اليهود تعاونوا مع الامبراطورية العثمانية ، وسيطروا على جوانب هامة من حياتها . ولا ننسى ان كمال أتاتورك كما يقال في كثير من المصادر التاريخيه نفسه ينتمي الى طائفة يهود « الدونمة » الموجودة في تركيا .

• ووردتنا كذلك رسالة من الأخ عز الدين احمد عزو يقول فيها معلقاً :

« ... غير أن المراجع التي تنتقد الدور العثماني في العالم العربي تؤكد أن العثمانيين خلال اقامتهم الطويلة في بلادنا قد مارسوا دور المستعمرين الغزاة لا دور الموحدين الحضاريين المحافظين على وحدة المسلمين وعزة الإسلام مثلما ورد في استطلاع الكاتب نبيل خالد الأغا ، ومن بين تلك المراجع كتاب « خطط الشام » للمرحوم محمد كرد علي » .

« ... لقد أكد لنا الكاتب أن الأتراك العثمانيين لم يفرطوا بولاية فلسطين ، ولم يسمحوا بتسهيل الهجرة اليهودية إليها ، غير أننا نجد ضمن صفحات « خطط الشام » مايلي : « وفي أول عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٨١ م)أخذ الصهيونيون ينزلون فلسطين مئات كل سنة » .

ويؤكد لنا نفس المرجع في موقع آخر أنه بعد خمس سنوات من ولاية السلطان عبد الحميد اصبح اليهود يملكون ثلثي سهول صفد وطبريا ! !

هذا إضافة للوثيقة التي كتب عنها الدكتور محمد جابر الأنصاري في العدد ٩٩ من الدوحة والتي تؤكد أن السلطان عبد الحميد لم يكن أبدا حامي الحرمين الشريفين والديار المقدسة !

« .. وأخيرا .. فقد كنت أتمنى لو أن السيد نبيل خالد الأغا . حينما وقف خاشعا دامعا في المسجد الأزرق باستانبول وتذكره لوطنه الفلسطيني المحتل تذكر أيضا أن تركيا هي البلد الإسلامي الوحيد الذي أنشأ علاقات ديبلوماسية واقتصادية وعسكرية مع الكيان الصهيوني »

عز الدين احمد عزو
مصياف — سوريا

* ردود خاصة *

• الاخ محمد رمضان خيرالله — سوريا
نشكرك على تحيتك الشعرية للمجلة .

• الاخ فيصل ابو شادى — سوريا
وصلتنا « اعترافات شاب » التي لا تخلو من مدلولات هادفة .

• الاخ عبد السلام عمر العطير — السعودية
لقد ذهبت بعيدا في تحليلك للموضوع . خذ الامر بروية . ولك تحياتنا .

• الاخ حمدى الصاوى ابو غنيمه — مصر
اسلوبك القصصي جيد ، لكن الموضوع الذى تناولته مكرر ، لك تحياتنا .

• الاخ عبد العزيز الحاج — السودان
قصيدتك لا بأس بها ننصحك بالاطلاع على علم العروض .

• الاخ سليمان الزهراني — السعودية .
نحن معك فيما ذكرته في البند الثالث من رسالتك ، اما بخصوص مقالك عن التدخين فلم يصلنا .

• الاخت آمال السيد فوده — مصر
بشأن مذكرات الشاعرة الكبيرة فدوى طوقان فستصدر — قريبا — في كتاب مستقل .

ومقالك عن « اغلى الجواهر » جيد ، وفيه عواطف صادقة .

• الاخت هدى السيد حامد — ابو ظبي
لقد أمضى الخليفة ابو بكر الصديق في خلافة المسلمين سنتين وثلاثة اشهر وعشرة ايام .

• الاخ بو عبيد الوالى — الجزائر
يمكنك الحصول على كتاب « جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الاتراك » لمؤلفه السيد زياد أبو غنيمه من مؤسسة دار الفرقان للنشر والتوزيع ص — ب ٩٢١٥٢٦ عمان — الاردن .

* مكتبة الدوحة *

• • •

• « حلم » : مجموعة قصصية

المؤلفة : رقية حمود الشبيب

الناشر : نادى القصة السعودى بالرياض :

تضم هذه المجموعة اربع عشرة قصة قصيرة ، وهى المجموعة القصصية الاولى للكاتبة السعودية التي اهدتها « الى اسماء » في زمن الوجع الدائم ، والى كل وريثات اسماء » .

مجموعة القصص بشكل عام تنبئ عن ميلاد كاتبة مقتدرة تمتلك رصيدا من المعلومات والاحداث التاريخية .. وتربطها – بمهارة – بالواقع الحياتي لابطال قصصها .

• عالم الآخرين « قصص مختارة »

• • •

المؤلف : كمال الدين رضوان

الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب .

• • •

• حب .. وملكات فلسفية

المؤلف : عبد الفتاح لبيب

أول عمل قصصي للمؤلف



* ديوان أمة واحدة *

صدر للشاعر الفلسطيني كمال عبد الكريم الوحيدى ، ديوانه الثامن بعنوان : أمة واحدة ..

الديوان تبنت طبعه ونشره وزارة الاعلام بدولة قطر ، نظرا لأنه في مجموعة قصائده يخاطب أمل الأمة العربية الظامئة بكاملها للوحدة ، والتواقة للحرية والمتطلعة للكرامة .

وقد قدم للديوان فضيلة الشيخ عبد الله بن ابراهيم الأنصارى مدير إدارة احياء التراث الاسلامى في دولة قطر بحديث عن الشعر والشعراء قال فيه : الشعراء من قديم الزمان هم لسان الأمة واعلامها ، والمدافعون عن شرف القبيلة وأمجادها ، وكم من قبيلة وضيعة رفعها شاعرها وأعلى شأنها وأزال عنها الضيم ، ومثال ذلك قبيلة (أنف الناقة) التي ذاع صيتها بعد أن كانت مغمورة منسية بفضل شاعرها القائل :

قوم هم الأنف والأذناب غيرهم

ومن يساوى بأنف الناقة الذنبا

لقد سار بهذه الكلمات العرب وتناقلها الركبان ، وتغيرت موازين القبيلة وأصبحت هدفا للتزاوج بعد أن كانت غير ذلك

والشاعر كمال الوحيدى ، من الذين عايشوا بداية النكبة ، وذاقوا مرارتها في كل مرحلة على مدى أكثر من ثلاثين عاما ، وهو في هذا الديوان – كما يقول الدكتور محمد عبد الغفار حمزة – يوجه حديثه لكل قطر عربي واسلامى على حدة ، مذكرا بماضيه المجيد ، وحاثا له على العمل الجاد من أجل المشاركة بكل طاقاته في سبيل إعادة المد الاسلامى والمجد العربي ، وأنه أقتبس عنوانه من القرآن الكريم (أمة واحدة) .

والجدير بالذكر أنه قد صدر للمؤلف سبعة دواوين قبل هذا الديوان وهى : الباسمات الغاليات ، هذا الطريق ، حنين وأنين عبر السنين ، طريد الدار ، القيد ، رسال الحياة ، رابعة العدوية (مسرحية شعرية) .. إضافة الى مجموعة قصص بعنوان « الحسناء العربية » .



* دليل الكاتب السعودي *

أصدرت الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون « دليل الكاتب السعودى » متضمنا ترجمة موجزة لحياة الكتاب والكاتبات في المملكة العربية السعودية ، ومؤلفاتهم ، وعنوان الاتصال بهم .

وقد رتب الدليل ترتيبا هجائيا في ٣٠٤ صفحة ليكون سجلا كاملا يستوعب أغلب الكتاب السعوديين الذين يسهمون بعطائهم في سائر مجالات الكلمة .

وقد لخص السيد محمد الشدى رئيس مجلس إدارة الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون الفوائد التي يحققها هذا الدليل في عدة أمور من بينها :

• تسهيل الاتصال والتعارف بين الكتاب السعوديين من جهة ، ومن جهة أخرى بينهم وبين الكتاب في الدول العربية والاسلامية والأجنبية .

• التعريف بما يقوم به الكتاب السعوديون من دور ومشاركات ثقافية داخل المملكة وخارجها .

• خدمة الباحث المهتم بدراسة الحركة الفكرية .

وهذا الدليل – في الحقيقة – يمثل عملا رائدا يستحق كل التقدير والثناء ، ولعله الأول من نوعه في أى قطر عربي ، وحبذا لو تعمل كل الدوائر الثقافية في كل قطر عربي مثل هذا العمل المشكور ، الذى يساهم مساهمة فعالة في التعريف بالكتاب والأدباء والصحفيين على امتداد وطننا العربي العزيز .

تحية تقدير الى الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بهذا العمل الرائع الرائد . مع تمنياتنا القلبية بمزيد من الازدهار للحركة الثقافية النشطة في المملكة العربية السعودية الشقيقة .

السباحة في شرايين العودة

شعر: أحمد أحمد إبراهيم

أسميكِ – اختلاج الصدور –
شظيّه
فأىّ شظاياكِ بعثرني
فا نفجرت الى آهةٍ
ودخانٍ ..
ونارْ ..
ليلقاني الطعنُ
في الأرض شوكا
وفي الدرب سداً
وبين البنايات سوطا
يعيدُ ابتسامة عمرى
إلى الانشطارْ
وحين أرى « ياقة »
قد رسمتِ عليها « بنات السماء »
أستعيد التطوح تحت المشانقْ
فأوغلُ في الانسحاب المباغتْ
وأجلد كوكبة الواقفينَ
على كل خط ارتطام الثوابتْ
فيطرح ظهرى – إذا ما استدرتُ –
على هدبهم جبل الانهزام
[فليس الذى بيني وبينك واصل
وبيني وبين الواصلين حجابُ]
ورغم انفصال امتدادى
عن الوارثينَ
عن القاطنينَ
بأشجان نحر يديّا
عن الكاتبين الأغانيَ
بالمسح فوق المقاعدْ

عن السابحين مع الموج – شرقاً وغرباً –
بدون رويّهْ
عن الحاملين المباخرَ
بين يدىْ تبر سيف [أميّهْ]
أعود إليكِ
ولو وزعتني شظاياك في كل شبرٍ
خليّهْ
أسميكِ
إن جفت الأرض – سيبا
وإن ضاقت الجُذُر اللاعنات اللعينة – غيبا
وزهراً نديّا ... وسراً خفيّا
وتأتين – إن أقبل الصبح – همساً
يحوط سريرى
وتلتف كفاكِ – إن هاجم الحزن بابي –
فترحل كل المواجعْ
أسميكِ إنسان عين هوى [السندباد]
يقود خطاى إليك
يقوى خطاكِ إليَّ
مُنذ [تجارحَ] قلبي وإياكِ عشقا
سرى دمنا
فيكِ ... فيَّ
أسميكِ بيت القصيدِ
– إذ اما أردتُ –
ومفتتحاً بالنشيدِ – إذا ما ابتهلتُ
وميناء حبّى الوحيد
– اذا ما تغربت ... تهتُ –
وملحاً وخبزاً
– إذا ما طعمتُ الطيورَ ...

الرحيقَ المصفّى –
فجعتُ
ورغم اندفاق البحار بصدرى المهشم
طويت على بئر حبكِ قلبي
فلا تذكريني إذا ما رأيت انطفاء الدرارىْ
على وجنتيَّ
فأحببت غيركِ حين عشيتُ
بشلال غيمٍ ...
تمزقت – والارض حبلى –
بكل خيوط التواصلْ
تقيّد جنّ المنيّهْ
ورغم اعتصامك في كوكبٍ
غير أرضي
ورغم بقايا التسارر في
زمن الفتق – سيدتي الفاطميّهْ –
ورغم حطامى
أسميكِ ....
آهٍ ....
أسميك ماذا .. ؟
أسميك ... أمى ... الصديقة
أختي ... الحبيبة
أمنيتي ... والحقيقه
وأندسّ بين ذراعيكِ
– واهبةَ الطيبِ والطيبينْ –
وأملأ جفنيك من دمع روحى النقيّهْ
ولو وزّعَتْني شظاياكِ
في كل شبرٍ
خليّهْ ...

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● صلاح الدين يفاوض الإنجليز ●● مقاومة التدخين

صلاح الدين يفاوض الانجليز

بقلم: أحمد أحمد بدوي

استعاد صلاح الدين بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة، بعد ان ظل في أيدي الصليبيين زهاء تسعين عاماً، وقد أثارت عودته إلى حظيرة الاسلام ثائرة فرنج اوربا، وبذل رجال الدين كل جهد، ليوقظوا غضب الجماهير، وليشركوا ملوك اوربا وأمراءها في حرب صليبية جديدة، وارسل صاحب صور صورة المقدس في ورقة، وصور فيها صورة كنيسة القيامة التي يحجون إليها ويعظمون شانها، «وفيه قبة قبر المسيح، وصور على القبر فرساً، عليه مسلم قد وطيء قبر المسيح، وبال الفرس على القبر، وأبدى هذه الصورة وراء البحر في الأسواق والمجامع، والقسوس يحملونها ورءوسهم مكشوفة، وعليهم المسوح وينادون بالويل والثبور...» وقد كللت جهودهم بالنجاح، فاقبل على القتال جند كثيف، على رأسه أعظم ملوك اوربا، وهم إمبراطور المانيا فردريك باباروس، وملك فرنسا فيليب أوغسطوس، وملك إنجلترا ريتشارد قلب الأسد.

اقبل الصليبيون على فلسطين من كل مكان بالبر والبحر والتام شملهم في صور، التي أوى إليها الصليبيون من جميع انحاء سوريا وفلسطين، وقر رايهم على مهاجمة عكا، لحصانة موقعها، ولأن الطريق اليها شاطىء البحر حيث تحميهم سفنهم، وكان البحر اعظم مساعد لهم، يحمل اليهم المواد الحربية والمؤن والرجال وقد وصلوا امام عكا في ١٥ رجب سنة ٥٨٥ هـ، ووضعوا عليها الحصار.

عندما سمع صلاح الدين بحركة الفرنج جمع امراءه للاستشارة، وكان رأيه أن يهاجمهم في الطريق قبل أن يصلوا إلى عكا، ولكن أمراءه اقنعوه بان الخير في أن تدور المعركة أمام عكا. وعندما ذهب صلاح الدين إلى عكا وجد الفرنج قد أحاطوا بها، ومنعوا كل اتصال بها، فعسكر صلاح الدين في مواجهتهم. ويقول المؤرخون: لو أن صلاح الدين عمل تبعاً لرأيه الخاص، وهاجم الصليبيين قبل ان يحاصروا المدينة لأنقذها، ولكن تلك إرادة الله

صمدت عكا امام الفرنج زهاء عامين، نال أهلها فيهما الضر، وانهك الضعف فيهما رجالها، وبلغ منهم العجز إلى غاية لم يجدوا بعدها بدا من التسليم، وكانت قوى صلاح الدين يومئذ مبعثرة، في البلاد، فكان جيش يراقب بومند امير انطاكية، وآخر مقيم في الرها مواجه لطرابلس للدفاع عن الحدود، وثالث يراقب صور، ورابع في دمياط والاسكندرية، ليحتاط ضد الصليبيين القادمين من البحر، ولذلك كان جيش السلطان اقل عدد أمن الصليبيين، وبرغم طول الحصار لم ير صلاح الدين أن يسلم البلد للعدو، وعمل أهل عكا ما استطاعوا للاحتفاظ بمدينتهم، ولكنهم أمام كثرة العدو اضطروا إلى أن يصالحوه على أن يسلموا إليه البلد وجميع ما فيه، ويقدموا إليه ضريبة مالية كبيرة، ويخرجوا بانفسهم سالمين هم وذراريهم ونساؤهم. ولما علم صلاح الدين بذلك أنكره إنكاراً عظيماً، وعزم على أن يحول بين اهل عكا وبين التسليم، ولكن ما راعه إلا أعلام الفرنج

صلاح الدين يفاوض الأنجليز

تنصب على اسوار المدينة يوم الجمعة ١٧ جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ هـ ، ولم يف ملك الانجليز بما وعد به اسرى المسلمين ، بل احضرهم مكبلين بالحبال ، وحمل عليهم هو وجنده حملة الرجل الواحد ، فقتلوهم ضرباً وطعناً بالسيف ، ولم يطق ملك فرنسا المقام مع ريتشارد ، فعاد إلى بلاده ، وبقي ريتشارد يعمل وحده .

لما فرغ الفرنج من إصلاح امر عكا ساروا مع شاطىء البحر إلى حيفا ، وخرج المسلمون بازائهم يضايقونهم ، حتى وصلوا إلى يافا فملكوها ، وكانوا على ان يملكوا عسقلان والقدس ، فجمع صلاح الدين امراءه ، واستشارهم فيما يفعل ، فاشاروا عليه بتخريب عسقلان ، وقالوا له : قد رايت ما كان بالأمس ، وإذا جاء الفرنج إلى عسقلان و وقفنا في وجوههم نصدهم عنها فهم لاشك يقاتلوننا لننزاح عنها وينزلون عليها ، فاذا كان ذلك عدنا إلى مثل ما كنا عليه على عكا ويعظم الأمر علينا ، لأن العدو قد قوي باخذ عكا وما فيها من الأسلحة وغيرها ، ونحن قد ضعفنا بما خرج عن ايدينا ، ولم تطل المدة حتى نستعيد غيرها ، فوافق صلاح الدين على تخريبها مرغما ؛ وتركها صلاح الدين إلى القدس ، وأمر بعمارة سوره وتجديد ما رث منه . واما الفرنج فرحلوا إلى الرملة واخذوا يجددون عسقلان ، واجمعوا امرهم على المسير إلى بيت المقدس .

بدا حديث الصلح يومئذ بين ملك الانجليز وصلاح الدين ، وكان العدو هو الذي بدا بطلب الحديث في هذا الصلح ، إذ اراد ان يتحدث إلى الملك العادل ، وكان أول ما دار من حديث بين الفريقين ان قال الفرنج : «إنه قد طال بيننا القتال ، وقد قتل من الجانبين الرجال الابطال ، وإنا نحن جئنا في نصرة إفرنج الساحل ، فاصطلحوا انتم وهم ، وكل منا يرجع إلى مكانه» ، ولما علم ملك الانجليز بمقدم الملك العادل ، واجتمع به وابدى له الرغبة في الصلح ، فقال له الملك العادل : انتم تطلبون الصلح ولا تذكرون مطلوبكم فيه حتى اتوسط بينكم وبين السلطان . وهنا بدا ريتشارد بذكر أعلى شروطه للصلح ، مظهراً صرامة وقوة إذ قال : «القاعدة ان تعود البلاد كلها إلينا وتنصرفوا إلى بلادكم» ، ولم تكن هذه القاعدة بطبيعة الحال مما يقبله الملك العادل ، فاخشن له في الجواب ، وجرت بينهما منافرة ، انصرفا بعدها على غير اتفاق . ثم دارت بين الفريقين بعض المعارك ، عاد بعدها ملك الانجليز يعجم عود الملك العادل في امر الصلح عله يلين ، على غير جدوى .

طلب ريتشارد إلى الملك العادل مرة اخرى ان يرسل رسولا من لدنه ليتفاوض معه في امر الصلح ، فارسل إليه رسولا يثق به ، ظل يفاوض الملك حيناً طويلا ، ومع ذلك لم يتزحزح الملك إلا قليلا عن موقفه ، فقد عاد الرسول واخبر العادل بما دار بينه وبين ريتشارد الذي قال للرسول : لا ارجع عن كلام اتحدث به مع اخي وصديقي - يعني العادل - فكتب العادل رقعة انفذها إلى السلطان تتضمن شروط الصلح التي عرضها ملك الانجليز وفيها : «إن المسلمين والافرنج قد هلكوا ، وخربت البلاد ، وخرجت من يد الفريقين بالكلية ، وقد تلفت الأموال والارواح من الطائفتين ، وقد اخذ هذا الأمر حقه ، وليس هناك حديث سوى القدس والصليب والبلاد ، والقدس متعبدنا ما ننزل عنه ولو لم يبق منا إلا واحد . واما البلاد فيعاد إلينا ما هو قاطع الأرد ، واما الصليب فهو خشبة عندكم لا مقدار له ، وهو عندنا عظيم ، فيمن به السلطان علينا ونصطلح ، ونستريح من هذا التعب» .

ولما وصلت الرسالة إلى السلطان استدعى ارباب الشورة في دولته ، وشاورهم في الأمر ، وانتهى التشاور الى موقف حازم ، إذ ارسل السلطان في جواب الرسالة يقول لملك الانجليز : «القدس لنا كما هو لكم ، وهو عندنا اعظم مما هو عندكم ، فانه مسرى نبينا ، ومجتمع الملائكة فلا تتصور ان ننزل عنه ، ولا نقدر على التفريط بذلك بين المسلمين . واما البلاد فهي ايضاً لنا في الأصل ، واستيلاؤكم كان طارئاً عليها ، لضعف من كان فيها من المسلمين في ذلك الوقت ، وما يقدركم الله على عمارة حجر منها ما دام الحرب قائماً ، وما في ايدينا منها ناكل بحمد الله مغله وننتفع به ، واما الصليب فهلاكه عندنا قربة عظيمة . لا يجوز لنا ان نفرط فيها إلا لمصلحة راجعة للاسلام هي اوفى منها» .

وفشل مشروع آخر للصلح عرضه ملك الانجليز على العادل ، إذ اراد ان يزوج العادل باخته ، على ان يعطيها اخوها بلاد الساحل التي بيده من عكا إلى يافا وعسقلان وتكون ملكة الساحل ، على ان يكون مستقر ملكها بالقدس ، ويكون العادل ملك الساحل ، وان يسلم إليه صليب الصلبوت ، وتكون القرى والحصون لطائفتين من فرسان الافرنج هما الداوية والاسبتار ، وان يطلق اسرى الفرنج والمسلمين . واذا استقر الصلح على هذه القاعدة رحل ملك الانجليز على بلاده . وقد قبل صلاح الدين هذا المشروع ، إذ به تكون بلاد الشام كلها تحت سيطرة صلاح الدين واخيه . ويقال إن سبب الفشل يعود إلى ان أخت الملك لم تقبل ان تتزوج من العادل لأنه مسلم ، وظن ريتشارد ان العادل يقبل ان يتنصر ليتم هذا الزواج ، ولهذا ابقى باب المفاوضات مفتوحاً .

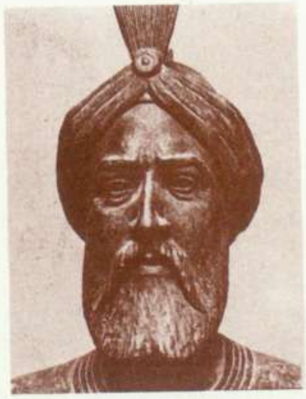
وبرغم ان العادل لم يتنصر ، ولم يتم الزواج ، توثقت صلة المودة بين الملكين ، وحدث في اجتماع تم بينهما ان سال ريتشارد الملك العادل ان يلتمس من السلطان صلاح الدين الاجتماع به ، فلما وصلت هذه الرسالة شاور السلطان الجماعة في الجواب عنها ، وبدا له راي ناجح موفق ذلك انه قال : «الملوك إذا اجتمعوا يقبح منهم المخاصمة بعد ذلك ، فاذا انقطع امر حسن الاجتماع ، والاجتماع لا يكون إلا لمفاوضة في مهم ، وانا لا افهم بلسانك ، وانت لا تفهم بلساني ولابد من ترجمان بيننا نثق انا وانت به ، فليكن ذلك الترجمان رسولا حتى يستقر امر وتستتب قاعدة ، وعند ذلك يكون الاجتماع الذي يعقبه الوداد والمحبة» قال الرسول : ولما سمع ملك الانجليز هذا الجواب استعظمه ، وعلم انه ليس من الهين ان يظفر بما يريد من السلطان . وكان صلاح الدين لا يرى الصلح مع الفرنج ، ويؤمن بان المصلحة في دوام الجهاد حتى يخرجوا من الساحل ، ويعتقد ان الفرنج لا تؤمن غائلتهم ، ويرى ان هذا واجبه في الحياة وتحدثه نفسه بانه لو حدث به حادث الموت لا تكاد تجتمع هذه الجيوش التي تحت قيادته .

مضت الرسل بين الفريقين تحدث في الصلح لتقرير قواعده ، مع قيام الحرب بينهما ، ولم يستطع الطرفان ان يصلا إلى حل حاسم برغم كثرة الرسل ، وكثرة ما عرض من مشروعات . وقر راي العدو على مهاجمة القدس والاستيلاء عليها ، ومضى يعد العدة لذلك ، فاحضر السلطان الامراء

عنده ، وقر رايهم على الاجتماع عند الصخرة والتحالف على الموت . غير ان الفرنج وقد اشرفوا على القدس حدث بينهم خلاف ، دفعهم إلى ان يعودوا ناكصين على اعقابهم ، وفرح المسلمون بهذه العودة .

وتجدد حديث الصلح مرة ثانية ، وارسل ملك الانجليز رسولا يقول : قد هلكنا نحن وانتم ، والأصلح حقن الدماء ، ولا ينبغي ان تعتقد ان ذلك لضعف مني ، بل للمصلحة ، ولا تغتر بتاخري عن منزلي ، فالكبش يتاخر لينطح » .

وارسل رسالة اخرى فيها رفق وخضوع ونزول عن كثير مما كان يطمع فيه ، ويقول له في هذه الرسالة : « إني راغب في مودتك وصداقتك ، وانه لا نريد ان يكون فرعون بملك الأرض ، ولا يظن ذلك فيك ، ولا يجوز لك ان تهلك المسلمين كلهم ، ولا يجوز لي ان اهلك الافرنج كلهم ، وهذا ابن اختي الكندهري قد ملكته هذه الديار ، وسلمته إليك ، ليكون هو وعسكره تحت حكمك ولو استدعيتهم إلى الشنق سمعوا واطاعوا . ويقول : ان جماعة من الرهبان المنقطعين قد طلبوا منك كنائس فما بخلت عليهم بها ، وانا اطلب منك كنيسة ، وتلك الأمور التي كانت تضيق صدرك مما كان يجري في المراسلة مع الملك العادل تركتها واعرضت عنها ، ولو اعطيتني خربة قبلتها » . فلما سمع السلطان هذه الرسالة جمع ارباب مشورته فاجمعوا على المحاسنة وعقد الصلح لما كان قد اخذ المسلمين من الضجر والتعب فكتب صلاح الدين إليه : « إذا دخلت معنا هذا الدخول فما جزاء الاحسان إلا الاحسان . إن ابن اختك يكون عندي كبعض اولادي ، وسيبلغك ما افعل معه . وعسقلان وما وراءها يكون خرابا لا لنا ولا لكم .. » وقد كاد الصلح يتم لولا إصرار ملك الانجليز على ان تبقى عسقلان وبعض البلاد عامرة بيده ، فقد ارسل إلى صلاح الدين رسالة يقول فيها : « إن الملك يسال ويخضع لك ان تترك له هذه الاماكن الثلاثة عامرة ، واي قدر لها في ملكك وعظمتك ، وما من سبب لاصراره عليها ، إلا ان الافرنج لم يسمحوا بها ، وقد ترك القدس بالكلية ، فلا يطلب أن يكون فيه رهبان ولا قسوس ، إلا في القيامة وحدها ، فانت تترك له هذه البلاد ، ويكون الصلح عاماً ، فيكون لهم كل ما في أيديهم من الداروم والى انطاكية ، ولكم ما في ايديكم ، وينتظم الحال ، وان لم



صلاح الدين الايوبي

ينتظم الصلح فالافرنج لا يمكنونه من الرواح ، ولا يمكنه مخالفتهم » . وانقطعت مفاوضات الصلح عندما اعلن الملك انه لا لا يمكن ان يخرب من عسقلان حجراً واحداً

استعد صلاح الدين للحرب ، ومضى بجيشه إلى يافا وافتتحها وكانت قلعتها على وشك ان تسقط في يده لولا ان انجدها جيش الفرنج ، وقد اعجب ملك الانجليز بالسرعة التي استولى بها صلاح الدين على يافا ، وقال : ما ظننت انه ياخذ يافا في شهرين ، فكيف اخذها في يومين . وارسل رسولا إلى السلطان يقول له : « بالله عليك اجب سؤالي في الصلح ، فهذا الأمر لابد له من اخر ، وقد هلكت بلادي وراء البحر ، وما في دوام هذا مصلحة لنا ولا لكم » فاجابه السلطان : « إنك كنت طلبت الصلح اولا على قاعدة ، وكان الحديث في يافا وعسقلان ، والآن قد خرجت يافا ، فيكون لك من صور إلى قيسارية » ، فجاء رسول الملك يقول : « إن قاعدة الافرنج انه إذا اعطي واحد لواحد بلداً صار تبعه وغلامه ، وانا اطلب منك هذين البلدين : يافا وعسقلان ، وتكون عساكرهما في خدمتك دائما ، وإذا احتجت إلي ، وصلت إليك في اسرع وقت ، وخدمتك كما تعلم خدمتي » ، فاجابه صلاح الدين : «حيث دخلت هذا المدخل ، فانا اجيبك بان نجعل هذين البلدين قسمين : احدهما لك ، وهو يافا وما وراءها ، والثاني لي ، وهو عسقلان وما وراءها » ، فارسل إليه الملك يشكره على اعطائه يافا ، ويجدد السؤال في عسقلان ، ويقول : « إنه إن وقع الصلح في هذه الأيام سار إلى بلاده ، ولا يحتاج ان يشتي هاهنا » ، فاجابه السلطان في الحال إجابة المؤمن الواثق بقوله : « اما النزول عن عسقلان فلا سبيل إليه واما تشتيه هاهنا ، فلابد منها ، لانه قد استولى على هذه البلاد ، ويعلم انه متى غاب عنها اخذت بالضرورة ، كما تؤخذ ايضا إذا اقام إن شاء الله تعالى . وإذا سهل عليه ان يشتي هاهنا ، ويبعد عن اهله ووطنه مسيرة شهرين وهو شاب في عنفوان شبابه ووقت اقتناص لذاته ، افلا يسهل علي ان اشتي واصيف ، وانا في وسط بلادي وعندي أولادي واهلي ، وياتي الي ما أريد ، وانا رجل شيخ ، قد كرهت لذات الدنيا ، وشبعت منها ، ورفضتها عني ، والعسكر الذي يكون عندي في الشتاء غير العسكر الذي يكون عندي في الصيف ، وانا اعتقد اني في اعظم العبادات ، ولا ازال كذلك حتى يعطي الله النصر لمن يشاء » ..

ومضى السلطان يطلب فرصة يحارب فيها العدو ، ولكن الملل كان قد دب إلى عسكر الفريقين وكانت قد جدت امور تستدعي عودة ملك الانجليز إلى بلاده ، فارسل رسولا إلى الملك العادل ، وقال له : قل لاخي الملك العادل يبصر كيف يتوصل إلى السلطان في معنى الصلح ، ويستوهب لي منه عسقلان ، وامضي انا ، ويبقى هو في هذه الشرذمة اليسيرة ياخذ البلاد منهم فليس لي غرض إلا إقامة جاهي بين الافرنج ، وإن لم ينزل السلطان عن عسقلان فياخذ لي منه عوضا عن خسارتي على عمارة سورها .

فلما سمع السلطان ذلك سيرهم الى الملك العادل ، واسر إلى ثقة عنده ان يمضي إلى الملك العادل ، ويقول له : إن نزلوا عن عسقلان فصالحهم ، فان العسكر قد ضجروا من ملازمة القتال ، والنفقات قد قلت .

وانتهت المفاوضات بين العادل والملك بالنزول عن عسقلان وعن طلب العوض عنها ، وتم توقيع المعاهدة على ان يسود السلام ثلاث سنين من تاريخها وهو الأربعاء الثاني والعشرون من شعبان سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ، ونادى المنادي في الأسواق : الا إن الصلح قد انتظم في سائر بلادهم ، فمن شاء من بلادهم ان يدخل إلى بلادنا فليفعل ، ومن شاء من بلادنا ان يدخل إلى بلادهم فليفعل . قال ابن شداد وكان حاضراً ذلك اليوم : « وكان يوماً مشهوداً ، غشى الناس من الطائفتين فيه من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى » .

صلاح الدين يفاوض الأنجليز

اما موقف صلاح الدين من الصلح فقد اوضحه ابن شداد بقوله : « ان الصلح لم يكن من إيثاره ، فانه قال لي في بعض محاوراته في الصلح : اخاف ان اصالح ، وما ادري اي شيء يكون مني ، فيقوى هذا العدو ، وقد بقيت لهم هذه البلاد ، فيخرجوا لاسترداد بقية بلادهم ، ونرى كل واحد من هؤلاء الجماعة قد قعد في راس قلعته ، يعني حصنه ، وقال : لا انزل ، فيهلك المسلمون . هذا كلامه ، وكان كما قال لكنه راى المصلحة في الصلح ، لسامة العسكر ، وتظاهرهم بالمخالفة ، وكانت مصلحته في علم الله تعالى ، فانه اتفقت وفاته بعيد الصلح ، ولو كان اتفق ذلك في اثناء الوقعات لكان الاسلام على خطر ، فما كان الصلح إلا توفيقاً وسعادة له » .

امضى صلاح الدين معاهدة الصلح مرغماً ، لما شاهده في الجند من ملل ، دل عليه احجامهم عن منازلة العدو في مواقف عدة ، وكان يامل ان يجدد قواه في هذه المدة من السلم ليستخلص ما بقي في يد الفرنج ، وبرغم طول الجهاد ومشقات القتال هذه المدة الطويلة في حرب الفرنج ، وقف صلاح الدين للفرنج وقفات حطمت أمالهم ، فلم يظفروا بغير امتلاك عكا ، واضطروا إلى النزول على ما شرطه السلطان ، وفي ذلك يقول ابن الساعاتي بمدح صلاح الدين :

سل عنه قلب الأنكتير ، فـان في
خفقانـه ما شئت من انبائـــه
لولاك ام البيتَ غيـــر مدافـــع
واســـال سيل نداه في بطحائـــه
وبكت جفـــون القدس ثانية دمـاً
لترنّم النـــاقوس في افنائـــه

وكان إعجاب مؤرخي المسلمين عظيماً بصبر الانجليز ، وسياستهم في اللين حيناً والشدة حيناً آخر ، ولكن غلب سياستهم إيمان صلاح الدين وقوة ثباته ورباطة جنانه .

أحمد أحمد بدوي
١٩٥٣

مقاومة التدخين



زكي مبارك

بقلم : الدكتور زكي مبارك

شاع وذاع أن الدخان يشحذ الفكر ، ويوقظ الذهن ، من أجل هذا كثر المدخنون من الشعراء و الكتاب والسياسيين ، حتى صار من المألوف أن نرى صور الساسة والوزراء وفي أفواههم السجائر النحاف أو السمان ، وحتى صار من العسير أن نتصور شاعراً أو زعيماً خلت حياته من عبق الدخان .

في العام الماضي قام الدكتور شخاخيري بتاليف رابطة لمقاومة التدخين ، ومضى يستهدي المفكرين والمؤلفين والوزراء كلمات في استنكار التدخين ولم يكتف بذلك ، وانما اندفع فنظم سلسلة محاضرات في «دار الحكمة» .. دعا إليها اشهر المحاضرين ليقاوم آفة التدخين .

والدكتور شخاخيري رجل مخلص ، ودعوته هذه تستحق التاييد ، ولكنها معرضة لاخطار سانص عليها في هذا الحديث لاهدم الأساس الذي قامت عليه ،

ولعل الله يتفضل فيكتب لي النفع مم تعلمت ، لأنني مع الأسف من المسرفين علـ انفسهم بالتدخين .

شاع وذاع ان الدخان يشحذ الفكر ويوقظ الذهن ، ومن اجل هذا كثر المدخنو من الشعراء والكتاب والسياسيين ، حتـ صار من المالوف ان نرى صور الساسـ والوزراء وفي أفواههم السجائر النحاف او السمان ، وحتى صار من العسير أ نتصور شاعراً او زعيماً خلت حياته مـ عبق الدخان .

لن أقف موقف الواعظ في دفع هذه الآفة ولكني ساقف موقف المؤرخ ، ثم اترك الحكم للقراء فيما ساسوقه ، من بيانات .

أول أمة عريقة في التدخين هي امريكا القديمة ، امريكا الأمريكية ، لا امريكا

الأوربية ، اعني أمريكا التي سبقت عهد كولمبس ، وسبقت عهد الاتصال بالاوربيين والاسيويين .

فما الذي استفادت أمريكا القديمة من التدخين ؟ هل فتق اذهان أهلها إلى الوان من الفكر والعقل والبيان ؟ هل جعل لاهلها ماضياً في رفع دعائم الحضارة الانسانية ؟

كلا ، وإنما تركها التدخين امة بلا تاريخ . وأقدم الأمم في رفع راية العقل هم المصريون والبابليون واليونانيون ، فهل عرف هؤلاء التدخين حتى ننسب رقيهم إلى هذا المرض الفظيع ؟

هل عرف العرب التدخين حتى نرد السبب في تفوقهم إلى الدخان ؟

هل دخن الجاحظ والغزالي وابن رشد والبحتري والمتنبي وابو فراس ؟

اترك التاريخ القديم واذكر شواهد قريبة جداً من تاريخ مصر الحديث :

أعظم كاتب سياسي باجماع الآراء هو المرحوم عبدالقادر باشا حمزة ، ولم يكن يدخن أبداً ، وما اذكر اني رايته طلب فنجان قهوة في اي وقت وهو يكتب أصعب المقالات .

ومن عظماء كتابنا الزيات والاستاذ العقاد ، وهما لا يعرفان التدخين . وهذا كلام لا يكاد يصدقه القارىء ، ولكنه الواقع ، ولا حيلة في إنكار الواقع (١) .

ولو أن الله اراد ان انتفع بما تعلمت لتذكرت اني الفت كتاب « الاخلاق عند الغزالي » وكتاب « النثر الفني » قبل ان أعرف التدخين ، فمتى انتفع بما تعلمت ؟

أما بعد فقد دعاني إلى كتابة هذه الكلمات حوادث اغضبتني ، لان فيها دعاية إلى التدخين ، وهو مرض يفتك بشبان هذا الجيل .

الحادث الأول : في الاسبوع الماضي وقف الأستاذ زهير صبري يستجوب الحكومة في مجلس النواب عن تسعير

الحاجيات الضرورية ، فلما وصل إلى السجائر قال : إن السجائر قد غلت مع ان «كيف» القهوة والشاي لا يحلو إلا بسجارة (؟!) فهل فاته ان في هذا الكلام

إيحاء باهمية السجائر في الحياة اليومية ؟

الحادث الثاني : في الاسبوع الماضي ايضاً «تفضلت» الاذاعة اللاسلكية فاذاعت اغنية تنطق بفضائل السجائر ، اغنية منقولة عن احد الافلام السينمائية ..

وانا سأثبت هذه الاغنية في هذا الحديث لغرض واحد : هو تاريخ الحياة الأدبية ، فما يجوز لمؤرخ الادب ان يترك شيئاً بلا تقييد ، ولو كان في الدعوة إلى الدخان . وسادعو الاذاعة اللاسلكية بعد ذلك إلى التفرقة بين جو الرواية وجو الغناء .

عنوان الاغنية «خذ سجارة وهات سجارة» وهي من الشعر الملحون :

السجـــارة في الحيـــاة زيي انا
تتحرق وتضحي روحها لاجل غيرها
عمرهافي الدنيا ما شـــافت هنـــا
تحيا بين النار عشان يرتاح ضميرها
خــد سجــارة ، وهـــات سجارة
السجارة إن كنت يوم حتدوق حنانها
تلقي نفسك في حيـــاه غير الحياه
تلقي طيف اللي تحبه بين دخانها
لما فكرك يبقى ســـارح في هواه
خد سجـــارة ، وهـــات سجـــاره

انت زعلان ؟ خد سجارة ، خدها مني
بالله ولعهـــا واطفي الشوق بنارها
انت تبقى في جوها عايش مهني
والسجارة تبقى زيي في مرارهـــا
خــد سجـــارة ، وهـــات سجارة
السجارة لما تيجي وتواســـيك
تنكوي بنارك ومن شوقك تبوسهـــا
هي تصـــون الجميل حـــرام عليك
بعد ما تحرقهـــا بالاقدام تدوسهـــا
خد سجـــارة ، وهـــات سجـــاره

هذه القطعة قوية جداً في الابانة عن الغرض الذي نظمت فيه ، ولكن محطة الاذاعـــة تنسى أن ما يبيحه جو الرواية لتصوير

إحدى الحالات النفسية لا يباح عرضه على جمـــاهير بريئـــة يؤذيهـــا الايحاء بجمال الدخان .

جو الرواية المسرحية او السينمائية قد يدعو إلى تجميل إحدى الرذائل ولكنه قد يسوق بعد ذلك عبرة تقتل السم الذي بثه المنظر الأول ، وبهذا يتعادل النضال بين السم والترياق .

فما عذر محطة الاذاعة في أن تبث داء بلا دواء ؟

الحادث الثالث : رأيت في احد الافلام ممثلا يدخن باسراف مع انه صديق اعرفه منذ سنين ، وهو يبغض الدخان ، فلما سألته عن السبب اجابني بان الافلام المصرية تجعل الناس جميعاً مدخنين .

فما هذا الذي نرى ؟

أنزور الحياة المصرية لتشابه الحياة الأمريكية ؟

انكذب على الواقع في سبيل الفن ، مع ان غاية الفن هي أن يجسم المحاسن والعيوب ، حين يراد به تهذيب الاخلاق ؟ اللهم حوالينا ولا علينا !!

زكي مبارك
١٩٤٣

حاشية :

(١) عرفت اخيرا أن الزعيم الوطني مصطفى باشا كامل لم يعرف التدخين .

العلم هو المستقبل

تقديم: لبنى الريدي

الربوت المقاتل



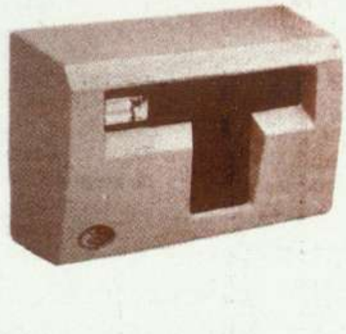
عرضت إحدى الشركات الامريكية مؤخراً نموذجاً لربوت مقاتل يقوم بجميع الأعمال الدفاعية بما في ذلك قتل العدو . وهو أشبه في شكله بدبابة صغيرة . ويضم ميكروكمبيوتر ودوائر ذكاء اصطناعي واجهزة رصد بعيدة المدى بحيث يمكنه حراسة منطقة واسعة مثل قاعدة عسكرية او مطار ، وتحديد هوية اي متسلل والتصدي له .

ولقد تم تزويد النموذج بمدفعين رشاشين وجهاز لاطلاق القنابل . ولكن يستطيع المشتري تحديد نوع الأسلحة واجهزة الرصد المطلوب تزويد الربوت بها . كما يحدد ايضاً مدى قدرة الربوت على التصرف وما إذا كان سيحتاج إلى أوامر من قيادة المراقبة الموجودة في محطة بعيدة قبل فتح النار على المتسلل أم إنه يستطيع اتخاذ القرار وحده .

ويعتبر هذا الربوت وسيلة مثالية لحماية انابيب البترول والقواعد الجوية والمناطق العسكرية الحساسة أو حتى لحراسة قصور الشخصيات الهامة . وهو يتكلف مائتي الف دولار . إلا أن الخبراء يعتقدون أن استخدامه على المدى الطويل في أعمال الحراسة اقل تكلفة من الحارس الآدمي فضلا عن أن الربوت مطيع ينفذ كل ما يطلب منه ولا ينام اثناء نوبات الحراسة .

كما سوف يستخدم هذا الربوت لحراسة السجون بحيث إذا رصد اي تجاوز من سجين يطلب منه التوقف عن الحركة ويرسل على الفور إشارة إنذار للحراس الآدميين . ويتزايد اهتمام الباحثين العسكريين بالربوت المقاتل في الولايات المتحدة ويأملون في التمكن من تصميم وتنفيذ ربوت ذكي يستطيع المناورة والاختفاء وتدمير الدبابات المعادية لأنه ستكون له القدرة على التمييز بين القوات المعادية والقوات الصديقة . إلا أن مثل هذا الربوت لن يصبح حقيقة واقعة قبل عشرين عاماً .

تصوير اللص متلبساً !



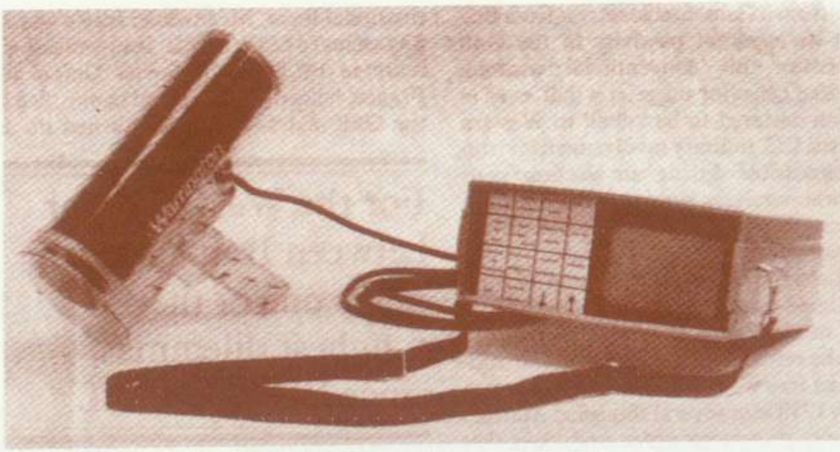
ابتكر السويسريون جهازاً امنياً يصور اللص متلبساً ، فهو يقوم بثلاث وظائف في آن واحد : يرصد اي تسلل بواسطة نظام رصد يعمل بالأشعة تحت الحمراء ، ويطلق في الحال صفارة انذار قوية شدتها ١١٠ ديسيبيل ، ويقوم في الوقت نفسه بالتقاط صورة للمتطفل او اللص . وذلك بفضل كاميرا «بولارويد» للتصوير الفوري موجودة داخل الجهاز .

وتلتقط هذه الكاميرا صورة كل ست ثوان وتظل الصور التي تمثل الأدلة الدامغة داخل صندوق الكاميرا المصفح . وتستطيع الكاميرا التقاط عشر صور دون الحاجة إلى تغيير الفيلم كما إنها مزودة بفلاش ذاتي التحكم . وبالتالي يمكن التعرف على اللص حتى وإن تمكن من الهرب .

ويتميز الجهاز بصغر حجمه (٣٧ سم ٢٤ سم ١٦ سم) وخفة وزنه (٦ كيلوجرامات) بحيث يسهل تركيبه في اي مكان فهو يثبت في الجدار بواسطة ثمانية براغي ويوصل باقرب مصدر للتيار . ويقاوم هذا الجهاز المنيع اي محاولات للتخريب فهو مزود بصفائح تدريع مزدوجة صنعت من البولي كربونات . وفي حالة انقطاع التيار الكهربي يستمر الجهاز في عمله بنفس الكفاءة لمدة ٧٢ ساعة وتتم برمجته أسبوعياً فتحدد مواعيد التشغيل المطلوبة بحيث يعمل بعد ذلك من تلقاء نفسه كما يمكن تشغيله بواسطة جهاز تحكم من بعد يعمل بالأشعة تحت الحمراء .

ويتحكم ميكروكمبيوتر في جميع وظائف هذا الجهاز المتطور كما يبين الأحداث الثلاثة الأخيرة التي قام بتسجيلها ويستخدم مجموعة من الاشارات الموسيقية للتنبيه إلى انقطاع التيار أو إلى التقاطه للصور .

جهاز إلكتروني لتحليل الطلاء



يتسمم آلاف الأطفال سنويا بسبب ارتفاع نسبة الرصاص في الطلاء المستخدم في دهان الجدران والابواب والحواجز الخ . وظل فحص السطوح

المدهونة للكشف عن ارتفاع نسبة الرصاص في مادة الطلاء مكلفاً ويستغرق وقتاً ولا يعطي فى النهاية نتائج اكيدة .

إلى أن ابتكرت إحدى الشركات الأمريكية جهاز تحليل الكتروني يتميز بدقته وسهولة تشغيله فضلا عن صغر حجمه .

ويتكون الجهاز من وحدتين متصلتين ، الوحدة الأولى تاخذ شكل مسدس يزن رطلا ونصف ، أما الوحدة الثانية فعبارة عن صندوق يضم ميكروكمبيوتر وشاشة عرض صغيرة . ويحتوي المسدس على مصدر اشعاعي هو عبارة عن كمية صغيرة من «الكوبلت – ٥٧» .

فعند تقريب المسدس من السطح المراد فحصه والضغط على زناده يحدث انفجاراً صغيراً وتنبعث اشعاعات ضعيفة تتفاعل على الفور مع أي آثار للرصاص من الطلاء. وتتولى دوائر الكترونية في المسدس التحكم فى التفاعل ونقل النتائج إلى الميكروكمبيوتر في الوحدة الثانية لتحليلها بحيث تظهر نسبة الرصاص على الشاشة .

ويستطيع الجهاز اختزان ٤ الاف قراءة في ذاكرة الميكروكمبيوتر لاستخدامها فيما بعد أو لطبعها على طباعة الكترونية توصل به . ويستبدل المصدر الاشعاعي كل ١٤ شهراً . ولتوفير اكبر درجة من الامان لاستخدام هذا الجهاز وضع الكوبلت المشع في عبوة من الستنل ستيل مغلقة بغلاف واق من النحاس والتنجستين .

إشارات المرور داخل سيارتك !

يقترح الباحثون الألمان فكرة تصميم جديد للوحة السيارة يضم إشارات المرور بهدف تخفيض استهلاك الوقود .

ويعتمد التصميم الجديد على وجود اتصال بين نظام التحكم في إشارات المرور الذي يتولاه الكمبيوتر وبين إشارات ضوئية خاصة في لوحة السيارة بحيث تنبه هذه الاشارات السائق إلى ضرورة تخفيض أو زيادة السرعة .

فعندما يقلل السائق سرعة السيارة فانها تفقد جزءاً من قوتها الدافعة ومن عزم تحركها بحيث يستهلك المحرك كمية اكبر من الوقود عند زيادة السرعة مرة اخرى .

وهو ما يحدث في كل مرة تقف السيارة في إشارة مرور . في حين يمنح نظام الاتصال المقترح بين لوحة السيارة وإشارات المرور الأوتوماتيكية فرصة اكبر لعدم تغيير السرعة . فعندما تضيء إشارة المرور الخضراء في لوحة السيارة فمعنى ذلك أن الاشارة التالية في الطريق ستكون خضراء عند وصول السيارة إليها . وبالتالي لا يضطر السائق إلى خفض سرعة سيارته .

والشيء نفسه ينطبق على إشارة المرور الحمراء بحيث يمنح السائق فرصة تقليل سرعته تدريجياً .

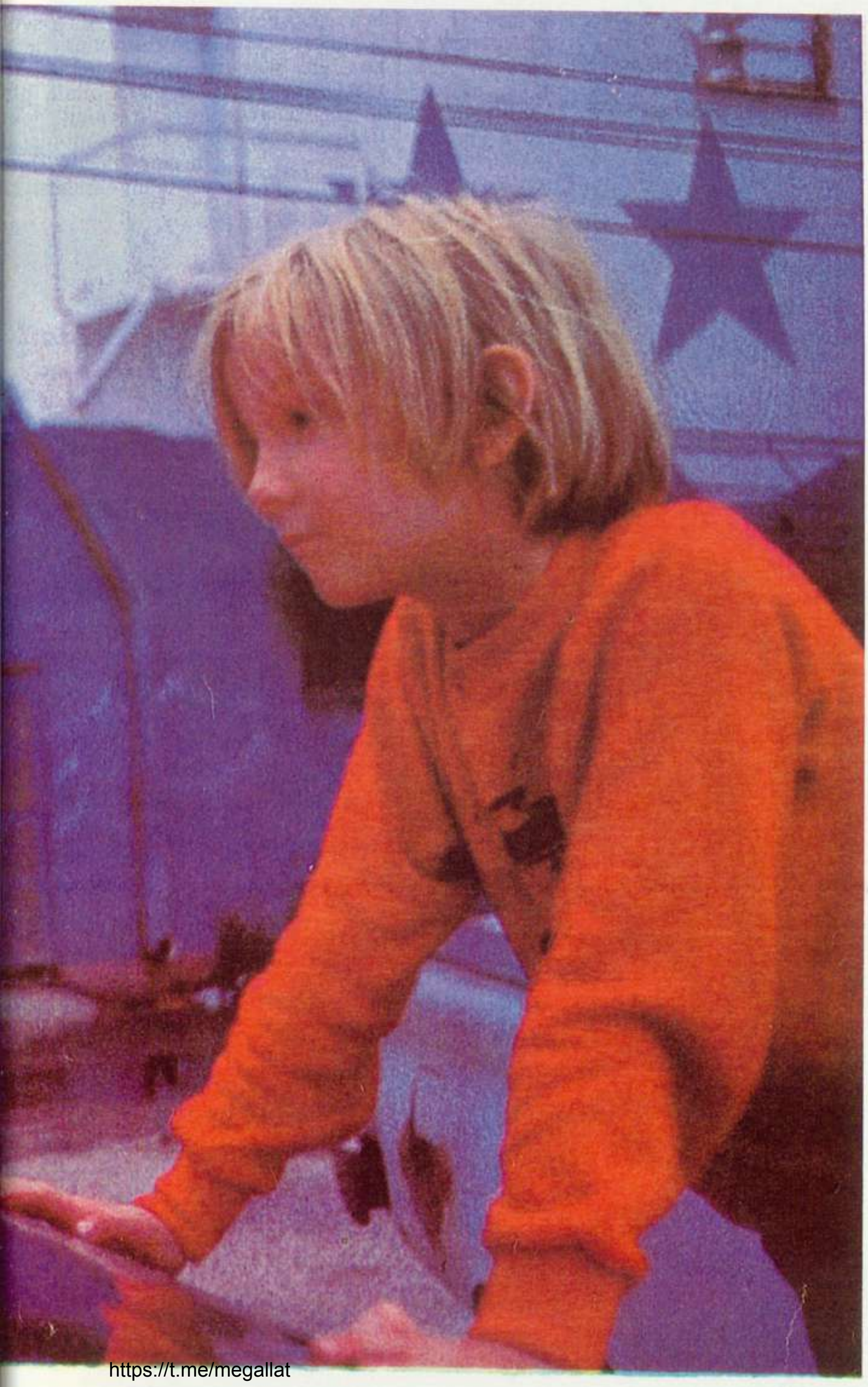
ولضمان دقة هذا النظام ترسل المعلومات الخاصة بتشغيل إشارات المرور قبل الدورة الزمنية للاشارة الضوئية والوقت الذي تستغرقه كل واحدة منها إلى الميكروكمبيوتر الموجود في السيارة . وتكون هذه المعلومات مختزنة الكترونيا قرب تقاطع الطرق في المدن الكبيرة . وتحدد المسافة التي تبعدها السيارة في كل لحظة عن إشارات المرور المختلفة عن طريق تحديد موقع جهاز الارسال والاستقبال الفوري الذي يرسل المعلومات إلى ذاكرة الميكروكمبيوتر وتحديد سرعة تحرك السيارة .

ويؤكد الباحثون أن هذا النظام يساعد على انسياب حركة المرور وتوفير استهلاك الوقود وتقليل نسبة التلوث في المدن .

القصـة الكاملة لأحسن فيلم في مهرجان «كان» ٨٤

باريس ـ تكساس

وعودة البحث في العلاقات بين الآباء والأبناء



لقطة تجمع بين الطفل ووالده .. بعد أن توطدت بينهما العلاقة .. واتفقا على البحث

لذلك عندما عرض مهرجان «كان» في مسابقتـه الرئيسية .. فيلم «باريس – تكساس» .. لم يختلف احد على أن هذا الفيلم هو أحسن افلام المسابقة .. كان الاستقبال له في العرض الأول بالمهرجان ، نوعاً من الاستفتاء الجماعي ..

ساد الصمت والترقب طوال مدة العرض والتي استغرقت الساعتين والنصف .. اكثر من خمسة آلاف ناقد وصحفي من جميع انحاء العالم يجتمعون في قاعة واحدة .. ولا يحاول احد منهم أن يغادر القاعة مللا أو ضيقـاً .. بل انتظمت الانفاس وتلاحقت المشاعر مع مشاهد الفيلم في انسجام وتوحد .. حتى انتهى

«فستاسيا كينيسكي» في دور الأم .. وهي تجلس خلف الحاجز الزجاجي .

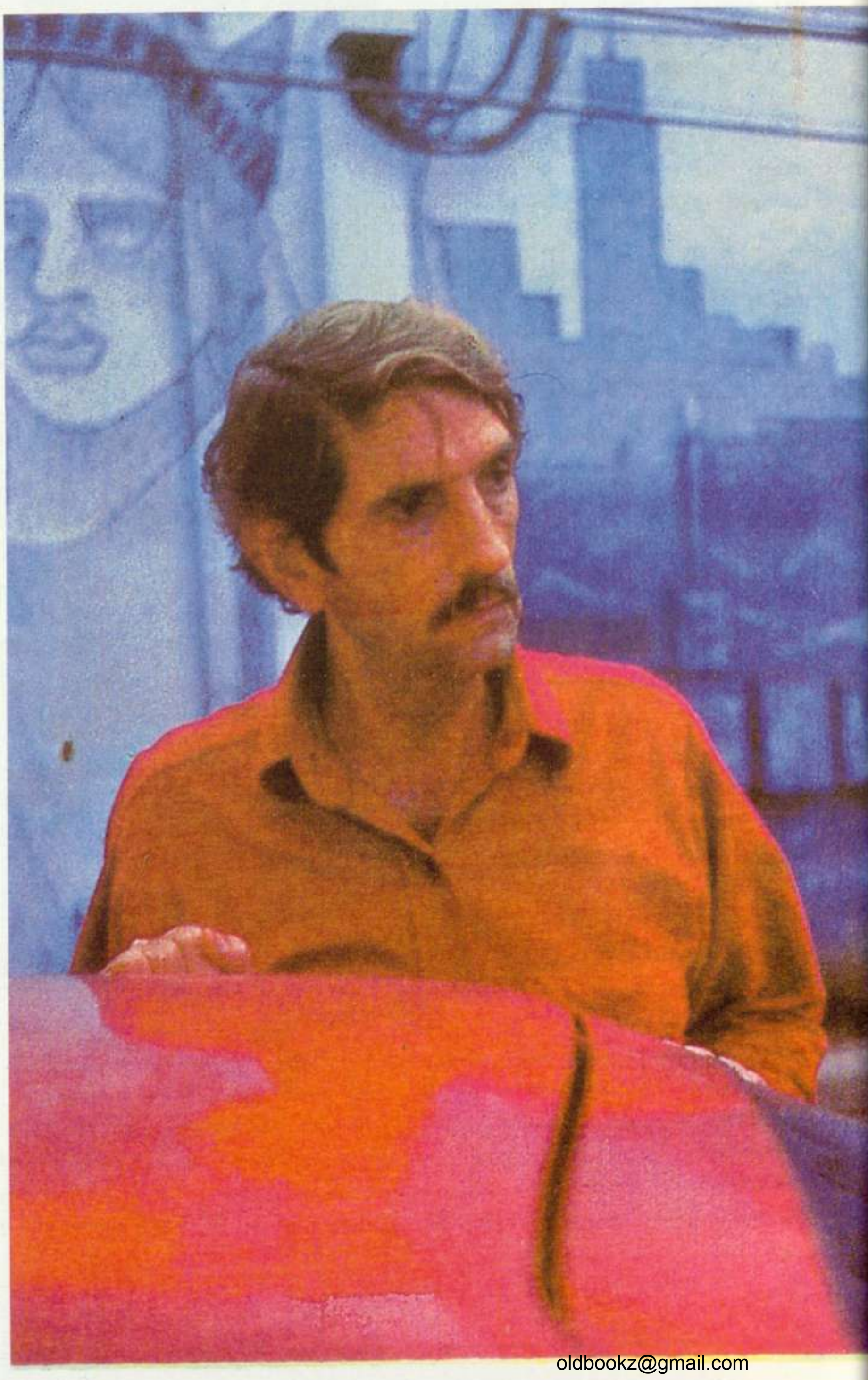


سينما

بقلم: رءوف توفيق

تستطيع أن تحكم على الفيلم الجيد من بين عشرات الأفلام ..
إنه ذلك الفيلم الذي يقترب منك ، وتشعر معه بالتواصل والمتعة
وليس صحيحاً أن الفن هو نوع من التعالي ، وتعقيد الأمور السهلة ، وإغراق المتفرج بالشكوك في مقدرته على الفهم .
الفن .. هو البساطة والصدق ..
والفنان الحقيقي .. هو الذي يستطيع أن يخلق هذا الانسجام بين ما يعرضه .. وبين عقليات وأمزجة المتفرجين ، مهما اختلفت ثقافاتهم وجنسياتهم واهتماماتهم .

.. وهما ينتظرانها امام المنزل المرسوم عليه تمثال الحرية .



الفيلم .. وبشكل تلقائي وقف الجميع يصفقون اعجاباً وتقديراً ..

في تلك اللحظات .. كان كل منهم يعطي صوته لصالح الفيلم .. في استفتاء حر تماماً .. وبعد تلك الليلة الحافلة ، خرجت كل التوقعات ، وتعليقات النقاد ، ترشح هذا الفيلم لجائزة احسن فيلم في مسابقة المهرجان هذا العام .

وعندما اعلنت نتائج لجنة التحكيم ، في نهاية المهرجان ، تأكدت كل التوقعات .. وفاز فيلم « باريس – تكساس » بجائزة احسن فيلم ، والذي اخرجه الألماني الشاب «فيم فاندر» والذي يبلغ من العمر ٣٩ عاماً

واتوقع الآن ان تكتسح ايرادات هذا الفيلم ، كل الأرقام القياسية لايرادات الأفلام عام ٨٤ .

ذلك لأن هذا الفيلم يناجي أنبل المشاعر الانسانية في العلاقة بين الآباء والأبناء . وهذه المشاعر لا تعرف القدم ، ولا تنزوي مع تطور العصر والهموم المستحدثة .. بل ان هذه المشاعر تتأكد لدينا ، انها أهم غطاء لنا وحماية لوجودنا في دوامة الحياة العصرية ، وفي صراعنا المادي اليومي ..

العزف على وتر الأطفال

ومنذ خمسة أعوام بالضبط .. والسينما الأمريكية تطرق ابواب المنازل وتسأل عن الأطفال بين العلاقات الأبوية المهشمة .

فمنذ النجاح المذهل لفيلم «كرامر ضد كرامر» عام ٧٩ ، والذي فاز بخمس جوائز أوسكار عام ٨٠ .. ومن قبله بشهور – في نفس العام – حقق فيلم « البطل » نجاحاً ملحوظاً .. والسينما الأمريكية – بالذات – لا تكف عن تناول موضوع تمزق الأسرة وضياع الأبناء .

باريس_تكساس

وعودة البحث في العلاقات بين الآباء والأبناء

وظهر العديد من الافلام .. الفروق بينها في معيار الصدق في التناول ، ومدى البراعة في تجسيد المشاعر والغوص في الاعماق .

ولم تفلس هذه الافلام .. ولم تغلق السينما الامريكية دفاترها من هذا الموضوع .. بل ادركت من كل تجاربها السابقة .. ان اعادة النظر في العلاقات الأسرية والعزف على وتر الأطفال .. ليس مشكلة محلية تهم المجتمع الأمريكي فقط .. ولكن مشكلة تهم الغرب كله .. وايضاً يتعاطف معها الشرق بحكم تراثه الانساني والحضاري الذي يعتمد على كيان الأسرة وقد أصبح انفصال الابوين ، وتشتت الأبناء ، وفقدان الحب والحنان .. ظاهرة عالمية ارتبطت بأمراض الحياة العصرية .

ويجيء فيلم «باريس – تكساس» ليتوج هذا البحث السينمائي .. وليؤكد لذا أن موضوع العلاقات الأسرية .. موضوع متجدد دائماً .. وان كل «حالة خاصة» هي في حقيقتها تعبيراً عن «حالة عامة» .

قصة الفيلم

«والحالة» التي يقدمها فيلم «باريس – تكساس» تبدأ على الشاشة بلقطات متتالية لرجل متهالك ، تعدى الأربعينات من عمره ، يجوب البراري والأرض الممتدة الى مالانهاية .. وقد ادركه الوهن والعطش .. وجسدت ملامحه الممصوصة ، وثيابه المهترئة .. رحلته الطويلة العبثية ، والتي ظل يسير فيها لايام وشهور .. دون أن يكون في تخطيطه هدف محدد لهذه الرحلة .. سوى ان يهرب بنفسه بعيداً عن كل الذين يعرفهم .. معتمداً الصمت التام !

وكانه انسان اراد أن يقطع كل جذوره .. وان ينسى الكلام.

وعندما يسقط مغشياً عليه ، من شدة الارهاق والعطش .. تلتقطه احدى سيارات مستشفى صغير في هذه البقعة النائية .. ويبدأ الطبيب في علاجه .. حتى يصبح قادراً على أن يفتح عينيه ويتكلم ..

ولكنه لا يتكلم أبداً .. يحاول الطبيب أن



المخرج « فيم فاندر »



الأب في رحلة النسيان .. يحاول الهرب من لقاء اي شخص يعرفه

يعرف من هو .. ومن أين جاء ، وهو لا يرد على أي سؤال .. وانما يفتح عينيه في ذهول ودهشة .. ويفتش الطبيب في جيوبه واوراقه علّه يعثر على أي شيء يدل على هويته .. ويعثر بالصدفة على ورقة بها رقم تليفون .. ويدق الرقم .. لنكتشف انه منزل شقيقه الذي يفاجأ بالخبر .. ويستقل سيارة مسرعاً ليأتي الى ذلك المستشفى البعيد عن أي عمران ..

وعندما يصل .. تكون في انتظاره مفاجاة اخرى .. الطبيب يخبره أن شقيقه قد اختفى من المستشفى منذ الصباح الباكر .. وانه لا يعرف أين ذهب .

ويشعر الشقيق بالصدمة وخيبة الأمل .. وكانه ما كاد أن يمسك بخيط ، حتى افلت منه .. ويبدأ في البحث عنه في تلك الصحراء الممتدة عبر كل الاتجاهات .. واخيراً يعثر عليه ، بقعة سوداء متحركة وسط الصخور والرمال .. يقترب منه وينظر اليه طويلا ويساله بلهفة : الا تذكرني .. انا شقيقك .؟ !

والرجل يبادله النظرات بعيون مذعورة ، مرتبكة .. وكانه يحاول أن يهرب من هذه المواجهة .. وبالفعل يسرع الخطى في الاتجاه الذي كان يسير فيه ، دون أن يلتفت وراءه !

ويجري شقيقه ليلحق به في توسل واصرار .. ويدعوه لأن يركب معه سيارته .. فمن العبث السير في هذه الصحراء الجرداء .. ويسرع الشقيق بفتح الباب الجانبي الامامي .. ويدعوه للركوب .. ولكن الرجل في تردد وحذر شديد ، يختار أن يجلس في المقعد الخلفي !

المهم .. أنه ركب السيارة .. وينطلق بها الشقيق يقودها وبين الحين والآخر ينظر للمقعد الخلفي .. وطوفان الأسئلة الحائرة لا ينقطع .. والرجل صامت تماماً لا يرد ، ولايتكلم .. وعيونه تائهة في عالم حزين !

ونفهم من تساؤلات الشقيق .. أنه انقضت اربعة أعوام على غياب اخيه .. حتى ظنوا أنه مات ..

اربعة اعوام في التجوال بلا هدف في هذه البراري والصحراء القاحلة بولاية تكساس على حدود المكسيك ..

اربعة أعوام من الصمت المتعمد .. ومحاولة نسيان كل شيء حتى اسمه وعنوانه !

العودة الى الحياة

ويحاول الشقيق أن يستخرج أية معلومات عن غيابه المفاجيء والممتد طوال هذه السنوات .. ولكن بلا جدوى ..

يتوقف بالسيارة امام احد الفنادق الصغيرة على الطريق .. ويستاجر غرفة بالفندق .. ويدعو اخاه لكي يستريح قليلا ويستحم ويحلق ذقنه . ريثما يذهب الى المدينة القريبة ليشتري له بعض الملابس الجديدة ، لكي يرتديها بدلا من هذه الخرق الكالحة .. وحذاء جديدا بعد أن تهرأ حذاؤه تماما .

ويوميء له الاخ في استسلام .. ودون أن يفتح فمه بكلمة واحدة !

ولكن عندما يعود الشقيق من رحلة المدينة ، حاملا اكياس المشتريات من الملابس الجديدة .. يفاجا باختفاء اخيه من الفندق !

ويكاد يفقد اعصابه من غرابة هذه التصرفات .. ويحاول بصبر شديد أن

يتماسك وهو يبحث عنه في الطرق المحيطة بالفندق واخيراً يعثر عليه وهو يسير مذهولا على قضبان شريط قطار .. يسرع اليه غاضباً ، متسائلا في دهشة ، «لماذا لا تثق في .. انا شقيقك .. واريد ان أساعدك .. لماذا تهرب مني » ؟ !

ويستسلم الاخ في تردد وصمت .. ويركب السيارة مع شقيقه .. ولاول مرة يجلس في المقعد المجاور له .. ولكنه لا يتكلم !

ويعودان الى الفندق .. لنرى الاخ وقد اغتسل وحلق ذقنه وارتدى الملابس الجديدة .. ويتعمد شقيقه ان يتحدث بالتليفون امامه وبصوت مرتفع .. ونفهم انه يتحدث مع ابن اخيه الطفل .. ويبلغه الخبر السعيد «هل تذكر والدك» لقد عثرنا عليه .. وسوف ياتي معي الى المنزل .

ولاتبدو اية تعبيرات على وجه الاخ .. بل يحاول الخروج من الغرفة متجهاً الى الشرفة .. يساله شقيقه في محاولة دفعه للكلام .. هل تذكر ابنك «هنتر» .. عندما تركته كان في الثالثة من عمره .. وكانت صدمة غيابك عنه قاسية .. ظل يبحث ويسال عنك طويلا .. وبذلت انا وزوجتي جهداً مضنياً لكي نخفف عنه الصدمة .. انه يعيش معنا .. وهو الآن في السابعة من عمره !

ويستقبل الاخ هذه المعلومات ، بلا تعليق .. أو انفعال .. حتى تظن انه فقد الذاكرة والنطق !

ويثور شقيقه لكل هذا الصمت والتجاهل .. ويصرخ فيه وقد فلتت اعصابه : «انا لا اعرف ما الذي حدث لك .. لماذا لا تخبرني بكل شيء .. انا شقيقك ..» !

ولا رد .. سوى الصمت الثقيل ..

ويواصل الشقيق ثورته : «لقد فاض بي .. ومللت هذا السكوت لماذا لا تتكلم ..؟ !!

واخيراً ينطق الاخ .. وياتي صوته وكانه قادم من بئر عميق .. ويقول « اريد ان اذهب الى باريس » .

ويفاجأ الشقيق بان أخاه قد تكلم .. ينظر له بدهشة وحب .. « ماذا تقول » .. ويكرر الاخ نفس العبارة .. موضحاً ما يقصده على الخريطة الصغيرة التي يحتفظ بها في جيبه .. وصورة لمكان قاحل وسط الصحراء .. وليست باريس التي يعنيها سوى اسم ذلك المكان الصغير باحدى مدن ولاية تكساس ..

ويضحك الشقيق لهذه المفاجاة .. وتذوب جبال الثلج بينهما .. ويتواصل الحوار .. ويتحدث الاخ عن ابنه الطفل لاول مرة متسائلا .. هل السنوات الاربع التي غابها .. زمن طويل لكي ينساني فيه ابني ؟ !

وتنطلق بهما السيارة .. يتبادلان قيادتها عبر مئات الأميال لكي يصلا الى لوس انجلوس .. الى منزل شقيقه .. والى لقاء طفلــــه .

اللقاء بين الطفل وأبيه

وحتى هذا الجزء من الفيلم .. لم نعرف سبب غياب هذا الرجل واختفائه لمدة اربع سنوات . وايضاً لم نعرف ما الذي حدث مع زوجته وادى الى انفصالهما .. وترك طفلهما الصغير في رعاية شقيقه .

كل ما اعطاه لنا سيناريو الفيلم ، حتى ذلك الجزء .. هذا التتابع المدهش لصورة رجل شارد ، من الواضح انه تلقى صدمة شديدة ، قرر بعدها ان يعتزل العالم ، وان يصنع لنفسه عالما خاصاً به .. عالماً من الصمت والحزن .. ثم محاولة شقيقه لاعادته الى الحياة .. الى الكلام .. والى الابتسامة .

يلعب دور ذلك الرجل ، الممثل الامريكي «هاري دين ستانتون» .. ويلعب دور الشقيق «دين ستوكويل» .

وينتقل بنا الفيلم – بتشويق شديد الأناقة والمنطقية – الى الجزء الخاص بلقاء الأب بطفله بعد غياب اربع سنوات ..

في اول لقاء .. يستقبل الطفل والده ببرود وجفاف .. ولا يتحمس حتى لمصافحته .. فهو لا يذكره ، ولا يعرفه .. ويستدير الطفل الى لعبه ، وكان شيئاً لم يحدث .. والأب ينظر له بشرود ولا يحاول ان يفرض نفسه عليه .. ويلوذ بالصمت .

وقد تعود الطفل أن ينادي عمه بلقب «بابا» !! وزوجة عمه بلقب «ماما» .. والاثنان يعاملانه بالفعل كانه ابنهما .. ولكن الآن وقد تغير الموقف وعاد الاب الحقيقي .. أصبح عليهما ان يصححا الأدوار وينبهان الطفل الى وجود والده .. ولكن الطفل لا يقبل هذا التغيير المفاجيء .. ويتقبل الأب هذه المسائل بكثير من الصبر والحكمة .. ويخطط لانشاء علاقة مع ابنه الصغير ..

يقترح مثلا .. ان يقوم بتوصيله في الصباح الى مدرسته .. ولكن الطفل يرفض باصرار وحجته انه لا يذهب الى المدرسة سيراً على الاقدام .. بينما كل زملائه ياتون الى المدرسة داخل السيارات !!

ويتقبل الأب هذا المنطق بدهشة .. ولكن دون ان يحاول الاعتراض ..

ويفكر في حيلة اخرى .. ان ينتظر ابنه على باب المدرسة بعد نهاية اليوم الدراسي .. ربما قبل ان يعود معه سيراً على الاقدام الى المنزل .. ولكن الطفل يفطن الى هذه الحيلة ، وما ان يرى والده ينتظر على الرصيف المقابل .. حتى يهرب منه .. ويحتمي بزميل له جاءت امه بسيارتها لتاخذه !

ويقلق الشقيق من استمرار هذا الوضع بين الطفل ووالده .. وذات مساء يطلب من الطفل ان يذهب لوالده ويجلس بجواره فهو يريد ان يتحدث اليه .. ولكن الطفل ببراءة شديدة يتساءل .. « في اي شيء يريد ان يحدثني .. انني لا اعرفه .. »!

ويفكر الشقيق ان يستخرج من مكتبته فيلما سينمائياً قصيراً كان قد صوره منذ سنوات لرحلة جمعت العائلتين معاً .. الأب والأم والطفل .. ثم هو وزوجته ..

ويبدأ عرض الفيلم في صالة البيت .. ويقوم الشقيق بالتعليق محاولا تنبيه الطفل الى اللقطات التي تجمع بينه وبين والده .. انها رحلة على شاطيء البحر بكل ما فيها من لحظات لهو وسعادة ..

وينتبه الطفل في البداية .. ولكن سرعان ما يصيبه الملل وينهمك في لعبه .. في نفس الوقت الذي نلمح فيه مدى التعاسة والحزن على وجه الأب كلما ظهرت على الشاشة صورة زوجته . يغمض عينيه في مرارة وكانه لا يريد ان يرى صورتها .. او يتذكرها !!

وتنتهي هذه الأمسية .. بلا نتيجة بالنسبة للطفل .. وموقفه لم يتغير من والده ..

كيف يبدو منظر الآباء ؟

وتبدو براعة سيناريو الفيلم في الطريقة التي يسرب بها المعلومات لنا .. وفي تاكيده على المشاعر الانسانية وادق الاحاسيس .. ففي احد المشاهد نرى الأب منهمكاً في البحث داخل مجموعة من المجلات المصورة .. تساله خادمة المنزل عما يبحث .. يرد ببساطة شديدة .. انني ابحث عن صورة

باريس - تكساس

وعودة البحث في العلاقات بين الآباء والأبناء

اب .. ثم يتساءل بصدق وبراءة .. كيف يبدو منظر الآباء ؟

تجيب الخادمة وهي تكتم دهشتها .. إن الآباء يختلفون .. قل لي كيف تريد أن تبدو .. هل تريد ان تكون اباً غنياً .. او اباً فقيراً ؟

ويقع في حيرة .. ويهز راسه مجيباً «اريد ان اكون .. وسط».

وتبتسم له الخادمة وهي تقول .. «ليس هناك شيء اسمه وسط» إن الآباء المحترمين يرتدون الملابس الانيقة .. ويتحركون في عظمة وكبرياء .. ويتكلمون في ثقة ..

ويتحرك امامها .. منفذاً الصورة التي رسمتها له ..

وتضحك لعذوبة المشهد .. لنفاجأ بالمشهد التالي مباشرة .. وقد ارتدى الأب الملابس الأنيقة .. وقف على الرصيف المقابل لباب المدرسة ينتظر خروج طفله .. وما ان يراه حتى يبدأ الأب في تمثيل دور العظمة والثقة .. ويقف الطفل مشدوداً للمنظر ثم ينفجر ضاحكاً ..

ويفرح الأب لهذه النتيجة .. ويواصل السير بطريقة كاريكاتيرية ساخرة .. والطفل يرقبه على الرصيف الآخر ، ويضحك وقد اعجبته اللعبة .. وبدأ يسير مشدوداً الى حركات ابيه .. كل منهما على رصيف .. وكل منهما ينظر للآخر في ود واتصال ..

وبسرعة وبحركة رشيقة وملهوفة .. يعبر الأب الطريق ، ليصل الى الرصيف الآخر ، ليسير بجوار طفله في سعادة ومرح .

حدث التجاوب في لحظة .. ويصل المشهد الى قمته .. وتتوج الموسيقى هذا اللقاء في نشوة بالغة .

هل تذكر شكل أمك ؟

وتتحول العلاقة بين الطفل ووالده .. الى نوع من الارتباط الحميم والصداقة .. ويشعر الأب ان سعادة ابنه لن تكتمل إلا بعودة امه اليه .. ويقرر ان يبحث عنها .. ولا يكتم هذا القرار عن شقيقه .. الذي يحاول أن يثنيه عن هذا البحث الصعب «لقد مضت اربع سنوات .. وكل شيء تغير .. ومن المستحيل ان تعثر عليها الآن .. فلا احد يعرف مكانها».

ولكن الأب يرد بتصميم .. «ولكني ساعثر عليها» .. يشتري سيارة مستعملة (نصف نقل) .. ويذهب بها الى باب المدرسة ينتظر خروج طفله ، ليبلغه قراره بانه ذاهب للبحث عن امه .. يطلب منه الطفل أن يذهب معه « انني اريد ان ارى امي » .. ولا يملك الأب غير الموافقة !

ويركب الاثنان السيارة .. لتنطلق بهما الى مدينة « هيستون » .. فالأب يعرف انها تعيش هنا .

في الطريق .. كان الطفل يسال والده .. «كيف تتوقع شكل ماما .. الآن » .

يهز الأب راسه في حيرة قائلا : « لا اعرف .. ولكن هل تذكرها انت» ؟ !

يرد الطفل « قليلا » !

ويخرج الأب صورة الأم من جيبه .. ويقدمها لطفله .. والذي يتاملها بامعان .. ويدرك الأب مشاعر طفله ، فيطلب منه ان يحتفظ بالصورة لنفسه !

وينام الطفل على كتف ابيه .. باحساس من الأمان والدفء .

عبر الحاجز الزجاجي

وسط ناطحات السحاب في مدينة هيستون .. نصل الى ذروة الفيلم .

يعرف الأب أن زوجته السابقة .. تذهب الى احد البنوك في المدينة في يوم محدد من كل شهر لتضع نقوداً في حساب طفلها

وامام البنك يقف الأب بسيارته ومعه طفله .. يرصدان حركة الخارجين منه .. ويلمح الطفل امه تستقل سيارة حمراء صغيرة .. ويبلغ والده .. لتنطلق سيارتهما خلفها .

تتوقف سيارة الأم امام منزل في احد الشوارع الجانبية .. على المنزل مرسوم من الخارج صورة لتمثال الحرية .. يطلب الأب من ابنه ان يبقى بالسيارة .. ريثما يتاكد من حقيقة المنزل ..

في الداخل .. نكتشف ان المكان احد بيوت اللهو !

يخرج الأب .. لياخذ ابنه الى غرفة في احد الفنادق بالمدينة .. ويطلب منه ان ينتظره هنا .. حتى يعود إليه بامه ..

ويوافق الطفل في استسلام وحب .. وايضا في لهفة لعودة امه .

ونعود مع الأب الى هذا المنزل المرسوم على جدرانه الخارجية .. تمثال الحرية ..

هنا في هذا المنزل .. مجموعة من الحجرات الصغيرة .. كل حجرة مزودة بمقعد وجهاز تليفون .. يجلس « الزبون » على المقعد ويدير رقماً بالتليفون .. فتظهر امامه عبر حاجز زجاجي ، الفتاة المطلوبة ، ليبدأ الحديث معها من خلال التليفون .. بحيث يراها امامه .. ولا تراه هي .. فالزجاج الفاصل بينهما يتيح للجالس في الحجرة ان يرى .. بينما الفتاة على الجانب الآخر لا ترى إلا مرآة ضخمة !

نوع من اللهو الأمريكي !!

ويدير الأب عدة ارقام .. وتتوالى امامه عدة نماذج من فتيات .. ولكنه يريد واحدة بالذات .. إنه لا يعرف رقمها .. ولكنه

الطفل الصغير « هانتر كارسون » الذي وقف لأول مرة أمام الكاميرا .. ولقطة من الفيلم وهو يجلس في غرفة الفندق





لقطة من ايام السعادة والتي جمعت الأم وطفلها الصغير قبل ان تقرر الهرب وترك كل شيء

يستطيع ان يحدد مواصفاتها الشكلية .. وتاتي له.

انها زوجته السابقة (تلعب الدور : فاستسيا كينسكى) .

وما ان يراها .. حتى يهتز جسده بالتاثر والمرارة .. ويرتعش صوته .. وتبادره هي – التي لا تراه – بان تقول له : «انا مستمعة جيدة .. فلتبدا الكلام ..»

ولا يستطيع صوته ان يخرج .. ويختنق بالدموع التي تسيل على وجنتيه في صمت حزين .. وتكرر هي نداءاتها « من الممكن ان استمع الى اي سؤال .. يبدو ان هناك شيئا تريد ان تقوله .. لا تخف .. انا اعرف كيف احفظ السر » .

ولا يستطيع النطق .. كان الانفعال قد فاض به .. حتى انه لم يستطع البقاء .. فانصرف مهرولا .. وصوتها عبر الحاجز الزجاجي ما زال يردد « انا منصتة لك .. استرخ .. وتكلم .. لا تعلق انا افعل هذا طول الوقت .. هذه مهنتي » !

ويعود الأب الى ابنه في الفندق .. وكانه يلوذ به ..

ولكنه ما جاء الى هنا .. إلا لكي يعيد الأم الى طفله .. ويتسلل خارجا من غرفة الفندق .. وقد ترك رسالة صوتية مسجلة لطفله .

ويعود الى بيت اللهو .. ويدير الرقم .. وتاتي هي .. وعندما يراها .. يستدير بمقعده .. ويعطي لها ظهره .. حتى يستطيع ان يتكلم كما يريد ..

ويبدأ الكلام .. إنه يحكي عن اثنين احبا بعضهما .. كانت تصغره باعوام .. وكان هو يغار عليها .. احبها بجنون ولكنها شعرت ان هذا الحب يقيد حريتها .. وتاكد لها هذا الاحساس عندما انجبت طفلها .. كانت قلقة دائما بالنسبة للنقود .. طموحها المادي يفوق قدرته .. فقررت ان تترك كل شيء وتهرب ..

انه يحكي .. ويبكي ..

وتدرك هي ان هذا الصوت تعرفه .. انه صوت زوجها .. وتنطق اسمه .. ولكنه يواصل حكايته .. وكانه يريد ان يخلص من الكابوس الذي جثم على صدره طوال السنوات الماضية ..

يقول : لقد احب اثنين في حياته .. زوجته وطفله .. ولكنهما ذهبا .. ولم يحتمل البقاء .. كان يريد ان يهرب الى مكان لا يعرفه فيه احد .. ولا يتكلم فيه مع احد .. ظل يجري وسط الطرق حتى غابت الشمس .. ثم اشرقت الشمس مرة اخرى وهو ما زال يجري .. خمسة ايام متواصلة .. حتى اختفى ..

ويصل هذا المشهد الى ذروته .. وهي تحاول ان ترى ملامح زوجها .. ولكن الحاجز الزجاجي امامها لا يتيح لها إلا ان تشاهد نفسها في المراة .. وتتحول الى امراة عاجزة ملهوفة .. تحاول ان تجد منفذا للتوصل اليه ولكنها لا تستطيع شيئا .. وتتحرك في الغرفة الزجاجية وكانها نمر جريح !

تطلب منه ان تراه ..

يقول لها .. إنه لم يات لكي يعود اليها .. ولكنه حضر ليبلغها ان طفلها ينتظرها في الفندق .. اما هو فانه سيواصل اختفاءه .

تصرخ فيه : «لا تذهب » .. وتحكي من بين دموعها كيف كانت تتخيله وهو غائب .. وتستحضر صورته لكي تتحدث معه !! ظللت شهوراً وانا اتحدث معك .. كنت اتوقع عودتك .. فاظل متيقظة طوال الليل .. ومرت الشهور .. ولم اعد اسمع صوتك .. وتوقف كل شيء .. واخترت ان اعمل في هذا المكان لكي اسمع الأصوات » !

مشهد طويل .. يستغرق ثمان دقائق على الشاشة .. ولكنك لا تشعر ابدأ بلحظة ملل .. فقد تحول الحوار الى نوع خاص من الشعر .. وجسدت ملامح الوجه معنى كل كلمة ..

وتاتي النهاية .. بلقاء الأم بطفلها .. وكل السعادة تغمر الطفل وهو لا يصدق عينيه .. يحتضنان بعضهما في لهفة واشتياق .. ان الأم لطفلها .. اما الأب فقد انتهت مهمته .. هكذا ابلغ الأب ابنه في التسجيل الصوتي الذي تركه له .. انه يقف الآن في الطريق يرقب اللقاء من وراء زجاج نوافذ الفندق والذي تنعكس عليه صورة ناطحات السحاب وتكاد تحاصره .. ويستقل سيارته لينطلق الى المجهول الذي اختاره ولم يجد بديلا له .

••

هذا هو فيلم «باريس: تكساس» الذي يقدم ماساة عصرية .. عندما تنهزم البراءة امام الطموحات الخاصة .. ويجني الثمار هؤلاء الأطفال الذين يفتقدون الحب والحنان ..

كتب الفيلم ..«سام شيبرد» .. وهو واحد من ألمع الفنانين الأمريكيين والذي اعتبره النقاد احسن من يكتب معبراً عن جيل الشباب .. وله مؤلفات مسرحية زادت عن اربعين مسرحية اخرج بعضها للمسرح .. ومثل للسينما .. وكتب لها ايضا العديد من السيناريوهات .. ولم يتجاوز عمره الآن الاربعين عاماً ..

اما المخرج «فيم فاندر» فهو الشاب الخجول الصامت .. الذي عرفته السينما الالمانية واحداً من مجموعة المخرجين الشبان الجدد .. والذي اعاد الحياة والاحترام لها على خريطة السينما العالمية

وهذا الفيلم اعلان جديد بموهبته .. وايضا تاكيد بان السينما هي فن مخاطبة المشاعر النبيلة .

رءوف توفيق

صيد الثعابين

قصة بقلم: محمد زفزاف

قالت :

ـ ما انا إلا ارملة عجوز لا ابناء لي ، ولا احد لي في هذا العالم سوى الله . وإذا لم ادافع عن نفسي فمن الذي سيفعل ذلك .

قالت امراة :

ـ اخشي عليك ان تقتلك إحدى الحيات ذات يوم .

ـ وإذا اراد الله لانسان ان يموت حتى بلدغة حبل ، فانه لا يمكن لأحد ان يقف في وجهه . ثم إنه بالرغم من قتلي لهذا العدد الكبير من الحيات كل السنة فانها لا تنقرض ابداً من المنطقة .

كانت معروفة بقتل الحيات ، لها طريقة خاصة في البحث عنها ، تحت اية كومة تبن او اية قطعة حجر . كانت لها اساور من جلود الثعابين ، واحزمة مختلفة الالوان . رؤوس الثعابين تبيعها للعطارين المتجولين على دوابهم ، مقابل سكر او شاي او زيت أو صابون . قيل إنها تستعمل للسحر واحيانا لشفاء الأطفال ولكنها لم تنو قط في حياتها ان تسحر حتى لأقرب الناس إليها .. المرحوم زوجها . السحر حرام . وعاقبة الساحر لا يعلمها إلا الله ، وهي تعرف ان كل امراة ساحرة كانت نهايتها مفجعة ، كسر في الرجلين او عمى في العينين ، أو إصابة في الأبناء والأنعام .

نظرت إليها امراة وهي تحمل قفة مليئة بالطين فوق الراس .

ـ يا اختي ! لا ادري كيف أعطاك الله هذه الشجاعة ، وهذه القوة على مهاجمة الثعابين والحيات في أوكارها .

ـ كيف اخاف ؟ لقد رايت جدي وانا صبية يمتطي فرساً في نهاية الليل وهو عار تماماً مثلما خلق الله آدم . ثم طارد مجموعة من اللصوص جاءت لتسرق ابقارنا . لم يكن يخاف البرد ولا بنادق اللصوص . رايته في نهاية تلك الليلة يطلق في السهب رصاصته وراء اللصوص ، ولم يعد إلى البيت إلا ومعه الابقار . ذهبت جدتي وسترته بقطعة ثوب حتى لا نرى عورته . كيف لامراة مثلي ذاك هو جدها ان تخاف من ثعبان .

انصرفت المراة وتركت الأرملة العجوز ملفوفة في عدة اماكن من جسدها بجلود الثعابين الملونة ، تنثر الحب للدجاج ، وتنادي على ديكين ابتعدا عن المجموعة ، غرست اصابعها في الأرض والقت بطوبة من التراب على الديكين اللذين انضما على الفور إلى المجموعة . لونهما زاه يلتمع تحت اشعة الشمس ، كانت تحصي دجاجاتها كل ساعتين . فربما مر من هنا ثعبان او اي حيوان آخر ، حتى ولو كان بني آدم . قبل اكثر من اربعين سنة كانت هناك ثعالب وذئاب لكنها انقرضت نهائيا ، ربما قضى عليها هؤلاء الذين ابتنوا هذه البيوت المتفرقة والتي لا يزورونها إلا في الليل يفعلون فيها اشياء مشبوهة . عدد الدجاجات لم ينقص ولن ينقص لأنها حريصة على ذلك . وهي لا تبيع بعضها إلا إذا سمن . تفتخر بان دجاجها دائماً هو الأسمن ، وبيضها هو الأكبر في حين ان دجاجات الآخرين لا تبيض إلا بيضاً في حجم الحمام .

هشت بغصين شجرة يابس في الفضاء ، ثم توجهت نحو البيت المصنوع من التبن والطوب . لكنها رات عزوز قادماً جهتها وقد ترجل عن عربته ، ابتسمت لأنها فكرت في شيء تقوله له من شانه ان يغضبه . لكنه لم يكن يغضب منها ، سمعته يقول على بعد خطوات منها :

ـ كيف حالك ايتها الفارة ؟ اماتزالين تصطادين الثعابين ؟

ـ حتى الرجال لا يستطيعون ذلك . الا تذكر عندما كنتم ثمانية واستطاع ثعبان واحد ان يهزمكم ، لم تستطيعوا قتله إلا بالماء ! اية رجولة هذه ؟ لقد اصبحتم ضحكة في افواه نسائكم وبناتكم .

ـ نحن لم نرضع سماً من افواه امهاتنا ، كما فعلت انت .

ـ اية رجولة هذه ؟ لقد مات سيدكم ، سيد الرجال كلهم ، ولهذا لم ارد ان اتزوج بعده ، لانه لا يمكن ان يعادل حتى قلامة ظفره .

ـ الله يرحمه ! لماذا تتحدثين عن الأموات ايتها الفارة العجوز ؟

ـ زوجتك ليست احسن حالا مني .

اخذا يضحكان . ثم القت بالغصين اليابس على الأرض ، نفضت كفيها من التراب ، ثم مسحتهما في ثوب قشابتها ، قالت :

ـ هل عدت من عين الذئاب ؟

ـ نعم ، لكني تركت العربة في الطريق الثانوية عند شاطىء البحر ونقلت كيسين من العلف على ظهري حتى العربة ، وقد تجنبت الطريق الرئيسية لانك تعرفين ما الذي يستطيع ان يفعل بي رجال الجذدرمة لو ضبطوني .

ـ اعرف .

ـ وكنا في حاجة ايضاً إلى كيس من السكر ، سنتوزعه فيما بيننا ولهذا الغرض جئت إليك .

ـ اترك لي كيلو غراماً او كيلو غرامين ، لكن ليس معي فلوس .

ـ انت واحدة منا منذ ان رحل المرحوم . منذ متى طالبناك بالفلوس ؟ تستطيعين ان تدفعي دجاجة ، سوف نرى فيما بعد عندما اتحدث إلى الجماعة .

ثم قال وهو يتوجه نحو العربة :

ـ وإذا كنت في حاجة إلى الزؤان فهو موجود ، تعالي لتاخذيه او ربما ارسلته لك مع الصبية منانة .

شعرت في اللحظة بانها ليست وحيدة حقاً ، ولكنها مع ذلك تشعر بالوحدة عندما تفكر ان هذه الثعابين الملعونة تهدد دجاجاتها على مر السنة . اما عندما يصيب دجاجاتها وباء فذلك امر الله ، ولا دخل

لأحد فيه ؛ ولكنها عندما تدرك انها ماتزال قادرة على قتل ثعبان ، تتاكد من انها لن تموت جوعاً ذات يوم .

لها طريقتها الخاصة في صيد تلك الحيات والثعابين ، تتربص بالثعبان كلما سمعت نقنقات الدجاج ، وعندما تعرف مكمنه ، تنقض على ذيله بسرعة ، ثم تاخذ في التطويح به في الفضاء حتى يصاب بدوخة ، ثم تخبطه مراراً على قطعة صخر صيني مراراً . تتعفر قطعة الصخر بالدم ويتلطخ المكان كذلك . وعندما تشعر بان جسد الثعبان فقد كل قوة على المقاومة ، تلقي به بعيداً ، وتبقى تتفرج عليه من بعيد لكن لا تلقي به إلا إذا كانت متاكدة من انه مات ، احيانا تنفلت بعض الثعابين وتختفي في احجار السور ، لكن الارملة العجوز بامكانها ان تظل النهار كله تنتظر خروجها . دخلت إلى البيت ، لكنها سمعت في الخارج صوتاً ينادي عليها «عمتي !» عرفت الصوت للتو ، خرجت إلى الباحة ، قالت العجوز :

ـ منانة ! تعالي اقتربي . هل تريدين بيضة تسلقينها ؟

قالت الصبية :

ـ لقد ارسل لك ابي هذه المخلاة ، وهي مليئة بالزؤان .

ـ تعالي اقتربي .

كانت الصبية حافية القدمين ، تشد راسها بمنديل ممزق ، في حين تتدلى من يدها مخلاة مصنوعة من الدوم تلامس الارض ، تخلصت من المخلاة واخذت تحك عجيزتها ، ثم حكت ايضا شعر راسها ، رات العجوز ذلك ثم قالت :

ـ لقد توسخت ، لاشك انك لا تستسلمين لأمك عندما تريد ان تغسلك سوف يكثر في شعر راسك القمل ، إن تكاثر القمل يقلل من عمر الانسان . عليك ان تعيشي طويلا حتى تتزوجي وتنجبي لأمك اولاداً .

اقتربت منها وحملت المخلاة ، علقتها عند عمود خشبي يبرز من جدار البيت ، ثم دخلت إلى البيت وخرجت ببيضة في يدها قدمتها للصبية :

ـ إياك ان تكسريها .

قالت منانة :

ـ اما تزالين تصطادين الثعابين يا عمتي !

ـ لقد اختفت هذه الايام ، ولو لم افعل ذلك لما بقيت دجاجة واحدة حية .

ـ اخاف عليك ان يعضك ثعبان ذات يوم .

ـ لا تخافي ، ما تزال عمتك قوية لقتل كل ثعابين أولاد جرار ، هل تريدين ان اسلق لك بيضة ؟

ـ لا سوف اسلقها في البيت .

ـ اسلقيها وكليها وحدك ، لا تقدمي منها شيئاً لأحد .

ـ نعم .

اختفت الصبية وراء الأشجار التي كانت تقوم مقام السياج حول بيت العجوز من الجهة اليسرى الغربية ، كان هناك مجمر من الطين في مكان ما قرب باب البيت : وضعت فيه فحما ناشفاً منذ ساعات وهي تنتظر ان تجتاح النار قطع الفحم ، لكن ذلك كان عبثاً رغم انها سقتها باوقية كاز ، تصاعد اللهب أول الأمر غير أن ذلك لم يكن له أي مفعول على الفحم الناشف . كانت تسمع احياناً فرقعة الشرارات تنبعث من المجمر فتذهب لتطل على قطع الفحم لعلها تكون قد احمرت ، وراحت مرات عديدة تسوط على المجمر بقطعة من الزنك وتنفخ بفمها ، ثم في النهاية وضعت طجينا فوق المجمر ، كان فيه شيء من السمك والجزر ، والدقيق . كان في الطجين سردينات ، ولم تدر من الذي سيشاركها الأكل هذا اليوم .
كانت الآن جالسة على الرمل الحار ، لكنها سمعت الدجاجات تنقنق وتتفرق ، قالت إنه هو من غير شك ، ثعبان ولاشك ، وقفت متحفزة ، وذهبت تتربص به . جحظت عيناها تبحث ما بين الحشائش ، سمعت من ورائها منانة :

ـ عمتي ، هل هو الثعبان .

التفتت إليها :

ـ الم تذهبي إلى بيتكم ؟

ـ لا لقد تكسرت البيضة .

ـ لقد قلت لك ذلك ، ابقي هناك في مكانك حتى لا يلدغك الثعبان ، سوف اسلق لك بيضة اخرى .

تشتتت الدجاجات مذعورات ، وهي تقفز ، فوق الأعواد القصيرة هنا وهناك بحثت العجوز عن اثر الثعبان لكنها لم تجده ، كانت هناك ضفدعة راسها مدفون في جسمها تنط ببطء ، وقالت العجوز :

ـ ليس هناك ثعبان ، هناك ضفدعة فقط.

قالت الطفلة :

ـ اقتليها مثلما تفعلين بالثعابين .

قالت العجوز :

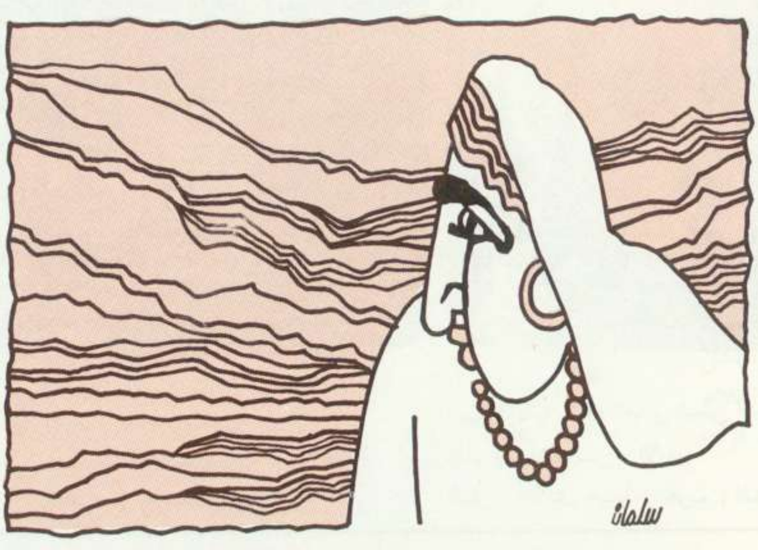
ـ لا ، انا لا اقتل الضفادع ، تعالي اقتليها انت ، تعالي لتتعلمي قتل الضفادع قبل قتل الثعابين .

اقتربت الطفلة وهي تنظر إلى الضفدعة السمينة ، قالت العجوز :

ـ انقضي عليها بسرعة ، امسكيها من قدمها ، ثم طوحي بها في الهواء حتى تدوخ ، وبعد ذلك اضربيها على هذا الحجر الصيني .

كانت منانة خائفة ، مرتعبة ، لكن حافزاً قويا جعلها تنقض بسرعة وتمسك الضفدعة من قدمها ، اخذت تلوح بها في الفضاء مثل لعبة مصنوعة من الخرق ، والعجوز تشجعها «استمري إنها لم تدخ بعد» عندما اصبحت قرب قطعة الحجر الصيني ، خبطت منانة الضفدعة فتشتتت امعاؤها ، وظل مع ذلك جسدها يتحرك حركة الموت الأخيرة ، اقتربت العجوز واطلت على الجسد الميت ، ثم جرت الطفلة من يدها :

ـ هكذا افعل بالثعابين ، الآن سوف تغسلين يدك وسوف اسلق لك بيضة ، في المرة القادمة سوف اعلمك كيف تقتلين ثعبانا .





دوحة القراء

إشـــراف
سنان المسلماني

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غـــلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

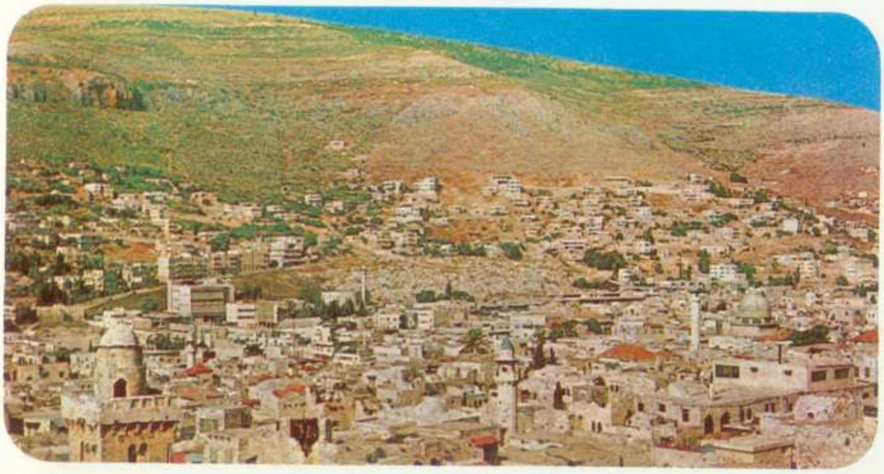
(٢) المسابقة العامـــة تتضمن (من ـ اين ـ مـــا) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى اكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يـــلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجـــلة الدوحة ـ ص . ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : مدينة في الضفة الغربية ، يطلق عليها لقب « جبل النار » ، يقاوم أهلها في استبسال خطط التهويد .. بها جامعة مشهورة .. ، ما اسم المدينة ؟

● ● ●



الصورة الثانية : علم من أعلام الغناء والتلحين في العصر العباسي ، عاصر ابراهيم الموصلي وكان ينازعه المقام الفني .. من هو ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٢



الصورة الأولى : ميناء وهران في الجزائر
الفائز : محمد عثمان ـ الاسكندرية
الفائز : ابراهيم يحى ـ سلطنة عمان



الصورة الثانية : أبو العباس شمس الدين
الفائز : سلامةحسن ـ الأردن
الفائز : حدادى نجيب ـ المغرب (اشتراك)

سخرية السياسي



أرسل الأديب الساخر برناردشو إلى صديقه ونستون تشرشل رسالة قال فيها : أرفق لك هنا تذكرتين لمشاهدة العرض الأول من مسرحيتي الجديدة ، إحدى هاتين التذكرتين لك والثانية لأحد أصدقائك إن كان لك أصدقاء !

فرد تشرشل عليه بسخرية أشد قائلا : يؤسفني أنني لن أتمكن من مشاهدة العرض الأول ، لارتباطي بموعد سابق ، ولكنني سأحضر لمشاهدة العرض الثاني ، إن كان لمسرحيتك عرض ثان !

علي محمد علي
السودان – حلفا الجديدة

لن يعيش طويلاً

حكي أن غلاما لقي أبا العلاء المعرى فقال : من أنت ياشيخ .. قال : فلان ...
قال : أنت القائل في شعرك :
فإني وإن كنت الأخير زمانه
لآت بما لم تستطعه الأوائل
قال : نعم .
قال : إن الأوائل رتبوا ثمانية وعشرين حرفا للهجاء ، فهل لك أن تزيد عليها حرفا ؟
ودهش أبو العلاء من ذلك وقال : إن هذا الغلام لن يعيش طويلا لشدة حذقه وتوقد فؤاده

هشام الحمد – سوريا

لقطة الشهر



وجه من اليمن

لقطة للقارئة نجية محمود على – عدن
وقد فازت بالجائزة مائة ريال قطري

نساء دخلن التاريخ

مجاهدة عربية من فلسطين ، وزوجها هو المجاهد الكبير عبد القادر الحسيني قائد جيش الجهاد المقدس

في عام ١٩٣٥ م اقترنت بالزواج من ابن عمها الشاب الوطني الغيور عبد القادر الحسيني ، وبعد شهر واحد من الزواج كانت وجيهة تودع زوجها وهو متوجه الى جبال الخليل ليشارك اخوانه المجاهدين في مقارعة الاستعمار البريطاني في فلسطين حيث كان الاضراب المشهور في عام ١٩٣٦ .

كان بيتها ملجأ للمجاهدين ، ومخزنا لاسلحتهم ، ومطعما لمأكلهم ، كانت تقضي الساعات الطوال لتجهيزهم من أجل القتال ، تطهو ، تغسل ، ترتق ملابسهم ، تبث فيهم روح النضال .

رافقت زوجها في بعض من المعارك التي خاضها مع الصهاينة حيث كانت تزود المقاتلين بالماء مع الكثيرات من المجاهدات .. ولها حكايات انسانية رائعة تتعلق بجهادها

انجبت ثلاثة أولاد وفتاة .. ربتهم تربية فاضلة ، وقد تخرجوا من الجامعات المصرية . في عام ١٩٤٧ وعندما أراد زوجها السفر من مصر الى فلسطين بعد قرار التقسيم قالت لرفاقه المجاهدين وهى تودعهم : أنا لست متأثرة على سفره معكم ولكنني استحلفكم بالله أن لا تبخلوا عليه بالسلاح !

وعندما نعى الناعى اليها استشهاد زوجها في معركة القسطل يوم ٨ من ابريل عام ١٩٤٨ م قالت بشجاعة المؤمنات : لا تبك يا رجل .. فبموت عبد القادر وإخوانه تعيش فلسطين .

وفي العام الماضي توفيت المجاهدة الصادقة ، وفي قلبها حسرة ابدية لانها لم تشهد تحرير القدس الحبيبة .

[من كتاب الشهيد الحى عبد القادر الحسني] اختيار : اسحاق شحادة الزميل الاردن

دوحة القراء



مسابقة الدوحة ؟؟

مَن ؟

رحالة عربي شهير ، ولد في عام ١٣٠٤ م ، قضى ٢٨ سنة يجوب الارض شرقاً وغرباً ، وقطع في رحلاته مسافة لم يقطعها رحالة في العصور الوسطى ، فقد قطع ١٢٠ الف كيلومتر ، اسمه من مقطعين وثمانية حروف :
٢ ، ٣ إسم شراب موطن زراعته الأصلي الحبشة وادخل بلاد العرب في القرن الخامس عشر .
٧ ، ٦ ، ٢ ، يستخدم في البناء .

أين ؟

قام هذا الرحالة باخر رحلة له في عام ١٣٥٢ م وكانت إلى السودان الغربي ، وعاد الى مدينة عربية اقام فيها حتى وفاته في عام ١٣٧٨ ، المدينة بها جامعة اسلامية قديمة ، واسمها مكون من مقطع واحد وثلاثة حروف :
٢ ، ٣ ، ١ تعني الاعتذار .

ما ؟

أملى هذا الرحالة اهم رحلاته على كاتب ببلاط السلطان ابي عنان المريني اسمه ابن جزي الذي كتب رحلاته تحت عنوان مكون من ستة مقاطع و ٣٦ حرفاً :
٣ ، ٧ ، ١٧ ، ١٠ لارشاد السفن .

الإجابة الصحيحة

١ - جوهر الصقلى : قائد فاطمى . كلفه المعز لدين الله بأن يكون قائداً لحملة فتح مصر ٩٦٩ ، وبعد أن دخل الفسطاط أسس مدينة ، وبني الجامع الأزهر . .
ترى في أى الأعوام بني الجامع الأزهر :
(٩٦٩ - ٩٧٠) (٩٧٠ - ٩٧١) (٩٧٠ - ٩٧٢)

٢ - جمهورية داهومى دولة افريقية استعمرتها فرنسا عام ١٨٩٤ ، ترتبط الآن بعد استقلالها وقبولها عضوا بالأمم المتحدة ، بدول المجموعة الفرنسية ، وتحصل من فرنسا على مساعدات اقتصادية ، وكان أول رئيس لها هو « هوبرت ماجا » ، ترى في أى عام حصلت على استقلالها :
(١٩٧٠ ، ١٩٦٠ ، ١٩٦٥)

٣ - ولد بأنطاكية عام ١٦٠٠ م ، وكان مكفوف البصر ، وقرأ المنطق ، ودرس الطبيعيات والرياضيات ، وأجاد اللغة اليونانية ، ثم جاء إلى مصر وألف تذكرة عرفت باسمه ، ولا يزال المرضي حتي اليوم يعالجون أنفسهم بوصفاته . .
مـن هـو ؟

٤ - في عام ١٨٧٥ تم عبور المانش سباحة . . فمن هو أول من عبر القنال الانجليزى (المانش) سباحة ؟
هنرى جوستاف - ماثيو وب - فرانك سيناترا

٥ - توجد خمس دول تمتلك القنبلة الذرية رسميا ، هل يمكنك تحديدها ؟

حل مسابقة العدد ١٠٢

من : عبد الكريم الخطابي
أين : المغرب
ما : الفوسفات
الاجابة الصحيحة :

١ - ١٨٩٣
٢ - أحمد شوقي
٣ - في انتظار جودو : صمويل بيكيت
عطيل يعود : كازندزاكي
لعبة الكراسي : يوجين يونسكو
أوديب ملكا : سوفو كليس
٤ - الغاز هو أحد مركبات البروم

أسماء الفائزين في مسابقـ[ة]

١- أصل وصورة : الجبهة - الشعر - الذقن الأذن - الحاجب - الأنف - الشارب
٢- لوحة لم تتم : نجيب الريحاني
٣- خيال من : موسوليني
٤- لأقوياء الملاحظة فقط : سكين ، علم شمسية ، ترابيزة ، كرة ، معجون أسنان
٥- المثل يقول : كان في جره وطلع لبره !
٦- لعبة الظلال : رقم (٢)
٧- دورى الكاريكاتير : رقم (١٠)

الفائزون

١- عزة شهاوى خليل - السعودية
٢- جانيت حليم شنودة - الاسكندرية

أجـمـل مـا في الوجـود

قضي احد الفنانين بضع سنوات يسجل بريشته روائع الجمال حيث كان ، ولكنه لم يقنع بما ابدعته ريشته من لوحات . وراح يبحث عن اجمل شئ في الوجود ليرسمه . واثناء بحثه قابل رجلا من رجال الدين ، فحدثه عن بغيته وسأله عن رأيه ، فقال له الرجل : « أجمل مافي الوجود الإيمان ... فإنك تجد مايغنيك في اى بيت من بيوت العباده ينتمى الى اى عقيدة من العقائد . »

وواصل الفنان بحثه ، فصادف زوجين حديثي العهد بالزواج ، فوجه اليهما نفس السؤال ، فأجابا : « أجمل شئ في الحياة الحب ، إن الحب يحيل البؤس نعمة والشقاء سعادة والدموع فرحاً »

وسار الفنان في طريقه يواصل البحث ، فرأى جندياً عائداً من إحدى المعارك ، يجلس متعباً على شاطئ البحر ساهماً ، فحياه وراح يحدثه ، فلما فهم الجندى امنيته ، قال له : « السلام ياسيدى اجمل شئ في الوجود . والحرب اقبح شئ فيه . »

واطرق الفنان وهو يتمتم : « الإيمان والحب والسلام ... ترى كيف اصورها جميعاً !!! » وعاد الى البيت وهو مكدود الذهن من التفكير ، ولكنه ما كاد يدخل عتبة البيت حتي وجد بغيته .. في عيون أطفاله رأى الإيمان مجسماً ، وفي بسمة زوجته رأى الحب ناطقاً ، وفي ارجاء البيت كان يرفرف السلام الذى حدثه عنه الجندى .

فرسم الفنان صورة « أجمل مافي الوجود » وعندما فرغ منهاسماها « البيت » .

امنة احمد مختار
بورتسودان – السودان



كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاســم : ....

العنــوان : ....

....

اسم المسابقة : ....

رقم العـدد : ....

« تحـذيـر »

التدخـين يضر بصحـتك

وننصحـك بالامتـناع عنـه

أسـماء الفائزين

١ – فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى :
القارىء : عبده سعيد فارع – اليمن

٢ – فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى :
القارئة ميرفت محمد ابراهيم – ج.م.ع

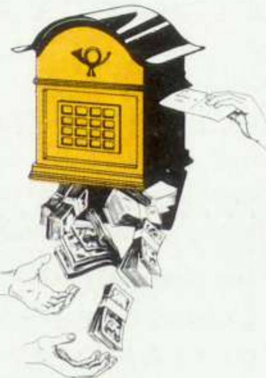
٣ – فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى :
القارئة : إنشراح يوسف عثمان – الأردن

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ – وليد حسن فراج السعودية
٢ – لمرابط بو جمعة المغرب
٣ – سامى يوسف عبد السيد ج.م.ع.
٤ – خميس أركو سناوى السودان
٥ – شعبان عبد البديع فراج ج.م.ع.
٦ – خالد حسن احمد السودان
٧ – جهاد طاهر سعدون الأردن
٨ – طه السيد عبد الجواد ج.م.ع.
٩ – محمد طاهر القادى اليمن
١٠ – محمد بدر أحمد الامارات العربية المتحدة

استراحة الدوحة العـدد ١٠٢

٣– على صالح الصمادى – الأردن
٤– عز الدين أحمد يوسف – مصر
٥– نجوى نصر خيرى – السودان
٦– جميل زكي درويش – مصر
٧– محمد صالح أحمدمحمد – سلطنة عمان
٨– ركاب بو شعيب – المغرب (اشتراك)
٩– طارق السعيد خضير – مصر
١٠– ايزابيل ثروت يوسف – القاهرة
١١– ليلى حسين حجازى – الاردن
١٢– بدر الدين محمد نعمان – السودان
١٣– محمد أحمد السيد ابو العطا – الاسكندرية
١٤– محمد سامح عادل صدقي – أبو ظبي



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

أصل وصورة



بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى للفنان السعودى محمد عبده ، هناك سبعة اختلافات بسيطة ، إذا استطعت التعرف عليها ، أرسل لنا الحل لتحصل على جائزة

خيال من ؟



إنه عالم اسلامى كبير ، اشتهر بأحاديثه الدينية التي يقبل على الاستماع إليها المسلمون في كل مكان .. من هو ؟ .. في انتظارك جائزة

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التي لم تتم لأشهر أدباء انجلترا وأحد اعلامها .. أكمل اللوحة وتعرف على الشخصية لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين



ولد الفنان الراحل يوسف وهبي في عام ١٨٩٦ ، ودرس التمثيل في ايطاليا وعاد ليؤلف فرقة مسرحية قدم بها أهم المسرحيات لجهابذة الكتاب مؤلفة ومعربة ومقتبسة ، حتي لقب بعميد المسرح العربي .. والصور الست المنشورة للفنان شديدة الشبه بشخصيته ولكن بينها لوحة واحدة تشبهه . إذا تعرفت عليها لك جائزة

لعبة الظلال



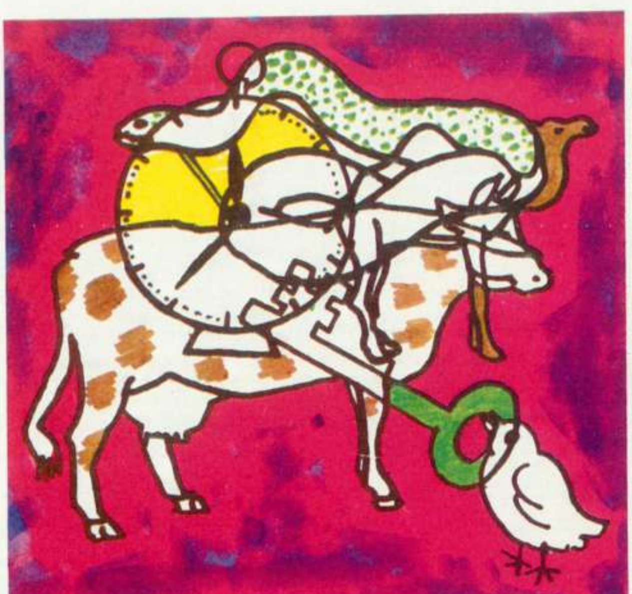
حاول من فضلك أن تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقي ، وإذا نجحت في ذلك ففي انتظارك جائزة

هات أجمل تعليق :



مطلوب تعليق خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيرى حتي تفوز بجائزة

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ .. إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة

الورقة الأخيرة



بقلم: محمد أحمد الشدي

من يتحمل المسئولية؟

يشكو بعض النقاد من جمود الحركة الفكرية والأدبية والثقافية في الوطن العربي خاصة وفي منطقة الخليج بوجه عام ..

ويرى هؤلاء النقاد ايضاً أن النتاج القليل الذي يصدر أو ينشر في الآونة الأخيرة هو نتاج هزيل ... باهت ... خير منه العدم . !
وهذا الاتهام للأدباء والمثقفين والمفكرين وان كان فيه شيء من الصحة والصدق ... الا انه يحتاج الى بحث والى نقاش موضوعي قد يكون مثمراً وقد يكون مجرد زوبعة تنتهي الى لا شيء ... !

وما نريد مناقشته بهدوء هو ملامح الحركة الأدبية والثقافية والفكرية في منطقة الخليج على اعتبار التقارب الموجود بين ادباء ومفكري هذه المنطقة التي تتصف بالهدوء .. والتعقل ... وعدم الاندفاع .

ثمة شيء ملحوظ لا يمكن تجاهله طرأ على هذه المنطقة نتيجة النهضة العلمية وانتشار الجامعات ... ونتيجة التطور السريع في شتى مجالات الحياة كل ذلك افرز عدداً من الأدباء والشعراء والنقاد والباحثين ... فازدهرت صناعة النشر ... حتى أصبحت اضعاف أضعاف ما كانت عليه قبل سنوات ...

لكن الشيء الملحوظ ايضاً ... أن هذا النتاج الأدبي والثقافي والفكري هو نتاج غير منظم ... وغير منتظم أيضاً ...

فبرغم الدعم والتشجيع الذي يحظى به الأدباء والدارسون والباحثون من حكومات دول المنطقة الخليجية ... الا اننا نادراً ما نجد شخصيات ادبية برزت على مستوى البحث ... والشعر والقصة !! واصبح لها نتاج مرغوب ومطلوب يهتم به القارىء في الوطن العربي ..

هناك من يقول ان نضج المسيرة الثقافية والأدبية يحتاج الى تفاعل شديد وزمن طويل ...

هذا صحيح ، ولكن التفاعل المطلوب كان يجب أن يبدأ بين ادباء منطقة الخليج حتى تتلاقح الثقافات والأفكار ...

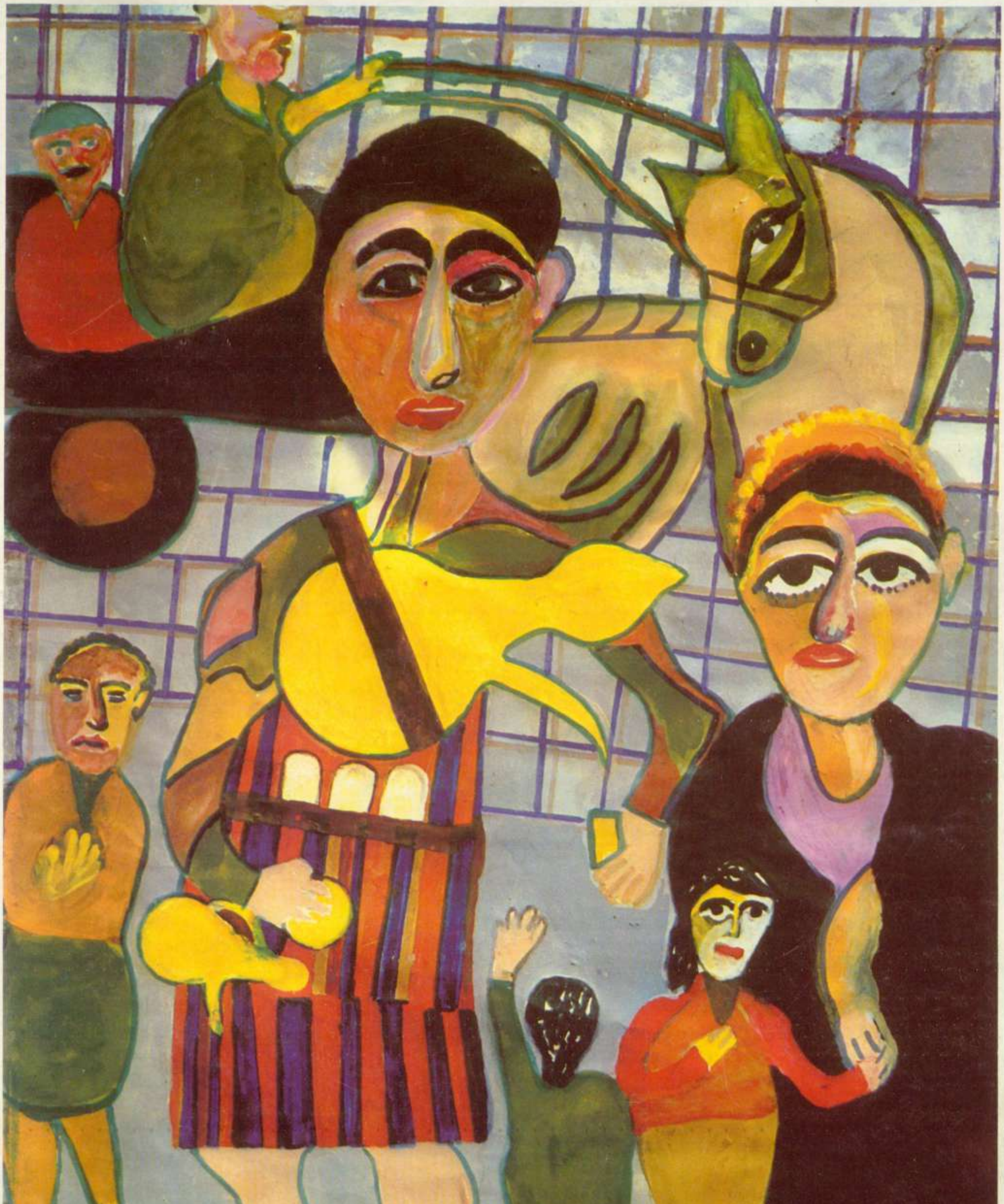
لقد كان من المنتظر أن يبدأ هذا التفاعل والتواصل . من الأدباء الشيوخ في منطقة الخليج وهم يعدون بالمئات ، ولكن الذي حدث أن الأدباء والمثقفين الشباب هم الذين يحاولون بكل جهودهم أن يضعوا أساس الوحدة الأدبية الثقافية ... من خلال اللقاءات والندوات والأمسيات الشعرية بشكل لم يسبق له مثيل ...

ان في المملكة ... كما في البحرين كما في قطر الخ أدباء كثيرون .... وحقيقيون .. ولكن أدبهم ونتاجهم وفكرهم لا يتعدى حدود أوطانهم .. لماذا !!
لأن هناك سلبيات في مجال الاعلام الثقافي ...

ان النهضة الحضارية التي تعم منطقة الخليج لابد لها من نهضة ادبية وفكرية تواكب العصر ، وتتجاوز الزمن ، وتقتحم المجهول ... وبغير ذلك سيظل أدب المنطقة وفكرها أدباً وفكراً محلياً ... وفي أضيق الحدود !! وهذا ما لا نريده أبداً في عالم يتقدم بسرعة الضوء ... والكمبيوتر ... بسرعة الحياة نفسها !!

— الرياض —


بيبسى



"بائع العرقسوس".. للفنان: محمد علي

١٣ سنة مضيئة
جزء خاص
بمناسبة ذكرى استقلال دولة قطر

العدد ١٠٥ - ذو الحجة ١٤٠٤هـ - سبتمبر/أيلول ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية



● أقمار الفضاء غزو ثقافي جديد
د. محمد عبده يماني

● حقيقة العلاقة بين هتلر ومفتي فلسطين
د. السيد فهمي الشناوي

● الأخطبوط الصهيوني يكشف عن وجهه في السينما
رؤوف توفيق

الوحدة العربية فنيًّا:
كل الزهور الفنية العربية تتفتح في معرض واحد


بيبسي
PEPSI
تيم
TEEM
TRADE MARK REG D

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **السودان :** دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ - بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازي - ص . ب ٣٢١ - بنغازي .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .
- **السعودية :** مؤسسة الجريس للتوزيع والاعلان - ص . ب ١٤٠٥ - الرياض .
  مكتبة ومطبعة ضياء - المدينة المنورة .
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى - عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد
  ابو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** المؤسسة العربية للتوزيع والنشر - ص . ب ١٠١١ مطرح مسقط .
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

Ali Bin Ali Printing Press - Doha طبعت بمطابع على بن على

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١٠٥ - ذو الحجة ١٤٠٤هـ - سبتمبر/أيلول ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة - قطر .
العنوان البرقي : المجلة - الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH -
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هـــــذا العــــــدد



شيوع « الانســان المعلــب »
د . محمد جــابــر الانصارى ص ٦



صرخة طفل : مسرحية سبقت عصرها
د . على الـــــــراعـى ص ٢٢



قصـــة السريالية فى الوطن العربى ص ١٠٨

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●



الوحدة العربية فنيا ص ٤٤

● أبــواب ●

١٣ سنة مضيئة : جزء خاص
بمناسبة ذكرى استقلال دولة قطر (ص ٨٣)

الدوحة

مجلة شهرية
ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام
بدولة قطر

● جميع المراسلات
ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة
تعبر عن رأي أصحابها
ولا تعبر بالضرورة
عن رأي وزارة الإعلام
أو رأي المجلة

● المواد لا تعاد إلى مرسليها
نشرت أو لم تنشر

من المسئول عن هذه الظاهرة؟

هل منتهى حضارة العصر شيوع "الإنسان المعلَّب"؟

بقلم: الدكتور محمد جابر الأنصاري

... لقد خطت مدنية العصر خطوتها (المدهشة) التى لم يتوقعها أحد ، فقفزت من مرحلة السردين المعلب الى مرحلة الانسان المعلب ..

فهذه المدنية التى بدأت بتعليب السردين تمكنت أخيراً — وبنجاح كبير — من تعليب البشر .. ومن لا يصدق فما عليه إلا أن يتحسس أعماقه ومشاعره وخلجاته الدفينة ليرى سمك التعليب الذى أطبق عليها من كل جانب بفضل حضارة العصر .. و (شطارة) المسكين بزمامها والمتحكمين فى مصيرها ، ومصير البشر الذين شملتهم المدنية أخيراً .. كما شملت من قبلهم السردين !

نحن الآن أمام الانسان — العلبة ، والحضارة — العلبة فى عصر التعليب الشامل ... !

كنا في هذا العصر المتقدم بانتظار الانسان المتغلّب فجاءنا الانسان المتعلب !

كنا بانتظار الانسان – السوبرمان فجاءنا الانسان السوبرماركت ..

بشرنا ميخائيل نعيمة بذلك الانسان المتغلب الذي ينتصر على حيوانيته ليصبح انسانا متعاليا متساميا متغلبا على شطره الادنى في سبيل شطره الاعلى .. وبشرنا نيتشه بالانسان السوبرمان القوي الارادة ، الذي يصنع مستقبله بيده ويقرر مصيره الرائع بانطلاقه الواثق المتحرر .. فاذا بنا امام ظاهرة الانسان – السوبرماركت الذي تصنعه النزعة الاستهلاكية وتقرر توجهاته شركات الاعلان ولا يتحرك الى امام او خلف إلا على عكازات من اجهزة الكمبيوتر التي اصبحت ذاكرته التي يسترجع بها ، وعيونه التي يبصر بها ، وسمعه الذي يلتقط به .. بل مرشده الذي يسترشد به في كل عمل او قرار . لقد خطت الحضارة الحديثة خطوة حاسمة من مرحلة السردين المعلب الى مرحلة الانسان المعلب .

حقاً ماذا حدث للناس ؟ كل الناس ؟

الا ترون انهم يتحركون كدمى بمفاتيح .. الا

ترون انهم اصبحوا معلبين في مشاعرهم وافكارهم وابتساماتهم واحزانهم ..

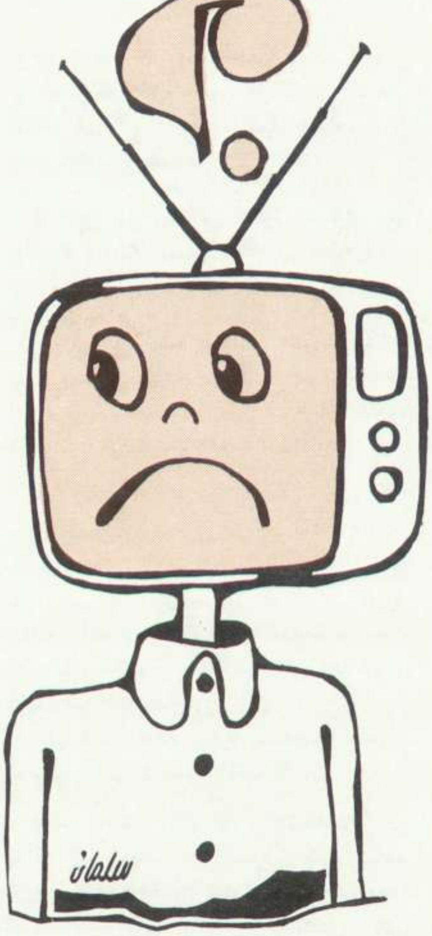
نريد أن نعرف ماذا حدث لهذا العالم ؟ كل العالم .. دون استثناء .. !

كان العالم الليبرالي يعج بالقضايا وبالكشوف الروحية والفكرية والمادية وبالانطلاقات تلو الانطلاقـــات ، فاصبحنـا لا نجد فيه غير المستحضرات الاستهلاكية .. واللامبالاة .. والعنف والصرعات .. اين مفكروه وفلاسفته الكبار ؟ أين قادته العظام ؟ اين قيمه التحررية والانسانية ؟ اين وعده للانسان – في فجر النهضة – بعالم جديد شجاع سعيد ؟

وكان العالم الاشتراكي يتمخض بوعد العدالة وتخليص الانسان من الاستلاب ، واطلاق طاقاته وقواه .. ويحاول ان يكون سنداً ونموذجاً للعالم الثالث ينقل إليه حيوية التغيير ، وحرارة التحرك الصاعد .. فاذا به يتحول الى سور من حديد يحيط بالشعوب التي وعدها بالتحرير ، والى عالم استهلاكي من الدرجة الثانية كل همه ان يلحق بشيء مما يتمتع به عالم الراسمالية دون حرياته ، وفي ظل نظام بوليسي لا يفكر المواطن إلا بالهرب منه كلما سنحت له الفرصة .. فرصة الخروج من السور الحديدي .. للسياحة او الرياضة او الفن .

وفي أعلى قمة الهرم يقف كهنة الماركسية في الثمانين من العمر ، يعبرون بالصقيع الذي على وجوههم ، عن ذلك البرود المميت الذي اصيب به المعسكر الاشتراكي في روحه وفكره وشبابه .. وامله المصادر !

والعالم الثالث ، الذي قيل انه يختزن روح المستقبل الانساني ، همدت فيه الروح ، وصار



سوقاً للعالمين الراسمالي والشيوعي .. سوقاً لأسلحتهما وسوقاً لمخلفاتهما البشرية والذهنية والمادية .

اين ذلك النهوض ؟ وذلك الاصرار ؟ وذلك الأمـل في الغد الجـديد ، وذلك التمسك بالكرامـــة ؟

كان الشعار : (إرفع راسك) ، فصار : (اخفض راسك واكتم انفاسك حتى تمر العاصفة) .. ولكن العاصفة لن تنتهي ابداً .. وتظل الأنفاس مكتومة ، والروح هامدة إلى مالا نهاية .

وما الفائدة اذا خسر الانسان نفسه ، وكسب العالم ؟ وأي عالم ؟ عالم الاستهلاك الرخيص .. ولا شيء غيره .

•••

شيء ما .. كريه ومريب حدث للناس – كل الناس – في هذا العالم .

إنها ليست ازمة خاصة بالعالم الغربي دون الشرقي . ولا بالعالم الشرقي دون العالم الثالث : هي مشكلة كل هذه العوالم مجتمعة .

الانسان في كل انحاء الأرض تم تعليبه ووضعه في براد بدرجة حرارة مقررة لا يتجاوزها .. لا في حركته .. ولا في غضبه ولا في ضحكه ولا في بكائه .

نحن امام ظاهرة الانسان – العلبة .. والحضارة – العلبة .. في عصر التعليب الشامل !

كل شيء تم تعليبه حتى الانسان .. بل ان الانسان هو الذي اصبح ارخص البضاعات المعلبة .. واكثرها طواعية للتعليب !

وقد تكون ظاهرة (طفل الأنابيب) رمزاً لتقدم العلم ، لكنها بالتاكيد الرمز الصارخ لبداية عصر التعليب .. فطفل الانبوب هو بداية الطريق نحو الانسان العلبة والمجتمع المعلب الموضوع في البراد .

فقد الانسان ، او افقدوه ، تلك الصلة الحميمة التي تربطه باخيه الانسان ، والمجتمع الحي ، وبالطبيعة البكر ، وبالوجود الشامل ، وبالله سبحانه على المستوى الأرفع .

هل منتهى حضارة العصر

شيوع "الإنسان المعلَّب"؟

أصبح يعيش في شقق كعلب الكبريت، ويسهر في علب الليل، ويعمل في اطار شاشة الكمبيوتر المعلبة، ويرتاح امام علبة التليفزيون واذا شعر بالارهاق ونقص الحيوية تناول فيتامينا معلبا، واذا شعر بالقلق تناول مهدئات معلبة - فحتى التهدئة تعلبت - واذا اراد الاستماع للموسيقى تناولها معلبة في كاسيت، وحتى إذا اراد الانصات الى حديث ديني لم يجده إلا معلبا هو الآخر في الكاسيت الديني الذي شاع هذه الأيام مع غيره من المعلبات!

ولأن الانسان قد احيط باقمار التنصت الفضائية وبالاجهزة الدقيقة الحساسة في كل مكان من حياته فانه اخذ يشعر ان كل نفس من انفاسه، وكل إحساس من احاسيسه محسوب عليه، ففقد تلك العفوية في التعبير عن النفس وتلك الانطلاقة في الحركة والعمل التلقائي الذي منه انطلقت كل الابداعات في التاريخ.

لذلك فالانسان - العلبة لم يتجرد من حرارة التعبير والحركة والفعل، فحسب، بل تجرد من كل إبداع، لأنه ليس من طبيعة الابداع ان يصدر من نفوس معلبة، مرسومة الحركة، موجهة بازرار من بعيد.

قل عدد الناس الذين يقولون ما يحسون وما يعتقدون ..

وقل عدد الناس الذين يمارسون ما يؤمنون به ويمتنعون عما لا يقتنعون به.

وزاد عدد الناس الذين يستعملون مئة كلمة للتعبير عن مسمى واحد فقط لا يريدون التصريح باسمه الحقيقي .. البسيط .. الموجود في قاموس اللغة!

فحتى الأفكار صارت معلبة تحتاج الى فتح مغاليقها.

وكما أن الانسان لم يعد بمقدوره ملامسة ذلك الشيء الحميم الصادق في نفس صديقه او جاره، فانه فقد ايضا متعة معانقة الريح او البحر او الثلج النقي او ضياء الشمس المباشر في عصر الهواء المكيف المعلب، بل عصر التلوث والاختناق.

والأخطر من ذلك ان الفارق قد زال بين الحقيقة والوهم بسبب التعليب التليفزيوني لوعي البشر.

إن فواجع العالم وحرائقه وحروبه صارت تاتي معلبة باهتة الصدى في شاشات التليفزيون وسط بحر من الاعلانات الملونة والروايات الخيالية والأفلام الفانتازيه.

ولم يعد من فارق بين انسان يحترق في بيروت وسيجارة تحترق في يد فتاة الاعلان بمقياس الوعي المخدر لجمهور التليفزيون الذي تعود على تلقي كل ظواهر العالم عن طريق العلبة التليفزيونية وبرامجها المعلبة، سواء كانت تلك الظواهر رواية من الف ليلة او .. حريقا في البيت المجاور!

حتى قادة العالم صاروا يقدمونهم معلبين تليفزيونيا في المواسم الانتخابية.

وحتى اخطر المبادرات والانعطافات في حياة الأمم ومصائرها صارت تقدم للأمم عروضا واستعراضات معلبة ومعدة خصيصا للبث التليفزيوني والناس مستلقون على الأرائك في بيوتهم يتلقون الصفحات الجديدة من تاريخهم الذي تم تعليبه في علب الرخاء والازدهار!

وتبعا لذلك نشا جيل جديد من الشباب تصور انه حتى بهجة الحياة يمكن ان تاتيه معلبة في إبر وحقن المخدرات .. وهذه مرحلة (متقدمة) من عصر التعليب وقمة من قمم لم نبصر ما وراءها بعد ...

واذا كان التعليب ظاهرة عالمية، فان وقوع المنطقة العربية في قلب العالم ادى الى انتشار عدوى التعليب في الوطن العربي بصورة شملت مختلف اوجه الحياة، ونجحت القوى الدولية في تعليب كل ما ارادت تجميده في هذه المنطقة.

فالعلاقات بين العرب في حالة تجميد وتعليب.

وصراع العرب ضد عدوهم في حالة تجميد وتعليب، بما في ذلك القضية الفلسطينية.

والثقافة العربية، فكرا وادبا وفنا ومسرحا، في حالة تجميد وتعليب.

والمشاعر العربية الحقيقية، مشاعر الكرامة والاعتزاز والنجدة والنبل، لا نكاد نلمسها إلا نادرا، بين ركام المشاعر التي تم تعليبها وتجميدها تحت درجة الصفر ..

والانسان العربي ذاته صار معلبا لا نكاد نلمس ملامحه الحقيقية وصوته الحقيقي ونبضه الاصلي.

●●●

واذا كان منتهى المدنية أن يتعلب الانسان كالسردين .. فمن يعيدنا الى عصر البداوة حيث نقاء الريح وعنفوان الشمس وانطلاقة الانسان؟

بل من يعيد الركب الى درب الحضارة الحقيقي حيث التحضر نهضة وابداع واطلاق لقوى الانسان؟

عالمنا، عالم الاستهلاك اليومي الروتيني والطفيلي الهامشي بمعلباته الكثيرة المتعددة، داخل النفس وخارجها، بحاجة الى إيمان كبير يصهر جدران التعليب المحيطة به .. بحاجة الى قضية كبيرة تفك عن الانسان علبته الصغيرة .. بحاجة الى رجال إبداع اكبر من الصغائر المعلبة .. بحاجة الى معجزة تعثر على الانسان بين ركام العلب .. بحاجة الى لحظة تاريخية .. من تلك اللحظات التي تقلب صفحة عصر باهت عقيم وتبدأ صفحة عصر باهر عظيم! ... ام ان هذه الأشياء قد تم تعليبها .. ايضا؟ يا ويحنا إن نجحوا في ذلك!

محمد جابر الانصاري

يصدر خلال هذا الشهر كتاب جديد للدكتور محمد عبده يمانى ، بعنوان : « أقمار الفضاء .. غزو ثقافى جديد » ، وهذا هو أحد فصول الكتاب الجديد الهام ، حيث ينبه الكاتب الى بعض الأخطار الدقيقة التى تحيط بالعقل العربى والثقافة العربية :

حتى نحمي العقل العربي من الأخطار

أقمار الفضاء.. غزو ثقافي جديد!



بقلم: الدكتور محمد عبده يماني

إن الذي يملك التكنولوجيا المتقدمة فى مجال الاتصال هو الذى يملك أداة الغزو الثقافى ...

والغزو الثقافى بهذه الوسائل بالغة التطور والتأثير أمر تصعب مقاومته ، لأن له القدرة على اختراق الحدود الاقليمية وجدران المنازل لممارسة تأثيره فى الأدمغة والضمائر ، ولصياغتها من جديد على هوى صاحب الرسالة المبثوثة فى الهواء . وإذا كان اختراق الجيوش للحدود يعتبر عدواناً يجد من يقاومه فان اختراق الوسائل الاعلامية لهذه الحدود ذاتها ، أو للضمائر نفسها ، لايعتبر حتى الآن عدواناً ، ولايجد من يتصدى له ، لأن التصدى له يحتاج إلى مهارة هائلة ، وتطور تكنولوجى ليس متاحاً للدول التى يغزوها الاستعمار الثقافى وانما هو طوع بنان الغزاة المستعمرين .

إن الغزو الثقافى بذلك ربما كان أخطر

أقمار الفضاء..
غزو ثقافي جديد!

الهجمات الاستعمارية فى العصر الحديث ، وقد يكون هو الركيزة التى يمكن أن يقوم عليها أى استعمار من أى لون ، فحين يتاح لقوة خارجية ما أن تتحكم فى قيم ومفاهيم وضمائر ونوازع أو اتجاهات شعب من الشعوب أو عدة شعوب ، أو العالم كله ، فإن هذه القوة مرشحة للسيادة على هذا الشعب أو هذه الشعوب أو على العالم بأسره ، كيفما يكون الحال .

وهذا هو الخطر الحقيقى للغزو الثقافى الذى يضيع شخصية الشعوب الواقعة تحت وطأته ، ويجعلها أكثر ميلاً لتبنى ا ساليب الغازى ومهادنته ، وبالتالى فإن الغزو ، كيفما يكون شكله ، قد يمضى لغاياته من غير وجود أهم العوائق المخولة والمؤهلة لمقاومته والتصدى له ، وهو ارادة الشعوب التى تنبع من قيمها وضمائرها وأهدافها التى تختارها بحرية وتحددها لنفسها من غير قهر أو تأثير خارجين .

ومن المهم أن نؤكد ، هنا ، أن سلطان الاعلام قد غدا خطيراً وفعالاً ومؤثراً فى المجتمعات ، إلى حد أنه يمكن القول بأنه القوة المحركة لكل القوى الاجتماعية ، أو ا نه الجهاز العصبى للمجتمع ، وكما قلنا ، فإن الذى يسيطر على الاعلام والثقافة وهما وجهان متكاملان من أوجه النشاط العقلى والفنى لابد وأن يسيطر على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وفى بلد مثل الولايات المتحدة نجد أن حجم السوق الاعلامية قد بلغ عام ١٩٨٢ مايصل إلى ٢١ مليار دولار ، ومن المتوقع أن يبلغ حجمها عام ١٩٩٠ نحو ١٠٣ مليار دولار ، أى بزيادة قدرها ٤٩٠ فى ثمانى سنوات فقط .

وفى عدد من الدول الصناعية يبلغ عدد العاملين فى قطاعات الاتصالات المختلفة (بما فى ذلك الاعلام والبيانات والكمبيوتر) نحو نصف القوى العاملة فى المجتمع .

وهكذا يتضح لنا مدى سيطرة الاعلام على عقول الدول وقلوبها وجيوبها ، ويتضح لنا أيضاً الحد الذى يمكن أن تسيطر فيه الدول الصناعية على الدول النامية من خلال الاعلام ، ولقد ازدادت هذه السيطرة باستخدام الأقمار الصناعية .

ومن المؤكد أنه خلال سنين معدودة سوف تتمكن الدول المتقدمة باستخدامها لهذه الأقمار من أن تجعل إرسالها التليفزيونى يغطى كافة أنحاء الكرة الأرضية كما هو الحال فى الارسال الاذاعى تماماً ، والخطر الكامن فى هذا الأمر أن الرجل العادى فى أى مكان من العالم النامى سوف يجلس أمام شاشته الصغيرة فى غرفة مغلقة ويحول مؤشر الجهاز ليشاهد البرامج التى تأتيه عبر المحيطات والبحار والصحارى دون أية رقابة بما فى ذلك الأفلام الخليعة والمنحرفة والبرامج ذات القيم والمضامين المتناقضة مع قيم ومضامين مجتمعه ، ومع العادات والتقاليد وأنماط السلوك السائدة فيه .

وهذه المخاوف لاتقتصر على العالم النامى وحده ، فإن الاتحاد السوفيتى يغرق بانتاجه دول أوروبا الشرقية ، ويهدد بذلك ثقافات عريقة نمت وتميزت عبر قرون طويلة فى هذه الدول . وحتى الاتحاد السوفيتى نفسه لن يسلم رعايا النظام فيه من غزو البث التليفزيونى الغربى ، والأمريكى على وجه الخصوص ، الذى سيهدده فى عقر داره .

ودول أوروبا الغربية هى الأخرى ليست أفضل حالاً ، ان سويسرا مثلاً تستورد من الأفلام الروائية مايزيد ١٩ مرة عن انتاجها المحلى ، وفى هولندة يوجد برنامج تلفزيونى أجنبى بين كل ثلاثة برامج مذاعة ، و ٧٩ فى المائة من برامج بلجيكا مستوردة ، وفى المؤتمر العالمى للسياسات الثقافية الذى عقدته اليونسكو فى المكسيك عام ١٩٨٢ شكت ملينا ميركورى وزيرة الثقافة فى اليونان من أن بلدها بلد صغير دهمته الثقافة الأمريكية ، ابتداء من « البلوجينز » حتى الأفلام والموسيقى والعروض المسرحية ، وأيضاً أسماء المقاهى والفنادق .

« بيير ترودو » رئيس وزراء كندا ذهب إلى أمريكا منذ سنوات ، وقال إننا نشعر اننا راقدون قرب أقدام فيل ضخم فان كل شعرة تتحرك فى جسمه تهز كندا ، وأنه مهما كانت أوجه الشبه والتقارب بين البلدين فإن كندا دولة أخرى لها ثقافة أخرى .

وربما لانجد بلداً آخر فى العالم يعرف سطوة الغزو الثقافى كما تعرفه كندا ، وذلك بسبب تجاور حدودها مع الولايات المتحدة ، وتجاوز الارسال الأمريكى للحدود الكندية ، حتى أصبحت البلاد مرتعاً لأفلام وبرامج وإعلانات أمريكا ، وأصبحت بالتالى مرتعاً لمنتجات أمريكا ، وهدد ذلك ثقافة كندا وصناعتها فى آن واحد معاً .

فالمعروف أن ٨٠ ٪ من الكنديين يعيشون فى شريط من الأرض عمقه ٢٠٠ ميل من الحدود الأمريكية . وبالاضافة إلى الشبكات التلفزيونية الأمريكية الكبرى التى يصل ارسالها إلى معظم أراضى هذا الشريط ، فهناك محطات أخرى محلية عديدة موجهة إلى الكنديين من داخل الولايات المتحدة .

لن نتحدث هنا عما يمكن أن يحدثه تأثير هذا فى العقول ، يكفى أن نذكر مايقال عن الأطفال هناك ، من أنهم ، من كثرة مايرون من برامج أمريكية ، لايدركون أنهم كنديون ، وانما نأخذ مجال الاعلان التليفزيونى ، حيث يقال أنه لما كانت

محطات التليفزيون الأمريكى أكثر رواجاً فى كندا من المحطات الكندية نفسها ، فقد اتجه المعلنون إليها بدلاً من أن يتجهوا إلى محطاتهم ، وهكذا تتسرب الأموال الكندية الى الخارج ، وتفلس شركات الاعلان الكندية ، وتخسر خزينة الدولة الضرائب التى تحصلها عن هذه الاعلانات .

وهناك تصريح شهير فى هذا المقام «لفولكنر» وزير خارجية كندا عام ١٩٧٦ قال فيه أن هذا الأمر يدفع كندا نحو الكارثة ، وأنه أدى إلى صب أموال كندا إلى خارجها وتركها صفر اليدين ، ويحضرنى أيضاً تصريح آخر قال فيه «لئن كان الاحتكار أمراً سيئاً فى صناعة استهلاكية ، فانه أسوأ إلى أقصى درجة فى صناعة الثقافة ، حيث لايقتصر الأمر على تثبيت الأفكار أيضاً ، فلو تملك الأجانب صناعة الفكر كلها فى كندا لاعتبرنا ذلك احتكاراً من وجهة نظرنا» .

كيف يكون الحال اذن إذا ما تعلق الأمر بالبلاد النامية ؟ .

لعل بعض الأرقام تعطى دلالة واضحة فى هذا الصدد .. فالدول النامية المعرضة لهذا الغزو الثقافى الذى يتخذ التكنولوجيا المتقدمة أداة له تمثل ٧٠٪ من سكان العالم ولكنها لاتملك سوى ٥٪ من أجهزة الارسال التليفزيونى و١٢٪ من أجهزة الاستقبال التلفزيونى و١٨٪ من أجهزة الاستقبال الاذاعى و٢٧٪ من محطات الارسال الاذاعى ، وهى لاتستهلك سوى ٩٪ من ورق الطباعة ، ولاتمثل أكثر من ١٧٪ من توزيع الصحف .

وقد أوضحت الاحصائيات والدراسات التى اجرتها منظمة «اليونسكو» أن ٩٠٪ من الأخبار التى يتداولها العالم يومياً هى من انتاج وتوزيع وكالات عالمية لايزيد عددها عن أصابع اليد الواحدة ، وواحدة من هذه



ميلينا ميركورى : وزيرة الثقافة فى اليونان

الوكالات توزع وحدها ١٧ مليون كلمة فى اليوم فى حين أن كافة وكالات العالم الثالث لاتوزع أكثر من ٢٠٠ ألف كلمة يومياً .

ولكن الأدهى والأمر هو ما تتضمنه هذه الأخبار وليس عدد كلماتها ، مضمون هذه الأخبار سلبى عادة اذا ما تعلق الأمر بالدول النامية ، الكوارث والمصائب كما قلنا من قبل هى التى تنشر . والساسة فى هذه البلدان فى نظر العديد من الوكالات والصحف الأجنبية متخلفون . والمسؤولون الحكوميون مرتشون ، ومرتشون خاصة من المؤسسات الأجنبية ، أى من دافعى الضرائب الأجانب (أنظروا هنا إلى الخبث .. فحتى إذا ماصحت هذه التهمة فى مكان ، فإن المرتشى الأسود هو المجرم ، أما الراشى الأبيض فلا جناح عليه) . وشعوبنا وبلادنا تقدم إلى العالم الخارجى فى القوالب التى نعرفها .. فلا زلنا نركب الجمال ولا يوجد لدينا سوى الرمال (أو البترول إذا ما كان الأمر يتعلق باقتصادهم) .

قرأت أخيراً لباحث فلسطينى اسمه رشيد داود البنا مقالا يقول فيه أن وسائل الاعلام الأجنبية تستخدم أوصافا غريبة وهى تتحدث عن دول العالم الثالث عامة وعن الدول الاسلامية بصفة خاصة ، فهى تصف السعودية مثلا بأنها مملكة فى صحراء غنية بالبترول ... لماذا لاتصف انجلترا بأنها مملكة فى جزيرة أصبحت غنية بالبترول ؟ ..

لماذا ؟ ..

لأن وسائل الاعلام الدولية فى أيدى الكبار وليست فى أيدينا ، ولأن الأنباء تكيف فى نشاط اخبارى محموم يخدم رغبات وسياسات القوى المسيطرة ، ولكن هذه الرغبات والسياسات لاتقتصر فقط على تشويه صورتنا فى الخارج ، وانما تعمد أيضا الى تخريب مجتمعاتنا من الداخل .

تعمد مثلا إلى تصدير أحط أنواع الانتاج الأجنبى إلينا ، والذى ينقل صورا كريهة عن مجتمعات منحلة ومتفككة ، ليلها خمر ونهارها مخدرات ، وحياتها قتل وسلب وعنف ، واطارها المادية المجرمة التى لاتقيم وزنا كثيرا ولا قليلا لخلق أو دين .

انهم لايصدرون هذا الينا سعيا وراء مكسب مالى فقط ، فأسواق الدول النامية جميعا لايمكن أن تمثل ١٠٪ من ايرادات الهيئات الاعلامية الأجنبية ، وانما القصد هو تخريب العقول ، ومحاولة اقتلاع كل القيم من جذورها واستبدالها بقيم أخرى غريبة .

لقد كان هذا على الدوام هو القصد من الاذاعات الموجهة ، وهو القصد من الصحف التى يشتريها الغرب والشرق على السواء داخل الدول النامية ذاتها ، وهو القصد من كثير من أفلام السينما وبرامج التليفزيون .

وغداً ، عندما تستخدم الأقمار الصناعية وأبراج الارسال فائقة القوة وتستبيح اذاعات الفضاء كل أرض وحرمة ستتضح النيات الفاسدة المفسدة لكل ذى عينين .

أقمار الفضاء..
غزو ثقافي جديد!

ان كل هذا الذى ينفق لايمكن أن يستنزف مليارات الدولارات من منتجيه لولا أنهم يعتبرونه « استثمارا » استعماريا رخيص الكلفة ، مهما بلغت نفقاته ؛ وبدلا من اطلاق صاروخ مدمر يكلف مليون دولار يمكنهم اطلاق قذيفة فكرية مسمومة لاتكلف معشار ذلك المبلغ ، وبدلا من التضحية بسرب من الطائرات التى يزيد ثمن الواحدة منها عن اثنى عشر مليون دولار ، يقيمون محطة اذاعة لاتزيد كلفتها عن بضعة ملايين ، تحقق من الفتك والتخريب أكثر مما يفعل الصاروخ والطائرة والمدفع .

المعادلة الاستعمارية ، إذن ، واضحة كل الوضوح ، فالأهداف الاستعمارية التسلطية العدوانية لم تتغير مقدار شعرة ، الأساليب وحدها هى التى تغيرت ، وبات لتكنولوجيا الاعلام المقام الأول من اهتمام وانتاج الدول الاستعمارية شرقية كانت أم غربية ، حتى تمهد للغزو الاستعمارى القادم من الفضاء .

اننى لا أتحامل ولا أغالى ...

ان الوثيقة الخاصة بخطة « اليونسكو » القادمة تقول أن « آثار الصناعات الثقافية ستتعاظم نتيجة لدخول توابع الاتصال الثقافية إلى الميدان فى المستقبل القريب . ذلك أن البرامج التى تبث عن طريق التوابع قد تفلت من الرقابة ومن مشاركة البلدان التى تغطيها ، الأمر الذى سيؤدى إلى تعرض العالم لغزو مستديم وشامل — إن جاز القول — من ثقافة الكترونية آتية من فضاء لاحدود له » .

ومن ناحية أخرى نجد أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم هى الأخرى تحذر من أن الدول الصناعية الكبرى تسيطر على دورة المعلومات فى العالم من البداية إلى النهاية .

هذه هى حقيقة الأمر بالفعل ، آلة التصوير التى يتم بها تصوير الأخبار والأفلام مصنوعة فى الدول الصناعية ، المصورون والصحفيون الذين يقومون بتغطية الاخبار العالمية أجانب ، المحطات الأرضية التى ترسل منها الشرائط إلى الأقمار الصناعية هى الأخرى مصنوعة فى الخارج ، الموجات التى تبث عليها تلك المحطات يسيطر عليها الكبار ، الأقمار الصناعية هى الأخرى فى أيديهم ، والصواريخ التى تطلق هذه الأقمار فى ايديهم ، الوكالات العالمية تابعة لهم ، وشبكات التلفزيون وكبريات الصحف والاذاعات الموجهة فى أراضيهم ، ورؤوس الأموال التى تتحكم فى هذا كله وتشغله هى رؤوس أموالهم .

اذن فالقيم التى سوف تبث فى هذه « الدورة » كلها سوف تكون قيمهم ، والأفكار أفكارهم .

والتقدم التكنولوجى المذهل الذى تم فى العشرين سنة الأخيرة ، لم يأت للدول النامية بما وعدت به . بل على العكس من ذلك ، فقد أصبحت على هامش « الدورة » الثقافية والاعلامية العالمية ، وربما خرجت من هذه الدورة تماما — ان جاز القول — عندما تبدأ اذاعات الفضاء المباشرة ، تحملها الأقمار الصناعية ، التى تعتبر الآن صواريخ الغزو الاستعمارى الجديد .

ان مناطق الغزو لم تعد كما كانت قبلا مجالها الأثير المحصور ضمن حدود الغلاف الجوى القريب من الأرض ، بل تعدته إلى الفضاء الرحب الواسع الذى لاتدرك أبعاده ، ولا يحيط باتساعه فكر ، وجلت قدرة خالقه العظيم فيما خلق .

وما من أحد يستطيع حتى الآن أن يقف فى وجه هذا العدو الرهيب لأن المواجهة تحتاج إلى مستوى متقدم من التكنولوجيا يماثل التكنولوجيا الغازية ، فهل هذا ممكن ؟ ..

ان الأثواب البراقة المضللة التى يتخفى وراءها الغزو الفكرى الفضائى تجعل من الصعب اقناع الانسان العادى بمقاطعته والاعراض عنه ، وهى ناحية أخذها الغزاة بعين الاعتبار بطبيعة الحال .

واذا كانت الشعوب تهب ، عادة ، لمقاومة غزاتها ودرئهم عن أرضها وحياضها بكل ما وصل اليها من سلاح فلأن العدو فى هذه الحالة مرئى ومنظور . أما الغزاة المتطون للتكنولوجيا المتقدمة ، فانهم غير مرئيين ، ميدانهم الفضاء الرحب ، ووسائلهم مضللة ، لانار فيها ولا بارود ، ولا صواريخ ، وانما وبكل بساطة مواد مسمومة ، ملفوفة بورق ملون يحاول أن يخفى حقيقتها ، تقدم للساذج والبسيط من الناس ، فيقبل عليها دون أن يخطر بباله السم الزعاف الكامن وراء التزويق والألوان .

ان الذين قرأوا بروتوكولات حكماء صهيون ليتذكرون ، ولاشك ، كم يولى المفسدون فى الأرض للغزو الثقافى والفكرى من أهمية . فلكل منهم ، إضافة إلى الصهاينة المفسدين ، أساليبه المضللة فى السيطرة على عقول الناس وأفكارهم ، وهدم روحهم المعنوية ، وإشاعة التخاذل والضعف فى نفوسهم ، والهائهم عن قضاياهم العليا إلى شؤون جانبية تافهة ، يلعب فيها الضلال والخبث والفتنة دوراً كبيراً .

ونحن نعلم كيف حاولت اسرائيل ان تبث سمومها عن طريق الاذاعة ، ونعلم كيف قامت بهذا أيضاً عن طريق التلفزيون ، فما الذى يمكنها أن تفعله إذا ما أتيح لها أن تستولى على موجات فى الفضاء توجه بها برامجها إلى بيوتنا مباشرة ؟ .

سوف يكون هذا هو التطبيع الحقيقى ، الذى ربما كان أكثر أثراً وبالقطع أكثر يسراً

وسهولة من التطبيع القائم على الاتفاقيات والمعاهدات .

واذا ماتصدينا لذلك فنحن نعرف سلفاً ما الذى سيقال ، وما هى حجج أصحاب نظرية الحرية الزائفة التى هى دائماً حرية القَوى ، وحرية العبث بالعقول .

كل بلدان الدنيا توصد أبوابها الآن دون الغزو الفكرى القادم حتى من دول صديقة ، محطة تلفزيون الـ بى بى سى وضعت نسباً جديدة ستتوالى فى الانخفاض للانتاج الوارد من الولايات المتحدة ، وكندا هى الأخرى فعلت ذلك .

هذه الهواجس التى طرحتها لاتتعلق فقط بالدول النامية .. انها ليست هاجسى وحدى .. وما أنا بالوحيد الذى يرفع صوته منبها إلى الغزو الجديد .

فى فرنسا أعلن وزير الثقافة الفرنسى انه خائف من وقوع الشعب الفرنسى ضحية للاستعمار الثقافى الأمريكى ...

فإذا كان هذا شأن دولة متقدمة تكنولوجيا ، ولا فوارق تذكر فى جوهر ثقافتها عن الثقافة الأمريكية ، فماذا يكون شأننا نحن مع الفوارق الجذرية العميقة بين ثقافتنا واخلاقنا وتقاليدنا وقيمنا وبين ثقافة الآخرين ؟ ..

لعلنا نتذكر الاجراءات العنيفة التى قام بها الرئيس الفرنسى الأسبق « شارل ديجول » حيث ألغى الاعتماد على الدولار كاحتياطى للعملة الصعبة وانسحب من حلف الأطلسى وأعاد النظر فى العلاقات الثقافية ، والسياسية ضمنا ، مع أمريكا . لقد أعلن ديجول ، أيامها ، بصريح العبارة ان اجراءاته هذه تهدف إلى حماية الثقافة الفرنسية العريقة من الثقافة الأمريكية السطحية ، وقال انه تصدى لهذا الخطر بعد أن استفحل بازدياد الانتاج الأمريكى الخالى فى معظمه من مضمون ثقافى جدير



بيير ترودو

بالاعتبار ، واعتماده على مخاطبة الغرائز ، والتفاهة والضحالة .

ان ثقافة أى بلد هى هويته الوطنية التى لايجوز لأى كان ، ولأى سبب ، السماح بتشويهها أو تطعيمها بثقافات هجينة غير ذات مستوى .

فإذا كنا نعتز بترابنا الوطنى ، ونذود عن أجوائنا ومياهنا الاقليمية ، فان الفكر الوطنى أى مجموعة ثقافة الوطن يجب ان يكون كذلك فى منجاة من العدوان حتى ولو اتخذ شكل كتاب ، أو هيئة صحفية ، او صورة موجة اذاعية ، أو شكل برنامج تلفزيونى .

وأنا هنا أفرق بين الغزو الفكرى والتفاعل الفكرى ...

الغزو الفكرى هو عملية استعمارية عدوانية تسلطية لاشك فيها ، وهو مايتوجب علينا أن نحاربه .

أما التفاعل الفكرى فهو ممارسة حضارية ، نأخذ فيها من العالم ، أيا كان ، ونعطيه ، ضمن ضوابط ديننا وأخلاقنا ومجتمعنا وثقافتنا الخاصة ، واذا كان الاستعماريون يحاولون الخلط بين الاثنين ، لتضليلنا عن حقيقة الغزو الفكرى وابرازه

كتفاعل حضارى ، فان مهمتنا هى بالتحديد ، التصدى لذلك النتاج ، وفرزه بوعى وذكاء ، فما يتلاءم منه أخذناه بعد أن نطمئن إليه ، وما تعارض مع قيمنا ومبادئنا نبذناه ، ودعونا إلى مقاطعته والابتعاد عنه .

وأود هنا أن أشير إلى أننا هنا لانتحدث كذلك عن التبادل الثقافى الذى هو ضرورة حتمية فى ظل الحضارات المختلفة : ان هذا التبادل يقوم على الانتخاب أو الانتقاء الحر ، وبالتالى فلا ضرر منه ولا خطر فيه ، بل فيه بالتأكيد مصلحة ومنفعة ، وانما الحديث عن الغزو الثقافى الذى يعتمد على عملية اقتحام شاملة للأثير تستهدف بدورها اقتحام الثقافة والقيم الوطنية ، واعادة صياغتها بما يتناقض مع التراث والعادات القومية العريقة ، والخطر الذى نتحدث عنه هنا هو الخطر الناجم عن الأثير أو غزو ثقافتنا عن طريق الاذاعة والتلفزيون ، وما تتيحه الأقمار الصناعية لهما /من قدرة لاضابط لها فى التأثير على الثقافات والقيم الأخرى ، دينية كانت أو اجتماعية ، فى عملية غير متكافئة تتم بها سيطرة الثقافة المسلحة بالتكنولوجيا المتطورة على سواها من الثقافات « العزلاء » ، ان صح هذا التعبير ، وتكون النتيجة الحتمية تشويها .. ومسخا .. وصياغة للشخصية على هوى القوى الغازية عبر هذه الأقمار أو القوى الاستعمارية الجديدة ..

محمد عبده يمانى



فى العدد القادم
بين
الكاوبوي الأمريكي
والدب الروسي
" الحلقة الرابعة "
بقلم
الدكتور محمد عبده يماني

اننا لا نقصد من هذا التحليل اغفال النظر عن المشاكل والقضايا الاخلاقية التي تثيرها ابحاث الهندسة الوراثية، وخاصة فيما يتعلق بالانسان، وبامكانية السيطرة على صفاته البيولوجية، واحتمال التاثير على سلوك البشر من خلال صفاتهم الوراثية .. والاحتمالات والامكانات الجديدة للسيطرة والهيمنة من جانب الدول المتقدمة على الدول النامية .

أين نحن من هذا ؟!

ثورة الهندسة الوراثية

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

لم يجانب الكثيرين الصواب عندما وصفوا التطورات الاخيرة في ابحاث الهندسة الوراثية او التكنولوجيا البيولوجية (بيو تكنولوجي) بتعبير الثورة ، فنتائج هذه الابحاث سوف تطرح تاثيراتها على كافة جوانب المجتمع في الحقب القليلة القادمة . ولم يعد مثل هذا القول يعكس حلما بعالم جديد او تصور (فانتازيا) علمية بل هو تطور تثبته التجارب العلمية ونتائجها ، وانتقال هذه النتائج من المعامل والمختبرات الى الشركات التجارية والاسواق . وفي هذا السياق تكونت عديد من مراكز البحث الخاصة فى الولايات المتحدة وانجلترة التي انشئت لاغراض تجارية ، وفي عام ١٩٨٣ كان هناك ما يقرب من مائتين من هذه المراكز والشركات في العالم .

ليس من سبيل المبالغة اذن القول بان القرن الحادي والعشرين ربما يدخل التاريخ باعتباره قرن تطبيقات الهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية في مجالات الانتاج والخدمات المختلفة وان هذه التطبيقات سوف يكون لها تاثيراتها المتعددة على طبيعة البناء الاقتصادي والاجتماعي وعلى كثير من انماط السلوك الانساني .

ويقصد بمجال الوراثة او هندسة الوراثة استخدام المعلومات البيولوجية المتعلقة بتكوين (المادة الوراثية) في الكائن الحي وبكيفية تكاثرها وترجمتها وانتقالها من خلية لاخرى وبكيفية قيامها بوظائفها والتعبير عن نفسها والطريقة التي تتغير بها ، والآثار المترتبة على ذلك ، كل هذا بهدف التحكم في المادة الوراثية والسيطرة على مكوناتها .

ويشير تعبير (المادة الوراثية) الى الاحماض النووية التي يرمز لها عادة بحروف (د ن ا) والتي اكتشف العلم مكوناتها في عام ١٩٥٣ حيث اتضح ان كل جزيئة من هذه المادة تتضمن وتشتمل على كل المعلومات الضرورية للنشاط الحيوي للخلية او الكائن الحي . فبالنسبة للانسان مثلا فان هذه الجزيئة تحمل كل المعلومات والبيانات المتعلقة بلون الشعر والعينين وحجم العظام او طول القامة الى غير ذلك من صفات بيولوجية له .

وفي عام ١٩٧٣ وصل مجموعة من العلماء في جامعتي ستانفورد وكاليفورنيا الامريكيتين الذين عملوا لسنوات في ابحاث بيولوجيا الخلية او البيولوجيا الجزيئية الى اكتشاف الانزيمات اللازمة لفصل واعادة ربط جزيئات الحامض النووي ، وفتح هذا الاكتشاف افاقا واسعة امام عمل (تهجينات وراثية) أي عزل وتركيب هذه الجزيئات من كائن إلى اخر (نبات - حيوان - انسان) .

بعبارة اخرى لقد استطاع العلماء عزل اجزاء معينة من المادة الوراثية وادخالها الى كائن حي آخر بما يتضمنه ذلك من اكساب الكائن الثاني سمات بيولوجية لم تكسبها اياه الطبيعة والمولد ، وهذا التكنيك العلمي للمعرفة وللخبرة هو ما يسمى بالبيوتكنولوجي ويعرفه البعض بانه (استخدام الكائنات الحية او المكونات الحيوية في المجالات الانتاجية او الخدمية وذلك عن طريق غرس ونقل الجينات الوراثية في نواة الخلية المفردة لاكساب هذه الخلية الخواص والوظائف المتضمنة في الجينات المغروسة) .

ويستطيع الانسان ان يحلق بخياله في آفاق

الابتكار والابداع التي تثيرها هذه المعرفة الجديدة وامكانات تحسين الصفات الوراثية للنبات والحيوان ولكن بدلا من ذلك فسوف نعرض لبعض المجالات التي تحققت بالفعل او تلك التي اوشكت الابحاث العلمية ان تصل الى كشف مؤكد بخصوصها .

ففي مجال الانتاج الحيواني مثلا تستخدم نتائج الهندسة الوراثية لتحسين التلقيح الصناعي بين الماشية، ومن الدول التي حققت نجاحا كبيراً في هذا المجال بلغاريا ، كما تم استنباط انواع من الدجاج تاكل كميات اقل من العلف بلغت مثلا سبع الكمية التي تستهلكها انواع الدجاج التقليدية .

وفي مجال الطاقة يسعى العلماء للبحث عن مصادر متجددة لها وهناك تجارب لانتاج بعض السوائل الهامة من النشا ، وفي مجال الصناعات الغذائية تم معمليا استخلاص المادة اللازمة للتحلية (الفركتوز) من الذرة بدلا من قصب السكر او البنجر . ولكن ابرز آثار الهندسة الوراثية نجدها في مجالي الزراعة والطب .

ففي مجال الزراعة تظهر هذه الآثار على اشكال ثلاثة . أول هذه الأشكال هو تحسين جودة ونوعية المحاصيل المعروفة ، ففي حالة الأرز مثلا تم اختصار المدة بنسبة الثلث فيتم زراعته في الصين مثلا في حدود ٧٥ يوماً ، ويستغرق القطن المتوسط التيلة في الولايات المتحدة مدة ٤ شهور ، وتم ايضا مضاعفة الناتج المتوقع من المحصول التي بلغت في بعض الحالات مثل الذرة الى اكثر من خمس امثال حجم المحاصيل بالزراعة التقليدية . وعلى سبيل المثال استطاعت كلية الزراعة بجامعة القاهرة زراعة اصناف من البطاطا الهجين يبلغ متوسط محصولها ١٠ ـ ١٥ طنا للفدان مقابل ٢ ـ ٣ طن في حالة الاصناف التقليدية. وقد ادى هذا الى تغييرات اساسية في اساليب واقتصاديات الزراعة حيث توفر التكنولوجيات الجديدة محصولا اكبر ، وجودة افضل ، ووقتا اقل للعملية الزراعية وكان هذا الاتجاه هو اساس ما سمي بالثورة الخضراء التي بدأت بنجاح المكسيك في انتاج اصناف جديدة من القمح وتبعها في هذا المجال الهند وباكستان .

وثاني هذه الاشكال في الزراعة استنباط انواع جديدة من المحاصيل القادرة على مقاومة الآفات ، او لا تحتاج الى الاسمدة الأزوتية غالية الثمن او قادرة على تحييد الآثار الضارة المترتبة على استخدام المبيدات للقضاء على الحشرات الزراعية ، او نباتات تقاوم الجفاف وقلة المياه ، او تصنيع مبيدات حشرية لا تكسب الحشرات مناعة ضدها كما هو الحال في اغلب المبيدات الحالية ، والتي تتطلب تغييرها كل عدد من السنوات نتيجة تقلص فاعليتها ونمو مناعة الحشرات تجاهها .

والشكل الثالث هو زراعة الخلية او الانسجة ويهدف الى التكثير من نسخة واحدة من خلية نبات ما أي اخذ نسخة واحدة من نبات ما وتكثيرها ، وقامت فرنسا بذلك مثلا في مجال نخيل الزيت .

والى جانب هذه الاشكال التي تهدف الى تطوير وتجويد وتكثير النباتات التي يعرفها الانسان بالفعل فان الهندسة الوراثية تفتح الباب أمام استنباط اشكال جديدة من النباتات والخضر والفواكه التي لا تعرفها الطبيعة .

في مجال الطب اسهمت ابحاث الهندسة الوراثية في تشخيص الأمراض الوراثية وتحديد اسبابها مثل الشلل عند المولود او التخلف العقلي بسبب نقص في احد الانزيمات ويمكن في هذه الحالات تزويد الجسم بالانزيمات والبروتينات الناقصة نتيجة الأمراض الوراثية . وفي مجال العلاج اسفرت الابحاث عن عدد من الصناعات الدوائية التي طرحت بالفعل ناتجها في الاسواق فهناك الهرمونات والانزيمات والمضادات الحيوية مثل الانسولين ، وهو الهرمون البروتيني لعلاج مرض السكر ، والانترفيرون الذي يستخدم كمضاد للسرطان ، وذلك باسعار تجارية وبكميات كبيرة وهو الامر الذي لم يكن ممكنا من قبل . كذلك تم التسويق التجاري لهرمون النمو (بوفين) الذي يستخدم للماشية، وتجرى الآن الاستعدادات الاخيرة لانتاج هرمون النمو للانسان ، ويتوقع ان يكون في الاسواق بعد عامين .

ولا نقصد ابداً من هذا التحليل الايحاء بان العلم يقدم اليوم (وصفة سحرية) لحل مشاكل التنمية بدون جهد او عرق او تخطيط ، ولا القول بان كل ما علينا هو أن ننقل حرفيا نتائج هذه الابحاث من الدول المتقدمة ونستفيد منها . فهذه البحوث اولا تمت لحل المشاكل التي تواجهها المجتمعات الغربية المتقدمة ولا يمكن نقلها حرفيا ، كذلك وهذا هو المهم ، ان المعرفة المتضمنة واللازمة لاكتساب هذه الخبرة تعتبرها هذه الدول من اسرارها الكبرى . ويعني هذا ضرورة اقلمة هذه المعرفة لظروف البلاد النامية ولاحتياجاتها ، كما يعني ضرورة العمل من جانب علماء هذه البلاد لاكتساب المعرفة اللازمة للتعامل مع هذه التكنولوجيات والاستفادة منها على ضوء مشاكل واحتياجات مجتمعاتهم .

كما اننا لا نقصد من هذا التحليل اغفال النظر عن المشاكل والقضايا الاخلاقية التي تثيرها ابحاث الهندسة الوراثية وبالذات عندما تتعلق بالانسان وبامكانية السيطرة على صفاته البيولوجية ، وباحتمال نقل الجينات الخاصة بالعباقرة او الموهوبين الى اشخاص اخرين ، واحتمال التاثير على سلوك البشر من خلال صفاتهم الوراثية . كل هذا يفتح الباب امام احتمالات وامكانات جديدة للسيطرة وللهيمنة من جانب الدول المتقدمة على الدول النامية . ومن الناحية النظرية البحتة فان ابحاث الهندسة الوراثية توجد احتمال التاثير البيولوجي على درجة ذكاء الانسان وعلى قدراته العقلية المختلفة والتاثير على شكل وسمات الانسان وذلك من خلال التحكم في العمليات الوراثية .

كل هذه قضايا واردة وهامة ولكن من المهم أولا أن نتنبه الى هذه البحوث وان نتفق على أهميتها بالنسبة لمستقبلنا ولمستقبل العالم ، وان ندرك ان الآخرين قد سبقونا فيها بسنوات وان السيطرة على هذه التكنولوجيا الجديدة سوف تمنح الذين يملكونها قدرات وامكانات هائلة نستطيع ان نتخيلها من الآن . وفي تقديري اننا ـ كعرب ـ ليس لدينا خيار من الدخول في هذا المجال ، وان ننشر الوعي بالآفاق التي تقدمها هذه الابحاث في مجال التنمية والرخاء ، وان نحدد المجالات التي يمكن الدخول فيها ، وان ننشيء المراكز العلمية وندرب الكوادر العلمية القادرة على التعامل معها ، ولن يكون ذلك إلا بجهد عربي مشترك نسعى فيه الى اقتحام المستقبل من خلال احد مجالاته المتقدمة .

فاين نحن من هذا ؟

علي الدين هلال



الحاج أمين الحسيني   هتلر

حقيقة العلاقة بين هتلر ومفتي فلسطين

بقلم: الدكتور السيد فهمي الشناوي

- صورة حيّة وكاملة لأول لقاء بين هتلر والمفتي
- لماذا رفض هتلر أن يقدم «القهوة» للمفتي؟
- قال هتلر للمفتي: أنا لا أخشى روسيا ولا أمريكا ولا اليهود، وأكثر ما أخشاه هو: الإسلام

وإذا قيل المفتي فهو مفتي القدس ومفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني . لا مفتي غيره . ومع ذلك فما أقل ما كتب عن هذا الرجل المجاهد .

لاأعرف كتابا واحدا كتب عن حياة الحاج أمين الحسيني في الوقت الذي كتبت فيه عشرات الكتب بالعربية عن كل فنان أو مطرب أو أراجوز تتوالى طبعاتها حتى اليوم وتدر عائدا على مؤلفها وناشرها معا . بل لقد انتحر من انتحر عند وفاة هذا أو هذه ممن يقال عنهم انهم فنانون . وانشئت لكثير منهم تماثيل بيعت في حياتهم ومشاريع خيرية ايضا . وعجت الصحف بالكتابة عن حياتهم ولهوهم و اتفه تصرفاتهم .

وحتى منظمة التحرير الفلسطينية لم تصدر عن (المفتي) كتابا واحدا رغم سيل المطبوعات التي صدرت وتصدر عنها .

بل أن الزعيم والقائد ياسر عرفات ينتمي الى عائلة الحسيني واسمه الكامل ياسر عرفات الحسيني ،ولكنه يتنازل عن لقب الحسيني هذا .. وان كان كتاب الغرب الذين يؤرخون للكفاح الفلسطيني لا يتنازلون .

وحتى المؤرخون الغربيون لم يكتبوا عن أمين الحسيني ما يستحقه . لقد ظهر أول مطبوع عنه عام ١٩٤٢ في لندن بعنوان (مفتي على الشرق الأوسط) وكان أقرب الى نشرة سياسية في ٣٦ صفحة صغيرة بقلم مؤلف يدعى وترز . ثم في عام ١٩٤٧ ، عام تقسيم فلسطين ، ظهر كتيب بعنوان (مفتي القدس) في لندن ايضا . فكان في ٩١ صفحة . ولكنه ايضا كان دعاية سياسية صغيرة ، ترويجا لفكرة التقسيم . ثم قامت اسرائيل عام ٤٨ ونُسي أمين الحسيني تماما حتى عشية حرب يونيو التي استعدت لها اليهودية العالمية عام ١٩٦٥ . ففي هذا العام الاخير اصدر اليهودي العالمي يوسف شختمان كتابه عن أمين الحسيني في ٣٢٠ صفحة ، ليصور ويلوّن اسطورة هذا المجاهد بصورة أبدية تاريخية من المفهوم الصهيوني .

لقد اكتفى انصار و تلاميذ المفتي أمثال أميل الغوري في مذكراته عن فلسطين عبر ٦٠ عاما وموسى العلمي في (وطني) وأمثالهم بمجرد الاشادة بالرجل وكفاحه في غمار عرضهم لتاريخ الحركة دون نشر تاريخ كامل للرجل يعطيه حقه التاريخي خصوصا في مواجهة الخصوم .

ولعل من أوضح الأمور ما استقر في أذهان الجماهير العربية من أن أمين الحسيني عاش في المنفى في أوربا في كنف هتلر حتى أن انجلترا كانت تريد محاكمته كمجرم حرب نازي بعد الحرب في محكمة نورمبرج الشهيرة .

والواقع أن هذا أبعد الأمور عن الحقيقة .

نعم . لقد عاش في منفاه الاختياري مع قطبي المحور هتلر وموسوليني . ولكن أبدا لم يكن هناك تفاهم واتفاق راي بينه وبين هتلر كما سنرى . ولقد كان موقفه معه مثل موقف ستالين مع تشرشل وروزفلت . موقف أراد منه خدمة قضيته الوطنية المقدسة ، لا الذوبان في حليفه أو اعتناق مذهبه . ولقد أقر الفكر الأوربي موقف تشرشل وستالين في الوقت الذي ظلم فيه غاية الظلم موقف المفتي مع هتلر . أما عقل الجماهير العربية في الشرق الأوسط فقد قبل الطعم الذي صاغه له الغرب دون أدنى مناقشة .

ما يهمني ـ انصافا وبحثا عن الحقيقة الخالصة ـ هو أن المفتي كان (الشهيد الحي) في سبيل فكرته عن تخليص فلسطين وما حولها من الصهيونية . وانه في سبيل ذلك فقط على استعداد لمحالفة الشيطان نفسه . لقد كان طراز البيوريتانية الوحيد في السياسة العربية المعاصرة .. وراح ضحية هذه البيوريتانية . ولكنه لم يندم .

أمين الحسيني محوراً للاحداث في الشرق العربي

حكمت بريطانيا فلسطين ما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٤٨ كدولة انتداب . يقول جون مارلو مؤرخ الشرق الأوسط أن هذا الحكم خلال هذه الفترة كان مقصوداً به أن تسلم بريطانيا فلسطين الى اليهود .

هذه الحقيقة كانت تعلمها بريطانيا وكان يعلمها ساسة العالم كله إلا العرب . وكانت بريطانيا تخفي هذه الحقيقة بقدر الامكان عن (أصدقائها العرب) !

ولم يكن يعلم هذه الحقيقة ويعلمها بابعادها الكاملة إلا مفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الأعلى فيها . ومن ثم أصبح هو بشخصه وحده محور القضية كلها ومحور الاحداث في المنطقة والشخص الذي تطلب رقبته بريطانيا خفية ، والصهيونية علنا . ولقد كان هو من النشاط والديناميكية والبيوريتانية السياسية بحيث وهب الفكرة كل حياته . فهي زوجته وهي أولاده . وكأنما تشربت روحه بكل الروحانية القديمة المعروفة في هذه المنطقة من العالم .

لقد هرب المفتي من فلسطين في اكتوبر عام ١٩٣٧ . ومع ذلك ظل هو محور القضية . واشتد نفوذه على فلسطين وهو خارجها عما كان وهو داخلها .. كانت هجرة لا هروبا . ثم عاش في لبنان لاجئا سياسيا سنتين حتى اكتوبر ١٩٣٩ . اختفى بعدها فجأة ليظهر في بغداد من أكتوبر ٣٩ حتى مايو ١٩٤١ . هناك كان هو الديناموالحقيقي لثورة رشيد عالي الكيلاني وكان هو الرئيس الفعلي للمربع الذهبي (٤ ضباط عراقيين ـ سيطروا على الجيش العراقي بقيادة صلاح الدين الصباغ وهو ضابط من أصل مصري دمياطي !) .

وخلال وجوده في العراق في هذه الفترة ألف حكومة ظل عربية تمثل كل أقطار العروبة وسبق بهذا فكرة الجامعة العربية وفكرة الوحدة العربية سواء اندماجية أو كونفدرالية . وظل متمسكا بهذا الوضع الوحدوي وهو في منفاه في أوربا . واعتقد أن تأليفه لحكومة وحدة عربية في الظل كان هو السبب الحقيقي والخفي الذي دعا ايدن الى اطلاق فكرته عما أصبح بعد ذلك الجامعة العربية مؤملا ـ أي ايدن ـ أن يشكل مجموعة من عرائس المسرح السياسي يحركها هو وبريطانيا بخيوط تنتهي في لندن .

عندما فشلت ثورة رشيد عالي أفلت الحاج أمين مرة ثالثة من أصابع بريطانيا التي تريد الاطباق على عنقه ، رغم كل الجواسيس الذين يرصدونه استطاع أن يهرب أو يهاجر بدعوته من بغداد الى طهران . وهنا اطبقت جيوش الحلفاء على ايران : روسيا من الشمال وبريطانيا من الجنوب . ومرة رابعة يفلت ايضا باعجوبة .

وانتقل من طهران الى روما ثم الى برلين حيث مكث ثلاث سنوات ونصف (من اكتوبر ٤١ الى مايو ٤٥) . هذه الفترة هي التي تهمنا هنا ، لأن الامبريالية والصهيونية صورتها على انها انضمام الى

حقيقة العلاقة بين هتلر ومفتي فلسطين

المحور ، كانه في خدمة المحور . خدم المحور - هكذا قالوا - بالدعاية والاذاعة وتكوين فرق حربية اسلامية حاربت في صفوف المحور وبالتجسس لصالح المحور : وقد سممت هذه الصورة عقول الكثيرين منا او على الاقل كانت هي الصورة الوحيدة المتاحة عنه . وهي من ضمن الاسرائيليات الكبرى التي تسربت الى المعتقدات العربية قديماً وحديثاً . ومهمة هذه المقالة هي دحض هذه المقولة الاسرائيلية .

عندما أوشك المحور على الانهزام حملته طائرة مدنية المانية الى حدود سويسرا المحايدة بناء على طلبه طبعاً . رفضت سويسرا ادخاله ، فعاش في باريس نحو عام كامل ، ثم هرب الى القاهرة في عام ٤٦ . حيث بقي الى أن لقى ربه .

قبل أن يصل الى القاهرة كان هو دائماً محور الأحداث وكان دائماً يفلت من اصابع تتلمظ شوقاً الى رقبته . منذ ان عاش بين قومه العرب بعد لجوئه الى القاهرة انطفأ بريق الرجل . لم يشارك في الأحداث . وجرت الاحداث قاسية فوقه . قسمت فلسطين ٤٧ ثم قامت اسرائيل عام ٤٨ ثم عاش ليراها تتربع وتهيمن .

عاش الرجل على مسرح الأحداث ٤٠ سنة اي (اربعة) احقاب لا يكف لحظة عن حلمه باستقلال فلسطين العربية . لم يترك شيئاً أبداً للصدفة . ولم يعترف أبداً بقدرة قوى كبرى على مساعدته في قضيته . ولم يعترف أبداً بالهزيمة ولا اعتبرها اخر المطاف .

اختار منفاه في القاهرة بينما اختار الكيلاني منفاه في مكه .. لأن المفتي كان مصمماً على الكفاح السياسي لا الاعتكاف . كانت الأحداث كافية لتحطيم أي زعيم سياسي دولي . ولكن تصميم المفتي كان لدرجة لا تكاد تصدق .

لقد ظل الى آخر نفس في حياته لا ينثني عن مراده . ولكنه كان يعمل بدون حزب وبدون جماعة وكان جهده كله يمثل ارادة فرد ونشاط فرد ومقدرة فرد .

الفوهرر والمفتي وجهاً لوجه

عندما هرب المفتي من طهران ذهب الى افغانستان او تركيا حيث رتب له بعض معارفه رحلة الى روما . وصل روما في ٢٧ اكتوبر ١٩٤١ . ورغم ان الدوتشي رحب به في عاصمته الروحية الا ان المفتي ادرك ان الكلمة العليا وزمام القيادة للمحور هي في يد هتلر . اضافة الى ذلك ادرك ان هتلر يكن كرهاً مباشراً لبريطانيا ولليهود يفتقد هما موسوليني . ففي ٢٠ نوفمبر حط رحاله في برلين حيث استقبله ريبنتروب شخصياً وحدد له موعداً مع هتلر .

كان المفتي لا يعرف الالمانية ، وكانت محادثاته في أوربا بالفرنسية ، فكان لابد اذن من حضور مترجم . ورغم ان هتلر كان له مترجم عربي هو الدكتور شميث الا انهم احضروا مترجماً اخر هو جون ابلر او حسين جعفر . هذا الاخير ولد في الاسكندرية لأب وام المانيين .

ثم توفى والده الالماني وتزوجت امه من محام مصري فسمى ابنه حسيناً . وصحبه الى الحج عام ١٩٣٥ . فكان اذن يعرف كل عادات وطبائع وتقاليد العرب والمسلمين . وفي عام ٣٨ عندما كان في روما اكتشف جعفر حقيقة أصله . فانضم الى جيش المانيا كجندي مخابرات ، ولعب دوراً هاماً في مصر حيث تقابل مع الضباط الشبان انور السادات وجمال عبدالناصر .

حكي جون ابلر قصة اول لقاء بين المفتي والفوهرر الى المؤلف المعروف ليونارد موزلي كالآتي :

دخل المفتي مادأ يده الى هتلر للمصافحة وكان هتلر لا يصافح احداً . فلما لم يجد المفتي يداً ممدودة ضم المفتي يده الى صدره كما يفعل اثناء الصلاة ، ثم اخذ مقعداً وجلس عليه وهتلر واقف . اسرع هتلر الى المترجم ابلر طالباً منه ان يقول للمفتي انه يرحب به كرمز للرجال الأحرار الذين يدركون ان المانيا تقاتل من اجل الحرية . والآن سوف اقول له رايي في الوحدة العربية . بدل ان يترجم ابلر هذه الجملة اسرع يقول لهتلر : ياسيدي الفوهرر لقد نسيت ان تطلب له فنجاناً من القهوة . هذا مفتي فلسطين . واي شخص عربي اقل قدراً منه يجب ان يحيى بفنجان من القهوة قبل بدء المحادثات .

فرد هتلر في برود : انني لا اشرب القهوة . ثم هاج هتلر واندفع نحو باب مكتبه صائحاً هنا مقر رياسة الرايخ ، ولن اسمح لمخلوق ان يشرب فيه فنجان قهوة . هل تسمع ؟ ثم خرج هتلر وهو يكرر صراخه . وظل المفتي جالساً هادئاً .

وبعد خمس دقائق انفتح الباب ودخل هتلر هادئاً وخلفه احد رجال العاصفة يحمل كوبين من عصير الليمون . سحب هتلر كرسياً وجلس بجوار المفتي ومد اليه يده بكوب منهما .

بدأ المفتي حديثه طالباً الاعتراف باستقلال الدول العربية في اعلان تصدره المانيا .

رد هتلر بانه لا يستطيع ان يصدر قرارات قبل موعدها . وان موعد هذا الاعلان هو عند الوصول الى حدود الدول العربية لاقبل ذلك .

يذكر المورخ مجيد خدوري نقلا عن مذكرات امين الحسيني انه نقل الى هتلر استياءه من هذا الوضع وان كان اكد له انه سيتعاون معه رغم ذلك .

هذا اذن هو اللقاء الأول مع هتلر . وفي كتاب الاستاذ شختمان عن المفتي وهو اكبر كتاب سجل كل حركات ولقاءات وخطب ومقابلات المفتي لم يذكر الا هذا اللقاء الوحيد ، ولكن هناك لقاءاً اخر ذكره أميل الغوري في مذكراته فلسطين عبر ٦٠ عاماً وربما أخفاه شختمان لصهيونيته .

كان اللقاء الثاني والاخير مع هتلر هو قبيل نزول الحلفاء في شمال افريقيا حيث عرض المفتي على هتلر ان يقوم بتجنيد جيش من متطوعي العرب في الشمال الأفريقي يشعلون ثورة وطنية تمنع هبوط الحلفاء . وعرض هذا الاقتراح في حد ذاته يقطع بصدق الاحساس السياسي للمفتي ويقدم دليلا الى جانب ادلة اخرى سنذكرها حالا بان المفتي كان يباشر حركة مقاومة دولية واسعة النطاق تمتد عبر كل اوربا والشمال الافريقي وآسيا حتى اليابان مؤملا في استقلال وطني لفلسطين لا اكثر .

كان رد هتلر عجيباً ومثيراً ويلفت النظر الى حل ديني لا حل وطني للمشكلة الفلسطينية . قال هتلر لأمين الحسيني رداً على اقتراحه السابق : لا . انني لا اخشى الشيوعية الدولية ، ولا اخشى الامبريالية الأمريكية البريطانية الصهيونية . ولكني اخشى اكثر من كل هذا الاسلام السياسي الدولي .

كان هذا رفضاً قاطعاً من هتلر اظهر

● عندما علم المفتي أن اليهود يخططون لاغتياله أعدّ فريقاً عربياً لاغتيال وايزمن وبن جوريون



رشيدعالى الكيلانى



ياسر عرفات

ابعاداً لم تكن اطلاقاً على بال امين الحسيني .. ويؤكد خلو المفتي ذهنيا من هذا الحل الديني ان ذكره اميل الغوري بينما أهمله شختمان .

هذا وقد سمعت هذه الرواية شخصيا من الشيخ اسعد التميمي امام المسجد الاقصى السابق ، حيث قال لي ان المفتي أمين الحسيني كرر له قولة هتلر هذه في أكثر من مناسبة .

هاتان اذن هما المقابلتان الوحيدتان اللتان تمتا بين المفتي والفوهرر ، وهما توضحان ان المفتي لم يكن ابداً يسير على هوى هتلر . وان الذي جمع المفتي على الفوهرر هو نفس الذي جمع ستالين على روزفلت او تشرشل : الدافع الوطني الصرف .

واذا كانت بريطانيا وفرنسا وامريكا بعد انتهاء الحرب ، ورغم وجود المفتي في باريس نفسها ، قد ترفعوا عن اتهام المفتي أو تقديمه امام محكمة نورمبرج التي حاكمت النازي واعوانه ، واتخذت هذه الدول الثلاث هذا الموقف رغم ضغط الصهيونية في امريكا ورغم ١٢ سؤالا واستجوابا قدمت الى مجلس العموم البريطاني ، فانما فعلوا ذلك تقديراً لجهاد هذا الرجل . وكان تيتو هو الوحيد الذي طالب بمحاكمته امام محكمة نورمبرج ثم عدل بضغط من عبدالرحمن عزام والجامعة العربية .

وخلال اقامة المفتي في باريس كانت الصهيونية المتطرفة تفكر في اغتياله ولكن حسب رواية الاستاذ شختمان في كتابه عن المفتي تبين ان المفتي كان قد جهز فريقا لاغتيال ثلاثة رداً على اغتياله .. الثلاثة كانوا وايزمان وبن جوريون وبيجن !!

ومن هنا كان تسهيل فرنسا له بالخروج من باريس الى القاهرة . ويقول شختمان ان الذي سهل له ذلك هو جورج بومبيدو الذي كان وقتها في الخارجية الفرنسية وانه وقت يوم تهريبه في نفس اليوم وبمجرد الانتهاء من توقيع اتفاقية مالية مع امريكا لتعمير الاقتصاد الفرنسي اثر الحرب لانه كان يخشى تهريبه قبل ذلك فيضغط اللوبي اليهودي الامريكي وتمنع امريكا من تعمير آثار الحرب في فرنسا .

كفاح المفتي في المنفى

اذا كانت لقاءات المفتي بالفوهرر قاطعة بنوعية العلاقة بين الاثنين ، واذا كان احجام الحلفاء جميعا ـ بريطانيا وفرنسا وامريكا ـ عن تقديمه الى محكمة نورمبرج ، فان كفاح المفتي وهو في المنفى اكثر قطعا ودلالة في هذا الصدد . وطبيعي ان نوجز ايجازاً شديداً في هذا النشاط الكفاحي المتدفق :

لم يكن المفتي يقضي عطلة في اوربا على حساب هتلر . لم يكن مع المفتي زوجة ولا اولاد ولا معارف ولا اي وسيلة للتسلية او اللهو .

انشا المفتي ادارة سميت (مكتب المفتي) كان لها نشاطات في العالم كله تقريبا في مجالات اربعة هي : الاذاعة بالراديو ، عمليات فدائية في الشرق الاوسط ، تجنيد مسلمي اوربا وجنوب روسيا في وحدات حربية مسلحة ، تكوين فرقة عربية مسلحة .

اما اذاعات الراديو فكان له محطات اذاعة انشاها بنفسه في برلين وزيسين وباري وروما وطوكيو واثينا .

وكانت الافكار التي يدور حولها في خطبه ومنشوراته واذاعاته هي : (١) لو انتصرت اليهودية العالمية في الحرب العالمية الثانية فسوف تصبح سيفا مسلطا على رقاب العالم كله واولها امريكا وبريطانيا . (٢) ان دول الشمال الافريقي ، خاصة مصر ومراكش ، قد تصبح موضع قدم اثناء قفز اليهودية العالمية من امريكا الى فلسطين . (٣) ان ثورة رشيد عالي لم تفشل بسبب تقصير ولا خطا من جانب الثوار العراقيين ، ولكن لأن هناك خطة وضعها ويفل من اول سنة في الحرب لجعل العراق قاعدة عسكرية بريطانية، وحتمية اجتياح العراق في سبيل الوصول الى ايران ، وان العراق ممر حربي لاي جيوش تريد التمركز حول آبار البترول (٤) ان المانيا هي الدولة الاوربية الوحيدة التي لم يسبق لها استعمار شعوب اسلامية ولا التصادم معها وبالتالي فهي اقربهم الى التفاهم وان كانت لا تتقنه .

اما العمليات الفدائية : فقد انشا له مكتبا فرعيا في جنيف بسويسرا اشرف عليه الامير شكيب ارسلان للاتصال بانصار المحور في مصر وتركيا . وانشا مكتبا اخر في اسطنبول لذات الغرض ، ومكاتب جمع اخبار الحلفاء في أضنه والاسكندرونة وديار بكر ومرسيه . وكان

حقيقة العلاقة بين هتلر ومفتي فلسطين

يجمع كل الأخبار الحربية لتحركات جيوش الحلفاء فى الشرق الاوسط . وكان يرسل انصاره الى مناطق الشرق الأوسط واحيانا يسقطهم بالباراشوت . وقد قبض في أكتوبر ٤٤ في مدينة الخليل على رجال اسقطهم بالباراشوت وكذلك وبعد شهر واحد اسقط اربعة أخرين بالباراشوت في الموصل . ووردت بيانات حربية من الحلفاء بهذه الوقائع . وثبت من التحقيق مع هؤلاء المظليين ان المفتي كان يرتب الأمور لعودته من المانيا الى الشرق الأوسط .

ووثائق الحرب تقول ان بريطانيا انشأت مكتبا في القاهرة في ١٩٤١/١٢/١ بقيادة قائد الجناح دومفيل لتتبع رجال المفتي في مصر ، ومكتبا في بغداد بقيادة ركس ماريوت وقائد الجناح شبرد في ٤٢/١٢/٩ لذات الغرض . وان هناك خطوط تليفونات قطعت وانابيب بترول عطلت وخطوط سكة حديد نسفت بفعل رجال ارسلهم المفتي .

ومن الوثائق التي اذيعت في المانيا بعد الحرب ان امين الحسيني كان له دور رئيسي في الاتصالات التي تمت بين الالمان والملك فاروق . وان المفتي انشأ مدرسة للباراشوت يدرب عليها رجاله في اثينا وان له مكتبا في اركان الحرب كاناريس لذات الغرض .

واهم ما ورد ايضا ان خلافا شديدا ورد بين المفتي وبين رئاسة اركان الحرب الألمانية بقيادة كاناريس حيث كان المفتي يستحث الألمان في ضرورة شن غارات حربية على تل ابيب لتفجير ثورة عربية ضد الحلفاء . وضرورة اصدار المانيا تصريحا قاطعاً باستقلال كل الدول العربية قبل الهجوم على مصر عام ٤١ وضرورة تجنيد جيش عربي في شمال افريقيا يمنع نزول الحلفاء . ورغم تعالي العسكرية الالمانية على هذه الآراء جميعاً إلا ان الحرب اثبتت عملياً انها كانت فعلا آراء عسكرية صائبة .

بل كان المفتي يذهب بعيداً لأكثر من هذا .. حيث كان يرى ان يكون الجيش الألماني بقيادة روميل به فرقة رئيسية من العرب المجندين من أوربا ومن اسرى الحرب العرب . واثبتت الوثائق ان المفتي عين الدكتور مصطفى الوكيل (دكتوراة علوم ومن قيادات مصر الفتاة) سكرتيراً خاصاً له فى موضوع الاتصالات الالمانية بفاروق . كان الالمان قد خصصوا السفير ايتل لموضوع اتصالاتهم بفاروق ، وكان ايتل قد حدد أن أسهل طرق الاتصال بفاروق هو عن طريق والد الملكة فريدة ، ذو الفقار باشا سفير مصر في ايران . وقد امر المفتي على أن يكون مصطفي الوكيل هو حلقة الوصل بين ذي الفقار ومصر وارسل خطابا شخصيا الى ذي الفقار بهذا الخصوص . وتمت الاتصالات فعلا بفاروق وقابل ممثل المفتي فاروق شخصيا مدتين طويلتين . ولكن في القاهرة اكتشفت المخابرات البريطانية خيوط هذه الاتصالات . واستشهد بعدها مصطفى الوكيل .

المفتي والشرق الأقصى

اتصل المفتي في أوائل عام ٤٢ بالامبراطور هيروهيتو برسالة دعاه فيها الى ان يحررشعوب آسيا من سيطرة (الراسمالية اليهودية) والبلشفية الروسية . وفي ٤١/١٢/٢٩ اذاع راديو برلين بالاسبانية حديثا لوكالة دومي اليابانية قال فيه المفتي ان عرب آسيا سوف يضربون ضربتهم عندما تبدأ الامبراطورية البريطانية في التضعضع . وان مساعي المفتي في اعطاء وعد ياباني باستقلال مسلمي جاوة وسومطرة سوف تتحقق كما تحقق استقلال البانيا بتصريح من هتلر بناء على توصية المفتي .

الفرق العربية

انشا المفتي فرقة مسلحة بنفس الزي والسلاح النازي ولكنها تلبس الطربوش جند لها الطلبة العرب في أوربا وأسرى الحرب العرب لدى جيوش النازي . وقد عهد النازي الى هذه الفرقة بحماية خطوط مواصلاته في يوغوسلافيا والبلقان ومنع نزول الباراشوت الانجليزي عند تيتو . وقد جند فيها المفتي ايضا كل العرب الذين كانوا في الفرقة الأجنبية الفرنسية الشهيرة . وقد اذاع المفتي اكثر من مرة انه ينشيء هذه الفرقة رداً على انشاء بريطانيا الفرق اليهودية وتسليحها والتي وصلت فعلا الى حوالي ١٤٠ الفا من الرجال والنساء .

وقد ضاق الألمان ذرعا للأسف باصرار المفتي على ان تحارب هذه الفرقة في الشرق الأوسط وان تكون حربها حربا صريحة ضد الصهيونية فارسلوا هذه الفرقة الى جبهة روسيا حيث ابيدت .

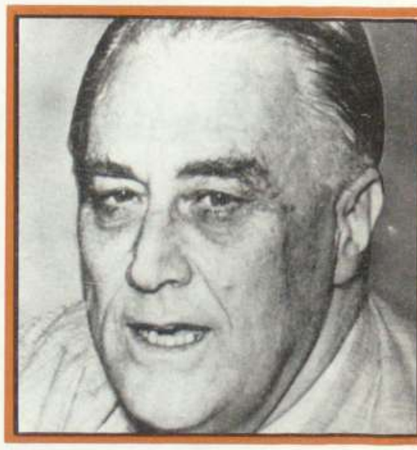
الفرق الاسلامية

انشا المفتي فرقا من مسلمي البلقان وجنوب روسيا وخاصة من البانيا ويوغوسلافيا وكان يذكر مسلمي كرواتيا بانهم مضطهدون مثل مسلمي فلسطين ، وكان يمضي هو اياما متتالية في معسكرات هذه الفرق يعظهم دينيا وسياسيا . وقد تكون له تلاميذ سياسيون في البلقان وصفهم الحلفاء بانهم كويسلنجيون نسبة الى كويسلنج عميل المانيا الشهير ، من هؤلاء الكويسلنجيين البروفسور فون دي مند الذي أسس مدرسة (للاسلام السياسي) لتخريج ائمة دين مسلمين عندهم وعي سياسي . ومنهم ايضا انتبفليك الذي قال ان الصهيونية انجبت توامين هما الشيوعية والراسمالية .

وكان من هذه الفرق الاسلامية فرقة في شمال القوقاز بقيادة علي خان ، وفرقة في اذربيجان بقيادة الميجور داود جنسكي ، وفرقة في بولندا بقيادة سمكوكز . وكان لهذه الفرق شاعر اسلامي هو محمد الغزاني ، وكان لها واعظ ديني هو سعيد حامل الذي كان في نفس الوقت ضابط اتصال مع قبائل التركستان والذي حث قبائل كثيرة على الانسحاب الى أوربا مع الألمان عند تراجع الجيوش الألمانية .

خلافات المفتي مع الألمان

اختلف المفتي مع الالمان عندما طالب المانيا باعلان استقلال جميع الدول العربية ، ثم عندما طالب بان تشترك الفرق العربية



روزفلت



تشرشل



شكيب ارسلان



روميل

والاسلامية التي كونها في غزو الشرق الاوسط . ثم عندما طالب المانيا بان تضرب تل ابيب لتفجر صراعاً عربياً ضد الحلفاء والصهيونية . ثم كان هناك خلاف واسع

ومتكرر وعلني عندما طالب الالمان بعدم السماح لليهود بالهجرة حتى لا يصلوا الى فلسطين ، واقترح تهجيرهم الى بولندا بديلا عن فلسطين . وقد سجل ذلك في

خطابات رسمية اعترف بها الالمان والحلفاء والصهاينة . واخيراً كان الاختلاف الاكبر عندما اقترح على هتلر انشاء جيش اسلامي في شمال افريقيا ورفض هتلر ذلك معللا تخوفه من قيام دولة اسلامية .

الحياة الخاصة للمفتي

لم يكن للمفتي حياة خاصة على الاطلاق في منفاه . لم يكن معه زوجة ولا ولد ولا قريب ،لم يذهب الى سينما او مسرح او ملعب . لم يكن يقابل صديقا الا اذا كان له دور في عمل سياسي او دعائي او حربي .

وقد كان معه في منفاه فوزي القاوقجي والامير المصري منصور داود وكامل مروة وكان يتصل به من وقت لآخر حوالي ١٥٠ طالباً عربياً في اوربا . وكان معه في المنفى رشيد عالي الكيلاني الذي انصرف الى العزلة الكاملة والتصوف . وكانت المصاريف التي تصله من الخزينة الالمانية حسب الوثائق التي اذيعت هي ٦٦ الف مارك (بينما الكيلاني ٨٦ الف مارك) وكان القاوقجي يعطي ٦٠٠ مارك فقط . ولكن المفتي كان يصرف معظمها على الطلبة المتصلين به وعلى نشاطاته السياسية .

اما الأمير منصور داود فهو ابن عم للملك فاروق وصل المانيا في عام ١٩٤٣ مع زوجته وطفليه والتحق بالمفتي وعاش معه ولكن بعد ذلك التحق بالجيش الالماني كجندي عادي بفرقة العاصفة .

دراسات وتأملات عن المفتي

اشتهرت المخابرات البريطانية بان اعضاءها مستشرقون وعلماء اجناس ومنظرون .

وقد قدمت هذه المخابرات اراءها للساسة وتتلخص في الآتي :

(١) ان اي محاولة لاغتيال المفتي سوف تقابل باغتيال زعماء اسرائيل وهم ويزمان / بن جوريون / بيجن . واذا كان العرب يستطيعون تعويض المفتي الا ان اليهودية العالمية لاتستطيع ان تضحي باي واحد من هؤلاء الثلاثة .

(٢) ان اي محاولة لمحاكمة المفتي سوف تعطي العرب درساً هم في اشد الحاجة ويجب حرمانهم منه . هذا هو درس الكفاح والاستشهاد والتصميم . وسوف تؤدي هذه المحاكمة الى اظهار بطولة المفتي وسوف يصبح مثالا يحلم الشباب باحتذائه .

(٣) اهم ما وصلت اليه المخابرات البريطانية من راي هو ان شيخ الأزهر لو كان بالانتخاب لانتخب امين الحسيني شيخاً للأزهر ومفتياً لمصر وربما شيخاً للاسلام في العالم كله . وبدأ التركيز على اهمية ابعاد الأزهر عن السياسة وقدمت المخابرات حول هذا الموضوع دراسات خطيرة .

هناك تعليق له مغزى : عندما سيطر امين الحسيني على الأذهان قابل مراسل اجنبي شيخاً للأزهر وساله عن تقييمه للمفتي امين الحسيني :قال شيخ الأزهر . مفتي ! من قال انه مفتي ؟ انه لم يحصل حتى على شهادة دراسية من الأزهر . انه ليس رجل دين . هو مجرد سياسي !!

السيد فهمي الشناوي

"صرخة الطفل"

مسرحية عربية سبقت عصرها

بقلم: الدكتور علي الراعي

للكاتب المسرحي ابراهيم رمزي فضل عظيم على المسرح العربي على اختلاف طبقات التعبير فيه . انه صاحب اول مسرحية مصرية شعبية لا تدين لمصادر اجنبية بالاقتباس أو التمصير : (دخول الحمام مش زي خروجه) . وهو مؤلف أول مسرحية عربية تتصدى للتاريخ العربي ، وترفع احداثه الى مرتبة الفن المسرحي الجيد ، بعد ان كان المسرح التاريخي حتى وقت صدور المسرحية مجرد تاريخ ممسرح ، مسرحية : (ابطال المنصورة) .

وهو كذلك مؤلف مسرحية مصرية ذات موضوع عصري ، مسرحية : (صرخة الطفل) التي افاد فيها الكاتب من قراءاته في الأدب المسرحي العالمي ، ومن قربه الواضح من الواقع المصري على أيامه ليخرج لنا هذه المسرحية الهامة حقاً ، من وجهة نظر تطور الكتابة المسرحية ، وقدرتها على التقاط الواقع وتجسيده تجسيداً مقنعاً .

فكان ابراهيم رمزي قد خدم المسرح العربي في مصر في اتجاهات ثلاثة هامة هي :

الاستناد على الواقع الشعبي في مسرحية (الحمام)، واستمداد التاريخ موضوعاً حياً اتخذه الكاتب وسيلة لايقاظ المصريين من سباتهم ، بوصلهم بمجد الاجداد (ابطال المنصورة) ، وأخيراً النظر بعين مبصرة وعصرية الى مشكلات معاصرة ، انتقى منها الكاتب مشكلة كانت ملحة على أيامه وهي : تعطل القوى المنتجة لدى المراة المصرية الميسورة الحال ، وقبوعها في البيت ، بلا عمل يشغلها ، ويوظف طاقاتها ، ويحملها على تقبل حقائق الحياة ، بدلا من الجري وراء أوهام تمليها اعراف اجتماعية محددة ، تؤكد للمراة أن زوجها ما خلق إلا لارضائها هي وحدها ، طيلة الوقت ، وفي كل مناسبة ، وإلا عد ناكثا للعهد ، خارجاً على رباط الزوجية المقدس .

نلقى هذه المراة في شخص (زهيرة) ، زوجة المحامي علي بك ، وتذكر قائمة الشخصيات في المسرحية المطبوعة ان عمرها خمس وعشرون سنة ، وانها قدمت من استانبول ، بعد أن تبنتها سيدة تركية هي حرم قسطلي باشا . واسكنتها السراي الكبرى التي كانت تعيش فيها حتى تزوجت .

وقد تلقت زهيرة تعليمها في المدارس المصرية والافرنجية معا ، كما تولى مربي القصر المسمى بشير اغا تلقينها اصول اللغة العربية والدين الاسلامي ، غير ان هذا كله لم يحل دون أن تصبح زهيرة شخصية جانحة منذ البداية ، تتمرد على أوضاع كثيرة لا ترضاها للمراة ولا للرجل ، بل وتذهب في تمردها الى انكار الامومة ، وتفضل عليها أن تظل بلا ولد .

تقول زهيرة لاختها الأصغر منها عطية ، وقد جاءت الأخيرة تزورها فوجدتها حانقة الحنق كله على زوجها ، راغبة في فراقه : (هذا البيت ليس إلا بنسيون في نظر علي بك . لا ياتي اليه إلا لياكل وينام . واذا كان لديه وقت فراغ دخل مكتبته واقفلها عليه ليقرأ ملفات القضايا أو يكتب مذكرات لا تنتهي . وما انا ولا من معي في البيت إلا نزلاء مثله لا علاقة له بنا ولا لنا به ، الا : (نهاركم سعيد . نهاركم مبارك . ليلتكم سعيدة . قهوة . هل عندكم غدا هل عندكم عشا ؟ اين حقيبة أوراقي ؟ اما اننا رجل وامراة مثل خلق الله فقد انتهى .) .

هذا الموقف التقليدي في المسرح - العالمي خاصة - يركب عليه ابراهيم رمزي موقفاً آخر غير تقليدي . فبدلا من أن يخجل الزوج : علي بك ، أو يعتذر أو يعد بعناية اكبر يوليها زوجته ، نراه يفلسف الوضع الذي يجد نفسه وزوجته فيه . تقول زهيرة لاختها عطية في وصف مسلك الزوج : (انه .. يسمع كلامي وهو هادىء ساكن كابي الهول ، ينظر الي بعيني مستهين وترين على شفتيه علامة الازدراء . ثم اذا زاد غيظي منه وامسكت بتلابيب ثوبه ضحك وهزل ، ونطق بجملته التي حفظها في هذه الأيام كالببغاء . يقول : يا زهيرة ، انا لا الومك على صراخك . لست انت التي تصرخين انما الذي يصرخ هو الولد .) ذلك ان الزوج يرد سخط الزوجة الكبير عليه الى ما يسميه علم النفس اليوم : (غريزة الامومة المحبطة) . ان زهيرة لم تنجب ، وهي لهذا تضطهد زوجها وتريد أن تستولى عليه استيلاء وتجعله الزوج والولد معاً . وهي لهذا تصرخ صرخة الطفل الذي لم تنجبه . وتدفع زهيرة التهمة عن نفسها قائلة لزوجها : انها لا تشتهي الخلفة ، ولا تبالي أن تعيش بلا ولد ، بل انها جديرة أن تكون أسعد واهنا بلا انجاب . وانما قصارى ما تطلبه هو أن يعاملها كزوجة ويترك مكتبه قليلا من اجلها .

ونكاد نصدق ان زهيرة انما تثور لمزيد من القرب من زوجها ونميل الى ان ننحاز الى صفها حتى تفاجئنا بتصريح لأختها تقول فيه ان حب زوجها قد زال من قلبها دفعة واحدة وقد قررت أن تجد لنفسها رجلا آخر تحبه ويحبها ، بل لقد وجدته بالفعل ، وهي باذلة قصارى الجهد كي تتزوج منه . انها ترفض تماماً ان تكون كالزهرة التي تنبت في الصحراء ، تحيا وتموت ولا يراها احد .

اما هذا الحبيب الذي ترنو اليه زهيرة فهو الطبيب خليل ، خريج حديث من جامعات بريطانيا ، عمره سبع وعشرون سنة وهو ابن عم علي بك ، زوج زهيرة . هذا الطبيب خالي الوفاض ، ولكنه عامر القلب بالرغبة في المغازلة والتصدي للنساء وهو لهذا يمد شباكه

لاصطياد زهيرة ، التي تبادله الرغبة في الغرام غير المشروع ، ولا يجد الاثنان حرجاً ولا عنتاً في اللقيا فان الزوج مشغول دائماً .

الى هنا والموقف الذي نجد فيه هذه الشخصيات الثلاث موقف تقليدي في الدراما التي كان المسرح المصري يتزود منها كثيراً في تلك الايام :

موقف الزوج والزوجة والعشيق . ويحدث كثيراً في تلك الدراما أن يتطور الموقف بان يفاجىء الزوج زوجته وحبيبها وهما في جلسة هانئة ، فيقوم شجار وعراك يعقبه اطلاق الرصاص وتقتل الزوجة والعشيق ، أو أحد هما أو فرار العشيق أو نجاته - بالحيلة - من عقاب يستحقه او غير ذلك من وسائل تطوير الموقف .

وفي (صرخة الطفل) يباغت المحامي علي بك زوجته زهيرة وصديقها خليل في جلسة تواد وعتاب وقطع للعهود والمواثيق بالغرام الدائم والاخلاص المقيم . ولكن الموقف لا يتطور على أي من الانحاء التي سلفت الاشارة اليها . فان علي بك لا يعرف أن زوجته ترجو لو اتخذت خليل حبيباً ، ولعله لو عرف ما اقام الدنيا واقعدها على الطريقة الميلودرامية التقليدية ، بل لجلس وناقش مع زوجته وحبيبها الموقف نقاشاً عقلانياً . ذلك أن علي بك هادىء الطبع ، نافذ البصر ، وهو يتخذ من الزواج موقفاً عملياً وواقعياً ، يراه شراً لابد منه ، ولا يتوقع ان يمنح المتزوجين السعادة الدائمة ، وانما حسبه ان يهبهم راحة البال والأمان ، خاصة اذا ما كان لذلك الزواج ثمار من الاطفال تنشغل بهم الزوجة عن ملاحقة زوجها بالمعقول والمستحيل من الطلبات . يدخل علي بك على الاثنين فيلحظ على الفور وجومهما ، ويسأل عن سببه فتقول له زهيرة ان خليل يطلب الزواج من اختها عطية ، وانها ترفض ان تتم هذه الزيجة ، فان خليل ، على مرحه ولطف معشره ، لا يصلح ان يكون زوجاً تعتمد عليه اختها في قابل الايام .

وكنا قد علمنا من قبل أن زهيرة قد انيط بها أمر الموافقة على زواج اختها أو حجب هذه الموافقة ، اذا ما وجدت ان المتقدم للزواج ليس أهلا للبنت . كما علمنا ان عطية - الاخت الصغرى - قد وقعت في غرام الطبيب حين ذهب يعودها بعد مرض الم بها ، واتصلت زياراته من بعد حتى أبلت البنت ، ولكنها شفيت من المرض ووقعت في غرام الطبيب ! وقد مال لها الطبيب بدوره ، وخايلته فكرة الزواج منها غير أن خلو طرفه من المال ، وشباك الزوجة ، وطبعه هو المغازل المهذار قد دفعت به جميعا الى احضان زهيرة .

بدلا من المواجهة الزاعقة بين الأطراف الثلاثة ، التي كانت جديرة أن تثور لو كان الزوج يعلم ، وكان طبعه غير الطبع الذي تقدم ذكره ، وكان خليل اكثر جدية وتورطا في



زكي طليمات

المسالة كلها - بدل هذه المواجهة يقوم نقاش فكري لامع حينا ، وحاد حينا آخر وعاصف حيناً ثالثاً ، بين الزوجة والزوج حول مفهوم الزواج . نقاش درامي من النوع الذي كان يطرب له برنارد شو كثيراً ، ويستخدمه دائماً في مسرحياته خاصة مسرحية : (الاستعداد للزواج) التي تعالج هي الاخرى موضوع الزواج ، وتهدف الى أن تجعله اكثر عقلانية وصدقاً مما هو الآن .

ويبدو لي واضحاً ان ابراهيم رمزي قد تأثر الى حد كبير باسلوب برنارد شو في استعارة المواقف التقليدية في الميلودراما الفرنسية ، وتفريغها من المضمون الاثاري : العراك البدني ، اطلاق الرصاص ، سفك الدم حفاظاً على الشرف .. الخ ، ووضْع مضمونٍ عقلاني مكان هذا كله . ولما كان يكتب في بلد اسلامي له تقاليده الخاصة ، فما كان بوسعه ان يجعل الزوج على علم بالعلاقة الخاصة التي تربط زوجته بابن عمه. لهذا تجاوز رمزي عن هذا العنصر ، وخلص الى ما هو اهم منه كثيراً وهو مناقشة الزواج مناقشة عاقلة . وهي مناقشة تدور أساساً بين الزوجين . ومحورها الاساسي عند علي بك ان الزواج خدعة لا باس منها ، ولا ضرر ، وانه الوسيلة البشرية الوحيدة لبقاء النوع ، ولهذا فعلينا ان نقبل عليه بقلوب وعيون مفتوحة ، نتوقى شره ، ونحتفظ لانفسنا خيره .

أما زهيرة فهي ترى ان الرجل - في عصر المدنية المادية المركبة هذا - قد خرج على الاساس الأمتن والاعمق لمؤسسة الزواج وهو - في عبارتها - (العنصر الفطري) ، الذي تحله المرأة من نفسها المحل الأول . ويفهم الزوج عن زوجته ما تريد أن تقول : ان اساس الزواج الامتن هو التصاق الجسد بالجسد ، وان انكار هذا الأساس او الانشغال عنه مؤد الى التعاسة لا محالة - تعاسة الطرفين . ففيم تقضي الزوجة يومها اذا لم ترض عن زوجها ولم تجد عنده ما يملأ قلبها حبا له واشتياقا اليه ؟

وحين يتندر الزوج والطبيب بالزوجة ، ويلمحان الى جراتها في عرض موضوع الحب الجسدي ويزيد الزوج على ذلك فيردد عبارته المكررة : (هذه صرخة الولد) تقول زهيرة باحتداد وسرعة ورغبة في المغايظة : (أجل صرخة الولد . ما معنى الزواج اذا لم يكن للولد ؟

وهكذا تفرج الزوجة عن رغبتها المكبوتة في أن يكون لها ولد ، وكانت في حديثها مع اختها عطية تخفيها تحت قناع المراة المتحررة من عبء الأمومة ، الراغبة في أن تعيش لحساب جسمها وقلبها وحسب .

ان مشكلة زهيرة هي انها بالفعل امراة فائضة الحيوية ، شاءت ظروفها المادية أن تعفيها من عبء العمل وما يعنيه من شغل وانشغال ، فانصرفت بطاقتها الكبيرة هذه الى الشر . تقف حجر عثرة في سبيل زواج اختها من الطبيب ، وتقض على زوجها مضجعه ، وترفض أن تتشاغل عنه بعمل عام أو خاص .

وانه لمما يشهد لابراهيم رمزي بالعصرية والجراة المسرحية ، وكثرة الاطلاع على الأدب المسرحي العالمي ، أن ينجح في التقاط هذا النموذج الفريد عن الحياة المصرية ويقدمه لنا على المسرح بنجاح ، بكل حيويته وتناقضاته . لقد كان رمزي فى هذا العمل سابقا لعصره ، فما أعلم أن غيره قد سبقه الى طرق هذا الموضوع وانما كانت المسرحيات التى تقدم انذاك - في غالبيتها - اميل الى الاستعانة بتقاليد المسرح الفرنسي - مسرحيات عباس علام مثلا ، أو مسرحيات محمد تيمور . ولعل هذا هو السبب في أن المسرحية الحالية ، وقد كتبت عام ١٩٢٣ ظلت تنتظر اثنتى عشرة سنة حتى قامت في مصر فرقة رسمية للتمثيل الراقي ، فقدمها زكي طليمات على المسرح المصري لأول مرة واختار لها مجموعة من خيرة الممثلين : حسين رياض في دور علي بك المحامي ، وفتوح نشاطي في دور الطبيب خليل ، وعبدالعزيز خليل في دور بشير الاغا ، وفردوس حسن في دور زهيرة ، وروحية خالد في دور عطية ، الأخت الصغرى .

ان فكرة المراة الفائضة الحيوية ، الحبيسة الجدران تجد لها تعبيراً مرموقاً لدى كتاب المسرح الذين تعرف عليهم ابراهيم رمزي في قراءاته . ففي مسرحية ابسن : (هيدا جابلر) اكمل تعبير عن هذه الشخصية اللافتة للنظر ، وهي تظهر بطريقة أو اخرى فى بعض مسرحيات شو : (بيوت الارامل) - حيث المراة الفتاكة بلانش سارتدريوس، تعاني ايضاً من فراغ العقل وفورة البدن ، وفي (الانسان والسوبرمان) حيث أن هوايتفيلد تتوجه بحيويتها الفائضة الى جون تانر ، تغازله وتطارده وتقبض عليه كي تنجب منه السوبرمان الذي يتعلق عليه مصير البشرية في رأي برنارد شو انذاك .

غير ان ابراهيم رمزي قد قرا ولم يقلد . وانما بحث في البيئة المصرية عن النظير . وهذا مايجعل عمله هاماً ، ويبقى عليه كثيراً من الأهمية بعد مرور أكثر من نصف قرن .

بين السينما والأدب

بقلم : أمين صالح

- ارتبطت السينما بالمسرح والأدب منذ البداية
- عندما أصبحت السينما على وشك الموت النهائي سنة ١٩٠٧
- نظرية سينما العين ... ماذا تعني؟ وماهو مصيرها؟

في عام ١٨٩٥ ، تم تنفيذ أول صورة سينمائية متحركة على يد الأخوين لوميير في باريس ، وكان هذا إعلاناً لميلاد فن جديد دائم التحول والتطور ، والذي سيأخذ بعد سنوات شكلاً يحتوي جميع الفنون السابقة في وحدة عضوية ، فاللوحة والدراما والموسيقى والرقص .. ستجتمع كلها في تركيبة واحدة تدعى السينما .

كانت الصور الأولى عبارة عن أفلام قصيرة جداً تعرض : خروج العمال من المصنع ، مشاهد من الشارع ، وصول القطار الى المحطة ، حياة الاطفائيين ، طعام القط ، حفلات التتويج والزيارات الرسمية .. الخ .

ولكن الجمهور سرعان ما سئم هذه المشاهد ، التي تسير في وتيرة واحدة وضمن اسلوب معين وثابت ، وطالب بسرد حكاية ما عليهم . وبسبب حداثة هذا الفن ورغبته في البقاء بين الفنون الأخرى ، فقد لجأ في البداية إلى المسرح وانزوى تحت معطفه فترة ليست قصيرة .

لقد جاء الفرنسي « جورج ميليه » في العام التالي من اختراع السينما توغراف ، ومعه بدأ المسار الجديد والمضاد في نفس الوقت لمسيرة السينما أو ما يجب أن تكونه ، فقد أخضع السينما لهيمنة المسرح ، والذين جاءوا بعده حافظوا على تقاليده وكرسوا تبعية السينما للمسرح . وجورج ميليه هو صاحب مسرح هوديتي ومخرجه ، وعندما انتقل الى السينما نقل معه المشهد المسرحي ، مستخدماً معظم وسائل المسرح : نص مكتوب ، ممثلون ، ملابس ، مكياج ، ديكور ، تقسيم العرض الى فصول ومشاهد .

وبالطبع لا يمكننا هنا أن نغفل ايجابيات ميليه ، فهو يعد أول مخرج سينمائي في تاريخ السينما ، والمبتكر الحقيقي للمنظر السينمائي ، كما أنه تمكن من اكتشاف وتطوير الكثير من الخدع السينمائية مثل التداخل والظهور والاختفاء .

في موازاة هذا المسار ، نجد ثمة سينمائيين كانوا يعانون من سطوة المسرح ويطمحون في خلق لغة سينمائية ذات مفردات مميزة وخاصة . هكذا تمكن البريطاني جيمس وليامسون في بداية القرن العشرين من وضع الأسس والقواعد الأولية التي سار عليها الفن السينمائي بعد ذلك ، مثل تنويع أحجام اللقطات والاهتمام بالتقطيع والتركيب . وهذه التجارب استغلها الأمريكي جريفيث في تطوير استخدام العدسات ، وبالذات في تطوير اللقطة الكبيرة . أما المونتاج فقد اهتم السينمائيون باستغلاله وتطويره بحيث ساهم مساهمة فعالة في استقلالية الفن السينمائي ومنحه تفرداً . وقد أدرك السينمائيون الروس مثل ايزنشتاين وبودوفكين أهمية المونتاج وامكانياته في الحقل الابداعي .

إلى جانب ارتباط السينما بالمسرح ، نلاحظ أيضاً ارتباطها بالأدب . هذا الارتباط كان مشروعاً وضرورياً في البداية ، وذلك بسبب التقارب بين القصة أو الرواية



لوميير : أول من نفذ
صورة سينمائية متحركة



فلليني : الفيلم ينبغي أن
يكون كالرسم بالأرقام



جان كوكتو : الفيلم
كتابة بالصور



همنجواي : عندما شاهد روايته : « العجوز والبحر »
على الشاشة ، خرج صارخاً : « هذه ليست قصتي ! »

وبين السينما ، وبسبب الحاجة الملحة لسرد حكاية ما — كما ذكرت — قبل أن يتخلى الجمهور عن السينما وهي ما تزال في طور النمو .

ويذكر جورج سادول في كتابه « تاريخ الفن السينمائي » أنه « في ١٩٠٧ — ١٩٠٨ كان الكثيرون يعتقدون ان السينما على وشك الموت ، فالقاعات المظلمة أصبحت فارغة وأعلنت افلاسها . وكان لأزمة الموضوع نصيبها في هذا التدهور .. لقد كانت السينما تتطلب من المسرح والأدب مواضيع قيمة لتخرج من الدائرة المفرغة ولتجذب إلى القاعات جمهوراً » .

لذلك أسس « باته » الفرنسي « الشركة السينمائية للمؤلفين ورجال الأدب » . وتعاقدت هذه الشركة مع ٣٠٠ كاتب لتزويدها بالنصوص . أما الاخوان لافيت فقد أسندا إلى كتاب فرنسا البارزين في ذلك الوقت ، مثل : اناتول فرانس ، جول لومتر ، لافيدان ، ريشبان ، روستان .. وغيرهم ، مهمة اعداد وكتابة السيناريوهات . كما تخصص بعض المخرجين مثل البير كابلاني في اقتباس روايات هيجو ، راسين ، زولا ، بلزاك وغيرهم .

جهود السينمائيين للانعتاق من المسرح

هذه لمحة موجزة حاولت فيها أن أوضح ارتباط السينما بالمسرح والأدب منذ نشوئها ، وهذه المقدمة ضرورية في رأيي من أجل توضيح الخلفيات والأبعاد التاريخية لهذه العلاقة ، وبالتالي يمكننا أن نتخذ من هذه المقدمة منطلقاً لمناقشة كنه هذه العلاقة وتأثيراتها وردود الفعل حولها .. على نحو أكثر دقة .

لا شك أن أي فن لا يمكن أن ينمو ويتطور إلا من خلال تفاعله المتبادل مع مجالات الابداع الفكري ، والسينما في تفاعلها مع الأدب مثلاً استطاعت أن تنتج اعمالاً عظيمة وقيمة ، وأن تطور حتى اساليبها ووسائلها . ولكن هذا لا يعني أن تعيش السينما في احضان وتحت رعاية فن آخر ، لأننا حين نقتنع بأن السينما فن قائم بذاته وعمل ابداعي بالدرجة الأولى ، فاننا حتماً سنطالب بضرورة استقلالها والتعامل معها بشكل آخر ، فلكل فن لغته الخاصة وخصائصه الابداعية وأدواته المتميزة في التعبير .

عندما نتتبع المحاولات والجهود المبذولة من قبل السينمائيين من أجل

الانعتاق عن الرعاية المسرحية والأدبية ومن اجل ايجاد لغة خاصة بالسينما ، وعندما نتتبع الآراء التي قيلت في هذا الشأن ، فاننا سنلاحظ أن رفض التبعية كان شديداً إلى درجة أن حركات وتكتلات سينمائية هامة كانت تنبثق وتبرز باستمرار : في عام ١٩٢٣ ، طرح المخرج الفرنسي رينيه كلير على مجموعة من المفكرين والسينمائيين اسئلة تتعلق بالفن السينمائي (١) ، وسأنتقي هنا بعض هذه الاجابات :

جان كوكتو : « السينما في طريق مسدود ، ففي اليوم الأول ، وقد بهر الناس بالاختراع ، بدأ الخطأ سيره . لقد صوروا المسرح . وشيئاً فشيئاً ، أصبح هذا المسرح مسرحاً سينمائياً ، ولكن لم يصبح سينما صافية » .

فرناند ليجيه : « أرجو هذا ، في المستقبل : تصوراً سينمائياً يجد وسائله الخاصة . ما دام الفيلم من مصدر أدبي أو مسرحي ، فلن يكون شيئاً ما . »

بول فاليري : « أرى أنه ينبغي انشاء فن للسينما الصافية ، أو السينما المقتصرة على وسائلها الخاصة . وقد يتعين على هذا الفن معارضة الفنون الكلامية كالمسرح أو الرواية » .

في عام ١٩٢٤ ، ابتكر المخرج الروسي دزيغا فيرتوف نظرية سينما العين أو الكاميرا عين السينما ، وهي التي لا تعتمد على المثلين المحترفين أو المكياج أو النص المكتوب وانما هي أفلام كتبتها الكاميرا بلغة السينما الحقيقية .. أي الصورة المرئية . والمرتكز الأساسي في نظريته هو « اعتبار آلة الكاميرا كعين السينما ، التي هي أكثر كمالاً من العين البشرية ، وذلك لأجل دراسة فوضى الظواهر المرئية التي تملأ الكون . »

ومع أن منهج فيرتوف ونظريته لم تثر اهتماماً في ذلك الوقت ، ولم يطبقها أحد غيره ، لكونها نظرية سابقة لعصرها ، إلا اننا نجد في السنوات الأخيرة أن مجموعة من السينمائيين الفرنسيين قد أعادت قراءة هذه النظرية واكتشفت فيها قيماً متقدمة وصالحة ، ورأت هذه المجموعة أن تتبنى هذه النظرية وهذا المنهج واطلقت على نفسها اسم « مجموعة دزيغا فيرتوف » التي كان من ضمن مؤسسيها جان لوك جودار .

في عام ١٩٢٥ قامت في فرنسا حركة طليعية تدعى السينما البحتة أو السينما البصرية ، وهي معادية للسينما الوصفية التي تعتمد على الحكاية والسرد القصصي ، والسينما البصرية تعتمد على ذاتيتها وجوها الخاص ، تشيد بالصورة على اعتبارها غاية في ذاتها .. ومن افلام هذه الحركة « الباليه الميكانيكي » لفرناند ليجيه ، و « العودة إلى العقل » لمان راي .

وهذه الحركة كانت تهتم بالفيلم التجريدي وترعاه . والفيلم التجريدي ، حركة سينمائية ظهرت في ألمانيا عام ١٩٢١ متخذة من فن التصوير التجريدي مادة لها ، فأخرجت أفلاماً عبارة عن أشكال هندسية متحركة ، وخلقت بذلك ما يعرف باسم السيمفونية البصرية ، ومن افلامها « السيمفونية المائلة » للسويدي فايكنج اجلينج ، و « ايقاع ٢١ » لهانز ريختر .

والسريالية أيضاً دخلت المجال السينمائي بأفلامها التي لا تسرد حكاية معينة أو تتابع تطور حدث ما ، بقدر ما تفسح المجال لانطلاق الخيال السينمائي .. مثل : « كلب اندلسي » لبونويل و « دم شاعر » لكوكتو .

في عام ١٩٤٨ كتب الكسندر استروك مقالته المشهورة بعنوان « الكاميرا قلم » والتي جاء فيها : « ليست السينما طريقة معينة لتنفيذ نص مكتوب ، وليست مهمة المخرج منحصرة في عمل حرفي محدود كتصوير الأماكن والديكورات التي يقررها مؤلف السيناريو . إن السينما فن متكامل يقوم به المخرج فقط ، مهما ساعد في ذلك الآخرون » .

إن ما طالب به استروك كتابياً في بياناته العديدة ، قد طبقه رواد الموجة الجديدة عملياً . في عام ١٩٥٨ انبثقت الموجة الجديدة وتشكلت عبر الأفلام الأولى لجودار ، تروفو ، رينيه شابرول وغيرهم . وهي حركة دعت ، أو بالأحرى ، نفذت عملية استخدام الفيلم كأداة بصرية فنية ، اساسها ايقاع توليف الصور ، اكثر من الحوار والحبكة القصصية . واوضحت أن الصور ليست هي التي تعبر من خلالها السينما عن نفسها ، بل العلاقات المتبادلة للصور ، تماماً مثل الفنان التشكيلي الذي لا يعتمد على اللون بل على العلاقات بين الألوان . إذن ، من خلال هذه الحركات والآراء المطروحة ، نكتشف ان السينما كانت تبحث باستمرار عن لغتها الخاصة ، وتعمل جاهدة على تحقيق ذاتيتها واستقلالها دون الحاجة إلى استعارة مفردات لغة أخرى واستخدام وسائط تعود إلى فن آخر .

اللغة السينمائية

مع تكرار عبارة « اللغة السينمائية » ، فمن الطبيعي أن يثار هنا هذا التساؤل : ما هي اللغة السينمائية ؟

في الواقع ، كان هذا السؤال مهماً جداً ، وكان أيضاً موضع جدل ، وذلك في مرحلة سابقة مرت بها السينما العالمية . أما في وقتنا الحاضر ، فمن المحتمل أن هذا السؤال لم يعد يشكل ذلك الهاجس الذي كان يعانيه السينمائيون آنذاك ، أي بمعنى اخر ، ان السينما عبر تجاربها المتلاحقة في الاسلوب والتكنيك ، قد حسمت الموضوع وتجاوزته لكي تطرح قضايا أخرى معاصرة وملحة ، وربما تنطلق هذه القضايا من نفس السؤال ولكنها حتماً لا تدور في دائرة ضيقة ومغلقة .

لقد اهتم النقاد والمنظرون السينمائيون سابقاً في التحديد ماهية السينما ، وتحديد اللغة السينمائية ، مثل أندريه بازان في كتابه « ما هي السينما ؟ » ومارسيل مارتان في كتابه « اللغة السينمائية » .. بالإضافة إلى بحوث ودراسات أخرى تناولت نفس الموضوع بشكل أو بآخر .

وسأضطر هنا أن أحدد اللغة السينمائية بايجاز ، دون الدخول في تفصيلات وشروحات قد تؤدي الى احتلال مساحة كبيرة من هذه الدراسة ، ومن ثم يصعب علينا التركيز حول موضوعنا الأساسي والذي ينحصر في البحث عن العلاقة بين السينما والأدب بشكل عام .

اللغة السينمائية تتشكل عبر الايقاع والعلاقات المشتركة بين اللقطات أو الصور .. أي تكوين اللقطات ، وعبر

العلاقات بين الصورة والصوت ، وعبر عدسات الكاميرا وحركاتها وزواياها . وهذا البناء اللغوي يستفيد من عناصر لغوية اخرى في الفن التشكيلي والموسيقي وغيرهما .

فالكاميرا هي وسيلة التعبير في الفن السينمائي ، وهي بالطبع ، تختلف تماماً عن اللغة المنطوقة أو المكتوبة .. إنها لغة ذات منطق وتكوين خاص ، تتميز بدلالاتها وايحاءاتها ورموزها ومفرداتها وصورها . وبالتالي فان الصورة السينمائية تختلف اختلافاً كبيراً عن الصورة القصصية أو الشعرية . فالصورة الشعرية كما تقول فرجينيا وولف تستدعي عديداً من الايحاءات ليست الايحاءات البصرية سوى واحدة منها .

وهذا الاختلاف هو الذي جعل رينيه كلير يصرح بأن « ما هو سينما ، هو مالا يمكن روايته » كما اعتقد أن جان كوكتو لم يكن يقصد في قوله « بأن الفيلم هو كتابة بالصور » إلى ايجاد نوع من التشابه بين السرد القصصي والسرد السينمائي ، بقدر ما كان يهدف إلى تأكيد الفروقات .

تحويل الأعمال الأدبية إلى أفلام

سأتناول هنا مسألة تحويل عمل فني من شكل إلى آخر ، سواء عن طريق الاقتباس أو النقل أو الاعداد ، مركزاً على الرواية نظراً لكثرة تحويل الأعمال الروائية إلى أفلام سينمائية . وسأنطلق من هذا السؤال الذي لم يحسم بعد : هل ينبغي على الفيلم أن يكون ملتزماً بالنص المعد وأميناً في النقل أم أن يستوحي من هذا النص الأبعاد الجوهرية لكي ينطلق منها للتعبير عن رؤى صاحب الفيلم أي المخرج ونظرته للكون والواقع والعلاقات وفقاً لموقفه الفكري ؟ بمعنى آخر ، هل من مهمة الفيلم أن يقتفي أثر الكتاب أم يخلق منه عملاً آخر لايدين بوجوده للعمل المنقول وانما يضفي عليه ابداعه الذاتي ؟

لقد مرت تجربة تحويل العمل الروائي أو المسرحي إلى فيلم سينمائي بعدة مراحل ، ففي بداية نشوء السينما كانت الأفلام تلخص أحداث الرواية الرئيسية أو تستعير المشاهد البارزة والمثيرة في الرواية . ومع تطور السينما تعددت المراحل ، ولكن معظم التجارب ظلت محافظة على احترام الرواية ومؤلفها وتجنب العبث بها ، وان أحدثت بعض التغيير فذلك بسبب امكانيات الكاميرا في ذلك الوقت واستحالة الالتزام بدقة تامة في النقل . وعندما ظهرت التيارات والاتجاهات السينمائية التي كانت تدعو إلى البحث عن لغة سينمائية خالصة ، بدأ تعامل الفيلم مع الرواية أو أي شكل فني آخر يأخذ منحنى آخر ومغايرا .

إن السينما ـــ حقيقة ، تلك التي دعا اليها فيرتوف ويطبقها حالياً العديد من السينمائيين ، قد اتاحت كما يقول المخرج السوري نبيل المالح ـــ (٢) ظهور قيم سينمائية متميزة ، بسبب أن المخرج لم يعد مجرد منفذ يمكن الاعتماد عليه ، وانما غدا مبدعاً سينمائياً حقيقياً ، وهذا يعني ان المخرج لا يتعاون في خلق الأرضية الأدبية ، وهكذا أصبح فيلم المؤلف في السنوات الأخيرة مطلباً ضرورياً وحيوياً للعديد من السينمائيين .

وفيلم المؤلف الذي يتحدث عنه المالح ، يعني أن المخرج هو الذي يؤلف افلامه .إنه لا ينقل ولكن يبدع . إنه يعبر عن موقفه الخاص ويطرح وجهة نظره هو ، فعندماتنحصر مهمة المخرج في صياغة العمل الأدبي بأداته الفنية الكاميرا ، فانه لا يفعل شيئاً سوى ترجمة العمل من لغة إلى اخرى ، وغالباً ما تكون الترجمة ضعيفة وتسيئ إلى العمل المترجم ، وفي أحسن الأحوال ، عندما تكون الترجمة جيدة وأمينة فان تأثيرها الأساسي والوحيد يكمن في توسيع رقعة الجمهور ، أي توصيل العمل الأدبي إلى أكبر عدد من الجمهور . والمخرج في هذه الحالة يصبح منفذا فقط ، وإضافاته نظراً لتعامله مع الكاميرا غالباً ما تكون هامشية وثانوية .

سأقتطف بعض آراء السينمائيين والتي تدور حول علاقة المخرج السينمائي بالعمل الأدبي :

انتونيوني : « إن القراءة توحي لي بأفكار للأفلام ، ولكن الأدب وحده لا يكفي . بمعنى أن الأشخاص والأحداث التي يقدمها لي الأدب قد مرت من خلال رؤية وحساسية شخص آخر ، وعلي أن اضع ذلك في الإعتبار إذا أردت أن أحتفظ بأصالتي » .

تروفو : « أنا لا أعمل من خلال سيناريو كامل ، وكل ما أعده هو الحوار . وعندما أقبل على تصوير مشاهد رقيقة ناعمة ، فانني أبعد كل الناس واغلق على نفسي مع المصور والممثلين وحدنا . فأنت لا تستطيع أن تدون أفضل لحظات الفيلم على الورق . »

جوزيف لوزي : « في رواية ل.ب . هارتلي « الوسيط » التى أعددتها أنا وهارولد بنتر ، كانت القصة عودة الى الماضي ، أما في الفيلم فالحاضر والماضي يسيران معاً ويلتقيان في النهاية . ان الماضي جزء من الحاضر والحاضر جزء من الماضي . هذا ما يجعلني أصنع افلاماً عن كتب : لكي ترى اشياءجديدة لا تجدها في الكتب . »

فلليني : « اذا كتبت سيناريو كاملاً ، احس أن العمل قد تحقق من خلال الكتابة ، فلذلك لا يصبح لدي اهتمام بمحاولة تصويره ، انني أحب أن أغير السيناريو أثناء التصوير لأن أشياء غير متوقعة قد تقود إلى مشهد آخر لم أحلم به . انني لا أريد أن أعرف أين يسير المشهد وأين ينتهي ، لأن الفيلم مثل لوحة أو رواية او قصيدة أو مثل سيمفونية ، فينبغي أن تسمح له بأن يمتلك حياة ابداعية خاصة به ، لأن الفيلم ينبغي أن لا يكون مثل الرسم بالأرقام »

امين صالح ـــ البحرين

هـوامش

(١) رينيه كلير : كتاب « سينما الأمس وسينما اليوم

(٢) مجلة المعرفة السورية كانون الثانى ١٩٧٣

الجزء الثانى من البحث
فى العدد القادم

مسافر على الرصيف



..وضاعوا في الزحام

بقلم : محـــمود الســـعدنى

لماذا يوقد الحظ الشموع لأديب ويطفئها حول أديب آخر؟ لاجواب ! فمصائر بنى ادم تتحكم فيها ظروف وملابسات وأسباب ، ولا أحد يستطيع أن يحدد السبب أو يكشف السر ، ولذلك تبقى كل الاسئلة فى هذا المجال بلا أجوبة . وتكون النتيجة : أديب يشتهر ، وأديب يختفى ، وربما كانت موهبة الاثنين من نفس القماش ، وقدرتهما على نفس المستوى ! وهذا القانون طبقته الحياة أيضا على أدباء قهوة محمد عبد الله . البعض لمع ، والبعض انطفأ ، والبعض ذاع وشاع أمره بين الناس ، والبعض ضاع فى الزحام !

وبين أدباء قهوة عبدالله أربعة من أبرز هذا النوع من الأدباء الذين وقف الحظ فى مسيرتهم وحال بينهم وبين الظهور والاستمرار . والأربعة هم ، أنور فتح الله وكمال منصور وهاشم السمان ومحمد ابراهيم . ولقد امتاز الأربعة بالطيبة وعدم الرغبة فى الصراع .

كان أنور فتح الله من نفس جيل زكريا الحجاوى وأنور المعداوى ومحمود حسن اسماعيل ، وكان يكتب مقالات فى النقد . وقد قرأت له أول مرة فى مجلة « الميزان » التى أصدرها زكريا الحجاوى فى الأربعينات ، ولم تصادف رواجا ، واضطرت للإحتجاب بعد حين . ثم أهمل الأدب تماما وانشغل بالحصول على ليسانس الحقوق بعد أعوام طويلة انقطع فيها عن الدراسة ، وقنع بالعمل موظفا حكوميا بشهادة البكالوريا . واختفى من قهوة محمد عبد الله ولم يعد يظهر فيها إلا مساء الخميس ، وكان يسهر ليلتها إلى ساعة متأخرة ، ثم يعود الى الإختفاء بقية أيام الاسبوع .

ولم أره فى حياتى متحمسا لشئ قدر حماسه للحصول على ليسانس الحقوق . وكان يرى أن الحياة غابة ، وأن السلاح الوحيد الفعال هو الشهادة ، خصوصا فى بلد (بتاع شهادات) وعاد أنور فتح الله إلى قهوة عبد الله وفى جيبه السلاح الوحيد الفعال فى غابة البلد (بتاع الشهادات) ، وبدا سعيدا ، فقد حصل على بوليصة التأمين ضد كل المخاطر والأهوال ! ولكن حنينه للأدب دفع به إلى الاشتراك فى تحرير بعض المجلات الأدبية قليلة الانتشار والتأثير ، ولكنه كان يبذل جهدا لابأس به فى كتابة بحوث أدبية وآراء نقدية ومحاورات مع بعض النقاد والأدباء . وفى اواخر الخمسينات اتجه إلى المسرح يقتبس روايات من الأدب الفرنسى ويمصرها ، حتى جاءت الستينات وأصبح واحدا من أبرز مؤلفى مسارح التلفزيون ، واستحدث بالاشتراك مع السيدة أمينة الصاوى لونا جديدا فى المسرح ، بإعداد مسرحيات مأخوذة من روايات مصرية لأشهر الكتاب ، وعلى الأخص روايات نجيب محفوظ . وكان يبدوشديد النشاط فى تلك الأيام وسعيدا على نحو ما ، وفخورا بما يقدمه للمسرح من أعمال . وفجأة ، وبلا اسباب ، وربما لأسباب لا ندريها ، خفت صوته ، وشحب نوره ، وانسحب إلى الظل والى الظلام . ومنذ اكثر من خمسة عشر عاما لم أسمع بأنور فتح الله ولم أسمع عنه شيئا ، ولا أدرى إذا كان حيا يرزق ، ولا أعلم اذا كان مقيما فى مصر أو رحل عنها إلى غيرها من البلاد !

ويبقى السؤال ، لماذا سكت أنور فتح الله ؟ ولماذا ابتعد عن النور وآثر الظلام ؟ وكيف انتهت الحياة بهذا الرجل ؟ الذى كان ضخم الجثة ، كبير القلب ، المتفائل دائما . الهادئ الأعصاب فى كل الأوقات . لا أعتقد أننى أستطيع الاجابة على هذه الأسئلة ، ولا أعتقد أن أحدا آخر يستطيع الاجابة ! ولكن النتيجة أن أنور فتح الله كف عن مواصلة الفن الذى احبه ، وعف عن الشهرة ، ولزم مكانه فى الظل ، لعله عثر هناك على السعادة التى كان يبحث عنها بعيدا عن صخب الشهرة وزحام الأضواء !

وكان كمال منصور زميلا لأنور المعداوى فى كلية الأداب ، واشتغلا معا بالتدريس وكان أيضا من رواد قهوة محمد عبد الله . وكان شاعرا رقيقا ، وحالما ، وكان شعره قريبا من شعر صالح جودت . ولذلك استخدمته إحدى المجلات الأدبية الشهيرة ليكتب لها أربعة أبيات من الشعر كل عدد كتعليق على صورة من رسوم واحد من الفنانين العظام . ولكن كمال منصور تخلص من هذه المهمة واتجه إلى الاغانى ، وكتب منها عددا لا بأس به تغنى بها بعض المشاهير من المطربات والمطربين ، ولحنها كبار الملحنين . ولكن فجأة ، اختفى كمال منصور من قهوة محمد عبد الله ، وانسحب من الوسط الفنى ، وكان قد انسحب من الوسط الأدبى قبل ذلك ، وتفرغ للوظيفة . والأكيد أنه حقق فيها نجاحا كبيرا ، لأنه وصل فيها إلى آخر السلم ، وحصل على درجة وكيل وزارة

للتربية والتعليم .

والأكيد أيضا أن اختفاء كمال منصور يختلف فى أسبابه عن إختفاء أنور فتح الله ، وأغلب الظن أن كمال منصور الذى كان زميلا لأنور المعداوى ومعجباً به على نحوما ، قد تأثر لنهاية أنور المعداوى المأساوية ، ومصيره الذى كان غاية فى الظلم الصارخ والألم الشديد عندما طرد أنور المعداوى من إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم وأطيح به من مكتبه العالى الى وظيفة مدرس فى مدرسة السلحدار الإبتدائية ، ثم ثورة أنور المعداوى على هذا الوضع بعد ذلك ، واستقالته من العمل الحكومى ، وبقاؤه فترة طويلة بلا عمل وبلا مرتب ، ثم مرضه الشديد بعد ذلك ووفاته آخر الأمر .

ربما كان هذا الحادث المؤسف هو سبب قرف كمال منصور ، وابتعاده عن الأضواء . وأيا كانت الأسباب ، فقد خسرنا شاعرا رومانسياً رقيقا ينتمى إلى نفس مدرسة على محمود طه وصالح جودت وكامل الشناوى وأحمد فتحى ، مع اختلاف درجات الموهبة والاستعداد .

أما ثالث الفرسان فكان هاشم السمان . وكان موظفا فى مصلحة الاستعلامات ، ويمارس فى أوقات فراغه هواية نظم الزجل بالعامية المصرية . وكان زجله من النوع الطيب مثل صاحبه . وينبئ عن نفسية اصلاحية ترى أن الحياة يمكن أن تمتلئ بالخير ، لو انصلحت أحوال الناس واعتنوا بترقية أخلاقهم ، وحافظوا على العمل الطيب وسلوك الطريق المستقيم .

وكان هاشم السمان الزجال يرى أن الشر ينبع من نفس الانسان وليس لظروف حوله ، وأن الجوع والمرض والفقر هو نتيجة إهمال الناس وعدم إيمانهم . ولذلك كانت أزجاله كلها تلف وتدور حول فوائد الزواج المبكر ، وضرورة التردد على المساجد ، وهجر أماكن الفساد ، والابتعاد عن صحبة السوء . والحذر من الحاسدين واللئام . وكان يرى الحياة وردية ، لولا الفاسدين من الناس وأن الظروف كلها متاحة ، والأمور كلها سهلة ، لولا الأحقاد والبغضاء ! وكانت أزجاله تقابل أحيانا بثورة عارمة من جانب الشباب المثقف الذين يترددون على قهوة عبد الله . ولكنه لم يكن يقيم وزنا لمثل هذه الأصوات . وكان يعتقد فى نفس الوقت أنه لو أتيحت له فرصة ليذيع أزجاله على الناس من خلال جهاز الاذاعة فمن المؤكد أن الأحوال كلها ستنصلح .. أحوال البلاد والعباد !

ولكن هاشم السمان الذى كان مؤمنا إلى أقصى حد بأزجاله وأفكاره ، اختفى فجأة ، وانسحب الى الظل وإلى الظلام . لماذا ؟ لا أستطيع أن أجيب على هذا السؤال ، ولا أعتقد أن هناك شخصا يستطيع الإجابة . ولكن ، النتجة أننا خسرنا زجالا اصلاحيا طيبا ، بينما اشتهر غيره من الزجالين كانت لهم نفس موهبته ، وربما نفس وجهة نظره فى الحياة !

أما رابع الفرسان فهو محمد ابراهيم ، الذى كان واحداً من أبناء الصعيد الجوانى ، وقد شده بلدياته الصحفى الكبير محمد على غريب إلى الصحافة والكتابة . وصار محمد ابراهيم بعد فترة ، واحداً من نجوم المجالس الأدبية فى مصر فقد كان خفيف الدم ، وكانت لهجته الصعيدية التى حرص عليها تضفى عليه مسحة من الغرابة والقبول !

واشتهر محمد ابراهيم عندما كتب عن نوادر الأدباء القدامى ومساجلاتهم الظريفة . ومعاملة السلاطين والولاة للشعراء والأدباء فى سالف الزمان . وكان يرى الجانب الظريف فى الحياة ، ويؤمن بأن مهمة الأديب هى تجميل الحياة ، ومدح السلطان العادل ، وتقديم الحكمة والمثل العليا لعامة الناس . ولكنه رغم ظرفه ونجاح إنتاجه الذى كان يكتبه وينشره على الناس ، لم يقدم على ترك وظيفته ، ورفض بإصرار احتراف الأدب أو الاشتغال بالصحافة ، بالرغم من كونه عضوا فى جدول المشتغلين بنقابة الصحفيين . ولكنه حافظ على صلاته الواهية بالصحف ، وتمسك بتردده على مجالس الأدب ، وظل على عهده حتى وقعت الضربة الكبرى التى اطاحت بمئات من المثقفين والصحفيين والفنانين وجرجرتهم إلى المنافى والسجون بعد أن احتدم الخلاف بين عبد الناصر وعبد الكريم قاسم فى بغداد . واذا كان هؤلاء المثقفون والكتاب والصحفيون قد اختفوا خلف الأسوار لمدد تتفاوت بين عامين وخمسة أعوام ، فقد اختفى محمد ابراهيم نهائيا ، ليس لأنه كان ضمن المسجونين والمعتقلين ، ولكن لأنه آثر الانسحاب الى الوظيفة ، وكف نهائيا عن النشر ، وانقطع تماما عن المجالس الأدبية ، ووصل إلى درجة وكيل الوزارة ، ثم الى المعاش . لماذا اختفى محمد ابراهيم الظريف الممتلئ حيوية ، الرقيق الحجم والملامح ؟ كلها اسئلة لن تجد لها أجوبة ، لا عندى ولا عند الآخرين ! وكانت النتيجة أننا خسرنا أدبيا ظريفا ومحدثا لبقا ودارسا للأدب العربى القديم . وكان يمكنه مع ضربة حظ ، أن يصبح مثل الشيخ عبد العزيز البشرى ، أو يحل محل الشيخ أحمد العسكرى على الأقل .

ويبقى بعد ذلك سؤال هام ، تطرحه هذه النهايات التى انتهى إليها كل من أنور فتح الله وكمال منصور وهاشم السمان ومحمد ابراهيم ، لماذا تجف بعض الاعواد الخضراء ، وتموت قبل الأوان ؟ ولماذا يشحب ضوء بعض المصابيح ، مع أن الزيت موجود فيها والفتيلة لاتزال رافعة رأسها وان كانت بلا ضوء ! انها مسألة عجيبة وتحتاج إلى دراسة ، ليس لهؤلاء الأدباء ، ولكن للمجتمع الذى عاشوا فيه وللظروف التى أحاطت بهم ، وهى دراسة طويلة وتحتاج إلى جهد شديد ، ولكننا فى اشد الحاجة إليها ، ومهما كلفتنا من وقت وجهد ومال ، الا أن مضمونها سيكون مجزيا اذا استطعنا ان نحافظ على تلك العيدان الرقيقة التى انسحقت بلا هوادة تحت أقدام الزمان .. وهى نهاية غير عادلة لهؤلاء الذين كانت لديهم الموهبة والاستعداد والرغبة الشديدة فى الإبداع ، ولكن خارت قواهم فجأة فتخلفوا على الطريق ، مع أنهم كانوا أصحاب مواهب حقيقية ، وربما تقدمتهم مواهب مزيفة ، ونفوس شريرة لاتعرف الخجل وتجيد لعبة النفاق والخنوع ومسح الجوخ . ولكن .. هكذا الحياة ! !

المسيرة التاريخية لعلم التاريخ

بقلم: أحمد العناني

قبل الاسلام والحضارة الاسلامية

لم يبق الكثير مما يجب قوله لكي تتكامل حلقات الوصف الامين للمسيرة التاريخية لعلم التاريخ قبل عصر التدوين الاسلامي الذي ابتدأ اوائل القرن الثاني للهجرة ، او الثامن للميلاد .. ذلك ان فكر المعلم الأول اليوناني ظل يهيمن على حركة الفكر في المركز الحضاري لحوض البحر المتوسط منذ كتب ارسطو الاثيني كتابه المدهش عن فن الشعر ، والذي اعتبر فيه معظم التدوين التاريخي مجرد عمليات رومانسية ادبية ، شانه في ذلك شان كل المضامين المخترعة من تمثيل ورواية وشعر ، ان كانت جميعا لا تعتمد الحقيقة في تحليل يستهدف توليد حقائق جديدة كما يتم في المنهج العلمي السديد . إلا ان ارسطو ومدرسته بنهاية القرن الرابع قبل الميلاد ، اعتبروا الدراسة الفاحصة لمواد مجموعة جمعا تستوفي فيه شروط المنهج العلمي في التاريخ دراسات علمية جليلة ، ولنضرب مثلا على ما كان يريد فان ذلك الفيلسوف وجه طلابه لجمع معلومات دقيقة عن اكثر من ثلاثمئة مدنية ودسكره صغيرة بالنسبة للموضوع السياسي الخاص بكيفية النظام الحكومي ونوع الدستور الذي يتبناه كل بلد ، ولم يلبث الأمر ان تحول الى دراسة مقارنة لا ينقصها من اساليب العلم شيء ..

لكن أرسطو ومدرسته لم يرق الى منزلتهم من بعدهم ناهيك عن ظهور من يتحداهم ، ذلك بان المعلم الأول ظهر باخرة من الازدهار الاغريقي كما أن الرومان على كثرة من حاول التاريخ منهم لم يضعوا جديداً على الاطلاق اللهم إلا بعد قرن ونصف تقريباً من ظهور المسيحية وبداية انتشارها في حوض البحر المتوسط ، وقد كانت المسيحية شيئا غير منفصل عن اليهودية (١) ولذلك كان مؤرخوها من اليهود الذين تطالبهم طبيعة دينهم السماوي أن يتذكروا ولا يغفلوا عن التعاليم المنزلة على موسى والنبيين الى آخر ذلك . ولقد كتب أولئك الكتاب اجزاء العهد القديم على أفضل ما استطاعوا ان يستذكروا كما انهم كانوا يدخلون ذوقهم الشخصي حكما في انتقاء ما يعتبرونه هم افضل ما يرضى عنه الله ، وهذا في الواقع موضوع كبير لسنا معنيين به إلا في اضيق الحدود للمحافظة على استمرارية السرد لقصة علم التاريخ او تدوين التاريخ .

تدهور مستوى التاريخ

لكن التحدي الكبير لم يكن في مجرد التحكم في الأحداث المدونة بعمليات الانتقاء الذاتية وغير الموضوعية ، وانما ايضا في الفكرة المسبقة بان بعض الأفكار والتوجهات بل وحتى الأحداث التي اتخذت لها مكانا في الواقع التاريخي اعتبرت سلفا بانها خاطئة أو مهرطقة دون أدنى اعتبار لضرورة مناقشتها موضوعيا وبهذه الكيفية اسدل الستار على كثير من الأحداث لمجرد انها لا تناسب افكار او امزجة المدونين ولا سيما الكنسيين ، واذا عرفنا ان القراءة والمعرفة انحصرتا منذ القرن الخامس للميلاد ضمن جدران الكنيسة استطعنا أن ندرك هول المشقة في محاولة كتابة تاريخ صادق مؤثر ، أو استعادة اية صورة صادقة مؤثرة من العالم الغربي إلا ما يرد في المصادر الاسلامية في العصور الوسطى . اما التراجم التي وضعت في نطاق الكنيسة فهي اسطورية متخشبة كانما لم تكتب عن بشر ولكن عن طراز من اناس علويين لا علاقة لهم بالأرض واهلها ...

الدور الاسلامي في تدوين التاريخ

قبل ان ندخل في الدور الاسلامي ولابد لنا هناك من مكث طويل ، ولكي تكون القصة متماسكة فان هناك مدرسة للتدوين - توفيقية - متوسطة الا وهي المدرسة الهللينية التي ازدهرت في عصر السلوقيين خلفاء الأسكندر المكدوني في بلاد الشام وآسيا الصغرى - والبطليموسية - خلفاء نفس الرجل في مصر وذلك خلال القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد وبالتخصيص في مدينتي برجامم في آسيا الصغرى ، والاسكندرية في مصر .

في هذا القطاع من بلاد الشرق الادنى ادى التنافس السلمي بين الدولتين الهللينيتين الى اعزاز الثقافة والاهتمام بالكتاب والمؤلفين. في طريقة تدوين أولئك الناس للتاريخ هناك احيانا قفزة نوعية ، فهم حين يكتبون يشيرون الى مصادر البحث ، ويستندون ما استطاعوا إلى الوثائق القديمة والبيانات الاستقرائية ، كما انهم لأول مرة منذ بضعة قرون شرعوا في التعليق على كتابات من سبقوهم ، حتى شمل ذلك النقد ابا التاريخ الاغريقي هيرودتس ومفخرة المؤرخين الموضوعيين ثوسيديلايز .

ويتميز في العصر الهلليني الذي اشرنا له مؤرخ روماني يعتبر بحق علامة التاريخ في امبراطورية الرومان الا وهو (فارو) الذي حاول ان يضع دراسة دقيقة للحياة الرومانية - متأثرا باسلوب المعلم الأول أرسطو لكنه خالف عنه في ايمانه بامكان استقراء المصادر اللغوية والدينية والنقوش والمخلفات الفنية ، وايما شيء في الدنيا يمكن استقراء اي معلومة منه تؤدي الى تكوين صورة مفهومة عن عصر سبق .. لقد كان ذلك الرجل الروماني المتاخر مؤرخا ملهما بكل معنى الكلمة لكنه لم يستطع أن يشكل

مدرسة من المؤمنين برسالته المتفهمين لها الأمر الذي تركه كالحقيقة المشكلة ظاهرة عالقة بدرب التاريخ ، تثير الاهتمام لكنها لا تجد التفهم ولا المتفهمين ..

والآن يصبح الكلام عن دور المسلمين في علم التاريخ واردا ، وهناك حقيقة اساسية في هذا الصدد هي أن المسلمين وجدوا انفسهم يؤرخون من حيث لم يكونوا يقصدون او يخططون .. ولكن كيف وقع ذلك ؟ وهل هو ممكن ؟

لقد بدات حركة التدوين في العـــالم الاسلامي – باستثناء التدوين المبكر للقران الكريم – بتدوين ذي شقين :

اولا : تدوين احداث الرسول صلى الله عليه وسلم والتحقيق الدقيق في تراجم حياة رواة الحديث للتوصل الى تقدير سليم الى مدى مصداقية كل واحد من هؤلاء الرواة ، وذلك مهما بلغ الجهد وفدح . وفعلا توصل الرواة الى شيء كثير من علم التاريخ وهم لا يشعرون .

ثانيا : – وخشية من ضياع التراث العربي الشعبي ، ودعما للجهد المبذول في صيانة الشخصية العربية وسط عالم من الشعوب الأخرى التي اصبحت داخلة في دولة الاسلام قامت حركة ناشطة لتشجيع تدوين الروايات التاريخية والأدبية ، ثم توسع ذلك بحيث تعطى جوائز السبق لمن يكتبون طبقة بعد طبقة في رواية احداث التاريخ القديم قبل الاسلام وبعده ، وقد اشتهر عدد كبير من الرواة لا سيما بمدينة البصرة الواقعة على سيف الصحراء كانوا يتغلغلون في منازل وديرات القبائل التقليدية ويعودون بحصيلة ربما كان بعضها أصيلا والبعض الآخر ابتداع عقل الراوية الموهوب وايما كان الحال فان المقاييس النقدية الحديثة تنكر صحة قسم من تلك المنقولات وترفض ان تنسبها للعصور والناس الذين ادعي أصلا نسبتها لهم .

تأليف كتب السير والمغازي (فتوح البلدان)

من الطلائعيين الذين اهتموا بتدوين السير (التراجم) رجل من اليمن يقال له عبيد بن شريه ، ثم جاء وَهْب بن مُنَبِّهٍ فباشر الكتابة في المغازي أو قصص الفتح الاسلامي لمختلف البلدان في الغرب والشروق .

ومما درجت عليه الرواية التقليدية أن كلا من عروة بن الزبير المتوفى خلال ولاية عمر بن عبدالعزيز على المدينة المنورة عام اربعة وتسعين للهجرة قد دون أول سيرة للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقال آخرون لاحقا إن ابان بن عثمان اشرف على جمع سيرة متماسكة لحياة النبي وكان المشتغل فيها بتحقيق الروايات هو تلميذه عبدالرحمن بن المغيرة .

ولكن تلك السيرة لم تصل الى احد من الناس ولم يكن لها وجود فعلي وحيث ان عروة ابن الزبير (وهو شقيق عبدالله بن الزبير) مات لفرط ما عذب بسبب اعتراضه الاكيد على خلافة الأمويين فان غموض الأمر بالنسبة للسيرة التي قيل انه جمعها .

ان أول سيرة لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم كان لها وجودها الفاعل في حركة العلم والتاريخ الاسلاميين هي السيرة التي قام بجمعها العالم المسلم ابن اسحق المتوفى في عصر ابي جعفر المنصور عام مئة وواحد وخمسين للهجرة (حوالي سبعمئة وسبعين للميلاد) ثم اخذها عنه تلميذه ابن هشام المتوفى سنة مئتين وثماني عشرة للهجرة واخرجها في شكلها النهائي فنسبت له وعرف بها فلا يقال غير سيرة ابن هشام .

ومن الجدير بالذكر ان كلا من ابي اسحق وابي هشام يعد من المشتغلين بالمغازي – أي جمع اخبار الفتوحات الاسلامية ، ولكنه لم يعرف لأيهما مؤلف في ذلك الاتجاه ، وانما الذي قيل انه وضع مؤلفا في المغازي هو عالم الحديث المشهور – استاذ الخليفة عمر بن عبدالعزيز – ابن شهاب الزهري المتوفى عام مئة واربعة وعشرين للهجرة .

ويعتبر كتاب (المغازي) للواقدي اقدم وثيقة تاريخية متماسكة لأهم فترة من فترات الفتح الاسلامي الأول في عهدي ابي بكر وعمر رضي الله عنهما لكن الطعون على رواية الواقدي كثيرة ، حيث يتهم في المبالغة بحسن نية ، واخذ كثير من الروايات بغير التمحيص الكافي لكنه لا يمكن بحال من الأحوال الاستهانة بهذا المصدر التاريخي الذي يعود الى العام مئتين وسبعة هجرية . وقد وجهت نفس الانتقادات الى مؤلف البلاذري عن (فتوح البلدان) والمعروف عن صاحب الكتاب انه توفى عام مئتين وتسع وسبعين للهجرة ، وميزة كتابه انه اكثر شمولا في امر المغازي من سائر من سبقوه ولعله انتفع بمعلوماتهم جميعا .



أرسطو

المؤثرات السلبية في حركة التدوين الاسلامية

انه لمن اسف بالغ ان الانقسام السياسي في العالم الاسلامي اتخذ منذ البداية طابعا دينيا وطابعا اقليميا واحيانا عنصريا مقنعا .. فضلا عن انه منذ البداية اتخذ اشكالا دموية بدليل الوقائع الدامية في صفين والنهروان وساحات كثيرة اخرى .

وحيث ان النصوص الاسلامية كانت تستخدم على أوسع نطاق لتعزيز حجج المتخاصمين لاسيما بالنسبة لعقدة الاسلام التاريخية الكبرى ، الا وهي المشكلة الدستورية في صدد من وكيف يحكم ؟ وهل يجب ان يكون قرشيا مثلا ؟ وهل ينتخبه اهل الحل والعقد وتقر انتخابه الأمة كلها أم يجيء بكيفية من هذه الكيفيات التي تم بها تعيين كل واحد من الخلفاء الراشدين .

لذلك فقد تسلل التعصب والتحزب الى المؤرخين المسلمين في وقت مبكر ، وبات من الأمور اللازمة ان يتفهم المرء حياة وتوجهات كل مؤرخ قبل أن يتعامل مع كتابه ..

ولم يكن ذلك في جميع الحالات على الاطلاق ، فان كثيريين من علماء المسلمين ومؤرخيهم الأوائل كانوا يدركون ان اكبر مسئولياتهم عما يكتبون هي مسئوليتهم امام الله سبحانه وتعالى في طلبه القول السديد في كل مسلم ، ومحاسبة كل انسان عن اي نص يقدمه للناس ، ولا ننسى في هذا الصدد حملة القرآن الكريم العنيفة على الذين تلاعبوا في النصوص المقدسة من الاسرائيليين خدمة لجشع ومنافع انانية الأمر الذي استجلب لهم سخط الله العزيز الجبار .

وبينما لا يسع المرء إلا أن يلاحظ الميل التشيعي عند صاحب كتاب (كالفخري) في الآداب السلطانية ، إلا انه لا يجد بادرة واحدة ولا إشارة من قريب أو بعيد تؤدي الى تجريح واحد كصاحب كتاب (الطبقات الكبرى) محمد ابن سعد رغما من أن الرجل كان معروفا بالتشيع .

وعند هذا القدر لابد لي من التوقف الآن لمراعاة ظروف المساحة المخصصة لمقال المجلة وان شاء الله تكون لنا عودة مستقبليـــة للسير مع هذا الموضوع الى وضعه المعاصر والله ولي التوفيق .

هامش

(١) هذا الراي ليس من عندنا لكنه يرد في المقال الخاص بتاريخ المسيحية في دائرة المعارف البريطانيـــة ص . ٩٤٨ – المجلد ٥



فصول أبي البهاء في أيام الجهل

بقلم
الدكتور عبد السلام العجيلي

لقيت منذ ايام صديقنا ابا محمد في مقهاه المعتاد فبادرني بقوله : ـ اخبرتني مرة ان ابا البهاء يابى ان يقص عليك شيئاً من فصوله العاطفية لترويها فيما ترويه عنه . في استطاعتي انا ان ازودك ببعض تلك الفصول ، ولكني لا احسبك قادراً على كتابتها ثم نشرها على قرائك .

سالته : ولم ؟

قال : لمحتواها الفضائحي . كنت انا كما تعلم صديقه الحميم ، وكانت لنا ايام جهل يغفر الله لنا ما فعلناه فيها ...

وسكت قليلا قبل ان يضيف :

ـ ساخبرك عن ذكرياتنا في ايام الجهل تلك .

قلت : اهي ذكريات فضائحية كذلك ؟

قال : بل هي فصول بريئة لن تتحرج من روايتها على احد . فصل ابي البهاء مع خليل اغا مثلا . لعلك تذكر خليل اغا ...

قلت : ما اظنني اعرفه . من يكون هذا الأغا ؟

قال : لو لازمتنا في تلك الأيام لما احتجت الى ان تسالني هذا السؤال . هذا بعض ما خسرته من دنياك في انكبابك أيام الصبا على الدراسة والتعلم .

قلت وانا ابتسم : الحق معك . ولكن ما فات فات . افدني افادك الله بما يعوض علي تلك الخسارة الفادحة . ماذا جرى يا ابا محمد بين ابي البهاء وخليل اغا ؟

فهز صديقي راسه كان لهجتي الساخرة لم تعجبه ، الا ان هذا لم يمنعه من ان يحدثني حديث ذلك الفصل باسهاب .

●●

قال ابو محمد :

ـ كنا في ايام الجهل تلك شلة من الشباب المرحين نكثر التردد على ملهى بالاس الذي اسمه اليوم الطاحونة الحمراء . لم تكن جيوبنا عامرة دوماً ، إلا ان اصحاب الملهى كانوا يستخفون ظلنا ، فيرحبون بنا ايام اليسر ولا يعبسون في وجوهنا في فترات الافلاس . وكذلك كانت فتيات الملهى اللواتي ما كن يبخلن علينا بالابتسامات وبمجالستنا في لحظات خاطفة بين فصول الرقص والغناء .. وابو البهاء كان اقلنا مالا ولكنه كان احظانا عند هاتيك وأولئك لخفة روحه وطلاوة حديثه .

وفي مقابل شلتنا العابثة المرحة كانت شلة اخرى من المواظبين على حضور امسيات ملهى بالاس ، افرادها وجهاء كبار في السن في عمر آبائنا ، وفي وقارهم ، مع شغف بالطرب يدعوهم الى ملازمة ذلك الملهى المشهور بابداع المغنين والمغنيات فيه وبتفنن راقصاته . ابرز افراد هذه

الشلة كان خليل آغا ، الثري المشهور بانفاقه على سهراته في المدينة بدون حساب دون ان يخرج في تلك السهرات عن وقار الوجاهة ورزانتها . وفي الفترة التي احدثك عنها كان خليل آغا يختص برعايته راقصة معينة من راقصات ذلك الملهى اسمها زوزو . ففي كل ليلة ، بعد ان تنتهي زوزو من اداء وصلتها على المسرح كانت تعود الى الصالة لتجالس خليل آغا في حلقة الساهرين من اصحابه حتى تنتهي الامسية ، كان يغدق عليها من كرمه بالمال والهدايا وهي ، بالمقابل ، ما كانت تنصرف عنه الى احد من معجبيها الكثر ، حتى عرف بها وعرفت به .

قلت انا ساخراً ، مقاطعا ابا محمد في حديثه :

– قيس وليلى ، أو روميو وجولييت !

ومع ذلك فانت تصف خليل آغا بالرزانة والوقار . الم يكن لذلك الآغا اسرة واولاد ياوي اليهم وياوون اليه ، بدلا من ملازمته لتلك الراقصة ؟

فرد ابو محمد عليَّ قائلا : كانت لخليل آغا اسرة بلا شك . كنا نعرف ان له زوجة ، وانه لم يعقب من تلك الزوجة ولداً . لم يكن لتلك الثروة الطائلة وريث . على ان ظروف حياة الآغا العائلية لم تكن تهمنا ، نحن شباب الشلة المرحة ، بشيء . ما كان يهمنا ، أو ما كان يملا صدورنا بمزيج من الحسرة والنقمة ، هو ان نرى تلك الراقصة تنعم بكرمه الفائض في حين تمر بنا ليال لا نجد نحن فيها ثمن صحن من الفستق الحلبي نكرم به الفتيات اللواتي كن يتلطفن فيجالسننا . وفي ذات يوم ، في إحدى الأمسيات ، ادار ابو البهاء نظره عن خدم الملهى الذين كانوا يروحون ويجيئون بالطعام وصحون المقبلات الى مائدة خليل آغا في حلقته وقال لنا : ما رايكم في غد او بعد غد بمائدة مثل مائدة خليل آغا تنالون منها ما تنالون ، وعلى حساب الآغا بالذات ؟ هتفنا به جميعا : كيف يا ابا البهاء . فما مضى يومان ، لا بل ثلاثة

ايام ، حتى جمعتنا السهرة في زاويتنا من الملهى حول مائدة عامرة باصناف الماكول والفاكهة ، نتناول منها ما نشاء وندعو اليها من نشاء من صديقاتنا الفنانات . وبين الحين والحين كنا نرفع ايدينا لنحيي خليل آغا في مقصورته البعيدة ، شاكرين له كرم ضيافته ، وهو يتطلع الينا بين نظرة منه واخرى الى صاحبته زوزو ، التي كانت تجلس الى جانبه تتطلع الينا بدورها وتضحك ملء فمها ...

وتوقف ابو محمد عن الكلام كانه انهى لي قصته ، فقلت :

–اراك سكت . اين حكاية الفصل الذي وعدتني به ؟ لم تخبرني كيف بر لكم ابو البهاء بوعده ...

قال أبو محمد : صحيح . هي حكاية ما كان يقدر على حبكها غير صاحبنا . كنت رفيقه فيها ، إلا أن دوري لم يتعد دور المشاهد . استصحبني في ضحى اليوم التالي الى سوق النسوان في حي المدينة العتيق ، بعد ان اقترض مني خمسين ليرة على أن يردها الي في الغد . وفي السوق وقفنا على دكان يبيع الحلي المقلدة من عقود واطواق واساور لها مظهر الذهب الخالص المرصع بالاحجار الكريمة وليس فيها من هذه وذاك الا طلاء كاذب انتقى ابو البهاء من تلك الحلي الزائفة مجموعة توهم من يراها بان ثمنها آلاف الليرات ، بينما لم يبلغ ثمنها الحقيقي خمسين ليرة . ودفع ابو البهاء هذا المبلغ الى صاحب الدكان قائلا له انه سيري تلك الحلي الى خطيبته فاذا اعجبتها اشتراها ، وإلا فانه سيردها اليه ويستعيد من الخمسين ليرة خمساً واربعين . ويبدو ان البائع كان متعوداً على مثل هذه الصفقة فرضي بها ، وخرجنا نحن بتلك الحلي الكاذبة وهي منتظمة في علبة مخمل جديرة بأثمن المصاغ ...

وهنا لم املك نفسي من أن اقاطع ابا محمد متسائلا :

– ما الذي كان يقصده ابو البهاء من هذه الصفقة ؟

قال صاحبي : ستعرف . خرجنا من سوق النسوان الى فندق بالاس ، وهو الفندق الذي يحتل الملهى طابقه الارضي . في إحدى غرف الفندق كانت تقيم الراقصة زوزو ، كما كنا نعرف جميعا ، وتقيم معها امها التي لا تفارقها حتى في سهرات الملهى فهي تظل في انتظارها في كواليس المسرح ريثما تنهي وصلات رقصها وتنتهي من مجالسة خليل آغا في حلقة اصحابه . وحين صرنا في بهو الفندق قال لي ابو البهاء : سابعث الخادم الى زوزو ليقول لها ان ابراهيم بك ابن خليل آغا ، وهو انا ، يريد رؤيتها لأمر هام . قلت متعجبا : ابن خليل آغا ؟ ولكن خليل آغا لا ولد له ، لا ابراهيم ولا غيره ! قال : لو كان له ولد لكان في عمري .. ثم ان هذا لا يعنيك ... ستستمع الى ما اقوله للست زوزو ، فلا تستغرب شيئاً منه . كل ما عليك فعله ان تؤمن على حديثي اذا استشهدت بك ، وسترى ...

ولم تمض لحظات حتى خرجت الينا الراقصة من غرفتها دهشة من هذه الزيارة غير المتوقعة . رحبت بنا واهلت ، وسالتنا عما نريد ان نشربه ، بينما اكتسى وجه ابي البهاء بمسحة من الحزن البالغ حتى خيل الى أن الدمع سيطفر من عينيه . ورايته يرفع يديه بالعلبة المخملية فيضعها على ركبتي زوزو وهو يقول بصوت منكسر : لسنا بحاجة الى شراب ، وانما ارجو ان تصنعي معنا معروفا وتتقبلي هذه العلبة وما فيها .. إنها لك حلالا زلالا .. ارجوك ان تفتحيها . بدا على الفتاة الاستغراب ، وتحول الاستغراب الى دهشة مذهلة حين رفعت غطاء العلبة فسقطت انوار مصباح البهو على الحلي الزائفة وانعكست منها الى عينيها بالف ومضة ملونة . كان تقليد تلك الحلي بديعا ، وكانت الاشعة المنعكسة منها تخلب النظر . وصاحت زوزو : ما هذا ؟! لمن كل هذه الحلي ؟ فرد عليها ابو



فصول أبي البهاء في أيام الجهل

البهاء بلهجة المستكين : انهـــا لك يا مدموازيل ... هدية لك من والدتي ... أمي المسكينة ! قالت : أمك ؟ قال : نعم أمي ... زوجة صديقك خليل اغا ... هذه الحلي هي كل ما تملك ، وهي تقدمها اليك عن طيبة خاطر كي تردي رجلها الى بيته ، الى زوجته واولاده ...

قال ابو محمد : نعم ، هكذا تكلم صاحبنا كان يجب ان تكون معي فترى كيف راح ابو البهاء يتباكى امام الراقصة ، ويصف لها البؤس الذي تردت فيه اسرة خليل اغا ، والده المزعوم ، بسببها هي زوزو . قال لها إن الاغا ، منذ تعرف عليها ، لم يعد ياوي الى بيته الا في القليل النادر ، وانه انفق كل ما في خزانته من مال جاهز على صحبتها ثم راح يبيع من املاكه ويستدين ليلبي طلباتها ولينفق على عشراء السوء الذين يلتفون حوله في سهراته معها ، وانه اخذ يسيىء معاملة زوجته ويضرب اولاده لتوهمه بانهم يعيبون عليه علاقته بها ، وانه ... ولهذا فان زوجة الاغا تبعث اليها بكل ما تملكه من مصاغ في امل ان ترفع يدها عن هذا الزوج الطائش لعله يعود الى صوابه بعد ان اصبح على حافة الضياع والجنون ...

لم املك انا نفسي عند سماعي ما يرويه ابو محمد من ان اطلق ضحكة عالية وانا اتصور ابا البهاء مندمجا في دوره الذي اعرف كم هو قادر على إجادته ، بينما استمر صاحبي في حديثه . قال :

– في هذه الأثناء انضمت ام الراقصة الينا وراحت تستمع مع ابنتها الى كلام نجل خليل اغا المزعوم الذي كان يقطع نياط القلب بماساويته . ورايت الدموع تنحدر من ماقي الأم وبنتها تاثراً بما حل باسرة خليل اغا من مصائب منذ ما بدات زوزو عملها في ملهى بالاس . ورايت الراقصة تنهض فجاة من مقعدها فتضع العلبة المخملية بين يدي ابي البهاء وهي تقول بلهجة قاطعة : ارجع يا ابراهيم افندي .. يا ابراهيم بك ، لامك . اعطها مصاغها وقبل لي يدها . قل لها ان ما بيني وبين خليل اغا انتهى ، فانا لن ارى وجهه بعد الآن وهو لن يرى وجهي إلا من بعيد بعيد . لا ، لا ... لا اخذ حبة واحدة من هذه العلبة . يكفيني ما سببته لكم من حزن حتى الآن ! قالت هذا واستدارت متجهة الى غرفتها ، تتبعها امها ، وهما تمسحان بقايا الدموع التي فجرها ابو البهاء في عينيهما

ضحكت انا مرة اخرى وقلت لأبي محمد

– وبعد ذلك ؟

قال : بعد ذلك عدنا راسا الى سوق النسوان فاسترجعنا خمسة واربعين ليرة مما دفعناه بعد ان اعدنا العلبة المخملية وما فيها الى صاحبها . وبعد ذلك سارت خطة ابي البهاء كما قدر لها ، وبدقة متناهية . ففي مساء ذلك اليوم فوجىء خليل اغا بتخلف زوزو عن تحيته في زاويته قبل بدئها وصلتها ، وبصعودها الى غرفتها في الفندق فوق الملهى دون ان تعرج عليه في تلك الزاوية ، تاركة إياه وحلقة اصحابه في انتظار اوبتها دون طائل . وفعلت ذلك في اليوم التالي ، وزادت بان ردت رسله إليها خائبين ، محملة إياهم رغبتها بان يتركها وشانها فهي لا تريد ان تقع عينها عليه بعد اليوم . وهنا جن جنون الاغا ، ولما الح في الاستفهام بكل وسيلة عن هذا الهجران المفاجىء جاءته ام الراقصة لتطلب منه ان يكف عن ملاحقة ابنتها التي لا تريد ان تكون سبباً في تهديم كيان أسرته وفي بؤس زوجته وابنائه . رد عليها خليل اغا قائلا : اي زوجة وابناء؟ لي زوجة حقاً ، ولكن مادخلها بعلاقتي بزوزو؟! أما عن الابناء ، فليس لي ابناء يتاذون بهذه العلاقة . قالت الأم : اتنكر ان لك ابناء ؟ وهذا الفتى الاشقر الطويل الذي جاءنا باكياً شاكياً من هجرانك لبيتك وضربك لابنائك ؟ !

قال ابو محمد : هنا لعب الفار في عب خليل اغا وتبين له بصيص من الضوء في هذه اللعبة . فهو لم يكن جاهلا بابي البهاء ، الشاب الاشقر الطويل ذي اللســـان الـــذرب والاحاديث المعسولة ، ولا بفصولـــه المشهورة . على انه لم ينفعل ولم يثر ، فقد كان امرءاً واسع الصدر الى جانب كرم ذات يده وارسل الى ابي البهاء يطلب ان يراه . كان صاحبنا ينتظر هذه الاشارة من خليل اغا بين ساعة واخرى ، فلما جاء اليه قال الاغـــا : الا تخاف الله يا ملعون ؟ ماذا تريد لتبطل فعل سحرك هذا ؟ فاجابه ابو البهاء قائلا : ليس كثيراً ... سهرتين لي وللشباب على حسابك يا اغا . قال الرجل : بل ثلاث سهرات في ثلاث ليال متوالية ، وادع اليها من تشاء من اصحابك ...

وهكذا انتهت اللعبة كما اشتهينا جميعا فلم يكن عسيراً على ابي البهاء ان يرتق ما فتق ويبين لزوزو ان كل ما رواه لها كان زوراً وتلفيقا . وعادت بذلك المياه الى مجاريها في شلتنا المرحة ، وفي شلة الوجهاء الوقورة ، وفي علاقة الصبابة بين خليل اغا الكريم وصاحبته الطيبة القلب . انه فصل بريء ، كما ترى ، فصـــل ابي البهاء هذا في ايام الجهل . واظنك معي في انك تستطيع روايته لقرائك بدون تحرج .

بهذا انهى ابو محمد قصته ، فقلت له :

– انا معك . ويمكنني ان ازيد ان لاحداث هذا الفصل مغزى خلقيا . فزوزو على كونها راقصة محترفة لم تخل من مشاعر انسانية جعلتهـــا تضحي بكسبهـــا من عاشقهـــا الثري لكيلا تهدم بيتا وتشتت اسرة . حتى فصول ايام الجهل عند ابي البهاء لا تخلو من دلالة اخلاقية . وما يدريني ؟ لعل فصوله العاطفية ، التي سميتها انت فضائحية ، ليست خلواً من مثـــل تلك الدلالة . لن اتركك حتى تروي لي بعضاً من تلك الفصول ما دام ابو البهاء يابى ان يخبرني بها . ليس الآن طبعاً ، ولكن في فرصة اخرى .

وعلى هذا افترقنا انا وصاحبي ابو محمد بعد لقائنا في ذلك اليوم .

عبدالسلام العجيلي
الرقة – سوريا

جـــــــزاء الله

بقلم : الدكتور محمد البهي

طالما كانت للانسان مشيئة في الايمان والكفر ، وفي مباشرة العمل الصالح أو السيىء .. وطالما كان مسئولا مسئولية شخصية وفردية عن نوع اعتقاده ونوع عمله ، ولا يحمل مسئولية غيره مهما كانت صلة القربى به .. فان جزاءه عن ايمانه وكفره ، وعن عمله المستقيم وعمله المنحرف يكون جزاء وفاقا لنوع اعتقاده ، وعمله : ليس بامانيكم (أيها المشركون الماديون) ولا أماني أهل الكتاب (أي لا يتوقف المصير ولا ترتبط الاعمال في الجزاء عليها : بالرغبات والأماني ، وانما يكون الجزاء على نوع العمل فقط) : من يعمل سوءاً يُجْزَ به ولا يجد له من دون الله ولياً ولا نصيرا ، ومن يعمل من الصالحات : من ذكر أو انثى وهو مؤمن .. فاولئك يدخلون الجنة ، ولا يظلمون نقيرا (اي اقل القليل) (النساء : ١٢٣ ١٢٤) .. والله عادل فيما يجازي به . (ان الله لا يظلم الناس شيئا ، ولكن الناس أنفسهم يظلمون) – (يونس : ٤٤) .

وعدل الله في الجزاء أمر يقتضيه وضع الخالق بين عباده ومخلوقاته . وهو وضع الغني بذاته عن المخلوقات والناس جميعا : (وربك الغني ذو الرحمة : ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء ، كما انشاكم من ذرية قوم آخرين) (الانعام : ١٣٣) .. فلا تعود مصلحة شخصية عليه – جل جلاله – من ايمان بعض الناس ، أو كفر البعض الآخر منهم . وانما اثر الايمان على من امن ، واثر الكفر يعود على من كفر منهم : (ومن جاهد فانما يجاهد لنفسه ، ان الله لغني عن العالمين) (العنكبوت : ٦) .. (ولقد آتينا لقمان الحكمة : ان أشكر لله (اي بالايمان به) ومن يشكر (اي يؤمن معبراً بايمانه عن شكره) فانما يشكر لنفسه (اي تعود منفعة ايمانه على نفسه) ومن كفر فان الله غني حميد) (لقمان : ١٢) .. ووضع الغني بذاته بين المخلوقين له : يتعين أن يكون وضع العادل .. المتجرد عن الغرض والمصلحة الخاصة . ثم يوجب كذلك : ان يكون الجزاء مرتبطا بنوع العمل وحده ، الذي باشره وباشره الانسان في حياته الدنيوية .

وهنا تؤكد آيات عديدة هذا الربط ، كما نقراه في قول الله تعالى : (فمن يعمل مثقال ذرة خيراً .. يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً .. يره) (الزلزلة : ٧ ، ٨) .. وفي قوله : (والذين كسبوا السيئات : جزاء سيئة بمثلها ، وترهقهم ذلة ، مالهم من الله من عاصم) (يونس : ٢٧) .. وفي قوله : (ومن يعمل من الصالحات ، وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضمـــا) (طه : ١١٢) ..

وما يتردد من القول : بسلب المشيئة من الانسان في علاقته بالله ، وبنسبة هدايته وضلاله الى المولى جل شانه وحده – دون تدخل من الانسان – وبالتالي : بعدم فهم الجزاء من الله له المترتب على ضلاله .. هو قول لا يستند الى فهم سليم لكتاب الله ، نقرا قوله تعالى مثلا : (افمن زين له سوء عمله فرآه حسناً (اي ليس كمن لم يضل ويخدع واهتدى بهدي الله في كتابه) : (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء ، فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ان الله عليم بما يصنعون) (فاطر : ٨) .. فهذه الآية تنسب الى الانسان صنعاً وعملا في خداع نفسه مرتين ، مرة عندما تقول : (افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا) .. فتسند اليه انه راى السيىء في واقع امره ، حسنا في نظره فجاراه ، وبذلك ضل ولم يهتد . ومرة اخرى عندما تعقب بقولها : (ان الله عليم بما يصنعون) .. اي بما يصنع أولئك الذين لم يروا الصواب على وجهه الصحيح . اذن : الانسان له دخل وعمل في اضلال نفسه او في هدايتها . ومع ذلك فان لله ايضاً دخلا في الهداية والضلال ولكن على معنى : صرف الانسان و عدم صرفه عن متابعة خط السير لما في رسالة الله . فللانسان دور في تحديد نوع العمل الذي يقوم به ، وفي نوع الاعتقاد الذي يعتقده ، ولله اثر كذلك : في التوجيه نحو هذا الاتجاه .. او نحو ذ اك .

وفيما يوصي به القران رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله : (فيما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ، فاذا عزمت فتوكل على الله ، ان الله يحب المتوكلين) .. (آل عمران : ١٥٩) .

يوصيه أولا بمباشرة : العفو عن المخطئين في غزوة (احد) من المؤمنين بتطلعهم الى الغنائم – وليس الى المبادىء – فيها ، واستغفار الله لهم خطاهم ، وبمشاورتهم من جديد في شئون الدفاع عن الأمة : (فاعف عنهم ، واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) .. ثم يوصيه ثانيا – بعد انتهاء المشاورة وترجيح الراي نحو اتجاه معين وموقف معين : ازاء الاعداء – بالتوكل على الله .. اي بطلب العون والمساندة منه . فهنا :

عمل من الانسان ، وعون من الله .. هنا استنفاد مجهود الانسان وطاقته في العمل ، ثم طلب المؤازرة بعد ذلك لمن يملكها وحده ، وهو الله سبحانه وتعالى .. وكذلك فيما يامر به المؤمنين بقوله : قاتلوهم (أي قاتلوا الاعـداء المنتهكين لحرماتكم) يعذبهم الله بايديكم ، ويخزهم (اي بسبب هزيمتكم لهم) وينصركم عليهم (اي بما لكم من ايمان قوي) ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم (اي بما تحرزون من نصر واضح) (التوبة : ١٤ ، ١٥) .. يامرهم بالقتال ، عن ايمان قوي فيه : بحيث يكون النصر على الاعداء امراً واضحاً ، فيطلب منهم : عملا .. وايمانا .. يستتبعهما : نصر من الله .

إن عمل الانسان ، وسعيه وجده في العمل والسعي .. مقدمة ضرورية لتتويج عمله بالنجاح برعاية الله وفضله . وبدون عمل للانسان وبدون استقامة فيه : لا تكون رعاية .. ولا تكون معاونة .. ولا يكون نصر من الله . ان السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة . انما هو الانسان وسعيه .. والله ورعايته .



مسامير.. في أصابعك

"موضة" تؤدي إلى تشوّهات القدم

بقلم: الدكتور نبيل سليم علي

خبراء (الموضة) ومصممو (الأحذية) ماذا يقولون عندما يعلمون أن موضة الأحذية (السبور) الرفيعة المنتشرة هذه الأيام والتي يقبل عليها شبابنا وفتياتنا بشغف وجنون تسبب تشوهات للقدم ، إذ أنها هي المسئولة بلا شك عما يصيب الابهام الأكبر للقدم من تشوهات وآلام والتي غالباً ما يستدعى استئصالها جراحياً ؟ !

أما هذا التشوه فهو عبارة عن إنحراف الابهام الاكبر للقدم ، مع تغيير مكان الاصبع الملاصق للابهام بحيث يركب على الاصبع الأوسط وهذه الظاهرة تؤدي الى ما يعرف بمسمار أصابع القدم .

ان هذا الانحراف يؤدي الى ظهور تشوه ملحوظ على الجانب الداخلى للقدم ، وهذا التشوه يكون عادة سبباً لآلام مبرحة تصل احيانا إلى حد التدخل الجراحي لاستئصال القدم كلها .

وهناك من يعتقد أن الأحذية السبور الرفيعة يمكن أن تقلل من تفلطح القدم عند البعض ، وهذا اعتقاد خاطىء ، لأن تفلطح القدم ما هو إلا تفلطح القوس الطولي للقدم ، لأن بالقدمين عدة أقواس مثل القوس العرضي الامامي أو الأقواس الجانبية للقدم .

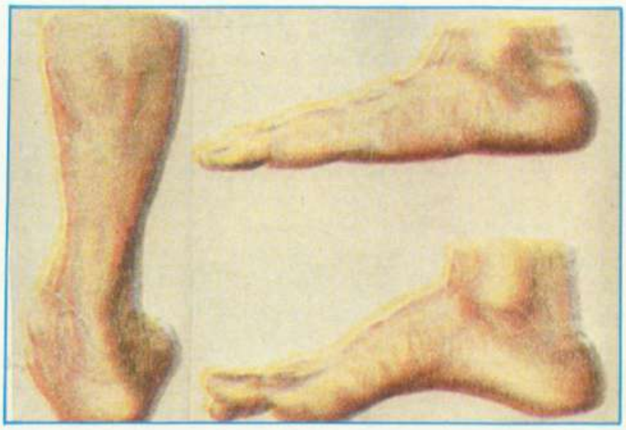
وعلى عكس ما يعتقده الناس ايضا من أن الأصابة بتفلطح القدم تصيب الانسان في الكبر، فان الحقيقة انها تاتي غالبا مع تشكيل الجسم الطبيعي عند الولادة حيث تظهر اقواس القدم عند الطفل من سن ٢ ـ ٤ سنوات . وعادة ما ينتشر التفلطح بين اقدام الذكور أكثر من الاناث لأن من عادة الذكور كثرة التحرك واللعب ، أما الاناث فتساعدهن الأحذية ذات الكعب العالي لعدم ظهور شكواهن من تفلطح القدمين .

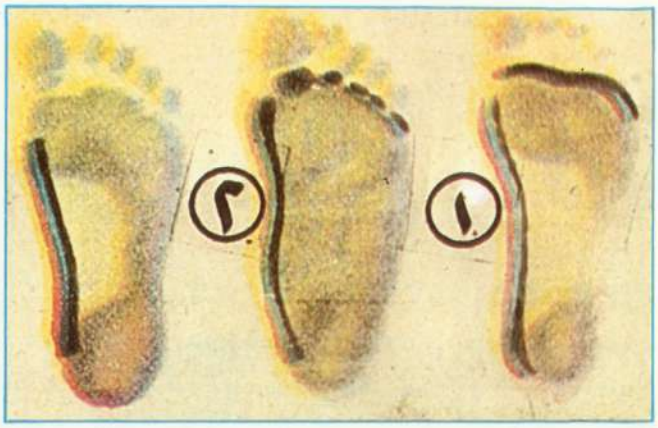
انواع التفلطح

يوجد نوع من تفلطح القدم يظهر عند الولادة نتيجة التشوه الخلقي في عظام القدم بسبب الوضع الراسي لعظمة الكعب . ويمكن معرفة هذا التفلطح بمد الساقين إلى الامام مع ضم الفخذين من أسفل ، واذا كان اتصال الفخذين بالساق غير مستقيم معنى ذلك ان الطفل مصاب بالتفلطح .

ومن أسباب تفلطح القدمين عند الاطفال حالة التصاق الفخذين ، وهذه الحالة اما خلقية أو نتيجة الأصابة بمرض لين العظام . وعادة ما يكون قوس القدم في الحالة الأخيرة طبيعياً وتكون نتيجة التفلطح تغيير ثقل الجسم على القدمين مما يتيح تحملا اكثر على الجزء الداخلي للقدمين ، فيلاحظ المحيطون بالطفل تفلطح قدميه وانقلابهما الى الخارج .

وعلاج هذه الحالة ليس في القدمين ولكن بعلاج الأسباب الأصلية للحالة . وأهم نوع من انواع تفلطح القدمين ما ينتج من ضعف الأربطة الضامة لقوس القدم ، وعادة ما تظهر شكوى المريض فى سن البلوغ بسبب النمو السريع للعظام والعضلات . وهذا النوع من التفلطح له عدة مراحل :





تفلطح القوس العرضي

١ ــ قوس عرضي امامي ٢ ــ قوس طولي جانبي



شرايين وأوردة القدم الطبيعية كما تبدو باشعة اكس

المرحلة الأولى : عندما يشكو المريض من الم بالقدمين عند الوقوف لمدة طويلة او المشي ايضاً وعادة ما تنتشر هذه الآلام في الساقين

واحياناً في الفخذين والظهر . ويلاحظ أن قوس القدم في هذه الحالة لا يتفلطح إلا عند وقوف المريض ، اما إذا رفع القدم من فوق سطح الارض فان القوس يظهر كانه طبيعي .

المرحلة الثانية : وهي أن تتفلطح الاقواس بصفة دائمة ومع ذلك تظل محتفظة بمرونتها .

المرحلة الثالثة: تفلطح كامل بالقدمين مع تيبس بمفاصل القدمين .

كما يوجد نوع آخر من تفلطح القدمين يعرف بتفلطح القدم التقلصي بسبب التقلص الذي يحدث في العضلة الشظية والقصبية والمفصل.

وكان الاعتقاد السائد ان مثل هذا التفلطح سببه وجود بؤرة فاسدة باللوزتين ، ولكن لم يثبت علمياً وبصفة قاطعة مثل هذا الاعتقاد .

ومثل هذا النوع يصيب عادة الذكور اكثر من الاناث ويحدث ما بين ١٢ ــ ٢٠ سنة . ويستجيب هذا النوع للعلاج الطبيعي ووسائل العلاج العادية ، وفي الحالات المزمنة يلزم



الآثار المدمرة لارتداء الاحذية السبور الرقيقة كما تبدو على القدم



انحراف الاصبع الكبيرة كما تبدو في اشعة اكس كما يظهر تيبس المفاصل

"موضة" تؤدي إلى تشوهات القدم

إجراء عملية تثبيت بالقدمين للشفاء .

ويوجد نوع من تفلطح القدمين يظهر عند اصابة العضلات الرافعة للقدم بشلل مثل شلل الأطفال ، وعلاج هذا النوع متوقف على علاج الحالة الأصلية وهي الشلل .

ويوجد ايضا نوع من تفلطح القدمين نتيجة كسور أو اصابة عظمة الكعب أو السلامية الأولى للقدمين . وعلاج ذلك ايضا يتوقف على علاج الحالة الأصلية وهي الكسور .

العلاج

ولعلاج أهم نوع من انواع تفلطح القدم وهو الذي سبق ذكره بمراحله الثلاث نقول : في المرحلة الأولى : يكون العلاج الطبيعي هو العلاج الأساسي في هذه المرحلة ، ويشمل تمرينات رياضية لتقوية عضلات القدمين ، والحمامات الباردة والساخنة المتبادلة وكذلك تقوية عضلات القدمين بواسطة تيار (فار ادك).

وعادة لا يلزم تركيب اي اقواس للقدمين فى هذه المرحلة .

وفي المرحلة الثانية : تستعمل بجانب العلاج الطبيعي اقواس صناعية في داخل الحذاء لتحل محل قوس القدم الذي فقد وتوجد عدة انواع منها المطاط او المعدن واحسن هذه الأنواع هي المعدنية .

المرحلة الثالثة : وهذه المرحلة هي اخطر المراحل عندما تتيبس مفاصل القدمين ، ولا سبيل امام الطبيب المعالج إلا استعمال الأقواس الصناعية مع العلاج الطبيعي . وغالبا ما تحتاج هذه الحالة لاجراء عملية جراحية لتثبيت تلاقي مفاصل القدم . وبالنسبة للآلام بصفة عامة فان العلاج الطبيعي يمكنه القضاء عليها تماما غير ان التفلطح ذاته لا يزول نهائيا ، بل يتحسن فقط .

القوس العرضي

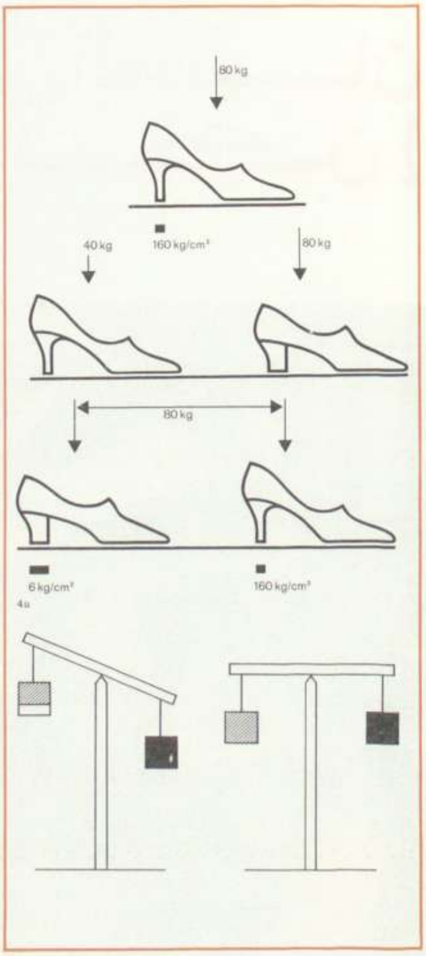
اما تفلطح القوس العرضي للقدمين ، وهو الحالة الشائعة في معظم حالات التفلطح ، فيختلف تماما عن الحالة السابقة إذ انه يصيب الأفراد من منتصف العمر ، لذا يعتقد البعض خطا ان الاحذية الرفيعة من شانها اصلاح وعلاج التفلطح ، ولكن الحقيقة ان هذا التفلطح يكون عادة إصابة ملازمة للالتهاب المفصلي الروماتيزمي للقدمين .

وتصاحب هذه الحالة تشوهات الاصبع الكبيرة وكذلك عدة حالات اخرى بالقدمين . وتنبع هذه الحالة من ضعف الأربطة الضامة الامامية لسلاميات القدمين مما يسبب تفلطح القوس الامامي . ويشعر المريض بالم في الجزء الأمامي للقدمين مع شعور بالتهاب بين السلاميات وعادة ما يتكون (الكالو) أسفل مشط القدم .

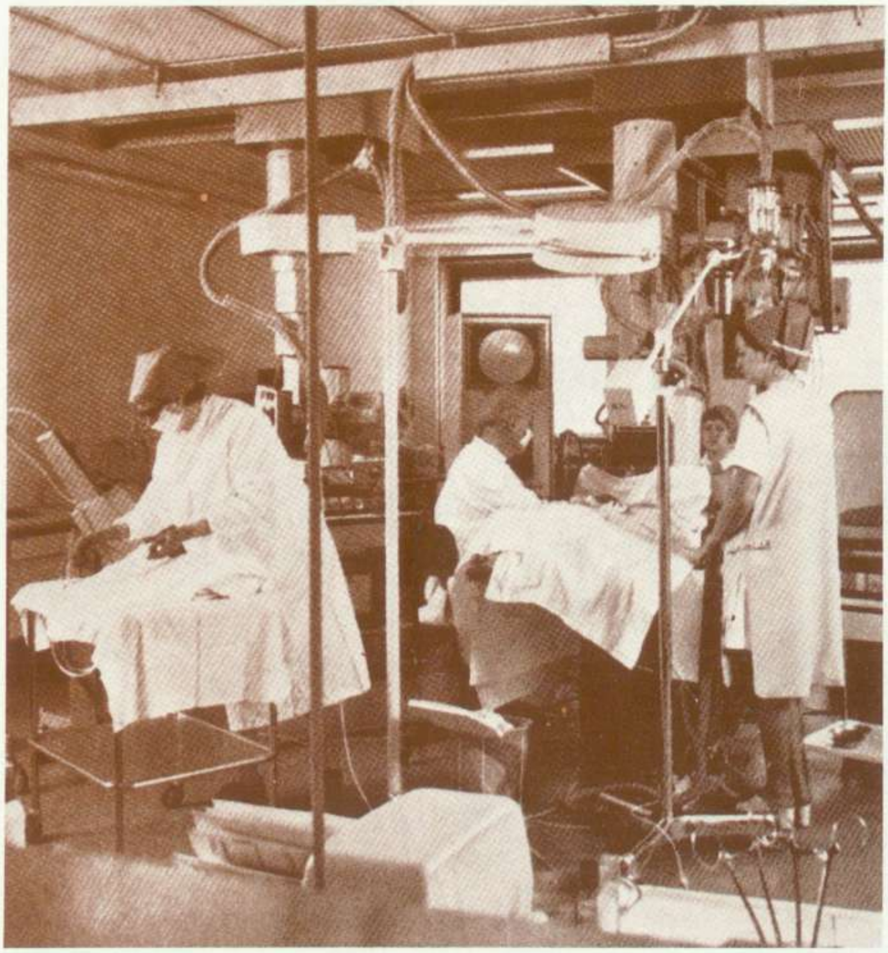
وتعالج هذه الحالة بحمامات الشمع والعلاج الكهربائي ، وتستعمل ايضا (فرشة) للقدم بها عمود مطاط مستعرض لرفع السلاميات (اصابع القدم) المتجهة أسفل القدم .

نجاح جراحة زراعة القدم

ومن احدث واهم الأخبار العلمية في مجال



الاحذية ذات الكعب العالي تقلل الشكوى من تفلطح القدم وذلك لاختلاف الثقل كما يبدو من الرسم البياني



اثناء إجراء عملية زرع القدم

جراحة العظام وما يخص الأقدام هو ما أعلنه الدكتور ريتشارد جاكوب استاذ جراحة العظام بجامعة (الينوي) الأمريكية من انه استطاع ان يعيد زراعة قدم صبي عمره سنتان وذصف بترت اثناء وقوعه داخل آلة قطع الاخشاب .

وتعد هذه الجراحة أول جراحة إعادة زرع قدم ناجحة في الولايات المتحدة . والجدير بالذكر أن هناك خمس جراحات مماثلة تم إجراؤها بنجاح في جميع انحاء العالم ، اربع منها في الصين وواحدة اجراها الدكتور برنارد اوبيوتي بمستشفى (سانت فنسنت) بملبورن باستراليا .

وقد اعلن البروفيسور د . جاكوب ان الفريق الذي قام باجراء الجراحة ضم أساتذة جراحة الأوعية الدموية ، وجراحة التجميل ، وجراحة العظام .

وشرح د . جاكوب انه مما ساعد على نجاح هذه العملية حسن حظ الطفل المصاب حيث تصادف وجود طبيب قريب منه وقت الحادث أجرى له الاسعافات الأولية ، ووضع القدم المبتورة على الفور في كيس بلاستيك مملوء بالثلج .

وقد مر من الوقت ما بين وقوع الحادث وبدء الجراحة ٩٠ دقيقة فقط مما مكن العلماء من اجراء الجراحة قبل حدوث تلف خطير في الخلايا .

واعلن د . جاكوب ان القدم التي أعيدت زراعتها اصبح يغذيها شريان واحد فقط بدلا من شريانين كما هو الحال في القدم الطبيعية وذلك ان الشريان الثاني كان قد اصابه تلف ، ومن هنا فان الخوف يتمثل فقط في إمكان مواجهة مشكلة خطيرة لو اصيب هذا الشريان.

وقد قرر فريق الجراحة ترك الوجه العلوي والوجه السفلي للقدم مفتوحاً جزئياً لتصريف الدم الفاسد والصديد – إن حدثا – بسهولة وذلك لمنع حدوث تورم .

وفي اليوم السابع لاجراء الجراحة قام الدكتور جاكوب بتغطية الجرح بشرائح من الجلد لحفظ الجرح من التلوث .

وفي اليوم العاشر لاجراء الجراحة اندمل الجرح تماماً ، واجريت للصبي المصاب جراحة تجميل باستخدام شرائح من جلده .

وبعد ذلك تم وضع قدم الطفل في اسطوانةً من البلاستيك لمدة ٢٧ يوماً .

وبعد مرور خمسة شهور من الحادث اجريت للطفل جراحة لاصلاح أعصاب القدم .

ومنذ ذلك الوقت نمت القدم المعاد زرعها بصورة طبيعية وان كانت ما زالت اقصر من القدم الأخرى بنحو نصف سنتيمتر واحد .

واليوم فان الطفل يعد في حالة طيبة وعادية او بالتحديد شبه عادية حيث انه يستطيع ان يجري وان يلعب وان يحرك أصابع قدمه وان كان لا يستطيع ثني هذه الأصابع .

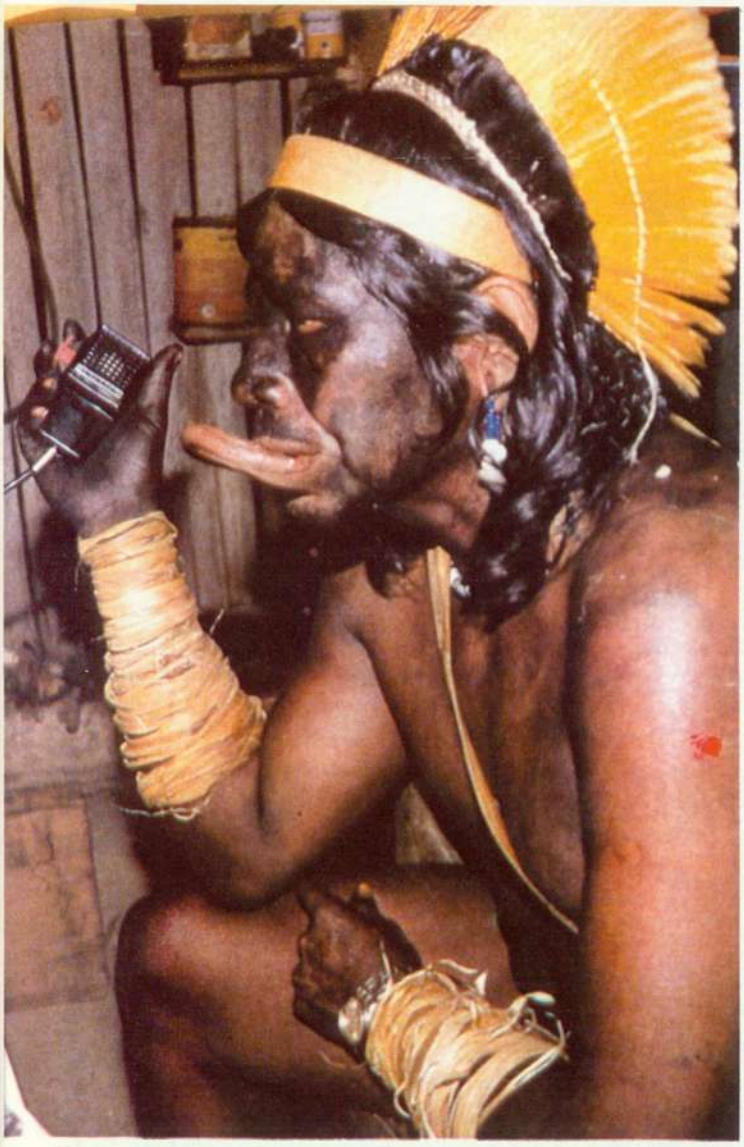
وقد أعلن د . جاكوب أن إعادة زراعة الأقدام انسب من زراعة الأصابع او الأذرع حيث انها لا تحتاج كثيراً الى حساسية اللمس والقدرة على الامساك مثل الأطراف العليا ، وذلك على الرغم من ان القدم تحمل ثقل الجسم كله .

ومن جهة اخرى فقد اعلن دكتور لويل . س وايل رئيس قسم طب الأطفال بجامعة الينوي بشيكاغو أن هذه الجراحة كانت (إجراء بطولياً) قد تنجح مع الأطفال صغار السن الأصحاء ولكنها لن تنجح مع الكبار .

نبيل سليم علي

هُنّ الحسان ... ولكن !

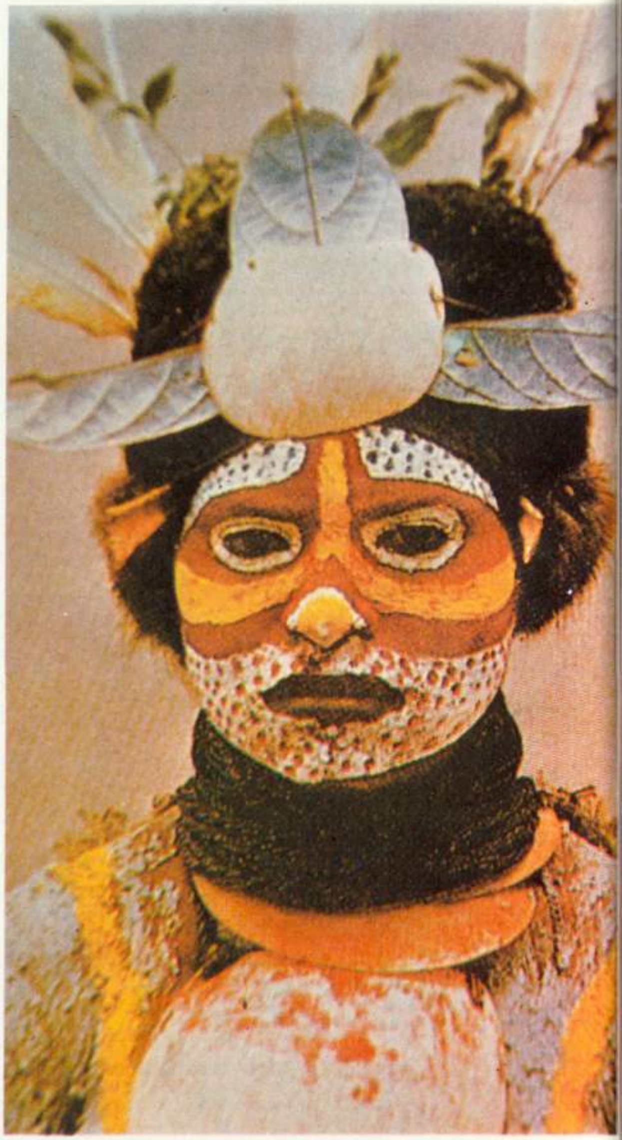




(١) تولع بعض قبائل بورما باعناق النساء الطويلة ، إن سر جمال المراة في نحرها ـ على حد ذوقهم ـ ولكي تصبح الرقاب اكثر طولا واغراء تفننت النساء في وضع حلقات حول رقابهن لتضغط عليها وتشدها الى أعلى ، وكلما استطالت ، وضعن حاقات جديدة ، لدرجة أن بعض الرقاب تنفرد وتستطيل الى ثلث متر ، واحياناً ما تصل الى ٤٠ سنتيمستر ، وهن لا يستطعن التخلي عن هذه الحلقات ، لضعف في فقرات الرقاب ، لانها تعتمد من البداية على ما يسندها ، فان ذهبت السنادة ، تقوست الرقبة ، وضاعت المراة !

(٢) والقاسم المشترك بين النساء العصريات والنساء البدائيات ، هو استخدام الدهانات والأصباغ وماشابه ذلك ، ويقال ان الاناث « المودرن » يكلفن العالم حوالي سبعة آلاف مليون دولار سنويا على « ديكورات » الوجه والشعر والاصباغ (لا تنس اصابع القدم من فضلك) ـ لكن « ديكورات » هذه الفتاة قد جاءت من بيئتها المحلية لتكون جذابة ، ومع ذلك فالامر متروك لتقديرك !

يقولون في الأمثال (القرد في عين أمه غزال) .. والمقصود بالمثل طبعاً هو الانسان ، فما يعجبنـــا ، قد لا يعجب غيرنا ، ثم أن الناس أذواق على أية حال ، ولا شك أن الأذواق تختلف بين مجتمع وآخر ، ولهذا رأينا أن نعرض أربع لقطات تمثل ذوق المرأة في ملبسها وزينتها ، وهي أولا وأخيراً تتزين لتكون في عين زوجها ، وبين قومها ، فاتنة زمانها ، وقد تراها عشيرتها غزالا ، ويراها غيرهم دون ذلك .. ومع ذلك فالأمر متروك لتقديرك ، والناس أمزجة أولا وأخيراً .. فانظر واحكم ، فهن الحسان في عيون أقوام آخرين .





(٣) ويبدو أن الآية قد انعكست بين عالم الانسان وعالم الحيوان ، فحيث جاءت ذكور الحيوانات اكثر فتنة وجمالا من إناثها جاءت نساء البشر لتضرب بهذا المبدأ عرض الحائط ، وخاصة في المجتمعات البدائية ، واخذت المراة مبدأ المبادرة ، فراحت تتفنن في تغيير ملامحها ، لتكون في عين الذكور «طاووس» زمانها ، او غزال عصرها !

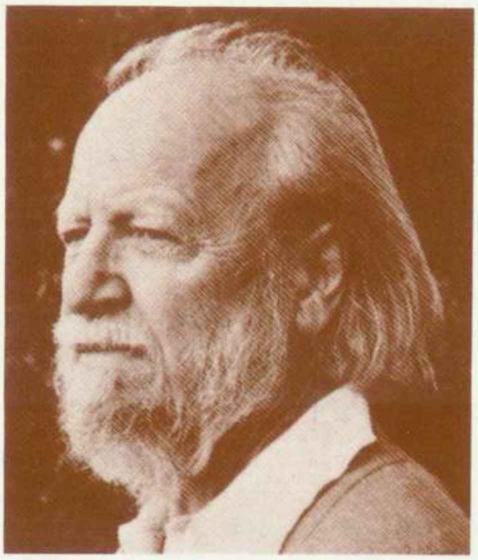
(٤) وتلك حسناء كينية من منطقة سامبورو بكينيا .. فرغم انها عديمة شعر الراس ، إلا انها مليحة القد . لكن ذلك قد لا يجذب الانتباه ، فراحت تثبت مركزها الاجتماعي بما حملت على كتفيها من «مهرجان» عقود الخرز ، اذ كلما كان الخرز كثيراً ، دل هذا على يسار الحال ، ومع ذلك فما اغرب المفارقات ـ مفارقات البشر ، وهن الحسان على أية حال !

رسالة لندن : مجدي نصيف

"أهل القلم".. أو "رجال من ورق"

أحدث عمل أدبي لوليم جولدنج الحائز على جائزة نوبل ١٩٨٣





وليم جولدنج .وغلاف روايته الاخيرة : (اهل القلم)

ما أن اعلن عن فوز الروائي البريطاني وليم جولدنج بجائزة نوبل للآداب حتى وجدت أعماله الكاملة طريقها الى المكتبات في طبعات أنيقة ، بعد أن ثارت زوبعة نقدية كبيرة حول أحقيته للجائزة التي لم يحصل عليها جراهم جرين زميله البريطاني .

ثم بعد شهرين ظهرت روايته الجديدة (أهل القلم) التي ترجمها البعض بعنوان (رجال من ورق) وهي الترجمة الحرفية في حقيقة الأمر . الغريب في الأمر أنها قصة كاتب أصبح مشهوراً بعد روايته الأولى . ورغم مرور عدة أشهر فقط على ظهور الرواية فقد ظهرت طبعتها الثانية بالفعل .

الشهرة ، والنجاح ، والثروة : العناصر الثلاثة الأبدية لرواية جولدنج الجديدة ، **تتشابك كلها مع مشكلة إدمان الخمر التي** تقترب من التسمم الكحولي ، وزواج زائل ، ومشاكل الشهوة - التي لا تعالج - التي تصاحب الانسان في منتصف العمر . هذه هي مشاكل ويلفريد باركلي الروائي الذي يعاني دائماً توتراً لا يحتمل ، وان كان توتراً خلاقاً . اما الشخصية الثانية فهي البروفيسور ديك تاكر ، في تصميمه الحاسم لكي يصبح رجل باركلي . والبروفيسور كاتب سير أمريكي .

تنمو العلاقة بين الاثنين وكلاهما من أهل القلم ، ويصبح كلاهما محصوراً في علاقة مميتة ومدمرة . ويتجولان بلا هدف عبر بلدان أوربا الغربية ، باحثين عن الوهم واحترام الذات وعلاقات سريعة وزيجات متطايرة . يواجهان وهدات مخيفة سواء أكانت من الناحية الزوجية أو العاطفية أو المادية . يغيران ادوارهما بشكل مستمر . كما يغيران أنفسهما ، يغيران العوالم المحيطة بهما .

يقول ناشر الكتاب (فابراند فابر) : « إنه كتاب أصيل مثل كل كتب وليم جولدنج ، وشخصيات الرواية متفردة . ان جائزة نوبل التي حصل عليها وليم جولدنج ، هي تكريس نهائي لعبقريته ، وتاكيد لثقة كانت

مكتسبة بشكل عام . وهو من بين جميع الروائيين البريطانيين بشكل عام ، فان عمله هذا هو اكثرهـا قابليــة للبقــاء والتخليد » .

●●

ماذا في الرواية الجديدة عن حياة وليم جولدنج ذاتها ؟

هل هي - ضمناً - نوع من السيرة الذاتية ؟ هل كتبها بعد ان اخذ يكتب طيلة حياته ، ولكنه ظل كاتباً غير معروف حتى على نطاق بريطانيا . ثم فجاة قفز اسمه الى صدر صفحات الصحف بعد حصوله على جائزة نوبل ؟ ان الرواية تناقش شريحة من حياة كاتب اصابته الشهرة فجاة .

باستطاعة المؤلف أن يجعل الراوي في رواية ما يشعر القارىء بانه ليس كاتب الرواية ، انما هو شخص شديد الصلة به ، كاتب آخر على سبيل المثال . والاساليب عديدة حين يكون الهدف توسيع حدود الذات مع تفادي نقيصة « السيرة الذاتية » في نفس الوقت .

يقول الناقد جون بيلي « ان هنري جيمس قد لاحظ حضور الروائي في كل صفحة يسعى جاهداً لحجب نفسه عنها وفي بعض الأحيان تكون افضل طريقة لتحقيق ذلك ، هي عدم التفنن في اخفاء النفس . وقد كان كـونراد وبـروست وشـــارلوت برونتـي وانطواني باويل ممن نجحوا بشدة في اتقان أساليب المراوغة والتفنن فيها ؟

والراوي في (رجال من ورق) ، رواية وليم جولدنج الجديدة ، هو كاتب روائي اسمه ويلف باركلي ، وهو لا يستطيع تجنب الكتابة في حالات التوتر والقلق التي تجتاحه ، انه في هذه الحالات التي تجتاحه يسجل مشاعره بصدق على الورق ان هذا اشد إثارة له مما هو للقارىء . لكن القارىء عندما يتابع احداث (رجال من ورق) ، ويستمر في قراءتها يشعر بان هذه الانطباعات انما هي من خلق الراوي الحقيقي - المؤلف وليم جولدنج ، ليظهر كم التقزز والنرجسية والمعصية التي لا سبيل لدفعهـا . انه يفعـل ذلك بمقـدرة كبيرة وبموهبة عظيمة من احد رجال المهنة .

إن لدى باركلي مثل هذه الموهبـــة بمساعدة المبدع نفسه . فهل نقبل مثل هذه المحاولة ؟

لقد ارتقى باركلي من أصل متواضع ليصبح مشهوراً ثرياً ، بفضل روايته الأولى « المرفا البارد » التي كتبها بعد الحرب مباشرة . لقد تزوج عدة مرات ، وكان له عدة عشيقات واصبح عضواً في نواد عديدة . كان يفهم طيب الحياة ، ويتمتع بالسفر واللهو . وقد بلغ حبه لهما حد الهوس .

وهو الآن هدف « شرعي » لجيوش الاساتذة الاكاديميين . وتبدأ احداث الرواية ، باحدى زوجاته ، ويقوم أحد مدعي كتابة السير الأمريكيين « بالاستيلاء عليه » ليكتب سيرة حياته !

لكن هذه العلاقة بين الروائي وكاتب سيرته ، تصبح علاقة مدمرة للطرفين . فالبروفيسور كاتب السير الأمريكي قد رهن مستقبله كله على انجاح انقلابه في حياة الكاتب الروائي . وفي محاولة من الكاتب لحماية نفسه ، يجد أن عليه ان يواجه طبيعته كما لم يفعل في رواياته أبداً .

الهرب ! هذا هو الطريق . أهو يريد الهرب حقاً ؟ إن الهرب يفضي الى إذلال إلى حد الاعتقاد بأن يديه وقدميه تظهران ندوباً. ويعرض كاتب السير الأمريكي زوجته ! أهو يفعل ذلك حقاً ؟ أم أنه يدعي ذلك ؟ إن إهانة النفس تقيدهما معاً وبشدة حتى النهاية المفاجئة .

وكما يحدث عادة في روايات وليم جولدنج ، فالافراط يدل على الكثير ، أكثر من مجرد كونه معقولا . فالأكاديمي الأمريكي ريك كاتب السيرة يمكن أن يكون صورة كاريكاتورية ، لأن باركلي صوره هكذا . « إن فيه هذه الصفة المشتركة مع الجنس البشري باكمله . لقد كان غير معقول أبداً بشكل لا يصدق » !

ومعنى هذا أن باركلي يسعى سعياً حثيثاً الى أن يدفعنا الى الايمان به . « فلقد كان من غير المعقول أن تضع ريك تاكر الحقيقي ، الحي ، بين دفتي كتاب » ! اما زوجته فقصة أخرى .

« كانت لا تزال في نشوة الزواج ! كانت عامرة بالابتهاج الحقيقي ، فيما كانت تعرفه ولم يكن لأحد غيرها أن يدركه . الابتهاج النسوي بالعطاء ، بأن تعرف مملوكاً عبداً ، وأن تعلم أن عليك أن تحفظ ذلك كسرمن الرجل ، في نفس اللحظة التي تبتهج فيها . أن تجعليه يعتقد بانك منهمكة بما تعرفين . ان هذا هو لب الحياة الانسانية » .

●●

ان باركلي لا يتنازل بشيء لحرية المرأة لكنه يستطيع أن يدخل (مسز تاكر) حقيقية حية في الكتاب . وربما يكون مقصوداً ألا يكون باركلي من الاملال بحيث يقحمنا في

ورطته هذه . فكبار الكتاب الذين يتجولون بلا عمل ، مملون للغاية . غير ان هذا النمط من التصرفات « الطبيعية » قد يكون مملا أيضـاً .

فما هو مرهق في الحياة ، وما هو متعب في التعامل ، لابد من أن يتحـول الى شيء مسل ومثير عندما يتناوله الكاتب ، وخاصة عندما يتناوله في رواية .

يقول جون بايلي الناقد الادبي عن رواية جولدنج الاخيرة « يخيل الي أن جولدنج كان ينوي أن يجعل روايته الاخيرة الجديدة مسلية بصدق ، لكن هذا البطل

وقف في طريقه . فكثيراً ما يتحسر على انغماسه في ذاته كاتمه (- « لقد خرجت من معدن ذائب ») لكن الانغماس في الذات مهما حسن استخدامه هو لعنة الرواية الحديثة » .

ويستطرد قائلا :

« - وفي الحقيقة فقد تكون هذه هي الخطيئة الأولى للرواية ذاتها ، التي حددت بعلاقة اكثر رسمية ، واجتماعية ايضاً ، بين الروائي والقارىء . وفي هذا الجو الرسمي الودود تجد التخمين والتكتم معاً ،

وتجد اجوبة معقولة للأسئلة التي يريد القارىء أن يوجهها ، لكن رغم أن باركلي هو صورة انجليزية لنورمان ميللر نموذج الروائي الحديث كما أن ريك تاكر هو نموذج للبروفيسور الحديث فان سحر وليم جولدنج لا يزال موجوداً ، والحمد لله يشع بنوره عبر قبح زميله » .

ان رواية « أهل القلم » لوليم جولد نج ، تطالبنا بتقدير المغزى الاخلاقي منها ، ونحن ندرك ذلك بسرعة خلال قراءتنا لصفحاتها . « ومع ذلك فان سحر وليم جولدنج القديم موجود » .



وزير الثقافة المصرى اثناء زيارته لجناح دولة قطر ويظهر الفنانان يوسف احمد وحسن الملا .. يرحبان بالوزير

الوحـــدة العربيـــة فنّـــيًّا

كل الزهور الفنية العربية تتفتح في معرض واحد

بقلم : يوسـف أحمـــد

وحدت القاهرة لوحات الفنانين واحاسيسهم ، وجمعت فرشهم وازاميلهم على ضفاف نهر النيل الخالد تحت رعاية وزارة الثقافة المصرية ، ضمن اطار مهرجان الابداع العربي والذي بدأ في مارس الماضي للشعر والقصة وانتهى بمهرجان كبير للفنانين التشكيليين العرب ، ولقد كان المهرجان ملتقى جيداً لجميع الاتجاهات والاساليب العربية المعاصرة ، ولتبادل الآراء وبحث مشاكل الفنانين التشكيليين العرب ، والوضع الراهن لحركة التشكيل موضوعاً ومعالجة .



(منظر شرقي) .. للفنان جعفر أصلاح ـ الكويت



(صرخة) .. للنحات سامي محمد ـ الكويت

الوحدة العربية فنيًّا

لبت نداء المشاركة اثنتا عشرة دولة عربية، ايماناً منها بان باب الفن هو اقرب الابواب للترحيب واعادة المياه لمجاريها السابقة في العلاقات الوطيدة التي تربط هذه الدول بالشقيقة جمهورية مصر العربية، ولعل هذا اللقاء يكون قد مهد للقاء اخر على مستوى سياسي كبير لاعادة مصر الى الصف العربي. ولقد جاء هذا الاهتمام واضحاً من صدق المسئولين عن الثقافة في مصر وعن حسن الاستقبال والضيافة التي قوبلت بها الوفود المشاركة، والالتصاق الحميم الذي يربط الفنانين العرب باخوانهم الفنانين المصريين في ظل عالم الفن التشكيلي الذي يؤمن بالتسامح والمشاركة الوجدانية السريعة بين القلوب.

ولأهمية مثل هذا الموضوع، والنقص الذي يعاني منه الوطن العربي الكبير في الوقت الراهن، جاء هذا البينالي ليضيف الى البيناليات العربية السابقة، مثل (البينالي العربي الأول والذي اقيم في بغداد ١٩٧٤ م، والبينالي العربي الثاني الذي اقيم في الرباط ١٩٧٦ ضمن نشاطات واهداف الاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب، وبينالي الكويت والذي ما يزال يقام كل سنتين مرة في شهر مارس، واقيمت منه حتى الآن ثمانية معارض.

وتعتبر مثل هذه المعارض الكبيرة نسبياً للوطن العربي بمثابة المحك الرئيسي والاساسي للتقييم القطري بالنسبة للقطر الآخر ووضع الحلول المناسبة للرفع من دور الفنون التشكيلية وممارستها بالنسبة للفنان وتطبيقها بالنسبة للجمهور.

استعراض لأهم الأعمال المشاركة بأجنحة الدول العربية

المملكة الأردنية الهاشمية

اشتركت الأردن بفنانين فقط هما توفيق السيد والذي درس الفن التشكيلي في كل من روما ومدريد واقام عدة معارض خاصة داخل وخارج الأردن. والمواضيع التي تطرق لها الفنان مواضيع انسانية تدور حول مصير هذا الانسان، وهمومه في هذا الزمان الثقيل والذي يحمله الانسان على كتفه ولا يستطيع الافلات منه. هذا من ناحية الموضوع اما من ناحية التشكيل فنجد أن الفنان قد مارس التشريح بشكل عميق موظفاً له في مواضيعه الانسانية، ولكن المعالجات اللونية بالفرشاة العريضة حللت عنصري الانسان مع الزمن في متاهات فضاء اللوحة، مكونة بذلك الارتباط والوشاج المشترك بين الانسان والكون.

أما الفنانة الأخرى فهي سامية الزور التي درست الفن في الجامعة الامريكية في بيروت وفي الولايات المتحدة الامريكية واشتركت في عدة معارض بالكويت والعراق ولندن.

وتاتي تجارب الفنانة في هذا المعرض باعمال التصوير والنحت وفي التصوير تدور اهتماماتها حول الاشكال التركيبية للمعمار الاسلامي ومميزات هذه العمارة من اشكال النوافذ والاقواس والمنارات التي تعلو المساجد وكذلك تدخل الخط العربي المقروء مساندة لموضوعها، وتاتي معالجات هذه الاعمال بالألوان الحارة. الاحمر والاصفر، وكذلك تدخل شيئاً من فن التلصيق (الكولاج) في اطراف لوحاتها، وكذا في النحت تهتم بالتركيب مستفيدة بذلك من خامة الحديد بتقطيعها واعادة تركيبها في صورة جديدة. ولقد فازت احدى قطع النحت بالجائزة الثالثة.

ما ينقص الجناح الأردني هو عدم اتاحة الفرصة لعدد أكبر من الفنانين الاردنيين لعرض تجاربهم وبخاصة في هذه المناسبة الكبيرة.

المملكة المغربية

اختفت الأسماء اللامعة في التشكيل المغربي الحديث في جناح المغرب مثل بلكاهية كريم بنانى، المليحي، كما ان التقنيات المغربية ما زالت تسبح في فلك التجربة الاوروبية وبخاصة الفرنسية منها والأسبانية وذلك نظراً للقرب الجغرافي الشديد بين المغرب وهذه الدول. وسناخذ مثالا على ذلك هو الفنان محمد البنائي الذي درس الفن في تطوان بالمغرب، واقام عدة معارض خاصة، كما شارك في عدة معارض في دول أوروبية.

وتدور اهتمامات الفنان في فلك التجريد السوبرماتي المثالي، فهو يتعامل مع السطوح التجريدية ذات البعد الواحد المسطح، ولكن الألوان تاتي حرارية تتميز باصفرار صحراء المغرب والشمس المشرقة بها، كما أن هناك شيئاً من الأزرق الصافي في انحاء لوحاته يتمازج مع الاصفر لتكوين علاقة لونية جيدة، ساعد الفنان في ابرازها بالملمس الناعم لسطوحه.

الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية

جاء جناح الجزائر في هذا المعرض قليلا نسبياً في المعروضات، وفي القيم الفنية التي عالج بها الفنانون اعمالهم فلم تعكس هذه الاعمال ما تميزت به لوحات الجزائر في المعارض السابقة فجاءت بمستوى متواضع وباسلوب مدرسي بالرغم من ان الجزائر والتي ما زالت تعتز بفنانها الكبير محمد راسم وبعض الفنانين الحديثين امثال القريشي ولم نر شيئاً من الانتاج الفني على هذا الشكل.

جاءت المعالجات الفنية للوحات الجزائر بالوان قاتمة ودسمة غرقت في الذاتية الى درجة كبيرة حتى ليصعب على المتفرج اخذ هذه الاعمال بالنقد والتحليل.

جمهورية السودان الديمقراطية

شاركت السودان باثنى عشر فناناً ويتميز كل فنان باسلوبه واتجاهه فهناك التاثيرات الافريقية المسيحية وهناك التاثيرات العربية الاسلامية وهناك التاثيرات الغربية وبخاصة عند الفنانين الذين درسوا الفن في اوربا وبخاصة في معالجات اللون والشكل والمساحة.

وسناخذ مثالا وهو عمل من اعمال الفنان السوداني احمد طه باشا الذي اتضحت في لوحاته الملامح الافريقية وبخاصة في أشكال الوجوه الراقصة التي اتخذت عدة اتجاهات مكونة بذلك التنوع الكثير والقيم التعبيرية في شخصيات الراقصات وجاءت القيم الخطية في العمل لتعطي الانطباع المراد بها وبخاصة في ترديد الايقاعات الافريقية وما يصاحبها من ترديدات في الخط على الشخصيات في اللوحة كما جاءت المعالجات اللونية حارة نوعاً ما ومتسقة بحيث تعطي للعين الراحة النفسية وتؤكد عامل الحركة في اللوحة.

وهناك بعض الاعمال التي عرضت في جناح السودان لفنانين مشهورين امثال احمد شبرين الذي استخدم الحرف العربي كعنصر اساسي في لوحاته.

جمهورية الصومال الديمقراطية

شاركت الصومال بعدد قليل من فنانيها،

ولكن يغلب على أعمال الفنانين الصومـــاليين – نظراً لقصر التجربة الفنية لديهم – الاسلوب الواقعي المدرسي والذي لا يتعدى جدران المدرسة في عرضه ، وانها لبادرة جيدة ان تكون الصومال في هذا المحفل الفني العربي الكبير خاصة وان هذا الاشتراك يعتبر الاول لها . ولقد كان اهتمام فنانيها بالمواضيع التي تمس المتفرج الصومالي بواقعية بريئة مثل السوق وما يدور فيه من بيع وشراء وتكدس للناس او حصاد قصب السكر او الحواري القديمة التي نشأ بها الفنان واسقاطات الضوء عليها وما يدور في هذه الحواري من انشطة للناس . وربما وضحت ملامح الفنون التشكيلية الصومالية في معارض عربية قادمة .

الجمهورية العراقية

يعتبر العراق الوجــه المضيء للحركـــة التشكيلية العربية المعاصرة ، وبخاصة فى السبعينات . فعلى ارضه انشىء أول اتحاد للفنانين التشكيليين العرب ، وعلى ارضه اقيم أول بينالي عربي عام ١٩٧٤ ، وعلى ضفاف نهر دجلة استضافت العراق اجتماع الامانة العامة للرابطة الدولية للفنون التشكيلية ، كما أن تاريخ العراق الزاخر اعطى الالتفات الجدي للمسئولين عن حركة الثقافة والفن وتعديمها على جميع انحاء القطر .

فانشاء أكاديمية الفنون الجميلة ، ومعهد الفنون الجميلة ، والجامعات الفنية والروابط الثقافية اعطت الفنان العراقي الارضية الصلبة للتحرك ، فجاءت التجارب غنية ومتنوعة في الاسلوب والموضوع .

وجاءت مشاركة العراق في هذا التجمع العربي بعدد وفير ضم جيلين من الفنانين منهم الرواد امثال فائق حسن واسماعيل الشيخلي وشاكر حسن آل سعيد ، ومنهم الشباب امثال رافع الناصري وسلمان عباس .

وسناخذ مثالا لجناح العراق لوحة الفنانة ليلى العطار والتي انجزتها مؤخراً ، وهي عبارة عن فتاة شاردة في وسط غابة موحشة . وتعتبر المعالجة اللونية للوحة ناضجة وتنم عن خبرة الفنانة في تقنيتها الخاصة في التعاريج التي كونتها بطبقة شمعية على قماش الرسم . وهذه التعاريج خدمت موضوع العمل ، بل كانت أساساً فيه ، وهي عبارة عن تعاريج اشجار الغابة الموحشة بالوان قاتمة ، واما المرأة فلقد لجأت الى جذع احدى الاشجار تتلمس الدفء والحنان والستر من الجو المحيط بها . وتبقى نقطة واحدة عن الجناح العراقي هي أن معظم هذه الأعمال قد عرضت في الاسابيع الثقافية العراقية التي كانت تقام في الدول العربية وفي بيناليات الكويت والاتحاد العام للفنانين التشكيليين العرب .

ولقد كان نصيب الفنانة العراقية الجائزة الأولى على لوحتها في فن الحفر ، وهي الجائزة الوحيدة التي حاز عليها الجناح العراقي . والعمل الفائز عبارة عن وجوه عراقية وضعت في مساحات زمنية ، ولكن التقنية المستخدمة ما زالت بالطرق التقليدية وهي الحفر بالأبرة .

دولة الكويت

كانت معروضات دولة الكويت بحق مفاجأة لجميع المهتمين في مجال الفنون التشكيلية ، فهذه الدولة الخليجية التي لم يتعد فيها تاريخ الفن التشكيلي المعاصر بمفهومه الحديث الثلاثين عاماً ، استطاعت أن تحصد اكبر عدد من الجوائز . فلقد نال الفنان النحات سامي محمد الجائزة الاولى عن تمثاله (صرخة) . أما في التصوير فكان من نصيب الفنان الكويتي جعفر اصلاح الجائزة الثانية والميدالية الفضية هذا الفنان العائد اخيراً من غربته والتي استمرت طويلا بين كاليفورنيا وباريس ور وما ، استطاع بمفهومه وتناوله الحديث للوحات البيئية التي تميزت بها منطقة الخليج ، وبالبساطة الشديدة التي تنم عن خبرة عريضة واستفادة كاملة من الموروث الفني الحديث وبخاصة من الفنان ماتيس ، نجد أن الفنان جعفر استطاع باللون المسطح غير المعقد ، والذي ينم عن نفسية الانسان الخليجي وبساطته ووضوحه في الموضوع ، أن يغطي مساحات كبيرة مستفيداً بالخلاء ولون البحر الذي تتميز به منطقة الخليج . وكذلك للفنان



وجه من فلسطين للفنان عبدالرحمن المزين

جعفر اصلاح تجارب في الطباعة الحريرية واستفادته بالوحدات البدوية ذات الالوان الحمراء والسوداء والبنفسجية وشكل دلة القهوة والفناجيل مكونا بها جواً سحرياً به رائحة الكويت والخليج .

أما بالنسبة للفنان سامي محمد فلقد حشر حصـــانا داخـل متوازي مستطيـــلات لكي يظهر رأس الحصان فقط والذي يحدث صرخة مدوية تسمعها عند اقترابك من التمثال ، والحصان موضوع كبير تناوله العديد من الفنانين القدماء ولكن القليل منهم ابدع فيه ، ولعل ابرزهم ملاسكز والفنان الفرنسي ديلاكروا ، ولعل الحصان يذكرنا أيضاً بالفنان الهندي مقبول حسين الذي كان شغله الشاغل .

وهناك مردود تعبيري فى عواطف الفنان في تحديده لخروج رأس الحصان دون بقية جسمه من اعلى الصندوق ، وقد يكون ماساة الانسان العربي فى هذا العصر ! أو قد يكون الانسان بصورة عامة ، وصراعه مع نفسه أو مع الآخرين . هكذا نستشف احساس الفنان سامي محمد .

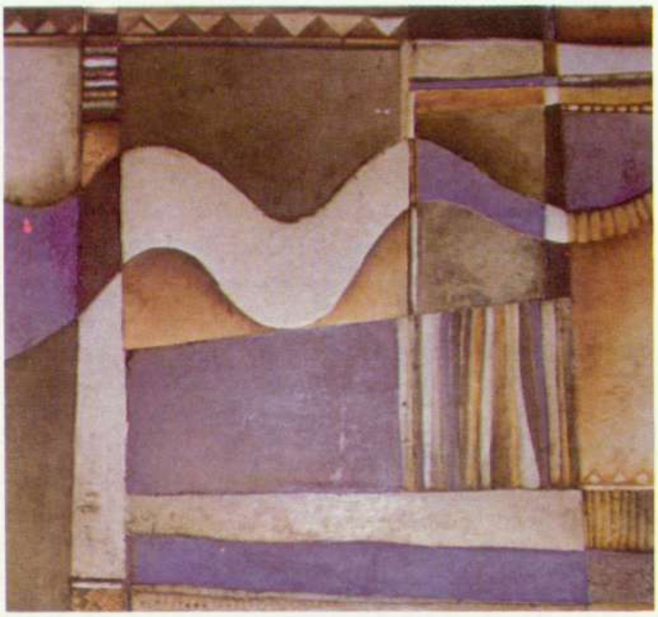
ولقد نجح الجناح الكويتي في ان يجمع كافة أشكال الفنون التشكيلية ولذا استحق جائزة احسن جناح . فلقد جمع التصوير والنحت والحفر والرسم ، وهناك تمثال يستحق منا الوقوف ، وهو القلب الجريح للنحات الكويتي جاسم بوحمد ، إذ وفق النحات في ايجاد التوليفة بين خامة الخشب والألمونيوم وان هذا القلب بهذا الحجم الكبير يثير فينا تساؤلا كبيراً وبخاصة في تفريعاته وتعقيداته .

وبهذا المستوى الفني الذي وصلت اليه الكويت يعتبر بحق دوران المؤشر الثقافي والفني متجها الى دول الشرق العربي .

جمهورية مصر العربية

تنفرد معروضات مصر بالكثرة وبالتقنيات الحديثة والمواضيع المختلفة ، لما لمصر من مكانة مرموقة في الوطن العربي ، اذ تعتبر هي الدولة العربية الوحيدة التي ولدت بها أول كلية للفنون الجميلة ١٩٠٨ . ولا يخفي ذلك على القارىء للحضارة الفرعونية العريقة وما تبعها من الحضارات القبطية والاسلامية ، هذا من جهة ، ومن جهة اخرى القرب الجغرافي من أوربا واهتمامات العائلة المالكة آنذاك بتشجيع الفنون بشتى انواعها تمشياً وتقليداً لأوربا ، وبخاصة في المسرح والفنون التشكيلية .

فلذا نرى اليوم أن مجموعة محمد محمود خليل الفنية تتميز باعمال الفنانين العالميين امثال انجر وديلاكروا وسيزان وبسارو وفان كوخ وغيرهم . وفي هذا الجو نشأ الفن التشكيلي قوياً معطاء على أرض مصر .



(تكوين)
للفنان محمد
بناني - المغرب

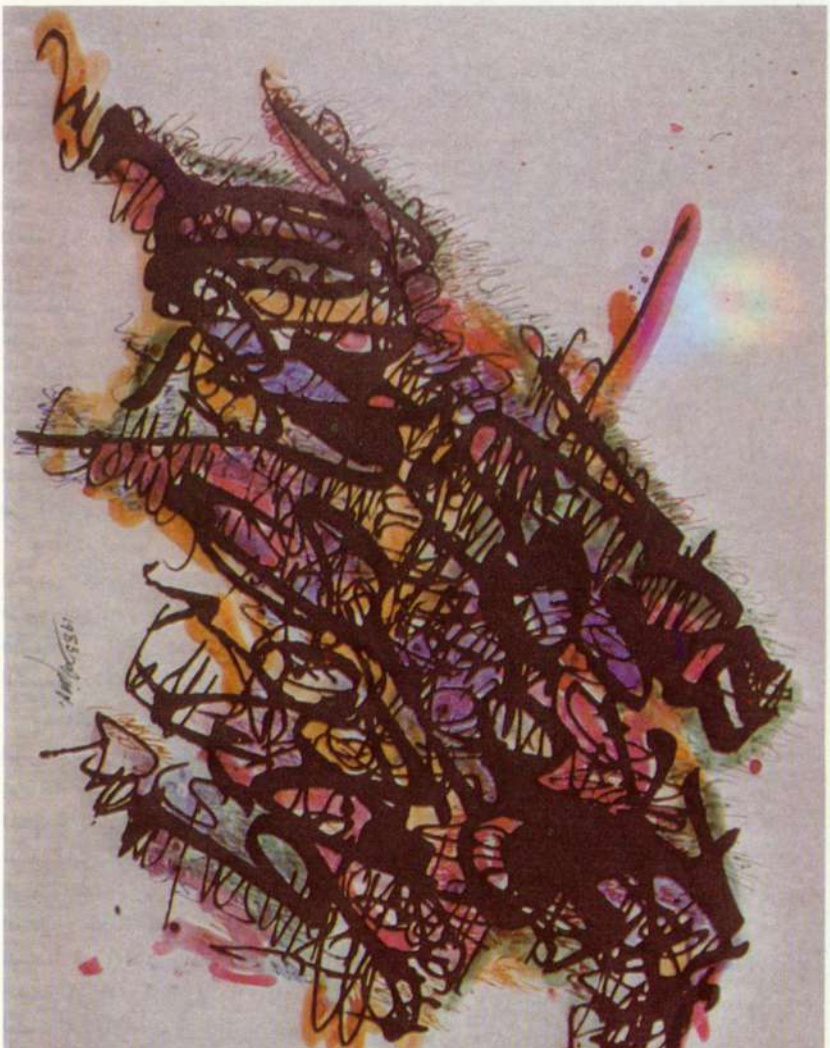


من اعمال
الفنان توفيق
السيد - الاردن



من أعمال النحات محمد سيد توفيق - المغرب

وجاءت أعمال الجناح المصري لتعكس أساليب عديدة .. فنرى الفنان السيريالي حامد ندى يعرض خمسة اعمال له تدور حول السحر والشعوذة ، ومعالجاته تنم عن خبرة ودراية كبيرة باللون . ولا ننسى انه كان احد المؤسسين لجماعة السيرياليين مع المرحوم عبدالهادي الجزار ، وكذا الفنان الدكتور مصطفى الرزاز الذي وصل بدراساته العميقة لشبابيك القلل وتحويرها الى رصيد تجريدي لا ينتهي وكذا ايضا المصور فاروق وهبة الذي صاغ بلغة الفرشاة تكويناته التجريدية المعتمدة على الحس الشرقي .



لوحة من اعمال الفنان يوسف احمد - قطر

الوحدة العربية فنّياً



من اعمال الفنان خميس سونيا ـ سلطة عمان



من اعمال الفنان احمد طه باشا ـ السودان

وبرز الفنان كنعان صاحب الجائزة الاولى في التصوير بفن التلصيق او بما يسمى (الكولاج) فنرى الوحدات الاسلامية متعايشة مع الجو الحديث الذي صاغه الفنان حولها ، ويأتي هذا الاسلوب متمشياً مع التقنيات التي تتداولها اوربا حالياً .

كما برز الفنان المصري عدلي رزق الله بمائياته وتكويناته الشفافة ليعطي تنوعاً آخر للاجناح المصري .

أما الحفر فقد كثر عارضوه ، فمنهم الفنان الشاب حازم فتح الله الذي وضع وحداته في جو سريالي مستخدماً امكانيات الاحماض في الحفر ، كما أن الفنان فتحي احمد صاحب الجائزة الثالثة قد قدم تجارب الحفر على الخشب بطريقة فريدة مستفيداً من تعريجات وشقوق الخشب في مواضيعه . وهناك الحفار الدكتور فاروق شحاته والذي كانت محفوراته السابقة تعتبر ترديداً للعبقرية الالمانية وبخاصة عند الفنان العالمي أدوارد مانج وخاصة في وجوهه ولكنه في معروضاته يقدم لنا وحدات تجريدية انجزها بالطباعة الحريرية .

وتأتي الفنانة المصرية مريم عبد العليم فريدة باسلوبها فهي الوحيدة التي قدمت محفوراتها على الحجر مستخدمة امكانيات الخط العربي وبعض قصاصات الجرائد .

أما بالنسبة للنحت ، فالتاريخ المصري عريق في هذا المجال وقد قدم النحات صبري ناشد تجربة تجريدية بالخشب نالت اعجاب كل من رآها . فهي عبارة عن تطويع خامة الخشب وجعلها مادة هلامية التشكيل حسب التصميم المراد . فلذا نال الجائزة الثانية في النحت . وهناك تجارب اخرى بالجبس وبخاصة النحّات محمد سيد توفيق . فموضوع هذا الفنان هو الطفل في مرحلة الولادة ، والتشكيلات التكويرية التي تخرج منها وخاصة في الانحناءات والتدوير . وقد طوع الفنان خامة

الوحـــدة العربيـــة فنّـــيًّا

الجبس لتعطي الغرض الكامن فى الموضوع . وهناك تجارب أخرى في الجناح المصري بخامة الحديد الملون بلون البرونز .

ويعتبر الجناح المصري بحق جناحاً متعدد الامكانيات والتجارب الفنية من حيث الاساليب والمواضيع والتقنيات .

دولة البحرين

كان جناح البحرين من اكبر الاجنحـــة بالمعرض وذلك للعدد الكبير من الفنانين المشاركين ، وكذلك عدد الأعمال . ولعل هذا الكم جعل جناح البحرين متواضعا رغم ان الفن التشكيلي في البحرين قديم ويعتبر اقدم حركة تشكيلية موجودة في منطقة الخليج العربي .

جاءت اعمال الفنانين البحرينيين ملتصقة بموضوع البيئة وباسلوب شبه تقليدي مدرسي إلا ان بعضاً من اعمال فنانيها شذ عن ذلك بتطرقه لمواضيع انسانية تهم الانسان العربي والانسان عامة مثل الفنان عبدالحميد احمد سعيد ، وحامد عبيداليماني ولكن ما ينقص هؤلاء هو تقديم هذه المواضيع بتقنيات عالية .

إلا ان الفنان الرائد كريم العريض يقدم لنا (تجربة) ناضجة . من حيث التكوين المحكم ولغة الألوان والمساحات المسطحة والتي اخذت الاشكال المربعة والمستطيلة مع الأشكال الدائرية الشفافة ، ولقد كسى الفنان هذه المساحات الملمس الخشن وتبادلها التشكيلي مع السطوح ذات الملامس الناعمة .

وهناك تجربتان بسيطتان في الخزف والنحت بجناح البحرين ، اولهما للخزاف محسن التيتون الذي ينتظر ان يقدم الشيء الكثير في المعارض القادمة والاخرى في النحت للفنان عبدالله امين الذي يستفيد من علاقات الانسان بالآخر في اشكال تجريدية .

دولة قطر

وكانت معروضات دولة قطر قياساً على تاريخها الزمني القصير في الحركة التشكيلية العربية المعاصرة ، معروضات ذات مستوى يفوق هذا الزمن بشهادة جميع من عرفوا تاريخ الحركة التشكيلية القطرية وخاصة بعد إلقاء الفنان يوسف احمد محاضرته عن حركة التشكيل في قطر ، وكـانت الآراء الفنيـــة المتخصصة قد رجحت كفة معروضات دولة قطر عن باقي معروضات بعض الدول العربية ذات الباع الطويل بالحركة التشكيلية .

ولقد شاركت قطر بخمسة وعشرين عملا فنيا لاكثر من خمسة عشر فنانا ، كان ابرزهم الفنان الرائد جاسم زيني وتجاربه الاخيرة في توليف الخامات النافرة والتلصيق مع الالوان الزيتية وبخاصة في لوحته (متحف قطر الوطني) ، كما يقدم يوسف احمد تجاربه الأخيرة في الحرف العربي وبخاصة في تقنية الكراميك بانواعه المختلفة والطباعة الحريرية والحفر على المعادن والحفر على الحجر بالطريقة القديمة .

وقدم الفنان حسن الملا بمواضيعه الانسانية تجاربه الخاصة مثل العودة الى الماضي ولوحة اخرى برزت فيها مشكلة الوطن العربي تحت عنوان (أما آن لهذا الليل ان ينجلي !!) .

وقدم الفنان محمد علي لوحة القناص بتقنية خليطة بين الألوان المائية والباستيل والشمع ، بينما قدم يوسف الشريف لوحة (اسكابة الدكل) اي رفع الشراع قبل الذهاب الى الغوص ، بالوان خليجية هادئة وبمعالجات بسيطة وبخاصة في وجوه الرجـــال . اما الفنانون الآخرون فقدموا تجاربهم الفريدة مثل الفنانة وفيقة في لوحتها قرية المفجر بالالوان المائية ، وسلمان المالكي قدم اسلوبه الزخرفي في لوحته شرقية ، والفنان عيسى الغانم قدم لوحتين عبارة عن ملامح قطرية لعلاقات جيدة بين الوجوه ذات الاقنعة السوداء ذكرتنا بتجارب الفنان الأسباني جويا .

ويقدم الفنان فرج دهام لوحته (المخاض) وهي لوحة طويلة عبارة عن امراة تحجرت من الانتظار . واخيراً يقدم لنا الخطاط علي حسن تجارب اخرى في الكتابة العربية بروح اللونين الأبيض والاسود .

سلطنة عمان

المتتبع للحركة التشكيلية العمانية ، يلاحظ مدى التصاق الفنان العماني ببيئته الزاخرة بجميع انواع الممارسات الانسانية وبالطبيعة التي تتميز بها عمان عن بقية الأقطار المجاورة ،

فنجد هذا الالتصاق واضحاً في اعمال الفنان خميس سوينا الذي يسهب في دراسة شخصيات لوحاته وبخاصة الشخصيات الانسانية ذات الملامح العمانية الكبيرة في السن ،فنجد انه فنان متمكن من الالوان الزيتية وينتظر له ان يكون علامة بارزة على صفحة الفن التشكيلي العماني المعاصر .

فلسطين

حضرت فلسطين باعمال الفنان عبدالرحمن المزين ، والفنان عبدالرحمن فنان عرفته الأوساط القطرية هنا فكان له في الستينات نشاط واضح في الرسوم الداخلية والاغلفة لمجلة الدوحة ، وكذلك للمجلات الاسبوعية التي تصدر في دولة قطر . ولقد اثر الفنان عبدالرحمن المزين على بعض تلامذته القطريين اثناء تدريسه لهم في مدارس الدوحة ونذكر منهم علي الماس الذي كان له نشاط واضح في نهاية الستينات وبداية السبعينات والذي اشترك مع الفنانين القطريين في معرض الكويت الثالث للفنانين التشكيليين العرب عام ١٩٧٣ ، واحمد الحواج الذي يعمل بوزارة الأشغال .

ويتميز اسلوب المزين بالصبر ، ولعل قضيته التاريخية علمته العمل في صبر وصمت وبخاصة في مرحلة دراساته للملابس الشعبية الفلسطينية ، والكوفية والعقال ،ولعل التعلق الكبير للفنان بالتراث جعله يهتم هذا الاهتمام بالدراسة التفصيلية لاعماله ، ولكن هذه الناحية الزخرفية الصماء لا تقلل من شان الشخصية المرسومة وملامح التعبير التي ترافقها .

ويقدم الفنان المزين ماساة بيروت ايضاً بين معروضاته .. وتوضح ملامح الشخوص المرسومة وتعبيراتها التراجيدية هول ما حدث لبيروت وحصارها وتاتي هذه التجربة المرة بالالوان الزرقاء القاتمة متكتلة مع وحدات التكوين لتعطي المعنى المراد به .

بقي شيء اخير بالنسبة لهذه الانشطة المتفرقة هنا وهناك على خريطة الوطن العربي وهو أن تلتفت وزارات الثقافة بالدول العربية لمثل هذه التجمعات وتشجع اقامتها على أراضيها وبخاصة في هذه المرحلة الحرجة التي نمر بها لكسر القيود التي تلتف حولنا .. تحت شعار الفن التشكيلي للجميع .

يوسف أحمد

عن قصـــة شـــعبيّـــة عُمانـــيّـــة

الولد ما يسكت إلا في حضن أبيه

بقلم: يوسف الشاروني ● ريشة: سلطان السليطي

يحكى ان رجلا من اهل عمان اسمه نعمان كان عنده ارض ، وذات عام زرع فيها بذوراً لكنها لم تنبت ، غير انه قال في نفسه : ما في ارض تخفي بذورها . وظل يروي ارضه اشهراً والناس يمرون عليه ويستخبلونه .

وكان حظه ورزقه يتغالبان عليه . حظه يقول : بدوني انا لا يسعد هذا الشخص لأن رزقه يتعبه . والرزق يقول : فليقنع بما هو فيه ، لأن حظه يريده ان يجري وراءه ، وربما يغير من حاله ويغيره عن بلده .

وبعد مدة نقبت البذور الأرض ونمت عيدان لا قيمة لها . ثم جفت هذه العيدان واصبحت يابسة . فما كان من نعمان إلا ان القاها خارج مزرعته بسفح الجبل قريباً من منزله .

وفي يوم من الأيام مر بالقرية صاحب مركب اسمه سلمان ، فرأى هذه العيدان الجافة ، لكنه لمح فيها شيئا آخر ، فقد رآها تحمل الآن جواهر من مختلف الاحجار الكريمة ، فاسرع إلى صاحب المنزل وطلب منه شراء هذه العيدان . ولأن نعمـــان لا يدري ما تحمله فقد استجاب لطلب سلمان ليتخلص منها في مقابل ثمن زهيد ، وسرعان ما احضر سلمان اكياساً ملأها بالعيدان وشحن بها مركبه .

وبينما كان نعمان يستصلح ارضه لزرعة ثانية زاره الحظ ، فلمح نعمان بعض الجواهر وقد سقطت في التربة وتبعثرت هنا وهناك . عند ذلك ادرك ان هذه بقايا ما حمله التاجر ، ولابد انه قد كسب من ورائه الكثير . فباع ما عثر عليه من جواهر واستاجر مركباً عساه ان يلحق بمركب سلمان .

وكان كلما مر ببلد يرسو عليه ويسال عن سلمان حتى وصل إلى مصر . وهناك كلما سال عن المركب في بلد وحكى لهم اوصافه يخبرونه انه مر بهم لتوه في طريقه إلى البلد الذي بعدهم هكذا يرسو ويقلع ، ويقلع ويرسو من بلد الى بلد ، حتى إذا وصل إلى منطقة الميناء لمح مركب سلمان ففرح ، غير انه لما اقترب منها وجدها فارغة من حمولتها ولا احد عليها . فلما استفسر ابلغوه ان صاحبها افرغ في الصباح حمولتها .

فاسرع نعمان إلى ملك مصر وعرض عليه قضيته . وكان التاجر قد باع الجواهر للملك ولم يستلم منه النقود بعد . فارسل الملك إلى سلمان . فلما حضر بين يديه ساله : هل اشتريت هذه الجواهر من نعمان ؟

فاجاب قائلا : بل اشتريت العيدان ، والعيدان كان تحمل الجواهر . عند ذلك أصدر الملك حكمه : يحصل صاحب المركب على اجرة النقل فقط ، ويسترد صاحب الجواهر ماله .

• • •

وبعد ان انتهت القضية بين نعمان وسلمان عرض الملك على نعمان ان يزوجه ابنته ويصبح شمجه (نسيبه) والمال في حوزتهم جميعاً ،

الولد ما يسكت إلا في حضن أبيه

ففرح نعمان ووافق . فامر الملك بالعرس في نفس اليوم .

وبعد إتمام اجراءات الزفاف دخل نعمان على عروسه فلمس ذكاءها وشجاعتها ، كما غمرته بعطفها وحنانها . إلا ان الحظ جاءه في نفس الليلة يقول له : لقد جئتك فانظر اين مكانك الآن ، اصبحت زوجاً لابنة الملك ، وتملك كل هذه الثروة ، ولكن بمجرد خروجك من حجرة الزفاف صباح الغد ستعود الى عملك وبلدك كما كنت سابقـــاً وسيذهب جميـــع ما بيدك .

وفي الصباح ما ان خرج نعمان من حجرة العرس حتى وجد نفسه عند مزرعته بلا زوجة ولا مال .

وعندما ادرك نعمان ان الحظ قد صمم على اخذ ما أعطاه ـ فمن يعطي بلا سبب ياخذ بلا سبب ـ حزن على فقدان ثروته كثيراً وعلى فقدان عروسه اكثر . فمع انه لم يقض معها غير ساعات قلائل ، الا انها كانت تجربة فريدة جديدة في حياته لا ينساها ولا يسلاها . لهذا عاش على امل المثل القائل : الحي يعود .

اما الملك وابنته فاخذا يبحثان عن الرجل الغريب فلم يعثرا له على اثر ولا عرفا سبب اختفائه . وبعد ايام ظهرت اعراض الحمل على الأميرة بنت الملك . فلما ولدت خرج طفلها ـ وكان ذكراً ـ وهو يصرخ . وظنوا ان صراخه على عادة الأطفال ساعة ولادتهم ثم ما يلبث ان يهدأ ، غير انه استمر يصرخ ويصرخ : السنة الأولى والسنة الثانية ... وكلما اخذوه الى طبيب اخبرهم انه لن يسكت إلا في حضن والده .

فطلبت ابنة الملك من ابيها ان يجهز لها مركباً بما فيه من بحارة وخدم وحرس وتموين للبحث عن زوجها ، فالمال مال ابي الولد وما يزال باق منه الكثير . فاستجـــاب الملك لهـــا ـ وكان صراخ حفيده المستمر يؤثر في قلبه مرة ويصدع دماغه مرة اخرى ـ ومون المركب تموينا شاملا .

اما الأميرة فركبت المركب بعد ان تزينت بزي ملك شاب . وكانت تمر على كل بلد وتستضيف اهله والناس يستقبلونها باعتبارها ملكاً . وكان من عادة الأميرة أن تعبر كل يوم الممر الخشبي القصير الذي يصل بين مركبها والبر لتقف على الشاطىء وهي تحمل طفلها الصائح لتستقبل رجال البلد واحداً واحداً وترحب بهم وهم يدخلون مركبها ، وتعطيهم طفلها ليمسكوا به ريثما تخرج نقودها من كيس تحتفظ به لتعطيهم هبة منها . حتى اذا حان وقت الغروب تدخل مركبها وتغلقه حتى الصبـــاح .

وكانت كلما مرت ببلد تمكث به ستة ايام او سبعة لانها حريصة ان تسال ما اذا لم يكن هناك اشخاص آخرون لم ياتوا ، بدعوى منحهم نقوداً في الوقت الذي تجعلهم يمسكون فيه الطفل .

واخيراً مرت الأميرة على قرية استضافت اهلها ستة ايام ، وفي اليوم السابع والاخير قال احد الأصدقاء لنعمان ـ لماذا لا تذهب وتاخذ نصيبك ؟ انظر ماذا اعطاني ! وكان نعمان قد عاد متعبـــاً بعد قضـــاء يوم شـاق في مزرعتـــه ، والشمس اوشكت ان تغيب ، والحـــراس يوشكـــون ان يغلقـــوا مدخـــل المركب ، واذا برجـــل قادم يهرول ، فاشارت الأميرة اليهم بالانتظار لكي يحصل



هذا القادم على نصيبه ولا يرجع خاوياً . وعند استقبالها له أعطته الطفل فسكت . عندئذ خفق قلب الأميرة خفقانا شديداً ، وتفرست في الرجل لحظة فعرفته ، رغم انها لم تكن قد رأته في حياتها إلا ساعات في غبش الظلام . ورغم ان شكله كان قد تغير الآن قليلا : أصبح قوامه اكثر سمنة ولونه اكثر سمرة ، وشعره تشوبه شعيرات بيضاء ، إلا ان صوته كان ما يزال هو الصوت القديم . وكادت عيناها تغرورقان من فرط الانفعال وتقع عليه مندفعة لتعانقه وتقبله ، لكنها تماسكت وضبطت اعصابها وسيطرت على صوتها حتى لا يتهدج وهي تطلب منه استضافته ـ وهي بهيئة ملك ـ فسالته .

ـ ما اسمك ؟

نعمان يا مولاي .

ـ أريدك أن تكون ضيفي الليلة .

ـ ارجو ان تعفيني يا مولاي ، فانا قادم من مزرعتي بملابس الحقل كما ترى ، في حاجة الى راحة ونوم اكثر مما احتاج الى طعام ..

ـ الوقت ليل وليس لديك عمل تتعطل عنه ، والليل لم يخلق إلا للمسامرة قبل أن يكون للنوم .

ـ يا مولاي ..

ـ لقد امرتهم باعداد الحمام لك واستبدال ملابسك بعدها نتناول العشاء ونتسامر معاً ..

فلما انتهوا من العشاء ، طلبت منه ان يسليها بالحديث ـ وهو لا يعرف طبعاً لماذا أعاقته عن العودة الى بيته ـ فقال نعمان :

ـ يا ملك الزمان ، ما حدث لي لا يصدقه انسان .

فقص قصته مع الحظ وصاحب المركب وملك مصر والأميرة ابنته .

ـ وهل تستطيع ان تصف لي شكل هذه الأميرة ؟

ـ لا أستطيع لانه لا يوجد مثلها .

ـ لا يوجد احد بيني وبينك إلا انا وانت ، فلا تخف أن تصدقني القول . عندئذ تشجع نعمان وقال :

ـ لو لم تكن ملكاً لقلت انك انت هي ، صوتك قبل شكلك . فتصنعت الأميرة الغضب واخافته وارعبته وهي تصيح فيه :

ـ كيف تصورني زوجتك ؟

فتوسل قائلا :



ـ سامحني يا مولاي ، الم تطلب مني ان اقول لك الحق ؟ ها قد قلته .عندئذ لم تتمالك الأميرة عواطفها ، فخلعت ملابس الملك وعانقته

وفي الصباح تركته يعود الى قريته بحالته الأولى ، بملابسه التي كانت عليه . واعطته نقوداً ليشتري منزلا لكي ينزل فيه الملك الذي هو الأميرة وهي تقول له : المال مالك .

فذهب لشراء افخم منزل في القرية كانوا قد اعلنوا عن بيعه في المزاد لأن صاحبه مات واسرته قررت هجرة القرية . فلما رأى المتزايدون نعمان يدخل المزاد سخروا منه ، لانهم كانوا يعتقدون انه ليس معه ما يشتري به هذا المنزل الذي هو اقرب الى القصر ، فاوقفوا المزاد وتركوه يرسو عليه ، ظناً منهم

ان امره سينكشف ، غير انه ـ لدهشتهم ـ اخرج ثمنه ، فرسا عليه العطاء بثمن اقل بكثير مما لو استمرت المزايدة . ونزلت زوجته الاميرة معه في القصر .

واستشار نعمان زوجته الاخرى فوافقت على ان تعيش معه في المنزل الجديد معتقدة ان الملك اشتراه له ، لكنها بعد قليل اكتشفت الحقيقة وعرفت القصة .

وعندما طلبت الاميرة أن يذهبوا معاً الى أبيها الملك لتزور اسرتها . وافق الجميع على الذهاب . وهناك رحب بهم الملك وعانق ابنته بعد هذا الغياب الطويل ، كما عانق زوج ابنته بعد هذا الغياب الأطول . وعاشو يتنقلون بين المدينة والقرية في هناء وثبات ، وخلفا مزيداً من الصبيان والبنات .

يوسف الشاروني

مسقط

صيف المهرجانات وروايات الاصطياف

حادث هام

وفاة ميشيل فوكو أكبر فيلسوف فرنسي بعد سارتر

الصيف الثقافي الفرنسي هادىء هذا العام وتلك عادته دائماً، ان لكل شيء اوانه هنا، وللثقافة مواسم جيدة تعرفها ويعرفها جيداً اصحابها الذين يتوافق عندهم كل شيء مع قوانين الاستهلاك، ومحددات العرض والطلب. وليس معنى هذا باي حال ان الانتاج الفكري والابداعي يختفي، او ان المعنيين به يتعطلون كلا وانما هناك مجال آخر يظهر فيه هذا الانتاج ويجد فيه صداه الابلغ، ونحن نقصد بهذا مجموعة هامة من المهرجانات الفنية، المسرحية والموسيقية والادبية، ايضاً، التي تتوزع عبر مجموع الخريطة الفرنسية، وعلى الخصوص في المناطق التي يكثر فيها توافد السياح. وان من أهم مهرجانات فرنسا كما هو معروف مهرجان مدينة افنيون للفن الموسيقي وان كان سيعرف عامه هذا صعوبات معقدة، ذات طابع تسييري. ولابد من الاشارة، من الآن، الى تظاهرة ثقافية كبرى انطلقت من اول الصيف وستتواصل الى نهاية الاشهر الأخيرة من هذا العام، وهي تخص الذكرى المئوية لوفاة المفكر والموسوعي الفرنسي ديدرو ومعروف عن الرجل انه كان ذا مواهب وقدرات انتاجية عديدة، في الفلسفة والتاريخ، والعلوم والأدب والموسيقى والرسم، بحيث يكاد يكون له اسهام في مجموع حقول المعرفة الانسانية، وبسبب هذه التعددية فان مناسبات ومجالات احياء ذكراه ستكون وافرة، ومتباينة في تناولاتها، كما لن تقتصر على فرنسا وحدها، بل ستشارك فيها عدة مؤسسات جامعية وهيئات ثقافية من الخارج، من المانيا وانجلترا وتونس، ولنا عودة مفصلة الى هذه التظاهرة الكبرى في ورقة لاحقة.

الى جانب المهرجانات الصيفية يجد القارىء الفرنسي نفسه موجها من قبل دور النشر نحو وجبة بل وجبات خاصة يتم اعدادها خلال السنة لتكون معط استهلاك للصيف، ان قراءة الاستجمام والمصطافات شيء، لا ينبغي أن ينهك الذهن او على الاقل فان هذا هو المنطق الفرنسي الذي يعتبر العطلة مقدسة، دون أن تخلو من القراءة قراءة الروايات والرحلات، وبالذات الروايات التاريخية وروايات الخيال العلمي التي تجد اليوم، هنا رواجاً ملفتاً للنظر، وكثير من قصص الاطفال حتى للكبار، بل ما ادهشني أن كثيراً منها موجه للكبار، فيما تكاد الدراسات والابحاث والروايات الاشكالية تختفي من الواجهات، فلا احد يطلب وجع الدماغ في موسم قائظ!

* * *

لكن الصيف الثقافي الفرنسي لهذا العام عرف تدشينه بحدث جلل هز كل الاوساط الفكرية والجامعية، هنا، وما زال صداه يتردد وسيتواصل طويلا بالنظر للمكانة الخطيرة التي يرتبط بها في تاريخ وفاعلية الفكر الفرنسي المعاصر. اننا نعني وفاة الفيلسوف ميشيل فوكو، عند السن السابعة والخمسين، اثر اصابته بمرض عضال، لقد اعتبرت هذه الوفاة مفاجئة، اذ تحل في نهاية شهر حزيران اي بالتحديد في الوقت الذي أصدر فيه فوكو جزئين جديدين من موسوعته الكبرى عن (إرادة المعرفة) فيما صدر الجزء الأول سنة ١٩٧٥. وفاة مفاجئة، ايضاً، لأن هذا المفكر فيلسوف العلوم الانسانية الجديد، كان في أوج نشاطه العلمي، واعتبره الجميع، وخاصة زملاؤه في الكوليج دي فرانس، أعلى مؤسسة علمية فرنسية، حيث درّس منذ سنة ١٩٧١، اعتبروه الرجل الذي استلم مشعل البحث الفلسفي بعد وفاة سارتر، ووفاة المحلل النفسي الكبير جاك لاكان، واختفاء الناقد الأديب رولان بارت، فيما لم يبق من سلالة المفكرين الكبار في فرنسا اليوم سوى كلود ليفي شتراوس.

* * *

ان هنالك، الآن، تهيباً إزاء هذا الفقد، واستشعاراً لثقله لانه يخص مفكراً بدأ مسيرة البحث الفكري، والفلسفي منذ ربع قرن، اي منذ اواسط الستينات حين كانت فرنسا تغلي بالبحث عن الجديد، وتصطرع في امواج التقارب بين رواسب ثقافة هي من اصداء الحرب العالمية الثانية، ومتواصلة مع نظم ثابتة ومستقرة، وثقافة اخرى تنزع شطر نفخ روح التجديد والاجهاز على المفاهيم السائدة في الحقول الفلسفية والادبية والنقدية والسوسيولوجية. ويعرف الجميع، اليوم كيف ان الأحداث التي عاشتها باريس في ايار ١٩٦٨ لم تكن مجرد انتفاضة طلابية، ولكن من مظاهرها ايضاً، تجسيد النزعة التغييرية لجيل من المفكرين لم يعودوا قادرين على التواصل مع المجتمع والعالم والتاريخ بالمقولات والقوالب الجاهزة، لقد كانت الهيديغرية والسارترية والمفاهيم الماركسية قد وصلت عند هؤلاء الى حدودها القصوى، وما باتوا يبحثون عنه هم امس يتصل بالرغبة في تفكيك واعادة تفكيك للمقولات، للمعرفة، لما يعتبر في كثير من الاحوال بدهيا، من اجل نزع القشور عن الخارج والوصول الى اللب الذي هو البنية، ومحاولة رصد العلائق المختلفة التي تكمن بين البنايات، وهكذا، فلا ينبغي النظر الى البحث في البنيات كمسالة شكلية، ولكن



ميشيل فوكو



رولان بارت



ليفي شتراوس

لابد من قياس الأساس المعرفي في هذا البحث ، والذي يتباين ويتفاوت من منطوق الى آخر – وعلى كل فبالنسبة لمشيل فوكو كانت وقفة المراجعة ضرورية لا لتصحيح المفاهيم ،

فان هذه ، بتراتبيها باتت في ذمة التاريخ او العرف أو العادة الذهنية والثقافية . وانما لاعطاء دفعة جديدة ، وغير مسبوقة تهز قلاع العقلانية الكلاسيكية ، والمعرفة الوصفية ، ولكن دائماً انطلاقاً من ارادة المعرفة نفسها ، وضمن المجال الأثير لدى فوكو اي مجال

الابستمولوجيا ، اي تاريخ منظومة الافكـــار وانساقها وسياقاتها الدلالية ، اي هذا الهيكل العلمي المحدد للمعرفة ، وهذا الهيكل أداة تاسيسه ومفتاحه هي الابستمية ، ويقصد بها مجموع العلاقات التي يمكن ان توحد ، في فترة من فترات التاريخ ،الممارسات الفكرية ،

المعرفية المرتبطة بالمجال الابستمولوجي ، بالعلوم ، وبالنظم الشكلانية المختلفة . ان العلاقات يمكن ان تاخذ صيغة النمط او الوحدة التي يمكن اكتشافها لفترة معينة بين العلوم ، وذلك حين تتم دراستها ومناقشتها على أساس الانتظامات المعرفية .

ومن اجل الوصول الى هذا القصد ينبغي اعتبار المعرفة ، عند ميشيل فوكو ، بمثابة خطاب ، انه ليس مجرد المتن المكتوب ، انه القول والمقول في ان وفي تجليات عديدة ولادراك الخطاب لابد من تحليله ، وهذا التحليل لا ينتمي الى تاريخ الأفكار او العلوم . انه بالأحرى دراسة تسعى جاهدة للعثور على الأساس الذي تولدت وانطلقت منه امكانات المعارف والنظريات ، ووفق فضاء اي نظام او نسق تشكلت هذه المعارف ، ومن منطلق اية مسبقات تاريخية ظهرت العلوم والافكار وتبلورت التجارب .

* * *

هذه الأسس النظرية يمكن للقارىء ان يلتقي بها مفصلة ومعمقة في الكتاب النظري ، خطير الأهمية لفوكو ، والذي يحمل عنوان : (اركيولوجيا المعرفة) ، وهو ما يعتبر مرجعاً لا غنى عنه لتتبع دراساته التطبيقية وفهم منهجه في بحث العلوم الانسانية .

اما حقول التطبيق فهي عديدة ومتشابكة ، ولم تنحصر ابداً في فضاء معزول ، لقد جاء فوكو ليقوم بما يشبه بثورة كوبرنيكية جديدة لكن في الحقل الفلسفي ، واذا كان الفلاسفة الماديون قد انزلوا الميتافيزيقا من سمائها وغياهبها الخفية ، فان ميشيل فوكو سعى الى ارجاع الروح الانسانية للفلسفة المادية ، واخضعها للتعامل الواقعي والوقائعي المباشر مع المجتمع ، ومع العالم ، ومن هنا فان ابحاثه كلها استمدت روحها ومادتها من حقل الحياة والنماذج اليومية المعيشية للانسان ، قديماً وحديثاً ومعاصراً ، ان الحداثة ، إذن ، هي المنهج ، هي الرؤيا القادرة على تشميل معطيات ووقائع الانتاج الاجتماعي التاريخي عن طريق قراءة الخطاب الذي انتجته والقوانين الثاوية خلف هذا الخطاب : وابحاث وكتب فوكو : (تاريخ الجنون) .. (تاريخ العزل) (المراقبة والعقاب) (تاريخ العيادة) تعيد قراءة خطاب الماضي ، ضمن قوانين ، وعلى ضوء المسبقات الذهنية والتقاليدية المكونة عنه من اجل الوصول الى جوهر تاريخي وفلسفي عميق لا تنقطع فيه الأصرة بين الماضي والحاضر ، وتتواشج العرى التي تسبك خيط تاريخ المعرفة لا كزمنية مضطردة ، وانما كمنظومة تكون غايتها الكبرى . وهنا ينبغي ان ننتبه جيداً ، غايتها الوصول الى إرادة الحقيقة ، تاكيد وترسيخ هذه الارادة ، فصنع مسبقات ومواصفات المجتمع العصري الاتفاقية ، ان

فوكو كما كان ضد كل شمولية اطلاقية ، وكل تاريخية تكتفي بالوصف ، او كل عقلانية لا تستطيع ان تخترق حدود مجالها الظاهري ، كذلك عمل في ابحاثه على الجهر بحقيقة الانسان كيف ينبغي ان تكون وان لا تغتصبها المقولات الجاهزة ، والقياسات المسبقة . هكذا

من منطلق البحث في المعرفة ينتج التمرد على المعرفة من اجل تحقيق ارادة الحقيقة ، حقيقة الانسان والمفكر معاً ، والصوت الذي يلاحقه في الدرس الافتتاحي الذي القاه ميشيل فوكو وهو يدخل استاذاً بالكوليج دي فرانس كان يفتتح بالعبارات المدهشة التي كانت تبحث عن صوت هو الذي تواصل على امتداد ربع قرن :

(في الخطاب الذي علي ان القيه اليوم ، هنا ، وربما لمدة سنوات ، كنت اتمنى ان امر خفية ، وعوض ان اخذ الكلمة ، كنت اوثر لو غلفتني ، وحملتني بعيداً عن كل بداية محتملة احببت لو انني في لحظة الكلام امام صوت بلا اسم يسبقني من قديم . (...) وبدلا من ان

اكون انا مصدر الخطاب اصبح بالأحرى في صدفة سيره ، فجوة صغيرة . نقطة امحائه المحتمل .. لابد من المواصلة . ينبغي قول

الكلمات ما دامت موجودة ، ينبغي قولها الى ان تعثر علي ، ثم لعلهم قالوني ، لعلهم حملوني الى حافة تاريخي ، امام الباب الذي يفتح على تاريخي ، وساستغرب فيمـــا لو فتح)

من روائـــع
الفن العــالــمي

بقلم: جمـــال قطـــب

عندما يعيش الفنان في الأطياف الوردية

منذ أن استقدم الملك فرنسيس الأول رسام ايطاليا الأشهر ليوناردو دافنشي عام ١٥١٦ ، أصبح الاهتمام بالفن وإكبار شأنه من أهم تقاليد البلاط الفرنسي والارستقراطية الباريسية المترفة .. على أن معظم الآثار الفنية ذات القيمة التي ظهرت في فرنسا خلال القرون الثلاثة التي سبقت الثورة ، كان من ايطاليا أو من بلاد الشمال الاوروبي ولا سيما ما يعرف بالأرض الواطئة (هولندا وبلجيكا حاليا) ، أو مسلوباً باعتباره من غنائم الحرب .

للشعب الفرنسي الذي انفصل عن الفن بنزعة الاستقراطية منذ زمن بعيد .. ولكي يبرهن الملك لويس السادس عشر على مشاركته للشعب في مشاعره اشترى من دافيد احدى لوحاته الشهيرة التي اسماها (قسم الاخوة هوراس) ، وهي مستلهمة من احد المواقف الوطنية في تاريخ الرومان . وهنا نرى كيف ان الملك – لأول مرة في التاريخ – يتملق الفنان ويحس بتاثيراته الوجدانية على جموع الشعب !

.... وتدور عجلة الزمان ... ويتربع (دافيد) على عرش الفن في فرنسا بعد ان احتضنته الثورة واصبح عضواً بارزاً في الجمعية الوطنية واحد اعضاء محكمة الثورة عام ١٧٩٢ .. ويمتد نفوذه الى باقي الدول الاوروبية .. ويفرض مذهبه الفني الجديد الذي اسماه (بالكلاسيكية الجديدة) على جميع فناني عصره .. ويصل من السطوة والنفوذ إلى حد انه جعل الفنانين الفرنسيين يحسون ان المقصلة فوق رقابهم ما لم يهتفوا بسقوط (الروكوكو) وبحياة الكلاسيكية الجديدة .. وهكذا قضى على اجمل المدارس الفنية التى وصلت بالمنظورات الشكلية الى أروع درجات الرونق والتالق الرومانسي الحالم . وخلف لنا ذلك العصر روائع خالدة تحتل اروقة المتاحف العالمية موقعة باسماء أساطين الركوكو من أمثال : واطو – ريجو – بوشيه وفراجونار ... وغيرهم ..

وعلى الصفحة المقابلة .. لنتامل سوياً رائعة فراجونار التي اسماها (الأرجوحة) .. وبعد لحظات .. سنحس اننا نحلق مع الفنان في الاطياف الوردية !

وفي القرن الثامن عشر ، عمت ظاهرة رائعة مثلت نهضة فنية تتسم بالفتنة والطلاوة والرومانسية الحالمة .. ساهم فيها مجموعة من الفنانين العظام هم خير من انجبتهم البلاد الفرنسية .. وقد أوقفوا معظم اعمالهم للبلاط والعائلات الحاكمة والاسر الموسرة . فكان طبيعيا ان تتصف اعمالهم بالرونق والبريق مما يتفق مع هذه النزعة المرفهة فى ظلال النعمة واروقة القصور وفاتنات المجتمع الباريسي المتانق .

وقد عرف هذا الأسلوب الفني باسم (الروكوكو) ، وهذه التسمية مشتقة من كلمة (روكاي Rocaille) الفرنسية ، ومعناها النقوش القوقعية الشكل . وظل الفنانون يحلقون في الأطياف الوردية مع الجمال المثالي الغارق في السرف والترف والأبهة .. وكانهم ليسوا على الأرض ، بعيدين كل البعد عن واقع الحياة وتجاربها .. وصارت نماذجهم اقرب الى البريق الزائف والرونق المصنوع ، فجاءت اشبه بالدمى الجميلة

أو جنيات وفاتنات الميثولوجيات الاغريقية والرومانية ، وشهد عصر لويس الخامس عشر والسادس عشر ومدام دي بمبادور وماري انطونيت ، هذا التحليق الفني الرومانسي في فرنسا .. وبذلك انفصل دور الفنان عن مسيرة الحياة الفكرية والشعبية في البلاد .. فكان لابد من وقفة صارمة في وجه هذا التيار المترف لتصحيح المسار ..

فلما تبدت في الافق بشائر الثورة الفرنسية .. ظهرت موجة وطنية تزعمها فنان شاب هو (لويس دافيد) ، عادت إلى المناهل القومية التاريخية ، ولا سيما بعد ان جرت في ايطاليا حينذاك حفريات أسفرت عن اكتشافات اثرية هامة من الاطلال والتماثيل الرومانية القديمة .. فالهبت هذه الاكتشافات التراثية مشاعر الفنانين ، وانتشر بينهم التهوس بالفن الكلاسيكي الرصين .. واخذ دافيد ينقب في التاريخ الروماني عن الموضوعات التي تؤازر الثورة وشعاراتها واهدافها الوطنية .. فاخرج لوحات كانت بمثابة البعث القومي



الارجوحة للفنان فراجونار احد أقطاب فن الروكوكو

آلة لا يستغني عنها طبيب ولا مريض!

رحلة طويلة من الكفاح الطّبّي انتهت بهذه الآلة الدقيقة

بقلم: الدكتور سامي عزيز

يرجع استخدام المحقن، وهو الاسم العلمي للحقنة، في الاغراض الطبية الى ايام الفراعنة .. فلقد وجدت بعض المحاقن المعدنية والتي تعود الى ايام الفراعنة، كما تم وصفها في البرديات المصرية القديمة، وهي تشبه الى حد كبير ما نستخدمه الآن. فالمحقن اذن اختراع مصري قديم، استخدمه الكهنة في عمليات التحنيط مثل ادخال السوائل إلى الراس من خلال فتحتي الأنف وفي التجاويف الأخرى في الجثة .. فلما كان المخ من الانسجة التي تتعفن بسرعة حرص المصريون على ان يبدأوا باستخراجه من فتحة العظمة المصفوية بالأنف، بقضيب ملوي من النحاس او البرونز على شكل معلقة .. ثم يحقنون باستخدام محاقن معدنية مواد الحشو المؤقتة والتي تستخرج فيما بعد وتستبدل بالراتنج او قماش كتان مغموس في الراتنج المنصهر.

وقد عرف العرب المحاقن واستخدموها في العلاج. واول من وصفها من العرب الطبيب الجراح ابو القاسم الزهراوي، ففي كتاب «التصريف» والذي يقع في ثلاثين جزءاً، وقد نقل الى اكثر من لغة، وظل مرجعاً للجامعات في اوروبا حتى مطلع القرن السابع عشر .. في هذا الكتاب يصف الزهراوي عدداً من المحاقن التي استخدمت في ذلك الوقت في اغراض القسطرة بغرض غسل المثانة البولية او إدخال بعض السوائل فيها او بغرض إزالة الدم من تجويف الصدر او من الجروح.

والمحقن الذي وصفه الزهراوي عبارة عن انبوبة مخروطية الشكل مصنوعة من العظام او من العاج او من المعدن، ويتصل بطرفها من الناحية الأخرى كيس جلدي او مثانة حيوان، وبالضغط عليها يندفع السائل الى الأمام خلال الانبوبة الرفيعة. واما المحقن الشرجي فقد عرف منذ اقدم العصور وعاد استخدامه في القرن الخامس عشر واستمر التطبيب به لمدة ثلاثة قرون .. ويظهر من الرسوم التي تعزى الى هذه الفترة ان المحقن في ذلك الوقت كان شعاراً مميزاً للأطباء.

الحقن في تيار الدم

يعتبر السير «كريستوفر فرن» اول رواد هذه المحاولات، وهذا الباحث الانجليزي الذي تعددت اهتماماته بين العمارة والفلك والكيمياء كان اول من حقن مادة في وريد كلب له وبدأ دراسة تاثيرها على الكلب. كما ان «بويل» الكيميائي الشهير وصف تجربة مماثلة لتجربة السير كريستوفر ويقول عن ذلك في كتاب له بعنوان «بعض الاعتبارات بخصوص الاستفادة التجريبية من الفلسفة»، اذ قام بربط الوريد الفخذي لكلب ثم بدأ في عمل فتحة في الوريد من الناحية القريبة للقلب وادخل خلالها عراق ريشة طائر تنتهي بمثانة حيوان (المحقن الذي وصفه ابو القاسم الزهراوي في كتابه التصريف) ثم قام بالضغط على المثانة فافرغت ما بها من سائل الى تيار دم الحيوان.

ثم قام «السير كريستوفر» باجراء تجربة اخرى امام مجموعة من الاطباء مستخدماً مادة الكينا والتي حضرها له «بويل» واضاف اليها صبغة الافيون، وبعد الحقن قام السير كريستوفر بفك الوثائق من ارجل الحيوانات، فلاحظ انها بدت هزيلة، غير قادرة على الوقوف تتمايل وتترنح ثم ذهبت في غيبوبة طويلة. ويرجع هذا بالطبع الى الافيون الذي دخل الى الدم وظهر تاثيره المثبط على الجهاز العصبي.

ولم تستمر هذه التجارب طويلا اذ لحقت ذلك بعض المحاولات على البشر، واول هذه المحاولات كانت على خادم حكم عليه بالموت، فاستغله الأطباء للتجريب عليه ولكن التجربة – للاسف – باءت بالفشل.

كتب عن الحقن في الوريد

للاطباء الالمان السبق في استخدام الحقن في الوريد كوسيلة علاجية، ومن هؤلاء «يوحنا ماجور» (١٦٣٤ – ١٦٩٣) الذي الف كتاباً عن الحقن في الوريد، كما بدأ في تطوير المحاقن التي تستخدم في هذه الوسيلة فصنعها من الفضة وامكن ضبط كمية السائل المراد حقنه في حدود نصف سم مكعب .. والعجيب ان بعض الاحتياطات الجراحية كانت تتخذ قبل حقن اي مادة في الجسم، فلقد اعتاد الاطباء سحب كمية من الدم قبل حقن اي مادة في الوريد. واشترط «ماجور» في كتابه ان يتم الحقن بواسطة الجراح وذلك في حضور طبيب مختص للتصرف عند الحاجة. كما ان «جون الشولتز» (١٦٢٣ – ١٦٨٨) الف كتابا وضح فيه بالرسم طريقة الحقن، وعدد الكثير من المواد التي يمكن حقنها، كما ذكر الامراض التي تحتاج الى استخدام المحقن في علاجها.

اما «استيمولر» (١٦٤٤ – ١٦٨٣) استاذ الأمراض الباطنية، في جامعة ليبزج فشرح في كتاب له الأسس العلمية للحقن في الوريد، ومن اهم ما اكده في كتابه ان اللجوء إلى الحقن في الوريد لابد وان تكون له دواعيه، ومن هذه الدواعي ان تفقد العقاقير تاثيرها عند اخذها عن طريق الفم او الحالات التي يبدو فيها ان الامتصاص من الجهاز الهضمي محدود وبطيء، لذلك من المحتم استخدام المحقن. واكد على اهمية العلاج بالحقن في الحالات المصحوبة بحمى او صرع او اضطراب بالجهاز العصبي والزهري والتهاب المفاصل ونزيف المخ.

ورغم كل ما كتب عن الحقن في الوريد وما قد يترتب من عواقب بعد الحقن الا ان كل ذلك لا يعد سوى القليل وينقصه الكثير من الدقة. ولكننا لا نستطيع اهماله، إذ امكن – كما سنرى فيما بعد – تطوير العديد من المركبات والعقاقير التي استخدمت في علاج العديد من الأمراض.

مشاكل الحقن في الوريد

لم يكن الحقن في الوريد – في ذلك الوقت – امراً سهلا، فلم تكن هناك ابر رفيعة كالتي نراها الآن، وغالباً ما كان يحدث التهاب وتقيح وربما وفاة بعد الحقن. كما ان الوعاء الدموي الذي

يحقن فيه غالبا ما يتمزق ويحدث منه نزيف تحت الجلد، كما ان الجرعة المطلوبة للشفاء من مرض معين لم تكن معروفة وغير متفق عليها. هذا بالاضافة الى بعض المشاكل التي اثارتها الكنيسة التي اعتبرت الحقن في الوريد من الامور المحرمة ورغم كل هذه المشاكل لم يتوقف استخدام المحقن في العلاج.

وفي وسط القرن السابع عشر بدأ عدد من الباحثين الألمان والايطاليين والفرنسيين والانجليز تجاربهم على بعض الحيوانات،

وركزوا بحوثهم في دراسة تاثير حقن المواد المختلفة في تيار الدم وما يصاحب ذلك من تغيرات. والحقيقة ان هذه التجارب كانت في غاية الفائدة اذ امكن من خلالها معرفة خطوات تجلط الدم، كما تبين لهم ان حقن الهواء في تيار الدم يمكن ان يحدث وفاة. ووصف الطبيب الانجليزي «وليم كورتين» سنة ١٧٠٢ اعراض الانبثاثات (السدادة) الدهنية التي قد تدخل الدورة الدموية ..

السوائل المعوضة

وفكرة تعويض فقد الدم بحقن سوائل ليست بفكرة حديثة .. إذ انها ترجع إلى سنة ١٨٥٠، وفي البداية استخدم اللبن كسائل معوض، ولكن استخدامه لم يستمر طويلا .. وسرعان ما بدأ الأطباء في استخدام سائل اخر تم تحضيره من الماء وملح الطعام، اذ توصل العالم الألماني «هارتوج جاكوب» الى ان

السائل الذي يحتوي على ٩ر ٠٪ كلوريد صوديوم له نفس الضغط الاسموزي المعادل لمصل الدم، ومن هنا بدأ استخدام هذا المحلول الملحي الفسيولوجي كمعوض في حالات فقد الدم. وكان الجراح «سيجموند لنديرر» اول من حقن المحلول الفسيولوجي سنة ١٨٨١ وذلك في عيادته بمدينة ليبزج لتعويض كمية الدم التي فقدتها سيدة عجوز قام بعمل عملية بتر لساقها.

واستخدم المحلول الفسيولوجي بعد ذلك في علاج حالات التسمم بمادة اليودوفورم وغازات المناجم والكلوروفورم واول اكسيد الكربون والانيميا المزمنة والامراض المعدية والجفاف الناتج عن الكوليرا وفي الالتهاب البريتوني والصدمات. والمعروف علميا ان حقن الماء في الوريد يؤدي إلى امتلاء كريات الدم الحمراء بالماء فتنتفخ ويتغير شكلها وتصبح كالكرة، وينجم عن تغير شكلها وزيادة الضغط الداخلي إلى ميلها للانفجار ويخرج ما بداخلها من مادة الهيموجلوبين. اما عند حقن المحلول الفسيولوجي فنظرا لان ضغطه الاسموزي يعادل الضغط الاسموزي لمصل الدم لذلك لا يحدث اخلال في الشكل ولا يتغير الضغط الداخلي لكريات الدم وبذلك لا تنفجر.

المزيد من العقاقير

ومع البحث والدراسة تم تحضير العديد من المركبات والعقاقير، ففي انجلترا استخدم المحلول الفسيولوجي مضافا اليه الادرينالين والأرجوت في علاج الصدمة، وهذه الطريقة ظل استخدامها مستمرا الى وقت قريب. وفي النصف الثاني للقرن التاسع عشر بدات المعرفة بالأمراض المعدية بالاضافة الى اكتشاف التاثير العلاجي لبعض المعادن واملاحها. فاستخدمت الكينين في علاج الملاريا. كما تم حقن مرضى الزهري بمادة البليمات والتي استبدلت فيما بعد بمادة السلفارسان. كما استخدمت مركبات الفضة في علاج التقيح.

الحقن تحت الجلد .. وفي العضل أيضا

واما الحقن تحت الجلد فاول من قام به الطبيب الايرلندي «فرنسيس ريند» سنة ١٨٤٤ فلقد قام بحقن جرام من مادة المورفين تحت جلد مريض يعاني من الم عصبي حاد. وشرح الطبيب الكسندر ود – فيما بعد – طريقة تاثير العقاقير المعطاة بهذه الطريقة فاكد بانها تمتص اولا من مكان حقنها الى تيار الدم ثم يتم توزيعها بعد ذلك في الدورة الدموية. ولقد اهتم الكسندر بهذا الموضوع وقام بحقن ٢٠ نقطة من عقار المورفين تحت الجلد في مريض يعاني من الم عصبي، ويصف ما حدث لمريضه فيقول انه بعد ١٠ دقائق بدا المريض يشعر بدوخة ولم يعد قادرا على التفكير، وبعد نصف ساعة زال الالم ثم راح المريض في نوم عميق. ولكن التجارب التي اجراها بعد ذلك اظهرت ان بعض المواد مثل الزئبق عند حقنها تحت الجلد تحدث التهابات وتقيحات، كما ان هذه المواد لا يتم امتصاصها بالمرة عند حقنها تحت الجلد، لذلك بدا التفكير في الحقن في العضلات .. ويعد الطبيب الفرنسي «الفرد لينون» أول من حاول الحقن في مناطق اعمق من تحت الجلد .. ولقد اختار منطقة الالية للحقن، وهو بذلك رائد الحقن في العضلات.

نستطيع ان نقول ان أول من صنع المحاقن بصورة لائقة للاستخدام هو الطبيب جبريل برافاز سنة ١٨٥٣. وكانت تتكون من ذراع كباس يمكن دفعه إلى الامام والخلف بواسطة سن لولبي داخل اسطوانة زجاجية، وبذلك يندفع السائل الى الامام من خلال مبزلة مركبة بسن لولبي على الطرف الآخر للاسطوانة، وبضبط اللولب المروحي لدرجة معينة او بحسب عدد معين من اللفات فانه يمكن ضبط كمية السائل المراد حقنه.

وقد تم تطوير ذلك فيما بعد. فلقد ظهرت الحاجة إلى وجود تدريج على الأسطوانة الزجاجية لتحديد كمية السائل المراد حقنه. كما ان ذراع الكباس تم صنعها من مطاط صلد معالج بالكبريت، واما المبزلة فتم استبدالها بالأبر الرفيعة ذات التجويف الذي لا يتجاوز حجم الشعرة والذي وصف في ذلك الوقت على انه كذبان الدبور. ثم بدات الاستعاضة عن السن اللولبي الذي كان موجودا في مقدمة الاسطوانة لتتصل به الابرة واستعيض عن ذلك بتركيب الابرة إلى بروز مخروطي صغير في مقدمة الاسطوانة كما امكن – فيما بعد – صنع محاقن كلها من الزجاج الخالص. ولما تم الكشف عن الميكروبات المختلفة المسببة للتقيحات والتسمم الدموي، كان لابد من تطوير المحاقن بحيث يمكن تعقيمها. كما ثبتت الحاجة إلى صنع المحاقن من انواع نقية من الزجاج خالية من الشوائب حتى لا تتاثر العقاقير بهذه الشوائب عند دخولها تيار الدم.

كما تم صنع المحاقن من مادة «البولي ايثلين» والتي تستخدم مرة واحدة ويتم بعد ذلك اعدامها. لانه ثبت ان الفيروسات وعلى راسها الفيروس المحدث للالتهاب الكبدي الوبائي من الممكن ان تنتقل من إنسان إلى اخر، إذ ان هذه الفيروسات لا تتاثر بوسائل التعقيم المعتادة كالغلي وغيرها، ومن هنا قل استخدام المحاقن المصنوعة من الزجاج وبدا العالم في الاتجاه إلى استخدام محاقن البولي ايثلين.

والمحاقن – بدون شك – من أهم وسائل العلاج التي يحتاج إليها كل طبيب .. رغم بساطة تركيبها .. إلا ان هناك رحلة طويلة من الكفاح استمرت لعدة قرون لتصل إلى شكلها الحالي. وهي رغم بساطتها، لا يمكن الاستغناء عنها .. بل من المستحيل إسعاف أي مريض بدون المحقن.

مطلوب .. إعادة كتابة التاريخ

الحضارة العربية أقدم من حضارة الرومان

اكتشافات هامة عمرها أكثر من ألفي سنة

بقلم: حسني شحادة



الجهة الشمالية للسوق من الداخل، وتظهر فيها بعض الدكاكين الامامية والوحدات البنائية، وكذلك المخازن والممرات.

اعتاد المؤرخون ان يسموا تاريخ العرب قبل الاسلام (التاريخ الجاهلي) او (تاريخ الجاهلية) (١) وهو اضعف قسم كتبه المؤرخون العرب في تاريخ العرب، ولا يعدو ان يكون مجموعة اساطير وقصص شعبية، واخبار اخذت عن اهل الكتاب. واستمر تداول العلماء لهذه الاخبار الحديثة التي دخلت على العلوم النظرية، فتفتحت بذلك آفاق واسعة في عالم التاريخ الجاهلي لم تكن معروفة، ووضعوا الاسس للسبل التي توصل عشاق التاريخ الى البحث في تاريخ شبه جزيرة العرب.

ومن ابرز هذه الدراسات العلمية الجادة كتاب (« قرية » الفاو، صورة للحضارة العربية قبل الاسلام في المملكة العربية السعودية) بقلم الاستاذ الدكتور عبد الرحمن الطيب الانصاري. وقامت بنشره جامعة الرياض. وقدمه المؤلف بكلمة لحضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك فيصل بن عبد العزيز، يقول فيها:

(نحن أبناء هذا البلد، لنا تراث، ولنا تاريخ، ولنا أمجاد، فيجب علينا ان نتحرى السبل التي توصلنا الى هذا التاريخ، وهذا التراث وهذا المجد، فها هي السبل واضحة).

وفي تقديم مدير جامعة الرياض معالي الدكتور منصور ابراهيم التركي، يقول:

... (كنت ارى دائما اننا لا نستطيع ان نقدر الدور الثقافي الذي لعبته دولة ما، إلا اذا عرفنا شيئاً عن تاريخها، وعندما واصل قسم الآثار والمتاحف في جامعة الرياض، عمله في (قرية) الفاو، فانه كان في الحقيقة، يبحث عن تاريخ امتنا، وكانت النتيجة ان نجحت الكلية والجامعة في توسيع معرفتنا بتاريخ المنطقة، وجعلته ميسراً للباحثين ..)



لوحة ملونة على طبقة من الجص تمثل شخصية بارزة.

الحضـــارة العربيـــة أقدم من حضـارة الرومـــان

الحضارة في جزيرة العرب

إن الموقع الجغرافي للجزيرة العربية ، جعل منها منطلقا لطرق التجارة منذ ازمان بعيدة موغلة في التاريخ . (٢) وبما ان من الصعب ان نعثر في التاريخ على امة ذات شان كبير في التجارة من غير ان تكون متمدنة ،وبما ان علاقات العرب التجارية العالمية استمرت الفي سنة ، وقد ورد ذكرها في التوراة ، فاننا نقول ان العرب ضربوا بسهم وافر في ميدان الحضارة ، وانه كان لمخازنهم من الاهمية ما لمخازن البندقية في إبان عظمتها . فكان العرب واسطة بين قدماء الاوروبية وبقاع الشرق القاصية ، ولم تقتصر تجارة العرب على منتجات بلادهم ، بل كانت تشمل السلع التي كانوا يجلبونها من إفريقية والهند ايضا . وكانت النفائس كالعاج والعطور والحجارة الكريمة والتبر ، اهم ما يتاجر به العرب .

لقد ضمت جزيرة العرب حضارة من اقدم الحضارات الانسانية ، ويؤكد (غستاف لوبون) في كتابـــه حضـــارة العرب ، (٣) بان العرب قد ظهروا على مسرح التاريخ قبل الرومان بقرون كثيرة ، وانشاوا المدن العظيمة ، وكانت علاقاتهم بارقى شعوب الارض وثيقة .

وكان للموقع الجغرافي لجزيرة العرب اسهام حضاري آخر غير التجارة ، بكونها منطلقا لهجرات متتالية الى وادي الرافدين وبلاد الشام ، ووادي النيل .

لقد بدات هذه الحضارة في الظهور ، بالكشوف الاثرية المتتالية . فهذا الكتاب الذي بين يدينا (قرية) الفاو صورة للحضارة العربية قبل الاسلام في المملكة العربية السعودية ، صورة حية ، لما كانت عليه منطقة من مناطق وسط الجزيرة العربية ، من مستوى حضاري ، في فترة ليست طويلة من عمر الزمان ، ولكنها ذات اهمية في التسلسل التاريخي للحضارة العربية .

(قرية) الفاو

اشتهر اسمها (بالقرية) ، وسميت قرية الفاو لانها تقع على وادي الفاو(٥) ، وهي من اعمال اليمامة ، التي كانت قديما تعرف (جو) وقد عدها يا قوت الحموى في كتابه معجم البلدان (٦) من نجد ، وكانت عامرة ذات قرى ومدن ، وذكر ياقوت ان اليمامة كانت تسمى (جوا والقرية) ، وقد نزل بنو سدوس بن شيبان بن ذهل بها ، ولذلك قيل لها (قرية بني سدوس) .

وقدورد في معجم البلدان (٨) :

(القرية) : من اشهر قرى اليمامة ، ولم تدخل في صلح خالد بن الوليد رضي الله عنه ، يوم قتل مسيلمة الكذاب ، وقال الحفصي ، قرية بني سدوس باليمامة ، بها قصر بناه الجن لسليمان بن داود عليه السلام ، وهو من صخر كله .

وجاء في كتاب (٨) مراصد الاطلاع في اسماء الامكنة والبقاع لصفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي المتوفي سنة ٧٣٩ هـ : (القرية) فيها لغتان فتح القاف وضمها ، وهي قرية بني سدوس ، وفيها منبر وقصر ، ويقال ان سليمان بن داود عليهما السلام ، قد بناه من حجر واحد ، من اوله الى اخره ، وهي اخصب قرى اليمامة ، وبها رمان موصوف ، وربما قيل لها (القرية) ـ بضم القاف وفتح الراء وتضعيف الياء ، وقيل فيها :

لروضة من رياض الحزن او طرف
من القرية جرد غير محـــروث
يفوح منه اذا مج الندى ارج
يشفي الصداع وينفي كل ممغوث

وذكر في كتاب معجم ما استعجم في اسماء البلاد والمواضع لعبدالله بن عبدالعزيز البكري الاندلسي ،المتوفي سنة ٤٨٧ هـ (١٠) :

(القُرَيَّة) على لفظ تصغير ، لبني سدوس ، من بني ذهل باليمامة ، وقال (الحطيئة) يناقض المخبل الذي يقول :

إن اليمـــامة شر ساكنهـــا
اهل القُرَيَّـــةِ من بني ذهـــل
قوم ابـــاد الله غـــابرهم
فجميعهم كـالحمر الطحـــل

فرد عليه الحطيئة بقوله :

إن اليمـــامة خير ساكنهـــا
اهل القريـــة من بني ذهـــل
الضـــامنين لمـــال جارهم
حتى يتم نواهض البقـــل
قـــوم إذا انتسبوا ففرعهم
فرعي واثبت اصلهم اصـــلي

وقال حاتم الطائي :

وتواعدوا شرب القريـــة غدوة
فحلفت مجتهدا لكيمـــا يحبسوا

وقال الزبير بن ابي بكر :

(كانت القرية) بين حرب بن امية ، ومرداس بن ابي عامر وكان مرداس شرك فيها حربا فحرقا شجرا ، وكان ملتفا فيها ، وقيلا هناك جنانا ، فسمعا هاتفا يقول :

ويل لحـــرب فارســـا
مطاعنـــا مخالســـا
ويل لعمـــرو فارســـا
اذا لبســـوا القلانســـا
لتقتلـــن بقتلـــه
جحاجحـــا عنابســـا

فمات حرب ومرداس ، ودفن مرداس بالقرية ، ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن هيعمة السلمي ، فقال في ذلك عباس بن مرداس :

إن القريـــة قد تبين امرهـــا
إن كـــان ينفـــع عندك التبيين
حين انطلقت تخطهـــا لي ظالمـــا
وابو يزيد (١١) بجوها مدفون

وقال امية بن ابي الصلت يرثى حربا ، ويذكر الجنان وكان حرب ابن خالة ام اميه رقية بنت عبدشمس :

فلو قتلوا بحـــرب الف الف
من الجنّـــان والآنس الكرام
رأينـــاهم له ذحـــلا وقلنـــا
ارونـــا مثل حـــرب في الانام

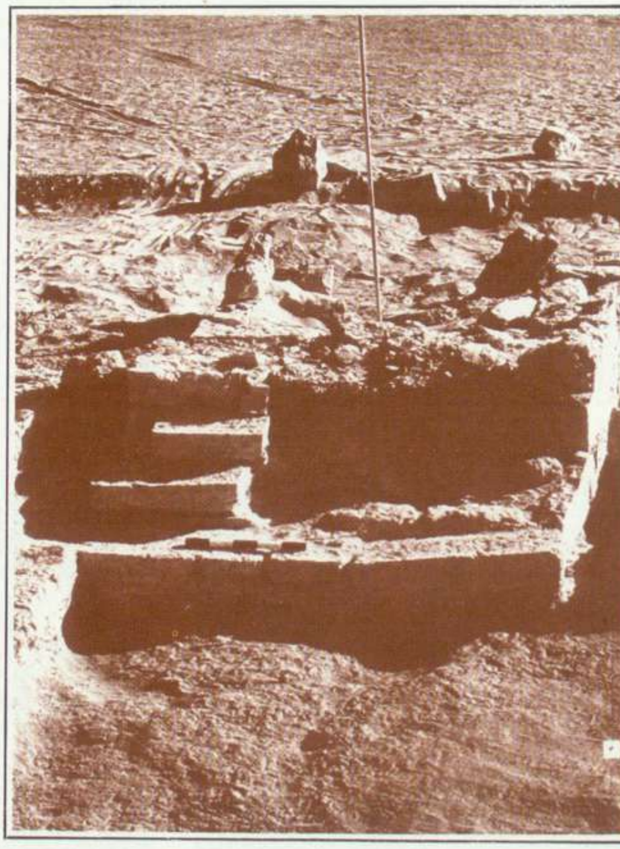
• • •

أهمية قرية

لئن كانت اهمية قرية ناتجة عن موقعها التجاري ، حيث لا تستطيع القوافل ان تسير دون المرور بها ، او ناتجة عن كونها عاصمة لدولة كندة ، التي كان لها دور كبير في تاريخ الجزيرة العربية لمدة تربو على الخمسة قرون ، او انها تحتوي على قدر كبير من آبار المياه من جهة ، ووقوعها من جهة اخرى على واد يفيض بين فترة واخرى ، إلا ان عوامل ازدهارها ترجع الى امور ثلاثة :

الاول : الزراعة :

كان سكان قرية ، على جانب من التحضر رفيع ، فقد اهتموا بالزراعة ، فحفروا الآبار ، وشقوا لها قنوات ، وزرعوا النخيل والكروم والحبوب ، وقد اثبتت



صورة للمعبد اثناء الحفر ، تظهر فيها بعض الوحدات البنائية والساحة الأمامية وجزء من درج غير مكتمل .

(المؤسسة الأمريكية لدراسة الانسان بالتنقيب) ، وجود احواض الاشجار ، منتشرة انتشاراً يدعو الى الدهشة .

وقد اهتم سكان قرية بالثروة الحيوانية المدجنة ، والمصيدة ، فقد سجلت لوحات السوق ، ولوحات سفوح الجبال ، والتماثيل البرونزية ، اهتمامهم بصيد الابل ، والغزلان ، والوعول .

وكان من تحضرهم ان عرفوا الكتابة ، فاستخدموا عظام الابل والمواشي كصحائف للكتابة ، وقد اثبتت هذه الكتابات ، مدى ثراء اهالي قرية ، من لوحات تضم اعداداً هائلة من أسلاب المواشي .

• • •

ثانيا : التجارة

لعبت التجارة دوراً كبيراً في حياة سكان (قرية) ، فنهضت تبعاً لذلك مرافق الحياة المختلفة ، فكانت آثارها الحضارية المكتشفة ، تنم عن تقدم اقتصادي ، وازدهار مدني ، من اسواق وقصور ومقابر ، وكانت قمة التقدم الاقتصادي ، سكهم عملة خاصة لهم ، ضربوا عليها اسم (كهل) كما كانت لهم مكاييل وموازين واختام .

• • •

ثالثا : النواحي العسكرية

(قرية) عاصمة دولة كندة ، وكان لاختيارها اهمية استراتيجية ، فالمظاهر الطبيعية لها ، تشكل وقاية تمنع تسلل الاعداء ، وارتفاعها يكفل لها الدفاع ، خاصة وقد بني حولها ثلاثة اسوار ، وقد سجلت اللوحات والرسومات المكتشفة مدى قوة الدفاع عن العاصمة (قرية) ، كما تضمنت اللوحات ادوات الحرب ، والخيل وغيرها .

آثار (قرية) الفاو

ذكر يا قوت وغيره ، إن اليمامة كانت تسمى (جوا) و(القرية) ، ولا يعقل تسمية اليمامة بالقرية ، لو لم يكن لهذا الموضع شهرة ، وقد كشف المحدثون اهمية هذه القرية من خلال الاكتشافات الأثرية .

فقد نشر (فلبي) (١٢) وبعض رجال شركة النفط العربية السعودية صوراً فوتوغرافية لكتابات ونقوش عثروا عليها في موضع يقال له (قرية الفاو) ... كما وجدوا آثار ابنية ضخمة ، يظهرانها بقايا قصور كبيرة ، ووجدوا كهفاً منحوتاً من الصخر مزداناً بالكتابات والصور ... والكتابات التي عثر عليها ذات اهمية كبيرة لانها اول كتابة باللهجات العربية .. وتعود الى ما قبل الميلاد .

وصور كتاب (قرية الفاو) ، كجهد منظم يصور الحضارة العربية قبل الاسلام في هذه المنطقة ، بلوحات ملونة من الكشوف الاثرية واهمها :

اولا : العمارة ومنها :

١ ـ السوق :

بني هذا السوق على مقربة من الحافة العربية للوادي ، الذي يفصل بين جبل طويق ،بين حدود المدينة ، شرقي المنطقة السكنية ، ويحيط به ثلاثة اسوار ، ويحيط به سبعة ابراج .

٢ ـ القصر :

ويقع غربي السوق مباشرة ، وبه قاعة مستطيلة ، ويحاذي جدران القاعة من الداخل ، دكة مكونة ببروزها الى الخارج شكلا هندسيا بديعاً . وبه اعمدة ، عليها مناظر مرسومة ، ذات اهمية كبيرة في الكشف .

٣ ـ المعبد :

وهو أول معبد يكتشف داخل حدود المملكة العربية السعودية ، وترجع اهميته الى مجموعة التماثيل البرونزية ، التي اعطت المنطقة بعداً حضارياً جديداً ، لم تعطه المعابد الأخرى في جزيرة العرب ، كمعابد اليمن مثلا .

٤ ـ المقابر :

من جملة ما تتميز به قرية الفاو ، تنوع اشكال المقابر ، مما يعكس الفترات الحضارية التي مرت بها ، وتتميز المقابر بانها على ثلاث فئات هي الملوك ، والنبلاء ، وعامة الناس .

فمن الملوك قبر معاوية بن ربيعة ، والقحطاني ملك قحطان ومذحج ، وعبده هفعم بن بران .

ومن النبلاء : عجل بن هفعم ، وسعد بن ارش ، ومسعد بن ارش .

اما قبور عامة الناس فقد كانت عبارة عن مهبط غير منظم ولا مجصص ، وبها كمية من الجرار .

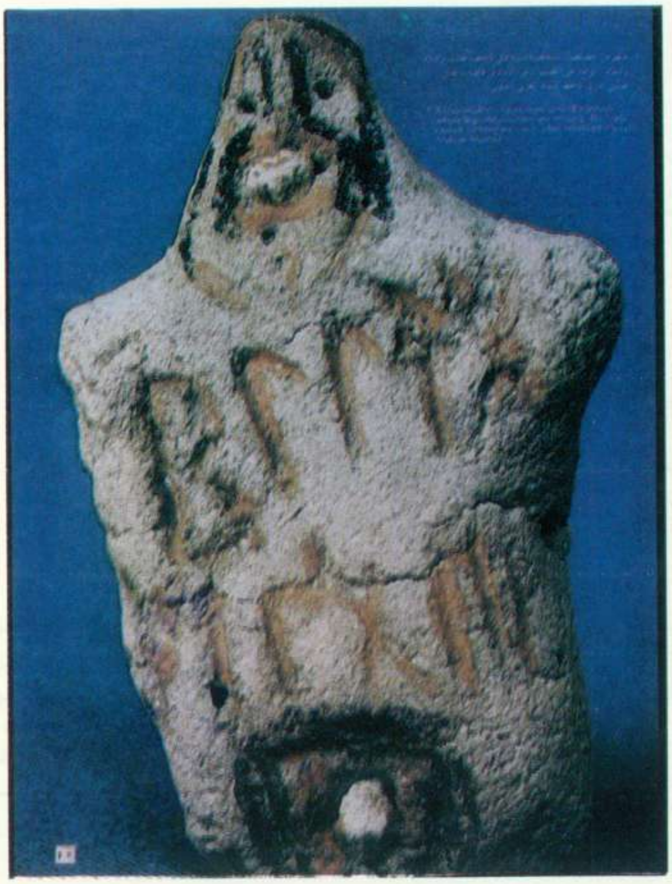
٥ ـ المنطقة السكنية :

وتعد من اهم معالم المدينة ، لانها تضم عناصر هامة في حياة مجتمع كنده ، وتمثل صورة مكملة لتصور المدينة العربية قبل الاسلام .

• • •



رسوم ونقوش على سفح جبل « طويق » « بقرية » الفاو ، وتمثل شخصا يحمل رمحا طويلا ويتمنطق بسيف .. وتحيط به نقوش بالعربية الجنوبية القديمة .



منظر من الصلصال لشخصية دينية .. تمثل شخصا فقدت رجلاه وكتفاه ، وعلى الجسم من أمام وخلف نقش ضئيل البروز بالخط المسند العربي الجنوبي .



سمكة دولفين من البرونز فى حركة إنسيابية



الجزء العلوى لتمثال صغير من الحجر الجيرى ، لشخص يحمل على رأسه مايشبه الصندوق أعلاه تجويف دائرى .

ثانيا : الكتابات

وتعتبر الكتابة من اكثر ما كان يهتم به مواطنو (قرية الفاو) ، حيث كانت الكتابة بالنسبة لهم ، حاجة ملحة ، نظراً لدور المدينة التجاري بين الجنوب والشمال والشرق من جهة ، ولدورها السياسي كعاصمة لدولة كندة ، حيث توجد الكتابة في كل اتجاه ، وفي كل موقع على سفوح الجبال وفي السوق والمعبد واللوحات ، وعلى شواهد القبور ، وعلى العظام والخشب والأواني الحجرية والمرمرية والتماثيل والأوزان والاختام ، والمسكوكات

وهذا مما يجعلنا نقول ان ما تشير اليه كثير من الكتب العربية عن جهل العرب بالكتابة قبل الاسلام . قد جانبه الصواب .

ثالثاً الرسوم الفنية

من مشاهدة الرسوم الفنية يتضح بان



إناءان من الفخار المحروق ، بيضاوا الشكل ، لحمل الماء ، قصيرا العنق ، لكل واحد منهما مقبضان مختلفان .



الظهر المقعر لعملتين من البرونز ، وعليه صور لشخص يقف في الوسط .. الى جانب بعض الحروف بالخط المسند الجنوبي .



اناء من الفخار

فنان (قرية) قد مر بمراحل أربع :

الأولى النقر في سفوح الجبال مظاهر الطبيعة ، ولكن اوضح هذه الرسوم الفذية ، رسم انسان صورته تقارب حجم صخرة كبيرة ارتفاعها حوالي عشرة امتار ، وهو في كامل ملابسه ، كما تنتشر على سفوح الجبال كتابات كثيرة ورسوم مختلفة لمناظر طبيعية وحيوانات وحفلات وغير ذلك .

اما المرحلة الثانية فهي محاولة الرسم داخل المنازل ، حيث تنتشر الرسوم على الجدران .

وفي المرحلة الثالثة نجد الفنان قد اصبح يمثل كياناً له دوره في المجتمع ، فيرسم مشاهد تفصيلية من الحياة اليومية ، وقد وجد ذلك في احد حوانيت السوق .

اما المرحلة الرابعة ، فقد تطور فنان قرية واصبح يستعمل الالوان بمهارة وحذق ، ويخلطها ، مكونا بها عملا فنيا رائعا .

* * *

الحضارة العربية أقدم من حضارة الرومان



تمثال من البرونز لحيوان غريب الشكل يرتكز على قاعدة مستطيلة .

رابعاً : التماثيل

وكما حفلت (قرية) بمظاهر حضارية مختلفة في مجال العمارة ، والرسم والكتابة ، فانها حفلت ايضا بمجموعة من التماثيل المصنوعة من مواد مختلفة ، سواء من المعدن ، أو الحجر الرملي ، أو المرمر او الطين ، او الخزف وقد استطاع فنان قرية أن يمزج بين التاثيرات الخارجية ، وذوقه الخاص ، المنبعث من ذاتية عربية اصيلة ، تعكس بيئته الخاصة ، وذوقه المتميز ، فاخرج لنا بذلك تحفا رائعة .

خامساً : الخشب والعظم والعاج والمنسوجات

وقد كان لسكان قرية اهتمام خاص بالخشب ، لصنع الادوات المنزلية والتوابيت ، كما عثر في قرية على ادوات مصنوعة من العظام والعاج ، ومنها قطع استعملت للحلي ، كالأساور والخواتم والاقراط ، كما استعملت في تزيين المقاعد وفي عمل مقابض الخناجر والاسلحة ، واستخدمت أيضاً للكتابة بمداد أسود أو أحمر ، وهذه أول مرة في تاريخ الجزيرة يعثر فيها على عظام مكتوبة .

وقد دلت الرسوم الجدرانية في منازل قرية ، على اهمية المنسوجات وتقدمها من حيث الصناعة ، من الكتان ومن صوف الاغنام ووبر الجمال .

سادساً : الصناعات المعدنية

كشفت حفريات قرية عن العديد من الأواني المعدنية ، كالقدور ، والسكاكين ، واغماد الخناجر ، والابر ، والمراود ، والمفاتيح ، والاساور ، واهم فئة من هذه الاشياء ، هي التحف الكبيرة والصغيرة .

سابعاً : المسكوكات والحلي والزجاج

لعل من اهم ما عثر عليه من آثار في (قرية) المسكوكات ، وتكمن اهميتها في ان معظمها قد ضرب في قرية ، وكان معظم ما عثر عليه من الفضة ، والبرونز ، تحمل على الوجه اسم (كهل) معبود (كندة) وعلى الوجه الآخر شخص تحيط به احرف من قلم مسند .

كما عثر على قليل من الحلي كالاساور من المعدن او الزجاج او العظام او العاج ، كما وجدت بعض الخواتم الفضية او النحاسية ، وعلى مجموعة كبيرة من الخرز من العقيق والبلور الصخري والياقوت ، والزجاج .

أما معثورات قرية من الزجاج ، فتعتبر معرضاً رائعاً لانواع مختلفة ، تمثل حركة التجارة ونموها ، وتمثل هذه القطع بقايا اوان وادوات زينة ، وفصوص خواتم ، وخرز زجاجي ، وبالوان مختلفة كالاصفر والابيض والازرق والبنفسجي .

ثامناً : الأدوات الحجرية والفخارية

اعتنى سكان قرية باستعمال الحجر ، سواء كان محليا أو مجلوباً من الخارج ، فقد وجد استعمال نوعين من الحجر ، الحجر الصابوني ، وهو الموجود في تلك المنطقة ، وقد استعمل في صنع ادوات الطبخ .

اما النوع الثاني فهو الحجر غير الصابوني ، كالمرمر والكوارتز ، والبازلت والجرانيت ، وقد استعملت في الصناعة لادوات غاية في الدقة والجمال .

اما الفخار ، فقد عثر على كسر فخارية ، عليها كتابات بقلم المسند ، وهي الفخار الخشن الذي يستعمل في صنع القدور والأزيار والجرار ، والزبادي ، والمباخر ، والزمزميات ، والمصافي ، واغطية الاواني او من الفخار الرقيق ، الذي تاتي عجينة ناعمة ، وتحتاج دقة اكثر في الصنع ، أو من الفخار المرجج ، وقد وجدت أواني مختلفة منه كالزهريات والاطباق والزبادي والأباريق وغيرها .

• • •

هذه صورة للحضارة العربية قبل الاسلام في المملكة العربية السعودية ، تنطق بصدق عن مجتمع حضاري عربي ، عاش في تلك الأزمنة الموغلة في الماضي .. حقا انه تاريخ مجيد ... تاريخ امتنا . وهذه الاكتشافات الهامة تدفعنا الى إعادة كتابة تاريخنا من خلال رؤية جديدة .

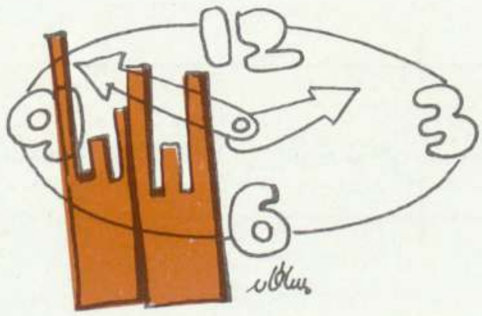
حسني شحاده

هوامش

١ ـ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جا ص ٣٧
٢ ـ حضارة العرب (لغستاف لوبون) ص ٩٥
٣ ـ حضارة العرب (لغستاف لوبون) ص ٩٧
٤ ـ صور من حضارة الجزيرة العربية ص ١٦
٥ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ج ٩ص ٦٧٨
٦ ـ معجم البلدان ج ٨ ص ٥١٦
٧ ـ البلدان ج ٨ ص ٥١٦
٨ ـ معجم البلدان ج ٤ ص ٣٤١
٩ ـ مراصد الاطلاع ج ٣ ص ١٠٨٨
١٠ ـ معجم ما استعجم ج ٣ ص ١٠٧٠
١١ ـ (ابو زيد) كنية (مرداس) أبيه
١٢ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ج ١ ص ١٧٨

أهذا حصاد الزمن الفتيّ..؟

شعر: كمال عمّار



توهمت أني سبقت الحقيقه
بنصف دقيقه
وأني اقمت بدار قرار ....
قوائمها راسيات وثيقه
واني .. واني
توهمت ثم استنمت وعند انتصاف النهار

نخلت دقيق الطريق تطاير لم يبق إلا الغبار
وأدركت أني وراء الحقيقه
بمقدار ما بين حبو الوليد وعدو الجواد
وأن البناء الذي أبدعته الذراع الطليقه
يشيخ – وقبل الأوان – ويأكله النمل ...
ياللهوان ، أهذا حصاد الزمان الفتيّ ...
وغرس السنين الوريقه
أهذا حصاد .... !

* * *

بجمجمة فارغة أبتدىء
وأعلم أني أعود أرود المسار المعاد
وأطرق أسوار أهل الطريقه
وبانت سعاد
ويملأ عيني البريق العتيق ولكن قلبي لا يمتلىء
فأجرى إلى أربعاء الرماد
وأجلس في حافة الكون حيث تذوب الفصول ..
يشيب الزمان الكسول ،
تغيب رؤى السندباد
وأهرب من قبل يغتالني صوت صمت الخواء ..
الرطيب الصدىء

وأرمى بعيني إلى حيث يحمر وجه الأفق
وما هو إلا الضحى والعشية
وأشعر أني ضللت التمني
وان الذي شاقنى كان وهماً
وإن شدني نبضه المجترىء
وان (غداً) ليس ما يزعمون
وان موّهوا وجهه المنطفىء
بزيف المداد

وأذهب (لا أين) كل الطرق
تشابه سيماؤها أو يكاد
وأسماؤها إن بدت تفترق
فعند مصبات نهر الحياة تذوب فواصلها
تستحيل طريقاً وحيداً
بعيداً قريباً
جديبا وريقا .. تساوى المراد
صحوت غدوت حليق الجفون ...
وأغمضت عيني فلم تنطبق
وما من سبيل لعود الرقاد

وذود الضياء الثقيل الثقيل
أسير بحزني جوار الجدار
وأدعوه أن يفعل المستحيل ...
ليدخل فيه كياني النحيل
ويسترني عن عيون الخليقه
فقد صرت إن سرت يجري الصغار
ويضحك مني الكبار لأني ..
توهمت أني سبقت الحقيقه
بنصف دقيقه
و ....

من أوراق الأفغاني

٣



تحقيق وتعليق:
الدكتور علي شلش

ثلاث وثائق خطيرة عن عصر إسماعيل وتوفيق

وثيقة عمرها ٩٩ سنة

إبراهيم المويلحي ومغامراته السياسية في أوروبا

كان لأسرة المويلحي شهرة كبيرة في مصر خلال الثلث الاخير من القرن الماضي والربع الاول من هذا القرن . كان سر هذه الشهرة ان شقيقين من ابنائها لمعا في مجال السياسة والصحافة وهما عبدالسلام وابراهيم .

اما عبدالسلام المويلحي (بك ثم باشا) فكان عضواً في اول برلمان مصري (مجلس شورى النواب) عن مدينة القاهرة ، وكانت له مواقف وطنية مشهودة في المجلس في عهدي اسماعيل وتوفيق.

وأما ابراهيم المويلحي (بك) فقد ادركته حرفة الكتابة والصحافة منذ صباه ، حتى انه اشترك وهو في الثالثة والعشرين من عمره في تاسيس « جمعية المعارف » بهدف طبع الكتب ونشرها ، وانشا لها مطبعة كانت من اقدم المطابع على حد تعبير جورجي زيدان في ترجمته له . وبعد عامين ، اي في عام ١٨٦٩ اشترك مرة اخرى فى انشاء صحيفة باسم « نزهة الافكار » مع الشاعر المترجم محمد عثمان جلال ، ولكن الخديو اسماعيل اوقفها بعد عددين عندما اكتشف انها جريئة اكثر من اللازم ، ثم الحق ابراهيم بمعيته وعطف عليه بالمال ومنحه رتبة البكوية . ولما عزل اسماعيل عام ١٨٧٩ وسافر إلى اوربا لحق به ابراهيم وعمل سكرتيراً له ثم اصدر له صحيفة في باريس باسم «الاتحاد » للهجوم على غريمه وعازله السلطان عبد الحميد . ولكن خلافاً ما لبث ان نشب بين الخديو المعزول و السكرتير الطموح فافترق الاخير عنه وارتبط بجمال الدين الافغاني حتى عام ١٨٨٥ وعند ذاك أصلح علاقته بالسلطان وترك اوربا الى عاصمة الخلافة حيث اقام نحو عشر سنين معززاً مكرماً من السلطان . فقد عينه عضواً في « مجلس المعارف » واجرى عليه معاشاً مجزياً ، وبعدها عاد ابراهيم الى القاهرة واصدر كتاباً بعنوان « ما هنالك » فضح فيه ما يجري في عاصمة الخلافة،وعده السلطان معادياً له فامره بجمع نسخه وارسالها الى الاستانة . ثم اصدر ابراهيم صحيفة باسم « مصباح الشرق » في القاهرة وظل يواليها بطاقته المتدفقة حتى وفاته عام ١٩٠٦ عن ٦١ عاماً .

لقد انطوت شهرة الشقيقين اليوم ولم تعد مرموقة إلا عند المتخصصين ، ولكن مويلحياً آخر ما لبث ان استعاد هذه الشهرة واصبح اليوم صاحبها ، وهو محمد المويلحي ابن ابراهيم الذي عاش مع ابيه في أوربا ، ثم عاد معه الى مصر فالف كتاباً ابقى على شهرة الأسرة واطالها ، وهو كتاب « حديث عيسى بن هشام ».

وأما صلة ابراهيم المويلحي بالافغاني فقد بدات اثناء إقامة الاخير الطويلة بمصر (١٨٧١ ـ ١٨٧٩) واصبح ابراهيم وعبدالسلام من رواد حلقة الافغاني ومريديه . ولما طرد الاخير من مصر وأقام باوربا (١٨٨٣ ـ ١٨٨٥) بعد عودته من الهند اتصل به ابراهيم مرة اخرى وحافظ على صلته به بعد رحيله الى الاستانة وانتقال الأفغاني اليها عام ١٨٩٢ . وخلال تلك الفترة الأوربية التركية في حياة الافغاني والمويلحي تعلق محمد المويلحي (١٨٥٨ ـ ١٩٣٠) بالافغاني واصبح من مريديه . وقد شجعه الافغاني ـ كما شجع كثيرين غيره ـ على المضي في الكتابة الأدبية ، وتبادل معه الرسائل . ومن هذه الرسالة واحدة اثبتها محمد المويلحي في صدر كتابه المشهور السابق .

الوثيقة التالية مسودة مذكرة كتبها ابراهيم المويلحي لرفعها الى السلطان عبدالحميد ، وابدى فيها حسن نواياه للدولة العلية ، وضمنها موجزاً لحياته واعماله ومغامراته مع الخديو المخلوع ودسائس الاخير الرامية لعودته الى الخديوية . ومع انه لا يوجد تاريخ لكتابة المسودة أو بيان للمكان الذي كتبت فيه فمن الواضح انها كتبت في لندن خلال عام ١٨٨٥ ، او على التحديد خلال شهر



ابراهيم المويلحي

اغسطس من ذلك العام كما يتبين من مراجعة اخر واقعة ذكرها ، وهي سفر درموند وولف مبعوث الحكومة الانجليزية الى الاستانة لمقابلة السلطان حول ثورة المهدي في السودان . ومن الواضح ايضا انها كتبت بايعاز من الأفغاني الذي كان قد ضاق بمماطلات الانجليز في محادثاتهم معه حول مشكلة المهدي ، وغادر لندن (حانقـــا على كل ما هو انجليزي) كما قال المستشرق والمؤرخ الانجليزي ويلفرد بلنت في كتابه (جوردون في الخرطوم) ويبدو ان الأفغاني فضل وقتها عودة المويلحي الى حظيرة السلطان ، وان حاملها إليه كان محمد المويلحي الذي سبق اباه الى هناك ، ثم أرسل له خطابا مطمئنا جاء على اثره كما يتبين من المقال الذي كتبه ابراهيم المويلحي (الابن) عن ابيه بمجلة «الرسالة» عام ١٩٣٨ ، بل كما يتبين من رسالة وجدت في أوراق الأفغاني بعث بها إليه المويلحي عقب وصوله إلى عاصمة الدولة العلية ، وفيها يشير إلى انه قدم ترجمة حياته واعماله في لندن إلى القصر لعرضها على «الأعتاب» !

غير ان الذي لم يكتبه المويلحي الابن عن ابيه في أوربا كتبه بلنت في كتابه الذي ذكرناه ، وهو كتاب متمم لكتابه المعروف «التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر» . وفي هذا الكتاب الذي لم ينقل الى العربية للأسف روى بلنت قصة لقاءاتـــه بالأفغاني والمويلحي واسماعيل جودت (مسئول شرطة الأجانب بمصر زمن الثورة العرابية الذي حكم عليه بالنفي الى بيروت ثلاث سنوات في أعقاب محاكمات العرابيين ثم عاش في الاستانة بعدها مقربا من السلطان) . وكان مما ذكره بلنت عن المويلحي انه «رجل ودود متوقد الذكاء» وانه « كان شخصية مشهورة جدا لعبت فيما بعد (بعد ١٨٨٥) أدوارا مختلفة في كثير من الدسائس البارزة في قصري يلدز (قصر السلطان العثماني) وعـــابدين (في القاهرة) وإلى جانب موهبته في هذه الناحية ، التي يذكرني فيها بشخصية فخر الدين في رواية « السقاء » لدزرائيلي ، كان معروفا بانه أمهر لاعب شطرنج في الشرق . ومع ذلك كان ادعاؤه بانه «وكيل المهدي» ذا حظ قليل من الواقع والحقيقة . فجمال الدين وحده كان صاحب النفوذ في هذه الناحية» .

ولكن ما حكاية ادعاء المويلحي هذه ؟

لقد بدات صلة بلنت بالأفغاني في ربيع ١٨٨٣ حين التقى به لأول مرة في باريس . ونشأت بينهما علاقة صداقة دامت نحو عشر سنوات . وكان بلنت يحترمه ويقدره ويستشيره في كل ما يعن له من افكار حول الشرق وبلاد الاسلام . ومع أن بلنت نفسه كان رجلا ثريا ومتفرغا للكتابة والسفر فقد كان على علاقة صداقة وطيدة بكثير من الساسة والدبلوماسيين في بلده منذ عمل في شبابه موظفا في السلك السياسي . فلما نشبت ثورة المهدي في السودان سنة ١٨٨٤ وبعث الانجليز بالجنرال جوردون لتصفيتها فوقع هو نفسه في حصار طويل هاج الرأي العام البريطاني . وتطوع بلنت بان يحل المشكلة ودياً بين الحكومة البريطانية والأفغاني الذي كان وقتها يضع مقالات بالعربية (العروة الوثقى) والفرنسية (انترانسيجان) وسافر بلنت الى باريس بالفعل وقابل الأفغاني لتدبير التفاهم مع المهدي في الخرطوم فاصر الأخير على أن تبدي بريطانيا حسن النية بان تبعث الى المهدي رسالة مع مبعوث خاص . وكان هذا المبعوث الخاص هو ابراهيم المويلحي . فقد رشحه الأفغاني لتلك المهمة ، وكان ذلك في ابريل (نيسان) ١٨٨٤ . وابدى الأفغاني استعداده للحضور الى لندن شريطة الا يعتقله الانجليز . وطمانه بلنت وعاد الى لندن فابلغ اللورد راندولف تشرشل (أمين شئون الهند في عهد جلادستون) بما دار بينهما ، ورتب له لقاء بالأفغاني في ٢٣ يوليو ١٨٨٥ بعد ان شرح له بالطبع موقف الأفغاني وتاريخه وكيف انه على حد تعبيره : «في القائمة السوداء عند الجميع هنا (في بريطانيا) وعدو لانجلترا ، ولكن اذا لم تكن هذه حاله فلا نفع فيه لنا » .

غير ان لقاءات الأفغاني ومشاوراته مع تشرشل ثم مع وولف لم تفض الى نتيجة . وكانت مطالب الأفغاني محددة حصرها في جلاء الانجليز عن مصر ، ومن ثمة تحل المشكلة السودانية تلقائيا واطلاق سراح عرابي المنفي واعادته الى مصر ، وتحالف الانجليز مع الحلف الاسلامي تحت زعامة السلطان العثماني . وتم الاتفاق في الوقت نفسه على أن يسافر وولف بصحبة الأفغاني لعرض الأمر على السلطان ومشاورته ، وحجز بلنت تذكرتين للأفغاني والمويلحي ومنحهما ١٠٠ جنيه لمصاريف الرحلة . ومع ذلك سوف وولف وسافر وحده ، بعد ان غير رايه فجاة ، في اغسطس (آب) ١٨٨٥ .

وبقى الأفغاني والمويلحي في لندن . وفي تلك الاثناء مضى



بلنت في كتابة مذكراته على طريقته في تاليف كتبه . وهذا بعض ما كتبه عن المويلحي :

٢٩ يناير ١٨٨٥

« جرى بيني وبين ابراهيم بك حديث طويل . فقد سالته عما يمكن عمله لتنظيم مظاهرة في مصر ضد توفيق (الخديو) فقال إنه يرى ان توجه عرائض الى الحكومة البريطانية مطالبة بخلعه ، وان هذه العرائض يمكن ان يوقعها علماء الأزهر ما عدا شيخ الاسلام العباسي صنيعة توفيق . ويمكن ان يوقع عليها بعض الاعيان وعدد من شيوخ القرى ، مع التغاضي عن المديرين لانهم موظفو حكومة يتقاضون مرتباتهم من توفيق . واذا ابدت الحكومة الانجليزية ادنى تشجيع لهذا الأمر فان كل رجل في مصر سيوقع على هذه العرائض . اما بخصوص عرابي فكل الفقراء ـ كما قال ـ يؤيدونه ، ولكن الاغنياء لا يريدون سماع اسمه . وقد حثني (المويلحي) على الذهاب الى باريس والتباحث مع جمال الدين » .

(ويتضح من يوميات بلنت التالية ان الحكومة الانجليزية فكرت جديا في إرساله هو نفسه الى السودان لمعالجة مسالة المهدي ، وانها قررت بالفعل ـ دون اعلان ـ الجلاء عن السودان وصعيد مصر مع الاحتفاظ بالاسكندرية وتسليم القاهرة الى السلطان وقواته . ومقابل ذلك يفتح السلطان ممري الدردنيل والبوسفور أمام الاسطول البريطاني الذي سيقوم بمهاجمة باطوم والتقدم الى باكو لقطع الاتصالات في بحر قزوين . كل ذلك بسبب تدهور الموقف في افغانستان . وقد كتب بلنت ذلك في يومية ٢٤ مارس (أذار) ١٨٨٥ ثم استطرد قائلا :)

٢٤ مارس ١٨٨٥

« ... شرح لنا ابراهيم وضع الزبير (باشا) فقال ان السبب الحقيقي للقبض عليه (في مصر) لم يكن اتصاله بالمهدي بمقدار ما كان يتصل بعلاقته بالسنوسيين . فقد توثقت صلته مؤخرا بابراهيم السنوسي قريب السنوسي وممثله في الاسكندرية . اما حسين باشا التونسي (احد اعوان خير الدين باشا المصلح التونسي) فهو مرتبط بالعمل على ربط السنوسيين بالمهدي والانضمام اليه والهجوم باسمه على الفرنسيين في تونس . ويقول ابراهيم انه بالرغم من تعاطفه الطبيعي مع الزبير فقد توقفت هذه الخطة لأنها كانت ستؤدي الى تحقيق مجموعة مصالح بين الانجليز والفرنسيين للقضاء على المهدي» .

٢٦ مارس ١٨٨٥

« ... كتب حليم باشا (ابن محمد علي المطالب بالخديوية والمقيم بالاستانة) الى ابراهيم يبلغه بان اسماعيل جودت وجد عند وصوله الى القسطنطينية رسالة بضرورة حضوره الى القصر ولما ذهب الى هناك تم التحفظ عليه لمدة ١٢ يوما وطلب منه ان يكتب تقريرا عن كل شيء رآه او سمعه او فعله وقت وجوده بلندن ثم أرسل الى داره وتم التحفظ عليه هناك . وهذه كانت طريقة السلطان » .

٤ ابريل ١٨٨٥

« ... تناولت طعام العشاء بفندق واجرام (في باريس) مع جمال الدين . وقرات عليه مراسلاتي مع رئاسة الوزراء (داوننج ستريت) ووافقني على الخط الذي اتخذته ، ولكنه يصر على ان تكتب الحكومة الانجليزية رسالة الى المهدي يحملها اليه ابراهيم ومع ذلك فهو سيفكر في الامر ويقرر بعد يوم او اثنين . فليس ثمة عجلة الآن ، لأن المهدي يستطيع الانتظار اكثر مما يستطيعه مستر جلاد ستون (رئيس الوزراء) » .

وعلى هذا النحو يمضي بلنت في تسجيل وقائع ايامه فيكتب في ٢٣ ابريل ان ابراهيم ابلغه بان الفرنسيين يزمعون ارسال حملة الى المهدي عن طريق طرابلس (الغرب) ويرى ابلاغ ذلك الى الحكومة الانجليزية . ويبدو ان المويلحي كان يشن حرب اعصاب على الحكومة الانجليزية للتعجيل باصدار قرارات للجلاء عن مصر او مغادرة السودان ! ويكتب في ١٤ اغسطس انه يفضل ابراهيم المويلحي على الأفغاني لأنه اجرا منه ، وانه يرى ضرورة سفرهما معا الى الاستانة دون انتظار لوولف ، ويذكر انه حجز لهما تذكرتين واعطاهما مصاريف السفر . ثم يكتب في ٤ سبتمبر ان اسماعيل جودت ارسل للمويلحي ضاغطا عليه للسعي لمقابلة السلطان ، وان المويلحي قرر السفر دون انتظار لجمال الدين ، وان السلطان سمع ان الافغاني قابل وزيرا انجليزيا (تشرشل) وانه يريد الاطلاع على الموضوع عن طريق المويلحي ، وان الاخير غادر لندن بالفعل يوم ٦ سبتمبر متجها الى السلطان . ثم يكتب اخيرا في ٢٣ سبتمبر انه تلقى رسالة من المويلحي يروي له فيها ما حدث له بعد سفره ، وكيف يقيم مع جودت انتظارا لمقابلة السلطان بعد عيد الأضحى .

وبمغادرة المويلحي لندن الى تركيا انطوت مرحلة المغامرات السياسية في حياته ، وهي مرحلة صور الكثير من معالمها ومتاعبها في الوقت نفسه في مذكرته التالية ، ولا سيما في بداية حياته في أوربا تحت جناح الخديو اسماعيل ، ولكن هذه المذكرة جاءت في نسختين مختلفتين ـ كما سنلاحظ ـ إحداهما موجزة غاية الايجاز والأخرى مفصلة ، وربما كانت الأخيرة هي الاهم لما حوته من تفاصيل ومعلومات . وفيها يلقي المويلحي الضوء على شخصية اسماعيل التامرية التي لا تحيا إلا على المكائد والدسائس ، سواء في قمتها او في حضيضها . فاسماعيل هنا «يتامر» على الوزارة المختلطة أو «الاوربية» كما سماها البعض ، مع انه هو الذي شكلها ، ولكن حين سئمت نفسه منها حرض عليها العلماء والوجهاء ، بل افتعل مظاهرة الضباط التي سبق ان اشرنا اليها عند التعليق على رسالة الافغاني الى رياض باشا . كما يلقي المويلحي الضوء على شخصية الخديو توفيق التامرية ايضا ، حتى على ابيه . وقد كانت المكائد والدسائس والمؤامرات من اساليب الحكم التقليدية على اية حال ، وفي ذلك فاق رجل كالسلطان عبدالحميد اخرين كاسماعيل وتوفيق !



عبد السلام المويلحي

ومع أن المذكرة قد كتبت بلهجة تبريرية إذا صح التعبير ، ولا سيما في مواقف الضعف الانساني ، فقد كشف منها عن بعض الوقائع والحقائق المهمة ، ومنها انه ساهم في تحرير «العروة الوثقى» وكتب فيها «بنوداً كثيرة» على حد تعبيره . وبذلك يدعونا الى إعادة النظر مرة اخرى في تحقيق نسبة مقالات الجريدة وموضوعاتها وكلها كان يظهر بغير توقيع . وبذلك ايضاً يكون المويلحي ثاني المساهمين – حتى الآن – في تحرير الجريدة بعد الأفغاني ومحمد عبده . أما المساهم الآخر فكان رجلا ايرانيا غريب الأطوار يدعى محمد باقر بواناتي سبق ان اشار إليه محمد عبده فيما رواه عنه رشيد رضا .

مسودة مذكرة مقدّمة من إبراهيم المويلحي إلى السلطان العثماني عبد الحميد

المعروض لسدة مولانا امير المؤمنين

يعرض العبد للحضرة العلية اني كنت كاتب سر اسماعيل باشا خديو مصر السابق فامرني منذ اربع سنوات بتحرير جريدة الاتحاد في باريس وبعد صدور ثلاثة اعداد منها توجهت من تلقاء نفسي إلى سفارة الدولة في باريس تفاديا مما كان يترتب على ذلك العمل ، ولاتخلص مما امرني به ايضاً عند طلبه لي في فينا من انشاء رسالة وارسلها مع يهودي كان عنده في نابولي اسمه سيمون إلى مكة بصفته مسلم (١) ونشرها على الحجاج .

وعرضت القضية بتمامها على نقولاكي افندي مصلحة جذار الدولة بباريس ، ووعدني نقولاكي افندي بصدور العفو عني من الحضرة العلية الشاهانية فانتظرته شهوراً حتى دعاني الاحتياج إلى تلبية دعاء اسماعيل باشا ثانياً فارسل لي مخصوصا الى باريس وهو حسين باشا التونسي فاحضرني عنده في رومه ، فكنت عاقد النية على الاخلاص للدولة . وقد خدمتها في تلك المدة خدمات كثيرة يشهد لي بها موسيو جليسان قنصل جنرال الدولة في رومه ويشهد علي اخلاصي للدولة و الذات الشاهانية مكاتباتي لعرابي باشا ورسائلي المنشورة في مصر في ذاك التاريخ ، ولكن من سوء بختي واضطراري وعدم قدرتي على الصبر والانتظار بعد التخلص من مخدومي لم اجد بدأ من طاعة امره حيث امرني في هذه الأيام بتحرير النمرة الرابعة من الاتحاد على الكيفية التي هي عليها مع إنشاء رسالة تتضمن شروط الخلافة والبيعة ولوازمها وما حصل في الخلافة والبيعة من حين وفاة النبي لقيام مسلم الخراساني وانتقال الخلافة من البيت الأموي إلى البيت العباسي بدون تعرض لغرض من الاغراض الشخصية . وقصده كان من هذا ان يهيىء النفوس وينبه الأفكار ويجعلها مستعدة لقبول ما يبعث به بواسطة رسله او رسائله لاخذ البيعة له سراً . ولما تبالغ للسفارة في باريس خبر الجريدة خاف وحمل على كاهلي هذا الذنب العظيم كعادته في فداء اغراضه بارواح الناس وأعراضهم كما فعل في اسماعيل باشا المفتش وغيره . ولو كان الفكر مني كما يدعي وكما غش ارباب السفارة فاني كنت اجد بلدة اخرى غير باريس كالسويس (٢) اولندرة اقدر ان انشر فيها الجريدة والرسالة وغيرها ، (واعدا الدولة كثير فكنت اجد ايضاً من يساعد) (٣) ولكن اشهد الله وملا ئكته اني على نقيض هذا الفكر بالمرة ، واني أعلم يقينا أن حياة الاسلام هي حياة الدولة العلية . وقد كتبت بنوداً كثيرة في العروة الوثقى من هذا الباب .

والله (يعلم انه لولا الاضطرار ما اطعت اسماعيل باشا في كتابة حرف واحد ، ولله الحمد لم يشر مما كتبت شيء) (٤) والآن قد حضرت إلى لوندرة ، وساقدم للذات الشاهانية هنا خدمة تشهد باخلاصي ، فالتمس من فيوضات امير المؤمنين العفو عني .

ابراهيم المويلحي



مسـودة أخرى أكثر تفصيلاً

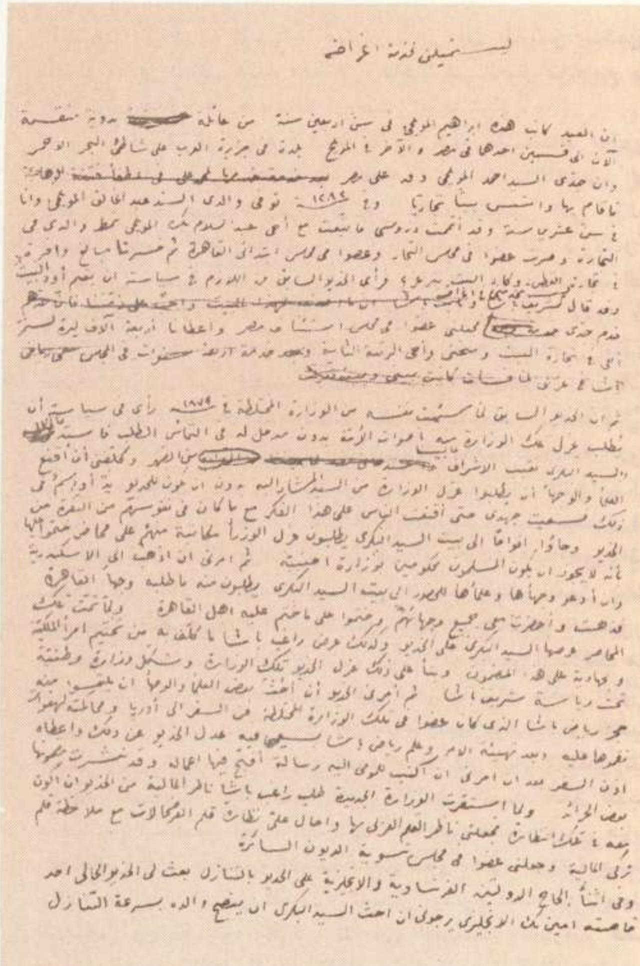
ان العبد كاتب هذه ابراهيم المويلحي في سن اربعين سنة من عائلة بدرية منقسمة الآن إلى قسمين احدهما في مصر والآخر في المويلح ، بلدة في جزيرة العرب على شاطىء البحر الأحمر . وان جدي السيد احمد المويلحي وفد على مصر (بعد خدمة خدمها لمحمد علي في اطفـاء فتنـة (٥) فاقام بهـا ، واسس بيتـاً تجارياً . وفي سنة ١٨٨٢ توفى والدي السيد عبدالخالق المويلحي وانا في سن عشرين سنة . وقد اتممت دروسي فاتبعت مع اخي عبدالسلام بك المويلحي نمط والدي في التجارة ، وصرت عضواً في مجلس التجار، وعضواً في مجلس ابتدائي القاهرة ، ثم خسرنا مبالغ وافرة في تجارة القطن . وكاد البيت يتزعزع فرأى الخديو السابق من اللازم في سياسته ان يقيم اود البيت (ليستميلني لخدمة اغراضه) (٦) . (ليستخدمني في اغراضه) (٧) ، (وقد قال لشريف باشا وثابت باشا (٨) ان ما اصنعه لهذا البيت واجب على ذمتنا ، فان جدهم خدم جدي خدمة مهمة) (٩) وجعلني عضواً في مجلس استئناف مصر ، واعطانا اربعة آلاف ليرة ليستمر اخي في تجارة البيت ، ومنحني واخي الرتبة الثانية (١٠) (وبعد خدمة اربعة سنوات في المجلس سعى رياض باشا في عزلي لمنافسات كانت بيني وبينه فعزلت) (١١) .

ثم إن الخديو السابق لما سئمت نفسه من الوزارة المختلطة في سنة ١٨٧٩ راى في سياسته ان يطلب عزل تلك الوزارة منه باصوات الأمة بدون مدخل له في التماس الطلب فاستدعاني والسيد البكري نقيب الاشراف (١٢) ، لما بيننا من الصهر ، وكلفني ان اقنع العلماء والوجهاء ان يطلبوا عزل الوزارة من السيد المشار اليه بدون ان يكون للخديو يد او اسم في ذلك ، فسعيت جهدي حتى اقنعت الناس على هذا الفكر مع ما كان في انفسهم من النفرة من الخديو . وجاءوا افواجا الى بيت السيد البكري يطلبون عزل الوزراء مكاتبة منهم على محاضر ختموا عليها بانه لا يجوز ان يكون المسلمون محكومين بوزارة اجنبية . ثم امرني ان اذهب إلى الاسكندرية ، وان ادعو وجهاءها وعلماءها للحضور الى بيت السيد البكري يطلبون منه ما طلبه وجهاء القاهرة ، فذهبت واحضرت معي جميع وجهائهم ، وختموا على ما ختم عليه اهل القاهرة . ولما تمت تلك المحاضر عرضها السيد البكري على الخديو ، وكذلك عرض راغب باشا ما كلف به من تختيم امراء الملكية والجهادية على هذا المضمون . وبناء على ذلك عزل الخديو تلك الوزارة وشكل وزارة وطنية تحت رياسة شريف باشا . ثم امرني الخديو ان احث بعض العلماء والوجهاء ان يلتمسوا منه حجز رياض باشا الذي كان عضواً في تلك الوزارة المختصة من السفر إلى اوربا ومحاكمته لهفوات نقموها عليه .

وبعد تهيئة الأمر وعلم رياض باشا بسعيي فيه عدل الخديو عن ذلك واعطاه إذن السفر بعد ان امرني ان اكتب للمومى إليه رسالة اقبح فيها اعماله . وقد نشرت مضمونها بعض الجرائد .

ولما استقرت الوزارة الجديدة طلب راغب باشا ناظر المالية من الخديو ان اكون معه في تلك النظارة فجعلني ناظر القلم العربي بها ، واحال على نظارةقلم العرض حالات مع ملاحظة قلم تركي المالية ، وجعلني عضواً في مجلس تسوية الديون السائرة .

وفي اثناء الحاح الدولتين الفرنساوية والانجليزية على الخديو بالتنازل بعث لي الخديو الحالي احد خاصته امين بك الانجليزي يرجوني ان احث السيد البكري ان ينصح والده بسرعة التنازل خوفا من الخطر على الوراثة ، فاظهرت للرسول ما في تنازل للخديو من الاخطار على القطر المصري بتداخل الدولتين في داخلية البلاد ، (مع ما في هذا من الاجحاف بحقوق الدولة العلية التي هي مالكة لتلك المملكة) ، (١٣) فحقدها على توفيق باشا . ولما تولى الخديوية واستعفت وزارة شريف باشا الزمني اسماعيل ايوب باشا بناء على امر الخديو الحالي بالاستعفاء من تلك الوظائف . ثم حضر رياض باشا من اوربا مترشحا لرياسة الوزارة فحسن لي شاهين باشا وراغب باشا رجال الديوان الخروج من مصر والالتحاق بالخديو السابق ، واحتجا بان بقائي في مصر يعقبه انتقام رياض باشا مني ، فاستاذنت الخديو الحالي بواسطة خيري باشا في السفر لتبديل الهواء . فخرجت من مصر ، وجئت إلى نابولي عند الخديو السابق الذي تسبب عنه كل هذا ، فوجدت عنده خلاف ما كنت أؤمله . وعلمت ان إكرامه السابق لي ما كان طبيعيا (زال بزوال السبب) (١٤) فبقيت تلك المدة على مضض حتى لزم له ان يكتب إلى مشيخة الاسلام بخصوص دخول حريمه الأستانة ، فاحتفل بي واستكتبني شكاية حالتهن لمقام المشيخة الاسلامية . ولما احس باليأس ، وعلم ان لا مكان لدخولهن الآستانة سافر إلى فيشي ، وارسل الى ابنه حسين باشا في نابولي يامره ان يبعثني إليه . فلما وصلت امرني ان أسافر الى باريس وان أستميل إلى اغراضه اديب افندي اسحق محرر جريدة (مصر) بها فسافرت إليها فوجدت الافندي المومى إليه سافر الى بيروت وترك تحرير الجريدة . ولما اخبرت الخديو السابق تلغرافيا بذلك امرني بالرجوع إليه ، وكلفني ان احرر له جريدة بنفسي بدون ان اضع عليها اسمي ، واختار لها اسم (الاتحاد) واملى علي افكاره فتوجهت إلى باريس ، واشتغلت بما امرني به . و (بعد العدد الثالث من تلك الجريدة) (١٥) ارسل إلى ابنه حسين باشا بالتلغراف وكان في باريس يامره ان يبعث بي الى (جرادس) (١٦) بالقرب من فينا انتظر حضوره من وليمة في ضيعة سفر باشا المجر فانتظرته في محطتها ، فاخذني معه الى فينا . وهناك الزمني ان اكتب له رسالة على جدة في مضادة الخلافة . واملى على مضامينها ، (وبعث معي مخصوصا إلى كتبخانة فينا للاطلاع على بعض الكتب (١٧) ولما حررتها طبق امره امرني ان اطبعها في باريس سرا وان ابعث بها إليه . واخبرني انه سيرسلها مع رجل يهودي كان عنده في نابولي من اهل الجزائر اسمه (سيمون) ليسافر بها في زي مسلم إلى مكة وينشرها هناك



الصفحة الاولى من مذكرة المويلحي



الصفحة الثانية من مذكرة المويلحي

على الحجاج في يوم عرفات ، (وعند خروجي من عنده قابلت ابنه حسين باشا ، وكان قد حضر إليه من باريس ، وعلم امر الرسالة فامسك بيدي . وقال لي المثل الفرنساوي المشهور الذي معناه استعمالي آلة في الخطر لغرض الغير (١٨) فتنبهت للامر ورجعت إلى نفسي . وفي اثناء طريقي إلى باريس افتكرت في المسالة طويلا ، وتحققت الخطر فيها ، وعلمت اني بهذا العمل اكون ساعيا في شق عصا الاسلام لمجرد اهواء رجل قد كشفت لي حوادث الغربة معه ان ليس في قلبه ذرة من الايمان ، وانما يستعمل الدين شبكة لصيد اغراضه . ورايت ان لا مناص للتملص من أوامره إلا بالانفصال عنه مع الاحتجاج إليه في الغربة . ولما وصلت إلى باريس لم اجد طريقا لحفظ ديني وذمتي إلا الذهاب إلى سفارة الدولة العلية بها واطلاعها على الأمر ، (و) لعلي اجد سبيلا للخلاص منه ، فاخبرت نقولاكي افندي مصلحة كذار واطلعته على الرسالة ، (وما عندي من الأوراق) (١٩) والتمست أن يعرض حقيقة المسالة على السدة الشاهانية فبشرني (بنوال الرضا على) بكل خير (٢٠) . واستحسن هو

والمتوظف الجهادي في السفارة ابراهيم افندي رائف ان اطبع الرسالة ، وأن اسهل لهم طريقة ضبطها وهي خارجة من المطبعة ففعلت ، وضبطوها بدون أن يكون منها نسخة في الخارج حتى سلمت لهم المسودة ايضا .

ولما بلغ كافي بك كاتب الخديو السابق في باريس ضبط الرسالة بواسطة السفارة والبوليس اعلم الخديو السابق في الحال فاخذه بعض الشك في ، وارسل موسيو فنسان الفرنساوي تابعه فنقلني من باريس إلى (جنيف في السويس (٢١) مع الكاتب الذي كان عندي نقولا رعد . وبعد ايام اعلمني الفرنساوي المومي اليه بان استمر في العمل في جنيف ، فابيت ، ورجعت إلى باريس واحطت علم السفارة بذلك فتحقق الخديو السابق بان الذي حصل من السفارة في ضبط الرسالة كان متفقا عليه معي ، فحضر لي راتب باشا من طرفه مسرعا ، واخبرني ان انتقالي من جنيف بدون إذن اوجب قطع ماهيتي ، واعلمني انها لا تتجدد إلا إذا سلمت له ما عندي من الأوراق . واشترطت على نفسي اني لا اتعرض للخديو السابق . وقد اعطاني الحرية في سكنى اي بلد



أردتها . وعاهدني على ذلك فسلمته الأوراق ، واستمر ابنه حسين باشا يصرف لي الماهية مدة شهرين ثم قطعوها عني ، وانا لا ازال انتظر ما يصدر من السفارة في شاني ، حتى ضاقت بي العيشة . وكاد الاحتياج ينزل بي الى درجة لا ارضاها لنفسي . ولما يئست من نتيجة ما سبق الوعد به من السفارة كتبت إلى شاهين باشا في رومه ابين له غدر راتب باشا بي ، واعلمه ان الاضطرار سيدعوني إلى عمل ما لا يرضونه من نشر مساويهم وتلاعبهم بالاسلام والمسلمين . فاسرعوا بارسال حسين باشا التونسي (٢٢) فاعلمني ان الماهية لا تتجدد إلا بالرجوع إليهم فارضاني الاحتياج بالرجوع على شرط ان لا اكلف بكتابة ما يخالف ديني ومشربي . ورجعت معه إلى رومه . وبما في قلوبهم من الضغائن علي شرعوا ينتقمون مني هناك بانواع التحقير والاهانة . حدثت مسالة عرابي ، فابتدا الخديو يلاطفني ، ويكلفني ان اكتب الى محمود باشا سامي لعلاقة القرابة بيننا ، لاستميله على السماح في دخول حرم الخديو السابق إلى مصر ولعلمي بالنية السيئة التي يريدون لاجلها دخول الحرم إلى مصر ، وخوفي من حصول فتنة بواسطتهن تضر بحقوق الدولة وبمحمود باشا سامي وكثير من المصريين اعلمت الباشا المشار إليه بالحقيقة حتى انبني على ذلك رد الوابور (٢٣) بالحرم من الاسكندرية . ولاجتهاد عرابي في إقناع واسطة الخديو السابق الشيخ حسن العدوي في عدم دخول الحرم اضاع الحزم وقال له : لا يجوز إدخال الحرم بعد ما نصحنا به ابراهيم المويلحي .فوصل هذا الخبر إلى الخديو السابق فكتموه عني . واستشعرت بائتمارهم بشر يوقعونني فيه. وظهرت لي علائم ذلك . (ففي اثناء اشتغالهم بحركة عرابي ومعاكستهم له) (٢٤) فاستحصلت على الأذن بتبديل الهواء إلى (ليقورنة) بلدة في إيتاليا . وقد ارسلت مسيو جليان قنصل الدولة العلية في رومه انبهه على كثير من امورهم ليعرضها إلى محل اقتضائها . واقمت في ليقورنة يصرفون لي ماهيتي الف فرنك بعد ان كانت الفا وثلثمائة .

وفي اثناء إقامتي في ليقورنه حضر السيد جمال الدين الأفغاني من الهند إلى باريس . وبما بيني وبينه من الصداقة ايام كان في مصر حصلت المكاتبة بيننا فاتفقنا على نشر جريدة «العروة الوثقى» فنشرها السيد جمال الدين في باريس يدافع فيها عن حقوق الدولة والملة . ويحث على الوحدة الاسلامية تحت اسم امير المؤمنين ، فكان صدور هذه الجريدة بهذا المشرب غصة على الخديو السابق لمباينتها لاغراضه وتعطيلها على مقاصده . واعتقد ان لي يدا فيها فاستدعاني إلى رومه في العام الماضي وكدرني باللوم كثيرا ، وامرني أن لا ادخل في شيء ولا اكتب شيئا مطلقا فرجعت الى ليقورنه ثانيا . وبعد مدة جاءني حسين باشا التونسي ، وشرع يبين لي ان مخالفة الخديو السابق مقرونة بالخيبة ، سيما وانا في الغربة وزمام حياتي من جهة المعيشة في يده . وذكرني بما جربته في الماضي ، وعرض علي النصيحة في أن اكتب للخديو السابق ما لا تضرني كتابته وتحريره لاجل الاحتفاظ به فقط على بعض اغراضه السياسية ، والا فان الخديو السابق يقطع الماهية حالا . وطلب مني ان احرر العدد الرابع من جريدة «الاتحاد» في باريس . واكد لي انه لا يصير نشرها ، وانما المقصود استخدام اسمها . وسافر معي إلى باريس فاخبرت السيد جمال الدين هناك مفصلا ، فاخذ في الحال ما طبع من الجريدة وحفظه عنده مخافة ان ينشر منها شيء .

وعلمت سفارة الدولة العلية بالأمر حالا فاستشاط الخديو السابق غضبا ، وشرع يبرىء نفسه ، وارسل بالتلغراف إلى نابلي بقطع ماهيتي ، وهرب حسين باشا التونسي إلى ايتاليا مسرعا ، وصدر الأمر بابعادي من فرنسا فسافرت الى بروكسل ، فكتب إلى السيد جمال الدين يقول إن الأوفق لك ان تذهب إلى لونديره ، وان تعلن في الجرائد حقيقة المسالة وما غدرك به الخديو السابق ، فتوجهت اليها وتقابلت فيها باسماعيل افندي جودت ، ورايت من إخلاصه للحضرة العلية الشاهانية ما دعاني ان اكتب له عرضحالا لهذه السدة المقدسة بالتماس الرضا عني . ثم تقابلت مع المستر بلونت فرايت سياسته متجهة لمناصحة الدولة العلية . وعلمت منه ومن بعض اولي الشان من الانجليز ان لا نجاح للخديو السابق مع الدولة الانجليزية فرايت حينذاك ان الاشتغال بخدمة الدولة اولى من ضياع الوقت فيما هو واقع بالفعل في عدم نجاحه . ولما علم السيد جمال الدين بذلك استحسن التفرغ لتلك الخدمة التي يالم لها الخديو السابق ، واعلمني باشتغاله في الشرق بذلك . وكان له بعض العلاقات مع حزب المحافظين بلندره فسعيت في تقويتها . ثم حضر اللورد شورشيل (٢٥) من الهند ، وقد كان سافر اليها بوصايا من السيد جمال الدين الى بعض امراء الهند ، اذ كان سفر المشار إليه بصفة خصوصية . وبما علمه اللورد من نفوذ السيد جمال الدين هناك بين المسلمين قويت تلك العلاقات بين السيد وبين حزب المحافظين عند حضوره فشرعوا يشوشون على سياسة مستر جلاد ستون (٢٦) في السودان ومصر وسوء نيته مع الدولة العلية . واستخدموا مالزم لذلك في البرلمنت والجرائد حتى حولوا اغلبية الأفكار الى استقباح سياسة مستر جلاد ستون . ولما سقطت وزارته ارسلت الوزارة الجديدة إلى السيد جمال الدين يستدعونه من باريس للحضور إلى لوندره ، فكتب انه لا يحضر إلا إذا كان حضورة مكفولا بفائدة للمسلمين ، فارسلوا له بعد ذلك مندوبا حضر معه فزاره يوم حضوره اللورد شورشيل ثم زار اللورد سالسبوري ، (٢٧) وتبادلت (٢٨) بينه وبين بقية الوزراء وكان سبب تاخيري الوقوف على ما يحصل حتى اعرضه على السدة العلية ، فسالوا السيد جمال الدين عن افكار المسلمين في الهند وفي الافغان بالنظر إلى دولة الروسية ،فقال لهم إنكم تسلمون أن ممالك الهند كانت بيد المسلمين فيها ، وقد سلبتم ذلك الملك العظيم من ايديهم ، فالنفوس لا شك حاقدة تميل عند الفرصة إلى التشفي ، وتجد لذة في زوال هذا الملك من ايديكم إلى ايدي غيركم . وان كانوا يظهرون لكم الآن بعض ما تطمئنون به ، فان البرهان الطبيعي شاهد بما قلته . اما الأفغان فهم قوم جفاة تشرئب نفوسهم على الدوام لأخذ الثار ، ولا ينسون ما سال بينكم وبينهم من دماء . وان الامير وان كان في ظاهر الأمر معكم فهو لا يخرج عن راي قومه عند الحاجة . فلابد والحالة هذه من سلسلة تربطون بها قلوب هؤلاء لكم . ولا توجد رابطة (تفاخرون) (٢٩) بها جميعا اقوى من رابطة دينية . والرابطة الدينية الوحيدة هي

إرضاء الدولة العلية . واني لا ادخل في تعيين الارضاء ، بل هذا منوط بالاتفاق بينكم وبين الخليفة مولانا السلطان ، فعليكم ان تسعوا في ارضاء الدولة العلية لتطمئنوا بذلك على ممالككم في المستقبل . وقد اقنعهم بهذا فعاون ذلك في مامورية مستر وولف . ثم قال لهم إن هذا الارضاء لابد من تسجيله وتعميم العلم به لدى

الهنود والافغان . اما إعلانه في الجرائد فلا تنتفعون به . فان الهنود لا يثقون بما يكتب في جرائدكم ، ولا سبيل لكم ان تنقلوه بالأفواه فان الزمن غير قابل ، سيما وان الدوله الروسية لها جواسيس منتشرة في انحاء الهند تحت انواع مختلفة من الثياب فهي تنقض ما تعتقدونه ، وتدخل كل شبهة في اعمالكم فلابد لكم من امر ظاهر في تسجيل الارضاء لا تدخله شبهة . فالذي اراه ان

الأمر لا يتم إلا أن يكون المشيخة الاسلامية سنية او نيابة في الهند ما يماثل ذلك على حسب ما يتفق عليه . وبهذا لا يكون للمسلمين شك في اتفاقكم مع الدولة العلية ورضاها معكم . وليس عليكم أدنى خوف من ذلك . فان الدولة لا تتاخم ارض الهند فساقنع بذلك بعض الوزراء ، واوقف السيد المسير في إقناع

الباقي حتى أعرض على السدة الشاهانية هذا الأمر . وهو موقف الانتظار هناك . وقد تكلموا في مسالة مصر . وجاءه مستر وولف مراراً قبل سفره من لوندره وتداول معه في تلك المسالة ، فقال لهم السيد إنه لابد من تحديد مدة الخروج من مصر ، وبدون هذا لا يمكن لكم إقناع المسلمين في الهند والافغان انكم ارضيتم الدولة

العلية مطلقاً ، فقالوا إننا نخاف من دولة فرنسا ان تخلفنا فيها ، فنحن مضطرون ان نضع عليها شبه حماية لوقت ما ، فقال إن وضع الحماية على مصر خوفاً من دولة فرنسا حجة لفرنسا ان

تضع حمايتها على طرابلس خوفاً من إيتاليا ، وحجة لدولة النمسا ايضاً في املاك الدولة العلية خوفاً من الروسية وهلم جرا ولا حجة لكم في قولكم إننا نحافظ على ممالك الدولة في آسيا فقط فان تفريطكم في ممالكها في اوربا هو عين التفريط في ممالكها في آسيا وفي منافعكم . وحينئذ لا تجدون تلك الرابطة التي تحفظون

بها ملككم في الهند . ثم إن وضع الحماية على مصر مشعل للحركة السودانية وموجب لانضمام عموم اهالي مصر بالحجة الظاهرة إلى تلك الحركة . وقد رايتم اتعابكم في مسئلة السودان وحدها فكيف إذا امتدت إلى الخارج ، وان هذه الحركة لا تطفئها افواه مدافعكم ، ولا يؤثر فيها السلاح ، وانما تطفا باسم السلطان الخليفة .

ويوم سفر المستر وولف ايضاً تكلم معه في هذا طويلا ، واقتنع المستر المومي إليه ان الحماية لا لزوم لها .

فالسيد جمال الدين يعرض على الأعتاب الشاهانية ان الانجليز محتاجون الى تلك السدة احتياج من يريد حفظ ممالكه امام عدوه وأن التزام الانجليز من انفسهم رضاء الدولة العلية لا تجد له الدولة معارضاً فى الخارج . ويعرض انه عند الاتفاق مع الانجليز على

تحديد ميعاد خروجهم من مصر تنحل في الحال المسالة السودانية باسم جلالة مولانا الخليفه امير المؤمنين بدون سلاح ، وهو يقوم بهذه الخدمة عند استحسان الخليفة لها .

العبد
ابراهيم المويلحي

انتهى البحث

هـــــوامـــــش

١) هكذا في الأصل .
٢) يقصد سويسرا فقد كتبها بالنطق الفرنسي .
٣) العبارة مضافة في الهامش السفلي .
٤) العبارة كلها مشطوبة بقلم خفيف .
٥) عبارة مشطوبة
٦) عبارة واردة في هامش الصفحة الأعلى .
٧) عبارة واردة - تصحيحا للعبارة السابقة - بين السطور .
٨) الشريف هو محمد شريف رئيس وزراء في عهد اسماعيل وثابت هو رئيس الديوان الخديوي في عهد توفيق .
٩) عبارة مشطوبة .
١٠) رتبة البكوية .
١١) عبارة مشطوبة مع ملاحظة خطا استخدام اربعة - وصحتها اربع - سنوات .
١٢) السيد توفيق البكري وكان من انصار اسماعيل والمقربين لديه .
١٣) العبارة مضافة - استدراكا - في هامش الصفحة العلوي .
١٤) مشطوبة .
١٥) مشطوبة
١٦) يقصد مدينة جراتس النمساوية .
١٧) مشطوبة .
١٨ - ١٩ - ٢٠) عبارات مشطوبة .
٢١) سويسرا .
٢٢) كان صديقا للخديو اسماعيل ومن اعوان خير الدين باشا التونسي المصلح المعروف .
٢٣) الباخرة .
٢٤) مشطوبة .
٢٥) يقصد وراندولف تشرشل وكان من زعماء حزب المحافظين .
٢٦) رئيس وزراء بريطانيا وزعيم حزب العمال .
٢٧) وزير الخارجية البريطانية .
٢٨) يقصد : تبودلت .
٢٩) غير واضحة في الأصل .

● كنت أتقاضى جنيها واحدا على المقال ● مجموعتى القصصية الأولى كتبتها سنة ١٩٥٣ ولم أجد ناشرا حتى الآن ● توفيق الحكيم : لا أظن أن لى قيمة فى هذا العصر ● جوته أديب ألمانيا الكبير يبحث عن زوجة بعد الثمانين

تجربة في الأدب والحياة : واستيقظت كل أشجاني



نصرى عطا الله

بقلم : نصري عطا الله

كانت مفاجأة سعيدة ان تنشروا لي في عدد يوليه من (الدوحة) مقالا عن الموناليزا بعنوان (قصةصورة) في باب (اوراق خضراء) . وكنت قد كتبته عام ١٩٤٥ ونشرته لي مجلة الرسالة القديمة .. مفاجأة سعيدة تحمل كثيرا من العزاء وكانها الواحة الظليلة الخضراء بين الصحراوات المقفرة المحرقة ، ذلك لانه يحمل لمحة من تقدير لم اصادفه في حياتي .

غير ان هذه المفاجأة الطيبة فتحت ابوابا هبت منها رياح الشجن : كتبت ذلك المقال وانا على عتبات الشباب الاولى نشوان بالحياة طامحا الى ان أعيشها ملء دمي وملء عقلي وملء شعوري ، شغوفا بالفن والأدب أستمد منهما معاني الحياة التي يتفوق فيها اليوم على الامس ، وأن احيل كل ذلك فنا جميلا ، شيء ما فتنني الى العقاد وشغفت به فكرا وعاطفة ورقة وعنفا ، واشتريت كتابه (ساعات بين الكتب) ، ووجدته يكتب عن الصور أيضا لا الكتب فحسب ، فاخذت ازور المعارض وأدرس الصور ، وكتبت عن بعض ما رايت ، وارسلته للزيات بالبريد ، فنشره . وكان ذلك حافزا لي أن اذهب لزيارته بدار الرسالة في عابدين . ورحب بي وقال : (لديك الاستعداد ان تكون كاتبا جيدا) . وكتب الدكتور بشر فارس تعقيبا على مقالي وصفه بانه مقال نفيس وذهبت الى ندوة العقاد بمصر الجديدة صباح احد ايام الجمعة فقابلني بحفاوة ، وسال بعض القراء عن عنواني وعن طريق مقالي الأول في الرسالة عرفت أغلى الاصدقاء اذ جمعتنا فرحة الاديب بالاديب ، كل هذا قبل أن ابلغ العشرين .

ماذا حدث بعد ذلك وعلى مدى اربعين عاما ، ضاعت اطيب سنوات العمر في كفاح عقيم من اجل لقمة العيش الممزوجة بالاسى والدموع ، ذهبت الى قرى لا ماء فيها ولا نور . فكنت اقرا على مصباح الكيروسين واشرب المياه العكرة المنقاة عن طريق زير من الفخار . واتولى امر طعامي وشرابي وغسيل ملابسي والعناية بمسكن حقير واين ؟ في اطراف مصر العليا حيث تدور حرب لا تهدأ بين الانسان والعقارب والثعابين وغيرها . كل ذلك في سبيل مليمات ، وفي يوم ما بعد خمس سنوات عجاف خرجت من عملي الى مكتب البرقيات وكتبت استقالة من ثلاث كلمات وعدت لمواجهة البطالة والضياع والأدب . والحق انه لولا للادب والقدرة على تذوق متعه ولذاته ومحاولة التعبير عن ذاتي ، لكانت حياتي جحيماً ، ولعجزت عن مواجهة همومي ومتاعبي : قسوة الحياة وذل الحرمان .

كتبت مقالات وقصص نشرت في الرسالة والثقافة القديمتين . وعندما طالبت استاذي الزيات – على استحياء – ببعض الاجر ارسل لي جنيها واحداً عن المقال ، وعندما فعلت نفس الشيء مع (الثقافة) كف الاستاذ احمد امين عن نشر مقالاتي .

... التقيت بالدكتور ابراهيم ناجي في إدارة احدى الصحف : تصادف ان جلس بجانبي دون ان اعرفه . وفي لحظات – لا دقائق – اصبحنا صديقين حميمين . وكانت تلك احدى نواحي عبقريته . اكملت مجموعة قصص وكتب ابراهيم ناجي مقدمة لها . وناجي مات سنة ١٩٥٣ ومجموعة القصص ما زالت لدي تعيش في ظلام ابدي ، واكملت مجموعة اخرى وكنت قد تعرفت على الدكتور عز الدين اسماعيل (رئيس هيئة الكتاب الآن) وكان وقتها مدرساً باداب عين شمس ، وكنا نلتقي بجمعية المعلمين المطلة على ميدان الاوبرا بالقاهرة ، عرضت عليه مجموعة قصص وسالته ان يكتب لي تقييما عن كل قصة ففعل . وفرحت بما كتب فقد كان شيئا مشجعا وسالته اذا كانت تلك القصص في مستوى النشر فاكد لي ذلك .. واين الناشر بل واين القارىء المستعد لدفع ثمن كتاب ؟ ومنذ عشر سنوات التقيت بالمرحوم صالح جودت وكان يراس تحرير الهلال التي كنت اشترك في تحريرها (من الخارج) ، ورجوته ان ينشر لي بعض ما كتبت في السلاسل الشهرية التي تصدرها دار الهلال . فقال لي ان هناك قائمة بالكتب التي سوف تنشر حتى نهاية خمس سنين قادمة . وياليتني قبلت ! مات صالح جودت .. والكتاب لم ينشر بعد .

وبرغم كل الصدمات والتضحيات لم افقد هوايتي للأدب أو القراءة التي استهلكت بعض ضوء عيني . ومع التمزق المحزن بين الادب ولقمة العيش حاولت ان انجز شيئا ما . ولكن القدر كان يهز راسه ساخراً ... انظر الى أوراقي .. عشرات وعشرات من مشروعات مقالات ودراسات لم تتم . ومئات ومئات من الكتب حرمت نفسي من الكثير كي ادفع ثمنها ولكن متى اقراها وانا اعود من عملي قبيل المساء احيانا وفي اخريات الليل احيانا ، مكدود البدن مكسور الوجدان .

وتمر السنون .. ماذا فعلت فيها وماذا فعلت بي ؟؟

انجزت ترجمة اربعة كتب كان احدها عن (تشيكوف الرجل) بالاتفاق وموافقة الدكتور حسين مؤنس على ان ينشر في سلسلة كتاب الهلال الشهري وكان هو المتصرف ، وحين قدمت له الكتاب مترجما بقي عنده في الأدراج حتى رحل عن دار الهلال فاستردته ، وواحد منها عن ديستويفسكي بمناسبة مرور مائة عام على وفاته ، وآخر من الكتابات النثرية لطاغور الذي همت به هياما جارفا



جوته



د . توفيق الحكيم

... وهناك قصص طويلة جادة هادفة وبحوث ادبية متعمقة شقيت في جمع مادتها من عشرات الكتب ولكن ... كلها ترقد حولي صامتة .

اشهد انني لم احاول ان استهين بكلمة واحدة كتبتها او استجيب لمطالب الاساتذة الذين كانوا يطلبون مني ترجمة القصص وتسليمها لهم ليحولوها الى قصص موضوعة يضعون فوقها اسماءهم مع سخاء الأجر المعروض ..

فرص النشر ضئيلة ومع الأيام تزداد ضآلة . والعمر يجري والحياة تقترب من الغروب ... في نفس اليوم الذي اشتريت فيه نسختي من (الدوحة) التي بها مقالي قرات حديثا لتوفيق الحكيم ادلى به من فوق فراش المرض في احدى المستشفيات إذ لا زوجة ولا ولد وفيه يقول :

(كتبت اكثر من ١٠٠ كتاب و ٨٠ مسرحية، تعرف ايه اللي عرفته بعد كل هذا خلال مرضي . ؟ عرفت ان ربنا اراد ان يمد في حياتي حتى ارى وانا في حالة وفاتي ان كل اعمالي التي تعبت العمر فيها لا قيمة لها .. لأن المجتمع تغير وانا باقول بعد كل هذه السنين انني ضيعت حياتي في كتب كان يخيل الي ان لها قيمة ... يمكن كانت لها قيمة زمان في الثلاثينات والاربعينات ولكن بعد الخمسينات لا اظن) .

ان الكاتب الكبير بعد كل هذه الحياة الحافلة يتمنى الموت ويقول : (تصور، ان مسرح اخر الليل بعد الجمهور ما يسيبه والممثلين ما يروحوا والعمال والموظفين يخلصوا شغلهم ، مسرح فاضي من غير جمهور .. من غير ممثلين ، من غير عمال او موظفين ... ايه اللي فاضل له ... فاضل واحد بس ... عامل صغير يمد ايده ويطفي النور وانا شايف ان ده الوقت المناسب اللي لازم ينطفي فيه نور مسرحي) .

لم اقتنع ، ماذا في حياتنا يغمرها بكل هذا الياس ؟

.. منذ بضعة ايام قرات اخر رسالة كتبها الشاعر الالماني الكبير (جوته) وذلك قبل وفاته بايام وكان عمره ٨٣ عاما ... كتب رسالة في (فيمار) يوم ١٧ مارس سنة ١٨٣٢ ومات يوم ٢٢ مارس من نفس العام .. كان يتحدث عن كتابه (فاوست) فماذا قال قبل وفاته بخمسة ايام ؟

قال ان اليق ما يمكنه ان يفعله فيما تبقى له من العمر ان يكثف ويقوي من ملكاته ومواهبه النفسية ، وان فن الحياة عملية استكشاف متواصل !

وليس في الخطاب اي فكرة او توقع للموت الذي كان ينتظره بعد خمسة ايام .

وكان في العام نفسه قد تقدم لخطبة فتاة حلوة لم تبلغ العشرين اسمها (اورليكا) . ولما اخفق كتب عنها قصيدته (ثلاثية الاحزان) .

اي حماس واي حفاوة بالحياة ! ينقصنا هذا ..

وقلت لنفسي ان الكتابة قدر .. الكتابة عمل صالح يتقرب بها الكاتب الى الله ، الكتابة – رغم كل شيء – انفاس تتردد ، واذا توقفت ، توقفت الحياة .

مع عدم المؤاخذة..

بقلم
عبد الله
الشيتي

بعض الناس . ومنهم ادباء ونقاد وقارئون . تبهرهم الأسماء الأدبية او الفنية المشهورة ، او المتداولة على الألسنة ، مثلما التماعة (الفلاش) ، يغمرهم للحظات بالدهشة والضوء وارتعاشة الأهداب . فإذا هم أسرى هؤلاء المشهورين ، يرجحون كفتهم كيفما كان حال (الميزان) ويؤثرونهم على سواهم اعجاباً وانبهاراً ، حتي ولو يكن نتاج احد هؤلاء الرائجة اسماؤهم ، يستحق ذلك . ولكنه سحر الاسم وتأثيره ، يفعل فعله . فما يملك (المبهور) او المخدوع ان يعترض او حتي يناقش لئلا يشك أحد في ذوقه او يستخف برأيه ، وكم في ذلك من لطائف ومواقف ، بعضها يُروى هنا للعبرة والذكرى والتاريخ والجغرافيا ان شئت ..

ذات يوم . من سنوات طويلة ، وفي عاصمة عربية حمل زميل صحفي – يشرف على صفحة ادبية – قصة قديمة لتوفيق الحكيم اسمها على ماأذكر (العالم سنة مليون) الى عدد من نقاد وأدباء (ذلك الزمن !) في تلك العاصمة ، على انها من تأليف قارىء متأدب ، يحسب نفسه انه عاد فتح الأندلس بقصته تلك ، وطلب الزميل من الذين استفتاهم ابداء رأيهم في (محاولة) القارىء ، فتباروا – ولا مباريات كأس العالم – في ردح وقدح القصة وصاحبها ، ونصحوه بعد أن شرشحوه ، بأن ينقعها ويشرب ماءها ، ويبحث له عن (هواية) يتسلى بها ، غير الأدب والقصة ، لأن القصة يابني ، صعب دربها ، وعسير ادراكها والحبكة عندك كذا ، والسرد كيت ، والنتيجة كتاكيت ... !

وبعد أيام ، والدعابة الثقيلة للزميل نفسه ماتزال – سحب صاحبنا من درج مكتبه قصة عادية بل وسطحية نائمة في بريد القراء كان قد بعث بها قارىء من الدرجة الثانية – ان جاز التعبير – وتوجها الزميل المشرف على صفحة الأدب ، باسم توفيق الحكيم ، على انها واحدة من قصصه القصيرة المنسّية ، والتي لم يسبق نشرها : وانه في صدد رصد الآراء و (التحليلات) النقدية او الطبية من بعض النقاد والأدباء المبهورين بالاسماء ، فما كان منهم الا اخذوا يتبارون بالحماسة نفسها ، كل باسلوبه ومصطلحاته في اظهار (محاسن) القصة ، واضفاء الهالات عليها وبعضهم اعتبرها فتحاً عظيماً – يزرى بفتح الاندلس – في كتابة القصة القصيرة على اصولها ، ويؤكد احدهم – مادام سوق المزاد قائماً على هذا النحو – انها اى وربي – من افضل ماكتب توفيق الحكيم من قصص ، وطالب آخر بمزيد من مواصلة البحث والتنقيب – بالاذن من التنقيب عن النفط – عن مثل هذه القصص الرائدة الناهضة ، المنسية المخفية لتوفيق الحكيم ...

ولا بد أنكم تعرفون (خلاصة) ماحدث بعد ذلك ! فقد نشر الزميل الأديب تفاصيل (المقلب) الصحفي الذى شربه بعض نقاد ذلك الزمن ، واوضح الالتباس ، وكشف (اللعبة) التي انطلت حيلتها على اصحابنا الافذاذ ، تحت عنوان – مع عدم المؤاخذة ياجماعة ! ويومها كمن له « الجماعة » عند احد المقاهي ، وتربصوا به الدوائر لتلقينه « درساً » لاينساه في عدم امانة (المقالب الصحفية) .. لكن صاحبنا فر بجلده وفروة رأسه الى يوم الناس هذا وقد علمته الحياة ان القيمة – في لغة التعامل – للفعل لا للاسم ...

مع عدم المؤاخذة – مرة اخرى بعد ربع قرن من الزمان ، سقى الله هاتيك الايام .

لأول مرة يتدخل الحُواة في تجارب العلماء

ما الذي يجمع بين العالِم والسّاحر؟

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح

رغم ان عنوان هذه الدراسة يبدو مزعجا وغير مقبول ، الا انه يمثل ظاهرة حقيقية بدات تنتشر ـ لا بين عامة الناس فحسب ، ولا كذلك بين المتعلمين ، بل بدات تفرض نفسها ايضا على بعض العلماء ، فاشركوا معهم السحرة أو الحواة لدراسة ما يسمى الآن بالطاقات الروحية الخفية التي يمتلكها بعض البشر ، فيحققون بها خوارق ومعجزات يقف العقل البشري امامها عاجزاً ، وعن تفسيرها قاصراً !

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو : كيف يجتمع العلماء مع الحواة لدراسة هذه الظاهرة المحيرة في المعامل ؟ .. وما هو المنهج الذي يؤلف بين حاو بضاعته خفة الحركة ، واتقان التمويه ، وممارسة ذكية في الخداع والتدليس وبين عالم يتعامل مع قوانين الكون الراسخة ، وشرائع الوجود الصامدة ، ويستمد زاده الفكري والعلمي من نظم متقنة ، وسنن مقدرة تمخضت عن معادلات متناسقة ، ونظريات متطورة يمكن بها شرح ما استعصى على العقل من اسرار الكون والحياة ؟

الواقع انه لا وجه للمقارنة بين هؤلاء ، نعني بين السحرة والعلماء ، اذ كلما زاد خداع الساحر وتضليله واستغفاله لمن حوله ، زاد اعجاب الناس بقدرته وذكائه في تقديم الاعيبه دون ان يعرفوا مواطن الخدع والتدليس فيما يعرضه عليهم ، ولكنهم مع ذلك موقنون بانه ساحر مخادع ، وقد يكون ضالعاً في فنه ، ولا يستطيع ان يكشف خداعه الا ساحر مثله ، لكن قد يخدع الساحر ساحراً عندما ياتي بحركة اكثر ذكاء ، واعظم دهاء ، ذلك ان الحواة او السحرة هنا درجات .. لكن الامر مختلف مع العلماء ، اذ لابد ان يكون العالم صادقا مع نفسه ، ومع تجاربه ، ومع كونه الذي يبحث فيه ، لان اي شذوذ او حيود عن هذا النظام المذهل الذي يتعامل فيه مع نفسه ، او في كل ما حوله من جماد وسوائل ومخلوقـــات وارض وكواكب ونجوم ومجرات .. الخ ، لابد ان يكتشف غيره شذوذه ـ طال الزمان او قصر ، ولكن هذا موضوع آخر قد نفرد له دراسة مستقلة لنرى ان التدليس في مجال العلوم التجريبية ليس محمود العواقب ، رغم انه ـ اي التدليس ـ لازمة هامة من لوازم السحرة ، وبه يكسبون خبزهم وادامهم وثرواتهم !

اذن .. فما الذي يجمع بين هؤلاء وهؤلاء ؟

شر لابد منه !

الواقع ان الذي جمع بين عالم وساحر هو مجال غريب تدور حوله الشكوك منذ زمن طويل ، ودون ان يصل فيه احد الى نتيجة حاسمة .. فمعظم العلماء لا يريدون تلويث سمعتهم العلمية في بحوث مضللة لا ضابط لها ولا رابط ، كما انهم موقنون ان مسالة القوى الخارقة التي يزعم البعض امتلاكها ، فيثنون بها المعادن ، ويحركون الاشياء من خلال تركيز طاقتهم الخفية عليها ، هي نوع من الدجل والخداع الذي يمارسه السحرة او الحواة على المسارح ، وعندما دعوا لمشاهدة هذه الظواهر المثيرة ، رفضوا تلبية تلك الدعوات ، ربما احتراماً لسمعتهم ، او عدم تضييع طاقاتهم فيما لا يفيد ، او لانهم ليسوا ضالعين في كشف الخدع التي يقوم بها امثال هؤلاء الادعياء ، فلكي تكتشفهم ، كان لابد ان تكون ملماً باساليب خداعهم ، خاصة وان بعضهم ضالع في هذا المجال !

وقد يقول قائل : لكن هناك بعض العلماء الذين درسوا هذه القوى الخفية في معاملهم ، وشاهدوها وسجلوها ونشروها واعترفوا بان هناك بالفعل من يستطيع ثنى الملاعق ، او تحريك الاشياء دون لمسها ، او التنبؤ باحداث ستقع في المستقبل ، او قراءة مخطوطات محفوظة داخل اغلفة تخفي ما سجل فيها .. الخ .. فلماذا هذا الرفض واللف والدوران ؟

وهذا صحيح ظاهراً ، لكن العلماء الذين شاركوا فيها قد جازت عليهم الخدع ، وانطلى عليهم التدليس ، والذي كشف لهم انه قد غرر بهم هو جيمس راندي ـ كبير سحرة هذا الزمان ، وهو لا يزال يعيش في نيوجيرسي بالولايات المتحدة الامريكية حتى الآن ، ويقال انه لم يظهر مثله منذ وفاة هوديني العظيم في عام ١٩٢٦ ، هذا ومما يذكر عن راندي انه تحدى كل من يدعي امتلاك لتلك الطاقات الاسطورية ان يظهرها امامه ، فاذا استطاع ، فله مكافاة قدرها عشرة آلاف دولار ، ولكن احداً لم يجرؤ ان يتقدم اليه ، ولا زالت تلك المكافاة السخية قائمة حتى الآن ، ودون ان يحظى بها احد ! ..

وراندي ايضاً هو مؤلف كتاب بعنوان (سحر يوري جيلر) ، ويعتبر جيلر اشهر رائد في مجال هذه القوى الخفية ، ولا يجاريه فيها الا شاب فرنسي يدعى جان بيير جيرارد ، ولقد واوضح راندي في كتابه ان جيلر اكبر مخادع ، وان ما يعتبره العلماء الذين شاهدوه وهو ينجز شاهدوه وهو ينجز معجزاته ، وشهدوا له بامتلاكه قوة خفية يصعب تفسيرها باية معايير



● ايفانز ـ العالم الفزيائي (الى اليسار) يتابع بنفسه خوارق جيرارد الفرنسي، وسبق لهذا العالم ان اقر بحثا للنشر من قبل في مجلة (نيتشر) عن خوارق يوري جيلر، ثم ثبت ان خوارقه مزعومة .. هذا وقد حضر ايفانز مع ديفيس (من المحررين العلميين لمجلة الطبيعة) والساحر راندي الى فرنسا وتبين لهم أن جيرارد مخادع كبير .



● يوري جيلر ـ أشهر من ادعى امتلاكه لقوى غيبية خارقة حقق بها المعجزات، وحاز اعجاب الناس وبعض العلماء، ثم ثبت انه خدع الجميع، وتراه هنا في هذه الصور الثلاث وهو يركز طاقته الروحية على قضيب معدني ليثنيه، ولكنه لم يستطع أن يكرر نفس الظاهرة عندما وضع تحت رقابة صارمة

أو نظريات معروفة، ليست في الواقع الا نوعاً من الغش والتدليس والخداع، وانه ـ اي راندي ـ يستطيع ان يكرر كل حركة اتى بها جيلر، وهو فوق كل هذا قد اوضح لهم في كتابه كيف يمكن اكتشاف هذه الخدع، واذا لم يستطيعوا، فعليهم ان يستعينوا بساحر أو اكثر، عله يكشف لهم ما عجزوا عن اكتشافه.

ولقد كان لهذا الكتاب الخطير وقع اليم في نفوس العلماء الذين تحمسوا لمثل هذه البحوث المريبة، ومن ثم لم يجدوا مفراً من دخول السحرة الى معاملهم، ليرشدوهم الى مواطن الضعف التي يمكن ان ينفذ منها المدعون بامتلاك هذه الظواهر في غفلة منهم .. ولقد نصح راندي العلماء الذين لا يريدون ان يدخلوا الحواة في دراساتهم، حفاظا على سمعتهم ـ نصحهم بان يطلعوا على نصائحه في هذا المجال، وهي التي اطلق عليها اسم (مشروع الفا) (او الف)، وفيه قدم ٣٨٨ بنداً أو نصيحة لتجنب اية خدعة او غش يمكن ان يقوم به الادعياء.

أول تعاون مثمر

هناك جوانب كثيرة لهذا الموضوع المثير، لكن علينا أن نركز على حالة الشاب الفرنسي جيرارد الذي وقع تحت اختبارات كثيرة يقال انه اظهر فيها (كراماته) او معجزاته في ثني المعادن، وتحريك الأشياء، وقراءة ما تحتويه الأوراق وهي داخل مظاريف أو علب مغلقة .. الى اخر هذه الأمور التي تقع تحت بند ما يسمى (الباراسيكولوجي) اي فيما فوق او وراء النفس البشرية من قوى خارقة.

وقد اشتهر جيرارد في الدوائر العلمية، حيث احتضنه العالم الفرنسي تشارلز كروسارد وهو رئيس لعدة معامل بحثية تضم ثلاثة آلاف نسمة، لتخدم شركة فرنسية كبرى مشهورة للمعادن والكيماويات (شركة بيشيني) .. ولقد استطاع كروسارد ـ بما له من نفوذ ـ ان ينشيء معملا خاصاً لبحوث الباراسيكولوجي، وكان جيرارد هو بطل اللعبة فيها، وطبيعي ان تتمخض هذه البحوث عن نتائج، ولابد للنتائج ان ترى النور على اوسع نطاق، ولكي يتم ذلك، فلابد من نشرها في مجلة علمية مشهورة، وليس هناك ما هو اعرق ولا اشهر من مجلة (نيتشر) البريطانية (اي الطبيعة)، وقد سبق لهذه المجلة ان نشرت بحثا لبعض العلماء الأمريكيين عن خوارق يوري جيلر، فلماذا ـ اذن ـ لا تنشر بحثا عن الفرنسي جيرارد ومعجزاته، اذ ليس هو اقل مرتبة من جيلر .. اضف الى ذلك ان كروسارد من العلماء المعروفين لدى هيئة تحرير المجلة، وسمعته طيبة، وهذه تشفع له في جدية النتائج التي توصل اليها !

لكن الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن وخاب امل كروسارد والذين معه بعد ان رفضت مجلة (نيتشر) ان تنشر الموضوع، لتخوفها من عدم جدية النتائج، خاصة وان بعض الشكوك قد حامت حول البحث المنشور عن جيلر من قبل. ولكي يثبت كروسارد صحة النتائج التي حصل عليها عن قوى جيرارد الخفية، ارسل دعوة الى كل من دافيد ديفيس من هيئة الاشراف على نشر البحوث بالمجلة، والعالم الفيزيائي كريس ايفانز الذي جازف من قبل واقر بحثاً للنشر في المجلة عن يوري جيلر وخوارقه، هذا رغم انه من المتشككين في القوى الخارقة، وزيادة في الحرص، وتخوفاً من الخدع التي قد تمر عليهما دون اكتشافها، دعيا الساحر الامريكي راندي، وتوجه الثلاثة من بريطانيا الى فرنسا، حيث يوجد معمل الباراسيكولوجي، وعلى رأسه كروسارد، وبطله جيرارد !

ومع ان كروسارد يعتقد في قوى جيرارد الخارقة، ومن المتعاطفين معه، الا انه ـ في الوقت ذاته ـ يعرف انه ساحر، اذ انه مقيد في قائمة حواة فرنسا، وربما يستخدم سحره ليسحر اعينهم .. ورغم ذلك يذكر كروسارد في بحثه الذي ارسله للنشر في مجلة (نيتشر) ان جيرارد قام بـ ١١٦ محاولة لثني المعادن، وان بعض هذه

لأول مرة يتدخل الحُواة في تجارب العلماء

المحاولات قد تمت تحت مراقبة حذرة ، إلا انه يعود فيذكر (لكن في بعض الحالات اظهر جيرارد بعض الحركات التي اربكتنا ، ولهذا فمن المحتمل ان يكون قد خدعنا اثناء ذلك) .. وهذا يعني تخوفا وشكا في صحة النتائج ، وذلك كفيل بعدم قبول البحث للنشر .

لكن وجود ساحر كبير مثل راندي المتمرس على خدع اعتى واكبر ، سوف يكون بمثابة صمام الامان ، او وثيقة التامين ، ضد اي تضليل او غش يمكن ان يجوز على المراقبين دون اكتشافها .. المهم ان التجارب قد بدات ، والرقابة قد احكمت والقضبان المعدنية قد دمغت ، وبهذا لا يمكن تغييرها بخدعة ذكية ، خاصة وانه قد ثبت ان كلا من جيلر وجيرارد قد ضبطا متلبسين بالغش في اكثر من تجربة ، نتيجة للتسيب في الرقابة .. ولقد ظل جيرارد يركز قوته الخفية على قضيب معدني ، وبقي على هذا الحال ثلاث ساعات كاملة ، وصبر عليه المراقبون صبرا جميلا ، لكنه اعلن فشله ، وخاب امل كروسارد في رجله ، واراد ان يعزي نفسه ، فذكر امام الحاضرين (الحق ان البروتوكول الذي اختاره راندي كان رائعا جدا) .. لكنه ـ مع ذلك ـ لم يفقد الامل في جيرارد ، وعلق على ذلك قائلا (انني متاكد تماما انه بعد عدة محاولات اخرى ، فانه (يقصد جيرارد) سينجح في تحقيق ما فشل فيه هذه المرة) !

وكان ذلك دليلا كافيا على رفض نشر بحث كروسارد في مجلة نيتشر ، اذ ثبت ان تشديد الرقابة على هذا الدعي او غيره من الادعياء كفيل بتبخر (معجزاته) والحقيقة انه لا توجد معجزات او قوى خارقة ، بل هي حيل ذكية لا تختلف عن حيل السحرة ، لكن التلميذ هنا لا يستطيع ان يغش امام استاذه .. نعني جيرارد امام راندي الساحر العظيم ، او كبير سحرة هذا الزمان !

تجربة أخرى فاشلة

ومنذ سنوات قليلة تعد على اصابع اليد الواحدة نشرت مجلة (لا ريشيرش) العلمية الفرنسية (وتعني البحث) موضوعا مطولا عن محاولة تمت في احد معامل باريس ، واستمرت ساعتين واشرف على تمويلها وتنظيمها التليفزيون الفرنسي ، وكانت تحت الاشراف العلمي لعالم الفيزياء الفرنسي البروفيسور ايفز فارج ـ مدير المركز القومي للبحوث العلمية وبمساعدة اثنين من زملائه هما ايفز بتروف ، وايتين جويون ، وحضر هذه الجلسة ايضا الساحر الفرنسي كيلنجسور رئيس الاتحاد العالمي للسحرة ، واقر الجميع ان تبدا التجارب بتقديم قضبان معدنية لجيرارد لثنيها بقواه الخارقة ، وان تكون شروط التجربة هي نفس الشروط التي وضعها راندي في معامل (بيشيني) بجرينوبل قبل ذلك بشهور(وهي التي سبق وفشل فيها جيرارد فشلا ذريعا) .. ويضاف اليها ايضا ـ وبعلم جيرارد الذي اقرها ـ تحريك بعض الاشياء الخفيفة الموضوعة على منضدة ، او نقلها من مكان الى مكان دون ان يمسها او يمس المنضدة ، او عليه ان يرفعها قليلا في الهواء حتى يوقنوا بان مزاعمه صحيحة في هذا المجال ! (سبق انه زعم وشهد البعض على ذلك انه يستطيع رفع الاشياء في الهواء) .

وتذكر مارسيل بلانك من هيئة تحرير مجلة (البحث) الفرنسية ان (جيرارد قد فشل في تحقيق هذه الاهداف ، وانه علل فشله بقصر الوقت الذي يجب ان تتم فيه كل محاولة (ساعة لكل منها) ، مما ساعد على تشتت قواه الخفية) !

وكان مما ذكرته ايضا في هذا المجال ان الهيئة العلمية بمعامل بحوث شركة بيشيني قد الحت مرارا على عالم كبير مثل برنارد دريفوس مدير مركز الدراسات النووية بجرينوبل ، وهو في نفس الوقت رئيس الجمعية الفرنسية لعلم الفيزياء ـ الحت عليه كي يحضر ويرى بنفسه خوارق جيرارد ، وليكون شاهد اثبات على تقرير سوف تتقدم به الهيئة (وعلى راسها كروسارد بطبيعة الحال) الى مجلة نيتشر

واساءه ذلك ، لانه لم يكن يعرف انه سيزج باسمه وسمعته في مثل هذه الامور ، ومع ذلك فقد قبل المشاركة على مضض ، فلعله يرى جديدا ، ولقد ظل يرقب ما يجري بحرص وحذر ، وبعد ان استمرت التجربة من الساعة الحادية عشر مساء حتى الساعة الثالثة والنصف صباحا (اي على مدى اربع ساعات ونصف الساعة) رفض البروفيسور دريفوس ان يشهد بصحة انثناء قضيب معدني ، اذ لم يحدث ذلك الا في الدقيقة الاخيرة ، ثم حدث فجاة ، وكان انحناء المعدن طفيفا ، وشك دريفوس في ان يكون الامر قد انطوى على خدعة ، وكتب لمجلة (نيتشر) خطابا خاصا يخبرها بوجهة نظره ، وانه لم يشهد شيئا خارقا في تلك الليلة .

وبعد عدة شهور ، ومع الالحاح الشديد قبل دريفوس أن يجري نفس التجربة في مركز البحوث النووية ، وفي معمله الخاص وفي حضور اثنين من الحواة ، وفي وجود تجهيزات معملية على درجة عالية من الكفاءة ، لكي تكشف عن وجود اية طاقة خفية يمكن ان تنبعث من جيرارد ، سواء اكانت على هيئة مجالات جاذبية ، او مجالات كهرومغناطيسية .. الخ ، والنتيجة ان التجربة تمخضت عن لا شيء ، عدا ان ابرة مغناطيسية قد اهتزت قليلا ، وعللها دريفس باحتمال وجود مغناطيس صغير يخفيه جيرارد بطريقته في مكان امين ، خاصة وانه كان يعلم مقدما نوع التجارب التي ستجري عليه ، وحمل مغناطيس صغير ليس مشكلة ، بل ان المشكلة في فشله ، فلماذا لا ينقذ سمعته بخدعة من خدعه ؟ ! .. ولهذا كتب دريفوس في تقريره (يبدو في المرحلة الحالية انه من السابق لاوانه القول بوجود ما يسمى بظاهرة الخوارق) !

ولقد سبق ان احضر جون هاستيد ـ الفيزيائي البريطاني المعتقد في وجود الخوارق ـ سبق ان احضر صبيا بريطانيا عمره ١٣ عاما ويدعى ستيفن نورث ، الى جرينوبل حيث وضعه البروفيسور دريفوس تحت الاختبار .. والنتيجة : لا شيء .. لا خوارق !

مكيدة السحرة !

لكن مما زاد الطين بلة ان العلماء الذين ارتضوا لانفسهم ان يجروا وراء سراب خادع ، او ان يبحثوا في خدع يقوم بها بعض الحواة ، ويحاولوا تفسيرها بخوارق ومعجزات ، قد اصبحوا اضحوكة بين زملائهم من العلماء الجادين ابوا ان يشتركوا في مثل هذه البحوث الكاذبة ، لعلمهم انها تقوم على الحيل والغش والدجل والخداع ، وبحيث حولت بعض العلماء عن جادة الصواب ، وراحوا يبحثون عن اوهام لا وجود لها الا في خيال العوام

ففي العام الماضي تناولت مجلة رجل العلم العصري (نيوساينتست) البريطانية احداث فضيحة اوضحت استغفال السحرة للعلماء ، واظهرتهم بمظهر البله والسذاجة وانه من السهل ان ينخدعوا ببعض حيل بسيطة لا تجوز الا على البسطاء ، وملخص هذه الفضيحة ان راندي قد اتفق مع شابين من ادعياء الخوارق ان يدخلا احد تلك المعامل التي يطلق عليها معامل الباراسيكولوجي ، وان يمثلا بضع خدع يجيدانها امام العلماء المعتقدين في ظواهر ما وراء الطبيعة او الخوارق ، وبالفعل كتبوا عنهما انهما يمتلكان طاقات يحركان بها

هذه الخوارق زيف وخداع لا يجوز إلا على أصحاب العقول الضعيفة !

ليست من العلم في شيء

ومنذ سبع سنوات ، ظهر على صفحات مجلة (الهيومانيست) اي القيم البشرية سلسلة من المقالات تحت عنوان (فضح الروحية والخوارق) ، وقد تناول كل مقالة منها عالم من العلماء ، واوضحوا ـ بمناقسة موضوعية ـ ان هذه الامور لا ترقى بحال من الاحوال الى مستوى العلوم التجريبية ، لانها في مجملها غش وخدع ذكية يقوم بها نفر من الحواة ، لا ليكسبوا عيشهم فحسب ، بل لتحقيق شهرة شخصية ـ فالمعروف عن الحاوي انه مخادع في كل ما يقدمه ، وهذا وحده كفيل بوضعه في وضع اجتماعي لا يحسد عليه ، لكن أن يدعي امتلاك قوى خارقة ، تجعله في مرتبة اسمى من مرتبة البشر العاديين ، فهذا شيء آخر يحيطه بهالة من الاحترام والقدسية والرهبة ، وكانما هو من ذوى المعجزات والكرامات التي ينحني لها الناس بما فيهم بعض العلمـــاء الذين يعشقـون ذلك !

خذ على سبيل المثال عالم من علماء الرياضيات يدعي البروفيسور تشارلز تارت من جامعة كاليفورنيا بديفيز .. هذا الرجل الف كتابا بعنوان (كيف تتعلم الادراك فيما وراء الحواس) ـ بما في ذلك الغيب بطبيعة الحال ، وفي الكتاب تحليلات احصائية توضح ان مجال الصدفة لا ينفع في شرح ظاهرة الخوارق ، فهي لا تقع تحت اي بند من بنود المنطق او المعقول .. ولقـد افزع ما جاء في هذا الكتاب علماء الرياضيات ، واضطروا ان يعودوا الى التجارب والاجهزة التي استقى منها تارت ارقامه واحصائياته ، وتبين لهم ان ما توصلوا هم اليه كان عكس ما ذكره تارت ، اي انها تقع تحت بند الصدفة ـ لا الخوارق ، ومن اجل هذا كتبوا تعليقا على الكتاب وقرروا فيه بالحرف الواحد (إلى حين اعادة هذه التجربة (اي التي ذكرها تارت في كتابه) ، فلا زلنا حتى الآن (وبالنسبة لهذه الخوارق) في موقف يشبه موقف الكيميـــائي الذي اكتشف انه كان يجري تجربته في انبوبة اختبار قذرة ، وبغض النظر عن كونها قذرة قليلا او كثيراً ، فان ذلك ليس مهما بقدر ما يهمنا ان تبدأ التجربة بانبوبة اختبار نظيفة) !

والمغزى هنا لا يخفي على لبيب ، فهذه العبارة المهذبة تعني ان مثل هذه البحوث او النتائج تشوبها شوائب ، وانها ليست



● كبير السحرة أو (راندى) العجيب وهو يقوم بفحص بعض الملاعق فحص الخبير الحاذق حتى لايخدعه جير ارد .. وهو ثالث ثلاثة حضروا من انجلترا ليشهدوا معجزات جير ارد الخارقة فى معمل البار اسيكولوجى بجر ينوبل ، ولم تتحقق فيه المعجزات التى طال فيها الجدل عن غير علم !

الاشياء ، ويلصقان بواسطتها حلقات من الخشب تلقائيا ، ويقرآن ما خفي من معلومات ، ويحددان اشكال وصورا مطوية ومخباة في ظروف مغلقة ، وايضا يلويان المعادن ويحطمانها .. الخ !

اما الشابان فهما ستيفن شو ، وميشيل ادواردز ، والمعمل بجامعة واشنطن في سنت لويس ، والممول سانفورد ماكدونيل من شركة ماكدونيل ـ دوجلاس لصناعة الطائرات (وقد دفع للجامعة مبلغ ٥٠٠ الف دولار) والمشرف على هذا البحث هو الدكتور بيتر فيليبس مدير معامل الفيزياء بالجامعة المذكورة ، ولكي يبدا البحث في البحث عن الخوارق ، كان لابد من وجود من يمتلك هذه الظاهرة ، واقحم راندي الشابين شو وادواردز على دكتور فيلبس ، وتم كل شيء على ما يرام ، او حسب ما يهوى الساحر وبطانته ، هذا رغم ان راندي قد حذر فيلبس من ضرورة الحذر حتى لا يقوم الشابان بخداعه ، ولكن فيلبس لم يقبل نصائحه ، ثم ثبت ان الشابين قد اجريا التجارب بطريقتهما الخاصة ، هذا بالاضافة الى التسيب والتساهل في الشروط .. من ذلك مثلا ان الشابين قد تخلصا من الاجهزة الاليكترونية والمسجلات والكاميرات التليفزيونية وغير ذلك مما قد يلتقط كل شاردة وواردة ، بدعوى ان موجات هذه الاجهزة تتداخل في موجات قواهما الخارقة ، كما انها تسبب لهما صداعا يمنعهما من التركيز .

ورغم ان فيلبس قد قرر بادىء الامر ان الشابين يمتلكان نصيبا لا باس من القوى الخارقة ، وان احد زملائه الذين اشرفوا على هذه التجارب قد راح يعلن رايه بثقة بالغة عن طريق شبكات التليفزيون ويؤكد انه شهد الخوارق التي يقوم بها الشابان ـ شهدها وهي تحدث امام عينيه ، رغم الرقابة الصارمة التي فرضت عليهما ، (وهذا ما اثار الساحر راندي ، فكشف في مؤتمر صحفي ان الشابين كانا شريكين في اللعبة ، واوضح في هذا المؤتمر للناس سذاجة العلماء الذين يعتقدون ان ظاهرة تسيد العقل على المادة (اي تحريك الاشياء وثنيها بطاقة غير منظورة) ظاهرة صحيحة وموجودة) ـ على حسب ما جاء بالنص في دراسة نشرها لا في العام الماضي باحد اعداد مجلة نيوساينتست البريطانية دكتور هاري كولينز مدير مركز الدراسات العلمية بجامعة باث .. ويضيف راندي (لقد استغفل الشابان فيلبس ومن معه من البداية رغم تحذيري لهم بضرورة اليقظة وتشديد الرقابة على الشابين) !

اذن .. فالعيب موجود في انماط تفكير بعض العلماء ، وكانما هم لا يكتفون بخداع غيرهم لهم ، بل يزيدون عليه بخداع انفسهم لانفسهم ، وهو نوع من الانحراف الفكري الذي يحتاج الى دراسة انماط التفكير عند هذا الصنف من العلماء .

فمنذ زمن طويل والمهتمون بالبحـوث الروحية او الباراسيكولوجية يودون من صميم قلوبهم اعتراف العلم بهذه القوى الخارقة ، لكن مجريات الامور تشير الى ان

لأول مرة يتدخل الحُواة في تجارب العلماء

نظيفة تماما .. او بمعنى اوضح : ان شوائبها هو التحيز والكذب والخداع والتسيب ، وطبيعي الا يقبل العلماء نشر هذه البحوث الكاذبة في مجلاتهم العلمية ، وليذهب بها ادعياء الروحية لنشرها في مجلات الروحية والخوارق والمعجزات والباراسيكولوجي وما شابه ذلك ، او يقدمونها في كتب تدر عليهم اموالا طائلة ، خاصة اذا كان مؤلفها احد العلماء الذين استهوتهم هذه الخدع ، فاعتبروها خوارق ومعجزات ، ثم ان هذه الكتب والمنشورات تجد لها سوقا رائجة ، وقراء كثيرون مغرمين بها ، وعنها ينقل بعض الكتاب العرب ، ويتحيزوا لها ، ويفتون بان العلم قد اعترف بها ، رغم ان العلم برىء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب .. لكن يبدو ان هذه الافكار تبدو جذابة ، لانها مستوردة ، وكل مستورد جذاب ، كما انها تبدو ظاهرياً وهي تلبس ثوب العلم ، ولكن الباطن عفن وخادع ورديء ، ولا يتمشى مع عقل راجح ، وفكر واضح !

والواقع أن سر اهتمام كاتب هذه الدراسة بمثل تلك الخوارق يرجع ايضا الى تجارب شخصية مرت به مع من يدعون تحضير الأرواح ، او التخاطب مع الاشباح او معرفة الغيب عن طريق التنويم ، او استخدام الجن ، او الاتيان بالمعجزات وغير ذلك من أمور تقع تحت بند الباراسيكولوجي او الخوارق ، وفي كل مرة من المرات الخمس او الست التي اضطررت الى حضورها مع اصدقاء يعتقدون فيها – في كل مرة كنت اطلب من مدعي الاتيان بالخوارق ان ينفذ شرطا او اكثر من شروطي ، حتى لا تجوز علينا خدعة في غفلة منا ، وفي كل مرة تفشل التجربة ، و يمتنع المدعي عن الاستمرار بحجة ان هذه الغيبيات لا تقبل التحدي ، ولا هي تظهر في وجود متشكك ، واحياناً ما ياتيني اللوم من أصحابي ، لانني افسدت كل شيء بعلمي المزعوم (هكذا !!) .. وكثيراً ما كنت اتوصل الى سر الخدعة ، ولكني لا استطيع ان ابوح بها ، واذا بحت بالسر ، صمت الآذان وكان بها وقرا ، او هوجمت لانني كشفت الحقيقة ، إلا ان هذا موضوع آخر لا مجال له هنا ، ولكن مما لاشك فيه ان معظم الناس مولعون بالخيال والغيبيات ، وربما كان غياب وعيهم بما يدور حولهم نتيجة مباشرة او غير مباشرة لذلك .

كلمة أخيرة

ونود ان نوضح في ختام هذه الدراسة ان العلماء يرفضون هذه الخوارق – ليس حباً في الرفض ، بل يرجع ذلك الى عقليات العلماء وافكارهم مستقاة من نظام الخلق الذي يبحثون فيه (البعض يفضلونها مادية العلم !) .. فالذين درسوا المادة ومكوناتها ، والحياة واسرارها ، والارض وثرواتها ، والبحار وخيراتها ، والاكوان وقوانينها ، والاجرام السماوية بحركاتها ومداراتها .. الخ .. الخ ، يعرفون – قبل غيرهم – النظم المذهلة في كل خلق ، صغر شانه او كبر ، وبهذا التنظيم الذي يرونه ليل نهار ، انتظمت تبعاً لذلك عقولهم ، ولهذا يعتبرون كل شذوذ عن هذا النظام ، انما هو خرق له ، وتلاعب به ، والخوارق التي نتحدث عنها تقع تحت هذا البند ، ولقد صحت آراء العلماء ، اذ ثبت – كما قدمنا – ان الخوارق ليست – في الحقيقة – الا غشا وخداعا يقوم به بعض السحرة ، وقد اعترفوا بذلك عندما فشلوا .. اما العلماء الذين يعتقدون في ذلك فهم قلة قليلة ، وتعتبرهم الغالبية من الشواذ ، ولا حكم على الشواذ بطبيعة الحال !

ان واحداً مثل دكتور جورج برايس من جامعة مينيسوتا الامريكية يعلق في مجلة (ساينس) الامريكية (العلم) عن ظاهرة الخوارق بقوله (ان احسن النتائج التي تحققت في هذا المجال ، وقيل عنها انها من الخوارق التي لا يمكن تفسيرها – هذه النتائج يمكن تكرارها عن طريق خدع ذكية) ! .. وواحد مثل البروفيسور ادوارد كوندون من جامعة كولورادو ينظر الى الهوس الذي اصاب الناس في عصرنا الحاضر من جراء عدة ظواهر خادعة يمكن شرحها ودحضها باسباب معروفة ، فنراه يقول (ان مسالتي الاطباق الطائرة والتنجيم ليستا الظاهرتين الوحيدتين اللتين يمكن تصنيفهما تحت بند العلوم الكاذبة او الخادعة ، بل يلحق بهما في هذا المجال الظاهرة الروحية والاستحراك والادراك عن طريق حواس غير حواسنا التقليدية ، او غير ذلك مما ينتشر بين الناس ، ولهذا فمن رايي ان الناشرين الذين ينشرون ذلك ، او المعلمين الذين يذكرونه امام تلاميذهم – من رايي انهم اذا وجدوا متلبسين ، ان يجلدوا بالسياط في ميدان عام ، وان يحرموا من ممارسة نشاطهم في مجال هذه الوظائف التقليدية) !

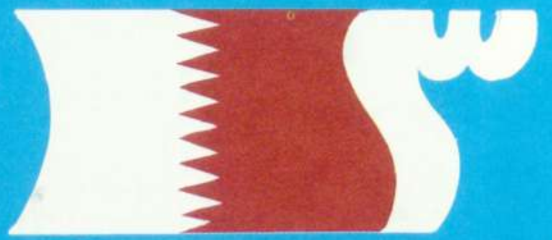
وطبيعي ان كوندون متطرف في حكمه ، اذ يكفي لومهم وانذارهم وطردهم في نهاية الأمر . ما لم تستقم افكارهم ، وكنا نود ان يلحق بهم العلماء الذين يثبت خداعهم لانفسهم ، او خداع السحرة لهم ، فهذه غفلة لا يصح ان تكون سمة عالم من العلماء .. ونحن نستند هنا ايضا الى قول الامام الغزالي في مسالة شبيهة بالخوارق اي مسالة الجن ،اذ يقول (من ادعى انه يرى الجن ، فلا تقبل شهادته) .. والجن من الغيبيات ، ويعني ذلك ان مثل هذا الانسان مشكوك في قواه العقلية !

وينطوي تحت هذه المزاعم ايضا معرفة مسالة الروح وقراءة الغيب وغير ذلك من امور يزعم بعض الناس انها مسخرة لحسابهم .. كل هذا وغيره قد حسمه القرآن الكريم في اكثر من آية .. (ويسالونك عن الروح ، قل الروح من أمر ربي . وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) (الاسراء/٨٥) .. ويعني هذا بوضوح تام انه لا سلطان لاحد على الروح ، وذلك ما ينادي به العلمـاء الآن ، ويعترفون به ، وكل ما عداه فهو خداع وضلال .

وعن الغيب الذي يمكن معرفته بحواس غير حواسنا ، فقد حسم القرآن الكريم الامر في اكثر من آية (عالم الغيب والشهادة فلا يظهر على غيبه احداً) (الجن /٢٦) .. (ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير) (الاعراف/١٨٨) .. (فقل انما الغيب لله) (يونس/١٠) .. (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) (آل عمران/ ١٧٩) .... الخ

هذا هو القول الفصل .. وما عداه فسراب وضلال وخدع لفظها العلم ، واعتبرها خوارق تخرق عقول من اعتقدوا فيها ، فتصيبها بثقوب تؤدي الى البله والسذاجـة ، لكن لا شان لها بخرق قوانين الكون الصامدة ، او نواميسه المتقنة .. فهذه اقوى من اي شيء عرفناه في الكون والحياة .. ولكل ما سعى ان تعقلا فتعقلا ، وان خيالا فخيالا !

عبد المحسن صالح



٣ سبتمبر

١٣ سنة مضيئة

جزء خاص بمناسبة استقلال دولة قطر



منذ أن حصلنا على استقلالنا التام وفزنا بسيادتنا الكاملة، لم نَتَوانَ عن أن نُرسي لكلٍّ من سياساتنا الوطنية ، والقومية العربية والإسلامية ، والإنسانية ، أسُسًا ثابتة ، ولقد تمثل نهجنا في أن نستمد جوهر هذه الأسس من تعاليم ديننا الإسلامي السامية بحيث نحتفظ بذاتيتنا الإسلامية الأصيلة ، ونستنبط روحها من تقاليدنا العربية النبيلة ، بحيث نصون شخصيتنا العربية العريقة . وفي ذات الوقت ، حرصنا على مراعاة ضرورة الاستجابة لمتطلبات التحديث في عالمنا الراهن للحاق بركب تقدمه العلمي والصناعي .

خليفة بن حمد آل ثاني

أمير دولة قطر



حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني أمير دولة قطر



سمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني ولي العهد ووزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة

١٣ سنة مضيئة

الاستقلال
وسياسة قطر الخارجية



بقلم
الشيخ أحمد بن سيف آل ثاني
وزير الدولة للشئون الخارجية



سمو امير البلاد المفدى اثناء مشاركته فى المؤتمر الاسلامى الذى عقد فى المملكة العربية السعودية

ليست هناك مناسبة أعز على نفوس الشعوب والأمم من مناسبة الاستقلال ، ففي هذه الذكرى يتجدد الوعد والأمل بالخير والرخاء والسلام وتتجدد المناسبة التى أصبحت رمزاً للحرية والتقدم .

وما كان لهذه الذكرى الغالية أن تصبح خالدة فى كيان الوطن ووجدان المواطن دون تعاون الأسرة القطرية الواحدة وايمانها وثقتها التامة بقيادتها الرشيدة ، ودون الدور الطليعى والرائد لحضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى فى توجيه مسار الدولة داخلياً وخارجيا الوجهة التى اكسبتها ما تنعم به من أمن ورخاء بالداخل واحترام وتقدير بالخارج .

لقد كان لصاحب السمو الأمير المفدى الفضل فى ارساء سياسة قطر الثابتة والقائمة على ثلاث دعائم وقواعد أساسية وراسخة هى القاعدة العربية والقاعدة الاسلامية والقاعدة الدولية .

ولعل ما أقدمت عليه دولة قطر من مساهمة فعاله فى اقامة مجلس التعاون لدول الخليج العربية والانضمام إليه وبروز هذا المجلس ككيان موحد وقوى يضم بالاضافة لدولة قطر كلاً من دولة الامارات العربية المتحدة ودولة البحرين والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان ودولة الكويت



سمو أمير البلاد المفدى فى اجتماعات الدورة الرابعة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية الذى عقد فى مدينة الدوحة بدولة قطر

ليعطى الدليل الأكيد على الرغبة الصادقة التى تؤمن بها دولة قطر وتمارسها فى سبيل جمع الصف العربى والبروز أمام المجتمع الدولى كقوة عربية واحدة انطلاقاً من أن قوة الأمة العربية هو فى وحدتها وتكاتفها .

وإننا منذ فجر الاستقلال لدولتنا الفتية ومنذ انضمامنا إلى الأسرة العربية الواحدة من خلال جامعة الدول العربية ونحن نضع الأهداف السامية للأمة العربية نصب اعيننا ايماناً منا بالدور الانسانى والحضارى لهذه الأمة فى المجتمع الدولى ، ومن هنا كان عملنا وجهدنا المتواصل من أجل جمع الكلمة العربية وتوحيد مسارها ، فلم نتخلف يوماً عن اجتماع للخير أو مسعى للسلام ، ولم نتأخر يوماً عن اداء دور أسند إلينا ، متخذين من الايمان بوحدة الهدف والمصير دافعاً لنا ومن الالتزام بمواثيق الجامعة العربية هادياً ومنطلقاً .

كذلك كان حرص دولة قطر على الانضمام لمنظمة المؤتمر الاسلامى من منطلق ايمانها بأنها عضو من جسد الأمة الاسلامية العظيمة وأداء لرسالة آمنت بها واستوحتها من قول الحق تبارك وتعالى « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ومن قوله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى»

وإن حكومة دولة قطر وبتوجيهات من صاحب السمو الأمير المفدى لتبذل

١٣ سنة مضيئة



سمو أمير البلاد المفدى يشارك اخوانه ملوك ورؤساء الدول العربية فى اجتماعات مؤتمرات القمة العربية

ما وسعها البذل كل ماتستطيع فى سبيل رفع راية الأمة الاسلامية وتوحيد كلمتها مساهمة فى استقرار العالم ودفع عجلة السلام الى الهدف الذى نسعى اليه جميعاً .

أما على المستوى الدولي فان دولة قطر تتعاون مع مختلف الدول الصديقة والشعوب المحبة للسلام لإرساء أسس سلام عالمى وتحقيق رخاء الانسانية والمحافظة على العلاقات الدولية المتينة بين الأمم انطلاقاً من مبادئ الأمم المتحدة وتحقيقاً لهذه المبادئ بما يكفل اقامة العلاقات بين هذه الدول على مبدأ التعاون والاحترام .

وقد قامت دولة قطر بدورها بالمشاركة فى حل الخلافات والمشاكل الدولية على مختلف أشكالها سياسية أم عسكرية ام اقتصادية ، ولاتزال حريصة على المساهمة فى تخفيف التوترات الدولية وتقريب المواقف والاتجاهات حيال القضايا المصيرية فى جميع المحافل الدولية .

فى هذه الأطر ومن خلال هذه القواعد الثلاث العربية والاسلامية والدولية تتحدد معالم سياستنا وتتجسد أسس ومبادئ هذه السياسة ، فنحن نعمل ونسير فى كل اتجاه يؤدى إلى ترسيخ التضامن العربى والاسلامى والدولى وتتواكب مع هذه المبادئ مساندتنا الكاملة للحقوق الأساسية للشعوب فى الاستقلال وتقرير المصير وفى مقدمتها حقوق الشعب الفلسطينى ، وموقفنا فى هذا ثابت وواضح حيث أننا نعتبر القضية الفلسطينية هى القضية الأساسية والمركزية ، ونطالب بتحرير كافة الأراضى العربية المحتلة وتحقيق المطالب المشروعة للشعب الفلسطينى فى العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة على ترابه الوطنى بقيادة منظمة التحرير ممثله الشرعى والوحيد .

كما أننا نؤيد كل نضال يرمى الى تصفية الاستعمار أينما كان وإنهاء التمييز العنصرى وتدعيم سيادة الدول على ثرواتها ومواردها الطبيعية ، دون أن ندخر جهداً فى مساندة هذا التأييد بما يلزمه من عون ومؤازرة .

إن هذه السياسة التى يتبناها سمو الأمير وحكومته الرشيدة ويرعاها سمو ولى عهده الأمين الشيخ حمد بن خليفه آل ثانى هى التى وضعت دولة قطر فى المكانة الرفيعة بين الدول وخلقت لها هذه السمعة الطيبة بين الدول العربية والاسلامية واكسبتها وزنها الفعال على الساحة الدولية .

أحمد بن سيف آل ثانى

السياسة البترولية
ودورها في دعم استقلال البلاد



الشيخ عبد العزيز بن خليفة آل ثانى وزير المالية والبترول

يعتبر قطاع البترول ركنا أساسيا فى التنمية الاقتصادية لدولة قطر ، باعتباره المصدر الأساسي للدخل القومي والركيزة الهامة فى تمويل عمليات التنمية ، بالاضافة إلى كونه مصدراً رئيسياً فى تغطية الاحتياجات المحلية للطاقة ، ومصدراً للتغذية فى عديد من الصناعات البتروكيماوية .

ولهذا تهدف سياسة قطر البترولية إلى تكريس كل الجهود فى سبيل الاستفادة القصوى من العائدات البترولية ، وفى دفع عجلة التقدم فى البلاد ، والعمل على تحقيق التكامل فى صناعة البترول ودمجها فى الاقتصاد القومى ونشاطاته المختلفة ، والتحول بالاقتصاد القطرى من الاعتماد على مصدر ثابت للدخل القومى إلى قاعدة انتاجية متنوعة وموسعة .

وتعتمد المشروعات المستقبلية فى دولة قطر على تطوير مشروع الغاز فى حقل الشمال ، ذلك المشروع الذى سيجعلها من الدول الرئيسية المنتجة للغاز ، كما انه سيؤدى إلى تنمية الموارد الانتاجية بشكل ملموس ، حيث انه يختلف بطبيعته عن المشاريع التنموية الأخرى التى لابد من اخضاعها لسلم أولويات واضح مع مراعاة الموارد المالية المتوقعة ، وقد تم إعداد الدراسات لتطوير الحقل ، خاصة وان الطلب على الغاز فى زيادة مطردة ، ومن المتوقع أن يزداد الطلب عليه بشكل كبير فى نهاية الثمانينات وبداية التسعينات ، وسيصاحب المشروع تطوير عدد من المشاريع الاقتصادية الكبرى التى تعتمد على الغاز ، من صناعات بتروكيماويــة وصناعات أسمدة وصناعات أخرى تعتمد على الطاقة الرخيصة .

وفى السنوات الماضية ، وبعد القرار التاريخى بالسيطرة الكاملة على ثروات البلاد فى عام ١٩٧٤ ، بدأت مرحلة جديدة فى تطوير وتوسيع الصناعات القائمة على الطاقة البترولية والاستفادة الكاملة من الغاز الطبيعى ، واستكمال صرح صناعة ضخمة فى منطقة أم سعيد تضم العــديد من الصناعات الثقيلة وأهمها : البتروكيماويات والأسمدة الكيماوية والحديد والصلب والأسمنت .

ومن كل ذلك وغيره ندرك معالم السياسة البترولية لدولة قطر التى تركز على المحافظة على الثروة الوطنية لأطول وقت ممكن وعلى خطط التنمية فى البلاد والبحوث التقنية التى تهدف إلى تطوير المجتمع ورفع كفاءة استخدامات الطاقة مع تنميتها وتطويرها لتحقيق النمو والازدهار .

١٣ سنة مضيئة

مسئولية العمل الاجتماعي في قطر

رغم حداثة العمل الاجتماعى فى دولة قطر فإننا نشاهد مايجرى من تطورات فى الخدمات الاجتماعية المقدمة للمواطن القطرى والتى تعبر عن جدية الدولة ورغبتها الصادقة فى تنمية مجتمعها والعمل — بصفة دائمة — على تطويره من أجل الرقى والتقدم .

وخلال سنوات وجيزة من الاستقلال ، استطاعت دولة قطر بقيادة أميرها المفدى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى وولى عهده الامين أن ترسى قواعد نهضتها المعاصرة ، وأن توفر كافة الإمكانات لبلورة العمل الاجتماعى ، بداية من اختيار الكفاءات المتخصصة وتنظيم الأقسام المتعددة ووضع الخطط المدروسة وبلورة الإطار الفكرى ، الى توفير الوسائل العلمية والعمل على إنتشار مؤسسات الرعاية الاجتماعية بكافة خدماتها لتلبى احتياجات المواطنين ولتعبر عن إرادة التنمية فى المجتمع .

وقد انطلقت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بمهماتها ومسئولياتها فى إطار الأهداف والمبادىء الاجتماعية التى تضمنتها السياسة العامة للدولة ، مسترشدة بتوجيهات أمير البلاد المفدى ، التى تعكس الحرص الشديد والاهتمام المتواصل لتحقيق التنمية والتقدم والاستقرار لهذا المجتمع وابنائه الكرام ..

وقد ركزت فى مسيرتها الهادفة على تحقيق الرعاية وحماية الاسرة والنشء ونشر روح التعاون بين المواطنين وتوفير



بقلم
علي بن أحمد الأنصاري
وزير العمل والشئون الاجتماعية

الحاجات الأساسية لأبناء هذا البلد العزيز ، إضافه إلى إعلاء صوت قطر بين دول العالم بالمشاركة فى المؤتمرات والندوات التى تقوى العلاقات العربية والدولية ، وتجعلنا نطلع على تجارب الآخرين وما يجرى من تطورات فى هذا المجال الحيوى .

والواقع أن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بنشاطاتها المتعددة إنما تقوم بأدق وأخطر المهمات فى حياة المجتمعات الحديثة ، فكل نشاطاتها وثيقة الصلة بحياة ومستقبل غالبية المواطنين ، إضافة الى دورها الإيجابى الفعال فى تنمية وتطوير المجتمع ودفعه نحو تحقيق أهدافه المرجوة .

وقد وضعت الوزارة سياستها التنفيذية على أسس خاضعة للتخطيط العلمى والمتابعة الدقيقة والتقييم المتواصل لكل ماتنجزه من أعمال — خاصة — فى نطاق مسئوليتها المباشرة فى مجالات العمل والاستخدام والرعاية الاجتماعية والتعاونيات .

واستطاعت فى هذه المجالات وغيرها أن تحقق انجازات بالغة الأهمية ، ففى مجال التطوير الادارى نهجت الوزارة منذ إنشائها على تطوير وتعزيز إداراتها المختلفة ، وأعدت مشروع قانون بإعادة تنظيمها تضمن إنشاء إدارات جديدة بالوزارة للتعاون والتخطيط والشئون الفنية والشئون الادارية والمالية ، كما صدر القانون رقم (٨) لسنة ١٩٨٢ بتنظيم الوزارة وتحديد اهدافها وصلاحيتها ونظامها الداخلى بشكل يؤمن تيسير وتنسيق العمل الادارى .

وفى مجال العمل والاستخدام ، سعت الوزارة إلى تحقيق تكافؤ الفرص للمواطنين فى القطاعات المختلفة وتمكينهم من ممارسة العمل فى ظل القوانين التى تكفل لهم العدالة الاجتماعية وتعمل على تحسين مستويات المعيشة لهم وتحافظ على حقوقهم ، وفتح مجالات عمل جديدة .. وفى هذا المجال عملت الوزارة على تطوير وتنمية قسم التفتيش والعلاقات الصناعية حتى يحقق مسئولياته بنجاح ، ويوطد العلاقة بين العمال وأصحاب الأعمال ، ويراقب سلامة تطبيق قانون العمل وتدبير اجراءات السلامة حفاظا على صحة العمال وحمايتهم من أخطار المهنة وأمراضها واصابات العمل .

وتوثيقا لأواصر الأخوة والتعاون بين

قطر والدول العربية الشقيقة وحرصا على تنظيم استقدام العمالة العربية للعمل بدولة قطر تم توقيع خمس إتفاقيات مع كل من جمهورية مصر العربية والجمهورية التونسية والمملكة المغربية وجمهورية السودان الديموقراطية وجمهورية الصومال الديموقراطية . كما تم تطوير قسم الاستخدام بالوزارة ليقوم بالتعاون مع أجهزة الوزارة الأخرى والجهات المختصة فى وزارة الداخلية لضبط عملية استقدام العاملين من خارج البلاد ، واصدار بطاقات العمل وحفظ السجلات الخاصة بالعمالة وطلبات الباحثين عن العمل والعمال .

أما على الصعيد الاجتماعى ، فقد عملت الوزارة على تنظيم قسم الضمان الاجتماعى من أجل تحقيق الاصلاح الاجتماعى الشامل ورعاية النشء وحمايته ، وسعت إلى تدعيم جهازه الوظيفى الذى يقوم بالاشراف على الخدمة الهامة التى تقوم بها الدولة لرعاية الفئات ذات الأوضاع الخاصة كالمعوقين والعاجزين عن العمل والأيتام والأرامل والمطلقات . وقد أنشأت مكاتب فرعية للضمان الاجتماعى فى مدينتى الخور والشمال لتقديم الخدمات الاجتماعية للمواطنين فى أماكن إقامتهم ، بالاضافة إلى إنشاء مركز التدريب والتأهيل الاجتماعى للسيدات والفتيات القطريات لتحسين الوضع الاجتماعى للأسرة وإتاحة الفرصة ا مام المتدربات للعمل المنتج .

وقد قامت الوزارة بتقديم المساعدات الاجتماعية التى بلغت هذا العام ٧٦،٥٠٤،١٥٠ ريال قطرى ، شملت ٦٦٠٩ حالة اجتماعية ، وهذا إضافة إلى تسجيل انشاء الجمعية القطرية لرعاية المعوقين بالتعاون مع بعض أبناء البلد المخلصين ، وقد حققت هذه الجمعية العديد من المساهمات الأهلية الطوعية للعمل الاجتماعى والانسانى ، وفى الشهر الماضى (أغسطس) أقيم أسبوع خليجى للمعوقين فى الدوحة بمناسبة السنة الدولية للشباب ، وشاركت فيه دول مجلس التعاون الخليجى ، وكانت أهم أهدافه توصية المجتمع إلى ضرورة العمل على تفهم حقوق المعوقين تمهيدا لتبنى هذه الحقوق والعمل على ترجمتها إلى واقع ملموس ، وفتح المجال أمام المعوقين للمشاركة فى برامج السنة الدولية للشباب ، وإتاحة شتى الفرص لبناء الجسور بين المعوقين فى سائر أنحاء دول الخليج ، تمهيدا لتوسيع نطاق العلاقات حتى تشمل معوقى دول العالم .

ومن واقع سياسة الدولة وتوجيهاتها بضرورة تنمية الحركة التعاونية وتشجيعها وتقديم كافة العون لها ، أعطت الوزارة كل عنايتها لتأمين كل مقومات النجاح للجمعيات التعاونية ، فتم افتتاح سبع جمعيات تعاونية استهلاكية فى أماكن عديدة من البلاد ، ويجرى الاعداد لافتتاح المزيد منها فى مناطق مختلفة .

كما أن الوزارة قامت فى السنوات الأخيرة بتدعيم جهازها الوظيفى فى مجال الإسكان الشعبى ، وتعاونت مع وزارة الأشغال العامة فى توفير المساكن المجانية للعجزة والمساكن الشعبية لذوى الدخل المحدود ، بحيث تتناسب مع عدد أفراد أسرة المنتفع وعاداتها الاجتماعية ، وقد



المساكن الشعبية

بلغت عدد المساكن الشعبية والمجانية التى سلمت لأصحابها هذا العام ٧٢٧ مسكنا ، ا ضافة إلى ماتقوم به الدولة من خلال وزارة العمل لبناء مجمعات سكنية خارج الدوحة تشبه المدن الصغيرة الحديثة وذلك لسكنى ا هالى القرى القديمة .

وإلى جوار كل تلك الأنشطة الحيوية ، نجد أن وزارة العمل والشئون الاجتماعية تحرص على أهدافها الأخرى ذات الأهمية الخاصة مثل دراسة البيئة ومعرفة احتياجاتها ومواردها الاجتماعية ، وإيقاظ الوعى والتوجيه والإرشاد ، وخلق القيادات المحلية ، والنهوض بالصناعات الريفية ، والعمل على إدخال الصناعات الجديدة ، وغير ذلك من المسئوليات التى تباشرها نحو الأفراد والهيئات .

وهذا الجهد البناء ، مضافا إليه المشاركة فى العديد من المؤتمرات والندوات والحلقات الدراسية التى تعقد على المستوى الاقليمى والعربى والدولى ، ماهو إلا ترجمة صادقة للرسالة النبيلة التى تقع على عاتقنا والتى تتطلب باستمرار التوسع فى العمل الاجتماعى . وتعميق الشعور بالمسئولية لدى المواطنين والاستمرار فى إنشاء المزيد من المراكز الاجتماعية والجمعيات التعاونية وتشجيع العمل الأهلى التطوعى وكل ما من شأنه خدمة الوطن وأبنائه .

على بن أحمد الأنصارى

١٣ سنة مضيئة

الإعلام القطري

بين الوسائل والأهداف

بقلم : عبد الله صادق
مدير إدارة المطبوعات والنشر

أصبح التخطيط عَلَما على الدولة العصرية ، فتضع جميع الدول فى عصرنا الراهن خططا لتحقيق أهدافها فى جميع المجالات ، وتجند لذلك الموارد الممكنة والوسائل المناسبة .

والاعلام القطرى هو أحد اجهزة الدولة التى تسير فى اتساق مع باقى الأجهزة لتحقيق الخطة العامة ، لذلك كان ضروريا أن تكون للاعلام القطرى استراتيجية تستلهم تلك الخطة وتتواءم معها .

وتنبع استراتيجية الاعلام القطرى من مجموعة من العوامل الثابتة التى تتميز بخاصية تاريخية مستمرة لارتباطها بالخصائص الجوهرية للانسان القطرى ، اضافة الى مجموعة من العوامل المتغيرة التى تنشأ من الحركة الدائبة للمجتمع فى سبيل التقدم والنمو وما يواجهه من مشكلات خلال تلك الحركة وما يبتدعه من حلول لمواجهة تلك المشكلات .

وهناك ثوابت فى استراتيجية الاعلام القطرى أهمها :

• السياسة العامة للبلاد التى أرسى اسسها الحديثة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى .

• التراث والتاريخ القطرى باعتباره اساس مايسود المجتمع من قيم ومعايير يتوارثها جيل عن جيل وتمثل العماد الأساسى لبنية المجتمع القطرى بانعكاساتها المؤثرة فى حياة أفراده ، وينص النظام الأساسى المؤقت المعدل فى مادته الثامنه على أن « ترعى الدولة التراث الثقافى القومى وتحافظ عليه وتساعد على نشره ، وتشجع العلوم والفنون والآداب والبحوث العلمية » .

• انتماء الشعب القطرى للأسرة الخليجية والأمة العربية والعالم الاسلامى انتماء املته الظروف التاريخية والمصيرية ، كذلك موقع قطر فى منطقة الخليج العربية تلك المنطقة التى تسهم فى رخاء العالم ورفاهيته بما تملكه من ثروه نفطية ، اضافة لتحرك قطر الدائب على الساحة الدولية ضمن مجموعة دول عدم الانحياز ومن خلال منظمة الامم المتحدة لمساندة قضايا الحق والعدل فى جميع انحاء العالم .

• الانسان القطرى باعتباره الثروة الحقيقية للبلاد وبذل كل الجهد فى سبيل اطلاعه على كل مايثقف عقله ويريح نفسه وباعتبار ان العقل العام لأى مجتمع هو مجموع عقول افراده .

• وتضع أجهزة الاعلام المقروءة والمسموعة والمرئية هذه المبادىء الثابتة نصب اعينها ، وتعلن عنها بكافة السبل المتاحة ، وتدافع عنها بكل الأساليب المشروعة اسهاما منها فى الحفاظ على قيم المجتمع وتقدمه وازدهاره .

المتغيرات فى الاستراتيجية

أما المتغيرات التى طرأت على المجتمع القطرى فى السنوات الاخيرة فيوليها الاعلاميون كل اهتمامهم ويتابعونها بكل الجهد ويقدمونها بالاسلوب الذى يناسب الظروف .

ومن أهم المتغيرات :

• مجلس التعاون لدول الخليج العربية



الصحف والمجلات القطرية



عيسى غانم الكوارى
وزير الاعلام



الاذاعة القطرية



محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام



التليفزيون القطرى

الأمل الذى اصبح حقيقة معاشة فى الواقع والذى يمثل بالنسبة لشعب الخليج العربى نقطة تحول الى الطريق السليم ومحطة انطلاق لتحقيق الآمال الكبيرة التى طالما راودت عقل وقلب كل مواطن خليجي.

• الحرب العراقية الايرانية بما تمثله من خطر جسيم ليس على مصالح دول المنطقة بل وعلى مصالح العالم أجمع وذلك بما تؤدى اليه من استنزاف لطاقات وامكانات شعبين مسلمين تجمع بينهما أوثق روابط الدين والجوار بدلا من توظيف تلك الامكانات وتلك الطاقات لرفاهية الشعبين المسلمين وازدهارهما.

• زيادة المعروض فى السوق العالمية من البترول عن المطلوب منه وما يستتبع ذلك من ضرورة ترشيد الانفاق ومحاربة التسيب والحث على تفهم الوضع والإدراك العقلانى الواعى لما تمر به البلاد بل والعالم كله من ظروف اقتصادية طارئة.

هذه العوامل الثابته منها والمتغيرة هى التى تشكل الخطوط العامة لسياسة الاعلام القطرى، وهى التى توجه جهود المسئولين فى هذا الجهاز الهام، غايتهم فى النهاية رفعة شأن وطنهم والارتقاء بمواطنيهم، حتى يقوم الاعلام القطرى بالرسالة، ويؤدى الأمانه، فى ظل النهضة التى تشهدها الدولة بقيادة حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى امير البلاد المفدى وولى عهده الأمين.

عبدالله محمد صادق

١٣ سنة مضيئة

استقلال قطر والقضية الفلسطينية

إذا جاز لنا ان نقيم موقف دولة قطر من القضية الفلسطينية فاننا لا نتوانى عن القول ، ان هذا الموقف يعتبر من المواقف الطليعية الملحوظة ، وهو إن دل على شيء ، فانما يدل على التزام دولة قطر الناهضة ـ وضمن امكانياتها ـ بمساندة الشعب الفلسطيني العربي ونضاله العادل ضد الصهيونية العنصرية .

منذ ولادة الثورة الفلسطينية قبل تسعة عشر عاماً ، وقفت دولة قطر الى جانب هذه الثورة ، ولم تبخل عليها باي تضحية ممكنة ، ولقد كان هذا الموقف الرائد تعبيراً عما يجيش في صدور ابنـاء الشعب القطري ، من مشاعر الاخـوة العربيـة ، ووحـدة العمل والمصير العـربي ، ولقـد انعكس هذا الموقف الطليعي لدولـة قطـر ، على مدى السنوات التسـع عشرة الماضيـة ، في جميع الخطوات والممارسات القطرية ، وسواء على صعيد السياسة والدبلوماسية ، او على صعيد الدعم المادي والمعنوي المباشر للثورة الفسطينية والشعب الفلسطيني .

واذا كان لنا أن نسجل ما لدولة قطر من اياد بيضاء على الكفاح الفلسطيني والثورة الفلسطينية ، فاننا نذكر بان عدداً من قادة الثورة الأوائل ، وبعضهم شهداء ، قد خرجوا من دولة قطر ، لينضموا الى النواة الأولى ، التي فجرت الثورة الفلسطينية في الفاتح من كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٦٥ ... وبعد هذا التاريخ بشهر واحد فقط ، اي في ١ ـ ٢ ـ ١٩٦٥ ، رفرف العلم الفلسطيني في سماء الدوحة عاصمة قطر ، عندما افتتح اول مكتب لمنظمة التحرير الفلسطينية في دول الخليج العربية ، علماً بان دولة قطر لم تنل استقلالها ، إلا بعد اكثر من ست سنوات على ذلك التاريخ مما يشهد على صدق المشاعر الوطنية والقومية

العربية لدى القائمين على شؤون البلد آنذاك وفي طليعتهم سمو امير دولة قطر الشيخ خليفة ابن حمد آل ثاني ، وقد كانت هذه المشاعر الصادقة ، والنابعة من قلوب مؤمنة بوحدة الأمة العربية والوطن العربي الكبير ، وبان المعركة ضد الصهيونية ، هي معركة مصير ووجود ،

كانت كافية لجعل المسؤولين في دولة قطر يتجاوزون جميع العراقيل التي كانت تفرضها (العلاقات التعاقدية الخاصة ، والاتفاقيات والالتزامات والتنظيمات المترتبة عليها ، المبرمة مع الحكومة البريطانية) ، والتي الغيت رسمياً في الثالث من ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٧١

فلسطين في خطب الأمير

وقد جاء استقلال دولة قطر في الثالث من ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٧١ ، ليعطي القضية الفلسطينية والثورة الفلسطينية زخماً قوياً ، حيث اصبحت الارادة القطرية حرة طليقة ، وقادرة على التاثير في مجريات القضية الفلسطينية ، بما لقطر من امكانيات ومواقف مشرفة . ولقد تجلى الموقف القطري بعد استقلال الدولة ، بشكل واضح وجلي ، في خطب سمو امير دولة قطر واحاديثه وتصريحاته ، بحيث ندر ان خلا واحد منها ، من ذكر النضال الفلسطيني العادل وتسجيل تاييد دولة قطر ودعمها غير المحدود لهذا النضال ، بل انه منذ اليوم الأول للاستقلال (٣ ـ ٩ ـ ١٩٧١) ، لم يخل حديث سياسي لسمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، او لسمو



سمو امير البلاد المفدى الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني في إحدى لقاءاته مع ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية

ولي العهد الشيخ حمد بن خليفة ال ثاني ، او للوزراء ، وسفراء الدولة لدى الأمم المتحدة والمنظمات واللجان المتفرعة عنها ، ولدى الدول العربية والاجنبية ، من التركيز على القضية الفلسطينية ، باعتبارها القضية العربية الاولى التي توليها دولة قطر ، جل اهتمامها ، وتبذل من اجل انتصارها اكبر جهودها واوسع وقتها .

ففي خطاب لامير البلاد ، بمناسبة اعلان الاستقلال ، قال سموه ما يلي : (تؤمن الدولة باخوة العرب جميعاً ، وتسعى جاهدة لتوثيق عرى التآزر والترابط مع كل شقيقاتها الدول العربية ، وتساعد بكل قواها ، الجهود المشتركة لتحقيق الوحدة العربية ، والكفاح في سبيل نصرة قضايا العرب ، وفي مقدمتها قضية ارض فلسطين المغتصبة ، وقضية الاراضي العربية المحتلة ، وهما قضية كل عربي ، وتؤيد الدولة تاييداً مطلقاً ، حق شعب فلسطين العربي في استرجاع وطنه المغتصب ، كما تؤيد تاييداً مطلقاً ، دول المواجهة العربية ، في نضالها لاسترجاع اقاليمها المحتلة .) .

وفي خطاباته التالية في مناسبات مختلفة ، وفي احاديثه الصحفية نرى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، يركز على ضرورة التضامن العربي ،ووحدة الصف ، كوسيلة لابد منها لتحرير الأرض العربية المغتصبة ، وفي هذا المجال نراه يقول : انه (إذا كان الاجماع العربي منعقداً على أن تحرير الأرض العربية المحتلة ، واسترجاع حقوق شعب فلسطين المغتصبة ، هما الهدف الرئيسي الراهن ، الذي ينبغي ان نسخر من اجله كل طاقاتنا وامكانياتنا ، فان تحقيق هذا الهدف مرهون بتعاوننا الصادق لتوحيد جهودنا ، وحشد طاقاتنا وامكانياتنا ، حيث لا وزن لوحدة الهدف ، اذا لم تقترن بوحدة الصف) .

وقال سمو امير دولة قطر ايضا : (... واذا كنا في قطر ، نؤمن كل الايمان بهذه الحقيقة (التضامن العربي) ، فاننا نؤمن في ذات الوقت ، ايمانا راسخا بان التضامن العربي ، هو امضى سلاح ، نستطيع به حمل اعبائنا الراهنة الجسام ، ومواجهة ما نحن مقبلون عليه في المستقبل من تحديات عظام ، ومن ثم فان اوجب واجبات امتنا ، أن تتمسك بالعروة الوثقى ، التي تجمع بين شعوبها ، للحفاظ على تراثها التليد ، ولتنتصر في معركة التطوير وان تحرص كل الحرص على توحيد صفها وكل طاقاتها ، للفوز بالنصر المبين في معركة التحرير ، وللوفاء بالتزامها المقدس المشترك الكبير : الا وهو استرداد كل الأراضي العربية السليبة ، واستعادة كل الحقوق العربية المغتصبة ، وفي مقدمتها ، وفي الصف الأول منها ، حق الشعب العربي الفلسطيني في وطنه ، وحقه في تقرير مصيره .)

ولا يكتفي سمو امير دولة قطر ، بالدعوة الى التضامن العربي فوق اي اعتبارات سياسية ، او تناقضات ثانوية ، او خلافات

استقلال قطر والقضية الفلسطينية

هامشية، بل نراه يحدد الموقف القطري من القضية الفلسطينية، تحديداً قومياً دقيقاً، فيقول في حديث أدلى به لمجلة (الحوادث) البيروتية بتاريخ ٢٢ - ٢ - ١٩٧٤ :

(الحديث عن كل القضايا السياسية هو حديث معاد، وليس فيه شيء جديد، المهم هو القضية الفلسطينية، انها قضيتنا مثلما هي قضية الفلسطينيين، انها محور سياستنا وعلاقاتنا مع الدول ... فالقضية الفلسطينية هي الأساس، ونحن عندما نضع ميزانية التنمية، نحسب اولا حساب التزاماتنا بشان القضية الفلسطينية، ونحن في قطر نقدر للفلسطينيين الدور الذي لعبوه مع رعايا الدول العربية الشقيقة في معركة التنمية التي خاضتها البلاد، لذلك نحس نحوهم بمسؤولية خاصة، تضاف الى مسؤوليتنا ازاء قضيتهم القومية.)

وفي حديث آخر لصحيفة (البيرق) البيروتية، بتاريخ ٢١ - ٥ - ١٩٧٥ نرى سموه يقول : (ان دعم دولة قطر للقضية الفلسطينية هو دعم بلا حدود، فالقضية الفلسطينية من اوجب الواجبات، ودعمنا لها ليس أمراً حديث العهد، بل هو قديم، ولا يمكن ان نتاخر عن بذل كل طاقة في سبيل اقدس قضية، لانها الجوهر الحقيقي الذي يتركز عليه كل نضالنا.)

ان هذا الالتزام القومي بالقضية الفلسطينية، والذي عبر عنه سمو امير دولة قطر أصدق تعبير، انما ينم في الواقع عن شعور عميق بالمسؤولية، وادراك واع لكون قطر، جزءاً لا يتجزأ من الوطن العربي الكبير، ولكن الشعب القطري واحداً من شعوب الأمة العربية، التي تتطلع ابداً الى الوحدة العربية الكبرى، اضافة الى كون هذا الالتزام، نابعاً عن وعي بواقع العدو الذي تواجهه الامة العربية منذ بدايات هذا القرن، بعد ان زرعه الاستعمار خنجراً في خاصرة الأمة العربية، وليكون مخفراً امامياً، يحمي مصالح المستعمرين .. وفي سياق التعبير عن الوعي بواقع العدو واطماعه التي لا تعرف حدوداً في الارض العربية، نرى سمو الأمير يقول : (ان الصهيونية تداعبها من قديم احلام التوسع في هذه المنطقة من العالم العربي، ولكن هذه الاحلام، تصطدم بتصميم الامة العربية على ان تظل هي صاحبة السيادة في بلادها، وبتصميم الارادة العربية، على التصدي لأي عدو دخيل مهما كان مصدره كما ان العرب لن يسمحوا بان تتحول اسرائيل، الى امبراطورية، ترث الامبراطوريات التي اندثرت في المشرق العربي، ونحن نثق في قدرتنا على الوقوف في وجه اطماع اسرائيل التوسعية، بقدر ثقتنا في ان الأمم المتحدة هي الأخرى، لن تسمح باستمرار سياسة الاستعمار والاحتلال.)

وفي مقابلة اجراها معه التليفزيون الفرنسي - القناة (١) - بتاريخ ١٦ - ١٠ - ١٩٧٥ قال سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني : (ان النزاع العربي - الاسرائيلي سيبقى ويتعرض للانفجار في يوم من الايام، اذا ما بقيت اسرائيل على تعنتها وتحدياتها لقرارات الأمم المتحدة، والتي هي اكبر جمعية في العالم) ثم قال : (... نحن طلاب حق، ولا يمكن ان نتراجع عن حقنا مهما بلغ الثمن، فاسرائيل : جورها وظلمها لم يقتصر على قضيتنا، بل تحدت به قرارات الجمعية العامة، وخالفت فيه انظمة وقوانين الجمعية العامة، التي من مبادئها الحق والعدل .. والجمعية العامة عندما طلبت في قرارها باعادة الأراضي العربية المحتلة، كانت تنظر لهذه القضية، نظرة عدل وانصاف ... فاذا كانت اسرائيل لن تذعن لهذا القرار الذي أيد الحق العربي، فكيف يتراجع العرب عن حقهم .. بل بالعكس سيزيدنا قوة الى قوتنا، وتماسكاً الى تماسكنا، ولا يمكن ان نتراجع عن حقنا ...).

دعم قطر للقضية الفلسطينية

منذ فجر الاستقلال، اخذت دولة قطر عهداً على نفسها بدعم الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة ونضاله المشروع، بل ان هذا الدعم يعود كما قلنا الى الايام الاولى لانطلاقة الثورة الفلسطينية، وقد التزمت دولة قطر بهذا الموقف الداعم للقضية الفلسطينية في جميع مؤتمرات القمة العربية، ومؤتمرات القمة الاسلامية ومؤتمرات قمة حركة عدم الانحياز، وفي الأمم المتحدة، ونادت ابداً بحق الشعب الفلسطيني في أرضه ووطنه، وبناء دولته المستقلة على ترابه الوطني. ومن كلمات أمير دولة قطر، التي تؤكد على هذا الموقف الراسخ، قوله : (اما بوصفنا جزءاً لا يتجزأ من أمتنا العربية فنحن ملتزمون بواجب قومي اساسي، يقتضينا ان نقدم كل ما نستطيع من تاييد لجميع قضاياها، وان نبذل كل ما يمكننا من عون لنصرة كل شعوبها، وأولى هذه القضايا - لان حلها هو مفتاح حل سائر القضايا الاخرى - هي قضيتنا الفلسطينية ... وموقفنا الثابت من هذه القضية، هو وجوب انسحاب اسرائيل المعتدية، من جميع الأراضي الفلسطينية، وجميع الأراضي العربية الاخرى التي احتلتها منذ عام ١٩٦٧، وفي مقدمتها القدس الشريف، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بحرية كاملة، وبمعزل عن اي تدخل خارجي، وحقه في اقامة دولته المستقلة على ارض وطنه، وبقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي الوحيد لذلك الشعب الشقيق).

القدس الشريف

واذا كانت القضية الفلسطينية، هي الرمز للقضية العربية والتجسيد لها بواقعها الحالي ومستقبلها المنظور، فان القدس بما تمثل من مكانة في هذه القضية، وفي تراث الامة وحضارتها، لتعتبر أيضا رمزاً مصغراً للقضية الفلسطينية، وانطلاقا من ادراك دولة قطر لما تمثله القدس من موقع رمزي للقضية الفلسطينية برمتها. نرى سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني، يقول في هذا المجال : (... واننا لنقف بكل ما تتيحه امكانياتنا من قدرة، الى جانب الاشقاء العرب، لحمل نصيبنا من مسؤولية



القدس : زهرة المدائن

استعادة اراضينا العربية المحتلة ، وفي مقدمتها القدس الشريف ، واسترداد حقوق الشعب العربي الفلسطيني ، وفي مقدمتها حقه في وطنه ، وفي تقرير مصيره فوق ارض هذا الوطن ، كما اننا نتابع تقديم كل ما نستطيع من دعم ومساندة لمنظمة التحرير الفلسطينية ، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني الشقيق .)

مواقف عملية مشرفة

واذا كانت تلك هي مواقف دولة قطر من القضية الفلسطينية كما عبر عنها بصدق سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، فان المواقف العمليــة – وهي اكثر من أن تحصى – قد جاءت لتجسد كلمات سمو الامير ومواقفه الرائدة .

وعلى سبيل المثال لا الحصر ، نشير الى ماصرح به مصدر مسؤول في الامانة العامة للجنة الفلسطينية – الاردنية المشتركة ، في تشرين الثاني (نوفمبر) من عام ١٩٨١ ، حيث قال : ان دولة قطر هي الدولة العربية الأولى التي سددت الاقساط المستحقة عليها لصندوق دعم الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة عن عام ١٩٨١ ، وكان هذا الصندوق قد انشىء تنفيذاً لقرارات قمة بغداد العربية ، من اجل دعم صمود الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة .

ومن المواقف القطرية الرائدة في دعم الكفاح الفلسطيني ، ان سمو الامير ، امر بان تتحمل دولة قطر نفقات الاعلام الخارجي للثورة الفلسطينية على الساحة العالمية ، فكان لهذه المبادرة الطيبة ، اكبر الاثر في التعريف بالقضية الفلسطينية والنضال العادل في المحافل الدولية ، وفي صفوف الراي العام العالمي ، والتصدي للاعلام الصهيوني الخبيث واضاليله ، التي حاول بها طمس عدالة القضية ، وتشويه واقع النضال واهدافه .

اما على الصعيد المالي ، فان دولة قطر ، وفت دائماً بالتزاماتها المالية ، للمؤسسات والصناديق الفلسطينية ، وكان لها باستمرار قصب السبق في هذا المضمار ، اضافة الى انها تقدم تبرعات طارئة في الازمات التي تواجهها الثورة الفلسطينية ، وعلى الصعيد التعليمي والثقافي ، كان لدولة قطر ابداً ، دور طليعي في مساعدة الطلاب الفلسطينيين في هذا المجال ، حيث تخصص منحاً لطلاب فلسطينيين في جامعة قطر ، ومنحاً اخرى في مركز التدريب والتطوير المهني ، وغيرها في المدارس الثانوية والاعدادية والصناعية والمعاهد الدينية والتجارية ، كما ان وزارة التربية والتعليم القطرية ، تخصص بعثة دراسية فلسطينية للعمل في الوزارة ، وذلك أسوة بالدول العربية في هذا المجال ، كما ان الوزارة تقدم مساهمة مالية ، في كل عام دراسي ، لدعم جامعات الأرض المحتلة .

ولا ننسى كذلك ان الشعب القطري هب لاغداق المساعدات المالية والعينية للمناضلين الفلسطينيين ، عندما وقع الغزو الصهيوني للبنان ، وقد بلغ مجموع التبرعات المالية فى غضون اسبوع واحد فقط اثنا عشر مليون ريال قطري ، كما ان المساعدات الطبية والغذائية . اضافة الى الملابس والأسرة والسيارات وهدايا الأطفال ، قد استلزمت لنقلها ، ثماني طائرات شحن قدمتها الحكومة .

ولا نجد خاتمة افضل لهذه المقالة عن الموقف القطري الطليعي من القضية الفلسطينية ، افضل من تلك الكلمات ، والدعوة الى التضامن العربي ، ونكران الذات ، التي اطلقها سمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني امير دولة قطر ، في خطابه الذي القاه في ١٠ – ١٢ – ١٩٨٣ ، لدى افتتاحه الدور العادي الثاني عشر لمجلس الشورى القطري ، حيث قال : (ولقد اصبح أوجب واجباتنا يفرض علينا ان نقدر – قبل فوات الاوان – ان مصالحنا القومية العليا ، تقتضينا جميعاً في كل عالمنا العربي ، ان نكون اكبر من عوامل تفرقنا ، مهما اشتدت وان نوحد صفنا ، لنستطيع تحقيق اهدافنا ، وفي مقدمتها حل القضية الفلسطينية ، الحل العادل الشامل ، الذي لا يمكن بدونه قيام سلام في الشرق الأوسط ، باعتبار ان هذه القضيــــة هي جوهر الصراع العربي – الاسرائيلي ، ومحور ما نشا في المنطقة من قضايا اخرى ، تهدد امنها واستقرارها ، وفي مقدمتها القضية اللبنانية . ان دولة قطر تقف الى جانب الشعب الفلسطيني الشقيق ، تؤيد نضاله الباسل في مواجهة العدوان الاسرائيلي الباغي ، وتساند كفاحه في سبيل استرداد حقوقه كاملة ، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، التي اختارها بتاييد إجماعي من الامة العربية ، ممثلا شرعياً وحيداً له ، وعلى راس هذه الحقوق ، حقه في وطنه السليب ، وحقه في تقرير مصيره بنفسه ، واقامة دولته المستقلة على أرض هذا الوطن .)

عصام شريح

١٣ سنة مضيئة

حقائق وأرقام عن دولة قطر

• وصل عدد الطلاب والطالبات فى مدارس قطر النهارية هذا العام إلى ٤٧٢٨٥ طالبا وطالبة ، بزيادة ١٨٦٩ طالبا وطالبة عن العام السابق ، وتشكل هذه الزيادة ٤،١٪ .

• وضعت وزارة التربية والتعليم خطة عشرية للأبنية المدرسية ، بدأ تنفيذها منذ ٤ أعوام ، وقد استلمت الوزارة حتى الآن من هذه الخطة ٦١ مدرسة .

• بلغ عدد طلاب الدراسات الجامعية فى جامعة قطر والكليات والجامعات الأخرى خارج البلاد ٥٢٠٣ طالب وطالبة يدرسون فى مختلف التخصصات .

• أصبح عدد الدارسين والدارسات فى المدارس المسائية فى هذا العام ٩٤١٠ دارسا ودارسة ، منهم ٦٥١٥ دارسا و٢٨٩٥ دارسة .

• يوجد فى قطر عدد من المناطق الصناعية ، اثنتان منها فى أم سعيد ، واحدة للصناعات الأساسية والثانية للصناعات الخفيفة .. كما توجد منطقة صناعية الى الشمال من مدينة الدوحة على طريق سلوى .. وقد برزت مدينة أم سعيد الساحلية والتى تقع على بعد ٣٥ كيلو مترا جنوب مدينة الدوحة العاصمة كمدينة صناعية لدولة قطر ، تضم عدة صناعات



الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

منها الحديد والصلب ، والسماد ، والبتروكيماويات ، وسوائل الغاز الطبيعى .

• بلغ انتاج الزيت الخام ١٠٧ مليون برميل تقريبا بنهاية عام ١٩٨٣ ، أى بمعدل يومى قدره (٢٩٤) الف برميل يوميا تقريبا ، وبلغت الصادرات ١٠٢ مليون برميل تقريبا ، أى بمعدل ٢٨٠ الف برميل يوميا تقريبا .

• بلغت الاحتياجات التمويلية ونفقات تنفيذ المشروعات الصناعية والزراعية التى تقيمها الدولة أو تساهم فيها ٨٣٤،٨ مليون ريال لتنفيذ مشروعات التنمية الزراعية والمزارع النموذجية ، اضافة إلى الابحاث والتجارب الزراعية فى مجال التربة والمياه والثروة الحيوانية .

• من أبرز الانجازات التى حققتها وزارة الشئون البلدية والبلديات خلال الأشهر الثمانية عشرة الماضية ، هو تجميل وتزيين مدينة الدوحة العاصمة ومختلف المدن الأخرى واشاعة الخضرة والمتنزهات الزاهية فى ارجائها وتنظيم وتشجير كورنيش الدوحة والدوارات الجديدة فى العاصمة وتشجير الشوارع والمناطق السكنية فى جميع مدن قطر .

• أسهمت وزارة الأشغال اسهاما بارزا ومتميزا فى التنمية والنهضة العمرانية التى تشهدها البلاد ، وهى تتوخى دائما أن يكون الطابع المعمارى للمنشآت العامة أو المساكن التى تشرف عليها الحكومة منسجما مع التقاليد المعمارية العربية والاسلامية .

• ترتكز فلسفة الصحة على أربعة ركائز رئيسية هى : المرافق الوقائية والعلاجية والتأهيلية والادارية ، وذلك عبر سلسلة مترابطة من الحلقات ، تبدأ بتقديم الخدمات الوقائية ، ثم بالرعاية الأولية فى المراكز الصحية ، وتنتهى بخدمات المستشفيات المتعددة الاختصاصات .

• تتولى إدارة الكهرباء تزويد الطاقة من ثلاث محطات رئيسية تزيد طاقتها الاجمالية على ٨٣٦ ميجا واط ،وتم مؤخرا تركيب أربع مولدات توربينية اضافية تعمل بالغاز ، وتبلغ قوة كل منها ٦٦،٨ ميجا واط فى مواقع مختلفة من العاصمة الدوحة لتزويد شبكة الكهرباء الحالية بالطاقة الاضافية المطلوبة .

• ارتفعت الطاقة الانتاجية اليومية لمحطات التحلية العاملة فى البلاد إلى ٤٠ مليون جالون يوميا ، وقد عززت هذه الكمية عام ١٩٨٣ بما يزيد على ١١٧٢ مليون جالون من المياه المستخرجة من الآبار الجوفية فى مختلف انحاء قطر .

أنابيب الثقافة

بقلم: عباس خضر

عندنا أنابيب للثقافة ... يخرج منها ما يسيل الدموع حزنا على الأدب والثقافة وما يشكل الآن أزمة حقيقية فى عالم المثقفين

في مصر الآن ، وفي إحدى صحفها الكبرى ، حوار طال عليه الأمد ، ومازال قائما ، في موضوع جعل عنوانه «ازمة ثقافة ام ازمة مثقفين ؟» .

واقول اولا : كيف تكون ازمة الثقافة دون ازمة مثقفين ؟ هل تكون عالقة في الهواء ؟ وكيف تكون ازمة مثقفين بمعنى ان ليس ثمة مثقفون او هم قلة قليلة دون ان يكون ثمة ازمة ثقافة ؟

ولنعد عن ذلك ، عن صيغة العنوان ، لناخذ في الموضوع .

لعل ما اثير كذلك من كلام حول «الكتاب» يكون هو لب الموضوع ، فالذى عندنا حقيقة وفي سائر الوطن العربي هو عدم الاقبال على قراءة الكتب ، وهي اصل الثقافة وينبوعها المعين . وفي مصر خاصة عوائق دون انتشار الكتاب في الخارج والداخل ، ففي طريقه إلى الخارج حواجز جمركية روتينية ، وفي الداخل يرتفع ثمنه فوق الطاقة الشرائية للجماهير الراغبة فى القراءة ، وإن كنت اوقن ان ليس هناك جماهير راغبة فى القراءة ولو بالمجان .. فالذين يرغبون حقيقة قليل عددهم . والمخضرمون من امثالي يعرفون ان الاعراض عن قراءة الكتب ظاهرة موجودة قبل ان ترتفع اثمانها .

وعلى اي حال نحمد الله للمسئولين في مصر اهتمامهم بازمة الكتاب ومعالجتها ، ونرجو ان يفضي ذلك إلى إزاحة الحواجز من أمام تصدير الكتاب المصري إلى سائر الوطن العربي .

ومن «لب الموضوع» الشكوى من تفاهة معظم ما ينشر من الانتاج الثقافي ، واخص بالذكر الانتاج الادبي ، فلفظ الثقافة عندنا يتسع مدلوله ويتسع حتى يشمل الرقص .. وعلى هذا فالراقصون والراقصات مثقفون ومثقفات .. وإذا كان الامر كذلك فلا ازمة ولا هم يحزنون !

عندنا ، وقد يكون عند غيرنا ، قنوات للنشر في وسائل الاعلام وفي دور النشر وخاصة الحكومية ، وهى ما اسميته في عنوان هذه الكلمة «انابيب»؛وهي ليست كانابيب البترول او الانابيب التي تتخذ ارحاما للاجنة في العالم الغربي ، فهذه تخرج اطفالا احياء ، وتلك تنقل البترول إلى حيث ينتفع به . اما انابيبنا الثقافية فتخرج ما يسيل الدموع حزنا على الأدب والثقافة وما يشكل الآن ازمة الثقافة ..

احيانا اشترك في لجان فحص لما يقدم في المسابقات الادبية ، فارى كثيراً من الاعمال الجيدة ، وبعضها يفوز بالجوائز . ثم لا نراها تحظى بالنشر ، ربما لقة حيلة اصحابها ، او لبعدهم عن المشرفين على انابيب النشر ، والبعد هنا ليس مكانيا ، إنما هو بعد عن الصلات والمؤثرات ..

انا والمخضرمون امثالي يعرفون ان انابيب النشر فيما مضى من الزمان كانت تختار الجيد بدافع الغيرة والحفاظ على مستوى الصحيفة او المجلة او دار النشر ، ولانهم كانوا ذوي تذوق يدركون بحواسهم الدقيقة الجيد من الرديء ، فكانوا يتعبون انفسهم في الفحص والاختيار ، لم يكونوا «موظفين» همهم الانتفاع من هذا او ذاك ، او إرضاء هذا وإغضاب ذاك ..

لقد عرفنا مثلا الزيات في الرسالة ، كان مثلا يكتب تحت عنوان المقال او القصيدة او القصة «للاستاذ فلان» إذا كان يستحق الاستاذية ، و «للاديب فلان» إذا كان دون ذلك ، كانت الأولى بمثابة «الدكتوراه» والثانية بمثابة «الماجستير» وتخرج على يديه كتاب وشعراء في الوطن العربي كله .

لم يكن يهم الزيات ان يغضب من يغضب لعدم النشر ، اذكر مقالا كتبه عن حوار دار بينه وبين احد الراغبين في النشر بغير جدارة ، وختم المقال بان قال ما معناه : وخرج غاضبا ، وكسبت الرسالة عدواً جديداً ..

فاين من ذلك هذه الانابيب الحديثة وهي تغوص في هواها الشخصي ، وتتثاءب في كسلها الذهني ، وتجمع حولها الشلل المتهافتة « الدبورية » !

إن هذه الانابيب هي التي افسدت الحياة الثقافية بامرين : تقديم التافه وحجب الجيد .

والثاني حمل الناس على الاعراض عن الادب والتنفير منه ، إذ لا يجدون فيما ينشر ما يشجع على القراءة ، وخير منه سماع الاذاعة ومشاهدة التليفزيون ، فان عرض شيء منه فى هذين ولم يحل او يسوغ بغناء او تمثيل اغلق الراديو والتليفزيون .. ولا داعي لوجع الدماغ !

تنقيبات جديدة في عالم قديم

بعد ألفي عام من الصمت:

الموتى يتكلمون

ضحايا بركان فيزوف يصفون كيف أخذتهم الصّاعقة

إعداد: محمد العزب موسى



العالم الاثرى الايطالى جويسيبى ماجى يشير الى سور هركيولانيوم القديم حيث عثر على الغرف العشر خلال تنقيباته فى الشاطئ



وجه نبيل رومانى. ربما كان رأسا لتمثال. يطل من سقف الركام البركانى.

(إنا ارسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر . تنزع الناس كانها اعجاز نخل منقعر . فكيف كان عذابي ونذر).

صدق الله العظيم

في عام ١٧٠٩ كان احد الأشخاص يحاول حفر بئر بالقرب من مدينة (ايركولانو) الايطالية على سفح جبل فيزوف فانفتحت تحت معوله ثغرة نفذ منها الى اطلال مسرح روماني قديم . كان هو مسرح هركيولانيوم احدى المدن المفقودة التي دمرها بركان فيزوف عام ٧٩ ميلادية ، ودفنت منذ ذلك الحين تحت طبقات كثيفة من الركام البركاني ، حتى جاءت ضربات المعول غير المقصودة لتسلط عليها اول شعاع من الضوء في مطلع العصر الحديث .

وطير الرجل النبا الى مدينة نابولي المجاورة ، وسرعان ما خف الى مكان الاكتشاف المثير نبلاء المدينة فنهبوا المسرح من كل ثرواته الدفينة ، خلعوا واجهاته الرخامية المتعددة الألوان واستخدموها في بناء فيلاتهم ، وحملوا معهم التماثيل البرونزية والرخامية التي كانت تحلي أروقة



ربما كان سكان هركيو لانيوم داخل المسرح يضحكون من قلوبهم على العرض الكوميدى الساخر عندما انفجر البركان

المسرح . وقاموا باستخدام مئات العمال والسجناء بحفر انفاق عديدة من مكان المسرح الى وسط المدينة المدفونة على عمق ١٠٠ قدم تحت الارض ، حيث كانت تقوم البيوت والقصور والاسواق ، فنهبوها ايضاً وجردوها من محتوياتها . . .

وهكذا كان اكتشاف هركيولا نيوم بمحض الصدفة عام ١٧٠٩ بمثابة فجر عصر التنقيب عن الآثار في الزمن الحديث . كان مولداً لعلم (الاركيولوجي) ! وكانت اطلال بومبي قد اكتشفت قبل ذلك في أواخر القرن السادس عشر . وكذلك اكتشفت أطلال ستابيا ، وهي المدينة الثالثة التي رماها بركان فيزوف ، وظلت المدن الثلاث في حالة حفظ جيدة تحت الركام البركاني الى ان بدات التنقيبات العلمية الحديثة في هذه المواقع الثلاثة حوالي عام ١٨٦٠ . وعندئذ اخذت هذه الأطلال بما فيها من هياكل بشرية تقص قصتها المروعة تحت غضب البركان ، وتكشف في نفس الوقت عن شواهد ثمينة على الحياة اليونانية .. الرومانية في فجر العصر الميلادي .

اكتشافات جديدة

ان البحر يبعد الآن عن مدينة هركيولانيوم بحوالي نصف كيلومتر ، وذلك نتيجة لتدفق الحمم البركانية التي غطت الشاطىء القديم بعمق ٢٠ متراً ، ولكن في الماضي كان هذا الشاطىء يقع على حافة البحر مباشرة . وخلال الاعوام القليلة الماضية اجريت تنقيبات في اجزاء من هذا الشاطىء كشفت عن سور المدينة القديم وعثر فيه على عشر حجرات كبيرة مفتوحة من جهة الشاطىء ربما كان الغرض منها تخزين قوارب الصيد وادواته . في هذه الغرف عثر الآن على اعظم الاكتشافات الأثرية في هركيولانيوم منذ ضرب معول حافر البئر سطح المسرح القديم في اوائل القرن الثامن عشر .

ففي بداية عام ١٩٨٢ بدا عمال التنقيب تحت اشراف العالم الاثري الايطالي جوسيبي ماجي يكتشفون الغرف التي في سور الشاطىء . ووجدت مليئة بهياكل اشخاص يبدو واضحا انهم لقوا ميتة مفاجئة في نفس اللحظة ، وهكذا تاكدت حقيقة اعصار الغاز الخانق الساخن الذي يفاجىء ضحايا البراكين ويشلهم عن الهرب ، وهي نظرية حديثة في خصائص التدفقات البركانية لم تكن معروفة من قبل .

كما بدا واضحا ان معظم اهالي هركيولانيوم قد لقوا حتفهم في الكارثة كزملائهم في بومبي . وكان المعتقد من قبل ان معظمهم استطاع النجاة لقلة الهياكل البشرية التي عثر عليها في هذه المدينة مقابل مئات الهياكل التي عثر عليها في بومبي .

في احدى هذه الغرف المكتشفة حديثا عثر على اثنى عشر هيكلا متكومين سويا ، ويعتقد العالم جوسيبي ماجي انهم افراد اسرة واحدة كانوا يحاولون الهرب : سبعة هياكل لاشخاص كبار منهم ثلاث نساء ، واربعة هياكل لصغار ، بالاضافة الى هيكل طفل رضيع في حضن هيكل كبير ، كما لو كانت تخبؤه امه .

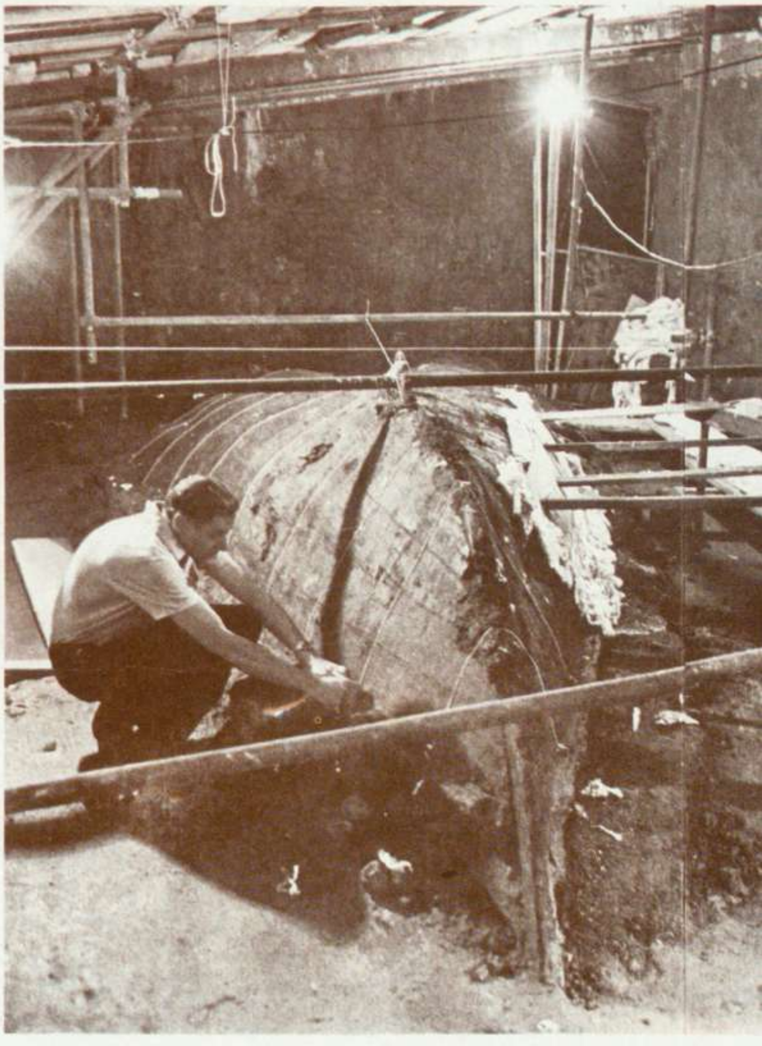
واذا كان المنظر في هذه الغرفة يثير الشفقة والرثاء فان المنظر في الغرفة المجاورة يثير الرعب ، اذ ثمة هياكل متفحمة متقلصة فاغرة افواهها متناثرة في فوضى على ارضية الغرفة من بينها هيكل حصان ، ويعتقد العالم ماجي ان هؤلاء الاشخاص نزلوا على السلالم المقامة في سور المدينة وهم في حالة ذعر شديد ثم لجاوا الى هذه الغرفة للاختباء فيها ، ولكن ذلك لم يعصمهم من الكارثة .. لقد حبسوا انفسهم داخل الفرن !

وفي غرفة ثالثة وجدت هياكل كثيرة لضحايا مصطفين في نظام كما لو كانوا يصطفون في لجات من الماء ، مما يشهد بان الموت كان يحصدهم تباعا كلما دخلوا الغرفة موجة بعد موجة .

ولم تفتح بعد بقية الغرف العشر خوفا على محتوياتها من عوامل التعرية ، ولكن على الشاطىء القديم عثر على المزيد من الهياكل المتفحمة ، تبلغ في مجموعها زهاء ١٥٠ هيكلا ، منها هيكل لجندي روماني وجد مسطحا على الارض والى جانبه سيفه وادواته ، هل كان يحاول السيطرة على حالة الذعر بين الهاربين وان يبث فيهم شيئا من النظام عندما دهمه الموت بدوره ؟ ربما ! وفي داخل عظام امراة شابة عثر على عظام هشة لجنين في شهره السابع . وثمة هيكل لامراة في الخامسة والاربعين اسماها المكتشفون (سيدة الخواتم) إذ عثر في اصابعها على خاتمين كبيرين مطعمين بالاحجار الكريمة المنقوشة ، والى جانبها اسوارها واقراطها ، كانت ايضا تحاول الهرب وهي في اوج زينتها .

ومن اهم المكتشفات التي عثر عليها في الشاطىء قارب روماني مقلوب وجد في حالة كاملة فيما عدا انه متفحم نتيجة لسع النيران ، وينتظر ان يكشف هذا القارب الكثير من التفاصيل عن صناعة القوارب الرومانية في القرن الأول الميلادي والتي لا يعرف عنها الأثريون المحدثون شيئا . وقد عثر الى جانب القارب على بقايا رجل يمسك في يده بشيء كالمجداف هل يكون هو الملاح ؟ وهل كان هذا القارب يقف عند حافة الشاطىء القديم يحاول ان يجلي بعض الفارين المذعورين ؟ هل كانت (سيدة الخواتم) في طريقها الى هذا القارب مع آخرين عندما دهمهم الموت جميعا ؟

اسئلة كثيرة محيرة ينطق بها هؤلاء الموتى الذين بداوا يتكلمون بعد صمت دام



القارب الرومانى القديم الذى عثر عليه مقلوبا ومحترقا على شاطئ هركيولانيوم القديم .. والخبراء عاكفون على ترميمه لمعرفة طريقة صنع القوارب الرومانية فى مطلع العصر الميلادى .

الفي سنة . وهي ثروة عظيمة القيمة من الناحية الأثرية ، اذ ليست لدينا هياكل بشرية من العصر الروماني ، فقد كان الرومان يدفنون موتاهم في التراب ولا يعنون بحفظهم كما يفعل المصريون وغيرهم من الشعوب القديمة . وفجاة نعثر في هذا الشاطىء القديم ـ المدفون كمقبرة هائلة ـ على عشرات الهياكل الرومانية السليمة الجيدة الحفظ التي تمثل مختلف الانماط من رجال ونساء واطفال واشراف واحرار وعبيد وجنود . ان هذه العظام ـ بعد تحليلها واستنطاقها ـ ستقول الكثير عن هؤلاء الناس وكيف كانوا يعيشون . وهذه المهمة تتولاها حالياً الدكتورة سارة بيزل عالمة الاجناس المتخصصة في تحليل العظام القديمة ، والتي تقوم بمساعدة الدكتور ماجي في ابحاثه . وتتمتم الدكتورة سارة بيزل دائماً : من ذا الذي يقول ان الموتى لا يتكلمون ؟ !



لم تنجح المحاولة اليائسة التى قاموا بها للوصول الى مستودع للقوارب .. فماتوا فى صف واحد داخل ما يشبه اللجة .. أو كغرقى فى نهر .

* *

يمتد جبل فيزوف على خليج نابولي من كابري وسورينتو الى راس ميسينو ، ويبدو بجرمه الأزرق الهائل وامتداده الكبير على خط الأفق مسيطراً تماماً على واديه وسفوحه .

وهذا الجبل يبدو في ظاهره كريماً للغاية ، فعلى سفوحه تنمو اجود انواع الكروم والاعناب ، كما أن اراضيه الزراعية على درجة عالية من الخصوبة وتنتج جميع انواع الخضر والفاكهة . اما في باطنه فهو يضمر الغدر والدمار ، اذ انه من مناطق الحرار القديمة ، ولم يكن انفجار عام ٧٩ ميلادية هو الأول ولا الاخير ، فقد ثار بركان فيزوف بعد ذلك عدة مرات ولكن بعنف اقل ، وربما كان اقوى هذه الانفجارات التالية انفجار عام ٤٧٢ م ، ثم انفجار عام ١٦٣١ الذي راح ضحيته ٤٠٠٠ شخص على الأقل ، واخيراً حدث انفجار عنيف آخر عام ١٩٤٤ ، وهو هادىء منذ ذلك الحين ، ولكن في عام ١٩٨٠ حدثت هزة ارضية عنيفة شلت الحياة في نابولي واصابت سكان المنطقة بالذعر ، وخلال العام الماضي (١٩٨٣) وقعت سلسلة اخرى من الزلازل دمرت معظم مباني مدينة بوزولي المجاورة فهجرها حوالي نصف سكانها ، ولا يستبعد العلماء احتمال ان تكون هذه الهزات مقدمة لانفجار بركاني جديد .

ولذلك فان سكان المنطقة ، وبخاصة مدينة هركيولانيوم الحديثة ـ التي اصبح اسمها ايركولانو ـ لم يعودوا يثقون فى سلامة منطقتهم ، وهم يقولون : ان النار تحت بيوتنا !

مأساة بلليني الأكبر

ولكن منذ الفي عام لم يكن سكان سفوح جبل فيزوف لديهم مثل هذه المخاوف ، كانوا يعيشون حياة رغدة هانئة داخل بساتينهم وحقولهم ، ولا يشكون في الغالب انهم يحيون في حضن بركان ، اذ ظل البركان هادئا قبل ذلك اكثر من ٣٠٠ عام .

وحتى العالم الطبيعي الروماني العظيم بلليني الأكبر الذي كان يعيش في ذلك الوقت في احدى جزر خليج نابولي في بلدة تسمى (ميسنوم) لم يشعر باي خطر عندما شاهد السحابة الكثيفة التي انبعثت من قمة الجبل في ذلك اليوم المخيف ٢٤ اغسطس عام ٩٧ م . واعتبرها شيئاً مثيراً للفضول ومستحقاً للدراسة ، ولما كان بلليني الأكبر قائداً للاسطول الروماني في خليج نابولي لذلك فقد امر احدى السفن بنقله الى الموقع ليشاهد هذه الظاهرة عن كثب ويساعد على اجلاء اصدقائه في المنطقة اذا استشعروا الخطر .

ولكن بلليني الأكبر لم يرجع من تلك الرحلة المشئومة اذ حاصره البركان وقتله هناك ، ونحن نعرف تفاصيل ما حدث من ابن اخته بلليني الاصغر الذي كان يراقب الكارثة مع امه في منزل خاله في (ميسنوم) وربما يكون قد عرف ايضا بعض التفاصيل من رفاق خاله الذين استطاعوا العودة ناجين . والواقع انه لولا كتابات بلليني الاصغر عن بركان فيزوف ـ والتي استطاعت النجاة من ظلام العصور الوسطى ـ لما كان احد من ناهبي كنوز المنطقة في القرن الثامن عشر قد علم انهم ينقبون في انقاض هركيولانيوم وبومبي.

كتب بلليني الاصغر في رسالة بعث بها الى المؤرخ تاسيتوس الذي كان يستفسر عن سبب موت بلليني الأكبر ، يقول : (لم يكن واضحا في اول الأمر اي جبل تذبعث منه السحابة ثم علمنا فيما بعد انه فيزوف)

ويمضي بلليني الاصغر في وصف الكارثة (التي دمرت اجمل بقاع الارض على الاطلاق) والتي (يرتجف ذهني بمجرد تذكرها) وكيف ان خاله الذي لم يكن يشعر باي خوف مطلقا سارع نحو (المكان الذي يفر منه الآخرون) . وقد تساقط على سفينته بعض الرماد واعترضتها بعض الحمم الطافية في الطريق . ولكنه بدلا من ان يامر بان تعود السفينة ادراجها امر بحارته بالتقدم حتى رست السفينة في (ستابيا) الى الجنوب من الجبل ، وخلال تلك الليلة حاول بلليني ان يزيل مخاوف مرافقيه قائلا لهم ان صفائح النيران العريضة وشعلات اللهب المتطايرة من فيزوف ليست اكثر من (حرائق تسبب فيها الفلاحون بسبب ذعرهم) . ثم اوى بلليني الأكبر الى الفراش مطمئنا وترك رفاقه يتناقشون طول الليل في البقاء معه او الفرار بجلودهم . وفجاة بدات المباني تهتز بعنف وتتساقط اجزاؤها حتى ان بلليني ورجاله كانوا يحملون المخدات فوق رءوسهم لحماية انفسهم من الاحجار المتساقطة .

واشرق فجر الصباح التالي ٢٥ اغسطس ، ولكنه كان (اكثف سواداً من اي



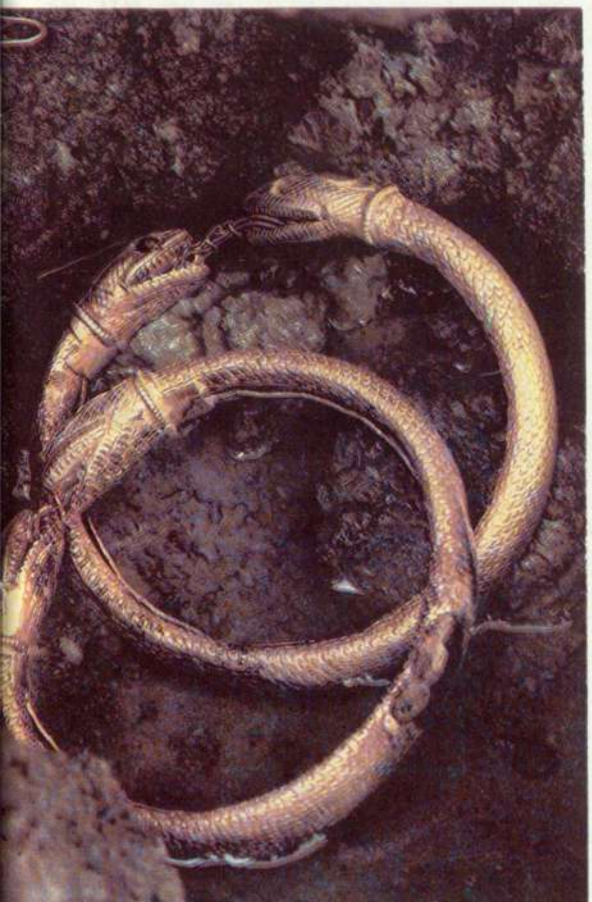
عالمة الاجناس سارة بيزل تقوم بتنظيف وترميم الهياكل البشرية التى عثر عليها حديثا فى هركيولانيوم

ليلة عادية) واخذت الأمواج العنيفة تضرب الشاطىء وتجعل الهرب عن طريق البحر مستحيلا ، وشعر بلليني بالتعب الشديد ، واخذ يسال مراراً عن (ماء بارد) وفجاة دهمتهم (عاصفة من اللهبورائحة الكبريت) فاطلق الجميع سيقانهم للريح في محاولة يائسة للنجاة ، اما بلليني الاكبر فقد سار معتمداً على ذراعي اثنين من العبيد ولكنه لم يلبث أن سقط مغشياً عليه وهو يعاني الاختناق ، وبعد يومين عثر على جثته فوق شاطىء (ستابيا) .

كان بلليني الاصغر وامه فى ذلك الوقت يراقبان الموقف على بعد ٣٢ كيلومتراً في منزل الاسرة في (ميسنوم) وشاهدا (سحابة سوداء مخيفة تتخللها هبات من النيران المتوهجة) تتقدم عبر الخليج ، فلاذا بالفرار مع معظم سكان ميسنوم الآخرين ، وعندما اقتربت السحابة وغطت سماء المنطقة (لجا الكثيرون الى الصلاة وطلب العون من السماء) .

ولكن السحابة تبددت في النهاية ، وعاد ضوء النهار ، وعندئذ راى بلليني الاصغر أن (كل شيء قد تغير ودفن تحت طبقة من الركام الاشهب مثل كساء الثلج) .

ويختتم بلليني الاصغر رسالته قائلا (وبالطبع فان مثل هذه التفاصيل ليست



حلى ومجواهرات « سيدة الخواتم » : خاتمان محليان بفصوص كريمة ، وأسورتان ذهبيتان على هيئة ثعبان ، وزوجان من الاقراط بدبوس دلالة على أذن مثقوبة .



عالم أثرى من فريق جويسيبى ماجى يفحص هيكل الجندى الرومانى الذى وجد ملقى على الشاطئ واسلحته بجانبه .



أسرة من سكان مدينة ايركولانو الحديثة فى شرفة بيتهم المطلة على اطلال مدينة هركيولانيم القديمة ، حيث توجد المدينتان فى منطقة واحدة . وقد تم حتى الآن اكتشاف أقل من نصف هركيولانيوم فقط ، واستمرار الحفريات يهدد سكان المبانى الحديثة بالاجلاء عن مساكنهم .

مهمة بالنسبة للتاريخ ..)

ولكن بلليني الاصغر كان مخطئا في اعتقاده ، فان هذه التفاصيل كانت عظيمة الأهمية بالنسبة للتاريخ والجيولوجيا على السواء ، فهي تعطي مفاتيح جيولوجية هامة لتصور ما حدث بالفعل في بومبي وهركيولانيوم كما يصنعه شاهد عيان . وقد ثبت ان هذه التفاصيل تتفق مع المعلومات الحديثة التي امكن الحصول عليها من انفجار بركان جبل سانت هيلين في عام ١٩٧٠ .

كيف انفجر البركان

دكتور هرالدور سيجوردسون خبير البراكين من جامعة (رود ايلاند) وهو احد مساعدي العالم الأثري الايطالي جوسيبي ماجي المشرف على أعمال التنقيب في شاطىء هركيولانيوم يعكف الآن داخل نفق في الركام البركاني على اخذ عينات من المخلفات البركانية لتحليلها ، وهو يحاول ان يضع تفسيراً حديثا لما وقع عند انفجار البركان في عام ٧٩ م بما فى ذلك وضع سيناريو لحظة بلحظة عن الطريقة التى اخذ

بها فيزوف أرواح سكان المنطقة .

ويتصور دكتور سيجوردسسون ما حدث على النحو التالي : حدثت سلسلة من الهزات الأرضية المتلاحقة لم تلبث ان اتصلت وصارت زلزالا واحداً مستمراً . ثم سمعت انفجارات قوية قصيرة متعاقبة هي انفجارات الغازات التي فتحت فوهة البركان فوق قمة الجبل . وفي ساعة مبكرة بعد ظهر يوم ٢٤ اغسطس غطت سماء المنطقة (السحابةالبللينية) نسبة الى بلليني الذي شاهدها على شكل مظلة كبيرة من حيث يقيم في ميسنوم .

بعد ذلك سمع صوت انفجار كبير قوي تصاعد على اثره عمود من الحمم والنيران كالنافورة الضخمة ظلت تتصاعد حتى بلغ ارتفاعها ٢٠ كيلومتراً او اكثر ، وخلال حوالي ٣٠ دقيقة اخذت الحمم البركانية تتساقط وتغطي كل انحاء المنطقة بما فيها المدن الثلاث بومبي وهركيولانيوم وستابيا والمياه الساحلية . ولكنها لم تكن حمما يابسة بل كانت عجينة من الصخر المذاب نتيجة للانصهار الشديد داخل البركان بحيث تحولت الى ما يشبه الرغوة او الزبد وهو ما يطلق عليه الخفاف البركاني . وهذا الخفاف في حد ذاته اخف من ان يقتل احداً ولكنه يتراكم بسرعة كبيرة تبلغ نحو ١٥سنتيمتراً في الساعة الواحدة .

وبعد نحو ٤ ساعات ، اي في ساعة متاخرة من بعد ظهر يوم ٢٤ اغسطس بدات اسطح المباني تنهار تحت ثقل طبقات الرديم البركاني كما أخذت تنطلق من فوهة البركان القذائف الصخرية المشتعلة وبعضها في حجم القنابل الكبيرة وهي القذائف التي كان يحاول بلليني الاكبر ورفاقه ان يتفادوها بوضع المخدات فوق رءوسهم . وفي هذه المرحلة انقطع الرجاء تماما في البقاء وقرر آخر المتثاقلين ان يهربوا بجلودهم من هذا الجحيم حتى لو قتلوا كغيرهم في الطريق . كما ادى الانفجار الى اظلام كامل قبل ان تغيب الشمس في مستقرها بالبحر .

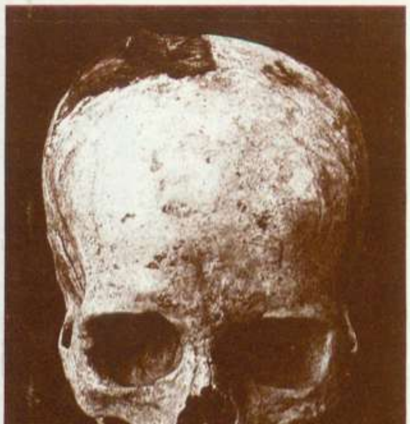
وفي ساعة متاخرة من الليل اخذ عمود اللهب المتصاعد يتناقص في الارتفاع نتيجة للاتساع التدريجي لفوهة البركان وضعف قوة الدفع من باطن الأرض ، وبدلا من أن تتطاير الغازات الخانقة الى اعلى اخذت تهب على سفوح الجبل ، وهي تلك الهبات التي حاصرت سكان المدن الثلاث وقتلتهم وهم يحاولون الهرب .

الموتى يتكلمون

وتختلف هركيولانيوم عن بومبي في شيء هام فقد غرقت هركيولانيوم في المياه الجوفية التي انسابت من بركان فيزوف مما حفظ الكثير من آثارها خلافاً لبومبي التي غطاها الخفاف البركاني وكانت أرضها أكثر صلابة فتهشمت معظم آثارها نتيجة لعوامل التعرية ، ولذا حفظت لنا هركيولانيوم الكثير من أدوات الحياة اليومية القابلة بطبيعتها للتلف ، مثل قطع الاثاث كالسراير والدواليب والموائد والكراسي ، والمواد الغذائية كالحبوب وأرغفة الخبز والبيض والخضروات بل حتى عظام الدجاج ، فكثير من هذه الاشياء يمكن اخراجها بسهولة من تحت أرض هركيولانيوم لتعطينا مزيداً من التفاصيل عن الحياة الرومانية .

كما أن تربة هركيولانيوم الرطبة حفظت ايضا الهياكل البشرية في حالة احسن ، اذ عندما تاكلت اجسام الضحايا كسى الطين العظام وحفظها بدلا من ان تتخلف بينها ثغرات كبيرة كتلك التي حدثت لهياكل بومبي المغطاة فقط بطبقة من الخفاف البركاني حيث الارض اكثر ارتفاعا وجفافا .

وتعكف عالمة الاجناس الدكتورة سارة بيزل على ترميم الهياكل العظمية التي عثر عليها مؤخراً في هركيولانيوم ، وتبلغ نحو ١٥٠ هيكلا عظميا ، وتمر عملية الترميم بمراحل كثيرة تبدا بوضع عظام كل هيكل على حدة في صندوق خاص ، ثم تقوم الدكتورة بيزل بتنظيف الجماجم والعظام وغسيلها وتجفيفها ، ثم تكسيتها بطبقة من الشمع لتحفظها من البلى ، واخيراً اعادة تركيبها او وصل الاجزاء المكسورة منها ، وعندئذ تكون صالحة للنقل الى المتحف .



هذه هى « السيدة الجميلة » .. كانت فى حوالى الخامسة والاربعين من عمرها ، شقراء كما تدل على ذلك خصلة الشعر المتبقية فى الجمجمة .. دقيقة النسب ، سليمة الاسنان . وتقول الدكتورة سارة بيزل : إذا تصورت ان هذه الجمجمة مكسوة لحما بدت ذات وجه جميل .

ومن الطبيعي ان يحكي كل هيكل منها قصة ..

وقد قامت الدكتورة سارة بيزل حتى الآن بتحليل وترميم هياكل ٤٦ بالغا و ١٠ اطفال ، وهي تعتقد انه فيما عدا العبيد فان معظم سكان هركيولانيوم كانوا اصحاء الجسد ، لا وجود لأثر الانيميا ، كان لديهم مايكفيهم للأكل .

ولا تزال هركيولانيوم الى اليوم تطالع الزائر بجو الاصطياف الرقيق الذي يسود كابري او بوزتيانو المجاورتين ، كما ان شواطئها تنحدر بشدة نحو البحر مما يجعلها غير صالحة للحركة التجارية الكثيفة ومعنى ذلك انها كانت في الماضي مصيفا هادئا يؤمه اثرياء الرومان الذين يفدون اليها للراحة والاصطياف .

ولكن يبدو أن هركيولانيوم لم تكن مصيفاً فحسب فقد عثر فيها ايضا على كثير من ادوات الصيد ، ويبدو أن معظم سكانها الذين يتراوح عددهم بين اربعة آلاف وخمسة آلاف نسمة كانوا يعيشون على البحر خلافاً لسكان بومبي الذين كانوا من الحرفيين او الصناع كما تدل على ذلك وفرة الدكاكين والمصانع الصغيرة (الورش) في مدينتهم . وخلافا كذلك لاحياء بومبي الفقيرة نجد أن قصور هركيولانيوم الجميلة وحماماتها الانيقة ومسرحها الكبير تدل جميعاً على ان هركيولانيوم كان يؤمها اناس ذوو ثراء وثقافة وذوق رفيع .

من هذه المنازل (فيلا البردي) التي امدت صائدي الكنوز في القرن الثامن عشر بعديد من التماثيل الكاملة والنصفية المصنوعة من المرمر او البرونز ، بما فى ذلك نسخ من التحف الاغريقية القديمة في فن النحت والتي فقدت أصولها الآن ، ويبدو واضحا ان صاحب الفيلا كان نبيلا رومانيا ثريا ذا نفوذ كبير ، وقد احتفظ ايضا بمكتبة كبيرة تحوي مئات من لفائف البردي التي تحرق معظمها الآن ولكن لا يزال بعضها صالحا للقراءة . ومن المحتمل ان الكثير من هذه البرديات لا يزال مدفونا تحت اطلال هذه الفيلا العظيمة التي تنتظر مزيداً من اعمال التنقيب .

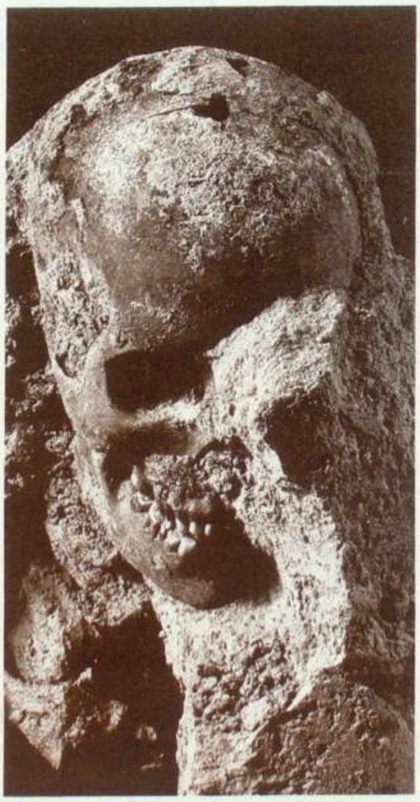
كيف هلكت هركيولانيوم

تدل دراسة طبقات الرديم البركاني ومقارنتها بين المدينتين على أن ثلاثة تيهورات (انفجارات) كبرى قد اجتاحت سفوح جبل فيزوف قبل ان يصيب التيهور الرابع مدنية بومبي ، ولكن هركيولانيوم اصيبت خلال هذه الهجمات الأولى مما يدل على أن سكانها ماتوا قبل سكان بومبي بحوالي سبع ساعات .

وقد أصيبت بومبي في الساعات الاولى من صباح ٢٥ أغسطس ، وعلى ذلك تكون هركيولانيوم قد اصيبت في منتصف الليلة السابقة ، وهذا ما يفسر وجود مصباح مع الاسرة الهاربة .

ان التيهور البركاني الذي يجتاح سفوح الجبل ينقسم بفعل الجاذبية الى مرحلتين هما (الهبة) و (التدفق) ، والهبة هي التي تضرب أولا ، وهي عبارة عن سحابة صاخبة محملة بالغبار تهب بسرعـــة تتراوح بين ١٠٠ و ٣٠٠ كيلومتر في الساعة وتبلغ حرارتها حوالي ١٠٠ درجة مئوية وهي درجة غليان الماء ، وتتكون من الغاز والرماد والفلزات الخفيفة وتاخذ شكل الزبد ، ويتلوها في الوصول (التدفق) البركاني وهو سائل طيني كثيف يحمل الصخور الكبيرة يتدفق من باطن الأرض عبر فوهة البركان وتصل درجة حرارتة الى ٤٠٠ مئوية ويسير مثل النهر المشتعل ويتشعب الى فروع طبقاً للملامح الطوبوغرافية للمنطقة ولكن سرعته تكون اقل اذ تتراوح بين ٢٠ و ٥٠ كيلومتراً في الساعة .

والمعتقد انه اثناء الليل احس سكان هركيولانيوم بالخطر المحدق نتيجة للانفجارات البركانية الأولى التي لم تبلغ المدينة بعد ، وعندما راوا السنة اللهب تلعق حافة الجبل في اتجاه مدينتهم فقدوا آخر قدر من رباطة الجاش وسارعوا الى الفرار نحو منطقة الشاطىء ، وترك بعضهم اطفالا صغاراً او رضعا في شوارع المدينة مما يدل على أن كل فرد كان يحاول أن ينجو بنفسه ولم يكن لدى الاب او الام وقت للعناية بالصغار ، ولكن (الهبة) البركانية كانت اسرع منهم فاحاط بهم سرادقها من كل جانب والمؤكد انهم ماتوا جميعا في لحظة واحدة بمجرد وصولها ، وقد وصلت هذه الهبة في شكل اعصار رملي يغشى



هيكل بشرى .. كساه الركام البركاني وحفظه بالحالة التى كان عليها عند الوفاة .

العيون ولابد أن الناس قد انكفاوا على وجوههم يحاولون وقف تنفسهم حتى لا يملأ الهواء الساخن المحمل بالرماد رئاتهم ، ولكنهم ما ان يضطروا الى فتح افواههم لالتقاط انفاسهم حتى يندفع الهواء الساخن السام الى رئاتهم ويمزقها من الداخل فيموتون اختناقا ، ولا شك ان البعض لقوا حتفهم نتيجة للطوب المتطاير ، وآخرين قد ماتوا وهم يلقون بانفسهم من فوق أسوار المدينة الى الشاطىء كما حدث لبورتيا المسكينة .

وبعد دقائق من انتهاء الهبة الاولى تبعها التدفق البركاني الذي تخلل المدينة كالسيل الملتهب ثم تجمع في منطقة الشاطىء . وتولت الهبات والتدفقات التالية خلال عدة ساعات دفن مدينة هركيولانيوم تماماً تحت طبقات الركام البركاني ومد شاطىء البحر نحو نصف كيلومتر الى الأمام . ويقدر خبراء البراكين انه كانت هناك ستة تيهورات بركانية على الاقل آخرها ذلك التيهور النهائي الكبير الذي لفظ به بركان فيزوف آخر انفاسه وكان عبارة عن سحابة ضخمة من الهباب الاسود اطفأت عين الشمس فى الساعات الأولى من الصباح واجتاحت كل خليج نابولي وهي

التي دفعت بلليني الاصغر وأمه مع بقية سكان ميسنوم على بعد ٣٢ كيلومترا الى الهرب معتقدين انها نهاية العالم .

متحف الآثار

ويوجد الآن في نابولي متحف للآثار يضم معظم الكنوز الفنية التي استعيدت من تحت انقاض مدن فيزوف والتي تصور الحياة الرومانية في تلك الأزمنة أدق تصوير . في الدور الأول للمتحف توجد التماثيل الضخمة لفينوس وابوللو وهرقل التي كانت تزين يوما المعابد والأماكن العامة في بومبي وهركيولانيوم .. تلك الآلهة التي لم تستطع ان تفعل شيئا لانقاذ ضحايا فيزوف لحظة الهول الشديد ، وهناك تماثيل اخرى لماركيوس نونيوس باليوس نائب القنصل في هركيولانيوم وغيره من الاشراف الارستقراطيين الذين كانوا يوما يتمتعون بمصيف هركيولانيوم الجميل وقد غرقوا في اللذات المباحة والمحرمة ولم يكن يطوف بخلدهم انهم ملاقون هذه النهاية الأليمة . وفي الطابق الثاني من المتحف عرضت قطع الأثاث والبرديات ورسوم الجدران وفنون المازايكو التي تكشف عن نسيج الحياة قبل ثورة فيزوف . ومن هذه الرسوم مدرس يؤدب تلميذاً بضربه بالعصا وزوج وزوجته يجلسان على اريكة ، ومجموعة من الفقراء تتلقى احساناً من الخبز ، وحبيبان يتناجيان ، وممثل تراجيدي يجلس القرفصاء وقد بدا عليه الاجهاد بعد ان انتهى من اداء دوره .. هؤلاء وامثالهم ربما كانوا بين تلك الجموع الهائجة المائجة التي كانت تحاول الهرب عبثاً من ثورة الغضب البركاني وقد زاغت نظراتها من شدة الذعر ، وتجمدت فوق شفاهها اسئلة لا تجد جوابا : .. لماذا يوجد كل هذا الشقاء في العالم ؟ !

وعبر القرون التالية ياتي رد السؤال من لدن العليم الخبير :

(واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً) .

(فكاين من قرية اهلكناها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد) .

(وكذلك اخذ ربك إذا اخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد) .

(وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون) .

صدق الله العظيم

محمد العزب موسى

قصة "السيريالية" في الوطن العربي

من هنا بدأت.. وهذه هي بياناتها المثيرة!

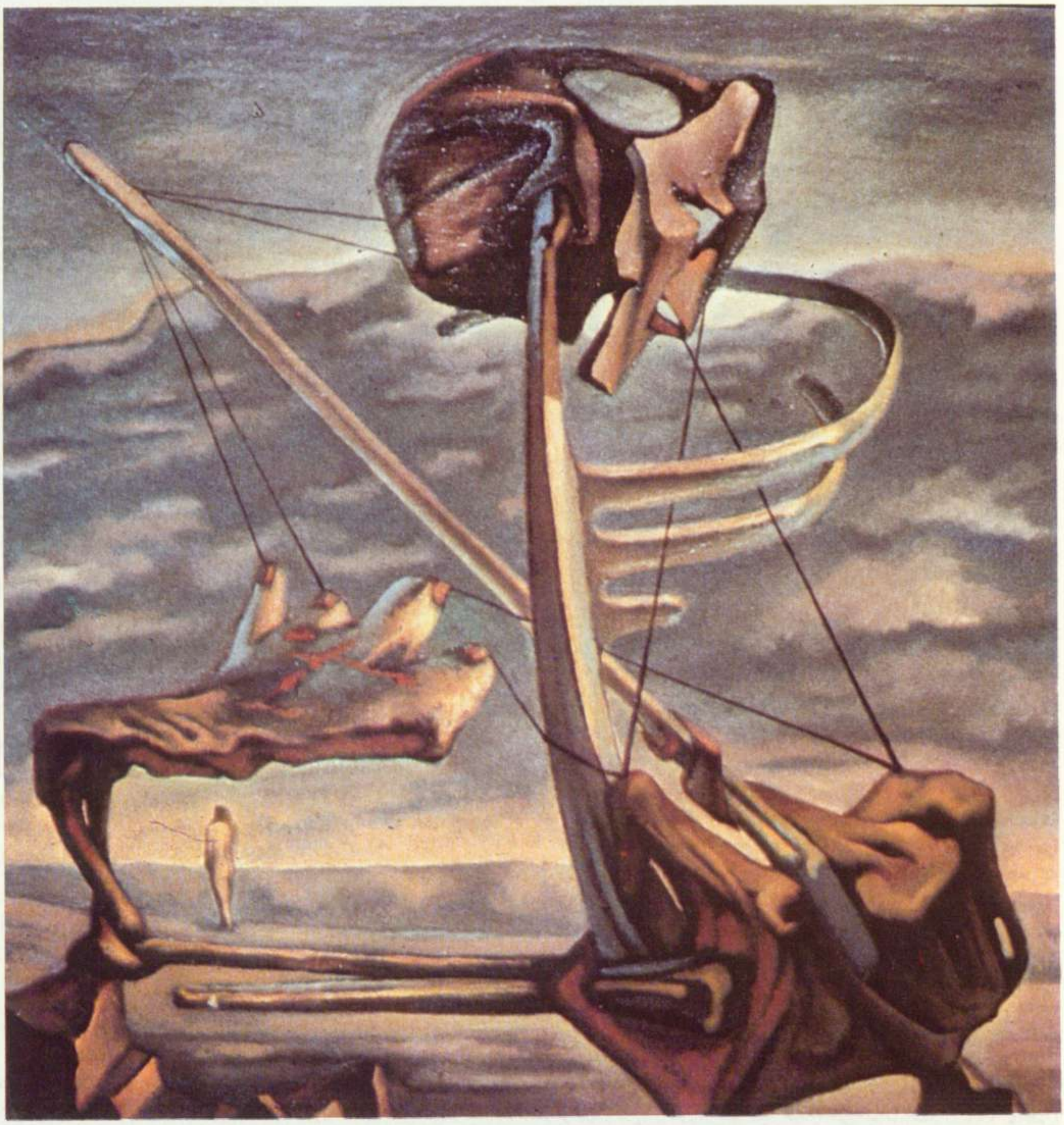
١ - الفن التشكيلي

بقلم: سمير غريب

- أول هدف أعلنه السيرياليون هو الدفاع عن الحرية!
- مجموعة من الفنانين تطلق على نفسها اسم "جماعة الفن المنحط"!
- مؤسس السيريالية العربية يهاجر إلى باريس ويموت فيها

من اعمال رمسيس يونان





من اعمال انجى أفلاطون

تأسست الجماعة السريالية في مصر رسمياً في ٩ يناير عام ١٩٣٩، عندما كون جورج حنين مع بعض اصدقائه جمعية (الفن والحرية) التي جاء في قرار تاسيسها انها تكونت (للدفاع عن حرية الفن والثقافة، ونشر المؤلفات الحديثة والقاء المحاضرات، وايقاف الشباب المصري على الحركات الأدبية والفنية والاجتماعية في العالم).

لذا ينبغي بداية ان نؤكد على الدور الرائد الذي قام به جورج حنين في تكوين ونشاط الجماعة التي تحولت الى حركة غنية بنشاطها وتاثيرها، وكذلك على دور الفنان والناقد والكاتب رمسيس يونان.

ولد جورج حنين بالقاهرة في ٢٠ يناير ١٩١٤. واتاحت له ظروف حياته مع والده صادق حنين باشا وتنقله معه في عدة دول اوربية حيث عمل والده سفيراً لمصر في ايطاليا واسبانيا، ودراسة جورج في جامعة السربون الفرنسية، اتاح له هذا ان يجيد اللغات الفرنسية والايطالية والانجليزية والعربية، والتعمق في دراسة الفكر الغربي، كما اتاح له التعرف على الرواد السرياليين في فرنسا، واقامة علاقات صداقة وثقافة معهم وبالاخص مع اندريه بريتون - الأب الروحي للسريالية - واشترك معهم في تنظيماتهم ونشاطاتهم. كان نشاطه في القاهرة على

قصة "السيريالية" في الوطن العربي

صلة تنسيق وتعاون مع نشاط السرياليين في فرنسا وانحاء اخرى من العالم مثل بلجيكا وانجلترا والولايات المتحدة الامريكية ، وان جاءت بداية هذا النشاط في مصر متاخرة ١٦ عاما عن صدور البيان السريالي الاول في باريس .

لعب جورج حنين دوراً هاما في تاسيس وتنشيط الحركة في مصر مع الفنانين رمسيس يونان وفؤاد كامل وكامل التلمساني . وكانوا يمتلكون موهبة الكتابة بجانب موهبة الرسم . ونظراً لان مصر وقتذاك كانت بها جاليات اجنبية ملحوظة وكذلك اليهود المصريون والاجانب ،

فقد وجد فيها السرياليون ارضا خصبة لنشاطهم ، ودخل الحركة اجانب مثل الفنان الايطالي انجيلودي ريز الذي كان لاجئا الى مصر من الفاشية الايطالية ، والبلغاري اريك دي نيمش ، بالاضافة الى عدد من المتمصرين .

انضم جورج حنين الى جماعة (المحاولين) قبل التحاقه بالسربون ، وشارك بالكتابة في مجلتها (انيفور) الشهرية باللغة الفرنسية كما شارك في ندواتها ونشاط جماعة (محبي الثقافة الفرنسية في مصر) . وفي نفس الوقت كان يكتب في عدد من المجلات الفرنسية والانجليزية والامريكية . وفي القاهرة اسس منشورات : (ماس) و (حصة الرمل) .

اصدر جورج حنين في نوفمبر ١٩٣٨ اول دواوينه (لا معقولية الوجود) مزينا برسوم لكامل التلمساني ، كما اصدر عامي ٤٤ - ١٩٤٥ كتيب : (من اجل وعي جديد) ، (من انت يا سيد اراجون) ، (مكانة الرعب) . واصدر بعد ذلك (المتنافر) ،

(صورتان) ، (اشارة الى كافكا) . (العتبة الممنوعة) . كتب عام ١٩٦٧ مقدمة كتاب (انطولوجيا الادب العربي المعاصر) . كما شارك في كتابة (الانسكلوبيديا السياسية الصغيرة) التي ظهرت عام ١٩٦٩ . وقد عمل في سنواته الاخيرة مديراً لتحرير مجلة (جون افريك) ورئيسا لقسم التحقيقات في مجلة (الاكسبريس) الاسبوعيتين .

بعد وفاته ليل ١٧ - ١٨ يوليو ١٩٧٣ ، بعد سنوات من صراعه مع سرطان الرئة ، نشرت زوجته السيدة اقبال العلايلي ، المشهورة باسم بولا ، عدة مؤلفات له بالفرنسية : (ملاحظات على بلد لا جدوى منه) ، (العلاقة الاشد اظلاما) ، (الروح الضاربة) .

اما رمسيس يونان فقد ولد في اسرة فقيرة بمدينة المنيا عام ١٩١٣ . توفى والده وهو في الخامسة عشرة من عمره وكان اكبر اخوته الاربعة . دخل عام ١٩٢٩ مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة وتركها عام ١٩٣٣ ليبدأ العمل في تدريس الرسم في المدارس

الثانوية . واظب رمسيس على الاشتراك في معارض صالون القاهرة التي كانت تقيمها جمعية محبي الفنون الجميلة من ٣٣ - ١٩٣٨ . وفي ١٩٣٥ بدأ اتصاله بجماعة (الدعاية الفنية) وشارك في معرضها الجماعي ، كما نشرت له كتابه الأول الذي اثار ضجة كبيرة (غاية الرسام العصري) يبشر فيه بالسريالية ، كما وقع

مع زملائه البيان الجرىء (يحيا الفن المنحط) عام ١٩٣٨ . وفي نهاية ابريل ١٩٤٧ غادر رمسيس يونان مصر ليستقر في باريس تسع سنوات عمل خلالها سكرتيراً لتحرير القسم العربي بالاذاعة الفرنسية واشترك في المعارض الدولية للسريالية في اوربا . وعاد الى مصر عام ١٩٥٦ بعد ان

طردته الاذاعة الفرنسية لرفضه اذاعة بيانات ضد مصر خلال العدوان الثلاثي . ترجم عدة مؤلفات (رواية الحب الاول) لتورجنيف و (قصة الفن الحديث) لسارة نيوماير . (وكاليجولا) لالبير كامي . ثم حصل على منحة تفرغ استمرت ست سنوات حتى وفاته في نهاية ١٩٦٦ .

كانت السنوات الخمس الاولى هي مرحلة التوهج في الحركة السريالية المصرية ، وان كان جورج حنين بدأ يمهد لها من منتصف الثلاثينات بمحاضراته ومقالاته . وبدأ نشاط الحركة يخف تدريجيا منذ منتصف الاربعينيات ، حتى توقفت بتحول

مؤسسيها الى مواقف فنية وفكرية مختلفة . بالاضافة الى هجرة رمسيس يونان الى باريس وعودته ، ثم هجرة جورج حنين الى فرنسا والتي لم يعد منها .

وقد اصدرت جماعة السريالية (الفن والحرية) مجلة التطور الشهرية باللغة العربية والتي توقفت عن الصدور بعد سبعة اعداد وكان العدد الاول منها قد صدر في يناير عام ١٩٤٠ ورأس تحريرها انور كامل .. كما شارك السرياليون في تاسيس وتحرير

جريدة (دون كيشوت) الاسبوعية بالفرنسية ، وصدر العدد الاول منها في ديسمبر ١٩٣٩ . وتوقفت ايضا بعد فترة قصيرة . وبعدها شاركوا في تحرير (المجلة الجديدة) التي كان يصدرها سلامة موسى وتولى رمسيس يونان رئاسة تحريرها .

وفي كل هذه المطبوعات - بالاضافة الى المنشورات وكتالوجات المعارض الجماعية او الفردية - اوضحت الجماعة وجهة نظرها في مختلف المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية . كما نجد فيها ما يمثل ابداعاتهم الادبية والفنية . ولسوف نقتصر فيما يلي على ابداعهم التشكيلي .



وزير الثقافة المصرى الأسبق ثروت عكاشة يفتتح معرض رمسيس يونان التكريمى بعد وفاته . ويقف عكاشة بين فؤاد كامل وأرملة رمسيس يونان وابنته سلفى .

رؤية للفن والسريالية

كان الفن التشكيلي ابرز المجالات التي عملت فيها الحركة السريالية المصرية . فيه يختلط النظري بالعملي ، أو تجد تنظير اتهم مجالا حيا للتطبيق . وفيه احتكاك بالجمهور والتفاعل مع ردود فعله .

التنظير نجده في مقالات الفنانين والكتاب اعضاء الجماعة ، وبخاصة في المجلات التي اصدروها أو شاركوا في تحريرها ، مثلما نجده في كتالوجات معارضهم . والتطبيق نجده في المعارض الخمسة الجماعية التي اقاموها او في المعارض الفردية لأعضائها . وفي الحالتين : التنظير – او النقد – او الممارسة العملية يصطدم القراء والمشاهدون باراء وابداعات جديدة غير منبتة الصلة بما كان يجري من زملائهم في أوربا .

كتب كامل التلمساني مقالة (نحو فن حر) يبدؤها بفقرة دالة من برنارد هو لاندر : (كل راحة ونعمة في الحياة الجديدة ولدت فى اذهان رجال شذوا عن العرف والمألوف المصطلح عليه ، واوجدوا بالرغم من الاضطهاد والمعارضة ترتيباً جديداً اصلح للاشياء . ينسي العالم عبيد التقاليد المتوارثة .. لكنه يشيد هياكل الخلود لهادمي التقاليد الناجحين) .

يبدا التلمساني بالبكاء على الأطلال . أي ذلك البؤس الذي يعيش فيه المجتمع الذي يفتقر الى امور عديدة منها : (فن حر عميق) . الذي (يعبر بوضوح عن مركز الفرد وآماله واحلامه وآلامه المادية والروحية) . وهو (مبني على هيكل صلد من المعرفة الدقيقة بالحقيقة النفسية) .. وهو (ضروري لكي نقترب نفسانيا من فهم حقيقة معضلات المجتمع البشري وتطوراته النفسية) . هكذا يبدو كامل التلمساني (طبيبا فنيا) كما لو كان يتحدث عن معادلات طبية ، إلا ان هذا شان التنظير الذي يبدو عادة اكثر تشدداً من الممارسة . فللممارسة قانونها الذي لا يطاله التطبيق ، وهو قانون الممارسة) . إلا أن المهم ان هذا الفن الحر (يعبر عن رغبتنا وحقوقنا في الحلم والخيال المنطلق المتحرر دون تقيد بالمكان أو بالزمن) .

كامل التلمساني يستخدم تعبير الفن الحر دلالة على الفن السريالي ، كما استخدمه آخرون ، ويوضح العلاقة بين هذا الفن الحر وابحاث فرويد في التحليل النفسي . فقد قال فرويد بان الفن مظهر تحويلي لطاقات الفنان وغرائزه ، وتحليل امكانيات الخيال عند الفنان واستغلاله لها . ويقرر التلمساني ان جماعة (السرياليزم) أول من اخذت باكتشافات فرويد فيما انتجته ويضرب مثلا باعمال المصور السريالي (بول ديلفو) .

هذا الفن الحر – يقول كامل التلمساني – (بعيد كل البعد عن الفنون التي عرفناها في الماضي ، الا انه يستثني من فن الماضي اثنين : (ببرودي كوزيمو) ، و(لوكاس كارناخ) . دون توضيح المقصود بالضبط من (فن الماضي) لأن لهذا اثره في (الاستثناءات) .

بعد هذا التوضيح العام – أو القاعدة – ينتقل كامل التلمساني للتطبيق على مصر . فيهاجم الجيل الأول والثاني من الفنانين المصريين الذين سافروا ليتلقوا الفن في



لوحة من اعمال فؤاد كامل

اوربا فوقف كل منهم (موقف الضعيف المحتقر امام القوي السائد . واخذ الأول ينقل من الثاني صوره ويقلده . ثم عاد بعد سنين من ذل النسخ وهوان التقليد الى بلده يرسم من مناظر مصر تلك التي اوحتها له السنوات الطويلة التي قضاها في النسخ والتقليد ، سجين المتاحف ، حبيس الاكاديميات) .

إلا انه يستثني من هؤلاء العبيد (المصور) راغب عياد (والنحات) مختار . هنا يدخل كامل التلمساني في شكل من اشكال تمصير السريالية . فهو يمدح يوسف العفيفي (لانه نجح في تكوين المدرسة الجديدة من الفنانين الشبان الاحرار) . ويمدح محمود سعيد وناجي لانهما (عصاميان لم يدخل ذل الاكاديميات في تكوينهما) . ورغم انه يصنف محمود سعيد (من رجال المدرسة القديمة) الا انه (الوحيد بينهم الذي استطاع ان يعبر عن داخلية نفسه بطريقة بها الكثير من الاحساس الصادق العميق والشعور المرهف والتامل الدقيق في عالم قلبه ووجدانه ، وهو الوحيد الذي نجح لدرجة ما في خلق الجو الشعري في صوره .. الجو الذي يتخلله نسيج من العتمة والظلام حالك الخطوط في الوانه صاغها حسه من عواطفه التي وجدت في اللون والصورة من آمال حياتها وامانيها مالم تجده في المجتمع تحت ظلم الوجود وقسوة الاوضاع .. والكثير من صور سعيد يعالج الحلم بدرجة مخففة تقبلها التقاليد ولا يجد فيها الناس من الغضاضة شيئا كثيراً) .

هذه هي المعايير الفنية التي يحاكم بها كامل التلمساني الفنانين المصريين ، وعندما يطبق هذه المعايير على لوحتين لمحمود سعيد – مع التحفظات التي ذكرها من قبل – هما (الدعوة الى السفر) و (ذات الجدائل الذهبية) يجد فيهما : (الصورة الثابتة لحياتنا الغريزية المكبوتة ، الابتسامة التي تكهرب الجو الميثولوجي في هاتين الصورتين ، وتنتقل في رفق بين (الشفاه الحبلى) التي تلمع من قطرات الندى التي حلمت بها الفتاة ودعوة هذا الرفيق المجهول الى سفر بعيد . هذا السفر الذي تسمع نداءه المراة منذ زمن طويل وينتظره الرفيق المجهول منذ زمن اطول ، هو حلم خالد من احلام محمود سعيد نفسه .. ان هذه الصورة هي سعيد بلحمه ودمه ، هي انت نفسك ونحن جميعا معك .. في كل صورة من صوره لابد وان ترى شراعا او دفة مركب يسير . الى اين تسير كل هذه السفن ذات الشراع القوي المستدير المليء بالهواء كانه جزء من جسد امراة ؟) .

يسفر ما سبق عن سمات اسلوب كامل التلمساني في النقد التشكيلي باللغة العربية ، إلا اننا سنتناول ذلك الجانب بالتفصيل فيما بعد . ومع ذلك فلم يصل محمود سعيد الى الرضى الكامل عنه من كامل التلمساني .. لان سعيد (لم تتقاذفه الحياة الصعبة ولم يترك برجه العاجي الى العوالم المجهولة والوجوه التعسة) . ولو انه عالج هذه العوالم (لاصاب من المجد في عالمه الشيء الكثير) . فهو – اي محمود سعيد – (لا يقل مقدرة عن ليوناردو دافنشي ولا ينقص في حسه ورقة شعوره عن بول ديلفو) .

عندما ينتقل كامل التلمساني للحديث عن مختار يوضح معياراً آخر سرياليا في الفن التشكيلي هو عدم التقيد بالقومية في الفن . (اقوى ما انتج مختار هي تماثيله (القيلولة) و (رياح الخماسين) و (نحو

الحبيب) لانه ترك نفسه على سجيتها وقلل من غلواء التاثير المطلق بالفن الفرعوني . فتمثال (القيلولة) قطعة ناصعة في فنه لا لانه مصري في موضوعه او محلي في صياغته بل لان فيه الشيء الكثير من الشعور بالعاطفة الانسانية) .

ان اللجوء الى الماضي البعيد يعتبر ـ طبقاً لجورج حنين ـ تقهقراً وهروباً امام (اللحظات التاريخية الممقوتة) التي نعيشها والتي (توحي لكل فرد رغبة شديدة للهروب منها) . إذن لكي نخرج من هذا المازق بطريق انساني لابد لنا من (حاسة الياس) (ليس الياس باي حال وسطاً راكداً ، حيث يطفوا للأبد خيال الضعفاء . فان الياس لا ينتظر . الياس جارف . الياس يقتحم الأبواب . الياس يصدع المدن . الياس هو العاصفة التي من ورائها تنبثق عوالم الخلاص العظيمة) . عن طريق (حاسة الياس) البناءة هذه يؤكد جورج حنين ان السريالية (تشييد وسط التخريب) . والجماعات السريالية ـ وقتها ـ تواصل (جهاداً لا هوادة فيه ضد التحفظ .. وضد الخمد المنظم لجميع الأذهان) .

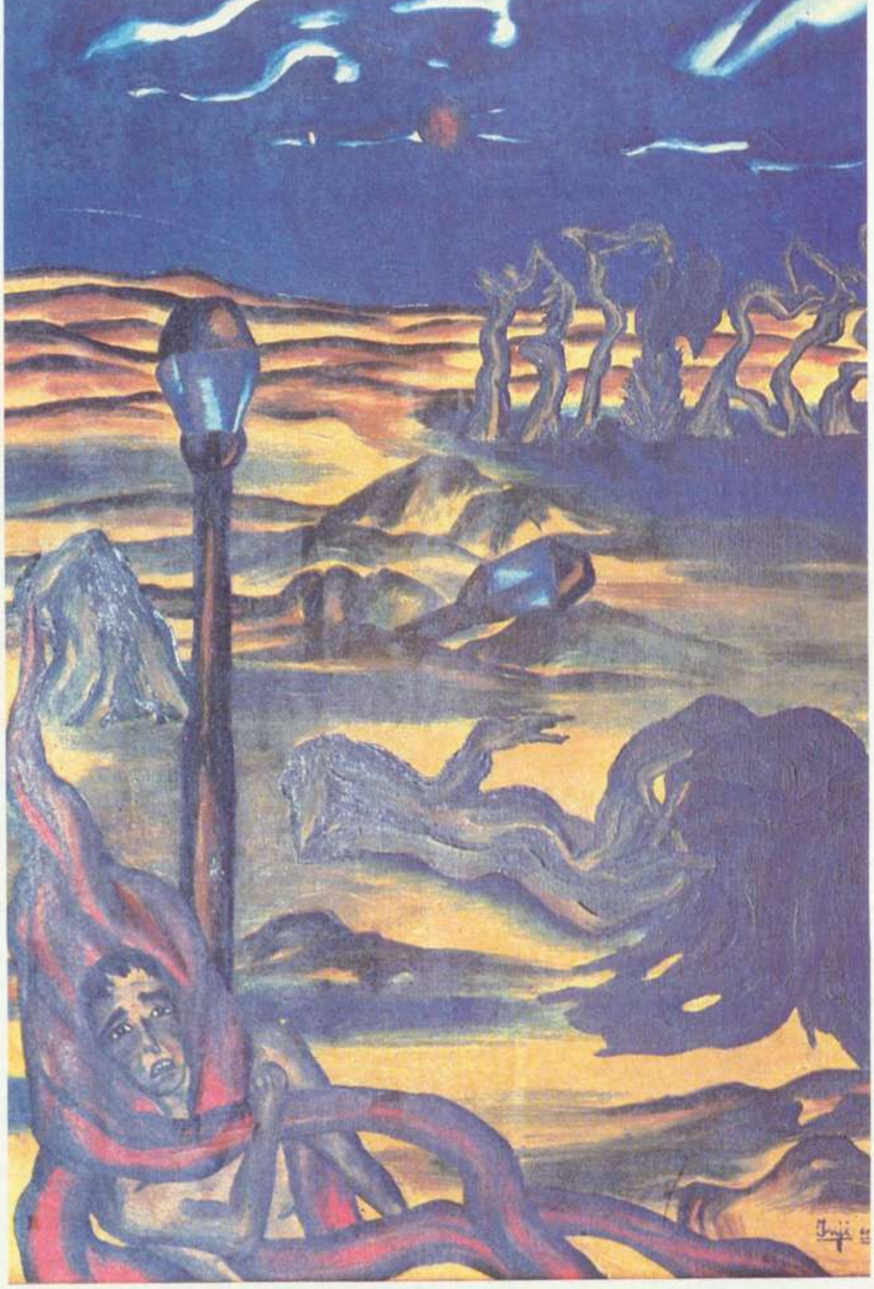
المعارض الجماعية

حاول السرياليون المصريون ترجمة كل هذه الآراء النظرية عملياً من خلال المعارض الجماعية الخمسة ومعارض اخرى فردية .

اقيم المعرض الجماعي الأول في فبراير ١٩٤٠ في قاعة النيل بميدان سليمان باشا ـ طلعت حرب حاليا ـ بالقاهرة . وقد اطلقوا على المعارض الجماعية اسم (الفن المستقل) وذلك التزاماً ـ بوجه ما ـ ببيان بريتون ـ تروتسكي وعنوانه (نحو فن حر مستقل) ، كما نجد بعضهم يستخدم تعبير (الفن الحر) ايضاً .

جاء المعرض الأول تعبيراً عن المصادفة (يجب أن تكون منبعا لمتواليات هائلة ضخمة تبعث على الذهول . وهي ايضا التي يحمل سرها الفنان الحر وحده) . وعن (اعادة الحرية للخيال السجين واعادة الرغبة بكل ما بها من قوة ، واعادة الجنون بقوته القاتلة الى الاشياء .. وكل هذا لا يسمى عملا سلبيا) .

لذا فقد صمموا صالات العرض باشكال جريئة وغريبة على الوسط التشكيلي في مصر . اقاموا (حارة المعاملات السيئة) ، يقف في اولها (الشاعر القتيل) من تصميم جورج حنين وهذه اول واخر مرة يشترك



كانت أعمال الفنان رمسيس يونان ثورة عارمة على الجمال والمنطق

فيها جورج بعمل فني . يميل عنق الشاعر القتيل العاجي في الم قاتل نحو كتفه المنحدر الذي اختفى خلال طيات القماش . على جسده تناثرت المخلوقات الصغيرة المتعددة من البشر . وتناثرت في جنبات الحارة (نماذج خشبية علت اجسادها الاحجار رمزاً ولكل رمز ما يصاحبه من صور وخيال ، وعلى تلك الرموز بنيت التاثيرات النفسية التي ارادها الفنان من وراء تلك الاعمال) .

بعد اكثر من اثنتين وعشرين سنة من هذا المعرض يصفه معلقا بدر الدين ابو غازي : (كان هذا المعرض ثورة عارمة على النظام والجمال والمنطق . راينا الرمال التي صاغتها حبكة صباغ الكلاسيكية ، واحاطتها رومانسية ناجي بالمعابد وتماثيل الكباش تتحول عند رمسيس يونان الى رمال عالم غريب زرعت فيه النساء كالأشجار الجوفاء ، والوجوه حطام بشرى كانها مقاطع من ارض اليوت الخراب . وشهدنا موضوع عروس النيل الذي اتخذه

قصة "السيريالية" في الوطن العربي

مختار ذريعة لابداع جمال مصري نابض بالحياة يتحول عند كامل التلمساني الى هياكل عظمية غريقة في اعماق لا قرار لها . كذلك ايضاً كان احتجاج فؤاد كامل في لوحاته الثورية . وكان ذلك الخليط من اسماء اجنبية واسماء مصرية اختفت .. اجتمعوا حول هذه النزعة ووجدوا عند ذات الجدائل لمحمود سعيد تلك الانوثة الوحشية السافرة التي طالعوا ملامح منها في لوحات بول ديلفو فجعلوا منها مركز اشعاع وسط اعمالهم التي لم تخل من كثير من الافتعال (كثير من الافتعـــال) .. نعم قال ذلك اخرون ايضا . لكن هذا المعرض كان الاعلان الاول الكبير عن ثورة السرياليين المصريين على مجتمعهم ووسائله الفنية .. يحمل من المضمون اهم بكثير مما يحمل من الشكل ، والاعداء الذين ظهروا على التو كان يهمهم هذا المضمون اكثر بكثير من الشكل الذي اتخذوه ذريعة اساسية للهجوم عليهم . فيما يتعلق بالشكل نفسه فلقد كانوا جميعا في ذلك الوقت تحت عمر الثلاثين ، وعدد كبير منهم تحت الخامسة والعشرين ، وكان امامهم الوقت للنضج الشكلي ، وقد حدث .. واصبح رمسيس يونان وفؤاد كامل اساتذة رواداً لاجيال تالية من الفنانين التشكيليين المصريين .

نجح المعرض الأول في اثارة ضجة كبرى . فقد بلغت الدعوات التي وزعت حوالي ١٠ آلاف دعوة كما نشر ذات مرة وان كنت اشك في هذا الرقم . وكانت النشرات توزع داخل هذا المعرض والمعارض التالية باعداد كبيرة لاجتذاب اكبر عدد ممكن من الشباب المثقف . ونشر رمسيس يونان في احدى تلك النشرات الجزء الأكبر من ترجمته لـ (فصل في الجحيم) لرامبو ، وكان عنوان هذه النشرة (مازلنا في المعمعة) .

• • •

صمم المعرض الثاني ـ في العام التالي ـ على هيئة ممر غامض في مبنى ضخم يتم تشطيبه بالطلاء . تناثرت هنا وهناك اوان مطلية بالجير توضح ان العمل توقف في المكان منذ ساعات . ايادي سوداء متسمرة على الحوائط تشير الى باب مفتوح يفر منه لهاث شديد لموسيقى من الفم . في الداخل ازواج ترقص . كان الزوار يدورون وقت الافتتاح في انحاء المعرض ويتساءلون هل الافتتاح هنا ؟

يصف جون باستيا المعرض بانه : (متاهة نريد أن نعرف نهايتها) . بينما وصفه رسام ايطالي اسمه (تراشير) : (كانت اللوحات معلقة على حوائط منتصبة بطريقة مربكة) . (هنا وهناك علقت زينات من شرائط لصق سوداء ، وبعض الصور علقت بمشابك غسيل على حبل مشنقة) ... وهذا الرسام الايطالي هو اظرف من وصف المعرض ، فيضيف في تهكم : (هنا وهناك رايت خليطا من صور وصحف مقطعة في تصميمات لا معنى لها . على الاقل بالنسبة لمبتدىء مثلي ومثلك .. هناك بعض رسوم صبيانية للآنسة شحاتة ، على حوائط التيه تدلت اقنعة مضحكة عملها ابو خليل لطفي . مشاركات رمسيس يونان عبارة عن مجموعة من اجزاء تشريحية تشبه الهراوات . عندما رايت قماشا نظيفا وقصاصة ورق معلقة في مسمار قلت لمرافقي ان هذا نحت بارز لكلب يطارد حصانا ، وقد اعجبوا بمعقولية هذا العنوان ويتصور هذا الرسام الايطالي انه لو اعطيت خامات ومواد اولية لازمة لصنع سيارة الى هؤلاء الفنانين السرياليين فسوف يعرون الاسلاك الداخلية ويضعون الاطارات وجهاز التبريد فوق سطحها ، ويرى ان هذا سيكون ملائما تماما للوحاتهم) .

وهكذا فالهجوم على المغامرة السريالية لا ياتي فقط من المصريين المباغتين بها ، وانما ايضا من هؤلاء الاجانب الذين ذبتت الحركة الحديثة في ارضهم ، وبالاخص الفنانون منهم .فقد كال جون باستيا النعوت السيئة على المشتركين في المعرض الثاني وحكم عليهم بانهم لم ياخذوا المعرض بجدية على الرغم من التعب والقلق الذي عاناه منشطاه : سانتيني وجورج حنين . بينما وقف فنانون وكتاب آخرون ـ مصريون ولكن قلة ـ بجانب المغامرة . كتب محمد صادق : (ان الافتتاح كان ناجحا بشكل مرض ، بحيث نعتبر ان الجمهور القاهري اهتم بهذا المعرض وهو الذي تعود على الفن الاكاديمي الاكثر اصطناعا ، لذا يجب أن نهنىء بحرارة الاستاذ جورج حنين منشط هذه الجماعة من الشباب) .

شارك في المعرضين الأول والثاني جورج حنين ورمسيس يونان وكامل التلمساني وفؤاد كامل وعايدة شحاتة وصادق محمد من المصريين ، وانجيلو دي ريز من الاجانب ، بالاضافة الى مشاركة محمود سعيد كضيف شرف من جيل الرواد نظرا للاعتبارات التي اوضحها كامل التلمساني من قبل . في المعرض الثاني زاد عدد المشتركين . ففضلا عن الذين اشتركوا في المعرض الاول ـ باستثناء محمود سعيد ـ نجد ازدياد عدد الفنانين الاجانب والمتمصرين . مثل ريمون ابنير ، لوران مارسيل ساليناس ، اريك دي نيمش والآنسات آن وليامز . توباليان ، بهمان ، مدام ايمي نمر ، هاسيا ، باروخ ، محمد أبو ، وابو خليل لطفي الفنان المصري . وقد ضم المعرض الثاني لأول مرة قسماً للتصوير الفوتوغرافي .

جـــاء المعرض الثـــاني فرصـــة اخرى لتاكيد الاسس التي تعمـــل عليها جماعة الفن والحرية ، وقد تضمن كتالوج هذا المعرض بيانا (الفن الحر في مصر) جاء فيه ان هناك اسسا ثلاثة لكي يقوم الفن الحر برسالته في مصر ، هي : الرد على موجة التصوير الكلاسيكي المحافظ ، اثارة التعجب في اذهان الجماهير لأنه كثيراً ما يكون مقدمة لا نارة الوعي النفسي ، وربط نشاط الفنانين الشبان في مصر بالفن الحديث .

الفن المستقل

ومن اجل تحقيق هذه الاهداف استمرت جماعة الفن والحرية في اقامة



مجموعة من الفنانين السرياليين الشبان فى آخر معرض جماعى لهم . وفى الصورة من اليمين : حامد ندا وفؤاد كامل وانجى افلاطون وتحية سليم ووحيد النقاش .

المعارض الجماعية (للفن المستقل) ، فاقامت المعرض الثالث في فندق الكونتننتال بالعاصمة من يوم الخميس ٢١ حتى السبت ٣٠ مايو ١٩٤٢ . بهذه المناسبة يكتب جورج حنين مقالا موقعا بالحرفين الاولين من اسمه بعنوان (رسالة الفن الحر) ، نفهم منها ان جورج حنين يرى جماعة الفن والحرية التي قامت بها (طليعة شبابنا الفني) احدى الجماعات التي تكونت (فيما بقي من البلاد الآمنة) ، (لاحياء ما قتل في البلاد الاولى بفعل الايدي الغاشمة) . ويقصد بالبلاد الاولى البلاد التي اضيرت من النظم الرجعية في أوربا وعلى راسها النازية الالمانية التي سددت ضربة الى (عناصر الفن المتجدد) ، لأن (سياسة الفاشية معارضة - بطبيعة اغراضها - لكل خيال ولكل حلم ولكل مزاح ولكل صراحة) . كان رد الفعل على هذه النظم وتلك السياسة نشوء (تيار نفساني شديد منشط يغمر فناني العالم المتضامنين مع اخوانهم الذين اصابتهم سياسة الفاشية . وكان لهذا التيار اثر مكهرب : فمن كان قد كف منهم عن العمل عاد الى جهوده بنشاط اعظم ، ومن اوقف بحثه الشخصي وقنع من الفن بما وصل اليه ، بحث من جديد واستانف طوافه المنتج ، ومن ضاعت ثقته فى رسالة الفن الاجتماعية رجعت اليه قوية مدعمة) .

عادت صور محمود سعيد للظهور في معارض الجماعة ، بالاضافة الى اشتراك راتب صديق وابو خليل لطفي واعضاء الجماعة من الفنانين التشكيليين . نشرت المجلة الجديدة قبل افتتاح المعرض الثالث الجماعي تقول : (ان لهذا المعرض قيمة استثنائية ، انه سيمثل لأول مرة اعمال بعض كبار فناني سوريا ولبنان ، وهذه ظاهرة جديدة سارة لارتباط فناني البلدين الشقيقين ، وانا نحمد لهؤلاء اتجاههم نحو اصدقائهم في مصر) . وهذه أول اشارة الى اشتراك فنانين من بلاد عربية اخرى في نشاط الجماعة المصرية ، وبهذا تكون الجماعة قد ربطت في نشاطها فنانين مصريين واجانب وعرب ، تحقيقا لما اعلنته من اهداف .

وصفت جريدة (اليراع) العمالية هذا المعرض : (في المعرض الحالي للجماعة رسوم زيتية ومائية وشمسية مركبة وتماثيل واقنعة (ماسك) تنطق عن هذه الروح الذي يعتمد في معظمه على مذهبي التحليل النفساني والاقتصادي . وموضوعات هذه المدرسة في الغالب الطبقات العاملة أو من يسمون (بالصعاليك) ويبتعد تلامذة هذه المدرسة عن موضوعات الطبقات الخاصة بمقاصفها الفاخرة وترفها وبذخها . ومن اروع ما عرض فى المعرض الحالي صورة لكناسين يتناولان طعامهما في انزواء ولكن الرسم بالوانه القاتمة استطاع ان يبرز قوة العزيمة الكامنة في اجسام هؤلاء الناس وقلوبهم . وفي زاوية اخرى من المعرض نجد صورة رائعة حقا لفتاة قد حاصرتها الاوضاع الاجتماعية فنهشت صدرها نهشا

كان من السهل على الداخل الى المعرض الخامس (للفن المستقل) ان يشعر بانه المعرض الاخير، فقد جاء اكثر بساطة واقل غرابة من المعارض السابقة ، حتى انهم زينوا المناضد بمفارش اسبانية ونباتات الجهنمية بطريقة رزينة . بالفعل فانهم لم يقيموا معرضا جماعيا آخر بعد هذا المعرض ، وكان ذلك ايذانا بانتهاء (العصر الذهبي) لجماعة الفن والحرية السريالية المصرية . بل انهم كانوا مهددين بعدم اقامة هذا المعرض نفسه بسبب عدم وجود قاعة له لولا جهد الاستاذ (جوسار) الفرنسي الذي نجح في توفير قاعة الطعام التي اقاموا فيها معرضهم السابق في مدرسة الليسيه فرانسيه في شارع الحواياتي - يوسف الجندي حاليا - في باب اللوق .

افتتح المعرض الجماعي الخامس (للفن المستقل) في يوم الاربعاء ٣٠ مايو ١٩٤٥ ، واستمر حتى ٩ يونيو . اشترك فيه ثلاثون فنانا باعمال يصفها ريتشارد موصيري ناقد جريدة البروجرية اجبسيان بانها (كانت في مجملها متجانسة ومنسجمة ، تسيطر عليها الطليعة مع استبعاد كل انواع الاكاديمية . لكن المنظمين فاجأونا بعرض بعض الاعمال التي تبعث على الحزن .. تلتقي في المعرض اتجاهات اكثر تنوعا واكثر تعسفية واكثر سذاجة ايضا) . بل يصل الناقد الى درجة مهاجمة المعرض بانه (لا تتوفر فيه الشروط الاولية لمعرض يريد ان يعيش ويفرض نفسه) .

من بين الأسماء الجديدة التي اشتركت في هذا المعرض من المصريين هناك : ابراهيم مسعود ولطفي زكي وكمال يوسف وعزيز رياض . ومن الاجانب : ادوين جاليجان وروبير ميدلي و كينيث وود وباج . وقد لاحظنا انه في كل معرض هناك اسماء جديدة تشترك مما يدل على أن معارض الفن والحرية كانت فرصا لتقديم فنانين جدد الى الحياة التشكيلية في مصر . كما نلاحظ حرص الجماعة على تخصيص جانب للتصوير الفوتوغرافي في وقت لم يكن فيه التصوير الفوتوغرافي متقدما من الناحية التكنولوجية مثلما هو الآن ، وقد برز في هذا الجانب مصريون مثل خورشيد ووديد سري بالاضافة الى ايدابل ، وايدا كار ، وهاسيا .

سمير غريب

الجزء الثاني من البحث
في العدد القادم



الفنان صلاح طاهر فى آخر معرض للراحل فؤاد كامل ، الذى يقف بجواره على اليسار

وطوقت ساقيها فاهاضتهما حتى بدت الفتاة ضامرة الذراعين مهزولة الوجه والجسم) .

في يوم الجمعة ١٢ مايو ١٩٤٤ ، افتتحت جماعة الفن والحرية معرضها الرابع (الفن المستقل) في صالة للطعام بمدرسة الليسيه فرانسيه بشارع الحواياتي بالقاهرة . استمر المعرض حتى ٢٢ مايو وضم ١٥٠ عملا فنيا بين تصوير ونحت وتصوير فوتوغرافي . كانت اقامة المعرض في صالة للطعام مشكلة نجحت الجماعة في حلها بلطف وذوق ودعابة ايضا .

يعلق ريتشارد موصيري ناقد جريدة البروجريه اجبسيان على هذا المعرض قائلا انه يجب الاشادة بهؤلاء الشبان الذين استطاعوا الوصول الى اقامة المعرض الرابع رغم كل الصعوبات ، وعدم الرعاية التي واجهتهم . كما ان الدرس المثير للاعجاب هو انهم استطاعوا تقديم هذا المعرض بارادتهم القوية فقط .

ويلاحظ موصيري أن اسم محمود سعيد يبرز في هذا المعرض بلوحتين له ، فيتساءل : (هل يشترك محمود سعيد في المعرض من اجل دعم زملائه الشباب باسمه وموهبته ، أم انه ترك نفسه يحتبر بسخاء معرفة كل الناس به ؟ هذا الفنان الذي لا يتوقف عن اثارتنا بتكويناته المبهجة وتميز اسلوبه وتلوينه الخاص) .

اشترك في المعرض الرابع اسم جديد هو سند بسطا الذي عرض لوحتين (مجردتين من الرقة) ، واشترك من اعضاء الجماعة المصريين : فتحي البكري بخياله الخصب وفؤاد كامل الذي يمزج الوانه الغنية بمفهوم ممزق عن التكوين ، وسمير رافع الذي اشترك ببعض اللوحات المرسومة بالقلم الرصاص ذات تكوينات حادة وراسخة ، وسعد الخادم ، وراتب صديق .

واشترك من الاعضاء الاجانب : انجيلو دي ريز ، سوزي جرين ، ارت توباليان ، واشترك في التصوير الفوتوغرافي ايدابل ومدام هاسيا والاخوان سري .

نلاحظ ايضا انه ليس جميع من اشترك في هذا المعرض كانوا بالضرورة سرياليين، فالذي جمع المشتركين هو ممارسة روح الحريــة والتجديد في الفن . ونلاحظ في هذا المعرض بالذات اشتراك يوسف عفيفي وحسين يوسف أمين وهما من اساتذة جيل الفن والحرية .

قصائد

شعر: هادي ياسين علي

الشاعر

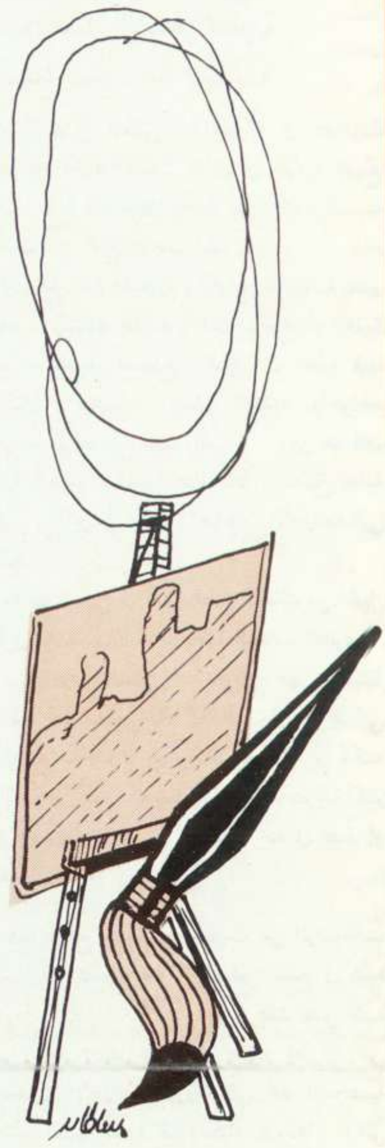
صيَّرْتُ كفّي ملعباً للريحْ
وخافقي بحرا من الرمالْ
صيَّرْتُ روحي مشعلاً في موكب الجمَالْ
وها أنا
منذ سنين أتَّقي كفيَّ
أحومُ حول الخافق الفسيحْ
وموكبي منتظِرٌ
ومشعلي جريحْ

عُشبةُ السر *

تهافت القطعانُ
من مرعى الى مرعى
تلفُّ الأرضَ
تبحث في مطاويها
وتسألُ كلَّ أفئدة البراري
— أين العشبةُ المنسيةُ القصوى .. ؟
وما بريَّةٌ تفضي بسر العشبة القصوى .
فهذي
عشبةُ الاعشاب
باريها حباها السرَّ والسحرا
وأطعمها فؤادَ الأرضْ
هذي عشبةٌ للفرضِ لا للقرضْ
تنمو في الرؤى
وتلامس الفكرا
....
لها المدياتُ والأزمانْ
مباركةٌ باسم اللهِ
خافية عن القطعانْ
تراها في البعيد وفي القريبِ
ولا تراها
فصورتَها على الأرضِ
وهيكلها مع النبضِ

فائق حسن *

ذلك الكهلُ الذي يختالُ من غابٍ لغابِ
ويسوّي جسدَ الصحرا
ويستنشق أنفاس الترابِ
يطلق الخيل على الماء
يَمُدُّ الظلَّ من بدوٍ لبدوٍ
ويهدُّ الريحَ من بابٍ لبابِ
ذلك الفهد الذي
يطعنه السيف .. فيشفي بالحرابِ ...
كيف يمضي في الدروبْ ،
هائجاً ،
والعمر في صمتٍ يذوبْ .. ؟
... هو يلتفُّ على الغاباتِ والصحرا
يطلق الخيلَ على الماء
ويستنجد بالبدو
وأهداب السرابِ
هو يمضي
ملكاً في ذاكرة الناسِ
رفيقاً للفراشاتِ
وللخيل
وللأفياء والآسِ
ملكاً
يختال من غابٍ لغابِ
بنياشين من النارِ
وتاجٍ من عذابِ



بغداد

* (فائق حسن) : شيخ الرسامين المعاصرين في العراق .. والشاعر كان احد تلاميذه .

٧ أصوات في القصة القطرية الحديثة



بقلم: فايز صياغ

اصدرت إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام القطرية كتابا بعنوان «٧ أصوات فى القصة القطرية الحديثة» ، وهذا هو نص المقدمة النقدية التى كتبها الأديب الباحث فايز صياغ للمجموعة الجديدة

بين ايدينا الآن سبع مساهمات تمثل بعض ثمار المسابقة التي اجرتها إدارة الثقافة والفنون في وزارة الاعلام القطرية عام ١٩٨٢ لاكتشاف المواهب الواعدة في مجال القصة القصيرة ، وذلك في سياق خطة متعددة الجوانب والاغراض للكشف عن الملكات الثقافية الابداعية ورعايتها في أوساط الجيل الجديد من الشباب القطري .

ونقول ان هذه القصص تمثل بعض ثمار المسابقة لا كلها لان ثمة نتائج أخرى غير منظورة تتمثل في الاهتمام الملحوظ الذي افلحت هذه البادرة التشجيعية في إثارته في الأوساط الشابة التي تشغل الهموم الثقافية جانباً من تفكيرها .

وذلك بحد ذاته ، لا يقل في أهميته عن النتائج المباشرة التي نطالعها بين دفتي هذا الكتاب ، حيث انه سيسهم في خلق مناخ ايجابي تشجيعي يمكن من خلاله تلمس المواهب الجديدة ورعايتها والا خذ بيدها على طريق النمو والنضج والعطاء ، وهذه البادرة تشكل ولا ريب مأثرة تسجل لوزارة الاعلام ولادارة الثقافة والفنون ، لانها ومثيلاتها تمثل خلافا للعمل الاعلامى اليومى المباشر ، البعد الابداعى الحقيقي الذى تتعدى آثاره حدود المرحلة الآتية ، وتزرع بذور حركة ثقافية وفكرية متطورة في المستقبل .

والناظر إلى هذه المجموعة القصصية قد لا يجد خيطا واحداً ينتظمها كلها أو يضفي عليها خصائص وسمات مشتركة بل اننا قد نجد في اطلاق صفة القصص على اعدد منها بعض التجاوز والمرونة في استخدام المصطلحات من حيث الشروط والمواصفات التي ينبغى توافرها في هذا النوع الادبي .

بيد انه يجب ان لايغرب عن بالنا ان هذه المحاولات انما تمثل ، بأكثر من معنى ، بواكير القصة القصيرة في قطر . وهى بواكير جاءت في سياقها الطبيعي من تطور حركة المجتمع والثقافة في البلاد وفي منطقة الخليج العربي بأسرها .

ذلك أن نشوء هذا النوع الادبي مرهون بشيوع مستوى معين من التعليم وبنضج التجربة الاجتماعية التي تخلق المعاناة الادبية والفنية الحقة . وتلك شروط مستجدة في الحياة القطرية ، ولم تبدأ بالبروز والتبلور الا خلال العقود الثلاثة الماضية على أكثر تقدير .

وما نشهده الان من بدايات في الساحة الثقافية في قطر ، سواء في المجالات التشكيلية ، أو المسرحية أو القصصية أو الشعرية ، هى النتائج الأولى لهذه الارهاصات الفكرية والاجتماعية .

* * *

هذه الملاحظات الانطباعية العامة تبدو ضرورية قبل ان نتطرق إلى النماذج القصصية نفسها .

وأول ما يطالعنا ويستوقفنا قبل ان ندخل حدود هذه القصص هو انها كلها ، باستثناء واحدة فقط ، مكتوبة بأقلام فتيات . وقد تحمل هذه الظاهرة طابع المفاجأة المدهشة . غير انه لاينبغى تفسيرها على انها دليل على تفاوت الموهبة القصصية أو الحماس للكتابة بين الجنسين ، بل يجب ان ينظر اليها من منظور اجتماعى بحت ، فالمجتمع القطرى ، على ما حققه من منجزات في مجالات التصنيع والعمران والخدمات الاجتماعية العصرية وعلى الرغم مما احرزته الفتاة في مجال التحصيل العلمى ، والمشاركة في قطاعات محددة من الحياة العامة ، مازال في جوهره مجتمع رجال ، تتاح فيه للرجل وحده حرية التعبير النسبية للتحدث عن هموم الرجال أيضاً .

وفي ظل هذه الضغوط والكوابح الاجتماعية تغدو الكتابة ، وكذلك القراءة ، اشبه بالبوح أو الخلوة النفسية المأمونة تستطيع الفتاة ان تجأر فيها بالشكوى ، وتتمرد ، وتهشم السدود والحواجز الاجتماعية أو تتصالح معها وتقبل بها . ومن هنا فان الكتابة التعبيرية بالنسبة للفتاة القطرية تصبح بمثابة المتنفس والمخرج من دوامة الاحباطات الاجتماعية التي تكتنفها .

وذلك لا يعني ان معاناة قطاع الفتيات من الجيل القطرى الجديد منفصلة عما يعانيه الشباب القطرى ، إذ أن معاناة الجنسين قد تكون وجهين لحقيقة واحدة ، غير انها تعني بالتأكيد ان مدى الحرية التي اتاحتها المواصفات الاجتماعية للشاب القطرى تمكنه من التعبير عن طموحاته ومشاغله الحياتية بطريقة أكثر جراة وصلابة بدلاً من ان يختزل صرخته في قصة أو قصيدة .

* * *

هذا بالطبع يقودنا إلى الحديث عن الموضوعات الرئيسية التي تتمحور حولها القصص السبع في هذه المجموعة ، لنجد ان اكثرها يدور في فلك نصفي اشبه بقوس قزح تستقر في احد طرفيه مجموعة من المواصفات الاجتماعية الموروثة التي تجد الشخصية الرئيسية نفسها اسيرة لها ومكبلة بقيودها . وعلى الطرف الآخر تكمن منطقة الحلم والانطلاق والطموحات الجديدة ، وبين هذين الطرفين اللذين يمثلان أرض الواقع وآفاق الحلم ، رقعة من التوتر

والشد والجذب والحركة الاجتماعية والنفسية الدائمة .

* * *

في (بداية الطريق) لمريم محمد عبد الله ، تتضح هذه الثنائية بين الواقع والحلم بصورة جلية – ان « ليلى » ترفض الزواج من ابن خالتها « قاسم » لأن اهلها هم الذين اختاروه لها انها ترفضه لا لعيب فيه ، بل لان الاقتران به هو مجرد محطة لمعادلة اجتماعية موروثة لا تحس هي بالانتماء اليها لانها لم تشارك في صياغتها .

ان هذه المعادلة كما تقول ليلى – اصبحت ملازمة لوضع الفتاة كتاريخ الميلاد لافكاك منه ولا مهرب ، غير ان البطلة تفلح آخر الأمر . بالخروج من هذه الحلقة الاجتماعية المفرغة – لا بالصراخ والتصدى .. والتشنجات الدراماتيكية ، بل عن طريق الدبلوماسية الهادئة الناضجة التي تتوسل بها لدى والدانها . وتقنعها آخر الأمر بأنه لا بديل امام الفتاه عن حرية الاختيار لتقرر مصيرها بنفسها . وتأكيد هذا الحق هو بداية الطريق .

وهذا التراوح بين انغلاق الواقع ورحابة الحلم يتخذ مساراً آخر في « خواطر فتاة صغيرة » لامينة اسماعيل الانصارى : ان نوره فتاة متمردة مستقلة الارادة .. غير ان نزوعها الى تأكيد هذه الاستقلالية يتخذ طابعاً صارخاً إذ يتمثل الحلم الاجتماعي لديها في رغبتها الجارفة في ان تصبح ممثلة شهيرة وتضرب بالتقاليد والقيود عرض الحائط .

وبموازاة هذا الجموح الاجتماعي – نجدها تسعى الى انتزاع خطيب شقيقتها والاستئثار به .

وكل واحدة من هاتين الرغبتين تشكل – بحد ذاتها جنحة لاتغتفر في السياق الاجتماعي المعروف ، فكيف اذا اجتمعتا معا ، غير ان يقظة العقل ، وصحوة الضمير تعيدان نورة إلى رشدها ، وتشفيانها من هاتين اللوثتين .

ويعالج « ناصر صالح الفضاله » في « صفاء الروح » هذه المفارقة بين الواقع والحلم من زاوية اخرى وفي سياق مختلف ، ان خالد يتوجه للغرب للدراسة تاركا وراءه خطيبته « صفاء » على العهد الذى بينهما ، وفي البلاد البعيدة تتحالف عليه الغربة والمرض فتغمره زميلة الدراسة « جانيت » بالحب والرعاية ، ويوشك على الزواج منها إلى ان يكتشف قبيل الزفاف ، انها كانت قد بذلت نفسها لواحد من اصدقائه لمدة سنتين – فيعود ادراجه الى بلاده للزواج من ابنة عمه صفاء .

ان حركة الاحداث والشخصيات في « صفاء الروح » تتخذ مساراً معاكساً لذاك الذى رأيناه في « بداية الطريق » ان الفتاة في قصة مريم محمد عبد الله ترفض ابن خالتها بينما الفتي في اقصوصة ناصر الفضاله يؤثر ابنة عمه على الأجنبية اللعوب .. والفرق بين الموقفين هو فرق في المنظور الاجتماعي : فهو في الحالة الأولى دليل على الرغبة في أثبات الذات ، بينما هو في الثانية عودة إلى المنبع والجذور بعد مرحلة من الضياع العاطفي .

غير أن تعقد وتشابك العلاقات العاطفية والانسانية يكاد يستعصي على أية نظرية أو مقولة مسبقة .

فليس صحيحاً ان العلاقات التي ننخرط فيها بكامل ارادتنا واختيارنا هي ابقي واجدى من تلك التي تفرضها علينا المواضعات الاجتماعية . فالارتباطات التي نختارها بأنفسنا قد تكون أكثر هشاشة واسرع إلى العطب من الزيجات المفروضة بحكم المولد ووشائج القربى والوضع الاجتماعي .

ونجد تذكيراً بهذه الحقيقة في « وبدأ حديث آخر » « لحصة يوسف » . ان احمد – المتعلم الواعي – يدرك ان ليلى التي اختارها لتكون شريكة حياته المقبلة ليست هي الفتاة التي سيقدر لها أن تسعده وتسعد معه . ومريم – الرصينة الوقورة – تواجه الموقف الصعب وشبه المستحيل عندما تكتشف ان احمد – خطيب صديقتها النزقة المدللة – انما يحبها هي – وانها رغم كل ما تبديه من مكابرة وانكار داخلى ، تبادله هذه العاطفة .

ان « نوره » في قصة (خواطر فتاة صغيرة) تقترف اثما اجتماعياً في نظرنا عندما تفكر في اصطياد خطيب شقيقتها . وهى لاتحظى باى تعاطف من جانبنا ، لان نواياها هذه تنطلق من مجرد الرغبة في التحدى . أما مريم فأنها هنا ، من خلال الصراع الدرامى المقنع الذى تسوقه الكاتبة بموهبة واضحة ، تعطى لعواطفها مشروعية ومصداقية واضحتين . ان حصة اليوسف في هذه القصة تنقل مسألة المفارقة بين وطأة الواقع ودائرة الحلم في الحياة الاجتماعية إلى مرتبة متقدمة . فالشخصيات هنا لا تحاول الانفلات من قيود الموروثات الاجتماعية كما نلمح في القصص السابقة ، بل تؤكد على حرية الاختيار العاطفي . فليس ثمة ضغوط ومواصفات خارجية تحدد السلوك ، بل مناخ من الحرية النسبية تستطيع فيه الشخصيات ان ترسم طريقها بنفسها .

وعندما نترك هذه القصص الأربع ، ذات الابعاد الاجتماعية الواضحة ، ونلتفت الى « الهوة » نجد أن نوره محمد آل سعد ، التي تمتلك كلا من الموهبة الناضجة وناصية التعبير الفني الممتاز ، تنحى منحى « هروبياً » ازاء المشكلات الاجتماعية المطروحة أمام الفتاة القطرية . انها تستعرض في هذه القصة بانوراما يوم دراسي في حياة الطالبة الجامعية « نوال » التي تبحث عن معني وجودى لعلاقاتها بالآخرين وبالاشياء .

والقصة ليست تهويمة ذهنية – كما تبدو للوهلة الأولى . ان شأنها شأن المسرحية التي كتبتها البطلة – متخمة بالرموز والأقنعة والتمويه ، وفيها الخوف والاحجام عن التصدى للواقع الاجتماعي إلى حد تفكر معه احدى الشخصيات بمسرحية تجرى احداثها على المريخ « ربما هناك الحلم المتاح .. وسنقوم بانتقاء جميع الأوضاع السيئة بحيادية وحرية ، وسنرى اللا معقول الذى يجرى على هذه الأرض بواسطة منظار خرافي .. وربما كان بالامكان ايضاً اصلاح تلك الامور اللامعقولة » .

تبقى في هذه المجموعةقصتان لا يمكن القول انهما تتناولان مضموناً اجتماعياً متميزاً بقدر ماتعكسان معاناة انسانية فردية أمام الحضور الفاجع للموت . ان « ليلى » قصة مؤثرة لايستطيع القارئ معها ان يغالب جيشان مشاعره . كما انها في تسلسل بنائها الدرامى مفزعة في بعض الأحيان – ولا سيما الموقف الذى تخلع فيه راوية القصة القبعة عن رأس الطفلة ليصدمها خلوه من الشعر بسبب علاج السرطان بالاشعة .

كما ان الاصرار على استمرارية الحياة هو من المنعطفات الانسانية الرقيقة في القصة عندما تسمى الراوية مولودتها التي طال انتظارها باسم الطفلة الراحلة ..

وموت عجوز في الستين هو – في آخر المطاف – امر فاجع كموت طفلة بريئة – رغم اننا في سياق الحياة ، قد نقبل الأول ولكننا بالتأكيد نرفض ونستنكر الثاني . ان طالبة الطب في (ورحلت في هدوء) « لزهره المالكي » تعود من اجازتها الصيفية حاملة ساعة يد لتقدمها هدية لبائعة الجرائد أم محمود ، فتجد ان السيدة العجوز قد رحلت إلى العالم الآخر الذى لن تحتاج فيه إلى ما يقاس به الزمن بالدقائق ولا الساعات ولا السنين .

إن استعراضنا السريع للقصص السبع في هذه المقدمة لم يستهدف التقويم ، بقدر ما استهدف استشفاف بعض الملامح والتجارب المشتركة التي تطرحها أو تعالجها هذه المحاولات الجادة .

وهذه التجارب الحياتية – كما رأينا – فيها الكثير من التنوع والثراء ، غير انها تلتقي في مجملها على استلهام عدد من آلهموم التي تعتمل في أوساط المجتمع القطرى والخليجى الحديث .

وهى اصوات مفردة ومتميزة بالفعل ، رغم انها تصدر عن اوتار تكاد تكون متشابهة ، وهى ، مع المساهمات الأخرى للكتاب والكاتبات الذين لم يتمثل انتاجهم بين دفتي هذه المجموعة ، تشكل البدايات الواعدة والطيبة والواثقة للقصة القطرية الحديثة .

صباح آخر

قصة بقلم : وداد عبد اللطيف

ضغطت بيديها اليابستين مرة أخرى على الرمل الحارق ومضت تحاول الزحف باتجاه الباب لترى من الطارق ، وأمل ناعم كالشعيرات الخفيفة الملصقة برأسها يداعب خيالها فتطفو ابتسامة صغيرة على شفتيها وهى تواصل الزحف بقوة متحدية قدميها المشلولتين ، غير مبالية بالملفع الأسود وهو ينحسر عن رقبتها ويزحف خلفها حاملاً معه حجارة صغيرة وكثيراً من الرمل وأشياء اخرى امتلأ بها حوش دارها .. لعله هو ا ملها البكر جاء حاملاً معه بشائر الشفاء والصحة متمثلة فى تذكرة سفر ونقود محولة الى روبيات هندية .

تبدو المسافة مابين غرفتها وباب الحوش طويلة تثير السقم لأول مرة ... منذ ثلاث سنوات مضت كانت تزمع رفع أمرها إلى القضاء لتطالب بالنصف المغتصب من بيتها ... بيتها الذى وهبته لها الدولة كسكن خاص للعجزة ، فاغتصب نصفه المسؤول فى منطقتهم ، أبوراشد ، وحين هددته بالشكوى غضب وثار وأعلن أن القضاء باله طويل ولن تفلح من جراء شكواها إلا فى إثارة البلبلة وضياع الوقت وهو لن يسلمها مفاتيح البيت حينها ، وبذا تظل عالة على جيرانها لسنوات أخرى قد تطول ... وقد ينقضى العمر دون أن تحصل على نتيجة ... كان عالما بظروفها وعجزها عن أخذ حقها منه ... حتى عندما أرسلت فى طلب وحيدها لتشكو له من الظلم الواقع عليها هَز كتفيه ببرود وأجاب : وماذا تفعلين ببيت كبير يا امي ؟ من سينظفه ويعنى به ، أنت وحيدة وتكفيك حجرتان ... ماذا تفعلين بحوش كبير ... ثم إننى لا أستطيع أن أخسر علاقتى بفلان . إنه مسؤول كبير وله نفوذ يتعدى حدود فهمك ! وأقفل الموضوع وإن بقى فى النفس شعور ساحق بالغبن لم تمحه السنوات المنصرمة ... لكنها الآن وهى تجر عجزها بصعوبة باتت تتساءل بتردد ماإذا كان لابنها بعض الحق فيما قاله . فالحوش الواسع يحتاج إلى عناية فائقة مرهقة وهى بمرضها أعجز من أن تفعل ذلك . وهاهى النفايات رغم ضيق حوشها الآن تنتشر فى أرجاء البيت ، فتعيق زحفها الدائب نحو الأمل المرتقب ... منذ متى لم تمتد اليه الأيدى بالتنظيف ، سنة ؟ .. ربما أقل قليلاً ! على أية حال ... ليس حال بيتها أسوأ من حالتها . فجسدها أيضاً لم يعرف الماء والصابون منذ أكثر من شهر حين تطوعت إحدى جاراتها بدعك جسدها بالليفة الخشنة وهى تسد أنفها بطرف ملفعها المزرى ... حسبي الله ونعم الوكيل ... لو لم تهرب الخادمة لما ساءت حالتى الى هذا الحد ! أسبوعان فقط حملت همى وأراحتني من ابتلاع لقمات يجود بها الجيران الطيبون ظهراً ومساء فتتسلل الى الجوف كالحجارة تخرس ألم البطن ، وتوقظ ألم النفس ، وهاهي الآن قد رحلت وأخذت معها ماتبقى من مصاغ ... ولم يعبأ أحد بالبحث عنها ؛ ومن يهتم بعجز امراة فى الخامسة والأربعين تضافرت كل المصائب ضدها ؟ ... حتى ابنها البكر لم تكن لتراه إلا حين تلح فى طلبه لأشهر عدة فيزورها متأففاً لا تدرى أمن عاطفتها أم من رائحة عرقها . ثمة أحاسيس ضخمة تضج فى صدرها الضامر فتلهب الأخاديد المنتشرة حول خديها وشفتيها فتبدو كحفر صغيرة متناثرة على الجانبين لذباب بحجم الإظفر ، ... ماذا بقى لها فى الحياة سوى



ا مل بحجم الألم الذى تشعر به يمتد من رأسها حتى عمودها الفقرى ... نشأت يتيمة الأبوين فى كنف جدتها لأبيها وكان لزاماً عليها أن ترد الجميل على حساب مستقبلها وصحتها فهجرت المدرسة وتفرغت لرعاية العجوز التى لم تكن لتعترف على مَر السنين بجميل حفيدتها إلا بالسباب والتبكيت المستمر ، وحين تقدم لها قريب لجدتها من بعيد هللت للفكرة وبات الحلم بغد أفضل يعرف طريقه إلى لياليها الباردة ... الزوج المحب ، البيت المستقل : الرفقة الحلوة ، الضحكة الصافية تخرج من القلب لتستقر فى القلب و ... مات الحلم قبل ان يخرج للحياة ، كان يكبرها بعشرين عاماً ... جافاً كصباها ... قاسياً كوحدتها ، زوجاً وأباً لخمسة صبيان لاتكاد تراه إلا حين يريدها كأمراة ولا يكاد ينتهى من رغبته حتى يَمجها وينساها ، وبحماسة امرأة فى الخامسة عشر من عمرها تقف على قدميها مرة اخرى فى محاولة لخلق حواء معه ... تلوذ بنساء الحي تستمع إليهن لنصائحهن فى استرداد الزوج الهارب فتنشر المشموم المعَطر بالريحان تحت لحافها وتصبغ شفيتها بالدورم حتى تصبحان بلون المشمش المحروق وترسل شعرها أسود بلون الليل و ... حياتها ، ويطول الليل تعقبه ليال أخرى ... يجف المشموم وتتشقق الشفاه وتتسلل شعيرات بيضاء الى جدائل الليل ولا يأتى إلا ... حين يريد ، وترحل طيور النورس آخذة معها رجلها لتبدأ مرحلة أخرى من عمرها ... الورث ... أولاد الزوج ... القطيعة وطفلاً فى العاشرة ومعاشاً من الشؤون لا يكاد يفى حاجتهما إلا بشق الأنفس .

توقفت عن التفكير والزحف حين ا يقنت برحيل الطارق . بالله لماذا لم تجر نفسها بسرعة أكبر هاهو قد ذهب وقد لا يأتى اليوم مرة أخرى وبذا تبيت مؤرقة العينين ليلة أخرى تترقب صباحاً آخر حاملاً معه التذكرة وموعد السفر والطبيب المعجزة ، قالوا لها انه قادر بعون الله على شفائها ، شهر واحد كفيل باعادة الحياة الى قدميها ، أجرته عالية بعض الشيء ولكن لايهم ... أموال الدنيا كلها لاتعادل صحة المرء . وهى غير نادمة على الإطلاق لبيعها الأرض الشاسعة التى ورثتها عن جدتها . ولولا مرضها لأحتفظت بها فالحكومة : قد أدخلتها فى التخطيط منذ سنة ، وهذا يعنى أنها ستقبض مبلغاً خيالياً ثمناً لها ؛ ولكن المرض الذى تحسه حتى النخاع أجبرها على البيع بثمن بخس ، لكنه على أية حال سيعمل على شفائها فقط لويأتى ابنها الآن ويعيد الطمأنينة الى نفسها ... سلمته المبلغ كاملاً وهو حفظه الله سيترك شهراً من ا جلها ، وسيسافر معها ولم لايفعل ! فليس لها غيره ، وإن كانت له زوجة وأولاد وحياة اخرى بعيدة عنها ، فهى لا تلومه ، فالحياة هكذا : نربى الأولاد ونضحى من ا جلهم بكل غال حتى يكبروا ليهجرونا . هذه هى الحياة فعلاً ...

رفعت كفها بوهن لتطرد ذبابة لحوحة تقف على أرنبة أنفها وأسندت رأسها المتعب على كفها الأخرى وتمددت على الرمل الحارق حتى إذا جاء ابنها مرة اخرى تكون قريبة من الباب فلا يمل من الانتظار ويذهب ...

لسعتها حرارة الرمل ... قالت لنفسها باستخفاف : حمداً لله أن الحرارة لا تؤثر ولا تصل الى النصف السفلى من جسمى

صباح آخر

حتى لا أتالم اكثر ، ... إيه يازمن القهر ! تعطينا الحياة وتسلبنا حق الإحساس بها ! ا يه يازمن القهر ! تضع رقابنا دائماً تحت تصرف الآخرين ولا نملك الا الإستسلام لما يرغبونه لا مانرغبه ... لو كان ابنها وافق على امام المسجد الذى جاء يطلبها كزوجة اترى كان هذا حالها ؟ .. رفض زواجها من رجل أجمع الكل على حسن خلقه وتقاه ، وكاد أن يشج رأسها بولاعته المذهبة حين أعلنت فى استحياء أنها راغبة فى الرفقة ، فالوحدة مرض مقيت خاصة لمناخ سنها ... صرخ فى وجهها :

الا تستحين ! امراة تطرق أبواب الخمسين وترغب فى الزواج ! ياللفضيحة ماذا يقول أهل زوجتى عنى ؟ لن أجرو بعدهاعلى رفع عينى أمام الناس ... واقفل الموضوع ككل مرة على حسابها ورضيت بوحدتها .

لكن المرض قاتله الله جاء ليمتص مابقى منها و ... الباب يطرق ... وبلهفة الامل جرت قدميها الميتتين وقلبها يخفق بقوة غير آبهة بحشرية الذبابة التى عادت تستقر على أنفها ... حين تعود معافاة ستنظف البيت بأكمله وستشترى سجادة ا خرى بدل الأخرى التى ازدانت ببقع القهوة وبفضلاتها ... حين تعود معافاة بإذن الله ستبدل المروحة القديمة بمكيف يرسل النسمات المنعشة فى صيف قاس كهذا الصيف ... وسوف ... لتترك الأمنيات جانباً الآن ، فقد تستغرقها الأحلام وتنسيها ابنها الواقف تحت رحمة الشمس الحامية ...

تصبب العرق غزيراً غازياً كل مسافات جسدها ووجهها : لا تذهب يابنى ! انتظرنى ها أنذا أقترب . لاتذهب أرجوك ، فلقد انتظرتك اسبوعاً . ويعلم الله كيف قضيته أنتظر ... لم يثنها العياء الذى تسلل الى عينها من الزحف . وباتت الطرقات المتوالية على الباب بمثابة سيمفونية حب رقيقة تداعب سمعها . وانقلب الهواء اللا فح الى نسمة عطرة ... مدت يدها الى ضلفة الباب الخشبية فتساقطت الأفكار فى رأسها : سيقبل جبينها ويعتذر عن قلة صبره وانصرافه فى المرة الأولى . وستلمح بعينها المغبرة طرف التذكرة يطل من جيب جلبابه الأبيض ، بينما يداه تمسكان بحقيبة امتلأت بالروبيات الهندية ... روبيات أراقت من اجلها ماء وجهها ، وضحت بقطعة العقار الوحيدة التى احتفظت بها لسنين طويلة كضمان لشيخوختها .

أرسل الباب الخشبى صريراً مزعجاً أثناء ارتطامه بالجدار ، وأمامه وقفت امرأة متسربلة بالسواد والمصاغ ... كادت تقفل الباب بوجهها لولا الحياء . ماالذى أتى بها هذه الأفعى ؟ انها لاتكلف نفسها مشقة المجئ دون أن تحمل معها اخباراً فاجعة ... فلان طلق زوجته ... ام ناصر



طردت ابنها ... نوره هربت مع الخادم ... لكننى هذه المرة لن أسمح لها بفتح سجلاتها أمامى ، قالت المشلولة لنفسها ، ثم استطردت بصوت جاف : انا مشغولة .. سأسافر غداً ، ولذا لن استطيع استضافتك كما يجب ! جلجلت ضحكة فى حوش الدار أطلقتها الجارة غير آبهة بنظرة الذهول وبرد فعل العجوز :

تسافرين الى أين ياحبيبتى ؟ .. ولدك سافر مساء أمس الى الهند آخذاً معه زوجته واولاده ، إبنى الذى يعمل فى المطار هو الذى اخبرنى بذلك ... أخذ نقودك وسافر ... سافر يامسكينه !

اضحى حلقها جافاً وكأنما الرمال قد تسربت من جسدها الى حلقها ... كانت تتهاوى : الأمل ، الصحة . الجفاف ، سنوات العمر الضائعة اختلط كل شئ ، وسقط صمت متحفز بين المرأتين ... كانت الأولى لاتزال منتصبة وقد غرست قدميها بقوة فى الأرض ، والاخرى قد تراخت قبضتها وزحف الشلل من عمودها الفقرى إلى رأسها ، عينها ، لسانها ...

وعبر الأخاديد التى حفرتها سنوات لاتحصى من البؤس والفاقة واللاكرامة فى وجهها ... رأت رحلتها البائسة مع مبارك مذ كان طفلاً الى أن شب رجلاً تعهدته هاتان الكفان اليابستان ، وحامت على وجهها أشهراً طويلة لتوفر المهر الذى أشترطه اهل العروسة ... عروس مبارك ، انهكت قدميها بالتجوال من بيت لآخر تستجدى (عينية) الزواج .

تحركت شفتاها الرقيقتان وبدتا وكأنهما تنوحان . وعميقاً فى عينيها تجلت خيبة مريعة وانطفأ شيء بداخلها ... لم تفهم ماقالته الجارة قبل انصرافها . انكفأت على الرمل الحارق دون أن تعى . وبدأ هدوء غريب يتسلل الى نفسها لأول مرة ... وقبل أن تغيب الشمس كانت حركتها قد سكنت الى الأبد .

وداد عبد اللطيف

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالا مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● الشعر والدبابات ●● من أدب الجاحظ

الكاتب الكبير عباس محمود العقاد كتب هذا المقال الطريف خلال الحرب العالمية الثانية ومعاركها الطاحنة ويطرح فيه سؤالا هو : هل يحتاج الانسان الى الشعر والفن في أوقات الحروب والأزمات ؟ !

الشعر والدبابات



بقلم: عباس محمود العقاد

الآراء في الأدب والشعر كثيرة يضل القارىء المبتدىء بينها فلا يدري ايها المصيب وايها المخطىء ولا يسهل عليه الفصل بين الاصيل منها والدخيل .

ولكنني – على تبعتي كما يقولون في لغة السياسة – اقرر هنا قاعدة مضمونة الصواب ، يستطيع ان يعتمد عليها من شاء فيصون وقته ويريح نفسه من العناء ، وهي : ان اقرب الآراء في الأدب والشعر الى الخطأ هو الراي الذي يفرض على الأديب موضوعاً لا يعدوه ، ويوجهه الى مطلب ينحصر فيه ، كائنا ما كان ذلك الموضوع من جلالة القدر ، وبالغا ما بلغ ذلك المطلب من سعة الافق

فالأدب تعبير عن الحياة

والحياة اكبر من ان تنحصر في غرض واحد او تعتكف على سنة واحد ، فليس اوسع من شعور الاحياء بالحياة ، وليس اوسع من تعبير الشعراء والكتاب عنها

الشعر والدبابات

خطأ أن يقال للأديب إنك مطالب بالكتابة في شئون السواد الجاهل ومحرم عليك أن تخط شعراً أو نثراً لا يفهمه هؤلاء ، لأن صعود الجاهل الى طبقة العارف اكرم واجدى على بني الانسان من نزول العارف الى طبقة الجاهل .

وخطأ أن يقال للأديب إن مسائل العيش هي موضوع الكتابة الوحيد في هذا الزمان او في أي زمان . لأننا لا نكرم الأديب ولا نرحم الفقير بهذا المذهب . فليس من الكرامة للأدب أن يكون فرعاً ملحقاً بالمطاعم والافران ، وليس

من الرحمة للفقير أن يقضي نهاره في الكدح للعيش ثم يتناول كتاباً ليقرأه فاذا هو أيضاً كدح للعيش من طريق البصر والبصيرة .

وخطأ أي يقال للأديب إنك مقيد باقليمك فلا تكتب حرفاً يخرج بك من نطاق ذلك الاقليم لأن غارس البصلة - ودع عنك الأدب - لا يقول لها وهو يغرسها : كوني إقليمية ولا تشبهي البصلة التي تنبت في خارج هذا الاقليم . ولكنه يغرسها وتخرج هي على ما تشاء لها التربة والنور والهواء ، ولا نظن

البصلة اقدر على الاستقلال (بالتكيف) الاقليمي من الفكرة الانسانية . فمن كتب في مصر فلن تكون كتابته الا مصرية ولو كان موضوعها قطب الشمال أو قطب الجنوب ، ولن يصبح الأدب الذي يكتبه النرويجي مصري الاقليم ولو اجراه كله على النيل والأهرام والصحراء .

• • •

ومنذ مدة شاعت في مصر والشرق العربي بدعة ببغاوية من تلك البدع التي لا يدري قائلها نفسه ماذا يفهم منها وماذا عسى ان ترمى اليه

فقالوا إن العصر عصر مخترعات وحروب فلا موضوع فيه للشعر والغزل ولا لتواريخ الشعراء والغزليين !

وتشاء المصادفات ان يلغط اللاغطون بهذه البدعة ومطابع الغرب تلقي بين حين وحين بالدواوين الجديدة والنخب الكثيرة من اشعار القدماء والمحدثين !

هذا وهم أصحاب المخترعات وأول المصابين أو المصيبين بحروب الطيارات والدبابات .

بل تشاء المصادفات أن نرى العشرات من هذه الكتب في مكتباتنا الشرقية ، وأن يتصدى المجندون في الجيوش الاوربية بيننا لطبع النشرات الدورية ، فاذا هي حافلة بالحديث عن الشعر والأدب والجد والفكاهة ، واذا هي خالية أو تكاد تخلو من تلك الموضوعات التي يخيل الى أصحاب البدع الببغاوية انها دون غيرها موضوعات الكتابة في عصور الحروب والمخترعات .

ولكن المصادفات قد شاعت في هذه الايام مشيئة لم تكن تخطر لببغاء من تلك الببغاوات المسكينة على بال .

في بريد الشهر الماضي وصل إلينا من لندن كتاب يقول كثيراً بلسان المقال ويقول اكثر من ذلك جداً بلسان الحال .

أي كتاب ؟ كتاب مختارات شعرية سماه صاحبه (أزهار اناس آخرين
ومن صاحبه يا ترى ؟

لتتعب الببغاوات ادمغتها إن كانت لها أدمغة تتعب فما هي بقادرة على تخمينه ولا المقاربة منه .

ولكننا نعفيها ونعفي غيرها من جهد التخمين فنقول لهم : إن صاحب هذه المختارات هو المارشال ويفل حاكم الهند العام وقائد الميادين الذي عرفه المصريون وأبناء الأمم العربية في الشرق الأدنى .

أي والله هو القائد الكبير بعينه ! هو الرجل الذي لا يصنع شيء في ميدان من ميادين الحرب إلا سئل عنه وسمع له راي فيه ، هو الرجل الذي يحرك من الدبابا ت والطيارات والمدافع اضعاف ما تراه تلك الببغاوات راي العين من بعيد .

تكبره وقعة (البيوة) في اعين الناس
وتكبره فوق ذلك هذه المختارات التي يرتضيها الأديب الناقد ولا عمل له غير القراءة والكتابة والاختيار .

لأن نبوغ القائد في فنه عمل عظيم ، ولكنه غير عجيب. أما العظيم والعجيب حقاً فهو نبوغه في الذوق الأدبي ومساهمته فيه بالنصيب الراجح واتساع وقته له في أحرج الأحوال .
وذلك هو النبوغ الذي لا تفهمه الببغاوات ولا يفهمه أصحاب البدع ممن لا يصلحون للعمل ولا للكتابة ولا للقراءة ، ولكنهم يجلسون في مقاعد المعلمين ليقسموا الاعمال بين الكتاب والقراء والساسة والقواد ، وكل من خلق الله وما خلق الله في ملكوت الله !

بين قصائد الكتاب نماذج يقرأها الجندي ، ونماذج أخرى يقرأها محب الطبيعة ومحب الاسفار ، ونماذج يقرأها العاشق ويقرأها الفتى والعذراء ، ومنها في الكتاب مئات تمتلىء بها صفحاته التي تربو على الأربعمائة، وواحدة منها تكفي لسؤال الببغاوات عن مكانها من زمان الطيارات والدبابات ، وهي قصيدة توسون عن رسالة الفتاة المحتضرة الى حبيبها حيث يقول :

« ماذا اقول لحبيب فؤادك الصدوق ايتها الفتاة التي تودع هذه الغبراء ؟
(ماذا اقول للحبيب يوم تنضين عنك كساء الحياة ؟) .

(قولي له : في هذا الجانب من وراء القبر نحن العذارى لا ندري كيف تكون الحياة مرة التناول ، ثم تكون بعد ذلك مرة الفراق) .
ماذا اقول لحبيب فؤادك الصدوق حين أراه ؟

ماذا اقول له وقد اطبقت عينيك على الظلام ؟

قولي له حين تفارقين سرير العذراء الذاوية

: إنها الآن تراك بنور الضمير وقد عميت العينان .

ماذا اقول لحبيب فؤادك الصدوق وانت تضعفين عن نزر الكلام ؟ ماذا اقول له ايتها المقبلة على وادي الحمام ؟

قولي له وانا اجاهد الشفتين بختام كل كلام : إن التي احبتك امس بكل ما فيها من حياة تحبك اليوم بكل ما فيها من موت !) .

هذا نموذج من نماذج مختلفات في الكتاب لا حاجة بنا أن نسال عصر الطائرات والغارات الجوية عنها أو نلتمس لها جواز الدخول فيه ، لأن الرجل الذي اختارها له على الأقل حقوق في الطيارات توازن اضعاف الحقوق التي تدعيها الببغاوات الآدمية ، ولا سيما وهي بحمد الله ببغاوات لا تطير !

وقد جاءنا في البريد نفسه كتاب دوري يسمى (أوربا) يعني بنشر الأنباء الثقافية والاجتماعية عن القارة الأوربية في إبان الحرب الحاضرة ، فاذا في صفحاته المختارة صفحة عنوانها (قارة من الشعراء) ، ومطلعها يُغني عن سائرها ، حيث يقول مقدمها في بضعة سطور :

(احدى الظواهر البارزة ـ والمعزية ـ في هذه الطامة الدموية انها حفزت القرائح من كل طراز إلى معالجة القريض ... وهذه صحف الجيوش المتحالفة تزدحم بشعر الهواة كما تنتشرالصحف السرية في القارة بين الامم المقهورة ، وفيها قصائد لا تُحصى يترنم فيها أصحابها بما طاب لهم من نغمات التحدي والصبر على البلاء) .

هذه الحقائق التي تلفت إليها الأنظار من حين الى حين هي انفع الحقائق الادبيــة لقراء العربية في هذه الآونة .

لاننا قد برمنا بعصر الجمود ورجونا ان نسرع الخطى في عصر الطلاقة والتجديد .

وما هو الجمود في لبابه ؟

هو ضيق الافق او حصر الحياة في نطاق محدود وهذا الجمود بعينه هو الذي يتخبط فيه ببغاوات البدع ، وهم يحسبون انهم مجدون وانهم يخرجون بالشرق المسكين إلى زمان غير زمان الجمود .

هذا الضيق الوبيل هو الذي يستقرون فيه أو يرجعون إليه حين يقولون ويعيدون : نحن في عصر العلم فدعونا من الأدب ! نحن في عصرالنار والحديد فدعونا من الفن والجمال ! نحن في عصر الطيارات فدعونا من القصائد والشعراء ! نحن في عصر الحقيقة فدعونا من الخيال !

وحقيقة الحقائق الكبرى أن العصر الذي يحصر الحياة في نطاق واحد هو اخبث العصور وشر العصور واسخف العصور، وان الهمجية في عصرها لأصدق واشرف منه لانها صادقة في اندفاعها ولو في الظلام ، وهذه العصور التي يصفونها تضيق بفسيح الطرق وهي في النور .

إن الغرب لم يغلبنا لأنه قال بالعلم دون الأدب أو بالمخترعات دون الأخيلة والخواطر النفسية ، ولكنه غلبنا لانه وسع نطاق الحياة . فليكن هذا شعــارنا في نهضتنــا فهو أمن شعار وانبل شعار. وسعوا افق الحياة ولا تضيقوه وانتم على ثقة من صواب ما تعملون وجدوى ما تعملون . اما (خذوا هذا ودعوا ذاك) ، فهو كلام كسالى مهزولين لا يصلحون للعلم ولا للأدب ، ولا يفلحون مع الطيارات ولا مع الحمير والبغال ، ولا يزالون يجهلون ما يقولون ثم لا يتوارون بجهلهم عن العيون بل يتحلون به حلية الفخار ويبرزون للتعليم والتنديد !

عباس محمود العقاد

١٩٤٤



هل كان العرب يعرفون المسرح منذ ألف سنة؟

مِنْ أَدَبِ الجاحظ



بقلم: توفيق الحكيم

رائد المسرح العربي توفيق الحكيم اكتشف هذا النص المسرحي الذى كتبه الجاحظ «٧٧٣ — ٨٦٩» أى منذ أكثر من الف سنة، وقد سجل توفيق الحكيم اكتشافه المسرحى فى رسالة وجهها إلى الدكتور طه حسين سنة ١٩٣٣

استاذنا الكبير الدكتور طه

اني اشكر اهل الكهف الذين قادوني اليك. واذا كان هذا هو الغرض من بعثهم فى كتابي فقد حق البعث نجح. الحقيقة ان رعاية الدكتور طه اثمن ما منحني القديسون الثلاثة من كنوز. وان صداقته التي اطمح اليها يوم اكون خليقا بها هي مفتاح عملي الادبي في المستقبل. انه ليشق علي ان يمضي الاسبوع ولا القى الدكتور. فلقد وجدت في حديثه الجميل زادا روحيا لا غنى لي عنه.

تشرفت بلقاء الاستاذ الجليل لطفي بك ودار بيننا حديث طويل ارويه ان شاء الله عند اللقاء.

وبعد فقد كنت اقرا الجاحظ منذ عامين فالفيت عنده كلاما كالحوار التمثيلي لم ار مثله في الاغاني. وقد بدالي ان انقل هذا الحوار على شكل (منظر صغير) دون تغيير في الالفاظ والمعاني. انما سمحت لنفسي ببعض الحذف وبعض الملاءمة بين وضع الحوار الاصلي والوضع المسرحي بغير ان امس جوهر الموضوع. حتى يبقى الفضل للجاحظ وللادب العربي، والحق انه حوار

يذكر بالفريد دي موسيه في (كوميدياته وامثاله) ان عناصر كل نوع من انواع الادب والفكر موجودة عند العرب. لكنها مجرد عناصر. فلماذا لا نستخرج هذه العناصر ونفصلها ونبوبها؟ لماذا لا نضع

مثلا كل حوار من هذا الطراز في الشكل التمثيلي على قدر المستطاع. ونجمعه على انه نماذج تمثيلية من الادب العربي. او على انه تجديد للادب القديم بالباسه

حلة جديدة دون تغيير للب؟ اذا صح هذا فان مجال العمل في الادب العربي القديم متسع. ولن تفرغ منه اجيال قادمة برمتها. والدكتور اول من بحث وحفر ونقب في اثار الادب العربي. واول من ادخل روح البحث والتنقيب في الجامعة، والجامعات هي ميدان لمثل هذا العمل.

إذا كان الدكتور لا يوافقني على ان عناصر القصص التمثيلي موجودة عند العرب. فما تراه يقول في هذا (المنظر) وهو من تاليف الجاحظ:

الفراق

المنظر: باب دار جارية كانها قضيب يتثنى. وهي والهة حيرى واقفة في الدهليز وجائية تخطر في مشيتها. يدنو منها شيخ ويسلم عليها فترد السلام بلسان مذكسر وقلب حزين.

الشيخ: - ياسيدتي اني شيخ غريب اصابني عطش فامري لي بشربة من ماء تؤجري.

الجارية: إليك عني يا شيخ، فاني مشغولة عن سقي الماء وادخار الأجر!

الشيخ: ياسيدتي لاية علة؟

الجارية: (بعد تردد) لاني عاشقة من لا ينصفني، واريد من لا يريدني!

الشيخ : (يتاملها) ياسيدتي ، هل على بسيط الارض من تريدينه ولا يريدك ؟

الجارية : انه لعمري على ذلك الفضل الذي ركب الله فيه من الجمال والدلال .

الشيخ : ياسيدتي ، فما وقوفك في الدهليز ؟

الجارية : هو طريقه ، وهذا آن اجتيازه

الشيخ : يا سيدتي . هل اجتمعتما في خلوة في وقت من الأوقات ام حب مستحدث ؟

الجارية : (تتنفس الصعداء وتسيل دموعها على خديها كطل على ورد وتنشىء تقول :)

وكنا كغصنيْ بانة وسـط روضـة
نشم جنا اللذات في عيشة رغد
فافرد هذا الغصن من ذاك قاطع
فيا من رأى فرداً يحن الى فرد ؟

الشيخ : يا هذه ما بلغ من عشقك هذا الفتى ؟

الجارية : ارى الشمس على حائطه احسن منها على حائط غيره ، وربما اراه بغتة فابهت وتهرب الروح من جسدي ، وابقى الاسبوع والاسبوعين بغير عقل .

الشيخ : عزيز علي ، وانت على ما بك من الضنى وشغل القلب بالهوى وانحلال الجسم وضعف القوى ، ارى بك من صفاء اللون ورقة البشرة . فكيف لو لم يكن بك من الهوى شيء ؟ أراك كنت مفتنة في ارض البصرة !

الجارية : كنت والله يا شيخ قبل محبتي لهذا الغلام تحفة الدلال والجمال والكمال . ولقد فتنت جميع ملوك البصرة وفتنني هذا الغلام .

الشيخ : يا هذه ما الذي فرق بينكما ؟

الجارية : نوائب الدهر واوابد الحدثان . ولحديثي وحديثه شان من الشان . وانبئك امري : اني كنت اقتصدت في بعض ايام النيروز ، فامرت فزين لي وله مجلس بانواع الفرش واواني الذهب ، ونضدنا الرياحين والشقائق والمنثور وانواع البهار . وكنت دعوت لحبيبي عدة من متظرفات البصرة فيهن من الجواري جارية شهران وكان شراؤها عليه من مدينة عمان ثمانمائة الف درهم ، وكانت الجارية قد ولعت بي ، وكانت اول من اجابت الدعوة وجاءتني منهن . فلما حصلت عندي رمت بنفسها



الجاحظ

علي تقطعني عضاً وقرصا .. فبينما نحن كذلك اذ دخل علي حبيبي . فلما نظر الينا اشمأز لذلك ، وصدف عني وعنها صدوف المهرة العربية اذا سمعت صلاصل اللجم ، وعض على انامله وولى خارجاً . فانا يا شيخ منذ ثلاث سنين اسل سخيمته ، واستعطفه فلا ينظر الى بعين ، ولا يكتب إلي بحرف ، ولا يكلم لي رسولا .

الشيخ : يا هذه ، افمن العرب هو ام من العجم ؟

الجارية : هو من جلة ملوك البصرة .

الشيخ : من أولاد نيابها أو من اولاد تجارها ؟

الجارية : من عظيم ملوكها .

الشيخ : اشيخ هو ام شاب ؟

الجارية (تنظر اليه شزراً) : انك لأحمق اقول هو مثل القمر ليلة البدر امرد أجرد ، وطرة رقعاء كحنك الغراب تعلوه شقرة في بياض . عطر اللباس ضارب بالسيف ، طاعن بالرمح ، لاعب بالنرد والشطرنج ، ضارب بالعود والطنبور ، يغني وينقر على اعدل وزن لا يعيبه شيء الا انحرافه عني لا نقصا لي منه بل حقداً لما رآني عليه .

الشيخ : يا هذه وكيف صبرك عنه ؟

الجارية : (حالي معه كحال القائل) :

اما النهـــار فمستهـام واله
وجفون عيني ساجفات تدمع
والليل قد ارعى النجوم مفكراً
حتى الصباح ومقلتي لا تهجع
كيف اصطباري عن غزال شادن
في لحظ عينيـه سهـام تصرع

الشيخ : يا سيدتي ، ما اسمه واين يكون ؟

الجارية : تصنع به ماذا ؟

الشيخ : اجهد في لقائه واتعرف الفضل بينكما في الحال .

الجارية : على شريطة

الشيخ : وما هي ؟

الجارية: تلقانا اذ القيته وتحمل لنا اليه رقعة

الشيخ : لا اكره ذاك

الجارية: هو ضمرة بن المغيرة بن المهلب بن ابي صفرة . يكنى بابي شجاع ، وقصره في المربد الاعلى . وهو اشهر من ان يخفى (تصيح في الدار :) يا جواري دواة وقرطاسا ..

الشيخ: يا سيدتي وجب حقك علي . ولزمتك حرمتي لطول وقوفي عليك ، وكنت قد سالت شربة ماء ...

الجارية: استغفر الله! ما فهمنا عنك . (تصيح في الدار) : اخرج الينا شرابا من ماء وغير ماء (تقبل وصيفتـــان تحمـــلان الـدواة والقرطاس فتشمر الجارية عن ساعدين كانهما طومارا فضة ثم تحمل القلم وتكتب الرقعة . ثم تقبل ثلاثون وصيفة بايديهن الكؤوس والجامات والأقداح مملوءة ماء وثلجا وفقاعاً وشرابا فيشرب الشيخ ..)

الشيخ : ياسيدتي . مع قدرتك على هذا من استواء الحال وكثرة الخدم والعبيد والجواري، فلم لا تامرين إحدى الجواري أن تقف مراعية للغلام حتى إذا مر اعلمتك فتخرجين اليه ؟ .

الجارية : لا تغلط يا شيخ !

الشيخ : (يفهم مرادها ويطرق خجلا من هفوته) !

انتهى المنظر . وكان في مقدوري ان اجعل منه فصلا كبيراً . لكني آثرت ان ابقيه على اصله . لأن المسالة عندي هل نظهر العناصر مع بقائها على شكلها ، او نتصرف بها ونستعملها كما نشاء؟ سنتكلم في هذا اذا التقينا في الاسبوع القادم .

توفيق الحكيم
١٥ يونيو ١٩٣٣

رسائل إلى المحرر

يقدمه: نبيل خالد الأغا

* الإنســـــان .. فــي المحـــــامي *

استغاثت بى .. امرأة عريقة السن . رقيقة الحال . دقيقة الجسم . اعتدى ابنها البكر .. على احد المواطنين فأخذوه .. وجروه إلى القسم . وتوسلت لأهرع اليه ..

لانقذ جسمه النحيل من الركل واللكم .. وناولتنى مبلغا زهيدا ، لكننى رفضته مستنكرا ومستزيدا .. ونهرتها بغلظة واستعلاء ، لقد اعتبرته حينذاك بقلة الادراك مبلغا ليس على مستوى علمى ، وعملى ، وذعرت المرأة لامتناعى .. فتقدمت وأمسكت بذراعى .. وعيونها بدموعها تهمى . ومع هذا وذلك .. فتجبرى وغرورى ووهمى ، سدا على المرأة كل المسالك ويئست المسكينة ، وذهبت لحال سبيلها .. لكنها بعد قليل عادت متوددة .

وارتمت تكاد تقبل قدمى . وقالت : فاجعلنى أمك ، فصرخت ، أجل ، اننى ارى فيك أمى . واننى قد تطوعت يا أمى ، بدمى ولسانى ، وعلمى وعزمى .. اشرقت رحمة ربى .. فاستيقظ الحنان بقلبى وكان يغط فى النوم . لقد أخطأت يا أماه وخبا ذكائى وتاه وكبا وضل فهمى . فاغفرى لى كبوتى ، عرفت يا أمى خطيئتى وتبينت قسوتى واثمى . وقلت فى سريرتى ان جوهر مهنتى ورسالتى انى اغيث وأحمى . ولو تأملت قليلا هدفها النبيل .. لوجدت الدليل لكى أغير حكمى . وهكذا .. اعطتنى هذه الأم درسا وطيبتنى نفسا وعلمتنى قراءة اسمى . وارضعتنى بالأخوة والحنان وبحب الانسان للانسان مطهرا وبغير غنم . واخبرتنى بأنه بلا عنوان ولا زمان أو مكان وبغير لون ورسم . وهذا بلاغ لزملائى اللهم فاشهد .

عبده شراره المحامى

---

* تحية للشيخ الغزالي *



ارجو ان تسجلوا على صفحات « الدوحة » اعجابى الكبير ، وتقديرى العظيم للمقالات الصريحة الهادفة الجريئة التى يخطها قلم استاذنا الداعية الحق محمد الغزالى .

اننى وأفراد اسرتى جميعا نقرأ مقالاته ، ونستفيد منها ، فهى تتميز بواقعيتها ، وموضوعيتها ، وكم كان استاذنا صريحا حينما كتب فى عدد يونيه الماضى عن : الحضارة الباقية حتى يجد خصومها البديل . وقال فى احدى الفقرات : وفى الوهدة التى انتهينا اليها كنا نعانى من محن ثقافية وسياسية لاحصر لها ، كنا مدنيا وعسكريا جديرين بالهزيمة ، بأن نقاد ولا نقود ، بأن نمشى خلف الآخرين . لا أن نتصدر القافلة العالمية كما كان آباؤنا الكبار ..

.. وبهذه المناسبة فاننى اقترح على « الدوحة » أن تصدر كتابا خاصا يحتوى على جميع المقالات التى تم نشرها فى المجلة للاستاذ الغزالى .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

سعيد بن عابد العجرمى اليمن

---

* الاستشـــراق وقضايـــا الإســـلام *

ابعث اليكم بتحياتى الاخوية من المملكة المغربية ، واطمع بمساعدتكم لى فى انجاز بحث الاجازة الذى اخترت له عنوان « الاستشراق وقضايا الاسلام » وذلك بارشادى الى أى كتاب أو بحث يتناول الموضوع ، كما اناشد كل الاخوة الكتاب الذين تناولوا هذا الموضوع ان يساعدونى من جانبهم . وللجميع شكرى وتقديرى .

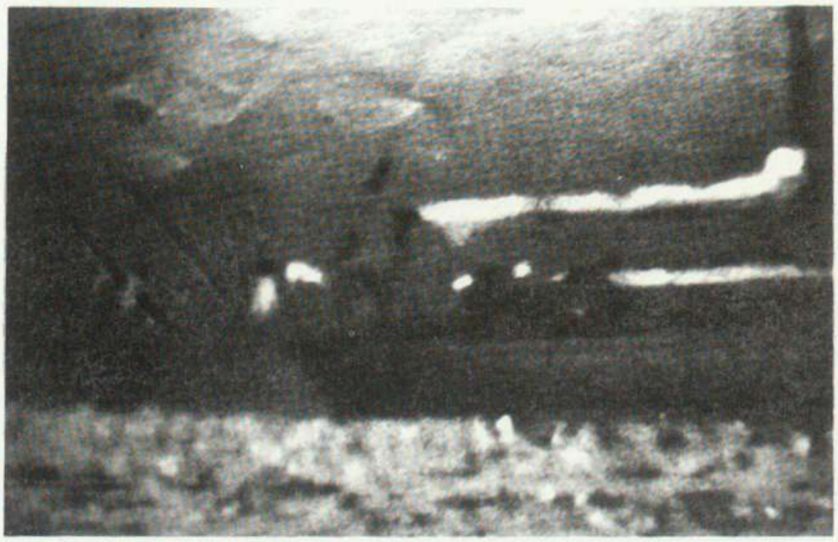
عمرو محمد
زنقة الهند رقم ٣٦
وجده المغرب

* اقتـــراحاتـــ *

كثيرا ماتنشر الدوحة مقتطفات عن الفنانيين التشكيليين العالميين الذين تركوا بصماتهم فى عالمنا الفنى على امتداد حقبة طويلة من التاريخ ، ولقد اضطلع الفنان الاستاذ جمال قطب بهذه المهمة منذ فترة طويلة ، ولكننى اقول لكم وبكل الود والحب ان الصفحة لاتكفى .. ونأمل أن تتوسعوا فى نشر هذه المواضيع التى تهمنا ، وبهذه المناسبة فأرجو أن تبلغوا اعجابى وتقديرى للاستاذ رءوف توفيق الذى يمتعنا شهريا بعرض جيد للسينما العالمية :

وكذلك نأمل من المجلة أن تصدر اعدادا خاصة عن القصة العالمية ، والسينما ، والفن التشكيلى ، والنقد ، وسنكون فى غاية الامتنان لو تحققت هذه الاقتراحات فى الاعداد القادمة . فان مسئوليتكم عظيمة تجاه كل قراء العربية . وأنتم اهل لهذه المسؤولية .

حميد عبد الغنى الجواهرى الكويت



(في العدد ١٠٣ يوليو ١٩٨٤) نشرت هذه الصورة ص ٥١ في مقال الدكتور عبدالمحسن صالح (ومنهم من يمشي على الماء ومنهم من يطير في الهواء !) فوق تعليق شكل (١) بجوار القارب المنطلق على صفحة البحر يقف اثنان ايضا على الماء دون أن يغوصا فيه . ترى كيف حدث ذلك ؟ راجع المقال ونعيد نشر الصورة لأن الجزء المقصود الاشارة اليه فى الصورة لم يظهر نتيجة خطا فنى .

* لغـــة العيـــون *

تتجمـد الكلمات حين نقولها
وتـقيم جـدرانا من الألفـاظ
هذى حروف الشوك أدمت عمرنا
وأقامـت القلبين فـوق شـواظ
يا أنت لاتخف الهوى لغة العيو
ن تجيبنى ياساحـر الألحـاظ
الصـمت بيـن العاشقـين تـواصل
فـدع الكلام لسـائر الوعـاظ

د . احمد عامر مصر

* تـحـيـــة للعـــجيـــلي *



الأخ الدكتور عبد السلام العجيلى

تحية طيبة مفعمة بالحب والاخلاص وبعد :

اتقدم اليكم بالشكر والتقدير لما يخطه قلمكم السيال من دراسات ومقالات رائعة ، واخص منها تلك التى تبحث عن تراثنا الثقافى العظيم .

هذا ، وقد لفت انتباهى موقفكم الايجابى من كتاب « العرب وأوربا » لمؤلفه لويس يونغ . ووصفكم له بأنه محب للحقيقة أكثر من حبه للعرب .. وذلك فى معرض حديثكم عن اشادته بأمجاد العرب التى حاول بعض الباحثين الأجانب تشويهها . اننى باسم قراء « الدوحة » أرجو منكم كتابة المزيد من هذه المقالات الرائعة ولكم وافر الشكر .

عيساوى محمد
الحمامات الجزائر

رسائل إلى المحرر

* السلطان عبد الحميد *



السلطان عبد الحميد

قرأت في عدد الدوحة رقم ٩٩ عبارة وردت في مقال للدكتور محمد جابر الانصاري يقول فيها « .. وهنا طلب السلطان من زائره أن يدعو اليهود الى المساهمة في تحسين مالية الامبراطورية العثمانية ... » .

ان السلطان عبد الحميد قد ظلمه كثير من الكتاب والمؤرخين ، ومن البديهيات انه ضحى بعرشه ولم يتنازل عن شبر من ارض المسلمين لليهود ، وحوادث التاريخ تثبت هذا ...

اما الحوار الذى استند اليه الدكتور الانصارى فهو غير وارد تاريخيا ، ولم يطرح له ذكر في المصادر العربية والتركية التى اطلعنا عليها .

ان التاريخ يذكر ان الحركة الصهيونية قد اتصلت بالسلطان عبد الحميد وطلبت منه اقامه مستوطنات يهودية في فلسطين . فرفض السلطان ، وسعى اليهود لاثارة الفتن .. فتشكلت حركة « الاتحاد والترقى » لمناوءته . وعندما اقتحم بعض أعضائها قصر السلطان ابلغه المفتى العام بنبأ تنحيته عن العرش . وقد كان بجانبه احد حاخامات اليهود .

ادعو الله مخلصا أن ينصر الاسلام ويعز المسلمين .

حسن دلال باشي

حلب سورية

* ردود خاصة *

• الاخ سعد عبد الصمد السيد : الاسكندرية

لا تثريب عليك ياأخا العرب ، ودع الالم يبرح نفسك ووثق علاقتك بالثقافة العربية ، ولا تستعجل النشر في الصحافة .

• الاخ سالم احمد عمر : اليمن

نشكرك على ثقتك بالمجلة .

• الاخ الدكتور اسامة يحيى الانصارى الدقهلية

يمكنك مناقشة الموضوع مع الدكتور محمد جابر الانصارى بصورة مباشرة ، وذلك عنوانه : شارع ام الحصم ٣٣٧ ، منزل ١٠٥ المنامه البحرين .

• الاخ ماهر ابراهيم عباس: بنى سويف

نشكرك على نصيحتك ، أثابك وأثابنا الله

• الاخ عثمان باروتجى حلب

قصيدتك جيدة لكن نعتذر عن نشرها لعدم انسجامها مع روح المجلة .

• الاخت هيا رشيد سمعان الكويت

المناوشات بين المسلمين والهندوس ليست جديدة . فمنذ استقلال الهند عام ١٩٤٧ جرى اكثر من خمسة الاف صدام بين الطائفتين المتناحرتين . وليست هناك قواسم مشتركة بينها الا الفقر والعوز . ونسبة الهندوس تصل الى ٨٣ بالمائه ، بينما المسلمون لايتعدون ١٢ بالمائة . اما طائفة السيخ فعددها لايتجاوز ١٢ مليون نسمة ، وتعتبر مقاطعة البنجاب المركز الرئيسى لهم ، كما أنهم يشغلون كثيرا من المراكز الحيوية في الهند وفي مقدمتها رئاسة الجمهورية .

• الاخت احلام زكى سعد القاهرة

نأمل أن ترسلى عنوانك واضحا ، حتى تصلك المكافأة .

• الاخ احمد الحبيب خوجلى : والاخ محمد مكى عبدالله السودان

سوف نجيب على اسئلتكما في الاعداد القادمة ان شاء الله .

• الاخ عبد النبى عطيه العالى البحرين

نشكرك على ثقتك بالمجلة ، أما بخصوص قصيدتك « لأجلك يابيروت » فهى صادقة المحتوى ، لكن تنقصها مقومات الشعر . ننصحك بالمزيد من الاطلاع والتدريب على الأوزان الصحيحة ولا تستعجل النشر .

• الاخ محمود احمد الحسانين الكويت .

يمكنك الكتابة مباشرة الى الاخ الاستاذ رءوف توفيق وعنوانه .

القاهرة : شارع القصر العينى . مؤسسة روز اليوسف

• الاخ المهندس يحيى محمد القبارى : مصر .

نشكرك على مشاعرك الطيبة تجاه المجلة ، واقتراحاتك قيد الدرس .

• الاخت رشا السيد احمد سوريا .

نرحب بك صديقة للمجلة ، وابعثى ماشئت من ابداعاتك ، وسننشر الصالح منها ، لك تحياتنا .

• الاخ حديوى على حلاوة جامعة الازهر .

ارجو ان لاتقسو في عتابك علينا ، فالرسائل التى تصلنا كثيرة جداً ، ومساحة هذا الباب محدودة ، على كل حال المساهمة التى بعثتها سبق نشرها في الدوحة . شكراً لك .

* كتب وصلتنا *



الحرمان والتخلف
في ديار المسلمين
المؤلف : د . نبيل صبحى الطويل
الناشر : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينيه قطر

هذا هو الكتاب السابع فى سلسلة « كتاب الامة » التى تصدرها رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر .

وهو يأتى فى اطار مساهمتها لتحقيق الوعى الثقافى الاسلامى الى جانب العطاء الصحفى وتبصير المسلمين بمشكلاتهم كما يقول الاستاذ الفاضل عمر عبيد حسنة مدير تحرير مجلة الأمة فى تقديمه للكتاب . وكذلك اغناء مسلم اليوم بالرؤية الشمولية عن عالم المسلمين ، وبيان الثغور المفتوحة التى تقتضى حق الأولوية فى المرابطة ، ووضع القادرين من المسلمين امام مسئولياتهم ، واذكاء حسهم باستشعار هذه المسؤوليات ، وتجديد ذاكرتهم نحو الاسلام ، وتحديد المعانى الاسلامية السامية فى نفوسهم .

لقد قدم الدكتور نبيل صبحى الطويل فى هذا الكتاب احصائيات لواقع البؤس والمرض والجهل والتخلف والأمية فى اكثر من بلد اسلامى من خلال تجربته الميدانية وطبيعة عمله فى منظمة الصحة العالمية .

ولاشك ان هذه الاحصائيات غائبة غيابا يكاد يكون كاملا عن العاملين فى الحقل الاسلامى فكيف بعامة المسلمين ؟

يقول المؤلف فى صدر كتابه القيم : لعل هذا العرض الموضوعى الموثق لأحوال المسلمين المحرومين والمأسى التى يعانونها وابعادها أفقيا وعموديا جغرافيا وسكانيا ومضاعفاتها وعقابيلها يوضح الصورة المحزنة بل المخجلة امام الله ويثير الاهتمام اللازم ، ويحث على العمل الجاد ، ويذكر الجسد الواحد ان كثيرا من اعضائه يألم فلتتداع البقية بالسهر والحمى .

هذا وقد اشتمل الكتاب على ١٤٥ صفحة من القطع المتوسط ، وقد قسمه المؤلف الى خمسة فصول . وضم الفصل الاول عدة نقاط اهمها : افقر دول العالم مسلمه ، الدول الاكثر تخلفاً فى العالم ، تراكم الديون على كثير من الدول الاسلامية ، وضم الفصل الرابع عدة نقاط اهمها : بعض الامراض الخطيرة فى ديار المسلمين مثل : السل او التدرن الجذام البلهارسيا الملاريا مرض النوم .

إضافة الى الفصول المهمة الباقية .

وبعـد ..

فهذا الكتاب يعتبر بحق وثيقة اتهام ضد المسلمين لعدم اكتراثهم بأمور اخوانهم .. ولعدم اهتمامهم بمساعدة المعوزين منهم ، برغم ما أفاء الله على كثير من المسلمين من وافر الخيرات والنعم .



قائمة المنشورات لعام ١٩٨٤ م .
• المؤسسة العربية للدراسات والنشر
• بيروت ، ساقية الجنزير . ص ب ٥٤٦٠ ١١

وصلتنا من الاستاذ ماهر الكيالى المدير العام المسئول للمؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت قائمة بمنشورات المؤسسة للعام الحالى ١٩٨٤ وهى عبارة عن كتيب يقع فى مائة صفحة من الحجم المتوسط يتضمن اسماء المطبوعات التى تولت المؤسسة طبعها حديثا ، مع اسماء المؤلفين واسعار الكتب .

والقائمة مقسمة الى : الموسوعات ، التراث ، الدراسات العسكرية والسياسية ، والفكرية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية والتربوية والنفسية والفلسفية وكذلك : الادب والثقافة ، والفلسطينيات ، والسينما ، والمسرح ، واعلام الفكر ، والعلوم ، ومجموعة كتب بالانجليزية ، وكتب للناشئة .

ولعل مايلفت النظر فى الكتيب مجموعة الموسوعات المتوفرة لدى المؤسسة العربية التى اثبتت وجودها رغم الاحداث الدامية التى تعرض لها لبنان الشقيق على مدى السنوات التسع الماضية .

فلقد اصدرت المؤسسة « الموسوعة العسكرية » التى تعتبر الاولى من نوعها فى الوطن العربى ، ثم « الموسوعة السياسية » وتشتمل على اكثر من خمسة الاف بند تتناول اهم الشخصيات السياسية والفكرية فى التاريخ والعالم والوطن العربى ، وكذلك موسوعات : تاريخ الفن المصطلح النقدى العلماء والمخترعين ، العناية بالطفل ، المحامي العربى ، والاعمال الكاملة لامين الريحانى ، وجمال الدين الافغانى ، وعلى مبارك . والكثير من الكتب والمطبوعات المهمة .



لقطة من فيلم « ينابيع الحب » الذى فاز بجائزة مهرجان برلين هذا العام .. والذى حقق دفعة قوية للشركة الاسرائيلية فى الاسواق العالمية .

وتحققت نبوءة "الدوحة":

الأخطبوط الإسرائيلي يكشف عن وجهه في السينما

من باب التحدى ، واستعراض القوة .. تعمدت شركة « كانون » الاسرائيلية .. ان تقيم مهرجاناً لافلامها السينمائية داخل مهرجان « كان » .. بأكبر حملة دعاية ممكن أن يتصورها إنسان .. وبمجموعة من الافلام يشترك فى تمثيلها عدد من أشهر

سينما

بقلم : رءوف توفيق



كاترين هيبورن . الممثلة الامريكية المعروفه والتى اقنعتها الشركة الاسرائيلية لكى تمثل لها فيلم « الحل النهائى »



« ريتشارد شامبرلين » النجم الامريكى الذى سيلعب بطولة فيلم « كنوز الملك سليمان » لحساب الشركة الاسرائيلية

نجوم السينما الامريكية والأوربية !!

مظاهرة عالية الصوت ، ملفتة للأنظار .. تطارد وتحاصر جميع المشتركين فى مهرجان « كان » السينمائى ..

اذا فتحت الجرائد والمجلات اليومية للمهرجان ، ستجد اعلانات ضخمة وبالعشر صفحات يوميا واذا سرت فى شوارع المدينة ، ستصطدم باللافتات الباهرة المعلقة على أعمدة الاضاءة ، ومجموعة من اجمل الفتيات يرتدين زيا خاصا ملفتا ، يوزعن الابتسامات مع مواد الدعاية لافلام الشركة .. واذا دخلت مبنى المهرجان ستجد على الابواب مجموعة اخرى من الفتيات بنفس الزى ، وبنفس مواد الدعاية .. ثم تجد وسط أجنحة الدول المشتركة فى سوق الافلام بالمهرجان ، جناحا ضخما يتوسط بقية الاجنحة المتواضعة .. والجناح يسبح فى الاضواء ويديره مجموعة من الفتيات والرجال المدربين على استقبال الموزعين والمشترين للافلام .. وداخل الجناح عدة أجهزة تليفزيون تعرض مقتطفات من شرائط الافلام مسجلة على الفيديو .. هذا بخلاف حفلات الكوكتيل والعشاء الباذخة التى تقام فى أشهر فنادق المدينة ، وعلى أسطح البواخر الفاخرة .. وعشرات من النجوم .. ومئات من الصحفيين والمصوريين تضىء فلاشات كاميراتهم ، لتحيل الليل الى نهار ..

ووسط كل هذا .. يتحرك المخرج والمنتج الاسرائيلى « مناحم جولان » ومعه ابن عمه وشريكه « جلوباس » .. يشرفان على شئون الرعية السينمائية .. (!!) ويحصدان العقود وطلبات شراء افلام شركتهما .. ويقبضان الملايين من الدولارات .. ويبتسمان فى ثقة وكأنهما أبطال العصر القادم فى السينما !!

الأخطبوط الإسرائيلي يكشف عن وجهه في السينما

نبوءة « الدوحة » .. التي تحققت

وهذا الأخطبوط الاسرائيلي (جولان جلوباس) وشركتهما « كانون » .. يؤكدان فى كل عام أن حلمهما بالسيطرة على الاسواق العالمية .. حلم لم يعد مستحيلا !

وقد يذكر قارئ « الدوحة » .. اننى على مدى الاعوام الماضية ، كتبت فيها منبهاً ومحذرا لهذا التحرك الاسرائيلى فى السينما العالمية .. بدءا من افلام المخرج « مناحم جولان » التى قدمها للسينما الاسرائيلية ، والتى يعلن فيها بوضوح عن انتمائه المطلق وايمانه الكامل بالعسكرية الاسرائيلية ضد كل ماهو عربى .. ثم انتقال هذا المخرج وشريكه « جلوباس » الى أمريكا كقاعدة انطلاق لمشروعاتهما السينمائية ، وافكارهما الصهيونية .

وربما يذكر قارئ « الدوحة » .. انه على هذه الصفحات ، تابعت عاما بعد عام ، خطوات هذا الثنائى الاسرائيلى ، واسلوبهما فى التسلل الى السينما العالمية ، ومحاولاتهما لاحتواء اكبر عدد من النجوم فى افلام قليلة التكاليف ، سريعة الانتشار بحكم موضوعاتها التجارية التى تستجيب لأذواق الشباب والمراهقين .. وتحقق اكبر عائد مادى فى أقل وقت ممكن ..

وكتبت فى عدد اكتوبر عام ١٩٨٠ من « الدوحة » .. أقول : « انهم يتجنبون الخوض فى دعاية مباشرة أو غير مباشرة لاسرائيل .. انهم يحاولون إبعاد أى شبهة عن « هوية » هذه الشركة السينمائية .. ولهذا فهم يتحركون فى كل الاتجاهات التجارية المضمونة .. افلام للتسلية والضحك .. افلام الجنس والعري .. افلام الاثارة والرعب .. افلام غنائية موسيقية !!

« انها افلام كما نقول فى لهجتنا العامية « جر رجل » لجذب المتفرجين الى اسم الشركة ، ونوعية افلامها الخفيفة .. » ولكن هل سيواصلون هذا الطريق ؟

أستطيع ان أؤكد بناء على فهم العقلية اليهودية انهم بعد أن يضمنوا الانتشار والرواج لاسم الشركة .. وبعد ان يحققوا العائد التجارى .. سيبدأون فى الاعلان عن « هويتهم » الحقيقية .. ويسربون فيلما وراء الآخر يتضمن بعض افكارهم .. ووجهة نظرتهم فى القضايا العالمية ، وبالذات قضية وجودهم .. وحق اسرائيل .. وأمن اسرائيل .. وحلم اسرائيل .. و .. و ..

« والمخطط معروف .. فالمال اليهودى لاينفق هباء !! »

كان هذا بعض ماكتبته ، ونشرته « الدوحة » فى عام ٨٠

وهاهى النبوءة تتحقق فى عام ١٩٨٤ .

فيلم « السفير »

في أحدى مجموعات افلام شركة « كانون » والتي عرضتها فى سوق الافلام بمهرجان « كان » السينمائى لهذا العام ، نجد فيلما بعنوان « السفير » يلعب بطولته ثلاثة من نجوم السينما الامريكية : روبرت ميتشوم ، روك هدسون ، ايلين بريستين .. وايضا يشارك البطولة الممثل الايطالى المعروف « فابيو تستى »

وفيلم « السفير » يتعرض لمسألة السلام بين اسرائيل وفلسطين .. أو بمعنى أدق التعايش السلمى وتبادل الحوار بين الاسرائيليين والفلسطينيين ..

فهم بالطبع لايعترفون بالارض الفلسطينية .. ولا يذكرونها أطلاقاً فى الفيلم .. وانما يلوون الحقائق ويتجاهلون الواقع .. لتصبح القضية كما يطرحها الفيلم .. لماذا لايجلس الشباب الاسرائيلى مع الشباب الفلسطينى ويتبادلون الحوار اى مجرد الكلام بينهما كخطوة أولى لاقرار السلام !!

وبكل بجاحة يشطبون على قضية الشعب الفلسطينى .. لتتحول الى ان كل طرف « زعلان » من الآخر .. ولابد ان هناك من يهمه الأمر ليجمع الطرفين معا .. ويفك هذا « الخصام » ويفتح الافواه لأن تتكلم وتتحاور .. وتتصالح !!

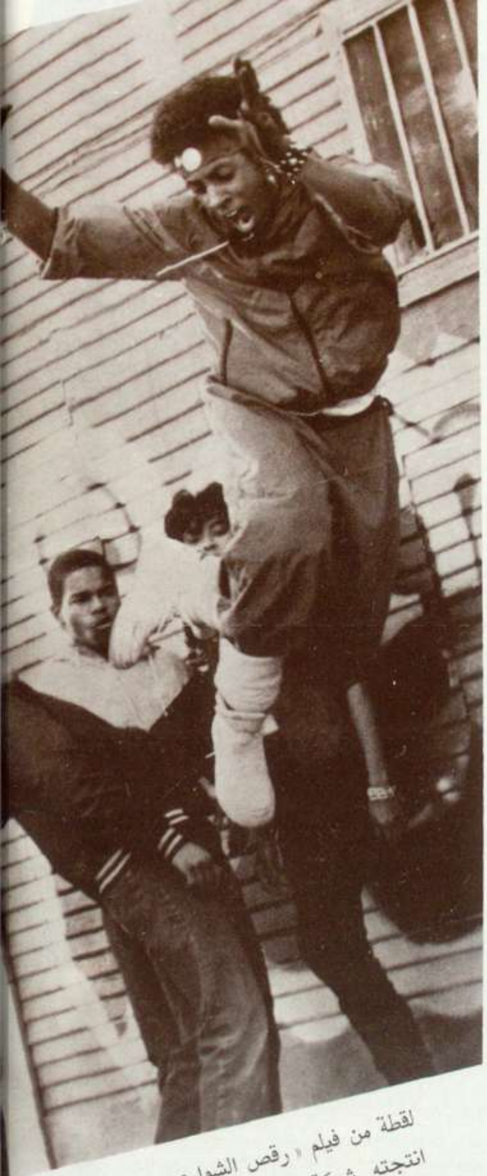
وبالطبع أن من يهمه الأمر .. هو أمريكا ..

وبهذا المنطق يقوم الفيلم .. فنرى هذا السفير الامريكى فى اسرائيل (يلعب الدور : روبرت ميتشوم) يقود سيارة جيب مفتوحة ويعبر بها طريقا صحراويا متعرجا .. ويجلس بجواره صديقه الامريكى ، رئيس جهاز الأمن فى السفارة (يلعب الدور : روك هدسون) .. ويبدو ان هذا الصديق لايفهم لماذا يأتى السفير الى هذا المكان المعزول ، مصمما ان يقود السيارة بنفسه .. ويتكتم السفير الاجابة .. حتى يصل الى بقعة بجوار بعض الأبنية المهدمة فى الصحراء .. ليقول انه جاء الى هنا ليلتقى « بمجموعة من الشباب التى تطلق على نفسها اسم: **الفلسطينيون** » !! الجملة من نص حوار الفيلم !!

ويبدى الصديق الامريكى دهشته وخوفه ايضا .. معلقا : « لم اكن لأصدق .. لو قال لى أحد اننى سأقابل اشخاصا من منظمة فلسطينية » !!

ويشرح السفير هدفه : انه يريد الاتفاق مع ممثلى الشباب الفلسطينى على لقاء مع الشباب الاسرائيلى .. ليتحاوروا .. و « ليعيشوا فى سلام » !

ونفهم ان السفير الامريكى يقوم بهذه « المهمة » باختياره الخاص وايمانه الشخصى بالأسلوب العملى لحل « النزاع » الاسرائيلى الفلسطينى .. فهو غير مكلف بهذه المهمة من حكومته .. ولايريد ان يبلغ حكومته بتحركاته فى هذا الشأن .. الا بعد ان يتوصل لنتيجة حاسمة !



لقطة من فيلم « رقص الشوارع » الذى انتجته شركة كانون الاسرائيلية ..



السفير « روبرت ميشوم » وبجواره صديقة رجل الأمن الامريكى « روك هدسون » فى سيارة جيب الصحراء .. انتظارا للقاء مندوبين عن الشباب الفلسطينى . لقطة من فيلم « السفير »



وزير الدفاع الاسرائيلى .. وزوجة السفير .. والسفير فى لقطة من فيلم السفير

اى انه البطل الامريكى الذى سينقذ مستقبل الشرق الاوسط ! !

المهم .. على الطرف الآخر ، ووراء الجدران المهدمة فى هذه البقعة الصحراوية .. يختبئ بعض الشباب الفلسطينى كما يقدمهم الفيلم مدججين بالأسلحة والتحفز .. وواحد منهم يؤنب زميله على هذه الخطوة : « أنت مجنون اذا وثقت فى أمريكى » ! ! .. ولكن الشاب الفلسطينى الذى يبدو قائدا لهذه المجموعة .. ما أن يرى سيارة السفير الامريكى تتوقف .. حتى يعطى اشارة الاستعداد لزملائه .. البعض يذهب معه للقاء السفير .. والبعض الآخر يغطى تحركاته . !

وسط الصحراء الممتدة المكشوفة .. يتم اللقاء .. ويشرح لهم السفير الامريكى فكرته .. وينفعل احد الفلسطينيين معلقا فى مرارة : « نحن لانثق فى اسرائيل » .. فيرد السفير الامريكى بهدوء : « واسرائيل ايضا لاتثق فيكم .. ولكن مارأيكم لو وضعنا حدا لمسألة عدم الثقة هذه ؟ ! !

وبينما هم يتكلمون .. تنقض عليهم طائرة عسكرية تصب على الفلسطينيين نيرانها .. فتحصد الجميع فى مذبحة وحشية .. سواء الذين كانوا يتحدثون مع السفير .. أو الذين يختبئون وراء الجدران المهدمة .

ولم يبق وسط كل هذه الجثث والدماء .. سوى السفير الامريكى وصديقه رجل الأمن .. وقد احاطت بسيارتهما ، مجموعة من سيارات الجيش الاسرائيلى ، والتى انشقت عنها الارض الصحراوية من كل جانب !

وندرك ان مخابرات الجيش الأسرائيلى ، كانت تراقب تحركات السفير الامريكى دون أن يدرى ، وانها هى التى دبرت هذا الهجوم الوحشى على الفلسطينيين .. وهى الآن تتحفظ على السفير الامريكى وزميله ، وتقتادهما الى مكتب وزير الدفاع الاسرائيلى ، تحت الحراسة المشددة ..

وزير الدفاع الاسرائيلى .. يهدد

فى لقاء عاصف .. يهاجم وزير الدفاع الاسرائيلى أسلوب تفكير السفير الامريكى .. يقول له « انك تتصرف بطريقة غير دبلوماسية » .. ويندد السفير الامريكى بالهجوم الوحشى الذى اغتال كل الفلسطينيين **الذين جاءوا للقائه .. فيرد** وزير الدفاع بسخرية من هؤلاء الفلسطينيين ويعلق قائلا : « انهم ضد كل شىء حتى ياسر عرفات » ! !

ويحاول السفير الامريكى ان يشرح فكرته .. ولكن وزير الدفاع يواصل السخرية منه : « هذه فلسفة ساذجة ياسعادة السفير .. »

وفى لهجة غاضبة ينذره وزير الدفاع : « قبل ان تتصرف اى تصرف آخر .. يجب ان تخبرنى أولا .. »

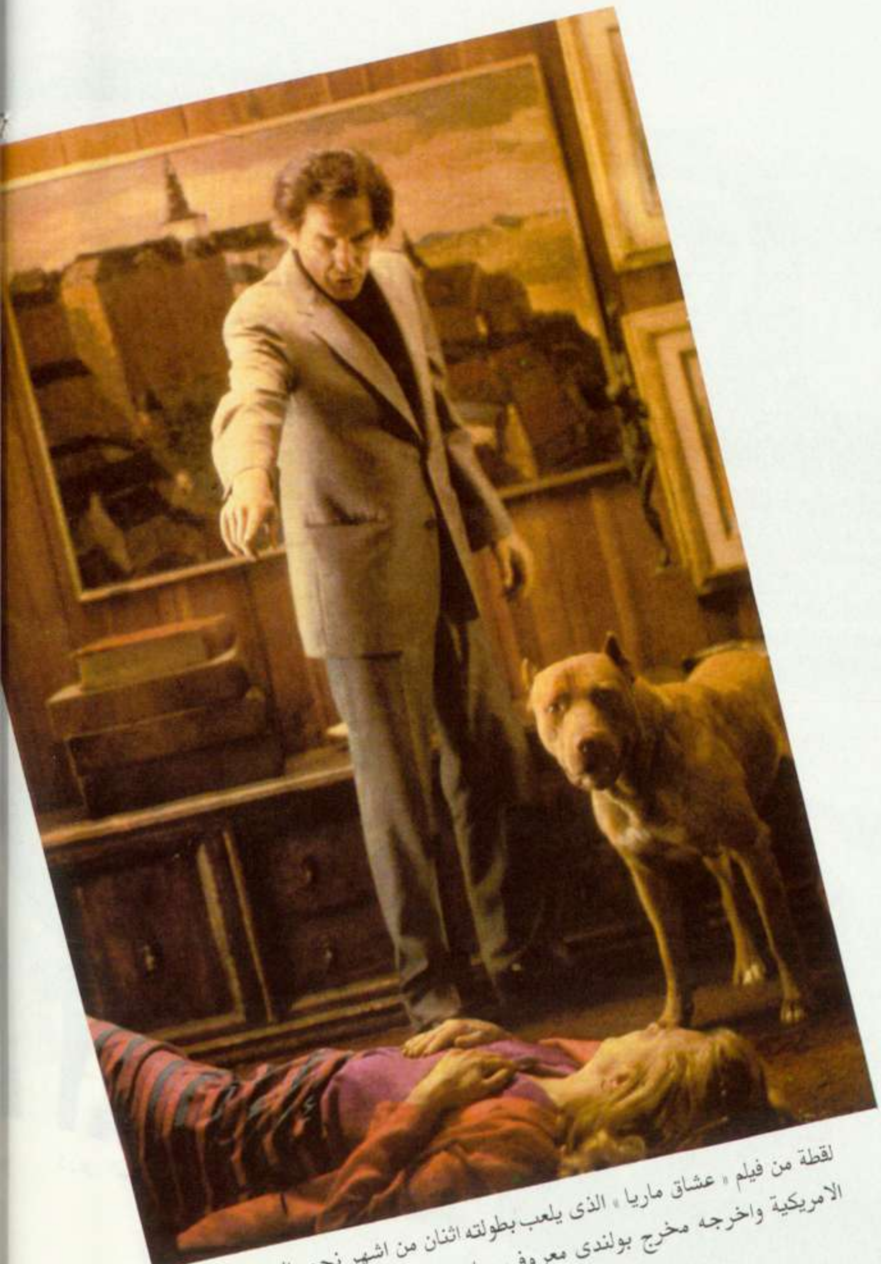
ويخرج السفير الامريكى مهزوما من هذا اللقاء .. ولكن اكثر تصميما على تنفيذ مخططه ..

فى نفس الوقت الذى تتفرع فيه احداث الفيلم الى خط مواز .. وهو خط العلاقة المتوترة بين السفير وزوجته (تلعب الدور : ايرين بريستين) .. وتتابع المشاهد لنعرف ان هناك علاقة عاطفية تربط بين زوجة السفير ، وهذا التاجر الفلسطينى الثرى الذى يدعى مصطفى الهاشمى (يلعب الدور : فابيو تستى) .. له دكان كبير فى سوق القدس يبيع فيه التحف والحلى الشرقية ..

وكثيرا ماتذهب زوجة السفير الى هذا التاجر في دكانه .. ومنه الى بيته الخاص دون ان تدرى ان هناك اكثر من عين تراقب تحركاتها وتسجلها بالصور .

وفى احدى زيارات الزوجة لعشيقها فى القدس .. يحدث انفجار فى السوق بجوار دكان التاجر الفلسطينى .. يذهب ضحيته أحد عشر شخصا .. وتنقل زوجة السفير الى المستشفى مصابة باصابات سطحية .

الأخطبوط الإسرائيلي
يكشف عن وجهه في السينما



لقطة من فيلم « عشاق ماريا » الذى يلعب بطولته اثنان من اشهر نجوم السينما الامريكية واخرجه مخرج بولندى معروف ، لحساب الشركة الاسرائيلية .

فى تلك الليلة يذهب السفير الامريكى الى القدس بحثا عن زوجته ، بعد ان عرف من سائق السيارة انها سافرت الى هناك ..

وهناك يلتقى بمفاجاة تذهله تماما ..

مفاجأة على الشاشة

وسط آثار الانفجار فى سوق القدس .. كانت هناك دار سينما خالية تماما من المتفرجين .. ولكن الابواب مفتوحة .. والشاشة تعرض فيلما .. ويتوقف السفير مذهولا امام الفيلم .

انه فيلم يصور زوجته عارية على فراش التاجر الفلسطينى .. والفيلم يسجل تفاصيل العلاقة .

ويجرى السفير الى غرفة ماكينة العرض السينمائى .. فلا يجد أحدا .. لقد اختفى الجميع ..

ويدرك السفير ان المقصود هو تحطيم سمعته .. ويتأكد له هذا عندما يتلقى مكالمة تليفونية مجهولة يطلب صاحبها مليون ونصف مليون دولار مقابل تسليم نسخ الفيلم المصورة عن زوجته ويهدده صاحب المكالمة التليفونية بأنه اذا لم يحصل على المبلغ المطلوب فإنه سينشر نسخ الفيلم داخل اسرائيل وداخل أمريكا .. وبالطبع ستكون النتيجة .. الفضيحة وابعاده عن منصبه .. وعن حلم الوصول الى البيت الابيض الامريكى !!

وزير الدفاع .. يعترف

وأمام خطر الفضيحة .. يتحرك السفير الامريكى ومعه صديقه ، رجل الأمن فى السفارة للبحث عن نسخ الفيلم .. ومكان المعمل الذى يتم فيه طبع النسخ من النسخة الأصلية للفيلم ..

وتحدث عدة مطاردات من النوع الذى اشتهرت به السينما الامريكية .. وبالطبع لاتصل هذه المطاردات الى نتيجة .. والا انتهى الفيلم سريعا .!!

ويظل الاعتقاد قائما بالنسبة للسفير الامريكى ، وايضا بالنسبة للمتفرج ان الذى دبر هذه الفضيحة وقام بتصوير الفيلم .. اشخاص من الجانب الفلسطينى ..

ولهذا يلجأ السفير الامريكى الى جهاز المعلومات فى سفارته ليعد تقريرا مفصلا عن هذا التاجر الفلسطينى « مصطفى الهاشمى » .. ويأتى التقرير يحمل معلومات ان هذا التاجر عضو بارز فى منظمة التحرير الفلسطينية .. وله نفوذ واسع وكلمة مسموعة .. وانه مذ كان فى الخامسة عشر من عمره اشترك فى عمليات « ارهابية » !! .. وانه على قدر كبير من الثراء .

ويذهب السفير الامريكى الى وزير الدفاع ليطلب مشورته .. فيجد وزير الدفاع مشغولا بوفد أجنبي يطوف به متحف وزارة الدفاع الاسرائيلية يشرح لهم بالافلام والصور عمليات تعذيب واضطهاد اليهود اثناء الحرب العالمية الثانية (!!)

وعندما يخلو الوزير له .. يحكى السفير عما حدث ويطلب تفسيرا محددا : من الذى فعل هذا به .؟

ويعترف الوزير .. بأن المخابرات الاسرائيلية هى التى دبرت كل ماحدث .. لدواعى الأمن !!

وينتقض السفير غضبا ويخرج عن هدوئه ووقاره .. ويستقبل وزير الدفاع هذا الغضب بمنتهى البرود .. ويستكمل حديثه قائلا : « اما مصطفى الهاشمى .. فنحن نعرف انه يعمل لمنظمة التحرير الفلسطينية .. ومن المهم لنا ان يكون خارج السجن من ان يكون داخله .. !



« كاترين هيبورن » و « نيل فولتى » فى لقطه من فيلم الحل النهائى



لقطه من فيلم « ينابيع الحب » الذى فاز بجائزة احسن فيلم فى مهرجان برلين ٨٤ ويظهر فى اللقطه المخرج درجون كاسافينش وهو يؤدى دور فى الفيلم امام الممثلة « جينى رولاندس »

الفلسطينيون والحوار

ويخرج السفير الى ندوة مع الشباب الاسرائيلى فى احدى مدرجات الجامعة .. يشرح لهم فكرته بضرورة اللقاء مع الشباب الفلسطينى واجراء الحوار من اجل السلام .. « فالشباب هو صاحب المستقبل .. والمستقبل لايحتمل مزيدا من الحروب . »

ويقاطعه بعض الطلبة فى احتجاج وثورة .. وتتناثر آراؤهم من نوع : « ان منظمة التحرير الفلسطينية ترفض الاعتراف بأسرائيل .. ونحن ايضا لن نعترف بهم » .. « الفلسطينيون لاينفعهم الحوار .. دائما ينفعهم الضرب والقتل » .. « نرفض دخول الفلسطينيين الى بلادنا » (!!)

والسفير الامريكى يرد على كل هذه الاحتجاجات متذرعاً بالصبر والحكمة .. فالقضية هى قضيته الشخصية .. وهو لايريد ان يفشل .. ويطلب منهم ان يحاولوا معه .

ويقتنع بعض الطلبة بفكرته .. بينما يترصده احد الشباب الاسرائيلى ببندقيته التلسكوبية محاولا أغتياله .. وتنطلق الرصاصة لتخطأه .. ولتزيده اصرارا على مواصلة مهمته (!!)

ويذهب السفير الى « مصطفى الهاشمى » ليطلب منه تدبير اللقاء بين الشباب الفلسطينى والشباب الاسرائيلى .. تناسى علاقة زوجته بهذا الرجل .. وتذكر فقط قضية السلام فى الشرق الاوسط (!!)

ويحدث تقريبا نفس نوع الاحتجاجات بين الشباب الفلسطينى .. على فكرة اللقاء بالشباب الاسرائيلى .. وكأن الفيلم يريد ان يؤكد ان « عدم الفهم » من الجانبين .. و « الانفعال العاطفى » من الجانبين !!

تشوية فنى وانسانى

المهم .. يحدث اللقاء

يجتمع الشباب الاسرائيلى بقيادة السفير الامريكى .. حوالى مائتى شاب وفتاة يقدمهم الفيلم فى صورة من التفتح والحيوية والاقبال على الحياة ..

يجلسون ينتظرون بالساعات .. ولا يأتى فريق الشباب الفلسطينى .. ويبدأون فى التململ والرغبة فى الانصراف .. ولكن السفير الامريكى يطلب منهم المزيد من الصبر .!! ويحل الظلام .. ويضئ كل منهم شمعة (!!) ويهتفون : السلام .. السلام ..!!

ثم يصل الفريق الفلسطينى .. ويجلسون امام الفريق الاسرائيلى .. وما أن يبدأ الحوار .. حتى تزحف من وراء الظلام مجموعات من الفلسطينيين يمسكون بالمدافع الرشاشة يصوبونها ناحية الشباب الاسرائيلى .. ليحصدوهم فى مذبحة بالغة البشاعة ..

ويتعمد الفيلم ان يصور الضحايا الاسرائيليين وهم يمسكون الشموع ويتساقطون قتلى ، وايديهم فى أيدى بعض .. وتستعرض الكاميرا فى تمهل شديد ، الوجوه الشابة التى كانت تتغنى منذ لحظات بالسلام .. وهى الآن تتفجر بالدماء والجروح .. ويعلو الأنين والبكاء ..

وينقض السفير الامريكى على احد الفلسطينيين الذين اداروا هذه المذبحة .. وينهال عليه ضربا وركلا حتى بعد ان يلفظ أنفاسه .

ثم تأتى الطائرات العسكرية الاسرائيلية لتحاصر المكان وتطلق نيرانها على الفلسطينيين .. ومن كل جانب ظهرت المدرعات الاسرائيلية تشارك فى أطلاق النيران بكل انواع الأسلحة المستخدمة فى الحروب .

ويقف السفير الامريكى يطل على المشهد أمامه .. وقد تحول المكان الى مقبرة جماعية .. وهو يردد « ربما الجيل القادم .. يحقق الحوار والسلام » !

ويعود السفير الامريكى الى بيته مهموما حزينا .. ولكنه يفيق على صوت مظاهرة فى الطريق تقترب من بيته .. يطل من النافذة .. ليجد جموعا من الشباب الاسرائيلى تحمل الشموع .. وتهتف .. السلام .. !!

ويبتسم السفير الامريكى .. وينتهى الفيلم !

الأخطبوط الإسرائيلي يكشف عن وجهه في السينما

سينما

السلام الاسرائيلي !!

مالذى يريد أن يقوله هذا الفيلم ؟

انه يقول ان السلام قد لايفهمه بعض الشباب الاسرائيلى .. ولكن عند الشباب الفلسطينى هو مسالة مستحيلة .. ذلك لأن الفلسطينى تعود على القتل والارهاب وسفك الدماء .. والفلسطينى سيء الظن بالجميع .. لايقبل التفاهم ولا يحترم الحوار .. لانه همجى وبلا حضارة !!

واكبر دليل على هذا المعنى .. ذلك المشهد الأخير والذى قدمه الفيلم فى المذبحة الوحشية التى قام بها مجموعة من الشباب الفلسطينى .. لقد تعمد الفيلم ان يضع فى مشهد النهاية كلمته الفاصلة فى هذه القضية التى تشغل الرأى العام العالمى ..

اظهر الفيلم مجموعة الشباب الأسرائيلى فى صورة متفتحة للحياة .. تضيء الشموع لتبدد الظلام .. تنتظر بالساعات حتى يأتى الفلسطينيون !!

اى انهم هم أول من حضر ، وهم المستعدون للسلام .. الذين لايمسكون الأسلحة .. ولكنهم يغنون !!

وهكذا ايضا انتهى بهم الفيلم .. يضيئون الشموع .. ويغنون للسلام !!

والفيلم يغازل أمريكا بشكل مفضوح .. فأمريكا هى رسولة السلام .. وهى المتحملة لكل الصعاب والمضايقات حتى تحقق رسالتها المقدسة (!!)

واذا كان الفيلم يدين التطرف فى المخابرات الاسرائيلية .. الا انه يؤكد من جانب آخر على قوة تلك المخابرات وقدرتها على النفاذ الى داخل الحجرات المغلقة .. وفى لحظات أشبه بالبرق تكون جاهزة بأسلحتها وباساليبها المدهشة .. فهى فى مجتمع يحيط به العرب ويتسلل اليه « الارهابيون » الفلسطينيون .. لابد ان تكون مستعدة دائما ومتيقظة .. حتى لو أستخدمت احقر وأبشع الوسائل .. الا انها معذورة !! ومبرر « دواعى الأمن » يغطى كل تصرفاتها !!

.. ويتحدثون عن الكرم العربى !!

وقد تم تصوير هذا الفيلم بأكمله داخل اسرائيل .. والغريب ان الكتيب الصحفى الخاص بالفيلم .. يشيد بالكرم العربى .. فى مدينة بيت لحم .. فتح اصحاب المحلات التجارية أبوابهم لفريق العاملين فى الفيلم وقدموا لهم أجمل واغلى ماعندهم .. واستقبلهم عمدة بيت لحم فى منزله وأقام لهم حفلا كبيراً .

ولكن ماذا جني الكرم العربى ، من العقلية اليهودية .. غير هذه النتيجة ؟

انهم لايمكن أن يتغيروا ..

قضيتهم .. ومصلحتهم .. ونقودهم .. قبل كل شئ وفوق أى مبدأ .

ان صناع هذا الفيلم الحقير .. يفخرون ان خمسين ممثلا اسرائيليا ومئات من الكومبارس قد عملوا فى هذا الفيلم .. وان كل الفنيين فى التصوير والديكور والصوت كانوا من الاسرائيلين العاملين فى الأستوديوهات الاسرائيلية .. بل أن المنتج المنفذ للفيلم هو رئيس استوديوهات القدس .. وهو ايضا نائب رئيس شركة « كانون » .. ويعرفونه فى الكتيب الصحفى للفيلم .. بأنه ولد ونشأ فى اسرائيل .. وانه عندما كان فى السادسة عشر من عمره خاض أول حرب « دفاعية » لاسرائيل !

أرباح بالملايين !

وفيلم « السفير » .. اذا كان أول فيلم يكشف عن حقيقة شركة « كانون » الاسرائيلية .. الا انه فى واقع الأمر ، فيلم من الدرجة الثالثة .. ملئ بالعيوب الفنية سواء فى بناء السيناريو أو فى الاخراج المعتمد على الأسلوب التجارى .

وعلى حد قول ناقد انجليزى .. قام بدراسة حول اقتصاديات شركة « كانون » فى محاولة لتفسير أرباحها المتزايدة .. قال « انهم لايصنعون افلاما لتاريخ السينما .. ولكن يصنعون افلاما للسوق التجارى ».

وفى هذه الدراسة النقدية التى نشرتها مجلة « ستيلز » الانجليزية ..قال الناقد .. ان ارباح شركة كانون بلغت عام ٨٠ بعد تسديد الضرائب ثمانية آلاف دولار .. قفزت فى العام التالى الى ٢ مليون دولار .. ثم الى ٢,٥ مليون دولار فى عام ٨٢ .. ووصلت الى ٣,٥ مليون دولار فى النصف الأول من عام ٨٣ .

وقال الناقد .. ان ارقاماً مثل هذه ، تجعل البنوك ترحب باعطاء القروض لهم .. فأخذوا قروضا وصلت الى ٤٥ مليون دولار يستحق سدادها عام ٨٨ .. ولكن كل التوقعات تؤكد انهم قادرون على سدادها فى عام ٨٥ .

ويؤكد الناقد الانجليزى .. ان جزءا كبيرا من تمويل شركة « كانون » تساهم فيه بعض الحكومات الاجنبية وعدد من الشخصيات الثرية ..

ومما لاشك فيه والذى نستطيع ان نفهمه من هذه العبارة ان الحكومة الاسرائيلية تساهم فى تمويل هذه الشركة .. وان عددا من الشخصيات الصهيونية تضع أموالها فى خدمة اهداف هذه الشركة ، التى يديرها اثنان من اذكى وأمهر ابناء اسرائيل .. واللذان استطاعا بقدرتهما على الالحاح ان يجدا منافذ لتوزيع افلامهما فى انجلترا وألمانيا وايطاليا واسبانيا وسويسرا وهولندا .. بالاضافة الى وجودهما الفعلى فى امريكا وكندا وجنوب أفريقيا .

وهما يعتمدان فى انتاجهما على اسماء النجوم .. واحدث أفلامهما « ينابيع الحب » للمخرج « جون كاسافيتس » فاز بالجائزة الكبرى فى مهرجان برلين هذا العام .. مما أعطى لاسم شركتهما دفعة كبرى فى السوق العالمى ..

وقائمة افلامهما لهذا العام .. تحمل اسم الممثلة الكبيرة « كاترين هيبورن » مع الممثل الامريكى الشاب « نيل نولتى » .. فى فيلم يحمل عنوان « الحل النهائى » .

والممثلة « ناستسيا كينسكى » مع « كيث كاردين » فى فيلم بعنوان « عشاق ماريا » للمخرج البولندى الأصل « اندريه كونشلو فسكى »

ويستعدان الآن لانتاج فيلم بعنوان « كنوز الملك سليمان » من بطولة « ريتشارد شامبلين » وسيصوران احداثه فى جنوب أفريقيا ..

وتعاقدا بالفعل مع اشهر نجم الآن « سيلفستر ستالون » لبطولة فيلم يخرجه صاحب الشركة « مناحم جولان »

انهما يتحركان بسرعة .. وبخطة مرسومة بذكاء ..

وليس بعيدا ان يأتى اليوم الذى يصبحان فيه أباطرة صناعة السينما فى العالم ..

وعلينا ان ننتبه ..

وسأظل انادى دائما .. بضرورة ان يتحرك المال العربى لاقتحام السينما العالمية .. ليس فقط من باب اثبات الوجود العربى .. ولكن ايضا من أجل اعلان وجهة نظرنا فيما يدور حولنا .

رءوف توفيق

عندما تضحك نجوم المجرّة

شعر: عبد الستار سليم

تُساق النجائب .. والأغنيات ..
مهورا .. تُـزَفُّ لذات الحجال
ومهرك ياربّة الحسن .. غال
وحبك يسكن – في القاع – بين الجوانح ..
كالدم .. في الدم يجرى
وألمح طيفك في الليل .. حولى .. كالليل
يسرى
ودون لقائك قصر مشيد
وسور حراب ..
وألف نقاب ..
تَخِذْتُك .. عند طلاب الحوائج .. لى
مقصـدا
وفي ظمأ البيد .. حُبُّكِ
صار .. بكل الحقيقة .. لى مورداً
عشقتك .. شمسا .. وشعرا .. وظلا
زرعتك في شرفات شبابيَ وردا ..
وسهدا .. وقولاً .. وفعلا
وأمشي لأجلك .. فوق القتاد
وألبس في ساحة العشق ..
كل دروع العناد
أحُلُّ بكل الأماكن
أنام بعينيك عند المساء
وعند الصباح ..
بلادك تُلْبِسني جُبَّة السندباد
و « بغداد » .. تعرفني تاجرا
يعانق ورد حوانيت عشقك ..
حتى النخاع
وعند الرحيل ..
أكون بزورق « بغداد » رأس الشراع
لآخر عمرى أسافر
علّى أفوز بمهر الجميلة
وحين أءوب .. أذوب .. غراما ..
بظل الجميلة

وأسمع زقزقة الحب ترسمُ
فوقيَ عُشًّا ندىً الورود
فتصحو بداخل قلبي ..
غوافي الوعود
وأقفز جرْيًا وراء الحروف
أحاول فك رموز السؤال
وأربط نفسي
بحبل ضياء النجوم البعيدة
وأكتب فوق الجبين القصيدة
وأركض بين ميادين طال
عليها وقوف الزمن
أقابل كل البحار الوسيعة
تعرقل سيْرى
تهدّد عمرى .. بذات الفجيعة
وتهرب مني الزمان
وفي غفلة الرقباء يعود ..
يمنح كل اللصوص .. صكوك الأمان
وتعلو المياه
ويضربني الموج .. أغرق
وأطفو .. وأغرق
وأرجع .. أصنع قلبي زورق
وعند الشواطئْ
حين تُجَنُّ الظنون
على الرغم مني أُقبّل كل
كلام العيون
وأقطع .. مشيا .. جميع القفار
فينهرني النجم في الليل ..
تصلبني الشمس فوق ذراع النهار
وأقلق .. حين أءوب
وحين أودّع كل المسافات .. عند الغروب
وحين أبعثر بين ضفاف الحنين ..
بقايا الشباب
وأحمل كل الحكايات والاغتراب ..

بداخل صُرّة
فتضحك مني نجوم المجرّة
تقول : « بماذا أتيت لتـمهر ذات الدلال ؟ ! »
فيحملني الموج بين اللهاث
وبين السؤال
ويندى جبين التعب
فليس بداخل صرة أوْبي .. ذهب
بها حبّة من عرق
بها كل ماتشتهى من صنوف القلق
وأجهد نفسي .. رغم اضطرابي ..
لأشرح ما في الضلوع ..
وما في الحنايا
وكيف تكون ليالى جمع مهور الصبايا
ولـكن ..
وجدت الحبيبة ..
غير الحبيبة
فلم تتخذ من كلامى قرطا
ومن قبل كانت
تعلّق قولى .. على الصدر .. نوطا
ولم تكُ في لهفة لسماع الحكاية
وأنهت كلامى قبل البداية
وقـالت
تغيّبت عني
وخيّبت ظني
ويكفيك أني .. انتظرتك عاما
وقالت « سلاما »
وفي ليلة ليس فيها قمر
مشيت على طرقات المدينة ..
بين البكاء ..
وبين الحذر
أعاود
كل الليالى القديمة ..

حاول أن تعرف



الصورة الأولى: لأحد المساجد الشهيرة بإحدى المناطق النائية عن العمران لابد أن يقع عليها نظر كل من ادى فريضة الحج
ما اسم هذا المسجد وأين يقع ؟

• • •



الصورة الثانية
إنه عالم من أفقه العلماء في كتاب الله وسنة رسوله وهو احد الائمة الاربعة في الفقه الاسلامي وقد انتشر مذهبه في كثير من بقاع المعمورة في مصر والحجاز وشمال العراق وبين مسلمي الشرق الاقصى ويعتبر مذهبه وسطاً بين أهل الراي في العراق واهل الحديث في الحجاز فمن هو ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٣



الصورة الأولى : منطقة شبام في حضرموت
الفائزة : انيسه سعد باحميد ـ دولة الامارات العربية .
ياسر مصطفى كمال ـ مصر .



الصورة الثانية : تشارلز ديكنز
الفائزة : أمنة محمود عبدالهادي ـ الأردن
الفائزة : ريما صلاح الدين عبداللطيف ـ
الفائزة : ريما صلاح الدين عبداللطيف ـ قطر



دوحة القراء

إشـــراف
سنان المسلماني

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غـــلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة العامـــة تتضمن (من ـ اين ـ مـا) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى اكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يـــلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجـــلة الدوحة ـ ص . ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

الديمقراطية الإسلامية



أجمل ماكتبه المفكر الكبير عباس العقاد عن الديموقراطية الاسلامية هو ماجاء في عبارته التالية :

– لم تنبت الديموقراطية الاسلامية في تربة الصحراء ولا في تربة الحضارة ، ولكنها كانت معجزة إلهية ، مثلها في الظهور بين الجاهلين ، كمثل الايمان بالاله الواحد الأحد الذى لايحابي قوما لأنهم قومه دون سائر الأقوام ، ولا يلعن قوما لأنهم ورثوا اللعنة من الأباء والأجداد .

وائل محمد وجدى
ج .م .ع . – الدقي

لقطة الشهر



صداقـــــة

فاز بالجائزة مائة ريال قطرى
القارىء محمد سيد سليمان – الاسماعيلية – ج.م.ع.

من أمثال الأمم

- راحة الجسم في قلة الطعام .. وراحة النفس في قلة الآثام .. وراحة القلب في قلة الاهتمام .. وراحة اللسان في قلة الكلام [مثل صيني]
- عش سعيداً تعش طويلا [مثل انجليزى]
- من الخير اتعاظ المرء باختبار غيره [مثل فرنسي]
- كل صمت لافكر فيه فهو سهو [مثل عربي]
- الكيس الفارغ لايقف مستقيما [مثل يوناني]
- أمطار الشتاء تغسل أوحال الصيف [مثل ايطالى]
- أفقر الناس من ليس عنده أمل [مثل الماني]
- خير مرآة ترى فيها نفسك هى عملك [مثل صيني]

وليم اسكندر يونان
بني سويف – مصر

قـــالوا عن المـــرأة

- إن الطبيعة اعتمدت النساء ليكن عبيد لنا ، انهن متاعنا ولسنا نحن متاعهن ، وهن ينتمين الينا مثلما تنتمي الشجرة التي تحمل الثمار الى البستاني فيا لها من فكرة مجنونة حمقاء فكرة المطالبة بالمساواة للمرأة ... (نابليون بونابرت)
- إن الزوجة الحقيقية هي التي تستطيع خلق الجمال في قلب الرجل وان لم تكن جميلة ... ينبغي أن تكون قادرة على الخلق والايحاء والابداع . (طاغـــور)
- سمعة المرأة كالمرآة النقية اللامعة تتأثر من أقل نفس يقرب منها . (سوفانـــى)
- المرأة حيوان طويل الشعر قصير الفكر . (شوبنهـــاور)
- إذا لم تجد المرأة من تحب تمسكت بالأخلاق واذا وجدت الرجل الذى تحبه نسيت كل شئ . (ستنـــدال)
- المرأة تحيا لتسعد بالحب .... والرجل يحب ليسعد بالحياة . (جان جاك روسو)
- المرأة أحلى هدية قدمها الله سبحانه الى الانسان . (سقـــراط)

أحمد المكيني – المغرب



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

مَن ؟

هو نموذج للانسان العربي الذي لا وطن له، إلا الوطن العربي حيث انه امضى حياته متنقلا بين ارجاء العالم العربي في خدمة الفكر القومي ، وهو ايضا عالم بالتربية والتاريخ .

اسمه مكون من كلمتين تشتملان على عشرة احرف .

٣ ، ٦ ، ٤ بمعنى ظهر

١ ، ٧ ، ٩ عمل من أعمال الدجل

أين ؟

ولد سنة (١٨٨٠) من أبوين حلبيين باحدى المدن اليمنية الشهيرة .

إسمها مكون من كلمة واحدة تشتمل على خمسة احرف :

١ ، ٢ ، ٣ بمعنى أعد الشيء

٣ ، ٢ ، ٤ ، ٥ بمعنى تعب

ما ؟

من أشهر مؤلفاته وابحاثه العديدة كتاب في الفكر القومي العربي .

اسمه مكون من كلمتين تشتملان على اربعة عشر حرفا .

٣ ، ١ ، ٤ ، ٥ تعني المواجهة

١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٤ وسيلة نقل .

الإجابة الصحيحة

١) تقع قناة بنما في جمهورية بنما وتقع قناة السويس بجمهورية مصر فاين تقع قناة يوستاكيوس ؟

٢) من أشهر الأسواق العربية في الجاهلية سوق عكاظ الذي كان يقام كل عام لمدة عشرين يوماً من أول ذي القعدة وحتى العشرين منه حيث كان يجتمع فيه التجار للبيع والشراء والشعراء للتنافس . فاين كان موقعه ؟

٣) كتاب القانون فى الطب من اشهر الكتب التي ما زال بعض الأطباء يعولون عليه في تشخيص المرض وكتابة الدواء فمن قام بتاليفه؟ إبن سينا ـ الفارابي ـ ابوبكر الرازي

٤) يرتبط اسم كل من الكسندر جرهام بيل والكسندر فيلمنج ، والخوارزمي بثلاثة اختراعات خدمت الانسانية ما هي ؟

٥) القيت اول قنبلة ذرية على هيروشيما باليابان فمتى واين القيت القنبلة الذرية الثانية ؟

حل مسابقة العدد ١٠٢

من : الشاعر عمر أبو ريشة

أين : سوريـــا

مـــا : الأموي

الأجوبة الصحيحة

١ ـ السودان ومصر

٢ ـ ١٩٧٢ .

٣ ـ الوالي عبدالله بن الحبحاب

٤ ـ القوات النازية

٥ ـ قمبيز ـ احمد شوقي ـ ماساة الحلاج صلاح عبد الصبور ـ الفيل يا ملك الزمان ـ سعد الله ونوس

أسماء الفائزين في مسابقة

(لاقوياء الملاحظة)

ريشة ـ سمكة ـ حذاء ـ بالونه ـ ايس كريم ـ قفاز جوانتي)

ـ لوحةلم تتم الرئيس احمد سيكتوري ـ غينيا

ـ دوري الكاريكاتير رقم ٨

ـ لعبة الظلال رقم ٣

ـ المثل بيقول : من شابه اباه فما ظلم هذا الشبل من ذاك الأسد

(أصل وصورة)

الشارب ـ الحاجب ـ العينان ـ الشعر ـ الأنف ـ الذقن ـ الأذن

(هات اجمل تعليق)

ممكن تعمل منها لي ديل حصان حتفضل تلف ودور ليه .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الاولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطري .
القارىء عادل السمعلي تونس

فاز بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطري
القارىء زين العابدين الكريم ـ المغرب

فاز بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطري
القارىء عز الدين عبد الرضي ــ السودان

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ طلال علي الانصاري ــ قطر
٢ ـ زينب جابر عبد الرضا ــ العراق
٣ ـ محمد ابو الخير احمد ــ ليبيا
٤ ـ احمد رامي القطان ــ الكويت
٥ ـ سالم محمد عبدالله معود ــ اليمن
٦ ـ احمد محمد عبدالمنعم ــ مصر
٧ ـ علام موسى ــ الجزائر
٨ ـ عمر ابراهيم عطية ــ الاردن
٩ ـ حسني محمد عبدالحميد ــ مصر
١٠ ـ رزق ابراهيم محمد ــ السودان

حل مسابقة العدد ١٠٣

١ ـ احمد يوسف عبيد ــ مصر
٢ ـ علي صالح الصادي ــ الاردن
٣ ـ صديق احمد عبدالقادر ــ الهند
٤ ـ هيثم عبدالكريم محجوب ــ السودان
٥ ـ محمد سعيد حميد ــ سلطنة عمان
٦ ـ عبدالمجيد حسن البلوشي ــ البحرين
٧ ـ ميزر خاشع سلطان ــ الكويت
٨ ـ سلطان حمد الرشيدات ــ السعودية
٩ ـ جمال الدين الفهد ــ قطر
١٠ ـ جميل ابراهيم فودة ــ مصر
١١ ـ شاهر على حمدان ــ الكويت
١٢ ـ اد غبري الحسين ــ المغرب
١٣ ـ وفاء أمين الشيخ ــ مصر
١٤ ـ أحمد عبدالمنعم ندا ــ مصر

* تواريخ علمية *

- ١٠٠٠,٠٠٠ ق . م . التاريخ المرجح لبدء العصر الحجرى
- ٣٥,٠٠٠ ق . م . تاريخ الانسان الأول
- ٨٠٠٠ ق . م . بدء العصر الحجرى الأوسط
- ٥٥٠٠ ق . م . بدء الحضارة على ضفاف النيل
- ٤٥٤١ ق . م . بدء استعمال التقويم الشمسي في مصر
- ٤٠٠٠ ق . م . بدء العصر الحجرى النحاسي في الشرق الأدنى
- ٣٠٠٠ ق . م . بدء العصر الحجرى البرونزى
- ٣٠٠٠ ق . م . بدء حضارة وادى السند
- ٢٩٠٠ ق . م . توحيد مصر كأول دولة في العالم تحت زعامة مينا
- ٢٧٥٠ ق . م . سرجون يؤسس أول امبراطورية في بلاد مابين النهرين
- ٢٦٥٠ ق . م . بدء عهد إنشاء الأهرامات في مصر
- ٢٤٥٠ ق . م . بدء إزدهار الحضارة السومرية
- ٢٣٠٠ ق . م . شعراء سومر يكتبون عن قصة الخلق الطوفان
- ٢١٠٠ ق . م . عصر حمورابي الذهبي في بابل
- ٢٠٠٠ ق . م . تحتمس يشيد الامبراطورية المصرية

سعيد حامد الجنيدى

عابدين ـ ج.م.ع

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسم : ....
العنوان : ....
....
اسم المسابقة : ....
رقم العدد : ....

« تحـذيـر »

التدخين يضر بصحتك
وننصحك بالامتناع عنه

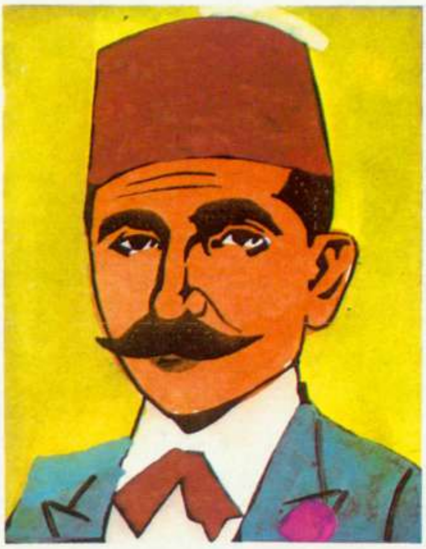


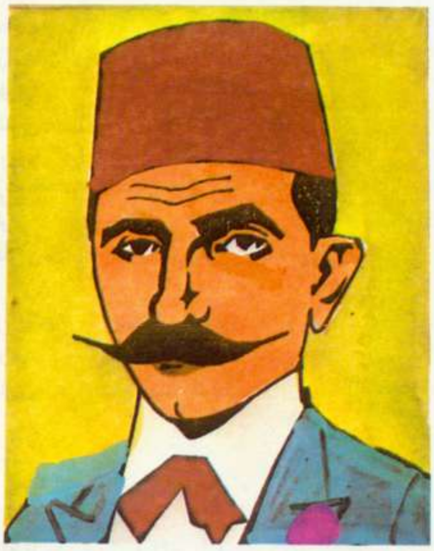
استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة:

رووف

أصل وصورة





كان الشيخ سلامة حجازى ذا صوت قوى مطبوعا على الغناء والتمثيل ، ويعتبر رائد الغناء في المسرح العربي ، وقد ظل عماد الغناء المسرحى في جميع الفرق التمثيلية حتى عام ١٩١٦ .. وبين أصل وصورة هذا الرسم للفنان هناك سبعة اختلافات طفيفة ، إذا تعرفت عليها لك جائزة

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبي عربي معروف ، هل تستطيع معرفته ، حاول لتحصل على جائزة

خيال من ؟



صاحب هذا الخيال سياسي بريطاني ظل في نظر مواطنيه رمزا للغير في الحرب العالمية الثانية .. من هو ؟ ..

لوحة لم تتم



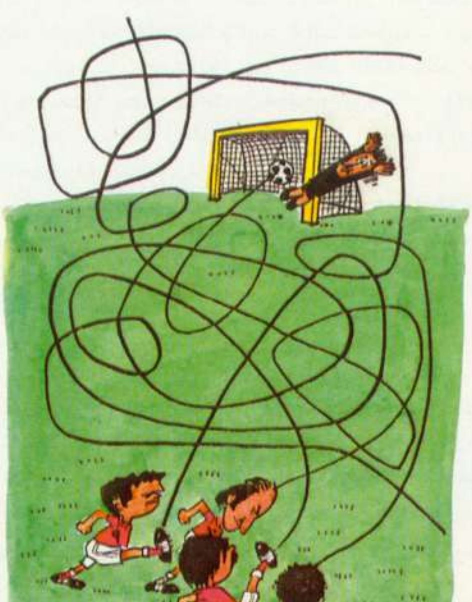
هذه اللوحة التي لم تتم لفنان عربي كوميدى ، استطاع من خلال مواقفه الضاحكة أن يتبوأ مكانة هامة في هذا الفن خلال السنوات الأخيرة . أكمل اللوحة ، وتعرف عليه لتحصل على جائزة

لعبة الظلال



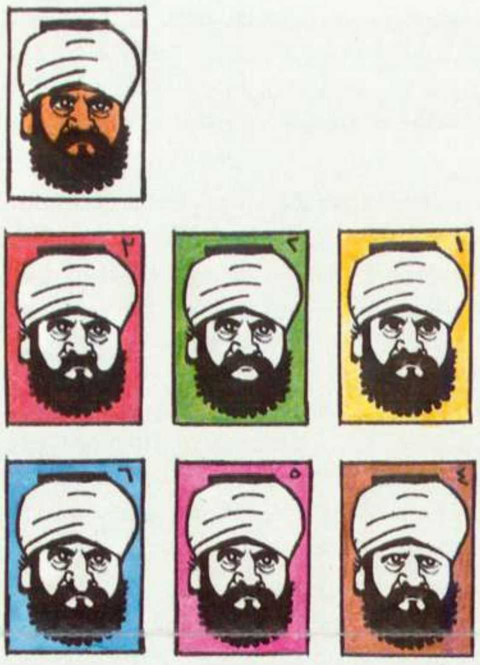
هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب في العثور على ظله الحقيقي ؟ .. حاول لتحصل على جائزة

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ ، وسجل هدفا قويا في مرمى الخصم ، حدد الهدف ورقم فانلته لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية المجاهد الكبير جمال الدين الأفغاني ، من بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تماما ، وفي البقية اختلافات بسيطة ، تعرف على اللوحة لتحصل على جائزة

الورقة الأخيرة

بقلم: عبد الله الجفري



الأزمة والإنسان

لكي نستخلص رؤية اقرب الى الشمول عن هذه (الازمة) التي تكاد ان تنال من روح الانسان ، وتكاد ان تعصف بفكره الخلاق والمبدع .. فينبغي ان نتلمس – في البدء – اسباب هذه الخلخلة التي زلزلت المفكر ، و (الفنان) على امتداد مساحة العالم العربي ، قبل ان آتي الى السؤال المطروح عن تخلف مسيرة ابداعاتنا الادبية هنا فوق اقليمنا الخليجي ، ثم انطلاقا الى المساحة العربية !

وفي البدء .. لابد ان نعترف ايضا ان الكثير من تلفتنا الثقافي والفكري ما زال يستقي ويستدان ويتلقى من المكتسبات الخارجية .. بمعنى اننا لم نزل حتى الان نعتمد على هذا (التلقي) كانه التلقين ، مما يصل الينا ونركض وراءه من فكر وادب التيارات الادبية في العالم الغربي والقليل من الشرقي .

اما عن العالم العربي .. فنحن تابعنا ودرسنا ولاحظنا العديد من المتغيرات في الفكر والادب والفن الكتابي .. تلك المتغيرات التي زاملت ، او تاثرت بالمتغيرات السياسية ، وما صاحب ذلك من انفلاشات تساقطت في الساحة العربية ، والتصقت بالمفاهيم وتلونت بها مناهج التعليم ، واضطربت فيها مسيرة الفكر والادب العربي الحديث .. كانما التطورات السياسية قد اخضعت الفكر والادب لكل المؤثرات في المجتمع !

وهذه الانفلاشات تنوعت بتنوع ما وفد الى المنطقة العربية من ايدلوجيات وشعارات متضاربة ، وتنوعت – كذلك – بتنوع ما عانت منه المنطقة العربية منذ منتصف السبعينات وحتى الآن من شروخ في وفاق السياسة العربية ، ومن (تقلبات) في المناخ الذي يتوجه بالكلمة العربية الى دعايات تخدم النظام السياسي ، وشعارات ذلك النظام وغيره ! .. فحدث التخلخل في عطاء ، وفي قدرة ، وفي تجليات المفكر والاديب والفنان العربي .

وبسبب تلك المعاناة ذات التاثير المباشر المستمد من الانظمـــة ، ومن ملاحقـات العجـز في قدرة النضـــال العربي .. حـدث أيضا هذا التسطيح للفكر ، وحدث هذا (الاقعاء) للابداع بالكلمة.

ولو ان العالم العربي كان يصارع غمط وخنق الديمقراطية – فقط – لامكنه عبر مفكريه وادبائه ان يحارب ذودا عن حرية الكلمة وتوهج الابداع .. لكن الكارثة التي لحقت بمسيرة الابداع قد تمثلت في تفشي (ادعاء) الديمقراطية من بعض النظم التي تسلطت على العالم العربي باسم الحرية والديمقراطية ، وكانت في حقيقتها ونواياها وتسللها تقوم بخنق الديمقراطية بواسطة ادعاء الديمقراطية والمناداة بها ! ولعلنا نتذكر هنا كلمة (شارلوت كوداي) : اه ايتها الحرية كم من جرائم ترتكب باسمك) !

وكانت النتيجة او المحصلة بالنسبة لنا هنا داخل اقاليمنا العربية .. اننا لكوننا لم نزل هذا الادب المتلقي ، فقد عانينا من الفراغ الفكري بعد انحسار الابداع والفكر من الساحة العربية .

اما عن العالم الخارجي : فان مستوى الترجمة قد ضعف في وسائل وصول المترجم الينا من فكر وادب اللغات الاخرى . ولعل ضعف او انحسار نشاط الترجمة الى العربية يرجع الى تهدم واحدة من تلك القلاع التي كانت تمدنا بالجديد مترجماً من العالم .. تلك القلعة كانت بيروت . والذين نزحوا عنها وهاجروا لم ينقلوا معهم ذلك الحس الثقافي والروحي عندما كانوا في بيروت مستقرين ويترجمون وينتقون .. بل انشغلوا بجدوى العيش والطرق التي توفر لهم البقاء وقتا اطول في الغربة – نظراً لرؤيتهم الابعد الى طول التمزق للارض اللبنانية ، فتحولت هجرتهم الى بحث عن (البزنس) والى تكثيف صحافي عبر المجلات المهاجرة .

كذلك .. فان ضعف وانحسار نشاط الترجمة الى العربية يرجع الى محنة قلعة اخرى من تلك القلاع التي كانت تعطينا – الى حد ما – الجديد مترجماً من العالم الخارجي .. تلك القلعة كانت مصر والترجمة فيها ومنها خضعت مثل التاليف والابداع والادب والفكر للمتغيرات السياسية ، ولقلب تربة مصر (وتطبيعها) يهودياً في المرحلة السياسية السابقة !

واذن .. فان تلقينا لكل ما كنا نتاثر به وناخذ عنه ونجاريه او نقلده ، او نحاول مواكبته .. قد تاثر بتلك الاسباب الهامة .

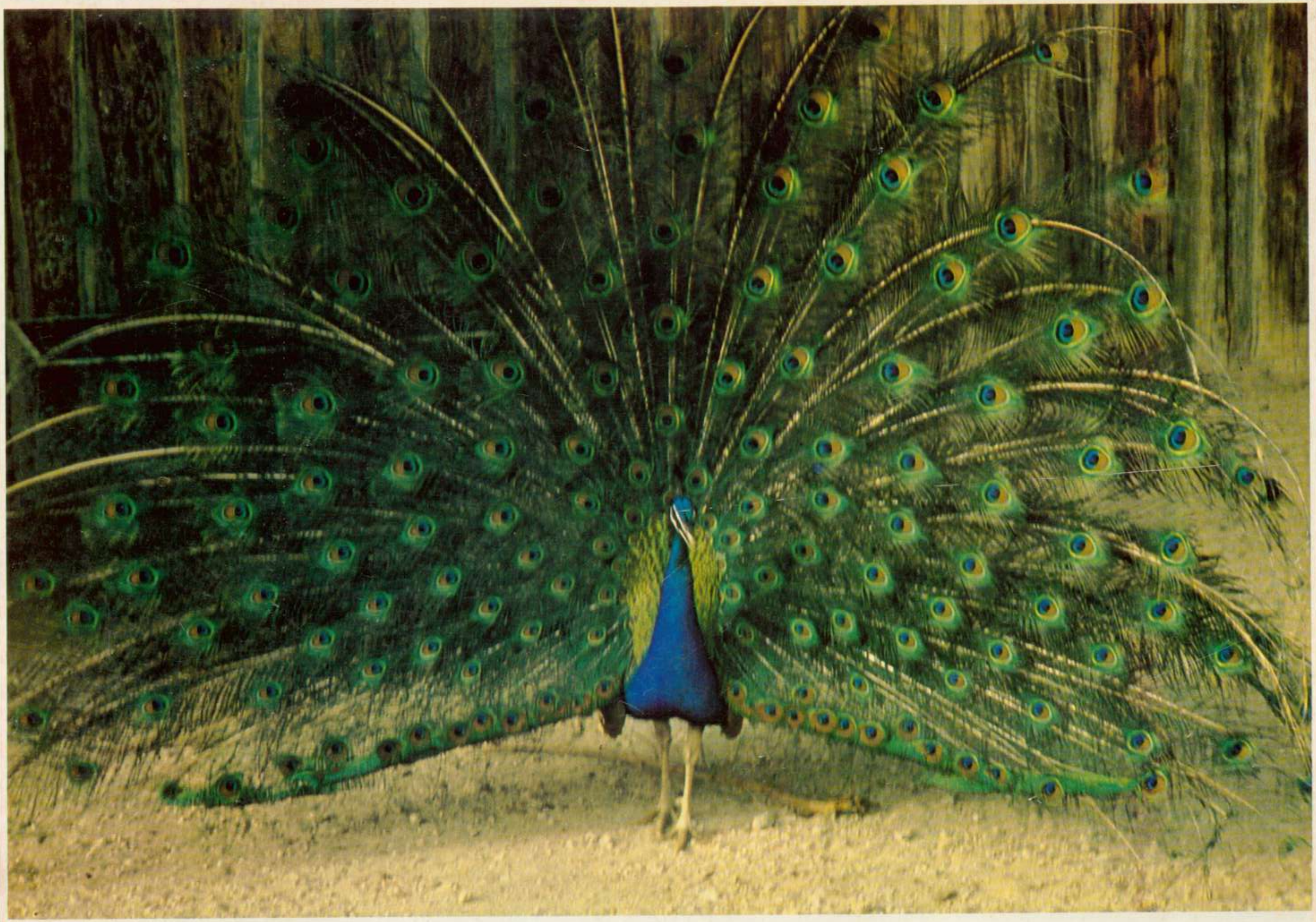
لكننا – رغم ذلك كله – لا يحق لنا ان نشير الى محاولة جادة .. كان الهدف منها بناء الشخصية الادبية الفكرية الفنية النابعة من طبيعة هذه الاقاليم ، والمتشربة برواء هذه الارض .. فبرزت مواهب من الداخل كانت تحمل مخايل الابداع والانطلاق داخل حدود كل اقليم ، ولكن هذا البروز لم يزل يرتبط بقدرة الجهود الشخصي للاديب وللشاعر وللكاتب وللفنان .. بمعنى اننا لم نزل نفتقر الى القاعدة التي يقف فوقها كل المواهب وكل المبدعين ، ونتلقى الدعم والمؤازرة والتوجيه والعون على فتح الابواب لها لتنطلق معروفة فى العالم العربي كوحدة فكر ، من وحدة الارض ، والدم ، واللغة ، والقضية .

نعم .. في بعض اقاليمنا العربية مسيرة نماء خيرة .. لمست بعصا سحرية الواقع الاقتصادي والعمراني والحضاري ، ولكنها تركت مسيرة تطور ابداعاتنا الادبية الاقليمية للمجهود الخاص او للمحاولات الطموحة والذهبية .

فلابد – اذن – ان يكون توجه القطاعات الثقافية ، ووزارات الثقافة في العالم العربي من اجل العطاء الثقافي لافادة الجيل العربي القادم !!


شاني
ماركة تجارية
SPARKLING
shani
TRADEMARK
FRUIT FLAVOUR
DRINK
NET CONTENTS 296ml


ميرندا
ماركة مسجلة
MIRINDA
TRADEMARK REG'D.
ORANGE



الطّاووس في الحديقة • تصوير: أمين بدوي

العدد ١٠٦ - محرم ١٤٠٥هـ - أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٤م

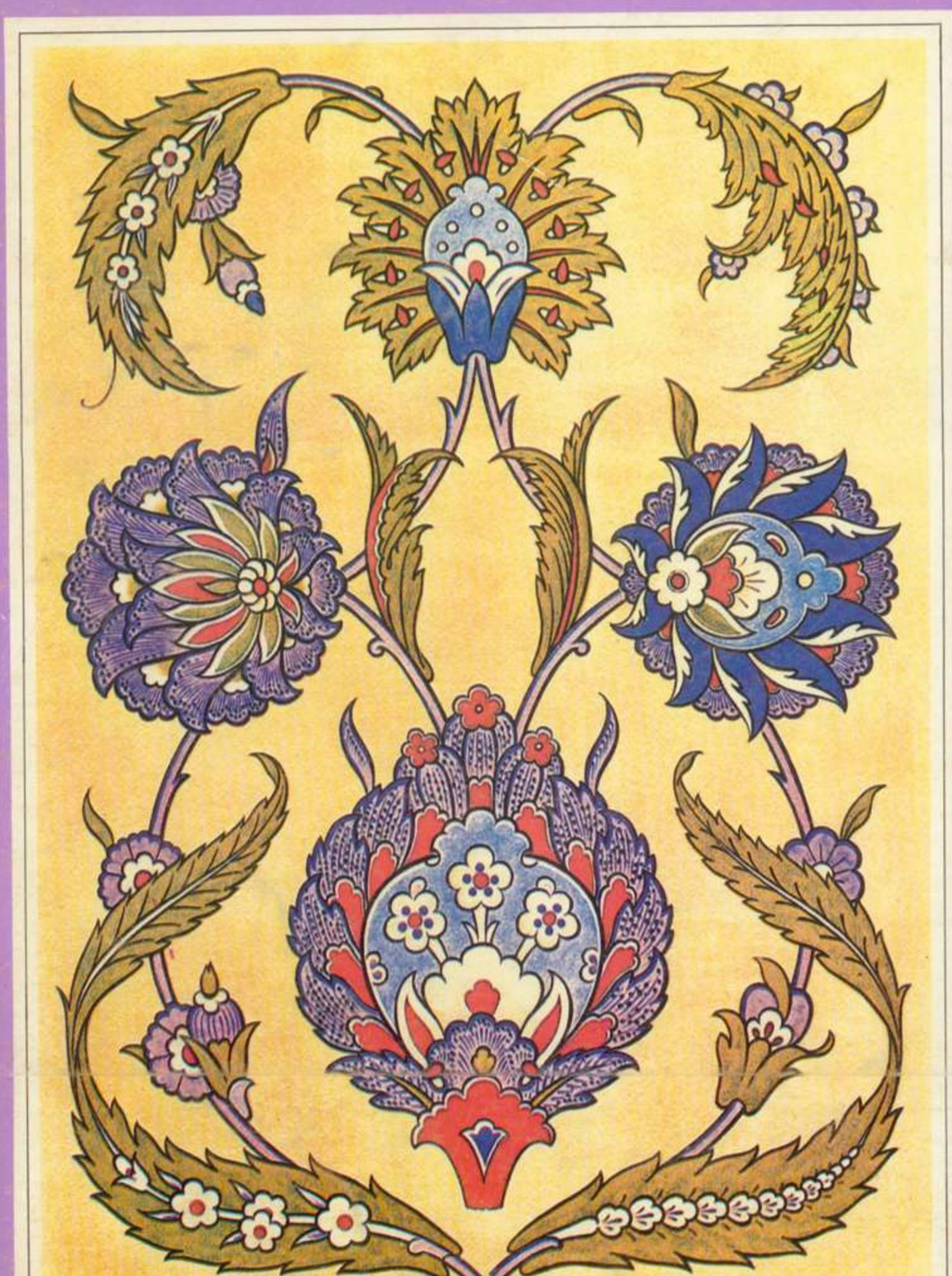
الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة

ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

● التضامن هو الحل

بقلم الدكتور محمد عبده يماني



● البحر الأحمر في العاصفة

بقلم: عصام شريح

● هل ينجح إيف مونتان في الوصول إلى رئاسة فرنسا؟

بقلم: محمود قاسم

● يومان لاينسيان في تاريخ الإنسان

بقلم: فتحي رضوان



إرو عَطشَك مَع

تيم

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١٠٦ - محرم ١٤٠٥هـ - أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة - قطر .

العنوان البرقي : المجلة - الدوحة

تيلكس : 4521 MAGDO DH -

تليفونات :

رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١

التحرير : ٤٤١٢٧٥

المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨

القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا

دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا

باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها

فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا

للدوائر الحكومية والشركات :

داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا

بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا

فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشأنها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

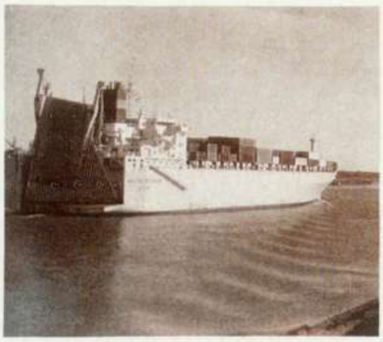
قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

مكاتب توزيع الدوحة

- **السودان :** دار التوزيع - ص . ب ٣٥٨ - الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء - القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات - برامكة ص . ب ٤٩٠٢ - دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان - شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ - بغداد .
- **ليبيا :** المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان - فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ - طرابلس - فرع بنغازى - ص . ب ٣٢١ - بنغازى .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ - عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ - المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ - جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ - الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ - بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ - صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع - ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى - عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع - شارع المطار الجديد أبو ظبي ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط - سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج - ص . ب ٤٤٠ - تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف - ص . ب ٦٨٣ - الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية - الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

في هذا العدد



البحر الأحمر : بحر عربى في عاصفة دولية (ص ٣٤)



صورة فاتنة للفارس العربى صلاح الدين الأيوبى (د . على الراعى ص ٤٢)



حوار مع شاعر الأرض المحتلة (ص ٧٠)

• دراسات ومقالات •

• شؤون الخليج •

• أدب وفنون •



أطباء عصر الفضاء (ص ٥٦)

• أبــواب •

الغلاف الأول : زخارف اسلامية من القرن السادس عشر

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

● المواد لا تعاد إلى مرسليها نشرت أو لم تنشر

المسيرة التربوية بين الأصالة والمعاصرة



بقلم
الشيخ محمد بن حمد آل ثاني
وزير التربية والتعليم

حققت دولة قطر منذ استقلالها انجازات عظيمة فى مختلف المجالات ، وخاصة مجالات التربية والتعليم ، وذلك بفضل الرعاية الخاصة التى يوليها حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير دولة قطر وسمو ولى العهد الامين الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى لهذا القطاع ، على اعتبار أن الانسان هو أغلى وأثمن ثروة موجودة على هذه الأرض ، وهو صانع الحضارات والانتصارات .

ولقد حظيت التربية فى دولة قطر بقفزات رائعة فى تطورها من حيث الكم والكيف ، وتوسع التعليم أفقيا ورأسيا حتى شمل جميع المناطق والمراحل بما فيها التعليم الجامعى ، كما شملت مجانية التعليم جميع مراحله ، بما فى ذلك التعليم العالى ، فى الداخل والخارج ، وتحسنت جميع مدخلات العملية التعليمية البشرية من ادارة تربوية وتوجيه ، وادارة مدرسية ، ومعلمين ، ووظائف ، وكذلك المدخلات المادية من مناهج وكتب ووسائل وأجهزة ومعدات وآلات وأدوات مدرسية .

ملامح المسيرة التعليمية

وتتميز المسيرة التربوية فى دولة قطر بعدة أمور من أهمها .. استقلالية الشخصية التربوية على اعتبار أننا أمة لها مميزاتها الخاصة بها كأمة عربية اسلامية لها عقيدتها السمحة ودينها الحنيف وحضارتها العربية وتراثها الأصيل وتاريخها الناصع وقيمها النبيلة . لذلك يجب أن يشب ابناؤنا على الولاء الوجدانى العميق لهذه الأمة وعلى الاعتزاز بالانتماء اليها انتماء لا يخالجه شك ولا يخامره تردد مهما كانت المصاعب والتحديات .

ومن هذا المنطلق نحرص فى مناهجنا على ترسيخ التربية الايمانية فى نفوس الطلاب من ايمان بالله الواحد الأحد وايمان بمبعث رسوله صلى الله عليه وسلم ، حيث يمثل هذا الايمان منهاجا وسلوك حياة ونموذج عمل وتعامل . وهذا واضح فى مناهج العلوم الشرعية من علوم القرآن الكريم والحديث الشريف والفقه والتوحيد والسيرة أو فى أى مادة من المواد أو أى ممارسة على المستوى الاجرائى فى العملية التعليمية . ويوضح الميثاق الاخلاقى لمهنة التربية والتعليم فى دولة قطر هذا الاتجاه بما لا يدع مجالا للشك .

بين الأصالة والمعاصرة

ونحن فى دولة قطر مع حفاظنا على أصالتنا وعراقتنا وتراثنا واعرافنا وتقاليدنا المستمدة من ديننا الحنيف ، بحيث تبقى لنا شخصيتنا العربية الاسلامية المتميزة ، لم ننس أننا نعيش فى النصف الثانى من القرن العشرين حيث التقدم العلمى والتفجر المعرفى والتطور التقنى وحيث يحمل كل يوم جديداً فى عالم تميز بازدياد الترابط وسرعة الاتصال ، لذلك فقد عملنا بحرص على التوازن بين هذا وذاك نرعى أصالتنا بعين ونرمق التجديد والتطور فى عصر الذرة وغزو الفضاء بالعين الأخرى

التقنيات التربوية والحاسب الآلى

لذلك فان بيئتنا المدرسية المحافظة تتميز بمناهج متطورة

وكتب مدرسية متجددة وتقنيات تربوية من أحدث ما وصلت اليه التكنولوجيا الحديثة ومستحدثات تربوية على مختلف المستويات .

ونظرا لأهمية التقنيات التربوية فى تيسير المعرفة وترسيخها وتثبيتها فى أذهان الطلاب فقد أولى هذا الجانب اهتماما كبيرا من قبل الوزارة . ولعل من أهم نتائج خطة التطوير أننا أصبحنا نعتمد على انتاجنا الذاتى لكثير من التقنيات التربوية واكثر من ٨٠ فى المائة من الوسائل التعليمية .

ولقد أنشأنا هذا العام ادارة خاصة بالتقنيات التربوية تضم الوسائل التعليمية والتلفزيون التربوى .

كما شكلنا هذا العام لجنة برئاسة السيد وكيل الوزارة لمتابعة استخدام الحاسب الآلى ودراسة امكانية توظيفه فى مجالات التعليم فى دولة قطر وتحديد مجالات الاستخدام واستراتيجية التنفيذ وأساليب وأسس التوسع فى المستقبل واعتماد برنامج التدريب واعداد الكوادر المحلية وتوفير مستلزمات وامكانيات التدريب .

تطوير البيئة المدرسية

لقد أصبحت البيئة المدرسية بالنماذج الجديدة المطورة للمدرسة القطرية ، والتى تعاونت فيها الوزارة مع وزارة الأشغال العامة ومنظمة اليونسكو ، موضع اعتزاز وفخر ، بما تحويه من تسهيلات تعليمية ذات كفاءة ، ومن تكامل جعلها أكثر جذبا لأبنائنا الطلاب .. فهناك ، الى جانب الصفوف كل التسهيلات التعليمية من مختبرات لغة ومختبرات علمية وصالات رياضية مغلقة وصالات متعددة الأغراض ومراسم ومكتبات وحدائق مدرسية وملاعب وساحات الى غير ذلك .

تطوير اعداد المعلم وتدريبه

لقد كان إعداد المعلم القطرى محصورا بدار المعلمين العامة للمعلمين والمعلمات ؛ وأصبح إعداد المعلم يتم الآن من خلال كلية التربية للبنين وكلية التربية للبنات للمرحلتين الاعدادية والثانوية . ثم انشأنا برنامجا لبكالوريوس التربية للتعليم الابتدائى ، فأصبح معلم المرحلة الابتدائية وكذلك معلمتها من حملة المؤهلات التربوية العالية . وبالاضافة الى ذلك أنشأنا الدراسات المسائية فى كلية التربية لا ستكمال تأهيل المعلمين القدامى وكذلك تأهيل المعلمين الذين ليس لديهم مؤهلات تربوية من خريجى الكليات الأخرى .

ونظرا لأهمية تدريب المعلم فى اثناء الخدمة لصقل خبراته ومعارفه ، واطلاعه على كل جديد فى المادة والأسلوب ، فقد انشأنا قسما للتدريب التربوى حيث يتولى هذا القسم بالتعاون مع جامعة قطر تدريب حوالى الفي معلم ومعلمة سنويا .. وتشمل الدورات التدريبية جميع التخصصات وجميع المراحل .

وبالاضافة الى ذلك تم تطوير معظم النظم التربوية كنظام الامتحانات للطلاب النهاريين والليليين ونظام الرعاية الاجتماعية ورعاية الموهوبين والمعوقين ونظم النشاطات المدرسية . وتجرى الآن دراسة نظام الفصلين الدراسيين وكذلك نظام المقررات الدراسية .

وقد رأينا أن نقرن التراث بالتحديث من أجل دفع المسيرة التربوية الى غايتها المنشودة حتى لو كان هذا التحديث مقتبسا عن الأمم الغربية .. ولنا فى أجدادنا أسوة حسنة حين كان هؤلاء الأجداد قادة العلم والمعرفة وذلك بفضل اقبالهم للاستفادة من خبرات الأمم السابقة وتراثها العلمى والفكرى والتربوى ، فنقلوا عن اليونانية والسريانية أمهات الكتب فى المنطق والفلسفة والطبيعيات ، فحققوا بذلك نهضة لا تزال مآثرها حية حتى اليوم اما حين تقوقع الأجداد على انفسهم وأقفلوا باب الاجتهاد فقد قضوا على سر عبقريتهم واتاحوا لتلاميذهم الأوربيين ان يتفوقوا عليهم .

ان الاستراتيجية التربوية فى دولة قطر قد أخذت على عاتقتها ــ فى ظل الاستقلال ــ أن تعى هذا الدرس وتستخلص منه العبرة ؛ فعملت على ان تقوم على دعامة قوية من التراث تحفظ لها هويتها وتحقق شخصيتها ، وعلى دعامة أخرى من التحديث تحفظ لها قدرتها على اللحاق بركب الحضارة .

وقد حرصت الاستراتيجية التربوية فى ظل الاستقلال على توسيع القاعدة التربوية الى اقصى مدى ممكن . وظل هذا التوسع فى ازدياد ونمو عاما بعد آخر حتى وصل هذا العام إلى نتائج طيبة بالقياس الى عمر التعليم فى دولة قطر .

فقد بلغ عدد الطلاب والطالبات فى هذا العام ٥٠٠٣٦ طالبا وطالبة فى المراحل الابتدائية والاعدادية العامة والثانوية العامة والمراحل التخصصية ، منهم ٣٠١٧٤ طالبا وطالبة فى المرحلة الابتدائية ، ١١٨٤٧ فى الاعدادية العامة ، و ٧٤٠٤ فى الثانوية العامة ، ٦١١ فى المراحل التخصصية .. ومن بين هؤلاء الطلاب ٢٥٨١٩ طالبا ، ٢٤٢١٧ طالبة .

ولئن كانت هناك مسافة لا تزال باقية بين الطموح والواقع ، فاننا واثقون أن مثل هذه المسافة ستضيق شيئا فشيئا ، حتى نستطيع أن نصل فى المستقبل القريب الى الهدف المنشود ، وليس هناك من شيىء يعيقنا عن ذلك ، بعد أن أولى حضرة صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد آل ثانى أمير البلاد المفدى ــ حفظه الله ورعاه ــ وسمو الشيخ حمد بن خليفة آل ثانى ولى عهده الأمين ، جل عنايتهما ورعايتهما للناشئة من أبناء الشعب القطرى ، الذين هم نصف الحاضر وكل المستقبل ، لكى نصل الى مانصبو اليه جميعا من رفعة وعزة ومنعة وازدهار لهذا البلد العزيز .

والله نسأل أن يوفقنا الى مايحبه ويرضاه .

بين الكاوبوي الأمريكي والدب الروسي ـ ٤

التضامن هو الحل



بقلم: الدكتور محمد عبده يماني

هناك اجماع لا جدال حوله على تقسيم القوى العالمية في عصرنا الراهن الى قوتين اثنتين ليس غير: القوة الأمريكية، والقوة السوفيتية.

أما باقي القوى، مهما بلغت، فانها تصنف اما على أساس دورانها في فلك احدى القوتين الكبيرتين، أو على أساس أوضاعها «الاقليمية» في المناطق التي توجد فيها.

ولقد ذهب المعلقون والمحللون الى وصف القوتين الكبريين بكلمات توحى وكأنه ليس فى الدنيا سواهما، فقيل «القوتين الأعظم» وقيل «القوتين الأكبر» وقيل «القوتين العظيمتين».. وقيلت أوصاف كثيرة اخرى.. ونحن لا نجادل في مدى صحة تلك الأوصاف ولا في مدى استحقاق كل من القوتين لهما..

ولكننا نجادل تجاه هذه الحالة الغريبة من التسليم بتلك الأوصاف وكأن القوتين الأعظم قد استباحتا الأرض وما عليها لأطماعهما وكأن ليس على سطح البسيطة سواهما، وكأن الوقوف في وجهيهما أمر مستحيل، وان على الدول الأخرى أن تختار بين هذه وتلك من القوتين تنضوي تحت لوائها وتحتمي بظلها أو يكون مصيرها الضياع والدمار..

ذلك أن سبب قوة أمريكا وروسيا هو بالذات ـ وفي نفس الوقت ـ سبب ضعفهما..

وقد تحدثت في المقالات السابقة «الدوحة: ابريل و يونيو ويوليو ١٩٨٤ م» عن آثار وممارسات الكاوبوي الأمريكي التقليدية.. والتي حفرت في أعماق الشخصية الأمريكية، وأدت الى نشأة اجيال مشبعة بروح الكاوبوي ـ تؤمن بالمسدس، وسرعة الحركة وسيلة للتعبير عن الذات.. وفي الطرف الآخر يقف الدب الروسي ضخم الجثة، بطئ الحركة، قوي الضربة (محباً للعسل) وحتى اكتملت المأساة في عالمنا المعاصر.. الكاوبوي الأمريكي من ناحية، بمسدسه سريع الطلقات، والدب الروسي بضخامته وهيامه بالعسل من ناحية أخرى.. وفي هذا المقال الأخير... احاول وضع تصور عن أبعاد العمل في المرحلة القادمة.

وهكذا رأينا أن الاتجاه الى التكتل الدولي، على أوسع نطاق، رغم التناقضات

ورغم الخصومات التاريخية والعداوات التقليدية ، هو السمة المميزة للعصر الذي نعيش فيه تستوي في ذلك الدول المتحضرة والدول المتخلفة والدول الكبرى والدول الصغرى لأن كلاً منها يشعر بأنه لا يستطيع الوقوف وحيداً في ساحة تتصارع فيها الوحوش البشرية لدرجة الموت ، وتتكشف فيها المطامع والأهداف العدوانية الى درجة التدمير .

وحتى العملاقان ــ الكاوبوي بمسدسه ، والدب بمخالبه ، يبذلان جهوداً مستميتة لاكتساب الأعوان والحلفاء والأصدقاء ، لأنه لم يعد للفرديين والانعزاليين مجال في عالم الثورة الاليكترونية والكومبيوتر والصعود الى الكواكب .. وعلى أهل الأرض جميعاً أن يختاروا لهم طريقاً .. مع الكاوبوي .. أو مع الدب .. أو مع بعضهم البعض .

فالتكتل والتضامن هو الحل ، والمهم هو اختيار اتجاه التكتل وتحديد جهة التضامن ، وما من شك في أن كل دولة تتجه الى هذا المعسكر أو ذاك ، أو ــ تعمد الى الدخول في تكتلات إقليمية ، انما تنطلق في ذلك من اوضاعها البشرية والجغرافية والاقتصادية والسياسية ، ومن عوامل اخرى لا تخفى على القارئ .

ولو أردنا أن نسرد تاريخ دول أمريكا الوسطى والجنوبية خلال مائتي سنة خلت ، لتبين لنا أن هذا التاريخ ــ منذ بدايته وحتى يومنا هذا ــ إنما هو صراع مكشوف ومستتر ، ما بين تلك الدول والولايات الامريكية ..

فالولايات المتحدة لا تفهم من منطق التعاون الدولي سوى « الاحتواء » وهو الأمر الذي رفضته شعوب أمريكا اللاتينية ، فكان هذا الرفض سبباً في سلسلة الانقلابات ، والثورات ، والاضطرابات ، والفوضى التي كانت ــ وما تزال ــ تجتاح معظم تلك البلاد ، في صراع ضد الهيمنة الأمريكية وأعوانها في الدول الامريكية اللاتينية ، وما يستتبعه ــ بالضرورة ــ من تنصيب « العملاء » حكاماً ، ثم سقوط أولئك العملاء ، بشكل أو بآخر ولسبب أو لآخر ، ومجيئ سواهم ، لتعود الدوامة الى الدوران من جديد ، فاذا كان الحكام الجدد محل الرضى الأمريكي اشتعلت النار ما بين العميل الحاكم وبين شعبه ، واذا لم يكونوا كذلك هبت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية لاسقاط أولئك الحكام تحت مختلف الحجج وبمختلف الوسائل ، حتى ولو أدى ذلك الى ارتكاب عملية قتل علنية كما حدث مع رئيس التشيلي السابق « الليندي » ..

ولأن أوربا الغربية أكثر تحضراً وثقافة ووعياً ، فقد كان مسار علاقاتها مع أمريكا يتسم ، ظاهرياً ، بالتفاهم والانسجام ، ولكنه لا يلبث أن يتفجر على شكل خلافات حادة ، كما حدث أيام ديجول ومن تلاه من الرؤساء الفرنسيين .. وما أعقب ذلك من هزات عميقة أصابت المؤسسات الأوربية الوحدوية كالسوق المشتركة والبرلمان الأوربي وغيرهما .

ولولا أن لامريكا صديقين مطيعين في المجموعة الأوربية ــ هما بريطانيا أولاً والمانيا ثانياً ــ لكانت العلاقات الأمريكية ــ الأوربية أسوأ بكثير مما هي عليه الآن .



الليندي سلفادور



شارل ديجول

أما بالنسبة للسوفييت فالمسائل تعالج بشكل آخر فيه نسبة عشرة في المائة من السياسة وتسعون في المائة من العنف ..

فالعلاقة بين السوفييت وحلفائهم هي علاقة تقوم تحت مظلة من حراب الجيش الأحمر ودباباته وطائراته وصواريخه .. فالحوار ممنوع ، والتفاهم لا سبيل اليه ، والرأي لا قيمة له ، والموقف الذي يشتم السوفييت منه شيئاً من التفكير في الانعتاق يسحق في الحال بالدبابات ولو أدى ذلك الى ابادة أي عدد من البشر أو هدم مدن بأكملها على رؤوس أصحابها ، وشواهدنا في ذلك ما حدث في المانيا الشرقية ثم في المجر ثم في تشيكوسلوفاكيا وبولندا .

وبالمنطق نفسه تدفقت آلات الحرب السوفيتية على أفغانستان لفرض نظام مرفوض من قبل الشعب بقوة الحديد والنار ، ولا زال في أفغانستان قائماً على النحو الذي نعرف .

ولقد أشرت من قبل الى المؤسسات التضامنية لدول ما يسمى بـ « العالم الثالث » ما بين منظمات وجامعات وهيئات لعدم الانحياز وللدول الأسيوية والدول الافريقية والدول العربية وتبين لنا أن المنظمات التي لا تستهدف مصالحنا الحقيقية ، مسلمين وعرباً ، بشكل مباشر تعتبر منظمات « رمزية » أكثر منها عملية تستطيع أن تحقق لنا السلامة وسط غابة الوحوش المتصارعة في معظم بقاع الأرض .

ولعل الحقيقة الأولى التي يتوجب أن نستوعبها بأعمق ما يمكن من الفهم ، هي ان امة الاسلام هي الأمة الوحيدة في العالم ذات المؤهلات والمسوغات التي تسوق ــ تلقائياً ــ إلى أن التضامن والتعاون والتفاهم هي الحالة الطبيعية التي يجب أن تكون ، وأن خلاف ذلك هو حالة شاذة يجب أن يوضع لها حد ، ويوجد لها حل ، وأن يقضى عليها من غير تردد .

فالتضامن ــ كما معروف ــ هو من أسس الايمان ومقوماته ، والإسلام يأمر بالتضامن ، ويحث على التعاون والاخاء ،

٤ - التضامن هو الحل

ويذكر المسلمين أننا أمة واحدة ، وأن رضى الله سبحانه وتعالى هو جزاؤهم الأكبر إذ يصدقون بموجبات التضامن ، مع التحذير الشديد من التباعد والفرقة ، والنهي عن العداوة والتنابذ .

فأن نتضامن ، معناه أن نعبر عن صدق إيماننا ، وأصالة انتمائنا الى دين الحق ، وأن نتباعد معناه أن نغفل أحد أسس الإسلام ، وأن ندع أنفسنا للرياح ، شرقية وغربية ، تجذبنا هنا وتطوح بنا الى هناك ونحن ـ في جميع الأحوال ـ لا حول لنا ولا طول .

نحن لا تهمنا دعوات أمريكا لانشاء الأحلاف ، و « الاحزمة » حول بلاد السوفييت بحجة حماية « العالم الحر » ..

ولا تهمنا محاولات السوفييت لاقامة نظم موالية لهم ، واشعال نار الاضطرابات تضامناً مع ما يسمونه « الثورة التحررية العالمية » ..

فكلا الجهتين لا تهتم بأمرنا إلا بمقدار ما تفيد منا ، ولا تنظر إلينا أكثر من نظرتها الى موارد الطاقة ، والى وقود لصراع قد يقع بينها وبين الدولة الأخرى ، تتقي شرورها بنا ، وتحتفظ برأسها ـ وقت الصراع ـ سالماً على حسابنا .

ولا تخدعنا ، بأية حال من الأحوال ، دعوات هؤلاء ولا دعايات أولئك ، حول « السلام » و « العدل » و « حقوق الانسان » و « ميثاق الأمم المتحدة » و « ميثاق الاطلسي » (هل تذكرونه ؟) و « الحريات الاربع » .. وكل ذاك اللغو الذي لا يزيد عن أن يكون بضاعة مرحلية تتاجر بها الدولتان الكبريان كلاهما ، من أجل تحقيق مصالحهما الذاتية ليس غير ، دون أدنى اهتمام بالنظر في مصالحنا .

هذه حقائق لمسناها وعايشناها في مناسبات كثيرة ، لعل أهمها وأكثرها تأثيراً موقف الدولتين ، كلتيهما من صراعنا التاريخي مع العدو الصهيوني . فما من منطق يبرر أكبر جريمة في التاريخ ـ وهي جريمة انتزاع فلسطين من أهلها ـ على يد الدولتين الكبريين بالذات ، وتعاونهما ـ لاول مرة وآخر مرة ـ معاً في الأمم المتحدة ومجلس الأمن وعلى الطبيعة لسلب الحق العربي وفرض الباطل الصهيوني .

فلا خير لنا ـ إذن ـــ يرجى من أي من المعسكرين ، والخير ـ كل الخير ـ في أن نعرف مصالحنا ونتجه إلى أخوتنا ، فنتضامن ونتعاضد ونتكاتف ، ونشكل الكتلة الاسلامية الدولية الحقيقية التي لا يقتصر نشاطها على الأمم المتحدة وحدها (وهو نشاط مذكور ومشكور) وانما يمتد إلى جميع نواحي الحياة .

التضامن الإسلامي هو الحل .. ولا حل سواه بالنسبة لنا كمسلمين ، وكعرب ضمنا ...

ولو أنك وقفت أمام خارطة تمثل ما بين المحيط الهادئ والمحيط الاطلسي لكان أول ما يلفت انتباهك هو ذلك الامتداد المهيب للعالم الاسلامي ، من اندونيسيا في أقصى الشرق إلى المغرب والسنغال في أقصى الغرب .

وهو امتداد متواصل لا يقطعه سوى السرطان الصهيوني الذي أقيم عند موقع التقاء القارتين الاسيوية والافريقية ، وهذا ـ بالتحديد ـ ما أراده أعداء الاسلام حين زرعوا ذلك الجسم الخبيث في قلب العالم الاسلامي ..

ولو اعتمدت الأرقام وسيلة لحصر امكانات العالم الاسلامي لبلغت ارقاماً عالية لا تدانينا فيها أمة أو مجموعة أمم في العالم ..

فمن حيث الكثافة البشرية نكاد نبلغ ضعف الكثافة الروسية والأمريكية معاً .. ومن حيث الثروات الطبيعية من زراعية ومعدنية نملك منها ما لا يكاد ينفد معينه الى بضع مئات مقبلة من السنين ...

ومن حيث الامكانات الصناعية والانتاجية تنفتح الآفاق أمامنا لكي نفعل الكثير إنتاجياً واستهلاكياً ..

ولو جمعنا القوى المقاتلة التي نستطيع ان نحشدها ، كما كنا نفعل أيام الأمجاد الاسلامية لاجتمع لنا جيش ربما لا يدانيه ، من حيث العدد ، جيش في الدنيا .

ولو .. ولو .. الى آخر تلك الافتراضات التي نخرج منها دائما بنتائج تدعو للتفاؤل والارتياح .. خلافاً لما قد يتبادر للذهن أول وهلة ..

لماذا ـ اذن ـ لانحقق أهدافنا في الوقوف قوة عالمية عظمى لها وزنها ولها كلمتها ولها هيبتها واحترامها ؟

والجواب نجده ـ للأسف ـ من خلال وقفة أخرى نقفها أمام خارطة العالم الإسلامي .. من المحيط الى المحيط ..

إنك لو أمسكت ورقة وقلماً ، وحاولت أن تستعرض نقاط الخلاف ونقاط الوفاق القائمة فعلا بين بعض الدول الاسلامية لروعتك النتيجة .. فتلك الدول تشغل نفسها في خلافات فيما بينها لا قيمة لها ولا وزن ، ومع هذا فانها تستهلك جهدها ومالها ، وأحياناً طاقاتها العسكرية ، وتصرفها عن الأمور ذات الأهمية الحقيقية ..

ولو حاولت أن تعرف أسباب تلك الخلافات لكانت نتيجة ذلك أكثر ترويعاً .

فأنا لم أقتنع قط بأية حجة أدلى بها المختلفون فيما بينهم في تبرير خلافهم مع هذا الشقيق المسلم أو ذاك .

كلها حجج مصطنعة ، وأسباب واهية ـ غير بعيدة في الواقع عن الاصابع الأجنبية الغربية ـ ويمكن أن تحل في لحظة واحدة إذا كانت الإرادة صادقة والنية سليمة .

ولا أريد أن أذكر أسماء هنا ، فكل قارئ يعرف تلك الأسماء ، ولكنني أناشده أن يوجه تفكيره ـ بضع دقائق فقط ـ إلى عوامل الخلاف بين بعض الدول الاسلامية ، ثم يفيدني عن مدى قناعته بجديتها واستحقاقها للاستمرار والبقاء .

انني على أتم اليقين بأن الجواب سوف يكون أنه لا شئ يرقى الى مرتبة الجدية ، وأن كل شئ يمكن حله وتصفيته في دقائق اذا ....

فالحرب الدائرة في الخليج الآن .. ما من أحد يعرف لها سبباً ولا أحد يعرف لها هدفاً ، ومع هذا فقد استنفدت أكثر من مائتي مليار دولار حتى الآن ، أخذها تجار السلاح وصانعوه في أوربا وأمريكا وروسيا ، وراحت عشرات الالاف من الضحايا ، عسكريين ومدنيين ، وتعطلت مسيرة التضامن الاسلامي في هذا الجزء من العالم دونما سبب مفهوم ، أو هدف معلوم ..

اننا نسجل ــ بكثير من الالم ــ أن الجهد والمال والسلاح والوقت الذي أهلك في تلك الحرب التي لا معنى لها كاف لأن يقضي على اسرائيل عشر مرات على الاقل مع ما تملك من سلاح وامكانات عسكرية ...

ترى هل استمرار اشتعال هذه الحرب اشارة لاسرائيل كي تطمئن ، وبالتالي كي تسدر في عربدتها وعدوانها في لبنان وغير لبنان .. ؟ ..

لقد كان من أولويات ميثاق التضامن الاسلامي أن الامور الداخلية لكل بلد إسلامي هي من شأنه وحده ، ولا يسمح بالتالي بلد إسلامي ما لنفسه أن يدس أنفه في شئون سواه ، فاذا ما نظرنا الى حالة العالم الاسلامي اليوم ودققنا في أبعاد الاعتداءات والتدخلات والهجمات المختلفة بين الدول الاسلامية ، لوجدنا أسئلة كبرى .. تبقى حائرة بدون إجابة ، لمصلحة من تتم هذه التدخلات في الشئون الداخلية لبلد اسلامي من بلد اسلامي آخر وأي سند لها ؟ وعلى أي حكم من أحكام الدين تعتمد ... ؟

ولماذا لم تفلح المؤسسات .. والتنظيمات الاسلامية في وقف هذا النزيف ومنع هذا البلاء الذي يعصف بأبناء هذه الأمة .. ويضعفها .. ويهدر امكاناتها ؟

إنه سر آخر من أسرار العجز الاسلامي ، والعربي ضمناً ، حين نرى السلاح يمتشق لتقاتل الاخوة ، واعداؤهم الحقيقيون يسرحون على هواهم في فلسطين وما جاورها ، وفي منطقة الخليج ، وفي افغانستان ، وفي بقاع اسلامية وعربية أخرى .

إننا لا نفهم ــ ولا نقر ــ منطق أي مسلم يرفع السلاح في وجه أخيه المسلم مهما كانت المبررات ولا نغفر ــ ولا نتسامح ــ أن يتخذ بعض المسلمين الاقتتال وسيلة لحل الخلافات في شئون يمكن حلها في جلسة واحدة تصفو فيها النية وتصدق الارادة .

فالتضامن الاسلامي هو الحل الذي تستطيع كل دولة اسلامية أن تجد فيه خلاصاً من بعض مشكلاتها وكل خروج عن مقتضياته إنما هو بمثابة تعطيل للمسيرة الاسلامية ، وتخريب للجهود التضامنية وإهدار للوقت والجهد والمال والأرواح فيما لا طائل تحته .

لقد خاضت دول أوربا حرباً طاحنة ضد بعضها (١٩٣٩ ــ ١٩٤٥) راح ضحيتها أكثر من عشرة ملايين نفس ، ودمرت دول ومدن ، وأهدرت مليارات الدولارات ، وطالت آثارها كل بقاع الارض تقريباً .

اليوم نجد هناك من يقول أن تلك الحرب لها مبرر ــ تصور ــ وأنه كان في الامكان تلافيها بشئ من الحكمة والتفاهم ، لا سيما بعد مآسي الحرب العظمى التي سبقتها (١٩١٤ ــ ١٩١٨) ووجه كثير من الباحثين والمحللين جهودهم لتقصي الكيفية التي تطورت فيها الحرب



هتلر

الى المدى الذي وصلت اليه ، وخرجوا بتلك النتيجة التي أشرنا اليها .

بل ان هتلر نفسه ــ وهو المتهم باشعال نار الحرب ــ قال في وصيته التي عثر عليها في مقره بعد اختفائه « اللعنة على من أشعل نار هذه الحرب » وهو بذلك يشير الى « الأصابع الخفية » التي لعبت لعبتها دون انتهاء الحرب العالمية الأولى التي أذلت المانيا وقيدتها بقيود لا يمكن إلا أن تؤدي إلى حرب جديدةوهو ما جرى فعلاً .

أريد أن أقول أن الحرب هي أبشع جريمة ترتكبها دولة تستطيع أن تحل مشكلاتها مع الآخرين بالتفاهم والنية الطيبة ، فكيف يكون الحال اذا كانت الدولتان شقيقتين وجارتين ومسلمتين .. ؟

وأخيراً ..

أعود وأقول ، انه وسط أزيز رصاص الكاوبوي الأمريكي ، ووقع خطوات الدب الروسي ، في هذا الزمن لا مصلحة لنا ، نحن المسلمون ، في حلف مع هذا أو معاهدة مع ذاك ، فأحلافنا نعقدها فيما بيننا ومعاهداتنا نبرمها فيما بيننا وخلافاتنا ، يجب أن نحلها فيما بيننا .

فنحن أقوياء بقدر ما نتضامن ونحن ضعفاء بقدر ما نتباعد .. نحن أقوياء بالله ، وبديننا ، ثم بأنفسنا وبأصالتنا .. ووعينا .. وحسن إستخدام إمكاناتنا ..

ونحن ضعفاء إذ نغفل عن أن التضامن والتواد والتراحم هي بعض ما أمرنا به ديننا القويم .. واذ نعي ذلك ، ونعمل به ، فليس يهمنا ــ بعون الله ــ أن يطلق الكاوبوي الامريكي مسدسه في أي اتجاه .. ولا أن يسير الدب الروسي في أي مكان ما دمنا قادرين ، بتضامننا وتعاوننا على العمل المخلص ــ الصادق .. البناء وأن نكون كالجسد الواحد .. اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر .. عندها ندعو .. ونناي بأعلى أصواتنا ..

اللهم .. اللهم نصرك الذي وعدت ، وعندها تكون الاجابة .. ويكون العون فذلك وعد الله .. ولن يخلف الله وعده ..

محمد عبده يماني

يومان لا ينسيان في تاريخ الإنسان

بقلم : فتحي رضوان

وأعني بهما يومي السادس والتاسع من شهر اغسطس ١٩٤٥ ، اليومين اللذين القيت فيهما أولى قنبلتين خرجتا من جحيم الانسان ، لتقتل وتدمر وتحرق وتبدد وتجرح وتعمي مئات الألوف من البشر : ابرياء ، لم يرتكبوا إثماً ، ولم يسفكوا دماً ، ولم يشاركوا في الحرب بأية وسيلة ، ولا على أية صورة .

اعني بهما اليومين اللذين سقطت فيهما قنبلتان من طائرتين امريكيتين على شعب هيروشيما ونجازاكي ، فابادتا المدينتين ، وكل من فيهما من آدميين ، وما يملكونه من متاع الحياة اليومية ، والنفائس والتحف والطرائف والكتب والسيارات والملابس ، وكل ما يخطر على بال .

هذان يومان لا يشبههما يوم آخر منذ ما دبت قدم الانسان على هذه الأرض ، وهي مدة تحسب بالملايين ، شهدت الحروب والفواجع والتطورات والانقلابات ، ومع ذلك فليس في هذه الملايين من السنين التي قفز خلالها الانسان الى العمر بعد الحبو على سطح الأرض ، والسير الوئيد والجري النشيط ، فوق القمر الذي كان ينظر اليه الناس وينظم فيه شعراؤهم القصائد الجميلة وهم يحسبونه ابعد من أن يصل اليه آدمي ، وان حظ ابناء آدم سيبقى منه أن ينظروا اليه ويتمتعوا بالتأمل فيه ، والسبح في الخواطر التي يبعثها في نفوسهم ضوؤه الجميل .

ولكن يومي ٦ و ٩ اغسطس سنة ١٩٤٥ جاءا ليثبتا أن في جعبة الانسان اشياء تذهل الانسان نفسه ، وتجعله يتساءل أهو تهذب وتسامى وارتقى وألف واخترع وأتى بالعجائب والغرائب ، وأحال الدنيا الواسعة الى قرية صغيرة ، أم أنه شيطان يريد أن يطلع على الكون الرحيب وفي يديه مفاتيح يديرها يميناً ويساراً ، فتخرج المردة من القماقم وتهب الاعاصير الجائحة ، وتنطلق البراكين الماحقة ، وتكتسح أول ما تكتسح الانسان نفسه وبيوته التي بناها والحضارة التي شادها ، وثروات علمه وفنه التي افتن في صنعها ، ثم نسقها وصنفها وراح يباهي بها ويفاخر بروعتها وجلالها .

لقد مر علينا يوم ٦ أغسطس وتلاه يوم ٩ أغسطس ، وتجددت ذكرى هذا الجحيم المفتوح التاسعة والثلاثون ، فلم يحتفل بها ، ولم يلتفت إليها الناس أو المجتمع الانساني كما كان يجب . ولم يستعد أحد وقائعها الدامية ، ولم يستمد منهما العظة والاعتبار .

ولكن ما يجوز لابناء العالم الثالث أن يقعوا في هذا الخطأ ، فقد راحوا ضحية ما جرى فيهما ، وهم بعد يسمعون عن التجارب الذرية والقنابل النيترونية والهيدروجينية ، وانشطار الذرة والتحام الذرة ، وهم ليس لهم ما يزجون به الفراغ الا آلام الجوع ، والفقر .

ولحسن الحظ سجل كاتب أمريكي وقائع اليوم الأول ـ أي السادس من اغسطس ـ في هيروشيما ، بأسلوب فريد ، فقد سأل عدداً من أهل هذه المدينة عما كانوا يفعلونه قبل القاء القنبلة مباشرة ، وكيف كانت صدمة القنبلة لهم ، ثم كيف افاقوا منها . وهي وقائع كان من الممكن أن تصنع شريطاً سينمائياً يوقظ ضمير الانسان ويحرك اعمق دوافعه ، ويفتح باب المستقبل أو يقفله ، حسبما يقرر الانسان ويختار . فاما أن يجعل القوة الذرية سيده المتجبر المتكبر الذي لا يقاوم ، واما أن يجعلها خادمه المطيع وعبده المذعن .

ولكن هذا الشريط لم يخرج بعد للناس ، ربما لان السلطة لا تريد أن تسجل على نفسها وقائع هذه الجريمة المروعة ، مكتفية بالشرائط التي تقوم على التخيل والتصور .

أما الحقيقة بوجهها المشوه الدميم ، فإليك نتفاً منها :

كانت شخصيات قصة (جون هيرس) هي : لوشيكو سازاكي ، كاتبة بادارة مستخدمي مصانع الصفيح لآسيا الشرقية .

السيدة نكامورا ـ أرملة ترزي

الدكتور كلاينبورج ـ قسيس كاثوليكي الماني

الدكتور نيرو فومي سازاكي ـ جراح شاب في مستشفى الصليب الأحمر

القسيس المسيحي الياباني (تانيموتو)

أما الشخصية الأولى فقد كانت جالسة على مقعدها في ادارة المصنع في حين كانت

السيدة نكامورا أرملة الترزي أمام نافذة مطبخها ترقب جارا لها يهدم منزله بنفسه ليفسح طريقاً ليسهل على الناس النجاة من حرائق الغارات الجوية العادية التي كانت اليابان هدفاً لها قبل غارات القنابل الذرية .

أما الدكتور كلاينبورج فقد كان في ملابسه الداخلية على سرير صغير في الدور الأعلى من منزل البعثة الكاثوليكية الذي يتألف من ثلاثة طوابق . وكان يقرأ مجلة اسبوعية .

أما الدكتور سازاكي الجراح الشاب ، فقد كان يحمل في يده عينة من دماء مريض ليختبرها في معمل المستشفى .

وفي هذا الوقت ذاته كان القسيس المسيحي الياباني واقفاً على باب رجل ثري بحي (كوي) وهو الحي الغربي من المدينة ، وكان امامه عربة يد ، عليها بعض المتاع الذي اراد أن ينقذه من الغارات الجوية بنقله الى منزل صديقه في ذلك الحي ، وقد كان أهل هيروشيما يتوقعون أن تقوم الطائرات الأمريكية (ب ٢٩) بغارات على مدينتهم .

ولنر ماذا حدث لهذه الشخصيات بالترتيب الذي سبق .

كانت الآنسة (سازاكي) قد استيقظت مبكرة في منزلها لتقوم بطهو الطعام لاسرتها طعام الافطار أولا لها ولأبيها ولأخيها الطفل واختها ، ثم طعام كامل لاولاد أخيها ، بحيث يمكن لأبيها أن يأخذ معه الى المصنع الذي يعمل فيه وجبة الظهيرة ، وبعد أن اتمت هذا الواجب وقامت بغسل الاطباق كانت الساعة قد قاربت السابعة ، فغادرت منزلها في حي كوي الى مصانع الصفيح ، ولما وصلت الى المصنع ذهبت الى المكتب ، وجلست في مقعدها الذي يبعد عن النوافذ التي تقع على يسارها ، وكان خلفها صوانان طويلان للكتب . ثم بدا لها أن تتحدث الى جارتها . قبل أن يستغرقها العمل ، وبمجرد أن ادارت رأسها امتلأت الحجرة بضوء تعشى له الابصار ، فاضطرب جسمها من الخوف ، وجمدت في مكانها لا تتحرك لحظة طويلة فقدت خلالها وعيها ، ولما أفاقت بعد مدة قدرتها فيما بعد بثلاث ساعات ، رأت أن السقف قد انهار ، وأن الاخشاب قد تجمعت فوقها ، كما سقطت اسقف الحجرات التي كانت تعلو حجرتها ، وسقط الناس الذين كانوا فيها ، كما ادركت أن الكتب التي كانت في الصوانين انقذفت من مكانها في عنف وشدة ، وألفت الآنسة سازاكى نفسها ملقاة على الأرض من الامام الى الخلف ، فانثنت رجلها اليسرى انثناء فظيعاً تحتها حتى انكسرت ، وقد كان هذا أول حادث تحطم فيه الكتب إنساناً .

أما الشخصية الثانية ، فهي الدكتور (فوجي) وكان قد استيقظ في الساعة السادسة من صباح اليوم الذي نتحدث عن وقائعه . على غير عادته ، ليودع صديقاً له في المحطة ، ولما اتم هذا الواجب عاد الى بيته ، وكانت الساعة قد بلغت السابعة . وكان الدكتور قد صرف عملاءه في المستشفى لما لاحظ أن المدن اليابانية التي لم تضربها قنابل امريكا قد تناقص عددها ، ادرك أن دور هيروشيما قد جاء لتلقى نصيبها من قنابل الولايات المتحدة . وكان قد أرسل اولاده خارج هيروشيما في مكان اعتبره أكثر أمنا ، وبعد أن جلس متربعاً على الأرض ، وفي يده جريدة (اساهي) الشهيرة يطالع فيها ، رأى البريق أمام عينيه ، ذا لون اصفر ، فاستولى عليه الجزع ، وهم بالوقوف ، ولكن مبنى المستشفى كله أخذ ينحني ، ثم يسقط في نهر كانت المستشفى تطل عليه ، وتطاير حطام المنزل ليقذف بالطبيب نفسه مع هذا الحطام الى ماء النهر . ثم فقد الاحساس كلية .. فلما أفاق احس بالماء ، ثم شعر بقطعتي خشب تطبقان على صدره تعارضتا في شكل زاوية ، وكأنه قطعة من اللحم معلقة بين مقطعين كبيرين للحوم ، وقد امسكت به الخشبتان فاصبح كالواقف على قدميه ، وقد بقى جسمه الاعلى فوق سطح الماء بينما كان سائر جسمه في الماء .. وكان لا يرى شيئاً بوضوح لأنه فقد نظارته .

اما السيدة (نكامورا) ارملة الترزى وكانت قد أوت الى فراشها فى الليلة السابقة فى الساعة الثالثة صباحا ، اذ اعلنت الاذاعة فى هذه الساعة انذارا للسكان عن غارة متوقعة لطائرات ب ٢٩ ، واستيقظت على صوت انذار لغارة الساعة (٧) .. فسألت جارها ماذا تفعل فنصحها ، بان تلزم دارها ولا تتركها حتى تسمع انذارا ملحاً ، فعادت الى دارها واخذت تطهو شيئا من الارز ، ثم راحت تقرأ فى جريدة هيروشيما الصباحية . فلما اعلن انتهاء الغارة تنفست الصعداء ــ كانت الساعة قد بلغت الثامنة ، وسمعت اطفالها يتحركون فى فراشهم ، فذهبت إليهم ، وأعطت كلا منهم حفنة من الفول السودانى ثم وقفت تطل من النافذة ، واذا بكل ما تراه عينها يضئ ببريق ابيض لا يشبهه شئ قط من قبل ، ودفعها شعور الأم نحو ابنائها . فخطت خطوة واحدة ، واذا بشئ يحملها وكأنها تطير الى الغرفة الثانية فى منزلها ، تتبعها اجزاء من بناء وأثاث دارها ، ثم سقطت على الأرض ، فتساقط عليها سيل من الطوب الاحمر ، وصار كل ما حولها ظلاما اذ دفنت تحته ولكنه لم يكن ثقيلا ، فاستطاعت ان تزيحه عنها وتنهض ، فسمعت صوتا يصيح : انقذينى يا أماه ! ورأت أصغر اطفالها ــ وهى طفلة ــ قد دفنت حتى الصدر . فاصبحت غير قادرة على الحراك ، فأخذت السيدة تعمل باظافرها فى يأس لتنقذ طفلتها ولم تكن ترى أو تسمع شيئا عن طفليها الآخرين .

أمـا الطبيب الشـاب (فرونومي سازاكى) فقد كان فى صباح السادس من اغسطس متعبا ، كان قد رأى كابوسا فى نومه الليلة السابقة ، ولكنه وصل الى المستشفى قبل تمام الثامنة بعشرين دقيقة ، ثم أخذ بعض الدم لاجراء تجربة عليه ، وامسك بعينة الدم فى يده اليسرى ، وصار يسير وهو مشتت الذهن بسبب حلمه المزعج ونومه القلق . فاجتاز الممر الرئيسى فى الدور الثالث من المستشفى ووصل الى المعمل ، وكان قد جاوز نافذة مفتوحة بخطوة واحدة عندما رأى انعكاس ضوء كأنه بريق

يومان لاينسيان في تاريخ الإنسان

فوتغراف ، فجثا على احدى ركبتيه ، وقال فى هدوء لايستطيعه الا اليابانى : (تشجع يا سازاكى) وفى تلك اللحظة مر ريح عاصف على المستشفى فطارت نظارته من فوق عينيه وتحطمت زجاجة الدم على أحد الجدران ، وطار حذاؤه من قدمه ، ولكن لم يصبه شئ غير ذلك بفضل المكان الذى كان فيه . وصاح الطبيب الشاب مناديا رئيس الجراحين ، ثم جرى مسرعا الى هذا الرئيس فألفى به جروحا كبيرة وكثيرة من الزجاج الذى تناثر ، ثم شملت المستشفى فوضى شديدة ، فقد سقطت أسقف وحواجز على المرضى ، وانقلبت الاسرة ، وانخلعت النوافذ الى داخل المبنى ، فجرح الناس ولطخت الدماء الجدران والأرض ، وانتثرت الادوات فى كل مكان . وكان بعض المرضى يجرون وهم يصرخون . اما البعض الآخر — وهو الجزء الاكبر — فقد لفظ أنفاسه . وادرك الطبيب الشاب انه كان الطبيب الوحيد الذى نجا بفضل وجوده فى المر ، ولو جاء الى المستشفى فى ميعاده اليومي لكان عند انطلاق القنبلة فى وسط المدينة .

اما القس كلاينبورج فقد قام كالعادة بصلاة الصباح ، وقد شاركه فيها طالب لاهوت يعيش فى دار البعثة ، وسكرتير البعثة ومديرة الدار . ولم يكد يتم الصلاة حتى دوى صوت الانذار بغارة ، وخرج كعادته من الدار ثم راح يتأمل فى السماء . وسره فى ذلك الصباح أنه لم ير سوى طائرة استطلاع اعتادت أن تمر كل يوم فى سماء هيروشيما ، فايقن بأنه لن يحدث شئ ، ثم عاد لتناول طعام الافطار مع الآباء الآخرين ، وجلسوا يتحدثون مليا الى الساعة الثامنة .. ثم سمعوا اعلانا بنهاية تتساقط ، فظن القس انها قطرات من الماء

الخطر ، فذهب كل منهم الى جانب فى البناء ، الا ان القسيس كلاينبورج قصد غرفته ، وتمدد على سريره وأخذ يقرأ مجلة . فانداح بريق مخيف ذكره بشئ قرأه وهو غلام عن شهاب كبير اصطدم بالأرض ، ثم خيل إليه ان قنبلة سقطت عليهم مباشرة ، ثم استولت عليه دهشة جمد لها فى مكانه لبضع ثوان .. ثم غاب عن وعيه . ولما أفاق رأى نفسه خارج الدار بملابسه الداخليه يسير على غير هدى ، بينما تنزف منه دماء قليلة من جروح صغيرة فى فخذه اليسرى ، وان جميع ما حوله من الابنية قد انهار ، وأن النهار قد اظلم ، وان السيدة مديرة الدار كانت تردد : اشفق لينا يارب .

أما القس اليابانى (تا فيموتو) فقد كان واقفا امام دار صاحبه فى حى (كوى) وامامه عربة يد نقل اليها بعض متاعه لينقذه من التدمير من الغارات المتوقعة ، ثم برق فى الجو ضوء خاطف عبر السماء ، فجرى الى الشارع ، بعد أن رأى دار صاحبه التى كان واقفا امامها قد انهارت ، ورأى فى جريه عددا من الجنود خارجين من حفرة كانوا يحفرونها ، وكانت واحده من مئات الحفر التى كان الجنود يعدونها ليحاربوا الغزاة الى آخر قطرة من دمائهم ، ورأى هؤلاء الجنود وقد سالت الدماء من رؤوسهم وصدورهم وظهورهم وكانوا ساهين وقد استولى عليهم الذهول .

وتذكر القس ان فى هذا المكان تلا يمكن أن يرى منه هيروشيما . فلما جرى نحوه ، اكتشف ان الخراب لم يشمل حى (كوى) وحده ، بل هيروشيما بأسرها ، وقد رأى من هذا التل منظرا عجيبا ، فقد كان الخراب قد احاق بكل ما استطاع نظره الوصول اليه ، على أن الرؤية لم تكن ميسورة من ذلك التل ، فقد اكتنف الجو ضباب كان يخرج منه غبار كثيف كريه . وعجب القس كيف حدث كل هذا والسماء هادئة ، ولا أثر للطائرات فيها التى كان بمقدوره ان يسمع صوتها حتى ولو كانت بعيدة . ثم اخذت قطرات كثيرة من الماء

الذى لابد أن يكون رجال المطافئ قد استعملوه لاطفاء الحريق .. والواقع انها كانت قطرات رطوبة تجمعت بسبب ذلك البرج من التراب والحرارة وقطع الحطام التى ارتفعت اميالا فى الجو .

وتذكر القس اليابانى كنيستة ، فجرى نحوها ، فقابل فى طريقه مئات ومئات يفرون من المدينة ، وكان كل منهم قد اصيب بنوع من الاصابات ، فقد احترقت حواجب بعضهم ، وتدلى الجلد من وجوههم وايديهم ، وكان بعضهم رافعا ذراعيه من الألم ، وكأنه يحمل شيئا بينهما ، وكان العدد الكبير منهم عاريا أو فى اسمال محترقة ، وقد رسمت الحروق على بعض الاجسام ضروبا من الرسوم ، فترى ياقات القمصان وقد ظهرت على اجسادهم فى شكل حروق . وكانت الأشجار عارية وجذورها سوداء .

هذا بعض ما جرى فى اليوم الأول من هذين اليومين اللذين سيبقيان فى تاريخ الانسانية علامة سوداء مشتعلة ، تفوح منها رائحة اللحم البشرى المحترق ، ونتن الجيف التى ملأت شوارع مدينة كانت مزدهرة وجميلة يفوح منها أريج الحدائق ، فاستحالت فى لمح البصر الى مقبرة ضخمة لاتستطيع أن تفرق فيها الموتى واشباح الأحياء الذين يطوفون فوق الخرائب ويخرجون من اعماق الحفر وقد تدلت جلودهم ، وضاعت عيونهم فاصبحوا بلا سمع ولا بصر .

هذا نموذج صغير من يوم رهيب ، عرفه جانب من بنى الانسان ، قبل يوم الفزع الاكبر ، حضره الانسان وأعده لأخيه الانسان عقابا له على إيمانه بالقوة وتشبثه بطريق القنابل والمدافع .

حدث هذا بعد ان ثبت ان اليابانيين وافقوا على الهدنة والقاء السلاح ، ولكن كان لابد من اجراء التجربة حتى يعلم الذين صنعوا القنبلة أثرها على الاحياء وفى الطبيعة .

وقد كان .

فتحى رضوان

قصائد

شعر: عادل الشرقي

(١)

يقظاً كنت
فرنّ الهاتف
قالت أمي
من يطلبنا فى الليل .. ؟
لم تَسمع صوتاً
أغلقت الهاتف
وانهمرت
وطوال الليل تتمتم
والصوت النائم فى الهاتف
مرهون للتأويل

— ٢ —

وتلكَ ..
تلكَ غيمة تسكن دون بيت
حين ارتدت عباءة الشعر
وماتت عطشاً
بكيت ..

— ٣ —

أفتح النافذة
ربما قمر يهتدى
ربما نجمة طردتها الليالى
فجاءت بغربتها لائذه
إفتح النافذة

— ٤ —

قالت الأم لابنتها
ان سمعت غناءَ العصافير
فوق شجيرتنا
أوصدى كل نافذة
واغلقى اذنى
بشئ من الشمع
أو بالبكاء
قالت البنت :
من زمن
غادرتنا العصافير
من زمن
ما رأيت سوى الزهر
يغلق أجفانه
والحديقة مسكونة بالجفاء

— ٥ —

سلالماً أصعد فى الغياب
سلالماً
انزل فى عوالم الخراب
ياقمراً يمشى على الاهداب
خذ بيدى اليك

— ٦ —

تلك الحمامة
ترتدى ثوباً
من الابنوس
أسودَ
ترتدى
بيتاً
من الاحلام
أخضر
ترتدى قلبى
وتسكن فى شعابى
تلكَ الحمامة
كل يوم
ترتدى ألمي
وتشرب من شرابى
فلمن سأشكو
ظلمَ
محض حمامة أهوى ؟
ومن أشكوه مابى ؟

— ٧ —

آخيت
ما بينَ القصيدة
والسحابه
وغفوت بينهما
على مطر الكتابه

— ٨ —

مرةً
حين ألفيتنى ساكناً
ومددتَ الي يديكَ
احترقتَ
واحرقتنى
وتصاعد منا الدخان

— ٩ —

ختمت بالشمع
على اصابعى
وصنعت من قصائدى
اصابعاً اخرى
بلا يدين

— ١٠ —

وأنا اتلمس أجساد الموتى
أتفحص بعض ملامحهم
مرت كفاى على جسدى
فسررت

— بغداد

متى نقولها؟

ما يحز فى نفسي أن تنخدع عامة الناس فى هذا الانسان وأمثاله وتعتبر نفاقهم نضالا ، وبهرجة كلامهم فى الباطل إبداعا

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

طوى صاحبي المجلة التى كانت فى يده ونحاها عنه جانبا ، فقلت له : ـ يبدو انك قرأت ما يسرك ، فانى أراك تضحك .

قال : انى ابتسم فقط.. ابتسم لنفسى بعد أن انتهيت من قراءة قصيدة منشورة فى هذه المجلة .

قلت : لعلها قصيدة غزل ...

قال : بل هى قصيدة رثاء . لاتعجب . قصائد الرثاء فى العادة تبعث الدمع الى العيون ، ومع ذلك فان هذا الرثاء جعلنى ابتسم . ابتسمت لسببين ، الاول لانه قيل فى رجل لايستحقه ، والثانى لأنه ذكرنى بكلمة قالها احد اصدقائنا فى مثل هذا الانسان المرثى .

قلت : من هذا الذى قيلت فيه قصيدة لايستحقها ، وما هى الكلمة التى تذكرتها بهذه القصيدة ؟

اجاب : سأعلمك . الرجل الذى قيل فيه الرثاء انسان جمعتنى به الظروف مرة واحدة ، وكفتنى هذه المرة لأكشف معدنه .. كفتنى لأكشف زيف ذلك المعدن وكذب بريقه . قبل ان تجمعنا الظروف ، وبعد ذلك ، طارت للرجل شهرة بالنضال والابداع ، وتلقى الجوائز والاوسمة ، وتناقلت اخباره الدوريات من كل نوع . وحين مات ، وذاك منذ قريب ، نعاه الناعون وكتبت عنه المقالات ونظمت فى رثائه قصائد عديدة هذه احداها ...

قلت : ومع ذلك فانت تحكم على معدنه بالزيف . من هو هذا الانسان ، الا تسميه لى ؟

قال : لن افعل . انى اتحدث عنه كنموذج للظواهر التى ينطلى خداعها على الجمهور فينجرف فى تيار تمجيدها تمجيدا لايستحقه هذا النموذج ، وقد يستحق مكانه النبذ والاهانة . المرة الوحيدة التى جمعتنى الظروف فيها بهذا الرجل عرفتنى بطبعه الوصولى ، وبتذبذبه فى سلوكه . ربما اتصف نتاجه ببعض القيمة الفنية ، الا انه كان إمعة يتبع كل ناعق ، شريطة أن يعينه هذا الناعق فى الوصول الى المكانة البارزة والفائدة الشخصية . وقد دفعته تبعيته لبعض الناعقين الي محاولة الاساءة الى ، وذلك فى المرة التى قلت لك ان الظروف جمعتنى به فيها ...

قاطعت صاحبى وانا ابتسم وقلت : اذن فان لك عليه ثأرا ! ... حسنا . هذا عن الرجل الذى تصفه ولا تريد ان تسميه . ماذا عن الكلمة التى ذكرك بها رثاؤه وساق الابتسامة الى شفتيك ؟

• • •

قال : سأعلمك بتلك الكلمة ايضا . كان لنا صديق طويل اللسان لاذع السخرية دأب على انتقاد واحد من معارفه هو صديق لنا فى نفس الوقت ، فكنا ننحى عليه باللائمة ونسكته عندما يتمادى فى ذمه لغريمه ، قال لنا مرة : احترت معكم والله ... اذا اردت ان افضح هذا الرجل فاعدد مساوئه فى حضوره قلتم : لاتفعل ، فهذه قلة ادب . وان تحدثت عنه فى غيابه قلتم : لاتفعل ، فهذه غيبة نهى الله عنها ... أيحب احدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا ؟ وحين يموت ويفارق هذا الدنيا فستمنعونى حتما عن تبيان ماهو عليه من لؤم طبع وسوء سلوك وترددون علي القول المأثور : اذكروا محاسن موتاكم ... اعلمونى بالله متى استطيع أن أبرد غليلي فأقول فى هذا المخلوق مايستحق ؟ هذا ما قاله صديقنا ذاك فى تلك

المرة ...

قلت أنا : وما الذى يربط بين هذه الكلمة وبين قصيدة الرثاء التى قرأتها لتوك ؟

قال : حين فرغت من قراءة هذا الرثاء المطنطن خطر ببالى ان سكوتى عن قول ما اعرفه من امر الرجل الذىقيلت فيه خطأ . كان جديرا بى ان اشهد فى كل مناسبة بما تكشف لى من امره لئلا يستمر انخداع الناس ، والواعين منهم بصورة خاصة ، بشهرته المصطنعة ولكنى فى حياته لم اجبهه بإساءته ، لأننى لا أحب ان أوصف بقلة الأدب عندما ألقى انسانا بما يكره . كما انى لم اتحدث للآخرين عن عيوبه فى غيابه ، لنفورى ان اتكلم عن احد بشر . انت تعرف شعارى فيما اقوله وما اكتبه : قل الخير والا فاسكت . وعندما بلغنى نبأ مفارقته لهذه الدنيا طلبت فى نفسى له الرحمة وقلت ماذا يفيد ان اتحدث بمساوئه وقد غادرنا الى العالم الآخر ؟ الا انى بعد ان رأيت استمرار الحديث فى كل مكان بما يزيد هالة الاكبار الزائفة حول اسمه اشعاعا ، وما فى ذلك من رفع للباطل الى منزلة الحق ، ندمت على تغاضي عنه ، وقلت لنفسى ان صديقنا الذى رويت لك كلمته كان محقا بعض الشيئ فى تساؤله ، وفى لهفته على تبريد غليله بفضح المسيئ وان تجاوز بذلك الفضح أعراف التهذيب وسلوك الاتقياء والصالحين .

• • •

قلت لصاحبى : انت تتحدث عن هذا الرجل بمرارة . يبدو ان إساءته اليك أضرت بك وازعجتك كثيرا .

قال : كانت محاولة إساءة ، وليست ا ساءة محققة . انا لم اتضرر من فعلته ، بل لعلها اضرت به هو . فما مضت ايام على محاولته تلك حتى انقلب عليه مكره والقى فى السجن ... القاه فيه من حرضوه علي .

قلت : وهل بلغ الأمر هذا الحد ؟ أنت حتى الآن تكلمنى بالعموميات . لم تخبرنى بنوع الاساءة التى حاولها هذا الرجل لك . ألا تريد ان تضع النقاط على الحروف فيما ترويه لى ؟

قال : سأضع لك بعض النقاط وليس كلها . جرت تلك المحاولة فى اواخر عام ١٩٦٧ ، بعد النكبة التى ضحكنا فى شأنها على انفسنا فسميناها النكسة ، وفى مؤتمر دعينا اليه فى واحدة من عواصمنا العربية لنتدارس فيه مسؤولية المثقفين حيال قضايا الامة المصيرية . القيت انا فى مطلع الجلسة الاولى من المؤتمر كلمة يبدو انها لم تعجب الناس الذين بيدهم الحل والربط ، فصدرت احدى الصحف فى اليوم التالى وفيها هجوم عنيف علي . كان الهجوم بقلم هذا الراحل العزيز الذى قرأت قبل قليل قصيدة رثاء بديعة فيه . لم يحضر راحلنا آنذاك المؤتمر ولا سمع كلمتى فيه ، ولكن صوت سيده ارتفع عليه بالأمر فاطاع . قولني فى هجومى ما لم اتلفظ به ، واول كلمتى بما لم تحتمل تلك الكلمة تأويله ...

قلت : انت اول من يدرك ان الآراء منذ ما تطرح تصبح عرضة للمناقشة والتفنيد والمعارضة . ما كان لك ان تنزعج الى هذه الدرجة .

قال : سبق واخبرتك انى لم انزعج . صدقنى انى اعجبت بالاسلوب الذى صاغ فيه صاحبنا هجومه ، مستعديا علي ذوى الحول والطول الذين لم يعجبهم ما قلته . اسلوب شعرى يشهد له فى هذا الميدان بالموهبة الفائقة . انى احفظ بعض جمله فى حملته علي . قال فيما قال ، وهو يعنينى : ان هذا الذى يتعرض لسادتنا بالسوء يجب ان يسلخ جلده عن لحمه وتدوسه حوافر خيول النكسة ...

ضحكت انا وقلت : تعبير مبتكر فى التحريض عليك . وهل سلخ جلدك عن لحمك بعد هذا ؟

فجارانى صاحبى بالضحك وأجاب : لايزال جلدى على لحمى والحمد لله . حدث شيئ آخر بعد هذا ، ليس لى بل لذلك الانسان نفسه . فقد انتزع قلمه من يده بعد حملته علي بفترة واودع السجن . لماذا ؟ لست ادرى على التحقيق لماذا ؟ قيل لي ان من كانوا يأمرونه فيطيع اكتشفوا أنه لم يكن يقتصر فى طاعته عليهم ، وأن له سادة أخر يستطيعون ان يقولوه ما يريدون قوله . بل ان موته المفاجئ الذى تأججت به هالة التمجيد حول اسمه اطلق حول سيرته همسات ليست من الخير فى شيئ . اذا كان الامر كما دارت به الهمسات فعلى نفسها جنت براقش ...

• • •

قلت لمحدثى وقد ظننت بعض التشفى فى جملته الأخيرة :

ــ أهى شماتة ؟

قال : أعوذ بالله من الشماتة . اريدك على ان تصدقنى بأن ما يزعجنى ليس تصرف هذا الانسان ، غفر الله له ، حيالى . ما يحز فى نفسى ان تنخدع عامة الناس بامثاله وتعتبر نفاقهم نضالا وبهرجة كلامهم فى الباطل ابداعا . انا لم اسم لك الرجل ، ولن تعسر عليك معرفته اذا قلبت صفحات هذه المجلة وقرأت رثاءه . اذا صدقت ما قلته لك فقد تتراجع عن تقديرك له ان كنت بين من يقدرونه . ولكن ماذا عن الآخرين الذين لا يعرفون ما اصبحت انت تعرف عنه ؟ وماذا عن التاريخ الذى سيسجل أمجادا كاذبة لابطال زائفين ؟ هنا تدركنى الغصة التى تحدث عنها صديقنا ذاك فى الكلمة التى رويتها لك ، حين تساءل عن الآونة التى نستطيع ان نفضح فيها المسيئ فى إساءته . التهذيب وحسن الادب يمنعاننا من ان نجبهه بها فى حضوره ، والتقوى تمنعنا من ان نتحدث عن معايبه فى غيابه ، والدعوة الى الاقتصار على ذكر محاسن الموتى تحول بيننا وبين ان نتحدث عنه بعد مغادرته هذه الفانية بما يستحق . فمتى نستطيع اذن ان نبرد غليلنا ونقول كلمة الحق فى من اساء السيرة ونافق وتذبذب ؟ !

سؤال ساخن على الساحة الأفريقية

هل تنجح إسرائيل في إعادة علاقاتها الدبلوماسية مع أفريقيا ؟!

بقلم : عبد القادر سيلا

● أربعة آلاف خبير وفني إسرائيلي ينتشرون في أفريقيا
● الأفارقة يكرهون إسرائيل لأنها تقوم على أساس عنصري

على إثر إعادة جمهوريتي زائير وليبريا علاقاتهما الدبلوماسية مع إسرائيل وقيام رئيس هذه الأخيرة بزيارتهما في شهر يناير المنصرم ، فاننا سنحاول ، عبر السطور التاليه ، إلقاء بعض الأضواء على خلفيات العلاقات الإفريقية الإسرائيلية مشيراً بادئ

ذي بدء إلى أن هذه الزيارة تدخل في إطار الحملة المركزة التي تقوم بها الدولة الصهيونية لنسف الحصار المضروب حولها وتمزيق العزلة الدبلوماسية التي تعاني منها منذ سنوات وبالتالي زحزحة التضامن العربي الافريقي .

بيد أن هذه المحاولات الأولى لم تتمخض الا عن نتائج هزيلة للغاية لأسباب يعود بعضها إلى الأزمة الإقتصادية الخانقة التي حملت زائير وليبيريا على إعادة علاقاتهما مع إسرائيل أملاً في أن تساعدهما على تذليل

صعوباتهما لم يكن إلا سراباً ، لأن الوعود التي قطعتها على نفسها لفائدة الحكومتين لم يتم الوفاء بها ، والبعض الآخر يرجع إلى موقف خاص لعدد من دول القارة من الصهيونية باعتبارها فلسفة عنصرية شأنها شأن « الأبرتايد » المطبقة في جنوب إفريقيا .

تطور وخلفيات العلاقات بين إفريقيا وإسرائيل

بدأت العلاقات بين إفريقيا وإسرائيل في الستينات ، وهي فترة شهدت ارتقاء أقطار إفريقية عديدة إلى مصاف الدول المستقلة . ففتحت حكومة تل أبيب واحداً وعشرين تمثيلا دبلوماسياً في القارة . وقد مهدت لها الطريق قوى استعمارية كانت متحالفة أو متعاطفة معها بالخصوص فرنسا وبريطانيا العظمى وكان الإسرائيليون من جانبهم يعملون لإقناع الأفارقة أن وضعهم في ظل الأنظمة العنصرية والاستعمارية شبيه بحال اليهود تحت السلطة النازية ، ولا يفترون من تنشيط مثل هذا الجوق لاستدرار عواطف الإفريقيين وحكوماتهم .

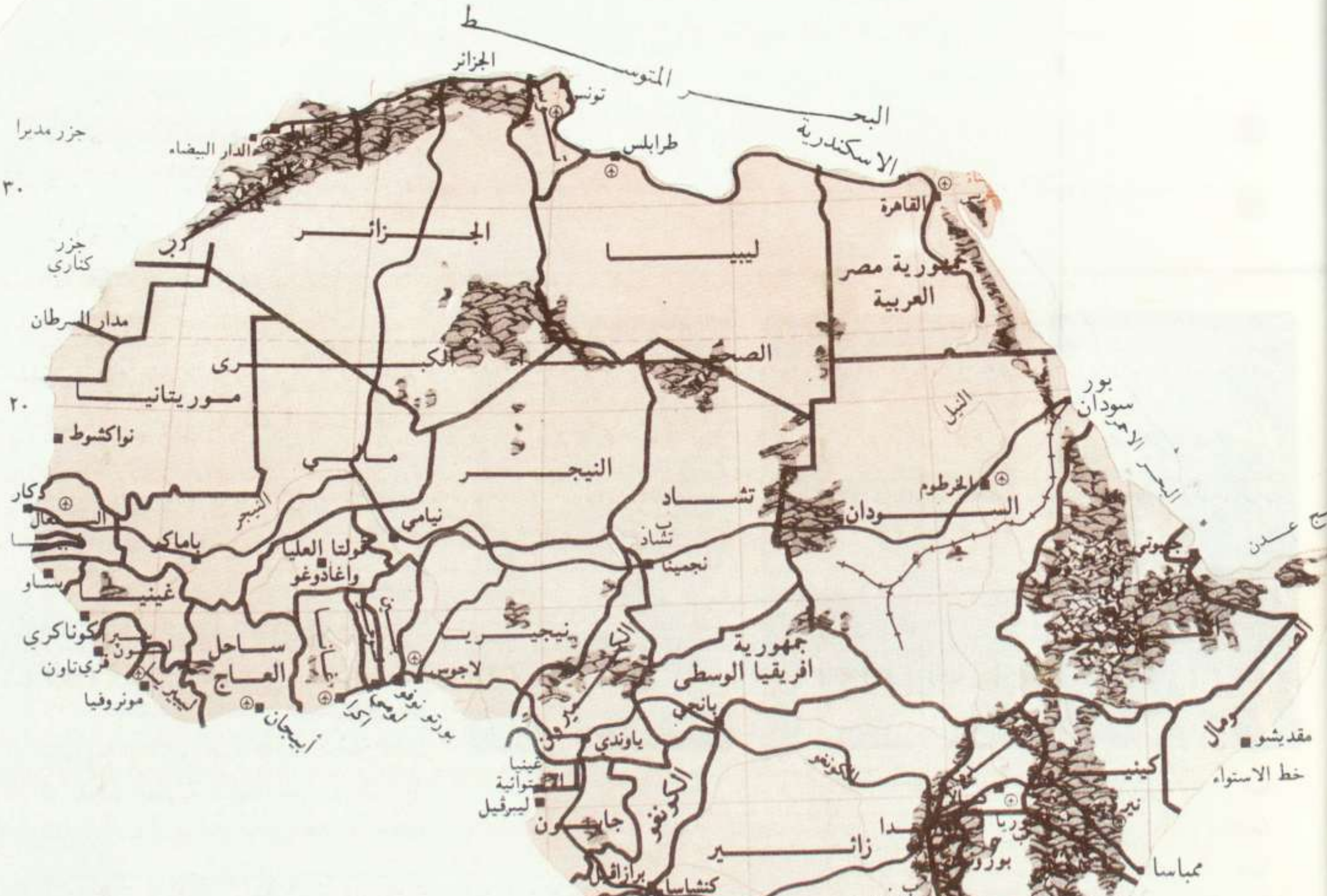
على أن هناك أسباباً أخرى ساهمت في تسهيل تسلل اليهود الى القارة ، من ذلك العامل الديني : قد يستهين البعض بهذا العنصر في الوقت الذي ثبتت الدلائل أن تأييد وانحياز دول شرق إفريقيا تانزانيا وكينيا وأوغندا فور استقلالها راجع إلى سيطرة البروتستانتية في تلك الأقطار ،

ومعروف أن أنصار هذا المذهب يرون في قيام إسرائيل شأنهم في ذلك شأن أتباع كنائس كثيرة في أمريكا تحقيقاً لوعد الله في اعادة مملكة داود (!) وتبعاً لتلك المزاعم بادرت حكومات هذه البلدان عشية استقلالها الى ربط صلات وثيقة مع الكيان الصهيوني دون أن تعير أدنى اهتمام لمغبة تأييد دولة مبنية على ركائز عنصرية .

نماذج من هذه العلاقات

تستحق العلاقات الإثيوبية الإسرائيلية في عهد الإمبراطور توقفاً خاصاً ليس لأن هيلاسيلاسي كان يدعي الإنحدار من سلالة ملكة سبأ والملك سليمان ولا لاختياره نجم داود ليكون شعاراً لحرسه ، ولكن لأن إسرائيل كانت تمارس السلطة الحقيقية في اثيوبيا .

وقد توطدت الروابط بين الإمبراطور واسرائيل بسبب توافق مصالحهما المتمثلة في الحيلولة دون تحول البحر الأحمر الى بحيرة عربية في الوقت الذي لا تطل على هذا الممر المائي دولة غير إسلامية ماعدا إثيوبيا . ولم يدخر الطرفان جهداً لإخراج هذه الفكرة إلى حيز التنفيذ ، فمن ناحية



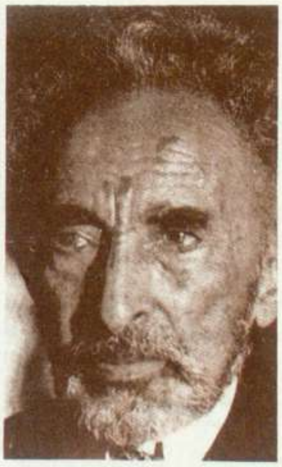

كانت إسرائيل تخشى من إحكام الطوق حولها في المنطقة ، بينما تهدف إثيوبيا من وراء هذا التعاون الى إيجاد وسيلة تحميها من هجمات محتملة من طرف القبائل الصومالية في أوغدن.

لكل أولئك فتح هيلاسيلاسي أبواب بلاده أمام التجار والأطباء والخبراء الاسرائيليين . وبلغ اعتماده عليهم إلى درجة تشكيل شرطته على النمط الاسرائيلي وإشراف « تساهال » على الجيش الأثيوبي . ومع ذلك لم تعترف حكومة اثيوبيا رسمياً باسرائيل فظلت هذه الأخيرة تتسنح الفرص لترغم الإمبراطور على الاعتراف بها . فواتتها إثر إخمادها ثورة مسلحة اندلعت سنة ١٩٦٠ ضده . فهدد بن غوريون بمراجعة مجموع العلاقات الإثيوبية الإسرائيلية وبسحب دعم بلاده إذا لم يتم الاعتراف بها . وكانت حكومة إثيوبيا اضعف من أن تقاوم فانصاعت .

ولم يكن هذا الإعتراف مكسباً دبلوماسياً قدر ما كان خطوة نحو تحالف غير معلن عنه تحاول إسرائيل عقده في تلك الآونة مع دول غير عربية في الشرق الأوسط وإفريقيا قصد فك الحصار العربي . وكانت إثيوبيا هيلاسيلاسي مرشحة لتكون رأس الجسر لتغلغل النظام الصهيوني في إفريقيا . ورحب جون دالس ، وزير خارجية الولايات المتحدة حينذاك ، بهذا المسعى واعتبره إيجابياً يستحق كل تشجيع من بلاده لأنه يضم أنظمة مؤيدة لأمريكا في الشرق الأوسط وافريقيا .

ولتعاون أقطار إفريقية أخرى مع اسرائيل دوافع غير ما سبقت الإشارة إليه : فالاحتياج الملح إلى مهارات فنية وثروة طبيعية واستثمارات وتمويل مشاريع جعل بعض الدول الإفريقية تنخدع للدعاية الإسرائيلية .

وكانت إسرائيل تختار الأقطار الأكثر مطاوعة والتي تلمس منها قابلية الإغراء .



هيلاسيلاسي



مناحم بيجن



موبوتو سيكو

وهكذا اتصلت سنة ١٩٨١ بزائير في وقت كانت حكومة هذه البلاد تعاني من مشاكل جمة منها الثورة المسلحة في اقليم «شابا» ووجود جنود كوبيين في أنغولا المجاورة وتدهور اقتصادي إلى حد الإفلاس فضلا عن هبوط ملحوظ في رصيد الرئيس موبوتو في البيت الأبيض ... وقد وعد مبعوث الدولة الصهيونية بحل تلك المشاكل كلها بشرط أن تعيد زائير علاقاتها معها.

واستعملت ذات السيناريو مع جمهورية غانا في عهد الرئيس ليمان لكنها لم تنجح بسبب سقوط حكومة أكرا إثر انقلاب عسكري في أوائل ١٩٨٢. ولقد حصلت حكومة بيجين على وعود مماثلة من جمهورية إفريقيا الوسطى التي لقي رئيسها مصير ليمان قبل الوفاء بوعده.

ورغم الفشل الذريع الذي مني به الإسرائيليون فانهم ما فتئوا يجسون النبض من هنا وهناك ويجهدون أنفسهم لسد ثغرالعزلة الدبلوماسية بتكثيف التعاون الفني للحكومات الإفريقية. وكانوا متأكدين من نجاحهم.. كأن يقول بيجن أثناء الحملة الإنتخابية لعام ١٩٨١: «أحمل اليكم رسالة هامة: أشرف القطع مع إفريقيا على نهايته».

وتذيع الصحف الإسرائيلية منذ قرابة سنتين نبأ اتفاق محتمل لاستئناف العلاقات بين إسرائيل وعدد من الدول الإفريقية المسماة ب «المعتدلة» وهي ساحل العاج وتوجو والغابون وكينيا وجمهورية ا فريقيا الوسطى، وهي إشاعات مبنية على أساس أن قطع العلاقات لم يعد له مبرر مادامت جمهورية مصر العربية قد استعادت سيادتها على سيناء.. خصوصاً وأن احتلال إسرائيل لسيناء كان سبب توتر العلاقات بين بعض الأقطار الإفريقية وتل ا بيب. وقد تبدد هذا الأمل بفعل تمادي إسرائيل في تجاهل حقوق الفلسطينيين وخصوصاً بعد قصفها لمفاعل «تموز» بالعراق سنة ١٩٨٠.

نوع مساعدة إسرائيل

لتغطي فشلها الدبلوماسي تعد إسرائيل الأقطار الإفريقية التي تصغي لها بتقديم مساعدات مالية وتلتزم بتمويل مشاريع ا نمائية فيها وفي ذات الوقت تزعم أن الدول العربية المنتجة للبترول غير مستعدة للاستثمار في إفريقيا. لكن احتياجات القارة الإفريقية (٤٠٠ مليون نسمة) تفوق الإمكانيات البشرية والمادية المتوفرة لدى ا سرائيل فهي صغيرة الحجم غير قادرة على توفير عدد كاف من الخبراء والفنيين يلبي طلبات الإفريقيين، وفقيرة كذلك تعتمد هي الأخرى على المعونة الخارجية وبالأخص الأمريكية ٨٠٠ دولار للفرد الإسرائيلي سنوياً ــ ولمل هذا النقص نراها تلف وتدور وتستعين بصديقاتها الأوروبية وأمريكا لتمويل مشاريع في إفريقيا. وتلعب ثلاث دول في هذا الباب دورا أساسياً وهي ألمانيا الغربية وهولندا والسويد. وأسلوبها بسيط إذ يتمثل في أن تقدم إسرائيل التصاميم والخبراء والفنيين ثم توفر الدول الثلاث الأموال اللازمة.

يضاف إلى ذلك «اللوبي» اليهودي في الولايات المتحدة الذي تستعمله إسرائيل للضغط على البيت الأبيض ليحصل أصدقاؤها على قروض ومساعدات مثلما يستعين بها رؤساء إفريقيا لتسهيل لقائهم بداود روكفلر وبأوساط مالية وبنكية أخرى بأمريكا.

أما بخصوص التعاون الفني، فيبلغ تعداد الخبراء الإسرائيليين في القارة زهاء ا ربعة آلاف يعملون في عشرين دولة. وتستخدم أسرائيل وسائل شتى لإخفائهم: فهم لا يتسللون إلى تلك البلاد باسمها هي وانما يتم تعيينهم في الشركات المتعددة الجنسية. وبهذا الصدد كشف أحد كبار المسؤولين في نيجيريا في الآونة الأخيرة عن وجود ألفي خبير إسرائيلي وجلهم في مؤسسة هامة للأشغال العامة وهي Solel Boneh.

على أنه مع كل هذه الضجة لا يتجاوز التبادل التجاري بين إفريقيا وإسرائيل مائة مليون دولار سنويا، كما لا يتجاوز عدد

● لماذا اعترف الإمبراطور السابق هيلاسيلاسي بإسرائيل
● القنبلة الذرية المشتركة بين إسرائيل وجنوب أفريقيا

الطلبة الإفريقيين في الدولة الإسرائيلية بضع مئات . ومن ناحية أخرى ، تبيع اسرائيل الأسلحة لبعض الحكومات الإفريقية وتقوم بتدريب جيوشها كل ذلك في حدود جد ضيقة .

تعاون غير طبيعي

هذا التعاون بحكم كونه تعاوناً ضد الطبيعة ما كان يمكنه أن يعمر طويلا ولا غرو أن يكون دائماً محل أخذ ورد . إذ أنه ، خلافاً لما يعتقد عادة ، لم تنتظر العلاقة الإفريقية الإسرائيلية حرب أكتوبر لعام ١٩٧٣ لتتدهور بل كاد يكون التوتر سمة تلك العلاقات . ويعود ذلك بالدرجة الأولى إلى طبيعة النظام في اسرائيل التي تتنافر مع مبادئ منظمة الوحدة الإفريقية وتتعارض مع فلسفة اللاعنصرية التي هي عقيدة دول القارة السياسية ، وهذه الأقطار ، من جهة أخرى تعتبر الدولة الصهيونية عميلة للغرب لشدة إرتباطها بأوربا سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وأفدح من ذلك صلاتها الوثيقة بجمهورية جنوب ا فريقيا .

اسرائيل وجنوب إفريقيا

في الواقع هناك تشابه عجيب بين الأسس التي انبنى عليها الكيان الصهيوني في فلسطين والنظام العنصري بجنوب ا فريقيا . وكان الهدف من إنشائهما في مناطق استراتيجية هامة من العالم هو اضطلاعهما بدور الدرك . ولم يخف هرتزل هذه المهمة حتى قبل قيام إسرائيل حيث يقول : « سنكون نحن المجتمعات الصهيونية حصناً لأوروبا هنالك في آسيا ونصبح خفراء الحضارة ضد البربرية » . وتلتقي الصهيونية و« الابرتايد » في فلسفة واحدة : وهي العدوان والاحتلال والتوسع والاستفزاز وتنظيم المذابح . وتكفي الإشارة إلى مجازر دير ياسين بفلسطين وشاربفيل بجنوب إفريقيا .

ولسنا أول من اعتبر النظامين من طينة واحدة . فقد شجبت الجمعية العمومية للأمم المتحدة واليونسكو ، الصهيونية ونظام جنوب افريقيا ، ووضعتهما في قائمة العنصرية . والجدير بالتنويه هنا أن أعضاء منظمة الوحدة الإفريقية لعبوا دوراً لا يستهان به إبان التصويت في هيئة الأمم المتحدة على قرار التنديد هذا وكذلك في منتديات عالمية أخرى . وهي تعتبر أن مناهضة الصهيونية شكل من اشكال مقاومة « الابرتايد » العنصرية وأن شجب الأعمال الوحشية في الضفة الغربية ماهو الا مظاهرة ضد استفزازات حكومة بريتوريا في أنغولا وناميبيا . هذا ويتعاون النظامان في ميادين عديدة منها :

ــ استيراد إسرائيل من جنوب إفريقيا الماس والفحم والمواد الأولية و يشتري الثاني منها السفن الحربية المجهزة بصواريخ « جبريل » ، وتعاونهما في ميدان الذرة يعود الى الخمسينات حيث كانت إسرائيل تستفيد من مساعدة فرنسية في هذا المجال . وكان جنوب إفريقيا يقدم لها الأورانيوم الضروري لمفاعلاتها في « ديمونا » مقابل أن تساعده في تطوير برنامجه الذري . فسجلت تلك الفترة تبادل الزيارات بين خبراء المؤسسات المتخصصة في البحوث الذرية في البلدين . وما فتئا يتعاونان على انتاج السلاح النووي إلى أن تم تفجير قنبلتهما الذرية في ٢٠ فبراير ١٩٧٩ . وتحتل الدولة الصهيونية حسب المصادر الموثوق بها المرتبة السادسة بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي وبريطانيا وفرنسا والصين .

وبخصوص تعاون إسرائيل مع جنوب ا فريقيا على مرأى ومسمع من الحكومات الإفريقية فان حكام الدولة الصهيونية يزعمون أن وضعهم الاقتصادي الخاص أرغمهم على التماس الانفتاح في أي سماء وجد ويضيفون أن دولاً غربية تتعامل علناً مع حكومة بريتوريا دون أن يثير ذلك حفيظة الأفريقيين .

التضامن العربي الإفريقي

ويلاحظ أن كل محاولات إسرائيل للنفوذ الى قلب إفريقيا باءت بالفشل بفضل التعاون العربي الإفريقي الذي ليس مجرد عواطف عابرة ومواقف دبلوماسية مبنية على حسابات رخيصة لا تقاوم تيارات ومتغيرات السياسة الدولية ومقتضياتها ، إنما هو تضامن أساسه العدالة والإنصاف ومحوره وحدة العمل السياسي بين الشعوب الإفريقية والعربية في صراعها ضد الصهيونية و « الابرتايد » والإستعمار بجميع اشكاله . وقد ساهمت جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية في بناء ا سس هذا التضامن . ومن نتائجه بروز لجنة الوزراء المنبثقة من المنظمتين واعتماد مراقب فلسطيني لدى المنظمة الإفريقية وتكرار اللقاءات السياسية بين الأطراف المسؤولة في الهيئتين فضلا عن التعاون الثنائي بين أعضائهما وخصوصا في المجال الأقتصادي والثقافي .

ولعل أهم عامل كفيل بتأبيد عزلة ا سرائيل في القارة الإفريقية يكمن في عمل دائب منسق لتوثيق التعاون بين العرب والأفارقة وذلك عن طريق تكثيف العلاقات الجماعية والثنائية سواء في مستوى حوار الثقافات أو في ميدان المنتديات الدولية وساحات التبادل التجاري والإقتصادي .

عبدالقادر سيلا
داكار ــ السنغال

تاريخ علم التاريخ

بقلم: أحمد العناني

يستطيع الناظر بعمق في حركة التأليف والتدوين الاسلامية أن يلاحظ طروء مرحلة جديدة فاصلة في علم التاريخ منذ حركة الخليفة المأمون الكبرى في انشاء دار الحكمة وتحقيق ترجمات لمؤلفات عديدة جداً ولا سيما مؤلفات الاغريق . قبل حركة المأمون كان التدوين التاريخي سواء للتراجم أو السير أو الأدب يستهدف كله خدمة قضايا دينية محضة . ان سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم هي موضوع اسلامي عقدي ، فان على كل مسلم أن يتأثر حياة النبي فيقتدي به ، كما أن على القضاة أن يعرفوا أقضيته عليه السلام ، أما الأدب ورواياته فكان من أهم أغراضه وأغراضها توضيح ابعاد البلاغة القرآنية ، وشرح معاني المفردات شرحاً متميزاً بالوضوح . وحتى التواريخ الخاصة بفتوح البلدان لم تكن تاريخاً بالمعنى المحدد لمهمة التاريخ ، فان مراجعة مواقف القادة المسلمين والأئمة من البلدان المفتوحة كان ثقافة أساسية للحكام والاداريين في فهم موقف الخلفاء من انواع الأراضي التي آلت لبيت المال أو بقيت بأيدي الاهلين يستغلونها ويقدمون عنها الخراج وفي ثمارها الزكاة ..

ولم يكن التاريخ مستهدفاً لذاته أو لرسالة يتميز بها علماً بأن القرآن الكريم دعا إلى التفكر الدائم في آثار الأمم الغابرة واستخلاص العبر من قيام الحضارات وسقوطها لا سيما وأن سقوط الأقوياء يرافقه أو ربما يؤدي اليه الانغماس في الترف ، وذوبان العزائم في ممارسة الشذوذ والانحلال النفسي .

ومع أن الكتاب الكريم يوحي بوضوح ساطع بأن للامم في نهوضها وانحلالها قواعد ومناهج حتمية النتائج اذا ما توفرت الأسباب إلا أن أحداً ما قبل عبدالرحمن بن خلدون لم يخطر بباله أن يتكلم في القواعد التي تتحكم في سير الأمم ، وسنعرض لذلك لاحقاً ..

المأمون ودار الحكمة

وحيث أن الابتكار هو وليد المعرفة الغزيرة الباحثة ، والنضوج الذهني الأكيد فان الخليفة المأمون عجل في النهضة الثقافية في سائر أرجاء العالم بما وفره للناس في « بيت الحكمة » من ترجمات لعلوم أمم غابرة كالاغريق مثلاً ، فضلاً عن الأمم الشرقية من هنود وفرس وأشوريين وغيرهم . يروي ابن النديم (الفهرست ص ٢٤٢) أنه كان بين المأمون وبين ملك الروم (البيزنطي) مراسلات ، وقد كتب إليه يطلب موافاته بالمخزون من كتب العلوم في خزائن الروم ، فأجاب الملك بعد امتناع ، وأوفد المأمون جماعة منهم الحجاج بن مطر ، وابن البطريق فأخذوا مما وجدوا من الكتب ما وقع عليه اختيارهم ، فلما جيئ بذلك الى بغداد عين المأمون قسطاً بن لوقا مشرفاً على الترجمة من اللغات اليونانية والسريانية والكلدانية الى العربية كما عين يحيى بن هارون مشرفاً على الترجمة من الفارسية القديمة ...

وانتشرت عدوى الترجمة إلى الأفراد المتميزين في العلوم والآداب فقام أبناء ابن شاكر المنجم محمد وأحمد والحسن بمجهود كبير للحصول على كتب الرياضيات والموسيقى والفلك ، وكان لهم وكيل موفد في بلاد الروم متخصص في البحث عن الكتب هو حنين بن اسحق . وكان ابناء المنجم ينفقون خمسمئة دينار في الشهر على المترجمين الذين كان منهم ثابت ابن قرة الحراني وعمر بن الفرخان الطبري . وانتشرت المكتبات الزاخرة بالكتب من مختلف العلوم وكثرت في الأندية وفي المساجد المساجلات والمناظرات في قضايا عقلانية متشعبة ...

ومنذ القرن الثالث للهجرة والحياة الثقافية تزداد خصوبة وتكتسب ابعاداً واسعة في الكم والنوع ، وتجد لها آفاقاً مكانية أرحب وأوسع حتى غدت بيوت الوجهاء والزوايا والخانقات والأربطة والمدارس والمساجد أماكن للبحث والنقاش .

ومن هنا يمكن القول إن عصر المأمون وضع الأساس لقيام حركة ثقافية بمضامين حضارية عميقة وشمولية ، وأوجد مجالاً لتفاعل الأفكار وتلاقح الحضارات وبالتالي التوصل الى تعميمات مستجدة لمبادئ متقدمة في فهم الظاهرات الانسانية ...

ومنذ القرن الثالث للهجرة بدأت الأفكار تتوجه إلى ربط جزئيات التاريخ برباط جامع ، كما بدأت تظهر روايات تاريخية متماسكة وربما كان البلاذري هو طليعة التحرك الجديد ، ومع ذلك فان الجزئيات ظلت أمراً مرعياً فان تاريخ الطبري المتأخر عن هذه الحقبة ما يزال يستمسك بالجزئيات فكأنما لا يكون التقدم الى التعميمات المتوسعة إلا انزلاقاً عفوياً كأنما يستدرج له استدراجاً .

النضوج الحضاري وعلوم الجغرافيا

والنضوج الحضاري لا يجيئ صدفة ، ولا يحصل في يوم وليلة ولكنه هو الحصيلة الايجابية لتجارب الأمم الفكرية والحياتية ، وتلقيح أفكارها بمصادر للمعرفة متنوعة ، وهو لا يمكن أن يحققه جيل واحد بمفرده ناهيك عن أية مجموعة من الأفراد مهما يكن حظهم من العلم والذكاء.. وليس هناك أدنى شك في أن العلوم يردف بعضها بعضاً وأنها مهما تختلف في الفروع فان ينابيعها الأصليةواحدة ، ولهذا

فقد كان لابد أن تتقدم العلوم الجغرافية لتشكل الحافز اللازم لانطلاق أفكار المؤرخ على أسس من المعرفة الصحيحة، فالجغرافيا هي في الواقع مهد الفكر التاريخي ومناخه وبنيته التحتية لقد كان من جغرافيي المسلمين في القرن الثالث الهجري ابن خرداذبة، الفارسي الأصل، مؤلف كتاب «المسالك والممالك».

ومن هنا بدأنا ندخل ظاهرة صحية في القرن الثالث للهجرة الا وهي ظاهرة الجمع بين الفهم التاريخي والجغرافي. ولعل أعظم شاهد على ذلك المؤرخ اليعقوبي المتوفى سنة ٢٨٢ للهجرة المعادلة سنة (٨٩٥) للميلاد وهو نفسه مؤلف كتاب «البلدان» من طلائع كتبنا المتوسعة في الجغرافيا..

لقد كان اليعقوبي ينتفع من معلوماته الجغرافية في التوصل الى مقولات عامة ومستنيرة في التاريخ كأثر المناخ ونوع الحاصلات وطبيعة البيئة على الأداء الحياتي والتوجهات الحياتية، لكن مشكلة اليعقوبي كانت في حماسته الزائدة لمذهبه التشيع وبالتالي تركيزه الكبير على الأئمة وتاريخهم حتى ليوشك القارئ أحياناً أن يتصور العالم الاسلامي وكأنما خلا إلا من اتباع الأئمة.

مؤرخون من طراز متقدم

ولولا ذلك المأخذ الكبير على اليعقوبي لوجب اعتباره أب التاريخ المنهجي في الاسلام، لكنه أوغل مع هواه كثيراً، ولهذا فاننا نتوقف عند رجل معاصر آخر لليعقوبي، عاش حياته كلها كاليعقوبي خلال القرن الثالث للهجرة حيث كانت وفاته قبل اليعقوبي بست سنوات، أي عام ٢٧٦ هـ (٨٨٩) ألا وهو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبه الدينوري، وهو مؤلف كتاب الاقامة والسياسة، وكتاب «المعارف»، وكتاب «عيون الأخبار»، اضافة إلى العديد من الكتب والمؤلفات المتنوعة والرسائل. ومن الناس من ينسب الى غيره كتابه الرئيسي في «الإقامة والسياسة» لكننا من فرط التنسيق المتقن لذلك الرجل في كتبه الأخرى نرى له عقلا منظماًمبدعاً، وذوقاً في تصنيف المعرفة متقدماً يؤهلانه لأن يكون هو بالذات دون سواه مؤلف كتاب الإقامة والسياسة...

ان هذا الرجل يمثل المرحلة القصوى التي انتهى أليها العقل الاسلامي بنهاية القرن الثالث للميلاد، وهي مرحلة تتسم بالنضج، والتركيب دون البساطة، وادراك مزايا التصنيف الدقيق للمعلومات وكيفية فرزها ومضاهاتها ببعضها. ولا شك أن الدينوري كان في هذا المجال إماماً. وفيما نجده في الكتب التي يتعامل معها بمنهج العلم مدققاً في رواياته واسانيده نراه في مجال التأليف الأدبي في عيون الأخبار متسامحاً متساهلاً، فهو بعد أن يعرض النص القرآني ونص الحديث الخاصين بموضوع من موضوعاته إن وجد ذائك النصان يتحول إلى الروايات الأدبية، والمنقولات عن كتب الآخرين وما يستطيع هو أن يضيفه من تجاربه الذاتية، دون أن يعني في ذلك كله باسناد يتكلف فيه ما تكلفه صاحب الأغاني مثلا لدى افتتاح الحديث عن كل صوت جديد من رنات المثالث والمثاني.

ولا شك في أن هذا الازدواج أو بالأحرى الثنائية في الموقف مما هو علم وما هو أدب يعيدنا إلى ما كنا نبهنا له في مقالنا الأول في موضوعنا هذا بمجلة الدوحة من أن التعامل مع التاريخ كعلم أمر ممكن وواجب في مجالات معينة، والتعامل معه كأدب متحرر متفلت من قيود الإسناد أمر ممكن وواجب أيضاً في مجال الإمتاع والوعظ وما شاكلهما من الأغراض كالتشويق في التدريس والقصص. وقد تابع الدينوري في أسلوبه في عيون الأخبار كثيرون ولا شك أن من ابرزهم صاحب العقد، أو سمه العقد الفريد كما اشتهر إن شئت، الأديب الأندلسي المؤرخ ابن عبدربه... انك لا تستطيع أن تسمي عيون الأخبار تاريخاً خالصاً ولا أدباً خالصاً ولكنه مزيج مريح من الأمرين، وهو كتاب مشوق جداً ومن الصعب نسيان مادته لفرط طرافتها وحسن اختيارها وما أزال بعد أكثر من أربعين سنة من قراءتي الأولى له أذكر طائفة من فصوله الممتعة المنوعة المادة.

لكن الحق يقتضينا القول بأن ابن قتيبه الدينوري لم يكتسب اهميته كمؤرخ من عيون الأخبار بالرغم من غزارة مادته وحسن تنسيقها، وانما هو اكتسب تلك الأهمية من مناقشاته العميقة لقضايا تاريخية تتعلق بالنظام السياسي الإسلامي... وهو نقاش يحلل حوادث التاريخ ويقارنها ويربط بينها ليتوصل الى نتائج محددة، وليدعم رأياً أو يبطل آخر، وذلك من صميم عمل المؤرخ بالمعنى التقليدي المعاصر..

البلاذري

ولا يمكن طي صفحة المؤرخين في القرن الثالث الهجري قبل الإشادة بصاحب فتوح البلدان، البلاذري المتوفي عام ٢٧٩ للهجرة (٨٩٢ م). أي بعد ثلاث سنوات من ابن قتيبة الدينوري. وعلى القارئ الا يخلط بين «فتوح البلدان» للواقدي وبين كتاب البلاذري الذي يحمل نفس العنوان، ذلك بأن البون شاسع بين اسراف الواقدي ومبالغاته وتحفظ البلاذري وتدقيقه ومنهجيته المتقدمة، والحقيقة أن للبلاذري بكتابه هذا فضلا كبيراً على التاريخ الاسلامي بالثقة التي يشيعها في النفس بتحرياته المدققة لأخبار الفتوح الإسلامية الأولى وبمجانبته للعواطف في سرد الحقائق كما انتهى رأيه في قبولها بعد إخضاعها لوسائل المؤرخ المدقق المتنور.

ويظل هناك قبل الطبري مؤرخ من القرن الثالث، توفى في نفس العام الذي ادركت المنية فيه زميله المؤرخ اليعقوبي أي ٢٨٢ للهجرة، ألا وهو صاحب كتاب «الأخبار الطوال» أبو حنيفة الدينوري، وعلى القارئ أن يلاحظ تمييزه من الدينوري الآخر ابن قتيبة صاحب عيون الأخبار والإقامة والسياسة...

والى مقالنا المقبل الذي نعالج فيه موضوع مؤرخنا العظيم الطبري، حياته الحافلة، وكتابه الخالد عن تاريخ الأمم والملوك، والله ولي التوفيق.

أثر اللغة العربية في اللغات الأفريقية

● نجاح استخدام الأبجدية العربية في اللغات الأفريقية
● بعض اللغات الأفريقية تستخدم ٦٠٪ من الألفاظ العربية
● محاولات أوروبية عنيفة لإحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية في اللغات الأفريقية

بقلم : محمد جلال عباس

تأثرت جميع المناطق والشعوب التي دخلها الاسلام باللغة العربية ، فاما أنها استعربت أو ا صبحت تستخدم العربية كلغة معاملات دينية ورسمية . والى جانب ذلك فقد كان للغة العربية تأثيرها المباشر وغير المباشر على جميع الشعوب التي دخلت الاسلام ولم تستعرب استعراباً كاملاً كما هو الحال بالنسبة للفرس والترك والهنود .

ولم تخل لغات الشعوب التي دخلت الاسلام في مراحل متأخرة من تأثير اللغة العربية فيها مثل الاندونيسية والملايوية في جنوب شرق آسيا .

والمثل يقال عن افريقيا جنوب الصحراء حيث كان للغة العربية تأثيرها القوي على لغات شعوب تلك المناطق شرقها وغربها ، ولكن هذا التأثير قد اختلف من جهة لأخرى ومن شعب لآخر نتيجة لعوامل متعددة بعضها ثقافي وبعضها سياسي كما سيتبين لنا في معرض هذا المقال .

الخلفيات اللغوية في افريقيا

تعتبر القارة الأفريقية أكثر جهات العالم تعدداً في اللغات ، اذ يذكر عالم اللغة جاك بيري أنه قد أمكن تمييز نحو ثمانمائة لغة افريقية ، وهناك لغات أخرى غير معروفة قد تصل بالعدد الى ما يزيد على الالف لسان مختلف . ومن هذه اللغات ما يتكلمها بضعة آلاف ، ومنها ما يصل عدد المتحدثين بها والمستخدمين لها الى الملايين العديدة .

ودراسة اللغات الافريقية واسعة النطاق ، ولكنها لم تصل بعد الى تحديد دقيق للمجموعات اللغوية وانتساب اللغات الى هذه المجموعات ، غير أن هناك نوعاً من الاجماع على أن هناك أربع مجموعات منها اللغات الافرو آسيوية التي تنتمي اليها السامية والحامية ومجموعة اللغات السودانية وتنتمي اليها لغات بلاد السفانا في غرب افريقيا وجنوب السودان ، وجزء من شرق افريقيا ، ومنها اللغات الكنغولية النيجيرية التي تنتمي اليها لغات مناطق الغابات في ساحل غانة والكنغو ، وتمتد الى جنوب افريقيا حيث تسود لغة البانتو التي يفصلها البعض الى مجموعة خاصة منفصلة . أما المجموعة الرابعة فهي صغيرة وتسمى لغات الطقطقة أو اللغات الصوتية وهي بدائية لا يتكلمها إلا جماعات صغيرة من البوشمن والهوتنتوت في جنوب غرب افريقيا وصحراء ناميبيا .

واذا استثنينا بعض اللغات التي تنتمي الى مجموعة السامية الحامية مثل الامهرية والتجرينية في الحبشة وارتريا والقبطية والنوبية في مصر ووادي النيل فان جميع لغات افريقيا الأخرى لم تكن لها ابجديات

ولم تعرف الكتابة إلا مع دخول الاسلام .

مجالات تأثير اللغة العربية

ومنذ أن دخل الاسلام الى القارة الافريقية ، وحمل معه لغة القرآن بدأ تأثير العربية يظهر كعنصر ثقافي هام في الحياة الأفريقية . ورغم أن اللغة العربية قد استخدمت استخداماً مباشراً في أمور الدين وبعض الاتصالات العامة ، إلا أنها لم تسد سيادة كاملة إلا في الشمال الأفريقي الذي استوطنته بعض القبائل العربية المهاجرة مع حركة المد الاسلامي ، واختلاط هؤلاء المهاجرين بالسكان الأصليين ، حيث امتزجت ثقافاتهم بثقافة الاسلام وامتصت فيها حتى استعربت بعض شعوب البربر في مدى جيل أو جيلين أو ثلاثة .

ولقد ساعد على استعراب الشمال الأفريقي أن اللغات الاصلية فيه كانت تنتمي الى مجموعات اللغات السامية أو نفس العائلة اللغوية التي تنتمي اليها العربية أو أنها حامية وهي لغات شبيهة بالسامية ويرى البعض أنها متفرعة منها .

وكان للغة العربية آثار أخرى متفاوتة على لغات الشعوب التي أسلمت ترجع اساساً الى ما تميزت به العربية على تلك اللغات الأفريقية من مميزات لغوية وثقافية وسياسية .

وأهم هذه الميزات أن العربية هي لغة الاسلام التي نزل بها القرآن فاعطاها مكانة خاصة لدى كل من اعتنق الدين الحنيف .

والعربية لغة حضارة عريقة ورفيعة ، وكان لاهلها اتصالات واسعة النطاق بما حولها من حضارات كبرى في العالم القديم ، الأمر الذي أكسبها اتساعاً في أفق المعاني ووفرة في الالفاظ ، وبالتالي أصبحت صالحة للاستخدام في بيئات مختلفة ، وتميزت بذلك عن اللغات الأفريقية ذات الأفق المحدود القاصر على ما في البيئة المحدودة من ظواهر وأنشطة .

وللعربية خاصيتان هامتان : أولهما أنها لغة مكتوبة لها ابجدية تدون بها ، وثانيهما أن لها قواعد نحوية وصرفية دقيقة ورفيعةتساعد على مرونة الاستخدام وسهولة الاشتقاق وتصريف الأفعال والنسبة وغيرها .

ونتيجة لما تمتاز به اللغة العربية فقد لجأت الشعوب التي دخلت الاسلام في كل انحاء العالم الى اتخاذها منهلا ومصدراً تستمد منه وتستقي ما يكمل النقص ويثري الالسن ويسهل وسيلة الاتصال . ولقد تعددت مجالات الأخذ من اللغة العربية أذ أخذت عنها اللغات الأفريقية الابجدية لتدوين تلك اللغات ، والالفاظ لتغطية النقص فيها كما اخذت بعض المبادي النحوية والصرفية فضلاً عن اقتباسها لفنون الأدب العربي ومضامينه مما سنفصل بعض الشئ في بيانه .

استخدام الأبجدية العربية

شعر أهل اللغات الأفريقية بحاجتهم الى تدوين لغاتهم خاصة حينما عرفوا اللغة العربية وأبجديتها ، ولكن واجهتهم في تدوين لغاتهم بالحروف العربية عدة مشكلات وصعوبات تتمثل في وجودالاصوات والمخارج المنتشرة في كثير من اللغات الأفريقية ، وبعض مخارج الأصوات الشفوية مثل الياء الثقيلة أو الحلقية مثل الكاف التي يقع مخرجها بين الكاف والقاف ، هذا فضلا عن بعض الحركات الخاصة من إمالات وتسكين سريع وطقطقة وغيرها مما يضيق المقام عن تفصيلها .

ولقد حاول كتاب اللغات الأفريقية ايجاد حلول لهذه المشكلات وابتكار وسائل للتغلب على الصعوبات نوجزها فيما يلي :

١ ــ استخدام بعض الحروف التي ترمز لاصوات غير موجودة في اللغات الأفريقية لترمز الى اصوات قريبة الشبه بها ، مثل استخدام الغين لكتابة الجيم غير المعطشة (القاهرية) ، واستخدام القاف للرمز الى الكاف الحلقية المنتشرة في لغتي الهاوسا والفولاني .

٢ ــ استخدام بعض علامات التشكيل والمد والاضافية ، وبعض هذه العلامات مأخوذ عن العلامات المستخدمة في المصاحف مثل بعض علامات الوقف وبعضها مبتكر لتوضيح حركةمعينة مثل استخدام الفولاني لدائرة فوق الحرف الذي ينطق بطقطقة .

٣ ــ اضافة بعض النقط أو الخطوط ، مثل وضع نقطتين فوق الضاد التي تستخدم للرمز للطاء الحلقية العميقة .

٤ ــ يلجأ في بعض الأحيان الى استخدام بعض الحروف الأصلية في العربية مع وضع خطوط تحتها اذا كانت ترمز لنطق قريب منها وذلك لتنبيه القارئ الى أصل الصوت الذي يرمز له الحرف .

ويمكن القول بصفة عامة أن استخدام الابجدية العربية قد ثبت نجاحه ، وليس أدل على ذلك من المدونات الكثيرة والمصنفات والوثائق الغزيرة والأوراق التي لا تعد ولا تحصى في العديد من اللغات الافريقية الكبرى التي استخدمت الابجدية العربية ، مثل الهاوسا والفولاني والكنوري والماندي أو البامبارا والوولوف في غرب ا فريقيا ، والسواحلية والصومالية في شرق افريقيا . بل أن كثيراً من اللغات الصغيرة قد استخدمت أيضاً الحرف العربي كوسيلة للتدوين والكتابة .

ولما جاء الاستعمار وبدأ تنفيذ سياسته في عزل افريقيا عن مصادر الثقافة العربية والاسلامية كي تخلي الجو لثقافته ولنشاط المبشرين ، كانت الأبجدية العربية أهم هدف يضربه الاستعمار لتحقيق أغراضه فبدأت جهود مضنية بذلها المبشرون وعلماء اللغة والسلطات التعليمية الاستعمارية والاداريون كذلك لكتابة وتدوين اللغات الافريقية بالحروف اللاتينية المطوعة للنطق وهي التي تعرف باسم **Transliteration** فأنشأوا دوراً للطباعة ومكاتب للنشر ، وحاولوا اغراق السوق بكتب وصحف وأوراق بلغات محلية مطبوعة بالحرف اللاتيني المطوع ، وبدأوا يجبرون على تعلم هذه اللغات الأفريقية في مدارس تلك البلاد مطبوعة ومكتوبة بالحروف اللاتينية المطوعة .

غير أن هذه الجهود قد باءت بالفشل ولم يفلح المكتبان الرئيسيان اللذان انشأتهما السلطات البريطانية في كل من شرق وغرب افريقيا وهما « مكتب النشر في دار السلام » و « دار جسكيا للنشر » في زاريا بشمال نيجيريا ــ لم يفلح هذان المكتبان في التأثير على استخدام الابجدية العربية ، فقد بقيت حتى يومنا هذا بل وبدأت في السنوات الأخيرة حركة لاحياء الحرف العربي كوسيلة تدوين للغات الوطنية ، والعمل على تنميطه أو توحيده بالنسبة للغة الواحدة بل وبالنسبة لجميع اللغات التي تكتب بالحروف العربية .ومن أهم الحركات التي لمسناها في غرب افريقيا جمعية الثقافة الفولانية التي لها فرع في كل من القاهرة وباريس ولندن ، وتحاول توحيد الابجدية العربية للغة الفولانية من أجل ادخالها في التعليم . وكذلك ورشة التعليم في شمال نيجيريا التي تهتم بتوحيد طريقة كتابة ال « أجمي » وهو اللفظ الذي يطلق على الحرف العربي ، وبلغ الاهتمام في هذه المنظمة أن أخذت اقسام اللغات في الجامعات النيجيرية تسهم بجهودها العلمية والتجريبية في مجال تنميط الحرف العربي المستخدم في كتابة اللغات الأفريقية .

استخدام الالفاظ العربية

ومن الآثار القوية للغة العربية في لغات افريقيا ظاهرة استعارة الألفاظ العربية ودخول الكثير منها في اللغات الافريقية بصور ونسب متفاوتة .

فلقد دخلت الألفاظ العربية في اللغات الافريقية بصور متعددة أهمها :

١ ــ كلمات والفاظ دخلت الى اللغات الافريقية واصبحت تستخدم بنفس معانيها والفاظها ونطقها العربي دون تعديل أو تحريف وهي غالباً الألفاظ الدينية .

٢ ــ كلمات وألفاظ دخلت بمعانيها العربية مع تغيير في نطقها بالغاء حرف أو تغيير حرف كي يسهل ملاءمتها مع اللسان الأفريقي ومن امثلة ذلك في لغة الهاوسا :

ليتاف بمعنى كتاب ، وكاراتو بمعنى قراءة ، و داكاري بمعنى عسكري وماتسالا بمعنى مسألة وغيرها .

٣ ــ الفاظ استخدمت في معان غير معانيها الاصلية ولكنها تعطي مدلولا قريباً من معناها الاصلي ، ومعظم هذه الالفاظ تغير منطوقها لمتطلبات اللسان الأفريقي كسابقتها . ومن امثلتها في لغة الهاوسا كلمة ربح وتنطق رَبا بتشديد الباء ومدها وتعني قسم الشيء ، وكلمة قدر بفتح القاف وتسكين الدال تعني ثمن الشيء ، وكلمة هاصل وأصلها حاصل بمعنى حادث أو ظاهرة .

ويضيق المقام عن ذكر المزيد ، ولكن استعارة اللغات الأفريقية لالفاظ عربية لم تخرج عن هذه الصور الثلاث ، ولكن الاختلاف الذي حدث بين لغة وأخرى هو اختلاف كمي يتمثل في نسبة الالفاظ العربية التي دخلت الى اللغات الأفريقية ، وهي تتراوح بين ٥٪ و ٦٠٪ ، وقد بلغت ذروتها في لغات بربر الصحراء وشمال افريقيا ، وكذلك في اللغة السواحلية المنتشرة في أقطار شرق افريقيا ، وهي لغة مركبة تكونت مع المد العربي الى القارة عبر المحيط الهندي فأخذت الفاظها من عدة لغات أكثرها من العربية والقليل منها من لغات محلية وأخرى اجنبية مثل الانجليزية والبرتغالية نتيجة للاستعمار . وتعتبر لغة التجارة ولغة التعامل العامة بين أهالي الألسن المختلفة وتمتد حتى شرقي حوض الكنغو .

وفي غرب إفريقيا هناك ست لغات كبرى تأثرت بالعربية تأثرا كبيراً هي الهاوسا والكانوري والفولاني والماندي والصنغاي والوولوف ، هذا فضلاً عن تأثر اللغات الصغيرة الأخرى ، وبعض اللغات الكبرى التي تأثرت تأثراً قليلاً بالعربية مثل اليوروبا في جنوب نيجيريا والموشي في ساحل العاج وأعالي الفلتا والأشانتي والقانتي في غانا ، ويرجع التأثر المحدود لهذه اللغات بالعربية الى اقتصار أخذها للالفاظ الدينية فحسب .

ولغتا الهاوسا والكنوري هما أكثر لغات غرب افريقيا تأثراً بالعربية حيث نجد أن شبه الالفاظ العربية فيهما تصل الى أكثر من ٤٠٪ من مجموع الفاظ اللغة المستخدمة ، ويرجع ذلك الى أن شعبي الهاوسا والكنوري من الشعوب التي تميزت بالاستقرار النسبي مما ساعد على تركيز جوانب الحضارة فيهما ولذا احتاجا الى مزيد من الفاظ الحضارة اقتبست أو استعيرت من اللغة العربية التي دخلت الى تلك البلاد مع الاسلام .

أما بالنسبة للغتي الماندي والصنغاى فان تأثير العربية فيهما قديم وقد يكون سابقاً لتأثر الهاوسا بالعربية لأن هذين الشعبين قد كونا امبراطوريتي مالي ثم امبراطورية الصنغاى اللتين تتابع حكمهما في وادي النيجر الأوسط وما حولهما ، وكونتا امبراطوريتين اسلاميتين أخذتا بالنظم الاسلامية مما جعل أهلهما يستخدمان الكثير من الألفاظ العربية التي امتصت فيهما .

أما اللغات الأخرى مثل الوولوف في السنغال والقانتي والاشانتي والموسى وغيرها من لغات منطقة الغابات في ساحل غانة فيرجع قلة التأثر الى بعدها عن مصدر الثقافة العربية وتأخر وصول الاسلام الى أهل تلك اللغات حيث بلغ الاسلام الى هذه المناطق في القرن السادس عشر والسابع عشر اي قبيل مجيء الاستعمار وبداية الجهود الاستعمارية والتبشير لوقف المد الاسلامي وتعميق الثقافة العربية .

التأثيرات اللغوية الأخرى

اضافة الى الألفاظ المستعارة من العربية ،

● مطلوب من العرب جهد قائم على التخطيط لتحقيق مزيد من التقريب بين اللغات الأفريقية واللغة العربية

واستخدام الأبجدية العربية فان اللغات الافريقية عمدت الى اللجوء الى بعض القواعد النحوية والصرفية للغة العربية لكي تثرى تلك اللغات وتقوي كيانها ، ومن أمثلة ذلك استخدام الضمائر المتصلة وضمائر الملكية محاكاة للعربية في لغتي الهاوسا والفولاني والبامبارا على حد سواء يضاف الضمير على شكل بادئة أو اضافة نهائية ، ويستخدم ا يضاً اشتقاقات من الضمائر العربية ذاتها . فمثلا في التمييز بين المذكر والمؤنث في حالة ضمير الملكية نضرب مثالا من لغة الهاوسا : كتابي بالهاوسا(ليتافيني)وكتبك للمذكر ليتافينكا وللمؤنث ليتافينكي وكتابنا للجمع المتكلم ليتافيننا .

ومن أمثلة الاشتقاق على الطريقة العربية استخدام حرف الميم كبادئة للتعبير عن اسم المكان واسم الآلة وغيرها مثال ذلك ماكارنتا بمعنى مدرسة أو مقرأة أي مكان القراءة .

هذه الدراسة قام بها كثيرون منهم المعلم ابراهيم عمر بكلية الدراسات الاسلامية بجامعة بابارو في نيجيريا ، وكذلك كانت موضوعاً لرسالة قدمها الدكتور مصطفى حجازي لمعهد الدراسات الافريقية بالقاهرة للحصول على الدكتوراة في لغة الهاوسا .

هذا ، ولقد تعدى التأثير العربي حدود الالفاظ والقواعد الى مجالات الأدب بفروعه المختلفة ، فقد كان لقصص الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة ورحلات السندباد وغيرها من التراث العربي المنقول أو المبتكر أثره في القصص الشعبي وقصص الحيوانات واقاصيص الأطفال في جميع انحاء القارة الافريقية ، إما نقلاً عن العربية أو محاكاة لها أو اتباعاً لمنهجها واسلوبها .

والمثل يقال عن الأمثال الشعبية الشائعة والحكم السائرة فقد أخذت الشعوب الأفريقية كثيراً منها عن مصادر عربية ، وبخاصة المصادر الدينية ، حتى أن كثيرا من الأحاديث والأوامر النبوية الشريفة تحولت في كثير من اللغات الأفريقية الى



أمثال شعبية ونصائح وأوامر متداولة تلعب دورها الفعال في النشأة الاجتماعية .

وليس أدل على عمق التأثيرات العربية في الاستخدامات اللغوية والأدبية الافريقية من تأثير نمط الشعر العربي من حيث وزن الشعر والتشطير والقافية على الشعر الافريقي ، ولقد قام الاستاذ الدكتور كبير وجلادنشى استاذ اللغات الافريقية في جامعة بابارو بدراسة لشعر الهاوسا والفولاني ، ووجد أن شعراء الهاوسا والفولاني يستخدمون على الأقل ثمانية من الأوزان العربية للشعر مثلما هي في العربية تماماً ، كما أن الكثير من شعراء الفولاني كانوا يلجأون الى استخدام كلمات عربية في نهاية الابيات الشعرية تحقيقاً للقافية اذا لم تسعفهم كلمات لغة الفولاني .

الحاجة الى منطلق عربي

وهكذا نجد أن أثر الثقافة العربية قد تعمق في لغات الشعوب الأفريقية لدرجة تجعلنا لا نتردد في القول بأن بعض تلك الشعوب الأفريقية كانت بسبيلها الى الاستعراب الكامل كما استعربت شعوب اخرى من قبل في الشمال الأفريقي مثل مصر وتونس والجزائر والمغرب لولا الضعف الذي اصاب الظهير العربي بانتهاء الخلافة وضرب الاستعمار للثقافة العربية بكل قواه الصليبية والسياسية والاقتصادية ، واثارته للنعرات القبائلية والاقليمية وغير ذلك من وسائل .

وهذا بالتالي يلزم العالم العربي بالاتجاه الى منطلق جديد لنشر الثقافة العربية وتقوية ما هو قائم من صلات ثقافية ، واعادة ما ا ندثر أو ضعف منها . ويحتاج الأمر الى أن تتحول توصيات وقرارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم الى فعل وجهد يتجه الى وجهات ثلاث مترابطة :

اولاً : توثيق التراث الافريقي العربي وتراث اللغات الافريقية المدون بالأبجدية العربية .

ثانياً : دراسة هذا التراث ونشره لاتاحة الفرص لاستخراج أصل الصلات والقواعد التي تحكمها وصولاً الى حلول لمشكلات استخدام الأبجدية وتنميط استخدامها احياء لهذا النمط القوي الذي يربط اللسان الافريقي باللسان العربي .

ثالثا : تقديم المساعدات الفنية والمادية لنشر هذا التراث وطباعته ليبرز أمام الشعوب الافريقية عمق الصلة بين العربية واللغات الافريقية .

ولعل في هذا المنطلق الثلاثي العناصر أساساً لنشر العربية ذاتها ، فان محو الأمية بالأبجدية العربية ليعد نقطة بداية لنشر اللغة التي تستخدم هذه الأبجدية .

ونشر اللغة وتقارب الألسن يعد أساساً لكل التقارب السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي ننشده من أجل رخاء شعوب العالم الثالث وسلامها ووقوفها موحدة ضد الاستعمار الجديد ، وغير ذلك مما ينبعث من أعماق الأعداء من صليبيين وصهيونيين وغربيين وشرقيين مستغلين .

محمد جلال عباس
جامعة الملك فيصل

الملحمية في ديوان "أنشودة الخليج" للشاعر مبارك بن سيف آل ثاني

بقلم: حاتم صادق خربيط

عندما يستوعب الشاعر عصره ويعرف كل الأبعاد التى تتكون منها حدود التاريخ الذى قرأ عنه وسمع به وعاشه ، وحدود المعرفة الحياتية واللغوية ، وحدود التجربة الناضجة ، يتدفق الشعر الذى ينظمه مليئا بالابداع والجمال ..

ومن الشعر المتميز القصيدة « الملحمية » الطويلة التى أخذ الديوان الذى ضمها اسمه من عنوانها « أنشودة الخليج » للشاعر القطرى مبارك بن سيف آل ثانى ، والصادر عن الدار الشرقية للنشر والتوزيع فى الدوحة

هذه القصيدة « الديوان » المكونة من ثلاثمائة وسبعة وثلاثين بيتاً من الشعر تحمل فى طياتها أصالة عميقة الجذور حتى لتغدو أكثر من قصيدة بذلك الزخم الكبير الذى حوته من الأحداث التاريخية التى شهدها الخليج العربى على مدى حقبة بل مجموعة أحقاب زمنية تتالت عليه وشهد فيها ذلك المزيج المتنوع والمتفاوت من الحضارات والدول والحركات والمحاولات الاستعمارية والأحداث الصغيرة والكبيرة ..

استعراض شامل ومتقن يؤكد من خلاله الشاعر مبارك بن سيف آل ثانى شاعريته وقدرته الجيدة والمتفوقة على التعامل مع اللغة العربية ممثلة بحروفها وكلماتها وجملها وببلاغتها وتصويرها وتركيباتها ، وبموسيقاها ، والتجانسية النغمية التى تتوالد من تآلف الألفاظ والمعانى .. ومع التاريخ ممثلاً بكل التفاصيل التاريخية والحضارية فى حياة الخليج العربى ومعرفة الشاعر بثقافاتها ، والثراء العظيم فى قيمة هذا التاريخ وهذه الحضارة .. ثم مع التراث ممثلاً فى الامكانات التراثية الهائلة التى تختزنها أرض الخليج :

يا حارس التاريخ هل أخبرتنى
فعلى رمالك ترقد الأنباء
وتنام تحتضن الحياة لو أنها
ــ يابحر ــ تصحو ، إنها آلاء

إن الشاعر مبارك وهو ينقل إلينا الأحداث التاريخية والصور التى شهدها الخليج يعطى الاحساس الكامل والمرهف بمكنونات الحدث ، حتى يبدو لنا وكأنه عايش كل هذه الأحداث وخبر خفاياها ، وهو ينقلها إلى الخليج الصامت محكية بعبارات منتقاة لتعطى أقصى أنواع التعبير ، ثم يصمت ليسمع مايقوله الخليج بنفس الأسلوب .. وهذا النوع من تبادل المواقع يقصد به تأكيد حقيقة الحدث المروى عنه من خلال إعادة التأثير الحسى عبر إيقاظ الذكريات التى أغمض عليها الزمن عيونه .

الشاعر يغوص فى أعماق التاريخ بحثاً عن الصور العظيمة التى لاتزال مرسومة بالكلمات ، وأملاً فى الكشف عن الدرر االثمينة التى تختبئ فى محارات الكتب ، والحكايات التى تتناقلها الأجيال عن بعضها ، وتلك هى روعة الربط الاستمرارى بين وجهين للغوص : قديم وحديث ، الغوص الذى هو سمة حياتية وتراثية وتاريخية فى الخليج ، غوص أبنائه قديماً بحثاً عن اللؤلؤ الذى قد يكون ثمنه دماء غواص فاجأه خطر فى الاعماق ، لكنها لقمة العيش التى لا ترحم :

يادرة تسعى لجيد جميلة
تبا لدر سال فيه دماء

وغوص الشاعر حديثاً يلم أشتات كنوز قد يجهلها كثيرون ليضم منها قصيدته الرائعة فى رحلة على متون الحروف والكلمات والجمل والأبيات ، يتهادى عبر بحر الابداع على ترنيمات موسيقى تتقاطع فيها النغمات بتنسيق جمالى وتكوينات تصويرية مثيرة ، غوصه ليس غريباً وهو ابن الخليج ، وفى داخله ينمو حبه وتعلقه بأرضه . وغوصه أيضاً نوع من الاستدراج لأفكارنا وعواطفنا للمشاركة الكاملة فى انشودة ليست انشودة عادية ، بل هى حداء حقيقى يردده بدوى أصيل لركب أوله فى الزمان الحاضر وآخره يمتد إلى آلاف السنين حضارة وعلماً وثقافة وأصالة ، ويتخذ له من شواطئ الخليج موطناً يتنقل فيه بين غدو ورواح ، مختزناً كل مايمكنه من العراقة التى يتميز بها .

عملية الاستدراج التى يقوم بها الشاعر بعيدة كل البعد عن المفاجأة والتكلف ، الاستدراج هنا حالة استفزاز عناصرها العبارة المنتقاة الرائعة ، والصورة المشكلة بتكوين فنى مدهش ، والموسيقى القوية المتجانسة المنتظمة التى تتوالد من تفعيلات البحر الكامل وتناسب هذا العرض التاريخى العظيم الذى يحتاج إلى نغمة موسيقية متواترة ، الاستدراج يبدأ من الوصف :

وعجزت عن وصف الضفاف إذا الضحى
نثر الضياء عليك فهو رواء
والليل إن أرخى عليك سدوله
عكست مياهك ما حوته سماء
فالموج ليل ، والنجوم جواهر
والبدر فيه درة زهراء
والموج آت ذاهب فى همسه
كف تمد ، وليس ثم رجاء
بل إنها أنات محموم الهوى
فى همسه أمل له ورجاء
والناعمات من النسائم قد سرت
بين النخيل وظلهن خباء



الشاعر مبارك بن سيف آل ثانى



غلاف الديوان

ومن إطار هذه الصور الآتية المنتقلة على ضفاف الخليج مابين إشراقة صباح وردى ، وهمسة ليل نجومه جواهر ، وموج الخليج يغزل فيه حكاية الرحلة الأزلية مع العشق بينه وبين الشاطئ . من إطار هذه الصور الشيقة يخرج ليبدأ السفر مع التاريخ بالمسير العكسى من الحاضر إلى الماضى الأقرب فالقريب فالبعيد فالأبعد :

كم كنت ياشط الخليج ملاعباً
تهفـو إليك الليلة القمـراء
فنجوب ساحـة حينـا فى فرحـة
بظـلالنـا وحجـارة سعـداء

وربما كان يجدر بنا أن نبدأ من حيث بدأ الشاعر مما هو أقرب من الطفولة وذكرياتها إلى الحاضر وهى سفن الصيد والغوص والتجارة والسفر :

زفـت اليك الفلك وهى عرائـس
خجـلى وإن العاشقـين سـواء
أنظر ، فذاك « البوم » فوق مياهه
وبقـربه « البقـارة » الشمـاء
وهنـاك « شوعى » و « بانوش » هنـا
وشبـاك صيـد قـد رفعـن خـواء
وتـرى هنـا « نوريـة » مرميـة
فـوق الرمـال وقربهـا « البغـلاء »

ويستعرض بنفس شعرى متواصل وبزخم واحد ذكريات الطفولة والفولكلور القديم الذى كان يسم ألعابهم فى رمضان والمواسم ، ويتابع الرحلة على متون أبيات منظومة بمهارة فنان حاذق فيخترق الأزمان ويتجاوز حدود الذكريات الفردية إلى عوالم المعلومات التاريخية ، لكن يسأل الخليج قبل الابحار :

وسـألته عن قومـه ، عن أرضـه
أو فى الخليج تبدلـت أشيـاء ؟
عن أمسه المجهول ، قـال : هنيهة
أنصت ، فصوتى الموج والأنواء

ويحدثه حديثه الطويل عن قبيلتى « طسم وجديس » ومدينة « أور التى بعث فيها النبى ابراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ وأرض « بابل » ومدن « الجرهاء ومزون ودارين وهجر » وقبائل « بكر وعبد القيس وبنو تميم وإياد والأزد » وغيرها .

إن استعراض هذا التاريخ الواسع العريض والعريق والعميق فى أصوله لم يكن بالأمر السهل خاصة وهو يروى فى قالب شعرى موزون ومقفى ، ولا يفوت الشاعر جانب من جوانب هذا التاريخ الحافل ، حتى أنه أحياناً يتحدث عن أشياء صغيرة جداً لكنها مهمة فى إشادة هذا البيان الشعرى الملحمى ، ودعم أركانه بشكل متين ومتجانس .

ولئن لجأ الشاعر إلى المباشرة فى سرد بعض الأحداث ، فإنما هو ـ كما يبدو ـ نوع من تخفيف الضغط على النفس الشعرى أمام كثافة الأحداث التاريخية واتساع دائرة الحضارات التى عرفها الخليج العربى :

ورأيت « جلجاميش » وهو مكابر
يحـدوه وجـد للخلود وداء
ألأجـل « عشتـار » أراد خلوده
ألأجـل « أنكا » ـأم هى الخيـلاء
ألأجل « أوروك » المجد شعبها
أم أنهـا الدنيـا منى عميـاء

وبنفس الأسلوب يتحدث عن « ذى القرنين » و « نياركس » و « ذى الاكتاف » و « ذى قار » و « ابن ذى يزن » و « ابن الفجاءة » و « طرفة بن العبد » وأسماء أخرى كثيرة ، ولكنه حين يصل إلى مرحلة ظهور الاسلام يتوقف قليلاً ليعبر عن حالة الانبهار التى غمرت الكون :

البدر يبعث بالنجوم رسائلاً
فالحـق نـور والقلـوب ضيـاء
ورأيت نور الحق فى رسل الهدى
فالكـل فيـه رفعة وبهـاء
« الله اكـبر » رددت أصداءها
أرض الخليج ومثلهـا الأرجاء

ويتابع رحلة البحث عن تفاصيل وأحداث أخرى فى أعماق التاريخ بالخليج وصولاً إلى الماضى القريب حيث يلقى زورقه فى زمان ماقبل النفط ليتحدث عن حياة قاسية عاشها أبناء الخليج العربى بحثاً عن لقمة العيش مأخوذة من أعماق البحر فى محارة أو سمكة ، أو من حضن الرمال فى صحراء خالية من كل أثر للحياة ، ثم حولتها الادارة الجبارة إلى حدائق ومزارع تزهو بالخضرة .

ويختتم قصيدته الطويلة متحدثاً عن الحاضر المزدهر فى الخليج العربى بكل ما فيه من تطور وتنوع وحضارة خاصة بعد قيام مجلس التعاون بين دول الخليج :

يكفيك فخراً أن فيك علائماً
فكأنهـا فـوق الدنـا طغـراء
فبنوك صيد فى المعارك ما انثنى
لهـم إذا حـم الوطيس لـواء
لهـم السوابح والعتـاق رواكب
فتسـاوت الأمـواج والدهنـاء

حاتم خربيط ـ جدة

بين السينما والأدب

بقلم : أمين صالح

● توفيق الحكيم يشاهد قصصه كمتفرج عادي
ولا يحتج ولا يصرخ ولا يشعر بخيبة الأمل عند رؤيتها !

في العدد الماضي رأينا كيف أن السينما ارتبطت بالمسرح والأدب منذ البداية ، وكيف لجأ أوائل السينمائيين إلى الكتاب والأدباء البارزين ليزودوهم بالنصوص الجيدة التى تنقذ أفلامهم من الموت وتجذب الجمهور إلى القاعات الخالية ، إلا أن هذا الاتجاه سرعان ما اتجه في السنوات الأخيرة إلى فيلم « المؤلف » وهو الذى يتحول فيه المخرج إلى مؤلف يصوغ العمل الأدبى بأداته « الكاميرا » ويقدمه بلغة السينما المتميزة .. واستعرضنا بعض آراء كبار المخرجين أمثال انتونيونى وجوزيف لوزى وفللينى في علاقة المخرج السينمائى بالعمل الأدبى ، وكيف أجمعوا جميعا على أنهم يقدمون في أفلامهم أشياء لا نراها في الكتب .. ولكن هل هذه الآراء التى أدلوا بها تعنى أن الحقل السينمائى يخلو من مخرجين أمناء على النص الأدبى يقدمونه دون إضافة أو إبداع ؟ هذا ما سنواصل مناقشته مع غيره من القضايا في هذه الدراسة عن السينما والأدب :

إن ما استعرضناه من آراء لكبار المخرجين عن سينما المؤلف ، يعبر بدقة عن واقع العلاقة بين الأدب والسينما ، وعن طريقة التعامل التى يتبعها هؤلاء المخرجون الذين يمتلكون أساليب ورؤى خاصة ينطلقون منها في تحقيق اعمالهم الإبداعية .

العلاقة بين الأدب والسينما

وهذا لا يعني أن الحقل السينمائي يخلو من مخرجين منفذين للنص الأدبي كما هو دون اضافة أو إبداع ، فثمة مخرج يعتمد على اسم الكاتب أو شهرة العمل الأدبي لكي يحقق رواجاً تجارياً ، ومخرج آخر يعتمد على نفس الشيء ولكن افتقاره إلى الإبداع وضيق افقه يؤديان إلى تشويه المضمون الأدبي وتحريفه ، وثمة مخرج يمتلك قدرة تكنيكية عالية كتوني ريتشاردسون البريطاني مثلاً ولكننا نجده في افلامه يستند على افكار ورؤى المؤلفين الأصليين . فتأتي أفلامه تعبيراً عن فكر جان جينيه واوزبورن وسيليتو وغيرهم ، وحين يحاول المرء أن يبحث عن موقع هذا المخرج وموقفه الفكري فانه لن يجد غير التكنيك المتطور فحسب .

وفي السينما المصرية يتمثل هذا النموذج في حسين كمال ، المتمكن من الحرفة السينمائية ، في احدى مقابلاته نقرأ مايلي :

س : من الواضح أنك كنت حريصاً على ابراز رؤية مصطفى محمود في « المستحيل » ورؤية يحيى حقي في « البوسطجي » ، فهل يمكن أن نتعرف على منهجك الخاص ؟

ج : أنا باستمرار حريص الى اقصى درجة على ابراز فكرة المؤلف واعطائها للجمهور (...) وعموماً فان اختيار موضوع معين والاحساس به ثم اخراجه يعني انني متفق معه .

س : لكن هناك فرقاً واضحاً وقاطعاً بين رؤية « المستحيل » ورؤية « البوسطجي » فهل يعني هذا انهما يمثلان موقفك الفكري من الواقع الانساني ؟

ج : لا ، موقفي الفكري تعرفه عندما اكتب رواية .

س : ولكن الى متى ستظل مخرجاً ينفذ أفكار غيره ؟

ج : ليس في امكاني الآن أن أكتب أفلامي بنفسي .

ومنذ ١٩٦٨ وحتى اليوم لم يؤلف حسين كمال فيلماً بنفسه ، والملاحظ أن سبب لجوء السينما المصرية الى نقل الأعمال الأدبية الى الشاشة هو النقص الملحوظ في السيناريوهات الأصلية وافتقارها الى مخرجين يؤلفون افلامهم بأنفسهم . لذا نجد أن معظم اعمال احسان عبدالقدوس ومحمد عبدالحليم عبدالله والسحار والسباعي قد تحولت الى أفلام . أما بالنسبة لأعمال نجيب محفوظ فقد أثير جدل صاخب حولها ، حيث أن البعض طالب بالالتزام الحرفي بالنصوص ، والبعض رد بأن هذا غير ممكن لأن السينما تفرض شروطاً تتفق مع الشكل السينمائي . وعند تقييمنا للافلام التي تناولت اعمال محفوظ نجد أن حسن الأمام قد تجاهل معظم ما أراد أن يقوله محفوظ واكتفى بالتركيز على قصة حب حميدة وعباس الحلو في « زقاق المدق » وعلى غراميات عبدالجواد وياسين في « بين القصرين » و « قصر الشوق » . وحسام الدين مصطفى اهتم بالمشاهد الجنسية في « الطريق » و « السمان والخريف » ، كما اهتم كمال الشيخ بالمطاردات في « اللص



توفيق الحكيم



نجيب محفوظ



إحسان عبد القدوس

والكلاب » نتيجة تأثره بالأفلام البوليسية . والذي يمثل الاستثناء هنا هو صلاح أبو سيف الذي يعد من أقدر المخرجين على فهم واستيعاب أعمال محفوظ . (٤)

لقد طرحت رأي السينمائيين في النص الأدبي وكيفية تعاملهم معه ، والآن سأتناول رأي الكتاب في الأفلام السينمائيةالتي عالجت أعمالهم ، بالاضافة الى مواقفهم وردود فعلهم ومدى قبولهم أو رفضهم لعملية التحويل والنقل .

فمن من جهة نجد أن بعض الكتاب قد اتخذوا موقفاً رافضاً ازاء الفيلم المعد عن احدى قصصهم وانكروا انتماء قصة الفيلم اليهم ، وهؤلاء كانوا يطلبون من الفيلم أن يعبر تماماً عن كل ما طرحوه في عملهم الأدبي . فعلى سبيل المثال : يقال أن همنجواي عندما شاهد روايته « العجوز والبحر » على الشاشة ، خرج قبل أن ينتهي الفيلم صارخاً « ليست هذه قصتي » .. كذلك فعل شتاينبك .

ويقول احسان عبد القدوس : « لم تظهر على الشاشة قصة لي أحس أنها هي نفسها القصة التي كتبتها ، حتى أني فكرت مرة أن أكتب بنفسي السيناريو ، ولكن بعد أن وصل السيناريو الى يد المخرج وجدته شيئاً آخر يظهر على الشاشة . ورغم ذلك فان معظم هذه القصص أرضت الجماهير سينمائياً وهذا ما يجعلني ألزم الصمت واتحمل » . (٥)

ومن جهة أخرى نجد بعض الكتاب الذين اتخذوا موقف القبول إدراكاً منهم لطبيعة العمل السينمائي وامكانياته المختلفة : يروي المخرج المصري محمد كريم في مذكراته حول فيلمه زينب الذي اخرجه عام ١٩٣٠ والمأخوذ عن رواية للدكتور محمد حسين هيكل : « في لقائي الثاني مع الدكتور هيكل ، قصصت عليه أحداث السيناريو والتغيير الذي عملته ، واذا بي أ فاجأ بأنه وافق على الفور ، وزاد بأن قال ان للقصة المكتوبة أصولاً وقواعد لا تتفق مع أصول وقواعد السيناريو السينمائي ، ومن حق رجال السينما أن يدخلوا من التعديل ما يتفق وأسلوبهم في العمل . » . (٦)

ويشير هاشم النحاس في كتابه (نجيب محفوظ على الشاشة) الى أن سبب رفض محفوظ لكتابة سيناريوهات الأفلام المأخوذة عن رواياته ، يرجع الى أنه يرى من الصعب عليه باعتباره كاتبها أن يتخلص من اسرها الأدبي مما قد يضير بالفيلم نفسه . ويقول محفوظ : « من حسن حظي أن جميع الأفلام التي اخذت عن كتبي أحرزت نجاحاً ساحقاً . وقد استجبت لها رغم كل ماقيل عنها . ليس هناك أفظع مما قيل عن فيلمي قصر الشوق وبين القصرين ، ومع ذلك سعدت بهما جداً ، وأنا راض عنهما تماماً » .

أما توفيق الحكيم فيقول : « لعلمي المسبق أن السينما لن تأخذ من عملي الا مايدخل في اختصاصها المتطور ، لذلك لا أحتج ولا أصرخ ولا أشعر بخيبة الأمل . انني لم أطلب يوماً من السينما أن تنجح في ايصال معاني قصصي لجماهيرها بنفس الدقة وبنفس الحرارة . (...) ولذلك أشاهد قصصي كمتفرج عادي وليس كمؤلف لها . »

إن المحصلة النهائية لمجمل ما ذكرته هي أن عملية تحويل شكل فني الى شكل فني آخر تؤدي الى خلق عمل جديد تماماً . فعملية تحويل الروايات الى السينما تولد شعوراً جمالياً يختلف كل الاختلاف عن ذلك الشعور الذي تولده قراءة الروايات

● رغم أن «أورسون ويلز» قدم للسينما رواية «المحاكمة» لكافكا بأسلوب مختلف إلا أنه احترم رمزية المؤلف في الانفتاح على عوالم أخرى!

الأصلية ، وذلك لأن وسيلة الاتصال الجماهيري ــ أي اللغة ــ مختلفة ، فاحداهما لغة أدبية تقوم على الحروف الأبجدية الهجائية ، أما الثانية فهي سمعية مرئية. (٧)

ويطرح بول وارن في كتابه (السينما بين الوهم والحقيقة) نموذجين لعملية تحويل الرواية الى فيلم . النموذج الأول : رواية شارلز ديكنز «اوليفرتويست» التي اخرجها االبريطاني دافيد لين . يقول : ان بعض مشاهد الفيلم كانت تحويلاً مرئياً مسموعاً شديد الدقة لما خطته ريشة ديكنز ، ومع ذلك فان الشحنة العاطفية التي اتلقاها خلال جمل ديكنز تختلف أساساً عن تلك التي أتلقاها عبر صور لين وأصواته . ان الصورة الذهنية التي تتشكل في المخيلة تختلف باختلاف نفسية كل قارىء ومستواه الذهني وحساسيته وتجاربه السابقة ، والسبب في ذلك هو أن للكلمات رموزاً تعيد احياء الصورة المحتجبة في أعماق نفس كل منا . إن لين يقدم صوراً وأصواتاً تحاول بلا جدوى تحويل المعاني المادية والمباشرة التي تحملها الكلمات إلى معان سينمائية . وهو لم ينقل لنا سوى المعنى المباشر والحرفي لرواية ديكنز ، دون أن يعطينا روحها .

النموذج الثاني : رواية كافكا «المحاكمة» التي استوحى منها الأمريكي اورسون ويلز فيلمه الذي يحمل نفس العنوان . يقول وارن : أن ويلز لم يعتبر عمل كافكا في أية لحظة نموذجاً يتعين عليه أن يلتزم به ، فقد أدرك ويلز أنه ليس من شأنه ا ن يعبر بالسينما عما عبر عنه كافكا بعبقريته مستخدماً الكلمات والألفاظ ، وكل ما كان يعني ويلز هو أن يعبر عن الحالة الشعورية الخاصة التي انتابته عندما قرأ رواية المحاكمة ، بل كل أعمال كافكا الأخرى . لذلك نجد أنفسنا أمام فيلم ويلز تجاه كيان فني مختلف اختلافاً جذرياً عن ذلك الذي تضمه طيات رواية كافكا ، وقد بلغ هذا الاختلاف درجة تجعل من المستحيل المقارنة بين العملين ، فمحاكمة ويلز عمل يقف على قدميه وحده ، وهو ذو قيمة ذاتية تنبع منه وحده . ورغم هذا الاختلاف ، فان القيم الأساسية عند كافكا موجودة في فيلم ويلز ، وتصل الى المتفرج ، ولكن من خلال وسيلة مختلفة واسلوب ادراك مختلف بالطبع . ولكن هذه القيمة تصل الى المتفرج بقوة لا تقل عن قوة وصولها لقارئ كتاب كافكا . لقد اصبح كل تمرد كافكا ضد تقييد الحياة الانسانية الى درجة العبودية ، هو نسيج فيلم ويلز من اوله لآخره . واذا كان فيلم ويلز لا يقلل من قيمة عمل كافكا ، فان السبب في ذلك هو أن المخرج قد قرأ كافكا بقلب متفتح وذهن محلق . فالأصوات والصور التي قدمها متفتحة تصل إلى درجة الشمول وتحترم قابلية كلمات كافكا الرمزية للانفتاح إلى عوالم أخرى .

ويتوصل بول وارن الى هذه النتيجة : ان الأعمال ذات الطابع الذاتي هي الوحيدة التي تنجح في تحويل شكل فني إلى شكل فني آخر ، وان الذي يقوم بها يجب أن يكون فناناً أي لا يأبه مطلقاً بالاخلاص لأي نموذج كان ، ولا يبحث إلا عن شيْ واحد هو أن يعبر عن نفسه ، بعد أن يتلقى الصدمة الانفعالية من عمل أو شخص ما .

التأثير المتبادل بين السينما والأدب

نأتي الى التأثيرات المتبادلة بين السينما والأدب بحكم العلاقة التي نشأت بينهما منذ البداية وحتى اليوم ، وبحكم تفاعلهما المؤثر .

أولا : تأثير الأدب على السينما :

في مقالة للمخرج الروسي سيرجي ايزنشتاين حول «ديكنز وجريفث والفيلم اليوم» يبين ايزنشتاين مدى استفادة المخرج الأمريكي جريفث من شارلز ديكنز ، وكيف ا نه تمكن من اكتشاف ابتكاراته عن طريق التعمق في قراءة صور واشارات ديكنز الكامنة في اعماله ، سواء في المنتاج (كالمزج ، اللقطات المطبوعة فوق بعضها) أو في حركة الكاميرا (كالحركة الاستعراضية) .

وايزنشتاين نفسه يصرح فى كتابه «الاحساس السينمائى» بأنه استفاد فى عملية المونتاج من بوشكين وميلتون وموباسان وماياكوفسكى ، ويعتبر اعمالهم «تمثل أهمية قصوى لاثراء المصادر التعبيرية فى الفيلم» وعن بوشكين يقول : «انه يعلمنا كيف نعمل حتى نتفادى اللقطات المصورة ذلك التطابق الآلى مع الدقات على شريط الصوت» . وهو يعتبر كتاب ميلتون «الفردوس المفقود» : «مدرسة من المستوى الاول تستطيع فيها أن تدرس المونتاج والعلاقات السمعية والبصرية» .

كذلك نلاحظ تأثر جان رينوار باسلوب اميل زولا الواقعى .

ثانيا : تأثير السينما على الأدب :

لقد استفادت الرواية والقصة القصيرة والقصيدة استفادة كبيرة من المونتاج السنيمائى والاساليب السنيمائية الاخرى : كالقطع واستخدام اللقطات والارتداد إلى الوراء (الفلاش باك) والاختفاء التدريجى . ونلاحظ الاستفادة من المونتاج بنوعيه : المونتاج الزمنى (أى أن يظل الشخص ثابتاً فى المكان بينما يتحرك وعيه فى الزمان) والمونتاج المكانى (أى يبقى الزمن ثابتا ويتغير العنصر المكانى) ، ونجد هذا بصورة مكثفة فى أعمال كتاب «تيار الوعى» (٨) .. وأيضاً فى القصة الحديثة .

● من هم أهم الأدباء العالميين والعرب الذين دخلوا إلى مجال السيناريو والحوار في السينما؟

يقول روبرت همفرى فى كتابه « تيار الوعى فى الرواية الحديثة » :

« ان الوظيفة الأساسية لكل الوسائل السينمائية . وبخاصة تلك الوسيلة الأساسية : المونتاج ـ هى التعبير عن الحركة وتعدد الوجود . وهذه الوسيلة المعدة لتقديم ماهو غير ساكن وغير ممركز هى الوسيلة التى اغتنمها كتاب تيار الوعى لتسهم قبل كل شئ فى تحقيق غرضهم الأساسى ، وهو تقديم العنصر المزدوج فى الحياة الانسانية ، أى الحياة الداخلية مع الحياة الخارجية فى وقت واحد . »

ويقول دكتور طه محمود طه فى كتابه « موسوعة جيمس جويس » :

« يتحكم جويس فى تيار الوعى فى يوليسيس بطرق سينمائية . ويعتبر الفصل الخامس عشر كرنفالا فنيا مارس فيه جويس جميع الفنون . أما الفصل العاشر فيعتبر فيلما مصغرا ليوليسيس بأكملها . وقد نجح جويس فى اسغلال الأساليب السينمائية لعرض حياة الانسان المزدوجة : حياة الانسان الفكرية ، متمثلة فى تيار الوعى الذى يسيل من لحظة لأخرى دون التقيد بالزمان والمكان ، وحياة الانسان الطبيعية فى العالم الذى تتحدد حركاته فيه زمكانيا » .

ونجد ايضاً تأثر نجيب محفوظ بالفن السينمائى ، فهو يقول : « السينما تأثرت بها فى أعمال كثيرة مثل استخدام الخيال البصرى فى الرواية . واعتقد أن ميرامار يظهر فيها التأثر بالخيال البصرى لأنى اعتمد فى رواياتى على المنظر وليس السرد » . هذا بالنسبة للتأثير فى الاسلوب والبناء القصصى ، وهناك مستوى آخر للتأثير يكمن فى توسيع رقعة الجمهور ، كما أن انتشار الكتاب عن طريق السينما رفع من انتشارهم فى مجال الأدب ، فالنسخ التى بيعت من الروايات بعد تقديمها على الشاشة فاقت مابيع منها منذ صدورها .

بعض من اجتذبتهم السينما من الكتاب

من المعروف ان السينما استقطبت عددا كبيرا من الادباء والعاملين فى المجالات الفنية الأخرى ، وقد توجه هؤلاء للعمل السينمائى فى مختلف أقسامه الفنية : تمثيل ، تصوير ، كتابة السيناريو والحوار ، اخراج .

فمن ضمن الذين مارسوا كتابة السيناريو والحوار : فولكنر ، ارثر ميلر ، تينسي وليامز ، سكوت فيتز جرالد ، شتاينبك ، همنجواى ، وليم سارويان ، جور فيدال ، ماياكوفسكى ، جوركى ، بريخت ، شيلا ديلانى ، ادريان ميتشيل ، جون اوسبورن ، انتونان آرتو ، فرنسيس بيكابيا ، جاك بريفير .

وقد برر الشاعر جاك بريفير هذا التوجه قائلا : « طيلة عملى الادبى لم أستطع التفريق بين القصيدة والرواية . وأمام هذا الفهم الخاص ، كنت اعتبر ان الفيلم هو قصيدة العصر . بمعنى آخر ، انه رواية العصر . عندما يتسنى لك أن تعطى أبطالك ا شكالهم الواقعية القصوى ، فما هى الذريعة التى تحول بينك وبين عملية التجسيد هذه ؟ ان السينما ليست اختيارا شخصيا إنما هي لغة العصر » .

وفى السينما المصرية نجد : نجيب محفوظ ، احسان عبد القدوس ، السباعى ، السحار ، مجيد طوبيا .

ومن ضمن الذين مارسوا الاخراج : جان كوكتو ، اندريه مالرو ، ارابال ، مرجريت دورا ، الان روب جرييه ، جان جينيه ، بازولينى ، برتولوتشى ، هارولد بنتر ، روبرت بولت ، نورمان ميلر ، سوزان سونتاج ، والتون تريمبو ، بيتر فايس ، شوجى تيراياما ، بو ويدربرغ ، عثمان سمبين .

وأسباب التوجه الى الاخراج السينمائى عديدة ومختلفة ، فبرتولوتشى يعتبر السينما هى اللغة الشعرية الحقيقية . وكوكتو يعتبر السينما احدى الوسائل التى يمكن ان تعبر عن الشخص المجهول الذى يسكنه . وبازولينى حقق فيلمه الأول لكى يعبر عن نفسه بواسطة أداة مختلفة وقد قال : « انا دائما احاول أن أجد وسائل جديدة للتعبير » . أما الان روب جرييه فقد قال : « ليست موضوعية الكاميرا هى التى تفتن كتاب الرواية الجدد ، وانما امكانياتها الذاتية والتخيلية . إنهم لايفكرون فى السينما كوسيلة تعبير ، بل كوسيلة بحث » .

أمين صالح ـ البحرين

هوامش

(١) رينيه كلير : كتاب « سينما الأمس وسينما اليوم

(٢) مجلة المعرفة السورية كانون الثانى ١٩٧٣

(٣) مجلة المسرح والسينما المصرية عدد يوليو اغسطس ١٩٦٨

(٤) انظر كتاب « نجيب محفوظ على الشاشة » لهاشم النحاس

(٥) جريدة السينما والفنون ٢٥ / ٧ / ١٩٧٧

(٦) مجلة الهلال يناير ١٩٦٩

(٧) بول وارن السينما بين الوهم والحقيقة

(٨) تيار الوعى : نوع من القصص يركز فيه اساسا على ارتياد مستويات ماقبل الكلام من الوعى بهدف الكشف على الكيان النفسى للشخصيات .. ويمثل هذا التيار جيمس جويس ، فرجينيا وولف ، ووليم فولكنر .

بين الألغام والملاحة الحرة والسياسة

البحر الأحمر

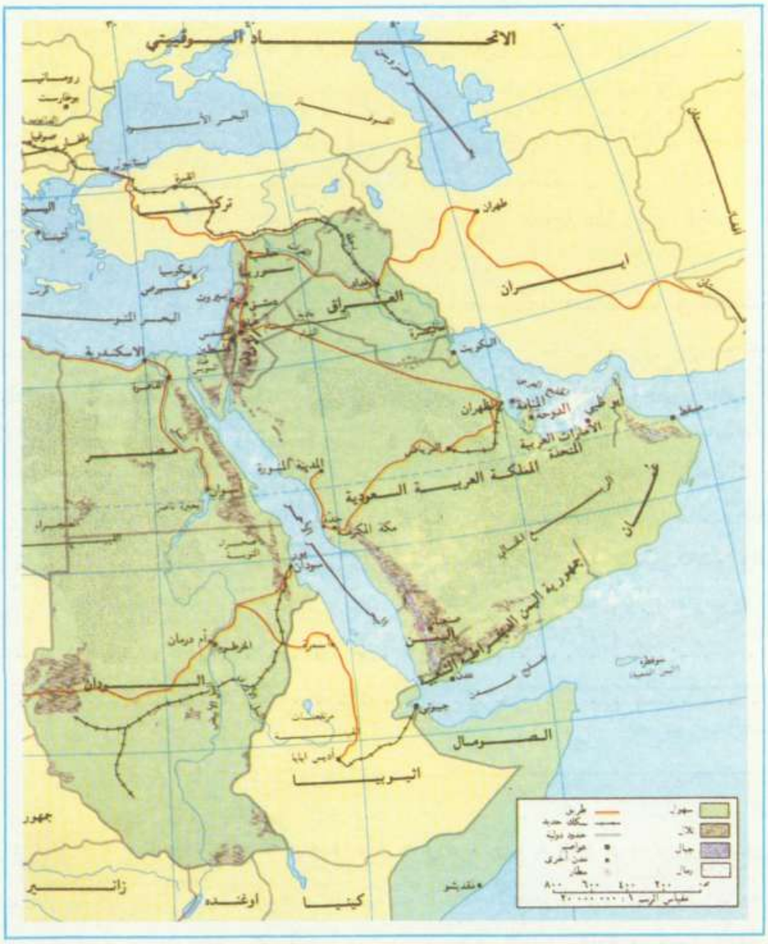
- بحر عربي في عاصفة دولية
- الغرب يفكر في التدويل
والعرب يفكرون في الأمن

بقلم : عصام شريح



قناة السويس : شريان الحياة التجارية فى البحر الأحمر

جاءت عملية تلغيم البحر الأحمر ، وما رافق انفجار الألغام بثمانى عشرة سفينة من ضجيج اقليمى وعالمى مثير ، ليكشف عن الأهمية البالغة لهذا البحر ، الذى كان وما يزال حلبة من حلبات التنافس الاقليمى والدولى ... ولا يعنينا الكشف عن الجهة التى تقف وراء عملية التلغيم ، بل تسليط الأضواء على واقع البحر الأحمر من حيث موقعه الاستراتيجى وثرواته الدفينة وتاريخ الصراع على حلبته .. اجل ذلك هو هم وطموح هذا البحث .



خريطة البحر الأحمر ، توضح الدول المحيطة به وموقعه الفريد

اضواء عامة على البحر الأحمر

اطلق الجغرافيون القدامى أسماء شتى على البحر الأحمر منها بحر الفرما وبحر القلزم (ميناءان مصريان قديمان) ، أما المحدثون فيذكرون أن اسم البحر الأحمر جاء من طبقة الطحالب الكثيفة التي تضفي على مياهه لونها البني المائل إلى الحمرة . أما مساحة البحر الاحمر فتبلغ ١٧٨ الف ميل مربع ، وطوله من باب المندب في الجنوب الى مدخل خليج السويس في الشمال ١٣٨٠ ميلاً ، فيما يبلغ متوسط عرضه ١٧٠ ميلاً ، وأقصى عمق له عشرة آلاف قدم ، وهناك ثلاثة خلجان مهمة تقع عليه ، هي خليج العقبة (الأردني) ، وخليج السويس (المصري) ، وخليج باب المندب (اليمن الديمقراطية) وفي البحر الأحمر ٣٧٩ جزيرة معظمها صغيرة جداً ، وبعضها القليل آهل بعدد ضئيل من السكان ، وتبلغ نسبة ما تملكه الدول العربية المطلة على البحر الأحمر من هذه الجزر ٨ر٦٦ بالمائة .

ويحتل البحر الاحمر موقعاً « جغرافيا وسياسيا » فريداً من نوعه بين بحار العالم ، حيث يربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر العربي والمحيط الهندي عن طريق قناة السويس في الشمال ومضيق باب المندب في الجنوب ، مما جعل منه همزة وصل استراتيجية للعديد من الطرق المائية ، يضاف الى ذلك موقعه الجغرافي كجزء لا يتجزأ من العالم العربي ومنطقة الشرق الاوسط ، ثم ، وربما الأهم من ذلك ، كونه الشريان الذي ينتقل نفط الخليج العربي عبره الى مستهلكي هذه المادة الحيوية في غرب أوروبا ، ناهيك عن أن البحر الأحمر يوفر الطريق الأقصر والأفضل للدول الإقليمية والأجنبية ، للوصول الى البحر الأبيض المتوسط والمحيطين الهندي والاطلسي .

ومن الأهمية بمكان أن نشير الى أن ما نسبته ٢ر٩٠ من مجموع سواحل البحر الأحمر هي سواحل عربية ، وباستثناء اثيوبيا والكيان الصهيوني ، فان البحر الأحمر هو حقاً بحر عربي ، حيث تطل عليه وتحتل سواحله ثماني دول عربية ، هي الأردن والمملكة العربية السعودية ومصر ، وشطرا اليمن والسودان والصومال وجيبوتي ، وربما كان من حسن الصدف ان بعض هذه الدول العربية (مصر وجمهورية اليمن الديمقراطية) ، تتحكم بمدخلي البحر الشمالى والجنوبي .

كما تجدر الاشارة الى أن البحر الأحمر غني بمعادن مختلفة ، كالذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والكروم والزنك ، الأمر الذي يضفي أهمية أخرى عليه ، ويشكل مصدراً للصراع بين الدول

العربية المطلة عليه وغير العربية .

تاريخ حافل بالصراع

وتاريخ البحر الأحمر تاريخ قديم ، ارتبط على الدوام بصراع اقليمي ودولي للسيطرة على ممراته وجزره وسواحله ، انطلاقاً من عوامل اقتصادية ـ عسكرية . ومن الدول والاقوام التي انغمست في صراعات البحر الأحمر الرومان والبيزنطيون والأحباش ، والعرب والبرتغاليون والهولنديون والصليبيون ، وفي القرن الماضي والقرن الحالي ، العثمانيون والايطاليون والفرنسيون والبريطانيون ، ثم الأمريكيون والسوفييت ، وأخيراً وليس آخراً العرب ، والاسرائيليون الغزاة .

وسنشير في هذه العجالة الى بعض هذه الصراعات في القرنين الماضي والحالي . فقد أخذ البحر الأحمر اهميته الحقيقية على صعيد التجارة والملاحة الدولية بين أوربا وامريكا من جهة ، والشرقين الاوسط والأقصى ، بعد إنجاز شق قناة السويس في عام ١٨٦٩ ، وكانت بريطانيا الدولة الكبرى الأولى التي سارعت الى السيطرة على البحر الاحمر من الناحية الاستراتيجية ، عندما احتلت ميناء عدن في عام ١٨٣٩ ، وحولته الى محطة لتزويد سفنها المتجهة من وإلى الهند عبر المحيط الهندي وحول طريق رأس الرجاء الصالح بالفحم اللازم لتسييرها ، كما احتلت جزيرة بريم في عام ١٨٥٩ ، واحتلت مصر في عام ١٨٨٢ ، والسودان في عام ١٨٩٨ ، مما وفر لها استكمال فرض سيطرتها على المواقع الاستراتيجية في البحر الأحمر وأهمها قناة السويس وخليج السويس وموانئ السودان ، ثم مضيق باب المندب .

أما فرنسا ، فقد تحركت هي الأخرى ، وقامت باحتلال ميناء « أوبوك » في جيبوتي في عام ١٨٨٤ ، ثم احتلت ماعرف آنذاك بالصومال الفرنسي ، ودخلت ايطاليا لتتقاسم مع بريطانيا وفرنسا مناطق النفوذ في البحر الأحمر ، فاحتلت ميناء « عصب » في عام ١٨٨٢ ، مما مكنها من السيطرة على ساحل أريتريا ، وفي عام ١٨٨٥ وسع الايطاليون نطاق سيطرتهم باحتلال ميناء « مصوع » ، ثم حاولوا في أعقاب ذلك احتلال أراضي الحبشة في عام ١٨٩٥ ، لكي يدعموا تواجدهم في شرق إفريقيا والبحر الأحمر ، لكن الايطاليين اخفقوا في تحقيق هذا الهدف بسبب هزيمتهم العسكرية في معركة «عدولا » على يد الجيش الحبشي في ١٨٩٦ ، إلا أن ايطاليا بقيت موجودة على ساحل البحر الأحمر عن طريق احتلالها للقسم الشرقي من الصومال المطل جزئياً على خليج عدن والمحيط الهندي ، وهذا القسم كان يعرف قبل استقلال الصومال ، بالصومال الايطالي . بيد أن المطامع الايطالية في البحر الأحمر ، تصاعدت مع وصول موسوليني الى قمة السلطة في روما ، حيث قام في عام ١٩٣٥ ـ ١٩٣٦ بغزو واحتلال الحبشة . وقد عزز موسوليني الأسطولين البحري والجوي في المنطقة ، الأمر الذي أدى الى تزعزع السيطرة البريطانية على مدخل البحر الأحمر ، عقب اعلان ايطاليا الحرب على بريطانيا في العاشر من حزيران (يونيو) من عام ١٩٤٠ ، وقيامها باحتلال ما كان يسمى بالصومال البريطاني . في آب (اغسطس) من نفس العام ، إلا أن بريطانيا تمكنت في عام ١٩٤١ ، من اخراج الايطاليين (الفاشيين) من ارتيريا والصومال ، واعلن من جديد عن فتح البحر الاحمر للملاحة الآمنة أمام سفن الحلفاء ، واصبح بذلك طريق الامداد الرئيسي للقوات البريطانية المحاربة في مصر وليبيا وعموم منطقة الشرق الاوسط ،وابتداء من عام ١٩٤٣ وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ أكدت بريطانيا سيطرتها شبه المطلقة على البحر الأحمر ، ولعدة سنوات ، اي حتى نشوب ثورات الاستقلال للدول المطلة على هذا البحر ، ونيل استقلالها فعلا ، فقد جلت القوات البريطانية عن قواعدها في منطقة قناة السويس في حزيران (يونيو) من عام ١٩٥٦ ، وحاولت استعادة هذه القواعد في العدوان الثلاثي في تشرين الأول (اكتوبر) وتشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام ، لكنها فشلت فشلا ذريعاً أمام صمود المقاومة المصرية والقيادة المصرية . وكان هذا الفشل بداية التراجع البريطاني في منطقة البحر الأحمر ، والسيطرة العربية على البحر ، حيث نال السودان استقلاله في مطلع عام ١٩٥٦ ، وكانت الضربة القاضية التي تلقاها الإستعمار البريطاني بعد ذلك ، باستقلال اليمن الجنوبية ، وانسحاب القوات البريطانية من قاعدة « عدن » في اواخر عام ١٩٦٧ ، وكان الصومال قد نال استقلاله كذلك في عام ١٩٦٠ ، ثم نالت جيبوتي استقلالها من فرنسا في عام ١٩٧٧ .

أما أريتريا فقد ضمت الى الحبشة في عام ١٩٥٢ على اساس فيدرالي ، وانسحبت منها القوات البريطانية ، وفي عام ١٩٦٣ ، اندلعت فيها حركة مقاومة مسلحة تطالب بالاستقلال عن الحبشة ، وذلك بعد أن الغت حكومة أديس أبابا الطابع الفيدرالي ، وقامت بضم اريتريا بشكل تعسفي وضد ارادة شعبها ، وما تزال الثورة الاريترية الشعبية مستمرة حتى يومنا هذا .

الصراع العربي ـ الصهيوني

رأينا في الصورة التاريخية السابقة ، لوحة مثيرة للصراع الاقليمي والدولي على البحر الاحمر ، أما الصورة التالية ، فهي اللوحة الأكثر إثارة ، نظراً لأننا ما زلنا نتابع مجرياتها وأحداثها ، ولأن المصير العربي برمته مرتبط بنتائج الصراع العربي ـ الصهيوني الذي يشكل البحر الأحمر احدى ساحاته الرئيسية كما قلنا آنفاً .

فمن المعروف أن الصهاينة احتلوا منطقة « أم الرشراش » المطلة على البحر الاحمر ، والواقعة ما بين ميناء « العقبة » الأردني والحدود المصرية ، في العاشر من آذار (مارس) من عام ١٩٤٩ ، فيما كانت « مفاوضات الهدنة » دائرة بجزيرة « رودس » . وبعد احتلالها لأم الرشراش ، اطلقت « اسرائيل » على هذه المنطقة اسم

ميناء «إيلات»، أي أن «اسرائيل» لم يكن لها حدود ساحلية على البحر الأحمر بعد انتهاء الحرب العربية ـ الاسرائيلية الأولى في عام ١٩٤٨، وانما تنبهت لذلك فيما بعد. ويبرر «بن غوريون» هذا العدوان على «أم الرشراش» بقوله: «أنه أثناء حرب ١٩٤٨، لم يكن من الممكن بلوغ «إيلات»، لأنها تقع على رأس مثلث يسيطر العدو على جانبيه، ومن ثم فانه كان بمثابة فخ للموت، وأنه فقط بعد تأمين احد الجناحين، اصبح من الممكن دفع القوات الاسرائيلية للوصول الى خليج العقبة!!».

وفي الواقع فان هناك أهدافاً كثيرة اقتصادية وعسكرية واسطورية أيضاً وراء احتلال الاسرائيليين لأم الرشراش، وتحويلها الى ما يسمى اليوم بميناء إيلات. وأول هذه الأهداف هو دق إسفين بين مصر والمشرق العربي، وتأكيد دور «اسرائيل» كحاجز استعماري غربي بين المشرق والمغرب العربيين. أما الهدف الاقتصادي

فيتمثل في التجارة مع شرق افريقيا ومحاولة النفاذ من خلال بعض هذه الدول (اثيوبيا) الى قلب القارة الافريقية وغربها، ثم فتح ابواب المحيط الهندي أمام «اسرائيل»، وتأمين وارداتها من النفط الايراني في عهد الشاه السابق. وأما الهدف الاسطوري فقد أشار اليه «بن غوريون» بقوله في خطاب ألقاه أمام الكنيست في ١٥ نيسان (ابريل): ١٩٥٦ «.. لقد بدأت ملاحتنا البحرية في البحر الأحمر منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة، أثناء حكم «سليمان»، وكانت «إيلات» المرفأ العبري الأول للملك «يودا»، حتى أواسط القرن السادس، أي حتى قبل أربعة عشر قرناً، وكانت هناك جالية يهودية منتشرة على الجزيرة نفسها «يوتفات» في جنوبي خليج العقبة، والتي «حررها» جيشنا أمس الأول ـ هذه الجزيرة تدعى اليوم «تيران)».

وبعد وصول «اسرائيل» الى احد المنافذ الرئيسية على البحر الأحمر، تحركت مصر منذ ايلول (سبتمبر) من عام ١٩٥٥، وفرضت سياسة «الخنق الاستراتيجي» ضد اسرائيل في البحر الأحمر، حيث اعلنت عن قوانين جديدة لتنظيم الملاحة عبر مضائق «تيران» المؤدية الى خليج العقبة، والتي اعتبرتها جزءاً من المياه الاقليمية المصرية، وقامت مصر لتنفيذ هذه الاستراتيجية بتركيز بطاريات مدفعية ساحلية، ومدفعية مضادة للطائرات في كل من «رأس نصراني» و «شرم الشيخ»، اضافة الى تركيز وحدات من سلاح الحدود في جزيرتي «تيران» و «صنافير»، ونقاط مراقبة وانذار على ساحل خليج العقبة. وقد ترتبت على هذه الاجراءات المصرية، وقف عملية الملاحة البحرية الاسرائيلية من «إيلات» واليها عبر البحر الأحمر، لكن «اسرائيل» تمكنت في حرب عام ١٩٥٦، وبالتواطؤ مع كل من بريطانيا وفرنسا، فيما عرف بالعدوان الثلاثي على مصر، تمكنت من كسر نظرية «الخنق الاستراتيجي» ضدها في البحر الأحمر، وكانت احدى نتائج تلك الحرب تسمية خليج العقبة ومضائق تيران، ممرات مائية دولية مفتوحة لكل الدول بما فيها «اسرائيل»، في مقابل انسحاب «اسرائيل» من شبه جزيرة سيناء.

وفي أعقاب حرب عام ١٩٥٦، اخذ الصهاينة في تطوير قوتهم البحرية في خليج العقبة باضافة العديد من الزوارق الحربية، كما اخذوا في النظر الى «ملاحتهم» في البحر الأحمر من زاوية استراتيجية، وقد عبر العميد احتياط «شلومو أريئيل» عن هذه النظرة، في مقال كتبه بصحيفة معاريف بتاريخ ٢٦ ـ ٤ ـ ١٩٧٤ أوضح فيه الأهمية الإستراتيجية للبحر الأحمر بالنسبة لاسرائيل» فقال: «لا مبرر للاسهاب في الحديث عن ضرورة الحفاظ على حرية الملاحة في منطقة البحر الأحمر، التي يمر فيها خط انابيب البترول من الخليج «الفارسي» الى «إيلات»، والتي يتوقف عليها تصدير المعادن والاسمدة وتجارتنا الخارجية مع الشرق الاقصى واستراليا وشرق أفريقيا... وتنطوي التطورات المتوقعة في البحر الأحمر، بعد استئناف الملاحة في قناة السويس، على مخاطر تصادم مع مصالحنا الحيوية، ومحاولات زيادة عزلتنا في هذه المنطقة... ونحن نملك القدرة التكنولوجية والبشرية كي نكون عنصراً بحرياً مسيطراً في منطقة البحر الأحمر الحيوية، ونأمل أن تكون سفينتا الصواريخ «رشاف» و «كيشيث» المحاولة الأولى نحو مثل هذا التطور... ان هذا البحر الذي كان في الماضي نقطة ضعف

سواحل البحر الاحمر موزعة بالاميال

المملكة العربية السعودية	١١٢٥
مصر	٨٩٨
اثيوبيا	٤٢٥
السودان	٣٠٩
الجمهورية العربية اليمنية	٢٧٥
جيبوتي	٢٥
الاردن	٥
الكيان الصهيوني	٧

«جزر البحر الاحمر»

المملكة العربية السعودية: ١٤٤ جزيرة اهمها جزيرة فرسان.

اثيوبيا: ١٢٦ جزيرة اهمها مجموعة جزر دهلك، فاطمة، حالب ودوميرا.

الجمهورية العربية اليمنية: ٣٩ جزيرة، اهمها قمران تيران.

السودان: ٣٦ جزيرة اهمها سواكن.

مصر: ٢٦ جزيرة اهمها شدوان، تيران وصنافير.

جيبوتي: ٦ جزر اهمها موليلة وسيبا.

جمهورية اليمن الديمقراطية: جزيرتان هما بريم وحنيش الكبرى.



بور سودان : ميناء هام للسودان على البحر الأحمر

لاسرائيل ، يمكن أن يتحول الى مجال مبادرة اسرائيلية وقت الحرب ، ولخلق تهديد لمؤخرة مصر ، وطرق ملاحتها ... إن سيطرة مصر على قناة السويس تضع في يدها ، مفتاحاً واحداً فقط لهذا الممر المائي ، أما المفتاح الثاني والأهم ، فبالامكان أن يوجد في يد اسرائيل ، اذا عرفت كيف تطور التفوق البحري في منطقة البحر الأحمر وتحافظ عليه ... ونظرة الى خريطة تلك المنطقة تشير دون الحاجة الى الدخول في التفاصيل ، الى أن مصر مكشوفة ومعرضة للضرب في هذه المنطقة ، أكثر من اسرائيل !! » .

لكن وعلى الرغم من كل ذلك ، فان الهجوم الفدائي ضد ناقلة نفط اسرائيلية في مضيق باب المندب واحراق الناقلة ، ثم اغلاق هذا المضيق في وجه السفن الاسرائيلية في عام ١٩٧٣ ، ما يزالان يلقيان بظلال من الشك حول مستقبل الملاحة الاسرائيلية في البحر الأحمر ، ويشكل مضيق باب المندب ، أحد أهم « الألغام » في الصراع العربي ـ الاسرائيلي في هذا البحر ، وقد قال مؤلف كتاب « النفط : السلطة والسياسة » مردخاي أبير : « أن الصراع العربي ـ الاسرائيلي في أي حال ، يمثل عاملاً مهماً في سياسات البحر الأحمر ، كما أن البحر الاحمر بدوره قد يمثل عاملاً رئيسياً في الحروب الاسرائيلية ـ المصرية في عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٧ »

الأمن القومي العربي

في ضوء الاهمية البالغة للبحر الأحمر كشريان للتجارة الدولية والعربية ، وكمعبر للنفط العربي المتجه الى دول أوروبا الغربية ، وازاء المشاريع العربية المطروحة لنقل النفط الخليجي بما في ذلك نفط العراق عبر انابيب تصب في موانئ على البحر الأحمر ، فان هذا البحر قد اصبح اليوم أكثر من أي وقت مضى جزءاً لا يتجزأ من استراتيجية الأمن القومي للأمة العربية بأسرها ، وهذا الواقع يضاعف من حجم المسؤولية الملقاة على عاتق الدول العربية المطلة على البحر الأحمر ، لتحقيق استراتيجية الأمن القومي العربي ، عن طريق توحيد السياسات الحربية وخاصة البحرية والجوية منها ، لتكون درعاً لهذه الاستراتيجية الملحة ، ولاضفاء طابع السيادة العربية على البحر الأحمر بشكل شبه كامل إن لم يكن بصورة مطلقة ، وذلك يقتضي بالضرورة تجاوز الواقع الاقليمي لكل دولة عربية على حدة ، أو واقع التجزئة القائمة في الوطن العربي ، واعتبار

الاسلحة التي تمتلكها الدول المطلة على البحر الأحمر ، سلاحاً واحداً يقوم على اساس التنسيق والتوحيد العملي والعلمي والمدروس ، وتحويل جزر البحر الأحمر الى قواعد عسكرية عربية تخضع لقيادة عربية مشتركة ،

(كما يقترح الوزير المصري الدكتور بطرس غالي) ، إقامة وضع تكاملي بين الموانئ العربية في البحر الأحمر ، اضافة الى خلق وضع مشابه لهذا في المياه الاقليمية العربية والسواحل العربية على الخليج العربي والبحر الأبيض المتوسط. وهذا التنسيق والتوحيد للقوة العربية في البحر الاحمر والبحار المجاورة ، ضروري ليس لردع « اسرائيل » ومنعها من الملاحة في بحارنا العربية ، وأخصها البحر الأحمر فحسب ، وانما لردع نفوذ الدولتين العظميين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي في المنطقة كذلك ، والذي اخذ في التنامي في غياب قوة عربية رادعة في البحر الأحمر .

وعود على بدء .. من هي الدولة أو الجهة التي تقف وراء عملية تلغيم البحر الأحمر ؟! .. اعتقد أن جواباً محدداً بهذا الشأن ليس مهماً تماماً ، بقدر ما هو مهم أن يستوعب العرب الدرس المستخلص من وراء عملية التلغيم ، خاصة وأن « اسرائيل » هي اللغم الأكبر والحقيقي ليس في البحر الأحمر العربي فحسب ، وانما في قلب الوطن العربي بأكمله .



ميناء جدة في المملكة العربية السعودية



خليج العقبة الأردني .. واحد من ثلاثة خلجان هامة تقع على البحر الأحمر

عصام شريح

حاشية : للاطلاع ولمزيد من المعلومات راجع الكتابين التاليين :

١) البحر الاحمر والصراع العربي ـ الاسرائيلي ـ التنافس بين استراتيجيتين للدكتور عبد الله عبد المحسن السلطان

اصدار : مركز دراسات الوحدة العربية ـ بيروت ـ ١٩٨٤

٢) اسرائيل والبحر الاحمر محمود نعناعه القاهره ـ ١٩٧٤

رسالة باريس من: أحمد المديني

أين يقف الأدب والفكر في فرنسا اليوم؟

الربيع الشتائي الذي عاشته باريس هذا العام. كاد ينسحب على الحياة الثقافية والأدبية نفسها، ان غيوم السماء تلتقي مع غيوم أخرى في الفكر، ولا نجد إلا هذا التلبد الذي يختلط به من وقت الى وقت صحو عابر يتمثل فى دور النشر التى لا تتوقف عن طبع الكتب، اصدار الروايات، والدراسات، والمذكرات، والى جانبها تتجمع المترجمات، تقريباً، من كل لغات العالم لرفد واغناء الثقافة الفرنسية بما هي في أمس الحاجة إليه لتعميق منحاها النظري الفلسفي الذي ما يزال باحثاً عن العمق.

هذا الطابع التعددي، المتنوع والمضطرب، أحياناً، في مجال النشر لا ينتج أو يغذي، بالضرورة، تيارات فكرية وأدبية، بقدر ما يدعم الصرح الذي أقامه هذا المفكر أو الكاتب أو ذاك دعماً تتواصل فيه بلورة المفاهيم، أو ترتيب البناءات المعمارية الروائية. وبعبارة أخرى فقد بتنا نتحرك في محيط ثقافي يتميز بخاصتين اساسيتين:

أولاهما: التضاؤل التدريجي إن لم نقل شبه الغياب الكامل للمدارس والتيارات الفكرية، والأدبية والفنية، وحلول الظواهر والخصال والجهود الفردية محل المظاهر الكبيرة.

ثانيهما: غياب التصنيفات والتنسيبات المدارسية، ومرة ثانية هيمنة التميزات الفردية، الخصوصية، لهذا الفنان والمفكر أو ذاك، بما يكاد يجعل كل مبدع أو فيلسوف مؤسسة إبداعية ومعرفية، وحده، لا شك يلتقي معه آخرون، ويجد له حواريين، ولكن دون أن يكون لهذا الفعل واقع المدرسة المستقلة.

هاتان الخاصيتان، معاً، يمكن ارجاعهما إلى في الأسباب التالية:

اولا: ان الثقافة الفرنسية، ومن ضمنها النشاط الإبداعي العام، باتت مستقرة، متراصة البنيان، محددة الهياكل، ومرتبة البنيان، وان من خلفها، اليوم رصيداً تاريخياً هاماً.

وتراكماً معرفياً بعيد المدى عميق الغور، تسجله ترابطية تجديدية، وتأسيسية متطورة تعود، في أقل وآخر تقدير إلى نهايات الحرب العالمية الثانية. وفعل التراكم ذو حجم مادي - كمي، كما هو ذو مظهر نوعي. بحيث انه أنتج وينتج في نهاية مطاف كل عقد من السنين العطاء الذي بلور جملة المفاهيم والمقولات الفكرية وقرينتها من الرؤى والعطاءات الإبداعية التي عبرت، جميعها، عن الحركة الذهنية والتخيلية لانسان العصر الجديد، في أوربا الغربية بعد انهيار سلم القيم، أو ذلك البحث الخصوصي عن الحقيقة المجردة، أو العقلانية كما ساد في القرن التاسع عشر.

ثانيا: هذا التراكم، وذلك الاستقرار النسبي، بالطبع، لظواهر ومحددات هذه الثقافة، إنما جاء نتيجة عملية بل عمليات التأسيس واعادة التأسيس لأصول ومركبات الحضارة الغربية الطالعة من دمار حربين رهيبتين، وبعد أن انهارت السلطة الكلاسيكية للعقل. وتبعثر التماسك والمنطق المتوازن الذي كان يسود الفكر، هو أن عمليتي التأسيس وإعادة التأسيس طرحت على المثقف الغربي، وعلى هذا الكاتب الأديب المشتعل بحساسية قرن ستسكنه الدهشة وتمزقه حيرة اللاإنتماء الذي سيصبح هو الانتماء في حد ذاته، طرحت عليهما التوجه الى انتاج سنن مغايرة للمعرفة والابداع، وعلاقة مركبة، ثم أقرب ما تكون، في ما بعد، ضد الاشكالية مع السلطة الاجتماعية، ومن هنا فعلى الصعيد المعرفي يمكن أن نعاين الانهيار التدريجي للقيم الشمولية والمفاهيم الاستقطابية، وذلك ليس باللجوء إلى البحث عن قيم ومفاهيم أخرى، ولكن باعتماد كسر منطق كل نظرية شموليه.. إننا نعني بالتحديد، آخر مراحل الفكر الفلسفي السارتري، إن فلسفتي الوجودية والعبث إنما كانتا في النهاية صدى لما قبلهما، وهما تنضويان كرجع صدى في حطام الانهيار الشامل الذي تسببت فيه الحرب العالمية الثانية، واستجابة لآثارها على صعيدي الذات والواقع، وفي الوقت الذي كانت دار الآداب البيروتية، منذ اواسط الستينات، تقدم ترجمات الفكر الوجودي، كان جان بول سارتر قد تجاوز نفسه، أو راح يتجه بفكره وإرادته عبر ايديولوجيات أخرى فى حمية التغيير السياسي الذي ستتفجر به فرنسا أو قل ستمهد له قبل أن ينفجر في أار ١٩٦٨ — التحول الفكري كان أكبر من الوجودية وحمله خطاب التعليل البنيوي، في جميع مستويات الانتاج الثقافي: في الفلسفة وعلم الاجتماع، والتحليل النفسي، والعلوم الاقتصادية، فهي العلوم الانسانية إجمالاً، وفي النقد الأدبي الذي سينقض كل أركان بنائه الكلاسيكي، القائم على التقنين

والتقويم على التجزيئية المفتعلة بين شكل ومضمون ، وبحث مفهومي الماهية والأسلوبية ، الى نقد جديد تماماً يعتبر مهمته القراءة داخل حدود النص المغلق ، ويركز شيئاً فشيئاً على مفهوم الأدبية في العملية الابداعية . انها حقبة نهاية الخمسينيات وانطلاق الستينات إذ تسمح لنا بالتعرف على جماعة من الأعلام الذين تقترن باسمائهم اليوم الثقافة الفرنسية الحديثة : كلود ليفي ستراوس ـ جاك لاكان ـ ميشيل فوكو ـ رولاند بارت ـ ريني جيرار ـ جوليا كرستيفا ، وهذا على سبيل الحصر الشديد وإلا فإن ذكر الأسماء يمكن أن يطول طولاً مفرطاً ، ولكن ليعبر عن الغنى والتنوع الشديدين لمجتمع كان ينتفض ضد مسلماته ، ويهتز تحت الزلزال الحضاري الجديد .

ثالثا : لقد أمكن للحركة الأدبية ، وفي جانبها النقدي ، على الخصوص ، أن تحدد لها ، منذ الستينات ، منطلقات مغايرة تماماً للسابق . والحقيقة أن النشاط النقدي المتجدد وجد ما يشجعه على تغيير مقولاته وممارساته في الفعالية المغايرة نفسها للنشاط الإبداعي ، وإذا أخذنا الرواية وحدها فسنجد أن ما اصطلح على تسميته بمدرسة الرواية الجديدة كانت قد قطعت حبل السرة نهائياً مع المفاهيم النمطية والتسجيلية والاجتماعية النقدية ، بل وحتى الكافكاوية منها للمحكي الواقعي ، وانصرفت منذ الأربعينات تحتفل بالتبعثر الجموح للأشياء والكلمات ، تلغي التشكل المشخص .. والمعمارية الثابتة للفضاء ، زماناً ومكاناً ، متخذة من التجزيئ والعلاقات الصامتة التى تنبني بين الدال والمدلول مناط الفعل الدرامى . إن نماذج لما كتبته ناتالي ساروت ، ألان روب غرييه ، ميشيل بوتور ، وأضرابهم تقدم لنا رؤيا عالم ينطق من خرسه ، ويؤكد على دلالية البنية المغلقة في حد ذاتها ـ لقد بات على الأدب أن يستقل بنفسه ويعكف على ادبه ، إذا صح التعبير ، ومن هنا ينبغي فهم النقاشات النظرية التي عاشتها فرنسا بين الحربين حول مفهوم الالتزام في



الكاتبة الفرنسية : نتالى ساروت



جاك لانج



سارتر

الأدب ، والدور الذي يمكن للأدب أن يقوم به في المجتمع . بيد أن أهمية هذا السؤال ، في هذا الحيز الجغرافي ، تكمن ، ومن خلال أهم التطورات التي لحقته فيما بعد ، أنه كان يطرح من ضمن النشاط الأدبي نفسه ، ومن قلب الاصطلاحية النقدية .

صحيح أن المثقفين والأدباء الفرنسيين خلال الاربعينات ثم الخمسينات لم يكونوا منفصلين عن الشروط الاجتماعية والسياسية لبلدهم ، وللغرب الأوربي عامة ، وكان قسم كبير منهم قد اتخذ مواقف مناهضة للاستعمار وموالية لحركة التحرر الوطني في العالم الثالث ، ولكن هذا الموقف أو المواقف المختلفة كانت ذات سمة اخلاقية وليست إبداعية بالضرورة ، في حين أن التساؤل عن « ما الأدب » وهو السؤال الشهير الذي طرحه سارتر في كتابه المشهور هذا اذ ينطلق من أرضية معرفية وأنطولوجية (متعلقة بالوجود) ، فانما ليأخذ عند نقاد وأدباء آخرين صيغة البحث ضمن الحدود وبالأدوات الجماليه التي ستتجه شيئاً فشيئاً في حقل النقد الأدبي الفرنسي لاستعادة ما سبق للشكلانيين الروس أن طرحوه منذ العشرينات (ياكبسون ، إخنباوم وآخرون) ، ثم اشتغلت به المدرسة الألمانية ، متعددة الفروع ، ولكن التي تصب جميعاً في مجرى نظرية الأدب العلمية (أجورنو ، ياوس ، على سبيل المثال فقط) ، وتلقفت كل ذلك ، بغير قليل من الارتباك ، الجامعة الفرنسية التي كان لها فضل تعميق التحليل الأدبي النظري ، والبلورة النظرية التطبيقية اكثر لمناهجه . وخاصة في ما أصبح يعرف بالشعرية ، ثم بالتحليل السيميائي ، الذي يعتبر الأدب نظاما من العلامات يقع بالضرورة ، بين حدي الدال والمدلول ، وتستثمر فيه المعرفة اللسانية ، في تنضيد بنيانه ولكن باجتهاد أكبر وهذا ماجعل رولاند بارت قادراً على توسيع حقل التحليل اللسانى وتخطيه بأدواته نفسها ، وجعل « الكلام » هو ديدنة الناقد وليس اللغة وحدها . إن السيميائيات عندئذ مع بارت ثم مع غريماس ، وكل الحقل النظرى المتطور للنقد الأدبى الفرنسى الجديد ، تجعلنا نتعرف جيدا على الأدب ، ممنهجا ، من خلال الدراسات العديدة التى كتبها تزفتان تودوروف ، هذه الأداة هى التي ستستخدم لقراءة الأدب وفهمه ، ودائماً من داخله لاكتشاف ورصد أدبيته .

هذه الأسباب مجتمعة ، وأخرى مما لا نجد مجالا ، الآن ، لسردها تكمن وراء الفاعلية الخلاقة التي عاشها الأدب الفرنسي الحديث والمعاصر ، ومكنته من الاستقرار في مجمل أوضاع وظواهر ورؤى متصلة ومتفرقة ، ولكنها جميعاً منتجة للتنوع الذي يعرفه في مختلف الأجناس الأدبية ، وشتى المعالجات النقدية والفكرية خطوة خطوة .

إن هذه الرسالة الباريسية تعمدنا أن تكون على هذه الشاكلة من التشميل والتعميم في آن . لتسمح للقارئ غير المتصل بالأدب الفرنسي أن يكون على بينة من الخصوصيات والأدوات التي تسعفه معنا في قراءة وتفحص النشاط والنتاجات الأدبية التي تصدر في العاصمة الفرنسية ، والتي يصعب الاحاطة بها جميعاً ، وإن وجب التنبيه لأهمها في الأقل وما أكثره أيضاً .

في «الأيام العشرة» يرسم بوكاتشيو

صورة فاتنة للفارس العربي صلاح الدين الأيوبي

بقلم: الدكتور علي الراعي

كتب جيوفاني بوكاتشيو مجموعته القصصية الأخاذة: «الأيام العشرة» فيما بين الأعوام ١٣٤٨ ــ ٥٣ ثم ندم من بعد على كتابتها، وود لو استطاع أن يمحوها من الوجود. ربما كان الندم مبعثه معرفته اللاحقة بصديق النصف الثاني من عمره، فراتشيسكو بترارك الذي دعاه الى أن يتجه بعقله الى الأشياء الباقية، ويدع جانباً ما في الدنيا من متاع زائل، فامتثل بوكاتشيو لنصح صديقه، وترك الكتابة بالايطالية الدارجة، وجعل يستخدم اللاتينية في اعماله اللاحقة، وتعلم اليونانية وترجم هومر. ثم أخذ ينسحب رويداً رويدا من الحياة العامة الى حياة التقوى والتقشف، والبحث الأكاديمي في المخطوطات القديمة.

كان آخر ما قام به من عمل أكاديمي هو كتابته لأول سيرة لشاعر ايطاليا المرموق: دانتي، بعد أن انفق سنوات طويلة في جمع تفاصيل هذه الحياة من المعاصرين. كذلك نسخ بوكاتشيو عمل دانتي الكبير: «الكوميديا الالهية» وأرسل المخطوط الى بترارك، ثم حدث أن دعته مدينة فلورنسا الى القاء سلسلة محاضرات عن شاعرها الكبير، فبدأها بوكاتشيو غير أن مرضه حال دون اتمامها، فلم يبق لنا من هذه المحاضرات الا مخطوط عام. ثم مات بوكاتشيو عام ١٣٧٥ وهو في الثانية والستين من عمره.

ولد بوكاتشيو في باريس عام ١٣١٣، لمصرفي من فلورنسا، وإمرأة فرنسية. ومن يفاعته توجه به أبوه الى التجارة، رغم ميل جيوفاني الواضح لدراسة الآداب





صورة فائقة للفارس العربي
صلاح الدين الأيوبي

الكلاسيكية . قال الولد متبرماً : « لو أن أبي عطف على ميلي ذاك ، إذن لأصبحت واحداً من أعظم شعراء العالم . » غير أن أباه لم يظهر له هذا العطف أبداً . على النقيض . فقد أرسله ، وهو بعد حدث ، الى نابولي ليعمل في محيط مصرف باردي المشهور آنذاك وقضى جيوفاني سنوات الانطباع من ١٣٢٨ ــ ٤١ في نابلي . واعتبرها فيما بعد سنوات ضائعة ولم يمح الزمن أبداً شعوره بالمرارة ، لضياع تلك السنين من عمره .

على أنه عرف الحب في نابولي . وقع من « رأسه حتى القدمين » في غرام فتاة اسمها ماريا داكوينو ، غير أن الغيرة والشك سرعان ما أوديا بهذه العلاقة . هجرته الفتاة ، بعد أن ملت معشره . ويقال أن جيوفاني قد اخترع الفتاة اختراعاً . وانها لم توجد قط ، أو انها وجدت ولكن علاقة بوكاتشيو بها كانت عابرة ، وأنه لجأ الى بناء صرح عال من « الغرام الأدبي » جمله بالكناية والرمز والتزويق الشعري ، مسايرة لتقاليد الأدب الفرنسي . مثلما فعل كل من دانتي بصديقته الحقيقية أو المتوهمة بياتريشي وفرانشيسكو بترارك بصاحبته لورا ــ حبيبة أخرى ربما وجدت بالفعل ، أو ابتكرها بترارك ابتكاراً وجعلها رمزاً لطموحاته الى تاج الشعر .

مهما يكن من أمر ، فقد أصبح بوكاتشيو بفضل ماريا شاعراً . وتوالت أعماله الشعرية على شكل قصصيات فيما بين اواخر ثلاثينات القرن وأوائل أربعيناته . وبعض هذه القصصيات الهمت شاعراً بريطانيا مرموقا هو جيوفري تشوسر بعضاً من أعماله الباقية ، مثل حكاية « ترويلوس وكريسيدا » ، التي كان بوكاتشيو أول من جعلها حكاية قائمةبذاتها . وقد ترجم الشاعر البريطاني أكثر من نصفها وضمنها عمله الخاص الذي يحمل الاسم ذاته .

ثم عصف الزمن بآل بوكاتشيو عصفاً . استدعي جيوفاني عام ١٣٤١ الى فلورنسا ليواجه افلاس ابيه المالي ، واتصل العداء بين الشاب وأبيه ، وتفاقمت متاعب الإثنين المالية ، ثم جاء الطاعون المدمر الذي عرف باسم « الموت الأسود » في عام ١٣٤٨ فأراح بوكاتشيو من أبيه وسلبه ــ في الوقت ذاته ــ ملهمته ماريا .

على أنه فعل أكثر من هذا ، ذلك الموت الأسود . لقد أعطانا المجموعة القصصية الفريدة التى عرفت باسم : « الأيام العشرة » . وفيها يدير بوكاتشيو ظهره للماضي كله ــ يودع غرامه وأحزانه ويصبح مراقباً محايداً لما يجري من البشر وللبشر من احداث . يسجل غفلتهم ومعايبهم ، ويصور أخطاءهم وما يأتون من شر وخير معاً بروح لا تخلو من سخرية وانتقاد ويحددها ــ مع ذلك ــ التسليم بأن هذا هو واقع البشر وتلك حدودهم .

وقد اعتمد بوكاتشيو لحكاياته هذه وعاء قصصيا اسمه في اللغات الأوروبية : Fabiau وهو حكاية قصيرة مسلية، كثيراً ما تكون خارجة أو بذيئة ، هجائية ، وعديمة الايمان بخيرية البشر . تنبع الفكاهة فيها من مؤامرة أو مقلب تجري احداثه سراعاً ، ولا تتعدى هذه الاحداث حدود الفقرة القصصية الواحدة . ومن شخوص ذلك الوعاء التقليديين : الزوج الغبي أو الغيور أو البخيل ، والوغد الواسع الحيلة ، والمتفاخر المتشدق بالالفاظ ، والزوجة غير الوفية ، والراهب الذي يسقط في الغواية وليس في الحكايات محاولة للتوسع في الوصف أو تحليل الشخصيات ، وانما العمدة على واقعية المكان وعصريته وعلى الكشف عن ينابيع السلوك البشري بطريقة يسهل التعرف عليها وقبول مصداقيتها . وقد تحوي الحكاية من هذا اللون مغزى أخلاقياً حين يفتضح المنافق أو يرتد الى الماكر مكره .

وقد عرفت الآداب الشرقية هذا اللون القصصي قبل ظهور المسيح كما عرفه الأدب اللاتيني ، وكان قصصاً محبوباً جداً في العصور الوسطى في فرنسا خاصة . وفي هذا اللون كتب تشوسر رائعته : « حكايات كانتربري » ، التي تحمل معها ، نقلاً من بوكاتشيو . تأثرات شرقية واضحة ، في الشكل والمضمون معاً . في الشكل أخذ كل من تشوسر وبوكاتشيو عن آداب الشرق طريقة الحكاية الاطار ، التي تحوي بين دفتيها قصصا متعددة . كما هو الحال في كليلة ودمنة ، والف ليلة وليلة .

وفي الموضوع وجد الباحثون بحق إن ليس ثمة حكاية في « الايام العشرة » تعتبر خلقاً خاصاً ببوكاتشيو . وانما ذهب الايطالي الكبير كل مذهب في اختيار موضوعات حكاياته فهي تتراوح بين الهزل ، والمأثورات الشعبية . وبعضها قبل الحكاية الحادية عشرة تقارب في موضوعها واحداثها حكاية مماثلة في الف ليلة هي حكاية الليلة الخمسمائة والاثنتين والسبعين . وموضوع الحكايتين واحد ، زوجة تلتقي بصديق ، وإذ هي معه يفاجئها صديق آخر ، فتضطر إلى اخفاء الأول عن الأنظار ، وتتجه الى الثاني ، على أن الأمر لا يطول بها حتى يهبط عليها زوجها ، وتحتار المرأة ماذا تفعل ، حتى يتفتق ذهنها عن حيلة ناجعة . تطلب إلى الصديق الثاني أن يغادر حجرتها شاهراً سيفه ، غاضبا ، متمتما بالتهديد لخصم يزعم أنه كان يطارده وأنه لجأ إلى بيت السيدة ، فجد في طلبه فلم يجده . وينفذ الصديق الثاني الخطة كاملة ، ويراه الزوج خارجاً شاهراً سيفه ويعجب لأمره ، غير ان الرجل ينصرف في أمان ، ثم تحكي الزوجة لزوجها من بعد كيف أن رجلا لجأ الى منزلها ، فزعا ، طالباً الأمان من آخر يهدده بالقتل ، وأنها قد أمنته على نفسه وأخذته في مكان ما من البيت حتى انصرف عنه مطارده على الصورة التى رآها الزوج . ويعجب الزوج بأريحية زوجته ويؤمن الرجل المطارد على نفسه ، ويخرجه من بيته موفور السلامة .

وقد تسربت هذه الحكاية الى الف ليلة والايام العشرة على السواء من مجموعة قصصية قديمة اسمها : « الحكماء السبعة » . وهي قصص قصيرة ذات اصول هندية تحكي عن كيد النساء .

وفي حكاية أخرى عن صلاح الدين ، يفيد بوكاشيو مما تناقلته ألسنة جنود الحروب الصليبية من قصص شعبية ومأثورات ، فيرسم في الحكاية التاسعة من المجلد الثاني من مجموعة : « الأيام العشرة » صورة فاتنة لكرم الفارس العربي ، ونبل مقصده ،وأريحيته الكبرى .

وتروي الحكاية كيف أن صلاح الدين قد علم مسبقاً أن فريقاً من الجنود الصليبيين يعد العدة لاسترجاع الأراضي المقدسة ، فاراد أن يرقب عن كثب جهود عدوه حتى يستطيع ملاقاتهم بالخطة الناجحة . فرتب أموره في مصر بما يكفل حسن ادارتها في غيابه ، وخرج ، وليس معه إلا اثنان من خيرة مستشاريه وبعض الخدم قائلا انه مسافر للحج ثم تنكر هو وصحبه في هيئة تجار ، وتوجه الى أوروبا ، ومر بعدد من اقطارها حتى وصل الى لومبارديا فقابل في طريقه ثريا ايطاليا اسمه توريللو دي استريا ، وكان هذا في طريقه الى بيته الريفي ، يصحبه خدمه وكلابه . سأل صلاح الدين رجال الثري عن أقصر الطرق الى « بافيا » ، وهل يمكن بلوغ أسوارها قبل ا ن تغلق الأبواب ؟ فتقدم الثري يقول : إن هذا مستحيل ، وأنه سيدل صلاح الدين وصحبه على خير مكان يمكن أن يؤويهم حتى الصباح . ثم اختار واحداً من أخلص اتباعه واتفق معه على أن يأخذ الفارس العربي وصحبه ، بطرق ملتوية حتى يصل بهم الى بيت الثري . ثم اسرع هو الى البيت حيث أقام للجميع على عجل وليمة فاخرة ،وأكرم وفادتهم من كل سبيل ، وقدم صلاح الدين وصاحبيه الى زوجته ، التي وهبتهم هدايا ثمينة من الملبس تليق بما حدست انه مقامهم الكبير .

ثم غادر صلاح الدين بافيا متوجهاً الى باقي دول أوربا ، مواصلاً رحلته الشاقة ، بعد أن وعد مضيفه أن يقدم له من الكرم ما يوازي ما بذل له ، لو أن الأيام سمحت بأن يلقى أحدهما الآخر من بعد . وتسمح الأيام بالفعل . فان توريللو دي استريا ينضم إلى قوات الصليبيين في عكا ، ثم يقع اسيراً في ايدي القوات العربية ، ويرحل الى الاسكندرية حيث يعمل ، في الاسر ، راعيا للصقور ، ويسمع صلاح الدين بحذقه في هذا المضمار ــ وكان يتقنه ــ فيطلقه من اساره ويعينه صاحباً لصقوره ثم يتعرف السلطان على حقيقة اسيره السابق ، فيعلن انه منذ تلك اللحظة ضيف عليه ، ويلبسه ملابس الملوك ويعلن أن ضيفه قد أصبح في مقام السلطان . ويطلب الى امرائه أن يعاملوا الضيف معاملة السلاطين .

وكان توريللو قد غادر بافيا ، رغم معارضة شديدة من زوجته ، طالباً اليها أن تظل تذكره ، فان لم يصل الى علمها يقينا انه على قيد الحياة فلتنتظره عاماً وشهراً ويوماًقبل أن ترضى بالزواج من غيره . فانه يعلم أن الكثيرين يطمعون في وصالها ، فهي شابة وجميلة وكريمة المحتد . فلا أمل لها كبيراً في أن تصمد لضغوط أهلها عليها .

وتشاء الأقدار أن يموت في الحملة الصليبية إيطالي اسمه هو الآخر توريللو ، فيقر في وعي الكثيرين أن الزوج هو الذي مات ويصل الخبر الى بافيا وتتعرض الزوجة لضغوط أهلها ، ولا تشفع لها دموعها أبداَ ، وتسوء حالها ، بعد أن انصرمت الأيام مسرعة ولم يعد باقياً منها الا ثمانية .

ويدرك الزوج أبعاد الموقف المحزن ، وتسوء حاله ويزهد الطعام ويتمنى لو مات . ثم يعلم صلاح الدين بما يجري لصديقه فيلومه كل اللوم اذ لم يطلب منه المساعدة . وفي الحال يأمر صلاح الدين ساحره بأن ينقل صديقه الى بافيا وهو على سريره في

ظرف ليلة واحدة ويلبي الساحر طلب صلاح الدين ، ويأمر بتخدير توريللو ووضعه على الفراش . ويكون صلاح الدين قد وضع على الفراش وعلى رأس صديقه وفي يده أفخر الجوهر واندره ، وبينه تاج كتب عليه اهداء من الفارس العربي الى زوجة صديقه ، ثم يأمر الساحر فاذا بالفراش يرتفع ثم يغيب ، رويداً ، رويداً ، عن



صورة فائتة للفارس العربي صلاح الدين الأيوبي

الأنظار ، ويحط فيما بعد في كنيسة سان بيترو في بافيا .

ويصل الزوج والاستعدادات لزواج زوجته من رجل آخر قد تمت ، فيطلب أن يحضر حفل الزواج . وعلى المائدة يقدم له الشراب فيضع في الكوب خاتما كانت الزوجة قد اهدته اياه قبل الفراق ، كي يذكرها كلما وقع عليه بصره ، ويرسل توريللو الكوب بما فيها إلى الزوجة ولا تكاد هذه ترى الخاتم حتى تهرع من فورها الى حيث يجلس الزوج وترتمي على عنقه وهي تعلن مؤكدة : هذا زوجي هذا توريللو.

ويحكي الزوج ما جرى له . ويعطف عليه الجميع ، وترد الزوجة التاج والخاتم اللذين قدمهما الزوج الجديد ، وتلبس خاتمها هي وتضع فوق رأسها تاج صلاح الدين . ثم يرسل الزوج من بعد رسلاً الى الفارس العربي يعلن فيه وصوله السعيد ويكرر انه سوف يبقى أبد الدهر صديقاً وخادماً للسلطان الفارس .

* * *

ماذا يهم القارئ العربي من بوكاتشيو ، وأيامه العشرة ؟ ينبغي أن يشوقه أمر القصص الكثيرة التي تحويها هذه المجموعة ، التي تعتبر واحدة من اقدم القصص في الغرب . فهي ، الى جوار قيمتها الفنية ، توضح كيف امتزج الشرق والغرب يوماً ما امتزاجاً طيباً هيناً ، لا عقد فيه . لم تكن في تلك الأيام حواجز ولا قيود تعوق الانتقال الحر للاعمال الأدبية والفنية . كانت هذه تنتقل مع الرواة والرحالة ، عبر الكلمة المنطوقة ، وليس عن طريق الكتابة وحسب . ولم تكن فكرة« الأصالة » بالمعنى التجاري الذي نعرفه الآن متخيلة قط . لم تكن المسرحية أو الاغنية أو الحكاية تنسب الى شخص بعينه ، هوالوحيد الذي يملك حق التصرف فيها بمقتضى « براءة اختراع » ، بل كان كل ما ينتج البشر ملكا للبشر .

وبهذه الطريقة كان فن بوكاتشيو أحد الجسور القوية التى ربطت الشرق بالغرب . هو نفسه اغترف من ينابيع شرقية ، ثم اغترف من فنه كتاب مرموقون في الغرب من بريطانيا ، تشوسر . الذي تقدم ذكره ، وشكسبير وسويفت وكيتس ، وليسنج الألماني .

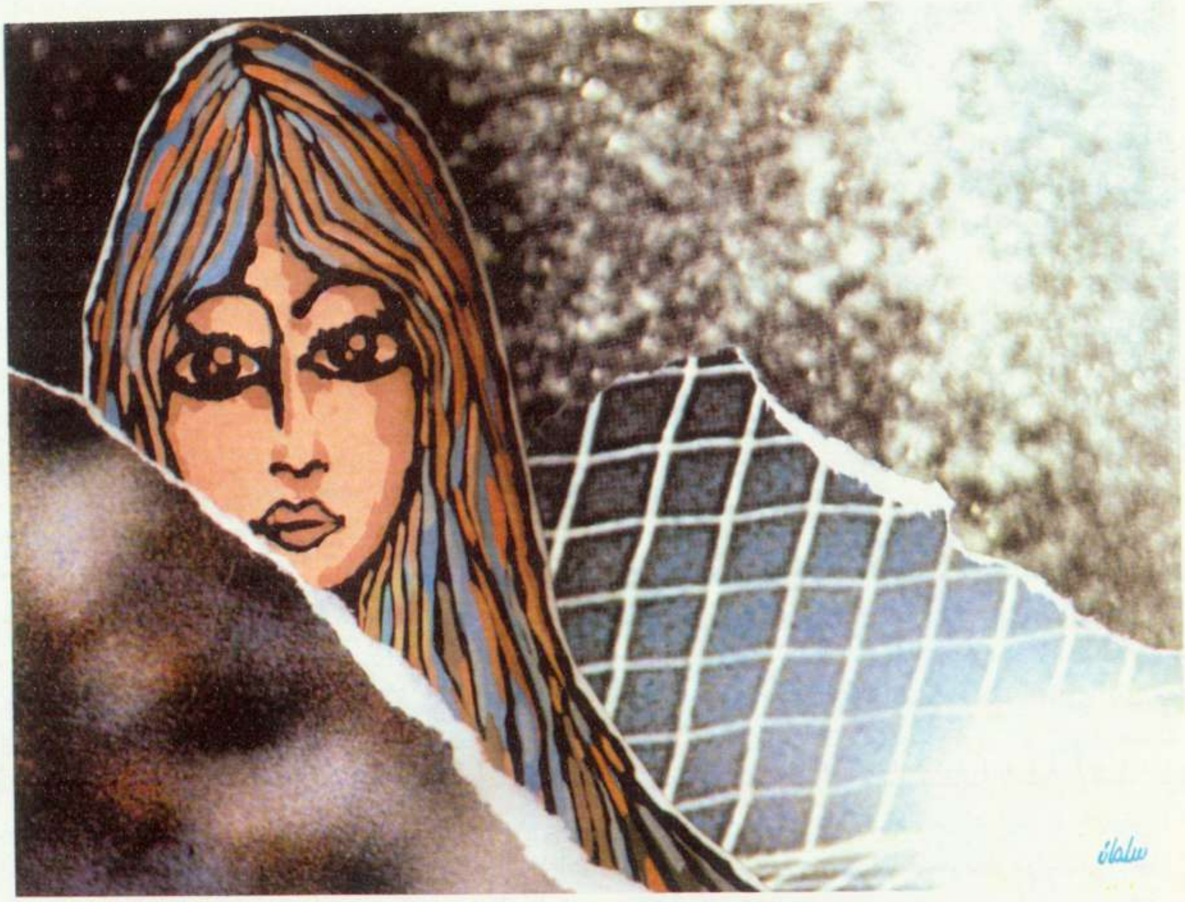
وبهذا أصبح للشرق ، والعرب ضمناً ، الحق كل الحق في أن يسجلوا لأنفسهم ديناً على الآداب الغربية . كتاب : كليلة ودمنة وحده كان عاملا بالغ الأثر في الفن القصصي الغربي . كذلك كانت ألف ليلة . وبالمثل كانت المقامة العربية كما كتبها الحريري في المشرق ، وكما أنشأها كتاب عرب وغير عرب في اسبانيا واحداً من العوامل التي أدت الى قيام الفن الروائي المعروف باسم ال Picaresque ، أو ادب المحتالين والأوغاد والشطار . قام هذا الفن أول ما قام في أسبانيا حيث المؤثرات الثقافية العربية كانت زاخرة ، ومتعددة وفاعلة ، ثم انتقل من اسبانيا الى فرنسا والمانيا وانجلترا ، وانتج اعمالا لكتاب مرموقين في هذا الفن من امثال ديفو وديكنز في انجلترا ، وليساج في فرنسا بل وتوماس مان ، الألماني ، في عصرنا الحاضر . وما هذا ــ على الله ــ بالشئ القليل !

علي الراعي



وحدي... مع الذكريات

قصة بقلم : أمجاد محمود رضا



دق جرس الهاتف .. هرولت إليه مسرعة . رفعت السماعة .. وكانت المفاجأة .

إنه صوت لبنى . صديقة الطفولة ، جاءني صوتها بعد طول غياب ، جاءني ــ كما عهدتها منذ الطفولة ــ وهو ملون بفرحة الحياة ، فقط لأنه ينطلق من نفس ربيعية المشاعر ، ولكني في تلك اللحظة شعرت لأول مرة بأن صوتها يركض إلى أذني في ثوب حزين ليعلن الحقيقة التي يبدو أنها أتعبته كثيراً ، فأراد أن يضع لهذه المعاناة حداً بالاعتراف بها ، فلم يجد أحداً يحتضن ذلك الاعتراف إلا أرض الصداقة حتى يصل ، فتتشبث أصابع الوجدان بمشارف الخلاص !

جاءتني تقول : « حياة » لقد استطعت ا ن أتخلص من حب سمير . تحدثت كثيراً وانساب صوتها في ضلوعي فحركت ما هو راكد في عمري .. حركت كل الماضي بكل نسمة حرف انطلقت من أعماقها ، واسترسلت في حديثها حتى سمعتها تقول لى : وداعاً . فأفاقتني من دوامة الذكريات وأغلقت الهاتف وأنا أحسدها ! لقد استطاعت لبنى أن تجعل من عقلها سيداً على قلبها .

لا .. ليست هذه هي الحقيقة ، فاليوم تأكد لي أن القلب أصبح سيد الموقف ، وذلك لأن الخفقة تصمد طويلا ، أما قسوة العقل فتصدأ مع توالي انهمار الخفقات على السطح ، فالعقل يلين أما القلب المجروح فلا يلين ، بل يزداد تمرداً ، وعنفواناً ، وثورة عند أي محاولة للاقتراب منه !

هكذا جاءني صوتها عبر الاسلاك ، فأحسست بومضة الماضي تضئ كياني ، وبنداء محبب الى نفسي . انها ذكريات الجامعة ، وأحلامنا التى إرتسمت في شكل

قوس قزح . إنني أضحك كثيراً .. لأننا كنا نعيش في حدود الحروف والكلمات والاحلام ! لم نكن قد اصطدمنا بعد بالواقع ، كان وجه الواقع مشرقا ، ولم نكن نسرف في تعاطي الاحلام حتى نخدر أنفسنا فلا نشعر بالالم !

هكذا كنا نمضي .. تتسابق خطواتنا الى المقاعد الأمامية ، نحجز الصفوف الاولى .. حتى نكون أكثر استيعاباً للدروس ، لنفاجأ بأننا نبدأ بعد ذلك المشوار .. مشواراً آخر ! لابد منه ، أن ننجح في البحث عن مقعد ما في هذه الحياة ، قريب ، بعيد ، ليس مهماً ! فذلك أفضل كثيراً من أن نقف طول الطريق ، فلا نجد لنا مكاناً داخل أنفسنا أو في داخل الآخرين فنفقد الشعور بالحياة !

لازلت أحرص في رؤية شريط الذكريات .. أن اجمع ضحكتي المنثورة على صفحات ذلك الماضي ، أسترجع شكل الفرحة المنتعشة بصفاء الروح وارتياح الضمير ! كل يوم يقتحم عمري .. يجعلني اكثر تشبثاً بطفولتي ، وأكثر خوفاً من فتح صفحات ذلك الماضي .. فأزداد ركضا الى أرض المستقبل لعلني أعثر على أرض صلبة . فأنا تعذبت كثيراً في حاضر ، كانت ارضه رملية ، فكادت تبتلعني ، إلا أنني كنت أركض الى المستقبل مدفوعة بالأمل ، وإن كنت خائفة من أن تكون أرضه شمعية .. لا تحتمل احتراق عمري ، فتذوب من تحتي وتتلاشى .. فأسقط !

أشعر بموجة برد تجتاحني ، أشعر بأصابع اليأس تمتد لتنهب عمري ، وإن كنت لا زلت أنسج بأصابع عقلي ونفسي ووجداني خيوط الأمل ، وهي في الغالب خيوط سراب ! يالها من كارثة .. عندما يعرف الانسان ، أنه يدخل في لعبة إسمها المستحيل .. تكلفه كل العمر ! وعندما يعرف بأن اللعبة خاسرة .. ويقامر بعمره ليكسب اللعبة فقط في عالم الاحلام !

هكذا كنا في طفولتنا .. لا نضيق بالأحلام . حتى جاء اليوم الذي ضاقت فيه الأحلام بنا .. فالأحلام لا تعيش ولا تحيا الا في نفوس الأقوياء ، ويذوي بريقها اذا هبت رياح اليأس في أرض خذلها المطر وجفت من وديانها الأنهار !

كنا نحلم .. واليوم تحصد الأحلام أعمارنا ، أو يدفعنا الواقع لأن نجهض في ذاكرتنا كل الأحلام ! كم هي جميلة أيام الجامعة ، وكم هو جميل الوقوف في طوابير المدرسة .. نضحك مع نسمات الصباح ، لا زالت تنتعش نفسي من نسمة الصباح تلك ونحن واقفات نصفنا نيام ، ونصفنا متيقظ .. نحاول أن نطرح الكسل لنستقبل يوماً جديداً !

° ° °

أتذكر الآن أعز صديقاتي في المدرسة : هيام ، سعاد ، مروة ، وأكاد أرى مروة أمامي . كانت تغار مني كثيراً ، وتأخذ كراستي لتنقل كل ما بها .. لم يكن يهمني تصرفها هذا ، لأنني كنت أشعر بقدرتي وبتفوقي عليها ، وأنها رغم تفوقها بالعلامات على كل الفصل إلا أنها كانت تحتاج الى كل ما أكتبه ، فهي لم تستطع أن تحاربني بجدها .. فاختارت أن تحاربني بجهدي .. كانت انسانةضعيفة ذات قدرات محدودة ، ولكن طموحها دفعها حتى لحرب صديقة ، وإن كنت أنا تنازلت عن الحرب من أجل الصداقة !

يا ترى ما هي أخبارها ؟ لا أدري سوى أنها تزوجت وأنجبت ، وأصبحت كل أحلامها التي نسجتها في المدرسة مقتصرة داخل جدران البيت . واصبحت تحارب الوقت من أجل الأولاد !

تحولت احلامها من استاذة في الجامعة الى استاذة طهي ، وانقطعت أخبارها عني !

و« هيام » .. أعز صديقاتي بالمدرسة : انقطعت رسائلها عني منذ فترة طويلة ، كانت فتاة طيبة ، تفيض حزناً ، وإن كانت تلبس ثوب الفرحة ولكنه كان مزيفاً . لقد أرادت أن تخدع الآخرين بضحكاتها وهي تقطر حزناً ! كانت تريد أن تدفن في تلك الضحكات كل أحزانها . أتذكر الآن يوم زرتها لأول مرة كيف أهينت من أمها ! وكيف كانت تسقط عليها نظرات الاستهزاء تكوي ضلوعها من اخوتها ! لقد حزنت كثيراً من أجلها ، وكدت أذوب داخل نفسي أمامها ! احببتها كثيراً .. ففاضت بأحزانها وانسكبت نفسها بين يدي ، وحكت لي قصة حبها التي استمرت لثلاث سنوات ، وكان أول حب مع ابن الجيران الذي مالن بادرها بالحب ، حتى بادلته اياه . وعندما حان قطف ثمرة الحب .. تلقت بطاقة فرحه على إمرأة أخرى ، فذهبت اليه ، لا لتصفع وجه الحب ، وانما لتودعه حتى اللحظة الأخيرة ! ! فالكبرياء .. لم تدفنه في ضلوع النسيان بعد !

أتذكر كلماتها عندما قالت لي : ياله من عذاب .. أن يظل الحب يخفق في كيان انسان كبرياؤه مجروح ، ويقف الكبرياء عاجزاً عن تضميد جراح الحب وتغيير دفة المركب .. ! !

راسلتها بعد ذلك ، سمعت أنها مريضة ، سافرت الى الخارج وتلقت العلاج الطويل . ولكني تساءلت : أي علاج يجدي ويطيب النفس وكبرياؤها تنزف ، والحب يزيد من النزف ؟ لانه حب بلي بذاكرة لا تنسى ! طلبت منهم أن تحادثني هاتفياً . أجابوني بأنها فقدت القدرة على النطق ، والحب في داخلها لم يعجز عن الصراخ بعد !

آه يا حبيبتي كم تمنيت أن احتضنك .. أحتضن وجهك الطفولي بين يدي ، وأن كنت لا أقوى على رؤية عينيك حتى لا أشهد سقوط الاحلام وقسوة الواقع !انني خائفة من عينيك يا حبيبتي !

واستمرت مراسلاتي لها .. حتى جاءتني حروفها مرتعشة ، تطلب الانقاذ ، ترسل آخر استغاثة ، فجاءت كلماتها وحروفها الأولى ، لا لتعلن عن بداية حياة ، وانما لتكون أشبه بصحوة الموت في كيان انسان !

إنها خطبت لشخص لا ترغبه ، بل وترفضه .. ولكنها استسلمت لقرار الأهل بعد أن خذلها الحب ، وخذلتها الظروف والحياة ! فجاءت الهزيمة متتالية ، والصفعة قوية بددت معها وجه الحلم الذي طالما حكت لي عنه ! فلم تحتمل ، فانحسرت الأحلام في نفسها .. لتعيش كيانها مهدماً ، ثوب فرح مزيفاً للمرة

الثانية . كأنما ذلك الثوب لا يريد أن يرحل عن جسدها ، وما عليها إلا أن تعتاد العيش في داخله !

عاودت الرسائل مرة أخرى .. ولكنها لم تجب . لا أدري ماذا حدث لها . هل سافرت ! تزوجت أم ! لا أدري . لا أعلم عنها شيئاً ، ورغم الصداقة التي ضربت في أرضي إلا أن الثمار سقطت على أرض أخرى لا أعلمها ولم يعد أمامي سوى صفحات الماضي .. اتصفح أوراق الذاكرة لأقرأ البراءة في وجهها فاطمئن عليها . ! !

وتهب نسمة ريح قوية .. تتبعثر معها صفحات الماضي . وتستقر على صفحة أخرى . أطالع الآن وجوهاً متعددة ، وأتساءل : يا ترى .. أي الأيام كانت أجمل ؟ .. أيام المدرسة أم أيام الجامعة ؟؟

أذكر وقتها أن الجامعة كانت منتهى أحلامنا ، فأحلامنا كانت محدودة بواقع يتمدد أمام أعيننا .. فلم نكن نعرف بعد ما هو شكل القهر ، قهر الظروف ، وقسوة الواقع . ولم نعرف الجبن ، ولكن كشفت لنا الأيام أنه لا يكفي أن يكون الانسان وحده أجمل ، ووفياً ، ومحباً ، حتى لا تنهزم الأحلام في أعماقه !

يشدني الآن صوت « نادية » ، كانت من أجمل فتيات الكلية وأكثرهن نبوغاً .

آه .. لقد اجتمع الجمال مع رجاحة العقل ، ولكن لم ينجح في تحقيق ما يريد ، فقد استطاعت أن تجني الحب من قلوب كل من عرفها .. فكانت حلم كل شاب ، ولكن كان هناك شاب واحد تتطلع اليه ، تسكن وجهه ، تهدأ نفسها الصاخبة في حديثه . كان استاذها بالجامعة ، وكانت « أشطر » تلميذة . هكذا كان يقول لها . جذبته بتفوقها وذكائها ، ولكنها لم تدخل قلبه ، فقلبه فتح ذراعيه لأخرى دخلته واستوطنته ، ولكنها لم تكن تعرف شيئاً عن هذا القلب ، فهي لم تدر بأن اصابع وجدانه ستصفع كل أحلامها . في ذات يوم .. جاء ذلك الشاب ليعلن عن زواجه بزميلة أخرى .. ولم يقع اختياره عليها ، وكان عليها أن تبتسم ، وهي تكاد تسقط من الذهول ! ..

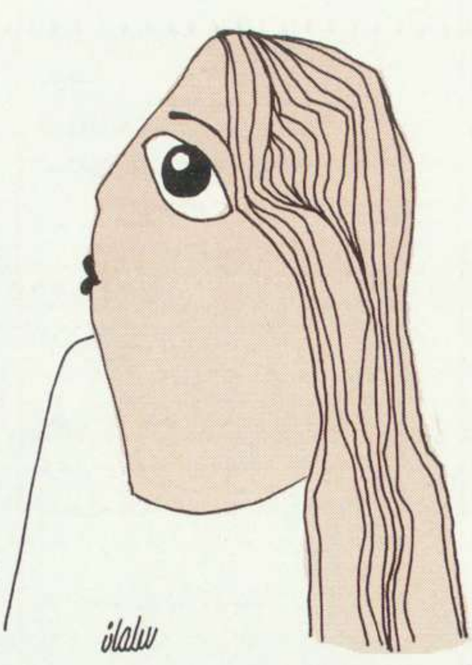
وسافر « عادل » الى الخارج ليستكمل دراسته والحصول على الدكتوراه ، وظلت هي في وطنها كالمغتربة .. تقرأ في كل يوم اخبار الاستاذ من عيني الفتاة التي أحبها .

هكذا كانت تطمئن عليه .. ويالها من قسوة ترتكبها في حق النفس باسم الحب !

وظلت صامدة .. بل ومتفوقة على كل زميلاتها سنين الدراسة ، وعاد الاستاذ الى الوطن ، والجرح في قلبها قد بدأ يندمل ، ولكنها تفاجأ .. بخبر انفصال الاستاذ عن تلميذته ! فاتسع الأمل في عينيها ، ولكن الحب كان قد ترك في قلبه جرحاً كبيراً .

كان عليها أن تحتويه ، فبدأت تقترب منه حتى تتحسس حجم الجرح فتداويه ، ولكنه لم يعطها الفرصة ... فلقد قرر السفر الى الخارج ، ليتركها مرة أخرى الى الضياع والخوف والحزن ، إلا أنه بدأ يراسلها كتلميذة .. يبث لها معاناته وألمه طوال سنة بأكملها ، ولكنه لم يقل لها شيئاً . تتحسس من خلاله بأنها قد تكون يوماً سيدة هذا القلب ، قلبه الذي عذبها كثيراً ! فظنت بأن الحب الأول الذي طرق بابه . لم يترك ثغرة واحدة تدخل منها الى هذا القلب .

وتقدم « لنادية » في تلك الفترة شاب وسيم



يخطبها . وافق عليه الأهل وتم عقد القران ، وانطلقت الزغاريد .. لتفاجأ في نفس اليوم برسالة من الاستاذ يسألها فيها : عما اذا كانت موافقة بالزواج منه .. فيأتي اليها ليأخذها ، ويسافرا معاً الى الخارج .. حيث وطن الحب ، ونفي مشاعر الاغتراب ؟ !

رأيتها في تلك اللحظة .. كانت تضحك بدموعها ، وتبكي حتى أغرقت الابتسامة عمرها .

انتابتها حالة هذيان وهستريا ، ولكنها عادت الى الصمود وابتلعت الدموع ، لترتدي ثوب الفرح .. فاليوم زفافها على رجل آخر ، نبت خارج حدود أحلامها لتشهد على يديه سقوط وموات كل أحلامها !

ولكنها تفوقت على الألم ، واغتالت الحزن في عمرها بابتسامة واهنة !

لا أدري هل هو تفوق الذات على نفسها .. أم جاءت لتغتال شفافية الصدق والروح فيها ! !

صوت « نادية » المشروخ بالحزن ، المغلق بالصمود .. بدأ يتلاشى في سمعي ، لا ، لا يانادية لا ترحلي ، وتتركيني وحدي مع الذكريات . ولكن الصورة اخذت تتموج ولا تتضح في دوامة الذكريات .

وترحل نادية بعبق الطفولة من ذاكرتي ، فهكذا تمضي دون اعلان أو انذار . دون أن تعطيني فرصة لكي أتشبث بها ، فتبقى !

أتعبتني الذكريات ، وتعددت الصور ، واختلطت الاصوات .

ويبقى صوت الرحيل هو الأعمق في تلك الرحلة .. ولم يبق أمامي سوى صور وأرقام هاتفيةوعناوين مسجلة في أوراق تركها وهجرها اصحابها .. الى أماكن وعناوين أخرى لا أعرفها !

أصبح الماضي كله بمثابة الضحكة التي تهرع اليها نفوسنا .. عندما تتكشف الأحزان . أما اليوم .. فلم يبق لي فيه سوى أن أحصد الذكريات !

أمجاد محمد رضا
السعودية ــ جدة

سبع قصائد لزهرة عباد الشمس

شعر: محمد آدم

— ١ —

كيفَ كانت مياه الجزيرة تلتف حولكَ
والعشب
هل يستريح اليكَ
الغزالات
تركض فى الأفق نحوَ البحار التى تستحيل
ووروداً وعشباً
له من نقا الرمل خبزٌ وماءٌ
وأنتَ تكاشف بعضَ الذينَ اصطفوكَ
ولكننى مفعمٌ
بالنهار الذى يتوالد بين العشيبات
والشجيرات العرايا
أفكر كيفَ التقينا على نبعة لم يخنا
اسمهـــا
رملة لا تفاجئنا بالرحيل
على نخلة لم يكن قلبها غيرَ متكئات لنا
وحشايـــا
آه
على وردة نتعلم فيها انفتاحَ
البرارى
ونركض نحوَ الخليج صبايا
آه
أفكـــر
كيفَ ابتدأتَ رحيلكَ نحوَ مدائنــى المغلقة
افكر !!

— ٢ —

من هذه السيدة ؟
كانت
تشير إلى النخل كيفَ يكون وحيداً
إلى البحر
هذا الذى لاتغيبُ النوارس عنه
الأيائلُ
وهى تفر إلى عشبها تحتَ شمس
النهار المضئ
وكانتْ
تساكننى غرفتى
ثم تسكن قلبى
آه
من هذه السيدة ؟

— ٣ —

ربما
دقت الريح فوقَ نوافذها المغلقة
فتاة الفراش الملون
والاوجه المستعارة
والدكنة الغامقة !!
ربما ....
نازلتها طقوس الغرام المجنح
وهى تحاول أن تستعيدَ ملامحَ كل الرفاق
الذينَ أتوا يعشقونَ
براءاتِها الأولية
ثم تفر إلى ركنها فى الفراش
المضئ
تفتش عن أوجه فائقة !!
ربمـــا
أو ربمـــا
تستعين على الصمت بالصمت
والوقت بالوقت
فى الغرف الضيقة

آه
يا أمرأةً خارقـــة

— ٤ —

الطيور الأليفة
ترشق منقارها فى الندى
تحتَ ضوء الصباح النبيل

ثم ترسم وجهاً لعينيك
إذ
ترقدان جوار اليمامات
تلكَ التى تتقافز فى رحلها
نحوَ غور المياه الدفيئة
والخطوات التى تتهادى
على ورقات الشجر
كنتَ
تنقر قلبى
بينما
اتبلل تحت رذاذ المطر .
آه
ثم تتركنى
فى المدى

قربَ ظلى النحيل
واقفاً أستعر .

— ٥ —

ببابلَ كنت أرى فى العيون استضافات عينيكَ
والبحر
إذ يستحم على شرفات المنازل
ينشر أسماكَه فى العيون العميقة
كالشهوات الحريقة
هل كنتَ وحدكَ والريح تأخذ عنا المعاطفَ
والبحر يركض فينا ويتعب
يركض يتعب
يتعب يركض
هل كنتَ وحدكَ ياسيدى
إن أسماءنا لا تدل علينا
ولا تشترينا سوى للصوص
المتاجر
والنار تلكَ التى نستعير انتماءاتها
ليلةً
أحرقتنا
فغبنا عن العشب
والورقات الصغيرة

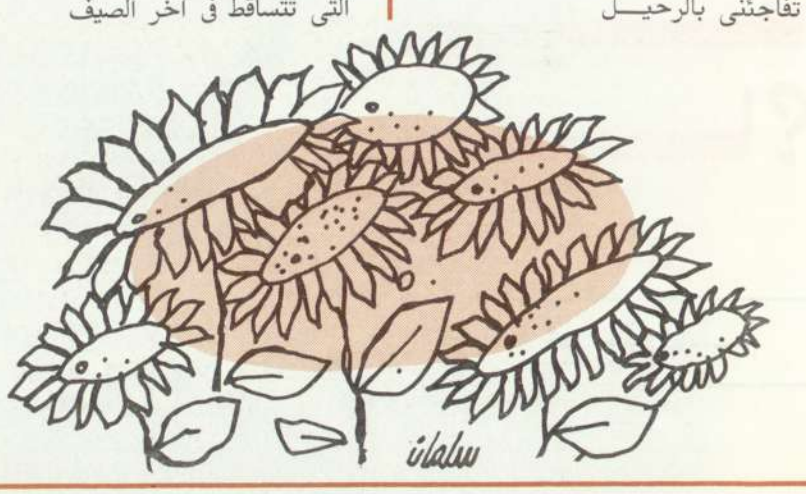
إذ تتوالد فينا وتنمو
وتنمو وتزهر
كم كنتَ وحدكَ ياسيدى
قربَ باب المعظم
كانت تحاورنى
ثم تشعل فيّ دمائى .
مرةً
كنت ساءلتها
لماذا تموت الزهور صغيرة ؟
ويكبر حزن القرنفل فينا ،
يصير
امتداداً لحزن البلاد التى لم نزرها
الثغور
التى شغلتنا باوجاعها
والعيون التى تتكسر كاللؤلؤات
المضيئة
فوقَ صخور الجبال البعيدة
تضحك
تتركنى قربَ باب المعظم
مشتعلاً فى دمائى
(وردةً حمراء)
رغم أن الجسور ،
الجسورَ التى قربَ باب المعظم
كانت
تمر عليها الزهور .
آه
كم كنتَ وحدكَ
ياسيـــدى ! !

— ٦ —

لماذا
تفاجئنى بالرحيـــل
وأنتَ تقيم بقلبـى ؟
الموانئُ مفتوحـــة
والبلاد بعيـــدة .
وها أنتَ ترسل عينيكَ لـــى
نجمتين
اثنتين
تحطان قربَ النوارس
والبحر أخضـــر
والغيم أخضـــر
والنجم أخضـــر
والشمس تنسج أعراسهَا ،
وتخيط قـميصى .
لماذا
إذا جئتكَ الآنَ تهرب
مثلَ الفراشات حينَ تغادر
أحراشَها فى الزمان البخيل
الزمان
الذى لايجئُ اليمام به
أو
تستطيل الزهور
لماذا
تفاجئنى كلَ يوم فراشة ... وتســهر
قرب رحيلى ؟ ... البلاد التى كنت
قد جئتها ،
مرةً
أوصلتنى لعينيكَ
أوصلنى نبضها المتدفق
نحوكَ
إذ كنتَ تعبر كالريح
بينَ الغصون
التى تتساقط فى آخر الصيف
أوراقها .
كانت الشمس حمراءَ
والريح دكناءَ
والبحر يركض صوبَ الشواطئ
والقبرات التى تفشت
وجهَها
فوقَ تاج الرمال الملون
تهجر
صوبَ الشمال
لماذا
تفاجئنى بالرحيل
لماذا ؟ !

— ٧ —

ها أنتَ مسترسل فى النعاس
أو
ربما
تشرب الشايَ فى دفعة واحدة
غيرَ أن البلاد ،
البلادَ التى علمتنا الرحيل
كشفت نفَسها مرةً
ثم راحت تطوقنا بالزهور .
والمقاهى التى قد مررنا بها
اسلمتنا لأصحابها
غيرَ أنَ الحجارة كانت تجاوبنا وحدَها
ما بها ؟
كنت أبنى لها
مرفئاً
به تستريح الغزالات
والسنبلات
التى برقت لحظةً تحتَ وهج الزمان الضليل
آه
ها أنتَ مسترسل فى النعاس
أو
ربما
تشرب الشايَ فى دفعة واحدة
غيرَ أن البلادَ التى علمتنا
الرحيـــل
كشفت نفَسها
مرةً
ثم راحت تطوقنا بالزهور .



إيف مونتان بعد ريجان

هل ينجح مونتان في الوصول إلى رئاسة فرنسا؟

بقلم : محمود قاسم

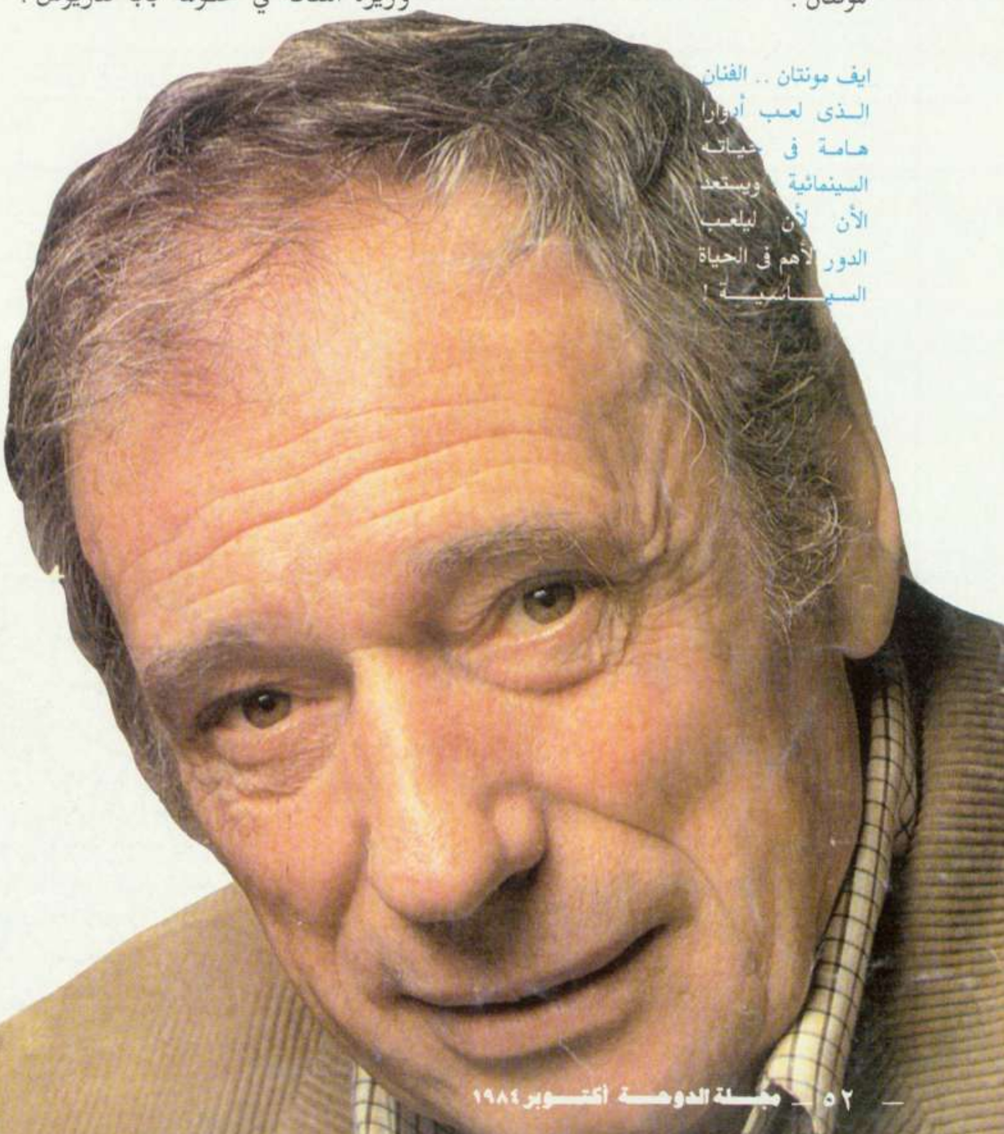
من المحتمل أن يضمن الرئيس الأمريكي «رونالد ريجان» لنفسه قضاء اربع سنوات أخرى في البيت الأبيض رئيساً للولايات المتحدة الأمريكية وذلك خلال الشهر القادم . وقد استطاع الرئيس ريجان أن ينجح في كسب ثقة الشعب الأمريكي في الثمانينات كرئيس دولة ، مثلما نجح في الأربعينات والخمسينات في جذب أنظاره الى دوره كراعي بقر في العديد من الأفلام التي اشترك في بطولتها .

واذا كانت لعبة السياسة قد استهوت الممثل رونالد ريجان منذ بداية الستينات ، فان هذه اللعبة قد تخمرت ـ أخيراً ـ في رأس نجم آخر هو أكثر شهرة وجاذبية ـ كفنان ـ من زميله الأمريكي ويحظى بأكبر شعبية لدى الشعب الفرنسي سواء كمطرب أو ممثل وأخيراً كسياسي ، الاوهو ايف مونتان .

وقبل أن نتحدث عن مونتان في عالم الفن والسياسة نحب أن نشير أن لعبة السياسة قد استهوت العديد من نجوم السينما في السنوات الأخيرة ، فالنجمة الطفلة المعجزة شيرلي تمبل التي سحرتنا في الثلاثينات والأربعينات قد تحولت الى سفيرة لبلادها منذ سنوات في غانا . والممثل جون جافن ـــ بطل فيلم الشارع الخلفي وسبارتكوس ـــ قد أصبح في السنوات الأخيرة سفيراً للولايات المتحدة في المكسيك . ومنذ سنوات انضم جون واين الى نفس اللعبة واستهوت التجربة بول نيومان . وفي مصر تحولت المطربة فايدة كامل الى عضو في مجلس الشعب منذ سنوات ، كما تم اختيار الفنان الراحل محمود المليجي عضواً في مجلس الشورى . وفي اليونان تعود ميلينا ميركوري من المنفى بعد عشرين عاماً كي تتولى منصب وزيرة الثقافة في حكومة بابا ندريوس .

حكومة مونتان

أما مجلة «باري ماتش» فانها تبدي دهشتها من موقف مونتان قائلة : «إنه الحدث المفاجئ ، أن يدخل مونتان دنيا السياسة » . فقد تحول فجأة من نجم تتطلع اليه كل عيون باريس وفرنسا الى رجل سياسة . والطريف أن مونتان قد لفت اليه الأنظار منذ عامين حين عاد يقدم استعراضه الرائع فوق مسرح الأولمبيك بعد طول انقطاع ، وفي العام الماضي أدى دوراً عادياً في فيلم بعنوان «الغلام» وقد عرض قبل أيام من ظهوره كضيف في البرنامج الشهير «سبعة على سبعة» كي يفجر قضايا سياسية خطيرة ويعلن مواقفه السياسية الحادة وهو الذي كان لا يدلي بمثل هذهالأحاديث من قبل . إنه يتحدث عن الموقف الإقتصادي لبلاده ، وعن سياسة ميتران ، وموقف الحكومة الإشتراكية من



ايف مونتان .. الفنان الذي لعب أدوارا هامة في حياته السينمائية ويستعد الآن لأن ليلعب الدور الأهم في الحياة السياسية !

قضايا عديدة . « لست اقتصادياً ولست مرشحاً لرئاسة الجمهورية . تبقى المشكلة . لماذا لا نتكلم عنها في عبارات محددة الى الفرنسيين ، وهكذا حاولت في التليفزيون » . وبعد هذا الحديث قامت فرنسا كلها وتناثرت الأقاويل حول التحول في حياة الفنان الكبير . وكان اطرف ما كتب عن هذا الموضوع التحقيق الذي قدمته مجلة « ماري كلير » النسائية بعنوان « أول حكومة برئاسة ايف مونتان » . وكان هذا التحقيق يختلف كثيراً عن العديد من التحقيقات التي أجراها الفرنسيون عام ١٩٨١ عندما رشح الممثل الكوميدي « كلوسن » نفسه رئيساً لفرنسا ولم يفز بالطبع الا بتلك الدعاية التي لحقت به .. أما حكومة مونتان كما قدمتها المجلة في سيناريو كتبته في فترة سابقة ، فهي كلها من الفنانين والفنانات . وسوف تكون برئاسة الوزارة الممثلة « ماري كرستين باروو » التي لم تعمل قط مع مونتان .. واختارت المجلة « الان ديلون » وزيراً للداخلية « وجان بول بلموندو » للرياضة وايزابيل اوجاني للهجرة وبرجيت باردو للبيئة وكاترين دونوف للعلاقات الخارجية . اما سيمون سينيوريه زوجة الرئيس المقترح منذ عام ١٩٤٩ فلم تشر المجلة اليها من قريب أو بعيد ، ويبدو انها ستكتفي بمنصب السيدة الأولى .

وايف مونتان هو أبرز فنان فرنسي على مدى الأربعين عاماً الماضية . فاذا كانت الأوساط الفنية قد احتفلت بعيد ميلاده الستين منذ عامين حينما ظهر على مسرح الأولمبيك ، ففي هذا العام تحتفل نفس الأوساط بذكرى أربعين عاماً على ارتباطه بالفن ، حيث ظهر في أول فيلم سينمائي في عام ١٩٤٤ أمام المطربة اديف بياف بعنوان « نجوم بلا أضواء » . وقد قدم مونتان خلال حياته مجموعة من الأفلام السينمائية ذات الطابع السياسي أدى فيها جميعاً دور المناضل السياسي الشريف الذي يدافع عن قضايا الحرية في جميع انحاء العالم . وهو في هذه الأفلام المضطهد من السلطات الديكتاتورية . فيغتال مرة في فيلم « زد » . ويتم القبض عليه في « الاعتراف » و « حالة حصار » ويتم تعذيبه . ولهذا فان صورته الجديدة ليست غريبة على الشعب الفرنسي . فهي ماثلة في الأذهان . وصوره التي تنشرها الصحف يلتقي فيها بالسياسيين والمناضلين في العالم جاءت متلازمة مع هذه الأفلام ومع تصريحاته التي ادلى بها في برنامج « سبعة على سبعة » .



سيمون سينيوريه زوجة الرئيس المقترح ، وقد تزوجته منذ ٣٥ عاما !

وفي السنوات الأخيرة قام مونتان ببطولة فيلم « ايكاروس » من اخراج هنري فرنوي يؤدي فيه دور رجل المباحث الشريف الذي يتولى التحقيق في جريمة اغتيال رئيس احدى الدول . وعندما يكاد يصل الى الحقيقة تغتاله رصاصة مجهولة . وقد لفت هذا الفيلم الأنظار مرة أخرى الى جريمة اغتيال الرئيس الأمريكي جون كينيدي ، فالفيلم يدور في دولة غنية كأمريكا والرئيس يتم اغتياله بنفس الاسلوب الذي مات به كنيدي .

كما أدى مونتان في عام ١٩٧٨ أيضاً دور الكاتب الأسباني المنفي الى فرنسا . هذا الكاتب الذي يناضل طيلة حياته ضد الديكتاتورية الأسبانية متمثلة في الجنرال فرانكو . وهو دور مكمل لدوره في فيلم « انتهت الحرب » لألان رينيه عام ١٩٦٥ عن سيناريو لنفس الكاتب جورج سمبران ، وفي كلا الفيلمين جسد مونتان شخصية



الممثلة اليونانية ميلينا ميركوري .. جاءت من المنفى ــ مباشرة ــ إلـى الوزارة !

صديقه الذي ظل يهاجم فرانكو في افلامه ورواياته حتى بعد أن مات . وفي عام ١٩٨٣ قدم عن صديقه كتاباً بعنوان « مونتان وتستمر الحياة » .

أفلامه من نوع خاص

وايف مونتان هو الفنان الفرنسي الذي تهتم السينما بأن تقدمه في أجود أفلامها ، كما أنه صاحب بليارات الكلمات والصفحات التي كتبت عنه في الصحف ، فبعد العديد من التحقيقات الصحفية قدمت المطابع مجموعة من كتب عن الفنان مثل الكتاب الذي قدمه آلان ريمون . ومذكرات زوجته سيمون سينيوريه التي نشرتها بعنوان « الحنين » .

وقد ارتبط مونتان المولود في مدينة موسمانو في الثالث عشر من اكتوبر عام ١٩٢١ بالعديد من الظواهر الفنية والاجتماعية التي جعلته ينال كل هذا الحب والشهرة ليس في فرنسا ، بل في العالم كله . فقد بدأ شهرته مع اديث بياف ، وفي ليالي الحرب الحالكة تبث الأذاعات صوته ينادي الفرنسيين ويحثهم الى البحث عن الحرية . وفي سنوات الأربعينات تظل شهرته كمطرب أكثر منها كممثل . وفي عام ١٩٤٩ يتزوج من سيمون سينيوريه التي لمعت معه نفس لمعانه . ومع هذا فلم يرتبطا معاً بثنائي مثلما حدث في السينما العالمية بين كثير من الأزواج .

وتأتي الشهرة واسعة لمونتان مع فيلم « ثمن الخوف » الذي اخرجه هنري جورج كلوزو عن رواية لجورج ارنو . وهو أول فيلم لا يغني فيه النجم الوسيم . وفي هذا الفيلم تخلى مونتان عن وسامته ، ونراه غارقاً في قار أسود يقود سيارة شاحنة كبيرة محملة بالنتروجلسرين الشديد الإنفجار في طريق وعرة ، فيرسخ مكانه كممثل ، وتتخاطفه السينما الأمريكية كي يعمل أمام أشهر نجومها ، فهو المليونير أمام مارلين مونرو في « دعنا نحب » . وهو الزوج في « هل تحبين برامز » أمام انجريد برجمان . والسائح الغربي في اليابان في « فتاة الجيشا » . ونجم السباق في « السباق العظيم » .

ومع ذلك فان السينما الأمريكية لا تستهويه مثلما نفر منها العديد من النجوم الفرنسيين ، فيؤدي أبرز أدواره في سينما بلاده .. « انتهت الحرب » و « الحياة للحياة » و « زد » و « الإعتراف » و « حالة حصار » وفيها كلها أدى دور السياسي صاحب الموقف والمناضل الذي يدفع الثمن .

ولا يظل مونتان صاحب الوجه العبوس ابداً .. فهو يؤدي أدوار كوميديا تفجر القاعات ضحكاً في « المتوحشة » أمام كاترين دونوف . و « الشيطان من ذيله » مع مارياشل .. وهو العاشق الملتهب في « ضياء امرأة » امام رومي شنايدر .

وقد عمل ايف مونتان خلال حياته الفنية ــ وخاصة في السنوات الأخيرة ــ مع مجموعة من الفنانين فقد كتب له جورج سمبران أربعة افلام هي « انتهت الحرب » ، « زد » ، « الاعتراف » و « طرق الجنوب » . أما كلود سوتيه فقد اخرج له خمسة أفلام « سيزار وروزالي » و « فانسان » ، « فرانسوا » ، « بول » . و « الآخرون » ثم « النوم » آخر أفلامه التي عرضت في العام الماضي . وقد كتب هذه الأفلام كاتب السيناريو المعروف جان لودابادي . أما كوستاجافراس فقد أخرج له عدة افلام هي : « عربة القتلى » و « زد » و « حالة حصار » و « ضياء امرأة » .

ومونتان هو الذي هاجم بلاده في حربها ضد الاستقلال الجزائري .

الفنان السياسي

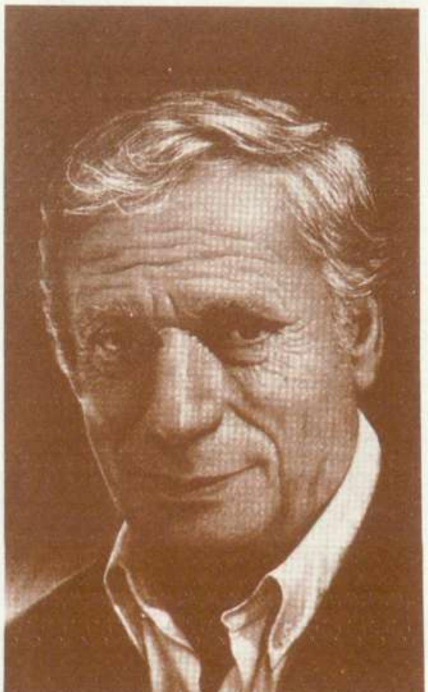
ورغم ميول مونتان السياسة المعروفة ، فهل هو منافس للرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران ، أم أنه امتداد له . يقول في اجابة حول هذا السؤال : « أنا لا أؤدي دوري من اجل هذا . أو ذاك . ولكني ارفض أن يعتقد البعض انني أساند شيراك أو ميتران . المشكلة هي أنني يجب ألا أكون جانب الاتجاه السلبي . وعلي أن أكون ايجابياً . لنتكلم بصراحة . لماذا اتخذ اليوم هذا الموقف الهام ؟ لقد قدم رئيس الجمهورية فكرته عني . قال انني ممثل جيد والمهم هو مهنتي . وفي الواقع فانه عندما تطرح علي فكرة لائقة فانني امعن الفكر فيها . والممثلون المتازون ليسوا قليلين في فرنسا . ومنهم صديقي ميشيل بيكولي . لقد تحدث الرئيس وحاول أن يعارضني قائلا أنني يجب الا اتكلم أمام الفرنسيين ولكن أغني . وانني لست شخصية سياسية وليس لدى مواجهة مع اليمين أو اليسار . وهذا يعني أن أكون بينوكين اليسار »



ايف مونتان



لوى ارجون .. صديق الفنان



إيف مونتان كما رسمه الفنان أندريه مالينوسكى

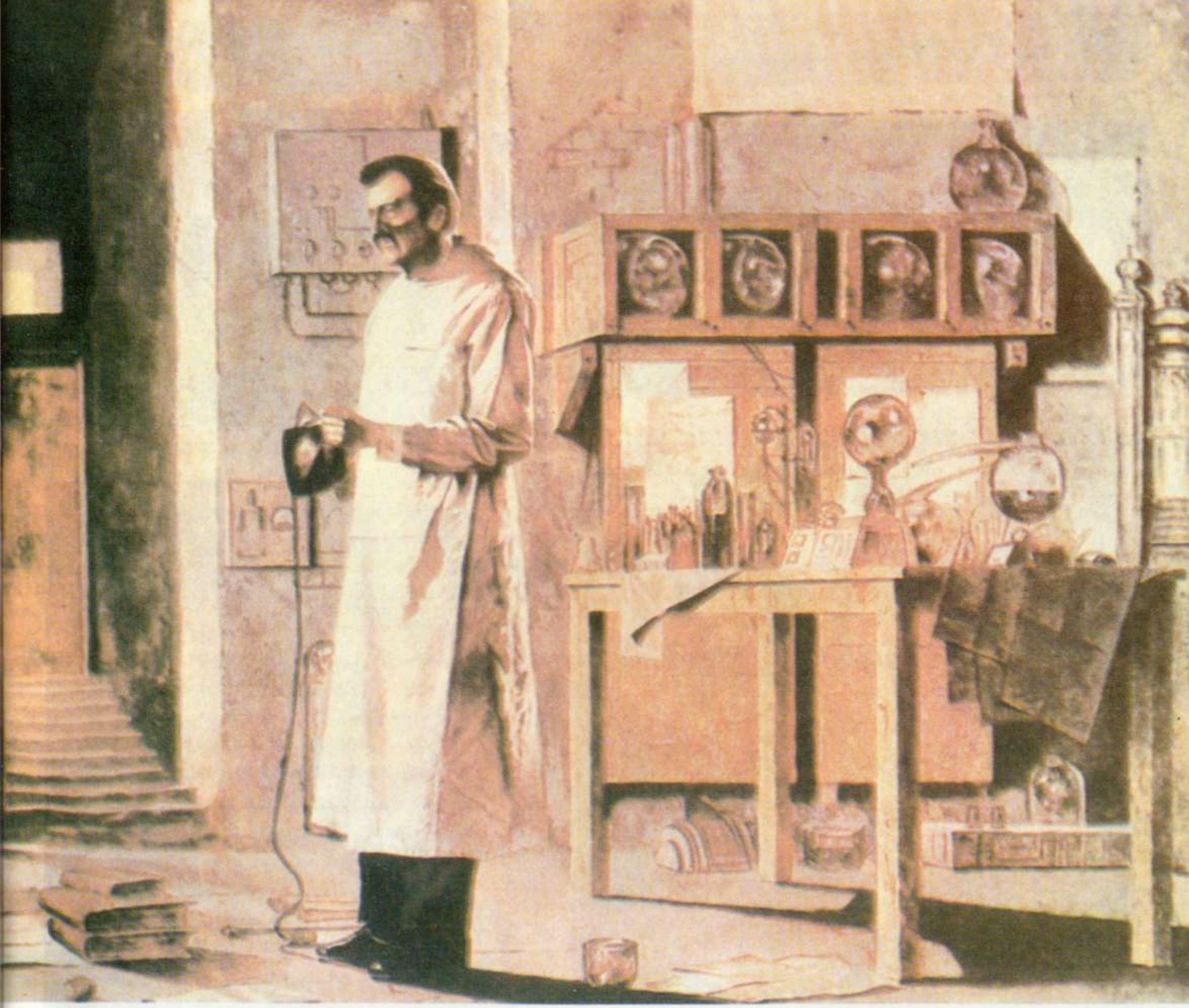


إيف مونتان أثناء نزهة فى قارب مع زوجته سيمون سينوريه التى لم تمثل مطلقا فى أى فيلم من أفلامه !

أما الوزيرة السابقة والكاتبة المعروفة فرانسوازجيرو فتقول في مجلة لونوفيل اوبزرفاتور - ٣ اكتوبر ١٩٨١ - في حديثها الطويل عن مونتان : إنه رجل سياسي منذ أن كان في بطن أمه ، وأن أباه كان مناهضاً للفاشية الايطالية ، ولذا هاجر من ايطاليا . وتقول أن مونتان قد ارتبط في أذهان الفرنسيين ليس بالأغنيات التي شدا بها على خشبة المسرح ولا بالشخصيات العديدة التي جسدها في افلامه ، ولكن في صداقاته لرجال الفكر في فرنسا والعالم ، فقد صادق كل من الشاعرين جاك بريفيه ولوي اراجون . والفيلسوف جان بول سارتر والبير كامي ، والفنان بابلو بيكاسو والروائي ارثر كوستلر ، والزعيم البولندي ليش فاليسا .

ويحظى مونتان باحترام كل الأجيال . فهو لا يحظى فقط باحترام أبناء الجيل السابق من رجال الفكر ، بل إن أصحاب الفلسفة الجديدة في فرنسا قد عبروا عن اعجابهم بمواقف مونتان أكثر من مرة .. ومن المعروف أن هؤلاء المفكرين من اعمدة الفكر الاشتراكي في فرنسا . يقول زعيمهم الشاب برنار هنري ليفي : مونتان هو آخر رجل في جيل العظماء . انه يملأ مهمته الفكرية : يقول الحقيقة مهما كانت مخاطرها . وهذا أمر نادر الحدوث في هذه الأزمنة المجنونة الصوتية . أو التي تتساءل اولاً عن النتائج الدائمة للأشياء قبل الدخول فيها . أما مونتان فانه يخاطر بحثاً عن الحقيقة » . أما أندريه جلوكسمان الفيلسوف الشاب الآخر فيقول « ان مونتان يلعب الدور الذي يجب أن يلعبه المفكرون : أن يشير باصبعه الى مخاطر الطبقة السياسية التي لا ترى عيوبها ، إنه يواجه المخاطر ويقول الحقيقة ويخاطر بألا يفهم خطأ . وهذا أمر هام » .

محمود قاسم



الطبيب الآلى وهو عبارة عن جهاز آلى مجهز بمجموعة من الموجات الكهروالكترونية

اطباء عصر الفضاء

بقلم: الدكتور نبيل سليم

- العلماء يرسلون طبيبًا للفضاء على شكل قمر صناعي لاكتشاف الأمراض في المناطق النائية!
- جهاز جديد لاكتشاف الإلتهابات والأورام بطريقة أفضل من الأشعة التقليدية!
- طبيب آلي يحدد عيوب القلب ويصف العلاج للمرضى!



جهاز « السكانر » الذى يفحص الجسم بواسطـــة الرسم الطبقى

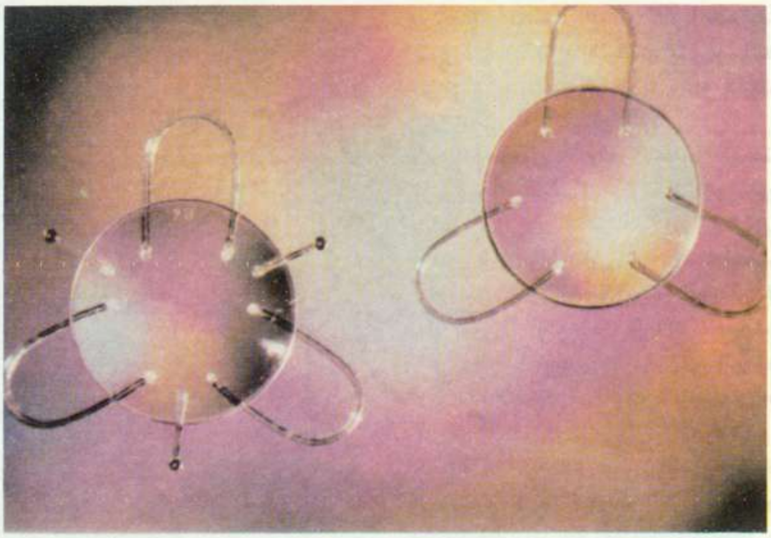


ب فضائي يقوم بإجراء اتصـالات طبية للكشف عن الأمـراض

اذا كانت الطرق الرياضية تستطيع أن تصنع آلة تعطي نسبة نجاح في التشخيص الطبي أعلى من الطبيب فهل يتم عزل الأطباء وتكليف علماء الرياضيات القيام بالتشخيص الطبي ؟

مما لا شك فيه ان على الأطباء ان يطمئنوا .. فان دورهم ليس مجرد تشخيص المرض ، ولكن مشاكل علاج المرضى والوقاية والعمليات وغير ذلك هي المهام الأصعب بكثير من التشخيص وهي التي تؤكد ضرورة بقائهم .

علاوة على انه ، في كل يوم ، تكتشف أمراض جديدة باعراض جديدة ، فلابد من أخذ التشخيص من الأطباء ، وتسليمه الى الآلات لتسهل لهم العمل وترفع فعاليته ،



جهاز يلمس العين ويقوم بقياس الضغط بها والكشف عن أمراضها

والمفروض ان استخدامهما معاً هو ارقى الحلول .

ولعل عصر الفضاء الذي نعيشه الآن جعل العلماء من رياضيين وفلكيين وهندسيين يستحدثون طبيباً في الفضاء على شكل قمر صناعي يقوم بكشف الأمراض على الارض خصوصاً في المناطق النائية التي يصعب ايضاً إيصال الخدمات الطبية الوفيرة اليها .

والاقمار الصناعية التي تستخدم في هذه الأغراض كثيرة اشهرها (A.T.S. 6) وهو يزن (١٤٠٠) كجم ويدور على ارتفاع (٣٥٦٨٠) كيلومتراً فوق جزر كالا باجوس على الساحل الباسفيكي في امريكا الجنوبية ، وهدف هذا القمر هو إجراء الاتصالات للكشف عن الامراض في تلك المناطق ، ويدور هذا القمر في مداره خمس سنوات تنتهي عام ١٩٨٥ م حيث تتم استعادته لاعادة برمجة الحاسب الالكتروني به ، ليعطي تسهيلات العناية الطبية كاحدث ما تكون .

وفي الاسكا ـ وبواسطة قمر اخر ـ يقومون بتقديم الخدمات الطبية للمناطق النائية ، بتشغيل عيادات صغيرة يديرها مساعدون او ممرضات ترتبط بالمستشفيات الاقليمية وهذه العيادات يتم تجهيزها بمعدات طبية تقوم بارسال المعلومات النفسية والطبية . وايضا تسجيلات مصورة الى المستشفى الأم حيث يقوم الاخصائيون بوصف العلاج وارساله كتعليمات الى المريض .

تشريح الانسان حياً

ومنذ عام ١٩٧٣ انقلبت أوضاع التشخيص الطبي عن طريق التصوير باشعة اكس وذلك نتيجة ادخال تكنيك جديد هو (الرسم الطبقي) بمساعدة منظم يسمى (سكانر) ويقوم بفحص الجسم بواسطة اشعة اكس وذلك بتصوير اوضاعه من زوايا مختلفة والصور التي يتم الحصول عليها تركب جميعها عن طريق الكمبيوتر (العقل الالكتروني) لتعطي صورة تجميعية لمقطع من الجسم ، وبمعنى آخر فان (السكانر) يبين في مقطع افقي من الجسم خريطة تحديد الأعضاء وكشف الالتهابات والأورام .

وجهاز (السكانر) هذا يستعمله بصفة خاصة اطباء الأمراض العصبية ، حيث يمكنه استكشاف المخ دون حاجة الى حقنه بمستحضرات ملونة قد تكون احيانا خطرة وغالباً مؤذية .

وجميع اجزاء الجسم من الممكن استكشافها بهذه الطريقة وذلك بفضل الحساسية العالية للجهاز ، وبذلك يمكن الوصول الى نتائج افضل بكثير مما نحصل عليها عن طريق الاشعة التقليدية .

إن (السكانر) يتيح ما قد يسمى بتشريح حقيقي للانسان حياً .

الأصم يسمع بنظارة

وهناك اختراع ياباني سوف يمكن الاصم من السمع !! ولن تنحصر فعالية هذا الاختراع على حالات محدودة بل انه سوف يمكن كل من ثقبت (طبلة) اذنه من السمع !!

إن البديل السمعي خادع في مظهره ، ذلك انه ظاهريا يشبه النظارة ولكن في واقع الامر فان ذراعيها صنعا خصيصا لالتقاط الاصوات والمحادثات وتحويلها الى ذبذبات ميكانيكية وتوصيلها الى الأذن الداخلية عن طريق الجدار العظمي .

وهذه الاجهزة التعويضية سوف تزيل عقبة من اهم العقبات في اجهزة السمع الحالية التي تسبب مضايقات كثيرة على الأخص في الاماكن الصاخبة .

اما في الجهاز الجديد ، فيوجد (ميكرفون) مصغر وحيد الاتجاه ، يمكن الأصم من الاستماع الى الأصوات بوضوح خصوصا التشويشات اذا كانت مرتفعة !!

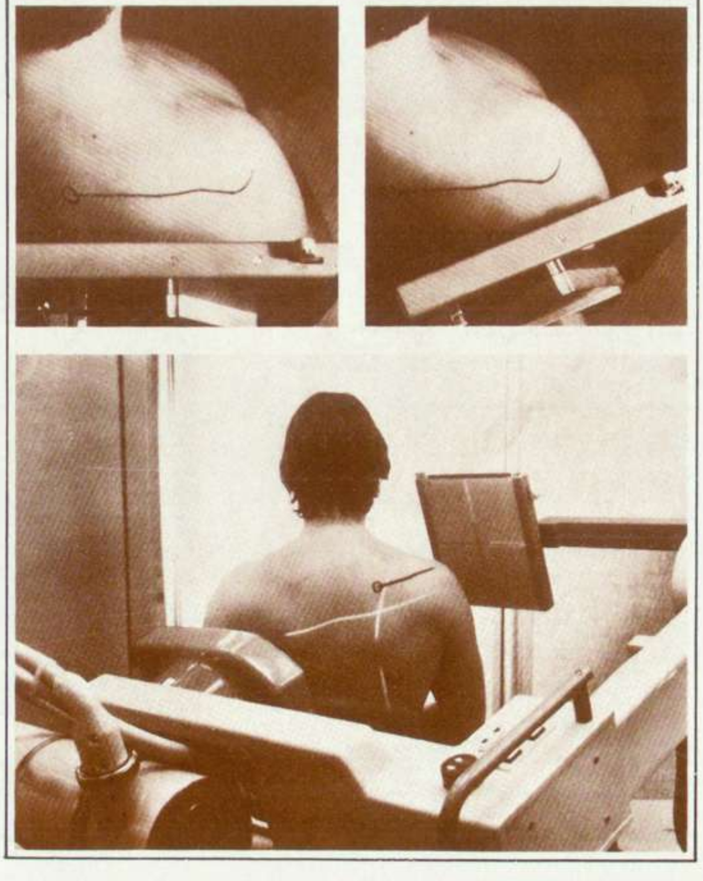
تصوير القلب سينمائياً

هذا وقد طور فريق من العلماء في الولايات المتحدة الأمريكية طريقة جديدة لتصوير القلب بصورة سينمائية ، وما يميز الطريقة الجديدة امكان التصوير بواسطتها في اثناء ممارسة الرياضة والنشاط البدني على عكس ما هو متبع في رسم القلب الكهربي او التصوير الاشعاعي حيث يتطلب الامر وجود الجسم في حالة ثبات إما نائما او واقفا .

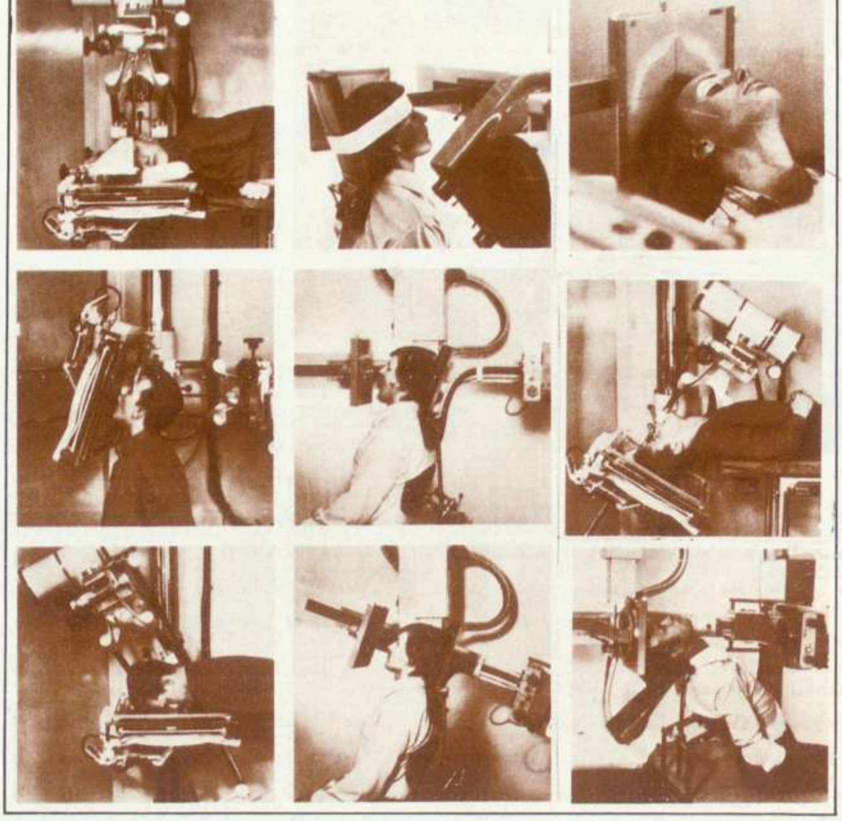
والهدف من طريقة التصوير السينمائي للقلب هو الكشف عن عيوب قد تكون موجودة بالقلب ولا يمكن الكشف عنها بطريق آخر وعندما يكون الشخص في حالة الراحة .

واعلنت الجمعية الامريكية لأمراض القلب بان الطريقة الجديدة هي اكثر ضمانا واقل تكلفة وأنها لا تسبب للمريض اي الم كغيرها من وسائل او طرق تصوير القلب عن طريق الوريد .

ويقول د . جاكي بورير رئيس علماء القلب في المعهد القومي لأمراض القلب والرئة والدم في واشنطن ان الطريقة الجديدة ستحل بديلا للطرق القديمة لتصوير القلب . ويتم فيها



تشخيص الأمراض بالتصوير السينمائي



هكذا يتم تشريح الجسم حيا عن طريق أحدث الأجهزة التى كشفت عنها أبحاث الفضاء

اضجاع المريض على ظهره وتصوير قلبه عندما يقوم بتحريك جهاز يشبه الدراجة برجليه فيقوم الجهاز بتصوير قلبه اثناء الجهد .

ويقول د . بورير ان الشخص يمكن ان يعاني من عاهة خطيرة في القلب ولا يمكن تشخيصها الا بواسطة الحركة . وقال د . بورير انه تم حتى الآن فحص ٢٠٠ حالة بالطريقة الجديدة فثبت حساسيتها ودقتها .

المذاكرة اثناء النوم

كما كشف فريق من العلماء في الولايات المتحدة ايضا ان وقوع اعصاب معينة في الجسم تحت تاثير كهربائي يمكن ان يسكن الآلام ، الأمر الذي يمكن من اعاقة وصول الاشارات العصبية الحاملة للألم الى مراكز الاحساس في الجسم ، .. ويامل العلماء في ان تحل هذه الطريقة كبديل للأدوية المسكنة للآلام وما يصاحبها من آثار جانبية .

ومن ناحية اخرى اعلن نفس هذا الفريق العلمي ان البحوث الحديثة عن فسيولوجية الجهاز العصبي للنوم والذاكرة تخلص الى انه إذا كان النوم يدخل في نشاط الاستذكار .. فان ذلك يتم بطريقة مختلفة تماما عنها بفهمه ، فطبيعة النوم ومدته واللتان هما متداخلتان بعد التدريب – تبدوان وكانهما تتحكمان في عملية الاستذكار ..

وبايضاح اوفى فان فعالية الاستذكار تبدو مرتبطة بمرحلة معينة من مراحل النوم تسمى (بارادوكسال) أي التناقض إذ انه في هذه الاثناء يعتري المخ نشاط شديد بينما يظل الجسم في ثبات عميق !!

ولاشك ان كل شخص منا يتمنى ان تقوى ذاكرته ، وليس الطلاب فحسب وخصوصا في فترة الامتحانات !!

ان الروايات الطريفة عن التخيلات العلمية (أدب الخيال العلمي) قد عودتنا ان نتتبع اخبار كل جديد في هذا المجال من (حبوب سحرية) وايضا ما يسمى بالهيبوبيديا اي الاستذكار اثناء النوم دون بذل اي مجهود ، وذلك بفضل جهاز تسجيل يوضع تحت الوسادة ويذيع الدروس . فيحدث الاتحاد الذبذبي الكهروكيميائي بين ذبذبات الجهاز وذبذبات المخ التي يحويها جسدك بما فيه من مواد .

وقد اثبت احد الكيميائيين الألمان ان جسم الانسان العادي يحتوي كميات كبيرة من المواد التي تتفاعل مع بعضها لتتيح للانسان عملية التفكير العقلي فمثلا نجد في جسدك من الحديد ما يكفي لصنع سبعة مسامير كبيرة ، ومن الشحوم ما يكفي لصنع خمسة كيلوجرامات من الشموع الجيدة ومن الفحم ما يكفي لصنع خمسة وخمسين دستة اقلام رصاص ، ومن الفسفور ما يكفي لصنع ٨٢٠ الف عود كبريت (من النوع الممتاز) يضاف الى ذلك تسع عشرة ملعقة صغيرة من الملح ، وخمسمائة قطعة سكر واثنين واربعين لترا من الماء !

ومهمة الطبيب الباحث او المعالج هي كشف النقص الذي يطرأ على احد هذه العناصر وكيفية تعويض هذا النقص او اي اختلال يؤدي الى اعتلال الجسد او قصور الحركة الفكرية في المخ .

والحقيقة ان تشخيص المرض يعد عملية معقدة للغاية ، بل من اعقد عمليات التفكير العقلي فالطبيب يجب ان يتخيل مجموعة الأمراض المحتملة بناء على شكوى المريض واستجوابه وفحصه ، ثم عليه بعد ذلك ان يقوم باجراء ابحاث اضافية تساعده على إدراك الصورة واختيار العلاج ، ثم بمتابعة المريض عليه تعديل العلاج احيانا للاتجاه به في المسار المطلوب اثناء تطور المرض .

والاطباء عادة يقسمون الأمراض المختلفة الى عدد من المجموعات التي تختلف عن بعضها البعض بوضوح ، وتتكون كل مجموعة من عدد من الأمراض المتشابهة الاعراض .

التشخيص التفاضلي

ثم يجيء بعد ذلك تحديد احد الأمراض بدقة – اي المفاضلة – التي نسميها التشخيص التفاضلي الذي قد يكون صعبا – فيشكل (الكونسلتو) اي اطباء من تخصصات مختلفة – وهي بلاشك عملية معقدة تعتبر الخبرة والعامل البشري هما اهم مقوماتها .

ولكن .. لماذا لا تجمع الاعراض المختلفة وتعطى للآلات الحاسبة ويوضع لها برامج خاصة لتشخيص الأمراض بعد اعطائها البيانات الابتدائية ؟ .

رغم ان الآلات الطبية كانت حتى وقت قريب من العوامل المساعدة فقط ، فهي تقيس الضغوط والحرارة ، وعموما تقيس البيانات الظاهرة ويمكنها ان تصور احيانا – بواسطة الاشعة – بعض الاجزاء الداخلية ، غير ان المطلوب ليس ذلك – لكنه طريقة فذة للتشخيص – ليس مجرد تجميع الاعراض وتصنيفها ، بل دراسة هذه البيانات رياضيا .. ببساطة حساب المرض .. وليس استنتاجه .. وهذا ما سنتحدث عنه .



أحدث تجربة فى الطب البشرى : المشارط الضوئية التى تستعمل أثناء اجراء العمليات الجراحية دون أن تراق نقطة دم واحدة

في المانيا الغربية – بالمستشفى الجامعي الملحق بكلية طب هانوفر – تم تركيب عقل الكتروني تكلف أربعة ملايين من الدولارات ، يمكنه تسجيل أهم المعلومات عن حياة ٢٥ الف مريض ، ويستقبل يوميا مائة مريض بالمستشفى ، ويطرح على كل منهم ٧٢ سؤالا من خلال شاشة تليفزيونية ، وتختزن اجاباتهم ، ويؤكد الاطباء ان هذا الطبيب الالكتروني اثبت كفاءة فائقة في تناول التاريخ الطبي في تقرير العلاج اللازم في الوقت المناسب .

وفي جامعة ميامي في امريكا قام د . مايكل جوردون بتكوين طبيب آلي أسماه (هارفي) وهو جهاز ناطق مجهز بمجموعة كبيرة من الموجات الكهربائية والالكترونية ، وذلك كجهاز عصبي متكامل ، ويقوم طبيب آلي آخر بمراقبة هارفي حتى لا يخطىء .

وعندما يدير المريض القرص على حالة مرضية معينة ، من أمراض القلب مثلا ، يرغب في دراستها ، ويضع سماعة هارفي على صدره .. عندئذ تنبعث نفس الأصوات الصادرة من المريض الحقيقي بنفس حالة المرض من هارفي ، وتاتي اهمية هذه الآلة في أن الأطباء يمكنهم من خلالها دراسة المضاعفات القلبية النادرة والمتشعبة وتصحيح الاخطاء وتقديم العلاج في وقت مبكر نسبياً .

وفي الاتحاد السوفيتي فان (يورال الأول) طبيبهم الآلي يشخص المرض فيما لا يزيد على ساعتين ونصف – اما (يورال الثاني) في (كييف) فيقوم بالتشخيص في دقيقتين وقد قام بتحديد ١٥٦ عيبا من عيوب القلب في مرضى مختلفين بنسبة نجاح زادت على ٩٠ ٪ ، ويورال الثاني يقوم بحساب الامراض طبقاً لمعادلات رياضية وضعها صفوة علماء البيونيكا والطبيعة والرياضة .

ولقد حقق أول الأعراض وهو تشخيص أمراض القلب آليا ، علاوة على قيامه بتكبير وقراءة رسوم القلب ، وملاحظة اعراض قد لا يشعر بها المريض نفسه ، كما حقق هدفا ثانيا هو وصف العلاج ، ولا زال العلماء مستمرون في دراساتهم لتحقيق هدف ثالث هو اختيار رد فعل القلب للعلاج ، وتقديم الاقتراحات المناسبة قبل حدوث المضاعفات !

ولم يقتصر التقدم على تشخيص امراض القلب فقط .. لكن الاطباء وضعوا النظريات ، ونظم التشخيص الطبي الذي يستطيع الاطباء بواسطتها تشخيص – أمراض الكبد والمعدة والاورام – وحتى أمراض المخ .

وسوف تكون الاستفادة كبيرة جداً من وجود نظام مركزي للمعلومات يقوم بتجميعها ، وتحليلها رياضياً ، وايجاد الحالات الشبيهة وهي ذاكرة بلاشك ضخمة تتجمع فيها الخبرات لمئات الاطباء في عشرات البلدان .

تطعيم خلايا المخ

وفي السويد تمكن بعض جراحي الاعصاب لأول مرة في تاريخ الجراحة الحديث ، من اجراء اول عملية تطعيم للخلايا في المخ البشري ، وكان الهدف من ذلك انقاذ مريض مصاب بمرض الشلل الرعاش المعروف باسم (بركنسون) والذي اخفقت حيال مرضه جميع العلاجات المعروفة ، وذلك بادخال خلايا في مخه لها القدرة على انتاج مادة كيميائية ترسل النبضات العصبية من خليه عصبية الى اخرى كانت تنقص المريض ويطلق على هذه المادة اسم (دوبامين) وهي أمينات أساسية لنشاط الاعصاب في المخ ويبدو ان النتائج كانت عادية في البداية ، ولأول مرة اتضح أن التشوهات في انسجة المخ اصبح في الامكان شفاؤها بطريقة التطعيم ، وذلك خلافاً للفكرة السائدة ، وبمقتضاها كان يستحيل ذلك ، وكان الاخصائيون في علوم الاحياء والعلوم العصبية على السواء مقتنعين بذلك منذ عقدين من الزمن .

ان هذا الانجاز لتلك المجموعة من الباحثين السويديين لهو مثير حقا ، ويبدو ببريقه الاخاذ أمام العيون المتلهفة لأي جديد في هذا الميدان كسلسلة مدهشة للاعمال التجريبية التي مهما كانت نتائجها جزئية في البداية ، فانها لن تكون معدمة الاثر على العواطف الانسانية ...
ان هذه الأبحاث التجريبية ترسم في الواقع الطريق الواجبة الاتباع من اجل المزيد من البحوث العلمية عن علاج للامراض الخطيرة المتنوعة ، واهمها الشلل النصفي ، وتصلب الشرايين والشلل الرعاش ، التي كانت تعتبر حتى الأمس القريب امراضا مستعصية .

وقد كان بعض هذه التجارب يقوم على استخدام خلايا وانسجة جديدة تحل محل الخلايا أو الأنسجة التالفة .

والحقيقة انه سبقت هذه البحوث ، محاولات بحثية اخرى قام بها العالم الفرنسي ميشيل راؤول على زرع نسيج عصبي في عيون فئة من الفئران المتوسطة الاعمار ، وكان ذلك منذ خمسين سنة تقريبا .

لكن تطعيم العناصر العصبية في الجهاز العصبي المركزي قد قطع شوطا ممتازا منذ حوالي عام ١٩٧٤ اي منذ عشر سنوات فقط .

اختفاء شيخوخة المخ

منذ اسابيع قليلة ، اعلن الباحثون في جامعة لوند بالتعاون مع علماء جامعة كمبريدج الامريكية نتائج تجارب جديدة ، فقد اجرى

هؤلاء العلماء الباحثون عملية تطعيم في مخ الفئران عن طريق زرع انسجة لها القدرة على انتاج مادة (أستيل كولين) وهي مادة تتكون في انسجة الجسم وتساعد على تنشيط النبضات العصبية استطاعوا بنتيجتها اعادة القدرة على التذكر نسبيـــا الى هذه الحيوانـــات ، وقد اتضح بان الفئران بعد ان عانت من مرض في قطاع من المخ يعرف بمرض Hippocoh فانها لم تكن لديها القدرة على ان تجد طريقها في شبكة الممرات المعقدة التي نصبت لها فعقدت الذاكرة لأجل قصير .

وقد قام العالمان السويديان (بيجوذ كليوند وستينفي) بتطعيم الفئران بفيروسات المرض المذكور ، وبانسجة اخذت من جزء من المخ اهمها الغشاء الفاصل الغني بالخلايا العصبية وقد أدخل هذا التطعيم في الانسجة المستقبلة فتشكلت توصيلات بين (الكروموسومات) وجـدت الحيوانات بنتيجتها قدرة ملحوظة على سلوك الطريق الصحيح في شبكة الممرات المعقدة .

ولا شك أن هذه النتائج تعتبر انتصـارا علمياً كبيراً وهاماً جداً في الوقت الذي اكتشف فيه أن فقدان الذاكرة له علاقة وثيقة بالمادة المساعدة على تنشيط النبضات العصبية .

ويقول العالمان السويديان ان تحسن ذ اكرة الفئران وبالتالي اتباعها الطريق الصحيح في الممرات المعقدة يعود الى حقنها بمادة قلوية سامة تمنع تدمير المادة المساعدة على تنشيط النبضات العصبية والمسماه (أستيل كولين) ومن جهة اخرى ، فان مراكز طبية كثيرة ، وكذا بعض الجامعات الامريكية ، بدات بتجارب علاجية تستعمل فيها المواد القلوية شبه السامة لمحاولة تحسين حالة الاشخاص المسنين الذين يشكون من فقدان ذاكرتهم ، أو المصابين بمرض انعدام اتزان التفكير الذي يصاب به المسنون عادة في سن متقدمة جدا . وقد ثبت أن بعض المواد الكيماوية المنشطة للنبضات العصبية تكون ضرورية ايضا عندما يتعلق الموضوع باصلاح العاهات التي سببتها بعض انواع الأمراض المشابهة .

وهكذا يثبت البحث العلمي في كل يوم باستمراريته انه الطريق الوحيد لاي حضـــارة صحية ومقياس تقدم اي شعب من الشعوب وبالبحث العلمي والتفكير العلمي تضع الأمم حضارتها وتاريخها عبر الأجيال ، ولا شك ان عصر الفضـاء قد قدم لنا عـلامات بحثيـــة للتفكير العلمي من أجل خدمة انسان العصر ومن اجل بناء اجيال شابة قادرة وعلى مستوى من الوعي والرقي الفكري والنضج الحضاري تتعاقب فيما بينها رافعة راية التقدم ومضيئة مشعل الحضارة .

نبيل سليم

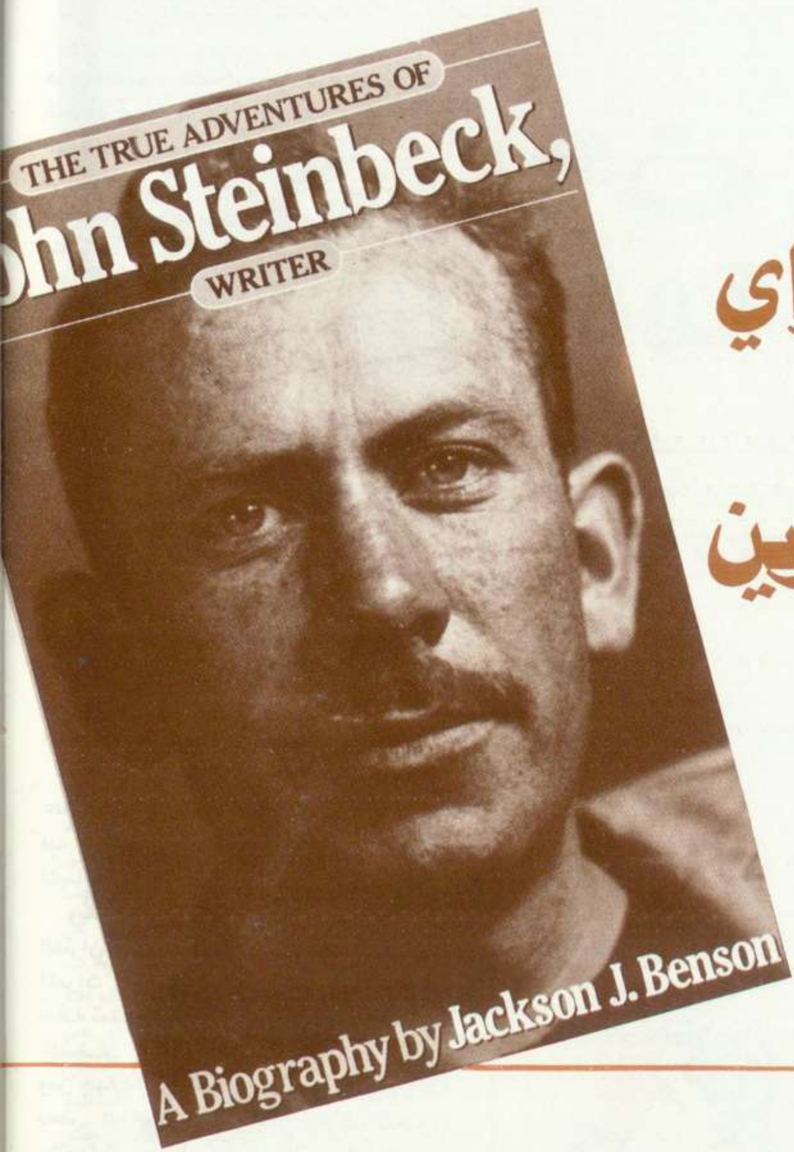
من يسمعني

محمود صقر

توشوشنى كلماتك الليلة
المنسوجة الايقاع
من يسمعنى
وانا اقرأ وقع الأقدام
باسم الهم المتبعثر فى الشوق المحزون
فى بحر الضوء جنونا
من مجرى عينيك يتدفق
اشتالا .. تنسدل الشفة الرملية
مغترب وفصول اللحظة رعب
يأكلنى ذباب السيف
من يسمعنى
لا يفقه وجه (محمد) (١)
استنجد من يبقى الشريان المتفجر
هل يتداعى اسم الحب ؟
لكى نعبر سرداب الموت
وغابات النخل
شفيفا تشحذ صهوة البحر
من يسمعنى
اكون انا
من لحظة توديعى
من موتى
اكون انا
زهرة عباد الشمس
وهجى دنيا واطفال
وعيون تغزل الصمت
واسفار ترصد الفجر ـــ تغنى
ونهر فى المحراب يصلى
من يسمعنى
والشارع يحلم بان تأخذنى
ذراعان التف بهما
واندس بالوله الشمسي
المغمور فى (محار) الجفن الطيب
من يسمعنى
اشيد اساي المتبقى
عمرا : وجعا
تتوالد فيه اخبار الوجد
أمد جسورا من قلبى
يا جرحى ، ... ابتسم الأن
وقبل تاريخ العشق الأبدي .



هامش :
١ ـــ ابن الشاعر



كتاب جديد

شتاينبك وهمنجواي قصة الصراع بين كاتبين كبيرين

عرض وتقديم : مجدي نصيف

كتاب جديد عن الكاتب الأمريكي جون شتاينبك ، حياته وفنه وكتبه ، بقلم الناقد جاكسون ب بنسون الصادر عن دار هاينمان للنشر . الكتاب بعنوان : (المغامرة الحقيقية للكاتب جون شتاينبك)

كان ارنست هيمنجواي هو مشكلة الروائي الأمريكي جون شتاينبك . فعندما كان شتاينبك يكافح ليصبح كاتبا روائيا ، نصحه البعض بان يقرا هيمنجواي ، وعلى وجه الخصوص قصصه القصيرة . فبدا بان قرا رواية (القتلة) وذهل عندما قراها ، حينئذ قال عن هيمنجواي : انه افضل كاتب قصصي حي .. لقد ذهل شتاينبك لدرجة انه لم يجرؤ على قراءة كتب هيمنجواي الاخرى .. ، إلا بعد ان رسخت اقدامه في عالم الادب بصدور روايته العظيمة (اعناب الغضب) ، بعدها احس أن بامكانه قراءة بقية كتب هيمنجواى . وزيادة على ذلك طلب ان يوافق هيمنجواي على ان يقابله مقابلة شخصية فيما بعد . لكن هيمنجواي تصرف ـ كعادته ـ دون لياقة . فخلال المقابلة الاولى بينهما ، انكر هيمنجواي أن العصا الخشب الثمينة التي اهداها شتاينبك لجون اوهارا ، من الخشب النادر ، رغم انها كانت متوارثة في عائلة شتاينبك ، وزيادة على ذلك امسك بها هيمنجواي وكسرها على راسه كاثبات انه ليس لها قيمة تذكر .

لقد استغرق كتاب جاكسون بنسون ١١٠٠ صفحة (من القطع المتوسط) ليدخل في التفصيلات الدقيقة عن كل شيء في حياة شتاينبك ، فهو ـ على سبيل المثال ـ يصف مشاعره تجاه هيمنجواي بعد هذه المقابلة فيقول : كان شتاينبك يحب أن يجهز بذفسه حساءه المفضل ، فامسك بكتاب هيمنجواي ... (والشمس تشرق ايضا) واخذ يقلب صفحاته ويسخر من الحوار في الرواية .

يقول مؤلف الكتاب عن شتاينبك (انه رغم نيل جون شتاينبك لجائزة نوبل ، تلك الجائزة التي رفعته الى مستوى هيمنجواي وجالزورثي وبيرل باك إلا ان النقاد ما زالوا يعتبرونـــه كاتباً كفؤاً فحسب (شاطراً في صناعته) اكثر منه كاتباً هاماً) . فهو ليس مثل الكاتب هيمنجواي مثلا الذي طوع اللغة وعراها حتى النخاع ، وخلق فلسفة جديدة معاصرة للقرن العشرين ، ودخل بتيار المدنية الأوروبية ليجعلها امريكية .

يقول بنسون عن محاولات شتاينبك الأولى : (لقد كان مهتما في كتاباته الأولى بمحاكاة بعض بنية وحركة بعض القطع الموسيقية ، الى جانب محاولته محاكاة بعض الأشكـــال الموسيقية) .

ومهما كانت طموحات جون شتاينبك وتطلعاته الأولى ، فانه يدين بنجاحه الى اسلوبه الروائي التقليدي ، وايقاعه النثري . وهذان تكمن قوتهما في العاطفية وفي الموضوع المثير الذي تتناوله رواياته .

يقول بنسون : انني اعتقد ان روايته (فئران ورجال) ، هي من نوع الرواية القصيرة وهي رائعة (او قل هي مسرحية ذات اخراج مسرحي مطول) . وسبب نجاحها هو عاطفيتها الجريئة . وربما تذكرناها اكثر كفيلم بطولة برجى موريث ولون شاني ، والذي أطلق عليه اسم (إحك لنا عن الارانب يا جورج) ، تماما كما نذكر روايته الطويلة (اعناب الغضب) التي مثلها على الشاشة هنري فوندا والتي تحكي عن المزارعيـــن الأمريكييـــن المضطهدين المشردين في ولايـــة اوكلاهوما ! وتماما كما نذكر روايته (شرق عدن) التي قام ببطولتها الممثل الامريكي جيمس دين فاظهرت عبقريته ،

وكانت السبب في شهرته وفي هوس الشباب الأمريكي والأوربي ، بل وشباب العالم به ، قبل أن ينتهي نهايته المروعة .

كان شتاينبك اوفر حظاً من هيمنجواي في تحويل رواياته وقصصه الى افلام سينمائية ، فقد احب السينما والوسط السينمائي ، واخذ يعطيها افلاماً سينمائية جيدة سيظل تاريخ السينما يذكرها ، مثل فيلم (فيفا زاباتا) !! الذي دل على براعة فائقة في حبه للسينما لأنه كان موهوباً في كتابة الحوار ، ولكنه كان يفتقد الى موهبة مماثلة في (السرد) . ففي السينما كانت الكاميرا هي التي تقوم بعملية (السرد) .

كان سبب نجاح (اعناب الغضب) هو كونها صرخة الم صادرة من هؤلاء المهاجرين البائسين القادمين من (دست باول) ، الذين استغلهم مزارعو الفاكهة في ولاية كاليفورنيا ، فكبلوهم بالاغلال في مخازن الشركة ، وتركوهم بالكاد احياء ليعيشوا معيشة الحيوانات .



أرنست همنجواى



جيمس جويس

دفاع شديد

بدا الكتاب كدعاية متطرفة من النوع الذي كان هيمنجواي يرفض دائماً أن يكتبه لترضى عنه (الجماهير الجديدة) ! التي اقبلت على هذا النوع من الكتابة .

وحقيقة الأمر ان كتاب الناقد جاكسون بنسون يدافع عن مواقف شتاينبك بحرارة ، ويمجد تلك المواقف التي تمثلت في تصوير حياة الكادحين عموماً ، والوقوف الى جانب قضايا المضطهدين في المجتمع الأمريكي . ولقد كانت مواقف شتاينبك في بداية حياته جريئة مؤيدة للديموقراطية ، وهكذا وقف مثله مثل مئات من المثقفين الامريكيين ضد (فاشية لجنة مكارثي) ، لكنه في نهاية حياته سقط هذا الكاتب الكبير في مستنقع تاييد الحرب الأمريكية الرهيبة في فيتنام ، عندما عمل كمراسل حرب لصحيفة الواشنطن بوست في فيتنام واخذ يدبج المقالات دفاعاً عن تلك الحرب الامريكية .

يقول بنسون في هذا المجال :

(لقد اكد شتاينبك بجراة وشجاعة انه ديموقراطي يقف الى جانب مبادىء الرئيس جيفرسون ، وانه معاد للشيوعية . ففي زيارته للاتحاد السوفييتي لم يتوان عن نقد النظام السوفييتي ، ولكنه واجه صراعاً شديداً بين وفائه لرئيس دولته وكرهه الشديد للحرب ، حينما عمل كمراسل حربي يرسل الاخبار الحربية من فيتنام) .

وبعد جائزة نوبل !

يقول مؤلف الكتاب انه بعد ان اكد نيله جائزة نوبل للآداب انه قد كتب افضل اعماله ، وانه بدا ينظر الى نفسه على انه وقف طيلة حياته الى جانب قيم وتقاليد بالية . وانه رجل من طراز عتيق ، فقضى ايامه الاخيرة في عبث عنيد ، واغرق نفسه في الأساطير القديمة . وكان غالباً ما يقضي وقته في كادبرى مع البروفيسور فينافار الذي ساعده في محاولة اعادة كتابة هذه الاساطير وربطها بالحياة المعاصرة . لكن شتاينبك فشل رغم محاولاته المتكررة .

كان جون شتاينبك كاتباً متفانياً ، وقد آلمه أن صورة ارنست هيمنجواي (الخسيس الذي يهوى تمجيد نفسه) قد بدأت تطارده . كانوا يعتقدون انه سكير ، لكنه لم يكن يشرب الا القليل ، ولم يتزوج الا ثلاث مرات فقط ! لم يهو الشهرة وبالمقارنة بهيمنجواي كانت مغامراته قليلة للغاية ، حتى ليبدو عنوان قصة حياته (في هذا الكتاب) شيئاً يبعث على السخرية (المغامرة الحقيقية الخ ..) .

وكان هيمنجواي يحتمي بنسبه الانجلو ـ ساكسوني ، فكان يسمى نفسه هيمنجستاين من باب السخرية .، اما جون شتاينبك فقد زعم النازيون انه يهودي ، وخاصة بعد أن كتب روايته المعادية للشمولية : (افول القمر) ، التي كان مجرد وجود نسخة منها في احد بيوت أوربا التي احتلتها النازية ، يعني موتاً محققاً .

وكان جون شتاينبك في واقع الامر خليطاً من الايرلندي الأصيل والألماني اللوثري، وقد اخذ اسلافه من دوسلدورف على عاتقهم مهمة تحويل اليهود الى المذهب البروتستانتي . .لقد استقرت عائلته في ساليناس بولاية كاليفورنيا .

ومن الافضل أن نعتبر شتاينبك روائياً (اقليمياً) ذلك ان افضل اعماله هي تلك التي كتبها عن كاليفورنيا : فزارعو الفاكهة والعمال المهاجرون الذين يعملون في مزارعهم ، لقد قربته كاليفورنيا من المكسيكيين ، وفي النهاية من (زباتا) .

لم يشعر شتاينبك ابداً بالرغبة في ان يشرب من النهر الاوربي ، مثلما فعل ارنست هيمنجواي . ولم يستهوه جويس على الاطلاق . فالحنين الى الريف في (مشرق عدن) يتميز بتعبير تقليدي .

يقول ادربي وقد ذكر واقعة بالمصادفة السعيدة جاء فيها ذكر جون شتاينبك : (قابلت شتاينبك بعد حصوله على جائزة نوبل التي نالها في رأيي الشخصي دون استحقاق . اقام الناشر هاينمان حفل تكريم له في لندن ، وكنت حاضراً . وعندما سالته عما ينوي عمله بالجائزة المالية كان رده وقحاً . (.....) . يقول انطوني بيرجر ناقد الاوبزيرفر ان هذا الحفل لم يذكر جاكسون بنسون عنه كلمة واحدة ، ولم يذكر مادار فيه من نقاش مع شتاينبك ، رغم انه ذكر تفصيلات تافهة اخرى كثيرة .

كان شتاينبك مرهقاً للغاية ، ويبدو انه بدا يشعر انه بلغ نهاية الطريق ، كان قبلها كاتباً لا يكل ولا يتعب . لذا ختم بنسون كتابه عن شتاينبك بقوله : (انه لأمر عظيم ان يقال عن كاتب انه كان يحيا للكتابة ، وهكذا كان جون شتاينبك) .

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

رفاعة رافع الطهطاوي
رائد الفكر الاجتماعي

واحد من بين القمم الثلاث التي عرفها الفكر العربي في القرن الماضي ومازال نورها يضيء إلى اليوم

يمثل النصف الأول من القرن التاسع عشر مرحلة هامة من تطور الفكر السياسي والاجتماعي العربي فخلال هذه السنوات بدأ تعرف عدد من شوامخ المفكرين العرب على واقع وتراث النهضة الأوربية وسعوا الى الاستفادة منها وتحديد اسبابها وبواعثها ، وكتبوا الى بني اوطانهم ينبهونهم الى ذلك العالم الجديد الذي كان يبزغ في أوربا ، وضرورة تطوير المؤسسات والنظم والعلاقات الاجتماعية في بلادنا حتى تساير هذا التطور وتشارك في صنعه . وفي هذا السياق كتب هؤلاء الشوامخ عدداً من أمهات الكتب التي ما زالت تثير الذهن وتشحذ التفكير وتبعث على التساؤل في أوضاعنا ، وما زال ما ورد فيها من قضايا وموضوعات من تلك التي ما زلنا نتجادل فيها حتى الآن رغم مرور ما يقرب على قرن من صدورها .

وهناك اتفاق بين مؤرخي الفكر العربي ان القمم الثلاث التي شهدها النصف الأول من القرن التاسع عشر هم رفاعة رافع الطهطاوي ، وخير الدين التونسي ، وعبدالرحمن الكواكبي . ومن الضروري أن تطلع الاجيال الجديدة من شباب العرب على تراث هؤلاء ، وان يتاملوا في سيرهم وكفاحهم وان يتدبروا فيما قدموه من افكار وآراء . وسوف نبدأ في هذا المقال بالطهطاوي .

من طهطا الى الأزهر

ولد رجلنا في مدينة طهطا في اكتوبر ١٨٠١ م وهو رفاعة بن بدوي بن علي بن محمد علي بن رافع . انتقل به والده من طهطا الى قنا ثم الى فرشوط واثناء ذلك بدأ في حفظ القرآن ثم عاد الى طهطا فاتم حفظه ، واخذ يتلقى مبادىء العلوم الفقهية فقرأ المتون المتداولة في ذلك العصر على اخواله من الانصار الشيخ فرج الانصاري والشيخ عبدالصمد الانصاري ولما توفى والده نزح الى القاهرة وانتظم في



رفاعة الطهطاوى .. بريشة الفنان الكبير صلاح طاهر

سلك طلاب الأزهر سنة ١٨١٧ م .

هناك في صحن الأزهر الشريف التقى برجل من رواد النهضة العلمية والاصلاح والذي كان له اكبر الأثر في حياته وهو الشيخ حسن العطار الذي كان الى جانب إلمامه بعلوم الدين شديد الشغف والاهتمام بالعلوم العصرية . وقد أثر هذا الشيخ على رفاعة بالغ الاثر ، ففتحت محاضراته امامه آفاقاً جديدة للبحث والتامل والتفكير .

ويصف رفاعة أستاذه بقوله : (انه كان له حظ وافر في العلوم العصضية حتى العلوم الجغرافية وانه وجد بخطه هوامش جليلة على كتاب تقويم البلدان لأبي الفداء وهوامش اخرى على أكثر كتب التاريخ وطبقات الاطباء وغيرها . وكان يطلع على الكتب المعربة وله شديد الولع بسائر المعارف البشرية ، وله بعض تاليف في الطب وغيره .

ولم يمض على رفاعة بالأزهر بضع سنوات حتى صار من العلماء وتولى التدريس فيه سنتين . وامتازت دروسه والطريقة التي كان يلقي بها محاضراته بجاذبية كانت تحببه الى المستمعين . فيقول صالح مجدي احد طلبته في كتاب يؤرخ

رفاعة رافع الطهطاوي



لسيرة الطهطاوي بعنوان (حلية الزمن بمناقب خادم الوطن) : (كان رحمه الله حسن الالقاء بحيث ينتفع بتدريسه كل من اخذ عنه وقد اشتغل في الجامع الازهر بتدريس كتب شتى في الحديث والمنطق والبيان ، وكان درسه غاصاً بالجم الغفير من الطلبة ، وما منهم إلا من استفاد منه ، وبرع في جميع ما اخذه عنه ، لما علمت من انه كان حسن الاسلوب ، سهل التعبير مدققاً محققاً قادراً على الافصاح عن المعنى الواحد بطرق مختلفة بحيث يفهم درسه الصغير والكبير بلا مشقة ولا تعب ولا كدر ولا نصب) .

وفي سنة ١٨٢٤ م عين الطهطاوي ، بناء على ترشيح استاذه واعظاً واماماً في الجيش المصري النظامي الذي اسسه محمد على ، فعين اولا في إلاي حسن بك المناسترلي ثم انتقل الى إلاي حسن بك المنكلي . ولا شك ان هذه النقلة مثلت تطوراً هاماً وجديداً في حياة الطهطاوي ، فقد اتاحت له فرصة الاحتكاك باحدى المؤسسات الرئيسية في بناء الدولة الحديثة وتعرف مباشرة على مشاكل بناء هذه المؤسسات وضرورة الانفتاح على العلوم العصرية لمواجهة هذه المشاكل وحلها .

الرحلة الى فرنسا

وفي عام ١٨٢٦ طلب محمد علي باشا من الشيخ حسن العطار ان ينتخب من علماء الأزهر اماماً لأول بعثة كبيرة للطلبة المسافرين الى فرنسا لتلقي العلم ، ويرى فيه الاهلية واللياقة ، فاختار الشيخ رفاعة لتلك الوظيفة .

وهنا بدأ فصل جديد من حياة الطهطاوي فقد انفتح باب العلم والمعرفة امامه واسعاً ، ونهل منه مؤلفنا بلا حدود ، واستثمر مواهبه المتعددة من ذكاء متوقد وعزيمة وضاءة ، ومنطق سليم ، ومثابرة في طلب العلم وجلد عليه ، حتى وصل الى مرتبة عالية من المعرفة والثقافة . وكان يمكن للطهطاوي ان يكون إماماً للبعثة وحسب لكنه تجاوز هذه المهمة ، وعكف على طلب العلم حتى اصيبت عينه اليسرى بضعف ، ونصحه الطبيب بالراحة ، وطلب منه عدم القراءة بالليل .

ومن طرائف التاريخ ان الرجل الذي ذهب واعظاً لهذه المجموعة من الطلبة ربما كان اكثرهم استفادة من البعثة ، وكان اكثرهم تاثيراً على مجتمعه بعد عودتهم .

بدأ الطهطاوي في تعلم الفرنسية ، ثم اطلع على العلوم والمعارف المختلفة ، وعلى الخصوص – كما يقول علي مبارك – في مجال الترجمة من سائر العلوم على اختلاف مصطلحاتها من حيث الاستعمال والمفردات . واتجه رفاعة الى دراسة الفلسفة والتاريخ والجغرافية والآداب الفرنسية ، فقرأ مؤلفات فولتير وجان جاك روسو ، ومونتسيكو وراسين . ومما ذكره عن مونتسيكو قوله : (وقرات ايضاً مع مسيو شواليه جزاين في كتاب (روح الشرائع) مؤلفه شهير بين الفرنساوية يقال له مونتسكيو وهو اشبه بميزان بين المذاهب الشرعية والسياسية ، ومبني على التحسين والتقبيح المعقولين ويلقب عندهم بابن خلدون الافرنجي ، كما ان ابن خلدون يقال عندهم ايضاً مونتسكيو الشرق اي مونتسكيو الاسلام) .

وقرا في باريس ايضاً بعض الكتب في علم المعادن وفن العسكرية والرياضيات ، ومالت نفسه اثناء دراسته الى التدوين والتعريب ، فوضع رحلتـه في كتاب اسماه (تخليص الابريز في تلخيص باريز) وعرب اثنتى عشرة رسالة منها نبذة في تاريخ الاسكندر الاكبر ماخوذة من تاريخ القدماء وكتاب دائرة العلوم في اخلاق الامم وعوائدها ، ومقدمة جغرافية طبيعية ، وقطعة من كتاب العلامة ملسطبرون في الجغرافية ، وثلاث مقالات من كتاب لجندر في علم الهندسة ، واصول الحقوق الطبيعية التي يعتبرها الافرنج اصلا لاحكامهم ، وفيه مباحث عن الدستور ، وكتاب مونتسكيو (روح الشرائع) ، ونبذة عن الميثولوجيا وحديث عن افكار ارسطو وافلاطون ، ونبذة في علم سياسات الصحة

خبرته العملية

عاد رفاعة الى مصر سنة ١٨٣١ بعد ست سنوات من الاقامة فى فرنسا عاقداً العزم على ان يعرف اهل وطنه بالعلوم الجديدة التي يتداولها الغربيون . وبمجرد عودته الى الاسكندرية قابل ابراهيم باشا ابن محمد علي ، وقائد جيوشه وسافر الى القاهرة وقابل والي مصر محمد علي .

وتقلب رفاعة على عدد من المناصب ، فاشتغل في مجال الترجمة وتدريس اللغة الفرنسية في مدرسة الطب بابي زعبل ، ثم انتقل الى مدرسة المدفعية ، وبناء على اقتراحه قام محمد علي بانشاء مدرسة للترجمة تعلم فيها الالسن الشرقية والغربية وبعض المواد الاخرى ليقوم خريجوها بترجمة الكتب في العلوم المختلفة وفي هذه الفترة ايضاً عهد الى رفاعة بتنظيم جريدة (الوقائع المصرية) والاشراف على تحريرها

ظل الطهطاوي ناظراً لمدرسة الالسن الى ان اغلقت على يد عباس باشا الذي اتسم عهده بالجمود ، ونفى رفاعة الى الخرطوم بحجة توليه نظارة مدرسة ابتدائية هناك . وفي الخرطوم قام الطهطاوي بتعريب كتاب تلماك بعنوان (مواقع الافلاك في اخبار تلماك) .

ولما توفى عباس وتولى سعيد باشا في عام ١٨٥٤ عاد رفاعه الى مصر وتولى مناصب عديدة من اهمها نظارة المدرسة الحربية في القلعة ونظارة قلم الترجمة ، وفي سنة ١٨٦٠ الغيت هذه المدارس كما الغي قلم الترجمة فظل بغير منصب الى عهد اسماعيل ، فاعيد قلم الترجمة الذي رأسه رفاعه ، وكان له فضل طبع طائفة من امهات الكتب كتفسير الفخر الرازي وخزانة الادب والمقامات الحريرية وغير ذلك .

ثم عهدت اليه الدولة بتعريب القوانين الفرنسية (قانون نابليون) لاصلاح النظام القضائي ، وفي عام ١٨٧٠ انشا علي باشا مبارك مجلة (روضة المدارس) فتولاها رفاعه وباشر تحريرها مع ابنه على فهمي رفاعه . وفي سنة ١٨٧٣ كتب نجله (انه ليحزنني ان انقل من عدد الوقائع المصرية الاخير ما كتبه حضرة محررها الاستاذ الشهير (يشير الى الشيخ احمد عبد

الرحيم) ايذانا بوفاة والدي رفاعة بك رافع طاب ثراه وجعل الجنة مثواه) وكانت المجلة تنشر تباعا اخر مؤلفات المترجم والمفكر ورائد النهضة الفكرية الحديثة ، رفاعة الطهطاوي وهو كتابه (نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز) .

مؤلفاته

وحتى نتعرف على اثر الرائد العظيم من رواد الفكر العربي نورد فيما يلي ثبتا بمؤلفاته وهي : انوار توفيق الخليل فى اخبار مصر وتوثيق بنى اسماعيل لم يطبع منه غير الجزء الاول (في تاريخ مصر القديم حتى الفتح العربي) ، بداية القدماء وهداية الحكماء (تاريخ الشرق القديم) ، تاريخ قدماء المصريين ، التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية ، تخليص الابريز في تلخيص باريز او (الديوان النفيس بايوان باريس) (ضمنها اخبار رحلته ومشاهداته واختباراته في باريس) ، تعريب القانون المدني الفرنسي (جزان) ، التعريبات الشافية لمريد الجغرافية (منقول عن جغرافية ملطبون) ، جغرافية صغيرة (معرب) ، الجغرافية العمومية الجزء الاول والثالث (تعريب جغرافية ملطبون الموسعة) حبال الاجرومية ، قلائد المفاخر في غريب عوائد الأوائل والأواخر . جزآن . الاول في اخلاق اوروبا وسكانها والثاني معجم الاصطلاحات الجغرافية والتاريخية ، رسالة المعادن ، المرشد الامين للبنات والبنين ، القول السديد في الاجتهاد والتقليد ، الكنز المختار في كشف الاراضي والبحار (مختصر في الجغرافية) ، كتاب قدماء الفلاسفة ، الكواكب النيرة في ليالي افراح العزيز المقمرة (مجموعة تهاني الخديوي توفيق باشا) ، مبادىء الهندسة (معرب) ، المرشد الامين للبنات والبنين ، المعادن النافعة لتدبير معايش الخلايق (تعريب لمؤلف فرارد) ، مقدمة وطنية مصرية ، مناهج الالباب المصرية في مباهج الآداب العصرية (وصف لحال مصر وتاريخها وعلومها وحكومتها واحوالها العامة) ، المنطق (معرب عن كتاب دومارسيس) ، مواقع الافلاك في اخبار تليماك (تعريب عن فنيلون) ، نظم العقود في نظم العقود (ترجمة قصيرة) ، نهاية الايجاز في سيرة ساكن الحجاز (سيرة الرسول ﷺ). فماذا قال لنا الطهطاوي وما هي اهم افكاره؟

رائد الفكر الاجتماعي الحديث

ان مراجعة سيرة حياة رفاعة رافع الطهطاوي ونظرة سريعة على مؤلفاته تكشف لنا عن ثلاث سمات لهذا المفكر العظيم : اولها شمولية النظرة والاحاطة بالظواهر الاجتماعية والسياسية من مختلف جوانبها ، وثانيها الجمع بين النظر والعمل ، وبين الفكر والخبرة الواقعية ، الامر الذي اضفى على فكره صفة الارتباط بالواقع ، وثانيها الجمع بين ارضية التراث الاسلامي والتعرف على العلوم العصرية الحديثة . ومن خلال هذه السمات الثلاث قدمت كتابات رفاعه منهجا في الاقتراب من مشاكلنا ما احوجنا اليوم ان نتذكره ونتمثله.

التراث والعقل والمدنية

انطلق الطهطاوي في تفكيره الاجتماعي والسياسي من احترام العقل كاداة لحل مشاكل المجتمع ، فيقول في كتاب المرشد الامين (الباب الثالث ـ الفصل الخامس) (ان الله قد اكرم الانسان وزينه بالعقل الذي يميز بين الحسن والقبيح ، والضار والنافع والخطا والصواب) ويستطيع الانسان (بالادراك ان يرتب المقدمات لاستخراج النتائج وان ينسب الماضي للحال، ويتبصر في عواقب المستقبل ، ويتصور اسباب الظواهر الجوية والحوادث السماوية ويميز الحسن من القبيح والضار من النافع . وبالادراك والفهم يصلح الانسان والاشياء ويشكلها على الوجه المطلوب) .

وتاسيسا على احترام العقل والمنهج العقلي في التفكير يتامل الطهطاوي في ظواهر المجتمع المختلفة ويسعى للكشف عن اسبابها وبواعثها ، اي (النواميس الطبيعية) التي تحكم حركة المجتمع وسلوك الانسان ولكن يبقى هذا الاعتماد على العقل في اطار الدين والشرع .

في هذا الاطار ووفقاً لهذا التصور عبرت كتابات الطهطاوى عن فهم مستنير للحضارة الأوروبية فهو لا يسارع بلفظها ورفضها ، ولا بقبولها والانصياع لمقولاتها دون تمحيص ، فهو يدعو للتفاعل مع الحضارة الأوروبية والأخذ عنها فيما لا يتعارض مع القيم والثوابت ، وان (مخالطة الأغراب لا سيما اذا كانوا من اولى الالباب تجلب للاوطان من المنافع العمومية العجاب) (مناهج الألباب) .

وهدفه من ذلك واضح وهو بعباراته (ان يوقظ سائر بلاد الاسلام ... كي يبحثوا عن العلوم البرانية والفنون والصنائع وهي التي كمالها ببلاد الافرنج ثابت شائع والحق احق ان يتبع (تخليص الابريز) ، ويدعو الأزهر الى ان يضيف في دروسه الى علوم الشريعة سائر المعارف البشرية المدنية .

اما الذين يرفضون اقتباس العلوم الاجنبية عن اوربا فهو يصفهم في مناهج الالباب بانهم (واهمون ، لان الحضارة دورات واطوار وهذه العلوم قد كانت اسلامية عندما كنا نعيش عصر نهضتنا فاخذتها عنا اوربا وطورتها) .

السياسة والديمقراطية

واستخدم رفاعه في عرض افكاره التاريخ وتحليل الاحداث التاريخية التي عاصرها او قرأ عنها ، ففي مجال السياسة مثلا شهد رفاعه اثناء إقامته في باريس ثورة الشعب الفرنسي عام ١٨٣٠ التي انتهت بعزل شارل العاشر ، وتولية لويس فيليب . فقام بترجمة مواد الدستور الجديد ١٨٣١ ، وشرح معاني التعديلات واهدافها السياسية والاجتماعية ، وقصد من ذلك ان يضع امام المصريين نموذجا لكفاح الشعوب فى سبيل الديمقراطية .

وقد قام رفاعة بشرح اسباب ثورة ١٨٣٠ ووصف حالة الراي العام شارحا علة خروج الفرنساوية عن طاعة ملكهم ، وكان هذا العرض التاريخي بمثابة درس في النظم السياسية الحديثة ولعرض بعض المبادىء التي تحكمها مثل ان الرعية يمكن ان تتكتل حول مبادىء اقتصادية وسياسية عامة ، ويمكن ان تنقسم الى احزاب متضاربة رأيا وعملا حول هذه المبادىء السياسية والاقتصادية العامة . فيكتب الطهطاوي انه (في اوربا ينقسم الناس الى اقلية هم

الملكيون المؤمنون بالملكية المطلقة واكثرهم القسوس واتباعهم اي من رجال الكنيسة والمواطنين الخاضعين لنفوذ الكهنوت ، والى اغلبية هم الاحرار) أو من يسمون في تاريخ الفكر السياسي بالليبيراليين ، وهؤلاء من انصار الملكية المقيدة التي تتوج القانون مكان الملك وتجعل من الملك آلة تطبق القانون على حد تعبير الطهطاوي .

ويربط الطهطاوي بين المفاهيم الحديثة والاصول الاسلامية ويقول فى كتاب المرشد الامين : ان ما يسمونه بالحقوق والأحكام المدنية هو ما نعرفه باسم فروع الفقه ، وما نسميه نحن بالعدل والاحسان يلقبونه بالحرية والمساواة .

الاقتصاد والتمدن والمنافع العمومية

وفي مجال الاقتصاد كانت للطهطاوي آراء ثابتة بلورها في كتاب (مناهج الالباب) الذي نشره قبل وفاته بثلاث سنوات ، ولخص فيه آراءه حول مشاكل التغير والتقدم في مصر حتى ان البعض مثل الاستاذ جمال محمد أحمد المفكر والأديب السوداني الكبير يعتبره فى كتابه عن (الأصول الثقافية للوطنية المصرية) من اكبر المؤثرات على تطور الفكر المصري في القرن التاسع عشر ، ويعتبره آخرون بمثابة برنامج للتحديث السياسي والاجتماعي .

يناقش هذا الكتاب دائرة متسعة من القضايا والمشاكل التي تشمل موضوعات مثل ضرورة التمييز بين الاخوة في الوطن والاخوة في الدين ، وضرورة تنمية الروح العامة والمواطنة السليمة ، ودور الراي العام . وفي نظر الطهطاوي فان للتمدن اصلان : اما الاصل المعنوي فهو ما يتصل بتهذيب الأخلاق بالآداب الدينية والفضائل الانسانية ، واما الأصل المادي فهو ما يتصل بالمنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى وتحسين الحال على الهيئة الاجتماعية .

وفي المجال الاقتصادي فان الفكرة المحورية لدى الطهطاوي هي ما يسميه (بالمنافع العمومية) ويقصد بذلك التقدم في الزراعة والصناعة والتجارة ، وخلال الكتاب يعالج الطهطاوي الأمور الاقتصادية في هذا الاطار ويحلل مصادر الثروة ويرى انه من بينها فان المصدر الاساسي هو العمل ، فالعمل هو مصدر الثروة وأساس كل الغنى والسعادة ، بل ان السلع المتوفرة كالماء مثلا يصبح لها قيمة عندما ترتبط بعنصر العمل الذي ينقلها الى من هو في حاجة اليها . ويضرب الطهطاوي مثلا بالقوات الفرنسية التي كانت تؤجر عمالا لنقل الماء من النيل الى معسكراتهم .

ان تحليل الطهطاوي لطبيعة الثروة ومصدرها قاده الى عدد من النتائج الهامة عن العمل ، ومكنه من ان ينتقد كبار ملاك الأراضي واثرياء الصناعيين الذين يحتكرون الارباح على حساب أولئك الذين عملوا حقاً ولكنهم لم يحصلوا إلا على اجر بسيط ، فيقول الطهطاوي : ان الفلاح يجب ان يحصل على ثمار عمله وان الربح لا يجب ان يذهب باكمله الى ملاك الأرض . ورفض الحجة التي تبرر للملاك ذلك على اساس انهم استثمروا راس مالهم في الأرض ، مؤكداً ان العمل هو المصدر الاساسي للثروة ، وان رأس المال ثانوي بالمقارنة له . وبعد معالجة موسعة لاوضاع العمال الزراعيين يحذر الطهطاوي من ان استغلالهم ودفع اجور بسيطة لهم سوف يؤدي الى الحقد والكراهية بين الناس . وقام بتحليل مماثل عن علاقة رأس المال والعمل في مجال الصناعة .

واخيراً فان الطهطاوي يتنبأ بان استمرار هذه الممارسات الاستغلالية يقود الى مزيد من التوتر الاجتماعي وان (من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً) .

والأرجح ان الطهطاوي كان يقصد بهذه الآراء ضرورة تدخل الدولة لحماية العمال وتحديد اجورهم وتنظيم الحياة الاقتصادية.

الصحافة والرأي العام

وكان للطهطاوي دوره في بلورة راي عام مثقف وناهض من خلال الصحافة ، فبعد صدور أول صحيفة في مصر على يد نابليون بونابرت في ٢٩ اغسطس ١٧٩٨ باللغة الفرنسية باسم Courier d'Egypt لكي يقراها الجنود الفرنسيون ، بعد ربع قرن من هذا التاريخ اصدر محمد علي (الوقائع المصرية) وكانت باللغتين التركية والعربية ، وموضوعها الأخبار الرسمية للحكومة ، فلما تولى تحريرها رفاعه جعل اخبار مصر تتقدم كل الاخبار . وتضمنت مقالاته الافتتاحية تحليلات اجتماعية وسياسية ، واعلى من شان استخدام اللغة العربية فيها وجعلها موازية ومساوية للغة التركية . وعندما راس (روضة المدارس) لفترة اهتم بشئون المراة ودعا القراء الى المشاركة في تحرير المجلة .

ماذا يبقى منه للتاريخ ؟

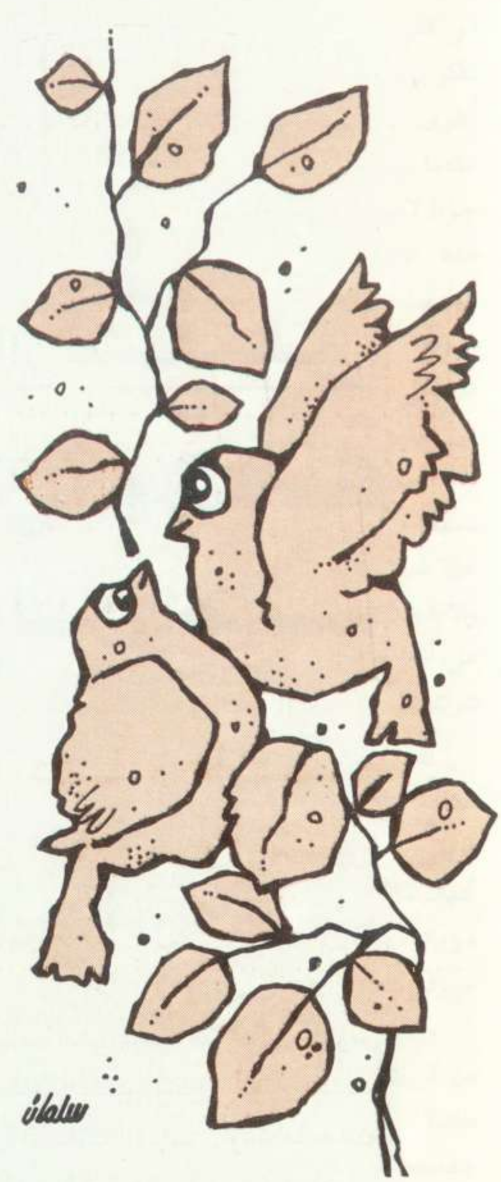
هذه الآراء هي قليل من كثير . فقد تعرض الطهطاوي في كتاباته لمجمل قضايا المجتمع ابتداء من شكل النظام السياسي ، الى الاوضاع الاقتصادية ، الى اصول التربية والتعليم وضرورة تدريس السياسة (أو البوليتيقه) في المدارس لكي يتعلم النشء حقوقهم وواجباتهم كمواطنين ، **لذلك ليس من الغريب ان يلقب رفاعه رافع الطهطاوي بابي الفكر** السياسي والاجتماعي المصري الحديث ، وان يعتبر احد الرواد الثلاثة العظام للفكر العربي في النصف الاول من القرن التاسع عشر . فهو الذي بذر بذور الفكرة الديمقراطية في اول كتاب له (تخليص الابريز) في عام ١٨٣٤ ، وهو الذي دعا الى تدخل الدولة وتحقيق العدالة الاجتماعية في آخر كتاب له (مناهج الالباب) في عام ١٨٦٩ ، وهو الذي كتب عن الوطنية المصرية في عهد السادة الاتراك ، ودعا المصريين الى الاعتزاز بماضيهم وتاريخهم ، وهو الذي ميز بين الاخوة في الدين والأخوة في الوطن ، وهو الذي حرص على التعرف على الحضارة الأوربية الجديدة والاستفادة منها ، وهو الذي انتقد الاوهام والبدع الفاسدة في رسالته بعنوان (البدع المتقررة) .

لقد قدم الطهطاوي نظرة وطنية ترتكز الى التراث دون تعصب ، والأخذ من الخارج دون تبعية ، ووضع الاساس لمنهج في العلاقة بين التراث والمعاصرة يمكن لنا ان نتمثله ونطوره على واقعنا المعاصر .

علي الدين هلال

الطائران والجزيرة الفريدة

شعر: حسن توفيق



كلُّمها .... وكانت الشمس تطلُّ من خلال بابها الشرقيِّ كي توزع النورَ المباحْ
حدَّثها عما رآه في المنام ... كان صوتُه يفيضُ بالأضواء والظلال والعذوبه
وانسكبتْ في سمعها أمواجُه الطروبه
فاستسلمتْ للرحلة التي أغوتْهَا في الصباح

★ ★ ★

الطائران انطلقَا
حطَّا على جزيرة مسكونةٍ بالطيب والأطفال والخصوبه
جزيرةٍ يولدُ من شطآنها البيضاء ما يشفُّ من صفاءْ
والجوهرُ المكنونُ في أعماقها ... مِنْ حسنِه يكادُ يُغوِى الأفُقَا
فلا يغيمُ لحظةً ... أو يحبسُ النسائمَ الرخيَّة اللعوبه
يا للجزيرةِ التي تقصدها طيورُ البحر ... حينما تشتاقُ للتلاقى والغناءْ

★ ★ ★

الطائران انطلقَا
حطَّا هُنَا .. واعتنقَا
كلمها في شغفٍ .. قالَ لها ما قالتِ النحلةُ للوردةِ والغيمةُ للأرضِ الظميه
قال لها ما قالتِ الأشياءُ للأشياءِ في انبثاقة التواصلِ الجامحِ كالريح الفتيه
وكنتُ وحدي صامتاً وضائعاً ... أكاد من تكدُّسِ الغربة فوق القلبِ أن أختنِقَا
فرحتُ أشكو الحرُقَاَ ...

★ ★ ★

كانتْ خيولُ الشمسِ في السماءِ تطوِي الأفُقَا
ممعنةً في السير ... كي ترحلَ للبوابة الغربية البعيده
وأغفت الطيورُ في أعشاشها سعيده
من بعدِ رحلةٍ إلى الجزيرةِ الفريده
والطائران اعتنقَا
وخلَّفاَ لي ريشةً مندوفةً ... وخلَّفاني ـ دونَ قصدٍ ـ مِزَقَا

★ ★ ★

تفتحتْ في عالمي براعمُ الأسى ... وأقبلَ الظلامُ قبل موعدِهْ
واخترقَ الظلامُ في إقباله جدارَ روحى حاملاً حقيبةَ الفراغِ والضياعِ في يدِهْ
وانفتحتْ حقيبةُ الفراغِ والضياعْ
تبعثرتْ أشياؤُهَا ... وأين منيَّ الآنَ مَنْ تُؤنسُ روحي المثقله
يا ليتها الآنَ هنا .. تُوقد قربي شمعةً ... فيولدُ الأنسُ على خُطى الضياءِ المقبله
وتستعيدُ الروحُ ـ من طلعَتِهَا ـ صفاءها المحجَّبَ المضاعْ

★ ★ ★

أيتها الجزيرةُ الساحرةُ المسحوره
حتَّى متى أظلُّ وحدى صامتاً أبثُّ ما أبثُّ للأوراقْ
تلفحني الأشواقْ
وترقدُ الأميرةُ الضاحكةُ العينينِ طولَ ليلها مسروره
وبيننا تُشْهرُ أبحرُ الظلامِ واللظَى سيوفَها الصمَّاءَ من غياهبِ الأعماقْ
حتى متى أظلُّ وحدى صامتا ... وتنعمُ الطيورُ بالطيورِ والعشاقُ بالعشاقْ ؟ !

....

الطائران اعتنقَا
وخلَّفا لي ريشةً مندوفةً ... وخلَّفاني ـ دونَ قصدٍ ـ مِزَقَا !!!



حلمى الزواتى

حـــــوار مــــع :

شاعر الأرض المحتلة حـــلمي الـــزواتي

● أنا مازلت تلميذاً أحمل قلمي وأتعلم

● اصطدمت بتماثيل الرماد ، فصادروا قلبي وفتشوه

● التناقض في الوطن العربي يقع بين رفض العقل والعجز عن تأسيس البديل

فلاح عربى عشق الأرض حتى التوحد والاندماج ، وجواد عربى جامح أدمى قدميه الترحال ، فغرس فينا دماءه الخضراء عشقا حتى الموت ، ناضل فجلد وصلب حتى النخاع ، وكثيرا ماكان صوته يختصر المسافات ويختزل الأحلام ، فيأتى مجلجلا عبر شقوق الزنزانة متحديا الأسلاك الشائكة . وعندما حملته رياح الظلم والغدر خارج حدود فلسطين ، وجدوه متلبسا فى حب الوطن ، فحاكموه وجلدوه ونفوه حتى الغربة . وبينما هو كذلك كان هذا اللقاء :

أجرى الحوار: الدكتور إلياس خليل الزين

• لو فتحنا بطاقتيك الشخصية والأدبية ، وطلبنا منك أن تعرفنا على حلمي الزواتي ، فماذا تقول ؟

ـ هذا سؤال محرج يجعلني أصاب بالخجل لعدة أسباب منها :

اننا شعراء المقاومة سواء في الوطن المحتل داخل أسوار الاحتلال الصهيوني ، او خارجها تحت الاغتراب النفسي ، لم نفكر يوما فيما كتبناه وأنتجناه ؛ ومن جهة أخرى أن الأدب بعامة والشعر بخاصة عندما يرتقي الى مستوى الثورة فانه يصبح جزءا لايتجزأ منها ، وهو مستمر باستمرار هذه الثورة . ولذا كانت الصعوبة في الحديث حتى تنجلي الأمور وتتضح الرؤية . والأقسى من هذا وذاك أنك تدعوني للحديث عن النفس ، والحديث عن النفس لايقل صعوبة عن تحليل الناقد لشخصية مفكر أو فنان ما ، دون معرفة مسبقة ، وليس أكثر سهولة من كتابة النقد عن شخصية زميل له ، ففي الأولى الظلم والاجحاف وفي الثانية الأنانية والتحيز . على أية حال سأحاول أن أكون بعيدا عن شرك الأولى والثانية :

لقد ولدت في مدينة نابلس ، مدينة الكفاح والبطولة ، ونشأت وترعرعت في قريتي « زواتا » المنتصبة على جبل أشم من جبال النار يسمى « أبو عجرم » لقد أحببت « زواتا » أكثر من نفسي وحبها سرى في عروقي كما سرى حب ليلى في ضلوع قيس .

ولدت في أسرة كادحة أقرب الى الفقر من قربها الى الغنى ، في أسرة تضم شيخا طاعنا ، وأما جلدة مناضلة . ومن هنا فقد جمعت بين الكتاب والقلم والمحراث والمنجل .

صدر لي حتى الآن تسع مجموعات شعرية على التوالي : « أناشيد الجراح » ، « عبير الدماء » ، « بالحراب على وجه الضياع » ، « فاتحة الصوت والغضب » ، « ثلاثية الموت والارتحال » ، « قبلة على جبين الشمس » ، « قصائد ممنوعة التجوال » ، « ترفض السرج الجياد » ، « آتون من مدن الرماد » .

وفي المسرح : « لهب الجراح » ، « الرقص على حد السكين » ، « عناق الموت » .

وفي النقد : « في ربوع الشمس » ، « الفن والطفولة والاحتلال » ، « الوجه النضالي للأغنية الشعبية الفلسطينية في الكويت » .

وفي الرواية : « الابحار في ذاكرة الوطن » .

وفي الحقوق : « حقوق الفلسطينيين بين الواقع النظري والتطبيق العملي في الأرض المحتلة » .

باختصار شديد : حلمي الزواتي تلميذ في الصف الأول الابتدائي ، يحمل قلمه ودفتره ويتعلم بصمت ، انه في بداية الطريق وليس سوى ربع قطرة من محيط .

• التجربة والمعاناة لهما علاقة وطيدة بالحدث الفني ، حدثنا عن تجربتك في الوطن المحتل شخصيا وفنيا .

ـ أرى وكأن لديك اصرارا على إعادتي الى داخل الجرح ، على أية حال لا ضير في ذلك فنحن دائما داخل الجراح نفتقها ... نتزلج عليها ... ونعصبها مرة اخرى ...

عندما كنت في فلسطين لم أكن فيها ، بل كانت تسكن في سويداء قلبي ، أحضنها وتحضنني ، تنتقل معي من زنزانة الى اخرى ومن سجن الى آخر تشهد وتستشهد ولكنها لاتموت .

عبر هذا الواقع ، وعبر المواجهة المجسدة يوميا مع سلطات الاحتلال ولدت قصائدنا ، وكثيرا ماتمت الولادة داخل اسوار الزنزانات بعيدا عن الرعاية والزرابي المخملية والوجوه العاجية .

لقد كانت قصائدنا ثورية ، تعبر عن واقع ثوري تلازمه وتعيش معه حتى التوحد والاندماج ، ولذا فانها كانت الخبز والماء والهواء في لحظات الهدوء ، والحجارة المسنونة والرصاص في عام الانتفاضة .

ومن هنا ... أدرك عدونا الخطر المحدق ، فعمل على اخراج السمك من الماء ، ولم يكن يعلم أن السمك الفلسطيني برمائي . وبرماجوي . أيضا .

• بعد الاحتلال مباشرة ، حاول العدو الصهيوني ممارسة الارهاب الفكري على حملة الأقلام الواعية وكذلك على المناهج الدراسية ، هل لديكم تعليق على ذلك ؟

ـ الارهاب الفكري والمادي من سمات الاحتلال ، أي احتلال ، ولكن الصهيوني تميز بالحقد والشوفينية عندما مارس ارهابه علينا .

لقد حاول الصهاينة في البداية أن يمارسوا علانية ما مارسوه على أهلنا وحملة الفكر في الأرض المحتلة بعد عام ١٩٤٨ وقبل ١٩٦٧ . ولعل من أبرز محاولاته مصادرة الكتب والنشرات التي تدعو الى الثورة وتحرض عليها ، وعلى زج أصحاب الأقلام الواعية الثورية داخل السجون والمعتقلات . وزيادة في الارهاب عمل على ممارسة العقاب الجماعي بحيث لايقتصر على المناضل نفسه ، بل يتعداه ليصل الى جميع أفراد أسرته وعشيرته ولربما أهل بلدته أجمعين ، وهذا العمل يتنافى مع أبسط

القوانين والمواثيق الدولية .

لقد حاول العدو الصهيونى اذابة الشخصية العربية واذابة الأدب والفكر العربى فى بوتقة الأدب الصهيونى ؛ ولكننا ، فعلا ، كنا بمستوى الحدث : فقد انتقلنا من مرحلة الدفاع عن النفس الى مرحلة المواجهة ، وبذلك أبطلنا خططه ومشاريعه وأهدافه . وأذكر أن « موشيه دايان » قال ذات مرة للأخت فدوى طوقان : « ان كل كلمة يقولها شعراء المقاومة كافية لخلق عشرة مقاتلين » .

● قال أحدهم عندما أبعدته سلطات الاحتلال الصهيونى الى خارج فلسطين : « لقد خرجت الى دخول » ماهى مشاعركم عندما حدث لكم ذلك ؟

ـ لا أدرى ... ان الاجابة على هذا السؤال محزنة ومخجلة فى آن واحد ، لا لأنها قاسية وتفترض حالة من الاغتراب النفسى ، ولكن لأنها ترتبط عضويا بخيبة أمل واحباط قسريين .

عندما أبعدتنى سلطات الاحتلال الصهيونى خارج فلسطين لم تكن تعلم أن فلسطين فى مفهومى ليست من النهر الى البحر فحسب ، وانما هى من المحيط الى الخليج . ولكن المفاجأة الحادة بعد اسبوع فقط من ابعادى ، وجدت أن نابلس وحيفا والقدس وغزة لسن المحتلات فقط ، وانما تعداهن الاحتلال الى كل عواصم ومدن الوطن العربى ، ومن هنا ابتدأت الفجيعة .

لقد اصطدمت بتماثيل الرماد ، فصادروا قلبى وفتشوه فوجدونى متلبسا فى حب الوطن ، وهذا الحب فى رأيهم من نوع الجريمة مع سبق الاصرار والترصد ، لذلك عذبونى حتى النخاع ونفونى حتى الغربة .

ما أجمل الوطن العربى عندما كنا بعيدين عنه ! كنا نزهو بالانتماء اليه ونفخر ، كنا نحس بعروبتنا ونتلذذ بها ، ولكن بعد دخول هذا الوطن ، فقد تنكرت لنا العروبة فى شخصية شرطى وجلاد ، فألهبت ظهورنا بسياطها وحاكمتنا على حبنا لها وافترضت علينا حالة من التفسخ والضياع . على أية حال ، انه وطننا ...

● الوطن العربى يمر هذه الأيام بعدة اشكالات : ماهو دور المثقف العربى فى مواجهة هذه الأزمات وايجاد الحلول الناجعة والناجحة لها ؟

ـ ان الوطن العربى يعانى صراعا ثقافيا عنيفا اشتدت وطأته بعد الحرب العالمية الثانية ، لدرجة انه أصبح يبحث عن هوية ينتمى اليها ، كما أن كثرة التيارات السياسية سبب فى هذه الأزمة ، وان أى طرف فى أحد هذه التيارات يؤثر سلبيا على اية ظاهرة نقية فى هذا الوطن .

من خلال هذا كله ، يتضح لنا أن أزمتنا فى أوضاعنا الحالية مرتبطة بأزمة المثقفين العرب وما يطرحون ، فى الغالب ، من نتاج ثقافى سطحى يتميز بالأمية الثقافية وضحالة الفكر .

ان المثقفين ضمير المجتمع ، وهم بصفة عامة ضمير طبقاتهم ، انهم يحملون الوعى الاجتماعى لهذه الطبقات ، ومهمتهم التوجيه بدءا من اعلان الحقيقة وانتهاء بالالتزام الجماعى ، والثقافة المكونة اجتماعيا وطبقيا تعنى مراتب متصاعدة من الالتزام ، فمرتبة الوصف تعنى بالاعلان عن الحقيقة الاجتماعية ، ومرتبة التغيير تعنى بالشرح والتحليل لتلك الحقيقة ، ومرتبة التفكير تعنى بالتطابق بين جوهر الابداع الثقافى وجوهر حركة المجتمع .

ان أوضاعنا الحالية البائسة لن تجد لها حلا الا بحل المشكلين الاجتماعى والثقافى .

فاجتماعيا نعانى من أزمة تغيير اجتماعى ، والأزمة تعنى اشكالية ، والاشكالية تعنى التناقض ، والتناقض فى الوطن العربى يقع بين رفض العقل والعجز عن تأسيس البديل . وثقافيا فنحن نعانى من الأمية الثقافية والسطحية الفكرية ، وعندما يصاب المجتمع بأزمتنا ، عليه أن يبحث ذلك بين الثقافة والمثقفين .

● شعر المقاومة فى الوطن المحتل اصبح له صيغة مميزة عن حركة الشعر العربى المعاصر ، ما رأيكم

ـ قبل الاجابة على هذا السؤال أود أن اقول :

ان التجزئة العضوية لأى كائن ، سواء كان ماديا أو معنويا ، مرتبطة بنية عدوانية هدفها الاضعاف ومن ثم السيطرة ولربما الاذابة والانهاء .

وان محاولة ايجاد أسماء وسمات للشخص الواحد بعد تفتيته مرفوضة جملة وتفصيلا . واذا كنا نرفض أن يكون هناك ادب كويتى وأدب أردنى وأدب جزائرى ، فاننا بلا شك نرفض بشدة أن يكون هناك ادب فلسطينى مقاوم وأدب غير مقاوم ، ادب سجون وأدب قصور ، أدب الأرض المحتلة وأدب المخيم .

ان هذه التجزئة تنطلق من نية لئيمة فى تجزئة الوطن العربى ثقافيا بعدما مزقوه اربا ، وعندما يكون هناك أدب مميز فى العراق عنه فى سوريا ، فهذا تمهيد أكيد لايجاد قومية فى العراق وقومية أخرى فى سوريا وثالثة فى تونس .

باختصار شديد ، ان التجارب الانسانية واحدة على مر العصور والسنين ، ما يمارسه الجلاد فى سجن الرملة ، هو

ما يمارسه فى بقية سجون العالم ، ومادام الوجع الانسانى واحدا ، فلا داعى للتلوين والتلويث .

اننى أذكر تماما أننا رفضنا فى عدة مقالات نشرت داخل الوطن المحتل وخارجه وأخص بالذات مقالة محمود درويش فى مجلة الآداب البيروتية فى عام ١٩٦٩ ، فقد اعتبرنا الحركة الأدبية فى الوطن المحتل جزءا من حركة الشعر المعاصر فى كل العواصم العربية ، ولكن الذى بهر الأنظار هو أن حركتنا الشعرية بخاصة والأدبية بعامة انطلقت وتأججت نارها مع انطلاقة بندقية الثائر فى النصف الاخير من الستينات .

• فى الوطن المحتل أقلام وأدمغة يهودية تقف الى جانب الحق العربى ، هل لك تعليق على ذلك ؟

ــ هناك شعراء يهود ، سمت بهم قرائحهم عن التدنى الى مستوى الطائفية ، فسخروا أقلامهم للدفاع عن حرية الفكر من باب الانسانية ، ولكنهم لم يتخلوا عن ايمانهم بأن فلسطين هى « أرض الميعاد » ، ولا يرون ضيرا فى أن تكون « اسرائيل » بحجم الكرة الأرضية وليس من الفرات الى النيل فحسب .

من هؤلاء الأديب المعروف (عاموس كينان) الذى ترجم مع راشد حسين مجموعة من الأغانى الشعبية الفلسطينية الى اللغة العبرية .

لقد وصل الحد بأن هاجم أحدهم الكيان الصهيونى ، ولاغرو ، فقد سمعت ذلك من اديب وعالم يهودى كبير اسمه « اسرائيل ولفنستون » ، استاذ التاريخ والأدب العربى فى دار العلوم سابقا ، وعندما سألته عن حقيقة الكيان الصهيونى قال :

« كل بناء يقوم على غير أساس مصيره الدمار والخراب » . وهناك من يقف مدافعا أمام المحاكم الصهيونية عن المعتقلين العرب وأخص بالذكر المحامية اليهودية « فلنيسيا لانجر » .

كما أن هناك المتعصبين وهم كثر ، وأخص بالذكر « حاييم غورى » و « أهارون ميغد » و « يعقوب اوتنشتاين » .

• هناك بعض الوجوه التقليدية فى حركة الشعر المقاوم فى الأرض المحتلة ظهرت فى الستينات ومازال مهيمنة على الوجه الاعلامى للحركة ، أين جيل السبعينات ؟

ــ ان السبب فى استمرارية ظهور هذه الوجوه ، واختفاء سواها من الجيل الثانى من شعراء المقاومة راجع لعدة أسباب منها :

ان بروز هذه الوجوه اعلاميا صاحب انطلاق الرصاصة الأولى لانطلاقة الثورة الفلسطينية المعاصرة فى عام ١٩٦٥ وهذا الانطلاق المصحوب بتوقيت زمنى محدود ومحسوب جعل هناك تلاحما عضويا بين البندقية الثائرة والكلمة الصادقة المعبرة عن آمال وآلام وأحاسيس الناس سواء تحت الاحتلال الصهيونى أو تحت أجهزة القمع الأخرى .

والسبب الآخر ، ان التعتيم الاعلامى الذى يمارسه العدو الصهيونى على نتاج الاقلام الواعية الشجاعة وعزوف الاعلام العربى بما فيه دور النشر والتوزيع عن طبع وتوزيع هذا النتاج ، جعل فرصة ناجحة لعمل نوع من الانفصال بين هؤلاء الأدباء الشباب وزملائهم خارج أسوار الاحتلال الصهيونى .

على أية حال : هناك مجموعة من الشعراء الشباب الذين انتقلوا من المهد والقماط الى المعركة فورا وقست أظفارهم وأصبحت جارحة قبل أن يقسو الشعر فى وجوههم ومن هؤلاء الشعراء : عبد اللطيف عقل ، أسعد الأسعد ، على الخليلى ، خليل توما ، أديب رفيق محمود ، ليلى علوش ، سهام داود وسميرة الخطيب .

• حدثنا عن مشاريعك للمستقبل علميا وثقافيا وفكريا .

ــ لا أحب أن أستبق الأحداث ، وهذا لا يعنى اننى لا أرسم خططى بدقة ، فالزمن كما قيل كالسيف ان لم تقطعه قطعك . على اية حال لدى تحت الطبع مايلى :

• « نقوش بالدم على جدران زنزانة » . مذكرات

• « اختزال الزمن والحلم الآتى » رواية .

• « الوجدان القومى لدى شعراء الارض المحتلة » . دراسة

• « المقاومة فى شعر الصحراء العربية » . دراسة

• « الفكر الصهيونى فى الصحافة العربية » . دراسة

الياس خليل الزين

تقديم: لبنى الريدي

البصمة الالكترونيه لتحديد الهوية

تعتبر بصمة الانسان منذ أقدم العصور أفضل طريقة لتحديد هويته ، فلا يوجد اثنان لهما نفس البصمة ، كما لايمكن تقليدها أو سرقتها كما يحدث بالنسبة لبطاقات الهوية .

ولذلك بدأت البنوك والشركات التى تختزن فى ذاكرة أجهزة الكمبيوتر معلومات هامه وسريه فى التفكير باستخدام بصمة الإصبع كوسيلة أمنية لضمان ألا يتعامل مع ا جهزة الكمبيوتر والوحدات الطرفيه المتصله بها سوى الشخص المسموح له بذلك .

ولقد تحقق ذلك بالفعل بابتكار جهاز الكترونى يحدد هوية الأشخاص تبعا لبصمات أصابعهم ، ويتخذ الجهاز شكل وحدة طرفية صغيرة متصلة بذاكرة مركزية يمكنها اختزان صور آلاف البصمات .

وتتلخص خطوات النظام الأمنى



الإلكترونى الجديد فى تسجيل بصمات ا صابع الأشخاص المسموح لهم بالدخول الى مبنى أو غرفة معينة أو استخدام الكمبيوتر والوحدات الطرفية التابعة له ، ويتم هذا التسجيل الالكترونى بأن يضع الشخص ا صبعه فى وحده طرفية حيث تصور بصمته بواسطة أداة ضوئية اتوماتيكية فاحصة تقوم بمسح كل جزيئات الإصبع لتعطى صورة شديدة الوضوح والنقاء للبصمة . ويتم تحويل هذه الصورة الى شفرة رياضية تختزن فى الذاكرة المركزية ، كما يعطى الشخص رقم هوية خاص به .

وعندما يريد هذا الشخص التعامل مع المعلومات السرية يضرب رقم هويته على الوحدة الطرفية الخاصة بالتعرف على البصمات ويضع إصبعه فى تجويف خاص بذلك فاذا كانت البصمة مطابقة للبصمة المختزنة فى الذاكرة المركزية سمح له بدخول المنطقة المحظورة أو باستخدام الكمبيوتر ، ويستطيع جهاز واحد خدمة مبنى ضخم أو نظام كمبيوتر متكامل .

ولقد تم تجربة هذا النظام مؤخرا فى أحد بنوك كاليفورنيا ، ويعمل المهندسون حاليا فى تصميم وحدة طرفية مستقلة تستطيع الاحتفاظ بصور البصمات فى ذاكرتها .

مكبر صوت مختلف

ابتكر باحث فرنسى مكبر الصوت لأجهزة « الهاى فاى » يختلف تماما عن كل ماهو معروف حتى الآن فى هذا المجال . ا ذ يعتمد عمله على تأمين كرة صغيرة من الهواء تقوم بنشر الذبذبات فى جميع الاتجاهات .

من المعروف أن عمل مكبر الصوت يرتكز عادة على نظام ميكانيكى يعمل على اهتزاز بعض مكوناته قبل الحاجز والغشاء والمكبس . ولكن كل من هذه المكونات يهتز تبعا لتردد خاص به ، وبالتالى تضاف هذه الترددات الى الأصوات التى ينقلها مكبر الصوت مما يؤثر على درجة نقائها .

أما الجهاز الجديد الذى يتكون من صندوق صغير يعلوه قطب كهربى على شكل كرة فيخلو من أى غشاء . ويضم الصندوق مولدا للذبذبات يعمل بالترانزستور وملفا يولد تياراً ذا تردد عال . وعندما يسلط هذا التيار على القطب المركزى فى منتصف الكرة المعدنية يحدث تفريغ ايونى حول هذا القطب .

وينتج عن هذا التفريغ تغيرات فى درجة حرارة وضغط جزيئات الهواء المحيطة بالكرة المعدنية ، وتتولد نتيجة لذلك موجات صوتية تنتشر فى جميع الاتجاهات ، وبالاضافة الى ذلك فإن عمليات التفريغ المتتالية تحدث تأينا للهواء ويحول كرة الهواء الى كرة نابضة بحيث يتوزع الصوت بشكل منتظم وبنفس الشدة فى جميع الاتجاهات .



الكمبيوتر ـــ الفيديو

تحققت خطوة جديدة فى سبيل التزاوج بين الفيديو والاعلاماتية . فلقد تمكن اليابانيون من انتاج جهاز جديد يطلق عليه كمبيوتر ـ فيديو .

وهو أول جهاز يستطيع التزامن مباشرة مع كل انواع اجهزة الفيديو : من كاميرا الى جهاز تسجيل وجهاز قراءة « الفيديو ديسك » بل وجهاز التلفزيون ايضا . وذلك

دون الحاجة الى استخدام جهاز وسيط لاحداث التزامن المطلوب بين الكمبيوتر من جهة وأجهزة الفيديو المختلفة من جهة أخرى .

ويتيح الميكرو كمبيوتر الجديد اضافة نصوص أو رسوم أو مناظر الى الصورة التى تظهر على شاشة التلفزيون ، كما يمكنه تحريك هذه الرسومات والمناظر ، وبالتالى



يمكن تسجيل تراكب نوعى الصور مباشرة على شريط فيديو .

ويتمتع الجهاز الجديد بامكانيات واسعة فبالضرب على لوحة مفاتيح متصلة به تضم ٧٢ مفتاحا تظهر نصوص ورسوم ملونة ، كما يمكنه استخدام لوحة رسم الكترونية صغيرة . ويتم تسجيل المعطيات المبرمجة اللازمة لتشغيل الميكرو كمبيوتر على اسطوانات صغيرة .

ويزن هذا الجهاز ٩٫٣ كيلو جرام ، ولا يزيد حجمه عن ٣٩ / ١٥ / ٤٨ سم ، وهو مزود بذاكرة مركزية ، بالاضافة الى ذاكرة خاصة بشاشة الفيديو ، ويستطيع الاحتفاظ فى ذاكرته بأربع صفحات فيديو وبستة عشر لونا ، كما يمكنه تكوين صور ابيض واسود فقط .

مكتب المستقبل

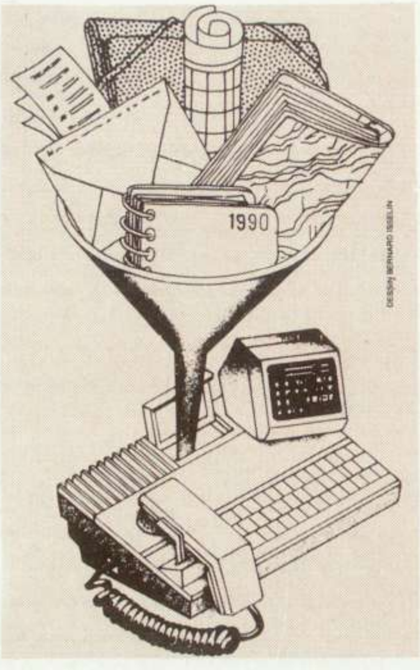
آخر الابتكارات التكنولوجية فى عالم الادارة جهاز بريطانى يقوم بالعديد من العمليات اليومية التى يحتاجها أى مدير .

يضم الجهاز شاشة وهاتفا ولوحة مفاتيح بالاضافة الى ذاكرة يمكنها تخزين المواعيد وجداول الأعمال لمدة عشرين عاما قادمة .

ويستطيع هذا الجهاز الاتصال بعدد كبير من بنوك المعلومات واجراء كل أنواع الحسابات ، يقوم بوظيفة جهاز التلكس والبريد الالكترونى ، وتتسع ذاكرة الجهاز لتسجيل دليل كامل لأرقام الهاتف .

ومن ناحية أخرى يستطيع المدير استخدامه كمفكرة مكتب لحفظ البيانات الهامة الكترونيا ، بحيث لا يمكن لأى شخص آخر الاطلاع على هذه المعلومات لأنها لن تظهر على الشاشة الا بعد كتابة كلمة سر لا يعرفها سوى صاحب المفكرة فقط .

وتعتبر هذه المحطة الادارية المتكاملة والمتعددة الوظائف أحد اشكال مكتب المستقبل . ولكن بالرغم من كل هذه الامكانيات التى يتيحها التقدم العلمى تظل مسئولية التفكير واتخاذ القرار مسئولية الانسان وحده .



الثورة العرابية المفترى عليها

● عرابي لم يكن صهيونيًا والسلطان العثماني أخطأ في تكفيره

بقلم : سعد التائه

لم يعد التاريخ مجموعة قصص وحكايات يرويها الرواة .. او مجموعة احداث ينسج منها المؤرخون مؤلفاتهم ومذكراتهم ..

فمنذ منتصف القرن التاسع عشر ، اصبح التاريخ علماً له مقوماته واسسه العلمية .. لا يختلف في ذلك المثاليون او الماديون ، وان اختلفت اتجاهاتهم ..

فلم يعد نابليون أو هانيبال او الاسكندر الاكبر .. ومن قبلهم ملوك الفراعنة هم صانعو التاريخ بل اصبحوا رمزاً لمراحل مرت بها شعوبهم . ولم يعد دور الفرد سوى عامل مؤثر في دفع عجلة التاريخ او تاخرها ..

فاذا أردنا أن نقيم مرحلة من مراحل التاريخ ، لابد أن نضعها في اطار الظروف التي احاطت بها .. الداخلية والخارجية .. فما هو الواقع التاريخي الذي واجهته الثورة العرابية .. هل هو مقاومة السلطان في تركيا ومحاولة الخروج عن طاعته ؟ أم مقاومة الخديوي ومبازله ؟ أم هي مرحلة الغزو الاستعماري للشعوب والتصدي له ؟ .

المرحلة .. والثورة ؟ !

هل كانت الثورة العرابية مجرد (هوجة) ، كما أطلقوا عليها ، تحقيراً لها ، واستخفافاً بها .. وهل كانت مجرد (فتنة خبيثة) كما اراد بعض الدعاة ان يصفوها تنصلا منها او تبرئة لأنفسهم ؟ ! .

فلننظر الى المرحلة التي قامت فيها الثورة العرابية .

أولا : من الناحية القومية .

في عام ١٨٣٠ بدأ الغزو الفرنسي للجزائر ، أي قبل قيام الثورة العرابية بخمسين عاماً .

وتحولت تونس الى مستعمرة فرنسية عام ١٨٨١ أي قبل غزو الانجليز لمصر بعام واحد .

وكانت انجلترا تعربد في الخليج العربي تفرض الاتاوات وتحصل على الامتيازات .

ففي أواخر القرن السابع عشر دخلت الامبراطورية العثمانية أزمتها الخطيرة التى تردد صداها في كافة الميادين الاجتماعية والاقتصادية .. ودب الفساد في جهاز الدولة ، وفقد الجيش المتفسخ قدرته القتالية وانحطت الثقافة .. وكان ذلك نتيجة تفسخ النظام الاقطاعي العثمانى وتخلفه عن التطور الصناعى الذي بدأ يسود أوربا في ذلك الوقت ..

واعاق النظام الاقطاعي العثماني تطور البلاد العربية .. فظلت متخلفة بدرجة كبيرة بالنسبة الى الاقطار الأوروبية .. ولم يكن يهم الباب العالي او سلطان تركيا سوى السيادة الاسمية وجباية الاموال من الشعب العربي الذي قام بانتفاضات متتالية في العراق واليمن وسوريا ولبنان ..

وفي عام ١٨٣٨ ، وقعت المعاهدة التركية الانجليزية التي كانت في صالح انجلترا تماما . وادت هذه المعاهدة الى تحويل الامبراطورية العثمانية الى مصدر تابع للدول الاجنبية يزودها بالمواد الأولية ويجعلها سوقا مفتوحا أمام البضائع الاجنبية .

ورفض محمد علي باشا رفضاً تاماً ان تشمل هذه المعاهدة الأراضي التي كان يسيطر عليها . وعملت انجلترا على اقصاء محمد علي كما عارضت بحزم الاعتراف باستقلال مصر ، ودخلت كضامن لحماية كامل الاراضي العثمانية مع دول معاهدة (هتكار اسكلسي) التي وقعتها كل من النمسا وبروسيا وروسيا وتعهدت الدول الاربع بارسال قواتها لمعاونة السلطان ضد محمد علي باشا ! !

ومن الافتراء أن نقول ان الدول الأوروبية بتوقيعها معاهدة (هتكار اسكلسي) ، كانت تعمل على الحفاظ على الرابطة الاسلامية أو الجامعة الاسلامية ..

فلم يكن دفاع الشعوب العربية عن استقلالها ، وحقها في الحياة أمام النهب التركي والغزو المالي الاوروبي ، هو الذي ادى الى فرط عقد الرابطة الاسلامية ، بل ان انهيار الدولة العثمانية وتخلفها هو الذي ادى الى ذلك المصير ..

ومن المؤلم حقا ، ان نذكر انه في اللحظة التي كانت فيها الشعوب العربية والاسلامية تجند شبابها للحرب مع الثورة العرابية ، كما حدث في سوريا والعراق ، وفي اللحظة التي كانت المآذن تدعو الى انتصار عرابي ورفاقه ، كما حدث في تونس .. وفي اللحظة الحرجة التي كان عرابي يقاتل العدو الزاحف ضد المصريين والمسلمين ، اصدر السلطان منشوراً يعلن فيه بان عرابي وقد خرج على خليفة المسلمين يعد كافراً ومن يقاتل معه لا يعد



احمد عرابي

شهيداً ولا يدخل الجنة .. وقام الانجليز والخونة بتوزيع هذا المنشور بين المقاتلين من جنود عرابي !

وهكذا انحاز خليفة المسلمين ، سلطان تركيا الى جانب الانجليز صراحة ودون مواربة .

فلم يكن يعنيه سوى الحفاظ على كرسي الخلافة وما يجنيه من اموال المسلمين الفقراء .

فلم تكن تحذيرات السلطان عبدالحميد من القضاء على الرابطة الاسلامية سوى صرخات غريق ظل يسبح ضد التيار بمركب ذات اشرعة ومجاديف في عصر البخار ، وعصر الثورة الصناعية .

ولم تكن الدول العربية ، وسعيها الى الاستقلال هو السبب في هدم الدولة العثمانية بل العكس صحيح . فان انهيار الدولة العثمانية وتحللها مع تمسكها بالسيادة على الشعب العربي هو الذي اضاع الوطن العربي وسهل وجود اسرائيل .

ثانيا : الموقف الدولي والثورة العرابيـة .

هل كان غزو انجلترا لمصر وفلسطين نهاية الحروب الصليبية ؟ وهل غزو فرنسا لسوريا انتصار على صلاح الدين ؟

وهل كانت الثورة العرابية هي المقدمة لهذه المأساة ؟

إن هذه الكلمات واشباهها ترددت في اعقاب حرب ١٩٦٧ .. ومن المؤلم حقا ان نصدقها وان نرددها ..

إنها تعني ببساطة اهدار كل انتصاراتنا ضد الغزو الصليبي الذي انتهى بأسر ملك فرنسا لويس التاسع في مدينة المنصورة شمال دلتا النيل . إنها تعني ببساطة اننا ما زلنا نعيش بعقول القرن التاسع عشر وليس بفكر القرن العشرين ويعني ببساطة اننا نخلط بين مرحلة الغزو التجاري باسم الدين ، وبين مرحلة الاستعمار والامبريالية الحالية .

ان التغني بامجاد انتصارات الحرب الصليبية يريد ان يخفي عن اعيننا حقيقـة التخلف الذي نعيشه والذي جعل الوطن العربي يدخل ضمن نطاق (البلاد النامية) ، وهو اسم مخفف للتخلف والتبعية .

ان العالم اليوم دخـل مرحلـة (الطاقة النووية) و (الالكترونات) ومع ذلك يريدون لنا ان نعيش مرحلـة السيف والغاب .. انهـا لمأســاة !

ففي المرحلة الممتدة من عام ١٨٧٦ الى عام ١٩١٤ إزدادت الممتلكات الاستعمارية لست دول كبرى (بريطانيا ، روسيا ، فرنسا ، المانيا ، امريكا ، اليابان) من ٤٠ الى ٥٠ مليون كيلومتر مربع .

واجمع مفكرو السياسة والاقتصاد والاجتماع ، اننا فى الوطن العربي نعيش مرحلة السيطرة الامبريالية ، أي تخطينا مرحلة الاستعمار ودخلنا مرحلة اسوا بكثير .. اصبحنا نلمس الاستعمار ونحسه بكل حواسنا ولكننا لا نراه باعيننا او افكارنا .. فقلما نرى جنديا اجنبيا في بلادنا بملابسه العسكرية ، ولكننا نرى اموالنا تسرق وقوتنا ينهب ودماءنا تستنزف ..

انها مرحلة (الامبريالية) .. وليست الامبريالية (كلام فارغ) كما قال احد رؤساء العرب السابقين .. بل واقع يتحدث عنه العالم كله ، شرقه وغربه ، وما من كتاب اقتصادي صدر في الغرب او الشرق ، إلا وتحدث عن مرحلة الامبريالية والاستعمار الجديد .. وعندما أراد (هيوم) وزير خارجية بريطانيا ان يتجاهل هذا الواقع وقال (انني لا اعرف ما هو الاستعمار الجديد) رد عليه احد الصحفيين البريطانيين قائلا : (اذا كان مستر هيوم لا يعرف ما هو الاستعمار الجديد فاننا نقول له ، انه الغزو الاقتصادي) ..

فهل كانت الثورة العرابية مع الامبريالية ام ضدها ؟ هذا هو السؤال ..

لم تكن المرحلة او العصر يبحث في علاقة العرب بالخليفة القابع في تركيا مخدراً ، بينما العالم يلهث في عصر الصناعة والبخار وعلى ابواب اكتشاف الكهرباء .. بل كانوا يغزون الشعوب في سباق نحو الاسواق .

ثالثا : من الناحية الوطنية .

هناك مثل صيني يقول : (سواء استفززت النمر ام لم تستفزه فسوف يفترسك ..) .

ومصر فعلت ما يمليه واجبها الوطني في مواجهة الغزو الفرنسي عام ١٧٩٩ ، ثم مواجهة الحملة الانجليزية عام ١٨٠٧ . ولم يهدأ الاستعمار بل جاء بعلم التجارة والقروض ، وتسلل الى مصر منذ عصر سعيد وعباس ، ثم بدأ يخطط لدخول جيوشه منذ عصر اسماعيل .

فماذا كان موقف الباب العالي اثناء الغزو ؟ هل أرسل جيوشه دفاعاً عن مصر ؟ وهل حاول الحفاظ على الرابطة الاسلامية ؟ وقف الباب العالي متفرجاً في الغزوة الاولى والثانية .. اما في الغزوة الثالثة التي هب الشعب المصري يدافع فيها عن ارضه ، فان سلطان تركيا لم يقف متفرجا بل ساند العدو وامده باقسى سلاح عندما اعلن خروج عرابي عن الاسلام !

كان الشعب المصري كله وراء عرابي ، بل كانت الشعوب العربية من مشرقها الى مغربها تدعو له بالانتصار .. وكانت هذه بداية الرابطة الاسلامية الحقيقية التي تبنيها الشعوب ، وليس السلطان او الباب العالي ..

وكان الشعب المصري كبقية الشعوب العربية يقاسي تحت حكم الهيمنة التركية . ويصف مستر ستيوارت الانجليزي الحال كما رآه :

(يجمع مئات الرجال من زراعاتهم في احرج الفصول ويساقون كالماشية ويعاملون بقسوة بالعصا والكرباج للعمل لدى الباشوات والرؤساء الرسميين او للدولة ، وفي الآخر كان طعامهم يقوم على فتات الخبز ومن الجوع وسوء المعاملة كان المساكين يتساقطون كالذباب) .

ويصف (ديزي) كشاهد عيان حفر احد الطرق :

(كانت الحرارة مرتفعة والعمال في غاية

الثورة العرابية
المفترى عليها

الارهاق والسوط فوق الظهور للاستمرار في العمل دون توقف ، هذا الفصل من تلك المسرحية لم يكن يسر اي متفرج عليه ، ولكنه يبين كيف تحكم مصر ، هذا في الوقت الذي **رأينا فيه العظمة والاسراف للخديوي وتلك الموائد الممدودة والتي لا تنقطع أبداً ..)** .

فلم يكن مقبولا أو مستساغا ان يقبل الشعب المصري الى الأبد هذا الظلم باسم المحافظة على الرابطة الاسلامية . فالاسلام لا يعرف الظلم أو الطغيان ..

لماذا الثورة ؟

كان استسلام محمد على عام ١٨٤٠ بداية عهد تغلغل الراسمالي الأجنبي ، وفاتحة الاستعباد الاستعماري للبلدان العربية وعهد تبعيتها الاقتصادية ، وبداية تحول البلدان العربية الى مستعمرات .

فقد فتحت المعاهدة التجارية المعقودة بين انجلترا وتركيا عام ١٨٣٨ الباب أمام بريطانيا والدول الراسمالية الاخرى لدخول بضائعها الى أسواق الأقطار العربية وازداد استيراد البضائع الانجليزية وحدها الى الامبراطورية العثمانية بين عامي ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠ حوالي ثلاث مرات ..

وقامت الانتفاضات في سوريا ولبنان والعراق ضد الحكم التركي ، وظهر بطرس البستاني ، وناصيف اليازجي وغيرهم من المثقفين العرب يدعون الى التسامح الديني والى توحيد جميع العرب في سوريا بغض النظر عن معتقداتهم الدينية ونسبهم القبلي . وغنى ابراهيم اليازجي في أشعاره بأمجاد العرب وندد بالتعصب ودعا الى اسقاط النير التركي .. وكانت هذه دعوة **حماسية للقيام بانتفاضة** باسم الوطن العربي . ومن اقوال ابراهيم اليازجي : أهداف سامية لايمكن ادراكها الا بحد السيف ، فان شئت بلوغها فتش عن السيف .

.. حتى في تركيا نفسها ، عندما حاولت تجديد شباب الامبراطورية الهرمة ، ظهرت الحركة الدستورية التركية ، وتَمّ وضع الدستور العثماني عام ١٨٧٦ . فلم تكن دعوى المشروطية (البرلمان) مصطنعة يراد بها تفكيك وهدم رابطة الشعوب العثمانية ، بل كانت تاكيداً لدعوى الشورى ، ومراقبة الشعوب لحكامها ، والحفاظ على أموالها من نهب الحكام أو السلب الأجنبي .

وفي ذلك الوقت تحولت مصر بعد استسلام محمد على من دولة شرقية كبرى تنشر وحدة العرب والمسلمين ، الى تابع للباب العالي الهرم . ومن خلال المعاهدة التركية .. الانجليزية المشئومة ، شغلت انجلترا عام ١٨٤٥ **المرتبة الأولى في تجارة مصر الخارجية ، ولم يستطع** لاتراك الذين كانوا عاجزين عن ادارة شئونهم الخاصة ممارسة سلطتهم على مصر ، واستخدمت وصايتهم ستاراً لتغطية هيمنة القناصل الأجانب ..

وبدات القروض تنهال على مصر ، كما انهالت على تونس من قبل .. وكانت الجزائر بقيادة عبدالقادر تخوض حربها التحريرية ضد القوات الفرنسية ، كما واجهت مراكش قوات الغزو الفرنسي . وكان اغتصاب الأراضي الجزائرية سمة الاستعمار الفرنسي ، كما كان الاستعباد المالي لتونس مقدمة للسيطرة الاجنبية . وحل الافلاس المالي لحكومة تونس قبل ٨ سنوات من افلاس تركيا مصر ..

حدث ذلك في ظل الرابطة الاسلامية التي كان يسيطر عليها السلطان في تركيا ، وحواشيه في الدول العربية .

ففي عام ١٨٥٦ منح السلطان التركي عبدالحميد للراسمال الاجنبي جملة من الحقوق والامتيازات ، واستغل الراسماليون الاجانب هذه الامتيازات فتدفقوا على العالم العربي كالجراد ينهبون بصورة وحشية ، فعمت الاقطار العربية مجاعات ، واقتات الناس في تونس الحشائش والجذور وغير ذلك واندلعت انتفاضات في مناطق عديدة ..

.. وماذا في مصر

بدأ سعيد باشا حفيد محمد علي سياسة القروض ، والتجا الى رجل العمل الدولي الشرير أوبنهايم لتدبير القروض .. ففي عام ١٨٦٢ ، كان اول قرض لمصر يعقده سعيد باشا بمساعدة اوبنهايم ، وخصم الدائنون من هذا القرض مبلغا لا يستهان به (كفرق بين التسعيرات) ولكنهم الزموا **الحكومة بدفع** فوائد مئوية وتسديد القرض بمبلغه الاسمي .

وفي عام ١٨٦٤ وضع اوبنهايم الترتيبات للحصول على قرض من بنك فروهلنغ وغوش مقداره ـ ٥٧٠٠ الف جنيه استرليني ، ولم يدخل الخزانة المصرية سوى ٤٨٦٠ جنيه استرليني ، وكضمان للقرض ، سلم اسماعيل باشا الى الدائنين الدخل الذي تحصل عليه الدولة من ثلاثة اقاليم في الدلتا .

وتتالت القروض من البنوك الأجنبية ، وتمكنت البنوك الانجليزية خلال احد عشر عاماً من ربط مصر بدين بلغت قيمته ٦٨ مليون جنيه استرليني دفع منه نقداً ٤٦ مليون جنيه فقط واغتصب أكثر من ٢٠ مليون جنيه كفرق بين التسعيرات ونفقات العمولة .

وبلغت كمية دين مصر الخارجي قبيل عام ١٨٧٦ اربعة وتسعين مليون جنيه استرليني .. فكيف انفقت هذه الملايين ؟ .. وكيف نشا في ذمة مصر دين البنوك الأوروبية ومقداره حوالي مائة مليون جنيه ؟

* انفق في الواقع على مد السكك الحديدية ٧٥ مليون فرنك ، بينما دفعت الخزينة المصرية الى المقاولين الاجانب ٣٢٥ مليون فرنك .

* دفعت مصر أكثر من ٢٫٥ مليون جنيه استرليني في تشييد ميناء الاسكندرية بينما كانت الكلفة الحقيقية ١٫٥ مليون جنيه فقط ..

* المصاريف التي انفقها الخديو اسماعيل على قصوره ، والرشاوي التي دفعت الى السلطان التركي والمقربين له .

اما المائة مليون جنيه التي تمثل ديون البنوك الاجنبية ، فنشات اساساً بالصورة التالية :

(١) قدرت الحكومة المصرية ١٦ مليون جنيه على تشييد قناة السويس .

(٢) تسرب الى جيوب اصحاب البنوك ك(فرق بين التسعيرات) ونفقات العمولة وغيرها ٢٢ مليون جنيه استرليني ، ومع ذلك أدرج هذا المبلغ الذي لم تستلمه مصر في الواقع مع المبالغ الاسمية للدين .

(٣) دفعت مصر حتى عام ١٨٧٦ لا اقل من ٥٠ مليون جنيه كفوائد على القروض الأصلية وسندات الدين .

(٤) لم ينفق في الحقيقة سوى مبلغ يتراوح بين ٥ الى ٦ ملايين جنيه على منشات تعود بالفائدة على مصر .

ولم يكن أمام خديوى مصر ، الا ان يشتد في جمع الضرائب من المصريين لسداد الفوائد واقساط الديون لملء جيوب الأجانب (لمزيد من النهب الاستعماري .. إقرا : (بنوك وباشوات) ، و (النهب الاستعماري لمصر) ، و (المسالة المصرية) لروزنشتين .

الاستعمار .. ومصر

كتب المؤرخ الانجليزي يانج ، في السبعينيات من القرن التاسع عشر :

(انتقل المركز الرئيسي لمصالح الاستعمار البريطاني في الشرق الأدنى من القسطنطينية الى القاهرة وذلك بعد افتتاح قناة السويس) واسترسل يانج :

(واذا كان الانجليز قد قاوموا سابقا النفوذ الفرنسي في القاهرة ، كما حالوا دون سيطرة الروس على القسطنطينية ، فاصبحت الآن قضية بسط هيمنتهم على القاهرة وابعاد الدول الأخرى عنها قضية حيوية بالنسبة لهم . وما هذه الا وجهة نظر امبريالية جديدة) .

وقبيل ذلك الوقت احتكر الانجليز تصدير القطن من مصر ، كما سيطروا على استيراداتها ، وحازوا على جملة من الامتيازات ، وقام رجال البنوك في لندن من امثال فروهلنج وغوش وبيشفايم واوبنهايم بتوريط مصر في جملة من الديون . واخيراً ابتاع دزرائيلي في عام ١٨٧٥ اسهم قناة السويس .

وادى هذا كله الى افلاس مصر ، وجاءت الى مصر لجنة مالية انجلو ـ فرنسية .. وتم تعيين مراقب عام انجليزي على ايرادات الحكومة المصرية ، ومراقب عام فرنسي على المصروفات ، وتشكلت لجنة اوروبية للتحقيق وفحص شئون مصر المالية .

ثم اضطر الخديوي الى الموافقة على مطالب اللجنة ، وشكلت وزارة اوروبية ، شغل فيها احد الانجليز منصب وزير المالية ، وشغل احد الفرنسيين منصب وزير الاشغال العامة ، كما شغل ممثلا النمسا وايطاليا منصبي المراقب العام ومساعد وزير المالية واصبح الأوروبيون يسيطرون على شئون مصر المالية وعلى ادارة البلاد أيضاً .

ولم يكن كل هذا دافعاً لثورة عرابي و بل ان المعاناة التي لقيها شعب مصر ، كانت أبشع من أن تحتمل .

كان الاستعمار يبحث عن استنزاف المال باية وسيلة ومن أي مصدر وانهـــالوا على الفلاحين بالكرباج ليحصلوا الضرائب ، واضطر الفلاحون الى الالتجاء للمراقبين الاجانب .. وبلغت فوائد الربا الفاحش ٤٠٪ واجتاحتهم المجاعة .. وهذا وصفها :

(.. فكان من وراء ذلك ، أن انتابت أهل الصعيد سنة شديدة لم يسمع بمثلها من اجيال مضت ، فكنت ترى الاطفال والنساء هائمين على وجوههم ، متنقلين من قرية الى قرية يستجدون الاكف ليدرءوا غائلة الجوع ، وكثيراً ما حملتهم شدة المسغبة على أن يقتاتوا بفضلات الطرق وقمامة الشوارع ..)

وكتب مراسل صحيفة (التايمز) في ذلك الوقت :

(مما يلهو به الزوار المتهكمون أن يحصوا الموظفين الأوروبيين القاعدين الذين يتقاضون آلاف الجنيهات ، في الوقت الذي لا يستطيع فيه مئات من خدم الحكومة الوطنيين الحصول على مرتبات قليلة متاخرة من العام الماضي ..)

ثم كتب :

(إن وجود جيش جرار من موظفي الحكومة مشرف على الموت جوعاً لفضيحة احق بالاعتبار من نفس تاجيل الدين العمومي تاجيـــلا مؤقتاً ..)

.. ثم قررت (الوزارة الأوروبية) تسريح ٢٥٠٠ ضابط من الجيش وتخفيض رواتب الباقين بمقدار النصف وعدم دفع ما عليها من مرتبات سابقة ..

ولم يكن بد من الثورة .

٩ سبتمبر

كان السلطان في تركيا يشهد كل هذه المآسي في انحاء الامبراطورية العثمانية ، ووقف عاجزاً .. كان أصدق وصف لتركيا في تلك الحقبة نعتها (بالرجل المريض) ، ولم ينقذ الرجل المريض من الموت ادعاؤها الخلافة .. أو البكاء على الرابطة الاسلامية .. ولم يكن أمام الشعب المصري الا أن يتحرك ، كما تحركت الجزائر والمغرب وتونس ..

وفي ٩ سبتمبر عام ١٨٨١ ـ والذي سيظل خالداً في تاريخ مصر ـ احتشدت قوى الجيش باسلحتهـــا وذخيرتهـــا في ميدان عابدين وتجمـــع وراء صفـــوف الجيش آلاف من أهل القاهرة ، هاتفـــة (عرابي .. عرابي ..) كانت مظاهرة وطنية وشعبية رائعة .

وادرك الأجانب مغزى الثورة .. وكتب مراسل التايمس :

(لا فائدة من اخفاء الحقيقة ، وهي أن هذه الحركة لا ترمي إلا الى هدم تدخل اوروبا في الادارة المصرية ، وانه اذا كانت هذه النية منذ أسبوعين مقصورة على فئة قليلة من الضباط ، فانها ليست الآن كذلك .. ان سكان الاسكندرية والقاهرة المدنيين على الأقل ، وهم الذين كانوا على وجه العموم لا يهتمون بما حدث ، أصبحوا يؤيدون عمل الجيش كل التأييد ، وهم الآن اجرا على الجـــهر باهدافهم ..)

فهل هناك شك في أن الثورة العرابية ، كانت ثورة وطنية بكل المقاييس العلمية والعاطفية والانسانية ؟

.. وبعد

أما دور الصهيونية فى زمن الثورة العرابية فلم يكن يختلف عن دور الاستعمار الأوروبي .. لقد سارا معاً في خطين متوازيين لهدف واحد هو استعمار الوطن العربي ..

فهل يمكن أن تكون الثورة القائمة ضد الاستعمار من صنع أيد صهيونية أم أنها حملة التشكيك في تاريخ الشعب العربي .. ومحاولة طمس انجازات وقدرات الشعب خلال ثوراته ..

سعد التائه


محمد على


السلطان عبد الحميد


سعيد باشا

بحر الكرمل

البحر السابع عشر

شاعر عربي معاصر يضيف بحرًا جديدًا إلى بحور الشعر العربي

بقلم : محمد خلاد

بحور الخليل ، كما هو معروف ، خمسة عشر وزنا وهى : الطويل ، البسيط ، المديد ، الوافر ، الكامل ، الهزج ، الرجز ، الرمل ، السريع ، المنسرح ، الخفيف ، المقتضب ، المضارع ، المجتث ، والمتقارب . وزاد الاخفش عليها بحرا آخر سماه المتدارك .

وقد استنبط يوسف الخطيب الشاعر الفلسطيني المبدع اثناء رحلته الشعرية وزنا أطلق عليه « الكرمل » فبينما كان الخطيب يجدف فى بحور الخليل ويسبح فى بحر الرجز قاطعا هذا البحر الى بحرى الرمل والهزج ، ساقته الامواج حتى بلغ مجمع هذه الابحر الثلاثة واكتشف هناك بحاسته الشاعرية الدقيقة انها تصب فى نقطة واحدة لتصنع بحرا لم يتيسر للخليل بن احمد الفراهيدى مؤسس هذا العلم الوصول اليه ، كما لم يتيسر ذلك لغيره من بعده من الشعراء او غيرهم .

فى عام ١٩٦٤ ، وصل شاعرنا « يوسف الخطيب » الى هذا البحر وقد هدته الى ذلك حاسته الشاعرية المرهفة واذنه المتميزة بدقة السمع لأوزان الشعر وموسيقاه ، وقد عرف الخطيب بحسه وذوقه ومن ممارسته الكبيرة لهذا الفن أن هذا البحر الذى ظل طوال هذه الفترة فى منأى عن الشعراء وابداعاتهم يصلح لان يكون وزنا جديدا يضاف الى أوزان الخليل ، يستطيع الشعراء أن يبحروا فيه بخيالاتهم ويستمتعوا بأنغامه العذبة وموسيقاه الجميلة ، لاسيما وأن هذا البحر يمتح من أبحر ثلاثة فهو يجمع بين الهزج المعروف بتقارب أجزائه وسرعة حركته والرجز الموصوف بقلة حروفه وتقارب أجزائه أيضا وسهولة النظم عليه والرمل ذلك الوزن الرائق الهادى .

ابتداع أوزان جديدة بعد الخليل :

لم تتوقف حركة استنباط أوزان الشعر منذ عهد الخليل ، فهاهو الاخفش يستدرك على الخليل بن أحمد الفراهيدى الذى وضع أصول خمسة عشر وزنا فأحدث كما ذكرنا وزنا جديدا لم يفطن اليه صاحب الأعاريض ، ثم جاء العباسيون بعد ذلك فاستنبطوا من عكس بحور الشعر ستة أوزان جديدة هى :

١ ــ المستطيل وهو مقلوب الطويل واجزاؤه (مفاعيلن فعولن مفاعيلن فعولن) مرتين كقول القائل :

لقد هاج اشتياقى غرير الطرف أحور
أدير الصدغ منه على مسك وعنبر

٢ ــ الممتد وهو مقلوب المديد وبناؤه (فاعلن فاعلاتن فاعلن فاعلاتن) مرتين ومثاله هذا البيت :

صاد قلبى غزال أحور ذو دلال
كلما زدت حبا زاد منى نفورا

٣ ــ المتوافر وهو محروف الرمل وتفعيلاته (فاعلاتن فاعلاتن فاعلن) مرتين ومثاله :

ما أصابك يافؤادى بعدهم   أين صدك يافؤادى مافعل

٤ ــ المتئد ، وهو مقلوب المجتث واجزاؤه (فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن) مرتين وقد جاء على هذا الوزن :

كن لاخلاق التصابى مستمريا   ولأحوال الشباب مستحليا

٥ ــ المنسرد ، وهو مقلوب المضارع ويأتى على وزن (مفاعيلين مفاعلاتن فاعلاتن) مرتين ومما ورد على هذا الوزن :

على العقل فَعَول فى كل شأن   ودان كل من شئت أن تدانى

٦ ــ المطرد ، وهو صورة أخرى من مقلوب المضارع وتفعيلاته (فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن) مرتين ومثال ذلك هذا البيت :

ما على مستهام ريع بالصد   فاشتكى ثم ابكانى من الوجد

كما أن ابا العتاهية أيضا استحدث هو الآخر وزنا جديدا لم يجر على اوزان الخليل ، وقد استنبطه عندما كان يجلس عند قصار ، فسمع صوت المدق وحاكاه بهذا الوزن ، وعندما انتقد بأن هذا اللون خارج عن علم العروض قال : أنا أكبر من العروض !



يوسف الخطيب

ومن قوله على هذا الوزن :

للمنون دائرات يدرن صرفها   فتراها تنتقينا واحدا فواحدا

الا أن النقاد يسقطون هذه الاوزان التى جاءت بعد الستة عشر بحرا ويعتبرون كل ما ابتدع على نمط هذه الأوزان المحدثة ليس بشعر عربى .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن أوزان الشعر بشكل مفصل وانما اردت ان المح بمناسبة الحديث عن بحر « الكرمل » الى المحاولات التى جاءت منذ الاخفش حتى الآن للاستدراك على الخليل بن أحمد ، وليس غريبا اذن على شاعر مثل يوسف الخطيب وهو صاحب ذوق وفن ان يكشف بحرا جديدا فى عالم العروض ليفتح ا فاقا جديدة أمام الشعراء يسافرون فيه باحلامهم ويستمتعون بانغامه المتدفقة الجياشة .

لماذا سمى الخطيب بحره بالكرمل :

يقول على الجندى فى كتابه « الشعراء وانشاء الشعر » ان تسمية البحور لم تأت اعتباطا وانما هى مشتقة من صفاتها .

فعن الاخفش قال : سألت الخليل ، بعد عمل كتاب العروض ، لم سميت الطويل طويلا :

قال : لانه طال بتمام أجرائه

قلت : فالبسيط؟ قال : لانه انبسط عن مدى الطويل ، وجاء وسطه « فعلن » وآخره « فعلن » .

قلت : فالمديد ؟ قال : لتمدد سباعية حول خماسته .

قلت : فالوافر؟ قال : لوفور أجرائه وتدا بوتد .

قلت : فالكامل ؟ قال : لان فيه ثلاثين حركة ، لم تجتمع فى غيره من الشعر .

قلت : فالرجز ؟ قال : لاضطرابه كاضطراب قوائم الناقة عند القيام .

قلت : فالرمل ؟ قال : لانه شبه برمل الحصير : لضم بعضه الى بعض .

قلت : فالسريع ؟ قال : لانه يسرع على اللسان .

قلت : فالمنسرح ؟ قال : لانسراحه وسهولته .

قلت : فالخفيف ؟ قال : لانه أخف السباعيات .

قلت : فالمقتضب ؟ قال : لانه اقتضب من السريع .

قلت : فالمضارع ؟ قال : لانه ضارع المقتضب .

قلت : فالمجتث ؟ قال : لانه اجتث : أى قطع من طويل دائرته .

قلت : فالمتقارب ؟ قال : لتقارب اجزائه لانها خماسية كلها يشبه بعضها بعضا .

اما المتدارك فقد سمى كذلك لان صاحبه الاخفش تدارك به على الخليل الواضع للخمسة عشر بحرا وللمتدارك اسماء أخرى ، فبعضهم يسميه « الشقيق » لانه أخو المتقارب كما يسمى المحدث والمخترع والنسق والخبب وركض الخيل ولكل من هذه الاسماء علة فى تسميتها ، ليس هنا مجال بحثها .

واما بحر الكرمل فقد سماه صاحبه بهذا الاسم كما يقول « حباً ووفاء لوطن الاحلام » .

تفعيلات بحر الكرمل :

أشرنا آنفا الى أن هذا البحر مزيج من بحور ثلاثة هى بحر الرجز والرمل والهزج ، وسأترك لواضع هذا الوزن الحديث عنه بشكل مفصل كما جاء فى ديوانه (واحة الجحيم) يقول يوسف الخطيب :

« الرجز » ووحدته مستفعلن والرمل « ووحدته فاعلاتن » و

بحر الكرمل
البحر السابع عشر

« الهزج » ووحدته مفاعيلن ثلاثة ابحر فى عروض الخليل ، يمكن للشاعر الحديث أن يصهرها فى عمل واحد .

قصيدة موصولة التفعيلات نجريها على (الرجز) لابد أن تكون جارية فى الوقت نفسه ، على كل من « الرجز » « والهزج » الا اننا فى المقطع الشعرى الواحد ، نختار أول تفعيلة من البحر الذى نريد وآخر تفعيلة من البحر الذى نريد ، بينما يظل المقطع من داخله ، جياشا بتساوق نغمى من ثلاثة اوزان .

ان تكرارنا لاية واحدة من هذه التفعيلات الثلاث ، بكافة جوازاتها ، هو فى الوقت نفسه تكرار للتفعيلتين الأخريين بكافة جوازاتهما أيضا مع نقصان مرة واحدة فى العدد ... فلو نحن كررنا « مستفعلن » مثلا خمس مرات ، فمعنى ذلك أيضا أن

« من أمثلة هذا الوزن فقد ورد فى ديوان واحة الجحيم » للشاعر يوسف الخطيب قصيدة بعنوان « العرس السماوى » جاء فيها :

لن أشرب الليله ياصحبى
خذوا كأسى لجوف يبسته الريح
ردونى الى نفسى ..
دعوا قلبى على صهوة أحزانه
لن أغنى ... أنا فى أغنية عليا
اســاقيهــــم
امــس ضــؤهــم
افنـــــى ....
خذوا دني ، اشربوا عنى
دعوا قلبى على الشاطئ
يحصى الموج فى أوبة سكانه

الى آخر هذه القصيدة التى جاءت متدفقة النغم متمازجة التفاعيل تنساب بموسيقى رقيقة هادئة حينا راقصة احينا آخر فى رقة وعذوبة وجمال .

دعوة للكتاب

وبعد فان هذا الوزن المحدث الجديد لجدير بالبحث والدرس ولايجوز أن يظل مطويا يلفه الاهمال والنسيان وهذه دعوة للكتاب ولا سيما المتخصصون منهم فى علم العروض ، لكى ينفضوا عنه غبار السنين ، ويبعثوا روحه للملأ وليقولوا كلمتهم فى هذا الوزن المنسى القديم الجديد ، الذى وضعه صاحبه منذ عشرين عاما وسماه الكرمل حبا ووفاء لوطنه فلسطين ولم تمخر عبابه سفن الشعراء منذ اكتشافه وحتى الان إذ انه مازال بالنسبة لهم مجهولا لم يعرفوا عن بنائه اى شئ الا من تيسر لهم الاطلاع على ديوان هذا الشاعر « واحة الجحيم »

لقد مضى على وضع هذا الوزن ، كما ذكرنا ، قرابة عشرين عاما ، لم يفطن اليه خلال هذه الفترة غير القصيرة احد من الكتاب ولم يتناولوه او يتعرضوا له بالبحث او حتى الاشارة اليه من قريب او بعيد .

فلماذا يصر الكتاب فى الوطن العربى (بأن يعمدوا الى اصطناع الاقنعة حول ادمغتهم) فلا يرون من جراء ذلك مايجد على الساحة من جديد خصوصا ماله علاقة أو صلة بتراثنا الخالد ؟ فطالما تحدث الكتاب عن اوزان مستحدثة . خلاف ماذكرنا . وقد قتلت بحثا ودرسا وجاؤا من بعد ذلك ليعيدوا على اسماعنا كلاما مكرورا مثل اوزان : السلسلة والدوبيت والقوما والموشح والزجل والكان كان والمواليا .

فلماذا يحجم الكتاب عن الخوض فى هذا البحر ولا يدلون برأيهم حول وزنه ليعرفوا به الشعراء وعن مدى علاقته او صلته بأوزان الخليل ، وهل يصبح عدد بحور الشعراء بعد اسقاط الاوزان المولدة التى أشرنا اليها سبعة عشر بحرا ام ماذا ؟

نرجو أن يسمعنا الكتاب ويستجيبوا الى ندائنا ليتناولوا هذا الوزن بالدراسة ، كما نرجو ان يسمعنا الشعراء لكى يعبروا هذا البحر باشعارهم وليبعثوا فيه الحياة ، حتى لايظل منسيا .

محمد خلاد
عمان : الأردن

هرمون النمو

لماذا تمنح الطبيعة بعض الناس أكثر مما يحتاجون وتحرم الآخرين ؟!

بقلم : الدكتور سامي عزيز

* ما الذى يحدد طولنا ؟ * وما الذى يجعل من هذا قزماً وذاك عملاقاً ؟ * هل الطول نعمة أم نقمة ؟ * ما هى الغدد الصماء ؟ وما هى الهرمونات ؟ * هرمون النمو ... ماهى أهميته ؟ * هل كل قصير ماكر وكل طويل ... ؟ * هل يمكن أن يجد القزم علاجاً ؟ * ما هو علاج « العملقة » أو الطول الزائد ! * هل هناك طرق جديدة في العلاج !

غدد الجسم :

يمكن تقسيم غدد الجسم الى ثلاثة انواع :

اولا : غدد ذات قنوات ... يمر افرازها للخارج خلال قنوات صغيرة ويمكن تقسيمها الى :

- غدد تساعد في عملية الهضم مثل : الغدد اللعابية والمعدية والمعوية .
- غدد تقوم بعمليات الاخراج مثل : الغدد العرقية .. الغدد الدهنية والغدد الدمعية .

ثانيا : غدد بدون قناة (صماء) يمر افرازها خلال تيار الدم .. ويسمى افرازها بالهرمون . وكلمة هرمون مشتقة من الكلمة الاغريقية هرماو وتعني الاثارة او التنشيط . والهرمونات عبارة عن مواد كيميائية يتم انتاجها في خلايا معينة في الجسم وتمر في الدورة الدموية الى اعضاء الجسم وخلاياه لتحدث تغيرات وظيفية معينة .

واهم الغدد الصماء في الجسم :

١ ــ الهيبوثلاموس .
٢ ــ الغدة النخامية .
٣ ــ الغدة الدرقية .
٤ ــ الغدة جار الدرقية .
٥ ــ الغدة فوق الكلوية .
٦ ــ جزر لانجرهانز في البنكرياس .
٧ ــ المناسل (الخصيتان عند الذكر والمبيضان عند الانثى) .
٨ ــ الغدة الصعترية Thymus
٩ ــ الجسم الصنوبري

ثالثا : الغدد المشتركة التي تفرز افرازا خارجيا وداخليا معا مثل البنكرياس الذي يساهم بافرازه الخارجي في عمليات الهضم وداخليا بافراز الانسلونين عن طريق خلايا بيتا الموجودة في جزر لانجرهانز .

الغدة النخامية :

الغدة النخامية واحدة من اهم الغدد الصماء الموجودة في الجسم . وتوجد الغدة النخامية داخل تجويف عظمي في قاع الجمجمة يعرف بالسرج التركي . وهي تتدلى من قاعدة المخ الذي ترتبط به بواسطة قمع المخ .. وفي الشخص البالغ يصل طولها من ١٠ ــ ١٣ ملليمتراً وارتفاعها من ٨ ــ ١٠ ملليمتراً ووزنها حوالي ٥٠٠ ملليجرام . وهي اكبر حجما في النساء ، ويزيد حجمها مع تكرار الحمل والولادة . وتتكون الغدة النخامية من فص امامي وفص خلفي وبينهما فص متوسط . والفص الامامي اكبر حجما من الفص الخلفي ويمكن ان نقول ان الفص الامامي يمثل ٧٥٪ من وزن الغدة النخامية كلها وبالنسبة للفص المتوسط فلا يعرف له افراز ويرجح انه يعمل مع الفص الامامي ويقال انه مسئول عن افراز هرمون (المنشط للملاذين) الذي يسبب لون البشرة السمراء .

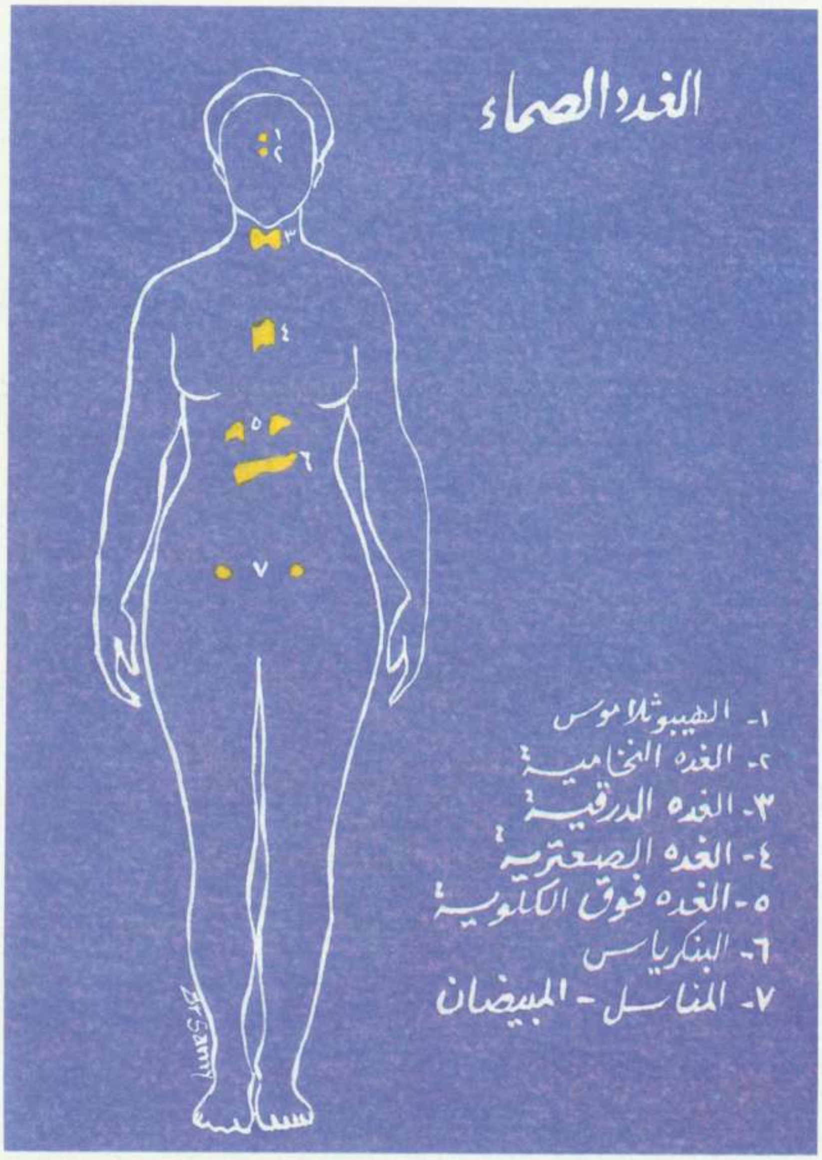
ويفرز الفص الامامي خمسة انواع من الهرمونات . وهرمونات هذا الفص تحت التاثير المباشر للعوامل الهيبوثلاموسية . وتستطيع هذه العوامل ان تصل الى الفص الامامي خلال الدورة البابية التي تربط بين هذا الفص ، والهيبوثلاموس . وهذه الهرمونات هي :

١ ــ هرمون النمو
٢ ــ هرمونات الجونادوتروفين (المنشط للغدد الجنسية)
٣ ــ هرمون البرولكتين (المنشط لافراز اللبن)
٤ ــ هرمون الثيوتروفين (المنشط للغدة الدرقية)
٥ ــ هرمون الكورتيكوتروبين الذي يؤثر على قشرة الغدة فوق الكلوية لضبط حجمها وافرازها الهرموني .

اما الفص الخلفي للغدة النخامية فيقوم بافراز :

١ ــ هرمون الاوكسيتوسين (المعجل بالولادة ويساعد على ادرار اللبن عند الرضاعة)

٢ ــ هرمون المانع لادرار البول والذي يعمل على تركيز البول بانقاص كميته وذلك بان يؤثر في الكلية وينشط عملية اعادة امتصاص الماء . وللتاكيد على اهمية هذا الهرمون نقول انه في حالة عدم افراز هذا الهرمون في الجسم فان كمية البول قد تصل الى ١٠ ــ ١٥ لترا في اليوم بدلا من لتر ونصف .. واقرب مثال لمثل هذه الحالات مرض السكر الكاذب الناشيء من بعض التغيرات الباثولوجية في الهيبوثلاموس مما يؤدي الى نقص افراز الهرمون المانع لادرار البول وبالتالي زيادة كمية البول بطريقة تؤدي الى مضاعفات خطيرة .



رسم توضحيى لمناطق الغدد الصماء فى الجسم

وتشير الابحاث الحديثة الى ان هرمونات الفص الخلفي تفرز بواسطة الهيبوثلاموس وتختزن في الغدة النخامية لحين توزيعها عند الحاجة ، ويهمنا ان نذكر ان هناك ما يقرب من ١٠٠٠٠٠ ليفة عصبية تصل بين الفص الخلفي والهيبوثلاموس وتلعب هذه الالياف العصبية دوراً هاماً في انتقال حبيبات الهرمون من الهيبوثلاموس الى الفص الخلفي للغدة النخامية .

هرمون النمو :

اثبتت التجارب التي اجريت على حيوانات المعمل التي لم يكتمل نموها بعد ان إزالة الفص الامامي للغدة النخامية يؤدي الى تاخر نمو هذه الحيوانات فيتوقف نمو العظام ولا تنبت الاسنان فوق الفكوك . كما ان حقن حيوانات المعمل بخلاصة الغدة النخامية يؤدي الى زيادة معدل نموها . وتوصلت الابحاث فيما بعد الى ان أحد هرمونات الفص الامامي وليس كلها والذي اطلق عليه فيما بعد هرمون النمو يختص بهذه الوظيفة .

ويتكون هرمون النمو من ١٩٠ حمض اميني ووزنه الجزيئي ٤٠٠٠ ورغم اهميته كما سنرى فيمـا بعد ، إلا ان كمية هرمون النمو الموجودة في الغدة النخامية كلها لا تتعدى ٥ ملليجرامات كما ان الكمية التي تفرز في الجسم لا تتجاوز نصف ملليجرام يومياً ، ويتحكم في افراز هرمون النمو عاملان من العوامل الهيبوثلاموسية احدهما ينشط افراز هرمون النمو والآخر يعاكس ويثبط من افرازه . وقد اثبتت التجارب الحديثة وجود عامل وسيط يعرف باسم (السوماتوميدين) وهو يصنع في الكبد والكليتين والعضلات .

والسوماتوميدين عبارة عن مادة بيبتدية وزنها الجزيئي ٨٠٠٠ ولا يستطيع هرمون النمو ان يؤدي وظائفه في غياب مادة السوماتوميدين وهذا يفسر لنا الحالات التي يظهر فيها اختلال عمليات النمو والمعروفة بالقزمية ، وذلك على الرغم من وجود مستوى عال من هرمون النمو فالسبب بالطبع يعزي الى عدم تكوين العامل الوسيط (السوماتوميدين) . وتجدر الاشارة هنا الى العوامل التي تؤثر على افراز هرمون النمو :

اولا : العوامل التي تساعد على زيادة افراز هرمون النمو وهي :

١ – النقص الحاد الشديد في مستوى الجلوكوز في الدم .
٢ – الصيام
٣ – التعرض للضغوط النفسية والعضوية
٤ – العمليات الجراحية .
٥ – ارتفاع درجة حرارة الجسم .

ثانياً : العوامل التي تثبط من افراز هرمون النمو :

١ – ارتفاع نسبة السكر في الدم (مرض البول السكري) لذلك فالأطفال المصابون بمرض البول السكري منذ الصغر يميلون الى النحافة وصغر الحجم .
٢ – نقص افراز الغدة الدرقية .
٣ – مركبات عقار الكورتيزون . لذلك لا ينصح باعطاء مركبات الكورتيزون لفترة طويلة قبل سن البلوغ .

التأثير الفسيولوجي لهرمـــون النمـــو :

١ – هرمون النمو له تاثير بناء على المواد البروتينيه (يساعد على تصنيع المواد البروتينية في الجسم) ويتم ذلك في وجود العامل الوسيط السوماتوميدين الذي يصنع في الكبد .. وهذا يفسر لنا ضعف وانعدام المواد البروتينية في حالات التليف الكبدي .

٢ – يعمل على ايقاف تكوين المواد الدهنية في الجسم ويساعد على تكسيرها : لذلك تقل مستودعات الدهون في الجسم وترتفع كمية الاحماض الدهنية في الدم . وتترسب الدهون في الكبد كما تستخدم المواد الدهنية في تزويد الجسم بالطاقة اللازمة له مما ينجم عنه تكوين اجسام كيتونية في الدم .

٣ – يزيد افراز هرمون النمو في حالات الجوع الشديد (الانقطاع عن تناول الطعام لفترات طويلة) اي ان انخفاض مستوى الجلوكوز في الدم يؤدي الى زيادة افراز هرمون النمو ، ذلك لان هرمون النمو يعمل على رفع نسبة السكر في الدم بعدة وسائل .

٤ - يؤدي افراز هرمون النمو الى زيادة مستوى عناصر الصوديوم والبوتاسيوم والماغنسيوم والكالسيوم والفسفور في الدم .

٥ - يساعد هرمون النمو على زيادة افراز هرمون (الالدوستيرون) الذي يفرز من قشرة الغدة فوق الكلوية .

لذلك فاضطراب افراز هرمون النمو يمكن ان ينتج عنه :

أولا : في حالة نقص افراز هرمون النمو قبل البلوغ وغالبا ما يصاحب ذلك نقص افراز هرمون الجونادوترفين يحدث مرض القزمية Dwarfism المرتبط بالغدة النخامية .

ثانيا : في حالة زيادة افراز هرمون النمو عن المعدل الطبيعي يمكن ان يحدث :

١ - في حالة زيادته قبل سن البلوغ ينتج مرض العملقة ، وحيث يصل طول القامة الى مترين ونصف .

٢ - في حالة زيادته بعد سن البلوغ ، اي بعد توقف نمو العظام ووصول الشخص الى قامته الطبيعية الا انه تحت التاثير الزائد لهذا الهرمون تستمر الاجزاء الغضروفية في النمو مما يؤدي الى الحالة المعروفة بتضخم الاطراف

القزمية ... لها أكثر من سبب:

سبق أن ذكرنا أن نقص افراز هرمون النمو قبل سن البلوغ يؤدي الى القزمية . اما الاسباب التي قد تؤدي الى نقص افراز هرمون النمو من الغدة النخامية فكثيرة ومتعددة نذكر منها :

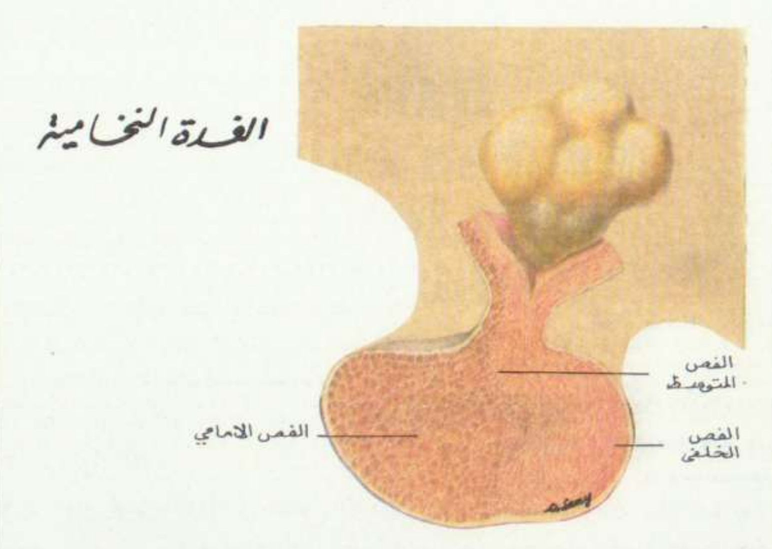
١ - ضمور الفص الامامي للغدة النخامية (غالبا ما يكون غير معروف السبب في معظم الحالات)

٢ - جلطة أو سدة في الاوعية الدموية المغذية لهذا الفص

٣ - التهاب المخ او الالتهاب السحائي .

٤ - الاورام المختلفة التي قد تضغط على الفص الامامي وتؤدي الى ضموره . ويتميز القزم في حالة ما اذا كان السبب نقص افراز هرمون النمو بعدة مميزات تساعدنا نحن الاطباء في التشخيص وفي تفرقة الحالة من الاسباب الاخرى التي قد تؤدي الى القزمية فالقزم هنا غالبا ما يكون ذكرا .. متناسق الاعضاء ، دقيق الملامح .. نشيط ذكي .. متفوق في دراسته .. ولكنه يبدو كطفل وحتى تصرفاته تشير الى ذلك ، وقد يصاب باحد الامراض النفسية كما لا تنضج قواه الجنسية بل تظل مشابهة لحالتها عند الاطفال والصغار .

أما الاسباب الاخرى التي تؤدي الى القزمية فهي :





إلى اعلى نرى الغدة النخامية وهى من أهم الغدد الصماء في الجسم .. وإلى أسفل رسم توضيحى لأشعة على جمجمة مريض تضخم الأطراف

١ - الاسباب الوراثية .. والاستعداد العائلي

٢ - بعض الامراض المزمنة مثل سوء الامتصاص والتمثيل الغذائي ومرض البول السكري . وامراض الكبد المزمنة .. وامراض الكلية المزمنة وامراض القلب منذ الصغر .

٣ - القصاع Cretinism أي نقص افراز الغدة الدرقية في المواليد .

ويتميز مرض القصاع ببطء النمو واضطرابه ، وجفاف الجلد ، وبرودة الجسم مع جحوظ اللسان المستمر من الفم ، وقصر القامة مع عدم التناسب بين اعضاء الجسم ، على خلاف القزم الذي يعاني قصوراً في افراز هرمون النمو والذي يحتفظ جسمه بقدر اكبر من التناسب ، وتجدر الاشارة هنا الى ان مريض القصاع يعاني بالاضافة الى ذلك من توقف النمو العقلي كما أنه جامد العاطفة .. متخلف في دراسته اذ لا تتجاوز نسبة الذكاء عنده ٥٠ أي دون الابله .. لذلك لا نستطيع ان نقول أن كل قصير ماكر ..

٤ - بعض امراض الجهاز العظمي الوراثية .. واهمها اكوندروبلاسيا

.. ويوجد بالمتحف المصري بالقاهرة تمثال مصنوع من الحجر الجيري تم اكتشافه في سقارة وهو من التماثيل المتميزة التي تهم علماء الآثار وعلماء الطب معا .. التمثال للقزم سنب وزوجته سنتيوتس وأولادهم .. ويقرر علماء الآثار ان التمثال يرجع الى الاسرة الخامسة (حوالي سنة ٢٥٦٠ قبل الميلاد) .. وبالنظر الى الصورة المنشورة للتمثال يظهر بوضوح القزم سنب .. كما يمكن التبين الى عدم التناسق الملحوظ بين طول جذعه بالمقارنة الى اطرافه القصيرة . كما ان راسه كبير نسبياً بالمقارنة الى باقي جسمه . وتنطبق هذه

هرمون النمو

الملاحظات على مرض الاكوندروبلاسيا .

٥ ـ بعض الامراض الخاصة باضطراب الايض مثل مرض جوشر Gaucher

العملقة ... هل هي دائماً مرض ؟

زيادة افراز هرمون النمو قبل سن البلوغ أي قبل نمو العظام يؤدي الى العملقة . والسبب في زيادة افراز هرمون النمو غالباً ما يكون ظهور بعض الاورام في الفص الامامي للغدة النخامية وخاصة الورم المعروف باسم Eosinophilic Adenoma وربما يكون السبب تضخم الفص الامامي نفسه . والابحاث الحديثة تشير الى دور احد العوامل الهيبوثلاموسية في زيادة افراز هرمون النمو وبالتحديد العامل المنشط لهذا الهرمون .

والفحص الاكلينكي لمريض العملقة يتميز بالآتي :

١ ـ في البداية تظهر زيادة كبيرة في انسجة الجسم المختلفة فالطول يتعدى ٨٠ بوصة والاطراف اكبر من اللازم واليدين والقدمين طويلة وعريضة وهناك نمو مبكر للاعضاء التناسلية وزيادة في الرغبة الجنسية .

٢ ـ هذا بالاضافة الى زيادة غير طبيعية في الشهية وزيادة في حجم العضلات وقوتها .

٣ ـ إلا ان الامور لا تستمر طويلا فسرعان ما تنقلب وتظهر اعراض الشيخوخة المبكرة وتضعف العضلات وتخور قواها .. وتقل الرغبة الجنسية وتظهر العنة عند الرجال وتختفي الدورة الشهرية عند النساء .

٤ ـ يصـــاب ٣٠ ٪ منهم بمرض البول السكري .

والعملقة لها أسباب اخرى كثيرة غير زيادة افراز هرمون النمو اهمها :

١ ـ الاسباب الوراثية والعوامل العائلية : فبعض العائلات تمتاز بطول قامة افرادها وتنفرد بهذه الصفة .

٢ ـ العامل العنصري العرقي ، حيث ان بعض الشعوب تمتاز بهذه الصفة دون سواها

٣ ـ العملقة الدماغية وهي مرض غير منتشر ونادر الحدوث .

٤ ـ تاخر البلوغ وضعف المناسل : المعروف ان الهرمونات التي تفرزها المناسل (الخصيتان عند الذكر والمبيضان عند الانثى) توقف استمرار نمو العظام الطولي لذلك لا تحدث اي زيادة في الطول بعد البلوغ . اما في حالة تاخر سن البلوغ ، وضعف المناسل فتستمر العظام في الزيادة وتظهر اعراض العملقة على المريض .

مرض تضخم الاطراف :

في هذا المرض تحدث زيادة افراز هرمون النمو بعد سن البلوغ اي بعد توقف نمو العظام ووصول الشخص الى قامته الطبيعية الا انه تحت التاثير الزائد لهذا الهرمون تستمر الاجزاء الغضروفية في النمو .. وسبب المرض غالباً ما يكون ظهور ورم في الفص الامامي للغدة النخامية بعد سن البلوغ .. واهم ما يميز هذا المرض :

١ ـ انحناء العظام المستمر وزيادة سمكها وخاصة عند المناطق البارزة كما تبدو اليدان والقدمان في غاية من الضخامة (زيادة في السمك اكثر منها في الطول) ويظهر بروز الفك السفلي للامام واسنان هذا الفك تبدو متباعدة عن بعضها .

٢ ـ يظهر تضخم بجلد الوجه والشفتين واللسان كما يتضخم الانف وصوان الاذن .

٣ ـ انحنـــاء الظهر للامـــام وآلام العظام

٤ ـ تضخم الاعضاء الداخلية مثل الكبد والقلب والامعاء

٥ ـ العقم

٦ ـ يظهر مرض البول السكري في ٤٠ من الحالات .

٧ ـ ربما يظهر مرض السكر الكاذب .

٨ ـ هذا بالاضافة الى ضعف العضلات والعنة عند الرجال واختفاء الدورة الشهرية عند النساء ولو ان هذه الاعراض تظهر فيما بعد .

٩ ـ الاشعة العادية للجمجمة قد تظهر انتفاخ السرج التركي الذي يبدو كالبالون (نتيجةالورم الموجود في الفص الامامي للغدة النخامية) مع زيادة حجم الجيب الهوائي الامامي والخلايا الهوائية الحلمية وكبر حجم البروز المؤخري للجمجمة وبروز الفك السفلي للامام .

١٠ ـ ارتفاع نسبة هرمون النمو في الدم ولا يستجيب هذا الارتفاع الى اي مثبط وارتفاع نسبة الفوسفور في الدم وربما ارتفاع نسبة السكر في الدم .

الجديد في العلاج :

اولا : بالنسبة للقزمية التي ترجع الى نقص افراز هرمون النمو :

قبل البدء في العلاج يجب التاكد اولا من سبب القزمية وذلك باستبعاد الاسباب الاخرى . كما يجب قياس مستوى هرمون النمو في الدم .. ثم قياسه بعد اعطاء المريض احد الاحماض الامينية التي تزيد من مستوى هرمون النمو كالارجنين . هذا بالاضافة الى قياس طول المريض ومقارنته بمعدلات الطول الطبيعية لمثل سنه (لهذا جداول خاصة) ثم مقارنة النتائج بمعدلات الطول لوالدي المريض لاستبعاد الاسباب الوراثية والعائلية هذا بالاضافة الى تقدير مدى النمو الذي وصلت اليه عظامه (السن العظمى) وذلك باخذ اشعة عادية لنهايات العظام الطويلة . ويجب تكرار قياس طول المريض كل ثلاثة اشهر ولمدة سنة وتسجيل النتائج في جداول خاصة بذلك ثم تمثيلها على رسم بياني للحصول على منحنى يمثل العلاقة بين التغير في الطول مع الزمن ويؤخذ في الاعتبار سن المريض ومدى النمو الذي وصلت اليه عظامه (السن العظمي)

ويمكن من البداية استبعاد علاج بعض الحالات مثل :

١ ـ الحالات التي لا يتغير معدل الطول فيها .

٢ ـ الحالات المصحوبة بورم لا يمكن استئصاله بالجراحة .

٣ ـ الحالات التي يصاحبها التخلف العقلي الشديد أو العمى .

٤ ـ عندما يكون السن العظمى ١٤ (عند المريض الذكر) او ١٥ (عند المريضة الانثى) ويتم العلاج باعطاء هرمون النمو الآدمي بالحقن في العضل بجرعة مقدارها ٢٠ ـ ٤٥ ملليجرام /شهر .

ويلاحظ ان الانواع التي انتجت مؤخراً من النمو الادمي اصبحت بفضل الابحاث المتعددة على درجة كبيرة من النقاوة ولا يتبع حقنها تكون اجسام مضادة . ويمكن التاكد من فعالية العلاج بملاحظة التغير الذي يطرا في طول المريض مع العلاج ولقد اشارت الابحاث الحديثة الى ان حدوث زيادة في الطول بمعدل ٢ سم /سنة للمريض الذي يبلغ عمره ما بين ٣ الى ١٠ سنوات يؤكد نجاح العلاج وضرورة الاستمرار فيه . ويستمر العلاج عادة حتى يصل المريض سن البلوغ .



هكذا تغير وجه مريض تضخم الأطراف خلال ثلاثين عاما .. وفى اللقطة الأخرى نرى الفرق بين أطرافه المتضخمة واطراف يد شخص طبيعي

ثانيا : بالنسبة لحالات العملقة او حالات تضخم الاطراف .

التشخيص المبكر في الغالب افضل النتائج . لذلك يفضل ان يبدا العلاج في مراحل المرض

الأولى وقبل حدوث أي مضاعفات مثل :

١ - ضمور العصب البصري .
٢ - مرض البول السكري .
٣ - مرض السكر الكاذب .
٤ - تضخم الورم وامتداده الى مناطق المخ المجاورة .

والعلاج التقليدي لحالات العملقة او تضخم الاطراف يكون اما بالجراحة بفرض استئصال الورم او العلاج بالاشعاع .

ويفضل العلاج الجراحي في حالة :

١ - فشل الاستجابة للعلاج بالاشعاع
٢ - الشعور بالصداع المستمر
٣ - ظهور ضمور بالعصب البصري .

وامكن بعد التطور الكبير في الجراحة امكانية ازالة أورام الفص الامامي للغدة النخامية من خلال فتحة صغيرة للغاية يصنعها الجراح في العظم الوتدي للجمجمة .

اما العلاج بالاشعاع مثل اشعة اكس او بالكوبالت المشع او التيرتيم المشع فينفصل فى الحالات المصحوبة بارتفاع شديد في هرمون النمو مع عدم امكانية تثبيطه بالاضافة الى تضخم الهيكل العظمي والانسجة والاعضاء وارتفاع مستوى الفوسفور في الدم .

والعلاج بالاشعاع غير مستحب وقد تحدث منه مضاعفات اهمها تضخم الورم نفسه وبالتالى زيادة حدة المرض عن ذي قبل .

ويتبع العلاج الناجح التغيرات الآتية :

١ - التحسن في الشكل والمظهر العام للمريض .
٢ - تحسن مجال الرؤية عند المريض .
٣ - انخفاض مستوى السكر فى الدم الى المعدل الطبيعي .
٤ - عودة مستوى هرمون النمو الى المعدل الطبيعي .

واما الجديد في علاج هذه الحالات فهو العلاج بالعقاقير .. واهمها عقار (البروموكربتين) الذي أمكن تخليقه في السنوات الاخيرة ، ويعمل هذا العقار على خفض مستوى هرمون النمو في الدم وذلك بتنبيه مستقبلات الدوبامين ويتبع ذلك تحسن ملحوظ في حالة المريض إلا أن استخدام هذا العقار لا يصلح لجميع الحالات كما أن له بعض الاعراض الجانبية مثل :

١ - الشعور بالغثيان والقيء .
٢ - الاكتئاب .
٣ - الشعور بالهبوط عند الوقوف .
٤ - انقباض شرايين الاصابع مما يؤدي الى الشعور بالألم .

ولا شك اننا مازلنا نحتاج الى سبل احسن لعلاج مثل هذه الحالات ، والى مجموعة جديدة من العقاقير ذات الفعالية والتي في نفس الوقت يصاحبها أقل قدر من المضاعفات الجانبية .

والبحث العلمي لم يتوقف .. والانسان في سعيه نحو الجديد لن يقف عند هذا الحد .. فالأبحاث تجري .. والجهود تبذل .. والسعي نحو الافضل هو الأمل الذي نتطلع اليه .. لاجل حياة بدون مرض .. ولاجل ابتسامة مشرقة ينعم بها كل مريض .

سامي عزيز

موهبة لها موقف:

الأسطورة والوطن في لوحات محمود بسيوني

بقلم: يوسف أحمد



لوحة زيتية من وحى حديقة حيوان الدوحة (١٩٨٤)



وراء القضبان .. من أهم لوحات الفنان (١٩٨٤)



بعثة السلام (١٩٨٣)



عدو السلام (١٩٨٣)



ايقاع مثلثي ــ اكريلك ــ (١٩٨١)

يعتبر الفنان د. محمود البسيوني صاحب الفضل الأول في تخريج الدفعات العديدة في مجال التربية الفنية والمنتشرة في جميع انحاء الوطن العربي الكبير مشرقه إلى مغربه ، ولا تخلو اية مكتبة فنية من مؤلفاته التي تزيد على الثلاثين مؤلف في مجال التربية الفنية وتاريخ الفن وفلسفته ، وهي مجالات طالما اشتكت ارفف المكتبات العربية من نقصها نظراً لصعوبة البحث فيها وندرة المتخصصين في مجالاتها .

وتأتي هذه الموهبة في مجال التاليف الفني معطاءة بنفس القدر في مجال الفنون التشكيلية لتحدث تغيراً في مفهوم قديم طالما رسخ في أذهان خريجي كليات الفنون الجميلة وخريجي كلية التربية الفنية ، وهو أن الفنان المتخرج في مجال التربية الفنية يعتبر مدرساً تربوياً فقط ، ناسين أن الاحساس الفني والموهبة الجيدة لا حدود لها في اي مكان .

ويؤكد الدكتور البسيوني هذا القول كفنان ممارس ومرب جليل ومؤلف غزير ، وتتضح هذه الميزات الفنية والتربوية كلها في أعماله التي عرضها مؤخراً بمدينة الدوحة ضمن إطار الموسم الفني للجمعية القطرية للفنون التشكيلية ، فلقد ضم المعرض خمسة وخمسين لوحة فنية منتجة في حقبة عشر سنوات ، امضى الفنان نصفها في مكة المكرمة ، والنصف الآخر في مدينة الدوحة ، واللوحات تعكس انفعالات

الأسطورة والوطن
في لوحات محمود بسيوني

الفنان بالبيئة الخليجية ، وبالأحداث الجارية في الوقت الحاضر وباعادة انعاشه لمجموعة من الرموز التي ظهرت في التصوير الاسلامي في وعصور مختلفة، وإلباسها ثوباً جديداً يتلاءم مع موضوعات اسطورية مستوحاة من قضايا العصر .

فلوحة السلام تجمع حمامتين تحيطان بالصورة وهما رمزان للسلام ، وهناك ديك يرمز لليقظة ، وسمكة ترمز للخير ، وحصان ذو وجه إنساني يطير باجنحة لينشر السلام ، بينما تظهر سلحفاة في أسفل الصورة وهي تعطي رمزاً للبطء ، وقد أراد الفنان أن يقول من خلال هذا الرمز إن كل الذين يأملون في السلام لابد أن يعلموا أن السير في هذا الاتجاه دائماً يكون بطيئاً !

هذا هو الجانب الموضوعي في اللوحة ، أما جانبها الفني فنراه في أسلوب الفنان حيث نرى أن الألوان المستخدمة تغلب عليها الألوان الحارة ، وهي ميزة من ميزات اتجاه الفنان ، فنرى الأحمر والأصفر والبرتقالي مستخدمة بطريقة تجعل المساحات والخطوط حادة للغاية .

وهذا الجو أعطى ديناميكية مكملة للألوان الحارة المستخدمة .

وبنظرة تحليلية للعناصر المستخدمة في هذه اللوحة نجد أن معظمها حيوانات أليفة وقريبة من الانسان : الحمام ، الديك ، البطة .. وغيرها .. وهذا يدل على اهتمام الفنان بفن الطفل ومتابعته الدائمة له ، وذلك من واقع تجربته في هذا المجال .

وتأتي معالجة توزيع عناصر اللوحة من منطلق مفهوم تراثي إسلامي لدى الفنان فنجد أن المنظور الدائري يسيطر على أجواء اللوحة ، وأنه باستخدامه للحيوان الخرافي بمعالجة حديثة أعطى استخدامات سليمة لماض عريق اتسم بهذا النوع من التكوين ، ومثال ذلك «أبو الهول» و «الأسد الأشوري ذو الأجنحة» فهنا نجد أن الفنان استطاع أن يهضم تراثه ويحدد مساراً جديداً لاستخدام هذا التراث بموضوع طالما شغل بال المفكرين والفنانين .

ويأتي المعرض غنياً بموضوعات أخرى وإن كانت هناك لوحات اتخذت سمات الطليعة بالمعرض ، ومنها لوحة أسماها «وراء القضبان» فهي ترمز لأصناف من البشر رمت بهم الأقدار في السجون ، لكنهم ليسوا من المجرمين ، فمنهم الفدائي والمدافع عن الوطن وأيضاً المفكر وصاحب الرأي ، وهكذا تعلق أيديهم على القضبان وعيونهم قوية متسائلة تبحث عن الخلاص .

وتأتي هنا الألوان الصارخة كما في اللوحة السابقة الذكر ، وجوه حمراء ووجوه صفراء وخضراء لها لمسات قوية ومعبرة ، والتكوين العام لهذه اللوحة أخذ شكل العامودي مع الأفقي ليذكرنا بالتكوين الأساسي للشبكة أو المصيدة مع اهتمامه بالتعابير المختلفة على الوجوه لاعطائها البعد الدرامي .

وقد جاءت معظم الوجوه مستوحاة من الأقنعة الزنجية ذات الدلالات البصرية القوية .

وفي بقية اللوحات نجد إرهاصات من وحي الحواري والأزقة القديمة التي تتميز بها منطقة الحجاز في المملكة العربية السعودية ، وكذلك هناك مجموعة من اللوحات بالمعرض من خلال دراسته لحيوان «الحمار الوحشي» وإمكاناته العجيبة تشكيلياً وبخاصة التناقض بين خطوطه البيضاء والسوداء بصورة تحدث إيقاعات خطية مثيرة ، تمثل نبعاً لا ينضب من كثرة ما تعطي من أفكار وتنظيمات وقيم جمالية مميزة مدعمة بالفكر الناضج للفن الحديث .

وقد كتب الأستاذ محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام أثناء افتتاحه المعرض كلمة قال فيها :

لقد تشرفت برؤية أعمال زميل لنا في الفن التشكيلي ، نعتبره من الأساتذة الأفاضل الذين سيقدمون للفن القطري الكثير من اللمسات الطيبة التي ستثري فننا العربي والاسلامي ، فهو مدرسة نحتذي بها لصقل المواهب القطرية الشابة .

يوسف أحمد

الفنان في سطور



- أستاذ ورئيس قسم التربية الفنية بجامعة قطر .
- عميد كلية التربية الفنية بالقاهرة سابقاً .
- دكتوراه في الفلسفة من جامعة «أوهايو» ١٩٤٩ .
- جائزة الدولة التشجيعية ووسام العلوم والفنون من الدرجة الأولى ١٩٧١ .
- مؤلف لأكثر من ثلاثين كتاب في الفن والتربية الفنية والتربية عامة .

تتلمذ على يديه مئات من أجيال التربية الفنية المنتشرين حالياً في العالم العربي .

- أقام أربعة معارض فردية بالقاهرة واشترك في العديد من المعارض التي طافت بعض العواصم الكبرى شرقاً وغرباً .
- له مقتنيات في متحف الفن الحديث بالقاهرة ودمشق .

دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

الذِّكر

• يقول الله تعالى في سورة: « ص. والقرآن ذي الذكر » (أي والقرآن صاحب الشرف والنباهة)، « ويقسم الله جل شأنه بحرف: « الصاد » من حروف الهجاء العربي — وكذلك اذ يقسم بأي حرف أو حروف أخرى منه في أي موضع آخر — انما ليوضح: أن مدخول القسم وهو هنا: « والقرآن ذي الذكر »: في ظهوره وعدم انكاره — الا من متعنت — يشبه حرف (الصاد) في وضوح كونه من أحرف الهجاء العربى. اذ ليس هناك عربي ينكر: أن حرف الصاد من هجاء الكلمات العربية بل ومما تتميز به هذه اللغة عن غيرها من اللغات، الا اذا كان هذا العربي متعنتاً في انكاره.

فوصف القرآن الكريم: بالذكر — أي بالشرف والنباهة — كأنه أمر مفروغ منه لا يحتاج الى مزيد من البيان. وأخذ القرآن هذا الوصف، لأنه الكتاب السماوي الوحيد، والأخير — بعد التوراة — الذي يجمع بين منهج الحياة كشريعة، ومنهج السلوك العلمي كهداية: « وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا: ما أنزل الله على بشر من شئ، قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدى للناس؟ تجعلونه قراطيس: تبدونها، وتخفون كثيراً (اي تجعلونه أوراقاً مفرقة واجزاء ينفصل بعضها عن بعض، فيمكن اظهار البعض واخفاء البعض الآخر منها: للاحتراف والتكسب، بدل الابقاء عليه كوحدة واحدة: اما ان تظهر فتعرف كلها أو تختفي فتنكر جميعها) وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم (والخطاب موجه لبني اسرائيل) قل: الله، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون. وهذا كتاب (اي القرآن) أنزلناه مبارك مصدق الذي بين يديه (وهو كتاب موسى. وكتاب عيسى) ولتنذر أم القرى ومن حولها (يقصد مكة وضواحيها) والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به (وهم غير المشركين الوثنيين الماديين) وهم على صلاتهم يحافظون » (الانعام: ٩١، ٩٢)..

ففي خطاب الله لبني اسرائيل بالرد عليهم في شأن انكارهم نزول القرآن على الرسول عليه السلام لأنه بشر، يذكر القرآن أن التوراة — وهم يعتقدون أنها كتاب الله — انزلت على موسى وهو بشر، كما يبين أن القرآن وهو على غرار التوراة في التفصيل وفي الجمع بين العقيدة والشريعة، انزل على محمد وهو بشر كذلك، صلوات الله وسلامه عليه.

• ولوضوح وصف القرآن بالذكر، جاء: « الذكر » — بهذا التعريف وبدون اضافة الى كلمة أخرى — تعبيراً عن القرآن نفسه في مواضع عديدة من كتاب الله، بحيث لا يراد منه الا مايراد من القرآن ذاته. يقول الله تعالى:

١ — « وأنزلنا اليك الذكر (أي القرآن ككتاب لله) لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون » (النحل: ٤٤).. ويقول:

٢ — « انا نحن نزلنا الذكر (أي القرآن) وانا له لحافظون » (الحجرات: ٩).. ويقول:

٣ — « وقالوا (أي مشركو مكة من الوثنيين الماديين): يا أيها الذي نزل عليه الذكر (أي القرآن): انك لمجنون » (الحجر: ٦).. واتهموه عليه الصلاة والسلام بالجنون لأن ما جاء به القرآن يقضي على أساطيرهم، وعلى استغلالهم واحترافهم بالدين، وعلى الأرستقراطية الدينية، والطبقية في الدين: بين عامة الأتباع، والكهان، والقوى الخفية التي يدعون لها: استراق السمع من غيب السماء.

وعلى هذا النحو قول لله تعالى: وان يكاد الذين كفروا (وهم المشركون الماديون انفسهم) ليزلقونك بأبصارهم (اي ليمحونك من الوجود غيظاً) لما سمعوا الذكر (أي القرآن) ويقولون: انه لمجنون (القلم: ٥١).. ويقول:

٤ — انما تنزر من اتبع الذكر (أي القرآن) ويخشى الرحمن بالغيب (أي انما تثمر بشارتك وانذارك بالقرآن وبهدايته: ممن يؤمن بالقرآن ويخشى ربه، وهو لا يدركه بالبصر) (يس: ١١).. ويقول:

٥ — ولقد كتبنا في الزبور (وهو كتاب داود الذي ارسل به) من بعد الذكر (وهو القرآن — كتاب محمد عليه الصلاة والسلام —): أن الأرض يرثها عبادي الصالحون (الأنبياء: ١٠٥) أي أن تمكين عباد الله الصالحين من الأرض، وخلافتهم عليها.. أمر مقضي به من عند الله، منذ أن أرسل برسالته الى الناس عليها.. حتى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام. فهو مكتوب في القرآن فيما يقول الله تعالى: « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات: ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا، يعبدونني، لا يشركون بي شيئا، ومن كفر بعد ذلك: فأولئك هم الفاسقون » (النور: ٥٥) وكان مكتوبا كذلك في رسالة داود.

• وهكذا: ترد كلمة: « الذكر » بهذا التعريف في القرآن الكريم: لكتاب الله، الذي هو هذا القرآن، في أغلب ما ترد فيه.

فاذا أطلق: الذكر — بعد ذلك — على تلاوة « الأوراد » أو على « الحضرة » التي فيها هذه الأوراد ويباشرها فريق الزهاد.. فلأن الأصل في الأوراد أن تكون من القرآن، وآياته.



مثل المنحرف في العلم كمثل المكابر في الظلم!

بقلم : د. عبدالمحسن صالح

في مدينة صغيرة بالقرب من نيوأورليانز بالولايات المتحدة الأمريكية يعيش الآن دكتور ويليام سمرلين حيث يعمل طبيب أمراض جلدية في مستشفى صغير لا يليق بمكانته العلمية ، اذ كان قبل عشر سنوات احد العلماء المرموقين في معهد سلون كيترنج لبحوث السرطان ، وهو معهد مشهور في نيويورك يشار اليه بالبنان ، ولكن النجم هوى من عليائه ، ليستقر في هذا المركز المغمور الذي لا يتناسب مع مؤهلاته !

السبب : انه قام بعملية غش وتدليس في مسالة علمية تسببت في تقديمه لمحاكمة سريعة – لم تكن ساحتها القضاء ، بل قام بالمسائلة مجموعة متخصصة من العلماء ، وسرعان ما ثبت انه مذنب ، ولا سبيل للانكار ، اذ كيف ينكر وهو يتلاعب بمسالة تتناول سراً من اسرار الله في خلقه ، أو ظاهرة بيولوجية من الظواهر التي يعرفها العلماء حق المعرفة ، او حتى يعرفها رجل الشارع الآن معرفة سطحية .. تلك هي مسالة نقل وزراعة الانسجة والاعضاء من انسان الى انسان !

ولقد جاء الحكم عادلا ، اذ يكفي انهم قد طردوه من معهده المرموق ، وحرموه من الاشتغال بالبحوث العلمية مدى الحياة ، فانزوى بعيداً عن الأضواء ، ولكن بعد ان تسلطت عليه أضواء فضيحة تناولتها اجهزة الاعلام واعتبرتها (ووترجيت) الطبية – تشبيها بفضيحة ووترجيت السياسية ، التي اقيل فيها الرئيس الامريكي ريتشارد نيكسون من رئاسة الولايات المتحدة الامريكية ، والغريب ان الفضيحتين قد حدثتا في نفس العام (اي في عام ١٩٧٤) . وطبيعـي أن يهتم العالم بفضائح الرئاسات ، فغطت هذه على تلك !



شكل (١) دكتور ويليام سمرلين فى أيامه الخوالى حيث تسلطت عليه الأضواء فى بداية حياته ، وهو هنا يعرض تجربته التى إدعى فيها أنه تمكن من التوصل إلى زراعة رقعة من جلد سلالة فئران بيضاء على جلد سلالة فئران داكنه ودون أن يتمكن جهاز المناعة من إبادتها .. لكن ما يعرض هنا خدعة ، لأنه دهن رقعة من جلد الفأر بلون مخالف — كما ترى !

شكل (٢) باحثة تدعى فيرا مورهن تعيد تجارب سمرلين ، لكن لا جديد يفيد البشرية حتى الآن ، فلا زالت مشكلة لفظ الأعضاء الغريبة المزروعة قائمة ، ما لم يضعف الجراحون جهاز المناعة حتى لا يشهر سلاحه

بداية النهاية

لقد بدأ سمرلين حياتــــه فى عــــام ١٩٧١ كباحث مبتدىء في زراعة الانسجة الجلدية ، اذ كان يقوم بعزلها والاحتفاظ بها في محاليل غذائية خاصة لعدة أسابيع ، يريد بذلك زراعتها على بشرة من تهتكت جلودهم او احترقت ، وطبيعي أن يسبق ذلك تجارب تجرى على الحيوان ، فاختار لها بعض الفئران ، واستمرت بحوثه عاما وبعض عام ، ولكن سريعاً ما جذب اليه انظار العلماء ، ثم تسلطت عليه الأضواء ، خاصة عندما نشر بحثا في مجلة علمية طبية (علم المناعة الاكلينيكية وامراض المناعة) .. وطبيعي ان مثل هذه المجلات المتخصصة هي همزة الوصل بين العلماء ذوي الاهتمامات لفرع معين من فروع العلم ، وهي التي توضح لهم كل كشف جديد يبصرهم بما يجري حولهم في معامل العالم قاطبة .

وكان بحث سمرلين واحداً من آلاف البحوث التي تنشر كل عام في هذا المجال ، ولكنه كان فريداً في نوعه ، ومثيراً في نتائجه ، لدرجة انه احدث ضجة هائلة بين العلماء والاطباء المهتمين بهذا النوع من البحوث ، ليس ذلك فحسب ، بل ان البحث نفسه يشير الى انتصارات هائلة سوف تتحقق للملايين من المرضى والمعذبين ، فهو يبشر — ببساطـــة شديدة — الى انه بالامكان التغلب على مشكلة المناعة ، وهي المشكلة الاساسية التي تجابه الجراحين عند نقل نسيج او عضو من انسان لزراعته في انسان آخر يحتـــاج اليـــه ، ويعيش به .

وعندما اطلع العلماء على بحث سمرلين ، تشكك فيه معظمهم ، وقليلهم كانوا من المتفائلين ، او على الاقل من ذوي النوايا الطيبة ، اي الذين لا يسيئون الظن في نتائج توصل اليها غيرهم ، فمن المفروض ان يكون العالم صادقا وامينا ، خاصة فيما يتعلق بالأسس والمبادىء التي قامت عليها حياة المخلوقات .. ولقد ذهب هؤلاء المتفائلون الى محاولة تعليل الانتصار الكبير الذي توصل اليه سمرلين في مثل هذا الزمن القصير ، اما المتشككون فقد سلكوا سبيلا آخر ، وسبيلهم التجربة العلمية التي توضح لهم الغث من السمين ، او هي الحد الفاصل بين الحق والباطل ، وعندما اعادوا تجارب سمرلين بنفس الطريقة التي اتبعها ، جاءت النتائج مخيبة للآمال ، وبعدها اشارت اليه أصابع الاتهام ، وكلما مرت الايام ، تاكد العلماء ان صاحبهم قد غوى ، ولابد والحال كذلك من مساءلته ، وتكونت لجنة للتحقيق من علماء لهم طول باع في هذا المجال ، وادين سمرلين ، واعترف بانه قد تحيز لراي كان يعتقد فيه ، وانه قد غش في نتائجه ، وضلل بها مدير

منشل
المنحرف في العلم
كمثل
المكابر في الظلم!

بحوث السرطان الذي يعمل فيه ، المهم انه ادين ، واصبح وصمة عار في جبين العلم ، وحق عليه الطرد بغير رجعة ، كما طرد ابليس من الجنة !

الخدعة هنا لا تجوز

لكن .. لماذا تشكك العلماء في نتائج سمرلين ؟ .. وكيف عرفوا انه كان من المضللين ؟ .. وهل كل خدعة او غش يمكن اكتشافها ؟

الواقع أن احداً لا يستطيع ان يستخلص باطلا من حق ، ولا حقا من باطل ، خاصة مع النظم المذهلة التي قامت عليها حياة المخلوقات وهذا ما يعرفه العلماء - قبل غيرهم - حق المعرفة ، فكل كائن حي بمثابة كون صغير قائم بذاته ، أو قل انه (امبراطورية) خلوية تضم ملايين الملايين من الخلايا (حوالي مائة مليون مليون) .. وكل خلية منها جاءت بسور او غشاء رقيق غاية الرقة ، والسور مزود ببنايات جزيئية دقيقة غاية الدقة ، وهي متراصة بنظام متقن غاية الاتقان ، وبحيث اصبحت الجزيئات بالنسبة لأسوارها ، كالبصمات في اصابعنا ، وكما يعرف كل منا ببصمته ، كذلك تعرف كل خلية من نظام بناء سورها .. الذي يعرف هذا النظام جهاز يعرف باسم المناعة ، وهو بمثابة جهاز المخابرات الحربية الذي يرصد كل دخيل أو متسلل في دولة من الدول ، ولكن مخابرات اجسامنا خلايا حربية تعرف بكرات الدم البيضاء (وهذه انواع يتشعب فيها الحديث ويطول ، ولهذا فلن نتعرض لها هنا) .. والغريب ان جهاز المخابرات الخلوي لديه ذاكرة جزيئية على درجة هائلة من اليقظة **والكفاءة ، وبحيث يحفظ عن ظهر قلب التكوين** الدقيق لسور كل خلية من خلايا الجسم او تلك الامبراطورية الخلوية المفعمة بالأسرار والالغاز ولهذا لا يقربها أو يهاجمها ، اللهم الا اذا حدث مكروه غير في بصماتها او تكوينها ، وعندئذ يخشاها ، فيهاجمها ويبيدها ، فربما جاءت منها المصائب الكبرى .

يعني هذا أن لكل منا جهاز مخابرات قائم بذاته ليحرسنا من المندسين الذين يحومون حولنا ليل نهار ، وما المندسون إلا انواع كثيرة من الميكروبات المسببة للاوبئة والأمراض ، ولكل ميكروب - بطبيعة الحال - سور أو غلاف أو غشاء او جدار مختلف (تعددت الاسماء والتكوين واحد) .. والذي يكتشفه هو جهاز المناعة ، فكانما هو (يقرأ) بصمات كيميائية غريبة قد تسللت في امبراطوريته او مملكته الحصينة ، وعندئذ تنطلق في داخل الجسم (صفارات انذار) كيميائية ، ليقابل هذا الهجوم بهجوم مضاد ، وتحدث معركة من معارك الموت والحياة ، وتتحدد نتيجتها حسب ضراوة الميكروب وقوة جهاز المناعة .

لكن ما دخل كل هذا بموضوع خداع سمرلين ، وما علاقته بالانسجة والاعضاء التي قد تعزل من انسان لتزرع في انسان اخر ؟

له دخل .. فخلية من جسمي لا تتوافق مع خلية من جسمك ، ولا تتوافق مع اية خلية من جسم كل فرد من افراد النوع الانساني من يوم أن ظهر البشر على هذا الكوكب الى ان يرث الله الارض بمن عليها .. كذلك لا تتوافق مع اية خلية من اي نوع اخر من انواع الكائنات الحية .. بداية بالفيروسات والميكروبات ، مروراً بخلايا جميع النباتات ، وانتهاء بكل انواع الحيوانات .. وطبيعي أن جهاز المناعة عند الانسان والحيوان قد جاء ليتعامل اساسا مع الميكروبات ، وهو لا شك يعرفها ، لكنه لم يتعامل مع انسجة واعضاء منقولة اليه من جسم اخر إلا في عصرنا الحديث ، حيث بدأ العلماء في اقحام اعضاء سليمة بدلا من الاعضاء التالفة ، (وهو ما نعرفه باسم زراعة الاعضاء) .. لكن جهاز المناعة يعرف انها ليست من ذاته ، ولأن تركيب بروتينات اسوارها يختلف عن تركيب بروتينات اسواره ، ومن اجل هذا يشتغل عليها جهاز المناعة ليبيدها ، ما لم يتدخل الانسان بعلمه وطبه ، فيؤخر هذه الابادة ولو الى حين .. هذه واحدة ، وما الثانية ؟

الثانية أن سمرلين قد ادعى انه استطاع التغلب على مشكلة المناعة العويصة بزرع الانسجة من مخلوق في مخلوق اخر للنوع نفسه ، بل انه قد ذهب الى ابعد من ذلك وادعى انه قد حقق نجاحاً في تخطي الحدود التي تفصل بين السلالات المختلفة للنوع ذاته .. ثم ذهب الى أبعد وابعد فزعم انه تمكن من عزل اجزاء من جلد انسان وخنزير وارنب ، ثم حفظها في محاليل خاصة لفترات مختلفة قد تطول الى ست أسابيع ، ثم زرعها على جلود فئران حية ، فتقبلتها جميعاً قبولا حسنا ، وكانما جهاز المناعة عندها قد ذهب في اجازة ، أو انه فقد التمييز بين ما هو من ذاته ، وما هو من غير ذاته ، ولو صح ذلك لكان اكبر انتصار تحققه البشرية على الاطلاق .

غصة في حلق العلماء

لقد سيطرت على سمرلين فكرة غريبة ظن انها صحيحة ، وفرض لها فروضاً توقع انها ستوصله الى انتصار ضخم يحلم به كل عالم ، ويدخل به التاريخ بجدارة ، ولقد وصل به الأمر الى التحيز الاعمى الذي أوصله الى الغش والخديعة في نتائجه ، ولكن غشه لن يغير سنن الله في خلقه ، وكان من المفروض ان يدرك هذه البدهية البسيطة ، لكنه تمادى الى ابعد مدى ، فلقي الجزاء الرادع .

لقد ظن سمرلين أن عزل الانسجة والاحتفاظ بها في محاليل خاصة قد يؤدي الى محو بصماتها الكيميائية التي تتعرف عليها اجهزة المناعة في المخلوقات ، ولهذا اذا زرعت فيها ، تقبلتها ولم تلفظها ، لانها فقدت هويتها التي تعرف باسم مولدات المضاد Antigens ، وهذه المولدات - كما هو واضح من الاسم - هي التي تثير جهاز المناعة ، وكانما هي تشير اليه انها غريبة ، فيستعد لها ببروتينات حربية خاصة تعرف باسم الاجسام المضادة ، اي المضادات لمولداتها الكائنة على خلايا كل نسيج أو عضو غريب ، وهذه تبطل مفعول تلك (كالصواريخ والصواريخ المضادة في عالمنا - مع الفرق طبعاً) أو تنحشر فيها كما ينحشر المفتاح في قفل ليس له ، وبهذا تسد أبواب الحياة في وجه كل عضو غريب أو بمعنى أوضح يلفظه الجسم .

وبدأ المتشككون في اعادة حساباتهم ، ومراجعة نظرياتهم ، مستندين في ذلك الى تكرار تجارب سمرلين بحذافيرها ، وهذا رغم ان تكرار تجارب الغير مضيعة للوقت والجهد والمال ، والخير طبعاً في اجراء بحوث جديدة ، توصل الى نتائج فريدة ، تقبلها المجلات العلمية للنشر ، أما المعاد فمرفوض ، اللهم الا اذا صحح مساراً علمياً انحرف فيه الغير بقصد أو بغير قصد .

لكن التكرار هنا له ما يبرره ، خاصة وان المسألة هنا تدخل الى عالم التطبيق الطبي من أوسع الأبواب ، المهم ان الانباء بدأت تتوارد من معامل كثيرة منتشرة في أوربا واستراليا وكندا وبعض الولايات الأمريكية ، وملخصها أن احداً لم يتوصل الى نتيجة ذات مغزى **خاص ، وانهالت الاستفسارات بعد ذلك على** معهد سلون كيترنج حيث يعمل سمرلين ، وجميعها يطلب مزيداً من الايضاح أو التفصيلات ، وبدأت الشكوك تنتشر ، واصابع الاتهام تشير ، واخيراً تشكلت لجنة التحقيق ، وطلب أعضاء اللجنة من سمرلين أن يعرض

عليهم عينات من الانسجة المزروعة في كائن من كائن آخر (كانت سلالات فئران سوداء وبيضاء) ، لكنه تنصل من ذلك ، وادعى انه كان يتخلص منها اولا باول بعد ان يحصل على أمصالها .. ولكن احداً لم يقتنع .

واستمر الحصار ، وانهالت الاسئلة ، وبعدها حدث الانهيار ، خاصة بعد ان تقدم احد الفنيين الذي يعمل مع سمرلين وذكر انه رآه وهو يقوم باستخدام قلم لباد (فلوماستر) ليدهن به رقعة على جلد فار بني ليكسبها لونا مختلفا ، وكان يحمل هذه الخدعة ليعرضها على مدير المعهد دكتور روبرت جود ، ولقد تحمس المدير لهذه البحوث تحمساً شديداً ، واعتبر سمرلين من عباقرة القرن العشرين ،

وكان من جراء ذلك أن حصل المعهد على اعتماد اضافي لمساندة تلك البحوث ، فارتفعت ميزانيته من اربعة ملايين دولار عام ١٩٧٣ الى سبعة ملايين عام ١٩٧٤ .. ورغم مكانة دكتور جود العلمية الممتازة في بحوث المناعة والسرطان ، الا ان لوما وقع عليه من اللجنة العلمية المشكلة ، اذ كان عليه أن يتحقق بنفسه من مثل هذه النتائج البالغة الحساسية قبل نشرها ، هذا ومما يذكر في هذا الصدد أن كتاباً ظهر بعنوان (الفار المرقع) وفيه يتناول مؤلفه جوزيف هيكسون وقائع هذه الفضيحة التي هزت الاوساط العلمية .. ولا زالت .

حالة (طبخ) علمية غريبة !

ورغم أن الغش في العلم يشكل حالات فردية ، الا أن ذلك يتكرر بين الحين والحين ، وهو يتخذ صوراً شتى ، واقرب فضيحة تم نشرها منذ ثلاث سنوات مضت في مجلة الكشف العلمي ، وتحت عنوان (فضيحة في المعمل) .. وهي تتناول قصة شاب يدعى مارك بريان سبكتور البالغ من العمر ٢٤ عاماً ،

والذي يحضر رسالة لنيل درجة الدكتوراة في كيمياء الأورام السرطانية ونشاتها ، وقد عين في جامعة كورنيل لهذا الغرض ، وفجاة اظهر نبوغاً وتفوقاً في تبني نظرية جديدة قيل عنها أنها من اتقن النظريات المؤدية الى فهم اعمق لنشاة السرطان .. ولقد تقدم سبكتور ببحث

الى المؤتمر السنوي للأورام الفيروسية السرطانية ، وبلغ الاهتمام ببحثه لدرجة ان المؤتمرين قد غيروا في أولوية المتحدثين ، وتقدمهم سبكتور ، واعطي وقتا اطول مما يستحق لكي يعرض بالتفاصيل الخطوات البيوكيميائية (أو الكيميائية الحيوية) التي كشف عنها النقاب ، واعتقد انها المفتاح في لغز السرطان .. ويقال ان الشاب قد عرض بحوثه بمقدرة فائقة ، وثقة بالغة ، ولباقة ساحرة بحيث احدث نوعاً من الجذب والاثارة والتفاؤل والاعجاب الشديد بعبقرية هذا الشاب الفريد .

ونحن لا نستطيع ان نتعرض هنا لاصول معادلاته ، ولا لتفاصيل تفاعلاته ، ولا لأسرار الخلية التي كتبت فيها مجلدات من فوق مجلدات .. فهذا فوق طاقة قراء هذه المجلة ، لكن يكفي أن نشير الى أن حدوث السرطان يرجع الى خلل في التوازن المذهل الذي تقوم عليه حياة الخلية الحية ، ففي داخلها تتم آلاف العمليات المختلفة في سلاسل من التفاعلات المتناسقة ، والتي تحتاج في كشفها الى اذكى العقول ، وادق الاجهزة ، واتقن التحليلات ،

وغير ذلك من حيل علمية للكشف عما يجري في عالم تطويه الاسرار والظلمات ، اذ لا احد يستطيع ان يرى رؤية العين ما يجري في هذا الملكوت الدقيق الحجم ، والعظيم الشان ، ومع ذلك فحصيلة معلوماتنا التي حصلنا عليها من الخلية الحية تزيد كل عام بسرعة صاروخية ، نتيجة للتطوير الكبير في اساليب الكشوف العلمية ، وكأنما كلما عرفنا اكثر ، تهنا أعظم ، ولا يدرك مغزى ذلك الا كل من عاش هذا الطوفان من الاسرار ، وكأنما هو بحر ليس له من قرار !



شكل (٣) الشاب الملفق مارك بريان سبكتور كان مثار اعجاب في البداية ، واحتقار في النهاية عندما ماثبت أنه قد خدع العلماء بتجارب كاذبة ، ونتائج زائفة ، فأوقف وأبعد .

بعض الذين استمعوا الى سبكتور كان لهم بعض التحفظات .. فكأنما هذا الشاب الغر اراد ان يوحي اليهم بسحر القائه انه يعرف كل الأسرار ، وانه وضع يده على تفاعل كيميائي واحد من بين الآلاف التي تجري في ساحة الخلية ، وانه قد عزل البروتين الذي يؤدي الى احداث الخلل في التوازن الخلوي

(الواقع ان هذا البروتين هو خميرة او انزيم من آلاف الانزيمات التي توجه العمليات الكيميائية داخل الخلية) .. ثم راح يؤسس عليه سلسلة من التفاعلات تسري في أربع خطوات ، وكل خطوة منها تتم بخميرة او انزيم .. المهم ان سبكتور ظهر وكأنما هو اعلم من كل الحاضرين رغم طول خبرتهم ، وغزارة علمهم ، ومع ذلك فقد كان هناك بعض المتشككين ، وكأنما لسان حالهم يقول : احسن الشاب إن صدق !

اختصاراً للموضوع تبين ان سبكتور قد (طبخ) النتائج طبخة ذات نكهة لذيذة ، او ان لها مذاق الحقيقة ، ولكنها كانت ذات عناصر فاسدة نضجت في خياله ، ونبعت من بنات افكاره ، ثم نمقها ونسقها بذكاء ، والقاها على الحاضرين بكفاءة يحسد عليها ، وعندما بدأوا بحوثهم من حيث انتهى سبكتور ، لم يتحقق منها شيء على الاطلاق .. اكثر من ذلك ان احد العلماء الذين كانوا يشتركون مع سبكتور في تجاربه (هو دكتور فولكار فوجت) قد اكتشف وجود مادة اليود المشع في مزرعة الخلايا بدلا من مادة الفوسفور التي تقوم عليها اسس التفاعلات التي اشار اليها سبكتور ، وعندما حاصروه بالأسئلة عن مصدرها ، انكر معرفته باية تفاصيل عنها !

مثل العاب الحواة

لكن اغرب شيء في هذه القضية ان الامور سارت فيها بطريقة ملتوية .. اذ عندما اعيدت التجارب للتحقق من النتائج في نفس المعمل الذي يشتغل فيه سبكتور وبحضور اثنين من المشرفين على بحوثه ، كانت النتائج ايجابية وسليمة وواضحة ، فاذا اجراها الاثنان في غيابه ، وعلى نفس النمط ، وبنفس الخطوات ، جاءت النتائج عكسية ، وفي حضور سبكتور تصبح ايجابية ، وفي غيابه سلبية ! .. وهكذا

مثل المنحرف في العلم كمثل المكابر في الظلم!



شكل (٤) أحد العلماء ــ دكتور فولكور فوجت ــ من الذين تشككوا في نتائج سبكتور ، وعندئذ قام بإعادتها في نفس معمله ، ثم اكتشف أن الخلايا ملوثة ، والنتائج ملفقة .

تكررت الامور على مدى أسابيع أربعة متتالية ، واتضح ان سبكتور في يده سر اللعبة ، او انه كان يقوم بخدعة ، ولو سارت البحوث على هذه الوتيرة ، لما تقدم العلم ، ولا كانت هناك بحوث .. والا فماذا يعني ظهور نتائج ايجابية اليوم ، ثم ظهور عكسها غداً ؟

ان ذلك أشبه بالذين يدعون امتلاكهم لقوى روحية خارقة يحطمون بها المعادن ، ويحركون الاثقال ، فاذا اتيت لهم بساحر ، وشدد الرقابة عليهم ، تبخرت ادعاءاتهم ، وظهر زيفهم (راجع مقالنا في العدد السابق على صفحات هذه المجلة) .. كذلك كان الحال في فضيحة سبكتور العلمية .. فحضوره يعني ان التجارب تسير على ما يرام ، وفي غيابه تختفي (بركاته)

ــ ان صح هذا التعبير .. وطبيعي ان العيب ليس في اجراء التجارب ، لان الطريقة العلمية معروفة ، وسواء تمت في معمل سبكتور او في غيرها من معامل ، فلابد ان تكون النتيجة واحدة ، وهي ان الخطــا يكمن في العنصر البشري المخــادع ، وهو ما ثبت على سبكتور ، وادين وحــكم عليــه بهجــر البحــوث العلمية ، والتنازل عن رسالة الدكتوراة التي كان ينوي تقديمها بنتائج زائفة ، ولكن الزيف في العلم لا عمر له ، وسرعان ما يلفظ كما يلفظ الجسم عضواً غريباً مزروعاً فيه .

لقد كان سبكتور يشتغل على خلايا ملوثة ، وعندما طلبت منه بعض المعامل عينة من خلاياه بغرض اجراء مزيد من البحوث عليها ، قدم لهم نفس الخلايا الملونة ، فاعطت نتائج مضللة ، ولقد اضطر اربعة علماء ــ او ربما اكثر ــ بسحب بحوثهم قبل نشرها في عدد من المجلات العلمية ، عندما علموا ان هناك كثيراً من الشكوك تحوم حول مزارع سبكتور الخلوية ، او حول نتائجه ، ولهذا ابتعدوا عن هذه الفضيحة قبل ان ينزلقوا فيها رغما عنهم .

ولقد اشتمت اجهزة الاعلام ما يجري وراء الجدران ، فكان ان دست الصحافة بعض محرريها بين العلماء ، وتركزت العيون على سبكتور ، وبدأ الصحفيون ــ على عادتهم ــ نبش تاريخ سبكتور ، فتبين انه لم يحصل على درجة علمية جامعية ، ولا على الماجستير ــ كما يدعي ، وطبعا الغيت بحوثه لدرجة الدكتوراه ــ كما سبق ان المحنا .. واتضح ايضا انه قام باختلاس مبلغ ٤٨٠٠ دولار نتيجة لعملية تزوير في جدول الرواتب عندما كان يشغل وظيفة كاتب في احدى الشركات ، وقد دافع عن نفسه واعترف انه كان يمر وقتها بظروف مالية صعبة

.. ومن جهة أخرى طالب معهد السرطان القومي برد ٢٧٠ الف دولار كان قد قدمها كمنحة لمواصلة بحوث سبكتور ، كما تعهد احد المشرفين على بحوث سبكتور (ويدعى دكتور ريكر) برد مبلغ ١١٢٩ دولاراً ــ من جيبه الخاص ــ كان سبكتور قد حصل عليها كمنحة من احد المعاهد القومية للسرطان بدون وجه حق ، ثم ان تاريخه يشهد قبل ذلك بقيامه بتلفيق النتائج وطبخها .. مرة وهو في جامعة انديانا ، وقد طلب منه استاذه دكتور روبرت توجاساكي ان يعيد احدى التجارب ليرى كيف حصل على بعض النتائج ، وعندما فشل ، ترك الجامعة .. ونفس القصة حدثت مع دكتور (دوجلاس ونجت) من جامعة سنسناتي .. الخ .

يعني هذا ان سجل سبكتور ليس نظيفاً تماماً ، وقد يمكن ان يستمر كذلك في الحياة العامة ، لكنه لا يستطيع ان يلعب نفس اللعبة ، ولا ان يتمادى في خداعه وتضليله وانحرافه ،

خاصة في مناخ كل ما فيه منضبط ، وسر الانضباط ان العلم او العلماء يتعاملون مع نظم من الخلق موزونة ومضبوطة .. ولاشك ان كل صغيرة وكبيرة في هذا الخلق ــ بداية من الذرة والجزيء والخلية ونهاية بالنسيج والعضو والمخلوق والمخلوقات جميعا ــ قد قدرت فيها نواميسها وشرائعها تقديراً مذهلا .. وما دام العلماء يتعاملون مع نظم مقدرة ، ويعايشون شرائع منسقة ، فلابد ان يتبع ذلك انتظاماً في معارفهم ، وتناسقا في افكارهم ، واستقامة في علومهم ، وتقدما في اهدافهم ، وتطوراً لصالحهم وصالح دولهم ، فتمخض كل ذلك عن انجازات هائلة تشهد بان من يسعى ويبحث وينتصر لقوانين الكون ، وشرائع الحياة ، فلابد ان ينصره الله ، ويسدد خطاه ، وليس من هو احق بذلك الا العلماء الذين يتطلعون الى كل ما هو بديع واصيل ومنسق ومذهل وهنا يحق القول الكريم (انما يخشى الله من عباده العلماء) .. رغم ما يلصقه بهم الجاهلون ، لأنهم يقولون غير ما يقولون .. (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) !

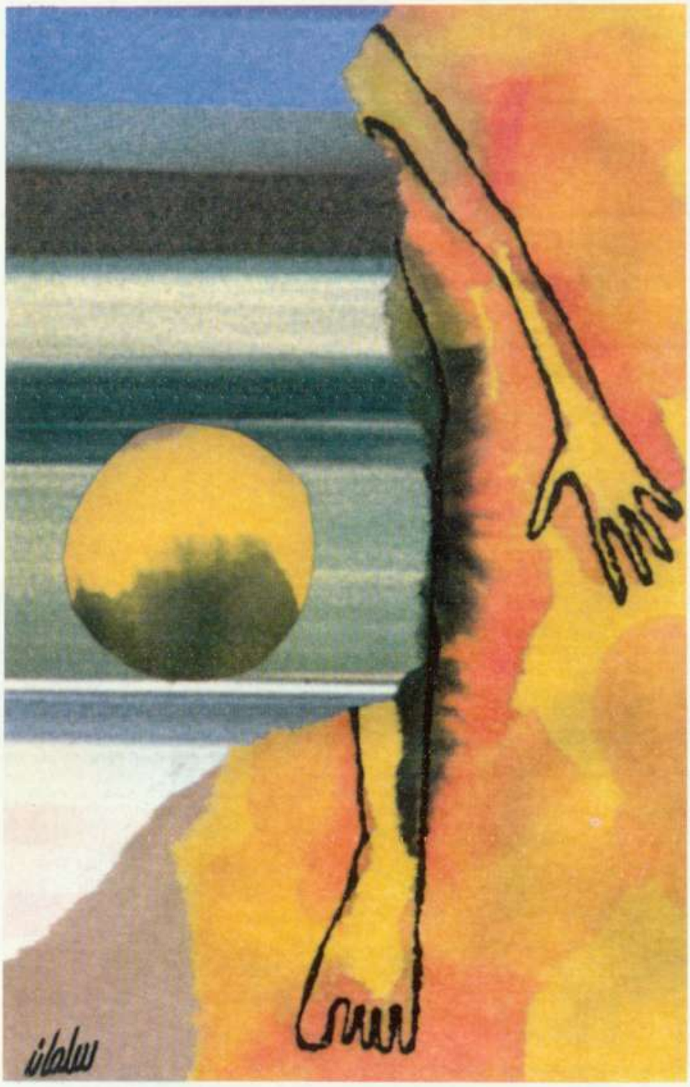
وايا كانت الامور ، فان الانحراف في العلم قليل ، ولا يشكل ظاهرة خطيرة ، اذ سرعان ما ينكشف الانحراف ، لأن العلماء حملة مشاعل ، وهم يعملون دائماً في النور ، وينشرون بحوثهم على الأشهاد ، ومن يعتقد انه يستطيع ان يطبخ نتائجه في الظلام ، فسرعان ما تتسلط عليها المشاعل ، فتكشف زيفها ، وكانما هي خفافيش تهرب الى الجحور .. فمن اصالة العلم انه دائماً يصحح اخطاءه ، وينمق مساره ويصقل معارفه بمرور الزمن (فاما الزبد فيذهب جفاء ، واما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض) !

عبدالمحسن صالح

اقرأ في العدد القادم :
فضيحة علمية غريبة :
المخلوق المنقرض الذي كان ..
واطلاقاً ما كان !

إلى أبي
شجر السنديان المسافر

شعر: أحمد محمد إبراهيم



حزينٌ لأنك لست معى
حزينٌ لأنى لست معك
فواحة عمرى الظليله
تداهمها خطوات الجحيم
وقد كنت لى شجر السنديان
إذا ألهبت ظهرى الهش ...
لسعة جمر السنين
وكنت العذوبةَ ...
حين يعطن ماءَ الحياة الصدأ
وكنت لنا الأنسَ ...
حين المساء يتابعنا
فنسوق (الشياه) إلى البيت
ونجمع أرواحنا تحت ظل حكاياتك الم
وكم كان بينى وبينك من رهبة
تحتوينى
ومن رحمة
تحتويك
وتشرق عيناك حين ترابى
أجوس بخلال ديار (ابن حزم)
وأرتاح عند (المعرى)
وأشرب من جرة (ابن عطاء)
وكم كانت البسمة الطاهره
تعانقنى جذلاً
فتحط طيور السرور على جبهتى
حين تمسح هم الطفولة من فوق خدى ...
برنة (قرش)
ولثمة عطف كبير
فيقفز قلبى إلى عالمك
وأترك خدى على كفتيك ...
وأشرد ...
أراك السواقى تدور
أراك الثوانى تدور
أراك الأمد
لتوقظنى بالرضا همستك :
(تنبه)
وها أنت تتركنى فى عواصف ليل
لأحمل فى سلتى الرمل والظلمات
وهذا زمان يخاصمه (الحزم)
ينقصه (العزم)
يأخذ قبل (العطاء)
فمن لى بقلبك أبحر فيه
وقلبى حزين .. لأنك لست معى
وحزين لأنى لست معك

من روائع الفن العالمي

بقلم : جمال قطب

ذات الوشاح



رافاييل سانزيو

كانت ايطاليا في القرن السادس عشر .. متحفاً كبيراً يزخر بالعبقريات الفذة في جميع فروع الثقافة والمعرفة .. وتالقت مدن : البندقية فيرارا ، مانتوا .. وروما .. وبالرغم من ان النصف الأول من ذلك القرن قد شهد كثيراً من المنازعات والثورات .. كما تعرضت ميلانو ونابلي الى الحروب الاستعمارية ، حيث احتل الفرنسيون ميلانو قرابة عشرين عاما حتى سنة ١٥٢٢ ، كما احتلوا الجزء الشمالي من ايطاليا ، وتوج الملك شارل الخامس امبراطوراً على بولونيا عام ١٥٣٠ ، وبعدها بخمس سنوات ، وقعت ميلانو تحت سيطرة الاسبان .. بالاضافة الى القلاقل والمشاحنات السياسية التي كادت أن تمزق البلاد الايطالية وتشل من فاعليتها كدولة حضارية تراثية عريقة ! وبالرغم من ذلك تمركزت في (فلورنسا) حركة فكرية رائعة ، كان اهم سماتها الازدهار الفني الذي لم يعرف التاريخ له مثيلا من قبل .. وكان فن التصوير هو اسبق الميادين في ثورة الفكر الانساني .. ولذلك اطلق عليه في تلك الفترة : عصر النهضة الذهبي . وقد ساهم عدد كبير من عباقرة التصوير الايطالي في الوصول بالفن الى ذروة لم يصلها قط على مدى المسيرة الانسانية كلها .. فمن فلورنسا والمقاطعات المجاورة لها بزغ العمالقة الثلاثة الكبار وهم :

ليوناردو دافنشي ، رافاييل ومايكل انجلو .. وتميزت هذه المرحلة الذهبية لعصر النهضة الايطالي بخصائص فنية واضحة كان من اهمها : * إضفاء الحياة على الصورة ، وتبسيط التفاصيل ورسم الاشكال في اوضاع طبيعية .

* ازدياد مساحة العمق (البعد الثالث) مما يقود النظر الى نقطة النهاية .

* الاهتمام بمعالجة الضوء والظل الذي اكسب المرئيات تجسيداً اكثر من قبل .

* العناية بالحركة والتعبيرات على وجوه الأشخاص .

ويعتبر الفنان رافاييل سانزيو (١٤٨٣ ـ ١٥٢٠) احد القمم الشامخة لفناني عصر النهضة ، حيث تنقل في بداية نشاته من بلده اوربينو الى بيروجيا .. حتى استقر في فلورنسا في الفترة من ١٥٠٤ الى ١٥٠٨ .. ولعلنا نتذكر ان فلورنسا في ذلك الوقت كانت مسرحاً لابداعات دافنشي ومايكل انجلو ، وبذلك وجد هذا الشاب الذكي ان فرصة منافسته لهذين العملاقين مستحيلة ! فلا هو بمستطيع ان يتحدى انجلو في قوة أسلوبه ، ولا دافنشي في رقة معالجته لنماذجه .. من اجل هذا ، قرر رافاييل أن يختار لنفسه اسلوباً منفرداً اقتبسه من اعمال مجموعة الفنانين الايطاليين المعاصرين الذين اعجب بهم ... واستطاع بمهارته ان يكون من هذا المزيج اسلوباً خاصاً تميز به . وعندما استدعاه البابا (جوليوس الثاني) الى روما لرسم جدران بعض قاعات الفاتيكان ، استمد موضوعات لوحاته من الحضارات الاغريقية والرومانية .. وكانت اشهر هذه اللوحات هي (مدرسة اثينا) والدارس لأسلوب هذه اللوحة العملاقة ، يستطيع ان يتبين خصائص ومميزات منهجه الفني الذي انفرد به على معاصريه ، وفي الوقت ذاته يظهر فيه جلياً سمات وكلاسيكية وطرز ذلك العصر .. وتعددت انجازات الفنان في الفاتيكان ، مما جعله ينال حظوة كبيرة عند البابا جوليوس الثاني لم ينلها سواه من الفنانين العظام ..

وربما تميز رافاييل ـ كذلك ـ ببراعته في رسم الصور الشخصية ، ولذلك رأيناه في فترة اقامته بالعاصمة الايطالية ، وقد انهالت عليه الطلبات من الحكام والشخصيات البارزة وسيدات المجتمع وجميلات ذلك العصر

وتعتبر لوحة : الفاتنة ذات الوشاح .. هذه التي يراها القارىء على الصفحة المقابلة .. من اشهر اللوحات الشخصية التي رسمها في روما .. وغالباً ما يطيب للنقاد والمؤرخين أن يعقدوا المقارنة بين (ذات الوشاح) بابتسامتها الهادئة والجيوكوندا (الموناليزا) التي رسمها ليوناردو دافنشي واضفى على محياها تلك الابتسامة الغامضة ..

... وفي عمر الزهور .. ولما يكمل الفنان الشاب رافاييل السابعة والثلاثين .. مات على اثر إصابته بالحمى ، ووضعت فوق نعشه آخر لوحاته التى لم تكتمل بين انامله الملهمة !



ذات الوشاح .. احدى روائع رافاييل التى تمثل طابع الجمال والأناقة فى عصره (متحف فلورنسا)







مجموعة من اللقطات داخل حديقة الحيوان فى مدينة الدوحة ، التى أصبحت تضم مجموعات متكاملة من الحيوانات والطيور والزواحف والثدييات ، وهذا بخلاف بعض الألعاب التى تتوفر بها والبساط الأخضر على أرضها .

ركيزة جديدة للثقافة والترفيه في الدوحة :

حديقة الحيوان

معالم مثيرة وبساط أخضر ومجموعة نادرة من الحيوانات والطيور

تحقيق وتصوير : أمين بدوي

أصبحت حدائق الحيوانات فى العالم من أهم معالم الترفيه والتثقيف للصغار والكبار على حد سواء .. وانتشرت فى معظم عواصم الدنيا جمعيات ونواد لحماية الطيور والحيوانات المفترسة والأليفة من الإندثار ، بل وأصبحنا نرى فى بلاد عديدة جمعيات للحيوانات اليتامى وهى التى فقدت أبويها فى سن مبكرة وسط الغابات .. وهذا إضافة إلى اهتمام الجامعات ــ وخاصة كليات الزراعة ــ بعلوم حماية البيئة .

ومن هذا المنطلق جاءت حديقة الحيوان فى قطر لتضم ٩٠٠ رأس من مختلف أنواع وفصائل الحيوانات والطيور التى تم اختيارها من مؤسسات عريقة فى هذا المجال ، لتصبح من أهم معالم مدينة الدوحة ، ولتعطى لزائرها مايريده من تسليه وما ينشده ــ أيضا ــ من تعرف على عالم الحيوان والطيور بكل ما فيه من غرائب وطرائف وصفات خاصة !







النعام .. من أهم سكان الحديقة .. وهو طائر ضخم لا يطير ، ويجرى بسرعة فائقة ، ويتراوح وزنه مابين ٢٠٠ ، ٣٠٠ رطل ، ويبلغ ارتفاعه ٢٤٤ سنتيمتر !

سكان قطر وزوارها عليهم ان يضيفوا اسماً جديداً الى قائمة أماكن الترفيه والمعالم البارزة المفضلة لديهم والتي ينوون زيارتها في البلاد : إنها حديقة الحيوان بالدوحة .

والزائر لهذه الحديقة يجد نفسه أمام حديقة حديثة تتسع المساحات الخضراء فيها الى مالا نهاية ، متنوعة حيواناتها وكثيرة .

وزيارة يوم واحد لها لا تكفي اذ ان متعة التجوال فيها متجددة فهي إن زرتها مثل نظيراتها من الاماكن الساحرة لابد يوماً ان تعود اليها ، ويكفي ان هذه الحديقة الوليد ة قد غدت خلال مدة وجيزة مركز جذب لوفود القادمين اليها من قطر ودول الخليج الاخرى المجاورة .

لقد حققت الحديقة هذه المكانة من خلال خطة تبنتها بلدية الدوحة لانشاء اول حديقة حديثة للحيوان في البلاد ، يؤرخ تنفيذها منتصف عام ١٩٧٥ واستمر العمل فيها ثماني سنوات ، وفتحت الحديقة ابوابها للجمهور ولاول مرة في فبراير عام ١٩٨٤ .

فكرة الحديقة

لمواكبة النهضة الشاملة التي تشهدها دولة قطر ، حرصت بلدية الدوحة على انشاء حديقة للحيوان وتوسيعها وتطويرها إلى حديقة حديثة تكون مركزاً ترويحياً وتعليمياً ، بحيث تتوافر فيها مجموعات متكاملة من الحيوانات والطيور التي تتلاءم ظروف حياتها مع الظروف المناخية السائدة في قطر ، بالاضافة الى المجموعات المختارة من الحشرات والزواحف والثدييات التي تستوطن أصلا منطقة شبه الجزيرة العربية ، هذا الى جاب تطوير وتوسيع الحدائق النباتية وتكثيف زراعة الاشجار المختلفة فيها ، لتوفير مساحات ظليلة للزوار والحيوان ، وربط أجزاء الحديقة وتزويدها بالخدمات الضرورية وانشاء المرافق الترفيهية لتوفير المتعة والفائدة .

وقد نفذت هذه الخطة خلال ثلاث مراحل وعلى رقعة مساحتها الكلية ١٢٠ الف متر مربع وبتكلفة اجمالية بلغت حتى الآن نحو مائة مليون ريال قطري .

المعالم الرئيسية للحديقة

تتشكل المعالم الرئيسية للحديقة من المسطحات الخضراء وبحيرات وشلالات مياه



مساقط المياه والبحيرات الصناعية داخل الحديقة



البحيرة الوسطى التى تسبح فيها جماعات الأوز



الحمار الوحشى يمرح فى حظيرته الخارجية المفتوحة



الفيل .. أضخم الثدييات البرية الحية من رتبة الخرطوميات ، ويعيش إلى مافوق سن الخمسين !

وحظائر الحيوانات بالاضافة للمرافق والمنشات الترفيهية . الجزء الخاص بالحيوانات عبارة عن مجمع رئيسي يتوسط الحديقة تحيط به الحظائر المفتوحة للحيوانات البرية الطليقة ، وهو بناء ضخم تكسوه الحجارة البيضاء ويضم من الداخل اقسام وحظائر الحيوانات الليلية الصحراوية والطيور والفيلة والخراتيت والأسود والنمور والقرود وغيرها . ويظلل هذا المجمع سقف معلق متسع ومتدرج كمظلة عظيمة تسمح بدخول الضوء وتحجب حرارة الشمس وترتفع فوق عدد من الشرفات العليا التي تمكن الزوار من التمتع بمشاهدة حمر الوحش والزرافات والمها والنعامات وغيرها من ذوات الظلف والحافر ، وهي تمرح في حظائرها الخارجية المفتوحة .

وتتلالا اسفل هذا السقف مياه البحيرة الوسطى التي تسبح فيها جماعات الأوز والبجع والسلاحف وقد حفت جوانبها فصائل النباتات المختلفة تتوسطها الصخور ذات النباتات الصحراوية والصخرية . وتتجه مياه هذه البحيرة الى قمة صخرية بصورة آلية لتصب من جديد في مياه البحيرة مشكلة شلالا يشرف على كافيتريا صغيرة للمرطبات والماكولات الخفيفة ، ويتيح هذا الموقع المختار لهذا المجمع وسط الحديقة للزوار مشاهد متعددة ومتنوعة لكل محتويات الحديقة .

اما مجموعة الحدائق النباتية فتحيط بالمجمع الرئيسي للحيوانات ، وتتداخل معه وتتوزع توزعا جماليا منسقا بعناية على جميع مساحات الحديقة ، وهذه الحدائق المتنوعة زرعت بعشرات الفصائل وانواع الاشجار والنباتات والحشائش الخضراء بشكل منسجم يعطي الزوار فرصة اكبر للاستمتاع والاستفادة من التنوع النباتي .

وهذا التركيز على العناصر النباتية والمائية يثري المنظر العام للحديقة بجانب استخدامها كحواجز تفصل بين الحظائر المفتوحة الخاصة بالزرافات والظباء مع تهيئة بيئة طبيعية ملائمة لمجموعة متنوعة من البط والأوز والبجع ، كما أن وجود شلال يستطيع الزوار السير تحته والاطلالة عليه من الكافيتريا يعتبر من المعالم المميزة والمبتكرة في الحديقة ، فضلا عن استخدام هذا الشلال في تبريد اجهزة التكييف .

انواع متعددة

تضم الحديقة حاليا تسعمائة راس من مختلف انواع وفصائل الحيوانات والطيور تم اختيارها وتجميعها من مؤسسات عريقة في



طيور ملونة جميلة تجدها في أماكن متعددة في الحديقة

هذا المجال ، ومن انحاء شتى من العالم ، وقد روعي في اختيار هذه الحيوانات ملاءمتها للعيش في الظروف المناخية السائدة في قطر ، وهي تضم مجموعات من الفصائل المعروفة وغير المعروفة ، بحيث تمثل في مجموعها جميع الفصائل الموجودة في كل القارات باستثناء المناطق القطبية التي لا يمكن ان تتعايش حيواناتها في الظروف المحلية ، الى جانب ذلك جلبت الى الحديقة بعض الفصائل المستوطنة في قطر والجزيرة العربية ، وتمثل الحيوانات في الحديقة تنوعا في الحجم والصفات والاعمار ، فمنها الكبير والصغير والسام وغير السام والخطير والمسالم .

اما بالنسبة لمتطلبات الأمن والتغذية ، فقد تم تامينها بدقة وعناية ويقوم عليها عاملون مؤهلون ، ويتم تحضير الوجبات لكل نوع بطريقة صحيحة وعلمية ومن مواد غذائية معدة خصيصا لتفي بالغرض ، اضافة الى اللحوم والخضروات والأعلاف الخضراء والحبوب .

وللعناية بصحة الحيوان تم توظيف الأطباء البيطريين والعاملين المؤهلين من ذوي الخبرة ، وتشمل الامكانات والخدمات البيطرية عيادة كاملة التجهيز صحيا ، اضافة إلى التسهيلات



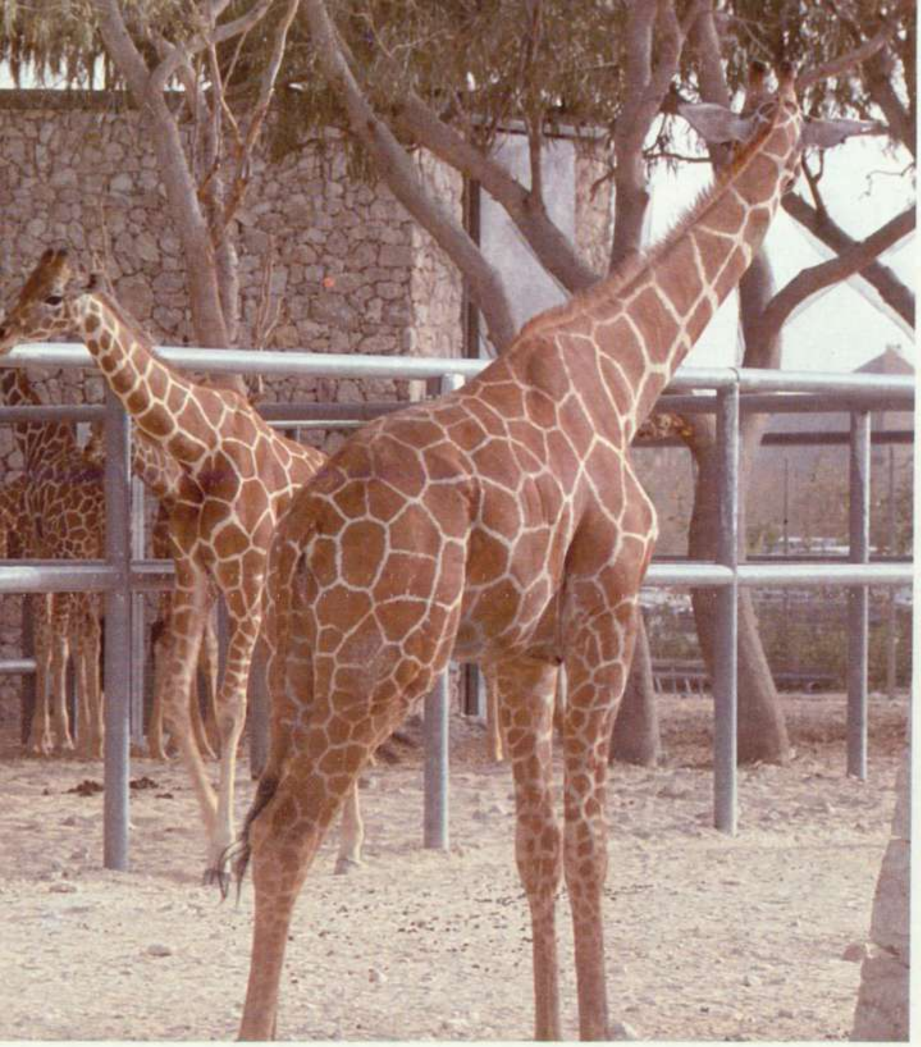
اسماعيل سيف ..
رئيس قسم حديقة الحيوان ببلدية الدوحة

المختبرية المتوفرة في قطر والتي تقدم الخدمات المطلوبة لادارة الحديقة ، وقد وضعت الحديقة البرامج اللازمة لتدريب الكوادر والموظفين المحليين على طرق العناية بالحيوان والتعامل معه .

أهمية الحديقة في المجتمع

ويتحدث اسماعيل سيف رئيس قسم حديقة الحيوان ببلدية الدوحة عن أهمية الحديقة في المجتمع فيقول : إن دور حديقة الحيوان في المجتمع أكثر اهمية مما قد يتبادر الى الذهن لأول وهلة ، فبالاضافة إلى وظيفتها المعروفة للترويح ومشاهدة الحيوانات فان مفهوم الحديقة الحديثة بما يتوفر فيها من إمكانيات يرتبط بالتربية والتعليم واجراء البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بالبيئة والحيوان والحفاظ عليها ، وهو نفس المفهوم الذي تسعى البلدية الى تعميقه وتحقيقه بشكل تدريجي من خلال حديقة الحيوان بالدوحة .

وتتيح الحديقة في المرحلة الحالية الفرصة



الزرافة هى أسرع الحيوانات وأطولها . وهى تعيش طويلا دون ماء



النمر .. من الحيوانات المفترسة التى تضمها الحديقة

لخلق الوعي وادراك أهمية وجود عالم الحيوان في المحافظة على توازن الحياة ككل ، وقد خصصت الحديقة لهذا الغرض قاعات خاصة مجهزة بالمعدات لعرض الأفلام العلمية عن عالم الحيوان يتولى شرحها مختصون لوفود الطلاب الذين يقصدون الحديقة من المراكز العلمية المختلفة .

كما ستتيح المرحلة القادمة للحديقة الاضطلاع بدور أكبر مستقبلا في حقل التربية والتعليم بكل مراحله ، بحيث يمكن أن يشكل عالم الحيوان جزء من المنهج المدرسي في البلاد وهو الاهتمام العام الذي تطمح البلدية إلى إيجاده من خلال التنسيق والتعاون مع الجهات الأخرى التي تسعى إلى نفس الهدف ، كذلك فان الحديقة تعتبر مصدراً هاماً من مصادر المعرفة بالنسبة للطلاب فيمراحل الدراسات العيا الخاصة بعلوم الاحياء .

ويشير إسماعيل سيف إلى أن حديقة الدوحة بدأت تخطو حثيثا باتجاه تحقيق وظيفتها كمركز ترويحي وتعليمي ، والدليل على ذلك الاقبال الكبير من جانب المواطنين وطلاب المدارس وتوافدهم على الحديقة من داخل البلاد وخارجها مثل المملكة العربية السعودية ودولة الامارات العربية المتحدة .

وقد جعل هذا الاقبال للحديقة مكانة مميزة على مستوى منطقة الخليج رغم حداثتها نسبة لما تتميز من كثرة في الحيوانات وتنوعها واتساع المساحة الخضراء .

وحيث لا يمكن الحكم على اي حديقة إلا من خلال مجموعة الحيوانات التي تحتويها وأساليب العناية بها وحيث لا يتاتى ذلك إلا من خلال التنسيق والتعاون مع الهيئات والمؤسسات العربية والعالمية العاملة في هذا المجال ، فقد سعت بلدية الدوحة منذ البداية الى اقامة علاقات وثيقة مع تلك الجهات وفي مقدمتها حدائق الحيوان بلندن التي تعاونت معها في اختيار الحيوانات وتعيين الكوادر الفنية وكذلك نقل الحيوانات للدوحة .

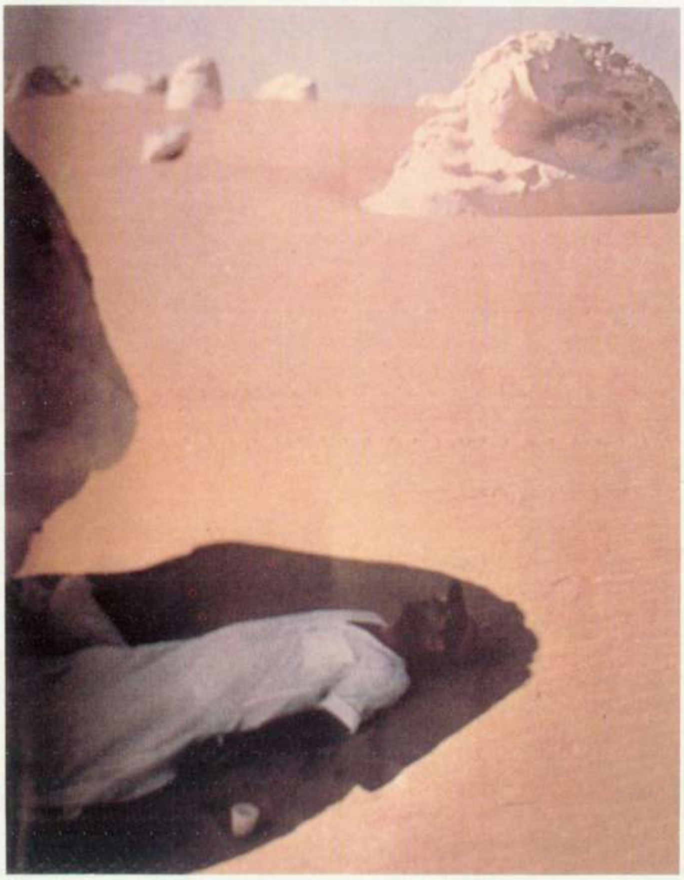
نظرة للمستقبل

بذلت بلدية الدوحة الكثير من الجهد والوقت في سبيل انشاء هذه الحديقة بكل ما وفرته فيها من حيوانات وحدائق واشجار وأماكن للاستظلال والاسترخاء . وتعتبر البلدية كل هذا مجرد بداية سيتبعها المزيد من الخطط والبرامج والتوسعات والتطوير .

ويشير رئيس قسم حديقة الحيوان البلدية إلى بعض بشائر هذا المستقبل أفيقول : لقد بدأنا نرى بالفعل الكثير من المواليد الجدد لبعض الحيوانات الأجنبية في الحديقة مثل القردة الأمريكية وبعض الغزلان والطيور ، واعتقد انه بعد فترة وجيزة سيكون لدى الحديقة فائضاً كبيراً من الحيوانات التي تتم ولادتها في قطر وتوفر لها اكتفاء ذاتيا بل وتمكنها من التصدير على أساس التبادل مع الحدائق العربية والعالمية .

ويتحدث السيد اسماعيل سيف عن خطط المستقبل فيقول : هناك خطط لمزيد من المرافق .. حديقة صغيرة جديدة خاصة بالأطفال داخل الحديقة الأم تضم بعض الحيوانات الأليفة ، وحديقة للألعاب ، وكذلك إضافة مسطحات خضراء جديدة وركن للطيور الطليقة وتوسيع الحدائق النباتية أكثر فاكثر وتنسيق مناظرها ، فضلا عن أهم الخطط جميعاً وهي المحافظة على الحديقة لأنها تعتبر مكسباً ومعلماً من معالم البلاد لابد من العناية به والمحافظة عليه

لقطات من الكون المثير



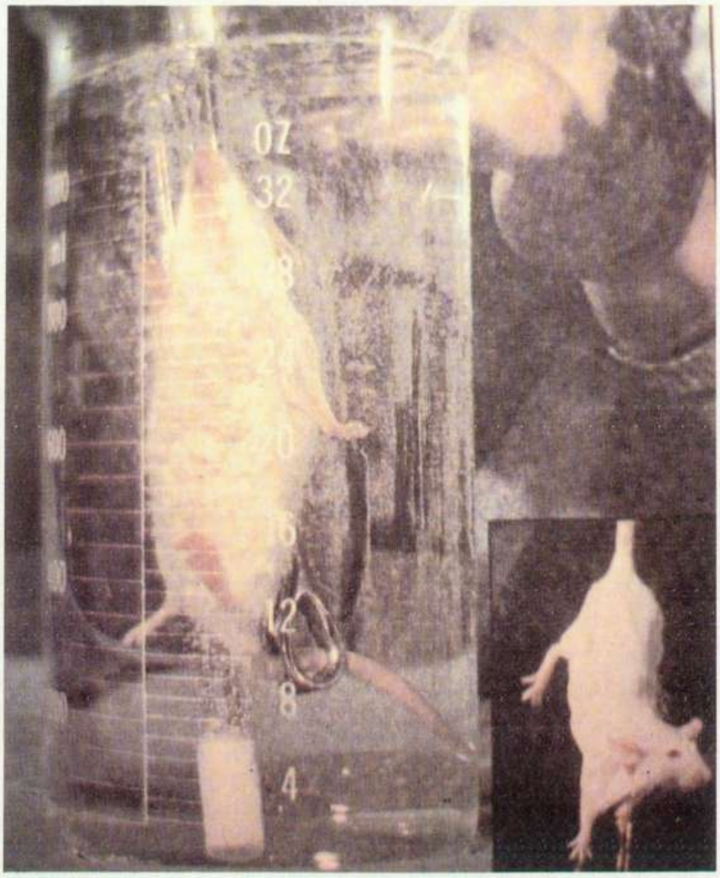
في ظــل ظليــل!

في بحر من الرمال التي تمتد أمام العين بلا نهاية ، وتحت حرارة الشمس التي لا ترحم ، جاءه الفرج من صخرة بين الرمال ناتئة ، فالقت بظلها على أرض الصحراء المحرقة فالقى بنفسه مستجيراً من الرمضاء بظلها الظليل ، وراح في اغفاءة عله ينسى قسوة الحياة في بيئة معادية .. فلا ماء ولا شجر ولا حياة .. ولقد جاء هذا الرقاد مع بعثة كشفية في الصحراء الغربية ، علها تكتشف بعض الكنوز التي اخفتها تحتها رمالها منذ عشرات الملايين من السنين ، وعندئذ قد يتحول سكونها الى ضجة ، وعزلتها الى صلة ، وبوارها الى عمار وثروات وحياة .. ولن يتحقق ذلك ، الا بوجود هؤلاء الرواد الأوائل الذين يجوبون هذه البيئات القاسية ، واللقطة هي خير تعبير عن حاله وحالهم ، فكانما ظل الصخرة في الصحراء المحرقة بمثابة جهاز تكييف ، أو جنة وارفة .. بقي أن نعرف أن صاحبنا هذا هو سائق البعثة ودليلها ، وقد هجر سيارته التي تكتوي بنار الشمس الى هذا الظل الممدود ، فلعل فيه اللطف والرحمة من بيئة تتسم باللظى والقسوة .



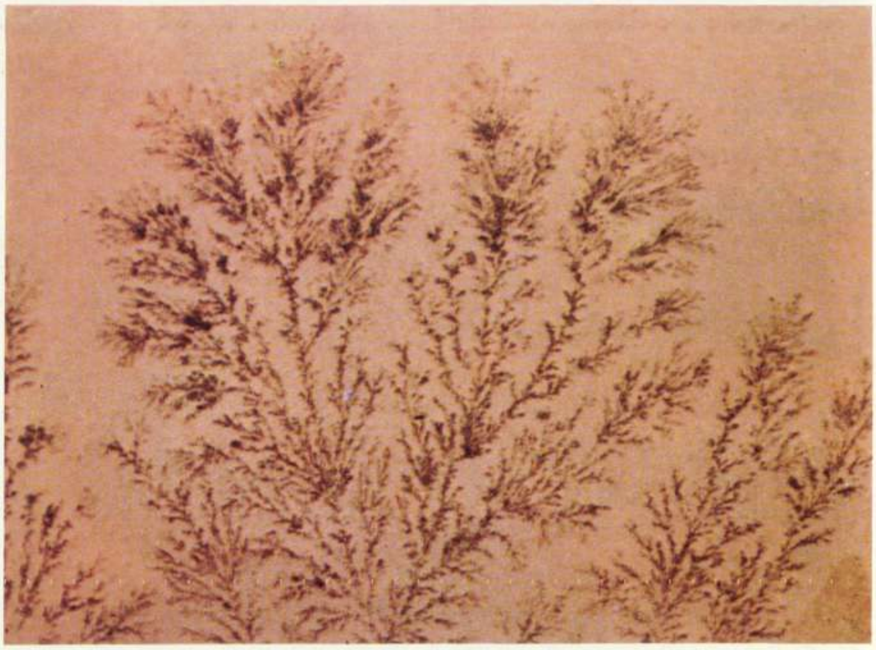
حتى الكابوريا دخلت عالم السباق!

تسلية الانسان على حساب غيره من المخلوقات لا قيود عليها ولا حدود ، فعروض السيرك مثلا تعتمد في معظم فقراتها على استعراض حيوانات مفترسة بعد ترويضها ، واخرى مستانسة بعد تدريبها ، ولهذا نرى فيها تشكيلة من أسود ونمور وكلاب ومعيز ودببة وفيلة وخيل .. الخ ، وعلى صعيد آخر نرى سباق الخيل ، وعراك الديوك ، والمصارعة بين ذكور أنواع خاصة من الأسماك ، ومسابقات في قفز البراغيث ... الى آخر هذه المباريات التي ترصد لها الجوائز ، وتقام عليها المراهنات ، لكن ظهرت (تقليعة) سباق الكابوريا أيضاً ، وكما تراها في حلقة السباق التي أقيمت لها خصيصاً على جزء من خليج شيزابيك (كلمة هندية تعني خليج أم الخلول أو المحار) في ميريلاند بالولايات المتحدة الأمريكية ، وكل مدرب يقدم ابطاله ، وينطلق الابطال (نعني الكابوريا) في سباق مضحك ومثير ، ويبدو أن رقم ١٣٧ – وهو المدعو جيمي في قائمة المتسابقين (وهو كابوريا ذكر) قد عرف الطريق الصحيح وتقدم على كل منافسيه .. والآن ، ما رأيك في هؤلاء الناس ؟ .. إنها على أية حال امزجة ، فمزاجنا أن ناكلها ، ومزاجهم أن يتسلوا بسباقها ، ثم قد ياكلون ضعافها ويحافظون على أبطالها ، الى أن يثبت البطل انه لم يعد بطلا ، فيكون مصيره البطون .. ولله في خلقه شئون !



الفأر الغريق ... ليس غريقاً!

رغم أن هذا الفار قد ظل مغموراً لمدة ساعة كاملة أو يزيد في هذا الكاس الموجود في معمل دكتور ليلاند كلارك رغم ذلك فلا يزال الفار يتمتع بالحياة .. والسائل ليس ماء ، ولو كان ، لمات الفار ـ كما يموت أي كائن بري يعيش على **أوكسيجين** الهواء ، لأن الحيوانات البرية ليست مؤهلة للحصول على الأوكسيجين من الماء .. لكن السائل الذي يعيش فيه الفار مغموراً ليس الا سائل (الفلوروكربون) ، وهو احدى بدائل الدم الصناعي الذي قدمه دكتور ليلاند واطلق عليه اسم (فلوسول ـ د ١٠) ، وهو من المركبات التي تتخلل انسجة الجسم وتيسر لها الحصول على الأوكسيجين حتى ولو كان ذائباً في الماء ، وبهذا لا تموت من الاختناق ، والدليل هو ذلك الفار المغمور في الكاس ، **ويامل** ليلاند أن يطور بحوثه في هذا المجال ، ليصبح مركبه هذا من بدائل الدم التي يمكن استخدامها في حالات الطوارىء العاجلة ، واليوم فئران ، وربما غداً ياتي الدور على الانسان .. فمن يدري ؟ !



تكوين غريب.. فاختبر معلوماتك!

تامل هذه اللقطة جيداً ، فعلك تعرف شيئاً عن أصلها وفصلها .. صحيح أن الانطباع العام يشير الى أصول نباتية ، لان الشكل شكل نبات ، والتفرع تفرع نبات ، ولكنها ليست ـ في الواقع ـ كذلك .. والى هنا ربما يقول قائل : انها **لأحد** الطحالب البنية التي نراها على شواطىء البحار (وهي من النباتات الأولية البسيطة التركيب) ـ لكن كل ما خطر ببالك ، **مخـالف للصورة ، فهذا التشكيل ـ هو** واحد من مئات التشكيلات التي تنتشر بين التكوينات الصخرية ـ لا صلة له بأي كائن حي ، ولقد خدعت مثل هذه التشكيلات العلماء أنفسهم ، وحسبوها طبعات متقنة لكائنات منقرضة ومتحجرة ، ولكنهم كانوا مخطئين ، فما تراه هنا ليس الا مسار محاليل تحمل اكاسيد المنجنيز التي تخللت صخوراً رسوبية خلال مسام دقيقة ، وعندما تبخرت المياه ، وجفت الاكاسيد ، انطبعت على صفحات الصخر بمثل هذا التشكيل الفريد ، ولقد ظل خافياً على العين البشرية منذ أن تكون من ملايين السنين ، الى أن جاء الانسان ، فكشف عن سر هذه التكوينات التي يطلق عليها اسماء شتى .. فمن تكوينات شجرية ، الى اخرى ريشية الى طحلبية واشنية وما شابه ذلك من صور حية ، ومع ذلك فمن الجماد ما يميل الى تقليد صور الحياة ، فهذا من ذاك ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون !

رسالة النمسا

بقلم : محمد سعيد

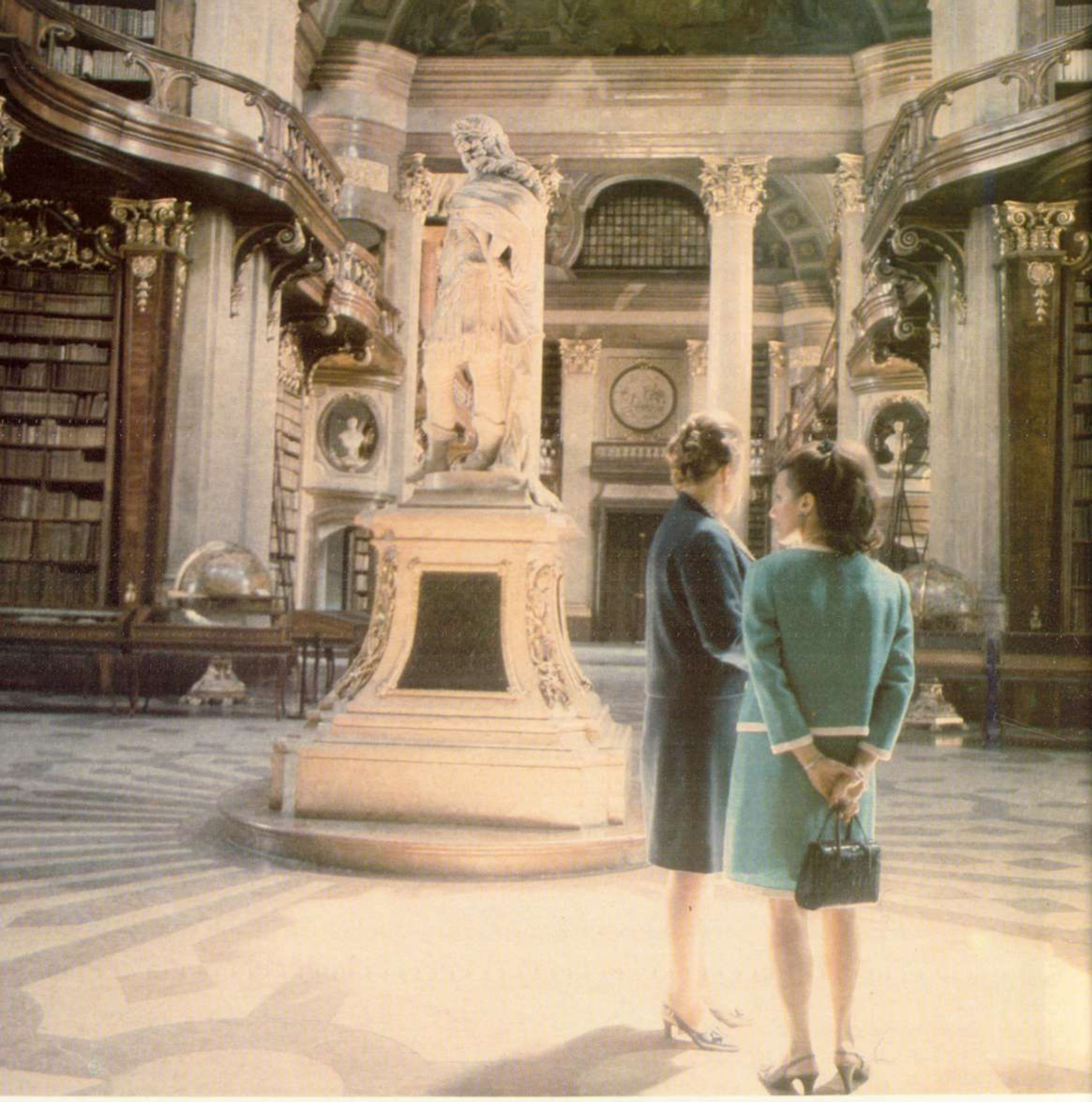
فيينا

الدانوب الأزرق وأحلام المفكرين في المدينة التي تغنّى بها الشاعر العربي !



شارع كارتز الذى يعتبر من أهم شوارع فيينا اجتذابا للناس وهو مخصص للمارة فقط .

- من هنا خرجت أعذب الألحان لعباقرة الموسيقى وانتشرت فى العالم .
- فى هذه المدينة سقط «هتلر» فى اختبار أكاديمية الفنون .
- الأصل العربى لخيول مدرسة الفروسية يعود إلى أيام الأندلس .
- مدرسة لتعليم اللغة العربية للمسلمين ولمن يرغب من السكان .
- عندما غنت الامبراطورة «ماريا تريزا» على الحان ابنها عازف البيانو !
- صحف بلا ترخيص ، والدولة تدعمها سنويا بمائة مليون شلن !
- أوبرا فيينا تستهلك ما يستهلكه ٣٠ الف شخص من الكهرباء !
- الجامع الكبير ملتقى ثلاثة أرباع مليون مسلم يعيشون فى النمسا .



مدخل المكتبة الوطنية فى فيينا التى تضم مخطوطات وكتبا نادرة

يعكس إنسان مدينة فيينا عاصمة النمسا في سلوكه اليومي طبيعة الاختيار النمساوي . والاختيار النمساوي الحديث بدأ في النمسا مع عام ١٩٥٥، اي ان عمر هذا الاختيار يقترب من عامه الثلاثين . ويتضح لزائر العاصمة النمساوية فيينا انعكاسات الاختيار في سلوك التعامل الذي يبدو صورة لعالمية التفكير التي تبدو مظهراً على حركة الحياة السياسية والاقتصادية من جانب، كما تبدو ايضاً في مجالات الابداع الثقافي والفني من خــلال الندوات والمعــارض والمهرجــانات والاحتفالات والاعياد التي لا تنقطع طوال العام .

إن وعي الشاعر الغنائي العربي الذي وضع منذ ما يقرب من نصف قرن اغنية لأسمهان تحمل اسم (ليالي الأنس في فيينا) هو وعي مبكر بالحياة الخاصة لهذه العاصمة الهادئة التي لا تنقطع فيها مظاهر البهجة لكن دون صخب أو ضجيج .

وليالي فيينا لا تنقطع على مدى السنة لكنها تزداد بريقاً مع تقدم الربيع والصيف. ويشهد هذه الليالي عدد من الزوار يمثلون اغلب قارات العالم ويزيد عددهم في شهور الذروة عن عدد سكان فيينا الذي لم يصل الى المليوني نسمة بعد ومع سيادة اللغة الالمانية ـ لغة الشارع النمساوي ولغة الحديث للسكان ـ إلا أن فيينا وبحكم إمكاناتها السياحية تحظى بنسبة ضخمة ممن يتحدثون اللغات الاخرى مثل الانجليزية والفرنسية والايطالية والتركية والاسبانية والروسية واليابانية وايضاً اللغة العربية التي وضح الاهتمام بها منذ إفتتاح المركز الاسلامي في فيينا وقيام مدرسة خاصة بتعليم اللغة العربية للمسلمين في النمسا وايضاً



قصر شوبزون الذى يشكل الطابع المعمارى المتميز فى القرن الثامن عشر . وفى هذا القصر يقام مهرجان عالمى يضم فنون المسرح المختلفة فى كل عام

لمن يرغب من سكان مدينة فيينا.

ولا يعادل رقة التعامل التي تبدو على النمساوي في علاقاته بالزائر الأجنبي غير رقة جيرانه في حوض الدانوب من سكان بودابست وبلجراد والجار السويسري . ورقة وادب النمساوي تبدو في اسلوب التعامل المكتبي وفي تعاملات المرافق العامة من اجراءات الجوازات والجمارك واستخدامات الهاتف والبريد والسكك الحديدية والطيران والانتقال بالسيارات وعربات الأجرة وايضا في المطاعم والاسواق والمحال التجارية . لكن ضغط الزوار على مدينة فيينا وعدم قدرة الطاقة الفندقية بها على استيعاب اعداد الزوار بجانب غلظة بعض هؤلاء الزوار وتصرفات بعضهم ممن لا يحترمون العرف الانساني السائد تجعل سلوك بعض موظفي الاستقبال في الفنادق وبعض المرافق ليس على نفس درجة الرقة والتهذيب البادية على شخصية الانسان العام في اغلب مجالات التعامل ،خاصة الادب الجم الذي يلحظه الزائر علي سلوك موظفي المصارف (البنوك) والذي يبدو انتشارها في العاصمة النمساوية مؤشرا هاما يوضح طبيعة المظهر الغالب على النشاط الاقتصادي في العاصمة التي تلعب دور الوسيط الناجح في حركة تشغيل رءوس الأموال في أوربا والشرق الأوسط بجانب دورها في دورة الاستيراد والتصدير كهمزة وصل بين الشرق والغرب .

ويتميز الشارع النمساوي ايضا بالوقار والاحترام النسبي مقارنة بالعواصم الغربية الأخرى فرغم السماح ببيع الكتب والمجلات التي تتناول كل الموضوعات في حرية كاملة إلا أن هناك سلوكا محترما تلحظه ويبدو في عرض هذه السلع على الجمهور وبحيث لا تخدش الحياء العام .

وسلوكيات انسان فيينا لا تظهر فقط في هذا الجانب من جوانب التعامل الانساني لكنها تبدو ايضا في مشاعر التكامل والتعاطف التي نسميها بلغتنا العربية (مشاعر الشفقة) وهذه المشاعر تبدو في ميل النمساوي لكي يكون دليلا للأجنبي في أثناء حاجته إلى معرفة عنوان أو مكان يقصده فيقدم له هذه الخدمة بمنتهى اللطف والود ، ولا يكتفي بان يكون المرشد له في البحث عن المكان المستهدف لكنه يعرض عليه أن يكون مرشداً له بقدر المعلومات التي تفيده كان يشرح له ان قسيمة ركوب الترام والمترو وقدرها ثمانية عشر شلناً نمساوياً اي ما يقارب دولاراً أمريكيا تصلح للاستعمال عدة مرات خلال الساعة وان هناك (تذاكر) للمواصلات تباع بسعر مخفض تستخدم لمدة ثلاثة ايام، وينصحك النمساوي في حرص بان تكون اقتصاديا كي تستفيد بهذه الصلاحيات ولا تلقي بالتذكرة بعد اول استعمال لها .

هذا نموذج من عشرات النماذج التي توضح ان الانسان النمساوي في فيينا يتمتع بصفات الانتظام والدقة والنظافة وايقاع الحياة الغربي السريع وكيفية إغرائك لتخرج كل ما في جيبك عن رضا لتشتري السلع والخدمات التي يعرضها .

والاختيار النمساوي للفلسفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي إرتضاها المجتمع خلال ربع القرن الأخيرة ينعكس ايضا على طرق تفكير الناس واسلوب فهمهم للمتغيرات والاوضاع الفكرية التي يمر بها العالم بصفة عامة والنمسا بصفة خاصة،ولعل أوضح مثال على ذلك ما تلحظه اذا تاملت اي



التدريب داخل مدرسة الفروسية التى تعود أصول خيولها إلى العرب في الأندلس

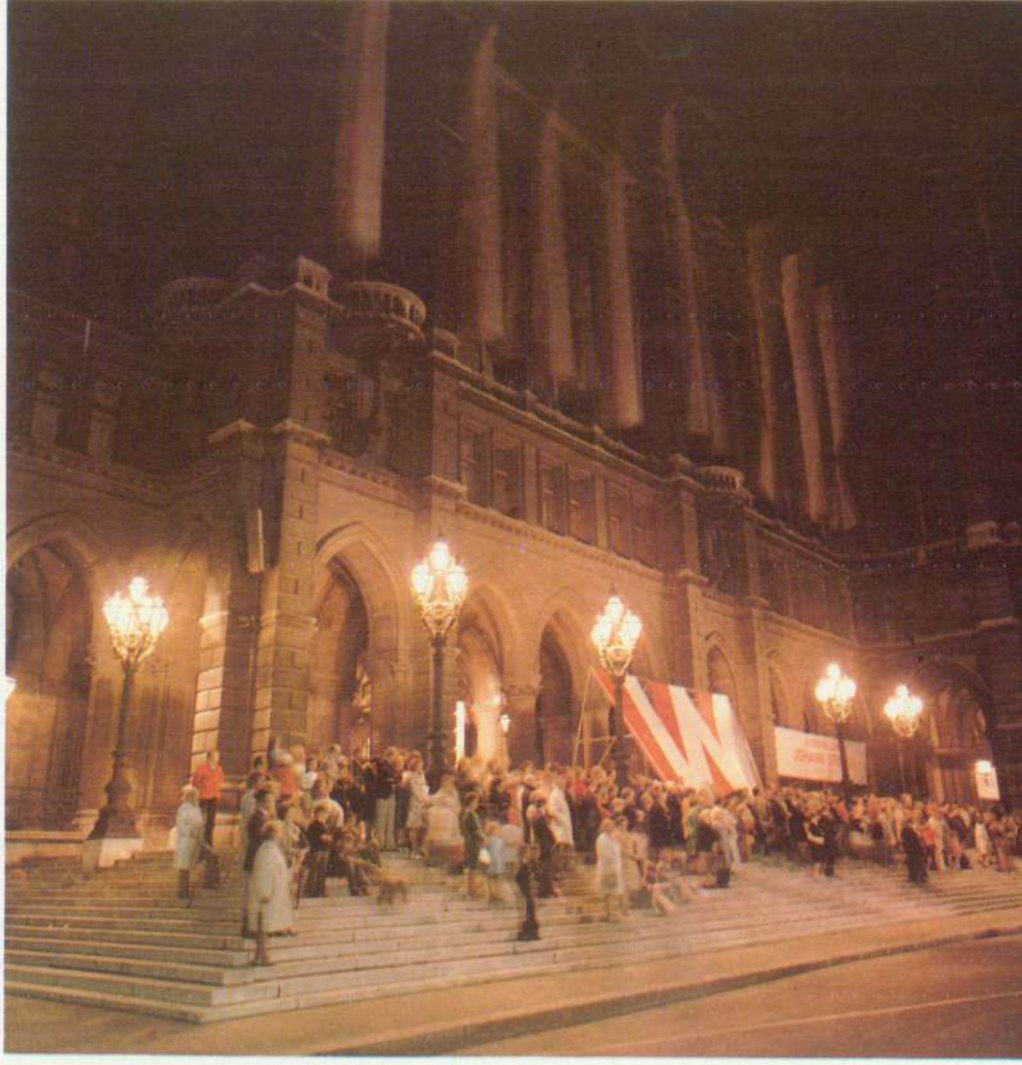


الكمان الخاص بالموسيقار العالمى شتراوس ، يمكنك رؤيته فى المتحف الوطنى فى المدينة

منبر صحفي من بين ٢٢ صحيفة يومية تصدر في النمسا منها ٦ صحف تصدر في فيننا بجانب ٤٥ مجلة اسبوعية وشهرية توزع في مجموعها ثلاثة ملايين نسخة في بلد تعداد سكانه يقترب من الملايين الثمانية . واهم الصحف والمجلات في النمسا (كرونين) – (كورير) – (بريسه) – (فولك شتيمه) – (فبيز تسايتوك) وهي والراديو والتليفزيون ابرز وسائل التعبير عن الرأي العام . وفي فيينا ثلاث محطات للراديو ومحطتان للتليفزيون ووضع هذه الأجهزة القانوني انها وسائل تعبير مستقلة عن الدوائر الحكومية لا تتحيز لاي من الأحزاب القائمة وهي الحزب الاشتراكي – حزب الشعب – الحزب الليبرالي ولكنها تخضع في تمويلها لسلطة الدولة . اما وضع الصحف والمجلات فله ايضا حصانات دستورية توضح حدود الحرية التي تتمتع بها والصحف والمجلات تقوم دون ترخيص من الدولة أو تبعية لها ، ولكنها مع ذلك تخصص لها من ميزانيتها السنوية مبلغ مائة مليون شلن تدعيماً للنشاط الصحفي في مجالات الاعلام الثقافي والاقتصادي .

بين الحاضر والماضي

ومدينة فيينا يحدها سهل الدانوب ومنخفضات متدرجة من مرتفعات الالب تجعلها في موقع يربط اهم الطرق التي تصل الغرب الأوربي بالشرق الأوربي . وفيينا عاصمة النمسا وعاصمة اقاليمها الاتحادية التسعة وهي همزة الوصل بين الاتجاهات الاربعة في قلب أوربا . ويعود تاريخ المدينة الى عهد الامبراطورية الرومانية في زمن الامبراطور أوغسطس الذي اقام معسكراً قرب فيينا الحالية ظل مركزاً للحكم في المنطقة نحو ٤٠٠ عام . واصل فيينا يعود الى التسمية القديمة (فندوبونا) التي يعتبر الدوق ليوبولد الكبير مؤسسها وكان ذلك في عام ١١٣٧ بعد الميلاد ولكن الاستقرار لم يعم المدينة في تلك الفترة المبكرة بسبب سقوط حاكم فيينا الدوق مزدريك الثاني قتيلا في معركته التي خاضها ضد جيرانه المجريين (الهنغاريين) في عام ١٢٤٦ وبعده تولى حكم فيينا أسرة هابسبورج التي تم في عهدها حصار مدينة فيينا من خلال قوات الدولة العثمانية والذي حال هذا الحصار دون تقدم القوات التركية غرب مدينة فيينا في اتجاه ايطاليا وفرنسا وبقية أوربا . وفي القرن الثامن عشر تشكل الطابع المعماري لمدينة فيينا



مهرجان الدراما على مسرح فيينا الذى يرى فيه المتفرجون أهم المسرحيات المحلية والعالمية

حيث جرى تاسيس قصر شوبزون وكنيسة سان شارل والمكتبة القومية .

وعقب اعلان انتهاء الحرب بين النمسا وقوات نابليون في عام ١٨١٣ تم توقيع التحالف الرباعي بين بافاريا (بايرن) وبروسيا (شمال المانيا) وروسيا (أشهر جمهوريات الاتحاد السوفيتي الآن) مع النمسا وحيث أصبحت فيينا العاصمة التاريخية التي شهدت دور داهية الساسة في القرن الثامن عشر الأمير (مترنيخ) رئيس وزراء النمسا ووزير خارجيتها الذي لعب دوراً كبيراً في تقسيم أوربا العصر الحديث .

وفي منتصف القرن التاسع عشر هدمت أسوار المدينة التاريخية من اجل توسيع رقعتها واقيم شارع الرينج ، وهو يعطي نفس المعنى باللغة العربية (الدبلة) أو (الخاتم) أي معنى الشارع الدائري حول المدينة وقد اقيم هذا الشارع لتقوم حوله أعداد ضخمة من الحدائق والمساحات الخضراء والقصور والمباني التي تعد ابرز ما في الفن الذي ينتمي للطراز الباروكي وطراز (الجوجندستيل) أي طراز الفن الحديث .

ولقد شهدت فيينا أصعب السنوات في القرن العشرين عندما مات الارشيدوق فرانسوا جوزيف الأول أثناء الحرب العالمية الأولى وانتهى بموته حكم سلالة هابسبورج وقامت الجمهورية النمساوية الأولى في عام ١٩١٨، ولكن المانيا النازية تضم النمسا اليها في عام ١٩٣٨ بحجة انها أراض المانية يتحدث سكانها اللغة الالمانية . ومن المعروف أن أدولف هتلر فشل في الالتحاق باكاديمية الفنون في فيينا لدراسة الفنون الجميلة وحيث رسب في امتحان القدرات .

وفي عام ١٩٤٥ لم يتم تقرير مصير النمسا حتى تم ذلك في عام ١٩٥٥ متأخراً عشر سنوات عن نهاية الحرب العالمية الثانية وتم هذا بمقتضى اتفاق الدول الكبرى (الحلفاء) على ضمان حياد النمسا .

والنمسا من خلال المنظور البانورامي تقدم في شكلها المعماري الحالي صورة لآثار تلك السنوات السابقة تبدو في معالم فيينا المعمارية مثل كاتدرائية سانت استفان (سان اتيان) وكنيسة سان شارل وكنيسة الكابوسين ، كما أنها تمثل خلاصة عطاء الانسان النمساوي على مدى سنوات قرون طويلة تلمس فيها آثار العصر الروماني الحجرية وترى ملامح العمارة القوطية والباروكية في القصور والتماثيل والحدائق والمقاهي مثل قصر شوبزون وقصر هوفبورج الملكي وحديقة فلكس جاردن بجانب المتاحف والأوبرا وقاعات الموسيقى التي صدحت فيها الحان موتسارت وليست وهايدن وبتهوفن وشوبيرت وبرامز وشتراوس وزولتان كوداي وغيرهم والتي وضعت في فيينا وامتزجت بعطائها الحضاري عبر السنين .

الفروسية واحلام المفكرين

وللفروسية في فيينا قصة تجعل النمساويين يطلقون على مدرستهم للفروسية تسمية المدرسة الأسبانية فهي تعود الى تزويد قصور أسرة هابسبورج الأمبراطورية بالخيول الأصيلة القادمة من البلاط الملكي الأسباني وهي خيول عربية أصيلة تعود سلالاتها إلى أيام الأندلس وتسمى خيول (الليبزان) ويعود بناء مدرسة الفروسية الى عام ١٧٢٨ وهي مدرسة لتعليم فنون الفروسية التقليدية ويمثل استعراضها التقليدي احد المظاهر السياحية المميزة لمدينة فيينا حتى هذه السنوات .

وعلى مقربة من مدرسة الفروسية المسماة (المدرسة الأسبانية) يبدو مبنى المكتبة الوطنية الذي يضم مخطوطات وكتباً نادرة يعود معظمها إلى عام إنشاء المكتبة في عام ١٧٢٣ على يد فيشر فون ايرلاخ بعد أن أكمل المشروعات والخطط التي وضعها والده لانشاء هذه المكتبة الهامة .

وفيينا كانت ولا تزال مدينة الاحلام الأوربية، لم يكن ينافسها في هذا التصور الرومانسي غير باريس في الغرب وبودابست توأمها على نهر الدانوب . ومظاهر الحلم في فيينا تبدو في اكثر من لون تشكل الوان الطيف الحالمة بداية من دار الأوبرا المركزالموسيقي العتيد وحيث كانت فيينا مصدر الهام عدد كبير من قادة الفكر الموسيقي العالمي بل أن السياسيين والنبلاء في فيينا انشغلوا أيضاً بالموسيقى فقد الف الامبراطور ليوبولد الأول عدة أوبريتات بجانب مقطوعات موسيقية دينية وبعض اغنيات قصيرة والحان راقصة . أيضاً كان من اصحاب المواهب من نجوم السياسة النمساوية الأمبراطورة ماريا تريزا التي كانت تغني في الاحتفالات الملكية وكذلك إبنها جوزيف الثاني الذي اشتهر بالعزف على البيانو ، وشارل السادس الذي الف العديد من المقطوعات الموسيقية .

وعندما يتقاطع شارع الرينج أشهر شوارع فيينا مع ميدان الأوبرا يظهر للزائر شارع (كارتنير) أبرز شوارع فيينا اجتذاباً للناس والزوار وهو الشارع الذي نجد فيه أهم المطاعم والمقاهي ودور السينما والمكتبات العامة ومحلات بيع الحلوى والملابس والصحف والمجلات . وهو شارع لا يسمح فيه بعبور السيارات وهو مخصص للمارة فقط من

المشاه ممن يتجولون سيراً على الأقدام .

وبالقرب من شارع كارتنير نجد اسفل الرينج المتقاطع معه وفي مواجهة بيت الأوبرا مدينة كاملة تقود الى محطات (المترو) تحت الأرض وفي هذا الطريق عدد كبير من المقاهي والمحلات والمطاعم كما انه موقع هام لأنصار الحرية وحقوق الانسان والمطالب الفكرية ممن يجدون بغيتهم في المجتمع النمساوي المفتوح . وينتهي هذا الطريق تحت الأرض صاعداً فوق الأرض الى ميدان كبير به فندق (ساشير) الذي يعد تراثاً تاريخياً هاماً وحيث كان قبيل الحرب العالمية الأولى ملتقى المهتمين بالفكر والثقافة وأصحاب المواهب من الشعراء والأدباء والكتاب والصحفيين والفنانين وأبناء الطبقة الارستقراطية في ظل الامبراطورية النمساوية ـ المجرية ولا تزال القاعة الضخمة في هذا المكان تعتبر موقعاً طبيعياً لتصوير الأفلام السينمائية والأعمال التليفزيونية التي تتعرض لتاريخ العالم قبل الحرب، ومن هذه الأعمال التي صورت في قاعة فندق (ساشير) وفندق (إمبريال) فيلم (مايرلينج) الذي لعب بطولته عمر الشريف أمام النجمة الأمريكية أفا جاردنر .

ويعتبر مبنى البرلمان اهم ما في شارع الرينج من المعالم وقد بناه في عام ١٨٨٣ المهندس الدانمركي ت . هانسين الذي درس العمارة في الجامعات اليونانية ولذلك بناه على الطراز الأغريقي . ويحتفل البرلمان النمساوي في هذا العام بمناسبة مرور مائة عام على انعقاد أول جلساته في اكتوبر من عام ١٨٨٤

والمتاحف في فيينا عديدة اهمها متحف الفنون الجميلة الذي يضم مجموعات التصوير والنحت والحفر في الطابق الأول ثم متحف النقود والعملات في الطابق الثاني ويضم ٩١ صالة تمتد بطول ٤ كيلومترات وتضم اكبر حشد من عملات العالم منذ بداية معرفة البشرية لنظام التعامل النقدي وحتى العصر الحديث ، ويصل مجموع هذه القطع النادرة الى حوالي ٤٨٠ الف قطعة ثمينة .

وفي مجال الفن التشكيلي تضم مقتنيات المتحف ابرز أعمال الفنان الهولندي برويجل ولوحة (شمشون ودليلة) للفنان فان إيك ولوحة (ديانا) للفنان تيستان ولوحة (الطفلة مرجريت) للفنان فالاسكيز ولوحة (هيلين) ولوحة (البكاء على المسيح) للفنان ـ روبينز بجانب أعمال عديدة للفنانين رافائيل ورمبرانت وكرانش وغيرهم .

والى جانب متحف الفنون الجميلة نجد في فيينا متاحف عديدة لابد أن تقودك قدماك اليها اذا كنت من عشاق التعرف على تطور التاريخ الانساني فهناك متحف الساعات ومتحف الجيش ومتحف التكنولوجيا ومتحف البلفدير ومتحف السلالات ومتحف المركبات والعربات ومتحف التاريخ الطبيعي والمتحف الزراعي ومتحف زراعة العنب (الكروم) ومتحف البرتينا الذي يضم مقتنيات الاميرة أوجين دي سافو وهو من أشهر عشاق جمع تراث الابداع الانساني في مجالات الفنون التشكيلية .

وبجانب المتاحف المغلقة والمتخصصة هناك متاحف مفتوحة هي ميادين وشوارع فيينا حيث تنتشر التماثيل والنصب التذكارية والتي تعد من أبرز أعمال النحت مثل تمثال المارشال راديتسكي القائد العسكري الذي أهداه الموسيقار شتراوس الأب مقطوعة موسيقية تحمل إسمه وهناك تمثال الموسيقار موتسارت في حدائق هوفبورج والمسلة التي تزين مدخل مسرح (فينا) وتمثال الموسيقار شتراوس الابن والنصب التذكاري للقضاء على الطاعون الذي هدد سكان فيينا فى القرن الثامن عشر وهو موجود في بداية شارع جرابين الذي يعتبر احد أشهر شوارع قلب فيينا .

والجامعة القديمة ومبنى البلدية من اهم معالم فيينا المعمارية وقد صمم مبنى الجامعة المهندس فيرستل وتم بناؤها ما بين عامي ١٨٧٤ ـ ١٨٨٣ وهي غير مباني الجامعة الأخرى التي أسسها وولف الرابع .



مرتفعات الألب المجاورة لمدينة فيينا .. من المناظر التي يحرص كل زائر على رؤيتها لشهرتها وسحرها الخاص

المسارح والمهرجانات

في مدينة فيينا عدد كبير من المسارح أبرزها الاوبرا ومسرح البورجا ومسرح الأكاديمية ومسرح أندرفيين والمسرح الصغير ومسرح ستديو فاشماركت .

ويعد مسرح (البورجا) أو الاوبرا الشعبية أهم مسرح يعرض الأعمال الدرامية التي تقدم باللغة الألمانية وهي اللغة القومية للنمسا، وقد أسس هذا المسرح باذن من الامبراطورة ماريا تريزا ويخلد المسرح أهم الكتاب والشعراء الذين كتبوا النصوص المسرحية التي عرضت عليه من خلال تماثيل مقامة امام واجهة المسرح الذي تعرض للحريق في نهاية الحرب العالمية الثانية حتى أعيد ترميمه وبناؤه من جديد ما بين ١٩٥١ ـ ١٩٥٥ .

وما حدث لمسرح البورجا حدث ايضا لدار الأوبرا التي تعرضت للقصف في مارس ١٩٤٥ فاحترقت ولم يبق منها سوى الصالة والشرفة ولذلك أعيد بناؤها ما بين عام ١٩٤٥ ـ ١٩٤٨ وعادت للعمل مع استقرار النمسا واعلان استقلالها وحيادها في عام ١٩٥٥



مسجد المركز الاسلامى فى فيينا الذى يتردد عليه ثلاثة أرباع مليون مسلم يعيشون فى النمسا

بعرض رائعة بتهوفن (فيديليو) . وتستوعب دار أوبرا فيينا ٢٢٠٠ متفرج بجانب المكان المخصص لمائة وعشرين موسيقي من افراد الأوركسترا وعدد من القاعات لاجراء بروفات البالية والموسيقى والتعبير الدرامي. وبدار أوبرا فيينا ٩ مراكز للالتقاط والتصوير التليفزيوني وعدد ٥٠ ميكرفون للتسجيل الصوتي الاذاعي ويعادل استهلاك دار أوبرا فيينا قدر ما تستهلكة مدينة صغيرة يقيم بها ٣٠ الف شخص من استهلاك للكهرباء في الاضاءة والتشغيل .

وعشاق الموسيقى لهم قاعة شهيرة في فيينا تسمى قاعة الكونسيرت تشرف عليها جمعية أصدقاء الموسيقى التي تتولى تنظيم حفلات الكونسير والامسيات الموسيقية . ولان فيينا هي أرض الموسيقى تحس بهذا عندما تحضر عرضاً موسيقياً في قاعة موسيقية كما اتيح لي ان اتابع ابرز معالجة جديدة لباليه (بحيرة البجع للموسيقار تشايكوفسكي) والذي يقوم هذا الموسم على مسرح أوبرا مدينة فيينا من خلال عناصر نمساوية تنتمي لمسرح الاوبرا النمساوي .

والموسيقى في فيينا ليست هي فقط الموسيقى الكلاسيكية وموسيقى الأوبرا والباليه والأعمال الدرامية الكبيرة لكنها ايضاً الموسيقى الشعبية التي تصدح في الحدائق العامة في أيام العطلات وحيث تستمع الى موسيقى المؤلف النمساوي (شراميل) التي تشعر عند سماعها بمشاعر البهجة التي تنطلق من عزف رباعي الكمان والجيتار والأكورديون وآلات النفخ النحاسية .

وفيينا تعيش في مهرجانات على مدى أيام العام وهناك المهرجان المسمى باسمها والذي يقام منذ عام ١٩٥٠ خلال شهري مايو ويونيو وهو مهرجان عالمي يضم فنون المسرح المختلفة ويصل متوسط من يحضرون عروضه الى حوالي ٥٠ الف شخص، وهو غير موسم الكونسير الصيفي الذي تبدأ عروضه في اخريات يونيه وحتى منتصف سبتمبر وتقام عروضه في قاعة المدينة وفي حدائق قصر (شوبزون) ويصل عدد رواده الى حوالي ٦٠ الف شخص ٧٠ ٪ منهم من الاجانب . ويقام في المدينة ايضاً المهرجان العالمي لدراما الشباب وقد بدأ نشاطاته منذ عام ١٩٧٨ وهو يقدم عروضه للهواه من المؤلفين والممثلين والفذيين وهو غير مسرح الشارع الذي كان من اهم عروضه في العام الماضي مسرحية أوسكار وايلد (سالومي) التي قدمها طلاب اكاديمية المسرح من مدينة (كولونيا) الالمانية . وهناك مهرجانات اخرى متنوعة منها مهرجان الموسيقى النمساوية الحديثة والمعاصرة والذي بدأ منذ

عام ١٩٦٦ ومهرجان موسيقى الشباب الذي بدأ منذ عام ١٩٧١ ثم مهرجان (فينالي) وهو مهرجان سينمائي بدأ في عام ١٩٥٨ ويستمر انعقاده على مدى اسبوع في منتصف نوفمبر من كل عام وهو غير مهرجان وارس للسينما والتليفزيون الذي يقام منذ عام ١٩٨٠ ويقدم ابداعات شباب الشاشتين الصغيرة والكبيرة في مجالات الابداع الفني المختلفة .

وطبيعي أن تستضف عاصمة النمسا معارض تمثل ملامح عطاء الحضارات الانسانية المختلفة وكان من احدث ما شاهدت (فينا) ومدينة (لينتز) معرض (سوريا ملتقى الشعوب والحضارات) الذي قدم نماذج لمعالم الحضارات على ارض سوريا التاريخية عبر عشر آلاف سنة واقيم المعرض في بيت الفنانين في المدة من فبراير وحتى أواخر يوليو ١٩٨٤ .

ويصف الدكتور منير زكي المدير بادارة الصحافة النمساوية الاتحادية هذا المعرض الحضاري بانه الأول من نوعه الذي يتيح للشعوب الأوربية الفرصة للتعرف على نماذج متباينة لمعالم الحضارات التي تطورت على ارض سوريا وعلى اجزاء من ارض كل من لبنان والعراق والأردن وفلسطين منذ اخذت الشعوب الرحل تستقر وتنتقل من حياة القنص الى الزراعة وعبر الآلاف من السنين . وقد وصف الدكتور هاينتس فيشر الوزير الاتحادي للعلوم والبحث العلمي هذا المعرض بانه من اهم احداث العام في النمسا . وقد صحب المعرض كتاب ضخم في ٣٨٠ صفحة يضم ١٧٥ صورة تمثل القطع المعروضة بجانب ابحاث ودراسات ومقالات علمية وضعها عدد من الباحثين العالميين تناولوا فيها مصنوعات سوريا وبلاد الرافدين ـ سوريا ومصر ـ سوريا وأوربا في مطلع العهد الاسلامي ـ سوريا وقبرص ـ كشف سوريا القديمة .

وقبل هذا المعرض الذي انتهى مؤخراً اقيم معرض اخر عنوانه (ثلاثة آلاف عام من الفن المصري) قدم اكثر من مائة قطعة فنية مما ابدعته ايدي الفنان المصري عبر الآلاف من السنين وقد سمى المعرض (صور للخلود) وهذا المعرض الذي يضم مجموعة (كوفلر ـ ترتبنجر) السويسرية ومجموعة متحف تاريخ الفن في فيينا سبقت معرضاً اخر اقيم في منتصف السبعينات بعنوان إخناتون ونفرتيتي وتوت عنخ آمون إقتصر على تقديم عرض لفترة محدودة من التاريخ الفرعوني يتسم بالطابع المميز لهذه الفترة بينما إمتاز معرض صور للخلود بالنظرة الشاملة على تطور الفن المصري القديم منذ توحيد الوادي وقيام الدولة المصرية وحتى العصر اليوناني الروماني عندما كانت الاسكندرية عاصمة للعالم بعد افول نجم اثينا وروما .

وفي فيينا ايضاً أقيم معرض كبير لنتاج التاثير الثقافي البشري التركي على المجتمعات الأوربية خاصة النمسا ووسط اوربا من خلال الفنون والثقافات والعادات التركية التي اكتسبها الاوربيون من التعامل مع الدولة العثمانية وقد اقيم هذا المعرض في مناسبة مرور ٣٠٠ عام على حصار مدينة فيينا .

اما احدث هذه النوعيات من المعارض الثقافية فهو المعرض الذي سيقام في شهر اكتوبر ١٩٨٥ في مناسبة مرور اربعين عاماً على قيام أول جمهورية مقدونية حديثة وهي جمهورية مقدونيا اليوغوسلافية التي تاسست في عام ١٩٤٥ ، وبعد هزيمة المانيا والمحور والاعتراف بحق الشعب المقدوني في أن تكون له دولة تعبر عن هذه القومية العريقة الممتدة في التاريخ الانساني .

ومن المنطقي في ظل هذه التوليفة التي تقوم عليها الحياة في مدينة فيينا ـ والتي وجدت اوضح صورة للتعبير عنها في متحف تاريخ السينما في ضواحي المدينة والذي يقدم في اعمال تسجيلية اسباب تعلق نجوم الفكر والموسيقى والسياسة بمدينة فيينا خلال العصور المختلفة ـ ان يزداد عدد زوار النمسا ومن هنا تزداد بالتالي نسبة مساهمة الدخل السياحي في الدخل القومي النمساوي حيث وصلت في العام الأخير الى ٣ر٨ ٪ بينما كانت ١ر٤ ٪ في اليونان ـ ٤ ٪ في اسبانيا ـ ٨ر٣٪ في البرتغال ـ ١ر٣ ٪ في سويسرا ـ ٤ر٢ ٪ في ايطاليا . أما اهم جنسيات الزوار فهي المانيا الاتحادية وهولندا وبريطانيا وبلجيكا وفرنسا وسويسرا والولايات المتحدة الأمريكية والسويد وايطاليا ويوغوسلافيا والدنمارك والمجر والبلاد العربية خاصة مصر ودول الخليج العربي وتركيا واليابان واسبانيا واليونان والبرازيل

والسينما في فيينا بدأت مع تقديم اول فيلم نمساوي في عام ١٩٠٨، ومن اشهر نجوم السينما العالمية ذوي الأصول النمساوية النجمة الراحلة رومي شنيدر والنجم الراحل كورت كيرنجر والنجم فريد استير والنجمة شيللي ونترز وغيرهم .

وهواة السير على الأقدام تجتذبهم مدينة مثل فيينا خاصة في فصل الصيف حيث نجد شوارع كارنتنر وجرابن وسوق كوهلماركت يقتصر المرور فيها على المشاه دون مرور السيارات وفي هذه المناطق منتزهات واماكن للجلوس في مواجهة اكبر محلات ومعارض فيينا ومتاجرها الشهيرة والتي تبدو الاسعار فيها مرتفعة والحياة فيها مكلفة بالمقارنة مع غيرها من العواصم الأوربية في وسط أوربا وغربها ، وهي تعرض المنتجات اليدوية والفلكلورية الى جوار الأزياء والملابس والمعروضات الحديثة . وهي مساحات مكانية تزدحم بالعرض والطلب لكنها لا تبعد كثيراً عن حدائق فيينا التي تتسع لتصل الى مساحة حوالي ٢٠٠٠ فدان (اكثر من ١٦٠٠ هكتار) واهمها حديقة (بورخارتين) حيث تمثال (موتسارت) وحديقة (ستادبارك) حيث تمثال يوهان شتراوس ملحن الفالس الشهير (الدانوب الأزرق) لكن الدانوب الذي ابدع شتراوس في تاليف مقطوعة موسيقية تحمل اسمه يبدو اكثر جمالا في توام مدينة فيينا في مدينة (بودابست) التي يخترقها الدانوب ويقسمها الى جزء يسمى (بودا) واخر يسمى (بست) بينما الدانوب يبدو في أطراف فيينا ولم يمتد حوله العمران إلا في الفترة الأخيرة وحيث يبدو المركز الأوربي للأمم المتحدة في ضاحية (اونو) وحيث تعقد اجتماعات منظمة (الأوبيك) من حين الى آخر وفي جوار الدانوب في فيينا يطل الجامع الكبير والمركز الاسلامي والمدرسة والمستوصف وقاعة الاحتفالات التي يضمها هذا الملتقى الاسلامي الذي يعتبر المكان الأول في النمسا لتحقيق لقاء ثلاثة ارباع المليون من المسلمين ممن يعيشون في جمهورية النمسا التي يقترب مجموع سكانها من الملايين الثمانية اغلبيتهم من المسيحيين مع وجود اقلية صغيرة من اليهود .

وبرغم التطور الذي لحق بالعراقة التاريخية لمدينة فيينا لا يزال لأهل المدينة عادات يحتفظون بها مثل ارتياد مقاهي (الهوريجين) التي تقع خارج مدينة فيينا وارتياد مطاعم (جريشبيزل) حيث تقع حول هذه المطاعم عدد آخر من المحلات لتجار معظمهم من اصول يونانية وايطالية وتركية .

وفي مدينة فيينا سوق غريب تباع فيه الملابس والأشياء المستعملة يسمى على سبيل الدعابة (سوق البرغوت) وهو سوق (ناشماركت) الذي تباع فيه ايضاً التحف القديمة (الأنتيكات) . ومن معالم فيينا الشعبية أيضاً مدينة الملاهي (البراتير) وكان انشاء هذه المدينة متوافقاً مع إقامة أول معرض دولي في فيينا في عام ١٨٩٧ .

إن فيينا توليفة متقنة التاثير في وجدان من يتردد عليها فيها الحرص على أصالة تراث الماضي والنظرة المتلهفة على اختراق حواجز الزمن والاطمئنان على مسيرة التحديث .. وتبتعد فيينا عن مرمى النظر ويظل في الاسماع صدى للالحان العظيمة التي خرجت منها أو عبرت عنها مثل فالس (الدانوب الأزرق) للموسيقار شتراوس .. وتظل فيينا أيضاً حالة خاصة بين عشرات المدن الجميلة لأنها نموذج مكتمل الملامح للاختيار الخاص لأهلها وللتاثير بالغ الاهمية لدور الثقافة والمثقفين في حياتها .

محمد سعيد

يقدمها: محمد العزب موسى

- هل صحيح أن دول الجنوب قادرة على تدمير العالم؟
- ٧٠٠ فنان وفنانة يلعبون أوبرا عايدة على سفح الهرم
- أسرار السنوات العشر التي حطّمت نفسيّة دستويفسكي
- محاكمات نورمبرج لازالت تلهم الباحثين والكتّاب والقرّاء

١٩٨٧ بعد ١٩٨٤

فى شهر سبتمبر عام ١٩٨٧ اجتمعت الدول المدينة فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية واتخذت قرارا خطيرا: الغاء جميع ديونها للبنوك والدول الأجنبية وعدم الاعتراف بأى مطالبة بهذه الديون..

لقد وصلت دول الجنوب فى هذا الشهر الى نقطة استحالة الوفاء بديونها الضخمة لدول الشمال، ولم تعد قادرة على سداد اقساط هذه الديون أو فوائد خدمتها، فأعلنت مجتمعة أنها لن تؤديها ولن تعترف بها!

هذه هى نقطة البداية فى رواية Cataclism أى الجائحة أو الزلزال أو الطوفان المدمر العنيف للكاتب الامريكى ويليام كلارك، وهى آخر العنقود حتى الآن من روايات التنبؤ السياسى بالمستقبل. اذ تتنبأ بفوضى عالمية شاملة تحدث فى عام ١٩٨٧ نتيجة لامتناع الجنوب عن دفع الديون.

وتمضى الرواية فتقص كيف تنتقم الدول الدائنة فى الشمال.. فنراها تسارع الى مصادرة كل الأرصدة التى تملكها دول الجنوب فى بنوكها، والاستيلاء على ما تستطيع الحصول عليه من صادرات الجنوب، كما تمتنع عن امداد دول الجنوب بأية خبرة فنية أو اقراضها أى قروض جديدة.

ويكون رد فعل الجنوب أن يبذل أقصى استطاعته لتكدير الشمال، فتتكون حركتان ارهابيتان احداهما تسمى «الحركة المضادة للعنصرية» ومقرها منطقة الكاريبى بأمريكا الوسطى، والثانية «حركة اليد السوداء» ومقرها نيجيريا، وتنجح الحركتان فى التنسيق بين جهودهما وتحويل الحياة فى الشمال الى جحيم لا يطاق، فعن طريق التنسيق مع عملائهما من السكان السود والملونين فى الولايات المتحدة وبريطانيا وجنوب أفريقيا تحدث سلسلة لا تنقطع من اعمال الارهاب والاضطرابات العنصرية



جورج أورويل

وتلويث مصادر المياه وقطع طرق المواصلات وخطوط التليفون وتفجير الطائرات مما يجعل دول الشمال ترتجف وتترنح.

وتفقد جنوب أفريقيا كل ثروتها المعدنية نتيجة لعمليات النسف والتخريب، وتهرب حكومتها الى الخارج، ويستولى السود على الحكم ويعرضون على البيض وطنا محليا بالقرب من مدينة الكاب بدون التمتع بالحكم الذاتى الكامل.

وتمضى الرواية فتقول ان اسرائيل سوف ترغم تحت ضغط روسيا وأمريكا على الانسحاب الى ما وراء حدود ١٩٦٧ (وكأن هذه كارثة أخرى للعالم الغربى!) ويفشل مؤتمر فى طوكيو لاعادة تعمير الغرب وتوحيده، وتحاول الدول الغربية استخدام تفوقها الذرى ولكن الأسلحة الذرية تثبت عجزها عن مواجهة قواعد الارهاب، وتصبح آسيا هى القوة المسيطرة فى العالم، وينتصر المدينون على الدائنين!

هذه هى الفكرة الأساسية فى رواية الجائحة أو زلزال ١٩٨٧، والمعروف أنه منذ وضع الروائى الانجليزى الكبير جورج اورويل روايته الشهيرة «١٩٨٤» والكتاب لا يتوقفون عن محاولة مضاهاته والسير فى طريقه، فقد ظهرت فى الغرب خلال السنوات الأخيرة روايات كثيرة «تحدث فى المستقبل» أو تتنبأ بأحداث مقبلة فى فترة معينة أو عام محدد. ومن هذه الروايات

ذات الطابع «الأورويلى» رواية «انهيار ١٩٧٩» التى ظهرت قبل ذلك التاريخ بعدة سنوات وتنبأت بانهيار اقتصادى عالمى نتيجة لأزمة البترول، ورواية «الأيام الأخيرة لأمريكا» لبول ايرومان التى ظهرت منذ ثلاث سنوات تقريبا وهى تتنبأ بانهيار سياسى عسكرى فى العالم نتيجة لسياسة التسلح والطموح القومى، ورواية «على الشاطئ» لينقيل شوت التى تصور الحرب الذرية، وكذلك رواية «اليوم التالى» التى تحولت الى فيلم شهير يصور ما يحدث بعد انطلاق الصواريخ النووية.

ولكن من الواضح أن رواية «الجائحة» أو زلزال ١٩٨٧ تتحامل بشكل حاد على دول العالم الثالث، فتصورها بالبلطجة والفساد والارهاب الدولى. أما دول الشمال البيضاء المتقدمة فهى الضحية البريئة لهذه الدول البربرية غير المتحضرة، وحتى اسرائيل المعتدية على جيرانها العرب تصورها الرواية بأنها مركز حضارى متقدم للغرب فى هذا العالم الثالث المتخلف وتأسف الرواية لاجبارها على الانسحاب من الأراضى التى احتلتها ظلما وعدوانا تماما كما تأسف لانهيار الحكم العنصرى للبيض فى جنوب أفريقيا، وكما تأسف لعدم قدرة الأسلحة الذرية لدى الغرب على تأديب هؤلاء الهمج الارهابيين!

والغريب أن هذا العالم الثالث الارهابى الهمجى يبدو فى الرواية اكثر ذكاء ومقدرة على التصرف من العالم المتقدم الذى يتخبط فى العشوائية والفوضى، مما دعا بعض النقاد الى القول انه إذا كان الأمر كذلك حقا لما كانت هذه الرواية لأن مثل هؤلاء الدهاة الأذكياء ما كان يمكن أن يكونوا أصلا مدينين ولكان العالم المتقدم هو الذى استدان من العالم الثالث!!

إنها رواية عنصرية من الطراز الأول علاوة على كونها جافة تخلو من الشخصيات الدرامية والمواقف الانسانية المؤثرة وانما هى تمتلئ بدلا من ذلك بمشاهدة المؤتمرات والجلسات واللجان وعمليات البنوك المملة فهى باختصار تفتقد الحبكة الفنية والاقناع السياسى.

ومما يؤسف له أن تساهم فى هذا الهراء شخصيات دولية لها وزنها يقول المؤلف انه استشارهم قبل كتابة الرواية ومنهم روبرت ماكنمارا الرئيس السابق للبنك الدولى التابع للأمم المتحدة وشريدات رامفال السكرتير العام لرابطة الكومنولث.

«عـــايــدة» على سفح الهرم

ربما سيكون هذا هو أكبر وأضخم عرض اوبرالى فى العالم، اذ لم يشهد تاريخ الأوبرا العالمية مثل هذه الأعداد الضخمة والاستعدادات الهائلة التى يجرى تجهيزها الآن لتقديم «أوبرا عايدة» على سفح هضبة الأهرام فى مصر.

يكفى أن نذكر بعض الارقام: من المتوقع ان يشاهد العرض ٢١٦ الف متفرج فى ١٦ حفلة أى بواقع ١٣,٥٠٠ متفرج فى الحفلة الواحدة تتسع لهم الصحراء الفسيحة حول سفح الهرم.

ويشترك فى العرض ١٦٥ موسيقيا هم مجموع أعضاء فرقتين موسيقيتين عالميتين هما أوركسترا تولوز واوركسترا كولون ٢٠٠,٠ من اعضاء «الكورس» هم أيضا مجموع أعضاء كورس تولوز، وكورس دى بارم، وكورس شاتيليه. و٦٦ راقصة (فرقة باليه تولوز) و ٢٣١ ممثلا وممثلة. أى أن عدد الفنانين المشتركين فى العرض الواحد — بما فيهم العازفون الفرديون — لن يقل عن ٧٠٠ شخص.

أما المسرح المقام على هضبة أهرام الجيزة فتبلغ مساحته ٢٥٣٠ مترا مربعا (٥٥ م / ٤٦ م) وارتفاعه ٢٠ مترا بالاضافة الى ارتفاع الهضبة الاصلى وهو ٢٤ مترا.

وقائد هذا الفريق الضخم، وهو نفسه مصمم هذه المغامرة الفنية، هو الفرنسى ميشيل بلاسو الذى سبق أن قدم عروضا اوبرالية ضخمة — وإن كانت لم تبلغ فى طموحها هذا الحد — فقد قدم أوبرا «فيد يليو» عام ١٩٧٧ فى مسرح مكشوف أمام ٣٠٠٠ متفرج، وتلتها أوبرات «سالومى» و «عايدة» و «فاوست».

ومن المقرر أن تكون حفلة الافتتاح يوم ٢٦ ابريل القادم (١٩٨٥) وتستمر العروض حتى يوم ١٣ مايو.

وأوبرا عايدة بالذات من الأوبرات التى تتطلب مسرحاً كبيرا تتحرك فيه الجموع الغفيرة من الممثلين والممثلات وراقصى الباليه، فمثلا مشهد «مارش النصر» الذى يشترك فيه جنود الجيش يتطلب فخامة هائلة تبرز عظمته وتليق بروعة موسيقاه، وكم يبدو هذا المشهد هزيلا إذا قدم على خشبة مسرح عادية بعدد قليل من الجند، لأن موكب النصر يجب أن يستمر طوال عزف «المارش» الشهير وإذا شعر المتفرجون بتكرار وجوه الجند أو بطء حركتهم فقد المنظر تأثيره. وقد كانت هذه دائما عقبة تحول دون تقديم أوبرا عايدة على المسارح التقليدية. ولكن هذه العقبة تزول الآن تماما إذا قدمت الأوبرا على هضبة الأهرام.

فاذا أضفنا الى جمال العرض الفنى والموسيقى عظمة الخلفية التى تتراءى وراء المناظر وهى أهرام مصر وأبو الهول نتبين الى أى مدى يمكن أن يبلغه التأثير وروعة الأداء.

وسوف تؤدى دور الأميرة الاثيوبية «عايدة» أكثر من فنانة فى العروض المتعاقبة وهن جينا ديميتروفا (يومى ٣، ٥ مايو) ومارتينا آرويو (أيام ٤، ٩، ١٢ مايو) وولهلمينا فرنانديز (يومى ٢٨ ابريل، ٢ مايو) وسيتيا ديل جراندى (أيام ٢٦، ٢٩ ابريل، ٨، ١٠، ١٣ مايو)

وكذلك يتناوب فنانون مختلفون ادوار امينيريس وراداميس وآمون رع.

وأكثر من ذلك فإن العروض سوف تختلف أيضا فى الإخراج والمؤثرات

نافذة على الثقافة العالمية

المسرحية مما يجعل متابعتها جميعا متعة فائقة .

وسوف تقدم وزارتا الثقافة والسياحة المصريتان كل عون ممكن للمساهمة فى انجاح هذا المهرجان الفنى الذى ينتظر أن يجذب عددا كبيرا من السياح الى مصر فى الربيع القادم .

ماذا يقرأ العالم

دستويفسكي : سنوات المحنة

بقلم : جوزيف فرانك

فى الساعات الأولى من صباح ٢٣ ابريل ١٨٤٩ ألقى القبض على الكاتب الروسى الشاب فيدور دستويفسكى وزملائه من اعضاء خلية سرية اتهمت بالتآمر على اغتيال القيصر . كان دستويفسكى عندئذ فى اواخر العشرينات من العمر ، مهددا اجتماعيا ، غير مستقر نفسيا ، وكان قد بدأ يشق طريقه الى الشهرة الأدبية ككاتب شاب .

وقضى دستويفسكى السنوات العشر التالية متنقلا بين الحبس الإنفرادى والأشغال الشاقة والخدمة فى سيبيريا ، وخلال هذه الفترة أيضا تعرض لمحنة « تمثيلية الاعدام » حين سبق الى ميدان سيمينوفسكى لتنفيذ حكم الاعدام فيه ، ورفع الجنود بنادقهم واطلقوها عليه لتنطلق منها خراطيش لا تؤذى ، ثم أعيد الى السجن بعد أن تجرع غصة الموت الى النهاية ، وهو الحادث الذى أحدث اهتزازا عنيفا فى نفسيته .

ويتناول كتاب جوزيف فرانك هذه السنوات العصيبة الكافية لزلزلة كيان أثبت الرجال جنانا ، وكيف أضيفت اليها فى النهاية كارثة أخرى هى زواجه بإمرأة



دوستويفسكى

مدمرة لا يمكن التعايش معها ، الأمر الذى كسر من حدة دستويفسكى النفسية والمذهبية فتغيرت أفكاره ولكن ليس بالقدر الذى يدعيه معظم مؤرخى سيرته ، اذ تحولت آراؤه الى « يوتوبية » على مبادئ الفرنسيين الذين كان يعجب بهم ، وصار يحلم بعالم يسوده الانسجام والعدالة الاجتماعية ، ولكنه ظل روسيا حتى النخاع ينطلق من المعاداة الشديدة للعبودية والشعور بعقدة الذنب التى أصيب بها أثناء الإعتقال حين كان يقارن ما يشعر به من الرعب مع ما يبديه الفلاحون المسجونون معه من شجاعة .

« الشيطانة ذات العظام البيضاء »

سيرة حياة زوجة ماوتسي تونج

المؤلف : روس تيرل

كانت ممثلة من الدرجة الثالثة تدعى شيانج كينج ثم أصبحت الزوجة (الثالثة) للزعيم الصينى الكبير ماوتسى تونج وأثبتت خلال حياة زوجها وبعد وفاته أنها شخصية سياسية قوية طاغية .

بدأت شيانج كينج حياتها الفنية على خشبة المسرح فى شنغهاى ، وصارت فى أواخر الستينات من زعماء الثورة الثقافية فى الصين وكادت تخلف ماوتسى تونج فى الحكم بعد وفاته عام ١٩٧٦ ، ولكن خلفاء ماو أبعدوها فتزعمت ما يعرف بعصابة الأربعة التى عرفت باتجاهاتها المتشددة ، وقدمت أرملة الزعيم الى محاكمة تاريخية ، وحكم عليها بالسجن مدى الحياة .

ولكن كتاب « الشيطانة ذات العظام البيضاء » يعالج هذه الشخصية العنيفة من زاوية ضيقة ، باعتبارها « سيدة الشر » التى شقت طريقها الى السلطة باستغلال نقاط الضعف لدى ماوتسى تونج ، ثم كرست حياتها بعد ذلك للانتقام من زعماء الحزب الشيوعى الصينى الذين لم يسمحوا بزواجها من ماو إلا بشرط أن « تبتعد المدام عن السياسة » وهكذا أثبت الحزب أنه يحكم « غرفة النوم » . ولكن جاء الوقت على « غرفة النوم » كى تحكى « الحزب » !

إن المؤلف روس تيريل بتصويره للسياسيين الصينيين وانتماءاتهم الايديولوجية من هذه الزاوية الضيقة انما يهبط بالسياسات الصينية الى مستوى الصراع الضيق على السلطة ، وهو بذلك يتجاهل الأهداف والمنازعات السياسية الحادة التى دخلتها كينج ضد الزعماء الصينيين الأكثر ميلا الى المحافظة ، فنراه بدلا من ذلك يتحدث عن الحياة الخاصة لهذه « المرأة الشريرة » .. عن طعامها المفضل ، ومزاجها الشخصى ، وعلاقتها



أرملة ماوتسى تونغ

السرية بنجم تنس طاولة صينى !

والمؤكد أن المؤلف الأمريكى استقى معظم معلوماته هذه من الشائعات المنتشرة فى هونج كونج ، والثرثرات السارية فى تايوان ، ولكنه للأسف يرى مثل هذه المصادر موثوقا بها ، ولا تتطلب مشقة التمحيص ، ولذا أتت سيرةحياة « الشيطانة ذات العظام البيضاء » دون مستوى هذه الشخصية الاستثنائية التى مازالت بحاجة الى البحث العلمى النزيه .

مذكرات الكسندر هيج
وزير خارجية أمريكا السابق

إذا كانت مذكرات الساسة عموما مقالات فى الدفاع عن النفس فان مذكرات الجنرال الكسندر هيج وزير خارجية أمريكا السابق أبلغ دليل على ذلك . فإن هيج فى مذكراته التى صدرت مؤخرا يدافع عما يعتقد أنه قضية عادلة ، وهى تصحيح الظلم التاريخى الذى تعرض له . فقد كان هيج ــ على الأقل من وجهة نظره ــ يملك جميع الصفات التى تجعل منه وزير خارجية ممتازا ، ولكنه هزم بسرعة وطرد من منصبه نتيجة لطبيعة نظام الرئاسة فى أمريكا ، واختلاف الطباع بينه وبين الرئيس ريجان .

لقد عمل الجنرال هيج بعزم واصرار على رتق السياسة الخارجية الأمريكية التى تركها كارتر ممزقة ، مما أضاف الكثير الى شعبية ريجان ، ولكنه لم ينجح فى انشاء علاقة شخصية وثيقة بالرئيس لأنه رجل عسكرى غير مدرب على مثل هذه الخبرة الدبلوماسية . ونتيجة لذلك لم يتمكن هيج من أن تكون له اليد الطولى فى رسم السياسة الخارجية الأمريكية ولم يحصل على المساندة اللازمة من ريجان لذلك ، وإنما


هيغ


ريغان

دخل فى صراعات متكررة مع كاسبر واينبرجر وزير الدفاع الامريكى ، ومجلس الأمن القومى ، وجين كيركباتريك مندوبة امريكا فى الأمم المتحدة خاصة أثناء أزمة فوكلاند . وفى النهاية أرغم هيج على ترك منصبه خلال احتدام أزمة لبنان بعد أقل من ١٨ شهرا فى الوزارة .

ويعتقد هيج أن خطيئته الكبرى التى حورب بسببها أنه حاول أن يعيد لمنصب وزير الخارجية استقلاله وهيمنته على السياسة الخارجية ، وذلك بعد أن تولى هذا المنصب شخصيات ضعيفة منذ أزمة ووترجيت فى عهد نيكسون واختفاء هنرى كيسنجر .

ومذكرات الكسندر هيج تلقى الضوء على بعض دهاليز النظام الأمريكى المظلمة كما تكشف كثيرا من الأسرار داخل حلف شمال الاطلنطى الذى تولى الجنرال هيج قيادته قبل اختياره وزيرا للخارجية .

كتابان جديدان
عن محاكمات نورمبرج

فى عام ١٩٤٥ انهار الرايخ الثالث الذى انشأه أدولف هتلر ، وخرجت من تحت حطامه آلاف القصص المرعبة عما كان يجرى فى داخله . وعندما قدم الزعماء النازيون الذين بقوا على قيد الحياة ــ بعد انتحار هتلر وهيملر وجوبلز واختفاء بورمان ــ الى محكمة دولية أقيمت فى نورمبرج تكشفت أسرار أخرى جديدة ومثيرة .

وقبل أن تنتهى المحاكمة استطاع جورنج وزير الطيران النازى أن يتجنب الإعدام بالإنتحار ، وصدر الحكم بإعدام عشرة من زملائه ، واطلاق سراح ثلاثة ، وسجن هيس مدى الحياة حيث لايزال يقضى هذه العقوبة فى سجن سبانداو الى اليوم .

وقد صدرت عن محاكمات نورمبرج كتب عديدة ولكن يبدو أنها لم تفقد جاذبيتها بعد بالنسبة للكتاب والباحثين والقراء على السواء .

وفى الأسابيع الأخيرة صدر فى الغرب كتابان عن هذه المحاكمة التاريخية ، احدهما بعنوان « العدالة فى نورمبرج » بقلم روبرت كونوت ، والآخر بعنوان « محاكمات نورمبرج » بقلم آن توسا وجون توسا .

وقد أشاد النقاد بكتاب آن وجون توسا وأثنوا على ما بذل فيه من جهد حيث اعتمد المؤلفان على سجلات المحاكمة التى يضمها ٤٢ مجلدا ضخما بالاضافة الى وثائق الأرشيف البريطانى التى كشف عنها النقاب مؤخرا كما رجعا الى الصحف والمجلات المعاصرة للأحداث ودرسا القانون الدولى لفهم ومتابعة اجراءات المحاكمة . وجاء كتابهما فى النهاية واضحا سهل القراءة حتى فيما يتعرض له أحيانا من نقاط جافة .

وصدور هذا الكتاب يعد بمثابة حظ سيئ بالنسبة للكتاب الآخر « العدالة فى نورمبرج » ، فكتاب كونوت لا يقارن بقوة الكتاب الأول وشموله ووضوحه ، وقد اعتمد مؤلفه أساسا على الأرشيف الأمريكى ، وعلى المقابلات التى أجراها مع بعض معاصرى المحاكمة ، ولكنه لم يستطع ا ن يقاوم اغراء سرد القصص المثيرة والمؤثرة مما أضعف من نسيج الكتاب وأهميته التاريخية .

محمد العزب موسى

قصة السريالية في الوطن العربي

الرواد

رمسيس يونان وفؤاد كامل والتلمساني

بقلم: سمير غريب

- رائد سيريالي يتحول إلى السينما لأنها أكثر تأثيراً على الجماهير
- في لوحات السيرياليين: إنسان له ست عيون
- رسام سيريالي: أريد أن أعبر عن مشاعر الكرسي عندما نجلس عليه

رمسيس يونان

بدأت المرحلة السريالية عند رمسيس يونان وهو طالب في مدرسة الفنون الجميلة بالقاهرة، وتعمقت بتعرفه على جورج حنين في جماعة «المحاولين». استمرت تلك المرحلة حتى عام ١٩٤٧، تلتها فترة صامتة استغرقت حوالي ١٠ سنوات، وهي الفترة التي هاجر فيها الى فرنسا، رغم اشتراكه في بعض المعارض خارج مصر.

بعد عودته الى مصر بدأ مرحلة أخرى تحول فيها الى التجريد، دشنها بمعرض جماعي تحت عنوان «نحو المجهول» أقيم عام ١٩٥٨، وكرسها بعد ذلك في كتالوج جماعي ايضاً بعنوان «المجهول لا يزال»، وزع في العام التالي.

كان من المكن خلال مرحلة رمسيس يونان السريالية التنبؤ بانتهائه في التجريد. فمن خصائص لوحات تلك المرحلة وجود عدةصلات بينها وبين النحت، ملخصها اهتمامه بالكتلة والفراغ داخل تكوين اللوحة، وتفصيلها باختصار هو:

الاحساس الحي بالجسد البشري. مع كل التحريفات في هذا الجسد، الذي يتلوى ألماً أو رغبة، والذي يموت أو يعلق من اطرافه، أويأخذ تكوين الحجر. في الجسد مركز تعبير اللوحة.

اهتمام الفنان بالفراغ في اللوحة. الفراغ الذي يبرز الكائنات، ويبرز على الأخص صمتها. مثلما يبرز الفراغ في لوحات عدد من الفنانين السرياليين، أبرزهم جورجيودي كيركو، حتى يمكن أن نطلق على الفراغ «فراغ سريالي».

اهتمام رمسيس يونان بالتحليل الصارم، وربما يعود ذلك الى ثقافته وعقله الناقد، تبدو شخصياته نفسها كما لو كانت خاضعة لفلسفة معينة. أحياناً تغلف وجوهه الرخامية ملامح من صمم فظ. لكن هذه الوجوه الرخامية اختفت في بداية مرحلته الجديدة التجريدية، وكان من الطبيعي – والأمر كذلك – أن يحل محلها الرخام نفسه، أوشيء شبيه. فقد اشتغل في تلك المرحلة الأخيرة على شكل الحصى، أو «الظلط».

لقد تأثر رمسيس يونان بالنحات الإنجليزي الكبير هنري مور، وكتب عنه عدة مقالات. يستند بدرالدين ابو غازي الى ترجمة رمسيس لفقرات يؤكد فيها هنري مور أهمية عناصر التصميم المجردة وامتزاجها مع العناصر الانسانية والنفسية، ليقرر أبو غازي: «هذا يفسر اتجاه رمسيس في مرحلته السريالية الى احترام التصميم والبناء وتعبيره عن حقيقة خاصة، عن رؤيا معتزلة داخل اعماقه، وهو يفسر ايضاً عزوفه عن اوتوماتية التعبير عند طائفة من السرياليين. فهو لم يعالج الرسوم التلقائية إلا لماماً. وكذلك لم يقنع بهذه الخزعبلات السريالية التي تعمد الى الاثارة عن طريق تجميع أشياء غريبة متناقضة في مظاهر ومجالات غريبة عن واقعها وحقيقتها، ضمن هذه الناحية هو اقرب الى الفنان السريالى ماكس ارنست. ابداعه ليس مجرد التفنن أو الابتكار وانما هو ثمرة رؤى تراوده يضاف اليها فكر يغوص في بواطن الأشياء».

إن «اهتمام رمسيس يونان بعناصر التصميم المجرد وامتزاجها مع العناصر النفسية والانسانية» هي نفس الملاحظة

التي عبر عنها كامل التلمساني قبل أبي غازي بنحو عشرين سنة عندما علق على لوحات رمسيس يونان التي اشترك بها في المعرض الجماعي الأول « للفن المستقل » قائلاً : « انها فن ثقافي من الطراز الأول ، تقوم فيه القوى العقلية المفكرة بنصيب كبير ، كما تشترك فيه الرغبات المتنوعة لنزعات العقل الباطن المتجردة » .

هناك أمثلة عديدة على تلك الخصائص النحتية والتجريدية في لوحات رمسيس يونان السريالية . منها لوحة من عام ١٩٤٤ تبدو فيها أنثى متكئة تذكرنا بأنثى هنري مور تنثني الساقان والذراعان في انسجام . ولوحة « دون كيشوت » المشهورة التي عرضها لأول مرة في المعرض الجماعي الثاني « الفن المستقل » ، للأسف لا نعرف مصير هذه اللوحات ، حيث يتجلى فيها « عمق الفراغ » في أعمال رمسيس يونان .

في هذه اللوحة يترجم الفنان بأسلوب مهجور في فن الحفر « الجرافير » المرارة الطويلة في حكاية هذا النبيل الأندلسي « دون كيشوت » . نلاحظ فيها احساساً رائعاً لمنحنيات ، وسخرية لاذعة ، وتصورات لا تنقصها القوة . كما نلمس رغبة الأشكال للتوثب والإنطلاق ، لكنها عاجزة عن اتمام الدورة . تبدو القلعة البعيدة في اللوحة « كالشبح » ، أمام حصان دون كيشوت الهزيل . بينما الطريق الطويل يبدو مسدوداً . يبرز من بين ثناياه وجه سانكو بانزا البائس العليل ، وكأنه وجه مفكر إغريقي هرم . في حين تمتلئ المساحة كلها بصخور جافة ناتئة » .

وقد اشترك رمسيس في نفس المعرض الثاني بلوحات « الحجاب المدلى » ، « لعبة الداخل » ، و « الطفلان » وهي دراسة يقظة ومؤثرة مرسومة بلون ذهبي لامع بشكل عام . يجيد فيها رمسيس يونان الاستخدام الدرامي للضوء والظل ، ويبدو لديه احساس « بالمؤثرات الخفية » في التكوين .

إذن ، فرمسيس يونان متميز وسط السرياليين . يعود هذا التميز الى امتزاج موهبته بثقافته ، ومعرفته الوثيقة بتاريخ وعلامات الفن التشكيلي على مر العصور ،



مجموعة من الفنانين السرياليين الشبان فى آخر معرض جماعى لهم . وفى الصورة من اليمين : حامد ندا وفؤاد كامل وانجى أفلاطون وتحية حليم ووحيد النقاش



فؤاد كامل

وبخاصة في الفن الحديث . هذه المعرفة التي تظهر في رمسيس يونان الناقد الفني . « لقد أطلعه (حمزة كار) استاذه في الفنون الجميلة على عالم سيزان وانطلقت تطلعاته الشخصية بين كتابات اوزنفان وأعمال هنري مور . وهو في هذه الفترة يلتهم كتابات اندريه بريتون الذي أسلمت السريالية اليه زعامتها . ويغوص في نظريات فرويد ، ويقرأ اراجون وايلوار ، وكل الكتاب والمفكرين الثوار . فتستقر النزعة في نفسه على أسس فكرية ونظرية » .

إلا أنه يتفق مع السرياليين في سيادة الاتجاه الى التعبير المأساوي ، حتى عندما ركز اهتمامه على « جحيم رامبو » ووجود كامي « وما كان غريباً أن يترجم لهما حين أخرج لوحاته (الطبيعة تنادي الفراغ) و(القيلولة) وغيرهما » .

مصور بمعنى الكلمة

ورغم سيادة الاتجاه المأساوي من حيث التعبير ، وحرص رمسيس يونان على البناء والتصميم العام وعنايته التى قد تصدم المشاهد بأصغر التفاصيل ، « والاستكشاف البطئ الحذر لحبكة الألوان حتى ولو كانت سبيكة من البياض والسواد » ، من حيث التشكيل ، رغم كل هذا يظل التعبير النهائي والعام لديه تشكيلياً وليس أدبياً .

إن رمسيس يونان مصور بكل معنى الكلمة . « يرسم أعصاباً متوترة الى درجة التقطع ، الى درجة استدعاء القطع . رسمه لا يعرف الراحة ، ولا التوقف ، ولا التراخي » . يحرص رمسيس يونان على « تطوير المتطلبات التشكيلية للفن ضمن ميتافيزيقية قهرية بالنسبة له . لا تحول هذه المتطلبات الا صدفة العمل ، وليس جوهره أو حقيقته طالما يسارع الفنان بالاستجابة لشروط التوازن والكتلة » .

ونجد في أعماله الأكثر شجاعة تحكماً جمالياً يأتي من دراساته السابقة . وتحقق حساسيته التشكيلية نوعاً من التوازن الصحي ، يساعد تلوينه الساخن والدقيق على ابراز العنف الموجود في بعض لوحاته ، بينما تمتلك لوحات أخرى جمالاً يستدعي الجمال المؤثر الذي يعطيه الرسامون الصينيون القدماء الى وحوشهم .

وللأسف ، استغرق كثير ممن كتبوا عن

المرحلة السريالية عند رمسيس يونان في الوصف الخارجي للوحاته ، مما جعلهم ينزلقون الى التركيز بسطحية على الرمز الأدبي ، أو كما قالوا : التعبير عن الجوع أو الحرمان أو المعاناة منهما . هناك مئات من المصورين عبروا عن تلك الأزمات الخالدة ، لكننا نظلم رمسيس يونان حينما لا نرى في لوحاته السريالية إلا مجرد التعبير عن أزمة أو جوع . إن الرمز عارض ، أما التكوين والأسلوب فباقيان بقاء الفن . وهما اللذان يكتسبان قيمة فنية ، بينما يَخزَن الرمز كقشرة خارجية لهما .

أذكر هنا مثلين من الناقدين صبحي الشاروني ومحمد شفيق . يقول صبحي الشاروني رغم أنه من أفضل من كتبوا في مصر عن السريالية من الكتاب المعاصرين — « في تلك الفترة كانت لوحات رمسيس يونان ورسومه من خلال ألوان بنية داكنة أشكالاً غريبة تصدم المتفرج . وتدور حول الجوع والحرمان . فمثلاً نجده في احدى لوحاته يرسم طبقاً عليه صدر امرأة . وفي أخرى شجرة تثمر عيوناً وصدورا . وفي لوحة (العشق المفترس) التي رسمها عام ١٩٤٠ يتجلى اهتمامه بالتعبير عن أعماق العقل الباطن والصراع الذي يعتمل هناك حول الجنس » .

نفس التعبير يكتبه محمد شفيق بأسلوب أكثر مجازاً : « في هذه المرحلة ، نشاهد مظاهر فن تصويري مشحون بدراما فاجعة يختلط فيه الحلم بالواقع ، ويقوده خيال محموم تتصارع فيه شتى الرؤى . تبرز فيه وجوه غرقى تندلع فيها انسانية مرعبة ، تنادي في يأس من ينقذها . وأياد تلتف حول الأجساد تعتصر رحيقها ، كالأفاعي المفترسة . ونساء في أجسادهن قسوة وتشنج حيواني . وأشجاراً تنبت في صحراء قاحلة ذات صدور . وقبضات معروقة تمتصها الرمال ، النسوة عجائز يلبسن (اليشمك) ، في اختناق الموت الأخير . وكانت أبرز أعمال هذه المرحلة لوحتي (على سطح الرمال) ١٩٣٩ و(العشق المفترس) ١٩٤٠ » .

وعندما يتناول نفس الكاتب لوحة أخرى من لوحات رمسيس يونان السريالية يصفها أيضاً بلغته الأدبية قائلا : « في عام ١٩٤٥ رسم يونان امرأة غريبة مغلولة الجسد ، مستلقية في بؤس وفي ألم ، أمام سد هائل من السواد ومن القتامة التي ربما تكون قتامة سماء أو قتامة بحر . تحيط بها الظلال الكثيفة من كل جانب . وهي تذكرنا بشخوص بيكاسو البائسة التي راح يصورها على امتداد مرحلته الزرقاء » .

أنا لا أنتقص هنا من مستوى كتابة الكاتبين ، كما لا أعني أن الفقرات السابقة التي كتباها تنقص من مستوى إبداع رمسيس يونان . لكنني أعني أنهما لم ينقدا رمسيس يونان ، بل عبرا عن لوحاته السريالية بوصفها من وجهات نظرهما . وهذه ليست مشكلتهما فقط ، بل هي مشكلة تتعلق بنقد الفن التشكيلي بعامة وفي مصر بخاصة . وتزداد حدة المشكلة عندما يتعرض الكاتب لفن سريالي أو تجريدي مما ينتج ظلماً للفنان المصور حتى ولو بوصف بديع لابداعه . على كل حال ، ليس هنا مجال الخوض بالتفاصيل في مشكلة محض نقدية ، لكننا سوف نواجهها في الكتابات التي تناولت أعمال سرياليين آخرين .

من السريالية الى التجريد

يشير معرض رمسيس يونان الذي أقامه في باريس عام ١٩٤٨ الى بداية مرحلة الانتقال من السريالية الى التجريد . يزيد في أهمية هذا المعرض كتالوجه الذي احتوى خطابات متبادلة بين الفنان وجورج حنين ، والتي تشكل « وثيقة ذات أهمية خاصة عن مولد العمل الفني في نفس فنان ذي معرفة حميمة بأبحاث شعراء الطليعة . يتجلى من هذه الوثيقة التوجس من كل ما هو حيلة » . كما تتيح المقارنة بين الفنان والكاتب : « فهذا التوجس أوضح عند الكاتب — جورج حنين — منه عند الفنان رمسيس يونان . يقول جورج حنين أن ما لا اسم له هو وحده الذي يوجد حقاً .. لكن يبدو أنه مشغول بالقلق أكثر من إنشغاله بالخلق الفني . » ونجد ترجمة كاملة لهذه الخطابات في الفصل الخاص بالوثائق من هذا الكتاب .

تجنب رمسيس يونان في هذا المعرض : « كل ما هو تلقائي . يحرص على انقاذ الأشكال التي تتولد بين يديه بالحب الذي يحمله لها . اذا نظرنا في أعماله بدت لنا لأول وهلة سبيكة عجيبة من الحبر الشيني واللون الأبيض ، بحث فيها بمقشطه بعد ذلك حتى يعثر على أشكال قد يصفها البعض بالتجريد ، والبعض الآخر بأنها مستوحاة من الطبيعة لفرط ما تفسحه لغزيتها من مجالات التصوير . على أنه يبدو أن الفنان يسعى أكثر فأكثر الى التخلص من كل تهويل ومن كل ما يربطه بفكر ينطوي على قليل أو كثير من الرومانتيكية ، وأعماله التي تتميز بصلابتها تبشر بتصوير عار عرى النجوم ، حتى لينسينا طريقة صنعها » .

هناك اختلاف حول نقطة انتقال رمسيس يونان الى التجريد . فبينما يجمع شوقي عبدالحكيم وفؤاد كامل على أنها في عام ١٩٤٧ إلا أن الأول يرجعها الى المعرض العالمي للسريالية في باريس ، ويرجعها الثاني الى معرض « الأعمال الأوتوماتية » في القاهرة الذي أقيم في مدرسة الليسيه فرانسيه . أي عندما كان رمسيس يونان ما زال داخل اطار السريالية .

لماذا انتقل رمسيس يونان من السريالية الى التجريد ؟

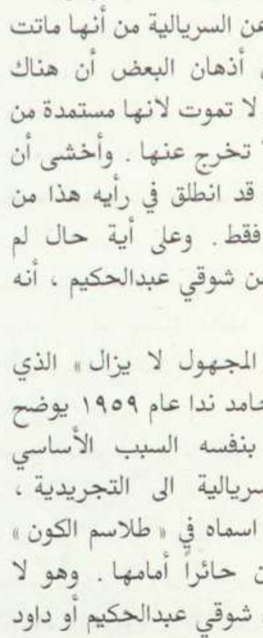
يجيب شوقي عبدالحكيم : « كان مفهوم رمسيس يونان للخيال أكثر انطلاقاً وتحرراً من مفهوم السرياليين ، ذلك المفهوم الذي يقول عنه رمسيس يونان أنه كان محدوداً ومسوراً . ولا يتعدى المفهوم الفرويدي . وهو مفهوم يقود الفنان الى القوقعة داخل الموضوع . والموضوع لا يتعدى تناول المشكلات والقضايا التي تصطرع داخل المجتمعات الحديثة دون التعمق والتوغل في الجذور والمقومات الأولى المجردة

للأشياء » . وأنا أذكر هنا اجابة شوقي عبدالحكيم مع التحفظ على التعبير الذي ينسبه الى رمسيس يونان بأن مفهوم السرياليين كان « محدوداً ومسوراً ولا يتعدى المفهوم الفرويدي » . فانا لم أعثر على هذا التعبير على لسان رمسيس يونان في أي مكان آخر ، كما أن شوقي عبدالحكيم نفسه لم يذكر المصدر الذي أخذ منه هذا التعبير .

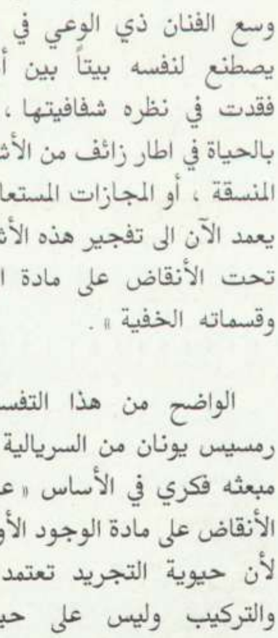
بينما يجيب داود عزيز على نفس السؤال برأي غريب : فهو يرى أن رمسيس لم يبرز في التجريد شأن البارزين من أقطاب هذه المدرسة ، وأن انتقاله من السريالية الى التجريد « بمثابة عملية هروبية ومحاولة لمسايرة فكرة الانتشار التي لمسها الفنان في اوربا ولم يدرك حقيقة أن هذه المدرسة نفسها أي التجريد في طريقها الى الأفول في اوربا ذاتها » . بالطبع لم تأفل التجريدية كما قال داود عزيز ولن تأفل ، وهو نفس الشيء الذي قيل عن السريالية من أنها ماتت بينما يغيب عن أذهان البعض أن هناك اتجاهات في الفن لا تموت لانها مستمدة من الحياة نفسها ولا تخرج عنها . وأخشى أن يكون داود عزيز قد انطلق في رأيه هذا من منطلق سياسي فقط . وعلى أية حال لم يعرف عنه ولا عن شوقي عبدالحكيم ، أنه ناقد تشكيلي .

في كتالوج « المجهول لا يزال » الذي وزع في معرض حامد ندا عام ١٩٥٩ يوضح رمسيس يونان بنفسه السبب الأساسي لانتقاله من السريالية الى التجريدية ، والذي يكمن كما اسماه في « طلاسم الكون » التي يقف الفنان حائراً أمامها . وهو لا يجري كما جرى شوقي عبدالحكيم أو داود عزيز وراء الإقلال من شأن السريالية أو تحقيرها ، بل يعترف بفضلها كمرحلة هامة في حياته الفنية والفكرية : « الى هذه الحركة السريالية يرجع الفضل كذلك في أول محاولة جدية لخلق اسطورة جديدة يلتقي فيها الواقع بالخرافة والظاهر بالباطن والحكمة بالجنون والاوج بالحضيض ، والحياة بالموت ، حتى تصبح مبعث نور والهام للنفوس الولهى المتعطشة التي تناهبتها في هذا العصر شتى عوامل الحيرة والشك والقلق . غير أن هذه الأحلام والأشواق بالرغم مما أشعلته من مواقد لا تنطفئ ، لم تستطع أن تصمد مع تلك الوساوس التي أصبحت بمثابة عصب الوعي الحديث وقوته اليومي . وهكذا عاد الإنسان وجهاً لوجه أمام طلاسم الكون ، لكأنه عاد إلى حيث كان في فجر الخليقة ، وقبل أن يبتدع الأساطير التي تضفي على الأشياء مغزى ومدلولا . وهكذا لم يعد في وسع الفنان ذي الوعي في هذا العصر أن يصطنع لنفسه بيتاً بين أحضان طبيعة فقدت في نظره شفافيتها ، ولا أن يقنع بالحياة في اطار زائف من الأشكال الهندسية المنسقة ، أو المجازات المستعارة . لذلك نراه يعمد الآن الى تفجير هذه الأشكال علّه يعثر تحت الأنقاض على مادة الوجود الأولية وقسماته الخفية » .

الواضح من هذا التفسير أن تحول رمسيس يونان من السريالية الى التجريدية مبعثه فكري في الأساس « علّه يعثر تحت الأنقاض على مادة الوجود الأولية الخفية » . لأن حيوية التجريد تعتمد على التحليل والتركيب وليس على حياة الواقع أو الأسطورة . فهل عثر رمسيس على مادة الوجود الأولية في مرحلته التجريدية والأخيرة ؟ ذلك سؤال أرجو أن أجيب أو يجيب كاتب آخر عنه في بحث آخر .



بدر الدين أبو غازى



بيكاسو

فؤاد كامل

ولد فؤاد كامل في بني سويف في ٢٨ ابريل ١٩١٩ . وهو واحد من الذين أثر فيهم يوسف العفيفي عندما كانوا تلامذة في المدرسة السعيدية الثانوية ، وكان العفيفي يدرسهم الرسم وفتح عيونهم على الفنون البدائية . واصل فؤاد كامل طريقه الأكاديمي فحصل على دبلومي المدرسة العليا للفنون الجميلة والمعهد العالي للتربية الفنية . عمل مدرساً للرسم مثل رمسيس يونان في بعض المدارس ، واختير مثل رمسيس ايضاً للتفرغ عام ١٩٦٠ . اشترك في جماعة « الشرقيين الجدد » عام ١٩٣٧ حيث تعرف على كامل التلمساني الذي كان من أكبر المتحمسين لها . كما اشترك في جماعة « جانح الرمال » عام ١٩٤٧ والتي أقامت معرضاً للأعمال الأوتوماتية في نفس العام . كان من أهم المعارض التي شارك فيها عدا معارض الفن المستقل ، معرض « نحو المجهول » . الذي أقيم بقاعة « كولتورا » في القاهرة عام ١٩٥٨ ، ومعرض السريالية الدولي في باريس عام ١٩٤٧ . حصل على الجائزة الأولى في التصوير في معرض « الفنانين العرب » الذي أقامته جامعة « برديو » في الولايات المتحدة عام ١٩٤٨ ، مثلما حصل على الجائزة الأولى في التصوير في بينالي الأسكندرية عام ١٩٦٨ .

كان فؤاد كامل من اصغر اعضاء جماعة الفن والحرية . عندما اشترك في المعرض الأول للفن والحرية عام ١٩٤٠ ، لم يتجاوز عمره واحداً وعشرين عاماً . تميز في تلك الفترة برسم البورترية ، ومن أهم تلك الرسوم البورترية صديقه « كونتروفيتش » . وتتضح في تلك الرسوم قدرته الأكاديمية في دراسة تشريح الجسد الانساني والتي يستفيد منها في تصويره السريالي . كان تصويره في تلك الفترة يميل الى الزخرفة ،

مع اجادة مزجه للألوان . يرى الناقد ديمتري دياكوميدس أن فؤاد كامل كان في مرحلته السريالية متأثراً ببيكاسو . كما يرى أنه يكشف في تكويناته غير التشخيصية عن حساسيته ، وحاسته الجيدة تجاه الألوان وخياله الخصب وأسلوبه المتين .

رومانتيكية خصبة

في رسوم تلك المرحلة محاولة مستمرة لخلق علاقة روحية بين الفكر الانساني والمواد الجامدة .يحكي جون باستيا أن ناقدا كبيراً طلب من فؤاد كامل تفسيراً « لخربشاته المزدحمة بالألوان » فرد عليه فؤاد بأنه يريد التعبير عن مشاعر الكرسي عندما نجلس عليه . ويعلق باستيا قائلا : « نحن واثقون بأنه لو استطاع الكرسي فسوف يحتج على تفسير السيد فؤاد كامل » . يصف فؤاد كامل نفسه في كتالوج المعرض الثاني للفن المستقل : « شاعر عندما لا يكون لديه ما يشتري به ألوانه . صامت دائماً . للمرأة كلحن موسيقي أثر فعال في خلق اجواء صوري . يوم صاحت أعماقي (يا أختي الشجرة ويأخي الحجر) غمرني في الوقت نفسه قانون الوجود الواحد في كل شئ ، وشعرت بالتناسق العجيب الذي يربط ويخضع كل كائن في نظام دقيق معجز . بت لا أقلق اذا ما نظرت مثلا لتعاريج ظهر جاموسة كأنها استمرار متنقل لجزء من جبل ضخم أو عندما لا أفرق كثيراً بين معرفة حصان وشعر امرأة ، أو بين مقعد وجسم بشري . إن بين الموت والحياة الدائمة معركة هائلة تنتج أكبر تشويه رهيب أواجهه في صوري . إن في أغوار كل شئ روحاً تدب فيه حتى الجماد » .

وهذا كلام رومانتيكي خصب . نجده ايضاً في لوحاته السريالية ، والسريالية نفسها ذات جذور رومانتيكية في الأساس . أوضح سمات هذه الرومانتيكية عند فؤاد كامل تلك المسحة من القلق في وجوه شخصياته . كثيراً ما تبدو هذه الشخصيات ذات الحواس المرهفة في حالة من الثورة والقسوة . يمزج فؤاد كامل هذه الشخصيات أيضاً ، والتي التزم فيها بالتشريح العضوي مثلما فعل سلفادور دالي بالخيال السريالي . وقد لاحظ ذلك الناقد غالي شكري : « بدأ فؤاد كامل سرياليا على استحياء من الرومانتيكية الكامنة في الأعماق » و « عبرت لوحات فؤاد كامل (خلال الأعوام ١٩٣٩ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٤) عن نفسها بالتطلع الى المستقبل ، بمزجه الحس الرومانتيكي الأصيل باللمسة السريالية الوافدة مع نيران الحرب العالمية الثانية .فرؤوس الخيل ذات الدلالات الفرويدية (١٩٣٩) ورؤوس البشر ذات الأعين الجاحظة الى المجهول (١٩٤١) والعاصفة الهوجاء التي تخرج السنتها الملتهبة لتغيظ الحلم النائم بكابوس الرعب (١٩٤٤) .. هذه كلها تستلهم خطوطاً ناعمة استسلمت كثيراً لبريق المنظور الواقعي وإن اكتسى بشطحات الخيال الرومانسي .. فعلنا نجد في هذه المرحلة أصابع الأيدي وشعر الرؤوس وعيون الوجه وقد التزمت بالرغم من الحلم السريالي قواعد اللعبة التقليدية في تصور التشريح العضوي لأجزاء الجسم البشري » .

ويلاحظ غالي شكري أن فؤاد كامل في بداية الخمسينات تخلص من النزعة الرومانتيكية مع استمراره في الخيال السريالي ، فيما حطم المقاييس التشريحية « لا يفاجئنا فؤاد كامل طيلة السنوات (١٩٥٤ ، ١٩٥٦ ، ١٩٥٧) ، بتحوله عن الحلم الرومانسي ، وانما هو يوجه أعمق جهوده الى الخيال السريالي النقي من أوشاب الرومانتيكية والغنائية ، والملوث بطين الفزع من المجهول . لقد أوشكت الشباك أن تصيد شيئاً ، وكالرعب الذي استولى على العجوز في قصة همنجواي والقرش يأكل سمكته الكبيرة ، استولى الرعب على فؤاد كامل من قبل أن تصيد الشباك ، بل لعله خاف أن يكون هناك صيد على الاطلاق . هكذا تتحطم كافة المقاييس التشريحية دون وجل في لوحات هذه الفترة ، وتختفي رؤوس الخيل لتبرز رؤوس البشر ، فالانسان الحضارة وليس الانسان العضوي هو محور التراجيديا التي اكتشف الفنان بعضاً من أهوالها ..) .

بينما بكر رمسيس يونان بالتحول الى التجريدية في نهاية الأربعينيات من هذا القرن ، يتمهل فؤاد كامل حتى نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات ليتحول اليها . يؤرخ غالي شكري بلوحة لفؤاد كامل من عام ١٩٥٨ بأنها أوحت بهذا التطور الجديد « حين تخلص الفنان من أصول العالم السريالي وترك الحيز التشكيلي نهباً للمساحات والخطوط بما يومئ أن (تكويناً) جديداً يلوح في الأفق » .

كامل التلمساني

شخصية كامل التلمساني من أكثر شخصيات جماعة الفن والحرية تميزاً . كان نموذجا متفردا ، عاش حياته الفنية والشخصية بالعرض . ولد في اسرة فقيرة ، اعتمد على نفسه في تكوين نفسه . في الثقافة ، يملك ذهنا محورياً. ينطلق من نفس المبادئ في رؤية الفروع : أدب ، سينما ، مسرح ، فن تشكيلي .. وغيرها . كتب عدة مقالات في الفن التشكيلي نسيج خاص ، لم يكتب مثلها في مصر حتى الآن ، واعني تلك السلسلة التي نشرها في جريدة « دون كيشوت » بعنوان « الفن في مصر » بالفرنسية . له صور أدبية نشرها في مجلات نرجو أن تجمع يوماً ما في كتاب ، منها ما نشر في مجلة « المجلة الجديدة » تحت عنوان : « من الحياة والفن » . اخرج للسينما العربية واحداً من أهم الأفلام في تاريخها : «السوق السوداء» . كان مناضلا سياسياً مع كل هذا ، بالقلم والفعل . وله عشرات المقالات السياسية ، وقعها باسمه الصريح أو باسم مستعار وبعضها بدون توقيع . هذا بالاضافة الى دوره كفنان تشكيلي في جماعة الفن والحرية ، رغم أنه الوحيد فيها الذي توقف عن الرسم مبكراً عام ١٩٤٥ وتحول الى السينما . لكنه في تلك الفترة القصيرة أثر على عدد من الفنانين

التشكيليين الشبان ، مثل انجي افلاطون التي شجعها على الاشتراك في معارض الجماعة .

كانت السريالية نقطة انطلاق في حياة كامل التلمساني استمرت زهاء عشر سنوات فقط وحتى منتصف الأربعينيات . ورغم ذلك كان في تلك الفترة مع رمسيس يونان الناطقين باسم الحركة السريالية في مصر باللغة العربية بينما كان جورج حنين محركها والناطق باسمها بلغات اجنبية . وفي هذا نذكر دفاعه المثقف عن الحركة في بدايتها ضد الهجمات التي انهالت عليها ، ونجد بعضاً منه في الفصل الخاص بالوثائق .

كان كامل التلمساني شخصية قلقة وطموحة . وربما لهذا السبب ترك « النضال السريالي » عندما شعر أن هذا الطريق يختنق في مصر . كان حلمه أن تصل أفكاره لأكبر عدد ممكن من الناس ، لهذا مارس وسائل عدة ، ثم انتقل الى « وسيلة اعلام جماهيرية » ، أو سحر القرن العشرين : السينما . هذا السحر الذي يوضح تأثيره عليه في مقدمة كتابه : « عزيزي شارلي » الذي كتبه عن عبقري السينما « السير » شارلي شابلن .

يلقى حسن التلمساني شقيق كامل والذي شارك ايضاً في بعض معارض الفن المستقل الضوء على حياة كامل الشخصية والفنية والسياسية : « ولد كامل في قرية (نوى) مركز شبين القناطر بمحافظة القليوبية . ظل فيها حتى أنهى دراسته الابتدائية ، ثم انتقلت الأسرة الى القاهرة عام ١٩٢٥ ، وتنقلت بين أحياء حلوان والصليبية والجيزة . دخل كامل المدرسة السعيدية الثانوية ، وحصل على البكالوريا عام ١٩٣٠ تقريباً . بدأ الرسم بالمدرسة متأثراً بالاستاذ يوسف العفيفي مدرس الرسم بالمدرسة . كان كامل يتردد على قريته ويرسم المناظر الطبيعية . ثم دخل كلية الطب البيطري ، وظل بها خمس سنوات رسب خلالها أكثر من مرة ولم يتمكن بسبب اهتمامه بالرسم من الحصول على البكالوريوس فترك الكلية عام ١٩٤١ .

« كان كامل يعمل أحياناً اثناء دراسته ويساعد أسرته عن طريق بيع صوره والكتابة في الصحف والمجلات ، مثل « مجلتي » التي كان يرأس تحريرها أحمد الصاوي محمد . وليس أدل على حبه للفن من أنه فضل الذهاب الى افتتاح معرضه الخاص في قاعة جولدنبرج بميدان مصطفى كامل بالقاهرة في نفس الوقت الذي كان يجب عليه فيه أن يذهب لأداء امتحان نهاية العام في الطب البيطري » .

أكثر الأفلام واقعية

يقول حسن التلمساني أن شقيقه كامل كان متأثراً بجورج رووه ، وأنه كان فناناً واقعياً ثورياً لذلك تحول الى السينما وأخرج أكثر الأفلام المصرية واقعية وهو فيلم السوق السوداء عام ١٩٤٦ ، الذي وضع فيه كل فكره وفنه ، لكنه لم ينجح جماهيرياً وحاربه أصحاب السوق السوداء الحقيقيون . يؤيد هذا الرأي حول تحول كامل الى السينما مقالة كتبها عن « السينما فن القرن العشرين » قال فيها أن الرسم لا يصل الى الجماهير وأن البرجوازية فقط هي التي تشاهد الأعمال التشكيلية . وأن السينما هي أفضل وسيلة للوصول الى الجماهير .

عمل كامل قبل اخراجه فيلم السوق السوداء كمساعد مخرج في ستديو مصر من ١٩٤٤ حتى ١٩٤٦ . وبعد فيلم السوق السوداء أخرج أربعة افلام روائية تجارية — أملا في الوصول الى الجماهير — لكنها لم تنجح ايضا . هي : « أنا وحبيبي » ، « كيد النساء » ، « البوسطجي » ، « الناس اللي تحت » . كما كتب عن السينما « سفير امريكا بالألوان الطبيعية » بالاضافة الى كتابه سالف الذكر « عزيزي شارلي » . وله رواية مات قبل أن يتمها اسمها : « أم محمد » عن نفسه وأسرته ، أرجو أن تنشر كذلك .

سافر كامل التلمساني الى بيروت عام ١٩٦٠ نتيجة مشاكل خاصة وأسرية . وكان قد تزوج أربع مرات في حياته ولم ينجب خلالها . وظل في بيروت حتى توفى في أول مارس من عام ١٩٧٢ . عمل خلال تلك الفترة في الكتابة للسينما والمسرح والراديو . ومن أشهر أعماله الإذاعية « المقامات اللندنية » التي أذيعت من القسم العربي



سلفادور دالي

الرواد

بهيئة الإذاعة البريطانية ، وتخيل فيها عودة الحريري الى الحياة واقامته في لندن .

عن نشاط كامل السياسي يقول شقيقه حسن : « كان كامل ثوريا بشكل عام . لم ينضم الى جماعة الخبز والحرية بينما شارك في تأسيس جماعة الفن والحرية :

عبر رمسيس يونان عن كامل التلمساني الفنان التشكيلي عام ١٩٤٢ قائلا :

« قد يكون التلمساني ممثلا ، لكنه ممثل انغمر في دوره وتشعبت به دماؤه وشحنت به أعصابه وتمغطس به قلبه وذهنه .. »

« وقد نرى في صورة التلمساني زرقة السماء وخضرة الحقول وحمرة الورود ، لكن للسماء وللحقول وللورود وللحمرة وللخضرة وللزرقة في صوره معاني غير تلك المعاني التي يراها الخارجون للنزهة مع عيالهم أيام الجمع أو أيام الآحاد ... »

« هذه الوجوه الكليلة المكدودة ، وهذه الاجسام المتلئة لوعة المحاطة بهالة من السواد ، وهذه العيون التي مازالت تلمع بشرر التمرد مع شدة الإعياء وهذه الشعور الشريدة بين عواصف الحيرة والقلق والثورة ، ثم هذه العواطف المكبوتة السجينة وسط العظام المشدودة ، والأصابع المتوترة ، ثم هذه الألوان التي رغم قيمتها تحتفظ في ا ركانها ببريق حاد من الأضواء الدافئة ... هذا ما تقابلنا به ، بل هذا ما تفاجئنا به صور التلمساني . وقد لا تسعدنا المقابلة ، ولكن المفاجأة تصدمنا فنحس خلال ا عصابنا أصداءها تتابع حلقة بعد حلقة حتى تصل الى قرارة الأحشاء » .

غزارة الالهام الروحي

هذا هو جو لوحات ورسوم كامل التلمساني كما عبر عنه رمسيس يونان ، وله علاقة بأسلوبه في الرسم . اذ أنه يعتمد بالفعل على تأثير : الصدمة . وعلى التعبير عن الواقع من خلال السريالية ، لذا فهو يحطم النسب المعتادة ويدخل في الخيال .

يقول اتين مريل عن ابداع كامل السريالي : « إن الخواطر التي تجتاز نفسية التلمساني وتسكب فيها ذكرياته المخزونة من الصور هي نفس الخواطر التي اوحت لكتاب المآسي الاغريقية أقنعتهم المثيرة وخناجرهم المزدانة بالورود الحمراء التي تدمي الصدور المقدمة لها . وتدمي الخواصر سريعة الخفقات ، وتدمي العيون المتعبة من رؤية النهار . لا يستطيع الانسان أن يحب التصوير لذاته فقط ، ويرفض الاعتراف بالرموز الجوفاء التي لا تقدر على المحافظة على كيانها ... الا أننا نجد هنا شيئاً آخر مختلفاً هو صور التلمساني التي نرى فيها غزارة الالهام الروحي ، وأسراره التي تستحق التقدير . وعلى الرغم من امتلاء صوره بعناصر الهدم والتحطيم فان القيم الفنية لهذه الصور مازالت سالمة » .

ويبدو أن كامل التلمساني كان متطرفاً في استخدام « عناصر الهدم والتحطيم » هذه ، حتى أن اتين مريل يكتب : رغبة في إرضاء أكثر الناس إعتدالاً ، بدأت الشخصيات التي يرسمها التلمساني الآن تكتفي بجرعات محدودة من الشناعة لتزين آلام العيش المتوسط » . وذلك بعد أن كان التلمساني « يصور الوجه الانساني مزداناً بستة ازواج من العيون » .

هذا بينما يقرر ا . رافوانه : « لابد لنا اما أن نقبل فن التلمساني بحرفيته الكاملة دون أي تحفظ ، أو نرفضه على الاطلاق . فمن علامات الضعف أن تمدح باعتدال ، فالتحيز ضرورة لازمة » . رافو نفسه يقبل فن التلمساني .. لماذا ؟ لأنه يوصل الينا في هذه اللمحة السانحة من الحياة عواطف ستبقى دائما خارجة عن نطاق الزمن . إننا نعترف به لأن من حلقاته المتواصلة من الآلام والتشنجات من جحيمه وطينته وتطرفه من كل هذا تتكون سلسلة مؤكدة وثيقة الصلة بحقيقة تعسة تحاول الشياطين بخبثها ابعادها عنا طيلة الحياة وحتى ساعة الموت . اننا نجد انفسنا في هذا الفن لانه مبدع من روح مجردة مطلقة .. هذا الفن الذي يعرف كيف يخترق قلوبنا ليدمي في مروره ما بقي منها ، إن كان ثمة ما بقي » .

الفن في خدمة المجتمع

تصف ايمي ازار كامل التلمساني بأنه ولد من تمرد وغليان فترة الحرب العالمية الأولى . تظهر أعماله الأولى المعالجة بالجواش فناً عنيفاً ، وإحساسا دراميا متميزا بالألوان ، وجمالية صدمة . تعانقت التشنجات وصرخات اليأس والنوبات الواقعية الحية للأزمنة المؤقتة » .

كان التلمساني نفسه يقرر : « السواد والدماء والأشكال المزقة والخطوط الحزينة الصارخة هي الصور الوحيدة التي يمليها على الفنان عالم غير متجانس تعيش فيه انسانية مشوهة » .

الغريب أن يتوقف التلمساني عن الرسم عندما خفت كمية الرعب وازدحام الألوان في لوحاته . وبدأ يمتثل للقواعد الجوهرية للتصوير الزيتي ، مع الاحتفاظ تماماً بحسه العاطفي ، وتقديمه للشكل المؤثر للجروح الانسانية . لكن يبدو أن التناقضات التي وقع فيها كانت تحتم تلك الهجرة التي حسمت تناقضاته في نفس الوقت . فبينما وقف في صف السريالية يدافع عنها محاولا الرسم بأساليبها ، كان ينادي « الفن في خدمة المجتمع » ، والسريالية تقول بأن الفن ليس خادماً لأي شئ . وكان يهاجم الفن التجريدي ، مثلما هاجم كاندنسكي لأن صوره مساوية في تأثيرها لأي صورة من الصور التي تتبع طريق عزلة الفنان عن الحياة والمجتمع ... مجرد مساحات جميلة من الألوان وترتيب منسق للخطوط والأشكال والأحجام تختفي خلالها اللهجة المباشرة للكفاح ، والانعكاس المباشر للحياة وارتطامها » . وهذا الكلام هو نفس ما تنادي به الواقعية الاجتماعية ، وكان السرياليون ضد هذه النظرية .

وهكذا . كان لابد أن ينتقل كامل التلمساني الى السينما ويخرج « السوق السوداء » .

سمير غريب

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

صفحات « الأوراق الخضراء » يحتلها هذا العدد الأديب العربي الكبير الدكتور زكي مبارك ، وهي مجموعة من الخواطر المتفرقة البديعة كتبها سنة ١٩٤٢ ... وقد مر على كتابتها الآن أكثر من أربعين سنة ... فهل تغيرت الأيام ، أو أن ما كان يفكر فيه زكي مبارك ويعاني منه ما زال يجري في طبائع الناس وواقع المجتمع ؟ ... هذا ما نتركه لحكم القراء ، الذين نحب أن نلفت نظرهم هنا ، وخاصة أبناء الجيل الجديد منهم ، إلى أسلوب زكي مبارك الساحر ، وطريقته العفوية في التفكير والتعبير ، وآرائه الجريئة ، وصدق تجربته الوجدانية في الاحساس بالحياة والناس .

« الدوحة »

الحديث ذو شجون



بقلم : الدكتور زكي مبارك

أوهام تخلق متاعب

في صدر هذه الليلة عانيت متاعب كادت تقصم ظهري ، وكدت أخشاها على حياتي ، ثم لطف الله فتبددت بعد ساعات أطول من الآباد .

فما تلك المتاعب ؟

هي متاعب خلقتها أوهام في غاية من السخف ، ولكن النص عليها واجب لمنفعة القراء ، فقد يكون فيهم من تعتريه مثل تلك الأوهام في بعض الأحوال .

التفت بغتة فرأيت نفسي تراجع طوائف من الذكريات الموصلة بمعاملاتي في جماعات من المعارف والأصدقاء ، فانقبض صدري أشد الانقباض ، وتجسمت أمام خيالي ألوان الأوهام بصورة لم أشهد مثلها من قبل ، صورة مروعة قاسيت منها ما تقاسي النار من الريح العصوف .

وفي فورة تلك الكروب جاء لطف الله فرأيتني أقول : ومن أولئك وهؤلاء حتى اعاني في العتب عليهم مثل هذا العذاب ؟ اذا غدر بك القريب فليس بقريب ، واذا تجنى عليك الصديق فليس بصديق ، ومن واجبك أن تحفر قبراً تدفن فيه من لا يرعى

حق القرابة ، ولا حفظ عهد الإخاء . ما اهتمامك بمن يرضيهم أن تشقى نفسك ؟ وما عتبك على من يسرهم أن تزل قدمك ؟ وما حزنك على ضياع مودة كان يجب أن تضيع لأنها في رعاية الضائعين ؟ ! أمن اجل خلائق مراض القلوب تمرض نفسك ؟ امن أجل إخوان غدرة تؤذي قلبك ؟ أهؤلاء وأولئك يستحقون أن نفكر فيهم ساعة من ليل ؟ وهل أكرموا أنفسهم حتى يكرموك ؟ وهل أعزوا حياتهم حتى يعزوك ؟ إن حزنك لما صنعوا معك دليل على أنك دائم الإشفاق عليهم ، وقد نصحك الشاعر صادق رستم حين قال :

شـر البلية إشفـاق عـلى فئـة
لـو كنت تؤكل ما عفوا ولا شبعـوا
تبيت تبكي لصرف الدهر بفجعهم
ولـو رأوك على الأعناق مـا دمعوا !

لا تشفق عليهم ، وأشفق على نفسك أيها الغافل عن حقائق الخلائق ، فلو أنك استبقيت ما أنفقت من الوقت في صحبتهم لتنفقه في تربية البهائم ، لكنت اليوم من كبار الأغنياء ... وقد نصحك المثل المصري فما انتصحت ، المثل الذي يقول : «كل ماتزرع ينفعك ، الا إبن آدم تزرعه فيقلعك » ! وهؤلاء يحققون صدق هذا المثل افظع تحقيق ، فهم يقولونك ما لم تقل ، ويذيعون عنك أغرب الأحاديث ، وقولهم فيك مسموع ، لأنهم عرفوك ، ومن حق من عرفك أن يقول فيك ما يشاء .

ومـا ضرني الا الـذين عـرفتهم
جزى الله خيراً كل من لست أعرف

ما جزعك من غدر صديق ؟ وما حزنك من لؤم أليف ؟ أنت أنت ، ولن يكون بلاؤك بأولئك وهؤلاء ، غير سحابة صيف ، ثم ترجع إلى إسباغ نعمائك على الجاحدين

تذكر يا غافل فضل الله عليك . تذكر انه عصمك من الجحود حين أغناك عن الناس ، والجحود رذيلة لا يتعرض لها غير المبتلين بتقبل إفضال المفضلين من أهل الكرم المطبوع أو المصنوع .

وأراك تبدئ وتعيد في أحاديث البر بأصدقائك ، ولو ناقشوك لأفحموك ، فما قبلوا برك إلا حين اطمأنوا إلى أنك رجل كريم ، والكريم غير منان .

وما الوقت الذي تقول إنك أغدقته على الجاحدين من إخوانك ؟ لقد دفعوا ثمن المعروف أضعافاً مضاعفة ، لو كنت تنصف ، دفعوه تحيات وابتسامات ، وهي معان تفوق كرائم الأثمان ، ودفعوا ما هو اعظم ، لو كنت تعقل ، فقد أشعروك بلسان المقال أو لسان الحال أنك رجل نفاع ، وذلك أعظم ما يوصف به أكابر الرجال .

أنت تمن على أصدقائك ؟ فماذا أبقيت للمتجرين بالأخلاق ؟ !

كان الظن أن ننسى جميلك إن كنت من أصحاب الجميل ، ولكنك ...

وهنا أفقت قليلاً فساءلت نفسي عن سبب التفوه بذلك المن السخيف :

ماذا أكلت اليوم من الطعام ؟ ومن لقيت من الناس ؟

يجب أن أعرف ما وقع في يومي هذا ، لأعرف سبب السخف الذي وقعت فيه حين مننت على معارفي وأصدقائي .

في عصرية اليوم ــ وهو الخامس من شهر آب ــ كنت أهنئ فلانة بعيد ميلادها السعيد ، وفي لحظات الصفاء حدثتها أني ولدت في مثل هذا اليوم ، فهتفت بحماسة مصحوبة بالحنان :

Nous arrivons en même temps!

نعم ، يا سيدتي ، وثمرات الأعناب في شهر آب .

ثم قلقت نفسي قلقة عنيفة حين تذكرت أني لا أحتفل بعيد ميلادي كما يحتفل أكثر الناس ، وكيف يتيسر ذلك وأنا اخلق في كل لحظة خلقاً جديداً ، باعتبار ما يرد على عقلي وروحي من شتيت الآراء والأهواء ؟

وسألتني عما أستظرف من هدية الميلاد فأبيت الإفصاح عما أريد وإن كنت اشرت إلى أني معجب بدالية مسلم بن الوليد !

وغفلة فلانة عن مدلول هذه الإشارة لم تزعجني ، لأنها قليلة المعرفة بقصائد صريع الغواني !

فما السبب الأصيل لاضطرابي وانزعاجي في هذا المساء ؟

لعل السبب يرجع إلى أني قضيت صباحية اليوم بوزارة المعارف ، وهي مملوءة بالمراوح ، ولتفصيل ذلك أقول :

في مكاتب كبار الموظفين بوزارة المعارف مراوح كهربائيةتدور من جانب الى جانب ، ليقل خطرها فيما يقال ، وأنا رجل يؤذيه البرد الطبيعي أشد الأيذاء ، فكيف يتحمل البرد الصناعي وهو ثقيل ثقيل ؟

أنا لا أخاف المراوح الثابتة ، لأن تجنب تيارها مستطاع ، وإنما أخاف المراوح الدوارة ، المراوح التي تغزو الصدور والمفاصل برغم التحرز والاحتراس .

وهذه المراوح كثيرة في وزارة المعارف ، وأنا منها في شقاء وعناء ، ولا سيما المروحة الجاثمة بمكتب تفتيش اللغة العربية ، ومن أجل هذا أوصي زائري بمقابلتي في مكتب الأستاذ علي أدهم سكرتير الرجل النبيل شفيق بك غربال ، لأنه مكتب مضنون عليه بالمراوح ليساير الطبيعة في أمان .

واه ثم آه من المراوح في وزارة المعارف ! إنها تخلق تيارات عنيفة الإيذاء ، وهي

السبب في بلبلة بالي في هذا المساء .

وأعجب العجب أن المراوح الدوارة تحتل جميع المكاتب الحكومية ، وكأنها النمائم المبذولة بغير حساب ، فأين من يرحمنا من تلك الرياح الباغية ؟ وأين من يعرف أن القيظ في أحر أحواله أروح من البرد ؟

عرفت بالضبط والتحديد سبب اعتكاري في هذا المساء ، فما عن لؤم أو حقد غمزت معارفي وأصدقائي ، وإنما هي جناية المراوح بوزارة المعارف ، وسيأتي يوم قريب او بعيد ترفع فيه تلك الآصار الثقال .

إن قوماً يعجبون من ثورتي على الناس والزمان ، فهل يعرفون أن المراوح تلفح وجهي في كل مكان ؟

لو صفا دهري لصفوت ، ولو عدل زمني لعدلت ، واختلال الموزون يخل الميزان .

بمن أثق ؟ وعلى من أعتمد ؟ وما اطمأننت إلى صديق إلا رأيته بعد حين أو ا حيان وصولياً عديم الروح والوجدان .

ومع هذا أصفح عن أبناء زماني ، لأنهم أبناء الزمان .

ومع هذا أيضاً أبتسم حين يلقاني فلان وعلان .

فضحتكم يا جماعة المنافقين ، فالتمسوا قلباً غير قلبي ، وحبيباً غير حبيبي ، وانتظروا غضب الله على جميع المرائين .

ثم ماذا ؟

ثم أشير إلى غربتي في وطني بالفكر والروح ، غربة قاسية لا ترحم ولا تلين ، غربة أتوحد بها توحد الليث في العرين .

فرحة الأديب بالأديب



الياس أبو شبكة

عبارة « فرحة الأديب بالأديب » تعد من مبتكرات ابن الرومي من حيث الصورة والمعنى ، برغم كثرة النظائر والأشباه في تصوير هذا الخاطر الظريف . ومع أن أدباء هذا الزمان لا يفرح بعضهم بلقاء بعض إلا في أندر الأحيان ، فأنا أفرح من أعماق القلب حين يصل إلى سمعي أن أحد الأدباء بسم له الدهر بعد عبوس ، وقد أطيل الشكر لله حين يظهر كتاب يشرف أحد الباحثين ، كالذي صنعت حين ظهر كتاب « عيد الأزهر الألفي » للأستاذ محمد عبدالله عنان ، وكالذي سأصنع كلما ظهر كتاب جيد ،ولو كان مؤلفه من ألد خصومي ، فقد قضيت ا عواماً وأعواما في الحديث عن الحب إلى أن فاض القلب وامتلأ فلم يبق فيه لنائرة الحقد مكان .

ولكن ما سبب هذه الخواطر الوجدانية ؟

كان ذلك بعد قراءة مقال في مجلة الجمهور البيروتية ، مجلة الأستاذ « ميشال أبو شهلا » وهو أديب مر بمصر مرة فرأى الأستاذ الزيات أن يكرمني بمعرفته في مسامرة أدبية ، وكان الزيات يقيم بالقاهرة « في ذلك الزمان » وكانت ا سمارنا لا تنقطع ، فقد كنا نتلاقى روحاً إلى روح في كل مساء عن طريق الهتاف ، وأن لم نتلاق وجها إلى وجه إلا لحظة واحدة في كل شهرين .

متى يرجع الزيات إلى القاهرة ؟ متى يرجع ؟

المقال الذي اثار هذه الخاطرة الوجدانية هو مقال نشره الأستاذ « إلياس أبو شبكة » وهو أديب تحرش بي عدة مرات ولم ا غضب عليه لأنه حقاً أديب ، والأديب الحق مغفور الذنوب .

وما أثارني هذا المقال إلا بفضل ما فيه من الدلالة على حيوية الأريحيه العربية في الديار السورية ، فقد ذكرني بماضينا الغالي ، ثم ذكرني بحاضرنا المزعج ، الحاضر المثقل بالعقوق ، الحاضر الذي يقضي بأن يعيش الأستاذ أحمد علام أسابيع وهو معصوب العينين بعد عملية خطيرة ، ولكنها باذن الله مرجوة النجاح ، ثم لا نقرأ في إحدى المجلات الأدبية كلمة يتوجع كاتبها لفنان كانت عيناه أجمل ما رأت العيون .

لقيني الأستاذ أحمد علام مرة بعد فراق طال ، فاعتذرت عن تقصيري بكثرة الشواغل ، فابتسم ابتسامة العاتب ثم قال : سيكون نصيبي منك نصيب الأستاذ محمد السباعي ، فلا تؤدي حقى من الوفاء إلا بعد ا ن أموت !

ولقيني مرة بعد ذلك فقال : كيف تشيد في مجلة الرسالة بمواهب الأستاذ ابراهيم الجزار في إنشاد الشعر ثم تنساني ؟

فقلت : إن ابراهيم الجزار مات ، ولم يبق له غير وفائي .

فقال : عيب الدكتور مبارك أنه يذكر الأموات وينسى الأحياء .

ومنذ يومين كنت أسير في شارع فؤاد فهتف هاتف والترام يعدو به عدواً : دكتور ، دكتور ، دكتور ! فالتفت فاذا الأستاذ عباس فارس ، فقلت : نعم ، نعم ، نعم ! فقال : هل زرت الأستاذ احمد علام ؟

ومضيت إلى ما أريد قبل أن يمضي الترام الى ما يريد ، فلن أرى أحمد علام إلا بعد أن يرفع العصائب عن عينيه الساحرتين ، فهل يكرمني الله فيبرئ هذا العليل النبيل لأزور معه شواطىء النيل قبيل الغروب ، ولنقول معاً بصوت الشكران للواهب المنان : هنا وقفنا قبل عشرين عاماً أو تزيد !

أنا أقدم جائزة لمن يثبت ولو عن طريق التلفيق أن الأستاذ أحمد علام نكث بعد عهد ، أو خان بعد وفاء .

ذلك روح لا تجود بمثله الأقدار إلا في القليل من الأحيان .

فارفع العصائب عن عينيك يا أحمد لتقرأ هذه الكلمات ، ولتعرف أن أخاك لا ينساك ، ولتفرح « فرحة الأديب بالأديب » ، يا أجمل أمثلة الأدب في هذا الجيل .



احمد علام

عصا إلياس

هي عصا شعرية ، واليها يرجع الفضل في تذكيري بالواجب نحو الأستاذ أحمد علام ، عصا سوداء ورثها الأستاذ الياس أبو شبكة عن أبيه ، ثم أوحت إليه هذه الأبيات اللطاف :

عروس تزيت بزي الدجنه
ولقنها ساحر الليل فنه

تناهت إلى والدي من أبيه
وأورثنيها عجوزا مسنة

لئن كشرت في الدجى عن بريق
أخافت طيوف الظلام وجنه

إذا هبط الليل أرخي لها
على حصبات الطريق الأعنة

فيسمع من صلبها العاشقون
وقد أرقو رنة إثر رنة

أنين سرى من عروقي إليها
فرن بها كصليل الأسنة

ثم وقع أن أخذ أبو شبكة إلى دار الشرطة بتهمة التجمهر في أحد الأيام السود ، ولم ينج من السجن إلا بعد أن سمع بخبره وزير الداخلية ، وردت إليه الشرطة كل ما اخذت منه إلا عصاه ، فصرخ : هاتوا عصاي ! فقال أحد الرؤساء : عصاك التي قلت فيها شعراً ؟ فأجاب : نعم ، عصاي التي قلت فيها شعراً .

ولم تعد العصا برغم هذا الصراخ ، فكتب في جريدة المعرض يقول :

« أيها الجندي الذي خطف عصاي من يدي ، من أنت ؟ ومن تكون ؟ وأي شأن لك بعصاي ، عصاي التي قلت فيها شعراً ؟ »

وبعد أسبوع تبارى اللبنانيون بالهدايا ، هدايا العصي الى الشاعر الذي فقد عصاه الشعرية ، وسرى الخبر إلى اللبنانيين في المهاجر فتلقى عصاً من الأرجنتين وعصا من البلجيك ، وبهذا كان أعظم شاعر « مضروب » في هذا الزمان .

أكرم الله أهل لبنان ، فما يزالون من أمثلة الأريحية العربية !

علوبة باشا مع الأستاذ

الحديث ذو شجون ، كما يقال ، فليس من الإسراف أن أستطرد فأقول :

منذ عامين لقيت الأستاذ الجليل محمد علي علوبة باشا بقصر عابدين وفي صحبته الأستاذ أنطوان بك الجميل ، فدعاني برفق ليسر إلي إحدى نصائحه الغالية ، فاشترطت أن يسمع الأستاذ الجميل خشية

أن يستوحش من إبعاده عن حديث هو منه قريب .

علوبة باشا ــ أنا أقرأ مقالاتك باعجاب .

زكي مبارك ــ يشرفني أن يكون معالي الباشا من قرائي

ــ ولكن ...

ــ من حق القراء أن يعلقوا على مقالاتي بألف « لكن » لأني أكتب في كل يوم ، ولا يسلم المكثار من العثار ، فما « لكن » عندك يا معالي الباشا ؟

ــ لكني أراك كثير الشكاية من زمانك

ــ هذا صحيح ، و « لكن » هل يذكر الباشا أنه كان وزير المعارف ؟

ــ أذكر ذلك ، فماذا تريد أن تقول ؟

ــ أريد أن أقول : إني لم أكن أملك الدخول عليك بدون استئذان ، ولهذا صحت نيتي على أن لا أرى وجه وزير إلا إن دعاني

ــ أنت مسرف في سوء الظن بالوزراء ، فلهم شواغل لا تخفى عليك .

ــ هذا الاعتذار مقبول ، إذا كان الزائر رجلاً من أصحاب المطالب ، وأنا رجل نفضت يدي من الدنيا ومن الناس ، فما حجة الوزير الذي لا يرى أن أراه بدون استئذان ؟

ــ الوزراء مشاغيل .

ــ والأديب غير مشغول ، يا معالي الباشا ؟ إن للأديب شواغل وجدانية وروحية وعقلية وفلسفية لا تخطر لبني آدم في بال ، وهو مسئول عن رعاية وطنه في حاضره وماضيه ، فيعادي من يعادي ويصادق من يصادق في سبيل الوطن الغالي ، ثم يكون جزاؤه أن يعتذر أحد الوزراء عن مقابلته بحجة أنه مشغول .

ــ أنت مزعج ، يا دكتور مبارك !

ــ المزعج هو الذي يطالب بالانصاف ، وأنا لم أطلب من أحد إنصافي ، وانما أسأل كيف يسرني أن أستصبح بوجه أحد الوزراء فلا يتم ذلك بدون استئذان ؟

ــ إن رجعت إلى الوزارة فسأبلغ من انصافك ما تريد

ــ وإن رجعت إلى الوزارة فلن تراني ولن اراك ! !



محمد علي علوبة باشا

ــ ما هذا الذي تقول ؟

ــ أنظر ثم انظر إلى ذلك الجانب تر (معالي ... باشا) ، فهل تراني هرعت للتسليم عليه ؟

ــ أنت مخطئ ، فهو رجل جليل

ــ ولكنه وزير أديب !

ــ وما عيب الوزراء الأدباء ؟

ــ عيبهم أنهم كانوا معنا فطاروا عنا ، وأنهم لا يحفظون حق الأديب على الأديب .

ــ وهل تحفظ حق إخوانك إذا صرت من الوزراء ؟

ــ حقق الله نبوءتك ليكون لي إخوان !

ثم نظرت فرأيت وزير المعارف السابق قد انصرف (بدون استئذان) ، ورأيتني أهتف بقول ابن دراج :

سلام على الاخوان تسليم يائس
وسقيا لدهر كان لي فيه إخوان
مضى عيشهم بعدي وعيشي بعدهم
كأني قد خنت الوداد وقد خانوا

مطلع قصيدة

كان نقاد الأدب من العرب ينصون على مطالع القصائد ، كأن ينوهوا بهذا المطلع :

إنا محيوك فاسلم أيها الطلل

فهل في مطلع القصائد لهذا العهد ملامح تذكر بتلك المعاني الصحاح ؟

نعم ، ثم نعم ، فقد نظم الدكتور رشيد كرم قصيدة ليلقيها في المؤتمر الطبي العربي الذي سيعقد في بيروت ، وكان سيعقد في هذه الأيام ، لو سمحت هذه الأيام !

ابتدأ قصيدته فقال :

متى كانت لنا « سينا » حدوداً

وأنا أسأل السؤال نفسه فأقول :

متى كانت لنا « سينا » حدوداً

ومتى ترفع الحواجز الجمركية بين الأمم العربية والإسلامية ؟

زكي مبارك

١٩٤١



المثلة « انوك ايميه » التى ارتضت أن تقوم بدور صغير فى فيلم « النجاح أحسن انتقام »

الحنين إلى الوطن في ثلاثة أفلام .. هزّت المشاعر

عندما نترك بلادنا اضطراراً .. ونحط متاعنا على أرض أخرى .. وننفض أشياءنا من الحقائب ، لنعيد ترتيبها في البيت الجديد .. ونخرج الى الشوارع ، نتأمل الأشجار والمنازل والمارة ..ونضبط أنفسنا للدوران في عجلة الحياة الجديدة .. ونخضع لساننا للغة الحوار الجديد .. في تلك اللحظات يصبح علينا أن نكون مثلهم .. وألا نفكر كثيراً فيما كان من ذكريات الوطن والأهل والأصدقاء .. ! !

ولكن .. هل نستطيع ؟!

في تجربة الاغتراب .. تتعدد الحالات ، وتختلف من شخص لآخر ..

ولكن بالنسبة للفنانين والمثقفين ، يصبح الأمر أكثر صعوبة .. تتفجر المشاعر دائماً باللهفة والحنين .. وتتعلق الروح بصورة أو صوت أو رائحة أو مذاق .. يذكرهم بالوطن ..



المترجمة الايطالية ، بطلة فيلم « حنين »

البيت القديم .. الشارع الذي شهد سنوات من العمر .. نسمة الهواء ذات مساء .. فرع الشجرة الذي يزهر مع الربيع .. أصوات الأهل والجيران .. الضحكات والحكايات .. اشراقة الشمس من وراء زجاج النوافذ .. رائحة المطابخ وهي تستعد لاحتفال عائلي .. حتى ذكريات الأيام الصعبة ، يصبح الكلام عنها بنبرة مليئة بالشجن والحب !!

الحنين الى الوطن .. أطلقوا عليه تعبير « المرض » .. والتعبير علمي تماماً .. ولكن اذا كان هذا « المرض » يلحق بكل الذين دخلوا تجربة الاغتراب .. إلا أنه مرضاً له أعراض أخرى عند الفنانين ، الذين ارتبطت جذورهم بتراب الوطن .

وقد سجلت السينما العالمية هذه المشاعر في العديد من الأفلام ، على مر السنين .. ولكن المثير للتأمل أنه من خلال الأعوام الثلاثة الماضية ، بلغت هذه السينما قمة التعبير الصادق ، في ثلاثة أفلام عن بولندا والاتحاد السوفيتي .

والأفلام الثلاثة عرضت بالتوالي في مهرجان « كان » السينمائي .. وحققت نجاحاً فنياً ملحوظاً ، لم يستطع أن ينكره أحد .

ولنبدأ بفيلم هذا العام .



الممثل « مايكل يورك » في فيلم « النجاح أحسن انتقام »

النجاح أحسن انتقام

هذا هو عنوان الفيلم كما اختاره المخرج البولندي « جيرسي سكوليموفسكي » الذي يعيش الآن في لندن مع عائلته .. بعد أن ترك بلاده منذ سنوات طويلة ، عندما منعت الرقابة البولندية عرض فيلمه « ارفعوا ايديكم » ــ عام ٦٧ ــ فخرج غاضباً .. متنقلاً بين بلجيكا وايطاليا وانجلترا التي استقر بها أخيراً .. يصنع الأفلام كلما أمكنه ذلك .. يكتب السيناريوهات والشعر والقصص .. ويمثل أحياناً .

وفيلمه الجديد «النجاح أحسن انتقام »



الحنين إلى الوطن

في ثلاثة أفلام .. هزت المشاعر

الممثل الانجليزي « مايكل يورك » الذى لعب شخصية المخرج المسرحى البولندى فى فيلم « النجاح أحسن انتقام » وعلى يمينه « مايكل ليندون » ابن المخرج فى الواقع وفى الفيلم

يفجر من خلاله شحنة الحنين الى الوطن .. فيما يشبه السيرة الذاتية .

بل أن عائلته الصغيرة اشتركت كلها في تمثيل الفيلم .. زوجته الممثلة البولندية السابقة .. وولداه ! مايكل (١٦ سنة) وجورج (٩ سنوات) .. وكانت هذه هي المرة الأولى التي يقفان فيها أمام الكاميرا ليمثلا !

بل إن سيناريو الفيلم كتبه المخرج بالاشتراك مع ابنه « مايكل » ، الذي اختار ا ن يكون اسم الشهرة « مايكل ليندون » .

يفتخر الأب ــ المخرج جيرسي ــ بأن ابنه هو صاحب فكرة الفيلم .. ويقول عنه : « إنه يهوى الكتابة .. وفي ذات يوم وجدته يقدم لي قصة عبارة عن مزيج من الفانتازيا والخيال العلمي .. فقلت له .. لماذا لا تكتب شيئاً عما تعرفه بالفعل .. ذلك سيكون أصدق .. وولدت على يديه فكرة الفيلم » .

ويستطرد المخرج معلقا : « أرجو ألا تفهموا الفيلم على أنه قصة حياتي .. انني لا أنكر أن كثيراً من الأحداث والمواقف عشتها بالفعل .. ولكن ما أردته من الفيلم أن يصور حياة فنان يصطدم بآرائه مع ابنه في الغربة » !

مأزق عدم التكيف

والفيلم يبدأ بذلك الاحتفال الرسمي الذي تقيمه وزارة الثقافة الفرنسية لتسلم وسام الشرف الى هذا المخرج المسرحي البولندي (الذي يناضل من أجل حرية بلاده ، وهو بعيداً عنها)

وبين مظاهر هذا الاحتفال .. تتركز الكاميرا على ابن ذلك المخرج البولندي ، وهو يحاول افساد وتعطيل الوصلات الكهربائية التي تغذي أجهزة التصوير والتسجيل التليفزيوني .. وتكون النتيجة ، ضياع الصوت !

المخرج البولندي يلقي كلمته في انفعال : « لو اتيحت لي الفرصة لأضربت مرة أخرى احتجاجاً على الأحكام العسكرية »

ولكن صوته لا يظهر عبر شاشة التليفزيون !

ويبتسم الابن في سعادة وخبث .. فهو في داخله يرفض استمرار غربة والده .. وغربتهم بالتالي ..

ويتضح لنا هذا مع توالي المشاهد .. لتكشف لنا ، أن هذا المخرج المسرحي البولندي ، يعيش في لندن مع أسرته الصغيرة وأنه يستعد لاخراج مسرحية لتعرض على المسرح الانجليزي ويخصص دخلها لمساعدة بولندا ..

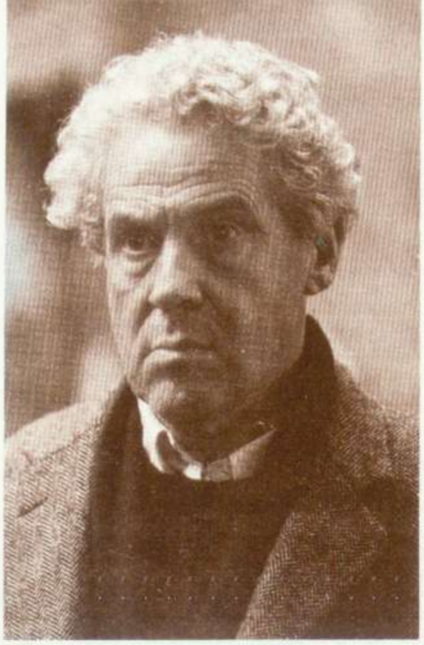
وهو مع حماسه وحبه للمسرح .. يواجه باعتراضات زوجته البولندية : « اذا كنت تتصور أن هذا العرض المسرحي الذي ستقدمه .. شيئاً هاماً .. فأنت بالقطع مخطئ .. ونظام الحكم في بولندا لن يرضيه هذا .. وتماديك في هذا الطريق سيجعلنا لن نرى بلدنا مرة أخرى » .

والزوجة لا تكف عن اعتراضاتها .. وهي تشعر بالتعاسة من هذه الغربة .. ولا تستطيع التأقلم مع المجتمع الانجليزي .. وأيضا لا تستطيع أن تهضم إنشغال زوجها بهذه المسائل التي تبعدها عن العودة الى وطنها .

لقد وصل بها الضيق الى مداه .. وتشعر بالاختناق .. وتثور أعصابها من كل ما يحيط بها .. فالبيت الذي يسكنون فيه غير صالح للاستخدام .. الحوائط والأسقف هشة ومتآكلة !! والسيارة التي يستخدمونها قديمة وكثيرة الأعطال .. ومن أجمل اجزاء الفيلم تلك المشاهد التي تصور تصادماً في الطريق بين سيارة المخرج وزوجته ، وسيارة مواطن انجليزي .. ويخرج الانجليزي من سيارته ثائراً ليضرب المخرج المسرحي على وجهه .. فتنتفض الزوجة وتنهال على الانجليزي ضرباً بحقيبتها حتى تسبب له جرحاً في وجهه .. وينطلق مسرعاً لينجو بنفسه لنكتشف أنه تقدم بشكوى ضدها .. وتحول الشكوى الى المحكمة .. لنرى فصلا ممتعاً وساخراً من النظام الانجليزي مما يزيدها كراهية لهذا المجتمع الغريب عنها .. حتى أنها رفضت أن تتعلم اللغة الانجليزية : « انني احب بلدي .. ولغة بلدي .. وليست عندي أدنى رغبة في تعلم الانجليزية »



المفكر السوفيتي



العالم الايطالي

الابن .. يقرر الخلاص بنفسه

ونفس الموقف من رفض الغربة .. يتخذه الابن .. ولكن بأسلوب مختلف تماما عن أمه ..

فاذا كانت الأم لا تستطيع غير الشكوى .. فهو بحيويته وشبابه والميل الطبيعي للمغامرة ، يستطيع أن يتخذ خطوة حاسمة ..

عنده من الأسباب ما تجعله مقتنعاً تماماً بما يفعله .. فهو غير قادر على التلائم مع المجتمع الانجليزي .. ويواجه في المدرسة بعبارات التنديد من بعض زملائه التلاميذ ، من أنه ليس انجليزياً وانما مجرد أجنبي أقل درجة منهم .. وعندما يحتك به أحد زملائه في المدرسة ويتعمد افتعال معركة معه .. يجد أن نظام المدرسة والمدرسين يقفون مع التلميذ الانجليزي ويحاولون تبرئته على حساب ذلك الأجنبي الوافد

ويكتم ثورته واحساسه بالمهانة .. ويهرع الى منزله يكاد يبكي .. ولكنه يتمالك بصعوبة .. ليفتش في ادراج مكتب والده عن جوازات السفر الخاصة بهم .. وينزع صورة أمه من على جواز سفرها ليحتفظ بها لنفسه وهو يتمتم بحب « انها أجمل صورة لأمي » !

ويأخذ جواز السفر الخاص به .. ويحمل الكاميرا السينمائية التي اشتراها له والده منذ ايام قليلة هدية عيد ميلاده .. لطالما تمنى هذه الكاميرا .. وفي سبيلها تعرض والده لموقف سخيف مع مديرة المسرح الانجليزي وهو يطلب منها سلفة اربعمائة جنيه .. وهي ترفض في جفاء وبرود ، أن تستجيب له .. واستمر يتوسل لها محاولا اقناعها ، حتى انه لم يجد بداً من أن يبوح لها أنه يحتاج لهذه النقود لكي يشتري كاميرا هدية لابنه .. فما كان منها الا أن تصرخ في وجهه بدهشة واستنكار .. ولكنه حصل على السلفة .. واشترى الكاميرا لابنه .. دون أن يذكر له كيف عانى من أجل الحصول على ثمنها ..

وها هو الابن في غمرة الضيق .. يرضى بأن يبيع هذه الكاميرا بنصف ثمنها لتاجر انجليزي جشع .. وليقبض على النقود .. ليسرع الى شركة الطيران البولندية .. ليشتري تذكرة « ذهاباً فقط » الى وارسو

لقد قرر أن يعود سريعاً الى وطنه ، دون أن يخبر أحداً .. غير فتاته الانجليزية التي تعرف عليها في علاقة عابرة ..

ومن أبرع مشاهد الفيلم سينمائياً .. تلك المشاهد التي تصور رحيل الابن .. وشوارع لندن الخالية من المارة ليلا .. والاتوبيسات الانجليزية الحمراء في تشكيلات استعراضية بكشافاتها المضيئة .. وكأنه وداع بارد جاف لا ينبض فيه غير قلب ذلك

الابن الذي تنتابه مشاعر الفرح والخوف !

هل يكفي النجاح ؟

ووسط كل هذه الخيوط الاجتماعية المتمزقة .. يستمر الأب المخرج المسرحي .. في معاناته الصعبة ، من أجل انجاح العرض المسرحي الذي يريد أن يقدمه لصالح بولندا ..

ويكشف الفيلم بذكاء وسخرية .. تعقيدات الادارة الانجليزية التي تتعامل مع الفن ، بالأرقام الصماء .. التي لا تقبل اي تجاوزات وتتدخل في رؤية المخرج الفنية .. وتناقشه في كل التفاصيل ابتداءاً من الديكور .. الى اعداد الممثلين الكومبارس ..

في نفس الوقت الذي يعيش فيه المخرج مشاكل زملائه في العرض المسرحي .. نرى مساعده البولندي الذي أرسل لزوجته في بولندا ثمانية خطابات ، ولم يتلق منها رداً .. فقرر الاعتكاف حزناً ويأساً .. !

ولكن بالرغم من كل الصعاب التي يواجهها المخرج ـ سواء على نطاق عائلته الصغيرة أو على نطاق العمل ـ يستطيع أن يحقق عرضاً مسرحياً ناجحاً .. ويهتف المخرج بفرح وانتصار « يحيا العالم » .. ولكن هذا الفرح ينقطع فجأة عندما يتسلم رسالة ابنه الذي سافر فعلاً الى وطنه بولندا .. وكتب لأبيه يقول « أنا ذاهب للأشياء الحقيقية .. للشمس والهواء .. واصدقائنا .. انا ذاهب الى وارسو .. الى منزلنا »

وينتهي الفيلم على تعبيرات وجه الأب .. وظل ابتسامة يتسلل في راحة وطمأنينة .. وكأن الابن حقق ما لم يستطعه الأب !

البيت الحقيقي

وفكرة الفيلم تفيض بالحنين الى الوطن .. وتعكس كل مشاعر الحب الأصيلة والتي ينبع منها القدرة على الاستمرار والعطاء

سينما

الحنين إلى الوطن

في ثلاثة أفلام.. هزت المشاعر

فبعد كل هذه السنوات من الغربة .. يبقى دائماً الاحساس بأنك لا تعيش في بيتك الحقيقي .. وأنك في حالة انتظار دائم لكي تعود !

وبالرغم من بساطة وعمق ، ونبل هذه المعاني .. إلا أن المخرج البولندي « جيرسي سكوليموفسكي » اختار أسلوباً معقداً في اخراجه للفيلم .. حيث مزج بين الحلم والواقع .. وقفز في بعض مشاهده من الحاضر الى المستقبل .. وخلط بين مباريات الكرة واستعراضات المسرح !

وكأن المخرج أراد أن يجسد معنى انطلاق الخيال فأصاب المتفرج بالارتباك .. على عكس فيلمه السابق والذي قدمه منذ عامين .. وكان يعالج نفس الموضوع تقريباً .

« ضوء القمر »

في ذلك الفيلم .. يحكي المخرج البولندي عن أربعة عمال بولنديين يسافرون الى لندن في مهمة لاصلاح وطلاء منزل انجليزي اشتراه أحد الأثرياء البولنديين .. وفضل أن يقوم بعملية الاصلاح عمال من بولندا لأنهم أرخص أجراً .

ويبدأ الفيلم من مطار وارسو .. والعمال يستعدون للسفر .. وينتهي الفيلم بمطار « هيثرو » بلندن في رحلة العودة ..

وخلال تلك الفترة .. نعيش ساعتين من المتعة ، السينمائية .. حيث يركز سيناريو الفيلم على علاقة العمال الأربعة بعضهم ببعض .. وعلاقتهم بالشارع الانجليزي .. وعلاقتهم بالأهل في الوطن .. فالعمال الأربعة .. ليس من بينهم غير واحد يعرف اللغة الانجليزية .. ولهذا نصب نفسه رئيساً لهم .. وقائداً لكل تحركاتهم .. يتحكم في النقود .. ويخطط لهم مواعيد العمل .. ونوعية مشترياتهم .. وأسلوب الترفيه

وفي هذا البيت الانجليزي .. يعمل ويعيش هؤلاء العمال الأربعة .. لا تربطهم أي علاقة بالمجتمع الانجليزي .. إلا في لحظات شراء المأكولات من متجر « السوبر ماركت » .. متفرجون .. مندهشون .. مشترون في الحدود المسموح بها .. راضون عن حياتهم في الغربة ما دام هناك هذا التليفون العمومي في الشارع المجاور ، والذي يتلقون منه المكالمات من زوجاتهم وعائلاتهم في بولندا ..

الابن في إحدى محاولاته للتأقلم مع المجتمع الانجليزي (لقطة من فيلم « النجاح أحسن انتقام »



▼ الاحساس بالضياع كما تجسده تلك اللقطة من فيلم « حنين »





▼ لقطة أخرى تعبر عن الضياع في الغربة .. ثم الصمت والكآبة ، والانتظار .. تعبر عنه إحدى لقطات فيلم « حنين »



▼ أنوك إيميه ومايكل ليندون في فيلم النجاح أحسن انتقام



وفجأة تنقطع المكالمات التليفونية مع بولندا ..

ويكلفون زميلهم الذي يعرف التحدث بالانجليزية .. أن يسأل لهم لماذا انقطعت المكالمات التليفونية مع بولندا .. ويعود زميلهم ليخبرهم بأنه مجرد عطل في الخطوط الدولية .. ويطلب منهم ألا ينزعجوا .. بينما في داخله يتكتم المفاجأة التي زلزلت كيانه .. لقد فرضت الأحكام العسكرية في بولندا .. !

ويتمالك نفسه بصعوبة .. فهو أيضاً قلق على ما يحدث في بلده .. ولكن عليه أن ينهي المهمة التي جاء من أجلها .. وقد تعلم من المجتمع الانجليزي كيف يسرق البضائع من « السوبر ماركت » وأعجبته اللعبة .. فتمادى فيها .. وخزن كل مسروقاته لكي يسافر بها الى بلده .. وفرض على زملائه جوا من التعتيم حول اخبار بولندا .. انه يمنع وصول أي جريدة لهم .. فقد تحمل الجريدة صورة توشي بما حدث ..

وايضاً .. كان يخرج ليلاً .. لينزع من الطريق الذي يسيرون فيه .. كل الملصقات التي تحمل شارة التضامن البولندية .. والتي امتلأت بها الشوارع الانجليزية احتجاجاً على الأحكام العسكرية وحظر نشاط نقابة التضامن ..

انه يهمه فقط الا يعرف أحد من زملائه بما حدث في بولندا

وفي يوم الرحيل .. وبعد أن انتهت مهمة اصلاح البيت الانجليزي .. يقرر أن يخبر زملائه بما حدث حتى لا يفاجئوا به في مطار وارسو ..

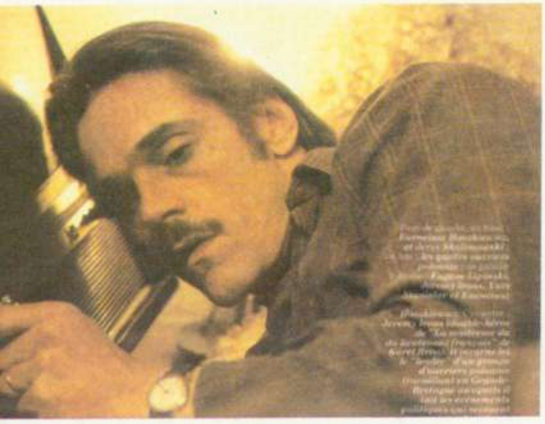
وما يكاد يفتح فمه ليخبرهم .. حتى ينهالون عليه ضرباً .. وتتطاير الحقائب والبضائع التي اشتروها أو سرقوها ، مع رنين علب الطعام المتساقطة على الأرض .. تثبت الصورة وينتهي الفيلم الذي حصل على جائزة احسن سيناريو في مهرجان كان عام ٨٢ .

« الحنين »

وبين هذين الفيلمين .. يأتي الفيلم الايطالي — السوفيتي المشترك والذي أخرجه المخرج السوفيتي « اندريه تاركوفسكي » بعيداً عن بلده .. لأول مرة ..



عالم الرياضيات يحرق نفسه احتجاجا على فشل العالم !



المثل « جيرمى أيرونز » في دور رئيس العمال في فيلم « ضوء القمر » وهو يستمع لأخبار وطنه

الفيلم يحمل عنوان « الحنين » .. وهو تحفة سينمائية حقيقية تعبر عن مشاعر المخرج تجاه بلده .. وذلك الاحساس الخانق في الغربة

ومن الصعب تلخيص الفيلم .. أو سرد أحداثه .. ذلك لأن الفيلم لا يقوم على الأحداث .. وانما هو نسيج من المشاعر الداخلية للمخرج .. رؤية شديدة الخصوصية .. فيها الحزن والشجن .. والذكريات التي لا تنسى عن الوطن .. وايضاً معاناة المهاجر الذي يحاول عبثاً أن يتأقلم على أرض أخرى ..

فهذا المفكر السوفيتي الذي تدور من خلاله ومن حوله كل مشاهد الفيلم .. هو ذلك المهاجر الى ايطاليا ، تساعده مترجمة ايطالية على مواصلة بحثه عن الحضارات .. ويلتقي بهذا الاستاذ الايطالي عالم الرياضيات ..

وكل من الثلاثة يعيش مشكلة .. تطارده ويطاردها ..

المفكر السوفيتي يعيش أزمة الاتصال بين الحضارات مؤكداً استحالة التقارب ..

والترجمة الايطالية تعيش أزمة حب مع صديقها الايطالي ..

وعالم الرياضيات .. يعيش ذلك الاحساس بعبثية ما يقوم به .. فيسكب البنزين على نفسه .. وهو يخطب في ميدان عام .. ينعي فيه ما وصلت اليه البشرية .. ثم يحرق نفسه .

وينتهي الفيلم بذلك المفكر السوفيتي ممسكا بشمعة يدور بها وسط نافورة جفت مياهها وتشققت جدرانها .. ويستمر في الدوران دقائق طويلة ثم يظلم كل شئ ..

ويغلب على الفيلم الايقاع البطئ .. وجو شديد الكآبة والحزن .. ولكن يستطيع الفيلم أن يتسلل كسكين حاد ينزع كل القشور الخارجية ليصل الى الأعماق .. طارحاً سؤالا بسيطاً ومذهلاً .. ماذا يبقى لنا اذا فقدنا الاتصال بالوطن ؟ .. ويجيب الفيلم بنفس البساطة والاعجاز الفني .. انه الموت البطئ .

ويعترف المخرج السوفيتي الكبير « تاركو فسكي » أن الفيلم تعبير عن حالته الشخصية كسوفيتي يقضي معظم أيامه بعيداً عن بلده — باختياره أو مضطراً — وفي كل لحظة يشعر بالحنين الى موطنه .. وكما يقول المخرج .. أن الفيلم صدى لآلامي الخاصة .. لانني بعيد عن وطني منذ حوالي العام .. والفيلم هو تجربة انفصالي عن الوطن .. قصة مرض اسمه الحنين .. مرض يسلب الروح قوتها ، ويفقدك القدرة على العمل .. انني اشعر وكأني فوق قمة جبل ، حيث ضغط الهواء منخفض وليس لدي الأوكسجين اللازم .. انه شئ اقرب الى فقدان الأمل .

أليس من الغريب .. الا ندرك قيمة من نحبهم إلا عندما نفقدهم .. وألا ندرك قيمة الأرض والوطن .. ألا عندما نرحل بعيداً

رءوف توفيق

في البدء كان السقوط!

قصة بقلم : نـورة آل سعـد

ـ ماما .. سأختبئ وعليك أن تجديني .

ودون أن ينتظر ردا تبخر في الهواء . اختارت بقعة بلا سبب ، فرشت عليها البساط الأملس ، ركزت في جهاته الأربع اوتادا من حجارة .. لعله لا يطير .

وأخيرا .. انتبهت لوجود المحيط الشاسع وبدا لها أنها محض نشاز عريق في وسط لوحة فطرية للغروب .. تناغم اللون والضوء والظلال . معجزة تامة بديعة . وحاولت أن تندهش لكن ساكنا أبديا في اغوار القلب لم يهتز . وتمتمت « ما معنى هذا كله » ؟ ماء .. ماء ولاشيء سواه . تراه بلا حدود . تسمع صوت ارتطامه بالصخور . تحس ملمسه الغافي على جلدها ومذاقه الصامت في اللسان وتعيه بشفافية محايدة . ماء .. ماء .. ماء ولاشيء سواه .. وتوجست خيفة فتذكرته « عليك أن تجديني » ونادت : ـ أين أنت ؟ صرخت بدرجات متفاوتة اليأس ولم يحر الكون جوابا .

كتل السواد تهيم على الوجود ، تسد مسام الأرض ، وتتمطى على خط الأفق ، والقمر وحده أبيض .. لكنه شاحب وبعيد . هاهي .. سفينة الحياة في عرض المحيط ترتل أنينا واهيا وتنشد خلاصها وسط موج كالجبال .

ـ أين أنت ؟

وخيل اليها أنه يراقبها من مكان ما ، يراها تتمزق إربا .. لكنه يمعن في عبثه ، سيقول بنزق : كنت ألعب فقط .

نحو الصخور اتجهت ، فقد تخفى مساربها المتعرجة كالأفعوان وهجا ، رؤية ، أو وهما ذا ناب أزرق . لا يهم .. فهي تريد أن تعرف بأي ثمن

« عليك أن تجديني » ... لكن قدمها زلت . تشهق . تكومت في ذلة . وكانت السقطة الأولى .. فأخجلها موقفها اذ تبدى لها كالعورة .

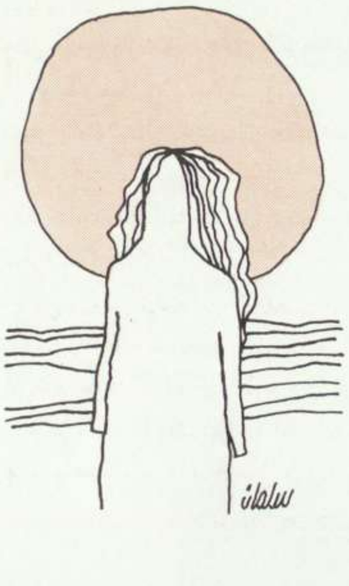
نظرت الى حيث كانت تقف . كيف سقطت الى أسفل ؟ هي هناك .. هي هنا . متى حدث ذلك ؟ هل كانت تحلم ؟ أمامها ظهرت فتحة مظلمة . هل تدخل ؟ نظرت حولها . « دليلا .. اشارة .. مجرد ايماءة » ، لا شئ . فدخلت .

كانت الشمس تموت وفي الداخل كانت العتمة سميكة وبعدقليل لفظ جسدها الحرارة وأصبح باردا كالفحمة المنطفئة . فكانت ظلمات ثلاث .

لما كان يسألها بإلحاح أرعن :

ـ كيف جئت الى الدنيا ؟

كان يواصل طرح أسئلته بلا كلل ثم يبدأ



بالصراخ ودق الأرض بقدميه ويمسك بخناقها ويهزها بلا رحمة فتدفعه بعيدا . حينئذ يتفرس فيها بلوم :

ـ لو كنت تحبينني !

عندما أنهكها السير في الممرات الخانقة السوداء تمددت على النتوءات الشرسة فأحست نسغا كهربيا يعبر بوابة الروح ويتدفق قطرة فقطرة في أعصابها فينداح الألم في دوائر مسترخية وخطر لها أنها لابد وأن تكون سعيدة . وقهقه شئ في داخلها : « ما السعادة ؟ »

انتهت بها السبل جميعا الى منفذ وحيد . اقتربت . أطلت الى أسفل . في القاع تململ الماء الآسن في فتور وأحست بالاشمئزاز من كل شئ .. كان الحلم ينثال دائما على نفس المنوال ، وكانت تحلم وترى نفسها في الحلم أما هو فكانت تحس بوجوده فحسب .. « عليك أن تجديني » .. ووقر في صدرها الوسواس :

ـ أين أنت ؟ هل أنت موجود على الاطلاق ؟

عند هذا الحد انتفضت . عض روحها الألم وتمنت لو تعود أدراجها الى ذلك البساط الناعم الأملس وتشهد من بعيد دراما الغروب في سكينة وأمن .. تناغم اللون والضوء والظلال .. ولا شئ بعد ذلك . انك لن تستطيع أن تسمع الا الموسيقى في الموسيقى .

ازدادت اقترابا من الحافة وأرادت أن تنتصب لكن المغناطيس الأعظم كان يحني قامتها نحو الأسفل في حين كانت تحاول ان تمسك بيده لكيلا يسقط .. لكيلا يسقطا معا وكانت محاولاتها تفشل بعنف فتهب

من نومها مدفوعة الى النشيج الأخرق .

ــ انظرى يا ماما ..

وكان يكور شفتيه باعياء وقد رقد لسانه بلا حراك على فكه الأسفل ارجوانيا ، شاحبا وأخذ يمص الهواء بقوة ونظرت اليه . عيناها على لسانه وخيل اليها أنها ترى تيار الهواء ينجذب الى فمه المبقور كالهاوية .

ــ انى أُصفر . هل تستطيعين أن تصفرى ؟

وهزت رأسها بالنفى بدون تفكير . فجلس بجانبها مزهوا

ــ هل كنت تستطيعين ذلك وأنت صغيرة ؟

قالت : لا .

وأحست رجفة هائلة عندما فكرت بأنها ربما كانت صغيرة ذات يوم وتساءلت متى حدث ذلك ؟

كان الأمر بسيطا . تستطيع أن تقفز بخفة الى ... أو أن تسلم جسدها لقوة الجذب وتجاوبت مع النشوة الطاغية وتحشرجت فى شبق « أريد أن أموت » .

كان وعيها ينبض باحساس متطامن من التعب فى ظل الخدر عندما مرقت نسمة .. مجرد نسمة رطبة وتنفست ببطء .. بعمق . تشنجت أصابعها على الصخور وانهارت .

كان يجب أن تكون هناك .. لكنها لما تزل هنا . بلا زمن . بلا ذكريات . كل ما فى الأمر أن شيئا سحريا مسح بكفه على جبهتها وبمقدار ماحدث ذلك ولم يحدث أبدا كانت الانتباهة الأولى والأخيرة معا .

وتولاها ذعر حانق اذ اتصل بنفسها أنه لا معنى للموت .. أنه غير موجود تقريبا . الموجة تأتى تلو الموجة فى ايقاع أبدي .. وعبر الأجيال تشق فى الصخر سبيلا . عمر الموجة أقل من شهقة وعمر الصخرة من عمر الأرض .

انتصبت كخيال الحقول . تعلقت نظراتها المصلوبة بأضواء المدينة التى أخذت تتراقص من بعيد بينما يمتصها الضباب الموحل ، يبتلعها بدون مقاومة وتغوص كالحجر الثقيل فى حلكة قاتمة كتلك التى تسبق بزوغ الفجر .

البحث عن الشاعر أمل دنقل

شعر : عبد الستار سليم



أمل دنقل

.. وأرحل خارج الأزمان
أسافر عبر وادى النيل
بين مواكب الأحزان
وأبحث عنك ...
وسط حشائش البردى ... والصبار
وأبحث عنك .. وسط مزارع الحنطة
وأبحث عنك ... بين حقولنا ..
المعروقة الأفكار
وأسأل عنك ... أستار الدجى ... والنور
وأسأل عنك كل الدور ..
والجميزة المهزولة القامة
وقد ألقاك .. عند مقابر القرية ..
تعيد الروح ... للأشعار والأشجار
وعند النيل ...
أسأل عنك ــ حول ضفافه ــ الأقوال والصمتا
وأسأل عنك ...
باب المعبد ... المملوء بالأسرار
أسافر عبر وادى النيل ...
ألــملم كل أشلائك
وأنقش كل أشيائك ...
على تابوت أضلاعى
أوارى وجه أوجاعى ...
حيـــاً
حين يبدو نبل أوجاعك
وأصلب عالمى المشنوق ...
فوق حروف إبداعك
وأذرف دمعتى الحرى ...
على وجناتك السمراء ...
كي تخضر
وتســـتيقظ ...
لتـــثأر ... من جذور الشر
فعـــرشـــك ...
لم تزل محفوفة يمناه ...
بـــالخـــلان
ودارك ...
لـــم تـــزل ...
مفتـــوحة الأحضـــان
أيا من عشـــت ... فى الدنيا ... جنوبيا
كذلك كان ... « آمون » ــ الذى
مـــا زال بين الناس ...
معشوقا ــ جنوبيا ..



دوحة القراء

إشــراف
سنان المســلماني

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غـــلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

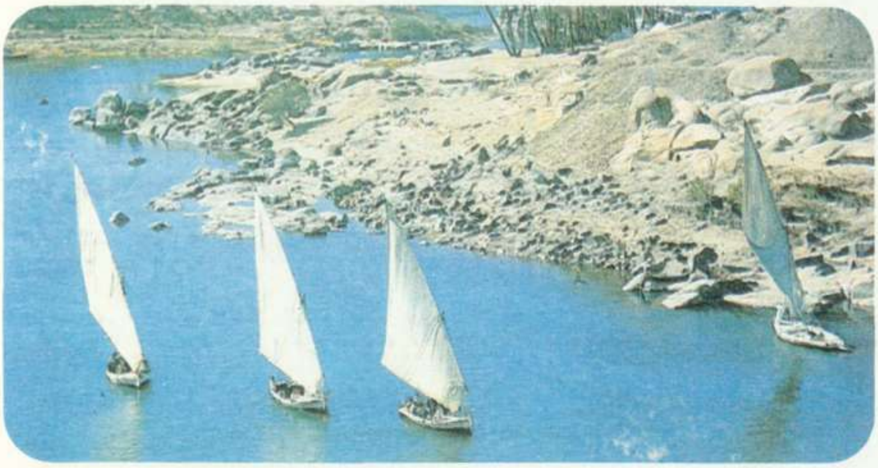
(٢) المسابقة العامـــة تتضمن (من ـ اين ـ مـا) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى اكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يــلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجـــلة الدوحة ـ ص . ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : على شاطىء نهر النيل ، وعلى بعد ٩٠٠ كيلو متر جنوب القاهرة ، حيث تقع مدينة رائعة ، تجمع بين سحر الطبيعة وعظمة الحضارة الحديثة ، ويوجد بها اكبر بحيرة صناعية فى العالم .. ما هو اسم هذه المدينة ، واسم البحيرة الضخمة ؟

• • •

الصورة الثانية : أحد ملوك اوربا الأقوياء ، جلس على العرش عقب وفاة والده عام ١٦٤٣ ، وكان عمره فى ذلك الوقت لا يتجاوز الخمس سنوات ، وظل فى الحكم مدة طويلة ، ومن كلماته المأثورة (الدولة أنا) ما إسم هذا الملك ومتى توفى ؟



حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٤



الصورة الأولى . مدينه نابلس فى الضفة الغربية

• الفائزة : سناء عبد اللطيف نصره ـ الأسكندرية

• الفائز : محمود عليلن عبد الله ـ السعودية



الصورة الثانية : إبن جامع

• الفائز : على محمد العيالى ـ اليمن

• الفائز : سميح سلامة عياد ـ مصر

العلم والمال



سئل الخليل بن أحمد : أيهما أفضل العلم أم المال ؟

فقال : العلم

فقيل له : فما بال العلماء يزدحمون على أبواب الاغنياء ، والاغنياء ، لا يزدحمون على ابواب العلماء ؟

فقال : ذلك لمعرفة العلماء بحق الأغنياء وجهل الأغنياء بحق العلماء .

عبد السلام محمد عبد النعيم ــ السودان

مائدة محرّمة

وقف اعرابى على ابى الاسود الدؤلى وهو يتغدى ، فسلم عليه فرد عليه السلام ثم اقبل على الأكل ، ولم يعرض عليه ، فقال الاعرابى :

اما أنى قد مررت بأهلك قال : كان ذلك طريقك ، قال : وهم صالحون قال : كذلك فارقتهم ، قال وأمرأتك حبلى ، قال كذلك عهدى بها قال : ولدت ، قال : ماكان بد لها أن تلد ، قال : ولدت غلامين قال : كذلك كانت أمها ، قال مات احدهما ، قال : ماكانت تقوى على رضاع اثنين ، قال ثم مات الآخر ، قال : ماكان ليبقى بعد أخيه . قال : وماتت الام ، قال : جزعا على ولديها . قال : ما أطيب طعامك قال : وذلك جزائى على اهله ، قال : أف لك ما ألأمك ، قال : من شاء سب صاحبه .

محمد الحسن على حسن سالم
الشرقية ج.م.ع

لقطة الشهر



ألعاب فلكلورية من المغرب

وقد فاز بجائزة قدرها ١٠٠ ريال قطرى

القارئة : لطيفه أبو طالب ــ المغرب

كلمات لها معنى

● ليس من الضرورى أن تتشابه أصابع اليد الواحدة .. يكفى أنها تتعاون .

● بالرغم من أن الوقت يبدو للبعض بأنه أرخص شىء فى هذه الحياة ، إلا أنه لا يمكن شراؤه حتى بأغلى الأثمان .

● راقبت قاطع حجارة ، ينهال على صخرة ضربا بمطرقته مئة مرة دون أن تبدو عليها أثار أى تشقق ، ثم انشطرت قسمين عند الضربة الأولى بعد المئة ، وعندئذ أدركت أن ما أدى الى ذلك لم تكن الضربة الأخيرة ، بل كل الضربات التى سبقتها !

● ليست العبقرية إلا القدرة على بذل الجهد المتواصل ، ولعل قليلا من الجهد الاضافى يحيل ما بدأ اخفاقا ذريعا الى نجاح باهر ، فلا اخفاق إلا فى التوقف عن المحاولة ، ولا هزيمة إلا من داخلنا ، ولا عقبة مستعصية حقا إلا من ضعف العزيمة الكامنة فى النفس !

عبد العزيز ابو بكر محمد
الخرطوم ــ السودان



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

فى احدى قصائد شاعر الفروسيه عنترة العبسى ، انسالت دموعه لمقتل صديقه مالك ، وشبه اليوم الذى قتل فيه صديقه بشىء أسود .. حذفنا هذا الشىء ووضعنا بدلاً منه كلمة « المقصود » والمطلوب منك أن تعرف هذا « المقصود » عند عنترة .. وهاهى الأبيات الشعرية :

ترى هل علمت اليوم مقتل مالك ..
ومصرعه فى ذلة وهوان
فإن كان حقاً فالنجوم لفقده ..
تغيب ويهوى بعده القمران
لقد كان يوماً أسود « المقصود » عابساً ..
يخاف بلاه طارق الحدثان

المقصود عند عنترة مكون من خمسة حروف :

٥ ، ٤ ، ٣ ، ٤ الفتاه التى نظم فيها قيس بن الملوح بعض قصائده

عبارة شهيرة من هو قائلها؟

فى احدى مسرحيات الشاعر الراحل صلاح عبد الصبور ، التى صاغها عام ١٩٧٠ .. قدم لنا بطل مسرحيته المقهور المهزوم الذى يعانى من ضغوط القهر .. أحبته ليلى .. ولكنه عجز أن يرد لها هذا الحب .. مات أبوه وهو بعد طفل صغير وتزوجت أمه من رجل فظ غليظ القلب كى تأكل وتربى ابنها .. وكبر التمزق داخل الصغير كلما شب عوده . وكبر القهر المعنوى من حوله .. خانه صديقه .. وتزوجت ليلاه من خائنه .. وأخيراً قبضوا عليه ليحاكم ..

ومن أشهر عباراته فى هذه المسرحيه التى نطق بها لليلى عندما سألته : لم لا تؤمن بالمستقبل .. فقال : « فى بلد لا يحكم فيه القانون .. يمضى فيه الناس إلى السجن بمحض الصدفة .. لا يووجد مستقبل .. فى بلد يتمدد فى جثته الفقر .. كما يتمدد ثعبان فى الرمل .. لا يووجد مستقبل .. فى بلد تتعرى فيه المراه كى تتأكل لا يوجد مستقبل » .

فما هو اسم بطل هذه المسرحيه اللذى جاءت العبارة على لسانه ..

وما هو اسم المسرحية ؟

اسم المسرحيه مكون من مقطعين و ١٢ حرف .

٨ ، ٩ ، ٥ ، ١٢ ، بمعنى خلاعة وفسق

١٠ ، ٣ ، ١١ ، ٤ بمعنى نثنى .

جواز سفر

تاريخ الميلاد : ١٣ أبريل ١٩٠٦

مكان الميلاد : أحد أحياء دبلن (فروكسروك) عاصمة ايرلندا .

مؤهلاته : حاصل على ليسانس الآداب الفرنسيه والايطاليه .. وحصل على الماجستير فى الآداب الفرنسيه .

أول اعماله : نشر دراسة عن الروائى الفرنسى « مارسيل بروست » ونشر كتابه الأول « وخزات اكثر من الركلات »

أشهر أعماله : مسرحية « فى انتظار جودو » ومسرحية « نهاية اللعبة » ومسرحية « كل الساقطين » ومسرحية « الأيام السعيدة » ونال جائزة النقاد الشبان فى مهرجان فينسيا الدولى عام ١٩٦٥ عن فيلم واحد كتبه بعنوان « فيلم » .

الجوائز التى حصل عليها : حاز على جائزة نوبل فى الأدب لمساهمته ، فى خلق حركة أدبيه مسرحيه سميت باسمه ..

اسم صاحب هذا الجواز مكون من مقطعين و ١٠ حروف

٢ ، ٨ ، ١٠ ، ٦ ، فى كل المكاتب

١ ، ٥ ، ٦ ، نوع من الحديد

مسابقة مدن العالم

• مدينة هذه المسابقه هى مدينه عربية تقع فى دولة المغرب .. والمطلوب منك أن تعرف اسم هذه المدينة من خلال المعلومات التى سنذكرها عنها .

• من أشهر معالم هذه المدينه هو السوق التجارى الذى تم تسميته على اسم المدينة .. وهو يشبه إلى حد كبير سوق الحميدية فى دمشق .. السوق مقسم إلى أزقة .. كل زقاق يسمونه هناك بالقيصرية .. كل قيصرية متخصصة فى صناعة نوع معين من الملابس الشعبية أو الصناعات اليدوية من صناعات جلدية ونحاسية وفضية .

• قبل أن تدخل هذا السوق سيقابلك ميدان فسيح يسمونه هناك بميدان « جامع الفنا » .. يشتهر الميدان بالمطاعم والمقاهى الشعبية ومحلات العطارة ، وألعاب البهلوانات والقراداتية ومروضى الثعابين وقارئى الكف والأطباء الشعبيين الذين يعالجون المرضى عن طريق الأعشاب الطبيعية ..

• يقام كل سنه بهذه المدينه المهرجان الوطنى الفلكلورى للفرق الشعبية على مسرح قصر أثرى يسمى « قصر البديع »

• اسم المدينه من مقطع واحد ومكون من خمسة حروف

٥ ، ٢ ، ٤ بمعنى فخ أو مصيدة .

حل مسابقة العدد ١٠٤

من : إبن بطوطه
أين : مدينة فاس
ما : تحفة الأنظار وغرائب الأمصار وعجائب الأسفار

الاجابة الصحيحة

١ ـ ٩٧٠ ـ ٩٧١م
٢ ـ ١٩٦٠
٣ ـ داود الأنطاكى
٤ ـ مايثووب
٥ ـ الولايات المتحدة الأمريكية
٦ ـ الاتحاد السوفيتى
٧ ـ الصين الشعبية
٨ ـ بريطانيا
٩ ـ فرنسا

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى القارئ : محمد عبد الحميد موسى ـ ليبيا
فاز بالجائزة الثانيه وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى القارئ : عمر إبراهيم محمد عطيه ـ الأردن
فاز بالجائزة الثالثه وقدرها ١٠٠ ريال قطرى القارئ : أحمد محمد راغب مصر

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ حسين صالح حيدر ـ اليمن
٢ ـ عبد الرسول على الغلاف ـ البحرين
٣ ـ عايده عبد الغنى يونس ـ الإمارات العربية المتحده
٤ ـ فايز عبد الغنى النجار ـ مصر
٥ ـ عمران محمود العليان ـ السعودية
٦ ـ محمد صلاح الدين عبد اللطيف ـ قطر
٧ ـ رويدا حمد الله العلى ـ الأردن
٨ ـ السراج الحسن محمد ـ المغرب
٩ ـ أدم حامد أدم ـ السودان
١٠ ـ يوسف حسين حماده ـ سوريا

حل استراحة الدوحة العدد ١٠٤

١ ـ أصل وصوره : الشارب ـ الأسنان ـ العينان ـ الأنف ـ الذقن ـ الحواجب ـ سوالف الشعر
٢ ـ لوحه لم تتم : وليم شكسبير
٣ ـ خيال من : الشيخ محمد الشعراوى
٤ ـ لأقوياء الملاحظه فقط : كتكوت ـ ساعه ـ بقرة ـ جمل ـ ثعبان ـ مفتاح
٥ ـ يخلق من الشبه أربعين : رقم ٥
٦ ـ لعبه الظلال : رقم ٣
٧ ـ هات أجمل تعليق
ـ أى نفس حضرب فى المليان
ـ من لم يمت بالمسدس مات بالسجائر

الفائزون

١ ـ فتح الرحمن ضرار ـ السودان
٢ ـ محمد فتحى طنطاوى ـ مصر
٣ ـ أيف وارهام أحمد ـ المغرب
٤ ـ حسن عبد اللطيف ـ السعودية
٥ ـ أحمد السيد عبد الفتاح ـ قطر
٦ ـ مهند يوسف حداد ـ الأردن
٧ ـ يعقوب إبراهيم يعقوب ـ سلطنه عمان
٨ ـ محمد أبو الفتح بشير ـ السودان
٩ ـ مجده السيد سالم ـ مصر
١٠ ـ سيمون البير تاجر ـ القاهره
١١ ـ أحلام خليفه الكبيسى ـ قطر
١٢ ـ حسن محمد عبد اللطيف ـ السعودية
١٣ ـ عبد الغفار محمد الفار ـ مصر
١٤ ـ يحيى عبد اللهالعريانى ـ السعودية

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسم : ....
العنوان : ....
....
اسم المسابقة : ....
رقم العدد : ....

« تحذير »

التدخين يضر بصحتك
وننصحك بالامتناع عنه

استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة:

رووف



أصل وصورة



رغم أنه ينحدر إلى جد هولندى ، فقد ولد فى مدينة بون بألمانيا ليدرس الموسيقى منذ الخامسة من عمره ، وليصبح من اعلام الموسيقى فى العالم.. إنه الموسيقار العالمى بيتهوفن الذى ترى بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيرى الخاص به سبع اختلافات بسيطة ، إذا تعرفت عليها فلك جائزة

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى شائع فى كل البلاد العربية .. اكتب لنا المثل الشعبى لتحصل على جائزة

دوري الكاريكاتير



سجل أحد اللاعبين هدفا قويا فى مرمى الخصم بعد أن اقتحم أرض الملعب كالصاروخ .. حدد من هو صاحب الهدف ورقم فانلته لتحصل على جائزة

لوحة لم تتم



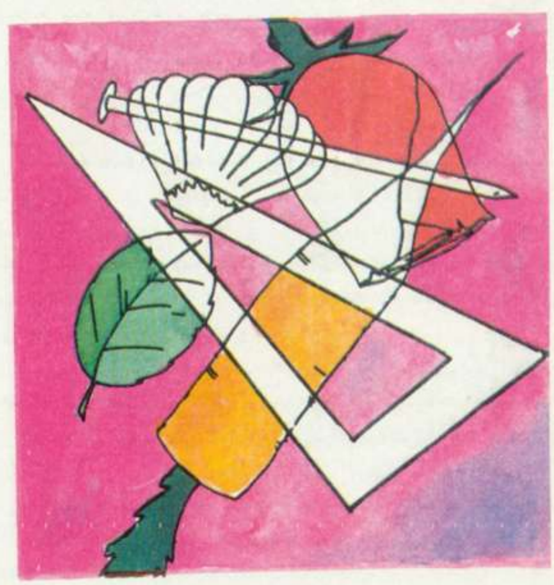
هذه اللوحة التى لم تتم لشاعر غنائى راحل ترجم رباعيات عمر الخيام إلى العربية ، وارتبط إسمه بسيدة الغناء العربى أم كلثوم ، أكمل اللوحة ، وتعرف على الشخصية لتحصل على جائزة

لعبة الظلال



هل تستطيع أن تساعد هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا ولك جائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ؟ إذا عرفت الحل أرسله إلينا لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية المطرب السعودى طلال مداح ، من بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تماما وفى البقية إختلافات بسيطة إذا تعرفت عليها حصلت على جائزة .

الورقة الأخيرة



بقلم: عبد الله الجفري

عصفور يتوسل!

وددت لو يتوقف لحظة عن تلك القهقهات الكرتونية الكربونية .. لعله يصغي الى اصداء بعض ما ترسب في أعماقه ، ولكنه بذلك الضحك (السمج) كان يحاول ان يقفز فوق الأشياء التي في نفسه ، وكنت اساله احيانا :

– لماذا هذا الهروب ؟ !

– ويقول لي : اي هروب تعني ؟ !

– هروبك من نفسك ، او من كل الذي في نفسك .. ام ان الهروب عندك متعدد ؟ !

– ويقول لي : احيانا تتساوى الأشياء فتكاد تصبح كلها هي الشيء الوحيد .. الابتسامة او الدمعة . الضحكة او الآهة . الحنين او الشجن .. كانني افتقد في اعماقي ذلك القادر الذي ينهض في داخل نفسي ، ويصفع نشيجها ، ولا ينحدر الى ارتجافاته العاطفية ، ولا الى إفراغاته الصغيرة .. تلك التي تتكون من التعب ، او من طول الزمان ، او من الياس !

– اقول له:لكننا نحتاج بالفعل الى افراغاتنا الصغيرة في بعض الوقت .. حتى نغير طعم النفس هروبا او تناسيا !

– ويقول لي : قد ننجح في تغيير طعم النفس .. لكن طعم الحياة واحد عندما يصبح الانسان وحده .. اما عندما يكون الانسان حيا بالحنين الذي فيه .. جياشا باشجان الخفق .. طالعا مع كل دمعة كاللبلاب .. فلابد ان يستكنه الحياة ، ويتذوق احساسه بالناس فيها ، وقدرة مشاعر الناس على التذكر !

– بدات انظر اليك كانك علامة استفهام (باردة) ، لان كل الذي ذكرته لا يضطرك ان تقهقه بلا حس ، او ان تبتسم بلا لون !

– ويقول لي : بدات أنظر الى أغلب الاجوبة – خاصة ما نضعها كرؤية – وكانها صوت محدد .. يدعني اتبعثر في جوف الهدوء الذي يشبه جوف سمكة . ان قدرة الانسان اليوم تتمثل في صورة واحدة .. هي : كيف لا نحتفل بمرثياتنا وكيف ننهيها بتمهل ؟ إن بعض ما نمارسه بمعنى العمر هو لا اكثر من انهاء متمهل للكثير من الحب في اعماقنا ، وللكثير من الخير !

– فما هو مضمون ذلك الانهاء الذي نمارسه ؟ !

– ويقول لي : لا داعي ان ترى ، فقد تعبنا من النظر ، ولكننا نحتاج الى شحذ الشعور فينا .. ان نرى بالحس . اما مضمون ذلك الانهاء .. فتجده في العنف الذي يسيطر على انسان الحضارة ، وتجده في اضطراب الاعصاب (النرفزة) ، وتجده في دموية الماديات والانانية ، وربما اجتمعت كل هذه الظواهر في الأشياء التي تصنعنا ، فنحن نصنع المصالح من حب الذات ، وهذا شر ، ونحن نصنع اللهو من الرغبة في ارضاء لحظة المتعة طويلا ، ونحن نصنع وسائل الرفاهية والتقدم من نوايا التفوق على الآخرين والسيطرة عليهم .. تماما مثلما ترى ان الدول الكبرى المتقدمة علميا تحاول أن تسيطر على الدول الصغرى المتاخرة علميا وحضاريا .. فالشر لا يصنع الانسان ، بل اصبح الانسان اليوم بوسائله المتقدمة ، وامكانياته الحضارية يصنع الشر ليدمر به الآخرين ويدمر نفسه !

– ولكن ... يبقى الخير هو طبيعة النفس الانسانية .. احيانا يستمر هذا الخير في نفس احتمت بالطيبة وبالوعي ، وبالحب ، بعيدا عن الشر ، فيبقى الخير ثابتا مهما تعاقبت امواج الاغراءات بمدها وجزرها .

– ويقول لي : ان الحب ، والكراهية ، والألم والراحة ، والأمل والندم .. اشياء نحطمها او تحطمنا ، والانسان هو الخاسر في النهاية

– واذن .. فالى اي نقطة وصل هذا الانسان ؟ !

– كم من الزمان تجاوز ، او كم من السنوات تقهقر اليها ؟ !

لن يكون انسان هذا العصر متخلفا .. لكنه مثقل بظلال شموسه ، انه يتلفت خلفه محاولا ان يقيس ظله من ورائه ، وغالبا يبدو الظل اطول في التمدد خلف وقفة الانسان !

او ان هذا الانسان يتامل : (كيف تطبع الارض بالضحك) .. وهو ضحك سخيف في اصدائه ، فيلمس لزوجة الشفاه ، وصمغ الكلمات !

ونحن نتحاور في محاولة ان لا يطغى الرمز على تعبيراتنا .. غير ان الكلام عن الوعي ، وعن الحب ، وعن الانسان السوي .. يصبح محاولة لتصوير رجل يتكيء على دموعه في داخله ، او كانه يسلب نفسه من داخل نفسه ليتعثر .. رافضا الأشياء التي تخترقه ولا يقدر ان يخترقها !

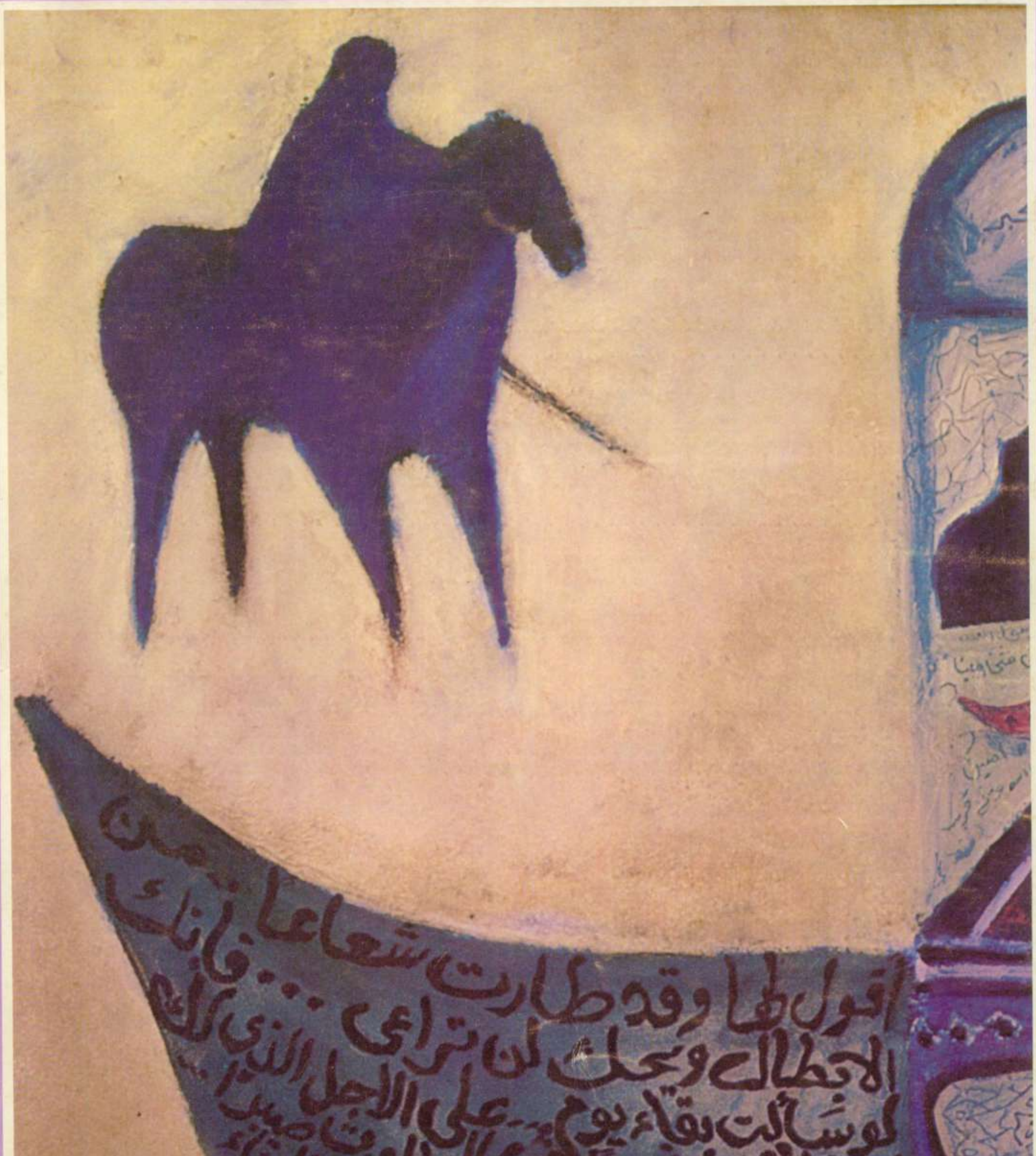
في البدء .. كان الانسان الطيب يغني (للشجرة التي لا تنام ابدا) .

في هذا الزمان .. يكون الانسان هو هذا الشخص بعينين معتديتين .. يرمق بهما كل نجمة بعيدة تنسحب فوق صفحة السماء وتسقط .. فلا يعرف انها شهبا إلا بعد سقوطها !

لقد نبتت في نظرات الانسان اظافر .. ولكن في صدره – ما زال عصفور يتوسل !!



إجعَل نهارك عيد مَع بيبسي



الشاعر والفارس: قطري بن الفجاءة

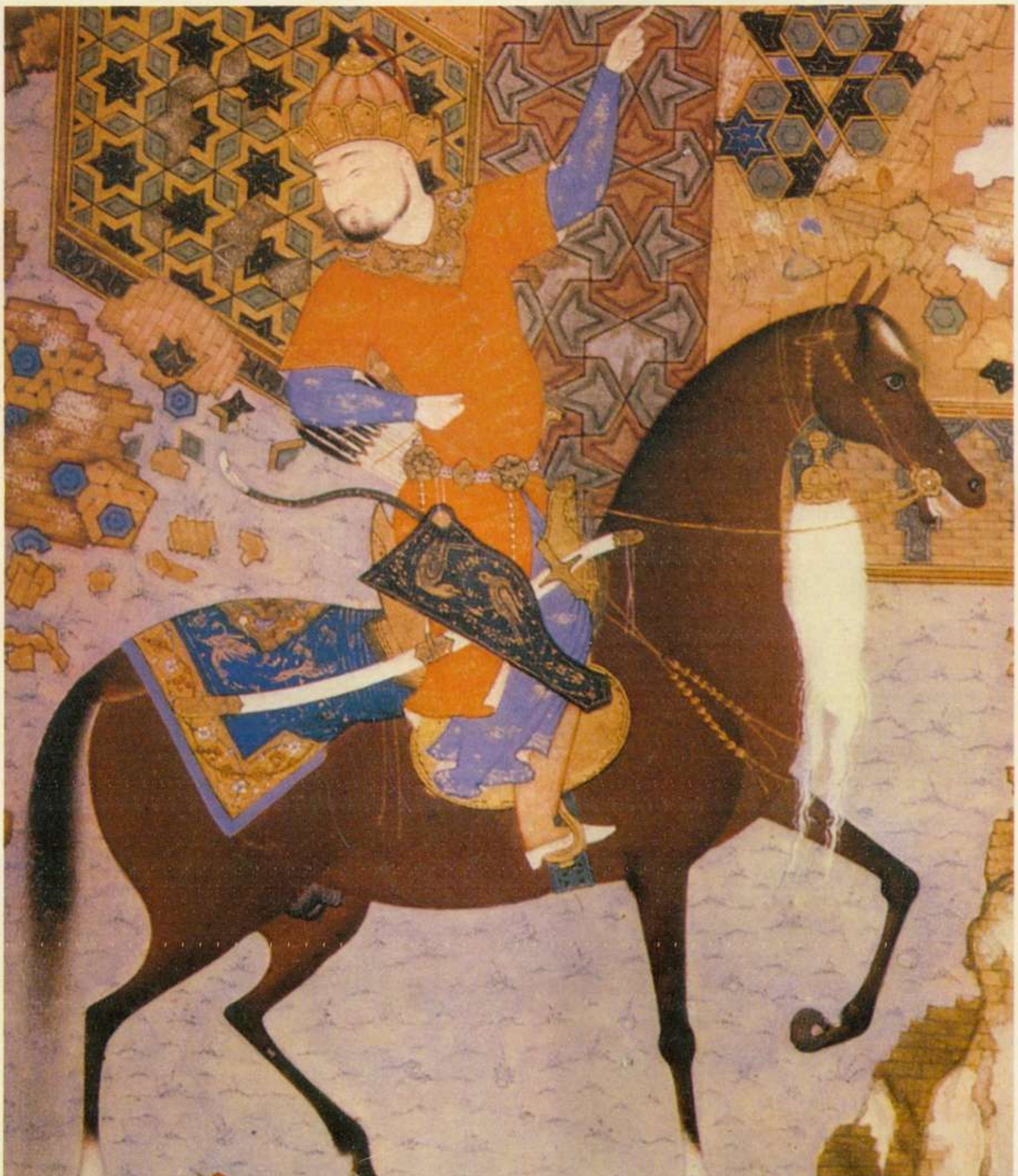
للفنان القطري: حسن الملا

العدد ١٠٧ - صفر ١٤٠٥هـ - نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

- أكرم زعيتر يكتب ذكرياته عن الشاعر القروي
- علوم الفضاء تقدم علاجاً جديداً لمرض السكر



أجمل حيوان في عيون الإنسان

لوحة وفنان



في الأوبـــرا

لوحة مليئة بالألوان والحياة ، رسمها الفنان الفرنسى أوجست رينوار فى عام ١٨٧٤ وسماها « اللوج » أو المكان الذى يجلس فيه عادة ـ أثناء العرض ـ أهم رجال وسيدات المجتمع

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

● **السودان :**
دار التوزيع – ص . ب ٣٥٨ – الخرطوم .

● **مصر :**
مؤسسة توزيع الاهرام – شارع الجلاء – القاهرة .

● **سوريا :**
المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات – برامكة ص . ب ٤٩٠٢ – دمشق .

● **العراق :**
الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان – شارع الرشيد ساحة الوثبة .
ص . ب ٦٢٤ – بغداد .

● **ليبيا :**
المنشاة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان – فرع طرابلس ص . ب ٩٥٩ – طرابلس – فرع بنغازي – ص . ب ٣٢١ – بنغازي .

● **الأردن :**
وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ – عمان .

● **البحرين :**
مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ – المنامة .

● **السعودية :**
الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ – جدة

● **الكويت :**
شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ – الصفاة الكويت .

● **لبنان :**
الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ – بيروت .

● **الجمهورية العربية اليمنية :**
الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ – صنعاء .

● **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :**
مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع – ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الاولى – عدن .

● **الامارات العربية المتحدة :**
مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع – شارع المطار الجديد
ابو ظبي ص . ب ٧٩١

● **سلطنة عمان :**
وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط – سلطنة عمان

● **تونس :**
الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج – ص . ب ٤٤٠ – تونس .

● **المغرب :**
الشركة الشريفية للتوزيع والصحف – ص . ب ٦٨٣ – الدار البيضاء .
MAROC :
SOCHEPRESS
B. P. No 683
CASABLANCA.

● **الجزائر :**
الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية – الجزائر .
ALGERIE
S. N. E. D.
20 RUE DU LIBERTE
ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١٠٧ – صفر ١٤٠٥هـ – نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة :
صندوق بريد رقم ٢٣٢٤
الدوحة – قطر .
العنوان البرقي :
المجلة – الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH –
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقي الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
في باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
في باقي دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين امريكيين

في هـــــذا العـــــدد



كيف مات أنطون تشيخوف ؟
(د : علي الراعي : ص٢٢)



الأحجية .. قصة جديدة بقلم
د . عبد السلام العجيلى (ص ٧٦)



كنوز نابليون الغارقة فى « أبو قير »
(ص ٦٢)



مأساة أم الفحم : قرية مظلومة .. وحاخام ظالم
(ص ١٢)

● دراسات ومقالات ●

● أدب وفنون ●

● جميـــع المراســـلاتـــ ترســل باســم رئيس التحريــر

● المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

• أبـواب •

● المــــــواد لا تعــــــاد إلى مرســــليهـــا
نشـــــرت أو لم تـــنشـــــر

كلمة



أكرم زعيتر

يسعد « الدوحــــة » أن تلتقى ابتداء من هذا العدد بالكاتب العربى الكبير أكرم زعيتر ، وأكرم زعيتر كنز من كنوز المعرفة والوطنية والخبرة بالحياة الثقافية والسياسية ، وهو صاحب ذكريات غزيرة تجمعت فى عقله وقلبه خلال ما يقرب من نصف قرن ، حيث تولى كثيراً من المناصب الهامة من بينها منصب الوزارة فى الأردن ، وخلال هذه الفترة ــ فى الوزارة وخارجها ــ تعرف على الكثيرين من رجالات العصر ومفكريه وعلمائه وأهم صانعى القرار فيه ، وأكرم زعيتر فضلا عن ذلك كله أديب واسع العلم بالثقافة العربية المعاصرة والقديمة على السواء ، وهو صاحب أسلوب قوى ، تتجسد فيه سلامة اللغة العربية وحيويتها وسحرها الجميل ، والحق أنه لم يعد بين كتاب العربية اليوم إلا عدد قليل من طبقة اكرم زعيتر ، ممن يحرصون كل الحرص على لغتهم ويعرفون أسرارها وهم مع ذلك يتمتعون بموهبة العرض السهل الجميل الذى لا تعقيد فيه ولا صعوبة .

فأهلا ومرحباً على صفحات « الدوحــــة » بالكاتب الكبير والمجاهد الوطنى المخلص والموسوعة الحية أكرم زعيتر الذى نقرأ له ابتداء من هذا العدد وفى كل عدد إن شاء الله .

« الدوحــــة »

بمناسبة انعقاد الدورة الخامسة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية في الكويت هذا الشهر، نتعرض لأحد الموضوعات الهامة التي تسهم في دعم التعاون الاقتصادي بين الدول الأعضاء ..

مجلس التعاون والمشروعات الخليجية المشتركة

بقلم: الدكتور يحيى رجب

الواقع ان المشروعات الخليجية المشتركة تؤدي دوراً هاماً في تحقيق التكامل الاقتصادي بين دول الخليج العربية، وتعمل على تحقيق ذاتية اقتصادية للمنطقة، وتهدف الى توسيع نطاق السوق المحلية، والتمتع بمزايا الانتاج الكبير وتوزيع المخاطر الصناعية. وتقتضي زيادة الانتاج في المنطقة البحث عن أوجه استثمارات جديدة للفوائض البترولية واقامة مشروعات انتاجية تعود بالنفع المتبادل لكل الدول الاعضاء في مجلس التعاون بدلا من تسرب هذه الفوائض في شكل ارصدة نقدية الى الدول الصناعية الغربية.

وتنص المادة ٢١ من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة لدول مجلس التعاون على أن تسعى الدول الاعضاء الى وضع سياسة استثمارية مشتركة تهدف الى توجيه استثماراتها الداخلية والخارجية بما يخدم مصالحها وتطلعات شعوبها في التنمية والتقدم.

وتتمثل السياسة المشتركة المتطلبة في دراسة كيفية الاستثمار الأفضل للفوائض البترولية، مع الوضع في الاعتبار انه يجب أن تحقق هذه السياسة مصلحة دول منطقة الخليج العربية أولا، حيث انها صاحبة الحق في فوائضها البترولية، وان تبحث هذه السياسة عن ايجاد مصدر بديل للدخل يتصف بالدوام، فالبرغم من ان دول المنطقة تملك اكبر كميات من احتياطي النفط في العالم إلا ان هذه الكميات الهائلة سوف تنضب في المستقبل.

والاتجاه إلى تعاون دول الخليج العربية في شكل مشروعات مشتركة، يعتبر اتجاهاً يتمشى مع الادراك الواعي لظروف المنطقة الراغبة في تحقيق الوحدة الاقتصادية.

المشروعات الدولية المشتركة

تتميز المشروعات المتعددة الجنسية بقدرتها المالية ونفوذها وتحكمها من خلال شركات تابعة لها فى كل من الانتاج والتسويق وغيرها من المرافق المتصلة بمصالحها في عدد من الدول خارج الدولة التي يقع مقرها الرئيسي، ولهذه الشركات تاثيرها الكبير على الاقتصاد العالمي، وكان في وسعها ان تدعم تنمية دول العالم الثالث إلا انها خيبت الآمال في قدرتها على توفير التنمية الحقيقية وركزت نشاطها على الاهتمامات التجارية البحتة وعلى تحقيق الربح.

وبالرغم من ان دول منطقة الخليج العربية تقوم بفرض الرقابة على مواردها النفطية، عن طريق شركات النفط الوطنية الا انها مازالت تعتمد اعتماداً كبيراً على الشركات المتعددة الجنسيات فى ادارة قطاعاتها النفطية، وفي عمليات تسويق النفط وتكريره، وفي مجالات الاستثمارات والمقاولات والخدمات الفنية.

ولذلك فانه ينبغي ان تهدف السياسة الاستثمارية المشتركة لدول مجلس التعاون الى اقامة المشروعات التي تعمل على تحقيق التنمية الاقتصادية للدول الأعضاء وتدعم امكانات التكامل فيما بينها، وتركز على المزايا الحقيقية للانتاج الكبير.

أهم المشروعات الصناعية

تتميز المشروعات المشتركة في منطقة الخليج العربية بان المساهمات التمويلية للمشروعات المقامة فيها تبلغ حوالى ٦٦ فى

المائة من اجمالي الأموال المستثمرة في المشروعات الصناعية العربية المشتركة ، وتحظى منطقة الخليج العربية بزيادة عدد المشروعات المشتركة ذات رؤوس الاموال العالية ، فيتركز في البحرين ١١ مشروعاً صناعياً مشتركاً يزيد راسمالها عن ٢ر١ بليون دولار أمريكي .

ونوضح فيما يلي أهم المشروعات الصناعية المشتركة في منطقة الخليج العربية :

تعتبر صناعة الاسمنت ومواد البناء من المشروعات الهامة في المنطقة ، فقامت الشركة السعودية الكويتية لصناعة الأسمنت بالمملكة العربية السعودية ، وشركة اسمنت الفجيرة ، وشركة الأسمنت السعودي البحريني ،وشركة اسمنت عجمان ، وشركة رأس الخيمة لصناعة الأسمنت ، وشركة الشارقة للأسمنت والتنمية الصناعية .

وترجع كثرة انتشار مشروعات الأسمنت في منطقة الخليج العربية الى زيادة اهتمام المنطقة بتنفيذ العديد من المشروعات الهامة في مجال البناء والتشييد إلا ان بعض الدراسات المتخصصة ترى ان هناك مخاوف من وجود طاقة زائدة في الأسمنت في كثير من بلدان الخليج العربية نتيجة للتوسع الكبير غير المنسق في صناعة الاسمنت .

وفي مجال صناعة البتروكيماويات تم انشاء شركة قطر للبتروكيماويات المحدودة « قابكو » ، وتقدر استثمارات المملكة العربية السعودية في مجال البتروكيماويات بنحو ٣٨ بليون ريال سعودي ، وسوف يجعلها ذلك من اكبر منتجي البتروكيماويات في الدول العربية ، وتم تاسيس اول مشروع خليجي مشترك في مجال البتروكيماويات في البحرين في مايو ١٩٨٠ باسم شركة الخليج لصناعة البتروكيماويات وذلك بين المملكة العربية السعودية والكويت والبحرين .

وفي مجال صناعة الأسمدة تم انشاء أول مشروع عربى مشترك للأسمدة الآزوتية بالكويت عام ١٩٦٦ بمشاركة اجنبية كويتية الى ان تم تكويت المشروع ، ثم توالت المشروعات المشتركة في المنطقة العربية وكان أولها مشروع قطر للأسمدة الكيماوية « قافكو » .

وبالنسبة لصناعة تكرير النفط نلحظ ان المشروعات الخليجية المشتركة لا تتناسب مع امكانات النفط في منطقة الخليج العربية ، الا انه في السنوات الأخيرة أظهرت كل من الكويت والمملكة العربية السعودية اهتماماً كبيراً بمشروعات تكرير النفط المشتركة بالتعاون مع الشركات العالمية .

ومن اهم المشروعات الصناعية في مجال التعدين شركة الومنيوم البحرين ، وشركة الخليج لدرفلة الالومنيوم ، والشركة العربية للحديد والصلب في البحرين ، وشركة قطر للحديد والصلب ، وشركة السعودية للحديد والصلب ..

هذه هي أهم المشروعات الصناعية المشتركة في منطقة الخليج العربية ، ونعتقد انه ينبغي إجراء التنسيق الصناعي بين دول مجلس التعاون ، والذي يحول دون قيام المشروعات المتضاربة ، وتحقيق المنافع المشتركة للأطراف المعنية .

وهناك بعض الأنشطة الصناعية لا يمكن اقامتها إلا على نطاق واسع للاستفادة من مزايا الانتاج الكبير ، ولذلك فقد نصت المادة ١٢ من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة لدول مجلس التعاون على ضرورة تنسيق النشاط الصناعي بين الدول الأعضاء وتوحيد التشريعات والأنظمة الصناعية ، وتوزيع الصناعات بين الدول الأعضاء حسب الميزات النسبية والجدوى الاقتصادية ، وتشجيع اقامة الصناعات الاساسية والتكميلية فيما بينها .

مجلس التعاون والمشروعات المشتركة

تنص الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على تشجيع اقامة المشروعات المشتركة ، فاشارت المادة ١٣ من الاتفاقية الى ان : تولى الدول الاعضاء في اطار العمليات التنسيقية اهمية خاصة لانشاء ودعم المشروعات المشتركة فيما بينها في مجالات الصناعة والزراعة والخدمات برؤوس اموال عامة أو خاصة او مختلطة لتحقيق التكامل الاقتصادى والتشابك الانتاجي والتنمية المشتركة على اسس اقتصادية سليمة » .

ونوضح فيما يلي أسس اقامة المشروعات المشتركة ، ودور القطاع الخاص بدول مجلس التعاون في اقامة المشروعات المشتركة ، ثم نعرض تصوراً لتدعيم نشاطات المشروعات المشتركة في دول مجلس التعاون :

● أولا : أسس اقامة المشروعات المشتركة :

توجد عدة أساليب لاقامة المشروعات المشتركة . منها أسلوب المشروعات المنفردة التى تقوم على اشتراك الأطراف المعنية فى انشاء كل مشروع على حدة ، وتتحمل هذه الأطراف مجتمعة تكاليف اقامة المشروع وادارته .

ويوجد أسلوب اخر يقوم على « اختيار مجموعة من المشروعات » تمثل فى الغالب منشات مترابطة لصناعة اساسية يتم الاتفاق المشترك على توزيعها فيما بين الاطراف المعنية ،ويتحمل كل طرف تكاليف اقامة المشروع المخصص له وادارته وتحمل مخاطره .

وتجدر الاشارة في هذا المجال الى تجربة مجموعة دول امريكا الوسطى « الأندين » ، ففي عام ١٩٥٨ قامت خمس دول من امريكا الوسطى وهي نيكاراجوا والسلفادور وكوستاريكا وجواتيمالا وهندوراس بالتوقيع على اتفاقية تنظيم صناعات التكامل في هذه المنطقة ، وتهدف الى اقامة مشروعات صناعية مشتركة تقوم على التخصص ، وتراعي مبدا تحقيق العدالة في توزيع المزايا وتحمل الاعباء وتعتبر قرارات انشاء هذه المشروعات والملكية والادارة محلية ، وتمنح منتجات هذه المنشات مزايا منطقة التجارة الحرة ، والاتحاد الجمركي ، وشملت هذه التجربة الصناعات التعدينية والبتروكيماويات .

ويرى بعض خبراء الاقتصاد ان اسلوب التكامل القطاعي في اقامة المشروعات المشتركة هو الاسلوب الممكن تنفيذه عمليا ويرجع ذلك الى أن معظم الحكومات سواء في الدول المتقدمة أو الدول النامية ترفض اقامة التكامل الاقتصادي العام لأنها ترى أن التكامل يتطلب التنازل عن جزء كبير من سيادتها ولذلك فانها تفضل اقامة نوع من التكامل القطاعي المحدود لكي تحصل منه على اكبر ما يمكن الحصول عليه من مزايا التكامل دون المساس بسيادتها .

● ثانيا : القطاع الخاص والمشروعات المشتركة :

تنص المادة الثامنة من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على أن تتفق الدول الاعضاء على القواعد التنفيذية الكفيلة بمعاملة مواطني دول مجلس التعاون في أي دولة من هذه الدول نفس معاملة مواطنيها دون تفريق او تمييز في حرية الانتقال والعمل والاقامة ، وحق التملك

مجلس التعاون
والمشروعات الخليجية المشتركة

والارث والايصاء، وحرية ممارسة النشاط الاقتصادي، وحرية انتقال رؤوس الاموال كما تنص المادة التاسعة من الاتفاقية على قيام الدول الاعضاء بتشجيع القطاع الخـاص فيها على اقامـة المشروعـات المشتركة بما يؤدي الى ربط المصالح الاقتصادية للمواطن في مختلف المجالات .

وقرر المجلس الاعلى لمجلس التعاون في دور انعقاده الرابع بدولة قطر في الفترة من ٧ - ٩ نوفمبر ١٩٨٣ توسيع دائرة النشاطات الاقتصادية التي تسمح لمواطني دولة عضو بممارستها فى الدول الاعضاء الاخرى وذلك اعتباراً من اول مارس ١٩٨٤ .

ويعتبر القطاع الصناعي من المجالات الهامة للاستثمارات الخليجية المشتركة بشرط ان تمهد له اجهزة مجلس التعاون افضل السبل المناسبة، وينبغي ان تتوافر المراكز المتخصصة التي تقدم المعلومات والارشادات للقطاع الخاص عند دراسة الجدوى الاقتصادية للمشروعات المختلفة .

وتوجد عدة صور لمشاركة القطاع الخـاص مـع القطاع الحكـومي فى المشروعات المشتركة منها : اسهام القطاع الخاص المباشر في راس مال المشروع المشترك وذلك بتنازل الدول الشريكة عن جزء من حصتها لصالح مواطنيها او للاشخاص الاعتبارية التي تحمل جنسيتها مثلما فعلت دول مجلس التعاون في اتفاقية « مؤسسة الخليج للاستثمار » والتي وافق عليها المجلس الاعلى لمجلس التعاون فى دور انعقاده الثالث بالبحرين فى نوفمبر ١٩٨٢ ، حيث نصت المادة العاشرة من النظام الأساسي للاتفاقية على انه يجوز لأي من الحكومات المساهمة ان تنقل ملكية جزء لايزيد عن ٤٩ في المائة من مجموع أسهمها لمواطنيها من الأفراد والأشخاص الاعتبارية التي تتمتع بجنسيتها .

● ثالثا : تصورات لتدعيم النشـاطـات للمشروعات المشتركـــة فى دول مجلس التعاون :

١ - ينبغي الاهتمام بمرحلة اختيار المشروع ، والتركز على المشروعات التي تحقق منفعة اقتصادية ملموسة للاطراف المعنية ، وتتميز بانتاجية مرتفعة واختيار الأساليب الاقتصادية التي تحقق افضل ظروف الأداء .

٢ - يلزم التفرقة بين ملكية المشروع وادارته حيث انه لا يشترط توافر القدرة المادية مع الخبرة الادارية ، ولذلك فانه يجب أن يتم اختيار مجلس ادارة المشروع وفقا لشروط الكفاءة والتخصص دون اعتبار لجنسية الدول المساهمة في المشروع

٣ - الالتزام باتباع الاساليب التجارية والمالية المستقرة في ادارة المشروعات وتنويع الاستثمارات بما يكفل تنمية المشروعات ، والتعامل مع المؤسسات المالية والمصارف التي تتمتع بالسمعة الطيبة والكفاءة في العمل ، والتركيز على الاسواق الاستثمارية الجيدة والجديدة والمجزية ، بالاضـــافة الى متابعة خطوات تنفيـذ المشروع ، واجراء التعديلات المتطلبة على دراسة الجدوى الاقتصادية الخاصة به لربطها باهداف الخطة المعتمدة .

٤ - قيام صناديق الانماء في دول مجلس التعاون - ومنها الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية ، وصندوق ابو ظبى للانمـــاء الاقتصادى العربى ، والصندوق السعودى للتنمية - بدورها فى دعم المشروعات الخليجية المشتركة وذلك بالاسهام في رؤوس أموالها او في تقديم قروض لها .

٥ - الاهتمام بتوفير ضمانات تشغيل المشروع وحمايته ضـــد المخـــاطر غير التجارية ، وتوفير الحصانات والاعفاءات اللازمة لتيسير تشـغيله . فــاذا كانت الفوائض البتروليـة المستثمرة فى الدول الغربية تتعرض لكثير من المخاطر مما يتعذر معه القول بأن هذا الشكل من الاستثمار يمثل مصدراً بديلا للنفط يتصف بالدوام او الاستقرار ، إلا انه مما لا شك فيه ان من حق دول مجلس التعاون أن تطمئن الى المناخ السياسي لاستثماراتها في الدول النامية والاحساس بالطمانينة في مواجهة المخاطر غير التجارية .

٦ - يشجع تنوع موارد الثروة الزراعية والحيوانية فى الوطن العربى على اقامـة مجموعة عديدة من المشروعات الصناعية والزراعية العربية المشتركة ، واللازمة للاسهام فى معالجة مشاكل الامن الغذائي بدول الخليج العربية حيث يعانى القطاع الزراعى والغذائى والحيوانى عجزاً كبيراً في مواجهة مطالب الاستهلاك .

٧ - إمكانية التنسيق في الظروف المناسبة بين المجموعة الخليجية ومجموعة وادي النيل (مصر والسودان) في اقامة المشروعات المشتركة التي تحقق المصالح الاقتصادية المتبادلة .

ولا توجد اية عوائق او قيود تعرقل من تحقيق هـــذا التعـــاون حيث ان دول المجموعتين جزء من الأمة العربية ، وتسير جميعها فى اطار قومي واحـد وكلها دول عربية يجمعها وحدة اللغة والاصل والتاريخ ، ويتوقف التعاون المنشود على الرغبة والاقتناع بالنتائج المرجوة التي يمكن تحقيقها .

ونعتقد أن التعاون المشترك بين المجموعتين سوف يحقق نتائج كثيرة في مجال الاستفادة من الثروة الاقتصادية السـودانية والمصرية ورؤوس الامـوال الخليجية بجانب الخبرة المصرية في اقامة المشروعات المشتركة .

ولقد حرص ميثاق التكامل المصري السوداني على توفير الضمانات ضد المخاطر غير التجارية فتنص المادة ٢٤ من الميثاق على عدم جواز تاميم المشروعـات الأجنبية والحجز على أموالها أو مصادرتها أو فرض الحراسة عليها ، كما ينص الميثاق على أن يتم تسوية المنازعات الاستثمارية عن طريق التحكيم الاتفاقي أو الدولي مما يشجع ذلك على اسهام رؤوس الأموال الخليجية في استثمارات مشتركة يستفيد منها جميع الأطراف .

يحيى رجب

صحافة بلا أحزاب وأحزاب بلا صحافة

بقلم: فتحي رضوان

لم تجتمع فى مصر الجريدة الرائجة الذائعة ، والحزب القوى المؤيد بملايين الشعب .

فالحزب الناجح صاحب الأغلبية أو مايقرب منها إما أن يكون بلا جريدة تتحدث باسمه وتدافع عن سياسته ، وتروج لمبادئه ، وتهاجم أعداءه ، واما أن يكون صاحب جريدة خاملة لايشتريها الناس ، ولا يقبلون عليها .

فتاريخ مصر الحزبى ، الذى بدأ حوالى سنة ١٩١٧ ممثلا فى الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل ومحمد فريد ، وحزب الاصلاح على المبادئ الدستورية ، الذى شكله على يوسف ، وحزب الأمة الذى ألفته جماعة من أعيان مصر ، يتقدمهم محمود سليمان باشا ، وحسن عبد الرازق باشا ، ومحمود بك عبد الغفار ، كان تاريخ صحف ، وليس تاريخ احزاب .

فحزب الأمة الذى أصدر صحيفة (الجريدة) لم يكن له من الحزب الا اسمه ، فلم يسمع له عن نشاط ، ولم يكن فى مدن مصر الكبرى — دع عنك الصغرى — لجان تستميل الناس اليه ، ولم ينشر عن اجتماع عقده ، ولا حملة حزبية نظمها ، ومع ذلك كانت له صحيفة تتحدث باسمه ، ويطالعها الناس معجبين بأقلام كتابها ، وبحوث محرريها ، وعلى رأسهم أحمد لطفى السيد . فالشهرة وذيوع الاسم استأثرت بهما صحيفة الحزب ، فى حين جهل المصريون الحزب نفسه ، ولم يجد واحد من المصريين عنده النشاط ليعلن أنه منضم لحزب الأمة .

وكان حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية مجرد عنوان لاتحمله جماعة من البشر ، ولا تنتمى إليه طائفة من الناس ، ولم تنتشر له فكرة ، ولم يرج له مذهب ، ولم يساهم فى حملة ، ولم يرشح أحدا ليخوض معركة فى انتخاب . ولعل مؤسس هذا الحزب ، الشيخ على يوسف باشا ، أشهر كتاب مصر ، وأقدر صحفييها عند صدور جريدة « المؤيد » فى اليوم الأول من ديسمبر سنة ١٨٨٩ ، لم يكن ينتوى ولو للحظة أن يكلف نفسه عناء الجهاد من أجل حزبه ، فالغاية من انشاء الحزب انتهت بهذا الانشاء والتأسيس . أما الجهد كله ، والعناية من أولها الى آخرها فمصروفة للجريدة ، للمؤيد ، التى كانت أكبر جرائد مصر ، تقف بين جريدة الأهرام التى صدرت فى الاسكندرية سنة ١٨٧٥ ، وهى تتبنى سياسة فرنسا فى المشرق العربى ، وتروج لها ، وتحارب ما استطاعت سياسة الاحتلال البريطانى ، بلا حماسة مفرطة ، ولا عنف عند المجادلة ، وبين جريدة المقطم الاحتلالية اسما ورسما ، سرا وعلنا ، التى تدافع عن سياسة الانجليز بلا تحرج ولا احتشام ، وتجد فى ذلك سعادة أن تكون جريدة الاحتلال ، وان تهاجم اعداء هذا الاحتلال وفى مقدمتهم مصطفى كامل دائما ، والخديوى عباس أحيانا .

وكانت جريدة المؤيد ، وهواها مع الخديو عباس ، تميل اذا مال ، وتعتدل اذا اعتدل ، وتخاصم الاحتلال حينما تشتد الخصومة بين سلطان البلاد ، الخديوى صاحب السلطة ، وبين الغزاة الدخلاء اصحاب السلطة الشرعية . ومع رواج هذه الجريدة وتجاوز شهرتها لحدود مصر ووصولها الى الهند اقصى المشرق والى المغرب فى أقصى المغرب ، يبحث الناس عن حزب هذه الجريدة ، فلا يجدون له مقرا ، بل لعلهم لايفكرون فى هذا الحزب لأنهم لايسمعون به حتى من مؤسسه الكاتب البارع الذى كان فى وسعه أن يطلق اسم حزبه على جميع الألسنة ، وأن يطرق به كل الاسماع .

أما حزب اللواء الذى صدر فى الثانى من يناير ١٩٠٠ م فقد كان لسان حال الوطنيين المتطرفين ، الذين ضاقوا بالاحتلال البريطانى ، ورفضوا التسليم بوجوده ، بل

صحافة بلا أحزاب
وأحزاب بلا صحافة



علي يوسف



مصطفى كامل



سعد زغلول



أحمد لطفى السيد

رفضوا معايشته أو تصور أى خير يمكن أن يصدر عن هذا الاحتلال الذى عدوه مصابا ، وبلاء ، وكارثة .

هذه الجريدة كانت بلا شك جريدة رائجة ، واستطاعت أن تنشئ جيلا من الشباب المصرى الذى تتأجج وطنيته وتشتعل حميته ، والذى آلى على نفسه ان يحارب الاحتلال فى كل مكان ، وبكل وسيلة ، وعَد إجلاء الانجليز عن أرض وطنه الغاية والهدف . وقد استطاعوا بفضل حماسهم وتطرفهم أن يكونوا أكثر الاحزاب أنصارا ، وأوسعها نطاقا ، وأقواها أثرا . وكانوا يزيدون مع الأيام ، وتعلو كلمتهم بتوالى الأحداث . ومع ذلك فان هذا الحزب لم يتشكل وينشر برنامجه ، ويعد لائحته النظامية الا بعد أن ولدت جريدته اللواء فى سنة ١٩٠٠ . وقد بقيت جريدة (اللواء) لاتمثل حزبا ، بل فكرة ، ولا تتحدث باسم جماعة بل تعبر عن اتجاه ، فتحققت هذه الظاهرة التى ندير حولها الكلام .

فقد كانت هناك جريدة قوية كل القوة ، ولكن بلا حزب ، . وبهذا اصبح فى مصر ثلاث جرائد ، المفروض انها لسان حال ثلاثة احزاب ، فى حين ان الحزبين الأولين من هذه الأحزاب الثلاثة لا وجود لهما على الاطلاق .

فحزب الأمة كان له مجلس ادارة ، وكانت أسماء أعضاء هذا المجلس معروفة ، وكانت لهم الصدارة فى مناصب الدولة ، إلا أن الأثر الوحيد المحسوس به قد استأثرت به جريدة الحزب . وقد أشرنا الى أن حزب الاصلاح على المبادئ الدستورية كان اخفى من حزب الأمة ، وكان وجوده عدما أو شبيها بالعدم ، على النقيض من جريدة الحزب ، ونجاحها الباهر وأثرها الظاهر ، وتمكن صاحبها ومعاونيه من الكتاب والمفكرين من لغة البلاد وتبحرهم فى شئون السياسة والادارة والتاريخ والاقتصاد .

فاذا جئنا الى الحزب الوطنى رأينا عجبا . فاسم هذا الحزب بدأت الألسن تتناقله منذ شرع مصطفى كامل فى الكتابة ومراسلة الصحف التى كانت قائمة سنة ١٨٨٥ . والحق أنه منذ فشلت ثورة عرابى التى نشبت سنة ١٨٨١ ونفي زعيمها وزملاؤه الى سيلان (سرى لانكا) ولد تيار رافض للاحتلال البريطانى الذى دخلت قواته الى القاهرة فى ١٥ سبتمبر سنة ١٨٨٢ م بعد معركة التل الكبير فى الشرق من مصر يوم ١٣ سبتمبر من نفس السنة .

وكان هذا التيار أول الامر وقفا على الذين اكتهلوا من صفوة مصر ، وكان أكثرهم من أصحاب الرتب العالية ولكن مالبث أن جد جيل من أصحاب المهن الحرة كالمحامين والأطباء ، ثم تلاميذ المدارس العليا ، الذين تعلموا فى بلادهم ، والذين أوفدتهم الحكومة ليطلبوا العلم فى انجلترا وفرنسا واحيانا قليلة المانيا . هؤلاء جميعا كانوا يرون ان السكوت على الاحتلال والرضاء بوجوده وقبول التعاون معه لايليق بهم ، وعيب لا يصح أن يلحق بذيلهم . وبدأ هؤلاء يعلنون عن مشاعرهم بوسائل شتى ، فأنشأوا الجامعة الأهلية ، ونادى المدارس العليا ، وجمعية الهلال الأحمر والجمعية الخيرية الاسلامية وجمعية العروة الوثقى وجمعية المساعى المشكورة ، وراحوا يكتبون فى المؤيد ، واحيانا فى الاهرام ، ونادرا فى الجريدة ، حتى بدأ مصطفى كامل يكتب بانتظام فى الاهرام والمؤيد معلنا فى غير مداراة خصومته الشديدة للاحتلال البريطانى منددا بأخطاء سياسته ورغبته الواضحة الجلية فى منع مصر من التقدم ، ومنع اقتصادها من التطور ، ومنع أولاد الفلاحين والعمال من التعليم والتثقف ، وأهاب بالشعب كله بعامة ، والجيل الجديد بخاصة ، أن ينزع من قلبه الخوف من الاحتلال ، والأمل فيه ، ويؤمن بأنه قادر على أن يزحزحه من مكانه وانتقاص سلطانه بالنفور منه ، والتنديد به ، والدعوة الى الاصلاح

والاتحاد ، والانتشار فى الأرض بالدعوة ضد الاستعمار ، والاستعانة بكل منبر عالمى فى كل عواصم أوروبا . ولبى المصريون هذه الدعوة الحارة ، وأصبح للذين يؤمنون بها طابع خاص بين المواطنين ، ومنهج واضح فى الكفاح من أجل استقلال مصر ودستورها وأحس بهم اللورد كرومر ممثل الاحتلال ومعتمده الذى تركته حكومات لندن العام بعد العام حتى استقر على عرش مصر والسودان ملكا متوجا لايحد له نفوذ ولا يقاوم كلمته لا حاكم ولا محكوم ، وقد عاد أكثر الفضل فى التنويه بهذه الجماعة الجديدة المتحمسة والمتطرفة ضد الاستعمار والحاكم الدخيل الى هذا اللورد ، فقد كان لا يكف عن الشكوى من حملات هذا الجيل الجديد ، وعلى رأسه مصطفى كامل وأعوانه وفى مقدمتهم محمد فريد . وقد عرف هؤلاء بأنصار الحزب الوطنى ، وكان اسم هذا الحزب يذكر فى الصحف والدوريات ، وأنباء شركات الاخبار ، دون ان يكون لهذا الحزب مقر ، ودون أن تنشر له لائحة ، واخيراً دون ان تكون له صحيفة . فقد تأخر ميلاد الجريدة المتحدثة باسمه حتى اليوم الثانى من الشهر الأول من القرن العشرين — أى ٢ يناير ١٩٠٠ م ، ومعنى ذلك ان اكبر الأحزاب المصرية وأقدمها بعد الاحتلال البريطانى بقى بلا جريدة اكثر من خمسة عشر عاما .

ومع ذلك استطاع مصطفى كامل أن يخوض المعارك الكبرى ، كمعركة اتفاقية السودان ، وحادثه فاشودة وإقامة المحكمة المخصوصة ، وكلها وقائع خطيرة فى حياة مصر السياسية وكفاحها الوطنى ، وليس فى يده جريدة يشهرها سلاحاً فى وجه الاحتلال وباقى أعدائه .

ومع ذلك كان الحزب الوطنى موجوداً ، ومعتداً به ، ومخوفاً ، ومحلاً للهجمات ، فلما أنشئت الجريدة فى أول القرن العشرين ، لم يفكر مصطفى كامل فى إنشاء الحزب الوطنى رسميا إلا فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٠٧ قبل وفاته بأقل من شهرين ، فقد لحق بالرفيق الأعلى فى ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ ، وبذلك تحققت هذه الظاهرة ، فالحزب القوى فى مصر ليس له فى الأغلب الأعم ، جريدة تتحدث باسمه وتكافح من أجله ، والجريدة القوية ، وإن نسبت نفسها لحزب ، فهى فى واقع الأمر بلا حزب ، وبعبارة أخرى ، هى منسوبة لحزب ، يبحث عنه الباحثون فلا يجدونه .

ولما قامت ثورة سنة ١٩١٩ م ، وضعف وجود الحزب الذى أسسه مصطفى كامل المتطرف ، والمتشدد ، ومالت الجماهير إلى سياسة أكثر لينا ، وأعظم مرونة ، ولد حزب الوفد واستأثر بالأغلبية الكبرى ، وراجت دعوته رواجاً شديداً ، ولكن بقيت ظاهرة (الحزب والجريدة) فى مصر ، فقد بقى حزب الوفد بلا جريدة يملكها ويشرف عليها ويوجه سياستها .

فقد كثرت الجرائد التى تتحدث باسم الوفد ، ولكنها كانت جميعاً جرائد يملكها أفراد ، وينفقون عليها من مالهم ، وقد كانت أولى جرائد الوفد هى جريدة الأهالى التى كانت تصدر أول الأمر فى الاسكندرية ، ثم نقلها صاحبها عبد القادر حمزة إلى القاهرة ، وقد شاركتها فى الدعوة للوفد جرائد عديدة منها جريدة المحروسة وجريدة النظام .

ومات سعد زغلول فى سنه ١٩٢٧ وليس لحزبه جريدة رسمية يملكها ، حتى أنشأ عبد القادر حمزة أيضاً البلاغ ، لتكون لسان حال الوفد ، وان كانت مستقلة عنه ، ولا تخضع لتوجيهاته ، وحرصت على تأثر خطاه والقول بما يراه ، ثم انضمت إليها جريدة الجهاد التى أصدرها محمد توفيق دياب الذى عاش أكثر حياته خصماً للوفد ، وصديقاً للعدليين المنتسبين إلى عدلي يكن ، ثم خرجت البلاغ والجهاد ، على التعاقب ، من الانتساب للوفد ، وحلت محلهما جريدة يومية ، مستقلة فى الواقع ، وهى « المصرى » التى كان يملكها محمود أبو الفتح ويديرها مع أخويه : الشقيق حسين وغير الشقيق احمد .

فى نفس الوقت كان حزب الأحرار الدستوريين الذى تألف فى اكتوبر سنة ١٩٢٢ ، قد أصدر جريدة السياسة التى كانت تبذ جرائد الوفد ، من حيث حسن التحرير ، وسلامة الادارة ، والتمرس بأساليب المعارضة ، ولكنها كانت جريدة حزب قليل الأنصار ، ضعيف الشأن عند الناس .

وما لبثت جريدة السياسة اليومية ، أن أسدت إلى الثقافة فى مصر ، يداً ، حينما أصدرت مجلة السياسة الاسبوعية كملحق أدبى لها ، فكانت عملاً ثقافياً ، تبارت على صفحاته أقلام كانت من قبل تكتب وهى بعد فى شبابها بجريدة الجريدة ، أمثال طه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، ومصطفى عبد الرازق ، ومحمود عزمى .

والحق أن تاريخ الثقافة المصرية فى هذه الحقبة من تاريخ مصر — أى من أخريات القرن التاسع عشر ، حتى نشوب الحرب العالمية الثانية – كان فى واقع الأمر تاريخ أربع صحف هى اللواء ، والمؤيد ، والجريدة ، والسياسة اليومية والأسبوعية . ففى اللواء عرفنا أقلام عبد العزيز جاويش ، ومصطفى لطفى المنفلوطى ، وطه حسين ، وأحمد حلمى وأحمد وفيق ، وعبد الرحمن الرافعى ، وأمين الرافعى ومحمد فريد وجدى .

وفى الجريدة عرفنا أحمد لطفى السيد ، وأحمد زكى (شيخ العروبة) ومنصور فهمى ، وحسن صبرى ومحمد حسين هيكل ، وعبد الحميد حمدى والمترجمين يوسف البستانى ونيقولا رزق الله .

وفى المؤيد قرأنا لمصطفى كامل وأحمد حافظ عوض وللشاعرين شوقى وحافظ ، وبالجملة عرفنا أسماء الجيل الذى صاحب مصر نحو خمسين عاماً يؤلف ويترجم ويدعو ويلهم ويلهب .

فتحى رضوان

مأساة "أم الفحم".. قرية مظلومة.. وحاخام ظالم

كاهانا يقول: على العرب إذا أرادوا البقاء في إسرائيل أن يتحولوا إلى عبيد

بقلم: عصام شريح

الأحداث التي شهدتها أم الفحم في التاسع والعشرين من شهر آب (أغسطس) الماضي ، كانت مثيرة ، إلى درجة أن كل عربي من الخليج الى المحيط كان يترقب نتائجها ، وكأنه واحد من أبناء تلك البلدة العربية الصغيرة الواقعة بشمال فلسطين المحتلة ... أما تلك الأحداث فقد كانت بسيطة بقدر العفوية النضالية التي قابل بها أهالي أم الفحم وعرب الجليل هجمة الحاخام العنصري مئير كهانا وأتباعه من عصابة « كاخ » ، لكن المعاني التي أسفرت عنها تلك الأحداث المثيرة ، كانت عظيمة وذات دلالات بالغة الأهمية .

أما سيناريو تلك الأحداث فقد كان كالتالي : الحاخام مئير كهانا ـ النائب في الكنيست ـ دعا أتباعه من عصابة « كاخ » العنصرية ، الى التجمع وملاقاته عند مدخل بلدة أم الفحم العربية صباح التاسع والعشرين من آب (أغسطس) الماضي ، من اجل إقتحام « أم الفحم » بالقوة ، لابلاغ أهاليها العرب بضرورة مغادرة « الأراضي الإسرائيلية » ، الى الدول العربية أو إلى أي مكان آخر ، وأعلن كهانا أنه سيفتتح مكتباً لتهجير العرب في بلدة أم الفحم ، وسيدفع تعويضاً مالياً للذين يقبلون بالهجرة في غضون سنتين !!

ما حدث بعد ذلك ، أن أهالي أم الفحم ، اقسموا أن يجعلوا من أرض بلدتهم قبراً لكهانا وعصابته ، ورفعوا لافتات عند مداخل البلدة تقول : « لن يمروا ! » ، كما تنادى عشرات من شبان قرى منطقة الجليل ، للدفاع عن أم الفحم ، وانضموا الى أهاليها ، الذين طلبوا من المتطوعين « الجليليين » ، البقاء في قراهم ومدنهم ، لأنهم قادرون على التصدي والمجابهة دون حاجة لاخوانهم . وإزاء تصميم أهالى أم الفحم على التصدي لكهانا وعصابته ، حشدت سلطات العدو ألف شرطي وجندي حول البلدة لمواجهة الموقف في حال تنفيذ أم الفحم قرارها بالتصدي ... وبينما كان كهانا ومائة وخمسون من عصابة « كاخ » يقتربون من البلدة ، كان أهاليها يشكلون سلاسل بشرية عند مداخلها ، لمنع العصابة ورئيسها من دخول أم الفحم ، مهما كان الثمن ... وعندما لاحظت سلطات العدو أن مذبحة مروعة ستقع في البلدة ، وأن كهانا

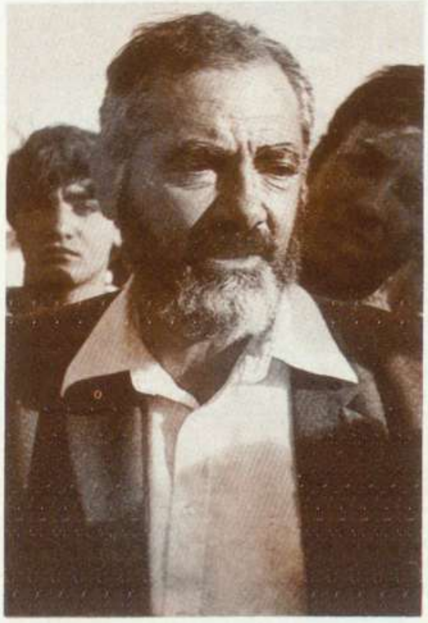
قد يقتل في حال اقتحام البلدة مع اتباعه ، تجاهلت « الحصانة النيابية » التي كان وزير الداخلية يوسف بورغ يتذرع بها لعدم منع كهانا من تنفيذ خطته ، وقامت بابلاغ كهانا قبل وصوله الى مداخل أم الفحم ، بضرورة التراجع ، لأنها غير قادرة على ضمان حياته وحياة انصاره ، إذا أصر على عملية الاقتحام بالقوة ... وهكذا .. تبخرت تهديدات كهانا في دقائق ، وقفل عائداً من حيث أتى مع عصابته ... لكن القوات الصهيونية التي كانت تطوق المدينة العربية ، غاظها انتصار إرادة « أم الفحم » ، فاشتبكت مع أهاليها ، الذين رشقوها بالحجارة ، فيما كانوا يتلقون قنابل الغاز المسيل للدموع ، وانتهت « المعركة » باعتقال عشرين عربياً من أم الفحم ، بحجة الإخلال بالأمن والاعتداء على رجال الشرطة وجنود الجيش .

ذلك كان سيناريو الأحداث .. أما المعاني ، فلقد تمثلت في إرادة النضال والمقاومة التي تحلى بها أهالي أم الفحم ، وإصرارهم على التصدي للعصابة الصهيونية مهما كان الثمن ، ومهما غلت التضحيات ، ثم في ذلك التعاطف الذي أظهره عرب منطقة الجليل بأسرها مع أهالي أم الفحم ، باعتبار أن المعركة ضد العنصرية الصهيونية ، هي معركة كل عربي في الجليل ، بل وكل فلسطين المحتلة .

لقد سقط الإرهاب ، وسقط سلاح التخويف ، أمام إرادة الكفاح والمقاومة ، وذلك دليل على أن الأمة العربية قادرة على التصدي للصهيونية ، اذا امتلكت إرادة القتال وروح المقاومة .

الجليل « المزعج »

وفي الواقع فإن حكاية بلدة « أم الفحم » ، هي حكاية منطقة الجليل بأسرها مع الصهيونية ، وقبل أن ننتقل الى عرض ملامح من هذه الحكاية ، نشير الى أن « أم الفحم » ، هي أكبر القرى العربية بمنطقة



«كاهانا» لحظة ارتداده خائبا عن أم الفحم

الجليل والمثلث ، وهما المنطقتان اللتان يشكل العرب فيهما أكثرية واضحة بالنسبة للمستوطنين اليهود ، وبلدة أم الفحم ، تبعد عن البحر الأبيض المتوسط مسافة لا تزيد عن خمسة وعشرين كيلومتر باتجاه بلدة قيسارية الساحلية غرباً ، وعن ثمانية عشركيلومتراً عن مدينة الناصرة بالإتجاه الشمالي الشرقي ، وثلاثة عشر كيلومتراً عن بلدة العفولة ، اذا اتجهنا الى الجنوب الشرقي ، وعشرين كيلومتراً عن بلدة الخضيرة ، اذا اتجهنا الى الشرق الجنوبي ، وبلدة أم الفحم ، هي في الواقع عبارة عن مدينة صغيرة ، حيث يبلغ تعداد سكانها خمسة وعشرين ألف نسمة وكانت مساحة أراضيها قبل قيام الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨ ، مائة وخمسة وأربعين ألف دونم من الأرض ، لكن هذه المساحة الشاسعة تقلصت تدريجياً بسبب قيام سلطات الاحتلال الصهيوني بمصادرة أراضي أم الفحم ، حتى وصلت مؤخراً الى ٢٢ ألف دونم فقط ، ولا يصلح منها للزراعة سوى ستة آلاف دونم ! !

وعلى الرغم من سلب أراضيهم ، وحرمانهم من أية رعاية صحية أو اجتماعية فإن المرء لابد وأن يعجب بالروح الوطنية العالية التي يتمتع بها أهالي ام الفحم ، حيث تطالعك وأنت تدخل هذه البلدة ، لافتات التنديد بالسلطات الصهيونية ، وسياسة الاستيطان ، وحيث تطالعك أيضاً الأعلام الفلسطينية والشعارات الوطنية في كل شارع وعلى كل جدار من جدران بيوتها ، مثل : « كلنا فدائيون .. دم الثوار يطالبكم بالإضراب .. شعب واحد .. طريق واحد .. الخ » .

وليس من غريب الصدف في شئ ، أن تكون « حركة الأرض » ــ وهي أول تنظيم فلسطيني وطني في منطقة الجليل ، نشأ في اوائل الستينيات ، قد انطلقت من بلدة أم الفحم ، كما أنه ليس من الصدفة أبداً ، أن تكون « حركة أبناء البلد » ، قد تأسست أولاً في أم الفحم ، واتخذت من هذه البلدة الصامدة مقراً رئيسياً لها ... و « حركة أبناء البلد » ، كما يعرفها المحامي محمد كيوان ، ــ وهو من أبناء أم الفحم ــ « هي حركة أنشئت للرد على الظلم القومي ، وعلى تدمير الصهاينة لإنسانية الانسان الفلسطيني العربي في وطنه المغتصب » . ويضيف المحامي كيوان : « لقد قمنا لكي نعالج مشاكل محلية أولاً : نهب الأراضي وإهمال المدارس والخدمات الجماهيرية .. وفي هذا المجال لا يوجد أي فرق بين الليكود والمعراخ ، كما أنه لا يوجد فرق بالنسبة الينا ، بين ما يسمى « بتطوير الجليل » و « تهويد الجليل » .

قلنا أن حكاية أم الفحم هي صورة مصغرة لحكاية منطقتي الجليل والمثلث وحتى منطقة النقب ، مع الصهاينة ، فالحقد الصهيوني على العرب ــ وخاصة عرب ١٩٤٨ ــ أخذ في التنامي بشكل كبير مؤخراً ، حيث أصبحت الأصوات التي تنادي بطرد العرب من بلادهم ، وتهويد منطقة الجليل بصورة خاصة ، أصواتاً مألوفة . وفي الواقع ، فان الشعارات التي ترفعها حركتا « كاخ » و « غوش إيمونيم »

مأساة "أم الفحم"..

قرية مظلومة.. وحاخام ظالم

الصهيونيتان العنصريتان ، وتطالبان فيها بتصفية العنصر العربي في فلسطين المحتلة ، سواء بالطرد والتهجير أو التصفية الجسدية ، مثل هذه الشعارات لم تولد من فراغ ، وإنما هي نتيجة طبيعية للعقيدة الصهيونية ، وإفرازات من إفرازاتها ، لأن هذه العقيدة ، إنما قامت أصلاً على العنصرية والشوفينية . وقد عبر أحد أبناء بلدة أم الفحم عن هذا الواقع ، عندما قال : « إن القضية لا تتعلق بكاهانا لوحده ، فهناك ألوف من أمثاله ، وفي كل يوم يولد ألوف جدد على شاكلته » .

ومن المفيد هنا أن نستنطق الاسرائيليين أنفسهم ، عن ظاهرة العنصرية الصهيونية المتطرفة ، الآخذة في التعاظم والتصاعد يوماً بعد يوم ، فقد كتب الكاتب الاسرائيلي « أمنون روبنشتاين » مقالا في صحيفة « هآرتس » ، قال فيه : « .. أن ما تتميز به ظاهرة العنصرية في اسرائيل ، هو أنه صار من الصعب ، ملاحظة الفرق بين عنصرية الحاخام مئير كهانا والحاخام أريئيل ، وجماعات العصابات ، وبين التوجهات والمواقف التي غدت أمراً عادياً في اسرائيل . » ، وقد أورد روبنشتاين بعض الأمثلة على الروح العنصرية الفاشية التي تغمر الاسرائيليين ، ومنها أن مجموعة من المسؤولين في حركة « هتحيا » — « حزب النهضة » ، ردوا بغضب لدى علمهم بتأجير « شقة » لعربي في نفس المبنى الذي تقع فيه مكاتب هذه الحركة بالقدس المحتلة ، قالوا : اذا تسبب أفراد هذه العائلة العربية في أي مشكلة ، فسوف نحشرهم في إحدى الزوايا ، ونقضي عليهم بالعصي والهراوات ، وأشار روبنشتاين الى أن « حركة هتحيا » التي يمثلها خمسة نواب في الكنيست الحالي بينهم رئيس الحركة « يوفال نعمان » ، تحظى بتأييد اسماء لامعة في العالم الأكاديمي الاسرائيلي ، ومع ذلك فان أحداً لم يندد على الأقل ، أو

من حوار كارليباخ

— « .. هذا البلد كان ملكاً للعرب في أيام لا تذكرينها .. كانت لهم القرى والحقول .. واليوم لا ترين الكثير منها .. فقد حلت مكانها مستوطنات يهودية مزدهرة فقط .. ولكنك ترين أحياناً .. هنا وهناك .. بعض القرى العربية .. انها لتلك الأقلية التي بقيت بيننا .. ولا نعرف لماذا لم تهرب .. وقد يتبادر الى ذهنك سؤال على الفور .. وأين حقولها ؟؟!

— لم تبق لهم حقول .. بنيتي .

• ماذا حدث للحقول ؟

— ببساطة .. استولينا عليها .

• ولكن .. كيف ؟ .. كيف يمكن الاستيلاء على أرض تخص شخصاً آخر موجودا بيننا .. ويعيش عليها ، ويفلحها ؟؟

— ليس في هذا صعوبة فنية ، تكفي القوة لذلك فقط ، وبامكانك إذا كانت السلطة فى يدك ، أن تعلني مثلاً ، أن هذه الحقول منطقة مغلقة ، وتمنعي أي انسان من الوصول اليها دون تصريح .

• ولكن ألا يوجد قانون يمنع ذلك .. ويحمي الأرض لأصحابها .. ألا يوجد قضاة في اسرائيل ؟

— بلى .

• وكيف يجري ذلك التطاول على القانون ؟

— لا .. يا بنيتي .. إذا كان القانون ضد السارق ، والسارق قوي جداً ، فانه عندئذ يسن قانوناً يكون الى جانبه .

• كيف ؟

— يجتمع في الكنيست جميع الذين لهم حصة في السرقة .. ويقولون : استعدنا هذه الأراضي ، ولا نريد أن يزعجنا القضاة في استخدامها ، تعالوا نسن قانوناً يجعل إخراج تلك الأراضي من أيدينا أمراً مستحيلاً ... أما العرب فيقولون طبعاً ، إن هذه الأرض ليست لكم .. وهذه ليست نهاية المشكلة ، بل بدايتها ، والخلاف الكبير معهم لم ينته أبداً بل أنه ابتدأ .. وأنا أخاف عليك يا بنيتي كثيراً .. لأنني أخشى أن تدفعي أنت ثمن كل هذا عندما تكبرين .. لا أعرف كيف ؟ ولا متى ؟ ولا بماذا ؟ .. آمل أن يكون ذلك بالمال فقط.. ومن الممكن .. بالدماء .. إن عاجلاً أو آجلاً .. إذ يصعب التنبؤ بما سيحدث » .

من حوار للدكتور عزرائيل كارليباخ — مؤسس صحيفة معاريف وأول محرر فيها — مع ابنته .



معركة عند مدخل أم الفحم : سلاح العرب الحجارة .. وسلاح العدو القنابل المسيلة للدموع

يعبر عن تحفظه على هذه الروح الفاشية ، بل إن هؤلاء الأساتذة الجامعيين ، والذين يرأسون نقابة الطلاب العامة في الجامعة العبرية » بالقدس المحتلة ، يقومون منذ فترة ، بعملية تكسيح للطلاب العرب في أرجلهم ، ليس فقط بواسطة العصي والهراوات ،وإنما بواسطة السلاسل الحديدية والقضبان المعدنية أيضاً ، وعندما استدعي أحد هؤلاء الطلاب أمام المحكمة التأديبية التابعة للجامعة ، هدد باستخدام العنف ضد سلطات الجامعة ، إن هي اعترضت طريقه ، لمنعه من « القضاء » على الطلاب العرب .

وفي معظم المدارس الاسرائيلية ، يعلن الطلاب اليهود وبشكل واضح ، أنه يجب طرد العرب من كل فلسطين ، ويقصدون بذلك عرب الجليل والمثلث والنقب ، إضافة الى عرب الضفة الغربية وقطاع غزة .

سياسة التهويد

لقد كان هدف تهويد منطقة الجليل ، التي تضم اثنين وخمسين قرية عربية ، أحد أبرز الإهتمامات التي واجهت الصهاينة ، منذ احتلال فلسطين في عام ١٩٤٨ ، وحتى اليوم ، ولذلك عمد الصهاينة منذ احتلالهم لمنطقة الجليل ، الى فرض سيطرتهم على اجزاء واسعة منها ، لاقامة المستوطنات عليها . أما الأغلبية السكانية العربية ، فقد فرض الصهاينة عليها الحكم العسكري ، وطبقوا بحقها قانون الطوارئ البريطاني الموضوع في عام ١٩٣٥ ، وهو من أكثر قوانين الطوارئ في العالم قمعاً وإنكاراً لحقوق الانسان . كما ابتدعوا ما أسموه « بقانون أملاك الغائبين » ، للاستيلاء على أراضي الفلسطينيين الذين شردوهم عن وطنهم وأملاكهم بالقوة . كما ابتدعوا ما أسموه « بقانون تطوير الجليل » ، وهو في الواقع « قانون تهويد الجليل » ، حيث في ظل « التطوير » المزعوم ، بنيت المستوطنات ، وجئ بالمستوطنين من اليهود من أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية ، للإقامة في هذه المستوطنات .

ومن طرائف التفكير الصهيوني ــ المضحك المبكي في آن ــ أن أحد الفلاحين العرب قال لما يسمى « بمدير دائرة عقارات اسرائيل » : كيف تنكرون على ملكيتي لهذه الأرض ؟؟! .. فهي ملكي .. وقد ورثتها عن آبائي وأجدادي ... ولدي وثيقة « طابو » بذلك !!

فأجابه المدير الصهيوني : « نحن لدينا وثيقة « طابو » أهم .. وهي تنص على أن الأرض الواقعة بين « دان » في الشمال و« إيلات » في الجنوب هي ملك لليهود .. » .

وأضاف : اننا نعرض عليك مائتي ليرة لكل دونم من الأرض التي بحوزتك ، ليس لأنها ملكك ، بل لانك قمت بحراستها مدة ألفي سنة !!

وقصة ديفيد بن غوريون مع سائق سيارته وحرسه الخاص ، اثناء زيارته لمنطقة الجليل في أواسط الخمسينات ، مشهورة جداً ، حيث أمر بن غوريون سائقه بالتوقف عندما وصل الى مشارف احدى القرى العربية في هذه المنطقة ، وسأل ضابط الأمن في سيارة الحراسة المرافقة قائلا : هل تخطى الموكب حدود اسرائيل ، ودخل الأراضي السورية !فأجابه الضابط : لا ، إننا ما زلنا في « أرض اسرائيل » .. لكنه الجليل هكذا .. عربه يحبسون الهواء عن مواطنينا » .

وهذه الحادثة لم تكن مجرد قصة .. بل كانت بمثابة إعلان رسمي من حكومة بن غوريون آنذاك ، للمباشرة في عملية مصادرة الأراضي الزراعية وعلى هذا الأساس بلغ حجم الأراضي الزراعية المصادرة في هذه المنطقة حتى عام ١٩٦٠ ، أكثر من مليون دونم ، ولم يبق في حوزة عرب الجليل من أراضيهم سوى ٢٥٠ ألف دونم صالحة للزراعة ، وحوالي مائة الف دونم لمسطحات

مأساة "أم الفحم"..
قرية مظلومة.. وحاخام ظالم

المدن والقرى ، وذلك من ثلاثة ملايين ونصف المليون من الدونمات ، يضاف الى ذلك هدم عشرات القرى العربية في الجليل ، وتهجير أهالي عشرات أخرى من القرى .

أم الفحم .. والحاخام كهانا

لم تكن محاولة الحاخام مئير كهانا وعصابته «كاخ» لاقتحام بلدة أم الفحم في أواخر الشهر الماضي ، طفرة ، أو تعبيراً عن حالة مزاجية أو عصبية لهذا الحاخام ، بل انها كانت تعبيراً حقيقياً عن السياسة الصهيونية نحو منطقة الجليل المكتظة بالعرب ، خاصة وأن عدد عرب الجليل ارتفع من مائة وخمسين ألفاً في عام ١٩٤٨ ، الى نصف مليون عربي تقريباً . وما يقوله قادة صهاينة في السر أو في المناسبات عن عرب الجليل وكل عرب ١٩٤٨ ، يقوله الحاخام كهانا في العلن ، ودون لف أو دوران . لذلك يبدو لنا أنه من الأهمية بمكان التعرف على أفكار هذا الحاخام الصهيوني المتعلقة بعرب ١٩٤٨ . يقول كهانا ، أنه من المستحيل على اليهودي أن يشتري حب العربي له ، ويعلن تخوفه من العرب نظراً لتكاثرهم الطبيعي السريع ، وهو يقول بهذا الصدد : ها هم العرب يتكاثرون مثل الأرانب ، وبمعدل نموهم هذا ، سيسيطرون على الكنيست في غضون ربع قرن فقط» .

ويضيف كهانا ، انه غير مستعد للتضحية بالصهيونية من أجل الديمقراطية .. ولذلك فان الحل الوحيد لديه «لمشكلة» عرب ١٩٤٨ ، هو رحيل العرب أو بالأحرى ترحيلهم وطردهم الى الدول العربية أو الى الغرب أو الى أي مكان آخر . ويقول : إنه اذا أصبح رئيساً للحكومة الاسرائيلية ، فلسوف يذهب الى العرب ، ويقول لهم إرحلوا ، في مقابل تعويضات مالية سخية ، فاذا رفضوا الرحيل ، فان اليهود سيجبرونهم على ذلك بالقوة ، وذلك عن طريق وضعهم في سيارات الماشية !! بعد منتصف الليل !! والقذف بهم خارج «حدود اسرائيل» .

وينفي كهانا تهمة العنصرية عن نفسه ، بسبب اصراره على طرد العرب من وطنهم ، مدعياً بأن العنصري ، هو اليهودي الذي ينادي بأن للعرب نفس الحقوق ، وعلى قدم المساواة مع اليهود في كيانهم الصهيوني . وقد انتقل كهانا من هذه النظرية ، الى تطبيق مضمونها عن طريق الممارسة الفعلية ، فقام في نيسان (ابريل) من عام ثمانين مع انصاره بتظاهرة بمدينة رام الله ، حطموا خلالها نوافذ البيوت والحوانيت العربية ، وفي العام التالي قام انصاره اعضاء عصابة «كاخ» ، بالتوجه الى مدينة نابلس ، وعندما وصل الى قلب هذه المدينة العربية ، أخذ يصرخ عبر مكبر للصوت ، طالباً من العرب الرحيل ، وقد تصدى له يومذاك ، رئيس بلدية نابلس السيد بسام الشكعة ، الذي دخل معه في نقاش حاد ،وعرض السيد الشكعة على الحاخام كهانا ، أن يدفع له ثمن بطاقة سفر ، لكي يعود الى وطنه الأصلي في الولايات المتحدة الأمريكية ، أو الى وطن والديه في بولندا .

وفي محاضرة ألقاها كهانا مؤخراً بتل أبيب ، قال إنه يجب طرد العرب من اسرائيل ، لأنهم يشكلون قنبلة موقوتة في جسم الكيان الصهيوني ، وأعرب كهانا عن سروره وسعادته ورضاه عن مذبحة صبرا وشاتيلا ، قائلاً : إن للفلسطينيين هدفاً واحداً ، هو ابادة «الشعب اليهودي» ، فاذا أتيحت للعرب الفرصة ، فعلوا بنا ما فعلناه في صبرا وشاتيلا» ، كما قال : «إن ارضنا تمتد من النيل الى الفرات .. وسنحررها بالتأكيد» !!

ويستشهد كهانا في «رفضه» للعرب ، بالحاخام موسى بن ميمون الذي قال : «عليهم أن يكونوا في الدرجة السفلى ، وأن لا يرفعوا رؤوسهم في وجه اسرائيل ، وإنما يجب أن يكونوا خاضعين لها» !! ، وانطلاقاً من هذا يقول الحاخام كهانا : «إنه يتوجب على كل عربي يريد البقاء في اسرائيل ان يقبل العبودية» !!

إزاء هذه الأفكار المغرقة في العنصرية والتطرف ، لم تكن محاولة كهانا اقتحام بلدة أم الفحم لإبلاغ أهاليها العرب بضرورة مغادرة «أرض اسرائيل» المزعومة ، محاولة غيرمتوقعة ، بل إنه يتوجب على الأمة العربية أن تتوقع محاولات أخرى من هذا النوع وربما أكثر عنفاً وهمجية .

ويبقى أمامنا كعرب ، أن نعمل ونخطط ونتصرف ، على أساس أفكار كهانا العنصرية ، بمعنى أن المعركة بيننا وبين الصهيونية ، هي معركة جياة أو موت ، وكل الصهاينة كهانا في نهاية المطاف .. فاما أن نكون أو لا نكون .

عصام شريح

القروي
شاعر العروبة
سيرتُهُ في ذكريات



الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى)

بقلم : أكرم زعيتر

في رونق الصبا ، طلابا في مدرسة النجاح بنابلس ، وفى صدر اليفاعة تلاميذ في الجامعة الأمريكية ببيروت ، كنا نتتبع أنباء الثورة السورية وبطلها سلطان الأطرش .

وأقبل أحد الطلاب يحمل قصيدة جاءته من قريب له في البرازيل ، يقول إنها للشاعر القروي ، رشيد سليم الخوري ، يمجد فيها شجاعة سلطان ، ويصف هجمته على الدبابة الفرنسية ، ومصرع قائدها ، وقد رنحتنا وشدوناها مرات ، وتنافسنا في انتساخها واستظهارها ورددنا خطابه « الأطرش » :

ويالك أطرشاً لما دعينا
لثأر كان اسمعنا جميعا

ولعل حماستنا الملتهبة جعلتنا نصفق حين هتف الشاعر « الخوري » :

اذا حاولت رفع الضيم فاضرب
بسيف محمد واهجر يسوعا
« أحبوا بعضكم بعضاً » وعظنا
بها ذئباً فما نجّت قطيعا
فيا حملا وديعاً لم يخلّف
سوانا في الورى حملاً وديعا
الا أنزلت انجيلا جديدا
يعلمنا إباء لا خنوعا ...

وصرت أتتبع ما ينظمه ، وعددته حقاً شاعر الوطنية ، وصناجة الحركة العربية ، وربابة الثورات القومية ، وما أكثر ما حملت طلابي على استظهارها وترتيلها .

وتوفى في سويسرا في أيلول سنة ١٩٣٣ الملك فيصل بن الحسين ، ملك العراق ، ويممت بغداد لأرثيه في أربعينه باسم استقلاليي فلسطين رصيفاً لبشارة الخوري والرصافي والزهاوي والريحاني والفاروقي والبارودي والدندشي والعسلي والأزري والشريقي والضاهر ورضا والزين .. ونقلت الأنباء أن الجالية العربية في الأرجنتين تقيم في الحين ذاته حفلاً تأبينياً دعت إليه شاعري العروبة في البرازيل : القروي ورصيفه الياس فرحات ، فكتبت إليه أرجو أن أظفر بقصيدته وزميله .. وما لبثت حتى تلقيت قصاصات فيها ما قيل في حفلتي بونس ايريس وصانبول ، وكان القروي يستبدل لفظاً وكتابة (صانبول) بسان باولو ...

وفي يومية ٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٣٤ في بغداد قلت : « زارني الاستاذ ساطع الحصري وإحسان بك الجابري والقائد فهمي السعيد(وقد استشهد فيما بعد) والدكتور أمين رويحة والنائبان ابراهيم عطار باشي وصادق حبه ، وقال

القروي

شاعر العروبة

الدكتور المجاهد أمين رويحة : « علمنا أن قصيدة الشاعر القروى جاءتك من البرازيل فجئنا نسمعها » فتلوناها عليهم ، وعلى طولها ، أصروا على اعادة تلاوتها ، وفي القصاصات : « ان حماسة الوف الحاضرين قدبلغت خلال انشادها أن عقد نائب رئيس الجمهورية الأرجنتينية يده في يد الأقرب اليه وهذا في يد الذي يليه حتى تألفت سلسلة من الأيدي بلغ آخرها يد الشاعر على المنبر فهزوها جميعاً هزة الاعجاب . ومطلعها :

لَحي برغم القبر فليخسأ الردى
وقد سلم « الغازي » فلا يهنأ العدى

وقد صاغ الشاعر موقف الأمير غازي ، ولي العهد الشجاع من فتنة التياريين (الآثوريين) في ملحمة بالغة الروعة ، وبعد أن وصف فيصلا وناجاه ناشده :

أرِحْ كبدا حَمَّلتها كل فادح
من الهم يعْيي الشُمَّ لو كُنَّ أكبدا
طعام على مَضٍّ ، وشربٌ على قذى
وَمَشْيٌ على جمر ونوم على مُدى
تصبرتَ حتى الصبر كاليأس قاتل
وحتى ذممنا في الخطوب التجلدا
صعدت جبال الألب تنشد راحةً
وعُدتَ كأن الألب في القلب صعَّدا

وفيهـا :

خيانة أحلاف وإخلافُ ساسة
وغـدر الذي أكرمته فتمـردا

وفيهـا :

يمدون للتسليم في لندن يداً
ويُخفون للتسليح في نينوى (١) يدا
وقالوا : مليك العرب في الغرب مُكرَمٌ
فقلت : إذن بات المليك مهددا
لأمر يلاقيك الفرنجيُّ باسماً
فَزِدْ حذرا ما زاد ذئبٌ توددا

تراه صحيحَ الودِّ وهـو سقيمه
كما تُكسبُ الحمى الخدود تورُّدا

وبعَد أبيات صاعقات تنديداً بالإنكليز قال :

من المسجد الأقصى الى وستمستر
يروعكم صوت الحسين (٢) مهدداً
بريطانيا ! بريطانيا أين فيصلٌ
وأين تركتم سيف عدنان مغمدا

ووصف مرض فيصل :

وراحت عيون النجم فوق سريره
مسهدةً ترعى العليل المسهَّدا
يئن فما يلقي سوى اليأس حوله
طبيباً وأشباح المنية عُوَّدا
فان تبرأوا من سُمه ما برئتمُ
من القتل ، إن الغَمَّ كالسُّم موردا

ثم ندد بالوضع في لبنان ، وبتخاذل اللبنانيين ، وخاطبهم بهذا البيت الرائع :

فموتوا ، ألا موتوا فما الموت سُبَّةٌ
وإنَّ الردى في العار . لا العارُ في الردى

وأنهى قصيدته ، ذات المئة بيت هاتفاً بفيصل :

حفيد رسول الله يا غوث أمة
اذا استنجَدَتْ لم تلقَ إلاّكَ مُنجدا
بكل لسان رَتَّلَتْ لك آية
وكل جنان شَيَّدَتْ لك معبدا
أذبت عليها حَبَّة القلب ساهراً
فسافر بحبات القلوب مُزوَّدا

واستمرت الصلة بيني وبين الشاعر على صورة رسائل وقصاصات حتى قدر لنا أن نجتمع طويلاً في لقاءات في (صنبول) كما يلفظها ، وفي ريودي جانيرو سنة ١٩٤٧ ثم بعد ذلك في بيروت وفي الجبل اللبناني ، حفلت بالذكريات والخاطرات وتخللتها مراسلات ، وذلك ماارجو أن اتحدث عنه بعد أن أمهد له بعرض موجز لسيرة الشاعر الكبير استقيته منه في لقاءات ورسائل ، ومن بعض ما كتبه تعريفاً بنفسه واستبانة لمعتقداته ودفاعاً عن آرائه .

ولد الشاعر سنة ١٨٨٧ في (البربارة) على البحر الأبيض المتوسط ، بين مدينتي جبيل والبترون في جبل لبنان ، وقد قال إنه ولد في ١٧ نيسان مع أن كثرة الذين كتبوا عنه قالوا : إنه ولد في ٥ نيسان ولما سألته عن سبب هذا التباين قال : انه ولد في ٥ نيسان في الحساب الشرقي المعتمد يومئذ ، وان الفرق بين الحساب الشرقي والغربي المعتمد اليوم هو اثنا عشر يوماً ، ومعنى هذا أنه ولد في ١٧ نيسان واعتبر هذا اتفاقا سعيداً بين مولده وعيد الجلاء عن سورية فارتجل :

إنْ فاخرَ الناسُ بأعيادهم
فعيد ميلاديَ عيدُ الجلاء

وأطلعته في لقاء أخير على قصاصة جريدة تقول : إن فلكياً حاسوباً قدر أن مولد النبي صلى الله عليه وسلم في الثاني عشر من ربيع الأول من عام الفيل صادف السابع عشر من نيسان ، فاستنار وجهه ، وتطلقت أساريره ثم بدا عليه ما يشبه ذهول الاستعجاب !

أبو الشاعر هو سليم بن طنوس الخوري ، وكان جده طنوس طبيبا يعني بنسخ كتب ابن سينا ودراستها ، وأما أبوه فقد كان يجيد النظم والنثر وكان له فضل تشجيع ولده وتنشيطه ، حتى ان الشاعر قدم ديوانه الأول (الرشيديات) المطبوع سنة ١٩١٦ في البرازيل الى روح أبيه اعترافاً بفضله .

ونشأ الفتى رخيم الصوت ، واذا سألته عن سر ذلك قال : « إن إخوتي وأخوالي ومعظم أهل البربارة عرفوا برخامة الصوت » .

تتلمذ في مطلع صباه للشاعر قيصر الغرزوزي والمعلم ايليا نصار في مدرسة القرية ثم التحق بمدرسة الفنون الأمريكية في صبرا فمدرسة سوق الغرب ، فالكلية السورية الإنجيلية ببيروت التي اصبحت تدعى الجامعة الأمريكية حيث انهى الاستعدادية ثم اشتغل بالتعليم سبع سنوات في طرابلس وبشمزين وزحلة والشوير وسوق الغرب .

وصف نفسه بكونه حنطيَّ اللون ، عسليَّ العينين ، صغيرحجم الرأس والفم والأذنين ، دقيق الأنف ، بيضوي شكل الوجه . لم يدخن قط ، يحب قهوة البن ولكن نادراً ما يشربها ، وأما الخمرة فلا يشربها ، وقد يحسو منها حسوة الطير ، لا أزيد ، في دعوة المتنادمين من إخوانه في أحايين قليلة جداً . وقد حرم على نفسه لحم الخنزير . وهو معتدل في ما يأكل ، مفرط في المضغ ، شره في الفاكهة ولا سيما البرتقال والعنب ، قاطع الجوخ الانكليزي منذ افتضح وعد بلفور .



صورة تجمع بشارة الخورى ، اكرم زعيتر ، معروف الرصافى ، فخرى البارودى ، الشيخ عارف الزينى ، عبد الرزاق الدندشى ، صلاح اللبابيدي ، الزهاوى

وكان القروي رياضياً يباري الفتيان عدواً وقفزاً . يتقن الضرب على العود وشدو الأغاني عازفاً . وتسليته القراءة والكتابة وبعد أن يقضي منهما نهمته ، يتسلى بلعب النرد ، ومما يرويه أن آنسة رغبت إليه في أن ينظم رباعية في النرد ففعل ، ثم فاجأته بعد اسبوعين بهدية زهر جميلة ، منقوشة ابياتها على زواياها الأربع وهي :

العب أخي ما نحن إلا لعبة بيد القدر
العب أخي ، العب ، فما رد المقادير الحذر
صنعت بنا الأيام ما «بالزهر» تصنع والحجر
لا يدفع اللهو الردى لكنه ينسي الخطر

على انه عزف عن لعبة النرد وزهد فيها في أواخر عمره .

• • •

ويعرف الشاعر القروي قليلا من الانكليزية ونزراً من البرتغالية وأما العربية فيجيدها أي إجادة ، ويعد من فطاحلها ، وحسبي أن اردد ما قاله لي في زيارتي إياه قبل أربع سنين في بيت ابن خالته في الأشرفية ببيروت .. قال : أنا مدله ، أنا موله ، عاشق للغتي العربية اتمنى طول العمر ، لا استزادة في السنين ، ولكن استزادة من جمال اللغة .. وإمعانا في اغتراف كنوزها . نهمي في درسها لا يمكن أن يشبع حتى الموت ..

والقروي هو القائل في تمجيد العربية :

« هذه اللغة الخصبة الخلاقة المطواع ، لغة اهل الجنة . اللغة التي اتسعت لرسالة الرحمن ، اللغة التي ملكت فصحاها ألسنة افذاذ الأدب العربي ، وألفت بين قلوبهم في كل قطر سحيق ، والتي يتناشد ألحانها بلابل الشعر من الخليج العربي الى المغرب الأقصى ، الى كل مغترب قذيف ، فتتجاوب قلوبهم بأصدائها وتعلو على كل صوت شعوبي نكير ، بها التفاهم ، وبها الألفة ، وبها الوحدة . فيها القوة فالهيبة فالسلم فالنعيم المقيم . كل عادل الى العامية عنها ، مبشر بها دونها إنما هو كافر بها ، وبكم أيها العرب ، دساس عليها وعليكم ، كائد لها ولكم ، عامل على قتلها وقتلكم ، تعلموا القرآن والحديث ونهج البلاغة في كل مدارسكم وجامعاتكم لتقوم بالفصحى ألسنتكم ، وتتقوى ملكاتكم ويعلو نفسكم وتزخر صدوركم بالحكمة وتشرق طروسكم بساحر البيان » .

والشاعر القروي ، كما عرفته ، محدث ، طريف ، فكه ، رقيق العاطفة ، سريع الخاطر حاضر البديهة ، ولكنه اذا غضب لانتقاص حقه ، أو توهم خصومة ، أو ناقش مخالفاً له في عقيدته الوطنية وعروبته ، فان ذلك الحمل الوديع ينقلب الى شكس شريس .

وايمان القروي بالله قوي ، وثقته برحمته تعالى لا تتزلزل ، وهو في حديثه عن ايمانه وتعليله الإيجابي لما يصيبه متأثر بالقرآن الكريم ، ومما أذكره في نزهة لنا في ضاحية صنبول (سان باولو) انه تلا علي جملة من آيات القرآن الكريم حفظها غيباً وتأثر بها ، ولعلي أعرض في ذكرياتي نزعته الاسلامية في تدينه ، وحسبي أن أذكر هنا قوله : « قد أنسى الله حيناً في بأسائي ولكني لم أنسه قط في نعمائي ، فصلاتي مجرد تسبيح وشكر ، وإعجاب بعظمة الخلق واستقواء بذكر الخالق على نزعات نفسي واطمئنان الى رضاه عني . وشعوري بهذا الرضى يمدني بشجاعة لا تحسب حساباً لخطر مهما عظم ، ويغمرني بسعادة لا تضاهيها سعادة . ولو أني ملكت كنوز الأرض لما صرفت عني الماً سببه لي لم من ا ثم حتى انيب الى ربي ، ولو أني فقدت آخر فلس وآخر صديق وآخر حبيب وبقي لي عفو الله لكفاني به أملا يروح عني ويحييني .

حسناتي من الله ومساوئي مني ، هكذا اعتقادي ، وما أصابتني مصيبة إلا أحسنت تأويلها ، ففقد مالي تدارك من لطف الله أن استعمله فيما يؤذيني . واعتلالي نوع من الاستجمام العقلي وتلاف لخطر أكبر اتعرض له في غدوي ورواحي ، وموتي قبض الى رحمته تعالى في الظرف الأنسب » .

القروي
شاعر العروبة

ولا أذكر في أحاديثنا المفاضة وفي مراسلتنا أنه أورد اسم سيدنا محمد من دون أن يشفعه بقوله : « صلى الله عليه وسلم » .

• • •

وعاش شاعرنا أعزب ، واذا سألته : لم لم يتزوج أجاب جواباً اشبه بما يكون شعاراً : « كان شبابي وقفاً على اخوتي الأصاغر فلما كبرت بي السن كبر عقلي ولم يكبر جيبي .. ولو كبر جيبي لما نفعني كبر عقلي » .

وأنا ما رأيت من شغف بجمال الطبيعة شغفه ولا أبلغ في وصف افتتانه بروائعها من قوله : « وقد يتجسم شعوري بصلة القربى بيني وبين هذه الأكوان فأنعطف على الشجرة اعانقها والصخرة اضمها والزهرة اناغيها ، والمرجة اتقلب عليها ، وامد ذراعي إلى السماء احييها ، وأبعث الى الشمس بقبلاتي على أطراف بناني . والشمس بين روائع الطبيعة حبيبتي الأولى وفتنتي الكبرى . ليس أبعث لنشاطي الجسدي والذهني من الاستحمام بنورها ، ولا ينافس اشراقتها في قلبي غير ابتسامة المرأة الحسناء . وأعتقد أن تشاؤم المعرى كان بقدر حرمانه من كلتيهما » .

واما شعوره الوطني ـ وسأتحدث عنه في ذكرياتي ـ فقد لخصه هو قائلا : « أمتي : انا مُكَثَّرًا .. ووطني : انا مُكَبّرًا . اذا اقتطع ذئاب الاستعمار منه قطعة فكأنما أكلوا جارحة من جوارحي ، واذا هدروا عربياً في لبنان أو تطوان فكأنما شربوا نغبة (٣) من دمي . وكأن كل بلد قوى من بلادي ساعدي مفتولا . وكل شعب خامل فيها زندي مشلولا . بل ما اعد ذاتي إلا خلية في جسد أمتي . أنا واحد من سبعين مليوناً من العرب ، كل واحد منهم أنا ، فينبغي أن احبهم قدر سبعين مليون نفس كنفسي . من افتداهم فكأنما احياني سبعين مليون مرة ، ومن خانهم فكأنما قتلني مثلها . ولذا تراني أصب جامات غضبي على الظالمين ، والصابرين على الظلم ، بعنف من يدرأ الموت لا عن نفسه فحسب بل عن سبعين مليون نفس » .

• • •

واذا سألت شاعرنا : « لماذا هاجرت الى البرازيل ؟ » أجابك : « إن جرائد بيروت نشرت لي في العهد العثماني بعض قصائد وطنية فقرأها عم ذواقة لي مهاجر في البرازيل ، فرغبني في السفر اليه وارسل الى نفقات السفر وقد أغراني بالسفر ان والدي توفي سنة ١٩١٠ وخلف عليه ديوناً لأنه لم يستوف فلساً من قروض وزعها ، وما كان ممكناً ايفاؤها من معاشي الضئيل معلماً ، فقررت الاغتراب لابراء ذمة ابي فابحرت من بيروت سنة ١٩١٣ وصحبني شقيقي قيصر الى ولاية مريانا حيث يقيم عمي... » .

وبعد سنة من ضيافة عمه حمل الشاعر ما يطلق المهاجرون عليها اسم « الكشة » وهي صندوق من الزنك يملأونه بمختلف السلع والأقمشة ويجوبون لبيع ما فيها القرى والدساكر . وقد ضرب صاحبنا في مناكب الولاية ، وغاباتها متعرضاً لمشقات الحر والسيول حتى استطاع واخوه أن يوفيا بعض الدين .. ونشبت الحرب العالمية الأولى وانقطعت المراسلات بين البرازيل ولبنان .. « وسئمت العيش في مريانا التي اشتهرت بسوادها المثلث ، رهبانها وغربانها وعبدانها ، ووقر اذني سماع لقب « توركو » يرشقنا به كحجارة المنجنيق صباح مساء زنوج ، اميون ، حفاة ، نصف عراة ، وكلانا شاعر متعلم نظيف الثوب فألقيت عزمي بين عيني ذات صباح ، ووضبت ثيابي واعتنقت عودي الذي كنت ا ممت الشام خصيصاً لاشتريه قبل سفري ، وودعت الأهل الى الريودي جنيرو ، عاصمة البلاد ، وفي جيبي عشرون ليرة لا غير . واشتدت أزمة الحرب ، وظللت اشهراً اسعى لا اجد مرتزقاً حتى قيض الله لي احد هواة العود فشرعت في تعليمه مستلفاً أجرتي وتكاثر زملاؤه فاطمأننت الى العيش ثم تعاقدت مع جمعية « زهرة الاحسان » فعلمت سنة في مدرستها » .

وانتقل الى صنبول سنة ١٩١٥ واشتغل بالتعليم في مدارس عربية وأجنبية وفي البيوت ، ثم تجول في الولايات البرازيلية معتمداً لبعض المحلات التجارية ثم فتح مصنعاً لربطات العنق ، وكان يطلق عليها : الأرب وتجمع على أربة وهي العقدة الوثيقة ، ثم اقفله بعد ثلاث سنوات لانشغاله بالمصلحة العامة عن مصلحته ، وراح ينشد ألحان الحرية ، ويذكي الحماسة الوطنية . يشيد بالثورات ويمجد البطولات ويتعرض لأقسى حملات الاحتلاليين والشعوبيين والاقليميين ، وقد ترأس العصبة الأندلسية وتحرير جريدة الرابطة ، وسطع صيته في المهاجر حتى عد شاعرها العربي الأول .

اما المصلحة القومية التي وقف نفسه عليها خطيباً شاعراً ، داعية ، كاتباً مقارعاً فيمكن أن تلخص بكلمة واحدة هي « العروبة » . والعروبة في ملته واجتهاده معان تعمر بها القلوب ومناقب حفلت بها سير الأبطال . ولا ارى بدأ قبل الحديث عن الذكريات مع الشاعر الكبير والصديق الاثير من الاتيان على تعريفه العروبة التي آمن بها ودعا إليها وبالشرافة هذا التعريف وسراوته ! ! قال : « العروبة روح حاتم ومعن والسموأل في سلوك كل نبيل عربي ، وروح عنترة وطرفة وامرىء القيس والاخطل والمتنبي في خيال كل شاعر عربي ، وروح خالد وأسامة وطارق وصلاح الدين ويوسف العظمة على سيف كل جندي عربي ، وروح علي وأبي بكر وعمر على قلب كل متسلط عربي . العروبة ليست احواضاً للسباحة في ناد هنا ، وناد هناك وآخر هنالك ، بل هي بحر محيط يضم ارخبيل أقطارنا ، وتجرى فيه رياح تضامننا ، كما تشتهي سفن امانينا .. »

وهل تجد عبارة تلخص اسمى معاني



سلطان الأطرش
والشاعر القروي

العروبة من قوله : « العروبة ان يشعر اللبناني أن له زحلة فى الطائف ، والعراقى أن له فراتاً فى النيل . العروبة دم زكى يجرى فى عروق جسد واحد ، اعضاؤه الأقطار العربية . وكل ما يعوق دورة هذا الدم يعرض الجسد كله للأخطار » .

• • •

ويقضى الحديث عن الشاعر القروى بأن أجيب على من يتساءل : لماذا أطلق على رشيد الخورى لقب الشاعر القروى وغلب اللقب على الأسم ؟ حين أصدر الشاعر ديوانه الأول (الرشيديات) سنة ١٩١٦ فى سان باولو راح الصحافى نجيب قسطنطين حداد ينقده فى جريدة(المؤدب)كيفما اتفق وفى تجن ، وتساءل فى مقاله النقدى متهكماً : « من هو هذا الشاعر ألـ ... شاعر جرن الكبة ؟ الشاعر القروى ؟ » قالها وفى ظنه انه يهين الشاعر ، ولكن صاحبنا استعذب هذا اللقب ، وعرته لرنته هزة ، وسارع إلى أقرب حديقة ونظم قصيدة يدعو فيها الشباب إلى التطوع معه فى الانضمام الى جيش فيصل ابن الحسين فى الثورة العربية ونشرها بتوقيع « الشاعر القروى » ومنذئذ أطلق على نفسه هذا اللقب فعرف به وغلب على اسمه .

• • •

وظل الشاعر فى مغتربه يتحرق شوقاً إلى وطنه ، وبعد خمس وأربعين سنة ، أى سنة ١٩٥٨ تلقى دعوة رسمية من سورية وكانت الإقليم الشمالى فى الجمهورية العربية المتحدة ، فقرر تلبيتها ، وركب البحر فى طريقه إليها ، ونظم والباخرة تمخر به عباب البحر :

بنت العروبة هيئى كفنى
أنا عائد لأموت في وطنى
أأجود من خلف البحار له
بالروح ثم أضن بالبـدن

وكانت فى لبنان ثورة اهلية بين الرئيس كميل شمعون وأنصاره وبين معارضيه وكان الشاعر قد غمز الرئيس فى قصيدة له فى البرازيل . فلقى حين وصول الباخرة الى مياه بيروت من بعض رجال الأمن صعوبات ، فواصل رحلته بالباخرة إلى اللاذقية فاستقبل بحفاوة بالغة .. حتى اذا بلغ دمشق اطلق قصيدته الوحدوية فى نحو مئة بيت . واى روعة ابلغ من مطلعها :

حتـام تحسبها أضغاث احلام
سبح لربك .وانحر أنت فى الشام
لم يأذن الله يا بوق العروبة ان
تقضى الحياة غريباً بين أعجام
اضناك طول السرى والسير يا ولدى
فاطرح رداءك وأمسح جرحك الدامى
هذى عيونى وجناتى وفـاكهتى
فاملأ يديك وبرد قلبك الظامى
وارتع بقلبى واسبح كالشفاعة فى
عينى ونم بين أهدابى واحلامى

ومجد شاعرنا الوحدة والرئيس عبد الناصر ، وختم القصيدة صادحاً :

سيان بعد التلاقى يا بلادى لو
خلدت أو حكم الطاغى باعدامى
اما رجعت ؟ الم انشق هواك ؟ الم
الثم ثراك ؟ الم أسمعك انغامى ؟
أحس بالراحة الكبرى كأنى قد
طرحت فى البحر عنى كل آثامى

وكانت لنا بعد ذلك لقاءات سأتحدث عنها فى مقال آت ان شاء الله .

اكرم زعيتر

هوامش :

١ ـ مركز فتنة التياريين من أعوان الانجليز .
٢ ـ الشريف حسين المدفون فى الحرم القدسى .
٣ ـ النغبة : الجرعة .

كيف مات أنطون تشيخوف؟

بقلم: الدكتور علي الراعي



أنطون تشيخوف

كانما القدر كان يكتب قصة الايام التي سبقت واعقبت وفاة انطون تشيخوف بطريقة تشيخوف نفسه : المفارقة التي تنبع فجاة من تضاد الأشياء ، وتحمل المرء على الضحك الممزوج بالأسى . الاهتمام بادق التفاصيل بطريقة تبدو لا منطقية . تحدى الياس المحيط بالضحك المفطور القلب المتطلع الى المستقبل يلوح قادماً لا محالة ، وان كان مقدمه ما يزال بعيداً . الشعور الممض بان الواقع قائم وجاثم والاستسلام لحزن هادىء وعذب ، منق للقلب من الادران .

هذا المزاج الغريب من الضحك والبكاء والياس والأمل والاصرار على تخطي الواقع أو السمو عليه ساد الأيام القليلة التي قضاها تشيخوف في المانيا قبل وفاته .

كان تشيخوف قد صحب زوجته الالمانية الأصل أولجا كنيبر ورحل الى بلدة صغيرة تدعى بادويللر ، طلباً للشفاء من مرض السل . رحل وهو - في اعماقه - واثق من انه لن يعود الى روسيا حياً !

وفي بادويللر اخذ تشيخوف يصارع المرض ويأبى أن يتخلى عن الأمل. حسب انه سوف يستجمع قدراً من قوة البدن يمكنه من ترك البلدة بعد ثلاثة أسابيع والسفر الى ايطاليا ، التي كانت تشده اليها شداً .

غير انه خلال اسبوعه الثاني اخذ يشعر بالقلق الشديد ، قال انه لا يحب حجرته ، ويود

ان يتركها الى مكان آخر . كانت هذه حجرة في فيللا ، وكان أصحابها - بدورهم - قلقين خشية ان يموت تشيخوف فيفزع لموته باقي النزلاء ويتركونها .

ووجدت أولجا غرفة في فندق اسمه سومر كانت جديدة الأثاث ، نظيفة تماما ، وتبعث على الانشراح . وهنا كان تشيخوف يجلس ساعات طوالا في الشرفة يرقب ما يجري بالشارع مفتونا بالحركة الدائبة للناس ، دخولا وخروجا الى ومن مكتب البريد الذي يواجه الفندق . قال لزوجته : هذا هو معنى الثقافة . كلهم يدخلون ويخرجون وكل منهم يكتب الخطابات وتاتيه الخطابات .

وكانت أولجا تاخذه كل يوم تقريبا للنزهة فى الغابات . فحين كانا يقطعان الطريق ذات مرة مجتازين احدى القرى لفت تشيخوف نظر زوجته الى نظافة منازل أهل القرية وقال معلقا ومطلقا زفرة اسى : متى يصبح فلاحونا في نظافة هؤلاء ؟ غير ان غياب الجمال والاناقة في القرية الالمانية لم يفته فكتب لاخته يقول : ليس هنا ذرة من ذوق جميل وانما كثير من النظام والأمانة . ان الحياة في روسيا اكثر موهبة - دعي عنك فرنسا وايطاليا . وفي آخر خطاب لماري ، قبل أيام من وفاته كتب يقول : انه يفكر في ان يقضي بعض الوقت عند بحيرة كومو . ان البحيرات الايطالية مشهورة بجمالها أما نساء المانيا فلا ذوق في ملابسهن الى حد يبعثه على الاكتئاب .

أمضى تشيخوف الساعات القليلة التي سبقت وفاته بطريقة تمثل روح الكاتب الكبير خير تمثيل . جعل يضاحك زوجته بان يخترع قصصا طريفة . كان قد مر على الزوجين ايام ثلاثة عصيبة ، بدات صحة تشيخوف بعدها تتحسن قرب المساء فاخذ يلح على زوجته ان تذهب لتتنزه في حديقة الفندق ، فانها لم تفارق الحجرة طيلة الأيام الثلاثة . ولما عادت أولجا من نزهتها الح تشيخوف عليها في ان تنزل الى المطعم وتتناول العشاء ، فدفعت الزوجة بانها لم تسمع (الجونج) يدعو النزلاء الى الطعام . ثم تبين من بعد ان الجونج قد قرع ، وان الزوجين لم يسمعا القرع . وهنا اخذ تشيخوف يقص على زوجته قصة مصيف فاخر من مصايف الاثرياء ازدحم على اخره بنزلاء أصحاب البنوك ، متخمين ، تفيض منهم السمنة ، وزوار من الانجليز والأمريكان مفعمين بالصحة ، حمر الخدود . وفي احدى الأمسيات عاد النزلاء جميعا الى الفندق فوجدوا أن الطاهي قد غادر المكان هاربا ، ولم يترك وراءه طعاما ياكله المدللون على سبيل العشاء . ثم جعل تشيخوف يصف لزوجته وقع هذه الضربة على كل واحد من المدللين . كانت أولجا تستمع اليه وتضحك في مرح . لا يخطر على بالها قط انها بعد ساعات قليلة ستقف امام جسد فارقته الحياة .

بعد منتصف الليل بنصف ساعة افاق تشيخوف من نومه وهو يلهث وطلب الى زوجته - لأول مرة - أن يعوده الطبيب . وارسل الطبيب في طلب اوكسيجين . فقال تشيخوف : لا داعي .ساموت قبل أن يصل . وارتمى على الوسائد واخذ يخطرف . سال : (هل ذهب البحار ؟) وسالوه : (أي بحار ؟) كان ذهنه قد ارتحل الى الحرب الروسية اليابانية التي كانت مستعرة انذاك . واستمر تشيخوف يهذي بعض الوقت ثم كانت كلماته الأخيرة : (اني اموت) .

كان اذذاك يجلس في فراشه مثني الجذع ، معتمدا على وسائد ، وفجاة ، ودون ان ينبس بكلمة واحدة هوى جانبا . مات . كان وجهه يبدو شديد الشباب ، تعلوه سيماء الارتياح ، وما يقرب كثيرا من السعادة . وانصرف الطبيب . وهب على الغرفة نسيم عليل ، حاملا معه رائحة الحشيش المقطوع لتوه . وكانت الشمس تبزغ ببطء من خلف الغابات . والطيور تصحو وتزقزق ، وفي داخل الغرفة كان صوت فراشة سوداء ضخمة يقطع الصمت بطنين عال ، اذ تدور وتدور حول المصباح الكهربائي . وكان يشق الصمت ايضا نحيب أولجا إذ هي مستندة براسها الى جسد تشيخوف .

* *

مات تشيخوف يوم جمعة . وفي يوم ٥ يوليو ١٩٠٤ وضع جثمانه في تابوت من الزنك ، وبدا رحلة العودة الى روسيا . وصلها يوم ٩ يوليو في عربة قطار بضاعة ، كتب على ابوابها باحرف كبيرة (محار طازج) ! وكانما لم تكن هذه المفارقة الباعثة على الابتسام والأسى كافية فسرعان ما عمق القدر الخط التشيخوفي بان جعل جثمان احد الجنرالات الروس ، الذين سقطوا في الحرب مع اليابان يصل الى المحطة في الوقت ذاته ، وان كان على رصيف آخر . وسرعان ما تداخلت الجنازتان تتقدمهما فرقة موسيقى عسكرية . وانضم فريق من القلة التي جاءت تشيع جثمان كاتب موسكو الحبيب انضموا الى مشيعي جنازة الجنرال وهم في دهشة لأن كاتب روسيا العظيم يمضي الى مثواه الأخير على انغام فرقة موسيقية عسكرية . ولما كشف الأمر من بعد اخذ المشيعون يبتسمون ويضحكون .. !

يقول مكسيم جوركي ، الذي شهد جنازة تشيخوف ، ان من ساروا وراء نعشه لم يتعدوا المائة . وانه يذكر من بينهم اثنين من المحامين جاءا وهما يلبسان احذية جديدة وربطتي عنق ملونتين كما لو كانا عريسين . وكان جوركي يسير وراءهما فسمع واحدا منهما يتحدث عن ذكاء الكلاب ، بينما جعل الآخر يصف وسائل الترف والراحة في بيته الريفي ، والمناظر الجميلة التي تحيط به . وكان بين المشيعين امراة في رداء بنفسجي ، تحتمي بمظلة من الدانتيل وتقول في حماس لرفيق لها عجوز : (آه ، لقد كان انسانا لطيفا ، شديد الذكاء) ولكن العجوز سعل مرارا مظهرا عدم اقتناعه !

وعاد جوركي يقول : (كان اليوم شديد الحرارة كثير الغبار . وعلى راس الموكب ضابط شرطة بدين يمتطي - في خيلاء - صهوة جواد أبيض سمين . وهذا كله ، وكثير غيره كان مؤلما في سوقيته ، وغير لائق بذكرى كاتب عظيم فائق الحس) .

غير ان ديفيد ماجرشاك ، مؤلف كتاب : (حياة تشيخوف) ، الذي انقل عنه هذه الحقائق ، يتفق معي في الراي الذي تخلص لي وانا اقرا وصفه للطريقة التي مات بها الكاتب العظيم والخطا المضحك الذي لابس تشييع الجنازة .

يقول ماجارشاك : ان المرارة التي شعر بها جوركي مفهومة ومقدرة . غير ان المسألة كلها ، - رغم غرابة هذا القول - هي واحدة من المفارقات الساخرة التي كان تشيخوف يهش لها في حياته والتي كانت جديرة بان تجعله يضحك ، لو ارتد حيا : الأبهة والعظمة تحيطان بجنازة عسكري كبير ، تجاورها جنازة لا يكاد يلتفت اليها احد لكاتب عظيم .. !

.. وأيضًا قد يَخْدَعُ العلماءُ علماءً مثلهم

المخلوق الذي كان.. وإطلاقًا ما كان!

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح

« أنا البروفيسور جيمس دوجلاس .. لا أستطيع أن أرى ، ولا أكتب ، ولا أقرأ ، الا أنني قد عزمت الأمر على أن أسجل شهادتي على هذا الشريط قبل أن يحين أجلي .. وتلك هي النقاط التى رأيت من واجبي أن أذكرها لأوضح بها مدى الحقد الذي يمكن أن يؤدي الى مثل تلك الفضيحة ! . »

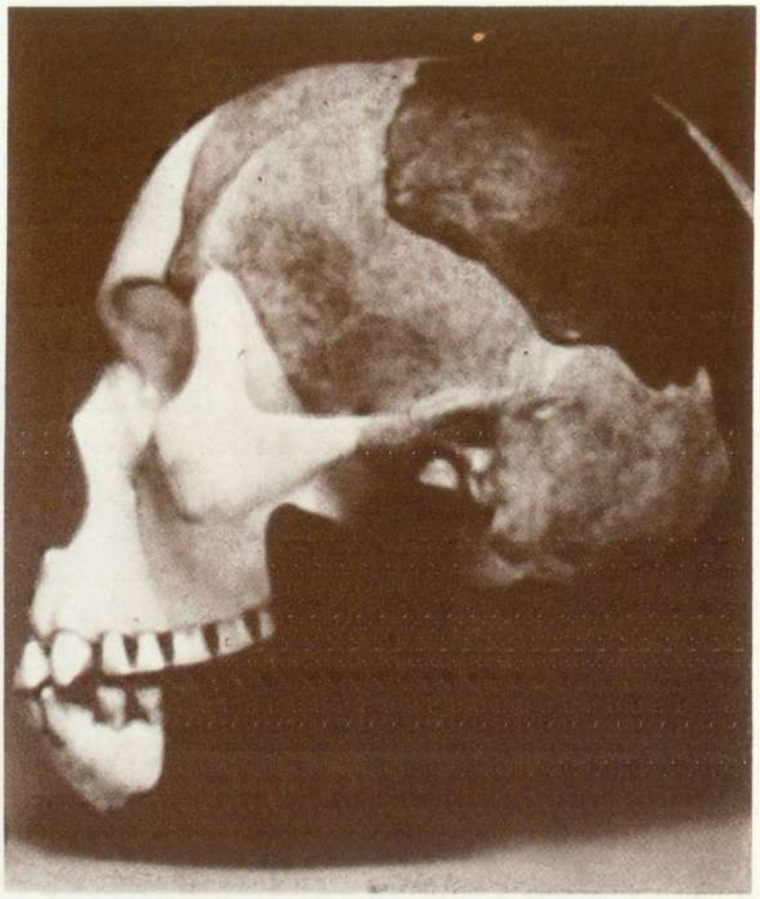
تلك كانت بداية شريط التسجيل الذي عرضه دكتور بيفرلي هولستيد في الندوة العلمية التي أقيمت في جامعة ريدنج وحضرها علماء التشريح المقارن وعلماء الجيولوجيا عامة ، والحفريات خاصة ، وفيها استمعوا الى شهادة زميل لهم أصبح في ذمة التاريخ ، كانت هذه الشهادة هى اخر حلقات فضيحة علمية مضى عليها حتى الآن ما يقرب من ثلاثة أرباع قرن من الزمان ، وظلت طوال هذه الفترة مثار جدل ونقاش واتهامات تركزت على اكتشاف مخلوق منقرض قيل أنه كان ، ثم ثبت أنه ما كان .

ونحن نسوق هذه القصة الواقعية المثيرة هنا ، ليتبين لنا كيف أن بعض العلماء يغررون بعلماء مثلهم ، ويقومون بتدبير حيل وخدع قد تجوز عليهم ، وتنال من مكانتهم ، لكن ذلك كله لابد أن ينكشف ، طال الزمان أو قصر ، وسر اكتشافه أنه ليس من العلم في شيء ، لأن العلم ذاته يستقي مادته من الشرائع الكونية ، والنواميس الطبيعية ، ومن تكوين المخلوقات السوية ، وهذه جميعها لا يمكن أن تقوم على تدليس ، ولا يخالطها فوضى ، انما تنبع الفوضى من بعض أنماط فكرية منحرفة ، ولابد ـ والحال كذلك ـ أن يلفظها العلم ، كما يلفظ الجسم الحي عضوا غريباً مزروعاً فيه دون كسر شوكة مناعته .

تنويه واجب

لكن قبل أن نبدأ سرد أحداث هذه القصة ، نود أن ننوه بفضل أحد قراء هذه المجلة الموجودين في انجلترا ، اذ أرسل الينا صوراً من بعض ما كتبته المجلات العلمية ، أو نشرته أجهزة الأعلام هناك عن هذا الموضوع ، وهو لم يذكر اسمه ، والا كنا قد ذكرناه .. لكن أهم ما بعث به إلينا هو نص تسجيل البروفيسور جيمس دوجلاس الذي قام بنشره والتعليق عليه دكتور هولستيد في مجلة « نيتشر » (الطبيعة) البريطانية ، ذات العراقة العلمية ، وذلك بعد حوالي تسعة شهور من موت البروفيسور دوجلاس ، إذ توفى في فبراير ١٩٧٨ ، وأذيعت محتويات الشريط في أكتوبر ، ثم تم النشر في « نيتشر » في نوفمبر من نفس ذلك العام .

لكن هذا الموضوع متداول من زمن طويل في بعض المجلات الدولية ، وفي معظم المراجع والكتب المهتمة بمواضيع الحفريات عامة ، والتنقيب عن أصل الإنسان خاصة ، ونحن نقدمه هنا ضمن سلسلة الدراسات التي تتناول الخدع أو التضليل الذي يجوز على رجال العلم من غير أهل العلم (كالحواة والذين يدعون امتلاك قوى



شكل (١) هكذا بدت جمجمة انسان بيلتداون بعد أن أعيد تركيب بعض عظامها المتناثرة (اللون البني الغامق) مع اضافات وترميمات بنسب محسوبة لتبدو أقرب الى الواقع .. ان الظاهر فيها قد يبدو مقنعا ، لكن الباطن مخادع .



شكل (٢) انسان بيلتداون كما يتصوره بعض العلماء من شكل جمجمته ، وهو هنا بفكي قرد وجمجمة انسان كبيرة لتعطيه استدارة وجه واضحة ، وحتى عام ١٩٥١ ــ حيث عرضت هذه الصورة مجسدة وقتذاك في مهرجان بريطانيا ــ ظل كثير من الناس يعتقدون في أنه قد كان ثم انقرض ، ثم تبخر هذا الاعتقاد في عام ١٩٥٢ على يدي جماعة من العلماء الانجليز .

خفية) ، أو من الغش في مسألة علمية (أنظر دراساتنا السابقة على صفحات هذه المجلة) ، أو عندما يخدع عالم عالماً مثله ، بغرض التشهير به ، وهذا ما سنتناوله في هذه القضية الغريبة ، وهي أخطرها على الإطلاق ، وكان آخر مسمار دق في نعشها ، هو هذا التسجيل الذي نحن بصدده ، والذي أذيع منذ ست سنوات ، رغم أن الحكاية قد بدأت منذ عام ١٩١٢ ، ورغم أن أحد المشتركين فيها ــ وهو محام بريطاني ــ قد توفى عام ١٩١٦ ، فمات معه جزء من السر ، ثم بعد عشرين عاماً ــ أي عام ١٩٣٦ ــ مات أيضاً المصمم الحقيقي لقضية المخلوق المنقرض شبيه الإنسان ، وهو الذي ورد اتهامه في الشريط بعد ٤٢ عاماً من موته ، ويدعي البروفيسور وليام جونسون سولاس الذي شغل منصب الأستاذية بقسم الجيولوجيا والحفريات ، بجامعة أكسفورد في الفترة ما بين ١٨٩٧ حتى وفاته عام ١٩٣٦ عن ٨٧ عاماً .

أما صاحب التسجيل فهو البروفيسور دوجلاس ــ الذي سبقت الاشارة اليه ، وقد خلف سولاس في القسم ذاته كأستاذ للجيولوجيا من عام ١٩٣٧ ــ حتى عام ١٩٥٠ ، وهو من تلاميذه أيضاً ، وبحكم زمالته له ، ووجوده معه ، فقد شهد بعض أدلة الإتهام ، لكنه آثر أن يكتمها ، إذ كانت تربطه بأستاذه صلات وثيقة ، ثم انه تعلم على يديه ، وهو لا يريد أن يثير فضيحة ضد رجل مات من زمن ، حفاظا على اسم عائلته .

وفي آخر أيامه ضعف بصره الى الدرجة التي أصبح فيها في حكم الأعمى ، واعتزل الناس ، وذهب إلى جزيرة صغيرة في جنوب انجلترا ، ليعيش فيها بقية أيامه ، وهناك توطدت الصداقة بينه وبين جاره ريتشارد فورد ، وهو من العلماء الهواة في الحفريات ، وله فيها اهتمامات خاصة ، ونشاط محمود ، وكان فورد يعرف أن دوجلاس يحتفظ بسر أستاذه سولاس ، وعز عليه أن يموت ويموت سره معه ، وظل فورد يطارده ويقنعه ويثير ضميره العلمي ضد تزوير خطير أرتكب في مسألة علمية شائكة ، ومن حق العلم على علمائه أن يصححوا المسار ، وأخيراً جداً إقتنع دوجلاس بوجهة نظر صاحبه ، خاصة عندما شعر أن أجله قد دنا ، وبالفعل سجل الشريط ، وسلمه لجاره ، ليسلمه بدوره إلى دكتور هولستيد ، وأوصى ألا يذاع السر في حياته ، وبالفعل لم تمض إلا عدة شهور قليلة ، حتى توفى دوجلاس عن ٩٣ عاماً ، وبعدها قام هولستيد بتوجيه الدعوة الى الندوة التي أشرنا إليها ، ليذيع السر لأول مرة ، فأحدث ذلك ضجة هائلة تناقلتها اجهزة الإعلام ، ونشرتها بين الناس .

أحداث الفضيحة

لكن قبل أن نتعرض لما جاء في التسجيل ، نرى من الأوفق أن نعرض قصة الكشف التي لعب التضليل فيها دوراً كبيراً ــ ففي عام ١٩١٢ أعلن المحامي تشارلز داوسون أنه توصل الى اكتشاف جزء من

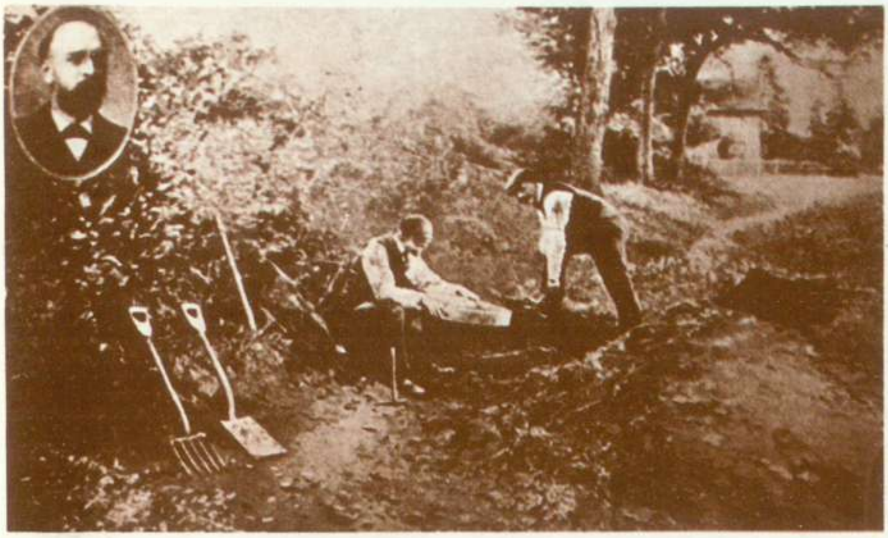
المخلوق الذي كان.. وإطلاقاً ما كان!

جمجمة عثر عليها في مكان قريب من بيلتداون بمقاطعة ساسيكس ، ورغم أن داوسون كان محامياً ، إلا أن له اهتمامات في التنقيب عن الحفريات ، وقيل أن أحد العمال قد عثر عليها أثناء الحفر في بيلتداون عام ١٩٠٨ ، ثم حملها الى داوسون لعلمه أنه يهوى مثل هذه الأشياء ، وعندئذ صحبه داوسون الى المنطقة ، وظل ينقب فيها لمدة سنتين أو أكثر ، وجمع منها بعض عظام هشة قيل عنها أنها قديمة جداً وترجع الى أصول شبه آدمية ، وكانت أهم قطعة في هذه المجموعة وجود جزء من الفك الأسفل لكائن لا هو قرد ، ولا هو إنسان ، بل يبدو لمخلوق وسط شبيه بالإنسان ، ومن أجل هذا أطلقوا عليه إسم انسان بيلتداون الحفري .

وقال داوسون : أنه لم يجد أمامه من هو أعلم ولا أفضل من « سير » آرثر سميث وود ويرد ، في الكشف عن حقيقة هذه الحفريات ، وكان « سير » آرثر وقتها يشغل منصباً علمياً مرموقاً ، اذ كان أميناً عاماً للمتحف البريطاني ، وعالماً في الجيولوجيا والحفريات ، وهو المقصود بتلطيخ سمعته في هذه الفضيحة العلمية ، ولأن الموضوع برمته عفن وتحوم حوله الشبهات ، فقد تعددت فيه الروايات ، لكن أكثرها تقبلا أن بعض هذه العظام قد دفن في مكان بمنطقة بيلتداون ، لكن بعد أن أجري عليها بعض المعالجات الكيميائية لتبدو قديمة !

المهم أن المحامي استدرج سير آرثر الى الفخ ، وذهب به إلى بيلتداون ، وبدأت عمليات الحفر ، وظهرت بعض العظام ، وتحمس آرثر لذلك تحمساً شديداً ، وبدا كالطفل الذي وقعت بين يديه لعبة مثيرة ، ولقد ذهب به الحماس إلى درجة أنه أقام له بيتاً صغيراً بالقرب من موقع الاكتشاف ، حتى لا تغيب عنه شاردة ولا واردة مما قد يسفر عنه التنقيب ، ومن الطبيعي في مثل هذه الأحوال أن يجمع العلماء هذه الأجزاء المبعثرة ، ثم يحاولون التأليف بينها ، فلعل ذلك يؤدي الى إعادة تشييد عظام المخلوق بطريقة أو بأخرى ، فتنبئ عن حجمه وشكله وجنسه ونوعه ، ثم وضعه في عائلة ورتبة — كما هو متبع في علم تقسيم الكائنات الحية ! ولا شك أن العلماء لديهم سجلات كاملة عن أشكال وأنواع الفكوك والأسنان والجماجم والفقرات والهياكل العظمية عموماً ، وهو ما يعرف باسم علم التشريح المقارن ، سواء لكائنات منقرضة أو أخرى حية ، وهم هنا كعلماء الجريمة ، فمن قطرة دم ، أو شعرة رأس ، أو بصمة أصبع .. الخ ، يستطيعون أن يرجعوا الأثر الى صاحبه ، وكذلك الحال مع علماء الحفريات ، إذ بمقدورهم أن يرجعوا هذا الضرس ، أو ذاك الناب ، أو تلك الفقرة ، أو الفك ، أو حتى جزء منه ، أو قطعة من جمجمة .. الخ .. ، يرجعوه الى حيوان بعينه ، فان كان له مثيل مما يعيش على الأرض ، أعادوه الى نوعه ، وإن كان غير ذلك ، فهو لم يأت من فراغ ، بل لابد أنه لحيوان منقرض .. وجزء من فك ، أو عظمة من وجنة ، أو قطعة من جمجمة ... الخ ، يمكن أن تؤدي الى تصور واضح لرأس المخلوق .. فنصف الفك الأيمن يعطيك تصوراً لنصفه الآخر ، ومن المكن أن تعمل له قالباً ليكتمل هذا مع ذاك ، ثم ان غاب الفك السفلي من الحفرية مثلا ، لا يشكل مشكلة ، إذ من المكن عمل « توليفة » أو طبعة من الفك العلوي ليكون ملائماً للسفلي ، وكل هذه النسب والزوايا والتكوين موجودة أساساً في جماجم الحيوانات جميعاً بما في ذلك الإنسان ، ولكل منها معايير محددة ، وصفات معينه ، وأشكال مقدرة .. الى آخر هذه التفصيلات التي يعرفها العلماء حق المعرفة ، ولها علم قائم بذاته .

وقيل إن التحوير واللعب كان في هذه الأجزاء ، ولا يستطيع أن يقوم بها إلا علماء ، ولهذا فان المحامي برئ من هذه



شكل (٣) وتكريما لهذا الكشف السعيد ، ظهر كارت بوستال كتب على ظهره «البحث عن انسان بيلتداون» وفيه ترى كل من دكتور سيمث وود ويرد (الى أعلى ولم يكن حاز لقب سير بعد) والمحامي داوسون الى أسفل — وفي وسط الصورة ظهرا سويا في الموقع ، وقد وقف داوسون في وضع استعراضي .

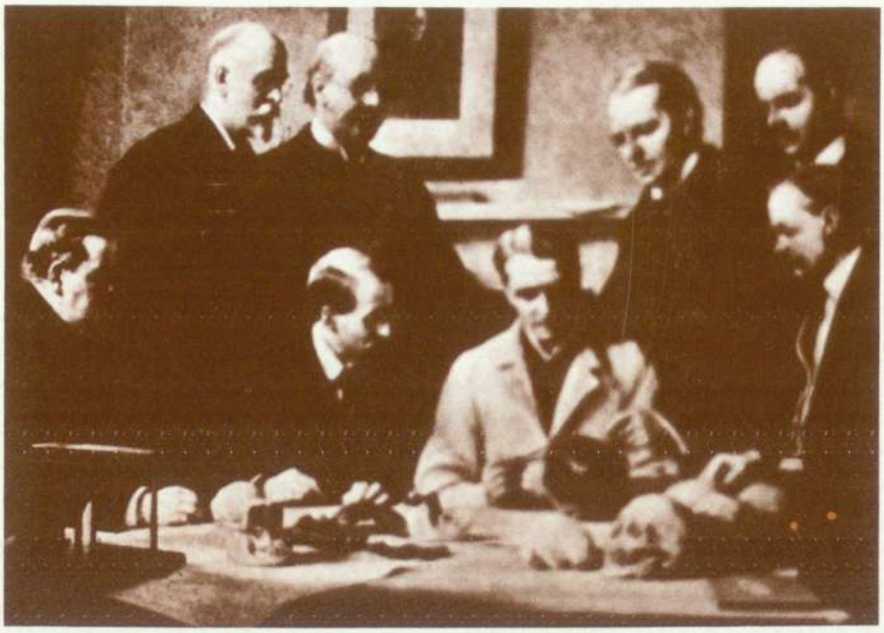
التهمة ، فمعلوماته وخبرته لا شك محدودة ، لكنه ــ على أية حال ــ كان على علم بما حدث ، ثم إن اللعبة قد اكتشفت بعد وفاته بسنوات طويلة ، ولهذا مات معه جزء من السر .

اعادة تشكيل الجمجمة

واختصاراً للموضوع ، فقد جمعت بقايا العظام التي أشرف عليها سير آرثر ، وعكف على دراستها مع جماعة من العلماء المتحمسين ، واستطاعوا أن يعيدوا للأجزاء المتناثرة تآلفها ، وتعويض المفقود منها بقوالب مناسبة تحتل مواقعها فيها ، وفي النهاية ظهرت الجمجمة بشكلها الذي تراه هنا ضمن المقال (شكل ١) .

وطبيعي أنه من الميسور بعد ذلك أن يتصوروا شكل المخلوق الذي ترك هذه الجمجمة ــ أيضاً ــ باستخدام مبادئ التشريح المقارن ، لأن العظام ذاتها دعائم للعضلات ، وللعضلات مواقع تتصل بها على العظام ، ومنها يمكن استنباط حجم العضلة وامتدادها ، ثم ما أيسر بعد ذلك أن يغطى كل هذا بما يشبه الجلد ، أو يؤتى بمثال ماهر ومتمرن على ذلك ، ليصنع تمثالا أو قالباً يوضح به تقاطيع المخلوق المنقرض قدر الامكان ، وهو ما نرى له مثيلا في الديناصورات المنقرضة ، اذ أمكن إعادة تشكيلها من هياكلها العظمية التي تركتها على هيئة حفريات ، وكل هذا قد تراه في الأفلام التي تعرض فصولا من تاريخ الحياة على هذا الكوكب ، وتبرز فيه أنواعاً مختلفة من هذه الحيوانات الضخمة المنقرضة ، وهي بلا شك لم تنشأ من فراغ ، ولم تشكل من خيال ، بل هناك أساس يسير عليه المثال أو الفنان ، ومن وراء ذلك ــ بطبيعة الحال ــ علماء متخصصون في مثل ذاك المجال ، ولهذا فان إنسان بيلتداون يمكن أن يكون صورة قريبة لما تراه في الشكل المعروض هنا (شكل ٢) ، وكما يتخيله العلماء !

والحق أن كثيرين قد تحمسوا لهذا الكشف المثير ، وعلى رأسهم سير آرثر وبعض العلماء ، كما تحمست له أجهزة الإعلام ، وانتشرت وقتها الصور المسجلة على كروت المعايدة ، ومنها مثلا إبراز الموقع وصورة المحامي وآرثر وهما في وضع استعراضي ، وعلى جانبي الكارت صورة لكل منهما في برواز (شكل ٣) .ليس هذا فحسب ، بل هناك لوحة كبيرة ملونة كانت موضوعة في مدخل الجمعية الجيولوجية في لندن (شكل ٤) ، وفيها اجتمع نفر من العلماء البارزين الذين شاركوا في هذه الدراسة ، ولم ينس الفنان أن يحشر المحامي مع هذا الجمع قبل وفاته ، فاليه يرجع الفضل في هذا الكشف الخطير ، إذ اوضح أن الإنسان الأول الذي جاءت من صلبه البشرية هو في الأصل ذو جذور أو أصول إنجليزية ، ولقد كوفىء داوسون على ذلك أيضاً بأن اقترن اسم هذا المخلوق باسمه .. فاسم الجنس إيوانثروباس (وتعني إنسان فجر التاريخ) ، واسم النوع داوسوناي (مشتقة من اسم المحامي ــ أي داوسون .



شكل (٤) لوحة تذكارية كبيرة لجماعة من العلماء كانت تتصدر الجمعية الجيولوجية بلندن وقد انصب اهتمامهم على بعض العظام الحفرية التي اكتشفت في منطقة بيلتداون ، وترى منها من اليمين الى اليسار : «سير» راي لانكستر . ودكتور سيمث وود ويرد (الواقف ذولحية) وبجواره المحامي تشارلز داوسون ، وعدد آخر من الأساتذة المرموقين .

لم يكن البروفيسور سولاس الذي قام بهذه الخدعة يدري أن خدعته سوف تقابل بكل هذا الحماس على جميع المستويات ، وهو لم يقصد طبعاً أن يثبت للعالم بفعلته تلك أن أبا البشرية تجري في عروقه دماء إنجليزية ، بل كان قصده الأساسي أن يسخر من سير آرثر ، وأن يلطخ سمعته العلمية بالوحل (كما سيوضح لنا التسجيل) ، لكن الأمور قد جرت على غير ما توقع ، فآثر الصمت بعد أن وصلت الموجة الى هذه الدرجة .

إكتشاف الخدعة

وفي وسط هذه الموجة من الحماس والفخار الذي حل على الإمبراطورية التي لاتغيب عنها الشمس ، ظهر بعض العلماء المتشككين ، لكن آراءهم لم تجد لها صدى مسموعاً ، أو من الأفضل أن تصمت حتى لاتحجب هذا الشرف عن بني وطنهم ، ومع ذلك زاد الهمس ، وطغت الشكوك ، وبدأت الفضيحة تنتشر بين العلماء أولا ، ثم تسربت بعد ذلك الى رجل الشارع .

لقد قيل ان جمجمة هذا المخلوق لا هي لأحد القردة العليا ، ولا هي لانسان ، ولا

المخلوق الذي كان.. وإطلاقاً ما كان!

لأي نوع أو جنس من الكائنات المعروفة ، لكنها تجمع بين صفات القردة في اجزاء ، وبين صفات الانسان في أجزاء أخرى ، ومن هنا أطلقوا عليها اسم نوع جديد مسبوق باسم جنس جديد كذلك ــ كما سبق أن أشرنا ، واعتبروه الحلقة المفقودة .

لكن المتشككين لهم رأي آخر ، فعندما سمح لهم بفحص العظام الحفرية اتضح أن جزءاً من قمة الجمجمة ينتمي لانسان حديث أو « مودرن » ، أما الجزء من الفك الأسفل (أنظر شكل ١) فهو لأحد القردة العليا ، ولقد أبدى آرثر كايث (وهو غير سير آرثر سميث وود ويرد) تخوفه من أن تكون هذه الجمجمة قد حدثت فيها خدعة متقنة ، اذ لاحظ عدم توافق بين الجزأين اللذين قيل عنهما أنهما اكتشفا في بيلتداون !

وفي كتابه الممتع « من القردة العليا إلى الإنسان » يسوق دكتور وندت ما قاله العالم مور بعد أن فحص الجمجمة : إن أي عالم يعتبر إنسان بيلتداون مخلوقا أصيلا وحقيقيا ، لابد أن يعلق عليه بقوله : انها لمعجزة أن يموت إنسان في حفرة ما ، ثم يترك جزءاً من جمجمته ، ولا يترك فكيه ، وفي نفس الحفرة أيضاً يترك مخلوق اشبه بالقرد فكه ، وتغيب جمجمته ! .. والتهكم هنا واضح ، لأن ما اعتبره الذين أعادوا تشكيل الجمجمة هي أجزاء لنفس الكائن المنقرض ، يعتبرها المتشككون أنها اجزاء لكائنين مختلفين ، وأن التآلف بينها ينطوي على تلفيق واضح .. يضاف الى ذلك أن بعض الأسنان غير البشرية قد وجدت طريقها الى فك بشري ، وحشرت فيه حشراً .. كل هذا كان يحدث ، والملفق الأساسي الأستاذ سولاس يلزم الصمت الى أن توفى سنة ١٩٣٦ ، ودون أن ينبس ببنت شفة ، ومات معه سره الذي كشفه الأستاذ دوجلاس .

بداية النهاية

وفي عام ١٩٥١ وجهت مجموعة من العلماء لطمة قاضية إلى هذا المخلوق الذي كان ، وبعدها أصبح كأن لم يكن ، وضمت هذه المجموعة ثلاثة من العلماء الإنجليز هم : ك . أوكلاي ، ج . فينر ، وسير ويلفرد كلارك .. وفي هذه الفترة تقدمت وسائل البحث وتطورت ، وأصبح في الإمكان تقدير عمر الحفريات القديمة ، ولقد صممت هذه المجموعة على معرفة عمر انسان بيلتداون بواسطة الذرات المشعة ، وبعد مجهودات مضنية ظهرت النتيجة التي وصفها دكتور جيرهارد بقوله : « بالفحص الدقيق للفك الأسفل ، وباستخدام طريقة متقنة لمحتوى العظام من عنصر الفلور ، تبين أن هذا الفك من أصل حديث ، لكنه عومل بمواد كيميائية ليبدو عليه القدم ، وحتى الأسنان التي أمكن تثبيتها فيه عولجت بطريقة ذكية لتبدو ذات سمات حفرية » !

ويعلق أوكلي ــ الذي قام بتقدير عمر الفك ــ على هذه النتيجة المخيبة للآمال بقوله التهكمي « لقد اعتقدنا أن المخ الكبير قد ظهر أولاً ، وافترضنا أن الإنسان الأول كان إنجليزيا » ! .. ثم يكتب البروفيسور كونيجزوالد عن داوسون المحامي وعلاقته بهذا الموضوع ، فيذكر ضمن ما يذكر « ليس من اللياقة أن ندين إنساناً ميتاً لا يستطيع أن يدافع عن نفسه ، لكن كل شيء يشير بالتأكيد الى مسئوليته عن هذا التزوير ، فلقد ثبت الآن حقاً أن العظام الحفرية أو البقايا المتحجرة التي وجدت في الموقع لم تكن أصلاً فيه ، بل دفنت هناك بعناية بالغة » .. ومن هذا يتضح أن كونيجزوالد لم يكن يدري شيئاً عن الفاعل الحقيقي الذي قام بالدور الأساسي في هذه اللعبة ، نعني البروفيسور سولاس .

وأخيراً يجيء « سير » جافين دي بير ، مدير المتحف البريطاني وقتذاك ، ليكتب الكلمة الأخيرة في الموضوع (الواقع أنها لم تكن كذلك ، بل كان صاحبها دوجلاس) ، وينهي بها هذه القضية التي استمرت حوالي أربعين عاماً : « لقد وضعوا أساس شبح إنسان بيلتداون الذي ــ وأقولها بأمانة ــ لم يتناسب وجوده قط مع أي وضع في فكرة التطور ، لكنه أتاح لنا الفرصة لاستنباط وصقل الطرق العلمية التي تستخدم الآن في الكشف عن حقيقة الحفريات وأعمارها » .

لكن لم تكن هذه الكلمة هي الفاصلة في الموضوع ، بل انتقل بدوره إلى مجلس العموم البريطاني ، بعد أن ثبت بالدليل القاطع أن إنسان بيلتداون كان خدعة خسيسة ، ولهذا تقدم ستة من أعضائه في ٢٦ نوفمبر ١٩٥٤ الى رئيس المجلس بمذكرة قالوا فيها : إن المجلس يبدي عدم ثقة في اعضاء المتحف البريطاني ، وذلك بسبب تباطئهم وتواطئهم في الإعلان بصراحة عن خدعة جمجمة إنسان بيلتداون » !

ويعلق وندت على ذلك في كتابه « إن السبب الذي جعل لهذه القضية إهتماماً واسعاً على الصعيد القومي أن من بين أعضاء مجلس المتحف البريطاني أسماء سياسية لامعة من بينها ونستون تشرشل رئيس مجلس الوزراء وقتذاك ، وانتوني ايدن وزير الخارجية ، ورئيس أساقفة كانتربري وممثل من العائلة المالكة .. إن هذا الطلب بطرح عدم الثقة كان بغرض إثارة الاهتمام القومي وعلى أوسع نطاق بمدى الغفلة التي اصيب بها العلم في بريطانيا ، وكيف غرر

به البعض في واحدة من أخبث الخدع التي ارتكبت في حق البحث العلمي » .. ولقد وجه المتحدث اللوم الى رئيس الوزراء ورئيس الأساقفة ووزير الخارجية وطلب منهم الاهتمام بأشياء أخرى أكثر أهمية من البحث في أصول كومة من العظام المضللة !

الرجل الذي خدع الجميع

والآن نعود إلى الاعتراف المسجل على الشريط ، فنرى البروفيسور دوجلاس يعرض بصوته وجهة نظره في هذا الموضوع فيذكر : لقد كان داوسون ـ بطبيعة الحال ـ رجلاً معروفاً بمغامراته وحيله في التلفيق ، فمجرد وجود بعض العظام قرب بابه الخلفي كفيل باثارة الشكوك حوله ، ولا شك أن كثيرين يعرفون أنه كان على علاقة بشخص ضالع في علوم التشريح المقارن والحفريات وأسلاف البشر ، وأن ذلك الشخص ـ بهذه المعرفة ـ قد ترك بصماته الخادعة على عظام الجمجمة .. ولا شك أن سميث وود ويرد (المقصود الأصلي بالفضيحة ـ كما أسلفنا) قد قاسى أشد ما قاسي من هذه المأساة .. لكن هل حاول أحد أن يتقصى إن كان لسميث وود ويرد أعداء قاموا بهذه الفعلة .. طبعاً لم يتقصوا ، ولو فعلوا ـ وأنا متأكد مما أقول ـ لوجدوا انفسهم وجهاً لوجه مع عالم محافظ في جامعة اكسفورد ـ أقصد بروفيسور سولاس ، وأنا أعرفه جيداً ، فلقد زاملته طوال ثلاثين عاماً ، وأعلم تماماً مقدار حقده وكراهيته لسميث وود ويرد ، وعندي على ذلك أدلة كثيرة ، لكن يكفي أن أسوق دليلاً واحداً ، ففيه الكفاية .. ثم راح دوجلاس يحكي كيف أن سميث طلب من سولاس أن يعينه بأحد الطلبة الكثيرين الذين يعملون معه لكي يساعده في دراسة بعض الحفريات ، ورفض سولاس ، وذهبت اليه ، لأكرر الرجاء ، لكنه أظهر عدم المبالاة والاستعلاء .

وينتقل دوجلاس الى نقطة أخرى على شريطه الذي استمر عشرين دقيقة ليذكر : وأنا أعرف أن سولاس يعرف داوسون ، ولقد زاره أكثر من مرة في هذه الفترة ، لكنني لا أعرف كم عددها ، لأنني كنت بالخارج .. ولقد ثبت بالتحليل أن بعض اجزاء الجمجمة قد عومل بمحلول من مادة كرومات البوتاسيوم (وهي مادة مؤكسدة تكسب العظام لوناً يوحي بأنها قديمة جداً) . وأنا أعتبر ذلك دليل اتهام قوي ، اذ أنني اتذكر تماماً ـ وكأنما هذا قد حدث بالأمس فقط ـ أن عبوة صغيرة قد وصلت الى متحف قسمنا ، وتسلمها بيزاند الذي كان يعمل مساعداً فنياً ، وجاء بها الى ، وعندما كشفنا عن محتوياتها وجدناها كرومات البوتاسيوم .. وهنا اندهشنا وقلنا : وماذا هناك ليطلب الأستاذ (يعني سولاس) هذه المادة ؟!

وبعد أن يشرح أن كرومات البوتاسيوم ليست من المواد المستخدمة على الاطلاق في هذا المجال (وهو يقصد طبعاً وجود علاقة بينها وبين العظام التي عوملت بها) يواصل اعترافه بقوله « ولا زلت أتذكر سولاس وهو يستعير بعض أسنان أحد القردة العليا من قسم التشريح المقارن بالجامعة ، وهي الأسنان ذاتها التي ظهرت في الفك .. والغريب أن سولاس ـ رغم علمه ومكانته ـ لم يشترك مع العلماء الذين بحثوا جمجمة إنسان بيلتداون ، وظل دائماً في موقف سلبي .. والحق أن العظام لم تكن أبداً في منطقة بيلتداون ، بل أقحمت على المنطقة بعد أن أدخلت عليها عمليات التضليل لتبدو أنها لمخلوق قديم منقرض ، وأنا أعتقد أن المسألة ربما بدأت كمزاح ثقيل ، لكنها خرجت بعد ذلك من أيديهم » .. ثم يذكر دوجلاس أنه لا يعرف كيف تمت المؤامرة بين سولاس وداوسون ليجعلا من سير آرثر أضحوكة ! .

وفي موضع آخر يذكر « لكن يأتي بعد ذلك السؤال الحرج : من هو الرجل الذي يستطيع أن يقوم بهذه الخدعة الذكية التي أضل بها علماء لهم مكانتهم ؟ .. إن جوابي هو : سولاس .. فهو الذي دبر قبل ذلك خدعة جمجمة حصان شيريورن » .

وهنا ينتهي حديث دوجلاس بذكر قصة خدعة أخرى معروفة ، وملخصها أن تلميذين في مدرسة في شيريورن قد أجريا خدعة على قطعة عظام ملقاة في كومة مهملة بجوار المدرسة ، وعليها قاما بحفر شيء يشبه رأس حصان ، وكان التلميذان قد قرءا شيئاً عن الحفريات في كتاب مدرسي ، وأرادا أن يخدعا مدرس العلوم بهذه المزحة ، ولقد عرف سولاس هذه الحكاية من الفني بيزاند عندما كان الأخير في زيارة لهذه المدرسة ، ولقد أرسل مدرس العلوم هذه القطعة من العظام المحفورة الى وود ويرد الذي قام بعمل تقرير عنها للجمعية الجيولوجية في عام ١٩١٤ ، ورغم أن سولاس كان يعلم أن وود ويرد قد شرب هذا المقلب ، وأن في الأمر خدعة ـ رغم ذلك لم يحاول أن ينبه وود ويرد لذلك ، وتركه يتمرغ في الفضيحة التي لا شك أسعدت سولاس .. ويعني هذا أنه كان يريد أن يحط من شأنه ، وأن يسفه علمه ، وكأنما لسان حاله يقول : ليس في انجلترا إلا أنا .. وهو ضعف في النفوس على أية حال .

«والعاقبة للمتقين » ـ وهكذا نختم هذه الدراسة بهاتين الكلمتين اللتين وردتا ضمن إحدى المقالات التي أرسلها لنا قارئنا العزيز من إنجلترا ، ولم يكن في رسالته غير ذلك ، وحسناً كان ذلك !

عبدالمحسن صالح

مسافر على الرصيف



بقلم: محمود السعدنى

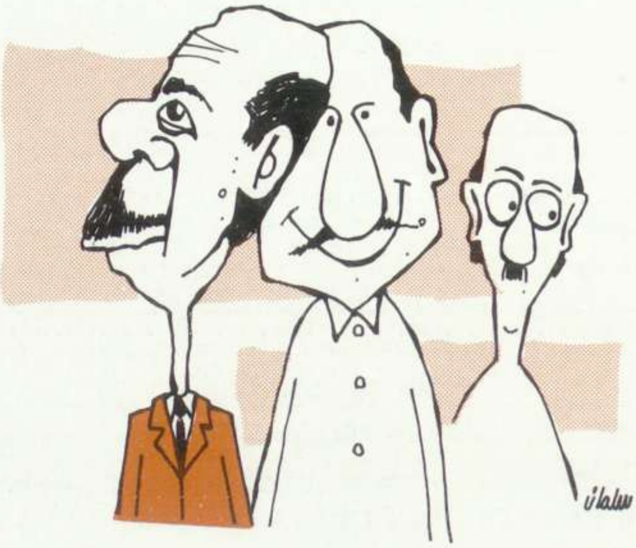
زواج الدكتور..!

كان اسمه الشيخ ، لم يكن هذا اسمه بالضبط ، ولكن كان اسم عائلته ، أما اسمه الأول فقد نسيته ، وكان لقبه الدكتور فقد كان طبيباً بيطرياً ، وكان عمله في معالجة الحيوانات يستغرقه طول العام ، ولكنه كان حريصاً على التواجد في قهوة محمد عبدالله كل مساء . فقد كان على صلة وثيقة بزكريا الحجاوي ، وكان زكريا حريصاً على التردد على عيادة الدكتور الشيخ للكشف والعلاج ، وكان يفضله على غيره من الأطباء . وكانت فلسفة زكريا الحجاوي تتلخص في أن الدكتور الشيخ الذي تفوق في معالجة الحيوانات التي لا تنطق ولا تشكو ، قادر ا يضاً على علاج الإنسان الذي ينطق ويشكو ويعرف موطن الداء .

وكان الشيخ من أسرة كبيرة اشتهرت بإنجاب عدد من مشاهير الفنانين . وكان الدكتور الشيخ شديد الحرص على اقتناء عدد من أعمال هؤلاء الفنانين في منزله ، وكان حرصه أشد على الطواف بأصدقائه الذين يترددون على منزله لمشاهدة هذه الأعمال ، وكان يسهب في شرح تفاصيل هذه الأعمال والمعنى الذي تحمله والهدف الذي يرمي إليه الفنان . وفي هذه الساعات التي كان يطوف فيها بأصدقائه للفرجة على هذه الأعمال الفنية ، كان يثرثر كثيراً ، ويخوض في موضوعات تتعلق بهذه الأعمال ، وتتعلق بغيرها أيضاً ، وكان يبدو سعيداً ومرحاً ومنطلقاً على سجيته تماماً في تلك اللحظات . ولكنه إذا جاء إلى قهوة عبدالله واحتل مكانه المختار ، لم يكن يفتح فمه إلا نادراً ، وأحياناً يقضي السهرة دون أن يتفوه بكلمة واحدة ، وأحياناً كان زكريا الحجاوي يستفزه ليجبره على الكلام ، ولكنه كان يكتفي بابتسامة ويهز رأسه ثم يرفع أصبعه السبابة ويقربه من شفتيه علامة أنه صائم عن الكلام ! ولكنه في بعض الليالي إذا احتدم النقاش وثار الجدل حول الإنسانية وبدايتها وتطورها ، كان ينبري للكلام ، ولكنه كان لا ينطق أكثر من عبارة واحدة (هذا الموضوع يحتاج إلى جلسة طويلة ، وأنا مستعد لحضور هذه الجلسة والاشتراك في النقاش) ولكن هذه الجلسة لم تعقد أبداً ، ولم يتح لأحد أن يشترك في نقاش من أي نوع مع الدكتور الشيخ .

ولكن هذا الصامت الزاهد في الكلام ، كان قارئاً ممتازاً ، قرأ الأدب اليوناني باللغة اللاتينية التي كان يجيدها ، واطلع على حضارة الهند وفارس ، وكان واسع الإلمام بتاريخ العرب في الجاهلية وبعد الإسلام .. وكان يتردد أحياناً على المسرح . وكان لا يفتح الراديو إلا للاستماع إلى نشرة الأخبار ، ولكنه كان حريصاً على الاستماع إلى حفلة أم كلثوم أول كل شهر . وكان يقرأ ا نتاج أدباء قهوة محمد عبدالله . فإذا أعجبه شيءٌ منه ، اكتفى بإبداء رأيه بكلمة واحدة هي (برافو) وإذا لم يعجبه إنتاج أديب من الأدباء ادعى أنه لم يقرأه لانشغاله في عمله .

كان الدكتور الشيخ أعزباً يملك وقته كله ، ولم يتردد حوله أي كلام يشير من قريب أو بعيد أنه على علاقة بأحد من الجنس الآخر ، بل كانت حياته تمضي على وتيرة واحدة . يعود إلى منزله في منتصف الليل ، ويستيقظ مبكراً ، ويخرج ا لى عمله في وزارة الزراعة ، ثم يعود إلى منزله لينام بعض الوقت ، ثم يذهب إلى عيادته ويقضي فيها عدة ساعات ، ثم يأتي إلى قهوة محمد عبدالله ليسهر فيها حتى منتصف الليل . ولم يشاهد الدكتور الشيخ خارج هذه الدائرة أبداً ، ولم يترك القاهرة إلى غيرها من البلاد ، بالرغم من حبه للريف ، وشغفه بالبحر ، وكان يعشق نهر النيل ويعتبره مصدر الحياة في مصر . وكان حريصاً على أن يشرب من مياه النهر مباشرة طوال شهر طوبة . وكان يدعو كل من حوله إلى الشرب من النهر مباشرة خلال هذا الشهر ، فقد كانت هذه هى عادة المصريين القدامى في فجر التاريخ .



ولكن الدكتور الشيخ الذي كان أشبه بقطار سكة حديد يسلك طرقاً معروفة وخطوطاً مرسومة ، انقلبت حياته رأساً على عقب . فقد مات أحد أقربائه ، وآلت إليه ثروة طائلة . واختفى الدكتور الشيخ من قهوة عبدالله ، وبرر البعض سر اختفائه بأنه حزين ، وزعم البعض أنه مشغول بإحياء ما آل إليه من أموال طائلة وعقارات كثيرة وأراضي شاسعة . ولكن الدكتور الشيخ ظهر بعد عام وقد تغيرت أحواله .

فقد اقتنى سيارة وهجر البيت الذي كان يسكنه على أطراف الصحراء بالقرب من الهرم ، وإستأجر شقة فاخرة على النيل الذي يعشقه ، وفتح أبواب بيته للأصدقاء .

وكانت دائرة أصدقائه قد إتسعت ولم تعد قاصرة على شلة قهوة عبدالله ، ودخلت في دائرة أصدقائه طوائف جديدة . ضباط شرطة كبار ، وأطباء مشهورون ، وفنانون ورجال أعمال . وذات مساء دعا ا دباء قهوة عبدالله إلى وليمة في شقته ، ولم يكف عن الكلام طوال السهرة ، ولم يسمح لأحد حتى ولا لزكريا الحجاوي بأن ينطق حرفاً واحداً خلال السهرة ، ولكنه إضطر إلى ذلك حين أعلن للجميع عن رغبته في هجر العيادة والإستقالة من الوظيفة والتفرغ لمباشرة أعماله التي آلت إليه بالميراث .

ولكن زكريا الحجاوي الذي استحسن الفكرة ، إقترح عليه أن يؤسس داراً للنشر ، وراح زكريا يشرح ميزة دار النشر ، خصوصاً إذا كان صاحبها مثقفاً من طراز الدكتور الشيخ ، وأضاف زكريا أن لديه كتاباً جديداً بعنوان بجماليون ، ووصف الكتاب بأنه إضافة جديدة إلى الأسطورة التي تناولها عدد من مشاهير الأدباء عبرالتاريخ . واقترح زكريا عدة كتب لأنور المعداوي ، وديوان شعر لمحمود حسن ا سماعيل . واقترح أيضاً نشر قصة ألف ليلة وليلة الجديدة لعبدالرحمن الخميسي ، وأكد أن بداية من هذا النوع كفيلة بتدعيم دار النشر الجديدة ، وافساح الطريق أمامها للنمو لتصبح دار نشر من نوع جديد ، وتكون في خدمة القراء والأدباء ، وخصوصاً وأن صاحب الدار غني بفضل الله ، ولا يحتاج الى مزيد . وسكت الدكتور الشيخ ولم يعلق على اقتراح زكريا الحجاوي . وانتهت السهرة بدون الوصول إلى حل أو تحديد الطريق الذي سيسلكه الدكتور الشيخ .

ولكن الذي حدث بعد ذلك أن صلة الدكتور انقطعت بشلة قهوة محمد عبدالله ، وصرنا نراه أحياناً عندما يمر ليلا على بقالة مخالي لشراء ما يلزمه للسهرات في منزله . وفي البداية كان يعرج على القهوة ويصافح أفراد الشلة ثم يعتذر لارتباطه بموعد ، ولكنه بعد ذلك كان يكتفي برفع يديه لتحيتنا من بعيد لبعيد .

وانقطعت صلتنا بالدكتور الشيخ بعد ذلك ، ولم نعد نسمع عنه إلا قصصاً حول سهراته التي يقيمها في منزله ، وعن ا صدقائه الذين ازداد عددهم وارتفع قدرهم ، فشملت بعض أصحاب النفوذ ، وبعض المشاهير من الفنانين . ولكن أغلبها كان من باب الإشاعات ، وبعضها كان يتضمن مبالغات شديدة . ولكنا كنا نستمع اليها ونعلق عليها ، ثم ننساها بعد ذلك . وذات مساء إنتحى بي زكريا الحجاوي ركناً وأسر إلي بأن الدكتور الشيخ يريدنا معاً لنسهر في منزله هذه الليلة . ثم إنصرف على ا ن ألقاه عند كوبري عباس في الحادية عشر مساء . واستقبلنا الدكتور الشيخ بترحاب شديد ، وفوجئت بأن منزله كان خالياً تماماً إلا منه . وظننت أن السهرة المعتادة لم تبدأ بعد . ولكنه حين جلس أبلغنا أنه قرر الإقلاع نهائياً عن السهر ، وهجرة شلة الأصدقاء الذين تعرف عليهم بعد الثراء المفاجئ الذي هبط عليه . وقال وفي صوته رنة اسى (لقد جربت الحياة وحيداً وفقيراً حتى بلغت الخمسين ، ثم جربت الغنى

زواج الدكتور..!

والحياة تحت الأضواء وفي الضجيج وبين الأصدقاء عشر سنوات كاملة ، ولكني سئمت كل شيء الآن ، وأريد أن أعيش حياة مختلفة كبقية عباد الله ، فأتزوج وأقضي بقية عمري في جو عائلي حرمتني منه ظروف كانت أقوى مني ومن الجميع) . وسأله زكريا الحجاوي عن سعيدة الحظ ، وهل وفق في العثور عليها ، أم أنه سيبدأ رحلة البحث عنها في المستقبل القريب . واسترخى الدكتور في مقعده ، وراح يحكي عن السيدة التي تعلق بها قلبه . وهي سيدة في الثامنة والأربعين من عمرها ، ولكنها جميلة بالرغم من أن ابنتها الوحيدة تبلغ التاسعة والعشرين من العمر ، وأنه اتفق معها على الزواج والعيش معه في شقته هي وابنتها . وسألنا رأينا فيما هو مقدم عليه . ولما طال الصمت بيننا ، نظر الى زكريا الحجاوي وقال متوسلاً : (ما رأيك أنت يا أبو الزيك ؟ هل أتزوجها ؟ أم أتوقف عند هذا الحد ، خصوصاً وأن محسوبكم سيدخل غداً عامه الستين) . وقال زكريا الحجاوي في جد شديد ، سأسألك عشرة اسئلة ، وسيتوقف جوابي على أجوبتك لها . وأنصت الدكتور الشيخ الى أسئلة زكريا الحجاوي ، وراح زكريا الحجاوي يمطره بالأسئلة : ـ

ـ هل تشك في إخلاصها لك ؟

وكان الجواب . نعم ، انني الآن في الستين ، وهي كما قلت لك في الثامنة والأربعين ، وهي تبدو شابة وجميلة ، بينما أبدو أنا عكس ذلك ، شيخاً ومحطماً وعلى باب القبر . وقال زكريا :

ـ هل هناك إحتمال أن تدس لك السم في الطعام؟

وكان الجواب : بالطبع ، إذا سنحت فرصة فستفعل ذلك بكل تأكيد .

ـ إذن هي تطمع في أموالك ؟

ـ بدون شك

ـ هل تتصور أنها قد تلجأ إلى محاولة الحصول على توقيعك على بعض الأوراق لكي تنفرد بالميراث كله بعد وفاتك ؟

ـ بالطبع ستحاول ذلك بلا جدال

ـ هل تشعر نحوها بحب ؟

ـ طبعاً

ـ وهل تشعر هي نحوك بحب ؟

ـ لا .. بكل تأكيد

وانقطع النقاش بين زكريا الحجاوي والدكتور الشيخ وساد الصمت طويلا ، وفجأة قطع زكريا الحجاوي الصمت وقال للدكتور الشيخ في كلمات قاطعة : إذن تزوجها على بركة الله وانقضت السهرة بعد ذلك في حوار متقطع حول بعض الأمور التافهة الشأن ، ثم حان الوقت لنستأذن بالإنصراف ، فودعنا حتى الشارع وعندما مد يده ليصافح زكريا مودعاً ، قال له :

ـ يعني دا رأيك الأخير ؟

وقال زكريا :

ـ توكل على الله ومبروك مقدماً .

وعندما رحنا نقطع شارع النيل الهادئ الصامت المظلم أنا وزكريا الحجاوي سيراً على الأقدام صرخت في زكريا الحجاوي .

ـ ما هذا الذي فعلت ؟ تنصحه بالزواج من إمرأة يشك في إخلاصها ، ويعتقد أنها ستدس له السم في الطعام ، وأنها ستدبر له مكيدة للإستيلاء على ثروته ؟

وهز زكريا الحجاوي رأسه وقال في صوت خفيض :

ـ إنت أصلك غبي ..! إنه يريد رأينا في الزواج من إمرأة يؤمن أنها لا تحبه ويعتقد أنها ستقتله ، ومع ذلك يسألنا الرأي ، لقد قرر الدكتور الشيخ يا محمود أن يتزوج هذه السيدة منذ فترة طويلة ، ولم يكن سؤالنا إلا تحصيل حاصل ، ولم يكن حواره معنا إلا حواراً مع نفسه ، وسيتزوجها الدكتور الشيخ سواء رضينا أو رفضنا ، وهو على أية حال سيتزوجها بعد أيام .

وظننت أن زكريا الحجاوي يخرف ، وأسفت للدكتور الشيخ الذي تصور أنه سوف ينجو عندما تعلق بزكريا الحجاوي فاذا به يكتشف أنه تعلق بقشة . ولكن وهنا العجب .. تزوج الدكتور الشيخ تلك السيدة بعد أسبوعين من هذا اللقاء وسرعان ما ظهر في المقهى من جديد بعد شهر واحد من هذا الزواج ، ولكنه ظهر متكلماً على غير عادته الأولى . وكان يستخدم يديه أحيانا في النقاش وبدا أنه غير سعيد بالمرة في هذا الزواج !

وذات مساء ظهر في المقهى واصطحب زكريا الحجاوي معه ، وعلمنا بعد ذلك انهما ذهبا إلى المأذون وأنه طلق زوجته ، وعاد في المساء التالي ليخبرنا أنه إتفق معها على عدم مقاضاته نظير خمسين ألفاً من الجنيهات ، ثم أعلن للجميع أنه قرر التفرغ للحياة ، وأنه سيقوم بسياحة حول الأرض وسيزور بلاداً كثيرة ومدناً كان يسمع بها ، وأنه سيعيش للعيش فقط وليس لأي شيء سواه !

ولكن الدكتور الشيخ لم يبرح مكانه في شقته بالجيزة . فقد مات ذات مساء ، ولم يكتشف أحد موته إلا بعد ذلك بثلاثة أيام . وذهبنا خلفه نشيعه .. البائس الذي سلك كل الطرق ، ولعب على كل الإحتمالات ، ولم يحقق في النهاية إلا الخسارة ، وخرج من الحياة وحيداً وكما بدأ ، عاد ..!

محمود السعدني

الديوك والكباش

قصة من عصر المماليك

بقلم : سعد مكاوي

زائر غير مقبول ولا محتفى به ، هذا الذى يسمونه الحب ، فى زمن لا تصفو فيه لحظة حتى تتسرب إليها الكآبة ويعكرها الأسى وتفقد كل بكارتها .

فى ساعة العصر الرائقة يسمح سطح بيت المقريزى لرغدة وخطيبها بمتابعة عمليات تطيير الحمام ، إذ يكشف إشراف عدد من الشبان الهواة على مناورات أسراب الحمام اللطيفة ، فوق بعض أسطح المنازل المجاورة فى حارة برجوان .

قالت رغدة وهى تتابع بنظرها سرباً منسقاً من الحمام يعود إلى عشته فى نظام :

ـ هواية لطيفة ، ألم تجربها يوماً ياهاشم ؟

قال حبيبها وهو يركز نظرته على وجهها الحسن :

ـ لم تكن لى أبداً هواية . أبى منذ الصبا الباكر شدنى معه إلى الحياة العملية . لكنى أفهم هؤلاء الشبان وأشعر أنهم يجدون فى تطيير الحمام متنفساً عن شعورهم بالقهر والضياع ورغبتهم فى الحرية .

بعد سكتة قصيرة قالت رغدة وهى تتصفح ذلك الوجه الرجولى الحبيب :

ـ هاشم ، هل تشعر مثلهم بالظلم فى هذا الزمن الذى نعيش فيه ؟

لمس أطراف شعرها الجميل بأطراف أصابعه :

ـ كيف أتفادى هذا الشعور يارغده ؟ .. ألم تسمعي أبوينا وهما يتكلمان عن فساد الزمن ؟ .. أحياناً أتساءل كيف يمكن أن يعيش الحب أو يزدهر أى أمل فى مثل هذا الزمن .. لا راحة ولا أمان ولا رجاء .. تفسخت الحياة وتهرأت ودب فى أرجائها العفن .. حتى المناصب العامة كالوزارة والقضاء وولاية الحسبة ونيابة الأقاليم تشترى بالرشوة .. وخيرات الأرض شحيحة منذ كثرت المغارم وتنوعت المظالم وهجر الفلاحون البؤساء الأرض وتحولوا فى المدن إلى متشردين ومتسولين وقطاع طرق .. وبعد المجد والانتعاش شاخ البلد ودمره الخلل فى شئون الادارة وفى تدبير المال وفى تفكك المجتمع .. ألسنا فى الحقيقة نعيش فى مأساة؟

قالت رغدة وكأن قلبها طائر يخفق بين جنبيها خوفاً على الحب :

ـ مأساة تقتل كل ما هو جميل فى هذه الحياة حتى الحب ؟

وقال هاشم :

ـ على الحب كمعقل من آخر معاقل الخير والجمال فى زماننا هذا أن نخوض بلا هوادة معركته الشرسة .

تأملت رغدة حمامة بيضاء ضلت عن سربها وحطت على سور السطح تلتقط انفاسها وتدرس موقفها :

ـ شاخ البلد ؟ .. ما هذه بأول مرة أسمع فيها هذه الكلمة التى توجع القلب .. سمعتها من أبيك الشيخ جابر وسمعتها من أبى يقولها وصوته يقطر ألماً كما لو كان يلقى مرثية .. إن الكلمة تلقى بظلها غير المريح على لحظات السعادة المختلسة كساعتنا هذه .. هيا بنا ننزل فننفض عنا عند نافورة الفسقية هذا الظل الكئيب .

قال حبيبها وصوته نضاح بالأسف : سامحيني يارغدة ، فلقد أفسدت عليك بحديثى هذا لحظة طيبة .

قالت وهى تسبقه إلى الدرج الهابط :

ـ إن ما يؤلمنى من حالنا الذى تصوره كلماتك وكلمات جيل آبائنا هو علمى بأن كل كائن بعد أن يشيخ يموت .

• •

عام الحزن والأزمة . الطاعون رفع راياته فوق البلد وضرب الأحباب بالفراق وملأ البيوت بالمواجع والسواد . لم تكن تمر

الديوك والكباش

على ارتفاع العويل من أحد البيوت ساعات حتى تنتقل الفجيعة إلى بيت آخر . وعندما ظهر جابر الإسنوى فى مدخل بيت أحمد بن على المقريزى فى عمق حارة برجوان عصر الألم قلبه عندما رأى صديقه الباكى عند جثة ابنته رغدة التى لم تمهلها ضربة الوباء اكثر من ليلتين .

كانت جميلة الشباب فياضة المرح ، رغدة حبيبة أبيها ووحيدته ، وها هى فى ذلك الغروب الحزين تلحق بموكب الأموات الزاحف من أركان القاهرة إلى الجبانات تحت راية الطاعون .

انداحت دموع صديق العمر فى غور نفسه الصافى . صديقان جمعهما شرف النفس فى زمن فاسد . أحمد فى الأربعين وجابر يكبره بسنوات قليلة ، صعيدى من إسنا التى يولع أهلها بالعلم ويشتهرون بالفضل ، أما أحمد فقد أنجبه فى القاهرة والد بعلبكى الأصل ونشأ فى حارة برجوان نشأة قريبة من نشأة صاحبه ، على مناهل العلم ومناهج الدين ، ومارس نشاطه كاتباً بديوان الانشاء بالقلعة ، ثم قاضياً ، ثم خطيباً واماماً بمساجد القاهرة الكبرى . ها هو الحزن الواحد الكبير يحتويهما فى لحظة صمت ، ها هو الشباب الجميل مسجى أمامهما ينتظره القبر .

عام استحكام الأزمة واستشراء الفساد . فى عودتهما من الجبانة شاهدا حوانيت منهوبة ، ونساء مخطوفات من الحمامات ،وقال أحمد لصاحبه :

ـ هؤلاء المماليك الذين يحكمون البلد ! .. لم يتركوا فيه نضرة ولا قيمة ولا طهارة ولا بكارة .. وليس فيهم إلا من هو أسوأ من قرد ، وألص من فأر ، وأفسد من ذئب !

وعاد الشيخان الصديقان إلى ليل كئيب فى عمق حارة برجوان ، وحديث يغص به القلب وتنكأ الجروح ويطول الأرق .. البلد ليست فى قبضة الطاعون وحده ، فان مع الطاعون الجهلاء واللصوص والمفسدين .. كان لابد أن يأتى الطاعون .. أن تموت رغدة .. أن يذوى كل شىء ويهون .

∘∘

يعرف الشيخان أحمد وجابر أن رئيس الدرك الذى قصداه فى عرينه اشترى منصبه بالرشوة ، وأنه لا أمان له ، وعجرفته لا تطاق :

ـ وماذا تريدان منى ان افعل لكما ؟

قال له الشيخ أحمد وهو يشير إلى صديقه :

ـ هذا الشيخ جابر الاسنوى من العلماء ، وابنه هاشم مدرس التاريخ الاسلامى اختفى منذ ليلة الأمس كما قال لك ، ونحن نعرف أن وراء اختفائه عصبة من الأشرار لا تجد من يردعها أو يقضى عليها ، تتزعمها بنت من بنات الهوى .

قال لهما فى غطرسة كانا يتوقعانها :

ـ لا تجد من يردعها ؟! .. وماذا أفعل أنا إذن فى هذا البلد؟ .. أصلى التراويح وأنام ملء جفونى ؟!

قال له الشيخ أحمد :

ـ إن بنات الهوى يملأن شوارع المدينة فى الليل ، وأعوانهن من اللصوص والقتلة ينتظرون الفرائس .

حدجه رئيس الدرك بنظرة شرسة :

ـ ومن تكون أنت حتى تعلمنى واجباتى ؟

ـ أنا لا أعلمك ولا أتدخل فى شغلك .. انا أبلغك باختفاء ولدنا هاشم وأطلب إليك ان تهتم بأمره قبل أن يقتل بأيدى الأشرار السفلة .

من تكون ؟

ـ أنا الشيخ أحمد بن على المقريزى ، مدرس علم الحديث بالمدرسة المؤيدية .

ـ سنبحث عن الولد الفاسق ونخطركما بالنتيجة .

ـ بنت الهوى التى صادته تتخذ فرائسها على ناصية شارع النقشبندى الكبير .. تقف كل ليلة فى زينة مفضوحة ولا يتعرض لها رجالك لعلة لا ندريها .

ـ حذار ياشيخ أحمد ! .. هل تتهم رجالى الأمناء بالحصول على رشوة من العصابات المنحرفة ؟!

ـ إنى أصف لك المرأة التى سيقودنا عثورك عليها إن شاء الله إلى مصير ولدنا .. لقد رآها بعض أهل حارتنا وهى تسحبه إلى حيث يسلب ماله أو ينتهى أجله ..

ـ ومن زين له أن يتبعها غير فساد خلقه ؟ .. أليس عجيباً أن يكون هذا حال اولاد الكبار ؟!

ـ الفتى حزين على فقد خطيبته الغالية .. صادته بنت الهوى فى لحظة ضعف .. وتستطيع أن تسأل عنه لتعرف بنفسك أنه مثال العفة والطهارة ..

ـ صفها لى .

ـ يقولون إنها بيضاء طويلة القامة لا تلبس العصبة النسائية بل تتعمم فوق شعرها الأسود الغزير بعمامة مقلدة الرجال ، وأنت بحكم منصبك خير من يعرف استشراء الانحراف فى هذا الزمن ، وكأن الخمور والمخدرات لا تكفى لتدمير المساكين أهل البلد المسكين .

ـ أتعرفان اسمها ؟

تبادل الشيخان نظرة قبل أن يقول الشيخ جابر :

ـ سمعنا أنها تدعى صديقة الدرك !

عادت الشراسة تلمع فى عينى المملوك الرذل :

ـ ها أنتما تعودان إلى إهانة رجالى من كل شريف وعفيف وطاهر اليد !

زفر الشيخ جابر من الضيق :

ـ ياكبير الدرك !.. ابنى الوحيد فى خطر الموت ، ونحن ندعوك قبل أن يقتل فى قبو من أقبية الشر إلى أن تتحرك أنت ورجالك الطاهرون المنزهون عن الهوى ، وهذا حقنا عليك .

وقف كبير الدرك وهو يقول لهما فى برود :

ـ سنبحث عن الفاسق ابنكما ونخطركما بالنتيجة .

قال واحد من الأهالى الذين تجمعوا حول مناطحة بالكباش فى شارع النقشبندى :

ـ تأملوا سحنة الكبش الأحمر ، ألا تشبه وجه كبير الدرك ؟!

وعن بعد توقف الشيخان ليتأملا المشهد لحظة . صاحب الكبش الأحمر غليظ العنق مفتول الشارب ، يحرض حيوانه بصيحات وحشية ، بينما يناطحه الكبش الأبيض بضراوة تسيل دمه وتملأ وجه صاحبه النحيل الطويل الرابط الجأش بالرضى .

يقتتل الكبشان قتال الموت ، وفى كل لحظة يتأرجح الرهان عليهما بين المتفرجين الذين يشيع فى وجوههم ارتياح عجيب وتنطق فى عيونهم نشوة غامضة .

قال أحد الشيخين لصاحبه :

ـ كل ما هو مكبوت فى هذه الأنفس يجد متنفساً فى هذا الصراع الدموى ، ألا تشعر بهذا أنت أيضاً ؟

ورد الشيخ الآخر وقد غشيت نفسه من رؤية الدم :

ـ وهو عين ما يحدث فى المناقرة بالديوك ، تهدأ الأعصاب ويشعر كل واحد انه الديك الغالب .

ـ أو الكبش المنتصر .

تابع الشيخان سيرهما فى اتجاه المسجد ، دارا حول بركة السماح الزائطة ، حتى قبل أن يدخل الليل ، بالقوارب المزينة بسعف النخل والورود ومن تحمل من عشاق التسلية وجوقات العوالم والمغانى .

تتراشق القوارب بالنكت اللاذعة والقفشات الطائرة وسط طوفان من المرح العصبى تغلفه روح الفكاهة .

وقال الشيخ أحمد بن على المقريزى لصاحبه :

ـ إننى أنوى أن أنفق ما بقى لى من العمر فى كتابة تاريخ هذا الدهر الهازل وهؤلاء الذين ترتبط روح الفكاهة عندهم بشعور اللامبالاة الغالب عليهم ، ولن تفوتنى وأنا أسجل تاريخهم فى كتابى هذه النقطة الدقيقة ..

قال الشيخ جابر وهما يقتربان من المسجد :

ـ هل اخترت لكتابك عنواناً ؟

ـ نعم .

ـ كنت أنوى أن أقترح عليك هذا العنوان : « الديوك والكباش ووهم الانتعاش » .

ـ قد أسميته : « المواعظ والاعتبار ، بذكر الخطط والآثار » .

ـ كعادتك ملت إلى الجد ، معك حق يا مقريزى .

ـ علينا أن نركب الجد عندما يكون دهرنا هازلاً .. ولن أرحم فى كتابى من لا يستحق الرحمة ، أو أتملق حاكماً أو محكوماً .. لكن هدفى الأول هو تسجيل كل ما يتعلق بتاريخ هذه الأمة وجغرافيتها وعمرانها وأحوالها المالية والأدبية والفنية والاجتماعية ، كما علمنى أستاذى ابن خلدون .

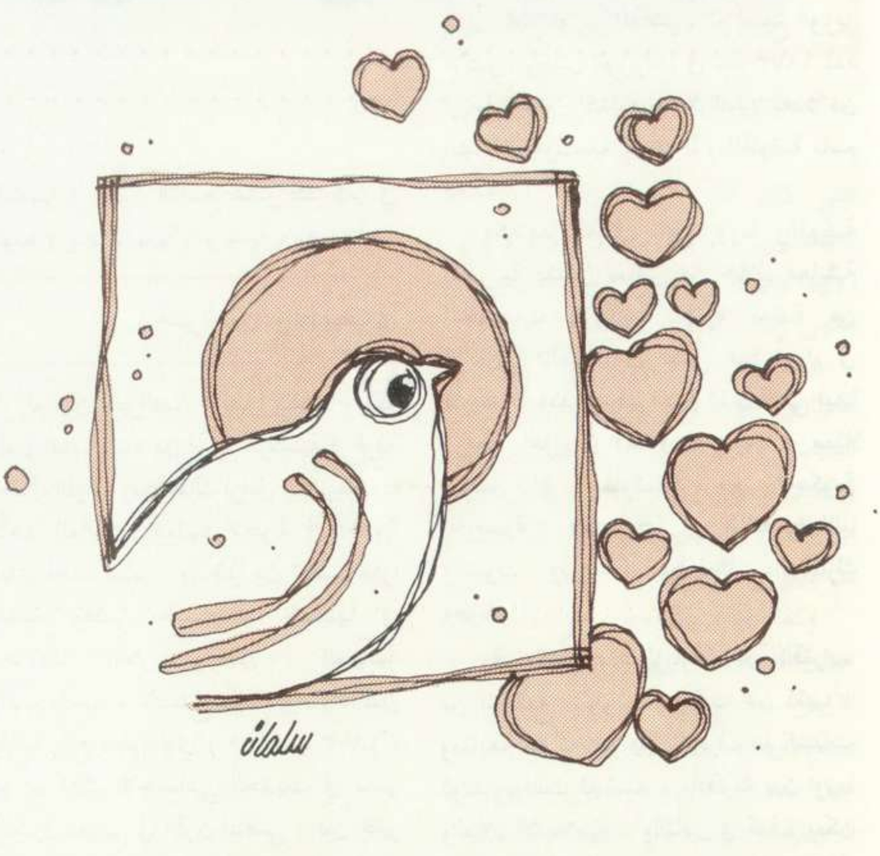
على عتبات المسجد ظهر أمامهما فجأة غلام يلهث من عدو طويل :

ـ ياعمى الشيخ أحمد ! .. أنا منصور ابن أم منصور من حارة برجوان ! .. ارسلتنى أمى للبحث عنكما ، فقد ظهر هاشم فى الحارة ، ثم أغلق عليه باب حجرته خجلا من أن يراه أحد بعد أن ذاعت حكايته .

فى تلك الليلة دخل الشيخان أحمد بن على المقريزى وجابر الإسنوى حارة برجوان ليجدا أهلها الطيبين الرحماء فى عيد سعيد بعودة هاشم من عالم الجريمة سالماً لم يفقد غير كيس نقوده ، لكن الشيخ أحمد همس فى أذن صاحبه الشيخ جابر بصوت اسيف :

ـ بل فقد ما هو أغلى وأصبح هو الآخر ابن زمانه تماماً ، فقد بكارته النفسية !

سعد مكاوى



من تاريخ الفكر العربي

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

.. وسافر خير الدين من تونس مطروداً وكان سفره حزيناً تعطف عليه قلوب الناس ولايتيسر لهم وداعه ، لأن الباي أمر أن لا وداع ..

خير الدين التونسي رجل الفكر والعمل

تسعون عاما تفصل بين تاريخين لكل منهما دلالته ومعناه . في شهر اغسطس من عام ١٨٧٨ رحل خيرالدين التونسي عن بلاده كسيف البال مكسور الفؤاد بعد أن طرده الباي محمد الصادق (الباي هو لقب حاكم تونس وقتذاك) من رئاسة الوزراء وفرض عليه العزلة والابتعاد عن الناس ، وكان بكلمات الاستاذ أحمد أمين في كتابه « زعماء الاصلاح في العصر الحديث » : « سفراً حزيناً تعطف عليه قلوب الناس ولا يتيسر لهم وداعه لأن الباي أمر أن لا وداع » . وفي شهر مارس من عام ١٩٦٨ استقبلت تونس رفات رجلها آتياً من تركيا حيث كان قد توفى ودفن في مسجد ايوب . وما بين التاريخين ظل اسم خيرالدين التونسي علماً من اعلام الفكر العربي يتردد في كل مجال يردد فيه معنى الاصلاح والتغيير في القرن التاسع عشر فقد كان في عهده « رائد الشبيبة التونسية وزعيمها » .

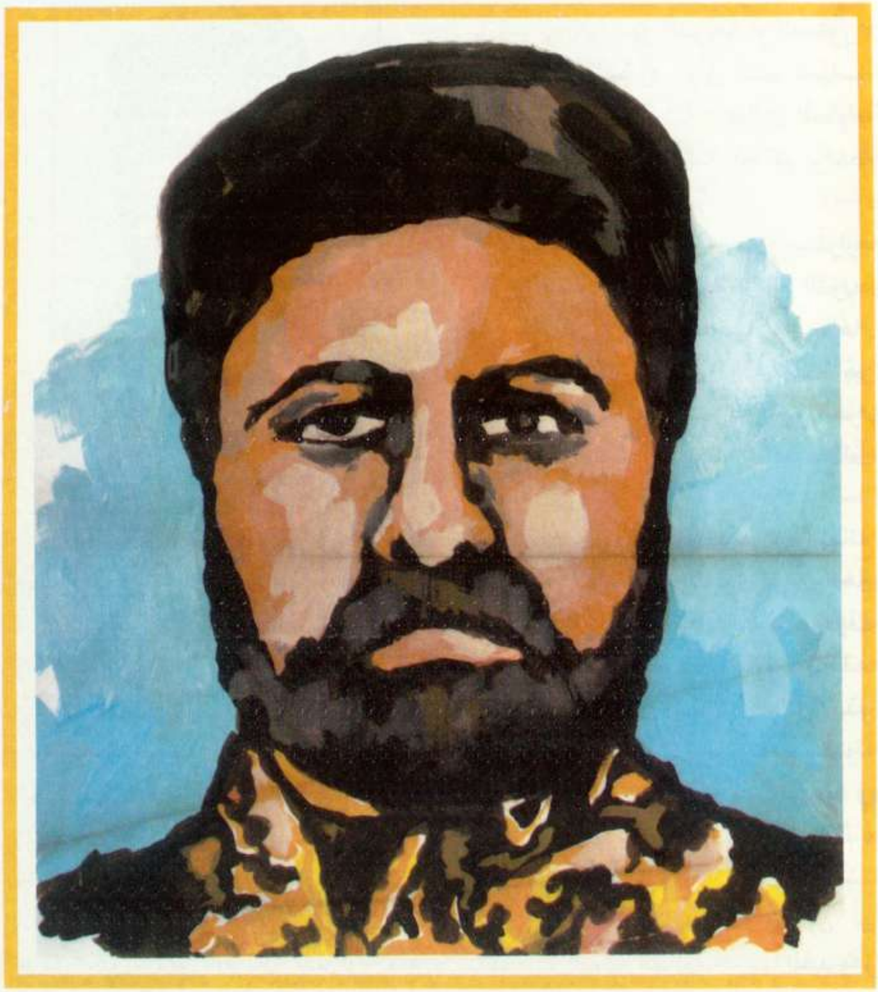
خيرالدين والطهطاوي

لم يكن خيرالدين تونسياً بالمولد ، فقد ولد في عام ١٨١٠ من اسرة شركسية في قرية بجبال القوقاز ومن هناك ارسل الى اسطنبول كأحد المماليك . ومنها انخرط في خدمة الباي أحمد باشا ، واتخذ من تونس مقراً وموطناً وقضى حياته في خدمتها في مجالات الفكر والعمل ، السياسة والدبلوماسية ، الاصلاح والتغيير . واذا كان رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٣) هو أبو الفكر الاجتماعي الحديث في مصر والمشرق العربي في القرن الماضي ، فإن خير الدين (١٨١٠ ـ ١٨٨٩) يحتل مكانة مماثلة بالنسبة للمغرب العربي . وكان خيرالدين على معرفة بآراء الطهطاوي وقرأ له كتاب « المرشد الأمين » وهناك بين الرجلين الكثير من جوانب التشابه .

فكلاهما جمع بين الفكر والممارسة فلم يكتف بدور المفكر أو الكاتب الذي يدعو الى الاصلاح بل تولى المناصب العلمية والتنفيذية ووضع افكاره موضع التنفيذ . وفي هذا المقام يتميز خيرالدين على الطهطاوي فقد تولى أعلى المناصب بما في ذلك رئاسة الوزارة . كان أول ما تولاه خيرالدين هو الاشراف على مكتب العلوم الحربية (وهو مكتب انشئ لترجمة الكتب الحديثة في الموضوعات الحربية) ، ثم اصبح أميرا للواء الخيالة في عام ١٨٤٩ ، ثم وزيراً للبحر في عام ١٨٥٧ « فأنشأ القوانين لحفظ التربة التونسية من التلاشي من أيدي المغتصبين والخروج من أيدي التونسيين بغير حق أو شرع » وأصلح ميناء حلق الوادي وأقام ترسانة لبناء السفن واصلاحها . وبعد فترة عزلة سياسية تولى ما يماثل في أيامنا منصب نائب رئيس الوزراء في عام ١٨٦٩ وكان لقبه الوزير المباشر ، ثم أصبح الوزير الأكبر (رئيس الوزراء) في عام ١٨٧٣ لمدة اربعة أعوام . كما قام خيرالدين بعدد من المهام الدبلوماسية في أوربا وبالمفاوضة باسم بلاده .

وكلاهما تعرف على أوربا والنهضة الأوربية بشكل مباشر من خلال معايشة المجتمعات الأوربية لفترة ممتدة من الزمان . فالطهطاوي قضى عدة أعوام في باريس ، وكذلك خيرالدين الذي قضى فيها اربعة اعوام (١٨٥٢ ـ ١٨٥٦) ممثلا لتونس في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية ، كما سافر الى المانيا وايطاليا والسويد وبروسيا وبلجيكا والدنمارك وهولندا .

وقد مكنته هذه الزيارات من الاقتراب من المجتمع الأوربي ومراقبته عن كثب ، ومتابعة حياته اليومية والتعرف على اسباب قوته وبواعث نهضته ، والمقارنة بين أوربا والبلاد الاسلامية ، والتأمل في كيف يمكن انتشال العالم الاسلامي من وهدة التخلف



خير الدين التونسي .. أحد أعلام الفكر العربي في القرن التاسع عشر .. بريشة سلمان المالكي

التي كان قد ركن اليها . وكما فعل الطهطاوي نجد خيرالدين يصف لأهله اوربا ومؤسساتها ونظمها شارحاً لهم ما انتهى إليه حالها من تقدم وازدهار .

وكلاهما جمع في تفكيره بين ثقافة الاسلام وفقهه وشريعته ، وبين الفكر السياسي والاجتماعي الحديث . لذلك نجد في كتابات خيرالدين اقتباسات واشارات من ابن خلدون وابن العربي والماوردي كما نجد من تيير ومونتسكيو وبليبيوس .

وكما تأثر الطهطاوي باستاذه الشيخ حسن العطار احد رواد الاصلاح الفكري في الأزهر الشريف ، تأثر خيرالدين بالعلامة التونسي الشيخ محمود قبادو الذي عمل معه في مقتبل حياته في مكتب العلوم الحربية ، وعرف منه أهمية العلم والعلوم ، وأنه لا سبيل لنهضة البلاد الاسلامية إلا بتبني العلوم الحديثة والتعرف على تقدمها واقتباسها من الأوربيين . وضمن قبادو هذه الأفكار في مقدمة كتبها لترجمة كتاب فرنسي عن التعبئة العسكرية .

وواجه كلاهما نفس السؤال ونفس التحدي . السؤال هو لماذا تأخر الشرق وتقدم الغرب ؟ والتحدي هو كيف يدخل العالم الاسلامي العصر الحديث ، ويتسلح بعلمه ، ويشارك في نهضته دون أن يتنازل عن تعاليم الدين وقواعده ؟

وكلاهما اختلف مع الحكام لفترة وانعزل عن العمل العام ، فالطهطاوي لم يجد لنفسه مكاناً في عهد عباس الأول ورحل الى السودان ناظراً لإحدى مدارسه . وفي حالة خيرالدين تكالب عليه اصحاب المصالح والغايات فعزل من منصبه الوزاري لأول مرة لمدة سبع سنوات (١٨٦٢ـ ١٨٦٩) وعلق على ذلك خيرالدين بقوله : « لقد حاولت أن أسير بالأمور في طريق العدالة والنزاهة والاخلاص فذهب كل مسعاي سدى ، ولم أشأ أن أخدع وطني الذي تبناني بتمسكي بالمناصب » .

وعندما تدهورت الأوضاع في تونس استدعاه الباي مرة أخرى للمشاركة في الحكم في عام ١٨٦٩ ثم عزله مرة أخرى في عام ١٨٧٧ ، وفرض عليه العزلة وعدم مخالطة الناس ، فسافر خيرالدين الى القسطنطينية في نفس العام وهناك عينه السلطان عبدالحميد في عام ١٨٧٨ وزيراً للدولة ثم اصبح « الصدر الأعظم » (رئيس الوزراء) في الدولة العثمانية ، وكما حدث في تونس سرعان ما انقلب عليه السلطان ولم يساير برامجه الاصلاحية فعزله بعد ثمانية شهور . وعاش خيرالدين في تركيا حتى مات في عام ١٨٨٩ .

اقوم المسالك

عاش خيرالدين في فترة شهد المجتمع التونسي فيها تغيرات هامة وحاسمة ، فقد تدهورت الأوضاع الاقتصادية والسياسية ، وغرقت تونس بسبب اسراف حكامها في ديونها ، وكما حدث خلال عهد الخديوي اسماعيل في مصر ، فقد عجزت تونس عن تسديد قروضها ، وأعلن افلاسها ، ثم اقترحت الدول الأوربية انشاء لجنة دولية للاشراف على مالية تونس تقوم بتوحيد الدين وتحديد الفوائد وإدارة المرافق التي خصصت لتسديد الدين .

شهد خيرالدين هذه التطورات عن قرب كمسئول ، وسعى للاصلاح بقدر الامكان ، وحاول أن يحافظ على استقلال بلاده في مواجهة اطماع الدول الأوربية ، وكان يقارن بين ذلك وبين ما شاهده في اوربا . لذلك عندما عزل من منصب الوزارة في المرة الأولى عكف على الكتابة واخرج لنا كتاباً بعنوان « أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك » الذي يعد أحد مفاخر الفكر العربي في القرن التاسع عشر . صدر الكتاب في عام ١٨٦٧ وفي العام التالي صدرت ترجمة

فرنسية بعنوان الاصلاحات الضرورية للدولة الاسلامية ، واعيد طبع مقدمة الكتاب باللغة العربية في القسطنطينية في عام ١٨٧٦ ، ثم بالتركية في عام ١٨٧٨ ، اما الترجمة الانجليزية فقد صدرت في عام ١٩٦٧ .

وعلى نهج ابن خلدون الذي لخص افكاره الرئيسية في « المقدمة » فان أقوم المسالك يتكون من مقدمة يشرح فيها خيرالدين آراءه في أسباب تأخر الدول الاسلامية ووسائل تحقيق نهضتها ثم يعرض نظمها السياسية والاجتماعية وقوتها العسكرية وطرق تنظيم ماليتها ، فعرض لاوضاع الدولة العثمانية وفرنسا وانجلترا وروسيا والمانيا وايطاليا واسبانيا والبرتغال وهولندا والدانمارك وبلجيكا وسويسرا واليونان فكان كتابه أقرب ما يكون الى عرض مقارن لاوضاع البلاد الأوربية حتى يتسنى للقارئ العربي أن يقارن بين هذه البلاد بعضها وبعض ويفاضل بين النظم والمؤسسات الموجودة في هذه البلاد . والأهم من ذلك كان يهدف الى أن يجعل قارئه يقارن بين هذه الأوضاع والنظم وما هو قائم في البلاد الاسلامية .

العدالة والحرية والعلم

يحدد خيرالدين سببين لتأليف كتابه : احدهما اغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة الى حسن حال الأمة الاسلامية وتنمية اسباب تمدنها « وثانيها » تحذير ذوي الغفلة من عوام المسلمين عن تماديهم في الإعراض عما يحميهم من سيرة الغير الموافقة لشرعنا « بعبارة أخرى فقد كان له هدف مزدوج : أن يدعو رجال السياسة والعلم في البلاد الاسلامية الى تبني اسباب النهضة والتقدم على غرار ما فعلت أوربا ، وأن يحذر عوام المسلمين من الاستمرار في رفض أسباب التقدم التي تتفق مع الدين بدعوى أنها صادرة عن ابناء الديانات الأخرى .

طرح خيرالدين سؤالاً جوهرياً : ما هو



خيرالدين التونسي

مصدر القوة العسكرية والاقتصادية ؟

وأجاب بأن القوة المادية ـ العسكرية والاقتصادية ـ تقوم على التعليم ، وهو بدوره يستند الى المؤسسات التربوية والتعليمية ، وهذه لا تزدهر بدون المؤسسات السياسية التي تقوم على العدالة والحرية . فالحرية تطلق امكانات الأفراد وتدفعهم الى العمل لأنهم يضمنون أن عائد عملهم سوف يعود لهم ، والحرية هي التي توجد الجو الملائم لانتعاش الفكر وتجديد العقل وانتشار المعرفة والجامعات والمكتبات .

وحدد خيرالدين مفهومه للحرية في أنها الحرية الشخصية والحرية السياسية . اما الحرية الشخصية فتعني « اطلاق التصرف للانسان في نفسه وكسبه ، مع أمنه على نفسه وعرضه وماله ، ومساواته لأبناء جنسه في الحقوق والواجبات » ، وأما الحرية السياسية فتعني « مشاركة المواطنين في أمور الحكم وصنع القوانين » .

ويعود خيرالدين الى التاريخ لايضاح أن العدل والحرية كانا أساس الدولة الاسلامية ، وبهما انصلحت أحوال أوربا في العصر الحديث ويقول : « عدل وحرية يتبعهما عمران .. وظلم واستبداد يتبعهما خراب » ، ولكي يضمن المجتمع استمرار العدل والحرية يجب أن ينشئ المؤسسات والنظم ويصدر القوانين التي تضمن ذلك ، وطريق ذلك هو الشورى والمجالس النيابية . وأن سلطة الحاكم لابد أن تكون مقيدة بأمرين : الأول هو الشريعة أو الدستور ، والثانية هو المشورة . وأن النظم السياسية الأوربية تقوم على ثلاثة : مبادئ المسئولية الوزارية والحد من سلطة الحاكم بواسطة البرلمان وحرية الصحافة .

والعدالة والحرية لا يمكن استمرارها بدون العلم ، فالعلم لا يتعارض مع الشريعة بل أنه يتسق مع روحها وجوهرها . ويناقش خيرالدين الرأي الذي ساد بين المسلمين بأن كل ما هو صادر عن أوربا حرام لا يجوز اقتباسه أو تبنيه لأنه مخالف للشريعة .

ويقول خيرالدين إن الاسلام لا يمانع من النظر لما عند الأمم الأخرى ، وأن الحق لا يعرف بالناس ولكن بالحق يعرف الناس . وأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيثما وجدها ، وأن المسلمين الأوائل اخذوا من الأقوام المجاورة ما يدعم الدولة الاسلامية ويقوي شوكتها ولم يترددوا في اقتباس ما يفيدهم من مؤسسات أو نظم ، حيثما كان وممن كان .

وينتقد اولئك الذين لا يريدون أن يأخذوا من المدنية الغربية جانبها المفيد وهو تنظيماتها ومؤسساتها العلمية والتعليمية والسياسية ، بينما اخذوا منها الملابس والأثاث والمخترعات وأسباب الترف . اي انهم بعبارة أخرى يريدون أن ينتفعوا ويستهلكوا نتاج هذه المدنية دون أن يشاركوا في العملية العقلية والعلمية التي أدت اليها .

شروط الاصلاح

علمت الخبرة والممارسة الواقعية خيرالدين أن الاصلاح ليس بالأمر اليسير ، وأن هناك قوى عاتية تعارضه وتضع العراقيل أمامه ، وأن للاصلاح شروطاً ومقومات .

أول هذه المعوقات : هو النفوذ الأجنبي وتدخل الدول الأوربية في شئون البلاد الاسلامية للحيلولة دون نهضتها وادخال وسائل الاصلاح فيها ، وللسيطرة عليها واستغلالها . فانتقد الامتيازات الأجنبية التي يتمتع بها رعايا الدول الأجنبية وأنه

تم التوسع في هذه الامتيازات دون مبرر.

وثانيها: اتفاق العلماء مع رجال السياسة، فيقول خيرالدين إن أحد عوائق تقدم العالم الاسلامي أن هناك «رجال دين يعلمون الشريعة ولا يعلمون الدنيا، ورجال سياسة يعرفون الدنيا ولا يعرفون الدين ويريدون أن يطبقوا النظم الأوربية بحذافيرها من غير رجوع الى الدين». فهناك اصول للدين يجب أن تراعى، وهناك أمور جديدة لم ينص عليها تقتضيها مصالح الأمة ينبغي أن تقاس بمعيار المصلحة والمنفعة العامة ويعمل فيها العقل.

وثالثها: صلاح الحاكم والتزامه بالشورى، فالمجتمع المسلم لا ينصلح الا بالنظام الشورى الذي يجعل الحاكم مسئولاً. ويربط خيرالدين بين ذلك وضرورة أن يكون الاصلاح ملائماً لأحوال المجتمع ومسايراً لظروفه فيقول: «فالوطن في حاجة الى أبسط قواعد الادارة. وانه لمن خطل الرأي أن تقام له مؤسسات وهو على تلك الحال. فيها تفخيم وفيها أبهة وليس لها جدوي. فما هي جدوى المجلس الأكبر، وما هي جدوي المحاكم العليا، وملك البلاد غير صالح لانه غير عادل».

اصلاحات خيرالدين

عندما تولى خيرالدين منصب الوزير الأول في تونس حاول تطبيق افكاره الاصلاحية، فنظم عملية جمع الضرائب، وألغى الضرائب الجائرة وأوقف الحملات العسكرية لتحصيل الضرائب بالقوة، ونظم الجمارك، ووضع ميزانية الدولة بشكل دقيق وأنشأ السجلات للصادر والوارد لضبط مراسلات الدولة، وحدد مخصصات ثابتة للقصر وللحاكم، ونظم الأوقاف، ودقق في اختيار موظفي الحكومة ومراعاة الأمانة فيهم، وبدأ في اعادة تنظيم القضاء.

خارجياً ــ سعى خيرالدين الى توثيق العلاقة مع الدولة العثمانية وتأكيد صلة تونس بها كإيالة عثمانية وذلك لوقف اطماع ايطاليا وفرنسا في تونس.

ولكن جهاد خيرالدين الأكبر كان في مجال نشر العلم والعلوم وتمثل ذلك في أربعة مجالات رئيسية:

أولها: انشاء المدرسة الصادقية في عام ١٨٧٤ بواسطة لجنة رأسها خيرالدين وكان الهدف هو اقامة مدرسة حديثة تهتم بتدريس العلوم الطبيعية والرياضيات والاجتماعيات وكذلك بتدريس اللغات التركية والايطالية والفرنسية الى جانب اللغة العربية بالطبع.

وثانيها: تنظيم واحياء جامع الزيتونة الذي كان المعهد العلمي الرئيسي في تونس وقتذاك، فقام بتحسين مرتبات موظفيه والعاملين فيه، وتنظيم الدرجات والشهادات العلمية، وادخال المواد الحديثة كالرياضيات والطبيعة في مقرراته.

وثالثها: تنظيم المكتبة العامة في تونس بعد طول اهمال، فتم تجديدها وتنظيم فهارسها، وتزويدها بالكتب الحديثة في المجالات العلمية المختلفة والمجالات المتعددة.

ورابعها: تشجيع الصحافة والطباعة والنشر، فتم دعم المطبعة بنشر عدد من الكتب الأدبية والتاريخية وكلف الشيخ المصري حمزة فتح الله الاسكندراني بعملية تصحيح الكتب، وتم اصدار جريدة الرائد بشكل منتظم اسبوعياً، وابتداء من عام ١٨٧٤ اصدرت المطبعة تقويماً سنوياً. وكما فعل الطهطاوي في الوقائع الرسمية قام خيرالدين بتطوير جريدة الرائد فأصبحت تضم قسماً غير رسمي يتضمن الأخبار والتعليقات وأخبار الأقطار الاسلامية الأخرى، ومقالات مترجمة في موضوعات التاريخ والعلوم والجغرافيا والاجتماع كما نشرت بعض المقالات عن الأوضاع في تونس. وكانت هذه المقالات تعد بايحاء من خيرالدين وأحياناً بتحريره.

نهاية حقبة

وتكالب على خيرالدين كل أعداء الاصلاح. الباي لم يعجبه حزم خيرالدين وعدالته وتحديده لمخصصات الدولة والوزراء السابقون وأعوانهم كرهوا محاربته للفساد في الجهاز الحكومي، والدول الأجنبية الطامعة في تونس رأت في مشاريعه واصلاحاته معوقاً لمخططاتهم.

وكأي رجل سياسة، كانت لخير الدين اخطاء ومثالب استثمرها اعداؤه، أبرزها انه أعطى امتيازاً لشركة فرنسية لمد خط سكة حديد بين تونس والجزائر في الوقت الذي كان يعرف فيه اطماع فرنسا في تونس بعد احتلالها للجزائر، وأنه عندما جاء للوزارة في المرة الثانية وجد الدستور (عهد الأمان) وقوانين الشورى معطلة ولم يعمل على اعادتها.

ويقول خيرالدين: «آل أمري إلى الاضطرار من الخروج (من الوزارة) وأن ترتب عليه ما حصل لنا من الصعوبات بمنع الناس من مخالطتنا، ولم اتحصل على الحقوق البشرية الواجبة شرعاً وطبعاً، مع أن ذلك وقع في حق رجل تقلب في سائر رياسات الحكومة وحصل على يده مصالح حسب الوسع ويسوغ له أن يقول حكاية للواقع أنه باعانة الله وحمايته حمى وحده مدة وزارته جميع السكان من الظلم والتعدي عليهم».

وبعد سفره تفرقت مجموعة الرجال الذين شكلوا قوة الدفع لحركة الاصلاح والذين التفوا حوله. فالشيخ محمد بيرم مؤلف «صفوة الاعتبار» (٥ أجزاء في تاريخ تونس وعلاقتها بفرنسا وبالدولة العثمانية) فارق البلاد ونقل أهله الى مصر، والوزير حسين سافر الى ايطاليا، والوزير رستم سافر الى مصر وتركيا ثم مات في الاسكندرية، ومدير المدرسة الصادقية محمد العربي زروق رحل الى تركيا ومات بالمدينة المنورة. أما محمد السنوسي مؤلف مسامرات الظريف بحسن التعريف (تراجم لمشاهير التونسيين) والرحلة الحجازية (٣ اجزاء في وصف ايطاليا وتركيا والحجاز وسوريا ومالطة وكذا مجموعة تراجم) فقد انقطع عن العمل العام واحتجب.

وهكذا طويت صفحة أحد رجال الاصلاح في القرن التاسع عشر.

علي الدين هلال

أصيلة

عرس الألوان.. في مهرجان

تجربة فنية عالمية في مدينة مغربية

ينعقد كل عام مهرجان فني كبير في مدينة « أصيلة » المغربية ، وهذه رسالة خاصة بالدوحة عن هذا المهرجان العربي العالمي الكبير :

بقلم : شربل داغر



هكذا بدأ الفنانون في مدينة أصيلة في انجاز جدارياتهم التي تزهو بعرس الألوان



الفنانة مليكة أكرناي وبداية (جدارية) جديدة

أصيلة تكشط جلد جدرانها من جديد . تتغادى المدينة المغربية الصغيرة (٤٠ كم عن طنجة) أمام زرقة المحيط الأطلسي . تتغادى بجدرانيات ، تتجاوب ألوانها بين زرقة السماء وبياض البيوت الواطئة . من جديد تدفع أصيلة أشكالها الملونة كعلامة ، كبيرة تلوح بها في سماء العالم الثالث الكالحة والمعتمة . من جديد تزهو بعرس الألوان ، وتوقع نشيدها اللوني أمام جوقة البحر .

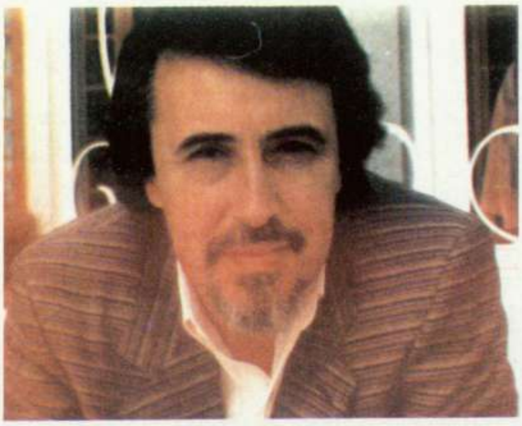
أصيلة باتت معروفة بألوان جدرانها واشاراتها التشكيلية . جدرانياتها هي بطاقة دخولها الى العالم ، الى ضميره ، الى المشهد البصري . أصيلة تخرج من العتمة ، من عتمة الجهل والبؤس ، الى وضوح النهار ، الى رواق الفن . أصيلة تقتحم مشهدنا الثقافي كتجربة نادرة في العالم الثالث ، هذا العالم الذي تشرب بالأمية والجهل الفني والفقر الثقافي . أصيلة تقتحم عيوننا وشوارعها رواق مفتوح ، تبادر الجدارية الفنية فيه مرمى العين يومياً .

• • •

لم يعد المشهد غريباً . لم يعد يستوقف السابحين والسابحات المتجهين والمتجهات صوب البحر ، أثناء مرورهم بالمدينة القديمة ، بالورشة الفنية . كان الفنانون يصبغون الجدران وسط لا مبالاة الجمهور . ا بناء أصيلة عرفوا مثل هذا المشهد قبل سبع سنوات ، ما عادوا يدهشون لهذا الحضور الفني غير الاعتيادي في حياتهم اليومية . الفنانون لا يضطرون هذه المرة ، قبل مباشرة الجدارية أو أثناء العمل فيها ، أن يستوقفوا المارة ويستدعوهم الى حوارات مباشرة حول « اقحام » العمل الفني في البيئة . بات المشهد عادياً ، لا يستنفر وسائل الاعلام ، ولا فضولية المارة . أصيلة



حركة دائبة وعمل جماعى فنى ، من أجل اللمسات الأخيرة فى الجدارية



محمد بن عيسى
رئيس الموسم الفني



الفنان المغربي محمد بناني



محمد المليجي



عبد العليم العمري

اعتادت على جدران ملونة ومصبوغة ، وفارقت جدران البؤس والاهمال .

هل كانت فعلا جدران البؤس والاهمال ؟ في الأمر مبالغة أكيدة ، فجدران المغرب قبل هذه التجربة كانت أشبه بقماشة بيضاء مشدودة ومرفوعة فوق حمالة البيوت ، تنتظر الأشكال والألوان . ذلك أن جدران أصيلة ، مثل جدران العديد من مدن المغرب وقراه ، لا تعرف غير اللون الأبيض لجدرانها ، والأزرق (أو الأخضر الفاتح) لنوافذها وبوابات بيوتها ، وتتناغم في ذلك مع زرقة المحيط وبياضه ، مع زرقة السماء وبياضها ، مثل العديد من المدن المتوسطية . إن تجربة أصيلة ، رغم أنها لم تتكرر في أية مدينة مغربية أخرى ، ليست غريبة أبداً عن المشهد اللوني في البيئة المغربية ، ولا عن محاولات الفنانين المغاربة ، منذ منتصف الستينات ، لإحداث الوعي الجمالي والتشكيلي في الأوساط المدينية بأعمال فنية ذات طابع علني ، ومحمل بآلات الرمزية والاجتماعية .

أصيلة تجربة فنية ، وثمرة أخرى في مسيرة فنية تحاول الكسر من تقاليد الفن الغربي المستجلبة ، وتحاول ، أيضاً تعميم الثقافة الفنية أو تعويد الناس عليها باستحداث وانتحال ... الصدمة الجمالية .

أصيلة في تجربتها الجدارية الثانية لم تحدث صدمة ، ذلك أن سكان المدينة باتوا يتذوقون آثار هذا الحضور الفني اللطيف المجاور لسكناهم بدل أن ينبهروا به بين الخوف (أي الارتياب) والاعجاب (أي الدهشة اللاواعية) . كان على الفنانين المغاربة المشاركين في التجربة الثانية أن يتعرفوا على التجربة الأولى لصباغة جدران المدينة كمن يتعرف على تجربة بعيدة

عنه ، ذلك أنهم لم يعرفوا الحيوية وحرارة المناقشات بين الفنانين أنفسهم ومع سكان المدينة كما عرفوها فنانو التجربة الأولى . وقد تمكن الفنانون من اجراء هذه المقارنة حين تفرجوا على الفيلم الوثائقي الذي أعده الفنان محمد بن عيسى ، رئيس الهيئة المنظمة لموسم أصيلة ، عن التجربة الجدارية الأولى ، فقد أتى الفيلم وثائقياً جداً ، يؤرخ عن فترة مضت ...

أصيلة اعتادت على اللون ، والجدارية باتت مشهدها اللوني اليومي .

أبطال التجربة الجديدة

عشرة فنانين مغاربة في التجربة الجديدة : محمد بناني ، عبدالعليم العمري ،عبدالقادر العرج ، مليكة اكزناي ، عبدالكريم الغطاس ، الشعيبية طلال ، عزيز سيد ، عبدالحي الملاخ ، ابراهيم حنين ، كمال بو طالب . جدارية وحيدة بقيت من الجداريات الأولى ، هي جدارية الفنان محمد المليحي ، بعد أن جرى تجديد صبغها مرة أخرى . وبقي ايضاً من الجداريات الأولى جزء من جدارية بلكاهية ، وهو جزء قائم فوق سطح البيت ، و « مندمج » جداً في المساحة التي يشغرها ، بحيث ما جرت ازالته ، مثلما أزيلت سائر الجداريات القديمة .

ولكن لماذا أزيلت الجداريات السابقة ؟ أما كان من الممكن الابقاء عليها (بعد تجديد صبغها) ، واضافة جداريات جديدة اليها ؟

كان يمكننا طبعاً الابقاء على عدد معين من الجداريات السابقة ، لكننا أردنا اشراك عدد واسع من الفنانين المغاربة في هذه التجربة . الفنانون المغاربة الذين شاركوا في التجربة الثانية هم غير فناني التجربة الأولى . من جهة ثانية ، طرحنا على أنفسنا التساؤل التالي : لماذا لا نتعامل مع جدار أزقة المدينة مثلما نتعامل مع جدار صالة العرض التي تستبدل لوحاتها معرضاً بعد معرض ؟ السؤال مشروع ، خاصة اذا لاحظنا الأمر التالي ، وهو أن الجداريات السابقة ، مثل الجداريات الحالية ، لاترتبط عضوياً بالجدار الذي يحملها الا من ناحية تشكيلية وتصميمية ، أي أنه لاتوجد علاقات من المعاني تربط بين معنى الجدارية والجدار الذي تنهض عليه ، بحيث يصعب علينا إزالة الجدارية .

هذا ما شرحه الفنان محمد المليحي ، المشرف على هذه التجربة .

وإشارة المليحي الأخيرة تفيد في شرح القصد : الجدارية ، هنا ، لا تخلد ذكرى عسكرية ، أو بطلا شعبياً ، أو تقليداً طقوسياً ، بحيث يصعب ازالتها ، حتى لايختل نظام المعاني والقيم عند الجماعة الساكنة قرب هذه الجدارية ، أو التي تقصدها لهذا الغرض ، سكان أصيلة قد « ضجروا » دون شك من الجداريات السابقة ، لفرط ما شاهدوها ، دون أن يستطيعوا تبديلاً لها . في البيت نستطيع تبديل مكان اللوحة ، فنضعها في الصالون بدل غرفة النوم ، أو نستريح من الحاحها علينا بحيث نودعها في مكان أمين ، لكننا لا نستطيع تبديل الجدارية أبداً ...

نستطيع ازالتها فقط . نستطيع رسم غيرها فقط . وهذا ما فعله الفنانون المغاربة العشرة أثناء انعقاد موسم أصيلة الثقافي السابع بين ١٥ تموز (يوليو) و ١٥ آب (أغسطس) ١٩٨٤ .

أزيلت الجداريات القديمة وجرى غالباً رسم الجداريات الجديدة فوقها ، ذلك أن هذه الجدران « استراتيجية » في توزع المدينة الداخلي ، إذ تمثل مواقع حساسة للنظر . هذا يصح في جداريات بناني والعمري والشعيبية والملاخ وحنين ، لانها تقع في نهاية شارع بحيث تثبت أمام عيون المارة أكثر مما لوكانت في أزقة المدينة الملتوية (وما أكثر التواء الأزقة الجميل في أصيلة !) حيث لا نستطيع أن نحاذيها أو أن نواجهها إلا لثوان معدودة جداً ، وفي وضعيات غير طبيعية جداً للناظر ، حيث يقصد الناظر الرؤية تقصداً .

من جديد بدأ بياض جدران أصيلة مثل بياض القماشة المشدودة للمصور الزيتي ، أو مثل بياض الورقة للرسام . من جديد استعدت أصيلة لمغامرة فنية .. مضمونة النتائج سلفاً . فما واجهه الفنانون الأوائل (الرواد إذا جاز التعبير) لم يواجهه الفنانون اللاحقون . في التجربة الأولى شارك الصف الأول من الفنانين المغاربة (محمد المليحي ، فريد بلكاهية ، الابيض ميلود ، عبدالله الحريري ، محمد الحميدي ، محمد شبعة ، موسى الزكاني ، الحسين ميلودي ، سعيد الحساني ، محمد القاسمي وعبدالرحمن رحول ... وهم أعضاء « الجمعية المغربية للفنون التشكيلية » ، وبمبادرة من رئيسها (محمد المليحي) . في التجربة الثانية فتح الموسم المجال للتجارب المغربية الشابة (العمري ، العرج ، اكزناي ، عزيز ، حنين ...) . ثلاثة فنانين معروفين في التجربة الثانية : الشعيبية طلال ، محمد بناني وعبدالحي الملاخ .

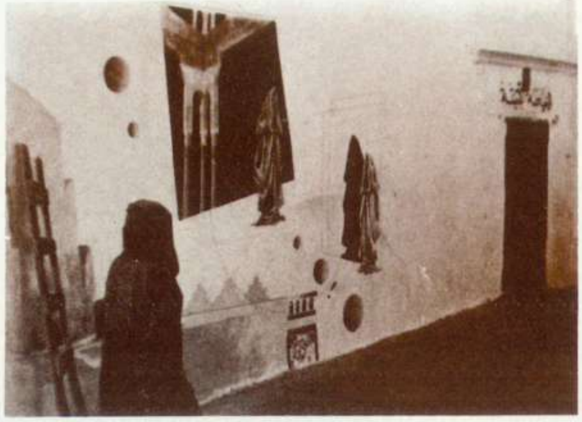
فماذا أنتج الفنانون الشباب أو الجدد بعد جيل « الرواد » ؟

القيمة الفنية للجدارية

ولكن كيف نحاكم الجداريات ؟ بأية مقاييس فنية ؟ أتلك التي تصلح للوحة أو للمحفورة أو للتصميم الفني ؟ من يحدد القيمة الفنية للجدارية طالما أنها لا تخضع ابداً للقيمة المالية — التجارية ؟ الفنان المكسيكي العالمي سيكيروس يعطينا بجملة بسيطة ، مشحونة بالمعاني ، الاجابة على أسئلتنا هذه ، وهو المعروف بطول باعه في فن الجداريات : « يصور فنان الحمالة المسندية (Chevalet) مثل المتحدث ، أما الفنان الجداري فعليه أن يخلف رموزاً مقروءة ، عن بعد ، ومن الجميع » . هذا القول لا يجيب بشكل حاسم على سائر أسئلتنا ، لكننا انطلاقاً منه وباعتماد الطريقة الاستنتاجية ، نستطيع أن نتوصل الى تبيان الأجوبة المختلفة ، التي يحملها هذا القول الفني في مضمونه .

ماذا يفيد هذا القول الفني ؟

يؤكد ، أولا ، على « ابتكار الرموز » . ولكن كيف يمكن اشتراط « الابتكار » اذا



جدارية كمال بو طالب

كانت الرموز لا تصير رموزاً إلا بعد أن يكون قد انقضى عليها ردح من الزمن ، وبعد أن يكون قد أقر الناس بها كرموز ؟ الفنان القدير والمبدع يستطيع إزالة مثل هذا الالتباس .فالفنان « مبتكر أشكال » ، أي ما يمكن أن يصير رموزاً ، في حال توفقه في فرضه أشكاله الفنية المبتكرة وتعميمها على الجماعة . ولكن كيف يتوصل الفنان الى ذلك ؟ ماذا عليه أن يفعل لكي ينتج مثل هذه الرموز ؟ ما هي العوامل التي يجب أن توجهه في انتاج الجدارية ، وهل هي مخالفة للعوامل والاشتراطات التي توجهه في انتاج اللوحة الزيتية أو المحفورة أو الرسم ؟

في الجدارية ، بعكس اللوحة أو المحفورة أو الرسم ، يتوجه الفنان مباشرة الى الجماعة ، أي أن عليه ، بالتالي ، أن ينتج أشكالاً فنية تمتاز بصفتين متلازمتين : أن تكون « مقروءة » من الجميع (أي أن تمتاز بمعنى قوي ، مركز وبسيط بحيث يسهل للجميع التعاطي والتواصل معه ، أي « قراءته ») ، وأن تكون هذه الأشكال الفنية مقروءة « عن بعد » (أي أن تكون ذات شكل فني بسيط بحيث تسهل رؤيته من مسافة بعيدة) . الفنان سيكيروس يركز إذن على عنصرين في الجدارية : الإيحاء المركز (أي قابلية المعنى في أن يصير رمزاً شائعاً) وبساطة التركيب كشكل . بهاتين الصفتين تبتعد الجدارية تماماً عن الاشتراطات التي تناسب اللوحة أو المحفورة أو الرسم ، وبهاتين الصفتين تقترب الجدارية من الملصق الفني (بساطة التركيب وقوة التعبير المركزة) .

لكن هذا القول الفني لا يجيبنا ، بل يغيب عنا أسئلة أخرى ملازمة لفن الجدارية : كيف تندرج الجدارية في البيئة ، لجهة العلاقة بين أشكال وألوان وأحجام الجدارية وأشكال وألوان وأحجام المحيط البيئوي ؟ هل يجب أن تقوم هذه العلاقة على التماثل والتناغم ، أم على التعاكس والتنافر ؟ كيف يراعي الفنان الجداري المسألة التالية : الحاح الجدارية الثابت واليومي على عين المتفرج ــ العابر ؟ والى أي نوع من التواصل يعمل الفنان ؟

إن هذه الأسئلة الجديدة تبقى دون اجابات حاسمة ، ذلك أننا نعتقد بأنها من نصيب الفنان ، ومن حقه في الاختيار والتوجهات الفنية .

طبعاً نحن نستسيغ أكثر الفنان الذي يتجه نحو اقامة تناغم وتكامل بين الجدارية والبيئة المحيطة بها ، لكننا لا نستطيع بالمقابل أن نمنع الفنان من أن يحدث كسراً وفارقاً بين ما اعتادت عليه عيوننا في بيئة ما وبين ما يقترحه علينا في جداريته من أشكال وألوان وأحجام . طبعاً نحن نستسيغ أكثر الفنان الذي يثير فينا عبر جداريته مشاعر العبث والمرح والفرح ، خاصة وأننا سنحاذي ونواجه هذه الجدارية يومياً ، لكننا لا نستطيع بالمقابل (أو بالأحرى يجب أن نمتنع عن ذلك) أن نمنع الفنان من التعبير عن رؤيته التشاؤمية أو الحزينة .

هؤلاء الفنانون وأعمالهم

نتوصل إذن ، الى تعيين أربعة مقاييس فنية ، سنتناول على أساسها الجداريات واحدة واحدة ، وهي المقاييس التالية : بساطة التركيب ، قوة الإيحاء المركزة ، اندراج الجدارية في البيئة ، الهزة الجمالية المنشودة . سنتناول الجداريات تبعاً لنمط توزعها في المدينةبدءاً من مدخلها البحري :

• جدارية محمد بناني : تمتاز الجدارية ببساطة في التركيب ، ذلك أن شكلها الفني لا يقوم على رسم ذي تكوين معقد ، وهو شكل فني تجريدي (دون أية علامات تشخيصية) مستقى من هندسية الزخرفة العربية الإسلامية . يقوم الشكل الفني على حركتين خطيتين تتوزع انطلاقاً منهما المساحات المشغولة بوحدات زخرفية هندسية عديدة . هذا التركيب نجده أساساً في زيتيات بناني منذ عدة سنوات ، وهو « ينقله » هنا الى الجدار . التركيب محكم البناء تتوزع فيه المساحات بشكل جميل ، لكنه لا يتركز حول علاقة شكلية مركزية تستطيع أن تصير رمزاً ما في أحد الأيام . أما قوة الإيحاء في هذه الجدارية فهي لا تقوم على شكل ــ رمز ، يتركز فيه المعنى ، بل على « المناخ » الدافئ والحنون الذي تشيعه الألوان ، فهي ألوان لا حارة ولا باردة ، لا ساطعة ولا قاتمة . إلا أن ما تتميز به هذه الجدارية عن غيرها ، هو أنها تعمد الى اندماج « عضوي » في البيئة المحيطة بها . فالشكل الفني يمتد لكي يشتبك مع باب أحد البيوت ، فيلتف من جدار الى آخر . إلى هذا فان الفنان بناني يعمد الى اقتباس بعض الوحدات الزخرفية الماثلة في الجدران والأبنية المحيطة بجداريته ويوظفها فنياً . جداريته تستدرجنا بنعومة الى تأملها ، إلى الإبحار في تدرجات البني أو الأزرق المعتم . حضورها لطيف ، مندمج ، غير نافر ، لا يرعبنا ولا يبهرنا ، بل يقودنا بطراوة الى عالمها الجميل والقديم .



عندما تتآلف الحروف العربية في تشكيل فني رفيع المستوى في جدارية ابراهيم حنين

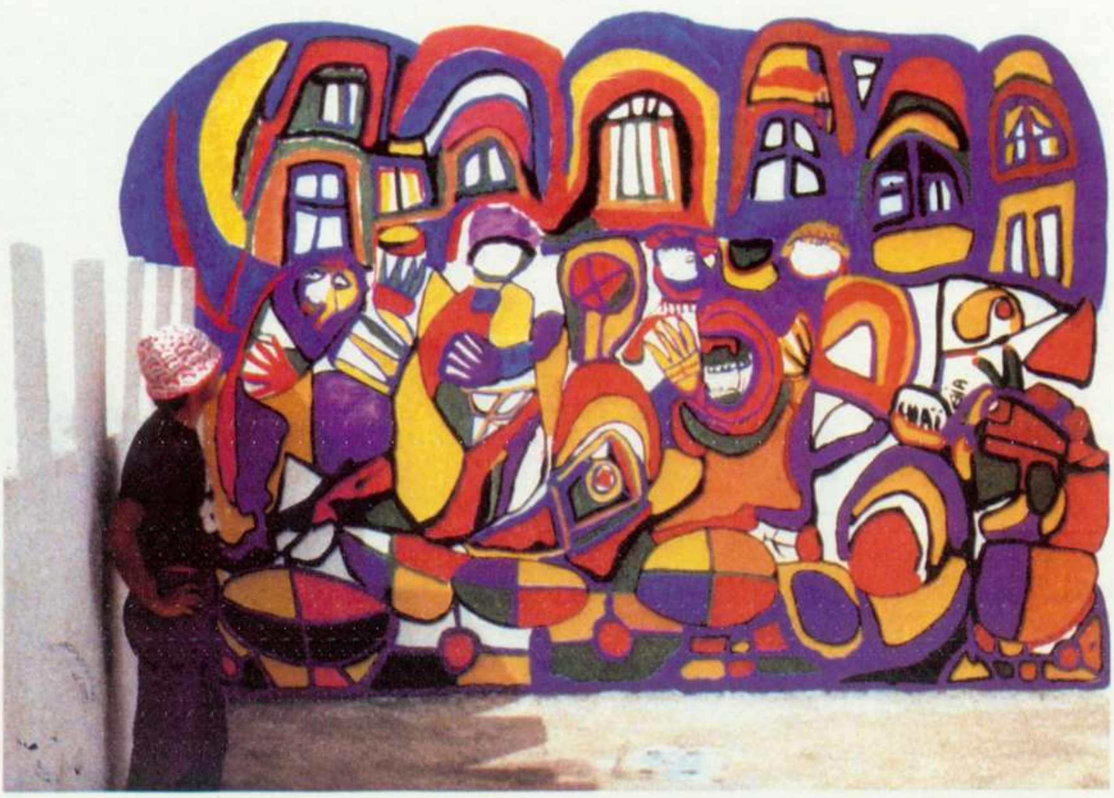
• جدارية عبد العليم العمري : تكاد هذه الجدارية ألا تمت بأية صلة بنوع الجداريات ، بل بأسلوب اللوحات الزيتية . فتركيبها البنائي معقد جداً يقوم على تقاطع عدة مساحات ، وكل مساحة مليئة بعدد وافر من العلامات التشخيصية (أجساد ، أياد ، شرائط ملونة ، امواج ...) . الجدارية مثقلة بالأشكال والعلامات والمساحات ، الأمر الذي يعقد عملية التواصل معها . الى هذا فان الجدارية تنضح ب « درامية » عنيفة يستسيغها العابر ــ الناظر اذا أراد من الجدارية « أن تحرضه ، أن تحضه على رفض الظلم » ، كما توخى الفنان العمري من عمله ، وحسبما شرحه لنا .

• جدارية عبد القادر العرج : هذه الجدارية تتجه بعكس السابقة صوب الحلم ، صوب العالم المتخيل ، حيث تسبح الشخوص في مناخ سحري جميل وأخاذ . شخوص طائرة أو متخاصرة ، تعبد قصوراً بديعة ، وسط تشكيلات حروفية وزخرفية . إنه عالم حلمي وطفولي يبعث فينا مشاعر العبث الطفولي والسفر الهادئ . هذه الجدارية تنقل الناظر اليها الى عالم آخر ، غير العالم الذي يحيط بك ، غير عالم الوقائع والصعوبات .. بدوره العرج« ينقل » الى الجدارية عالمه الخاص الذي كنا نعرفه في اللوحات ... دون أي تعديل . في الجدارية نعثر على تفاصيل فنية دقيقة جداً لا يتعدى حجمها بضعة ميليمترات ، الأمر الذي لا يتناسب مع جدارية يبلغ ارتفاعها أكثر من ثلاثة أمتار ... إنها التفاصيل الفنية الصغيرة كما نجدها في لوحاته ، وبالأحجام نفسها .

• جدارية مليكة اكزناي : نكاد نجد في هذه الجدارية سائر الاشتراطات الفنية التي تفترضها الجدارية . فهي تتألف من شكل فني بسيط : سور بحري تصعد من خلفه تموجات لا تلبث أن تشكل في مخلوقات آدمية ، في وضعيات انسانية طريفة ومرحة . تحتفظ العين بهذه الأشكال ، وتعتاد عليها ، بالإضافة إلى أنها تثير فينا المرح : فتلك تموجات بحرية جاءت في وضعية آدمية تمشي ... متهالكة كالعجوز ، أو تلك الأخرى المستريحة في فتحات السور . مليكة إكزناي أنتجت جدارية « أصيلية » (نسبة لمدينة اصيلة) ، تقوم على التناغم والتكامل مع البيئة المحيطة بها : فالسور الذي نلقاه في الجدارية هو التتمة لسور المدينة البحري (والسوران ، الفني والطبيعي ، لا يبعدان عن بعضهما البعض سوى عدة امتار) ، والتدرجات اللونية للأزرق تتناغم بدورها مع التدرجات اللونية الزرقاء التي نلقاها في البحر والسماء والبيوت المجاورة . إلا أن الفنانة ذهبت بعيداً في الإيهام ، فعمدت الى التصريح المباشر بدل الايحاء الملطف . فجداريتها لا تذكرنا بالبيئة المحيطة بها (شكلاً ولوناً) بل تحاول أن تكون استمراراً لهذه البيئة بدرجة عالية من الايهام .

• جدارية عبد الكريم الغطاس : هذا الفنان الشاب لم يحاول حلماً أو تكاملاً أو استمراراً أو تناغماً مع البيئة المحيطة بجداريته : فاشكاله تشب الى النسق الصناعي ، إذ انها تنقل الينا وحدات وعلامات ، تتوزع بين الأنابيب والأشكال الأسطوانية وغيرها ، الأمر الذي يتعاكس تماماً مع هذه المدينة الصغيرة ، التي تعتمد أساساً على ثروتها السمكية وحرفها المتوارثة . كذلك فانه يستعمل تدرجات لونية من البنفسجي ، الأمر الذي يتعاكس بدوره مع الوان البيئة المحيطة . اذا كان الفنان الغطاس يبحث عن « الصدمة » في الشكل واللون ، فانه قد توصل الى ذلك . فجداريته غريبة ، مخالفة ، لا تذكر ولا تميل أبداً الى البيئة التي تندرج فيها .

• جدارية الشعيبية طلال : الفنانة الشعيبية ما كانت تحتاج لكتابة عبارة « فرحة الموسم » فوق جداريتها لنشعر بهذه الفرحة حقاً ، فجداريتها تشع بهذا الحضور الفرح ، حيث نتبين وجوهاً ضاحكة ، مرحة ، عابثة ، وضعيات مريحة . ولا كانت تحتاج الى توقيع جداريتها لكي نتعرف بسهولة على الأسلوب الفطري الساذج ، الذي اشتهرت به هذه الفنانة في المغرب وخارجه . هي بدورها تبادر الجدارية مثلما تبادر اللوحة أساساً . لهذا لا يفيد أن نخضع هذه الجدارية للأقيسة الفنية التي ذكرناها .



من وحي الحياة والتقاليد الشعبية .. كانت هذه الجدارية

الجدار لم يكن للفنانة الشعيبية غير قماشة بيضاء ، غير قماشة أخرى ، مثل القماشة المشدودة على الاطار ، صاغت فوقها بعفوية وحرية عالمها الساذج والبريء .

• جدارية عزيز سيد : هذه الجدارية تمتاز عن غيرها في أنها تقوم على شكل بنائي بسيط ، يقوم على علامة شكلية مركزية تضبطها وتحدها مساحتان خلفيتان ، بثلاثة ألوان مختلفة . إلا أن هذه العلامات المركزية ليست قابلة للحفظ السريع ، إذ أنها لا تذكر بشكل معروف ، تنطلق منه لتطوره أو لتبدله وتصيغه من جديد . إلا أنها تجيء وفق تركيبة لونية هادئة ومتناغمة ، بحيث يستسيغ العابر رؤيتها . إلا أن هذه الجدارية لا تقع في مكان مناسب لكي يتمتع برؤيتها ، ولمدة طويلة ، عدد كبير من الناس .

• جدارية عبد الحي الملاخ : يتوفق الملاخ بموقع جيد لاقامة جداريته . فالجدار الذي يرسم فوقه هو جدار « أبيض » (أي أنه محدد مثل القماشة) وتقع في وسطه نافذة . أي أن الفنان يستطيع ، مبدئياً ، أن يحقق هدفين : تأليف حر ، وتوظيف هذا التأليف في البيئة ، وهما أمران ما توفرا في آن معاً لسائر الفنانين . الملاخ لم يتأخر عن استغلال وتوظيف هذين الأمرين . فالنافذة كانت نقطة الوسط الطبيعية لشكل الجدارية ، وكانت بالتالي حجر الزاوية . فالجدارية تألفت من ثلاثة مستويات ، تمثل النافذة فيها المستوى المتوسط . تقوم الجدارية على نظام من التقابل : فالمستوى العلوي منها عبارة عن حروف تتعانق بطريقة زخرفية في خلفية لونية واحدة ، والمستوى السفلي تكرار للمستوى العلوي ، وفق تشكيلات حروفية أخرى على خلفية لونية واحدة ومغايرة . التقابل يتحقق ايضاً من على جانبي النافذة بشكل تناظري . الى هذا فان الفنان « أدخل » النافذة (الطبيعية) في عمله ، إذ لونها باللونين ، الوردي والبني ، اللذين نجدهما في خلفيتي المستوى العلوي والمستوى السفلي .

• جدارية ابراهيم حنين : هذا الفنان يتوفق بدوره عند الحرف . جداريته تكوينات وتشكيلات من الأقواس والقباب والحروف . في جهة تنتظم القباب والأقواس التي تذكر ببوابات القصور ومداخلها الجميلة ، وفي الجهة المقابلة الحروف في تراكيب زخرفية جميلة . الجدارية زينة جميلة وتؤدي دوراً تربويا ، ا ذ أن الفنان « يشرح » في زاوية معينة من الجدارية قواعد كتابة حرف الألف بواسطة النقطة . الجدارية متعة للعين و « وسيلة ايضاح » للعابر — المتفرج .

• جدارية كمال بو طالب : هذه الجدارية تستدرجنا اليها فنياً بطريقتين متعاكستين : من جهة ترسم حائطاً وسلماً وسطلاً بكيفية واقعية جداً (هذه العدة ، هل هي عدة الفنان الجداري نفسه حين يرسم جداريته ، أم هي عدة المرأة المغربية نفسها في عملها البيتي ؟) ، ومن جهة ثانية ، وفي الجهة الموازية من الجدارية ، نشاهد امرأة (هي المرأة المغربية التي تحدثنا عنها اعلاه ؟) في مشهد غرائبي ، غير واقعي أبداً ، على أية حال . إن ما تنجح هذه الجدارية فيه هو الايهام المكاني الذي تولده ، لاستعمالها ، بعكس الجداريات السابقة ، للبعد المنظوري (أو المنظور الجوي) : للمرأة ظلها ، والسطل « يستقر » فوق « حافة » (مرسومة) في الجدارية ...



من جداريات (بلكاهية) القديمة

التجربة في الميزان

بعد هذا الاستعراض يمكننا أن نتوصل الى الاستنتاجات التالية : الفنانون المشاركون في هذه التجربة ليسوا فنانين جداريين ، إنها تجربتهم الأولى أصلاً ، فلم يعرف عن أي واحد منهم مشاركته في تجربة مماثلة .

موسم أصيلة يتيح لهم بهذا المعنى مواجهة تجربة فنية جديدة عليهم كلياً ، بما تشترطه وتفترضه من خصوصيات ومميزات . هكذا يمكننا تفسير عملية « النقل » التي أقدم عليها سائر الفنانين المشاركين بكيفيات متفاوتة . فكل فنان منهم « نقل » خبرته الفنية وطريقته الأسلوبية وأبجديته الخاصة في التشكيل (العلامات والألوان) الى الجدارية : فنجح بعضهم في « تطويع » تجربتهم الخاصة وتوظيفها في الجدارية (أو أنهم عملوا وفق هذا الاتجاه على الأقل ، دون أن ينجحوا بالضرورة) ، أما البعض الآخر فهو لم يقم بأي تحديد ولم يطرح أي تساؤل حول شرعية ومدى موافقة عدته السابقة لهذه التجربة الجديدة . بهذا المعنى ، وضمن هذا السياق ، نستطيع أن نؤكد بأن الفنانين « الرواد » « اجتهدوا » أكثر من الفنانين اللاحقين في انتاج جدارية منضوية في البيئة المحيطة بها .

إن الأقيسة الفنية التي حاكمنا على اساسها هذه الجداريات تبدو قاسية قليلاً ، اذ أنها لا تتماشى مطلقاً مع جدة هذه التجربة في المغرب والعالم العربي . ففنانون آخرون ، مغاربة عرب ، ما كانوا ليتوصلوا الى ايجاد حلول تشكيلية مناسبة لتجربتهم الجديدة . إن الأقيسة الفنية التي اعتمدناها تناسب وتجيب على تطور فني حققته التجارب الجدارية عند سيكيروس وغيره من الفنانين المكسيكيين ، وعند فنانين معروفين في بولونيا وفرنسا وأمريكا وانجلترا .

إن ما حققه فنانو أصيلة أساساً هو « اقحام » العمل الفني في البيئة ، أي تعويد الناس على رؤية الأعمال التشكيلية في رواحهم ومجيئهم ، أثناء الذهاب الى العمل او عند العودة من السباحة . وهو هدف تربوي وجمالي فائق القيمة في بلاد ، مثل البلدان العربية أو بلدان العالم الثالث ، هي بأمس الحاجة الى مثل هذه الثقافة الفنية ... المجانية والبشرية . فمهما فعلت الحكومة أو الوزارة لتشجيع مجيء الناس الى صالات العرض ، فان الناس قد لا يأتون في غالب الأحيان ، لأنهم ما اعتادوا على مثل هذا المكان الفني ، ولا خبروه في طقوسهم الفنية العريقة . ولكن ، مع هذه التجربة الرائدة ، الجدارية تغزو مرمى العين ، تنتصب أمامه وتحاوره ، رغماً عنه في حال تمنعه .

جداريات أصيلة : إنها التعليم الفني الالزامي والمجاني . « إذا كان الناس لا يأتون الى المعارض ، لماذا لا نذهب نحن اليهم ، الى بيوتهم ، الى مراكز تجمعاتهم التقليدية حيث اعتادوا أن يكونوا أو أن يلتقوا » ، كان قد أكد الفنان المليحي ، حين دعا عدداً من الفنانين المغاربة في صيف ١٩٧٨ للبدء بتجربة أصيلة .

تجربة أخرى في قطر

في ربيع ١٩٧٨ ، قبل شهور قليلة على تجربة أصيلة الأولى ، توجه الفنانون القطريون الثلاثة : يوسف أحمد ، محمد علي وحسن الملا (المعروفون في حينها باسم « جماعة الأصدقاء الثلاثة ») لتعميم التذوق الفني في مواقع مختلفة من قطر . كانوا يتوقفون في القرى ، يستلهمونها ويرسمونها ثم لا يلبثون أن يعرضوا أعمالهم الفنية هذه على الجمهور في الهواء الطلق ، في أماكن تجمعاتهم التقليدية . بعد نجاح التجربة هذه أعاد الفنانون الثلاثة التجربة ، أثناء شهر رمضان الكريم ، في النوادي ، حيث كانوا يعرضون لوحاتهم المستوحاة بدورها من المناسبة الدينية ومعانيها السامية .

تكاد تكون هذه التجربة القطرية هي المثل الوحيد ، مع أصيلة طبعاً ، لمحاولة عربية في هذا المجال . فنحن نلقى في هذه المدينة العربية أو تلك جداريات فنية ، لكنها لا تتناسب مطلقاً مع الدوافع الفنية التي حركت تجربتا قطر وأصيلة .

إن تجربة أصيلة أتت كثمرة لمسار فني مغربي ، كان قد بدأ منذ ١٩٦٤ باعادة نظر جذرية للمسألة الفنية في المغرب : ففي هذه السنة ، وبمبادرة من الفنانين فريد بلكاهية ومحمد المليحي ومحمد شبعة ، وحميدي وعطا الله ، جرى تعديل نظام المناهج والبرامج في « مدرسة الفنون الجميلة » بالدار البيضاء . في هذه السنة قلب الفنانون الاساتذة النظام في المدرسة رأساً على عقب ، بحيث اطاحوا بأسسه المستمدة من النظام التعليمي الاستعماري . فادخلوا ، مثلا ، مواد جديدة للدراسة ، ولأول مرة ، وهي : الفرافيكية والخط والتصوير الفوتوغرافي ، وأعادوا النظر في علاقتهم بالفنون الشعبيةالمحلية وتدارسوا في كيفية دمج الفن بالبيئة والناس . الفنانون المغاربة أجابوا من خلال « عودة الوعي » (الوطني والقومي) هذه على معضلتين : معضلة مع الذات ، ومعضلة مع الآخر . فهم تحرروا من سيطرة الجمالية الغربية على تصوراتهم الخاصة بالفن عموماً ، وبفنهم العربي ، الاسلامي والمغربي خاصة ، أي انهم اعادوا الاعتبار للفنون المحلية وتخلصوا من رواسب تعلمهم في المدارس الغربية حسب أصول الجمال الاغريقي ، اللاتيني . ومن جهة ثانية ، أدرك الفنانون ايضاً انهم ينتجون فناً منقطع الصلة مع عادات الناس المحيطين بهم .

هكذا خاض هؤلاء الفنانون في عام ١٩٦٩ أولى تجاربهم في اقحام الفن بالبيئة والناس : ففي هذه السنة نصب الفنانون اعمالهم في ساحة « جامع الفناء » بمراكش ، ثم في ساحة ١٦ نوفمبر بالدار البيضاء ، أي في ساحتين تعتاد الجماعة على اللقاء فيهما . « انهم يريدون تجاوز الفن ، بوصفه ممارسة معزولة ومقتطعة عن سائر النشاطات الاجتماعية الأخرى ، ودمجه في الحياة اليومية ، كما كان عليه الحال في الماضي » ، يؤكد محمد السيجلماسي شارحاً المغزى من هاتين التجربتين في كتابه « التصوير المغربي » الصادر بالفرنسية عن منشورات « ارتو » في ١٩٧٢ .



تجريد .. للفنان عزيز سيد

إن النتيجة الفعلية لمثل هذه التجربة المتكررة ، وفي السنة نفسها ، لم تعرف فعالية أكيدة ، إلا على المستوى الرمزي . فنحن لا نستطيع التأكيد أبداً بأن عرض أعمال محددة . لأيام محددة ، وفي ساحة ، مهما كانت حاشدة ، قادر على تعويد الناس المارة على الممارسة الفنية ، أمام كتل شعبهم العمومية ، يتطهرون ويعلنون أمام الملأ انتسابهم الى هموم الجماعة . هذه التظاهرة المتكررة تعني وتوفر صلحاً مع النفس ومع تصورات هؤلاء الفنانين للصيغة الفنية المندمجة في بيئتها المحلية .

تجربة العرض الجماهيري كررها ايضاً طلبة مشغلي التصوير (بادارة م . حميدي) والديكور (بادارة ا . عطا الله) في « مدرسة الفنون الجميلة » بالدار البيضاء ، الذين عرضوا في الهواء الطلق في صيف ١٩٧٢ في « ساحة الأمم المتحدة » بالدار البيضاء ، كما جرت تجارب مماثلة في ثانويات بالدار البيضاء أيضاً . كذلك فان الفنان عبدالله الحريري والفنانة ڤير اليريني لم يتأخرا عن عرض اعمالهما في غرف « البنك الشعبي » بالدار البيضاء في ١٩٧٢ .

إن قيمة هذه التجربة بديهية : إنها المرة الأولى التي يقترح فيها فنانون واعون مساحة جديدة للتواصل الاجتماعي لجمهور يجد في هذه المساحة المكان الطبيعي لتبادلاته » .. يؤكد ذلك الباحث التونسي محمد عزيزة في كتابه « التراث الثقافي والابداع المعاصر في أفريقيا والعالم العربي » الصادر بالفرنسية تحت اشرافه عن دار « المنشورات الافريقية الجديدة » بداكار في ١٩٧٧ . أصيلة ، اذن ، تنتسب بشكل طبيعي الى هذا التاريخ الفني ، الى هذه الاجابات الجديدة والمتجددة حول السؤال ذاته : كيف يصبح العمل الفني شأناً طبيعياً للعين العربية ؟ وكيف يمكن مواجهة هذه العين إذا كنا لا نستطيع استدراجها أو اذا كانت لا تلبي دعواتنا وبطاقات زيارة المعارض ؟

أصيلة تثير الأسئلة الصحيحة والضرورية ، حتى حين لا تحسن الاجابة عليها ، فكيف اذا توفقت بالاجابة !!!

شربل داغر
باريس

امكن حديثا تصنيع لقاح يحتوى على اجسام مضادة ضد الفيروس « ب » . وقد ثبتت فعاليته فى الوقاية من المرض لمدة تصل إلى ٨ أشهر بعد حقنه . كما أن استخدامه يحد من حدوث المضاعفات . وتشير الأبحاث إلى أن استخدامه فى الأطفال المولودين لأمهات مصابات بالفيروس « ب » يبشر بنتائج مشجعة .

يؤكد ذلك التقارير الصادرة عن أحد المراكز المتخصصة فى الولايات المتحدة الامريكية . التقرير يقول أن نسبة الاصابة بالتهاب الكبد الفيروسى انخفضت إلى ٢٦,٥ لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة بعد أن كانت ٣٣,٦ لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة سنه ١٩٧١

ماذا تعرف عن المرض الذي يقتل الآلاف كل يوم؟



مريض بالتهاب الكبد الفيروسى

آخر التقارير الطبيّة تعلن :

التهاب الكبد الفيروسي أمكن السيطرة عليه !

بقلم : الدكتور سامي عزيز

يعتبر الكبد اكبر غدة فى جسم الانسان ، وهو يحتل الناحية اليمنى لتجويف البطن اسفل الحجاب الحاجز مباشرة . ويصل وزنه فى الشخص البالغ ١٥٠٠ جرام ، ويتميز الكبد فى الانسان الى فصين : فص كبير أيمن يمثل معظم الكبد وفص صغير أيسر . ويصل الدم إلى الكبد عن طريقتين هما الشريان الكبدى الذى يتصل بالكبد من وجه السفلى حاملا اليه الدم المؤكسد ويجاوره الوريد البابى الذى يحمل اليه الدم غير المؤكسد (من الأمعاء ، والطحال ، والبنكرياس والحوصلة الصفراوية ، والمعدة) .. ويحدث اختلاط للدم المؤكسد وغير المؤكسد داخل وحدات خلايا الكبد ويخرج الدم من الكبد عن طريق الأوردة الكبدية التى تصب فى الوريد الأجوف السفلى الذى ينقله إلى الناحيه اليمنى للقلب . وتقدر كمية الدم التى تمر فى الكبد بحوالى ١٥٠٠ مللى لتر كل دقيقه . أى مايقرب من نصف كمية الدم التى تمر فى الوريد الأجوف السفلى الى القلب . ويساهم الشريان الكبدى بحوالى ٣٥٪ من كمية الدم الكلية المارة للكبد .

وتقوم خلايا الكبد بافراز السائل المرارى

● ماهي الفيروسات المسببة للالتهاب الكبدي ؟
.. وما الفرق بين الفيروس "أ" والفيروس "ب" ؟
● الحامل .. هل يتأثر جنينها بالفيروس "ب" ؟
● ما الجديد في الفحص المعملي لتشخيص المرض ؟
● هل للإصابة بالفيروس "ب" مضاعفات ؟

الذى يتجمع فى قنوات مرارية صغيرة تتحد مع بعضها وتخرج من الوجه الأسفل للكبد على هيئة قناتين مراريتين يتحدان فى قناة واحدة وهذه القناة تستقبل القناة المرارية الآتية من المرارة التى تعمل كمخزن للسائل المرارى . وتنتهى القناة المرارية المشتركة فى الاثنى عشر (شكل رقم ١)

وللكبد وظائف حيويه اهمها :

• تخزين الجلوكوز فى خلاياه على هيئة الجليكوجين الذى يعتبر من المصادر الهامة للطاقة عند الحاجة .

• بناء المواد البروتينيه التى تساعد فى بناء الأنسجة المختلفة .

• حرق المواد الدهنية للحصول على الطاقة فى أحوال معينة .

• تصنيع الكوليسترول وعوامل تجلط الدم .

• جهاز وقائى هام ضد السميات المختلفة

• تصنيع املاح الصفراء التى تساعد على هضم المواد الدهنيه .

• تخزين فيتامين ب ١٢ ، وفيتامين ا ، ء ، هـ ، ك ، وعنصرى الحديد والنحاس .

ويرجع الالتهاب الكبدى الحاد إلى العديد من الأسباب اهمها :

١ ــ الاصابة بالفيروس «أ»

٢ ــ الاصابة بالفيروس «ب»

٣ ــ الاصابة بفيروس تم عزله حديثا وهو لا يحمل صفات «ا» ولا صفات «ب» ويسميه البعض بالفيروس «جـ»

٤ ــ الحمى الصفراء ، الحصبة الالمانى ، الاصابة بفيروس الهربس وغيرها ولكن أهم هذه الأسباب هى الاصابه بالفيروس «ا» أو الفيروس «ب»

الالتهاب الكبدى بالفيروس «ا»

يعرف ايضا بالالتهاب الكبدى المعدى لأن العدوى تتم عن طريق الفم بواسطة الأكل أو الشرب الملوث بالفيروس «ا» . ومدة حضانة هذا المرض قصيرة فهى مابين ٢ الى ٦ أسابيع (فترة الحضانة هى المدة بين دخول الفيروس الجسم وظهور اعراض المرض) . والاصابة بالفيروس «ا» تعطى المريض مناعة محدودة تقيه من تكرار الاصابة بالالتهاب الكبدى المعدى ، ولكنه يظل عرضة للاصابة بالفيروس «ب» .

وتنتشر الاصابةبهذا المرض فى الأحياء الشعبيه المزدحمة وخاصة المناطق المحرومة من الصرف الصحى حيث يكون لتراكم البراز والفضلات وانتشار الذباب وعدم اتباع القواعد الصحية والجهل بها اكبر الأثر فى انتشار العدوى بهذا المرض . لذلك فالمرض اكثر انتشارا فى دول العالم الثالث بالمقارنة الى الدول الغربية كما أن الاصابة فى الأطفال اكثر منها فى الأشخاص البالغين والمسنين .

ويوجد الفيروس «ا» على هيئه بللورات طولها ٢٧ نانومتر (واحد نانومتر = ق . م . = $\frac{1}{9^{10}}$ متر) ويمكن رؤيتها بالميكروسكوب الالكترونى بعد اعداد وتجهيز خاص للعينة المراد فحصها . ويظهر الفيروس فى براز المريض بعد الاصابه به مباشرة وقبل ظهور أية تغيرات فى اختبارات وظائف الكبد ،



الطبيب أثناء الفحص الأكلينكي لكبد المريض

ويختفى ظهور الفيروس فى البراز مع ظهور اصفرار صلبة العين . ومع ظهور الصورة الاكلينكيه للمرض تظهر الأجسام المضادة فى الدم ، وقد تستمر لعدة اعوام مما يعطى المريض مناعة ضد تكرار الاصابة به (شكل رقم ٢) .

ولا تختلف الصورة الاكلينكيه لهذا المرض عن الالتهاب الكبدى الناتج عن الاصابة بالفيروس «ب» . ولكن تتميز الاصابة «ا» بندرة حدوث المضاعفات اذ أن الشفاء التام هو القاعدة وخاصة فى الأطفال كما أنه لايوجد حامل للمرض.

الالتهاب الكبدى بالفيروس « ب » .

ويسمى ايضا بالالتهاب الكبدى المصلى . اذ تتم العدوى عن طريق تيار الدم وقد يتم ذلك بوسائل مختلفة اهمها :

١ ــ نقل الدم أو أحد مشتقاته من حامل للمرض .

٢ ــ استخدام محقن ملوث بالفيروس «ب» لذلك ينتشر المرض بين مدمنى الهيروين .

٣ ــ الوشم .

٤ ــ العمليات الجراحية الصغيرة مثل خلع الأسنان وغيرها بآلات غير معقمة .

٥ ــ انتقال العدوى من الأم الى جنينها عن طريق المشيمة .

٦ ــ تكثر الاصابة بين العاملين فى المستشفيات وخاصة فى حجرات العمليات والمعامل وبنوك الدم ووحدات الكليه الصناعية وأطباء الأسنان .

وقد اشارت الأبحاث الى ان العدوى بالفيروس « ب » قد تنتقل بطرق أخرى . كما أن بعض الأبحاث التى اجريت فى غرب افريقيا تشير إلى امكانية انتقال العدوى عن طريق البعوض وبق الفراش وغيرها من الحشرات ، وربما استطعنا فى المستقبل تأكيد الدور الذى تلعبه الحشرات فى انتقال الاصابة بالفيروس « ب » فى المناطق الاستوائيه .

ويتميز المرض بطول مدة الحضانة (من ٦ أسابيع إلى ٦ أشهر) والفيروس المسبب للمرض لايترك الدورة الدموية لذلك لا يمكن اكتشافه فى براز المريض كما هو الحال فى الفيروس «ا» .

الفيروس «ب» : أمكن عزل ثلاثة اشكال للفيروس «ب» من امصال دماء مرضى الالتهاب الكبدى المصلى : (شكل رقم ٣) .

١ ــ جزيئات كروية قطرها ٢٢ ق . م .

٢ ــ اشكال انبوبيه أو خيطيه قطرها ٢٢ ق . م . ولكن قد يصل طولها إلى ٢٠٠ ق . م .

٣ ــ جزيئات كبيرة كروية يصل قطرها الى ٤٥ ق . م . (وتسمى جزيئات دان) وتتكون من : .

ا ــ غلاف خارجى يحتوى على « الجسم الغريب للكبسولة »

ب ــ نواة داخليه قطرها ٢٧ ق . م . تحتوى على « الجسم الغريب لقلب الفيروس »

ويتحمل الفيروس « ب » درجات الحرارة حتى ٣٧ درجه مئويه ولمدة ٦٠ دقيقه ولكن درجة ثباته تقل عند ٦٠ درجه مئويه . وعند درجة ١٠٠ مئويه ولمدة ١٠ دقائق (درجة غليان الماء) ينحل الفيروس « ب » ولكن « الجسم الغريب للكبسولة » يبقى . وهذا الجسم الغريب يظل ثابتا فى الوسط الحمضى لمدة ٦ ساعات كما ان الجسم الغريب للكبسوله لا يتأثر عند تعرضه للأشعة فوق البنفسجيه وتبقى قدرته على احداث المرض . ومن هنا كانت الضرورة إلى استخدام المحاقن المصنوعة من مادة البولى ايثلين التى تستخدم مرة واحدة وتعدم بعد ذلك اذ ان غليان المحاقن المصنوعة من الزجاج لا يعنى الأمان الكامل من الاصابة بهذا الفيروس .

اصابة الحامل بالفيروس « ب » .

اثبتت الدراسات التى اجراها زوكر مان سنة ١٩٧٩ أن :

١ ــ اصابة الحامل بالفيروس « ب » فى الثلاثة أشهر الأخيرة للحمل غالبا مايصاحبها انتقال الفيروس إلى جنينها فى ٧٦٪ من الحالات .

٢ ــ الاصابة بالفيروس فى الستة شهور الأولى للحمل يصاحبها انتقال الفيروس إلى الجنين فى ١٠٪ من الحالات .

والحقيقة ان انتقال الفيروس إلى الجنين لا يعنى بالتالى حدوث التهاب كبدى . اذ ان الالتهاب الكبدى فى المولود لا يحدث الا فى ٢٪ من كل هذه الحالات . وتجدر الاشارة إلى ان اصابة الحامل بالفيروس « ب » لا يصاحبها حدوث تشوهات خلقيه أو اجهاض أو موت الجنين فى الرحم ، ولكن قد يؤدى الى ولادة مواليد دون المعدلات الطبيعيه للوزن .

وقد ينتقل الفيروس « ب » من الأم إلى طفلها عن طريق الرضاعة وذلك عن طريق :

١ ــ لبن الثدى : امكن عزل الفيروس من حليب الأم المصابة بالفيروس « ب » .

٢ ــ وجود جروح حول حلمة الثدى يخرج منها الدم حاملا الفيروس فيصاب الرضيع عن طريقها .

لذلك يستحسن عند اصابة الأم بالفيروس « ب » ان تتوقف عن ارضاع طفلها حتى لا يصاب بالفيروس .

الصورة الاكلينكيه للمرض

الصورة الاكلينكيه تكاد تكون واحدة عند الاصابة باى من الفيروس « ا » أو الفيروس « ب » أو الفيروس الذى تم عزله حديثا « جـ » .

ويمكن تقسيم الصورة الاكلينكيه للمرض الى قسمين اساسيين :

اولا : نوع لايصاحبه اى اصفرار (يرقان)

غالبا ما يحدث هذا النوع فى الأطفال اثناء انتشار الأوبئه ويكون المرض فى صورة اسهال أو نزلة معوية . وقد يصاحب ذلك تضخم مؤلم فى الكبد .

ثانيا : النوع المصحوب بالاصفرار (اليرقان)

ويمر هذا النوع فى ثلاث مراحل :

١ ــ مرحلة ماقبل اليرقان : وتستمر

لمدة ٣ ـ ٩ أيام . وتبدو فى صورة مشابهة للاصابة بالانفلونزا حيث ترتفع درجة الحرارة مع حدوث صداع ؛ توعك عام فى الصحة ؛ آلام فى العضلات والمفاصل ؛ فقد الشهية للأكل والتدخين، بل ان استنشاق دخان السجائر يجعل المريض يشعر بالغثيان . وقد يشعر المريض بألم فى أعلى البطن (فى منطقة فم المعدة وربما حدوث قئ متكرر . وفى نهاية هذه المدة يتغير لون البول (يصبح بلون العرقسوس) .

٢ ـ مرحلة اليرقان : وتستمر لمدة ٢ ـ ٦ أسابيع ومع حدوث اليرقان تنخفض درجة الحرارة إلى المعدلات الطبيعية وتتحسن الحالة العامة للمريض ، ولكن يظل لون البول غامقا نتيجة وجود مادة البليروبين . اما البراز فيصبح فاتحا به نسبة كبيرة من الدهون ورائحته كريهة ويحدث تضخم فى الكبد فى ٧٠٪ من الحالات . اما الطحال فيتضخم فى ٢٠٪ من الحالات وقد تتضخم بعض العقد الليمفاوية فى ١٠٪ من الحالات .

وربما يصاحب ذلك شعور المريض بالحاجة إلى الحكة الجلدية ؛ ظهور طفح مميز على كف اليد .

٣) مرحلة النقاهة : وتدريجيا تختفى كل علامات المرض ما عدا اليرقان الذى قد يستمر لفترة طويلة . لذلك ففترة المرض كلها تصل إلى ٨ أسابيع ولكن الشفاء التام يحتاج إلى ٤ أشهر على الاقل .

الفحوص والاختبارات

١) فحص البول : يغمق لون البول ويصير بلون العرقسوس نتيجه وجود مادة البليروبين . كما ان وجود املاح الصفراء تجعله يتميز بوجود رغاوى كثيرة على سطحه . وقد يظهر ارتفاع بسيط فى نسبة الزلال .

٢) فحص البراز : يبدو لونه فاتحا ورائحته كريهه ويحتوى على نسبة عالية من الدهون لذلك يطفو على سطح الماء .

٣) فحص الدم : يحدث العديد من التغيرات اهمها :

• ترتفع نسبة البليروبين فى الدم اكثر من المعدل الطبيعى (المعدل الطبيعى ٢,ـ ٨, ملليجرام٪)

• ترتفع سرعة ترسيب الدم ولكن تعود للمعدل الطبيعى فى مرحلة اليرقان .

• ارتفاع نسبه الاجسام المناعية المضادة «م» ، «ج» . ويمكن الكشف عن الجسم المناعى «م» فى أول ١٢ أسبوع لحدوث المرض . اما الجسم المناعى «ج» فيمكن الكشف عنه فيما بعد .

• الكشف عن « الجسم الغريب للكبسوله » فى مصل الدم باستخدام طريقة القياس المناعى بالاشعاع وذلك فى الفترة من الاسبوع السابع حتى الاسبوع العشرين من التعرض للفيروس «ب»

• نقص العدد الكلى لكريات الدم البيضاء مع زيادة نسبه الخلايا الليمفاوية .

• ارتفاع بعض الأنزيمات فى الدم مما يؤكد اضطراب وظائف الكبد مثل (س . ج . و . ت) و (س . ج . ب . ت) وانزيم الالكلين فوسفاتاز .

مضاعفات المرض

الاصابة بالفيروس «ا» الذى غالبا ما يصيب الأطفال وصغار السن ؛ نادرا ما تتبعه مضاعفات اذ أن الشفاء التام هو القاعدة . اما الاصابة بالفيروس «ب» فقد تنتج عنه بعض المضاعفات مثل :

١ ـ الالتهاب الكبدى المزمن المستمر : تستمر شكوى المريض من الشعور بالهزال والضعف العام وقلة الشهية للأكل . والفقد المستمر للوزن ، وقد يحدث تضخم بسيط فى الكبد ولكن فى معظم الحالات لا يفيد فحص المريض فى شىء اذ أن المريض من الناحية الاكلينكيه يعتبر سليما . وعند اجراء بعض الفحوص المعمليه يتضح ارتفاع نسبه البليروبين عن المعدل الطبيعى ، وارتفاع مستوى بعض الانزيمات الدالة على وظائف الكبد ، وزيادة مستوى الجسم المناعى المضاد «م» . ولكننا نحتاج فى تشخيص مثل هذه الحالات إلى أخذ عينة من الكبد وفحصها تحت الميكروسكوب . ويستحس عدم التسرع فى أخذ هذه العينة بل يجب الانتظار مدة ٦ شهور بعد اجراء الفحوص المعمليه حتى يسهل تشخيص

الاغريق وأسرار الكبد



من أجمل الأواني المحفوظة في متحف الفاتيكان والتي تعود إلى سنة ٥٥٠ قبل الميلاد إناء رسم على أحد جوانبه «بروميثيوس» سارق النار ومعلم البشر استعمالها . ويبدو بروميثيوس مقيداً بالسلاسل عقابا على فعلته هذه .. وهناك نسر ضخم يقف على بطنه ويلتهم خلايا كبده . وعلى الجانب الآخر للصورة يظهر الجبار أطلس الذي ـ أجبر بحسب ماتقول الأسطورة ـ على حمل السماء على كتفيه .

ورغم سذاجة الرسم إلا أن الأسطورة تؤكد معرفة الإغريق القدماء لسر هام من أسرار الكبد .. سر خلود خلاياه وقدرتها على النمو مرة أخرى . فمن المفروض علميا أنه حتى وإن فقد أكثر من ثلثي خلايا الكبد لأي سبب من الأسباب ؛ فإن الكبد يتمتع بقدرة عجيبة تمكنه من تعويضها واستعادتها مرة أخرى .

الحالة المزمنة عن الحالات الحادة .

والحقيقه ان الالتهاب الكبدى المزمن المستمر لا يؤدى الى أى اضرار لذلك يجب توضيح هذه النقطة للمريض والتأكيد عليها ولا داعى لتناول أى عقاقير ، كذلك ليس من الضرورى اتباع نظام غذائى معين .

٢) الالتهاب الكبدى النشط : اكثر حدوثا فى الاناث (٧٥ ٪) عنه فى الذكور . ويتميز هذا المرض باستمرار اليرقان أو عودته مرة أخرى فى اكثر من ٨٠ ٪ من هذه

الحالات وقد يصاحب ذلك ظهور بعض العلامات المميزة التى تشير إلى اضطراب الجهاز المناعى فى الجسم مثل : روما تويد المفاصل ، نزيف الانف واللثة بعض التغيرات فى الجلد مثل حب الشباب

النزيف تحت الجلد ، التهاب الغدة الدرقيه ، انقطاع الدورة الشهرية عند النساء ، وقد يحدث استسقاء فى بعض الحالات الشديدة . وحتى يمكن تشخيص هذه الحالات لا بد من أخذ عينة من الكبد وفحصها تحت الميكروسكوب هذا بالاضافة إلى بعض الفحوص المعملية . والعلاج هنا يتم باستخدام احد مشتقات الكورتيزون (بردنيزون ٢٠ ـ ٦٠ ملليجرام يوميا) وقد يحتاج الأمر استخدام بعض العقاقير الأخرى مثل (ازا اثيوبرين ١٠٠ ملليجرام يوميا) .

٣ ـ تليف الكبد الناتج بعد الاصابة بالفيروس الكبدى .

٤ ـ سرطان الكبد الأولى : الأبحاث الحديثه التى اجريت على سكان المناطق الاستوائيه تشير إلى وجود علاقة وثيقه بين الاصابة بسرطان الكبد ووجود « الجسم الغريب للكبسولة » (شكل رقم ٤)

الوقاية خير من العلاج

ارتفعت نسبة الاصابة بالالتهاب الكبدى الحاد فى الولايات المتحدة من ٣٤,٤٠٠ سنة ١٩٦٦ إلى ٦٩,٢٠٠ سنة ١٩٧١ (بزيادة تصل إلى ٣٣,٦ لكل

١٠٠,٠٠٠ نسمة) وتشير الاحصاءات التى اجريت سنة ١٩٨٤ إلى انخفاض نسبة الاصابة إلى ٢٦,٥ لكل ١٠٠,٠٠٠ نسمة .
والواقع ان اتباع طرق مختلفة للوقاية كان له ابلغ الأثر فى خفض معدلات الاصابة بهذا المرض .

أولا : الوقاية من الفيروس « ا »

١) لما كان هذا النوع من الالتهاب الكبدى اكثر انتشارا فى المعسكرات والمدارس الداخلية والملاجى والمناطق المحرومة من الصرف الصحى حيث تتراكم الفضلات والبراز وينتشر الذباب ويساعد تفشى

الجهل الصحى على انتشار المرض . لذلك يجب اتباع شتى الوسائل التى تمنع تلوث الطعام والشراب بالبراز مثل غسل اليدين جيدا بالماء والصابون قبل الطعام . وتزويد الاحياء الجديدة بوسائل الصرف الصحى السليم ، وتجديد شبكات الصرف ..

والمحافظة على الأكل والشراب بعيدا عن مصادر التلوث ، والقضاء على الذباب . عزل المصابين وعلاجهم فى المستشفيات ، ونشر الوعى الصحى وتوعية المواطنين بطرق الاصابة والعدوى بالمرض واهمية التوجه إلى المستشفيات بمجرد ظهور الاعراض .

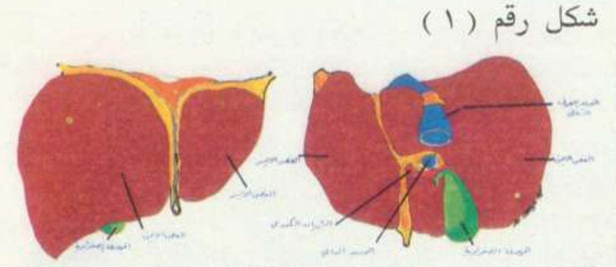
٢) حقن المرافقين للمرضى بالامينو جلوبيلين يكسبهم مناعة ضد المرض تصل نسبتها إلى ٩٠ فى المائة وخاصة اذا ماتم حقنهم خلال الاسبوع الاول وبدايه الأسبوع

الثانى من مرافقتهم للمرضى . وجرعة الامينو جلوبيلين ٠,٠٢ ـ ٠,٠٤ مللي لتر / كيلو جرام من وزن الجسم تعطى فى العضل . وفى حالة انتشار الاوبئة يجب اعطاء الامينو جلوبيلين بصورة شاملة خاصة للأفراد المعرضين للاصابة مثل :

- المسافرين إلى مناطق الأوبئه
- المدارس الداخليه والملاجئ
- افراد القوات المسلحة

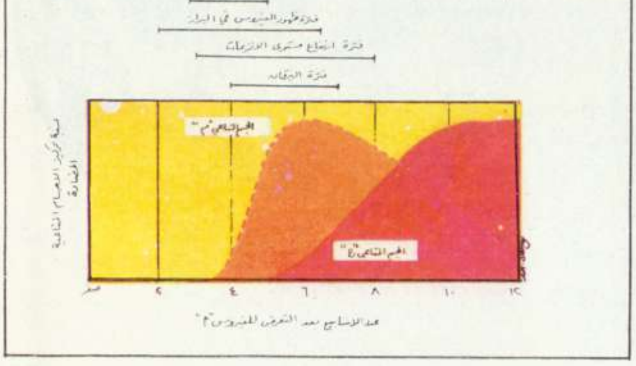
٣) الاهتمام بنشر الوعى الصحى بين السكان وذلك باستضافة المتخصصين فى وسائل الاعلام المختلفة ليوضحوا طرق

شكل رقم (١)

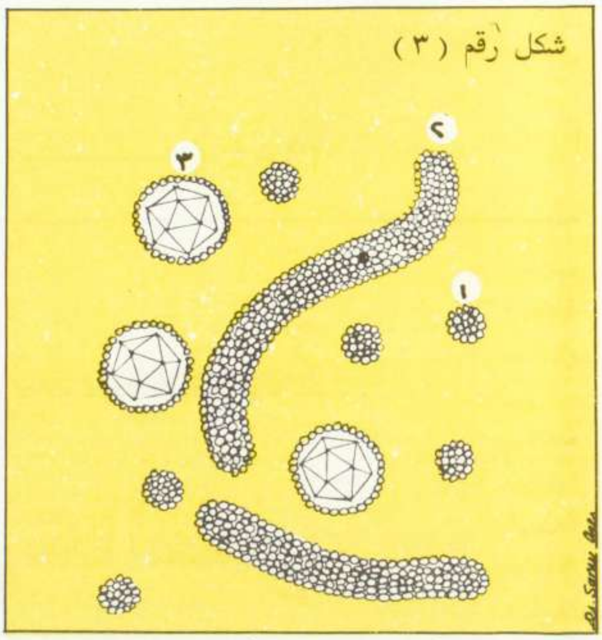


هذان الشكلان يمثلان (١) السطح السفلي للكبد (٢) السطح المقابل للحجاب الحاجز للكبد

شكل رقم (٢)



التغيرات المصاحبة للإصابة بالفيروس «أ»



الفيروس «ب» أمكن عزله على ثلاثة أشكال : (١) جزيئات كروية قطرها ٢٢ ن.م. (٢) أشكال أنبوبية أو خيطية (٣) جزيئات كبيرة كروية تتكون من غلاف خارجي ونواة داخلية



خريطة يوضح فيها اللون الأسود المناطق التي ينتشر فيها سرطان الكبد

شكل رقم (٤)



خريطة أخرى توضح فيها الخطوط المائلة ، المناطق التي ينتشر فيها الالتهاب الكبدي المصلي ..

العدوى وكيفية الوقاية من المرض واهمية الفحص والعلاج الطبى ومضاعفات المرض .

ثانيا : الوقاية من الفيروس « ب »

١ ــ يجب فحص المتبرعين بالدم جيدا للتأكد من صلاحيتهم واستبعاد المتبرعين الذين سبق اصابتهم بالالتهاب الكبدى . كما يجب تزويد بنوك الدم بالأجهزة الحديثه التى تمكن من الكشف عن « الجسم الغريب للكبسولة »

٢ ــ تعقيم الآلات الجراحية المعدنيه باستخدام الاتوكلاف أو غاز اوكسيد الايثيلين تعتبر من الوسائل الفعالة ويجب على أطباء الأسنان اتباع نفس خطوات التعقيم التى يتبعها جميع الجراحين قبل اجراء اى عملية .

٣ ــ تعميم استخدام المحاقن المصنوعة من البولى ايثلين والتى تستخدم مرة واحدة ثم يتم اعدامها بعد ذلك .

٤ ــ امكن حديثا تصنيع لقاح يحتوى على اجسام مضادة ضد الفيروس «ب» وقد ثبتت فعاليته فى الوقاية من المرض لمدة تصل الى ٨ أشهر بعد حقنه . كما أن استخدامه يحد من حدوث المضاعفات . وتشير الابحاث الى ان استخدامه فى الأطفال المولودين لامهات مصابات بالفيروس «ب» يبشر بنتائج مشجعة .

العلاج المناسب ..

معظم حالات الالتهاب الكبدى يتم علاجها فى المنزل مع الاهتمام بالراحة فى الفراش وعدم مزاولة أى مجهود وتناول وجبات خفيفة بحسب ماتسمح حالة المريض . والابتعاد النهائى عن تناول الخمور . وعند العلاج فى المنزل يجب عزل المريض وتطعيم المخالطين له بالامينو جلوبيلين والتخلص من فضلات المريض بعناية وتخصيص ادوات خاصة للمريض لايستعملها غيره . اما العلاج فى المستشفى فيفضل فى بعض الحالات مثل :

- الحالات الشديدة والتى تحتاج الى عناية خاصة .
- الحالات التى يصعب تشخيصها .
- الحالات المصحوبة بالتداخل الدماغى .

ويجب من البداية اجراء بعض التحاليل والاختبارات المعملية مثل :

- مستوى الاجسام المناعية «م» ، «ج»
- الجسم الغريب للكبسوله والجسم المضاد لها
- مستوى البليروبين فى الدم .
- مستوى الانزيمات الداله على وظائف الكبد .

وقد يستدعى الأمر فحص الكبد باستخدام الموجات فوق الصوتيه لاستبعاد الاسباب الجراحية لليرقان (انسداد المجارى الصفراوية) . وفى الحالات التى لا تستجيب للعلاج وتطول مدة المرض اكثر من اللازم فيجب اخذ عينه من نسيج الكبد وفحصها تحت الميكروسكوب حتى يمكن استبعاد امراض الكبد المزمنة التى قد تصاحب الالتهاب الفيروسى للكبد . اما عند ظهور احد المضاعفات وخاصة الالتهاب الكبدى النشط فقد يحتاج الأمر استخدام بعض العقاقير مثل مركبات الكورتيزون (البرد نيزون) وربما (عقار الازا ثيوبرين) أو احد العقاقير الحديثة المضادة للفيروس .

سامى عزيز

رؤية عربية في مؤتمر ثقافي عالمي

بقلم: الدكتور أحمد عتمان

أُسست جامعة دبلن المسماة ترينيتى كوليج Trinity College عام ١٥٩٢ ، ومن ثم فإن هذه الجامعة الايرلندية تعد من أقدم جامعات أوروبا . ولعل هذا هو السر فى إختيارها لتكون مسرحاً لوقائع المؤتمر السابع للإتحاد الدولى لجمعيات الدراسات الكلاسيكية فى الفترة ما بين ٢٧ أغسطس الى الأول من سبتمبر ١٩٨٤ . وجدير بالذكر أن رئيس مكتب هذا الاتحاد هو البروفيسور و. هـ. ويلليس من الولايات المتحدة الأمريكية . أما رئيس اللجنة المنظمة للمؤتمر فهو البروفيسور الأيرلندى ج. ل. هكسلى .

إشترك فى هذا المؤتمر ما يقرب من أربعمائة عالم وباحث فى الدراسات الاغريقية واللاتينية يمثلون الجمعيات الكلاسيكية فى أنحاء العالم . وفى حين جاء من السنغال مندوب يمثل الجمعية الكلاسيكية السنغالية فإن العالم العربى كله لم يكن له مثل هذا المندوب لأنه لا توجد جمعية كلاسيكية بأى بلد عربى ! وبصفة فردية تقريباً شارك فى أعمال هذا المؤتمر كل من الأستاذ الدكتور مصطفى العبادى رئيس قسم الحضارة بجامعة الاسكندرية ، وكاتب هذه السطور .

وقبل أن نتناول الموقف العربى من الدراسات الكلاسيكية دعنا نلقى نظرة سريعة على أعمال المؤتمر .

ألقت المحاضرة العامة الإفتتاحية الأستاذة الفرنسية الشهيرة جاكلين دى روميى (J. De Romilly) التى تحاضر بجامعة السوربون . وتحدثت عن « الأوديسيا » لشاعر الخلود الاغريقى هوميروس . وعللت العالمة الفرنسية اختيارها لهذا الموضوع بالقول أن دبلن هى مدينة أوليس (وهو إسم آخر لأوديسيوس بطل الأوديسيا) وهى تشير بذلك الى ملحمة المؤلف الأيرلندى الشهير جيمس جويس .

وكانت المحاضرة الختامية للبروفيسور الأمريكى شاكلتون بيلى من جامعة هارفارد . وقدم تفسيراً جديداً لبعض الأبيات الواردة فى الكتاب السادس من ملحمة الشاعر اللاتينى فرجيليوس أى « الإينيادة » .

وهكذا مثلت المحاضرتان الافتتاحية والختامية قوسين كبيرين لأن صاحبيهما من أقطاب الدراسات الكلاسيكية ولأن


هوميروس


صلاح عبد الصبور


أبو القاسم الشابى


على محمود طه

موضوع كل من المحاضرتين أيضاً يمثل علامة بارزة فى تاريخ الأدبين الاغريقي واللاتينى ونعنى هوميروس وفرجيليوس.

وبين هاتين المحاضرتين ألقيت عدة محاضرات أخرى عامة. وفى نفس الوقت انبثقت عن المؤتمر ستة حلقات للمناقشات العلمية وهى على التوالى: حلقة للفلسفة، النقوش، الدراسات الموكينية، المسرح البردى، والمخطوطات. وفى كل حلقة من هذه الحلقات تم وضع برنامج يومى يتم فيه طرح أحد الموضوعات على يد أستاذ من الأساتذة ليرد عليه أستاذ آخر إما مؤيداً أو معارضاً لآرائه وبعد ذلك تدور المناقشة العامة التى يشترك فيها كل الحاضرين.

وفى حفل خاص أقيم قبيل اختتام المؤتمر منحت درجات فخرية لكل من الأساتذة شاكلتون بيلى وجاكلين دى روميى وجورج ليونارد هكسلى (وقد سبق أن أشرنا إلى هؤلاء العلماء). ومنحت أيضاً هذه الدرجات الفخرية لكل من هيلين فلورنس نورث الاستاذة بجامعة سوار ثمور ورئيسة الجمعية الكلاسيكية الأمريكية سابقاً وجريجوريوس فلاستوس المولود على ضفاف البسفور وأستاذ الفلسفة بجامعة كاليفورنيا والمتخصص فى الدراسات الأفلاطونية. وجدير بالذكر أن خطب تقديم هؤلاء العلماء قد صيغت باللغة اللاتينية فى اسلوب جذاب وقام بإلقائها الأستاذ جوهانيس فيكتور لوس على نحو مؤثر ولطيف.

وللوهلة الأولى قد يتبادر إلى الذهن أن مؤتمراً كهذا يدور حول الدراسات الاغريقية واللاتينية، أى حول الحضارات الأوروبية القديمة، لا يهم العالم العربى فى شىء. وهذا تصور خاطىء لعدة أسباب نذكر منها أن الحضارة الاغريقية الرومانية قد نقلت إبان نشأتها الكثير من حضارات الشرق القديم مثل الفرعونية والحيثية والفينيقية وغيرها. ويكفى هنا أن نشير فقط إلى حقيقة أن الأبجدية الاغريقية نفسها مأخوذة عن الأبجدية الفينيقية. وهكذا فان دراستنا نحن العرب للتراث الاغريقى الرومانى سيساعدنا على إستيعاب حضارات الشرق القديم نفسها.

ومن ناحية أخرى فان العرب المسلمين فى عصرهم الذهبى قد نقلوا الكثير من علوم وفنون الإغريق إلى لغتهم حتى أن بعض الترجمات العربية كانت الأساس الذى إنطلق منه علماء عصر النهضة الأوروبية لإحياء تراث أجدادهم ونضرب لذلك مثلا بكتاب «فن الشعر» لأرسطو إذ أن الترجمات والملخصات العربية هى التى أشعلت الشرارة الأولى فى الدراسات الأوروبية الأرسطية بعد أن ترجمت إلى اللغة اللاتينية.

وبالنسبة لأدبنا العربى الحديث والمعاصر فحرى بنا أن ننوه إلى بعد النظر الذى تحلى به روادنا الأوائل الذين دعوا منذ بداية هذا القرن إلى ضرورة الاهتمام بالأدب الاغريقى الرومانى. فطه حسين وتوفيق الحكيم وأحمد شوقى وغيرهم قد عادوا إلى التراث الكلاسيكى وإستلهموه أو نهلوا منه كل وفق طاقته وإتجاهاته. بيد أننا نلاحظ أن هؤلاء الرواد جميعاً قد توسطوا فى اتصالهم بالأدب الاغريقى الرومانى باللغات الأوروبية الحديثة. فلم يتقنوا اللغة الاغريقية أو اللاتينية أو حتى لم يتعلموها قط. ولم يكن هذا ميسوراً لهم. المهم أن معرفتهم بالتراث الكلاسيكى معرفة غير مباشرة. ونرى من جانبنا ضرورة تخطى مرحلة «التوسط» هذه الانتقال منها إلى أفق التعامل المباشر مع التراث الكلاسيكى فى لغتيه القديمتين. ومن هنا تأتى ضرورة التفكير فى وضع بعض القواميس والموسوعات الكلاسيكية كبداية قوية لعقد هذه الصلة المباشرة.

وعلى أية حال فإن صفحات أدبنا المعاصر لازالت تحاول التقرب من الأدب الاغريقى الرومانى بصورة أو بأخرى، فالمسرح العربى - الحديث العهد نسبياً - قد نجح فى الارتباط إلى حد ما بالمسرح الاغريقى. أما بالنسبة للشعر العربى الحديث والمعاصر فإن المتصفح لدواوين أبى القاسم الشابى وعلى محمود طه وأبى شادى ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب وعبد الوهاب البياتى وأدونيس ونزار قبانى وصلاح عبد الصبور وغيرهم سيجد أن شخصيات ورموز إغريقية كثيرة - لاسيما تلك المتصلة باسطورة بروميثيوس سارق النار - تتربع على عرش الإلهام بالنسبة لشيطان هؤلاء الشعراء. بل إن الأسطورة الاغريقية ورموزها قد إرتبطت لدى البعض بفكرة التجديد فى الشعر العربى المعاصر.

وفى هذا الصدد ونحن نلفت أنظار المتخصصين العرب إلى الظاهرة الابداعية وندعوهم الى ضرورة مواكبتها ومتابعتها بالرصد والبحث والتقصى ثم بالتقييم أو التقويم، فإننا من جانب آخر نتوجه بالدعوة إلى القائمين على شئون التعليم والتثقيف ولاسيما فى الجامعات العربية أن يزيدوا من اهتمامهم بالدراسات الكلاسيكية وأن يعملوا على نشر هذه الثقافة على أمل أن نحقق لأدبنا وتراثنا القوميين أفقاً عالمياً وانسانياً أوسع وأرحب. بل ونتتهز فرصة انعقاد المؤتمر السابع للاتحاد الدولى لجمعيات الدراسات الكلاسيكية بدبلن وندعو إلى قيام جمعية كلاسيكية عربية فى حضن هذه الجامعة أو تلك من جامعات الوطن الكبير.



رسالة الأردن من: نبيل خالد الأغا

في مهرجان "جرش" للثقافة والفنون:

فرق أجنبية.. وشعراء عرب وفنانون من ١٢ دولة في العالم!





ثلاث لقطات : على هذه الصفحة العاهل الأردنى الملك حسين والملكة نور ، فى لقطة تذكارية مع بعض أفراد الفرق المشاركة فى المهرجان .. وإلى اليمين لقطة لإحدى الفرق الأجنبية المشاركة .. واللقطة الأخرى لمشهد من مسرحية «وجه بملايين العيون» للشاعر عبد الرحيم عمر وإخراج هانى صنوبر

● مجموعات الدبكة والسامر في ليلة فرح أردنية .. والفرق المحلية تتبارى في عرض فنونها المرتبطة بالتراث العربي

● لماذا خلت عروض هذا العام من الأفلام الإسلامية التي جذبت انتباه المتفرجين في العام الماضي؟

شهدت مدينة «جَرَش» الأردنية التاريخية خلال النصف الثاني من شهر «أغسطس» الماضي ، افتتاح مهرجانها الثالث للثقافة والفنون ، في عشية اليوم السادس عشر توجه الملك حسين بن طلال الى موقع الاحتفال وأوعز بايقاد شعلة المهرجان من النفط الأردني الخالص ، ايذاناً ببدء الاحتفالات الفنية الثقافية السنوية المقامة على اطلال المدينة الرومانية القديمة .

وليست هذه الاحتفالات بجديدة على مسارح جرش ، واعمدتها وشوارعها ، ومعابدها الموغلة في القدم ... فالتاريخ يحدثنا بأنها قد مرت إبان العصر الروماني بمراحل زاهية من التقدم جعلتها واحدة من «أبرز المراكز الامامية للمبادلات الحضارية والتجارية بين الشرق والغرب ، ولا سيما حينما الحقها القائد الروماني «بمبي» بالمقاطعة السورية ابتداء من عام ٦٣ قبل

الميلاد ، مع بقائها متمتعة بالحكم الذاتي ، وأدخلت فيما بعد ضمن حلف المدن اليونانية العشر الحرة ، وهي المدن التي كانت تتولى نشر الثقافة الهيلينية الرومانية المشتركة » .

ونتيجة لهذا التراث الحضاري الرفيع ، استحقت « جرش » أن تكون كذلك احدى اعظم المدن الكلاسيكية الثلاث في المنطقة اضافة الى البتراء ، وتدمر .

واليوم تمتاز « جرش » عن سائر الأماكن الأثرية الأخرى بكونها ما زالت تحتفظ ـ الى حد ما ـ بطابعها الاصيل ، حيث بقيت مرافقها الرئيسية تستعمل من قبل الوفود المشاركة ، والفعاليات المختلفة .. هذا وتقع مدينة جرش على بعد ٤٥ كم الى الشمال من عمان . وعلى بعد ٣٥ كم الى الجنوب من مدينة « إربد » عاصمة الشمال الأردني ، وعلى مسافة متوسطة الى الشرق من مدينة « عجلون » الجميلة ، وترتفع بمقدار ٥٧٠ متراً فوق سطح البحر ، واضافة الى هذه المزايا كلها فالمدينة تتوسط التجمعات السكانية الكثيفة في المنطقة .

ولعل هذه المزايا ـ وغيرها ـ هي التي شجعت المسئولين الأردنيين على اختيار المدينة كموقع للاحتفالات المتنوعة .

الفرق المشاركة

لقد استمر المهرجان على مدار اسبوعين كاملين ، وضم نشاطات وفعاليات ثقافية وفنية متنوعة شملت الغناء والموسيقى العربية والغربية ، الفولكلور والرقص العالمي والمحلي ، الشعراء المحليين والعرب ، الحرف التقليدية والفنون التشكيلية ، المسرحيات المحلية ، للكبار ومسرحيات الاطفال ، ثم الكتب والافلام والعروض الاعلامية .

وشاركت في كافة هذه النشاطات (٢٥) فرقة محلية أردنية تمثل كافة محافظات وألوية المملكة الأردنية الهاشمية ، وما تحويه من جوانب الفولكلور المرتبطة بالتراث العربي ، وتضم هذه الفرق ما يقرب من (٥٠٠) عضو ساهموا في النشاطات التالية : تقديم مسرحية « وجه بملايين العيون » من تأليف عبدالرحيم عمر واخراج هاني صنوبر ، ومسرحية « بيادر وحكايات » من تأليف واخراج محمود الزيودى وتنفيذ فرقة السلط للفنون الشعبية ومسرحية « الله يستر من بكره » تأليف مصطفى صالح واخراج محمد حلمي ، ومسرحية « حال الدنيا » من تأليف ممدوح عدوان واخراج حاتم السيد .

أما مسرحيات الاطفال فكانت مسرحية العرائس « الاميرة والبصلة المسحورة » ومسرحية « إن غاب القط إلعب يا فار » ومسرحية « درس في الصداقة » وأخيراً مسرحية « الأطفال قادمون » .

أما بالنسبة لفرق الفولكلور المحلي الأردني فقد شاركت فيه كل من : مجموعات الدبكة والسامر « ليلة فرح أردنية » ـ فرقة الفولكلور الشركسي ـ فرقة « عالية » للفولكلور ـ فرقة جامعة اليرموك للفولكلور الأردني . وفي مجال الموسيقى والغناء المحلي ساهمت فيهما : فرقة موسيقات القوات المسلحة الأردنية (١٢٠ عازفاً بقيادة الرائد جمال زريقات) ، فرقة اوركسترا الاذاعة الأردنية (٢٥ مشاركاً بقيادة السيد روحي شاهين) . فرقة جامعة اليرموك الموسيقية ، فرقة « الفحيص » لإحياء التراث .



آثار مدينة « جرش » التاريخية

وفيما يختص بالمشاركة العربية في مهرجان جرش الثالث للثقافة والفنون فقد ساهمت أربع فرق بصورة رئيسية هي :

أولا : جوقة المعهد الوطني للموسيقى بالمغرب الشقيق ، وضمت (١٣) موسيقياً برئاسة الموسيقار محمد العربي التمسماني ، وقدمت عدة فقرات من الطرب والموشحات الاندلسية ، ومعزوفات موسيقية تميزت بها منطقة المغرب العربي .

ثانياً : الفرقة القومية للفولكلور بالعراق الشقيق . ضمت الفرقة أربعين عضوا ، وقدمت الوانا من الموسيقى والغناء والفولكلور العربي مستوحاة من تراثنا العربي العريق في بلاد الرافدين التي اشتهرت كمنبع لكثير من الفنون العربية الاصيلة .

ثالثاً : فرقة الموسيقى العربية من مصر الشقيقة وبلغ عدد أفرادها (٤٠) عضواً على رأسهم الموسيقار المعروف عبد الحليم نويره ، وقد قدمت فقرات جميلة من الموشحات والتقاسيم والمعزوفات العربية .

رابعا : جهاد عزقول من لبنان الشقيق . وهو عازف موسيقي مميز على الجيتار ، وشارك في عدة مهرجانات موسيقية دولية متخصصة .

الفرق الاجنبية

شاركت في المهرجان (١٢) فرقة اجنبية اتت من اقطار عديدة مختلفة حملت في فنونها مساهمات عديدة في التراث الثقافي والفنى الانساني ، وهذه الدول هي :

فرنسا ، المانيا الغربية ، الاتحاد السوفيتي ، بلغاريا ، تشيكسلوفاكيا ، سيراليون ، الولايات المتحدة الأمريكية ، كولومبيا .

وقد ساهمت هذه الدول في نشاطات



وصلة غنائية وسط آثار المدينة التاريخية ضمن فعاليات مهرجان جرش الثالث الذى شاركت فيه ١٢ دولة أجنبية بفرق للباليه والرقص والغناء الشعبى والموسيقى والعروض المسرحية

مهرجان جرش عن طريق فرقها التالية :

• فرقة « باليه الشمال » (فرنسا) عشرون راقصاً قدموا رقصات الباليه الكلاسيكية .

• فرقة « بيتبرغ » للفولكلور : (المانيا الغربية)

(٢٦) راقصاً وراقصة من الهواة قدموا عروضاً شعبية .

• فرقة الصداقة للرقص الشعبي (الاتحاد السوفيتي)

(٢٧) راقصاً وراقصة قدموا الرقص الفولكلوري لشعوب اتحاد الجمهوريات السوفيتية .

• فرقة «هارمانلي» (بلغاريا)

(٤٥) راقصاً عملوا على ابراز الفنون الشعبية لجمهورية بلغاريا الشعبية .

• فرقة « جيمنك » للفولكلور (تشيكسلوفاكيا)

(٣٠) راقصا وراقصة قدموا رقصات وأغان شعبية .

• الفرقة الوطنية للرقص الشعبي (سيراليون)

(٣٢) راقصا وراقصة قدموا عدة فقرات افريقية مميزة .

• فرقة « بيبول » للفولكلور العالمي (الولايات المتحدة)

(٤٥) شاباً وفتاة قدموا عروضاً مستوحاة من مختلف مناطق العالم .

• فرقة « الموسيقيين الصغار » (الولايات المتحدة)

(٢٣) طفلا وطفلة قدموا مقطوعات موسيقية واغنيات منوعة للأطفال .

• فرقة مسرح « فيرمونت » للصم (الولايات المتحدة)

(١٠) اشخاص قدموا مسرحية اجتماعية ، وأدوا جميع ادوارهم بصمت .

• فرقة « فوت ورمز » لموسيقى الجاز (الولايات المتحدة)

(٦) اشخاص قدموا معروضات الجاز الجنوبية المنوعة .

• شخصيات من عالم « ديزني لاند » للأطفال (الولايات المتحدة)

(٢) شخصان ، احدهما يعمل في « ديزني لاند » ويرافقه شخصية « ميكي ماوس » المعروفة .

• فرقة باليه جمهورية كولومبيا (امريكا الجنوبية)

(٢٥) راقصا وراقصة وعازفا قدموا عدة لوحات تمثل الخليط الفريد لثقافة كولومبيا .

هذا .. وقد اشتملت برامج المهرجان على فقرات شيقة من الشعر والادب تمثلت فى قراءات شعرية . ومتابعات نقدية ، وشعر شعبي من قبل عدد من الشعراء والأدباء البارزين في الأردن والوطن العربي ، وقام بالاشراف على هذه الفعاليات الاستاذ حيدر محمود ومساهمة السيد



إحدى الفرق العربية تقدم عروضها الفنية ، وخلفها الأعمدة المتبقية من المدينة التاريخية

محمد سمحان .

ومن الشعراء العرب الذين ساهموا في هذا العطاء : الدكتور عبدالله الطيب (السودان) سعيد العيسى (فلسطين) ، طلال حيدر (لبنان) ، المنصف المرغني (تونس) ، راضي مهدي (العراق) ، محمد التبيتي (السعودية) وغيرهم .

أما الشعراء الأردنيون المشاركون في الأمسيات الشعرية فيزيدون عن الثلاثين شاعراً منهم على سبيل المثال : عبدالرحيم عمر ، حيدر محمود ، محمد الظاهر ، الدكتور وليد سيف ، خالد المحادين ، د. جميل علوش ، ابراهيم نصر الله ، علي البتيري ، خالد الساكت ، سليمان عويس ، احمد المصلح ، فهد الريماوي وغيرهم .

وتضمن المهرجان كذلك فعاليات محلية أردنيةهي :

• معارض الفنون التشكيلية :

وقد اشتملت على كثير من الاعمال الفنية لابرز الفنانين الأردنيين ، وشملت اللوحات الزيتية والمائية والتصوير الفوتوغرافي واعمال النحت . وتم عرض جزء من هذه الأعمال في « قبو زيوس » . وفي بعض المواقع الأخرى في المهرجان أقيمت معارض فنية جانبية لفن « الجرافيك » واللوحات وغيرها .

• معرض الكتاب :

اقتصر معرض الكتاب لهذا العام على مشاركة المؤسسات الثقافية والناشرين والوكلاء الأردنيين . واشتمل المعرض على جناح المجموعات المختارة لأحدث المطبوعات والمنشورات باللغتين العربية والانجليزية ، وجناح المؤلفات الوطنية وتسويقها باشراف رابطة الكتاب الأردنيين ، ومديرية المكتبات والوثائق الوطنية .

• معرض الحرف والصناعات الوطنية :

تم العرض من خلال حوانيت أقيمت على جوانب شارع الاعمدة ، شارك فيها حرفيون أردنيون حقيقيون ، واشتمل المعرض على مصنوعات يدوية وحرف الى جانب تطبيق عملي حي من قبل الحرفيين انفسهم في مجال انتاج مصنوعاتهم على أنوال وأفران .... الخ .

ومن ابرز الحرف التي تم عرضها : الحياكة التقليدية ، وصناعات الحصر ،والصوف ، وخشب الزيتون ، والخزف ، والفضة ، والزجاج ، والفراء ، والمطرزات ، وبيوت الشعر ، والسيوف والمهباش ، وحفر الخطوط الاسلامية .

• الافلام والعروض الاعلامية ، والفنية ، ومعرض كتب الاطفال .

وفي معرض حديثه عن مهرجان جرش الثالث للثقافة والفنون ، قال الدكتور مازن العرموطي مدير المهرجان حين سألته حول ازدحام برامج المهرجان : « ان هذا كان مقصوداً لكون المهرجان مهرجاناً عاماً ، وهو موجه لكافة الأذواق والاهتمامات



جانب من المشاهدين الذين حضروا لمتابعة عروض المهرجان التى تميزت بالتنوع والابهار

والمستويات الثقافية والاجتماعية ، وقد قصدنا أن نوفرعددا من النشاطات المتنوعة في وقت واحد ليختار منها رواد المهرجان ما يوافق ميولهم ورغباتهم .. ولقد راعت « اللجنة الوطنية العليا » للمهرجان التي ترأسها الملكة نور الحسين ــ وهي أيضاً صاحبة فكرة إقامة المهرجان ــ توازن العروض والفعاليات المختلفة بحيث لا يطغى جانب على آخر ، بحيث يؤدي ذلك في النهاية الى خدمة ورفد الاهداف العامة لهذا المهرجان السنوي والتي تتمثل في « إحياء الحياة الثقافية والفنية في الاردن ، وانعاش الفولكلور الأردني ، وتدعيم اواصر التفاهم والاتصال بين ابناء العالم العربي ، وانشاء جسر للاتصال الثقافي بين الأردن والأقطار الاجنبية ، وتدعيم الاقتصاد الوطني عن طريق زيادة الجذب السياحي من الخارج » .

وعن اللجنة الوطنية العليا لمهرجان جرش قال مدير المهرجان : لقد تشكلت اللجنة كالآتي :

الملكة نور الحسين (رئيسة للجنة) ، السيدة ليلى شرف (نائبة للرئيسة). سمو الاميرة وجدان علي ، الدكتور عبدالله عويدات ، الدكتور جواد العناني ، السيد علي غندور ، الدكتور عدنان بدران ، الدكتور مازن العرموطي (عضو ، امين سر اللجنة) السيد بطرس صلاح ، العميد عدنان الداغستاني . ويحضر اجتماعات اللجنة السيد منير الدرة ، والدكتور محمد العدوان .

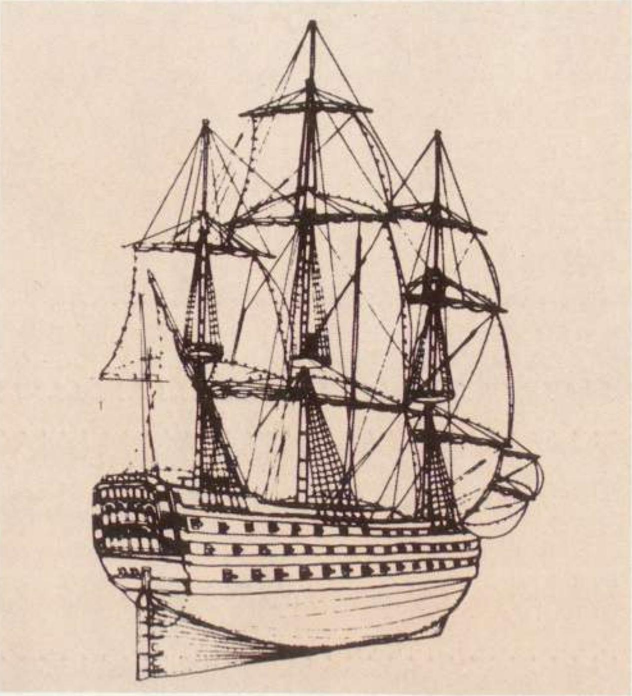
أما اللجنة التنفيذية للمهرجان فمن ابرز عناوينها : الدكتور عدنان بدران (رئيس اللجنة) ، والدكتور مازن العرموطي (نائب الرئيس ومدير المهرجان) .

والملاحظ بشكل عام أن ترتيب عملية الدخول والخروج والحضور هذا العام كانت اكثر دقة مما كانت عليه في العام الماضي ، كما لاحظ المراقبون ، ولقد علمت ممن حضروا فعاليات العام الماضي بأن الانتاج السينمائي في المهرجان قد تميز بعرض نماذج مرموقة من الافلام العربية الاسلامية مثل : الرسالة ، و « عمر المختار » و « شيماء أخت الرسول » ، وفجر الاسلام ، والناصر صلاح الدين ، وخالد بن الوليد ، والقادسية .

أما هذا العام فقد خلت الافلام والنشاطات الاعلامية من مثل هذه الدرر الاسلامية الثمينة ، .

واذا كانت فعاليات المهرجان قد استوعبت (١٥) ألف زائر يومياً ، وتكفلت ادارة المهرجان بتوفيركل سبل الراحة والمتعة والرعاية لهم ، فلا شك أن عدم وجود مصلى في أرض المهرجان يعد خطأً ما كان يجب على المسئولين عن المهرجان نسيانه كما أن وجود بعض السلبيات الأخرى لم يؤثر في نجاح هذا العمل الكبير .

نبيل خالد الأغا



نموذج للبارجة الانجليزية «قادنجار» التى قاد نلسن من على سطحها المعركة مع الأسطول الفرنسى



نموذج لسفينة القيادة الفرنسية «الأورينت» أو الشرق التى ترقد بمدافعها وكنوزها تحت أمواج «أبو قير»

كنوز نابليون الغارقة في "أبوقير"

بقلم: فاروق أباظه

- أكثر من عشرين غواصا يبحثون عن سفينة «الشرق» التى سماها المؤرخ العربى الجبرتى: نصف الدنيا!
- على متن السفينة الغارقة كان نابليون يتعجل الوصول لشاطئ الاسكندرية، ليحقق أحلامه وطموحاته!
- البحرية الفرنسية تساهم بكاسحة ألغام، وحفيد نابليون يشارك فى عمليات البحث والانتشال!

بعد أكثر من مائة وستة وثمانين عاماً، يجري الآن التنقيب عن كنز دارت حوله الحقائق والأساطير، بعد أن احتوته أعماق البحر عقب معركة غير متكافئة عند جزيرة صغيرة بالقرب من شاطئ أبو قير في مدينة الاسكندرية.

الكنز الثمين ليس مجرد عملات ذهبية ومدافع وسيوف ودروع وأزرار نحاسية من بقايا ما كان يرتديه جنود البحر «الفرنسيس» وإنما هو ما تبقى من أسطول حربي قدر له أن يحمل أحلام جنرال شاب، أراد أن يكون الاسكندر الثاني في غزوه للشرق حيث الأمل في تكوين إمبراطورية واسعة الأطراف تفرض بها فرنسا حصارها الاقتصادي والحربي على مملكة بريطانيا العظمى في ذلك الوقت.

إن أكثر من عشرين غواصاً مدرباً يتأهبون لجولة جديدة تحت الأمواج من

أجل أن يطفو الى السطح « القايق » الكبير أو نصف الدنيا كما سماه المؤرخ العربي عبد الرحمن الجبرتي ، وكان يقصد سفينة القيادة « الأورينت » أو « الشرق » التي طال رقادها وفي قلبها الكنوز الحقيقية والأسطورية في قاع البحر ، وشهد سطحها وقمراتها وقلاعها تأملات نابليون بونابرت وهو يتعجل الوصول الى شاطئ الاسكندرية ، تسبقه إليها أحلامه وطموحاته وأمنية أن ينصب نفسه امبراطوراً على الشرق والغرب معاً !



غواص فرنسى من الغواصين المدربين الذين يعملون تحت أمواج شاطىء « أبو قير » من أجل أن تطفو على السطح سفينة القيادة الفرنسية التى طال رقادها فى قاع البحر

الأسطول العظيم

الزمان : الساعة السادسة من صباح ١٩ مايو عام ١٧٩٨ .. المكان ميناء طولون الفرنسي حيث ترسو بارجة حربية ضخمة تبادلت أسماء ثلاثة قبل الثورة الفرنسية وبعدها ، فعندما تم إعدادها أطلقت عليها البحرية الفرنسية إسم نجل لويس السادس عشر ، ولكن الشعب الفرنسي الذي كان يعاني من القهر والظلم آثر أن يستبدل هذا الاسم باسم تهكمي آخر فاطلق على البارجة الحربية « سان كلوت » أو « بدون سروال » تعبيراً عن الفقر الذي كان يعيشه السواد الأعظم من الشعب ، ولما قامت الثورة حملت البارجة اسمها الثالث والأخير وهو « الأورينت » أو الشرق !

وفي هذا اليوم بالتحديد « ١٩ مايو عام ١٧٩٨ » أصدر الكابتن « كازبيانكا » الأمر إلى سفن الأسطول الفرنسي المتجمعة في طولون كي تنطلق في طريقها إلى مالطة تتقدمها « الأورينت » الشامخة كحصن مدرع بمدافعها ذات الصفوف الثلاثة والمؤلف كل منها من أربعين مدفعاً ، وقد تشكل هذا الاسطول من ثلاثة عشر بارجة تحمل ١٠٢٦ مدفعاً ، ٤٢ فرقاطة ومركباً خفيفاً وزورق بريد ، ١٣٠ ناقلة من شتى الأنواع ، وتحمل هذه السفن والناقلات ما يقرب من سبعة عشر ألف جندي ، ومثلهم من الملاحين والجنود البحريين وأكثر من الف قطعة من مدفعية الميدان ، ومائة ألف قطعة من الذخيرة ، ٥٦٧ عربة ، ٧٠٠ حصان .. وكان المقرر أن ينضم الى الأسطول ـ قبل أن يصل الى الهدف ولم يكن أحد يعرفه غير حفنة من الرجال ـ ثلاثة قوافل صغيرة من جنوه وأجاكسيو وشڤيتا فيكا ، وبذلك يصل عدد الرجال الى ٥٥ الف رجل ومجموع السفن الى ٤٠٠ سفينة .. وهذا الأسطول يشغل في عرض البحر مساحة تتراوح بين ميلين وأربعة أميال مربعة ، ولذلك فعندما ألقى مراسيه على ساحل الاسكندرية قال المؤرخ العربي نقولا ترك ، أن من شاهدوه من البر لم يروا بحراً بل سماء ومراكب فوقع عليهم خوف عظيم وهم جسيم .

قوات الغزو

وعلى ظهر « الأورينت » وقف رجل شاحب اللون تبدو قبعته أوسع مما يجب ، وهو الجنرال الشاب نابليون بونابرت ، الذي استطاع خلال سنوات قليلة أن يحقق العديد من أمجاده الحربية التي توجها بانتصاراته في ايطاليا ، والتي أحس بعدها بأن الشرق يجذبه بسحره وأساطيره وكنوزه للمزيد من الطموح ، فقرر القيام بحملته الشهيرة لتحقيق المزيد من الأحلام والطموحات الكبيرة !

وأبحر الأسطول تجاه مالطة .. كان البحر ثائراً ، ومعظم الرجال الذين تركوا أسرهم وبيوتهم قبل سنوات وشاركوا في جيش المتطوعين دفاعاً عن الثورة والجمهورية ، كانوا على يقين أن قائدهم الشاب يقودهم دائماً الى أعتاب المجد ويكلل هاماتهم بالكبرياء أينما كانت وجهته .. إن الهدف هذه المرة هو الإستيلاء على مصر .. وقد سبق مشروع الغزو دراسات شتى اكدت أنها الطريق إلى التحكم في الطرق البرية إلى بلاد العرب ، كما أنها تقطع طريق بريطانيا إلى الهند ، بالاضافة إلى ما

أثير من أساطير مبالغ فيها حول ثروة مصر في الروايات اليونانية والرومانية القديمة !

وفي نفس الوقت رحب التجار الفرنسيون القاطنون بمصر بالغزوة الفرنسية ، وقد كان لهم بالقاهرة حي مسور يقوم على حراسته جنود الإنكشارية ، وأجمعت كل التقارير الواردة الى فرنسا على ضرورة الغزو !

واختار نابليون لحملته الحربية نخبة من قادته الذين شاركوه انتصاراته إبان الحملة الايطالية ، وقد أصبح ستة منهم بعد ذلك « مارشالات » في جيش الامبراطورية ، وجرح ثلاثة جراحاً قاتلة ، وقتل اثنان ، ومات اثنان نتيجة المرض في مصر !

أما المدنيون المرافقون لحملة الغزو فقد كان عددهم خمسمائة من بينهم طهاة وخدم وتجار جشعين يحلمون بالربح الوفير داخل البلاد المفتوحة ، ونساء وأطفال رغم الحظر المفروض على السماح للنساء بمرافقة الحملة ، ولكن بعضهن نجح في التخفي داخل أزياء الرجال وعددهن ٣٠٠ إمرأة أجملهن « مدام فوريه » زوجة الملازم « فوريه » التي لها قصة شهيرة مع نابليون طوال فترة إقامته في مصر !

ولم ينس نابليون أن يصحب معه نخبة من العلماء الأفذاذ من بينهم مونج وكفاريللي وكونتيه وفورييه وكبير الجراحين الدكتور « لاريه » مبتكر مستشفى الميدان المتنقلة ، بالاضافة الى حروف أول مطبعة عربية تجلب الى الشرق !

مصادرة كنوز الفرسان

وكانت سفينة القيادة « أورينت » أو الشرق تحمل ثروة هائلة من الكنوز الذهبية ، التي يعود مصدرها كما يذكر المؤرخون الى المرفأ التالي لأسطول نابليون بعد مغادرته طولون ، وهو جزيرة مالطة ، حيث يعيش فرسان القديس « يوحنا » أو



نابليون بونابرت .. عندما أبلغوه بنبأ كارثة « أبوقير » قال: إننا مطالبون بل مكرهون على أن نأتى بجلائل





فى هاتين اللقطتين : نلسون القائد الانجليزى الذى أغرق سفينة القيادة الفرنسية .. ومجموعة طلقات رصاص .. من ضمن القطع التى تم انتشالها من السفينة الغارقة

فرسان «الاسبتاريه الأورشليميين» وكان البابا «باسكال الثاني» قد شكل منهم فرقة حربية مسلحة متعصبة، وتدرعوا بجزيرة «رودس» حيث عملوا بالقرصنة، الى أن هاجمهم السلطان العثماني سليمان القانوني عام ١٥٢٢ وأرغمهم على الاستسلام، ولكن الامبراطور شارل الخامس منحهم جزيرة مالطة ملكا خاصاً لهم عام ١٥٣٠ م.

لقد استطاع نابليون أن يستولى على مالطة في يوم واحد، مقابل ثلاثة جنود قتلوا أثناء اقتحام الجزيرة، وكان بها حامية من ١٥٠٠ رجل، ٣٣٢ فارساً، نصفهم يعاني أمراض الشيخوخة بينما هرب الباقي طمعاً في الحياة.. وقد صادر نابليون كنوز الفرسان المكونة من ٧٫٠٠٠٫٠٠٠ فرنك، ٣٥٫٠٠٠ بندقية، بالاضافة الى الأواني الذهبية والفضية التي تبلغ قيمتها مليون فرنك، وتحف كنيسة القديس يوحنا المرصعة بالجواهر ومن بينها قضيبان مرصعان بالذهب!

ويقال أن علماء الحملة صهروا الذهب الى سبائك وضعت في صناديق حديدية واخفيت في قاع الأورينت!

المهم أن الرحلة استغرقت من طولون الى الاسكندرية ستة أسابيع أنفق أغلبها نابليون في قراءاته المتنوعة عن مصر والأراضي المقدسة، بينما كان جنوده على ظهر السفن الأخرى يعانون المرض والجوع والارهاق بعد أن تلف اللحم المملح ونقص البسكويت.

نابليون والهزيمة

ولم تدع بريطانيا غريمها نابليون يستحلب حلاوة النصر، فاطلقت وراء سفنه أسطولها بقيادة «هوراشيو نلسون» ليجوب البحار بحثاً عن سفن الأسطول الفرنسي.

كان وقتها في الأربعين من عمره، وقد



أحد الأجهزة التى تستخدم فى التمهيد لعملية الانتشال البحرى



بعض أجزاء متناثرة من السفينة الفرنسية بعد انفجارها وتطاير أجزائها وهبوطها إلى القاع!

كنوز نابليون

الغارقة في "أبوقير"

خدم البحرية البريطانية منذ الثانية عشرة من عمره ، وفقد عينه اليمنى في القتال ، بينما لم يتم شفاؤه بعد من أثر فقده لذراعه اليمنى أيضاً !

كان القائد الغريم لنلسون هو أمير البحر الفرنسي « بروى » الذي كلفه نابليون بعد أن نزل مع جنوده على الشاطئ أن يبحث لأسطوله عن مرفأ أمين يتمكن فيه من مناورة الدفاع والهجوم ضد أي عدوان بريطاني متوقع !

وفي الساعة الرابعة بعد ظهر أول اغسطس عام ١٧٩٨ م ، لاح الاسطول البريطاني عبر الأفق في أربع عشرة بارجة وهو يندفع في سرعة نحو ساحل أبي قير . كان نلسن يحاول أن يكتشف موقع كل قطعة من الاسطول الفرنسي بمنظاره المكبر

وهو على سطح بارجة القيادة الانجليزية « قادنجارد » وبدأت المعركة مع مغيب الشمس . وعندما خيم الظلام كان الدخان يحجب القمر تماماً .. وكان الأميرال بروى جريحاً في رأسه وإحدى يديه !ويذكر المؤرخون أن « الأورينت » نجحت في

البداية في تعطيل البارجة الانجليزية « بللرفون » بعد أن تجرأت الأخيرة على ضربها وبعد نجاح طلقة مدفع في تمزيق الفخذ اليسرى «لبروى» الذي أبى أن يحمله أحد الى المستشفى وطلب أن يموت كقائد بحري في مكانه ، واستطاعت الطلقات الفرنسية أن تصيب « نلسون »أيضاً بجرح غائر في رأسه !

واشتدت نيران المعركة لتشب في مساء نفس اليوم النيران على ظهر السفينة « أورينت » !

ورغم هذا الحريق الهائل ، ظل الأسطول الفرنسي يقاوم ، الى أن انفجرت باخرة القيادة « أورينت » وتطايرت اجزاؤها ، صواريها وعوارضها وحبالها مختلطة بأجساد الجنود ، وطفا نحو ستين منهم وهم يتعلقون بأشياء عائمة لتحصدهم قذائف المدفعية من الجانبين !

وأبلغ بونابرت بنبأ كارثة أبو قير في ١٣ أغسطس قرب الصالحية التي تقع على طرف صحراء سيناء ، وكان يطارد واحداً من أمراء المماليك ، ويقال أنه قال لضباطه ساعة ابلاغه النبأ : « حسناً أيها السادة .. اننا مطالبون بل مكرهون على أن نأتي بجلائل الأعمال » !

البحث عن الكنز

ولكن ما هي قصة البحث عن أسطول نابليون تحت قاع البحر ، والتي ربما تتم آخر فصولها باكتشاف جديد لم يتوقعه أحد بعد أن تبدأ المرحلة الثانية من العمل خلال الثلاثة شهور القادمة ؟

إن القصة تبدأ عندما تقرر البحث عن هذا الأسطول الغارق في قاع أبو قير ، وخاصة الأورينت سفينة القيادة التي سيتم تحزيمها بما فيها لتطفو على السطح في أكبر عملية انتشال بحري ، ثم يلي ذلك اخراج السفن الثلاثة الأخرى الغارقة وهي : لارتيمز ولورجريبه ولاسريير .

ويقول عبدالله العطار كبير مفتشي الآثار الاسلامية ورئيس بعثة انتشال الأسطول الفرنسي ، أن المبادرة جاءت من الجانب الفرنسي عندما تقدم كبير غطاسيهم ورئيس الاتحاد الدولي للغطس « جاك دوما » بطلب الى هيئة الآثار المصرية لاكتشاف بقايا الأسطول الغارق وشارك في تمويل تكلفة البحث والانتشال واحد من أحفاد نابليون

وهو « لويس جيروم فيكتور » وأرسلت البحرية الفرنسية كاسحة الألغام « فان لونج » الى الاسكندرية في العام الماضي حيث مارست عملها في دائرة مساحتها ٣٧ كيلومتراً ونجحت في تحديد مواقع السفن الأربعة .. وفي هذا العام واصلنا البحث مستعينين بأحدث الأجهزة الفنية ، وانتهت المرحلة الأولى بالتنظيف حول « الأورينت » وبالرغم من أن عملية التنظيف تمت بالنسبة للسطح فقط ، إلا أنها أدت الى اخراج مجموعة كبيرة من مقابض السيوف والبنادق والمسدسات وأحد مدافع الأورينت الثقيلة ودفتها وبكرات حبال والواح رصاص وأزرار ستر الضباط والجنود ومسامير نحاسية وبرونزية وشمعدانات نادرة وأواني زجاجية وخزفية وعملات ذهبية وبرونزية ، وزجاجات نبيذ فارغة ومجموعة من أدوات الملاحة القديمة من بينها بوصلة واسطرلاب وبراجل وخرائط وحامل نياشين قائد البحرية الفرنسية « أدميرال بروى » وعليها الحروف الأولى من اسمه ويتدلى منها عشرة أفرع من الخيوط الذهبية ، بالاضافة الى معلقة من الذهب الخالص هي الوحيدة من نوعها في المتاحف وتبلغ زنتها ٥٠٠ جرام ، وأدوات جراحة طبية وقطع هامة من جسم الأورينت من بينها شاسيه الدفة .. وقد أعدت هيئة الآثار متحفاً مؤقتاً للقطع التي تم اكتشافها في قلعة « قايتباي » الأثرية تمهيداً لنقلها في متحف مناسب يضم كل المقتنيات الخاصة بالبحرية المصرية منذ عصر الفراعنة وسيطلق عليه اسم المتحف البحري .. وستبدأ المرحلة الثانية من الاكتشاف خلال شهري أكتوبر ونوفمبر القادمين ..

وهكذا نرى أن الأيام القادمة ستشهد على ساحل الاسكندرية بالقرب من جزيرة نلسن القابعة بصخورها بين الأمواج مولد صفحة جديدة من تاريخ الشرق الذي كان دائماً وما زال مطمعاً لأحلام وأطماع الغرب في الاستعمار بكل صوره وأشكاله القديم منه والجديد !

فاروق أباظة

بقلم : الدكتور محمد البهي

التوبة إلى الله

• قد نرى كثيراً من الناس – في حاضرنا اليوم – يعلنون التوبة الى الله عن ذنب أو خطأ ارتكبوه في سلوكهم مع أنفسهم أو مع الآخرين . ويعتقدون أنهم باعلانهم التوبة الى الله قد زالت آثار ذنبهم أو أخطائهم وأصبحوا مقبولين عند الله . ثم يستأنفون نفس السلوك الذي يتضمن الذنب أو الخطأ ، أو يرتكبون ما هو أشد قبحاً من سابقه ، ويعلنون بعده : التوبة الى الله ، ويعتقدون كذلك : أنهم أصبحوا مطهرين من ذنوب الماضي وأخطائه . وهكذا .. تمر حياتهم بين أخطاء ترتكب ، وتوبة الى الله تعلن . وكأن إعلان التوبة ممحاة بها الذنوب والأخطاء في أفعال الإنسان وتصرفاته ، التي تنطوي على سوء أو قبح للذات أو للآخرين .

والتوبة على هذا النحو أشبه بلعبة يلعب بها المذنب ولا يدري : إن الذي يقبل التوبة من عباده هو الله الذي له ملك السموات والأرض ، وهو القاهر فوق عباده ، وهو الجبار المتعال . وهكذا تحولت التوبة الى الله الى « شعار » يردده ، دون أن تكون له حقيقة واقعة في حياة التائب ، والذي حولها هو الانسان المسلم عندما خف ايمانه وأصبح هذا الإيمان « شهادة » يتلوها بقوله : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » من غير أن يستجيب عملياً لدعوة الحق في توجيه الانسان ، وتصرفاته ، وهدايته الى الصراط المستقيم .

• واذا عدنا الى القرآن لتحديد معنى « التوبة » الى الله وجدنا : أن « التوبة » مقترنة بأمرين :

أولا : بتصفية الماضي كله وعدم العودة اليه نهائيا .

ثانيا : بانتهاج المنهج السليم في العمل والسلوك ، وفي المعاملة والعلاقات بين الناس طبقاً لمنهج الاسلام في العقيدة والشريعة معا .

فعن تصفية الماضي يقول الله تعالى للذين يتعاملون بالربا : « وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تَظْلِمونَ ولا تُظْلَمونْ . وان كان ذو عسرة فَنَظِرَةٌ الى ميسرة ، وان تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون » (البقرة : ٢٧٩) .. فيطلب القرآن لكي تتم التوبة من المرابين : أن يتنازلوا في ديونهم عن جميع الزيادات الطارئة على رؤوس أموالهم التي أقرضوها ، بحيث لا يكون هناك ظلم لأحد : لا لهم .. ولا للمتعاملين معهم . ثم للتدليل على النوايا الطيبة والاخلاص في التوبة .. يجب أن يؤجل المدين الى حين يساره ، إن لم يتنازلوا له كلية عن الدين ، والتنازل عن الدين كله هو في مصلحة أولئكم الذين كانوا يتعاملون بالربا ، قبل أن يكون في مصلحة المتعاملين معهم وهم المدينون : « وان تصدقوا (أي برأس المال والزيادة عليه) خير لكم إن كنتم تعلمون » ، لأن هؤلاء المدينين لا تنطوي نفوسهم بسبب قسوة المعاملة وهم أصحاب حاجة ماسة ، إلا على الحقد لمن قسى عليهم . وساعة أن يتنازل لهم عن الدين يتبدل حقدهم الى صفاء ، فمحبة ، والحقد شر ما يبتلى به الإنسان .

وعن الأمر الثاني وهو انتهاج المنهج السليم في العمل والسلوك يقول سبحانه جلت قدرته : « ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ، ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا ، ان ربك من بعدها لغفور رحيم » (النحل : ١١٩) .. فيربط القرآن غفران الله وقبوله للتوبة .. بتوبة التائب عن عمله السئ الذي صدر عنه من غير قصد ، والتزم حين توبته في عزم وإرادة قوية : بتغيير عمله ، في نوعه وفي أسلوبه ، بحيث يكون عمله الجديد تعويضاً عن الماضي وإصلاحاً لأخطائه .

أما إذا أعلن التوبة واستمر على منهجه فيما قبل التوبة ، فتوبته عندئذ هي شعار فقط ، يرفع دون أن يثمر : « وليست التوبة للذين يعملون السيئات » (النساء : ١٨) . أي الذين يستمرون في عمل السيئات ، سيئة بعد أخرى .

وهكذا : نجد حقيقة : « التوبة الى الله » مركبة من أمرين : من الندم على ذنب فات ووقع من غير قصد ، ومن مباشرة العمل المثمر الصالح الذي توحى به هداية الله تواً في غير إبطاء وفي عزم أكيد : « واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل : سلام عليكم ، كتب ربكم على نفسه الرحمة : انه من عمل منكم سوءاً بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح ، فانه غفور رحيم » .. (الأنعام : ٥٤) .. والذين يعمدون الى السوء ويقصدونه ، ثم يعمدون الى إعلان التوبة فلن تقبل توبتهم : لأن قصدهم الى السوء لا يحقق ندمهم على اقترافه .

وان أمارات الضعف للمسلمين هي في أن تتحول مفاهيم دينهم الى شعارات ، تظل بعيدة عن التطبيق في حياتهم . وان أمارات قوتهم وقربهم الى الله هي في أن تكون حياتهم العملية تعبيراً عن إسلامهم ، بدلا من أقوالهم التي لا مدلول لها ..

العميل المزدوج!

المواطن العربي الذي اشتهر بحبه للأسفار والمغامرات والمسمى بالسندباد ، عاد إلى بلده إثر انتهاء رحلته السابعة التي كانت زاخرة بالأخطار والمفاجآت والوقائع الغريبة المدهشة .

ولما علم أصدقاؤه بعودته ، أتوا إلى بيته كعادتهم مستفسرين بفضول عما جرى له أثناء رحلته ، فحكى لهم وقائع كثيرة مثيرة مشوقة انتزعت من حناجرهم شهقات التعجب ، ثم أعلن في ختام حديثه أنه قد تعب وآن له أن يهجر الأسفار ويخلد إلى الراحة ولاسيما أنه قد صار عجوزا ، فقال له أحد أصدقائه بلهجة موبخة : «من المؤسف أن تتخذ هذا الموقف الشائن ، وهو موقف لا يليق بك ، وينبغي لك أن تسارع إلى التخلي عنه ، وأن ..» .

فقاطعه السندباد قائلا : «تكلم بوضوح ولا تكن كالأدباء الذين يحتاجون إلى خمس آلاف كلمة كي يقولوا فقط إن الذبابة هي ذبابة . هيا قل ما تريد دون لف ودوران» .

قال الصديق : «أأنت عربي أم أجنبي ؟» .

فقال السندباد : «ماهذا السؤال المهين ؟ أنا بالطبع عربي ، ولا أحد يجرؤ على الشك في أصالة عروبتي» .

قال الصديق : «إذا كان ماتقوله صحيحاً فلماذا زرت بلدان العالم ولم تزر البلاد العربية التي هي بلادك ؟ أليس مخجلاً أن تجهل وطنك العربي الذي تزعم أنك تنتمي اليه ؟ أنا أعتقد أن الوطني المخلص يعرف بلاده أولاً ثم يحاول بعدئذ أن يعرف بلاداً أخرى» .

ففكر السندباد فيما سمعه ، ثم قال لصديقه : «أنا أقر بأن انتقادك لي صائب ، وأعاهدك على أني سأزور البلاد العربية كافة في أقرب وقت» .

وبعد أسابيع قليلة ، بر السندباد بعهده ، وسافر بالطائرة إلى إحدى المدن العربية التي اختارها كي تكون بداية لرحلته الاستطلاعية في أرجاء الوطن العربي . وما أن حطت الطائرة على أرض المطار حتى بادر السندباد إلى النزول منها ، وهرع لانجاز الاجراءات الأمنية والجمركية المطلوبة من كل مسافر آت إلى تلك المدينة .

قدم السندباد جواز سفره إلى موظف الأمن الذي دقق مطولا في الجواز ، ثم قال للسندباد متسائلا : «ماغايتك من هذه الزيارة ؟» .

قال السندباد : «الاطلاع على أحوال الناس والبلاد» .

قال موظف الأمن : «وما مهنتك ؟» .

قال السندباد : «لاعمل لي في الحياة إلا السفر من بلد إلى بلد» .

فحدق موظف الأمن إلى الثياب العتيقة التي يرتديها السندباد ، وقال له : «أأنت مليونير متنكر ؟» .

فابتسم السندباد بمرح ، وقال : «لا . لا . أنا لا أملك من متاع الدنيا الا القليل من المال والثياب وراديو ترانزستور يوضع

خواطر تسر الخاطر



بقلم : زكريا تامر

في لجيب» .

قال موظف الأمن وقد تجهم وجهه واحتد صوته : «أأفهم من كلامك أنك فقير ولا مهنة لك وتزور البلاد من أجل معرفة أوضاعها ؟» .

قال السندباد : «أحسنت . لقد لخصت حالي أروع تلخيص وبأقل عدد من الكلمات» .

فقال موظف الأمن بصوت صارم مهدد : «ابق مكانك ولا تتحرك وانتظرني حتى أرجع» .

ودخل موظف الأمن إلى إحدى الغرف وهو يحمل بيده جواز سفر السندباد ، ومكث فيهادقائق ، ثم خرج منها وبرفقته شرطيان ، ودنا من السندباد ، وقال له وهو يشير بسبابته إلى الشرطيين : «اذهب معهما» .

فهم السندباد بالكلام مستنكرا ، ولكن أحد الشرطيين لكزه في خاصرته لكزة فظة آلمته ، وقال له : «أمرك بالمشي معنا فامش معنا بلا أي كلمة» .

واقتاد الشرطيان السندباد إلى غرفة فسيحة لاتوجد فيها إلا طاولة جلس وراءها ضابط شاب .

قال الضابط للسندباد : «اسمك السندباد ؟» .

فهز السندباد رأسه بالايجاب ، فقال الضابط : «أهذا اسمك الحقيقي؟» .

فدهش السندباد ، وقال باعتداد : «هذا هو اسمي ، ولا اسم لي غيره» .

لاذ الضابط بالصمت ، وشرع في تقليب جوز سفر السندباد ، ثم قال له فجأة : «من أرسلك إلى بلادنا وما المهمة المكلف بتنفيذها ؟» .

فحملق السندباد إلى الضابط مبهوتا ، فضحك الضابط بهزء ، وقال : «مابك ؟ هل ظننت أننا أغبياء إلى حد أنك تستطيع خداعنا ؟ هيا اعترف ولا تحاول الإنكار والا اضطررت الى استخدام أساليب ستجبرك على الاعتراف حتما ، ومادمت ستعترف وتتكلم فمن الأفضل لك ولنا أن تتكلم فوراً» .

قال السندباد مذهولا : «عن أي شيء اتكلم !» .

فقال الضابط بنزق : «لا تتصنع البلاهة والسذاجة . أحك بالتفصيل عمن أرسلك وعن أهدافك من هذه الزيارة» .

قال السندباد : «لم يرسلني أي شخص وغايتي الوحيدة من هذه الزيارة هي أن أطلع على أحوال الناس والبلاد» .

قال الضابط : «أن تطلع على أحوال البلاد أم أن تتجسس على البلاد ؟» .

فقال السندباد بغضب : «أنا عربي ، والعربي لايتجسس على أخيه العربي» .

قال الضابط : «لن تخدعنا بمثل هذا الكلام الذي تعودنا سماعه من كل خائن عميل جاسوس . من الواضح أنك شخص عنيد لايفيد معه الكلام اللطيف» .

وأشار الضابط إلى الشرطيين ، فانقضا على السندباد ، وانهالا عليه بالصفع واللكم والركل ، فسقط أرضا ، وتعالى صياحه مستغيثا متوسلا ، ولكن الضرب استمر ، وازداد قسوة وعنفا وضراوة حتى سالت الدماء من فمه وأنفه وأذنيه ، وأحس بألم كأن آلاف السيارات مرت فوق جسده ، فزحف نحو الضابط ، وقال له بصوت متهدج : «ارحمني . سأقبل حذاءك . سأفعل كل ماترغب فيه» .

قال الضابط : «ستعترف وتتكلم» .

قال السندباد : «سأعترف» .

فأشار الضابط إلى الشرطيين ، فكفا عن ضرب السندباد .

قال الضابط بلهجة آمرة : «هيا تكلم واعترف» .

قال السندباد : «بماذا تريد أن اعترف ؟» .

قال الضابط : «اعترف بأنك خائن وعميل لدولة معادية» .

قال السندباد : «ولكني لست عميلا لأحد . أنا مجرد شخص يهوى الرحيل من مكان إلى مكان ، ورحلاتي كتبت عنها حكايات للكبار والصغار ونشرت بمختلف لغات العالم» .

قال الضابط : «إذن أنت تعترف بأن اخبار رحلاتك قد نشرت بلغات اجنبية ؟» .

فهز السندباد رأسه موافقا ، فقال الضابط : «هذا دليل لا يدحض ، ويبرهن على أنك عميل لجهات أجنبية . هيا اعترف والا ...» .

ونظر السندباد إلى الشرطيين ، فألفاهما كذئبين جائعين متأهبين لالتهامه ، فانتحب ، وقال : «إحترموا شيخوختي . أأضرب وأذل وأهان وقد بلغت من العمر عتيا ؟» .

فقال له الضابط بصرامة : «من يتعاون مع الأجنبي لا احترام له لدينا ، وعليك الآن أن تختار بسرعة إما استمرار الضرب واما الاعتراف» .

قال السندباد بخنوع : «سأعترف» .

فقال الضابط لأحد الشرطيين : «اكتب اعترافاته» .

فقال السندباد : «مادمتم تعرفون ما سأعترف به ، فاكتبوا اعترافاتي وأنا سأوقع عليها» .

فقال الضابط للشرطي : «اكتب : اعترف المدعو السندباد بأنه عميل مزدوج يعمل لصالح المخابرات الاميركية والمخابرات الروسية ، وكلفه تشيرنينكو باثارة النعرات الطبقية والاضطرابات ، وكلفه ريغان بتدبير انقلاب عسكري للاطاحة بنظام الحكم» .

قال السندباد باعياء : «هل تريدون مني شيئا آخر ؟» .

فضحك الضابط ، : «لا داعي إلى العجلة ، وما حدث لك الآن مجرد صفحة واحدة من كتاب ضخم ، ولدينا الكثير من الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة منك» .

فأغمض السندباد عينيه ، ورأى بحرا هائجا يحطم السفينة التي يركب فيها ، فيسقط في الماء ، ويصطدم بلوح خشبي من الواح السفينة ، فلا يحاول الإمساك به ، بل يدفعه بعيدا عنه ، ويستسلم ببهجة لقوة غامضة تجره الى قاع البحر .

- اللغة الإنجليزية في نيجيريا رمز للاضطهاد والقسوة .. أما اللغة العربية فهي لغة الدين والذوق والوجدان
- محاولة لتكسير الإنجليزية تعبيراً عن رفضها من جانب المواطنين
- أكثر من ٢٧ ألف مدرسة قرآنية لتعليم الدين واللغة العربية في نيجيريا

الثقافة العربية في نيجيريا

بقلم : الدكتور عبد الحميد إبراهيم

— ١ —

ان نيجيريا اليوم تبحث عن شخصيتها ، خلال ثلاثة محاور ثقافية ، تتصارع وتتداخل فيما بينها ، وهي اللغة العربية ، ولغة الهوسا واللغة الانجليزية ، وتبدو مظاهر هذا الصراع والتداخل حتى عند الرجل العادي ، فهو يحادثك بلغة تختلط فيها العربية والهوسا والانجليزية .

والنيجيريون على وعي بهذا الصراع ، ويوجهونه نحو غاية تهدف في النهاية الى خلق الشخصية النيجيرية الموحدة ، التي ترتبط بهموم واقعها ، وقد تكرر هذا الهدف كثيراً على لسان قادة الفكر . ان الدكتور الحاج جنيد يعبر عن الكثيرين من ابناء وطنه حين انتقد نظام الجامعات في نيجيريا ، وقال في كلمته التي القاها في جامعة أحمد بللو ، لمناسبة منحه درجة الدكتوراة الفخرية (اعذروني اذا قلت ان جامعتكم هذه كسائر الجامعات في نيجيريا هي نبت ثقافي مستورد ، تبدا جذوره في تقاليد اخرى ، وهي جزء من تركة الثقافة التي ورثناها من اتصالنا بهذه التقاليد ، ومازلنا نحاول التلاؤم معها) ثم يذكر ان الجامعات في بلده انما هي نيجيرية في الاسم والموقع الجغرافي فقط ، لانها لا ترتبط بالمجتمع ، ان المعرفة وحدها لا تكفي ومجرد التعبير وحده لا يدل على تقدم ، ولكن الازدهار الحقيقي ان يرتبط كل ذلك بالواقع ، ثم يقول (انني اوافق على ان كل ثقافة لها اعتبارها ، وان كل الثقافات تهدف لأهداف واحدة ، وتشترك في المبادىء الاساسية ، ولكن هناك فوارق دقيقة بين ثقافة واخرى ، وهذه الفوارق على دقتها هي الأساس الذي يميز بين شخصية كل ثقافة ، وعندما تمحى هذه الفوارق الدقيقة ، التي تميز ثقافة جماعة معينة ، فان هذه الجماعة نفسها لا تلبث ان تضمحل) (١) .

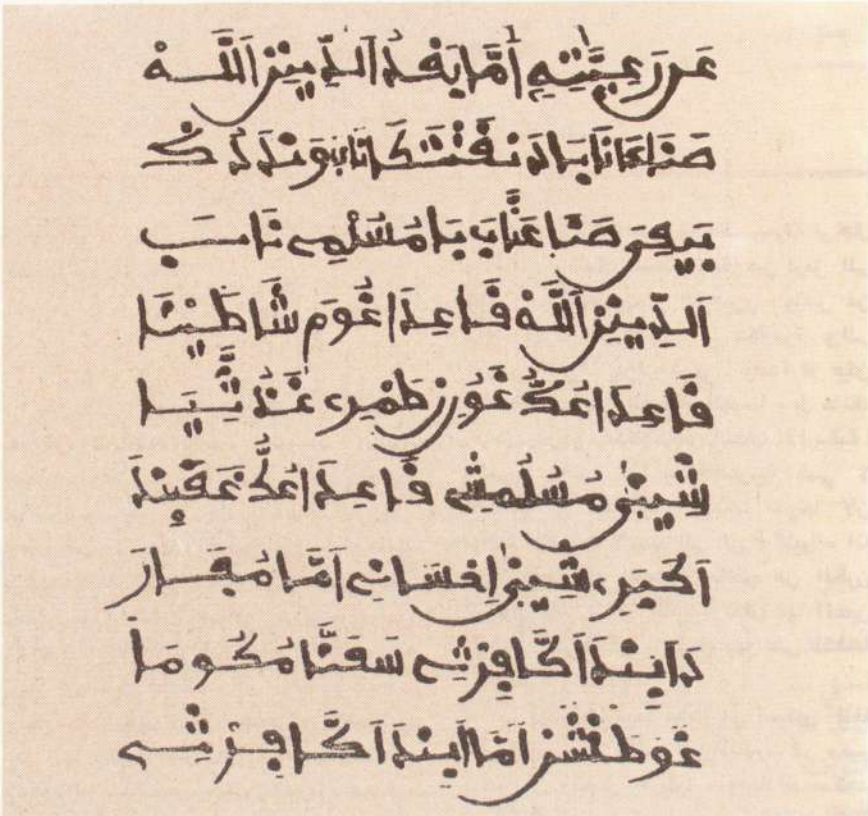
ولكن المشكل هو التمييز بين الدخيل والجوهر في الثقافة النيجيرية ، بين النبت المستورد الذي يحمل عناصر ثقافة خارجية ، والنبت الذي ينمو داخل التربة المحلية ، ويوم ان يتم ذلك التمييز بدقة ، فان نيجيريا ستجد شخصيتها التي تبحث عنها .

— ٢ —

والثقافة الأجنبية المستوردة ، التي يعنيها الحاج الجنيد وامثاله ، هي الثقافة الانجليزية ، التي ادخلتها حركات التبشير ، وروج لها الاستعمار حتى اصبحت اللغة الانجليزية هي اللغة الرسمية للدولة ، ولغة التفاهم بين كثير من النيجيريين .

ووجد الاستعمار مقاومة شديدة من النيجيريين ، وظل منذ سنة ١٨٦١ م — وهي السنة التي احتل فيها لاجوس في الجنوب — يحاول ان يحتل الشمال ، معقل المسلمين وموطن دولة الشيخ عثمان ، ولم يكتب له الانتصار النهائي إلا سنة ١٩٠٣ ، فاستسلم اهل الشمال عن كره ، وهادنوا الانجليز ظاهرياً ، وقلوبهم تضمر لهم العداوة ، وقد كتب الوزير محمد النجاري رسالة الى اهل العلم والتدبير ، يبرر فيها الصلح مع الانجليز ، اذ يجوز موالاة الكافر باللسان دون القلب ، ويستدل بالاية الكريمة (إلا ان تتقوا منهم تقاة) ويرى ان هذا بلاء سيزول بمشيئة الله ، كما زال المغول الذين احرقوا بغداد ، وكما زال القرامطة الذين غزوا مكة . (٢)

وصورة الرجل الابيض تعني في ذهن النيجيري صورة المختطف الذي يسرق الالاف من السود ، ويسوقهم مكبلين بالحديد الى بلاد مجهولة ، يعملون عبيداً ، ويتركون الاهل والوطن ، رايت بعيني سائحة إنجليزية ، اقتربت من طفلة نيجيرية لتربت على كتفها ، فاذا بها تصرخ بتشنج ، وحدثني احد الاصدقاء انهم كانوا في سيارة فى طريق عمومي فاشار لهم رجل نيجيري لكي يحملوه معهم ، ففعلوا . وحين اضيئت الانوار وهم يسيرون ، واكتشف انهم ملونون ، اصابه



هكذا يكتبون الخط العربى فى نيجيريا

الرعب وصاح باعلى صوته : ابيض! ابيض ! وظن انهم سيحملونه مكبلا الى بلاد مجهولة ، ولم يهدأ حتى انزلوه .

إن اللغة الانجليزية لاتحتل جزءاً من وجدان النيجيري ، انها تجري على لسانه في الظاهر فقط ، اما في داخله فهي رمز للاضطهاد والقسوة ، انه ينطقها بطريقة تحطمها ، هي ليست انجليزية صحيحة ولكنها انجليزية مكسرة، وكان النيجيري من حيث لا يشعر يحاول ان يكسر قواعدها ، ويحطم ابنيتها ، ويلوي مفرداتها ، فينتقم منها بطريقته الخاصة .

وحاول الاستعمار بكل الوسائل ان يحارب اللغة العربية او ان يبعدها من المدارس الحكومية ، وان يستبدل الحروف اللاتينية في لغة الهوسا بدل الحروف العربية (الخط المغربي) ، الذي كانت تكتب به لغة الهوسا قبل مجيء الاستعمار وان يحول بين النيجيري وبين الازهر الشريف .

ولكن كل هذه المحاولات لاقت مقاومة شديدة من النيجيريين انفسهم. ان تقرير وزارة المعارف لسنة ١٩٦٠ يثبت ان عدد المدارس القرانية في الشمال ، وهي المدارس التي يقيمها الاهالي ، لتعليم الدين واللغة العربية ، يفوق بكثير عدد المدارس ، التي تقدمها الحكومة وتجعل الانجليزية لغة رسمية بها ، فقد بلغت المدارس القرانية ٢٧ر٦٠٠ مدرسة ، يدرس فيها ٤٢٢ر٩٥٤ طالبا في حين بلغت المدارس الحكومية ٢ر٤٩٠ مدرسة ، يدرس فيها ٣١٦ر٢٦٤ طالبا (٣) والاحصائيات تثبت ايضا أن عدد الذين يكتبون الهوسا بالحروف العربية لا يزال ، على الرغم من محاولات الاستعمار، يفوق عدد الذين يكتبونها بالحروف اللاتينية في شمال نيجيريا . (٤) وقد كتبت الجرائد النيجيرية عام ١٩٥٠ ، تنتقد موقف الحكومة الانجليزية ، لان « الازهر قد تفضل باعطاء بعض المنح الى النيجيريين ولكن الحكومة لم تقبل تلك المنح » (٥) .

— ٣ —

يقول عيسى البي ابوبكر ، وهو من الشعراء الشباب في نيجيريا ، عن اللغة العربية ، وذلك في المؤتمر الذي عقدته كلية التربية ـ بالورن ، عن أهمية اللغة العربية :

ابن فودى ادارها بهدي الله
تعالى فصار في الأرض قطبا
لغة الضاد عنده كانت الاو
لى سواها بعد عيبا وثلبا
غاية المرء ان يكون عزيزا
وإذا عز صار للغير طبا
ايها الناس ارحموا لغة الضا
د ولا تخفقوا بذلك رعبا
لا تقولوا اباءنا من قديم ال
عهد ليسوا ـ كما يظنون ـ عربا
ان تاريخنا يقر بأنا
عرب ، طالعوا ـ رجالي ـ كتبا

ان هذا الشاعر الشاب هو امتداد لأجيال قبله ، ترى في اللغة العربية جزءاً من تاريخها وتعبيراً عن وجدانها .

دخل الاسلام عن طريق التجار الى غربي افريقيا ، في القرن الحادي عشر الميلادي ، وازدهر في القرن الخامس عشر على يد القبائل الفلانية ، وهي قبائل كانت تهاجر من مكان الى مكان في غربي افريقية تنشر دينها ، وتتمسك بثقافتها الدينية ، وقد زارهم فرنسيس موار ١٧٣١ على نهر الجامبيا وقال عنهم : (انهم يشبهون العرب ومعظمهم يتكلمون العربية لانهم يتعلمونها في مدارسهم) ، وكانت هذه القبائل تؤثر باخلاقها واخلاصها على سائر القبائل الاخرى،

حتى استطاعت في بداية القرن التاسع عشر ان تؤسس خلافة اسلامية ، وحدت غرب افريقيا ، بزعامة الشيخ عثمان ، وهو ابن فودى الذي يعنيه الشاعر الشاب والذي جعل اللغة العربية لغة رسمية في غرب افريقيا ، حتى قضى الاستعمار على هذه الخلافة عام ١٩٠٣ م .

فالاسلام لم يدخل عنوة ، ولم يترك ذكريات اليمة ، واللغة العربية لم تفرض نفسها على السنة القوم ، بل هم كانوا يندفعون الى تعلمها ويعتبرون ذلك واجبا دينيا ، ويمثل الازهر الشريف حلم كل افريقي ، لانه رمز للعربية والاسلام ، ولم تنقطع صلتهم به منذ القديم ، فقد كانوا يمرون به وهم في طريقهم الى الحج ، ويتزودون من العلماء ، وقد اتصل الشيخ محمد الفلاني الكنتاري بالجبرتي وصادقه ، واقام عنده بعد عودته من الحجاز ، حتى توفى بالقاهرة ، وهناك رواق في الأزهر لمملكة (البرنو) ، وهي أوسع ممالك نيجيريا القديمة ، ولا يزال اسمها باقيا حتى الآن ، وكان اول ملك من ملوكها قد هداه الله للاسلام في أواخر القرن الحادي عشر ، وكان الطلبة النيجيريون يشكلون اعداداً كبيرة تقيم في هذا الرواق ، وفي رواق المغاربة ، ورواق الدكارنة ايضا .

واستمر اتصال النيجيريين بالازهر الشريف حتى ايام الاحتلال ، وتطور الأمر بعد الاستقلال ، وارسلوا البعثات الكبيرة ، عاما بعد عام (٦) ، ينهلون منه ، ويرون في الاتصال به انتصاراً للعلم ، وتحقيقا لشخصيتهم ، ومقاومة للغزو الثقافي الذي فرضه الاستعمار عليهم ، يقول الشاعر الشاب

الثقافة العربية في نيجيريا

في قصيدة اخرى ، انشاها سنة ١٩٨٣ ، حين زار شيخ الازهر نيجيريا ، وتتبع فيها باجلال شديد ، شيوخ الأزهر شيخاً فشيخاً ، يقول :

ازهر الخير من قديم مكـــــــان
يشرب الناس فيه ماء الزلال
قد مضى العصر حولـه وهـو باق
لا يرى في الوجـود شر الزوال
يا صقلي بنيتـه معهداً فيـــ
ـه تبث العلـوم للاجيــــال
ويضـاء نور الهدايـة والايـ
ـمان للناس من قرون طـوال
يذكر اسم الاله فيـه رجـــال
خير بالغـدو والآصـــال
ثم يحمون من ضيـاع ولحـن
لغة الضـاد او من اضمحـلال
موجـة الغزو سدهـا القـوم بالايـ
ـمان والعلم او كريم الخصـال

وحين انشئت الجامعات في نيجيريا ، كانت مرتبطة بالجامعات الغربية ، وخاصة جامعة لندن ، واخذ النيجيريون ينتقدون هذا الوضع الذي يخلق بيئة غريبة داخل بيئة ، ويطالبون بارتباط الجامعات بالواقع ، وبالتعبير عن الشخصية النيجيرية ، وهم يعنون بذلك صراحة ان تهتم الجامعات بدراسة التاريخ الافريقي ، ومشكلات المجتمع النيجيري ، وان تدرس اللغات النيجيرية ، وان تهتم باللغة العربية ، وهي لغة المسلمين في البلاد .

واخذ املهم يتحقق شيئاً فشيئاً ، ففي مجال اللغة العربية مثلا انشئت اقسام كثيرة للغة العربية والدراسات الاسلامية ، حقاً كانت في اول امرها على غرار المعاهد الشرقية في الجامعات الأوروبية ، تدرس الدين الاسلامي من خلال افكار ومؤلفات المستشرقين ، وتدرس المناهج العربية باللغة الانجليزية ، ولكنها تاخذ الآن في التخلص من هذا الارتباط ، ويتضح ذلك في قسم اللغة العربية والدراسات الاسلامية في جامعة (عبدالله تايرو) بكانو ، وفي قسم اللغة العربية بجامعة (سوكوتو) ، فان الدراسة فيهما باللغة العربية ، ويقوم بالتدريس اساتذة من مصر والسودان ، ومن بلاد افريقية قد تخرجوا من الازهر الشريف ، يعودون الطلبة على الرجوع الى المصادر العربية القديمة ، ويطلبون منهم كتابة البحوث باللغة العربية ، ويعقدون الندوات ويلقون المحاضرات . وكل ذلك يساعد على خلق بيئة صالحة لازدهار العربية من جديد ، واسترداد مكانتها التي فقدتها بعد الاستعمار .

ـ ٤ ـ

كان كتاب (مركب العوام الى دار السلام) هو اول كتاب بلغة الهوسا ، كتبه حفيد الشيخ عثمان ، وهو الشيخ سعيد بن امير المؤمنين محمد بللو ، وقد كتب مقدمته باللغة العربية ، يعتذر فيها عن هذا الصنيع الذي جعله يترك كتابته باللغة العربية ، لغة الدين التي كان يكتب بها اجداده وآباؤه ، ويسوق من الاحاديث والآيات ما يبرر هذه الضرورة وانه يريد ان تصل نصائحه الى اهله وبلغتهم ، والله تعالى يقول (وانذر عشيرتك الاقربين) (يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم ناراً) (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) . وبعد تلك المقدمة التي يبرر فيها صنيعه يكتب بلغة الهوسا ، ولكن في حروف عربية ، وفي الخط المغربي الذي كانت تكتب به لغة الهوسا حتى مجيء الاستعمار (انظر الشكل المرفق) . ويخيل لي ان الشيخ عثمان نفسه كان يحس بهذه الضرورة حين افتى بجواز تعلم القصائد باللغة الاعجمية وقال أن من يعلم الناس يحتاج الى فطنة ليظهر الحق لهم بما يفهمونه ولو بالاعجمية ، فان المطلوب هو ذوق القصائد بالقلب) (٨) .

ان لغة الهوسا لا تحس بالصراع مع العربية ولا تراها لغة معتد دخيل ، بل العربية هي جزء من ثقافتها ، وقد استعارت سها الحروف ، وخمس مفرداتها ، والاهم من كل ذلك انها استعارت منها فيما يمس الوجدان الداخلي ، وهو اهم شيء في تركيب الشخصية ، وتشكيل نظرتها نحو الواقع والكون ، فقد استعارت منها ما يمس الطقوس الدينية ، ولا تزال المساجد في نيجيريا تلقى خطبتها مرة بلغة الهوسا واخرى بالعربية واستعارت منها ايضا الاوزان والبحور الشعرية والقافية ، مما يرتبط اكبر ارتباط بتشكيل الذوق .

ـ ٥ ـ

يخيل لي اننا اقتربنا الآن بعض الشيء ، نحو حل الاشكالية التي تميز بين العارض والجوهر في الشخصية النيجيرية . ان اللغة الانجليزيـة تحمل له ذكريـات اليمـة ، تصدم وجدانه كل حين ، اما اللغة العربية فهي ابداً لا ترمز الى القسوة والعنف وسرقة الرجال والاطفال وانتهاك النساء ، بل هي ترمز الى الدين ، وترتبط بوجدان النيجيري ، وتعبر عن ذوقه ، وترمز الى الشرق ، الى مكة مرة ، والى الازهر الشريف مرة اخرى . وابداً لم يكن هناك تصادم بين العربية والهوسا ، بل هناك تداخل وتواؤم ، فكلاهما من اللغات الافريقية ، والهوسا تحس انها بنت العربية ، فهي لا تستطيع ان تقف على قدميها بدونها لان تراثها المكتوب ، لا يمتد الى الوراء كثيراً ، انه يعود فقط الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ان العربية تمثل لها العين الاخرى التي يمكن ان تطل بها على الثقافة والحضارة والتاريخ .

ان المستقبل فيما يخيل لي سيكون للغة العربية ، وسوف تنتصر كما انتصرت في مصر والسودان وشمال افريقيا ، وحينذاك ستجد فيها لغة الهوسا تعبيراً عن تطلعاتها كما وجدت فيها ذلك لغات القبط والبربر والنوبة من قبل .

ان التاريخ لا يخطيء مسيرته ، فقط بتدخل العنصر البشري للاسراع بتلك المسيرة ، ان لدينا الأزهر الشريف ولدينا الأموال المتوافرة في بعض البلاد العربية ، ويوم ان يتم التحالف بين الأزهر والمال ، فان التاريخ سوف يسرع في مسيرته ، وسوف يشرق نور العربية على غرب افريقيا وجنوبها كما اشرق من قبل على شرقها وشمالها .

عبدالحميد ابراهيم
سوكوتو ـ نيجيريا

الهوامش

١ ـ حركة اللغة العربية وادابها في نيجيريا : شيخو احمد سعيد غلادنث ص ٢٧١ (القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٨٢ م)
٢ ـ المرجع السابق ص ٣٢١
٣ ـ انظر نص التقرير في (الثقافة العربية في نيجيريا) ص ٥١٢ . تاليف الدكتور علي ابو بكر (بيروت ـ ١٩٧٢
٤ ـ المرجع السابق ص ٣٧٢ .
٥ ـ حركة اللغة العربية ص ٢٥١
٦ ـ لمعرفة الاعداد والسنوات انظر المرجع السابق ص ٢٥٢ .
٧ ـ ديوان الشاعر ـ مخطوط .
٨ ـ حصن الافهام من جيوش الاوهام ص ٢١ (القاهرة ـ مطبعة الزاوية التيجانية ـ ١٣٧٧ هـ)

صورة حية ورائعة لأديب سعودى موهوب لا يعرفه الكثيرون يكتبها صديقه الأديب العربى المصرى يوسف الشارونى

الضحك حتى الموت

بقلم: يوسف الشاروني

ترددت كثيراً قبل أن اكتب عن هذا الصديق ، فقد تعودنا في شرقنا العربي أن نخفي مشاعرنا ونخجل منها حينا ونعتبرها نوعاً من المباهاة حيناً آخر ، تلزمنا فضيلة التواضع أن نتجنبها . لهذا فانه حتى أدب السير ـ ولا أقول أدب الاعترافات ـ يندر وجوده في تراثنا الأدبي قبل بداية أدبنا الحديث . أما نشر رسائل الأدباء الخاصة فأمر لا وجود له إلا إذا كانت من نوع رسائل ابي العلاء المعري التي يرد فيها على بعض من يراسلونه فتطول وتصبح فناً أدبياً رائعاً ، فتقاليدنا الاجتماعية والأخلاقية اذن تضع حدوداً ـ وما تزال ـ على جرأتنا على الكشف عن دخيلة أنفسنا ، ونفضل أن نرتدي الأقنعة عندما نعلو المسرح أمام جمهورنا .

وبرغم كل هذه الاعتبارات ، وهذه التقاليد التي تجثم على تاريخنا الأدبي ، وجدت أن من حق الصديق سعيد سليمان كردي ـ الذي سبق أن أشرت إليه في مقالي عن الأديب السعودي الكبير أحمد السباعي في عدد يونيو من مجلة الدوحة والذي تكرم بموافاتي بالمراجع التي عاونتني على القيام بنزهتي الأدبية في عالم هذا الأديب ـ أقول إن من حقي عليه أن أودعه بكلمة بمناسبة رحيله عن دنيانا في الساعة السادسة من صباح الجمعة ١٤ شوال عام ١٤٠٤ هـ الموافق ١٣ يوليو ١٩٨٤ م بعد مرض طويل كافحه بروح الفكاهة والسخرية والدعابة قبل أن يكافحه بالطب والعقاقير .

وكل أديب لابد وأن يكون له وبالضرورة جمهور قراء يحبه ويتتبع كتاباته ، وإلا فكيف يوزع مؤلفاته ومن ذا الذي يواظب على شرائها ؟ هؤلاء القراء المختفون يتمثلهم الأديب أمامه حين يكتب في هيئة قارئ مجرد ـ مثل المجردات في عالم المثل الأفلاطوني ـ وهم أحد دوافعه القوية للكتابة وللاستمرار فيها حتى وان زعم أنه لا يعبأ بوجود هذا الجمهور .

وأحياناً ما يلتقي الكاتب فجأة وعلى غير انتظار لقاء عابراً بأحد هؤلاء القراء ـ ربما في اقصى مكان من الأرض حيث يعتقد أن صوته لم يصل ولن يصل ـ فيحدثه قارئه كيف يتابعه منذ سنوات ، وكيف وقع في يده كتاب من كتبه بمحض الصدفة ـ أو قرأ له مقالاً أو قصة ـ فلما أعجب به أصبح قارئه ، ثم يذكر له تفاصيل دقيقة مما قرأ واضح أنها أصبحت جزءاً من وجوده ، فيدرك الكاتب أن كتاباته قد حفرت آثارها في ذاكرة قارئه الذي يراه يعامله باحترام شديد ـ كأنما ما توقع أن يلتقي به يوماً ما أو أن يكون مثله من لحم ودم ـ فلا شك أن مؤلفه كان فكرة مجردة حتى ولو كان قد لمح صورته من قبل في وسائل الإعلام ، ثم تجسد أمامه فجأة للحظات . تلك هي احدى المتع القليلة للكاتب في مجتمع تسوده أغلبية أمية أبجدية وثقافية وروحية .

غير أن هناك أفراداً من هذا الجمهور القارئ لديهم الجرأة أن يكونوا أكثر إيجابية من بقية القراء ، فلا يتركون لقاءهم بكاتبهم لصدفة قد لا تقع ، فيقررون في لحظة ـ لابد وأن تكون عواطفهم أو حماستهم نحو هذا الكاتب قد نضجت كما تنضج الثمرة ويحين أوان جنيها أو قطفها ـ أن يصبحوا اكثر اقتراباً من كاتبهم فيرسلون له معبرين عن حبهم له وإعجابهم بما يكتب . وليس من الضروري أن يكون أفضل كاتب يقرأون له ، لكنهم ربما يستشفون من كتاباته أنه يصلح أن يصبح صديقاً لهم ، وأنه لن يعرضهم لتجربة صد أو عدم مبالاة . ولعل عملية انتقاء تحدث بين الطرفين المتراسلين ، شأنها في ذلك شأن علاقات الحب والصداقة في الحياة ، فليس كل من راسل كاتباً وجد استجابة ولا الكاتب يستجيب لكل رسالة يتلقاها .

تلك هي أيضاً إحدى متع كل أديب ، هؤلاء الأصدقاء الأعزاء الذين يجسدون له قراءه المجهولين المجردين ، إذ يبرزون من غبش هذا السديم الذي يكتب له الأديب ويسفرون عن وجودهم فاذا هم من لحم ودم .

رسائل الصديق

ومنذ أكثر من عشرين عاماً ـ ربما ـ تلقيت خطاباً بالقاهرة عليه عنواني بخط لا اعرفه ، فقلبته لأقرأ الراسل : سعيد سليمان كردي ـ حي الملز ـ الرياض .. وفتحته فاذا به كلمات أحد هؤلاء الأصدقاء المجهولين الذين يخجلون الأديب بكلماتهم

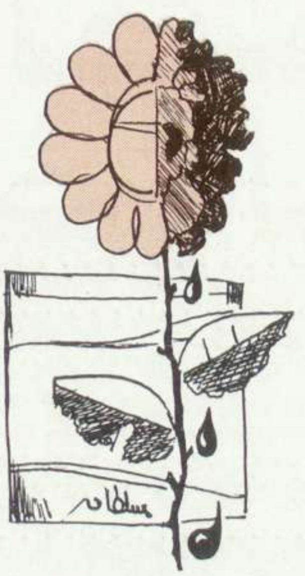
الضحك حتى الموت

الودية المشجعة ـ ها أنا ذا أسقط في رذيلة المباهاة التي يجب أن نتجنبها بحكم تقاليدنا ، ومع ذلك فقد تواتيني الشجاعة مرة أخرى لأذكر نص الكلمات التي اخجلني حقاً أن يغمرني بها .

وقد شدني في اسلوب هذا الصديق الجديد القديم شيء ما جعلني أقرر الاحتفاظ بخطابه ولو لفترة ـ لا سيما وأن الخطاب كان فيه ما يتطلب رداً . ومع أني كسول في كتابة مايسمى بالرسائل الإخوانية ، وأعجب من نفسي كيف أستطيع أن اكتب صفحات طوالاً تنتمي إلى ما يسمونه أدباً وأعجز عن كتابة سطرين رداً على رسالة صديق ، إلا أنني بادرت بالرد عليه . ولجأت إلى حيلة طالما لجأت إليها للخروج من مثل هذا المأزق ،ضرورة الرد على رسالة دون أن أكلف نفسي كثير عناء . ذلك أنني أنتظر أو أنتهز فرصة الأعياد فأرسل بطاقة تهنئة متضمنة رداً موجزاً ـ بحكم المساحة الصغيرة المتاحة على البطاقة . وبذلك أضرب عصفورين بحجر كما يقولون،تهنئة ، ورد ديون رسائل سابقة .

وسرعان ما تلقيت رداَ على الرد ، وتتالت المراسلات بيننا ، وكانت رسائله تتميز بأنها مكتوبة بأسلوب أدبي رفيع تدل على ثقافة كاتبها وسعة اطلاعه كما تتخللها روح الفكاهة والدعابة . فلما تقابلنا أثناء زيارة له بالقاهرة ـ أسعدني أن أكتشف أنه لواء بالشرطة السعودية وأن له محاولات ا دبية ـ أطلعني عليها فيما بعد ـ وأن عنده مكتبة تضم مؤلفات معظم الأدباء العرب المعاصرين ، كما أنه يحفظ كثيراً من الشعر العربي قديمه وجديده ، وطالما استشهد به في رسائله الى ، كما أحزنني أنه يعاني من مرض السكر وهو ما يزال في أواسط العمر .

وتعددت بعد ذلك لقاءاتنا بالقاهرة كلما جاءها في مهمة رسمية أو مستشفياً أو سائحاً (بعد احالته إلى المعاش) . أما خطاباته فقد أخذت ترتفع كومتها على مر السنوات لتملأ مجلداً لو تقرر نشرها .



ومنذ شهور نزلت ضيفاً على عمان ، وكنت قد تباطأت في الكتابة إليه لانشغالي بأمور السفر ، فأرسل لى يقول : في الأسفار خمس فوائد : تفريج هم واكتساب معيشة ،وعلم ، وآداب ، ونسيان صديق .

من وجد أصحابه العمانيين ، نسى ا حبابه السعوديين . الصبر جميل .

وعندما فاز الأديب السعودي الكبير الأستاذ أحمد السباعي بجائزة الدولة التقديرية أرسلت إليه أطلب منه موافاتي بمجموعته القصصية الوحيدة « خالتي كدرجان » . فأرسل لي مجموعة كبيرة متنوعة من المؤلفات القصصية السعودية ، ورد علي قائلاً :

هل تصدق أن طلبك البسيط حركني ، وأورثني نشاطاً كنت مشتاقاً اليه . متقوقع كسلحفاة عجوز ، حركني الخروج من غرفة والدخول لغرفة ، الهبوط لمكتبتي الصغيرة بالدور الأول ، والصعود ثانية لتناول ما صنعته ست البيت من غذاء شهي ، أو رؤية حلوى يسيل لها اللعاب لا إذن لي بتذوقها .

ثلاثة أرباع وقتي قراءة ، إذا هرب النوم من عيني ـ وكثيراَ ما يهرب ، أو انتابني قلق ـ ودائماً ينتابني . وتضغط علي مخى افكار ملونة منها البيضاء والسوداء وما بينهما أفتح الكتاب لأقرأ ، لا دعوة للنوم انما طرداً له .

سيدة البيت تقول لي :

ـ لو كنت متزوجاً ثلاثاً غيري لهان الأمر ورضيت بحكم الله . وعلى طول المدى لاتفقنا عليك ، وأرهقنا صحتك وأعصابك ، ومزقنا جيبك من كثرة الطلبات .

ـ كنت سأدعو الله أن يسلط عليهن شهريار جديداً .

ـ ستأتي شهرزاد أخرى تفك رقابنا .

وواصلت ست البيت دردشتها :

ـ ما العمل في هذه الكتب المرصوصة في صفوف لا يقل مجموعها عن ألفي كتاب أو تزيد ، منها الكبير الضخم ، والصغير المراهق . أرى في كل كتاب ضرة تأخذك مني ، وتنفرد بك وهات يالمس ياهمس .

في شفتيها
في كفيها
في قدميها
ويداك ضارعتان
ترتعشان من لهف عليها »
« ويشب في قلبي حريق
ويضيع من قدمي الطريق
شك ! ضباب ! حطام
بعضى يمزق بعضي ! »

تصرخ على الأولاد إن عبثوا بأحد الكتب أو لم يعيدوه الى موضعه .

بحق أم هاشم والأولياء والصالحين والصالحات أن يصد نفسك قليلاَ عن خلوة الكتب فهي شغلك .

ـــ فال الله ولا فالك ، هو الينا ولا علينا ... احمدي ربك أن سخر لك زوجاً كالفالوذج .

ابتسمت

« وناظرتني .. وألقت
برأسها فوق كتفي .
تباعدت وتدانت
كأصبعين بكفي »

وقامت من مجلسها بصعوبة .

« ودنت لتسألني على حدة عما أريد ...

فقلتها : أنت » .

حوار معاد ، واسطوانة يتكرر

سماعها ، وشريط يلف ويلف .

ثم يختتم رسالته بتبرمه أن قلمه ينساب عند كتابة الرسائل ويتوقف عن كتابة القصة :

لمن أشكو ؟

لمن أحكي ؟

لمن أقول : أنا مظلوم ؟

من هذا القلم اللعين ، يتمطى في الرسائل الخاصة ، ينكمش حتى كأني به يتلاشى ويذوب فلا يمدني بمشروع أقصوصة . أسمعه يقول : ذلك يحتاج لهندسة وتخطيط ، فلا ينفع في البناء الطوب النيّ ولا طمي النيل .

أطأطئ رأسي في صمت وأقول في نفسي :

ــ مقادير ، إيش ذنبي أنا ؟

لم أر منك يوماً ضوءاً أحمر أو علامة توقف أو اشارة انتظار . منطلق . الأنوار كلها خضراء أمامك في الطريق والمنعطفات ، والبترول في بلادي رخيص . هكذا خلقت .

ابتسامات بين السطور

فلما وصله ردي بالشكر على ما أرسله من مؤلفات الأخوة الأدباء السعوديين جاء رده :

قلت في رسالتك إنك لم تطلب سوى خالتي كدرجان فبعثت لك بأبنائها وأحفادها وأخوتها وأخواتها .

خالتي كدرجان أمست عجوزاً وهن منها العظم ، واشتعل الرأس شيباً . تساقطت أسنانها ، تلعثمت وتفأفأت في حديثها . إرتعشت أطرافها ، تفككت مفاصلها . كان لزاماً أن يرافقها بعض أحفادها لمساعدتها في تحركها ، شارحين حديثها ، ذاكرين حياتها .

ابن اختها السباعي ٩١ سنة عرفها في طفولته شابة على اعتاب الزواج ، فلابد أن تكون من عمرها المديد الآن تزداد خريفاً وتكثر تخريفاً .

بأسلوب الحريري وبديع الزمان .

عجوز دردبيس . تأكل الهريس . تؤنس الجليس . تتحدث عن حرب البسوس . تشرب العرقسوس . ابن اختها السباعي لقولها داع ، لأمورها راع . بعثت معها مرافقين ، خوف أن تكون من التائهين . لا تعرف شوارع عمان ، ولا قصر السلطان ، لتذهب اليه ، وتشكو لديه ، ما فعل بها الزمان ، فأحوجها لترجمان ، وبيدها عكازان .

تقول بصريح العبارة . فوجئت بالشرائط ولم يكن هذا من المتفق عليه . وهل الهدايا مما يتفق عليها ؟ سرني أن أعجبك الشريط الذي يحمل صوت المغنية ابتسام لطفي . فكلامها بالفصحى لذا تمكنت من تتبعها والاستماع إلى طبقات صوتها وهو يعلو حينا وينخفض حينا مردداً .

ــ تعال من نهر الحب نشرب .

كأنما الصوت ينخفض بدوره على نهر الحب ليشرب هو أيضاً !

ابتسام أخذ الله بصرها ، ومنحها جمال الصوت وحسن الأداء . سعودية بالتبعية والولاء ، والولادة وطول البقاء ، لا بالأرومة والأصالة . لا يبعد أن تكون تركية من سلالة العثمانيين ، أو مغربية هاجر أجدادها ، أو مصرية ــ وهو ما أميل إليه ــ من شارع محمد علي ، استضفنا إحدى جداتها لإحياء حفلة عرس وغنت وقالت .

ــ مبروك عليك يا معجباني يا غالي ، عروستك الحلوه أمر (قمر) يلالالي . لا شك أعجبتها الإقامة فاستدعت زوجها وبقية الأسرة ، وخلفا صبياناً وبنات . وأيامها لا رخَص اقامة ولا جوازات سفر ، لا شرطي يتعقب ولا شيخ حارة يقتفي الأثر . البلاد مفتوحة الذراعين عندنا وعندكم . أهلا وسهلا . لابتسام أخ يمارس الغناء . يجيد غناء قصيدة مطلعها :

وهل بالطلول لسائل رد

أم لها بتكلم عهد

رسالة من المستشفى

وجاءتني آخر رسائله :

تحية حزينة من حزين .

اتصلت بي أسرتي هاتفياً بالمستشفى وأخبرتني بسؤالك عني . دمعت عيني تأثراً لصديق يتتبع أخباري ، انشغل باله لتأخري عن محادثته فسارع للاستفسار عن حالي .

« كل أحبائي القدامى نسوني

لا فؤاد يجيب لا عفراء .

وأنا الحزن من زمان صديقي ،

وقليل في عصرنا الأصدقاء .

فجراح الحسين بعض جراحي ،

وبصدري من الأسى كربلاء .

« أنا عمر بلا شباب ،

وحياة بلا ربيع .

فمن يبيع ؟ »

في المستشفى وعلى السرير الأبيض ، والمرضات يحطن بي ...

« تعاودني ذكراك كل عشية

ويورق تفكيري حين فيك أفكر .

وتأبى جراحي أن تضم شفاهها

كأن جراح الود لا تتخثر .

أودك ، لا تفسير عندي لصبوتي ،

أفسر ماذا ، والود لا يفسر . »

لا تؤاخذني في خربشتي

« طفل يخربش فوق حيطان النجوم ،

فرح أنا ، ورسائلي فرحت معي

هل للرسائل ياترى أعصاب »

من المستشفى ، من فوق سريري أبعث برسالتي ، فهي مريضة الاسلوب ، هزيلة القوام ، مهتزة الحرف ، الا أنها صادقة الاحساس ، مترعة إخلاصاً ، ممتلئة وداً .

وخرج من المستشفى وعاد إليه ... ليخرج منه لكن .. إلى غير دنيانا .

إن أصدقاءنا جزء من وجودنا ، وبصمتهم ندرك أن جزءاً منا قد كف عن الوجود ، وان ظلت اصداؤهم تتشبث بنا ونتشبث بها .

إن اصداء ضحكات سعيد سليمان كردي تتجاوب في الفراغ الذي خلفه رحيله فتطغى على آلام فراقه .

وليعذرني كل من يعتبرني اتحدث عن قضية شخصية جداً ، لأن هذه الخصوصية الشديدة هي بعينها منفذها إلى عموميتها وإنسانيتها .

يوسف الشاروني

الأُحْجِيَة

قصة جديدة

بقلم: الدكتور عبد السلام العجيلي

في جلسة الأربعاء المسائية في دار السيد بدر الدين ، في البلدة الصغيرة دار الجدل فى آخر الجلسة حول موضوع النية والعمل . ودار فى أشده ، كما ألف الحضور ، بين الصديقين اللدودين الشيخ عبد السميع والدكتور حبيب . الا أنه لم ينته في هذه المرة ، شأنه في كل مرة ، باستسلام الدكتور حبيب لغريمه على كره ، متظاهراً على الرغم منه بالاقتناع بحجج مجادله ، بل اتخذ الحديث اتجاهاً آخر ستتعرف عليه في حينه .

بدأ الأمر بعتاب مقارب للتقريع وجهه الشيخ عبدالسميع لصاحبه الطبيب على الطريقة التي اتبعها في معالجة فتى من أهل بلدتهم ، اسمه اسماعيل ، فارق الحياة منذ أيام قليلة . كان الدكتور حبيب مقتنعاً منذ البدء بأن داء الصبي لا شفاء منه . ومع ذلك فقد وصف له أنواعاً من الأدوية والمعالجات ا رهقت جيوب أهله المحدودي الموارد ولم تزد حاله إلا سوءاً . ثم أشار عليهم بنقله الى المدينة الكبيرة لمعالجات جديدة لم تفد ، إن كانت أفادت ، إلا باطالة عمره أياماً معدودات قضاها في تألم وعذاب . إن أهل الصبي ، مثل كل أبناء البلدة ، يعملون باشارة الدكتور حبيب لثقتهم بمعرفته وباخلاصه فيما يرتئيه لهم ، فلماذا لم يترك اسماعيل لمشيئة الله ما دام علم الأطباء وأدويتهم عاجزة عن أن تحمل إليه العافية ؟ أليست إساءة اجترمها الدكتور حبيب في حق الصبي حين ساهم في إطالة أيام عذابه ، وفي حق أهله بما كبدهم من نفقات هم أحوج اليها في متطلبات عيشهم ؟

تلقى الدكتور حبيب هذا العتاب المقارب للتقريع بسعة صدر وبابتسامة عريضة دأب على أن يتلقى بها مماحكات الشيخ عبدالسميع فيزيد من غيظه ومن حدته في النقاش . باستطاعته أن يرد على الشيخ بأن قسم أبقراط الذي بدأ به مزاولته لمهنته يلزمه بأن يجهد لإبقاء شعلة الحياة في أجساد مرضاه بكل وسيلة ممكنة . إلا أنه خشي من أن يفتح على نفسه ، باحتجاجه بأبي الأطباء أبقراط الاغريقي ، الوثني ، باب هجوم جديد من الشيخ . لذا آثر أن يدفع الحملة عليه بأسلوب آخر ، فقال :

ـ أنا معك يا شيخي في كل ما تكلمت به . وإنما يجدر بك أن تجد عذري في نيتي الحسنة التي كنت أضمرها لاسماعيل . كنت أحاول أن أطيل في عمره ، وما حاولت ا بداً أن أزيد من عذابه .

قال الشيخ عبدالسميع بحدة : نيتك الحسنة ... نيتك ! ماذا يهمني أنا من نيتك ؟ العمدة في ما جرى هي على العمل . وأنا أحكم عليك من عملك لا من نيتك .

وهنا اتسعت ابتسامة الدكتور حبيب على شفتيه حتى قاربت الضحكة فقال الشيخ :

ـ لم يبق إلا أن تضحك . أترى فيما تصرفت به ما يضحك ؟

قال الدكتور حبيب : لم أضحك لتصرفي يا عزيزي الشيخ . أنا مثلك قاربت أن أبكي على ما جرى للصبي ، على الرغم من كوني طبيباً مرت به حالات كثيرة مثل حالته وأكثر إثارة للحزن . ولكني وجدتك تتكلم مثل الفرنسيين الكفرة يقولون في أحد ا مثالهم إن أرض جهنم مرصوفة بالنيات الحسنة . وابتسم كذلك لحكاية ، مرت بخاطري وأنت تذكر النية والعمل ، فأردت أن أستفتيك فيها .

وتهيأ الشيخ ليرد على صاحبه بقسوة ، إلا أن السيد بدر الدين ، رب الدار ، وجد له مجالاً ليحول الحديث الى مجرى آخر فقال :

ـ وما هذه الحكاية يا حكيمنا ؟

قال الطبيب : ليسمح لي شيخي الأستاذ عبدالسميع بأن اتركها الى الجلسة القادمة . هي حكاية طويلة ، وأنا على موعد . ثم إني ا ريد الرجوع اليها في كتاب عتيق من مخلفات المرحوم جدي . قرأتها في صباي وأحسب أن بعضاً من تفاصيلها قد امحى من ذهني . تصبحون على خير ، والسلام عليكم .



— ٢ —

وفي أمسية الأربعاء التالية ، في دار السيد بدر الدين ، بدأ الحضور جلستهم بالتساؤل عن حكاية الدكتورحبيب التي وعدهم بروايتها لهم .

قال الطبيب : ليست هي حكاية ، بل معضلة أحب أن أستفتي شيخنا الفاضل بها . لا ... بل هي أحجية أريده على أن يحلها لي ، ولكم .

ولما كانت الأيام السبعة الماضية قد طامنت من تشديد الشيخ في محاسبة الطبيب على تصرفاته ، فقد بدأ أكثر استعداداً لسماع ما يقوله غريمه الدائم ولتقبل ما يدلي به من آراء . بل أنه أراد أن يجاريه في مرح المحاورة فابتسم وهو يسأله :

ــ أحجية ؟ وهل تطلبت أحجيتك سبعة أيام من التحضير قبل أن تطرحها علي ؟

قال الطبيب : لم تتطلب كل هذا الوقت . عدت الى كتاب جدي المرحوم ثاني أيام جلستنا الفائتة ، ووجدت فيه الحكاية بتفاصيلها . ولكنك تعلم يا شيخي أن ظروفنا ، أنا وكثير من إخواننا الحاضرين لا تسمح لنا بالتلاقي إلا في جلسة الأربعاء هذه .

قال السيد بدر الدين : ألا تقصها علينا هذه الحكاية ، أو تطرحها علينا إذا كانت ، كما تقول ، أحجية ؟

فرد الدكتور حبيب قائلا : اصبروا علي قليلاً . عدت الى كتاب جدي لأسترجع ما كنت قرأته في صباي ... كتاب هو مجلد مهترئ من تلك التي يسمونها الكتب الصفراء ، والتي يشبه بعضها بيدر قش مدفونة فيه جوهرة : يضيع وقتك وتختنق أنفاسك ، وتغثى معدتك أحيانا ، وأنت تفتش فيه ... إلا أنك تنسى كل ما لقيته من عناء حين تحظى بالجوهرة ، أو الجواهر المدفونة فيه .

قال أحد الحضور مستعجلا : الحكاية يا دكتور ... الحكاية !

قال الطبيب : نعم ، الحكاية . إنها قصة أخوين شقيقين ، الكبير اسمه محمد ، والصغير أحمد . ذكرني ما قرأته من صفاتهما بي وبأخي الشيخ عبدالسميع . السنا أخوين في الله يا أستاذ عبدالسميع !

فأجابه الشيخ ، وقد تهلل وجهه : بلى إن شاء الله .

فسأل سالم أفندي ، وهو مأمور البريد في البلدة : من منكما يا دكتور الكبير ، ومن منكما الصغير ؟

قال الطبيب : الشيخ عبدالسميع هو محمد ، إنه أكبر مني سناً وقدرا ، وأنا الصغير ، أحمد . نعم ، هما أخوان لأم وأب . توفي أبوهما وترك لهما ثروة طائلة ومنزلا في بستان في ظاهر المدينة أقاما فيه معاً واختص كل منهما بجزء منه . سكن الكبير في الطابق العلوي ، وهو شقة فخمة مملوءة بالرياش والتحف الثمينة . الا أنه اقتصر في سكناه على العلية ، أعني على حجرة صغيرة فوق السطح أثاثها فراش متواضع وسجادة صلاة ، وليس فيها من الآنية غير كوز للشرب وابريق للوضوء . ذلك بأن الأخ الكبير كان شاباً تقياً ، زاهداً في طيبات الحياة ، همه الصلاة والتفكر في بدائع خلق الله وعجائب آياته . وكانت سكناه في العلية تتيح له الابتعاد عن ضجيج الناس في الأرض وعن مشاغل الدنيا الفانية . أيامه قراءات في الدين وتأمل ، ولياليه ابتهالات وتبتل واستغفار الى الله من نزعات الشيطان ونزوات النفس الأمارة بالسوء ...

وهنا عاد سالم أفندي نفسه الى السؤال قائلاً :

ــ هذا عن الشيخ عبدالسميع ، أعني عن محمد . وماذا عنك أنت يا دكتور ، أعني عن أخيه الصغير أحمد ؟

قال الطبيب ، متجاهلاً لهجة مأمور البريد الساخرة :

ــ أحمد هو الابن الصغير ، لذا كان صبي أبيه المدلل في حياته . اختص أحمد

الأحجية

بالطابق الأول إلا أن اقامته كانت بصورة دائمة في قبو المنزل أو سردابه . في القبو يقضي أغلب ساعات نهاره وكل ساعات ليله ، وفيه يستقبل أصدقاءه والمترددين عليه ، ويحيي حفلاته الساهرة التي تبدأ منذ المغيب وتستمر حتى الفجر أو الى مطلع النهار . كان أحمد على خلاف أخيه فتى ماجناً منصرفاً الى لذائذ العيش ، مولعاً بالشراب والعزف والغناء ، وبرفقة عشراء السوء من الرجال والماجنات المبتذلات من النساء . لم يتورع هذا الفتى عن أن يحيل السرداب الذي يقيم فيه الى مقصف لهو ، وذلك في الدار التي يساكنها فيه أخوه ، وعلى مرأى ومسمع من ذلك الأخ الزاهد الورع . وفي إحدى الليالي ...

وهنا تدخل سالم أفندي مرة أخرى في الحديث مقاطعاً ، فقال : أبهذا تصف نفسك يا دكتور ؟

قال الطبيب : أنا أصف أحمد ولا أصف نفسي . إذا كنت تراني هكذا يا سالم أفندي فليسامحك الله ... وليرحمني .

قال الشيخ عبدالسميع مخاطباً الدكتور حبيب ، كالمطيب لخاطره :

ــ أخونا سالم أفندي يمزح . أنت لست الصغير أحمد ، وأنا أكثر انشغالا بالدنيا وبهارجها من أن أكون مثل أخيه الكبير ، ولو أني تمنيت على الله أن يرزقني تقوى ذلك الأخ وزهده .

قال السيد بدرالدين ، متجاوزاً هذا الملام الهامشي : من فضلك يا دكتور أكمل الحكاية .ماذا جرى في إحدى الليالي ؟

قال الطبيب : نعم يا سيدي ... في ا حدى الليالي أقام أحمد ، الأخ الصغير ، في ذلك القبو إحدى سهراته الماجنة ، وقل أن تمر ليلتان دون إقامته واحدة منها . العزف والقصف كانا في ذروتهما ، والجو في قاعات السرداب مثقل بانفاس الساهرين والساهرات وبأدخنة اللفائف المتكاثفة وبروائح الأشربة بأنواعها . وفي منتصف الليل أحس الفتى ، أعني أحمد ، بضيق في صدره فخرج الى الحديقة الصغيرة الملحقة بأرض الدار ليتنشق الهواء النقي فيها . كانت الليلة ربيعية مزدهرة الأنجم ، رائقة النسيم ، وأرجاء الحديقة معطرة بأنفاس الياسمين والورد الجوري . عب ملء رئتيه من ذلك النسيم الرطيب ورفع رأسه متطلعاً الى النجوم فوقه فشده التماعها في زرقة السماء الداكنة كأنما كان يراها لأول مرة . وحانت منه التفاتة فوقع نظره على ضوء العلية التي يسكنها أخوه محمد على سطح الدار ، ضوء ضئيل يتسلل من طاقة صغيرة كأنه في التماعه الخافت نور إحدى النجوم البعيدة في صفحة السماء . لتلك النظرة ا حس أحمد برعشة تهز كيانه وبيد تعصر قلبه بين أضلاعه . من أعماق القبو كانت تصل اليه الحان الموسيقى الراقصة مقطعة برنين الكؤوس وبالغناء والضحكات الماجنة وفوقه كانت السماء الرائعة الجليلة البهاء ، وضوء العلية الذي أحس بأن اشعته ، على خفوتها ، كانت تنفذ الى صدره كأنها حراب مسنونة ، أو كأنها السنة لاذعة ناطقة تقول له : أما تستحي يا أحمد ؟ ... أما تتقي الله يا أحمد ؟ عشرة ا عوام مضت عليك منذ توفى الله أباك وأنت غارق في الموبقات ، تتبع خطوات الشيطان فيما يزين لك من المعاصي ، أمام عيني ا خيك التقي الورع وعلى بعد خطوات من مصلاه ! ماذا جنيت من مقارفة شهواتك غير لذة زائلة تعقبها المرارة في الفم والعذاب في الوجدان بعد أن تكون أهدرت فيها صحتك وأنفقت مالك ؟ أنظر الى أخيك في العلية واستح من نفسك ... لذته وجدها في القرب من الله ، ونعيمه لقيه في رضاه ، ويالهما من نعيم ومن لذة لا يقاس بهما ما تجنيه من إشباع شهواتك البهيمية ومن صحبتك لهؤلاء الفاجرين والفاجرات ...

وهنا تساءل أحد الجلوس ، مقاطعاً الدكتور حبيب وهو منطلق في وصفه المؤثر لحال الفتى أحمد :

ــ أهو إحساس بالتخمة ، أم هي يقظة ضمير ؟

قال الطبيب : العلم عند الله ، وهذا ما جرى وما خيل الى أحمد أن أشعة الضوء المنبعثة من طاقة العلية تحدثه به . خيل اليه أنها كانت تهتف به : أحمد ... أحمد ... أما تستحي من نفسك ؟ فاستحى من نفسه . شعر بعبث الحياة التي عاشها منذ مات أبوه ، منذ عشر سنوات ، وثقل ما حمل عنقه من أوزار في هذه السنوات العشر . وفي تلك اللحظة سطع في أعماقه نور سكن الرعشة التي تملكته وحرر قلبه من اعتصار الأصابع المطبقة عليه . في هداية هذا النور عزم على أن يسعى الى أخيه الكبير في عليته ، فيقطع عليه صلاته المنصرف اليها في تلك العلية ، وينكب على يديه مقبلاً ومعلناً له أنه طلق الدنيا ودنس ملذاتها طلاقاً لا رجعة فيه ، ومتوسلاً اليه أن يقبله في زاوية من عليته ليغسل بدموع الاستغفار ذنوبه السالفات ، عسى الله أن يقبل توبته ويقيه عذاب النار الموقدة ويتقبله في زاوية من جنته التي وعد بها من تاب وأناب . نعم ، عزم أحمد على هذا ، وباشره .انطلق في لحظته تلك ، غير مفكر بالتعريج على رفاق السوء الغارقين في مفاسدهم في احشاء القبو ، وتوجه بجسده وروحه الى علية أخيه ، متخذاً طريقه اليها السلم القائم في وسط الدار ، وقد إغرورقت عيناه بالدموع وفاضت جوانحه بأنوار العودة الى الله تبارك وتعالى ...

وهنا علا صوت الشيخ عبدالسميع هاتفاً بتأثر :

ــ انها هداية الله . سبحانك اللهم سبحانك ! أكمل يا أخي الحكيم .

فارتسمت على شفتي الدكتور حبيب ابتسامة خفيفة ، بين المكر والرضى ، كأنما سره أن يثير ما قاله اعجاب الشيخ عبدالسميع ، وقال :

ــ سأكمل . في تلك الدقائق التي جال فيها في خاطر أحمد ووجدانه ما جال ، وساقه الى ما ساقه اليه ، كان الأخ الكبير ، محمد ، منصرفاً في عليته الى صلاته وتهجده واستغفاره وتسبيحه ، وفي اللحظة التي أحس فيها أحمد بضيق في صدره دفعه الى أن يخرج من السرداب الى الحديقة أحس محمد برغبة في أن يريح ساقيه مما خلفه فيهما تواتر الركوع والسجود من الخدر ، فخرج من الحجرة الصغيرة الى سطح الدار وراح يتمشى عليه ، والى النجوم المتعلقة فوقه ، واصغى الى ما تلتقطه أذناه من

ا صوات قريبة وبعيدة . كانت كما قلت لكم ليلة ربيعية صاحية السماء تلألأت أضواء نجومها في عين الفتى محمد وملأ نسيمها الرائق صدره ، فحمد الله على نعمه التي لا تحصى وسبحه على عجائب ما ابتدعه من أكوان . وحين وقف من السطح على الحافة فوق نوافذ القبو الذي يقيم فيه ا خوه ، وتناهت الى سمعه ضجة الساهرين فيه ، حوقل واستغفر ، ودعا الله بحرارة الى أن يهدي أخاه الضال الى صراطه المستقيم ...

لم يملك الشيخ عبدالسميع نفسه ، عندما سمع هذه الجملة الأخيرة ، من أن يرفع صوته قائلا :

ــ الله أكبر ! استجاب الله دعاء الرجل الصالح .

فاتسعت لهذه الكلمات ابتسامة الدكتور حبيب ، الرضية الماكرة ، على شفتيه وتابع حديثه . قال :

ــ دعا الله ربه أن يهدي أخاه الضال الى الصراط المستقيم بينما كان يصغي الى الأصوات المتعالية من كوى القبو . ميز من بين تلك الأصوات أنغام غناء تطلقها أصوات رخيمة على ألحان موسيقى شجية ، وتناهت الى أذنيه ضحكات ناعمة تنبض بالبهجة والفرح . وفي رقة النسيم الذي كان يتسلل نديا الى صدره وفي روعة هذا الليل الربيعي تحولت الأنغام المطربة المرحة في خاطر محمد ، الذي كان في عنفوان شبابه ، الى صور حية تخيلها عن الساهرين في أعماق ذلك القبو ، وعما يرتعون فيه من لهو شائن ولذاذات فاجرة . تخيلهم فتيات وفتياناً في ربيع العمر وفي زهو الصبا يصفقون ويرقصون ويتساقون الأنخاب ،قد أعطوا نفوسهم هواها وألقوا الهموم وراء ظهورهم . وتخيل الوجوه الصبيحة والقدود المشيقة والصدور المشرئبة متلاصقة متعانقة ، والعيون تنطق بالرغبات الفائرة والشفاه منتشية بطلا الكؤوس ولمى القبلات . وتخيل أخاه ثملاً ، مترنحاً ، ينتقل بين أذرع الفتيات وأحضانهن ، فأحس الى جانب الرثاء له بشيء من الحسرة . أهي حسرة ؟ لعلها الغيرة أحس بها من أخيه ! منذ موت أبيهما وهذا الأخ الصغير سادر في غيه يعب من الشهوات عباً ، غير مكترث بما يجر عليه الركض في دروب ابليس من نقمة الرحمن عليه . لا ... كيف يحكم على أخيه هكذا ؟ لعل إيمان ذلك الأخ بأن الرحمن هو ربه الذي أطمعه بعفوه ومغفرته حين يؤوب اليه في ذات يوم تائبا مستنيباً . اليس هو الرحمن الرحيم ؟ أما هو ، محمد الأخ الكبير ، فقد حرم نفسه طيبات ما خلق الإله الكريم رهبة من بطشه تعالى وفزعاً من عذابه . لمن أبدع الله الوجه الجميل والصوت الرخيم واللقمة الهنية والملبس الناعم إلا لابن آدم ؟! وعادت الى خاطر محمد وهو يسأل نفسه هذا السؤال ذكريات جفاء عشر سنوات مرت به ، منذ وفاة أبيه ، وذكريات شظف الحياة الذي راض نفسه عليه فيها ، لا يلبس من اللباس إلا الخشن ولا يأكل من الطعام إلا الجافي ... يقضي نهاره صائما وليله قائماً ، واذا ثارت في عروقه الدماء بالشهوة العارمة لعن الشيطان وأحرق شهواته بجمر الحرمان . ترى ماذا غنم زيادة عن أخيه بهذه القسوة التي أخذ نفسه بها ؟ أليس اذا تاب أخوه غداً يعفو الله عنه فيفوز بنعيم الآخرة بعد أن روى نفسه من نعيم الحياة الدنيا ؟! فماذا لو عب هو ، الأخ الكبير ، بعض جرعات من النعيم الذي يعب منه في هذه اللحظات أخوه وأصحاب أخيه ؟ كفاه ... كفاه ضياع عشر سنوات من عمره قضاها في شقاء وحرمان تغنيه عنهما في آخر حياته توبة يتقدم بها الى ربه فيغفر له ذنوبه ، إذا كان التنعم بلذائذ ما خلق الله ذنباً ! جدير بهذه التوبة أن يتقبلها منه الخالق الرحيم ، اللطيف بعباده ، فيزحزحه عن ناره ويدخله جنته ...



وهنا سكت الدكتور حبيب لحظات ، كالمنتظر ، من سامعيه تعليقاً على ما استرسل به من رواية لخواطر الأخ الكبير في وقفته على سطح الدار ، وهو يستمع الى ما تناهى اليه من قبو أخيه من أنغام وأصوات ، ويتصور المشاهد التي توحي بها تلك الأنغام والأصوات . إلا أن السامعين في الجلسة المسائية ظلوا على سكوتهم ، مرتقبين معرفة ما سيفعله الأخ الزاهد بعد ا ن استبدت به هذه الخواطر المبعدة كثيراً عن تأملات الزهاد . فتابع عندئذ الطبيب حديثه قائلاً :

ــ كم استمر محمد في التخيل والتفكير بهذه الصورة التي أقصها عليكم ؟ ليس هذا المهم . المهم أن التساؤل الأخير الذي طرحه على نفسه ، بشأن تذوق بضع جرعات من ينبوع اللذة الذي يعب منه أخوه ، تحول ا لى رغبة عارمة ، وأن الرغبة تحولت الى عزم وإقدام . بدا له في تلك اللحظات أن كل دقيقة يمكثها في عليته بعد الآن هي خسارة من عمره لا تعوض وأن عليه أن ينحدر في التو الى أخيه ليستدرك فوت ما حرم منه في دقائق السنين العشر الفائتة وثوانيها . أترى أخاه يفسح له مجالا في دنيا الشهوات الجنية التي يعيشها ! لابد من أنه

الأحجية

فاعل... اليس هو أخاه الكبير؟ وبدون تردد، ولهب الرغائب المجنونة التي طالما كبتها يتأجج في عروقه، أسرع الى السلم الذي يتوسط المنزل ذي الطابقين منحدراً نحو أخيه...

وهنا قال الشيخ عبدالسميع بصوت مختنق: اللهم عفوك... أتراه يفعلها الفتى الزاهد؟

فرد عليه مأمور البريد، في لهجة بين السخرية والاهتمام الجاد، قائلاً: انتظر يا شيخي. لن يذهب زهد الرجل سدى. سيهدي الله به أولئك الفجارويخرجهم بكرامته من قبو الضلالة الى النور.

ولم يلق الدكتور حبيب بالاً الى كلام الرجلين، بل تابع قائلاً:

ــ انحدر محمد الى قبو أخيه في أسفل الدار في نفس اللحظة التي صعد فيها أخوه الى لقائه في العلية على سطحها. كلاهما توجه الى غايته مسرعاً، على درجات السلم الطويل الذي يخترق طابقي البناء بين السرداب والسطح. سلم ضيق، ملتو على نفسه، غارق في الظلمة اذ لم يضأ فيه نور منذ هجر محمد طابقه العلوي الى حجرته على السطح ولزم أحمد قبوه مستغنياً به عن بقية الدار. والتقى الأخوان، دون أن يدري أحدهما بقصد الآخر، ودون أن يراه أو يسمع له حساً، في منتصف السلم. التقيا؟... الصحيح أن أحدهما اصطدم بالآخر فجأة، وبقوة. كان محمد يقفز الدرجات نزولاً في عجلته الى بلوغ الدرك الأسفل حيث تنتظره فاتحة ذراعيها عرائس اللذات، وكان أحمد ينهبها صعوداً الى العلية في عجلته الى الاغتسال بأنوار التوبة من درن الخطايا، فاصطدم أحدهما بالآخر. تشابكت منهما الأذرع بالأرجل، والتوى جسد أحدهما على جسد اخيه، وتدحرجا على درجات السلم، الضيق والطويل المظلم، الى أن وصلا الى القاع. وحين وصلا اليه كانا جثتين هامدتين...

وتوقف الدكتور حبيب عن الكلام فاطلق أحد الجالسين من بين شفتيه صفرة اندهاش، بينما قال الشيخ عبدالسميع كالمفاجأة بما سمع:

ــ غفرانك ربي! لاحول ولا قوة إلا بالله.

وأعقب ذلك صمت استمر برهة، سأل بعدها السيد بدرالدين كأنه لم يصدق سمعه:

ــ ومات الاثنان؟

قال الطبيب: نعم ماتا، دون أن ينطق احدهما بكلمة قبل موته. كل ما تذكره القصة أن نية أحدهما قبل لحظة مغادرة الدنيا كانت في القطب المقابل لعمله أثناء حياته. نفض أحمد، وهو الأخ الصغير الفاجر الداعر، يديه من المعاصي والخطايا ونوى التوبة والرجوع الى ربه بقلب نقي من الأدران. أما الأخ الكبير، التقي النقي، فقد تحلل من تقاه في اللحظة التي سبقت موته وأسرع الى حيث كان مصمماً على أن يعطي نفسه هواها، فمات وهو عاقد النية على ذلك. كل منهما عمل شيئاً، ثم تحول عن عمله ونوى شيئاً آخر. فعلى أي من الاثنين، يحاسب الله العلي القدير كلاً منهما، على العمل أم على النية؟

قال مأمور البريد، جاداً كل الجد في هذه المرة: حكاية غريبة. والحق معك يا حكيم حين قلت عنها أنها أحجية. لابد للانسان أن يتساءل في نهايتها الى أين يكون مصير محمد، وما مصير أحمد... أيهما سيكون جزاؤه الجنة، وأيهما جزاؤه النار؟!

قال الطبيب بلهجة ظاهرها البراءة وباطنها مكر: وجه سؤالك الى الشيخ عبدالسميع يا سالم أفندي. إنه استاذنا وعلمه في هذه الأمور فوق علمنا. وتوجهت الأنظار الى الشيخ عبدالسميع منتظرة ما يرد به، فبدا عليه التردد خلال برهة، ولم يلبث أن قال:

ــ هذه ليست مجرد أحجية يا حكيم. إنها مصيبة... مأساة. أو لعلها، اذا صحت وقائعها، محنة أراد سبحانه وتعالى أن يمتحن بها عباده، الصالحين منهم والطالحين، له فيها حكمة لا ندرك نحن المساكين أبعادها.

قال الدكتور حبيب: هذا تهرب يا شيخ عبدالسميع. نريد رأيك فيما سأل عنه سالم أفندي. من ترى بين الأخوين مصيره الجنة، ومن تراه يصير الى جهنم؟

فبدا على الشيخ الضيق الذي يهدد بعودته الى حدته المعهودة في مجادلة الطبيب. ولعل هذا ما دعا السيد بدرالدين الى التدخل والى أن يقول:

ــ اسمحوا لي جميعاً بكلمة. إنها احجية كما اتفق أكثرنا على تسميتها، والأحجية لا تحل بلحظة واحدة. دعونا نفكر بها، ولعلنا نستفتي بها أهل العلم من غير شيخنا الشيخ عبدالسميع. ما قولكم اذا تركنا الحل الى جلستنا المقبلة، في مساء الأربعاء القادم؟

ووافق جميع الحضور على اقتراح السيد بدرالدين، وانفضت تلك الأمسية.

• • •

قبل أن يحين موعد اجتماع الأصحاب في دار بدر الدين يوم الأربعاء التالي، بل وفي مساء اليوم الذي أعقب الجلسة الفائتة، فوجئ الدكتور حبيب بالشيخ عبدالسميع يدخل عليه غرفة المعاينة في عيادته. كان الطبيب يتهيأ للانصراف بعد أن فرغ من العناية بآخر مرضاه، فرحب بصاحبه الشيخ متوقعاً أنه جاء لشكوى يشتكيها في جسده. إلا أن الشيخ عبد السميع تضاحك وهو يحمد الله، قائلاً إنه في عافية تامة، وأنه جاء مستعجلاً قبل يوم الاجتماع ليحدثه في أمر الأحجية التي طرحها هو الطبيب على الحضور، وعليه هو خاصة، الشيخ عبدالسميع، أمس.

قال الدكتور حبيب: إذن فقد وجدت لها حلاً؟ أراهن على أنك لم تنم الليلة البارحة، بل قضيتها في تقليب كتب الفتاوى ومراجعة أقوال سادتنا الفقهاء القدماء.

قال الشيخ: حقاً لم يغمض لي جفن ليلة أمس. ليس لأني كنت أبحث عن حل الأحجية في الكتب، بل لأني كنت أفكر.

فقال الطبيب مازحاً: أنت تفكر؟ عجيب!

ابتسم الشيخ عبدالسميع وقال: اسخر كما تشاء. هل تذكر تشبيهك إياي ونفسك

بالأخوين محمد وأحمد ؟ هذا الذي طرد النوم عن عيني في الليلة الفائتة .

فسأل الطبيب : ولماذا ؟

قال الشيخ : فكرت بحكاية الشابين ، بحياتهما ونهايتهما ، وبمصيرهما الذي لا أدري الى أين انتهى كل منهما فيه ... أيهما سيحظى برضوان الله ويدخل جنته ، وأيهما سيبوء بغضبه فيكون مثواه جهنم .

قال الطبيب : اذن أنت لم تجد الحل لأحجيتنا ؟

أجاب : قطعا لا ، ولا أطمع في أن أجده . ما جاء بي اليك قبل موعد جلستنا شيُ آخر . جئت لأعترف لك بخطئي معك ، لا في إجتماعنا الفائت بل في الذي سبقه ، حين تحدثنا بشأن الصبي اسماعيل .

فرد الطبيب قائلا : لا أذكر أنك أخطأت بشيء . كنت محتداً في حديثك معي عن النية والعمل ، وحدتك ليست جديدة علي ... ألفتها .

قال الشيخ : ولذا تراني أقر لك بخطئي . طالما قرعتك وقوست عليك فيما كنا نتجادل فيه . وصفتك بأنك رجل دهري ، لا تؤمن بغير المادة . واتهمتك مرة بالالحاد لانك لا تصدق كرامات الصالحين ولا حتى معجزات الأنبياء .

قال الدكتور حبيب : لم يكن هذا يزعجني منك . كنت اتلقى اتهاماتك بصدر رحب ، وأسأل الله أن يسامحك على نسبتك ا ياها إلي .

قال الشيخ : أعرف هذا وأعرف أن مجادلتي معك انتهت في غالب الأحيان بظهوري عليك . ينضم الناس في نهايتها الى جانبي معجبين بقوة حجتي وقدرتي على اقناع الشكاكين والملحدين . ولكن ...

ردد الطبيب كلمة الشيخ عبدالسميع الأخيرة متسائلا : ولكن ؟

قال الشيخ : ولكن نهاية الأخوين صدمتني . ماذا لو أراد الله بي وبك ما أراده بهما ؟ قطعنا ، أنت وأنا ، من عمرنا شوطاً طويلاً ، فماذا لو هجر كل منا موقعه الحاضر واتجه ، في آخر عمره ، الى ما يعتقده الآخر ؟!

فابتسم الدكتور حبيب وهو يسأل :

ـ ماذا يا شيخ عبدالسميع ؟ هل صرت تشعر بالشكوك التي راودتني في القضايا التي نتناقش فيها بين الحين والحين ؟ اذا اعترفت لي بهذا فانا اعترف لك بأني كنت اتظاهر دوماً بالاقتناع بحججك ، دون قناعة حقيقية ... ولكني في الزمن الأخير وجدت أن الحاحك في اقناعي بما تعتقد لم يذهب سدى . بدأ بصيص الايمان يتسرب الى نفسي ...

فهتف الشيخ عبدالسميع قائلاً : هل صحيح هذا ؟ إني سعيد بما تقول .

إلا أنه لم يلبث أن أضاف بصوت منكسر : لا ... لا تقل هذا . أخشى أن يصبح الأمر جداً وأن نسير ، متعاكسين ، في طريقي الشقيقين ...

قال الطبيب وقد اتسعت ابتسامته : تعني أن أرقى أنا السلم الى العلية وتنحدر أنت الى سرداب الشهوات والمعاصي . هل تراني كفؤاً لأن أرقى المنبر وأعظ الناس في ا يام الجمع ؟ أم ترى في نفسك الكفاءة لحمل سماعة الطبيب والغوص في كتب العلماء الأجانب ، الملاحدة الملاعين ؟

فجارى الشيخ صاحبه في الابتسام ، وقال : ليس هذا ما أقصده يا حكيم .

فتابع الطبيب كلامه قائلاً : أو لعلنا نصطدم في منتصف مسيرتنا ونهوى ميتين في لحظة معاً . من منا يفوز عندئذ بالفردوس ومن منا يكون قراره النار ؟ قال الشيخ : لا . لن تصل الأمور بيننا الى هذا الحد بمشيئة الله . في ليلتي التي لم أنم فيها تبينت الحكمة في قصة الأخوين . إنها تدعونا الى أن لا يزدهي واحدنا بواقعه أو يتعنت في تقييم الآخرين . لذا جئتك الآن معترفاً بما أخطأت في ملاسناتي معك . سامحني .

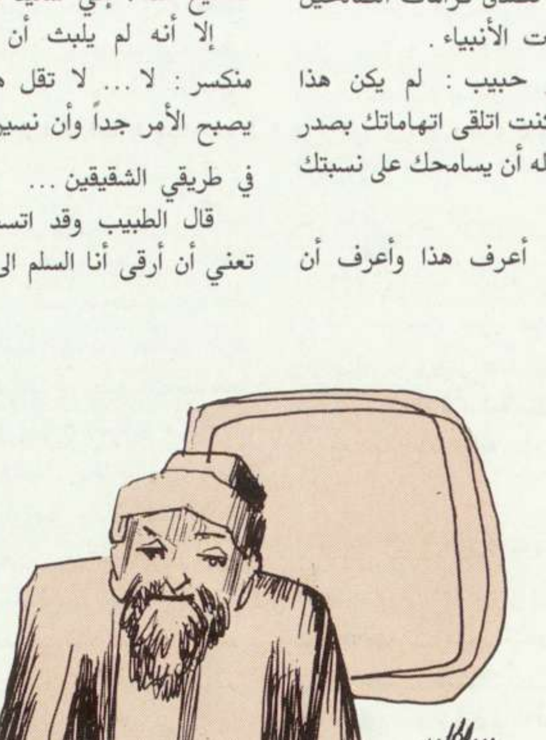
قال الطبيب : استغفر الله ... ولكنك لم تعطني رأيك بالمصير الذي تعتقده للأخوين . بأيهما يحكم على كل منهما ، أبنيته أم بعمله ؟ ما هو حل الأحجية ؟

قال الشيخ : أنت مصر على أن تصفها بالأحجية بينما أراها أنا حكمة . ليس لي في شأنها غير ما قلت لك . واستودعك الله .

وحين أغلق الشيخ عبدالسميع باب الغرفة وراءه جلس الطبيب في مقعده وراح يستعيد في خاطره حكاية الأخوين ويردد بينه وبين نفسه الملمات التي تكررت في الحكاية والحديث عنها : النية والعمل ، الجنة والنار ، الحكمة والأحجية . وانتبه الى أنه تلبث طويلاً في عيادته بعد أن كان متهيأ للانصراف ، فانتزع جسمه من المقعد وهو يقول في سره : يبدو أن السحر انقلب على الساحر ... لم يبق إلا أن آرق ليلتي ، مثل الشيخ عبدالسميع ،وأنا أفكر في الأحجية التي طرحتها ساخراً على الآخرين !

وأسرع في الخروج من العيادة مطبقاً وراءه بابها الخارجي بعنف .

عبد السلام العجيلي
الرقة ـ سوريا



من روائع
الفن العالمي

بقلم: جمال قطب


الفنان الاسبانى فيلاسكويز

وصيفات الشرف

كان طبيعياً أن ينشأ فى روما فى نهاية القرن السادس عشر فن له سماته المميزة ، ولا أقول أن هذا الفن قد قام على أنقاض العصر الذهبى ، بل استفاد منه وجعله مثلا يحتذى به من حيث روعة الأداء التكنيكى ، ولكنه تحرر من طراز النهجية الذى ساد فى أواخره وعرف هذا الطراز باسم (الباروك) ، ويطلق مؤرخو الفنون كلمة باروك Baroque على الطراز الفنى الذى ساد فى أوربا فى الفترة (١٦٠٠ ـ ١٧٥٠ م) والمعنى الأصلى لهذه التسمية مصدرها أسبانى فى الغالب Barruco تطلق على اللؤلؤة غير المنتظمة فى الاستدارة ، ولقد استمد هذا الوصف للتعبير عن الفنون المخالفة للتقاليد السائدة والمناهضة لمفهوم الفن الكلاسيكى والخارجة على النهجية المتوارثة .

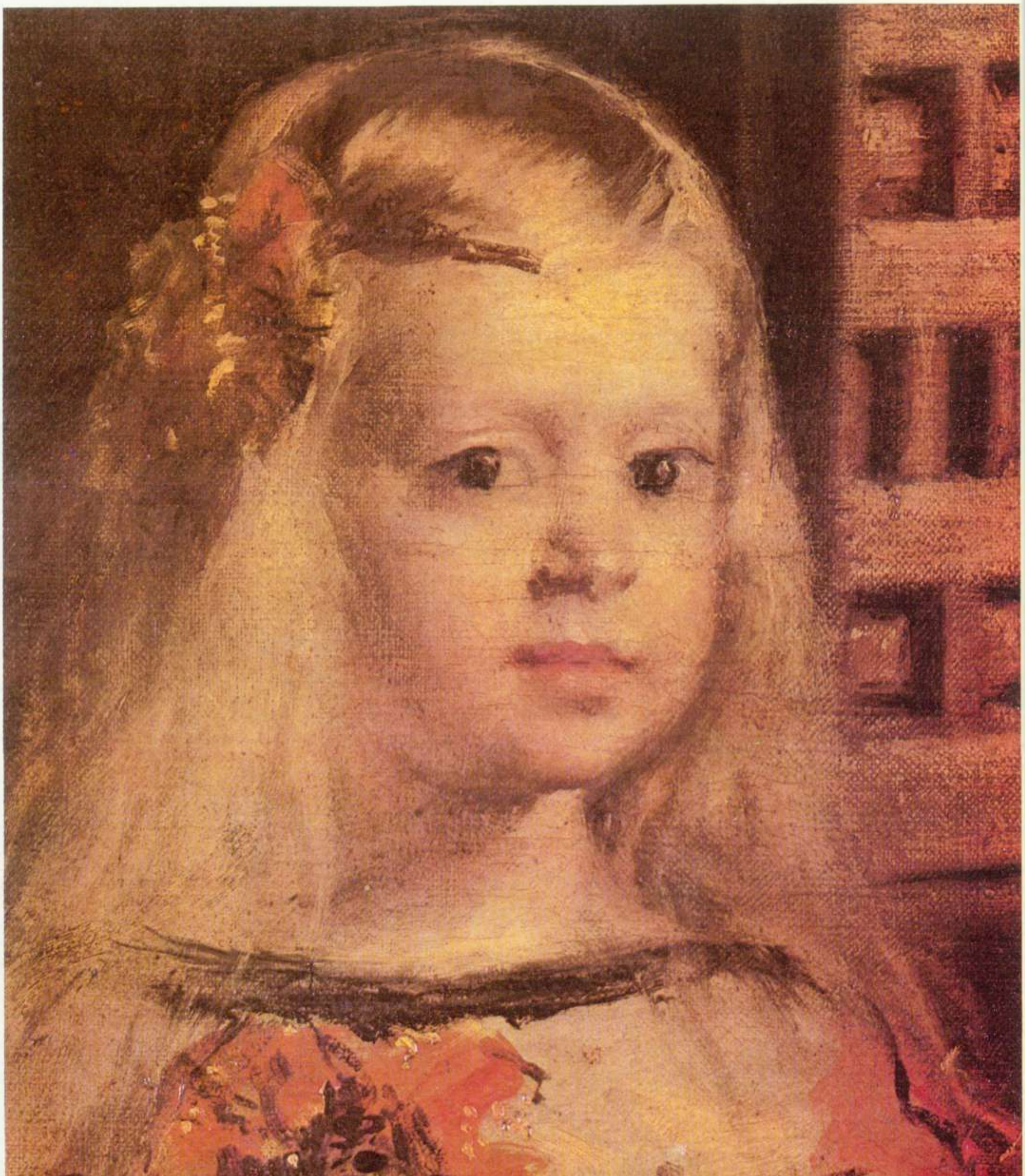
وقد لا يتسع المجال لاستعراض التطورات الدينية والسياسية والفكرية التى سادت أوربا ـ وايطاليا بالذات ـ وشجعت فن الباروك ، ولكنه باختصار كان نتيجة لتحرر الفن من سيطرة الكنيسة البروتستانتية وظهور القوة الكاثوليكية الجديدة وزيادة نفوذ العائلات الحاكمة فى اوروبا واستقطاب الفنانين لتزيين قصورهم وحياتهم اليومية بلمساتهم الفنية . كما كان للاكتشافات العلمية التى بدأت تنشط وقتها ، أثر كبير فى نشأة هذا الفن .

ونأتى إلى اسبانيا .. فنجد أنها فى القرن السادس عشر والسابع عشر قد أصبحت قوة عظيمة سيطرت على دول أوربية كثيرة ، حتى أن ايطاليا فى معظمها كانت تابعة لأسبانيا ، وكذلك كانت دول الشمال الأوروبى .. إلا أن إنتاجها فى الفن لم يصل الى ما وصله الفنانون الايطاليون أو فنانو دول الشمال . وظهر فن الباروك فى أسبانيا فى أواخر القرن السادس عشر ، وازدهر بصفة خاصة فى مدينة اشبيليه على يد فناننا فيلاسكويز Velasques الذى تأثر بأعمال عباقرة عصر النهضة الايطالى .. حتى أنه تتلمذ على يد أحد الفنانين الايطاليين فى أوائل القرن السابع عشر ، وتزوج ابنته .

وترك اشبيليه واستقر فى العاصمة مدريد وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ،فعينه الملك فيليب الرابع رساما خاصا بالقصر الملكى ، وقضى طوال حياته يرسم معظم لوحاته للعائلة المالكة .. وقامت بينه وبين الفنان روبنز ، فنان الشمال الأوربى الشهير ، صلات صداقة وتعاون وتبادل فى الرأى والخبرة ، وكان روبنز ـ كذلك ـ رساماً للبلاط الملكى فى بلده (أنتورب)حيث كان رساماً خاصاً لإيزابيلا وزوجها الأمير البرت .. ويلاحظ ان أنتورب وقتها كانت بمثابة مركز الاشعاع الفنى الشمالى فى اقليم الفلمنك كما كانت البندقية فى القرن السابق ، ولذلك كانت صداقة فناننا فيلا سكويز لفنان الشمال الأوروبى روبنز حدثاً رائعاً انعكس على إبداع كل منهما .. وفى عام ١٦٤٩ أرسل فيليب فنانه إلى روما لرسم البابا (اينوسنت العاشر) .. وقضى فيلا سكويز عامين هناك ، درس فيهما روائع اساطين العصر الذهبى الايطالى .. وعاد إلى مدريد ليعينه الملك حاكما للقصر الملكى ! ولما تزوج فيليب الرابع من مارى تيريز النمساوية ، رسم لها الفنان عشرات من اللوحات الخالدة ومازالت قمما فنية حتى يومنا هذا . ومن أهم هذه الأعمال .. لوحة كبيرة إسماها الفنان (وصيفات الشرف) ، رسم فيها الأميرة الصغيرة (مارجريتا) تتوسط مجموعة من وصيفاتها ، وقد رسم فيلا سكويز نفسه فى أقصى الجهة اليسرى من اللوحة ممسكا بفرشاته ، منهمكا فى عمله ، وأمامه لوحة كبيرة يرسم عليها الأميرة ووصيفاتها . واللوحة ضخمة إذ يبلغ طولها ٣١٨ سنتيمترا وعرضها ٢٧٦ سنتيمترا ، ومحفوظة حاليا بمتحف البرادو بمدريد .. وقد تعرضت هذه اللوحة لحادث خطير ، حيث شب حريق هائل دمر القصر الملكى بمدريد عام ١٧٣٤ ، وقد حرصت الأسرة المالكة وقتها على انقاذ الروائع الفنية قبل كل شىء ، واخرجت هذه اللوحة بأعجوبة قبل أن تأتى النيران على القصر بكل ما فيه من نفائس . !

وعلى الصفحة المقابلة نرى أحد قطاعات اللوحة ، ويمثل جزءا من صورة الأميرة مارجريتا .. ويقدر هذا الجزء بواحد على مائة من اللوحة الأصلية بكل محتوياتها .. وقد رسمها فناننا فيلاسكويز فى عام كامل (١٦٥٦) .

ولكى نعرف قيمة هذا الفنان الاسبانى العظيم يكفى أن نستعيد رأى الفنان الفرنسى إدوار مانيه (زعيم التأثيريين فى القرن التاسع عشر) عندما رأى أعماله اذ قال : « لقد كان فيلاسكويز أستاذ الرسامين بلا جدال » !



أحد قطاعات لوحة وصيفات الشرف للفنان الاسبانى فيلاسكويز وهى للأميرة مارجريتا (١٦٥٦)

علوم الفضاء تقدم علاجا جديدا لمرضى السكر

بقلم : الدكتور نبيل سليم

احتفل العالم أخيراً بالعيد الثالث لاكتشاف الأنسولين ، الذى يعتبر بحق من أكثر الاكتشافات الطبية فى القرن العشرين أهمية وإثارة . فقد غير مجرى علاج المرض تغييراً جذرياً وأنعم بحياة أفضل على الكثيرين من المرضى ، إلا أن ماأعلنه العلماء فى وكالة الفضاء الأمريكية « ناسا » فى هذه المناسبة كان مثيراً للدهشة والاستغراب المشبع بالأمل فى الخلاص من هذا المرض .

ولكن وقبل أن نخوض فى تفاصيل هذا الحدث العظيم الذى أعلنه العلماء الأمريكان ، سنعرض لبعض ما يشوب هذا المرض من أسباب ووسائل علاجية حديثة فى مختلف مراحله فالعلم يتقدم والبحث مستمر .

أولا : ما هو الأنسولين ؟ !

الأنسولين هو هرمون تفرزه بعض الغدد الموجودة فى جسم الانسان ، فماذا نعرف عن الهرمون ، وما هى الغدد التى تفرزه ، وما علاقتها بالسكر ؟

يوجد فى جسم الانسان أنواع من الغدد منها اللعابية والغدد اللمفية والغدد الهضمية والغدد « الصم » وليس « الصماء » كما هو شائع ، اذ أن « صماء » هى مفرد « صم » وليس من الصواب أن نقول غدد « جمع »ثم نصفها بالصماء « مفرد » فالأصوب أن نقول « غدة صماء » و « غدد صم » .

والغدد الصم هى التى تتميز بأنها تفرز افرازاتها فى تيار الدم مباشرة وتسمى هذه الافرازات بالهرمونات ، وهى ذات تأثير من نوع خاص وهام لنظام العمل بالجسم ، ومن أمثلة الغدد الصم : الغدة الدرقية ، والجاردرقية ، والخصيتان ، والغدة النخامية ، وفوق الكلى .

والغدد اللعابية تفرز افرازاتها من الفم ، أما الغدد الهضمية فهى تفرز إفرازاتها (الأنزيمات) فى القناة الهضمية .

والمسئول عن مرض السكر هى الغدة البنكرياسية الصماء (احدى الغدد الصم) إذ أنه فى حالة عجزها عن إفراز هرمون الأنسولين المسئول عن تنظيم نسبة السكر فى الدم يصاب الانسان بمرض السكر .

فمنذ اكتشاف الأنسولين فى سنة ١٩٢١ تغيرت مفاهيمنا عن مرض السكر وطرق علاجه المختلفة ، فقد توصل حديثاً العلم



هكذا ينهمك علماء وكالة الفضاء الأمريكية «ناسا» فى عمل مشترك لتطوير وتركيز المواد الكيميائية فى السوائل البيولوجية

الى معرفة كيفية تصنيع الانسولين بخلايا «لانجرهان» بالبنكرياس وكذلك الخطوات السابقة لافرازه ، وقد أمكن تصوير ذلك بالميكروسكوب الالكترونى وأمكن أيضاً معرفة أى المواد الغذائية تثير افرازه ، فمثلا وجد أن الأحماض الأمينية الموجودة بالمواد البروتينية كاللحوم ، وكذلك الجلوكوز الموجود بالسكريات والنشويات المختلفة هى من أقوى منبهات الافراز ، كما وجد أنه عند تناول الأطعمة المختلفة ، فإن المعدة والأمعاء تبعث برسائل هرمونية خاصة «كالجسترين والجلوكاجون» مثلا فتنبه ا فراز الأنسولين . هذا علاوة على اكتشافات عديدة بخصوص علاقة المرض بجدران الأوعية الدموية والتغييرات التى تحدث فيها وعلاقة ذلك بمضاعفات السكر .

وكذلك عن العلاقة الأكيدة بين البدانة والسكر .. وأيهما يسبق الآخر . وعن عامل الوراثة وأهميته فى حدوث مرض السكر .

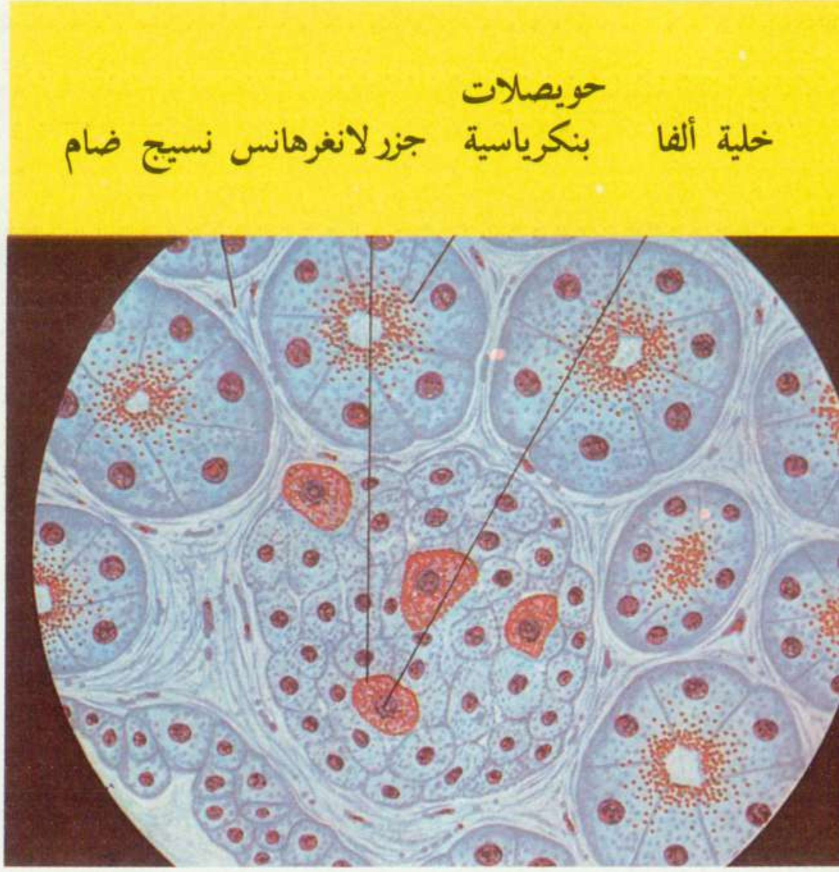
ومن المعروف أن هناك ثلاث طرق علاجية للسكر ،يمكن اتباعها منفردة ، أو مجتمعة ، وهى الغذاء والأقراص ، والأنسولين .

تنظيم الغذاء

وقديماً كنا نلجأ الى تحديد النشويات تحديداً قاسياً ، الأمر الذى كان يضر بصحة المريض لأننا كما أوردنا سلفاً نجد أن السكريات وبالذات سكر العنب «الجلوكوز» هو من أقوى منبهات إفراز الانسولين ـ فضلا عن أن إتباع مثل هذا الرجيم لم يكن مستطاعاً أو متسعاً من ناحية المريض نفسه ، وبعد هذا المفهوم تحرك



ليست أوانى فخارية ، وانما هى خلايا « لانجرهان » بالبنكرياس ، التى تصنع الأنسولين ، والتى نراها هنا من خلايا الميكرسكوب الالكترونى



قطاع مجهرى فى البنكرياس

« بندول » الساعة فى الاتجاه الآخر ، وأصبحنا نسمح للنشويات مقاسة بالجرامات . فمثلا كنا نسمح بغذاء يحتوى على كمية من النشويات تتراوح بين ١٥٠ جم الى ٢٠٠ جم يومياً حسب وزن المريض وعمره وطبيعة عمله .

ولكن من دواعى السأم بالنسبة للمريض أن يتناول طعامه مقاساً بالجرامات ملتزماً بالميزان فى كل وقت وكل لحظة ، فغالباً ما تكون النتيجة هى الثورة على هذه الطريقة المعقدة على مر الأيام ، منطلقاً المريض فى غير مبالاة إلى كل محرم عليه تصل اليه يداه أو تراه عيناه .

وفى تقديرى أنه يجب أن يكون الغذاء بسيطاً وواضحاً ، سهل الاتباع خالياً من التعقيد ، ولا يكون عبئاً مالياً على الفرد أو العائلة ، ومن هنا كانت النظرة الجديدة لغذاء مرضى السكر ، فالواجب ان يكون التوجيه لهم عاماً لنظام الغذاء ، وذلك بنصحهم بالابتعاد عن الحلوى المركزة ، وبالاعتدال فى الأطعمة النشوية .

هذا بالنسبة للمريض ذى الوزن الطبيعى أما بالنسبة للمريض البدين فينبغى نصحه أيضاً بتحديد الدهنيات فى غذائه . أما عن نوعية الدهون المسموح حتى الآن بها ، وهل نسمح له بتناول الدهون الحيوانية أو يفضل عن ذلك الدهون النباتية فالواقع أن البحوث حتى الآن فى هذا الصدد لم تثبت فضل الزيوت النباتية فى درء المضاعفات مثل تصلب الشرايين ، إذ ما زالت هذه المسألة فى مجال الأخذ والرد ، ولذا يمكن السماح باستعمال هذه الدهون .

فكرة خاطئة

وهناك فكرة خاطئة تقول أنه لا يمكن التخلص من مرض السكر ، فالدراسات العلمية أثبتت أن الإلتزام بالنظام الغذائى فى





لقطتان : الأولى لعملية تركيز الآثار الكيميائية وتحليلها داخل المعامل .. واللقطة الثانية لتشخيص المواد باظهار ألوان مختلفة وذلك باستخدام جهاز مقياس الطيف

العلاج يعطى فرصة لاختفاء المرض تماماً ولعدة سنوات ، ولاشك أن الإلتزام بتطبيق نظام حياة مستقرة ، بمعنى تحديد مواعيد وكميات ثابتة ، للوجبات الغذائية مما يتيح تناول الدواء أيضاً فى مواعيد ثابتة يساعد فى علاج مريض السكر ، ومن الضرورى لمريض السكر أن يبذل الجهد البدنى بصورة منتظمة مع مراعاة الظروف الاستثنائية للجهد البدنى التى تقتضى جرعات مختلفة من أدوية السكر فهذا يساعد أيضاً على الشفاء .

فمريض السكر لا يتطلب علاجاً ثابتاً ، لأن احتياجات الجسم من جرعات الأدوية قد تختلف بالزيادة أو النقص مع مضى الوقت رغم استقرار النظام الغذائى ،

لذا تقتضى تحليل الدم المستمر ويمكن للمريض اجراء تحليل السكر بنفسه فى المنزل.

ويؤكد أحد أساطين الطب فى مصر الأستاذ الدكتور جمال هنو أستاذ الغدد «الصم» بكلية طب الاسكندرية «أن أى تغير فى الحالة الصحية لمريض السكر كاصابته بالتهاب رئوى أو غيره من الأمراض التى تستدعى بالضرورة ضبط احتياجاته من العلاج، مثل هذه الأمراض قد تؤدى الى ارتفاع السكر مما يستدعى زيادة جرعة الدواء، كما ينبغى على مريض السكر الاهتمام بحالات الجروح والالتهابات فى الأطراف خاصة للمتقدمين فى السن».

وكما ذكرت من قبل أن أهم المشاكل التى تواجه مريض السكر فى مصر والوطن العربى هى تنظيم الوجبات الغذائية فالأكل عادة وتقليد، وليس استجابة بالضرورة لاحتياجات الجسم، وعلى مريض السكر التحكم بإرادته فى تناول الوجبات المناسبة وبتوقيتات منظمه.. بمعنى تغيير عادات ومفاهيم الغذاء نفسها وهى عملية ثقافية يجب الإلمام بها خاصة لمرضى السكر من الأطفال حيث يصعب التحكم فى العلاج مالم تتغير مفاهيم وعادات الغذاء.

وعن الفكرة الخاطئة وغير الصحيحة بالنسبة لبعض مرضى السكر فهناك فرصة للتخلص من أعراض المرض ومظاهره وتصبح نتائج التحليل طبيعية تماماً، وذلك فى حالة الاكتشاف المبكر للمرض واحكام علاجه احكاماً دقيقاً منذ اللحظة الأولى كما فى حالات السكر الناتج عن السمنة أو سكر الحمل، فان الالتزام بالنظام الغذائى المناسب مع الأدوية يعطى فرصة كبيرة لاحتمال إختفاء المرض كلية أو قد يختفى المرض لعدة سنوات مما يمثل مكسباً ضخماً للمريض يجب المحافظة عليه، فقد وصلت نسبة الشفاء من مرض السكر فى مصر إلى ١٢٪ وفى الدول المتقدمة وصلت إلى ٢٥٪ ولكن قد يعود المرض للظهور بالطبع مرة أخرى نتيجة لعدم الالتزام الغذائى المناسب لمثل هذه الحالات.

العلاج بالأقراص

هناك أنواع عديدة من الأقراص المستعملة وهى متشابهة من حيث تأثيرها المنبه لإفراز الأنسولين- مثال ذلك «الراستنون» ذو المفعول القصير و«الديابنيز» ذو المفعول الطويل و«الديملور» ذو المفعول الوسط، وعقار «الدوانيل» ويمتاز بقوته الشديدة، ولكن أحذر المرضى من قوة هذا العقار، فهى ليست دائماً ميزة تميزه عن غيره من العقاقير، إذ قد يكون سبباً فى متاعب كثيرة لهم، ولذا ينبغى عليهم عدم الإندفاع فى استعماله، إذ قد يحدث نقصاً شديداً فى سكر الدم وخاصة لدى كبار السن، الأمر الذى يمكن أن يؤدى الى غيبوبة، ولذا يقصر استعماله فى الحالات الشديدة لمرض السكر.

أما عن عقار «الديابنيز» المدون عندنا تحت اسم «بتميدين» فينبغى ان نكون متنبهين الى احتمال اختزان الماء بجسم المريض نتيجة مفعول هذا العقار على إدرار البول، كما ننصح بعدم شرب المواد الكحولية مع هذا العقار بالذات فقد يحدث ذلك أعراضاً غير مرغوب فيها، ويهمنى أن ألفت نظر المرضى بأن من الخير لهم أن يحافظوا على علاج أنفسهم باتباع نظام غذائى لإنقاص الوزن بالأكل واستعمال الأقراص، وفى هذا المجال أشير الى تقرير صادر من مجموعة الجامعات الامريكية اهتمت بمتابعة استعمال هذه الاقراص حيث يقول التقرير «انه بالنسبة للمريض الذى لايمكن ضبط معدلات «سكره» بالغذاء فقط فانه من المستحسن عندئذ استعمال الأنسولين بدلا من الأقراص نظراً لازدياد حدوث بعض المضاعفات الخاصة بالأوعية الدموية مع استعمالها.

ولكننى أعود فأقول بأنه لا ينبغى أخذ هذا التقرير كقاعدة مسلم بها، لأنه مازال موضع نقاش فى جميع الهيئات العلمية بالعالم، وبالذات فى البحوث الواردة من السويد وانجلترا - فهى لا تؤيد ما جاء به، بل على النقيض تحث على استعمال الأقراص - وحتى ينجلى الأمر ينبغى أن يترك للطبيب اختيار الطريقة العلاجية المناسبة لكل حالة على حدة.

العلاج بالأنسولين

هناك أنواع جديدة من الأنسولين غزت الأسواق، فتوجد أنواع تجمع بين سرعة المفعول وطوله «كالرابيتارد» مثلا، وطول المفعول هنا لا يعتمد على مواد غريبة فى الأنسولين، ولكنه يعتمد على وجود الأنسولين على هيئة بلورات بطيئة الذوبان، وكذلك توجد أنواع من الأنسولين تناسب حالات الحساسية للنوع العادى منه، مثال ذلك الأنسولين المتعادل، والأنسولين المكبرت. وقد ثبت نجاح هذا الأخير فى علاج حالات المناعة أيضاً، ونجاح الأنسولين المتعادل فى علاج حالات تليف الجلد والشحم الذى يصادف كثيراً استعمال الأنسولين العادى.

الأمل .. وزرع البنكرياس

وقد لاح الأمل الذى يراود مرضى السكر والأطباء المهتمين به فى شفاء كامل بامكانية إجراء عملية زرع للبنكرياس، وقد اجريت عشرون عملية من هذا النوع بجامعة مينيسوتا بالولايات المتحدة وتسع عمليات بأمريكا الجنوبية، وهى عمليات معقدة

وصعبة للغاية ذلك لأن البنكرياس عضو له وظيفة مزدوجة ، إذ يقوم بافراز العصارات الهاضمة للطعام فضلا عن الإفراز الأصم للأنسولين مباشرة فى الدم .

وقد نجحت العملية فى خمس وعشرين حالة ، وأمكن الاستغناء عن حقن الأنسولين اليومية ، ولكن للأسف لم يدم ذلك سوى مدة محدودة لم تتجاوز التسعة أشهر وذلك بسبب لفظ البنكرياس المزروع على المدى الطويل .

وحتى الآن لا نعلم ما إذا كان زرع البنكرياس يمكن أن يمنع حدوث مضاعفات السكر أم لا ؟ .

ولكن خلاصة القول أن زرع البنكرياس فتح لهم باب الأمل للشفاءالكامل ، ولكنه مازال حتى الآن فى مجال التجربة .

أبحاث الفضاء .. أملنا فى الشفاء

ومن المعروف أن معدل زيادة مرض السكر فى كل بلدان العالم يرتفع باستمرار وتشير الأرقام إلى زيادة المرض بنسبة ٥ر١٪ فى السنة ، وهذا يعنى أهمية الاكتشاف المبكر للمرض وعلاجه وهو ميسر بدرجة تطيل فى عمر مريض السكر ، حيث أن النظام الغذائى والمجهود البدنى المنتظم يقيه شر أمراض أخرى أشد ضراوة من مرض السكر ، لذا لزم الاهتمام باتباع أحدث طرق العلاج لهذا المرض وهو تصنيع « الأنسولين الآدمى » الذى يمكن أن يصبح صورة طبق الأصل من الأنسولين الذى يفرزه الجسم البشرى ، فى تأثيره ، وذلك لتلافى الأعراض الجانبية للأدوية الأخرى ، مما حدى بالعلماء الأمريكيين أن تقودهم أبحاثهم الى تصنيع هذا النوع من الأنسولين فى شكل جزئ معقد جداً مكون أيضاً من « ٥١ حامضاً أمينياً » ولكن هذا النوع من الأنسولين لم يستعمل حتى الآن لأن تكاليف انتاجه الباهظة تحول دون ذلك .

كما أن هؤلاء العلماء قادتهم الأبحاث التى يجرونها فى وكالة الفضاء الامريكية « ناسا » فى مجال اختبار التغيرات التى تطرأ على نسب السكر فى الدم وفى البول لدى رواد الفضاء فى الرحلات الفضائية الطويلة الى اكتشاف وسيلة تشخيص واختبار لوجود السكر لدى الأشخاص مؤكدة بنسبة ٩٥٪ .

ويقول « د. البرت زيلاتكس » و « د. هارموت لا بتس » الباحثان بجامعة هيوستون واللذان عهد اليهما بإجراء اختبارات تحليل البول فى الفضاء ، ان الوسيلة الجديدة تعد تقدماً طبياً هاماً للغاية وبخاصة اذا ما علمنا أن الوسيلة القديمة لاختبار درجة تحمل الجلوكوز لقياس درجة امتصاص الجسم للسكر نسبة التأكد فيها لا تزيد على ٣٠٪ فقط .

ويقول الطبيبان « إن التطور الذى استخدمناه هو تقنية جديدة لتركيز كميات صغيرة من المواد الكيميائية فى سوائل بيولوجية ، وهى فى هذه الحالة سائل البول » .

كما يقول د. زيلاتكس « إنه قد تمكن من تركيز هذه المواد باستخدام مادة لاصقة تسمى « تيناكس » وهذه على عكس المادة الماصة فانها تحتفظ بالمادة المعالجة وتساعد على فصل آثارها الكيميائية .

وبمجرد ما يتم تركيز هذه الآثار الكيميائية يجرى تحليلها وتشخيصها باستخدام جهاز يحلل المواد بإظهار ألواناً مختلفة ثم باستخدام جهاز مقياس الطيف .

ويؤكد العالمان أن أسلوب التشخيص الجديد مؤكد ومضمون كما أنه يكشف عن الأنماط المختلفة لمرض السكر « الشبابى » والذى يصيب الشباب حتى سن العشرين والسكر الذى يصيب الناضجين والسكر فى مراحله الابتدائية والسكر فى مراحله المتقدمة .

ويضيف العالمان أنه بالنسبة للأشخاص المعرضين للإصابة بالسكر بدرجة قوية بسبب العوامل الوراثية أو غيرها فإن هؤلاء بحاجة الى أسلوب تشخيص دقيق مثل هذا الأسلوب الجديد .

ويؤكد د. زيلاتكس انه فى اختبار قياس الجلوكوز فانك كنت تشرب محلولا سكريا ثم يجرى قياس السكر فى الدم على عدة فترات زمنية مدة كل منها نصف ساعة مما يعنى انك كنت مضطراً الى قضاء نحو أربع أو خمس ساعات فى المستشفى أو فى العيادة . اما الأسلوب الجديد للتشخيص فانه لن يكلفك أكثر من دقيقة تعد فيها عينة من البول .

جهاز تحت الجلد

ومن ناحية أخرى وفى المانيا الغربية طور فريق من العلماء جهازاً يمكن زرعه تحت الجلد يقوم بتزويد الأنسولين الى المصابين بالسكر . ويمكن للجهاز تزويد ما يحتاج اليه الشخص من الأنسولين لمدة تسعة أشهر ثم تعاد تعبئته مرة أخرى من فوهة خارجية على الجلد .. ويعتمد الجهاز فى عمله على قياس نسبة السكر فى دم المريض ، ويقوم على الفور بإفراز الكمية اللازمة من الأنسولين فى الجسم لدى ارتفاع نسبة السكر فيه فيحترق السكر الزائد عن حاجة الجسم .. وما يميز الجهاز الجديد أنه يغنى المريض عن إجراء تحليل للدم والبول ويقوم بعمله بصورة تلقائية .. ويدرس العلماء الآن امكانية تخفيض تكاليف الجهاز لتعميم استخدامه على المصابين بمرض السكر .

نبيل سليم على

لقطات من الكون المثير

نمل المظلات

قد تبدو هذه اللقطة غير ملفتة للنظر ، ولا هي كذلك تنطوي على شيء يثير الاهتمام ، وإلا فماذا تعني هذه القطع من الأوراق الموزعة على أرضية لا تسر الناظرين ؟ .. هذا هو ظاهر الصورة ، لكن باطنها ينطوي على فكرة مذهلة .. فتحت كل قطعة توجد نملة تحملها وبها تسير ، ولهذا ظن الأوائل الذين شاهدوا هذا النمل أنه يحمل تلك الأوراق ليستظل بظلها من حرارة الشمس ، ومن أجل هذا اطلقوا عليه اسم « نمل المظلات » .. لكن ذلك ليس صحيحاً ، لأن هذا النوع من النمل يتسلق الأشجار ، ومن أوراقها يقطع قطعاً ، وبها يعود الى مستعمراته ، وفيها يمضغ الأوراق ، ويمدها بلعابه ، ويكومها في طبقات حتى تتخمر وتصبح سماداً غنياً ، وعلى هذه الخلطة يزرع نوعاً معيناً من الفطريات ، أو بالتحديد فطر عش الغراب ، « وبذور » هذا الفطر أو جراثيمه يحتفظ بها كل نوع من النمل الزارع في جيوب خاصة ، ويوزعها بين الأوراق المتخمرة ، فينمو عليها نمواً سريعاً ، وعليه يعتمد النمل في بروتيناته وسكرياته ودهونه وفيتاميناته وكل ما يحتاجه لحياته .. وكلما نضب محصول ، استعد له بمحصول جديد .. ولقد حاول بعض العلماء تقليد النمل في زراعاته ، لكن محاولتهم لم تكلل بالنجاح .. بقي أن نعرف أن الانسان أيضاً يزرع بعض أنواع عش الغراب ويهواها رغم أنها غالية الثمن ، ولهذا فالناس أمزجة .. وكذلك الحشرات .. لكنها قد سبقت الانسان بالزراعة قبل أن يظهر هو على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين !

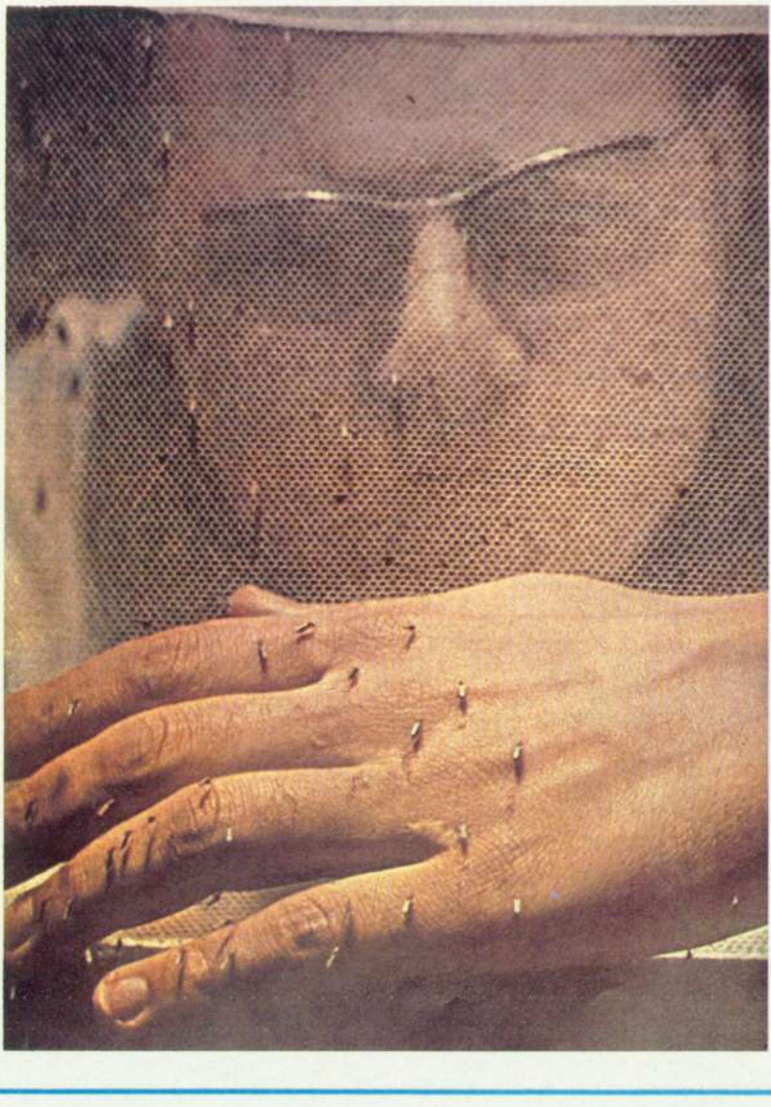


ومن الورد ما خدع وحيّر!



يطلقون عليه ورد الصحراء أو الورد الصخري ، وهو بالفعل اسم على مسمى ، فهذا التشكيل الفريد قد جذب اهتمام رواد الصحاري الأوائل ، ولطالما تساءلوا : كيف نبتت هذه الورود في جوف صحراء قاحلة وخالية من أية صورة من صور الحياة ؟ .. ولقد خرج بعضهم من هذا المأزق ، واعتبر هذه الورود من نباتات متحجرة كانت تعيش في الأزمنة الغابرة ، لكن الشيء الغريب حقاً أن التشكيل المثير رغم أنه يتخذ شكل الورود ، إلا أنه لا ينتمى الى عالم النبات ، بل هو تكوين عجيب من مركب الباريت أو الجبس ، وقد جاء التشكيل من نمو بلوري لكبريتات الكالسيوم (الجبس) في جوف الرمال ، وبدأ النمو يكبر ويتعقد ويتخذ شكل بتلات الورود ، حتى انتهى بهذا التشكيل المتقن .. وتبارك الله أحسن الخالقين .

حانت وجبة الدم!



في وحدة بحوث الحشرات الناقلة للأمراض بأحد المعاهد العلمية الطبية توجد اقفاص من سلك يربي فيها بعوض الملاريا لاجراء مزيد من الدراسات والبحوث عن العلاقة القائمة بين العائل والطفيل .. ولقد اندهش كاتب هذه اللقطات من زميل له يعمل في هذه البحوث عندما استأذن وشمر عن ساعده ، ثم ادخل يده وجزءاً من ذراعه من خلال فتحة في القفص الذي يعيش فيه البعوض ، اندهشت لتعريض نفسه للأذى ، ولتحمله آلام اللدغ ؟ .. إن الاجابة لا تحتاج الى ذكاء ، ففي سبيل المعرفة تكون التضحية والفداء ، ولو بلدغ وامتصاص جزء ضئيل من الدماء .. وهذه اللقطة تتكرر كثيراً في مثل هذه الوحدات ، لكنها تجيء تلك المرة من محطة تجارب الملاريا التابعة لمنظمة الصحة العالمية بايطاليا بعد أن داهمها ذلك الوباء في بداية النصف الثاني من القرن العشرين ، والصورة هنا لا تحتاج الى تعليق ، بل الى قليل من التوضيح ، فالذي يلدغ ويعيش على دمائنا هي الاناث ــ اناث البعوض طبعاً ــ لكن الذكور تعيش على رحيق الأزهار ، هذا ومن الممكن أن تعيش إناث بعوض الملاريا على دماء خنازير غينيا ، لكن بعد أن تستمتع بأول وجبة لها من دماء البشر .

الإنسان العربي

بين واقعه وهمومه

بقلم: أحمد عبد الملك

العالم يضطرب .. ونتيجة لذلك تهتز كثير من القيم .. وتضمر مجالات الابداع ، والمادية تطغى على الوجود الاجتماعي فينحسر مد الثقافة .. ويتحجم في نطاق ضيق جداً .

والمثقف العربي عانى من اغتصاب الأرض .. وعانى الظلم السياسي ، والتفكك الاجتماعي ، وعانى الفقر .. وشهد الانكسارات العربية .. وظل طوال حياته يردد نغمة الشعر الجاهلي .. والأدب في العصرين الأموي والعباسي .. حتى وصل الى مرحلة كبوة الثقافة على حاجز الفيديو .

تتعقد الحياة .. ويتلاشى الوقت ..

وينصب اهتمام الإنسان العربي على تدبير قوت يومه .. ومستقبل أبنائه .. ولم تعد هنالك فسحة من الوقت لتدارس أمور الثقافة أو تصفح كتاب جديد .. أو تفكير بعمل إبداعي جديد .

الانفجارات السياسية تدوي في أذن المثقف العربي .. الأساطيل الأجنبية تجوب مياه هذا الانسان الدافئة .. والأقمار الصناعية الأجنبية ترصد تحركات هذا الانسان .. وتراقب تلمسه الثقافي والفكري .. وعساكر الفيديو تدك مكتبات السوق .. ومكتبات المنازل وتنفق الكتب تحت الأنقاض .

ولو حاولنا الدخول الى تركيبة الانسان العربي وظروف حياته لوجدناه كالآتي :

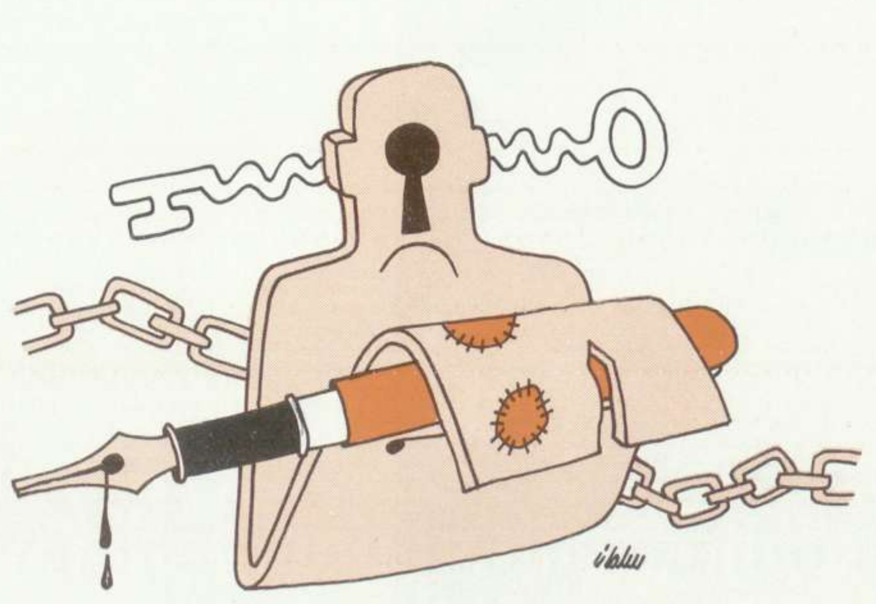
يعاني هذا الانسان شروداً وعدم قدرة على التركيز على موضوع معين .. فهو مظلوم في عمله .. ومدين لاقساط السيارة .. والثلاجة .. والعطلة الصيفية .. وهو في نزاع مع رئيسه المباشر في العمل حول ساعات العمل .. وهو في صراع مع زوجته حول تجهيزات المولود الجديد .. وهو في حرج شديد لعدم قدرته لمواصلة دعمه المادي لأخته الكبرى في الجامعة .. وأخيه الصغير في المدرسة .

يعيش هذا المواطن وسط احداث مريرة فرضتها القوى الأجنبية .. والوقت .. فالوطن العربي ممزق سياسياً .. والشعب العربي مشتت اجتماعياً رغم شعارات الوحدة والوطن الواحد والقضية الواحدة .. والمصير المشترك الواحد .. ذلك التمزق بين هذا الشعب وبين مفكري ومثقفي الأمة يجعل الإلتقاء بين الجميع ضرباً من الأمل البعيد .

البيئة التي يعيشها هذا الإنسان تضع الثقافة في دائرة الاهتمامات المستعصية .. فبالاضافة الى ضيق الوقت .. وكثرة مشاغل الانسان .. فان وسائل الاعلام (وأغلبها ترفيهية) تتلقفه في السيارة .. وفي المنزل . فما أن يدخل بيته حتى يدير مؤشر التليفزيون من محطة الى أخرى ، وعندما تنتهي برامج المحطات الرسمية المحافظة يلجأ الى مكتبة الفيديو هارباً من رقابة التليفزيون وهواجس المجتمع ويقيم سداً منيعاً بينه وبين وسائل الثقافة الحقة .. حتى يغالبه النعاس لينام بجوار الفيديو إن لم يكن جسدياً ففكرياً .

الطبقة المثقفة المحدودة .. والتي تقرأ الصحف والمجلات مشغولة بعد وقت الدوام الرسمي بالأعمال التجارية الخاصة .. ولا وقت لديها إلا قراءة الجريدة على العشاء .. أو على السرير حيث تحضر الزوجة قائمة بالمشتريات المطلوبة للمنزل .

معظم الباحثين .. والكتاب .. – غير السياسيين – ما زالوا يعزفون على نغمة الماضي .. فالشعر الجاهلي .. يعيش في



عروقهم .. ومجالس الأدب العباسي ما زالت قائمة في أدمغتهم ، ومدائح سيف الدولة هي مقررات النجاح الأدبي .. لا بأس أن نشيد بالحضارة الأدبية .. ولكن علينا النظر الى الغد . إن الكتابة للمستقبل من المحظورات في الوطن العربي ..وكأن الشعب العربي هو الشعب الوحيد المناط به حفظ التراث للانسانية . ولو تساءلنا أين المبدعون العرب ؟ أين العلماء العرب ؟ ما الذي قدمه المفكرون العرب المعاصرون للانسانية ؟ هل انتهى عصر التفكير للغد .. ؟ لا نجد الجواب . أليست هنالك فرصة للعودة الى عصر الثقافة الذهبي ؟ خصوصاً في ظل الأزمات العربية .. والمعاناة . ونظراً للاهمال المتعمد من قبل المجتمع للثقافة ــ وذلك لعدم حاجته لها ــ قل الاهتمام الرسمي بالثقافة وقنواتها .

كانت هنالك منتديات .. وحلقات فكر وابداع .. وكانت الفرصة متاحة ومتوفرة لتبادل الخبرات . والاحتكاك الثقافي .. لكن ذلك تحول الى حلقات تجارة .. أو سهرات حتى الساعات المتأخرة من الصباح .

لذلك فان صحوة فكرية في الوطن العربي اصبحت ملحة .. ونهجاً جديداً لوسائل الإعلام أمسى ضرورياً لتأصيل الثقافة بفروعها في رؤوس الشعب العربي . ولن تتأتى لهذه الصحوة الفعالية ما لم تستند الى حسن النية .. والخطوات البناءة لخلق مجتمع مستنير .. وإنسان سليم .

إن بناء الإنسان بناء قوياً سليماً ليس فقط في دخوله المدارس والجامعات وليس في ركوبه السيارات الفارهة .. والملابس الزاهية .. والحلي النفيسة ..

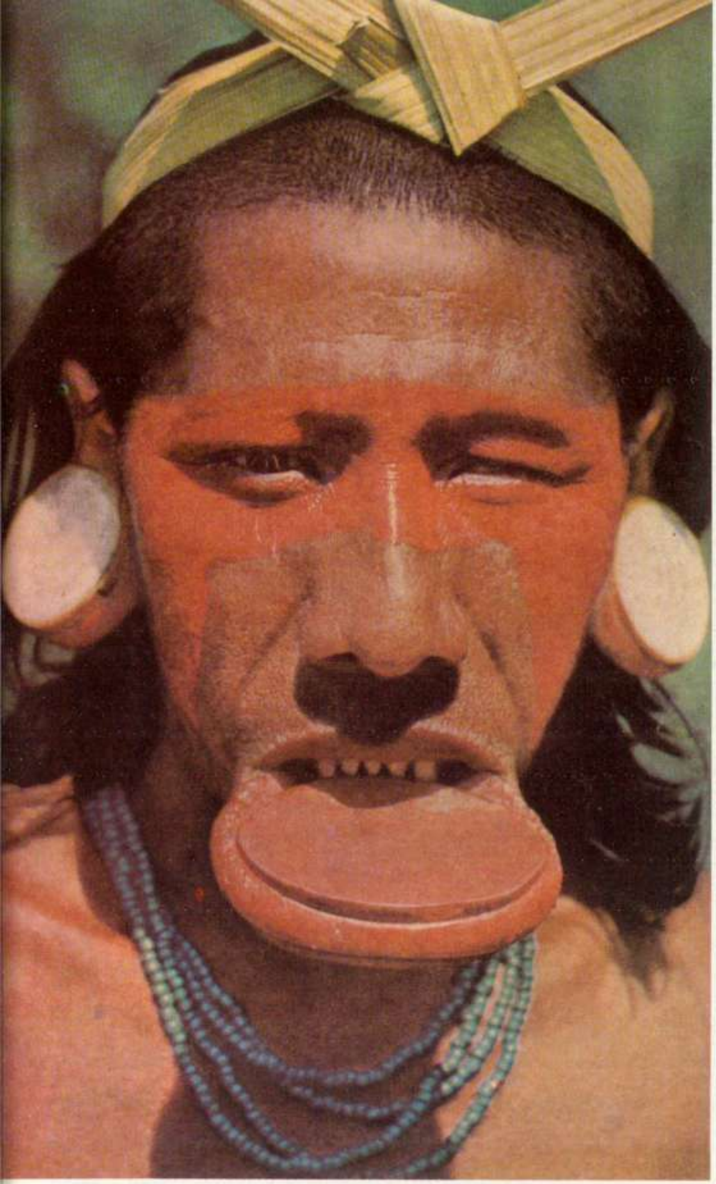
إن بناء الإنسان ليس في زيادة ساعات بث التليفزيون .. وتعدد قنوات الاذاعة .. وتنوع الاصدارات الصحفية .. إن بناء الانسان يتطلب أن يكون هذا الانسان قابلاً للتغيير .. قادراً على رفع مستوى وعيه .. أهلاً لأخذ زمام المبادرة في جميع المسائل الثقافية .. مؤمناً بأن يكون له حضور على المستوى الثقافي وإن كان موظفاً بسيطاً .. أو صاحب محل متواضع .. أو مليونيراً كبيراً بماله .. وأرصدته . ان الغزو الفكري المضاد يزداد شراسة يوماً بعد يوم .. ووسائل وأد الثقافة تتطور وتتنوع .. وحالة الخوف المعيشي تسيطر على تفكير الانسان العربي .

الإنسان الياباني رغم قصر قامته .. وضيق عينه أصبح يهدد الاقتصاد الأمريكي .. والانسان الهندي دخل مرحلة غزو الفضاء .. واستطاع تركيب القمر الصناعي .. الانسان الكوري رغم حروبه وأزماته استطاع أن يكسو أجساد العالم بصناعته المتعددة .

أين يقف الانسان العربي من كل ذلك ؟؟ رغم أن المستوى الذي يعيشه ــ يفوق مستويات كثير من الدول التي تقدمت .. وقدمت للإنسانية منجزات واضحة .

ان العودة الى الكتاب .. واستخدام العقل بصورة أخرى هو الطريق الأمثل الى عالم عربي قوي .. وشعب عربي سليم الجسم سليم العقل .

ان استخدام الكلمة بأسلوب حضاري .. ونظرة واقعية .. ونية سليمة لخلق مجتمع أفضل هو النهج المطلوب لمجابهة التحديات .. وان ايجاد رأي عام مستنير .. هو المعين في التغلب على جميع المشكلات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في هذا الوطن .. أما ترهات الحضارة .. وقشور التطور المادي فهي مادة للاستهلاك والهلاك الشعبي .



من عجائب الله في خلقه

قبيلة الشفاه المطوطة

حسني محمد بدوي



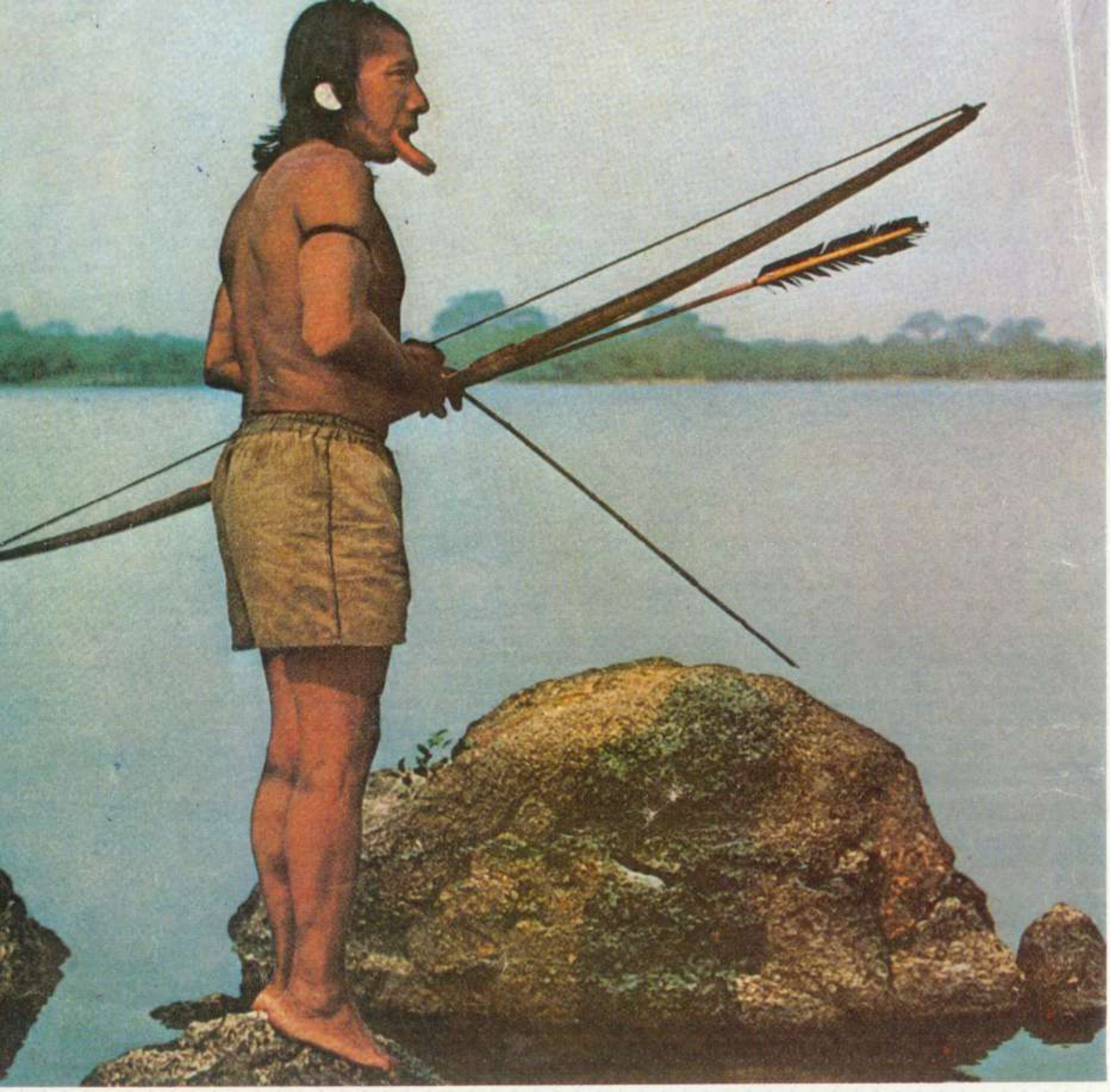
هندى من قبيلة الشفاه المطوطة فى البرازيل ، ويوضع القرص منذ الطفولة لتتخذ الشفاه هذا الشكل الغريب !

يقول الباحث الانثروبولجي الأمريكي « هارالد سكولتز » عن رحلته الشائقة العلمية ، الى قلب البرازيل : قبل أن أقوم برحلتي الى أغوار البرازيل ــ حيث عشت فترة غير قصيرة هناك بين أفراد قبيلة « الصويا » البدائية ــ ، كنت قد سمعت في متحف « ساوباولو » خبراً مثيراً عن هذه القبيلة ، قيل لي : « انها أشد قبائل البرازيل شراسة ووحشية » .. وكان ما يعرف عنها من المعلومات قليلاً .. فهى قبيلة غامضة في عاداتها وأسلوب حياتها . وعرفت قبل رحيلي اليها أن رجالها يقومون بتشويه شفاههم السفلى تشويهاً غريباً ، إذ هم يثقبونها ويمطونها ويدخلون فيها أقراصاً كبيرة ..

وأثارت هذه الأنباء فضول الباحث « سكولتز » قبل أن يرى ويدرس بنفسه تلك القبيلة عن معايشة . وقد أقلته طائرة صغيرة مع آخرين ، من جزر « بنانال » واتجهت غرباً صوب آفاق نهر « الكسينجو » حيث لاتزال بعض القبائل الهندية البرازيلية ، تعيش هناك في غابات ذلك النهر الذي ما لبث أن هبط بالقرب منه رهط الباحثين في مستوطنة « ديوروم » التي توجد بها أكواخ من القش .

ولم يكن بتلك المنطقة أحد من قبيلة « الصويا » . لكن الباحث « سكولتز » عرف أن بعض أفراد هذه القبيلة يزورون هذه المستوطنة بين وقت وآخر ، فلا مفر من الانتظار ...

وبعد أيام قليلة ، ظهرت على سطح النهر خمسة قوارب مصنوعة من جذوع لحاء الأشجار . ويروي « سكولتز » مشاهد تلك الساعة ، فيقول : « رأيت على ظهر القوارب أغرب مخلوقات بشرية وقع عليها بصري ! رأيت أفراداً من قبيلة « الصويا » ،



▶ هذا الرجل صبغ الشفة والقرص باللون الأحمر ، وعلق فى اذنية حلقانا من سعف النخيل المجدول ، وصبغ جزءا من وجهه ، واتخذ عصابة لرأسه من السعف أيضا !

أدوات الصيد التى يستخدمها الأهالى أثناء الصيد من البحيرة

كان الكبار منهم يثبتون في شفاههم السفلى ، أقراصاً خشبية كبيرة مستديرة مصبوغة بطلاء أحمر ، مما جعل هيئة الوجه أشبه برأس البطة ! كما رأيت شحمة الأذن ممطوطة ويتعلق بها قرص أبيض مستدير مصنوع من سعف النخل المجدول . ويرتدي بعض رجالهم سراويل أو قمصاناً قصيرة ، على حين تلبس نساؤهم مآزر حمراء ، أما أطفالهم فكانوا عراة تماماً .. إنهم قادمون من موطنهم غير البعيد لزيارة « الكراي » (أي « المتمدينين ») ، في مستوطنة «ديوروم » .. ثم رأيت رجلا ذا قرص كبير بشفته ، يسحب سلةً من داخل زورقه ممتلئة ببعض هداياهم » .

وكان سبب قدوم « الصويا » هذه المرة الى « ديوروم » ، هو رغبتهم في الحصول على الرعاية الطبية ،على أيدي ذوي الخبرة هناك . كان منهم من يعاني من مرض « الدوسنتاريا » ، وهم لا يتكلمون اللغة البرتغالية (لغة تلك المناطق) . ولما عولجوا مما يشكون ، وجهوا دعوتهم الكريمة للباحث « سكولتز » وزملائه لزيارتهم في قرية « الصويا » .

وفي اليوم التالي ، استقل المدعوون القوارب ، وبعد أن قطعوا مسافة ميلين ، عرجوا يساراً في نهر « الصويامیسو » ، أحد روافد نهر « الاكسينجو » .. وبعد ثلاث ساعات ، خاضوا في رافد آخر ضيق بطيء الجريان .. ثم بلغوا غايتهم ..

كانت هناك غابة كثيفة تحجب كل أثر للقرية وسكانها . ولكن عيونهم وقعت على دروب ضيقة في أغوار الغابة حيث لمحوا اضواء خافتة وظلالاً معتمة .. كانت هناك اكواخ من جذوع وأوراق الأشجار ، وشبكات تستعمل للنوم . وكان بعض أفراد « الصويا » يشوون الأسماك ، ومن حولهم عدد من الأواني الفخارية والأقواس والسهام المبعثرة . كان ذلك المكان يمثل قرية « الصويا » التي لا يتجاوز عدد أفرادها ٦٥ شخصاً فقط ! .. ووجد المدعوون من مضيفيهم كل الكرم والترحيب . وكان من الواضح أن سكان تلك القرية الصغيرة يعيشون على أسماك النهر وثمار الغابة . ومع ذلك ، فهم يتميزون بالكرم الى حد كبير . وأوضح « بنتوتي » (شيخ قبيلة الصويا) لضيوفه ، انهم يصيدون الأسماك بالسم المعروف لدى هنود البرازيل ، ثم يلتقطونه من الماء بسهامهم وأسياخهم ــ وبذلك يحصلون على كميات وفيرة من الأسماك ويأكلونه بنهم .. كما شرح لهم الشاب «كيوزي» (ابن « بنتوتي ») ، كيف يحصلون على الفاكهة والثمار من فوق أشجار الغابة وكيف يشيدون أكواخهم . كما عرف الباحثون الضيوف أن قبيلة « الصويا »

الغناء فترن أصواتهن في رقة ، ويقمن متشابكات الأيدي لأداء رقصات بخطوات قصيرة .. ويغني الجميع حتى يدركهم التعب .. ثم يسود الهدوء الدغل .

وعندما سأل الباحث « سكولتز » شاباً من قبيلة « الصويا » : « ألا تملكون مزماراً « فلوت » ، يرافق الغناء كالقبائل الأخرى ؟ » ، فنظر اليه الشاب نظرة شزراء ماكرة ثم انفجر ضاحكاً وقال له : « كيف يمكننا النفخ في المزمار ولنا مثل هذه الأقراص الخشبية الكبيرة المثبتة في شفاه لاتطبق ؟! » .

أقراص في الشفاه

ولا يستعمل من أفراد « الصويا » هذه الأقراص ، إلا المتزوجون أو الأرامل . فما إن يتزوج الرجل حتى يثقب شفته السفلى ويغرز بها قرصاً .. ويحتفظ كل متزوج منهم بعدة أقراص لاستعماله الخاص ، يودعها في سلة متاعه الشخصي ، التي تحفل بأدوات مصنوعة من أنياب الحيوانات وبقطعة من الخشب المتحجر يستخدمها في شحذ السهام ، كما توجد بالسلة أوراق خشنة « لصنفرة » أقراص الشفاه الجديدة ، وعظام قردة وصمغ الصنوبر الأسود وشمع النحل ولفائف من القطن المغزول وسكين قديم وأصداف بلح البحر ، ومسمار صدئ وغير ذلك من الأشياء المتواضعة التي تمثل كل ثروة الفرد هناك !

وينفرد الزعيم « بنتوتي » من دون أفراد قبيلة « الصويا » بثلاث زوجات . من عادة كبراهن سناً أن تصحبه في جولاته ، وتقوم الثانية بغزل القطن أو جدل أغصان الأشجار ، وتقوم صغرى الزوجات بتجهيز الطعام ، لكنهن يتعاونَّ في أداء الواجبات اذا اقتضت الضرورة ذلك .

وقد أنجب الزعيم « بنتوتي » من زوجاته الثلاث ، عدداً من الأبناء والبنات



الأولاد يحملون نوعا من الأسماك الكبيرة التى قام بصيدها رجال القبيلة

تنقسم الى جماعتين متحابتين يرأس كلا منهما زعيم .

العلاج بالملح

وعرف الباحث « سكولتز » كيف تصنع قبيلة « الصويا » الملح . في البحيرة الواقعة وسط الغابة ، تخوض النساء في الماء حتى يصلن الى النباتات المائية فيسحبن منها أكواماً ويجففنها في حرارة الشمس ، ثم يضرمن النار ويلقين الجمرات على أكوام هذه النباتات . وفي الصباح ، يجهز الزعيم « بنتوتي » قمعاً مصنوعاً من أعواد « الجريد » ، ثم تعلقه زوجته على غصن وتبطنه بأوراق الموز وتفرش على قعره طبقة من ألياف النباتات بمثابة مرشح ، ثم تملأ ذلك القمع برماد النباتات . بعد ذلك ، يوضع تحته وعاء فخاري ويصب فيه الماء فيتسرب خلال الرماد ويصفي الملح ويترسب في الوعاء الذي يوضع ، بعد تلك العملية ، تحت النار ليغلي السائل بداخله .. ويتصاعد البخار ويبقى في القاع مسحوق بللوري بني اللون يميل الى الاصفرار . ولا تكون حصيلة هذه العملية الشاقة سوى حفنتين من الملح ! ويأخذ كل منهم (الرجال والنساء والأطفال) ، ذرات من هذا الملح ليمسح بها فمه ويتلمظها أو يلوكها في نشوة وطرب ! وهو ملح مر المذاق لاذع مختلف تماما عن الملح العادي ، ويستعمل كعلاج ضروري لسكان تلك البيئة ..

كما عرف الباحثون كيف تحصل قبيلة « الصويا » على عسل النحل البري الذي تكمن خلاياه في الأشجار .. وهو نحل غير مؤذ يسقطون أعشاشه بفؤوسهم المتواضعة ، ثم يلتقطون النحل الذي يلتصق بأجسامهم ويدعكونه لينز عسله فيلعقونه ويأكلون شمعه بما فيه من يرقات وحبوب اللقاح !

واذا ما أرخى الليل سدوله ، اجتمع شباب قبيلة « الصويا » للغناء والرقص والمرح . وهم لا يميلون في سهراتهم هذه الى كثير من الضجيج ، فهم يغنون بصوت خفيض رتيب وبلغة غير مفهومة لضيوفهم الأجانب . وكثيراً ما تشارك نساؤهم في



أحـد أبنـاء الزعيم «بنتوني» يقوم بزخرفـة إحدى الأشجـار



الباحث «هارولد سكولتز» أمام آلة الة الكاتبة وقد جلس فى مواجهة أحد أبناء «الصويا»

وينادي أولاده بعضهم البعض ب «أخي» و «أختي». وتناديهم النساء بدون تمييز: «ايكرا» أي: «يا ولدي» أو «يا بنتي»!

وقد لاحظ الباحث «سكولتز» أن «جايسوجرا» زوجة «بنتوتي» الكبرى هي الوحيدة التي تستطيع صنع الأواني الفخارية، وهي أصلا لا تنتسب الى قبيلة «الصويا»، فقد سرقها «بنتوتي» من قبيلة أخرى .. قبيلة «الوايورا» التي تعيش

في أعالي النهر، على رافد يسمى «الكليو ويني» أحد فروع «الاكسينجو». وتشتهر تلك القبيلة بصناعة الأواني الفخارية والسهام لكل المقاتلين في تلك المنطقة.

وتتميز أوانيهم بأشكال جميلة، بعضها بني اللون وبعضها الآخر أسـود اللـون. وهي تعكس الأسلوب الفني لعالم «الاكسينجو».

وكانت قبيلة «الصويا» في الماضي ــ قد هاجمت قبيلة «الوايورا»، واستولت على



رجـل طاعـن فى السن من قبيلة «الصويا» وهـو يقوم بتزيين نفسه!

نسائها ولا يخطر ببال هؤلاء النساء المسروقات، العودة الى قبيلتهن!

ويقول الباحث «سكولتز»: «والغريب اننا لم نجد من نساء «الصويا» من استطاعت أن تتعلم صناعة الأواني الفخارية من نساء «الوايورا» رغم طول مدة معايشتهن .. وقد لفت «بنتوتي» انتباهي الى وجود عدد آخر من الهنود يعيش بين «الصويا» .. قال لي: هذا الشاب الهادىء زوج ابنتي الحبلى، ينتمي الى قبيلة «اليورونا» قد أسروه في طفولته بعد معركة حامية! وهـذا الشاب «سوكو» زوج اخـت «روبوندو»، من أهل قبيلة «ترومای» .. !».

وكان الزعيم يروي أحداث معارك قبيلته بفخر واعتزاز، وكأنما يريد أن يقول أن قبيلة «الصويا» تقوم بواجب التحرير، وقد أصبحت تضم أجناساً مختلفة .. أو كأنها قبيلة «قومية» أو «دولية»!

حسني محمد بدوي

عن مجلة: **National Geographical**



هكذا تبدوا الألوان عند تحية حليم ، متألقة دون بهرجة ، فهي لاتعرف درجات اللون الملتهبة .. اللوحة بعنوان «أولاد أختى نادية ونجلاء»

عاشقة النوبة
تحيّة حليم



الفنانة تحية حليم

بقلم : صبحي الشاروني



الغابة في باريس .. لوحة من وحي رحلاتها إلى الخارج

فنانة عربية لفتت أنظار العالم

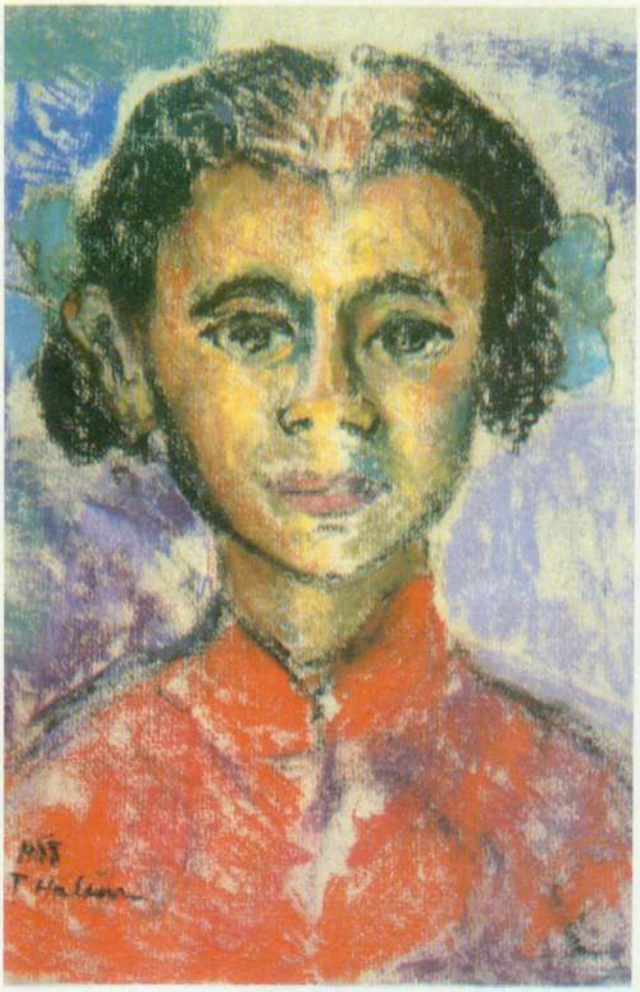
عندما أحس الخديوي اسماعيل الذي حكم مصر في منتصف القرن الماضي ، أنه على وشك أن يتم عزله عن عرش مصر ، قرر عمل أفراح للعاملين في البلاط ، وتزويج الفتيات من الشباب مع تأثيث بيوتهم لكي يطمئن على حياتهم قبل أن يرحل إلى منفاه ، وهكذا تزوجت عازفة الكمان ورئيسة الأوركسترا الآنسة « اليوزباشي » جولتار ، من ضابط السواري الشركسي « عبدالوهاب حلمي »بأمر الخديوي .

وقد انجبا بنتاً عندما كبرت هي الأخرى تزوجت من أحد ضباط الجيش المصري بالسودان .. وسافرت معه ، وفي مدينة دنقلة يوم ٩ سبتمبر عام ١٩١٩ رزقا بابنتهما الأولى « تحية محمد أحمد حليم » .. المعروفة الآن باسم الفنانة « تحية حليم »

وقد توفى والدها بعد عودته من السودان وكان قد وصل الى رتبة الياور الأول للملك فؤاد ، كما حصل على رتبة « البكوية » ..



وجه نوبية .. فى أقصى صعيد مصر



نجلاء : لوحة رسمتها بألوان الباستيل

فعاشت الفتاة طفولتها وصباها في جو من الرفاهية الأرستقراطية ، لولا أنها عشقت فن الرسم فسارت في طريق اختارته لنفسها .

طريق الفن

كانت دراستها الابتدائية في مدارس مصرية ، ثم التحقت بمدرسة فرنسية لفترة قصيرة ، تركتها وطلبت أن تدرس الرسم ، وكانت تحصل خلال فترة الدراسة بالمدرسة على الدرجات النهائية في مادة الرسم .

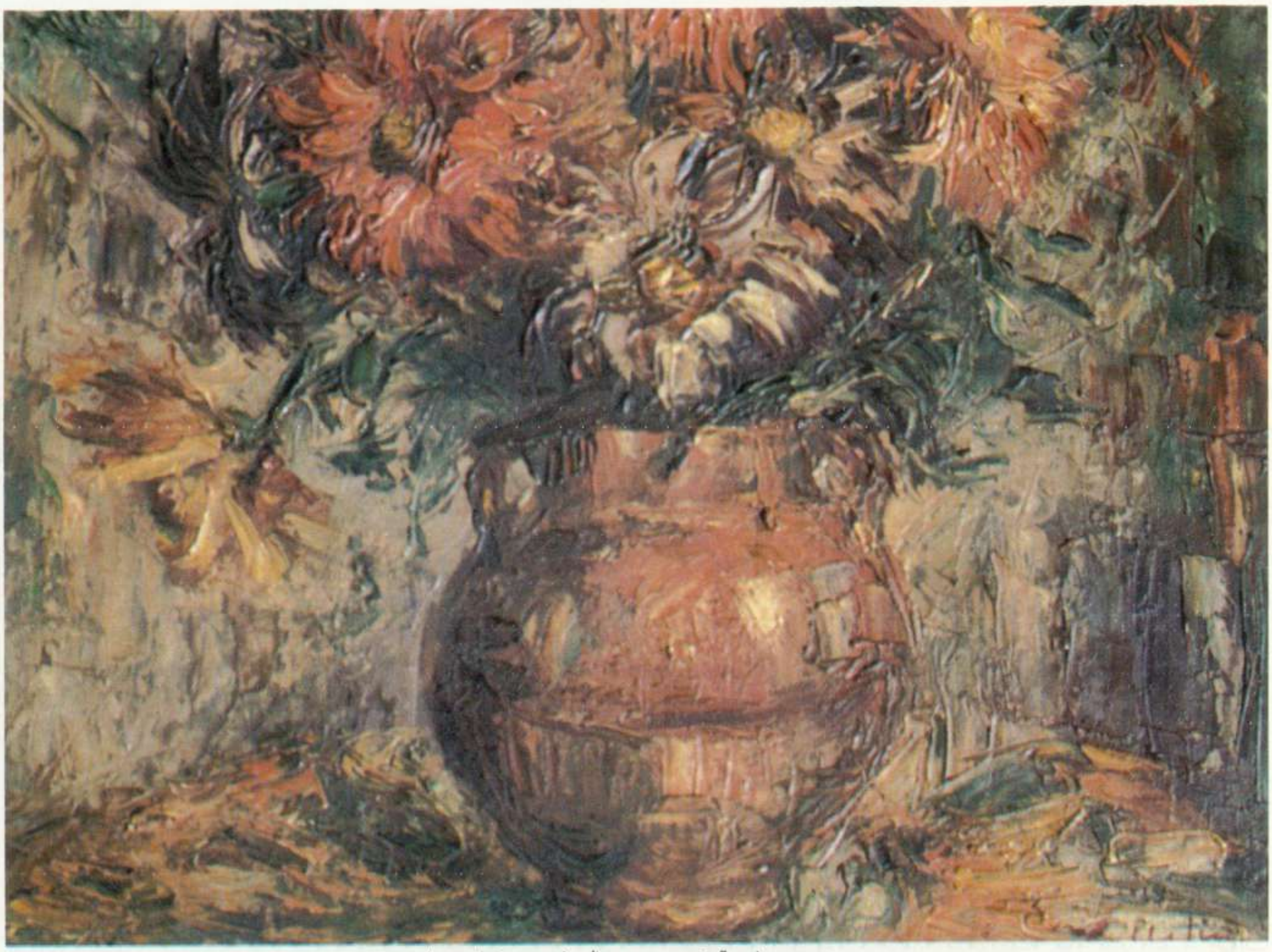
وفي المنزل تلقت دروس الفن واللغة الفرنسية ، ثم ما لبثت أن ألحت على دراسة الفن على يد فنان متخصص ، فالتحقت بمرسم الفنان « يوسف طرابلس » وهو فنان سوري ذاعت شهرته خلال الحرب العالمية الثانية ، وقد هاجر الى البرازيل قبل أن تنتهي الحرب ، وبدأت تتردد على المعارض ، وفي احدى زياراتها لمعرض صالون القاهرة التقت بالفنان « حامد عبدالله » حيث أعجبت برسومه في أسوان والأقصر وطلبت منه أن يعرفها بأستاذه الذي علمه الرسم فاصطحبها الى الفنان اليوناني « الكوجيردن » الذي التحقت بمرسمه لمدة عامين توفي بعدهما ، فعرض حامد عبدالله على والد تحية حليم أن يتولى هو تعليمها الرسم ، فوافق الأب وخرجا للرسم معاً عن الطبيعة ، وكذلك في منزله بالمنيل ، وما إن حل عام ١٩٤٥ حتى ارتبطا بالزواج .

وبعد عام واحد من هذا الزواج قضياه في الاسكندرية انفصلا لمدة عام كامل .. ثم عادت علاقتهما لتستمر عشر سنوات أخرى . وطلبت الفنانة من اسرتها السفر الى فرنسا لاستكمال دراستها الفنية ، فسافرت مع زوجها عام ١٩٤٩ ، حيث كانت أسرتها ترسل لهما مبلغاً صغيراً من المال لمعيشتهما ، والتحقت بأكاديمية « جوليان » حيث درست التشريح الفني والرسم الأكاديمي عن الطبيعة دراسة منتظمة ثلاث سنوات كاملة .

وفي عام ١٩٥١ شاركت بلوحاتها في المعرض المصري في لندن حيث كانت تدور لوحاتها حول مظاهرات الطلبة عام ١٩٤٩ ، ثم انتقلت لوحاتها لتعرض في « سان باولو » بالبرازيل عام ١٩٥٢ ، ثم توالت عروض لوحاتها في الخارج : فينسيا وبكين وموسكو وفي بلجيكا ...

التعاون والتنافس

ان تحية حليم وحامد عبدالله فنانان



زهور.. لوحة تعبر عن جمال الزهور وشاعريتها

كبيران ، وقد سادت علاقتهما روح التنافس أكثر من روح التعاون .. وهكذا كان من المتعذر أن يواصلا مسيرتهما المشتركة دون أن تطغى شخصية أحدهما على الآخر .. فكان لابد أن يستقل كل منهما بطريقه بعيداً عن الآخر.. وهكذا تم طلاقهما عام ١٩٥٧ في ايطاليا على يدي الدكتور ثروت عكاشة عندما كان سفيراً لمصر في روما ، كما شهد الطلاق الفنان صلاح كامل الذي كان يشغل منصب مدير الأكاديمية المصرية في روما ، وشق كل منهما طريقه كفنان ، هي في مصر وهو في النرويج ثم باريس .

وتحية حليم تعيش الآن في شقتها المطلة على النيل بالزمالك ، مع قططها التي ترعاها وكأنها أبناؤها فتقدمها على نفسها في كل شيء .. وهي تعيش في محراب الفن منذ عام ١٩٥٧ عندما برز أسلوبها الخاص ، فهي فنانة متمسكة بفنها ، وقد نجحت في التغلب على الأزمات والمشاكل التي اعترضت حياتها ، وكل ما يعنيها هو فنها فقط .

الجائزة العالمية

عزمت أن تشق طريقها فأقامت في حجرة على سطح منزل الأسرة بمصر الجديدة ، وفي عام ١٩٥٨ تقدمت باحدى لوحاتها لمسابقة جائزة « جو جنهايم » العالمية ضمن عدد من الفنانين المصريين ، وقررت لجنة التحكيم أن لوحتها « حنان » هي أفضل اللوحات المصرية المقدمة في هذه المسابقة ، ففازت بالجائزة ومقدارها ألف دولار .. ثم ما لبثت أن تلقت من متحف «جوجنهايم» في نيويورك خطاباً بطلب ضم هذه اللوحة الى مقتنياته ، ليعرضها بجانب أعمال لبيكاسو وسيزان وموديلياني وغيرهم ... فطلبت ألف دولار أخرى ثمناً للوحة .. ويواليها البريد بخطاب تقدير لأعمالها وطلب شراء نماذج أخرى من انتاجها ، وصلتها من أصحاب المجموعات الفنية وأصحاب قاعات عرض أعمال الفنانين ... وهكذا أثثت شقتها أو صومعتها الفنية بالزمالك بقيمة اللوحة الفائزة .. وبدأت تستقبل عدداً من ابناء العاملين في السلك الدبلوماسي والهواة الذين ينشدون تعلم الرسم .. لكنها عندما حصلت في عام ١٩٦٠ على منحة التفرغ للانتاج الفني ، توقفت عن التدريس وتفرغت تماماً لفنها .

وعندما قدمت أعمالها لمعرض صالون القاهرة في نفس العام حصلت على الميدالية الذهبية في فن التصوير الزيتي مع جائزة « علي لبيب جبر » .. وبدأ يتألق نجمها في الحياة الثقافية .



القدس .. زهرة المدائن التى يحاول الصهاينة طمس عروبتها

رحلة النوبة

وقد أتاح نظام التفرغ للفنانة أن تقوم برحلات في انحاء مصر ، وعندما سافرت الى النوبة لتتعرف على معالمها التقت هناك مصادفة بالدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة والارشاد القومي ــ في ذلك الوقت ــ فطلب منها تسجيل معالم النوبة ، لكنها اعتذرت بسبب قصر زمن الرحلة التي تقوم بها على نفقتها ..

في هذا اللقاء قرر الدكتور تنظيم رحلة الفنانة الشهيرة إلى النوبة التي سجلت معالمها قبل أن تغرقها مياه بحيرة ناصر .

تعتبر هذه الرحلة ذات أثر عميق لا يمحى على فن تحية حليم ، فنلاحظ بصماتها على انتاجها من ذلك التاريخ .. كانوا خمسة وعشرين من رجال الفن والفكر ، جمعتهم على المركب « الدكه » دعوة الدكتور ثروت عكاشة عام ١٩٦١ لزيارة بلاد النوبة والتعرف على معالمها .. بينهم المهندس والرسام والنحات والأديب والموسيقي وراقص الباليه .. واستمرت الرحلة لمدة شهر كامل متنقلين بين قرى النوبة مسجلين ما يرونه وما يسمعونه بينما كانت اقامتهم ومبيتهم على المركب .. وفي الليل كانوا ينزلون مع النوبيين ويشاركونهم الرقص والغناء ويتعرفون على تقاليدهم في الأفراح والمناسبات المختلفة .

ولقد رسمت الفنانة أهم لوحاتها من وحي النوبة ، أي من أثر هذه الرحلة التي لم تستمر سوى شهر واحد ولكنها طبعت فنها بقية العمر ...

كانت هذه الرحلة تضم الدكتور لويس عوض والفنانان سيف وأدهم وانلي وغيرهم .

وبعد عودة الفنانة واصلت الانتاج الفني متفرغة على نفقة الدولة لانتاجها ، لكنها اصيبت عام ١٩٦٣ « بروماتزم » في عينها ، فأمر الرئيس الراحل جمال عبدالناصر بعلاجها على نفقة الدولة في لندن ، فسافرت لمدة عام كامل حيث رافقتها أختها لمدة ثلاثة شهور فقط .

وبعد فترة طلبت من طبيبها أن يأذن لها بالرسم وواجهتها مشكلة تدبير ثمن الخامات .. فأرسلت الى تلميذتها قبل أن تتفرغ للفن «روث آدم» بالنرويج تطلب منها إرسال مبلغ من المال لشراء أدوات الرسم على أن ترد اليها في مقابله بعض لوحاتها لتبيعها وتسترد نقودها وترسل الباقي للفنانة الراقدة في المستشفى بلندن ..

وتقول الفنانة إنها اشترت بهذه النقود ملابس وأدوات للرسم وقامت « روث آدم » بترويج لوحاتها في النرويج حيث رسمت وجوه المرضات بملابسهن الخضراء ..

وفي حفل رأس السنة عام ١٩٦٤ قامت بتزيين المستشفى بالزينات الورقية الملونة مستعيرة الأسلوب الياباني ، وعند إقامة الحفل كرموها باعتبارها المريضة التي أشاعت البهجة بألوانها ورسومها في جميع انحاء المستشفى ..

وعندما شفيت عينها عادت الى مصر لتقيم معرضاً للوحاتها في قاعة أتيليه القاهرة ، وقد دعي الناقد « جبريل بقطر » سفير السويد وزوجته لزيارة المعرض ، فأبديا اعجابهما باللوحات وطلبا من الفنانة الاستعداد لاقامة معرض لأعمالها في « استكهولم » عاصمة السويد مع دعوة

للإقامة مدة ثلاثة أشهر .. وكان سفير السويد في القاهرة في هذا الوقت ينتمي للأسرة المالكة في السويد ، فسافرت الفنانة معهما عند انتهاء مدة عمل السفير بالقاهرة عام ١٩٦٦ ، وعرضت أعمالها في متحف الفن الحديث الذي كان يعرض في نفس الوقت أعمال الفنان « مارك شاجال » .. ثلاث قاعات لشاجال والرابعة لتحية حليم . ونجح المعرض ، وكان الإقبال على مشاهدة اللوحات وطلب اقتنائها مؤشراً واضحاً ودليلا على تفوقها الفني وأنها استطاعت أن تخلق جمهوراً غفيراً يقدر موهبتها ..

لكن مكالمة تليفونية من القاهرة حملت اليها خبر موت قطها « بقلظ » جعلها تعتذر عن عدم البقاء في استكهولم وتقرر العودة فوراً الى القاهرة ..

كانت كل لوحات المعرض قد بيعت .. وطبعاً نشرت الصحف خبر سفرها المفاجئ لحزنها وانزعاجها على قطها المحبوب ، وخلق هذا التصرف المتسم بالرقة والحنان المبالغ فيهما تعاطفاً متزايداً مع الفنانة وأعمالها . وأصبحت تحية حليم فنانة مرموقة في السويد يتابع الجمهور أخبارها ويتوقع مجيئها من وقت لآخر .. وفي المتحف الأهلي بمدينة استكهولم توجد لوحتها « الانسان » التي يشار اليها من حين لآخر بفخر كلما نشرت أخبارها ..

وفي عام ١٩٦٧ أقامت معرضاً شاملاً لأعمالها بالقاهرة ، وكان فرصة سانحة للكتاب المصريين أن يقدموا الفنانة المتفوقة لقرائهم ، وأصبحت تحية حليم معروفة للجميع كفنانة متفرغة مولعة بجو النوبة والجوانب العريقة والأصيلة في مصر .. والنجاح يولد النجاح ...



حديقة الحيوان بالجيزة .. أحد المناظر الطبيعية التى تأثرت بها الفنانة

جائزة الدولة

تقدمت الفنانة عام ١٩٦٧ لجائزة الدولة التشجيعية ففازت بها في فن التصوير الزيتي عام ١٩٦٨ عن لوحتها « الخبز من الصخر » التي رسمتها عام ١٩٦٦ ، وقد فازت بالجائزة باجماع آراء اللجنة المخصصة لفحص الأعمال المقدمة ، كما حصلت على وسام العلوم والفنون بهذه المناسبة .

ويقول تقرير اللجنة التي منحتها الجائزة : « إن هذه اللوحة ، التي استوحتها الفنانة من النوبة تجمع خصائص فنها الذي يوائم بين مطالب فن التصوير الزيتي وبين التعبير الشاعري الوجداني ، هذا فضلاً عن قدرتها البارعة في صياغة نسيجها اللوني وفي اضفاء قيم تشكيلية على ملامح لوحاتها ، وفي قدرتها على استحضار الجو التصويري الذي تعبر عنه مع الاستحواذ عليه في عملها » .

وقد دعيت الفنانة عام ١٩٧١ لتقيم معرضاً لأعمالها في برلين الشرقية ، وكان الاحتفال بها شعبياً ورسمياً .. وكتبت عنها مجلتان و ٢١ جريدة .. وامتلأت جدران شوارع المدينة بالملصق الملون الذي يدعو الناس لزيارة معرضها ، وقد اقتنى متحف برلين لوحتها عن ٥ يونية ، ثم انتقل المعرض الى مدينة وارسو عاصمة بولندا واقتنى المتحف الأهلي احدى لوحاتها .

وبعد عودتها الى القاهرة سافرت مع



من وحى القرية

الفنانة « انجى افلاطون » لتقيما لمدة شهر في مدينة اخميم بصعيد مصر في دير الراهبات اللائي يشرفن على مدرسة لتعليم الفتيات النسيج اليدوي المرسوم والذي يتوارثه سكان تلك المدينة جيلا بعد جيل منذ أكثر من ١٥ قرناً .

هذا وقد انتهى تفرغها عام ١٩٧٥ وأصبحت تتقاضى معاشاً مثل الموظفين المتقاعدين ..

أما آخر معارضها فقد اقامته الفنانة عام ١٩٨١ بأمريكا حيث كانت في ضيافةابنة أختها المهاجرة هناك ، لقد ظلت ترسم ١٠ شهور متتالية على ورق البردي وورق الحرير الياباني ، وكانت تتأهب لعرض هذه الأعمال في واشنطن ، لكن الظروف حالت دون ذلك ، فعرضت لوحاتها في جامعة « وستكونستن » واهتمت أجهزة الاعلام بمعرضها ، إلا أنها بعد أيام من افتتاح المعرض فاجأتها أزمة قلبية جعلتها تلزم الفراش ثلاثة أشهر .

خصائص أسلوب الفنانة

تحتل الفنانة تحية حليم مكانة خاصة فى حركة الفنون الجميلة المعاصرة بمصر ، كما ساهم اسلوبها فى الرسم فى تحديد ملامح جيل الفنانين الذي قدم عطاءه بعد الحرب العالمية الثانية .

وهي وإن كانت ترتكز على الفنون القديمة وتعبر عن الناس البسطاء في الريف وفي النوبة ، إلا أن هذا لم يجعلها تهمل البعد العالمي للفن أو تلغيه ، إنها تعتقد أن عالمية الفن لا تتحقق إلا بالفهم العميق للفنون القديمة بمصر ، وببعث تراث الأجداد القدامى من جديد ، وباعادة خلق الروابط التي تصل الماضي بالحاضر ، والتي تدفع الى النظر للمستقبل .

فالجذور الفنية لأعمال تحية نجدها كامنة في التراث القديم : الفرعوني ، والقبطي ، والاسلامي ، بالاضافة الى تمتعها بحس مرهف نحو روح الفن الشعبي وحبها العميق لنماذج هذا الفن . إن اسلوب الفنانة له طابع شديد التميز ، فلمحة واحدة تكفي للتعرف على لوحاتها وتحديدها بين ألف لوحة . وملامح فنها هي مزيج فريد من مؤثرات متباينة استطاعت الفنانة أن تعيد صياغتها من جديد ، وأن تبلورها في كل واحد .. فنحن نجد في لوحاتها روح التصوير الحائطي المصري القديم ، وهو أبرز ما يميز أعمالها ، فنجد المساحات المسطحة الواضحة التي يحيطها خط رئيسي .. وهي تراعي التجانس بين الخطوط . كما نلمس الاعتماد على معمارية التكوين ، والاهتمام بحيوية الهيكل الخارجي للأشكال .

لكن بجانب هذه الملامح المصرية القديمة نلمس أثراً واضح المميزات للمنسوجات القبطية القديمة بما عرف عنها من طريقة خاصة في خلق النماذج وتحريف الأشكال وتوزيعها في مواضعها ..

وفي الوقت نفسه نلمس روح الفن الاسلامي بعناصره الكثيفة ذات الايقاع المتجانس والمتميز بصفاء المساحات والاقتصاد في التفاصيل .

على أن هذا المزيج الفريد الذي يتكون منه فن تحية حليم ليس تجميعاً لمؤثرات خارجية ، لأن ما تحققه الفنانة هو قبل كل شئ عالمها الخاص المتميز بالحيوية والحضور ، وقد توصلت اليه عندما اكتشفت وهضمت الدلالة الخاصة التي تحملها فنون التراث .. وأصبحت قادرة على اكتشاف الصلة الوثيقة التي تربط هذه النماذج التي صنعتها حضارات قديمة بالعصر الحاضر .

إنها تسعى لخلق نوع من الاسطورة

المعاصرة ، فأحلامها تتلخص في محاولة خلق اسطورة خالدة .

إنها ترسم بتلقائية وفي اندفاع حسي ورغبة في التحرر والانطلاق اللامحدود ، وهي دائماً تخص كل هندسية صريحة رغم ان تكويناتها محسوبة بعناية ، فاللوحة عندها بناء متكامل على هيكل معماري راسخ . غير أن النبض الحي يسري في لوحاتها عندما تقوم بتحطيم الأطر الهندسية الجامدة .

والشخصيات التي يتناولها تصوير تحية حليم ، هي شخصيات تحمل صورة الماضي وتزخر في نفس الوقت بنبض الحاضر ، نفس الوجوه السمراء بلون طمي النيل ، وهي تطالعنا بنظرة مملوءة بالدهشة أو القلق أو التساؤل ، مع ابتسامة رقيقة غامضة في بعض الأحيان توحي ببراءة الطفولة .

حوار اللون

واللون عند تحية حليم يلعب دوراً هاماً وبارزاً ، وإن كان يبدو دائماً في وضع مساعد للخطوط التي تحدد المساحات المسطحة ، ولون الطينة المحروقة الذي تنشره في أنحاء لوحاتها يقوم بحوار حتى مع اللون الأخضر مما يحقق رموزاً بسيطة من هذا الحوار ..

ا ن هذين اللونين يلخصان عالم مصر بأكمله الذي نجده في صورة الشريط الأخضر الممتد امتداد الوادي المزروع وسط التلال الرملية الداكنة . فنحن إذن أمام عالم قد أعيد تكوينه بعد تكثيفه وتلخيصه في بساطة متناهية .

أما اللون الذهبي فهو نادراً ما يستخدمه الفنانون ، وهي ترى أنه لكي يتعايش مع بقية الألوان يجب أن يدخل ضمن النسيج اللوني كله ، لهذا تستخدمه عند تحضير لوحتها للرسم وتغطيه خلال العمل حتى يختفي أو ينطفئ ، ثم تعيد إظهاره في أماكن متفرقة بكشط الطبقات التي تعلوه من الألوان في لمسات متفرقة توحي بأن اللوحة يكسوها القدم .



نوبيتان بأزيائهما التقليدية ذات الألوان المميزة

وهكذا كانت الألوان عند تحية حية ومتألقة دون بهرجة ، فهي لا تستخدم لوناً صافياً ، ولا تعرف الدرجات اللونية الملتهبة ، فهناك دائماً غلالة شفافة من اللون تغطي أسطح الألوان الساطعة .. وهكذا يتحقق ما يسمى بالثراء في الملمس اللوني أو غنى النسيج في اللوحة ، وهو ما يعوض ما تفتقده من الصورة الواقعية التي تشمل الأبعاد والعمق .

أما لوحاتها المائية الصغيرة فنحن نلتقي فيها مع الطبيعة التي تتميز بغنائية وشاعرية مع المحافظة على الروح الشرقية الحالمة .

والفنانة لا تؤمن بالفن التجريدي ، وتؤكد أنها لم تحاول ولم تفكر في رسم لوحة تجريدية ، لأنها تعتقد أن طريقتها في الرسم لا تنتمي بشكل محدد الى أي مذهب فني معروف ، وقد استخلصت لنفسها طابعاً خاصاً بعد تجارب متعددة حققت لفنها مكانته العالية .. لهذا تقرر اصدار كتاب مصور عن أعمالها يضم صور أكبر مجموعة من لوحاتها مع تقديم لفنها وضعه المفكر المعروف الدكتور لويس عوض .

صبحي الشاروني

قالت نملة لقومها .. فهل فهم قومها ما قالت ؟
قالت نحلة لعشيرتها .. فهل فهمت عشيرتها ماقالت ؟

للطيور لغة وللقرود لغة

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

نحن بني الانسان لنا وسائل متباينة للتخاطب غير وسيلة الكلام ، فاذا ذهلنا صحنا صيحة التعجب ، فيفهم الناس ما تحمله هذه الصيحة من معان ، واذا لم نهتم بامر من الأمور هززنا اكتافنا ، فيفهم الناس ان موضوع الحديث لم ينل عنايتنا واهتمامنا . أما الحيوانات فلا تتخاطب بلغة الكلام ، من جمل وكلمات ، ولكنها تتخاطب بطرق اخرى . فبعضها يحدث ضجيجا يقابل عند الانسان ما يبديه من اصوات التعجب والدهشة ، كما يتخذ الرقص وسيلة للتخاطب ، ويتخذ النمل الرائحة وتعليم الطرق وسيلة للتخاطب .

لغة النمل

يعتمد النمل على قرون الاستشعار والزوج الأول من ارجلها كطريقة على عملية الاتصال والتفاهم . وتبدا النملة عادة بالتعرف على غيرها بملامسة جسمها اولا ، ومن ثم تعمل على لمس الراس وقرون الاستشعار لتحديد طبيعة الفرد الملموس من عاملة او جندي .. والملامسة هذه لا تكفي للتحديد .. وانما تلعب الرائحة دوراً في اتمام عملية المعرفة هذه .

إن الاشارات الكيميائية يمكن ان تعرف إما عن بعد اي بطريقة الشم او الملامسة المباشرة ، كما يمكن ان تكتشف عند بعض الأنواع عن طريق التذوق .

لقد تبين من خلال مراقبة ودراسة النمل ان لكل نوع افرازات معينة تعطيه بالتالي روائح خاصة ، ويعني ذلك ان لكل وكر من النمل رائحة خاصة ، ويعمل النمل على اعطاء نوعين من الآثار او العلامات التي يعلم بها الطريق . إن العلامات التي تتبعها افراد النمل ناتجة عن افرازات لغدة معينة ، عديدة الخلايا . موجودة بالراس او فى الشرج .. وهنـــاك افرازات غدة (دوفور) وهي غدة تفرز مواداً قلوية تنفتح على قاعدة شوكة بطن الحشرة لتسجيل علامات على الطريق ، أو لاثارة سلوك معين عند النمل في بعض الأحيان .

تعليم أو تأشير الطريق

إن عاملة واحدة تخطط الطريق لمسافة اقل من خمسين سنتيمتراً ثم تاخذ التعليم عاملة اخرى وهكذا .. اما كيف يتم هذا التاشير ؟ ! فالعاملات تعتمد لذلك طريقة افرازات غدة الدرفور تسيل على طول الأبرة الموجودة في نهاية البطن . هذه الابرة تمس سطح الأرض خلال مسيرة الحشرة في مسافات منتظمة ومحددة . وفي هذا المس يتم سقوط بعض الافرازات من الغدة السابقة والعديمة اللون . هذه الخطوط الصغيرة الناتجة عن مس الابرة سطح الأرض ، ما هي إلا مراكز لبث الرائحة . صحيح ان تركيز جزئيات الرائحة منخفض ولكنه كاف ومؤثر وبعد عدة مرات من مرور العاملات فان تخطيط الطريق يتاكد . لأن النمل يستمر في افراز هذه المركبات المعطية .

لقد قضى استاذ النحل (فون فرتش) في جامعة ميونخ ، اكثر من عشرين سنة في دراسة طباع النحل وعاداته ، وخلص الى نتائج طريفة ضمنها كتابا جاء فيه :

ينتخب النحل من بينه افراداً تقوم بمهمة الكشف .. فتخرج في الصباح الباكر باحثة عن الأزهار المتفتحة ، مستعينة بعيونها الحادة التي ترى الاشعاعات فوق البنفسجيـة التي لا تراها العين البشرية .

وعندما تحط النحلة على الزهرة تذوق رحيقها وتحدد نوعه ونسبة السكر فيه بحاسية الذوق وهي لا تعني بجمع الرحيق من الأزهار التي لا تزيد نسبة السكر فيها على ٥ ٪ لأن رحيقها يفسد قبل ان يركز ويحول الى عسل . ولكن النحلة تقنع برحيق نسبة السكر فيه ٢٠ ٪

وتاخذ النحلة الكاشفة (عينة) من الرحيق ، ثم تعود الى الخلية لتذيع الأنباء السارة لزميلاتها .

ويمكن مشاهدة ذلك بسهولة عندما نستعمل خلية صنعت من الواح زجاجية: فاذا وضعنا مثلا محلولا سكريا على بعد ٢٠ متراً من الخلية ، وامسكنا نحلة عند استعدادها للطيران ثم وضعناها على المحلول السكري ، بعد وشمها على صدرها بلون ظاهر كاللون الأحمر ، فعند رجوع هذه النحلة لخليتها اذا امكننا مشاهدتها على القرص الشمعي نشاهد على طرف خرطومها قطرة من المحلول السكري لتعرف الشغالات القريبة منها نوع الطعام ورائحته ، ولتنبئهم عن موقعه وبعده عن الخلية فانها تجري على هيئة دوائر يمينا ويساراً في مواقع مختلفة على القرص ، وتسمى هذه الحركات بالرقصة الدائرية ، فاذا شاهد جيرانها تلك الحركة ينشطن معها ويلامسنها بقرون الاستشعار ، ليعرفن رائحة الطعام ومصدره ، ويسارع النحل بعد ذلك بالخروج نحو مصدر الطعام ، ويقوم النحل بالرقصة الدائرية اذا كان بعد مصدر الطعام اقل من مائة متر ، فاذا زادت المسافة على ذلك فان النحلة تقوم برقصة اخرى ، تسمى الرقصة الاهتزازية على شكل انصاف الدوائر ، تقل في الحجم والعدد كلما بعد مصدر الغذاء ، ويستعمل النحل الشمس لتحديد اتجاه موضع الطعام من الخلية ، فاذا كان موضع الطعام شمال الخلية ادت النحلة رقصتها وراسها متجه نحو قمة القرص ،واذا كان مصدر الغذاء جنوب الخلية ادت النحلة رقصتها وراسها نحو قاعدة القرص ، وكذلك تتخذ من الشمس بوصلة تحدد بها الزاوية بين مصدر الغذاء والشمس والخلية .

ولايشك فون فريتش في ان رائحة الزهرة ، وليس رحيقها ، هي التي تجذب النحل ،فالرائحة تعلق باجسامها ، وبذا يمكن لأفراد النحل الاخرى ان تشم تلك الرائحة وان تتعرف عليها ، من هذا كانت لغة النحل لغة روائح . ومن التجارب التي اجراها هذا

لباحث نفسه ، انه كان يغذي النحل من اكواب عجية ، بها قليل من زيت القرنفل ، فكان بالطبع حدوث الرقص العادي في الخلية ، الهجوم العنيف الذي يشنه الاتباع للبحث ر الطعام ، وقد لوحظ ان هذا النحل الخارج ر الخلية ذهب الى الاكواب المحتوية على د القرنفل ، والى اي شيء يحمل اثر هذا زيت ، وليس الى الازهار وحدها .

وقد اثبتت هذه الأبحاث ان لغة النحل وامها الغريزة ، ولا تكتسب اكتسابا .

ويتساءل الناس ايضا هل اصوات الطير تكتسب بالتقليد ، او هي من دوافع الغريزة ؟
وقد اجاب (مثروفوكس) ، استاذ علم الحيوان بجامعة برمنغهام ، على هذا السؤال فقال :

فقست مائتان من الكتاكيت في جهاز تفريخ ، فاخذ نصفها ووضع في عزلة تامة ، وجعل النصف الآخر في مكان يتيح له فيه ان يسمع الديكة والدجاجات تصيح بالقرب منه . وعندما كبرت هذه الكتاكيت ، وبلغت مبلغ الدجاج ، لاحظ المراقبون انها قادرة على ان تحدث اصواتا مختلفة كتلك التي تحدثها الديكة والدجاجات ، ولا فرق في ذلك بين المعزولين .. يتضح من هذه التجربة ان هذه الاصوات هي وسيلة التخاطب عند الدجاج ، وانها غريزة تولد معها ولا تكتسب بالتعليم والتقليد .

والدجاجة اذا ارادت ان تنذر صغارها بخطر مفاجىء تقوقىء قوقاة مزعجة ، فتنتشر الصغار في مكانها ، وتظل بلا حركة حتى تصدر الأم صوتا يخالف صوتها السابق . فكان الصوت الأول صفارة خطر والثاني صفارة امان . والطيور المهاجرة في اثناء الليل تحدث اصواتا عالية تعمل على تجمعها ، فاذا ما ضل طير من الطيور المهاجرة الطريق ، استطاع لدى سماعه هذه الاصوات العالية ان يتعرف على سربه ، ويرجع اليه .

ويتساءل العالمان الدكتور نيقولاس كوليس المتخصص في علم الحيوان بجامعة كورنيل ، ومارتن جوز الاستاذ بقسم الابحاث بجامعة ...لوس بامريكا قائلين :

هل للدجاج لغة خاصة يتفاهم بها ؟ ! وهل ترمز اصواته التي يحدثها الى معان معينة ؟ !
ولكي يجيب هذان العالمان على هذين السؤالين ، حلل الباحثان هذه الاصوات ، وحللاها بواسطة آلة تحول الاصوات الى خطوط متموجة ترسمها على الورق ، فبينت تلك الخطوط تماثل التموجات التي تسجل المعاني ...شابهة ، في عواطف او احوال نفسية ، ...ـد تعهد الاســـتاذ جوز بعمليـــة التسجيل ، بينما قدم الدكتور كوليس ما توصلا اليه من شروح وتفسيرات الى الجمعية الامريكية لتقدم العلوم .



نحل يرقص .. والرقص عند النحل لغة !



جمع كبير من النمل يهاجم ثعباناً مريضاً لنزع جلده !



نحلتان عادتا إلى خليتهما بعد أن جمعتا قدراً من رحيق الأزهار .. إنهما تخزنان هذا الرحيق في عيون الخلية

وقال : يمكن الاستدلال من الخطوط المتموجة على حال الدجاجة من سرور او حزن ، لعزلتها او جوعها او شعورها بالبرد او الألم ، ولكن يختلف التوقيت الزمني لتلك الاصوات باختلاف المعاني المختلفة : فيمكن للدجاجة الام ان تنادي افراخها لتتبعها اينما سارت باصدار صوت معين ... مرتين في الثانية ، وتسرع تلك الاصوات الى اربعة في الثانية اذا اكتشفت الدجاجة طعاما فتدعو افراخها اليه ، واذا ما جن الليل فانها تردد صوتا يستغرق حوالي ثانية ونصف ثانية في المرة الواحدة ، تنادي افراخها لتجمعها تحت اجنحتها ، واذا ظهر في الجو طير جارح احدثت صوتا مرتفعا اجش ينذر افراخها بالخطر ، فتفر بسرعة لتحتمي وتختفي عن الانظار .

وللكلاب ضغاء اذا جاعت ، ووقوقة اذا خافت ، وهرير اذا انكرت شيئا او كرهته .
وهي كما قال بروفسور (مثروفكس) : تعرف نغمة الصوت التي يعبر عنها الصوت ... فاذا قلت لكلب في لهجة المنشرح المبتهج : إني ضاربك يبصبص بذنبه ... واذا قلت بلهجة المكتئب : ساحضر لك قطعة عظم ... وضع ذيله بين ساقيه .

وقد امكن تدريب الكلاب على ان تاتي اعمالا معينة استجابة لاوامر منطوقة وبلغ بالكلاب الذكية ان تطيع الاوامر الصادرة لها وتستجيب لها ، حتى اذا لم تستطع رؤية الفرد الآمر نفسه .

والحصان قد يصهل صهيلا ، وقد يضرب الارض بحافره ، فتسمع بقية الخيل هذا الصهيل وترى حركة هذا الحافر ... فتفهم من ذلك ما يعنيه هذا الصهيل وما تدل عليه هذه الحركة .

وللقردة اصوات مختلفة ولها ايماءات كثيرة بحركات وجهها ، تبديها بشكل خاص وطابع معين كلما حل بها الضيق ، وكلما عضها الجوع او غمرها الفرح ، فاذا اخذت ثمرة من ثمار الموز من يد قرد الشمبانزي ، فان هذا القرد يستطيع ان يبدو غاضبا عابسا .

فاذا رغب هذا الشمبانزي في واحدة من هذه الثمار ، فهو يستطيع ان يبدو امامنا جائعا .

وسواء اكانت حركات هذا الشمبانزي مصقولة ام غير مصقولة ، فهي تعطي صورة عن حالته النفسية ، اغاضب هو ام جائع ام قرير العين مسرور ؟

وقد تتساءل وتقول :

هل يعرف القرد بوحي من غريزته كيف يحدث هذه الاصوات والحركات ، ام هي نتيجة من نتائج تعليمه وتدريبه ؟

وقد اجاب على هذا السؤال احد الباحثين الفرنسيين بتجربة قام بها ، فاخذ قردا في يوم مولده ، وابعده عن بيئته مدة خمس سنوات لا يرى فيها قردا ولا يسمع صوتا ، وعرف هذا الباحث ان هذا القرد يستطيع التعبير عن حاجته بلغة القردة ، كما يعبر بها اي قرد اخر لم يعزل عن عشيرته ـ ومن ذلك استنتج ان منشا اصوات القردة وحركاتها من وحي الغريزة ، كما هو الحال في الطيور والحشرات .



خيول عربية : جزء من لوحة مائية رسمها هارينجتون بيرد

أجمـــل حيـــوان في عيـــون الإنســـان..

الحِصانُ العربيّ

أحبّه العرب وتغنّى به الشعراء.. وحافظ على أصالته منذ أقدم العصور !

بقلم : حسـني شحـادة

لم تكن العرب تصون شيئا من أموالها ، ولا تكرمه صيانتها الخيل ، وإكرامها ، لما كان لهم فيها من العز ، والجمال ، والمنعة والقوة(١) ، حتى كان الرجل العربي ، ليبيت طاوياً ، ويشبع فرسه ، ويؤثره على نفسه وأهله وولده ، فيسقيه المحض ويشربون الماء القراح (٢) ، ويعير بعضهم بعضاً بإذالة الخيل وهزالها وسوء صيانتها ، وينكرون ذلك في أشعارهم ، فيقول الشاعر الجاهلي (عنترة العبسي) :

أبني زبيبة ما لمهركم
متهوشاً وبطونكم عجر

(ويقول عمرو بن مالك) :

وسابح كعقاب الدجن اجمله
دون العيال له الإيثار واللطف

أول من ركب الخيل

يحدثنا «ابن الكلبي» «هشام بن المنذر» في كتابه «أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام» :

أول من ركب الخيل «اسماعيل بن ابراهيم» عليهما السلام (٣) ، وأول من تكلم بالعربية الحنيفية التي أنزل الله سبحانه وتعالى ، قرآنه على رسوله بها . « فقد كانت الخيل وحوشاً لا تركب ، فأول من ركبها اسماعيل عليه السلام ، فلذلك سميت «عرابا» » .

ولخص ابن عبد ربه ، في «عقد الفريد» ، قصة عن ابن الكلبي تقول : (٤) إن أول ماانتشر في العرب من تلك الخيل ، أن قوماً من «الأزد» من أهل «عمان»

قدموا على «سليمان بن داود» عليه السلام ، بعد تزوجه «بلقيس» ملكة سبأ ، فسألوه عما يحتاجون إليه من أمر دينهم ودنياهم ، حتى قضوا من ذلك ما أرادوا ، وهموا بالانصراف ، فقالوا :

يانبي الله ، إن بلدنا شاسع ، وقد نفضنا من الزاد ، مر لنا بزاد يبلغنا إلى بلادنا» .

فدفع اليهم سليمان عليه السلام ، فرسا من خيله ، وقال ـ «هذا زادكم ، فإذا نزلتم ، فاحملوا عليه رجلا ، واعطوه مطردا . وأوروا ناركم ، فانكم لن تجمعوا حطبكم ، وتوروا ناركم ، حتى يأتيكم بالصيد» .

فجعل القوم لا ينزلون منزلا إلا حملوا على فرسهم رجلا ، بيده مطردا ، واحتطبوا وأوروا نارهم ، فلا يلبث أن يأتيهم بصيد ، فيكون معهم منه ما يكفيهم ويشبعهم ، ويفضل إلى المنزل الآخر ، فقالوا . «ما لفرسنا هذا اسم إلا «زاد الراكب» ، فكان ذلك أول فرس انتشر في العرب من تلك الخيل

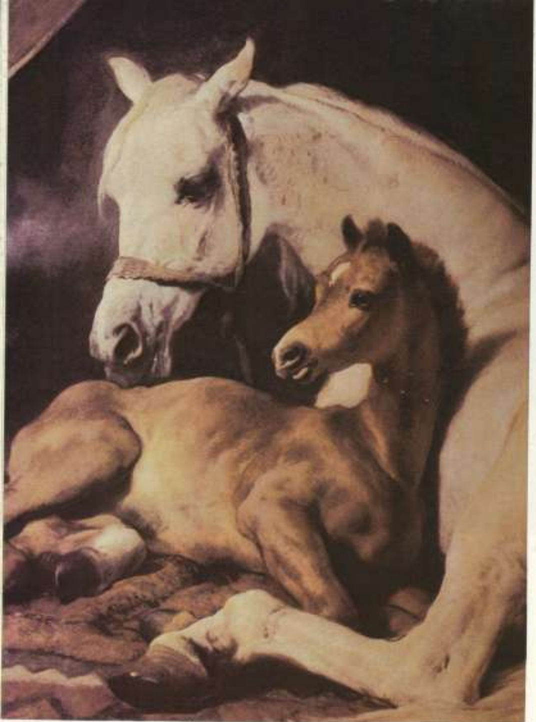
أساطير حول الجياد

نسجت الجاهلية اساطيرها حول الجياد العربية ، فهذه أسطورة عن أهل الخيل تقول(٥) :

لما وقع «سيل العرم» ، فرت الخيل مع الوحوش الى القفر ، ولم يلبث أن ظهرت خمس من كرائمها في بلاد نجد ، فخرج خمسة من الأعراب في طلبها ، فراقبوها ، حتى رأوها ترد العين الوحيدة في تلك المنطقة ، فجاؤوا بخشبة طويلة شكوا بها الأرض قرب العين ، فجفلت الجياد من الخشبة . فاشتد عليها العطش فرجعت الى العين وشربت ، وسرحت ، وفي اليوم التالي جاءوا بخشبة ثانية وثالثة ورابعة ، حتى قامت دائرة خشبية حول العين ، وأبقوا فيها فرجة للدخول والخروج ، وقد ألفت الجياد رؤية الخشب ، وعند ورود الجياد العين ، أسرع الرجال وسدوا عليها الفرجة ، وحبسوها في الدائرة المسورة بالخشب ، وأبقوها حتى أنهكها الجوع ، وصاروا أثناء ذلك يروحون ويجيئون ، ويحومون حولها ، يقدمون لها الكلأ ، حتى تعودت على رؤيتهم ، وأنست لهم ، وتمكنوا من امتطاء ظهورها ، وخرجوا بها يطلبون مضاربهم .

وفي الطريق نفد زادهم ، وخز بهم الجوع ، فاتفقوا على السباق ، ومن قصر عن الركب ذبحت فرسه وأكلوها ، وجعلوا لصاحبها حظاً من الجياد الأربع الباقية ، وتسابقوا ، فتأخرت واحدة من الخمس ، فعزموا على ذبحها ، ولكن فارسها رفض ، مصراً على وجوب إعادة السباق ، فأعادوه ، وتأخرت الثانية ، فأبى فارسها ، وطلب اعادة السباق أسوة بالأول .. وهكذا تكرر السباق وتأخرت الثالثة فالرابعة فالخامسة ، وأبى أي فارس أن تذبح فرسه ، وبينا هم على هذا الحال ، لاح لهم قطيع من الغزلان ، فطاردوه ، وظفر كل واحد بغزال فأكله ، وسلمت الأفراس .

وسمى هؤلاء الرجال الفرس السابقة الأولى . «الصقلاوية»لصقالة شعرها ، وكان



أمام الخيمة العربية .. وهى لوحة زيتية للسير أدرين لاندسير



تمثال برونزى لجواد عربى وهو للمثال «باميلا دوبولاى»



جواد عربى أصيل

اسم صاحبها «جدران» ، فعرفت «بصقلاوية الجدران» .

وسموا الفرس الثانية «أم عرقوب» ، لالتواء عرقوبها ، وكان اسم صاحبها «شويه» ، فعرفت «بأم عرقوب شويه» .

وسموا الثالثة شويمة ، لشامات بها ، وكان اسم صاحبها «سباح» ، فقالوا لها «شويمة السباح» .

وسموا الرابعة «كحيلة» لكحل في عينيها ، وكان اسم صاحبها العجوز ، فاشتهرت باسم «كحيلة العجوز» .

وسموا الخامسة «عبية» ، لأنها عندما جرى السباق ، وقعت عباءة فارسها على ذيلها ، فأبقت ذيلها مرفوعاً ، والعباءة عالقةبه إلى آخر الشوط ، وكان اسم صاحبها شراك ، فقيل لها «عبية شراك» .

الخيل في الإسلام

لم تزل العرب على ذلك ، من تمييز الخيل ، والرغبة في اتجارها وصيانتها والصبر على مقاساة مؤونتها مع جدوبة بلادهم ، وشدة حالهم في معاشهم ، حتى جاء الإسلام ، فأمر الله رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم ، باتخاذها ، وارتباطها لجهاد عدوه ، فقال تعالى :

«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم» .

فاتخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحض المسلمين على ارتباطها ، فكان من أرغب الناس فيها ، وأصونهم لها ، وأشدهم إكراما لها ، وحبا وإعجابا بها ، حتى أنه كان يسر بصهيل يسمعه ، وكان يسبق بها ، ويعطي على ذلك السبق ، ويمسح وجه فرسه بثوبه ، وأسهم صلوات الله وسلامه عليه للفرسين سهمين ، وللرجل سهما واحدا في المغانم .

التحفة الكنز

أما كتاب الجواد العربي التحفة الكنز ، فهو آخر ما كتب المؤرخ الأستاذ «ابراهيم يزبك» . فقد كانت التحفة الكنز هى هديته الأخيرة ، ووصيته الأخيرة الى أبناء العربية ، وإلى الباحثين عن الجواد العربي فى كل مكان .

يقع الكتاب التحفة في نيف ومائتي صفحة من القطع الكبير . موشى بلوحات فوتوغرافية ملونة وناطقة عن الجواد العربي ، وفي آخر كل فصل ، ثبت بالمراجع والكتب التي عاد اليها المؤلف كمراجع لأبحاثه .

إذا جاز لنا أن نقسم كتاب الجواد العربي التحفة الكنز أبوابا ، فيمكن تقسيمه الى أبواب ثلاثة :

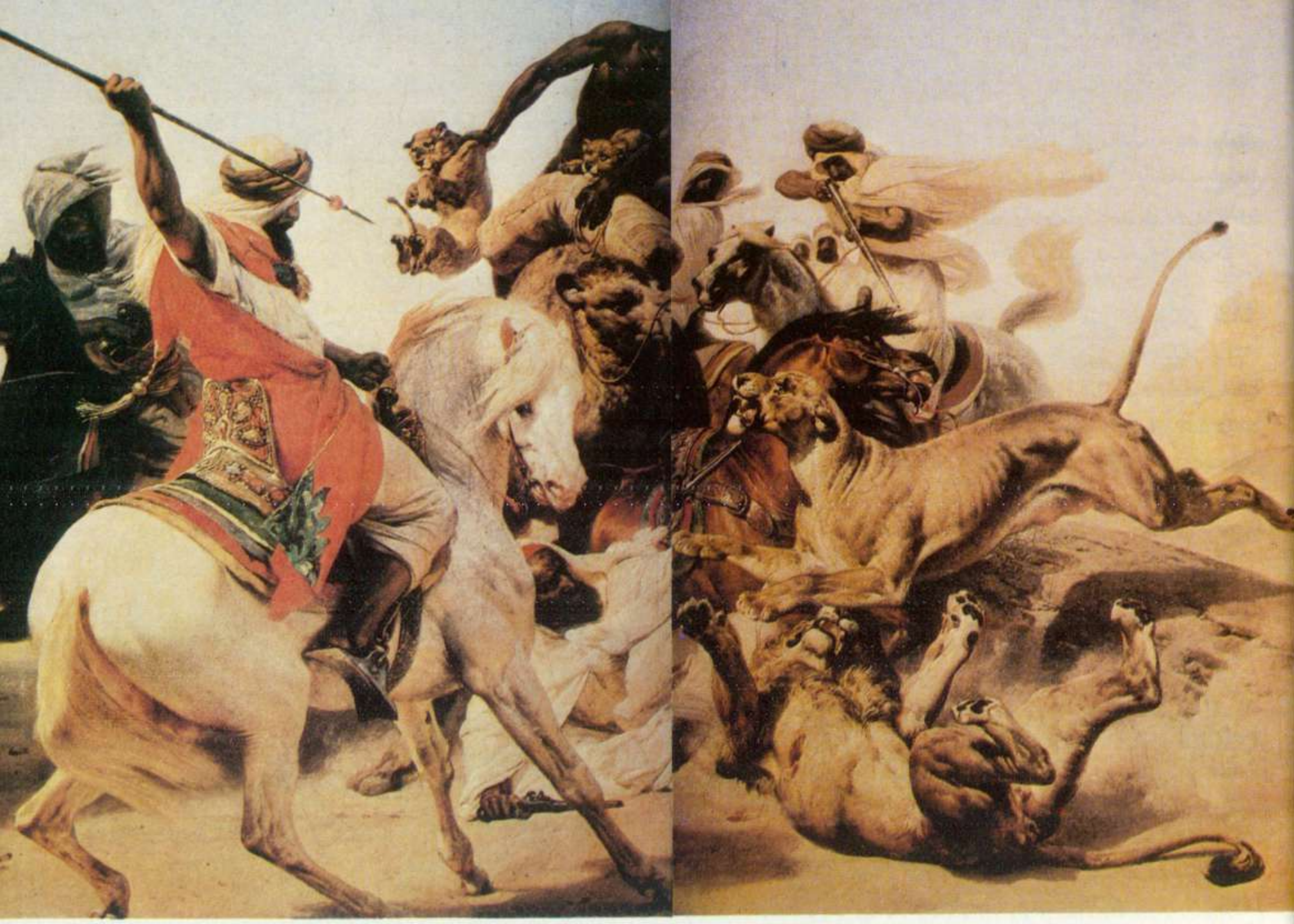
أولا : أجناس الخيل العربية وأصولها .

ثانيا : أوصاف الجواد العربي .

ثالثا : أقوال عن الجواد العربي .

أصول الخيل العربية

اعتمد المؤلف في أجناس الخيل العربية



صيد الأسود : هكذا كان الفرسان يصطادون الاسود وهم يمتطون الخيول .

على صاحب كتاب «الصناعية في البيطرة والزرطقة» «لأبي بكر بن بدر الدين البيطار» ، حيث قسم أنسابها إلى عشرة : الحجازي أشرفها ، والنجدي أيمنها ، واليماني أحيرها ، والشامي ألونها ، والجزيري أحسنها ، والبرقي أخشنها ، والمصري أفرهها وأخفها ، والخفاجي أيصلها ، والمغربي أنسلها ، والافرنجي أفشلها .

ووصف «محمد بن الأمير عبد القادر الجزائري» في كتابه «عقد الاجياد في الصافنات الجياد» هذه الأنساب .

وذكر «ابن الكلبي (٧)» في كتابه «أنساب الخيل في الجاهلية والإسلام» خيول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال أنها خمسة هي : لزار ، ولحاف ، والمرتجز ، والسكب ، واليعسوب ، وكلها معدودة من خيل بني هاشم ، في حين ذكر صاحب «التحفة الكنز» أسماء تسعة عشر فرسا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هي : «السكب» ، وهو أول فرس ملكه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ابتاعه من اعرابي من بني فزارة ، وكان اسمه عند صاحبه «الفدس» ، وغزا عليه صلوات الله وسلامه في موقعة أحد ، فكان كفيض الماء وانسكابه ، فسماه «السكب» ، ثم أخذ يقتني الصافنات الجياد ، وهي :

الأبلق ، والأدهم ، والبحر ، وذو العقال ، وذو اللمة ، والسبحة ، والسجل ، والسرحان ، والظرب ، واللحيف أو اللحاف (لطول ذيله ، فكان يلحف الأرض بذيله ويغطيها) ، واللزار والمرتجز ، والمرتجل ، والمراوح ، وملاوح ، والورد ، واليعبوب ، واليعسوب .

أما أسماء فحول الخيل وجيادها في الجاهلية والإسلام ، فقد نقل مؤلف الجواد العربي «التحفة الكنز» هذا الفصل ، كما جاء في أنساب الخيل لابن الكلبي ، والذي حققه شيخ العروبة العلامة الحجة المغفور له أحمد زكي باشا ، مرتبة حسب الحروف الهجائية ، وقد نظم العلامة الشيخ نصيف اليازجي أربعة أبيات في اشهر أفراس العرب فقال :

أشهر خيل العرب المشهر
ثم النعامة التي لا تنكر
وداحس منهن والغبراء
كذلك الحظار والحنفاء
وأعوج ولاحق سكاب
كذلك العبيد والعقاب
كذا العصا وأمها العصية
وكم لهم أما وكم بنية

أوصاف الجواد العربي

كتب في هذا الموضوع جميع الذين ألفوا عن الخيل ، وجاء كتاب التحفة الكنز ، ليجمع ويحقق ويصنف ما جمعوا ، فبدأ بهيكل الجواد ، فوصفه عضوا عضوا ، ثم انتقل الى وصف أصوات الخيل ومنه الصهيل ، والصهال ، والحمحمة ،

اجتياز ١٢٠ مترا ، أما معدل سرعة الخبب فهو ٢٤٠ مترا في الدقيقة ،والخبب طبيعي في الفرس ، وتجريه الخيل في البرية بدون تعليم ، وللفارس أثر في سرعة الفرس .

وألوان الخيل كثيرة ، ولكن للناس أذواقا ، فرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان يتيمن بالخيل الأشقر ، فيقول عليه الصلاة والسلام «يمن الخيل أشقرها» ، «وخير الخيل الأشقر ، فأدهم أغر ، محجل ثلاث ، طليق اليمنى» ، «اللهم بارك في الشقر» ، فأدهم أغر، طليق اليماني» ، «اللهم بارك في الشقر» ، «ولو أن خيل العرب جمعت في صعيد واحد ، ما سبقها إلا الأشقر» .

يتباين اللون الأشقر أنواعاً ، فهو ذهبي ، وعسلي ، ومحرق ، ووردي ، وأشقر شائب (ذيله أبيض) .

ومن ألوان الخيل «الأجوأ» وهو ما كان لونه أحمر يضرب الى السواد ، ومنها الأدهم الغيهب ، والأدهم الأحم ، والأدهم الجوني ، والأدهم الأكهب ، والكمته ، وهي أحب الألوان الى العرب ، قال الأصمعي «يقال لكل من الذكر والأنثى كميت» .

أما الجواد الأدهم ، الأسود الثوب ، فهو مستحب ونادر عند العرب ، وقيل : «إذا أردت الغزو ، فاشتر فرساً أدهماً محجلاً ، مطلق اليمني ، فانك تغنم وتسهم»

أما الجواد الأشهب ، فهو أبيض الشعر ، وأما الأزرق النميري ، فهو ما يشبه لون النمر ، ويستحب الأزرق والأشهب عند ملوك العرب وأمرائهم وعند كبار القوم ، فقد اقتنى سلاطين الدولة العثمانية الجياد الشهب ، وكذلك الخلفاء في الأندلس ، وكان جواد نابليون دائما أشهبَ .

إن للخيولة الأصيلة لغة وذكاء وشخصية ،كما أن لها مزاجا تكتسبه



عربى مع جوادين .. لوحة للرسام (ح . بفور) وقد استخدم فيها الألوان الزيتية على النحاس

واللجب ، والصلصلة ، والجلجلة ، مستشهدا بأقوال الشعراء ، كعنترة العبسي حيث يقول :

فازْوَرَّ من وقع القنا فزجرته
فشكا إليَّ بعبرةٍ وتحمحم

أما صفة مشي الخيل ، فقد جمعها المؤلف عن الأصمعي ، وأبي عبيدة ، والجزائري وخوري ولاروس، فأول المشي العنق ، ثم التوقض فالدألان ، فالخبب ، والتقريب ، والتجلية ، والرديان ، والدهو ، والقران . والضير. والهبلجة ، والألهوب ، والكردحة ، والهربذة .

ومعدل سرعة سير الجواد في الدقيقة ١١٥ متراً ، وإذا ضمر الحصان استطاع

بالترويض ، فتفهم المخاطبة ، وتمثل الأمر والنهي.

ويقول الجزائري في عقد الأجياد : «إن الخيل أقرب مزاجا إلى الإنسان ، لأن الغالب في مزاجها الحرارة والرطوبة ومزاج الهوى . وعن «سيار» قال : إن أصح الحيوانات مزاجا الخيل ، لذلك تؤثر فيها الرياضة . ومن أخلاق بعضها الدالة على شرف نفسها ، معرفة صاحبها ، فلا تمكن أحدا من امتطائها ، ولا تأكل بقية علف غيرها

أقوال عن الجواد العربي

ما كثر ما قيل في الجواد العربي ، حتى تجري هذه الأقوال مجرى الأمثال تارة ، والحكم أخرى ، ولا يسعنا في هذا المقام إلا ان نورد شذرات منها .

لقد تفنن الشعراء في أوصاف خيولهم في جميع حالاتها ، وقد أجمعوا على اعطاء تلك الصورة . عند خوض المعامع والوقائع والحروب ، فهذا مزرد بن ضرار الديباني يفخر بشجاعته واعتماده على جواده الأصيل وفرسه التي أعدها ليوم الروع ، فيقول : (٨)

وعندي اذا الحرب العوان تلقحت
وأبدت هواديها الخطوب الزلازل
طوال القرا قد كان يذهب كاهلاً
جواد المدى والعقب والخلق كامل
أجش صريحي كأن صهيله
مزامير شرب جاوبتها جلاجل
متى يرَ مركوباً يقل باز قانص
وفي مشيه عند القياد تساتل
... كميت عبناه السراة نمى بها
الى نسب الجيل الصريح وجافل
تقول إذا ابصرته وهو صائم
خباء على نشز أو السيد ماثل

ويصف عنترة بن شداد لحبيبته جواده إبان الحرب فيقول :

هلا سألت الخيل يا ابنة مالك
إن كنت جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزال على رحالة سابح
نهد . تعاوره الكماة مكلم
طوراً يحرد للطعان وتارة
يأوي الى حصد القسي عرمرم
يخبرك من شهد الوقيعة انني
أغشى الوغى وأعف عند المغنم
والخيل تقتحم الخبار عوابس
من بين شيظمة وأجرد شيظم

ومن روائع أبي الطيب المتنبي ، ما قاله في مهر فرسه «الجهامة» ، وكان يطلق عليه الطخرور ، عندما أقام الثلج على أرض انطاكية وتعذر المرعى على المهر (١٠) :

ما للمروج الخضر والحدائق



الخيل فى مخطوطة اسلامية من القرن الرابع عشر



فارس مملوكي يمتطي حصانه .. اللوحة في مخطوطة مملوكية بعنوان : « نهاية السؤال والأمنية في علم الفروسية

يشكو خلالها كثرة العوائق
يعقد فيها الثلج كالمرافق
باق على البوغاء والشقائق
.. كأنما الطخرور باغي آبق
يأكل من نبت قصير لاصق
.. بمطلق اليمنى طويل الفائق
عبل الشوى مقارب المرافق
.. محجل نهد كميت زاهق
شادخة غرته كالشارق
.. بين عتاق الخيل والعتائق
فعنقه يربي على البواسق
.. وحلقه يمكن فتر الخانق
أعده للطعن في الفيالق

كما أفرد صاحب كتاب الجواد العربي « التحفة الكنز » فضلاً عن « أمثال عن الخيل والفرسان (١١) » اعتمد نقلها عن العلامة الميداني في كتابه مجمع الأمثال ، نورد منها :

• ثلاث من سعادة الانسان : امرأة حسناء ، ودار قوراء ، وفرس مربوط بالفناء .

• تركته على مثل خد الفرس
اي تركته على طريق واضح مستو

• مثل وقصة :
تسبى الكحيلة ولا يردها بليق .

فقد كان لبدوي فرس كريمة أسمها « الكحيلة » ، مشهورة بين القبائل ، فبعث زعيم إحدى القبائل لصاً ليسرقها ، وأخذ يترقب الفرصة ، الى أن رأى الكحيلة طليقة ، فاسرع إليها ، وامتطى ظهرها ، وراح يسابق بها الريح .

شاهده بعض الرعاة ، فأخبروا صاحبها ، فركب أسرع أفراس قبيلته ، وامتطى ابنه كديشا اسمق « بليق » ، اشتهر بسرعته ، ومسابقته أكرم الخيول . طال الطرد ، فاقترب الابن من السارق وكاد يدركه ، ويطعنه في ظهره .

لما رأى الوالد صاحب « الكحيلة » ذلك ، فضل أن ينجو السارق بالفرس ، على أن يسترجعها الكديش ، لتقول العرب : إن الكديش لحق الأصيلة كحيلة واسترجعها ، فصاح بأعلى صوته ـ وقد اقترب السارق من

أرض موحلة ـ قائلا : دونك الغبيط .. فسر فيه وإلا فضحت الكحيلة داركها « بليق الكدش . وعمل اللص بذلك . وتابعت الكحيلة جريها وأراد الابن الجري في الغبيط (الأرض الموحلة) ، فعصاه الكديش ، وفر السارق بالكحيلة .

استهجن الابن فعل أبيه أمام قبيلته ، فقال الأب : « تسبى الكحيلة ولا يردها بليق » .

كلمة أخيرة

ذلك هو الجواد العربي ، الذي استهوى العرب قديماً وحديثاً ، فأسر القلوب بمحاسنه وجماله ، فاصبح الصديق في السلم والحرب ، واللهو والجد ، والصيد والطرد ، وفيه من خصال الشرف والمنافع ، والغناء في السفر والحضر ، وفي الزينة والبهاء ، وفي العدة والعتاد .

وقد انتقل ذلك الى البلاد الأجنبية ، فافتتنوا به أيضاً ، واتبعوا الأصول العلمية في توثيق أصوله ، وكيفية تربيته وتدريبه ، وتوالده وتكاثره ، واجراء المسابقات العالمية ، وحسبنا إعجاب شاعر فرنسا الكبير « لا مارتين » بقوله :

« إن عيون الجياد العربية هي لغة بكاملها ، فالجواد العربي ، يعبر بعينه الساحرة عن كل شئ ، وبها يفهم كل شئ وتنفجر في مجراها حدقة من نار ، وسط بياض مبقع بالدم » .

وأملنا أن تبقى بلاد العرب الوطن الدائم للجواد العربي ، بعد أن حاول الأجنبي أن ينقل هذا الموطن .

حسني شحادة

الهوامش والمراجع :

(١)كتاب الخيل لأبي عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩ هجرية ص ٢

(٢) عقد الأجياد في الصفات الجياد لمحمد بن الأمير عبدالقادر الجزائري ص ١٣

(٣) أنساب الخيل لابن الكلبي ص ٢٢

(٤)العقد الفريد ج ١ ص ٥٨ ، ٥٩

(٥) الجواد العربي ليوسف ابراهيم يزبك ص ١٣

(٦) أنساب الخيل لابن الكلبي ص ١٠ ـ ١١

(٧) عقد الاجياد للجزائري ص ٢٦٢

(٨) انساب الخيل لابن الكلبي ص ١٩

(٩)وصف الخيل في الشعر الجاهلي للدكتور كامل سلامة الدقس ص ١٤٥

(١٠) كتاب الخيل ص ٤٠

(١١) الجواد العربي ص ١٥٦

(١٢) كتاب الجواد العربي ص ١٧٨

الطبري وكتاب تاريخ الأمم والملوك

بقلم: أحمد العناني

يستأهل ابن جرير الطبري بلا ريب أن نفرد له فصلاً خاصاً في استعراضنا هذا لتاريخ علم التاريخ والمؤرخين، كما يستأهل كتابه عن الأمم والملوك أن نتوقف معه وقفة تحليلية حيث هو أعظم منجزاتنا الكلاسيكية في التاريخ.

فمن هو ابن جرير الطبري؟ وما الذي يحدونا أن نوليه هذه العناية الخاصة؟

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، يكتسب اسمه من اقليم طبرستان الجبلي الوعر المطل على بحر قزوين، والذي يشمل أودية ومواقع لها من سحر الجمال ما يفوق الوصف، وفي موقع من أطرافها غنى أبو الطيب المتنبي واحدة من أحلى فرائده الخالدة في وصف شعب بِوّان ... المهم أن ذكاء المبرزين من أبناء الجبال عادة ما يكون خارقاً لكل ما هو مألوف.

إن السواد الأغلب من أصحاب المواهب والآثار البارزة في تاريخ الحضارة الاسلامية ينتمون الى مناطق جبلية لا جرم عاشوا فيها حياة معاناة وشدائد فأعطاهم ذلك عزماً واقتداراً على الكفاح، وتضيق بنا مساحة هذا المقال لو أردنا أن نعد حتى فئة من أبرز نماذج هؤلاء الرجال من أفغانستان حتى جبال البيرانيز.. ولو راجعنا كتب الأعلام والمعاجم لوجدنا مثلاً أن عبارة «هروي» نسبة إلى «هراة» من أفغانستان تشير إلى عشرات من أفذاذ الرجال في مختلف العلوم النظرية والدنيوية، وها نحن اليوم نرى معظم مذيعينا يحارون، وهم يقرأون اسم مدينة هراة باللاتينية، كيف يلفظونها.

وما يقال في سيرة الطبري صغيراً هو نفس ما يقال عن الغزالي وغيره من أهل الأصقاع الشرقية الجبلية، حفظ القرآن بسن السابعة، وأدرك الكثير من الحديث وتخريجه في التاسعة، وكان تبكير نبوغه آية في الاقتدار. لكن والد الطبري، على خلاف آباء الكثيرين من لداته وأقرانه، كان رجلا غنياً فأراد أن يوسع ادراك ولده فهيأ له زيارة مراكز العلم والحضارة كمدن الري وبغداد والبصرة والكوفة... وكان وصوله بغداد إثر وفاة الامام أحمد بن حنبل الذي قيل أنه ــ أي الطبري ــ إنما جاء الى بغداد ليأخذ العلم عنه.

لذلك تحول محمد بن جرير من بغداد الى الكوفة والبصرة ثم عاد إلى بغداد فقضى فيها فترة من العمر تحول بعدها إلى مصر. وتتراوح الروايات في توقيت وجوده بمصر بين عام ٨٦٩ للميلاد وعام ٨٧٢ م.

وبعد فترة من الاقامة هناك تحول ثانية إلى بغداد حيث واصل الاقامة فيها إلى أن وافاه الأجل عام ٩٢٣ للميلاد وزار خلال ذلك منشأه في طبرستان مرة، وقيل مرتين.

موضوعية الطبري

يقف الطبري بحق وجدارة في صف البخاري من ناحية الموضوعية العلمية والتفرغ الصادق للمعرفة، فقد وهب العمر كله لطلب العلم ورفض سائر المناصب، وأشاح بوجهه عن كل اغراءات المكاسب المادية، واكتفى بحياة الستر التي كان يضمنها له ايراده من ميراث أبيه.

كذلك تجلت في هذا الرجل الفذ سمات العالم المسلم الشجاع فقد كان من جملة دراساته المستفيضة التفسير والفقه والحديث وهي علوم الاسلام التقليدية، وقد وجد نفسه جديرا بأعظم الاكبار لابن حنبل كمحدث، ولكنه لم يستطع أن يقتنع به كفقيه، وصرح برأيه مفصلاً لكن الحنابلة لم يعجبهم الأمر فثاروا عليه

الطَّبَرِيُّ

وكتاب تاريخ الأمم والملوك

ثورة لم ينج منها الا بتدخل الشرطة ، كما صب عليه سيل من الاشاعات والاكاذيب لكنه ظل متمسكاً بحقيقة ما يعتقد .

ويعتبر الطبري من أهل العبقرية المركبة فإن تفسيره للقرآن المسمى « جامع البيان » قد ضم وجهات نظر المفسرين الذين سبقوه مع آرائه هو التي كان يعتمد فيها على تفوقه اللغوي البارز في النحو والبلاغة .

وأما في الفقه فحسبك أنه يعتبر إماماً فيه وأن المذهب الطبري كان ذات يوم حقيقة واقعة قبل أن يعصف به غضب جماهير الحنابلة المتشددين .

لكن اهتمامنا الأساسي بالطبري منصب على تاريخه ، وانه لشيء معجب جداً أن يجد ذلك الرجل الفذ من الشهية والوقت والقدرة ما يجعله يضع مؤلفه الضخم الموسوم بتاريخ الأمم والملوك ، والمسمى أيضا تاريخ الرسل والملوك . والكتاب في حقيقته موسوعة تاريخية ضخمة ، ولا تعتبر طبعة ليدن على كبرها إلا طبعة لموجز عنه ، والكتاب محاولة فذة من الطبري لربط ماضي الانسانية بحاضرها ، وهو تعبير عظيم عن النزعة الانسانية الاسلامية التي تؤمن بمساواة البشر نتيجة أبوتهم وأمومتهم المتماثلتين من آدم وحواء ، ويذهلك تماماً من ذلك الرجل العلامة دماغه الذي كان أشبه بجهاز استقبال هائل للمعلومات يأخذها من كل مظانها وينسقها ويستدعيها عند الضرورة .. فالطبري على سعة علومه في الفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة وغيرها يثبت في تاريخه أنه إنسان طُلَعَة جمع فأوعى .

فلديه سائر اخبار الأمم الغابرة عن رسلها وتواريخها ولهذا فهو يسير مع الانسانية في ازدهارها وتعثرها على ضوء قصص رسلها والنهضات العقلية والمادية التي أحدثوها الى أن يصل بتاريخ الشرق الأدنى للعصر الفارسي الساساني ومنه إلى ظهور الاسلام وسقوط الساسانيين وضمور البيزنطيين وقيام دولة الاسلام الأولى في يثرب ثم في دمشق فبغداد عصري الأمويين والعباسيين على التتابع الى نهاية عهد المأمون وبداية عهد المعتصم لكن تلاميذه ومنهم أبو محمد الفرغاني وأبو الحسن الهمذاني مدوا حوليات استاذهم ليصلوا بها إلى نهاية القرن الحادي عشر الميلادي أو بداية القرن الخامس للهجرة ...

إن أهمية هذا السفر العظيم تتجلى في الحقائق الأساسية التالية :

أولا : إن الطبري كان يعتمد على الاتصال المباشر والتدوين وحسن الحفظ فيسجل سائر الحوادث التي يحققها ويسأل عنها ويراجع فيها أهل العلم بها .

ثانياً : ان الرجل كان يحصر سائر مؤلفات أسلافه ومعاصريه ثم يتوفر عليها توفراً عجيباً فيصطفي منها ما يعتقد بصحته وينفي كل رواية ضعيفة ولهذا فقد اختار أفضل جهود سابقيه وأدخلها في مؤلفه دون أن يتخلى عن خلق العالم في نسبة كل معلومة إلى مصدرها .

ثالثا : إن الرجل كان فتى عصره ثقافة واخصاباً في المعرفة وتنوع المواهب وقوة الحفظ والذاكرة وسرعة استرجاع المعلومات وقت الحاجة لها وتشمل مصادره سائر مؤلفات العرب والفرس ومترجمات بيت الحكمة ، وأروع ما عنده أمانته الفذة في ذكر الأسانيد والروايات دون أن يتدخل في الطعن أو التجريح .

وحيث أن جانباً هاماً من تاريخ الطبري يشمل فترات حساسة جداً من تاريخ الاسلام فان تقديمه الحقائق بأسانيدها مجردة من تعليقاته أو مداخلاته يعتبر إنجازاً تاريخياً عظيماً .

رابعاً : لقد كان كتاب الطبري هذا ، وبعض كتبه التاريخية الأخرى مثل تاريخ الرجال مصدراً لسائر المؤرخين الكبار الذين أعقبوه مثل ابن الأثير وابن مسكويه ، كما ترجم كتابه إلى اللغات القومية لشعوب المسلمين كالفارسية والتركية وظهرت مختصرات له في نواح عديدة وما زال يعد المصدر الكلاسيكي الأول في أسفارنا التاريخية .

ولا شك أن الطبري يملك بعض مواصفات المؤرخ العالم بالمعنى الحديث لكنه لا يمتلك ناصيتها جميعاً ، وذلك أمر لا يعيبه في شئ أبدا ، فان تطور أساليب المؤرخين ، ووسائل النقد التاريخي الحديث لم تكن لتكتمل على صورتها اليوم الا بمرور أجيال عديدة .

ويثني كاتب مادة « تاريخ المؤرخين الاسلاميين » في دائرة المعارف البريطانية ثناء عاطراً على الروح العلمية العظيمة للامام الطبري بكل ما تنطوي عليه من أمانة واحساس بمسئولية الكلمة أمام الله تعالى .

ويرى نفس الكاتب أن المؤرخين الاسلاميين عموماً يستحقون تقديراً عالياً لاهتمامهم الخاص بأخبار العلماء والأتقياء والأولياء ، وايلائهم عناية أكبر من عنايتهم بالحكام والأحداث السياسية والحربية .

شرائح من تاريخ الأمم والملوك

ولما كنت أفكر في شبابنا أكثر من سواهم ، وأستهدفهم بهذه المقالات قبل غيرهم ، ولما كنت أعلم انهم يضيقون ذرعاً بالوسائل القديمة والأساليب العتيقة لقدامى علمائنا ، فانني أرجو أن أعرفهم بشريحة من تاريخ الطبري لكي يتعرفوا على الرجل وأسلوبه لأن الناس أعداء ما جهلوا ، وليس في ميراثنا الفكري القديم ما فيه تأميل لدارس متعجل ، أو زاهد في التعب والجهد .

وأختار من طبعة ليدن من المجلد الثامن ــ المجلد (١) من القسم الثاني :

«وفي هذه السنة ـ سأعنى سنة ٤٠ ـ للهجرة بويع للحسن بن علي ، عليه السلام ، بالخلافة ، وقيل أن أول من بايعه قيس بن سعد قال له أبسط يدك أبايعك على كتاب الله عز وجل وسنة نبيه وقتال المحلين فقال له الحسن رضى الله عنه ، على كتاب الله وسنة نبيه فان ذلك يأتي من وراء كل شرط ، فبايعه وسكت ، وبايعه الناس .

وحدثني عبدالله بن أحمد بن شبويه المروزي قال حدثنا أبى قال حدثنا سليمان حدثنا عبدالله عن يونس عن الزهري قال : جعل علي عم قيس بن سعد على مقدمته من أهل العراق الى قبل اذربيجان وعلى أرضها ، وشرطة الخميس التي ابتدعتها العرب ، وكانوا أربعين ألفاً بايعوا علياً عليه السلام على الموت ، ولم يزل قيس يدارىء ذلك البعث حتى قتل علي عليه السلام واستخلف أهل العراق الحسن

ابن علي عليه السلام على الخلافة ، وكان الحسن لا يرى القتال ، ولكنه يريد أن يأخذ لنفسه ما استطاع من معاوية ثم يدخل في الجماعة ، وعرف الحسن أن قيس بن سعد لا يوافقه على رأيه ، فنزعه ، وأمر عبدالله ابن عباس ، فلما علم عبدالله بن عباس بالذي يريد الحسن عليه السلام أن يأخذه لنفسه كتب الى معاوية يسأله الأمان ويشترط لنفسه على الأموال التي أصابها فشرط ذلك له معاوية .

وحدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال حدثنا عثمان بن عبد الحميد أو ابن عبد الرحمن الحرانى الخزاعي ، أبو عبد الرحمن ، قال حدثنا اسماعيل بن راشد قال بايع الناس الحسن بن علي عليه السلام بالخلافة ثم خرج بالناس حتى نزل المدائن ، وبعث قيس بن سعد على مقدمته في اثنى عشر ألفا ، وأقبل معاوية في أهل الشام حتى نزل «مسكن» ، فبينما الحسن في المدائن اذ نادى مناد في العسكر «ألا إن قيس بن سعد قد قتل فانفروا !» فنفروا ونهبوا سرادق الحسن عليه السلام حتى نازعوه بساطا كان تحته ، وخرج الحسن حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن ، وكان عم المختار بن أبى عبيد عاملا على المدائن وكان اسمه سعد بن مسعود ، فقال له المختار وهو غلام شاب «هل لك في الغنى والشرف» قال «وما ذاك» قال «توثق الحسن وتصير به الى معاوية !» فقال له سعد «عليك لعنة الله ، أأثب على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأوثقه ؟ بئس الرجل أنت» ... انتهى (١)

في هذه الشريحة التي أخذناها اعتباطاً من أحد مجلدات تاريخ الطبري تتبين لنا بوضوح صارخ الحقائق التالية :

أولا : نزاهة الطبري في ايراد ما للحسن وما عليه وما لعلي من قبل وما عليه بالرغم من أنه لا يخفي باضافة عبارة عليه السلام حبه آل البيت ، وايثاره إياهم .

وثانيا : أن الطبري يستطيع أن يحصر نفسه في الموضوع سائراً مع التسلسل التاريخي إلا حيث يضطر لتعريف عارض بأحد رجالات قصة ما فيعود قليلا الى ماضيه .

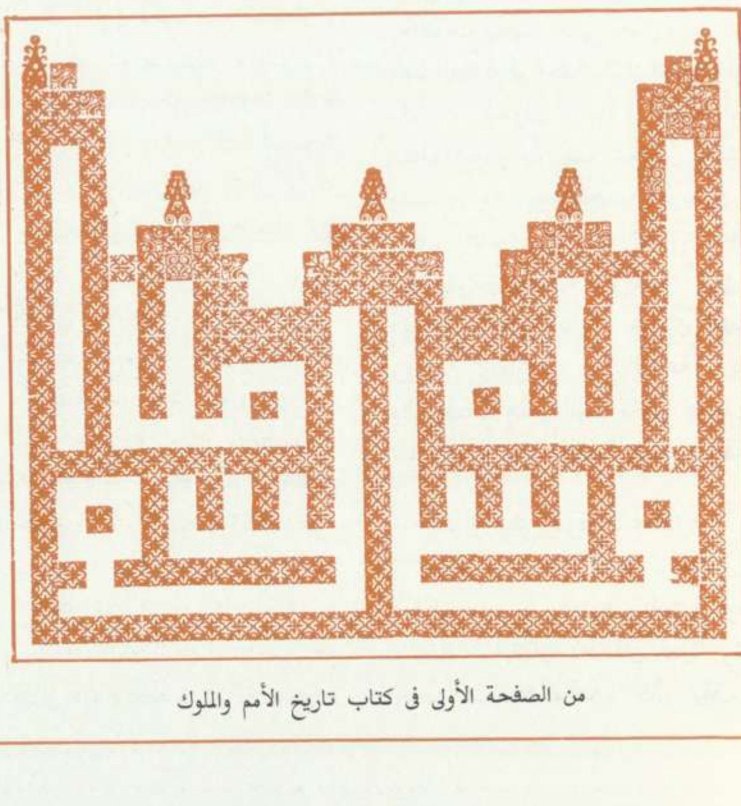
وثالثا : تتبدى عظمة الرجل الذي يحفظ حتى أسانيد روايات في كلام عادي .

ورابعاً : نراه خلال النص لا يتبرع بشئ من عنده .

واذا ما قيل أن الطبري متشيع ، فان هذه الوثيقة تكشف كيف أنه لم يدخر كلمة الحق لا في حق المختار بن عبيد ولا سواه عندما كان الموقف يقتضي كلمة الحق .

رضي الله عن الامام الطبري وأرضاه .

أحمد العنانى



من الصفحة الأولى فى كتاب تاريخ الأمم والملوك

هامـــش

١ ـ انظر كذلك تاريخ الطبرى ـ الجزء الخامس ـ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ طبعة دار المعارف ـ مصر

الصُّدفَة

قصة بقلم: عبدالله عيسى

فجأة توقف راشد الحمدى عن المشى ..

وفجأة توقف نبيل عبد الصمد عن المشى ..

وكلاهما لا يعرف من يتبع من ، من هو فى الأمام ومن هو فى الخلف ، وبالضبط كيف تكونت هذه الملاحقة ومن بدأها .. والوقت ليل والساعة من الساعات الشتوية الطويلة الباردة . والناس بدأت تأوى الى منازلها .

توقف راشد الحمدى ، وتوقف نبيل عبد الصمد ، تسمرا فى مكانيهما . تفصلهما أمتار قليلة . راشد الحمدى عمره أربعون عاماً ، ونبيل عبد الصمد عمره ثمانية وثلاثون عاماً ملتحى الوجه ، كلاهما عركته الحياة . ومتزوجان ولديهما أطفال .

قال راشد الحمدى : لم يلاحقنى هذا الرجل ، وقفت أنا ووقف هو ؟!

وقال نبيل عبد الصمد الذى لم يستطع أن يزدرد ريقه :

ـ وقف .. ها هو ذا يحملق فى ؟!

وقال راشد الحمدى :

ـ يجب أن أهرب .. وبسرعة !

وقال نبيل عبد الصمد والغضب يكاد يخنقه : لا يريدون أن يتركونى وشأنى ، مازالوا يرتابون فى !

وقال راشد الحمدى وعيناه تبحثان عن مكان يلجأ اليه : أزحف نحو خريف العمر ، وهاهم يتبعون خطاى مرة أخرى ؟! مازالا واقفين فى مكانيهما كتمثالين من الشمع ، يشك كل فى الآخر ، من يتبع من ؟ وفكرة واحدة تجذرت فى ذاكرتيهما وهى الخلاص ، الهرب من هذا المأزق ، الذى لم يخطر على بالهما البتة ، الهرب وبأقصى سرعة ، الخوف شرنقهما ، جعل جبهة راشد الحمدى تتفصد بالعرق ، وجعل راحة يد نبيل عبد الصمد تعرق ، وهما فى عز الشتاء .

وفكر راشد الحمدى وقال : سأهرب وليحصل بعد ذلك ما يحصل .. وشيئاً فشيئاً صارت خطواته تكبر .. وفى خطواته لم يلتفت قط وانطرحت فى ذاكرته فكرة إذ قال : سأترصد له بين الأزقة . وصل الى الزقاق والتفت فلم يجد من يتبعه ، ومد نظره الى وجوه المارة يبحث عنه ، فلم ير له أى أثر وقال : أين ذهب هذا الشيطان ؟! وللاطمئنان أخذ يلتفت هنا وهناك .. ثم وبسرعة حيوان خائف توارى داخل الأزقة ماسحاً العرق من جبهته . لكن الوسواس الخناس جعله يتوقف ويلبد ويطل الى كل صوب وزاوية وبيت وحتى النوافذ نظر فيها ، فربما لايزال يقتفى أثره ، وربما هناك آخرون يتعقبونه ويطلون عليه .. والمشى السريع كالهرولة جعل صدره يعلو ويهبط ، وعيناه موصوبتان من زاوية الى زاوية ، ومن جدار الى جدار ، موصوبتان بتسديدة مركزة .. وبعد هذه الطمأنينة واليقظة الحذرة .. قال مردداً بشفتيه :

ـ الحمد لله .. ضللته .

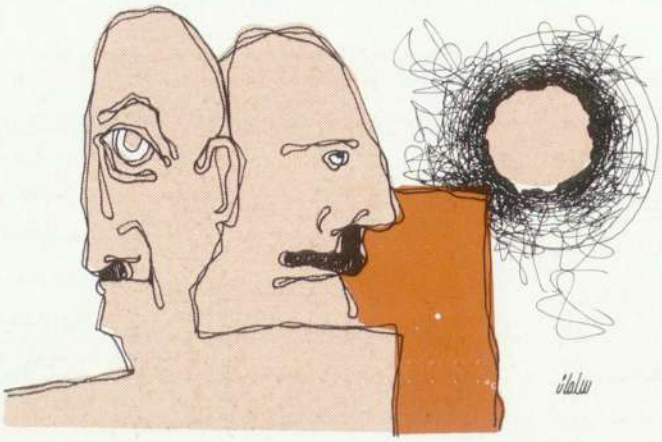
••••

اما نبيل عبد الصمد ، فكأنه ينتظر أن تسنح له الفرصة للهرب ، عندما استدار راشد الحمدى ليخطو .. هرب هو .. لكن لم يكمل هروبه ، فقد تسلل مثل النمر ولبد بزاوية الجدار ، شاخصاً فى راشد الحمدى حتى اختفى ، لكنه لم يتحرك من مكانه كما أنه لم ير لأى كائن يمشى ، الريبة تنهشه من الداخل وبرودة الجو تلسعه من الخارج ، وبهذه الوقفة والهيئة كأنه حارس ليلى ، وبين الفينة والأخرى يقول : طريقى الوحيد الى البيت يمر بين هذه الأزقة ، وقد يكون هذا الشخص ينتظرنى هو وآخرون .

ووقف ربع ساعة ، ونصف ساعة ، وأطل ولم ير أحداً ووطد النفس وسار بخطوات بطيئة حتى وصل رأس الزقاق ، وهنا ايضاً لم ير احداً ، لكن الخوف أوقفه فى مكانه ، الخوف رسم فى ذهنه أوهاماً ، انتابه شعور بأن ثمة شخص أو أشخاص متلبدون بين زوايا الجدران يريدون قتله أو القبض عليه . والساعة تجاوزت التاسعة ليلا والزقاق هادىء من المارة . ومن عادته اليومية أن يكون داخل جدران البيت بين زوجته وأولاده ، الساعة السابعة والنصف . هذه الليلة تأخر عنهم وربما سارة أم الاولاد جالسة تنتظره قلقة .

ـ الى متى الوقوف هكذا ؟

قالها نبيل عبد الصمد ، ودخل الزقاق بخطى مسرعة . الخوف كامن فى أوصاله ، وعيناه الزائغتان تحدقان يميناً وشمالا ، وبعد عدة خطوات ، كان يقف لثوان



معدودات ويلتفت الى الجهات الأربع والى سطوح المنازل والى بعض العتمات المسدلة فى زوايا المنازل . وبهذه الوقفة وفى مثل هذا الوقت من الشتاء ، وهذا الخوف . وكأنه وحيد بين هذه الأزقة ، وهذه المنازل خالية من السكان .. وخطا مسرعاً وتضاءل حجمه واختنق بين ظلمات الأزقة .

••••

تعشى راشد الحمدى ودخن سيجارة وهو يفكر بذاك الشخص الغريب ، أكل قليلا ، هذا ما لاحظته زوجته نورة ، وكادت تسأله لكنها فضلت السكوت . الوقت لم يحن وايضا لاحظته فى هذه الليلة ، وهذا يحدث له لأول مرة ، سيماء وجهه متغضنة ، يبدو عليه أنه خرج من شجار كبير أو من وجه له شتيمة . وهمت أن تسأله لكنها لم تفعل .. قام بعد طعامه وهو يفكر ، وبدل ثيابه وهو يفكر ، وجلس أمام التليفزيون وهو يفكر ، وسطع على وجهه هم ، وفى رواحه ومجيئه سأل زوجته :

ــ هل سأل الأولاد عنى ؟

ــ انتظروك ، لكن تأخرك هذه الليلة جعلهم ينامون ، وسألوا عن شريط فيديو الرسوم المتحركة .

ــ اوه .. لقد نسيت ، ذهب عن بالى .

ــ لكنك كتبته فى مفكرةالجيب . أعتقد أنك لم تخرجها من جيبك ؟

وسؤال الزوجة الأخير فى مكانه مئة فى المئة ، فزوجها راشد لم يخرج من جيبه المفكرة التى يسجل بها طلبات البيت ، وها هو ذا الآن يذهب ويخرجها من جيب ثوبه المعلق فوق المشجب ليتأكد هل كتب الملاحظة أم لا . وقرأ فوجد أنه كتبها : شريط فيديو الرسوم المتحركة للأطفال ، ونظر للتاريخ ودهش . كان تاريخ اليوم الفائت ،والملاحظة فى أعلى السطر واضحة ، وأغلق المفكرة ووضعها فى جيب الثوب ، وحملق فى وجه زوجته بعينين حائرتين وقال :

ــ فعلا لقد نسيت أن أخرجها من جيبى .

ونسيت أو نسيتها ، كلمة « لاتمحى من فلك الإنسان مادام حياً . زادت الريبة فى قلب الزوجة نورة ، وكادت الكلمات تخرج من حلقها سؤالا وراء سؤال ، لكنها صمتت لأنه لم يحن الآوان بعد . فقط طرحت عليه هذا السؤال :

ــ ليس من عادتك أن تنساها ؟

وأجاب الزوج :

ــ جل من لا يسهو ، وكلمة الانسان والنسيان مترادفتان تقريباً فى المعنى .

والزوجة نورة لم تقتنع بهذه الأجابة ، دخلت من الأذن اليمنى وخرجت من اليسرى ، وتيقنت من علامة وجهه وأكله القليل ونسيانه الشريط والمماراة فى الإجابة أنه يخفى شيئاً أعظم من هذا .. وها هو ذا التليفزيون يعلن ختام السهرة ، وها هما يخرجان من الصالة ويأويان الى حجرة منامهما ، ويستلقيان فى السرير . والزوجة تلتفت فتراه يحملق فى السقف يفكر . وعند هذا الحد طفح الكيل عند الزوجة ، فنادت عليه قائلة :

ــ راشد .

وراشد جسده فى السرير وعقله ساهم شارد يفكر فى الرجل الغريب ، ووقفتهما فى الزمهرير ، وهذا السكوت وهذا السرحان ، جعل الزوجة تتعجب فتنادى عليه بصوت أعلى :

ــ راشد :

ووعى راشد الى رشده وقال :

ــ ماذا حدث ؟

ــ فيم تفكر ؟

ــ مجرد أفكار مبهمة .

ــ راشد منذ أن وطئت البيت الساعة وحتى الآن ، وأنت على غير حالك . أليس كذلك ؟

ــ نعم .. لقد ابتليت بمشكلة وأنا فى طريقى الى البيت .

ــ وما هى هذه المشكلة ؟

وشرح لها القصة من أولها الى آخرها ، لم يزد حرفاً أو ينقص حرفاً .. وحينما انتهى .. قالت الزوجة :

ــ لكن ساحتك برئت ؟

ــ العلم عند الله !

وصمتا صمتا ثقيلا يسمعان فى ثناياه دقات قلبيهما ، ويفكران ماذا تخبىء لهما

الصُّدفَة

الأيام . وانتاب الزوجة خوف لا على نفسها بل على والد الأولاد الخمسة إذا غاب عنهم مدة طويلة . والأولاد يغيب عنهم والدهم الساعة أو يتأخر ، تراهم يسألون ويلحون فى الأسئلة : أين بابا ؟ وأين ذهب ؟ وهكذا دواليك والزوجة نورة قطعت الصمت قائلة :

ــ ألم تتبين ملامحه بشكل واضح ؟

ــ بالضبط لا ، على وجهه لحية . لكن إذا رأيته من قريب أعرفه فى الحال ، فهو فى نفس قامتى وحجمى .

وصمت هو ..

وصمتت هى ..

وقال هو : نامى والصباح رباح .

وقالت هى : خائفة عليك .

نظر اليها وقال :

ــ اطمئني ، فيد العدالة تعرف من البرىء ومن المذنب .

وقالت هى :

ــ فى هذا الزمن لايثق الانسان بأخيه الانسان ، ولا الأخ بأخيه .

وقال هو :

ــ كلامك معقول ؛ فى طياته يحمل حكمة .

وناما ..

••••

نبيل عبد الصمد وصل بيته ، خطوة واحدة ويفتح باب الحوش ، لكنه وقف وبالضبط فوق عتبة الباب واستدار ، وبسرعة البرق جالت عيناه فى العتمة والنور والزوايا .. فربما يلمح أحداً يتعقبه ، وبعد أن اطمئن وتأكد ، فتح باب الحوش ، ودخل وأقفله بالمفتاح ، وحركة المفتاح فى ثقب الباب نبهت زوجته سارة الجالسة تنتظر مجيئه قلقة عليه . ولفت نظرها أن زوجها لا يبدو على بعضه فى حركاته وتصرفاته . وكانا داخل حجرة النوم .. قالت له :

ــ كنت شديدة القلق على تأخرك (وبعد وقفة) لماذا تأخرت ؟

ــ كنت مع أحد الأصدقاء .

ــ الأولاد قبل أن يخلدوا الى النوم سألوا عنك وعن شريط الفيديو .

ــ شريط الفيديو ؟

ــ نبيل .. دع عنك التناسى . ماذا دهاك فى هذه الليلة ؟

ودمدم نبيل قائلا :

ــ بلى .. بلى .. تذكرت .. تذكرت .

وبغتة صمت نبيل ، كأن أحداً أخرسه عن أن يكمل كلامه ، رحلت به ذاكرته الى سلسلة ما أصابه فى هذه الليلة السوداء من خوف وارتباك ما زالا يسريان فى جوانحه . وذاك الشخص الغريب ووقفته وما تكبده من جهد فى المشى بين منحنيات الأزقة ومن المطاردة الوهمية ، ونهنه وتنهد وفرك شعر رأسه بسأم .. وسارة الزوجة تحدجه متعجبة مما قام به من حركات وألفاظ لا يستطيع القيام بها الا ممثلو المسارح والسينما .. ووعته قائلة :

ــ نبيل تذكرت ماذا ؟

ــ وتريدين الصدق .. نسيته .

ــ لكننى رأيت وسمعت صالحاً يقول لك : بابا أيريد منك شريط فيديو (لتوم وجيرى) وأنت كتبته فى مفكرتك .

ــ أأنت متأكدة من ذلك ؟

ــ قم .. انظر فيها .

وقام نبيل متباطئا ، وعلى محياه الاندهاش . كيف نسى المفكرة وهى فى جيبه ، تخرج من جيب هذا الثوب وتدخل فى آخر ، وبالذات فى هذه الليلة .. أخرجها من جيب ثوبه ونظر فيها . كلام الزوجة كان صحيحاً . كان قد كتبها مختصراً الكلمة الأولى والثانية شريط (ش) وفيديو (ف) . وتناهى الى أذنه صوت الزوجة تقول :

ــ أوجدته مكتوباً ؟

أومأ برأسه علامة الايجاب .. وأضافت الزوجة :

ــ هل أعد لك العشاء ؟

ــ ليست لدى شهية للأكل .

وجوابه هذا لم يقنع الزوجة . وقد تكون المرة الأولى منذ تزوجا .. تسمع نبيل ليست لديه رغبة للأكل ووجبة العشاء بالنسبة اليه هى الأولى والمفضلة . وامتناعه أدخل الشك فى عقل وقلب الزوجة ، فكرت وسألت نفسها وهى تحملق فيه بخلسة : ما به ؟! وبعد فترة صمت قصيرة .. قالت له :

ــ انك لا تعجبنى هذه الليلة ؟

ــ لماذا ؟

ــ لفتت نظرى حركاتك وتصرفاتك ونسيانك المفكرة ، وقسمات وجهك بأن ثمة شىء ؟

والزوجة وخاصة الذكية منهن تعرف حق المعرفة ما يضمره بعلها من مظاهر ومخق .. ولا حيلة له الآن ولا لف ولا دوران .. وحكى لها سلسلة ما حدث له من ألفها الى يائها .. وبعدما انتهى قالت له :

ــ لم تثبت ادانتك ؟ فأطلقوا سراحك .

ــ هذا الذى يحيرنى لماذا أرسلوا ورائى من يتعقبنى ؟

ــ ذاك الرجل ، هل رأيته فى مكان ما ؟

ــ حلكة الظلام أعاقتنى عن رؤيته بوضوح .. لكن اذا وقعت عيناى عليه أميزه .

ووصف لها هيئة ذاك الرجل طولا وعرضاً وعمراً .. وأضاف قائلا :

ــ فى حياتنا هذه انقشعت المحبة والثقة من قلوبنا ، والسبب ما يجرى بين ظهرانينا .

قالت الزوجة :

ــ اكتنفني الخوف .

ــ إبعدى عنك شبح الخوف ، والأيام خير دليل .

••••

انقضت أيام وأتت أيام ..

وراشد الحمدى ونبيل عبد الصمد كل فى بيته ، كل فى رواحه وغدوه ، كل فى

يومياته الحياتية ، أصابتهما القلقلة والأرق والتكير المضنى المستمر ، الواحد منهما دائماً يفكر بالغد وما يخبئه ويقولان فى نفسيهما : اليوم لا ، لكن غداً مع الفجر سيقع القبض ، حتى فى ذهابهما من البيت الى العمل ومن العمل الى البيت ، يقف الواحد منهما ويلتفت الى كل ركن ووجه ،ويخطو ويلتفت ، وبعد ان يطمئن يستقيم فى مشيته .. وقلقهما هذا زحف الى زوجتيهما . نورة فى بيتها بين أولادها ، وسارة فى بيتها وبين أولادها . ولا تطمئن أحداهما قبل أن ترى عيناها زوجها وهو يدلف من باب الحوش بسلام وعافية ..

وذات مساء والساعة السابعة أحس راشد الحمدى بالجوع يطبل فى بطنه فدخل المطعم .. وبعده بثلث ساعة دخل نفس المطعم نبيل عبد الصمد وكل منهما لا يعلم بالآخر البتة ، كل جلس بزاوية . والمطعم به زبائن متحلقون حول طاولات نظيفة .. والمطعم من النوع الهادىء تكلله بالرؤيا شاعرية الألوان ، الأحمر ، والأزرق ، والبرتقالى ، وعلى كل طاولة شرشف أبيض وفوقها شمعة مضيئة تتراقص جذوتها وموسيقى هادئة تندغم فى جو المطعم .

أكل راشد الحمدى حتى شبع وحمد ربه ، وطلب من النادل قهوة تركية سادة ، ودخن سيجارة ، وبعد النفس الأول التفت تلقائياً وفوجىء بالذى ليس فى حياته بتاتاً ، رأى بأم عينيه نبيل عبد الصمد جالساً يأكل ، وضوء الشمعة يتراقص على جانب من وجهه .. قال راشد الحمدى فى ذات نفسه وعيناه مركزتان فى وجه نبيل عبد الصمد والخوف بدأ يدغدغه وأول كلمتين خرجتا من فمه تحملان علامة التعجب : إنه هو! من أين أتى؟ وكيف

دخل ولم أره ؟ وطيلة تلك المدة كان يتبعنى دون أن أدرى ؟ وهو جالس هنا وربما هناك آخرون مختبئون فى الخارج ينتظرون اقتناصى ؟ ما هذه الليلة وما هذه المتاعب التى أخذت تلف نفسها حولى وأنا برىء ، صفحتى بيضاء لم يثبت على شىء ..

وسكت وألقى نظرة أخيرة ، نظرة رسم من خلالها تفاصيل وجه نبيل عبد الصمد . والتفت وانطلقت من فمه هذه الكلمات : لكننى رأيت هذا الوجه ! لا أدرى .. وأخذ يفكر .

ومثل ما حدث لـ .. راشد الحمدى حدث لنبيل عبد الصمد الذى ما أن أبصرت عيناه وجه راشد الحمدى حتى سأل نفسه : إنه هو ! وبعد هاتين الكلمتين جأر الخوف فى جسده ، خوف حقيقى يفوق خوف راشد الحمدى ، حيث شحب لونه وجف ريقه وجعل يردد الكلمتين مرتين :

إنه هو ! إنه هو ! ويجب أن أدفع فاتورة الحساب وأخرج فى الحال ولكنه فكر قائلا :

إن خرجت فربما آخرون هناك يترصدوننى . يتعقبونني فى الخفاء لماذا؟ ليأتوا إلى البيت هم يعرفون طريقه ويقبضون على بدلا من هذا الاستفزاز النفسى . تبعنى ليلا وها نحن نلتقى ليلا وفى مكان واحد (وحواره الذاتى جعل خوفه يضمحل ويواصل كلامه) : تعال قم أقبض على .



وبعد كلمة (على) الأخيرة توقف لسانه عن الكلام وكأنما وضع على فمه منديل لكن عينيه مازالتا تحدقان فى وجه راشد الحمدى ومن النظرات والحوار الذاتى استنتج نتيجة واحدة ومنها تبادر الى ذهنه هذا السؤال قال : رأيت هذا الانسان؟! والتفت عنه .

وبعد بضع دقائق التفت نبيل عبد الصمد ناحية راشد الحمدى . وفوجئ اذ لم يجده جالساً . قال : ينتظرنى هو وجماعته بالخارج ؟!

المرء بداخل مطعم أو سينما أو ما شابه ذلك لا يستطيع المكوث جالساً ،وفى الخارج يعرف ما ينتظره .. ونبيل عبد الصمد دفع فاتورة الحساب ، ودلف خارجاً غير مبال بشىء .. وفجأة وبعد أن خطا عدة خطوات سمع صوتاً يناديه :

ـ أنت أيها الرجل !

وقف نبيل ولف رأسه وحواسه الخمس صوب النداء متوقعاً النهاية لهذه المتابعة ، فرأى راشد الحمدى يشق الظلام . يقترب منه ويقفان وجهاً لوجه صامتين متسمرين . العيون الأربع لم تحد يميناً أو شمالا .. وفجأة ابتسم راشد الحمدى وقال :

ـ نبيل ؟!

ويجيب نبيل مبتسماً :

ـ راشد ؟!

ويقول راشد :

ـ ألست نبيل عبد الصمد الذى كان معى سجيناً بزنزانة واحدة؟ لم أعرفك بهذه اللحية ؟

ـ نعم أنا هو .

ـ وأنت كنت ليلتئذ تتبعنى .. ظننتك ..

قاطعه نبيل وقال :

ـ أنت تتبعنى لا أنا .. ظننتك .

وقهقه راشد الحمدى وقال :

ـ لا أنا ولا أنت . لكن كيف لم أعرفك تلك الليلة وهذه الليلة ونحن بداخل المطعم ؟

وتعانقا عناقاً حاراً وابتسما وسارا معاً يداً بيد تتبعهما نجمة متلألئة فى قبة السماء .

عبد الله عيسى

صالح جودت بين الذكرى والنقد

بقلم: كمال النجمي

هل من كلمة تقال عن الشاعر صالح جودت ـ رحمه الله ـ وقد مضى على مفارقته الدنيا أكثر من تسع سنوات، فتوارى اسمه، وهدأت الرياح التي أثارها طوال حياته في وجوه شانئيه ومحبيه جميعاً، وأقصر عن الكلام فيه من كان يراه شاعراً لا يشق له غبار، وانصرف عن ذكره من كان يراه شاعرا كثير الإغارة، يأخذ من هذا الشاعر ومن ذاك ثم يدعي على الشعراء الزعامة والإمارة، بدون جدارة ! ..

كان صالح جودت طفلاً كبيراً، اجتمعت فيه براءة الأطفال وعنفهم وطيشهم وحبهم لأنفسهم، عاش حياة مفعمة شعراً، لم ينقض يوم منها بدون أن ينظم شعراً، أو يحياه، أو يصحب واحداً من أهله أو واحدة. وكان في كل أحواله لا يفارق طفولته بريئاً عنيفاً طياشاً، وإن كان من أكثر الناس معرفة بالجانب العملي من الحياة، فهو في هذا الجانب خراج ولاج لا يضيع من يده شئ ! ..

وكان إذا اتخذ موقفاً عنيفاً من أحد، طلب إليك ـ إذا كنت صديقه ـ أن تؤيده في موقفه ذاك.. فان لم تفعل، أحقده ذلك عليك، وربما نالك من عنفه ما ينال خصومه أو أشد.

إلا أنه لم يثبت قط على خصومة، مع أنه ثبت على صداقات كثيرة، أشهرها صداقته للشاعر أحمد رامي، بالرغم مما وضعه رامي من عراقيل وحواجز تمنع شعراء عصره من تقديم أشعارهم إلى أم كلثوم رجاء أن تغنيها كما تغني شعر رامي، وكان من هؤلاء الشعراء المتعطشين الى سماع أشعارهم بصوت أم كلثوم، أصدق أصدقاء رامي وأكثرهم دفاعاً عنه صالح جودت ! ..

فكان صالح دائم الشكاة من موقف صديقه هذا، ويقول بلا مداراة: « إن رامي يغار مني كلما قدمت إلى أم كلثوم قصيدة أو زجلا، وقد حرضها على ألا تغني من شعري لأنه مستشارها الذي لا تصدر إلا عن رأيه » ! ..

ولم تكن غيرة صالح ممن يعتبرهم « منافسين » له في الشعر أقل حدة من غيرة رامي ممن يحاولون ـ من وراء ظهره ـ تقديم أشعارهم الى أم كلثوم، إلا أن رامي كان يغار فيما يخص أم كلثوم فقط، ثم يفتح صدره على مصراعيه لجميع الشعراء بعيداً عن هذا « الصرح الفني » الذي يتولى سدانته ! ..

أما صالح فكان لا يطيق أن يقال إن شاعراً يتفوق عليه أو يباريه أو يساويه، ولعل هذا سبب خصومته في أخريات حياته للشاعر نزار قباني وشعراء آخرين من عارفيه وأصدقائه ! ..

يذكرني هذا بأول مرة رأيت فيها صالح جودت، وكنت قبلها أقرأ شعره في الصحف منذ سنة ١٩٣٥، بل أذكر أول قصيدة قرأتها من شعره في مجلة « أبو الهول » عن العيون الزرق والشعر الذهبي، وقد لبث عمره كله مفتوناً بهذا اللون من الجمال ..

رأيت صالح جودت أول مرة سنة ١٩٤٨، وكان أستاذنا أنطون الجميل باشا رئيس تحرير جريدة الأهرام، قد توفى فجأة، فنظمت قصيدة في رثائه فقد كان هذا الباشا الأديب النبيل، كثير العطف والحدب على شخصي الضعيف، حفياً بما أنظمه من الشعر وأنا يومئذ في بداية العشرينيات من عمري، فكان ينشر كل ما أرسله إليه من شعر ولو بلغ ثمانين بيتاً.. وقد نشر إحدى قصائدي ـ وكانت عن فلسطين ـ في يسار الصفحة الأولى الذي كان مخصصاً منذ عهد سلفه داود بركات لنشر قصائد شوقي وحافظ.. ثم صار هذا الركن البارز من الصحيفة، وقفاً على أشهر الشعراء بعد رحيل حافظ وشوقي أمثال علي محمود طه وعلى الجارم وبشارة الخوري ومحمد الأسمر..

وأتذكر الآن أنني عجزت عن نشر مرثيتي تلك في الأهرام بعد أن تولاه الاستاذان عزيز ميرزا ومحمد زكي عبد القادر، وكلاهما بعيد عن الشعر، فضلاً عن أنني ـ فيما بدا لي بعد التفكير في هذا الأمر ـ لم أكن أتكلف التقرب إلى أحد في الأهرام أيام أنطون الجميل باشا، فأبعدني هذا عن عطف خلفائه ! ..

ثم إن نادياً لا أتذكر اسمه الآن أعلن عن إقامة حفل تأبين لأنطون الجميل، فقصدت النادي مع صديقنا عبدالعزيز عرابي ـ نجل عرابي باشا ـ الذي قال لي: إن صديقه الشاعر صالح جودت يشرف على الحفل ويقدم الشعراء لإلقاء قصائدهم..

فلما صرنا وسط المحتفلين تقدم عبدالعزيز عرابي ـ رحمه الله ـ فاستأذن لي صالح جودت في إلقاء قصيدتي، فاذا به يغضب وينتفض وسط الحفل قائلاً بصوت



صالح جودت



ابراهيم ناجى



احمد شوقى



احمد رامى



نزار قبانى



أم كلثوم

حانق: « هذا حفل يقيمه أعضاء النادي، ولا يسمح فيه بالكلام لغيرهم، خصوصاً من لم يكن مدعواً إلى الحفل »! ..

انصرفت بقصيدتي من الحفل وقد أذهلني غضبه وزعيقه وحدة كلماته، فقد كان بوسعه إفهامنا ما يريده هامساً بلطف، معتذراً أو غير معتذر ..

هكذا كان صالح جودت الشاعر الحالم، غضوباً عصوفاً، لكنه حين يتقمص طفولته ينقلب عطوفاً شفيفاً يهمس بالحديث همساً، كأنه يخشى أن يدمي بنان من يتحدث إليه! ..

وكان في كل حال يحب التعلم ولا يستنكف أن يصحح له أحد خطأ في اللغة أو الوزن ــ وقلما كان يخطئ فيهما ــ أو يلفت نظره إلى النطق الصحيح أو الإعراب المتفق وقواعد النحو ..

أذكر أنه كتب مرة في بعض شعره كلمة « الحكايا » ــ يقصد جمع حكاية ــ فقلت له: هذه غلطة يقع فيها الشعراء الشبان وبخاصة التفعيليين، وإنما تجمع « حكاية »على « حكايات » ..

فطفق يقرأ جميع قصائده الجديدة ليصحح فيها هذا الخطأ، ويتجشم في ذلك تغيير الأوزان وتغيير المعنى والمبنى أحياناً ..

وسألني مرة: « أعندك ديوان زهير بن أبي سلمى ؟ » .. ونطق السين مفتوحة في « سلمى » .. فقلت له: « بل عندي ديوان ابن أبي سلمى » .. بضم السين .. فدهش وقال بتواضع وبراءة: « يا للعجب .. لقد عشت الى سن الستين أنطق اسم هذا الشاعر المشهور بفتح السين! .. وصدق من قال إن المرء يتعلم من المهد الى اللحد »! ..

الذكريات عن صالح جودت كثيرة، لكن المهم أن نتكلم عن شعره بما ينصفه ولا يسلكه في الخاملين والعاجزين، بعد أن عاش حياته كلها شاعراً مرموقاً، على اختلاف الناس في النظر الى شعره وشاعريته! ..

ربما جنى عليه أنه انحاز الى فكر اجتماعي أو سياسي أو أدبي لم تكن تنحاز إليه غالبية نقاد الشعر والأدب في مصر خلال الخمسينيات والستينيات، فضلاً عن السبعينيات التي عاش صالح جودت الى ما بعد منتصفها لساناً من الألسنة الرسمية، يضرب في جميع الاتجاهات، ويصيب عارفيه وغير عارفيه على السواء، كأنه كان يحاول الثأر ممن تجاهلوه طويلا وأقاموا لشعره ميزاناً اجتماعيا وسياسياً خدش جوهر شاعريته ــ وهو في رأينا جوهر صحيح ــ وتحيف فنه الشعري الرقيق المنغوم المتميز.

ولم يكن يقبل هدنة في هذا المجال .. أذكر أنه كتب عدة مقالات ضد كاتب معروف، فأكثر في مقالاته من كلمة « عملاق » وكلمة « قزم » .. وكأنه يقابل بينهما .. فقلت له يوماً بين السخرية والدعابة: « أراك تفخر بطول قامتك، ولا فخر »! ..

فغضب أشد الغضب وقاطعني أشهراً وأمر فأنقصوا المساحة المخصصة لمقالي في مجلة المصور ــ وكان رئيساً لتحريرها ــ من

صالح جودت بين الذكرى والنقد

صفحتين الى نصف صفحة ولم تتعد مقالتي بعد ذلك نصف صفحة طوال رياسته للتحرير .. يرحمه الله ! ..

أما عن شعره وشاعريته فما من سبب يدعوني الى التهويل في شأنهما ، ولكنا نعرف أن النقد الحديث في أوربا وغيرها ، يحاول الآن ألا يدين الشاعر أو الكاتب أو الفنان بموقفه الفكري أو الاجتماعي ، وألا يجعل تقييمه أو تقويمه رهناً بهذا الموقف جهة اليمين أو اليسار أو الوسط ، فان الدنيا قد أظهرت لأهلها في الزمن الأخير أنها أشد تعقيداً وتنوعاً من هذا التبسيط ..

وقد نسمع الآن من يقول إن فلاناً يميني في التفكير أو في الموقف الاجتماعي أو السياسي ، ولكنه روائي موهوب .. ونسمع من يقول : هذا الرسام أو النحات يساري الفكر لكن فنه ذو أبهة كلاسيكية ، ولا أثر فيه للدعاية الجوفاء ! ..

فالأدب الحق والفن الصراح ، يوجدان على يمينك وعلى يسارك وأمام ناظريك ، وفي كل اتجاه ، لأن الدنيا واسعة يا صديقي وقد ضمت الى مساحتها شطراً من الفضاء ، فلم تعد ذات جهات أصلية وفرعية فقط ، بل صارت ذات جهات يعييك حصرها ! ..

وقد كسب الأدب والفن قيمة مستقلة ، وإن كان استقلالاً ذاتياً ، أي متعلقا بذات صاحبه ووجدانياته ومدركاته ولمساته الخاصة وشطحاته ..

والحق أن الأدب والفن كانا كذلك منذ أول الدهر برغم كل اختلاف بين العصور والأجيال .. وقد يلتفت الناس إليك دهشة وذهولاً ، إذا حدثتهم عن المواقف الاجتماعية والسياسية لهوميروس وشيكسبير وبيتهوفن والمتنبي وشوقي وأم كلثوم وسيد درويش ! ..

صحيح أنهم جميعاً كانوا ذوي مواقف ، بحسب أزمانهم ، ولكن ماذا بقي منها للناس ؟! ..

وأنا كثير الإلمام بالأماكن الأثرية في القاهرة ، فاذا مررت بجامع السلطان حسن ــ التحفة المعمارية المملوكية في القاهرة ــ أقول في نفسي : « ليت أحداً يخبرنا كيف كان الموقف الفكري أو السياسي للمهندسين العباقرة الذين شادوا هذا الجامع الرائع » ..

وفي ظل الأفكار والنظم جميعها ، من عصر العبودية الأولى الى الأقطاع ، الى عصرنا هذا بأنظمته الرئيسية الثلاثة : الرأسمالية والاشتراكية والنامية ، شيد أناس مجهولو المواقف أهرام الجيزة وآثار الهند والصين وبابل وآشور واليمن والإغريق والرومان وناطحات السحاب وسفن الفضاء ..

لكن المرء لا يفلت من موقفه في حياته ، ولا يصح في الذهن أن يقف أحد موقفا لا حساب عليه ، خيراً كان أو شراً .. وهذا ما حدث لصالح جودت ، فقد أضاعه عند نقاد عصره ، مواقفه التى أوجزنا الإشارة اليها ، وغلبه النقاد وأهملوه وشوهوا صورته .. وكانت بضاعته الفكرية متواضعة مع أنه كان يقرأ بالعربية والإنجليزية والفرنسية ، فلم يثبت وسط المعمعة وخلال زحام « المدارس » التي استولت على ساحة الأدب والشعر .. وحاول برغم ذلك أن يعد نفسه في الثوريين وأن يقيم الأدلة على ثوريته ، لكن خصومه نزعوا عنه هذا النقاب بقسوة بالغة ! ..

والمفارقة في هذا ، أن صالح جودت هو حفيد ثائر تركي شديد المراس اسمه اسماعيل جودت بك ، نجل جودت باشا .. كان من أحرار العثمانيين .. أديباً خطيباً مفوهاً ، ينظم الشعر بالتركية والفرنسية .. اضطهده سلاطين آل عثمان فلجأ الى مصر وشارك في الثورة العرابية فقبض عليه الانجليز وأخرجوه منها ! ..

وتاريخ صالح جودت الشعري بدأ في مسارح عماد الدين وروض الفرج بالقاهرة ، ولهذا ظل « الفن » يلازمه الى آخر حياته ..

وبسبب علاقاته الحميمة بالوسط الفني ، أخرجته الحكومة من وظيفته بالإذاعة سنة ١٩٥٣ كما أخرجت صديقه الشاعر ابراهيم ناجي من وظيفته في وزارة الأوقاف .

واذا كان صالح قد بدأ حياته شاعراً رومانسياً أقرب الى تهافت التعبير منه الى جزالته ، فانه اتسع بعد ذلك في الاطلاع على الشعر العربي واللغة العربية ، فطرأ على شعره الكثير من الرصانة ، وداخلته مائية الشعر الكلاسيكي الحديث كما نراها في شعر شوقي .. وقد تعلق صالح جودت بشوقي ، فجرى في آثاره ، وافتتن بأسلوبه ، حتى اختلطت الأنغام الرومانسية في شعره بالأنغام الكلاسيكية وصار أعرب لغة مما كان في نشأته ، ولكن جوهر شعره بقي رومانسيا حالماً مشبوباً ، يستمد الجاذبية من صدق تجاربه في الحب ، وما أكثرها ..

والشعر الرومانسي المصري لا تكتمل صورته إذا استبعدنا منها الخطوط المتميزة الزاهية الألوان التي أضافها صالح جودت الى هذه الصورة ، وأودعها دواوينه الستة التي أصدرها بين سنتي ١٩٣٤ و ١٩٧٥ .

وكلمتنا هذه مجرد إشارة الى ذكراه ، وايماءة بالتحية الى شعره وشاعريته .. وعسى أن يتاح لنا أن نكتب عنه يوماً ما نضع به حقه في نصابه ، فلا يضيع بين الذاكرين والناكرين .. ولا يضيع صوته واسمه بعد أن غنى للناس ما غنى طوال خمسين عاماً ، كما ضاع اسم المطرب « كثير » .. مطرب خمارويه الخاص الذي وضع لحن « قطر الندى » منذ ألف سنة ! ..

وبين المطرب « كثير » ملحن أغاني قطر الندى ، وبين صالح جودت مشابه كثيرة .. والكلام ذو شجون ، ولنا عودة ، وقد أدركنا الصباح ، ولابد لنا من السكوت عن الكلام المباح ! ..

كمال النجمي

أوراق خضراء

الكلمة الحية لا تموت بل تزدهر وتزداد جمالاً مع الأيام
وهذه مختارات ثقافية حية من الصحف العربية القديمة

● قصة اللغة العربية في إنجلترا ●● عاشق اللغة العربية ●●● الوهم

قصة اللغة العربية في إنجلترا

بقلم : برنارد لويس
ترجمة: عبد الوهاب الأمين

كان رأي الباحثين مجمعاً منذ مدة على أن أولى الاتصالات الثقافية المهمة بين الاسلام والفرنك كانت نتيجة للحروب الصليبية وفى الحق أن الحروب الصليبية هي الفرصة الأولى التي اجتمع فيها الشرق العربي بالغرب المسيحي اجتماعاً قريباً، وحصلت من جراء ذلك مبادلات ثقافية، غير أن الدراسات التاريخية المتأخرة أبانت أن هذه المبادلات كانت محدودة من ناحيتي المجال والمفعول، وهو أمر يجب أن يكون منتظراً بسبب سيطرة الناحية العسكرية في ذلك الدور. ولقد وصل الفكر العربي عن طريق آخر إلى الغرب بصورة عامة، وإلى انجلترا بصورة خاصة.

لقد دخل العرب المنتصرون إلى أوربا بعد غزوهم شمال أفريقية، واستعمروا منطقتين في حوض البحر الأبيض المتوسط لمدة طويلة هما : أسبانيا وصقلية، وأنشأوا لهم مدنية بالغة في التقدم ما لم يكن يوازيه أي تقدم آخر في الأراضي المسيحية في ذلك الحين. ذلك التقدم الذي لم يعجز عن التأثير على معاصريهم من المسيحيين، حتى أنه بعد أن استعاد المسيحيون تلك البلاد ظلت التعاليم العربية مزدهرة مدة طويلة. وكان الملوك المسيحيون يتكلمون العربية، ويؤازرون العلماء العرب، وبقيت الثقافة العربية العالية نافذة في بلاد الفرنك، وأصبح المسيحيون الذين يتكلمون العربية في أسبانيا واسطة مهمة لبسط ذلك النفوذ، كما أن اليهود الذين ينطقون بالعربية في أسبانيا وصقلية ــ والذين كانت لهم لغة عامة هي العبرية ــ مع مشاركيهم في الدين من الفرنك، كانت لهم يد طولى في نشر الثقافة العربية في الغرب. وينبغي أن نشير في هذا المقام بصفة خاصة إلى الفيلسوف الأسباني «ابراهام بن عزرا» من مدينة طليطلة الذي زار لندن في سنتي ١١٥٨، ١١٥٩، واشتغل بالتعليم هناك مدة، كما أن الانجليزي «توماس براون» ولي القضاء في صقلية، ويذكره العرب في كتاباتهم باسم «القائد برون».

وفي القرن الثاني عشر أخذ العلماء يفدون

قصة اللغة العربية في إنجلترا

من الشمال ، وعلى الأخص من انجلترا ، لزيارة الجامعات العربية في أسبانيا في سبيل تحصيل العلم ، وكان أول كبير من هؤلاء هو الانجليزي « أديلارد » من مدينة (باث) أحد رواد الثقافة العربية في الغرب .

وقد ساح « أديلارد » في الربع الأول من القرن الثاني عشر في أسبانيا وسورية ودرس اللغة والعلوم العربية ، وترجم كثيراً من الكتب العربية إلى اللاتينية لفائدة معاصريه من المسيحيين ، واشتغل في عودته ترجماناً للملك هنري الثاني — ولم يصر بعد ملكاً — وكان قد أهدى إليه أحد كتبه أيضاً . ويتألف أهم كتبه وهو « القضايا الطبيعية » من حوار بينه وبين قريب له درس في الجامعات الفرنكية بينما درس « أديلارد » بين العرب . وعلى ذلك فان الجدل الذي يقوم بين الاثنين يتطرق إلى المقابلة بين الدراستين ، وقد قال في مقدمة كتابه هذا : « إني سأدافع عن قضية العرب ، لا عن قضيتي » وشدد في نهاية كتابه على تفوق الطريقة العربية كما ساعد بنفوذه على نشرها في الغرب ، فترجم عدداً من الكتب العربية في علم الهيئة والرياضيات وبذلك مد في نشر هذه العلوم في أوربا .

وقد اقتفى أثر « أديلارد » كثيرون من الانجليز . فقد درس « روبرت » — وهو من أهالي جستر — في القرن الثاني عشر أيضاً ، الرياضيات وترجم الكتب العربية . وهناك شخصية طريفة هي شخصية « دانيل مورلي » الذي يحدثنا عن نفسه أنه كان بَرِماً بالجامعات الفرنكية فذهب إلى اسبانيا « في طلب أحكم الفلاسفة على وجه الأرض » على حد تعبيره ، وقد عاد إلى انجلترا بمجموعة كبيرة من الكتب التي لقيت جمهرة كبيرة من القراء . « وميخائيل سكوت » الذي درس — في القرن الثالث عشر — في صقلية وأتقن اللغتين العربية والعبرية ، وترجم كتب أرسطاليس من اللغة العربية ، وكان كثير منها قد تلقاه الغرب لأول مرة ، كما انه ترجم التعقيبات العربية على فلسفة ارسطاليس ، وألف عدة كتب في علم التنجيم والكيمياء .

ولقد كان عمل هؤلاء وغيرهم من الانجليز المغامرين الذين زاروا بلاد العرب كبير الفائدة من الناحية الثقافية ، فبفضل أعمالهم ذاعت آثار العرب الفلسفية والعلمية العظيمة في انجلترا والغرب ، وتقدمت الثقافة الأوربية خطوة كبيرة الى الأمام . وكان التأثير الذي تركته كتبهم المترجمة والموضوعة عظيماً .وفي وسعنا أن نضع الفيلسوف الانجليزي العظيم « روجر باكون » في عداد الذين تأثروا تأثرا عميقاً بالثقافة العربية ، وكذلك الشاعران « شوصر » و « ليد كيت » . ومن المهم ذكره في هذا المجال أن أول كتاب طبع في انجلترا وهو كتاب « أمالي وأقوال الفلاسفة » (سنة ١٤٧٧) وقد وضع على أساس كتاب عربي هو كتاب : « مختار الحكم ومحاسن الكلم » الذي صنفه في سنة ١٠٥٣ الأمير المصري « مبشر بن فاتك » ، ولم يطبع النص العربي ، ولكن هناك نسخة خطية منه لا تزال موجودة في هولاندة ، وهو مجموعة أمثال وأقوال حكمية ، وكان كثير الشيوع مدة من الزمن في الشرق وقد ترجم الى عدة لغات أوربية .

إن الدين الذي تدين به أوربا في العصور الوسطى لمعاصريها من العرب ومترجميهم لهو دين مضاعف ، ففي الدرجة الأولى كان العرب هم الذين نشروا القسم الأكبر من ميراث الفكر والعلم الاغريقي الذي كان الغرب قد أضاعه ، واحتفظ به العرب وأذاعوه ، وفي الدرجة الثانية أن أوربا قد تعلمت من العرب طريقة جديدة في الدراسة ، تلك الطريقة التي وضعت العقل فوق السلطة ، ودافعت عن البحث العلمي الحر ، وقد كان هذان الدرسان هما اللذين لعبا أكبر دور في إعطاء نهاية للعصور الوسطى ، وبعث النهضة « الرينسانس » وولادة أوربا الجديدة ، كما أن العلماء الانجليز ساهموا بدور كبير في نقل هذه الدروس . وإن من مآسي التاريخ الآن أن العرب ينسون في هذا الوقت الأشياء التي فعلوها هم لأوربا ، وأن يقوموا بدراستها مرة أخرى بعد مضي عدة عصور .

ونود أن نختم هذا الفصل بالرجوع إلى أقوال « إديلارد » نفسه في حديثه مع قريبه عن الطريقة التي تعلمها في أسبانيا ، ورأيه هذا قد سجل منذ ثمانمائة سنة :

« إنني ، والعقل دليلي ، قد تعلمت أمراً واحداً من أساتذتي العرب . أما أنت فعلى خلاف ذلك قد تلجمت بلجام من المظهر الخارجي للسلطة — وبماذا نصف السلطة إلا بأنها لجام ؟ — على شاكلة الحيوانات المتوحشة ، فانها تساق إلى حيث يشاء المرء بدون أن ترى لماذا والى أين تساق ، بل تتبع المقود الذي توقف به ، وكذلك الكثير منكم قد ربطوا بقيود وسلاسل من التسليم المنحط ، وسيقوا إلى الخطر بسطوة بالغة .... لقد منح العقل للأفراد لكي يكون هو الحكم الرئيسي للتفريق بين الحق والباطل ... فيجب أن نسعى بداءة ذي بدء إلى البحث عن العقل ، فمتى وجد قبلت حينئذ السلطة إذا أريد إضافتها إليه ، فان السلطة في حد ذاتها لا يمكن أن توحي بالثقة إلى الحكيم ، ولا ينبغي لها أن تستعمل لهذه الغاية » .

والذين يعرفون كتابات العرب سيؤيدون رأي « إديلارد » هذا على الفور ، أما الذين يعرفون علم الغرب فسيدركون مغزاه حالاً .

عبدالوهاب الأمين
١٩٤٢

عاشق اللغة العربية

احتفل الرجل الجليل الأب أنستاس ماري الكرملي في ٥ آب بعيد ميلاده السادس والسبعين ، في صومعته الهادئة ، منصرفاً الى العمل الذي وقف عليه حياته .

إن سيرة الأب الكرملي مثال حي للفكرة التي تتسلط على ذهن الإنسان فتعلق بشغاف قلبه ، وتغدو جزءاً من أجزاء نفسه ، وأية فكرة هذه التي ملكت لب الأب وهيمنت على جوارحه منذ حداثة عهده ؟

هي اللغة العربية ، وأكبر بها فكرةً ينزع اليها العقل ، وتروى عنها النفس ، تراءت له وهو فتى لم يكد يبلغ أشده ، فبهره منها الحسن والسناء ، وقطع لها راضياً عهد المودة والوفاء . وها هو ذا بعد ستين سنة أو تزيد لا يزال وفياً بالعهد ، متحمساً للغة الضاد حماسة الشباب الفوار ، مخلصاً لها إخلاص الشيخوخة المحنكة الحكيمة .

كانت اللغة العربية مذ وجدت ــ ولن تزال ــ وسيلة للخطاب والتفاهم ، تحمل الأفكار من ذهن إلى ذهن ، وتنقل الأخبار من جيل إلى جيل ، حتى قربت بين الناس ، ووصلت بين الأزمنة الغابرة والحاضرة . وإذ أصبحت بعد تهذيب أطرافها وتنميق أسبابها أداة الآداب الرفيعة ، لم تخرج عن كونها وسيلة لا غناء فيها إلا بما اتخذت له من غاية الإفصاح والتبيان . لكن لكلماتها وتراكيبها ــ مع ذلك ــ جرساً في الأذن ، ورسماً على القرطاس حبباها أحياناً إلى النفوس ، وقرباها من الأذهان بصرف النظر عن مدلولها ومؤداها .

ولقد أشار إلى ذلك أناتول فرانس في كتابه : « الحياة الأدبية » عند الكلام على معجم جديد ظهر في اللغة الفرنسية ، فقال ان بودلير كان يقرأ معجمات اللغة ويبتهج بقراءتها ، وأن تئوفيل غوتييه كان مولعاً بالكلمات يحبها حباً جماً ، وأن جوزه ماريادي هريديا كان يجهر بأن مطالعة المعجم تستثيره وتدخل على نفسه من اللذة والسرور مالا تدخله قراءة رواية « الفرسان الثلاثة » . وأضاف أناتول فرانس قائلاً بأسلوبه الساحر : « أما أنا فلا أجد عادة للكلمات معنى يفوق المعنى الذي تجعله لها المصطلحات ، فقد كنت في أغلب الأوقات أهيم في معاجم كبيرة كأنها الرياض الملتفة .وسبب ذلك أني أرى أن الألفاظ إنما هي صور ،وما المعجم اللغوي سوى عالم قد رتب بحسب ترتيب حروف الهجاء . وإذا نظرنا إلى الأمور نظرة صادقة فاننا نجد أن معجم اللغة إنما هو الكتاب الذي لا يفوقه كتاب ،فانه يشتمل على التصانيف بأجمعها ، فما عليك إلا أن تستدرجها منه ... وإني لأشعر في قلبي بحنو عظيم ازاء كل كلمات اللغة . إني أشعر برأفة كبيرة أمام طائفة التعابير البسيطة والفخمة . إني أحبها كلها ، فهي تستميلني وتستفزني ، وإني لأمس الكتاب الذي يضمها مساً شديداً ينم على مبلغ تأثري وارتياحي » .

غير أن هذه الوسيلة التي يستعملها الناس في خطابهم ، ويستعين بها الأدباء في أداء رسالتهم ، قد أصبحت غاية في حد ذاتها للعلماء الذين انقطعوا إلى دراستها ، ووقفوا حياتهم على استجلاء غوامضها .

فلا عجب أن نهج لغوينا العربي نهج من سبقه من علماء اللغة الأعلام ، من أبي منصور الأزهري صاحب التهذيب ، وأبي نصر الجوهري صاحب الصحاح ، ومجدالدين الفيروزابادي صاحب القاموس ، إلى البستاني ، والشدياق ، والشرتوني ، وسواهم من المحدثين ، وأن ترسم خطى من سلف من أمة التدقيق والتحقيق من أمثال جونسن ووبستر ، وأميل لتره ، فاتخذ من اللغة غاية ما بعدها غاية ، يكب على نقد مفرداتها نقد الصيرفي .

وما أشبه لغوينا من بعض الوجوه بزميله الانكليزي صموئيل جونسن الذي سبقه بنيف وخمسين ومائة سنة ! فغيرة الأب على اللغة العربية تشبه غيرة جونسن على لغته الانكليزية ، وأسلوب الأب المتين اللاذع يعدل أسلوب جونسن (وان يكن هذا الانكليزي الصميم لم يرض قط أن يدخل ميدان المساجلات والمناظرات بالرغم عن الحملات التي كثيراً ما حملت عليه) . ومجلس الأب شبيه بالمنتدى الأدبي الذي أنشأه الدكتور جونسن وصحبه وحضره مؤرخه بوزول ، فسجل مباحثاته ومداولاته .

ومقام لغوينا العراقي بين أقطاب العربية معروف مرموق ، وجهاده في سبيل الفصحى مرئي مسموع ، ورأيه في التمسك بأهدابها مقبول متبوع . ولنا عليه أن يكلل مساعيه الموفقة في خدمة اللغة الشريفة باخراج معجمه الكبير الذي وسمه « بالمساعد » ، فيتفرغ لانجازه وتنقيحه وتبييضه ، فهو عصارة سعيه وخلاصة جهده .

مير بصري
١٩٤٢

الوهم



بقلم: إبراهيم عبد القادر المازني

أكثر ما يقعد بالانسان عن الطلب ، أو يصده عن السعى أو يصرفه عن الاقدام ، وهم لا حقيقة ، وقل أن يقدم الذى يطول تفكيره ومشاورته لنفسه ؛ ويندر أن يفوز بالطيبات فى هذه الدنيا إلا الجسور أو « الفاتك اللهج » كما يقول بشار ، أى الذى لا يتردد ولا يضيع الوقت والفرص فى الموازنات والمعادلات وحساب العواقب والمغبات .

تكون مع المرأة التى تحبها ، فتحدثك نفسك أن تبثها ما تجد ، أو على الأقل أن تثنى على جمالها أو ذوقها فى اختيار ثيابها . فتتردد مخافة أن يسوء وقع ما تقول فى نفسها وأن تعد ذلك منك تسحباً واجتراء عليها ، فتحجم ، وتمتعض هى ، لأنك خيبت أملها فيك ورجاءها عندك . وقد لا تحب المرأة الرجل ، ولكنه لايسوءها منه أن تعرف أنه يحبها ، ولا يثقل عليها أن يثنى بما يعلم وما يتخيل أيضاً ، والمرأة تنتظر من الرجل أن يشعر بجمالها وأنوثتها قبل أن يشعر بعقلها أو علمها أو أدبها أو غير ذلك مما يجرى هذا المجرى . وكثيراً ما تقرأ لى الفتيات ما يكتبن أو ينشدنني ما ينظمن ، حتى إذا فرغن من التلاوة تعمدت أن أهمل ما سمعت منهن وذهبت أصف لهن ما وقع فى نفسى من صوتهن وهيئتهن وهن يقرأن ، وكيف كان النسيم يعبث بذلاذل الثوب ، وكيف أن خصورهن كن يغرين بالتطويق ، وشفاههن وهى تتحرك وتلتقى وتفترق ، وتختلج من فرط التأثر بالمعانى المصورة فى الكلام ، تحمل على اشتهاء القبلات الطويلة ، ولا أراهن يغضبن لذلك أو يتجهمن ، أو حتى يتكلفن العبوس والقطوب ، بل تشرق وجوههن ويشيع فيها البشر ، وتومض عيونهن وميض الجذل والاغتباط والرضى ، وأنا أفعل ذلك لأسرهن وأشرح صدورهن ولأهرب من إبداء الرأى فى كلام لا أرى له قيمة أو وزناً فننتقل بسهولة إلى حديث آخر نخوض فيه ، وتطوى الورقات وتدس فى الحقائب ، ونحن نسح بالكلام ، ثم ينصرفن راضيات مسرورات شاكرات ، وأبقى أنا أو أذهب ، ولا أكون قد رددت نفسى على مكروهها .

وقد جربت الناس فلم أجد ما يريح مثل الاجتراء عليهم . كنت فى بعض ما مر بى مضطراً إلى الاتصال فى عملى برجل سريع البادرة عظيم الغرور متقلب الرأى فلا راحة لانسان معه ، وآثرت الملاينة فى أول الأمر وقلت : أسايره خطوة أو خطوات لأجره باللياقة والكياسة إلى حيث أريد من حيث لا يشعر هو . فكان يفطن إلى حيلتى فى بعض الطريق فينبو فى الزمام ، فخطر لى أن المنطق والحجة لعلهما أجدى ، فصرت أجادله بالتى هى أحسن ولكن بالبرهان والبينة ، فكان يتململ ويتأفف ولا يكتم ضجره مني وكراهته للجاجتى ، فضاق صدرى يوماً وخرجت معه عن طورى ـ على ندرة ذلك جداً ـ ولم أستطع أن أملك زمام نفسى ، فأسمعته من رأيى فيه ما أعتقد أنه أوجع ما سمع فى حياته ، فما راعنى إلا استخذاؤه والا أنه أذعن وراح بعد ذلك يتقي أن يثيرغضبى ويخشى بادرتى أشد الخوف . فاسترحت .

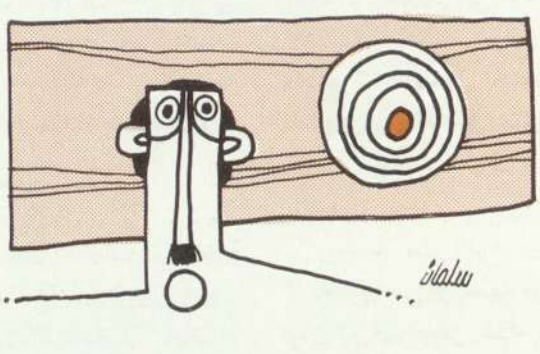
وقد يظن القارىء أنى أشير بالتوقح على الناس وسوء الأدب معهم ، وما أريد شيئاً

من هذا ، وإنما أقول إن احترامك لغيرك لا ينفى أو يمنع أن تحترم نفسك ؛ ومن احترام النفس أن تكون صريحاً وحازماً ، والصراحة والجرأة ليس معناهما قلة الأدب ، فأنك تستطيع أن تذهب فى الصراحة إلى أبعد مدى وأن تتحفظ مع ذلك بالأدب . ومتى عرف الناس فيك الصراحة وألفوا منك الشجاعة ، اقتنعوا بذلك ووطنوا أنفسهم عليه وأعفوك من كثير مما تكره .

وقد قص على بعضهم حكاية شاب اتخذت منه زوجته دابة ، فهو لا يفعل إلا ما تأمر ، ولا يخرج أو يدخل أو يقوم أو يقعد أو يأكل أو يشرب إلا إن أذنت له ، وقيل لى إنها هى التى تنتقى له ثيابه وتختار له ما يوائمها من قميص وربطة وحذاء إلى آخر ذلك . وتأمره فيصادق هذا ويخاصم أو يعادى ذاك ، ويصل فلاناً ويقاطع فلاناً ، فعجبت ! وسألت محدثى : وماذا يخيفه منها ؟ أهو يخشى أن تأكله إذا اعترض أو أبى أو تمرد على هذا السلطان ؟ فهز محدثى رأسه ولم يستطع أن يذكر لى شيئاً معقولا . وما أزال إلى هذه الساعة عاجزاً عن تصور ما تستطيع هذه المرأة أن تصنع إذا انتقض زوجها على هذا الاستعباد؟ هى وقفة واحدة يقفها الرجل فلا يسع امرأته إلا أن تلزم حدها وتترك له حقه فى نفسه . وهذه الوقفة لا تحتاج إلى ثورة ، ولا تتطلب أن تقوم قيامة البيت ، بل لعل الهدوء أحجى وضبط الأعصاب أجدى . وما أظن امرأة تكبر رجلا يكون عنانه فى كفها الرخص ، ولاشك أنها لا تنفك تحتال لتخضعه من حيث لا يشعر ولا يدرى ، والرجل الرشيد يدرك ذلك ولا يخفى عليه أنها تدور من ورائه لتحمله على ما تريد فيلين ليرضيها ويسعدها بالشعور بالنجاح ويجعلها بذلك ألين فى يده من ناحية أخرى .

وحياة الرجل والمرأة مناوشات مستمرة ، ولعلها أشبه شىء بالحرب التى تشنها العصابات المتحصنة فى رؤوس الجبال على الجيوش المنظمة . وقدرة الرجل وسطوته معترف بهما ، ولكن المرأة لا تقر لهما الاقرار التام ولا تزال تختبىء وتطلق قذيفتها . وخير للرجل وأجلب لراحته أن يدع لها فرصاً كافية لاصابة الهدف ، فتسكن نفسها وترضى عن حالها ، والا التمرد الصريح . ولكنه ينبغى أن يكون له وجود وكرامة ، وإلا خسر احترامها له . واحتفاظه بكرامته واستقلاله وحريته لا يكلفه إلا أن توقن هى أنه لا خير فى محاولة إخضاعه لها .

وقد زاولت التعليم عشر سنين فما أذكر أنى احتجت يوماً أن أعاقب تلميذاً ، ولو تمردوا على لما وسعنى شىء فأنى واحد وهم كثر ، ولو انتقضوا على نظام المدرسة لما استطاعت أن تكرههم عليه ، ولكن التلميذ يتوهم البأس والشوكة والسطوة والقوة ، ويرهب ما يتوهم ،ويطول عهده بذلك فيتقرر فى نفسه . وقد كنت وأنا معلم لا أحجم عن مصارحة تلاميذى بأن سلطان المدرس خيالى ولا حقيقة له ، وأنهم لو شاءوا لتناولونى وقذفوا بى من النافذة ، وقذفوا بالمدرسين جميعاً وبالناظر أيضاً ورائى ، وكنت أراهم يبتسمون لما يسمعون منى ، ثم يعودون إلى ما ألفت منهم من حسن الاصغاء وشدة الحرص على النظام .



وكبر ابنى وصار أطول منى قامة ، وأنا الآن كهل وهو شاب ، وقد توخيت فى تربيته أن أدعه حراً ، وأن أجعله يشعر باستقلاله ، ومع ذلك لا أراه يجترىء الاجتراء الذى أتوقعه وأريده ويسرنى أن أراه منه ، لأنه يهاب ذلك السلطان الذى درج على اكباره والاقرار له منذ الصغر . فهو لا يزال طفلا بالقياس إلى فيما أرى ، وانه لكذلك إذا اعتبرنا التجربة والعلم وما إلى هذا ولكن وهم الأبوة ، أو سلطانها ، أو لا أدرى ماذا ، يصده حتى عما لا بأس منه ولا ضير ، ولا عيب فيه ، ولا خوف من الزجر عليه . وأنا أيضاً كنت طفلا ـ كما لا أحتاج أن أقول ـ وكان هذا شأنى ، لأن للعادة سلطانها .

ولو جرب الناس الشجاعة والأقدام لأدهشهم أن ما كانوا يخافونه أو يتقونه أو يتوقعونه ، لا وجود له ، وأنه لم يكن سوى وهم ليس إلا ، وأكرر أنى لا أحض على تجاوز الحدود ، فليس من حسن الأدب أن يكون المرءجباناً أو ذليلا ، ولا من سوئه أن يكون عارفاً بحقوقه حريصاً عليها وجريئاً فى سعيه وصريحاً فى قوله ، أى مخلصاً لنفسه .

ابراهيم عبد القادر المازنى
نوفمبر ١٩٣٦

تقديم: لبنى الريدي

الجبيرة الكهربية

تستغرق عملية التئام الكسور وقتاً طويلا خاصة اذا كانت الاصابة فى عظام يصعب ترميمها مثل عظمة الساق أو عظام الكف. ولذلك فكر الباحثون فى استخدام أجهزة كهربية للاسراع بترسيب الكالسيوم فى العظمة المكسورة مما يكسبها صلابة ويساعد على سرعة التئام الكسر.

وكان الأطباء يعلمون من عشرات السنين أن النبضات الكهربية تساعد على التئام الكسور، ولكن لم يتم استغلال هذه الظاهرة لتصميم جهاز لهذا الغرض الا مؤخراً. ولقد صمم الباحثون نوعين من هذه الأجهزة، النوع الأول يثبت على المنطقة المصابة من الخارج قبل الجبيرة بينما يتم زرع النوع الثانى تحت الجلد.

ويتكون النوع الأول من وحدتين: وحدة بطاريات قابلة للشحن موضوعة فى حافظة صغيرة تعلق فى الكتف؛ ومحول للطاقة يرسل نبضات كهرومغناطيسية ذات طاقة منخفضة لا يشعر بها المصاب، ويتم انتاج أحجام مختلفة من هذه الوحدة لتناسب مناطق الاصابة فى الجسم. ويمكن وضع الجهاز مباشرة على الجلد أو فى غطاء يشبه الجبيرة كما توضح الصورة.

ويرتدى المصاب هذا الجهاز لمدة ثمانى ساعات يومياً، لفترة تتراوح بين أربعة وستة شهور، وهو مزود بشاشة صغيرة تبين مدة استخدام الجهاز خلال اليوم، كما يظهر عليها تنبيه عندما تبدأ طاقة البطاريات تضعف. ويحاول الباحثون حالياً دمج الوحدتين فى وحدة واحدة.

أما النوع الثانى من هذه الأجهزة فيزرع تحت الجلد، ويلامس القطب الكهربى العظمة المكسورة، ويوصل بها باحكام، وتتصل بهذا القطب الصغير بطارية بحيث يسرى فى العظمة بشكل مستمر تيار كهربى ضعيف، ويتم نزع البطارية بعد التئام الكسر فى حين يظل القطب الكهربى مثبتاً فى العظمة. ويتطلب تركيب هذا الجهاز إجراء جراحتين واحدة لزرعه وأخرى لنزعه بعد اكتمال الشفاء.



ويؤكد الأطباء أن هذه الأجهزة الكهربية تساعد على شفاء إصابات الأربطة والأوتار، خاصة أوتار الكاحل.

انتاج البروتين من الفطريات

بعد عشرين عاماً من الأبحاث والتجارب نجحت إحدى شركات الأغذية البريطانية فى إنتاج مواد غذائية بروتينية من الفطريات، وتكلف هذا المشروع الطموح حوالى أربعة ملايين جنيه استرلينى.

ويتميز هذا الطعام الفطرى بأنه يشبه فى مذاقه وشكله أنواع الغذاء الطبيعى على عكس الأغذية التى حاول الباحثون إنتاجها من فول الصويا ولم تلق رواجاً، وينتج المصنع من هذا البروتين لحماً يصعب تمييزه من حيث الشكل والمذاق عن اللحم الطبيعى.

ويتم تصنيع هذا البروتين من فطر ينتمى لعائلة «المشروم» أو عش الغراب.

وتمر العملية الصناعية بعدة مراحل تبدأ بالتخمر حيث يتضاعف وزن الفطر كل خمس ساعات عند تغذيته على شراب الجلوكوز فى درجة حرارة ٣٠ درجة مئوية. وبالتحكم فى نسبة الماء أثناء عمليتى التخمر والترشيح التى تليها يتم الحصول على ألياف فطرية متشابكة لا رائحة لها ولا لون أو نكهة. وملمسها يشبه ملمس جلد الشمواه.

وعند إدخال هذه الألياف البروتينية الفطرية فى آلة معينة لاعادة ترتيب أليافها نحصل على بروتين قابل للمضغ، وباضافة نكهات ولون وقليل من زلال البيض أمكن تحويل ألياف البروتين الى فطائر دجاج وبسكوت بالشكولاتة..

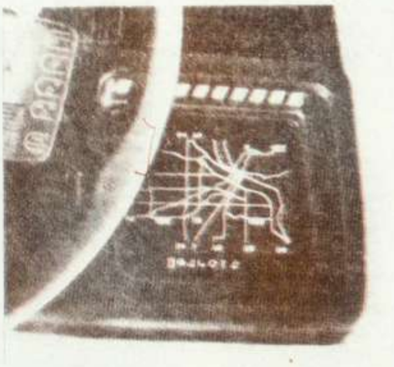
أما من الناحية الغذائية فتحتوى هذه الألياف الفطرية على ٤٤٪ بروتين مقابل ٥٧٪ فى حالة شرائح لحم العجول الصغيرة، ولكنها تحتوى نصف نسبة الدهون الموجودة فى مثل هذا النوع من اللحوم وبها نسبة ألياف مساوية لما فى الخبز الأسمر.

ويتميز هذا النوع من البروتين بأنه لا يحتوى على أى نسبة من الكولستيرول، ومن ثم فهو يمثل غذاء صحياً.

الأقمار الصناعية تحدد مسار السيارات

بدأت العديد من شركات السيارات الأمريكية واليابانية فى تزويد سياراتها الجديدة بنظام ملاحة متطور يعمل بالكمبيوتر ويستقبل إشارات من الأقمار الصناعية المحلقة بعيداً فى الفضاء ، وتستخدم هذه الاشارات لتحديد مسار السيارة وموقعها على شاشة تليفزيونية مثبتة أمام السائق فى لوحة السيارة .

ويتكون هذا النظام المتطور للملاحة من جهاز استقبال للاشارات اللاسلكية المرسلة من الأقمار الصناعية وجهاز ميكروكمبيوتر وشاشة تلفزيونية . ويتم تخزين مجموعة كبيرة من الخرائط لجميع الطرق فى مدينة أو بلد ما فى اسطوانات فيديو تعمل بأشعة الليزر أو مجموعة من أشرطة الفيديو بحيث يستطيع قائد السيارة عرض الخريطة المطلوبة على شاشة أمامه بمجرد الضغط على أحد الأزرار . وبالتالى يمكنه تحديد أقصر



الطرق وأيسرها للوصول الى المكان الذى يقصده . ويضمن هذا النظام ألا يضل أى سائق طريقه فهو يستقبل الإشارات من ثلاثة أقمار صناعية ، ويقوم الميكروكمبيوتر بتحديد موقع السيارة على الخريطة بناء على المعلومات التى تم استقبالها .

كما ستضم بعض السيارات فى المستقبل القريب نظام ملاحة يمكنه إرسال واستقبال الاشارات ، وسوف يستخدم هذا النظام المزدوج فى تسيير قوافل الشاحنات وسيارات الأجهزة وسيارات الاسعاف الخ .. ويمكن بفضل هذا النظام المزدوج اكتشاف السيارات المسروقة ومنعها من الحركة بوقف تزويدها بالوقود بواسطة جهاز للتحكم من بعد . كما يستطيع السائق ارسال رسالة استغاثة أو طلب للمعونة من المركز الرئيسى ، ويمكن أيضاً استخدام هذا النظام لتنبيه الشاحنات على الطرق السريعة لأى أخطار أو احتمالات تصادم فى طريقها .

ولكن تظل تكلفة هذا النظام الباهظة عائقاً أمام إنتشاره ، فهو يكلف حوالى مائة ا لف دولار ، وإن كانت شركات السيارات تتوقع أن تتوفر نظم الملاحة الالكترونية بما لا يزيد عن خمسمائة دولار وذلك فى منتصف التسعينات !

الهاتف الطائر



ينعزل ركاب الطائرات عن العالم انعزالا شبه كلى مما قد يثير ضيق بعضهم خاصة رجال الأعمال . ولذلك فكرت إحدى الشركات الأمريكية المتخصصة فى مجال الاتصالات اللاسلكية فى تزويد الطائرات بنسخة جوية للهاتف الأرضى .ويتيح هذا الهاتف الطائر الاتصال بجميع أنحاء الولايات المتحدة بما فى ذلك ألاسكا وهاواى أثناء التحليق على ارتفاع ثلاثين ألف قدم .

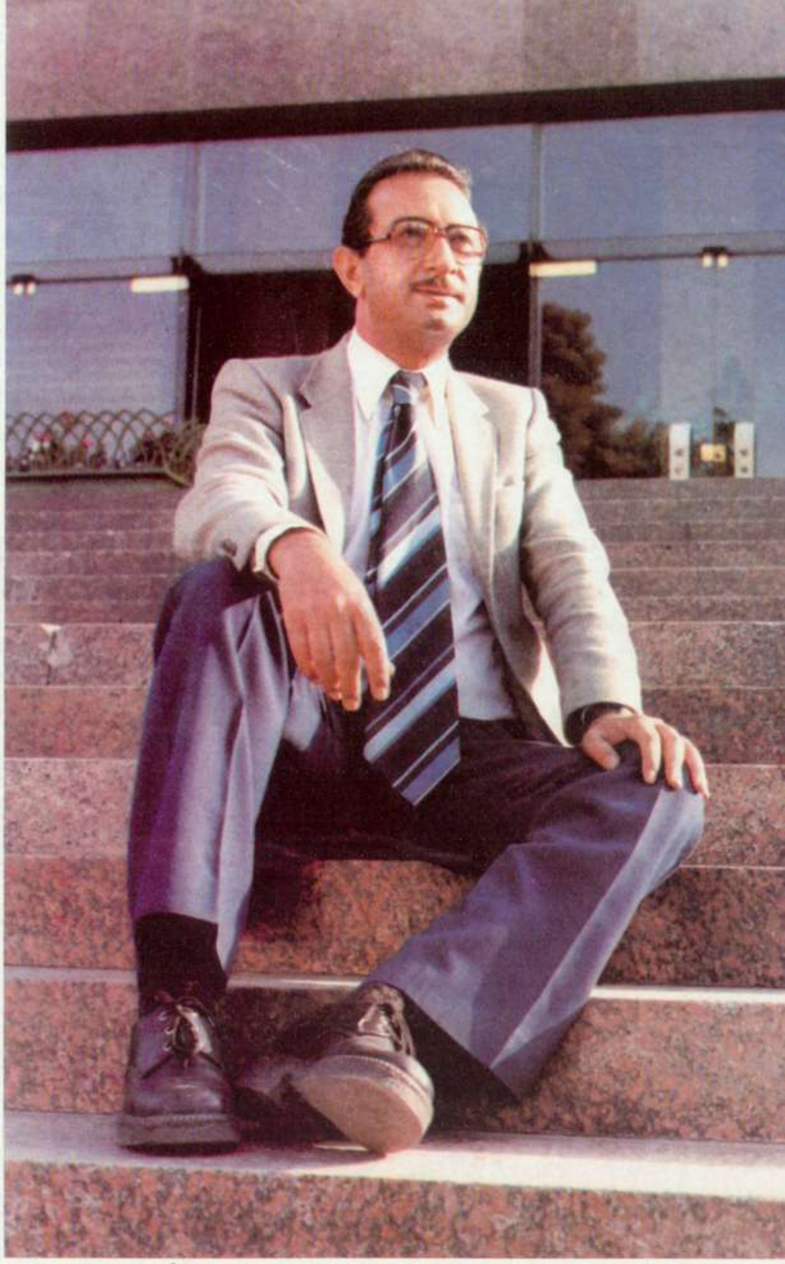
ولقد تعاقدت هذه الشركة على إدخال نظام الهاتف الطائر مع تسع شركات طيران ، على أن يبدأ عمله فى بداية عام ١٩٨٥ . ويتم الاتصال الهاتفى من الطائرة من خلال موجات لاسلكية خاصة تستقبلها محطات أرضية لتقوم بدورها بنقلها الى خطوط الهاتف المحلية ، ويتولى الكمبيوتر على متن الطائرة انتقاء المحطة الأرضية المناسبة من بين ٣٧ محطة وذلك لضمان وصول أقوى إشارة لاسلكية وبأقل تكلفة .

وعندما يريد الراكب اجراء مكالمة هاتفية يتوجه الى أحد أجهزة الهاتف المثبتة فى جدار كابينة الطائرة ويضع فى فتحة خاصة بطاقة الدفع ، وينتظر الى أن يتم التحقق من رقم البطاقة ثم يأخذ الهاتف الى مقعده ليطلب الرقم ويتكلم بحرية .

وتتكلف المكالمة ٧,٥ دولار لأول ثلاث دقائق ، ثم ١,٢٥ دولار لكل دقيقة ا ضافية ، والحد الأقصى للمكالمة أربعون دقيقة . ويتم خصم قيمة المكالمات اتوماتيكياً من بطاقة الدفع الخاصة بالراكب .

وتؤكد التجارب الأولية أن المكالمة التى تتم من الطائرة لا تقل وضوحاً عن المكالمات الأرضية .

وسوف يتمكن ركاب الخطوط الجوية الأمريكية من إجراء مكالمات دولية من الطائرة مع نهاية عام ١٩٨٥ .



نور الشريف في لقطة في نهاية فيلم «آخر الرجال المحترمين» وبعد أن انتصر بجهده الخاص في العثور على الطفلة الضائعة .. وهو ينظر إلى المدينة الكبيرة التي كادت أن تبتلعه .



سماح أنور مع زميلة لها من اصلاحية الأحداث بعد هروبها والقلق الذ
يحيط بمستقبلها .. اللقطة من فيلم بيت القاصرات .

سينما

بقلم : رءوف توفيق

السينما المصرية تناقش بجرأة :

الإنسان .. في مواجهة التطبيق الحرفي للقانون !



بوسي في دور المرأة التي أصابها مرض نفسي بعد حادث غرق إبنتها في حمام السباحة ، وحاولت تعويض عاطفة الأمومة باختطاف طفلة صغيرة .

إذا كانت مصر قد شهدت أول حكومة في التاريخ .. منذ أيام القدماء .. فإن ميراث البيروقراطية ، أو التعقيدات المكتبية من خلال درجات الموظفين ، وحدود سلطاتهم ، هو بالتأكيد ميراث متراكم متجدد .

ورغم كل المحاولات المبذولة في مصر ، لكسر سطوة التفكير المكتبي .. إلا أن عشرات القوانين القديمة ، والمعدلة ، والمتناقضة .. جعلت صغار الموظفين أسرى اللوائح والاجراءات المكتوبة .. ينأون بأنفسهم عن حرية التصرف ، خوفا من المسئولية !

ومع ازدياد عدد السكان ، وتضخم عدد الموظفين .. تشابكت الصورة أكثر !

وبنظرة متأملة .. نجد أن البيروقراطية ، هي إحدى سمات العالم الثالث .. مهما اختلفت المواقع على الخريطة الجغرافية .

وربما يذكر الذين يتابعون الأعمال الأدبية والفنية .. أن العديد من النماذج عالجت هذا الموضوع ، في الروايات ، أو المسرحيات ، أو الأفلام .. سواء في المنطقة العربية .. أو في افريقيا عموما .. أو في بعض البلدان الآسيوية !

سينما

ولا أستطيع أن أنسى شخصيا، ذلك الفيلم القصير (٣٥ دقيقة) الذي قدمته السنغال ــ عام ٨٣ ــ بعنوان «شهادة فقر» يحكي في إيجاز وقوة، مأساة امرأة فقيرة تحمل على ذراعيها طفلها المريض بالحمى .. ضائعة في شوارع «داكار» العاصمة .. تبحث عن مكان لطفلها في إحدى المستشفيات الحكومية .. فتواجه بمختلف أنواع التعقيدات واللامبالاة .. وتنتقل من مستشفى الى آخر .. والأبواب موصدة في وجهها .. بينما يدخلها بسهولة أصحاب السيارات ؟

وتتسلل في غفلة من الحراس .. إلى داخل إحدى المستشفيات .. فتفاجأ بمدى الاهمال من المرضين أو الذين يعدون الطعام .. حيث تراهم يقتسمون لأنفسهم، النصيب الأكبر والألذ من اللحوم والفواكه ! وعندما يكتشفون وجودها بينهم .. يطردونها فوراً ..

وتشتد الحمى على الطفل .. وتعود الأم لتجوب الشوارع .. بحثا عن أي مستشفى .. وعندما يرق لها قلب طبيب، ويكشف على طفلها .. يقرر ضرورة إدخاله بسرعة الى المستشفى لخطورة حالته .. ولكن عليها أولا أن تسدد الرسوم المطلوبة .. وهي لا تملك شيئا .. والوقت يجري .. وينصحها أحد الموظفين بأن تحضر «شهادة فقر» حتى يمكن إدخال طفلها مجانا ..

وتبدأ من جديد رحلة البحث عن المكتب المختص لاستخراج مثل هذه الشهادة .. لتفاجأ بنماذج من الموظفين .. يتهربون من العمل .. أو يضيعون الوقت .. ومنهم من طلب منها استكمال الأوراق اللازمة حتى يمكن استخراج «شهادة الفقر» .. وعندما تتوسل إليه المرأة بطفلها المريض .. يأمر بطردها من المكتب !

وتخرج المرأة مهزومة .. مطرودة .. ويموت طفلها على ذراعيها !

وقد كان هذا الفيلم الجريء، والذي كتبه واخرجه الفنان السنغالي «موسى يورو باثيلي» بأقل الإمكانات، وبأكبر قدر من الصدق .. هو تعبير احتجاج ضد التخلف وسطوة البيروقراطية.

الاقتراب من الواقع

وفي السينما العربية أخيرا .. ومع عودة الوعي، بعد موجة الأفلام التجارية الهابطة .. نتعرف على فيلمين من أحدث ماانتجته الإستوديوهات المصرية .. يناقشان موقف الإنسان البسيط عندما يصطدم بحائط البيروقراطية.

ومن المثير .. أن الفيلمين يعرضان في نفس الوقت .. وبلا ترتيب مسبق .. وكأنما هناك إحساس ضمني، عند بعض السينمائيين في مصر .. بضرورة الاقتراب من الواقع والتعبير عنه.

الفيلم الأول : من إنتاج وتمثيل «نور الشريف» وإخراج سمير سيف وعنوانه «آخر الرجال المحترمين».

والفيلم الثاني من إنتاج وإخراج «أحمد فؤاد» وبطولة الوجه الجديد سماح أنور مع محمود عبد العزيز .. وعنوانه «بيت القاصرات».

آخر الرجال المحترمين

يبدأ الفيلم بداية خادعة .. فنحن أمام مدرس شاب في إحدى مدارس الاطفال بصعيد مصر ..

والمدرس «نور الشريف»، يقدمه الفيلم، مخلصا في عمله، محبا للأطفال .. مهتما بالقراءة والثقافة التي يعتبرها نوعا من الحماية له، ولكيانه الإنساني، في وسط الاهتمامات المادية المتزايدة.

وهو راض بمكانه في الريف .. بعيدا عن ضجيج العاصمة .. حدد عالمه داخل مدرسته، وبيته، ومكتبته المليئة بالكتب، والتي يحصل عليها من خلال احد المسافرين دوما الى العاصمة لقضاء مصالح بعض أهالي القرية، وشراء ما يحتاجونه منها.

وهذا المدرس بتكوينه المثالي الواعي بما يحدث حوله .. يحاول أن يزرع في تلاميذه الصغار .. الحب والأخلاق والفضيلة .. والتزود دائما بالثقافة .. وأشد ما يخشاه، تأثير التليفزيون على نقائهم وبراءتهم !

ولهذا تكون صدمته شديدة، عندما يقف في الفصل ليسأل تلاميذه عن اسم الشاعر الذي قال : «وما نيل المطالب بالتمني .. ولكن تؤخذ الدنيا غلابا»

ويرتبك التلاميذ الصغار، لثوان .. ويحاول أن يساعدهم بحب .. يقول لهم إن الاسم الأول لهذا الشاعر هو «أحمد» فمن يستكمل الاسم ؟!

وتقف طفلة صغيرة لتقول في ثقة : إنه «أحمد عدوية» ! !

ويشعر المدرس بالفجيعة .. وهو يصحح لها الاسم .. إنه «أحمد شوقي».

والفرق هائل بين الاسمين .. ولكنه تأثير المناخ الثقافي العام.

ومن هذه المشاهد الذكية والساخرة، التي يبدأ بها الفيلم يتأكد لنا الاحساس، بأننا أمام فيلم يقوم على علاقة هذا المدرس بتلاميذه الصغار، خصوصا، وأنه قد وقع



المدرس (نور الشريف) في إحدى محاولاته للبحث عن الطفلة الضائعة، مع علي الشريف المتخصص في سرقة الأموال فقط، وسناء يونس المشرفة على خدمة الرحلة المدرسية.

عليه الاختيار ليشرف على رحلة مدرسية لزيارة معالم القاهرة .

ونتوقع مزيدا من التنويعات على هذا الموضوع .. فرحلة داخل العاصمة التي تموج بالحركة والتناقضات ، ومع هذا المدرس ، وهؤلاء الأطفال ، لابد أن تتفجر بالعديد من المواجهات الساخرة ، والتي تكشف عن جانبي الصورة .

ولكن هذا التوقع لايتحقق .. وكما قلت ان داية الفيلم خادعة .. ففجأة يتحول الموضوع الى شيء آخر ..

حادث اختطاف !

في أول زيارة لهذه الرحلة المدرسية إلى حديقة الحيوان .. تتسلل إحدى طفلات المدرسة بين زوايا الحديقة ، لتلتقطها امرأة أنيقة تغريها بالحلوى واللعب .. وتقوم باختطافها !

وهذه المرأة «بوسي» نكتشف أنها تعيش حالة نفسية خاصة ، بعد أن فقدت ابنتها الصغيرة في حادث بحمام السباحة .. ولهذا تسعى لتعويض أمومتها ، باختطاف هذه الطفلة .. وقد كانت لها سابقة مماثلة !

وهكذا ندخل في موضوع جديد .. هو الموضوع الأساسي للفيلم .

هل القانون بلا قلب ؟

وهذا المدرس الشاب بإحساسه الهائل بالمسئولية ، يشعر بفداحة ما حدث .. ففقدان طفلة بريئة وسط تروس عجلة الحياة الهادرة في العاصمة .. هو أمر لايمكن تصوره .. ومن هنا تبدأ رحلته هو شخصيا للبحث عنها .

وفي هذه الرحلة نكتشف من خلال نظرته المثالية الأخلاقية .. مدى اللامبالاة والسلبية عند البعض .. ومدى سمك القشرة الخارجية التي تختفي بداخلها روح القوانين ، لتتحول إلى نصوص جافة غليظة .. يطبقها البعض بحذافيرها وبحركة آلية !

فهو عندما يهرع إلى أقرب نقطة شرطة



إنه لايصدق ماحدث .. لايصدق أن الفتاة البريئة تحولت إلى ضحية محطمة .. اللقطة هي نهاية فيلم بيت القاصرات .

.. يفَاجأ بأن عليه أن ينتظر لليوم التالي ، حتى يمكنه كتابة محضر عن فقد الطفلة .. لماذا .. ؟! .. لأن القانون في مثل هذه الحالات ، لا يعترف بالبلاغ عن المفقودين من الأشخاص إلا بعد مرور ٢٤ ساعة من وقوع الحالة !

لماذا ! .. لا إجابة هذه المرة .. ولكنه القانون ! .. ويكاد المدرس يفقد صوابه .. كيف ينتظر لليوم التالي ، وهو لايدري ما الذي أصاب الطفلة ؟ .. ولا أين ستقضي ليلتها .. جائعة مريضة .. باكية .. مذعورة .. ؟!

إذا كان القانون بلا قلب .. فهو ليس كذلك .. وبكل بساطته ونقائه ، وحماسه .. يمسك بدليل التليفون .. ليبحث عن رقم تليفون وزير الداخلية ليتصل به .

وفي واحد من أجمل مشاهد الفيلم وأكثرها جرأة وذكاء .. يصوغ كاتب السيناريو «وحيد حامد» هذه المواجهة عبر أسلاك التليفون بين مواطن بسيط .. ومن يمثل أعلى سلطة للأمن في البلد .

المدرس بكل لهفته وجزعه ، يقول إن المسألة خطيرة جدا .. وسكرتير وزير الداخلية الذي يرد على التليفون ، تسترعيه تلك العبارة .. ويبدأ في الإنصات باهتمام .. ويكرر المدرس مدى ضرورة التحرك السريع لإنقاذ الموقف .. ويظن سكرتير الوزير أن الأمر يتعلق بأمن الدولة .. ولكن المدرس يرد ببساطة مذهلة .. إن الأمر يتعلق بحياة طفلة صغيرة ضائعة !

وهنا .. يرد سكرتير الوزير على المدرس ، شارحا له كيف أن هذا الأمر لايستدعى هذا الاتصال .

ويحاول المدرس أن يتكلم ، وهو يجفف عرقه .. ويشرح مدى جسامة الموضوع بالنسبة للطفلة الضائعة .. وبالنسبة له .

ولكن سكرتير الوزير يقول له : إن هناك عشرات الحالات المماثلة التي تقع في المدينة كل يوم .

ولا يستسلم المدرس بسهولة .. ولا يترك المكالمة تنتهي قبل أن يضمن أن يجد من يستمع إليه ، وينصحه سكرتير الوزير بأن يذهب إلى مديرية أمن الجيزة .. فهي الدائرة المختصة التي وقعت فيها الحالة .. وهو سيبلغهم هناك باستقباله والاستماع إليه .

وفي المشهد التالي نرى المدرس وهو يصعد درجات سلم مديرية أمن الجيزة . واثقا من نفسه .. ومن قضيته .. ليدخل ليقابل أحد كبار الضباط ، قائلا إنه قادم بناءً على المكالمة التليفونية مع مكتب وزير الداخلية !

ويقابله الضابط متسائلا : هل يحتاج الموضوع الى كل هذه الضجة ؟ .. ويرد المدرس بحماس واقتناع .. إنه إذا كانت الشرطة تتحرك سريعا عند أي بلاغ بسرقة نقود أو منقولات .. فإنه من باب أولى أن تتحرك الشرطة بخطى أسرع عند الابلاغ بفقد إنسان .. لأن هنا المسألة تختلف ..



طابور الرحلة المدرسية أمام مدخل حديقة الحيوان .. والمدرس نور الشريف يعطي تعليماته ، ويتأكد من عدد التلاميذ ، وهو لايدري ماالذي سيحدث له بعد قليل

وحياة إنسان هي الأهم .!

ويسوق المدرس كل الأدلة التي تؤكد منطقه .

ولكن الضابط يقول له أن هناك عشرات الأطفال الذين يضيعون وسط المدينة نتيجة اهمال المسئولين عنهم ، ولهذا فالبحث يحتاج إلى وقت وإلى عدة اجراءات .

وانهاء للموقف .. يطلب الضابط منه أن يقدم بلاغا بأوصاف الطفلة المفقودة .. ويتساءل المدرس بدهشة .. وماذا بعد ذلك .؟ ويشرح له الضابط بهدوء سلسلة الإجراءات القانونية التي سيتحرك من خلالها هذا البلاغ .

وهنا يشعر المدرس بأنه يضيع وقته .. ويرفض الخضوع لهذه الاجراءات .. فكل دقيقة تمر تحمل علامة استفهام جديدة بالنسبة للطفلة المفقودة .. ويقرر أن يبحث عنها بنفسه .

ولعل هذا الجزء من الفيلم .. هو أهم أجزائه .

لتتوالى بعد ذلك سلسلة من الأحداث التي يخوضها هذا المدرس في رحلته للبحث عن الطفلة .. بين أوكار اللصوص ، ونماذجهم وتخصصاتهم .. وبين جامعي القمامة في محاولة للعثور على أي دليل من ملابس الطفلة يقود إلى مكانها !

وينتهي الفيلم بالعثور على الطفلة بين يدي تلك المرأة المصابة نفسيا .. والمدرس يعيد الطفلة إلى أهلها الحقيقيين .. وهو ينفض حذاءه من تراب المدينة الكبيرة !

والفيلم في مجموعه يعتبر من الأفلام الجادة ، التي تدعو إلى التفكير والمناقشة .. ولايعيبه إلا الوقوع في تفصيلات فرعية كموضوع الثأر بين العائلات في صعيد مصر .. وتفصيلات علاقات اللصوص ببعضهم .. وتقديم بعض الشخصيات بطريقة كاريكاتيرية زاعقة لا تتفق مع نسيج الفيلم ككل .

ولكن ما يحسب للمخرج «سمير سيف» أنه استطاع أن يقدم فيلما مثيرا .. ومن خلال كاميرا المصور الفنان «محمود عبد السميع» انتقلنا من سطح القاهرة الى العالم السفلي «وقدم الممثل «أحمد راتب» دورا جيدا .. ويظل «نور الشريف» هو جوهرة الفيلم بأدائه المتميز .

بيت القاصرات

في هذا الفيلم .. يعثر المخرج أحمد فؤاد على الصيغة المناسبة والتي افتقدها طوال سنوات مضت ، أهدر خلالها جهده في أفلام ، بعضها لايرتقي الى مستوى النقد .

هنا .. في «بيت القاصرات» ، ومن خلال قصة رءوف حلمي وسيناريو محكم للكاتب «أحمد عبد الوهاب» ندخل مباشرة الى قلب الموضوع المطروح : الإنسان في مواجهة القانون الجامد ، واللوائح التى ينفذها البعض بشراسة .. وأحيانا بغباء !

فهذه الفتاة الفقيرة (سماح أنور) التي تبيع أكياس اللب والفول السوداني ، على محطات الأتوبيس في أحد ميادين القاهرة .. تتعرض لمضايقات من بعض زملائها الباعة الجائلين في المنطقة ، وكلهم من الصبية المراهقين الذين تشغلهم مسألة : من الشخص الذي تحبه تلك الفتاة ؟ وهل هي حقا فتاة شريفة .. أم أنها تتظاهر بذلك ؟

ويتفقون على مطاردتها وملاحقتها . بينما هي عائدة ذات ليلة الى بيتها .. وتقاومهم الفتاة بكل قوتها .. وتصرخ فزعا .. ويأتي على صوت صراخها بعض أفراد الشرطة المكلفون بالحراسة الليلية في هذه المنطقة .. وما أن يلمحهم المراهقون ، حتى ينطلقون هربا .. وتبقى الفتاة ملقاة على الأرض ، تلتقط أنفاسها ، وتلملم ملابسها .

وتقبض عليها الشرطة .. وتخضع للإجراءات الروتينية في قسم الشرطة .. ثم ترحل للنيابة في اليوم التالي .. ليصدر القرار بتحويلها الى إصلاحية الأحداث حماية لها !

فقد اعتبرها القانون من المتشردين الذين يجب تقويمهم !

فهي لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها .. يتيمة الأبوين .. وبلا مهنة مستقرة .. وبلا عائل .. وهذه المواصفات تنطبق تماما مع ما حدده القانون في نظرته للأحداث المشردين .

وتحاول الفتاة أن تثبت براءتها .. وتؤكد على نزاهتها وشرفها .. ولكن صوت صراخها يتلاشى مع انطلاق عربة الشرطة التي تنقلها إلى أصلاحية الأحداث !

الدائرة الرهيبة

منذ اللحظة الأولى لدخول الإصلاحية .. نستشعر هذا الجو الصارم ، المحكوم بالعنف .. فهي كوافدة جديدة عليها أن تخضع للكشف الصحي .. والنتيجة مقررة سلفا .. فمادامت وصلت الى هنا .. فهي بالتأكيد فتاة غير شريفة .. وتصرخ في احتجاج ، ولكن من يستمع الى صراخها ؟ .. ومن يصدقها ؟!

وداخل غرف الاصلاحية .. تواجه عالما غريبا ، أبشع ألف مرة من الواقع الذي كانت تعيشه .. فمجموعة الفتيات زميلاتها ـ وأغلبهن لهن سوابق في الجريمة ـ يشكلن فريقين يتصارعان على الزعامة ، وفرض الأوامر على الطرف الآخر .

وتحاول النجاة من هذه المصيدة . ولكن أين المفر ؟

مديرة الإصلاحية «محسنة توفيق» وجهها جامد .. إبتسامتها متحجرة .. عقلها محفور بالقوانين التي تنفذها حرفيا .. فهي تعتقد أن تنفيذها للوائح بهذه الطريقة .. هو الضمان الوحيد لبقائها في منصبها !

ونعرف لهذه الفتاة ، صديقا شاباً يعمل سائق تاكسي (محمود عبد العزين) يحبها ولكنه يرهب خطوة الزواج .. وماإن يسمع بخبر ترحيلها إلى إصلاحية الأحداث ، حتي يسرع إليها .. ولكن الأبواب توصد في وجهه .. فالزيارة ممنوعة إلا لأقارب الدرجة الأولى ..

ويسعى للحصول على تصريح ، فيواجه بالإجراءات الورقية .. ويستسلم لها جميعا .. ولكن مديرة الإصلاحية تطارده .. وتمنع اللقاء بشتى الطرق ..

ويتقدم الشاب بطلب الزواج من فتاته .. ولكن هل تتم المسائل بهذه البساطة ؟!

دائرة مغلقة ورهيبة ، من اللوائح والإجراءات الروتينية .

والشاب يحاول بكل المنطق والحب أن يصل الى فتاته .. ويحاول أيضا بكل المكر والحيلة .. وفي كل الحالات يصطدم بالمتاريس .. ولكنه لا ييأس ..

والمديرة أيضا لاتيأس .. بل تتلذذ بزرع العراقيل معتمدة على خبرتها في نصوص اللوائح .

أما الفتاة فهي تتحمل كل الضغوط وتعاني .. على أمل أن يتحقق لها حلم الخروج الى الحياة .. وممارسة حقها الطبيعي في الحب والزواج .

ويبرع كاتب السيناريو «أحمد عبد الوهاب» في تقديم هذه الأحداث في مباراة تبدو بلا نهاية .. بين الذين يفكرون للحياة .. والذين يطبقون نصوص القوانين الجامدة .

ويجسد المخرج «أحمد فؤاد» هذه المباراة في قالب كوميدي مأساوي .. حتى يصل الى ذروة الفيلم عندما يتم القبض على الفتاة بعد هروبها للزواج من حبيبها .. وتقتادها عربة الشرطة بفستان الزفاف الى داخل الاصلاحية .. لتخضع لعقاب المديرة .. الإهانة .. وقص شعرها .. وانهاكها في الأعمال اليدوية الشاقة .. وتستسلم الفتاة في يأس قاتل ثم تنفجر في ثورة عارمة لتحطم كل شيء حولها .. وكأنها تنتقم من كل الذين أفسدوا حياتها .

ولكنها ثورة محكوم عليها بالفشل .

وكان لابد أن ينتهي الفيلم ، بتحطيم شخصية هذه الفتاة لتصبح ضحية التطبيق الغبي للقانون .. وقد اختار الفيلم أن يكون أسلوب التحطيم من خلال هروب الفتاة من الاصلاحية ووقوعها في براثن بيت سيىء السمعة .. ومن خلال امرأة محترفة باعتها لوحش آدمى ..

وكنت أفضل أن تأتي النهاية عن طريق آخر يتصاعد بالمأساة ولا يسلبها قوتها .. خصوصا أن حكايات البيوت السيئة السمعة .. أصبحت عبئا ثقيلا وسخيفا على الأفلام المصرية .

ولكن بالرغم من هذا العيب .. إلا أن الفيلم ينطلق من فكرة جريئة .. ويستمر بها في محاورة ذكية .. وبين مجموعة من الممثلين أجادوا أدوارهم : سماح أنور في أول بطولة لها ـ محمود عبد العزيز ـ محسنة توفيق ـ احمد راتب ـ محمد رضا .. مع مجموعة من الوجوه الجديدة ، إختارها وقادها المخرج أحمد فؤاد بمهارة وكانوا مفاجأة الفيلم .

° °

وهكذا تجد السينما العربية نفسها .. وتعثر على النغمة المفقودة .. من خلال اقترابها من المشاكل الواقعية .. بعقل مفتوح .. ورغبة في المشاركة والارتقاء الى مستوى الفن الذي يخاطب الحياة الأفضل .

رءوف توفيق



محمود عبد العزيز .. سائق التاكسي .. يدافع عن فتاته «سماح أنور» أمام المحقق محاولا إنقاذها .

.. والفلسطيني في القلب

شعر: سماح عبد الله



معين بسيسو

«إلى معين بسيسو .. من كراسة فلسطين»

سنة ، سنة .. يا فلسطين شالك في القلب .. ثم
ارتحل
سنة ، سنة ،
وتصيرين جرحاً ، وموتاً بطيء الخطى واغتراب
كان يرحل في الوطن العربي
يحط الفرات على أول النيل

يمزج .. بعد المحبين في شوق مصر
والحزن بالحزن
والنار .. بالنار
والثأر بالوجع العربي

وكان المدى يتكور قدامه مرة .. برتقالة
فيخبؤها في يديه
وحين ينام الورى
يحفر الأرض
يزرع فيها المدى
ويهيل التراب
ثم يرحل في الوطن العربي
تفوح من الجسم رائحة البرتقال المعتق
رائحة للحنين المعبأ في
ردهات الحشا
وتفوح من الجسم رائحة النار والرؤية ..
المستحيلة
يرحل ،

والروح في القدس قاعدة لا تروح
وان كان في المغرب العربي
وان كان بين الحدود ، وبين الحدود يطيل
الغياب
آه .. يا وطناً يتباعد .. والجسم مسكنه
يتعارك
والنار سكته
يتحرق .. لكنه لا يموت
راجع
راجع ياوطن
راجع وزرعتك في الوطن العربي
كورت هذا المدى .. مرة برتقالة
ثم خبأتها في الفرات وفي النيل
والمتوسط
راجع في الزمان الإياب
سنة ،سنة يا فلسطين شالك في القلب
ثم ارتحل
ثم كور عينيك بين يديه .. وألقاك قنبلة
وتهاوى
...
...
يا فلسطين .. والدم صار الطريق
والذي يسكن الصدر .. صار الرصاص
وصار الحريق .

شاعرات في أبيات.. وشاعر في بيت واحد

بقلم : عبد الله الشيتي

جميل شعر الغزل ، وشهي مستساغ ، قديماً وحديثاً .وأجمل منه وأشهى ، إذا جرى الغزل على لسان المرأة شعراً ، حيية تكون ، ومترددة « مخفورة »كبرياء واستحياء طيبين ! فقد اتفق بعض النقاد والظرفاء ، على أن « المرأة » خلقت ليقال فيها الشعر ، لا لتقول الشعر !

لكن إن قالته ، ابدعت على نحو متميز بصدق العواطف ودفء المشاعر ، فما يجاريها الا بدوي الجبل ، شاعر عصره بلا منازع رحمه الله ، اقرأه في بيت واحد من الشعر ، يختصر « ديوان غزل » كاملاً ، خلل استعارة بلاغية لم يسبقه اليها أحد من قبل ، وهو قوله :

وسدتك اليمنى لعلي في غد ...

وإذا كان شعر الغزل ، أو غزل المرأة شعراً ينساب على لسانها انسياباً ، ويتفجر كما النبع من بين صخور « العادات »التي تجعل المرأة الشاعرة ــ مهما تجرأت واقتحمت الميدان ، تحسب حساباً ــ كـامـرأة شـرقـيـة ، لاعتبارات اجتماعيةوأسرية موروثة لامندوحة عنها ، الا في النادر من الحالات أو « الأبيات » الشعرية المعبرة عن رؤية خاصة أو معاناة ذاتية ، أو حتى مجرد « صورة جمالية » تنبض بالحس والنقاوة والوجدان ، كما في مقولة شاعرة شابة (سحر كيلاني) لمع اسمها يوماً في دمشق فجأة ، وانطفأ كما الشهاب الأبيض ، هي ذي هنا في بعض بوحها الجميل .. المتردد ارتباك مشاعر أنثوية شعرية بالغة الرقة والجزالة و « حتمية » التعبير :

كيف ارتحلت وأضلعي غرثى
أبداً تصيح كأنها حادي ..
لولا الحياء وإنني أنثى
لهرعت أسعى نحو ميعادي

• أما الشاعرة الدكتورة طلعت الرفاعي ، فما أكثر ما حفل شعرها العذب في بدايتها الشعرية المقتدرة ، قبل سنين طويلة ، با لكثير من هذا البوح ، عبر قصائد لم تنشر أو لم تنتشر ، وهي التي اشتهرت بالشاعرة القومية ، والسياسية الملتزمة الخط البياني لأمتها في مواجهة مصائرها بالعزم والاصرار ، وهي صاحبة أشهر قصيدة قيلت في القائد الراحل عبدالناصر ومنها بيتها الذي ما زال في الذاكرة إبان إعلان وحدة مصر وسورية :

أنا أخت هاتيك الألى
أنا أخت عبدالناصر !

وها نحن نقرؤها في « رقة » متناهية تسربلت بروح الاعتراف الحسي للوجدان ، من بين ثنايا الكلام صريحة ولذيذة كأنها قطع الحلوى في فم الجوعان الى شيء غير الطعام .. الى كلمة حانية حلوة مع رفق الربيع أخضر مقطراً في القلوب العاشقة للحياة والحب المترفع على الشوائب والأدران :

لهفي أيوجد من يعاني
حرقة الأشواق مثلي ؟
أنا ما عرفت الحب قبلك
هل عرفت الحب قبلي ؟
هبني بظلك غفوة ..
فأريك كيف أمد ظلي
وأكون طفلتك التي
ترعى الهوى وتكون طفلي ...

واذا كان (البين ــ الفراق) تناثر ذكره ألما وتفجعاً ورحيلاً بين مئات قصائد الشعراء « القدامى » ، فها ان الكلمة تعبيراً وتجسيداً (للنوى) ــ ذات المعنى والمقصد ــ تجيء في قولة طلعت الرفاعي ، يوم كانت (مخاطرة) ــ بوح شاعرة حتى لذاتها ، في مجتمع ما زال محافظاً حتى على وحدة « التقاليد » قبل وحدة القصيدة :

في غد ألقاك ، أم بعد غد
يا له عهداً طويل الأمد
حينما صافحتني يوم (النوى)
خلسة أحسست قلبي في يدي !

ولماذا نذهب بعيدا ؟ وهذه شاعرتنا الوطنية الكبيرة فدوى طوقان شاعرة الأرض المحتلة ــ وهل يخلو القلب من مشاعر الحب مزيجة هي بالأرض والانسان ــ مواصلة عطاء وتواصل روح ووجدان أصفى من البللور ، واذا ببوح فدوى يفيض ذات يوم مضى في القليل النادر من غزل يصح فيه أن يكون التأويل .. وطناً سجيناً « يروم الخلاص » نقرأ هنا :

نادني من آخر الدنيا ألبي ...
كل درب اليك يفضي هو دربي ...
يا حبيبي (!) أنت تحيا لتنادي ...
يا حبيبي أنا أحيا لألبي ...
صوت حبي ،
أنت حبي .. انت دنيا ملء قلبي !

وعوداً على بدء ! ذلك الشاعر العربي القديم ، الم يكن في تردده وحيائه العفوي وتقاليده الفطرية ــ المتوارثة ، هو نفسه مجسداً في مقولة سحر كيلاني(لولا الحياء وأنني أنثى ... لهرعت أسعى نحو ميعادي !) .. هو ذا شاعرنا القديم متجدد(العقلية) السائدة في بوح المشاعر وذوب القلوب و (لولا ...) هذه :

لولا (الحياء) لهاجني استعبار ..
لـزرت قبرك والحبيب يزار !



دوحة القراء

إشـــراف
سنان المسلماني

ملاحظات هامة :

(١) اذكر على غـــلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة العامـــة تتضمن (من ـ اين ـ مـــا) والاجابة الصحيحة .

(٣) لايجوز الاشتراك فى اكثر من مسابقة فى العدد الواحد حتى لا يـــلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنوان التالى : مجـــلة الدوحة ـ ص .ب ٢٣٢٤ ـ الدوحة ـ قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : أحد الأماكن الأثرية الشهيرة التي تقع في واحدة من أعرق العواصم الأوربية القديمة ، ما إسم هذا المبنى والمدينة التي يطل عليها ؟

• • •



الصورة الثانية : من عباقرة الفن فى عصر النهضة الإيطالى ، كان مصورا ونحاتا ومهندسا معماريا ، ولد عام ١٤٧٥ م وتوفي عام ١٥٦٤ ، ومن أهم أعماله اللوحات التي رسمها في الفاتيكان .. من هو ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف وأسماء الفائزين للعدد ١٠٥



الصورة الأولى : مسجد نمرة بجبل عرفات

الفائزة : سحر محمود جاهين ـ مصر

الفائز : عبد الرحيم عبد القوى ـ قطر



الصورة الثانية : الامام الشافعى

الفائز ابراهيم عبد الرحيم عابد السعودية

الفائز : اخلاص أحمد حسن ـ السودان

عش سعيدًا

هناك على منحدر جبل عال فى أمريكا ، توجد بقايا شجرة ضخمة يقول علماء النبات أنها عاشت نحو أربعمائة عام تعرضت فيها للصواعق والزوابع والأعاصير فلم تتأثر بها وقاومتها جميعا .

وقد حدث فى السنوات الأخيرة أن هجم على هذه الشجرة حشد من الخنافس وراح يشق طريقه إلى قلبها فما لبثت قليلا حتى انهارت أمام الهجمات المتوالية لتلك الخنافس الصغيرة والتى يستطيع طفل صغير أن يسحقها تحت قدميه .

ألسنا جميعاً مثل هذه الشجرة الضخمة ؟؟

نحن فى كثير من الأحوال نقاوم الزوابع الشديدة والأعاصير الثائرة ، ثم ندع قلوبنا فريسة سهلة (لخنافس) الهموم كى تأكلها وتحطمها ! فعليك أن تحطم الهم قبل أن يحطمك . واحرص على عدم الغضب والضيق فى أى أية أزمة تواجهك . وتذكر دائماً أن الحياة أقصر من أن يعنى المرء فيها بتوافه الأمور .

سلمى عصمت ــ دمشق ــ سوريا

أقوال مأثورة

ــ يزداد الحب مقاماً وعمقاً ما عظمت النفس الإنسانية .

ليوناردو دافنشى

ــ رذائل الأغنياء والعظماء مجرد أخطاء فى نظر المجتمع ، أما رذائل الفقراء والضعفاء فهى جرائم يعاقب عليها القانون .

كونتيسه بلنجتون

ــ يشعر الرجل بقوته فيغدق عطفه على المرأة وتشعر المرأة بضعفها فتقسو على الرجل .

برنارد شو

ــ إن للحب فنوناً من الجنون وأقبح فنونه أن يعتقد المتحابان أن حبهما دائم لا تغيره حوادث الدهر .

باخوش محمد

أيت ملوك ــ المغرب

لقطة الشهر



اذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن أن الليث يبتسم

فاز بالجائزة (مائة ريال قطري) القارىء أحمد عثمان محمد عبد الهادي ــ السودان ــ واد مدني

خواطر الفكر

عندما تنمو الأحرف تنطلق الكلمات وتورق الحكمة بأنوار الحياة ، وينشر العقل بذور الأمل ، ويغرب الحقد من اعماق البشر .

وعندما تنتشر النجوم في الأفق يسبح العقل وينطلق في عالم السحر والخيال محاولا خلق المحال .

وعندما تستقر الشمس في الأفق يعود العقل من حيث انطلق حاملا معه بعض الآراء فى انتظار قدوم المساء .

وعندما تسرى ظلال الكائنات يسترجع العقل الذكريات ويشرع المرء في جمع الأفكار ليدون للتاريخ أعذب الأشعار .

نجيب ابراهيم اسماعيل

عدن ــ اليمن



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

فى قصيدة شهيرة لأمير الشعراء أحمد شوقى والتى سلمها بخط يده لسيدة الغناء العربى الراحلة أم كلثوم ، قال لها : إني أصفك فى هذه القصيدة .. وقمنا بحذف كلمة من هذه القصيدة ، ووضعنا بدلا منها كلمة « مقصودة » .. والمطلوب أن تعرف الكلمة الغائبة . فى قصيدة أمير الشعراء .. وها هى الأبيات الشعرية :

« مقصودة » الأيك من بالشجو طارحها
من وراء الدجى بالشوق ناجاها
بانت على الروض تسقينى بصافية
لا للسلافة لا للورد رياها

الكلمة المقصودة مكونة من خمسة حروف :

١ ، ٤ ، ٣ ، ٢ نوع من الطيور

عبارة شهيرة .. من هو قائلها؟

« لقد دأبت على أن تستغلينى بصفة مستمرة فى سعيك الدائم لضمان السلامة لنفسك .. وأنت لا تترددين فى أن تورطينى أو تعرضينى للشك فى جريمة قتل مزدوجة . من أجل المحافظة على سلامتك » .

جاءت هذه العبارة على لسان احدى شخصيات المسرحية العالمية « زوجة كريج » للكاتب العالمى جورج كيلى .. الذى أراد أن يكشف لنا فى مسرحيته عن نمط من الزوجات يتمثل فى المرأة الأمريكية .. وأحداث المسرحية أشبه بالأحداث التى عالجها مسلسل « دالاس » .

فهل تعرف على لسان من جاءت هذه العبارة السابقة ؟

اذا كنت لا تعرف تستطيع أن تعود لنص المسرحية الأصلى .. لتتعرف على اسم الشخصية التى قالت العبارة فهو مكون من أربعة حروف :

٢ ، ٣ يستخدم فيه الماء ..

جواز سفر

• تاريخ الميلاد : ٢٦ نوفمبر ١٩١٢ .

• مكان الميلاد : بلدة سلاتين .. برومانيا ..

• الوظائف التى عمل بها : عمل مدرساً للغة الفرنسية فى مدرسة الليسيه ببوخارست .. وناقداً أدبياً فى دور النشر بباريس ..

• الوظيفة الأساسية : كاتب مسرحى عالمى .. صاحب اتجاه جديد باسم مسرح اللامعقول والعبث ..

• الألقاب التى حصل عليها : هادم المسرح التقليدى وباني المسرح الحديث .

• أشهر أعماله : مسرحيات : الكراسى ـ المغنية الصلعاء ـ الخرتيت ـ الدرس ـ شهداء الواجب ـ الملك يحتضر ـ السائر فى الهواء الساكن الجديد ـ معرض السيارات ـ فتاة للزواج .

• أشهر أقواله : « مسرحى محاولة لاعادة اكتشاف الحقيقة الأصيلة للدراما فى أحسن حالاتها » .

• الشخصيات التى تأثر بها : مترلنك .. وفرانسيس جام .

اسم صاحب هذا الجواز مكون من مقطعين و ١١ حرفاً .

٨ ، ٤ ، ١٠ ، ٩ ، ٢ ، ٥ رئيس امريكى سابق .

مسابقة مدن العالم

حاول أن تعرف هذه المدينة العربية .. من خلال المعلومات التى سنذكرها لك عنها !

• تقع المدينة فى دولة عربية شقيقة .

• فى عهدها الأول كانت تسمى « ترشيش » . لكن التاريخ لم يحتفظ لها طويلا بهذا الاسم .

• اختارها الفاتح حسان بن النعمان وخلفاؤه من بعده ، مقراً لقوات الاسلام بشمال البلاد التونسية ، وقاعدة تنطلق منها مسيرة الجهاد المظفر لنصرة دين الله .

• اهتم ملوك الحفصيين بتنمية المدينة واحاطتها بسور كبير به بوابات مازال بعضها باقياً حتى الآن ، مثل باب البحر والباب الجديد وباب البنات ..

• من أشهر معالم هذه المدينة جامع الزيتونة الشهير .. ومسجد الأشبيلى فى حي سوق البلاط

• بالمدينة ميناء تجارى شهير ، وتحيط بها عدة ضواحى منها : رادس والزهراء . وحمام الأنف وقرطاج ..

اسم المدينة مكون من مقطع واحد وأربعة حروف .

« ٤ ، ١ » رمز الشر في : أسطورة أيزيس وأزوريس الفرعونية .

حل مسابقة العدد ١٠٥

من : ساطع الحصرى

أين : مدينة صنعاء

ما : كتاب القومية العربية

١ ـ قناة يوستاكيوس تصل بين البلعوم وتجويف الأذن الوسطى .

٢ ـ موقع سوق عكاظ فى مكان بين الطائف ونخلة .

٣ ـ كتاب القانون فى الطب تأليف ابن سينا .

٤ ـ الكسندر جرهام بل مخترع الهاتف .

ـ الكسندر فيلمنج مخترع البنسلين .

ـ الخوارزمى . مؤسس علم الجبر .

٥ ـ ألقيت القنبلة الذرية الثانية على جزيرة نجازاكى يوم ٩ أغسطس ١٩٤٥ .

أسماء الفائزين

فاز بالجائزة الأولى وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى

القارىء : محمد خلدون بكرى ـ سوريا

فازت بالجائزة الثانية وقدرها ٢٠٠ ريال قطرى

القارئة : وهيبة مصطفى عبيد ـ مصر

فازت بالجائزة الثالثة وقدرها ١٠٠ ريال قطرى

القارئة : سحر بساطة ـ قطر

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ محمود محمد مبارك ـ الامارات العربية المتحدة

٢ ـ أحمد محمد زهران ـ سلطنة عمان

٣ ـ فنجرى عبد السلام عثمان ـ الأردن

٤ ـ راغب مصطفى السمرى ـ مصر

٥ ـ محمد ياسر غسان ـ سوريا

٦ ـ عبد الزهرة عبد الجبار ـ العراق

٧ ـ وسام محمد كاظم ـ البحرين

٨ ـ عوض سرور طه ـ السودان

٩ ـ علية عبد الحميد عثمان ـ الكويت

١٠ ـ أحمد محمد المسناوى ـ المغرب

حل استراحة الدوحة العدد ١٠٥

١ ـ أصل وصورة : الشارب ـ خطوط الجبهة ـ الذقن ـ الأذن ـ الحاجب ـ السوالف ـ الأنف

٢ ـ خيال من : ونستون تشرشل

٣ ـ المثل يقول : باب النجار مخلع ، الإسكافى حاف والحائك عريان

٤ ـ لوحة لم تتم : الفنان عادل امام

٥ ـ لعبة الظلال : رقم (٢)

٦ ـ يخلق من الشبه أربعين : رقم ٥

٧ ـ دورى الكاريكاتير : رقم ٩

الفائزون

١ ـ محمد سليمان ابراهيم ـ مصر

٢ ـ كمال رجب جوهر ـ السودان

٣ ـ بوسينه العيد ـ المغرب (اشتراك)

٤ ـ جابر الواسيتى الهيثم ـ السودان

٥ ـ على ابراهيم ضيف الله ـ مصر

٦ ـ محمد على أبو غنيم ـ الأردن

٧ ـ ساكسون زولدرين ـ إيران

٨ ـ سمية محمد أبو موزه ـ قطر

٩ ـ سميرة على عبد العاطى ـ مصر

١٠ ـ يوسف هبيلا ـ السودان

١١ ـ عماد الدين دهمه ـ سوريا

١٢ ـ حافظ ابراهيم عبد الغفار ـ البحرين

١٣ ـ هبه عثمان الحداد ـ السعودية

١٤ ـ سلطان شبيب المريخى ـ قطر

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسم : ______

العنوان : ______

______

اسم المسابقة : ______

رقم العدد : ______

« تحذير »

التدخين يضر بصحتك

وننصحك بالامتناع عنه



استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

أصل وصورة



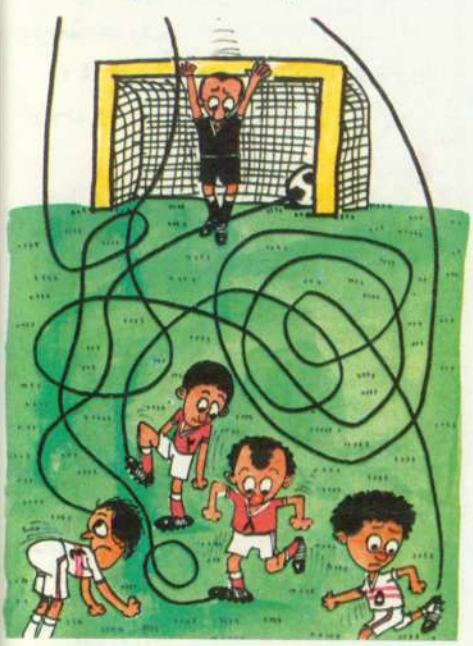
بين أصل وصورة هذا الرسم الكاريكاتيري للفنانة العربية فيروز هناك سبع اختلافات طفيفة ، حاول أن تتعرف عليها لتحصل على جائزة .

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيري يعبر عن مثل شعبي شائع ، إذا عرفته قد تحصل على جائزة .

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب في مهارة بالغة ، وسجل هدفا قويا في مرمى الخصم ، حدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته ، لتحصل على جائزة .

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التى لم تتم ، لصحفي عربى كبير ، رحل تاركا خلفه تاريخه الطويل في بلاط صاحبة الجلالة ، أكمل اللوحة ، وتعرف على صاحبها ، وأذكر لنا أهم مؤلفاته لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



سجل أحد اللاعبين هدفا قويا فى مرمى الخصم بعد أن اقتحم أرض الملعب كالصاروخ .. حدد من هو صاحب الهدف ورقم فانلته لتحصل على جائزة

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول التعرف عليها ، وارسل لنا الحل لتحصل على جائزة .

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة هنا لست شخصيات يشبهن تماما المطربة البدوية سميرة توفيق .. ومن بين هذه الصور واحدة فقط تشبهها تمام الشبه ، وفي البقية اختلافات بسيطة .. تعرف على الصورة لتحصل على جائزة .

الورقة الأخيرة

بقلم: عبد الله الجفري



اللحظة اليتيمة

ربما أن الذى مضى فى السنين الراحلة .. لحظة على طول الزمن !

وقد تبقى اللحظة ممتدة .. حية فى الوجدان والتذكر على طول السنين وتوغلها فى الانسان !

لكن المؤلم فى تأمل صورة واحدة من هاتين الصورتين المتناقضتين .. أن يشعر الانسان بنفسه وحده .. ليس هناك من يشاركه معايشة أبعاد الصورة ، أو من يحسها فيه !

إن مايجرى فى عالم الناس .. شئ اسمه : بضاعة التبرير ! !

فاذا أقدمت على إعلان فكرة جديدة ، ، فمن الصعب أن تضمن لها تقبل الناس اذا لم تضع لها وفيها ألوانا من التبريرات !

واذا ارتكبت خطأ ــ لاتظنه فادحا ــ فمن الضرورى أن تجد له الكثير من التبريرات ، فكل مالا تعتبره فادحا أعتبره الآخرون عكس ذلك !

واذا حاولت الاختباء فى نفسك لتتبادل البوح معها ، فلا بد أن تبرر ذلك الاختباء ، ثم تبرر أسباب البوح .. لأن الناس سيفتشون عنك .. حتى يلقون القبض عليك ، ويخرجوك من داخل نفسك ، ويحكمون عليك بالضياع فى زحام الناس !

وحاولت ان أواصل ركضى فى ذلك الزحام .. لئلا يضطرنى الآخرون الى البحث عن مبررات جديدة ، أولئلا أضطر مع نفسى أن أكذب عليها ، وأغافلها وأهرب منها !

حاولت ذلك .. واكتشفت عجزى ..

واكتشفت فى عجزى أن « المبررات » لا تصنع ذكاء الناس ، أو أنها لا تنقذ الانسان من غباء الآخرين ، ولكن ذكاء الناس يبتكر المبررات ويبلورها ، فيجعلها سلوكا ، ويجعلها عاطفة أحيانا .. أو كأننا فى كثير مما نمارسه ونتعامل به .. نبرر أشياء رديئة بمنطق جذاب ، أو كأننا نبرر فشل أن يكون المرء انسانا .. بتصرف يعكس براعة ذلك الانسان لاقدرته ، ويعكس ذكاءه لاقناعته ، ويعكس قفزه لا خطوته ! !

وحتى لا أبدو « أبيقوريا » فى فهم الناس .. فإن الصورة التى يكتبها أى كاتب لا يشترط أنها تعكس ملامحه ، أو أنها تمتح ذاته ، فالكاتب ورقة كربون ، ورجع صدى ، وما أراه وأحاول أن أورده ــ هنا ــ عن بضاعة التبرير فى هذا العصر .. صورة مكتملة لمجتمعات حديثة حضارية ارتقائية ، وليست صورة محصورة فى شخص ، أو فى حالة ، أو فى معاناة !

فالمجتمعات الحديثة متصلة فى أشياء كثيرة .. ابتداء من الحاجة الى الوسيلة أو الى السلعة أو الى الغذاء ، وانتهاء بالحاجة الى الغريزة ، أو الجنس ، أو الضياع !

والمواصلات العصرية فى عالم اليوم تعكس ذلك المعنى الذى رميت اليه فى كلمة : بضاعة التبرير . وأكثر أدوات المواصلات سرعة ووصولا .. نجده فى وسائل الاعلام المنتشرة بوسيلة الأقمار الصناعية ، وهذه الوسائل جعلت المجتمعات اكثر اتصالا أو معرفة بعضها بالبعض الآخر .. فى الوقت الذى حققت فيه ــ بجانب هذا الاتصال او الالتحام ــ تمزقا ، وتباعدا وتسلخا فى العلاقة أو الرابطة بين الانسان والانسان ، أو بين الفرد والفرد .

فأنت تعرف الكثير عن الذى يفعله مجتمع ما فى اوروبا او أمريكا أو جنوب شرقى آسيا .. حتى لكأنك فى بلد عربى تعرف ما الذى سيجرى فى شارع أوربى ، أو مكتب أمريكى ، أو « حمام » صينى أو يابانى ! !

وأى مجتمع من تلك المجتمعات فى استطاعته ان يعرف عن البلاد العربية ــ مثلا ! ــ مايهمه فيها .. وممكن أن يعرف الحالة الاقتصادية وأن يعرف الميزان التجارى .. وذلك هو كل مايهم المجتمعات الأخرى فينا ، أوعنا .. فالمجتمعات متصلة بحجم مصالحها ، أو بنوع تلك المصالح ، ومتصلة بوسائل الاعلام حسب نسبة خدماتها ونجاحها فى التغطية .

وكما قلنا ، فإن الاعلام العالمى تبتدئ اهتماماته من السلعة ، أو المادة ، او المصلحة المشتركة ، وتنتهى اهتماماته الى الغريزة أو الجنس ، أو على أقل تقدير : الى حمام السونا الكورى ، والكورى .. نسبة الى « التقبل » الوسط ! !

أما الانسان العصرى كعلامة أو رابطة .. فهو يعانى من التباعد ، والتمزق النفسى ، وسوء الفهم لما يفعله ولما يراه فعلا فى الآخرين ومنهم . وهذه الرابطة بين انسان وآخر ، وتلك العلاقة المهتمة بالمصلحة المشتركة : عاملان أوجدا الحاجة الى بضاعة التبرير اليوم ! !

حتى المشاهير .. أو الذين يشتغلون فى وسائل تمنح المتعة أو البهجة للانسان المكدود ، والذين يحاولون مخاطبة عقل الانسان عبر دغدغة عواطفه .. فإنهم يسقطون فى تناقض الصورتين اللتين رسمتهما فى بداية هذا الحوار ! !

إن مشاهير المال يبحثون عن اللحظة اليتيمة فى طول الزمن !

أما مشاهير الفكر والفن ، المشتغلون ببضاعة المعانى .. فهم يبحثون عن طول الزمن فى اللحظة اليتيمة ! !

وكلاهما يبحث عن التبرير ، أو فى بضاعة التبرير ليكتشف ما يبحث عنه حتى الموت .. وقد يأتى الموت فى النهاية .. كنتيجة حافلة بالتبريرات ! !



صانع الملابس التقليدية: مازال صانع « البشت » القطرى يقوم بدوره فى صناعة العباءة الرجالية من القماش الخاص المطرز بالذهب ، وذلك لإكمال الزى الشعبى الأصيل للرجل فى مدينة الدوحة وغيرها من المدن القطرية والخليجيه



منظر .. للفنان القطري: يوسف أحمد

العدد ١٠٨ - ربيع الأول ١٤٠٥هـ - ديسمبر/كانون الأول ١٩٨٤م

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
ملتقى الإبداع العربي والثقافة الإنسانية

.. بل وُلِدَ في مَكّة .. صلى الله عليه وسلم

بقلم: د. محمد عبده يماني





زيّ شعبي
من الشرق

هذه اللوحة للفتاة التركية « أنجيليكا » التى رسمها الفنان السويسرى « شارل جليار » فى عام ١٨٣٤ ، وقد عشق الفنان الشرق وقام برحلاته العديدة فى ربوعه ، حيث قضى أربع سنوات كاملة فى تركيا ومصر وسوريا والهند ، ويقال إنه عقب عودته وإقامته فى باريس لمدة اربعة أعوام أصيب بالعمى !

DOHA MAGAZINE
P. O. BOX 2324 - DOHA
TELEX : 4521 MAGDO DH

مكاتب توزيع الدوحة

- **السودان :** دار التوزيع ـ ص . ب ٣٥٨ ـ الخرطوم .
- **مصر :** مؤسسة توزيع الأهرام ـ شارع الجلاء ـ القاهرة .
- **سوريا :** المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ـ برامكة ص . ب ٤٩٠٢ ـ دمشق .
- **العراق :** الدار الوطنية للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع الرشيد ساحة الوثبة . ص . ب ٦٢٤ ـ بغداد .
- **ليبيا :** المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والاعلان ـ فرع طرابلس ص . ب ١٥٩ ـ طرابلس ـ فرع بنغازى ـ ص . ب ٣٢١ ـ بنغازى .
- **الأردن :** وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب ٣٧٥ ـ عمان .
- **البحرين :** مؤسسة الهلال للاعلان والتوزيع ص . ب ٢٢٤ ـ المنامة .
- **السعودية :** الشركة السعودية لتوزيع الصحف ص . ب ١٣١٩٥ ـ جدة
- **الكويت :** شركة دار الكويت للصحافة ص . ب ٢٣٩١٥ ـ الصفاة الكويت .
- **لبنان :** الشركة العربية للتوزيع ص . ب ٤٢٢٨ ـ بيروت .
- **الجمهورية العربية اليمنية :** الوكالة اليمنية للتوزيع ص . ب ١٤٣٠ ـ صنعاء .
- **جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية :** مؤسسة ١٤ اكتوبر للاستيراد والتوزيع ـ ص . ب ٤٢٢٧ المحافظة الأولى ـ عدن .
- **الامارات العربية المتحدة :** مؤسسة الاتحاد للصحافة والنشر والتوزيع ـ شارع المطار الجديد ابو ظبى ص . ب ٧٩١
- **سلطنة عمان :** وكالة مجان لتوزيع الصحف والمجلات ص . ب ٧٩٦ مسقط ـ سلطنة عمان
- **تونس :** الشركة التونسية للتوزيع ٥ شارع قرطاج ـ ص . ب ٤٤٠ ـ تونس .
- **المغرب :** الشركة الشريفية للتوزيع والصحف ـ ص . ب ٦٨٣ ـ الدار البيضاء .
  MAROC :
  SOCHEPRESS
  B. P. No 683
  CASABLANCA.
- **الجزائر :** الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ٢٠ نهج الحرية ـ الجزائر .
  ALGERIE
  S. N. E. D.
  20 RUE DU LIBERTE
  ALGER.

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha

الدوحة

مجلة شهرية ثقافية جامعة
تصدر عن وزارة الإعلام بدولة قطر

العدد ١٠٨ ـ ربيع الأول ١٤٠٥هـ ـ ديسمبر/كانون الأول ١٩٨٤م

المراسلات :

التحرير والادارة : صندوق بريد رقم ٢٣٢٤ الدوحة ـ قطر .
العنوان البرقي : المجلة ـ الدوحة
تيلكس : 4521 MAGDO DH ـ
تليفونات :
رئيس التحرير : ٤٢١٢٢١
التحرير : ٤٤١٢٧٥
المدير المالي والاداري : ٤٤٧٥٣٨
القسم التجاري : ٤٤٧٥٣٩

الاشتراكات :

داخل قطر ٧٢ ريالا قطريا
دول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ٧٨ ريالا قطريا
باقى الدول العربية : تنظم عن طريق مكاتب توزيع مجلة الدوحة بها
فى باقي دول العالم ٨٤ ريالا قطريا
للدوائر الحكومية والشركات :
داخل قطر ١٥٠ ريالا قطريا
بالدول العربية ١٥٦ ريالا قطريا
فى باقى دول العالم ١٧٦ ريالا قطريا

الإعلانات :

يتفق بشانها مع مسئول الاعلانات

الأسعار :

البلد	السعر
قطر	٦ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
الامارات العربية	٦ دراهم
عمان	٣٥٠ بيسه
الكويت	٥٠٠ فلس
السعودية	٦ ريال
الجمهورية اليمنية	٤ ريال
اليمن الديمقراطية	٣٥٠ فلسا
العراق	٥٠٠ فلس
المملكة الأردنية	٣٥٠ فلسا
سوريا	٣٥٠ قرشا
لبنان	٣٥٠ قرشا
مصر	٢٥٠ مليما
ليبيا	٥٠٠ درهم
السودان	٣٠ قرشا
تونس	٥٠٠ مليم
الجزائر	٥ دينار
المغرب	٥ دراهم
باقي دول العالم :	ما يعادل دولارين أمريكيين

في هـــــــــذا العـــــــــــدد



قادة دول مجلس التعاون الخليجي في لقائهم التاريخي بالدوحة (٣صفر ١٤٠٤ هـ . ٧ نوفمبر ١٩٨٣م)
حول الدورة الخامسة في الكويت لمجلس التعاون لدول الخليج العربية (المقال : ص ١٤)



وزير الاعلام القطرى يلقي كلمته في ندوة الصحافة الدولية
١٩٨٤ (باريس)
نحو حضور اعلامى عربي على الساحة الغربية (المقال : ص

● دراسات ومقالات ●

● شؤون الخليج ●

● أدب وفنون ●

● جميع المراسلات ترسل باسم رئيس التحرير

● المقالات المنشورة في المجلة تعبر عن رأي أصحابها ولا تعبر بالضرورة عن رأي وزارة الإعلام أو رأي المجلة

• أبــواب •

• المـــــواد لا تعـــــاد إلى مرســـليـــها نشـــــرت أولم تـــنشــــر

كلمة



فدوى طوقان

ابتداء من هذا العدد يلتقى قراء « الدوحة » بالشاعرة العربية الكبيرة فدوى طوقان فى القسم الثانى من مذكراتها عن حياتها وأدبها ، وكانت الدوحة قد نشرت فى العام الماضى القسم الأول من المذكرات ، وقد أثارت هذه المذكرات موجة من الاعجاب والتقدير فى سائر الأوساط الثقافية والأدبية فى الوطن العربى كله ، ووصلت إلى الدوحة مئات الرسائل التى تسجل إعجابها بالمذكرات وتقديرها للشاعرة الكبيرة . بل التقى أحد المستشرقين المتابعين للأدب العربى برئيس تحرير الدوحة وعبر له عن رغبته فى ترجمة هذه المذكرات الى الانجليزية وقال إن هذه المذكرات الصادقة الجميلة سوف تلقى رواجاً كبيراً بين القراء غير العرب فى أوربا وأمريكا . والحقيقة أن مذكرات فدوى طوقان تستحق كل هذا التقدير .

ففدوى معروفة بشاعريتها الأصيلة ، ولكن فدوى فى هذه المذكرات قدمت شيئا جديدا هو التعبير بصدق وصراحة عن هموم المرأة العربية ، فالمرأة العربية لم تكتب عن هذه الهموم إلا بالرمز والتلميح والإشارة ، وجاءت فدوى تبوح بكل شيء ، فى أسلوب بالغ الجمال والعذوبة ، وفى صدق وشجاعة ، جعلت من مذكراتها فى آخر الأمر عملا أدبياً رفيعا ، ووثيقة إجتماعية من الدرجة الأولى ، وجعلت من هذه المذكرات قصة هذا الجيل كله وقصة همومه المختلفة ، وليست قصة فدوى وحدها ، ولهذا كله تسعد « الدوحة » وتعتز بتقديم القسم الثانى من هذا العمل الكبير .

الدوحــة

..بل وُلِدَ في مكّة.. صلى الله عليه وسلم

● "وكأيّن من قرية هي أشدّ قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم"

● إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد"

صدق الله العظيم



بقلم: الدكتور محمد عبده يماني

ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جوف مكة على مقربة من الكعبة المشرفة : فى بيت أبيه وجده عبد المطلب الواقع بشعب بني هاشم قرب سوق الليل ، وهو مكان لا يزال معروفاً إلى يومنا هذا .

وكانت منازل أهل مكة زمن ولادته صلى الله عليه وسلم تحيط بدارة الكعبة : تقترب منها وتبتعد عنها وفقاً لمكانة كل أسرة وفخذ من جلال خطر وجليل مقام ، فكان القرشيون أقربهم إليها داراً وأكثرهم بها اتصالا ، كما كانت لهم سدانتها وسقاية زمزم وكل ألقاب التشريف ، وفيما وراء منازل قريش تجيء منازل القبائل التى تليها فى المكانة والخطر ثم تلى هذه منازل من دونهم حتى تكون منازل العبيد والحلفاء ، وكان النصارى واليهود بمكة فى ذلك الوقت عبيداً فكان مقامهم بآخر المنازل وأبعدها عن الكعبة المشرفة ، وهى المتاخمة

للصحـراء (١) .

تقول الآية الكريمة (وكأين من قرية هى أشد قوة من قريتك التى أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم) (٢) .

والقرية المقصودة فى الآية الكريمة هى مكة المكرمة ، واضافتها الى النبى تؤكد أنها البلدة التى ولد فيها صلى الله عليه وسلم ، فالعرف لم يجر على نسبة القرية الى انسان لم يولد فيها .. بل لابد أن يكون قد ولد فيها ، أي أنها مسقط رأسه .

وتقول الآية الكريمة : (ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) (٣)

والمعاد هو مكة المكرمة ولو لم تكن مكة البلد الذى ولد فيه صلى الله عليه وسلم ما بشره الله بأنه سوف يرده اليها : وقد ورد فى سبب نزول هذه الآية الشريفة : أن النبى صلى الله عليه وسلم رضى بمفارقة مكة المكرمة وهى أحب بلاد الله تعالى اليه فى سبيل نشر الاسلام وإقامة دعائم الدولة الاسلامية بعد أن استحال عليه ذلك بسبب تعنت قريش وعنادها وجحودها وإصرارها على وثنيتها وكفرها ، وقد نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خروجه مع صاحبه الصديق مهاجرين ، نظر الى مكة والى بيتها العتيق وقال : (والله إنك لأحب أرض الله الي .. ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت) .

وبعد فترة من السير اشتاقت نفسه الى مكة فذكر مولده ومولد أبيه وأمه فيها فنزل جبريل عليه السلام وسأله (اشتقت الى بلدك ومولدك ؟) فقال عليه أزكى الصلاة والسلام : (نعم) فنزلت الآية : (إن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) ـ والأمر الذى يتوجب علينا أن نركز عليه هنا : هو قول جبريل عليه السلام : (اشتقت الى بلدك ومولدك ؟) فهذا يعنى أن مكة هى بلده صلى الله عليه وسلم وهى مولده .

نعم لقد ولد رسول الله فى مكة وقد أجمعت روايات شيوخ كتاب السيرة على ذلك : فقد قال ابن حزم الأندلسى فى عبارة قاطعة (ولد صلى الله عليه وسلم فى مكة) (٤) .

وقال ابن هشام (ولد بالشعب فى الدار التى كانت عند الصفا وكانت بعد لمحمد بن يوسف أخى الحجاج ثم بنتها زبيدة مسجداً حين حجت) (٥) وذكر ابن سيد الناس مثل هذا (٦) ، وكذلك أورده الهبلي (٧) وابن سعد (٨) وقد أضاف ابن هشام تحت عنوان (اعلام جده عبد المطلب بولادته صلى الله عليه وسلم) فقال : (فلما وضعته أمه أرسلت الى جده ـ أنه قد ولد لك غلام فأته فانظر اليه : فأتاه فنظر اليه . وحدثته أمه بما رأت حين حملت فيه وما أمرت أن تسميه) وقد فرح جده وأخذه فدخل الكعبة وقام يدعو الله ويشكره على ما أعطاه منشداً :

الحمد لله الذى أعطانى
هذا الغلام الطيب الأردان
قد ساد فى المهد على الغلمان
أيمن بالبيت ذي الأركان
حتى أراه بالغ البنيان
أعينه من شر ذي شنآن
من حاسد مضطرب الجنان(٩)

وورد عبد المطلب الوليد الكريم الى أمه ثم أمر بأن تنحر الذبائح وتولم الولائم ويطعم الناس فى الحرم . وقد أطلق عبد المطلب على حفيده اسم محمد ـ وكانت أمه قد رأت فيما يرى النائم بعد أن حملت به ـ كأن نوراً قد خرج منها أضاءت به قصور بصرى من أرض الشام .

وفى رواية أن أم عثمان بن أبى العاص الثقفى (١٠) كانت مع آمنة رضى الله عنها أوان السحر من ليلة الاثنين ـ فأحست بشىء من الخوف ولكنها مالبثت أن شعرت بنور يغمر دنياها ـ ثم زاولها الخوف فتجلدت للحظة الحاسمة : وماكاد نور الفجر يطلع حتى كانت آمنة قد وضعت وليدها الكريم .

وتقول أم عثمان : (فما من شيء أنظر اليه من البيت الا نور وانى لأنظر الى النجوم تدنو منى حتى انى لأقول : لتقعن على) . (١١) .

وفى صحيح البخارى وردت قصة عتق ثويبة جارية أبى لهب عم النبى التى لم تكد توافى سيدها ببشرى المولد حتى أعتقها ـ وليس بمعقول أن تستطيع ثويبة نقل الخبر الى سيدها فى الساعة نفسها لو لم يكن البيت الذى تمت فيه الولادة قريباً من بيت أبى لهب أى فى الشعب نفسه ، ثم إن هناك ما يؤكد أن بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيت أبى لهب كانا متجاورين فى شعب واحد : وهو ماروى عن أم جميل زوج أبى لهب وكيف أنها كانت تلقى بالقاذورات ومحتويات الكروش أمام بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وكانت تحمل الحطب والأشواك وتطرحها على طريقه صلى الله عليه وسلم حين يمر : وقد أنزل الله سبحانه وتعالى فى زوجها وفيها الآيات (تبت يدا أبى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وماكسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب فى جيدها حبل من مسد) (١٢) .

هذا وقد قال شيخنا الجليل العلامة الأستاذ حمد الجاسر فى كلمته المنشورة بمجلة العرب الغراء عن الآثار الاسلامية : (فالرسول عليه الصلاة والسلام من أهل مكة ـ لاشك فى ذلك ـ وبنو هاشم عشيرته الأقربون كان ربعهم معروفاً فى الشعب الذى عرف بهم ، ثم بأبى طالب والدار التى وقع فيها المولد كانت فى ذلك الشعب . وكانت للرسول صلى الله عليه وسلم ، فلما هاجر : استولى عليها ابن عمه عقيل بن أبى طالب ـ كما فى الحديث الشريف : (وهل ترك عقيل من دار ؟) ومن هنا قال بعض العلماء ومنهم ابن القيم فى كتاب زاد المعاد

(لاخلاف أنه صلى الله عليه وسلم ولد بجوف مكة) .

وعندما استعرض الطبرى الأماكن التى تستحب زيارتها فى مكة ـ ذكر الدار التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : (ان عقيل بن أبى طالب كان قد استولى عليها زمن الهجرة فلم تزل فى يده ويد ولده حتى باعوها لمحمد بن يوسف) .

ولنأخذ مما أورده شيخنا العلامة الجليل الأستاذ حمد الجاسر خيط نور نستضىء به فى بحثنا هذا فنقول :

المعروف أن والد نبينا الكريم هو عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مسرة بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضير بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام .

والمعروف أيضاً أن أبا الأنبياء عليه السلام جاء بولده اسماعيل عليه السلام وأمه هاجر رضى الله عنها الى مكة وأنه تركها فى رعاية الله سبحانه وتعالى ثم مضى ، وأن زمزم تفجرت تحت قدمي اسماعيل عليه السلام ، وأن المنطقة عمرت بعد ذلك ووفدت اليها قبيلة جرهم واستقرت فيها ثم وفد العماليق وغيرهم وتحول المكان المقفر المجدب الى بلد ينبض بالحياة .. بل تحول الى جنة من جنات الأرض ـ والمعروف كذلك أن اسماعيل عليه السلام قد اشترك مع أبيه فى رفع القواعد وبناء الكعبة وقد أصبحت مكة بعد بناء الكعبة عاصمة دينية كبرى ومركزاً تجارياً هاماً .

وأن اسماعيل عليه السلام قد تزوج وأنجب وأن أمه ماتت ودفنت بحجر اسماعيل ثم لحق بها ولدها ، وبقى أولاده يقيمون فى مكة ، وكانوا يجلسون فى الحرم لتدريس الدين الحنيف وقد ظل هذا حالهم حتى طغت خزاعة وبغت وأرغمت البعض منهم على الخروج من مكة ولكنهم لم يلبثوا ان عادوا اليها ثانية واستقروا بها مع الموجودين بمكة : وقام جدهم قصى بتقريشهم أى تجميعهم فى قبيلة واحدة سميت بقريش وقد عاشت هذه القبيلة فى مكة وسادت على القوم ولم تغادرها بعد ذلك .

أما أمه صلى الله عليه وسلم فهى آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن قصى أى أنها من قريش هى الأخرى ـ وقد تزوج عبد الله منها حوالى (٥٦٩ م) بعد قصة النذر والفداء المشهورة : وقد جرت أحداث تلك القصة فى مكة وتم الزواج فور الفداء ونجاة عبد الله من الذبح .

تقول الكاتبة الدكتورة عائشة عبد الرحمن (١٣) تصف البيت الذى تم فيه زواج عبد الله بآمنة وذلك نقلا عن كتاب الرحلة الحجازية للبتانونى :

(لم يكن البيت كبيراً ضخم البناء لكنه اذا قيس ببيوت مكة يومئذ عد رحباً مريحاً لعروسين يبدآن الحياة المشتركة ـ كان كما وصفوه ذا درج حجرى يوصل الى الباب يفتح الى الشمال ويدخل منه الى فناء يبلغ طوله نحو اثنى عشر متراً فى عرض ستة أمتار وفى جداره الأيمن باب يدخل منه الى قبة : فى وسطها بميل الى الحائط الغربى ـ مقصورة من الخشب أعدت لتكون مخدع العروسين) .

وتكمل الدكتورة عائشة حديثها فتقول :

وبقى عبد الله مع عروسه أياماً لم يحدد لنا التاريخ عددها ولكنها عند جمهرة المؤرخين لم تتجاوز عشرة أيام ـ اذ كان عليه أن يلحق بعير قريش المسافرة الى الشام .. ومضى شهر شعرت آمنة بعده بالبادرة الأولى للحمل : وقد اختلفت الروايات فى المكان الذى حملت فيه آمنة .. بسيد البشر ، ففى قول انها حملت به صلى الله عليه وسلم فى شعب أبى طالب ممتد الجمرة الوسطى ـ قاله الزبير بن بكار ، وفى قول آخر انها حملت به فى بيت آلها بنى زهرة ـ قاله ابن عبد البر وهو الأرجح .

ونحن نضيف الى كلام الدكتورة عائشة ما قاله الدكتور محمد حسين هيكل (١٤) عن الباحث العالم الفرنسى كوسان دبرسفال (١٥) الذى انضم بدوره الى هؤلاء وقال : (ان محمداً ولد فى أغسطس أى عام الفيل وأنه ولد فى مكة بدار جده عبد المطلب) .

ونقل ابن هشام عن ابن اسحق قوله : (١٦) .

(ارسل عبد المطلب ابنه عبد الله الى المدينة ليمتار لهم فمات بها ـ وقيل بل كان فى الشام فأقبل فى عير قريش فنزل فى المدينة وهو مريض فتوفى بها قبل أن يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال ابن الأثير مثل هذا القول أيضاً (١٧) .

وقد ذكرت أكثر من رواية أن عبد المطلب ذهب الى آمنة وقد تقدم حملها ـ وطلب منها أن تتهيأ للخروج من مكة مع قريش الى الجبال وشعابها ليتحرزوا بها خوفاً من معرة الجيش الذى جاء به أبرهة الحبشى يريد هدم الكعبة : فرفضت آمنة الخروج من بيتها : وقد عز عليها أن تضع وليدها فى غير دار أبيه بعيداً عن البيت الحرام ـ وأخذت تدعو الله أن يرد أبرهة وجيشه مهزومين عن مكة المكرمة وكعبتها المشرفة .. وقد استجاب العلى القدير وهزم ابرهة وجيشه هزيمة منكرة بالطير الأبابيل .

والسؤال الذى يطرح نفسه علينا الآن هو :

اذا كانت آمنة رضى الله عنها لم تترك مكة أثناء الهول الحبشى ، ولم تفزع لقدوم أبرهة وجيشه ، وأصرت فى ايمان على البقاء فى مكة لتضع مولودها فى بيت أبيه المجاور للحرم ـ فهل يعقل أن تترك مكة بعد أن زال عنها الخطر لتذهب الى عسفان لتضعه هناك وحيدة غريبة بعيدة عن أهلها وأهل وليدها ؟؟

وما ينبغى لنا أن نختتم هذا البحث دون أن نسمع كلمة حليمة بنت ذؤيب السعدية أم الرسول صلى الله عليه وسلم التى أرضعته : فقد قالت :

(خرجت من باديتى مع زوجى وابن صغير أرضعه — فى قسوة من بنى سعد بن بكر نلتمس الرضعاء فى سنة شهباء حتى قدمنا مكة : فما من امرأة الا وقد عرض عليها محمد فتأباه اذا قيل لها انه يتيم (١٨) (١٩) (٢٠) .

وأيضاً ما ينبغى أن نختتم هذا الجزء دون تعليق على ما أورده شيخنا الجليل وأستاذ الجيل حمد الجاسر فى نفس المجلة عندما قال : (والولادة وقعت فى زمن الجاهلية : وليس هناك من يعتنى بحفظ الأمكنة ، سيما مع عدم تعلق غرض لهم بذلك — وبعد مجيء الاسلام فقد علم من حال الصحابة وتابعيهم ضعف اعتنائهم بالتقييد بالأماكن التى لم يتعلق بها عمل شرعى .. الخ ..) .

وتعليقى على هذا يأتى فى شكل تساؤل هو :

ألم يكن بين أهل الرسول وجيرانه وأهل مكة بعد ظهور الاسلام من عاصر مولده صلى الله عليه وسلم ويعرف مكان ولادته ؟ لقد كان هناك ولاشك من يعرف ذلك ويعلم علم اليقين أنه صلى الله عليه وسلم ولد فى جوف مكة فى البيت المجاور للحرم .

وأغلب الظن أن الذين تحدثوا عن مولده فى غير مكة توهموا أن آمنة رضى الله عنها قد خرجت مع القرشيين اتقاء خطر الهجوم الحبشي ولكنها لم تفعل كما أوضحنا .

وبعـــد :

فلاشك عند العلماء والمحققين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولد فى مكة المكرمة .. وفى شعب عامر المنطقة المعروفة الآن .. وذلك لأنها جاءت بالتواتر وعلى الرغم من أن العرب لم تكن تعنى بمكان الولادة .. ولا بحفظ الأمكنة كما ذكر الأستاذ الكبير حمد الجاسر .. الا أنه صلى الله عليه وسلم بعد نزول القرآن وابلاغ الرسالة وظهور دين الاسلام كان فى مكة المكرمة من الرجال والنساء من يعرف .. أمه وأبيه .. وعشيرته .. وأين ولد ومتى ولد .. وكان صحابته صلى الله عليه وسلم يحرصون على جمع كل ما يتصل به .. ومعرفة من يتصل به عليه صلاة الله وسلامه .

● لم يعد هناك شك عند أهل العلم أنه -صلى الله عليه وسلم- ولد في مكة المكرمة عام الفيل وأن ولادته كانت في شعب عامر وفي الدار التي كانت معروفة لمحمد بن يوسف

وقبل بعثته صلى الله عليه وسلم .. كان قد لفت الأنظار بما عرف عنه من الأمانة حتى قالوا (جاء الأمين) وكذلك من الخلق والاستقامة .. وكريم الحسب والنسب مما جعله محط أنظار الجميع .

ولهذا .. لم يعد هناك أى شك كما ذكرت عند أهل العلم أنه ولد فى مكة المكرمة .. عام الفيل وأن ولادته كانت فى شعب عامر فى مكة المكرمة .. وفى الدار التى كانت معروفة لمحمد بن يوسف .. اعتماداً على التواتر من ناحية وعلى الآيات البينات فى القرآن الكريم .. وما جاء فى مصادر السيرة المعتمدة .. والروايات الموثوقة .. والله أعلم وهو الهادى الى سواء السبيل ..

والحمد لله أن وفقنا الى هذا . وانى أساله سبحانه أن يهدينا سواء السبيل .

محمد عبده يمانى

المراجـــــع

(١) محمد حسين هيكل — حياة محمد ص/١٠٤ .

(٢) سورة محمد : الآية ١٣ .

(٣) سورة القصص : الآية ٨٥ .

(٤) ابن حزم الأندلسى — جوامع السيرة النبوية ج/١ ص/١٦٥ .

(٥) ابن هشام المعافرى — السيرة النبوية ج/١ ص/١٦٥ .

(٦) محمد بن محمد بن سيد الناس عيون الأثر فى سيرة سيد البشر .

(٧) الامام الهيلى : الروض الأنف ١٨٤/١ .

(٨) ابن سعد رواية عن الواقدى : الطبقات الكبرى .

(٩) ابن هشام المعافرى : السيرة النبوية ١٦٧/١ .

(١٠) هى الصحابية فاطمة بنت عبد الله رضى الله عنها — الاستيعاب رقم ٤٠٥٩ — وعيون الأثر ٢٧/١ .

(١١) رواه عبد البر فى الاستيعاب وابن سيد الناس فى عيون الأثر عن طريق ابن السكن .

(١٢) سورة المسد ٦٠٣ .

(١٣) أستاذ الدراسات القرآنية العليا بجامعة القرويين بالمغرب : تراجم سيدات بيت النبوة ١٠٦ .

(١٤) محمد حسين هيكل : حياة محمد — ١٠٩ .

(١٥) كوسان دبرسفال : رسالة فى تاريخ العرب — ٢٠ .

(١٦) ابن هشام المعافرى : السيرة النبوية — ١٦٧/١ .

(١٧) ابن الأثير : النهاية — ٣/٢ .

(١٨) ابن هشام : السيرة النبوية ١٧٠/١ .

(١٩) الزرقانى : ١٤٦/١ .

(٢٠) النويرى : ٨١/١٦ .

دعوة الاسلام للعلم والمعرفة

وأثرها في قيام الحضارة الإسلامية

بقلم : الدكتور عبد الحميد الأنصاري

لانجد على مر التاريخ البشرى كتاباً كالقرآن الكريم تميز باحترام العقل ، فلا يذكر العقل فى القرآن الكريم إلا فى مقام التعظيم .. نجد ذلك فى الدعوة الملحة إلى وجوب إعمال العقل وتوجيهه إلى النظر فى الكون والتأمل فيما حواه من نظام وترتيب بديعين ، وليس ذلك توصلا إلى ادراك الخالق الحكيم فحسب ، بل وكذلك سعياً وراء العلم والاستزادة من المعرفة واكتشاف قوانين الكون والابداع ، واننا نجد ذلك بوضوح فى آيات كثيرة فى القرآن فيها توجيهات إلى ملاحظة آيات الكون المتمثلة فى اختلاف الليل والنهار وارسال الرياح والسحب لينزل المطر فتحيا الأرض بالنبات والشجر .

ـ « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بما ينفع الناس ، وما انزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون » (١) .

ـ « ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » (٢) .

ـ « أولم يروا أنّا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون » (٣) .

ويوجهه إلى تأمل المخلوقات ، فيقول عز وجل :

ـ « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت » (٤) .

ويرشد إلى تأمل مظاهر الكون والحياة والموت ، فيقول :

ـ « وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون » (٥) .

ـ « أولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق » (٦) .

ـ « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج » (٧) .

ـ « هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك الا بالحق ، يفصل الآيات لقوم يعلمون » (٨) .

يقرر الأستاذ العقاد ـ رحمه الله ـ هذا الأمر ، بقوله :

« وبهذه الآيات وغيرها تقررت فريضة التفكير فى الاسلام وتبين منها أن العقل الذى يخاطبه الاسلام هو العقل الذى يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور » (٩) .

ويحذر العقاد من العقبات والموانع التى تعترض سبيل العقل فان الاسلام لا يقبل من المسلم أن يلغى عقله ليجرى على سنة آبائه ولا يقبل منه أن يلغى عقله خوفاً من السلطة (١٠) .

« وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا ، أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون » (١١) .

فالعلم فى الاسلام عبادة وفريضة وكل علم ينفع الناس ويصلح الحياة فطلبه وبذله عبادة تقرب إلى الله .

ويكرر القرآن تقديره للعلم والعلماء :

« قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون » (١٢) .

« يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » (١٣) .

« يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت

الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً ، وما يذكر إلا أولو الالباب » (١٤) .

« انما يخشى الله من عباده العلماء » (١٥) .

« شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط » (١٦) .

ولذلك لم يكن الأمر عبثاً أن كانت معجزة الاسلام الخالدة من بين الأديان كلها معجزة يتناولها العقل بالفهم بينما الأديان الأخرى كانت معجزاتها مادية حسية . والاسلام هو الدين الوحيد الذى جعل النظر العقلى أساس الايمان الصحيح والوسيلة السليمة إليه .

وبلغ من تقدير الاسلام للعقل والعلم أن اشتهر بين المسلمين أنه إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ، ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان (١٧) .

وهذا تقدير لعمل العقل والاجتهاد .. ويكفي أن نعرف أن الباحث إذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، وإذا أصاب فله أجران ، فهل هناك دين يثيب على خطأ العقل ؟ ويدل كذلك مرة أخرى ، على تقدير الاسلام للعقل ، أن الاسلام فى غير العبادات والعقائد ، ترك للعقل حرية التفكير واختيار البدائل المناسبة ، فاكتفى فيما يتعلق بأمور المجتمع وتنظيمه من سياسة واقتصاد واجتماع بأصول عامة مرنة للعقل فيها مجال كبير .

يقول الامام محمد عبده ـ رحمه الله ـ .

« كيف يتسنى للمسلم ان يشكر الله حق شكره إذا لم يضع العالم بأسره تحت نظر فكره ، لينفذ من ظاهره إلى سره ويقف على قوانينه وشرائعه ، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته فى توفير منافعه ، انظر إلى قوله تعالى :

« قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » .

ثم قوله .. « كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون » .

فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله .

فالمسلمون مسوقون بنابل من دينهم إلى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد والمجد .. ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك إلا بالعلم فهم مدفوعون إلى طلب العلم وتلمسه فى كل مكان، الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » (١٨) .

فالدعوة إلى العلم والمعرفة كانت منذ البداية ، حينما نزلت أول آية تأمر النبى صلى الله عليه وسلم بأن يقرأ ، وهو الذى لا يقرأ فى بيئة أمية :

« اقرأ باسم ربك الذى خلق ، خلق الانسان من علق ، اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم ، علم الانسان مالم يعلم » (١٩) .

ولفظ العلم ومشتقاته تكرر فى القرآن حوالى ٧٦٥ مرة (٢٠) .

وإذا جئنا إلى المصدر الثاني وهو السنة ، نجد فى أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم ، أوامر صريحة فى الدعوة الى طلب العلم والمعرفة :

« طلب العلم فريضة على كل مسلم » (٢١) .

« من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » (٢٢) .

« ان الملائكة لتضع أجنحتها رضاء لطالب العلم »(٢٣) .

« من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة» (٢٤) .

● "من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع". "طلب العلم فريضة على كل مسلم".

" حديثان شريفان"

« إذا أتى علي يوم لا ازداد فيه علماً يقربنى إلى الله فلا بورك لي فى طلوع شمس ذلك اليوم) (٢٥) .

« العلماء ورثة الأنبياء » (٢٦) .

وخرج الرسول صلى الله عليه وسلم ذات يوم ورأى مجلسين ، أحدهما يدعو الله عز وجل ، والثاني يعلمون الناس فيه ، فقال (أما هؤلاء فيسألون الله ، فإن شاء اعطاهم ، وان شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيعلمون الناس ، وإنما بعثت معلماً وجلس معهم) (٢٧) .

« يشفع الله يوم القيامة ثلاثة : الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء » (٢٨) .

« اطلبوا العلم ولو فى الصين) (٢٩) .

« إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به ، أو ولد صالح يدعو له » (٣٠) .

ويجعل الرسول صلى الله عليه وسلم فداء بعض الأسرى فى بدر ان يعلموا صبيان المدينة ، كل أسير يعلم عشرة .

هذا عن العلم والمعرفة فى القرآن والسنة .

فما مدى استجابة المسلمين لهذه التعاليم السامية ؟ وما آثار ذلك فى تكوين حضارتهم ؟

إننا نجد الاستجابة السريعة منذ عهد الصحابة رضى الله عنهم فى اقبالهم على العلم بعزم وايمان ، تعلموا القراءة ليقرأوا قرآنهم ، وتعلموا الكتابة لينشروا دينهم ، وتعلموا لغات اعدائهم ليأمنوا شرهم ، وانتشر الصحابة أهل العلم فى جميع أنحاء البلاد الاسلامية ، لتعليم أهالى البلاد ، فكانوا اذا نزلوا بلداً أقاموا الحلقات وانشأوا المدارس . ولعل الاسلام هو الدين الوحيد الذى وحد بين مكان العبادة والتعليم ، فقد اتخذ الرسول صلى الله عليه وسلم من مسجده الذى انشأه مكاناً للتعليم ، فلم يجد ـ بعد ذلك ـ المسلمون أى صعوبة فى إيجاد أمكنة التعليم .

يقول المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام :

« لا أخال التاريخ يعرف أمة من الأمم سارت سيرة المسلمين فى طلب العلم

والاخلاص فى تحصيله ، وجعله عبادة ، واتخاذ المساجد للصلاة والدرس معاً ، فكما جعل الاسلام الأرض كلها للمسلم مسجداً وطهوراً جعل الأرض كلها دار تعلم وتعليم ، فالمسلم مأمور أن ينظر فى السماوات وآثار الأمم وسيرها ، وأن يطلب العلم حيث كان ويلتقط الحكمة أنى وجدها ــ فهو يتعلم فى الحضر والسفر وفى المسجد والدار ، وكانت مساجد المسلمين منذ انشئت دار تعليم منذ جلس المعلم الأعظم صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه ، وظل الحال كذلك حتى القرن الرابع الهجرى حيث بنيت دور للعلم مع المساجد ، وكانت اولى دور العلم فى هذا العالم الذى يجد فيها الطالب السكن والطعام » (٣١) .

وأول جامعة علمية فى العالم بناها المسلمون فى مدينة فاس عام ٢٤٥ هـ واسمها « جامعة القرويين » كانت تدرس فيها العلوم الدينية والدنيوية . (٣٢) .

لقد نبغ المسلمون فى كافة ميادين العلم والمعرفة وقادوا أكبر حركة فكرية وكانوا أصحاب النهضة العلمية التى شملت جميع دول العالم والتى كانت أساساً لما فى العالم من علوم وفنون ، وتجلى ذلك فى اهتمامهم بانشاء المدارس ودور الكتب حتى كانت فى القاهرة فى القرن الرابع الهجرى مكتبة تحوي مئة ألف مجلد (٣٣) .

وكانت طريقة الأساتذة فى التدريس ان كل مدرس يعد درسه ويكتب فى الموضوع الذى يلقى الدرس فيه ما يريد أن يكتب ، ثم يلقيه على التلاميذ وهم يكتبون عنه ، ثم تكون هذه الدروس كتباً تنشر بين الناس فى كل علم بدون أدنى مراقبة ولا حجر ، وكان ولاة الأقاليم ينافسون الخلفاء فى إعلاء مقام العلم والعلماء (٣٤) .

ولع المسلمون بالعلوم الكونية على اختلافها والفنون والآداب بجميع أنواعها ، وبدأت حركة الترجمة الواسعة عن اليونانية والسريانية والفارسية ، وفى حدود منتصف القرن التاسع أصبح تحت يد المسلمين مختلف علوم الأسبقين ومعارفهم ولم تمض فترة إلا واستوعبوا هذه المعارف ، وعمدوا إلى تصحيحها ونقدها ثم الاضافة إليها .

وكان استيعاب المسلمين لعلوم الأسبقين وتكوينهم لعلم اسلامى مميز الطابع مثلا أدهش العلماء والباحثين (٣٥) .

يقول ول ديورانت « بلغ الاسلام فى ذلك الوقت أوج حياته الثقافية ، وكنت تجد فى ألف مسجد منتشرة من قرطبة الى سمرقند ، علماء لايحصيهم العد ، وكانت جميع مسالك العالم الاسلامى تعج بعلماء الدين والجغرافيا والمؤرخين ، انتشروا فى الارض بحثاً وراء المعرفة والحكمة ، ولقد استطاع العرب أن يستوعبوا ما كان عند الأمم المغزوة من ثقافات بما اتصفوا به من سرعة الخاطر وقوة البديهة » (٣٦) .

ويقول سارتون « حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر فى القرون الوسطى ، فكتب أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها اصالة وأغزرها مادة باللغة العربية ، وكانت اللغة العربية من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادى عشر لغة العلم والارتقائية للجنس البشرى ، حتى لقد كان ينبغى لأى كان إذا أراد أن يلم بثقافة عصره وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية » (٣٧) .

والمسلمون هم أصحاب المنهج العلمى فى البحث والتجربة الذى قام عليه التقدم العلمى كله ، فقد جعلوا التجربة والمشاهدة قاعدة لعلومهم .

نقل جوستاف لوبون عن أحد فلاسفة الغرب ، أن القاعدة عند العرب هي جَرب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً وعند الأوروبى إلى ما بعد القرن العاشر ، إقرأ فى الكتب وكرر ما يقول الأساتذة تكن عالماً (٣٨) .

ومآثر المسلمين وابداعاتهم واكتشافاتهم وسبقهم فى ميادين الطب والكيمياء والزراعة والنبات والطبيعة والرياضيات والفلك والجغرافيا ، وكذلك فى ميادين العلوم الانسانية من الفلسفة والآداب والتربية فضلا عن جهودهم الفذة فى علوم الشريعة ورواية الأحاديث وعلوم القرآن والتفسير ، تكفلت المؤلفات العديدة بابراز هذه المآثر وأصبحت معروفة ومسلمة حتى من قبل غير المسلمين ، فلا نعيد ذكرها هنا ولمن أراد التفصيل فليرجع إلى الكتب المتخصصة فى هذا الشأن (٣٩) .

ولكن التساؤل هنا ، إذا كانت هذه انجازات حضارة الاسلام وتلك ابداعاتهم ومآثرهم فلماذا تدهورت هذه الحضارة الانسانية الزاهرة ولماذا ضعفت ؟

وفى رأيي أن تدهور الحضارة الاسلامية يرجع إلى عوامل ثلاثة . هى :

● العامل السياسى : ويتمثل فى الانقلاب الذى حصل فى أسلوب الحكم فبعد أن كان الحكم قائماً على مبادىء الشورى والعدالة والحرية والمساواة انحرف مسار الحكم عن هذه المبادىء ــ بعد الخلافة الراشدة ــ هذا الانحراف أصاب الرأس فى الصميم وزرع فيه جرثومة الانحلال التى تفاقمت بمرور الزمن ثم سرت من الرأس إلى أعضاء الجسد فأصبح عليلا ممزقاً أطمع الاعداء فيه فتكاثروا عليه وسيطروا .

● العامل الاجتماعى التربوى : فالمرأة التى رفع الاسلام من شأنها وأعزها وأكرمها ــ بعد مهانة الجاهلية ــ وكانت لها اسهاماتها الاصلاحية والتربوية والثقافية والسياسية فى مجتمع الصدر الأول : بالمشاركة فى مجال الاصلاح العام مصداقاً للآية الكريمة « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » (٤٠) . وفى مجال التعليم ورواية الأحاديث والفتاوى ، وتشارك فى المجال السياسي بالمشاورة ، وتساهم فى الغزوات

● إن القاعدة عند العرب هى: جرّب وشاهد ولاحظ تكن عارفاً ، وعند الأوروبي إلى ما بعد القرن العاشر : اقرأ فى الكتب وكرّر ما يقوله الأساتذة تكن عالماً
جوستاف لوبون

وتتحمل الاضطهاد وتهاجر فى سبيل الدعوة . هذه المرأة ، تردى وضعها الاجتماعى بعد فترة من الزمان ، وجاء من ينادي بحرمانها من التعليم واستتبع ذلك منعها من أى مساهمة بناءة فى المجتمع ، وتقبل المناخ الاجتماعى العام هذه الدعوى بحجة فساد الزمان وخوف الافتتان ، فضرب عليها بسياج ، وأصبحت فى عزلة عن مجتمعها جاهلة بما يحدث فيه متخلفة عن ركبه ، فانعكس ذلك على قدرتها فى اعداد النشء واحسان التربية ، وماذا ينتظر ممن فرغ عقلها غير الانشغال بالتوافه ، وأفرز هذا الوضع اجيالا تتوالى فى الضعف ، وانعكس هذا بدوره على الحكم تأثيراً وتأثراً (وكما تكونوا يولى عليكم) .

• العامل الفكرى : امتاز الاسلام باعلاء عمل العقل وتشجيع البحث وحرية الفكر ، وحرص على النهى عن التقليد والاتباع .

وعرف المسلمون بسعة الصدر والسماحة وإعذار بعضهم لبعض اذا اختلفوا فى الرأى .. ولكن هذا الأمر لم يستمر طويلا ، فقد جاء حين من الدهر ساد فيه التضييق على الفكر ، والحجر على الرأى والتعصب المذهبى والمسارعة إلى اتهام المخالف وإساءة الظن به بل واضطهاده والتنكيل به .

هذا التحول الفكرى كان من العوامل الهامة التى أثرت على مسار الحضارة وقوتها بالسلب .

وفى رأيي اننا لن نستطيع أن نبني نهضة ولن نحدث تقدماً إلا اذا تجنبنا العوامل السلبية ، فلابد أن يعود العقل ليمارس عمله بحرية وانطلاق ، ولابد للمرأة أن تأخذ وضعها الاجتماعى الصحيح وتنال حقوقها كاملة حتى تؤدى واجباتها تجاه مجتمعها . ولابد من بناء اجتماعى وسياسى يتيح للجميع فرصة المشاركة بالتعبير عن الرأى ويضمن للجميع حقوقهم .. هذا وبالله التوفيق .

عبد الحميد اسماعيل الأنصارى
كلية الشريعة ــ جامعة قطر

المراجـــــع

(١) ١٦٤ البقرة .
(٢) ١١ النحل .
(٣) ٢٧ السجدة .
(٤) ١٧ الغاشية .
(٥) ٨٠ المؤمنون .
(٦) ٨ الروم .
(٧) ٦ ق .
(٨) ٥ يونس .
(٩) التفكير فريضة اسلامية : (موسوعة العقاد ٨٤١/٥) .
(١٠) التفكير فريضة اسلامية : (موسوعة العقاد ٨٤٣/٥) .
(١١) ١٧٠ البقرة.
(١٢) ٩ الزمر .
(١٣) ١١ المجادلة .
(١٤) ٢٦٩ البقرة .
(١٥) ٢٨ فاطر .
(١٦) ١٨ آل عمران .
(١٧) الاسلام دين العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ص ٩٩ .
(١٨) الاسلام دين العلم والمدنية للشيخ محمد عبده ص ١١٤ .
(١٩) ١ــ ٥ العلق .
(٢٠) المسلمون والعلم الحديث : عبد الرزاق نوفل ص ١٩ .
(٢١) رواه ابن ماجه ، وقال الالبانى يحتمل أن يرتقى إلى درجة الحسن لكثرة طرقه ٢٧/٥ من السلسلة الضعيفة .
(٢٢) الترمذى ٢٧٨٥ العلم وقال : حسن غريب .
(٢٣) أحمد وابن حبان والحاكم (المغنى عن حمل الأسفار للعراقى ٨/١) وابو داود حديث ٣٦٤١ العلم والترمذى ٢٨٢٢ العلم ، والحديث مختلف فيه
(٢٤) مسلم ، والترمذى وحسنه ٢٦٤٦ العلم ، وأبو داود ٣٦٤٣ العلم
(٢٥) الطبرانى فى الأوسط وابو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم باسناد ضعيف (المغني ٦/١) وقال الالبانى : موضوع ٣٧٩ .
(٢٦) ابو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان والدارمى ، والحديث مختلف فيه (تحفة الاحوذى ٤٥٤/٧) .
(٢٧) ابن ماجه ، بسند ضعيف (المغنى ١٠/١) .
(٢٨) الطبرانى وابن عبد البر من حديث أبى الدرداء (المغنى ٦/١) .
(٢٩) رواه ابن عدى والبيهقى فى الشعب وابن عبد البر والخطيب وله طرق يقوي بعضها بعضاً (راجع الاسلام دين العلم والمدنية ١٢٥) وقال : البيهقى : متنه مشهور واسانيده ضعيفة (المغنى ٩/١) وقال الالبانى : باطل ٤١٦ .
(٣٠) مسلم من حديث ابى هريرة .
(٣١) (٣٢) المسلمون والعلم الحديث : نوفل ص ٣٨ .
(٣٣) الاسلام دين العلم والمدنية ص ١١٩ .
(٣٤) الاسلام دين العلم والمدنية ص ١٢٠ .
(٣٥) الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث : جلال مظهر ص ٦٨ .
(٣٦) الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث : جلال مظهر ص ٦٩ .
(٣٧) الحضارة الاسلامية اساس التقدم العلمى الحديث : جلال مظهر ص ٦٩ .
(٣٨) الاسلام دين العلم والمدنية ص ١٣٨ .
(٣٩) راجع فى مآثر العرب العلمية :
ــ أثر علماء العرب والمسلمين فى تطوير علم الفلك : د . علي الدفاع .
ــ اسهام علماء المسلمين فى الرياضيات : د . علي الدفاع .
(تعريب وتعليق : د . جلال شوقى) .
ــ اعلام العرب والمسلمين فى الطب : د . علي الدفاع .
ــ شمس الله تسطع على الغرب زيغريد هنكة .
ــ تراث العرب العلمى فى الرياضات والفلك : قدري طوقان .
ــ المرجع فى تاريخ العلوم عند العرب . د . محمد مرحبا .
(٤٠) التوبة ٧١ .

حول الـدورة الخامسـة لمجلس التـعاون لدول الخليج العربيـة

أبعاد استراتيجية التنمية لدول الخليج العربية

بقلم: الدكتور يحيى رجب

شهدت مدينة الكويت فى السابع والعشرين من شهر نوفمبر ١٩٨٤ ــ والمجلة ماثلة للطبع ــ اجتماعات الدورة الخامسة للمجلس الأعلى لمجلس التعاون لدول الخليج العربية والتى التقى فيها أصحاب الجلالة والسمو رؤساء دول المجلس. وتبرز هذه الدورة مدى إدراك الدول الاعضاء بأن تحقيق التضامن فيما بينها يدعم قدرة الأجهزة العاملة فى مجلس التعاون على تحقيق الارادة الذاتية للمجلس حتى يستطيع تحقيق أهدافه التى نص عليها النظام الأساسى للمجلس، وعلى اتخاذ التوصيات الاتفاقية التى توافق عليها الدول الأعضاء، وتلتزم بها بمحض إراداتها واقتناعها بأن التضامن والوحدة الخليجية طريق الرخاء لشعب المنطقة، وأن التعاون بينها لايقوم فقط على أساس مشاعر الأخوة الناشئة عن التاريخ المشترك الذى يربط الدول الأعضاء، بل يقوم أيضا على أساس تحقيق المصلحة الذاتية الخليجية. ونعرض فيما يلى أهم الموضوعات الرئيسية التى تسهم فى دعم استراتيجية التنمية لدول المنطقة.

الأمن والتنمية

يعتبر الحفاظ على أمن الخليج العربى الدرع الواقى لمنجزات التنمية فى المنطقة، وتعتمد دول مجلس التعاون على تنظيمها الاقليمى الذى أقامته بارادتها ورغبتها فى تدعيم شعارها الذى اتخذته، وهو تحقيق الأمن الذاتى الخليجى وإبعاد المنطقة عن صراعات القوى العظمى، وتسوية منازعاتها الاقليمية فى إطار مجلس التعاون بالطرق السلمية.

وقد أقر مؤتمر «أبها» لوزراء الدفاع والخارجية بدول مجلس التعاون، والذى عقد بالمملكة العربية السعودية فى شهر سبتمبر ١٩٨٤، الوثيقة الدفاعية التى تحدد استراتيجية الدفاع المشترك والتى تقوم على أساس الاعتماد على الذات،

وتحمل أبناء دول مجلس التعاون مسئولية الدفاع عن حريتهم واستقلالهم ، والمحافظة على سيادة دولهم وتأمين سلامتها وصيانة استقلالها ، ورفض التدخل الأجنبى فى شئون المنطقة .

وفى مجال النهوض بأعباء الدفاع عن المنطقة أجرت القوات المسلحة لدول مجلس التعاون خلال شهر اكتوبر ١٩٨٤ تمرين « درع الجزيرة رقم ٢ » بالذخيرة الحية فى منطقة « حفر الباطن » بالمملكة العربية السعودية ، وكانت هذه القوات قد أجرت فى العام الماضى مناورات مماثلة أطلق عليها اسم « درع الجزيرة رقم ١ » فى دولة الامارات ، وتهدف هذه المناورات إلى تحقيق مزيد من الخبرة والتجربة والتنسيق فى شئون التكتيك العسكرى المتطور بين قوات دول المجلس

الحفاظ على الاحتياطات النفطية

يعتبر النفط أحد الموارد النادرة والقابلة للنضوب وغير قابلة للتجديد ، ولقد استنزفته المنطقة إلى أبعد الحاجات الانمائية ، لذلك يجب أن تهدف السياسة النفطية المشتركة للدول الأعضاء إلى استمرارية التحكم فى حصص الانتاج وأسعار النفط حتى تستطيع الحفاظ على الثروة النفطية . فالبترول فى باطن الأرض مخزون استراتيجي يتطلب الحرص عليه لتأمين مستقبل الأجيال القادمة ، وحتى تستطيع الدول الأعضاء أن تحقق التنمية الاقتصادية الشاملة التى تتطلب بطبيعتها وقتا طويلا تقتضى معه إطالة عمر الاحتياطات النفطية .

وينبغى أن تركز السياسة المستقبلية على تصدير المنتجات النفطية والابتعاد تدريجيا عن السياسة الاستعمارية التى تهدف إلى الابقاء على تصدير النفط فى شكله الخام . ومن جهة أخرى يجب الاعداد لمستقبل مابعد نضوب النفط ، وضمان مصدر عربى آخر غير بترولى للطاقة وتركيز الأبحاث العلمية على الطاقة الشمسية حيث أنها منتشرة على نطاق واسع فى المنطقة ، وتعتبر طاقة مباحة وخالية من التلوث ، ويمكن نقل التكنولوجيا اللازمة لها وتطويعها واستيعابها بسهولة ، كما أنه يجب إزالة العقبات التى تحول دون الحصول على الطاقة النووية ، وما زال بترول دول المنطقة يؤدى دوره الاقتصادى فى المجتمع الدولى .

ويجب أن يوضع فى الاعتبار أن تخفيض أسعار النفط إثر التخمة النفطية التى ظهرت فى السوق ، وما ترتب عليه من انخفاض الدخول النفطية يتطلب من الدول الأعضاء بذل مزيد من الجهد لدفع جهود التنمية فى مختلف المجالات بهدف تنويع مصادر الدخل والوصول إلى مجتمع خليجى يعتمد على الحركة الذاتية الانتاجية ، ولذلك يلزم إعداد خطة جدية لترشيد الاستهلاك بهدف دعم التنمية الشاملة للدول الأعضاء .

الاتحاد الجمركى وزيادة الانتاج

يعتبر انتظام مجلس التعاون فى اتحاد جمركى واحد مرحلة هامة من مراحل التكامل الاقتصادى للدول الأعضاء ، إلا أن التركيز على مبدأ حرية التبادل التجارى بين الدول الأعضاء لايكفى وحده لإحداث التكامل الاقتصادى المنشود ، بل يجب أن يعاصره خطة إنتاجية شاملة تستطيع الدول الأعضاء من خلالها تكوين قاعدة إنتاجية راسخة وذاتية اقتصادية تمكنها من الابتعاد تدريجيا عن تبعيتها الاقتصادية للدول الصناعية المتقدمة ، حتى يصبح لها وزنها وثقلها فى المجتمع الدولى ويعزز ذلك مركزها التفاوضى مع التكتلات الاقتصادية الدولية الأخرى .

البحث عن استثمارات جديدة للفوائض البترولية

تقتضى زيادة الانتاج البحث عن أوجه استثمارات جديدة للفوائض البترولية وإقامة مشروعات إنتاجية تعود بالنفع المتبادل لكل الدول الأعضاء بدلا من تسرب هذه الفوائض فى شكل أرصدة نقدية إلى الدول الصناعية الغربية ، إلا أنه يجب أن يوضع فى الاعتبار أحقية دول مجلس التعاون فى أن تطمئن إلى المناخ السياسى فى الدول المضيفة لرؤوس أموالها ، فانعدام الثقة فى اقتصاديات الدول النامية يعتبر العائق فى تدفق رؤوس الأموال الخليجية لهذه الدول ، ولا يزيله إلا الاحساس بالطمأنينة لمواجهة المخاطر غير التجارية .

وتؤدى المشروعات المشتركة دورا هاما فى تحقيق التكامل الاقتصادى بين الأعضاء ، وتعمل على تحقيق ذاتية اقتصادية للمنطقة وتوسيع نطاق السوق المحلية والتمتع بمزايا الانتاج الكبير وتوزيع المخاطر الصناعية .

ولذلك فانه يجب التركيز على استثمار الفوائض البترولية فى مشروعات إنتاجية مشتركة تدعم الاقتصاد الخليجى ، وتحقق منفعة ملموسة لكل الدول الأطراف بالاضافة إلى تشجيع القطاع الخاص للاسهام فى المشروعات المشتركة ودفع المدخرات الخليجية لتطوير الانتاج الخليجى .

ومن جهة أخرى يجب أن يكون هناك تنسيق فى خطط التنمية الوطنية للدول الأعضاء بطريقة تمنع تضاربها وتسمح بقيام ترابط فيما بينها ، وذلك بدلا من إقامة مشروعات غير منسقة وترتبط فقط بالمنطقة جغرافيا .

التنسيق الصناعى
بين الدول الأعضاء

نصت المادة ١٢ من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على تنسيق النشاط الصناعى بين الدول الاعضاء ، وعلى توحيد تشريعاتها وأنظمتها الصناعية وتوزيع الصناعة فيما بينها حسب الميزات النسبية والجدوى الاقتصادية .

ونعتقد أنه ينبغى اتخاذ الاجراءات الكفيلة اللازمة للارتفاع بالكفاءة الاقتصادية لبعض الصناعات القائمة ، وإجراء التنسيق الصناعى بهدف زيادة الناتج القومى الاجمالى . وهذه الاجراءات قد تكون حكومية مثل توقيع الاتفاقيات الدولية ، أو غير حكومية تقوم بها الاتحادات الصناعية حيث أن التنسيق الصناعى المنشود يحول دون قيام المشروعات المتضاربة ويحقق المنافع المشتركة ، وهناك بعض الأنشطة الصناعية لا يمكن إقامتها اقتصاديا إلا على نطاق كبير للاستفادة من مزايا الانتاج الكبير .

التجانس النقدى
بين دول المجلس

تمثل دول مجلس التعاون منطقة نقدية متجانسة باعتبارها جميعا جزءاً من منطقة نقدية أجنبية ، ولقد نصت الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على حرية التملك والعمل وحرية انتقال رؤوس الأموال بين دول المجلس ، وسوف يساهم ذلك فى استقرار أسعار الصرف بين العملات الخليجية ، وتحقيق التجانس النقدى فى المنطقة ، وذلك بالرغم من عدم توحيد المؤسسات والنظم النقدية فى دول المجلس .

وتوجد عده تصورات لتنسيق السياسة النقدية والمصرفية لدول مجلس التعاون ، ومن أهمها انشاء اتحاد للبنوك المركزية لدول المجلس يجتمع بصفة دورية ، ويقوم بتنسيق وتوحيد الأنظمة المصرفية ، وتنسيق المواقف بين النظام النقدى الدولى والشئون النقدية الهامة . وتنظيم نشاط البنوك الأجنبية العاملة فى دول المجلس ومراقبتها بما يضمن حماية البنوك الوطنية ، وإنشاء مركز للدراسات النقدية لاعداد الكوادر الوطنية الفنية العاملة فى الأجهزة النقدية لدول المجلس وإجراء البحوث والدراسات التخصصية .

تنسيق المعونات
الدولية للتنمية

تنص المادة ٢٣ من الاتفاقية الاقتصادية الموحدة على أن تعمل الدول الأعضاء على تنسيق سياستها على الصعيد الخارجى فى مجال تقديم المعونات الدولية والأقليمية للتنمية .

ويجب أن نضع فى الاعتبار أن الأحداث التى أدت إلى ارتفاع أسعار النفط والتى ساعدت على دعم المعونات الدولية فى العشر سنوات الماضية من الصعب تكرارها فى التصور المستقبلى وذلك إثر انخفاض ا سعار النفط وحصص الانتاج بدول مجلس التعاون ، ورغبتها فى تحقيق التنمية الاقتصادية الشاملة التى تنشدها بزيادة إنفاقها على مشروعات التنمية ، ولذلك يجب التنسيق بين الصناديق الإنمائية فى مجال البحوث وتقييم المشروعات المشتركة التى تعمل على تحقيق التكامل الاقتصادى الذى يسعى إليه مجلس التعاون ، والتركيز على أسلوب تمويل برامج التنمية للدولة المستفيدة وذلك فى مجال عمل صناديق التنمية ، حيث أن هذا الأسلوب يدعم استراتيجية الدولة المستفيدة فى مجال التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى تنشدها .

حماية مصالح
المجتمع الخليجى

يجب مراعاة حماية المصالح الأساسية للمجتمع الخليجى وذلك أثناء التخطيط للتنمية الشاملة ، والحذر من اتباع أي أسلوب مستورد يتنافى مع تقاليد المنطقة ومراعاة ظروف المجتمع واحتياجاته والعمل على اكتساب القدرة التكنولوجية الحقيقية وتطويعها بما يتمشى مع مناخ المجتمع ، وتشجيع البحوث العلمية وبناء القوى البشرية الفنية وإعداد جيل من الشباب الواعي المتفهم لإمكانيات بلاده والقادر على تحمل مسئولياته .

دعم التكامل
الاقتصادى العربى

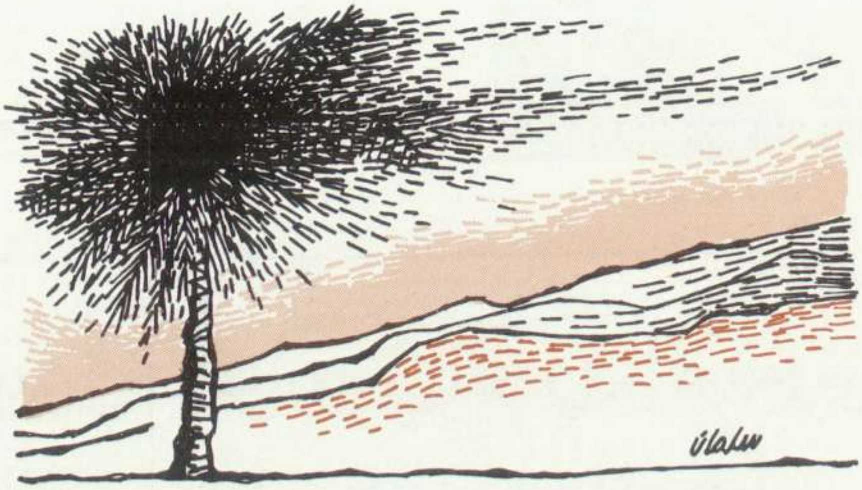
يجب أن يوضع فى الاعتبار أن التنسيق الاقتصادى لدول مجلس التعاون سوف يدعم التكامل الاقتصادى العربى ، واذا كانت دول المجلس تعاني من نقص فى بعض الموارد الانتاجية فإن الوطن العربى لديه وفرة كثيرة من هذه الموارد ، ويشكل مجالاً حيوياً لامداد منطقة الخليج العربية باحتياجاتها لضمان أمنها الاقتصادى .

ولذلك فإن التعاون الاقتصادى بين دول المجلس يعتبر خطوة هامة فى طريق التكامل الاقتصادى العربى ، وقد أكد مجلس التعاون لدول الخليج العربية على المفهوم الحقيقى للوحدة فى صورة المجموعات المتجانسة التى تدعم العمل العربى المشترك بهدف الحفاظ على التنمية الاقتصادية الشاملة .

يحيى رجب

من سِفْر الخروج..

شعر: راضي صدوق



.. ودقّت على كبدي خَفْقةٌ من رياحِ الشمالِ
اضطربتُ
انتفضتُ
صحوتُ
– تُرى من يُحرّكُ أغصان قلبي ؟

* * *

وقالتْ ليَ الرّيحُ : هذا أوانُ الرَّحيلْ
وقلتُ : ولكنّني لسْتُ أعرفُ دَرْبي
ذَوى زَمَني من كفاحي الطَّويلْ
حنانَكَ هذا خريفُ الفصولْ
ترفّق بقَلْبي !

* * *

تَلَفّتُّ ..
كانتْ عيونُ الصغارِ مُخضّبةً بالشَّجَنْ
وفي الحَدقَاتِ سؤالٌ بريٌ خَجولْ :
« أبي .. أين نرحلُ .. هل من وَطَنْ ؟ »

* * *

وكانت لنا نَخلَةٌ ظلُّها وارفٌ وجَناها كريمْ
نفيء إليها .. لنُطفىء في حضْنِها لفحَاتِ الهجَيرْ
.. وكنّا نهزُّ إلينا الجذوعَ
فيسّاقط الخَيْرُ رطْباً جَنياً
تُرى .. هل طَوَتْها رياحُ السَّموم ؟

* * *

هَزَزْنا الجذُوعَ ،
خَصَفْنا العناقيدَ ،
.. لم نَجْنِ شيئاً
وها نحن نَضربُ في التّيهِ نسأل : أين المصيرْ ؟

القروي
شاعر العروبة
سيرته في ذكريات



الشاعر القروى (رشيد سليم الخورى)

بقلم : أكرم زعيتر

كان يبيع الجوارب في القرى الأمريكية لينفق على عمله الوطني

فى مطلع عام ١٩٤٧ دار حديث فى مجلس جامعة الدول العربية حول ضرورة العمل لقضية فلسطين فى أمريكا اللاتينية ، وعهد إلى الهيئة العربية العليا ايفاد وفد لهذه الغاية وتعهدت حكومتا سورية ولبنان بأن تسهما فى تأليف الوفد . واختارنى سماحة رئيس الهيئة السيد محمد أمين الحسينى ممثلا لها فى الوفد ورئيساً له . واختارت الحكومة اللبنانية الأستاذ نصرى معلوف المحامى ، واختارت الحكومة السورية الأستاذ توفيق اليازجى مستشار المفوضية السورية فى البرازيل .

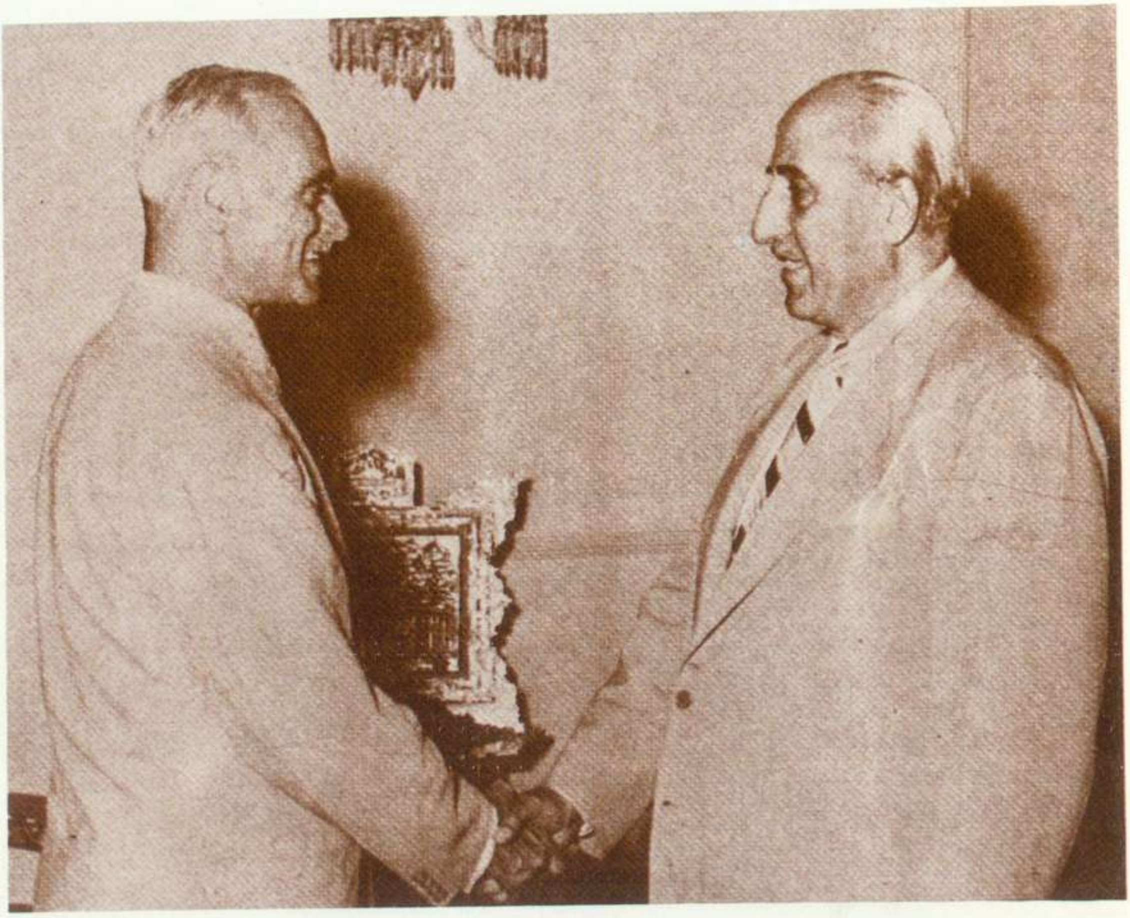
وفى اليوم الأول فى آب (أغسطس) ١٩٤٧ وصلنا إلى مدينة سان باولو البرازيلية حيث تتجمع أكبر جالية عربية فى القارة . وتقدم جمهرة المستقبلين رجل أهيف ، يتطلق وجهه بشراً ، وفى عينيه كهربية ، وأقبل هاتفاً : « أخوكم القروى » فكان العناق الحار والتحيات الصميمات .. ومنذ تلك اللحظات إئتلفت روحانا وتعددت لقاءاتنا .

كان السرى المهجرى اللبنانى (الياس عاصي) صديق القروى الحميم ، فدعانا إلى لقائه فى سهرة فى بيته .. ولقاء القروى أمنية من أحسن المنى .. والاستماع اليه محدثاً واستنشاده الشعر من جمالات الزمان .

وقلت فى يومية الثانى من آب : « نعمنا بلقاء الوطنى العربى الفذ الأستاذ رشيد الخورى الشاعر القروي . ما رأينا شاعراً ينطبق شعره عليه اخلاقاً واحاسيس .. شكلا وموضوعاً مثله . لو جاز أن يكون للوطنية قديسون لكان القروى « قديس الوطنية العربية » (١) .

مما سمعته الليلة من أنباء وطنية القروى الصوفية مارواه صديقه الياس عاصى قال : « كان القروى حين يتطوع فى الطواف على القرى والأقاليم النائية لجمع الاعانات للقضايا العربية ، يستصحب معه (جوارب) لبيعها فى الحين ذاته ولينفق من ربحها على أجور رحلته ، مؤثراً هذا على ان ينفق من الأموال العامة شيئاً .. » وقد أسمعني القروى قطعة من شعره بمناسبة سفره سفرة شاقة فى الأقاليم لجمع عشرة قروش من كل عربى من أجل فلسطين ولقي فيها من العنت مالقي ، وقد دونتها فوراً وهذه هى :

أفضول ياترى أم غيرة ؟ أوقرت ظهري وهدت منكبيا
انحلت علة غيري جسدى وأسالت كبدى من مقلتيا
يا بنى أمي هل كلفتكم حمل عبء لم يهشم ساعديا
طالما سابق عسرى يسركم حين لا أملك إلا أصغريا
ان وهبتم فضل مال فأنا نازف ما فى عروقى ويديا
ولكم باذل فلس يدعي انه لولاى لا يبذل شيا
أنا راض ، حاسب كل يد تنفع الأمة مسداة اليا



لقطة تذكارية للشاعر القروى وهو يصافح شكرى القوتلى (١٩٥٨)





الشاعر القروى وأخوه الشاعر المدنى : قيصر سليم الخورى . وفى الصورتين نرى مدى التشابه بين الأخوين

سايرونى واخدموا أوطانكم
واحسبوا المنة يا قومى عليا

وتوالت لقاءاتنا فى الأصبوحة والأمسية ، وطالما صحبنى بعنقود من العنب ، يرى انه أفيد ما يفطر به المرء فى الصباح . وننطلق الى أحد الحقول ونتماشى ساعة يسمعنى فيها من أغاريده روائع ثم نعود الى الفندق حيث تدق ساعة العمل للقضية .

يا بلفر !

وفى الخامس من آب أقام العميد المهجرى يوسف اليازجي مهرجاناً عربياً ضخماً فى قصره حضره أعضاء العصبة الأندلسية وأركان الجاليتين السورية واللبنانية والوفد الاكليركى الذى أم سان باولو ليدشن فيها كنيسة ارثوذكسية عربية . وتوالى الخطباء والشعراء « وألقى صناجة الوطنية الشاعر القروى قصيدته عن بلفور ، فأثار المشاعر ، وساعفت الذاكرة الشاعر الكبير شفيق معلوف فأنشد قصيدة نظمها يوم زيارة بلفور دمشق سنة ١٩٢٥ وطرده منها . وكان الشاعر فى العشرين من عمره .. وما أروع نشيد يا فلسطين الذى رتله الارشمندريت شامية بصوته الرنان .. » .

وقصيدة القروى تبلغ سبعين بيتاً ومطلعها :

الحق منك ومن وعودك أكبر
فاحسب حساب الحق يامتجبر
تعد الوعود وتقتضي انجازها
مهج العباد ، خسئت يا مستعمر
لو كنت من أهل المكارم لم تكن
من جيب غيرك محسناً يا بلفر



عد من تشاء بما يشاء فانما
دعواه خاسرة ووعدك أخسر
فلقد نفوز ، ونحن أضعف أمة
وتؤوب مغلوباً وأنت الأقدر

ومن أبيات هذه القصيدة الملحمة :

يا عرب والثارات قد خلقت لكم
اليوم تفتخر العلى ان تثأروا

• • •

يدعوك شعبك ياصلاح الدين قم
تأبى المروءة ان تنام ويسهروا
نسى الصليبيون ما علمتهم
قبل الرحيل فعد إليهم يذكروا
«ريكاردس» ادرى بسيفك منهمو
فليسألـوه لعلـه لا ينكـر

• • •

ياربة الدأماء مهما تكثرى
عدد السفين فعند ربك أكثر
قد بعت مجد الانكليز لتربحى
مال اليهود . نِعِمَّ هذا المتجر
كَرليل فى قيد النخاسة راسف
يبكى النبوغ وشكسبير وولتر
لا تستقلى فى الخصومة عدنا
فالعدل خلف أخى الظلامة عسكر
هددت بالأسطول أرواح الورى
ان كنت منذرة نفوقك منذر
إن تأمني خطر البحار فإنما
دمع الأرامـل واليتامى أخطر

عيد البرية

وفى سان باولو ناد فخم اسمه النادى الحمصى أقامه المهاجرون الحمصيون ، وهو من أرقى الأندية العربية فى المهاجر . انه مركز الحركات القومية وفيه تقام الحفلات الوطنيةوالمهرجانات الأدبية .

وفى السابع من آب ١٩٤٧ اقام النادى الحمصى مهرجاناً عظيماً لفلسطين تجاوز حضوره الف سيد وسيدة ، وتعاقب الخطباء على المنبر ، وألقى فيه شاعر الوطنية العربية القروى بعض شعره فهز مشاعر الحضور ، وارتفع صوت مدو : «عيد البرية ، عيد البرية ..» وقيل لى : انها قصيدة القاها فى عيد المولد النبوى» فاستجاب للنداء وراح يشدو :

عيد البرية عيد المولد النبوى
فى المشرقين له والمغربين دَوى
عيد النبى ابن عبدالله من طلعت
شمس الهداية من قرآنه العلوى
بدا من القفر نوراً للورى وهدىً
يا للتمدن عَمَّ الكون من بدوى

وراح يناجى رسول الله ثم يهتف :

يا قوم هـذا مسيحي يذكركم
لا ينهض الشرق الا حبنا الأخوي
فإن ذكرتم رسول الله تكرمة
فبلغوه سلام الشاعر القروي

العصبة الأندلسية

العصبة الأندلسية ، وما أدراك ما العصبة الاندلسية ! أسسها الأديب الشاعر ميشيل معلوف سنة ١٩٣٥ وترأسها فى مطلع عهدها ، وقد ضمت ثلاثين شاعراً وأديباً وعالماً ، وهدفها كما نصت عليه المادة الأولى من قانونها «هو تعزيز الأدب العربى فى المهجر بمختلف الوسائل وايجاد الصلات العلمية وتوثيق روابط الود بين العصبة وسائر أندية الأدب العربى ومكافحة التعصب» .. ولها مجلة راقية باسم (العصبة الاندلسية) تحررها نخبة من أركان العصبة . ثم ترأسها بعد وفاة ميشيل الشاعر القروى . الذى تخلى بعد سنة واحدة عن رآستها للشاعر النابغة شفيق معلوف . وقد بذل شفيق من جهده وأنفق عليها من ماله ما جعلها مجمعاً شعرياً وأدبياً راقياً .

حبـة القمح

قلت فى يومية الثامن من آب ١٩٤٧ : «أقام الليلة رئيس العصبة الاندلسية وعقيلته (عَرَّابة العصبة) الراقية مهرجاناً عربياً عظيماً على شرف الوفد فى قصرهما الفخم حضره أعضاء العصبة وجمهرة من المتأدبين . انتقل الليلة سوق عكاظ الى البرازيل الى دارة شفيق معلوف . بعد أن خطب شفيق وأعضاء الوفد .. جاء دور الشعر واقترح أن يرتل شعراء العصبة مختارات من شعرهم . فتلا شيخهم القروى رباعيته فى حبة القمح :

من حبة القمح اتخذ مثل الندى
يا من قبضتَ عن الندى يمناكا
هى حبة اعطتك عشر سنابل
لتجود أنت بحبة لسواكا
حلمت بأن ستعيش فى خبز القرى
فتراقصت للموت حول رحاكا
وكأنما الشق الذى فى وسطها
لك قائل : «نصفى يخص أخاكا»

وقد ترجمت هذه الرباعية الى البرتغالية ، والقتها أميرة فن الالقاء فى البرازيل مرغريدا فى حفلة عامة على مسرح سان باولو البلدي ، فكان لها وقعها البالغ ، وتألفت لجنة من السيدات البرازيليات الراقيات لتطلب من مرغريدا القاءها فى حفل لمصلحة فقراء الأحداث فكان ريع الحفلة عظيماً . واقام الياس عاصي صديق القروي حفلة لتكريم العبقرية حضرها نخبة من رجال العلم والأدب ، من برازيليين وعرب ، والقت مرغريدا الرباعية القاء رائعاً فتأثر القروى ، ونظم أبيات فى تحية الفنانة ، ترجمها الى البرتغالية فوراً العالم اللغوي توفيق قربان ، وأخطب خطباء البرازيل سلمون جورج الذى تلاها ، فرنحت داليدا ، وهبت تعانق الشاعر بين تصفيق الحضور ..

وتلا القروى تلك الأبيات فأطربنا :



شفيق المعلوف



أنطون سعادة

يازهرة الدنيا خصصت بما غدا
لأزاهر الفردوس شغلا شاغلا
فن حليت به لفرط جماله
جعل الحوالى بالنجوم عواطلا
من حبة القمح اجترحت عجيبةً
تركت عقول الأصفياء ذواهلا
جاءت بعشر سنابل من بعد ما
دفنت بصدر الأرض حولا كاملا
حتى اذا مرت بثغرك مرة
ردت لنا أضعافهن شنابلا (٢)

روائع

وتلا شاعر النادى الحمصى نصر سمعان – وهو برأى القروى أشعر الشعراء الحمصيين – أبياتاً ناجى بها فلسطين مطلعها :

يا فلسطين قدستك الضحايا
وكساك الخلود ، أسنى بروده
أنت فى معزف الحياة نشيد
لا تمل الحياة من ترديده

وشدا الشاعر الحمصى ، ذو الديباجة الجزلة ، واللغة المتينة حسنى غراب قصيدة مطلعها :

صبرا فلسطين صبراً وارقبى فرجا
لابد من عجب يأتي به رجب
والحرب آتية والسيف منتدب
لحل ما عجزت عن حله الكتب

وقد وصف المجاهدين الثائرين :

دون العرين أباة كالليوث لهم
بالسمر والبيض فى جد الوغى لعب
لا يركبون لغير النصر إن ركبوا
أو يغضبون لغير الحق إن غضبوا

قوم اذا سئلوا اعراضهم بخلوا
بها وإن سئلوا أرواحهم وهبوا

وجاء دور رئيس العصبة نابغة الشعر شفيق معلوف فاقترح عليه القروى ان ينشدنا أبياته فى الفلاح فشدا :

عرق الجبين همى على عينيه
فـــانطبقت جفونـــه
هلا نظرت جبينه كم فيه
لـــؤلـــؤة تزينـــه
ضنت عليه بالدموع عيونه
فبكـى جبينـــــه
والراعى الذى ينفخ فى الناي ؟
كأنما الجرح جرح مهجته
كأن على نايه له ثقب
فالناي لا يأتي على فمه
يَعب من قلبه وينتحب

وكان فى الحضور فتى أسمر قال شفيق : هذا ولدى اليكو .. انه شاعر ولكن بالبرتغالية .. وقد نظم قصيدة هأنذا أترجمها لكم .. وتلاها فى أروع معانيها الأصلية وما أبدع ترجمتها الى العربية .

وتلا شفيق وصيته الشعرية لابنه اليكو :

لا تَرج شعرى . إن شعر أبيك ليس بمسعدك ان لم تخلد انت نفسك ، ما أنا بمخلدك من مخبري ؟ فلربما نلت الخلود على يدك .

واكتهل الليل فعدنا الى الفندق يرنحنا السكر الحلال من رحيق الشعر العربى العالى .

حضن الأم

فى الاحتفال بتدشين فرن جديد لمعامل الحديد الكبرى لآل يافت فى سان باولو سمعنا خطيبا مفوهاً ، يتدفق بالبرتغالية كالأتي المنهمر وقيل لنا أنه سلومون جورج ، عربى الأصل . وهو نائب فى البرلمان البرازيلي ويتزعم الحزب الاشتراكى التقدمى ، ويطلق عليه لقب : الخطيب الساحر . حرصت على الاجتماع به ورأيت من دماثته واعتزازه بدمه العربى ما اغرانى بالخوض معه فى حديث عن الآداب العربية والبرتغالية والاسبانية ومقارنته بينها ،

ومما اذكر قوله : « حسب الأدب العربى الحديث فخراً ان ينجب بشاعر عبقرى كالقروى وحسبه لأن يعد عالمياً ان يكون ناظم قصيدة (حضن الأم) وكان لى شرف ترجمتها الى البرتغالية ، كما ترجمها الشاعر الانكليزى آرثر آربري ، أستاذ اللغات الشرقية فى جامعة لندن ثم ترجمت الى الأسبانية والفرنسية والايطالية . نظمها الشاعر قبل اثنتين وعشرين سنة . وفى أعيادنا ندرجها على بطاقات التهنئة مع صورة سيدتنا مريم تحتضن سيدنا المسيح » . وناولنى الترجمة بالانكليزية مطبوعة . وأضاف القروى : « وقد طبعها مهجري محسان على نفقته وجعل ريعها للأعمال الخيرية » .

والقصيدة منشورة فى الديوان .

شفيق معلوف

وانطلقنا بعد ذلك الى زيارة مصانع حياكة الحرير وغزل القطن لآل معلوف . كانت الماكنات تعمل ودوى المحركات

القروي
شاعر العروبة
سيرته في ذكريات



يخرق الآذان وبينما نحن وقوف نشاهد نسج الخيوط تناول الأستاذ شفيق معلوف مقصاً قطع به أحد خيوط النسيج ، فتعطلت الماكنات وتوقفت المحركات وساد الصمت

.. وقال شفيق : « أرأيتم ؟ ان قطع خيط واحد يشل المصنع كله ! » وعاد فوصل الخيط فواصلت المحركات عملها وضجيجها . وقال القروى : « قدر الشاعر أن يعيش مع الماكينات ! ! اسمعنا يا شفيق وصفك للحالة » . فقطع شفيق خيطاً فساد السكون وهتف :

أبيت وللفولاذ حـولى جبابر
حلاقيمها غصت بخيط معقد
فأين مجال الوحي منها وشدقها
يلوك حديداً تحت ناب محدد

وصاح نصري : أرأيت أروع وصفاً لهذا من قوله : « حلاقيمها غصت بخيط معقد ! » .

يا مود !

وفى المساء اقام الشاعر فيليب لطف الله حفلة أدبية ساهرة تكريماً للوفد القى فيها شيئاً من شعره ونثره ولا ازال أذكر قوله : « عرب مؤلفة من عين وريب» وخطب اعضاء الوفد ، واما القروى فقد القى من منظوماته سبعة ابيات فى فتاة انكليزية اسمها مود ، لعلها توددت إليه :

ولو لم تكونى فرنجية
لكنت سعاديَ قبل سعاد
ولـكننـى عربى المنى
عربى الهوى ، عربى الفؤاد
لعمرك يا (مود) لولا ذووك
لما ميز الحب بين العباد
ولا اكرهوا شاعراً أن يقول
هذى البلاد ، وتلك البلاد
فهم أوغروا بالعداء الصدور
وهم أضرموا النار تحت الرماد
فلا تعذلى شاعراً زاهداً
وكم هام بالحب فى كل واد
فإنى حرام علَي هواك
وفي وطنى صيحة للجهاد

انطون سعادة

وبعد العشاء دار حديث مفاض مع القروى حول الخصومة اللداء بينه وبين

الحزب القومى السورى وزعيمه انطون سعادة . وقد ذكرت بالتبجيل الدكتور خليل سعادة ، والد انطون ، أحد رواد القضية العربية ، وكنت أعلم انه كان يحرر

جريدة (الرابطة الوطنية السورية) ، فلما توفى خلفه القروى على تحريرها ، فهو والقروى فارسان من فرسان العروبة ، على حين كان انطون يقول بالقومية السورية ،

فكان اختلاف الأب والأبن فى المعتقد عظيماً ، وكنت أعلم ان انطون سعادة وبعض القوميين السوريين يشنون حملات شرسة على الشاعر القروى ، فحرصت على أن استحكى القروى قصة هذه الحملات فقال : « علاقتى بالدكتور خليل كانت

أخوة صميمية . كان وطنياً كبيراً ، عربياً صافياً . ذهنه وقاد ، قلمه سيال ، فكره نفاذ ، كنت أتعلم منه . ولما توفى ندبته ورثيته ونظمت رباعية نقشت على قبره ، وطبيعى ان أحمل بادىء الأمر لابنه أنطون

مودة ، حتى انه حين وافتنا الأنباء انه ألف فى لبنان حزباً وطنياً ، وان الفرنسيين يضطهدونه ، بادرت الى الانتصار له ، وكتبت « افتتاحيات » فى تمجيده والدفاع عنه ، وماكنت ادري أن فلسفة حزبه تتنكر للعروبة . وحين أفرجت السلطات

الفرنسية عنه وجاء البرازيل استقبلته واحتفلت به .. ولكننى فى أثناء الأحاديث والمناقشات رأيت ان الخلاف فى العقيدة بيننا عظيم جداً . كما لمحت أسلوبه الاملائى على جماعته . كان يطمع أن أدخل حزبه وقضيت ذات مرة ثمانى عشرة ساعة فى مناقشته ، وانتهى الأمر الى قطيعة .. وقد كتب يتهجم علي ، وبلغنى ان جماعته يأتمرون بى ويودون ان يتخلصوا منى ، وشنت جريدتاهم فى البرازيل والأرجنتين غارات شعواء على أدبى وشعرى ، وكان فى المتحاملين على أصدقاء لى قلت فيهم :

ألا رب اخوان علي تَحاملوا
كأن لم يكونوا قبل من خيرة الصحب
اثاروا من العدوان حولى (زوابعاً)(٣)
فما حركت منى سوى حبق الحب
اذا جمحت بى نزوة راضها الرضا
وعاتبنى قلبى ، فأذعنت للعتب
وهون عندى السب أن لبعضهم
زغاليل اطفالا تعيش على سبى

ولم تقتصر الحملة علي على القوميين السوريين ، فالاحتلاليون من أنصار فرنسا تفننوا فى مهاجمتي ولاسيما بعد خطاب وطنى القيته على اثر تصريح ادلى به « سيدنا » البطريرك فيه حنين الى فرنسا ، وردت فيه هذه الأبيات :

فَرَنسة زال ظل الموت عنا
ببعدك وانطوى العلم البغيض
ولكن حبك الموروث داء
عيـون شيوخنا منه تفيض
غزا أديارنا والـدور تزجى
لـرَبته النوافل والفروض

فعشش فى لحى الرهبان سودا
وباض ، وهن مثل الثلج بيض
حسبنا منه « سيدنا » تعافى
فساء الفأل وانتكس المريض

وفوجئت بعد ذلك ببطاقة توزع وقد رسم عليها رأس القروى على جسم كلب طويل الذيل مع عبارات بذيئة .. فقابلتها بالسخرية والضحك .

الشاعر المدنى

وقبل ان نبرح سان باولو أو صنبول بعد انجاز مهمتنا وتأليف لجنة الدفاع عن فلسطين وتدشينها فى حفل وداعى فى النادى اللبنانى أقيمت سهرة أدبية حافلة فى بيت السيد الياس عاصى ، وحرص القروى على أن يكون أخوه وشبيهه قيصر الملقب بالشاعر المدنى فى الحضور ، ومما رواه ان الشاعر المدنى أصيب بمرض القلب فبذل الياس من جهده وماله ما عالجه حتى أبل من مرضه فنظم بيتين من الشعر ما أروعهما :

الياس يا مصباح ليلى
لا أجَفَّ الله زيتك
أنت ماداويتَ قلبى
إنما رَممتَ بيتك !

المتنبي

وفى السهرة أتينا على ذكر المتنبي واستشهدنا ببعض أبيات من شعره . والمتنبي على رأى أستاذى المرحوم اسعاف النشاشيبى يدخل شخصاً ثالثاً فى كل قضية .. ونعلم أن العصبة الاندلسية قد دشنت أعمالها بالاحتفال سنة ١٩٣٥ بمرور ألف سنة على وفاة المتنبي وقد اشترك شعراء العربية فى الحفلات التذكارية التى أقيمت سنتئذ ، وذاعت شهرة قصيدة القروى ، وهى بالغة الروعة ، فاستنشدناه اياها .وهى فى ثلاثة وسبعين بيتاً ، ومن ابياتها المتفرقة المستعادة :

لتسجد ملوك الشعر من كل أمة
اذا رفعت بندَ الفصاحة عدنان
يمن علينا الدهر فيك وإنه
على نفسه لو يعلم الدهر منان
بك اشتهر العصر الذى أنت فخره
وأنت له التاريخ والمجد والشان
عيال على ذكراك ذكرى ملوكه
واسماؤهم فيه على اسمك ضيفان
خلدت فخلدت الزمان وهكذا
تموت وتحيا بالنوابغ أزمان
وأنهاهـــا :
أبا الشعر هذا محفل من محافل
تهز بها الدنيا بذكرك قحطان
صحا الدهر فاستسقاك كأساً جديدة
قضى ألف عام قبلها وهو سكران
ألا نهلة أخرى ؟ أما من ثمالة
يهش لها صاد وناد وندمان
خلا العرش بعد «ابن الحسين»على المدى
وعَطَّلَ من كسرى البلاغة ايوان
تمر البرايا موكباً إثر موكب
يقل فحول الشعر ، والشعر سهران
يفتش فيها عن خليفة أحمد
فتمضى الليالى وهو حيران يأسان !

الطلل المهجور

ولمحنا اعجاب القروى بخفة دم أخيه المدنى وقال إن أخاه « معيل » وعمله التجاري سبب إقلاله من النظم ، وهو يسكن منزلا متداعياً لا يبرحه لأن صاحبه الشهم المحسان يوسف اليازجي يتجاوز عن تقاضى الأجرة ، وقد اطلق عليه اسم « الطلل المأهول » ونظم فيه قصيدة بالغة الطرافة .. وأراني لا استطيع إغفالها فى المقال مع أن حديثى عن القروى لا المدنى :

ولي بيت تطوف به العوادى
وتنشر فى جوانبه الدمارا
أجيل الطرف فيه ولست أدرى
أأحذر منه سقفاً أو جداراً
هوى من سقفه نصف ونصف
تمسك بالدعائم واستجارا
اذا ما الريح هبت من يمين
عليه زويتُ أولادى يسارا
يساند بعضه أكتاف بعض
فيضحك من تسانده السكارى
شقوق من تطلع من بعيد
يرى بيتاً وابواباً كثارا
فمنها ما تعَلّى أو تدَنّى
ومنها ما استطال وما استدارا
فما من موضع للسر فيه
كأن السر معروض جهارا
نوافذ كالعيون بلا جفون
وقد تعبت من النظر ازورارا
أغافل إن نضوت به ثيابى
غريبا قد يمر بنا وجارا
أعيش وزوجتى فيه كأني
من العزاب وهى من العذارى
يقولون : ارتحل عنه ، ومن لي
بملاك يقول : دع الإجارا
ولا مال لَدَي ولا شباب
فما حالى اذا استأجرت دارا؟

وقال أحدهم ساخراً : جامعة الدول العربية تتألف من خمس دول (هكذا كانت يوم تأليفها) فصمت القروى قليلا ثم ارتجل بيتاً بقى فى ذهنى معناه ، ولست موفقاً من صحة مبناه :

أصابع كف المرء فى العد خمسة
ولكنها فى قبضة اليد واحد !

* * *

وغادرنا البرازيل إلى الأرجنتين فسائر دول أمريكا اللاتينية .. ولم اكد أعود الى الوطن حتى تجددت اتصالاتى بالقروى بمراسلات حفلت بذكريات أرجو أن أتحدث عنها فى مقال تال(٤) .

أكرم زعيتر

هـــــــوامــــــش

(١) اشار إلى هذا اللقب كثيرون من الذين كتبوا تكريماً له حياً او تمجيداً لذكراه راحلاً
(٢) شنبلة : قبلة ولثمة
(٣) الزوبعة : اسم جريدة الحزب
(٤) ملحوظة : القصائد فى هذه الذكريات منها ما استمليتها القروى ساعة انشادها ومنها ما استكتبته اياها بعد ذلك او زودنى بقصاصات لاازال احتفظ بها .

● الصراع يدور في منطقة يشكل العرب فيها عنصرًا مسيطرًا
● لا يمكن تصفية القضية الفلسطينية .. والحل الأمثل هو حل تدريجي!

الجنرال أهارون ياريف والمأزق الصهيوني

بقلم : عصام شريح

قد لا يكون أهارون ياريف أحد المنظرين الرئيسيين فى الحركة الصهيونية ، لكنه بلاشك أحد المعبرين بقوة ، عن المأزق الأيديولوجي الذى وصلت إليه الصهيونية فى المرحلة التى أعقبت حرب تشرين الأول (اكتوبر) من عام ١٩٧٣ ، وغزو لبنان فى حزيران (يونيو) ١٩٨٢ .. ومن هنا يبدو الحديث عن أهارون ياريف ، والأفكار « المستحدثة » التى يطرحها ، وخاصة ما يتعلق منها بحل القضية الفلسطينية ، أمراً مهماً ، إن لم يكن بالغ الأهمية .

اسرائيل فى مأزق

من مجمل الأفكار التى يطرحها أهارون ياريف ، يتضح فعلا ، أن الفكر الصهيونى قد بدأ يواجه مأزقا غير سهل على الاطلاق ، لأن الطروحات التى يعرفها ياريف ، هى من الطروحات النادرة فى هذا الفكر ، الذى يتسم أساساً بالاغراق فى العنصرية والشوفينية ضد العرب ، وغير العرب أيضاً ، ولأن هذه الطروحات التى نصفها « بالمستحدثة » ، تتناقض تماماً مع طروحات سابقة لياريف نفسه ، عرضها قبل وقت قصير من « غرق » اسرائيل فى المستنقع اللبنانى .

ففى كتابه « أسوار إسرائيل » ، الصادر فى عام ١٩٨٢ ، الذى صاغه « جان لارتيغى » ، راح أهارون ياريف ، يستخف بالعقل العربى وقدراته وتكوينه الخلقى ، حيث قال : « إذا جاء وقت الفعل .. فى الحرب مثلا ، تهاوى كل شيء ، وحتى فى هذه اللحظات ، يصعب أن يصدق العرب الواقع ، لكنهم فى نفس الوقت يبدون عاجزين عن أي مبادهة ، سواء فى التكتيك أو الاستراتيجية .. إنهم غير قادرين على الابتكار ، والفكر العربى العسكرى ، فكر عقائدى ثابت ، لا مرونة فيه » .

ويمضي ياريف فى استخفافه ، فيضيف قائلا : « إن العرب يعتمدون بعد ذلك على عامل الزمن ، ويقولون إن لديهم الوقت الكافي .. وقد خرج الصليبيون من قبل من البلاد .. » ويعقب الجنرال ياريف على هذه الفكرة التبسيطية الى أبعد الحدود ، بالقول : إن الاسرائيليين يعتمدون أيضاً على عامل الزمن ، ويستفيدون منه أبعد فائدة . ثم يراهن ياريف على أن العرب سيبقون غير موحدين أمداً طويلا ، وخلال ذلك ، فان أمام الاسرائيليين فرصة كافية لاستخلاص أقصى الفوائد الاستراتيجية من « انتصاراتهم » ! !

وبالطبع ، فإن من السهل دحض هذه الآراء المبسطة ، التى يعرضها علينا عدو ، بل وعدو تاريخى ، ويكفى أن نذكر الجنرال ياريف بحرب عام ١٩٧٣ ، التى هزت الكيان الصهيونى من جذوره ، ويكفى أن نحيله على مذكرات هنري كيسنجر التى نشرها فى مجلة التايم الأمريكية ، والتى قال فيها إن الادارة الأمريكية ، أدركت فى اليوم الثالث للحرب ، أن اسرائيل قد انتهت ، ولم يستطع الأمريكيون أن يشعروا بأن اسرائيل قد وقفت على رجلها ، الا بعد ظهر ذلك اليوم ، ولكن بعد أن أقامت الولايات المتحدة جسراً عسكرياً جوياً بينها وبين اسرائيل ، كانت تصب فيه خمسمائة طن من الأسلحة والذخائر فى الساعة الواحدة .. لكن على أية حال ، لسنا معنيين هنا بدحض أو مناقشة آراء ياريف هذه ، لأن ياريف هو الذى سيرد على أفكاره الضحلة هذه ، بعد قليل ، وذلك فى ضوء نتائج الغزو الاسرائيلى للبنان ، والصمود البطولى ، بل والأسطورى لمنظمة التحرير الفلسطينية خلال حصار بيروت فى حزيران (يونيو) ١٩٨٢ .

وعندما يرد ياريف على ياريف ، يبدو لنا ، أن المأزق الذى وصلت اليه إسرائيل حالياً ، يبدو فى أحد أجلى صوره وأوضحها . فما هى آراء وطروحات ياريف « الحديثة » هذه إذن ؟؟

بعد شهور قليلة من غزو لبنان ، نشر ياريف سلسلة من المقالات التحليلية فى



الجنرال اهارون ياريف ، الذى يطرح أفكارا مستحدثة تعبر عن حالة الإنهاك التى أصابت الجسد الصهيونى

الصحف الاسرائيلية ، « دافار » وغيرها ، اعترف فيها بأن اسرائيل ، بل والحركة الصهيونية معها ، تواجه مأزقاً حقيقياً ، يقضي ، بوضع استراتيجية جديدة ، تتلاءم مع المعطيات التى أسفرت عنها عملية الغزو .

ويبدأ ياريف بعرض المأزق على الوجه التالى : هناك ما يتراوح ما بين مليونين الى ثلاثة ملايين فلسطيني (الاحصاءات الأخيرة تشير الى وجود خمسة ملايين فلسطيني فى العالم) ، « ولا تستطيع اسرائيل منع هؤلاء من وصف أنفسهم بالفلسطينيين » . وفى رأي ياريف أن من الغباء أن يتجاهل الاسرائيليون مطالب الفلسطينيين الوطنية ، « لأن من شأن هذا التجاهل أن يلحق الضرر باسرائيل فى نهاية المطاف » . بعد ذلك . يقفز ياريف فجأة ليعترف ضمناً ، بحق ما للفلسطينيين فى أرضهم « فلسطين » ، فيقول إن الحركة الصهيونية ، اصطدمت « مع الأسف الشديد ! » بالحركة القومية العربية بشكل عام ، وبالحركة الوطنية الفلسطينية بشكل خاص ، وان الصراع التاريخى يقوم بين الاسرائيليين والفلسطينيين على نفس الأرض (فلسطين) ! ثم يعترف الجنرال ياريف ، بأن الصراع يجري فى منطقة تشكل فيها الشعوب العربية ، عنصراً مسيطراً ، وذلك يعنى أن الصهيونية تخوض صراعاً ليس ضد الفلسطينيين فحسب ، وإنما ضد شعوب الأمة العربية بأسرها .

ثم ينتقل ياريف فى وضع سيناريو المأزق الاسرائيلي ، فيشير الى يأس ضمني من نجاعة أسلوب الحروب ، للخروج من المأزق ، خاصة وأن اسرائيل قد خاضت خمسة حروب كبيرة حتى الآن ، آخرها الحرب فى لبنان ، وكانت على مدى السنوات الخمس والثلاثين الماضية ، تقف فى حالة استنفار عسكرى متواصل ، ويدها أبداً على الزناد ، لأن القوات العربية التى تفوقها « عدة وعدداً » ، كانت وما تزال تقف فى مواجهة الجيش الاسرائيلى ، متحينة الفرصة للقضاء على اسرائيل ، رافضة التسليم « بوجودها » ، وإزاء ذلك فإن الاستراتيجية الاسرائيلية ، قامت طوال هذه السنوات الطويلة على تعزيز القدرة العسكرية .. بيد أن هذه القدرة لم تكن كافية لتدمير القدرة العسكرية العربية ، حتى فى حرب عام ١٩٦٧ ، التى حققت فيها اسرائيل انتصاراً واضحاً وسهلا ، إذ أن العرب تمكنوا بعد سنة ونصف من تلك الحرب من تعويض الخسائر التى لحقت بجيوشهم .. وبمعنى آخر يقول الجنرال ياريف ، إن سلاح القوة والحرب لم يستطع أن يغير شيئاً فى الارادة العربية ، التى تضع أمامها هدفاً ثابتاً هو تحرير فلسطين من الصهيونية .

بقية سيناريو المأزق

أما الفصل المثير فى سيناريو المأزق الذى يرسمه ياريف ، فهو الفصل المتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية .. فهو يشير صراحة الى أن حرب لبنان فى حزيران (يونيو) ١٩٨٢ ، كان هدفها استباق التطورات ، لمنع قيام دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، ويقول : « إنه لولا شن هذه الحرب ، لكانت منظمة التحرير الفلسطينية ، قد طورت أكثر فأكثر ، من كفاءاتها العسكرية وقوتها الدفاعية لاستفزاز اسرائيل وازعاجها .. وقد فاجأت إسرائيل منظمة التحرير ، وهى فى حالة انتقال من قوات حرب عصابات ، الى قوة منظمة ، ضمن اطارات عسكرية تقليدية ، ولو واصلت المنظمة عملية التغيير ، لكان بامكانها تشكيل قوة دفاعية ، بامكانها عرقلة خطط الجيش الاسرائيلي فى المستقبل ، فى حال شنه حرباً شبيهة بحرب لبنان الأخيرة ، وكان من شأن المنظمة أيضاً ، أن تطور قوة ذات كفاءة هجومية « محدودة » ، تكون قادرة على مساعدة السوريين » .

لكن أهم « اعترافات » الجنرال أهارون ياريف ، إنما جاءت فى قوله : « انه من غير الممكن مطلقاً تصفية منظمة التحرير الفلسطينية » على الرغم من حرب لبنان ، والامكانية الوحيدة التى أتاحتها هذه الحرب إنما كانت « تغييب » المنظمة ، بحيث لم يعد للفدائيين الفلسطينيين حالياً ، حدود مشتركة مع اسرائيل ، ولا قواعد قريباً من الحدود !! .

وبعد ذلك كله ، يحذر ياريف ، من أن المواطنين العرب فى الأراضي المحتلة ، إضافة الى عرب ١٩٤٨ ، سيشكلون مع نهاية القرن الحالى ، نصف « سكان اسرائيل » ، فى حال ضم الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، بسبب ارتفاع نسبة تكاثرهم الطبيعي ، وتقلص هذه النسبة لدى اليهود ، وهذا الواقع يحمل من المعانى ما يكفى للاسرائيليين ، ويحتم عليهم إزاء ذلك ، التقدم نحو حل القضية الفلسطينية .

حل ؟! .. أى حل !!

يتمثل الحل الذى يقترحه الجنرال ياريف ، لاخراج اسرائيل من المأزق الراهن ، وخاصة بعد غزوها « الفاشل » للبنان ، بمبادرة تنطوي على الاعتراف بحق تقرير المصير للفلسطينيين ، لكنه يسارع الى القول ، إن ما يقترحه بهذا الصدد ، هو لتحاشى قيام دولة فلسطينية ، لأن قيام مثل هذه الدولة فى الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، من شأنه أن يشكل خطراً قاتلا على الكيان الصهيوني ، حتى ولو كانت هذه الدولة منزوعة السلاح ، فليس بين الحد الغربي للضفة الغربية والبحر الأبيض المتوسط ، أكثر من عشرة أميال ، وبامكان عملية عسكرية عربية غير متطورة ، أن تشطر اسرائيل الى شطرين أو ثلاثة ،

من هــــــو؟

ولد (اللواء) أهارون ياريف فى روسيا فى عام ١٩٢٠ ، وهاجر الى فلسطين فى عام ١٩٣٥ ، إبان فترة الانتداب البريطانى ، وانضم الى عصابة الهاغاناه الصهيونية الارهابية فى عام ١٩٣٩ ، وقد خدم ياريف فى الجيش البريطانى خلال الفترة ١٩٤١ ــ ١٩٤٦ ، ووصل الى رتبة نقيب ، ثم عاد الى الهاغاناه ثانية ، وفى عام ١٩٤٧ ، عين مساعداً لرئيس أركان الهاغاناه ، ثم نقل الى شعبة العمليات فيها ، وفى شهر أيار (مايو) من عام ١٩٤٨ ، عين نائباً لقائد كتيبة فى لواء الكسندرونى ، ثم قائداً لكتيبة فى لواء كرملى ، واشترك فى معارك شمال فلسطين واحتلال مدينة الناصرة . وفى عام ١٩٥٠ توجه الى فرنسا ، حيث التحق بمدرسة الحرب العليا فى باريس ، ولدى عودته منها ، عين فى عام ١٩٥١ ، رئيساً لأحد فروع قسم العمليات بهيئة الأركان العامة ، ثم رئيساً لطاقم الاعداد ، لانشاء مدرسة القيادة والأركان ، ثم عين أول قائد لهذه المدرسة فى عام ١٩٥٤ ، وفى عام ١٩٥٦ ، عين رئيساً لأركان قيادة المنطقة الوسطى ، وفى صيف عام ١٩٥٧ ، عين ملحقاً عسكرياً فى الولايات المتحدة وكندا ، وعاد فى عام ١٩٦٠ الى فلسطين المحتلة ، ليعين قائداً للواء غولانى ، ثم انتقل الى شعبة الاستخبارات العسكرية فى عام ١٩٦١ ، وتسلم فيها عدة مناصب ، وبتاريخ ١-١-١٩٦٤ ، عين رئيساً لشعبة الاستخبارات العسكرية ، وعندما تصاعدت الهجمات الفدائية ضد الأهداف الاسرائيلية والصهيونية فى أوائل السبعينيات ، عينته غولدا مائير (رئيسة الحكومة آنذاك) ، مسؤولا عما وصف « بالمهام الخاصة » ، وهو الاصطلاح الاسرائيلى الذى يشير الى العمليات الارهابية الصهيونية ضد الفلسطينيين والدول العربية ، وقد أنهى أهارون ياريف خدماته فى جهاز الاستخبارات الاسرائيلى فى أيلول (سبتمبر) من عام ١٩٧٢ ، لكي يرشح نفسه لانتخابات الكنيست الصهيونى عن حزب العمل ، ثم استدعى للخدمة عند اندلاع حرب عام ١٩٧٣ ، وبعد انتهاء الحرب ، عين رئيساً للوفد الاسرائيلى الى مفاوضات الكيلو ١٠١ ، والتى انتهت باتفاقية سيناء لفصل القوات مع مصر ، وترك ياريف الجيش ثانية فى ١٨-١٢-١٩٧٣ ، ولكن ليعود اليه مرة أخرى فى حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٢ ، إبان غزو لبنان ، وبعد ذلك انصرف أهارون الى البحث والتفكير فى معطيات الصراع العربى ــ الصهيونى ، فشغل منصب رئيس مركز الابحاث الاستراتيجية بجامعة تل أبيب .

● الصهيونية تخوض صراعاً ليس ضد الفلسطينيين فحسب وإنما ضد الأمة العربية بأسرها

وبعدها ، تصل القوات العربية ، وبسرعة فائقة الى مناطق حيوية ، قبل أن يتمكن الجيش الاسرائيلي من تعبئة قواته .

كما يسارع ياريف الى القول ، بأن تجربة الحروب السابقة ، علمته أن لا يعلق آمالا على الحرب وعلى المجابهة العسكرية ، حتى لو حقق الاسرائيليون انتصاراً حاسماً وسريعاً وبثمن ضئيل « لأن الحرب لن تغير شيئاً جوهرياً في الواقع الفلسطيني ، وسوف تعود اسرائيل بعد الحرب الى مائدة المفاوضات السياسية ، حيث ستواجه ثانية نفس القضية .

وأكثر من ذلك فان ياريف يحذر من أن عدم التقدم الى الأمام في تطبيق ما يسمى « بالحكم الذاتي الفلسطيني » الذى نصت عليه اتفاقية « كامب ديفيد » ، سوف يؤدى الى انهيار « مسيرة السلام » مع مصر ، كما أن الدول العظمى ، وخاصة الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ، المرتبطة بمصالحها في منطقة الشرق الأوسط الفائقة الأهمية بالمنظور الاستراتيجي ، قد تتقدم بمبادرة حل للصراع العربى ــ الصهيوني ، وهو حل في رأى ياريف سيكون أسوأ بكثير من حل يرى أنه يمكن أن يقوم على أساس التفاوض .. خصوصاً وان اسرائيل تعتمد على الدعم المالي والسلاحى والدبلوماسى الأمريكى في تحقيق « مناعتها » !! يضاف الى ذلك أن علاقات السلطات الاسرائيلية مع المواطنين العرب في الأراضى المحتلة ، ستشهد توتراً متصاعداً ، وبذلك تكون اسرائيل بسياستها هذه ، سبباً في توحيد الدول العربية إن عاجلا أو آجلا ، ونشوب حرب جديدة .

إزاء ذلك كله .. يقترح هذا الصهيوني العتيق ، حلا للقضية الفلسطينية ، هدفه احتواء التطورات التى طرأت على المنطقة ، وأهمها النهوض الفلسطيني والعربى المتواصل ، رغم النكسات المتتابعة ، ويقوم هذا الحل ، الذى هو حل ممخرق في نظرنا ، على خمسة بنود أو « مبادىء » كما يسميها ياريف وهى :

١ ــ أن يكون تحقيق حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني ، بصورة مرحلية وتدرجية ، بهدف تقليص المخاطر الكامنة في ذلك على اسرائيل ، ويمكن أن يكون ما يسمى بالحكم الذاتي ، مرحلة من هذه المراحل .

٢ ــ أن تبقى القدس « عاصمة لاسرائيل » !! وأن لا يعاد تقسيمها ، أى الاعتراف بضمها نهائياً الى الكيان الصهيونى .

٣ ــ حل قضية اللاجئين الفلسطينيين ، عن طريق « توطينهم » خارج فلسطين .

٤ ــ تعديل حدود عام ١٩٦٧ ، ووضع ترتيبات أمنية أخرى !! كنزع السلاح وإنشاء محطات إنذار مبكر ، والتسليم بوجود عسكري إسرائيلي في بعض المناطق العربية المحتلة حالياً .

٥ ــ يشترط ياريف أخيراً أن يكون حق تقرير المصير للفلسطينيين مرتبطاً بشكل الزامي بتوقيع ما يسميه « بمعاهدات سلام » مع الدول العربية .

وعلى أساس هذه البنود ، يلخص الجنرال ياريف موقفه من المفاوضات مع الفلسطينيين ، فيقول إن ما يرمى اليه من جملة الأفكار التى طرح ، هو أنه « مستعد لاجراء مفاوضات مع أي هيئة فلسطينية ، تقبل بالاعتراف بسيادة اسرائيل ، ووقف « الارهاب » والغاء البنود الواردة في الميثاق الوطنى الفلسطينى ، والتى تتحدث عن ابادة اسرائيل !! » .. ثم يفصح ياريف عن نواياه الحقيقية بشكل أكثر تحديداً ، حيث يقول إنه لا يريد حلا للقضية الفلسطينية ، وإنما « التقدم نحو حل » ، ويبرر ذلك بكون الصراع له جذور تاريخية ، حيث العرب واليهود يقولون إن لكل منهما الحق في امتلاك فلسطين ، لأن الوصول الى الحل المنشود يقتضى السير في طريق طويلة وشاقة !!

هل هناك خلل ؟ !

لاشك في أن طروحات أهارون ياريف ، وهو الذى عمل في قلب المؤسسة العسكرية والمؤسسة المدنية الاسرائيلية ، تبدو وكأنها طروحات مستحدثة ، لكن هذه الطروحات في الواقع ، لا تخرج في كثير أو قليل عن طروحات أركان حزب العمل بزعامة شمعون بيريس ، وهى على الرغم من سمة الضبابية التى تغلفها ، ومن كونها لا تشكل معطى حقيقياً لأى حل يقبل به الفلسطينيون أو العرب ، فانها تبقى في نظرنا ، طروحات مهمة ، وملفتة للنظر ، لأنها تشكل انعطافة رئيسية في الفكر الصهيوني ، وهي انعطافة تعبر وتجسد بدورها واقع المأزق الايديولوجي النظري والعملى الذى وصلت اليه الصهيونية ، بعد خمسة وثلاثين عاماً من الصراع الدامى والمتواصل ، وهى بالتالى تؤشر بقوة على حالة من الانهاك أصابت الجسد الصهيونى ، وحالة من البلبلة والتضعضع اعترت فكر المؤسسة الصهيونية في صميمه .. وهذا في رأينا هو الدرس الأهم المستخلص من آراء وطروحات وتنظير الجنرال أهارون ياريف .. أما ما يترتب على العرب أن يفعلوه في حال استيعابهم لهذا الدرس ، فنتركه لذكاء القارىء وحصافته .

عصام شريح

هاتان واقعتان حدثتا لى شخصيا رويتهما كما جرتا ردا على من سألنى عن ولع كتاب القصة بخلق المصادفات غير المعقولة التحقق . لست شخصيا ممن يعتمدون على المصادفة فى بناء القصص التى أكتبها ، بل إنى أعتبر الاعتماد عليها نقطة ضعف فى موهبة القاص . إلا أن هذا لا يعني خلو الحياة من غرائب المصادفات ... وما أرويه هنا هو من هذه الغرائب

مصادفات ولكنها مذهلة!

بقلم : الدكتور عبد السلام العجيلي

السيدة هيلين كيكيدو ، ولا مانع من ذكر اسمها الصحيح ما دام قد مضى على حادثتى معها ما يقرب من ثلاثين عاماً ، السيدة هيلين كيكيدو هذه امرأة يونانية الجنسية ، نَصَف فى عمرها ، لا يخلو وجهها من حسن وملاحة . أبرز ما يجذب المتطلع الى محياها عينان سوداوان واسعتان ، عميقتا النظرة . ولا غرو ، فقد كانت الصفة التى تتخذها هذه السيدة ، والمسجلة تحت اسمها فى بطاقة زيارتها ، صفة الوسيطة الروحية ، ميديوم ، بمعنى أ نها كانت تمتهن قراءة الأفكار والبحث عن المخبآت والتنبؤ بالمستقبل . بهذه الصفة ، ولهذه المهنة ، كانت السيدة هيلين كيكيدو تنتقل بين مدن العالم الكبرى حين لقيتها فى دمشق ، فى منتصف الخمسينات ، فى فندق سميراميس الذى كنت أنزله كلما أممت العاصمة السورية ، فى تلك الأيام .

كان الوقت شتاء آنذاك . البرد فيه منقطع النظير والثلوج تقطع الدروب بين المدن السورية ، حتى أن رفاق سفرى الذين تأخروا فى الانطلاق من حلب بعدى اضطروا الى البقاء ليلتهم على الطريق بين حمص ودمشق ، إذ غاصت سيارتهم فى أكوام الثلج ولم يتمكنوا من استئناف السفر الا فى الصباح . كان طبيعياً فى ذلك البرد القارس أن أفضل قضاء أغلب أوقاتى فى دفء الفندق ، ولاسيما بعد ما يحل المساء ولا يبقى ما يدعونى الى التجول فى المدينة . وفى بهو الفندق التقيت بالسيدة كيكيدو ، فهى كذلك كانت تقضى أغلب أوقاتها فيه ، تنعم بدفئه وتستقبل قصادها ممن بلغتهم دعاياتها فى القدرة على الوساطة الروحية واستطلاع المغيبات .

أذكر الآن كيف أقبلت نزيلة فندقى هذه ، تتبعها سكرتيرتها العجوز التى تلازمها كظلها فى كل خطوة تخطوها ، فى واحدة من تلك الأمسيات ، لتجالسنا فى زاوية من بهو الفندق ، أنا وثلاثة أو أربعة من الزوار من أبناء بلدتى . وأحسب أن ا ولئك الزوار ، بثيابهم البدوية الغريبة عليها ، هم الذين اجتذبوها الى مجالستنا .

لابد أنها رأت فيهم زبائن مثاليين لمن كان مثلها . أوسعنا لضيفتنا فى المجلس وأصغينا الى حديثها عما يمكن للنفس الانسانية المزودة بقوى فوق الطبيعة أن تجترحه من عجائب . وقمت أنا بترجمة هذا الحديث الى زوارى الذين ما كانوا يفهمون كلمة من لغة السيدة كيكيدو الفرنسية . ويبدو أن تعليقاتى على ما كانت تقوله والابتسامة الخفيفة التى لم تفارق شفتى أوحت الى محدثتنا بأنى قليل الاقتناع بما أسمعه منها ، فقالت لى :

ـ كأنك تشك فى الذى أتكلم عنه .. مع ا نك تعرف ، بصفتك مثقفاً ، أن تجارب العلماء فى العصر الحديث أثبتت وجود الوقائع الميتابسيكية ، وهى الحوادث النفسية الخارقة التى لا تخضع لقوانين المادة المعروفة .

فقلت ، ودون أن أتخلى عن ابتسامتى الساخرة : من قال يا سيدتى انى أشك بما تتفضلين به ؟ أنا أؤمن به لأنى شخصياً أملك جانباً من القوة الروحية التى تتكلمين عنها .

قالت : أنت ؟

قلت : نعم . الا أنى لا أستخدم هذه القوة فى ما تستخدمينها أنت فيه . انى أحتفظ بها لنفسي .

قالت : أنت تمزح .. والا فاعطنى الدليل على ما تقول .



كنت أمزح حقاً ، فما كنت أعرف لنفسى أى أثر من القوة التى ادعيتها . ولكنى رأيت أن أسير فى مزاحى الى نهايته ، فقلت لمخاطبتى :

ــ اذا كنت راغبة فى ذلك فعليك أن تتحملى مسؤوليته . أين تقع غرفتك من هذا الفندق يا سيدتى ؟

قالت : فى الطابق الرابع ، ورقمها ٤٠٥ ، أقيم فيها أنا وانجليكا ، معاونتى .

قلت : أما أنا فأقيم فى الطابق الثانى . ما رأيك اذا جعلتكما تهجران طابقكما وتنزلان الى الطابق الثانى قبل انقضاء هذه الليلة ؟

قالت مستغربة : لم ذلك ؟ وكيف ؟

فلم أجب على استفهامها وانما قلت لها : ضعى يدك هنا ..

وكانت فى يدى حلقة مفاتيح بسطت كفى بها فوضعت هى كفها فوقها كما أشرت عليها ، وظلت كذلك لحظات الى أن سحبت كفى من تحت أصابعها . قالت :

ــ وبعد ؟

قلت : وبعد .. ليس لك الا أن تنتظرى ما سيجرى .

ــ وأنا اليوم ، وبعد ما يقرب من ثلاثين عاماً من تلك الأمسية ، لا أدرى كيف قلت ذلك الكلام ولا لماذا تصرفت ذلك التصرف . كل ما أذكره أن سخريتى المرحة استمرت بى فدفعتنى الى هذا وذاك . لم أكن أنتظر على أية حال أن يحدث ما حدث بعد ذلك ، أعنى بعد أن انصرف زوارى وأوى نزلاء الفندق فى تلك الليلة ، المفرطة فى بردها ، كل الى غرفته .

ما حدث كان من البساطة ، ومن الغرابة كذلك ، بمكان كبير . ففى نحو الواحدة بعد منتصف الليل أحسست بباب غرفتى يطرق بعنف . لم تكن العادة أن ينبه موظفو الفندق الكبير زواره بهذه الطريقة .

ولما أسرعت ففتحت الباب فوجئت بصاحبتى الوسيطة الروحية تقف أمامى بثياب نومها ملفوفاً عليها رداؤها المنزلى ، ووراءها تقف ظلها العجوز ، وعلى ملامحهما أمائر الدهشة البالغة . صاحت بي المرأة :

ــ كيف فعلت هذا ؟ كيف فعلته ؟ !

لم أدر عماذا كانت تتحدث مخاطبتى ، فلم أجبها بشيىء . وفى هذه الأثناء ، جاء أحد الخدم فأشار للسيدتين يدعوهما الى دخول غرفة مجاورة لغرفتى . سألته عما يجرى فقال :

ــ الأمر بسيط يا سيدى . توقف محرك التدفئة المركزية الرئيسى فى الفندق عن العمل ، فاضطررنا الى أن ننقل نزلاء الطوابق العليا الى غرف الطوابق الدنيا . المحرك الاحتياطى لا يدفىء غير الطابقين الأوليين ، وفى هذا الجو الجليدى لا يقوى أحد على أن ينام فى غرفة دون تدفئة ..

اذن فقد نزلت هيلين كيكيدو ، على رغمها ، من طابقها الرابع الى الطابق الذى فيه غرفتى ، وصح ما أنذرتها به فى أول المساء ! كنت نسيت ، فى الواقع ، انذارى الهازىء ذاك ، ولكن ها إن ما قلته قد تحقق . مجرد مصادفة .. هكذا قلت لنفسى . الا أن السيدة اليونانية ، المتعاملة ليل نهار مع القوى الغيبية والمعطيات الروحية ، تلقت هذه المصادفة تلقياً مغايراً . تبين ذلك فى ملامحها وهى تسألنى كيف فعلت هذا ، مؤمنة بأنى فعلته حقاً . كانت دهشتها أقرب الى الفزع منها الى الاستغراب . وحين ساقتنى أسفارى ، بعد عدة سنين ، الى زيارتها فى منزلها فى أثينا تصحبنى زوجتى ، ودعتنا الى العشاء فى احدى ضواحى العاصمة اليونانية ، راحت تقدمنى الى أصدقائها بوصفى الفتى الذى

مصادفات..
ولكنها مذهلة!

يملك قدرة روحية تفوق قوتها هى .. قدرة أطفأت المحرك الرئيسى للتدفئة المركزية فى أكبر فنادق دمشق لتحقق ما أردته لها من النزول من غرفة فى الطابق الرابع الى غرفة فى الطابق الثانى من ذلك الفندق !

* * *

فى الواقعة التى أوردتها كان الاندهاش الذى بلغ حد الذهول ثم الفزع من نصيب السيدة هيلين كيكيدو ، بينما لم يتعد نصيبى منها السخرية من ايمان تلك السيدة بقدرتى الروحية المزعومة . أما فى الواقعة التى سأرويها فكان الاندهاش من نصيبى أنا . إندهاش لم يبلغ حد الفزع ، وانما لم يخل من قدر كبير من الحيرة والتساؤل .

حدث ذلك منذ سنوات قريبة . حمل البريد الى فى عيادتى ذات يوم رسالة فى عدة صفحات ، مصدرها مدينة طرطوس على الساحل السورى . كاتب الرسالة شرطى عرفته منذ أعوام حين كان يقوم بوظيفته فى بلدتى ، وكنت أخصه ببعض الرعاية عندما كان يحتاج اليها . انقطعت عني أخباره منذ أمد طويل ، وها هو الآن يكتب الى ليخبرنى خبر حادثة مؤلمة نزلت به . فقد كان هلال ، وهو ذلك الشرطى ، يستقل إحدى سيارات مفرزته حين انقلبت السيارة فتسببت له برضوض وكسور أصبح بعدها غير مؤهل للاستمرار فى عمله كشرطى ، فتقرر تسريحه من الوظيفة باحالته على التقاعد . لم يكن هلال يشكو من التسريح أو الاحالة على التقاعد ، بل كانت شكواه من أن رؤساء له ، ولنقص فى الشكليات الروتينية ، اعتبروا ما جرى حادثاً عادياً تقع المسؤولية فيه عليه شخصياً ، وليس حادثاً أثناء أداء مهمة رسمية . بهذا الاعتبار يفقد هلاله حقه فى التعويض المخصص للاصابات أثناء العمل الرسمى ، ولا يتبقى له من مورد غير راتب التقاعد الهزيل .

لماذا كتب لى هلال بكل هذا ؟ كتبه لأنه علم أن اللواء ش . ، وهو المسؤول الذى يملك صلاحية البت فى حقه من التعويض ، صديق لى . لذا فانه ، أي هلال ، يرجونى أن أطلب من صديقى اللواء مساعدته بما يؤمن له ولأسرته المؤلفة من أم وزوجة وستة أولاد بعض ما يعينهم على عيش الكفاف .

وحقاً ، كانت لي معرفة وثيقة باللواء ش . ، الا أني لم يسبق لي أن سألته أمراً يدخل فى نطاق عمله ، عدا عن ثقل رجاء الآخرين على النفس ولو كان المرجو صديقاً حميماً . غير أن رسالة هلال كانت ، على كثرة تفاصيلها وسذاجة لغتها وتعابيرها ، مؤثرة بما تضمنته من وصف لسوء حال كاتبها وللغبن الذى سيلحق به اذا لم ينصف فتعتبر اصابته حادثة أثناء عمله الرسمى . وقر رأيي ، وأنا أدير فى بالى أمر هذه الرسالة وصاحبها ، فى طريقى الى المنزل بعد أن انتهيت من عملي فى عيادتى ، أن أضع الرسالة فى مظروف وأرسلها الى صديقى المسؤول الذى يقيم فى العاصمة على بعد ستمائة كيلومتر من بلدتى حيث أقيم ، مرفقة ببطاقة مني . ان تأثره بها لن يكون أقل من تأثرى أنا . واذا لم يكن قد صدر قرار مخالف فى أمر هلال ، فاني أحسب شكواه ستنصف وسينال فى النهاية مبتغاه .

بلغت منزلى على هذا القرار . وما كدت ألج باب الدار حتى قيل لي بأن متكلماً على الهاتف ينتظرنى ، فأسرعت لأمسك بالسماعة . وهنا كانت مفاجأة المصادفة التي شدهت لها . كان خاطرى مشغولا بالأفكار الدائرة فيه حول هلال ومشكلته ، وحول طريقة الاتصال بالصديق القادر على حل هذه المشكلة . كنت أتساءل متى أرسل الى صديقى الرسالة ومتى يتلقاها ، كيف يتقبلها وماذا يبت بشأنها .. متى ، وكيف ، وماذا ؟ .. واذا بالمتكلم على الهاتف هو صديقى نفسه ، يعلمنى بأنه على بعد خطوات مني ، وأنه لأول مرة يغادر مكتبه فى العاصمة ليتفقد مصالح دائرته فى أنحاء البلاد القصية ، فى جولة أوصلته الى بلدتى ، فسارع الى الاتصال بي ليرانى ولو لدقائق ، قبل أن يتابع سفره !

إنها مصادفة عفوية ، ولاشك فى ذلك . ولكن اقتناعى بعفويتها لم يحررنى من الذهول الذى أصابنى حين تناهى الى مسمعى هذا الصوت الذى ما كنت أتوقعه ، ا و أتوقع أن يكون صاحبه قد قطع مئات الكيلومترات فيصبح بقربى فى لحظة كنت أتصوره فيها فى مكتبه فى العاصمة البعيدة . أهي رحمة الله بالمسكين هلال هى التى فعلت هذا ؟ تجاوزت هذا السؤال الذى طرحته على نفسى وهتفت بصديقى مرحباً وداعياً إياه الى الاسراع الى حيث أنا فى انتظاره ، وفى حاجة اليه ..

* * *

هاتان واقعتان حدثتا لي شخصياً ، رويتهما كما جرتا رداً على من سألنى عن ولع كتاب القصة بخلق المصادفات غير المعقولة التحقق . لست شخصياً ممن يعتمدون على المصادفة فى بناء القصص التى أكتبها ، بل انى أعتبر الاعتماد عليها نقطة ضعف فى موهبة القاص . الا أن هذا لا يعنى خلو الحياة من غرائب المصادفات ، وأن غرابتها تدفع المرء أحياناً الى تفسيرها بغير ما تقول به قوانين الاحتمالات . يفسرها بادعاء قدرة روحانية خارقة جعلت محرك التدفئة المركزى يتوقف فى منتصف ليل الشتاء تحقيقاً لانذارى للسيدة هيلين كيكيدو . أو يفسرها بادعاء كرامة للشرطى المتقاعد ساقت المسؤول عن قضيته الى قطع المسافات الشاسعة كي يتبلغ الرجاء بانصافه . إنها تفسيرات بعيدة عن الصواب . فهاتان الواقعتان ، ووقائع أكثر غرابة منها وادهاشاً ، لا تعدو أن تكون مجرد مصادفات ، وإن كانت مصادفات مذهلة .

عبد السلام العجيلى

الرقة — سوريا

دائرة المعارف القرآنية

بقلم: الدكتور محمد البهي

الشكر إلى الله

إذا رجعنا إلى القرآن الكريم لتحديد معنى: «الشكر» وجدنا أن شكر الله هو في اتباع هدايته، وفي الالتزام بالإيمان به وبرسالته: فمعناه تطبيقي وعملي، أكثر منه نطقا وترديدا للفظه.

فصاحب المال والثروة إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في المال. وهداية الله في المال أن يكون للآخرين منه نصيب وراء الزكاة، حسبما يستطيعه صاحبه، دون أن يلحق عطاءه بِمَنٍّ أو أذى، ودون أن يشعر صاحب الحاجة بأن مايأخذه هو من مال المعطي، بل من فضل الله ورزقه: «والله فضل بعضكم على بعض في الرزق، فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ماملكت أيمانهم، فهم فيه سواء، أفبنعمة الله يجحدون ؟»

وصاحب العلم أو التوجيه إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في العلم والتوجيه وهداية الله في العلم والتوجيه أن لايكون العلم للرياء، أو يستخدم وسيلة للشر أو لإقلاق الآخرين وتهديدهم. وأن لايكون التوجيه للإغراء والخداع والإفساد. وإنما يتجه العالم بعلمه ــ في أي موضوع ــ إلى خير الإنسانية ونفعها، ويتجه الموجه بالتوجيه إلى الحق، والعدل والمحافظة على حرمات: النفس، والمال، والعرض.

وصاحب السلطة أو الوظيفة العامة إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في السلطة والوظيفة وهداية الله فيهما: في تجنب الطغيان، والابتزاز، والاستغلال، والانحراف عن طريق أية منهما .. في جعل السلطة والوظيفة للخدمة العامة، ولتيسير الأمر عن من يلتجيء إلى صاحب السلطة، أو الوظيفة.

والتولي للقضاء إذ يشكر الله يشكره باتباع هدايته في ولاية القضاء. وهداية الله فيه: في التزام العدل المطلق، حسب الطاقة البشرية، وتوخي البعد عن إثارة اللجاجة في الخصومة.

والعامل وصاحب العمل إذ يشكران الله يشكرانه باتباع هدايته في العمل. وهداية الله في العمل هي: في الأمانة في أدائه، وإتقانه من جانب من يباشره، وفي الوفاء بالأجر ورعاية الرأفة والرحمة من جانب صاحب العمل وتجنب الاستعلاء، وتأكيد روح الأخوة في الإنسانية وفي الايمان بين الطرفين.

وهكذا .. رب الأسرة بالنسبة لأسرته، وأم الأولاد بالنسبة لأولادها، إذ يشكر هو الله أو تشكر هي الله فشكر أي منهما في اتباع هداية الله في الأسرة وفي الأولاد. وهداية الله في ذلك هي: في الرعاية والإحسان، وحسن التهذيب.

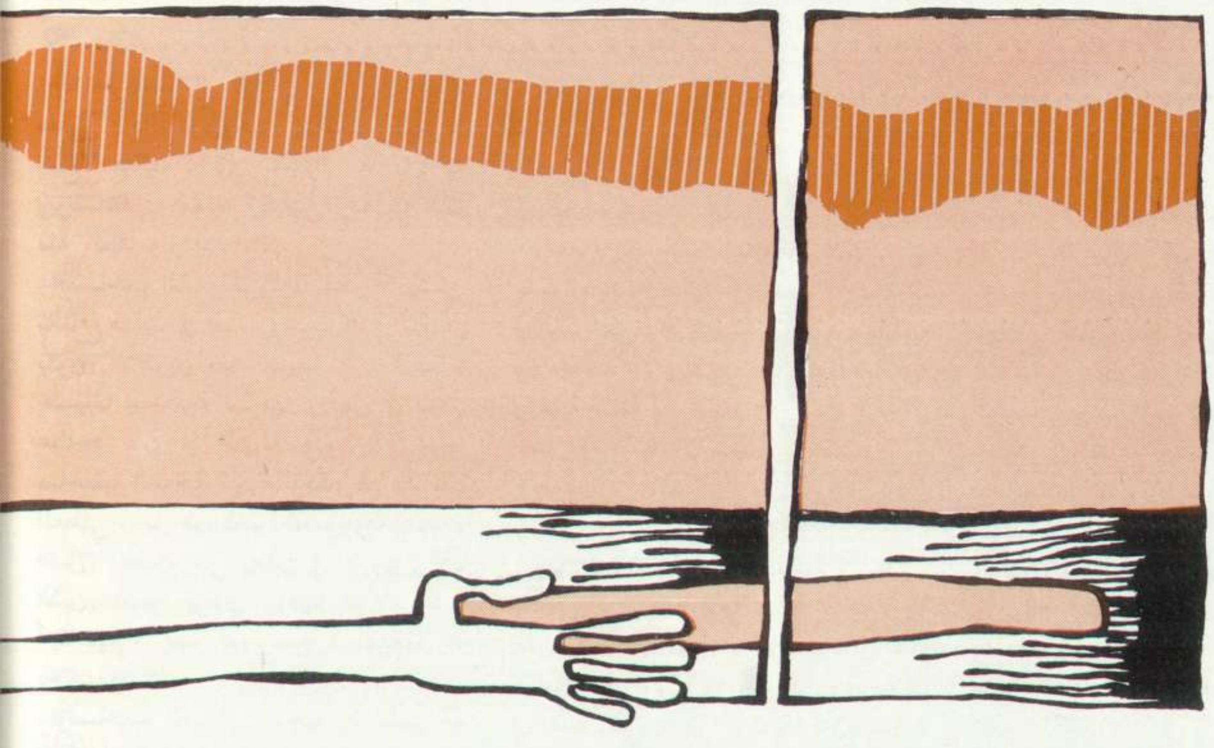
وإذن شكر الله على نعمة ماءهو في اتباع هداية الله في هذه النعمة عملا وتطبيقا. نقرأ قول الله تعالى: «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه، فجعلناه سميعا بصيرا. إنا هديناه السبيل، إما شاكرا واما كفورا» (الإنسان: ٢، ٣) .. فالقرآن الكريم يتحدث أولا: عن تركيب الإنسان في خلقه وإعداده. فإذا كان قد خلق من نطفة مختلطة بين الذكر والأنثى، فإنه قد زود بمدخل العقل والتفكير، وهو الحواس التي تميز: السمع والبصر من بينها. ثم يتحدث ثانيا: عن أن الله لم يدعه لعقله وتفكيره في شأن الهداية إذ قد تتغلب على عقل الإنسان وتفكيره نزعات الغرائز ــ بحكم تبكيرها في مباشرة أهدافها للمحافظة على بقاء الإنسان ككائن حيواني ــ مما يخل بالتوازن عندئذ: بين العقل .. والغرائز في الإنسان، ويميل به بالتالي إلى الانحراف، فالعبث عن طريق الهوى والشهوة. ولذا ..كانت الحاجة إلى هداية الله حاجة ماسة: «إنا هديناه السبيل» عن طريق الرسالة الآلهية. وموقف الإنسان ــ بعد تزويده بالعقل وبرسالة الله ــ يجب أن يكون موقف الشاكر على نعمة الله الممثلة في: اعداده بالعقل .. وبتزويده بالهداية الآلهية. وذلك باستخدام العقل فيما خلق له وهو: التفكير السليم، لصالح الانسان وصالح البشرية، وباتباع الهداية الآلهية في مجالاتها المختلفة.

ولكن الإنسان قد لايحس بهذه النعمة المزدوجة فيقف منها موقف الكافر بها. وعندئذ لايلوم إلا نفسه: «ومن شكر فإنما يشكر لنفسه، ومن كفر فان ربي غني كريم» (النمل: ٤٠)

فشكر الإنسان لله إذن هو: في اتباع هداية الله. وهداية الله ستوجه تفكيره، وسلوكه وعمله، بحيث لايستهدف بأي منها: سوى الحق والخير والمنفعة العامة، كما يستهدف تجنب الإيذاء والإضرار بالغير.

ولكن هذا الشكر الذي هو اتباع، أي تطبيق عملي لهداية الله، قد تحول في حاضر المسلمين إلى لفظ عدم المدلول العملي، وإلى «شعار» ليس له أثر في حياة الإنسان ..وما أكده الله في قوله: «وإذ تأذن ربكم: لئن شكرتم لأزيدنكم» .. لم يعد ذا صلة بما تحول إليه شكر الله في حاضر المسلمين من شعار. فمهما عبر صاحب شعار الشكر، ومهما كرره صباح مساء، فلن تتغير حياته، ولن يرى فيها مزيدا من فضل الله ونعمته .. ذلك المزيد الذي وعد به هنا، وهو مزيد الهداية والتوفيق، والاطمئنان النفسي، وستر الله.

البريء



امتد الليل غارسا أعمدة راياته فوق سماء الوطن الحزين !

لفظت الطائرات أقدام ووجوه « القادمين » من مختلف محطات العالم .

انتشت الوجوه من عبير الوطن والتقت في لحظة صامتة !

فتل « مفتش الجمارك » شاربيه وتجشأ .. مد يداً غليظة اعترض بها جسداً فارعاً لشاب يلصق حقيبته الوحيدة فوق كتفه ويجر صمته خلفه صرخ به :

— قف !

أدار الشاب رأسه وابتسم ...

« صدقنى في هذا الزمن الموبوء أعرف كيف أقف وأستطيع أن أردد الطقوس الاجبارية وأن أرفع يدى فيما أعلى رأسي وأرفع قدمي أيضاً وأن أكب على وجهي وأسحب إذا كان في المتعة ذلك .. صدقني أعرف كيف يغرس الخنجر في الصدر حتى النخاع .. وكيف يغتال الفرح .. وكيف أستحضر وجه الحبيبة في ليلة مدلهمة وأنا أتكىء على جدار أسود أحلم باشراقة ضياء . »

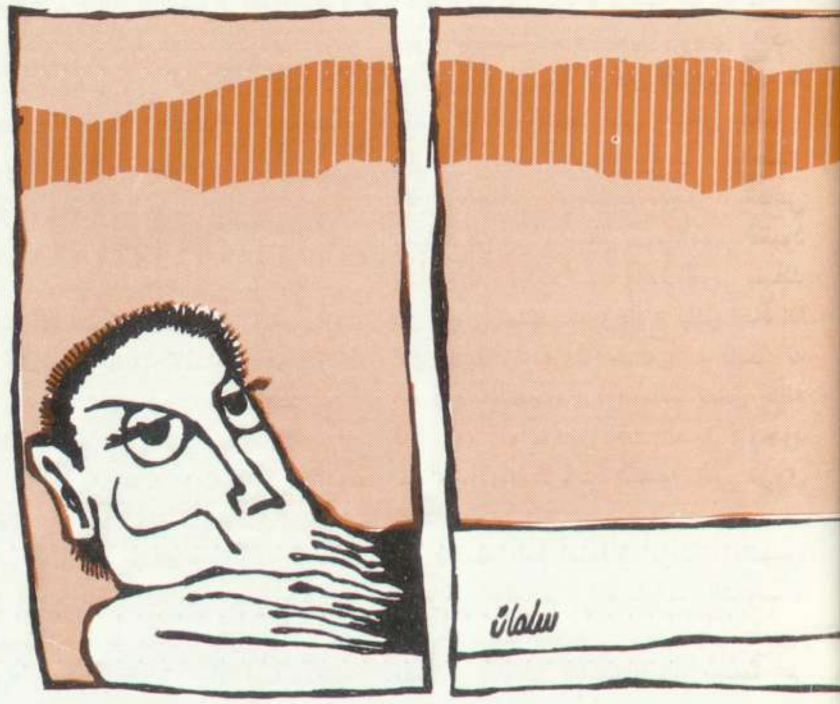
— ماذا تحمل ؟ !

حقيبته أمامه وقبل أن تعبث بها يد « رجل الجمارك » عاد فسحبها ثانية وضمها لصدره وهو يتقهقر للخلف ...

« أحمل وجه طفلي .. وضحكاته وخصلاته السوداء وعينيه الجميلتين وأنشودة فرح مبتورة .. وحزن حبيبتي الغافي فوق الوسادة .. ولون ذوائبها المبتلة تحت المطر وبياض جلدها ودفء مشاعرها .. ورسالة ساقتها الريح إلى فيما وراء البحار تحمل كبرياء طفلة وصدق أحساسها وعينيها الضاحكتين أحمل قساوة أبي عندما كان بامكانه أن يسقط وجوه الصبايا ويعددها بمنزله ويتجشأ وهو يمجد كثرة المال والبنين .. ووجه أمي الغاضب يرفض ذلك التساقط والتعداد ويتهمه بنكران العشرة ويرحل عنه ، مخلفاً وجوهنا وحيدة خائفة تحت هجير ذلك الأب نجثو .. أحمل أيضاً بقايا أوراق .. وأصداء ذكرى . »

— لماذا لاتجيب .. أنت إذن متهم .

قصة قصيرة بقلم: كلثم جبر



سحب الحقيبة بعنف من فوق صدره .. يتشبث بها يسقط معها فوق الأرض .. يتشبث بها بقوة ..

« في المرة السابقة كنت أشعر بطعم الخيانة كالعلقم فوق شفتي .. وقفت أمامي وصرخت إنها تملك رجلا آخر غيري ..

كانت عيون طفلنا نائمة وابتسامة حالمة فوق شفتيه ، لذا لم أستطع أن أوجه لها صفعة أو حتى كلمة. تحولت الاضاءة بالنفس الجليدية إلى حمراء .. تقوقعت أمام وجه طفلي أحفر بأطراف السرير صامتاً .. بعدها حملت حقيبتي ورحلت .. وقبض على متلبساً بالحزن في أحد مطارات الوطن ..

عندها مد أحدهم كفاً عريضة مماثلة طوق بها ذراعي وجرني مترنحاً بوجعي وصرخ بي .. أنت متهم ! »

شيء حاد ومدبب وبارد يوجه إلى رأسه .. للوهلة الأولى عرف أن أية حركة منه ولو للسماء ستودي بحياته ، لذا تشبث بحقيبته بشراسة .. والكف العريضة تهوى فوق وجهه .. تلقى به فوق أرض باردة بغرفة منعزلة باردة .. وهي تزأر ..

— إعترف .. ماذا تحمل ؟ !

تكور .. قنفذ بري فوق الحقيبة يرفض التمدد .. يتعثر بحزنه .. عيناه الشاحبتان معلقتان فوق وجه « رجل الجمارك » يحاول التحدث فيعجز ...

« ثلاثون عاماً منذ أن لفظني رحم أمي وحتى اللحظة وأنا أعترف بأن الوجع هاهنا يسكن الصدر منى والذاكرة .. أعترف أن هجران أمي لأبي غرس بداخلي شتلة الوحدة وأن كف زوجة أبي الراكضة فوق وجهي علمتنى معنى الألم .. وأن تعطشي لدفء صدر أمي جعلني لاهثا أبحث عن ذاك الدفء بصدور جميع النساء أعترف .. بأن تمزقي بين غرف كثيرة لايتواجد بها أبي وأمي معاً قد جعل منى صناجاً .. أضرب الأطفال وأسرق لعبهم .. بوهيمياً أخلق لنفسي عالماً لايتواجد الآخرون به أصرخ بين جدرانه وأغني وأسقط وجوه النساء به كأبي ولكن دون قسيمة شرعية .. أعترف بعد كل هذا أن جميع النساء اللواتي احببتهن بصدق قد هجرنني وأن من أحبني قد هجرته .. وانى قد بت وحيدا جافاً كأعواد النخل الباسقة أعانق آلة موسيقية بليالي الشتاء الباردة لأعزف عذابي وأنثر الألوان المتراكمة بداخلي فوق الورق فأخرج برؤى بوهيمية تمتلىء بها غرفتي الصامتة .. أعترف بعد هذا أني حزين حتى الموت ! »

كان بوجهه الشاحب عدة كدمات .. سحب قدميه المتورمتين وذراعه الملتوية وحقيبته بعد أن فتشت من قبل « رجال الجمارك » !

كان بها صورة لامرأة تسكن المدن الباردة ، ووجه طفل تمازجت تقاطيعه بين المطر والصهد فحمل وجهاً رائعاً بابتسامة جميلة .. ورسالة بأقصى الحقيبة تقبع ، وأوراق بيضاء ، وأقلام سوداء وملونة وريشة . دفعته الكف العريضة خارجاً .. حمل جسده النحيل وحقيبته الوحيدة وصدى صوت أجش يلاحقه « لرجل الجمارك » :

— أنت برئ .

آخر المرافئ

يحلو للسندباد الطواف فى الشوارع بغير غاية ، وينتشي بالاحساس أنه غيمة تسوقها الريح من أرض الى أرض ، ولكنه خشي من ثيابه العتيقة أن تقوده الى أحد السجون بتهمة التشرد أو التسول ، فقصد مقهى اعتاد التردد إليه ، وانضم الى ثلاثة من أصدقائه كانوا منهمكين فى التحدث بحماسة عن أفلام الممثلة المصرية نادية الجندى بوصفها الوريثة العربية الوحيدة لسيمون دي بوفوار .

وقد تنبه الأصدقاء الثلاثة الى أن السندباد صامت واجم مكتئب لايشاركهم فى الحديث ، فقال له أحدهم بفضول : « مابك عابس الوجه لاتتكلم؟ » .

فقال السندباد : « ما هذا السؤال ؟ وجهى منذ ولادتي عابس » .

فقال صديق آخر : « لن تنجح فى خداعنا . هيا تكلم وحدثنا بما يحزنك حتى نستطيع أن نواسيك . هل تصدق بأن من يراك يعتقد أنك كنت قبل دقائق تشاهد دفن أعز الناس لديك ؟ » .

فتنهد السندباد بأسى ، وقال : « أف ! لقد مللت الاقامة بهذه البلاد ، وقررت أن أسافر » .

فقوبل كلامه بالدهشة ، وقيل له : « ولكنك قبل أعوام أقسمت ألا تسافر وأن تقيم ببلدك حتى يوم مماتك » .

قال السندباد : « ما يدفعنى الى أن أحنث فى قسمي ليس سببه فى هذه المرة الحنين الى السفر لرؤية عوالم جديدة ، بل أنا أرغب فى السفر كي أهرب » .

فبوغت الأصدقاء الثلاثة ، وتعالت صيحاتهم المتسائلة المتعجبة :

« ـ ممن تهرب ؟ » .

« ـ أسرقت مصرفاً ؟ » .

« ـ هل صرت واحداً من أصحاب المبادىء الهدامة ؟ » .

« ـ ألك عدو ينوى قتلك ومن هو ؟ » .

« ـ هل ارتكبت جريمة توشك أن تفتضح ؟ » .

« ـ هل ازداد عدد دائنيك ، وباتوا يطاردونك ليل نهار وفى كل مكان ؟ » .

فتأمل السندباد أصدقاءه ، كأنه يراهم أول مرة فى حياته ، ثم قال لهم بصوت حانق مفعم بسخرية مرة : « أنتم بالتأكيد عميان بلا قلوب وعقول ، والا لما سألتم مثل هذه الأسئلة الغبية الساذجة التى تدل على جهل بالأسباب التى تدفعني الى الهرب ، وهى أسباب واضحة وضوح الشمس » .

فاغتاظ أصدقاؤه من كلامه ، وهموا بالرد عليه ، ولكن السندباد سارع الى القول لهم : « أنا لم أقصد الاساءة اليكم أو المس بكرامتكم ، ولكنى أطالبكم فقط بألا تتجاهلوا ما يجرى حولكم . هل هذه العيشة التى نعيشها تليق بانسان من لحم ودم ؟ الناس يتقاتلون على القمامة ، وكل شيء للبيع وذو ثمن محدد ، وحتى الانسان يباع بأبخس الأسعار ولا يجد من يرحب بشرائه ، فالمعروض أكثر من المطلوب . كل شيء يتردى ويتدهور ، فالأب يتنكر لأبنائه ، والأبناء يعاملون آباءهم كأنهم خصوم ألداء ، والزوجة تستشهد فى سبيل زوجها اذا كان قرداً ثرياً ، وتهمله اذا كان فقيراً ولا تأبه له حتى اذا كان مالكاً لكل فضائل الدنيا ، والرجال نساء والنساء رجال ، والصدق مفقود محتقر ، والكذب مبجل ، والدعي يحتل كرسي الأصيل ، والأصيل منبوذ مهان تطارده الكلاب ، والدم العربي يسفك كل يوم ولا منتقم له ، والأخ يقتل أخاه اذا كان سيفوز بفردة حذاء ، والفاسد له الصدارة والتمجيد ، والصالح يعامل كأنه قاتل أمه ، والصديق وقت الضيق لا وجود له الا فى الحكايات الكاذبة التى تروى للأطفال » .

فحملق اليه أصدقاؤه بريبة ، واتهموه بالتشاؤم وتناسى انتصارات الشعوب ، ونصحوه بالذهاب سريعاً الى طبيب نفسانى ، ولكن السندباد ظل مصمماً على السفر ، ورحل فى أول سفينة أتت الى ميناء البلد الذى يعيش فيه .

ولما سارت السفينة تمخر عباب البحر ، ضحك السندباد ضحكاً مرحاً ، واستنشق الهواء بنهم من كان سجيناً تحت الأرض طوال أعوام .

وفى ليلة من الليالى ، هبت عاصفة ضارية ، وحطمت السفينة ، ووجد السندباد نفسه وسط بحر هائج الأمواج ، وأيقن أنه هالك لا محالة ، وصرخ مرعوباً مستغيثاً ، وحاول السباحة ، ولكن البحر بدا له قبراً يتسع لملايين من الرجال والنساء والأطفال والأبنية ، فأذعن له ، وكف عن المقاومة .

وفجأة اصطدم بجسمه لوح خشبي من ألواح السفينة المحطمة ، فتشبث به ، وحمله الموج ، وألقاه على شاطىء رملي كومة من اللحم المرهق ، فلم يحاول السندباد النهوض ، انما أغمض عينيه

خواطر تسرّ الخاطر



بقلم : زكريا تامر

واستسلم للنوم العميق .

وصحا السندباد من نومه على ضياء شمس حارة وصوت يقول مستغرباً : «ماهذا الشيء ؟» .

ثم سمع الصوت نفسه يقول : «لابد من أنه حيوان ميت من حيوانات البحر الغريبة قذفت به الأمواج فى الليل الى شاطىء جزيرتنا» .

ففتح السندباد عينيه ، فرأى حماراً يقف قربه ، فتطلع فيما حوله ، وصاح : «ممن الذى كان يتكلم ؟» .

قال الحمار : «أنا الذى كنت أتكلم» .

فشهق السندباد متعجباً ، وصاح : «حمار يتكلم اللغة العربية الفصحى ؟! كأنني في منام ! هذا شيء لا يصدق !» .

فقال الحمار باستياء : «ما لا يصدق هو أن تستطيع أنت أن تتكلم كما أتكلم أنا» .

قال السندباد : «أين أنا ؟» .

قال الحمار : «أنت فى جزيرة الحمير» .

قال السندباد : «ما هذا الاسم الفكاهي الغريب ؟ أنا لم أسمع به من قبل» .

قال الحمار باعتداد : «لا أحد يعيش فى هذه الجزيرة الا الحمير» .

قال السندباد : «وهل الحمير كلها هنا قادرة على أن تتكلم كما تتكلم أنت ؟» .

فهز الحمار رأسه بالايجاب ، وشرع فى التحديق الى السندباد بنظرات متفحصة ، ثم سأله : «من أنت ؟ لقد صرت عجوزاً ولم أشاهد فى حياتى كلها مخلوقاً مثلك» .

قال السندباد مدهوشاً : «ماذا تقول ؟ ألم تعرفني ؟ أنا الانسان الذى تقول الكتب عني إني أثمن رأس مال ، وأوصف بأني سيد الأرض» .

فقال الحمار بنزق : «كن مؤدباً . لا سيد هنا الا الحمير» .

قال السندباد ضاحكاً : «ولكن الأمر في أماكن أخرى من العالم يختلف عن جزيرتكم» .

فقال الحمار بلهجة تهديد : «هيا امش معي» .

قال السندباد : «هل هزل الزمان الى حد أنى أتلقى الأوامر من حمار ؟» .

قال الحمار غاضباً : «اسمع . سأرفسك بقوة اذا لم تطعني . وتكفي صيحة مني حتى تتجمع حولك حمير لايحصى عددها وتلقنك درسا لاتنساه» .

ففكر السندباد لحظات ، ثم قال للحمار : «أنا متعب ، فدعني أركب على ظهرك» .

قال الحمار باستنكار : «ماذا أسمع ؟! أتريد الركوب على ظهري ؟» .

قال السندباد : «ولماذا تستغرب؟ ما طلبته منك تقوم به الحمير يومياً فى بلادنا» .

فقال الحمار بازدراء : «لابد من أن الحمير فى بلادكم ذليلة أو بلهاء» .

قال السندباد : «والى أين ستأخذنى ؟ الى رئيسك ؟» .

قال الحمار بلهجة من أهين إهانة بالغة : «لا رئيس لي . كل حمار هو رئيس نفسه . قل لي : ما الفائدة فى الرئيس وهل وجوده ضروري ؟» .

قال السندباد : «مهمته بالغة الأهمية وهى الاشراف على البلاد وتطبيق القوانين ، واذا تنازع اثنان كان الحكم بينهما» .

فقال الحمار بهزء : «نحن لا نحتاج الى رئيس وقوانين ، ولا سبب يدفعنا الى النزاع والاختلاف ، فمن يجع فالعشب موجود بكثرة وفى مقدوره أن يأكل منه حتى يشبع ، ومن يعطش فالماء العذب غزير ويشرب منه حتى يرتوي ، ومن يرغب فى النوم فالأرض واسعة» .

قال السندباد : «إذن الى أين تريد أن تأخذني» .

قال الحمار : «سآخذك الى حيث تعيش الحمير لتراك ، ولا أعتقد أن حماراً من حمير جزيرتنا قد رأى مخلوقاً مثلك» .

فخضع السندباد لمشيئة الحمار ، ورافقه الى سهل كثير العشب والماء والشجر ، وتحتشد فيه أعداد عظيمة من الحمير .

وما أن رأت الحمير السندباد حتى تحلقت حوله ، وراحت تحدق اليه بنظرات ساخرة ، فأحس السندباد بأن نظرات الحمير لا تهينه وحده بل تهين بني البشر أجمعين ، فصاح : «أنا أحتج على هذه المعاملة غير اللائقة . لماذا تتفحصوني كأني ذبابة أو جرادة أو ضفدعة ؟ ينبغي لكم أن تحترموني ، فأنا واحد من الجنس البشرى الذى حول الأرض من أدغال للوحوش الى مدن زاخرة بالرقي والحضارة ، ولتعلموا أن البلاد التى جئت منها بلاد عظيمة ولا تقارن بجزيرتكم هذه التافهة» .

فقال حمار من الحمير للسندباد : «مادمت تتباهى ببلادك فما الذي يوجد فيها ولا يوجد لدينا ؟» .

قال السندباد : «وما الذى يوجد فى جزيرتكم غير العشب والماء والشجر ؟ فى بلادي عندنا عشب وماء وشجر ، وعندنا ايضاً بيوت للأحياء ومقابر للموتى . عندنا برلمانات وانتخابات وصحف ومجلات وكتب واذاعات وتليفزيونات . عندنا مدارس وجامعات وملاعب رياضية . عندنا أدباء وكهرباء وشوارع ودساتير وحدود بين الدول . عندنا جيوش وأسلحة من مختلف الأنواع . عندنا مركبات فضائية ورجال مشت أقدامهم على أرض القمر . عندنا سيارات وطائرات وثلاجات وثورات وانقلابات ..» .

فهيمن سكون غريب على الحمير ، فتأملها السندباد بنظرات مزهوة .

وفجأة قال أحد الحمير : «يجب أن نعترف بأنه لا وجود فى جزيرتنا لشيء مما ذكرت ، ولكن هل أنتم سعداء ؟» .

ففوجيء السندباد بالسؤال ، وأحنى رأسه ، وفكر طويلا متجهم الوجه ، وطغت عليه رغبة حارة فى النحيب ، ووجد نفسه يصيح بصوت متهدج : «كاذباً سأكون اذا قلت لكم إننا سعداء ولم أقل إننا تعساء بائسون» .

فقال له الحمار نفسه متسائلا : «أي فائدة فى امتلاك أشياء لا تسعد ؟» .

فخجل السندباد ، ولم يفه بكلمة .

وفيما بعد ، بحث السندباد عن وسيلة تمكنه من الهرب من جزيرة الحمير ، فأخفق ، واضطر الى العيش فيها ، وتحمل الكثير من سخرية الحمير ، فهو يفكر ويمشي على قدمين وصوته ليس بالمنكسر ، ولكنه شيئاً فشيئاً حقق ما عزم عليه ، فصار لا يفكر الا فى التهام العشب الأخضر الطازج ، وبات يمشي على أربع وينهق ويرقص ، فظفر باحترام الحمير ، وعاش سعيداً ، وتخلى عن التفكير فى الفرار .



السِّحْر في الأدب الشعبيّ

• السحر هو رمز الشر في القصص الشعبية .. ويقاومه – دائما – الانسان الطيب ويحاول إحباطه، لأن الخير أقوى من الشر في النهاية !

بقلم : عباس خضر

يقوم بناء كثير من القصص الشعبية على السحر ، وخاصة فى حكايات ألف ليلة وليلة ، وهو فى الغالب يأخذ جانب الشر ، وتأخذ مقاومته وإحباطه جانب الخير . وأقول فى الغالب لأنه فى بعض القصص يكون جزاء الشر ، ويكون المسحور على أية حال كلباً أو بغلا أو حماراً أو قرداً أو غير ذلك من الحيوان .

وفى حكايات ألف ليلة صيغة تحتل ظاهرة ،هى أن يدخل الرجل بالحيوان المسحور على ابنته فى المنزل ، فتغطى البنت وجهها وتعتب على أبيها أن يدخل عليها رجلا غريباً .. ويتبين من الحوار أصل رجل مسحور .. ويتبين كذلك أن البنت تعلمت السحر من امرأة عجوز صادفتها فى حياتها ، فأخذت عنها وحذقت فنها . فيطلب الأب من ابنته أن تعيد المسحور الى حالته البشرية ، فتأخذ طاسة وتضع فيها ماء ، وترش به وجه المسحور ، وتقول له : عد الى صورتك الأولى ، فيعود .

والذى سحر الانسان قد يكون إنساناً ساحراً ، أو واحداً من الجن ، وقد يكون هذا مؤمناً مسلماً ، ويكون سحره عقاباً للمسحور لما أتاه من شر ، وقد يكون الجنى الساحر غير ذلك ويكون الباعث له أن الآدمي رمى شيئاً فأصاب ابن الجنى فقتله أو فقأ عينه ، وأهون الانتقام أن يسحر الجان الآدمي الى صورة حيوان ولا يقتله .

ومعنا الآن أديب قرد .. لا قرد أديب ، فهو انسان فى الأصل ، وصفة « القردية » طرأت عليه بفعل مارد من كفرة الجن .

وبما أن صاحبنا أديب فلندعه يقص علينا قصته التى « لو كتبت بالإبر على آفاق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر » كما قال فى البدء ، وأردف يحكى :

قرأت القرآن ، وقرأت الكتب على أربابها من مشايخ العلم ، وقرأت علم النجوم ، وشعر الشعراء . واجتهدت فى ذلك حتى فقت أهل زمانى ، وذاع صيتى فى سائر الأقاليم والبلدان ، وسمع بى ملك الهند ، فأرسل الى أبى يطلب زيارتى له ، فأنا ابن ملك ، وأرسل اليه هدايا مما يتبادله الملوك .

جهزنى أبى فى ستة مراكب ، وسرنا فى البحر شهراً كاملا ، حتى وصلنا الى البر ، وأخرجنا خيلا كانت معنا فى المركب ، وجمالا حملناها الهدايا .

مشينا قليلا ، واذا غبار علا وثار حتى سد الأقطار ، ثم انكشف عن ستين فارساً عبوساً ، فتأملناهم ، فاذا هم قطاع طريق .. شدوا علينا ، فأشرنا إليهم قائلين :

ــ نحن رسل الى ملك الهند المعظم ، فلا تؤذونا .

ــ لسنا فى أرضه ولا تحت حكمه .

قتلوا بعض من كانوا فى صحبتى ، وفر الباقون ، ونجوت أنا بعد أن جرحت جرحاً بليغاً ، وساعدنى على الهرب انشغال اللصوص بالمال . سرت لا أدرى أين اذهب ، الى أن أتيت رأس جبل ، ورأيت مغارة ، فدخلت فيها ، ومكثت حتى طلع



النهار ، ثم سرت فى طريق منحدر ، حتى بلغت مدينة عامرة ، ففرحت بوصولى اليها ، واضطربت فى طرقاتها . رأيت خياطاً فى دكان ، فسلمت عليه ، فرد على السلام ، ودعانى الى الجلوس مرحباً بى ، وأحضر لى طعاماً ، فأكلت وأكل معى . أخلى لى محلا فى حانوته ، وأتانى بما أحتاج اليه من فراش وغطاء ، وأقمت عنده ثلاثة ايام ، ثم قال لى :

ــ أما تعرف صنعة تكتسب بها ؟

ــ انى طالب علم وكاتب حاسب .

ــ إن صناعتك فى بلادنا كاسدة ، وأهل مدينتنا لا يشغلهم غير المال .

الصبية والجنى

سكت الخياط قليلا يفكر . ثم قال :

ــ شد الحزام على وسطك ، وخذ فأساً وحبلا ، واحتطب من البرية حطباً تتقوت به الى أن يفرج الله عليك .

وأرسلنى مع بعض الحطابين ، وأوصاهم بى ، فخرجت معهم واحتطبت ، وعدت أحمل حطباً وأبيعه ، حتى كان يوم وأنا فى طريقى الى البرية ، رأيت خميلة وأشجاراً فيها حطب كثير . وبينما كنت أهوى بالفأس على عود من الحطب سمعت رنينا من وقع الفأس ، فحفرت فى الموضع ، وأزلت التراب ، واذا حلقة من نحاس شددتها ، فبان تحتها سلم فنزلت الى أسفل السلم ، فرأيت باباً ، فدخلت منه ، فرأيت صبية كالدرة السنية ، تنفى عن القلب كل هم وغم ، نظرت الى وقالت :

ــ آأنت إنسى أم جنى ؟

ــ أنا إنسى .

ــ من أوصلك الى هذا المكان ؟ انى هنا منذ سنين لم أر فيها إنسياً قط .

ــ يا سيدتى أوصلنى الله ، ولعله يزيل همى وحزنى .

وحكيت لها ما جرى لى ، وسألتها عن حالها ، فقالت :

ــ انى بنت ملك ، زوجنى أبى من ابن عمى ، وليلة الزفاف اختطفنى عفريت وطار بى حتى أنزلنى فى هذا المكان ، ونقل إلى كل ما أحتاجه من طعام وشراب وثياب . وهو يجيئنى كل عشرة أيام ، فيبيت ليلة ثم يمضى ، وقال لى : اذا احتجت الى أى شىء فالمسى هذين السطرين المكتوبين على القبة ، فأكون عندك فى الحال . وقد كان هنا منذ أربعة أيام ، فهل لك أن تقيم عندى خمسة أيام ، ثم تنصرف قبل مجيئه بيوم ؟ فوافقت فرحاً ، وزال عنى همى وكربى .

قضيت معها أوقاتاً طيبة ، ثم قلت لها :

ــ هل أريحك من هذا الجنى ؟

ــ اقنع واسكت ، حتى لا تعانى شر الوبال .

غلب على الغرام ، ولم ألتفت لتحذيرها ، وهجمت على النقش المكتوب مزمعاً أن أقتل العفريت بالفأس اذا حضر .

قالت فزعة :

ـ ها هو ذا قد حضر .. أما حذرتك ؟ انج بنفسك .

هربت ، ومن شدة خوفي نسيت نعلى وفأسى ، ولما صعدت درجتين التفت لأنظرهما ، فرأيت الأرض قد انشقت وطلع منها عفريت ذو منظر بشع .. نظر هو يميناً وشمالا ، فرأى النعل والفأس ، وقال :

ـ ما هذا الا متاع إنسى .. من جاء اليك ؟

لما وصلت الى سطح الأرض جريت حتى وصلت الى صاحبى الخياط ، فقال لى :

ـ أين كنت ؟ قد قلقت لغيابك .

شكرته وحاولت أن أطمئنه وإن كنت فى حاجة الى الاطمئنان . دخلت خلوتى وأنا أفكر فى بلوتى ، وبعد برهة دخل الخياط على وقال لى :

ـ فى الخارج شخص يطلبك ومعه نعلك وفأسك ..

اصفر لونى وتغير حالى ، ولم يمهلنى العفريت ، بل خطفنى وطار بى ، ثم انزلنى فى ذلك الموضع عند الصبية ، فرأيتها والدم يسيل منها ، وقال لها :

ـ ها أنا جئت بمن كان معك ..

فنظرت الى وقالت : لا أعرفه ، فقال لها : إن كنت لا تعرفينه حقاً فخذى هذا السيف واضربى عنقه .. فأبت ، فضربها بالسيف وأطار رأسها .. ثم التفت الى وقال :

ـ إننى لم أتحقق أنك خنتنى فيها ، فلا أقتلك ، ولكن لابد أن ألحق بك أى أذى ، سأسحرك ، فاختر أية صورة تكون عليها .. صورة كلب أو حمار أو قرد . فرجوته أن يعفو عنى دون فائدة ، أخذنى وطار بى حتى أنزلنى على جبل ، وأخذ قليلا من التراب وهمهم عليه وقذفنى به قائلا :

ـ اخرج من هذه الصورة الى صورة قرد .

لما رأيت نفسى على صورة القرد بكيت ، وصبرت على بلواي . انحدرت من أعلى الجبل ، ومشيت حتى وصلت إلى شاطىء بحر ، ورأيت سفينة تقصد البر ، فاختفيت وراء صخرة ، فلما رست السفينة تسللت إليها ، فرآنى من بها ، وقال أحدهم : أخرجوا هذا المشئوم ، وهجم على آخر بسيف ، فأمسكت بطرف السيف وبكيت .. فأشفق على الريس وقال :

ـ ان هذا القرد فى جواري ، فلا يتعرض له أحد .

فلذت به وصرت أخدمه .

كتبت شعراً

طاب الريح للسفينة ، فسارت خمسين يوماً ، ثم رست بنا على مدينة عظيمة عامرة بالسكان . استقبلنا هناك ناس كثيرون من أهل المدينة . وبعد برهة أرسل الينا ملكها بدفتر من الورق ليكتب فيه كل واحد اسمه ، فقمت وأنا فى صورة القرد وخطفت الدفتر من أيديهم ، فنهرونى وأرادوا قتلى ، فأشرت لهم أنى أكتب ، وقال لهم الريس : دعوه يكتب ، انى ما رأيت قرداً أذكى منه .

كتبت فى الدفتر أبياتاً من الشعر مدحت بها الملك ، كتبتها بخط جميل ، لما رآه الملك عند ما أعيد الدفتر اليه انبهر به وقال :

ـ أحضروا صاحب هذا الخط والشعر ، ألبسوه حلة وأركبوه بغلة .

فتبسم الحاضرون ، فغضب الملك وقال لهم :

ـ كيف آمركم بأمر وتضحكون .. ؟

ـ أيها الملك معاذ الله أن نضحك من كلامك ، إن الذى كتب هذا قرد ..

ـ عجباً ! أحضروه الى فى الحال .

ألبسونى الحلة ، وأركبوني بغلة وصار الناس يتعجبون ويتفرجون على فى الطريق ، حتى وصلنا الى الملك ، فأمرنى بالجلوس ، ودعا بالطعام ، فجلست وأكلت ، ثم اخذت القلم والدواة ، وكتبت هذين البيتين :

أناجر الضأن ترياق من العلل
وأصحن الحلو فيها منتهى أملى
يالهف قلبى على مد السماط اذا
ماجت كنافته بالسمن والعسل

وقدمت الورقة الى الملك ، فقرأ البيتين وضحك وتعجب قائلا :

ـ هل يكون قرد ، بهذه الفصاحة ويكتب هذا الخط الجميل !

ثم قال الملك للخادم (الطواشى) :

ـ اذهب الى سيدتك وادعها ، كى تتفرج على هذا القردالعجيب .

أقبلت بنت الملك ، فلما رأتنى غطت وجهها وقالت :

ـ يا أبى ، كيف خطر لك أن ترسل الى ويرانى رجل غريب .. ؟

ـ أين هو الرجل الغريب ؟

أشارت الى وقالت :

ـ هــذا ..

ـ . . . .

ـ هذا القرد ابن ملك ، واسم أبيه « إيمار » صاحب جزائر الأبنوس الداخلة ، وهو مسحور ، سحره عفريت من ذرية ابليس ، هذا رجل عالم أديب ..

فنظر إلى الملك متعجباً :

ـ أحقاً ما تقول عنك ؟

فقلت برأسى : نعم ، وبكيت ، فقال الملك لابنته :

ـ كيف عرفت أنه مسحور ؟

ـ يا أبت ، أتذكر تلك العجوز « أم الدواهى » التى ربتنى وأنا صغيرة ؟

ـ نعم أذكرها رحمها الله .

ـ علمتنى أم الدواهى صناعة السحر ، فأتقنتها .

ـ بحق اسم الله عليك أن تخلصى هذا الشاب الظريف اللبيب .

ـ حباً وكرامة .

معركة سحرية

وأخذت بنت الملك سكينا ، وخطت بها دائرة ، وكتبت بعض الكلمات وقرأت كلاما لايفهم . وبعد ساعة أظلم الجو ، وإذا العفريت قد تدلى علينا في أقبح صورة ، ففزعنا منه ، فقالت له بنت الملك :

ــ لا أهلا بك ولا سهلا .

قال العفريت وهو يزمجر :

ــ ياخائنة ، لماذا خنت العهد أما تحالفنا على أنه لايتعرض أحد منا للآخر ؟

ــ ياملعون ، وهل لك عهد ؟

انقلب العفريت إلى أسد ، وفتح فاه ، وهجم على الصبية ، فأسرعت وأخذت شعرة من شعرها ، وهمهمت بشفتيها ، فصارت الشعرة سيفا ، شرعت تضرب به ذلك الأسد ، فتحول إلى عقرب ، وانقلبت الصبية إلى حية عظيمة ، وهجمت على العقرب .. وتقاتلا قتالا شديدا ، ثم انقلب العقرب عقاباً ، فانقلبت الحية نسرا ، وصارت وراء العقاب ، ثم انقلب العقاب قطا أسود ، فانقلبت الصبية ذئبا ، وتشاحنا ساعة ، فرأى القط نفسه مغلوبا ، فانقلب وصار رمانة حمراء كبيرة ، فقصدها الذئب ، فارتفعت في الهواء ، ووقعت على بلاط القصر فانكسرت وتناثر الحب ، فانقلب ذلك الذئب ديكا ، ليلتقط الحب حتى أتى عليه ، لم يترك منه إلا حبة واحدة ، اختفت في ناحية ، فجعل الديك يبحث عنها حتى وجدها ، فانقض عليها ليلتقطها ، ولكن الحبة قفزت وتحولت إلى سمكة ، فانقلب الديك حوتا كبيرا وحاول التهام السمكة ..

ثم سمعنا صراخا عاليا ، فارتجفنا ، وإذا العفريت شعلة من نار ، وكذلك صارت الصبية نارا ، وما نشعر إلا والعفريت ينفخ في وجوهنا بالنار ، فلحقت به الصبية ، ونفخت في وجهه بالنار أيضا ، أما شررها فلم يؤذنا ، وأما شرره فلحقتني منه شرارة في عيني فأتلفتها . واشتد علينا الكرب ، وإذا صوت يرتفع :

الله أكبر .. الله أكبر ، قد فتح ونصر ، وخذل من كفر بدين محمد سيد البشر . وإذا القائل بنت الملك وقد أحرقت العفريت وصيرته رمادا .

بعد ذلك طلبت الصبية طاسة بها ماء ، تكلمت عليها بكلام لا نفهمه ، ثم رشتني بالماء وقالت :

ــ بحق الحق ، وبحق اسم الله الأعظم ، عد إلى صورتك الأولى . فصرت بشرا كما كنت .



أمام الرشـيد

كان أديبنا الذي سحر قردا ثم عاد إلى بشريته يحكي حكايته أمام هارون الرشيد ، وقد أتمها بسرد السبب في خروجه من مدينة ذلك الملك بعد موت ابنته الساحرة ، مما لانطيل بذكره ، وكان من ثلاثة عور صادفهما الخليفة في جولة من جولاته ببغداد وبصحبته الوزير جعفر البرمكي ، يتفقد أحوال الرعية في ليلة من الليالي التي يأرق فيها ، فيدعو الوزير ويطوفان هنا وهناك ، وقد يكون معهما مسرور السياف .

سمع الرشيد حكاية صاحبنا ، ثم حكاية الأعورين الآخرين ، وزوج الثلاثة من ثلاث جوار ، وعينهم حجابا في قصر الخلافة ، وأمر أن تكتب هذه الحكايات وتحفظ في خزانته لتبقى على مر الزمان .

وبعد فإن المعركة بين بنت الملك والعفريت كانت معركة ضارية ، انتصر فيها الإنس على الجن ، على الرغم من كونه جنا .. لأن الخير أقوى من الشر في النهاية ، مهما أمهل الله للشر ، فإنه إذا أخذه لم يفلته . والقتال نجده في الأدب الشعبي غالبا بين الانسان وقوى الشر الأخرى ، فإذا كان بين الإنسان والإنسان فان المهزوم في الآخر أصله خارج عن الإنسانية ، فاستحق مانزل به .

وذلك على خلاف ما يحدث في عصرنا هذا ، إذ نرى الناس يتقاتلون ، لا تدري أيهم على حق وأيهم على باطل ، وإن أمعنت النظر رأيت الجميع على باطل ، لأن النزاع على السلطة ، فهو قتال سياسي يحاول التلون بلون يخدع المقاتلين .. وما دخلت السياسة في شيء إلا أفسدته ، نسأل الله السلامة والسلام .

عباس خضر

طه حسين
الإنسان والشاعر

• ماذا قال لي عندما التقيت به قبل وفاته بخمس سنوات ؟

• نماذج من شعره الذي أخفاه عن الناس فلم يعرفوه إلا ناقداً ومفكراً وكاتب قصة .

بقلم : الدكتور نبيل سليم

في الثامن والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٧٣ احتسب الأدب العربي عميده ، وطوى الموت فيه شخصية فذة ، ربما كانت أعمق الشخصيات العربية المثقفة أثراً في جيلنا هذا ، وأحسب أن أثرها سيظل باقياً لعدة أجيال .

تلك هي شخصية أستاذنا الدكتور « طه حسين » ذلك الرجل الذي خرج من أعماق القرية المصرية ليعلن للعالم كله ، ما في أرضنا العربية من خصوبة ، يمكن أن تستجيب لنداء المعرفة بحيث تقتحم السدود وتحطم العوائق في سبيل الوصول الى ثمارها الطيبة . فلا يقعد بها النقص الجسدي ، ولا العجز المادى ولا يقف أمامها جدار من جدران الجهل ، ولا سور من أسوار الاستبداد عن بلوغ هذا الهدف النبيل .

ولقد عرفت المرحوم الدكتور طه حسين عميد الأدب العربي معرفة لقاء قبل وفاته بنحو خمس سنوات وإن كنت قد عرفته قارئاً منذ أكثر من عشرين عاما .

وفي أول لقاء مع العميد الراحل كانت تغمرني هيبة الإجلال لهذا العبقري الذي شق طريقه بين الصخور في عزم لا يعرف الوهن وارادة تزيدها الشدائد والعقبات قوة ومضاء ، وأفضيت إلى العميد الجليل بما استحوذ على مشاعري وأفكاري توطئة للإعتذار عما قد أخطئ فيه وأنا أقرأ له ، وقال العميد لا عليك فالكل يخطئ في القراءة ، ثم أخذ يسألني عن بعض الأمور التي تخصني ، وأمضينا الوقت في حديث شخصي بدد مخاوفي وهيبتي ، ومنحني الجرأة على سؤال العميد ومناقشته في كثير من المسائل والقضايا بعد ذلك .

وكثر لقائي بالعميد وتوثقت صلتي به ، ومن ثم عرفت عنه الكثير ، وفي هذه الكلمة الموجزة أسجل بعض ما عرفت تحية وفاء لذكرى وفاة هذا العبقري الانسان الذي أثر في تاريخ أمته العربية أبلغ تأثير .

لقد كان طه حسين إنساناً رقيق الشعور ، يتألم أشد الألم إذا قرأ خبراً عن كارثة أو حادثة ويتفوه ببعض العبارات مثل اعوذ بالله ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، وكانت أخبار الحروب تزعجه كل الإزعاج ، وكذلك أخبار المجاعات والأوبئة .

وطه حسين الإنسان لم يكن ثرياً ، وانما كان مستوراً على حد قوله ، فلم يكن يملك عقارات ثابتة أو منقولة ، وكان كل دخله يتمثل في معاشه ومكافآت العضوية في بعض الهيئات العلمية ، ثم ما تدره كتبه عليه من أموال كانت تقريباًنحو ثلاثة آلاف جنيه في كل عام .

هذا الإنسان المستور الحال كان كريماً معطاء ، ويجود بماله على ذوي الحاجة والفاقة خاصة أهله ، وكم كانت ترد اليه الرسائل الكثيرة يطلب أصحابها منه أن يمدهم ببعض المال فكان يبعث اليهم بما يطلبون ، وكان يعهد بارسال ما يجود به عن طريق البريد ، وأذكر مرة أن عاملاً بعث اليه يطلب منه أن يعاونه على بناء مسكن جديد ليقيم فيه بدلا من الإقامة في مسكن يكلفه كل شهر إيجاراً باهظاً ، ويضحك



طه حسين .. المفكر الأديب الذى خرج من أعماق القرية ، ليعلن للعالم كله ما فى أرضنا العربية من خصوبة — بريشة الفنان صلاح طاهر

العميد بعد أن قرأت له رسالة هذا العامل ويقول : الناس يظنون أني رجل غني وهذا غير صحيح ، فهذا العامل لا يعرف حقيقة ما لدي من مال ، ولو عرف لما بعث برسالته لي .

وكان الناس يعرفون في العميد كرمه وإنسانيته فكانوا يطرقون باب بيته في الصباح أو المساء . وما كان يرد إنساناً دون أن يقدم اليه ما يستطيع . وكان هذا يثير زوجته في كثير من الأحيان ويجعلها تتهم زوجها بأنه يستجيب لكل طارق ويسمع لكل شكوى ، ويصدق بكل ما يسمعه ، ولهذا كان العميد يخفي عن زوجته ما ينفقه ويجود به ، وأذكر بهذه المناسبة أن سائق سيارته إحتاج الى بعض المال لأمر طارئ ، فلجأ الى زوجة العميد وطلب أن تعطيه هذا المبلغ وتخصمه من راتبه على فترات ، ولكنها أبت فحدث العميد في هذا فأعطاه المبلغ وأمره ألا يخبر زوجته فهو هدية إليه .

وطه حسين الكاتب الفذ يقدر قيمة الوقت كل التقدير ويحرص عليه أشد الحرص ، وقد عرفت أنه في أيام شبابه وصحته كان يمضي نحو خمس عشر ساعة في القراءة والكتابة كل يوم ، فلما كبرت سنه وضعفت قوته كان يقرأ كل يوم نحو ثماني ساعات .

ولما نصحه الأطباء في السنتين الأخيرتين من عمره بالراحة وعدم الإكثار من القراءة لم يستجب لهذا النصح وكان مما قاله لي : الموت خير لي من الحياة إذا لم أقرأ ، فلا معنى لحياتي بدون القراءة

ومن دلائل حرصه على الوقت وشغفه بالقراءة أنه كان يضيق بهذا السلوك غاية الضيق ، ويقول فور خروج الزائر : إن فلاناً هذا كثير الكلام لقد أضاع الوقت بلا طائل ، ومع هذا كان العميد يحاول أن يخفي ضيقه بكل زائر يطيل الجلوس دون حاجة الى ذلك ، ويشد على يديه وهو يودعه قائلاً : « بدري .. أحب أن أراك كثيراً » .

وكان العميد يتهم الأدباء الشبان بالضحالة الفكرية واللغوية ، وذلك لأنهم لم

يقدروا قيمة الوقت ، والهتهم المسارح والاذاعات المرئية ، فراحوا يضيعون جل أوقاتهم في مشاهدة ما تعرضه المسارح أو دور الخيالة أو تذيعه الاذاعة من اسفافات وهبوط ، وكان الأخلق بهم أن يعكفوا على التراث الفكري في مصادره الأصيلة بالعربية وغيرها قديماً وحديثاً حتى يستطيعوا أن ينتجوا أدباً ذا بال .

وطه حسين الأديب الذي منح ثماني دكتوراه من مختلف الجامعات العالمية والذي ترجمت بعض مؤلفاته وبخاصة « الأيام » الى جميع اللغات المعاصرة تقريباً ، والذي تسلم أرفع المناصب العلمية ، هذا الأديب العبقري لم يعرف الغرور سبيلاً اليه ، وكان إذا أطراه إنسان فانه يبتسم في حياء ويقول لمن يشيد به ويعدد مناقبه : حيلك حيلك .. (أي أنك أسرفت وجاوزت المعقول) .

ومن شواهد تواضعه أنه لم يرض عن إنتاجه الأدبي والعلمي ، ولعل هذا كان مصدر عزوفه عن قراءة كل كتاب ألفه أو مقال نشره ، وهذا آية على أن الأديب الجاد والعالم المخلص لا يرى فيما يصل اليه من دراسات وأبحاث إلا محاولة على درب المعرفة الإنسانية قد تدفع بعجلة العلم والفكر الى الأمام ، وكان لا يدعي إطلاقاً بأنه أتى بما لم يأت به الأوائل ، وأنه قد حقق المعجزات وسبق الجميع ، وهذا الإحساس الكريم هو الذي يحمل العلماء والأدباء على أن يواصلوا مسيرتهم الفكرية في هدوء واخلاص وجد وإحسان ،فلا ينضب لهم معين ويظل عطاؤهم متدفقاً حتى يأتي الكتاب أجله ، أما وحين تهجم آفة الغرور على عالم أو أديب ويزعم أنه قد بلغ ما لم يبلغه سواه فانه يبدأ رحلة التخلف والجهل ، فلا يزال الانسان عالماً ما طلب العلم وحافظ عليه فإن ظن أنه قد علم فقد جهل .

ويقول أصدقاؤه أنه عندما منح قلادة النيل ، وهى أعلا وسام فى مصر ولا تمنح إلا لرؤساء الدول والشخصيات البارزة قال



طه حسين
الإنسان والشاعر

بعد أن قرأوا له خبر منحه القلادة :

ــ الواقع أنني لم أجد سبباً لهذه القلادة قالوا : « كيف هذا واليوم تكرم الدولة العلم والأدب والفن ــ وكان أن منح الدكتور قلادة النيل في يوم عيد العلم سنة ١٩٦٥ ــ وأنت رمز النهضة العلمية ، كنت الرائد والقائد ، فوجب أن تنال حقك ويعترف بقدرك .

فالعميد لا يرى سبباً لاهداء القلادة اليه ، وكأنه يقول : إنه لم يقدم من الأعمال ما يستحق عليه هذا التكريم ، وهذا هو التواضع الذي ينأى بالانسان دائماً عن الغرور والادعاء .

ولا أنسى موقفاً للعميد يشهد بانسانيته ومجاملته الرقيقة وتواضعه الكريم وكان هذا غداة حصول أحد تلامذته وهو الدكتور محمد الدسوقي على درجة الدكتوراه ، فقد هنأه العميد تهنئة حارة ثم قال له : لقد تساوينا فقد أصبحت دكتوراً ، فقال د . الدسوقي : عفوا يا سيدي أين الثرى من الثريا ، فقال : لقد حصلت على الدرجة الجامعية التي حصلت عليها من قبل فنحن الآن سواء ، وشكر العميد على عطفه ومجاملته ، وأكبرت أنا فيه هذه الروح الإنسانيه . وهذا التواضع الجم .

والعميد كان مع انسانيته وكرمه وتواضعه وايمانه بقيمة الوقت وأثره في حياة الأفراد والجماعات كان لا يعيش في الماضي ، ولا يسبح بآماله في المستقبل ، وانما كان يحيا واقعه في صدق وموضوعية ولهذا كان يتمثل بقول الشاعر :

ما فات مات والمؤمل غيب
ولك الساعة التي أنت فيها

وبهذه المناسبة يهمني أن أعرض جانباً من جوانب إبداعه الأدبي ، ربما كان أكثرها خفاء أو لعل « طه حسين » نفسه هو الذي ساعد على هذا الخفاء ، وأعني به الجانب الشعري في إنتاجه ، ولا أقصد هنا شاعرية الأسلوب في بعض قصصه أو بحوثه كما يتبادر إلى الذهن ، فان لذلك مجالاً آخر ربما يتناوله غيري ، وإنما أقصد الحديث عن شعره الموزون المقفى الذي يقع في دائرة ما وضع الخليل بن أحمد من مسميات لهذا الفن . ويقول الأديب والمؤرخ والشاعر عبدالعليم القباني في كتابه « طه حسين في الضحى من شبابه » :

« وهو فن مشى فيه طه حسين » شوطاً لا بأس به ، استغرق الضحى من شبابه (سنة ١٩٠٨ ــ ١٩١٣) ثم شغلته الأحداث عن ممارسته ، عندما إحتواه الصراع الكبير ، في مجابهة الثائرين ضده ، والناقمين عليه وهي معركة استنفدت من جهده الكثير ، حتى يمكن أن يقال أن نظم الشعر أصبح فيها ترفا لا مكان له .

كان صبياً لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره ، يوم أن تفجر الشعر في أعماقه ، فجره حزنه على موت أخيه ..

كان ذلك في أحد أيام أغسطس من سنة ١٩٠٢ ، حيث كانت « الكوليرا » قد انطلقت تحصد أرواح الناس في الصعيد « صعيد مصر » ..

وكان أن أودت بخمسين ألف مواطن ذهبوا جميعاً ضحية الجهل والسذاجة . وتبدأ القصة بعودة أحد حجاج قرية « موشا » من رجال الأعمال في « أسيوط » من البلاد المقدسة ، وكان قد أحضر معه

زجاجة من ماء « زمزم » وعندما توافد عليه طلاب البركة ، وأراد ألا يحرم منهم أحداً ، ألقى بما في الزجاجة في أحد آبار القرية ، وكانت الزجاجة قد تلوثت بميكروب « الكوليرا » ومن ثم إنطلق الداء القاتل من هذه البئر إلى أنحاء القطر وبخاصة في الصعيد الأوسط. وإمتدت أذرع الوباء الرهيب لتحتضن قرية « الكيلو » التابعة لمركز (مغاغة) في المنيا بالصعيد الأوسط من مصر. وتسللت .. وساعتها .. أحس الصبي بالدار تكاد من ذعرها تمور ، وإذا بالضجة من حوله ترتفع ، وتغلي ، وتثور .. ثم ما لبثت هذه الأذرع الرهيبة أن امتدت فانتزعت أخاه الأثير لديه ، من دون أفراد الأسرة لتنطلق به الى حيث لا يعود ، ولم يملك صراخ الأم الولهى ، ولا ذهول الأب المفجوع له ردا .

وأعجزت العلة الصبي أن يرى الموكب الحزين القاتم ، وهو يمشي خلف الفقيد المحمول على أعناق الذين بادلهم بالأمس الفرحة والأسى ، وإن كان قد أحس بما يصنعون كأعمق ما يكون الاحساس .. وعرف الصبي منذ ذلك اليوم .. أرق الليل ، وأنفق في سواد الليل يفكر في أخيه .. ويقرأ سورة الاخلاص آلاف المرات أو ينظم شعراً على نحو الذي كان يقرؤه في كتب القصص مترجم فيه حزنه وألمه لفقد أخيه معنياً بألا يفزع من قصيدة حتى يصلي في آخرها على النبي صلى الله عليه وسلم ، واهبا ثواب هذه الصلاة لأخيه . ونحن هنا لا تعنينا القيمة الفنية لهذا الشعر المبكر ، فإنه يكفي أن يكون متنفساً لصاحبه ، فيكون قد أدى شطراً من وظيفته الأدبية ، وأن يكون على جانب من شكل فني متعارف عليه ، فيكون قد حقق شطراً آخر من قواعده .. وكذلك كان الحب منبعاً آخر من منابع شاعريته المبكرة حتى وإن كان حباً ساذجاً غريراً

لنستمع الى هذه القصيدة التي نشرها « طه حسين » وهو في العشرين من عمره والتي عني في مطلعها بنوع من البديع يسمونه الالتفات ، ذلك حيث يقول :

ضننت : لا من هوى الغواني
واشتقت : لا للمها الحسان
وشفني : لا صـدود رئـم
إذا ثنـى عطفـه سبـاني
واقتـادني : لا هـوى فلان
فقـد تـولى هوى فـلان

ثم يتحدث عن غرامه الطفولي فيقول :

لقد بلـوت الغـرام غرا
فكـم بآلامـه ابتلاني
تحكم الغيد في دهـرا
ثـم انثنى عنهمـو عناني
لا اكـذب الله أن عامـا
مضى حثيثاً بـلا تواني
اذا تـذكرتـه استهلـت
دمـوع عيني كالجمـان
إذ أنا في لـذة وأمـن
أباكـر اللهـو غـير وان
استقبل الدهـر في صفاء
ومـا درى كاشـح مكاني
أرضيت بالطيبـات نفسي
في غيـر إثـم ولا امتنـان
إن كـان في قبلـة جنـاح
فـانني منـه في أمـان
فقد نلتها واستزدت منها
لـو بعض مـا نلته كفاني

ثم يقول فيما يشبه التنهيدة الحزينة

ثم طوى الدهر ذاك عنا
ليت الردى قبله طواني

تلك أبيات اشتممنا فيها بعض عبق من هذا الماضي الذي تناولناه بالحديث وقد نكون مغالين في ظنوننا وقد يختلف الواقع معنا اختلافاً كبيراً ، ولكننا نحاول أن نثبت اقدامنا ، في بداية طريقنا الشاق الذي اخترناه لأنفسنا لعلنا نظفر بالمزيد ..

وتوالت أشعار طه حسين تزداد رصانة وجودة ، ففي عام ١٩٠٦ حينما كانت فكرة اقامة الجامعة المصرية قد شغلت أذهان بعض مفكري الأمة وقتئذ والتي قال فيها مصطفى كامل أنها « هذه هي الوحيدة التي يليق بالوطنيين إهداؤها لمصر والمصريين ، فلتنس الأحزاب إنقساماتها ، ولينس الصحفيون خصوماتهم ، ولتلق الأحقاد في هوة لا يسمع فيها لغو ولا دوى .. » .

بدأت حملة جمع التبرعات لبناء الجامعة المصرية ، وتربعت الأميرة «فاطمة اسماعيل» على عرش المتبرعين لهذا المشروع الجليل ، إذ تبرعت بستة أفدنة من أراضي البناء بجوار قصرها بالدقي لإقامة مبنى الجامعة عليها وأوقفت ستمائة فدان من أجود ما تملك من الأراضي الزراعية للصرف من ريعها على الجامعة الوليدة ، كما قدمت من جواهرها ما يساوي عشرة ألفاً من جنيهات ذلك العهد إسهاماً منها في عملية البناء وأضافت جميع مصاريف حفلات الإفتتاح الى حسابها الخاص ، فأثار صنيع « الأميرة » شاعرية عدد من الشعراء مثل أحمد شوقي رحمه الله وطه حسين فلنستمع اليه وهو يخاطب « الأميرة » فيقول :

عشت للشرق فإن الشرق محتاج اليك
رفع الله منـا العلـم فيه .. بيديك
وهب الجامعة السعد فنالت نعمتيك
فهي في أمن من الدهر بما فازت لديك

لقد كان الشعر ــ بلا شك ــ مكوناً من مكونات طه حسين ، والشعر صورة للنفس ، فيما يقول عميد الأدب العربي نفسه ، ولذلك لجأت الى شعر العميد كي نستلهمه ونستفتيه اذا غمض علينا الدليل .

فهل تكشف لنا بعض أعماق الرجل العظيم ؟

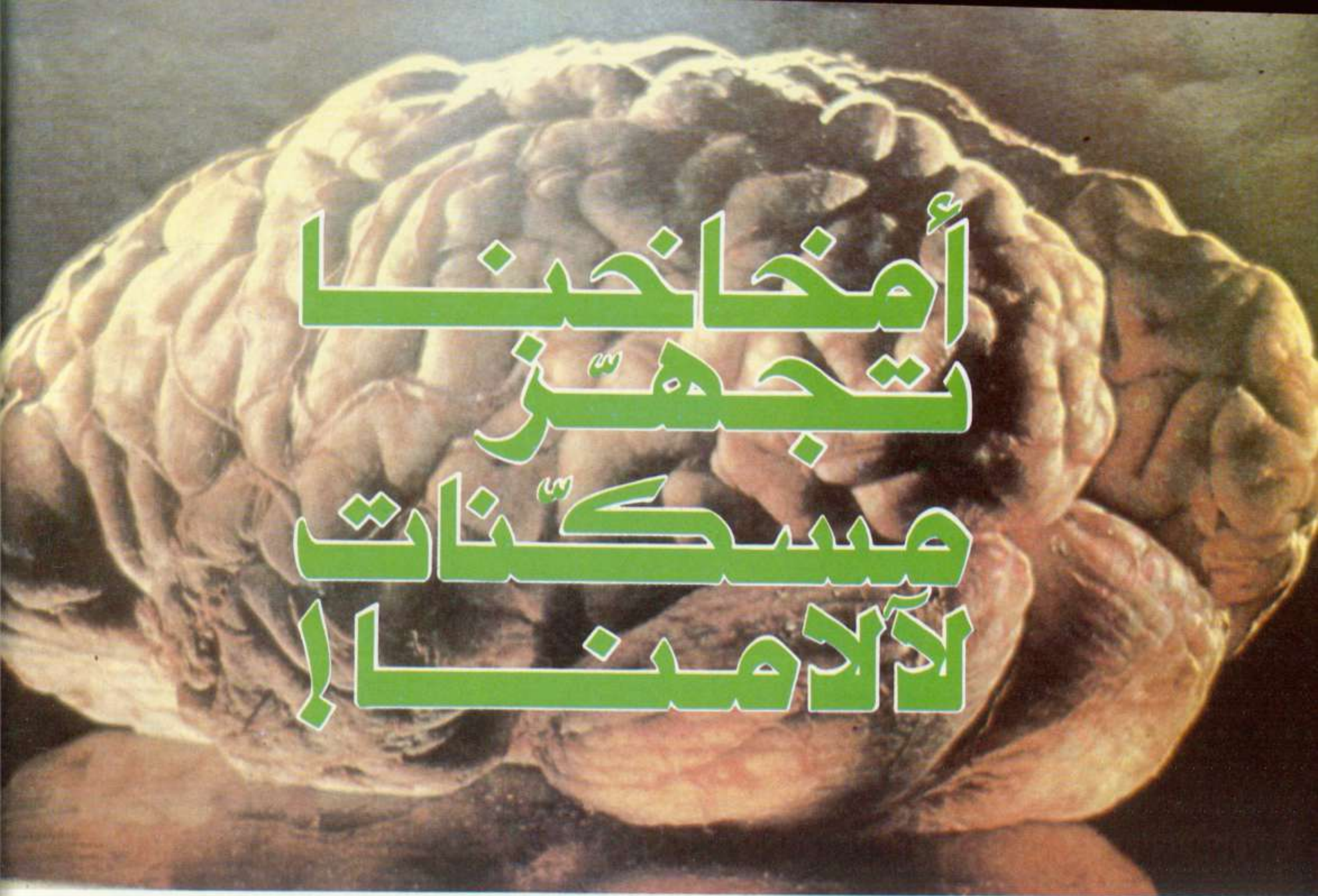
لقد أردت بهذا المقال المتواضع أن أعطي بعض الضوء على جانب من جوانب سيرته ، وحسبي هذا ، ذلك لأني أومن بالحكمة التي تقول :

لاتستح من إعطاء القليل فان الحرمان أقل منه ، وصدق الله العظيم إذ يقول :

«فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ماينفع الناس ، فيمكث في الأرض ، كذلك يضرب الله الأمثال » .

وبعد .. هذا ما عرفته عن العميد الراحل أسجله في ذكرى وفاته رحمه الله وجزاه بما قدم خير جزاء .

نبيل سليم



أمخاخنا تجهّز مسكّنات لآلامنا!

بقلم: الدكتور عبد المحسن صالح

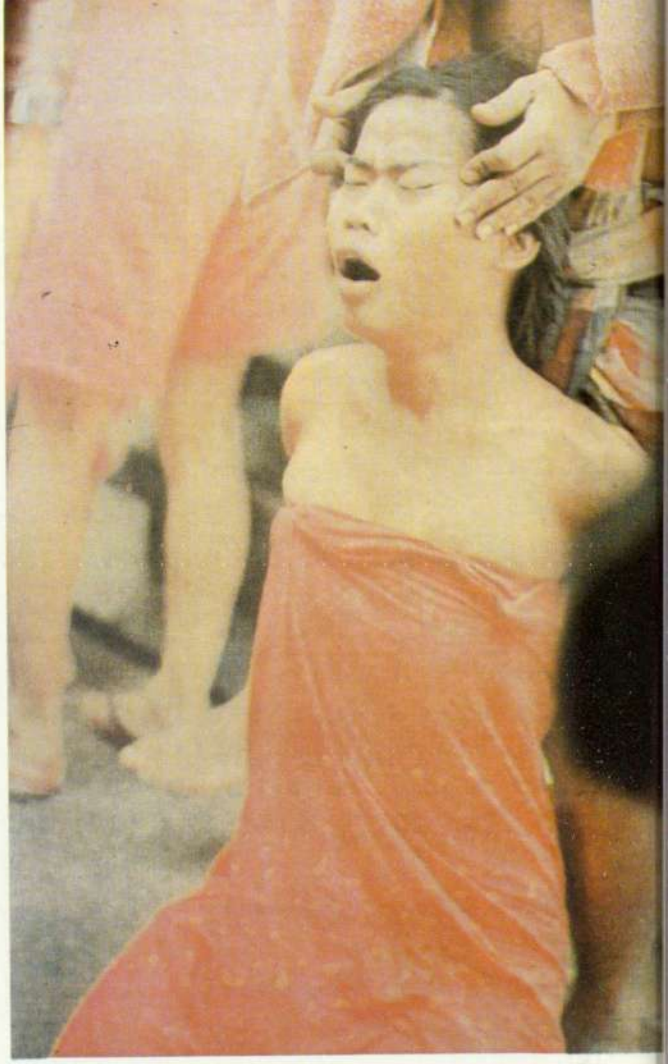
يبدو أن حلم البشرية في حياة بدون آلام سوف يتحقق قبل أن يطل علينا القرن الواحد والعشرون، وليس ذلك على أية حال ببعيد، فلقد ظل الإنسان من آلاف السنين يجهد عقله، عله يتوصل إلى شيء يريحه من آلامه التي قد تحل به بين آن وحين.. إذ مما لاشك فيه أن كل إنسان قد مر بتجربة الألم، لكن الألم درجات، وأقساه مايحيل حياة الإنسان إلى عذاب غير محتمل لدرجة أنه قد يفضل عليه الموت، وما هو ببالغه!

وطبيعي أن الإنسان من قديم الزمن قد بحث للألم عن علاج أو مسكن أو مخدر أو ماشابه ذلك، فتحدثنا احدى برديات الفراعنة مثلا عن تحضير منقوع بذور «أبو النوم» أو الخشخاش كمسكن لآلام الأطفال، فإذا شربوه كفوا عن الصراخ والبكاء واستكانوا وناموا، والمعروف أن الخشخاش هو النبات الذي تستخرج منه مادة الأفيون ومشتقاتها الكثيرة، ولايزال هذا المشروب يستخدم حتى اليوم كمهديء من الآلام المعوية.. كما اكتشف علماء الآثار كذلك ثلاث نباتات أو بذورها داخل قبر رمسيس الثالث، واتضح أنها من النباتات التي تستخدم في تسكين الآلام (وهي نباتات البنشين والخشخاش واللفاح).. ولاشك أن الحضارات الأخرى القديمة قد عرفت طريقها إلى المسكنات التي كانت تستخرج أصلا من النباتات، مثل حضارة الصين وبلاد مابين النهرين (العراق)، وماذكره العرب القدامى في أعشابهم الطبية.. الخ.

كشف مثير

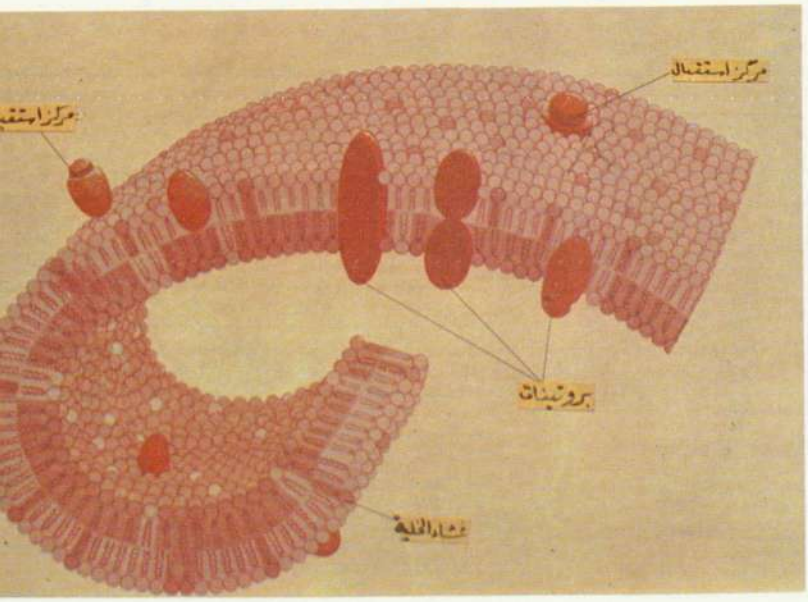
لكن القصد من هذه الدراسة ليس في تقديم أنواع المخدرات أو المسكنات التي توصل اليها الإنسان عبر عصور طويلة، ولايزال، خاصة إذا عرفنا أن المسكنات التي توصل اليها العلماء من مصادرها الطبيعية، أو بالطرق الكيميائية، صارت الآن قائمة طويلة عريضة، لكنها مع ذلك لم تحقق الهدف المنشود، لأن المداومة على تعاطيها ـ خاصة لفترات طويلة ـ يؤدي حتما إلى الادمان، بمعنى أن الإنسان لايستطيع أن يستغني عنها، لأن هناك دافعا ملحا من داخله لطلب المزيد، الى أن يصبح الإنسان عبداً لها، فإذا حاول أن يمتنع عن تعاطيها، أصيب بحالة من الأرق والتهيج والقلق والإسهال وتقلص العضلات وغير ذلك من أحاسيس وآلام تدفع المدمن دفعا لكي يتنازل عن أي شيء في مقابل جرعة تعيد اليه هدوءه وسكينته (شكل ١).

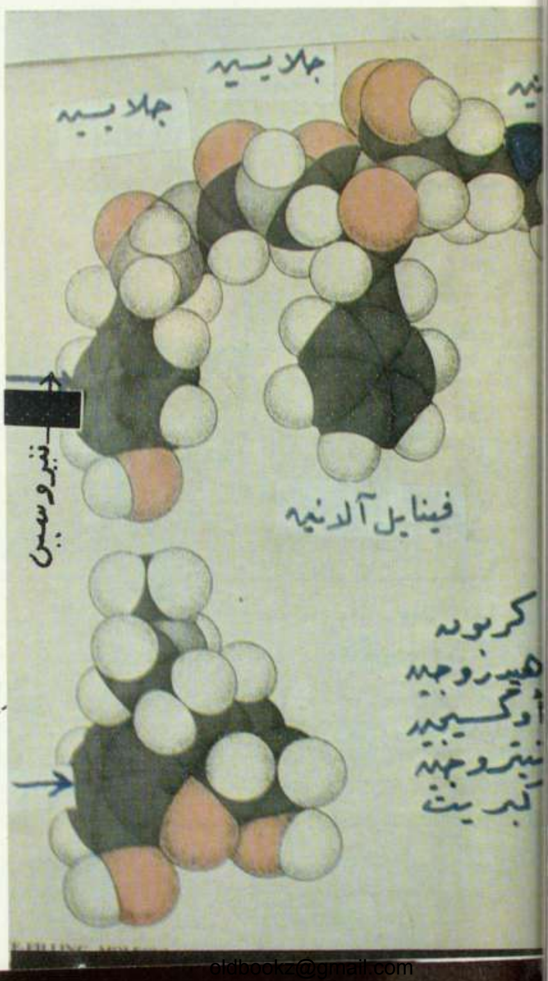
ولقد حاول العلماء محاولات جبارة في التوصل الى مادة أو أكثر علها تطمس الآلام، وفي الوقت ذاته لاتسبب الإدمان، لكنهم لم يوفقوا في ذلك، رغم مابذلوه من محاولات مع مئات الأنواع من المركبات والمشتقات، وبدأت البحوث تتجه وجهة أخرى، وكانت وجهة العلماء هي الكشف عن سر



شكل (١) فتاة تبدو عليها علامات الانهيار العصبى نتيجة إدمانها ، وهى هنا بين يدى وسيطة روحية تثق فى قدراتها على العلاج الروحى ، علها تخلصها من هذا الداء ، وهو داء قد تسلط على ملايين البؤساء .

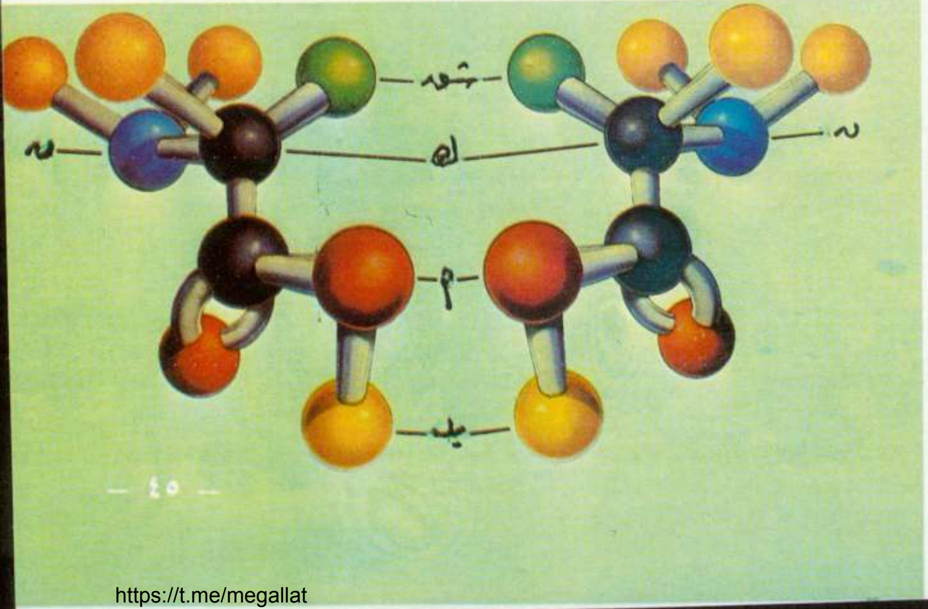
شكل (٢) رسم توضيحى لسور الخلية أو غشائها الرقيق جداً وقد أندس بينه جزيئات بروتينية تقوم بوظائف شتى ، ولقد اكتشف العلماء أن بعض هذه الجزيئات تعمل بمثابة مراكز استقبال لمواد كثيرة ، ومن هذه المواد المخدرات التى يتعاطاها الناس ، أو تلك التى تصنع فى داخل أدمغتنا ، ووظيفتها تحوير وتلطيف شدة الألم .





شكل (٣) نموذج جزيئى للدماغين أو الانكفالين (الى أعلى) وهو «المخدر» الطبيعى الذى تفرزه أدمغتنا ، ونموذج لجزىء المورفين (الى أسفل) .. إن التشابه بينهما يكمن فى الجزء الذى يشير اليه السهم فى كل منهما ، وبهذا الجزء يتعرف كل جزىء على مركز الاستقبال ، وهى هنا أشبه بفكرة القفل والمفتاح .

شكل (٤) فى الطبيعة توجد أنواع من المركبات العضوية إذا مر فيها الضوء من جهاز خاص حرفته يميناً أو يساراً ، وكأنما نفس المركب له صورة يمينية وأخرى يسارية ، ومن هذه المركبات جزيئات المورفين ، والنموذج الجزيئى يوضح أحد الأحماض الأمينية وكأنما هو وصورته فى المرآة ، أى أن أحدهما يمينى ، والآخر يسارى (أ. أوكسيجين ، يد. ايدروجين ، ن. نيتروجين ، ك. كربون) .



أمخاخنا تجهز مسكنات لآلامنا!

التفاعل بين الجهاز العصبي وبين المواد المخدرة ، ولقد طافت بأفكارهم أسئلة شتى : ماذا تفعل أية مادة مسكنة للسيطرة على الألم ؟ .. وإلى أين تتوجه ؟ .. وكيف تتصرف مع الخلية العصبية وتغير مابها فلا تستطيع أن تتعرف على سيل النبضات العصبية الواصلة اليها من مواقع الألم ؟ ثم ـ وهذا هو الأهم ـ كيف يحدث الإدمان أساساً ؟

الواقع أنه من السهل أن نسأل ، لكن من الصعب جدا أن نجيب ، لأن أسرار المخ أعقد مما نتصور ، فالمخ بمثابة لغز الألغاز ، أو سر الأسرار ، أو حتى قدس الأقداس ، إذ كلما تعمقت فيه ، تشعبت بك السبل ، فلا تعرف أي طريق تسلك ، ومع ذلك فقد عرفنا من أسراره القليل ، وبقي الكثير ، لكن القليل الذي اكتشفناه ، يوضح لنا ماانطوت عليه الحياة من بديع صنع الله .

فأول هذه الأسرار يكمن على الأسوار ، نعني أسوار الخلايا الحية ، ذلك أن كل خلية تحيط نفسها بغشاء رقيق غاية الرقة ، غشاء لايزيد سمكه عن جزء واحد من ٨٠ ألف جزء من الملليمتر ! ! ومع هذه الرقة المتناهية ، أصبح الغشاء بدوره ملكوتاً قائماً بذاته ، أو هو بمثابة حرس الحدود الذي يعرف هوية الجزيئات المتجهة الى داخل الخلية ، أو الجزيئات الخارجة منها ، فيسمح بدخول وخروج المركبات التي تحتاجها ، أو التي تستغني عنها ، وكل شيء بحساب ، ويخرج بمقدار ، لكن ذلك موضوع طويل ومتشعب ومثير ، ولانستطيع أن نتعرض هنا للمزيد ، لأن ماكتب فيه قد يستوعب مجلدات من فوق مجلدات ، لكن الشيء الهام هنا أن السور أو الغشاء مزود بمحطات أو مراكز استقبال ليستضيف فيها أو عليها جزيئات خاصة ذات سيادة في عالمها ، أي أنها مكلفة بمساعدة الهيئة الجزيئية التي تقف على حدود الخلية في انجاز تفاعلات لايمكن للحياة أن تتم بدونها (شكل ٢) .

ولقد وجد العلماء أن لأسوار الخلايا العصبية محطات استقبال صالحة لنزول أو استضافة أي مخدر أو مسكن للآلام ، وهذا وحده سر هام ، أو هو بداية للكشف عن أسرار أخرى لم تكن في الحسبان ، ومن أجل هذا تساءل العلماء : هل يعني ذلك أن جهازنا العصبي كان مهيأ من البداية للتعامل مع هذه المخدرات ؟! .

الواقع أن أحدا لايستطيع أن يقر ذلك ، لأن غالبية المخلوقات تعيش حياة عادية بدون مسكنات أو مخدرات ، ومع ذلك فإن هذه المستقبلات المتراصة على الأسوار لم تخلق عبثا ، ولابد أن لوجودها سببا ، وبالفعل اكتشف العلماء السر ، فهذه المستقبلات موجودة أساسا لمسكنات أو مهدئات أو مخدرات تصنعها أجسامنا ، فكل مستقبل «يستضيف» جزيئا من المخدر الطبيعي ، أو هو بمثابة «الصناعة المحلية» أي ليس مستوردا من الخارج على هيئة حبوب أو حقن أو مشروب أو غير ذلك من المسكنات والمهدئات التي نستعين بها على تخفيف أو قتل الآلام .

سر الأفيون الداخلي

وعندما بدأ العلماء في عزل أولى هذه المواد المخدرة أو المسكنة التي تصنعها أجسام الإنسان والحيوان ، استبشروا خيرا ، فمن خلال مايحدث بين المستقبلات الكائنة على الأسوار ، وبين «الأفيونة» الحيوانية (أي التي يصنعها الحيوان) قد يمكن التوصل الى ادراك السر في الإدمان ، خاصة وأن «الأفيونة» التي تصنعها أمخاخنا ليس من ورائها إدمان على الإطلاق ، فهي تحدث الأثر بتركيزات ضئيلة غاية الضآلة ، وقد تصل قوتها الى أكثر من مائة ضعف من قوة المورفين .

وبمثل هذا الاكتشاف المثير والخطير ، يمكن التنبؤ طبعا بما سيحمله المستقبل من مفاجآت وآمال ، خاصة وأننا قد اكتشفنا مسكنا لآلامنا ، ومهدئا لأعصابنا ، ومسيطرا على أمزجتنا ، وكل هذا يمكن تحقيقه بدون إدمان ، أو خوف من الوقوع تحت طائلة العقاب ، أو أي أمر من الأمور التي قد تحط من كرامة الإنسان ، ذلك أن أفيوننا هو من نفس تكويننا ، أو هو كلمة في قاموس بروتيناتنا ، ولالوم على أحد إذا استفاد من حكمة وضعها الله في خلقه ، لتصبح أداة لطف ورحمة ، لا أداة عذاب ونقمة ، كما هو الحال في المخدرات غير المشروعة .

ولقد ظن العلماء ـ باديء الأمر ـ أن خلايانا العصبية تستقبل على اسوارها مركبا واحدا ، وأنها ـ بهذا المركب تستطيع أن تحور في نبضات الألم ، لكن ظنونهم كانت متواضعة ، خاصة بعد أن أعلنت عدة مراكز ومعاهد للبحوث في دول مختلفة أن المسكنات الطبيعية في أجسامنا ليست نوعا واحدا ، بل هناك عدة أنواع تعد على أصابع اليدين ، وربما يرتفع عددها في المستقبل لتصبح أكثر من ذلك بكثير ، ولقد تبين أن الأنواع المعزولة تقع تحت فصيلتين أساسيتين : فصيلة تعرف باسم «الاندورفين» **Endorphins** والأخرى باسم «الانكيفالين» **Enkephalins** والاسمان ـ كما هو واضح ـ مشتقان من كلمات لاتينية ، فالأولى تعني المورفين أو الأفيون الداخلي (أي الذي يتكون داخل أدمغتنا) ، والثانية تعني التي «في الدماغ» ، أي الأفيونة التي تجهزها أدمغتنا ، ولنسمها تجاوزا «الدماغين» ، أي التي تعدل الدماغ .

دعنا ـ إذن ـ نتعرف على «أفيوننا وحشيشنا» الذي يتكون داخلنا ، ولنقارن بينه وبين مايحل بالجسم من خارجه ، أي المواد المخدرة التي تستخدم في الدوائر الطبية أو خارجها ، ولنبدأ بمادة الدماغين ، لأنها أبسط تكوينا ، إلا أنها ليست مادة واحدة ، بل مادتين ، : لكن الاختلاف الوحيد بينهما يكمن في حامض أميني واحد .. والمعروف أن الأحماض الأمينية هي «ألف باء» الجزيئات البروتينية ، وكل البروتينات ـ صغيرها وكبيرها ـ الموجودة في جميع الكائنات الحية «تكتب» أو تتألف بعشرين نوعا من الأحماض الأمينية ، تماما كما نكتب لغتنا أيضا بحروفنا ، ونكون بها كلماتنا ، وقد تكون الكلمة من حرفين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر قليلا ، ونادرا ما تتعدى الكلمة عشرة حروف ، لكن

الأحماض الأمينية المختلفة قد تتآلف أو تترابط بالعشرات والمئات في سلاسل طويلة .

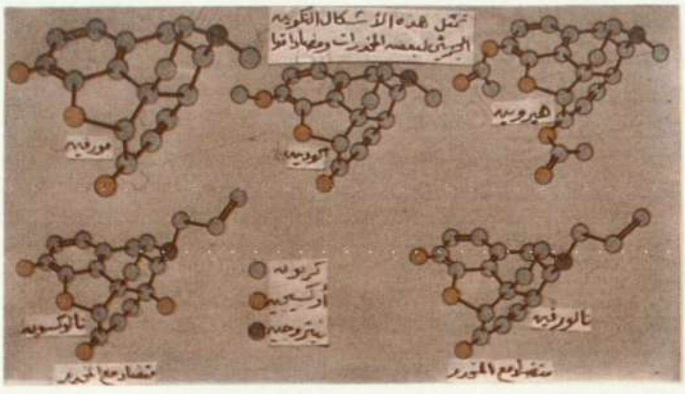
ومن هذا المنطلق نعود الى الانكيفالين أو الدماغين ، فنرى صنفا منه يتكون من «توليفة» ، والآخر من توليفة أخرى لاتختلف عن الأول إلا في حامض أميني واحد .. فكل منهما يتكون من خمسة احماض أمينية (أي كل منهما بروتين جد قصير من خمسة أحماض ، ولهذا يسمى خماسي الببتيد - لمن يهمه الأمر) .. الحامض الأول في كل منهما مختلف ، والأربعة الأخرى متشابهة تماما في النوع ، وفي الترتيب (شكل ٣) ولكي نوضح ذلك ، كان لابد أن نقارنهما بكلمتين من كلماتنا ذات الحروف الخمسة أيضا ، ولنختر مثلا كلمتي : هابطة ، رابطة ، أو صاعدة ، قاعدة .. الخ ، الاختلاف هنا في حرف واحد ، لكن المعنى مختلف تماما ، كذلك وجد العلماء صنفي الدماغين مكتوبين هكذا : فعجحت لفجحت .. أيضا الحرف الأول مختلف ، والحروف الأخرى متشابهة تماما - صحيح أن نطق الكلمتين هنا ثقيل ، وليس لهما في عقولنا معنى ، لكنهما في عالمهما الجزيئي الدقيق تعرفان كيف تتخاطبان مع أسوار الخلايا العصبية ، وكيف تهتديان الى مواقعهما الاستراتيجية على المستقبلات (ثم - لمن يهمه الأمر - فإن حرفي م ، ل في نوعي الانكيفالين تعنيان الحامضي الأميني ميثابونين ، ليوسين ، والأربعة الأخرى «فجحت» فهي على الترتيب فينايل آلانين ، جلايسين ، ثم جلايسين ، ثم تيروسين - أخذنا الحرف الأول من كل حامض أو كلمة من باب الاختصار ليس إلا ، ثم ان الترابط بينهما في الجزيء هو - في الأصل - ترابط اليكتروني) .

لكن أمخاخنا لا تتعامل فقط مع الانكيفالين - م ، وتوأمه - ل (الواقع أن م ، ل هما رمزا الحامضين الامينيين في كل الكيفالين - كما سبق أن أشرنا) ، لكن تبقى أيضا فصيلة الأندورفين ، وهي أيضا مجموعة من الأحماض الأمينية المتآلفة بالعشرات ، أو بالتحديد ٣١ حامضاً أمينيا متشابكا في جزيء ، أو قد تكون دون ذلك عددا (ولهذا أطلق عليها العلماء أندورفين الفا ، بيتا ، جاما .. أي أ ، ب ، ج) .. والغريب أن هذه المركبات الثلاثة تحتوي دائما في أحد طرفيها على الأحماض الأمينية الخمسة التي تكون الانكيفالين - م بالتحديد ، وليس ذلك فحسب ، بل أيضا بنفس الترتيب ، ولازالت هذه الفصيلة غير معروفة الوظيفة على وجه التأكيد ، وإن كان بعض العلماء يعتقد أن وجودها لم يأت هكذا اعتباطا ، ولابد أن يكون لها هدف في تحوير كيمياء المخ بطريقة أو بأخرى ، والسنوات المقبلة ، والبحوث المكثفة كفيلة بكشف هذا الغموض .

بين مورفين وانكيفالين

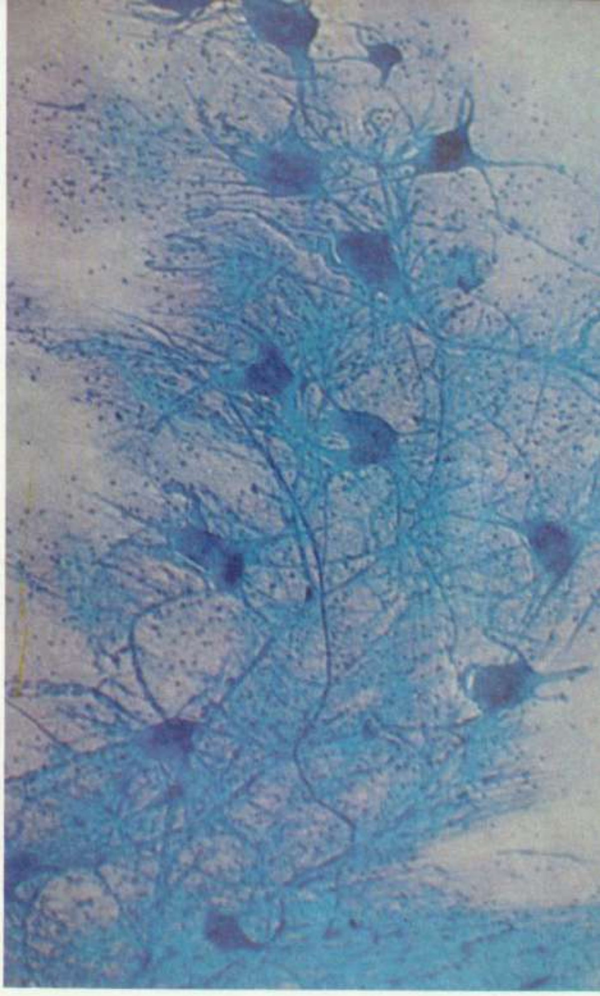
العلماء الذين يتعمقون في مثل هذه الدراسات المعقدة والمجهدة ، داعبت عقولهم بعض أسئلة حائرة : إذا كان الانكيفالين أو الدماغين الذي تنتجه أدمغتنا يحتل مواقع استراتيجية على أسوار خلايا المخ ، ليحور في كيميائها أو نبضاتها العصبية التي تتعامل بها مابين إرسال واستقبال ، فما دخل المخدرات التي يتعاطاها بعض الناس بمثل هذه المواقع ؟ .. وهل هناك وجه شبه بين هذه وتلك ؟ .. وإذا كان ، فلماذا يصبح لهذه المخدرات (ولنأخذ واحدا-هو المورفين) اليد العليا ، وللدماغين اليد السفلى ؟ .. أي لماذا يتغلب هذا على ذاك ، ويأخذ موقعه ، ثم يصبح في البداية مهدئا ومسكنا ومريحا ، وفي النهاية - عند الإدمان - يتحول إلى غول رهيب يفتك بأمخاخ المدمنين ؟ .. الخ .

الواقع أن التركيب الكيميائي للدماغين يختلف عن المورفين أو الهيروبين أو الكودين أو ما شابه ذلك ، فالأول يتكون من احماض امينية ، والثاني لايدخل فيه أي حامض أميني (قارن هذا بذاك من شكل ٣) ، لكن هناك تطابقا في الهندسة الجزيئية بين هذا وذاك .. صحيح أن البقية مختلفة ، لكن ذلك ليس هاما بالنسبة لمن يدرسون العلوم الكيميائية ، ونحن لانريد أن ندخل هنا في معمعة علمية ، لكننا مع ذلك لن نهرب من هذا المأزق ، وعلينا أيضا أن نبسطه بمثال من واقع حياتنا ، وليكن ذلك في قفل ومفتاح ، فليس كل مفتاح صالحا لفتح أي قفل إلا ما توافقت أسنانه مع ريش القفل .. وكذلك تكون هذه الجزيئات مع مستقبلاتها على الأسوار .. فلمادة الدماغين تنظيم ذري جزيئي متوافق تماما مع مواقعه الاستراتيجية على الأسوار(وإلى حيث يشير السهم في شكل ٣) . والمورفين كذلك له نفس التنظيم (حيث يشير السهم أيضا) .. فكأنما هذا مفتاح أصلي ، وذاك تقليد ، لكنهما يؤديان نفس العمل ، ولا يهم بعد ذلك إن جاء المفتاح طويلا أو مزركشا أو نحاسا أو فضة .. فالمهم فقط أسنانه التي تتوافق مع



شكل (٥) النماذج الجزيئية الثلاثة فى أعلى الصورة توضح التوزيع والترابط الذرى لبعض المخدرات ، واللذان الى أسفل مضادات أو منافسات لهذه المخدرات ، وهى من المركبات التخليقية التى صنعها العلماء ليحاربوا بها الادمان .. لاحظ التشابه الموجود فى يسار كل مركب بين المخدر والمادتين المتضادتين معه ، وهو ما يرشدها الى مراكز الاستقبال على أغشية الخلايا ، وكأنما هذه المراكز بمثابة الأقفال ، والمواد الموجودة فى الشكل بمثابة مفاتيحها التى « تلبس » فيها

أمخاخنا تجهّز مسكّنات لآلامنا!



شكل (٦) بضع خلايا من الـ ١٢ ألف مليون خلية عصبية فى أمخاخنا ، وحول كل خلية توجد غابة من الألياف ، وهى بمثابة أسلاك التليفون التى تنقل الاتصال ، لكنها هنا اتصالات كهروكيميائية ، وهذا ينبئك بأن المخ كون هائل من المتاهات التى تتوه فيها أعظم العقول .

ريش القفل ، لتؤدي مهمتها على أكمل وجه .

ولقد بلغ التخصص بين المستقبلات على الأسوار الخلوية وبين المواد المخدرة منتهاه ، وبحيث تبدوا لنا أمور الحياة في داخلنا بنظم دقيقة مذهلة الى حد الخيال ، فهناك مركبات عضوية توجد على صور يمينية ويسارية ، فكما لنا يد يمنى ويسرى ، كذلك يجيء المركب ذاته بنفس النظام الجزيئي تماماً ، لكن أحدهما يبدو بالنسبة للآخر كصورته في المرآة (جرب وضع يدك اليمنى أمام المرآة وابسط يدك اليسرى أمامك ، تجد صورة اليمنى في المرآة تتطابق مع اليسرى تماما - وكذلك بعض أنواع الجزيئات .. أنظر شكل ٤) ، وقد يطرأ على الذهن هنا تساؤل : وما دخل ذلك بموضوعنا ؟ .. الواقع أن له دخلا ، فالمورفين ذاته يوجد بصورتين ، فجزيئات منه يمينية ، والأخرى يسارية .. ومع أن لهما نفس الخواص الطبيعية والكيميائية ، إلا أن المستقبلات على أسوار الخلايا العصبية تتعامل مع المورفين اليساري ، ولاتقبل اليميني .. أي كأنما أنت قد اتيت بمفتاحين لهما نفس الأسنان تماما ، لكن اتجاه هذه عكس اتجاه تلك ، وطبيعي أن القفل سيتوافق مع واحد فقط ، ولايمكن أن للآخر أن يلج فيه .. وهذا - بلاشك - برهان أكيد لوجود المستقبلات المتخصصة على الأسوار ، وبحيث تتعامل مع صورة ، ولا تقبل الأخرى .

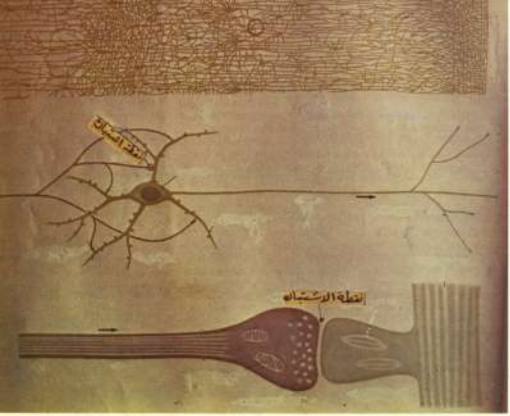
ورغم أن كيميائية الإدمان ذاتها لم تتضح بعد ، إلا أنه من المعتقد أن المواد المخدرة التي يتعاطاها المدمنون ، أو الذين يطلبون راحة من آلامهم العضوية أو النفسية ، أو كليهما - هذه المواد تنجذب الى المستقبلات اكثر من الدماغين أو الاندورفين الذي تصنعه أدمغتنا ، أي أن الدخيل يطرد «صاحب» البيت ويحتل موقعه ، ومن هذا المفهوم يمكن تخليق جزيئات كيميائية شبيهة بالمواد المخدرة ، ثم تجربتها على المدمنين (الواقع أنها تتم أولا على حيوانات التجارب ، فلها في أمخاخها مثل مالنا) ، فلربما تطرد الدخيل ، وتنزعه من مواقعه التي احتلها على الأسوار .. وقد كان ، إذ توصل العلماء إلى صنع عدة مواد يمكن بها محاربة الإدمان ، ومنها - على سبيل المثال لا الحصر - مادتان : نالوكسون ونالورفين (وهما ليسا من المواد المخدرة) .. فلهاتين المادتين هندسة جزيئية تشبه إلى حد كبير الهندسة الجزيئية في المورفين ، وإلى حد ما الهيروين والكودين (وهما مخدران مشتقان من المورفين - شكل ٥) - أي أن ما يحدث بين هذه الجزيئات وبين المواقع المخصصة لها على الأسوار ، هو مايحدث عادة بين صور الحياة المنظورة ، فالقوي يطرد الضعيف ، لكن القوي قد يأتيه من هو أقوى منه ليطرده .. فالضعيف هنا هو الدماغين ، والقوي هو المورفين ، (أو أحد مشتقاته) ، والأقوى هو نالوكسون أو نالورفين ، فإذا جاء المورفين وجد مانعا يمنعه من اللجوء الى مواقعه .. وهذا المانع اسمه العامل المضاد او المقاوم أو الطارد ، وهو أمر معروف في التفاعلات الكيميائية والبيولوجية .

المهم أن هذه المواضيع طويلة ومثيرة ومفعمة بالألغاز والأسرار ، وليس لها هنا مجال ، ولكن الأهم هو هذا السؤال : هل سينجح العلماء حقا في الوصول الى شيء - أي شيء - يريح البشرية من آلامها العضوية والنفسية والعاطفية ودون أن تحل بها حالة من الإدمان المدمر ؟

حرص واجب

الإجابة على هذا السؤال الهام قد تكون سابقة لأوانها ، وذلك لأسباب يطول شرحها .. صحيح أن معظم العلماء قد تحمسوا لهذه الكشوفات الكبيرة ، وبها استبشروا خيرا ، وعلى ذلك يعلق كيندريك فريزر في الكتاب السنوي للعلم والمستقبل (١٩٨١) فيذكر «أن حقن الاندورفين والانكيفالين في الحيوان أو الإنسان يؤدي إلى احداث آثار نفسية مثيرة ، فمعظمها مفيد ، إذ أنها تخفف الآلام ، وتسبب الانشراح ، وتساعد على التركيز ، وتقوي الذاكرة ، وتخفف بعض أعراض التخلف العقلي ، وفصام الشخصية (الشيزوفرانيا) ، ولقد قيل عنها بحق أنها من أعظم الاكتشافات الدوائية في القرن العشرين ، هذا رغم أن بعض الخواص الجديدة لهذه الكيماويات المعزولة من أمخاخنا لازالت تحت البحث والدراسة» .

لكن الموضوع ليس بهذه البساطة ، فلا زالت في أمخاخنا أسرار كالطوفان ، وأمامها نقف كالأطفال ، إذ ليست هذه البروتينات



شكل (٧) في الصورة العليا شبكة من الاتصالات بين الخلايا العصبية ، ولكي تتضح أكثر : أخذنا جزءا صغيراً (المحاط بدائرة في الصورة العليا) وكبرناه في الصورة الوسطى ، حيث تظهر عقد صغيرة اسمها نقط الاشتباك ، وفي هذه النقط (أسفل الصورة) يتم التفاهم أو الاتصال بين خلية وأخرى عن طريق الشحن والتفريغ الكهروكيميائي ، وكأنما هي بطاريات حية جد دقيقة ، وعلى هذه النقط الاشتباكية تستقبل الخلايا العصبية المخدرات ، فتحور التفاعلات .

شكل (٨) المعروف أن الإبر الصينية إذا غرست في مواقع محددة (كما يبدو في صورة هذه السيدة الصينية) فإنها تخفف الآلام ، ويقال أن ذلك ليس من فعل الإبر مباشرة ، بل يرجع الى حفز الإبر للجهاز العصبي ، لكي يفرز نوعاً من الدماغين الطبيعي ، فيحور في درجات الألم ويخففه .



الصغيرة (الدماغين) أو المتوسطة (الاندورفين) هي كل حصاد العلماء ، بل هناك أكثر من عشرين نوعا مكتشفا ، ويعتقد البعض أن ذلك لايمثل إلا ١٠٪ فقط من حصيلة لازالت مجهولة ، أي ربما توجد حوالي مائتي مادة تسيطر على انفعالاتنا ، وتوجه أمزجتنا ، وتخفف آلامنا ، وتثير أو تكبح شهواتنا ، وتتحكم في عواطفنا ، والخلل في موازينها قد يؤدي الى خلل في عقولنا ، فمعظم الأمراض النفسية أو العقلية ترجع إلى اختلال في هذه المواد ، أي أن لدى المخ قاموساً كيميائياً يعرف كيف يستخدمه ويتعامل معه ، أو كما يشبهها دكتور ايمري زيمرمان من جامعة كاليفورنيا بلوس انجيليس بأنها «لغة أساسية جديدة .. لغة كيميائية يستخدمها المخ ليجري اتصالاته مع نفسه» !

ونحن لم نعرف من هذه اللغة إلا القليل ، وحتى الذي عرفناه يمثل لنا الخطوط العريضة ، وغاب عنا كثير من التفاصيل ، ففي أمخاخنا تتحدد شخصياتنا ، وتتمثل سلوكياتنا ، وتتغير أمزجتنا ، فنثور ونهدأ ، ونفرح ونحزن ، وننشرح ونكتئب ، ونتلذذ ونتألم ، ونحب ونكره ،

أمخاخنا تجهز مسكنات لآلامنا!

إلى آخر هذه العواطف والانفعالات التي يسيطر عليها أكثر من ١٢ الف مليون خلية عصبية ، وكل خلية تحيط نفسها بشبكة الياف دقيقة (شكل ٦) ، وعلى الألياف تكمن الآلاف من نقط الاشتباك أو التوصيلات التي تحدث بين البلايين ، وكل نقطة بمثابة محطة إرسال أو استقبال ، وبين هذه النقط توجد مركبات كيميائية لتفرغ وتشحن ، وتنبض وترسل ، وتحور وتعدل ، ويقال إن هناك عشرات المواد التي تهيمن على هذه العمليات البالغة التعقيد ، وكأنما هي عصا المايسترو التي تهيمن على فرقة بأكملها ، فتوجهها هذه الوجهة أو تلك ، أو هي ـ كما يشبهها لنا جويل جورين بقوله «إذا تصورنا أن المخ بمثابة راديو يستقبل سيلا متصلا من المعلومات عن طريق نقط الاشتباك العصبي ، فان الببتيدات (أي سلاسل الأحماض الأمينية التي تتشابك بالآحاد والعشرات) قد تكون هامة في ضبط عملية الاستقبال» (شكل ٧) .

إذن فنحن أمام غابة هائلة من الأسرار التي لم يشهد لها العقل مثيلا ، صحيح أن أساس التفاهم بين خلايا المخ ينتج عن عمليات كهروكيميائية تؤدي إلى نبضات عصبية سريعة ومستمرة ، الا أنها محكومة بجزيئات كثيرة ضابطة لكل صغيرة وكبيرة ، لكن ماهي طبيعة الضبط والتحكم ، وماهي المركبات التي تشارك في ذلك ، وما عددها ، وكيف تشارك ؟ .. كل هذا وغيره لايزال يشكل أمامنا متاهات تبدو كأكوان ضخمة من الألغاز.

المستقبل قد يحمل المفاجآت

لكن رغم تلك الصعاب الجمة التي تحتاج من العلماء الى صبر جميل ، وذكاء خارق ، وجهد عظيم ، وبحث عميق ، رغم ذلك فإن إدراك أسرار أمخاخنا ، والسيطرة على انفعالاتنا ، والتغلب على آلامنا لن تظهر نتائجه بين يوم وليلة ، ولا سنة وأخرى ، أو حتى بين جيل وجيل ، ذلك أن كل سر مكتشف ، يقود إلى أسرار أخرى أعظم وأعمق ، ولاشك أن حصيلة السنوات الطويلة سوف يتمخض عن أهداف قد نحسبها نحن اليوم خيالا ، لكن قد تعيش في واقعها الأجيال المقبلة .

ولاشك أن العلاقة بين أمخاخنا وأفيونها الذي تصنعه على هواها علاقة لاريب فيها ، فقد أثبتت تجارب كثيرة صحة هذه العلاقة ، لكن قد يثار سؤال في مثل هذا المجال : إذا كان الدماغين أو الاندورفين بمثابة المورفين الذي يهدىء الآلام ، فلماذا إذن نتألم رغم أنه موجود بداخلنا ؟

الواقع أن الألم في حد ذاته مطلوب ، لأنه بمثابة إنذار لنا بوجود شيء في غير صالحنا ، حتى نتخذ حذرنا ، ونبحث له عن علاج ، أو على الأقل دواء يخفف هذه الآلام .. لكن الآلام هنا درجات ، بمعنى أن الألم الناتج من غرس إبرة في الجسم يختلف بين إنسان وإنسان ، ذلك أن واحدا قد يتألم بدرجة أعظم أو أقل من الآخر . أو قد تكون لمسة أو دعاء من رجل صالح يعتقد المريض في بركاته كافيا لاختفاء الألم أو خفة حدته ، أو إعطاء الذي يعاني من الألم دواء يعتقد أنه سيريحه ، فيستريح بالفعل ، رغم أن الدواء هنا كاذب (حقنة ملح أو سكر جلوكوز مثلا) ، أو من يعتقد في جدوى الابر الصينية في العلاج أو تخفيف الألم (شكل ٨) ، فتخف آلامه ، أو حتى في اجراء العمليات الجراحية بدون تخدير ، كما هو الحال في الصين ، إذ تكفي الابر الصينية للقيام بعملية التخدير ، ويعني ذلك أن الجراحة تتم بدون آلام ، أو بآلام محتملة قد لانتحملها نحن ، أو قد يختفي الألم عندما يمارس الإنسان رياضة التركيز والتأمل الروحي (اليوجا مثلا) .. إلى آخر هذه الاعتقادات التي تثير تساؤلا هاما : لكن ماذا يعني كل ذلك حقا ؟

يعتقد معظم العلماء أن اختفاء الألم في مثل هذه الحالات إنما يرجع الى عمليات توجيه ايحائية الى أمخاخنا ، تكون نتيجتها زيادة افراز «أفيونها» فيحتل المواقع التي خصصت له على الأسوار بتركيزات تناسب شدة الألم ، وفي هذه الحالة يخفف شدة النبضات العصبية المعبرة عن الألم ، أو ربما يحول بينها ـ جزئيا أو كليا ـ وبين الوصول إلى داخل الخلايا العصبية ، فكأنما هي بمثابة المحول الذي يحدد أو يهبط تيارات الاشارات الواصلة ، ولولا ذلك لأصبح الألم مرعبا ، لكن الله لطيف بعباده .. ومما يساند هذا الرأي نتائج بعض التجارب التي أجريت على الحيوان ، ثم على الإنسان بعد ذلك ، إذ يخبرنا دكتور دافيد ماير من الكلية الطبية بولاية فيرجينيا أن الألم الناتج من الأسنان أو الضروس المعطوبة يقل بدرجات محسوسة في حالة غرس الابر الصينية في مواقع محددة ، وهو يعلل ذلك بزيادة افراز الدماغين أو الاندورفين أو كليهما ، ولكي يبرهن على صحة استنتاجاته ، قام بإعطاء مرضاه عقار النالوكسون دون أن يخبرهم بحقيقته ، فزادت عندهم درجات الألم عن ذي قبل ، وعندئذ تحققت ظنونه ، لأن أثر هذا العقار مضاد لأثر أية مادة مخدرة أو مسكنة للآلام (انظر شكل ٥ للتوضيح) .. وهو لم يقم بإعطاء مرضاه أي مخدر ، لكن المخدر أو المورفين الدماغي كان قد تم تصنيعه في الداخل ، ثم جاء النالوكسون وطرده من مواقعه ، وأبطل مفعوله المهدىء للآلام !

الموضوع بعد ذلك طويل جدا ، لكن يكفي أن نقول إنه رغم هذه البدايات المتواضعة ، إلا أن الأعوام القادمة كفيلة بكشف المزيد من الأسرار ، وبها يمكن إدراك كل تفاصيل التفاعلات الكيميائية والكهربية المعقدة التي تشعرنا بكل انفعالاتنا ، وعندئذ قد يمكن السيطرة عليها ، لأن السيطرة أو التوجيه تحتاج إلى معرفة بمفردات اللغة المعقدة التي تتخاطب بها الخلايا فيما بينها ، ويوم نتعلم أكثر ، ونعرف أعمق ، ونجمع حصيلة أعظم ، فلابد أن يكون التطبيق أتقن ، فيتحول الألم إلى لذة ، والاكتئاب إلى بهجة ، والمرض العقلي إلى صحة ، ولاشيء من هذا سيحدث بغير علم ومعرفة .. وإن غدا لناظره قريب .

عبد المحسن صالح

الغريب والسَّوسَنة

شعر: حسن توفيق

لو قلتِ لي : يا ايها الرجل الغريب متى تنام ؟ فلن أجيبَ إلى الأبدْ
فأنا وأنت نظل نسبح في بحار الساهرين الضائعين ... ولا أحد
هذا هو الليل العميق
ومواء قط جائع ... مترقب « ليلاه » ... حتى يستكنَّ إذا وَجَدْ
والبرد يسري من شقوق في النوافذ كالحريق
والنجم يشهد سهدنا ...
فلكم سهرنا للصباح
ماذا سنفعل وحدنا ؟ !
نبقى لكي نتبادل الكلماتِ والضحكاتِ والنظراتِ والقلقَ العريقْ
ما اجمل الكلمات في ليل الشتاء برغم عاصفةٍ تحاول دَكَّ أعماق السكون المستطاب
ما أطيب الضحكات تدفئنا وتسقينا
ما أعمق النظرات حين تطل صافيةً فتغسل روحَنا بصفائها النضر الذي يمحو العذاب
ما أخصب القلق العريق يفر من آفاقه الحيرى ليسكن فجاةً بجموحِه فينا !

••••

.... وأغيبُ عنك ... أغيب في أرجاء غرفتيَ الكئيبة
وأظل أحلم بالحياة
وأظل أحلم بالعصافير التي رحلتْ ولم تعبأْ بآفاقي الرحيبة
وأقول إن النهر – في يومٍ – سيسعدُ بالمسير مع الحياة لمنتهاه
وأقول إن السوسنه
يوماً ... ستدفعها العواصف في أقاصي الأمكنة
فأحس ظفر الوحشة البكماء منغرساً بقلبي
لكنني – في لحظة – ألقي الظلال المحزنة
عن عالمي عند انبثاق النور منسكباً على كتبي الحبيبة أو على الجدران والأشياء قربي
وترفُّ – كالنسمات حين ترفُّ – روح محسنه

••••

ليل ونافذة قريبه
منها يفوح النورُ مبتسماً وفي بسماته وبهائه فرحٌ يذيبُ ظلامَ غرفتي الكئيبة
يأتي إليَّ النور مبتسما مع الصوت البهيّ
هو صوتك النعسان يحمل غنوةً من أغنيات الحب والأحلام في هذا السكون المستطابْ
تسقينَ منها روحَك العطشي إلى قلب وفي
فتطل من قلبي الشجيّ
قسماتُ أوجهِ مَنْ عشقتُ على مدى الزمن البعيد
ويطير بي شغف نقيّ
لغدى الذي أسكنته قلبي وقلتُ متى تفوح روائح الفرح المحلق في سمائكَ يا شريدْ
ومتى يطل غد سعيد
يرتاح فيه الناس ... كل الناس ... من عبء التطاحن والتمزق والوعيد ؟

••••

ماذا يقول النورُ في هذا السكون المستطابْ
الله ... ما أحلى الشباب
الله ... إذ نتبادل الكلمات والضحكات والنظرات والقلق العريق
الله ... ما أحلى ائتلاف الشمل من بعد اغتراب
ألقاكِ مبتهجاً وأهتفُ ضاحكاً : رغم الضياع سيُقبلُ الغَدُ في الطريقْ
فلتهناي كالنور مبتسماً مع الصوت البهي ، وقد أضاء الأمكنه
فلتهنأي ... يا سوسنه ...

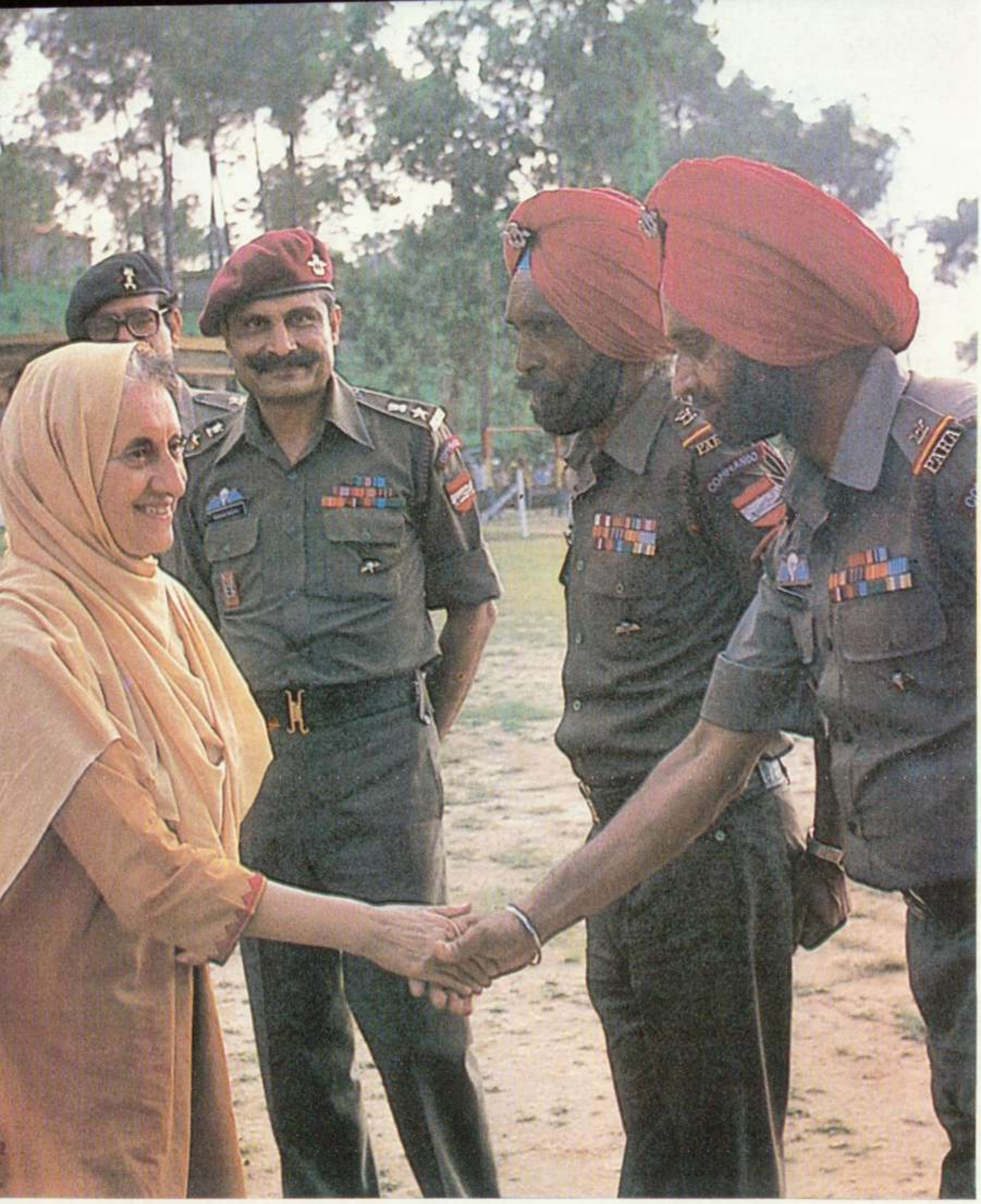




أنديرا غاندي.. في العاصفة

- قصة المرأة الحديدية التي حكمت الهند ١٨ عامًا.. من المجد إلى الاغتيال!
- مظهر هادئ رصين وشخصية فذة.. وطموح لا يقف عند حَد
- دخلت السجن وهي تغني: لا تقولوا وداعًا.. بل قولوا حظا سعيدًا
- عندما كانت الجماهير تهتف: أنديرا فتاة الهند.. حبيبة الفقراء.. ابنة نهرو وربيبة غاندي

بقلم: محمد العزب موسى



▶
أنديرا أثناء زيارة المعبد الذهبى للسيخ بعد اقتحامه فى يونيو الماضى .. صور هذه الزيارة لم تنشر فى الهند أو خارجها ، وقد التقط أحد الهواة هذه الصورة خلسة وباعها لمجلة «الفيجارو» الفرنسية التى نشرتها عقب حادث الاغتيال تحت عنوان «صورة فريدة خاصة» وتنشرها الدوحة هنا نقلا عن المجلة الفرنسية

◀
أنديرا غاندى تصافح بعض قادة الجيش من طائفة السيخ .. كانت أنديرا تثق فى السيخ وتعلن أنها تعارض حركتهم الانفصالية فقط ، ولاتعاديهم على أساس طائفى

مهما اختلفت الآراء حول انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند الراحلة فانها تتفق فيما اعتقد على أنها كانت امرأة ذات ارادة قوية ، كان مظهرها الهادىء الرصين يخفى شخصية مصممة فذة وطموحا لا يقف عند حد ، وقد استطاعت أن تحكم الهند ١٨ عاماً شبه متصلة باستثناء ثلاثة أعوام فقط فى أواخر السبعينات ، وبذلك سيطرت أسرة نهرو على حكم الهند منذ استقلالها حتى الآن ، وكانت أهم ما يشغل بالها فى أواخر حياتها أن تمهد الطريق لأحد ولديها ليخلفها فى الحكم ، وبالرغم من وفاة وريثها المنتظر القوى ابنها سانجاى فى حادث طائرة عام ١٩٨٠ فقد تحقق لها ما أرادت وخلفها ابنها الأكبر راجيف فى الحكم بعد اغتيالها .

والواقع أن تاريخ أسرة نهرو يمتزج بتاريخ الهند السياسى الحديث امتزاجاً قوياً ، فالأحداث العامة تصبح مشاغل خاصة لأفراد هذه الأسرة ، والشئون الخاصة للأسرة تنعكس على الحياة السياسية للهند ، كما لو كانت هذه الأسرة هى عضلة القلب لتلك الدولة الكبيرة .

وقد ولدت أنديرا غاندى فى بيت سياسى وفى أسرة تتنفس السياسة والحركة الوطنية كما تتنفس الهواء ، فوالدها جواهر لال نهرو الزعيم الوطنى الذى كان من أوثق مساعدى غاندى الشبان وكان أول رئيس لوزراء الهند بعد الاستقلال وظل فى منصبه حتى وفاته عام ١٩٦٤ ، وكان جدها الباندیت موتیلال نهرو (١٨٦١ - ١٩٣١) من زعماء حركة الاستقلال الهندية وأحد مؤسسى حزب سواراج (الحكم الذاتى) ثم انضم الى حركة غاندى ودخل السجن أكثر من مرة ، ووالدتها « كمالا » كانت من أبرز وأحب الشخصيات النسائية فى الهند ، وعمتها فيجايا لاكشيمى كانت سياسية بارزة وممثلة للهند فى منظمة الأمم المتحدة . وزوجها فيروز غاندى (ليس من أسرة المهاتما غاندى) كان نائباً فى البرلمان ذا خط مستقل عن حزب المؤتمر .

ولكن تاريخ الأسرة وحده لايكفى لحكم دولة مثل الهند بمساحاتها الشاسعة ، وتعدادها الضخم ، وشعوبها المتباينة ، وعقائدها ولغاتها الكثيرة ، يضاف الى كل ذلك الفقر الشديد وقسوة المناخ وخشونة الطبيعة ، مما يجعل حكم الهند مهمة صعبة للغاية ، دعك من محاولة النهوض بها ورفعها الى مصاف الأمم العظيمة . ولاشك أن انديرا كان لها من الصفات الشخصية ما جعلها قادرة على تحقيق هذه المهة الصعبة . وفى مقدمة هذه الصفات التصميم والارادة والغريزة السياسية ، وهى إن لم تكن من طراز الحكام المفكرين أو الفلاسفة كوالدها نهرو ، فقد كانت شخصية عملية من الطراز الأول ، وكانت تفهم فلسفة القوة واستطاعت أن تطبقها اكثر من مرة ثم سقطت ضحية لها فى النهاية .

وفى بلد كالهند حيث يقتات الناس بالأساطير ، ويختلط الخيال بالواقع ، من



أنديرا غاندى فى سنوات الشباب

الممكن أن تصبح انديرا أسطورة ، يرفعها البعض الى مكانة عالية ويخفضها آخرون الى درك الشياطين ، فالخلاف حول انديرا غاندى سوف يستمر شأن ما يحدث لكل العظماء .

ولكن بدلا من اصدار الأحكام العامة ، بالمدح أو القدح ، بالتصويب أو بالتخطئة ، قد يكون من الأنسب أن نتتبع باختصار قصة حياة أنديرا غاندى ونتركها تتحدث عن نفسها .

الطفولة والشباب

ولدت انديرا ، واسمها الأصلى برى يار دار شينى ، فى مدينة الله اباد يوم ١٩ نوفمبر ١٩١٧ فى أسرة برهمية غنية من كشمير . كان والدها جواهر لال نهرو قد اتم تعليمه فى كلية هارو بجامعة كامبردج وتزوج من والدتها كمالا كاول وهى ابنة تاجر كشميرى يقيم فى دلهى . كانت كمالا جميلة ، ولكن سيدات أسرة نهرو لم يعتبرن أسرتها مكافئة لهن ، ولم يرحبن بها داخل أسرتهن . وقد انعكس ذلك على انديرا ، الثمرة الوحيدة لذلك الزواج ، فنشأت على علاقات متوترة مع معظم سيدات الأسرة ، وهذا ما يفسر الخلاف الشهير فيما بعد بينها وبين عمتها أخت نهرو الشهيرة فيجايا لاكشيمى بانديت .

كان بيت أسرة نهرو فى الله اباد عريقاً ثرياً لا تنقصه كل وسائل الترف المعتادة فى بيوت الأغنياء الذين يأخذون بأساليب الحضارة الغربية ، ولكنه لم يكن بالبيت السعيد بالنسبة لطفلة رقيقة حالمة ، فقد كان مركزاً للحركة الوطنية التى تهز البلاد من أقصاها الى أقصاها ، ونشأت أنديرا فى جو سياسى متوتر بين كبار السياسيين والمناضلين فى عصر أبيها .

وعاشت أنديرا معظم طفولتها وحيدة لأن أباها وأمها كانا يدخلان السجن مراراً ، ثم انضم جدها المحامى الكبير موتيلال نهرو الى حركة العصيان المدنى التى يقودها غاندى ، وذلك بعد مذبحة امريتسار عام ١٩١٩ التى قتل فيها مئات الهنود بالبنادق البريطانية ، وترك المحاماة وتفرغ للسياسة ، وهجر بالتالى حياة الدعة والثراء ، ونال هو الآخر نصيبه من لعنة السجن .

فى تلك الأيام قررت انديرا أن تصبح فى المستقبل مثل جان دارك ، الفتاة الفرنسية التى حاربت الانجليز وصارت عنواناً للحركة الوطنية الفرنسية ، وكثيراً ما كانت تشاهد وهى تمثل دور جان دارك وهى تحارب الانجليز وقد رفعت بيسراها العلم الذى يلهب افئدة الثوار .

ولكن تعليمها كان متقطعاً ومتغايراً ، فقد أمضت بعض الوقت فى المدرسة الدولية بجنيف ، وعادت حيث دخلت عدة مدارس فى الهند ، وقضت أياماً سعيدة فى جامعة شانتينيكتان **Shantiniketan** التى أنشأها الشاعر والزعيم الروحى رابندرانات طاغور فى البنغال وأخيراً ذهبت الى اكسفورد فى عام ١٩٣٧ بعد عام من وفاة امها بالسل فى سويسرا . وقد تمتعت باقامتها فى اكسفورد ولكنها كانت شديدة الحنين للعودة الى الهند ، والى أبيها ، وأخيراً عادت الى بومباى فى عام ١٩٤١ ، بعد قيام الحرب العالمية الثانية ، دون أن تحصل على اجازتها الجامعية ، ولكن كان فى معيتها الشاب الذى ستتزوجه فيما بعد ، فيروز غاندى ، وهو طالب بارسى (بهائى) أحبها بشدة ولكن باحترام بالغ منذ كانت فى السادسة عشرة من عمرها .

وزارت انديرا والدها فى السجن ، وأبلغته انها قررت أن تتزوج فيروز ، ولم يسعد نهرو بالنبأ أو بعودتها دون اكمال دراستها ، وكان الزواج بين الطوائف الدينية المختلفة فى ذلك الوقت غير مألوف

كما هو الآن ، بل يثير كثيراً من الاستياء والرفض العام . ولكن المهاتما غاندى تكلم فى صف هذين الشابين الصغيرين اللذين حطم حبهما أغلال التقاليد البالية ، وتزوجت انديرا رفيروز فى أوائل عام ١٩٤٢ .

أنجبا ولدين ، راجيف وسانجاى ، ولكن زواجهما لم يكن سعيداً ، بصفة خاصة نتيجة للمجتمع المحافظ الذى يعيشان فيه ، وعندما جاء الاستقلال وأصبح نهرو أول رئيس وزراء للهند وجدت انديرا أن من واجبها أن تتفرغ لأبيها وتعتنى بشئونه ، وهو الأرمل الوحيد المثقل بالمسئوليات ، فلحقت بمنزل ابيها كابنة ومضيفة وسكرتيرة . ولم تكن العلاقات بين الأب والزوج على ما يرام خاصة وقد استطاع فيروز أن يطور مستقبله السياسى بصفة مستقلة كعضو معارض فى مجلس النواب ولذلك آثر فيروز أن يبتعد عن أسرته ويعيش وحيداً ولكنهما كانا يلتقيان باستمرار . ومات فيروز فى عام ١٩٦٠ ولم تتزوج انديرا من بعده ، وظلت تحمل اسمه .

فى معية نهرو

قامت انديرا بدور المضيفة لأبيها من عام ١٩٤٧ حتى وفاته عام ١٩٦٤ ، وخلال هذه الفترة الطويلة كانت تصحبه فى رحلاته للخارج ، وتشارك فى استقبال الزعماء العالميين الذين يزورون دلهى ، مما جعلها تتعرف على كل أصدقاء أبيها البارزين فى الهند وخارجها ، والأهم من ذلك انها خبرت المسرح السياسى الهندى عن كثب ومن موقع فريد ، وعاشت فى قلب كثير من العواصف التى ألمت بالبلاد ، وكانت ترقب بعين يقظه دوافع وأساليب زملاء أبيها ، كانت تراقبهم باهتمام بينما كان هؤلاء يتجاهلونها الى حد كبير باعتبارها مجرد ابنة نهرو وسكرتيرته . ولذا عندما جاء الوقت لتعاملهم من مركزها كرئيسة للوزراء كانت تعرف كل شىء عن نقاط قوتهم وضعفهم .

وقد لاحظت انديرا أيضاً أن والدها يضعف أمام الاستمالة والرجاء ، وكثيراً ما يخسر بسبب تردده وعدم حسمه للأمور ، وقررت أن يكون أسلوبها مختلفاً



صورة نادرة لأنديرا مع الزعيم غاندى

دون القاء كبير بال الى الشكليات الدستورية ، والولاءات الشخصية ، وآراء المنتقدين .

واستطاعت أن تقدم نموذجاً مبكراً لأسلوبها الشخصى الجديد عندما انتخبت رئيسة لحزب المؤتمر عام ١٩٥٩ بفضل نفوذ أبيها وتأييده الضمنى . إذ أثبتت ديناميكية هائلة وعملت على اسقاط حكومة كيرالا الشيوعية التى كانت قد انتخبت بطريقة ديمقراطية ، وتحالفت فى سبيل ذلك مع الاشتراكيين والرابطة الاسلامية بل قيل إنها قبلت — على حد اتهام الكاتب الامريكى باتريك دانييل مونيهان — أموالاً من وكالة المخابرات المركزية الامريكية لتحقيق هذا الهدف .

وفى العامين الأخيرين قبيل وفاة أبيها ، عندما اشتد عليه المرض ، أصبحت انديرا مناط الحل والربط ، فاذا جاء أحد من السياسيين أو الوزراء للحديث معه فى أى شأن هام كان يقول له « أبحث الأمر مع انديرا » ، لدرجة أن بعض الأذهان تهيأت فعلا لقبول انديرا رئيسة للوزراء بعد وفاة ابيها . ولكن الوقت لم يكن قد حان بعد ، فعندما مات نهرو فى عام ١٩٦٤ خلفه السياسى اللين العجوز لال بهادور شاسترى متغلباً بذلك على مورارجى ديساى وزير المالية السابق الذى كان نهرو قد طرده من منصبه قبيل وفاته والذى كان زعيماً للجناح اليمينى فى حزب المؤتمر . وقام شاسترى بتعيين انديرا فى وزارته لأول مرة كوزيرة للاعلام والاذاعة . وأسرها ديساى فى نفسه .

رئاسة انديرا

ولكن لال بهادور شاسترى توفى فى يناير عام ١٩٦٦ وأصبحت انديرا غاندى رئيسة للوزراء كحل وسط لارتضاء الجناحان اليمينى واليسارى فى الحزب الحاكم . غير ان زعامتها تعرضت للتحدى المستمر من جانب الجناح اليمينى للحزب بزعامة مورارجى ديساى ، وكان عليها أن تقبل ديساى كنائب لرئيس الوزراء فى عام ١٩٦٧ . وأخذ الكثيرون ينتقدون زعامتها — أو بالأحرى غياب زعامتها — وبدأ بعض « صانعى الملكة » يبحثون عن بدائل أخرى .

ولم تلبث أن واتتها الفرصة لاظهار معدنها الصلب بعد وفاة زاكر حسين رئيس الجمهورية فى صيف ١٩٦٩ ، فقد تحركت زعامة الحزب لملء المنصب الشاغر بأحد رجالها وهو سانجيفا ريدى ، وكان هو نفسه من خصوم انديرا ، ولكن انديرا اصرت على مرشحها الخاص ف . ف . ريدى الذى كان نائباً لرئيس الجمهورية ، وألقت بكل ثقلها وراءه حتى انها استخدمت سلطتها كرئيسة للوزراء فى اصدار مراسيم لصد مناورات خصومها (وقد حكمت المحكمة العليا فيما بعد بعدم دستورية بعض هذه المراسيم ولكن ذلك لم يكن ليجعلها غير فعالة فى أوانها !) .

وصورت انديرا الصراع على انه معركة ايديولوجية لانقاذ الروح الاشتراكية لحزب المؤتمر ، وانتصرت فى المعركة وانتخب ريدى رئيساً للجمهورية ، ولكن حزب المؤتمر انقسم نتيجة لذلك وظهر حزبان كل منهما يدعى انه حزب المؤتمر . ولما كان الفريق الذى يناصرها هو الذى يتمتع بمنصبى رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية لذلك أصبح الفريق الآخر بزعامة ديساى فى حالة سيئة .

وأعلنت انديرا أن حزبها « الذى سمى من الآن فصاعداً بحزب المؤتمر الحاكم » سيتجه نحو اجراء تغييرات راديكالية فى المجتمع كالاصلاح الزراعى وتأميم البنوك ومصادرة ثروات المهراجات ، وقررت



أنديرا غاندى .. لقطة فى اليوم الذى سبق اغتيالها

انديرا أن تحصل على تأييد انتخابى لهذا الاتجاه ، فأعلنت عن اجراء الانتخابات البرلمانية الخامسة فى مارس ١٩٧١ أى فى موعد مبكر عن موعدها الأصلى بعام .

وجاءت نتيجة هذه الانتخابات بمثابة نصر شخصى كبير لانديرا غاندى ، إذ حصل حزب المؤتمر الحاكم على ٣٥٠ مقعداً من ٤٤٠ دائرة تنافس فيها الحزب ، وأصبح له وحده أغلبية الثلثين فى مجلس النواب (الذى يضم ٥٢٠ مقعداً) وهى أغلبية كافية لاجراء التعديلات الدستورية والاصلاحات الراديكالية المطلوبة . أما حزب المؤتمر القديم بزعامة ديساى فقد حصل على ١٦ مقعداً فقط ، وحزب سواتانترا اليمينى ٨ مقاعد ، والاشتراكيون ٣ مقاعد ، أما حزب جان سينغ فكان الحزب اليمينى الوحيد الذى حافظ على بعض الاستمرارية إذ حصل على ٢٢ مقعداً ، وعاد الانفصاليون التاميليون بـ ١٣ مقعداً (٢٥ فى السابق) وحصل الشيوعيون الموالون لبكين على ٢٣ مقعداً ، والشيوعيون الموالون لموسكو على ٢٥ مقعداً .

ومعنى ذلك انتصار كاسح لحزب المؤتمر الحاكم بزعامة انديرا ، وهزيمة ساحقة لليمين بمختلف فصائله ، وانتقال المعارضة ذات الوزن لليسار . وفى ٩ أغسطس ١٩٧١ وقعت انديرا معاهدة سلام وصداقة وتعاون مع الاتحاد السوفيتى .

قمة قوتهـــا

وإذا كان عام ١٩٧١ قد بدأ بهذا النصر الانتخابى الحاسم لانديرا فقد انتهى العام بمشكلة المواجهة بين الهند وباكستان .

والذى حدث أن سكان الاقليم الشرقى لباكستان (البنغال القديمة) أخذوا يطالبون بالحكم الذاتى ، وتدخل الجيش الباكستانى لاخماد حركتهم الانفصالية واعادة الاقليم الى الحكم المركزى ، وتدفقت اعداد من اللاجئين على الهند ، وشكل ذلك مشكلة ضخمة ومتفجرة للحكومة الهندية ، وحتى قبل أن تصل مشكلة اللاجئين الى ذروتها واجهت حكومة دلهى السؤال الصعب : هل تقف ساكتة بدعوى أنها مشكلة داخلية لباكستان أم تتدخل لخلق دولة بنجلاديش الجديدة ؟ ومع احتدام مشكلة اللاجئين لجأت إلى الخيار الثانى ، وفى نهاية ابريل ١٩٧١ قررت الحكومة الهندية تأييد الثورة البنغالية حتى إذا استدعى الأمر التدخل العسكرى .

وأحرز التدخل الهندى فى صالح بنجلاديش نجاحاً على المستوى العسكرى والمستوى الدبلوماسى معاً ، ففيما عدا الولايات المتحدة والصين الشعبية ـ اللتين انتقدتا التصرف الهندى بشدة ـ آثرت معظم العواصم العالمية الصمت ، والبعض أيد الهند صراحة .

وفى يوم ١٦ ديسمبر ١٩٧١ سلمت القوات الباكستانية فى دكا (عاصمة الاقليم الشرقى) للقوات الهندية والبنجلاديشية ، وانسحبت كل القوات الهندية من بنجلاديش فى ١٢ مارس ١٩٧٢ ، وأمدت الهند جارتها الجديدة بنجلاديش بمساعدات سخية . ثم جرت محاولة لتخفيف التوتر الشديد بين الهند وباكستان باللقاء بين انديرا غاندى وذو الفقار علي بوتو فى سيملا بالهند من ٢٨ يونيو الى ٣ يوليو ١٩٧٢ حيث اتفقا على تسوية المشكلات القائمة بالتفاوض الثنائى المباشر وقبول خط وقف اطلاق النار ليوم ١٧ ديسمبر ١٩٧١ .

وأدى هذا الحدث الى زيادة شعبية انديرا غاندى فى بلادها . فمضت فى خططها الخاصة باجراء أول تفجير ذرى هندى فى صحراء راجستان (مايو ١٩٧٤) ثم ضم سيكيم الى الاتحاد الهندى فى العام التالى .

كانت أنديرا غاندى فى تلك السنوات فى قمة قوتها وتألقها وبدت كحاكمة مطلقة للهند رغم أخذها بالنظام الديمقراطى .

أزمة الديمقراطية

هذا النجاح الكبير كان يحمل فى داخله بذور الانهيار السريع ! فقد أدى الى زيادة توقعات الجماهير وآمالها على نحو لم تستطع الحكومة أن تحققه ، ولم يستطع النصر أن يخفف من حدة المشاكل الاجتماعية والإقتصادية فى الداخل خاصة بعد أن خاب الأمل فى « الثورة الخضراء » التى وعدت بها انديرا غاندى الجماهير فى اوائل عقد السبعينات نتيجة للقحط الشديد الذى حدث بين عامى ١٩٧٢ ـ ١٩٧٤ .

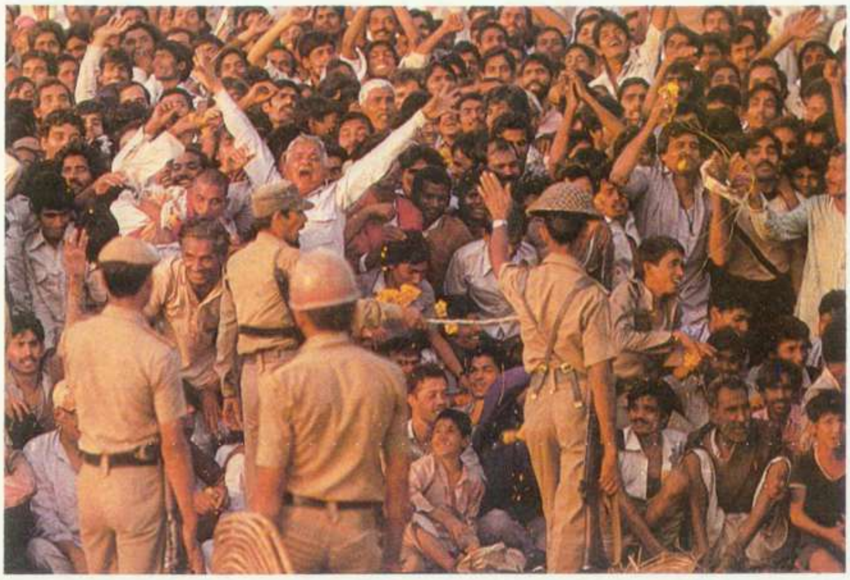
ومع كساد الانتاج الصناعى انتشرت القلاقل العمالية والاضرابات والمظاهرات وبدا المستقبل الاقتصادى مظلما . والحق ان كثيرا من أسباب هذه الحالة كان خارجا عن ارادة انديرا غاندى ، ومن هذه الأسباب التضخم العالمى والتدهور المفاجئ فى التجارة الخارجية الهندية وزيادة أسعار البترول الى اربعة أضعاف فى اواخر عام ١٩٧٣ نتيجة لحرب اكتوبر وأزمة البترول فى الشرق الأوسط .

وسرعان ماوجدت انديرا غاندى ان

الأغلبية الكاسحة التى تتمتع بها فى مجلس النواب (لوك سابها) وفى المجالس التشريعية لمعظم الولايات لاتفيدها شيئا فى تخفيف حدة السخط الشعبى بسبب المتاعب الاقتصادية ، وفى ولايتى بيهار وجوجرات بالتحديد وصلت المعارضة الى حدود مرعبة وبدأت أحزاب اليمين واليسار والوسط تتألف تحت قيادة الزعيم الاشتراكى القديم جايا براكاسن نارايان (صديق غاندى) الذى خسر الانتخابات فى دائرة انديرا غاندى عام ١٩٧١ . وقاد نارايان حملة ضخمة ضدها متهما اياها بانتهاك قوانين الانتخابات وبأنها تتبع اساليب استبدادية فى الحكم ، وحصلت الحملة على تأييد شعبى واسع ، ووصل الأمر الى القضاء حيث طلب نارايان الحكم ببطلان انتخاب انديرا ، وفى يونيو ١٩٧٥ اصدرت المحكمة العليا فى الله اباد حكما ببطلان انتخابها لما شاب حملتها الانتخابية من تجاوزات وسوء استخدام للسلطة ، وكان معنى ذلك حرمانها من مقعدها البرلمانى ، وسقوطها كرئيسة للوزراء .

وهنا تحركت انديرا غاندى فى حملتها الشهيرة المضادة للديموقراطية ، فخلال اسبوعين أعلنت حالة الطوارئ بدعوى تعرض الأمن القومى للخطر . وخلال ليلة ٢٥ ـ ٢٦ يونيو القت القبض على آلاف من زعماء المعارضة والكوادر الحزبية وبعض أعضاء البرلمان ، وفرضت الرقابة الكاملة على الصحف ، وتوالت تباعاً المراسيم الوزارية بتغيير الحركات المدنية وخنق مظاهر الاحتجاج . وعندما اجتمع البرلمان كان يخلو من أى صوت معارض ، وأيد البرلمان الذى صار لعبة فى يدها كل التعديلات الدستورية التى طلبتها وبعضها يهدف بوضوح الى ضمان مركزها الشخصى مثل تعديل قوانين الانتخابات بأثر رجعى بما يجعل الحكم الصادر ضدها باطلا . وبعد ثلاثة أشهر أصدرت المحكمة الدستورية العليا فى دلهى حكماً بنقض الحكم الصادر ببطلان انتخابها من محكمة الله اباد .

وقد نستطيع هنا أن نقف وقفة قصيرة لنذكر مافعلته انديرا فى يوليو ١٩٧٥ ، بعد انتصاراتها السابقة ، فقد اغمضت عينيها عن السبب الحقيقى لسخط الجماهير ، وصدقت بدلا من ذلك الشعار الذى رفعه المحيطون بها « انديرا هى الهند ، والهند هى انديرا » .



جماهير الهند .. خرجت لتعبر عن غضبها عقب اغتيال أنديرا غاندى

وتقدر بعض الدوائر عدد من سجنتهم انديرا غاندى خلال تلك الفترة بنحو ١٦٠ ألف شخص على رأسهم ديساى ونارايان وكل زعماء المعارضة بلا استثناء .

ولكن هناك الكثيرين فى الهند يعتقدون أن انديرا تصرفت على هذا النحو لصالح أمن الوطن وسلامته ، فقد كان النظام الذى ساد عقب اعلان حالة الطوارىء مفيداً وضرورياً لانهاء حالة من الفوضى الشاملة بدعوى الحرية ، ورحب رجال الأعمال بهذا الانتهاء المفاجىء للاضرابات والتوتر المستمر فى المصانع والمكاتب ، وارتاح الجمهور للانضباط فى المرافق والحياة العامة ورؤية موظفى الحكومة وقد صاروا أكثر أدباً ودقة فى اداء واجباتهم .

ولكن الى جانب فوائد الطوارىء والانضباط بدأ عامل خطير آخر يسير جنباً الى جنب ولا يحظى فى أول الأمر باهتمام كبير فى الداخل أو الخارج بسب كفاءة الرقابة على الأنباء ، ذلك هو حملة تنظيم النسل التى أشرف عليها ابنها الأصغر سانجاى .

ولم تلبث ان انتشرت كالنار فى الهشيم انباء تعقيم الرجال والقصص المرعبة عن العمليات الجراحية الاجبارية التى يقوم بها اعوان سانجاى ، وكذلك هدمت آلاف المساكن فى ازقة دلهى بدعوى تنظيف المدينة دون الاهتمام بايجاد مأوى بديل لسكانها ، وأخذ رجال البوليس والموظفون يتصرفون بقسوة وفظاظة ، ومرة أخرى بدأ يتزايد السخط وينصب على رأس انديرا وابنها .

السقوط المرير

ويذكر كاتب هذه السطور انه زار الهند فى خريف ١٩٧٨ ـ بعد عام من سقوط انديرا غاندى ـ وأمام جبل فى جنوب الهند قال لى أحد المثقفين الهنود انه يعيش فى قمة هذا الجبل صوفى صالح (ماهاريشى) يعد بمثابة الزعيم الروحى لجنوب الهند الذى هو معقل التأييد لانديرا غاندى . وان انديرا غاندى عندما كانت رئيسة للوزراء ذهبت الى هذا الماهاريشى للحصول على بركته وسؤاله عن كيفية الخروج من ورطتها . ولكن الرجل رفض أن يقابلها ، وهو الفقير الضعيف الذى لا يملك شيئاً من حطام الدنيا وهى رئيسة الوزراء وزعيمة الهند بلا منازع ، وظلت انديرا أمام باب الرجل ثلاثة أيام تبكى بالدموع الغزيرة وتطلب المثول بين يديه . وأخيراً بعث اليها بكلمة مع أحد مريديه بأن تعود من حيث أتت وترجع أولا عن كل الاجراءات الاستبدادية التى اتخذتها . وأضاف مرافقو الهندى ان انديرا عادت بالفعل وبدأت تتراجع عن

موقفها .

وسواء صحت هذه القصة أو أن المحيطين بها أوهموها أن شعبيتها لاتزال كاسحة وقوية ، فقد أعلنت انديرا غاندى انها ستجرى انتخابات عامة فى مارس ١٩٧٧ ، وأطلقت سراح المسجونين السياسيين ، وخففت من وطأة تدابير الطوارىء .

وكانت نتيجة انتخابات ١٩٧٧ هزيمة ساحقة لانديرا غاندى وحزب المؤتمر على السواء ، اذ فقدت انديرا مقعدها البرلمانى أمام عدوها القديم راج نارايان ، وهزم سانجاى هزيمة مخجلة فى دائرة مجاورة وتعرض للاهانة والضرب من الجمهور ، وكذلك سقط كل وزرائها ومساعديها الأقربين ، وفاز فى الانتخابات حزب جاناتا (الشعب) الذى تشكل على عجل كجبهة ائتلافية من أربعة أحزاب سياسية منفصلة . واستقالت انديرا يوم ٢٢ مارس ليتولى الحكم حزب جاناتا الفائز فى الانتخابات .

وبالنسبة لانديرا فقد تجرعت كأس المرارة الى ثمالته وهى ترى منافسها القديم مورارجى ديساى الذى سجنته طوال فترة الطوارىء وقد اختير ليكون رئيساً للوزراء ، وجاجيفان رام نارايان ، الرجل الذى اعتبرته خائناً لدوداً للوطن ، يصبح وزيراً للدفاع .

عودة ظافرة

لم يكتف خصوم انديرا بما حدث لها ، وانما واصلوا عمليات الانتقام منها ، وكانت هذه غلطة سياسية وسيكلوجية كبرى من جانبهم أدت الى تكتيل مشاعر الشعب عطفاً عليها ، وبالتالى عودتها المظفرة الى المسرح السياسى .

ففى أوائل شهر اكتوبر عام ١٩٧٧ اعتقلت انديرا غاندى بدعوى اساءة استخدام السلطة أثناء رئاستها للوزارة ، وعندما قدمت الى قاضى التوقيف أمر باطلاق سراحها فوراً باعتبار ان احتجازها مكيدة سياسية ولاتستند على أساس قانونى ، وأحدث الحادث اثارة عاطفية لدى الجماهير لم تضع انديرا فرصة استغلالها ، فبدأت حملة واسعة النطاق للتنديد بخصومها الذين يدعون الديمقراطية .

وفى مايو ١٩٧٨ قدمت لجنة التحقيق برئاسة القاضى ج .س . شاه تقريرها عن المخالفات التى ارتكبتها انديرا أثناء فترة الطوارىء ، وكان التقرير يدين انديرا وابنها سانجاى بشدة بالغة ، وطرح التقرير للبحث والمناقشة على أوسع نطاق فى البرلمان والصحف ، وارتفعت أصوات تطالب بمحاكمة انديرا غاندى ومساعديها أمام محكمة استثنائية واصدار أحكام رادعة ضدهم .

ولكن مورارجى ديساى رئيس الوزراء وخصم انديرا اللدود ، أصر على أن أى شىء يعمل يجب أن يكون طبقاً للقانون وللنظام القضائى فى البلاد ــ وهذه وقفة تحسب له بمعايير الديمقراطية ــ ولما كانت الاجراءات القضائية فى الهند بطيئة وبيروقراطية لذا عندما تولت انديرا الحكم مرة أخرى فى عام ١٩٨٠ كانت الدعوى القضائية ضدها لا تزال فى مراحلها الأولى .

وبدأت انديرا تطوف كل أنحاء الهند ، تخطب فى الجماهير دفاعاً عن نفسها ، وتوضيحاً لما خفى عن الناس ، وتعلن عزمها على العودة الى المسرح السياسى لصالح الشعب والفقراء ، وبعد ٢٠ شهراً من هزيمتها الساحقة استطاعت بالفعل ان تفوز فى انتخابات فرعية اجريت فى دائرة شيكما جالور بولاية كارتاتاكا الجنوبية وهى من معاقل حزب المؤتمر ، وقد فازت بأغلبية اكثر من ٧٧ ألف صوت بعد معركة انتخابية مريرة .

وهكذا عادت انديرا الى مقعدها فى البرلمان فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٨ ، ولكن بعد شهر واحد اتهموها باحتقار البرلمان وانتهاك الحصانة السياسية بعد أن القت خطاباً عنيفاً دفعت فيه الاتهامات الموجهة اليها والى ابنها بخصوص مشروع السيارة الشعبية . واغتاظ النواب ومعظمهم من حزب جاناتا من هذا الخطاب ، وأصدروا قراراً بطردها من البرلمان وايداعها فى السجن بقية الدورة البرلمانية وكان الباقى على انتهائها أسبوع واحد .

وأرسلت انديرا الى سجن تيهار بدلهى حيث زجت من قبل بآلاف من خصومها السياسيين . وقبل ترحليها الى السجن اخذت هذه المرأة المدهشة تغنى أغنية شعبية انجليزية مطلعها :

لا تقولوا وداعــاً ..

بل قولوا حظاً سعيداً ..

وهى أغنية كان يغنيها الجنود الانجليز قبل ذهابهم الى ميادين القتال فى الحرب العالمية الثانية !

وبدأ الحظ السعيد يبتسم لانديرا مرة أخرى بالفعل ..

فقد أخذت الصراعات الداخلية تتمزق حزب جاناتا الحاكم ، ووجد ديساى نفسه معزولا عن وزرائه ، وتبادل حلفاء الأمس اقسى الشتائم والاتهامات فى البرلمان وعلى صفحات الصحف . وكان المخرج الوحيد لانتحار الزعامة السياسية الحاكمة الاعلان عن انتخابات برلمانية جديدة تتم فى الأسبوع الأول من عام ١٩٨٠ .

وسارعت انديرا غاندى الى تكوين حزب خاص من بعض أعضاء حزب المؤتمر الذين ظلوا موالين لها فى محنتها ، وأطلقت عليه « حزب المؤتمر رقم واحد » خاضت به الانتخابات كحزب متحد ضد معارضة ممزقة .

وحدثت المعجزة العجيبة .. فقد التف الشعب حول انديرا وحزبها بصورة صارخة ، وهتفت الجماهير باسم انديرا فتاة الهند ، حبيبة الفقراء ، ابنة نهرو وربيبة غاندى ، انهم لا يعرفون غيرها ولا يثقون فى أحد سواها ، واذا كانت قد اخطأت فقد نالت جزاءها وكفاية .. إنها يجب أن تعود الى الأضواء .

وحصل « حزب المؤتمر رقم واحد » على ٣٥١ مقعداً من ٥٤٢ مقعداً يضمها مجلس النواب ، كان حزباً له نجم واحد هو انديرا ، والناس ينتخبون مرشحيه حتى لو لم يكونوا يعرفونهم ، انهم ينتخبون انديرا فحسب (وهذا يذكرنا بما كان يقال فى التاريخ البرلمانى المصرى : لو رشح حزب الوفد حجرا لانتخبناه) أما انديرا غاندى فقد أظهرت تألقها الشعبى والسياسى بترشيح نفسها فى دائرتين مختلفتين فى نفس الوقت ، احداهما فى معقلها بالجنوب ، والأخرى دائرة « راى باريلى » التى هزمت فيها هزيمة ساحقة عام ١٩٧٧ وفازت فى الدائرتين فوزاً كاسحاً ، وأصبح لها بذلك مقعدان فى البرلمان لأول مرة فى



أنديرا مع والدها : نهرو

تاريخ الهند ، والأكثر مدعاة للدهشة ان ابنها سانجاى غاندى فاز هو أيضاً فى دائرة « أميثى » بولاية اوتار براديش التى رفضته عام ١٩٧٧ وسحق منافسه من حزب جاناتا بأغلبية أكثر من ١٢٠ ألف صوت .

وهكذا عادت انديرا غاندى الى الحكم على اكتاف الشعب ، وعندما ألفت وزارتها الجديدة راعت أن تبعد عنها جميع الوزراء الذين اعتبروا مسئولين عن التجاوزات التى حدثت فى فترة الطوارىء ، ولكن المراقبين لاحظوا أن قائمة الوزراء الجدد تضم عدداً لا بأس به من اصدقاء سانجاى ..

وكان واضحاً ان سانجاى سيكون بطل المرحلة التالية فى تاريخ أسرة نهرو .

متاعب حتى النهاية

عادت انديرا غاندى الى الحكم والأضواء ، وعادت الى المتاعب أيضاً .. متاعب أدت هذه المرة الى النهاية المؤلمة .

كان أول ما واجهته القلاقل الدامية التى تجتاح « آسام » ضد تزايد وجود من يسمون بالغرباء ، وهم لاجئون أخذوا يتدفقون على اسام الهندية من غرب البنغال وبنجلاديش ونيبال حيث يزاحمون الهنود ويشاركونهم رزقهم الضئيل . وكانت هناك أيضاً المتاعب الاقتصادية التى تعانى منها الهند ، وقد سارعت انديرا الى تأميم ستة بنوك هندية كبرى بالاضافة الى ١٤ بنكاً كانت تحت اشراف الدولة منذ عام ١٩٦٩ وهو اجراء يقصد به تحقيق الشعبية أكثر من كونه ضرورة اقتصادية .

وفى المجال الخارجى كانت مشكلة الاحتلال السوفيتى لافغانستان شائكة بصفة خاصة بالنسبة للهند ، فالعالم يريد أن يعرف موقف الهند ازاء غزو صديقها الاتحاد السوفيتى لجارة اسلامية غير منحازة كانت دائماً على علاقات وثيقة وطيبة بالهند . وقد أعربت انديرا عن أسفها للتدخل السوفيتى فى افغانستان ولكنها نحت أيضاً باللائمة على الولايات المتحدة بدعوى أنها تحاول التدخل فى المنطقة . فدلت بذلك على أن شكها القديم فى الولايات المتحدة لا يزال قائماً .

وكان أكبر ما يقلقها احتمال قيام الولايات المتحدة باعادة تسليح باكستان ، ومثل هذه الأسلحة قد تستعمل ضد الهند فى يوم من الأيام .

وفى شهر يونيو ١٩٨٠ تلقت انديرا صدمة قاسية وغير متوقعة عندما قتل ابنها سانجاى الذى يعمل مستشاراً وثيقاً لها فى حادث غامض وقع لطائرته الشراعية التى كان يزاول بها رياضته المعتادة فى سماء دلهى . ولكنها تماسكت بقوة خارقة وضغطت على أخيه الأكبر راجيف ليشغل مكانه كسكرتير عام لحزب المؤتمر رقم واحد . وكان راجيف عازفاً بالمرة عن الحياة السياسية ويكرس كل وقته وطموحه لعمله كطيار مدنى على شركة الخطوط الجوية الهندية . وقد تعرضت انديرا بسبب ذلك لغضب أرملة ابنها مانيكا غاندى التى هاجمت حماتها بشدة وعلناً وانتقلت الى صفوف المعارضة .

ولكن أسوأ أزمة تعرضت لها دون شك كانت ثورة السيخ فى البنجاب مطالبين بالحكم الذاتى وذهب بعض المتطرفين منهم الى حد المطالبة بالانفصال السياسى أسوة بما حدث فى بنجلاديش . وشعرت انديرا بأن السماح باستقلال البنجاب سيشجع الطوائف الأخرى على المطالبة بالاستقلال عن الاتحاد الهندى الأمر الذى يدمر مبدأ الوحدة الذى تقوم عليه الهند الحديثة ، وكان من أشد زعماء السيخ تطرفاً سانت جارنايل بيندرانوال الذى اتخذ مقره مع انصاره المتشددين داخل المعبد الذهبى للسيخ فى امريتسار .

وقد حاولت انديرا غاندى فى أول الأمر أن تحل الأزمة بالطرق السياسية ، ولكنها لم تصل الى شىء ، خاصة بسبب الخطوات غير المسئولة التى أقدم عليها ممثلوها المحليون فى البنجاب ، وكان أن أمرت فى ٦ يونيو الماضى الجيش باقتحام المعبد الذهبى واجلاء المتعصبين فيه بالقوة ، وقد نجحت العملية بالفعل ولكن بثمن مقتل ٣٠٠ على الأقل من السيخ ، وأثارت بذلك موجة من الحنق والتمرد بين السيخ فى جميع أنحاء الهند ، وجعلوها هدفاً لانتقامهم الى أن تمكن منها ثلاثة من حراسها السيخ وأفرغوا فيها مدافعهم الرشاشة فى أول شهر نوفمبر الماضى .

وتولى راجيف غاندى الحكم من بعدها ليكون ثالث رئيس وزراء من أسرة نهرو بعد الاستقلال ، وليبدأ صفحة جديدة مجهولة تماماً ، وحبلى بالاحتمالات .

محمد العزب موسى

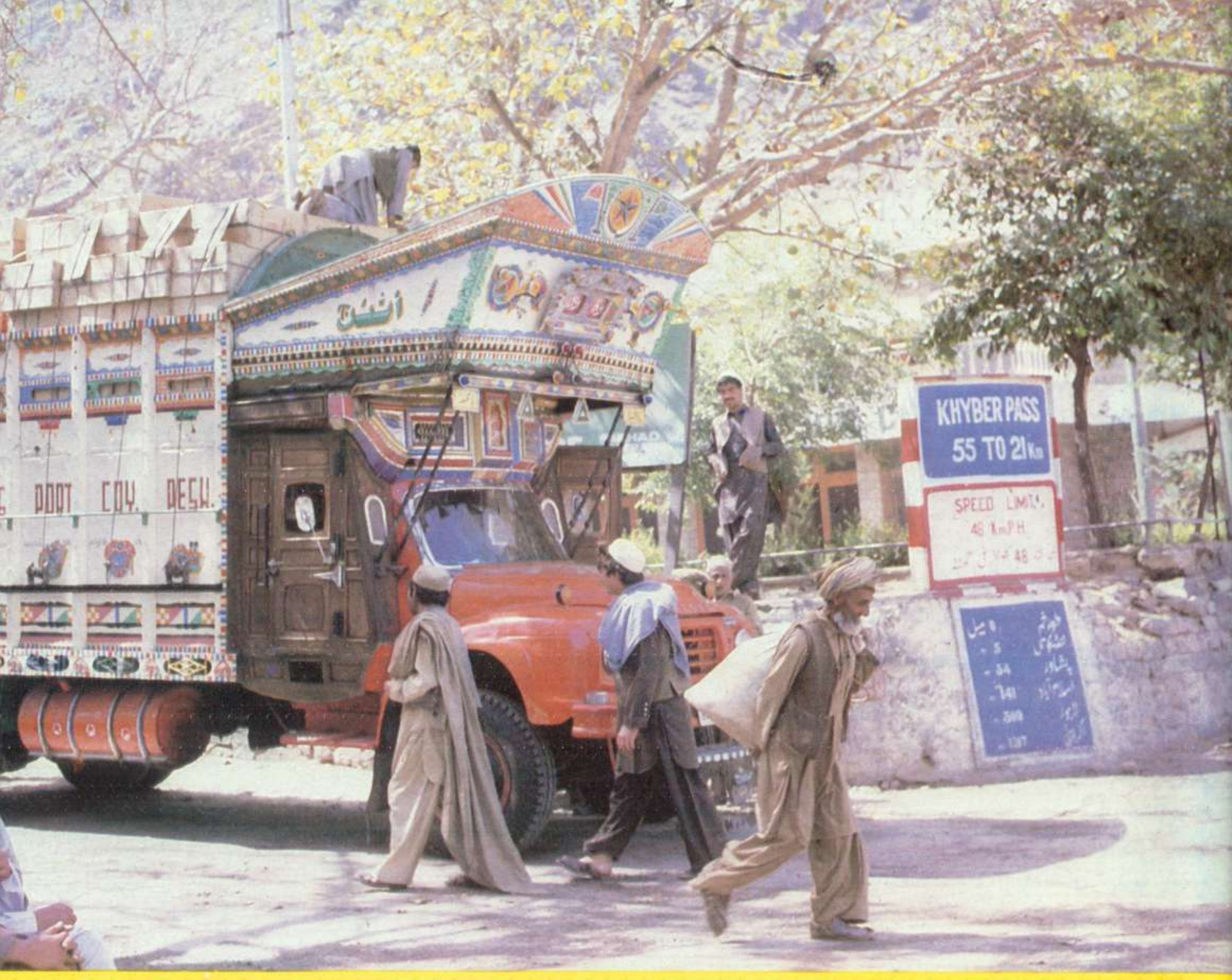


الجانب الباكستانى من بوابة الحدود فى «طورخم» التى تصلها عبر ممر خيبر الذى يتلوى كأفعى كونية هائلة

خيبر
ملك ممرّات الأرض قاطبة

- تقترصه .. يضربك بمنتهى القسوة .. إنه من أبناء الممر !
- مع كل العنف فإن شعار الجميع هو : الكرم لكل ضيف !

بقلم : عبد التواب عبد الحي



الجانب الأفغانى الذى يقودك إلى « قمقاى خيبر » .. أو خيبر الصغير !

ليس بين تضاريس الأرض ممر له شهرة « ممر خيبر » وأهميته التاريخية والاستراتيجية . إنه ملك ممرات الأرض قاطبة !

وهو يقوم بدور « بوابة الحدود » بين أفغانستان وباكستان الآن . لكنه عبر تاريخه الطويل قام بدور أكثر خطورة كمعبر للغزو وطريق للتجارة بين وسط آسيا وشبه القارة الهندية . منه مرت اسماء غزاة أثاروا الرعب فى أوصال التاريخ ، مثلما أثاروا الهلع فى نفوس قبائل المنطقة : الإسكندر الأكبر . جنكيزخان . وتيمور لنك .. ومنه دخل الإسلام من شبه الجزيرة العربية إلى قلب شبه القارة الهندية .. هادياً ومبشراً !

يقول هيرودوت إن سكان منطقة ممر خيبر وجباله الشاهقة كانوا ينتمون إلى قبائل باكتيا « Pactyae » . وهم نفس القبائل التى تعرف الآن باسم « الباختون » . قبائل باكتيا هذه تفرعت على مر الزمن إلى أربعة بطون : الأفريدى . والشينوارى . والمولاجورى . والشيلمان . لكن الأفريدى هم أكبر بطون الباختون . لهم ملامح مقدونية ورثوها عن جنود الإسكندر الذين عبروا الممر واستقروا فى وادى بيشاور . تجد بين شباب الأفريدى من يشبه فى سحنته « أبوللو » . وبين الملتحين منهم من يتمتع بجاذبية « زيوس » !

لكن قبائل الباختون ببطونها الأربعة — ١٥ مليوناً — اسمها بالكامل : دارا آدم خيل ! — هى مصنع سلاحهم المتنوع وذخائره .

إنها مسيرة ساعة بالسيارة من مدينة بيشاور . تدخلها كأنك دخلت بيت جحا . متاهة من الممرات المعقدة والمتقاطعة . يختلط فيها أزيز مخارط الحديد ، بطرقات



رغم كل الظروف فإن القبائل تتنقل بين باكستان وأفغانستان بغير جواز سفر ولا تأشيرة دخول !

السندال العنيفة ، بطلقات الرصاص يطلقها المشترون فى الهواء من بنادقهم الجديدة ليتأكدوا من خلوها من العيوب ! إنه خط انتاج حربى كامل . وهم يصنعون الأسلحة الخفيفة بدءاً من البندقية « لى أنفيلد » البريطانية ، إلى البندقية الروسية « إيه . كيه . ٤٧ » . كما يصنعون قطع الغيار لمدافع الهاون ، والرشاشات الثقيلة ، والمدافع المضادة للطائرات . ويخططون بطموح لصناعة مدافع الميدان « هاوتزر » والمدافع عديمة الارتداد من كل العيارات !

....

أصعب جزء فى الرحلة إلى ممر خيبر : التصريح بدخوله ! ـ فالممر مغلق لم يدخله صحفى منذ عامين على الأقل . حتى كبار زوار باكستان نادراً ما يطلبون زيارة الممر التاريخى ، ونادراً ما يسمح لهم بذلك ! وآخر من سمح لهما بزيارة ممر خيبر هما جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكى الذى زاره فى سبتمبر العام الماضى .. وتلاه كاسبر واينبرجر وزير الدفاع بزيارة مثيلة فى ديسمبر من نفس السنة . إنها دواعى الأمن الشديدة . فممر خيبر هو المفتاح الشمالى لأراضى باكستان ، وشبه القارة الهندية بأسرها . ثم إن الممر ، والسهول حوله ، يشكلان ضلعاً فيما يسمى « المثلث الذهبى » لزراعة الأفيون وتجارة الهروين ، والضلع الثانى شرقى إيران ، والثالث جنوبى تايلاند . وقد شنت قوات الأمن الباكستانية حملة على المنطقة قبل أن أدخلها بأسبوعين ، وحطمت تجهيزات تصنيع الهروين داخل بيوت تجمعات القبائل الجبلية !

.. لدواعى الأمن الشديدة هذه لم يكن سهلا عبور ممر خيبر إلى مدينة طورخم على الحدود الباكستانية الأفغانية . اقتضى الأمر موافقة خاصة من الرئيس الباكستانى محمد ضياء الحق . وحراسة مسلحة رافقتنا الطريق حتى الحدود !

الحياة على الحدود

الطريق إلى ممر خيبر يبدأ عند قلعة جمرود شرقى مدينة بيشاور . باب صخرى ضخم مكتوب عليه « باب خيبر » . تلجه فتجد الطريق يتلوى كأفعى كونية هائلة باتجاه شمال الغرب ، وبطول ٤٠ كيلومتراً حتى الحدود الأفغانية . لكن ممر خيبر يمتد بعد ذلك داخل أفغانستان بطول ١٦ كيلومتراً أخرى ، تبدأ قرب قرية دكا الأفغانية باختناق صغير بين سلاسل الجبال ، ويسمونه : خيبر الصغير .. أو « قمقاى خيبر » بلغة الباشتو !

نعود إلى بداية الممر بعد بوابته قرب قلعة جمرود .. يمتد طريق الأفعى تحاصره من كل اتجاه سلسلة جبال سليمان « شوليمان » ، يصل ارتفاع بعض قممها إلى ١٢ ألف قدم ، وتعتبر امتداداً جغرافياً لجبال هيملايا .. سقف الدنيا ! والمنظر يأسر . سفوح جبال سليمان بتموجها .. بانحدارها الوعر .. بألوانها التى يتزاحم فيها البنى والرمادى ، فيفسح لهما اللون البرتقالى الطريق .. كأنها مسرح رومانى مدرج متعلق يعرض مسرحية بالغة الأهمية .

يتلوى الطريق فى ممر خيبر تحت أقدام جبال سليمان . بينما يستقيم خط السكة الحديد الذى أنشأه الإنجليز ليربط بين مدينتى بيشاور ولانديكوتال ، مخترقاً جروف جبال سليمان فى أنفاق عديدة متفاوتة الطول . ومع ذلك فإنك إذا ركبت هذا القطار الأثرى الذى يقوم بهذه الرحلة مرة واحدة كل يوم خميس ، فإنك تحس أنه يمشى طلاعا نزالا وكأنه قطار مدينة الملاهى !

يرتفع طريق الممر بعد ذلك حتى يصل ارتفاعه إلى ٣١٤٧ قدماً ليمر بقرية « على مسجد » . ويواصل الارتفاع إلى ٣٥١٨ قدماً ليمر بمدينة « لانديكوتال » . ثم يهبط الطريق وسط سهل تتناثر فيه قرى قبائل الشينوارى ، ويواصل الهبوط بانحدار شديد الى مدينة « طورخم » حيث الحدود بين باكستان وأفغانستان ، بوابة الحدود . عندما افتتحها مؤسس باكستان محمد علي جناح فى ١٤ إبريل ١٩٤٨ ، شد على أيدى جنود حرس الحدود الأفغان ، وقال : « إننا إخوة .. ولن يستطيع أحد أن يفرق



أجولة الأرز والقمح إلى أفغانستان . مقابل الأجهزة الكهربائية !



عربات النقل بالأجرة عبر بوابة الحدود !

بيننا » . روى لى الواقعة الشيخ محمد وزيرخان الضابط السياسى الباكستانى المسئول عن بوابة الحدود ، والذى شهد افتتاحها بعد ثمانية أشهر من إنشاء دولة باكستان . ثم أشار بحرارة إلى الجنود الأفغان على الجانب الآخر من البوابة .. كانوا منهمكين فى تعليق الأعلام ذات اللونين الأحمر والأسود .. بينما شرعوا فى السماء لافتة طويلة تقول بلغة الباشتو المكتوبة بحروف عربية : « دا انقلاب ضدش منانو آخرى سنجرونا مات كرى » .. والترجمة : أعداء الثورة يجب سحقهم ! لكنى رأيت بعض الجنود الافغان يؤدون صلاة الظهر جماعة !

والحركة على بوابة الحدود الباكستانية الأفغانية ، رغم كل شىء ، نشطة جداً . أجولة الأرز والقمح والخضر ، محمولة على الظهر أو الأكتاف أو عربات اليد ، تأخذ طريقها من باكستان إلى داخل أفغانستان .. وتعود بدلا منها صناديق المراوح والخلاطات والمسجلات والأجهزة الكهربائية . بعض ذلك يتم بالطرق المشروعة عبر بوابة الحدود ، والأغلب يتم تهريباً عبر مسالك أخرى جبلية ! وحركة رجال القبائل عبر الحدود تتم بغير جواز سفر أو أية إجراءات رسمية . فقبائل الباختون تفترش منطقة الحدود الباكستانية الأفغانية ، وتمتد حتى جلال أباد .. حتى كابول العاصمة . ولا يمكن ضبط هذه الحركة ذهاباً وإياباً بأى إجراء رسمى ! لكن الطلبة الباكستانيين فى جامعة كابول ، والطلبة الأفغان فى جامعة بيشاور ، وغيرهم من رجال الأعمال المترددين على بوابة الحدود ، يحملون جوازات السفر ، ويخضعون للإجراءات الرسمية !

قبائل مقاتلة

دعانا « الشيخ فضل » على الغداء فى بيته بإحدى القرى القريبة من مدينة لانديكوتال . ليس للقرية اسم تحمله . إنه مجرد تجمع قروى يضم عدداً من البيوت ، ومسجداً صغيراً ، قرب إحدى قمم جبال سليمان . على مرمى حجر من القرية ممر صغير يقود إلى الأراضى الأفغانية !

والبيت ، مثل كل البيوت حوله ، قلعة مستقلة . غرف قليلة متناثرة . يتوسطها حوش واسع . ويحيط بالبيت سور من الطوب المغطى بالطين بارتفاع عشرة أمتار . تتوسطه بوابة حديدية ضخمة هى مدخل البيت ومتراسه . وفوق السور ، فى كل ركن من أركانه الأربعة ، دشمة صغيرة تطل منها فوهة مدفع ماكينة ٥٠ مللى !

والشيخ فضل ينتمى إلى قبائل الشينوارى إحدى بطون قبائل الباختون . جاء أولاده وأحفاده . حلقنا فى حوش الدار فوق عدد من « التشهار بايى » .. هكذا يسمون السرير بالفارسية . وبلغة الباشتو يسمونه « كت » . قوائمه من الخشب . ومسطحه من نبات « المزرى » المجدول . وهم يستعملون السرير للجلوس نهاراً ، وللنوم إذا جاء الليل !

واستمر الحوار بيننا قبل الغداء وبعده ساعات طويلة . استطعت أن أستكشف جوانب كثيرة من الشخصية الباختونية القبلية . فى الغضب والنزاع تحكمهم فلسفة « Badal » أو البدل .. وتقوم على القصاص ، السن بالسن والعين بالعين . وهم يتنازعون بشدة حول أشياء محورية محددة : النقود . التجارة . الأرض . والعرض ! وإذا لم يستطع شيوخ القبيلة حل النزاع ، فالبندقية هى الحكم ! والثأر عندهم لأى إهانة . وقد يطول الثأر المتبادل لقرون ، دون أن يهدأ أو ينتهى ! من أقوال شاعر الباختون الشهير « خوشال ختاك خان » الذى عاش فى القرن الثامن الميلادى : « إنى أحتقر الرجل الذى لا يحمى حياته بشرف . ولا يحمى شرفه بكل قوة وسلاح . إن فكرة الشرف المثلوم تكاد تورثنى الجنون » ! والشرف عند الباختونى ليس مظهراً . وإنما فلسفة وأسلوب حياة .. : « تقرصه ، يضربك بمنتهى القسوة .. إنه باختونى » !

هذا العنف فى السلوك ، والصلابة فى التكوين ، للغريب تلين .. وتمنحه حق اللجوء والحماية ، وهو ما يسمى فى فلسفتهم "Nanawati" . تقترن بها فلسفة "Melmastiya" ، أو الكرم لكل ضيف !

لو لم يكن الباختونى شخصية مقاتلة عنيدة ، صلبة مثل جلمود جبال سليمان ، ما صمد حتى الآن ضد الغزوات العنيفة المتعاقبة عبر التاريخ الطويل كما سيجيء تالياً .. ولفقد استقلاله ، واندثر فلم تبق منه سوى جماجم وحفريات !

بدايات الممر التاريخى

ليس هناك ممر على سطح الأرض كان معبراً لغزوات كثيفة ومتعاقبة مثل ممر خيبر . فى سمائه تجمعت دائماً السحابات التى صنعت بدايات التاريخ فى أفق الزمن !

وأول من فتح ممر خيبر كمعبر للغزو كان الجنس الآرى ـ أو الهنود ـ جاءوا من وسط آسيا فى القرن ال ١٦ قبل الميلاد ، واستوطنوا شبه القارة الهندية . وفى القرن السادس قبل الميلاد استعمر الفرس منطقة ممر خيبر ووادى بيشاور وأصبحت ولاية فارسية ! ثم جاء الإسكندر الأكبر بجيوشه .. صحيح أن الإسكندر إستعمل طريقاً شمالياً عبر منه إلى شبه القارة الهندية ، لكن معظم جيوشه اتخذت طريقها إلى وادى بيشاور عبر ممر خيبر تحت قيادة اثنين من كبار قواده : هيبايستيون



بانوراما لمر خيبر .. كأنه مسرح رومانى متدرج هائل !

« Hepaaestion » وبيرديكاس « Perdiceas » . ومنذ القرن الثانى قبل الميلاد وحتى القرن الأول بعد الميلاد ، ا قام الكوشان امبراطورية فى وسط آسيا تضم منطقة ممر خيبر ، واتخذت مدينة بيشاور عاصمة لها ! وتسللت البوذية إلى المنطقة أثناء حكم الكوشان . وبعدهم جاء الساسانيون فى القرن الثالث الميلادى . وواصل ممر خيبر تاريخه كمعبر للغزو من كل لون !

.. ثم أشرقت شمس الإسلام على الممر التاريخى .. جاء بها السلطان محمود الغازنى الذى غزا شبه القارة عدة مرات ، فى مرتين منها مر بفرسانه عبر ممر خيبر .

وأعقبه شهاب الدين محمد الغورى سنة ١١٨٥ م الذى قضى على دولة الهندوس التى حكمت شبه القارة قرابة ٧٠٠ سنة ، وأسس دولة دلهى المسلمة !

ومن سمرقند جاء أمير التتار تيمور لنك ليمد نفوذه إلى ممر خيبر ومعظم جنوب آسيا ، وبعده جاء الامبراطور بابار المغولى ، الذى صاهر قبائل الباختون بأن تزوج « بيبى مباركة » ، وأسس دولة المغول التى حكمت شبه القارة الهندية طوال ثلاثة قرون . ثم حانت نهاية دولة المغول فى الهند سنة ١٧٣٩ ، على يد امبراطور الفرس نادر شاه عفشار الذى عبر بجيوشه ممر خيبر واستولى على دلهى .. وعلى عرش الطاووس ، عرش امبراطور المغول المرصع بالياقوت والزمرد والماس ، وكنوز خزائنه الضخمة بما فيها ماسة « الكوهينور » العالمية الشهرة !

لم يلبث توازن القوى بين المسلمين والهندوس أن عاد إلى شبه القارة الهندية عبر ممر خيبر سنة ١٧٦١ ، عندما عبرته جيوش المقاتل الأفغانى الباسل أحمد شاه عبدلى ، وأسس دولة أفغانستان الحديثة .

....

عندما غزا الإسكندر المقدونى ممر خيبر ووادى بيشاور ، لم يمكث فى الديار أكثر من ١٢ شهراً ، انسحب بعدها بجيوشه ، أو معظمها ، فقد بقى البعض واستوطن ! .. بعكس الإنجليز عندما جاءوا إلى المنطقة واحتلوا شبه القارة الهندية ، فقد كرسوا احتلالهم حتى دام فترة طويلة من الزمان !

وقد وصلت طلائع الجيش البريطانى الى بيشاور سنة ١٨٤٩ . سرعان ما ألحقوا بيشاور وبعض مناطق الحدود بولاية البنجاب ، واقترب الاحتلال البريطانى من ممر خيبر دون أن يجرؤ على الولوج إليه ! لكنه فعلها فى حرب الأفغان الأولى ، عندما ا قتحم أحد الجيوش البريطانية ممر خيبر فى محاولة فاشلة لاحتلال أفغانستان . وبعد حرب السيخ الثانية ، نجحت القوات البريطانية فى احتلال الممر . وأقاموا فيه نظاماً من خنادق المدفعية ، فوق سفوح جبال سليمان ، تحكم منعطفات الممر وانحناءاته . هذه الخنادق الحاكمة ، مازالت حتى الآن قائمة ! واستمر الصراع

بين القوات البريطانية والمقاتلين الأشداء من قبائل الباختون خلال حرب الأفغان الثانية سنة ١٨٧٨ . وفى سنة ١٨٩٧ نجح المقاتلون من قبائل الأفريدى والشينوارى فى السيطرة على ممر خيبر وانتزاعه من قبضة الإنجليز . وجـرد الإنجليز حملـة « تيراه » لاخضاع القبائل المنتصرة . لكن المعارك بين الجانبين لم تهدأ حتى حرب الأفغان الثالثة سنة ١٩١٩ ، والتى سجلت فشل الاحتلال البريطانى للمرة الثالثة فى التقدم نحو افغانستان !

تحت تراب ممر خيبر وصخوره هناك كثير من الجماجم البريطانية .. فقد كان لقبائل الباختون أسلوبهم الفريد فى محاربة القوات البريطانية أصحاب المعاطف الحمراء . أسلوب الكمائن الكثيفة .. تتصدى لقوات الإنجليز المتحركة وتصليها بنارها ، سرعان ما تذوب وراء الجبال وشعاب الوديان ، لتظهر من جديد فى كمين جديد !

كتب أحد ضباط حملة تيراه لتأديب قبائل ممر خيبر ــ ٨٠ ألف جندى وضابط ــ فى يومياته : « .. أحس أننا ، بكل قواتنا ، مجرد خيال مآته .. فى مواجهة طرود شرسة من الدبابير » ! ولخص الشاعر الإنجليزى كبلنج المعامع التى دارت على أرض المر ، فى بيت واحد من الشعر :

« إن الرصاصة الطائرة فى الممر تصفر هامسة .. :

على كل حي أن يرتمى وسط الحشائش ..

إن شاء النجاة ! » .



جانب آخر من ممر خيبر الذى يرتفع طريقه ليصل إلى ٣٥١٨ قدما فى بعض المناطق

• • •

ونجا الاحتلال البريطانى وانسحب من ممر خيبر .. ومن شبه القارة الهندية بأسرها !

وأعلنت دولة باكستان فى ١٤ أغسطس سنة ١٩٤٧ ، تمد نفوذها وذراعها بالرعاية إلى ممر خيبر وقبائل الحدود . انتشر التعليم . نبتت المدارس فى تجمعات القرى فوق قمم جبال سليمان . راجت التجارة . وازدهرت الحرف الصغيرة . وامتدت اسلاك الكهرباء لتضىء بيوت رجال القبائل ، أينما كانت ، مجاناً وبغير عداء ! ساق الأفريدى أو الشينوارى السيارة ، وأصبح ماهراً فى الميكانيكا . أدار الملا جورى أو الشيلمان المخارط الكهربية ، ليصنع أدق قطع السلاح !

.. وفى كلمة : انتقل ١٥ مليون قبلى ، من بدايات القرن الخامس ، إلى نهايات القرن العشرين !

عبد التواب عبد الحي

رحلة صعبة.. رحلة جبلية

قصة حياة فدوى طوقان.. ترويها بقلمها

القسم الثاني من المذكرات (١)



في شهر مايو ١٩٨٤ وفى العدد (١٠١) الدوحة ، توقفت مذكرات فدوى طوقان ، ثم فاجأتنا الشاعرة الكبيرة بأن مذكراتها لها قسم آخر لم يكتمل ، وهذا هو القسم الثانى من مذكرات فدوى طوقان ، ننشره ابتداء من هذا العدد ، لتكتمل بذلك واحدة من أجمل وأصدق المذكرات التى عرفها الأدب العربى المعاصر ، حيث تكتب فدوى بمنتهى الأمانة والإخلاص ، وبأسلوبها البسيط النقى العذب ، صورة حية لكل ماعاشته وعانته من تجارب فى الأدب والحياة .

..وأحسست في داخلي بإشراق غريب وفرح لا أملك تصويره بالكلمات

شهر أغسطس من عام ١٩٦١ في اسبوعه الأخير ، والماء في الحديقة العامة بنابلس لطيف شفاف ، ورواد الحديقة من أهالي المدينة يستمتعون بلطافة الجو بعد نهار قائظ لاسيما أولئك العائدون من دول الخليج والمملكة السعودية لقضاء اجازاتهم في الوطن الغالي وبين ذراعي جرزيم وعيبال المفتوحتين أبدا لاحتضانهم .

في زاوية تظللها أشجار الحديقة الشاهقة الفروع جلسنا ، ابن عمي فاروق وأنا ، نحتسي القهوة ونتبادل الحديث ، وفاروق صديقي المقرب الحميم قبل أن يكون قريبي القريب ، ظلت تربطني به أواصر المحبة منذ طفولته المبكرة ، لاأزال أذكر كيف أدركته غفوة ذات مساء فيما هو قابع في حضني ، وحين حاولت أمه نقله إلى سريره صحا فجأة وشرع يبكي متشبثاً بي رافضاً الانصياع . كان تعلقي بأطفال العائلة تعلقا غريبا ، وحين كبروا وأصبحوا شبابا وصبايا بقيت علاقة المحبة قوية راسخة الجذور مع أكثرهم ، فيما وهنت الأواصر بيني وبين بعضهم الآخر .

في تلك الأمسية الصيفية بالحديقة العامة شرع فاروق يحدثني عن تجربته الحياتية والدراسية في انكلترا ، فقد كان حينئذ طالبا في «نيوكولج» بجامعة اكسفورد وكان سيحصل على شهادته الجامعية في صيف السنة التالية .

حدثت فاروق بدوري عن حلمي البعيد وتطلعي إلى الإقامة في انكلترا عاما أو عامين ، بارك فاروق على الفكرة وتحمس لها بصدق وأكد لي أنه سيتدبر هو بنفسه ترتيب الأمور وتسهيلها فور عودته إلى انكلترا .

.. ومن أكسفورد بعث لي فاروق بالرسائل الآتية :

اكسفورد ٨ أكتوبر ١٩٦١

العزيزة فدوى حفظها الله

أكتب اليك من أقدم مدينة جامعية في الدنيا . اليوم هو يوم الأحد . وأرى سكان هذه المدينة وهم يتجهون إلى بيوت العبادة ليلاقوا ربهم مرة في الأسبوع آملين منه أن يجعل السلام يخيم عليهم وأن يبعد عنهم شبح الحرب ، فقد ذاقوا ويلاتها مرتين في هذا القرن . ترينهم لايريدون الغنى أو الرزق ـ لأنهما حاصلان ـ بل يريدون السلم والسلام .

تركت نابلس هذه المرة وكلي شوق وحنين إلى سيادة الوالد ، أدامه الله ذخرا . كلي أمل أن تمر هذه السنة الدراسية الأخيرة لأرجع وأستقر في نابلس وأكون بجانب

الأهل لألبي نداء كل فرد إذا مااقتضى الأمر . لقد تركت نابلس وأنا بهذه الحالة العاطفية .

وصلت اكسفورد مرهقا من عدم النوم ، وفي اليوم التالي اهتديت إلى شقة مناسبة تتألف من غرفتي نوم وغرفة استقبال وغرفة ا خرى ، لكن هذه الشقة لن تكون جاهزة قبل شهر ديسمبر القادم ، وأجرتها قليلة نسبيا فهي خمسة جنيهات في الأسبوع مع العلم أن أجرة مثيلاتها تبلغ عشرة جنيهات .

الحياة الاجتماعية بدأت تصخب في الجامعة . سيبدأ الفصل الدراسي في ١٣ أكتوبر . أمس ، السبت في ١٠/٧ كنت مدعوا إلى حفل استقبال في مقر سير وليام هاتير رئيس كليتي ، وقد رحب بي كثيرا وكذلك زوجته ليدي هاتير ، وهي خريجة جامعة كمبردج وعلى جانب كبير من اللطف . تبادلت وإياهما الحديث مايقارب من ربع ساعة ، وقد دعياني إلى تناول الغذاء في الحادي والعشرين من الشهر الحالي .

تجدين طيه قصاصة اقتطعتها من جريدة التايمز ، وهي تتعلق بالإعلانات ، ا رسلها إليك لتأخذي فكرة عن مثل هذه الأمور ، وقد وضعت علامة على بعض الإعلانات التي أود أن تعرفي شيئاً عنها . هناك مثلا إعلانان كل واحد منهما يتعلق بسيدة تريد أن تسكن مع عائلة . ولكن أود أن ألفت انتباهك إلى أن هذه الاعلانات تصدر يوميا ، وبعد ساعة من صدورها تكون قد قرئت من قبل المعنيين بهذه الاعلانات وذهبت جميع الفرص ، وأكبر برهان على ذلك هو أنها لاتتكرر في اليوم التالي . لذلك فأنت لاتستطيعين الاعتماد على قراءتها وأنت في نابلس ومن ثم تكتبين اليهم ، إذ أنك سترين أن القطار قد فاتك ، مع العلم أن الجرائد الانكليزية تصل إلى القدس متأخرة عن تاريخ صدورها يومين .

الذي أقترحه أنا هو مايلي : يستحسن حضورك إلى انكلترا بعد شهر ديسمبر وستجدينني أرحب بك كل الترحيب ، تسكنين معي في اكسفورد المدة التي تختارينها وأثناء وجودك في اكسفورد تنشرين إعلانا في جريدة التايمز تذكرين فيه كل ما تريدين بعد أن تكوني قد عرفت كل ماتريدين . وأؤكد لك أنني بعد ديسمبر سوف أكون في الشقة التي أشرت اليها في بداية الرسالة ، وهي تتألف من غرفتي نوم ، وأؤكد لك أيضا بأن ذلك لن يكون مصدر ازعاج لي بتاتا ، بل على العكس ، سيكون مصدر سرور ، فأنا أرحب كثيرا ومن صميم قلبي بمجيئك وبالسكنى معي المدة التي تريدينها . أحبذ مجيئك إلى اكسفورد لكي لايتغير جو الحياة فجأة ، وسوف أعرف عليك الأصدقاء والصديقات من زملائي في الكلية ، وسأدلك على أماكن شراء الخضار واللحوم ، ثم ان الحليب والخبز يرسلان الى المنزل كل صباح ، وأنا على يقين من أنني سوف أبدد كل الصعوبات التي ستلاقينها في بادىء الأمر ككل أجنبي يأتي ليسكن في بريطانيا ، وسترين أن الحياة هنا أبسط بكثير مما نتصورها في بلادنا ، وأن الحياة جميلة ويمكن أن تكون خالية من كل مايسبب وجع الرأس وتنغيص المزاج .

أخيرا أرجو أن تفكري بالأمر وأن تكوني شجاعة في الإقدام على المجيء الى انكلترا .

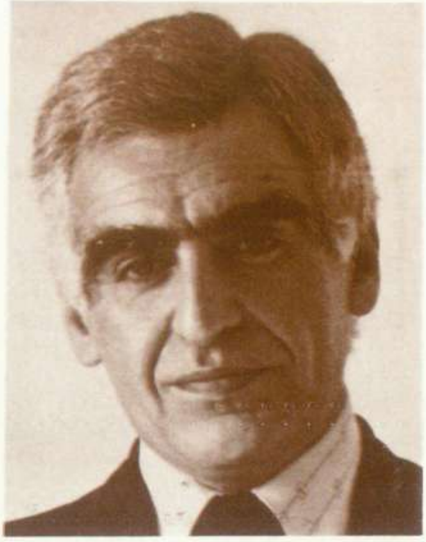
سلامي وتحياتي الى أفراد الأسرة جميعا ودمت .

المخلص
فاروق طوقان

اكسفورد ١٥/١١/١٩٦١

العزيزة فدوى حفظها الله

سررت كل السرور لعزمك الجدي على القدوم الى انكلترا ، خاصة الى اكسفورد في بداية الفترة . لقد بدأت من الآن أفكر في وضع برامج لك لكي تستفيدي من كل لحظة تقضينها هنا . أسأل الله أن يأخذ بيدي في تجهيز كل مايلزمك . وأصارحك ا ن بعض الأصدقاء والصديقات تواقون الى رؤيتك والتحدث اليك . أنا متأكد أنك سوف تجدين في اكسفورد الجو المناسب لك .



فاروق طوقان .. حدثنى كثيرا عن تجربته الحياتية والدراسية فى انجلترا ..

أما بخصوص وقت الحضور فإننا نرحب بك أي ساعة تختارينها . إذا أردت قضاء فصل الشتاء في انكلترا فشدي الرحال الآن ، أما إذا أردت تجنب برد انكلترا فإن ا وائل شهر آذار تبدو لي الوقت المناسب مع العلم أن الفرق في البرودة بين شباط وآذار ليس كثيرا . على كل حال أطلب منك أن تتصلي بي فور إنهاء المعاملات الضرورية ـ الحصول على الفيزا وإذن الإقامة ـ ومن الآن كوني مطمئنة ، فان كل شيء في انكلترا منظم والزائر لايجد صعوبة اطلاقا في الحصول على أي شيء . إنني في انتظار سماع أخبارك السارة .

الحياة في اكسفورد هذا الفصل على مايرام ، فانني غارق في تحضير مقالاتي الأسبوعية ، الى جانب حضور الحفلات التي أدعى إليها . أهمها كانت تلك التي ا قامها صديقي الذي زارني في نابلس مع زميلين آخرين ـ وتذكرين كم كان مثيرا لهم استحمامهم في حمام المدينة القديم ـ أمس دعيت إلى مائدة الأساتذة في كليتي والمعروفة «بالمائدة العليا» .

كنت الشخص الوحيد بين تلاميذ الكلية الذي دعي هذا العام الى تناول الطعام على هذه المائدة ، كما كنت التلميذ الذي دعي اليها في العام الدراسي الماضي . وهذا شرف عظيم جدا في اكسفورد . بعد الأكل انتقلنا من الطعام الى قاعة الأساتذة الرائعة ذات الأثاث الذي يرجع عهده الى قرون خلت وقدم لنا الحلو مع جوز وموز وفواكه على ضوء الشموع . وهذا يحدث عادة بعد العشاء مرة كل أسبوع كل يوم ثلاثاء .

وقد تناقشت مع أساتذة الكلية في عدة مواضيع لمدة ساعتين . أشكر الله الذي بيض وجهي في الإجابات على أسئلتهم التي كان بعضها «خبيثاً» بمعنى تضمنها نية كشف ا وراق الشخص . كانت كل إجاباتي

..وأحسست في داخلي بإشراق غريب
وفرح لا أملك تصويره بالكلمات

مدعومة ببراهين وأدلة .

تبدأ عطلة الميلاد يوم الجمعة في ٨ ديسمبر لمدة ستة أسابيع ، سأذهب خلالها الى النمسا للتزحلق على الجليد هناك . ومن ثم سأذهب الى ألمانيا لبضعة أيام ثم إلى باريس . لم أخبر أحدا عن هذه الرحلة بعد . لكني سأكتب الى سيدي الوالد مستأذنا بالسفر كالعادة ، وسأخبر العم قدري والشقيق العزيز سعد .

حوالي العشرين من ديسمبر سأستلم السيارة المرسيدس الجديدة ، بدأت من الآن اعد العدة لتأمينها تأمينا كليا . أما الرحلة الى النمسا فستكون عن طريق الجامعة ، فالتكاليف ذهابا وإيابا ، مع الإقامة لمدة اسبوعين في أحسن الفنادق مع تأمين كسر الساقين أو اليدين تبلغ خمسة وثلاثين جنيها ماعدا مصروف الجيب . سيذهب معنا بعض الشباب والشابات من جامعتي اكسفورد وكمبردج . سأرجع الى انكلترا قبل يوم عيد الميلاد لأني سوف أقضي نصف العطلة الباقي في الدراسة .

هذا كل ما في الجعبة من أخباري . أدعو لك بالتوفيق والنجاح وآمل أن توافيني بالأخبار الطيبة . للجميع حبي وإخلاصي .

ودومي للمخلص المحب
فاروق

اكسفورد ٢٠/شباط ١٩٦٢
العزيزة فدوى حفظها الله

أكتب إليك هذه الرسالة والساعة حوالي السادسة صباحا ، لم أنم طوال الليلة الماضية حيث قضيتها في تحضير أطروحة صغيرة عن «ماهو الصحيح وماهو الخطأ» وسوف القيها بعد ساعات قليلة .

أود أن ألفت انتباهك الى أن التأخير في الكتابة لم يكن بسبب الكسل أو عدم الاهتمام بموضوعك ، لكن بسبب أن المعلومات التي أود تزويدك بها وآخذ رأيك فيها لم تتوفر إلا أمس .

أرسلت إلى مسز مور رسالة على عنواني بنابلس ردا على رسالتي التي كنت قد بعثت بها إليها من نابلس ، ولكن ردها ذاك وصل بعد أن كنت قد غادرتكم ، ولهذا فقد أعاده العم العزيز قدري مرة ثانية الى اكسفورد .

ان أهم ما جاء في رسالتها عناوين توصيني بأن أتصل بأصحابها أسألهم عما اذا كان ممكنا أن تسكني مع إحدى تلك العائلات . وبالفعل اتصلت بالسيدات اللواتي رشحتهن مسز مور . وكان أن استلمت أمس رسالة من سيدة اسمها مارجريت فيرنش تخبرني فيها أنها مستعدة لقبولك في بيتها . تقول في رسالتها ان زوجها يدرس موسيقى في اكسفورد وان عائلتهم تتكون من ثلاثة أطفال ، يذهب الأول والثاني الى المدرسة والطفلة الصغرى تذهب الى المدرسة في الصباح فقط . ولهذا فهي لن تتمكن من تسليتك كثيرا ، وتضيف قولها بأنه في مدينتهم الصغيرة لايوجد صخب أو أي مكان يستحق الزيارة ، إلا أنها قريبة من اكسفورد ومن بلدة شكسبير ستراتفورد أبون ايفون وهي تعد بأن تتحدث معك بالانكليزية أكثر ما يمكن لكي تستفيدي من الإقامة معهم . وأخيرا تذكري بأنها ستتقاضى مبلغ سبعة جنيهات وسبعة شلنات في الأسبوع الواحد مقابل

• غريبة ووحيدة في لندن

• النظام الباهر يمضي بأمور الناس في صمت ومهابة

غرفة وطعام وكهرباء وتدفئة باستثناء الغسيل الخاص ، أي ملابسك .

ذهبت عصر أمس الى تلك المدينة واسمها «بامبوري» فوجدت أن مسز فيرنش تسكن في الواقع في إحدى ضواحيها . البيت قديم ولكن وسائل الراحة فيه متوفرة . والمدينة ليست بعيدة عن اكسفورد أبدا ، حوالي ثلاثين كيلومترا فقط .

أقترح أن تحضري إلى اكسفورد في نهاية آذار فتقيمي معي أسبوعين أو أكثر ثم آخذك الى بامبوري لتقيمي مع تلك السيدة بضعة اسابيع ثم نعرف ماذا تقررين بعد ذلك .

أما في اكسفورد فسوف تقيمين في الغرفة المجاورة لغرفتي ، ولحسن الحظ فإن عطلتي تبدأ مساء ٣/١٧ وتستمر ستة أسابيع .

أنتظر منك شرح وجهة نظرك بصراحة تامة ، كما أنني أقسم لك بأنني أنتظرك على أحر من الجمر لأني في حالة حزن شديد ، الحياة ماعادت تطيب لي خارج بلدي خاصة بعد وفاة سيدي الوالد رحمه الله . فوجودك بجانبي سيخفف من وطأة حنيني الى الوطن والأهل . والحقيقة أنني ماتصورت أبدا أنني سأصل الى مثل هذه المرحلة من الشوق والحنين الى العودة . لقد تشبعت من كل شيء ، وإني لأنتظر بشغف اللحظة التي ستطأ فيها قدمي أرض نابلس ، كفاني أن فيها ضريح والدي الذي كانت وفاته أشد مصيبة نزلت بي .

لهذا أرجوك مخلصا أن تحاولي الحضور في أي يوم بعد ٣/١٧ .

ودمت للمخلص
فاروق

• • •

تبقى رحلة الحياة مع الإنسان الطموح تجاوزا مستمرا لمحطات عديدة ، بدون هذا التجاوز يستحيل التجدد والاستمرار في الحياة ، ليس هناك هدف نهائي ، ليس هناك مستقر نهائي يتجمد عنده ، فالحياة حركة بالنسبة إليه تتجه دائما إلى الأمام . ان البحث الدائب عن أقاليم جديدة ، حتى لو كان بحثا ميؤوسا منه هو الذي يمنح الحياة غناها وكثافتها .

غادرت البلاد إلى انكلترا في أواخر مارس عام ١٩٦٢ وأنا أغزل الحلم عند

مرافيء التوقع المثير .

• • •

في كل رحلة من رحلاتي الجوية يطل علي أبو العلاء المعري من خلال رؤيا نبوية عجيبة كان قد أوردها في كتابه «الفصول والغايات» :

(إذا شاء الملك قرب النازح وطواه حتى يطوف الرجل في الليلة الدانية بياض الشفق من حمرة الفجر طوفه بالكعبة حول قاف ــ أي حول الكرة الأرضية ــ ثم يؤوب الى فراشه والليلة ماهمت بالاسحار ، ويسلم بمكة فيسمعه أخوه بالشام ، ويأخذ الجمرة من «تهامة» فيوقد ناره في «يبرين» وقاصية الرمال) .

هكذا ، وقبل ما يزيد على ألف عام ، ينطلق أبو العلاء المعري بمخيلته العجيبة فيستشرف في رؤيا أديب وشاعر عبقري مااخترعه الإنسان في هذا العصر من طيران وراديو وإضاءة بالتيار الكهربائي وسواها من اختراعات بلغ الانسان فيها ذروة عظمته الخلاقة .

• • •

قبل الغروب بدأ الريف الانكليزي ينكشف لعيني من خلال نافذة الطائرة ، الشجر والغابات والأكواخ الآجرية الحمراء ، هاقد بدأ الوجود الجميل يعطيني نفسه وسوف أعرف كيف آخذه .

كانت أول مرة أسافر فيها بمفردي خارج البلاد العربية . أما رحلتي السابقة الوحيدة الى أوروبا والتي شملت آنذاك هولندا والسويد وروسيا والصين الشعبية فقد كانت بصحبة وفد أردني وبدعوة رسمية لحضور مؤتمر السلام العالمي الذي انعقد في مدينة استوكهولم عام ١٩٥٦ . كان بعض أعضاء الوفد يقومون أثناء الرحلة بمهمة المعاملات الضرورية في المطارات هنا وهناك فلم أحمل هم القيام بمثل هذه الإجراءات بنفسي .

• • • •

لم يكن لي في مطار هيثرو بلندن من ينتظرني ، ففاروق يقضى أجازته في النمسا ، ولكني كنت أعرف أن السيدة التي يقطن في مسكنها في اكسفورد تحتفظ لي بغرفة خالية ، والعنوان في حقيبة يدي ، وكل شيء سيكون على مايرام .

• • •

في مطار هيثرو يسير النظام الباهر أمور الناس بصمت ومهابة . لا فوضى ولا تزاحم بالأيدي والأكتاف . مئات من المسافرين القادمين من مختلف أقطار العالم المتقدمة منها والمتخلفة ، منتظمون في صفوف ، كل واحد ينتظر دوره ليقدم جواز سفره والنظام يفرض نفسه والسكون والهدوء يخيمان على القاعة الفسيحة فكأنك في معبد بوذي ، . الموظفون المسؤولون عن الكشف عن شرعية الدخول كل في مكانه يقوم بأداء المهمة الملقاة عليه ، ينقل عينيه بين صفحات جواز سفرك وبين النظر في وجهك ، ويرد اليك جواز السفر وتمضي أنت إلى الداخل باسم الله مسراك ومرساك .

انحدرت إلى الطابق الأرضي والتقطت حقيبتي من بين مئات الحقائب ، دخلت قسم الجمارك وخرجت منه . الخدمات تقدم اليك نفسها بنفسها والأمور تجري بسهولة ويسر ، مكتب الاستعلامات مرشدك ودليلك الهادي . وجهني إلى قسم حجز الفنادق ، بمكالمة تلفونية تم حجز غرفة لي في فندق في لندن ناولتني الموظفة عنوانه . سأمضي فيه ليلتي وفي غد أغادر بالقطار الى مدينة اكسفورد .

خرجت من مبنى المطار ألتمس لي سيارة توصلني الى الفندق ، وجدتني أنتظم ضمن طابور من المسافرين المنتظرين ، كل واحد حقيبته بجانبه على الرصيف وسيارات الأجرة تزحف واحدة إثر واحدة تلقف الراكب صاحب الدور ثم تمضي مسرعة نحو المدينة الكبيرة مخلية مكانها للسيارة التي تليها .

قرأت على السائق الصامت صمت أبي الهول عنوان الفندق ، وبشكلها المربع ولونها الأسود وسقفها العالي تحركت بي سيارة التاكسي وانطلقت تخترق الشوارع الفسيحة النظيفة الخالية إلا من دفق منهمر من السيارات .

نصف ساعة أو تزيد أخذت بعدها لندن تمرق أمامي بميادينها وحدائقها وساحاتها ونوافيرها وعمائرها وواجهات متاجرها وسياراتها ودراجاتها النارية وحافلاتها الحمراء ذات الطابقين والجموع الهائلة من البشر . حشد عنيف من الناس والأضواء والألوان والمشهد بمجموعه ينقل الى مسامعك وعينيك إيقاع الحياة الدينامية في شوارع المساء .

أحسست بإشراق غريب في داخلي . فرح لا أملك تصويره بالكلمات .. كأن يدا خفية ضغطت فجأة على زر كهربائي غير مرئي في اعماقي فإذا بروحي تضيء بوهج باهر ماعرفت مثله من قبل . إشراقة صوفية تفصلني عن الماضي كله ، تمحو عن قلبي آثار الفظاظة والخشونة والقسوة ، تطوقني برقى الأمان والسلام النفسي .

العالم طيب . إني أبارك على الحياة (رامبو) وداعا يازمان الجفاف والضيق وداعا يازمان التمزق والحيرة .

• • • •

تلقفتني غرفة الفندق المريحة . فيما كنت أتناول فطور الصباح سألت النادل عن موقعي الجغرافي من المدينة فقال إنني في وسطها . خرجت إلى ميدان فسيح حاشد في جولة استطلاعية . هذا ميدان بيكاديلي الشهير .. مواكب من الناس من كل الأجناس . آلاف السيارات تتدفق كسيل عرم من الجهات الأربع ، هرج ومرج وحركة دائبة ، طالعتني المباني الفخمة الكلاسيكية ، طالعتني نافورة تصب مياهها كفضة سائلة ، طالعني تمثال شاهق جذاب لفتى نحيل مجنح أوقفه صانعه على قدمه اليسرى وعلق رجله اليمنى في الهواء وحمله في يديه قوسا وسهما على وشك الانطلاق . هذا إذن تمثال إيروس سيد العشاق والمحبين .

هذا ملمح من ملامح وجهك يالندن لايغنيني ولايشفي غليلي . طموحي أن أعرف روحك الحقيقية . علي أن أقيم فيك بضعة شهور . وسأحقق هذا المطمح في المستقبل .

عدت إلى الفندق لأحمل حقيبتي ثم استقل من هناك سيارة تاكسي توصلني إلى محطة بادنجتون للقطارات ، أخذت مقعدي في إحدى عربات القطار المتوجه إلى اكسفورد وغبت في أحلامي السعيدة .

بقية المذكرات فى العدد القادم

من تاريخ الفكر العربي

بقلم : الدكتور علي الدين هلال

عبد الرحمن الكواكبي
أعظم من هاجم الاستبداد

● عمل بالمحاماة مدافعا عن الفقراء والمظلومين حتى صار اسمه بين الناس "أبو الضعفاء"

● هنالك كتابان ضائعان للكواكبي هما "صحائف قريش" و"العظمة لله"

● الحاكم المستبد لا يخشى شيئا أكثر من مبدأ "لا إله إلا الله"

ثالث رجال القرن التاسع عشر الذين أثروا على مسار العقل العربى وفتحوا أمامه آفاقا جديدة .. بالإضافة الى رفاعه رافع الطهطاوى وخير الدين التونسى ـ هو عبد الرحمن الكواكبى (١٨٥٤ ـ ١٩٠٢) الذى ارتبط اسمه بأروع ماكتب باللغة العربية ضد الاستبداد والآثار الاجتماعية والنفسية للاستبداد بأسلوب جمع بين دقة العالم الباحث المحقق وحماس الداعية المحرك للهمم .

ولد الكواكبى فى حلب من أسرة تنتسب الى الرسول (ص) ، وسرعان ما أصبح أحد رجالات الحركة الفكرية والوطنية فى المدينة . فاشتغل بالصحافة وهو فى بداية العشرينات من عمره فكتب في صحيفة « فرات » ، ثم أصدر جريدتى « الشهباء » و « الاعتدال » اللتين أغلقتا بسبب آراء الكواكبى وانتقاداته للحكم العثمانى . ثم عمل بالمحاماة مدافعا عن حقوق الفقراء والمظلومين حتى صارت كنيته « أبو الضعفاء » . وفى عام ١٨٩٨ قدم الكواكبى إلى مصر وأصبح علماً من أعلامها الفكرية حتى وفاته فى عام ١٩٠٢ .

وكما كان الحال مع الطهطاوى والتونسى فقد جمع الكواكبى بين الفكر والعمل ، فتولى عددا من المناصب فى مدينة حلب ، فكان عضوا فى لجنة المعارف والمالية ، ومديرا فخريا للمطبعة الرسمية ، وعضواً بمحكمة التجارة ، ورئيسا للغرفة التجارية ، ورئيسا للمصرف الزراعى ، ورئيسا لكتاب المحكمة الشرعية .

عبد الحميد قد تولوا أمرهما .

لماذا التخلف ؟

عندما نحلل كتابات الكواكبى يبدو أن هناك ثلاثة أسباب تفسر أوضاع العرب والمسلمين وتشرح تخلفهم وهى الابتعاد عن جوهر الدين ، والاستبداد ، والحكم العثمانى .

فالكواكبى ينعى ما آل اليه الدين « الذى ظلمه الجاهلون فهجروا حكمة القرآن ودفنوها فى قبور الهوان . الدين الذى فقد الأنصار والأبرار وحكماء الأخيار فسطا عليه المستبدون واتخذوه وسيلة لتفريق الكلمة وتقسيم الأمة شيعاً » .

أما الاستبداد ، فقد صب عليه الكواكبى جام غضبه واعتبره أصلا لكل فساد وأن له تأثيره السيئ على كل واد ، فهو « يضغط على العقل فيفسده . ويلعب بالدين فيفسده ويحارب العلم فيفسده » .

والسبب الثالث لتخلف العرب والمسلمين هو الحكم التركى العثمانى ويرى الكواكبى أن ضعف الدولة العثمانية فى المجال الخارجى سببه الفساد وعدم الكفاءة وسوء الادارة المالية ، وأن الدولة تحولت عن نظمها القديمة دون أن تستوعب المؤسسات والنظم الجديدة ، وأنها تحاول أن تطبق قانونا موحدا على امبراطورية متعددة الجنسيات والأقاليم ، وأنها تميز بين الجنسيات . وركز الكواكبى بالذات على أوضاع العرب فمع أنهم يمثلون ثلث الامبراطورية إلا أنهم محرومون من حكم ا نفسهم .

من هذا التشخيص لأسباب التخلف ولأوضاع العرب والمسلمين جاء العلاج فدعا الكواكبى إلى الاصلاح الدينى ، والعروبة ومحاربة الاستبداد .

الاسلام والنهضة

مثلما فعل الطهطاوى والتونسى اعتبر الكواكبى الاسلام بمثابة دين العقل ودين المدنية . ومثل خير الدين التونسى رأى أن



عبد الرحمن الكواكبى : ثالث رجال القرن التاسع عشر الذين فتحوا أمام العقل العربى آفاقا جديدة

ومثلهما أيضا كانت له فرصة السفر والترحال ، ولكن بينما سافر الطهطاوى والتونسى إلى أوربا ، اتجه الكواكبى جنوبا وشرقا فى افريقيا وآسيا ، فسافر الى الحبشة وهرر والصومال وشبه الجزيرة العربية والهند والسواحل الجنوبية لآسيا حتى حدود الصين . وهناك من يشير إلى أن زيارته لليمن وشبه الجزيره العربية كانت فى إطار مهمة سياسية لصالح الخديوى عباس حلمى .

كما عمل الكواكبى بالسياسة فرشح نفسه للبرلمان العثمانى فى عام ١٨٧٧ ، واتهم بالاشتراك فى مؤامرة لاغتيال الوالى فى عام ١٨٨٦ ، وسجن ثم برئت ساحته بعد محاكمة فى حلب وبيروت .

وخلافاً لهما لم يكن الكواكبى على معرفة بأى من اللغات الأوربية وإنما أتقن اللغة التركية ، ومن خلالها اطلع على مترجمات للكتب الأوربية .

أصدر الكواكبى كتابين فى عام ١٩٠٠ . أولهما هو « طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد » الذى صدره بقوله « انها صيحة فى واد ، أو نفخة رماد إن ذهبت اليوم مع الريح فستذهب غدا بالأوتاد » . وثانيهما هو « أم القرى » (مكة) وهو دراسة فى أسباب تخلف المسلمين وكيفية تحقيق نهضتهم ، وتميز هذا الكتاب بالطريقة التى كتب بها ، فهو عبارة عن محضر لاجتماع مؤتمر تصوره المؤلف لاثنين وعشرين من قادة المسلمين اجتمعوا لبحث أوضاع العالم الاسلامى واتفقوا على انشاء جمعية لتحقيق هدف احيائه .

وهناك مايشير إلى أن الكواكبى كتب كتابين آخرين بعنوان « صحائف قريش » و « العظمة لله » ولكنهما فقدا ولم ينشرا ، ويرجح المؤرخون أن جواسيس السلطان

عبدالرحمن الكواكبي
أعظم من هاجم الاستبداد

النظام والعدل فى المجتمع يقومان على مبدأ « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » وأن ذلك يتم فى الدول المتحضرة من خلال البرلمان . ولكن خلافا لخير الدين اعتقد أن تطبيق هذا المبدأ هو أمر واجب على جميع المسلمين وأنه فرض عين وليس فرض كفاية ، بمعنى أنه أمر لازم على الجميع .

هاجم الكواكبى « الشرك الخفى » وكثير من ممارسات الصوفية وتقديس الأولياء ، وأكد أن الاسلام هو دين العقل ، ودعا إلى فتح باب الاجتهاد والتوفيق بين الشريعة وضرورات العصر . وهكذا يندرج الكواكبى فى مدرسة محمد عبده التى دعت إلى العودة إلى ممارسات السلف الصالح وتنقية الدين مما علق به من خرافات وشعوذات وطقوس تناقض روحه وجوهره .

ويقول إننا نحن الشرقيين أحوج ما نكون الى حكماء « يجددون النظر فى الدين فيعيدون النواقص المعطلة ويهذبون من الزوائد الباطلة مما يطرأ عادة على كل دين يتقادم عهده فيحتاج إلى مجددين يرجعون به إلى اصله المبين البرىء من حيث تحرير الارادة والسعادة فى الحياة من كل ما يشين » .

وطرح الكواكبى أفكارا هامة حول علاقه الدين بالدولة وحول التمييز بين ماأسماه الطهطاوى بالاخوة فى الدين والاخوة فى الوطن . فيقول الكواكبى « إن ادارة الدين وادارة الملك لم تتحدا فى الاسلام تماما إلا فى عهود الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز فقط رضى الله عنهم » .وانه « لايوجد فى الاسلام نفوذ دينى مطلقا فى غير مسائل اقامة الدين » .

ثم يشير إلى تجارب الدول الأخرى بقوله « فهذه أمم اوستريا وأمريكا قد هداها العلم لطرائف شتى وأصول راسخة للاتحاد الوطنى والوفاق الجنسى دون المذهبى والارتباط السياسى دون الادارى ، فما بالنا نحن لانفتكر فى أن نتبع احدى تلك الطرق



أكد الكواكبى أن الاسلام هو دين العقل ، ودعا إلى ممارسات السلف الصالح

او شبهها » . ويقدم اساسا للوحدة الوطنية "دعونا نجتمع على كلمات سواء . ألا وهى فلتحيا الأمه . فليحيا الوطن فلنحيا طلقاء اعزاء » .

طبائع الاستبداد

يعتبر كتاب طبائع الاستبداد من امهات الكتب العربية فى علم السياسة ، وينطلق مؤلفه من ادراك دقيق للظواهر السياسية فيعرف علم السياسة بأنه « ادارة الشئون المشتركة بمقتضى الحكمة » ويعتبر الاستبداد واحدا من أهم موضوعاته ومباحثه . ويقول إن دراسة الاستبداد تثير أسئلة عديده مثل ماهى طبيعة الاستبداد ؟ لماذا يكون المستبد شديد الخوف ؟ ماهو تأثير الاستبداد على الدين ؟ وعلى العلم والمال والأخلاق ؟ وكيف يمكن التخلص من الاستبداد ؟

ويحدد الكواكبى مفهوم الاستبداد بأكثر من طريقة . فهو « اقتصار المرء على رأى نفسه فيما ينبغى الاستشارة فيه » وهو « التصرف فى الشئون المشتركة بمقتضى الهوى » وهو « تصرف فرد أو جمع فى حقوق قوم بلا خوف » . فجوهر الاستبداد عند الكواكبى هو غياب المحاسبة وعدم وجود حدود للسلطة او قواعد لرقابة الحاكم .

فهو لايربط بين الاستبداد ووجود حاكم فرد فقد تكون المجموعةمستبدة ايضا . ولايربط بينه وبين وجود دستور أو حكومة دستورية فهى ايضا يمكن أن تكون مستبدة وذلك عندما لاتكون السلطة التنفيذية مسئولة أمام السلطة التشريعية وعندما لاتكون الأخيرة بدورها مسئولة أمام الجمهور . ولايربط بينه وبين الانتخاب ، فالحكم المنتخب يمكن ايضا أن يتحول إلى الاستبداد ، وأن مجرد المشاورة فى قرار قبل اتخاذه لايجعل الحكومة أقل استبدادا .

وكأنى بالكواكبى يقول إن السلطة مفسدة بطبيعتها ، وإن هناك خطراً دائماً من أن تتحول السلطة إلى الاستبداد وإن الضمان الذى يحول دون ذلك هو الرقابة المستمرة ، ويعبر عن هذا المعنى بقوله « إن الحكومة من أى نوع كانت لاتخرج عن وصف الاستبداد مالم تكن تحت الرقابة الشديدة والمحاسبة التى لاتسامح فيها كما جرى فى صدر الاسلام . وإنه من الأمور المقررة أنه ما من حكومة عادلة تأمن المسئولية والمؤاخذة بسبب غفلة الأمة او اغفالها لها إلا وتسارع إلى التلبس بصفة الاستبداد وبعد أن تتمكن فيه لاتتركه وفى خدمتها شيء من القوتين الهائلتين المهولتين : جهالة الأمة والجنود المنظمة » .

آثار الاستبداد

للاستبداد آثار مدمرة على الحياة الاجتماعية وعلى نفوس وسلوك البشر ويؤدى إلى خراب الروح المعنوية للمجتمع ، وهو يتضمن قدرا من الشرك فيقول الكواكبى

إنه « مامن مستبد سياسى إلا ويتخذ له صفة قدسية لذلك فإن الحاكم المستبد لايخشى شيئا أكثر من مبدأ « لا إله الا الله » .

ويخاف المستبد من العلوم التى توسع العقل وتبين للناس حقوقهم وقدراتهم .

والاستبداد هو روح عامة تسود فى جميع مستويات المجتمع ابتداء من المستبد الأعظم حتى رجل الشرطة وصغار المسئولين بحيث يمارس جميعهم الخوف والنفاق والكذب وكل هؤلاء يعملون لمصالحهم الخاصة وليس للمصلحة العامة .. والنتيجة أن وزير المستبد هو وزير المستبد لا وزير الأمة . لذلك فى عهود الاستبداد يرتفع قدر اللؤماء والمنافقين والمتجمدين ، ورجال عهد الاستبداد .. لاخلاق لهم ولاحمية لهم ولا يرجى منهم خير مطلقا ، والمستبدون لايتعاونون إلا مع الاسافل الأرذال ولايميلون لغير المتملقين المنافقين .

وخلاصة القول : إن الاستبداد داء أشد وطأة من الوباء . أكثر هولا من الحريق . اعظم تخريبا من السيل . أذل للنفوس من السؤال . داء اذا نزل بقوم سمعت أرواحهم هاتف السماء ينادى القضاء القضاء والأرض تناجى ربها بكشف البلاء . كيف لاتقشعر الجلود من الاستبداد وعهده ، عهد اشقى الناس فيه العقلاء والأغنياء ، وأسعدهم بمحياه الجهلاء والفقراء ، بل أسعدهم اولئك الذين يتعجلهم الموت فيحسدهم الأحياء » .

نهاية الاستبداد

القضاء على الاستبداد يتطلب اولا رأياً عاماً رافضاً ومعادياً له ، فالأمة التى لايشعر اكثرها بآلام الاستبداد لاتستحق الحرية ، والمطلوب هو أن ترفض الأمة الاستبداد لا أن تنتقم فقط من شخص المستبد والطريق إلى تحقيق ذلك هو : ترقى الأمة فى الادراك والاحساس ، وهذا لايتم بدون التعليم واقناع الرأى العام .

كما انه يتطلب ثانيا وجود بديل فيجب « قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يستبدل به » ولابد « من تعيين الغاية بصراحة واخلاص واشهارها بين الناس والسعى فى اقناعهم » وبهذا تكون الأمة قد استعدت طبيعيا لأن تحكم نفسها بنفسها وتعكس هذه النظرية فهما عميقا للنظم السياسية وأنها ليست مجرد اشكال دستورية وقانونية ولكنها انعكاس لظروف وبيئة . فهو يربط بين الاستبداد والجهالة او نقص الوعي ، وبينه وبين قوة الجيوش وبالذات عندما يكون الجيش اجنبيا ، وبينه وبين قوة المال ورجال الفكر المؤيدين للاستبداد .

بهذا يرفض الكواكبى العقلية الانقلابية او التآمرية التى تتصور امكانية التغيير بواسطه أقلية منظمة تفرض نفسها وصية على الشعب وتقيم استبدادا جديدا ، ويؤكد ان التغيير الحقيقى يرتبط بوعى الأمة وبتغيير البيئة والظروف .

العروبة والتربية

لايمكن أن ننهى هذه المقالة عن الكواكبى دون ايراد كلمات موجزات عن موقفه من العروبة والعدالة الاجتماعية والتربية .

فهو يرى فى العرب قلب الاسلام والمسلمين وهم مركز الجاذبية وواسطة العقد فى العالم الاسلامى . فقد بدأ الاسلام بين ظهرانيهم ، وكان الرسول (صلعم) منهم ، ونزل القرآن الكريم بلغتهم .

والعروبة ليست قاصرة على المسلمين بل تشمل كل الناطقين بلغة الضاد كما يقول الكواكبى ويعرف حدود العرب فى شبه الجزيرة العربية وسوريا ولبنان والعراق ومصر وشمال افريقيا .

من ناحية أخرى يربط الكواكبى بين الاستبداد والتفاخر بالثروات ويهاجم « التمول » وتركيز الثروة ويقول : ان التمول جائز بشرط ان يتم جمع الثروة بطرق قانونية وأن لايكون فيها ضرر بالآخرين مثل احتكار الضروريات أو امتلاك ماهو مشترك وحر مثل الأرض ، فالأرض اعطاها الخالق للجميع . وان الاسلام دعا الى العدل بواسطة الزكاة والعشور والحض على العمل المنتج وأن العدالة الاجتماعية هى روح الاسلام .

واخيرا فان كل دعوة للاصلاح لابد ان ترتبط بالتربية والتعليم وان تغرس بذورها فى عقول النشء ، وانه لابد من التخطيط للتربية وتعميم التدريس باللغة العربية .

وأحسب أن كثيرا مما قاله الكواكبى ودافع عنه مازال واردا فى حياتنا العربية . وأحسب أن أعظم مافيه أنه لم يحاول ان يلقي باللوم على عناصر خارجية ، وانما واجه نفسه وواجه قومه بالحقيقة ودعاهم الى تغيير الذات .

فلنسمع إليه يخاطبهم بقوله :« ياقوم هون الله مصابكم ، تشكون من الجهل ولا تنفقون على التعليم نصف ماتصرفون على التدخين . تشكون من الحكام وهم اليوم منكم فلا تسعون فى اصلاحهم . تشكون فقد الرابطة ولكم رابط من وجوه لاتفكرون فى احكامها . تشكون الفقر ولاسبب له غير الكسل . هل ترجون الصلاح وانتم يخادع بعضكم بعضا ولاتخدعون الا انفسكم ترضون بأدنى المعيشة عجزا تسمونه قناعة . وتهملون شئونكم تهاونا تسمونه توكلا . تموهون عن جهلكم الاسباب بقضاء الله وتدفعون عار المسببات بعطفها على القدر ألا والله ماهذا شأن البشر »

« ان الله لايظلم الناس شيئا ولكن الناس انفسهم يظلمون » ...

على الدين هلال

نبيل خالد الأغا

مؤسسة آل البيت

مشروع علمي كبير وأهداف ثقافية طموحة

● موسوعة إسلامية في عشرين جزءا يعمل فيها كبار المفكرين في العالم الإسلامي

● جهود واسعة للدفاع العلمي عن التراث العربي والإسلامي



د . ناصر الدين الأسد رئيس المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية

ليس من اليسير على المرء أن يحكم على مؤسسة أكاديمية لم يتعد عمرها خمسة اعوام بالسلبية أو بالإيجابية .. ولكن ما رأيته ولسته خلال زيارتي للمجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية في الأردن جعلني أشعر بالتفاؤل والحبور نحو هذه المؤسسة الفتية التي تضطلع بمهام عظيمة في خدمة الثقافة الاسلامية وحضارتها .

ولعل من أبرز المشروعات التي يضطلع المجمع بمهمة تنفيذها هي اصدار موسوعة الحضارة الاسلامية التي طالما تمنيناها وحلمنا بها .

وكذلك اصدار الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي المخطوط والمبعثر في كل انحاء الدنيا .

كما أن المجمع يقوم بجهد مشكور في مواجهة المخططات الصهيونية الرامية لطمس المعالم التاريخية والاسلامية للأراضي العربية المحتلة وخاصة مدينة القدس .

وقد أصدر المجمع بالتعاون مع منظمة المدن العربية كتاباً قيماً بعنوان «كنوز القدس» . ويتضمن توثيقاً وتسجيلا ووصفاً دقيقاً لكل مايتعلق بما في هذه المدينة المقدسة من آثار هامة مع بيان خطة ترميمها وإنقاذها .

كما قام المجمع باصدار كتاب وثائقي بعنوان أجدادنا في ثرى بيت المقدس ويتضمن معلومات مفصلة مدعمة بالصور حول ٤٠٠ علم من أعيان أمتنا منذ القرن الأول الهجري وحتى نهاية العهد العثماني .

ويبين الكتاب معلومات مفصلة حول تسعة من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ممن دفنوا في مدينة القدس والذين ا زالت السلطات الصهيونية اضرحتهم بالجرافات ، وأقامت مكانها المباني الشاهقة والحدائق العامة !

هذا ويسير المجمع الملكي في أعماله حسب خطط واضحة ومدروسة يناقشها مجلس المجمع . ويزيد في مناقشتها ويبلورها المؤتمر السنوي للمجمع الذي ينعقد في شهر ابريل من كل عام ، ويرأسه سمو الامير حسن ولي العهد ويضم جميع الأعضاء العاملين والمراسلين ، بالإضافة إلى عدد من كبار العلماء المدعوين ممن ليسوا أعضاء لا عاملين ولا مراسلين في المجمع .

والمتعمق في أهداف المجمع -كما وردت في نظامه الأساسي- لا يسعه إلا احترام وتقدير كل جهد -مهما قل أو كثر- يبذله كل امرىء في المجمع من أجل تجسيد هذه الأهداف النبيلة وبلورتها إلى واقع ملموس .

ضمن أول هذه الأهداف : التعريف بالشريعة الاسلامية وتجلية جوانبها المضيئة ، وتنقية الثقافة الاسلامية مما علق بها من شوائب ، وتصحيح المفاهيم والأفكار غير السليمة عن الإسلام والتراث ، وإبراز تصور اسلامي معاصر وموحد لقيم المجتمع ونظمه ، مع استشراف المستقبل وارتياد آفاقه ، ومواجهة قضايا العصر ومشكلاته ، وتحدياته المتجددة بمواقف وحلول عملية اسلامية من هدي الكتاب والسنة ، وكذلك إبراز العطاء الانساني العلمي والحضاري ، وأثره في التقدم العالمي والحضارة الإنسانية ، والنهوض بالدراسات والبحوث الاسلامية في مختلف فروع المعرفة الانسانية ، وإحياء التراث العربي الإسلامي ونشره ، وتوضيح المنهج العلمي للعلوم والمعارف من المنطلقات الاسلامية ، وتوجيه الجامعات ومراكز البحوث الاسلامية والعربية إلى العناية بذلك .

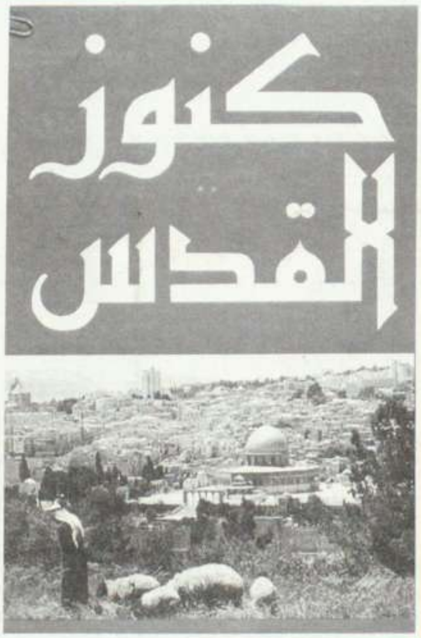
كذلك السعي الى التقريب بين المذاهب والفرق الإسلامية وجمع كلمتها ، والتقاء علماء المسلمين وتعارفهم ، وتقوية الروابط الفكرية وتبادل الآراء بينهم ، وتعريفهم بأحوال المسلمين في مختلف بقاع العالم ،

والتعاون مع المجامع ومراكز البحوث والهيئات العلمية والجامعات لتحقيق أهداف المجمع السابقة .

وإذا كنا نشهد لهذا المجمع العتيد بالكفاءة والعمل المبرمج الدءوب .. والتفاني والإخلاص من قبل العاملين والأعضاء والمراسلين فإن الأمانة تقتضينا ـ أن نشيد ونبارك الجهد المخلص والعطاء اللامحدود الذي يبذله رئيس المجمع الدكتور ناصر الدين الأسد في سبيل تأدية المجمع لرسالته الانسانية السامية .

والدكتور الأسد ـ لمن لايعرفه ـ واحد من اولئك الموهوبين المحبوبين ـ الذين لايملك المرء لأول وآخر وهلة إلا أن يحبهم ويحترمهم .. في الله .. ولله .

كان هذا هو شعوري عندما قابلته مرتين في شهر سبتمبر (أيلول) الماضي .. وحملت إليه الرغبة في اجراء مقابلة معه .. بصفته رئيس المجمع الملكي لبحوث الحضارة الاسلامية .





غلاف كتاب كنوز القدس الذى أصدره المجمع بالتعاون مع منظمة المدن العربية. والمجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية فى الأردن الذى يقوم بدوره العظيم فى خدمة الثقافة الاسلامية

سبب التسمية

قبل أن أخوض في التفاصيل الدقيقة حول أعمال المجمع طلبت من الدكتور الأسد أن يعطي القراء ـ في البداية ـ تفسيراً لسبب تسمية المجمع «بمؤسسة آل البيت» «مؤاب» .. فقال :

انه الاسم الأصلي الذي خطر ببال جلالة الملك الحسين ، وسمو الأمير حسن أن ينسب هذا العمل لما يتبَرك به ، ويتَفاءَل به ، ومن أحق بأن يتبرك به ويتفاءل به من آل البيت الأطهار؟ ولذلك جعل اسم هذا المشروع العلمي اسم مؤسسة آل البيت .

وبالنسبة للشعار الذي وضعناه فقد كان إلهاماً من الله عز وجل . حيث أخذنا الآية الكريمة «إليه أدعو وإليه مآب» . فعملنا هو الدعوة إلى الله عز وجل ، ونحن بإسلامنا نعلم علم اليقين مآبنا ومرجعنا إليه عز وجل في النهاية ، فأخذنا الآية الكريمة «إليه ادعو وإليه مآب» ، ثم أخذنا الحروف الأولى من مؤسسة آل البيت فصارت «مَآب» بفتح الميم وهذا أمر ثان ، ثم إن هذا الجزء من جنوب بلاد الشام أحياناً تضيق حدوده عند بعض الجغرافيين ، وأحياناً تتسع عند بعض الجغرافيين الآخرين ، ويسمى هذا الجزء الجنوبي (مآب) .

لقد كان العامة يلفظونه بضم الميم (مؤاب) لكن الجغرافيين العرب حرصوا على أن ينصوا بأنه بفتح الميم (مآب) ، فجاءت كلمة مآب اختصارا لهذا كله . وتدل عليه دلالة واضحة .

الأعمال والتطلعات

وحول أعمال المجمع وتطلعاته قال الرئيس :

لقد أنجز المجمع الملكي الخطة الأولى لأعماله ، ففصل موضوعاتها وعناصرها ، وقسم أجزاءها ، وأسند الكتابة في كل جزء وعنصر من أجزائها وعناصرها إلى عالم متخصص من كبار العلماء المسلمين الموجودين فى أنحاء العالم .

ولقد بدأت تفد إلينا أعمالهم وبحوثهم للمراجعة ، وسيقوم بها أولا فاحص مبدئي . ثم تقدم هذه البحوث إلى لجان خاصة لتمحيصها والحكم عليها ، وهكذا ترى أن جميع هذه البحوث ستمر بمراحل متعددة من التدقيق بحيث يتوجب الاطمئنان إلى أنها تحقق المستوى المطلوب .

موسوعة الحضارة الاسلامية

ان الخطة الأولى للعمل ذات قسمين : قسم طويل المدى ، وقسم متوسط المدى .

أما القسم طويل المدى فيتألف من مشروعين كبيرين : الأول موسوعة الحضارة الاسلامية . ونحن نأمل أن تصدر في نحو عشرين مجلدا ، وقد يستغرق العمل فيها مدة تتراوح بين عشر سنوات واثنتي عشرة سنة . وقد قامت اللجان العلمية المختصة بهذا الموضوع ، ومجلس المجمع ، والمؤتمر السنوي الأول والثاني بوضع اساليب التنفيذ المختلفة ، وقد قطعنا في التنفيذ أشواطاً تمهيدية حتى الآن ، منها أننا فرغنا على بطاقات باللغة العربية جميع المواد المشتركة بين الاصدار الأول والاصدار الثاني لـ «انسكلوبيديا أف اسلام» «الموسوعة الاسلامية» وهي بالانجليزية

مشروع علمي كبير وأهداف ثقافية طموحة



أحد الاجتماعات للأمير حسن ولى عهد الأردن ، ويبدو فى الصورة الأستاذ عبد الرحمن العتيقى ، الدكتور عبد العزيز كامل ، الدكتور عبد الحميد الأنصارى ، الدكتور أحمد صدقى الدجانى

قطعنا أشواطاً في تفريغ المواد التي هي باللغة التركية ، وسنبدأ قريباً بإذن الله تعالى بتفريغ مواد دائرة المعارف التي هي باللغة الأردية .

وسنرتب البطاقات التي تفرغ عليها هذه المواد ـ أو المداخل كما تسمى باللغة الانجليزية ـ حتى ننفي المتكرر من هذه المواد ، ثم نطبع كل هذا الذي عملناه في كراسات طبعة تجريبية نوزعها في المؤتمر السنوي الرابع الذي سيعقد في شهر ابريل عام ١٩٨٥ ، بإذن الله تعالى على جميع أعضاء المجمع ، حتى يدرسوا هذه الطبعة ويقدموا لنا ملاحظاتهم على المواد وعلى اسلوب العمل ، فقد يضيفون مواد جديدة ، وقد يحذفون من بعض هذه المواد ، وقد يدمجون مادة في مادة . وبعد هذه المرحلة نطمئن إلى أننا قد حصرنا مواد موسوعة الحضارة الإسلامية . بالإضافة إلى هذا العمل التمهيدي قمنا بعمل مكتبي تمهيدي آخر ، وهو محاولة حصر أسماء العلماء المسلمين في مختلف ميادين الحضارة الاسلامية حتى نستطيع أن نستكتبهم في المستقبل ، حينما نشرع في الاستكتاب عبر مواد هذه الموسوعة .

الفهرس الشامل للتراث

أما المشروع الثاني من مشروعات الخطة الأولى من القسم طويل المدى فهو الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي المخطوط المبعثر في أنحاء الدنيا . وقد قطعنا ا يضا أشواطاً كبيرة في تحقيق هذا المشروع ، فجمعنا في المجمع الملكي أكبر مكتبة لفهارس المخطوطات العربية في المكتبات العالمية في العالم كله . وانتهينا من تفريغ كتاب «بروكلمان» بمجلديه الأصليين ، وبملاحقه الثلاثة .

وكذلك انتهينا من تفريغ ما صدر حتى الآن من مجلدات كتاب «فؤاد سيزكين» وعددها تسعة مجلدات ، كل ذلك فرغناه باللغة العربية لأن الأصول مكتوبة باللغة الألمانية على نموذج موحد لبطاقة خاصة . ثم فرغنا أكثر من اثنين وعشرين فهرساً لمكتبات عربية في العالم ، ونأمل ـ ان شاء الله تعالى ـ أن نقدم أيضاً للمؤتمر السنوي الرابع القادم طبعة تجريبية لعلم من العلوم الاسلامية كالفقه مثلا أو كالحديث الشريف أو كعلوم القرآن مما فرغناه حتى الآن ، لكي يبدي العلماء آراءهم في أسلوب العمل ، وفيما يمكن أن يخطر لهم ببال حول هذا العمل حتى نستفيد من هذه الآراء في الطبعة النهائية .

وبعد ذلك نأمل بعد أن نطبعها في فهارس ـ قابلة لأن تضم زيادات فنية باستمرار ـ أن نضعها في خازن للمعلومات «كمبيوتر» وأن نمد من هذا الخازن وصلات (محطات) الى المكتبات والجامعات ومراكز البحث التي تطلب منا مثل هذه المحطات من أجل أن نعمم الفائدة من هذه المخطوطات .

تحديات تواجه المسلمين

أما بالنسبة للمشروعات متوسطة المدى فتجمعها صفة أنها القضايا والمشكلات والتحديات التي تواجه المسلمين والعالم الإسلامي ، ولابد أن نقدم لها التصور الإسلامي أو الحلول الإسلامية الموحدة ، وبدأنا من النظام الإسلامي السياسي بموضوعين لأننا لانريد أن نأخذ الموضوعات العامة حتى لايكون الكلام فيها إنشائياً وخطابياً ، وإنما نريد أن نجزيء الموضوعات العامة إلى أجزاء صغيرة حتى نتعمق في البحث والدراسة .

فأخذنا من النظام السياسي موضوعين أساسيين هما : الشورى في الإسلام ، ومعاملة غير المسلمين في الإسلام.

وأخذنا من الموضوعات الاقتصادية موضوع الإدارة المالية في الإسلام . ثم أخذنا موضوع الفكر التربوي في الإسلام . ونحن نتعاون في هذا الموضوع الأخير مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ومع مكتب التربية لدول الخليج العربية . وهاتان الجهتان استهواهما الموضوع ، وأرادتا أن تتعاونا مع المجمع الملكي ، فرحبنا بذلك أعمق ترحيب . والعمل يسير في هذا الموضوع بالتعاون بين هذه الجهات الثلاث .

حينما قطعنا هذه الأشواط وجدنا من الضروري أن نبدأ بالتفكير في الخطة الثانية ، ولذلك عرضنا على المؤتمر السنوي الثالث الذي عقد في شهر ابريل عام ١٩٨٤ تصورات أولية لأربعة مشروعات جديدة :

المشروع الأول هو إصدار فهرس شامل للمعالم الأثرية من تراثنا العربي الإسلامي . هذه المعالم المبثوثة في أنحاء العالم وقاراته المختلفة خلفها أسلافنا حيثما وصلوا ، وبنوا هناك مبان على النمط الإسلامي من مساجد وتكايا ومدارس وسبل ، بل أحياناً مقابر وأضرحة ومايشبه ذلك . فلابد من جمعها وحصرها وتسجيلها ووصفها وإعطائها أرقاماً تصبح تعرف بها في المستقبل ، وهذه واحدة من مراحل حصر التراث الفني الاسلامي المبعثر في العالم .

أما المشروع الثاني فهو القيام بدراسة ديمغرافية عن المسلمين من حيث دراسة تعدادهم وتوزعهم السكاني . وأحوالهم الثقافية الاجتماعية وما يشبه ذلك .

والمشروع الثالث الذي عرضناه من مشروعات الخطة الثانية هو : التنمية الاقتصادية والإجتماعية في ضوء تعاليم الإسلام . والأمر واضح إذ أن مشروعات التنمية عندنا كلها عليها انتقادات كثيرة جداً ، ويحكم عليها أو على أكثرها بأنها لن تنجح ؛ ومصدر هذا الحكم- في الغالب الأعم- لأنها مستوردة بمفاهيمها وبقيمها ، ولأنها كان المقصود منها أن تطبق على بيئات معينة ، فاستوردت للتطبيق على بيئات ومفاهيم وثقافات وحضارات مختلفة ، ولذلك أصبحت كالنبتة التي أريد زرعها في تربة لاتنمو فيها ، وفي ظل مناخ لا يصلح لها ، ولذلك لابد أن نعرف أنه هناك في ضوء تعاليم الإسلام خطوط رئيسية لتنمية اقتصادية واجتماعية .

والموضوع الأخير في هذه الخطة الثانية هو عن ترميم مخطوطات المسجد الأقصى وبيت المقدس عموماً ، وإقامة دورة تدريبية في المسجد الأقصى لتدريب أربعة من أبناء المدينة المقدسة ، أو من أبناء فلسطين المقيمين في المدينة على ترميم المخطوطات لمدة تتراوح بين أربع سنوات وخمس سنوات ليصبحوا خبراء في الترميم ، يدربون بعد ذلك غيرهم لأننا نعاني نقصاً كبيراً في مرممي المخطوطات ، ومحاولة إصدار دورية لترميم المخطوطات لأنه لايوجد في العالم الإسلامي كله أية دورية تعني بهذا الموضوع .

هذه المشروعات عرضناها على المؤتمر السنوي لتؤدي فيما بينها مشروعات خطة العمل الثانية ، وقد عرضناها عرضاً أولياً ، ونحن الآن في سبيلنا إلى تكوين لجان لدراستها دراسة متعمقة كي تسير دراستها جنباً إلى جنب مع تنفيذ مشروعات الخطة الأولى التي ذكرتها لك .

اختيار أعضاء المجمع

وحول أسس اختيار أعضاء المجمع قال الدكتور الأسد : ان المشاركين في مؤتمرات المجمع ليسوا وفوداً ، وليسوا ممثلين رسميين لجهات معينة أو لبلاد ومؤسسات محددة ، وإنما هم أعضاء في المجمع . فالمعروف أن المجامع تتألف من أعضاء عاملين وأعضاء مراسلين . وبالنسبة لمجمعنا حدد العدد بستين عضواً ، أما الأعضاء المراسلون فغالبا مايكون عددهم مطلقا ، والمجمع الملكي بالرغم من وجوده في عمان الا أنه ليس مجمعاً أردنياً ، وإنما هو مجمع اسلامي يختار أعضاؤه العاملون من جلة العلماء المسلمين في مختلف بقاع الأرض مهما تكن جنسياتهم وألوانهم وعروقهم ، كما أنه ليس للشهادة العلمية قيمة في موضوع الاختيار ، ولكن القيمة هي للمنزلة العلمية ولما يقدمه العضو من آثار فكرية تخدم الإسلام .

ولما سألته عما إذا كان هناك تبادل ثقافي بين المجمع وبين الأوساط العلمية الاسلامية بشكل خاص ، أجابني رئيس المجمع بقوله :

نعم .. التعاون راسخ ومتوسع بيننا وبين الأوساط العلمية في العالم العربي والإسلامي بل والأجنبي . وقد ذكرت لك قبل قليل مثلا واحداً من التعاون على تحقيق مشروع التربية العربية الإسلامية ، إذ أننا نتعاون والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في تونس ، ومكتب التربية لدول الخليج العربي ، ومقره الرياض من أجل اصدار هذا العمل العلمي القيم .

كما أن بيننا وبين عدد من الأكاديميات اتفاقيات تعاون مشترك ، كما هو الحال بيننا وبين أكاديمية العلوم في ازبكستان ، وكذلك بيننا وبين بعض أكاديميات العلوم في الإتحاد السوفيتي ، كما أن بيننا وبين جامعة كمبردج تعاون على اصدار (إندكس اسلامك) وهو من أهم المشروعات لأنه عبارة عن دورية تصدر كل ثلاثة أشهر في مجلد يتضمن تعريفاً ببلوغرافيا لجميع مانشر عن العرب والمسلمين باللغات الاوربية كلها في جميع الدوريات في أوربا ، بالإضافة إلى مايسمى بـ (كارنت بوكس) ونحن نقوم الآن بمتابعة هذا العمل وتمويله ، ومكتوب على الغلاف من الداخل ومن الخارج اسم المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية ، وان العمل يتم بإشرافه ، وبتمويل منه .

عقبات أمام المسيرة

وحول وجود صعوبات أو عقبات معينة تعترض مسيرة المجمع قال الدكتور ناصر الدين :

أريد أن أقتصر في حديثي على صعوبة واحدة فقط دون أن أضيع الوقت في تعداد الصعوبات الأخرى ، فالصعوبة الكبرى والأساسية هي توافر المال الضروري لأن المال هو عصب العمل .. كل عمل عصبه المال وكما ذكرت مراراً وتكراراً ، وسجلت وكتبت ودونت ، وأتحمل مسئولية كل ماذكرت في كتاباتي وأقوالي من أن المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية هيئة علمية اسلامية عالمية غير حكومية ، ومستقلة استقلالا كاملا ، فنحن موجودون في الأردن ، وبرعاية كريمة من جلالة الملك الحسين المعظم ، وبتتبع وعناية من سمو ولي عهده الأمير حسن ، لكن لسنا حكوميين ، نحن لا نتقاضى من حكومة



جانب من اجتماع الشئون الاسلامية : الدكتور عبد العزيز الخياط ، الدكتور كمال أبو المجد ، الدكتور عبد الحميد الانصارى ، الدكتور مصطفى الزرقاء ، الشيخ خليل الحامدى ، والشيخ عيسى بن حمد آل خليفة

المملكة الأردنية الهاشمية إلا منحة سنوية كالتي تقدمها إلى الأندية الرياضية أو الجمعيات الخيرية فقط.

ومع أننا نشأنا في الأردن ، ومقرنا الأصلي في الأردن إلا أن امتدادنا الإسلامي واضح ، لقد اجتمع في مؤتمرنا السنوي الثالث قبل بضعة أشهر ثلاثة وتسعون عالماً مسلماً من اثنين وثلاثين قطراً في أنحاء الدنيا ، وكلهم كانوا في غاية الحماسة وغاية الغيرة ، وفي غاية السرور لوجود مثل هذا المجمع الإسلامي ، ومثل هذه المشروعات العلمية الجادة المخلصة ، ومن أجل هذا لايمكن أن يسير عمل بغير تمويل ، ومن واجبنا أن نضع زعماء الفكر ، وأن نضع ذوي المكانة الاجتماعية ، وذوي المال أيضاً في العالم الإسلامي .. أن نضعهم جميعاً في صورة هذا العمل الإسلامي العام حتى يشتركوا في تقديره ، وفي النهوض به .

اننا من أجل أن نضمن لهذا المجمع استقلاله واستقراره أنشأنا ماسميناه «الوقفية النقدية» وفيها نواة حتى الآن مقدارها مليونان ومئتا ألف دولار أمريكي ، تبرع بهما - أي بهذين المبلغين - محسنان كريمان من أصحاب الغيرة الإسلامية والحماسة العلمية ، شخصان اثنان ، أحدهما تبرع بمليونين والآخر تبرع بمائتي ألف .

- هل من الممكن أن نعرفهما ؟

هما يغضبان جداً حينما تذكر أسماءهما ، وقد استأذناهما في أن نذكرهما في الوثائق الرسمية ، وهما مطبوعان في آخر كتاب «بداية وتأسيس» ولكنني إذا ذكرت الاسمين الآن في الصحافة فإنهما سيغضبان غضباً شديداً لأنهما يريدان أن يحتسبا هذا العمل لوجه الإسلام ، ولوجه الله تعالى .

نحن نأمل بإذن الله أن نصل بهذه الوقفية إلى مبلغ ثلاثين مليون دولار حتى نستثمرها فيكون متوسط الاستثمار سنوياً نحو ثلاثة ملايين دولار ، وهو مبلغ كاف لجميع مشروعاتنا ، ولجميع وجوه الإنفاق عندنا .

وما أظن أن ثلاثين مليون دولار - يعني عشرة ملايين دينار - تعجز أثرياء المسلمين خصوصا إذا فهموا رسالة المجمع ، ووصلت اليهم أنباؤها . ولايزال الخير موجوداً بين المسلمين ، وربما كنا نحن لانعرف الوسيلة الى هؤلاء الناس أو هم لم يعلموا بعد بمثل هذا العمل . ونسأل الله التوفيق .

وقفة شجاعة

عندما عدت إلى مقر إقامتي المؤقت في عمان ، أخذت أتصفح مجموعة الكتب والكتيبات التي قدمها لي رئيس المجمع .. ولا أرى بأسا من أن أذكر بعضها كنموذج لبعض نشاطات المجمع ليس إلا :

- كنوز القدس ٤٩٥ صفحة بالحجم الكبير . بالتعاون مع منظمة المدن العربية ، تنسيق المهندس رائف يوسف نجم .
- موسوعة الحضارة الإسلامية (خطة البحث) مشروع أولي .
- فهرس مخطوطات المسجد الأقصى . اعداد خضر ابراهيم سلامه .
- الفهرس الشامل للتراث العربي الاسلامي (خطة البحث) مشروع أولي .
- فهرس فهارس المخطوطات العربية في العالم (طبعة تجريبية) .
- الإدارة المالية في الإسلام (خطة البحث) مشروع أولي .
- أجدادنا في ثرى بيت المقدس د. كامل جميل العسلي (٣٢٤ صفحة) .
- صور من حياة جلالة المغفور له الملك عبد الله بن الحسين .
- بداية وتأسيس - النظام الأساسي .

هذا .. ويتصدر كتاب «بداية وتأسيس» نص كلمة الملك حسين في حفل افتتاح اللجنة الاستشارية للمجمع الذي أقيم بالعاصمة الأردنية بتاريخ ٣١ من يناير ١٩٨١م ، الموافق ٢٦ من ربيع الأول ١٤٠١ هـ ، والتي جاء فيها :

«إننا لنأمل أن يكون هذا المجمع - بما يعده من بحوث ، وما يقدمه من مشورة ورأي يستنير بهما المسلم المثقف ويستفيد منهما المجتمع المعاصر ، وما يعقده من اجتماعات لجلة العلماء على اختلاف أجناسهم ، وما يقوم بتنفيذه من برامج مدروسة - أداة فعالة لتحقيق أهدافه ، وخاصة : التوصل إلى تصور إسلامي معاصر وموحد لقيم المجتمع ونظمه ، وتنقية الثقافة الإسلامية مما علق بها من شوائب ، وتصحيح المفاهيم والأفكار غير السليمة عن الإسلام والتراث ، والتعريف بالشريعة الإسلامية وتجلية جوانبها المضيئة ، والنهوض بالدراسات والبحوث الإسلامية في مختلف فروع المعرفة الإنسانية ، وإحياء التراث الإسلامي ونشره ، متعاوناً في كل ذلك مع غيره من المجامع ، ومراكز البحوث والهيئات العلمية والجامعات» .

أما بالنسبة لأعضاء اللجنة الاستشارية فنقرأ أسماءهم وهم السادة : الشيخ ابراهيم القطان (توفاه الله) الدكتور احسان عباس ، الدكتور أحمد عبد الستار الجواري ، الدكتور أحمد الكتاني ، القاضي اسماعيل بن علي الأكوع ، السيد أكرم زعيتر ، السيد الصادق المهدي ، الدكتور عباس الجراري ، الشيخ عبد الحميد السائح ، الدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، الدكتور عبد العزيز الدوري ، الدكتور عبد العزيز عزت الخياط ، الدكتور عبد العزيز كامل ، الدكتور عبد الكريم خليفة ، الدكتور عبد الكريم غرايبة ، الدكتور عثمان كنجم ، السيد كامل الشريف ، الدكتور محمد الحبيب بن الخوجة ، الدكتور محمد يوسف نجم ، الدكتور محمود الغول . (توفاه الله مؤخراً) ، الدكتور محيي الدين صابر ، الأستاذ مصطفى أحمد الزرقاء .

وأخيراً .. فإن هذا المجمع العتيد بحاجة ملحة إلى وقفة شجاعة نقفها جميعاً إلى جانبه .. مؤازرين ومشجعين ، ومتعاونين مادياً ومعنوياً .. متضرعين لله عز وجل أن يوفق جميع القائمين عليه لما فيه خير الإسلام والمسلمين ، وليت كل الهيئات والمؤسسات العربية والإسلامية تعرف كيف تحدد أهدافها وتبلورها وتمضي في طريقها لتحققها في صمت ودون ضجيج كما يفعل المركز الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية في اردننا العربي العزيز .

نبيل خالد الأغا

الشاعر والمغني واللص

بقلم : كمال النجمي

عندما سمع كسرى الشاعر العربي يشكو من سهر الليالى قال :
« هذا لص ، فإنه لايسهر الليالى إلا اللصوص » ! !

من شارات الظروف والرقة والذوق الجميل عند بعض شعرائنا ، أن يتغنى المطربون والمطربات بشىء من أشعارهم ، ولكن النادر من الشعراء المطبوعين من تضمن اشعاره من الدلائل الفنية الواضحة ما يقطع بأن الغناء والموسيقى متأصلان فى تكوينه الوجدانى ، وفى نسيج شاعريته ، وصميم حياته ..

وقد يبرع أحد الشعراء فى الضرب بالعود ، أو فى التلحين ، أو أداء الألحان ، او تأليف الأغانى بالفصحى والعامية ، ثم لا تجد فى شعره الدال على شعوره ، ما ينم عن شيء حقيقى رسخ فى وجدانه وحياته من تأثير الغناء والموسيقى وهو إليهما رائح غاد ليل نهار ! ..

ولم يكن الشاعر ابن الرومى ضارباً ولا مغنياً ولا مؤلف أغان ، ولا أتاح له زمانه الصعب أن يشهد فى القصور مجالس الغناء الا نادراً ، وكان يتمشى ليلا يسترق السمع الى مغنيات بغداد على ضفتى دجلة ، تنبعث أصواتهن من نوافذ القصور .. ولكن ابن الرومى فى حالته هذه البئيسة ، كان اشعر من تأثر بالغناء والمغنين والمغنيات ، فيما شهد من مجالسهم ، أو فيما ترامى إلى سمعه من أصواتهم ! .. حسبك قصيدته فى التمدح بالمغنية « وحيد » .. فإنها لا نظير لها فى الشعر العربى .. كذلك قصيدته فى رثاء المغنية « بستان » .. فإن شاعراً لم يقل مثلها منذ وفاة « بستان » .. إلى وفاة « أسمهان » ! ..

فالغناء جزء من التكوين الوجدانى لابن الرومى وان لم يستمتع به فى حياته حق الاستمتاع ..

والغناء « إضافة » طبيعية إلى شاعرية هذا الشاعر لم تنفصل عنها قط ، لأنها من لباب هذه الشاعرية العظيمة ..

وليست هذه الخفقة الموسيقية المضافة بالطبيعة إلى قلب الشاعر ، مما يمكن اكتسابه بالاكثار من غشيان مجالس الغناء وحفلات الموسيقى وتأليف الأغانى للمطربين والمطربات كما نرى فى أيامنا هذه التى أوشك أمر الغناء فيها أن « ينقطع » مصداقاً لقول ابن خلدون فى مقدمته : « أول ماينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه صناعة الغناء » ..

وإنما يقصد ابن خلدون بالعمران ، قوة الأمة ومناعتها وتوافر عوامل البقاء لها بين الأمم التى تتنازع البقاء ! ..

ولا نستطرد فى هذا المعنى ، فإن هدفنا هو الفحص عن أمر ذلك الجزء الهام الغامض الذى يشبه المخ الصنوبرى ، من شاعرية بعض الشعراء ، ونعنى به الطبيعة التى تمَوسق وتغنى فى وجدانهم ، فيتجلى عملها الفنى فى ثنايا أشعارهم ..

وقد ضربنا المثل بابن الرومى ، ولم يكن وحده فى عصره ولا قبل عصره .. أما فى عصرنا الممتد بين محمود سامى البارودى وبيننا ، فلدينا شعراء من هذا الطراز النفيس ، تتفاوت مواهبهم ، ونجتزئ هنا باثنين كبيرين هما أحمد شوقى وعلي محمود طه ، أشعر الكلاسيكيين ، وأشعر الرومانسيين ..

إن « شوقى » هو الشاعر ذو الطبيعة الموسيقية الذى جرى الغناء على لهاته حتى فى قصائد الرثاء ، فقال من قصيدته الفريدة فى رثاء الصحفى المصرى الوطنى أمين الرافعى :

كم إمام قَربتَ فى الصف منه
وَمغَن قَعدتَ منه « رَسيلاَ »
تنشد الناس فى القضية « لحنـا »
كالحوارى رَتـلَ الإنجيـلا

هكذا اختار شوقى بموسيقية طبعه التلقائية كلمة « مغن » بدلا من كلمة « زعيم » مع أنه يقصد الزعيم ، ثم جعل للمغنى الذى هو الزعيم .. « رسيلا » .. أى مساعدا يردد اللحن وراءه كما يردده أفراد « البطانة » أو « الكورس » .. ثم رفع هذه الصورة الى درجة أعلى حين شبه نشيدها بنشيد الحواريين ! ..

وفى رثائه للمطرب الشيخ سلامة حجازى ، يرسل الدمع عليه ثم يحدثه ويسائله عمن سبقه من المغنين والملحنين والعازفين الى الدار الباقية :

كَيفَ « إخوَاننَا » هنَاكَ على الكَو
ثَر ، بَينَ الصباَ وبين القَبول

الشاعر والمغني واللحن

كيف في الخلد ضَرب أحمدَ بالعو
د ، ونَفخ الأمين في الأرغول
فَرحٌ كله النعيم وعُرس
كيف عثمانَ فيه ، كيف الحَمولي ؟!

فسلامة حجازي ذاهب الى إخوانه وإخوان شوقى من المغنين واالملحنين والعازفين الذين جمعتهم وشوقى وسلامة ، أخوة الفن ثم رحلوا ولكنهم ثابتون في وجدان الشاعر ، فلم يفارقه « أحمد » ضارب العود ، ولا « أمين » نافخ الناي ، ولا « محمد عثمان » الملحن المبدع ، ولا « عبده الحمولي » سلطان الطرب الذي رثاه شوقى قبل سنوات من رثائه لسلامة حجازى ، فقال :

رب ليل أغَارَ فيه القمارى
وأثار الحسانَ من أقماره
بصَباً يذكر الرياض صِباه
وحُجاز أرق من أسحاره
يَسمع الليل منه في الفجر ياليل
فيصغى مستمهلاً في فراره

هنا تتحول المرثيات إلى ذكريات عن الغناء وأصحابه ، وقد بقى في مسمع شوقى على تقادم العهد ، غناء الحمولى في نغمة الصبا ونغمة الحجاز ، وكلتاهما من النغمات ذات الأرباع الصوتية الباعثة للطرب ! ..

فانظر كيف اجتمعت نغمتا الصبا والحجاز ، مع الحزن والدمع ، في وجدان الشاعر وهو في مقام الرثاء ، لا في مجلس الطرب ! ..

وتجرى المائية الموسيقية من طبع شوقى إلى شعره الحماسى والسياسى ، فيقول عند إلغاء الخلافة العثمانية :

عَادت أغانى العرس رَجعَ نواح
ونُعيت بين معالم الأفراح

إن « الأغانى » التى تنقلب نواحاً ، لهى أشد الفواجع الشعرية في وجدان هذا الشاعر ذى الطبيعة الموسيقية والتكوين النفسى الغنائى ! ..

ويقول في معرض تمجيده للثوار السوريين سنة ١٩٢٥ :

رواة قصائدى قد رتلوها
وغنوها الأسنةَ والنصالا

فالمجاهدون ضد الاستعمار الفرنسى ، يغنون لأسلحتهم المتواضعة من الرماح والنصال ، شعرَ شوقى شاعر العروبة والإسلام ، الصارخ في وجه الاستعماريين من انجليز وفرنسيين وطليان .. لأن شعره غناء الأمة العربية في فرحها وحزنها :

كان شعرى الغناءَ في فرح الشرق
وكان العزاءَ في أحزانه

ولو ذهبنا نستقصى ثمرات الطبع الموسيقى في شعر شوقى لأعيانا الاستقصاء ، لكن الذى لا يعيينا هو الاستمتاع بصياغته الموسيقية الفريدة في شعره كله ، بما فيه شوقياته الصغيرة التى نظمها للأطفال .. دعك من مسرحياته فإنها خالصة لوجه الموسيقى ، وقد امتلأت مسرحية « مجنون ليلى » ــ وهى مأساة أو تراجيديا في تقدير النقاد ــ بالغناء ، من ستارها الأول إلى ستارها الأخير ، كأنما نظمها شوقى لتكون « أوبريت » تتغنى المجموعات فيها والأفراد ، ولم يكن ليفعل غير ذلك وهو الشاعر المفعم الوجدان بالغناء ! ..

إن ليلى العامرية في هذه المسرحية « أغنية » تتردد في البيد :

ليلى .. انظرى البيد هل مادت بأهلها
وهل ترنم في المزمار داود
ليلى .. نداء بليلى رَن في أذنى
سحر لعمرى له في السمع ترديد
ليلى تردد في سمعى وفى خلدى
كما تردد في الأيك الأغاريد

وحاوى الإبل يرفع عقيرته وراء القافلة في الصحراء :

جلاجل في البيد شجية الترديد
كرنة الغريد في الفنن الرطب
أناحَ أم غني أم للحمَى حنَّا
جُلَيْجِلُ رَنا في شعب القلب

والغريض المغني المعروف بين الأوائل من مطربى العصر الأموى ، ينبعث حياً في هذه المسرحية التى يفترض وقوع أحداثها في زمن معاوية بن أبى سفيان . ولم يكن الغريض عهدئذ قد صار « مغنى الحجاز وشادى العرب » كما يصفه شوقى في المسرحية على لسان بعض الشخوص ، بل كان صبياً صغيراً ، وقد زاده شوقى وصفاً بقوله :

وأذن المغَنى تحس النسيمَ
وتسمع في الكأس جَرَسَ الحَبَب

قال لى الموسيقار محمد عبد الوهاب في بعض حديثه : « أعجبنى جداً هذا البيت ، كأنما قاله شوقى عنى ، فأردت تلحينه مع الأبيات التى تسبقه وتتلوه فإذا هى أبيات مغرقة في الحزن ، فانتقلت إلى ما بعدها فلحنت قصيدته التى قالها على لسان قيس ، وأولها :

جبل التوباد حياك الحيا
وسقى الله صبانا ورعى

وقد جاءت هذه الأغنية من بدائع عبد الوهاب ، حتى عاتبته أم كلثوم لأنه لم يعرضها عليها قبل أن يغنيها لتنفرد هى بغنائها ..

وليست أغنية عبد الوهاب وأم كلثوم هنا استطراداً على طريقة أبى الفرج الأصفهانى وأستاذه نفطويه ، وإنما هى من صميم الكلام عن شوقى الذى كان الشاعر المغنى ، والمغنى الشاعر ، وباعث الغناء عند المغنين والمغنيات ..

إن طرب المغنى الذى يتجلى في شعر شوقى ، ليس من قبيل الظواهر الأسلوبية أو اللغوية ، ولا من الحنكة والمرانة في استعمال بحور الشعر ، وانما يجيء الطرب من عمق الحركة الموسيقية في نفسه الشاعرة .

والطبيعة الموسيقية عنده لا تتجلى في كثرة كلامه عن الغناء والمغنين ، وإنما جيشان شاعريته بما انطبع فيها من الغناء والموسيقى .. وإنك لتجد بعض هذا في أشعار الأمم لا في شعر الأمة العربية وحدها .. حتى في الشعر الدرامى ، كمسرحيات شكسبير التى لاخفاء بها على أحد من الدارسين أو المتفرجين ! ..

ولغة شوقى في الشعر ذات دلالة واقعية ينسدل خلفها ستار ميتافيزيقى شفاف .. ولن تجد في الفن والأدب ــ ولا في الكثير من العلوم ــ شيئاً كبيراً أو صغيراً ليست له « خلفية » مثالية أو ميتافيزيقية ، فلا يعاب الشاعر حيث لا يعاب الكثيرون من العلماء الماديين .



أحمد شوقى



على محمود طه

وقد تتبع بعض النقاد معجم ألفاظ شوقى ، ولا نجاريهم ، ولكنا نلاحظ أنه كما تتبادر كلمات السيف والرمح والليل والترس والخيل والحرب ، إلى لسان أبى الطيب المتنبى ، تتبادر إلى لسان شوقى ــ عفوياً ــ كلمات دالة على الموسيقى الظاهرة او الخفية .. فالموسيقى فى شعره رمز وحقيقة ، وهى فى جوهرها شعر قائم فى وجدانه على نظام خاص ينقاد إليه بطبيعته التى لا ينفصم فيها الشعر عن الموسيقى ، وترتبط عنده بالعالم كله وما يحتويه من حياة وموت وفرح وحزن وسلام وقتال ، وإنسان وحيوان ونبات ، وكل موجود وموعود بالوجود ..

وبهذا كله أسهم شوقى بنصيب كبير فى تحديد معالم « علم الجمال » فى الشعر العربى .. وهو العلم الذى لو أسعده الحظ لسلك طريقاً مستقلا لا يكون فيه طفيلياً على الشعر الأوربى وواضعى نظرياته الجمالية والنقدية .

وقديماً جداً .. فى بكرة الصبا .. كان شيخنا أبو حاتم الرازى يقول لى فى كتابه « الزينة » الذى فرغ من تأليفه قبل ألف سنة :

« الغناء غير الشعر ، وإنما يسَمى منه غناءً ما كان فى الرقيق والتشبيب بالنساء ، ويقصد بذلك المعنى فقط .. وللشعر فنون كثيرة غير الغناء ، وإن النبلاء من الناس الصالحين قد أنشدوا الشعر وقالوه ، وهو أدب لهم ورفعة لمنزلتهم ، ولايجوز أن يقال إذا أنشدوا الشعر وقالوه : فلان مغن ، او قد غنى .. والفرق بين الشعر والغناء بين ، وقائل الشعر ومنشده بعيد من صفة المغنى » ! ..

قلت للشيخ أناجيه من وراء مئات السنين :

ــ لا أحد يزعم أن الشاعر هو المغنى لا فرق بينهما ، ولكن الشاعر الذى يكمن الغناء فى جوهر فطرته وموهبته ، هو الشاعر الذى يجمع حين تنطلق شاعريته ، معانى الشعر من أطرافها وإن لم ينبس بلحن أو يشد الرحال فى طلب مجالس المغنيات والمغنين ..

ومثل هذا الشاعر قادر على التحليق فى كل اتجاه شعرى ، والارتفاع إلى آفاق الشعر الدرامى ، فلم يكن شكسبير ــ أشهر شعراء الدراما ــ إلا صاحب وجدان غنائى ، ولو كان صفر اليدين منه لعجز عن نظم الشعر الجيد ، وقصر كل التقصير فى تراجيدياته وكوميدياته .

قال الشيخ الرازى :

« .. فإنى لم أسمع بشكسبير هذا ، ولكن الشاعر العربى فى الجاهلية كان يساوى المغنى عند العجم فى معناه الذى اقتصر فهمهم عليه .. يقال إن الأعشى وفد على كسرى فسأل حاشيته : ما صناعة هذا العربى ؟! .. قالوا : مغن ! .. فلما وقف الأعشى بين يدى كسرى ينشده ، قال فى مطلع قصيدته :

أرقت وما هذا السهاد المؤرق
وما بى من سهد وما بى معشق

فلما نقل المترجم كلام البيت إلى الفارسية ، صاح كسرى مغضباً : « إذن هذا لص ، فإنه لا يسهر الليالى إلا اللصوص » ! .. وإنما جهل كسرى معنى كلمة « شاعر » ومعنى ما أنشده الشاعر ، لأنه لم يكن يعرف إلا كلمة « المغنى » .. ولم يكن فى أمة العجم شعر ولا شعراء ، وكان الشاعر عندهم هو المغنى ، فإذا سهر الليالى انقلب لصاً فى رأى كسرى » ! ..

قلت للشيخ :

ــ إن معانى الشاعر والمغنى والعاشق واللص تختلط عند تراجع العمران ، ولو قلت لبعض قومنا الآن : « هذا شاعر » .. لقالوا : « إذن هو مغن » .. أو قالوا : « إذن هو لص » .. وربما قال أمثلهم وأكثرهم حكمة وعلماً ببواطن الأمور : « إذن هو مؤلف للأغانى » ! ..

ثم إن طيف الشيخ غادرنى متَحزناً على ما صار إليه الشعر والشعراء ، فقلت فى نفسى :

ــ لا بأس بالناس من طول ومن قصر فى فهم الشعر وتقدير الشعراء ، فإن الناس معذورون على كل حال ، وقد شفيت نفسى بالحديث عن « شوقى » وكيف كان الشعر ينبع من جوهر الغناء فى وجدانه ، ولكنى لم أستطع القيام بحقه ، ولو حاولت ذلك لوجب أن أخوض فنون الغناء والشعر فى الشرق والغرب .. « وليس عندى وقت » يتسع لهذا العمل الجسيم ، على حد تعبير ساخر قاله الدكتور زكى مبارك قديماً فى جريدة « البلاغ » حين عرض عليه بعض أصحابه مداعبين أن يلقبوه « كاتب الشرق » نكاية فى طه حسين الذى كان لقبه « عميد الأدب العربى » .. فقال زكى مبارك ضاحكاً : « ليس عندى وقت » .. قال أصحابه : لماذا ؟! .. قال : « لأن هذا اللقب يقتضينى منافسة أدباء الصين والهند واليابان والترك والفرس .. وليس عندى وقت » ! ..

أما نحن فنقول ــ وإن لم يعرض علينا احد لقباً من الألقاب ــ ان الوقت لذو سعة ، ولكن المجال ضيق .. وقد تحدثنا عن شوقى ، وما تحدثنا بعد عن علي محمود طه ، لأنه يستغرق مقالا بحاله ! ..

وما ظنك بشاعر سيضطرنى إلى الكلام عن الأوبرا والسوناتا والكونشرتو وموسيقى الصالون والقصيد السيمفونى ورقصات التانجو والفالس والبولكا والمازوركا .. فضلا عن الغناء العربى وأوله مقام الراست الذى تولى تأصيله اسحاق الموصلى وسماه « المطلق فى مجرى الوسطى » وقسمه على عوده ذى الأوتار الأربعة ، ولم يكن لعوده وتر خامس كعود زرياب فى الأندلس ! ..

إن شعر علي محمود طه ، كوكب يضج فى مداره بالموسيقى والغناء والإيقاعات الراقصة .. موعدنا معه اللقاء القادم إن شاء الله ! ..

كمال النجمى

من روائع
الفن العالمي

البائعة الصغيرة

كان عصر النهضة الايطالى أو العصر الذهبى فى الفن الأوروبى ـ كما يطلق عليه المؤرخون ـ بمثابة الشعلة التى أنارت بصائر الفنانين .. وأثارت خيالاتهم ووجدانهم فى كل مكان .. ولاسيما فى بلاد الشمال وأسبانيا وفرنسا وألمانيا وانجلترا . وكانت فى كل هذه الدول نهضات ، منها ماكان (نهضة مبكرة) فى القرن الخامس عشر كما حدث فى ايطاليا ودول الشمال (الأراضى المنخفضة وخاصة هولندا) ، ثم تحولت عصور النهضة هذه فى أواخر عهدها إلى ما يعرف بطراز النهجية ، أى النسج على منوال الرواد الكبار ، والانغماس فى التقليد بنفس أساليبهم ونهجهم ، ورأينا فى حلقات سابقة كيف ظهر فن (الباروك) فى القرن السابع عشر ثم طراز (الروكوكو) فى فرنسا فى القرن الثامن عشر .

• • وفى أسبانيا ظهر فن الباروك فى آخر القرن السادس عشر واستمر حتى أواخر السابع عشر .. وظهر فنانون عظام من أمثال زورباران وفيلاسكويز (الذى تحدثنا عنه فى العدد الماضى من الدوحة) ، وموريللو .. وهو فناننا فى هذا اللقاء ..

ونلاحظ أن الفن الأسبانى يحظى بمكانة رفيعة فى التاريخ منذ أوائل القرن السابع عشر بالرغم من أن أسبانيا قد وصلت إلى كونها قوة سياسية واقتصادية عظيمة فى القرن السادس عشر .. ولكن انتاجها فى الفن لم يصل إلى هذه الدرجة آنذاك . وجاءتها القوة الدافعة من الخارج كالفن الايطالى والفن الفلمنكى وبذلك تكون الفن الأسبانى مستمداً مناهله من هذه الجذور الأوروبية الأصيلة .

ويعتبر موريللو (واسمه الكامل : بارتولومى استيبان موريللو) من أشهر الفنانين الأسبان الذين عرفوا فى التاريخ ، وقد تفوق بصفة خاصة فى رسم الأطفال المشردين وحياة الفلاحين والطبقات الكادحة الفقيرة .. ولا يجب أن نحكم على لوحاته أو أن نقيمها بنظرتنا وحياتنا الحالية ، ولكننا إذا عدنا إلى القرن السابع عشر لوجدنا أن هذه النزعة فى معالجة موضوعاته ،ولجوءه إلى رسم الطبقات الكادحة تمثل اتجاها جديداً وظاهرة فريدة فى عصره .

• • ولد موريللو فى مدينة سيفيل Seville فى أول يناير ١٦١٨ ومات بها فى الثالث من يناير ١٦٨٢ . ولم يغادر مدينته هذه إلا فيما بين عامى ١٦٤٥ ، ١٦٥٠ حيث أقام بمدريد فى تلك الفترة . وكانت اهتماماته الأساسية هى اللوحات الدينية للكاتدرائيات والكنائس الأسبانية . وقد رسم أولى هذه المجموعات الدينية فى عامى ١٦٤٥ و١٦٤٦ ، وكانت مؤلفة من إحدى عشرة لوحة ، صارت منطلقاً لشهرته كفنان مرموق .. وقد تأثر بكثير من الفنانين الأوروبيين ولاسيما بفنانى بلاد الشمال مثل (فان ديك) و (روبنز) ، ومن الطبيعى أن يتأثر فى بدء حياته بالفنانين الكبار من مواطنيه من أمثال (زورباران وريبيرا) ، كما شغف كذلك بروائع عصر النهضة الذهبى الايطالى فى القرن السادس عشر .. ومن كل هذه المناهل والأساليب .. استطاع أن يخرج على عالم الابداع الراقى بأسلوبه المميز .. ولذلك رأى معظم مؤرخي الفن أن النهج الفنى لموريللو ذو ملامح أوروبية أكثر منه اسبانى . وظل فناننا يوالى روائعه عاماً بعد عام .. وفى سنة ١٦٦٠ أسس أكاديمية الفنون فى مدينته سيفيل وانتخب مديراً لها ، وخرج على يديه المئات من شباب الفن الأسبانى والأوروبى الذين قصدوا تلك المدينة الصغيرة الوادعة ليتتلمذوا على يد موريللو العظيم . ومنها هذه اللوحة التى يراها القارىء على الصفحة المقابلة والتى عرفت باسم : بائعة الفاكهة وقد رسمها موريللو فيما بين ١٦٧٠ و ١٦٧٥ . وقد تناولها الباحثون بالشرح والتحليل بما لا يتسع له مجالنا المحدود .. فلنتأمل اسمال البائعة الصغيرة وانهماكها فى عد نقودها فى كفها باهتمام وبراءة ومسئولية ..

ولنتأمل نظرة شقيقها الأصغر وبسمته المرحة اللامبالية .. أما الخلفية الداكنة فقد سلطت التركيز على التعبير السيكلوجى فى قسمات الوجه وأظهرت الفاكهة المبعثرة أمامهما بتناغم ضوئى وتوافق لونى معجز .. إنه موريللو .. أحد القمم الشامخة فى تاريخ الابداع !

ج . ق .



البائعة الصغيرة .. إحدى روائع «موريللو».. رسمها فيما بين ١٦٧٠ و ١٦٧٥ م

المؤرخون في القرن الرابع الهجري

المسعودي ينقل التاريخ لمرحلة جديدة

بقلم: أحمد العناني

قبل الدخول فى عصر النضج الحضارى فى القرن الرابع للهجرة، وهو القرن الذى تصالح علماء الاستشراق على اعتباره بحق قرن القمة فى النضج الحضارى للثقافة العربية الاسلامية ينبغى إبراز بعض المشخصات الأخرى لحركة التأريخ أو التأليف التاريخى لحضارتنا هذه منها مثلا اصرارنا على عبارة التاريخ بدلا من القصص أو الحكايات أو أخبار الماضى كما كان كثيرون ومنهم الاغريق يشيرون الى التاريخ وعمليات تدوينه. إنه عندنا «تأريخ» لأنه كان مربوطاً بأحداث الأزمنة المعنية، ومن هنا يرد تاريخنا الكلاسيكى على شكل حوليات كما فعل الطبرى مثلا، فلكل سنة أحداثها ولتلك الأحداث رواة، وعلى المؤرخ مسئولية الرواية، وتمحيصها ومعرفة دوافع راويها إن كانت له دوافع.. وظلت تلك طريقتنا التقليدية الى نهاية القرن الثامن عشر، ومن يشأ فليقرأ على سبيل المثال كتاب ابن بشر أو ابن غنام عن أخبار الجزيرة العربية فإنه سيجد متابعة للسنة بعد السنة والتزاماً برواية الأحداث حسب نسبة وقوعها لسنين معينة..

وهذا هو المستفاد من كلمة «تأريخ» فيما عبارة «هستورى» History تمت إلى معنى القصة باعتبار التاريخ مجموعة قصص كما فهمه الأوروبيون إلى ما بعد عصر ابن خلدون، أو عصر النهضة الأوروبية.

تلك واحدة، فأما الخصيصة الأخرى التى يشير لها كاتب مادة التاريخ فى الموسوعة البريطانية فهى أن المؤرخين المسلمين امتازوا عن العالم كله بتقييم الشخصيات على أسس انسانية دون القيم والاعتبارات الاجتماعية، لقد اشتغلوا بتاريخ الدول وسير الملوك كما اشتغلت الأمم كلها، لكنهم عنوا أكبر العناية بالشخصيات التقية الزاهدة من أولئك الملوك، فلم يحدث فى تاريخ المسلمين أن نال ملك أو خليفة متنفذ نظير الخطوة التى نالتها سيرة عمر بن الخطاب أو عمر بن عبد العزيز. واذا قارنا مثلا اهتمام المسلمين بعمر بن عبد العزيز الذى حكم سنتين وبضعة أشهر باهتمامهم بتاريخ عبد الملك بن مروان الذى يعتبر المؤسس الثاني لدولة الأمويين والذى حكم حوالى عقدين من الزمان فإننا نلاحظ أموراً مذهلة، اذ لا يمكن أن يقاس عبد الملك فى هذا المضمار بالحظ العظيم الذى ناله عمر، ذلك بأن للمسلمين طريقتهم التى لا يحيدون عنها فى تقييم الرجال فأكثرهم تقوى هو الأحب إليهم وهو واجب تمليه مسئولية المثول أمام الله فى اليوم الآخر، فإن هوى المؤمن هو مع الله والله تعالى هو الحق فمن كان، على أحسن ما يستطيع الناس الحكم، أقرب الى الله كان الأحق بالتقدير..

الموسوعية والتبحر ومؤرخو القرن الرابع

وهناك خصيصة ثالثة للمؤرخين المسلمين ألا وهى الثبات فى المعرفة والمفاداة بالعمر وبكل سعادة فى الحياة من أجل السعادة الأكبر ألا وهى الاخلاص فى نشدان الحقيقة وخدمتها، والمسلمون فى هذا مدينون جداً لطبيعة دينهم الذى يعتمد الحق والنتائج الحقة التى ينهض على أحقيتها براهين عقلانية محضة وقد وعد الذين يسددون القول ويتقون الله فى الكلمة صلاحاً من الله لأعمالهم وأقوالهم وتكفيراً عن سيئاتهم.

ومن هنا جاءت حقيقة كون المسلمين من أكثر شعوب الأرض تبحراً واحتمالا للمسئولية مهما بلغ الجهد، وهم أساتذة العالم فى قواميس الأعلام، وطبقات الصحابة والصالحين، وخطط وتواريخ الحواضر والمدن الكبرى والمعاجم بكل انواعها وصنوفها، على أنه من الواجب التنبيه الى أن القرن الرابع إنما شهد بداية هذه الحركة الموسوعية التى ظلت فى تصاعد كما سنرى لاحقاً، وقد انخرط فى عملية البحوث الموسوعية رجال من سائر الأديان فى أرض الخلافة. فقد اشتغل سعيد بن البطريق المتوفى فى ٣١٧ للهجرة (٩٥٩ م) ـ وكان فعلا أحد بطاركة الاسكندرية ـ بكتابه المعروف بـ« التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق»، وقد اتخذ هذا المصنف أهمية خاصة فوضع الكثيرون له شروحاً وتذييلات من أشهرها تذييل ابن سعيد الأنطاكى فى القرن الخامس للهجرة وفى عام ٤٥٦ هـ على التحقيق، وحيث كان ابن البطريق يلقب بأوتيخا فإن تذييل الأنطاكى عرف باسم «سلة كتاب أوتيخا».

ومن التوصيلات والذيول أيضاً فى القرن الرابع «صلة تاريخ الطبرى» التى مد بها عريب بن سعيد القرطبى نهاية تاريخ الطبرى على نفس النسق والمنهج تسعاً وعشرين سنة أخرى لتنتهى أحداثه عام ثلاثمائة وعشرين للهجرة بدلا من مائتين واحدى وتسعين، وبذلك دخلت أحداث عصر الخليفة المقتدر فى ذلك السجل التاريخى الكبير.

وعلى ذكر الوصلات والتذاييل فان

الجهشياري المعروف بابن عبدوس والذى كان مبتدع سنة التأريخ للوزراء والكتاب ، قد وجد من يقلده ويواصل الكتابة فى سيرة وزراء الدولة العباسية كالهلال بن المحسن الصابى المتوفى عام ٤٤٨ للهجرة واضع كتاب « تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء » وقد مد فيه نهاية كتاب الجهشيارى الى عام ٣٩٣ هـ وكان الجهشيارى من جملة من مال عليهم ابن الأثير صاحب الكامل فأخذ منه كما أخذ من الطبرى الشيء الكثير ..

المؤرخون التحليليون

إن جميع من أشرت لهم من مؤرخى القرن الرابع هم مؤرخون تقليديون فتكاد حين تقرأ فى مؤلفاتهم لا تحس بأنك خرجت من جو الطبرى أو البلاذري .. لكن هناك فئة أوجدت فيها التركيبة الحضارية المتقدمة للقرن الرابع للهجرة أشكالا ومضامين مختلفة تماماً . إنهم مؤرخون تحليليون يشعرونك بأنهم يقتربون من التاريخ وفى أذهانهم تعميمات وقناعات معينة يتحرون أن يجدوا لها تصديقاً فى ثنايا الأحداث ، لذلك فهم يقلبون المحدث ويقارنونه بمثيله ويضاهئونه بعكسه ونقيضه للوصول إلى تعميم أو على الأقل نظرية تحتل الثبوت أو البطلان بعد التمحيص .. وانك لتشعر بحرارة مساعيهم تلك من ثنايا سطورهم .. خذ لك على سبيل المثال « ابن الطقطقى » صاحب كتاب « الفخرى فى الآداب السلطانية » إنك تحس فى إيراد الرجل للحديث وكلامه عنه أنه متلهف للوصول الى إثبات لنظرية محددة حول طباع الملوك وسرعة تشككهم ، وحاجتهم لارضاء الناس أحياناً على حساب مساعديهم ، كما أنه يتحدث بما يشعر بفهمه للمعنى الدقيق لرجل الدولة وكونه شيئاً مختلفاً عن صاحب دعوة ينادى بها ولا يسعه أن يجامل فيها ، ولقد يحسبه المرء متشيعاً ولكنه فى الحقيقة لا يعطى بمناقشاته الهادئة فرصة لأى اتهام متسرع له .. إنه يحب آل البيت فى حدود المنطق والنقاش الهادىء دون انغلاق فى حواسه أو اصرار على عدم تقليب الأمور بالمواجهة والمشافهة .

وانك لتستشعر عقلانية العصر ، وتركيبة العقل المثقف حين تقرأ فى كتاب «الأوراق» المؤرخ أبى بكر محمد بن يحيى الصولى المتوفى سنة ٣٣٥ للهجرة (٩٤٦ م) وكان فيما يبدو يخفى مجوسيته ان كان لهذه التهمة أساس وقد تتلمذ عليه بعض أبناء الخلفاء كالراضى بن المقتدر . ان هذا الكتاب ليس تأريخاً بقدر ماهو تعليق على التاريخ ومحاولة للتبصر فى روابط الأحداث .

المســـــعودي

لقد قصدت تأخير الحديث عن المسعودى لأنه يشكل مدرسة متكاملة نقلت مهمة التاريخ نقلة كاملة من مفهوم « التدوين » الأمين الملتزم إلى مفهوم « الرؤية المستنيرة عبر الأحداث » للتوصل إلى قدرة أفضل فى فهم أحوال الدنيا ومسيرتها ومصائر الأمور فيها . ولابد أن صاحب كتاب « مروج الذهب » المتوفى قبيل منتصف القرن الرابع للهجرة (٣٤٦ هـ) كان يتمتع بعقلية نفاذة وذكاء متقد ، فأنت تلمح بين سطوره أحياناً ما يكاد يرقى الى مستوى ابن خلدون أو حتى المقريزى اوائل القرن التاسع .. إنه رجل يروى الأحداث وهو يعتقد بأنها مترابطة وأنه يسري عبرها سنة لا رد لها ولا رفع .

والواقع إن « مروج الذهب ومعادن الجوهر » الذى كان أول المتنبهين لقيمته فى عصرنا الحديث مستشرقان فرنسيان قبل حوالى نصف قرن من تاريخ تحقيقه ونشره فى القاهرة عام ١٣٤٢ للهجرة (حوالى ١٩٢٤ م) ، الواقع أن هذا الكتاب لم يعط حقه من الاهتمام لا على مستوى الجامعات العربية ولا على مستوى الأجهزة الثقافية الأكثر شعبية .

إن أهمية هذا الكتاب هى فى العناية المبكرة الفائقة التى يظهرها مؤلفه أبو الحسن علي المسعودى بمختلف الأحوال الاجتماعية ، وأحوال الناس العامة باعتبارها مكوناً أساسياً لا فى تدوين التاريخ ولكن كوسيلة لفهمه . صحيح أن هذا الكتاب الذى ينتسب مؤلفه إلى الصحابى الجليل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لم يخرج فى الشكل الخارجى عن الطريقة التقليدية فى بداية التاريخ بآدم عليه السلام ، لكن المحتوى مختلف تماماً عن الطبرى وسواه ، اذ أن فكر المسعودى مسلط دائماً على تحليل الحدث التاريخى ومحاولة الاستئناس بمبررات مسوغة لوقوعه من النواحى الاجتماعية والاقتصادية ، ولعل من الدلائل الأخرى على عبقرية المسعودى مجرد اختياره الكتابة فى موضوع القرامطة وعلاقتهم بالدولة العباسية فى كتابه الموسوم بـ « التنبيه والإشراف » .

وربما لنا عودة إلى المسعودى ان شاء الله لدى بحثنا فى عمالقة المؤرخين الاجتماعيين كابن خلدون والمقريزى ، وقبل ان أختم هذه المقالة لابد لى ، وأنا فى صدد القرن الرابع للهجرة ، أن أشير الى مؤرخ مرموق آخراً وهو ابن مسكويه الذى سمي مؤلفه « تجارب الأمم » ولم يسمه تاريخ الأمم والملوك » مثلا علماً بأنه أراد به فيما أراده تتمة أحداث الطبرى الى سنة ٣٦٩ للهجرة ، وكان سبب التسمية اهتمامه بالحوادث الاقتصادية والاجتماعية وما يظهره من دلائل على تفهمه العميق للعامل الاقتصادى وخطورته فى تشكيل الحياة الانسانية ومسئوليته الكبرى عن سير أحداثها .. ومن مزايا ابن مسكويه أنه توسع وفصل فى تاريخ البويهيين حيث ان المصادر عنهم بمثل أسلوب ابن مسكويه تكاد لا تكون موجودة .

كذلك يمتاز هذا القرن بمجموعة من الكتاب الذين حصروا أنفسهم فى تاريخ الأحداث المصرية كالحسن بن زولاق الذى ارخ للاخشيديين وامتد به العمر الى ما بعد قيام الدولة الفاطمية بمصر حيث كانت وفاته عام ٣٨٦ هـ ويعرف كتابه باسم « فضائل مصر وأخبارها وخواصها » . وربما كان أفضل كتاب وصف دخول الفاطميين الى مصر . وهناك مؤرخون آخرون وقفوا عند التاريخ لمصر وأحوالها مثل الشابشي صاحب كتاب « الديارات » وعز الملك محمد بن أبى القاسم صاحب المطول المعروف بتاريخ مصر وقيل إنه حوى ثلاث عشرة ألف ورقة أو ضعف ذلك بالصفحات .



أصبحت المرأة الحديثة تعانى من وطأة الفراغ الداخلى لوجود تصادم بين جيلين من النساء : الأم والبنت !

ظاهرة جديدة في الحياة الأوربيّة

الحُبّ المفقود

بين الأمّهات والجيل الجديد من البنات!

نادية يوسف

- العبارة التي زرعت الفوضى في دولاب الاستقرار العائلي!
- نحن نظلم المرأة الحديثة عندما نطالبها أن تكون صورة طبق الأصل من أمّها!
- الأمّهات الصغيرات يعتبرن الأمّهات الكبيرات موضة قديمة ، وبذلك تضيع منهن فرصة الاستفادة من التجارب العظيمة!



مازالت الأمهات الصغيرات فى أوربا غير مستعدات لتحمل مسئوليات حياتهن ، لأن الخوف يملأهن ويبعدهن عن الاختيار الخاص !

.. الأم والبنت .. الأصل والصورة .. كيف خلقت الأم جيلا فى صمت المعاناة .. وامتلأ فمها بعبارات الحب رغم ذلك ؟ .. ولماذا ازدحمت السبل تحت قدمى البنت وصولا الى حب مستحيل .. ونجاح غير مؤكد .. لتتحول الكلمات على لسانها الى طلقات نارية .. أو الى لحظات بكاء ودوار ؟! ..

.. وعلى الرغم من انتشار هذه الظاهرة فى معظم أنحاء العالم .. جيل الأمهات .. وجيل البنات .. فإن المتفرجين لازالوا يجلسون على الحياد السلبى .. يؤيدون رفض البنات المطلق لكل ما هو عادى وتقليدى .. فى عبارة متمردة .. « نحن لا نقلد .. ولا وصاية لأحد علينا .. ولسنا امهاتنا .. » .

.. لقد زرعت هذه العبارة بذور الفوضى فى دولاب الاستقرار العائلى .. ذلك لأن جيل البنات مشبع بالرفض من أجل الرفض والتكرارية والنمطية .. فى محاولة لتحقيق حلم مستقبلى ذى مناخ خاص جداً ..

.. إن كثيراً من تحليلات هذه المواقف .. لم تصل بنا الى نتائج ذات قيمة مؤثرة .. ولكن الأمل فى تفهم نتائج هذه الدراسة الجادة .. التى قامت بها مؤخراً .. البروفسيرة الخبيرة فى علم النفس .. روزلاند ــ س ــ بيرنيت .. الباحثة بمركز ولسلى بالولايات المتحدة الأمريكية .. ولها عدة دراسات سيكلوجية حول الحب والعمل والحياة عند المرأة الحديثة ..

تقول روزلاند : « عندما تأتى الي امرأة فى العيادة النفسية لا أسمع سوى عبارة واحدة .. لا أريد أن أكون أمى .. لم لا أكون نفسى .. لماذا يريد لى زوجى وأولادى أن اكون صورة طبق الأصل من أمى ؟ .. » .

عـذاب الاختيار

والحق .. نحن نظلم المرأة الحديثة عندما نطلب منها أن تكون أمها .. لا لشىء الا لأنها تختلف عنها تماماً .. فقد حصلت على قسط كبير أو صغير من التعليم .. تتزوج فى سن متأخرة الى حد ما .. وربما لا تتزوج على الاطلاق .. تصمم على الانفصال عن زوجها عندما تستحيل معه الحياة .. على العكس من الأم التى تتحمل كل سيئات الزوج والزواج حتى يكبر الأطفال ..

لقد أصبحت المرأة الحديثة .. تمثل بالفعل ٤٠٪ من قوة العمل فى جميع أنحاء العالم .. وهى لذلك تلهث فى محاولة التوفيق بين أعبائها المتعددة .. مشغولة دائماً .. ولكنها تئن من وطأة الفراغ الداخلى لأن مشاغلها لا تملأ عليها حياتها .. إنها تريد أن تعيش حياة ذات اطار غير تقليدى .. ترفض من أجله أن تكون أمها .. وهذا الرفض يحدث تصادماً نفسياً بين الأم وابنتها .. وهو فى الواقع تصادم بين جيلين من النساء فى أمس الحاجة الى أن يعيشا سوياً فى سلام فى مواجهة كل الصعوبات ..

الحُبّ المفقود

بين الأمّهات والجيل الجديد من البنات!

وتفسر روزلاند : « إن المرأة التى تعمل خارج البيت وداخله .. أوقعت نفسها فى حيرة وافترسها الشعور بالضياع .. والرغبة فى تأكيد الذات .. وعدم القدرة على الاختيار فى مواجهة قوى ظاهرة أو خفية .. دأبت على فرض سطوتها ومفاهيمها التى ترى المرأة أنها تقليدية ومختلفة ..

لقد حققت طموحات متعددة .. ولكن رغبتها فى أن تكون أنثى رغم كل الانجازات .. لازالت تشغل بالها ..

وهى بين هذا وذاك .. تتعذب فى محاولة للاختيار بين حياة تختارها بنفسها .. وحياة عادية مطبقة على الأغلبية .. إنها تعرف ماذا تريد .. ولكنها غير متأكدة تماماً انها تريد ذلك .. والنتيجة هذه الحيرة النفسية التى تعانيها.

وهل يمكن حل هذه المعادلة ؟ ..

تقول روزلاند : « بالطبع نعم .. بأن نعيد تشكيل حياتنا من جديد على أساس أن نتحمل نحن النساء المسئولية كاملة من اجل تحقيق سعادتنا .. يملؤنا الشعور بأننا لسنا أمهاتنا .. ولكننا يمكن أن نحيا كنساء كاملات .. بمعنى أن تتخير المرأة النموذج الذى يناسب أنوثتها .. فاذا كان من حق المرأة فى العالم .. أن تسير فى حياتها على نمط اختارته هى بنفسها .. فإنها لا تملك شيئاً إزاء اصرار أجهزة الاعلام على تأكيد صورة الرجل كنموذج للإيجابية والقدرة على التحمل .. وتأكيد صورة المرأة كنموذج للإذعان والسلبية والابتعاد عن المناقشة .. الأمر الذى أدى الى ظهور نموذج المرأة التى تتحدد شخصيتها طبقاً لأبعاد سيكولوجية معينة تحتاج الى تفسير تصرفاتها السلوكية .. ليس فقط فى ضوء الأطر الفكرية العامة .. ولكن أيضاً فى ضوء التاريخ . كما ظهر نموذج المرأة .. التى ترفض الزواج طلباً للحياة الآمنة .. أو تحت ضغط العرف السائد .. ونموذج الفتاة التى ترفض أن تعامل على أنها صيد يرمى إلي الرجل لاندا له .. ونموذج المرأة المتزوجة التى تريد التخلص من قيود الزواج ..

.. والمؤسف أن كل نموذج يتمسك بموقفه رغم تعرضه للآلام والصورة تبدو هكذا .. إذا لم تقتنع البنت بهذا الاطار « التقليدى » .. فإنها ستواجه موقف تحدى الصورة العامة للمرأة كما يدركها أفراد المجتمع .. وسوف يكون عليها أن تدفع الثمن الاجتماعى الذى يفرضه تحدى ما هو مقبول اجتماعياً .. أما اذا لم يكن فى مقدورها تحمل هذا الثمن .. فإننا نأخذ أشكالا أخرى من الرفض .. منها طلب الطلاق أو القسوة على الأولاد .. أو الاستقلال المادى . الخ .. والغريب .. أن هذه الفئة تجذب اليها أعداداً جديدة يوماً بعد يوم .. فى نفس الوقت .. تعتقد أنها تعوض ما فاتها وتستمتع بحياة أسرية مثالية يوماً ما .. وعندما تفشل فى تحقيق ذلك .. تلقى بكل اللوم على المجتمع .. وعلى والدتها ايضاً .. « فلولا استكانة والدتى .. وخضوعها التام لأبى .. لما وصلت أنا الى هذه الحالة » .

.. والحق أن الأم ليست مذنبة تماماً فى ترسب هذه العقدة عند ابنتها .. ولكنها « أى الأم » عاشت عصرها .. لم تكن لتفعل غير ذلك .. ولكنها فى مواجهة البنت التى أضربت عن الزواج مثلا تعيش حياة كلها أسى على الأيام الضائعة .. بل إنها تنظر الى ابنتها على أنها من عالم جديد وغريب يختلف تماماً عن عالمها .. لأن هذه الأم الطيبة لم تعرف طابور الاختيارات التى تنتظر ابنتها .. تتعلم أولا .. أو تتزوج .. أو تظل بدون زواج .. وبالتالى فهى لا تقدر على فهم مشاعر البنت مهما حاولت .. وأيضاً لا تستطيع مد يد العون لها .. لأنها لا تفهم مثلا . كيف تؤجل البنت زواجها .. وتضيع أكثر من فرصة من أجل الحصول على درجة علمية متقدمة .. لا تفهم مثلا كيف تؤجر امرأة أخرى — لو تزوجت — للعناية بطفلها وهى خارج المنزل تعتنى بأشياء أخرى .. لا تفهم لماذا تصمم على الطلاق مثلاً رغم أن أطفالها مازالوا يحتاجون لرعايتها .. وتحت ضغط هذه الأفكار التى تتصارع داخلها .. تشعر الأم فى قرارة نفسها أنها بلا نفع حقيقى .. تراجع نفسها دوماً .. تنقدها بشدة .. تنبش فى دفاترها القديمة ربما تستطيع أن تخفف من قلقها على ابنتها .. وتتعجب .. كيف ستقوم البنت بالاختيار بين كل هذه الأشياء وبمفردها . بينما هى لم تكن لتستطيع شراء شىء من الخارج .. بدون إذن الزوج ومصاحبته أيضاً .. وتتذكر الأم .. أيامها الأولى عند الزواج .. مؤكدة أنها لم تكن مهيأة له بالمعارف الكافية .. وظلت على جهلها فترة طويلة بعد الزواج .. وتتباهى بأنها لم تعرف شيئاً عن الرضاعة الصناعية .. بالرغم من أنها أنجبت عدداً كبيراً من الأطفال فى حين تستمد ابنتها الشابة كل معلوماتها من المدرسة والتليفزيون والسينما والصديقات أيضاً .. وتنجب فى المستشفى وترضع أطفالها لبناً صناعياً .. اعتقاداً منها أن هذا الأسلوب هو الأنسب .. كما أنها تركت عملها لتربية الطفل وتنوى أن تبحث عن عمل آخر .. عندما تسمح الظروف بذلك .. وتريد أن تقتنى سيارة خاصة بها ..

نماذج من الحياة

.. ولنأخذ مثلا حالة « أليس » ٣٤ سنة .. كنموذج للمرأة الحديثة العاملة .. متزوجة ولها طفلة واحدة .. كانت « أليس » تعمل حتى اليوم الأخير قبل ولادة طفلها .. عادت الى العمل بعد الولادة مباشرة .. تاركة الطفلة مع مربية تعيش معها بتشجيع من زميلاتها فى العمل .. كانت تقول : كيف أستسلم لروتين الحياة المنزلية ؟ .. لابد من العمل حتى لا أشعر بالملل ؟ .. ورغم أنها نفذت ما قالته .. الا أن « أليس » تشعر أنها لم تحقق توافقاً من أى نوع مع والدتها .. وفى عيادتى أوضحت « أليس » مشاعرها : ان والدي لم يتفهما مطلقاً رغبتى فى الالتحاق بمدرسة عالية .. نفس الشىء بالنسبة لقرارى بتأجيل الزواج وولادة الطفل الأول .. حتى أستقر فى وظيفتى .. » .

.. وتعود « أليس » الى الماضى .. فتتذكر : كانت أمى تصر على مشاركتى لها فى الأعمال المنزلية .. قائلة : « حتى

تصلحين كزوجة فى المستقبل» .. فى حين لم تكن تسمح لأخى بالمشاركة فى هذه الأعمال .. وكانت احاديثى معها تدور حول العرائس التى أملكها .. أما أخى .. فقد كان فى نظرها أكثر نضجاً .. وكانت تقول دائماً على مسمع منى ومن أخى .. « إن مصلحة البنين فى المستقبل أن يكونوا على دراية بأصول الطهى فى الفترة التى يعتمدون فيها على أنفسهم قبل الزواج » .. أما البنت .. فلا يهمنى سوى الحصول على زوج وبيت وتكوين أسرة .. وتولى رعاية الأطفال بصورة كاملة ..

إن الأمر الذى يضايق « أليس » جدا .. هو أن أبويها لم يحاولا مناقشتها فى أى من قرارات حياتها .. كل مافعلاه انهما تركا شعورهما بخيبة الأمل وعدم الاستحسان .. ينمو ليظهر أمام ابنتهما فى صورة مختلفة .. الأمر الذى أدى الى أنها تؤكد دائما .. أن الاختبار الصحيح فى حياتها لم يحدث الآن ..

وهذه بعض ملامح التناقضات التى توضح العلاقة بين الجيلين ..

.. ذهبت « والدة أليس » لزيارتها يوما .. كانت الطفلة فى الأسبوع الرابع .. حملت « أليس » ابنتها الرضيعة الى أمها لتحملها بين يديها .. فرحت الأم .. أخذت الطفلة بين ذراعيها .. ولكن .. بعد دقائق قليلة استدارت الى ابنتها قائلة : « خذى ابنتك ضعيها فى فراشها .. حتى لا تتعود على أن يحملها أحد .. » « أليس » .. تنظر الى الأم التى تحاول أن تشرح وجهة نظرها .. بحدة ملحوظة .. ملامح معركة أسرية تبدو فى الأفق لا يخفف من آثارها سوى أن كلا من المرأتين تكن حباً للأخرى .. رغم عدم التفاهم الظاهرى .. الابنة تشعر أنها انسانة تفهم وتقدر وتستطيع أن تقوم بواجب التربية مثل أمها تماماً .. والأم شعرت فى هذه اللحظة بالذات أنها من جيل الأمهات التى لم يعد يحوز إعجاب الابنة وبالتالى لا تعمل بنصيحتها ..

.. هذه التناقضات ربما سطحية بالنسبة للأم والبنت فى وقت معا .. ولكن الحقيقة ــ كما تقول روزلاند ــ أن لها جذوراً تاريخية ضاربة فى القدم .. هذه الاعتقادات القديمة التى لازالت ترسخ فى عقل المرأة الحديثة وهى أنها أنثى أقل فى الدرجة .. لذلك فانها تأخذ أثناء معركة الكفاح أشكالا متعددة من التمرد ..

.. نعرف جميعاً أن عدداً كبيراً من النساء فى العالم يضربن عن الزواج .. مستمتعات بهذا النمط من الحياة .. ومن واقع خبرتى أؤكد .. أنهن يسألن أنفسهن دوماً .. هل يمكنهن مواصلة الحياة بدون شريك حياة دائم .. أكثر من ذلك أن الخوف الدائم يسيطر عليهن من أن الحياة التى تمر بهن الآن بكل حرية .. بعيداً عن القيود الاجتماعية سيدفعن ثمنها إن آجلا أو عاجلا .. وأيضاً نموذج المرأة التى تتزوج ثم تصر على عدم الإنجاب وتقترب من الأربعين .. انها تعتبر نفسها أنثى غير كاملة .. بل إنها أقل النساء جميعاً .. باصرارها على عدم الإنجاب .. ولكنها رغم ذلك لا تتراجع ..

ومن النادر أن تخرج المرأة من هذه الورطات التى وقعت فيها باختيارها بدون خبرات جديدة .. ولكن الصعوبة الحقيقية تكمن فى أن تتعرف على هذه الخبرة مؤخراً .. بحيث لا تستطيع الاستفادة منها وتحقيق ذاتها بوعي كامل وبالاختيار ودون اي مؤثرات خارجية .

وهناك بديهية نعرفها جميعاً .. تقول .. أي طريق نختاره بأنفسنا لابد من وجود مكاسب وأيضاً خسائر .. ولنتكلم هنا عن الخسائر وهو القلق الذى نعانيه من خوض طريق غير معروف وغير ممهد ولم تسر عليه امرأة من قبل .. ومع هذا القلق .. تنبع الحاجة دائماً الى تأكيد دور الأم ودعمها وحنانها على أقل تقدير ..

لماذا هي بائسة ؟

وأعتقد أن اصعب الاختيارات وأخطرها كلها تأتي عن طريق تلك المرأة التي تكتشف بعد سنوات طويلة من الزواج .. أنها غير سعيدة .. وهذا النموذج تمثله «سارا» متزوجة ولديها ولد وبنت .. على السطح كل شيء يسير على مايرام .. زوجها يحقق لها مستوى جيداً من المعيشة .. لايشرب الخمر .. لايثير الصراعات .. ولكنها تكتشف فجأة أنها غير سعيدة بسبب انشغال زوجها وهمومه الدائمة .. وتشعر «سارا» أنها لن تستطيع أن تشرح لوالدتها لماذا هي بائسة .. لاسيما أن المعتقدات الاجتماعية الشائعة في العصر القديم أيام زواج الأم .. تحجب الأم عن فهم ابنتها .. ورغبتها في التخلص من حياتها الزوجية .. لذلك فإن «سارا» تتحاشى بكل الطرق الممكنة الحديث مع أمها في هذا الموضوع .. لأنها أساسا لاترغب في سماع نصائح موجودة في عقلها ووجدانها وكيانها .. عبارات من ذلك النوع .. زوجك ليس له مطالب خاصة .. وحياتك مثالية .. لماذا تتعبين نفسك بالتفكير في أشياء بعيدة .. هل ماتودين عمله على درجة من الأهمية بحيث يستحق أن تضحي من أجله بطفليك وزوجك وأسرتك ؟ ..

والمفارقة هنا هي أن «سارا» تعتبر هذه



هذه الفتاة لا تستطيع أن تشرح لأمها كم هى بائسة ، رغم أن كل شىء يسير على مايرام فى حياتها الزوجية !

الحُبّ المفقود

العبارات اتهامات مباشرة لها .. بأنها ليست أنثى عادية ولايعتمد عليها .. لاتتمتع بقوة الاحتمال .. ناكرة للجميل .. وغير مرغوب فيها ، ، كل هذه الإتهامات تعذبها .. ولذلك فهي تعرف أنها سوف تتخذ قرارها بالانفصال بعيدا عن أمها .. وظلت على هذه الحالة سنوات كاملة لاتعرف ماذا تريد .. تعيش حياتها الزوجية أم تتمرد عليها .. إلى أن جاء يوم زارتها فيه أمها .. أفضت إليها بمتاعبها .. ولكنها لم تسمع من الأم ما كانت تعتقد أنها تعرفه .. الأم الخبيرة حصرت لها الأسباب التي جعلتها أما بمعنى الكلمة .. أما كما تريد هي .. لاكما يريد الآخرون .. وتعلمت من هناك أن مايمكن أن يحدث هو تأكيد احساسها بقيمة أن تكون امرأة مسئولة عمن حولها تملأ عليهم حياتهم .. ويملأون عليها حياتها .. وبإحساسها الجديد الذي أوحت به لها الأم المحنكة .. أبعدت فكرة الانفصال عن ذهنها .. وأكملت في شهور قليلة مالم تكن تقدر عليه في سنين طويلة هي سنوات التمرد ..

الحاجة لقلب الأم

.. ومما يدعو للسخرية .. أن التحول عن نموذج الأم .. يأخذ أشكالا متعددة .. أهمها تلك الإبنة التي تحتاج إلى نصائح صغيرة من الأم .. ولكنها لاتود أن تطلبها منها .. ان هذه الحالة قد أكدتها نتائج دراسات عديدة عن النساء من سن ٣٥ إلى ٥٥ في مركز أبحاث المرأة في ولسلي .. والحل أن كل النساء .. سواء اللاتي تزوجن وأنجبن .. أو تزوجن دون أن ينجبن أو اللاتي لم يتزوجن .. أو المطلقات بدون أطفال .. أو المطلقات ولديهن أطفال .. لكل هؤلاء أقول : انكن جميعا في حاجة إلى قلب الأم .. ان العلاقة الطيبة مع الأمهات .. ستفيد حالتكن النفسية كثيرا .. وعلى وجه الخصوص النساء المطلقات اللاتي يعملن ولديهن أطفال .. لابد من العودة في النهاية الى حضن الأمهات .. حتى لو اعتقدت الأم أن الابنة المطلقة هي السبب في الطلاق .. لأنها قد اتت خطأ كبيرا أو شيئا تخجل منه .. وسوف تعتقد في البداية أيضا أنها أخطأت كأم في واجب التربية ولم تقم به كما ينبغي .. ولكن الالتحام بها .. بكل الحب مع شرح الظروف والملابسات يمكن أن يرفع عنها القلق والشعور بالذنب .

أما الكلمة التي أقولها لكل أم لديها ابنة سوف تكون أما في المستقبل .. يجب أن تلقن الأم ابنتها دروسا عملية تتعلم من خلالها كيف تتقبل نفسها كأنثى كاملة .. ومن حقها أن تفخر بذلك .. وأنها برعايها لأطفالها وتنشئتهم نشأة عصرية إنما تعيش حياة غير تقليدية .. إن هذه الدروس سوف تقلل الى حد كبير من القلق والصراع الذي تشعر به البنت .. عندما تكون زوجة وعاملة .. وعليها تقع أعباء متعددة .. ورغم ذلك فهي أقل من الرجل مكانة .بما يسلمها للتمرد .. وهذا يعني بالضرورة أن تقوم الأم بتلقين ابنتها .. أن تتقبل نفسها في الحياة الخاصة كما هي في الحياة العامة .

وكلمة أخرى للابنة التي تبحث عن رضاء الأم .. انك تفعلين المستحيل لتدخلين السرور على قلب صغيرك .. لماذا لاتقومين بنفس الشيء أو قريبا منه بالنسبة لوالدتك .. وأؤكد أن الفرصة ستكون متاحة تماما للحصول على رضاء الأم .. ثم بعد ذلك سترى الابنة الحياة بشكل مختلف تماما .. وسوف تصبح راضية عن نفسها كل الرضا .. لأن هناك سنداً لها في الحياة يدعمها بالنصيحة والخبرة والرأي السديد بلا مقابل .

وأعتقد أن المشاكل تأتي من أن الأمهات الصغيرات لايسمحن للأمهات الكبيرات الخبيرات بالتدخل في حياتهن ، بل إن الواحدة منهن تعتبر أمها موضة قديمة .. والشيء الذي لاتعرفه الفتيات .. أن الأمهات حقا جيل قديم .. ولكنهن يتغيرن مع الزمن .. وأنهن يسمعن ويشاهدن ويعشن عصرهن مثل الأمهات الصغيرات تماما .. إذن لماذا لانجرب أن نشرك أمهاتنا معنا في حياتنا .. وأن نستفيد من تجاربهن وأن تستفيد أيضا بما يحدث من تطور في سلوكهن باستمرار .. بل ونسهم في تطوير هذا السلوك .. بتوضيح مفاهيمنا الجديدة .. وتقريبها إلى أذهان الجميع .. وبذلك يحدث التقارب المطلوب .. وحل المعادلة الصعبة التي تقول .. إن الأم تظل في حالة شوق دائم لكي تستشيرها ابنتها في أمورها الخاصة .. والبنت تتمنى من كل قلبها أن تحوز رضاء أمها عنها .. لأنها بالتأكيد أهم



رغم ما حدث من تطورات فى سلوك المرأة ومظهرها فى المجتمع العام ، إلا أنها ما زالت فى حاجة إلى قلب وعقل الأم لانقاذها من مشاكل الحياة !

شخص في حياتها .. ولكن كيف يحدث ذلك ؟ .

والدرس الأساسي الذي يجب أن تعيه كل ابنة للحصول على رضاء أمها .. هو أن تحرر نفسها من الخوف من الفشل . تفحص أهدافها من الحياة جيدا .. قبل أن تجازف بالاختيار .

.. لتكن أهدافك مناسبة لامكانياتك وقدراتك الخاصة .. حاولي إقناع والدتك بالمناقشة الهادئة ..

إذا كنت أما وزوجة .. لاتخجلي من مصارحة أمك بأدق أسرارك حتى أسرار علاقتك بزوجك بدلا من مصارحة الصديقات .. وتأكدي من أنها سوف تعطيك العلاج المؤثر .

تحملي مسئولية إدارة دفة حياتك بنفسك .. فان المرأة — رغم ماحدث من تطور في سلوكياتها — فإنها لازالت حتى الآن تنفذ ماهو مطلوب منها .. بمعنى آخر .. تنفذ مايقترحه الرجل عليها .. وهي مسئولة عن ذلك تماما .. لأنها في قرارة نفسها لاتريد أن تتحمل مسئولية حياتها .. بل إنها غير مستعدة لتحمل هذه المسئولية .. انها تعاني من الخوف من أن اختيارها قد لايكون صحيحا .. فمثلا الأم الشابة العاملة لاتحاول تغيير حياتها أو عملها .. حتى ولو كان هذا العمل نائبة لرئيس احدى الشركات لأن الخوف يملؤها .. ولأنها تريد أن يأخذ شخص آخر عنها هذا القرار ..

أما المرأة التي تقوم بالاختيار بنفسها .. وتتحمل نتائجه .. فتكون من القوة بحيث لاتريد أن تسمع كلمات المواساة أو التأنيب .

ألم أقل لك ذلك من قبل ؟ .. وطبعا يزداد الأمر سوءا إذا كان هذا التأنيب من امها .

إن التفكير في الفرص التي كانت مثلا ، غير مناسبة على الإطلاق يؤرق الفتاة .. وعندما يبدو الزواج في الطريق السليم لمدة ١٥ سنة .. فجأة يتكشف للزوجة أن هناك خطأ ما .. يجب أن تنفصل من أجله .. شيء مثير للإشفاق .. لأن فكرة الخطأ والصواب أساسا تحتاج الى بحث ودراسة .. وما من شيء مؤكد في هذه الحياة .. وقد تكون الفرصة مناسبة لك الآن ولكنها بعد سنوات تفقد صلاحيتها لك وتصبح غير



الأم الكبيرة مع أولادها وبناتها وزوج ابنتها الكبرى وحفيدها ، وكل معلومات الابنة الشابة لا تستمدها من تجربة والدتها ، ولكن من المدرسة والتليفزيون والسينما والصديقات !

مجدية .. وكلنا نعلم أن اتخاذ القرار الصحيح .. شيء مهم .. ولكن حتى القرارات الصحيحة لانعرف أنها كذلك إلا بعد مرور سنوات .. بالإضافة الى أن كل القرارات التي يأخذها الإنسان في حياته بشكل ما .. تخضع لعدة اتجاهات سيكلوجية واعتبارات نفسية .. هي التي تدفعنا للسير في هذا الاتجاه أو ذاك .

صانعة الحلم

إذن .. نحن النساء في حاجة أولا إلى أن نعرف أنفسنا بطريقة كافية .. بحيث نستطيع اختيار الطريق الذي يلائم كلا منا .. ويحقق لنا الراحة النفسية المنشودة .

وهذا يجرنا بالطبع الى الحديث .. عن حالات تضطر لاختيار طريق معين لأن شخصا آخر يريد لها ذلك سواء كان هذا الشخص غريبا أو قريبا .. أو لأنها تخاف كلام الناس .. أو لأنها تخاف من التغيير .

إن كل هذه الاعتبارات تخلق ضغوطا نفسية شديدة على المرأة .. على مشاعرها بالذات وتكلفها كثيرا .. ولنضرب لذلك مثلا .. النساء غير المتزوجات ورضين هذا الوضع بإرادتهن الخاصة .. أفضل كثيرا بل وأكثر استقرارا من النساء اللاتي يردن الزواج ولكن لم يسعدهن الحظ .

وبالمثل .. فان النساء الراغبات في العمل بإرادتهن تحقيقا لخبرات معينة .. أفضل كثيرا وأكثر استقرارا من اللاتي يعملن تحت ظروف اضطرارية .

والخلاصة .. أن اختلاف القيم بين الأجيال هو الذي يؤدي الى الصراع .. ويمكن أن نخفف منه بأن نفهم كرجال ونساء .. أفراد في مجتمع ما .. أن العهد الذي كانت فيه المرأة مسئولة عن جمع شمل الأسرة وتدعيم وجودها في غيبة الرجال في الصيد أو الحرب .. انقضى تماما .. وأصبحت المرأة الحديثة .. هي مؤلفة أغنيتها وصانعة حلم مستقبلها وحياتها .

وتعتبر الأم من أهم الأطراف التي يكون لاستجابتها لتصرفات ابنتها .. تأثير واضح في الموقف .. وفي أسلوبها لاختيار الطريقة الملائمة ، لأنه ليس من السهل أن تتجاهل الابنة ردود فعل الأم تجاهها .. وان اظهرت غير ذلك .. فهى أكثر اهتماما من الابن بهذه الناحية .

اعداد : ناديه يوسف

الشاعر عبد الفتاح مصطفى:

مشوار حياته قبل الرحيل!



الشاعر الغنائى عبد الفتاح مصطفى أيام الشباب

- كان يعتبر مسلسل "محمد رسول الله" هو أعظم ما كتب في حياته
- أرسل قصيدته إلى الإذاعة بالبريد، ليلتقي بعدها بمحمد عبد الوهاب، وليعلن مولده كمؤلف أغانٍ!

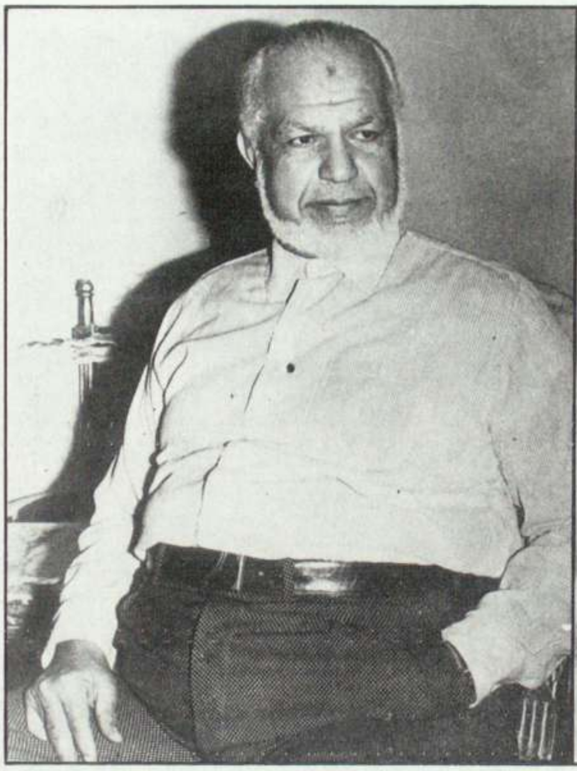
بقلم: حسين عثمان

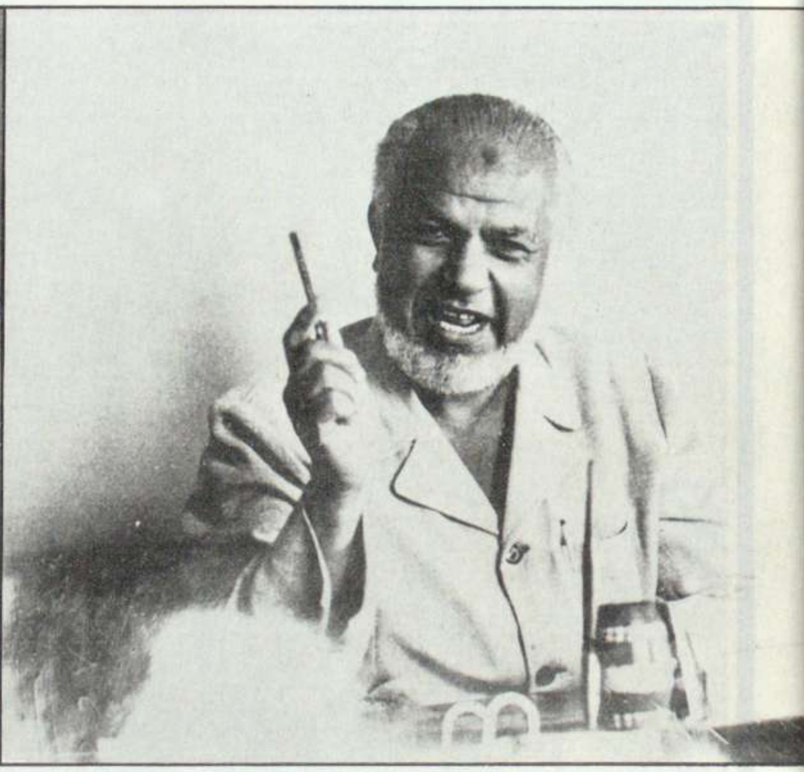
كانت أم كلثوم تقول عنه «إن الكلمات تطاوعه دائماً وبصورة مذهلة»، وكان الملحن رياض السنباطى يقول عنه «إن انتاجه من أرقى المستويات فى دنيا التأليف الغنائى».. وقال غيرهما من المطربات والمطربين والملحنين كلاماً كله مديح وإطراء.. وتقدير للمؤلف والشاعر الغنائى عبد الفتاح مصطفى، الأديب والشاعر الذى كان يكتب القصائد وأرقى الأغانى العاطفية، والذى كان مغرماً بمناقشة أم كلثوم فى القانون والشعر والتصوف!

والشاعر عبد الفتاح مصطفى من مواليد حى (أم الغلام) بالجمالية أقدم أحياء القاهرة.. نشأ يتيماً، فقد مات أبوه وهو فى مطلع عامه الثانى من عمره، وكان والده أزهرياً ورعاً متديناً، ولم يترك له غير مكتبة حافلة بكتب الدين، وبأوراق كثيرة تضم الكثير من أشعاره فى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

ولما بلغ عبد الفتاح مصطفى الخامسة من عمره الحقته والدته بمدرسة «البرامونى» الأولية ليتعلم مبادىء القراءة والكتابة، ويحفظ الكثير من آيات الذكر الحكيم، فلما بلغ السابعة من عمره الحقته بمدرسة الظاهر الابتدائية، ثم مدرسة فؤاد الأول الثانوية، فلما حصل على شهادة البكالوريا الحقته بكلية الحقوق بالجامعة المصرية، حتى تخرج محامياً عام ١٩٤٦، فاشتغل بالمحاماة بضع سنوات، ثم التحق بوظيفة قانونية، وانتقل منها إلى وظائف عديدة حتى أصبح وكيلا للوزارة قبل أن يبلغ سن المعاش!

وقبل ذلك كان يكتب الشعر فى سن مبكرة من عمره، فعندما أمسك بأوراق أبيه يقلب فيها ويجاهد فى قراءة أشعاره، بدأ يتخذ منه مثلا وأصبح يكتب كما كتب، ويعرض ما كتب على والدته التى كانت على قدر من الثقافة وحب الاطلاع بما يسمح لها ان توجهه، كما كانت تختار له الكتب الحديثة والمجلات الأدبية التى جعلته يبلغ من المستوى الثقافى مكانة هامة، وساعده مستواه فى اللغة العربية على أن يكتب فى مجلة (نور الاسلام) ومجلة الأزهر، وأصبحت مكتبته حافلة بأجزاء من تفسير القرطبى وغيره من أعظم المؤلفات الدينية، وظلت هذه المقتنيات تتزايد عنده بفضل اهتمام والدته بتزويده بالثقافة الدينية، وهو لم يبلغ من العمر الخامسة عشرة، إلا انه فى هذه السنة اهتم بتيار الحياة العامة، فأصبح من قراء المجلات العامة التى كانت تصدر وقتئذ فى مصر، وكان يستهويه فى هذه المجلات، أبواب الزجل والأغانى، فعشق هذا اللون من الأدب الشعبى، وكان ينظم أزجالا فى المناسبات المدرسية والحفلات، لكنه عندما التحق بالمدرسة الثانوية، اجتذبته «جمعية الشعر» وكانت المدرسة تحفل بعدد كبير من الشعراء بين المدرسين، فرده هذا المناخ الى الشعر، وشغف بالشعراء القدامى وكذلك بالشعراء المعاصرين، وكان يحاكي أشعار أحمد شوقى أمير الشعراء وحافظ ابراهيم، وكان يحاكي أيضاً المتنبى والبحترى، وجمع مؤلفاته من القصائد فى أول ديوان طبعه واسماه (المزامير) وكان عمره يوم صدور هذا الديوان لا يتجاوز التاسعة عشرة، وأثار هذا «الديوان» ضجة كبيرة، واحتفل شعراء العصر بظهوره.. ثم ظهر ديوانه الثانى، وبعد ذلك لحن له محمد عبد الوهاب قصيدة من تأليفه «موكب النيل»، وكانت لهذه القصيدة حكاية طريفة، فقد ارسلها بالبريد الى الاذاعة سنة ١٩٤٠، وبعد أسابيع تلقى دعوة لمقابلة محمد سعيد





لقطتان للشاعر الأديب عبد الفتاح مصطفى فى أواخر أيام حياته وقبل أن نودعه بأيام

لطفى (باشا) المستشار الفنى للإذاعة المصرية وقتئذ ، الذى أبلغه أن لجنة الأغانى اختارت قصيدة (موكب النيل) وعهدت بها الى الموسيقار محمد عبد الوهاب لتلحينها ، وطلب منه أن يقابل عبد الوهاب ، ولما ذهب لمقابلته فى منزله ــ وكان عبد الوهاب يسكن وقتئذ بحي العباسية بالقاهرة ــ كاد عبد الوهاب ألا يصدق أنه صاحب القصيدة لصغر سنه ، وكان لقاؤه مع عبد الوهاب بداية لمولده كمؤلف غنائي تضج الاذاعة ببرامجه وأغنياته وهو فى سن السادسة عشرة وفى السنة الثالثة الثانوية ،وبذلك طار صيته ، وتهافت على أغانيه المطربات والمطربون ، وكاد أن يهجر الدراسة الثانوية ، وهو يسمع اسمه يتردد على السنة الجماهير والمطربات والمطربين والملحنين ، لولا أن والدته استطاعت أن تقنعه بمواصلة الدراسة وبذلت كل مالديها من جهد ليجتاز محنة الغرور والضياع !

وعلى كثرة ما كتب عبد الفتاح مصطفى من أغان وشعر غنائي ، فقد كان يعتبر مسلسل « محمد رسول الله » هو أعظم ما كتب فى حياته ، وقد رشحته لهذا العمل الدينى الكبير السيدة تماضر توفيق التى كانت مديرة للتليفزيون المصرى ، وقرأت قصة « محمد رسول الله والذين معه » لمؤلفها عبد الحميد جودة السحار ، فعهدت الى الشاعر المعروف بكتابة السيناريو التليفزيونى ، وكان عبد الفتاح مصطفى سعيداً بهذه المهمة ، لأن الكتاب ــ كما صرح فيما بعد ــ كان مريحاً له دينياً وعقائدياً ، فإن القصة موسوعة تاريخية تشتمل على القصة الدينية ، وطبائع الشعوب وعاداتهم وتقاليدهم ، فجاء العمل الفنى طيباً يجسد هذا العمل الكبير خير تجسيد .

لقد استطاع عبد الفتاح مصطفى أن يجمع حول التليفزيون ، الملايين من المشاهدين من ابناء مصر والبلاد العربية ، ليستمعوا الى حواره السلس فى أكبر مسلسل دينى أعده التليفزيون المصرى ، بل كان هذا المسلسل اكبر عمل من أعماله الدينية رغم أنه كتب للسينما عشرات الأفلام الاسلامية ، ولقد استعان بكافة المراجع الاسلامية أثناء كتابة هذا المسلسل للتليفزيون ، وقضى قرابة عام كامل يقرأ هذه المراجع من أجل تقديم المسلسل فى صورة رائعة ، اعتبرها الكثير من الأدباء والشعراء ورجال الدين من أبرز الأعمال التليفزيونية التى كتبت عن الاسلام .

والى جانب ما كتب من أشعار دينية ومؤلفات وقصص ، فقد كتب عشرات الأزجال الخفيفة فى (ياميش رمضان) و (مدفع الافطار والإمساك) وكان يحلو للمطربة أم كلثوم فى بعض الأيام التى كانت تجمعها مع عبد الفتاح مصطفى فى شهر رمضان أن يروي لها بعض ذكرياته الفنية ، وقد بدأت علاقته بأم كلثوم سنة ١٩٥٨ بمقطوعة زجلية من تأليفه مطلعها (منصورة يا ثورة أحرار) فأرسلت تستدعيه لزيارتها ، وتناول حديثهما فى أول لقاء بينهما هذه (القصيدة) وطلبت منه أن يزيد عليها بعض الأبيات ، ومنذ هذا اليوم بدأت بينهما صداقة قوية يدعمها طريقهما الفنى الجاد .

هذا هو ــ فى سطور ــ الأديب والشاعر ومؤلف الأغانى عبد الفتاح مصطفى الذى فقدناه أخيراً ، والذى ترك فقدانه فراغاً ما بعده فراغ فى الحياة الثقافية والفنية .



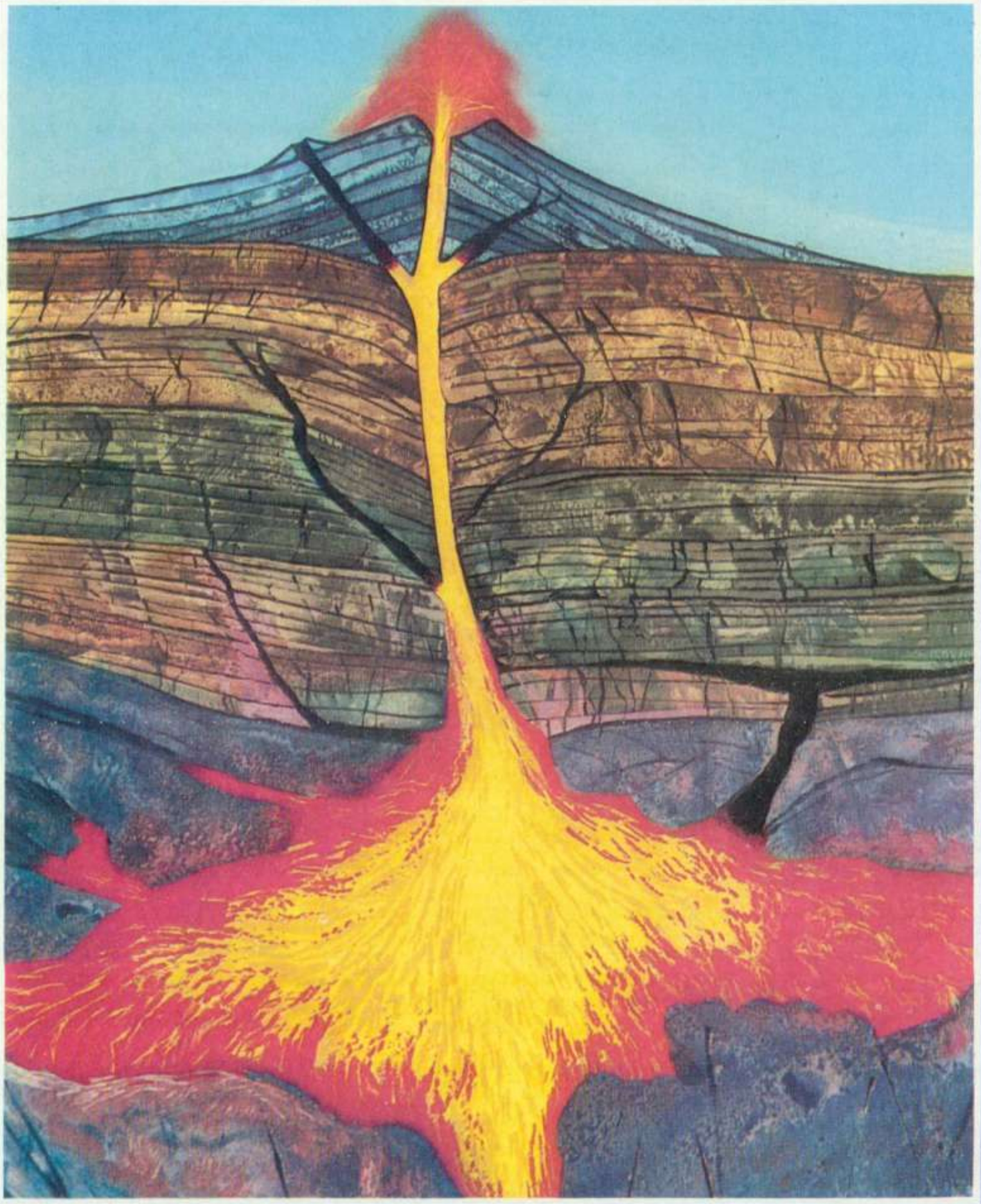
هـذا الخطـر الذي مازال يهـدّد البشـريّـة :

الزلازل والبراكين

بقلم : الدكتور عز الدين فراج

الزلزلة هزات سريعة خاطفة تحدث فى بعض أجزاء القشرة الأرضية فى فترات متقطعة وقد تكون هذه الهزات ضعيفة فلا تحس بها سوى آلات الرصد الدقيقة . على أن بعض الزلازل قد يبلغ من العنف إلى حد أن يحدث أضراراً كبيرة . فكم من أرواح أزهقت وكم من مدن هدمت ، وكم من مدنيات اندثرت من تأثير بعض الزلازل العنيفة . فالزلازل رغم أنها قصيرة المدى هى من ظواهر الطبيعة التى تحدث رعباً وفزعاً فى نفس الانسان .

والزلزلة فى الواقع مجموعة من الهزات تتلو الواحدة الأخرى ، وقد تتوالى مدة طويلة قبل أن تعود القشرة الأرضية الى حالتها الثابتة . وهى تبتدىء عادة بهزات خفيفة قد تكون مصحوبة بأصوات كعصف الرعد منبعثة من باطن الأرض ، ثم تتلوها هزات متكررة تتناقص فى قوتها تدريجياً ،



النموذج المألوف للبركان ، حيث نرى كيف تتكون الحمم لتتصاعد وتتعاظم من خلال فوهة البركان ، ثم تنطلق وتدمر كل شيء فى طريقها !

● السهول الواسعة لا ينالها أذى الزلازل إلا نادرًا ، فالخطر يكمن في سلاسل الجبال المنحدرة أو المحاذية للبحر !

● البراكين على شرّها لا تخلو من الخير ، فهي مخازن يستغلها الإنسان للحصول على البخار لإدارة الآلات

حتى تقف نهائياً .

وتنقسم الزلازل من حيث العوامل التى تحدثها إلى قسمين : قسم ينتج عن حركات طبقات الأرض الباطنية حركات قد تكون بعيدة جداً عن سطح الأرض ، وقسم بركانى الأصل . أما الزلازل البركانية فلسنا فى حاجة لاطالة الكلام عنها ، لأنها لا تحدث إلا فى المناطق التى توجد فيها البراكين ، وأهم ما يميزها هو وقوع مركز الاضطراب على عمق بسيط من سطح الأرض ، مما يجعل أثر الزلازل اللابركانية محدوداً فى مساحة ضيقة . وتقاسى بعض أنحاء العالم كاليابان وأجزاء من ايطاليا أضرار النوعين ، إلا أن الزلازل اللابركانية الأصل تحدث عادة خراباً أكثر من غيرها من البراكين وعلى مساحة أوسع .

وتحدث الزلازل اللابركانية بسبب انزلاق طبقة من طبقات الأرض الباطنية

الزلازل والبراكين

انزلاقاً تدريجياً تحت ضغط . وبعد مدة تنشق الطبقة الصخرية الواقعة تحت الضغط بقوة عظيمة لا تسبب هبوطاً مؤقتاً فى المكان الذى حدث فيه الزلزال فقط ، ولكنها تسبب أيضاً حركات ثانوية فى مساحة واسعة من الأرض ، فيمتد لذلك أثر الزلزال ، بحيث يشمل مناطق أخرى غير التى حدث فيها . ويتناسب مدى الاضطراب تناسباً طردياً مع عمق انشقاق الصخر بالنسبة لسطح الأرض ، فمثلا وصل أثر زلزال سنة ١٧٥٥ فى لشبونة إلى البحيرات السويسرية والاسكتلندية فهزها .

هذه هى أسباب الزلازل ، أما المساحة التى ينحصر فيها أثرها فتختلف باختلاف قوة الزلازل ، فقد رأينا أن مدى أثر الزلازل اللابركانية يتناسب تناسباً طردياً مع بعض الصخور المنشقة عن سطح الأرض ، أى أنه كلما ابتعد الانشقاق عن سطح الأرض كلما ازداد اتساع المنطقة التى تتأثر بالزلازل . وعلى هذا فلا يمكننا أن نقول إن الزلازل يكون منحصراً فى دائرة ضيقة لا تتجاوز العشرة كيلومترات المربعة . ومن غريب الحقائق أن الأماكن القريبة من بركان ثائر اسلم من الدمار من أمكنة قريبة من بركان خامد . فمدينة جواتمالا دمرت مراراً عديدة عندما كانت مبنية على مقربة من بركان خامد . أما الآن فإنها لم تدمر مرة واحدة منذ أن نقلت قبل مائتى سنة إلى مقربة من بركان ثائر . وسبب ذلك غريباً ، فالبركان الذى يبدو خامداً ، قد يضمر ثورة فى أعماق الأرض ، فإذا لم يكن هناك منفذ لهيجانه مثل منفذ البركان الثائر ينفجر بالمرجل فيسبب اضطرابات زلزالية .

ودلت الخرائط التى رسمت لعدة سنوات عديدة على أن الزلازل اللابركانية موزعة على وشاحين يمتدان على وجه الأرض . فالوشاح الأول يشمل منطقة المحيط الهادى تقريباً . ويمتد الوشاح الثانى على جبال الألب والقوقاز وسلسلة جبال هملايا . والمناطق الواقعة فى هذين الوشاحين الزلزاليين تمثل المناطق التى معدل انحدارها أعلى ما يمكن . فالأراضى التى تحاذى المحيط الهادى تنحدر انحداراً سريعاً إلى أعماق عظيمة فى المحيط ، وكذلك المنطقة التى تشمل جبال الألب والقوقاز وهملايا . ولذلك فإن ضغط كتلة الأرض من هذا الارتفاع العظيم يحدث تلك الأخطاء أو الشقوق فى صخور طبقات الأرض الباطنية ، التى بدورها تسبب الزلازل اللابركانية على أعماق بعيدة . ويؤيد هذه النظرية ما يحدث فى اليابان ، فإن الزلازل كثيرة الوقوع فى تلك المنطقة من اليابان المجاورة للمحيط الهادى حيث ينحدر قاع البحر انحداراً سريعاً إلى أعماق تبلغ الثمانية آلاف متر . أما فى تلك المنطقة المجاورة لبحر اليابان ، فإن الزلازل أقل حدوثاً فيها منها فى المنطقة الأخرى ، فهنا ينحدر قاع البحر انحداراً أخف ويزيد عمق البحر نفسه عن ثلاثة آلاف متر .

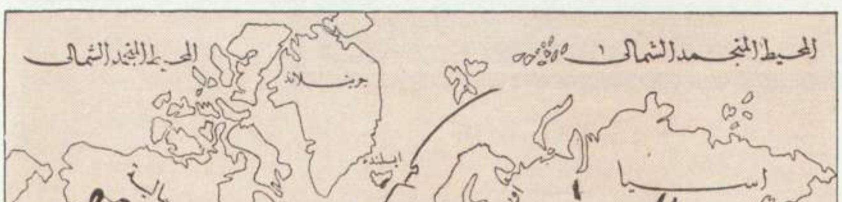
إن الزلازل التى حدثت فى آسام سنة ١٨٩٧ وفى ايطاليا قرب نهاية القرن الثامن عشر وفى كاليفورنيا عام ١٩٠٦ ، تقع كلها على أحد هذين الوشاحين الزلزاليين المعروفين . وعلى العكس من ذلك فإن السهول الواسعة كأمثال روسيا والبرازيل لا ينالها اذى الزلازل إلا نادراً . وهذا مما يؤيد صحة النظرية القائلة بأن سبب الزلازل اللابركانية هو ضغط كتل كبيرة من سلاسل الجبال المنحدرة أو المحاذية للبحر المائلة على قاعه ميلا عظيماً . والبراكين تسبب زلازل أقل خطراً ولكنها قد تحمل اخطاراً كبيرة فى بعض الأحيان .

جهاز رصد الزلازل

السيزموجراف هو آلة رصد الزلازل . ولا يقتصر عملها فى إثبات حدوث الزلازل بل تسجل أيضاً وقت حدوثها وعدد الهزات المكونة منها ولونها ومداها واتجاه مصدرها . والحقيقة العلمية التى بنى عليها اختراع السيزموجراف هى أنه إذا دلينا كتلة ثقيلة فى آخر حبل أو عمود طويل ، كما يتدلى بندول الساعة ، فإنها بحكم قصورها الذاتى تبقى ساكنة حتى ولو اهتزت الأرض والقوائم المدلاة منها الكتلة .

فإذا تصورنا أن هذه الكتلة تحمل قلماً ، وأن هناك ورقة مثبتة على الأرض ملامسة لهذا القلم فان الأرض إذا اهتزت تحركت معها الورقة ، مع بقاء القلم ثابتاً فيرسم على الورقة خطاً منكسراً يبين مدى تحرك الورقة باهتزاز الأرض .

ولكى يمكن تسجيل وقت حدوث الزلزال فإن هذه الورقة تثبت عادة على سطح أسطوانة تدور دورة آلية كدورة الساعة . والورقة مقسمة أياماً وساعات ودقائق وثوانى .



خريطة تبين مناطق الزلازل على سطح الكرة الأرضية

وعندما تكون القشرة الأرضية فى حالة استقرار يسجل القلم أو شعاع الضوء خطاً مستقيماً ، أما إذا اهتزت الأرض فإن الطبلة تهتز ، ولكن الثقل يظل ثابتاً فى وضعه الأصلى ، وبذلك يسجل على الورقة التى تلف حول الطبلة خطاً متموجاً ويسمى ذلك الخط المتموج بالسزموجراف أو المسجل الزلزالى .

والبراكين عبارة عن شقوق فى قشرة الأرض تتعمق حتى تصل إلى ما تحتها من صخر شديد الحرارة فيه تتصاعد الغازات الحبيسة والمواد المصهورة التى لا تلبث ا ن تنطلق خلال الشق أو الثقب فتحدث دوياً هائلا ، وثورة عارمة تضر بما جاورها .

والبراكين على شرها لاتخلو من الخير ، فهى موارد مباركة للزئبق والكبريت والبوريك وأملاح النشادر ، وهى أيضاً « مخازن » يستغلها الانسان فى بعض البلدان كايطاليا ، للحصول على البخار الذى يدار به الآلات . وقد يبدو ذلك غريباً ولكن الأغرب منه أن أحد العلماء قال لو قدر لايطاليا أن تستغل الحرارة التى تنشأ من بركان « أتنا » سنة ١٩٢٨ لادارت مصانعها بالكهرباء ثلاث سنوات كاملة .

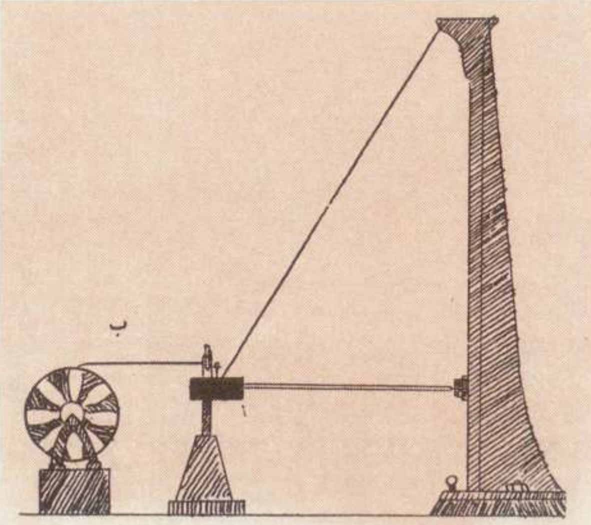
أسباب البراكين

ويمكن أن نلخص أسباب البراكين العامة والأسباب المباشرة فيما يلى :

أولا : توجد البراكين فى جزء متجعد من القشرة الأرضية . وهذا الجزء المجعد يجعل القشرة ضعيفة ، بحيث تتشقق من جراء الضغط الواقع عليها من الداخل ، فحيث يزيد هذا الضغط عما يمكن للقشرة احتماله ، فتتشقق هذه القشرة وتتمكن المواد المعدنية المصهورة فى جوف الأرض عن الخروج إلى السطح ومن ثم تنشأ البراكين .

ثانياً : حدوث الفوالق وهى عبارة عن شقوق تنتاب القشرة الأرضية فتحدث اتصالا بين جوفها وسطحها .

وعندما يثور البركان يقذف بالحمم على هيئة تل صغير أو مخروط ، ثم يبدو أنه غير مستريح لوجوده فيثور ثورة جامحة ثانية ، يفتت بها جسمه ويحطم نفسه



نوع بسيط من السيز موجراف وعن طريقه يتم تسجيل الهزات بكافة أنواعها

ويلقى بأشلائه الحجرية المهشمة بعيداً تذروها الرياح ، فيصبح بذلك بركاناً منتحراً قتل نفسه بيده . ومن البراكين ماينمو ويكبر على مر الأعوام فهو يثور كل مرة ثورة عاقلة ترفعه فوق سطح الأرض تتلوها ثورات على فترات ، فتتراكم الحمم فوق طبقات ، وينمو البركان ويكبر ومن عجيب الظواهر أن البركان كالإنسان يولد فتياً ويشب قوياً ، ثم تخمد أنفاسه وتفنيه الشيخوخة فيموت ، ولكن من « موتى » البراكين ما يبعث من جديد ، فتكون ثورته عند ذلك كثورة بركان كراكتو الجبار العاتى .

ولقد وصف شاهد عيان ثورة بركان أتنا عام ١٩٤٩ فقال :

منذ بضعة أيام ثار « بركان أتنا » بعد صمت وهدوء استقر عدة سنوات ، وأخذ يقذف بما فى جوفه ، من حمم ومواد مصهورة وأخذت هذه المواد النارية المصهورة تنزلق على سفوح الجبال المجاورة وتجرف أمامها كل ما فى طريقها من القرى الصغيرة المتناثرة هنا وهناك ، على سفوح هذه الجبال ، وأخيراً وصلت هذه المواد إلى الأراضى الزراعية فأبادت كل ما عليها من نبات وحيوان ، وغطتها بطبقة سميكة من الأحجار البنية اللون ، التى لا أثر فيها لشىء من مظاهر الحياة .

وفى دائرة قطرها بضعة كيلومترات ، تساقطت الأتربة فى كثرة زائدة ، مما اضطر سكان تلك المنطقة لحماية أنفسهم من هذا الرماد ، الى ارتداء قبعات من القش والورق فيخيل إلى المرء أن عابرى الطرق فى هذه المنطقة أشبه بالأشباح ، التى يتردد ذكرها فى القصص الخيالية . أو بالذين ينظفون المداخن ، بعد ما غطت وجوههم طبقة كثيفة من الأتربة والرماد .

وقد خيمت على هذه المنطقة القريبة من البركان سحب كثيفة سوداء من الدخان حجبت أشعة الشمس حتى كان من المتعذر على السكان التمييز بين الليل والنهار .

ويبدو الذعر والقلق فى كل مكان على سكان البلاد القريبة من البركان . وقد اختفت الابتسامة التى كانت تبدو على وجوه الجميع ، وأخذوا يتحدثون عن الخطر المحدق بهم ، والذى يتهددهم بين لحظة وأخرى . ومما زاد الطين بلة أن معظم سكان هذه البلاد من الفقراء المعدمين ، وهم أناس قضوا أعواماً طويلة فى تلك البقاع ، فاستطاعوا بعد عمل مضن متصل انشاء بيوت صغيرة ، وزرعوا قليلا من الأراضى يعيشون عليها . وضياع هذه الأراضى والبيوت فى الوقت الحاضر معناه القضاء على ثمرة جهودهم وأعمالهم التى قاموا بها طول حياتهم وهذا أمر يضطرهم إلى استئناف الكفاح من أجل الحياة بعدما تقدمت بهم السن ، وأصبحوا قاب قوسين ا و أدنى من الممات .

عز الدين فراج

رؤية فنية في مهرجان أصيلة المغربي

● لو أن كل مدينة عربية فعلت ما فعلته مدينة أصيلة لأصبح لدينا مائة وخمسون مليون متذوق للفن !

بقلم : يوسف أحمد







ثلاث لقطات : الأولى لجدارية الفنان ابراهيم حنين التي أنجزها في مدينة أصيلة .. ثم لقطة لقصر الثقافة في المدينة التي شهدت سبعة مهرجانات حتى الآن .. واللقطة الثالثة للجدارية البديعة التي أنجزها الفنان المغربي «الأعرج»

رغم الظروف التي يعيشها الفنان المثقف في العالم العربي ، فهو يحاول الوصول برسالته الفنية إلى شاطىء الأمان ، حتى يحقق ما يريد تقديمه من محاولات ابداعية سامية ..

ومن هذا المنطلق تأخذ الجمعيات الأهلية على عاتقها هذا الهدف الكبير ، وتحمل نفسها مالا طاقة لها به ، من أجل الالتقاء والتبادل والابداع ، محافظة بذلك على أقل قدر من تحقيق ما يتمناه المثقف والفنان !

وتأتي جمعية المحيط بالمملكة المغربية في مقدمة الجمعيات الأهلية العربية التي توفرت لها القيادة الرشيدة والهدف الكبير والمكان الخلاب الذي



جدارية الفنان عبد الكريم غطاس الذى اهتم فيها بعنصرى الشكل الجامد والحى



فرحة الموسم : جدارية الفنانة الشعيبية .. وهى تمثل أفراح المدينة باستقبال موسمها الثقافى

يجذب كافة الناظرين ، ممهدة بذلك لالتقاء أوسع وأكبر بين كافة الشعوب العربية والعالمية وبخاصة شعوب دول العالم الثالث .

وقد جاءت هذه الأمنيات تحت عنوان مهرجان أصيلة السنوى ، الذى أقيم منه حتى اليوم سبعة مهرجانات احتوت نشاطات الفنون والمسرح والشعر والأدب .

وأصيلة ـ فى حد ذاتها ـ مدينة جميلة تقع على الزاوية الشمالية الحادة لأفريقيا ، وتتميز بأناس بسطاء وطبيعة خلابة وجدران بيضاء ، حتى ليبدو لك أنك فى مدينة طاهرة ، أناسها مثقفون وعلى درجة من الوعى .. فهم يسألون ، ويناقشون فى أبسط وأعقد الأمور التى تخص المثقف والفنان .

ويبدو أن هذا الاهتمام اتى من خبرة سبعة مواسم ثقافية وفنية ، أثرت فى سكان هذه المدينة التى يصل تعداد سكانها إلى عشرين ألف نسمة !

ولو أن كل مدينة عربية فعلت ما فعلته مدينة أصيلة ، لأصبح لدينا مائة وخمسون مليون مثقف ومتذوق فى الفن ، فقد صار الفن ملاحقاً للناس فى تلك المدينة ، يتنفسون معه ، ويتأثرون به ، فيقدمون أجيالا جديدة من الفنانين .

ومدينة أصيلة من خلال الجداريات التى قام بتنفيذها مجموعة من الفنانين المغاربة الذين استدعوا خصيصاً لهذه الأعمال إنما تحقق هدفها العام وفلسفتها المطروحة من خلال الجداريات التى رأيناها فى هذا المهرجان ، والتى تعتمد على مشاركة الناس فى تقييم العمل الفنى .

ومن هنا كان الحرص على أن تنفذ تلك الجداريات فى أحياء يرتادها الناس سيراً على الأقدام ، ولا تدخلها السيارات أو المركبات ، مع توفير الأجواء المحيطة بهذه الجداريات والممثلة للمعمار المغربى القديم فى هذه المدينة ، بمميزاتها اللونية المتحضرة فى الأزرق والأبيض !

وتعتبر جدارية الفنانة القطرية «الشعيبية» هى أول جدارية نفذت فى هذا الموسم ، وتمثل أفراح مدينة أصيلة باستقبال موسمها الثقافى ، فهناك أشخاص تماسكت أيديهم ، وهى تلوح ترحيباً بضيوف المدينة ، وفى خلفية اللوحة مجموعة من الأشكال المعمارية المغربية القديمة التى أعطت الإيحاء بالترحيب والكرم العربى الأصيل ، من خلال تركها للمساحات اللونية البيضاء على أبواب ونوافذ الشكل المعمارى ، وفى أسفل الجدارية نرى قيما لونية بيضاء تتمشى مع الأشخاص والخلفية ، وفى الجدارية ــ بصفة عامة ــ نلاحظ استخدام الفنانة «الشعيبية» للألوان الصارخة أو المباشرة لتعريف المتتبعين لفنها بارتباطها أيضاً بفطرية اللون والشكل !

أما الجدارية الثانية فهى للفنان المغربى الشاب «عبد الكريم غطاس» الذى يعمل بمدرسة الفنون الجميلة بالدار البيضاء ، والذى تأتى اهتماماته بعنصرى الشكل : الجامد والذى يتمثل فى الأنابيب المشدودة أو الملتوية أو التى جاءت من الفضاء وكأنها بقايا أجرام أو أقمار صناعية سقطت على الأرض . أما العنصر الآخر فهو العنصر الحي فى جدرانيته ويتمثل فى أشكال استوحاها من النباتات والأغصان وبخاصة أوراق الشجر التي تأخذ فى الالتفاف والإلتواء حول الاغصان مكونة عنصر الحياة فى اللوحة .

أما القيمة اللونية فى لوحات غطاس فهى ملخصة فى لون ودرجات أو ألوان محددة بدرجاتها ، وربما هذه التخصصية فى اللون تعطى العناصر الأخرى فى اللوحة قيمة الحياة .

أما الجدارية الثالثة التى انجزت ايضاً خصيصاً لهذا الموسم ، فهى للفنان «الأعرج» الذى يصنف فى المغرب ضمن الفنانين ذوى الاتجاه الفطرى .. ولقد لازم هذا الفنان فنانون آخرون فى المغرب لهم باع طويل فى الفن التشكيلى مثل محمد المليجى وفريدى لكاهيه ، وأسلوب «الأعرج» التصويرى يغلب عليه الحس بالطباعة الحريرية ، فهذا الفنان له خبرة واسعة فى مجال السيروغراف ولذا نظر الى جداريته كأنها عبارة عن لوحة صغيرة عملت بحجم كبير وبحس الألوان الطباعية ، فقد تغلب على تكويناته الحس المعمارى الذى يبدو جلياً من تقسيماته اللونية الصريحة التى يثريها معالجة الأشخاص بمعالجة فطرية لتتمشى مع خلفية اللوحة ، ولتؤدى حركات ايقاعية تكسر الحركة المعمارية الخلفية معبرة بذلك عن الموضوع الذى يشغل بال الفنان والمثل فى الفرحة أو الاستقبال ، كما أنه احياناً يعطى لشخوصه حرية الطيران حول تكويناته المعمارية لتدخل الكتابة هنا كعنصر تكميلى فى اللوحة . ولو أنها أحياناً تكون دخيلة على التكوين .

أما الجدارية الرابعة فتمتد بطول سبعة امتار فى عرض خمسة أمتار ، وهى للفنانة المغربية «ملكة أوكزناي» وفيها تتضح مساحة التصميم وقوة التعبير وبساطة الفكرة ، ونرى فى موضوعها سوراً مشابهاً لسور قصر الريسونى (الثقافة) بمدينة اصيلة ، ولعلها قصدت به تكملة له ، ولقد طلي باللون الأبيض أما السماء فجاءت منقطة وذات ايقاع خطي جميل بحيث تتمشى مع أرضية الحي التى صممت هى الأخرى على شكل أمواج ذات ايقاع واحد ، أما فرحة ابناء أصيلة فتبدو من حول هذا السور بتحليل لونى لطيف يتمشى مع التحليل اللونى للمساء !

وفى جدارية الفنان عبد العليم العمرى نلاحظ القوة التعبيرية التى اتضحت بالتقسيم الفنى للتصميم العام للوحة ، ففى جداريته نجد أن عنصر التعبير يؤكد وجوده ، فنلاحظ أن الطائر الأبيض وهو مزامن لجميع لوحات العمرى يقصد به



جدارية الفنان عبد العليم العمرى التى قدمت لنا معالجة درامية فى خطوط وألوان متحاورة !

السلام والوئام بين المتحاربين من البشر ، وكل جزء من جداريته يرتبط بالجزء الآخر ، فنجد اليد المستغيثة والقدم المعلقة والأجسام التى ذهبت تفاصيلها والوجوه المتقابلة المتحاورة وعلامات الاستفهام تبدو عليها ، كل هذه الأجزاء وغيرها تتحاور مع بعضها البعض مكونة موضوع درامى كبير ، ولعل المساحة الهائلة التى رسمت بها اللوحة أعطت ايحاء عميقاً بهذه الأشلاء المحطمة ، ولعل العمرى ــ كذلك ــ من خلال موضوعاته استطاع أن يطرق باب عاطفة الجمهور التى تهزه مثل هذه الموضوعات المأساوية !

ثم نأتي إلى أسلوب آخر فى معالجات جداريات أصيلة ، فهذا هو الفنان محمد المليجى ، وهو أحد أركان مهرجان أصيلة يثبت بأسلوبه الفنى على أحد جدران مدينته مدى روعة معالجاته التصميمية فى عمله ، ولعل هذه الايقاعات اللونية استوحاها من إيقاعات أمواج شاطىء أصيلة !

إنه يعالج ــ أحياناً ــ الأمواج بألوان تناقضية ، وأحياناً أخرى بألوان تكميلية توافقية .

أما دور الخط العربى فوضح جلياً فى جدارية الخطاط ابراهيم حنين ، فهو فى عمله يحافظ على الشكل التقليدى للحرف العربى وبخاصة مدرسة خط الثلث ، ويستغل الفراغات التى تحدث بين الحروف فى تلوينها بألوان متناقضة مرة ومتوافقة مرة أخرى ، كما أن المقرنصات الأندلسية تأخذ حيزاً بارزاً فى أعماله ، وهو بهذا يكون قد تمسك بتراثه المغربى الأندلسى مع الأسلوب العربى وبخاصة فى حروف الخط العربى .

هذه هى أبرز الجداريات التى نفذت لهذا الموسم فى مهرجان أصيلة ، ومن هذا المنطلق الصحيح يستطيع أهالى هذه المدينة الثقافية أن يعودوا عيونهم على الألوان ، فبيوتهم ملاصقة مع الجداريات ، وجيلهم القادم ــ قطعاً ــ سيستفيد عند التطبيق ، لأنه عاش مع الفن ، وتشبع بلغة فنية من واقعه ، وأحس بتلك الألوان النابعة من تراثه وفكره واحساسه الخاص .

يوسف أحمد

الولادة المتأخرة

محمود صفر



تأخرت كثيراً
وموعدنا طفلان ضلا الطريق
تأخرت ، لماذا ؟
أيحق لميت ابتداء السؤال ؟

• • •

خطواتك تأتيني كل مساء
تقرع قلبي
تفزعني . . .
فلماذا يا وجهي الأول ترعبني الأشياء ؟

• • •

إني محزون
لم يعد الناس هم الناس
لم يعد العصفور هو العصفور
من قاتلنا
الوردة أم رمل الصحراء ؟

• • •

دواة البحر ملقاة
وأوراقى وأشعارى
خطوط تجهل المعنى
تبيح الحرف للغرباء

• • •

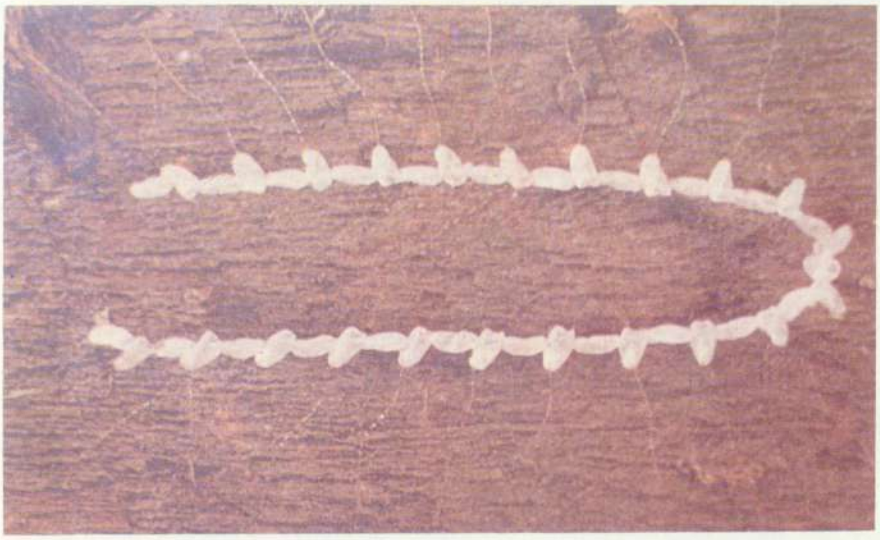
إني أسمع صوتاً يدعوني
يوجعني خيط يتدلى في القبر
لك مني كل الأسماء

عذراً فهناك الصوت الأعمق
لا وقت بين ذراعيك
كل الأشجار تناديني
ما أن أولد حتى تأتيني

• • •

تأخرت كثيراً
وموعدنا طفلان ضلا الطريق
(وعمري يغط قليلاً .. قليلا
وكنت قبيل الغسق
أسرح شعر الطفولة
وواعدته بأني سأكتب في كل شَعرَة
قصيدة)
إني أعطيك حزني
كريات دمي
لوتعرفين معنى المصيبة
دمع الخطيئة
(أيتها الحبيبة الطهورة
افتحي عينيك
لا تتواري خلف رموشي
فهل تشرق الشمس دون ضياء) ؟
إني لديك أعذاق نخل
او طوافة يلهو بها الأطفال
اغفاءة
فكل المدائن عندي سواء

لقطات من الكون المثير



أهو عقد منظوم ؟!

قد يبدو كذلك ، غير أن حباته ليست من لؤلؤ ولا أصداف ، ولا هي من أحجار كريمة أو رخيصة .. بل ان هذا التنظيم الذى يشبه العقد ، وفيه تبدو حبة أفقية ، تليها حبة رأسية ، ثم تتكرر الحبات الأخرى بنفس النظام ، ودون أن يبدو فيها الفوضى أو الارتجال .. هذا العقد قد بدأ ظهوره على هذا الكوكب قبل أن يظهر عليه الانسان ـ صانع العقود ـ بعشرات ومئات الملايين من السنين ، لكنه لم يظهر للزينة ، بل هو عقد حي سوف يتمخض عن عشرات من كائنات حية ، فكل حبة منه هي بويضة حشرة من قبيلة الحشرات شبكية الجناح (أى التى يظهر فى أنواعها الجناح على هيئة شبكة شبه شفافة) ، لكن الغريب أن كل نوع من هذه القبيلة يتخذ نمطاً مختلفاً فى تنظيم بويضاته ، فمنها ما يبدو كالعقد أو حدوة الحصان (الصورة المنشورة) ، ومنها ما يبدو معلقاً وكأنما هو أقرب الى أصابع الموز المرصوص على أشجاره ، ومنها ما ينتظم فردياً .. الخ ، لكن هذه البويضات تتعلق دائماً بخيوط لزجة دقيقة (يمكن رؤيتها لو دققت النظر فى الصورة) وبحيث تتدلى بها من الأسطح السفلية للأوراق ، هذا ، والعالم الحاذق يستطيع أن يستدل على نوع الحشرة من نوع بويضاتها ونظامها ، وكأنما هى بصمات دالات على نظم دقيقة تتوارثها الكائنات من قديم الزمن ، ودون اخلال بهذه النظم التى تشير إلى خالق مقتدر .

تقاليع نسائية



فى احدى حدائق الحيوان كانت عدسة المصور تتابع هذه الفتاة ، حتى اذا ما وصلت الى ساحة الحمار الوحشى ، ووقفت لتتطلع اليه ، انتهز المصور الفرصة فكانت هذه اللقطة الطريفة التى تجمع بين ردائين متشابهين فى الظاهر ، ومختلفين فى الباطن ، وكان من الممكن الا يلفت رداء الفتاة الأنظار لو أنها كانت تسير فى أى مكان آخر ، لكن الأمر هنا مختلف ، إذ تبدو الفتاة وكأنما هى نصف انسان ونصف حمار ، ويبدو أن الحمار قد وقف ليتطلع الى هذا الزائر المخطط ، أو ربما العكس .. فالصورة معبرة ، وقد لا تحتاج الى كثير من التعليق ، لكن التعليق الوحيد ان حواء مغرمة بكل ما هو ملفت للأنظار ، حتى لو كان ذلك فى تقليد رداء مخطط كجلد الحمار .. وللنساء فيما يعشقن مذاهب !

ومن الريش ماخـــدع!



من أول نظرة تعلن هذه اللقطة عن نفسها ، فتبدو وكأنما هى ريش طير موزع بدون نظام ظاهر ، لكنها ليست فى الواقع كذلك ، فما نراه هنا ليس الا بخار ماء زفير إنسان على زجاج نافذة فى حجرة مغلقة ، ولقد تجمع على هيئة قطرات دقيقة سائلة ، ثم تحول الى بلورات ثلجية بفعل جو قارس البرودة انخفضت فيه درجة الحرارة الى ما تحت الصفر المئوى ، فكان هذا التشكيل المثير الذى يشبه الريش ..والواقع أن البلورات الثلجية تتخذ أنماطاً وأشكالا لا تقع تحت حصر ، ولهذا لا توضح اللقطة الا نمطاً واحداً من بلايين فوق بلايين .. فكما لا يتشابه اثنان فى بصمات الأصابع ، كذلك لا تتشابه بلورتان ثلجيتان فى تفاصيلهما الدقيقة ، ويرجع ذلك لأسباب كثيرة يتشعب فيها الحديث ويطول ، لكن يكفى أن نقول إن لكل عالم تناسقه وجماله ، حتى لو كان ذلك فى بلورات ماء ، يسعد بجمالها ودراستها العلماء ، فيضعون لها تقسيمات ، تفصلها فى مجموعات ، توضح تكوينات ما أروع نظامها وبهاءها !

تـــمـويـــه مـتـــقـــن!



كل شىء قد وضع للكائنات الحية بدقة بالغة ، حتى يواصل النوع حياته عبر الزمان والمكان ، فالحياة ذاتها حرص ومكر وتنمر ، ومن لا يأخذ فيها حذره ، فلا يلومن الا نفسه .. وخير توضيح يمكن أ ن نقدمه لندلل به على هذا الكلام هى اللقطة المنشورة هنا لفرخى طائر الزقزاق المطوق ، ومعهما أيضاً بيضتان لم يفقسا بعد .. والصورة تدل ا يضاً على تمويه متقن .. سواء على مستوى البيض أو الأفراخ ، ومن أ جل هذا فلا حاجة لهذا النوع من الطيور لبناء الأعشاش فى أماكن مستترة لتحمى بيضها وصغارها ، اذ ما عليها الا أن تختار لذلك أ رضاً مناسبة ، وبألوان مناسبة ، وبأحجام من الحصى مناسبة ، وبحيث يصعب على العين البشرية أو الحيوانية التمييز بين ما هو حى وما هو غير حى .. أضف الى ذلك أن الأفراخ تتجمد فى مكانها كلما أحست بدبيب قدم ، وكأنما هى وقطع الصخر المنتشرة حولها سواء بسواء .. الفكرة لاشك رائعة ، وذات كفاءة عالية ، بدليل أنها عمرت عشرات الملايين من السنين ، ولولا ذلك لانقرض هذا النوع من الطيور من قديم الزمن .. ولهذا فان كل خلق قد جاء لما هو له ميسر !





هذا المقهى شهد أشهر الأحداث السياسية والثقافية والفنية فى برلين .. ومازال يتردد عليه المشاهير .. إنه مقهى «كار نزلر»

رسالة برلين يكتبها : محمد سعيد

مدينة تبكي على الأطلال وتنشد الجمال والكمال

• الانسان العربى فى لوحة تمثل مبعوث هارون الرشيد إلى الامبراطور شارلمان لتوطيد العلاقات بين الشعبين .
• رغم سور برلين مازال إنسان المدينة يحاول تجاوز أطلال ماضيه !
• أبرز مشاكل المدينة : قلة المساكن ، واحتلال الشباب للشقق المغلقة !
• من هم الروائيون والشعراء الذين أضافوا الجديد للاتجاهات الأدبية والفنيه فى السنوات الأخيرة ؟

يتجاوز إنسان برلين أطلال ماضيه المخرب لينظر إلى الغد من خلال رؤية متفائلة فيها ود الترحيب بالقادم وشعور الصداقة الذى يحاط به الغريب الذى يحضر الى المدينة ذات الملامح المغرقة فى القدم الحضارى والمستغرقة أيضاً فى وضع مساحيق تجميل جراح الزمن الذى ترك بصماته على وجه برلين الجميل .. شوارعها .. معالمها .. حدائقها .. بحيراتها .. متاحفها ، والشعور الدفين الموروث داخل انسانها .

إن لوحة فى متحف برلين كانت النافذة التى أطل منها هذا الشعور نحو إنساننا العربى . اللوحة تمثل الملك شارلمان



لقطة عامة لقلب مدينة برلين الغربية ، وقد ظلت برلين عاصمة للرايخ لمدة سبعين عاما ، وهى الآن تحاول تجاوز أطلال ماضيها !

(الامبراطور كارل الأكبر) يستقبل فى قصره فى مدينة « أخن » مبعوث خليفة المسلمين هارون الرشيد .. اللوحة تذهب بى الى ملامح الحضارة العربية القديمة ، وتذهب بمحدثى الدكتور « هورست هاس » مسئول الاعلام فى مدينة برلين الى تراث قديم من المشاعر الموروثة داخل إنسان هذه المدينة .

يقول الدكتور هورست هاس : « قل أن توجد شعوب يمكن أن توصف العلاقات المتبادلة بينها بأنها علاقات ودية تقليدية مثلما هو الحال بالنسبة للعلاقة بين الألمان والعرب ، فقد سجل المؤرخون فى عام ٧٧٧ ميلادية أى قبل ١٢ قرنا أن وفداً إسلامياً جاء موفداً من الحاكم العربي فى الأندلس وزار المقر الامبراطورى الألمانى والتقى بالامبراطور كارل الأكبر (شارلمان) واتفق معه على إقامة حلف صداقة بينهما وقد ظلت هذه الصداقة قائمة برغم توترات الحروب الصليبية وصراعات الحروب الامبريالية ثم صراعات الحربين العالميتين الأخيرتين . وقد إتسمت هذه العلاقة بصفتين أولهما تقدير الألمان لما تدين به أوربا من فضل للحضارة العربية الإسلامية بداية من دور مدينة الاسكندرية فى أن تكون همزة الوصل بين الحضارات الشرقية والحضارات الغربية (الحضارة الهلينستيه) ثم دور الحضارة الإسلامية فى إيقاظ أوربا بعد سنوات العصور الوسطى المظلمة ، ثم من ناحية ثانية الإعجاب العربى بتجاوز الانسان الألمانى لمحنته التى انتهت به إلى التقسيم والدمار فى الحرب العالمية الثانية وكيف استطاع الانسان

الألماني أن يحقق المعجزة الإقتصادية ويتجه الى آفاق التحديث والتقدم الذى يلقى احتراماً وتقديراً عربياً واضحاً فى تزايد صور علاقات التعاون متعدد الاتجاهات الثقافية والاقتصادية والذى برز خاصة فى لقاء هامبورج من أجل تدعيم مبادىء الإتفاق على استمرارية الحوار العربى الأوربى .

برلين .. الجزيرة الأرضية

وبرلين جزيرة من نوع مختلف عن سائر الجزر . إن برلين جزيرة نصفها فى الشرق ونصفها فى الغرب ، ويقسمها سور رهيب يعبره الملايين من الغرب الى الشرق وبالعكس . والمواطن فى كل جانب يحمل مشاعر متناقضة برغم التسهيلات النسبية التى عادت على إنسان المدينة مؤخراً فى سهولة الاتصالات ، ولكن التسهيلات المستحدثة ليست الكافية ولا القادرة على أن تخفف جراح الزمن الذى مضى .

ففى عام ١٩٤٨ وبعد تقسيم ألمانيا الى جزئين أحدهما ألمانيا الديمقراطية (الشرقية) والآخر ألمانيا الاتحادية (الغربية) اتفقت الدول المتحالفة المنتصرة على تحديد التقسيم السياسى والادارى لمدينة برلين ، غير أن الاتحاد السوفيتى لم يوافق على هذا الإتفاق وحيث تقع كل مدينة برلين المقسمة « جغرافياً »داخل أراضي المانيا الديمقراطية ، التى دخلت بعد ذلك فى تحالف وارسو مع الاتحاد السوفيتى ، وفرض الشرق حصاراً على إتصال برلين بألمانيا الغربية حتى رفع هذا الحصار فى مايو ١٩٤٩ ، ولكنه عاد مع إشتداد الحرب الباردة بين الكتلتين من المطالبة بتحويل برلين الى مدينة موحدة منزوعة السلاح ، الى رفض للغرب الذى لم يوافق على هذه الفكرة التى جددت التوتر بين الجانبين والذى كانت ذروته فى رغبة آلاف الألمان المقيمين فى الجزء الشرقى من برلين فى الرحيل الى الجزء الغربى منها ، وكان الرد الألماني الشرقى بمساعدة الاتحاد السوفيتى هو إنشاء سور ضخم حول الجزء الغربى من برلين هو جدار برلين الذى فصل غرب المدينة عن شرقها الذى أعلنته ألمانيا الديمقراطية عاصمة لها ، مع أن المتفق عليه بين الحلفاء فى عام ١٩٤٩ والموثق فى دستور مدينة برلين عام ١٩٥٠ ان برلين (الغربية) واحدة من الولايات الألمانية الاتحادية وأن الجزء الشرقى ليس عاصمة لأى من الالمانيتين وهو وضع أعاد الحلفاء النظر فيه واحتفظوا بحقهم فى الاشراف على المدينة على أن تدمج فى النظام القانونى والاقتصادى والإجتماعى لجمهورية ألمانيا الاتحادية ، وقد تأكد هذا الوضع عالمياً مع إنضمام الدولتين الالمانيتين الى كل من التحالف الغربى والشرقى وحيث كان هناك تيار شرقي يرى قيام نظام كونفيدرالى بين الدولتين واتجاه غربي يغلب التوحيد وإجراء انتخابات حرة فى البلدين .

وقد أمكن مع الانفتاح على الشرق الذى كان السياسى الألمانى المستشار السابق فيللى برانت (أشهر عمدة لبرلين) داعياً له وحيث أمكن فى مارس ١٩٧٠ التفاوض حول وضع برلين والذى جعل الاتحاد السوفيتى لاينازع فى حق الوجود الغربى فى برلين الغربية وفى الروابط القائمة مع جمهورية ألمانيا الاتحادية . وقد علمت من الدكتور بيتر لورانس ممثل الحكومة الألمانية الفيدرالية فى برلين فى لقاء معه فى مبنى بلدية برلين أنه قد تلى ذلك الاتفاق تفاهم على تنظيم المواصلات البرية والحديدية والمائية بين برلين الغربية وجمهورية المانيا الاتحادية كما أمكن لأهالي برلين الغربية بعد زمن طويل من المنع زيارة اقاربهم فى برلين الشرقية أو فى ألمانيا الديمقراطية وعادت الاتصالات التليفونية بين شطرى المدينة بعد انقطاعها لعدة أعوام طويلة .

المرح التقليدى والثقافات والفنون

ورغم معاناة سنوات الانقسام وقسوة الشكليات لايزال البرلينيون يتمتعون بما اشتهر عنهم من مرح تقليدى بجانب حبهم للفنون والثقافات وهى عوامل تمكنهم من التغلب على مشاكلهم مستقبلا .

إن مدينة برلين تتميز بطقس جميل فى الصيف لكنها تشهد أياماً طويلة من الصقيع تمتد حول فصل الشتاء وتصل الى أكثر من ٢٠٠ يوم فى كل عام .

ومساحة برلين الغربية ٤٨٠ كيلومترا مربعا يعيش فيها مليونان من السكان بجانب ربع مليون أجنبى يعيشون فى ضيافتهم ، غالبيتهم من الاتراك . أما برلين الشرقية فيعيش فيها حوالى مليون ونصف مليون نسمة وفى ألمانيا الديمقراطية ١٧ مليون نسمة . وأصول الشعب الألمانى تعود الى سلالات القبائل الألمانية السكسونية والبافارية والشوابية والفرانكونية ، واللغة الألمانية توحدت من لهجات القبائل الألمانية فى القرن السابع عشر .



الحياة فى الجانب الشرقى من برلين .. بعض سكان عاصمة المانيا الديموقراطية فى الشارع المؤدى إلى ميدان « الكسندر بلاتز »



المهرجانات الشعبية فى الشوارع أثناء الاحتفالات بالمناسبات القومية

وبرلين فى قسميها هى واجهة للشرق والغرب (فترينة) وفى كل منها معرض صناعى تجارى دولى وأسبوع سنوى للانتاج الغذائى ومعرض للتقدم فى الاعلام التليفزيونى الدولى ومهرجان سينمائى دولى ومهرجان للسياحة العالمية ومهرجانات متعددة للأزياء .

أما أبرز مشكلة فى برلين الغربية فهى مشكلة المساكن واحتلال الشباب للشقق المغلقة وهى مشكلة قائمة فى برلين منذ عدة سنوات بسبب عجز حركة البناء عن استيعاب الطلب على المسكن وحيث المساحة المحددة للمدينة التى تشبه الجزيرة المسورة والمحاطة بالحائط والذى يقف عقبة أمام التوسع الأفقى فى البناء دون الاعتداء على المساحات الخضراء والبحيرات المائية .

وفى برلين صحافة يومية وأسبوعية وشهرية وأهم الصحف اليومية التى تصدر فى برلين « برلين تسايتونج » وهى أهم صحيفة من بين ١٢ صحيفة يومية وتوزع هذه الصحيفة ٣٣٢ ألف نسخة يومياً أما فى برلين الشرقية فتصدر ٩ صحف يومية أشهرها جريدة « نيوز ديتشلاند » أى

جريدة ألمانيا الجديدة وفى برلين الشرقية عاصمة ألمانيا الديمقراطية قناتان للتليفزيون وثلاثة برامج للراديو أما فى برلين الغربية فهناك إذاعة برلين الحرة التى تدار بأسلوب ذاتى من خلال مجلس استشارى يتكون من ممثلين لأهم المجموعات السياسية والفلسفية والإجتماعية ثم التليفزيون وتضم برامجه الدراما التليفزيونية ٩٪ والدراما السينمائية ٩٪ والبرامج الموسيقية ٢٪ والمنوعات والتسليه ١٥٪ والرياضة ٧٪ والأطفال والشباب ١٠٪ والبرامج الاخبارية والسياسية ٢٠٪ وهناك البرنامج الثانى ويهتم بالثقافة بنسبة تصل الى ٢٨٪ من حجم زمن الإرسال وهناك البرنامج الثالث وهو متخصص يتناسب مع حاجة كل إقليم فما يناسب برلين قد يختلف عما يناسب هامبورج أو شتوتجارت . والتليفزيون الألمانى يستخدم نظام (بال) المبتكر من خلال الخبراء الألمان ونفقات تمويل الخدمات الاذاعية المرئية والمسموعة يتم تمويلها من الرسوم التى يدفعها المستمعون والمشاهدون كما تساهم حصيلة الاعلانات فى جانب من التمويل .

لا مركزية الثقافة والتأثير الفكرى

وقد ظلت برلين عاصمة للرايخ لمدة سبعين سنة ولكنها لم تكن لها الوضع المهيمن على الحياة الإجتماعية والثقافية فى ا لمانيا على نحو نراه فى التأثير الباريسى على فرنسا والتأثير اللندنى على بريطانيا وبدليل أن هامبورج هى العاصمة الصحفية وفيها تصدر أهم الصحف والمجلات الألمانية مثل « شتيرن » — « دير شبيجل » . وتعتبر فرانكفورت عاصمة النشر والثقافة وميونيخ عاصمة المسرح ودوسلدورف العاصمة العلمية ولكن برلين لازالت تنفرد بأن فيها ا هم المتاحف الألمانية وهى عدد من أهم متاحف العالم .

وأهم التيارات الفكرية التى تصارعت فى العالم وفى ألمانيا ، وكانت برلين أحد مراكز الإشعاع الفكرى فيها ، تلك التيارات التى شملت الغرب مثل الفلسفات والايديولوجيات المختلفة ، فعلى حين كانت الوجودية واضحة التأثير في السنوات الاولى التالية للحرب العالمية الثانية والتي ارتبطت بمؤلفات هايدجر وكارل ياسبر بدأ فى اتجاه آخر الاعراض عن الايدلوجيات الماركسية بعد تقسيم ألمانيا وحيث أصبحت عقيدة الجزء الشرقى منها يواجهها فكر آخر فى الجانب الغربى من خلال فكر الديمقراطيات الغربية الذى يبدو واضحاً فى فكر الحزب المسيحى الديمقراطى والحزب المسيحى الاجتماعى والحزب الاشتراكى الديمقراطى والحزب الليبرالى الحر ، بينما يظل الاهتمام بالماركسية إهتمام القلة فى الجانب الغربى من برلين .

وقد مر الأدب الألمانى الحديث بعدة مراحل متأثراً بالاتجاهات الفلسفية السابقة وبعد سنوات العزلة التى فرضتها السياسة النازية على الأدب الألمانى الذى لم يتأثر بالمدارس الأدبية والتيارات الفكرية الخارجية إلا بعد الحرب وكان ذلك من خلال الاقتراب من وجودية جان بول سارتر وواقعية إرنست هيمنجواى وإنسانية



الزحام على المقاهى فى شهور الصيف ، حيث يحلو السهر والمرح وتبادل الأحاديث

وشفافية جون شتاينبك ثم كان الحنين الى كتابات الأدباء الألمان المهاجرين أمثال توماس مان والفريد دوبلين وبرتولد بريخت وغيرهم .

وقد نشأ بعد الحرب تيار أدبى يسميه نقاد الأدب الألمانى « أدب الأطلال » وهو الأدب الذى استغرق فى معالجة تجارب الحرب وما بعدها وما ترتب على تقسيم المانيا وتقسيم العاصمة الموحدة برلين ، ومن هذا الاتجاه كتابات جونتر آيش وولفجانج بورشرت ، ثم فى الخمسينات وبعض الستينات ظهر أدب النقد الاخلاقى للمجتمع ونقد سلوكيات مجتمع الوفرة والرخاء والاباحية وكان هذا واضحاً فى روايات هانيرش بول ومارتن فانسر ثم جاءت بقية الستينات والسبعينات ليعود الأدب السياسى مع بداية الحركة الثورية الشبابية للطلاب وقوة حركات السلام الأوربية وظهور نفوذ جماعات الخضر ومن أهم من يعبر عن ذلك الاتجاه من الكتاب والروائيين إريكا ونجه وجونتر فالراف وغيرهما من الأسماء التى أضافت الجديد الى الاتجاهات الكلاسيكية مثل جابرييلا نومان فى القصة وهيلدا دومين فى الشعر وجونتر جراس فى الرواية الواقعية والنقد الأدبى . على أن اسم هنريش بول يعد أشهر هذه الأسماء لحصوله على جائزة نوبل فى الأدب عام ١٩٧٢ بالرغم من أنه الألمانى السادس الذى يحصل على مثل هذه الجائزة .

أما الفن التشكيلى فان اتجاهات الواقعية الاشتراكية التى وضحت على أعمال الجانب الآخر من فنانى برلين لم تؤثر على اهتمامات فنانى برلين الغربية ممن تأثروا باتجاهات الفنانين فى أوربا الغربية خاصة فى فنون التصوير والنحت وحيث يبدو فى برلين أثر المثال كارل هارتونج صاحب التماثيل الضخمة ذات المضمون التأثيرى العميق ومن ناحية ثانية يبدو اتجاه زميله هانز أولمان الى التجريدية من خلال أعمال تتناسب وتتناسق مع قوانين الطبيعة وأشكالها .

وأكبر تجمع للمتاحف فى أوربا يبدو فى مدينة برلين حيث توجد المتاحف العامة والمتخصصة مثل متحف القطع النحتية القديمة ومتحف المصريات وآثار الشرق الأوسط ومتحف الفنان كولبه ومتحف تاريخ الفن الألمانى وقاعة اللوحات الوطنية (متحف الفنون الحديثة) ومتحف الطيران العالمى ومتحف علم الشعوب بجانب عدد آخر من المعارض الموسمية المتنوعة .

وفى مجال الموسيقى نلحظ الدور الخصب لنشاطات أوبرا برلين ومسرح فريق فيلهارمونى فى برلين وفرقة أوركسترا الاذاعة وفريق أماتى الذى يقوده المايسترو راينر كولبله . وأهم النشاطات الموسيقية فى برلين فرق موسيقى الجاز الألمانية وفرق موسيقى البوب الألمانية وفرق المنوعات

الغنائية الاستعراضية التى تقدم أعمال ماكس جريجر وجيمس لاست وغيرهما ممن تلقى أعمالهم تجاوباً عالمياً ، وفى برلين دراسات اكاديمية للموسيقى وفيها المعهد الدولى للدراسات الموسيقية المقارنة .

أما أشهر مسارح الدراما فى برلين الغربية فهو مسرح « شيللر » والمسرح الشعبى الحر ومسرح النهضة ومسرح أوفر وفى برلين الشرقية مسرح برتولد بريخت والمسرح الحديث . وأهم الأعمال الكلاسيكية التى تقدم على مسارح برلين أعمال شكسبير وشيللر وجوته ثم من الأعمال المعاصرة اعمال برنارد شو وبرتولد بريخت وجان آنوى ومن كتاب المسرح الألمانى رودلف هو فهوت وهاينار كيهارت وبيتر فايس الى جانب تقديم أعمال كبار كتاب المانيا الديمقراطية على مسارح برلين الغربية مثل بيتر هاكس وأولدريش بلنسدروف . ويقام فى برلين من عام الى آخر مهرجان « لقاء المسرح » الذى يقدم مجموعة مختارة من الأعمال المسرحية المتميزة .



لوحة المانية تمثل الملك شارلمان (الامبراطور كارل الأكبر) يتلقى الهدايا التى أرسلها هارون الرشيد

أما الفن السابع فان برلين تشتهر بمهرجانها السينمائى الدولى الذى يمنح جائزته الرئيسية « الدب الذهبى » وجائزته الخاصة « الدب الفضى » لأفضل الأعمال وقد حصل على الجائزة الفضية منذ عدة أعوام الفيلم العربى « اسكندريه ليه » اخراج يوسف شاهين ، وللدراسة الأكاديمية السينمائية فى برلين معهدان أولهما مدرسة السينما الجديدة ثم مدرسة صناعة الأفلام وحرفيات السينما . وأشهر نجوم الاخراج فى السينما الألمانية البرلينيه الكسندر كلوج وفلكرشلوندروف والراحل راينر فاسبندر وفيم فيندوس وغيرهم . أما أشهر ما قدمت السينما الألمانية البرلينية من أفلام فكان فيلم (الطبلة) اخراج شلوندروف عن قصة جونتر جراس والتى حصلت على الجائزة الأولى (النخلة الذهبية) فى مهرجان كان عام ١٩٧٩ وفيلم (ليلى مارلين) الذى أخرجه فاسبندر قبيل رحيله المفاجىء .

••• برلين مدينة ألوان قوس قزح متباينة الدرجات ، واضحة الملامح ، تعشق ألوانها فى كل مجالات النشاط الانسانى وفى معظم حالات اختلاف التوقيت والزمان مع بقاء استقرار المكان .. تعشق ألوانها فى صباح ملبد بالغيوم التى تنقشع فجأة عن ضياء أخاذ ، وتعشق معالمها أيضاً إذا مررت من الشارع الكبير المسمى « بودا بستر شتراس » لتتوقف أمام محطة حديقة الحيوانات ومبنى متحف الأحياء المائية ، ولكى تمعن النظر فى تأمل أصالتها ومرارة تجربتها عبر ماضيها القريب وحاضرها الذى ينشد الجمال والكمال فى ظل متغيرات واقع يصعب على التغيير ومستقبل يمكن تصوره أو تتمنى قيامه إذا عبرت أمام الجامعة أو رأيت حركة تلاميذ المدارس فى مراحلها المختلفة وإذا تأملت دورة الحياة مع العمال والموظفين وغيرهم من العناصر المنتجة التى توفر للاسواق وفرتها السلعية ومعظمها من الانتاج البرلينى ، الذى يجعل مستويات البطالة أقل من غيرها من العواصم الكبرى فى أوربا الغربية كما يجعل متوسط دخل الفرد من أعلى مستويات الدخل فى الغرب الرأسمالى ، إن دورة أمام سارى (عمود) النصر ووقفة أمام بوابات العبور العديدة عبر السور الكبير الذى يحيط برلين يعيد ذاكرتك الى تلك الأيام القديمة الجميلة ثم تلك السنوات المريرة الجريحة التى تجعلك تهرب من لقاء المجد مع الانكسار فى رموز مشتركة لكى تعبر فوق مجرى النسيان فى واقع المدينة الترفيهى والاستهلاكى والذى يتجسد خاصة فى المركز الأوربى وما يحيط به من علب وملاهى الليل وكذلك فى مبنى « الكونجرس » ذى الطابع الثقافى المتنوع وهى معالم جدت بعد التقسيم على برلين الغربية ومثلها ما جد على ميدان « الكسندر بلاتز » فى برلين الشرقية والذى يبدو فيه برج التليفزيون شاهقاً عالياً وكأن ما يجرى على الجانبين محاولة للتبارى فى نسيان الواقع وتجاوزه وعبور المستقبل عبر البحث عن الرضا عن الأمر الواقع !

محمد سعيد

● كان فى طفولته يقضى الساعات الطويلة مع أوراقه وأقلامه وألوانه ، بدلا من العبث مع الصبية خارج البيت !

● ... وكانت المفاجأة الكبيرة : لقد أقتنت الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية لوحة من لوحاته وهو مازال طالبا !

● أصالتة الفنية تتمثل فى التزامه بالمضمون التراثى وألوان البيئة !

سلمان المالكي

رحلة مع الألوان والتراث وزخارف البيئة

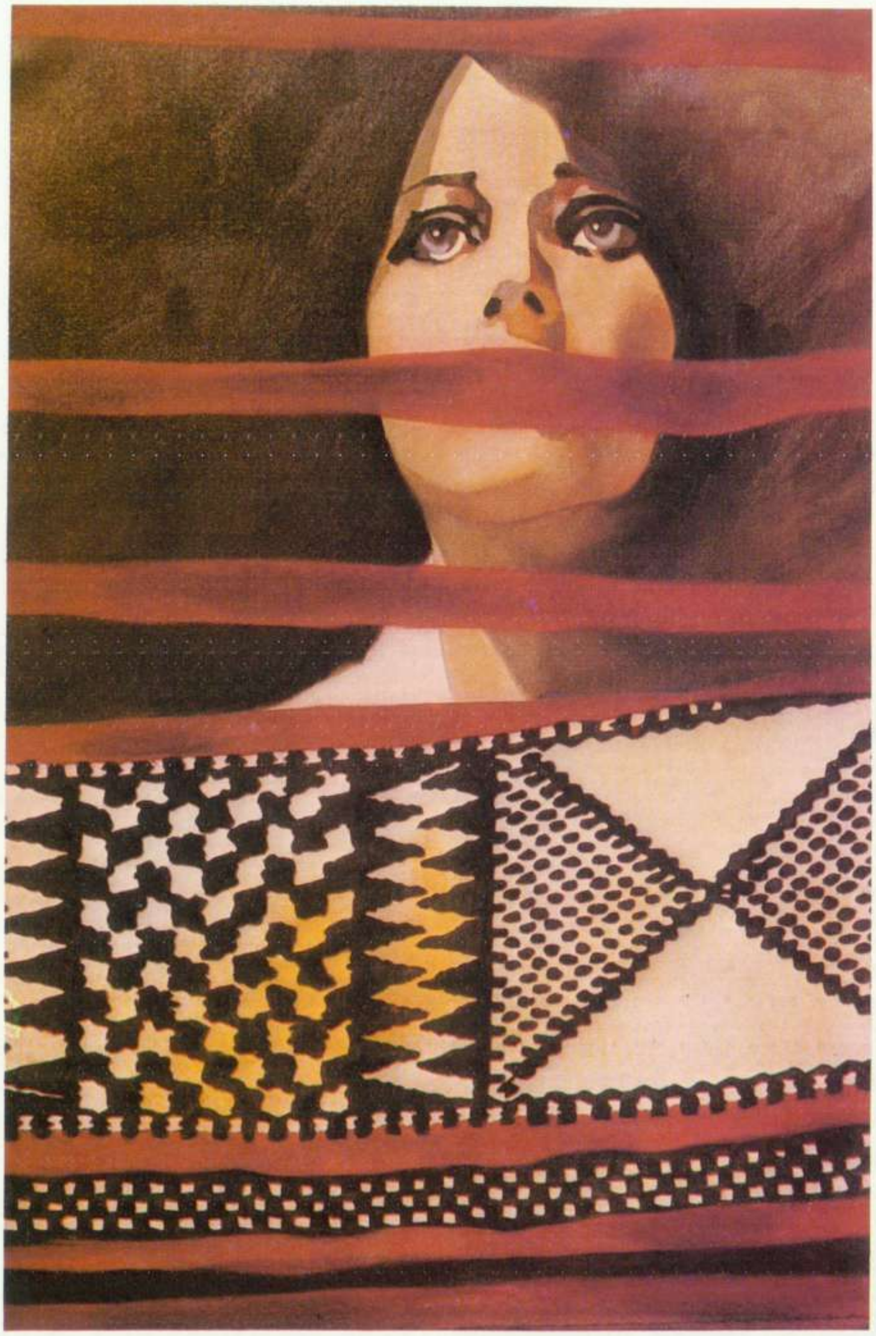
بقلم : جمال قطب



الفنان سلمان المالكى



الصياد : لوحة زيتية ، استخدم فيها الفنان الأسلوب التأثيرى مع اختصار العناصر التى تكون عادة فى رحلة الصيد



الحائرة : لوحة زيتية تميزت باستخدام الزخرف الخليجى مع وجه فتاة



الغزال : من وحى البيئة الصحراوية .

الفنان سلمان المالكى هو ثمرة من ثمرات النهضة الفنية التى تشهدها دولة قطر ، والتى أدت إلى انطلاق الطاقات المبدعة وتفتح الملكات المتعددة المواهب ..

إنه إحدى المواهب الفنية التى تفتحت وازدهرت ــ فى ظل الرعاية والتشجيع ــ حتى صارت مـلء الأسماع والأبصار فى دول الخليج ، بل وفى عالمنا العربى الكبير ، وذلك من خلال التزامه بالمضمون التراثى ، واهتمامه بالأبحاث اللونية الزخرفية ، ذات الإيقاعات المتميزة !



مازالت تحلم : إحدى اللوحات التى استخدم فيها الفنان المساحات اللونية الصريحة ليعبر بها عن عالم الحلم .. بعيدا عن الواقع

إن فناننا هو أحد الموهوبين في مجال الفن التشكيلي .. وقصته مع الفن .. تبدأ منذ نعومة أظافره .. وإن كانت تختلف بعض الشيء عن مثيلاتها لفنانين في دول أخرى كثيرة .. ووجه الاختلاف أن حركة الفن في الدول الخليجية عامةً حديثة العهد ـ نسبيا ـ حيث أنها لم تتعد بضعة عشر عاما فحسب .. وأن التقاليد الموروثة والعادات السائدة .. لم تكن لتشجع على مثل هذه التخصصات الفنية الرفيعة .. ولذلك ، فإن الموهبة التي تشق طريقها وتتفتح متحدية كل هذه الظروف والعوائق .. لهي موهبة حقيقية جديرة بالتقدير والإعجاب !



استرخاء : هذه اللوحة تمثل امتدادا لأسلوب الفنان واستخدامه للزخرف الخليجى فى الخلفية لإثراء العمل الفنى وإعطائه الطابع المحلى

تفتح الملكات

وهكذا كان فناننا سلمان المالكي .. نشأ كالزهرة البرية .. كل ما يتذكره أن حبه للرسم قد ملك عليه كل حياته واهتماماته .. وكان أفراد أسرته ينظرون إليه في عجب وإعجاب .. شيء غريب لم يألفوه من قبل .. طفل لم تتجاوز سنوات عمره أصابع يده .. ولكنه يقضي الساعات الطويلة مع اوراقه وأقلامه وألوانه .. لايحس بما حوله .. وكأنه يعيش عالما غير عالم الطفولة العابث المشحون باللهو والصخب والجري والصياح ..

ورضي الأهل بالأمر الواقع .. فالعبث بالأقلام والألوان خير من العبث مع الصبية من أقرانه خارج البيت .. وكان على الوالد أن يشجع ولده .. فكان يأتي اليه بمزيد من الأوراق والحبر الشيني من المكتب الهندسي الذي يعمل به في شركة النفط .. وأصبح هذا الرضى والتشجيع من الوالد بمثابة الضوء الأخضر للطفل الفنان بأن يستمر .. وأن يجيد وأن يكون جديرا بإعجاب والده وأفراد أسرته .

وفي مرحلة الدراسة الابتدائية .. تفتحت عيناه على عوالم جديدة .. فهناك مدرس للتربية الفنية .. تخرج من الجامعة



الصياد والبحر : استوحى الفنان هذه اللوحة من مدينة الخور الساحلية

ليكون فناناً . وبذلك رسخت في ذهنه قيمة الفن ورحابته .. وقامت روابط روحية بين التلميذ وأساتذته .. يشجعونه ويغمرونه بالهدايا وبألفاظ الثناء والمديح وإطراء موهبته المبكرة .. ! وأصبح الفارس الصغير بطلا في جميع معارض المدرسة الابتدائية في شتى المناسبات .. وما أكثرها على مدار السنة ..

وفي العام الأول من مرحلة الدراسة الثانوية .. كانت المفاجأة !

فقد أقيم في دولة الكويت معرض عام للفنانين التشكيليين العرب .. واشترك سلمان المالكي ضمن من اشتركوا من الفنناانين القطريين في هذا المهرجان الفني الكبير .. وفي نهاية المعرض الذي ضم أعمال العشرات من الفنانين العرب المرموقين ، وقع اختيار اللجنة على لوحة سلمان .. واقتنتها ممثلة لدولة قطر !

وكتب الناقد المعروف كمال الجويلي - آنذاك - في صحيفته القاهرية يقول : «.. لنضع خطا تحت اسم هذا الفنان الناشىء .. فسيكون له شأن عظيم في الفنون التشكيلية في بلده بعد نحو خمس سنوات » !

ومنذ ذلك الحين .. لم يتخلف سلمان عن المساهمة بلوحاته في شتى المناسبات والمعارض القطرية بجانب زملائه الفنانين الذين سبقوه في هذا المضمار ، وكثير منهم قد تخرج في أكاديميات الفنون من القاهرة وبغداد وغيرهما من العواصم العربية .

ومما هو جدير بالذكر أن المعارض الفنية قبل عام ١٩٧٥ ، كانت بمثابة اجتهادات شخصية أو تجمعات محدودة يتبناها (نادي الجسرة) أو غيره من المؤسسات الشبابية في الدوحة .. ولكن معرض عام ١٩٧٥ كان إيذانا بعهد جديد من إقامة المعارض الجامعة .. وقد أقيم بالفعل أول هذه المعارض بمبنى المتحف الوطني وافتتحه الأستاذ عيسى غانم الكواري وزير الاعلام ، حيث تتعهد وزارة الاعلام مختلف النشاطات الفنية في البلاد ، بجانب المهام الاعلامية الأخرى .. وكان لابد لفناننا سلمان المالكي أن يشترك في هذا المعرض الرسمي آنذاك .. وليحصل على مبلغ سخي ثمنا للوحتين اقتنتهما الوزارة .. ولأول مرة في حياته يجني ثمار موهبته المبكرة .. ويتسلم شيكا بمبلغ أربعة عشر الف ريال ! (ولنتصور قيمة هذا المبلغ منذ نحو عشر سنوات) .

الحلم القديم

كانت القاهرة تراود خيالاته الخصبة وطموحاته الآملة .. ويتحرق شوقا إلى كلياتها الفنية ومتاحفها ومعارضها التي تصافحه أخبارها كل صباح في وسائل الاعلام المختلفة .. كما كانت الصحف المصرية بما تزخر به من أعمال فنية صحفية تثير وجدانه .. ويقف طويلا أمام الرسوم الكاريكاتيرية بخطوطها المبسطة وإيحاءاتها الهادفة .. وما أن نجح في نهاية المرحلة الثانوية حتى صمم على الذهاب إلى القاهرة .. ورأت إدارة البعثات في وزارة التربية والتعليم .. غير مايرى .. ورشحته للإيفاد في بعثة إلى الولايات المتحدة الأميريكية لدراسة إدارة الأعمال .. ولكنه استطاع أن يقنع المسئولين برغبته في دراسة الفن بالقاهرة .. والتحق بكلية التربية الفنية هناك .. (وهنا يجب أن نوضح معلومة هامة .. وهي أن المكان الطبيعي لدراسة الفنون التشكيلية بشمولية واستيعاب أكثر .. هو كلية الفنون الجميلة .. ولكن وزارة التربية والتعليم القطرية .. تهدف في المقام الأول بحكم اهتماماتها التربوية إلى أن توفد مبعوثيها إلى كلية التربية الفنية .. وبذلك تحقق الهدفين مجتمعين : الفن والتربية)

نعود إلى سلمان وقد حقق حلمه .. وهاهو ذا قد أصبح في القاهرة ، ينهل من



عازف الصرناي (المزمار) : لوحة زيتية استقاها الفنان من وحى الأفراح الخليجية

سلمان المالكي

رحلة مع الألوان والتراث وزخارف البيئة

دراستها ومتاحفها ومعارضها على مدار أيام السنة .. ثم تنشأ بينه وبين كثير من رسامي الصحف صلات وطيدة وجسور فكرية دائمة لتبادل الرأي والمعرفة .. ولم تنقطع صلته بالدوحة ، مشاركا في جميع معارضها .. مساهما برسومه الكاريكاتيرية في مجلة (العروبة) .. وكانت هي المجلة الوحيدة في قطر .. فلم تكن الصحف اليومية قد ظهرت بعد .

.. ويعود سلمان المالكي إلى ذكرياته في كلية التربية الفنية في القاهرة .. إنه يحكي على استحياء في أدب جم (وهو ما عرف عنه من أدب وتواضع وخلال رفيعة) .. كيف استضافت الكلية أحد اساتذة فن الكاريكاتير المعروفين في واحدة من أكبر صحف القاهرة وهو مصطفى حسين ، ليلقي محاضرة ويستعرض أعمال الطلبة ذوي الاهتمامات في هذا المجال .. وعندما وقع بصره على رسوم سلمان .. تأملها طويلا ، ثم نظر إليه قائلا : «لاشك أنك ستكون أحد رسامي الكاريكاتير المعروفين في العالم العربي مستقبلا» !

تعدد الاهتمامات والأساليب

حصل فناننا ــ بعد مرحلة الدراسة الجامعية ــ على الامتياز .. وكان مشروع البكالوريوس هو مظاهر الاحتفالات الشعبية في قطر . وبهذا لم ينسلخ سلمان المالكي عن بيئته وتراثه .. وهذه أهم مميزات الفنان الأصيل ! ولا غرو أن تحتفظ كليته باحدى لوحاته ذات الطابع الخليجي ضمن معروضاتها الخاصة الدائمة !

وللحق ، فإنني عندما هممت بالكتابة عن سلمان ، كنموذج مشرف للفنان القطري الطموح .. وقفت متأملا في إعجاب لشمولية اهتماماته وتعدد أساليبه .. ولم يزل إعجابي الأكثر .. بشخصيته وأخلاقياته التي تتسم بروح الفن السامية .

إن فناننا مثل للاجتهاد والدأب والبحث عن مناهل المعرفة .. يعيش التجربة الفنية بكل رحابتها وتعدد مجالاتها التصويرية والزخرفية والتوضيحية والصحفية .. وهناك ظاهرة رائعة لا يتحلى بها إلا ذوو المواهب الطموحة المتجددة .. وهي القلق الدائم وعدم الرضا عما قد تحقق والتطلع إلى الأحسن !

وهكذا نجد سلمان .. يشترك في المعارض بلوحاته الزيتية ذات الأسلوب الواقعي والموضوعات التراثية الخليجية .. وإن كنا نلمح توافق الألوان بطابع زخرفي هادىء .. متأثرا بدراسته الأكاديمية .. كما نراه في الوقت ذاته يجنح إلى الموضوعات الرمزية والتكوينات المحورة تحويرا هو اقرب إلى التجريد الخالص كأبحاث لونية زخرفية ذات إيقاعات لونية متميزة ، كما أن (الخط) عنده يحظى باهتمام كبير .

وسواء أكانت لوحاته مما تعني بالتجسيد وتهتم بالبعد الثالث أو كانت أبحاثا تجريدية مما يعرف بالبعد الواحد .. إلا أننا نلحظ التزامه بالمضمون التراثي وألوان البيئة .. وهذه هي الأصالة الفنية التي تعطي للفنان هويته القومية والوطنية ..

أي أن سلمان المالكي ــ وقد تعددت نزعاته في الشكل والموضوع ــ لا يدعي لنفسه شخصية مستقرة ثابتة .. ولكنه يسير على الطريق الصحيح .. يبحث بإخلاص .. ويتأمل بوعي .. ويدرس باستيعاب .. تزخر مكتبته بالعشرات من أمهات الكتب الفنية في شتى التخصصات .. وطموحه الفني لايقف عند حد .. يخاطب الناس بلغة يفهمونها في غير ترفع ولا استعلاء .. ينتهج المنطق الرومانسي الهادىء في لوحاته أو في الحوار الفني مع الجماهير من خلال رسومه الكاريكاتيرية الاجتماعية أو السياسية التي تصافح عيوننا وعقولنا كل صباح على صفحات جريدة (الراية) القطرية .. ويفاجئنا عاما بعد عام بأسلوب يتشكل ويتطور إلى المزيد من الاحساس والفهم في سعيه وراء الأحسن والأجمل ..

إن ما يلح على خاطره حاليا .. هو أن يضيف إلى اهتماماته المتشعبة .. اهتماما ابداعيا جديدا هو المامه بفنون الحفر (الجرافيك) و (الليثوجراف) وأساليب الطباعة الفنية اليدوية .. وهو ما يعني به معظم الفنانين التشكيليين في عالم اليوم ..

إن سلمان المالكي وهو الفنان الواعي الذي يتقد ذكاء وحيوية وثقة بالنفس .. لهو جدير بأن يكون محل تقديرنا وإعجابنا .. وثقوا بأن خميلة المواهب القطرية .. لن تلبث أن تتفتح براعمها .. لتزدهر وتملأ الأجواء عطرا .. وما أكثر الزهرات اليانعة في خمائل الدوحة على شاطىء الخليج العريق .

جمال قطب

أخطاء لغوية معاصرة

بقلم: الدكتور عبد الله العبادي
جامعة قطر

أخلاق :

يقولون « فلان لا أخلاق له » أو « لاأخلاق له » ويقصدون بذلك أنه سيىء الأخلاق ، أو أخلاقه رديئة . أو عكر المزاج ، وهذا خطأ فى التعبير ، ذلك أن كل انسان له أخلاق فإما أن تكون أخلاقه حسنة ، وإما أن تكون أخلاقه سيئة فالصواب أن يقال « فلان حسن الأخلاق » اذا كان متصفاً بالأخلاق الحميدة ، وسيرته حسنة ، وأن يقال « فلان سيىء الاخلاق » اذا كان متصفاً بالأخلاق الذميمة ، فالذى يحدد المعنى المقصود من الأخلاق هو وصفها بالحسن اذا كانت حسنة ، ووصفها بالسوء اذا كانت سيئة .

والأخلاق جمع خُلُق و خُلْق (بضم الخاء واللام فى الأول ، وضم الخاء ، وسكون اللام فى الثانى) .

والخُلُق والخُلْق ـ كما جاء فى لسان العرب ـ الدين والطبع والسجية ، وحقيقته أنه لصورة الانسان الباطنة وهى نفسه ، وأوصافها ، ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق بصورته الظاهرة ، وأوصافها ، ومعانيها ، ولها أوصاف حسنة ، وقبيحة ، ولا يجمع الا على أخلاق .

ومما جاء من الأحاديث فى حسن الخلق قوله عليه الصلاة والسلام « إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » وقوله « أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً » وقوله « إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم » .

وقول عائشة رضى الله عنها . « وكان خلقه القرآن » أى إنه متأدب بآدابه ، ومتمسك بأوامره ونواهيه .

وقال الشاعر :

خالق الناس بخُلْق حسن
لا تكن كلباً على الناس يهر

ومما جاء فى سوء الخلق قول الرسول الكريم « سوء الخلق شؤم وشراركم أسوأكم خلقاً » وقوله « سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل » .

أما قول شوقى :

وإنما الأمم الأخلاق مابقيت
فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وذكره للأخلاق مجرداً من الوصف ، فإنما يعنى الدين والمروءة والسجايا الحسنة ، فأل هنا للعهد الذهنى ، أى الأخلاق المعهودة وهى الحميدة الحسنة .

أما الخلاق ـ كما جاء فى المصباح المنير ، ومختار الصحاح ـ فهو الحظ والنصيب ، ومنه قوله تعالى (ومالهم فى الآخرة من خلاق) البقرة . أى ليس لهم حظ ولا نصيب من الخير .

وجاء فى التاج الخلاق الحظ والنصيب الوافر من الخير والصلاح يقال : لاخلاق له ، أى لا رغبة له فى الخير ، ولاصلاح فى الدين أما الخلق (بفتح الحاء وسكون اللام) فهو التقدير ، والابداع وهو أيضاً الكذب ، والاختلاق كذلك ، فكأن الكاذب تخلق قوله ، وأبدع فيه ليؤثر على السامع فيقبله .

والخَلَق (بفتح الخاء واللام) البالى من كل شيء ، ويستوى فيه المذكر والمؤنث تقول « ثوب خَلَق » و « ملحفة خَلَق » ولم يسمع من العرب « خَلَقة » للمؤنث .

والجمع خُلْقان ، وأخلاق ، وقد يقولون ثوب أخلاق ، وملحفة أخلاق بمعنى أنه كله خلق ، وكلها خلق .

كلما .. كلما :

ويقولون « كلما ارتفع سعر البترول ، كلما ازدادت أسعار السلع المستوردة » « كلما دب الخلاف بين صفوف المقاومة الفلسطينية ، كلما فرحت اسرائيل وتمادت فى طغيانها » .

والصواب « كلما دب الخلاف بين صفوف المقاومة الفلسطينية ، فرحت اسرائيل وتمادت فى طغيانها » .

ذلك أن « كل » مضافة الى « ما » المصدرية الزمانية ، وصلتها ، فهى فى معنى الظرف ، فعلى ذلك تحتاج الى متعلق ، والى جواب فى المعنى ، ولايوجد فى المثال الأول سوى « ازدادت » ولا يوجد فى المثال الثانى سوى « فرحت » لأن جملة ارتفع سعر .. صلتها ، وكذلك فى المثال الثانى جملة « فرحت .. » فإنه صلة ، وما بعد « كلما » الثانية صلة لها ، فأين جواب الأولى إذن ؟ فيترتب على ذلك نقصان فى المعنى .

ومن ذلك قوله تعالى (كلما) نضجت جلودهم بدلناهم ..) .

(كلما أضاء لهم مشوا فيه) (وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه) (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً) .

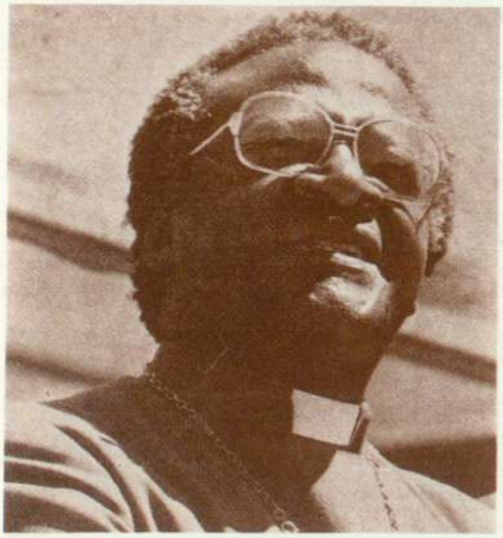
وقال شوقى :

أمة ينتهى البيان اليها
وتؤول العلوم والعلماء
كلما حثت الركاب لأرض
جاور الرشد أهلها والذكاء

فلم يقل كلما جاور ، من ذلك تدرك أن تكرار « كلما » خطأ فى اللفظ ، يؤدى الى نقص فى المعنى ، والله أعلم .

- الأسقف « ديزموند توتو » يفوز بجائزة نوبل للسلام .
- هل تمنعه حكومة بريتوريا من تسلمها فى ديسمبر المقبل كما فعلت مع الفائز بالجائزة عام ١٩٦٠ ؟
- الجائزة مقدارها ١٩٢ الف دولار ، ينوى الأسقف الافريقى وقفها على المنح الدراسيه : للطلاب من أبناء جلدته .

الفائز بجائزة السلام هل تمنعه حكومته من استلام الجائزة ؟



الفائز بجائزة نوبل للسلام : ديزموند توتو

الأسقف ديزموند من أكبر المكافحين ضد العنصرية والتعصب العرقي ، وهو صاحب رسالة خلقية يدافع عنها فى عناد ثائر وهو صاحب الكلمة المشهورة « إن عزل الانسان الأسود وحصره فى أماكن معينة .. أماكن مجدبة لا تجود أرضها بما يحقق للفرد حتى قوت يومه أشبه بما كانت تفعله المانيا النازية » وعلى الرغم من أنه كان يعارض العنف الا انه حذر العالم من « حمامات الدم » التى تتعرض وستتعرض لها جمهورية جنوب افريقيا بسبب سياسة التفرقة العنصرية « ابارثيد » والتى تحتم على السود مقاومتها بعنف ، ولا يفل الحديد إلا الحديد » وان هدفى هو التقليل الى الحد الأدنى من العنف » .

إن ميل الأسقف الأفريقى الموقر الى سياسة عدم العنف قد باعد بينه وبين كبار المكافحين ضد أساليب جنوب افريقيا الذين يؤمنون ايمانا قاطعا وبعد تجارب مريرة ان الحديد لا يفله الا الحديد بل الفولاذ من أمثال « أوليفر تامبو » « ونيلسون مانديلا » ولكن فى نفس الوقت فان سياسة « توتو » أو سياسة اللاعنف التى يدافع عنها جعلت حكومة جنوب افريقيا عاجزة عن إسكاته ، ولكن حملاتة القوية ضد التفرقة العنصرية وفصاحة لسانه وقوة بيانه وأثر مايلقيه من خطب فى تجواله فى أنحاء البلاد وخارجها اضطر حكومة « بريتوريا » الى حجز جواز سفره مرتين فى ١٩٨٠ بعد رحلة الى الدنمارك وعام ١٩٨١ بعد جولات قام بها فى انحاء الولايات المتحدة الأمريكية وأوربا ودعا خلالها الى مقاطعة جنوب افريقيا اقتصاديا بامتناع الشركات الأوربية التى تتعامل معها عن ذلك التعامل .

كذلك منع الأسقف توتو من مغادرة البلاد للحيلولة دون تسلمه جوائز ممنوحة له من هيئات تناهض التمييز العنصرى مما حدا بالسيد « ميشيل سوفرن » رئيس جامعة كولومبيا بنيويورك الى القدوم الى جوهانسبيرج عام ١٩٨٢ لتسليم الأسقف الثائر درجة الدكتوراة الفخرية الممنوحة له من الجامعة .

ولا يتوقع الأسقف توتو أن تمنعه حكومة جنوب افريقيا من السفر الى « أوسلو » فى ديسمبر القادم لتسلم جائزة نوبل (ومقدارها ١٩٢,٠٠٠ دولار) التى قرر أن يوقفها على المنح الدراسية للطلاب من أبناء جلدته .

إن الأسقف توتو كان تواقا لنيل الجائزة لا لشئ سوى أنها ستلفت انظار العالم الى قضية شعب جنوب افريقيا الأسود والذى يمثل الأغلبية الساحقة فى البلاد « نحو ١٧ مليون من المشردين الذين لا يملكون حتى حق التصويت فى الانتخابات أو مغادرة أماكن عزلهم الا الى الذهاب الى المدن حيث العمل فى مصانع ومزارع البيض بثمن بخس

دراهم معدودات وبجوازات مرور تسمح لهم بدخول « أرض البيض » ومغادرتها بعد انتهاء ساعات العمل !

وقال الآن بويساك ، رئيس الكنائس المنصلحة العالمى « لقد سررت لأن الأسقف النبيل توتو قد نال الجائزة ، فهو يستحقها عن جدارة ، لأن ذلك قد يوحد كلمة جميع المناضلين من أجل العدل والسلام والحرية » .

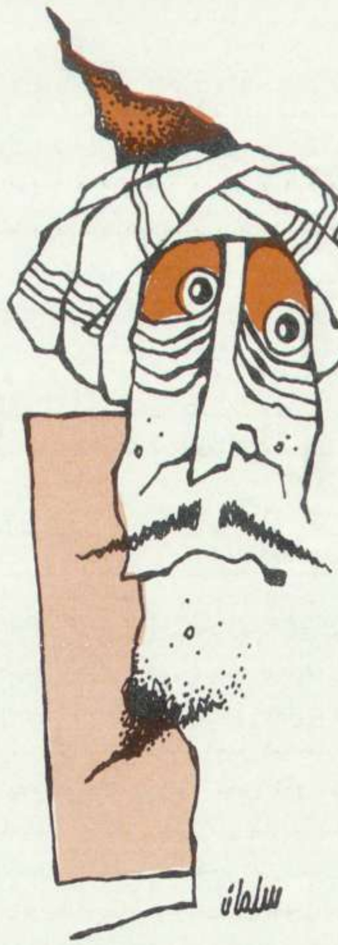
وبالمناسبة فهذه ليست المرة الأولى التى ينال فيها مواطن أسود من جنوب افريقيا جائزة نوبل للسلام ، فقد منحت من قبل لمناضل عظيم ضد سياسة التفرقة العنصرية التى تدين بها حكومات جنوب افريقيا ، هو زعيم قبائل الزولو البرت .ج . لوتولى رئيس حزب المؤتمر الوطنى الافريقى NAC فى عام ١٩٦٠ م ، فسارعت الحكومة بايقاف نشاط الحزب ، ومع ذلك استمر نشاط الحزب ، بل وزاد عنفاً بالعمل سراً (تحت الأرض كما يقولون) معلناً حرب العصابات على سلطات بريتوريا . أما الزعيم لوتولى فقد كان سجينا محدد الاقامة فى منزله بعد أن حجبت عنه جائزة نوبل اي صادرتها حكومة بريتوريا الى أن توفى زعيم الزولو ورئيس المؤتمر الوطنى عام ١٩٦٧ .

نعود الى الأسقف الشجاع ديزموند توتو لنقول انه ولد فى مدينة « كلير كسرروب » عام ١٩٣١ م ، وكان يبيع الفول السودانى فى محطات سكك حديد الضواحى ليصرف على دراسته التى أهلته فيما بعد للتدريس فى مدارس الارساليات المسيحية . ولما استولت الحكومة على تلك المدارس دخل سلك الاكليروس (رجال الدين المسيحى) عام ١٩٥٧ ورشح قسا انجليكانيا عام ١٩٦٠ ، وبعد ثلاث سنوات من دراسة اللاهوت فى لندن عاد الى جنوب افريقيا وتدرج بسرعة فى عدة مناصب ، الى أن أصبح أسقفا للكنيسة الانجليكية فى جوهانسبورج ، وبعد ثلاث سنوات أخرى عين أمينا عاما للمجلس الكنسى لجنوب افريقيا الذى يمثل ١٢ مليونا ــ معظمهم من السود ــ من مسيحيي جنوب افريقيا ، وكان وجوده فى هذا المنصب فرصة سانحة ليشن حربا لا هوادة فيها ضد التمييز العنصرى « ابارتهيد » .

قيلي أحمد عمر

رومّية لأبي فراس

شعر: محمد القيسي



عَلى خطَأ رَأيتُكِ أَو صَوابِ
أُغنِّي مَا اعترَاكِ مِنَ الخَرابِ
فَلا رُوحي بمنجاةٍ ولَكنْ
سُقيتُ السُمَّ مِنْ أدنى القِرابِ
وَلستُ ألومُ مَنْ أعطيتُ نفْسي
وَكانَ يَسنُّ لي أمضى الحِرابِ
سَأسأل أَيُّ وَاشٍ كانَ يَسعى
لِيهدمَ مَا بَنيتُ مِنَ القِبابِ
أعوذ بمَا وَهبتُكِ مِنْ نَشيدٍ
وَمَا خَطَّتْ يَداكِ عَلى التُرابِ
لَئِنْ بَعُدتْ قَوارِبُ أرتجيها
ونَهْرٌ كُنتُ أسكِنُهُ كِتَابي
يَظلُّ صَدى رنينِكِ في انتشارٍ
كَما امتدَّ السَحابُ إلى السَحَابِ
وَيبقَى أَنَّ ضَوءاً في الحَنايا
يُشيعُ الدفءَ في هَذا الغِيَابِ
وَأنكِ في الضُلوعِ لَظىً وَوشمٌ
وَأَنيّ لا أَميلُ إلى العِتَابِ

عمان ١٩٨٤

ندوة التراث الشعبي الخليجي في الدوحة

توصيات جادة.. ولكن ماذا عن تنفيذها ؟!

● وزير الإعلام القطري يلخص القضية:
الاهتمام بالتراث واجب وطني وقومي

لم تكن الندوة التى شهدتها دولة قطر أخيراً عن الأدب الشعبى الخليجى ، والتى نظمها مركز التراث لدول المنطقة ، وافتتحها الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام ، الا خطوة هامة فى طريق طويل ، تقطعه الجهود المخلصة ، محققة الهدف من أجل احياء تراث المنطقة ، وتأكيد أصالة الشخصية الخليجية العربية .

فالحرص على حماية تراث منطقة الخليج العربية والمحافظة عليه عمل ثقافى وحضارى كبير لا يستهان به . وقد بدأ الاهتمام بهذه القضية الكبيرة منذ وقت قصير ، لكن الخطوات التى أتخذت فى هذا المجال تبشر بالوصول الى الهدف . ويقف وراء الجهد المبذول مركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية ، والذى أقام ندوته الأولى أيضاً لبحث التخطيط وجمع ودراسة الأدب الشعبى .

ولقد حظيت هذه الندوة باهتمام كثير من الباحثين والخبراء والاستشاريين ، وحضرها عدد كبير منهم ، وطرحت من خلالها عدة توجهات ووجهات نظر ودراسات وضعت النقط على كثير من الحروف ، وأضاءت الطريق أمام المهتمين بتراث المنطقة . وقد قام برعاية الندوة وافتتحها الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام بدولة قطر ، ورئيس مجلس ادارة مركز التراث الشعبى ..

حقائق وآمال

والحقيقة أن كلمة وزير الاعلام فى افتتاح الندوة حملت الكثير من الحقائق والآمال فى قضية حماية تراث المنطقة . فقد أشار الى أن الحرص على رعاية التراث الشعبى لهذه المنطقة هو جزء من اهتمامنا الشامل بالفولكلور العربى ، ومن رغبة أكيدة فى البحث عن منابع أصالتنا ، والتعرف الى جوانب ابداعات أجدادنا لدراستها وتحليلها وحفظها ذخيرة لأجيالنا المقبلة .

وقال ان هذا هو واجب وطنى وقومى تضطلع به النخبة المثقفة من أبنائنا الذين يعايشون التطور الاجتماعى والاقتصادى لعالمنا العربى ، ويحدوهم شعور أصيل فى التشبث بالجذور الثقافية لأمتهم .وقال الأستاذ عيسى غانم الكوارى أيضاً ان دول الخليج العربية قد بذلت جهوداً كبيرة لتأسيس هذا المركز ، وهى تعطى اهتماماً خاصاً لأن ترسى دعائم العمل فيه على أسس سليمة وثابتة ، وبالأخص فى مرحلة التخطيط الراهنة ، التى من خلالها ستحدد المفاهيم وتستنبط المناهج على هدى من التجارب العربية والعالمية فى هذا المجال . وما أحوجنا اليوم الى الجهود المخلصة للخبراء والمختصين من أبناء الخليج والوطن العربى لكونهم الأقرب من مادة هذا التراث وروحه .

وأضاف وزير الاعلام ان العمل فى مجال التراث الشعبى عمل شاق ويحتاج من العاملين فيه الى جهد ونفس طويل ، ونحن على ثقة من أن هذا الدور سيتولاه المختصون من أبناء هذا الجيل بالمنطقة ، وستوفر له الكوادر وتجند الطاقات والامكانات فى ظل التعاون المثمر بين الدول الخليجية . وقال ان دولة قطر وهى تحتضن المقر الرئيسى لمركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية لتدرك البعد الحضارى الذى يعنيه انشاء مثل هذه المؤسسة العلمية ، وما يتطلبه وجودها من شروط أساسية للنجاح والتفوق . والعبرة هنا ليست فى أن يحقق المركز أهدافه العلمية المحددة فقط ، وانما أن ينطلق ليؤثر فى حركة الثقافة والفكر بالمنطقة ، وأن يضيف الى الثقافة العربية شيئاً مما كان مطوراً من تراث هذه الأمة .

واختتم الاستاذ عيسى الكوارى حديثه فى افتتاح ندوة التراث الشعبى بالاشارة الى أن هذه التجربة الجديدة التى تنمو على ارض الجزيرة العربية لابد لها أن تنجح ،

وأن اللقاء من خلال الندوة دلالة على أننا نسير على الطريق السليم ..

بحوث ودراسات

كانت هذه هى الكلمات التى عبر بها الوزير عن أهمية بحث تراث المنطقة بحثاً علمياً ، لتأكيد الشخصية العربية ، والكشف عن أصالتها وملامحها الذاتية المميزة . وهو ما حرصت على تأكيده بحوث الندوة ودراساتها ، ودارت حوله المناقشات والحوارات . فقد تلخصت أهداف الندوة فى التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الادب الشعبى ، ولجمع وتوثيق الموسيقى والرقص الشعبى ، وجمع ودراسة العادات والتقاليد والمعارف الشعبية ، بحيث ينتج عن ذلك تصور واضح عن المفاهيم والمصطلحات والمناهج والأسس وأولويات العمل الميدانى .

كما تطرق المشتركون فى الندوة الى تحديد مفهوم الأدب الشعبى العربى وخصائصه ، وتحديد أجناس الأدب الشعبى فى الخليج والجزيرة العربية . وكان هناك اهتمام بالجانب التطبيقى أيضاً ، وهو يتركز فى أساليب جمع طرز وأنماط وعناصر الأدب الشعبى ، وطرق التصنيف والأرشفة ، وتجنيد الجامعين الميدانيين وتأهيلهم ومتابعة أعمالهم . وعلى مدى أربعة أيام من المناقشات الجادة توصل الخبراء الى الاستعاضة عن كلمة فولكلور بكلمة أخرى عربية هى التراث الشعبى أو المأثورات ، وضرورة البدء بالعمل الميدانى ، والاتفاق على المقومات الاساسية المحددة لمفهوم الأدب الشعبى .

وجاءت التوصيات شاملة جامعة ترسم الطريق أمام الاهتمام بهذا العمل الكبير ، لحماية تراث المنطقة واحيائه وتسليط الضوء عليه . وتؤكد القراءة المتأنية لهذه التوصيات ان المطلوب كثير وهام وضرورى ، ولكن المتابعة والتنفيذ والتطبيق أكثر أهمية . وهو ما نأمل فيه ونتمناه جميعاً ، حتى نصل الى ما نبغيه جميعاً للتراث الشعبى الخليجى . ولقد طالبت التوصيات مثلا بضرورة الاستمرار والتواصل بين البحث فى الدراسات الشعبية فى الوطن العربى بمفهومه المعاصر وبين ما قام به علماء العرب من جهود لا تنكر فى هذا المجال فيما يتعلق بالجمع والتدوين والتوثيق .



الأستاذ عيسى غانم الكوارى يلقى كلمته أثناء ندوة التخطيط لجمع وتصنيف ودراسة الأدب الشعبى التى نظمها مركز التراث الشعبى بفندق شيراتون الدوحة .. وعلى يمينه الدكتور سعد العبدالله الصويان المستشار الفنى لوحدة الأدب الشعبى بمركز التراث الشعبى لدول الخليج العربية وعن يساره السيد شاهين الكوارى الوكيل المساعد لوزارة الاعلام والسيد على عبدالله خليفة المشرف على مركز التراث الشعبى

بيبليوجرافيا مشروحة

وأشارت احدى التوصيات الى اعداد بيبليوجرافيا مشروحة فى موضوع الأدب الشعبى لكل دولة من دول الخليج العربية ، وأشارت توصية أخرى الى الحصول على أهم المراجع والمصادر عن الأدب الشعبى فى مكتبات العالم مع التركيز على أدب الرحلات والمخطوطات العربية القديمة ، بينما ألمحت توصية ثالثة الى دعوة الجامعات العربية ومراكز البحث العلمى الى الاهتمام بالدراسات والأبحاث فى مجال الأدب الشعبى ، وألمحت توصية رابعة الى المشكلات التى تواجه الجامع أو الباحث ، وخامسة الى ضرورة اعداد فرق عمل ميدانية كاملة ومجهزة وسادسة الى ضرورة الاستعانة بوسائل الاعلام للتوعية بجمع المأثورات الشعبية .

وتوالت التوصيات بعد ذلك داعية الى تشكيل لجنة من المختصين لدراسة صيغة علمية لكتابة وتدوين أنماط الأدب الشعبى المختلفة ، وأن يتم ذلك باللغة الفصيحة قدر الامكان ، والاتفاق على نظام معين للتدوين ، وفهرسة وتصنيف وحفظ مواد الأدب الشعبى ، وتكريم الرواد الاوائل من أبناء الخليج والجزيرة العربية الذين أسهموا بجهود طيبة فى هذا المجال .

وأوصت الندوة أيضاً بالموافقة على اتفاقية التعاون بين المركز ومنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) ووضع اتفاقية خليجية مشتركة لحماية أشكال التعبير الشعبى على ضوء أعمال لجنة الخبراء الاقليمية المختصة بذلك ، والاسراع فى اصدار المطبوعة الدورية المتخصصة فى التراث الشعبى ، وتنفيذ المخطط الموضوع من قبل المركز لدراسة أوضاع الفنانين الشعبيين فى دول الخليج العربية ، وتنظيم الدورات التدريبية فى مجال تأهيل الجامعين الميدانيين من أبناء الدول الأعضاء ، والمزيد من بحث ومناقشة مشروع لائحة الأجور والمكافآت المعروض على جدول الدورة ..

وهكذا جاءت التوصيات فعلا راسمة لخطة كبيرة وطموحة من أجل احياء التراث الشعبى الخليجى ، ولاشك أن وضعها موضع التنفيذ بالجهد المخلص الدءوب والشاق هو الذى سيوصل الى تحقيق الهدف الذى نسعى اليه جميعاً من أجل تراث المنطقة . وليس هذا بكثير على الباحثين والدارسين فى هذا المجال حتى وان كانت الجهود شاقة ، وحتى وان طال الزمن ..

يوسف الحرمى

المستشرق الفرنسى عندما دخل الأزهر فى مصر وارتدى زى طلابه



المستشرق لويس ماسينيون الذى احتفلوا بالذكرى المئوية لمولده



هذا المستشرق
الذي لبس العمامة ودرس الثقافة العربية
هل كان جاسوسا ضد العرب ؟!

شارك كل من كلية الآداب جامعة القاهرة و مجمع اللغة العربية بمصر ، كلا من المركز الثقاف الفرنسي والمعهد العلمى للدراسات الشرقية بفرنسا ، الاحتفال بالذكرى المئوية لميلاد المستشرق لويس ماسينيون (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢) .

وفى هذه المناسبة أود أن أعرض لبعض الحقائق عن حياة الرجل ومغزى كتاباته واهتماماته التي لم تذكر فى هذا اللقاء ، أو ذكرت تلميحاً لا تصريحاً . وهى تلميحات رسمت لنا صورة مختلفة عن (ماسينيون العرب) تقربه من (لورانس العرب) .

والربط بين ماسينيون ولورانس ليس الهدف من هذه المقالة . رغم أن كلا منهما كان متعدد الأوجه والنشاطات ، دائم الترحال فى معظم البلدان العربية ، يظهر دائماً وفجأة فى فترات ماقبل الحروب . ولكن الهدف من هذه الدراسة هو جمع الخيوط المتفرقة المتعددة الألوان لعلها تهدينا الى حقيقة ماسينيون ، تلك الحقيقة التى تجعلنا نضعه مع كراوس الذى اشترك معه فى تأليف كتاب (أخبار الحلاج) ١٩٣٩ ، كما أشترك معه فى أشياء عديدة ! !

وقد كانت لمجلة الدوحة بادرة فى إلقاء

الكثير من الأضواء على شخصية كراوس ، ونحاول هنا أن نلقى ضوءاً آخر على الجوانب المجهولة فى شخصية (ماسينيون) .

لقد ارتبط ماسينيون بالعالم العربى دراسة وبحثاً وتنقيبا ، دارساً ومدرساً ، والعلاقة قوية بينه وبين عالمنا العربى : تاريخه وآثاره ، أفكاره ورجاله .

فماسينيون اهتم بالفكر واللغة والحياة العقلية العربية وتعمق فيها حتى أختير عضواً بالمجمع اللغوى بالقاهرة وغيره من المجامع العلمية فى دمشق وبغداد . ودرس الشمال الافريقى ومصر والعراق وشبه الجزيرة ، اكتشف آثارها وكتب عنها وكانت تربطه علاقات ود وصداقة شخصية بالعلماء والكتاب العرب فى كافة الأقطار .

نريد أن نتوقف عند هذه العلاقة بالعرب والاهتمام الزائد بهم والكتابة عن حياتهم الاجتماعية والسياسية والفكرية التى تظهر فى أخطر أعماله وأهمها من وجهه نظرنا وهو (حوليات العالم الاسلامى) الذى يثير الشكوك حول حقيقة الرجل ، ففيه يأتى على ذكر كل بقاع الوطن العربى دراسة وتحليلاً مع الافاضة فى ذكر معلومات دقيقة مفصلة واحصائية عن بلدانه وأقاليمه ومدنه وقراه وسكانه : عددهم وتجمعاتهم ورؤسائهم ومكانتهم وعائلاتهم بشكل مفصل مزود بالخرائط والأرقام . ودراسته للاجتماع الاسلامى ، ومشاكله ، والحركات الفكرية : السرية والعلنية ، والفرق والجماعات المتطرفة قديماً وحديثاً فى كل منطقة . كذلك اتصاله الوثيق بالمفكرين والسياسيين الذين أمدوه وساعدوه فى كشوفه الأثرية ، وأبحاثه العلمية بالكتب والمخطوطات وغيرها ، وأعطوه حباً وتكريماً واعظاماً ، مما يجعلنا نتساءل عن مدى جهده فيما أعلنه من كشوف . وقد يدرك هولاء العرب قيمة مساعدتهم لماسينيون فى ا بحاثه العلمية . لكن يبدو أن هناك أشياء أخرى غير العلم كانت وراء ماسينيون .

ومن هنا فإن الدراسة الجادة للاستشراق والمستشرقين من جانب الباحثين الوطنيين قد تفيد فى توضيح الصورة .

درس ماسينيون بالجامعة الأهلية ١٩١٢ /١٩١٣ لطه حسين ومنصور فهمى وحضر دروسه مفكرون مثل : رشيد رضا ، وحفنى ناصف وجورجى زيدان ، واستمع اليه فى الجامعة الحكومية : د . كامل حسين ، يحيى الخشاب ، عبد الرحمن بدوى ، ابو الوفاء التفتازانى ، وهناك من العرب الذين درسوا عليه : محمد الفاس من المغرب وصبحى الصالح من لبنان ، كتبوا عنه وافاضوا فى بيان مآثره باحثاً متعمقاً وانساناً متسامحاً مدافعاً عن قضايا وحقوق العرب . حضر الى مصر طالبا ودخل الازهر وارتدى زى طلابه ، والتحق بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، بحث ونقب عن الآثار ، وعن كل شىء ! ! ثم انتدب للتدريس بالجامعة الأهلية ، وحفظت لنا محاضراته التى ألقاها باللغة العربية والتى تظهر لنا دراستها العميقة كيف كان يقرن كل فليسوف ببلده وديانته حيث يؤكد على الجنس والعرق والدين والقومية ، رغم ماقيل عن تجرده للحقيقة ومناداته بوحدة الأديان . ويشيد الباحثون بتأكيده على أصالة التصوف الاسلامى وأنه نشأ اسلامياً خالصاً بعيداً عن التأثرات الأجنبية . والقراءة الفاحصة للمواد التى كتبها فى دائرة المعارف الاسلامية تبين تطرفه كما يظهر فى اختياره لمواد مثل : شطح ، زندقة ، حلول ، وشخصيات مثل الحلاج ، ابن روح ، الترمذى ، السرى السقطى ، التى يفسرها تفسيرا غربيا .

وما يفوق ذلك خطراً هو محاضرته عن (الاسلام والصهيونية) ـــ التى ألقاها ١٩٤٨ بباريس ـــ والتى حاول فيها أن يجعل الصراع بينهما صراعاً دينياً ، يقتضى طرفاً ثالثاً فى الحوار ، طرف مسيحى (يكون ماسينيون الممثل له) . ورغم وجود بطاقة دليل باسم هذا الكتاب فى مكتبة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية ، ورقم له ، الا أننا لم نستطع أن نصل الى الكتاب الذى يكشف الكثير من مواقفه ، كما بين لنا أحد أساتذتنا ، كذلك هناك تقرير غريب لماسينيون فيما يحتويه من معلومات عن طبيعة عمله فى الجامعة الأهلية ورأيه فيها وفى طلابه وفى عقلية وتفكير العرب ، وهو تقرير مرسل الى جهة رسمية ، عثر عليه فى أحد كتبه ، وهذا التقرير يجعلنا نضع علامة استفهام كبيرة !

ومما يلقي الضوء على كل هذه الخيوط حقيقة كونه ضابطاً فرنسياً أرسلته فرنسا الى القاهرة للكشف والبحث ، ولم يقتصر الأمر على مصر بل كل الوطن العربى الذى عاش بين بدوه وسكانه وارتدى زيهم ثم دخل القدس مع (اللنبى) وشارك فى حملة الدردنيل .. مما يجعلنا نضع صورته العسكرية مع صورته باللباس الأزهرى او صورته فى القدس مع اللنبى او صورته بين العرب فى الصحراء ونتساءل ماهى صورة ماسينيون الحقيقية ؟ مجرد أستفهام ! !

احمد عبد الحليم عطية



صورة نادرة للمستشرق فى القدس مع الجنرال اللنبى

ندوة الصحافة الدولية ١٩٨٤ "باريس"

نحو حضور إعلامي عربي على الساحة الغربية

- خطوة متقدمة أمامها طريق طويل
- لماذا ينحاز الإعلام الغربي.. وكيف يتم التعامل معه بفاعلية؟

عقدت فى باريس فى أواخر اكتوبر الماضى ندوة « الصحافة الدولية ١٩٨٤ » تحت عنوان « تضارب الآراء » باشراف لجنة العلاقات الاعلامية الدولية لدول الخليج العربية التى يرأسها وكيل وزارة الاعلام بدولة قطر ــ محمد عبد الرحمن الخليفى ــ والتى تأسست عام ١٩٨٠ بقرار مؤتمر وزراء الاعلام لدول الخليج العربية المنعقد فى مسقط آنذاك .

تحدث فى الندوة قرابة أربعين شخصية عالمية واعلامية ، منهم الدكتور « برونو كرايسكى » مستشار النمسا « والهر هيلموت شميدت » مستشار المانيا الغربية السابق،والأمير حسن بن طلال ولى عهد الأردن ، والسيد « دينيس هيلى » وزير الخزانة البريطانية سابقاً وعضو البرلمان الناطق بلسان المعارضة حول الشئون الخارجية ، وغيرهم من رؤساء تحرير كبريات الصحف الأوربية والعربية والمتخصصة فى شئون الشرق الأوسط ومراسلى الصحافة والتليفزيون والاذاعة فى فرنسا والشرق الأوسط والولايات المتحدة وبريطانيا ..

افتتح الندوة الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام بدولة قطر ، وقد تناول المتحدثون بالتحليل العوامل التى تسهم فى بروز عقبات على طريق التفاهم العربى ــ الأوروبى ، وركزوا على أهمية اتاحة المعلومات الصحيحة للرأى العام الأجنبى حتى يستطيع استجلاء الأمور على حقيقتها ، وطالب المتحدثون ــ كذلك ــ بضرورة تحقيق أشكال أخرى للاتصال تساعد الجانبين على أن يتعرفا على مشاكل بعضهما البعض .

أهداف الندوة

تلخصت أهداف الندوة فى اتاحة الفرصة للصحفيين والمفكرين العرب والغربيين المشاركين فى الندوة لاجراء حوار مفتوح حول أفضل السبل والوسائل لتحسين التفاهم وقيام تفاهم أفضل بين اوروبا والعالم العربى ، والدور الذى يمكن ان تقوم به وسائل الاعلام فى هذا الصدد ، والصعوبات والعوائق التى تحول دون ذلك ، وكيفية التغلب عليها ، وذلك من

والسياسية والثقافية فى بناء علاقات ايجابية ومستقرة بين العالم الغربى والعرب .

المتحدثون العرب والأجانب

والواقع أن الأمر الذى أجمع عليه المتحدثون العرب والأجانب ، هو وجود خلل كبير فى الفهم المتبادل بين العرب والغرب ، وأن علاج هذا الخلل يتطلب جهوداً مشتركة من الطرفين ، وقد اتاحت كلمات المتحدثين فى الندوة التعرف على مظاهر ذلك الخلل بنسبة كبيرة ، وهى مظاهر ذات أهمية بالغة نادراً ما اتيح المجال للتحدث عنها بصراحة ووضوح وابرازها فى ندوة منظمة ضمن خطة تقوم بها جهة من الجهات .

وقد عرض السياسيون المسألة بطريقتهم ، فالمستشار النمساوى السابق « برونو كرايسكى » الذى نعتبره صديقاً متفهما لقضايانا ، لم تغب عنه الحقائق فى تلك الندوة ، وهو الذى صار خبيراً متعمقاً فى مشاكلنا وبالذات صراعنا مع العدو الاسرائيلى ، ولهذا كانت كلمته عبارة عن اقتراح لحل هذه المشكلة كموضوع أساسى فى الشرق الأوسط ، ودعا إلى تشكيل لجنة دولية واسعة القاعدة ، لمحاولة التوصل إلى اساس مشترك فى سلسلة مقترحات السلام فى الشرق الأوسط .

أما المستشار الألمانى السابق « هلموت شميدت » والذى يتمتع برصيد دولى وافر من الاحترام ، فقد نظر إلى مشكلة العلاقة بين العرب والغرب من منظار الاقتصاد العالمى ، وركز على اعتبار الأزمة الاقتصادية العالمية محركاً لمشاكل كثيرة يعانى منها الغرب والشرق باستثناء الصين الشعبية ، التى كما قال لا ترتبط مباشرة بالأحداث الاقتصادية العالمية ، غير أنه فيما يتعلق بقضية الشرق الأوسط والمشكلة الفلسطينية التزم بالموقف الأوروبى النظرى ، وكرر هذا الموقف بالقول بأن بيان البندقية عام ١٩٨٠ يشكل الاطار السليم نحو الاستقرار فى الشرق الأوسط .

واستعرض « دينيس هيلى » وزير الخزانة البريطانية السابق المشاكل التى خلفتها السياسة الاستعمارية فى الشرق الأوسط ، مشيراً إلى أن بعض هذه المشاكل



الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى ، يلقى كلمة افتتاح ندوة الصحافة الدولية ١٩٨٤ (باريس)



المستشار النمساوى السابق برونو كرايسكى وإلى جانبه وكيل وزارة الاعلام فى دولة قطر محمد عبد الرحمن الخليفى ، ثم عبد الرحمن حمد العطية السفير القطرى فى باريس

خلال القنوات التالية :

- ايجاد مناخ مناسب لتبادل الآراء والحوار والتفاعل لتحسين العلاقة الانسانية بين العرب والأوربيين عبر وسائل الاعلام ، انطلاقاً من المصالح المتبادلة بين الطرفين وضرورة الاهتمام بها بحيث لا تكون فى اتجاه واحد وعلى صعيد واحد فقط .
- ابراز الأهمية المتنامية للعالم العربى وتأثيره على العالم الغربى .
- العمل على ازالة التصورات الخاطئة عن الاسلام والعالم العربى ، وتصحيح الصورة المشوهة التى تعرضها بعض وسائل الاعلام الغربية .
- ابراز أهمية العوامل الاقتصادية

نحو حضور إعلامي عربي على الساحة الغربية

يرجع إلى تضارب السياسة البريطانية حول الشرق الأوسط قبل الحرب العالمية الثانية .. وأشار هيلي إلى أن بروز البترول كقوة مؤثرة فى الاقتصاد العالمى يجعل من دول المنطقة عاملا هاماً فى استقرار النظام النقدى العالمى .

أما المتحدثون العرب فى الندوة فقد كانوا اكثر تركيزاً وتحديداً لمظاهر سوء الفهم المتبادل ، لأن العرب هم الطرف المغبون من جراء استمرار نمط العلاقة مع الغرب بالأسلوب الحاصل والممتد إلى حقب طويلة من الماضى والذى ساهمت الصهيونية العالمية باذكائه .

قال الأستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام القطرى فى كلمة الافتتاح إن تأسيس اللجنة « لجنة العلاقات الاعلامية الدولية لدول الخليج العربية » جاء كرد فعل مباشر للشعور المتعاظم بضرورة سد الفجوة التى تعوق مسار العلاقات الاعلامية بين العالم العربى والغرب ، حيث كان استمرار تلك الفجوة عاملا مباشراً فى أن تظل صورة العرب مشوهة فى وسائل الاعلام الغربية ، وتظل الأفكار الخاطئة والأنماط الزائفة هى التعبير السائد عن كل ما هو عربى .

وأشار الأمير حسن بن طلال فى كلمته التى ألقيت عنه بالنيابة إلى أن حركة معاداة العرب بدأت بتناغم بين الحركة الصهيونية والاستعمار الغربى لتقيم حلفاً دعائياً ضد الأمة العربية .

الصحفيون ومشاكلهم

واستمعت الندوة إلى آراء ممثلين لعدد من الصحف الأوروبية مثل لوموند والجارديان والصاندى تايمز والفايننشيال تايمز ، وركز الصحفيون الأوروبيون على المشاكل التى تواجه الصحفيين الأجانب فى تغطية أحداث العالم العربى ، وطالبوا بضرورة اتاحة المعلومات وحرية الحركة للصحفيين الأجانب فى المنطقة العربية ، ممثل الفايننشيال تايمز قال إنه مع الأسف الشديد ليس هناك اتصال إعلامى كبير بين العالم العربى والعالم الغربى ، ومتى توفرت مثل هذه المعلومات فإنها تكون أحياناً من جانب واحد ، أو متحيزة أو أن فريقاً يستخدمها للنكاية بفريق آخر .

أما مندوب الجارديان فقد قال إن طبيعة العمل الصحفى فى الشرق الأوسط تجعل من العنف موضوعاً رئيسياً .

وقال محرر الصنداى تايمز اللندنية أنه قادم من مجتمع ديمقراطى تعود على تقاليد الصحافة الحرة وأن صحيفته تغطى أحداثاً فى منطقة لا تشاطر حكوماتها ومجتمعاتها القيم الغربية . ولهذا يوجد التوتر !

وفى الوقت الذى يشكو فيه الصحفيون الأجانب صعوبة ممارسة عملهم الصحفى فى منطقة الشرق الأوسط نرى من الصحفيين العرب من يتهم زملاءهم الأجانب بالتقصير اما المتعمد أو الاهمال فى متابعة تفاصيل ما يدور فى المنطقة العربية والاكتفاء من وراء المكاتب المكيفة بكتابة التقارير وبروح من التحيز والأفكار المسبقة .

رياح جديدة

إن ندوة باريس هى ثمرة لجهود لجنة العلاقات الاعلامية الدولية لدول الخليج العربية ، وهى ثالث انجاز إعلامى بارز على الساحة الأوروبية تقوم به دول الخليج العربية بعد ندوة الصحافة فى لندن عام ١٩٧٩ والأسبوع الثقافى الخليجى فى باريس عام ١٩٨٠ .

والسؤال الذى يطرح نفسه هنا .. ترى ما هو حجم المردود الاعلامى لهذا التحرك النشط الدؤوب للاعلام الخليجى العربى على الساحة الأوروبية والأمريكية .. هل سيغير الصورة المشوهة ، وبالتالى يقنع الرأى العام العالمى بعدالة قضايانا ؟

من المسلم به أن الاعلام مهما بلغ من القوة والنشاط لا يمكن أن يخلق واقعاً جديداً اذا اقتصر دوره على إسماع الصوت للآخرين ، وهو لدى المتعمقين لا تزيد مهمته على التعبير عن حقائق موجودة ، وهذه الرؤية ربما لا تكون دقيقة اذا نظرنا بها إلى ما قامت به ندوة الصحافة الدولية فى باريس ، فهى لم تعقد لعرض قضايا سياسية وإجتماعية ، ولم تهدف إلى عمل اعلامى تقليدى كابراز الانجازات الحضارية للعرب مثلا ، وإنما نفذت من هذا الاطار إلى الدخول فى تفاصيل الواقع كما هو ، وكان للحوارات والمداخلات التى دارت خصوصاً بين المتخصصين فى الاعلام والصحافة دور هام فى وضع النقاط على الحروف وتوضيح أسباب سوء الفهم ومظاهره ومعرفة الامكانات التى تسهل الاتصال وتقرب وجهات النظر .

ولقد تقدمت الندوة أيضاً لتتجاوز الاكتفاء بالشكوى من ظلم الاعلام الغربى وادانة الصحافة الغربية بالتحيز والاهمال الى درجة من الوصول إلى الاستعداد للفهم المتبادل دونما أفكار مسبقة تحكم مجريات الحوار ، لقد قررت الندوة مشكلة العرب فى تحيز الصحافة والاعلام الغربى ، مثلما قررت أيضاً مشكلة الصحافة الغربية بصعوبة الاتصال والحصول على المعلومات الدقيقة ومصداقية المصادر كمظهر من طريقة الممارسة الديمقراطية فى الشرق الأوسط والعالم الثالث عموماً .

وإذا كانوا يقولون إن رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة .. فإن من المأثور أيضاً أن « الفكرة المجدية هى التى تنفذ على الفور » ومن المفيد ولا شك أن تبادر لجنة العلاقات الاعلامية لدول الخليج العربية إلى الاقدام على هذه الخطوة .

وضاح طهبوب

● أنا وزوجتي والكتب ●● في السعادة ●●● أدب المعاش

عن الأدب وتحصيله :

أنا وزوجتي والكتب



بقلم : إبراهيم عبد القادر المازني

● كانت زوجتى تقول : ليس لى ضرة سوى هذه الكتب

● كنت أقول لأمى : لك مؤونتك من السمن والعسل والأرز والبصل والفلفل والتوم ولى مؤونتى من المتنبى والشريف الرضي والأغاني وهازليت وثاكرى وديكنز وماكولى ، ولاغنى بك عن سمنك وبصلك ولابى عن هؤلاء .

● .. وأنا مع ذلك أقل الثلاثة ــ العقاد وشكرى ــ اطلاعا وصبرا على التحصيل ، فأنا أجتر كالخروف ولكنهما يقضمان قضم الأسود ، ويهضمان كالنعامة ، فليتنى مثلهما .

نعى صديقي الأستاذ الزيات ــ صاحب الرسالة ــ على أدباء هذا الجيل الجديد . جهلهم بلغتهم وتقصيرهم فى تحصيل آدابها . وقال : « ان الواقع الأليم أن الذين درسوا لغتهم وفقهوها من الأدباء النابهين نفر قليل . فاذا استثنيت هؤلاء الستة أو السبعة وهم من الكهول الراحلين ، وجدت طبقة الأدباء كطبقة الصناع والزراع والتجار يأخذون الأمور بالتقليد والمحاكاة ، لا بالدرس والمعاناة » وقال أيضاً : « ولا تجد فى تاريخ العربية قبل هذا العصر ، ولا فى تاريخ اللغات فى جميع العصور ، من يحسب نفسه أديباً فى لغة وهو لا يعرف منها الا ما يعرف العامى الألْف » .

وهذا صحيح . وأحسبنى من الستة أو السبعة الذين أشار اليهم الأستاذ ، وإنى لمن الكهول فقد جاوزت الأربعين وقاربت الخمسين ، ولكنى إن شاء الله من الباقين

أنا وزوجتي والكتب

لا من الراحلين ، فانى أحس من العزم والقوة والنشاط مالو فرق بعضه على الأدباء النابتين أو الناجمين فى زماننا هذا ، لكفاهم وزيادة . ولست أكتب لأقول هذا ، وإنما اريد أن أرسم للقراء صورة لأيام التحصيل الأولى . وأقول « الأولى » لأنا ما زلنا دائبين على التحصيل لا نعرف له نهاية إلا نهاية الحياة نفسها .

عرفنا القراءة والاطلاع ونحن تلاميذ فى المدارس الثانوية ، وأدع غيرى وأتحدث عن نفسى فأقول إن مواردى كانت محدودة جداً ، وكان حسبى أن أؤدى نفقات التعليم . وكنت أحمد الله إذا وجدت بعد ذلك قرشاً فى اليوم . وكان من زملائى فى مرحلة التعليم الثانوى الأستاذ حسن فهمى رفعت بك ـ وكيل الداخلية الآن ـ ولا اعرف كيف كان حاله ، ولكنى أعرف أنه كان يعيرنى ما يشترى من الكتب بعد أن يفرغ منها ، وقلما كان يسترد ما يقرضنى من كتبه . وكان فريق منا يعنى بأن يحضر دروس الامام الشيخ محمد عبده ، والشيخ سيد المرصفى .

وانتقلنا إلى التعليم العالى ، وكتب الله لى ـ على خلاف ما كنت أريد ـ أن أدخل مدرسة المعلمين العليا ، فكان مرشدى فيها وأستاذى ، زميلى وصديقى الأستاذ عبد الرحمن شكرى ، فقد كان شاعراً ناضجاً ذا مذهب فى الأدب يدعو إليه ، وكنت أنا مبتدئاً ، فصرفنى عن البهاء زهير وابن الفارض وابن نباتة ومن إلى هؤلاء ، ووجهنى إلى الأدب الجاهلى والأموى والعباسى ، ودلنى على ما ينبغى أن أقرأ من الأدب الغربى . وكانوا ينقدوننا فى هذه المدرسة بضعة جنيهات فى الشهر : ثلاثة فى السنة الأولى ، وأربعة فى الثالثة ، فكنت أقسم هذه الجنيهات قسمة عادلة ، فأدفع للبيت نصفها وأستأثر بالنصف ، وأذهب ا لى مكتبة فأنتقى منها « مؤونة الشهر » . وكنت أعود إلى البيت بهذا الحمل فتسألنى ا مى : « أنفقت فلوسك كلها ! وتظل طول الشهر تقول لى : هاتى ! . هاتى ! . أى تدبير هذا ؟ » .

فأقول : « يا أمى .. لك مؤونتك من السمن والعسل والأرز والبصل والفلفل والثوم ، ولى مؤونتى من المتنبى والشريف الرضى والأغانى وهازليت وتاكرى وديكنز وماكولى ، ولا غنى بك عن سمنك وبصلك ، ولا بى عن هؤلاء ؟ » .

فتبتسم وتقول : « طيب .. » وتدعو لى بالتوفيق .

وكنت أشترى ديوان الشاعر ورقاً ، أعنى بغير غلاف أو تجليد ، ليتسنى لى حين أخرج من البيت أن أحمل معى ملزمة أو ملزمتين ، أقرأ وأنا جالس فى مقهى ، أو ا ذ أتمشى على شاطىء النيل . وكان حديثنا إذ نجتمع فى الأدب والكتب ، وكانت رسائلنا التى نتبادلها فى الصيف حين نتفرق لا تدور إلا على ما نقرأ ، وكان أحدنا يلقى صاحبه فى الطريق اتفاقاً فيقول له : « لقد عثرت على كتاب نفيس بغلاف فتعال نقرأه » ، لا يدعوه إلى طعام ، أو شراب ، أو سينما ، أو لهو ، بل إلى قراءة كتاب . وكان كل من يقع على كتاب قيم يخف به إلى صاحبه فينبئه به ويلخصه له ويحضه على اقتنائه . وكان أساتذتنا فى مدرسة المعلمين يحثوننا على التحصيل وييسرون لنا أسبابه ، ما وسعهم ذلك ، فلما تركنا المدرسة وفرغنا من الطلب « الرسمى » كنا قد عرفنا أمهات الكتب فى الأدبين العربى والانجليزى ، وغيرهما أيضاً من الآداب ، ودرسنا أكثر شعراء العرب والغرب ، وكان لكل منا مكتبته الخاصة المتخيرة .

وتزوجت . وفى صباح ليلة الجلوة ، دخلت مكتبتى ورددت الباب . وأدرت عينى فى رفوف المكتب ، فراقنى منها ديوان « شيللى » فتناولته وانحططت على كرسى وشرعت أقرأ ، ونسيت الزوجة التى ما مضى عليها فى بيتى إلا سواد ليلة واحدة ، وكانوا يبحثون عنى فى حيث يظنون أن يجدونى ـ فى الحمام ، وفى غرفة الاستقبال ، وفى « المنظرة » ـ حتى تحت السرير بحثوا ، ولم يخطر لهم قط أنى فى المكتبة ، لأنى « عريس » جديد لا يعقل فى رأيهم أن يهجر عروسه هذا الهجر القبيح الفاضح ! وكانت أمى فى « الكرار » أو المخزن تعد مالا أدرى لهذا الصباح السعيد ، فأنبأوها أنى اختفيت كأنما انشقت الأرض فابتلعتنى ، وأنهم بحثوا ونقبوا فى كل مكان فلم يعثروا لى على أثر ، فما العمل ؟

فضحكت أمى وقالت : « ليس فى كل مكان .. اذهبوا إلى المكتبة فانه لاشك فيها » .

فقالت حماتى وضربت صدرها بكفها : « فى المكتبة ، يا نهار أسود ! وهل هذا وقت كتب وكلام فارغ ؟ » .

فقالت أمى بجزع : « اسمعى .. كل ساعة من ساعات الليل والنهار وقت كتب .. افهمى هذا وأريحى نفسك : فان كل محاولة لصرفه عن الكتب ، عبث » .

فقالت حماتى : « لو كنت أعرف هذا .. مسكينة يابنتى .. وقعت وكان ما كان » .

فقالت أمى : « هل تكون مسكينة إذا وطدت نفسها على هذه المعرفة ؟ ويحسن أن تكبحى لسانك . وأن تدعى الأمر لبنتك فانه من شأنها » .

فلم تكبح لسانها بل قالت : « لو كانت ضرة .. لكان أهون ! » .

فقالت أمى : « إنك حمقاء .. وليس فى الأمر ما يحوج إلى هذا الهراء .. اذهبى إليه وناديه .. » .

فارتدت إلى ، وفتحت الباب على ، وكنت ذاهلا ، فلما شعرت بالباب يفتح ازعجنى ذلك ، فأشرت إلى الداخل أن يرجع من غير أن أنظر إليه ، وكنت مقطباً ، وكان لسانى يخرج أصواتاً كهذه : شش ! شش ! .

فخرجت المسكينة وأغلقت الباب ،

وذهبت تقول لأمى والدموع تنحدر من عينيها إنى طردتها وصحت بها : هشش ! » كما يصاح بالدجاج ؟ .

وقد عرفت هذا كله فيما بعد ، فطردتها ، لأنى خفت أن تخرب لى البيت ، ثم إنى تزوجت بنتها ، ولم أتزوجها هى ، فما مقامها عندى ولها بيت طويل عريض وزوج كريم ؟ وكان رأى بنتها فيها مثل رأيى ، فلم يسؤها منى ما فعلت . وأراحنا الله من دوشتها ، ولكن زوجتى كانت تقول إلى آخر أيام حياتها رحمها الله : « ليس لى ضرة سوى هذه الكتب » ــ كانت تقولها مازحة ، فقد راضت نفسها على احتمال هذا الجنون منى ، واستطاعت أن تدرك أنه ليس لها ولا لسواها حيلة ، وأن فى الوسع صرفى عن أي شىء إلا عن الكتب والدرس . ويا ما أذكى المرأة ! ! تكون لها حاجة تريد منى قضاءها ، وتخشى رفضى وعنادى ، فتكتمها ولا تكاشفنى بها ، وتنتظر حتى ترانى غارقاً فى كتاب ، وذاهلا به عن الدنيا ، وآية الذهول أن تدخل مرات فلا أشعر بها ، كما كانت تتوقع ، فتقول : « كلمة واحدة .. لن أعطلك .. » .

فأقول متململا متأففاً : « لا حول ولا قوة إلا بالله ! قوليها يا ستى ولا تعطلينى » فتطيل عامدة لتضجرنى : « كلمة واحدة بس .. لماذا تغضب هكذا ؟ .. الا يتسع صدرك لكلمة ليس إلا ؟ » .

فأكاد أجن وأقول : « يا ستى قوليها وأريحينى ! » .

فتقول : « المسألة الفلانية .. » .

وأنهض ، وأمضى بها إلى الباب وأنا أقول : اصنعى ما تشائين . كل ما بدا لك اصنعيه ، ولكن لا تعطلينى .. أنا محتاج لعقلى كله الآن .. ألا تفهمين ؟ هذه نسخة مخطوطة ، منسوخة .. من ديوان ابن الرومى .. نسخها حمار كلها غلط وتحريف وتصحيف » .. ليس فيها بيت واحد له معنى .. فكيف يمكن أن أصلح غلطة واحدة إذا كنت تطيرين لى عقلى بالفساتين والخياطة والركامة .. ؟؟ » .

فتبتسم ، فقد بلغت سؤلها ، وتعدنى أن تحرس هذا الباب فلا تترك أحداً يدخل منه أو يقربه .

ومن العناء الذى تكلفته أنى اشتريت الأغانى الذى طبعه « الساسى » ــ اشتريته ورقاً على عادتى ، فكنت أراجع الأبيات التى ترد فيه ، فى دواوين الشعراء أو كتب الأدب الأخرى ، فأصلحها أو أتمم القصيدة ــ أنسخ ذلك فى ورقة وألصقها فى الكتاب ، وكلما فرغت من جزء جلدته ، وقد أصبح ضعف ما كان ، وهذا هو الكتاب الوحيد الذى بعته بأضعاف ثمنه ، فقد اشتريته بمائة قرش وخمسة قروش ، فلما بعت مكتبتى فى سنة ١٩١٧ أو ١٩١٨ ــ لا أذكر ــ ابتاعه منى وراق بخمسين وسبعمائة قرش . وقد ندمت على بيعه ، فما استطيع أن أصنع الآن ما صنعته قديماً ، ولكن العناء الذى تكبدته نفعنى ، فقد احوجنى إلى مراجعات لا آخر لها ، وأطلعنى على ما كنت خليقاً أن أخطئه فيفوتنى العلم به .

وأنا مع ذلك أقل الثلاثة ــ العقاد وشكرى ــ اطلاعاً وصبراً على التحصيل . وأدع للقارىء أن يتصور مبلغ شرههما العقلى ، ولا خوف من المبالغة هنا ، فإن كل ظنى دون الحقيقة التى أعرفها عنهما . وأنا أجتر كالخروف ، ولكنهما يقضمان قضم الأسود ، ويهضمان كالنعامة ، فليتنى مثلهما !

ابراهيم عبد القادر المازنى

١٩٣٧



عباس العقاد



عبد الرحمن شكرى



أحمد حسن الزيات

في السعادة

ان أضيع يوم فى حياتنا هو اليوم الذى لانضحك فيه

لا تسير الرفاهية مع السعادة دائماً ، وإن كثيراً من الناس بؤساء وإن كانوا يملكون فى الظاهر كل ما من شأنه أن يجعلهم سعداء .

يمكن أن تقدم الطبيعة إلى أحب عشاقها الغنى والقوة والشهرة والحياة الطويلة ، ولكنها لا تستطيع أن تجعله سعيداً ، إذ يجب أن يعتمد فى ذلك على نفسه .

إذا لم تكن عناصر السعادة موجودة فى نفس الرجل فان كل ما فى العالم من جمال ومشاهد وملذات ومبهجات لن تستطيع أن تهبها له .

أكثر ما تتوقف عليه السعادة انما هو ضبط الرجل لأفكاره وقياده لها متجنباً ما هو مؤلم ، مستعيداً أجمل الذكريات .

يقول « شوبنهور » — يرى أحدهم العالم قاحلاً مظلماً حقيراً ، ويراه الآخر غنياً مبهجاً مملوءاً بالمعانى .

السعادة شىء يحتاج إلى المران كالعزف بالناى .

إذا سرنا على الصراط المستقيم وصلنا إلى ما تصبو إليه نفوسنا ولكن حذار أن نبحث عن هذا الصراط باهتمام شديد .

يقول « فرانكلن » — اتبع السرور يتبعك .

لا تفكر كثيراً فى نفسك ، إنك لست الوحيد فى هذا العالم .

يقول « راسين » — لا تفتش عن اللهو ، ولكن كن مستعداً دائماً أن تلهو .

إنه من الصعب أن تجعل الحياة تعاقب لذائذ .

يقول « تشفورت » — إن أضيع يوم فى حياتنا هو اليوم الذى لا نضحك فيه .

إذا كان اليوم مظلماً فأضئه .

ويقول أحد الحكماء :

يحتاج النزاع إلى شخصين فلا تكن أنت أحدهما .

لا تدع الشمس تغرب على غضبك .

إن أنت فكرت فى نفسك كنت تعساً ، وان أنت فكرت فى غيرك كنت سعيداً .

يتذمر بعض الناس دائماً ، ولكنهم مساكين لم يدركوا أنه لو قدر لهم فولدوا فى اسعد الأيام والبلاد لوجدوا هنالك أشياء كثيرة يتشكون منها ويتذمرون .

الغبطة مقو أخلاقي عظيم ، وكما أن الشمس تفتح الأزهار وتنضج الأثمار ، كذلك الغبطة .

الشعور بالحرية والحياة يبعث فينا كل بذور الوجود .

مادام الانسان محافظاً على بشاشته فهو محافظ على قوته وشبابه .

يظن بعض الناس أن السرور دليل عدم التفكير وهذا خطأ ، إذ ليس من علاقة ضرورية بينهما .

لا نستطيع أن نمنع آلام هذه الحياة عنا ، ولكننا — إذا أردنا — نستطيع أن نسمو فوقها ، ولذلك يجب أن نعلق على جدران غرفة ذكرياتنا صوراً جميلة ضاحكة . وكما يلأم الزمن الجراح يشفى الزمن الأحزان .

يقول « كوكريتوس » يخاف بعض الرجال فى النور بقدر ما يخاف الأطفال فى الظلام .

إن العقل المثقف ، ولا أعنى بالمثقف عقل الفيلسوف ، بل كل عقل فتحت له منابع المعرفة كيف يمرن قواه ، سيجد فى كل ما يحيط به منابع للسرور والتسلية لا ينضب معينها ، سيجد فى بدائع الفن غبطة ، وفى جمال المرأة راحة ، وفى خيال الشعراء وحوادث التاريخ سلوة ، وفى عقائد الناس « نزهة روحية » .

الطبيعة نعمة لمن لا يكفر بالنعمة .

لا الغنى ولا الجاه بضامنين لك السعادة .

قد تكون غنياً وعظيماً وقوياً من غير الحب والاحسان والاطمئنان ، ولكنك لن تكون سعيداً .

لقد اتفق أحكم الحكماء على أن السعادة لا يمكن أن تشترى بالمال ولا أن تنال بالقوة .

يقول « هريو » لسيمونيدس : لقد أغرت مفاخر الأمارة وعظمة الملوك ورفاهيتهم السواد الأعظم من الناس ، أنا لا أعجب من ذلك ، لأن الناس كما يظهر لى يحكمون على بعضهم بمجرد الظواهر فقط ، إننى أؤكد لك ياسيمونيدس ان الملوك يملكون أقل نصيب من « المسرات العظيمة » ، وأعظم سهم من « البلايا العظيمة » .

لا ينبغى أن تخاف الموت ، فالموت كما يقول « باسكال » هو المصيبة الوحيدة التى لا نشعر بها .

مادمنا كائنين فما ثمة موت . وإذا جاء الأجل فما ثمة وجود .

يجب ألا ننشد السعادة فى الخارج بل فى نفوسنا ، فى عقولنا .

يقول « سقراط » : خير الرجال من يسعى لضبط نفسه ، وأسعدهم من يشعر بأنه ضابط لها » .

خذ الغبطة إلى بيتك .
واسمح لها أن تنمو ودارها .
إنها ستخفف من آلامك وأحمالك .
وتغنى لك وأنت تجاهد فى حراثة أرضك .

لورد افيرى من كتابة « فائدة الحياة »
ترجمة : بشير الشريقى
١٩٣٤

أدب المعاش

ان أدباءنا يتباهون بالتبديد لما يملكون ، وهذا خطر يجب التحذير من عواقبه السود

لا جدال في أن الأدب العربي الحديث قد سما سمواً عظيماً في كثير من الفنون ، ولكني مع ذلك أراه تخلف أقبح التخلف في دعوة الناس الى تدبير المعاش ، وأنا أقترح أن يكون عندنا أدب يسمى « أدب المعاش » وهو الأدب الذي يعلم الناس كيف يقتصدون ، وكيف يدخرون ، وكيف يواجهون مطالب الحياة في الشباب والمشيب ، بجيوب سليمة من مرض الإفلاس ، فما يذل الرجال غير الفقر ، أعاذنا الله وأعاذ جميع الأحرار من رؤية وجهه البغيض .

ولتوضيح هذا النقص في اتجاهاتنا الأدبية أسوق الفكاهتين الآتيتين : لقيني الشاعر حافظ ابراهيم يوماً فقال :

ـ هل رأيت ما صنع شوقي ؟

ـ وماذا صنع شوقي ؟

ـ نظم قصيدة في « بنك مصر » مع أنه لواختلف مع هذا البنك على مليم واحد لساقه إلى ساحة القضاء !

ـ ومعنى هذا أنك لا ترى أن تقال في « البنوك » قصائد ؟

ـ القصائد لا تقال إلا في الأزهار والرياحين .

ولقيني الشاعر عباس العقاد يوماً فقال :

ـ قد نفيناك عن فردوس الأدب

ـ وما سبب هذا النفي ، ياحضرة الأستاذ ؟

ـ لأنك بنيت بيتاً في مصر الجديدة ، والأدب لايعرف مثل هذا الثراء .

وقد اعتذرت للأستاذ العقاد بعبارة لطيفة ، عبارة تقول بأن شهرتي بالأدب هددت سمعتي المالية ، فكان من واجبي أن أبني بيتاً ولو بالتقسيط ، لتحسن سمعتي في سنتريس .

والحق أن أدباءنا قد انصرفوا عن تعليم انفسهم وتعليم قرائهم فكرة المعاش ، ولو شئت لقلت إنهم يتباهون بالتبديد لما يملكون . وهذا خطر يجب التحذير من عواقبه السود ، وأنا أنبه نفسي وأنبه تلاميذي وقرائي ، فلأسمع وليسمعوا ، ولعل فيهم من يعى كلامي بأكثر مما أعي كلامي .

لا يعاب على الأديب أن يقص بعض وقائعه الغرامية ، فمنذ عهد امرئ القيس إلى اليوم والشعراء يتباهون بحوادث الضم والعناق والوصال ، والأمر كذلك عند شعراء الأمم الأجنبية ، ولكن يعاب على الأدب أن يقص بعض مسالكه في تدبير المعاش وما وقع من ذلك لم يقابل بغير السخرية والاستهزاء .

وأخرج على هذا التقليد فأقول : إني جريت منذ أعوام على الادخار في حدود الاعتدال ، فلا أحرم نفسي ولا أحرم أبنائي نعمة العيش المقبول ، ولكني لا أسمح لنفسي ولا لأبنائي بتبديد ما يسوق الله من الرزق الحلال .

وعند اشتغالي بالتدريس كنت أسأل تلاميذي عما يدخرون ولم يفتني أن ألقي درسا في الادخار على تلاميذى في بغداد ، راجياً أن يلقوه على تلاميذهم في جميع ارجاء العراق .

ومهنتي اليوم لا تتسع لأمثال هذه الدروس ، ومع ذلك يغلبني حب الخير فأسأل المدرسين الذين أتشرف بتوجيههم الى المناهج الصحيحة في التدريس ، أسألهم عما يدخرون ، لأطمئن إلى صلاحيتهم لمهنة التعليم ، فالمعلم الحق في نظري هو الذي يروض نفسه ويروض تلاميذه على تدبير المعاش . ولا يمكن لمدرس يبدد مرتبه في الأسبوع الأول من الشهر أن يجد عقله في الباقي من الأسابيع ، وتدبير المال في الحدود المعقولة يشهد بالقدرة على ضبط النفس ، وضبط النفس هو أوثق صور الأخلاق ، وما يجوز لمبذر أن يتوهم أنه يصلح لشيء من جلائل الأعمال .

أكتب هذا وأنا أعرف أن في بني آدم من يطيب له أن يتهمني بالشح والبخل ، لأنهم ألفوا وصف المدخرين بالشح والبخل ، ولأن الشعر القديم صور لهم التبذير بصورة السخاء مع أن أكثر المدائح كانت تمائم أريد بها انتهاب ما يملك الخلفاء والملوك . ومهما نهيتكم عن الإسراف فلن أنهاكم عن البر بالفقراء والمساكين . ولي هنا غاية تجارية : فقد عرفت بالتجربة أن الله يعوض ماننفقه على المعوزين أضعافاً مضاعفة ، ومن الواجب أن نستغل كرم الله أجمل استغلال في حدود ما نطيق . وأنا بعد هذا أرجو من يؤلفون كتب المطالعة لتلاميذ المدارس أن يكثروا من الحث على الادخار ، ليساعدوا على إنشاء جيل جديد ، جيل متماسك لا يتباهى أبناؤه بالسرف والتبديد ، وإنما يتباهون بالبر والإفضال .

زكي مبارك

١٩٤١

علاج جديد لمرض السكرى

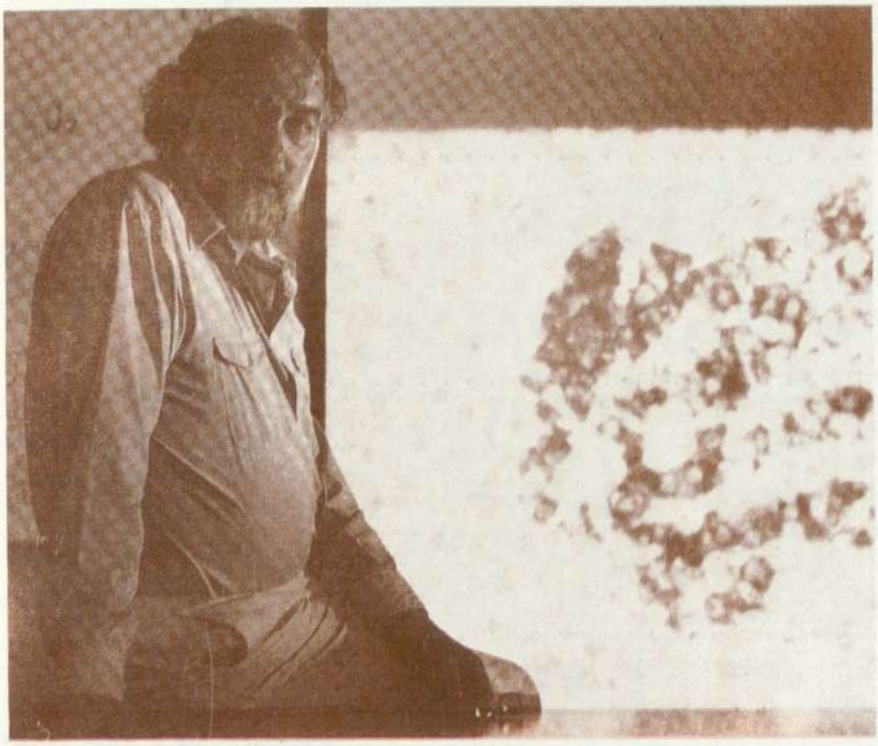
توصل الباحثون فى مجال البيوتكنولوجى فى كل من استراليا والولايات المتحدة الى علاج فعال لمرض السكرى يعتمد على زرع خلايا بنكرياسية قادرة على افراز الأنسولين .

فبعد نجاح التجارب التى أجريت على الحيوانات من فئران وكلاب قرر الأطباء تجربة العلاج الجديد على الانسان ، وستظهر نتائج هذه التجربة الجريئة خلال الشهور القادمة .

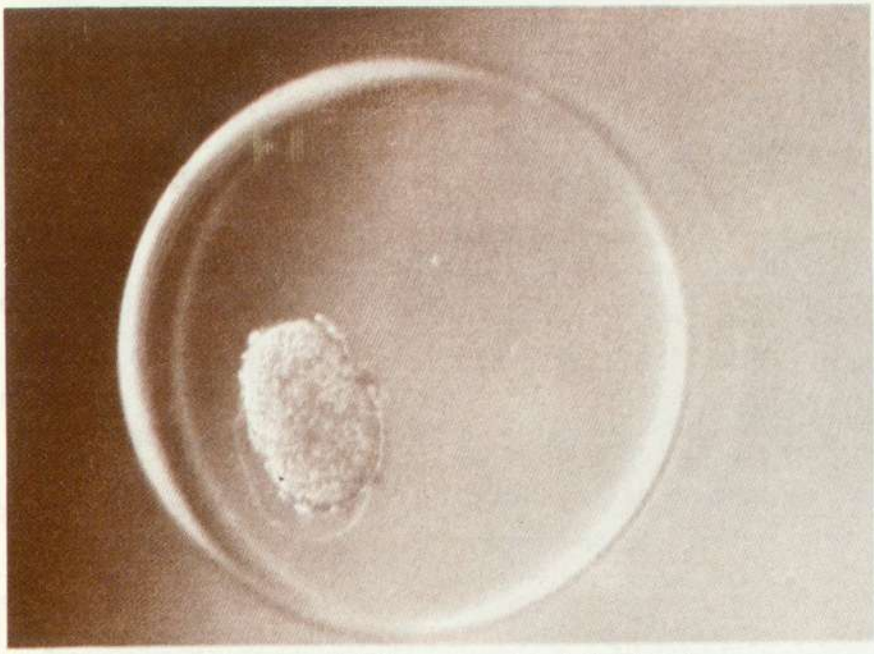
ويكتسب هذا العلاج أهمية كبرى اذا علمنا أن عدد المرضى بالسكرى فى العالم بلغ ٦٠ مليون شخص ، وهو يعتبر من أهم أسباب الوفاة والعجز بعد أمراض القلب والسرطان .

وكانت المشكلة التى واجهت الأطباء دائماً هى رفض الجسم للخلايا البنكرياسية المزروعة ، الى أن تمكن الباحثون من اثبات أن خلايا البنكرياس المسئولة عن افراز الأنسولين تحتوى على نسبة ضئيلة من كريات الدم البيضاء التى تقوم بحفز جهاز المناعة فى الجسم ، بحيث يمكن تخليصها منها قبل اجراء عملية الزرع ، وتقبل الجسم بالفعل الخلايا البنكرياسية التى تمت معالجتها قبل زرعها ، وبدأت هذه الخلايا فى تكوين شبكة من الشعيرات الدموية الدقيقة . وفى غضون أسابيع قليلة بدأت فى افراز الأنسولين .

وتتكون الخلايا البنكرياسية المزروعة من أربعة أنواع من الخلايا : خلايا تفرز الأنسولين الذى يقوم بتنظيم مستوى السكر الذى يحتاجه الجسم وخلايا تفرز هرموناً يقوم بتنظيم نسبة الأنسولين فى الدم ونوعين من الخلايا تتولى كل منهما التحكم فى نشاط النوع الأول والنوع الثانى من الخلايا . وتستغرق الجراحة ربع ساعة ولا يحتاج المريض للبقاء فى المستشفى لأكثر من يوم واحد .



معالجة الخلايا البنكرياسية قبل زرعها



الخلايا البنكرياسية التى تم زرعها للفئران محفوظة فى كرة قطرها نصف ملليمتر تقوم بتزويد الجسم بالانسولين

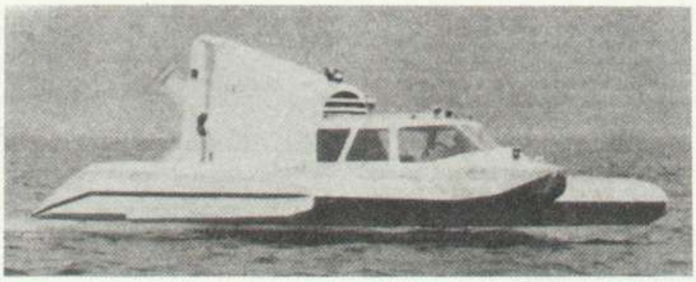
ساعة للمسلمين

يستطيع المسلم فى أية بقعة من العالم معرفة مواعيد الصلاة وتحديد القبلة وذلك بمساعدة ساعة الكترونية ابتكرها مهندس مصرى تضم ميكروكمبيوتر يحتفظ فى ذاكرته بخطوط الطول وخطوط العرض لمائتى مدينة .

فعندما يضرب صاحب الساعة على زر رقم رمز المدينة التى يقيم فيها والتوقيت المحلى لها وتاريخ اليوم تتولى الساعة تنبيه صاحبها بالأوقات المحددة للصلوات الخمس بواسطة جرس لطيف ، كما تضم هذه الساعة بوصلة يمكن ضبطها بحيث تشير إلى جهة القبلة فى أى مكان فى العالم .

أما إذا كان المسلم يقيم فى مدينة لم تسجل فى ذاكرة الساعة فيجب عليه إدخال خطي الطول والعرض الواقعة عليهما المدينة الى الميكرو كمبيوتر بدلا من رقم رمز المدينة (الكود) .

وسوف تصدر الشركة الأمريكية التى اشترت حق الابتكار من العالم المصرى مائة الف ساعة من هذا النوع إلى السعودية خلال الشهور الة القادمة .



المركب الطائر

أجريت فى ألمانيا الغربية تجربة لمركب من نوع جديد ، فهو يطير فوق سطح الماء على ارتفاع أربعين سنتمترا . على وسادة من الهواء وتبلغ سرعة هذا المركب الطائر ١٦٠ كيلومتراً فى الساعة .

ولا يستخدم هذا المركب مروحة لتكوين الوسادة الهوائية مثل الحوامات لأنها تستهلك قدراً كبيراً من الطاقة ، وانما يعتمد فى تكوين وسادة الهواء على الشكل الخاص لأجنحته الأربعة التى تتميز بقصرها وعرضها . ويبلغ وزن المركب طنا ونصف فقط وطوله ١١ متراً وعرضه ــ وهى أقصى مسافة بين جناحيه ــ ٤ر٩ مترات ولا يستهلك محركه سوى ١٤ لتراً من الوقود لكل مائة كيلو متر .

ونظراً لما يتميز به هذا المركب الطائر من سرعة واستهلاك منخفض للوقود ، فكر المهندسون الألمان فى تصنيع نماذج كبيرة منه لاستخدامها فى نقل الركاب ، ويجرى حالياً اعداد مثل هذا المركب ،وهو يتسع لأربعمائة مقعد ، ويبلغ وزنه ١٤٠ طناً ، ويستطيع الابحار بسرعة ١٧٥ كيلومترا فى الساعة على ارتفاع متر فوق سطح البحر .

وعندما يكون البحر هائجاً والأمواج عالية يمكنه الطيران على ارتفاع أربعة أمتار .

اليد الاصطناعية وحاسة اللمس

سيستمتع المعوق الذى يستخدم يداً اصطناعية بحاسة اللمس ، فلقد نجح فريق من الباحثين الايطاليين فى تصميم طبقات من الجلد الاصطناعى المكون من صفوف من ا غشية بلاستيكية رقيقة ومرنة تتميز مادتها بخواص كهربية غير تقليدية .

فعند تعريض غشاء من هذه المادة لمجال كهربى قوى فانها تكتسب صفات كهربية خاصة بحيث اذا ما تعرضت بعد ذلك لضغط أو حرارة تتولد على الفور إشارة كهربية تسرى خلال الغشاء ، وبالتالى يمكن رصد أى تغيرات فى الضغط أو الحرارة لأنها ستتحول الى اشارات كهربية .

وقام الباحثون الايطاليون بتركيب هذه المجسات على أصابع يد اصطناعية بهدف التمييز بين درجات حرارة الأجسام ومدى صلابتها أو مرونتها ، ولكن المشكلة التى واجهت فريق البحث أن رد الفعل الكهربى يحدث نتيجة تغير فى الحرارة أو الضغط ، وبالتالى لا يستطيع المعوق التمييز بين نوعى الاحساس . ومن ثم فكر الباحثون فى تكوين عدة طبقات من مجسات صممت لتستجيب لمؤثر واحد فقط . بحيث يمكن صنع جلد اصطناعى يضم مجسات للضغط وأخرى لدرجات الحرارة ، وبالتالى يتمكن المعوق من التفرقة بين المؤثر تبعاً للاشارة الكهربية المتولدة .



الجد العجوز البخيل فى فيلم « أحلام مدينة ».



« ياسمين خلاط » التى فازت بجائزة أحسن ممثلة فى مهرجان قرطاج السينمائى.

سينما

بقلم: رءوف توفيق

أفلام ومهرجانات

السينما العربية تتقدم

.. فمن يفتح الباب ؟!



فاتن حمامة وشكرى سرحان فى لقطة من فيلم « ليلة القبض على فاطمة » الذى فاز بجائزة تقديرية للسيناريو فى مهرجان فالنسيا باسبانيا.

ربما كانت المرة الأولى من نوعها .. أن يفوز فيلم بالجائزة الكبرى فى مهرجانين سينمائيين دوليين .. وفى خلال أسبوعين فقط ! !

ولكن هذا ما حدث مع الفيلم السورى « أحلام مدينة » للمخرج محمد ملص .. فقد فاز الفيلم بالجائزة الأولى فى مهرجان « فالنسيا » السينمائى الدولى (أسبانيا) والذى أعلنت نتيجته يوم ٧ أكتوبر ٨٤ .. وبعدها بأقل من أسبوعين .. وفى يوم ٢٠ اكتوبر ٨٤ فاز نفس الفيلم « أحلام مدينة » بالجائزة الأولى لمهرجان « قرطاج السينمائى الدولى (تونس) .

وفاز الفيلم أيضاً ـ فى مهرجان قرطاج ـ بجائزة أحسن سيناريو « سمير ذكرى » و « محمد ملص » .

وفازت ممثلته « ياسمين خلاط » بجائزة أحسن ممثلة .

وحصل الطفل « باسل الأبيض » على شهادة تقدير عن دوره فى هذا الفيلم .

وكل هذه الجوائز يستحقها الفيلم عن جدارة .. ماعدا جائزة السيناريو ، حيث ا ن الثلث الأخير من الفيلم تشتت فيه خيوط السيناريو وتفرعت الى تفصيلات جانبية ، ا فقدته بعضاً من جمال الفيلم وقوته .

السياسة والحياة اليومية

وقد شاهدت « أحلام مدينة » ثلاث مرات .. وفى كل مرة كان الفيلم يجذبنى بشاعريته واحساسه المتدفق بالحب والانتماء .. وفى كل مرة كنت أكتشف فى الفيلم صوراً جديدة ومعان نبيلة .

ولا أكون مبالغاً اذا قلت إن هذا الفيلم يعتبر مفاجأة السينما العربية عام ٨٤ .

والمدهش تماماً أن يكون « أحلام مدينة » هو أول فيلم روائى طويل لمخرجه الشاب « محمد ملص » بعد رحلة فى اخراج الأفلام التسجيلية والقصيرة .. ثم جاءت فرصة اخراج أول فيلم طويل ، مسنوداً بتدعيم مؤسسة السينما السورية .. فكأنه الميلاد الذى كشف لنا عن موهبة فنية متميزة .. لها أسلوبها الخاص .. ولها مذاقها الساحر .

فنحن أمام فيلم عن السياسة .. ولكن بلا ملل أو إزعاج .. أو تطرف ..

فالسياسة هنا هى الاطار الذى تتحرك داخله تلك الشخصيات الشعبية البسطية

سينما

التى تعيش فى هذا الشارع الجانبى بالعاصمة دمشق ..

السياسة هنا .. هى الخبز اليومى .. والحوار العادى .. والالتقاءات الحميمة .. وخيبة الأمل المريرة .!

السياسة عندما تعكس ظلالها .. على علاقة الأخ بأخيه .. والجار بزميله .. والحلم بالشفاء .. والأمل فى الاستقرار ..

ورغم أن أحداث الفيلم تغطى الفترة السياسية التى مر بها الشارع السورى منذ عام ٥٣ وحتى اعلان الوحدة بين مصر وسوريا عام ٥٨ .. مروراً بتأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى على مصر عام ٥٦ .. إلا أن تلك الأحداث تتحول فى الفيلم الى انعكاسات مباشرة على الحياة اليومية ، فى نسيج فنى يشع باللمسات الانسانية .

ولا يتورط الفيلم فى الدخول فى تفصيلات تلك الأحداث السياسية أو أن يجسدها على الشاشة .. بل يستخدم المخرج مفردات فنية وغاية فى الذكاء والجمال .. من خلال مذياع قديم فى دكان كواء ومؤشر المذياع ينتقل بين اذاعة دمشق واذاعة صوت العرب .. ما بين الفرح والحذر والخوف ..

ومن خلال ملصقات ولافتات على الجدران .. ومن خلال أغنية ارتبطت بتلك الفترة .. أو من خلال صور الزعماء السياسيين التى يعلوها التراب وتخرج من المخابىء الخاصة لتنظف وتلمع .. أو تلك الصور المعلقة على الجدران خوفاً وامتثالا للأوامر !!

اكتشافات بعيون طفل

يبدأ الفيلم بذلك الاتوبيس الذى يدخل الشارع .. وقد أسدل الليل أستاره .. ونفد صبر السائق فيما يبدو بحثا عن العنوان .. فقد انفض عن الأتوبيس ركابه .. ولم يعد هناك غير هذه الأم « ياسمين خلاط » وطفلاها الصغيران .. أحدهما يقترب من العاشرة من عمره والآخر مازال يحبو نحو السادسة .. وهذا الصغير يتطلع من نافذة الأتوبيس ، مشيراً الى الشارع المزين بعناقيد اللمبات الكهربائية الملونة ، ويصيح فى فرح ودهشة ، « هى الشام يا أمى .. تعال أتطلعى .. يا الله .. ما أحلى الشام يا أمى » .

كانت دمشق يومها تحتفل بعيد الجلاء ..

وكانت تلك الأم قادمة من القنيطرة ، بعد أن فقدت زوجها الذى أسلم الروح على سرير المرض والفقر . وها هى تحمل أحزانها وطفليها ، تدق باب والدها العجوز البخيل السليط اللسان .. الذى يصمم على عدم فتح الباب لها .. الا بعد أن تدخل أحد الجيران مستعطفاً موبخاً ، كيف يترك ابنته وأحفاده فى الطريق والدنيا ليل .

ويضطر العجوز أن يفتح الباب .. ويفتح أيضاً سيل الشتائم واللعنات على ابنته وصغيريها ..

وينجو المخرج من سقوط فيلمه فى قاع الميلودراما الباكية .. وينطلق بالطفلين ليخلق من خلالها عالماً يفيض بالبراءة والبسمة الصافية .. وليصبح ذلك الطفل الذى لم يتجاوز العاشرة من عمره هو بطل الفيلم الحقيقى الذى نكتشف من خلال عينه المليئة بالدهشة والفضول ما يفعله الكبار .. وما تفعله السياسة فى الجميع !!

وينتقل الفيلم فى عذوبة .. بين سقوط الدكتاتورية العسكرية عام ٥٤ .. ومواكب الانتخابات .. وليالى رمضان .. وألعاب الأطفال .. ومناقشات الكبار .. والكراهية الغريزية عند المواطن البسيط ضد المخبرين وكاتبى التقارير .. والتفتح الأول لاكتشاف الجنس الآخر من خلال نظرة عين .. أو طرفة ثوب .. أو نداء منغم .. نسيج مطرز بالجمال والصدق والعفوية .

ومن خلال عين هذا الطفل .. نكتشف ايضاً عالم الخديعة والغش .. والعنف .

فقد فوجىء هذا الطفل بأن أحد رجال الشارع يضرب آخراً بشدة ، ويمنعه من دخول الشارع .. وأن هذا التاجر يمسك المقص ليغرزه فى بطن أخيه لينفجر الدم ويسقط الأخ صريعاً ..

كان الطفل يعذبه منظر الدم .. ويتساءل بمرارة لماذا يفعل الأخ بشقيقه هكذا .. ولكنه ذات يوم لم يستطع أن يمنع نفسه من أن يمسك سكيناً ليجرى وراء الرجل الذى خدع أمه .. كان يريد أن يقتله .. ولكنه لم يستطع .. ومن شدة احساسه بالعجز والألم .. دق رأسه فى الباب الخشبى حتى انفتحت جبهته ..

فما دام ما حوله لا يخضع لمنطق مفهوم .. ومادامت خيبة الأمل أسرع .. ومادامت أمه تواجه الصدمات وتنسحب ابتسامتها لتكشف عن مدى العذاب الذى تواجهه .. فما الذى يبقى له إذن لكى يستمد منه القوة ؟!

حلم لم يتحقق

وينتهى الفيلم باحتفالات الوحدة بين مصر وسوريا .. وزيارة عبد الناصر الى دمشق .. والفرح يعم الجميع من خلال اغنيات المذياع .

وطفلنا هذا .. يربت على كتفه أحد رجال الشارع ، ويدعوه لأن ينظر للقمر المكتمل فى السماء .. ويقول له الرجل بحب وحنان : « انظر .. حتى القمر يحتفل



الطعام .. هو بهجة الحياة فى هذه العائلة الريفية التى يمثلها « فريد شوقى » .. وأمامه « يحيى الفخرانى » الذى اعتاد التهام الطعام بكميات وفيرة .. اللقطة من فيلم « خرج ولم يعد »

بالوحدة » .

وتكون هذه هى آخر عبارة فى الفيلم .. اشارة الى حلم لم يتحقق .. أو حلم جديد منشود ..

ولعل من أجمل مشاهد الفيلم .. تلك المشاهد التى جمعت بين الأم وطفليها .. وخصوصاً المشهد الذى تحمم فيه الأم أصغر طفليها ثم تجلس على عتبة الغرفة تغمض عينيها مع أشعة الشمس وكأنها تستحم هى الأخرى بدفء الشمس .. ثم وهى تغنى لطفلها بصوتها .. ثم هذه المواجهة القاسية بينها وبين أكبر طفليها ، وهو يسألها عما فعله بها ذلك الرجل الذى تزوجته لبضعة أيام .. فقد وصل هذا المشهد الى ذروة التصاعد بالضرب والبكاء الهستيرى .. ثم يذوب تدريجياً فى أحضان الأم والأحساس بالانتماء كل للآخر ..

ومن المشاهد التى لا تنسى فى الفيلم .. اكتشاف الطفل للجنس الآخر فى التركيبة الفنية البارعة داخل مصبغة الملابس .. ثم بداية إحساسه بالحب لطفلة فى مثل سنه ..

والمداعبات البريئة بينهما ، الملفوفة بالفرح الحذر والرغبة .. والتى تبدأ من لعبة الاستغماية .. الى كي شريط فستانها المدرسى .. الى نشوة الفرح والقفز فى حوارى الحي عندما تخصه بالابتسامة والخجل ..

لقد لعب هذا الطفل « باسل الأبيض » دوراً بارعاً وكان يفيض بالحيوية والانفعالات التلقائية .. لم يكن يمثل بل كان يعيش واقعاً ..

وقدم المخرج بطلته « ياسمين خلاط » فى صورة تشع بالجمال سواء فى لحظات الحزن .. أو الشجن .. أو فى لحظات الفرح القليلة .. واستغل صوتها المؤثر ليتسلل عبر الصورة ، ليستقر فى الوجدان ، مفجراً كل المشاعر النبيلة .

ان كل الاختيارات الفنية فى هذا الفيلم .. تدل على مدى حساسية المخرج « محمد ملص » وفهمه التام للموضوع الذى يتناوله .. ولهذا وصل الفيلم الى القلوب .. واستطاع ان ينتزع الجائزة الأولى فى مهرجانين مختلفين .. وفى زمن قياسى !



ياسمين الخلاط وبجوارها المرآة التى تغريها بالزواج من التاجر الثرى .. اللقطة من فيلم « أحلام مدينة » .

« خرج ولم يعد » من مصر

يعود « محمد خان » المخرج المصرى الموهوب .. الى عالمه الأثير فى البحث عن المكان .. وعلاقة الشخصيات بهذا المكان ..

وهو هنا يتجه الى الريف المصرى .. فى محاولة لاستنشاق الهواء النقي .. والبعد عن ضجيج المدينة وزيفها ..

وفى خلال ساعة ونصف ـ هى مدة عرض الفيلم ـ نكتشف أننا ضحكنا من الأعماق .. وأن عيوننا قد استراحت .. وتنفسنا أصبح منتظماً .. فقد استطاع الفيلم ان ينتزعنا من واقعنا اليومى فى المدينة الى حلم الحياة وسط الطبيعة .. ومع الناس البسطاء الذين يعيشون يومهم بأقل الهموم .. وبكثير من الطعام .. وبصدق كامل ليس فيه لوع أو شر ..

وبهذا الحب صنع « محمد خان » فيلمه « خرج ولم يعد » .. ووصلت رسالته الى الجمهور .. واستحق الفيلم أن يفوز بالجائزة الثانية فى مهرجان قرطاج السينمائى .. واستحق الفنان يحيى الفخرانى أن يفوز بجائزة أحسن ممثل عن دوره فى الفيلم ، ليستقر فى المكانة التى تليق به كفنان واع ، مدقق .

و « خرج ولم يعد » صياغة راقية لفكرة العودة الى الريف .. كتبها ببراعة ، وبأسلوب ضاحك .. الفنان « عاصم توفيق » صاحب الرصيد المتميز من المسلسلات التليفزيونية التى تناقش مشكلات واقعنا اليومى .

وبطل فيلم « خرج ولم يعد » نموذج لآلاف الموظفين التى تزدحم بهم المصالح الحكومية فى مصر .. ينزوى على مكتبه تحاصره تلال الدوسيهات والأوراق والمشاكل التقليدية للموظفين ..

يسكن فى منزل متشقق آيل للسقوط .. مرتبط بخطبة فتاة تطارده دوماً هى وأمها بالاسراع بالبحث عن شقة لاتمام الزواج .. ولكن من أين له تلك النقود الطائلة لكي يحصل على شقة ..

وباشارات سريعة وموحية .. يضعنا الفيلم داخل حياة هذا الموظف بكل بساطته وعفويته .. وكل أحلامه المحبطة مع الزحام وتلوث المدينة ومطاردة فتاته الغبية .. حتى يدق بابه ذات صباح هذا المزارع « توفيق الدقن » صديق والده المتوفى حاملا معه حصيلة ايجار ثلاثة قراريط من الأرض .. هى كل ما يملكه .. والمبلغ تافه .. ولكن المزارع يغريه ببيع هذه القراريط ليستفيد من ثمنها إنقاذاً لحالته المتدهورة .

وتصدمه الفكرة فى البداية .. ولكنه يستطعمها بعد قليل .. ويشد رحاله الى القرية ذات صباح ليبيع الأرض ويحصل على ثمنها ويعود فى المساء .

ولكنه لا يعود فى ذلك المساء .. أو مساء اليوم التالى .. ولا يعود أبداً الى المدينة ..

اكتشاف البساطة والجمال

فهناك فى القرية .. تدخل عالماً شديد البساطة والجمال تمثله عائلة صاحب الأرض « فريد شوقى » وزوجته « عايدة عبد العزيز » ومجموعة بناته ، احداهن« ليلى علوى » .

هذه العائلة تحصر لذتها فى الحياة من خلال الطعام .. فليس هناك شىء ألذ من مائدة عامرة بالأطباق الممتلئة عن آخرها .. والتى يجب أن « تمسح » عن آخرها .. فهذا دليل الرضا والاستمتاع ..

ويبدأ صاحبنا فى التفاوض لبيع أرضه .. ولكن كيف يتم الاتفاق بدون اكرام الضيف .. واكرامه بوجبة طعام محتشدة بمختلف الأصناف .. وبعد الطعام يحلو النوم .. ليبدأ اليوم التالى بمائدة الافطار .. يليها الغذاء .. ثم العشاء ..

ومعدة صاحبنا لم تتعود على هذه الكميات من الطعام .. ولهذا تئن بالألم والتخمة .. وينقل الى المستشفى لتجرى له عملية غسيل معدة .. ويتعطل الاتفاق على بيع الأرض .. فكيف يتم الاتفاق على سرير المرض ؟

وهكذا تمضى الأيام .. الوقت لا قيمة له .. والطعام هو بهجة الحياة ..

ويكتشف صاحبنا تدريجياً وببطء شديد .. أنه وقع فى مصيدة تلك العائلة ورغبة الأم فى تزويج ابنتها منه ..

ويرفض بينه وبين نفسه أن يخضع لهذه المصيدة .. ويحاول الهرب منها .. ولكنه يفاجأ بأنه مشدود الى هذه الحياة .. والى مدى الصدق والعفوية التى يمثلها رب العائلة .. إنه يشعر أن هذا الرجل يحتاج لوجوده بجواره ، والاشراف على زراعته .. وهو يعرض عليه هذا الطلب مقابل دخل مادى أكبر بكثير مما يتقاضاه فى عمله الحكومى بالقاهرة ..

وهو لا يقبل العرض طمعاً فى النقود .. ولكن لاحساسه بالزهو والرضا لأنه يحقق ذاته لأول مرة .. ويجد نتيجة عمله ملموسة واضحة بين أشجار الفواكه التى تضمها مزرعة هذا الرجل .

وينتقل إحساسه بالرضا الى علاقته بالابنة .. ليكتشف فيها حناناً وفهماً .. لم يكتشفه فى خطيبته بالقاهرة ..

تعود أن يتنفس الهواء الطبيعى .. وأن يسمع أقل الأصوات .. وأن يستعيد توازنه .

حتى عندما غضب من فتاته الريفية .. وقرر الرحيل .. فوجىء بأول جريدة يصافحها فى السيارة التى استقلها الى القاهرة .. كانت الجريدة حافلة بمشاكل العاصمة : المنازل الآيلة للسقوط .. والمواسير المنفجرة .. ثم كانت دهشته بالغة عندما وجد صورته منشورة تحت عنوان « خرج ولم يعد » ..

ألقى الجريدة .. وطلب من السائق التوقف ..

وعاد الى حيث ارتاحت نفسه .. ليجد فتاته الريفية فى انتظاره وابتسامة الثقة على وجهها ..

وهكذا خرج ولم يعد بالفعل .

وهو خروج جميل ومفيد ..

والفيلم يقول هذا المعنى .. فى قالب من المواقف والمفارقات المضحكة .. وبلغة حوار منتقاة .. وبكاميرا المصور الشاب « طارق التلمسانى » الذى يخوض تجربة تصوير أول فيلم روائى باقتدار وفهم واضح ..

وقاد المخرج « محمد خان » مجموعة ممثليه باحساس مرهف .. فجاء الفيلم وكأنه لمسة نشوة .. منعشة .. ومؤثرة .



يحيى الفخرانى على سرير المستشفى ، يصرخ من آلام التخمة ، وبجواره فريد شوقى وتوفيق الدقن ..



الهدوء .. والجمال .. والسكينة .. تمثلها هذه اللقطة من فيلم « خرج ولم يعد » .. وهى تجمع بين ليلى علوى والفخرانى.

اسبانيا تحتفل بالسـينما العربيـة

وهذا الانتصار الذى أكدته السينما العربية ، بتواجدها القوى فى مهرجان « قرطاج » السينمائى الأخير .. كان أيضاً احد المظاهر الهامة فى مهرجان « فالنسيا » الاسبانى والذى أقيم فى الفترة من ٢٩ سبتمبر الى ٧ أكتوبر الماضى .. حيث ارتفعت فى سماء المدينة الأسبانية الساحرة ، ستة أعلام عربية تمثل الجزائر ، وتونس ، والمغرب ، ولبنان ، وسوريا ، ومصر .

وكان المهرجان أشبه بمظاهرة حب للعرب ، حتى أن نتيجة مسابقة المهرجان ، أعلنت فى الحفل الختامى باللغة العربية ..

وكانت هذه هى المرة الأولى التى تعلن فيها نتيجة مهرجان دولى باللغة العربية ..

ومهرجان « فالنسيا » يقام سنوياً ــ هذه هي السنة الخامسة ــ ويخصص لسينما دول البحر الأبيض المتوسط .

وبجوار أفلام الدول العربية الست ، كانت هناك أفلام من فرنسا ، وايطاليا ، ويوغسلافيا ، وألبانيا ، واليونان ، وأسبانيا .

وتجاهل المهرجان متعمداً دعوة اسرائيل .. لا فى هذا العام فحسب .. ولكن فى دوراته السابقة .. واستقبل بكل الترحيب أفلام الدول العربية ومخرجيها وضيوفها .. واختار المخرج السينمائى المصرى « صلاح أبو سيف » رئيساً للجنة تحكيم المسابقة الرسمية .. واختار كاتب هذه السطور ، رئيساً للجنة تحكيم النقاد .

وكل هذه الاختيارات تدل على رغبة مهرجان « فالنسيا » فى إعلان هويته ، وكأنه يقول بصريح العبارة : « نحن مع العرب » .

متى نسمح بعرض هـذه الأفـلام ؟

معنى هذا .. أن هناك من يرحب بالسينما العربية .. ويحب أن يشاهدها ..

وبقى علينا أن نحب بعضنا ــ نحن العرب ــ ونسمح لأفلامنا بالعرض فى دولنا العربية .. فهذه المحاولات السينمائية الجادة يجب أن نشجعها ، ونفتح لها أسواقنا العربية ..

ويلح بداخلى سؤال .. كم منا شاهد الفيلم الجزائرى « شاى بالنعناع » للمخرج بهلول بهلول . ؟ وكم منا شاهد الفيلم التونسى « السبت فات » للمخرج لطفى اسيد ؟ وكم منا شاهد الفيلم المغربى « الزفت » للمخرج الطيب الصديقى .. والفيلم التونسى « الهائمون » للمخرج ناصر خمير ؟

وهى كلها أفلام جديرة بالاحترام .

إنه سؤال لضميرنا الفنى !

رءوف توفيق

أنا وحدي أحاول الابتسام

قصة من الأرض المحتلة

بقلم: حمدي الكحلوت

همست:

ـ يا فتاح يا عليم ..

وتوقفت عن جمع قرون البامية . اعتدلت بقامتها الفارعة . سوت شالها الأبيض . ظللت عينيها بكفها وصوبت بصرها في اتجاه التلال المجاورة ، تستطلع مصدر الصوت المعربد في هدوء المنطقة . إنه أقل من صوت الطائرة وأكثر من صوت سيارة « أبو سالم » التي يحملها كل يوم بالخضار . أخذت تفرك كفيها في قلق فتتساقط ذرات الطين والأهداب الشوكية التي التصقت بهما . نفضت ثوبها بقوة ، فزهت ألوان الخيوط الحريرية التي تطرز ذيله . تقدمت بضع خطوات متمتمة في توجس وذهول يتصاعدان مع تزايد زمجرة الآليات المقتربة :

ـ رجل غريبة .. أستر يا رب .. عيني من الصبح وهي ترف ..

أغلقت صندوق الخضار وجلست على حافته ، ما زالت تحدق في الأفق القريب .. ظهرت سيارة مكشوفة مليئة بالجنود .. تقافزوا منها قبل أن تتوقف تماماً .. انتشروا في أعلى التلة وهم يتصايحون ويتضاحكون .. وعند السفح كانت جرافة صفراء تزحف في بطء وتتبعها شاحنات ضخمة تحمل بيوتاً أنيقة مثل التي تشاهدها في التليفزيون .. ضربت على صدرها وهي تهتف :

ـ الله يهدكم .. هذه أرض « أبو اسماعيل » الرجل مريض .. وجذور القمح ما زالت في الأرض بعد أن حصدها بيده قبل شهرين .

باشرت الجرافة في تسوية الأرض بمجرد وصولها .. وتجمع عدد من القادمين الملتحين حول عامود يثبتونه في الأرض .. ويشدون عليه حبلاً وقطعة قماش بيضاء عليها خطوط زرقاء وهم يغنون ويدقون أرجلهم في الأرض ويدورون حول العامود في نشوة غامرة وطقوس غريبة .

تلفتت أم سالم حولها وهي تمسح دمعة أفلتت من عينيها . شاهدت ابنها الصغير عدنان وهو ينزل عن شجرة الزيتون ويهرول نحوها مشيراً بيده صوب المشهد المرعب ويهمس في أذنها

ـ سأنادي أبي .. الحكاية خطيرة ..

ابتسمت أم سالم .. كلماته أكبر من سنواته العشر .. ربتت على ظهره موافقة وأضافت :

ـ ولا تنسَ أن تمر على بيت « أبو اسماعيل » وقل له الغربان عششت في أرضك .. وابعد عن طريقهم الله يرضى عليك يا ابني .. تكفي الغرامة الأخيرة وتوقيفك عن دراستك في الحبس ..

ـ ولكنهم لن يتركونا في حالنا . وأشار إليهم .

ـ الكف لا يقارع المخرز يا ولدي .

ـ إلا اذا كان في الكف حجر يا أمي .

ماتت الابتسامة على شفتيه عندما أسكت أمه بمنطقه .. كان يرنو الى الأفق القريب .. تكاثفت غيوم سوداء .. ونبح كلب من بعيد ونعق غراب في الجو فتمتمت ام سالم وحوقلت في حين ابتسم صغيرها عدنان وانطلق منحدراً مع الطريق المؤدي الى قلب المدينة الكبيرة متجنباً الطريق الرئيسي المحاذي لأرض « أبو اسماعيل » حتى لا يراها وهي تشق وتداس بآلياتهم ورطانتهم .. أخرج « النبلة » من جيبه .. التقط حصاة عن الأرض وضغطها داخل الجلدة بين الابهام والسبابة .. صوب تجاه سرب من الغربان في أعلى شجرة خروب قديمة .. وأطلق قذيفته الصغيرة طار السرب الا واحداً .. وقع على بعد خطوات .. يتخبط في دمه .. جرى عدنان نحوه فرحاً .. ليس الغراب صيداً .. لكن الفرحة في دقة الاصابة .. يندر أن تطيش له رمية .. ولكز الغراب الميت بمقدمة حذائه .. ثم واصل السير مع الطريق الذي يدور الآن حول الجبل وعيناه تلاحقان الطبور ويداه تشدان على العصا ذات الشعبتين والجلدة المطاطية المحشوة دائما بالحصى الأملس الثقيل .

تستوي الأرض عند مشارف المدينة .. تترامى بعض بيوتها على أكتاف التلال المجاورة .. وفي المواجهة يلوح سوق المدينة .. بعد الزيتونة الكبيرة ، يوجد بائع تمر هندي وخروب .. سأشتري منه .. والتقط أنفاسي عنده وأمتع النظر بالشوارع الفسيحة المكتظة بالناس والسيارات والفلاحات يحملن سلال الخضر والفاكهة .. الغريب أنه لم تقابلني أية واحدة منهن !! كنت فقط أريد أن أسأل عن أبي .. لو أنه انتهى من بيع الخضار لمر بي الآن وأراحني من بقية المشوار .. ولأجلسني في المقعد الأمامي بجانبه في سيارته « البيجو تندر » لكن لابد أن يكون في

الأمر شيئاً .. مدخل المدينة لم يكن في أي وقت بهذا الهدوء ..وبائع الخروب ليس في مكانه وراء عربته .. آه .. صدقت أمي في رفة عينيها .. عربة اسعاف تقف وسط الميدان .. وفي الناحية الأخرى طوابير من الناس تواجه الحائط وكل الأيدي مرفوعة .. الجنود ، وسيارات الجيش ، وأعلام مرفوعة .. وأخرى ممزقة على الأرض .. وبقايا دخان واطارات محروقة .. وحجارة ومتاريس بدائية .. واذن .. هو الطوق .. الاقتراب أكثر من ذلك ، معناه الانضمام للطوابير المصلوبة على الحائط .. والابتعاد عن هروب لا أرضاه .

وضع القرفصاء وراء تلك الصخرة يتيح لك أن تشاهد كل ما يجري على مسافة قريبة ، دون أن يتنبه إليك أحد .. بدأوا في تعبئة الناس المصلوبين داخل سياراتهم الكبيرة .. شيوخ .. أطفال .. فتيات .. لطمة هنا وصرخة هناك .. وشتائم قذرة تنهال على الرؤوس .. تتعلق العينان بكوفية بيضاء ومعطف بني أعرفهما .. تتحسس يداي النبلة .. أتأكد من الحصى الثقيلة الملساء ، داخل المطاط المشدود .. يداه ترتفعان وفي احدهما سبحة .. أعرفها .. تشد يدي على المقبض ذي الشعبتين .. وأحكم النيشان بين عيني .. الحذاء الأسود الملون بطين الحقل يصعد الشاحنة فاتحة فاها .. يلوح الجندي برشاشه .. وبعقبه يدك رقبة الرجل .. آه .. انه أبي .. وتنطلق صرختي .. قبل حصاتي .. يلتفت الجندي ناحيتي .. في عينه تستقر الحصاة .. ثقيلة ملساء ودامية .. يصرخ .. يرمي سلاحه .. يدور حول نفسه ضاغطاً عينه بيده .. يتجمع حوله زملاؤه .. الكل يحاول أن يسعفه .. ينتهز الناس الفرصة .. يفرون من الشاحنات .. يعود كل واحد الى بيته .. أجلس في المقعد الأول بجانب أبي وأبتسم .

كان عدنان ما يزال يسير في الطريق المنحدر الى المدينة .. تتدلى من يده اليمنى قطعة خشبية بشعبتين ورباط من المطاط .. يشدها بين الحين والآخر .. ويرنو الى الأفق .. فتلوح بيوت المدينة زاهية وشامخة يلفها ضباب شفيف .. تحيط بها جبال جرداء كأنها مردة للحراسة وفي الجو ينعق غراب ويهدر صوت مجنزرة ما ان تطل على الصغير حتى يصرخ من فيها طالباً من عدنان التوقف .. يقفز اليه جنديان يصوبان اليه السلاح .. يفتشانه .. يطلبان منه الصعود الى قلب المجنزرة .. اليدان خلف الرأس .. والشتائم فوقه .. وضربات بأعقاب البنادق وألف سؤال وسؤال تهدر مع المحرك الذي عاد يبدد السكون .. ما هذه الآلة التي تحملها ؟ ! هل لديك أسلحة أخرى ؟ ! .. أين تخبئ كل ذلك ؟! .. الى أين تتجه الآن ؟ من شاهدت من المخربين ؟ كيف تتعامل معهم ؟ لماذا تقذف الداورية بالحجارة ؟ من يحرضكم على المظاهرات ؟! هل تذهب الى المدرسة ؟! .. ماذا يقول لكم المعلمون ؟ . و .. و .. و ...

والاجابة دوار وغثيان .. وقيئ وعرق .. يشكل طبقة عازلة وحامية من الجحيم ولو الى حين .. وفي جهاز اللاسلكي يرسلون اشارة .. أعرف بعض كلماتها مما تعلمته في المدرسة .. قبضنا على مخرب .. يحمل سلاحاً ممنوعاً .. ويهاجم الداورية .. يبدو انه قد أغمى عليه .. سنواصل التحقيق معه فيما بعد .

الانبطاح على أرضية المجنزرة أتاح لي استراق النظر جانبياً الى الحقول التي نمر بها .. أقدامهم ثقيلة فوق ظهري .. يضحكون ويغنون وبين الحين والآخر يسقط عقب بندقية على جسدي أو رفسة جندي مخمور .. أتظاهر بالاغماء وأصوب العين مغمضة على الطريق .. افتحها عند الاحساس بالاقتراب من حقلنا .. رائحة الأرض .. برودة هواء الجبل .. صوت الجرافات .. ونباح الكلاب .. ونعيق الغربان .. كل ذلك يعني اننا نقترب من حقلنا .. غامرت ونظرت الى عمق الجانب الأيسر .. كانت هناك .. تقف في شموخ بثوبها المطرز وقد جدلت شالها الأبيض خلف ظهرها .. ممسكة بفأس بيديها .. تحدق في الأفق تارة وكأنها تنتظر .. ثم تعود لتصوب نظراتها تجاه أرض « أبو اسماعيل » في حرقة وألم .

كانت الوحوش المعدنية قد كفت عن الهدير وجثمت على الأرض بضعة أكواخ ومن السيارات نزلت عائلات غريبة تتلمس الأرض في خوف وحذر .. نظروا في كل اتجاه .. رفعوا رؤوسهم الى قمة السارية .. لم يرفرف العلم .. مرت طائرتان نفاثتان على ارتفاع منخفض .. ولم تسكن الطمأنينة في القلوب .. أشاروا في اتجاه أم سالم متهكمين صائحين فلم تبتسم أم سالم .. كنت أنا وحدي أحاول الابتسام ، رغم الأحذية فوق ظهري .. رغم دغدغة حديد المجنزرة لعظام وجهي .. كنت أعرف انني سأعود اليها وأقف الى جانبها .. بضعة شهور وغرامة .. وأشد على اليدين المعروقتين وأعود لشد النبلة ، في اتجاه المستوطنة .. والغربان .





دوحة القراء

إشـــراف
سـنان المسـلمـاني

مـلاحظات هامـة

(١) اذكر على غلاف الرسالة اسم المسابقة ورقم العدد .

(٢) المسابقة الثقافية تتضمن (المسابقة الشعرية - عبارة شهيرة - جواز سفر - مدن العالم)

(٣) لايجوز الاشتراك فى أكثر من مسابقة فى العدد الواحـد حتى لا يلغى الخطاب .

(٤) ترسل الاجابات على العنـوان التـالى : مجلة الدوحة - ص . ب ٢٣٢٤ - الدوحة - قطر .

● لا تقبل الحلول التى لا يصاحبها كوبون المسابقات المنشور على صفحة ١٤٣ .

حاول أن تعرف



الصورة الأولى : ساحة الشهداء باحدى العواصم العربية العريقة ، فتحها المسلمون فى معركة اليرموك عام ٦٣٥م ، ما اسم هذه المدينة ، واسم القائد العربى الذى على يديه تم الفتح ؟

● ● ●



الصورة الثانية : أحد أعلام الأدب العالمى ، ولد عام ١٨٢٨ ، وكان انساناً ذا مثل عليا ، ومن أشهر رواياته التى حققت رواجاً فى كل انحاء العالم : الحرب والسلام ، آنا كارنينا .. وقد مات فى محطة للسكك الحديدية وهو فى صحبة ابنته وذلك فى عام ١٩١٠ .. من هو ؟

حـل مسـابقـة حـاول أن تعـرف للعـدد ١٠٦



الصورة الأولى : مدينة أسوان ــ وبحيرة ناصر

الفائز : أحمد مروان الموسى ــ الامارات العربية المتحدة

الفائز : بلال عبد الرحمن الشجاع ــ الجمهورية العربية اليمنية



الصورة الثانية : لويس الرابع عشر ملك فرنسا ، وقد توفى سنة ١٧١٥ م .

الفائز : سلامة عوده سلامة ــ مصر

الفائزة : جمانة أحمد رامى ــ الكويت

قـــــرأت

العقل والمودة بين الأشرار والأخيار !

جاء في الأدب الصغير لعبد الله بن المقفع :

المودة بين الأخيار سريع اتصالها بطيء انقطاعها ، ومثل ذلك مثل كوب الذهب الذى هو بطيء الانكسار ، هين الاصلاح .

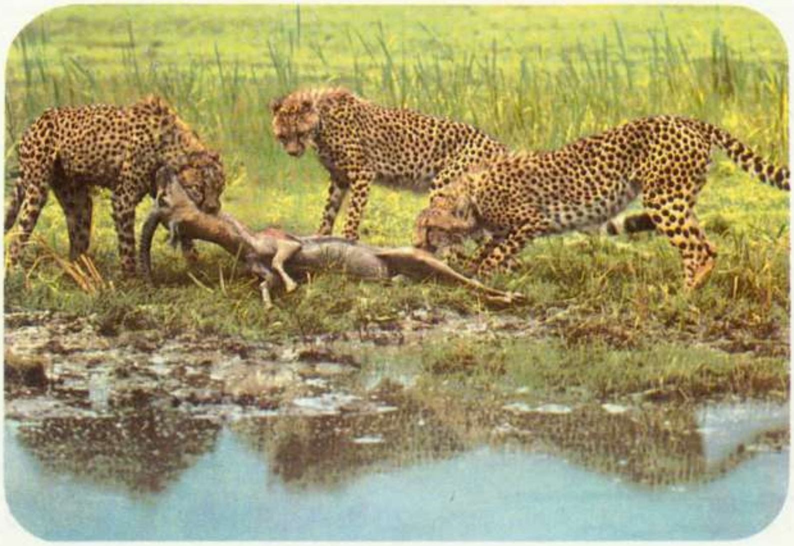
والمودة بين الأشرار سريع انقطاعها بطيء اتصالها كالكوز من الفخار يكسره أدنى عبث ثم لا وصل له أبداً .

وقال في العقل : سمعت العلماء قالوا : لا عقل كالتدبير ولاورع كالكف ولا حسب كحس الخلق ولا غنى كالرضى وأحق ما صبر عليه مالا سبيل إلى تغييره . وأفضل البر الرحمة ورأس المودة الاسترسال ، ورأس العقل المعرفة بما يكون ومالا يكون ، وطيب النفس حسن الانصراف عما لا سبيل إليه ، وليس من الدنيا سرور يعدل صحبة الاخوان ، ولا فيها غم يعدل غم فقدهم .

فريد ابراهيم إسماعيل

كلية دار العلوم ـ القاهرة

لقطة الشهر



البقـــاء للأقـــوى

فاز بالجائزة وقدرها مائة ريال قطرى القارىء طارق عبد الوهاب أنور ـ حلفا الجديدة ـ السودان .

بكالوريوس في الأمانة والوفاء

صدق أو لاتصدق أن كلباً حاز على شهادة جامعية في عام ١٩٤٣ ، حيث أظهر كلب من كلاب الشرطة يسمى « جاك » من الفطنة والذكاء والاخلاص في إرشاد الطالب الضرير « جاك وولكس » عبر قاعات جامعة « ميدل تنيسى ستيت » في الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى انتهى من دراساته الجامعية .

وفي حفل التخرج قررت الجامعة منح الكلب المرافق للطالب بكالوريوس في الأمانة والوفاء ، وكانت جائزته عبارة عن رقعة معدنية من الفضة الخالصة مدون عليها أن الكلب المذكور أنهى صفوفه الجامعية بامتياز !

مصطفى ابن المبارك

الدار البيضاء ـ المغرب

كلمات ومعان

ـ كوستاريكا : معناها بالأسبانية الساحل الغنى .

ـ بيت لحم : أصلها سريانى وتعنى بيت الخبز ، لأن لحم بالسريانية تعنى الخبز .

ـ الرايخ : كلمة ألمانية تعنى الامبراطورية .

ـ بيروت : ينسبها البعض إلى الكلمة الأرامية (بروتا) والتى تعنى الصنوبر .

ـ تلمسان : كلمة بربرية معناها الينابيع .

ـ ليبيريا : كلمة لاتينية معناها مكان الحرية .

ـ فرعون : كلمة مكونة من لفظين باللغة المصرية القديمة (بر ـ جو) وتعنى : البيت الأعظم .

وليد سليمان السلوم

دمشق ـ سورية

هـل تعلم؟

- أعلى القمم : قمة إيفرست ٢٩٠٢٨ قدماً
- أكثر المناطق انخفاضاً : البحر الميت ـ ١٢٩٣ قدماً تحت مستوى سطح البحر
- أوسع شبه جزيرة : شبه الجزيرة العربية ـ ١٠٥٤٠٠٠ ميل مربع
- أكبر الجـزر : جرينلند ـ ٨٣٩٨٠٠ ميل مربع
- أطول السلاسل الجبلية : الانديزوروكي ـ ٩٣٢١ ميلاً
- أكثر المناطق زلازل : شيلي ١٠٠٠ زلزال في السنة
- أوسع البحيرات : بحر قزوين ـ ١٥٣٠٠٠ ميل مربع
- أطول الأنهار : نهر النيل : ٤١٤٥ ميل

خالد محمد كامل

السويس ج . م . ع



دوحة القراء

مسابقة الدوحة

المسابقة الشعرية

فى قصيدة «شعر الدموع» لشاعرنا العربى الراحل أحمد رامى الملقب بشاعر الشباب ، حذفنا كلمة من بين كلمات القصيدة ووضعنا بدلا منها كلمة «مقصودة» . والمطلوب منك أن تعرف الكلمة الأصلية فى أبيات الشاعر :

يقولون ما هذا الشحوب الذى نرى بوجهك ، بل ما هذه النظرات ؟
فقلت لهم إنى دفنت نضارتى وقد ضربت فى قلبى الظلمات .
تشرد لحظى ، ثم غشته ترحة كما غشيت «مقصودة» الضحى المزنات .
لقد كان براقاً وقد كان ضاحكاً فراح بريق اللحظ والضحكات ..

المقصودة أو الكلمة الأصلية عند الشاعر مكونة من ثلاثة حروف ٣ ، ٢ فى الثعابين القاتلة .

عبارة شهيرة .. من هو قائلها؟

« أفضل ألا تنظرى على الحشرات الطائرة .. أنا أرهق نفسى من اجلك .. أفيد لك أن تلتفتى لى .. لكى تحصلى على الدكتوراه الجزئية .. والدكتوراه الكلية .. والدبلوما الكلية العليا .. » .

جاءت هذه العبارة على لسان احدى شخصيات مسرحية «الدرس» للكاتب العالمى أوجين يونسكو ، التى يعرى فيها بأسلوب ساخر قضية اللغة والأرقام والمفاهيم ..

فهل تعرف من هو قائل العبارة ؟

إذا كنت لا تعرف القائل تستطيع أن تعود إلى نص المسرحية . لأن اسم الشخصية التى قالت هذه العبارة مكون من سبعة حروف :

٦ ، ٤ ، ٥ ، ٢ بمعنى أخرج سيفه .

جواز سفر

هذه بيانات جواز سفر أحد مشاهير الأدب العالمى . حاول أن تعرفه من خلال تلك المعلومات التى تلقى الضوء على الجوانب الهامة فى حياة هذا الأديب :

- تاريخ الميلاد : ١٨٢١ .
- مكان الميلاد : أوكرانيا ــ موسكو ــ روسيا ..
- شهاداته : حاصل على شهادة الهندسة من بترسبورج .
- وظيفته الأساسية : كتابة الأدب والقصة والرواية الطويلة ..
- أول أعماله : مخطوط «الشعب الفقير» .
- أشهر أعماله : روايات : الجريمة والعقاب ــ الأخوة كرامازوف .
- أشهر أقواله : ليس معنى الحياة .. انتقال الانسان من جيل إلى جيل .. بل تحول الانسان من وحش إلى ملاك . ومن خاطىء الى قديس .
- حدث فى حياته : قبض عليه وأنقذته رسالة القيصر من تنفيذ حكم الاعدام فيه ، وأكتفى بنفيه مع القتلة والمجرمين الى سيبيريا ..
- شخصيات تأثر بها : الشاعر الروسى بوشكين ..
- اعتراف : اعترفت زوجته أنه كان يعانى من مرض الصرع الذى صوره فى قصته «الأخوة كرامازوف» .
- تاريخ رحيله : ١٨٨١ .

اسم صاحب هذا الجواز الذى اشتهر به مكون من مقطعين و١٥ حرفاً :

٢ ، ٥ ، ١ ، ٦ بمعنى يدخر .

٧ ، ١١ ، ٨ ، ١٤ ، ١٠ اسم موسيقى أوروبية راقصة .

مسابقة مدن العالم

حاول أن تعرف هذه المدينة العربية من خلال المعلومات التى سنذكرها لك عنها :

• تقع هذه المدينة فى جمهورية لبنان الشقيقة ..

• زعم البعض أنها أول مدينة فى الدنيا ، وأن اسمها الأول هو عشترت ، نسبه الى عشتروت ، سيدة الحب والجمال .

• اختلف المؤرخون حول اسمها الأول .. فقيل بروتا .. وقيل بروتاى .. وقيل بيروتوس .. أو بيريت .. وقيل أيضاً جاريشى .. تحريفاً لأسم الجرجش بن كنعان الذى بناها ..

• قيل أيضاً أن بانيها هو ساترونيس (كوكب زحل) الذى كانت له مكانه فى نفوس الذين سكنوا المدينة قديماً .

• عانت هذه المدينة الويلات المستمرة من الغزاة والمستعمرين ، منذ عهد الفراعنة حتى العهد الرومانى وعهد الزلازل المدمرة .

• من هذه المدينة طارت الشرارة الأولى لثورة ١٩٤٣ التى انتهت باعلان استقلال لبنان ..

• المدينة ذات طابع خاص يجمع ما بين الطابع الشرقى والعربى والغربى .. وتعتبر مدينة سياحية تجارية سياسية ، ذات طابع عالمي ..

اسم المدينة مكون من مقطع واحد وخمسة حروف :

٤ ، ١ ، ٢ ، ٥ يزرع فى البرازيل .

حل المسابقة الثقافية للعدد ١٠٦

١ ـ المسابقة الشعرية :

ـ الكلمة المقصودة عند عنترة هي : الليل .

٢ ـ عبارة شهيرة من قائلها ؟ :

اسم بطل المسرحية : سعيد الشاعر .

اسم المسرحية : ليلى والمجنون للشاعر صلاح عبد الصبور .

٣ ـ جواز سفر :

اسم صاحب الجواز : صمويل بيكيت .

٤ ـ مسابقة مدن العالم :

مدينة مراكش بالمغرب .

أسماء الفائزين

• فاز بالجائزة الأولى : وقدرها ٣٠٠ ريال قطرى .

القارىء : محمد عزت عبد الحافظ ـ مصر .

• فاز بالجائزة الثانية : قدرها ٢٠٠ ريال قطرى .

القارىء : سامى عبد الله عبد الغفور ـ الجمهورية العربية اليمنية .

• فاز بالجائزة الثالثة : وقدرها ١٠٠ ريال قطرى .

القارىء : محمد على أبو لبه ـ الأردن .

الفائزون باشتراك لمدة ستة شهور

١ ـ نعيمة عبد الرازق أحمد ـ العراق
٢ ـ حسن صالح سليمان ـ مصر
٣ ـ سمية عبد الغنى محمود ـ الأردن
٤ ـ خالد حسن عباس ـ الامارات العربية المتحدة
٥ ـ عبد السلام مصباح ـ المغرب
٦ ـ تاج الدين يعقوب ابراهيم ـ القضارف ـ السودان
٧ ـ جيلان عبد الحميد عثمان ـ الكويت
٨ ـ سهير محمد التكريتي ـ سوريا
٩ ـ عبد الباسط محمد محمد ـ السعودية
١٠ ـ ما ماد وصو ـ السنغال

حل استراحة الدوحة العدد ١٠٦

١ ـ أصل وصورة : الحاجب ـ الجبهة ـ العينان ـ الأنف ـ الذقن ـ الشارب ـ سوالف الشعر .
٢ ـ لوحة لم تتم : الشاعر أحمد رامى .
٣ ـ لأقوياء الملاحظة فقط : جزرة ـ وردة ـ ورقة شجرة ـ مثلث ـ مسمار ـ قبعة طاهى .
٤ ـ دورى الكاريكاتير : رقم (٧) .
٥ ـ لعبة الظلال رقم (٢) .
٦ ـ يخلق فى الشبه أربعين رقم (٥) .
٧ ـ المثل يقول : اللى يبص لفوق يتعب .

الفائزون

١ ـ حصة تامر السبيعى ـ قطر
٢ ـ محمود بن محمد الرواحى ـ سلطنة عمان
٣ ـ صالح محمد صالح ـ البحرين
٤ ـ أحمد صالح فارس ـ قطر
٥ ـ أحمد يوسف حبيب ـ مصر
٦ ـ عبد الله أحمد العلى ـ السعودية
٧ ـ نبيل علي حسن ـ قطر
٨ ـ أبا محمد فوزير ـ المغرب (اشتراك)
٩ ـ ليلى عبد الله سعد ـ البحرين
١٠ ـ جيهان إلياس ابراهيم ـ مصر
١١ ـ العيساوى أحمد بن على ـ موريتانيا (اشتراك)
١٢ ـ دخيل الله مبارك ـ السعودية
١٣ ـ محمد مكى عبدالله شريف ـ أم درمان ـ السودان
١٤ ـ محسن نصر الدين أحمد ـ مصر

كوبون مسابقات مجلة الدوحة

الاسم : ....

العنوان : ....

....

اسم المسابقة : ....

رقم العدد : ....

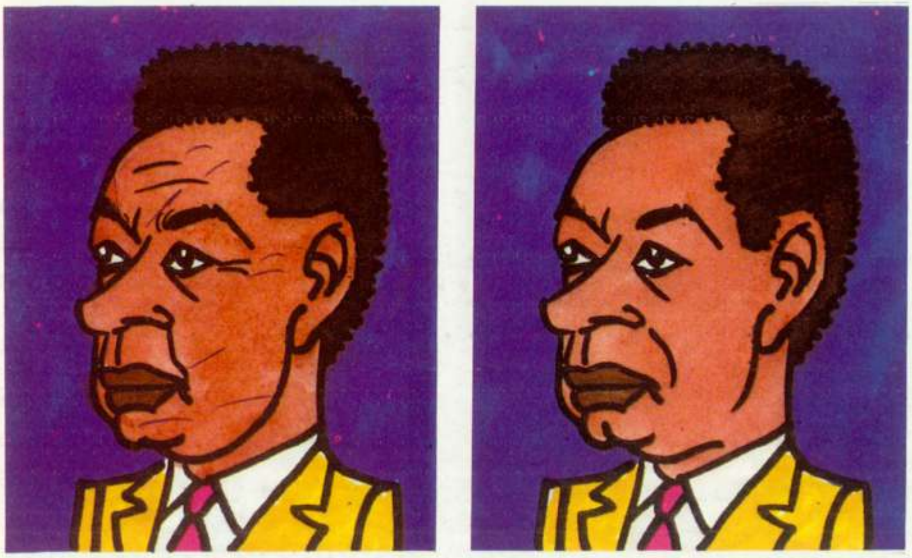


استراحة الدوحة

مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

رؤوف

أصل وصورة



إنه الروائى العربى الطيب صالح الذى ترجمت أكثر رواياته الى عدة لغات أجنبية ، وبخاصة موسم الهجرة الى الشمال ، وعرس الزين ..
إن ماتراه أمامك عبارة عن سبع اختلافات طفيفة بين أصل وصورة الروائى العربى ، إذا تعرفت عليها فلك جائزة .

المثل يقول



هذا الرسم الكاريكاتيرى يعبر عن مثل شعبى عربى نتداوله عند التعليق على أى خبر لا نعرف كل ما فيه من تفاصيل .. إذا عرفت المثل أرسله إلينا لتحصل على جائزة .

دوري الكاريكاتير



اقتحم أحد اللاعبين أرض الملعب كالصاروخ وسجل هدفاً قوياً فى مرمى الخصم ، هل تستطيع أن تحدد من هو صاحب هذا الهدف ورقم فانلته حتى تحصل على جائزة ؟

لوحة لم تتم



هذه اللوحة التى لم تتم لشاعر هندى كبير ، ترجمت الكثير من أعماله الى العربية ومنها « البستانى » و « البيت والعالم » و « رعاة الحب » ، وقد عاش فى الفترة ما بين (١٨٦١ — ١٩٤١) .. أكمل اللوحة وقل لنا من صاحبها لتحصل على جائزة .

لعبة الظلال



هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الحقيقى ؟ .. إذا استطعت ذلك فأرسل لنا الحل الذى قد يجعلك تفوز بجائزة .

لأقوياء الملاحظة فقط!



أمامك رسوم لستة أشياء متداخلة ، حاول التعرف عليها لتحصل على جائزة

يخلق من الشبه أربعين



الصور الست المنشورة لست شخصيات شديدة الشبه بشخصية الكاتب المسرحى الفرنسى جان آنوى الذى عرف بتحويله القصص الكلاسيكية الى مسرحيات حديثة .. بين هذه اللوحات واحدة تشبهه تماماً .. تعرف عليها لتحصل على جائزة

الورقة الأخيرة



بقلم : عبد الله الجفري

الحب هو الخاطر !!

إن قلبك لا يحب ، أو أن القلب هو حكاية قديمة من كلام عتيق جدا .. فى عصر كانت الرومانسية فيه تشبه « الاتيكيت » وكان الحب بضاعة الشعراء والحالمين !

فالقلب ليس أكثر من قطعة لحم تساعد على ضخ الدم ، وتتعاون مع رئتيك على تنظيم التنفس فيك .. بدليل أن قلوبا كثيرة أصيبت بأخطر الأمراض ، وبقي أصحابها من الذين يعشقون بعنف ، ويحبون بلا توقف حتى الموت ، وبدليل أن بعض القلوب أيضا عولجت بوصفات من عند « العطارين » تماما مثل الصلع ، والربو ، وارتعاشة جفن العين !

ولكن الذى يحب فيك هى خواطرك .. تحب نيابة عنك ، وتعبر عن ضعفك وعن عفويتك ، وعن صدقك .

وعندما تصبح انسانا بلا خواطر لابد أن يتوقف نموك الحسى ..

وعندما تتبلد خواطرك .. تقول للدنيا : « طز » وتقهقه ببلاهة .

وعندما تتشوش خواطرك بما يحكمها من الانشغال المادي .. فإن هذا الاصطدام بين المعنى والمادة فيها يحيل خواطرك الى « نقح » وربما يمكن معالجتها هى الأخرى بوصفة من عند العطارين .

ولا بد أنك تبعاً لذلك ستفقد الكثير من الخيالات ومن الأحلام ، وتصبح الأنثى فى تصورك حيرة ، والحياة فى تعاملك قرفا ، والمعانى فى ضميرك سرابا !

إن خواطرك هى عواطفك ، أو أنها هى التأثير المباشر على شعورك ، وعلى علاقاتك بالآخرين ، ولذلك .. فمن الممكن أن يتبلور فى ذهنك مثل هذا السؤال الضوضائى الطويل :

ــ لماذا لايجد الذكر صداه أحيانا ، أو لايجد الانثى التى تطابق طباعها ، طباعه ، أو لاتجد الأنثى ذكرها الذى يفهم لحظات مللها ، وينسكب فى لحظات توقعاتها ، وانتظاراتها ؟ !

ولعل الجواب يكون : لأن طباعنا محكومة بخواطرها ، ولأن خواطر الأنثى لاتتفق دائما مع خواطر الرجل ، فهى تجعل من خواطرها ذاتا ، والرجل يجعل من خواطره ايضاحا للذات ، ومن أجل هذه الحقيقة قتلت كليوباترا نفسها ، وقتلت شجرة الدر رجلا بالقباقيب .. وأحرقت جان دارك جسدها ، أو جعلتهم يحرقونها ، ومن أجل ذلك أيضا تخلى آرثر ميللر ذات يوم عن أنثاه وتركها تنتحر ، أو تقتل ، وضاع شاعر مثل كامل الشناوى فى زحام « عذريته » !

والأمثلة كثيرة لو أردنا الاستطراد فيها ، وخواطرنا تخلف لنا أمر التعب عندما نحاول أن نحصيها ! !

ولكن الجديد فى أخبار « القلوب » .. أنها انتقلت من اهتمامات الطب الحديث بشئونها وأمراضها ، « ولفظت » محاولات دكتور مثل برنارد ، وطلعت الأخبار تقول : إن أحدث علاج لأمراض القلب نجده عند العطارين . وتبعا لذلك فلا بد أن تزدهر الآن تجارة العطارة ، وأن يهرع العطارون الى الاهتمام بمتاجرهم واقامة الديكورات لها وحسن العرض ، تماما مثل الصيدليات الحديثة ، أو محلات المينى فاتورة .. فالعطارة علاج قديم أهمله الناس ، ثم ــ فيما يلوح ــ هاهم يعودون الى الاهتمام به والأخذ بقراطيسه !

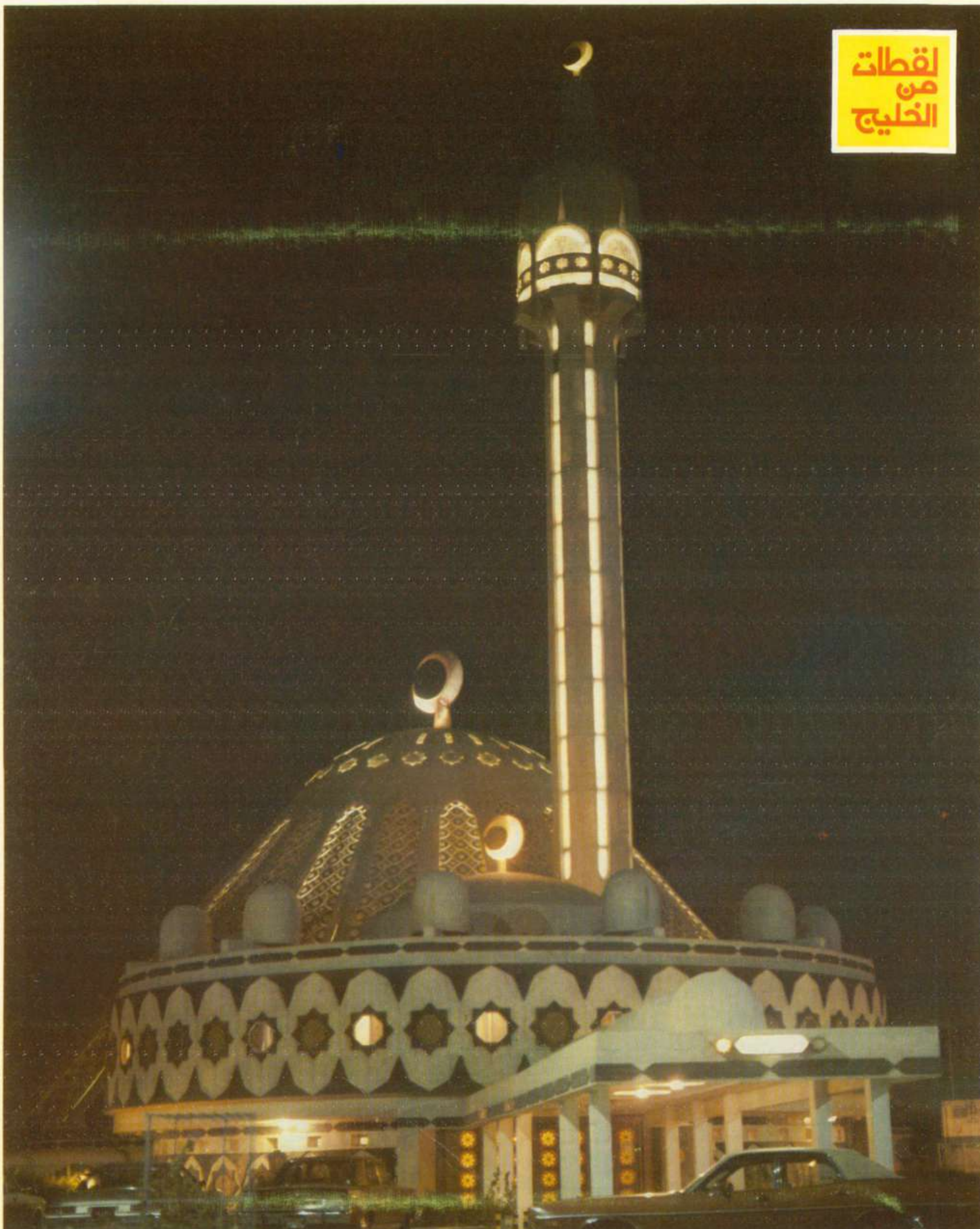
وقالوا : إن أشياء كثيرة لدى العطارين تصلح علاجا لأحدث أمراض القلب وليسقط الطب الحديث ، فمن الممكن إستعمال بعض الزهور ، واستعمال النبات ، واستعمال الخنزريم ، ولا أعرف ماهو ! ! ..

ومع القلب أوصوا بعلاج الصلع بالعطارة ، فقالوا : يُفرم الكرات ويعصر وتوضع مع العصير مرارة خروف ، ويوضع على الرأس ثلاث مرات فى اليوم بعد غسله ، وتكرر العملية وسيطلع الشعر أحسن من زرعه بالطريقة الحديثة وأسرع ، وبشرى لكل صلعة تلمع بأسى !

وأوصوا بعلاج مرض الربو بالعطارة فقالوا : يجمع ورق الحرمل وينقى ويغلى جيدا ، ثم يصفى ويوضع فى قارورة داخل ثلاجة ، فيشرب منه المريض ملعقة على الريق ، وتجلب مرارة الخروف وتوضع فى فنجان قهوة وتشرب على الريق لمدة اربعة عشر يوما !

وأوصوا للمصاب بحصى الكلى فقالوا : يعصر البقدونس ويصفى ويشرب المريض كأسا يوميا منه لمدة أسبوع . وأوصوا للذى يشكو من ارتعاشة جفنيه او مانسميه عندنا بـ « شحاذة العين » فقالوا : ينقع « الصبر » أو يدق ، ويوضع عليه قليل من الماء بحيث يصبح المحلول ثقيلا ويوضع على مكان الارتعاشة ! ! ونسوا أن يذكروا مع هذه الوصفة ايضا مرارة الخروف ! !

بقي القلب ــ فى هذه الزحمة ، ولابد أن تبقى الزحمة فى داخله سواء بالعلاج الحديث ، أو بوصفة العطارين ، أو حتى بمرارة الخروف ! !



من مساجد
الكويت

تتميز دولة الكويت بكثرة المساجد الشامخة بمآذنها إلى عنان السماء تشع بالنور .. ويعتبر مسجد « الشيخه فاطمة » فى منطقة الضاحية بالكويت مَعلَماً حديثاً من معالم العاصمة فى تاريخها الحديث وحضارتها السامقة



عُرسٌ خليجي .. للفنان القطري : سلمان المالكي